

النَّحْوُ الوَافِي

مَعَ رَنْبِطِهِ بِالْأَسَالِيبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْحَيَاةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُبْتَدَةِ

القِسْمُ الْمَوْجَزُ لطلبة الدراسات النحوية والصرفية بالجامعات
والمفصل للأساتذة والمتخصصين
مشتملاً على الضوابط والأحكام التي قررتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية

تأليف

عَبَّاسٌ حَسَنٌ

الأستاذ السابق بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ورئيس قسم النحو ، والصرف ، والعروض

* * *

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الطبعة الثالثة



دار المغارف بمصر

الفهرست

(١) المقدمة : وتتضمن الأسباب الداعية لتأليف هذا الكتاب ، وتوضح منهج تأليفه ، وتبين قيمة النحو ، ومزاياه .

(ب) بيان الأبواب العامة التي يشتمل عليها هذا الجزء .

رقم الصفحة :	عنوان الباب :	رقم الصفحة :	عنوان الباب :
١٣	الكلام وما يتألف منه .	٤٤١	الابتداء . المبتدأ والخبر .
٧٧	الإعراب والبناء ، والمعرّب والمبني .	٥٤٣	نواسخ الابتداء : « كان » وأخواتها . و .
٢٠٦ ×	النكرة والمعرفة .	٥٩٣	الحروف التي تشبه « ليس » وهي : (ما - لا - لات - إن)
٢١٧ ×	الضمير .	٦١٤	أفعال المقاربة . أفعال الشروع .
٢٨٦ ×	العلم .		أفعال الرجاء .
٣٢١ ×	اسم الإشارة .	٦٣٠	الحروف الناسخة :
٣٤٠ ×	الموصول .		(« إن » وأخواتها .)
٤٢١ ×	المعروف بأداة التعريف (وهي : أل)	٦٨٥	« لا » النافية للجنس .

تفصيل المسائل والموضوعات التي تشتمل عليها الأبواب العامة السابقة ، مع ملاحظة أن العناوين المكتوبة في الفهرس بخط صغير هي بعض الموضوعات الواردة في : « الزيادة ، والتفصيل » ، والهوامش .

١ — مقدمة الكتاب ، ودستور تأليفه . بيان هام

باب الكلام وما يتألف منه .

المسألة الأولى :	أول حروف الهجاء :
١٣	« الألف » . حروف المبادئ ، حروف الربط ، ومنها حروف المعاني .
	عدد الأحرف في الكلمة العربية .
	الكلمة قبل إدخالها في التركيب لا توصف بإعراب . لا بناء
	١٤

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :

- ٣٠ طريقة الإسناد إلى اسم يراد لفظه .
٣١ فائدة حكاية اللفظ .
٣٢ أقسام الاسم .

المسألة الثالثة

- ٣٣ أقسام التنوين وأحكامه .
الأول : تنوين الأمكنية ،
توضيحه .

متى ينون المنوع من الصرف ؟

- ٣٤ مناقشة أسباب منع الصرف .
رفضها .

٣٧ الثاني : تنوين التنكير .

- ٣٨ الثالث : تنوين التعويض .
٣٩ إعراب المنوع من الصرف المحذوف آخره .
رفض آراء النحاة في بعض صيغ منتهى
الجموع .

- ٤٠ تنوين : « كل » وبعض « وحكم إدخال
« أل » عليها .

٤١ تنوين المقابلة .

نشية المسم أو جمعه مما يزيل علميته :

- ٤٢ تحريك التنوين .
مواضع حذف التنوين ، ومنها آخر
الكلمات الموصوفة بكلمة : « ابن »
٤٤ متى تحذف همزة الوصل وألفها من كلمتي :

ابن وابنة

المسألة الرابعة

- ٤٦ الفعل وأقسامه ، علامة كل .
الزمن مُلغى في التعريفات العلمية ،
وفي بعض الأفعال الأخرى (مثل :
كان الزائدة - نعم - بش . .) .

رقم الصفحة : الموضوع :

- ١٥ الكلام (الجملة) ، جمل زال عنها
اسم الجملة ؛ كجملة التعت ،
وجملة الشرط . . . اللفظ

١٦ الكلم - القول - إشارة لبعض
أنواع المركب .

١٧ استعمال « الكلمة » بمعنى :
« الكلام »

١٧ أقسام الكلمة .

من أي أقسامها « اسم الفعل ؟ »

١٨ موازنة بين الأنواع السابقة .

٢١ إشارة إلى اسم الجنس ، وأنواعه .

٢٢ ما يجوز في اسم الجنس الجمعي ،
وفي ضميره ، وخبره ، والإشارة إليه .

٢٣ تكله في معناه ، والمراد منه .

٢٤ أنواعه .

٢٥ تعريف القاعدة .

المسألة الثانية

٢٦ أقسام الكلمة : (اسم -

فعل - حرف) .

الاسم وعلاماته .

الجر - والتنوين .

٢٧ المناداة (النداء) .

٢٨ حكم حرف النداء إذا دخل على
مالا ينادى .

العلامة الرابعة والخامسة :

« أل » و « الإسناد » .

- ٢٩ سبب تعدد علامات الاسم .
علامات أخرى .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٠ عودة إلى السنين وسوف ، معناها .
الفرق بينهما .

٦٢ نوع الزمن عند عطف فعل على فعل .

٦٤ علامة الأمر .

علامتان مشتركتان بين المضارع والأمر .

٦٥ نوع الزمن في الأمر .

المسألة ٥

٦٦ الحرف ، معناه

معنى أدوات الربط .

حروف المبادئ ، وحروف المعاني ،

وحروف التوكيد .

معنى زيادة اللفظ .

٦٨ قد يراد بالحرف الكلمة مطلقاً .

٦٩ إذا وقع بعد المبتدأ أداة شرط ، فأين الخبر ؟ وأين الجواب ؟

٧٠ وقوع معنى الحرف الأصلي على ما بعده .

الحروف الزائدة . الغرض منها .

أثرها . عدم تعلقها بعامل .

متى يكون اللفظ زائداً ؟

صححة زيادة الباء في مثل : كيف بك ،

وخرجت فإذا بالأسدقاء . . .

٧١ الحروف أنواعان : عامل ، وزهمل .

حروف الجر قد تسمى : «حروف الإضافة» .

الحروف الأحادية وغيرها .

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٧ لا يصح اعتبار اللفظ زائداً إذا أمكن

اعتباره أصيلاً

الفعل والجملة الفعلية والاسمية في حكم النكرة .

أحرف المضارعة ، واستعمالها .

٤٨ علامات الماضي .

٤٩ كلمة عن اسم الفعل .

٥٠ كلمة عن تاء التأنيث وهائه .

مكان تاء التأنيث من الفعل متى نستعملها

هي أو نون النسوة ؟ - تحريكها أحياناً .

حركة أول الساكنين .

التقاء الساكنين .

إشارة إلى جواز التقاء الساكنين في

مواضع

نوع الزمن في الماضي .

٥٢ أثر « قد » في تقريره من الحال

٥٣ وكذلك « ما » النافية

لا يصح تقديم شيء من مدخول « قد » عليها .

مدخول « قد » على الفعل الماضي المنق . حكم

مدخولها على المضارع المنق : « لا »

٥٦ علامات المضارع .

السين وسوف .

لا يصح أن يدخل عليهما نون .

بعض أحكام خاصة بهما (وانظر

ص ٦٠) .

٥٧ نوع الزمن في المضارع .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

باب الإعراب والبناء - المعرب والمبني .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٨٤	جدول لأشهر المبنيات ، وعلاوة بنائها
٨٧	علامة لاتوصف بأنها علامة إعراب
٨٨	« ب » رأى في أسباب البناء والإعراب
٩١	زيف كثير من التعليقات ولا سيما : (أنواع الشبه الوضعي والمعنى)
٩٤	« ح » إعراب أمثلة معقدة يكون المضارع فيها مفصولاً من نون التوكيد . توالى الأشكال المنوع ، وغير المنوع . متى يجوز التقاء الساكنين ؟
٩٧	مواضع تقدر فيها نون الرفع
٩٨	« د » متى تتحرك واو الجماعة ؟ مانوع حركاتها ؟ ضابط عام في تحريكها - إيضاح لما سبق
٩٩	« هـ » رأى في السكون في آخر الماضي « و » - أنواع معدودة من المبنى بناء عارضا ، وأخرى لاتعد مبنية
١٠٠	أنواع البناء والإعراب . (أو : ألقابهما) علامة كل منهما . علامات البناء الأصلية . منها : السكون ، وقد يسمى : « الوقف » . الفتح . الضم . الكسر .
١٠١	العلامات الفرعية .
١٠٢	جدول يشمل علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٣	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٤	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٥	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٦	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٧	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٨	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٠٩	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٠	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١١	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٢	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٣	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٤	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٥	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٦	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٧	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٨	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١١٩	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٠	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢١	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٢	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٣	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٤	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٥	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٦	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٧	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٨	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٢٩	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٠	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣١	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٢	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٣	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٤	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٥	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٦	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٧	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٨	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٣٩	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٠	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤١	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٢	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٣	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٤	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٥	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٦	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٧	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٨	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٤٩	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .
١٥٠	جدول يبين علامات البناء الأصلية والفرعية ، ومواضعها .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع

المسألة ٩

١١٧ « ب » المثني — تعريفه.

الحقيق منه والمجازي .

١١٨ التثني . معناه . تقسيه ، حكه .

العرب قد تغلب المؤنث .

١١٩ المراد من المثني في اللغة والنحو .

المراد من الملحق بالمثني ، ومن الجمع

واسم الجمع . المثني في المعنى يجوز إفراده ،

وتثنيته ، وجمعه ، إذا أضيف إلى ما

يتضمنه . اسم المثني .

١٢٠ ملحقات المثني : كلا وكلتا

اثنان واثنتان . إضاقتهما .

١٢٣ اللغات المختلفة في إعراب المثني .

١٢٤ عود إلى : « كلا وكلتا » .

الضمير العائد عليهما ، وعلى كلمات

أخرى تشبههما . (مثل : كم — من —

ما — أي — بعض ...)

١٢٥ بعض حالات إعرابية تصلح للتوكيد

أو لا تصلح .

ماسى بالمثني ، الغرض من التسمية .

طريقة إعرابه .

١٢٦ حروف العلم لا يدخل عليها نقص ولا

زيادة

١٢٦ طريقة تثنية المسمى بالمثني .

١٢٨ شروط المثني .

١٢٩ من شروط تثنية القلم تنكيره قبل

التثنية ، ثم تعريفه بعدها ، السبب في

ذلك . الطريقة لإعادة التعريف إلى

العلم بعد تثنيته .

١٣٠ طريقة إعراب الاسم المركب .

١٣٣ متى تهمل التثنية استغناء بالعطف .

رقم الصفحة : الموضوع

١٠٣ أنواع الإعراب . علاماتها

الأصلية .

١٠٤ علاماتها الفرعية مفصلة

عودة إلى المؤكد بنون التوكيد

وأن معموله لا يتقدم عليه

١٠٦ السبب في أن لكل واحد من الإعراب

والبناء علامات خاصة به

نوع من نيابة الحرف عن الحركة .

علامة لاتوصف بأنها علامة إعراب ،

ولابناء (انظر ص ٨٧)

الكلام على : « الأتباع »

١٠٧ الإشارة إلى نوع آخر من حركة

الابتناع .

المسألة ٨

١٠٨ « ا » الأسماء الستة . طريقة

إعرابها . اللغات التي فيها .

١٠٩ « ذو » — وتفصيل الكلام على

استعمالها .

١١٠ فائدتها . متى تجتمع وجوباً جمع

مؤنث سالم (ذوات) ؟ وكذلك ابن آوى

وبنات آوى ... ؟

١١١ ما يحسن الإقتصار عليه من

لغات الأسماء الستة .

١١٢ متى يرجع الحرف الأصل المحذوف

من الثلاثي ؟

١١٤ مافائدة دراسة تلك اللغات ؟

إعراب ماسى بواحد من هذه الأسماء

١١٥ متى يحذف حرف إعرابه ؟

معنى : « لأبأ لفلان » وإعرابه .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

١٤٦ كيف يجمع المثنى جمع مذكر سالم ؟

المسألة ١١

١٤٨ الملحق بجمع المذكر.

أنواع الستة السامية

كلمة عن اسم الجمع .

١٤٩ العموم الشمولي والعموم البدل .

١٥١ التسمية بجمع المذكر السالم

١٥٣ إعراب ماسى به .

١٥٥ طريقة جمع المسمى به ، وملحقاته .

١٥٦ عودة للكلام على « نون » المثنى وجمع

المذكر من جهة حركتها ، وفالذتها ؛

وحذفها ، وما يترتب على الحذف .

زيادة الفاء للتحسين

١٥٧ إعراب كلمة « عشر » بعد اثني... واثنتي...

١٥٨ قد يدل المثنى على معنى الجمع .

١٥٩ حالات تقدير الواو . زيادة موضع

لالتقاء الساكنين .

١٦٠ ما يتبع في ثنائية أعضاء الجسم ، وجمعها .

الثنائية جمع لقوى .

١٦١ هل يثنى جمع التكسير ويجمع ؟

المسألة ١٢

١٦٢ (د) جمع المؤنث السالم ،

تعريفه ، شروطه ، سبب

تسميته هو وجمع المذكر السالم

بجمعي التصحيح - كما سبق - ضبط

كلمة : « السالم » .

رقم الصفحة : الموضوع :

١٣٤ الرأي في : « أننا قائمان » وفي بعض

الملحقات :

(اثنان واثنان)

إعراب كلمة : « عشر » بعدها

١٣٥ متى تحذف نون المثنى ؟

ثنائية بعض كلمات محذوفة الآخر

(مثل : أب - يد ...)

١٣٦ إشارة إلى بعض أحكام هامة أخرى

تتعلق بالمثنى وفنونه ودلالته على أكثر من

اثنين ...

المسألة ١٠

١٣٧ « ح » جمع المذكر السالم .

تعريفه .

سبب تسميته هو وجمع المؤنث

السالم بجمعي التصحيح .

العدد الذي يدل عليه كل

منهما . ضبط كلمة : « السالم »

فيهما .

إطلاق الجمع لغة على الاثنين

(المثنى) .

١٣٨ حكم الاستثناء بالعطف عن الجمع

١٣٩ دلالة الجامة والمنق ، دوح دلالة

الوصف (أى : المشتق) إذا صار علماً .

زوال العلمية عند الجمع . الطريقة

لإعادة التعريف للجمع . العلم جامد

ولو كان في الأصل مشتقاً .

عودة إلى : « التفلب »

١٤٠ شروطه

١٤١ المراد من خلو من تاء التأنيث .

كيفية جمع أنواع المركب جمع مذكر سالم

١٤٢ نوع تاء التأنيث في الصفة (أى : في المشتق)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :

١٧٦ قد يعرب جمع المؤنث إعراب ما لا ينصرف .
بعض المبنيات يعرب إعراب المنوع
من الصرف .
بعض القبائل يجعل « آم » مكان :
« آل » .

المسألة ١٤

١٧٧ « و » الأفعال الخمسة ،
وأحكامها .

١٧٩ الفرق بين : (النساء لن يَمْعُونَ -
النساء يَمْعُونَ - الرجال يَمْعُونَ) .
حذف نون الرفع لغير ناصب أو
جازم .
حالات نون الرفع مع نون الوقاية
١٨٠ ملخص حالات نون الرفع .

١٨١ الرأى فى مثل : « هما يفعلان » ،
وتفعلان « المؤنثتين » ، وهن يفعلن
وتفعلن .

المسألة ١٥

١٨٢ « ز » المضارع المعتل الآخر :
أقسامه الثلاثة ، وحكم كل
قسم ، ومعنى تقدير الإعراب
فيه .

١٨٥ بعض اللغات لا يحذف منه حرف
العله مطلقاً .
حكم المعتل إن كان حرف العلة
مبدلاً من الهزمة .

رقم الصفحة : الموضوع :

١٦٢ الاستثناء عنه بالعطف أحياناً .
هلا لأفضل تسميته بالجمع بالأكلف
والثناء ؟ أنواع المؤنث -

١٦٣ العدد الذى يدل عليه هذا الجمع .

١٦٤ حكمه :

١٦٥ ملحقاته :

حركة « الكاف » فى « كُنْ » وأصل
« كان »

١٦٦ إشارة إلى السبب فى التسمية بالجمع .

حكم التنوين فى آخر ماسى به .
١٦٧ حكم فى ضبط حروف الهجاء عند
قصرها .

١٦٨ الأشياء التى يتقاس فيها هذا الجمع .

١٧٠ حركة عين الثلاثى .

١٧١ تشنية المركب الإضافى وجمعه هذا
الجمع .

طريقة جمع أسماء الأجناس التى فى
صدرها كلمة « ذو » ، أو ابن ،
أو أخ

١٧٢ طريقة تشنية المسمى بهذا الجمع ،
وجمعه .

المفرد الذى لا يجمع جمع مذكر سالم
لا يجمع جمع مؤنث سالم ، الرأى فى هذا

المسألة ١٣

١٧٤ « هـ » إعراب ما لا ينصرف ،

والأحكام المتصلة بهذا .

١٧٥ قاعدة لغوية فى ضبط الفعل : « جَرَّ »
وأشباهه .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :

١٨٩ نوع من نيابة حرف عن حركة

١٨٩ كيف تكتب ألف المقصور ؟

١٩٠ تفصيل الكلام على المنقوص .

١٩٣ نوع ثالث معتل الآخر بالواو

١٩٦ المنقوص الواقع صدر مركب .

١٩٧ حكم الظرف : « لدى » عند إضافته للفسير .

١٩٨ الإعراب التقديرى وأثره ، والحاجة إليه .

حصر مواضع الإعراب التقديرى .

١٩٩ الكلام على سكون التخفيف . ومنه

سكون التخفيف مع الوصل على نية الوقف .

٢٠٠ أنواع من حركة الإتيان »

٢٠١ نوعاً بالإضافة لياء المتكلم ، حالات الياء .

٢٠٣ الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين الكسر

٢٠٤ أشهر المواضع التى تقدر فيها الحروف النابتة عن الحركات .

٢٠٥ إعراب : (إنه من يتق ويصبر . . .)

١٨٦ المضارع المعتل الآخر بالياء قد

تخذف ياءه جوازاً

قد تخذف ياء المتكلم جوازاً من آخر الأفعال

المسألة ١٦

١٨٧ الاسم المعتل الآخر ، أنواعه

الثلاثة ، ومنها : المقصور والمنقوص .

أحكام كل نوع ، وحكم

صحيح الآخر ، وما يشبه

صحيح الآخر (أو : المعتل الجارى مجرى الصحيح) .

معنى المعتل عند النحاة وعند الصرفيين ،

حرف العلة ، وحرف اللين ، وحرف المد . المعتل والمعل .

١٨٨ تفصيل الكلام على المقصور

معنى قولهم : « ألف المقصور موجودة دائماً » .

معنى المقصور والممدود عند اللغويين والنحاة والقراء .

باب النكرة والمعرفة وفروعهما

ذاتها للقطع . متى تتحول همزة الوصل

إلى القطع .

إذا صار المشتق علماً دخل فى عداد الجامد .

٢١٠ حكم كلمة : « أحد » الملازمة للنن ، وغير الملازمة .

٢١١ أنواع المعارف .

معنى اللفظ المتوغل فى الإبهام .

المسألة ١٧

٢٠٦ معناهما : معنى الشيوع والإبهام .

معنى الحقيقة الذاتية والتشابه فيها .

٢٠٩ الجمل والأفعال فى حكم النكرات .

علامة النكرة . همزة فى كلمة : « أل »

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

النكرة التامة ، والناقصة ، والمعرفة
كذلك .

٢١٥ حكم عام في شبه الجملة بعد المعرفة
والنكرة . نكرات في اللفظ دون المعنى ،
والعكس . ما يصلح للأمرين .

رقم الصفحة : الموضوع :

٢١٢ اختلاف درجة المعارف في التمين .
بيان درجاتها وترتيبها .

٢١٣ حكم الجمل وأشباهاها بعد المحض وغير
المحض من المعارف والنكرات
معنى المحض ، درجاته .

باب : الضمير

حركة الهاء التي للغائب في مثل :
عليه . . . متى تشيع حركتها ؟
المنفصل .

الضمائر مبنية لفظاً معربة محلاً .

اتصال التاء ببعض الحروف ، (مثل
ما ، وميم الجمع ، ونون النسوة) ،
ونوع حركة التاء .

٢٢٢ حركة «ميم الجمع» إذا وليها ضمير متصل

. حذف واو الجماعة في بعض
اللهجات ، مع الاكتفاء بالضممة
قبلها . متى تكون الألف والواو من
الضمائر ؟

إعراب الضمير في نحو : لولاي -
عساي - عساك - عساه .

٢٢٣ الفرق بين الياء في مثل : قوي ، ومثل
أكرمني . يصح حذف ياء المتكلم من
آخر الفعل

الفرق بين كتابة الهاء للغائب والغائبة .
ومنى يزداد بعدها : ما - ميم الميم -
النون المشددة للنسوة .

المسألة ١٨

٢١٧ تعريفه . - أمثلة منه .

الكلام على أصل الضمير : (أنا)
وألفه ، وأثر ذلك في النطق وفي الكتابة .
إذا رفع المشتق ضميراً مستتراً وجب
أن يكون للغائب . الضمير جامد ،
لا يكون نعتاً ولا منعوياً . «الكاف»
التي هي حرف محض للخطاب ، أمثلة منها
ومن بعض أعوانها . . .

٢١٨ حكم الضمير .

٢١٩ يقال : كتبت الرسالة لسبع خلون ، أو : دخلت
من الشهر .

أقسام الضمير بحسب مدلوله
(تكلم - خطاب - غيبة . :)

تقسيمه بحسب ظهوره ، وعدم
ظهوره إلى : (بارز - مستتر -

متصل - منفصل . . . وأقسام
كل) .

الفرق بين المستر والمخوف .

٢٢١ أقسام المتصل بحسب مواقفه

من الإعراب .

إشارة إلى موضع حكم الضمائر .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٤١ عودة إلى إعراب الضمير بعد « لولا »

و « عسى » .

٢٤٢ ضمير الفصل وشروطه ، وإعرابه .

تسميته « عماداً » أو « دعامة » .

٢٥٠ ضمير الشأن ، أو القصة ، أو الضمير

المجهول ، أو . . .

٢٥٥ مرجع الضمير . الفرق الاصطلاحي بين

الضمير والمبهم .

عودة الضمير على متقدم .

٢٥٧ معنى التقديم في اللفظ وفي الرتبة .

التقدم المعنوي .

٢٥٦ عودة الضمير على المضاف لا المضاف

إليه عند عدم القرينة - والعكس .

٢٥٨ عودة الضمير على متأخر (وهي

مواضع التقديم الحكيمى) .

٢٥٩ إعراب مثل : « ربه صديقاً » -

الضمير المجهول .

٢٦١ تعدد مرجع الضمير ، الضمير المائد

على المضاف ، ومتى يعود على المضاف

إليه ؟

٢٦٢ التوافق بين الضمير ومرجعه .

٢٦٣ عودة الضمير على أحد الأمرين

السابقين . . . ، أو عليهما معاً .

٢٦٦ حكم مطابقة الضمير المائد على :

(كم - كلا - كلتا - من - ما - كل -

بعض - أى . . .)

٢٦٨ تفاوت المرجع في القوة .

٢٧١ اختلاف نوع الضمير مع مرجعه .

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٢٥ حكم دخول « ها » التي لفتني على

ضمير الرفع المنفصل الذي خبره اسم

إشارة ؛ مثل : هاأنا :

٢٢٦ أقسام المنفصل بحسب موقعه

من الإعراب . يقال للغائبات :

تسافرن ، أو : يسافرن . . . ولثني

الغائبتين ؛ : هما تسافران -

هما يسافران .

معنى الضمير الأصل والقرعى .

حركة الهاء في : (هو - هي) متى تُسكن ؟

٢٢٧ تقسيم المستتر إلى واجب

الاستتار ، وجائزه .

هل تستعمل ضمائر الرفع

المنفصلة في غيره ؟

٢٢٨ مواضع المستر وجوبا .

٢٣١ إعراب المرفوع المستر جوازا .

متى يستغنى الفعل واسم الفعل عن

الفاعل ؟

٢٣٢ تلخيص ما سبق من أقسام البارز

والمستر .

المسألة ١٩

٢٣٥ الضمير المفرد « البسيط »

والمركب .

٢٣٦ كيفية إعراب الضمير بنوعيه

٢٣٨ عودة إلى « الكاف » التي هي حرف

خطاب فقط ، ومواضع لها .

٢٣٩ إعراب مثل قوله تعالى : (أرايتك

هذا الذي كرمت على) .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

وقوعها في غير آخر فعل .

٢٨٢ الكلام على : « قدني ، قطني ،

حسني » .

ملخص ما تقدم .

٢٨٤ الحكم عند اجتماعها مع نون الأفعال

الخمس ، أمثلة مدونة وقعت فيها
آخر المشتق .

٢٨٥ حكمها مع نون النسوة .

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٢٠

٢٧٢ حكم اتصال الضمير بعامله .

٢٧٣ تقديم الضمير الأنخص .

جواز مجيء متصلا أو منفصلا .

٢٧٦ حالات واجبة الاتصال .

المسألة ٢١

٢٨٠ نون الرفع ، وأحكامها ،
وفائدتها .

باب : العلم

٣٠٠ أقسام العلم باعتبار لفظه إلى :

مفرد ، ومركب - أقسام المركب

(إضافي - إسنادي - مزجي)

وتعريف كل وملحقاته .

الكنية مركب إضافي ولكن معناه إفرادي

٣٠٢ أقسامه باعتبار الأصالة إلى :

« مرتجل ، ومنقول » .

٣٠٣ حكم المرتجل إذا انتقل لنوع آخر .

وضع العلم المرتجل ليس مقصوداً على
العرب

٣٠٤ الفرق بين النقل من جملة فعلية والنقل
من فعل فقط .

٣٠٥ العلم اسم « جامد » ولو كان منقولاً .

من مشتق . صيغة العلم لاتزيد

ولا تنقص .

٣٠٦ قد تتحول همزة الوصل إلى القطع .

المسألة ٢٢

٢٨٦ علم الشخص ، وعلم الجنس ،

٢٨٧ العلم الذاتي .

٢٨٨ عودة إلى اسم الجنس ، والنكرة ،

وعلم الجنس ، وعلم الشخص ، وأحكامه

المسألة ٢٣

٢٩٢ أقسام العلم

٢٩٣ علم الشخص وأحكامه .

٢٩٤ تنكير العلم ، وسببه .

إضافة العلم .

٢٩٥ معنى : « إيضاح المعرفة وتخصيصها »
عند إضافتها ، وكذا النكرة .

٢٩٦ علم الجنس وأحكامه ، واستعمالاته

٢٩٩ استعمالات أخرى لعلم الجنس .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :
٣١٣ إعراب المركبات العددية ، (ومنها
اثنا عشر ، واثنتا عشرة) والظرفية ،
والحالالية ، وهي من أنواع المركب
المرجى .

٣١٤ إشارة إلى الإعراب المحل . (انظر
ص ٨٤ و ١٩٨) .

٣١٦ الترتيب بين قسمين أو أكثر -
من أقسام العلم .

٣١٧ إعراب قسمين عند اجتماعهما

٣١٩ الترتيب والإعراب عند اجتماع
الأقسام الثلاثة .

٣٢٠ بقية الأحكام المعنوية واللفظية

رقم الصفحة : الموضوع :
٣٠٧ انقسامه إلى : اسم ، وكنية ،
ولقب ، الفوارق بينها في
الدلالة والمعنى .

٣٠٨ عودة إلى أن الكنية مركب
إضافي ولكن معناه إفرادي .
أثر ذلك .

الأحكام الخاصة بالانقسام السالفة .
أولها : الأحكام الخاصة بإعراب
المفرد والمركب .

٣١٠ معنى حكاية الأعلام ، الملحق
بالمركب الإنشائي .
المركب الوصفي .

٣١٢ طريقة ثنية أنواع المركب وجمعها .

باب : اسم الإشارة

المسألة ٢٥

٣٣٣ كيفية استعمال أسماء الإشارة ،
وإعرابها .

٣٣٦ إشارة إلى إعراب « كاف الخطاب »
فيها .

٣٣٧ الفصل بين : « ها تنبيه » واسم
الإشارة . مواضع « ها » .

٣٣٨ « هـ » قد تكون اسم إشارة للزمان .
اسم الإشارة مبهم - وكذا اسم الموصول .
معنى الإيهام هنا .

٣٣٩ إعراب الاسم الذي يعد اسم الإشارة .

المسألة ٢٤

٣٢١ معنى اسم الإشارة . أقسامه
بحسب الأفراد والقرب وفروعهما .

٣٢٢ الأفراد الحقيقي والحكي . الإشباع .

٣٢٤ معنى المد والقصر عند النعاة ، وغيرهم

٣٢٤ الكلام على : « لام البعد » ،
« وكاف الخطاب » وبيان
حكمها ، و « ها ، التنبيه »

٣٢٦ ضبط لام البعد .

٣٢٧ سبب تسميتها .

٣٣١ جدول لكل ماسبق من أسماء
الإشارة

(ف)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

باب : الموصول

رقم الصفحة : الموضوع :
٣٦٠ إلغاء « ذا » وعدم إلغائها. أثر
كل من الأمرين .

٣٦٣ أى . أحوال إعرابها وبنائها .
٣٦٥ باقى أنواعها .

٣٦٨ متى تكون بمعنى : « كل » أو « بعض » .
٣٦٩ جدول يشتمل على الموصولات
الخاصة ثم العامة .

٣٧١ كيفية إعراب أسماء الموصول .

المسألة ٢٧

٣٧٣ صلة الموصول والرباط. تعريفها
شروطها :

للصلة معان اصطلاحية .
أنواعها

٣٧٤ الجملة الخبرية ، والجملة الإنشائية .
أنواعها .

متى يتوحد للجملة اسمها ، ومتى يزول ؟
٣٧٧ الاستثناء باسم ظاهر عن الضمير العائد
(الرابطة)

قد تخلو الصلة من الرابطة .

٣٧٨ شروط أخرى للصلة .

حكم تقديم بعض أجزاء الصلة

٣٧٩ الفصل بين الموصول وصلته .

٣٨٠ الرابطة ، ومطابقته ، وعدم مطابقته ،
وخاصة في التكلم ، والخطاب ، والغيبة .

٣٨٣ جزم المضارع بعد جملة الصلة .
الظرف من جهة حذف المتعلق وذكره

٣٨٤ النوع الثانى : شبه الجملة .

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٢٦

٣٤٠ تقسيم الموصول ، وتعريفه .
الأسماء المبهمة ، ومعنى الإبهام
فى الموصول ، وغيره .

عودة إلى الفرق بين المضمحل والمبهم ، وإلى
إعراب الاسم الذى بعد اسم الإشارة .

٣٤١ سبب التسمية بالموصول .

٣٤٢ ألفاظ الموصول الاسمى الخاصة
والعامة .

٣٤٥ المراد من المقصور والمحدود عند
النحاة ، وغيرهم .

٣٤٦ معنى الجمع اللغوى .

٣٤٧ « أل » الداخلة على أسماء الموصول زائدة
لوصف المعارف بالجمال .

ألفاظ القسم العام (المشترك)

٣٤٨ استعمالات : « من » الموصولة

٣٥١ استعمالات « ما » الموصولة .

٣٥٢ ما يصلح أن له . ومنه النكرة التامة .

٣٥٣ ما تنفرد به « ما » - اللفظ الزائد
(اسما كان ، أو فعلا ، أو حرفا)
يسمى أيضاً : صلة

٣٥٦ استعمال « أل » . صلتها

٣٥٧ نوع جديد من شبه الجملة - إعراب
« أل » الموصولة .

ذو

٣٥٨ ذا

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٠١ الكلام على : « ولاسيا »

٤٠٤ النكرة التامة - أيضاً .

المسألة ٢٩

٤٠٧ « ب » الموصولات الحرفية

بينها ، الفرق بينها وبين
الاسمية .

٤٠٨ الكلام على كل واحد منها . أن :

٤٠٩ - هل تكون صلتها طلبية ؟

إشارة إلى « أن » المفسرة والزائدة

٤١٠ أن - كي

٤١١ ما

٣١٣ لو

٤١٤ من حروف السبك همزة التسوية .

كيف يصاغ المصدر المؤول ؟

٤١٧ لماذا فلجأ له ؟ الفرق بينه وبين

الصريح .

٤١٩ نوع الزمن في المصدر المؤول .

٣٨٥ شبه الجملة المستقر والفلو . المشتق
وأنواعه .

٣٨٧ وقوع الصفة الصريحة صلة .

متى تكون في قوة الجملة ؟

٣٨٨ إدغام « أل » في تاء المضارع الداخلة
عليه .

٣٩٠ تعدد الموصول دون الصلة ، أو مع
تعددتها . حذف الصلة .

٣٩٢ حذف الموصول .

٣٩٣ خبر المبتدأ الموصول قد يقرن بالفاء ،
وكنك المبتدأ الذي له اتصال بالموصول .

المسألة ٢٨

٣٩٤ حكم حذف الرابط (العائد) .

حذف الرابط (العائد) المرفوع .

معنى الإفراد في الصلة ، وفي الخبر ،
وفي غيرها .

٣٩٦ حذف الرابط (العائد) المنصوب

٣٩٨ حذف العائد المجرور .

٤٠١ قد يستغنى الموصول عن العائد .

باب : المعرفة بأل

٤٢٣ « أل » المعرفة والتي للعهد ،

وأنواع العهد

« أل » التي للتعريف غير

الموصولة التي سبق الكلام

عليها وعلى إعرابها (في ص ٣٥٦ و

٣٥٧)

المسألة ٣٠

٤٢١ أنواعها ، إشارة أخرى إلى تحول همزة
الوصل للقطع .

٤٢٢ التكرات المتوغلة في الإبهام .

إعراب ومعنى كلمتي : « فقط »

و « حسب »

(ق)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع

تعريفه ،

٤٣٥ أحكامه .

درجته في التعريف تلغي الدرجة
التي سبقتها .

٤٣٨ تعريف العدد « بأل » .

٤٤٠ الاسم النكرة المضاف إلى معرفة .

٤٤٠ المنادى النكرة المقصودة .

المسألة ٣١

٤٢٩ « أل » الزائدة بنوعها

إعراب كلمة : « الأول فالأول » والآن .

٤٣١ « أل » التي للمع الأصل .

المسألة ٣٢

٤٣٣ العلم بالغلبة ،

باب : المبتدأ والخبر ، وما يتصل بهما

المسألة ٣٣

٤٤١ تعريفهما . معنى العامل ،
أنواعه

إشارة عابرة إلى حكم مجيء
الحال من المبتدأ .

٤٤٢ تقسيم المبتدأ . المراد « بالوصف »

٤٤٢ الفعل - كالجمله - كلاهما في حكم
النكرة .

٤٤٣ تمييز المبتدأ من الخبر ، وطريقة
ذلك .

الخبر يتم الفائدة بنفسه ، أو مع
مساعدته .

٤٤٤ مبتدأ خبره الجملة الشرطية .

إشارة إلى أنواع من المبتدأ لا يكون
خبرها إلا جملة .

المبتدأ التاسع قد يستغنى عن الخبر .

٤٤٥ أوجه التشابح بين الفعل والوصف

٤٤٦ الجملة وتقسيمها .

٤٤٧ رافع المبتدأ والخبر

٤٤٨ دخول أحوال الزائدة (دون الأصلية)

على المبتدأ .

إعراب « بحسبك كذا » .

- كافيك - ناهيك .

دخول الباء الزائدة في مثل : كيف

بك - إذا بالرجل . . .

٤٤٩ أشياء تجري مجرى الوصف .

أنواع النون - مرفوع يغنى عن المنصوب .

٤٥٠ أساليب سماعية تجري مجرى الوصف .

٤٥١ أين الخبر في مثل : فلان وإن كثر

ماله - لكنه بخيل ؟ .

٤٥٢ الكلام المولد

المسألة ٣٤

٤٥٣ تطابق المبتدأ الوصف مع
مرفوعه .

أنواع من المطابقة .

٤٥٤ صور للتطابق وعدهم .

٤٥٥ مناقشة التقسيم القديم .

٤٥٧ صور أخرى من التطابق ، وأحكامها .

ومنها مراعاة مطوف مخنوف .

٤٦٠ متى يراعى البدل ؟

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٣٦

(٤٨٥) المبتدأ المعرفة ، والمبتدأ النكرة

الفعل في حكم النكرة -

مسوغات الابتداء بالنكرة .

٤٨٧ معنى الخبر المختص

٤٨٩ تمة المسوغات .

ملا فائدة منه لاغير في ذكره .

٤٩٠ إشارة إلى لام الابتداء . وأرقام الصفحات

المشتملة على أحكامها (أنظر م ٥٣

ص ٦٥٩) .

المسألة ٣٧

(٤٩٢) تأخير الخبر جوازاً ووجوباً

(وهي أيضاً تقديم حالة المبتدأ) حالة

الوجوب - كلمة عن التساوي ، والتقارب

في درجة التعريف والتشكيك .

٤٩٣ عودة إلى المبتدأ ، وأنه محكوم عليه ،

والخبر محكوم به . معنى القرينة ،

تقسيمها

٤٩٥ معنى القصص (المختصر) أركانه الثلاثة

٤٩٧ مواضع أخرى يجب فيها تأخير الخبر .

الرأى في مطابقة الخبر للمبتدأ المضاف

والمضاف إليه معاً .

٤٩٩ تقديم أحدهما عند تساويهما أو تقاربهما

في درجة التعريف والتشكيك ، والجدل

حول ذلك .

المعول عليه في تقديم المبتدأ والخبر

المسألة ٣٨

٥٠١ تقديم الخبر ووجوباً (وهي

الحالة - الثالثة)

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٣٥

أقسام الخبر .

٤٦١ الكلام على الخبر المفرد .

٤٦٢ الخبر المفرد وتحمله الضمير .

نوع ذلك الضمير . مشتقات

تتحمل الضمير ، وأخرى لا

تتحمل . وجوب إبرازه أحياناً .

٤٦٣ جريان الخبر على من هو له

وعلى غيره أحياناً .

٤٦٥ مسائل أخرى يجب فيها إبراز الضمير

٤٦٦ الخبر الجملة ، شروطها -

مى تفقد الجملة اسمها

الحرف لا يخرج الكلمة عن الصدارة .

معنى : « الجملة في محل كذا » أو :

« نائبة عن المفرد » .

٤٦٧ أنواع الروابط

رأى في إعراب : « إن هذان لساحران »

٤٧١ وقوع الجملة الإنشائية خبراً .

٤٧١ إعراب الجملة الواقعة خبراً وحكايتها

٤٧٣ وكذا المبتدأ الجملة . مبتدأ لا يكون

خبره إلا جملة ، أو شبهها .

٤٧٤ إعراب : « طوبى » .

٤٧٥ الخبر شبه الجملة ، وغيره .

٤٧٨ شبه الجملة التام وغير التام .

٤٧٩ نوع الظرف الذى يقع خبراً .

معنى إفادة الظرف . الغرض من الكلام الإفادة

٤٨٠ وقوع المعنى خبراً عن الجملة

٤٨١ عودة للكلام على : « طوبى » ونوع

خبرها . تعلق الظرف بالإسناد . وقوع

ظرف الزمان خبراً عن الجملة .

٤٨٢ كيف يضبط ويمرّب الظرف .

(ش)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :
ألفاظ أخرى مسدوعة وغير مسدوعة
٥١٩ حذف الخبر وجوباً .

٥٢٤ إعراب : « حسب »
وبعض أساليب في الحذف .
عودة إلى المبتدأ الذي يليه أداة شرط .

المسألة ٤٠

٥٢٨ تعدد الخبر ، وأنواعه ، وحكم
كل نوع
٥٣٣ تعدد المبتدأ

الخبر الذي يصلح نعتاً للخبر الأول ،
والذي لا يصلح .
الخبر في التعريفات العديدة .
تعدد المبتدأ وما فيه من عيب .

المسألة ٤١

٥٣٥ مواضع اقتران الخبر بالفاء - فائدتها .

رقم الصفحة : الموضوع :
٥٠٤ مواضع أخرى يجب فيها تقديمه .
الأمثال لا تغير .

المسألة ٣٩

٥٠٧ حذف المبتدأ والخبر .

قاعدة عامة في كل ما يحذف . إشارة
أخرى .

٥٠٨ الكلام على : « إذا » الفجائية
٥٠٩ الكلام على : « كيف » . معناها ،
وإعرابها .

٥١٠ حذف المبتدأ وجوباً .

قد يراد بالظرف الجار مع مجروره
الكلام على التعت المقطوع ، والفرض
منه وإعرابه ، وسبب القطع .

٥١٥ مواضع أخرى يجب فيها حذف المبتدأ
تلخيص موجز لما سبق في معنى : « لاسيما » ،
وإعرابها .

إعراب : « سقياً ورعياً » وأساليب
أخرى .

نواسخ الابتداء

٥٤٧ حكم دخول : « قد » إذا كان جملة
فعلية
٥٥٠ إشارة إلى زيادة « الواو » في خبر الناسخ .
٥٥١ معنى : « كائناً ما كان » ، أو :
« من كان » وإعرابها ، وقولهم : « كان
ما يفعل كذا » .

٥٥٤ ظل - أصبح -

٥٥٥ أضحى . أمسى - بات -

المسألة ٤٢

٥٤٣ معنى الناسخ ، ونوعه . ومعنى
اسمه وخبره

٥٤٤ أشياء لا يدخل عليها .

٥٤٤ الكلام على « طوبى » أيضاً ، نوع الزمن
في خبر الناسخ .

٥٤٦ شروط عمل « كان » وأخواتها .

نوع الزمن في خبر « كان » الماضية
وأخواتها إذا كان الخبر جملة مضارعية

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :
٥٥٦ صار .

٥٥٧ أفعال بمعنى « صار » . إعراب
قولهم : « ما جات حاجتك » .

٥٥٩ « ليس » . حكم دخولها على
الماضي .

حكم دخول الفعل على الفعل النفي من نوعه
٥٦١ عوده إلى زياده الواو خبر الناسخ .
إشارة إلى حكم المعطوف المشتق بعد
غيرها .

٥٦٢ زال —

نفي النفي إثبات، وكذلك نفي النفي والدعاء.
إشارة إلى المبتدأ الناسخ الذي لا يحتاج
إلى خبر .

٥٦٣ شروط إعمالها وإعمال المشتقات .
متى يحذف حرف النفي قبل
الناسخ ؟ .

٥٦٤ فتى — برح —

٥٦٥ أنفك — دام .

« ما » المصدرية الظرفية ،
وغير الظرفية .

٥٦٧ مجمل تقسيم الأفعال الناسخة .

٥٦٨ مدخول « قد » لا يتقدم عليها .
عودة إلى المبتدأ الناسخ الذي يستغنى
باسمه عن خبر المبتدأ .

المسألة ٤٣

٥٦٩ الترتيب في هذا الباب بين الناسخ
ومعموليه . حكم أخبار النواسخ
هنا من ناحية التقديم والتأخير .
٥٧٠ « أن » المصدرية لا يتقدم عليها شيء .

رقم الصفحة : الموضوع :

من مدخولاً - لا يجوز الفصل بينها وبين

٥٧١ كل ماله الصدرة - كالاستفهام
وغيره - لا يتقدم عليه شيء من مدخوله .

٥٧٢ ملخص الأحوال السابقة .

٥٧٣ بعض صور متنوعة .

« ما » النافية لا يتقدم عليها شيء من
مدخولها ، وكذلك « إن » النافية .

٥٧٤ الفرق بين « أن » و « ما » المصدريتين
من جهة الفصل .

كذلك « ما » المصدرية الظرفية .

٥٧٦ حكم تقدم معمول الخبر وتوسطه .
لا يقع بعد العامل معمول لغيره .

المسألة ٤٤

٥٧٩ زيادة « كان » وبعض أخواتها

٥٨٠ قد يكون فعل التعجب مجرداً من الزمن

٥٨١ متى يصح الحكم بزيادة الكلمة ؟

المسألة ٤٥

٥٨٢ حذف « كان » ، وحذف

معمولها .

هل يقع ذلك في غيرها ؟

المسألة ٤٦

٥٨٨ حذف النون من مضارع : « كان »

٥٨٩ متى تحذف الألف والواو من « كان »

ويكون ؟ متى تظم كاف الماضي ؟ مثل :
كن

المسألة ٤٧

٥٩٠ نفي الأخبار في هذا الباب .

٥٩١ زيادة باء الجر في أحد المعمولين

(الخبر ، أو : الاسم)

(ث)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

باب الحروف التي تشبه « ليس » في المعنى والعمل :

ما - لا - لات - إن

رقم الصفحة :	الموضوع :
المسألة ٤٨	٥٩٣ « ما »
٥٩٤ شروط إعمالها .	
٥٩٧ حكم المعطوف على خبرها .	
٦٠١ « لا » العاملة عمل « ليس » .	
٦٠٢ الفرق بينها وبين « لا » النافية للجنس .	
٦٠٤ « إن » العاملة عمل « ليس »	
« لات »	
رقم الصفحة :	الموضوع :
٦٠٦ قد تهمل « لات »	
٦٠٦ حكم العطف على خبرها .	
وقوع « هتّا » بعدها .	

المسألة ٤٩	
٦٠٧ زيادة « باء الجر » في خبر هذه الأحرف .	
٦٠٩ كلمة في : « العطف على الترم » ،	
٦١٠ إشارة إلى الجزأ المجاورة .	
٦١١ عطف المشتق بعد خبر « ما » و « ليس »	

باب أفعال المقاربة ، وأفعال الشروع ، وأفعال الرجاء .

رقم الصفحة :	الموضوع :
المسألة ٥٠	
٦١٤ أفعال المقاربة ، معناها .	
نوع الزمن فيها وفي أخبارها .	
٦١٥ عملها .	
وقوع المعنى خبراً عن الجثة .	
٦١٨ « كاد » كثيرها في التثنية	
٦٢٠ أفعال الشروع ، معناها ، عملها .	
٦٢١ أفعال الرجاء ، معناها ، عملها .	
٦٢٢ عملها .	
٦٢٣ حكمها .	
بعض أفعال هذا الباب يستعمل تاماً وناقصاً .	
٦٢٧ بعض شروط في أفعال الرجاء .	
ضبط « السين » في : « عسى » عند الإسناد للثاء التي هي ضمير .	
٦٢٨ إعراب : « عانى - عساك » .	
عدم الفصل بأجنبي بين ما دخلت عليه « أن » التي في خبر : « عسى » وغيره .	
٦٢٩ الكلام على : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)	
استعمال : « حَرَى » بالتنوين	

(خ)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

باب الحروف الناسخة : (إن وأخواتها)

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٤٤ نوع العامل في « أن » المفتوحة الهزئة

مع معموليها :
مواضع « أن » المخففة ، والمصدرية
الناسبة للمضارع ، والصالحة للثنيين
مواضع المصدر المؤول من « أن »
ومعموليها ، ومواضع المخففة .

٦٤٧ الكلام على : « أحقأ كذا » ؟

٦٤٨ قد يسد المصدر المؤول مسد المفعولين ،
وغيرهما .

٦٤٩ الحالة الثانية : كسر همزة
« إن » وجوبا .

٦٥٢ مواضع أخرى للكسر .

٦٥٣ الحالة الثالثة : جواز الفتح
والكسر .

إعراب « إذا » الفجائية .

٦٥٤ جواب القسم قد يكون شبه
جملة .

معنى فاء الجزاء - مواضعها .

جملة جواب القسم قد تغنى عن الخبر .

٦٥٧ مواضع أخرى لجواز الأمرين .

معنى : « لاجرم » وإعرابها .

المسألة ٥٣

٦٥٩ لام الابتداء ، سبب التسمية ،
فائدتها ، مواضعها ،

اللام المزحلقة . أنواع من اللام ...

٦٦١ نوع من الفرق بين لام الابتداء ولام القسم

٦٦٢ حكم الجمع بين « اللام » ، « السين »
وسوف »

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٥١

٦٣٠ إشارة إلى أشياء لا يدخل عليها الناسخ .

٦٣١ أوجه الاختلاف بينها وبين « كان »
وأخواتها .

معاني هذه الأحرف .

متى نستخدمها ؟

دخول هذه الأحرف على « أن » .

٦٣٢ إعراب قوله تعالى : (لكننا هو
الله رب)

٦٣٣ الكلام على بعض أساليب مسموعة :

« كأنك بالفرج أت » .

٦٣٥ ماتخص به : « ليت » .

٦٣٦ شروط إعمال هذه الأحرف

تصدير خبر : « لعل » « بأن »
المصدرية .

معنى « لعل » و « عسى » في كلام الله تعالى .

« ما » الكافة . فصل . « ما » ووصلها .

معنى قولهم : « كافة ومكفوفة »

٦٣٨ متى يتقدم الخبر ، ومتى يمتنع
تقدمه ؟

٦٤٠ متى يتقدم معموله ؟

٦٤١ حذف الحرف الناسخ والمعمولين .

تعدد أخبار هذه الأحرف .

نصب المعمولين عند بعض العرب .

المسألة ٥٢

٦٤٢ فتح همزة : « إن » ، وكسرها

الحالة الأولى : وجوب الفتح

(ذ)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٧٦ بعض أمثال مسبوقة في « إن » الخففة من الثقيلة .

إعراب بعض آيات قرآنية تشتمل على الخففة ، كقوله تعالى : (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم)

٦٧٨ تخفيف « أن » مفتوحة الهمزة

عودة إلى تعيين نوع « أن »

٦٨٠ متى تظهر نون « أن » كتابة ..

٦٨٣ تخفيف : « كأن »

٦٨٤ تخفيف : لكن ، ولعل .

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٥٤

٦٦٥ حكم المعطوف بعد خبر « إن »
وحكمه إذا توسط بين معموليها

٦٦٦ مناقشة رأى الأقدمين في ذلك .

المسألة ٥٥

٦٧٣ تخفيف « النون » في هذه الأحرف
الناسخة .

تخفيف « إن » .

باب : « لا » النافية للجنس

٦٩٣ أمثلة ساعية أخرى ، منها :
لا غلام لك .

٦٩٥ حكم أمثلة مسبوقة ليست نكرة .
يصح بناء اسم « لا » على الفصحة العارضة .

المسألة ٥٧

٦٩٧ اسم « لا » المتكررة مع العطف

٧٠١ حكم المعطوف على اسم « لا »
بغير تكرارها .

المسألة ٥٨

٧٠٣ حكم نعت اسم « لا » .

٧٠٤ قد تكون « الفاء » زائدة لتحسين اللفظ

٧٠٥ حكم بقية التواضع بعد اسم « لا » .

المسألة ٥٦

٦٨٥ معناها ، معنى التي لنفي الوحدة .
اتفاق معناها في غير المفرد .
صدارتها .

٦٨٦ عمل النافية للجنس ، وتسمى :

« لا » التي للتبرئة - شروطه

٦٨٩ العامل قد يتخطى الكلمة ، ولا يعمل فيها مع أنها أصلية .

عودة إلى « الواو » الداخلة في خبر
الناسخ .

٦٩٠ الحرف : « لا » - يتصدر جملة ، لأن الذي في حيز النفي لا يتقدم على النافي .

٦٩١ حكم اسمها إذا لم تتكرر .
تعريف الشبيه بالمضاف .

٦٩٢ عودة إلى الكلام على : « لا أباله » .

(ض)

الموضوعات المكتوبة بمجروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش.

رقم الصفحة :	الموضوع :
٧٠٨ « آلا » التي للاستفتاح والتنبيه .	<u>المسألة ٥٩</u>
حذف خبر « لا » .	٧٠٦ بعض أحكام أخرى .
٧٠٩ حذف اسمها إشارة إلى : « ولا سيما »	دخول همزة الاستفهام على : « لا » .
٧١٠ عودة إلى الكلام على : « لا جرم »	٧٠٧ حكم « آلا » التي لفتى في مثل :
متى تتكرر : « لا » .	« آلا ماء بارداً » .
حكم « لا » عند وقوع « إلا » بعدها .	<u>النت الموطىء ، أو : التعت بالجامد أحياناً</u>

الفهرس

١ - بيان الأبواب العامة التي يشتمل عليها هذا الجزء :

رقم الصفحة :	عنوان الباب :	رقم الصفحة :	عنوان الباب :
٣	<u>ظن وأخواتها .</u>	٢٤٢	<u>ظرف الزمان والمكان .</u>
٥٨	<u>أعلام وأرى . ونظائرهما .</u>	٣٠٤	<u>المفعول معه .</u>
٦٣	<u>الفاعل .</u>	٣١٣	<u>الاستثناء .</u>
٩٧ ✓	<u>نائب الفاعل .</u>	٣٦٣	<u>الحال .</u>
١٢٤	<u>اشتغال العامل عن المعمول .</u>	٤١٣	<u>التمييز .</u>
١٥٠	<u>تعدية الفعل ولزومه .</u>	٤٣١	<u>حروف الجر .</u>
✓	<u>المفعول به ، وأحكامه .</u>	٥٤٤	<u>بحث في : « مذ ومند » .</u>
١٨٦	<u>التنازع في العمل .</u>	٥٦٤	<u>بحث في : التضمين .</u>
٢٠٤	<u>المفعول المطلق .</u>	٥٩٦	<u>بحث في : « اللغة المأخوذة قياساً » .</u>
٢٣٨	<u>المفعول له (لأجله) .</u>		

ب - تفصيل المسائل والموضوعات التي يشتمل عليها كل باب من الأبواب العامة السابقة ، مع ملاحظة أن العناوين المكتوبة في الفهرس بخط صغير هي بعض الموضوعات الواردة في : « الزيادة والتفصيل » ، والمهامش .

باب : ظن وأخواتها .

٣	<u>المسألة ٦٠ :</u>	٥	معنى اليقين ، والظن ، والشك ، والوهم .
	<u>ظن وأخواتها .</u>		الكلام على : « رأيك » ، بمعنى : أخبرني »
٤	معنى الماضي المتصرف ، وغير المتصرف (أى : الجامد) . إشارة إلى المشتقات بقسما	٧	ضبط همزة « إخال »
	أفعال القلوب ، وأفعال التحويل . ومعنى كل .		معاني : زعم
		٩	موجز للأفعال السابقة .
		١١	المراد من أن المفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .
			ما تدخل عليه الأفعال القلبية .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
١٢	تقسيم آخر ، والسبب	٢٩	شروط العطف بالنصب على محل الجملة
١٣	الفرق بين عليم وعرف .		التي عُلّق عنها الناسخ . عطف المفرد على محل الجملة .
	الاكتفاء بمفعول واحد في هذا الباب .	٣٠	سبب التعليق
١٦	إشارة إلى : « أَرَأَيْتَ » ، بمعنى : أَخْبِرْنِي		مسألة يجوز فيها التعليق ، ولا يجب .
	تفصيل الكلام على المضارع : « أُرَى »	٣١	قد يكون لجملة القسم مع جوابه محل
	المبنى للمجهول ، والفعل : « أُرِيت »		من الإعراب .
	المبنى له ، كذلك .		وكذلك لجملة الجواب وحدها . .
١٩	الفرق بين صيغتي فعل الأمر : « تعلّم »		هل يسد جملتان معاً مسد المفعولين ؟
٢٠	الفعل : « وهب » من ناحية « التعلّى	٣٢	حكم « لا » النافية من ناحية الصدارة .
	واللزوم » .	٣٤	أمثلة تزيد التعليق وضوحاً .
٢١	شروط إعمال هذه النواسخ .	٣٦	زيادات خاصة بأحكام التعليق :
	حكم تقديم خبر النواسخ عامة .	٣٨	الحكم الثاني : الإلغاء .
	حكم خبرها الإنشائي .		سببه ، وأحكامه .
٢٢	معنى : لله دره بطلا .	٣٩	الفرق بين الإلغاء والتعليق .
٢٣	التقديم والتأخير في هذا الباب		الإلغاء جائز إلا في بعض حالات .
٢٤	ما تنفرد به الأفعال القلبية الناسخة	٤٠	هل يلغى العامل المتقدم ؟
	١ - تنوع المفعول الثاني .	٤٢	زيادات خاصة بالإلغاء .
٢٦	المسألة ٦١ :	٤٣	الحكم الثالث : الاستغناء عن
	ب - الأحكام الخاصة		المفعولين بالمصدر المؤول .
	بالأفعال القلبية المتصرفة .	٤٤	الحكم الرابع : جواز وقوع
	إذا كان فاعل اسم الفاعل ضميراً		فاعلها ومفعولها الأول ضميرين
	مستتراً وجب أن يكون للغائب .	٤٥	زيادة تختص بالحكم الرابع .
٢٧	الحكم الأول : التعليق .		***
	تعريفه ، سببه ، وجوبه إلا	٤٦	المسألة ٦٢ :
	في صوته واحدة جائزة .		القول : معناه . متى ينصب
	(ستجىء في رقم ٤ من هامش		مفعولاً واحداً ، ومتى ينصب مفعولين
	ص ٣٠) .		حكاية الكلمة والجملة .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
٤٨	إشارة إلى وقوع الجملة المحكية
	فاعلا ، ونائب فاعل .
	الجملة المحكية تسمى : « مَقُول
	القول » .
٥٠	شروط إعمال القول بمعنى الظن .
٥٣	عودة إلى اللفظ المحكى . إشارة إلى فائدة
	الحكاية ، وموضعها من الجزء الأول .
٥٣	هل تصح الحكاية بالمعنى ؟
٥٤	هل يلحق بالقول ما يؤدي معناه ؟
٥٥	إشارة إلى حذف القول جوازا .
٥٦	المسألة ٦٣ :
	حذف المفعولين معاً ، أو :
	أحدهما ، وحذف الناسخ .
	معنى القرينة ، أو : الدليل .

أَعْلَمَ وأَرَى ، ونظائرهما مما ينصب ثلاثة مفاعيل .

٥٨	المسألة ٦٤ :
	أثر التمعية بهمزة النقل .
٦١	إشارة إلى الموضع الذى يحوى إعراب :
	« كيف » .
٦١	أفعال أخرى تنصب بنفسها ثلاثة مفاعيل
٦٢	إشارة إلى : « تَرَمَّا » ونظائرها التى
	بمعنى : « لاسيما » .

الفاعل ، وتعريفه ، وأحكامه

٦٣	المسألة ٦٥ :
	التفريق بين الفاعل الذى فعل الفعل ،
	والفاعل الذى قام به الفعل .
٦٥	الفاعل المصدر المؤول ، والأداة
	الصالحة للسبك فى باب الفاعل ، ومنها :
	همزة التسوية .
٦٦	هل تقع الحملة فاعلا ؟
٦٧	إشارة أخرى إلى الموضع الذى يحوى
	إعراب : « كيف » .
٦٨	المسألة ٦٦ :
	أحكام الفاعل التسعة ؛ أولها :
	الرفع .
٧٠	حذف الفاعل .
٧٢	أفعال لا تحتاج لفاعل ،
	(ومنها أفعال محتومة « بما »
	الكافة) ، رأى آخر .
٧٣	« قلما » تكون حرف نفي ، أحيانا .
	ثالثها : تأخيرها .
	رابعها : نجرده من علامة
	تشنية ، أو جمع .
٧٤	القلة النسبية لامتنع القياس
	لايصح إخضاع لغة قبيلة للغة أخرى ...

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

٨٩ الترتيب بين الفاعل والمفعول به ،

وعاملهما .

٩٠ الفاء بعد « إما » الشرطية الظاهرة والمقدرة

٩٣ مواضع أخرى لا يجوز فيها تقدم
المفعول به على عامله .

٩٤ ثامنها : عدم تعدد الفاعل .

تاسعها : إغناؤه عن الخبر
أحياناً .

٩٥ الاشتباه بين الفاعل والمفعول ، وطريقة
التمييز بينهما .

رقم الصفحة : الموضوع :

٧٥ خامسها : إضمار عامله في مواضع .

٧٦ سادسها : تأنيث عامله في مواضع .

٧٨ أنواع المؤنث .

٨٠ مواضع أخرى لتأنيث العامل

وعدمه ، منها اسم الجنس والتكسير

٨٥ تأنيث الكلمة إذا قصد لفظها ،
وتذكرها باعتبار آخر .

٨٦ سابعتها : أحوال تأخره وتقدمه

على المفعول به . (وتنطبق

على أحوال المفعول به أيضاً) .

٨٨ معنى التقدم في اللفظ والرتبة . وإشارة
إلى المحصور : « بإلا » أو « إنما » .

النائب عن الفاعل

المسألة ٦٨ : ١١١

ب - الأشياء التي تنوب عن
الفاعل ، وشروطها .

إنابة المفعول به .

١١٣ إنابة المصدر واسمه .

متى تقع الجملة نائب فاعل ؟

١١٥ إشارة أخرى إلى الموضع الذي يحوى

إعراب : « كيف » .

١١٦ الكلام على : « معاذ الله » .

١١٧ إنابة الظرف .

١١٨ قط - عوض - فقط .

١١٩ إنابة الجار مع مجروره .

النائب هو المجرور وحده . إعرابه ،
وإعراب توابه .

الأشياء التي لا يجوز أن تنوب عنه .

المسألة ٦٧ : ١١١

٩٧ - الدواعى لحذف الفاعل
العوامل التي تحتاج وجوباً لنائب فاعل .

٩٨ التغيير الذي يطرأ وجوباً بسبب

حذف الفاعل .

١٠٠ المطاوعة ، معناها وبعض ضوابطها الهامة

٩٩ مطاوع « فصل » الثلاث المتعنى

١٠١ هفوة نحوية في كلام ابن مالك .

١٠٢ الفرق بين المعتل ، والمعل ، وحرف

العله ، واللين ، واللد .

معنى الإشام .

١٠٧ ما لا يصح بناؤه للمجهول .

١٠٨ رأى في أفعال يقال إنها مبنية للمجهول

لزوماً . هل يصح بناؤها للمعلوم ؟

١١٠ هل يكون المصدر المؤول عاملاً لنائب الفاعل ؟

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش .

اشتغال العامل عن المعمول ؛ معناه ؛ وطريقته

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
١٢٢	المسألة ٦٩ :	١٣٨	قد يصح الجمع بين المفسر والمفسر ،
معناه .		١٣٩	لا العوض والمعوّض عنه .
معنى السبب .		١٤١	الجملة المفسرة ، وحكمها . وحكم غير الجملة .
١٢٦	الضمير العائد على الظرف	١٤٤	قد يكون لها محل .
يجر بالحرف : « في » .		١٤٨	الاسم المرفوع بعد أداة الشرط فاعل ،
نوع العامل ، وشروطه .		١٤٩	أو نائبه ... ولا يكون مبتدأ .
١٢٩	حكم الاسم السابق في الاشتغال .	١٥٤	تأييد النحاة في إعراب : (وإن أحد
١٣٠	حكم كثير من الأسماء المتقدمة	١٥٨	من المشركين استجارك) وأمثالها .
على عواملها .		١٦١	تقسيم بطريقة أخرى .
١٣٨	شروط وتفصيلات أخرى .	١٦١	أبيات « الألفية » في هذا الباب
			مفككة :

تعددية الفعل ولزومه .

المسألة ٧٠ :	أنواع اللزوم
١٥٠ ✓	أنواع الفعل من حيث التعددية واللزوم
١٥١	حكم توابيع المفعول به الحكمي
١٥٢	هما ضابطان
١٥٣	قيمة الضابطين
مناقشتها . وإبداء الشك في قيمتهما .	
(في ص ٨٦ حكم ترتيب المفعول به الواحد ، أى : تقدمه وتأخره في جملته .)	
أنواع الفعل التام .	
المراد من كلمة : « مفعول » عند إطلاقها .	
١٥٣	هل يجوز العطف بالنصب على المفعول به المعنوي ؟
١٥٤ ✓	أشهر علامات الفعل اللزوم
١٥٥	معنى الإلحاق ، وحكمه . عصور
الاستشهاد بالكلام القديم .	

١٥٧ أنواع اللزوم

المسألة ٧١ :

طريقة تعددية الفعل اللزوم ،

وما في حكمه .

معنى : « ما في حكمه » .

١٦١ التعددية بحرف الجر الأصلي

نزع الحافض والنصب به (وهو

المسمى : الحذف والإيصال)

١٦١ تنوع حروف الجر وتغييرها

بتنوع المعاني ولو لم يتغير

العامل .

المراد من أن فعلاً لازماً يتعلّى

بحرف جر معين .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هى بعض موضوعات : «الزيادة والتفصيل» والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

١٧٧ التزام الترتيب .
موضع مخالفة الترتيب وجوباً .

١٧٩ حذف المفعول به .

الفضلة والعمادة :

حذف المفعول به جوازاً .

١٨١ عدم حذفه .

١٨٢ معنى المثل - ما يشبه .

١٨٣ حذف عامل المفعول به جوازاً

وجوباً .

الاشتباه بين الفاعل والمفعول به .

جعل المتعدي لازماً ، أو فى

حكم اللازم .

١ - التضمن لمعنى الفعل اللازم حكماً . ١٨٣

٢ - تحويل الفعل الثلاثى

إلى « فَعَّلَ » للمدح والذم ،

وشروط ذلك . الفرق بينه وبين : رَنَمَ

٣ - المطاوعة . ١٨٤

٤ - ضعف الفعل الثلاثى .

الرأى فيه .

٥ - ضرورة الشعر . ١٨٥

رقم الصفحة : الموضوع :

١٦٢ حذف الجار ، وأنواع الحذف
وآثاره

النصب على نزع الحافض -
أى : الحذف والإيصال .

١٦٥ بقية وسائل التعدية : (همزة
النقل ، التضعيف)

١٦٦ تحويل صيغة الفعل الثلاثى إلى :
« فاعل واستفعل »

١٦٧ تحويل صيغة الفعل الثلاثى إلى « فَعَّلَ
للمبالغة » ...

١٦٨ التضمين ونوعاه ومزيبته . . .
بعض أحكام المطاوعة .

١٦٩ إسقاط الجار والنصب على
نزع الحافض . (أى :
الحذف والإيصال)

١٧٣ تعريف المغالبة وتفصيل
الكلام عليها .

المسألة ٧٢ : ١٧٦

تعدد المفعول به ، وترتيبه ، وحذفه .
مواضع جواز الترتيب

التنازع فى العمل

إعمال الأول .

١٩٦ إعمال الأخير .

٢٠١ رأى فى باب « التنازع » ، إصلاح عيوبه

المسألة ٧٣ :

١٨٦ أمثلة وتعريف .

١٩٢ أحكام التنازع .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

المفعول المطلق ، ومعناه

الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :
المسألة ٧٦ :	٢١٩	المسألة ٧٤ :	٢٠٤
حذف عامل المصدر ، وإقامة المصدر المؤكد نائباً عنه .		<u>سبب التسمية :</u>	
الدليل المقال والحال .		٢٠٥ بعض الأفعال لا يدل على زمن .	
حذف العامل وجوباً .	٢٢٠	٢٠٦ ناصب المصدر .	
معنى الخبر والإنشاء ، وجملة كل .		٢٠٧ تقسيم المصدر بحسب فائدته اللغوية	
الجملة الإنشائية : طلبية ، وغير طلبية .		المصدر المبهم ، والمختص ،	
بيان كل واحدة		— ومنه النوعي ، والعددي —	
الكلام على : « سقياً » و « رعياً » .	٢٢٢ ✓	تعريف كل .	
الأساليب الخبرية	٢٢٤	تعريف المصدر المبهم	
الكلام على : ألبتة (معناها ، وهزتها)	٢٢٦ ✓	٢٠٨ متى نستعمل المصدر المبهم ؟	
متى يعمل المصدر الصريح ؟ في موضعين .	٢٢٩ ✓	توكيد المصدر لعامله نوع من التوكيد اللفظي —	
اللفظ المهمل ، صحة استعماله وتجديده ،	٢٣٠	٢١٠ العلاقة بين المصدر والمفعول المطلق .	
تكلمة المادة اللغوية الناقصة .		٢١١ حكم المصدر المؤكد لعامله ،	
الكلام على معنى وإعراب كلمة : (ويح		وغير المؤكد .	
— ويل — ويب — ويس — بله . .)			
أنواع مختلفة من المصادر السماعية	٢٣١		
ما يجوز فيها وفي قولهم : ويل للشجى	٢٣٢		
من الخلق			
معنى التثنية فيها .	٢٣٤		

المفعول له ، أو : لأجله

المسألة ٧٧ :	٢٣٦
متى يكون نكرة ومتى يكون معرفة ؟	
أمثلة له .	
٢٣٧ تعريفه وتقسيمه ، أحكامه .	
٢٤٠ التذكير والتأنيث في اللفظ باعتبارين مختلفين .	

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

ظرف الزمان والمكان

رقم الصفحة :	الموضوع :
٢٥٩	المسألة ٧٩ :
	الظرف المتصرف وغير المتصرف .
	أقسام كل .
	« ا » المتصرف .
٢٦٠ ...	حكمة
٢٦١ ...	« ب » الظرف غير المتصرف شبه الظرفية
	كلمة عن الظروف الآتية :
	(أين - ثم - هنا - متى ..)
	إعراب : قط - عوض - فقط - مكان -
	بدل - حول (وفي هذه لغات) سحر
	- عند - لدن - قبل - يند ..
٢٦٢ ...	حكم الظرف غير المتصرف .
	ظرف الزمان « متى » أيضا .
	ويذ ، ومنذ .
٢٦٣	ما ينوب عن الظرف .
٢٦٦	أقسام الظرف من حيث
	التصرف ، وعدمه ، ودرجته .
	أقسام الظرف من حيث التصرف .
٢٦٧	الفرق بين وسط - بسكون السين - ،
	ووسط ، بتحريكها .
	وجوب تعلق شبه الجملة ،
	ومعنى هذا . هل يصح تقدمهما
	على عاملهما ؟ قد يتعلقان بعامل
	معنوي هو : « الإسناد »
٢٦٩	أقسام الزمان ، واستفراقه المعنى .
٢٧٠	حكم الظروف المركبة .
٢٧١	« بين » المركبة : « بين - بين »
٢٧٢	إشارة إلى الظرف : « ذات » في مثل :
	ذات العيين وذات الشمال .
	أنواع أخرى من الظروف غير المتصرفة ،
	حوال - وفيها لغات -
٢٧٥	(شطر - زنة الجبل - صقب)

رقم الصفحة :	الموضوع :
٢٤٢	المسألة ٧٨ :
	شبه الجملة ، وهو شبه الوصف . المراد من
	تضمن الظرف معنى : « في » .
	ظهور « في » وعدم ظهورها .
	بعض الظروف لا يتضمنها :
٢٤٣	قد يطلق الظرف ويراد منه الجار مع
	محروره
٢٤٤	أحكامه .
	إشارة إلى حكم شبه الجملة بعد المعارف
	والنكرات .
٢٤٥	حروف المعاني . هل يتعلق بها شبه
	الجملة ؟
٢٤٦	حذف عامل الظرف جوازا وجوبا .
	الظرف اللغو والمستقر .
٢٤٩	سبب تعلق الظروف بالعامل المحذوف
	وجوباً .
٢٥٢	الظرف الزماني المبهم والمختص . (أو
	أسماء الزمان المبهمة والمختصة)
	الضمير العائد على الظرف يجر « بنى »
	وقد يحذف .
	حكم إضافة كلمة : « شهر » إلى
	أسماء بعض الشهور .
٢٥٥	أنواع ظرف المكان
٢٥٥	متى يتعدد الظرف ؟
٢٥٧	ما يلحق بالجهات . « في - في
	مثل : (داخل - خارج -
	ظاهر المدينة . . .)
	الظرف المؤسّس والمؤكد .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش .

رقم الصفحة : الموضوع :
٢٨٧ الكلام على : « بينا وبينما »
- إشارة إلى إلحاق الظرف
بالشرط .

٢٩٠ حيث
٢٩١ ح-و-ن - ر-ي-ث - عند .
٢٩٢ معنى ظروف الغايات ،
وإيضاح المراد من : « الغاية »

٢٩٣ عوض - قط -
٢٩٤ كلاًهما -
لدن -
٢٩٥ لدى -

٢٩٦ لَمَّا ، وهل تدخل على مضارع ؟
٢٩٩ مذ - منذ - متى - مع .
بناء أسماء الزمان « المبهمة »
٣٠٠ مع - ملحقاتها

٣٠١ الإضافة الواجبة إلى الجمل تحتم البناء .
شروط إضافة اسم الزمان للجملة

رقم الصفحة : الموضوع :
٢٧٣ ظروف منصوبة على فزع الخائض .
(حقاً - غير شك - جهد رأي - ظناً - و...) .
حذف العامل وجوباً .

٢٧٤ ○ تنزيل بعض الظروف منزلة أدوات
الشرط في غير الجزم ، اقتران جوابه بالقاء .
هل يعطف الزمان على المكان ، والمكس ؟
موجز للظروف المختلفة - مع
جدارتها برسالة مستقلة بها -

٢٧٥ إذا -
٢٧٨ إذا .
٢٧٩ الفرق المعنوي بين : « إذا وإن »
٢٨١ الآن - .

٢٨٢ أمس - أول - بين - بدل .
٢٨٣ بعد : حكمها ، وبعض
استعمالاتها الأدبية . - أول -
قبل - أمام - قدام - وراء -
خلف - أسفل - يمين -
شمال - فوق - تحت - عل - دون .

المفعول معه

٣١٠ حالات الاسم الذي يعد الواو .
٣١٤ اختلاف معنى الجملة باختلاف ضبط
الاسم بعد الواو .
ترتيب المفعولات المحتملة ، المختلفة
الأنواع .

٣٠٤ المسألة ٨٠ :
٣٠٥ تعريفه .
٣٠٦ بعض صور ممنوعة .
٣٠٨ أحكامه .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

الاستثناء

رقم الصفحة :	الموضوع :
٣١٥	المسألة ٨١ :
٣١٦	إيضاح مصطلحاته ومعناه .
٣١٨	المستثنى منه - المستثنى - الأداة
٣١٨	الاستثناء الموجب وغيره - التام .
	الذي الصريح وغير الصريح .
	الاستفهام الإنكاري ، والتوبيخى .
٣١٧ -	المفرغ
٣١٨ -	المتصل ، المنقطع
٣١٩	حكم المستثنى بإلا .
٣٢٠	بدل لا يحتاج لرباط .
٣٢٣ -	معمولات لا يصح فيها التفرغ .
٣٢٥	إعراب قوئم : « كما لو كان الأمر كذا . . . » .
٣٢٦ -	نوع آخر من التفرغ
٣٢٧	« لما » الاستثنائية
	شروط تقديم المستثنى بإلا وما يتصل به .
٣٣٠	أشياء يصح فيها التقديم وعدمه
٣٢٨	ناصب المستثنى .
٣٢٩	أمثلة مخالفة للقاعدة .
٣٣١	هل يكون المستثنى أو المستثنى منه نكرة ؟
٣٣٢	وقوع المستثنى جملة - أنواع من المنقطع .
٣٣٤	بعض صور إعرابية دقيقة .
٣٣٤	يفتقر في الثواني ما لا يفترق في الأوائل .
٣٣٧	بعض عيوب نظرية العامل .
رقم الصفحة :	الموضوع :
٣٣٨	الاستثناء « بإلا » المكررة .
٣٤١	ملخص أحكام « إلا » المكررة
٣٤٣	المسألة ٨٢ :
	أحكام المستثنى الذي أدواته
	أسماء : (غير - سوى) .
٣٤٥	فوارق بين « غير » وأخواتها .
٣٤٦	هل تعرف « غير » ؟ وهل تدخل عليها « أل » ؟
٣٤٧	حكم تابع المستثنى بغير وأخواتها .
٣٤٨	نوع من الإعراب على التوهم .
٣٤٩	« بيد » الاستثنائية .
	الفوارق بين « غير » و « إلا »
٣٥٠	وقوع « إلا » اسماً لا يفيد استثناء
٣٥٣	المسألة ٨٣ :
	أحكام المستثنى الذي أدواته
	أفعال خالصة ، والذي أدواته
	تصلح أن تكون أفعالا وحروراً .
٣٥٥	الحرف المصدرى لا يدخل على فعل جامد
	إلا أفعال الاستثناء
٣٥٧	تعلق شبه الجملة بالنسبة .
٣٥٨	مى تصلح تلك الأفعال مع فاعلها
	لأن تكون جملة تعرب نعتاً ؟
٣٦٢	أنواع : « حاشاً » وكيف تكتب ؟
٣٦٣	حذف المستثنى وأداته .
	« لما » الاستثنائية .
	« لاسياً » ونظائرها . (لا ترماً ، ولوترماً . . .)

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

الحال

رقم الصفحة	الموضوع :	رقم الصفحة	الموضوع :
٣٦٣	المسألة ٨٤ :	٣٧٨	تقديمها وتأخيرها .
	تعريفه .		ترتيبها مع صاحبها .
	تذكير لفظه وتأنيثه :	٣٧٩	الكلام على : « كافة » و « قاطبة » .
٣٦٤	عامل الحال وصاحبها . هل يختلف العامل فيها ؟		وعدم التزامها النصب .
٣٦٥	صاحب الحال .	٣٨٠	ترتيبها مع عاملها . وجوب تأخيرها .
	مجيء الحال من المبتدأ أو من اسم الناسخ وصحة ذلك .		عودة إلى العامل في الحال وصاحبها ويجئها من المبتدأ . وهل يختلف العامل في الحال وصاحبها ؟
٣٦٦	أقسام الحال والكلام على كل قسم . المنتقاة والثابتة .	٣٨٤	وجوب تقديمها .
٣٦٨	المشتقة والجامدة بنوعيهما .		جواز الأمرين .
	الجامدة المؤولة بالمشتق .		« كيف » بيان الموضع الذي يشتمل على استعمالاتها وإعرابها
	معنى القلة الذاتية والنسبية ، إشارة إلى الموضع المشتق على بيان : الاطراد والقياس ، والغالب و . . .	٣٨٥	تقسيمها إلى متعددة ؛ وغير متعددة .
٣٧١	العرب تكرر اللفظ بقصد الترتيب ، أو : الاستيعاب . قياسية التكرار المفيد للترتيب .	٣٨٦	إشارة إلى الحال الحقيقية والسببية .
٣٧٢	وقوم المصدر حالا .	٣٨٩	الحال المترادفة-المتوالي-، والمتداخلة .
٣٧٣	الحال الجامدة غير المؤولة .	٣٩٠	تقسيمها إلى مقارنة ، ومقدرة (أى : مستقبلية، وشككية) . .
	الحال المؤولة ، والمقصودة .	٣٩١	تقسيمها إلى مؤسسة ، (مبينة) ومؤكدة .
	معنى شبه المشتق .	٣٩٢	تقسيمها إلى مفردة وغيرها ؛
٣٧٥	تقسيمها إلى نكرة ومعرفة .	٣٩٣	ومن المفردة الفاظ مركبة مبنية ؛
	الحملة نكرة أو في حكم النكرة .		مثل : شَغَرَ - بَغَرَ -
٣٧٦	إشارة عابرة إلى كلمة : «وحد» - إعرابها وإضافتها .		الكلام على الرابط .
٣٧٨	تقسيمها إلى حال هي نفس صاحبها ، وإلى غيره .	٣٩٥	الحال شبه الجملة .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : «الزيادة والتفصيل» والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
٣٩٣	نوع من الحال المفردة يجب اقتراحه
٣٩٤	بالفاء ، أو : ثم ، العاطفتين .
٣٩٥	الحال الجملة ،
٣٩٥	الجملة نكرة أوفى حكم النكرة ، وأثر ذلك .
	شروط الجملة .
	نوع الرابط
	« لا » النافية ، وهل تخلص المضارع للمستقبل ؟
٣٩٧	واو اللصوق التي تسبق الجملة
	النعنية .
٤٠٠	تقسيمها إلى حقيقية وسببية .

٤٠٢	المسألة ٨٥ :
	صاحب الحال أيضاً . حكم
	نعت النكرة إذا تقدم عليها .
٤٠٤	صاحب الحال المضاف إليه .
٤٠٦	مطابقة الحال لصاحبها . . .
٤٠٧	الإشارة إلى « أي » .
	عودة إلى صحة مجيء الحال من المبتدأ و . . . و
٤٠٨	* المسألة ٨٦ :
	حكم الحال ، وعاملها ،
	وصاحبها ، وربطها ، من
	ناحية الذكر ، والحذف .
٤٠٩	حذف عامل الحال ، الدليل
	المقال والحال .
٤١٠	إشارة أخرى لحال مفردة تقرن
	بالفاء ، أو . ثم ، وجوباً .
٤١١	حذف صاحب الحال .
	حذف الرابط .
٤١٢	التوافق والتخالف بين الحال
	والتمييز .

التمييز

٤٢٠	المسألة ٨٨ :
٤٢٠	أحكام تمييز المفرد .
٤٢٢	أحكام تمييز النسبة .
٤٢٤	تقديم التمييز .
	إعراب : « يا جارقي ما أنت جارة » .
٤٢٧	ألفاظ تصلح حالاً وتميزاً .
	تمييز ضمير .
٤٢٨	مطابقة التمييز ، وتركها .
٤٢٩	اتفاق الحال والتمييز واختلافهما .
٤١٣	المسألة ٨٧ :
٤١٦	أمثلة .
٤١٦	المراد اصطلاحاً من كلمة : « تمييز »
	معنى : « من » البائية .
٤١٧	أقسام التمييز .
	الغالب على تمييز المفرد الجمود
٤١٨	تقسيم تمييز الجملة .
	الفرق في التمييز بين الفاعل النحوى
	والمعنى ، وكذا المفعول .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش

حروف الجر .

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٤٣١	المسألة ٨٩ :	٤٣٩	استغناء الحرف « على »
	حروف الجر تسمى : حروف الإضافة ، أو : حروف الصفات . (وقد تسمى : ظروفاً) ، بيانها . أسباب جر الاسم . رأى في الجر بالتوهم ، والمجاورة .	٤٣٦	أحياناً عن التعلق .
٤٣٢	الفصل بين الجار ومجروره .		لا بد من تغيير حروف الجر وتنوينها على حسب المعاني (السياق) .
	الفصل بـ « كان » الزائدة ، أو : « لا » النافية .	٤٣٩	نوع العامل (أى : المتعلق به) . هل يتعلقان بأحرف المعاني ؟
٤٣٣	انقسامها إلى ما يجز الظاهر وحده ، أو الظاهر والضمير ، حروف كل .	٤٤١	تعلق شبه الجملة بالإسناد ، (أى : بالنسبة ؛ وتسمى : العامل المعنوى)
	من آثار حذف الجر حذف ألف « ما » الاستفهامية المجرورة . الإعراب المحل .	٤٤٤	عدم تعلق حرفين للجر مع مجرورهما بعامل واحد إذا كان معانها واحداً .
٤٣٤	انقسامها بحسب الأصالة والزيادة ، وشبهها ، وتعريف كل .	٤٤٥	ما المراد من شبه الجملة ؟
٤٣٤	إشارة إلى الموضع الذى يشتمل على الكلام على اللفظ الزائد حرفاً ، وغير حرف .	٤٤٦	تفصيل الكلام على شبه الجملة التام ، وغير التام . وعلى التعلق بالعامل . . .
	عمل حرف الجر ، وفائدته . العامل ، وأنواعه .		تلخيص ما تفرق من أحكام شبه الجملة ، وأنه هو الخبر ، و ... و ... الفرق بين نوعي الظرف من جهة التعلق الواجب حذفه .
	حذف العامل جوازاً ووجوباً .		حكم شبه الجملة بعد المعارف والنكرات .
٤٣٦	تعلق الجار الأصلي مع مجروره بالعامل ، وسببه .	٤٤٩	شبه الجملة المستقر واللفو . سبب التسمية بشبه الجملة .
			شبه الوصف .
			بيان الحروف الأصلية وغيرها

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات: «الزيادة والتفصيل» والهامش.

رقم الصفحة : الموضوع :
٤٧٥ لام التقوية ، حكمها ، بعض مواضعها .

٤٧٦ مناقشة كلام النحاة في التقوية :
لام الإضافة ، أو اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله .

٤٧٧ إشارة إلى كل حروف القسم .

٤٧٨ لام التبيين ، والمراد منه .
٤٧٩ إشارة إلى : سقياً لك ، ورعياً لك ، وتباً للخائن .

٤٨١ حركة لام الجر .

٤٨٢ حتى :

الفرق بين « حتى » و « إلى »

٤٨٤ و ٤٨٥ قد تكون « حتى » للاستثناء ، وأمثلة لذلك .

٤٨٩ الواو ، والياء ،

٤٩٠ للإشارة إلى واو : «رُبَّ» . . .

أحرف القدم ، حكمها ، ومعانيها
الباء .

الفرق بين باء السبب وباء الاستعانة .

٤٩٤ اتصال « ما » الزائدة بالباء .

٤٩٥ مواضع زيادتها ، وهل تقاس ؟

٤٩٨ جملة القسم ، وجملة جوابه .

القسم الاستعطائي وغيره .

٤٩٩ وشروط الجواب ، ومحل جملة القسم .

٥٠٢ وقوع القسم بين أداتى نفي .

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٥٠ حرف الجر الزائد
فائدة حرف الجر الزائد .

إشارة أخرى إلى الموضع الذى يحوى الكلام على اللفظ الزائد مطلقاً .

٤٥١ إعراب المجرور بحرف الجر الزائد .

٤٥٢ حرف الجر الشبيه بالزائد :

٤٥٣ طريقة إعراب حرف الجر الشبيه بالزائد

٤٥٤ أوجه المشابهة والمخالفة بين أنواع حروف الجر .

٤٥٥ * * * المسألة ٩٠ :

معانى حروف الجر ، وعملها ،
تفاوتها في الشيوع .

٤٥٦ معنى القلة الذاتية والنسبية أيضاً .

كى : واستعمالاتها .

٤٥٧ لعل .

٤٥٨ متى .

حروف الجر الشائعة :

مين : حكمها ، معانيها .

٤٦١ زيادتها في الإثبات .

٤٦٦ أسلوب مسموع « مما . . . »

ضبط نون « من » -

بعض أساليب مسموعة .

٤٦٨ إلى : حكمها ومعانيها .

٤٧٢ اللام . أفعالها وزيادتها ؛

من أيهما لام الاستغاثة -

معانى اللام .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل » والهامش :

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٠٢ تكرار أداة القسم .

حذف جملة القسم .

حذف أداة القسم وحدها ، أو مع المقسم به .

٥٠٣ اللام الداخلة على أداة الشرط .

إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم غالباً .

٥٠٤ حذف جواب القسم .

قد يكون لجملة القسم محل من الإعراب .

٥٠٥ نوع جواب القسم : (جملة أو شبهها) .

الفاظ أخرى للقسم ، ومنها : لا جرّم ، وجبّ .

٥٠٧ في : معناها ، وحكمها ؛

٥٠٩ على : معناها ، وحكمها .

٥١٢ استغناؤها عن التعليق أحياناً

٥١٣ عن : معناها ، وحكمها .

٥١٥ اتصال « ما » الزائدة بها .

الكاف : معناها ، وحكمها ؛

٥١٨ اتصال « ما » الزائدة بها .

مذومند .

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٢٢ رُبّ : معناها ، وحكمها .

٥٢٣ الضمير الجھول .

٥٢٥ اتصالها « ما » الزائدة .

٥٢٧ ضبطها ، واتصالها بقاء التأنيث .

٥٢٨ حذف : « رُبّ » ، بعد الواو

والفاء ، وبـل

لا يتحتم أن تعرب هذه الواو

نايبة عنها .

٥٣٠ كيفية إعراب الاسم المجرور بها ،

وتوابعه .

٥٣١ دخول « ربّ » على الجمل واثردلك عليه .

قد تحمل « ما » محل « رما »

٥٣٢ المسألة ٩١ :

حذف حرف الجر وإبقاء عمله .

إشارة إلى : « نزع الخافض »

٥٣٦ حذف الجار والمجرور معاً .

٥٣٧ المسألة ٩٢ :

نيابة حروف الجر بعضها عن

بعض .

٥٤٤ بحث في : مذومند .

٥٦٤ بحث في : التضمين .

٥٩٤ رأى في البحث السالف .

٥٩٦ باب في : اللغة المأخوذة قياساً لابن جني .

٥٩٩ إشارة موجزة إلى تكملة مادة لغوية ناقصة

وإلى اطراد القياس ، وإلى الاشتقاق من الجامد

الفهرس

٢ - بيان الأبواب العامة التي يشتمل عليها هذا الجزء :

رقم الصفحة :	عنوان الباب :	رقم الصفحة :	عنوان الباب :
٢٨١	<u>الصفة المشبهة .</u>	١٦٩	<u>وصف مجمل للكتاب .</u>
٣١٨	<u>اسم الزمان والمكان .</u>	١٨١	<u>الإضافة</u>
٣٢٣	<u>اسم الآلة .</u>	١٨٦	<u>المضاف لياء المتكلم ،</u>
٣٣٩	<u>التعجب .</u>	٢٠٧	<u>وحكمه .</u>
٣٦٧	<u>ألفاظ المدح والذم :</u>	٢١٠	<u>أبنية المصادر ،</u>
(نعم وبس . . و . .)		٢٢٠	<u>أقسام المصدر .</u>
٣٨٤	<u>الأفعال التي تجرى مجراها .</u>	٢٢٥	<u>المصدر الصناعي ،</u>
٣٩٤	<u>أفعل التفضيل .</u>	٢٣١	<u>إعمال المصدر ، واسم المصدر</u>
٤٣٤	<u>التوابع الأربعة :</u>	٢٣٨	<u>(تعريفهما ، وأحكامهما . . و . .)</u>
١ - النعت .		٢٧١	<u>اسم المصدر أيضا</u>
٥٠١	<u>ب - التوكيد .</u>		<u>إعماله .</u>
٥٣٨	<u>ج - العطف بنوعيه :</u>	٢٣٥	<u>المصدر الدال على المرة ،</u>
١ - عطف البيان .		٢٣١	<u>والدال على الهيئة .</u>
٥٥٥	<u>٢ - (عطف النسق) .</u>	٢٣٨	<u>المصدر الميمي .</u>
٦٦٤	<u>د - البدل .</u>	٢٧١	<u>ايهم الفاعل .</u>
			<u>اسم المفعول .</u>

ب - تفصيل المسائل والموضوعات التي تشتمل عليها الأبواب العامة السابقة . مع ملاحظة أن العناوين المكتوبة في الفهرس بخط صغير هي بعض موضوعات : « الزيادة ، والتفصيل ، والهوامش »

* * *

باب الإضافة .

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
١	المسألة ٩٣ :	٨	الثاني : حذف نون المثنى وجمع المذكر السالم - وملاحظاتهما - من المضاف .
٢	الإضافة	٩	ما يحذف مع النون عند الإضافة لياء المتكلم .
٣	تقسيمها إلى محضة وغير محضة .	١٠	حالة يجوز فيها حذف النون وعدم حذفها .
٤	الأسماء الأخرى لكل واحدة ،	١٢	الثالث : حذف التنوين .
٥	وسبب التسمية .	١٣	الرابع : حذف «أل» من المضاف ، إلا في بعض صور معدودة ..
٦	إيضاح معنى الإضافة . النسبة الأساسية والنسبة التقييدية ، أو : الفرعية ...	١٤	متى توجد «أل» في الإضافة غير المحضة ؟
٧	الأغلب في المضاف أن يكون اسماً معرباً ، وقد يكون اسماً مبنياً .	١٥	رأى الكوفيين في إبقاء «أل»
٨	أنواع المحضة	١٦	الرأى في بعض أمثلة مسدوعة وغير مسدوعة فيها «أل»
٩	إشارة إلى « الشبيه بالمضاف » .	١٧	الخامس : اشتمال الإضافة المحضة على حرف جر أصلي متخفيف ، وأنواعه ، والغرض منه ، وجواز التصريح به
١٠	إضافة المصدر قد تكون محضة أو غير محضة	١٨	الإضافة التي على معنى : «من»
١١	الأحكام الواجبة المترتبة على الإضافة :	١٩	نوع إضافة الأعداد والمقادير .
١٢	الأول : جر المضاف إليه .	٢٠	أوجه إعرابية أخرى إذا كانت الإضافة على معنى : «من» .
١٣	الإضافة الظاهرة ، والإضافة المقدرة .		
١٤	عوامل الجر في الاسم .		
١٥	الرأى في الجر بالجرم ، وبالجماعة .		

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٤٠	إضافة المنعوت إلى نعمته ، إضافة النعت إلى منعوته ، إضافة المسمى إلى الاسم ،
٤٢	الكلام على : . الإضافة البياضية والتي للبيان ، وعلى : « ذات مرة » و « ذات ليلة » . . . وعلى كلمة : « رجب » من ناحية الصرف وعدمه .
٤٤	إضافة الموصوف إلى اسم قائم مقام الصفة .
٤٥	إشارة إلى السبب في إضافة العلم ، . . . إضافة المؤكد إلى المؤكد .
٤٦	إضافة الملقب إلى المعتبر ، والعكس - الإضافة في قولهم : « لا أبا لفلان . » إضافة صدر المركب المزجي لعجزه .
٤٧	الجدل الدائر حول الأنواع السابقة ، والفصل فيه .
٥١	الرأى في مثل : استرحنا من عناء التعب . . . ، ونعمنا برغبة الرخاء . . .
٥٣	السابع :
	عدم الفصل بين المتضاميين .
	٢ - مواضع الفصل في السعة .
	المراد بالسة والضرورة . التيسير في الشعر دون النثر .
٥٥	ب - مواضع الفصل في الضرورة .
	مواضع أخرى للفصل في الضرورة .
٩٠	الثامن : استفادة المضاف من المضاف إليه التصدير .
	التاسع : وجوب تقديم المضاف .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٢٠	الإضافة التي على معنى : « في » ، و « اللام » .
٢١	إضافات لا يصح التصريح فيها بحرف الجر : « اللام » .
	الإضافة قوية الملابسة ، والإضافة لأدنى ملابسة .
٢٣	السادس : تعريف المضاف أو تخصصه من المضاف إليه ، بشرط أن تكون الإضافة محضة .
	منع إضافة المعرفة للمعرفة وللنكرة .
	جواز إضافة العلم في بعض الحالات . . .
٢٤	ألفاظ مسموعة ملازمة للتنكير ، وهي الألفاظ المتوغلة في الإبهام ، ومنها : « غير » - وهل تتعرف بالإضافة ؟ هل تدخلها « أل » ؟
٢٨	المضاف إليه إذا كان جملة كان في حكم المفرد . . .
٢٩	عودة إلى الإضافة غير المحضة .
	إشارة إلى أنواع من المحضة : (كالمصدر ، وبعض المشتقات المهملية . .)
٣٠	أثر الإضافة غير المحضة .
٣٣	معنى الإضافة المجازية ، (أى : التي على نية الانفصال) .
٣٧	لمحة عابرة عن بعض المشتقات . (اسم الفاعل - اسم المفعول . . .)
٣٩	الاستمرار الدوام ، والاستمرار التجدد .
٤٠	أنواع من الإضافة غير المحضة . (وهي الملحقات بها) .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة : الموضوع :

٧٢ نوع التنوين في كلمتي : « كل

وبعض » إذا لم يضافا ... حكمها

من ناحية التعريف والتنكير ، هل

يصح اقترانها « بأل » المعرفة ؟

حكم لفظة : « كل » وبطابق ما بعدها

٧٣ ثانيها : ما يضاف وجوباً

ولا يجوز قطعه لفظاً ، وهو

أربعة أنواع . . .

٧٨ ثالثها : ما يضاف وجوباً إلى

الجملة ، وحكمه ،

« حيث ، إذ » ، وتفصيل الكلام

عليهما .

الجملة الواقعة « مضافاً إليه » في

حكم المفرد . شروطها .

١ - حيث .

الاسم الواجب إضافته للجملة

لا يكون إلا مبنياً .

٧٩ عودة إلى بيان القلة الذاتية والنسبية .

(انظر ص ٦٤) .

٨٠ ب - « إذ » : إعرابها ومعانيها . . .

المراد من اسم الزمان .

٨٤ الجملة الواقعة مضافاً إليه في حكم

المفرد . شروطها . تأويلها .

فائدة الإضافة للجملة .

٨٥ حكم : « بين » المحتمية « بالالف الزائدة ،

٨٧ أو : « ما » للزائدة ، ووجوب

صدارتها .

رقم الصفحة : الموضوع :

٦١ - العاشر : استفادة المضاف من

المضاف إليه المصدرية

الحادي عشر : استفادته الظرفية

٦١ الأحكام الأربعة غير الحتمية ،

وهي :

٦٣ الثاني عشر : استفادته التأنيث .

المراد من جزء الشيء ، ومثل جزئه .

٦٥ القلة الذاتية والنسبية (انظر ص ٧٩)

٦٦ الثالث عشر : استفادته التذكير .

حكم « أحد ، وإحدى » المضافتين

من جواز التذكير والتأنيث .

الرابع عشر : استفادته البناء . (ويدخل

في هذا : المضاف من أسماء الزمان

المبهم) .

٦٨ الخامس عشر : جواز حذف تاء

التأنيث منه .

٧٠ ملخص الأحكام السالفة كلها

.....

٧١ المسألة ٩٤ :

تقسيم الاسم من ناحية وقوعه

مضافاً ، وعدم وقوعه .

ما تجوز إضافته . ما تجب

إضافته أربعة أقسام .

تفصيل الكلام عليها :

أولها : ما يضاف وجوباً

للظاهر والضمير ، مع جواز

قطعه عن الإضافة لفظاً فقط .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة :	الموضوع :
١٠٥	لفظ «أى» ، ومعناها ، وما يراعى عند المطابقة .
١٠٩	تفصيل الكلام على «أى» الشرطية
١١٠	«أى» الموصولة .
١١١	«أى» التي تقع نعتاً .
١١٣	الرأى فى مثل : «اشترى أى» كتاب . . .
١١٧	«أى» التي تقع حالاً .
١١٨	جدول يشتمل على ما يخص لكل أنواع «أى» وأحكامها .
١١٩	لدى - عند .
	معنى : الغاية الزمانية ، والمكانية ، ومبدأ الغاية ، وبعض أحكام خاصة بالغاية .
	الفرق بين كلمتى : «ابتداء» و«من» الجارة التى للابتداء .
١٢٠	مواضع الاختلاف بين كلمتى : «لدى» و«عند» .
١٢٤	رفض الإعراب على «التوهم» ، وعلى «المجاورة» .
١٢٥	مع . معانها .
١٢٩	الكلام على : «مع» ، و«جميع» .
١٣١	غير : معناها ، وحالاتها الإعرابية الأربع (انظر ص ٢٤ و ٠٠٠) يقال : «ليس غير ، ولا غير» .
١٤١	نظائر : «غير» وتقسيمها من ناحية ما يفيد الظرفية والتصرف ، وما لا يفيدهما .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٨٨	ما يشبه : «إذ» .
٨٩	إضافة بعض أسماء الزمان المهمة للجملة ، وتفصيل هذا .
٩٣	رابعها : ما يضاف وجوباً للفعالية وحدها - «إذا - لَمَّا» . . .
	جميع أدوات الشرط الجازمة (أى : الشرط غير الامتناعى) تجعل زمن الفعل الماضى الذى فى شرطها وجوبها مستقبلاً .
٩٤	ب - ألفاظ غير زمانية تشبه الزمانية فى الحكم ، (منها : آية . ذى تسلم . . .) .
٩٧	جدول لكل أقسام المضاف والمضاف إليه .

٩٨	المسألة ٩٥ :
	أسماء أخرى واجبة الإضافة : (كـ لا - كلما - أى - لدى ومع - غير ، ونظائرها .) كـ لا وكـ تا . . .
٩٩	المثنى لفظاً ومعنى ، ومعنى فقط .
١٠١	تفصيلات فى إعراب : «كلا وكلتا»
١٠٤	أى ، وأقسامها ، واستعمال كل .
	المراد من الإضافة لفظاً ومعنى ، ومعنى فقط .
	تفصيل الكلام على : «أى» الاستفهامية .
١٠٥	أنواع التعدد .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ٩٦ : ١٥٧

حذف المضاف . حذف

المضاف إليه . نعت أحدهما .

٢ — حذف المضاف ومواضعه

القياسية .

١٦٢ حكم الضائر العائدة على المضاف

المحذوف ، وكذلك غير المحذوف .

١٦٣ حذف أكثر من مضاف ، وبيان

ما يترتب على الحذف .

١٦٥ ب — حذف المضاف إليه .

عودة لبيان الأسماء التامة وغير التامة .

١٦٧ ح — حكم النعت بعد المركب الإضافي

(ومنه : العلم الكنية) .

* * *

المسألة ٩٧ : ١٦٩

المضاف لياء المتكلم ، وحكمه

تعريف صحيح الآخر ، ومعتل الآخر ،

والمعتل الشبيه بالصحيح ، وحكم كل

عند إضافته لياء .

متى تضبط ياء المتكلم بالفتح

أو بالسكون ، وإعرابها ؟

١٧٠ كيفية إضافة الاسم المختوم بياء

مشددة .

١٧٢ متى يجوز حذف ياء المتكلم أو قلبها

ألفا .

متى تحذف ياء المتكلم في الإضافة .

١٧٣ عودة إلى الإضافة الظاهرة ، والمقدرة .

حكم الأسماء الخمسة عند إضافتها لياء

المتكلم .

رقم الصفحة : الموضوع :

١٤١ ظروف « الغاية » : (قبل —

بعد ، دون — الجهات الست

وما بمعناها . . .)

معنى : « الغاية » هنا .

١٤٢ الظرف المتصرف وغير المتصرف : ومعنى :

« من » الجارة الداخلة على الظرف

المحذور بها .

معنى الأسماء التامة وغير التامة .

١٤٣ قبل .

١٤٥ بعد .

١٤٦ فوق .

١٤٧ دون .

١٤٧ عل .

١٤٨ حكم « لدَى » المضافة

١٤٩ حسب .

١٥٠ للدليل على أن : « حسب » ليس اسم

فعل .

١٥١ أول .

١٥٤ استعمال لغوية مختلفة في : « أول »

ومنها : أول أمس . . .

١٥٦ ملخص يبين تقسيم الأسماء

من ناحية إضافتها ، وعدم

إضافتها

* * *

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة :	الموضوع
١٨٤	<u>قواعد الاشتقاق من الجامد .</u>
١٨٥	اشتقاق « فَعَلَ » من المضو للدلالة على إصابته .
١٨٦	<u>المصدر الميمي .</u>

	المصدر الصناعي .
	<u>تاء التأنيث ، وتسمى تاء النقل .</u>
١٨٨	كيف وضعت الضوابط لأبنية المصدر .
	كلمة عن القياس والسماع عامة ، وعن
	<u>قياسية المصدر ، وجموع التكسير .</u>
١٨٩	قيمة الفسّاء اللغوية ، ورايه في القياس
	<u>هنا ؛ وكذا ابن حنبل .</u>

١٨٩	عدم السماع لا يقتضى عدم
	<u>الاطراد مع وجود القياس .</u>
١٩١	هل يخضع اللفظ للقياس مع
	<u>ورود سماع خاص فيه ؟</u>
١٩٣	أوزان المصدر الأصل .
	أوزان مصدر الثلاثي المتعدى
	<u>واللازم .</u>

١٩٨	مصادر ، على وزن : « مفعول » .
	مصادر الماضي غير الثلاثي ،
	<u>مصادر الرباعي .</u>

١٩٩	قلب الهزرة ياء جوازاً في مثل :
	تبرىء قلبها واوا في مثل : مقروه .
	نوع : « التفعال » . بفتح التاء
	<u>وكسرها .</u>

٢٠١	نوع « فَعَلال » المضعف ،
	<u>وبيان ما يجوز فيه .</u>

رقم الصفحة :	الموضوع
١٧٤	إضافة الاسم المعتل الآخر بالواو إلى
	<u>ياء المتكلم .</u>

١٧٥	طريقة لإضافة : « ابنم » .
	<u>الوقوف على ياء المتكلم .</u>

١٧٧	مواضع تسكين آخر المضاف ،
	وبناء الياء على الفتح .
	متى تضبط ياء المتكلم بالفتح ؟
	عودة إلى : « لدى » .
	نوع من نيابة حرف عن حركة

* * *

١٨١ المسألة ٩٨ :

أبنية المصادر — أقسام المصدر
الثلاثة (أصلى — ميمي —
صناعى) وتعريف كل قسم ،
وإيضاحه . إشارة إلى الموضوع
الذى يضم أحكام المصدر المؤول ،
سبب تقديم هذا الباب على
باب عمل المصدر .

معنى الجمود والاشتقاق ومكان المصدر
منهما . تقسيم الجامد والمشتق . . .

١٨٢	أصل المشتقات وأنواعها ، وملحقاتها —
	إذا صار المشتق علماً صار فى حكم
	<u>الجامد ، وقد أحكام المشتق .</u>

١٨٣	أسماء المعاني وأسماء الذوات ، والاشتقاق
	منها ، وقواعده .
	الفرق بين « الاشتقاق والأخذ » .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٢٢٦	لكل فعل ثلاثة أنواع من المصادر .
٢٢٨	يجب فتح ما قبل تاء التأنيث .

* * *

المسألة ١٠١ :

٢٣١	المصدر الميمي .
-----	-----------------

معناه ، مزيته ، صوغه .

* * *

المسألة ١٠٢ :

اسم الفاعل ، اسم المفعول ،
الصفة المشبهة . تعريف كل ،
وصوغه ، وإعماله .

اسم الفاعل : تعريفه .

« أفل التفضيل » يدل على الدوام .

صوغ اسم الفاعل .

دفع توهم أن بعض الأفعال الثلاثية المتصرفة

لا يكون لها اسم فاعل . القرائن هي التي
تدل على أن صيغة : « فاعل » قد يراد
بها الصفة المشبهة . من تلك القرائن
إضافة اسم الفاعل لفاعله . . .

خروج اسم الفاعل عن بابه ودخوله في
باب الصفة المشبهة ، وما يصحب هذا
من إضافة اسم الفاعل لفاعله .

صوغه من مصدر الماضي غير الثلاثي

زيادة تاء التأنيث في آخر اسم الفاعل .

كسر ما قبل الآخر قد يكون حقيقة
أو حكماً .

رقم الصفحة :	الموضوع :
--------------	-----------

٢٠٢ مصادر الخماسي

مصادر السداسي .

٢٠٣ ملحقات « التفعّل » .

٢٠٤ تلخيص لكل أبنية المصادر القياسية .

* * *

المسألة ٩٩ :

إعمال المصدر واسمه .

تعريف آخر للمصدر - أوله .

٢٠٨ إيضاح لاسم المصدر .

٢٠٩ تعريف موجز لاسم المصدر .

الفرق بينه وبين المصدر - لفظاً ومعنى .

٢١٠ المصدر أصل المشتقات .

٢١١ عمل المصدر .

ما يخالف فيه المصدر فعله .

٢١٢ نوع من الفرق بين « أن » ، وما

المصدرتين .

وبين : « أن » الناصبة المضارع والمخففة .

٢١٣ أنواع من المصادر تعمل بغير تحقق
للشروط .

٢١٥ شروط أخرى لإعماله .

٢١٨ أقسام المصدر العامل .

٢٢٠ إعمال اسم المصدر .

٢٢٣ أقسام اسم المصدر العامل مع إشارة

عابرة للمصدر الميمي .

* * *

المسألة ١٠٠ :

المصدر الدال على المرة ،

والدال على الهيئة .

فائدة المصدر الدال على إحداهما .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش »

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٦٦ تحويل اسم الفاعل من المتمدى إلى

الصفة المشبهة . . .

٢٦٧ معنى الفعل اللازم هنا وما يشبهه اللازم

٢٦٩ صيغة : « فَعَالٌ » للنسب .

٢٧١ المسألة ١٠٣ :

اسم المفعول - تعريفه - صوغه

٢٧٣ فتح ما قبل الآخر تقديرًا .

زيادة تاء التأنيث في آخره .

صيغ سماعية تؤول معنى، وتنوب عنه .

٢٧٤ صيغة : « مفعول » قد يراد بها المصدر .

٢٧٥ إعماله : إضافته إلى مرفوعه ،

إضافته إلى مفعوله .

٢٧٧ متى يصير صفة مشبهة ؟

٢٨٠ طريقة إضافته لمرفوعه .

٢٨١ المسألة ١٠٤ :

الصفة المشبهة - تعريفها ودلالاتها ،

٢٨٤ أنواعها ، وطريقة صوغ كل نوع .

٢٨٥ تفصيل الكلام على النوع الأول .

٢٨٦ تشديد الياء وعدم تشديدها في مثل

كلمة : « شَجِي . . . »

٢٨٩ الصيغ السماعية ، وحكمها .

٢٨٩ باب عقده ابن مالك بعنوان : أبنية

أسماء الفاعلين والمفعولين ، والصفات

المشبهة بها .

٢٩١ الرد على من يمنع قياس الصفة المشبهة .

٢٩٢ قد تدل الصفة المشبهة نصاعل الحدوث .

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٤٦ إعماله :

٢٤٧ ٢ - إن كان مجرد آمن « أَل » .

عودة إلى الاستمرار الدوام والاستمرار

التجددى .

٢٤٨ ملخص ما تقدم .

٢٥١ يصح تعلق شبه الجملة بالمشتق الذي

لا يعمل .

٢٥٢ الاعتماد هنا وفي باب المبتدأ والخبر ،

والفرق بينهما .

شروط أخرى في الوصف .

اسم الفاعل لا يعود فاعله الضمير

المستتر إلا على الغائب .

٢٥٤ ب - اسم الفاعل المقترن

« بَال » -

بعض أحكام اسم العامل الفاعل

ومنها : إضافته إلى مفعوله .

٢٥٥ عدم صحة إضافة المتمدى إلى فاعله .

٢٥٦ الفرق بين المصدر واسم الفاعل العاملين .

٢٥٧ التزامه الإفراد والتذكير أحياناً .

٢٥٧ صيغة المبالغة :

٢٥٨ قد تكون صيغة : « فَعَالٌ » للنسب .

٢٥٨ أشهر أوزانها -

٢٥٩ أوزان أخرى ؛ منها : « فَعِيلٌ »

٢٦٣ حكم تقديم معمولات اسم الفاعل وصيغ

المبالغة .

٢٦٤ إعمال اسم الفاعل وهو محدث .

ما الحكم إذا كانت صيغة اسم الفاعل

دالة على الثبوت ؟

معنى الربط السببي .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات «: الزيادة والنفصيل والهامش»

رقم الصفحة :	الموضوع :
٣٢٦	صوغ « مفعلة » من الثلاثي
	الجامد الحسي (أى : من
	أسماء الأعيان ، الثلاثية)
	المراد من الكثرة والأغلبية .
٣٢٩	مخالفة صيغة الزمان والمكان
	— أحيانا — لبعض ضوابط
	الإلعال والإبدال .

٣٣١	ملخص لبعض المشتقات السالفة .
-----	------------------------------

* * *

المسألة ١٠٧

٣٣٣	اسم الآلة :
	تعريفه . صوغه .
٣٣٤	حكمه .
٣٣٦	ألفاظ شاذة — بعض مسائل أخرى
	تتعلق بصوغه وقياسيته .

* * *

المسألة ١٠٨

٣٣٩ ✓

التعجب : معناه والغرض منه .

أسلوبه : (نوعاه .)

٣٤١	صيغته القياسيةتان ، وإعرابهما .
	من الحتم أن يكون أصل مفعوله فاعلا
	في المعنى .
٣٤٢	معنى النكرة التامة وغير التامة .
	متى تدل الحملة التعجبية على زمن ؟
٣٤٧	الكلام على هزة الصيغتين : الكلام
	على عينيها .
	معنى المتعجب منه . صيغ أخرى للتعجب .

رقم الصفحة :	الموضوع :
٢٩٣	عودة إلى تحول اسم الفاعل للصفة المشبهة
٢٩٤	إعرابها .
٢٩٥	الصور الصحيحة ، والصور
	الممنوعة .
٢٩٨	طريقة أخرى لبيان الصور بنوعها

* * *

المسألة ١٠٥

٣٠٠

أوجه التشابه والتخالف بينها .
وبين اسم الفاعل المتعدى
ليواحد .

٢ — أوجه المشابهة : (أى :
الأحكام المشتركة بينهما) .
مطابقة الصفة المشبهة وعدم مطابقتها ..

٣٠٦ ب — أوجه المخالفة : (أى
الأحكام الخاصة بالصفة المشبهة)

متى تجب السببية ؟

٣٠٩

٣١٢ أمور وأحكام أخرى تنفرد بها الصفة
المشبهة .

* * *

المسألة ١٠٦

٣١٨	اسم الزمان واسم المكان —
	الغرض منهما — صيغتهما .
٣٢٣	ألفاظ مسموعة يجوز فيها الأمران .
٣٢٤	هل يجوز تطبيق القياس على اللفظ
	المسموع ؟
٣٢٥	ألفاظ مسموعة مؤنثة ، وغير مؤنثة ،
	حكمها .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش » .

رقم الصفحة : الموضوع :

٣٦٩ نوع فاعلها .

٣٧٠ متى يحتاج فاعلها إلى التمييز ، وحكم

هذا التمييز .

٣٧٢ « ما » التي هي معرفة تامة أو ناقصة ،

والنكرة الناقصة . أنواع « مَن » .

٣٧٤ الكلام على « أل » وإعراب : « ما » .

٣٧٥ ما المراد مما فيه قولان أو أكثر ؟

٣٧٧ الخصوص .

٣٧٨ حذف الخصوص .

إعراب الخصوص .

٣٨٠ حبذا ، ومخصوصها .

* * *

٣٨٤ المسألة ١١١ :

الأفعال التي تجري مجرى :

« نعم » و « بئس » . .

٣٨٥ شرط تحويل الفعل . أحكامه .

٣٨٨ ما يتفرد به فاعل هذا الفعل .

* * *

٣٩٤ المسألة ١١٢ :

أفعال التفصيل .

تعريفه ، دلالاته على الدوام .

٣٩٥ طريقة صياغته :

٣٩٦ استعمال كلتي : « خير » و « شر »

في التفصيل .

٣٩٧ بعض صيغ شاذة . صوته من اسم العين .

٣٩٨ سداد المذهب الكوفي في صياغة الألوان .

٤٠٠ الجامد لا يتقدم عليه شيء من معمولاته .

— في الأغلب — (انظر ص ٤٠٠)

رقم الصفحة : الموضوع :

٣٤٩ شروط الفعل الذي يبنى منه

الصيغتان .

إشارة إلى دلالة الجملة التعجبية على زمن .

٣٥٠ هل يثنيان من المبني للمجهول ؟

هل هناك أفعال ملازمة للبناء

للمجهول ؟

* * *

المسألة ١٠٩ :

٣٥٣ كيفية التعجب مما لم يستوف

الشروط .

٣٥٧ الأحكام الخاصة بالتعجب .

الفعل الجامد لا يتقدم عليه

معدوله — في الأغلب ،

(انظر ص ٤٠٠)

٣٦١ عودة للكلام على الزمن في الجملة

التعجبية .

زيادة : « كان » والفرض أنها .

٣٦٣ قاعدة صيغة التعجب بحرف جر معين .

٣٦٤ صيغة التعجب من المتعدي لواحد ، أو

لأكثر من واحد .

* * *

٣٦٧ المسألة ١١٠ :

٣٦٧ ألفاظ المدح والذم : (نِعِم

وبئس . . .)

الصريح وغير الصريح من أساليب

المدح والذم .

٣٦٨ أحكام : « نعم وبئس » معنى

المدح العام ، والذم العام .

جمودهما ، تجردهما من الزمن .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش ».

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ١١٤ : ٤٣٤

التوابع الأربعة الأصلية - النعت .

كلمة عن التوابع ، (بيان التابع والمتبوع من ناحيتهما اللفظية) . ٤٣٥

بعض أحكام للتوابع ، الاتفاق في فروع الإعراب ، صحة القطع . . الفصل بين التابع والمتبوع ، وبعض أحكام أخرى جلية ؛ كترتيب التوابع واتصالها ، . . . و . . .) . ٤٣٧

التابع والمتبوع من ناحيتهما المعنوية . ٤٣٧

تعريف النعت . ٤٣٨

الغرض منه . ٤٤٠

النعت قد يتمم الفائدة الأساسية في الجملة . ٤٤١

تقسيم النعت باعتبار معناه إلى : ٤٤١

حقيقي وسببي . ٤٤٣

الحقيقي . علامته . ٤٤٤

حكمه . ٤٤٤

حكم خاص - لفظي ومعنوي - بالمنعوت ٤٤٥

المضاف ، كالكنية . ٤٤٥

أنواع من المطابقة . ٤٤٥

ما يستثنى من المطابقة الحتمية . ٤٤٦

نعت مسموعة وغير مسموعة لا مطابقة فيها . . . ٤٤٧

مسائل يشترك فيها الحال ، الخبر والنعت . ٤٤٧

في عدم المطابقة . ٤٥٠

صحة نعت جمع المؤنث السالم العاقل بالمفردة . ٤٥١

عودة إلى الجر بالمجاورة ، والتوهم . « د » . ٤٥٢

الشيء المفرق والجمع المفرق . ٤٥٢

النعت السببي ، وحكمه . ٤٥٤

ملخص ما سبق . ٤٥٦

تقسيم النعت باعتبار معناه إلى مؤنس ، ومؤكّد ، وموطف . ٤٥٦

رقم الصفحة : الموضوع :

أقسامه وأحكامها . ٤٠١

القسم الأول : المجرد من أل والإضافة . ٤٠٢

الأحكام الخاصة بـ « مجرورها » (كحذفهما ، وتقديمهما ، ووصلهما ...) ٤٠٦

معنى المشاركة . ٤٠٧

بعض أساليب شائعة يخفى فيها معنى التفضيل ، ٤٠٧

تصحيح عين « أفعل » . ٤١٢

الكلام على : « أختر » . ٤١٢

القسم الثاني : المقترن بأل . ٤١٣

السامع والقياس في « أفعل » التفضيل المقترن بأل . ٤١٣

جمعه على : أفاعل . ٤١٣

صوغ مؤنثه على : فمُعلّتي ٤١٦

القسم الثالث : المضاف . ٤٢١

العطف على « أفعل التفضيل » المضاف للنكرة . ٤٢٥

ملخص الأقسام الثلاثة السالفة ٤٢٧

المسألة ١١٣ : ٤٢٧

عمل أفعل التفضيل . ٤٣٢

تماق شبه الجملة به . ٤٣٢

أولاً : عمله للرفع . ٤٣٢

ثانياً : عمله للنصب . ٤٣٢

ثالثاً : عمله الجر . ٤٣٢

تعدي أفعل التفضيل بحرف الجر . ٤٣٢

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش »

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٨١ المسألة ١١٥ :

تعدد النعت وقطعه

٢ - تعدده والعامل واحد .

٤٨٢ الأفضل في النعت أن يكون مشتقاً

وقى عطف البيان أن يكون جامداً
(انظر ص ٤٦٥ ورقم ١ من هامش
ص ٤٨٣ و ...) .

٤٨٦ ب - تعدد النعت والمنعوت ،

والعامل ، وما يترتب على هذا
من الإتيان والقطع .

معنى الإتيان والقطع ... و ...
طريقة الإعراب معهما .

٤٨٧ سبب القطع .

حالات يجب فيها حذف عامل
المقطوع .

جواز القطع بين المنعوتات التي كانت
في أصلها منوثة . (انظر ص ٦٦١) .

متى يذكر عامل المقطوع ؟

نعت الإشارة لا يفصل منه .

٤٨٨ أحكام خاصة بالقطع . شروطه .

٤٩١ متى يجب حذف عامل المقطوع

ومتى يجوز ؟

٤٩٢ حذف النعت ، أو المنعوت ،

أو هما معاً .

أ - حذف النعت ؛

٤٩٣ ب - حذف المنعوت .

٤٩٤ عودة إلى : « أي » التي تقع نعتاً .

معنى الصلاح لمباشرة العامل .

٤٩٦ حذف النعت والمنعوت معاً .

النحو الواقي - ثالث

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٥٨ تقسيم النعت باعتبار لفظه ..

١ - النعت المفرد ، والأشياء التي

تصلح له ، وملحقاتها ، والنعت

بعض الألفاظ الجامدة ، ومنها :

« العدد » و ...

٤٦٠ تفصيل الكلام على النعت بالمصدر .

٤٦٤ أنواع أخرى من النعت المسموع .

الأفضل في النعت الاشتقاق ، وفي عطف
البيان والبدل الجمود .

٤٦٥ ما يصلح نعتاً ومنوثة وما لا يصلح .

نعت اسم الإشارة وشروطه . ما يصلح
نعتاً في بعض الأساليب ومنوثة
في أخرى .

٤٦٦ ما يصلح أن يكون منوثة لا نعتاً .

ما لا يصلح أن يكون نعتاً ولا منوثة .

ألفاظ مضافة للدلالة على الغاية (منها :

كل - جد - حق - أي -)

٤٦٩ ما يصلح أن يكون نعتاً لا منوثة ،

والعكس .

٤٦٩ الاتباع (بفتح الهمزة ، أو ...) .

٤٧٢ ب - النعت بالجملة ، وشروطها ،

وحكمها .

متى يصح تسمية الجملة جملة ؟

٤٧٦ شبه الجملة ، وشروطه ، وحكمه .

٤٧٨ تفصيل الكلام على حذف الرابط .

ما يفي عنه .

٤٧٩ واو الصوق . حكمها ،

٤٨٠ حكم الجملة نفسها من حيث التعريف

والتكثير . « و »

جزم المضارع في جواب النعت ...

* * *

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش »

رقم الصفحة : الموضوع :

٥١٢ قد تعرب ألفاظ التوكيد المعنوى إعراباً آخر مع إفادتها التوكيد .

ترتيب ألفاظ التوكيد . وقوعها نعتاً وبدلاً . ربما لا تفيد كلمة : « كل » الشمول .

٥١٣ مطابقة الضمير العائد إلى كلمة : « كل » ، وعدم مطابقتها . وكذلك الخبر . . . و . .

٥١٥ ألفاظ الشمول متى تشمل كل فرد . أوجه إعرابية أخرى لكلا « وكلتا » .

٥١٦ في جميع أنواع التوكيد المعنوى لا يصح اتحاد توكيد المتعاطفين إلا بعد اتحاد العاملين .

يجوز الفصل بين المؤكّد والمؤكّد . لا يجوز في التوكيد المعنوى القطع .

٥١٧ ألفاظ التوكيد المملقة بالثلاثة . الكل المجموعى والكل الجيمعى .

٥١٩ ملاحظات .

٥٢١ الكلام على نحو : جاء القوم بأجمعهم ملخص أحكام التوكيد المعنوى .

٥٢٢ توكيد النكرة .

حذف المؤكّد (المتبوع) توكيداً معنوياً

٥٢٣ توكيد الضمير المرفوع - بنوعيه - توكيداً معنوياً .

٥٢٥ ب - التوكيد اللفظى .

تأنيده ، قد يخالف المؤكّد أحياناً ، وقد يفصل منه .

٥٢٦ الغرض منه .

٥٢٧ أحكامه :

٢ - عدم التأثر والتأثير .

رقم الصفحة : الموضوع :

٤٩٦ الترتيب بين النعت المتعددة .

٤٩٧ عطف النعت المختلفة بعضها على بعض .

٤٩٨ تقدم النعت على المنعوت .

٥٠٠ متفرقات :

وقوع : « لا النافية » أو : « إساءة » قبل النعت .

نعت النعت - حكم النعت بعد المركب الإضافى .

حكم الفصل بين التابع والمتبوع .

٥٠١ المسألة ١١٦ :

التوكيد ، نوعاه ، تعريف المعنوى . بيان الغرض منه .

٥٠٣ ألفاظه السبعة ، وتقسيمها .

(١) ما يزيل الشك عن

الذات : « نفس ، وعين » .

٥٠٦ لا يصح وجود عاطف قبل التوكيد المعنوى .

٥٠٧ ما تنفرد به : « نفس ، وعين » . جواز دخول بام الجر الزائدة .

حكم المتبوع إذا كان كنية

٥٠٨ (٢) ما يزيل الاحتمال عن

التثنية : « كلا وكلتا »

٥٠٩ (٣) ما يفيد التعميم : « كل »

- جميع - عامة ..)

٥١١ ألفاظ العدد التى تفيد العموم تأويلاً .

ألفاظ تعرب حالاً ، أو بدلاً ، ولا تعرب توكيداً .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش »

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٤٢ الغالب عليه أن يكون جامداً ،

وعلى النعت أن يكون مشتقاً .

٥٤٣ حكمه .

٥٤٤ الفرق بينه وبين النعت

« أى » التفسيرية ووقوع عطف البيان
بندها .

٥٤٦ الارتباط بينه وبين بدل الكل .

صور يتعين فيها عطف البيان ،
ولا تصلح بدلا .

٥٤٧ حقيقة رأى القائل : إن البدل

على نية تكرار العامل .

٥٤٨ قد يفتفرق التبع ما لا يفتفرق المتبوع .

صورة أخرى ومناقشتها .

٥٥١ ضابط عام لتمييز البدل في بعض المسائل .

* * *

٥٥٥ المسألة ١١٨ :

(٢) عطف النسق : (الشركة)

تعريفه .

تعدد المعطوفات ، متى تكون على

المعطوف عليه الأول ، متى تكون على

غيره ؟

عدم تعدد المعطوفات لمعطوف واحد .

٥٥٦ بعض حروف العطف قد تكون للعطف

الصورى (غير الحقيقى) .

عودة للكلام على : « أى » التفسيرية .

٥٥٧ المراد في باب العطف من المفرد ،

والجملة ، وشهها .

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٢٨ ب - حكم المؤكّد إذا كان

اسماً .

٥٣١ ج - حكم المؤكّد إذا كان

فعلاً .

فعل الأمر لا يؤكّد وحده بغير

فاعله .

د - حكم المؤكّد إذا كان

حرفاً .

- إشارة إلى أحرف الجواب ،

ودلالاتها .

٥٣٦ هـ - المؤكّد جملة اسمية أو

فعلية .

حرف العطف الصورى : (ثم)

- الفاء) .

٥٣٧ حذف المؤكّد في التوكيد

اللفظى .

* * *

٥٣٨ المسألة ١١٧ :

ج - العطف بنوعيه

(١) عطف البيان

٥٣٩ المشتق إذا صار علماً دخل في أعداد

الجوامد .

٥٤١ تعريفه .

٥٤٢ أوجه التشابه والتخالف بينه

وبين التوابع الأخرى .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات: «الزيادة والتفصيل والهامش»

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٧٩ وقوعها بعد همزة الاستفهام مباشرة .

٥٨٠ (٤) حتى : معناها

« حتى » حرف ابتداء .

معنى الغاية هنا ، والكلمة ، والجزء ،

والبيض . وشبهها . . .

٥٨٢ أحكامها .

« حتى » العاطفة « كالواو »

لمطلق الجمع .

متى تتمين اللطف ؟

٥٨٥ (٥) « أم » بنوعها :

٢ - المتصلة :

(١) المسبوقه بهمزة التسوية .

معنى التسوية . سواء .

٥٨٦ سبك المصدر المؤول بدون حرف سابق .

انصلاح « أم » عن التسوية .

الصلة بين « : أو » و « أم » . . .

٥٨٧ رأى سيوبه .

التعين بالهمزة وأم

٥٨٧ الاستعمال الصحيح فيما سبق .

٥٩٠ وقوع « أم » بعد « هل » الاستفهامية .

٥٩١ وجوب تأخير أحد الأمرين إذا كان

منفياً .

متى تتمين الإجابة بالحرف : « نعم »

وأخواته ؟

٥٩٢ صور من « أم » عند طلب

التعين .

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٥٧ (١) الواو : معناها . . .

٥٥٨ معنى الترتيب ، المصاحبة ، التعقيب .

معنى المفرد وغيره هنا .

أحكامها : مطابقة الضمير

بعد الواو .

٥٦٢ حذفها .

ما تنفرد به الواو .

٥٦٣ تكرار الظرف : « بين » .

المراد من المعاني النسبية .

٥٦٧ حكم الضمير ونحوه بعد الواو

٥٦٨ معنى العقد والتيف . وحكمها .

٥٧٠ هل تقع « الواو » بعد « بل » ؟ (وانظر

« ج » ص ٦٠٧) ؟

وقوع همزة الاستفهام قبل ثلاثة من

حروف العطف . حكمها .

٥٧٣ (٢) الفاء : معناها .

المراد من الترتيب المعنوي ، والذي كثر ،

والإخباري ، والتعقيب .

٥٧٤ أحكام « الفاء » العاطفة ،

٥٧٦ فاء « الفصيحة » .

ومنها : أن تكون للعطف

الصوري ، لا الحقيقي ،

٥٧٦ (٣) ثم ،

معناها ؛

٥٧٧ أحكامها .

اتصال تاء التأنيث بها

٥٧٩ قد تكون حرفاً عاطفاً صورياً ، لا حقيقياً .

قد تكون للاستئناف .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات: «الزيادة والتفصيل والهامش»

رقم الصفحة : الموضوع :

٦١٤ تكرار «إما» . حذفها .
الفرق بينها وبين «إما» الشرطية
المركبة ... ، إشارة إلى أنواع أخرى .
حذف الواو قبلها - «أُيما» .

٦١٥ الفرق بين: «إما» و «أو» .
حكم للضمير بعدها ...

٦١٦ (٨) لكن : معناها
شروط عملها .

معنى : الاستدراك

٦١٨ (٩) لا :

معناها ، شروط عملها .

٦٢٠ النفي التأسيسي ، والتأكيد .

٦٢٢ وقوع «لا» بعد الدعاء والتخفيف ،
والاستفهام .
حذف المعطوف عليه - تكرار «لا» .

٦٢٣ (١٠) بل :

معناه وحكمه .

الإضراب الإبطائي والانتقالي .

٦٢٧ حكم «بل» بعد الاستفهام ... -
«وقوع» «لا» للنافية «قبل» «بل»
وقوع الواو بعد «بل» . ونوع هذه
الواو ...
حكم للضمير المائد على المتعاطفين بعد
«بل»

٦٢٨ ملخص حروف العطف ،

وبيان ما يقتضى التشريك ،

وما لا يقتضيه .

المراد من التشريك المعنوى .

رقم الصفحة : الموضوع :

٥٩٣ سبب التسمية بالمتصلة .

٥٩٤ الفرق بين قسمي أم المتصلة .

٥٩٦ الاستثناء عن الهزمة بنوعها .
حذف «أم» .

٥٩٧ ب - «أم» المنقطعة (المنفصلة)
معناها ، علامتها .

معنى : «الإضراب» بنوعيه

نوع من الفرق بين : «أم» و «بل»
صور أخرى من : «أم» المنقطعة .

٦٠٠ إعراب المنقطعة .

٦٠١ صورة تصلح للاتصال والانقطاع -
تجربتها للإضراب .

إفادتها الإضراب ومعه معنى آخر .

٦٠٢ تجربتها للاستفهام المحض .
جواب «أم» المكررة ، «أم» الزائدة .
حكم للضمير المائد على المتعاطفين بعد :
«أم»

٦٠٣ (٦) «أو» : (عملها ، ومعناها)

٦٠٥ الفرق بين الإبهام والشك ،
حكم الضمير - ونحوه - بعد «أو» ،

٦٠٦ معنى التقسيم ، والتفصيل ، والتفريق .
إحلال «الواو» محل : «أو» .

٦٠٩ وقوع : «أو» بعد «هل» سماعا .
الفرق بين «أو» التي للإباحة ، وواو
العطف التي للجمع .

٦١١ صور تعين فيها «أو» للشمول الكامل .
حذف «أو» .

عطفها الشيء على مرادفه .

٦١٢ (٧) إمّا : معانيها ،

٦١٣ العاطف لا يدخل على العاطف

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : « الزيادة والتفصيل والهامش ».

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٤٣ أداة الشرط الجازمة تخلص فعلها وجوابها

للمستقبل - كما سبق في ص ٩٣ -

٦٤٤ الفرق بين عطف الفعل على الفعل وعطف

الجملة الفعلية على الجملة الفعلية .

٦٤٥ ب - عطف الفعل وحده على

ما يشبهه ، والعكس .

٦٥٢ ح - عطف الجملة على الجملة

* * *

٦٥٥ المسألة ١٢٢ :

بعض أحكام - في العطف -

عامة ، متفرقة .

(١) صلاحية المعطوف لمباشرة

العامل .

٦٥٦ (٢) لا يشترط صحة تقدير

العامل . . .

(٣) مطابقة الضمير العائد

على المتعاطفين .

٦٥٧ (٤) الفصل بين العاطف

ومعطوفه .

(٥) تقدم المعطوف .

٦٥٨ (٦) عطف الجملة على المفرد

والعكس . عطف المفرد على

شبه الجملة ، والعكس

٦٥٩ (٧) العطف على التوهم .

(٨) المغايرة بين المتعاطفين .

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٣٠ المسألة ١١٩ :

الفصل بين المتعاطفين

حالتان يكون فيهما الفصل

واجبا . حالتان يستحسن فيهما

٦٣٢ إعراب الجار مع مجروره بعد العاطف .

* * *

٦٣٥ المسألة ١٢٠ :

صور من الحذف في أسلوب

العطف .

حذف العاطف والمعطوف معاً

٦٣٦ معنى : « فاء الفصيحة » .

حذف المعطوف .

٦٣٨ حذف المعطوف عليه .

٦٤٠ حذف حرف العطف وحده .

تقديم المعطوف على المعطوف

عليه .

* * *

٦٤١ المسألة ١٢١ :

عطف الفعل على الفعل ،

أو على ما يشبهه ، والعكس .

عطف الجملة على الجملة .

٢ - عطف الفعل وحده على

الفعل كذلك .

٦٤٢ فعل الأمر لا ينفصل عن فاعله .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات : «ازيادة والتفصيل بالهامش» .

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٧٦ اتحاد البديل والمبدل منه في اللفظ ،
وارتباط ما بعده . . .
حذف المبدل منه . الإتياع والقطع
في البديل .

٦٧٧ يشترط في بديل البعض وبديل الاشتمال
صحة الاستغناء عن المبدل منه .

٦٧٨ البديل على نية تكرار العامل - في
الأغاب -

* * *

المسألة ١٢٤ : ٦٨١

إبدال الظاهر من الظاهر ومن
الضمير ، والعكس في كل حالة .

* * *

المسألة ١٢٥ : ٦٨٣

البديل من المضمن الاستفهام
أو الشرط .
بديل التفصيل .

٦٨٤ « إن » الشرطية التي لمجرد التفصيل .

* * *

المسألة ١٢٦ : ٦٨٥

بديل الفعل من الفعل ، والجملة
من الجملة .

٢ - بديل الفعل من الفعل

٦٨٦ بديل الجملة

٦٨٧ إبدال الجملة من المفرد ، والعكس .

٦٨٨ إبدال الفعل من اسم يشبهه ،
والعكس .

الفصل بين التوابع ومتبوعاتها .
(ومنها البديل والمبدل منه)

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٦٠ (٩) حكم المعطوف إذا كان
المعطوف عليه كسنية .

(١٠) حكم القطع في المعطوف

٦٦١ (١١) هل يجوز عطف الزمان

على المكان ، وعكسه ؟

* * *

المسألة ١٢٣ : ٦٦٣

البديل

تعريفه .

الغالب في البديل أن يكون جامداً .

٦٦٥ الغرض منه .

المراد من أن المبدل منه في
حكم المطروح .

أقسامه :

أولها : بديل كل من كل . .

٦٦٦ (الإشارة إلى الارتباط بينه
وبين عطف البيان)

٦٦٧ ثانياً : بديل بعض من كل .

٦٦٨ قد تنوب « أل » عن الرابط

٦٦٨ ثالثاً : بديل الاشتمال

٦٧٠ رابعها : البديل الميائين .

٦٧٠ ١ - بديل الغلط .

ب - بديل النسيان .

ج - بديل الإضراب .

٦٧٤ بديل الكل من البعض ، وأحكام أخرى
للبدل من حيث المطابقة وعدمها . . .

الفهرس

١ - بيان الأبواب العامة التي يشتمل عليها هذا الجزء :

رقم الصفحة :	عنوان الباب :	رقم الصفحة :	عنوان الباب :
١	النداء ، وكل ما يتصل بأحكامه	٥١٢	أدوات التحضيض ، والتوبيخ ، والعرض ، والامتناع :
٧٧	الاستغاثة		(لولا - لوما - هلا - ألا - ألا...)
٨٩	الندبة	٥١٧	العدد
١٠١	الترنخم	٥٦٨	كنايات العدد : (كم - كآين - كذا - كنايات أخرى)
١١٨	الاختصاص	٥٨٥	التأنيث
١٢٦	التحذير والإغراء	٦٠٥	المقصود والممدود ، وتثنيتهما ، وجمعهما تصحيحا .
١٤٠	أسماء الأفعال	٦٢٥	جمع التكسير
١٦٢	أسماء الأصوات	٦٨٣	التصغير
١٦٧	نونا التوكيد	٧١٣	النسب
١٨٥	إسناد الفعل إلى الضمائر	٧٤٧	التصريف
٢٠٠	ما لا ينصرف	٧٥٦	الإعلال ، والإبدال ، والقلب .
٢٧٧	إعراب المضارع : ١ - (نواصبه)	٧٩٤	الإعلال بالنقل
٤٠٥	ب - جواز م المضارع	٨٠٠	الإعلال بالحذف
٤٨٢	اجتماع الشرط والقسم		
٤٨٩	١ - توالى شرطين أو أكثر ،		
٤٩٠	ب - توالى الاستفهام والشرط .		
٤٩١	لوا		
٥٠٤	أمّا الشرطية		

* * *

ب - تفصيل المسائل والموضوعات التي يشتمل عليها كل باب من الأبواب العامة السابقة ، مع ملاحظة أن العناوين المكتوبة في الفهرس بخط صغير هي بعض الموضوعات الواردة في : « الزيادة والتفصيل » ، والهوامش .

باب النداء ، وما يتصل به :

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع : رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ١٢٨ : ٩

المسألة ١٢٧ : ١

أقسام المنادى الخمسة ،

١ النداء :

وحكم كل .

تعريفه .

القسم الأول :

أحرفه ، موضع استعمال كل

المفرد العلم . - تعريفه ،

حرف .

١٠ ما يلحق به - أحكامه

ألفاظ لا تكون إلا منادى ، وأخرى

المختلفة ، البناء على الضم ...

لاتصلح منادى .

١١ العلم والمعازف المبينة قبل النداء .

٣ ١ - حذف حرف النداء

ومواضعه .

١٤ طريقة بناء العلم المنقوص ، والمنون .

ب - مواضع لا يصح فيها

١٥ طريقة بناء العلم المقصور .

حذف الحرف : « يا »

١٦ حكم نداء المثني ، والجمع ، وإثنا عشر ،

وإثنا عشر ، علمين مبدوين همزة القطع

٤ ح - مواضع يقل فيها حذفه .

١٨ صورة من العلم المفرد يجوز

هل يصح نداء الضمير ؟

فيها أمران ...

ما المراد باسم الجنس المعين وغيره .

المنادى وغير المنادى الموصوف بكلمة :

٥ ما يمتاز به : « يا »

ابن ، أو ابنة ، أو بنت ، أشباها .

مناداة القريب بما للبعيد ،

متى تحذف همزة الوصل منهما -

والعكس .

٢٠ جواز أمر ثالث - التعليل للثلاثة

النداء الحقيقي وغير الحقيقي .

٢٥ القسم الثاني : النكرة المقصودة

٦ دخول حرف النداء على غير

- تعريفها - حكمها .

الاسم .

٢٦ الفرق في التمييز بين النكرة المقصودة والعلم

هل يحذف المنادى ؟

٢٨ متى تبنى على الضم وجوباً ، أو جوازاً .

٧ د - نوع الجملة الندائية

وحكمها إذا كانت موصوفة ؟

فعلية إنشائية . لا يصح أن تكون خبراً

ما لإعراب الجملة بعد النكرة المقصودة ؟

نيابة حرف النداء عن العامل

ولا سيما المنقولة من مقصور أو منقوص .

حرف النداء من أحرف المعاني . أثر ذلك

٣٠ عودة إلى الفرق بين التمييز في العلم

وفي النكرة المقصودة .

٣٠ حكم المعارف التي ليست أعلاماً ...

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
٣١	القسم الثالث : التكريرة غير المقصودة
	تعريفها ، وحكمها .
	القسم الرابع : المضاف ، تعريفه ، وحكمه .
٣٢	القسم الخامس : التشبيه بالمضاف
٣٣	حكم نداء الأعداد المتعاطفة .
٣٤	حكمها أيضا

٣٦	المسألة ١٢٩ :
	الجمع بين حرف النداء و «أل» .
	الكلام على : « اللهم » وهمزة « الله » .
٣٧	نعتة . معاني : اللهم .
٣٨	مقى تصوير همزة الوصل للقطع ؟

٤٠	المسألة ١٣٠ :
	أحكام تابع المنادى .
	١- أحكام تابع المنادى المنصوب
	حكم الضمير المصاحب للتابع ،
٤١	مناقشة النحاة في حكم البدل وعطف النسق . . .
٤٢	وجوب جر التابع
٤٣	ب- تابع المنادى المبني على الضم .
	(١) ما يجب نصبه - كيفية إعراب فاقد الشروط .
٤٥	حركة شكلية صورية في بعض التوابع
٤٥	(٢) ما يجب رفعه ،
رقم الصفحة :	الموضوع :
٤٨	نداء « أئ » ، « وأية » ، واسم الإشارة . . .
٤٩	الكلام على أئ ، وأية ، ونعتها ، المطابقة وعدمها ، والإفراد وفروعه .
٥٠	نعت اسم الإشارة المنادى .
٥١	المراد « بالمبهم » في المنادى وغيره
٥٢	جواز الرفع والنصب .
٥٣	(٤) التابع المستقل : (البدل وعطف النسق) .
	ح - ما يصح نصبه وبنائه على الضم .
٥٤	اسم زائد لا يوصف بإعراب ولا بناء ، ملخص أحكام توابع المنادى
٥٧	***
٥٨	المسألة ١٣١ :
	المنادى المضاف إلى ياء المتكلم .
	حكم صحيح الآخر ، وشبهه ، أحرف ألد ، واللين ، والعله .
٦٢	تاء التانيث توجب فتح ما قبلها .
	الكلام على : يا أبت - يا أمت .
٦٥	حكم معتل الآخر وما ألحق به
٦٧	حكم الأسماء الخمسة عند نداءها

٦٨	المسألة ١٣٢ :
	أسماء لا تكون إلا منادى .
	بيانها تفصيلا . . . (أبت - أمت - اللهم - قل . . .)
	أسماء لا تكون منادى .
٧٣	صيغة « فعال » لسبب الأئني ، ولأمر
٧٦	نداء المجهول اسمه . . .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

باب الاستغاثة .

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٨٣	حكم المستغاث له .	٧٧	المسألة ١٣٣
٨٤	بعض أحكام عامة .		الاستغاثة .
***			تعريفها - أسلوبها ، وأركانها
٨٦	المسألة ١٣٤ :	٧٨	حكم « يا » .
	النداء المقصود به التعجب ،		حكم المستغاث ، ولامه ، وتوابعه
٨٧	أسلوبه . أحكامه .	٨٠	رأى في إعراب المستغاث العرب والمبني

باب الندبة

٩٦	زيادة هاء السكت في آخره	٨٩	المسألة ١٣٥ :
٩٧	المندوب المثني والجمع ،		تعريفها ، ركناتها ،
	توابع المندوب	٩٠	١ - الأحكام الخاصة بحرف
***			النداء .
	المسألة ١٣٦ :		« ب » المندوب ، والأحكام الخاصة به
٩٩	المندوب المضاف لياء المتكلم	٩١	هل هو منادى حقيق ؟
١٠٠	المندوب المضاف لمضاف لياء المتكلم .	٩٤	زيادة الألف في آخر المندوب

باب الترقيم

١٠٥	ما يحذف جوازاً من آخر المنادى المرخم .	١٠١	المسألة ١٣٧ :
	حرف العلة ، واللين ، والمد		تعريفه - أقسامه -
١٠٩	عودة إلى همزة الوصل التي تصير همزة قطع .		القسم الأول : ترقيم المنادى
			كثرة الترقيم في بعض ألفاظ معينة .
		١٠٢	شروطه .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
١١١	كيفية ضبطه على لغة من	١١٥	الكلام على : يا صاح ...
	ينتظر ومن لا ينتظر .		***
١١٤	أى الطريقتين أفضل ؟ لماذا ؟	١١٦	المسألة ١٣٨ :
			القسم الثانى : ترخيم الضرورة

باب : الاختصاص

١١٨	المسألة ١٣٩ :	١٢٥	إعراب الجملة التى تحوى
	توضيحه بالأمثلة — تعريفه .		المختص .
١٢٠	الغرض منه .		الجملة الاعتراضية لا محل لها
١٢١	حكمه .		من الإعراب .
١٢٢	أوجه التشابه والتخالف بين		
	الاختصاص والنداء .		

باب التحذير والإغراء

١٢٦	المسألة ١٤٠ :	١٣٢	ملخص الأحكام السابقة .
	١ — التحذير	١٣٣	عامل التحذير .
	تعريفه — أساليبه الاصطلاحية		العامل المقدر ليس أمراً يتعبد بنصه
١٢٧	الأول : حكمه .	١٣٥	ما يجوزنى الواو
١٢٨	الثانى والثالث ، وحكمهما .		نوع أسلوب التحذير
١٢٩	الرابع . حكمه .	١٣٦	ب — الإغراء — تعريفه ، وحكمه
١٣٠	الخامس . حكمه .	١٣٨	بعض الأمثال المسموعة بالنصب
			وأشباهاها .

باب أسماء الأفعال

١٤٠	المسألة ١٤١ :	١٤٢	الرأى القائل إنها خالفة . . .
	معناها ، تعريفها .	١٤٣	تقسيم هذه الاسماء بحسب
١٤٢	مزيتها .		نوع أفعالها —

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
١٤٥	لنتان في : هلم، معنى : هلم جراً .
١٤٦	شتان
١٤٧	تقسيمها بحسب أصالتها في
	الدلالة : إلى مرتجل ومنقول .
١٥٠ و ١٤٩	تفصيل الكلام على «رويد» و «بله»
١٥٣ ✓	أهم أحكامها :
	نوع قياسي .
	السماع — الجمود — البناء —
	التنوين وعدده —
	العمل .
١٥٤ ✓	المراد من تعريفها وتنكيرها .
١٥٦	نوع فاعلها
	الكلام على : هيت ،
١٥٧	حاجة اسم الفعل إلى الفاعل دليل اسميته
١٥٨	رقم الصفحة :
	الكلام على : هاوم ،
١٥٩	تأخر المعمولات
	امتناع نون التوكيد .
	هل اسم الفعل مع فاعله جملة ؟
١٦٠	قسم تلحقه الكاف سماعاً .
١٦١	سرد بعض أسماء الأفعال المتناثرة في
	الكلام العربي الفصيح

١٦٢	المسألة ١٤٢ :
	أسماء الأصوات .
	تعريفها وتقسيمها .
١٦٣	أشهر أحكامها .

باب نونا التوكيد

١٦٧	المسألة ١٤٣ :
	بيانها — أثرهما المعنوي .
١٦٩	أثارهما اللفظية ، والأحكام
	المرتبة عليهما .
	بناء المضارع على الفتح
١٧٠	بناء الأمر على الفتح
١٧١	أحوال توكيد الأمر والمضارع ،
١٧٢	مى تحذف « لا » النافية وتلاحظ

١٧٩	الأحكام الأربعة التي تختص
	بها نون التوكيد الخفيفة .
١٨٠	مى يصح التقاء الساكنين ؟

باب إسناد الفعل

١٨٥	المسألة ١٤٤ :
	إسناد المضارع والأمر إلى
	ضماثر الرفع البارزة بغير توكيدهما
	ومع التوكيد . . .
١٨٦	أولا — ١ — المضارع
	صحیح الآخر .
	دفاع عن الحذف والتقدير هنا
	شرط توالى الأمثال المنوع .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
١٨٩	تلخيص إسناد المضارع صحيح الآخر
١٩١	«ب» إسناد المضارع معتل الآخر.
١٩٧	تلخيص إسناد المضارع معتل الآخر .
١٩٩	ثانياً — الكلام على الأمر

باب مالا ينصرف

٢٠٠	المسألة ١٤٥ :
	الاسم المغرب من حيث التنوين
	قسمان :
	معنى الصرف ، تقسيم الاسم
	الذي لا ينصرف
	قد يعبر عن الصرف قديماً
	«بالإجراء» و . . .
٢٠٤	العلامة الدالة على منعه ،
	والعلامتان .
	ما يمنع صرفه لعللة واحدة أو
	لعلتين .
	مناقشة رأى النحاة في العلة والعلتين .
٢٠٥	أصل يمان ، وشام ، وثمان . . .
٢٠٥	١ — لعللة واحدة : ألف التأنيث
	بنوعيتها ، حكمها .
٢٠٧	أصل الممدودة .
	شرطان للمنع من الصرف
٢٠٨	صيغة منتهى الجموع ،
	تعريفها
	هل منها مثل كلمة : أرادب
٢٠٩	حكمها .
٢١٠	موازنة بين المنقوص المفرد والمجموع
	وحكم المنقوص منها
٢١١	حكم المضارع المعتل الآخر بالواو ،
	أو الباء ، عند التسمية كحكم المنقوص
٢١٤	حكم ملحقاتها .
٢١٦	ب — ما يمنع صرفه لعلتين معاً .

٢١٧	المسألة ١٤٦ :
	الكلام على الاسم المنوع
	من الصرف للوصفية وما ينضم
	إليها من إحدى العلل الثلاث .
	الوصفية مع زيادة الألف والنون .
	معنى الوصفية هنا « فَعْلَان فَعْلَى »
	تأنيثه بالتاء . صحة صرفه وجمعه
	تصحيحاً ، وكذا فَعْلَى .
٢١٨	الوصفية مع وزن الفعل .
٢٢٢	الوصفية مع العدل .
	تعريف العدل ، وتقسيمه ، وفائدته .
	رأى فيه ، الكلام على : أحاد ، وثناء ،
٢٢٤	الكلام على : آخر

٢٢٧	المسألة ١٤٧ :
	الكلام على المنوع من
	الصرف للعلمية مع إحدى
	العلل السبع .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، التفصيل ، الهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٥٦ العلمية مع العدل .

كلمة عن العدل وتقسيمه وفائدته . . .

٢٥٦ وزن : « فعل » في الفاظ التوكيد .

٢٥٧ وزن : « فعل » علم مفرد مذ كـ .

٢٥٨ الكلام على : سحتر . .

٢٥٩ الكلام على رجب وصفر -

وزن : فَعَال ، أنواعه ،

وحكم كل .

٢٦١ أمس .

٢٦٣ حكم العلم المبني إذا سمي بهو :

الإعراب والصرف .

٢٦٤ أحكام عامة في الممنوع من الصرف :

(١) الممنوع من الصرف لا يدخله تنوين الألفية .

الممنوع من الصرف أحد عشر نوعاً . قد يمنع لسبب أو لاثنتين .

٢٦٦ (٣) حكم الممنوع من الصرف المنقوص .

٢٦٧ وزن « أفْعِل » ليس خاصاً بالوصف .

٢٦٩ (٤) متى يجب تنوين الممنوع من الصرف ، ومتى يجوز ؟

٢٧٠ يجوز الصرف وعدمه في حالتين .

معنى التناسب ، والسجع ، والفواصل .

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٢٧ العلمية مع التركيب المزجي ، معناه .

٢٣٠ نوع منه منقوص ينصب بالفتحة المقدرة دائماً

٢٣١ حكم الأعلام المركبة تركيب إضافة ، أو إسناد ، أو أعداد . أو أحوال ، أو ظروف .

٢٣٣ العلمية مع زيادة الألف والنون

٢٣٦ العلمية مع التانيث .

« ا » ما يمتنع صرفه وجوباً .

هاء التانيث هي تاء التانيث

٢٣٨ « ب » ما يمتنع صرفه جوازاً

٢٣٩ أشياء - كأسماء القبائل والأماكن والأحياء - تصرف أولاً تصرف .

٢٤٢ العلمية مع العجمة .

معنى اللفظ الأعجمي - قد يدخله تغيير عند نقله إلى لغة العرب - الفرق بين العرب والأعجمي .

٢٤٥ حكم أسماء الملائكة ، والأنبياء ، وإبليس . كيف يعرف الاسم الأعجمي ؟

٢٤٧ العلمية مع وزن الفعل وصوره المختلفة . . .

تصير همزة الوصل في الأعلام المنقولة همزة قطع .

٢٤٩ ضابط عام في صرف الاسم الذي على وزن المضارع .

٢٥٣ العلمية مع ألف الإلحاق المقصورة (مثل : عَمَلْتَنِي - أَرَطْنِي . . .)

كلمة عن الإلحاق .

٢٥٥ حكم كلمة : تَسْتَرِي .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

قد تكون الضرورة في غير الشعر .

٢٧٤ الكلام على صحة وقوع «لا» بعد «قد»

في مثل : قد لا أفعل كذا .

٢٧٥ أثر التصغير والتكبير في الصرف

وعدمه .

رقم الصفحة : الموضوع :

٢٧١ يجوز التنوين للضرورة ، وما في حكمها .

معنى الضرورة وموضعها ؟

(٥) ما يجوز في الضرورة الشعرية .

* * *

١- باب إعراب المضارع : (نواصبه)

٢٩٠ بقية أنواعها : (المخففة من

الثقيلة - الصالحة للمصدرية ،

وللتخفيف - الزائدة - الجازمة

- الضمير - المفسرة)

٢٩٢ دخول « لَمَّا الحينية » على المضارع

٢٩٨ إظهار النون وعدم إظهارها

قبل « لا » .

٢٩٩ الثاني : لن ، معناها وأحكامها

٣٠٠ الثالث : كي . معناها وأحكامها

٣٠١ حكم الفصل بينها وبين

المضارع بحرف النفي : لا ،

أو : ما ، أو بهما .

الفرق بينهما وبين : « أن »

المصدرية .

٣٠٣ أنواعها : المصدرية .

سبب استعمال المصدر المنسبك .

التعليلية - الصالحة للأمرين -

الاستفهامية .

٣٠٥ وصل كي « بلا » النافية وفصلها .

٣٠٧ الكلام على : « كما » في بيت قديم

٢٧٧ المسألة ١٤٨ :

١ - نواصبه

إشارة إلى بناء الأفعال وإعرابها .

حكم المضارع ، النواصب .

كلمة أخرى عن العامل . نفاسة جوهه ، عيه . . .

٢٧٨ عدد النواصب

٢٧٩ للمضارع المبني المجرد محل

إعرابي

٢٨١ الأحرف الأربعة الناصبة

بنفسها :

الأول : أن .

٢٨٢ أحكامها : . إشارة إلى المصدر

المؤول :

ولماذا نلجأ إليه . قد يكون سبكه بغير سابق

٢٨٤ حالات إظهارها وإظهارها ،

وجوبا وجوازا (بيان السبب في ص

٣٧٨ ، ٩٩٩)

٢٨٩ « أو » قد تكون حرف استئناف

كالواو ، والفاء ، وثم .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :
عملها .

الحال الحقيقية والماضية ، والمستقبلية .
إشارة إلى « حتى » العاطفة ، وحتى
الابتدائية

معنى « حكاية الحال الماضية » .
حالات المضارع بعد « حتى »

٣٣٨ حكم المضارع بعدها

— الفصل بينها وبين المضارع

٣٤٧ ملخص حالات المضارع بعد « حتى »

٣٥٠ أشئلة يعرضها النحاة لها .

٣٥٢ رابعها : فاء السببية الجوابية .

معناها ، ودلالاتها ، شرط
النفي والطلب قبلها .

٣٥٤ عملها . معنى النفي

إشارة إلى الاستفهام الحقيقي والتقريري

٣٥٧ كيفية تأويل المصدر المنسبك

هنا .

٣٥٨ معنى العطف على المعنى

والتوهم .

٣٥٩ صور من تسلط النفي على ما قبل

الفاء ، وما بعدها معا وعلى أحدهما فقط .

٣٦٥ ب — الطلب بنوعيه (المحض

وغير المحض) . الأمر —

النهي — الدعاء — الاستفهام

— العرض — التحضيض —

— التمني — الترجي —

معنى كل وحكمه

٣٦٦ الأوز ، معناه ... صيغته ...

رقم الصفحة : الموضوع :

٣٠٨ إذن : مادتها — معناها —

أحكامها — كتابتها .

٣١٣ حكمها بعد الواو والفاء .

٣١٥ تضمنها معنى الشرط أحيانا

وما يترتب على هذا .

٣١٦ هل يجوز إهمالها مع استيفاء

الشروط ؟

* * *

٣١٧ المسألة ١٤٩ :

الأدوات الخمس التي ينصب

بعدها المضارع بأن مضمرة

وجزواً .

أحكام هامة تختص بهذه الأدوات

أولها : لام الجحود ، معناها

شروط عملها .

٣٢١ نوعها ، الحرف الزائد المحض وغير

المحض .

٣٢٤ الفرق بين لام التعليل ولام الجحود .

هل تحذف اللام أو فعل الكون ؟

٣٢٦ ثانيها ، أو : العاطفة التي

بمعنى : حتى ، أو : إلا .

المراد من ذلك كله .

إعراب : « أو » وما بعدها ؟

٣٣١ سبب الالتجاء إلى : « أو »

ونصب المضارع بعدها .

٣٣٣ ثالثها : حتى الجارة ، معناها

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع : رقم الصفحة : الموضوع :

٣٦٧	النهى .	٣٨٧	المسألة ١٥٠ :
٣٦٨	الدعاء - الاستفهام .	٣٨٨	حكم المضارع إذا لم توجد قبله فاء السببية .
٣٦٩	العرض . التحضيض . التبعي	٣٩٠	أداة الشرط لتدخل على النهى .
٣٧١	جمل خبرية في معنى الأمرية	٣٩٥	الاستثناء البياني وغير البياني .
٣٧٢	حكم المضارع الذي اختفت من صدره « فاء السببية » - انظر ص ٣٦٦	٣٩٨	جواب الأمر ، والترجي
٣٧٣	مسائل يجوز فيها نصب المضارع بأن مضرة وجوباً ، وعدم نصبه -		كيف نعرب « لا » الناهية التي فقدت الدلالة على النهى
٣٧٥	الجواب والمجاب عنه لا يتوافقان ؛ بل . يجب تخالفهما . . .		
٣٧٦	خامسها : واو المعية ، فائدتها . ومعناها .		
٣٧٨	عملها - حكم المضارع بعدها		
٣٧٩	التشابه والتخالف بين فاء السببية ، وواو المعية		
٣٨٢	واو الصرف .		
٣٨٤	الفرق بين واو المعية والواو العاطفة . .		
٣٨٥	صور « للواو » يختلف فيها المعنى والإعراب		
	« ثم » قد تكون كواو المعية ؛ وقد تكون للاستئناف . . .		

ب - باب إعراب المضارع : (جوازمه)

٤٠٨	المسألة ١٥٣ :	٤٠٨	« اللام ، الطلبية » .
٤١٢	ب - جوازمه	٤١٣	معناها ، وأحكامها .
٤١٣	عوامل جزمه ثلاثة أنواع ، وبيان سبب التسمية . إشارة إلى موضع الكلام على : جزم المضارع في جواب الطلب	٤١٣	« لا الطلبية » ، معناها ، وحكمها
	٤٠٦ النوع الأول : ما يجزم مضارعاً واحداً أربعة .		الجزم بعد « لا » النافية .
			« لم ولما » . ما يشتركان فيه وما تنفرد به كل .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

المسألة ١٥٥ : ٤٢٧

— الأمور التي تختلف فيها تلك الأدوات .

ناحية الاسمىة والحرفية .

ناحية الاتصال « بما » .

ناحية المعنى واختلافه ...

٤٣١ إشارة لبعض الفوارق بين « إذا »

الشرطية وغيرها ، كأن « وأخواتها

٤٣٢ ناحية التعليق .

٤٣٣ « إن » الوصلية ، وإشارة

لباقى أنواع « إن » .

هل يقترن جواب إن الشرطية « باللام

٤٣٦ « إن » التفصيلية .

٤٣٧ دخول « إن » الشرطية على

« لم » .

٤٣٨ إعراب أدوات الشرط الجازمة

وأدوات الاستفهام المحض .

المسألة ١٥٦ : ٤٤٠

النوع الثالث الذى يقع الخلاف

فى اعتباره جازما : إذا - كيف

— لو

المسألة ١٥٧ : ٤٤٤

الأحكام الخاصة بجملى

الشرط والجواب إذا كانت

الأداة جازمة ، أو ...

رقم الصفحة : الموضوع :

المراد من الاستفهام التقريرى .

٤١٤ ما تنفرد به « لم »

ما الذى يحزم المضارع المسبوق بـ

وقبلها أداة شرطية جازمة

٤١٧ ما فى حيز الجواب لا يتقدم

على الجواب .

ما تنفرد به « لما »

٤٢٠ الفرق بين « لما » الجازمة والحينية ،

والتي بمعنى « إلا » . ومن هذه : أشدك

الله لما فعلت - كذا ... والمراد منها

المسألة ١٥٤ : ٤٢١

النوع الثانى : الذى يحزم

مضارعين معاً ، أو ... «

أدواته : الأسماء منها والحروف -

أشهر الأمور التي تتفق فيها .

الفرق المعنوى بينهما

٤٢٢ معنى فعل الشرط وجوابه .

« من وما » الشرطيتين والموصولتين

٤٢٣ هل تقع الجملة الشرطية حالا ؟

٤٢٥ لا بد من دخولها على فعل ،

٤٢٦ صدارتها ،

عدم حذفها .

عدم دخولها على : « لا الناهية » .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

رقم الصفحة :- الموضوع :

٤٦٥ هل تجتمع « الفاء وإذا ؟ »

٤٦٦ ذكر لام القسم المحذوف غير واجب .

هل يصح الاستغناء عنهما ؟

٤٦٧ هل يقترن الجواب بالفاء في غير تلك

المواضع ؟ متى تجيء الفاء في الجواب

المنى بلا ؟

٤٦٩ تنزيل الظرف منزلة الشرط ، وأثر ذلك

في جلب الفاء . . .

قد يجزم المضارع بعد الصلة والصفة .

قد يكون للظرف جواب .

٤٧١ أحكام عامة تختص بجملي

الشرط والجواب معاً :

٤٧٢ أثر الإعراب المحلى

٤٧٤ ما يختص بهما من ناحية رفع

المضارع في الجواب وحزمه

٤٧٥ إعراب المضارع المرفوع ، في جملة الجواب

٤٧٦ حكم جواب الشرط إذا تقدم

عليه مبتدأ

٤٧٧ عطف مضارع على آخر في

جملة الجواب أو في جملة

الشرط ، وتفصيل ذلك .

٤٧٨ إعراب المضارع المتوسط بينهما

٤٨٠ حذفهما معاً ، و . . .

رقم الصفحة :- الموضوع :

أولاً — أحكام الشرطية .

هل تسمى جملة ؟

٤٤٥ اجتماع المبتدأ وأداة الشرط .

إعرابهما .

٤٤٩ ثانياً — أحكام الجوابية . . .

٤٥٠ حذف الجواب . إشارة إلى

دخول « إذا » الفجائية على

الجواب

٤٥١ تقديم ما يدل عليه ، وشرط هذا :

« هل » الاستفهامية لا تدخل على : « إن »

الشرطية ، ولا على ما تضمن معنى « إن »

بخلاف الهمزة الاستفهامية .

مواضع يتعين فيها أن تكون بعض

الأسماء موصولات ، لا شرطية ، اسم

الزمان لا يضاف لجملة شرطية .

اسم الشرط لا يعمل فيه ما قبله إلا

المضاف ، وحرف الجر .

٤٥٨ اقتران الجواب بالفاء .

قد تحل في بعض المواضع

« إذا » الفجائية محل الفاء .

هل يقترن جواب « إن » باللام ؟

٤٦١ بعض الأحرف والأدوات التي لها الصدارة

٤٦٣ عودة إلى اقتران جواب « إن » باللام

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

باب : أدوات التحضيض ، والتوبيخ ، والعرض ، والامتناع

رقم الصفحة : الموضوع : رقم الصفحة : الموضوع :

٥١٢ المسألة ١٦٢ : — ألا التي للاستفتاح

ومثلها : أمّا ،

٥١٣ المعاني التي تؤدي تلك الحروف ، وأحكامها النحوية .

لولا — لوما — هلاً — ألاً — ألا — لو .

• • •

باب : العدد

وحكمه . لم كان اسم جمع مذكر وليس جمعاً مذكراً ؟
٥٢٣ (٤) العدد المعطوف ، معناه وحكمه .

٥٢٥ المسألة ١٦٤ :

تمييز العدد .

١ — الأعداد المفردة .

٥٢٨ وقوع العدد نعنا مؤولاً ، أو بدلاً ، وعطف بيان

٥٢٩ ب — تمييز بقية أقسام العدد

٥٣٠ نعت تمييز العدد المركب ، والعقد ، والمعطوف

٥٣٢ قد يضاف العدد إلى غير تمييزه .

٥٣٣ المراد من المائة والألف .

متى يصلح أن تميزاً ؟

٥١٧ المسألة ١٦٣ :

٥١٨ — أقسامه الاصطلاحية ، وكيفية إعرابها .
ما يدل عليه لفظ العدد .

(١) المفرد — صحة كتابة

« مئة » من غير ألف ،

وفصلها عن : « ثلاث » في

الأعداد المفردة .

الكلام على لفظي : بضع ونيف

٥٢٠ ضبط « شين » عشرة .

(٢) المركب .

معنى الصدر والعجز والنيف

٥٢١ صحة إظهار الواو بين جزأى

المركب المزجي العددي . . .

٥٢٢ ضبط الشين في « عشرة » في

الأعداد المركبة .

(٣) العقد ، معناه ،

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :
٤٣٤	<u>الاستغناء عن التمييز أيضاً .</u>
٥٣٥	<u>الفصل بين العدد وتمييزه .</u>
٥٣٦	<u>المسألة ١٦٥ :</u>
	تذكير العدد وتأنيثه، وما يراعى فيه .
	الأول : الأعداد المفردة ومائة وألف .
٥٣٧	ثلاثة وعشرة وما بينهما الكلام على « ثمان » .
٥٣٩	العرب قد تغلب التأنيث على التذكير
٥٤٠	<u>تفصيل الكلام على المفرد الذى يراعى فى التذكير والتأنيث</u>
٥٤٢	قد يكون تمييز العدد المضاف غير جمع حقيقى
	ما الذى يراعى فى المعداد إن كان اسم جمع ، أو اسم جنس جمعياً
٥٤٥	متى يجوز تأنيث العدد وتذكيره .
٥٤٦	<u>وقوع العدد نعتاً . أو بدلا وعطف ببيان</u>
٥٤٦	ما الحكم إن كان المعداد صفة نافية عن المحذوف ؟
٥٤٧	<u>الثانى : تأنيث الأعداد المركبة وتذكيرها .</u>
رقم الصفحة :	الموضوع :
٥٤٨	<u>الثالث : تذكير العقود .</u>
٥٤٩	الرابع : تأنيث الأعداد المعطوفة وتذكيرها .
٥٥٣	المذكر والمؤنث من أسماء الشهور العربية .
	متى تُذكر كلمة : « شهر » قبلها ؟

٥٥٤	<u>المسألة ١٦٦ :</u>
	١ - صياغة العدد على وزن « فاعل » وأنواعها، والأغراض منها بدون ذكر كلمة : « عشر » بعده، أو عقد آخر
٥٥٨	ب - <u>الصياغة مع ذكر كلمة « عشر » بعده ،</u>
٥٦٢	ج - <u>صياغته وبعده عقداً آخر</u>

٥٦٤	<u>المسألة ١٦٧ :</u>
	التأريخ بالليالى والأيام
٥٦٥	الرأى فى مجيء نون النسوة وتاء التأنيث فى مثل سبع ليال خلون أو خلت ...
٥٦٦	<u>تعريف العدد وتذكيره .</u>
	قراءة الأعداد المعطوفة على العقود المختلفة وعلى عشرة .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة ، والتفصيل ، والهامش

باب كنايات العدد

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٥٦٨	المسألة ١٦٨ :	٥٧٣	حكمها — وحكم تمييزها .
	(كم ، وكأى ، وكذا ...)		إعرابها .
	وكنايات أخرى منها : كيت ،	٥٧٦	<u>موازنة بين النوعين .</u>
	وذيت .	٥٧٧	الثانية : كأيّن .
	معنى الكناية		لغاتهما — أحكامهما
	الأولى : كم .		التشابه والتخالف بينهما وبين « كم
	١ — معنى الاستفهامية		الخبرية » .
٥٦٩	أشهر أحكامها — لفظها مفرد ، دون	٥٨٠	<u>الثالثة : كذا .</u>
	مدلولها . طريقة إعرابها . ضابط لإعرابها	٥٨٣	كنايات أخرى عن الحديث
	٥٧٢ ب — الخبرية ، معناها —		كيت — ذيت .
		٥٨٤	<u>أصل الكلمات السابقة .</u>

* * *

باب التأنيث

٥٨٥	المسألة ١٦٩ :	٥٩٢	قد تدل على المبالغة مع التأنيث
	التأنيث ، المراد منه .		الفرق بين المعرب والأعجمي ،
	المؤنث والمذكر من جسم الإنسان		مالا يتميز مذكرة من مؤنثه
٥٨٧	أنواعه . وحكم كل .		رأى جديد في إلحاق التاء
٥٩٠	علامات التأنيث ثلاث .		بصيغة : « فـعـول » .
	العلامة الأولى : تاء التأنيث	٥٩٧	شروط وتفصيلات أخرى تخص
	(وتسمى : تاء النقل)		بدخول التاء على بعض المشتقات
	خوطها على بعض المشتقات ، دون	٦٠٠	العلامة الثانية : ألف التأنيث .
	بعض .		المقصورة وأوزانها .
٥٩١	دلالتها على معان أخرى غير	٦٠٣	العلامة الثالثة : الممدودة
	الفصل بين المذكر والمؤنث		وأوزانها .

* * *

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

١ باب المقصور والممدود، وتثنيتهما، وجمعهما تصحيحاً

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٦٠٥	<u>المسألة ١٧٠ :</u>	٦١٣	<u>المسألة ١٧١ :</u>
	هل يطلقان على الاسم العرب والمبني؟		كيفية تثنية المقصور والممدود
	تعريف المقصور، وحكمه.		وجمعهما تصحيحاً. وكذلك
	صورة مما ناب فيه حرف عن		المنقوص.
	حركة.		(١) تثنية المقصور
	<u>إشارة لمكان المنقوص</u>		المراد من الجمع الصحيح أو السالم
٦٠٦	<u>(١) المقصور القياسي والسماعي</u>		وبقية الأسماء الأخرى من الصحيح.
٦٠٩	<u>أشياء أخرى في المقصور</u>		وشبهه، والمنقوص. ضابط لإرجاع
	القياسي.		اللام المحذوفة، حكم المعتل الآخر بالواو
	<u>(ب) الممدود - تعريفه -</u>		وطريقة تثنيته وجمعه.
٦١٠	<u>القياسي منه.</u>	٦١٧	<u>ب - تثنية الممدود</u>
٦١١	<u>الممدود السماعي.</u>		سبب قلب الهمزة وعدم قلبها،
٦١٢	<u>قصر الممدود، وعكسه.</u>		<u>إشارة إلى الإلحاق</u>
	<u>السماعي منه</u>	٦١٨	<u>ج - جمع المقصور جمع</u>
			<u>مذكر سالماً</u>

* * *

٦١٩	<u>د - جمعه جمع مؤنث سالماً</u>	١ - إرجاع لامه في بعض
٦٢٠	<u>هـ - جمع الممدود جمع مذكر سالماً</u>	حالات.
	<u>و - جمعه جمع مؤنث سالماً</u>	٢ - حذف تائه التي للتأنيث
٦٢٠	<u>بعض أحكام عامة فيما يراد</u>	٣ - اتباع عينه فاءه
	<u>جمعه جمع مؤنث سالماً.</u>	

* * *

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

باب جمع التكسير

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٦٢٥	المسألة ١٧٢ :	٦٤١	المسألة ١٧٣ :
	تعريفه، المراد من التكسير ،		(ب) أشهر جموع الكثرة
	سبب التسمية		(١) فَعَّلَ
٥٢٧	قساه : (القلة والكثرة) .	٦٤٢	(٢) فَعَّلَ
	وبعض آثارها	٦٤٣	(٣) فَعَّلَ
	الدلالة العددية للجموع	٦٤٤	(٤) فَعَّلَ .
	إشارة إلى جمع الجمع	٦٤٥	(٥) فَعَّلَ .
٦٣١	الفرق بينه وبين جمعي التصحيح		(٦) فَعَّلَ .
٦٣٢	قياسية جمع التكسير بنوعيه	٦٤٦	(٧) فَعَّلَى .
٦٣٣	معنى المطرد وغير المطرد .		(٨) فَعَّلَ .
	معنى القليل والنادر والقياس ،	٦٤٧	(٩) فَعَّلَ .
	والغالب ، والأكثر ، والكثير		(١٠) فَعَّلَ .
	والباب ، والقاعدة	٦٤٨	(١١) فَعَّلَ .
٦٣٤	قرار المجمع اللغوي في ذلك .	٦٥٠	(١٢) فَعَّلَ .
٦٣٥	رأى ابن جني والفرأ ، منزلهما اللغوية	٦٥١	(١٣) فَعَّلَ .
	صحة استعمال القياس مع وجود اللفظ		(١٤) فَعَّلَ .
	المسوع .	٦٥٢	(١٥) فَعَّلَ .
٦٣٦	(١) أشهر جموع القلة أربعة :	٦٥٣	(١٦) فَعَّلَ .
	أَفْعَلَّةَ - أَفْعَلَّ - أَفْعَالُ -		(١٧) فَوَاعَلَ .
	فَعْلَةٌ		(قد تكون جمعا لمذكر عاقل على وزن فاعل)
٦٣٨	— القول الفصل في		(١٨) فَعَائِلُ .
	جمع فَعَّلَ على أفعال .		
	نوع من الكثرة التي تبيح القياس		
	عليها ، والاطراد		
٦٣٩	فَعْلَةٌ		

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة : الموضوع :

١ - زيادة الياء في جمع

التكسير وحذفها

زيادة تاء التأنيث .

٦٧٢ حكم بعض الجموع المنقوصة المعتلة
المماثلة لفعال التي على وزن : دَوَاعٍ .

٢ - تثنية جمع التكسير وجمعه

٦٧٥ بدلول الجمع وجمع الجمع

٦٧٥ ٤ - تثنية أنواع المركبات .

وجمعها .

(١) المركب الإضافي .

(ومنه : ابن عرس ، وابن

اللبون .

٦٧٧ (ب) المركب الإسنادي .

٦٧٨ (ح) المركب المزجي .

(د) المركب التقييدي .

الفرق بين جمع التكسير واسم

الجمع ، واسم الجنس الجمعي

٦٨٠ - ب - اسم الجمع

٦٨١ اسم الجنس الجمعي

التكسير يرد الأشياء إلى أصولها

صيغة منتهى الجموع

٦٨٢ المصغر لا يكسر للكثرة

رقم الصفحة : الموضوع :

٦٥٦ (١٩) فَعَالِي ...

٦٥٧ (٢٠) فَعَالِي .

٦٥٨ (٢١) فَعَالِي .

٦٦٠ (٢٢) فَعَالِيل ، معنى النسب
المتجدد .

٦٦٠ متى يحذف الحرف الأصلي

الرابع أو الخامس عند الجمع

على : فَعَالِل .

حروف الزيادة

- متى يحذف الحرف
الشبيه بالزائد

٦٦١ متى يحذف حرف العلة ،

وحرف المد وحرف اللين

٦٦٤ (٢٣) شبه فَعَالِيل (ويشمل

« مفاعل ، ومفاعيل .. »

٦٦٦ الحرف القرى (الفاضل)

والحرف الضعيف

صحة جمع مفعول على مفاعيل

قياساً

٦٧٠ حذف إحدى اليامين من مثل : أمانى ،

أغانى - أئافى .

٦٧١ المسألة ١٧٤ :

أحكام عامة .

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

باب : التصغير

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٦٨٣	المسألة ١٧٥ :	٧٠٤	بعض أحكام عامة في التصغير
	تعريفه : الغرض منه .		(قلب الحرف الثاني) —
	تصغير التقريب	٧٠٨	زيادة ياء أحياناً في الخماسي
٦٨٥	شروطه :		الأصل فما فوقه .
	أنواع مسموعة		حذف أولى ياءين بعد ياء
٦٨٨	عودة إلى أن المصغر لا يجمع		التصغير .
	تكسيراً للكثرة .	٧٠٩	— الحرف المشدد بعد ياء
	نوعاه :		التصغير — المصغر لا يكسر
	(١) طريقة تصغير الثلاثي		للكثرة — كما سبق —
٦٩٤	(ب) تصغير الرباعي	٧٠٩	المصغر ملحق بالمشتق .
٦٩٦	(ح) تصغير الخماسي وما جاوزه		التصغير يرد الأشياء إلى أصوله
٦٩٧	أنواع من التشابه والتخالف		***
٦٩٨	أسماء لا تحذف منها الزوائد	٧١٠	المسألة ١٧٦ :
٧٠١	مواضع لا يكسر فيها الحرف		تصغير الترخيم معناه —
	بعد ياء التصغير في فعْيَعِيل	٧١١	الغرض منه حكمه
	وفُعْيَعِيل .		

* * *

باب النسب :

٧١٣	المسألة ١٧٧ :	٧١٥	(ب) ما يجب تغييره في آخر
	معناه . اعتباره نوعاً من المشتق .		الاسم بسبب ياء النسب
٧١٤	أحكامه اللفظية :		— حذف الياء المشددة —
	النسب المتجدد وغير المتجدد	٧١٨	حذف تاء التانيث —
	— معناه عند سيبويه :		النسب إلى كلمة : « وَحْدَة »
	الإضافة المعكوسة .		متى يقال « وحدوى »
	(١) زيادة ياء النسب		حكم ألف المقصور والممدود

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع	رقم الصفحة :	الموضوع
٧١٩	الألف لا تكون أصلية إلا	٧٣٠	حذف ياء : فَعِيل
	في الحرف أو ما يشبهه	٧٣١	حذف ياء فَعِيلَة ...
٧٢٠	حكم ياء المنقوص .	٧٣٢	حذف ياء : فُعِيل
٧٢٢	حكم النسب إلى معتل الآخر		حذف واو فَعُولَة ...
	الشبيه بالصحيح .	***	
٧٢٣	ول إلى معتل الآخر بالواو ،	٧٣٣	المسألة ١٧٨ :
	ول إلى ألفاظ أخرى .		النسب إلى ما حذف بعض
٧٢٤	حكم علامة التثنية، والنسب		أصوله :
	للمثنى		محذوف العين .
٧٢٥	حكم علامة جمع المذكر	٧٣٤	محذوف الفاء :
	السالم ، والنسب إليه	٧٣٥	محذوف اللام .
	حكم علامة جمع المؤنث	٧٣٥	النسب إلى : « ذو » ، و « ذات »
	السالم ، والنسب إليه	٧٣٧	ما يجوز فيه رد اللام وتركها
٧٢٦	إشارة إلى موضع النسب إلى	***	
	جمع التكسير	٧٣٩	المسألة ١٧٩ :
	إرجاع المحذوف من الأصول		أحكام عامة في النسب .
	تضعيف آخر الثنائي ...		١ - النسب إلى أنواع المركب ،
	ومنه الثنائي المعتل		وملاحظات .
٧٢٨	التغيرات الطارئة على الحرف	٧٤١	ب - النسب إلى جمع
	الذي قبل الأخير بسبب النسب .		التكسير ، وما في حكمه
	التخفيف بقلب الكسرة فتحة	٧٤٣	ج - صيغ أخرى للنسب ، منها
٧٢٩	التخفيف بحذف إحدى ياءين .		فَعَال - فاعِل - فَعِيل ...
	حذف ياء : فَعِيلَة ...		

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٧٤٥	د- بعض النسب المسموع -	٧٤٦	كيف نسب للمنسوب إليه الشاذ في بعض الصور
	ومنه يمان وشآم		ه- تأنيث المنسوب .
	صيغة منتهى الجمع .		

باب : التصريف

٧٤٧	المسألة ١٨٠ :	٧٥٠	أوزان الاسم الرباعي المجرد
	معناه ، موضوعه	٧٥١	أوزان الاسم الخماسي المجرد
٧٤٨	المجرد والمزید -		كيفية الوزن .
٧٤٩	أبنية الثلاثي المجرد من الأسماء	٧٥٣	أحرف الزيادة ، وعلامة
	والأفعال		الحرف الزائد .
		٧٥٥	إشارة إلى معنى الحرف الزائد

• • •

باب : الإعلال والإبدال والقلب

٧٥٦	المسألة ١٨١ :	٧٦١	المسألة ١٨٢ :
	المصطلحات الأربعة المشهورة ، بيانها .		أحرف الإبدال وضوابطه
	(الإعلال - القلب - الإبدال - العوض) .		إبدال الهاء .
	معنى الإعلال		إبدال الهمزة من الواو ، والياء
	ملاحظة هامة في السماع والقياس .		والألّف
٧٥٧	القلب ، الإبدال	٧٦٦	إبدال الواو والياء من الهمزة
٧٥٨	التعويض ، أو : العِوض .	٧٦٧	مما وقع فيه هذا الإبدال :
٧٥٩	الملخص		خطايا - قضايا - هدايا -
٧٦٠	أحرف العلة ، والمد ، واللين		غشايا - هراوى . . .
	معنى كل من المعتل ، والمعل ،	٧٦٨	الكلام في مثل : تبرى ،
	والمعتل الجارى مجرى الصحيح .		تبرى ، وخطيئة وخطيئة ،
			ونخبى ونخبى ، ومقروء ومقروء

* * *

الموضوعات المكتوبة بحروف صغيرة هي بعض موضوعات الزيادة، والتفصيل، والهامش

رقم الصفحة :	الموضوع :	رقم الصفحة :	الموضوع :
٧٩٤	المسألة ١٨٣ :	٧٧٥	إبدال الياء من الألف .
	الإعلال بالثقل	٧٧٦	إبدال الياء من الواو .
	معناه ،	٧٨٣	إبدال الواو من الألف .
٧٩٦	مواضعه .		إبدال الواو من الياء .
	* * *	٧٨٦	إبدال الألف من الواو والياء .
٨٠٠	المسألة ١٨٤ :	٧٩٠	إبدال الميم من الزاو ومن النون
	الإعلال بالحدف	٧٩١	إبدال التاء من الواو والياء .
	مواضعه .	٧٩٢	إبدال الطاء من تاء الافتعال .
	ومنها : حذف الواو من مثل : وعد	٧٩٣	إبدال الدال من تاء الافتعال
٨٠٢	صححة : باع الرجل ، وأباع		* * *
	واسم المفعول مبيع ومُباع .		

مقدمة الكتاب ، ودستور تأليفه

بيان هام

١

الحمد لله على ما أنعم ، والشكر على ما أولئى ، والصلاة على أنبيائه ورسله ،
دعاة الهدى ، ومصابيح الرشاد . وبعد :

فهذا كتاب جديد فى « النحو » ، — وما يتصل به من الصرف — . والنحو ،
كما وصفته من قبل^(١) ، د عامة العلوم العربية ، وقانونها الأعلى ؛ منه تستمد العون ،
وتستلهم القصد ، وترجع إليه فى جليل مسائلها ، وفروع تشريعها ، ولن تجد
علماً منها يستقل بنفسه عن « النحو » ، أو يستغنى عن معونته ، أو يسير بغير
نوره وهده .

وهذه العلوم الثقيلة — على عظيم شأنها — لاسبيل إلى استخلاص حقائقها ،
والنفاذ إلى أسرارها ، بغير هذا العلم ؛ فهل ندرك كلام الله تعالى ، ونفهم
دقائق التفسير ، وأحاديث الرسول عليه السلام ، وأصول العقائد ، وأدلة الأحكام ،
وما يتبع ذلك من مسائل فقهية ، وبحوث شرعية مختلفة قد ترقى بصاحبها إلى
مراتب الأئمة ، وتسمو به إلى منازل المجتهدين — إلا بإلهام النحو وإرشاده ؟
ولأمر ما قالوا : « إن الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط فى
رتبة الاجتهاد ، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم
« النحو » ؛ فيعرف به المعانى التى لاسبيل لمعرفة غيره . فرتبة الاجتهاد متوقفة
عليه ، لا تتم إلا به^(٢) »

وهذه اللغة التى نتخذها — معاصر المستعربين — أداة طيعة للتفاهم ، ونُسخرها
مركباً ذلولاً للإبانة عن أغراضنا ، والكشف عما فى نفوسنا ، ما الذى هيأها لنا ،
وأقدرنا على استخدامها قدرة الأولين من العرب عليها ، ومكّن لنا من نظمها

(١) فى كتابي المسمى : « رأى فى بعض الأصول اللغوية والنحوية » .

(٢) الفصل الحادى عشر — باختصار — من كتاب : « لمع الأدلة » ، فى أصول النحو « لأبى البركات

كمال الدين بن محمد الأنبارى ، المتوفى سنة ٥٧٧ هـ .

ونثرها تَمَكَّنهم منها ، وأطلق لساننا في العصور المختلفة صحيحاً فصيحاً كما أطلق لسانهم ، وأجرى كلامنا في حدود مضبوطة سليمة كالتى يجرى فيها كلامهم ، وإن كان ذلك منهم طبيعة ، ومنا تطبعاً ؟

إنه : « النحو » ؛ وسيلة المستعرب ، وسلاح اللغوى ، وعماد البلاغى ، وأداة المشرّع والمجتهد ، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعاً .

فليس عجيباً أن يصفه الأعلام السابقون بأنه : « ميزان العربية ، والقانون الذى تُحكّم به فى كل صورة من صورها ^(١) » وأن يفرغ له العباقرة من أسلافنا ؛ يجمعون أصوله ، ويثبتون قواعده ، ويرفعون بنيانه شامخاً ، ركيناً ، فى إخلاص نادر ، وصبر لا ينفد . ولقد كان الزمان يجرى عليهم بما يجرى على غيرهم ؛ من مرض ، وضعف ، وفقر ؛ فلا يقدر على انتزاعهم مما هم فيه كما كان يقدر على سواهم ، ولا ينجح فى إغرائهم بمباهج الحياة كما كان ينجح فى إغراء ضعاف العزائم ، ومرضى النفوس ، من طلاب المغام ، ورؤاد المطامع . ولقد يترقبهم أولياؤهم وأهلوهـم الساعات الطوال ، بل قد يترصدهم الموت ؛ فلا يقع عليهم إلا فى حلقة درس ، أو قاعة بحث ، أو جلسة تأليف ، أو ميدان مناظرة ، أو رحلة مُخْطِرة فى طلب « النحو » . وهو حين يظفر بهم لا ينتزع علمهم معهم ، ولا يذهب بآثارهم بذهاب أرواحهم ؛ إذ كانوا يُعيدون لهذا اليوم عُدتّه من قبل ؛ فيدونون بحوثهم ، ويسجلون قواعدهم ، ويختارون خلفاء من تلاميذهم ؛ يهيئونهم لهذا الأمر العظيم ، ويشرفون على تنشئتهم ، وتعهد مواهبهم ؛ إشراف الأستاذ البارع القدير على التلميذ الوفى الأمين . حتى إذا جاء أجلهم ودّعوا الدنيا بنفس مطمئنة ، واثقة أن ميدان الإنشاء والتعمير النحوى لم يخل من فرسانه ، وأنهم خلّفوا وراءهم خلفاً صالحاً يسير على الدرب ، ويحتذى المثال . وربما كان أسعد حظاً ، وأوفر نَجْحاً من سابقه ، وأسرع إدراكاً لما لم يدركه الأوائل .

على هذا النهج الرفيع تعاقبت طوائف النحاة ، وتوالت زمهرم فى ميدانه ، وتكلفت الراية نابغ عن نابغ ، والمعنى فى إثر المعنى ، وتسابقوا مخلصين دائبين . فرادى وزرافات ، فى إقامة صرحه ، وتشيد أركانه ، فأقاموه سامق البناء ، وطيد

الدعامة ، مكين الأساس . حتى وصل إلى أهل العصور الحديثة التي يسمونها :
 "عصور النهضة" ، راسخاً ، قوياً ؛ من فرط ما اعتنى به الأسلاف ، ووجهوا إليه
 من بالغ الرعاية ، فاستحقوا منا عظيم التقدير ، وخالد الثناء . وحملوا كثيراً من
 علماء اللغة الأجانب على الاعتراف بفضلهم ، والإشادة ببراعتهم ^(١) . . .
 هذه كلمة حق يقتضينا الإنصاف أن نسجلها ؛ لننسب الفضل لبروآده ، وإلا
 كنّا من عصبة الجاحدين ، الجاهلين ، أو المغرورين .

٢

وليس من شك أن التراث النحوي والصرفي الذي تركه أسلافنا نفيس غاية
 النفاسة ، وأن الجهد الناجح الذي بذلوه فيها خلال الأزمان المتعاقبة جهد لم يُسْهأ
 للكثير من العلوم المختلفة في عصورها القديمة والحديثة ، ولا يقدر على احتمال
 بعضه حشود من الثرثارين العاجزين ، الذين يوارون عجزهم وقصورهم — عليمٌ
 الله — بغمز « النحو والصرف » بغير حق ، وطعن أثمتها الأفاذا .
 بيد أن « النحو » كبقية العلوم — تنشأ ضعيفة ، ثم تأخذ طريقها إلى
 النمو ، والقوة ، والاستكمال بخطأ وثيدة أو سريعة ؛ على حسب ما يحيط بها
 من صروف وشئون . ثم يتناولها الزمان بأحداثه ؛ فيدفعها إلى التقدم والنمو ،
 والتشكل بما يلائم البيئة ؛ فتظل الحاجة إليها شديدة ، والرغبة فيها قوية . وقد
 يعوقها ويحول بينها وبين التطور ؛ فيضعف الميل إليها ، وتفتُر الرغبة فيها . وقد
 يشتت في مقاومتها ؛ فيرى بها إلى الوراء ، فتصبح في عداد المهملات ،
 أو تكاد .

وقد خضع « النحو » العربي لهذا الناموس الطبيعي ^(٢) ؛ فولد في القرن الأول
 الهجري ضعيفاً ، وحسباً وثيداً أول القرن الثاني ، وشب — بالرغم من شوائب

(١) من ذلك ما قاله العلامة الكبير : « دى بور » في كتابه : تاريخ الفلسفة في الإسلام ،
 ونصه — كما جاء في ترجمة الدكتور محمد أبو ريدة ، ص ٤ — :
 « علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي ، بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع
 ما تفرق . وهو أثر عظيم يرغم الناظر فيه على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به . »
 (٢) هذا النسب صحيح .

خالطته — وبلغ الفسّاء آخر ذلك القرن ، وسنوات من الثالث ؛ فلمع من أئمتّه نجوم زاهرة ؛ كعبد الله بن أبى إسحاق ، والحليل ، وأبى زيد ، وسيبويه ، والكسائى ، والفسّاء ؛ ونظرائهم من الأعلام ، ثم توالى أخلافهم — على تفاوت فى المنهج ، وتخالف فى المادة — إلى عصر النهضة الحديثة التى يجرى اسمها على الألسنة اليوم ، ويتخذون مطلع القرن التاسع عشر الميلادى مبدأ لها . فمن هذا المبدأ أُلحّ الوهن والضعف على « النحو » ، وتماألت عليه الأحداث ؛ فأظهرت من عيبه ما كان مستوراً ، وأثقلت من حملة ما كان خفياً ؛ وزاحمته العلوم العصرية فقهرته ، وخلّقت له وراءها مبهوراً . ونظر الناس إليه فإذا هو فى الساقّة من علوم الحياة ، وإذا أوقاتهم لا تتسع للكثير بل للقليل مما حواه ، وإذا شوائبه التى برزت بعد كونه ، ووضحت بعد خفاء — تزهدهم فيه ، وتزهدهم نفاراً منه ؛ وإذا النفار والزهد يكرّان على العيوب ؛ فيحيلان الضئيل منها ضخماً ، والقليل كثيراً ، والموهوم واقعاً . وإذا معاهد العلم الحديث تزوّرت عنه ، وتجهّر بعجزها عن استيعابه ، واستغنائها عن أكثره ، وتقنع منه باليسير أو ما دون اليسير ؛ فيستكين ويخنع .

والحق أن « النحو » منذ نشأته داخلته — كما قلنا — شوائب ؛ نمت على مرّ الليالى ؛ وتغلّغت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ؛ فشوهت جماله ، وأضعفت شأنه ؛ وانتهت به إلى ما نرى .

فلم يبق بُدّ أن تمتد إليه الأيدى البارّة القوية ، ممّالة فى تخليصه مما شابه ، متعاونة على إنقاذه مما أصابه . وأن تبادر إليه النفوس الوفية للغتها وتراثها ؛ المعتزة بحاضرها وماضيها ؛ فتبذل فى سبيل إنهاضه ، وحياطته ، وإعلاء شأنه — مالا غاية بعده لمستزيد .

ومن كريم الاستجابة أن رأينا فى عصرنا هذا — طوائف من تلك النفوس البارّة الوفية سارعت إلى النجدة ؛ كلّ بما استطاع ، وبما هو ميسر له ؛ فمنهم من دلّل للناشئة لغته ، أو اختصر قاعدته ، أو أوضح طريقة تدريسه ، أو أراحهم من زائف العليل ، وضارّ الخلاف ، أو جمع بين مزيتين أو أكثر من هذه المزايا العظيمة الشأن . لكننا — على الرغم من ذلك — لم نر من تصدى للشوائب كلها أو أكثرها ؛ ينتزعها من مكانها ، ويجهز عليها ما وسعته القدرة ، ومكنته الوسيلة ؛

فيربح المعلمين والمتعلمين من أوزارها. وهذا ما حاولته جاهدًا مخلصًا قدر استطاعتي ، فقد مددت يدي لهذه المهمة الجليلة ، وتقدمت لها رابط الجأش ، وجمعت لها أشهر مراجعها الأصيلة ، ومظانها الوافية الوثيقة ، وضممت إليها ما ظهر في عصرنا من كتب وبحوث ، وأطلت الوقوف عند هذه وتلك ؛ أديم النظر ، وأجبل الفكر ، وأعتصر أطيب ما فيهما ، حتى انتهيت إلى خطة جديدة تجمع مزايهما ، وتسلم من شوائبهما ، وقمت على تحقيقها في هذا الكتاب متأنياً صبوراً . ولا أدري مبلغ توفيقى . ولكن الذى أدريه أنى لم أدر جهداً ، ولا إخلاصاً .

إن تلك الشوائب كثيرة ، ومن حق « النحو » علينا — ونحن بصدد إخراج كتاب جديد فيه — أن نعرضها هنا ، ونسجل سماتها ، ونفصل ما اتخذناه لتدارك أمرها . ولكن هذا كله — وأكثر منه — قد عرضنا له فى رسالة سابقة نشرناها منذ سنوات بعنوان : « رأى فى بعض الأصول اللغوية والنحوية » ، ثم أتمناها بمقالات عشر ؛ نشرت تباعاً فى مجلة : « رسالة الإسلام » ، خلال سنين ١٩٥٧ و ١٩٥٨ م ، وجاوزت صفحاتها المائة .

على أن هذا لا يعفىنى من الإشارة العابرة إلى الدستور الذى قام عليه الكتاب ، والغرض الذى رميت من تأليفه ، مستعيناً بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صادقة فى تعلم النحو ، طالباً مستوعباً ، ثم تعليمه فى مختلف المعاهد الحكومية مدرساً ، فأستاذاً ورئيساً لقسم النحو والصرف والعروض بكلية : « دار العلوم » ، بجامعة « القاهرة » ، سنوات طوالاً /

وأظهر مواد ذلك الدستور ما يأتى :

١ — تجميع مادة « النحو » كله — وما يتصل به من « الصرف » — فى كتاب واحد ذى أجزاء أربعة كبار ، تحوى صفحاتها وما تضمنته من مسائل كل ما تفرق فى أمهات الكتب ، وتعنى عنها . على أن تُقسَم كل مسألة قسمين ، تقسيمًا فنيًا بارعاً . أحدهما : « موجز » دقيق يناسب طلاب الدراسات « النحوية والصرفية » بالجامعات — دون غيرهم — غاية المناسبة ، ويوفيهما ما يحتاجون إليه غاية التوفية

الحكمة التي تسير مناهجهم الرسمية . ومكانه : « أول المسألة » ، وصدرها .
ويليه الآخر^(١) — بعد نهاية كل مسألة — بعنوان مستقل ؛ هو : « زيادة وتفصيل »
ويلائم الأساتذة والمتخصصين أكمل الملاءمة وأتمها ، فتبتدئ « المسألة » —
وبجانبيها رقم خاص بها — بتقديم المادة النحوية أو الصرفية الصالحة للطلاب الجامعي ،
الموائمة لقدرته ولنهجه ، ومقرره الرسمي ، ودرجته في التحصيل والفهم ، مع توثق
الدقة والإحكام فيما يقدم له ، نوعاً ومقداراً . فإذا استوفى نصيبه المحمود انتقلت إلى
بسط يتطلع إليه المتخصص ، وزيادة يتطلبها المستكمل . كل ذلك في إحكام
وحسن تقدير ، بغير تكرار ، ولا تداخل بين القسمين ، أو اضطراب . وبهذا
التقسيم والتنسيق يجد هؤلاء وهؤلاء حاجتهم ميسرة موائمة في كتاب واحد ، قريبة
التناول ؛ لا يكْدُون في استخلاصها ، ولا يجهدون في السعي وراءها في مناهات
الكتب المتعددة القديمة ؛ وقد يبلغون أو لا يبلغون .

٢ — العناية أكمل العناية بلغة الكتاب وضوحاً ، وإشراقاً ؛ وإحكاماً ،
واسترسالاً ؛ فلا تعقيد ، ولا غموض ، ولا حشو ، ولا فضول ، ولا توقف
لمناقشة لفظ ، أو إرسال اعتراض ، أو الإجابة عنه ؛ ولا حرص على أساليب
القدامى وتعبيراتهم . إلا حين تساورنا في البيان الأوفى ، والجلاء الأكمل .

أما « الاصطلاحات » العلمية الماثورة المستقرة فلم أفكر في تغييرها ؛ إيماناً
واقناعاً بفائدتها ، وبما سجله العلماء قديماً وحديثاً من ضررها للتغيير الفردي ،
وفاءً بما استرطوه في تغيير « المصطلحات » أن يكون بإجماع المختصين ،
المشتغلين بالعلم الذي يحويها .

٣ — اختيار الأمثلة ناصعة ، بارعة في أداء مهمتها ؛ من توضيح القاعدة ،
وكشف غامضها في سهولة ، ويسر ، واقترب . لهذا تركت كثيراً من الشواهد
القديمة ، المرددة بين أغلب المراجع النحوية ؛ لأنها مليئة بالألفاظ اللغوية
الصعبة ، وبالمعاني البعيدة التي تتطلب اليوم من المتعلم عناء وجهداً لا يطيقهما ، ولا
يتسع وقته للسعي وراءها . فإن خلست من هذا العيب ومن الابتدال ، ونجملت
بالوضوح والطرافة ، فقد نستبقها .

(١) في صفحة جديدة ، تبدأ بسطر أو سطرين من النقط الأفقية المتقاربة ؛ لتكون رمزاً يميز
صحف « الزيادة والتفصيل » من غيرها .

والحق أن كثيراً من تلك الشواهد يحتل المكانة العليا من سمو التعبير ، وجمال الأداء ، وروعة الأسلوب ، وفتنة المعنى ، لكنها اختيرت في عصور تباين عصرنا ، ولدواعٍ تخالف ما نحن فيه ؛ فقد كانت وسائل العيش حينذاك ميسرة ، والمطالب قليلة ، والقصد استنباط قاعدة ، أو تأييد مذهب . وكان طالب العلم حافظاً القرآن ، مستظهِراً الكثير من الأحاديث والنصوص الأدبية ، متفرغاً للعلوم العربية والشرعية ، أو كالمتفرغ . أما اليوم فالحال غير الحال ، ووسائل العيش صعبة ، والمطالب كثيرة ؛ فطالب العلم يمر بهذه العلوم مرأسريعاً عابراً قبل الدراسة الجامعية . فإن قدر له الدخول في الجامعة ^(١) ، انقطعت صلته الرسمية بتلك العلوم ، ولم يجد بينها وبين مناهجه الدراسية الجديدة سبباً ، إلا إن كان متفرغاً للدراسات اللغوية ، فيزاوئها وحصيلته منها ضئيلة ، لا تمكنه من فهم دقائقها ، ولا ترغبه في مزيد ، وغايته المستقبل لا ترتبط — في الغالب — ارتباطاً وثيقاً بالضلالة في هذه العلوم ، والتمكن منها ؛ فن الإساءة إليه وإلى اللغة أن نستمسك بالشواهد الموروثة ، ونقيسها حججاً يصعب التغلب عليه ، وإدراك ما وراءه من كريم الغايات .

نعم إنها نماذج من الأدب الرائع ، ولكن يجب ألا ننسى الغاية لإزاء الروعة ، أو نُغْفِلِ القصد أمام المظهر ، وإلا فقدنا الاثنين معاً . وفي دروس النصوص الأدبية ، وفي القراءة الحرة ، والاطلاع على مناهل الأدب الصفو — متسع للأدباء والمتأدبين ؛ يشبع رغبتهم ، من غير أن يضيع عليهم ما يبغون من دراسة « النحو والصرف » دراسة نافعة ، لا تطفئ على وقت رصده النظم التعليمية الحديثة لغيرها ، ولا تنتهب جهداً وقفته الحياة المعاصرة على سواها .

وإن بعض معلمى اليوم ممن يقومون بالتدريس لكبار المتعلمين — ليس عرف في اتخاذ تلك الشواهد مجالا لما يسميه : « التطبيق النحوى » ، ومادة مهياة لدروسه . وليس هذا من وكدى ^(٢) ولا وكد من احتشد للمهمة الكبرى ، مهمة : « النحو الأصيل » — وما يتصل به — والتي تناخص في إعداد مادته إعداداً وافياً شاملاً ، وعرضها عرضاً حديثاً شائقاً ، وكتابتها كتابة مشرقة بهية ، مع استصفاء أصولها النافعة ، واستخلاص قواعدها وفروعها مما ران عليها ، وارتفعت بسببه صيحات الشكوى ، ودعوات الإصلاح ، وتهيتها للتألم طبقات كثيرة ، وأجيالا متعاقبة في بلدان متباينة .

(١) وهو اليوم من حملة الشهادة الثانوية العامة — غالباً — أو ما في مستواها .

(٢) قصدى وغرضى .

كل هذا ، بل بعض هذا — لا يساير ذلك « التطبيق التعليمي » ؛ فإنه مدرسي موضعي متغير ، لا يتسم بسمية العموم ، أو ما يشبه العموم ، ولا يثبت على حال . على أن هذا الفريق الذى اختار تلك الشواهد ميداناً لتطبيقه قد فاته ما أشرنا إليه من حاجتها إلى طويل الوقت ، وكبير الجهد فى تيسير صعوباتها اللغوية والمعنوية التى أوضحناها . وطلابُ اليوم — خاصة — أشد احتياجاً لذلك الوقت والجهد ، كى يبذلوهما فى تحصيل المادة المقررة الفصفافة ، وما يتطلبه مستقبلهم الغامض . كما فاته أن خير التطبيق لكبار الطلاب ما ليس محدد المجال ، مصنوع الغرض ، متكافئ الأداء ، كالشواهد التى نحن بصدددها . وإن مناقشة لنص أدبى كامل ، أو صفحة من كتاب مستقيم الأسلوب ، أو مقال أدبى — لهى أجدى فى التطبيق ، وأوسع إفادة فى النواحي اللغوية المتعددة ، وأعمق أثراً فى علومها وآدابها — من أكثر تلك الشواهد المتبورة المعقدة . فليتنا نلتفت لهذا ، ونذكر قيمته العملية . فنحرص على مراعاته ، ونستمسك باتباعه مع كبار المعلمين ، ولعل هؤلاء الكبار أنفسهم يدركونه ويعملون به ، فيحقق لهم ما يبتغون .

على أن لتلك الشواهد خطراً آخر ؛ هى أنها — فى كثير من اتجاهاتها — قد تمثل لهجات عربية متعارضة ، وتقوم دليلاً على لغات قديمة متباينة ، وتساق لتأييد آراء نحوية متناقضة ؛ فهى معوان على البلبلة اللغوية ، ووسيلة للحيرة والشك فى استخلاص القواعد ، وباب للفوضى فى التعبير . وتلك أمور يشكو منها أنصار اللغة ، والمخلصون لها . وعلى الرغم من هذا قد نسجل — أحياناً مع الحيلة والحذر — بعض الشواهد الغربية ، أو الشاذة ، وبعض الآراء الضعيفة ، لا لحاكتها ، ولا للأخذ بها — ولكن ليتنبه لها المتخصصون ، فيستطيعوا فهم النصوص القديمة الواردة بها حين تصادفهم ، ولا تصيبهم أمامها حيرة ، أو توقف فى فهمها .

٤ — الفرار من العلل الزائفة^(١) ، وتعدد الآراء الضارة فى المسألة الواحدة ، فلهما من سوء الأثر وقبيح المغبة ما لا يخفى . وحسبنا من التعليل^(٢) : أن يقال :

(١) وفى مقدمتها ما كان تعليلاً لأمر واقع ، ولا سبب له إلا نطق العربى ، كالتعليل لرفع الفاعل ، والمبتدأ والخبر ، ولنصب المفعولات — فإن التعليل لهذه الأمور الوضعية عيب وفساد ؛ إذ الوضعيات لا تعمل ؛ كما قال أبوحيان وغيره ، ونقله المصنف ١ ص ٥٦ ، ونقلناه فى رقم ٣ من هامش ص ٩١ .
(٢) لموضوع « التعليل » بحث مستقل فى كتابنا المسمى : « اللغة والنحو ، بين القديم والحديث » يوضح معناه ، وأنواعه ، وأثاره .

«المطابقة للكلام العربى الناصع» ، ومن الآراء أن يقال : «مُسَايَرَة فصيح اللغة وأفصحها» . والقرآن الكريم — بقراءاته الثابتة الواردة عن الثقات — فى مكان الصدارة من هذا ؛ لا تقبل فى أسلوبه تأولا ولا تمحلا ، ثم الكلام العربى الذائع . و «الأفصح والفصيح» هما الباعثان لنا على أن نردف بعض الأحكام النحوية والصرفية بأن الخير فى اتباع رأى دون آخر ، وأن الأفضل إثارة على سواه ... أو غير هذا من العبارات الدالة على الترجيح ، لا التحريم . وإنما كان الخير وتام الفضل فى إثارة ؛ لأنه يجمع الناطقين بلغة العرب على أنصع الأساليب وأسامها ، ويوحد بيانهم ، ويريحهم من خلف المذاهب ، وبليلة اللهجات ، فى وقت نتلقى فيه اللغة تعلمًا وكسبًا ، لا فطرة ومحاكاة أصيلة ، ونقتطع لها من حياتنا التعليمية المزدحمة المرهقة — الأيام القليلة ، والساعات المحدودة ؛ فن الحكمة والسداد أن نقصر تلك الأيام والساعات على ما هو أحسن وأسمى . ولن نلجأ إلى تعليل آخر ، أو ترديد خلاف فى الآراء إلا حيث يكون من وراء ذلك نفع محقق ، وفائدة وثيقة ، وتوسعة محمودة ، دون تعصب لبصرى ، أولكوفى ، أو بغدادى ، أو أندلسى ... أو غير هؤلاء ... ودون فتح باب الفوضى فى التعبير ، أو الاضطراب فى الفهم ، أو البليلة فى الأداء والاستنباط .

ومن مظاهر هذا النفع : الاستعانة — أحيانًا — « بالتعليل » ، وبتعدد المذاهب ، فى تيسير مفيد ، أو فى تشريع لغوى مأمون ، أو تبصير المتخصصين — وحدهم — ببعض اللغات واللهجات التى تعينهم على فهم النصوص القديمة الواردة بها ، لا لمحاكاتها — فأكثرها لا يوائمنا اليوم كما سبق — ولكن ليدركوها ، ويفسروا بها بعض الظواهر اللغوية الغامضة ، ولا يقفوا أمام تفسيرها حائرين مضطربين . وقد بسطنا القول فى هذا كله ، وفى أسبابه ، ونتائجه — فى كتابنا الآخر الذى أشرنا إليه ^(١) .

٥ — تدوين أسماء المراجع أحيانًا فى بعض مسائل قد تتطلب الرجوع إليها ؛ استجلاءً لحقيقة ، أو لإزالة لوهم . وفى ذلك التدوين نفع آخر ؛ هو : تعريف الطلاب بتلك المراجع ، وترديد أسمائها عليهم ، وتوجيههم إلى الانتفاع بها ، والإيحاء بأن الرجوع إلى مثلها قد يقتضيه تحصيل العلم ، وتحقيق مسائله .

(١) فى رقم ٢ من هامش الصفحة السالفة ، وهو المسنى : « اللغة والنحو ، بين القديم والحديث » .

٦ - عدم التزام طريقة تربوية معينة في التأليف ، فقد تكون الطريقة «استنباطية» ، وقد تكون «إلقائية» ، وقد تكون «حواراً» ، أو غير ذلك مما يقتضيه صادق الخبرة ، وملاءمة الموضوع . وإذا عرفنا أن الكتاب لكبار الطلاب ، وللأساتذة المتخصصين ، وأن موضوعاته كثيرة متباينة - أدركنا الحكمة في اختلاف الطرائق باختلاف تلك الموضوعات وقرائها . على أن تكون الطريقة محكمة بحسن الاختيار ، وصدق التقدير ، وضمان النجح من أيسر السبل وأقربها . ومهما اختلفت فلن تكون من طرائق القدماء التي أساسها : المتن ، فالشرح ، فالحاشية ، فالتقرير ... فما يصاحب هذا من زيف جدل ، وكثرة خلاف ، وتباين تعليل ... وما إلى ذلك مما دعت إليه حاجات عصور خلت ، ودواعي حقب انقضت ، ولم يبق من تلك الحاجات والدواعي ما يغرينا بالتمسك به ، أو بتجديد عهده . على أن بحوثهم وطرائقهم قد تطوى - والحق يقال - على ذخائر غالية وتضم في ثناياها كنوزاً نفيسة . إلا أن استخلاص تلك الذخائر والكنوز مما يغشّيها عسير اليوم أيّ عسير على جمهرة الراغبين - كما أسلفنا - .

٧ - تسجيل أبواب « النحو » مرتبة ترتيب « ابن مالك » في « ألفيته » المشهورة ، وتدوين كل بيت في مكانه من بابيه . ثم اختيار أنسب مكان له في الهامش ، بعد فراغ من القاعدة وشرحها ، مع الدقة التامة في نقله ، وإيضاح المراد منه في إيجاز مناسب ، وحرص على ترتيب الأبواب والأبيات ، إلا إن خالفت الأبيات في ترتيبها تسلسل المسائل ، وتماسكها المنطقي النحوي والصرفي الذي ارتضيناه في الباب ؛ فعندئذ نوفق بين الأمرين : ترتيب الناظم ؛ وما يقتضيه التسلسل المنطقي التعليمي ؛ فننقل البيت من مكانه في « بابيه » ، ونضعه في المكان الذي نراه مناسباً من هذا الباب نفسه ، ونضع على يساره الرقم الدال على ترتيبه بين أبيات الباب كما رتبها الناظم ، ولا نكتفي بهذا ؛ فحين نصل إلى شرح المسألة المتصلة بالبيت الذي قبله ، ونفرغ منها ومن ذكر البيت الخاص بها ، تأييداً لها - نعود فنذكر في الهامش البيت الذي نقلناه من مكانه ، ونضعه في ترتيبه الأصلي الذي ارتضاه الناظم ، ونشير إلى أن هذا البيت قد سبق ذكره وشرحه في مكانه الأنسب من هامش صفحة كذا ... وقد دعانا إلى الحرص على ترتيب « ألفية » ابن مالك ، وتسجيل أبوابها وأبياتها مرتبة كاملة - في الهامش - ما نعلمه في مصر وغير مصر من تمسك بعض

المعاهد والكليات الجامعية بها ، وإقبال طوائف من الطلاب على تفهمها ، والتشدد في دراستها ، واستظهارهم كثيراً منها للانتفاع بها حين يريدون . وقد تخيرنا لها مكاناً في ذيل الصفحات ، يُقَرَّبُ بها من راغبيها ، ويبُعدُها من الزاهدين فيها . وإنما آثرنا في ترتيب الأبواب النحوية الترتيب الذي ارتضاه « ابن مالك » لأنه الذي ارتضاه كثيرون ممن جاءوا بعده ، ولأنه الترتيب الشائع اليوم ، وهو فوق شيوخه — أكثر ملاءمة في طريقته ، وأوفر إفادة في التحصيل والتعليم ، ويشيع بعده الترتيب القائم على جمع الأبواب الخاصة بالأسماء متعاقبة ، يليها الخاصة بالأفعال ، ثم الحروف . . . كما فعل الزمخشري في مفضله . وتبعه عليه شراحه . وهذه طريقة حميدة أيضاً . ولكنها تفيد المتخصصين دون سواهم من الراغبين في المعرفة العامة أو لا ؟ فالمتبدأ يلزمه الخبر أو ما يقوم مقامه ، وقد يكون الخبر جملة فعلية ، أو شبه جملة ، والفاعل لا بد له من فعل أو ما يقوم مقامه . والمفعول لا بد له من الاثنين . . . فكيف يتعلم الراغب أحكام المتبدأ وحده ، أو الخبر وحده ، أو الفعل ، أو الفاعل كذلك ؟

وهناك أنواع أخرى من الترتيب لكل منها مزاياه التي نراها لا تعدل مزية الترتيب الذي اخترناه ، ولا تناسب عصرنا القائم .

٨ — الإشارة أحياناً خلال دراسة بعض المسائل إلى صفحة سابقة أو لاحقة ، وتدوين رقمها إذا اشتملت على ماله صلة وثيقة بالمسألة المعروضة ؛ كي يتيسر لمن شاء أن يجمع شتاتها في سهولة ويسر ، ويضم — بغير عناء — فروعها ، وما تفرق منها في مناسبات وموضوعات مختلفة . ولا نكتفي بذكر الرقم الخاص بالصفحة ، وإنما نذكره ونذكر معه الجزء والمسألة . ونرمز للمسألة بالحرف الهجائي الأول من حروفها ، وهو : « م » اختصاراً ، ويليه رقمها ؛ كما نرمز للصفحة بالحرف : « ص » وبعده رقمها . وللجزء بالحرف « ج » .

والسبب في الجمع بينهما أن رقم الصفحة عرضة للتغير بتغير طبعات الكتاب أما رقم المسألة فنائب لا يتغير ، وإن تعددت الطبعات ، فالإحالة عليه إحالة على شيء موجود دائماً ؛ فيتحقق الغرض من الرجوع إليه .

والله أرجو غلصاً أن يجعل الكتاب نافعا لغة القرآن ، عوناً لطلابها ، محققاً الغاية النبيلة التي دعت لتأليفه ، والقصد الكريم من إعداده .

المسألة الأولى :

الكلام ، وما يتألف منه .

الكلمة - الكلام (أو : الجملة) - الكلم - القول .

ما المراد من هذه الألفاظ الاصطلاحية في عُرف النحويين ؟

الكلمة :

حروف الهجاء تسعة وعشرون حرفاً ، (وهي : أ^(١) - ب - ت - ث - ج . . .) ، وكل واحد منها رمز مجرد ؛ لا يدل إلا على نفسه ، ما دام مستقلاً لا يتصل بحرف آخر . فإذا اتصل بحرف أو أكثر ، نشأ من هذا الاتصال ما يسمى : « الكلمة » ؛ فاتصال الفاء بالميم - مثلاً - يوجد كلمة : « فَم » ، واتصال العين بالياء فالنون ؛ يوجد كلمة : « عين » ، واتصال الميم بالنون فالزاي فاللام ، يحدث كلمة : « منزل » . . . وهكذا تنشأ الكلمات الثنائية ، والثلاثية ، والرباعية - وغيرها^(٢) - من انضمام بعض حروف الهجاء إلى بعض^(٣) .

وكل كلمة من هذه الكلمات التي نشأت بالطريقة السالفة تدل على معنى ؛

(١) الأرجح أن الحرف الأول من حروف الهجاء هو : « الهزمة » وليس الألف التي تحمل الهزمة فوقها ، لتظهرها بارزة لا تختفي ، ولا تختلط بغيرها ، فشأن الألف في هذا كشأن الواو والياء اللتين تستقر فوقهما الهزمة في كتابة بعض الكلمات . أما الألف الأصلية ، فكانها في الترتيب الأبجدي بعد اللام مباشرة ، حتى لقد اندمجت - بسبب سكونها ، واستحالة النطق بها منفردة - في اللام ، وصارتا : « لا » مع أنهما حرفان ، لا حرف واحد .

(٢) لا تزيد أحرف الاسم على سبعة ؛ نحو : « استغفار » . ولا أحرف الفعل على ستة ؛ نحو : « استغفر » ، ولا أحرف الحرف على خمسة ؛ نحو : « لكن » ، باعتبارها كلمة واحدة - على الأصح - مشددة النون ، ثابتة الألف بعد اللام نطقاً . ومن النحاة من يجعل : « حيثما » كلمة واحدة ، ويعدها من الحروف . ورأيه ضعيف مردود . - انظر « ج » ص ٧١ - .

(٣) لهذا تسمى الحروف الهجائية : « بحروف المبادئ » ؛ لأن الكلمة تبنى وتتكون صيغتها منها ؛ فهي أساس بنية الكلمة . وهي غير « حروف الربط » التي ستجىء في ص ٦٦ ، ومنها : « حروف المعاني » . النحو الوافي - أول

لكنه معنى جزئى ؛ (أى ؛ مفرد) ؛ فكلمة : « فم » حين نسمعها ، لا نفهم منها أكثر من أنها اسم شىء معين . أما حصول أمر من هذا الشىء ، أو عدم حصوله . . . ، أما تكوينه ، أو وصفه ببناء أو إعراب^(١) . . . أو دلالة على زمان أو مكان ، أو معنى آخر . . . — فلا نفهمه من كلمة : « فم » وحدها . وكذلك الشأن فى كلمة : « عين » ، و « منزل » وغيرهما من باقى الكلمات المفردة . ولكن الأمر يتغير حين نقول : « الفم مفيد » — « العين نافعة » — « المنزل واسع النواحي » ، فإن المعنى هنا يصير غير جزئى ؛ (أى : غير مفرد) ؛ لأن السامع يفهم منه فائدة وافية إلى حد كبير ، بسبب تعدد الكلمات ، وما يتبعه من تعدد المعانى الجزئية ، وتماسكها ، واتصال بعضها ببعض اتصالاً ينشأ عنه « معنى مركب » . فلا سبيل للوصول إلى المعنى المركب إلا من طريق واحد ؛ هو : « اجتماع المعانى الجزئية بعضها إلى بعض » ، بسبب اجتماع الألفاظ المفردة التى لكل لفظ منها معنى جزئى .

ومن المعنى المركب تحدث تلك الفائدة التى : « يستطيع المتكلم أن يسكت بعدها ، ويستطيع السامع أن يكتفى بها » . وهذه الفائدة — وأشباهاها — وإن شئت فقل : هذا « المعنى المركب » ، هو الذى يهتم به النحاة ، ويسمون به بأسماء مختلفة ، المراد منها واحد ؛ فهو : « المعنى المركب » ، أو : « المعنى التام » ، أو : « المعنى المفيد » ، أو : « المعنى الذى يحسن السكوت عليه » . . . يريدون : أن المتكلم يرى المعنى قد أدى الغرض المقصود فيستحسن الصمت ، أو : أن السامع يكتفى به ؛ فلا يستزيد من الكلام . بخلاف « المعنى الجزئى » ؛ فإن المتكلم لا يقتصر عليه فى كلامه ؛ لعلمه أنه لا يعطى السامع الفائدة التى ينتظرها من الكلام . أو : لا يكتفى السامع بما فهمه من المعنى الجزئى ، وإنما يطلب المزيد . فكلاهما أمام الكلمة المنفردة — (مثل : باب ، أو : ريحان ، أو : سماء ، أو : سواها —) لا يقنع بها .

(١) يقول الخضرى — ص ١ ج ٢ أول باب : الإضافة — مانعه : « إن الكلمة قبل التركيب — أى قبل تركيبها مع غيرها . — لا معربة ولا مبنية ؛ فوصف الحركة بكونها إعراباً أو بناء متأخر عن وجود الكلمة وعن تركيبها »^أ .
فلا يصح الحكم عليها بالبناء أو الإعراب إلا بعد وضعها فى جملة — كما سبق ، وكما سيجىء فى ص ٧٥ — وهناك كلمات أخرى لا توصف بإعراب ولا بناء كالتى ستجىء فى « ج » من ص ١٠٦ وتفصيل الكلام عليها فى « ج » ٣ باب التثنية م ١١٤ ص ٤٥٢ .

لذلك لا يقال عن الكلمة الواحدة إنها تامة الفائدة ، — برغم أن لها معنى جزئياً لا تسمى « كلمة » بدونه — ؛ لأن الفائدة التامة لا تكون بمعنى جزئى واحد .
 مما تقدم نعلم أن الكلمة هي : (اللفظة الواحدة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية ، وتدل على معنى جزئى ؛ أى : « مفرد » ^(١) . فإن لم تدل على معنى عربى وُضِعَتْ لأدائه فليست كلمة ، وإنما هي مجرد صوت .

الكلام (أو: الجملة) :

هو : « ما تتركب من كلمتين أو أكثر ، وله معنى مفيد مستقل » . مثل :
 أقبل ضيف . فاز طالب نبه . لن يهمل عاقل واجباً . . . ^(٢)
 فلا بد في الكلام من أمرين معاً ؛ هما : « التركيب » ، و « الإفادة المستقلة »
 فلو قلنا : « أقبل » فقط ، أو : « فاز » فقط ، لم يكن هذا كلاماً ؛ لأنه غير
 مركب . ولو قلنا : أقبل صباحاً . . . أو : فاز في يوم الخميس . . . أو : لن

(١) وهي واحد : « الكلم » وقد يراد منها : « الكلام » ؛ طبقاً للملاحظة الآتية في ص ١٧ واللفظ هو : الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية ؛ تحقيقاً مثل : شمس - قمر - كتاب . . . ، أو تقديرًا ؛ كالضمير المستتر . (راجع الأشمونى والحضرى) .

(٢) (١) إذا وقعت الجملة الخبرية صلة الموصول ، أو نعمتا ، أو حالا ، أو تابعة لشيء آخر - كجملة الشرط - لا جوابه - فإنها لا تسمى جملة خبرية ، لأنها تسمى خبرية بحسب أصلها الأول الذى كانت مستقلة فيه . فإذا صارت صلة ، أو تابعة لغيرها لم يصح تسميتها : « خبرية » ؛ إذ لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو الإيجاب ، تنفرد به ، ويقتصر عليها وحدها . بل هي لذلك لا تسمى : « كلاماً » ولا « جملة » ؛ فعدم تسميتها جملة خبرية من باب أول . . . وشملها الجملة الواقعة خبراً ، . . . فلا تسمى واحدة من كل ما سبق كلاماً ولا جملة ، إذ ليس لها كيان معنوى مستقل .

— كما سيجىء عند الكلام على صلة الموصول رقم ٠ من هامش ص ٣٧ وله إشارة في رقم ٤ من هامش ص ٤٦٦ - .

(ب) وكذلك إذا خرجت الجملة عن أصلها الذى شرحناه فصارت علماً على مسمى معين ؛ فإنها في حالتها الجديدة لا تسمى جملة . ومن هذا بعض الأعلام الشائعة اليوم ؛ مثل : فتح الله - زاد المجد - بهر النور - الحسن كامل - . . . فكل واحدة من هذه الألفاظ كانت في أصلها جملة خبرية ، ثم صارت بعد التسمية بها نوعاً من اللفظ المفرد لا يدل جزء اللفظ منها على جزء من المعنى الأول ؛ فتحولت مفردة بالوضع - راجع شرح المفصل ج ١ ص ١٨ معنى : الكسائم - .

يهمل واجبه . . . ، لم يكن هذا كلاماً أيضاً ؛ لأنه — على رغم تركيبه — غير مفيد فائدة يكتنى بها المتكلم أو السامع . . .

وليس من اللازم في التركيب المفيد أن تكون الكلمتان ظاهرتين في النطق ؛ بل يكفي أن تكون إحداهما ظاهرة ، والأخرى مستترة ؛ كأن تقول للضيف : تفضل* . فهذا كلام مركب من كلمتين ؛ إحداهما ظاهرة ، وهي : تفضل*^(١) ، والأخرى مستترة ، وهي : أنت^(٢) . ومثل : « أسافر » . . . أو : « نشكر » أو : « تخرج » . . . وكثير غيرها مما يعد في الواقع كلاماً ، وإن كان ظاهره أنه مفرد . هذا ، ويقول النحاة : إن الجملة ثلاثة أنواع : « أ » الجملة الأصلية . وهي التي تقتصر على ركني الإسناد (أى : على المبتدأ مع خبره ، أو ما يقوم مقام الخبر أو تقتصر على الفعل مع فاعله ، أو ما ينوب عن الفعل) « ب » الجملة الكبرى ؛ وهي ما تتركب من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية ؛ نحو : الزهر رائحته طيبة ، أو : الزهر طابت رائحته . « ح » الجملة الصغرى ؛ وهي : الجملة الاسمية أو الفعلية إذا وقعت إحداهما خبراً لمبتدأ .

الكلم :

هو : ما تتركب من ثلاث كلمات فأكثر ؛ سواء أكان لها معنى مفيد ، أم لم يكن لها معنى مفيد . فالكلم المفيد مثل : النيل ثروة مصر — القطن محصول أساسي في بلادنا . وغير المفيد مثل : إن تكثر الصناعات . . .

القول :

هو كل لفظ نطق به الإنسان ؛ سواء أكان لفظاً مفرداً أم مركباً ، وسواء أكان تركيبه مفيداً أم غير مفيد . فهو ينطبق على : « الكلمة » كما ينطبق على : « الكلام » وعلى : « الكلم » . فكل نوع من هذه الثلاثة يدخل في نطاق : « القول » ويصح أن يسمى : « قولاً » على الصحيح ، — وقد سبقت الأمثلة — . كما ينطبق أيضاً على كل تركيب آخر يشتمل على كلمتين لا تتم بهما الفائدة ؛ مثل :

(١) فعل أمر .

(٢) فاعله . ولما كان الكلام هنا مفيداً ولا يظهر منه في النطق إلا الفعل ، والفعل ، لا بد له من فاعل — وجب التسليم بأن الكلمة الثانية مستترة .

إن مصر . . . - أو : قد حضر . . - أو : هل أنت . - أو : كتاب على^(١) . . .
فكل تركيب من هذه التراكيب لا يصح أن يسمى : « كلمة » ؛ لأنه ليس
لفظاً منفرداً ، ولا يصح أن يسمى : « كلاماً » ؛ لأنه ليس مفيداً .
ولا : « كلماً » ؛ لأنه ليس مؤلفاً من ثلاث كلمات ؛ وإنما يسمى : « قولاً » .

* * *

« ملاحظة » : يقول أهل اللغة : إن « الكلمة » واحد : « الكلم » . ولكنها
قد تستعمل أحياناً^(٢) بمعنى : « الكلام » ؛ فنقول : حضرت حفل تكريم الأوائل ؛
فسمعت « كلمة » رائعة لرئيس الحفل ، و « كلمة » أخرى لأحد الحاضرين ،
و « كلمة » ثالثة من أحد الأوائل يشكر المحتفلين . ومثل : اسمع مني « كلمة »
غالية ؛ وهي :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان^٣
فالمراد بالكلمة في كل ما سبق هو : « الكلام » ، وهو استعمال فصيح ،
يشيع على ألسنة الأدباء وغيرهم .
وللكلمة ثلاثة أقسام ، اسم ، وفعل ، وحرف^(٣) .

(١) وهذا هو : المركب الإضافي . ومثله : المركب الوصفي ، نحو : « رجل شجاع .. » ، والمزجي ،
نحو : سيبويه . . . ويلحق به العددي ، نحو : خمسة عشر .
(٢) مجازاً .

(٣) سيجي تفصيل الكلام على الثلاثة في ص ٢٦ - أما اسم الفعل الذي اعتبره بعض النحاة قسماً
وابعاً ، فالتحقيق أنه داخل في قسم : « الاسم » - كما سيجي في بابها الخاص ج ٤ م ١٤١ - .
وقد لخص ابن مالك في ألفيته ما سبق بقوله :

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْتَقِيمُ (وَأَسْمٌ) ، وَ(فِعْلٌ) ثُمَّ (حَرْفٌ) : الْكَلِمُ
وَاحِدُهُ : « كَلِمَةٌ » وَ « الْقَوْلُ » عَمٌّ وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يَوْمٌ

يريد : أن « الكلام » عند النحاة هو : اللفظ المفيد (ولا يكون مفيداً إلا إذا كان مركباً ؛ كاستقم)
« والكلم » ثلاثة أقسام ، اسم ، وفعل ، وحرف ، وواحد : « كلمة » . و « القول » يشمل بمعناه
كل الأقسام (فكلمة : عمٌّ ، وأصلها : عم) فعل ماض . والكلمة قد يؤم بها الكلام ؛ أي : يقصد إطلاقها
على الكلام بمعناه الذي سبق .

أما اللفظ فقد سبق تعريفه في رقم ١ من هامش ص ١٥ .

.....

زيادة وتفصيل :

تعوّد النحاة — بعد الكلام، على الأنواع الأربعة السابقة — أن يوازنوا بينها موازنة أساسها : « علم المنطق » ويطلقوا فيها الجدل المهرق ، مع أن الموضوع في غنى عن الموازنة ؛ لبعد صلتها « بالنحو » ، وبالرغم من هذا سنلخص كلامهم . . . (وقد يكون الخير في الاستغناء عنه) .

(١) يقولون : إن موازنة الأنواع السابقة بعضها ببعض ؛ لمعرفة أوسعها شمولاً ، وأكثرها أفراداً — تدل على أن : « القول » هو الأوسع والأكثر ؛ لأنه يشتمل وينطبق عليها جميعاً ، وعلى كل فرد من أفرادها . أما غيره فلا ينطبق إلا على أفرادها الخاصة به ، دون أفراد نوع آخر ؛ فكل ما يصدق عليه أنه : « كلمة » أو : « كلام » أو : « كاسم » — يصدق عليه أنه : « قول » ، ويُعدّ من أفراد : « القول » ، ولا عكس .

هذا إلى أن القول يشمل نوعاً آخر غير تلك الأنواع ، وينطبق وحده على أفراد ذلك النوع ؛ وهو : كل تركيب اشتمل على كلمتين من غير إفادة تامة منهما ؛ مثل : « إن حضر » . . . « ليس حامداً » — « ليت مصر » . . . — « سيارة رجل » . . . فثل هذا يسمى : « قولاً ولا يصح أن يسمى : « كلمة » ، ولا « كلاماً » ، ولا « كاسماً » . ومن هنا يقول النحاة : (إن القول أعم من كل نوع من الأنواع الثلاثة عموماً مطلقاً ، وإن كل نوع من الثلاثة أخص من القول خصوصاً مطلقاً . . .) يريدون بالعموم : أن « القول » يشمل من هذه الأنواع وأفرادها أكثر من غيره . ويريدون « بالإطلاق » : أن ذلك الشمول عام في كل الأحوال ، بغير تقييد بحالة معينة ؛ فكلمة وجد نوع منها وجد أن « القول » ؛ يشملها وينطبق على كل فرد من أفرادها — دائماً — .

وأما أن كل نوع أخص — وأن هذا الخصوص مطلق — فلأن كل نوع من الثلاثة الأخرى لا يشمل عدداً من الأفراد المختلفة بقدر ما يشمل « القول » ولا ما يزيد عليه . وأن هذا شأنه في كل الأحوال بغير تقييد ، كما يتضح مما يأتي :

كتب : كلمة ، ويصح أن تسمى : « قولاً » وكذلك كل كلمة أخرى .
 كتب على : كلام ، ويصح أن تسمى : « قولاً » . وكذلك كل جملة

... ..
... ..

مفيدة مستقلة بمعناها ، مكونة من كلمتين . — أو أكثر كما
سيجيء —

قد كتب صباحاً : ككلم ، ويصح أن يسمى : « قولا » وكذلك كل تركيب
يشتمل على ثلاث كلمات فأكثر ، من غير أن يفيد .
كتب على صباحاً : ككلم أيضاً ، ويصح أن يسمى : « كلاماً ، أو : قولا » ،
وكذلك كل تركيب يشتمل على ثلاث كلمات فأكثر مع
الإفادة المستقلة .

كتاب على : يسمى : « قولا » فقط . . . وكذلك كل تركيب يشتمل
على كلمتين فقط من غير إفادة .
فالقول منطبق على كل نوع من الثلاثة ، وصادق على كل فرد من أفراد
الأنواع الثلاثة .

وقد يوضح هذا كلمة أخرى ؛ مثل : « معدن » ؛ فإن « المعدن » أنواع
كثيرة ؛ منها الذهب ، والفضة ، والنحاس . و . و . فكلية « معدن » أعم من
كل كلمة من هذه الكلمات عموماً مطلقاً ، وكل نوع أخص منه خصوصاً
مطلقاً ؛ لأن كلمة « معدن » بالنسبة للذهب — مثلاً — تشمله ، وتشمل نوعاً
أو أكثر غيره — كالفضة — . أما الذهب فمقصود على نوعه الخاص ، فالمعدن
عام ؛ لأنه يشمل نوعين أو أكثر . والذهب خاص ؛ لأنه لا يشمل إلا نوعاً
واحداً . و « المعدن » عام عموماً مطلقاً ؛ لأنه ينطبق دائماً على كل فرد من أفراد
نوعيه أو أنواعه ، وهذا في كل الحالات .

* * *

(ب) ثم تأتى الموارنة بين « الكلم » و « الكلام » فتدل على أمرين :
أحدهما : أن « الكلم » و « الكلام » يشتركان معاً في بعض الأنواع التي
يصدق على كل منها أنه : « كلم » وأنه : « كلام » — ؛ فيصح أن نسميه بهذا
أو ذاك ؛ كالعبارات التي تتكون من ثلاث كلمات مفيدة ؛ فإنها نوع صالح
لأن يسمى : « كلاماً » أو : « كلماً » . وكالعبارات التي تتكون من أربع كلمات
مفيدة ، فإنها نوع صالح لأن يسمى : « كلاماً » أو : « كلماً » وكذلك كل
جملة اشتملت على أكثر من ذلك مع الإفادة المستقلة .
ثانيهما : أن كلا منهما قد يشتمل على أنواع لا يشتمل عليها الآخر ،

فيضير أعم من نظيره أنواعاً ، وأوسع أفراداً ؛ مثال ذلك : أن « الكلم » وحده يصدق على كل تركيب يحوى ثلاث كلمات أو أكثر ، سواء أكانت مفيدة ، مثل : (أنت خير مرشد) أم غير مفيدة ، مثل : (لما حضر في يوم الخميس) فهو من هذه الناحية أعم وأشمل من الكلام ؛ لأن الكلام لا ينطبق إلا على المفيد ، فيكون — بسبب هذا — أقل أنواعاً وأفراداً ؛ فهو أخص .

لكن « الكلام » — من جهة أخرى — ينطبق على نوع لا ينطبق عليه « الكلم » كالنوع الذى يتركب من كلمتين مفيدتين ؛ مثل : « أنت عالم » وهذا يجعل الكلام أعم . وأشمل من نظيره ، ويجعل الكلم أخص .

فخلاصة الموازنة بين الاثنين : أنهما يشتركان حيناً فى نوع (أى : فى عدد من الأفراد) . ثم يختص كل واحد منهما بعد ذلك بنوع آخر ينفرد به دون نظيره ؛ فيضير به أعم وأشمل . فكل منهما أعم وأشمل حيناً ، وأخص وأضيق حيناً آخر . ويعبر العلماء عن هذا بقولهم : « إن بينهما العموم من وجه ، والخصوص من وجه . » أو : « بينهما العموم والخصوص الوجهى » .

يريدون من هذا : أنهما يجتمعان حيناً فى بعض الحالات ، وينفرد كل منهما فى الوقت نفسه ببعض حالات أخرى يكون فيها أعم من نظيره ، ونظيره أعم منه أيضاً ؛ فكلاهما أعم وأخص معاً . وإن شئت فقل : إن بينهما العموم من وجه والخصوص من وجه : — كما سلف — فيجتمعان فى مثل : (قد غاب على . . .) وينفرد الكلام بمثل : (حضر محمود . . .) ، وينفرد الكلم بمثل : (إن جاء رجل . . .) فالكلم أعم من جهة المعنى ؛ لأنه يشمل المفيد وغير المفيد ، وأخص من جهة اللفظ ؛ لعدم اشتماله على اللفظ المركب من كلمتين . و « الكلام » أعم من جهة اللفظ ؛ لأنه يشمل المركب من كلمتين فأكثر . وأخص من جهة المعنى ؛ لأنه لا يطلق على غير المفيد .

* * *

(ح) أما موازنة « الكلمة » بغيرها فتدل على أنها أخص الأنواع جميعاً ^(١) .

* * *

شئ آخر يعرض له النحاة بمناسبة : « كلم » ، يقولون :
إننا حين نسمع كلمة : رجال ، أو : كتب ، أو : أقلام ، أو : غيرها

(١) وقد سبق — فى ص ١٨ — أن « القول » أعم الأنواع جميعاً .

.....
.....

من جموع التكسير نفهم أمرين :

أولهما : أن هذه الكلمة تدل على جماعة لا تنقل أفرادها عن ثلاثة ، وقد تزيد .
ثانيهما : أن لهذا الجمع - في الأغلب - مفرداً نعرفه من اللغة ؛ هو : رجل ، كتاب ، قلم ... وكذلك حين نسمع لفظ : « كَلِمٌ » نفهم أمرين :

أولهما : أنه يدل على جماعة من الكلمات ، لا تنقل عن ثلاث ، وقد تزيد ؛ (لأن « الكَلِمٌ » في الأصل يتركب من ثلاث كلمات أو أكثر ؛ فهو من هذه الجهة يشبه الجمع في الدلالة العددية ؛ فكلاهما يدل على ثلاث ، أو أكثر) .

ثانيهما : أن « للكلم » مفرداً نعرفه ونصل إليه بزيادة تاء للتأنيث في آخره ؛ فيصير بزيادتها - وموافقة اللغة - دالا على الواحد ، بعد أن كان دالا على الجمع ، فتكون : « كلمة » هي مفرد : « الكَلِمٌ » ؛ مع أنهما متشابهان في الحروف ، وفي ضبطها ، ولا يختلفان في شيء ؛ إلا في زيادة التاء في آخر : « الكلمة » - بموافقة اللغة - . وهو بسبب هذا يختلف عن الجموع ؛ فليس بين الجموع ما ينقلب مفرداً وينقص معناه من الجمع إلى الواحد من أجل اتصال تاء التأنيث بآخره . ولذلك لا يسمونه جمعاً ، وإنما يسمونه : « اسم جنس ^(١) جمعياً ^(٢) » . ويقولون في تعريفه :

« إنه لفظ معناه معنى الجمع ، وإذا زيدت على آخره تاء التأنيث - غالباً - صار مفرداً » . أو هو : « ما يُفَرَّقُ بينه وبين واحده بزيادة تاء التأنيث - غالباً - في آخره » . ومن أمثلته : تفاح وتفاحه - عنب وعنبه - تمر وتمرة -

(١) سيجي تفصيل الكلام على النكرة ، واسم الجنس ، وعلم الجنس ، وعلم الشخص ، في مكانه الخاص من باب : « العلم » ص ٢٨٨ ؛ هنا ، وفي باب : « النكرة والمعرفة » (ص ١٧٢٠) . وسنعرف أن النكرة (أي : اسم الجنس) إن قصد بها معين فهي النكر المقصودة ، وإلا فهي النكرة غير المقصودة . ولكل منهما أحكامها الخاصة ، ولا سيما عند نداءه (كما سيجي في باب النداء ، أول ج ٤) .

(٢) صفة لكلمة اسم ، حتماً ؛ لأن الاسم هو الذي يدل على الجمعية ؛ فلا يكون اسم الجنس الجمعي إلا دالا على الجمع ، ولا يكون دالا على المفرد ، ولا على المثنى . وبالرغم من أن اسم الجنس الجمعي يدل على ما يدل عليه الجمع فإنه يجوز تشبيته وجمعه في أغلب أحواله عند فريق من النحاة ، غير سيئويه ومن معه - كما جاء في المصنف ، باب جمع التكسير - . فالمراد من وصفه بالجمعي : تأكيد أنه لا يراد به واحد ولا اثنان ، وإنما يراد به ثلاثة على الأقل كما يراد بالجمع عند النحاة . وبسبب هذه الدلالة العددية قد يطلق عليه في اللغة - لا في النحو - أنه جمع (راجع الصبيان ، باب : جمع التكسير ، عند بيت ابن مالك : « من غير ما مضى ومن خماسي » حيث الكلام على مفرد ، « فرزدق » (ثم انظر ص ٢٣ ورقم ٣ من هامش ص ٢٤) .

شجر وشجرة — وهذا هو النوع ^(١) الغالب ، كما أشرنا .
وهناك نوع يُفَرَّق بينه وبين مفردة بالياء المشددة ، مثل : عرب وعربي —
جُنْد وجندى — رُوم ورومى — تَرْك وتركى .
وقد يُفَرَّق بينه وبين واحده بالتاء في جمعه ، لافى مفردة ؛ مثل كَمَاء ،
وكمء ^(٢) .

(١) هذا النوع الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء المربوطة إذا وصف — وكذلك إن أخبر عنه ،
أوعاد عليه ضمير ، أو إشارة . . . — جازى صفته : إما الأفراد مع التذكير على اعتبار اللفظ ، لأنه جنس ،
أو : مع التأنيث على تأويل معنى الجماعة ؛ نحو قوله تعالى : (أعجاز نخل منقعر) و (أعجاز نخل خاوية)
وإما جمع الصفة جمع تكسير أو جمع مؤنث سالماً ، نحو قوله تعالى : (السحاب الثقال . . .) وقوله :
(والنخل باسقات) ومثل : الصفة الخبر ، والإشارة إليه . . . والضمير العائد عليه — كما أسلفنا —
وفى كل ما سبق خلاف أشار إليه الصبان ، فى باب العدد . وقد تخبرنا أقوى الأوجه .
ويؤيد ما تخبرناه ما جاء فى : المصباح المئير ، مادة : « النخل » ونصه الحرقى :
« النخل : اسم جمع (كذا يقول) الواحدة : " نخلة " . وكل جمع بينه وبين واحده الهاء (يريد :
تاء التأنيث المربوطة) قال ابن السكيت : فأهل الحجاز يؤنثون أكثره ؛ فيقولون : هى التمر ، وهى البسر ،
وهى النخل ، وهى البقر . . . وأهل نجد وتميم يذكرون ؛ فيقولون : نخل كريم ، وكريمة ، وكراهم . وفى
التنزيل : (نخل منقعر — نخل خاوية) وأما النخيل — بالياء — فؤنثة . قال أبو حاتم : لا اختلاف فى ذلك » . اهـ .
لكن يتضح من أمثلة هذا النص أن أهل نجد وتميم لا يقتصرون على التذكير ، وإنما يؤنثون أيضاً . ويلاحظ
أنه جعل « النخل » اسم جمع . فكيف يتفق أنه اسم جمع مع قوله السابق إن « الواحدة نخلة » ؟ فهل يريد :
اسم جنس جمعى ؟

وما يؤيد ما تخبرناه أيضاً ما جاء فى كتاب : « بستان الرذوى التمييز » — تأليف : الفيروز بادى ، صاحب :
« القاموس المحيط » — فى البصرة ٥١ ص ٢٧٧ ونصه عند الكلام على كلمة : « بنيان » : (: بنيان : واحد
لا جمع له . وقال بعضهم : جمع واحدته : « بنيانة » على حد : « نخلة ونخل » . وهذا النحو من الجمع
يصح تذكيره وتأنيثه) اهـ . ومن التذكير قوله تعالى : (السماء مُنْفَطِرٌ به) على اعتبار أن « السماء »
اسم جنس جمعى ، مفردة : سماء .

وهناك مواضع أخرى للاختلاف ، نجى فى رقم ٦ من ص ٢٦٥ (حيث الكلام على الصورة السادسة
من صور مطابقة الضمير لمرجعه ، وعدم مطابقتها) ثم رقم ٤ من هامش ص ٣٢١ ثم ص ٤٥٧ وما بعدها .
هذا ، ولا يفرق فى اسم الجنس الجمعى بين مذكره ومؤنثه الحقيقيين بالتاء المربوطة ؛ فلا يقال :
— فى الغالب — حمامة أو بطة ، للمؤنثة المفردة . وحمام ، وبطة ، للمذكر المفرد ؛ منعاً للالتباس ، وإنما يؤنثونه
بالصفة فيقال : حمامة أنثى ، وحمامة ذكر ، وبطة أنثى ، وبطة ذكر . ولهذا الحكم تكلمة — نجى
فى باب « التأنيث » ج ٤ م ١٦٩ .

أما تأنيث عامله فكان الكلام عليه باب (الفاعل ج ٢ ص ٧٤ طبعة ٣ وما بعدها ، م ٦٦ ثم « ا »
ص ٨٢ من الزيادة والتفصيل ، بعد تلك الصفحات) .

(٢) اسم نبات مصرى .

ولهم في اسم الجنس الجمعيّ - من ناحية أنه جمع تكسير حقيقة ، أو أنه قسم مستقل بنفسه - آراء متضاربة ومجادلات عنيفة ؛ لا خير فيها ، وإنما الخير في الأخذ بالرأى القائل : إنه جمع تكسير^(١) . وهو رأى فيه سداد ، وتيسير ، ولن يترتب على الأخذ به مخالفة أصل من أصول اللغة ، أو خروج على قاعدة من قواعدها ، وأحكامها السليمة .

هذا من جهة الجمع أو عدمه . بقي الكلام في المراد من : « اسم الجنس » والمعنى الدقيق له . وفيما يلي إشارة موجزة إليهما^(٢) :

إن كلمة مثل كلمة : « حديد » تدل على معنى خاص ، مدلوله هو : تلك المادة المعدنية المعروفة ، وذلك العنصر المفهوم لنا . فمن أين جاء لنا فهمه ؟ وكيف وصل العقل إلى انتزاع المعنى وإقراره في باطنه ؟ .

رأينا قطعة من الحديد أول مرة ، ثم قطعة أخرى بعد ذلك ، ثم ثلاثة ، فربعة ، فخمسة ، ... ولم نكن نعرف الحديد ، ولا اسمه ، ثم استعملنا تلك القطع في شئوننا ، وعرفنا بالاستعمال المتكرر بعض خواصها الأساسية ؛ وإذا رأينا بعد ذلك قطعاً من صنفها فإننا نعرفها ، ولا تكون غريبة على عقولنا ، ونشعر بحاجة إلى اسم نسمي به هذا الصنف .

فإذا رأينا بعد ذلك قطعة من جنس آخر (أى : من صنف آخر) كالذهب ، ولم نكن استعملناه في شئوننا - وعرفنا بالاستعمال بعض خواصها الذاتية ؛ فلا شك أننا سنحتاج إلى اسم يميز هذا الجنس من سابقه ، بحيث إذا سمعنا الاسم ندرك منه المراد ، ونتصور معناه تصوراً عقلياً من غير حاجة إلى رؤية تلك القطع والنماذج ؛ فوضعنا للجنس الأول اسماً هو : « الحديد » ، ووضعنا للجنس الثاني اسماً يخالفه هو : « الذهب » . فالحديد اسم لذلك الجنس (الصنف المعروف) ، وكذلك « الذهب » ، وغيرهما من أسماء الأجناس وصرنا بعد ذلك حين نسمع كلمة : « الذهب » أو « الحديد » ندرك المراد منها إدراكاً عقلياً بحتاً ، فيقفز إلى ذهننا مباشرة مدلولها الخاص ، من غير ربط - في الغالب^(٣) - بينها وبين شيء آخر من عنصرها ، ومادتها ، أو من غيرهما . وهذا الفهم العقلي المحض هو ما يعبر

(١) راجع الأشموني ، وهامش التصريح ، وشرح الشذور عند الكلام على المسألة المذكورة . في باب : « الكلام »

(٢) أما التفصيل ، وبسط الإيضاح فكأنهما ص ٢٨٨ من باب العلم ، (في النكرة والمعروفة) .

(٣) لأن اسم الجنس الأحادي الذي سيجيء الكلام عليه يرتبط بصورة فرد من أفراد .

عنه : بأنه « إدراك الماهية المجردة » ، أى : « إدراك حقيقة الشيء الذهنية ، وصورته المرسومة فى العقل وحده » ، يريدون بذلك : (المعنى الذى يفهم من الكلمة فهمًا عقليًا مجرداً - فى الغالب - أى : بعيداً عن عالم الحس ، وعن تخيل النماذج والصور المختلفة المصنوعة منه ، أو غير المصنوعة ، والتى تساعد فى إيضاح المراد منه)^(١) .

ومثل كلمة : « حديد » غيرها من أسماء الأجناس - كما أسلفنا - ومنها : فضة ، رجل ، خشب ، طائر . . . ثم إن هذا الجنس (أو : الماهية المجردة ، والحقيقة الذهنية البحتة) ثلاثة أنواع ، لكل منها اسم :

الأول : اسم الجنس الجمعى^(٢) ، وقد سبق^(٣) .
الثانى : اسم الجنس الإفرادى ؛ وهو الذى يصدق على القليل والكثير من الماهية (أى : من الحقيقة الذهنية) من غير اعتبار للقلة أو الكثرة . (مثل : هواء ، ضوء ، دم ، ماء) ، فكل واحد من هذه وأشباهاها يسمى بهذا الاسم ؛ سواء أكان قليلاً أم كثيراً .

والثالث : اسم الجنس الآحادى ؛ وهو : الذى يدل على الماهية (أى الحقيقة الذهنية) ممثلة فى فرد غير مغين من أفرادها ، ولا يمكن تصورهما فى العقل إلا

(١) انظر رقم ١ من هامش صفحتى ٢٠٦ و ٢٨٨ .

(٢) قد أوضحنا المراد من كلمة : « اسم » ومن كلمة : « جنس » وأشرنا - فى رقم ٢ من هامش ص ٢١ - إلى أن كلمة « جمعى » هى صفة : لـ « اسم » حتماً ؛ وليست صفة : لـ « جنس » .

(٣) قد يقال : إن اسم الجنس - مطلقاً - يدل : « على الماهية المجردة ، (أى : الحقيقة الذهنية البحتة) ؛ طبقاً للرأى المختار ، وهذه الماهية المجردة (أو الحقيقة الذهنية البحتة) كلة واحدة متأسكة قد يكون لها أجزاء تتكون منها ومن انقسام بعضها إلى بعض ، ولكن لا يمكن أن يكون لها أفراد مستقلة متعددة ، بحيث يستقل كل فرد منها بنفسه كاملة . ويتميز بذاته المركبة من أجزاء خاصة به ، وذرات يقوم عليها كيانها التام الذى يتفرد به . فكيف يتفق هذا مع اسم الجنس الجمعى الذى يدل على أفراد - لا على أجزاء ، وذرات - - لا تقل عن ثلاثة . - وقد تزيد كما عرفنا فى رقم ٢ من هامش ص ٢١ - فى هذه الدلالة المدعية الختية منافاة واضحة للدلالة الأصلية التى يقوم عليها اسم الجنس ، وتعارض جلى بين الأصل وأنواعه .

أجاب الرضى : بأن اسم الجنس موضوع فى أصله للماهية من حيث هى ثم استعمل فى الجمع ، فهو اسم « جنس وضعاً » ، جمعى « استعمالاً » . ثم قال الصبان : والأولى أن يقال : إنه غلب استعماله فى ثلاثة أفراد فأكثر حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك .

المسألة الثانية :

الكلام على أقسام الكلمة الثلاثة : الاسم ، والفعل ، والحرف

الاسم : كلمة تدل بذاتها^(١) على شيء محسوس ، (مثل : بيت ، نحاس ، جمل ، نخلة ، عصفورة ، محمد . . .) أو شيء غير محسوس ، يعرف بالعقل ؛ (مثل : شجاعة ، مروءة ، شرف ، نبل ، نبوغ . . .) وهو في الحالتين لا يقترن بزمن^(٢) .

علاماته : أهمها خمسة ، إذا وجدت واحدة منها كانت دليلاً على أن الكلمة « اسم » .

العلامة الأولى : الجر ؛ فإذا رأينا كلمة مجرورة لداعٍ من الدواعي النحوية عرفنا أنها اسم ؛ مثل : (كنت في زيارة صديق كريم .) فكلمة : « زيارة » اسم ؛ لأنها مجرورة بحرف الجر « في » ، وكلمة : « صديق » اسم ؛ لأنها مجرورة ؛ إذ هي « مضاف إليه » ، وكلمة : « كريم » اسم ؛ لأنها مجرورة بالتبعية لما قبلها ؛ فهي نعت لها .

العلامة الثانية : التنوين ؛ فن الكلمات ما يقتضي أن يكون في آخره ضمتان ، أو فتحتان ، أو كسرتان ؛ مثل : (جاء حامدٌ — رأيت حامداً —

(١) أى : من غير أن تحتاج إلى كلمة أخرى .

(٢) لإيضاح التعريف وبيان معنى الاسم نذكر ما يأتي : لو وضعنا فاكهة معينة أمام إنسان لا يعرفها ؛ فسأل : ما هذه ؟ فأجبنا : « رُمان » — مثلاً — لكانت الكلمة : « رمان » هي الرمز ، أو العلامة ، أو اللفظ الدال على تلك الفاكهة . وإن شئت فقل : إنها اسم يفهم منه السامع تلك الفاكهة المعينة ، دون غيرها . فمتدنا شيئاً ؛ فاكهة لها أوصاف حسيّة خاصة بها ، ولفظ معين ، إذا نطقنا به انصرف الذهن مباشرة إلى تلك الفاكهة الخاصة . فلهذا اللفظ معنى ، أو مدلول ، أو مراد ، وما معناه ، أو مدلوله ، أو المراد منه إلا هذه الفاكهة . وإن شئت فقل : إنه اسم هي معناه ومعناه ، وإن هذا المعنى والمسمى له اسم ، هو : « الرمان » فلا اسم ليس إلا رمزاً ، أو علامة ، أو إشارة يراد بها أن تدل على شيء آخر ، وأن تعينه ، وتميزه ، وهذا الشيء الآخر هو المراد من تلك الشارة ، والفرض من اتخاذها فهو مدلولها ومرادها ؛ أى : هو المسمى بها ، وهى الاسم الذى يميزه من غيره ، ويحدده ، فلا يختلط بسواه . ومضى ثبت أن الاسم هو الرمز والعلامة ، وأن المسمى هو المرموز له ، المطلوب إدراكه بالعقل — كان الاسم متضمناً في ذاته كل أوصاف المسمى ؛ فهو مع معناه كالصورة التى يكتب اسمها إزاءها ؛ فإذا قرئ الاسم أولاً دل على الصورة ومضمونها كاملة . ومثل ما سبق يقال في كل اسم آخر ، ومنه يتضح تعريفهم الاسم أحياناً بأنه : « ما يدل على مسمى فقط » ، أى : من غير أن يدل معه على زمن أو شيء آخر .

ولهذا الكلام أمثلة متعددة في ج ٤ ص ١٣٧ — من الطبعة الثانية — م ١٤١ رقم ١ من هامشها . باب : أسماء الأفعال — .

ذهبت إلى حامد). (طار عصفورٌ جميلٌ - شاهدت عصفوراً جميلاً - استمعت إلى عصفورٍ جميلٍ . . .)، وهذه الكلمات لا تكون إلا أسماء .
 وكان الأصل أن تكتب هي وأشباهاها كما يكتبها علماء «العروض» هكذا :
 (حامدُنْ - حامدَنْ - حامدِنْ) . (عصفورُنْ جميلُنْ . . . - عصفورَنْ جميلَنْ . . . - عصفورِنْ جميلِنْ . . .) ، أى : بزيادة نون ساكنة في آخر الكلمة ؛ تحدث رنيناً خاصاً ؛ وتنغيماً عند النطق بها . ولهذا يسمونها : «التنوين» ، أى : التصويت والترنيم ؛ لأنها سببه . ولكنهم عدلوا عن هذا الأصل^(١)، ووضعوا مكان «النون»^(٢) رمزاً مختصراً يغنى عنها ، ويدل - عند النطق به - على ما كانت تدل عليه ؛ وهذا الرمز هو : الضمة الثانية ، والتفحة الثانية ، والكسرة الثانية . . . على حسب الجمل . . . ويسمونه : «التنوين» ، كما كانوا يسمون النون السالفة ، واستغنوا بهذا الرمز المختصر عن «النون» ؛ فحذفوها في الكتابة ، ولكنها لا تزال ملحوظة يُنطق بها عند وصل بعض الكلام ببعض ، دون الوقف .

ومما تقدم نعلم : أن التنوين نون ساكنة ، زائدة^(٣) ، تاحق آخر الأسماء لفظاً ، لا خطأً ولا وقفاً^(٤) .

العلامة الثالثة : أن تكون الكلمة مناداة^(٥) ، مثل : (يا محمد ، ساعد

(١) اختصاراً ؛ ومنعاً للخلط بين هذه النون الزائدة وغيرها من النونات الأخرى ، الزائدة والأصلية .

(٢) راجع شرح المفصل (ج ٩ ص ٣٥) في الكلام على «التنوين» حيث تراه مكتوباً «بالنون» كما في الأمثلة السالفة . . .

(٣) أى : ليست من أصل بنية الكلمة ، ولا من حروفها الأصلية ؛ لأن هذه النون - وإن كانت حرفاً واحداً - تمتد كلمة كاملة ، وتدخل في قسم الحرف المعنوي الممدود من أقسام الكلمة الثلاثة ؛ فقلها مثل وأو العطف ، وفائه ، وباء الجر ، وثائه . . . وغيرها من «حروف المعاني» التى سيجي الكلام عليها فى هامش ص ٦٦ و ص ٧٠ وفى الجزء الثانى ص ٢٢٩م ٧٨ (أول باب: الظرف) وبينون على هذا تعليقات لبعض الأحكام ؛ كتعليقهم وجوب حذف التنوين من المضاف بأن التنوين كلمة كاملة ، ولا يتصح الفصل بكلمة بين المضاف والمضاف إليه ، وهما شيان متلازمان . إلا بعض حالات يصح فيها الفصل بينهما ، وسيجي فى باب : «الإضافة» (ج ٣) .

(٤) سيجي فى المسألة الثالثة : (ص ٣٣) تفصيل مناسب يتضمن أنواع التنوين وحكم كل نوع .

(٥) لأن المنادى «مفعول به» فقولك : «يا محمد» هو بمثابة قولك : «أدعو محمداً» فهو مفعول به حقيقة ، أو تقديرأ - تبعاً للخلاف الذى سجله الصبان وغيره ، فى هذا - والمفعول به لا يكون إلا اسماً . وكان الأوضح والأنسب أن يقال : «أن تكون الكلمة مفعولاً به» كما يرى بعض النحاة - لتكون هذه العلامة هى الدالة على اسمية الضمير : «إياك» وأخواته ، مما يكون «مفعولاً به» ، ولا يكون «منادى» .

الضعيف). (يا فاطمةُ ، أكرمى أهلك) ، فنحن ننادى محمداً ، وفاطمة . وكل كلمة نناديها هي اسم ، ونادؤها علامة اسميتها^(١) .

العلامة الرابعة : أن تكون الكلمة مبدوءة (بأل) ^(٢) مثل : العدل أساس الملك .

العلامة الخامسة : أن تكون الكلمة منسوباً إليها - أى : إلى مدلولها - حصولُ شيء ، أو عدم حصوله ، أو مطلوباً منها لإحداثه ، مثل : (هذا سافر) - (محمود لم يسافر) - (سافر يا سعيد) فقد تحدثنا عن « هذا » بشيء نسبناه إليه . هو : السفر ، وتحدثنا عن « محمود » بشيء نسبناه إليه ؛ هو عدم السفر ، وطلبنا من « سعيد » السفر . فالحكم بالسفر ، أو بعدمه ، أو بغيرهما ، من كل ما تم به الفائدة الأساسية يسمى : « إسناداً » ، وكذلك الحكم بطلب شيء من إنسان أو غيره . . . فالإسناد هو : « إثبات شيء لشيء ، أو نفيه عنه ، أو طلبه منه » .

هذا ، واللفظ الذى نسب إلى صاحبه فعل شيء أو عدمه أو طلب منه ذلك ، يسمى : « مستنداً إليه » . (أى : منسوباً إليه الفعل ، أو الترك ، أو طلب منه الأداء) ، أما الشيء الذى حصل وقوع ، أو لم يحصل ولم يقع ، أو طلب حصوله - فيسمى : « مستنداً » ، ولا يكون المسند إليه إلا اسماً . والإسناد^(٣) هو العلامة^(٤) التى دلت على أن المسند إليه اسم^(٥) .

(١) إذا رأينا حرف النداء داخلًا في الظاهر على ما ليس باسم (كالفعل ، أو : الحرف ، في نحو : يا . . . ادخل الحجر - يا . . . ليتك تحترم الميعاد) فإنه يكون في الحقيقة داخلًا على منادى محذوف ، لسبب بلاغى . أو : تكون « يا » حرف تنبيه ؛ وليست حرف نداء . وسيجيء البيان في أول الجزء الرابع : (باب : المنادى) .

(٢) زائدة كانت أم أصيلة (إلا الاستفهامية عند من يستعملها في الاستفهام ، والموصولة عند من يميز دخولها على الفعل) وهذه العلامة أقوى الحكم على كلمة : « النعزى » - أنها اسم ، وهى كلمة مؤنثة ، علم لصنم مشهور في الجاهلية ، و« أل » في أولها زائدة لازمة لا تفارقها ومذكرها : الأعز .

(٣) انظر ما يتصل بهذا في « ج » ص ٣٠

(٤) هذه العلامة أمكن الحكم بالاسمية على ضمائر الرفع ؛ كالتاء ، ونا ، وأنا . وعلى « ما » الاستفهامية ، والموصولة . . .

(٥) أشار ابن مالك في ألفيته إلى تلك العلامات بقوله :

بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ ، وَالتَّنَادَا ، وَأَنَّ وَمُسْتَنْدٍ - لِإِلَاسْمٍ تَمَيِّزٌ حَصَلَ

أى : حصل تمييز للاسم من غيره : (بالجر ، والتنوين ، والنداء ، وأل ، ومستند . . . أى : إسناد) والإسناد هو الذى يدل على أن الضمائر المرفوعة أسماء ، مثل : « أنا » كتبت رسالة - كما تقدم . . .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(أ) تعددت علامات الاسم ، لأن الأسماء متعددة الأنواع ؛ فالعلامة قد يصلح لبعض منها ، ولا تصلح لبعض آخر ، كالجذر ، فإنه يصلح علامة ظاهرة لكثير من الأسماء ؛ ولكنه لا يصلح لضمائر الرفع ، كالتاء - ولا يصلح لبعض الظروف ؛ مثل : قَطَطٌ : وعَوَظٌ . وكالتنوين ؛ فإنه يصلح لكثير من الأسماء المعربة المنصرفة ، ولا يصلح لكثير من المبنيات (مثل : هذا) وكالنداء فإنه يصلح وحده للأسماء الملازمة للنداء ؛ مثل : يا فُلُ (أى : يا فلان) ويا مَكْرَمَانِ للكریم الجواد ، وغسیرهما مما لا يكون إلا منادى ^(١) . وهكذا اقتضى الأمر تعدد العلامات بتعدد أنواع الأسماء

(ب) للاسم علامات أخرى ؛ أهمها :

١ - أن يكون مضافاً ، مثل : تطرب نفسى لسمع ^{المعزى} ، وقراءة كتب الأدب .

٢ - أن يعود عليه الضمير ^(٢) ، مثل : جاء المحسن . ففي « المحسن » ضمير . فما مرجعه ؟

لا مرجع له إلا « أل » ^(٣) ؛ لأن المعنى : « جاء الذى هو محسن » ولهذا قالوا « أل » هنا : اسم موصول . وكذلك : قد فاز المخلص ، وأفلح الأمين .

٣ - أن يكون مجموعاً ، مثل : (مفاتيح الحضارة بيد علماء بارعين ، وهبوا أنفسهم للعلم ودراساته .) فكون اللفظ جمعاً خاصة من خواص الأسماء .

٤ - أن يكون مصغراً ؛ « لأن التصغير من خواص الأسماء كذلك » ؛ مثل : حُسَيْنٌ أجراً من أخيه الحسن .

٥ - أن يبدل منه اسم صريح ؛ مثل : كيف على ؟ . أصبح أم مريض ؟ فكلمة : « صحيح » اسم واضح الاسمىة ، وهو بدل من كلمة : « كيف » فدل على أن « كيف » اسم . لأن الأغلب فى البديل والمبدل منه أن يتحددا معاً ، فى الاسمىة والفعلىة .

(١) انظر ما يتصل بالعلامة الثالثة : « المناداة » - ص ٢٧

(٢) بهذه العلامة أمكن الحكم بالاسمىة على « ما » التعجبية ، وعلى « مهما » فى مثل : ما أجمل المعروف ! ومثل قوله تعالى : (وقالوا مهما تأتنا به من آية . . . إلخ) .

(٣) سيجى بيان السبب مفصلاً عند الكلام على صلة « أل » فى باب : « الموصول » . (رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦) .

٦ - أن يكون لفظه موافقاً لوزن اسم آخر ، لا خلاف في اسميته ؛ كنزّال^(١) فإنه موافق في اللفظ لوزن : « حذّام » اسم امرأة ، وهو وزن لا خلاف في أنه مقصور على الأسماء . ولولا هذه العلامة لصعب الحكم على « نَزّال » بالاسمية ؛ لصعوبة الاهتداء إلى علامة أخرى .

٧ - أن يكون معناه موافقاً لمعنى لفظ آخر ثابت الاسمية ؛ مثل : قَطَطٌ . عَوَّضٌ . حيثُ . . . فالأولى ظرف يدل على الزمن الماضي^(٢) ، فهي بمعنى كلمة : ماضٍ (أى : زمن ماضٍ) ، والثانية ظرف يدل على الزمن المستقبل فهي بمعنى كلمة : مستقبل (أى زمن مستقبل) ، والثالثة بمعنى كلمة : مكان - في الأغلب - .

وبهذه العلامة أمكن الحكم على الكلمات الثلاث بالاسمية ؛ إذ يصعب وجود علامة أخرى .

(ح) سبق أن من علامات الاسم : « الإسناد » وقد وضعناه^(٣) ، وبقي أن نقول : إذا أسندت إلى كلمة قاصداً منها لفظها ، وكان لفظها مبنياً وغير علمٍ - كأن تشاهد كلمة مكتوبة ؛ مثل : « قَطَفَ » أو : « مَنَ » « أو : رَبَّ » ، وتريد أن تقول عن لفظها المكتوب : إنه جميل ، وهو لفظ مبنى في أصله ، وغير علمٍ ، كما ترى - فإنه يجوز أحد أمرين .

أولهما : أن تحكيه بحالته اللفظية - وهو الأكثر ولكن يصير معرباً لإعراباً مقدراً ، منع من ظهور علامته حكاية اللفظ على ما كان عليه أولاً ؛ من حركة ، أو سكون ؛ فلا يدخل على آخر الكلمة تغيير^(٤) لفظي ؛ مهما اختلفت العوامل . تقول : قَطَفَ جميل - إن قَطَفَ جميل - سررت من قَطَفَ . . . و . . . ثانيهما : أن تعربه أيضاً ، ولكن يتغير آخره على حسب العوامل لإعراباً ظاهراً مع التنوين ؛ فنقول ؛ قَطَفَ جميل - بالرفع والتنوين في هذا المثال ، و . . . و . . . إلا إن كان في آخر اللفظ ما يمنع ظهور الحركة ؛ (كوجود ألف مثلاً ، كقولك : « علّى » حرف جر) ، فإنه يُعَرَّبُ بحركة مقدرة ، ويُنَوَّن ، ما لم يمنع من تنوينه مانع ؛ كالإضافة^(٥) . . .

(١) اسم فعل ، بمعنى : انزل . (٢) ولا تستعمل إلا في جملة منفية . (٣) في صفحة ٢٨

(٤) إلا إن كان اللفظ في أصله حرفاً ثنائياً ؛ فيجوز أن يكون مبنياً للشبه اللفظي بالحروف - كما سنعرف . - وهذه صورة من الحكاية غير التي ستجىء في رقم « ٧ » من ص ٢٠٠ .

(٥) يلاحظ الفرق الواضح بين دلالة الأمرين السابقين في « ج » ودلالة الملاحظة التي في صفحة ٧٩ وما يتصل بها في ص ٣٠٩ و ٣١٠ وما يخالفها في « ج » من ص ١٤٦ .

... ..
... ..

وإذا كانت الكلمة ثنائية ، وثانيها حرف لين ، ضاعفته . فتقول في « لو » :
لو . وفي كلمة « في » : في ، وفي كلمة « ما » : « ماء » . بقلب الألف الثانية
الحادثة من التضعيف همزة ، لامتناع اجتماع ألفين .

ويرى بعض النحاة : أن الحرف الثاني الصحيح من الكلمة الثنائية لا يضاعف
إلا إذا صارت الكلمة علماً لشيء آخر غير لفظها ، كأن تسمى شيئاً : « بل »
أو : « قد » أو : « هل » . . . أما إذا بقيت علماً للفظها الأصلي وقصد إعرابها
فلا يضاعف ثانيها ؛ سواء أكان صحيحاً مثل : « قد » أم ليناً مثل :
« لو » (١) . . .

(١) راجع الصبان - ج ١ - الباب الأول ، عند الكلام على علامات الاسم ، ومنها : علامة :
« الإسناد » . وأنظر تعريف « الحكاية » في رقم ١ من هامش ص ٣١٠ الآتية .

والرأيان السالفان فصيحان ، ولكل منهما مزيتة التي تدعو إلى تفضيله حيناً ، أو العدول عنه إلى نظيره
حيناً آخر ؛ تبعاً لما يقضى به المقام الكلامي . فزينة الحكاية أنها تحصل الذهن سريعاً إلى الحكم على
اللفظ بأنه معاد ومردد لداع بلاغي ، والذي يدل على هذه الإعادة مخالفة اللفظ في ظاهره لما تقتضيه العوامل
من حركات إعرابية معينة . فمن يسمع من فصيح : « قطف » السابقة ببقائها على حركاتها الأصلية
مع اختلاف العوامل يدرك سريعاً أنها معادة مرددة ، أي : « محكية » فلو لم تكن في التركيب
السابق محكية لكانت مبتدأ مرفوعاً ، فعدم رفعها وتركها على حالتها الأولى دليل على : « الحكاية » أي : على أن
الناطق بها يرددها بعد أن سمعها من غيره أو قرأها ؛ فنطق بها من غير إدخال تغيير على حركاتها مطلقاً ،
ولو اقتضى المقام الإعرابي الحديد إدخال تغيير على حركاتها . ويظهر هذا بوضوح حين نسمع - مثلاً -
المعنى يترجم بكلمة : « قطف » فيشجيناها ، ويبدع فيها ، أكثر من غيرها ، أوحين نراها مكتوبة بخط
بارع ، فنقول : « قطف » جميلة ، فيكون النطق بها على سبيل الحكاية إعلاناً ورمزاً إلى أنها جميلة في حالة
معينة لنا ، وصورة خاصة دون غيرها ، بخلاف ما لو قلنا : قطف جميلة ، فليس في هذا التعبير ما يدل
على ذلك التقييد الهام . وما يزيد الأمر وضوحاً ما قالوه في موضع آخر ؛ فن الأعلام من اسمه « أبو الفضل » ،
و « أبو جهل » . . . فإذا سمعنا من الخبير بالأساليب الصحيحة ، الحريص على سلامتها ، قوله - مثلاً -
مدح الناس « أبو الفضل » ، وذنوا « أبو جهل » عرفنا سريعاً أن هذا المتكلم الفصيح لم يقل « مدح الناس
أبا الفضل وذنوا أبا جهل » وإنما قال : « أبو » فلا بد أن يكون هذا على سبيل الحكاية ؛ لحكمة بلاغية ؛
قد تكون رغبته في إظهار أن : « أبو الفضل » و « أبو جهل » علمان لشخصين معينين ، وليس المراد منهما مطلق
رجل متصف بالفضل أو بالجهل ، إذ لو قال « مدح الناس أبا الفضل وذنوا أبا جهل » لجاء الكلام خالياً من
التعيين البليغ ، محتلاً « العلمية » ومحتلاً أن يشمل كل صاحب فضل ، أو صاحب جهل من غير تخصيص . . .

أما الرأي الآخر فزيتة عموميه وشموله كل الحالات المختلفة ؛ ومنها السابقة ، ودخوله تحت القاعدة
الإعرابية المطردة ، ففيه نوع تيسير .

ولهذه المسألة صلة بما يجيء في ج ٤ ص ٦٦٩ م ١٧٧ باب : « النسب » وما فيها من خلاف ، من ناحية
تشديد الحرف الثاني من الكلمة الثنائية ، وعدم تشديدها .

.....

(د) الاسم ثلاثة أقسام :

ظاهر ؛ مثل كلمة : « محمد » في قولنا : « محمد عاقل » ،
 ومضمر^(١) . أى : غير ظاهر في الكلام ، مع أنه موجود مستتر ، مثل
 الفاعل في قولنا : أكرم صديقك^(٢) ؛ فإن الفاعل مستتر وجوباً تقديره :
 « أنت » .

و « مبهم » ، لا يتضح المراد منه ولا يتحدد معناه إلا بشيء آخر ، وهو
 أمران : أحدهما : اسم الإشارة ؛ (مثل : هذا نافع) والآخر : اسم الموصول ؛
 (مثل : الذى بنى الهرم مهندس بارع^(٣)) .

ملاحظة : هناك قسم رابع — فى رأى الكوفيين ومن تبعهم ؛ كابن مالك —
 وهو الاسم الزائد المحض ؛ لتأكيد المعنى وتقويته . وهذا النوع لا محل له من
 الإعراب ؛ لأنه لا يتأثر بالعوامل ولا يؤثر فى غيره . ومن أمثلته : كلمة :
 « ذا » . . . ،^(٤) طبقاً للبيان الخاص بها^(٥) .

(١) راجع « ب » من ص ٢١٩ حيث التفصيل . وفى بعض مواضع أخرى قد يراد بالمضمر
 ما يسمى اصطلاحاً : « الضمير » ومنه ، « المستتر » ومنه « البارز » (الظاهر) .

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ١٦ .

(٣) لأن اسم الإشارة لا يتضح المراد منه إلا بالشار إليه ، والموصول لا يتضح إلا بصلته . ولا مبهم فى
 الأسماء غير هذين . وسيجىء البيان فى « ج » من ص ٣٣٨ وفى باب : الموصول (رقم ٤ من هامش
 ص ٣٣٨) .

(٤) كالتى فى قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأقتيه ولكن بالغيث خبرينى

(٥) فى رقم « ا » و « ب » من صفحتى ٣٦٠ و ٤٦١ .

المسألة ٣ :

أقسام التنوين ، وأحكامه

التنوين ^(١) الذي يعتبره النحاة علامة على أن الكلمة اسم - أنواع ؛ أشهرها أربعة ؛ هي : تنوين الأَمْكَنِيَّةِ - تنوين التَّنْكِير - تنوين التَّعْوِيض - تنوين المقابلة ، ولهم في كل نوع آراء مختلفة ، سند تخلص الرأي السليم منها .
النوع الأول : تنوين الأَمْكَنِيَّةِ

ولتوضيحه نقول : إن الأسماء أربعة أقسام :

(أ) قسم تغير علامة آخره باختلاف موقعه من الجُمْل ، ويدخله التنوين في آخره ؛ مثل : عليّ ، وشجرة ، وعصفور ، . . . و . . . تقول : (جاء عليّ) ، برفع آخره وتنوينه . . . (رأيت عليّاً) ؛ بنصب آخره وتنوينه . (ذهبت إلى عليّ) ، بجر آخره وتنوينه . . . وكذلك باقي الأسماء السابقة وما يشبهها . وهذا القسم من الأسماء يسمى : « الْمُعْرَبُ الْمُنْصَرَفُ » ^(٢) .

(ب) قسم تغير علامة آخره باختلاف موقعه من الجُمْل ، ولكنه لا ينون ؛ مثل : أحمد ، فاطمة ، عثمان . . . تقول : جاء أحمدُ ، رأيت أحمدَ ، ذهبت إلى أحمدَ . . . وكذلك باقي الأسماء السالفة ، وما أشبهها ؛ فإنها لا تنون . مهما اختلفت العوامل ^(٣) . وهذا القسم يسمى : « المعرب غير المنصرف » ،

(١) سبق تعريفه وتوضيحه في ص ٢٦ .

(٢) وقد يسمى اختصاراً : « المنصرف » - كما سيجيء في رقم ٣ من هامش ص ١٧٤ - وإذا ذكر التنوين من غير نص على نوعه كان المراد تنوين : « المعرب المنصرف » لأنه هو المقصود عند الإطلاق ؛ (أي : عند عدم ذكر النوع) . أما إذا أريد غيره فلا بد من التقييد بذكر النوع ؛ كأن يقال : تنوين التَّنْكِير ، أو : تنوين العوض . . والمعرب هو اللفظ الذي تتغير علامة آخره بتغير العوامل ؛ (كما سيجيء قريباً في بابه الخاص ص ٦٧٥) . و « المنصرف » هو الذي يكون في آخره هذا التنوين الدال على « الصرف » . ويجرى (في عبارات بعض القدماء : « الإجراء وعدم الإجراء » بدلا من « الصرف ومنع الصرف » . - وسيجيء البيان في ج ٤ باب : « مالا ينصرف » .

(٣) هذا القسم قد يدخله التنوين أحيانا لفرض معين - (كما سيجيء البيان في رقم ١ من هامش ص ٢٩٤) - نقول : رأيت أحمداً ؛ بالتنوين ؛ بشرط أن تقصد الإخبار بأنك رأيت واحداً غير معين من اسمهم : « أحمد » بخلاف ما لو رأيت رجلا معينا اسمه : أحمد ، معهوداً بينك وبين من تخاطبه . (راجع شرح المفصل ج ٩ ص ٢٩ موضوع : التنوين) . ، هذا ، والتحليل بكلمة : « أحمد » هو من صنيع صاحب =

وله باب خاص يتضمن أسباب منع الاسم من الصرف ^(١) . . .
(ح) قسم لا تتغير علامة آخره بتغير التراكيب ، ويسمى : المبنى ^(٢) . لكن

= «المفصل» نفسه ، وكان الأولى التثيل بكلمة مثل : «يزيد» ونحوها . . . لما سيجيء - (في ج ٤ ص ١٩١
١٤٧ «ب» عند الكلام على الاسم الذي لا ينصرف) وهو : أن الاسم المنوع من الصرف للعلمية ووزن
الفعل إذا زالت علميته يظل ممنوعاً من الصرف إن كان في أصله وصفاً سابقاً على العلمية وترك وصفيته السابقة ،
وانتقل إلى العلمية . مثل : «أحمر» علم شخص ، فإنه حين تزول عنه العلمية الطارئة يرجع إلى ما كان
عليه قبلها ، ويعود وصفاً كما كان ، ويظل ممنوعاً من الصرف بشرط وجود العلة الثانية .

وكلمة : «أحمد» ينطبق عليها هذا من ناحية رجوعها إلى الوصفية السابقة حين تزول عنها العلمية
الطارئة ، فكيف تنون إن زالت علميتها وبقيت العلة الثانية ؟ .

ربما كان يرى فرقاً بين «أحمد» و «أحمر» هو أن «أحمد» متوغل في علميته حتى نسيت وصفيته
وأهملت ، فإن زالت عنه علميته لم يرجع إلى وصفيته السابقة عليها ؛ بخلاف : «أحمر» وأشباهه ؛ فوصفيته
قوية ملحوظة . لكن الأفضل - كما قلنا - التثيل بما لا احتمال معه . مثل كلمة «يزيد» فليس لها وصفية سابقة
(١) سيجيء في الجزء الرابع . وللنحاة تعليل طويل في عدم تنوينه ؛ ولكنه تعليل يرفضه التأمل .
وقد آن الوقت لإهماله ، وإثماً نذكر ملخصه التالي ليطمئن من يشاء من الخاصة - إلى أنه تعليل مصنوع
معيب ، فهم يقولون :

إن الفعل ثقيل على اللسان ؛ لقلة استعماله ، بالنسبة للاسم ؛ فالفعل لا يستعمل إلا مع فاعل هواسم ؛
أما الاسم فقد يستعمل أحياناً مع الفعل ؛ مثل : (نفع الكتاب) ، وقد يستعمل أحياناً مع الاسم ،
مثل : (الكتاب نافع) . فالواضع التي يشغلها الاسم أكثر من المواضيع التي يشغلها الفعل ؛ وكثرة الاستعمال
داعية إلى خفة النطق وسهولته .

وشيء آخر ؛ هو أن الفعل لا يوجد إلا مع فاعل - كما سبق - ، وقد يحتاج إلى مفعول . ومعنى هذا أن الفعل
لا يوجد منفرداً ، ولا يدل بنفسه على معنى ، وإنما يوجد في كلام مركب . أما الاسم فإنه قد يفرد ولا يرا
منه إلا مجرد الدلالة على شيء (أى : على معنى ، كما عرفنا - في ص ٢٦ -) . والمفرد أخف من المركب في النطق
والاستعمال .

فن أجل خفته دخله التنوين الذي هو علامة الخفة ، ورمز السهولة ، وامتنع دخوله على الأفعال ؛ لثقافتها .
ثم يتدرجون من هذا إلى قولهم : إن في كل فعل ظاهرتين ؛ إحداها : لفظية ، وهى : اشتقاقه من
المصدر (على الرأى الشائع) واشتراك لفظيها في الحروف الأصلية ، والمشتق فرع ، والمشتق
منه أصل ، لهذا كان الفعل فرعاً من الاسم . والأخرى : معنوية ، وهى : حاجة الفعل إلى الفاعل الاسم
- كما سبق - . والاحتياج فرع ، وعدم الاحتياج أصل . ولما كان القسم الثانى من الأسماء (وهو المعرب غير
المنصرف) لا يمنع من الصرف إلا إذا اجتمع فيه ظاهرتان ، أو علتان فرعيتان ؛ إحداها لفظية ، والأخرى
معنوية ، كان شبيهاً بالفعل في ذلك ؛ فامتنع مثله من الصرف ؛ فكلمة : «فاطمة» فيها علة لفظية ؛ وهى
التأنيث ؛ والتأنيث فرع التذكير عندهم ، وعلة معنوية هى : العلمية ؛ والعلمية فرع التنكير ، فهاتان
ناحيتان فرعيتان في كلمة «فاطمة» ؛ فلا بد من الظاهرتين (العتين) ، أو من ظاهرة تقوم مقامهما ؛
وذلك في كل كلمة تمنع من الصرف . وينتبهون من ذلك كله إلى النتيجة التي يريدونها ؛ وهى : أن الفعل
فيه العلتان ، ولا يدخله التنوين . وكذلك بعض الأسماء فيه الظاهرتان أو العلتان - أو ما يقوم مقامهما -
فلم لا يمنع من الصرف أيضاً بسبب وجود الناحيتين الفرعيتين فلا يدخله التنوين ؟

ذلك ملخص كلامهم الخيالى . وهو مدفوع بأن السبب الحق في تنوين بعض الأسماء وعدم تنوين بعض آخر
أن العرب الفصحاء نطقت بهذا منوناً ، وبذلك غير منون . فعملت هذا بفطرتها وطبيعتها ، لا لسبب آخر ؛
كرعاة لقواعد علمية ، وتطبيق لأسس فلسفية منطقية ؛ فإن هذه وتلك لم تكن معروفة لديهم في عصر
صدر الإسلام وما قبله من عصور الجاهلية ؛ فلم يستخدموا المشابهة ، ولم يستعينوا بقياس المناطق أو غيره
من مسالك الجدل ، والتوهم ، وأشباهه ما لا يوافق حياتهم الأولى ، ولا نشأة اللغة .

(٢) سيجيء الكلام عليه في بابه الخاص (ص ٧٢ م ٦) .

قد يدخله التنوين أحياناً لغرض . وإليك الإيضاح .

من الأسماء القديمة : خَالَوَيْه ، نِفْطَوَيْه ، عَمَرَوَيْه ، سَبِيَّوَيْه .
وغيرها من أعلام الأشخاص المبنية على الكسر - غالباً - المختومة بكلمة :
« وَيَه » . فإذا أردت أن تتحدث عن واحد من هذه الأعلام ، وكان مُعَيَّناً
معهوداً بينك وبين من تخاطبه ، معروفاً بهذا الاسم ، لا تختلط صورته في
الذهن بصورة غيره - فإنك تنطق باسمه مبيناً من غير تنوين ، وأنت بهذا تتكلم
عنه كما تتكلم عن الأعلام الأخرى المعربة التي يدل الواحد منها على فرد خاص
بعينه ؛ مثل : محمد ، أو : صالح ، أو : محمود ، أو : غيرهم^(١)

أما إذا أتيت بالتنوين في آخر الكلمة المبنية فإن المراد يتغير ؛ إذ تصير كمن
يتحدث عن شخص غير مُعَيَّن ، لا يتميز من غيره المشاركين له في الاسم ،
فكأنك تتحدث عن رجل أى رجل ، مسمى بهذا الاسم .

ومن الأمثلة أيضاً ما ليس بعلم ، مثل : صَه^(٢) إِيَه^(٣) ، غاق^(٤) .
وهذه الكلمات المبنية وأشباهاها تكون منونة حيناً ، وغير منونة حيناً آخر^(٥) ،
كأن تسمع شخصاً يتحدث في أمر معين لا يرضيك ؛ فتقول له : صَه^(٦) ،
(بسكون الهاء) . فكأنك تقول له : (اسكت عن الكلام في هذا الأمر الخاص
ولك أن تتكلم في أمر آخر إن شئت) . أما إذا قلت له : صَه^(٧) (بالكسر والتنوين)
فرداك : (أترك الكلام مطلقاً في جميع الموضوعات ؛ لا في موضوع
معين) .

ولو قلت له : « إِيَه » (بالكسر من غير التنوين) لكان المقصود :
(زدني من الحديث المُعَيَّن الذي تتكلم فيه الآن ، ولا تتركه) . أما إذا قلت :
« إِيَه » (بالكسر والتنوين) فإن المراد يكون : (زدني من حديث أى حديث ؛
سواء أكان ما نحن فيه أم غيره) .

(١) راجع ما يتصل بهذا ، وبإعراب المنوع من الصرف في ص ١٧٤ و ٣١٠ و ٣١٥ .

(٢) اسم فعل أمر ؛ بمعنى : اسكت .

(٣) اسم فعل أمر ؛ بمعنى : زد . . .

(٤) اسم صوت الغراب .

(٥) التنوين وعده مقصوران على السماع في أغلب أسماء الأفعال والأصوات - بالتفصيل انظر
سبجى في بابها في الجزء الرابع بخلاف الأسماء المختومة بكلمة : « وَيَه » من مثل : خالويه ،
ونفطويه ، وأشباهاها ؛ فإنه قياسي - .

كذلك : صاح الغراب غاقٍ (بالكسر ، بغير تنوين) ، فالمراد : أنه يصيح صياحاً مُعَيَّنًا خاصاً ، فيه تنغيم ، أو حزن ، أو فرح ، أو إطالة . . . أما بالكسر والتنوين فعناه مجرد صياح .

فعدم التنوين في الكلمات المبنية السابقة - وأشباهاها - هو الدليل على أنك تريد شيئاً واحداً معيناً ، واضحاً في ذهنك ، معهوداً لك ولخاطبك ؛ سواء أكان ذلك الشيء شخصاً أم غير شخص . والتنوين هو الرمز الدال على أنك تريد شيئاً غير مُعَيَّن بذاته ، وإنما هو مختلط بين نظائره المماثلة له ، ولا يتجه ذهنك إلى واحد منها دون غيره . ويسمون الكلمة التي من النوع الأول الخالي من التنوين : « معرفة »^(١) ، لأن مدلولها معروف مُعَيَّن . والكلمة التي من النوع الثاني المتَّوَن : « نكرة » ؛ لأن معناها مُنْكَر - أى : شائع - غير معين وغير محدد . ويسمون التنوين الذي يدخلها : « تنوين التنكير » أى : التنوين الذي يدل في الكلمة المبنية على الشيوع وعدم التعيين ؛ ولا يدخل إلا الأسماء المبنية . فهو : « العلامة التي تدل بوجودها على أن الكلمة المبنية نكرة ، وتدل بحذفها على أنها معرفة » .

(د) قسم لا تتغير علامة آخره ولا يدخله التنوين ؛ مثل : هؤلاء . . . حيث . . . كم . . . تقول : جاء هؤلاء ، أبصرت هؤلاء ، انتفعت بهؤلاء . . . (بالكسر في كل الحالات ، بغير تنوين ، فهو مبنى ، وغير منون) .

من التقسيم السابق (ا - ب - ج - د) نعلم أن بعض الأسماء معرب ، وبعضها مبنى ، وأن كل واحد منهما قد يكون منوناً ، وقد يكون غير منون .

والقسم الأول : « ا » وحده هو الذي يجتمع فيه الإعراب والتنوين معاً . والنحاة يقررون أن الأصل في الأسماء أن تكون مُعْرَبَةٌ^(٢) ومنونة ، وأن الأصل في الحروف كلها أن تكون مبنية وغير منونة ، وأن الأفعال كلها لا تُنْوَن ، وأن

(١) والمعرفة والنكرة وأنواعهما باب خاص يشمل كل أحكامهما ، وسيجيء قريباً (ص ١٧٢٠)
(٢) لأن استقرارهم للأسماء دلم على غلبة الإعراب والتنوين فيها ، كما دلم على أن الحروف كلها مبنية وغير منونة ، وأن الأفعال كلها غير منونة وأكثرها مبنى ؛ فالأصغى والأمربنيان دائماً ، والمضارع يعرب في حالات ، ويبني في غيرها .

أكثرها مبنى ؛ فكلما ابتعد الاسم عن مشابهة الحرف والفعل في البناء وعدم التنوين^(١) كان أكثر أصالة في الاسمية ، وأشدّ تمكناً .

وبتطبيق هذا على الأقسام الأربعة السالفة يتبين أن القسم الأول أقواها جميعاً في الاسمية ، وأعلاها في درجتها ؛ لأنه لا يشبهها في شيء ؛ فهو مُعرب ؛ أما الحروف وأكثر الأفعال فبنية . وهو منون ؛ والتنوين لا يدخل الأفعال ولا الحروف .

ثم يليه في القوة والأصالة ؛ القسم الثاني : « ب » ؛ لأنه معرب . والحروف وأكثر الأفعال مبنية — كما سبق — لكنه يشبه الأفعال والحروف في عدم التنوين . ثم يليه القسم الثالث : « ح » وهو أضعف من القسمين السابقين ؛ لبنائه الدائم ، ولعدم تنوينه أحياناً . أما الرابع : « د » فهو أضعف الأقسام كلها ، لأنه مبنى دائماً ، ولا ينون مطلقاً . فاجتمع في القسم الأول العاملان الدالان على التباعد وعدم المشابهة ، أما القسم الثاني فليس فيه إلا عامل واحد ؛ لهذا يسمى القسم الأول : « المتمكن الأمكن » ، أى : القوي في الاسمية ، الذى هو أقوى أصالة فيها ، وأثبت مكانة من غيره . ويسمى التنوين الذى يلحقه : تنوين « الأمكنية » أو : « الصرف » ويقولون في تعريفه — « إنه التنوين الذى يلحق آخر الأسماء المعربة المنصرفة ؛ ليدل على خفتها^(٢) ، وعلى أنها أمكن » ، وأقوى في الاسمية من غيرها . كما يسمى القسم الثانى : « المتمكن » فقط . وما عداهما فغير متمكن .

* * *

النوع الثانى : تنوين التنكير :

وهو « الذى يلحق — فى الأغلب^(٣) — بعض الأسماء المبنية ؛ ليكون وجوده

(١) أقوى غيرهما ؛ كـ بعض الظواهر الخاصة التى تظهر فى الفعل — فى رأيهم — كما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٣٤ .

(٢) أثر هذا التنوين فى الخفة وغيرها مفصل فى موضعه الأنسب (ج ٤ باب : « ما لا ينصرف » . م ١٤٥ ص ١٩١) .

(٣) الأغلب أنه يلحق بعض الأسماء المبنية . لكنه قد يلحق بعض الأسماء المعربة المنصرفة للسبب السابق فى الرقم : « ٣ » من هامش ص ٣٣ والبيان الذى فى رقم ٢ من هامش ص ٢٩٤ .

دليلاً على أنها نكرة ، وحذفه دليلاً على أنها معرفة ^(١) وهو الذى سبق إيضاحه وشرحه فى القسم الثالث : « ح » من الأسماء .

* * *

النوع الثالث : تنوين التعويض ^(٢) ، أو العيوض :

من الذواعى ما يقتضى حذف حرف من كلمة ، أو حذف كلمة كاملة ، أو حذف جملة بتمامها أو أكثر ؛ فيحل التنوين محل المحذوف ، ويكون عوضاً عنه .
فن أمثلة - حذف الحرف ^(٣) ما يأتى :

الحرف المحذوف	وَضَعَ المشتق فى جملة بعد جمعه جمع تكسير	بعض المشتقات (اسم الفاعل لمؤنث)	الفعل الثلاثى
هو الحرف الأخير من الجمع وهذا الحرف الأخير أصله الحرف الثالث الأصلى من الفعل الماضى	النقود بواق ، سأزيد على بواق .	باقية .	بقى .
	الليالى مواض بحوادثها .	مأضية .	مضى .
	لا أحزن لمواض .	باكية .	بكى .
	العيون بواك . أسفت لبواك .	ساقية .	سقى .
	على ما فات .	نسامية .	نسى .
	هذه سواق . شرب الزرع من سواق قياضة .	رانية .	رنا (بمعنى : نظر)
	الزروع نوام . سوف أحرص على نوام من الزروع .		
	العيون رَوْن للزهر . عجبت من روان للزهر .		

فهنا بعض أفعال ثلاثية ، أصلية الحروف ، - أى : لا يُحذف منها حرف فى المشتقات المختلفة إلا لداع قوئ - ، لكن الحرف الأخير من تلك الأفعال قد

(١) لم تذكر فى التعريف : « أنه يلحق الأسماء المبنية » - مع أن الغالب لحاقها بها ، لأنه قد يلحق الأسماء المعربة غير المنصرفة لغرض أوضحناه (فى رقم ٣ من هامش ص ٣٣ والبيان الذى فى رقم ١ من هامش ص ٢٩٤ فتقييد الأسماء بأنها « مبنية » غير صحيح . (٢) ويدخل الأسماء المعربة والمبنية (٣) وهذا الحذف مقصور على حالتى الرفع والجر ، مع وجود التنوين فيهما ، كما فى الأمثلة . فإن لم يوجد التنوين - لسبب أن الكلمة مضافة ، أو : مبدوءة بآل ، أو : لداع آخر - لم تحذف الياء وكذلك لا تحذف فى حالة النصب ؛ بل تبقى وتظهر الفتحة عليها من غير التنوين .

صار ياء في اسم الفاعل، وحذف في جمع التكسير، وحل مكانه التنوين؛ عوضاً عنه،
فالتنوين المشاهد في آخر كل جمع مما سبق إنما هو تعويض عن الحرف الأصلي المحذوف.
وعند الإعراب نقول: الكامة مرفوعة بالضمة على الياء المحذوفة. ومجرورة بفتحة نيابة
عن الكسرة فوق الياء المحذوفة. والتنوين الظاهر في الحالتين عوض عن الياء المحذوفة^(١).

(١) هذا خير ما يقال اليوم، وأوضحه وأيسره. أما ما يقوله النحاة فردود عقلا، وفيه ألتواء
وصعوبة، فهم يقولون: إن كلمة: باقية؛ أو: نامية؛ أو: ماضية؛ أو: ما يشبهها «من كل كلمة
مؤنثة على وزن: فاعلة» يجوز جمعها جمع تكسير على وزن: «فواعل»؛ فتصير الكلمة المرفوعة بعد تكسيورها: «بواق»
«نوامي» «مواضي» - بالضم بغير تنوين -؛ لأنها ممنوعة من الصرف لصيغة منتهى الجموع (وهي كل
جمع تكسير بعد ألف تكسيرة إما حرفان؛ مثل: معابد - طوائف - جواهر - مدارس . . . ،
وإما ثلاثة أحرف أو سطها ساكنين؛ مثل: مفاتيح - قناديل - أزاهير؛ جمع أزهار. وتفصيل الكلام
عليها في الباب الخاص بما لا ينصرف ج ٤ م ١٤٥ وم ١٧٣). ثم تحذف الضمة، لأنها ثقيلة على
الياء، فتصير الكلمة: «بواق»، «نوامي»، «مواضي»، ثم تحذف الياء للتخفيف أيضاً.
ويجى التنوين عوضاً عنها؛ لأنها حرف أصلي، لا يحذف من غير تعويض؛ وإلا كان الحذف جوراً
على الكلمة، كما يقولون!!

هذا على اعتبار أن الكلمة المجموعة كانت ممنوعة من الصرف أول الأمر عند تكسيورها، ثم وقع
الحذف والتعويض بعد ذلك. أما على اعتبار أنها لم تكن ممنوعة من الصرف أول الأمر وإنما وقع الحذف
والتعويض قبيل منعها من الصرف فيقال فيها: «بواق»، «نوامي»، «مواضي». بالتنوين في كل
هذا، ثم حذفت الضمة الأولى وحدها، لأنها ثقيلة على الياء (وبقي التنوين الذي تدل الضمة الثانية عليه). فالتق
ساكنان لا يجوز اجتماعهما؛ هما: الياء والتنوين؛ فحذفت الياء أولاً، ثم حذفت التنوين بعدها؛
(بسبب أن الكلمة ممنوعة من الصرف لصيغة منتهى الجموع). فصارت «بواق»، «جوار»، «مواضي»
بكسرة واحدة، (أي: بغير تنوين) ثم جاء تنوين آخر غير المحذوف؛ ليكون عوضاً عن الياء، ولينبع
رجوعها عند النطق. فبمع الصرف في الحالة الأولى سابق في وجوده على الحذف، ومقدم عليه، أما في الحالة
الثانية فكان الحذف هو السابق والمقدم على منع الصرف في رأيهم.

وكلتا الحالتين تجرى على الجموع السابقة وأشباهاها في حالة الجر أيضاً؛ فبدلاً من أن يقال: حذفت
الضمة؛ لثقلها. . . يقال: حذفت الكسرة، لثقلها. . . أو حذفت الفتحة التي هي نائبة عن الكسرة؛
بسبب منع الصرف، ثم حذفت الياء. . . وإنما حذفت الفتحة لثقلها هنا لأنها نائبة عن الكسرة الثقيلة - في
رأيهم - بالرغم من خفتها عندهم في كل موضع آخر.

ولا يخفى ما في هذا من تكلف بغير داع، ولف، وتعقيد. والواجب أن نقول في سبب الحذف في
«فواعل» وأشباهاها؛ (من كل صيغة لمنتهى الجموع، آخرها ياء لازمة، مكسور ما قبلها، ولكنها
تحذف - عند عدم المانع - كحذفها في الجموع السابقة)، «إنه استعمال العرب ليس غير». فهم يحذفون تلك الياء؛
رفعاً، وجراً، وإذا وقعت آخر صيغة منتهى الجموع - وما أشبهها - من غير أن يفكروا في قليل أو كثير
مما نقلناه عن النحاة، بل من غير أن يعرفوا عنه شيئاً. فلا علينا إن تركنا ذلك المنقول، واكتفينا بما ذكرناه؛
مسيرة للعقل، وتجنباً للوعر الذي لا خير فيه، بل الخير في استبعاده ونبذه.

وما يؤيد رأينا - إن كان في حاجة إلى تأييد - أن العرب يقولون: أكرمت بواكي. . . ورأيت
سواكي. . . بظهور الفتحة على الياء. فلم توصف الفتحة في مثل هذه الحالة بالخفة وتغوز بالبقاء؟ ولم
توصف في حالة الجر حين تكون نائبة عن الكسرة بالثقل وتحذف - في الرأي المشهور - ثم تحذف الياء؟ . .
فكيف يقع هذا مع أن الحرف في الحالتين واحد، وكذلك حركته وهي الفتحة، وكذلك الحنجرة، واللسان
والنهم، وجهاز النطق والكلام. -
- ثم انظر رقم ٤ من هامش ص ١٩١ -

أما حذف كلمة ومجيء التنوين عوضاً عنها فيكثر بحذف المضاف إليه بعد لفظة : « كل » ، أو « بعض ^(١) » - وما في حكمهما - ومن أمثله :
 قسمت المال بين المستحقين ، فأعطيت كلاً نصيبه . أى : كل مستحق .
 حضرت الضيوف فصافحت كلاً منهم . أى : كل ضيف .
 تعجبتني الصحف اليومية غير بعض . أى : بعض الصحف .
 اعتدل الجو أيام الشتاء إلا بعضاً . أى : بعض أيام .
 وأما حذف جملة ، أو أكثر ، ومجيء التنوين عوضاً عنها فإنه يكثر بعد كلمة : « إذ » ^(٢) المضافة ، المسبوقه بكلمة « حين » أو « ساعة » وما أشبههما من ظروف الزمان التي تضاف إلى : « إذ » . ويتضح الحكم من الأمثلة الآتية :
 جاء الصديق ، وكنت حين إذ (جاء الصديق) غائباً - جاء الصديق وكنت حينئذ « غائباً » .

أكرمته ، فأثنت عليك حين إذ (أكرمتني) - أكرمتني فأثنت عليك حينئذ .
 سابت ، وكان زملاؤك : ساعة إذ (سابت) يرجون لك الفوز - سابت وكان زملاؤك « ساعتئذ » يرجون لك الفوز .
 مشيت في الحديقة ، وقطفت الزهر . وكنت ساعة إذ (مشيت ، وقطفت) . قريباً منك ، أو : كنت « ساعتئذ » قريباً منك .
 سافر محمود في القطار ، وجلس يقرأ الصحف ، ويتكلم مع جاره ، وكنت معه وقت إذ (سافر ، وجلس يقرأ ويتكلم) .

(١) لفظهما مفرد ومذكر، ولكن معناهما قد يكون غير ذلك. ولهذا يراعى في الضمير العائد عليهما مطابقتها للفظهما حيناً أو لزمانهما حيناً آخر - طبقاً للبيان الآتي في ص ٢٦٦ -
 والتنوين فيهما تنوين « عوض » و « أمكنية » معاً ؛ لأنه عوض عن المضاف ، ولأنهما معربان منصرفان - راجع حاشية الحصري ، أول باب المنوع من الصرف - سيجي (في الجزء الثالث : (باب الإضافة ؛ ص ٩٠) أن هذا الرأي أوضح وأدق من الرأي الآخر القائل : إنه للأمكنية فقط ؛ وحجته وقوعه في اسم معرب منصرف ، لا بد من وجوده في آخره ، إلا إذا جاء بعده مضاف إليه فيحذف التنوين ؛ لوجوب حذفه عند وجود المضاف إليه ؛ فإذا حذف المضاف إليه عاد ذلك التنوين للظهور مرة أخرى بعد اختفائه ؛ فهو ليس تنويناً جديداً النوع ، وإنما هو تنوين « الأمكنية » الذي يلحق - عند عدم المانع - آخر الأسماء المعربة المنصرفة كالتي هنا ؛ اختفى بسبب الإضافة ، فلما زال السبب رجع إلى مكانه ظاهراً كما كان . ويترتب على هذا الرأي منع دخول « أل » التي للتعريف على « كل » و « بعض » ، - لأن الإضافة ملحوظة - دون الرأي الآخر الميسر طبقاً للبيان الذي في الجزء الثالث .

(٢) كما سيجي في ج ٢ ص ٢٥٨ م ٧٩ باب : « الظرف » وفي ج ٣ ص ٧٩ م ٩٤ باب : « الإضافة » .

سافر محمود في القطار ، وجلس يقرأ الصحف ، ويتكلم مع جاره . وكنت معه « وقتئذ » . . .

ومنه قوله تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مآلها ، يومئذ تُحَدَّثُ أَخْبَارُهَا » .
فقد حذفت — في الأمثلة السالفة جملة أو أكثر بعد : (إذْ) مباشرة ، وجاء التنوين عوضاً عن المحذوف . ولما كانت الذال ساكنة ، وكذلك التنوين — حركنا الذال بالكسر ؛ ليتمكن النطق والتغلب على اجتماع الساكنين ^(١) ، ووصلنا كلمة : « إذ » في الكتابة بما قبلها ، حملاً بقواعد رسم الحروف (الإملاء) .
مما سبق نعلم أن تنوين العوض هو : ما يحىء بدلا من حرف أصلي حذف ، أو من كلمة ، أو جملة ، أو أكثر ؛ ليحل محل المحذوف ، ويغنى عنه .
ومما يجب التنبيه له أن هذا التنوين قسم مستقل ، أثره الخاص هو : « التعويض » فلا يدل بنفسه على إعراب ولا بناء ، ولهذا يدخل في آخر الأسماء المتمكنة وغير المتمكنة : أى : يدخل في آخر الأسماء المعربة والمبنية .

النوع الرابع : تنوين المقابلة

إن التنوين حين يلحق آخر الاسم يكون دليلا على أن ذلك الاسم قد تم صوغه ، واستكمل حروفه ، كما في نحو : محمدٌ مسافرٌ ، أمينٌ مهذبٌ ، حليمٌ عالمٌ .

اكن أين يذهب التنوين حين نجتمع تلك الكلمات جمع مذكر سالم فنقول : المحمدون ^(٢) مسافرون ، الأمينون مهذبون ، الحليمون عالمون ؟ . لم لم يبق في الجمع ليدل على ما كان يدل عليه في المفرد ؟

يرى النحاة أنه قد اختفى ، وحلت محله النون التي في آخر الجمع . ولما كانت غير موجودة إلا في جمع المذكر السالم ، دون الجمع المختوم بالألف والتاء

(١) لأن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين أن يكون بالكسر .

(٢) يلاحظ أن تشية العلم أو جمعه أى جمع ، يزيلان علميته ؛ فيحتاج إلى ما يجلب له التعريف — إذا اقتضى المقام التعريف — في حالة تشية وجمعه بعد زوال التعريف السابق الذي كان تابعا للعلمية ، ولهذا يزداد عليه ما يفيد التعريف ؛ مثل « آل » المعرفة في أوله ، أو حرف النداء ، أو غيره .

— كما سيجي البيان في رقم ٣ من ص ١٢٩ مفصلا ، وله إشارة في هامش ص ٢٩٤ . —

الزائدين . (جمع المؤنث السالم وملحقاته) - وكلاهما جمع سلامة - كان من الإنصاف أن يزداد التنوين في الثانى ، ليكون مقابلاً للنون في جمع المذكر السالم ، ويتم التعادل بين الاثنين من هذه الناحية ^(١) . ويسمونه لذلك : «تنوين المقابلة» ؛ ويقولون في تعريفه :

إنه اللاحق لجمع المؤنث السالم ؛ ليكون في مقابلة النون في جمع المذكر السالم .

إلى هنا انتهى الكلام على أنواع التنوين الخاصة بالاسم وحده . وهناك أنواع أخرى ليست من علاماته ؛ لأنها مشتركة بينه وبين الفعل ، والحرف ؛ فلا داعى لإثباتها هنا . ولا سيما إذا عرفنا أنها تكاد تكون مقصورة على الشعر دون النثر . فموضوعها المناسب لها هو : «علم الشعر» المسمى : «علم العَرُوض والقوافى» .

(١) ونرى أن النون في جمع المذكر السالم ، والتنوين في جمع المؤنث السالم - لا سبب لهما إلا نطق العرب . وكل تعليل يخالف هذا فرفوض .

ولو صرح أن النون في جمع المذكر السالم بدل التنوين في مفردة ، لكان من الغريب وجودها في جمع المذكر السالم الذى لا تنوين في مفردة ؛ بسبب منعه من الصرف ؛ مثل : الأحمدين ، والعُمَيرين ، واليزيدين ، والأفضلين . وأشباهها ؛ فإن مفرداً - وهو : أحمد ، وعمر ، ويزيد ، وأفضل ..- لا يدخله التنوين ؛ لأنه ممنوع من الصرف . ولكان من الغريب أيضاً احتياج جمع المؤنث إلى المقابل « وهو التنوين » مع أن مفردة يخلو في كثير من الأحوال من التنوين ؛ - كفاطمة ، وزينب .- على عكس جمع المذكر السالم ؛ فإن مفردة يكثر فيه التنوين . هذا إلى اعتراضات وأنواع من التناقض سببها التعليل السالف الذى لا قيمة له ومن المستحسن تسمية تنوين المقابلة باسم : « تنوين جمع المؤنث السالم » أو : الأخذ بالرأى الصائب ، الذى يرى إدماج تنوين المقابلة . في تنوين التمكن ، لأنه منه ، برغم مخالفة بعض النحاة في ذلك .

(راجع الجزء الأول من حاشية الخضرى في تنوين : المقابلة) . هذا ، وقد تركه « صاحب » المفصل ولم يذكره ، وإن كان شارحه قد عرض له .

زيادة وتفصيل :

(١) تحريك التنوين :

التنوين ساكن ، إلا إن جاء بعده حرف ساكن أيضاً ؛ فيتحرك التنوين بالكسر^(١) ، وقد يجوز تحريكه بالضم^(٢) ، مثل : « وقف خطيبٌ استمعتُ خطبته (خطيبٌ استمعتُ خطبته) ، وصاح قائلًا : افهموا ، (قائلٌ افهموا) . فقد وقعت السين ساكنة ، بعد التنوين ، وكذلك الفاء ؛ فتحرك التنوين بالكسر أو بالضم ، وكلاهما جائز ، والكسر أكثر^(٣) ، إلا حين يكون بعد التنوين حرف ساكن بعده حرف مضموم لزوماً^(٤) ؛ مثل : « أقبل عالمٌ أخرجُ لاستقباله » - فالحاء الساكنة بعد التنوين وليها حرف مضموم حتماً ؛ فيكون الأحسن تحريك التنوين بالضم ، فتقول : « عالمٌ أخرجُ » ؛ لنقل الانتقال من الكسر إلى الضم في النطق . ومثله : « هذه ورقةٌ اكتبُ فيها » . فالكاف الساكنة بعد التنوين جاء بعدها التاء المضمومة ، فكان من الأوفق تحريك التنوين بالضم ؛ ليكون الانتقال من الضم إلى الضم ، وهو أخف في النطق من الانتقال من الكسر إلى الضم . تقول : « هذه ورقتي اكتبُ فيها » .

ومن العرب من يجيز حذف التنوين إذا وليه ساكن . وهذا أسهل اللغات كلها ؛ فيقول : « وقف خطيبٌ اسمعُ خطبته » ؛ وصاح « قائلٌ افهموا » و « أقبل عالمٌ أخرجُ لاستقباله » وجبذا الاقتصار عليه بشرط التنبيه إلى أن الكلمات التي حذف منها ليست ممنوعة من الصرف^(٥) .

(ب) مواضع حذف التنوين - غير المواضع الجائز السالف - : وبهذه المناسبة نقول :

إن هناك مواضع يحذف فيها التنوين وجوباً ، منها :
١ - وجود « أل » ، في صدر الكلمة المنونة ؛ مثل : جاء رجلٌ ، بالتنوين من

(١٠١) لأن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين أن يكون بالكسر . (كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٤١) .
(٢) راجع شرح المفضل (ج ٩ ص ٣٥) عند الكلام على التنوين .
وحاشية الصبان أيضاً عند الكلام عليه .

(٣) يشترط بمضمم في هذا أن تكون ضمة الحرف أصلية ؛ مثل : ضمة الزاء في مثل : « أخرجُ » لأنها ضمة لا تتغير أبداً . بخلافها في مثل : حضر رجل ابتكُ يعرفه ، فضمة « النون » في كلمة : « ابن » تتغير بتغير إعراب كلمة : « ابن » . وفي هذه الحالة يكون الأحسن - وقيل يجب - التخلص من الساكنين بالكسر .
(٤) انظر « ح » من ص ٥٠ في الكلام على التقاء الساكنين .

- غير « أل » ويجذفه وجوباً معها ؛ مثل : جاء الرجل .
- ٢ - أن تضاف الكلمة المنونة ؛ مثل : جاء رجل المروءة .
- ٣ - أن تكون الكلمة المنونة شبيهة بالمضاف ^(١) ؛ مثل : لا مالَ محمود ، بشرط أن يكون الجار والمجرور صفة ؛ ونحو « لا » النافية للجنس محذوفاً . أى : لا مالَ محمود حاضر . فكأنك تقول : « لا مالَ محمود حاضر » فتفترض إضافة ملحوظة ، مقدرة ، لغرض يتصل بالمعنى المراد . وقد تفترض أن اللام زائدة ؛ كأنها غير موجودة بين المضاف والمضاف إليه ، وأن الكلام يحوى إضافة ظاهرة ... ومن المستحسن عدم الالتجاء لذين قدر الاستطاعة ؛ لأن فى استعمالهما تعرضاً للغموض والإلباس . أما إن كان الجار والمجرور هما الخبر فليس هناك تنوين محذوف . وإنما فتحة بناء فى آخر كلمة : « مال » التى هى اسم « لا » النافية للجنس .
- ٤ - أن تكون الكلمة ممنوعة من الصرف ؛ مثل : اشتهر « سحبان » بالفصحاة لم أسمع « سحبان » . . . ولكن قرأت خطب « سحبان » . . .
- ٥ - الوقف على الكلمة المنونة فى حالة الرفع أو الجر . ومعنى الوقف انتهاء الكلام عند النطق بآخرها . مثل : هذا أمرٌ عجيبٌ - فكثرت فى أمر عجيب . . . فإن كانت منصوبة فإن التنوين ينقلب ألفاً فى اللغة المشهورة . مثل : شاهدت أمراً . . . ، عند الوقوف على كلمة : « أمراً » المنونة . وشاهدت أمراً « عجيباً » ؛ عند الوقوف على كلمة : « عجيباً » المنونة .
- ٦ - أن يكون الاسم المنون علماً ^(٢) ، مفرداً ، موصوفاً ^(٣) ، مباشرة - أى من

(١) المراد بالشبيه المضاف : اللفظ الذى اتصل به شئ . يتم معناه ويزيد فائدته . وسيجيء بيانه فى

- باب : « لا » النافية للجنس ص ٦٨٩ .
- (٢) سواء أكان اسماً ، أم كنية ، أم لقباً (وسيجيء تعريف الثلاثة فى باب العلم ص ٣٠٧ م ٢٣ كما سيجيء لهذه المسألة مناسبة أخرى فى باب المنادى ج ٤ ص ١٧ ط ٢ - م ١٢٨) . ويجوز أن يراعى فى حذف الهزمة أن تكون الأعلام جنسية يكفى بها عن المجهول اسمه ، أو اسم أبيه ؛ مثل : فلان بن فلان ، أو : الحارث بن هشام الذى تخيله الحريرى ، وأدار الحديث على لسانه فى كثير من المقامات . وقد وقع الخلاف فى حذف التنوين وهزمة الوصل وألفها من : « ابن » و « ابنة » إذا كان العلم الأول (وهو الموصوف) كنية ، أو كان العلم الثانى المضاف إليه كنية ؛ مثل : اشتهر بالعدل الخليفة الثانى أبرخفص بن الخطاب ومن أولاده : عبد الله بن أبى حفص . فرأى فريق وجوب إثبات التنوين وهزمة الوصل والألف ، ويرى آخرون صحة الحذف والإثبات . ويبدو أن الأفضل الحذف ؛ لتكون القاعدة عامة مطردة - كما سنشير لهذا فى باب : المنادى ج ٤ ص ١٧ ط ٢ - م ١٢٨ .
- (٣) فلو كان لفظ « ابن ، وابنة » بدلاً ، أو خبراً لمبتدأ أولناسخ ، أو منصوباً بعامل محذوف - مثل أعنى - لم يصح حذف التنوين وما يتبعه .

.....

غير فاصل — بكلمة : « ابن » أو : « ابنة » وكلتاها مفردة ، مضافة إلى علم آخر مفرد ، أو غير مفرد . ولا بد أن تكون البنوة حقيقية . ولا يشترط ^(١) في واحد من العلمين التذكير ؛ فمجموع الشروط سبع ؛ إذا تحققت مجتمعة حذف التنوين نطقاً وكتابة ، وحذفت همزة الوصل وألفها من « ابن وابنة » كتابة ونطقاً ، بشرط ألا تكون إحداهما أول السطر ، ولا خاضعة لضرورة شعرية تقضى بإثباتها ؛ فمثال الحذف : هذا محمد بن هاشم . وهذه هند ^(٢) بنة محمود . وإن اختل شرط من الشروط السبعة لم يحذف التنوين ، ولا ألف « ابن وابنة » ^(٣) . . .

* * *

(١) طبقاً للرأى الأقوى

(٢) قلنا « هند » لأنها علم مؤنث ؛ : يجوز تنوينه ، وعدم تنوينه . أما أكثر الأعلام المؤنثة الأخرى فلا تنون مطلقاً ؛ لأنها ممنوعة من الصرف ؛ للعلمية والتأنيث .

(٣) راجع حاشيتى الصبان والحضرى آخر — باب : النداء — حيث الكلام على كثير مما يختص بهذا الموضع السادس .

المسألة ٤ :

الفعل ، وأقسامه ، وعلامة كل قسم

(١) فهم الطالب . سافر الرحالة . رجع الغائب .
كل كلمة من الكلمات : « فَهِمَ » « سَافَرَ » « رَجَعَ » ، ... تدل
بنفسها مباشرة (من غير حاجة إلى كلمة أخرى) . . . على أمرين .
أولهما : معنَى ندرته بالعقل ؛ (وهو : الفهم ، أو : السفر ، أو الرجوع ...)
ويسمى : « الحَدَّث » .

وثانيهما : زمن حصل فيه ذلك المعنى (أى : ذلك الحدث) وانتهى قبل
النطق بتلك الكلمة ؛ فهو زمن قد فات ، وانقضى قبل الكلام ^(١) .

(ب) وإذا غَيَّرْنَا صيغة تلك الكلمات فقلنا : « يَفْهَم » ، « يُسَافِر » .
« يرجع » . . . دلت الكلمة فى صيغتها الجديدة على الأمرين أيضاً ؛ المعنى
(أى : الحدث) والزمن . ولكن الزمن هنا لم يكن قد فات وانقضى ؛ وإنما هو
زمن صالح للحال ^(١) ، والاستقبال .

(ح) وإذا غَيَّرْنَا الصيغة مرة أخرى فقلنا : « افْهَمَ » ، « سَافَرَ » ،
« ارجع » . . . دلت كل واحدة على الأمرين ؛ المعنى (الحدث) وهو : طلب
الفهم ، أو : طلب السفر ، أو : طلب الرجوع . والزمن الذى يتحقق فيه الطلب .
والزمن هنا مقصور على المستقبل وحده ؛ لأن الشيء الذى يطلبه إنسان من آخر
لا يحصل ولا يقع إلا بعد الطلب وانتهاء الكلام ؛ أى : لا يقع إلا فى المستقبل . . .
فكل واحدة من تلك الكلمات وأشباهاها تسمى : « فعلا » . فالفعل :

كلمة تدل على أمرين معاً ؛ هما : معنى (أى : حدث) وزمن يقترن به ^(٢)

(١ و ١) الحال ، هو : الزمن الذى يحصل فيه الكلام ، والاستقبال هو : الزمن الذى يبدأ بعد انتهاء
الكلام مباشرة . والماضى هو : الزمن الذى قبل الكلام .

(٢) دلالة على الأمرين هو الأعم الأغلب ؛ لأن الفعل فى التعريفات العلمية لا يدل على زمان ؛
وإنما هو منسلف عنه ، مجرد منه - كما نص الخضرى على هذا (ج ١ باب : « المغرب والمبنى ») ، عند كلامه
على المضى (- ويرى فريق من النحاة أن « كان الناسخة لا تدل على معنى « حدث » وإنما تقتصر دلالتها
على إفادة المضى وحده ، مخالفة لأخواتها وأكثر الأفعال الأخرى . ويخالفهم فريق آخر يرى أنها تدل على الأمرين : -

وأقسامه ثلاثة^(١) : ماض ، وهو : كلمة تدل على مجموع أمرين ؛ معنى ، وزمن فات قبل النطق بها . ومن أمثلته قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ؛ وَقَمَرًا مُنِيرًا) .

ومضارع ، وهو : « كلمة تدل على أمرين معاً : معنى ، وزمن صالح للحال والاستقبال » كقوله تعالى : (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) ، ولا بد أن يكون المضارع مبدوءاً بالهمزة ، أو النون ، أو التاء ، أو الياء^(٢) . . . وتسمى هذه الأحرف : « أحرف المضارعة » . وفتحها واجب ، إلا في المضارع الرباعي فتضم حتماً ، وكذا في : المضارع المبني للمجهول . أما المضارع :

= « المعنى والزمن » . وقد أشرنا إلى هذا الموضوع في رقم ٣ من هامش ص ٥٤٥ - أول باب « كان » وأخواتها ، - وأوضحنا أن الرأي الثاني هو السديد ؛ لأدلة كثيرة جاوزت العشرة ساقها أنصاره . وهناك بعض أفعال ماضية قيل إنها - ومن القائلين صاحب الجمع ، ج ١ ص ٩ - سلبت الدلالة على الزمان الماضي بسبب استعمالها للحال في الإنشاء ، وقال المحققون : لا تدل على زمن مطلقاً ؛ وإنما تدل على المعنى المجرد المخصصة له ؛ مثل أفعال العقود (كعبت واشترت) ومثل : « فعلی التمتع » في أكثر أحوالها بشرط ألا تتوسط « كان » الزائدة بين « ما التعمية » والفعل الماضي « أفعل » الذي دخلت عليه ، وبشرط ألا يوجد لفظ أو قرينة تدل على التقييد بزمن معين - (كما يجيء في رقم ٥ من هامش ص ٥١ وكما يجيء في بابهما ج ٣ هامش ص ٣٢٨ - ومثل : « نعم » ، المستعملة في إنشاء المدح ، و« بش » المستعملة في إنشاء الذم ، وسيجىء الإيضاح في بابهما بالجزء الثالث (راجع حاشية التصريح ج ١ باب « إن » ، عند الكلام على : « لام الابتداء » ، وتاج العروس عند الكلام على مادة كل من الفعلين ، والجمع) . والمراد من الرأيين السابقين - والتوفيق بينهما يسير - مدون أول حاشية ياسين ج ١ - في فصل بناء الفعل .

(١) وسيجىء (في « د » من ص ٥١) وما بعدها بيان الأزمنة المختلفة التي يدل عليها الفعل الماضي ، ثم المضارع ، ثم الأمر ، مع ملاحظة أن لكل نوع من الأفعال زمناً خاصاً يشتهر به ، ويغلب عليه . لكنه قد يتركه إلى زمن آخر - كما سنعرف - هذا ؛ وقد يكون الفعل زائداً محضاً ، مثل « كان » وبعض أخواتها ؛ (طبقاً للبيان الآتي في ص ٥٧٧) ولا يصح اعتبار اللفظ (سواء أكان فعلاً أم غير فعل) زائداً إذا أمكن اعتباره أصلياً ؛ لأن اعتبار الأصالة مقدم على اعتبار الزيادة - كما سيجىء في ص ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٨١ .

وما تجب ملاحظته أيضاً : أن الفعل والحملة بنوعيهما الاسمية ، والفعلية ، في حكم النكرة ، (طبقاً للبيان الوارد في رقم ١ من هامش ص ٢١٣ ، وله إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٢٠٩) .

(٢) يجب أن يكون المضارع مبدوءاً بالهمزة للدلالة على التكلم ، وأن المتكلم فرد واحد ؛ نحو : إني أخفي ما أقوله وما أقرؤه . ويجب أن يكون مبدوءاً بالنون للدلالة على التكلم ، وأن المتكلم فرد واحد يعظم نفسه ، أو أنه فرد واحد معه غيره ؛ مثل : عند الزيارة نحسن استقبالك ، ونكرم ضيفك . ويجب أن يكون مبدوءاً بالتاء لمخاطبة المفرد المذكر والمؤنث وفعولهما ، أو للحدث عن المفردة الغائبة ، أو مشاها ، وكذلك جمعها (طبقاً للرأي الآتي في « ج » من ص ١٨١) نحو : أنت تتقن عملك ، وأنت تتقنين عملك ، وأنتما تتقنان عملكما (لخطاب المعنى المذكر والمؤنث) وأنتم تتقنون عملكم ، وأنن تتقن عملكن ، وهي تتقن عملها ، وهما تتقنان عملهما ، وهن تنظمن عملهن . ويجب أن يكون مبدوءاً بالياء للمفرد المذكر الغائب وفرو وجميع الغائبات . نحو : الشجاع يقول الحق لا يخاف شيئاً ، الشجاعان يقولان الحق ، لا يخافان شيئاً الشجاعان يقولون الحق ، لا يخافون شيئاً - الشجاعات يقلن الحق ، لا يخفن شيئاً . وإذا كان المضارع مبدوءاً بالهمزة أو النون أو التاء ففاعله ضمير مستتر وجوباً . طبقاً للبيان الآتي في ص ٢٢٨ .

« إخال » ، فالأفصح كسر همزته ، لا فتحها^(١) .

وأمر ، وهو : كلمة تدل بنفسها على أمرين مجتمعين ، هما : معنى ، وهذا المعنى مطلوب تحقيقه في زمن مستقبل : كقوله تعالى : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) ، ولا بد في فعل الأمر أن يدل بنفسه مباشرة على الطلب من غير زيادة على صيغته ؛ فمثل : « لِيُخْرِجْ » ، ليس فعل أمر ؛ بل هو فعل مضارع ، مع أنه يدل على طلب حصول شيء في المستقبل ؛ لأن الدلالة على الطلب جاءت من لام الأمر التي في أوله ، لا من صيغة الفعل نفسها^(٢) .

وقد اجتمعت الأفعال الثلاثة في قوله تعالى : (وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ . وَدَعْ أَذَاهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) ، وقول الشاعر :

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانًا
وأكل قسم من هذه الثلاثة علامات خاصة تميزه من غيره ؛ فعلمة الماضي : أن يقبل في آخره إحدى التائين ؛ « تاء التأنيـة الساكنة »^(٣) مثل : أَقْبَلْتُ سَعَادُ . وصافحت أباهـا ، أو : « التاء المتحركة » التي تكون فاعلا ؛ مثل : كَلِمَتُكَ كَلَامًا فرحت به ، (وتكون مبنية على الضم للمتكلم ، وعلى الفتح للمخاطب المذكور ، وعلى الكسر للمخاطبة) .

وليس من اللازم أن تكون إحدى التائين ظاهرة في آخر الفعل الماضي ؛ بل يكفي أن يكون صالحا لقبولها ، وإن لم تظهر فعلا ؛ مثل : أَقْبَلَ الطَّائِرُ ؛ فنزل فوق الشجرة ؛ فكلمة : « أَقْبَلَ » و « نَزَلَ » فعل ماض ، لأنه — مع خلوه من إحدى التائين — صالح لقبول واحدة منهما : فتقول : أَقْبَلْتُ . . . نَزَلْتُ . . .

فإن دلت الكلمة على ما يدل عليه الفعل الماضي ولكنها لم تقبل علامته

(١) لأن الكسر هو المسووع الكثير ، . والفتح لغة قليلة مسبوقة أيضا . والمستحسن هنا الاقتصاد على الكثير ، — كما سيجيء في ج — م ٦٠ باب « ظن » عند الكلام على : « خال » .

(٢) كما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٦٤ .

(٣) المنسوب معناها إلى الفاعل ؛ احتراز من تاء التأنيث التي لا تدل على الفاعل ولا تنسب إليه ، كالتى تتصل ببعض الحروف مثل : رُبَّتْ وَرُبَّتْ في تأنيث الحرفين « رُبَّ » الجارة « وَرُبُّ » العاطفة وغيرهما . — انظر « ١ » من ص ٥٠ —

فليست بفعل ماضٍ ، وإنما هي : « اسم فعل ماضٍ »^(١) ، مثل : هيهات انتصار الباطل ، بمعنى : بَعْدَ جَدًّا . . . ومثل : شَتَّانَ الإِنْصَافِ والبَغْيُ ؛ بمعنى : افرقا جدًّا .

أو : هي اسم مشتق بمعنى الماضي^(٢) ؛ مثل : أنت مكرم أمسٍ ضيفك .
 وبما تقدم نعلم أن كلمتي : « نِعَم » (وهي : كلمة للمدح) « وبيس » (وهي : كلمة للذم) فعلان ماضيان^(٣) ؛ لقبولهما تاء التأنيث الساكنة ؛ تقول : نِعِمْتَ شهادة الحق ، وبيست شهادة الزور ، كما نعرف أن « ليس » و « عسى » فعلان ماضيان ؛ لقبولهما التاءين .

(١) اسم الفعل : اسم يقوم مقام الفعل في المعنى ، والزمن ، والعمل . ولكنه لا يقبل علامة الفعل الذي يقوم مقامه ، ولا يتأثر بالعوامل . ولذا لا يسمى : فعلا ؛ لأن الفعل يُقْبَلُ العلامة ، وقد يتأثر بعوامل النصب والجزم ، وهناك أسماء تقوم مقام الفعل ، ولكنها تتأثر بالعوامل ؛ فلا تسمى : اسم فعل ، كالمصدر النائب عن التلغظ بفعله ، وكاسم الفاعل العامل . .

واسم الفعل ثلاثة أقسام ؛ اسم فعل ماضٍ ، واسم فعل مضارع ، واسم فعل أمر . . . ولكل منها أحكام خاصة تفسنها الباب المنعقد لذلك في الجزء الرابع . ولها هنا إشارة في رقم ٦ من ص ٧٨ .

(٢) كاسم الفاعل بمعنى الماضي - واسم الفاعل باب مستقل في ج ٣ - .

(٣) بحسب الأصل والمظهر ثم خرجا من المضى إلى إنشاء المدح والذم من غير دلالة على زمن - في رأى المحققين ، كما سبق في هامش ص ٤٧ - .

زيادة وتفصيل :

(١) تاء التأنيث قد تلحق الفعل للدلالة على أن فاعله مؤنث. فإن كانت ساكنة لحقت بآخر الماضي، ^(١)؛ كقولهم: (إذا ضحكك سنّ اليتيم انهارت نعمة الله على أوليائه). وإن كانت متحركة اتصلت بأول المضارع، مثل: همدتُصلي وتشكر ربها. أما تاء التأنيث التي تلحق الأسماء فتكون أخيرة، ومتحركة ^(٢)؛ مثل: (الكلمة الطبية كالشجرة الطبية، عظيمة النفع). وقد اتصل التاء بآخر بعض الحروف مثل، (رُبّ، وثُم، ولا، ولعل...) تقول: رُبّت ^(٣) كلمة فتحت باب شقاق، ثُمّتَ جلبيت لصاحبها بلاء؛ فيندم ولات ^(٤) حين ندم.

(ب) هناك أفعال ماضية لا تقبل إحدى التاءين بحسب استعمالاتها الحالية، لا بحسب حالتها التي قبل هذا؛ مثل: «أفعل» للتعجب، و«حبذا» ^(٥) للمدح. ومثل: (عدا، وخلا، وحاشا)، من أفعال الاستثناء. والسبب أن تلك الأفعال حين استعمالها في الموضوعات المذكورة تصير أفعالا جامدة، تلازم حالة واحدة لا تتغير؛ (كالأمثال العربية التي تلازم حالة واحدة، لا يطرأ على حروفها تغيير بالزيادة، أو النقص، أو تغيير الضبط)، لهذا لا يمكن زيادة التاء في آخرها

(١) من الاستعمالات الصحيحة ما يأتي :

الطالبات سارعن في الخير - الطالبات سارعت في الخير. فأى الاستعمالين - مع معهما - أفصح ؟
للجواب تلخيص في رقم ١ من هامش ص ٢١٩ وكذا في رقم ٣ من ص ٢٦٣ .

(٢) بمض النحاة يقتصر على تسميتها : « تاء التأنيث المتحركة المتأخرة ». وبمضهم يسميها « هاء التأنيث ». وعلى كل من التسميتين اعتراض. قال العيبان - ج ١ باب : « المغرب والمبني » عند الكلام على الملحق بجمع المذكر السالم - ما نصه : (قال في التصريح : الفرق بين تاء التأنيث وهائه أن تاء التأنيث لا تبدل في الوقف هاء، وتكتب مجرورة - أى : متسعة، مفتوحة - وهاء التأنيث يوقف عليها بالهاء وتكتب مربوطة .) « ١ »

لكن يلاحظ في كل ما سبق خلو الكلام من النص على أن تاء التأنيث المتحركة التي تلحق آخر الأسماء هي تاء زائدة زيادة محضة للدلالة على التأنيث اللفظي، فإذا وجدت في آخر العلم امتنع صرفه للعلمانية والتأنيث اللفظي معا. بخلاف التاء في مثل: «أخت و بنت» فإنها مبدلة من أصل - هو الواو - فلا يمتنع العلم معها من الصرف للعلمية والتأنيث اللفظي، لأنها ليست زائدة. والشرط التحم أن تكون زائدة محضة (لا أصلية، ولا مبدلة من أصل) وسيجيء لهذا بيان مفيد في الموضع المناسب - ص ١٤٧ - باب :

« مالا منصرف » عند الكلام. على منع الاسم من الصرف للعلمية والتأنيث - .

(٣) اللغة الشائعة تحرك تاء التأنيث بالفتحة عند اتصالها بآخر «رب» و«ثم»، ويجوز التسكين عند اتصالها بهما، أما عند اتصالها بالحرفين: «لات» و«لعل» فلا يجوز فيها إلا الفتح.

(٤) الفعل الماضي هو: «حب» فقط. أما الكلمة: «ذا» فهي فاعله.

ما دامت تؤدي هذه المعاني ، ولكنها بحسب أصلها السابق على هذا تقبل التاء .

(ح) يقول النحاة ؛ إن تاء التأنيث الساكنة تظل ساكنة إذا وليها متحرك ، مثل : حضرت زينب . فإن جاء بعدها ساكن كسرت - غالباً - مراعاة للأصل في التخلص من التقاء الساكنين ؛ مثل : (كتبت البنت المتعلمة .) إلا إذا كان الساكن « ألف اثنتين » فتفتح . مثل : البنات كانتا في الحديقة .

هذا ، وقد عرفنا^(١) - حكم التنوين إذا جاء بعده حرف ساكن . وبقى حكم عام ؛ هو أن كل حرف ساكن صحيح في آخر الكلمة فإنه يحرك بالكسر إذا جاء بعده - مباشرة - ساكن آخر ؛ نحو : (خذ العفو ، ولا تغظم الناس .) إلا في موضعين . أحدهما : أن تكون الكلمة الأولى هي : « من » والثانية : « أل » فإن الساكن الأول يحرك بالفتح ؛ مثل : أنفق من المال الحلال .

والآخر : أن تكون الكلمة الأولى منتهية بميم الجمع ؛ فإنه يحرك بالضم ؛ مثل : لكم الخير . فإن كان آخر الكلمة الأولى حرف مد^(٢) ، أو واو جماعة ، أو ياء مخاطبة . حذف نطقاً ، لا كتابة ؛ للتخلص من التقاء الساكنين^(٣) ؛ مثل : نحن عرفنا العلوم النافعة - الطلاب سألوا المولى أن يوقفهم - أسألى المولى الهداية .

ويجوز تلاقى الساكنين في الوقف ، وعند سرد بعض الألفاظ ، نحو : سعيد وجود - لام - جيم^(٤) ، أما في غيرهما فيجوز بشرطين : أحدهما : أن يكون الساكن حرف مد^(٥) ، يليه حرف مدغم في نظيره ، (مشدد) . والآخر : أن يكونا في كلمة واحدة . مثل عامة ، خاصة ، الضالين ، الصادق عن الخير . وهذا متفق عليه . ويرى آخرون أن مثله ما هو في حكم الكلمة الواحدة . على الوجه المشروح في مكانه . المناسب^(٦) - وللمسألة بقية هامة في « ح » من ص ٩٨ و ١٧٩ و ٢٨٤ .

(د) تقدم^(٧) أن كل فعل لا بد أن يدل - في الغالب - على شيئين ؛ معنى « أى : حدث » وزمن . فالماضي له أربع حالات من ناحية الزمن^(٨) ، تتعين

(١) في ص ٤٣ . (٢) أى : حرف علة ، قبله حركة تناسب . (٣) يجمي بمناسبة آخره مع توضيحه في ص ٩٥ و ٩٦ هامشهما . وفي ج - باب نون التوكيد - عند الكلام على ما تختص به هذه النون (م ١٤٣ ص ١٧٢) . (٤) في ص ٤٦ .

(٥) وقد عرفنا بياناً هاماً - في رقم ٢ من هامش ص ٤٦ - مؤداه : أن بعض الأفعال الماضية لا يدل - عند المحققين - على زمن ؛ مثل : « نعم وبش » وأخواتها عند قصد المدح والذم . ومثل : « أفعل » في التعجب إذا لم تختص « كان » الزائدة بينه وبين « ما » التعجبية ، نحو : ما أنفع نهر النيل . فالفعل « أنفع » متجرد لإنشاء التعجب بغير دلالة على المضي إلا أن جاءت قبله « كان » الزائدة ، نحو : ما كان أنفع النيل - كما سيجيء في مبحث زيادة « كان » م ٤٤ - ٥٧٩ - وليس الأمر مقصوراً على « كان » الزائدة ، وإنما يشمل كل لفظ ، وكل قرينة تدل على التقييد بزمن .

.....

كل واحدة منها عند عدم قرينة تعارضها .

الأولى : (وهى الأصل الغالب) أن يتعين معناه فى زمن فات وانقضى - أى : قبل الكلام - سواء أكان انقضاؤه قريباً من وقت الكلام أم بعيداً . وهذا هو الماضى لفظاً ومعنى . ولكن إذا سبقت : « قد »^(١) - وهى لا تسبقه فى الأغلب إلا فى الكلام المثلث - دلت على أن انقضاء زمنه قريب من الحال ؛ فمثل :

(١) « قد » الحرفية بجميع أنواعها المعنوية إذا دخلت على فعل لم يصح أن يتقدم عليها شئ من معمولاته - (راجع الحضرى ج ١ ص ١١٢ باب « كان » ، عند بيت ابن مالك :

« وغير ماضٍ مثله قد عَمِلَا » . .)

وستجىء له إشارة فى رقم ١ من هامش ص ٥٦٦ .

وهذه المناسبة نقول جاء فى : « المعنى والقاموس » ممّا ما نصه المشترك بينهما : (« قد » الحرفية مختصة بالفعل المتصرف ، الخبرى ، المثبت ، المحمّد من ناصب ، وجازم ، وحرف تنفيس ، وهى مع الفعل كالجزم ؛ فلا تفصل منه بفواصل ، اللهم إلا بالقسم ، . . .) « ٥١ » .

وتبعهما أحد أعضاء المجمع اللغوى القاهرى مسجلاً بحثه فى مجلة المجمع (الجزء الأول ص ١٣٨) . ولكن رأيهما فى اشتراط الإثبات مرفوض ومدفوع فى المضارع المنى بالحرف « ٧ » - بالسماع المتعدد الصحيح الوارد نثراً ونظماً عن الفضحاء الذين يستشهد بكلامهم ، ومن هذا : المثل العربى الوارد فى كتاب (لسان العرب) فى مادة « ذام » ونصه : « وقد لا تعدم الحسنة ذاماً » . وكذلك المثل الجاهلى الذى نصه : « وقد لا يقادى الجمل » يقوله من أضعفته الشيخوخة ، أو غيرها . (وهذا المثل وارد فى كتاب : « الأمثال » لأبى هلال العسكري المطبوع على هامش كتاب : « الأمثال » للميدانى ج ٢ ص ١١٧) ، هذا إلى ورودها قبل المضارع المنى فى أنماط أخرى من كلام الجاهليين وغيرهم بمن يحنّج بكلامهم ، ولا يستساغ دفعها إلا إذا لحقنا لتأويل الواهى الذى لا يثبت على التحصيل . ومن الأمثلة ورودها فى شعر الأعشى ميمون - وهو جاهلى ، أدرك ظهور الإسلام - فى بيت له من قصيدته : التاسعة والعشرين بالصفحة (١٩٥) من ديوانه ، ونص البيت :

وقد قالت قَتِيلَةٌ إذ رَأَتْنِي وقد لا تعدم الحسنة ذاماً

وفى بيت آخر لقيس الجعفى - وهو جاهلى - نقله الأمدى فى كتابه المؤلف (ص ١٢٣) ونصه :

وكنْتُ مسوداً فِينَا حَيْدَا وقد لا تعدم الحسنة ذاماً

وكذلك فى بيت للنمر بن تولب - وهو مخضرم - ونصه كما رواه السيوطى فى كتابه : شواهد المعنى (ص ٦٦)

وأحب حبيك حبّاً رُوِيْدَا فقد لا يمولك أن تصرماً

وهذه الرواية توافق رواية منتهى الطلب فى المخطوطة الأصلية المحفوظة بدار الكتب ورفقها بين المخطوطات الأدبية : (١٢٦٣١) . . . إلى غير هذا من الأمثلة التى تقطع بصحة الاستعمال السالف فى غير ضعف ولا شذوذ ، ولاتأويل . فلم يكن غريباً أن يستعملها ابن مالك فى ألفيته فى آخر باب : « المنوع من الصرف » حيث يقول :

ولا اضطرار أو تناسب صرفٌ ذوالنوع . والمصرف قد لا ينصرف

- وسيشار لهذا فى الجزء الرابع ، باب المنوع من الصرف ، م ١٤٧ ص ٢٥٩ - ، وأن يستعملها فى كلامه بعض اللغوين القدامى ، ومنهم صاحب : « المصباح » فى آخر كتابه ، حيث قال مانصه فى ص ٩٤٥ - فصل الثلاثى اللازم . (حقيقة التمعية أنلك تصير المفعول الذى كان فاعلاً قابلاً لأن يفعل . وقد يفعل وقد لا يفعل . . .) « ٥١ » .

والحرف « قد » أحكام متعددة سردها صاحب : « المعنى » .

« خرج الصاحبان » يحتمل الماضي القريب والبعيد ، بخلاف : « قد خرج الصاحبان » ؛ فإن ذلك الاحتمال يمتنع ، ويصير زمن الماضي قريباً من الحال ؛ بسبب وجود : « قد » .

وإذا وجدت قبله « ما » النافية كان معناه منفيّاً ، وكان زمنه قريباً من الحال ؛ كأن يقول قائل : قد سافر على ، فتجيب : ما سافر على ؛ فكلمة « قد » أفادته في الجملة الأولى المثبتة قريباً من الزمن الحالى ، وجاءت كلمة : « ما » النافية فنفت المعنى ، وأفادته القرب من الزمن الحالى أيضاً ، ولا سيما مع القرينة الحالية السابقة^(١) . وكذلك يكون زمنه ماضياً قريباً من الحال إذا كان فعلاً ماضياً من أفعال « المقاربة » ؛ (مثل : « كاد ») فإن زمنه ماض قريب من الحال ؛ بل شديد القرب من الحال ، ليساير المعنى المراد — كما سيبنىء في باب أفعال المقاربة^(٢) .

الثانية : أن يتعين معناه في زمن الحال (أى : وقت الكلام) . وذلك إذا قصد بالفعل الماضى الإنشاء ؛ فيكون ماضى اللفظ دون المعنى ؛ مثل : بعث . واشترت . ووهبت ، وغيرها من ألفاظ العقود التى يُرَاد بكل لفظ منها لإحداث معنى في الحال ، يقارنه في الوجود الزمنى ، ويحصل معه في وقت واحد^(٣) . أو كان من الأفعال الدالة على « الشروع » ، مثل : « طمّق وشَرَعَ » وغيرهما مما سيبنىء الكلام عليه في باب : « أفعال المقاربة »^(٢) .

الثالثة : أن يتعين معناه في زمن مستقبل (أى : بعد الكلام) ؛ فيكون ماضى

(١) جاء في شرح المفصل (ج ٨ ص ١٠٧) ما ملخصه عن كلمة : « ما » النافية : إنها لنفى الحال ، فإذا قيل عن شخص : هو يفعل الآن كذا — وزمان المضارع هنا : الحال — وأردت أن تنفيه ، قلت : ما يفعل . فقد سلبت معنى الفعل في الزمن الحالى ونفيته . فإن كان الفعل ماضياً قريباً من الحال بسبب وجود : « قد » قبله — وهى ما يقرب زمنه للحال ، كما عرفنا — ، وأردنا نفيه ، أتينا بكلمة : « ما » النافية ، نحو : ما سافر محمد . لأنها تقرب زمن الماضى المنفى ، من الزمن الحالى . . . ثم قال :

(ما محمد منطلق) هو نفي جملة مثبتة هي : (محمد منطلق) إذا أريد بها الحال ، وإن شئت أعلت على لغة أهل الحجاز ؛ فقلت : ما محمد منطلقاً .

— وستبنىء إشارة لهذا في م ٤٨ ص ٥٩١

(٢) ص ٦١٢ .

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ٤٦ حيث قلنا : « هناك أفعال ماضية تستعمل للإنشاء ؛ فزمنها للحال . لكن يرى المحققون أنها مجردة من الدلالة الزمنية . كما قلنا : إن المراد من الرايين والتوفيق بينهما مدون في صدر حاشية ياسين — ج ١ — في فصل : بناء الفعل .

.....

 اللفظ دون المعنى - كالذى سبق - وذلك إن اقتضى طلباً ؛ نحو : ساعدك الله ،
 ورفعك مكاناً عليّاً ، وأمثال هذا من عبارات الدعاء فإنه لا يتحقق إلا في المستقبل
 وما يفيد الطلب : عزمت عليك إلا سافرت ، أو : عزمت عليك لمّا^(١)
 سافرت ؛ بمعنى : أقسمت عليك ترك كل شيء إلا السفر في المستقبل .
 أو تضمن وعداً ؛ مثل : « إنا أعطيناك الكوثر » . فالإعطاء سيكون في
 المستقبل ؛ لأن الكوثر في الجنة ، ولم يجئ وقت دخولها .
 أو عطف على ما علم استقباله ، مثل قوله تعالى : « يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ » ، وقوله تعالى : « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ؛ ففزع
 من في السموات . . . »

أو تضمن رجاء يقع في المستقبل ، مثل : « عسى وأخواتها » من أفعال
 الرجاء الآتية في باب : « أفعال المقاربة » ، نحو : « عسى الله أن يأتي
 بالفتح . . . » .
 أو يكون قبله نفي بكلمة : « لا » المسبوقه بقسم ، مثل : والله لا زرتُ الخائن ،
 ولا أكرمتُ الأثيم .

أو يكون قبله نفي بكلمة « إن » المسبوقه بقسم ، مثل قوله تعالى : « إن الله
 يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَلَئِنَّ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ
 بَعْدِهِ » . « أى : ما يُمْسِكُهُمَا^(٢) » . . .

أو يكون فعل شرط جازم ، أو جوابه ؛ مثل : إن غاب عليّ غاب محمود ،
 لأن جميع أدوات الشرط الجازمة تجعل زمن الماضى الواقع فعل شرط أو جواب شرط ،
 مستقبلاً خالصاً . . .

فالفعل الماضى في كل الصُّوَر السالفة ماضى اللفظ دون المعنى .
 الرابعة : أن يصلح معناه لزمن يحتمل الماضى والاستقبال ، بشرط ألا توجد
 قرينة تخصّصه بأحدهما ، وتُعَيِّنُه له ؛ وذلك إذا وقع بعد همزة التسوية ؛
 نحو : سواء على أقمت أم قعدت . فهو يحتمل أنك تريد ما وقع فعلاً
 من قيام أو قعود في زمن فات ، أو ما سيقع في المستقبل .

(١) بمعنى : إلا .

(٢) « إن » الأولى ، شرطية ، والثانية « نافية » داخلة على جواب القسم الذى تدل عليه اللام
 الداخلة على « إن » الأولى الشرطية . أما جواب الشرط فمحذوف وجوباً ؛ عملاً بقاعدة حذفه عند اجتماع
 القسم والشرط المتأخر عنه ؛ إذ يكون الجواب - غالباً - للمتقدم منهما . أما المتأخر فجوابه محذوف يدل
 عليه المذكور .

ولا فرق في التسوية بين أن توجد معها « أم » التي للمعادلة ، كما مُثِّل ، أو لا توجد ؛ مثل : سواءٌ على أي وقت جئتنى . فإن كان الفعل الذى بعد « أم » المعادلة مضارعاً مقروناً « بَلَسَ » تعين الزمن للمضى بسببها ؛ مثل : سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم ؛ لأن الثانى ماضٍ معنى ؛ فوجب أن يكون الأول ماضى الزمن كذلك ؛ لأنه معادل له .

أو وقع بعد أداة تحضيض ؛ مثل : هَلَّا ساعدت المحتاج . فإن أردت التوبيخ كان للمضى ، وإن أردت الحث على المساعدة كان للمستقبل .
أو بعد : « كُلَّمَا » ، نحو قوله تعالى : « كُلَّمَا جَاء أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ » فهذا للمضى ؛ لوجود قرينة تدل على ذلك ، وهى الأخبار القاطعة بأنه حصل . وقوله تعالى عن أهل النار : « كَانُوا يَنْصَبُونَ جَاوِدُهمُ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ؛ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ » . فهذا للمستقبل ؛ لقرينة تدل على ذلك ؛ وهى أن يوم القيامة لم يَجْئ . أو بعد حيث ؛ نحو : أدخل الحرم من حيث دخل بانيه . فهذا للمضى ؛ لأن الاستقبال يناقض صحة المعنى ؛ إذ لا يعقل أن يدخل بانيه فى المستقبل وقد مات منذ آلاف السنين . . . بخلاف : حيث سرت راقب الطريق لتأمين الخطر ؛ فهو للمستقبل .

أو وقع صلة ؛ مثل : (الذى أسس مدينة « القاهرة » هو : المعز لدين الله الفاطمى) ؛ فهذا للمضى ، بدلالة التاريخ . بخلاف : (إن فرح الطلاب كبير عقب ظهور النتيجة غداً بنجاحهم ، إلا الذى رَسَب) . فهذا للاستقبال لوجود كلمة : « غدا » . أو وقع صفة لنكرة عامة ^(١) ، نحو : رُبَّ عطاء بذلته للمحتاج فأنشروا نفسى . فهذا للمضى . - لوجود : رُبَّ ^(٢) - بخلاف قواه عليه السلام : « نَصَرَ الله امرأً سَمِعَ مقالتي فوعاها ، فأدّاها كما سمعها » . فهذا للاستقبال ؛ أى : يسمع ؛ لأنه ترغيب لمن أدرك الرسول فى أن يحفظ ما يسمعه منه ويؤديه . . .

« ملاحظة » : قد يراد من الزمن فى الفعل : « كان » الدوام والاستمرار الذى يعم الأزمنة الثلاثة ، بشرط وجود قرينة تدل على هذا الشمول ؛ نحو : كان الله غفوراً رحيماً ^(٣) . . .

هذا تفصيل حالات الزمن فى الفعل الماضى .

* * *

(١) أى : محضة لم تخصص بأحد القيود .

(٢) لأن الأغلب دخولاً على الماضى (انظر رقم ٦١) .

(٣) سيجى إشارة لهذا فى باب « كان » - ص ٥٤٧ -

وأما علامات المضارع فنها : أن يُنصَب بناصب ، أو يحزم بحازم ، مثل :
لم أقصّر في أداء الواجب . . . ولن أتأخر عن معاونة البائس .

ومنها : قبوله « السين » ، أو : « سوف »^(١) في أوله ، مثل : سأزورك ،
أو : سوف أزورك ، ومثل قول الشاعر :
سيكثر المالُ يوماً بعد قلتهِ ويكتسب العودُ بعد اليبس بالورقِ
... (٢)

فإن دلت الكلمة على ما يدل عليه الفعل المضارع ولكنها لم تقبل علامته
فليست بفعل مضارع ؛ وإنما هي : « اسم فعل »^(٣) مضارع ؛ مثل : « آه » ،
بمعنى : أتوجع شدة الوجع ، « وأف » بمعنى : أتضجر كثيراً . و « وَيْلَكَ » ماذا
تفعل ؟ . بمعنى : أعجب لك كثيراً !! ماذا تفعل ؟ . أو : هي اسم مشتق بمعنى
المضارع^(٤) ؛ مثل : الطائرة مسافرة الآن أو غداً

...

(١) من علامات المضارع المثبت قبوله « السين » أو « سوف » وإذا اتصلت به إحداها خلصته
للزمن المستقبل فقط . ويمتنع أن يسبقهما نون . وبينهما فروق سردناها في الحالة الثالثة الآتية للمضارع
(في ص ٦٠ من الزيادة والتفصيل) .

(٢) ومنها علامتان مشتركتان بينه وبين الفعل الأمر ؛ هما : ياء المخاطبة ونون التوكيد - وسيجيء ذكرهما
في ص ٦٤ - .

(٣) لاسم الفعل تعريف عام موجز في رقم ١ من هامش ص ٤٩ وفي رقم ٦ من ص ٧٨ .

(٤) كاسم الفاعل الذي بمعنى الحال والاستقبال - وله باب خاص في ج ٣ - .

زيادة وتفصيل :

(١) للمضارع من ناحية الزمن أربع حالات ؛ لا تتعين حالة منها إلا بشرط ألا تعارضها قرينة تعينها لحالة أخرى .

الأولى : أن يصلح للحال والاستقبال إذا لم توجد قرينة تقيد به بأحدهما ، وتقتصره عليه . زحين يصلح للحال والاستقبال يكون اعتباره للحال أرجح ؛ لأن الزمن الماضي له صيغة فعلية خاصة تدل عليه ، وللمستقبل صيغة فعلية خاصة أيضاً ، (هي : فعل الأمر) ، وليس للحال صيغة فعلية تخصه ، فجعلت دلالة المضارع على الحال أرجح ، عند تجرده من القرائن ؛ جبراً لما فات الزمن الحالى من الاختصاص بصيغة مقصورة عليه (كما يقولون . . .) . هذا إلى أن اللفظ إن كان صالحاً للزمن الأقرب والزمن الأبعد فالأقرب أولى ، والحال أقرب من المستقبل ؛ فهو أحق بالاتجاه إليه .

فإن كان المضارع من أفعال المقاربة ، مثل : « يكاد » فإنه يكون للزمن المستقبل ، مع شدة قربه من الحال . . . (١)

الثانية : أن يتعين زمنه للحال ، وذلك إذ اقترن بكامة تفيد ذلك ؛ مثل : كلمة : الآن ، أو : الساعة ، أو : حالا ، أو : آنفاً (٢) .

أو : وقع خبراً لفعل من أفعال الشروع ؛ مثل : « طفق » ، و « شرع » وأخواتهما (٣) ؛ ليساير زمنه معناها .

أو : نفي بالفعل : « ليس » (٤) أو بما يشبهها في المعنى والعمل ؛ مثل الحرف «إن» أو : «ما» (٥) ، أو : «لا» (٦) فكل واحد من هذه العوامل التي تعمل عملها يشبهها أيضاً في نفي الزمن الحالى عند الإطلاق (٧) . . . مثل : ليس يقوم محمد (٨) - ، إن يخرج حلیم - ما يقوم على -

(١) سيجىء البيان في باب « أفعال المقاربة » . ص ٦١٢ .

(٢) « آنفاً » كلمة عدا النحاة من الألفاظ التي تجعل المضارع للحال ، باعتبار أنها تدل - كما في

القاموس - على أقرب زمن سابق يتصل بالحال ، فكأنها للحال نفسه .

(٣) ستجىء هذه الأفعال في باب أفعال المقارنة - ص ٦١٢ - .

(٤) (راجع تفصيل الكلام عليها في النواسخ ، أخوات كان) - ٥٥٧ - .

(٥) راجع رقم ١ من هامش ص ٥٣ حيث الإيضاح للحرف « ما » وسيجىء الكلام عليه وعلى « إن » النافية

وباقى الشبهات في ص ٥٩١ .

(٦) أما « لا » المهملة فيجىء الكلام عليها في ص ٥٩١

(٧) أى : عند عدم وجود قرينة تدل على أن الزمن ماضٍ أو مستقبل .

(٨) راجع ص ٢٣٠ حيث الكلام على مثل هذا الأسلوب .

.....
.....

أو دخل عليه لام ابتداء ، مثل : إن هذا الرجل الحقّ لِيَحْسُنْ عمله

أو : وقع مع مرفوعه في موضع نصب على الحال - فيكون زمنه في الغالب - حالا بالنسبة لزمن عامله ، مثل : أقبل الأخ يضحك . وإذا دخلت « ما المصدرية الظرفية » على المضارع - مثل : يسرنى ما تتكلم ، أى كلامك - كان زمن المصدر المؤول للحال - في الغالب ^(١) حين لا توجد قرينة تعارضه .

الثالثة : أن يتعين زمنه للاستقبال ؛ وذلك إذا اقترن بظرف من ظروف المستقبل ؛ مثل : « إذا » . . . سواء أكان الظرف معمولاً للمضارع ، أم كان المضارع معمولاً للظرف - بأن يكون الظرف مضافاً ، والجملة من الفعل المضارع وفاعله هى المضاف إليه فى محل جر - ؛ مثل : أزورك إذا تزورنى ؛ فالفعلان المضارعان هنا للمستقبل ، والأول منهما هو العامل الذى عمل النصب فى الظرف . « إذا » ^(٢) و « إذا » مضاف ، وجملة المضارع مع فاعله بعدها فى محل جر مضاف إليه ، فيكون المضارع الثانى مع فاعله معمولاً للظرف . وكذلك يتعين للمستقبل إذا كان مسنداً إلى شيء متوقع حصوله فى المستقبل ، مثل : يدخل الشهداء الجنة مع السابقين ؛ إذ لا يعقل أن يكون زمن المضارع للحال ، ومعناه - وهو دخول الجنة - فى المستقبل ؛ لما يترتب عليه من سبق الفعل للفاعل فى الوجود والوقوع ، وهو محال .

أو : سبقتة : « هل » ^(٣) ، نحو : هل تقاطعُ مجالس السوء ؟ .

وكذلك إذا اقتضى طلباً ؛ سواء أكان الطلب يفهم منه وحده ، أم كان بمساعدة أداة أخرى ؛ فالأول كقوله تعالى : « والوالدات يُرْضِعْنَ أولادَهُن حَولِينَ كامِلِينَ . . . » ، فالله يطلب من الوالدات إرضاع أولادهن ، وهذا

(١) سيجى بيان لهذا فى آخر باب : « الموصول » ، عند الكلام على الموصول الحرفى ، وصلته ، وسبك المصدر ، وهو بيان هام (ص ٤١١ ثم فى ص ٤١٧) .
(٢) « إذا » هنا ظرفية محضة ولا تدل على الشرط ، لأن الظرفية الشرطية لها الصدارة فى جملتها حتماً ؛ فلا تقع حشواً .
(٣) راجع حاشيتى : « الخضرى والصبان » فى آخر باب : « ظن وأخواتها » عند الكلام على : « القول » وكذا : « المغنى » فى مبحث : « هل » .

لا يكون إلا في المستقبل ، ومثال الثاني قوله تعالى : « لَيُنْفِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ » وقوله : « ربنا لا تُؤَاخِذْنَا . . . » ، فإن طلب الإنفاق في : « لَيُنْفِقَنَّ » وطلب عدم « المؤاخذه » في : « لا تُؤَاخِذْنَا » ، مفهوم من المضارع ، بمساعدة « اللام » و « لا » الطلبيتين . وزمن المعنى في الفعلين هو المستقبل . إذ لا يمكن تحقيق ما تطلبه من غيرك وإنفاذه إلا في المستقبل .

أو : سبقتة أداة شرط وجزاء ، سواء أكانت جازمة : كالتى في قوله تعالى : « إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ . . . » ، أم غير جازمة - ومنها : « لو الشرطية ^(١) » غير الامتناعية ، و « كيف ^(٢) » ، الشرطية ، مثل : لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم لأسرع في إهلاكهم ، ومثل : كيف تصنعُ أصنعُ ، ويفهم من هذا وما قبله أن الجوازم جميعها - ما عدا : « لم » ، ولمّا » - تخلّصه للاستقبال .

أو : اقتضى وعداً أو وعيداً ، كقوله تعالى : « يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ » ، ويَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ » - لأن تحقيقهما لا يكون إلا في المستقبل ، وكالشرط الثاني من قول الشاعر يهدّد :

من يُشعلُ الحرب لا يأمنُ عواقبها قد تُحرق النار يوماً موقد النار
أو : صحب أداة توكيد ؛ مثل : « نون التوكيد » الخفيفة أو الثقيلة ؛ لأن التوكيد يليق بما لم يحصل ، ويناسب ما لم يقع ؛ نحو : أتُكذِّبُ مَنْ صديقك ؟ وهل تساعدن البائس ؟ .

أو : لام جواب القسم عند فريق من النحاة ؛ لأنها في معنى أداة التوكيد السالفة ؛ مثل : « والله لعلى عمليكَ تُحْصَسُ » . ومثلها : « لا » النافية ، غير العاملة عمل « ليس » عند ذلك الفريق ؛ مثل : لا أترك الصديق في مواقف الشدة ^(٣) .

(١) التى بمعنى « إن » الشرطية . وتشتهر باسم « لو الشرطية غير الامتناعية » . ومثلها : « لو » المصدرية التى بمعنى : « أن » المصدرية ، وتسبك مع الجملة المضارعية بعدها بمصدر ، ولكن ليس لها عملها فى نصب المضارع ؛ مثل : أود لو يسود السلم .

(٢) « وإذا » الشرطية أيضاً .

(٣) جاء فى « المعنى » و « المصنع » أن « لا » النافية ، غير العاملة عمل « ليس » - تخلّص المضارع للاستقبال إذا سبقتة . خلافاً لابن مالك ومن معه ، وهو يؤيد رأيه بإجماع النحاة على صحة نحو : « جاء محمد : لا يتكلم » مع إجماعهم أيضاً على أن الجملة الحالية لا تصدر بعلامة استقبال . ونقول : إن رأى الأنسب أنها تخلّصه للاستقبال عند عدم القرينة التى تمنع . وقد أشرنا لهذا فى رقم ٥ من هامش ص ٣١١ م ٨٤ ج ٢ باب الحال) .

أما العاملة عمل « ليس » فالكلام عليها فى ص ٥٧ حيث الحكم على أخوات « ليس » .

.....
.....

أو : أداة رجاء ؛ مثل : لعل الغائب يحضر .
أو : « حرف نصب » سواء أكان ظاهراً أم مقدراً . وقد اجتمعا في قوله تعالى : « لن تناولوا البرّ حتى تُنفقوا مما تُحبون » .
أو : « حرف تنفيس » ، وهو : « السين » و « سوف » ، وكلاهما لا يدخل إلا على المضارع المثبت ، ويفيده التنفيس ، أى : تخلص المضارع المثبت من الزمن الضيق ، وهو : « زمن الحال » ؛ — لأنه محدود — ، إلى الزمن الواسع غير المحدود ، وهو : « الاستقبال » ، وهما في هذا سواء ، ورَدّا معاً في معنى واحد ، كقوله تعالى : « كَلَّا سيعلمون ، ثم كَلَّا سيعلمون » ، وقوله تعالى : « كَلَّا سوف تعلمون ، ثم كَلَّا سوف تعلمون » . ، وقول الشاعر :
وإنّا سوف نَقْهَرُ من يُعَادِي بحدّ البيض تَلْتَهَبُ التهابا
وقول الآخر :

وما حالةٌ إلا سيصرفُ حالُها إلى حالةٍ أخرى ، وسوفَ تزولُ
إلا أن « سوف » تستعمل أحياناً أكثر من « السين » حين يكون الزمن المستقبل أوسع امتداداً ؛ فتكون دالة على : « التسوييف » ، ثم هي تختص بقبول اللام : كقوله تعالى : « وسوف يُعطيك ربك فَرَضِي » . كما تختص بجواز الفصل بينها وبين المضارع الذى تدخل عليه بفعل آخر من أفعال « الإلغاء^(١) » ؛ نحو :
وما أدرى ، وسوف — إخالُ — أدرى أقومُ آلُ حصنُ أمُ نساءُ ؟
والأمران ممتنعان في « السين » لدى جمهرة النحاة^(٢) . . .

كما أن « السين » تختص بمعنى لا تؤديه « سوف » ، فالعرب إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده وعدم التنفيس فيه (أى : عدم جعله للمستقبل البعيد) أدخلت عليه السين^(٣) ، ومنه قول الشاعر :

سأشكرُ عمرًا ما تراختُ مِنِّي أيا دى لم تُمنَنَ ، وإنْ هى جَلَّتِ
والأغلب عند استعمال أحد الحرفين ألا يتقدم عليه شيء من الجملة التى دخل عليها . ويرى بعض النحاة أن التقديم ممنوع . ولكن هذا المنع مدفوع بالسماح ؛ كقول النمر بن تولب :

فلما رأيته آمِنًا هانَ وجدُها وقالت : أبونا هكذا سوف يفعل

(١) من أخوات : « ظن » . وتفصيل الكلام عليها في بابها (ج ٢ ص ٦٠ ص ٣٧)
(٢) راجع الجزء الثانى من المجمع ص ٧٢ في الكلام عليهما .
(٣) راجع ص ٨٧ ج ٣ من رغبة الآمل ، شرح الكامل . للمرصن . والشاعر هو : عبدالله بن الزبير .

.....
.....

أى : سوف يفعل هكذا^(١) . . .

الرابعة ؛ أن ينصرف زمنه للمضى ؛ وذلك إذا سبقته « لَمْ »^(٢) ، أو : « لَمَّا » .
الجازميتين . مثل قوله تعالى عن نفسه : « لم يلد » ، « لم يولد » ، « لم يكن » له كفواً
أحد » ، وقول الشاعر :

لَمْ يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرٌ وَحَيَاةٌ مِنْ السَّيْرِ

فزمن المضارع هنا ماض . ومثل : لما يحضر ضيفنا . أما في في مثل :
إذا أنت لم تحم القديم بحادث من المجد لم ينفعك ما كان من قبل
فزمن المضارعين هنا ماض ، بسبب وقوعهما بعد « لَمْ » قبل مجيء « إذا »
الشرطية ، ثم صار مستقبلاً محضاً بعد مجيئها - طبقاً لما سلك^(٣) - .
أو : « إذ » ؛ نحو : أطربني كلامك ؛ إذ تقول للغي : تصدق ، بمعنى :
قلت .

أو : « ربما »^(٤) ، نحو : (فاتني القطار فتأملت ؛ فأدركني صديق بسيارته ،
فوصلنا قبل القطار ، فالحمد لله ؛ ربما أكره هذا الأمر وفيه خيرى ونفعى) ، أى :
ربما كرهت .

أو : « قد » التي تفيد التقليل بقرينة ؛ كأن تقول لمن حملك على السفر
كرهاً : قد أسافر مكرهاً ؛ فإذا عليك لو كنت تركتني بعيداً عن المشقة التي
صادفتها ؟ بخلاف « قد » التي للتكثير .

أو : وقع المضارع مع مرفوعه خبراً في باب « كان » وأخواتها الناسخة ، إذا
وقع الناسخ في هذا الباب بصيغة الماضي ، ولم توجد قرينة تصرف زمنه عن المضى
إلى زمن آخر^(٥) ؛ مثل : كان سائق السيارة يترقب بركابها حتى وصلوا . . . أى :

(١) راجع حاشية ياسين على « التصريح » ج ١ - ص ١٦٠ باب المبتدأ والخبر ، عند الكلام
على الخبر .

(٢) يشترط في « لم » ، التي تصرف زمنه للماضي ألا تكون مسبقة بإحدى الأدوات الشرطية التي
تخلصه للمستقبل المحض ، مثل « إن » الشرطية أو إحدى أخواتها . فإن وجدت هذه الأداة صرفته للمستقبل
المحض ، بالرغم من وجود « لم » - كما سيبيء في ج ٤ باب الجوازم رقم ١ ص ٣١٥ -

(٣) في ص ٦٢ .

(٤) لأن الأغلب دخول « رب » على الماضي . وإنما يكون زمن المضارع ماضياً بشرط أن تقوم
القرينة الدالة على مضى زمنه حقيقة ، بخلاف ما لو كان مستقبلاً بمحقق الوقوع ؛ فإن هذا التحقق
ونحوه - وإن جعل معناه الذي لم يتحقق بمنزلة ما تحقق - لا يجعل زمنه ماضياً بل يبيى مستقبلاً . وسيبيء
هذا مفصلاً في موضعه (ج ٢ م ٩٠ ص ٤٨٣) حروف الخبر . (٥) كما في ص ٥٤٦ .

النحو الواقي - أول

... ..
... ..

ترَفَّقَ . ولا يدخل في هذا ما عرفناه من النواسخ التي تدل على "الحال" فقط ؛
كأفعال الشروع - مثل : طفق ، وشرع - أو التي تدل على "الاستقبال"
فقط ؛ كأفعال الرجاء . وسيجيء البيان في الباب الخاص بهما وهو : باب « أفعال
المقاربة » (١) .

* * *

ملاحظة : إذا عطف فعل مضارع (٢) على نظيره فإن الفعل المعطوف يتبع
حكم الفعل المعطوف عليه في أمور ، يتصل منها بموضوعنا : « الزمن » فيكون
المعطوف مثله ؛ إما للحال فقط ، أو للمستقبل فقط ، أو للماضي فقط ، أو صالحاً
للحال والاستقبال . . . فكل ذلك يجري في المضارع المعطوف تبعاً لنظيره
المعطوف عليه حتماً ؛ لوجوب اتحاد الفعلين المتعاطفين في الزمان (٣) . فإذا قلت :
أسمعُ الآن كلامك ؛ وأبصرُك ... كأن زمن الفعل « أبصرُ » للحال ، كزمن المعطوف
عليه ؛ وهو أسمع ؛ لوجود كلمة : « الآن » ، التي تقصيره على الحال .

وإذا قلت : إن يعتدل الجو أطربُ ، وأخرجُ للرياضة - فإن زمن الفعل :
« أخرج » للمستقبل فقط ؛ لعطفه على : « أطربُ » المقصور على المستقبل ؛
لأنه جواب شرط جازم ؛ وزمن الجواب مستقبلي ، كما عرفنا .

وإذا قلت ؛ لم تتأخرُ عن ميعادك ، وتؤلمُ صاحبك . . . فإن الفعل :
« تؤلمُ » هو للماضي فقط ، تبعاً للمعطوف عليه : « تتأخرُ » الذي جعلته « لم » للزمن
الماضي وحده .

وإذا قلت : يكتب حامد ويتحرك ،... فالفعل المضارع « يتحرك » صالح
للحال والاستقبال ، تبعاً للفعل : يكتب .

على أن ما سبق ليس مقصوداً على عطف المضارع على نظيره ، وإنما يشمل
عطف المضارع على الماضي : كقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء

(١) ص ٥٩١ .

(٢) المعطوف هنا فعل مضارع ، والمعطوف عليه كذلك . فالعطف هنا عطف فعل على فعل ، وليس
عطف جملة فعلية على جملة فعلية ؛ لأن عطف الجملة الفعلية على جملة فعلية يختلف في أحكامه اللفظية والمعنوية
عن أحكام العطف السابق ، على الوجه المشرح في الجزء الثالث : (باب العطف - ص ٦٢٠ م ١٢١) .
(٣) راجع المجمع ج ١ ص ٨ عند اللام على المضارع - وسيجيء في باب العطف ج ٣ ص

... ..
... ..

فتصبحُ الأرضُ مخضرةً»^(١) أى : فأصبحت^(٢) . . .
وقد يكون المعطوف عليه تابعاً في زمنه للمعطوف ، بسبب قرينة تدعو لذلك ،
كقول الشاعر :
ولقد أمرتُ على اللئيم يسبني فضيت ، ثمّت قلت : لا يعنيني
أى : مررت^(٣) .

* * *

(١) لا يصح أن يكون المضارع : (تصبح) معطوفاً على المضارع السابق : «تر» ، لأن
السابق مجزوم واللاحق غير مجزوم . ولأن اخضرار الأرض ليس نتيجة الرؤية ، ولكنه نتيجة شرب
الزروع الماء .

(٢) ويشمل كذلك عطف الماضي على المضارع . وقد سبقت أمثلة في ص ٥٤ .

(٣) يفهم مما سبق أن الفعل الماضي إذا عطف على المضارع ، أو العكس ، يجب أن يتحول - في الأغلب -
نوع الزمن في المعطوف إلى نوع الزمن في المعطوف عليه ، بحيث يتماثلان . مع الخوض في ذلك لما تقتضيه
القرائن ، ويستقيم به المعنى .

أما عطف فعل الأمر - وحده - على غيره والعكس ، فختلف في جوازه ، ويميل جمهرة النحاة إلى
منعه ؛ لاستحالة فصل الأمر من فاعله . وسنوضح الأمر في مكانه في العطف (ج ٣ ص ٦٢٠ م ١٢١) .

كذلك يفهم أن الفعلين المختلفين في الزمن (سواء أكانا مضارعين معاً ، أم ماضيين معاً ، أم مختلفين)
لا يجوز عطف أحدهما على الآخر ، إلا مع مراعاة أن العطف يوحد زمنهما حتماً ، ويمنع اختلافهما فيه ،
فإن لم يصح المعنى عند اتفاقهما في الزمن لم يصح عطف الفعل على الفعل ، ولم يكن الكلام من باب تماطف
الفعلين ، وإنما هو من باب آخر ؛ كمعطف جملة على جملة ، أو الاستئناف أو غير ذلك ، على حسب
ما يوافق المعنى .

وما تجب ملاحظته أن هناك فرقاً في المعنى والإعراب بين عطف الفعل على الفعل - وعطف الجملة الفعلية
على الجملة الفعلية ؛ (كما أشرنا في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة ، وكما سيجيء التفصيل في بابہ الخاص . الذي
أشرنا إليه) .

وأما علامة الأمر فهي : أن يدل بصيغته^(١) على طلب شيء ، مع قبوله ياء المخاطبة . فلا بد من الأمرين معاً ، أى : أن علامته مزدوجة ، مثل : ساعد من يحتاج للمساعدة ، وتكلم بالحق ، واحرص على إنجاز عملك . وتقول : ساعدى . . . وتكلمى . . . واحرصى . . . ومن الأمثلة قوله تعالى للرسول الكريم : (خذ العفو^(٢)) ، وأمر بالعرف^(٣) ، وأعرض^(٤) عن الجاهلين) - وتقول : خذنى . . . وأمرى . . . - وأعرضى . . .

ومن فعل الأمر كلمة : « هات » و : « تعال » لقبولهما علامته . تقول : هاتى يا شاعرة ما نظمت ، وتعالى نقرؤه .

فإن دلت الكلمة بصيغتها على ما يدل عليه فعل الأمر ولكنها لم تقبل علامته فليست بفعل أمر ؛ وإنما هى : " اسم فعل أمر^(٥) " ؛ مثل : « صه » ، بمعنى : اسكت . و « مه » بمعنى : اترك ما أنت فيه الآن ، و « نزال » بمعنى : انزل . و « حيّهل » بمعنى : أقبل علينا .

وهناك علامتان مشتركتان^(٦) بين المضارع والأمر .

الأولى : نون التوكيد خفيفة أو ثقيلة ، فى نحو : (والله لأجتهنّدن . واجتهنّدن يا صديق) . . . بتشديد النون أو تخفيفها فى كل فعل .

الثانية : ياء المخاطبة ، مثل : (أنت يا زميلتى تحسنين أداء الواجب ، ومؤاساة المحتاجين ؛ فداوى على ذلك) ؛ فقد اتصلت ياء المخاطبة بآخر المضارع ؛ وهو : « تحسنين » وآخر الأمر ؛ وهو : داوى . . .

(١) سبق (فى ص ٤٨) أن المراد بذلك هو : أن تكون دلالة ذاتية أى : مستمدة من صيغته نفسها لا من زيادة شيء عليها ؛ فالدلالة على الأمرية فى مثل : « لتخرج » مستمدة من اللام الداخلة على الفعل المضارع بعدها ، ولا يصح أن يقال فى الفعل الذى بعد تلك اللام إنه فعل أمر ، وإنما هو فعل مضارع . (٢) الميسور المقبول من كلام الناس وأفعالهم ، من غير أن تكلفهم الكمال الأعلى الذى لا يطيقونه . (٣) الأمر المحمود المستحسن شرعاً .

(٤) لاسم الفعل تعريف عام موجز فى رقم ٥١ من هامش ص ٤٩ وكذا فى رقم ٦ من ص ٧٨ وله باب مستقل فى ج ٤ .

(٥) سبقت الإشارة إليهما فى رقم ٢ من هامش ص ٥٦ .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

زمن الأمر مستقبل^(١) في أكثر حالاته ؛ لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل ، أو دوام ما هو حاصل . فثال الأول . سافر زمن الصيف إلى الشواطئ^(٢) . ومثال الثاني قوله تعالى : « يا أيها النبي اتق الله . . . » لأن النبي لا يترك التقوى مطلقاً . فإذا أمر بها كان المراد الاستمرار عليها .

وقد يكون الزمن في الأمر للماضي إذا أريد من الأمر الخبر ، كأن يصف جندي بعد الحرب موقعة شارك فيها ؛ فيقول : صرعت كثيراً من الأعداء . فتجيبه : « أُقتل ولا لوم عليك . . . وافتك بهم ؛ فإن الله معك » . . . فالأمر هنا بمعنى : قتلت وفتكت . . . والمعول عليه في ذلك هو : القرائن ، فلها الاعتبار الأول دائماً في هذه المسألة ، وغيرها .

(١) هو مستقبل باعتبار المعنى المأمور به ؛ المطلوب تحقيقه ووقوعه ابتداءً ، إن كان غير حاصل وقت النطق ، أو دوام حصوله واستمراره إن كان واقعاً وحاصلاً وقت الكلام وفي أثنائه - كما هو مبين بأعلى الصفحة - .

أما زمن فعل الأمر باعتبار الطلب الصادر من المتكلم وملاحظة وقت الكلام نفسه والزمن الصادر فيه الطلب ذاته ، فهو الحال .

(راجع الصبان ج ١ باب العرب والمبنى ، عند الكلام على إعراب المضارع) .

(٢) إذا قلت هذا قبل الصيف ، ليكون قرينة .

المسألة ٥ :

الحرف^(١)

مِنْ - إِلَى - فِي - عَلَى - لَمْ - إِنْ - إِنْ - حَتَّى - لَا - هَلْ . . .
لا تدل كلمة من الكلمات السابقة على معنى ، أى معنى ، ما دامت منفردة
بنفسها . لكن إذا وضعت في «كلام» ظهر لها معنى لم يكن من قبل . مثال ذلك :
(سافرت «من» القاهرة) . . . فهذه جملة : المراد منها : الإخبار بوقوع

(١) النحاة يسمون الحروف التي هي قسم من أقسام الكلمة : «أدوات الربط» ؛ لأن الكلمة إما أن
تدل على ذات ، وإما أن تدل على معنى مجرد (أى : حدث) ، وإما أن تربط بين الذات والمعنى المجرد منها .
فالاسم يدل على الذات ، والفعل يدل على المعنى المجرد منها ، والحرف هو الرابط . وهو يختلف اختلافاً كاملاً
عن «الحرف الهجائي» الذي تبنى منه صيغة الكلمة ؛ كالباء ، والتاء ، والهم . . . وغيرها من سائر أحرف
الهجاء ، وتسمى لهذا أحرف البناء . - وقد سبق الكلام عليها في ص ١٣ -
وحروف الربط نوعان ، نوع يسمى : «حروف المعاني» ، لأنه يفيد معنى جديداً يحل به معه ، ونوع
ليس للمعاني ، وإنما هو زائد أو مكرر ؛ وكلاهما لتوكيد معنى موجود ، مثل : «ما» الزائدة ، وكذا «الباء» ،
و«من» وغيرهما من الحروف الزائدة ، ومثل : نَعَمْ ، نَعَمْ ، أو : لا . لا . . . أو غيرهما من الحروف
المكررة لإفادة توكيد المعنى القائم . والذين يعتبرون التوكيد معنى - على الرغم من أنه ليس جديداً - يدخلون
هذا النوع في حروف المعاني . أما غيرهم فلا يدخله فيها ، وهذا هو المشهور . وأكثر الكوفيين يقتصر على
تسمية الحروف : «أدوات» .

أما تفصيل الكلام على حروف المعاني ، وأحكامها ، وما يتصل بها ، ولا سيما تعلق شبه الجملة بها .
ففي موضعه المناسب ؛ (كالذي في ج ٢ ص ٢٠٠ م ٧٨ - حيث «حروف الجر» والإيضاح الجلي الهام الذي
سجله صاحب «المفصل» لحروف المعاني ، وفي ج ٣ حيث حروف العطف ، و - حيث التواصب
والجوازم) . وإذا حروف الربط بنوعها تخالف مخالفة تامة حروف المباني في المدلول والأثر .

بق بيان المراد الدقيق الذي يقصدونه حين يقولون : هذا اللفظ - حرفاً كان أم غير حرف - «زائد» .
لقد تبينت آرائهم في تعريف الزائد . وخير ما يستخلص منها : أنه الذي يمكن الاستغناء عنه ، في الغالب ،
فلا يتأثر المعنى بمجرد لا يستغنى عنه ، فيكون معنى زيادته هو : تركه مهملاً لا يؤثر في غيره ولا يتأثر
بغيره ؛ سواء كان في أصله مهملاً مثل : «لا» النافية الزائدة ، أم كان في أصله عاملاً ، مثل : «كان»
الزائدة . وفيما يأتي بعض ما دونته المراجع خاصاً بهذا .

(١) جاء في المعنى عند الكلام على الحرف : «لا» ما نصه :

«(من أقسام «لا» النافية :- المعترضة بين الخافض والمخفوض ، نحو : جئت بلا زاد ، وغضبت
من لا شيء . وعن الكوفيين : أنها اسم ، وأن الجار دخل عليها نفسها . وأن ما بعدها خفض بالإضافة .
أما غيرهم فإنها حرفاً ، ويسمى : زائدة ، كما يسمون : «كان» في نحو : (محمد كان فاضل) =

سفرى ، وأنه يبتدئ من القاهرة . فكأنى أقول : سافرت ، وكانت نقطة البدء في السفر هي : « القاهرة » ، فكلمة : « مِن » أفادت الآن معنى جديداً ظهر على غيرها مما يليها مباشرة^(١) ، وهذا المعنى هو : « الابتداء » ، ولم يفهم ولم يُحدد إلا بوضعها في جملة ، فهذه الجملة الفضل في إظهار معنى : « مِن » .

ولو قلت : (سافرت من القاهرة « إلى » العراق) — لصار معنى هذه الجملة : الإخبار بسفرى الذى ابتدأه القاهرة ، ونهايته العراق . فكلمة : « إلى » أفادت معنى ظهر هنا على ما بعدها مباشرة ، وهذا المعنى هو : « الانتهاء » . ولم يظهر وهي منفردة ، وإنما ظهر على غيرها بعد وضعها في جملة ، كانت السبب في إظهاره ، كما كانت الجملة سبباً في إظهار معنى الابتداء المستفاد من كلمة : « مِن » والذى ظهر على ما بعدها مباشرة .

= زائدة ، وإن كانت مفيدة لمعنى ، وهو المضى والانقطاع . فعلم أنهم قد يريدون بالزائد المعترض بين شيئين متطالبين ، وإن لم يصح المعنى بإسقاطه ، كما في مسألة : « لا » في نحو : غضبت من لا شيء ، كذلك إذا كان يفوت بفواته معنى ، كما في مسألة : « كان » ، و « كذلك » « لا » المقترنة بالعطف في نحو : ما جأنى محمد ولا على ، ويسمونها : « الزائدة » وليست بزائدة ألبتة ، ألا ترى أنه إذا قيل : ما جأنى محمد وعلى . . . ؛ احتمال أن المراد نفي مجيء كل منهما على كل حال ، وأن يراد نفي اجتماعهما في وقت المجيء ؛ فإذا جئ بكلمة : « لا » صار الكلام نصاً في المعنى الأول . نعم هي في قوله تعالى (وما يستوى الأحياء ولا الأموات ..) مجرد التأكيد ، وكذا إذا قيل : لا يستوى حامد ولا محمود) اه كلام المعنى .

أى : لأن اللبس غير محتمل في المثالين الأخيرين مطلقاً . ولهذا إيضاح في ص ١١٨ ص ٥٤٩ باب : العطف ، عند الكلام على ما انفردت به واو العطف .

وجاء في شرح المفصل (ج ٧ ص ١٥٠) عند الكلام على : « كان » الزائدة ، أن معنى زيادتها هو : ” (إلغاؤها عن العمل مع إرادة معناها ، وهو الدلالة على الزمان ، وذلك نحو قولك : ما كان أحسن زيدا ، إذا أريد أن الحسن كان فيما مضى . ف « ما » مبتدأ على ما كانت عليه ، و « أحسن زيدا » الخبر — و « كان » ملغاة عن العمل ، مفيدة للزمان الماضى ، كما تقول : من كان ضرب زيدا — تريد : من ضرب زيدا — ومن كان يكلمك ، تريد : من يكلمك . فكان تدخل في هذه المواضع وإن ألغيت من الإعراب معناها باق . وهي هنا نظيرة : « ظننت » إذا ألغيت ، فإنه يظل عملها ومعنى الظن باق ؛ ذلك أن الزيادة على ضربين ، زيادة مبطله العمل مع بقاء المعنى الزمنى ، — كما سبق — وزيادة لا يراد بها أكثر من التأكيد في المعنى ، وإن كان العمل باقياً ؛ نحو : ما جأنى من أحد . ومثله قولهم : بحسبك محمد ، المراد : بحسبك ، ومثل : « وكفى بالله شهيداً » ، والمراد كفى الله . . .) اه .

وستجىء إشارة موضحة لهذا في ص ٧٠ وفى باب « كان وأخواتها » ص ٥٧٩ والواجب ترك استعمال « كان » الزائدة إذا أوقعت في لبس .

وكذلك : (حضرت من البيت إلى النهر) ؛ فقد أفادت الجملة كلها الإخبار بحضورى ، وأن أول هذا الحضور وابتداءه : « البيت » ، وأن نهايته وآخره : « النهر » . فأفادت : « إلى » معنى هو : الانتهاء ، وصبته على غيرها مما بعدها مباشرة . وهذا الانتهاء لم يفهم منها إلا بسبب التركيب الذى وضعت فيه ، كما أن الابتداء الذى أفادته كلمة « من » لم يوجد إلا بسبب هذا التركيب .

ولو قلت : (الطلبة « فى » الغرفة) — لكان المعنى ؛ أن الطلبة تحويهم الغرفة ؛ كما يحوى الإناء الأشياء ، وكما يحوى الظرفُ المظروف ، أى : كما يحوى الوعاء أو الغلاف ما يوضع فى داخله . فعنى كلمة : « فى » هو « الظرف » ، أو : « الظرفية » ، وهذا المعنى لم يفهم من لفظة : « فى » منفردة ، وإنما عُرِف منها بعد أن احتواها التركيب ، فظهر على ما بعدها مباشرة . وهكذا بقية أحرف الجر ، وغيرها من أكثر الأنواع الأخرى ، كحروف النفي ، والاستفهام ، وسواها^(١) . . .

فالحرف : « كلمة لا تدل على معنى فى نفسها ، وإنما تدل على معنى فى غيرها — بعد وضعها فى جملة — دلالة خالية من الزمن »^(٢) .

من كل ما سبق عن أقسام الكلمة نعلم : أن الاسم وحده — من غير كلمة أخرى معه — ، يدل على معنى جزئى فى نفسه ، دلالة لا تقترن بزمن . وأن الفعل وحده يدل على معنى جزئى مقترن بزمن . وأن الحرف وحده لا يدل على شيء منهما ما دام منفرداً ، فإذا دخل جملة دل على معنى فى غيره ، ولم يدل على زمن^(٣) .

(١) الإيضاح فى : « ا » من الزيادة والتفصيل ص ٧٠ .

(٢) هذا التعريف فى اصطلاح النحاة . لكن يجرى فى استعمال بعض المراجع اللغوية والقدماء إطلاق الحرف أحياناً على : « الكلمة » ؛ مهما كان نوعها . أما ظهور معناه على ما بعده ففيه تفصيل يجيء فى ص ٧٠ — كما أئحنا فى رقم ١ —

(٣) أشار ابن مالك إلى علامات الفعل والحرف بقوله :

«بتا» فعلت ، وأتت ، «ويا» افعلى «ونون» أقبلن — فعلٌ يَنْجَلِي
سِوَاهُمَا الْحَرْفُ ؛ كَهَلْ ، وَفَى ، وَلَمْ فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ : كَيْشَمْ =

... ..
... ..

= وَمَا ضَعِيَ الْأَفْعَالُ بَالْتَأْ - مَزْ . وَ سَمِ بِالنُّونِ فِعْلَ الْأَمْرِ ، إِنَّ أَمْرٌ فِيهِمْ
وَالْأَمْرُ إِنَّ لَمْ يَكُ لِلنُّونِ مَحَلٌّ فِيهِ هُوَ اسْمٌ ؛ نَحْوُ : صَه ، وَحِيلَ

١- يريد : أن الفعل ينجل (أى : ينكشف) ويتميز من غيره بإحدى العلامات الآتية ؛ يعنى
تاء الفاعل ، أو تاء التانيث الساكنة ، أو ياء المخاطبة . أو نون التوكيد . وهذه العلامات موزعة بين أنواع الفعل
لكل نوع بعض منها في آخره دون بعض
ب- وأن علامة الحرف (كهل ، وفى ، ولم) هى عدم قبوله علامة من علامات الأسماء ؛ أو :
الأفعال .

ج- وأن علامة المضارع صلاحه للمجىء بعد « لم » الجازمة ، أو إحدى أخواتها .
د- وأن الماضى يختص من تلك العلامات بقبوله التاء المتحركة ، للفاعل ، أو الساكنة للتانيث ،
وكلتاها تكون في آخره . ومعنى : « مز » : « ميمز » ، و« صه » بمعنى : أسكت ، و« حيل » بمعنى : أقبل و« يشم » مضارع
شم ، من باب : فرح) .
هـ- وأن فعل الأمر يُوسَم (أى : يُعلم ويعرف) بقبوله نون التوكيد ، مع دلالة على الطلب . فإن لم
يدل على الطلب ولم يقبلها فهو اسم فعل أمر .

هذا ، وكلمة : « الأمر » مبتدأ ، خبره الجملة الاسمية : « هو اسم » . أما جواب « إن » الشرطية
فمحذوف يدل عليه الخبر المذكور ؛ والتقدير : فهو اسم .
والقاعدة : (أنه متى تقدم المبتدأ على أداة الشرط فإن اقترن ما بعدهما بالفاء ، أو صلح لمباشرة الأداة
الشرطية - كان جواباً ، والخبر محذوفاً ؛ إذ الأغلب وقوع الفاء في جواب الشرط ، لا في خبر المبتدأ . وإلا
كان خبراً والجواب محذوفاً ، كما هنا) هذا هو الرأى المختار ، على رغم ما حوله من خلاف (راجع
حاشيتى الخضرى والصبان في هذا الموضوع من الباب ، وستذكر هذه القاعدة في مواضع ؛ منها موضع حذف
الخبر - (ص ٥١٩ م ٥٢٤) ٣٩ م وفى ج ٤ ص ١٥٧ - ورقم ٥ من هامش ص ٤١٨) .
وما تنطبق عليه القاعدة السالفة قول الشاعر المخضرم عامر بن الطفيل :

وإنى - وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفي السَّرِّ منها والصريحُ المهذب -
فما سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمِّ وَلَا أَبِ
فما دخلت عليه الفاء هو الجواب ، وخبر « إن » محذوف . ومثال ذكر الخبر لا الجواب قول الشاعر :

وإنى - وإن صرَّفتُ في الشعرِ منطقي - لَأَنْصَفُ فيما قلتُ فيه ، وأعدل

فجملته : (أنصف) خبر « إن » ، وليست جواباً للشرط إذ الأغلب دخول اللام على الخبر ، لا على
الجملة الواقعة جواباً للشرط .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) عند ما ينكشف معنى الحرف الأصلي بسبب وضعه في جملة ، ويظهر المراد منه ، نجد ذلك المعنى ينصب على ما بعد الحرف الأصلي ، ويتركز فيه ؛ سواء أكان ما بعد الحرف الأصلي مفرداً أم جملة ، أم شبهها ، فالابتداء في : « من » ، والانتهاى في : « إلى » ، يتحقق في الكلمة التي جاءت بعد كل منهما . وكذلك الظرفية ، والاستعلاء . . .

وإذا قلنا : ما جاء أحد . . . - هل غاب أحد ؟ . فإن النفي والاستفهام ينصبان على كل مضمون الجملة التي بعد الحرف . . . وهكذا . . .

أمّا الحروف الزائدة - ومنها بعض حروف الجر ؛ كالباء - فإنها تفيد توكيد المعنى في الجملة كلها ، لأن زيادة الحرف تعتبر بمنزلة إعادة الجملة كلها ، وتفيد ما يفيد تكرارها بدونه ^(١) ؛ سواء أكان الحرف الزائد في أولها ، أم في وسطها ، أم في آخرها ؛ مثل : بحسبك الأدب ، وأصلها : حسبك الأدب ، (أى : يكفيك أو : كافيك) ، فالباء الزائدة داخلة على المبتدأ ، كدخولها عليه وهو ضمير في نحو : كيف بك ؟ (وأصلها . . . كيف أنت ؟) ^(٢) وكدخولها عليه بعد « إذا الفجائية » في نحو : رجع المسافر ؛ فإذا بالأصدقاء في استقباله .

وكدخولها على الفاعل في مثل : كفى بالله شهيداً ، وأصلها : كفى الله شهيداً . وعلى الخبر في مثل : الأدب بحسبك . . . فالباء مع تقدمها أو توسطها أو تأخرها قد أكدت معنى الجملة كلها ^(٣) . . .

هذا ، والحرف الزائد قد يعمل ؛ كباء الجر ، أو لا يعمل مثل : « ما » الزائدة ، في مثل : إذا ما المجد نادانا أجبتنا ^(٤) . . . ولا يصح اعتبار اللفظ (سواء أكان حرفاً أم غير حرف) زائداً إن أمكن

(١) راجع شرح التصريح ج ٢ باب : « حروف الجر » عند الكلام على زيادة : « الكاف » .

(٢) راجع هذا الأصل في أول باب المبتدأ م ٣٣ ص ٤٤٨ .

(٣) سيجى تفصيل الكلام على زيادة « الباء » الجارة في الموضع المناسب - باب : حروف الجر ،

ج ٢ م ٩٠ .

(٤) يتحتم اعتبار « ما » زائدة عند وقوعها بعد كلمة : « إذا » كالمثال السالف ، ثم انظر رقم ١

من هامش ص ٦٦ .

اعتباره أصلياً ، لأن اعتبار الأصالة مقدم على اعتبار الزيادة - (كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٤٧ -) (ويحيى في ص ٤٨٩ و ٥٨١) .

وهناك الشبيه بالزائد يعمل ، وينحصر في بعض حروف الجر ؛ كـ « كَرُب » ، ولعلّ الجارتين . . . و « لولا » على اعتبارها جارة .

وحرف الجر الزند والشبيه به لا يتعلقان ^(١) ، إلا أن الزائد « كالباء » يزداد لتوكيد المعنى الموجود في الجملة كلها أمّا الشبيه فيجلب معه معنى جديداً ؛ فالحرف : « رب » يفيد معنى التقليل أو التكثير ، « ولعل » يفيد الرجاء . . . فهما — — كغيرهما من الشبيه بالزائد — يفيدان معنى جديداً يطرأ على الجملة ؛ لا تقوية المعنى الموجود قبل مجيئهما . وكذا « لولا » فإنه يفيد الامتناع ؛ وهو معنى جديد يطرأ على الجملة .

(ب) الحروف نوعان ، نوع يسمى « العامل » ؛ لأنه يعمل الجر ، أو النصب ، أو الجزم ، أو غير ذلك ^(٢) ؛ كحروف الجر ، وحروف النصب ، وحروف الجزم ، والحروف الناسخة ^(٣) — ونوع آخر يسمى : « المهمّل » ؛ لأنه لا يعمل شيئاً مما سبق ، مثل بعض أدوات الاستفهام والجواب . ، ومنها : هل — لا . . . ومثل ؛ — نعم — التثوين ^(٤) .

وبعض النحاة يسمى حروف الجر : « حروف الإضافة » لأنها تضيف إلى الأسماء معاني ^(٥) الأفعال وشبهها من كل ما تتعلق به تلك الحروف .

(ج) الحروف إما آحادية ، أو ثنائية ، أو ثلاثية ؛ كبعض حروف الجر (الباء — في — إلى . . .) .

وإما رباعية ؛ مثل : « لعلّ » ولا تزيد على خمسة ؛ مثل : « لكنّ » في الرأي الأصح الذي يعتبرها غير مركبة ، وأنها مشددة النون ، ثابتة الألف بعد اللام نطقاً — كما سبق ^(٥) .

(١) تفصيل هذا في الباب الخاص بحروف الجر (ج ٢) .

(٢٢) مثل : « ما ، الحجازية » وتعمل عمل « كان » الناسخة . ومثل : « لا » النافية للجنس ، وتعمل عمل « إن » .

(٣) راجع رقم ٣ من هامش ص ٢٧ .

(٤) انظر رقم ١ من هامش ص ٦٦ .

(٥) انظر رقم ٢ من هامش ص ١٣ .

المسألة ٦ :

الإعراب والبناء ، والمغرب والمبنى

معنى المصطلحات السابقة .

(أ) طلع الهلالُ . شاهد الناس الهلالَ فرح القوم بالهلالِ .

(ب) يكثر الندى شتاء . يمتص النباتُ الندى . يرتوى بعضُ النباتِ بالندى .

(ح) زاد هؤلاءُ علمًا . سمعت هؤلاءَ يتكلمون . أصغيت إلى هؤلاءِ .

نلاحظ في أمثلة القسم الأول (أ) أن كلمة : « الهلال » قد اختلفت العلامة التي في آخرها ؛ فمرة كانت تلك العلامة ضمة ، ومرة كانت فتحة ، ومرة كانت كسرة ، فاسبب هذا الاختلاف ؟

سببه وجود داع متغير في كل جملة ، يحتاج إلى كلمة : « الهلال » ؛ لتؤدى معنى معينًا في الجملة . وهذا المعنى يختلف باختلاف الدواعى في الجُمْل ، ويُرمزُ إليه في كل حالة بعلامة خاصة في آخر الكلمة ، ففي الجملة الأولى كانت كلمة : « الهلال » مرفوعة ؛ لوجود الداعى الذى يحتاج إليها ، وهو الفعل : « طَلَعَ » فإنه يتطلب فاعلا . والفاعل يرمز له بعلامة في آخره ، هي : الضمة — مثلا — فيكون مرفوعًا .

وفي الجملة الثانية كانت كلمة : « الهلال » منصوبة ؛ لوجود داع من نوع آخر ؛ هو الفعل : « شاهدَ » ؛ فإنه لا يحتاج إلى فاعل ، لوجود فاعله معه — وهو كلمة : الناس — ولكنه يحتاج إلى بيان الشيء الذى وقع عليه فعل الفاعل ، وهو ما يسمى في النحو — غالبًا — : « المفعول به » ؛ والمفعول به يَرمُزُ إليه بعلامة خاصة في آخره هي : « الفتحة » ، — مثلا — فيكون منصوبًا .

وفي الجملة الثالثة كانت كلمة « الهلال » مجرورة ، لوجود داع يخالف السابقين ، وهو : « الباء » ، فإنها تحتاج إلى تلك الكلمة لتكون مجرورة بها ، فيزداد الفعل بهما وضوحًا ، وعلامة جرها الكسرة هنا .

فنحن نرى أن الدواعي تغيرت في الجمل الثلاث السالفة على حسب المعاني المطلوبة ، من فاعلية ، ومفعولية ، وتكملة أخرى للفعل . . . وتبعها في كل حالة تَغْيِيرُ العلامة التي في آخر كلمة : « اللال » . فَتَغْيِيرُ العلامة على الوجه السالف يسمى : « الإعراب » ، والداعى الذى أوجده يسمى : « العامل » (١) .

(١) كثر الكلام - قديماً وحديثاً - على العامل ، وعلى ما له من أثر سيئ في النحو العربى ، وفي الأساليب ، وصياغتها ، وفهمها . ولم نر بين المتكلمين من راعى جانب الاعتدال والإنصاف . وأقوى ما وجهوه إلى العامل من طعن أمران : أولهما : أن النحاة نسبوا العمل إليه ؛ فجعلوه هو الذى يرفع ، أو ينصب ، أو يحرك ، أو يحزم ؛ مع أنه قد يكون سبباً في خفاء المعنى - في زعمهم - أو تعقيده . وكيف ينسب إليه العمل وهو لا يعمل شيئاً ؛ وإنما الذى يعمل هو : المتكلم ؟ ثانيهما : أن النحاة - وقد قصروا عليه العمل وحده - بحثوا عنه في بعض التراكيب العربية الصحيحة فلم يجدوه ؛ فاضطروا أن يقدروه ، وأن يفترضوا وجوده ، ويتكلفوا ، ويتصفوا . والحق أن النحاة أبرياء مما اتهموا به ؛ بل أذكياء ، بارعون فيما قرروه بشأن : « نظرية العامل » ؛ فقد قامت على أساس يوافق خير أسس التربية الحديثة لتعليم اللغة ، وضبط قواعدها ، وتيسير استعمالها . ونسوق لهذا مثلاً يوضحه ، ويزيد الأمثلة السابقة إيضاحاً : « أكرم محمود الضيف » . فمحمود في هذه الجملة ينسب إليه شيء . وكذلك « الضيف » . فوالذى ينسب إلى كل منهما ؟ .

١ - ينسب إلى محمود أنه فعل الكرم ؛ فهو فاعل الكرم . فبدلاً من أن نقول : ينسب إلى محمود أنه فعل شيئاً ، هو : الكرم ، أو : ينسب إلى محمود أنه فاعل الكرم - حذفنا هذه الكلمات الكثيرة واستغنيانا عنها برمز صغير - اصطلاح عليه النحاة - يرشد إليها ، ويدل عليها ؛ ذلك الرمز هو : « الضمة » التى في آخر كلمة : « محمود » . فهذه الضمة على صفرها تدل على ما تدل عليه تلك الكلمات المحذوفة الكثيرة . وهذه مقدرة وبراعة أدت إلى ادخار الوقت والجهد باستعمال ذلك الرمز الاصطلاحي الذى دل على المعنى المطلوب بأخصر إشارة . - كما سيجىء في رقم ١ من هامش ص ٧٥ - .

لكن كيف عرفنا - في التركيب السابق - أن (محموداً) فعل شيئاً ، أى : أنه فاعل ؟ عرفنا ذلك من كلمة قبله هى : « أكرم » ويسمى النحاة : « فعلاً » ولا يمكن أن يوجد الفعل بنفسه . فوجود الفعل دل على وجود الفاعل ، ووجود الفاعل يقتضى أن نعلمه ، ونذيع أنه الفاعل . وطريقة الإذاعة قد تكون بكلمات كثيرة ، أو قليلة ، أو برمز يفتى عن هذه وتلك ، كالضمة التى اختارها النحاة واصطلحوا على أنها الرمز الدال ، على الفاعلية . . . وعلى هذا يكون الفعل هو السبب في الاهتداء أولاً إلى الفاعل ، وإلى الكشف عنه ، ثم إلى وضع الرمز الصغير في آخره ؛ ليكون إعلاناً على أنه الفاعل ، وشارة دالة عليه . فالفعل هو السبب أيضاً في ذلك الرمز وفي اجتلابه والإتيان به ؛ فليس غريباً أن يقول النحاة ؛ « إن الفعل هو الذى عمل الرفع في الفاعل » لأنه السبب في مجيئه ، ويسمونه من أجل ذلك : « عاملاً » .

ب - مثل هذا يقال في كلمة : « الضيف » فقد نسب إليه شيء - كما سبق - فذلك الشيء المنسوب إليه ؟ هو أنه وقع عليه كَرَمٌ ، أو حصل له شيء ؛ هو : « الكرم » . وقد حذفنا هذه الكلمات الكثيرة ، واستغنيانا عنها برمز صغير اصطلاح عليه النحاة ، يرشد إليها ، ويدل عليها ، هو الفتحة في آخر : « الضيف » ؛ =

فالإعراب : (هو تَغْيِيرُ الدلالة التي في آخر اللفظ ، بسبب تغير العوامل الداخلة عليه ، وما يقتضيه كل عامل)^(١).

وفائده : أنه رمز إلى معنى معين دون غيره ؛ كالفاعلية ، والمفعولية ، وسواهما . ولولاه لاختلطت المعاني ، والتبس ، ولم يفرق بعضها من بعض . وهو — مع هذه المزية الكبرى — موجز غاية الإيجاز ، لا يعادله في إيجازه واختصاره

= فهمي تؤدي ما تؤديه الكلمات المتعددة التي حذفت . والذي أرشدنا إلى أن الضيف وقع عليه شيء هو وجود الفعل والفاعل معاً قبله . ولما كان الفعل هو المرشد إلى الفاعل والدال عليه — وكان الفعل هو الأصل في الإرشاد وفي الدلالة على الفاعل وعلى المفعول ؛ فهو الأصل أيضاً في جلب العلامة الدالة على كل منهما ، وهو السبب الأساسي في مجيئها ؛ فسمى لذلك : « عاملها » .

وما يقال في الفعل مع فاعله ومفعوله يقال في غيره من العوامل الأخرى مع معمولاتها ؛ سواء أكانت عوامل لفظية ؛ كالفعل ، وكحرف الجر ، والجوازم . . . ، أم معنوية ؛ كالابتداء ، وكالتجرد من الناصب والجازم ، وهو سبب رفع المضارع ، وسواء أكانت أصلية أم زائدة (وستجى أنواع العوامل في م ٣٣ أول باب المبتدأ والخبر — وانظر ص ٧٣) .

وما تقدم نعلم أن تلك العوامل بنوعها ليست مخلوقات حية ، تجري فيها الروح فتعمل ما تريد ، وتحس ما يقع عليها ، وتؤثر بنفسها ، وتتأثر حقاً بما يصيبها ، وتحدث حركات الإعراب المختلفة ، فليس لها شيء من ذلك . إنما الذي يؤثر . ويحدث حركات الإعراب — هو المتكلم ، وليست هي . ولكن النحاة نسبوا إليها العمل . لأنها المرشد إلى المعاني والرموز . وهي نسبة جارية على أصح الاستعمالات العربية وأبلغها ، إذ هي السبب في الاهتداء إلى كشف المعنى المراد من الكلمة — كما أسلفنا — وإذا ثبت لها هذا فليس في اللغة مانع من نسبة العمل إليها ، وتسميتها : « عاملاً » ، ولا عيب في أن نقول مثلاً : « كان » ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، « وإن » تنصب المبتدأ وترفع الخبر ، و « ظن » تنصبها مفعولين لها . . . و . . . إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى الذي يتفق بغير شك مع أصول الاستعمال العربي الفصيح ، بل مع الأسلوب البلاغي الأعلى ، ولا داعي للاعتراض عليه كما يتردد على ألسنة بعض المتسرعين . نعم لها بعض عيوب (كالتى نراها في باب التنازع ، م ٧٣ ج ٢) ولكنها يسيرة يمكن تداركها ، وسنشير إليها تباعاً ، حين نصادفها .

وما تقدم يتبين أيضاً النفع الأكبر ، والأثر الباهر الذي للعلامات الإعرابية ؛ فلولاها لاختلطت المعاني ، بل فسدت . وحسبك أن ترى جملة خالية من العلامات الإعرابية مثل قولنا : « ما أحسن القادم » فإنها بغير ضبط كلماتها تصلح للاستفهام ، وللمعجب ، وللنفي ، . . . وكل معنى من هذه يتخالف الآخر مخالفة واضحة واسعة . لهذا كان من الخطأ وفساد الرأي أن ترتفع بعض الأصوات الحقاء بإلغاء علامات الإعراب — لصعوبة تعلمها — والاقصار على تسكين آخر الكلمات . وقد أطلنا الكلام في إظهار هذا الخطأ ، وفداحة ضرره في الموضوع الخاص به من كتابنا المسمى : « اللغة والنحو بين القديم والحديث » ص ٢٦٠ .

(١) وللإعراب معنى آخر مشهور بين المشتغلين بالعلوم العربية ، هو : التطبيق العام على القواعد النحوية المختلفة ، ببيان ما في الكلام من فعل ، أو : فاعل ، أو : مبتدأ ، أو : خبر ، أو : مفعول به ، أو حال . . . أو غير ذلك من أنواع الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، وموقع كل منها في جملته ، وبناءه أو إعرابه . . . أو غير ذلك .

شيء آخر يدلّ دلّالته على المعنى المعين الذى يرمّز له^(١). وهذه مزية أخرى .
والمعرّب : هو اللفظ الذى يدخله الإعراب^(٢) .

والعامل هو : ما يؤثر فى اللفظ تأثيراً ينشأ عنه علامة إعرابية ترمّز إلى معنى خاص ؛ كالفاعلية ، أو المفعولية ، أو غيرها . ولا فرق بين أن تكون تلك العلامة ظاهرة كأمثلة : « ا » أو مقدرة^(٣) . كأمثلة : « ب » فإن الدليل على إعرابها وهى مفردة أن علامة آخرها تتغير عند التثنية والجمع ، فنقول : تراكم النَّدْيَان ، وامتنص النباتُ النَّدْيَيْن ، وارتوى من النديَّين^(٤) .

أما أمثلة القسم الثالث « ج » ففيها كلمة : « هؤلاء »^(٥) لم تتغير علامة آخرها بتغير العوامل ؛ بل بقيت ثابتة فى الجمل كلها . فهذا الثبات وعدم التغير يسمى : « بناء » ؛ وهو : « لزوم آخر اللفظ علامة واحدة - فى كل أحواله - ، لا تتغير مهما تغيرت العوامل » .

والمبنى هو : اللفظ الذى دخله البناء .

هذا ، وقد عرفنا^(٥) أن المعرب المنصرف^(٦) . يسمى : « متمكناً أمكن » ، وأن المعرب غير المنصرف يسمى : « متمكناً » فقط ، وأن المبنى يسمى : « غير متمكن » . ولا توصف الكلمة بإعراب أو بناء إلا بعد إدخالها فى جملة^(٧)

(١) فلو أردنا أن ندل على الفاعلية أو المفعولية فى مثل : أكرم الولد الولد لاستعملنا ألفاظاً كثيرة ؛ كأن نقول : إن الولد هو فاعل الإكرام ، والولد هو الذى ناله الإكرام . . . وفى هذا إصراف كلامى وزمانى . كما سبق فى هامش ص ٧٣ .

(٢) أى : التغير الذى وصفناه ؛ فالإعراب غير المعرّب ، كما أن الإكرام غير المكرّم ، والإرسال غير المرسل .

(٣) ويسمى الإعراب فيها : « تقديرى » (انظر ص ٨٤) .

(٤) وفى ص ٨٤ إيضاح الإعراب المحل (كالتى فى كلمة « هؤلاء ») والتقديرى . ومن التقديرى نوع سيجى فى « و » من ص ١٥٩ أما تفصيل مواضعه فى ص ٨٤ وما بعدها .

(٥) راجع ص ٣٣ وما بعدها .

(٦) المنصرف ، هو : المنون . (انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٣) .

(٧) راجع حاشية « الخضرى » ج ٢ ص ١ أول باب « الإضافة » وقد نقلنا كلامه فى رقم ١ من هامش ص ١٤ وأشرنا فى تلك الصفحة والى تليها إلى وجود كلمات لا توصف بإعراب ولا بناء ، ولو كانت فى جمل ؛ مثل الكلمات التى تسمى : « الأتباع » - بفتح الهززة - وهى نوع إيضاح فى « ج » . من ص ١٠٦ . أما البيان فى ج ٣ باب النعت - م ١١٤ ص ٤٥٢ .

المعرب والمبنى^(١) من الأسماء ، والأفعال ، والحروف

(أى : من أقسام الكلمة الثلاثة)

أولاً : الحروف كلها مبنية ؛ لأن الحرف وحده لا يؤدي معنى في نفسه ، وإنما يدل على معنى في غيره ، بعد وضعه في جملة — كما سبق^(٢) . وإذا لم يكن حداثاً ، (أى : ليس معنئ) ولا ينسب إليه أنه فعل فعلاً ، أو وقع عليه فعل ؛ فلا يكون بنفسه فعلاً ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً به ، ولا متممًا وحده للمعنى (أى : لا يكون مسنداً إليه ولا مسنداً ، ولا شيئاً يتصل بذلك) . لعدم الفائدة من الإسناد في كل حالة^(٣) ،

ونتيجة ما سبق أنه لا يدخله الإعراب ؛ لعدم حاجته إليه ؛ لأن الحاجة إلى الإعراب توجد حيث توجد المعاني التركيبية الأساسية ، والحرف وحده لا يؤدي معنى قط . ولكنه إذا وُضع في تركيب فإنه يؤدي في غيره بعض المعاني الجزئية (الفردية) بالطريقة المفصلة التي شرحناها عند الكلام عليه^(٢) ؛ كالابتداء ، والتبعية ، وغيرهما مما تؤديه كلمة : « من » . أو الظرفية ، والسببية ، وغيرهما مما تؤديه كلمة : « في » — فهذه المعاني الجزئية تعتور الحرف ، وتتعاقد عليه ، ولكن لا يكون التمييز بينها بالإعراب ، وإنما يكون بالقرائن المعنوية التي تتضمنها الجملة .

ثانياً : الأسماء يناسبها الإعراب ، وهو أصل فيها ؛ لأن الاسم يدل بذاته على معنى مستقل به — كما سبق^(٣) — فهو يدل على مسمى ؛ (أى : على شيء)

(١) يلاحظ أن المبنى لا تراعى زاحيته اللفظية مطلقاً في توابعه أو غيرها ؛ فتوابعه إنما تساير محله فقط — إن كان له محل من الإعراب — وهذا أثر هام من آثار « الإعراب المحلى » الذي يحىء الكلام عليه (في ص ٨٤) لكن يستثنى من هذا الحكم العام النعت الخاص بالماندى « أى » ، أو : أية « وبالماندى اسم الإشارة الذي جرى به للتوصل إلى نداء المبدوء بأل ؛ نحو : يأبها العالم ، ويأبئها العالمة ، ويا هذا الفاضل . . . فيجب في هاتين الصورتين رفع التسابع مراعاة للمظهر الشكلي للمنادى ، مع أن هذا المنادى مبنى ، وهما صفتان معربتان منصوبتان — مراعاة لمحل المنادى — بفتحة مقدرة على الآخر ، منع من ظهورها ضمة الماثلة للفظ المنادى في الصورة الشكلية . — وتفصيل هذا وإيضاحه في ج ٤ ص ٣٤ م ١٣٠ - .

(٢ و ٢) في ص ٦٦ .

(٣) في ص ٢٦ إلا إذا قصد لفظه ، كما في « ج » من ص ٣٠ .

محسوس أو معقول ، سميناه بذلك الاسم) وهذا المسمى قد يُسند إليه فعل ، فيكون فاعلاً له ، وقد يقع عليه فعل ، فيكون - مفعولاً به . وقد يتحمل معنى آخر غير « الفاعلية والمفعولية » ، ويدل عليه بنفسه . . . وكل واحد من تلك المعاني يقتضى علامة خاصة به في آخر الكلمة ، ورمزاً معيناً يدل عليه وحده ، ويميزه من المعاني الأخرى ؛ فلا بد أن تتغير العلامة في آخر الاسم ؛ تبعاً لتغير المعاني والأسباب ، وأن يستحق ما نسميه : « الإعراب » للدلالة على تلك المعاني المتباينة ، التي تتوالى عليه بتوالى العوامل المختلفة - كما شرحنا من قبل (١) - .

وقليل من الأسماء مبنى (٢) . وأشهر المبنى منها عشرة أنواع (لكل نوع أحكامه التفصيلية في بابه) وهي :

(١) الضمائر ، سواء أكان الضمير موضوعاً على حرف هجائي واحد ، أم على حرفين ، أم على أكثر ، مثل : انتصرت ؛ ففرحنا ، ونحن بك معجبون .

(٢ ، ٣) أسماء الشرط ، وأسماء الاستفهام ؛ بشرط ألا يكون أحدهما مضافاً لمفرد ؛ مثل : أين توجد أكرمك . أين أراك (٣) ؟ . بخلاف : أى خير تعمله ينفعك . أى يوم تسافر فيه ؟ . لإضافة « أى » الشرطية والاستفهامية في هذين المثالين لمفرد ؛ فهما معه معربتان (٤) .

(٤) أسماء الإشارة التي ليست مثناة ؛ نحو : هذا كريم ، وتلك محسنة . بخلاف : « هذان كريمان ، وهاتان محسنتان » . فهما معربان عند التثنية - على الصحيح - .

(١) في ص ٧٢ .

(٢) الغالب على الأسماء المبنية أنها لا تصاف ، ومنها ما يضاف ، مثل : « حيث » و « كم » الخبرية » و « إذا » الشرطية ، وبعض المركبات المزجية العددية التي تصاف مع بنائها على فتح الجزأين ؛ (نحو : هذه خمسة عشر محمد ، طبقاً لما سيبيء في باب « العدد » ج ٤ م ١٦٤ ص ٤٠٠) وغيرها مما هو مذكور في باب الإضافة ج ٣ . (٣) وكذا في قول الشاعر :

لمن تطلب الدنيا إذا لم تُرِدْ بها سرور محبٍّ ، أو إساءة مجرم ؟
(٤) أما الإضافة للجملة فقد يكون الاسم معها مبنيًا كإضافة « إذا » الشرطية وأشباهها للجملة . وكل اسم يجب إضافته للجملة يجب بناؤه ، مثل : « إذا » الشرطية . أما الذي يضاف إليها جوازاً ؛ مثل « يوم » - فقد يبنى ، وقد يعرب ، كما سيبيء في باب الإضافة ج ٣ .

(٥) أسماء الموصول غير المثناة ، والأسماء الأخرى التى تحتاج بعدها - وجوباً - إلى جملة أو ما يقوم مقامها ...^(١) ولا تستغنى عنها بحال . فمثال الموصول : جاء الذى يقول الحق . وسافر الذى عندك ، أو الذى فى ضيافتك . وفاز المخلص فى عمله .

ومن الأسماء الأخرى التى ليست موصولة ولكنها تحتاج - وجوباً - بعدها إلى جملة : « إذا » الشرطية الظرفية ؛ نحو : إذا تعلمت ارتفع شأنك ، فلو قلت : جاء الذى ... فقط ، أو : إذا ... فقط ، أو : الذى ... فى عمله ... فقط ... لم يتم المعنى ، ولم تحصل الفائدة . بخلاف الموصول المثنى ؛ نحو جاء اللذان غابا ، وحضرت اللتان سافرتا . فالموصول معرب - على الصحيح - لأنه مثنى .

(٦) الأسماء التى تسمى : « أسماء الأفعال »^(٢) وهى : التى تنوب عن الفعل فى معناه ، وفى عمله ، وزمنه ، ولكنها لا تقبل علامته ، ولا تدخل عليها عوامل تؤثر فيها ، مثل : هيهات القمر : بمعنى : بَعْدَ جداً ، وأف من المهمل ، بمعنى : أَتَضَجَّرُ جداً ، وآمين يا رب ، بمعنى : استجب . فقد دلت كل كلمة من الثلاث على معنى الفعل ، ولا يمكن أن تقبل علامته ، ولا أن يدخل عليها عامل يؤثر فيها بالرفع ، أو النصب ، أو الجر

بخلاف : سيراً تحت راية الوطن ، سماعاً نصيحة الوالد ، إكراماً للضيف . فإن هذه الكلمات [سيراً ، وسماعاً ، وإكراماً ... ، وأشباهاها] تؤدى معنى فعلها تماماً ، ولكن العوامل قد تدخل عليها فتؤثر فيها ؛ فتقول : سرنى سيرك تحت راية الوطن . مدحت سيرك تحت راية الوطن . طربت لسيرك ... ، وكذا الباقى ؛ ولذلك كانت معربة .

(٧) الأسماء المركبة ؛ ومنها بعض الأعداد ؛ مثل : أحدَ عَشَرَ ... وتسعة عَشَرَ وما بينهما ، فإنها مبنية دائماً على فتح الجزأين . ما عدا اثني عَشَرَ ، واثنتي عشرة ؛ فإنهما يعربان إعراب المثنى^(٣) .

(١) المراد بما يقوم مقام الجملة الواجبة هو ما يبنى عليها تماماً فى بعض الحالات ، كالمتشقق الذى يقع صلة « أل » وكالتنوين الذى للموض عن المضاف إليه المحذوف إن كان جملة .
(٢) لها باب خاص فى الجزء الرابع . وسبقت لها إشارة فى رقم ١ من هامش ص ٤٩ .
(٣) للعدد وأحكامه باب مستقل فى الجزء الرابع .

٨ - اسم « لا » النافية للجنس^(١) - أحياناً - في نحو: لا نافع مكرهه .
 (٩) المنادى ؛ إذا كان : مفرداً ، علمياً ، أو نكرة مقصودة ، مثل :
 يا حامدُ ، ساعد زميلك ، ويا زميلُ اشكر صديقك .
 (١٠) بعض متفرقات أخرى ؛ مثل : « كم » ، وبعض الظروف ؛
 مثل : « حيثُ » والعلم المختوم بكلمة : « وَبِهِ » ، وما كان على وزن « فَعْعَالِ »
 - في رأى قَوِيٍّ - مثل : حَذَّامٌ ، وَقَطَّامٌ . . . (وكلاهما اسم امرأة) .
 وكذلك أسماء الأصوات المحكية مثل : « قاق » ، و « غاق » ، في نحو : صاحت
 الدجاجة قاقٍ ، ونعَبَ الغراب غاقٍ^(٢) . . .
 « ملاحظة » : يجب الإعراب والتنوين في كل لفظ أصله مفرد^(٣) مبنيٍّ ، ثم
 ترك أصله ، وصار علمياً منقولاً من معناه وحكمه السابقين إلى العلمية
 الجديدة . فإذا سَمِينَا رجلاً بكلمة : « أَمْسِ » (ومعناها : اليوم الذي قبل اليوم
 الحاضر مباشرة ، وحكمها : البناء على الكسر في لغة أكثر العرب) ، أو : بكلمة :
 « غَقَاقِ » (وهي في أصلها اسم لصوت الغراب ، وحكمها : البناء على الكسر
 أيضاً) لتغْيِيرِ شَأْنِ الكلمتين بعد هذه التسمية ؛ فتصير كل واحدة منهما علمياً ،
 يدل على ما يدل عليه العلم ، ويصير حكم كل منهما الإعراب والتنوين^(٤) ، بعد
 أن كان حكمها البناء^(٥) .

* * *

- (١) لها باب خاص في آخر هذا الجزء - ص ٦٨٣ -
 (٢) لأسماء الأصوات وأحكامها المختلفة باب خاص في الجزء الرابع .
 (٣) المراد بالمفرد هنا : ما ليس داخلاً في نوع من أنواع المركب الثلاثة ، وهي المركب الإسنادي ،
 والمركب المزجي ، والمركب الإضافي : أما المركب العلم فيجىء بيانه وحكمه في باب العلم ص ٣٠٠ و ٣٠٨
 وفي ص ٢٠١ .
 (٤) انظر ما يتم هذا الحكم في رقم ٥ من هامش ص ١٤٦ ورقم ١ من هامش ص ٣٠٩ .
 (٥) راجع حاشية « خالد » على « التصريح » ، آخر باب : « المنوع من الصرف » عند الكلام
 على : « أَمْسِ » .

وينبغي تبين ما سبق - في : « ج » ص ٣٠ - من فروق تخالف ما هنا . كما ينبغي كشف الفرق
 بين الحكم الذي اشتملت عليه الملاحظة المدونة هنا ، والحكم الآخر الآتي في « ج » ص ١٤٦ ، فالحكم الذي
 اشتملت عليه هذه الملاحظة مقصور صراحة على الاسم المفرد المبني في أول أمره وليس يعلم ، فإذا صار علمياً
 منقولاً من معناه السابق إلى العلمية .. تاركاً ما قبلها فإنه يصير مع هذه العلمية الطارئة معرباً ومنوئاً وجوباً ويصح
 جمعه جمع مذكر سالم مباشرة أما الحكم الآخر الآتي فإنه صريح في أن العلم موضوع من أول أمره علمياً ومبني
 فليس منقولاً من حالة سابقة إلى حالة العلمية الحالية وإنما هو موضوع ابتداء علمياً أصيلاً مبني فلا يجمع
 إلا من طريق غير مباشر جمع مذكر سالم (كما سيبيء البيان في ص ١٤٦) .

ثالثاً : الأفعال . منها المبني دائماً ، وهو . الماضي والأمر . ومنها المبني حيناً والمعرب أحياناً ، وهو : المضارع .
وأحوال بناء الماضي ثلاثة :

(١) يبنى على الفتح في آخره إذا لم يتصل به شيء ، مثل : صافح ، محمد ضيفه ، ورحب به . وكذلك يبنى على الفتح إذا اتصلت به تاء التأنيث الساكنة ، أو ألف الاثنين ، مثل : قالت فاطمة الحق . والشاهدان قالا ما عرفا .

والفتح في الأمثلة السابقة ظاهر . وقد يكون مقدرأ إذا كان الماضي معتل الآخر بالألف ، مثل : دعا العابد ربه .

(٢) يبنى على السكون في آخره إذا اتصلت به « التاء » المتحركة التي هي ضمير « فاعل » ، أو : « نا » التي هي ضمير فاعل ، أو : « نون النسوة » التي هي كذلك . مثل : أكرممت الصديق ، وفرحت به . ومثل : خرجنا في رحلة طيبة ركبنا فيها السيارة ، أما الطالبات فقد ركبن القطار .

(٣) يبنى على الضم في آخره إذا اتصلت به واو الجماعة ، مثل : الرجال خرجوا لأعمالهم .
وأحوال بناء الأمر أربعة :

(١) يبنى على السكون في آخره إذا لم يتصل به شيء ؛ مثل : اعمل .
لديناك ولاخرتك . وصاحب أهل المروءات . أو : اتصلت به نون النسوة ، مثل : اسمعن يا زميلاتى ^(١) . . .

(٢) يبنى على فتح آخره إذا اتصلت به نون التوكيد الخفيفة ؛ مثل : صاحبين ^(٢) كريم الأخلاق . أو الثقيلة ؛ مثل : اهجرن السفية ^(٢) . . .

(١) من الجائز توكيده بالنون المشددة مع وجود نون النسوة بشرط أن تكون نون التوكيد مشددة مكسورة ، وقبلها ألف زائدة تفصل بينها وبين نون النسوة ، نحو : اسمعن يا زميلات .
- كما سيجيء الإيضاح الخاص بالمضارع ، في رقم ٤ من هامش ص ٨٢ وفي ج ٤ باب : نون التوكيد - .
(٢) فهو فعل أمر مبني على الفتح : لاتصاله بنون التوكيد . ولا داعي للتشدد الذي يراه بعض النحاة ، إذ يقول : فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة العارضة لأجل نون التوكيد . هذا ، وكل فعل أمر أو مضارع ، اتصلت بآخره نون التوكيد فإنه يمتنع أن يتقدم عليه شيء من معمولاته إلا للضرورة - انظر المثال والبيان في رقم ٣ من هامش ص ١٠٣ - ، لأن تقدم هذا الم معمول يخرج من حيز التأكيذ ؛ فيتنافى تقديمه مع المراد من تأكيذه . وأجاز بعض النحاة تقديم الم معمول إن كان شبه جملة . وحجته ورود أمثلة كثيرة تكفي للقياس عليها . وهذا أحسن - كما سيجيء في باب نون التوكيد ج ٤ م ١٤٣ ، الحكم الرابع من الأحكام والآثار اللفظية المشتركة - .

(٣) يبنى على حذف حرف العلة إن كان آخره معتلاً ؛ مثل : اسعَ في الخير دائماً ، وادعُ الناس إليه ، واقض بينهم بالحق . (فاسع : فعل أمر ، مبنى على حذف الألف ، لأن أصله : « اسعَى »^(١) . وادعُ : فعل أمر ، مبنى على حذف الواو ؛ لأن أصله : « ادعُو » . واقض : فعل أمر ، مبنى على حذف الياء لأن أصله : « اقضي ») .

وعند تأكيد فعل الأمر بالنون يبقى حرف العلة الواو ، والياء ، ويتعين بناء الأمر على الفتحة الظاهرة على الحرفين السالفين . فإن كان حرف العلة ألفاً وجب قلبها ياء تظهر عليها فتحة البناء ؛ لأن الأمر يكون مبنىً على هذه الفتحة ؛ نحو : اسعَيْسَ في الخير ، وادعُونا له ، واقضِين بالحق .

(٤) يبنى على حذف النون إذا اتصل بآخره ألف الاثنين ؛ مثل : اخرجَا ، أو : واوجماعة ، مثل : اخرجُوا ، أو ياء مخاطبة ؛ مثل : اخرجي . فكل واحد من هذه الثلاثة فعل أمر . مبنى على حذف النون ، والضمير فاعل (وهو ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة) . ومن الأمثلة قوله تعالى لموسى وأخيه : اذهبَا إلى فرعون إنه طغى) ، وقوله : (فكلُوا منها حيث شئتم رغداً) - وقول الشاعر :

يا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تكلمي وعمي^(٢) صباحاً - دارَ عبلة - واسلمي
وأما المضارع فيكون معرباً^(٣) - إذا لم يتصل بآخره مباشرة نون التوكيد ، أو نون النسوة . ومن الأمثلة - « إن الله لا يغفرُ أن يُشركَ بِهِ » . « إن تُخلص في عملك تنفعُ وطنك » .

فإن اتصل بآخره اتصالاً مباشراً نون التوكيد الخفيفة ، أو الثقيلة بنى على الفتح^(٤) ، مثل : والله لأقومنَّ بالواجب . ولأعْمَلَنَّ ما فيه الخير ،

(١) تكتب الألف هنا ياء ؛ تبعاً لقواعد رسم الحروف . وعلى الرغم من كتابتها ياء تسمى ألفاً ما دامت الفتحة قبلها . (٢) انعمى واسمدى .

(٣) حالاته الإعرابية ثلاث ؛ فيكون معرباً مرفوعاً إذا لم يسبقه ناصب ولا جازم ، ويكون معرباً منصوباً إذا سبقه ناصب ، ويكون معرباً مجزوماً إذا سبقه جازم . ولإعراب المضارع باب مستقل (ج ٤ م ١٤٨) يمرض حالاته الإعرابية الثلاث ويوضح الكلام على النواصب والجازم ، ويبين أنواعها وأحكامها تفصيلاً ، ويشير في أوله إلى المراد من الجزم ، وأنه الجزم الأصيل ، لا الطارئ للوقف ، أو التخفيف مع بيان الآثار المترتبة على الأصيل وغيره - وسيجيء الكلام على سكون التخفيف في ص ١٩٩ - ، وإذا كان المضارع معتلاً فلا إعرابه طرق وأحكام خاصة تبيح في بحث مستقل (ص ١٨٢) .

(٤) في محل رفع إن لم يسبقه ناصب أو جازم - على المشهور - وقيل : لا محل له . (كما سيجيء في رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية ، ومطابقة للبيان الذى في أول باب : « إعراب الفعل المضارع » - ج ٤ م ١٤٨ وفي الجزء الرابع باب مستقل لنون التوكيد .

وقول الشاعر :

لا تأخذَن^(١) من الأمور بظاهري إن الظواهر تسخدُ الرأعينا

فإن كان الاتصال غير مباشر ؛ — بأن فصل بين نون التوكيد والمضارع فاصل ظاهر ؛ كآلف الاثنين ، أو مقدر ؛ كواو الجماعة ، أو ياء المخاطبة — فإنه يكون معرباً . . . فثال آلف الاثنين (ولا تكون إلا ظاهرة) ماذا تعرف عن الصانعين ؟ أيقومان بعملهما ؟ ومثال واو الجماعة المقدرة : هؤلاء الصانعون أيقومن بعملهم ؟ ومثال ياء المخاطبة المقدرة : أتعومين بعملك يا زميلتي ؟ .

وإن اتصلت به نون النسوة اتصالاً مباشراً فإنه يبنى على السكون^(٢) ؛ مثل : إن الأمهات يبذلن ما يقدرن عليه لراحة الأبناء . ولا يكون اتصالها به إلا مباشراً^(٣) ؛ كقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .

فالمضارع حالتان ؛ الأولى : الإعراب ؛ بشرط ألا يتصل بآخره اتصالاً مباشراً نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة ، أو نون النسوة . وإذا أعرب كان مرفوعاً إن لم يسبقه ناصب ينصبه ، أو جازم يحزمه .

والثانية : البناء ؛ إما على الفتح إذا اتصلت بآخره — مباشرة — نون التوكيد . وإما على السكون إذا اتصلت بآخره نون النسوة^(٤) .

وإذا كان المضارع منبياً لاتصاله بإحدى التونات وسبقه ناصب أو جازم وجب

(١) المضارع هنا مبني على الفتح في محل جزم .

(٢) في محل رفع — على المشهور — وقيل لا محل له — طبقاً لما سبق في رقم ٤ من الهامش السابق ، ولما هو مبين في باب « إعراب الفعل المضارع » : ج ٤ ص ١٤٨ .

(٣) فلا يفصل بينهما أحد الضمائر الثلاثة السابقة — ولا غيرها — ؛ لما في الفصل بالضمير من التناقض المفسد للمعنى ؛ إذ كيف يشتمل الفعل الواحد على فاعلين متعارضين ؛ أحدهما : نون للنسوة ، وهي تدل على جماعة الإناث ، والآخر آلف الاثنين ، وهي تدل على المثنى ؟ أو على نون النسوة مع واو الجماعة ، وهذه تدل على جماعة الذكور ؟ أو على نون النسوة مع ياء المخاطبة ، وهذه تدل على المفردة المؤنثة ؟ أما نون التوكيد بنوعها فإنها قد تقع بعد أحد الضمائر السابقة ، ولكنها بعد آلف الاثنين مشددة ومكسورة ، لكيلا تلتبس في الخط بنون الأفعال الخمسة التي يعرب معها المضارع . ولا تكون مكسورة مشددة إلا في هذه الحالة .

(٤) من الممكن أن يجتمع في آخر المضارع نون النسوة ، فنون التوكيد المشددة المكسورة — لا المخففة — بشرط أن تفصل بينهما الألف المزیدة للفصل هنا ، نحو : أترغبان في تقديم العون للباستات . فالنون الأولى للنسوة حتماً ، والمضارع معها مبني على السكون وجوباً ، والنون الأخيرة المشددة للتوكيد ، ولا تأثير لها على المضارع من ناحية بنائه . وبين النونين الألف الفاصلة — (كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٨٠ وكما سيجي البيان بالتفصيل في ج ٤ — باب نوني التوكيد) .

أن يكون مبنياً في محل نصب أو جزم ، (أى : أنه يكون مبنياً في اللفظ ، معرباً في المحل ^(١)) ، ولهذا أثر إعرابي يجب مراعاته . ففي التوابع — مثلاً — كالعطف إذا عطف مضارع معرب على المضارع المبني المسبوق بناصب أو جازم وجب في المضارع المعرب المعطوف أن يتبع « محل المعطوف عليه » في النصب أو الجزم ، دون البناء ^(٢) وكذلك المضارع المبني إن كان هو « المعطوف عليه » ، وغير مسبوق بناصب أو جازم فإنه يكون مبنياً في محل رفع ، في الرأي المشهور الذي سبقت الإشارة إليه ^(٣) . ويتبعه في هذا الرفع المحلى — دون البناء ^(٢) — المضارع « المعطوف »

(١) بيان الإعراب المحلى والتقديرى في ص ٨٤ و ٥٥٥ و ٥٥٥ .

(٢) في رقم ٤ من هامش ص ٨١ (راجع الصبان ج ١ في هذا الباب ، عند الكلام على بناء المضارع ، وج ٤ م ١٤٨ — في أول باب إعراب الفعل) .

(٣) لأن الأغلب في البناء عدم انتقاله من المتبوع إلى التابع على الوجه الذي سبق في رقم ١ من هامش ص ٧٦ و ٢ من هامش ص ٨٣ وفي الملاحظة التي في الجدول الآتي ص ٨٤ وفي بمض ماسبق يقول ابن مالك :

والإسم منه مُعْرَبٌ ومَبْنِيٌّ ؛ لِشَبْهِهِ مِنَ الْحُرُوفِ مُدْنِيٌّ
كَالشَّبهِ الْوَضْعِيِّ فِي اسْمِي «جِئْتَنَّا» وَالْمَعْنَوِيِّ فِي : «مَتَى وَفَى : «هُنَا»
وَكِنْيَايَةِ عَنِ الْفِعْلِ ، بَلَاءٌ تَأَثَّرٌ ، وَكَافْتَقَارٍ أَصْلًا
وَمُعْرَبٌ الْأَسْمَاءُ : مَا قَدْ سَلِمَا مِنْ شَبْهِ الْحَرْفِ ، كَأَرْضٍ وَسَمَا

يقول : الاسم قسماً ؛ معرب ، ومبنى . وسبب بناءه شبه يذنيه — أى : يقربه من الحروف — وسببه رد هذا في ص ٨٨ — وأبان الشبه السد في من الحروف (أى : المقرب منها) فقال : إنه الشبه الوضعي بأن يكون الاسم في صيغته موضوعاً على حرف واحد ، أو على حرفين ؛ كالضميرين : « التاء » و « نا » في جملة : « جئتنا » ، وكالشبه المعنوي في كلمتي : « متى » و « هنا » . فكل واحدة منهما اسم مبنى ؛ لأنه يؤدي معنى كان حقه أن يؤدي بالحرف ، فأشبه الحروف في تأدية معنى معين ، وكان ينوب عن الفعل بلا تأثر ، أو أن يحتاج دائماً بعده إلى جملة . فالأول كاسم الفعل ، والثاني كاسم الموصول . ثم قال ابن مالك في بناء الأفعال والحروف .

وفعلٌ «أمر» و «مُضَى» بُنِيََا وَأَعْرَبُوا «مضارعاً» إن عَرَبَا :
مِنْ نُونٍ تَوْكِيدٍ مُبَاشِرٍ ، وَمِنْ نُونٍ إِنْثَاٍ ؛ كَبَرُّ عَنْ مَنْ فُتِنَ
وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحَقٌّ لِلْبِنَا وَالْأَصْلُ فِي الْمَبْنَى أَنْ يَسْكُنَا

« إن عرى من نون توكيد » أى : إن تجرد من نون توكيد .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) الإعراب المحلى والتقديرى ، وأثرهما .
١ - يتردد على ألسنة العرب أن يقولوا فى « المبنيات » ، وفى كثير من الجمل المحكية وغير المحكية : إنه فى محل كذا - من رفع ، أو نصب ، أو جر ، أو جزم . . . - فما معنى أنه فى محل مَحْسَن ؟ . فمثلاً : يقولون فى : « جاء هؤلاء » . . .
إن كلمة : « هؤلاء » مبنية على الكسر فى محل رفع ، فاعل - وفى : « قرأت الصحف . من قبل » . . . إن كلمة : « قبل » مبنية على الضم فى محل جر . . . وفى : رأيت ضيفاً يبتسم » ، إن الجملة المضارعية فى : محل نصب ، صفة ^(١) . . . وهكذا .

المراد من أن الكلمة أو الجملة فى محل كذا ، هو أننا لو وضعنا مكانها اسماً بمعناها عربياً ، لكان مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً . وفى بعض الحالات لو وضعنا مكانها مضارعاً عربياً لكان منصوباً أو مجزوماً ^(٢) . . . فهى قد حلت محل ذلك اللفظ العربى ، وشغلت مكانه ومعناه ، وحكمه الإعرابى الذى لا يظهر على لفظها ^(٣) .

٢ - أما « التقديرى » ، فقد سبق ^(٤) أنه العلامة الإعرابية التى لا تظهر على الحرف الأخير من اللفظ العربى ؛ بسبب أن هذا الحرف الأخير حرف علة لا تظهر عليه الحركة الإعرابية ؛ كالآلف فى مثل : إن الهدى هدى الله ، والياء فى مثل : استجب لداعى الهدى .

ونتيجة لما سبق يكون « الإعراب المحلى » مُنصَباً على الكلمة المبنية كلها ،

(١) فهى بمثابة : رأيت ضيفاً مبتسماً . أى : أنها جملة بمنزلة المفرد فى المعنى . ومن الأمثلة أيضاً الجملة الواقعة مفعولاً ثانياً فى نحو : أظن العالم « علم نافع » ، أو : ينفع علمه . . . فهو بمنزلة : أظن العالم نافع العلم . . . (راجع الصبان ج ١ عند الكلام على علامات الاسم) .

(٢) كالمضارع العربى الذى يراد إحلاله محل مضارع مبنى قبله ناصب أو جازم .

(٣) بما يدخله الإعراب المحلى أنواع موضوعة فى رقم ١ من هامش ص ٣١٤ .

(٤) فى ص ٨٤ وقد أشرنا فيها إلى نوع آخر سيجىء فى « و » من ص ١٥٩ أما حصر مواضعه فى

أو على الجملة كلها ، وليس على الحرف الأخير منهما . وأن « التقديرى » منصب على الحرف الأخير من الكلمة .

وهناك رأى آخر لا يجعل « الإعراب المحلى » مقصوداً على المبنى وبعض الحمل - كراى الأكثرية - وإنما يدخل فيه أيضاً بعض الأسماء المعربة صحيحة الآخر المتأثرة بعاملين ، بشرط ألا يظهر فى آخر الكلمة المعربة علامتان مختلفتان للإعراب ، ومن أمثلته عنده : ما جاءنى من كتاب ، فكلمة « كتاب » مجرورة لفظاً بالحرف : « من » الزائد . وهى فى محل رفع فاعل للفعل : « جاء » . وقد تحقق ؛ الشرط فلم يجتمع فى آخرها علامتان ظاهرتان للإعراب .

وأصحاب الرأى الأول يدخلون هذا النوع فى : « التقديرى » فيقولون فى إعرابه : (إنه فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة الناشئة من حرف الجر الزائد) فلفظ : « كتاب » عند هؤلاء مجرور لفظاً مرفوع تقديرأ^(١) . والخلاف لفظى لا أهمية له . ولعل الأخذ بالرأى الثانى أنفع ، لأنه أعم .

وبناء على الرأى الأول يدخل فى الإعراب المحلى « عدة أشياء . أظهرها : « المبنيات » كلها ، والحمل التى لها محل من الإعراب ، محكية وغير محكية ، والمصادر المنسبكية ، وكذا الأسماء المجرورة بحرف جر زائد فى الرأى السالف^(٢) .

هذا ، ولا يمكن إغفال الإعراب « المحلى » والتقديرى ، ولا إهمال شأنهما وأثرهما ؛ إذ يستحيل ضبط توابعهما - مثلاً - بغير معرفة الحركة المقدرة ، أو المحلّية^(٣) ، بل يستحيل توجيه الكلام على أنه فاعل ، أو مفعول ، أو مبتدأ ، أو : مضارع مرفوع - وما يترتب على ذلك التوجيه من معنى إلا بعد معرفة حركة كل منهما^(٤) .

وهناك كلمات يُضبط آخرها بعلامة لا توصف بأنها علامة إعراب ولا بناء ، وإنما هو ضبط ضرورى ظاهرى ، قصد به مجازاة الكلمة لكلمة قبلها فى نوع العلامة ، مجازاة ظاهرية ، ولا يصح أن يكون للكلمة المتأخرة منهما محل إعرابى .

(١) راجع الصبان ج ٢ أول باب الفاعل عند الكلام على أحد أحكامه وهو : الرفع .

(٢) كما سيبنى فى ج ٢ م ٨٩ ص ٤٠٢ :

(٣) من المهم ملاحظة ما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٧٦ .

(٤) ستجىء إشارة وحصر لبعض ما سلف فى ص ١٩٨ - ولإعراب المحلى فى ص ٣١٤ ، وأيضاً

فى ج ٢ م ٨٩ رقم ٣ من هامش ص ٤٠٢ .

.....
.....

وسيجيء بيان هذا النوع في موضعه المناسب^(١).

...

(ب) تلمس النحاة أسباباً للبناء والإعراب ، أكثرها غير مقبول . وسنشير إليه ، داعين إلى نبذه ، والانصراف عنه .

قالوا في علة بناء الفعل : إن الفعل لا تتعاقب عليه معان مختلفة ، تفتقر في تمييزها إلى إعراب ، ولا تتوالى عليه العوامل المختلفة التي تقتضي ذلك . فالفعل وحده - لا يؤدي معنى الفاعلية ، ولا المفعولية ، ولا غيرها مما اختص به الاسم وكان سبباً في إعرابه - كما سبق^(٢) ، إلا المضارع فإنه يؤدي معنى زائداً على معناه الأصلي ، بسبب دخول بعض العوامل عليه ؛ فحين نقول : « لا تهمل عملك ، وتجلس في البيت » . (يجزم : تجلس) يكون المعنى الجديد : النهي عن الجلوس أيضاً ، (بسبب مجيء الواو التي تَمْحَضُ لِعطف الفعل على الفعل هنا) وحين نقول : « لا تهمل عملك ، وتجلس في البيت » (بنصب : تجلس) يكون المعنى الجديد : النهي عن اجتماع الأمرين معاً ، وهما : « الإهمال والجلوس » . فالنهي منصب عليهما معاً ، بحيث لا يجوز عملهما في وقت واحد ؛ فلا مانع أن يقع أحدهما وحده بغير الآخر ، ولا مانع من عمل كل منهما في وقت يخالف وقت الآخر - (والواو هنا للمعية ، وهي التي اقتضت ذلك) .

وإذا قلت : « لا تهمل القراءة ، وتجلس » (برفع : تجلس) ، فالنهي منصب على القراءة وحدها ، أما الجلوس فباح . (فالواو هنا : للاستئناف ، وهي تفيد ذلك المعنى .) ، فالمضارع قد تغيرت علامة آخره على حسب تغير المعاني المختلفة ، والعوامل التي تعاقبت عليه ، فأشبه الاسم من هذه الجهة ، فأعرب مثله .

أما بناؤه مع نون التوكيد ، ونون النسوة فلأنهما من خصائص الأفعال ، فوجود إحداها فيه أبعد من مشابهة الاسم المقتضية للإعراب ، فعاد إلى الأصل الأول في الأفعال ؛ وهو البناء ؛ لأن الأصل فيها البناء - كما سبق - وأما الإعراب في المضارع أحياناً ، فأمر عارض ، وليس بأصيل . . .

هكذا يقولون !! . وليس بمقبول ، فهل يقبل أن سبب بناء الحرف هو



.....

دلالته في الجملة على معنى في غيره ، وعدم دلالاته وهو مستقل على ذلك المعنى التركيبي ؛ فلا حاجة له بالإعراب ؛ لأن وظيفة الإعراب تمييز للمعاني التركيبية بعضها من بعض ؟ إذا لم التفرقة فنقول إن كلمة : « ابتداء » وحدها التي تفهم من الحرف : « من » هي اسم ، وكلمة : « من » نفسها هي حرف ، مع أنها تفيد عند وضعها في الجملة معنى الابتداء ، فكلاهما يتوقف فهمه على أمرين ؛ شيء كان هو المبتدئ ، وشيء آخر كان المبتدأ منه ؟ .

هل السبب ما سطره من دليل جدلي مرهق ، هو : أن معاني الأسماء تتوقف على أمور كلية معلومة لكل فرد بداهة ، فكأنها مستقلة ؛ مستغنية عن غيرها ؟ فلفظة : « ابتداء » عندهم معناها مطلق ابتداء شيء من شيء آخر ، بغير تخصيص ، ولا تعيين ، ولا تحديد . وشيء هذا شأنه يمكن أن يعرفه كل أحد ، ويدركه بالبداهة كل عقل . بخلاف معنى الابتداء في لفظة : « من » حين نقول مثلاً : سرت من القاهرة ، فإن الابتداء هنا خاص مقيد بأنه ابتداء « سير » لا ابتداء قراءة : ، أو أكل ، أو كتابة ، أو سفر ، أو . . . وأنه ابتداء « سير » من مكان معين ؛ هو : القاهرة . فليس الابتداء في هذا المثال معنى مطلقاً كما في سابقه ، وليس فهمه ممكناً إلا بعد إدراك أمرين مخصوصين : يتوقف فهمه عليهما ، ولا يعرفان إلا بالتصريح باسمهما ، هما : السير والقاهرة . أي : أن المعنى إن لوحظ في ذاته مجرداً من كل قيد ، كان مستقلاً ، وكان التعبير عنه من اختصاص الاسم ، « كالا ابتداء » ، وإن لوحظ حاله بين أمرين ، كان غير مطلق وغير مستقل ، وكان التعبير عنه مقصوراً على الحرف^(١) . . .

فهل نقبل هذه العلل المصنوعة الغامضة ؟ وهل عرف العرب الأوائل الفصحاء قليلاً أو كثيراً منها ؟ وهل وازنوا واستخدموا القياس والمنطق وعرفوهما في جاهليتهم ؟ ثم يعود النحاة فيقولون^(٢) : إن بعض الأسماء قد بينى لمشابهة الحرف ، مثل : « مَن » و « أين » و « كيف » وغيرها من أسماء الاستفهام . . . ومثل « مَن » ، و « ما » وغيرها من أدوات الشرط والتعليل . . . فأسماء الاستفهام إن دلت على

(١) أول حاشية الأمير على الشذور ، عند الكلام على الاسم .

(٢) شرح الفصل ج ١ القسم الأول - قسم الأسماء . ولكلامهم الآتي صلة وإيضاح لرأيهم في

« الشبه المعنوي » المعروض في ص ٩٢ .

معنى فى نفسها فإنها تدل فى الوقت ذاته على معنى ثان فىا بعدها ؛ فكلمة « مَن » الاستفهامية ، اسم ؛ فهى تدل بمجرد لفظها وذاتها على مسمى خاص بها ، إنساناً غالباً ، وغير إنسان — وتدل على الاستفهام من خارجها ، بسبب افتراض أن همزة الاستفهام تسبقها وتلازمها تقديرأ . . . فكأنك إذا قلت : مَن عندك ؟ تفترض أن الأصل هو : أَمَنَ عندك ؟ . وأنهما فى تقديرك كلمتان : « الهمزة » وهى حرف معنى ، و « مَن » الدالة على المسمى بها ، أى : على الذات الخاصة التى تدل عليها صيغة : « مَن » .

فلما كانت « مَن » لا تستعمل هنا إلا مع الاستفهام المقدّر ، استغنى وجوباً عن همزة الاستفهام لفظاً ، للزومها كلمة : « من » معنى ، وصارت « مَن » نائبة عنها حتماً ؛ ولذلك بنيت ؛ فدلالتها على الاسمية هى دلالة « لفظية » ، مرجعها لفظها المجرد ، ودلالتها على الاستفهام جاءت من خارج لفظها^(١) . ولا يجوز إظهار الهمزة فى الكلام كما تظهر كلمة : « فى » مع الظروف جوازاً ؛ لأن الأمر مختلف ؛ إذ الظرف ليس متضمناً معنى : « فى » بالطريقة السالفة ، فيستحق البناء كما بنيت « مَن » الاستفهامية ، وإنما كلمة : « فى » محذوفة من الكلام جوازاً لأجل التخفيف ؛ فهى فى حكم المنطوق به ؛ ولذلك يجوز إظهارها بخلاف الهمزة .

وكذلك كلمة : « أين » تدل وهى مجردة على معنى فى نفسها ، هو : المكان ، وتدل أيضاً على الاستفهام فىا بعدها ، وهو معنى آخر جاءها من خارجها ؛ بسبب تقدير همزة الاستفهام معها ، — كما تقدم — ثم الاستغناء عن الهمزة وجوباً ؛ لوجود ما يتضمن معناها .

وكلمة : « كيف » تدل بصيغتها المجردة على معنى فى نفسها ، وهو : الحال والهيئة ، ... وتدل على معنى فىا بعدها ، وهو : الاستفهام ، على الوجه السالف ، وكذلك أسماء الشرط ... فإن كلمة : « مَن » تدل على العاقل — غالباً — بنفسها ، وكلمة : « ما » تدل — غالباً — على غير العاقل بنفسها ، وهما تدلان على التعليق والجزاء فىا بعدهما ؛ فكأن كل كلمة من أسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط ، ونحوها — تقوم مقام كلمتين فى وقت واحد ، إحداهما : اسم يدل بذاته على مسمى ، والأخرى : حرف يدل على معنى فى غيره ، وهذا الحرف يجب حذفه لفظاً ،

لوجود الاسم الذى يتضمنه تقديراً^(١) ويؤدى معناه تماماً . ومن هنا نشأ التشابه بين نوع من الأسماء والحروف - فى خيال بعض النحاة - فاستحق ذلك النوع من الأسماء البناء ؛ لعدم تمكنه فى الاسمية تمكناً يبعده من مشابهة الحرف .

ولا يكتفون بذلك بل يسترسلون فى خلق علل يشبثون بها أن الأصل فى البناء السكون ، وأن العدول عن السكون إلى الحركة إنما هو لسبب ، وأن الحركة تكون ضمة ، أو فتحة ، أو كسرة ، لسبب آخر ، بل لأسباب ! !

فما هذا الكلام الجدلى^(٢) ؟ وما جدواه لدارسى النحو ؟ أعرفه العرب الخُلص أصحاب اللغة ، أو خطر بياهم ؟ .

علينا أن نترك هذا كله فى غير تردد ، وأن نقنع بأن العلة الحقيقية فى الإعراب والبناء ليست إلا محاكاة العرب فيما أعربوه أو بنوه . من غير جدك زائف ، ولا منطق متعسف ، وأن القيصـل فيهما راجع (كما قال بعض السابقين^(٣)) إلى أمر واحد ؛ هو : « السماع عن العرب الأوائل » ، واتباع طريقتهم التى نقلت عنهم ، دون الالتفات إلى شيء من تلك العلل ، التى لا تثبت على التمحيص . وعلى هذا لا يصح الأخذ بما قاله كثرة النحاة^(٤) واحتوته مراجعهم ؛ وهو أن الاسم يبنى إذا شابه الحرف مشابهة قوية^(٥) فى أحد أمور أربعة :

أولها : الشبه الوضعى :

بأن يكون الاسم موضوعاً أصالة على حرف واحد ، أو على حرفين ثانيهما لين ، مثل : الناء ، ونا ، فى : جثتنا ، وهما ضميران مبنيان ؛ لأنهما يشبهان

(١) راجع الصفحة الأولى من الجزء الثامن من شرح « المفصل » ، القسم الثالث : « الحروف » .

(٢) نرى بعضه فى حاشية الحضرى ، وشروح التوضيح ، والصبان ، وغيرها . . . أول باب : « العرب والمبنى » .

(٣) حاشية الحضرى الجزء الأول - أول : « المعرب والمبنى » ، عند الكلام على بناء الأفعال ، وسببه ، وما يوجه إلى السبب من اعتراض عليه ، ودفاع عنه - فقد قال عنه مانصه : « العمدة فى هذه الأحكام : « السماع » وهذه حكم تلتبس بعد الوقوع لا تحتل هذا البحث والتدقيق » اه وكذلك الأمير على الشذور عند الكلام على المضارع . وكذلك ما أشرنا إليه فى المقدمة هامش ص ٨ - من رأى « أبى حيان » الوارد فى « الجمع » - ج ١ ص ٥٦ - حيث يقول عن تعليقات النحاة لحركة الضمير : (إنها تعليقات لا يحتاج إليها ، لأنها تمليل وضعيات ، والوضعيات لا تملل) . يريد بالوضعيات : الألفاظ التى وضعها العرب على صورة خاصة ، وشكل معين ، من غير علة للوضع ، ولا سبب سابق يدعوم إلى اختيار هذه الصورة وذلك الشكل ؛ فليس هنا سبب إلا مجرد النطق المخض . (٤) كابن هشام وغيره .

(٥) هى التى لا يعارضها شيء من خصائص الأسماء ؛ كالتثنية والإضافة .

.....
.....

الحرف الموضوع على مقطع واحد ، كباء الجر ، وواو العطف ، وغيرهما ، من الحروف الفردية المقطع ، أو ثنائية المقطع ، مثل ، قد ، هل ، لم .

ولو صح هذا ، لسألناهم عن سبب بناء الضمائر الأخرى التي تزيد على حرفين ، مثل : نحن ، وإيّا . . . وسألنا عن سبب إعراب أب ، وأخ ، ويد ، ودم ، ونحوها مما هو على حرفين ؟ . نعم أجابوا عن ذلك بإجابات ، ولكنها مصنوعة ، صادفتها اعتراضات أخرى ، ثم إجابات ، وهكذا مما سجلته المراجع

ثانيهما : الشبه المعنوي :

بأن يتضمن الاسم بعد وضعه في جملة معنى جزئياً غير مستقل ، زيادة على معناه المستقل الذي يؤديه في حالة انفراده ، وعدم وضعه في جملة .

وكان الأحق بتأدية هذا المعنى الجزئي عندهم هو : « الحرف » . ومعنى هذا : أن الاسم قد خلّف الحرف فعلا ، وحل محله في إفادة معناه ، وصُرف النظر عن الحرف نهائياً فلا يصح ذكره ، ولا اعتباره أنه ملاحظ ؛ فليس حذفه للاقتصار كحذف : « في » التي تتضمنها أنواع من الظروف ، أو حذف كلمة : « من » التي تتضمنها أنواع من التمييز ؛ فإن هذا التضمن في الظروف والتمييز لا يقتضي البناء — كما يقولون — . لأنه ليس باللازم المحتوم . أما التضمن الذي يقتضي البناء عندهم ، فهو التضمن اللازم المحتم الذي يتوقف عليه المعنى الذي قصد عند التضمن . فيخرج الظروف والتمييز . وتدخل أسماء الشرط والاستفهام ، مثل : متى تحضر أكرمك — ومتى تسافر ؟

فكلمة : « متى » في المثال الأول تشبه الحرف « إن » في التعليق والجزاء ، وهي في المثال الثاني تشبه همزة الاستفهام ، فكلتاهما اسم من جهة ، ومتضمنة معنى الحرف من جهة أخرى ، فتي الشرطية وحدها تدل على مجرد تعلق مطلق ، ولكنها بعد وضعها في الجملة دلت عليه وعلى معنى في الجملة التي بعدها ، وهو تعليق شيء معين بشيء آخر معين : أي : توقف وقوع الإكرام على وقوع الحضور ، فحصول الأمر الثاني المعين : مرتبط بحصول الأول المعير ومقيد به ^(١) . . .

وهي ^(٢) وحدها في الاستفهام تدل على مجرد الاستفهام والسؤال ، من غير تقييد بدلالة على الشيء الذي تسأل عنه ، أو عن صاحبه ، أو غير ذلك . لكنها بعد

(١) يوضح كلامهم في الشبه المعنوي ما سبق في آخر ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) أي : « متى » الاستفهامية .

.....
.....

وضعها في الجملة دلت على معنى جزئى جديد ؛ فوق المعنى السابق : هو أن السؤال متجه إلى معنى محدد . هو السَّفر ، ومتجه إلى المخاطب أيضاً . . .

وكذلك اسم الإشارة ^(١) ، مثل كلمة : هذا ؛ فإنها وهى منفردة ، تدل بلفظها المجرد على مطلق الإشارة ، من غير دلالة على مشار إليه أو نوعه ؛ أهو محسوس أم غير محسوس ؟ حيوان أم غير حيوان ؟ . . .

لكن إذا قلنا : هذا محمد ، فإن الإشارة صارت مقيدة بانضمام معنى جديد إليها ؛ هو الدلالة على ذات محسوسة لإنسان ^(٢) .

فإن صح ما يقولونه من هذه التعليقات ، فلماذا أعربت : «أى» الشرطية ، «وأى» الاستفهامية ، وأسماء الإشارة المثناة ؛ مثل : هذان عالمان ، وهاتان حديقتان ؟ نعم ؛ لهذا عندهم إجابة ، وعليها اعتراض ، ثم إجابة ، ثم اعتراض ، وهكذا مما تموج به الكتب الكبيرة

ثالثها : الشبه الاستعمالى :

بأن يكون الاسم عاملاً في غيره ، ولا يدخل عليه عامل — مطلقاً — يؤثر فيه ؛ فهو كالحرف : في أنه عامل غير معمول ، كأسماء الأفعال ، مثل : هيهات القمر ، وبله المنى ، «فهيها» : اسم فعل ماض ، بمعنى : بعد جداً ، وفاعله . القمر ، و«بله» : اسم فعل أمر ، بمعنى : اترك ، وفاعله ضمير ، تقديره : أنت ، و«المسى» : مفعول به ، وكلاهما قد عمل الرفع في الفاعل ، كما أن «بله» عملت النصب في المفعول به ؛ ولا يدخل على واحد من اسمى الفعل عامل يؤثر فيه .

رابعها : الشبه الافتقارى :

وذلك بأن يفتقر الاسم افتقاراً لازماً إلى جملة بعده ، (أو ما يقوم مقامها ، كالصفة الصريحة في صلة «أل» ^(٣)) أو إلى شبه جملة ؛ كالاسم الموصول ، فإنه يحتاج بعده إلى جملة أو ما يقوم مقامها ، أو شبهها ، تسمى : جملة الصلة ؛ لتكمل المعنى ، فأشبه الحرف في هذا ؛ لأن الحرف ، موضوع — غالباً — لتأدية معانى الأفعال وشبهها إلى الأسماء ؛ فلا يظهر معناه إلا بوضعه في جملة ، فهو محتاج إليها دائماً . فاسم الموصول يشبهه من هذه الناحية : في أنه لا يستغنى مطلقاً

.....
.....

عن جملة بعده ، أو ما ينوب عنها ، أو شبهها ، يتم بها المعنى .
فإن صح هذا فلم أعربت «أى» الموصولة — أحياناً — ، و«الذان» ، و«اللتان» ؟
أجابوا : أن السبب هو ما سبق في نظائرها ، من الإضافة في كلمة :
«أى» . والثنية فيما عداها . والإضافة والثنية من خصائص الأسماء ، فضعف
شبه تلك الكلمات بالحروف ، فلم تُبْن . وعلى هذه الإجابة اعتراض ، فإجابة ،
فاعترض ... وهكذا دواليسك ...

فما هذا العناء فيما لا يؤيده الواقع ، ولا تساعفه الحقيقة ؟ . وأى نفع فيما ذكره
من أسباب البناء وأصله ، ومن سبب ترك السكون فيه إلى الحركة ، وسبب اختيار
حركة معينة لبعض المبنيات دون حركة أخرى ...

خامسها : شبه اللفظي :

زاده بعضهم^(١) ، ومثل له بكلمة : «حاشاً» الاسمية قائلاً : إنها مبنية
لشبهها «حاشاً» الحرفية في اللفظ ، ومثل هذا يقال في كلمة : «علّى» الاسمية ،
وفي «كتلاً» بمعنى «حقاً» . وفي «قدّ» الاسمية ؛ فإن الأسماء الثلاثة مبنية
لشبهها اللفظي بنظائرها الحرفية ، وقيل إن شبه اللفظي مجوز للبناء ، لا محتم له .
وعلى هذا يجوز في الأسماء السابقة أن تكون معربة تقديراً كإعراب الفتي . ما عدا
«قدّ» فإنها تعرب لفظاً — كما سبق^(٢) —

وهناك أنواع أخرى من شبه لا قيمة لها .

إن الخيري في إهمال كل ما قالوه في أنواع شبه المختلفة السالفة ، وأسباب
بنائها ، وعدم الإشارة إليه في مجال الدراسة والتعليم ، والاستغناء عنه بسرد
المواضع التي يكون فيها الاسم مبنياً وجوباً ، وهو العشرة الماضية^(٣) ، ومبنى
جوازاً في مواضع أخرى ستذكر في مواطنها .

(ح) اشترطوا في إعراب المضارع — كما سبق^(٤) — ألا تتصل به اتصالاً
مباشراً نون التوكيد ، أو نون الإناث^(٥) ؛ فالمضارع معرب في مثل : «هل

(١) راجع الصبان ج ١ باب : «المعرب والمبنى» ، عند الكلام على : أنواع شبه ، والتنبيه الثاني .

(٢) ص ٧٧ والجداول التي في ص ٨٥ .

(٣) في ص ٣١ .

(٤) لا يكون اتصال نون النسوة به إلا مباشراً .

(٥) في ص ٨١ .

تقومان ؟ وهل تقوْمُنْ ؟ وهل تقومين ؟ لأن نون التوكيد لم تتصل به اتصالاً مباشراً ، ولم تلتصق بآخره ، لوجود الفاصل اللفظي الظاهر ، وهو : ألف الاثنين ، أو المقدر ، وهو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ؛ فأصل تقومان : تقومان^(١) . فاجتمعت ثلاث نونات متواليات زوائد في آخر الفعل . وتوالي ثلاثة أحرف هجائية من نوع واحد ، وكلها ليس أصلياً ، وإنما هو من حروف الزيادة^(٢) ، أمر مخالف للأصول اللغوية ، فحذفت - في الظاهر^(٣) - نون الرفع ؛ لوجود ما يدل عليها ، وهو أن الفعل مرفوع لم يسبقه ناصب أو جازم يقتضي حذفها ، ولم تحذف نون التوكيد المشددة ؛ لأنها جاءت لغرض بلاغي يقتضيها ، وهو توكيد الكلام وتقويته . ولم تحذف إحدى النونين المدغمتين لأن هذا الغرض البلاغي يقتضي التشديد لا التخفيف^(٤) . فلما حذفت النون الأولى من الثلاث ، ولهي نون الرفع ، كسرت المشددة ، وصار الكلام : « تقومان »^(٥) .

وأصل « تقوْمُنْ » هو : « تقومونن » حذفت النون الأولى للسبب السالف ،

(١) يتحتم امتناع توالي الأمثال إذا كانت الأحرف الثلاثة المتأثلة زوائد ؛ فليس منه : (القاتلات جُننٌ أو يُجُنُنن) ، لأن الزائدة هو المثل الأخير من الثلاثة . وليس منه قوله تعالى : « ليسجُنن » ، وليكونن^(١) ، من الصاغرين » - (كما يقول الصبان في هذا الموضع ، وفي باب نون التوكيد ج ٣) - وليس منه أيضاً الفعل ومشتقاته في مثل : أنا أحبيك ، أو : أنا عبيك . (راجع شرح الرضى للشافعية ، ج ٢ هو ١٨٦ وما يليها) .

وهناك حالات أخرى يتحتم فيها المنع سيجيء ذكرها في الجزء الرابع (باب : تثنية المقصور والممدود ، وجمعهما ، م ١٧١ ص ٥٦٨) . . . (٢) لاقى الحقيقة (انظر رقم ١ من هامش ص ٩٧) .

(٣) إيضاح هذا ، وتفصيله في ج ٤ ص ١٧٧ باب : نون التوكيد .

(٤) التقاء الساكنين (وهما ألف الاثنين والنون المشددة) جائز هنا ؛ لأنه على بابه وعلى حده : (أى : على الهاب القياسي له ، وموافق له) ؛ وذلك لتحقيق الشرطين المسوغين للتلاق ؛ وهما وجود حرف مد (أى : حرف علة ، قبله حركة تناسبه) وبعده في الكلمة نفسها حرف مدغم في مثله ، أى : حرف مشدد مثل : خاصة ، دابة ، الضالين . . . فإن كانت نون التوكيد خفيفة لم يصح وقوعها بعد الألف مطلقاً ، سواء أكانت ألف اثنين ، أم زائدة للفصل بين نون التوكيد ونون النسوة ، في مثل : تعلمنن يافقيات - (وسيجيء بيان هذا في موضعه المناسب ج ٤ باب : نون التوكيد) - انظر هامش الصفحة الآتية .

ويصح التقاء الساكنين في الوقف بغير شرط (كما قلنا في ص ٥١ - وكما يجيء في ج ٤ ص ١٣٩ م ١٤٣) - وكذلك عند سرد بعض الألفاظ ؛ مثل : كاف - ميم ، صاد . . وكذلك لمنع اللبس (بالتفصيل الموضح في ص ٥١ وفي رقم ٢ من هامش ص ١٥٩ ولهما تشابه بما في رقم ٢ من هامش ص ٢١٩) .

... ..

وبقيت نون التوكيد المشددة ، فصار « تقومون » ؛ فالتقى ساكنان . . . واو الجماعة والنون الأولى المدغمة في نظيرتها ؛ فحذفت الواو للتخلص من التقاء الساكنين^(١) : وإنما وقع الحذف عليها لوجود علامة قبلها تدل عليها ؛ وهي : « الضمة » ولم تحذف نون التوكيد الثقيلة ولم تُخَفَّفْ ، مراعاة للغرض البلاغي السابق ؛ ولعدم وجود ما يدل عليها عند حذفها .

ومثل ذلك يقال في : « تقومين » فأصلها : « تقومين » حذفت النون الأولى ، وبقيت نون التوكيد المشددة ، فصار اللفظ أنت تقومين ؛ فالتقى ساكنان : ياء المخاطبة والنون الأولى المدغمة في نظيرتها . فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، ولوجود كسرة قبلها تدل عليها ، ولم تحذف نون التوكيد المشددة ، ولم تخفف للحاجة إليها - كما سلف - فصار اللفظ تقومين^(١) . . .

(١-١) قال بمض النحاة : (إن التقاء الساكنين هنا على حده ؛ فهو جائز : فلا حاجة إلى حذف الواو والياء للتخلص منه . ويمكن الدفع بأنه وإن كان جائزاً - لا يخلو من ثقل ما . فالحذف هو للتخلص من الثقل الحاصل به .) اهـ الصبان ج ١ في الكلام على إعراب المضارع . .

وقال فريق آخر من النحاة ؛ (إن قلت : هو هنا على حده ؛ لكون الأول من الساكنين حرف مد « أى : حرف علة قبله حركة تناسبه » والثاني مدغماً في مثله . وهما في كلمة واحدة لأن الواو والياء كجزئها - فلم لم يقبل كما قبل في نحو دابة ؟ - انظر رقم ٤ من هامش الصفحة السابقة - أجيب : بأن الساكنين هنا من كلمتين ؛ لا من كلمة واحدة ، إذ الواو والياء كلمة مستقلة ، وكونهما كالجزء لا يعطيهما حكمه من كل وجه ؛ فلم يفتقر التقاءهما لثقله ...) اهـ خضرى في الموضوع السابق أيضاً ... ثم قال : (إنما اغتفر في ألف الاثنين لأن حذف الألف يوجب فتح النون ؛ لفوات شبههما بنون المثني فيلتبس بفعل الواحد . . اهـ)

والذي نراه في الواو والياء - على الرغم من أنهما ضميران ، لأحرفان - ويؤيده السماع القوي والذي في قوله تعالى (أنحأرجوني في الله ...) أنه يجوز حذفهما وعدم حذفهما في الأمثلة السابقة وأشباهها على حسب الاعتبارين السالفين . لكن الحذف هو الأكثر - طبقاً لما سيأتى في ص ١٧٩ و ٢٨٤ - ويؤيد صحة الحذف وعدمه ما جاء في حاشية الألوسي على القطر (ص ٥٧) من أن التقاء الساكنين المغتفر يتحقق بأن يكون الأول منهما حرف مد (أى : حرف علة قبله حركة تناسبه) والثاني منهما مدغماً في مثله : كدابة ، والضالين . فليس في هذا الكلام ما يدل على اشتراط اجتماعهما في كلمة واحدة . ومن أمثله قوله تعالى : (فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) فقد اشتملت الآية على المضارع « تتبعان » الذي وقع فيه التقاء الساكنين على حده المباح مع أن الالتقاء هنا في كلمتين

أما من يشترطون أن يكون الالتقاء في كلمة واحدة . فيقولون في المضارع السابق وأشباهه ما لم يحذف فيه حرف العلة ، إن سبب بقاء حرف العلة ، وعدم حذفه هو ضرورة طارئة ، كنع اللبس في المضارع السالف ، لأن حذف الألف يقع في اللبس بين فعل الواحد والفعل المسند لألف الاثنين ، ولا يمكن إبقاء الألف وحذف نون التوكيد ، لئلا يضيع الغرض الهام الذي جاءت لتحقيقه ؛ وهو التوكيد . ويؤيد ما سبق أيضاً ما جاء في هامش الشذور - ص ١٥ - فهو شبه بما نقله الألوسي . وجاء في شرح التصريح (ج ٢ باب : « الإبدال » عند الكلام على إبدال الواو من الياء) ما نصه : (يجوز الجمع بين ساكنين إذا كان الأول حرف =

ف عند إعراب « تقومُن » ... السابقة ، أو تقومين ... بقول : فعل مضارع مرفوع
وعلامة رفعه النون المقدرة^(١) لتوالى النونات ، والضمير المحذوف لالتقاء الساكنين
(واو الجماعة ، أو : ياء المخاطبة) ، فاعل ، مبنى على السكون في محل رفع .

وعند إعراب « تقومان » نقول : فعل مضارع مرفوع ، وعلامة رفعه النون
المقدرة لتوالى النونات . والنون المشددة للتوكيد . ومثل هذا في قوله تعالى : « تَبْلُوْنَ »
« أموالكم وأنفسكم ... » فأصل ... تَبْلُوْنَ : تَبْلُوْنَ ؛ تحركت الواو
الأولى وانفتح ما قبلها ؛ فقلت ألفاً ، ثم حذفت الألف لالتقاء ساكنة مع واو
الجماعة ، ثم حذفت نون الرفع لتوالى النونات ، فالتقى ساكنان : واو الجماعة
والنون الأولى من نون التوكيد المشددة ؛ فحرّكت واو الجماعة بحركة تناسبها - وهي
الضمة - للتخلص من اجتماع الساكنين . ولم تحذف الواو لعدم وجود علامة قبلها
تدل عليها ، ولم تحذف نون التوكيد أو تخفف لوجود داع بلاغى يقتضى بقاءها
مشددة ، فلم يبق إلا تحريك الواو بالضمة ، التى تناسبها .

وكذلك « تَرَيْن » في قوله تعالى يخاطب مريم : « فإما تَرَيْن » من البشر أحداً
فقولى إني نذرت للرحمن صوماً ؛ فلن أكلسم اليوم إنسياً . أصلها : تَرَأَيْنَن
نقلت حركة الهمزة إلى الراء بعد حذف السكون ، وحذفت الهمزة تخفيفاً^(٢) ،

= لين - يريد حرف مد . والثاني مدغماً كدابة ...) أ هـ . فقد سكت عن شرط الالتقاء في كلمة واحدة .
فكان شأنه كشأن المراجع الأخرى التى سكتت وتركت شرط التلاق في كلمة واحدة . بل إن الصبان (ج ٣ باب
نونى التوكيد) قال في اشتراط أن يكون الساكنان في كلمة مانصه : (الصحيح فيما يأتى - خاصاً
بحذف الضمير إلا الألف - عدم اشتراط كونهما في كلمة ، بدليل ؛ نحو : « أُنْحِجَا جَوْنِي » وعلة الحذف
عند من لا يشترط ذلك ، استثقال الكلمة ، واستطالتها لو أبقي المضمير « الضمير ») أ هـ .
ولهذه المسألة بيان في باب : « نون التوكيد » ج ٤ .

(١) نون الرفع هنا مقدرة (كما هو مبين في ص ٩٥ وفي رقم ٥ من ص ٢٠٥) لأنها محذوفة لعله :
والمحذوف لعله كالثابت . ولكنها لا تظهر ، فليست محذوفة حذفاً نهائياً ، وإنما هي مخفية ، ولذا فالإعراب هنا
« تقديرى » لا لفظى . وهذا شأنها دائماً مع المضارع المؤكد بالنون المسند إلى ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ؛
أو ياء المخاطبة ، سواء أكان المضارع صحيح الآخر أم معتل ، وسواء أكانت نون التوكيد مشددة أم غير مشددة ،
إلا مع ألف الاثنين ؛ فيجب التشديد والكسر معاً ؛ لأن نون التوكيد الخفيفة لا تقع بعد ألف الاثنين ،
وكذلك لا تقع بعد نون النسوة إلا بشرط وجود ألف زائدة تفصل بين النونين مع تشديد نون التوكيد أيضاً وكسرها .
(راجع الأشموفى ، وحاشية الصبان ج ١ عند الكلام على بناء المضارع ، وعند الكلام على الأفعال الخمسة
في آخر باب : « المغرب والمبنى » وشرح التوضيح وهامشه ج ١ في أول الفصل الخاص بالإعراب المقدر في
المقصود والمنقوص) .

ويجوز على الألسنة الآن عند الإعراب أنها محذوفة ، ولا مانع من قبوله تيسيراً وتخفيفاً .
(٢) الكلام الفصيح يدل على أن هذا التخفيف ملتزم في المضارع والأمر من مادة الفعل : « رأى » .

فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ : تَرَيَيْنَنَّ ، ثُمَّ حُذِفَتِ النُّونُ الْأُولَى لِلْجَازِمِ وَهُوَ : « إِنْ »
الْشَّرْطِيَّةُ الْمُدْغَمَةُ فِي « مَا » الزَّائِدَةُ ؛ فَصَارَتْ : تَرَيَيْنَ ، وَالْيَاءُ الْأُولَى مُتَحَرِّكَةٌ وَقَبْلُهَا
فَتْحَةٌ ، فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا ، فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ : « تَرَايَنَّ » فَالْتَقَى سَاكِنَانِ ، الْأَلْفُ وَيَاءُ
الْمُخَاطَبَةِ بَعْدَهَا ؛ فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، فَصَارَتْ « تَرَيْنَنَّ » فَالْتَقَتْ
يَاءُ الْمُخَاطَبَةِ سَاكِنَةٌ مَعَ النُّونِ الْأُولَى مِنَ النُّونِ الْمَشْدُودَةِ ، فَحَرَّكَتِ الْيَاءُ بِالْكَسْرِ ، إِذْ
لَا يَجُوزُ حَذْفُهَا لِعَدَمِ وُجُودِ كَسْرَةٍ قَبْلُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ النُّونِ الْأُولَى
مِنَ الْمَشْدُودَةِ ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَتَطَلَّبُهَا مُشَدَّدَةٌ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَحْرِيكُ الْيَاءِ بِالْكَسْرِ الَّتِي
تَنَاسَبَتْ ؛ فَصَارَتْ : تَرَيَيْنَ .

وَبِمُنَاسَبَةِ مَا سَبَقَ مِنْ تَحْرِيكِ وَائِ الْجَمَاعَةِ وَجُوبًا نَذَرَ قَاعِدَةَ لُغَوِيَّةَ عَامَةً
تَتَّصِلُ بِوَائِ الْجَمَاعَةِ : هِيَ : أَنَّهَا فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ تُضْمُ - فِي الْأَغْلَبِ -
إِذَا كَانَ قَبْلُهَا مَفْتُوحًا وَمَا بَعْدَهَا سَاكِنًا ، نَحْوُ : الصَّالِحُونَ سَعَوْا الْيَوْمَ فِي الْخَيْرِ ،
وَلَنْ يَسْعَوْا الْغَدَاةَ فِي سُوءٍ ؛ فَارْضَوْا الْخُطَّةَ الَّتِي رَسَمُوهَا .

* * *

(٥) وَجُودُ التَّوَكِيدِ فِي الْمَثَالَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ (تَقْوَمُنَّ ، وَتَقْوَمِينَ) قَدْ يُوْهِمُ
أَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِآخِرِ الْمُضَارِعِ اتِّصَالًا مُبَاشِرًا يَقْتَضِي بِنَاءَهُ . لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ غَيْرُ ذَلِكَ ؛
فَهُوَ مُعَرَّبٌ ، وَاتِّصَالُ النُّونِ بِهِ ظَاهِرٌ ؛ لَا عِبْرَةَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ مَفْصُولٌ مِنْهَا
بِفَاصِلٍ مُقَدَّرٍ (أَيْ : خَفِيَ غَيْرُ ظَاهِرٍ) هُوَ ؛ وَائِ الْجَمَاعَةُ الْمَحْذُوفَةُ ، أَوْ يَاءُ
الْمُخَاطَبَةِ الْمَحْذُوفَةُ ، وَكِلَاهُمَا مَحْذُوفٌ لَعَلَّةٌ ، وَالْمَحْذُوفُ لَعَلَّةٌ كَالثَّابِتِ - كَمَا أَشَارُوا (١)
لِهَذَا يَكُونُ الْمُضَارِعُ فِي الْمَثَالَيْنِ السَّالِفَيْنِ مُعَرَّبًا ؛ لَا مُبْنِيًا ؛ لِأَنَّ نُونَ التَّوَكِيدِ
مَفْصُولَةٌ مِنْهُ حَقِيقَةً وَتَقْدِيرًا أَمَّا فِي بَقِيَّةِ الْأَمْثَلَةِ (تَقْوَمَانِ - تَبْلُوتَانِ - تَرَيْنَنَّ) ،
فَالنُّونُ لَمْ تَتَّصِلْ أَيْضًا بِآخِرِهِ ؛ لَوْجُودِ الْفَاصِلِ الْمَنْطُوقِ بِهِ ، الْحَاجِزِ بَيْنَهُمَا ، وَنَعْنَى بِهِ :
الضَّمِيرُ (أَلْفُ الْاِثْنَيْنِ - وَائِ الْجَمَاعَةِ - يَاءُ الْمُخَاطَبَةِ) . فَالْمُضَارِعُ هُنَا مُعَرَّبٌ أَيْضًا ؛
لِأَنَّ نُونَ التَّوَكِيدِ لَمْ تَتَّصِلْ بِآخِرِهِ اتِّصَالًا مُبَاشِرًا . وَهَذَا شَأْنُ الْمُضَارِعِ دَائِمًا ؛ يَظَلُّ
مُحْتَفَظًا بِإِعْرَابِهِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ نُونِ التَّوَكِيدِ بَعْدَهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُتَّصِلَةً بِآخِرِهِ
اتِّصَالًا مُبَاشِرًا ؛ بَحِثْ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا فَاصِلٌ لَفْظِي ، مَذْكُورٌ أَوْ مُقَدَّرٌ .
وَلِهَذَا ضَابِطٌ صَحِيحٌ مُطَّرَدٌ ؛ هُوَ أَنَّ الْمُضَارِعَ إِذَا كَانَ مَرْفُوعًا بِالضَّمَّةِ قَبْلَ

مجىء نون التوكيد ؛ فإنه يبنى بعد مجيئها ؛ لأن الاتصال يكون مباشراً ، وإن كان مرفوعاً بالنون قبل مجيئها فإنه لا يبنى ؛ لوجود الفاصل الظاهر أو المقدر وهو : الضمير .

* * *

(هـ) قلنا إن الماضى يبنى على السكون فى آخره إذا اتصلت به التاء المتحركة التى هى ضمير "أى : فاعل" ، أو «نا» التى هى فاعل كذلك ، أونون النسوة وهى ضمير فاعل أيضاً ، كما يبنى على الضم فى آخره إذا اتصل به واو الجماعة . لكن كثير من النحاة يقول إن هذا السكون عَرَضِيٌّ طارئٌ ؛ جاء ليمنع الثقل الناشئ من توالى أربعة حروف متحركة فى كلمتين ، هما أشبه بكلمة واحدة ، (أى : فى الفعل وفاعله التاء ، أو نا ، أو نون النسوة) ، فليس السكون فى رأيهم مجلوباً من أثر عامل دخل على الفعل ؛ فاحتاج المعنى لجلبه . لهذا يقولون فى إعرابه : بنى الماضى على فتح مقدر ، منع من ظهوره السكون العارض . . .

وكذلك يقولون فى الضمة التى قبل واو الجماعة ؛ إنها عرضية طارئة ؛ لمناسبة الواو فقط ، وإن الفعل بنى على فتح مقدر منع من ظهور الضمة العارضة^(١) . . . إلخ . ولا داعى لهذا التقدير والإعانات . فن التيسير الذى لا ضرر فيه الأخذ بالرأى القائل بأنه بنى على السكون مباشرة فى الحالة الأولى ، وعلى الضم فى الحالة الثانية .

(و) ليس من المبنى الأسماء المقصورة ؛ مثل : الفتى ، الهدى ، المصطفى . . . ولا الأسماء المنقوصة ؛ مثل : الهادى ، الداعى ، المنادى . . . لأن ثبات آخرها على حال واحدة إنما هو ظاهرى بسبب اعتلاله ؛ ولكنه فى التقدير متغير ؛ فهى معربة تقديرًا ؛ بدليل أنها تثنى وتجمع فيتغير آخرها ؛ والمبنى لزومًا لا يثنى ولا يجمع مباشرة ، فنقول فى الرفع : الفتيان ، والفتاتون . وفى النصب والجر : الفتاتين والفتسين . وكذلك : الهاديان ، والهاديتين ، والهادون ، والهادين . . . وكذا الباقى .

أما بناء اسم لا - أحيانًا - وبعض أنواع المنادى فهو بناء عارض لا أصيل ؛ يزول بزوال سببه ، وهو وجود : « لا » و « النداء » ، فتى زال السبب زال البناء العارض . بخلاف المبنى الأصيل ؛ فإن بناءه دائم . . .

* * *

المسألة ٧ :

أنواع^(١) البناء والإعراب ، وعلامات كل منهما^(٢)

- ١ - للبناء أنواع أصلية ، وأخرى فرعية تنوب عنها . فالأصلية أربعة :
- ١ - السكون^(٣) - وهو أخفها - ويدخل أقسام الكلمة الثلاثة ؛ فيكون في الاسم ؛ مثل : كَسَمَ ، وَمَنَ . ويكون في الحرف ، مثل : قَدَ ، وَهَلْ . ويكون في الفعل بأنواعه الثلاثة ؛ في الماضي المتصل بضمير رفع متحرك ، (التاء ، ونا ، ونون النسوة) ، مثل : حَضَرْتُ (بفتح التاء ، وضمها ، وكسرها) حضرنا - النسوة حضرن . وفي الأمر المجرد صحيح الآخر ؛ مثل : اجْلِسْ واكْتُبْ .. ، وفي المضارع المتصل بنون النسوة : مثل : الطالبات يتعلمن ويعملن ...
- ٢ - الفتح ، ويدخل أقسام الكلمة الثلاثة ، فيكون في الاسم ؛ مثل : كيفَ ، وأَيْنَ . ويكون في الحرف ؛ مثل : سَوِّفَ . وثُمَّ . ويكون في الفعل بأنواعه الثلاثة ؛ في الماضي المجرد ؛ مثل : كَتَبَ ، نَصَرَ ، دَعَا . مع ملاحظة أن الفتح في : « دَعَا » وأمثالها - مما هو معتل الآخر بالألف - يكون مقدراً .
- وفي المضارع والأمر عند وجود نون التوكيد في آخرهما ؛ مثل : والله لأسافرن في طلب العلم . سافرن - يا زميل - في طلب العلم .
- ٣ - الضم ، ويدخل الاسم والحرف ، دون الفعل ، فمثال الاسم : حيثُ ، والضم فيه ظاهر . وقد يكون مقدراً في مثل : « سيُوبه » عند النداء : تقول : « يا سيُوبه » ؛ فهو مبنى على الكسر لفظاً ، وعلى الضم تقديرأً^(٤) في محل نصب في الحالتين . ومثال الحرف : « منذُ » (على اعتبارها حرف جر) .
- أما الضم في آخر الفعل الماضي في مثل : الأبطال حضروا ... فليس بأصلي ،

(١) يرتضى بعض النحاة تسميتها : « بالألقاب » بدلا من الأنواع . ولا مانع من هذا أوداك

(٢) في ص ١١٥ بيان السبب في أن لكل منهما علامات خاصة ، وبيان بمض علامات لاتوصف بإعراب ولا بناء .

(٣) ويسمى : الوقف - كما في رقم ٢ من هامش ص ١٠٣ - ويكثر في عبارات الأقدمين ترديد الاثنين .

(٤) ويقولون في إعرابه : منادى مبنى على ضم مقدر على آخره ؛ منع من ظهوره حركة البناء الأصل - وهي الكسر - في محل نصب .

ولأنما هو ضم عارض لمناسبة الواو - كما سبق (١).

٤ - الكسر ، ويدخل الاسم والحرف ، دون الفعل أيضاً ؛ فمثال الاسم : هؤلاء . ومثال الحرف : باء الجر في « بك » . . .

والعلامات الفرعية التي تنوب عن الأصلية أشهرها خمس :

١ - ينوب عن السكون حذف حرف العلة من آخر فعل الأمر المعتل الآخر ؛ مثل الفعل : اخش ، وارم ، واسم ؛ في نحو : اصفع عن المعتذر لك ، واخش أن يقطعك ، وارم من ذلك إلى كسب مودته ، واسم بنفسك عن الصغائر . وينوب عن السكون أيضاً حذف النون في فعل الأمر المسند لألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، مثل : اكتبوا ، اكتبوا ، اكتبوا .

٢ - وينوب عن الفتح الكسرة في جمع المؤنث السالم ، المبني ، الواقع اسم « لا » النافية للجنس . نحو : لا مهملات هنا (في هذا نيابة حركة بناء عن حركة أخرى) . وينوب عن الفتح أيضاً الياء في المثني المبني ، وفي جمع المذكر السالم المبني ، وإذا وقع أحدهما اسم : « لا » النافية للجنس ، نحو : لا غائبين ، ولا غائبين هنا (وفي هذه الياء نيابة حرف عن حركة بناء) .

٣ - وينوب عن الضم الألف في المثني المبني ؛ إذا كان منادى مفرداً (٢) علماً ، نحو : يا محمدان ، أو كان نكرة مقصودة ؛ مثل : يا واقفان اجلسا ؛ لاثنتين معينين (وهذه نيابة حرف عن حركة بناء) .

وتنوب الواو عن الضمة في جمع المذكر المبني إذا كان منادى مفرداً علماً . نحو : يا محمدون (وهذه نيابة حرف عن حركة بناء أيضاً) .

وما تقدم نعلم أن الكسر في البناء لا ينوب عنه شيء ؛ وأن السكون ينوب عنه شيان ، وكذلك الفتح ، والضم . كما نعلم أن الضم والكسر يكونان في الاسم والحرف ، ولا يكونان في الفعل . وفي الجدول التالي تلخيص لكل ما تقدم :-

(١) انظر « ه » في صفحة ٩٩ .

(٢) المفرد في باب المنادى هو : (ما ليس مضافاً ، ولا شبيهاً بالمضاف) . فالمنادى المضاف مثل : يا سعد الدين أقبل ، والشبيه بالمضاف مثل : يا صانعاً خيراً ترقب جزاءه .
(وللمنادى باب مستقل في أول الجزء الرابع) .

علامات البناء الأصلية ، والفرعية ، ومواضعها

نوع البناء الأصل	ما يدخل عليه من أقسام الكلمة	المثال	ما ينبو عن تلك العلامة
(١) السكون	الاسم ← الحرف ← (١ - الماضي المتصل بضمير رفع متحرك، ومنه المتصل بنون نسوة (٢ - الأمر صحيح الآخر (٣ - المضارع المتصل بآخره نون النسوة	كَمْ - مَن - قَدْ - هَلْ - عرفتُ - عرفنا - الأهات حافظن على الأولاد اكتب ، واقرأ ، وتعلم العاملات يسرعن	١ - حذف حرف العلة من آخر فعل الأمر المعتل الآخر ، مثل : أرض . . ٢ - حذف النون في الأمر المسند إلى ألف الاثنين ، أو : وأو الجماعة ، أو ياء المخاطبة . . .
(٢) الفتح	الاسم ← الحرف ← (١ - الماضي صحيح الآخر والمعتل الآخر بالألف (١) (٢ - المضارع المتصل بآخره نون التوكيد (٣ - الأمر المتصل بآخره نون التوكيد	أَيْنَ - كَيْفَ - سوف - رَبِّ - ضحك - نظرت - دعاً الصالح ربه والله لتفرحن افرحن	١ - الكسرة في جمع المؤنث السالم إذا وقع اسم « لا » النافية للجنس ؛ نحو : لا مهملات عندنا ٢ - الياء في المثني المبني ، وجمع المذكر المبني إذا وقع أحدهما اسم « لا » النافية للجنس ؛ نحو : لا صديقين غادران ، لا مصلحين مقصرون . . .
(٣) الضم	الاسم (والضم ظاهر في آخره) الاسم (والضم مقدر في آخره) الحرف - الفعل × × × ×	حيثُ ... سيبويه ... منذُ (حرف جر) × × × ×	١ - الألف في المثني المبني ؛ إذا كان منادى مفرداً علماً ، أو : نكرة مقصودة ؛ نحو : يا محمدان : يا واقفان اجلسا . ٢ - الواو في جمع المذكر المبني إذا كان منادى مفرداً علماً ؛ نحو : يا محمدون . . .
(٤) الكسر	الاسم ← الحرف ← الفعل × × × ×	هؤلاء الباء في : بك × × × ×	× × × × × × × × × × × ×

إلى هنا انتهى الكلام على علامات البناء الأصلية والفرعية (٢).

* * *

(١) والفتح مقدر على الألف

(٢) أما بيان السبب في أن لكل منهما علامات خاصة فيأتى - في ص ١٠٦ كما ذكرنا - وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحِقٌّ لِّبِنَا
وَمِنْهُ ذُو فَتْحٍ ، وَذُو كَسْرٍ ، وَضَمٍّ ؛
وَكَأَيِّنْ ، أَمْسٍ ، حَيْثُ ، وَالسَّاكِنُ : كَمْ
وَالْأَصْلُ فِي الْمَبْنِيِّ أَنْ يُسَكَّنَا

(ب) وللإعراب أنواع أربعة :

١ - الرفع : ويدخل الاسم ، والفعل المضارع ؛ مثل : سعيدٌ يقومُ ، ومثل الخبر والمضارع في قول الشاعر يمدح خبيراً حكيماً :

يَزِنُ الأَمُورَ ؛ كَأَنَّمَا هُوَ صَيَّرَفٌ يَزِنُ النُّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابٍ

٢ - النصب ؛ ويدخل الاسم ، والفعل المضارع ؛ مثل ؛ إن العزيز لن يقبل الهوانَ ، وإن الشريف لن يُقدِّمَ على صغار .

٣ - الجر ؛ ويدخل الاسم فقط ؛ مثل : باللهِ أَسْتَعِينُ في كلِّ أمرٍ من غيرِ تقصيرٍ في العملِ الناجِعِ .

٤ - الجزم ؛ ويدخل الفعل المضارع فقط ؛ مثل ^(١) : لم أتأخَّرْ عن إجابة الصارخ ، وقول الشاعر :

إذا لم يعيشَ حرّاً بموطنه الفتي فسمِّ الفتي ميتاً ، وموطنه قَبْرًا

فالرفع والنصب يدخلان الأسماء والأفعال ، والجر تختص بالاسم ؛ والجزم تختص بالمضارع .

ولهذه الأنواع الأربعة علامات أصلية ، وعلامات فرعية تنوب عنها .

فالعلامات الأصلية أربعة هي : الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب ، والكسرة في حالة الجر ، والسكون ^(٢) (أى : عدم وجود حركة) في حالة الجزم ؛ فتقول في الكلمة المرفوعة (في مثل : سعيدٌ يقومُ) : مرفوعة ، وعلامة رفعها الضمة ؛ وفي الكلمة المنصوبة (في مثل : إن علياً لن يسافرَ) : منصوبة ، وعلامة نصبها الفتحة : وفي المجرورة : علامة جرها الكسرة ، وفي المجزومة : علامة جزمها السكون ^(٣) . . .

(١) ومثل قوله تعالى عن نفسه (لم يلدْ ، ولم يُولَدْ ، ولم يكنْ له كُفُوًا أحد .)

(٢) أو : الوقف . . . (انظر رقم ٣ من هامش ص ١٠٠) .

(٣) وفي الإعراب وعلاماته الأصلية يقول ابن مالك :

وَالرَّفْعُ وَالنَّصْبُ اجْعَلْنِ إِعْرَابًا لاسم وفعل : نحو : لَنْ أَهَابَا =
النحو الوافي - أول

أما العلامات الفرعية التي تنوب عن تلك العلامات الأصلية فهي عشر ؛ ينوب في بعضها حركة فرعية عن حركة أصلية ، وينوب في بعض آخر حرف عن حركة أصلية^(١). وينوب في بعض ثالث حذف حرف عن السكون ؛ (فيحذف حرف العلة من آخر المضارع المجزوم ، وكذلك تحذف نون الأفعال الخمسة من آخر المضارع المجزوم) .

والمواضع التي تقع النيابة فيها سبعة ، تسمى : « أبواب الإعراب بالنيابة » ، وهي :

(أ) الأسماء الستة^(٢) . (ب) المثني^(٣) . (ح) جمع المذكر السالم^(٤) .

(د) جمع المؤنث السالم^(٥) . (هـ) الاسم الذي لا ينصرف^(٦) .

(و) الأفعال الخمسة^(٧) . (ز) الفعل المضارع المعتل الآخر^(٨) .

والإشتمُّ قد خُصَّصَ بالجَرِّ ؛ كما قَدْ خُصَّصَ الفِعْلُ بِأَنْ يَنْجَزَما فَارْفَعَ بَضْمٌ ، وَانْصَبْنَ فَتْحًا ، وَجُرْ كَسْرًا ، كَذِكُرَ اللَّهِ عَبْدُهُ يَسُرُّ هذا ، وكلمة : « الرفع » تعرب مفعولا به مقدماً للفعل : اجملن . ويعاب هذا بأن فيه تقديم معمول الفعل المؤكد بالنون ؛ ولا يجوز تقديمه اختياراً - كما قلنا في رقم ٢ من هامش ص ٨٠ - وبخاصة إذا كان المعمول ليس شبه جملة - عند من يبيح تقديم شبه الجملة دون غيره من المعمولات - ولكن ضرورة الشعر قضت بالتقديم ، ولا داعي لإعرابه مفعولا به لفعل محذوف يفسره المحذوف ؛ لما في ذلك من تهاوت بلاغي . وكلمتا : « فتعا وكسرا » في البيت الأخير منصوبتان على ما يسمى : « نزع الخافض » (أو : الحذف والإيصال) ، إذ أصلهما : (يفتح - بكسر) وحذف حرف الجر قبلهما فنصب المجرور على ما يسمى : « نزع الخافض ... » . والمشهور أن النصب على نزع الخافض غير قياسي ؛ (كما سيجيء البيان في موضعه من باب : « تعدية الفعل ولزومه » ، ج ٢ ص ١٣٩ م ٧١) حيث قلنا هناك : لا داعي للأخذ بالرأى الذي يعتبره قياساً ؛ لأنه يؤدي إلى الخلط والغموض والإلباس ؛ إذ يقع في وهم كثيرين أن الفعل متعد بنفسه ، ولن ينتبه إلى نصبه على نزع الخافض إلا قلة معدودة مشغلة بالشئون اللغوية .

(١) ومن هذا ما يجيء في « ب » ص ١٠٦ .

(٢) حيث تنوب الواو عن الضمة في حالة الرفع ، وتنوب الألف عن الفتحة في حالة النصب ، وتنوب الياء عن الكسرة في حالة الجر . .

(٣) فتنب الألف عن الضمة في حالة الرفع . وتنوب الياء عن الفتحة والكسرة في حالتي النصب والجر .

(٤) فتنب الواو عن الضمة في حالة الرفع ، وتنوب الياء عن الفتحة والكسرة في حالتي النصب والجر .

(٥) فتنب الكسرة عن الفتحة في حالة النصب .

(٦) فتنب الفتحة عن الكسرة في حالة الجر .

(٧) فتنب النون عن الضمة في حالة الرفع ، وينوب حذف النون عن الفتحة والسكون ، نصباً وجزماً .

(٨) وينوب حذف حرف العلة عن السكون . في حالة الجزم .

وتتلخص الفروع العشرة النائية عن الأصول فيما يأتي :

- ١ - ينوب عن الضمة ثلاثة أحرف ، هي : الواو ، والألف ، والنون .
- ٢ - ينوب عن الفتحة أربعة أشياء ، هي : الكسرة ، والألف ، والياء ، وحذف النون .
- ٣ - ينوب عن الكسرة شيثان ، هما : الفتحة ، والياء .
- ٤ - ينوب عن السكون حذف حرف ، إما حرف علة في آخر المضارع المعتل المجزوم ، وإما حذف النون من آخره إن كان من الأفعال الخمسة المجزومة .
وفما يلي تفصيل الأحكام الخاصة بكل واحد .

* * *

زيادة وتفصيل :

ما السبب في أن للبناء علامات خاصة ، وللإعراب أخرى ؟ وهل هناك علامات لا توصف بأنها علامات إعراب ولا بناء ؟ .

(١) قال شارح المفصل ^(١) ما نصه :

« اعلم أن سيويه وجماعة من البصريين قد فصلوا بين حركات الإعراب وسكونه ، وبين ألقاب حركات البناء وسكونه ، وإن كانت في الصورة واللفظ شيئاً واحداً ، فجعلوا الفتح المطلق ^(٢) لقباً للمبنى على الفتح ، والضم لقباً للمبنى على الضم ، وكذلك الكسر ، والوقف ^(٣) .

« وجعلوا النصب لقباً للمفتوح بعامل ، وكذلك الرفع ، والجر ، والجزم ، ولا يقال لشيء من ذلك مضموم مطلقاً ، — أو مفتوح ، أو مكسور ، أو ساكن — فلا بد من تقييد ، لئلا يدخل « المعرب » في حيز « المبنيات » . أرادوا بالمخالفة بين ألقابها إيالة الفرق بينهما ؛ فإذا قالوا هذا الاسم مرفوع عُلِمَ أنه بعامل يجوز زواله ، وحدث عامل آخر يحدث خلاف عمله ، فكان في ذلك فائدة وإيجاز ، لأن قولك : مرفوع ، يكنى عن أن يقال له : مضموم ضمة تزول ، أو ضمة بعامل . وربما خالف في ذلك بعض النحاة ، وسمى ضمة البناء رفعاً وكذلك الفتح ، والكسر ، والوقف . والوجه هو الأول ، لما ذكرناه من القياس ، ووجه الحكمة . » ١ هـ .

(ب) في بعض اللهجات العربية تنقلب ألف المقصور ياء عند إضافته لياء المتكلم ، وتندغم الياءان ، ففي مثل : هُدًى ، يقال : « هُدًى » في كل حالات الإعراب ، فيكون معرباً بالياء التي أصلها الألف بدل حركات الإعراب التي كانت مقدرة على الألف ، وهذا مما ناب فيه حرف عن حركة أصلية . وهو من اللهجات الضعيفة التي لا يحسن العمل بها اليوم . (وسيجيء الكلام عليها في هامش ص ١٨٩ ثم في المكان الأنسب لها ، وهو : باب الإضافة لياء المتكلم ، ج ٣ م ٩٧ ص ١٧٤) .

(ح) قد تكون الكلمة مضبوطة ضبطاً معيناً بعلامة لا توصف بأنها علامة

(١) ج ٣ ص ٨٤ . (٢) أي : الذي يلزم آخر الكلمة في كل أحوالها .

(٣) هو : السكون ، كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ١٠٠ .

إعراب أو بناء^(١). وإنما هي علامة صوريّة ظاهرية ؛ جاءت لمجرد المماثلة والمشابهة بين ضبط هذه الكلمة المتأخرة وضبط كلمة قبلها مباشرة. ومن هذا قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبْ مَثَلٌ » ، فاستمعوا له . . .

فكلمة : « أَيْ » منادى مبني على الضمّ في محل نصب ، وكلمة : « النَّاسُ » ، عطف بيان . وضمتها ضمة ماثلة ومشابهة « لَأَيَّ » ؛ وهذه الضمة ليست للبناء ولا للإعراب ، وإنما هي ضمة صوريّة ظاهرية ، قصد بها المحاكاة المحضة ، وليس لكلمة « النَّاسُ » محل إعرابي في أشهر قولين ، مع أننا أعربناها عطف بيان . ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً » . فكلمة : « آيَةً » منادى مبني على الضمّ في محل نصب . وكلمة : « النَّفْسُ » عطف بيان ، مضبوطة بالضمة التي جاءت لتكون هذه الكلمة ماثلة لسابقتها في العلامة . وليس لها محل إعرابي (في أشهر رأيين) ، بالرغم من إعرابها عطف بيان . وكلمة : « الْمُطْمَئِنَّةُ » ، صفة للنفس ، مضمومة بضمة مشابهة أيضاً .

على أن إيضاح هذا وتفصيله في مكانه الأنسب ، (وهو باب : « تابع المنادى » ج ٤ م ١٣٠ ص ٤٤ وباب : « الاختصاص » ، ج ٤ م ١٣٩ ص ١١٧ عند الكلام على : « أَيْ وَأَيَّةٌ » فيهما . . .)

وهناك نوع آخر من الألفاظ لا يوصف بأنه معرب أو مبني ولكنه يزداد لغير معنى لغوي - وقد تكون زيادته لمجرد المدح ، أو الذم ، أو التلميح .. وليس له ضبط إعرابي خاص به ، وهذا النوع يسمى : « الأتباع » - بفتح الهمزة - وسيجيء حكمه (في باب الحال (ج ٢ م ٨٤ - رقم ٣ من هامش ص ٣٦٦ وفي باب النعت (ج ٣ م ١١٤ ص ٤٥٢) بما ملخصه : أن اللفظ قد يجيء عَرَضًا بعد كلمة تسبقه ؛ فيسأيرها في وزنها ، وفي ضبط آخرها ؛ مثل : محمد حَسَنٌ بَسَنٌ ، واللصُّ شَيطَانٌ نَيْطَانٌ ، أو : عفريتٌ نفيرتٌ . . . - ويذكر في إعرابه أنه تبع للأولى ، أي : من أتباعها ، لكن ليس من التوابع الأربعة المعروفة التي هي النعت ، والعطف ، والتوكيد ، والبدل . . . ولا يجري عليه شيء من أحكام هذه التوابع الأصلية وكل حكمه مقصور على أنه مثل ما قبله في الوزن وضبط الآخر ضبطاً لا يوصف بإعراب ولا بناء . وحركته تختلف اختلافاً واسعاً كذلك عن حركة الإتياع الآتية ، في رقم ٦ من ص ٢٠٠ .

(١) هذا ما أشرنا إليه في آخر ص ٨٧ .

المسألة ٨ :

١ - الأسماء الستة^(١)

هي : أبٌ، أخٌ، حمٌ^(٢)، فمٌ^(٣)، هنٌ^(٤)، ذو... بمعنى صاحب^(٥). فكل واحد من هذه الستة يرفع - في الأغلب - بالواو نيابة عن الضمة ، وينصب بالالف نيابة عن الفتحة ، ويجر بالياء نيابة عن الكسرة ، مثل : اشتهر أبوك بالفضل ، أكرم الناس أباك لفضله ، استمع إلى نصيحة أهلك ... ومثل قول الشاعر :

أخوكَ الَّذِي إنْ تَدْعُهُ لِمِلْمَةٍ
يُجِيبُكَ ، وإنْ تَغْضَبَ إِلَى السِّيفِ يَغْضَبُ

وتقول : إنَّ أخاكَ الَّذِي . . . - تَمَسَّكَ بِأَخِيكَ الَّذِي . . . ومثل هذا يقال في سائر الأسماء الستة .

لكن يشترط لإعراب هذه الأسماء كلها بالحروف السابقة ، أربعة شروط عامة وشروط خاص بكلمة : « فم » ، وآخر خاص بكلمة : « ذو » .

فأما الشروط العامة فهي :

(أ) أن تكون مفردة ، فلو كانت مثناة أو مجموعة ، أعربت لإعراب المثنى أو الجمع ، نحو : جاء أبوانِ ، رأيت أبوينِ ، ذهبت إلى أبوين . جاء آباءٌ ، رأيت آباءً ، ذهبت إلى آباءٍ

(ب) أن تكون مُكَبَّرَةً^(٥) ؛ فإن كانت مصغرة أعربت بالحركات الثلاث

(١) وقد يسميها بعض النحاة : الأسماء الستة المعتلة الآخر ، لأن في آخرها واوا مخدوفة تخفيفاً : إلا : « ذو » . فليس فيها حذف .

(٢) الحم : كل قريب للزوج أو الزوجة ؛ والدأ كان أم غير والد . لكن العرف قصره على الوالد .

(٣) بمعنى شيء ، أي شيء ، وبمعنى الشيء اليسير . والتافه . وكناية عن كل شيء يستقبح

التصريح به .

(٤) تقول : محمد ذو خلق ؛ وعمل ذو أدب ، ... أي : صاحب خلق ، وصاحب أدب . ومثل قوله

عليه السلام : شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه .

(٥) غير مصغرة . (والتصغير النحوي باب مستقل في الجزء الرابع) .

الأصلية ، في جميع الأحوال ، مثل : هذا أُبَيْتُكَ العالم . . . أن أُبَيْتِكَ عالم . . .
أقنت بـأُبَيْتِكَ . . . الخ .

(ح) أن تكون مضافة ؛ فإن لم تُضَفْ أعربت بالحركات الأصلية ، مثل :
تعهد أبٌ ولدَه - أحبَّ الولدُ أبًا - اعتنَ أبٌ -

وقد اجتمع الإعراب بالحروف وبالحركات ، في قول الشاعر :

أبونا أبٌ لو كان للناس كلهم أبًا واحدًا أغناهمو بالمناقبِ

(د) أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم ؛ فإن أضيفت وكانت إضافتها إلى ياء
المتكلم ^(١) ، فإنها تعرب بحركات أصلية مقدرة قبل الياء . مثل : أبى يحب الحق -
إن أبى يحب الحق - اقتديت بأبى في ذلك . فكلمة : « أب » في الأمثلة الثلاثة
مرفوعة بضممة مقدرة قبل الياء ، أو منصوبة بفتحة مقدرة قبل الياء ، أو مجرورة
بكسرة مقدرة أيضًا ^(٢) . وكذلك باقى الأسماء الستة . إلا « ذو » فإنها لا تضاف لياء
المتكلم ولا لغيرها من الضمائر المختلفة - كما سيجيء هنا - .

أما الشرط الخاص بكلمة : « فَم » ، فهو حذف « الميم » من آخرها .
والاقتصار على الفاء وحدها . مثل : ينطق « فوك » بالحكمة . (أى : فك) :
إن « فاك » عذب القول . تجرى كلمة الحق على « فيك » . فإن لم تحذف من آخره
الميم أعرب « الفم » بالحركات الثلاث الأصلية ؛ سواء أكان مضافًا أم غير
مضاف ، وعدم إضافته في هذه الحالة أكثر . نحو : هذا « فم » ينطق بالحكمة -
إن « فمًا » ينطق بالحكمة يجب أن يُسمَعَ - في كل « فم » أداة بيان .

وأما الشرط الخاص بكلمة : « ذو » بمعنى : صاحب ^(٣) ، فهو أن تكون
إضافتها لاسم ظاهر ، دالٌّ على الجنس ^(٤) ، مثل : رائدى ذو فضل ، وصديق

(١) سيجيء الكلام على إضافة هذه الأسماء لياء المتكلم ، في الجزء الثالث ، باب : الإضافة لهذه الياء .

(٢) الأحسن في هذه الحالة أن نقول : إنها الكسرة الظاهرة قبل الياء ، لأن الأخذ بهذا الرأى
أسير وأوضح . ولا داعي للتسكك بالرأى الفلسفى المعقد الذى يقول : إن الكسرة الظاهرة هى لمناسبة ياء
المتكلم ، وأن كسرة الإعراب مقدرة بسبب الكسرة الظاهرة التى حلت محلها فأخفها . . .

(٣) وهى غير « ذو » المعدودة من أسماء الموصول ، والتى يجيىء الكلام عليها في ص ٣٥٧ .

(٤) سبق الكلام على اسم الجنس في ص ٢١ وما بعدها ، وسيجيىء له تفصيل في باب العلم (ص ٢٨٨)
والمراد به : ما وضع للمعنى الكلى المجرد ، أى : للصورة الذهنية العامة ؛ مثل علم ، فضل ، حياء
رجل ، طائر .

ذو أدب . وقول الشاعر :

= ولا بد أن يكون اسم الجنس هنا اسماً ظاهراً ؛ فلا يجوز إضافة : « ذو » التي من الأسماء الستة إلى ضمير يرجع إلى جنس ؛ مثل : الفضل « ذوه » أنت . كما لا يجوز إضافتها إلى مشتق ، مثل : محمد ذو « فاضل » ولا إلى غلام ، مثل : أنت ذو « على » ولا إلى جملة : مثل : أنت ذو « تقوم » . وفيما يلي بعض البيان والتفصيل لما سبق :

جاء في تاج العروس ، شرح القاموس ، خاصاً بكلمة : « ذو » بمعنى « صاحب » ما نصه :
(« كلمة صيغت ليتوصل بها إلى الوصف بالأجناس ») . . وقال شارح المفضل - ج ١ ص ٥٣ - ما نصه : (« إنها لم تدخل إلا وصلة إلى وصف الأسماء بالأجناس كما دخلت : « الذي » وصلة إلى وصف المعارف بالجمل - وكذا أتى « بأى » وصلة لنداء ما فيه « الألف واللام » في قولك : يأبها الرجل ، ويأبها الناس ») اهـ والمراد مما سبق أن أسماء الأجناس جامدة - في الغالب - فليست مشتقة ، ولا مؤولة بالمشتق ؛ فلا تصلح أن تقع نعتاً ، ولا غيره مما يتطلب الاشتقاق الصريح أو المؤول - كالحال واندمت - فجاءت : « ذو » قبل اسم الجنس - وهي ما يؤول بالمشتق - لتكون وسيلة للوصف به ، مع إعرابها هي الصفة المضافة ، وإعراب اسم الجنس هو المضاف إليه المحرور .

فإن وقعت صفة لنكرة وجب أن يكون اسم الجنس (وهو المضاف إليه) نكرة ، وإن وقعت صفة لمعرفة وجب أن يكون اسم الجنس (وهو : المضاف إليه) معرفة بالألف واللام ، ولا يصح أن تصاف : « ذو » التي بمعنى : « صاحب » إلى علم ، ولا إلى ضمير ما دام الغرض من مجيئها التوصل بها إلى الوصف باسم الجنس . فإن لم يكن الغرض من مجيئها هو هذا التوصل فالصحيح أنها تدخل على الأعلام والمضمرات . وأمثلة هذا كثيرة في كلام العرب ؛ منها : « ذو الخلصة » ، (الخلصة : اسم صنم . و « ذو » كناية عن بيته) ومنها ذو رُعَيْن ، وذو جدن ، وذو يزن ، وذو المجاز ... وكل هذه اعلام سبقتها « ذو » أى : أعلام مصدرة بكلمة مستقلة هي : « ذو » ومن أمثلة دخولها على الضمير قول كعب بن زهير :

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مُرْهَقَاتٍ أَبَارَ ذَوِي أَرْوَمَتِهَا ذُووَهَا

وقول الأحمص :

ولكن رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ صَرَفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَوَائِلِ

وقول الآخر : إِنَّمَا يَصْطَنِعُ الْمَعَةُ رَوْفٌ فِي النَّاسِ ذُووُهُ

« وقالوا : جاء من ذى نفسه ، ومن ذات نفسه ، أى : طائفاً . - (راجع تاج العروس ج ١٠

مادة : « ذو ») - . . . ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

ماضرى حسد الشام ولم ينزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

ولا قيمة للتعليل أو التأويل الذى يردده شارح المفضل (ج ١ ص ٥٣) محاولاً به أن يجعل الضمير

المضاف إليه في بعض الأمثلة السابقة قريباً من اسم الجنس ، فيستأخ مع أن تكون « ذو » هي المضاف . . . لا قيمة لهذا بعد أن نفى العرب بإضافتها إلى الضمير والعلم ، وتعددت الأمثلة الفصيحة الواردة عنهم ، والتي لا تحتاج إلى تعليل ولا تأويل إلا صحة ورودها .

وإذا وقعت كلمة : « ذو » صدر اسم جنس لا يعقل وأريد جمعه وجب جمعه مؤنثاً سالماً ؛ نحو : مضى =

وَمَنْ لَا يَسْكُنُ ذَا نَصِيرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغْلَبْ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ، وَيُضْهِدُ^(١)

وما سبق هو أشهر اللغات وأسهلها في الأسماء الستة، ولذلك كان أحقها بالاتباع، وأنسبها للمحاكاة، دون غيره. إلا كلمة: «هَن» فإن الأكثر فيها مراعاة النقص في آخرها، ثم إعرابها بالحركات الأصلية بعد ذلك. والمراد بمراعاة النقص في آخرها أن أصلها «هَنَوُ»، على ثلاثة أحرف، ثم نقصت منها الواو؛ بخذفها للتخفيف، سماعاً عن العرب، وصارت الحركات الأصلية تجري على النون، وكأنها الحرف الأخير في الكلمة. فعند الإضافة لا تُردُّ الواو المحذوفة؛ فحكم كلمة: «هَن» في حالة الإضافة كحكمها في عدمها، تقول: هذا «هَنٌ»، أهملت «هَنًا» — لم ألتفت إلى «هَنٍ». وتقول: «هَنٌ»^(٢) المال قليل النفع. إن «هَنَ» المال قليل النفع. لم أنتفع «بهَنَ» المال. لكن يجوز فيها — بقلة — الإعراب بالحروف، تقول: هذا هَنَوُ المال، وأخذت هَنًا المال، ولم أنظر إلى هَنِي المال.

وإذا كان الإعراب بالحروف بشروطه السابقة هو أشهر اللغات وأسهلها في الأسماء الستة إلا كلمة: «هَن» فإن هناك لغة أخرى تليه في الشهرة والقوة؛ هي: «القَصْر» في ثلاثة أسماء: «أَبٌ»، و«أَخٌ»، و«حَمٌ»، دون «ذو»، و«هَن»^(٣)، و«فَم»^(٤). . . ومعنى القصر: إثبات ألف^(٥) في آخر كل من

= ذو القعدة، وذوات القعدة. ومثل هذا يقال في اسم الجنس المصدر بكلمة: «ابن» أو: أخ، نحو: ابن آوى وبنات آوى، وأخ الجحر (لثعبان) وأخوات الجحر.

(وسيجيء لهذا إشارة في ج من ص ١٧١ عند الكلام على جمع المؤنث السالم، وبيان في الجزء الرابع، آخر باب جمع التكسير ص ٦٢٢ م ١٧٤ وفيه بعض الأحكام الهامة).

هذا، ولكلمة «ذو»، و«ذات» استعمالات أدبية دقيقة، (يبانها في مكانها المناسب ج ٣ ص ٤٢ م ٩٣ باب: الإضافة. وكذلك ج ٢ باب الظرف م ٧٩ — ص ٢٥٥ م ٧٩).

ولكلمة: «ذات» بيان موجز في آخر الهامش من ص ٣٥٧ وهو مقصور على بعض استعمالاتها، والنسب إليها.

وهي تختلف اختلافاً تاماً عن «ذو» التي هي اسم موصول؛ بمعنى: «الذي». مثل جاء «ذو» قام. أي: جاء الذي قام؛ فإن الموصولة تلازمها الواو — غالباً — في أحوالها المختلفة، وتكون مبنية على السكون في محل رفع، أو نصب، أو جر، — كما سيجيء في باب الموصول. ص ٣٥٧.

(١) يَضْهِدُ: يُقْهَرُ وَيُغْلَبُ. (٢) الشيء النافه منه.

(٣) ونقل بعض النحاة «القصر» في هذه الكلمة. (كما سيجيء في رقم ١ من هاش ص ١١٣)

(٤) في الأغلب.

(٥) وهذه الألف منقلبة عن الواو المحذوفة من آخر كل واحدة، فصارت كألف المقصور =

الثلاثة الأولى في جميع أحوالها ، مع إعرابها بحركات مقدرة على الألف رفعاً ونصباً وجراً ؛ مثل : أباك كريم ، إن أباك كريم ، أثبتت على أباك . فكلمة : «أبا» قد لزمها الألف في أحوالها الثلاث ، كما تلزم في آخر الاسم المعرب المقصور ، وهي مرفوعة بضمة مقدرة على الألف ، أو منصوبة بفتحة مقدرة عليها ، أو مجرورة بكسرة مقدرة عليها ، فهي في هذا الإعراب كالمقصور .

وهناك لغة ثالثة تأتي بعد هذه في القوة والذيع ، وهي لغة النقص السابقة ، فتدخل في : «أب» و «أخ» و «حم» ، كما دخلت في : «هن» ، ولا تدخل في : «ذو» ولا «فم» إذا كان بغير الميم . تقول كان أبك مخلصاً . إن أبك مخلص ، سررت من أبك لإخلاصه... وكذا الباقي . فكلمة : «أب» مرفوعة بضمة ظاهرة على الباء ، أو منصوبة بفتحة ظاهرة ، أو مجرورة بكسرة ظاهرة^(١) . ومثل هذا يقال في «أخ» و «حم» كما قيل : في «أب» وفي «هن» .

= (وهو الاسم المعرب الذي في آخره ألف لازمة ، كالحدى ، والرضا ، والمصطفى) . وهذا جار على أن أصلها : «أبو» ، و «أخو» و «حمو» - كما في رقم ١ الآتي - تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ؛ هكذا يقول النحاة .

والحق أن أهل اللغة التي تلزم آخرها الألف لم ينظروا إلى ما يسمى أصل الواو ، ولم يعرفوا قلب الحروف ، ولا أمثال هذا . وإنما نطقوا عن فطرة وطبيعة : فهم يلزمون آخرها الألف بغير تعليل إلا النطق بها . «ملاحظة» : إذا حذف من الاسم الثلاثي أحد أصوله فإن جاءت همزة الوصل عوضاً عن المحذوف لم يصح إرجاعه في التثنية وجمع المؤنث السالم . أما إذا لم تأت همزة التعويض فالأجود - وقيل الواجب - إرجاعه . إن كان يرجع عند الإضافة . وتطبيقاً لهذا الحكم ترجع - في الحاتين السالفتين - اللام المحذوفة من الثلاثي ؛ لأنها ترجع عند إضافته ؛ فيقال في : (قاض - شج - أب - أخ - حم - ...) : قاضيان - شجيان - أبوان - أخوان - حموان ... لأنه يقال في الإضافة : قاضينا - شجينا - أبوه - أخوه - حموه ... وشذ : أبسان وأخان ...

أما الذي لا يرجع عند الإضافة فلا يرجع عند التثنية ، وجمع المؤنث السالم ، نحو : اسم - ابن - يد - دم - غد - فم - سنة ... ؛ فيقال : اسمان - ابنان - يدان - دمان - غدان - فنان - ستان . وشذ : فسوان ، وفسميان ، ومن الضرورة قول الشاعر :

فلو أننا على حجر دُبَحْنَا جرى الدميان بالخبر اليقين

وقول الآخر : يديان بيضاوان عند محلّم

(محلم ، بكسر اللام : اسم رجل) وستجىء إشارة لهذا الضابط عند الكلام على المثني (في «ح» من ص ١٣٥ وفي آخر رقم ١ من هامش ص ١٦٤) .
(١) أساس هذه اللغة : مراعاة النقص في تلك الكلمات الثلاث ، والاعتداد به ؛ فقد كان =

ومما سبق نعلم أن الأسماء الستة لها ثلاث حالات من حيث علامات الإعراب وقوة كل علامة .

الأولى : الإعراب بالحروف ، وهو الأشهر ، والأقوى ، إلا في كلمة : « هن » فالأحسن فيها النقص ؛ كما سبق .

الثانية : القصر ، وهو في المنزلة الثانية من الشهرة والقوة بعد الإعراب بالحروف ، ويدخل ثلاثة أسماء ، ولا يدخل « ذو » ولا « فم » محذوف الميم ، لأن هذين الاسمين ملازمان للإعراب بالحرف . ولا يدخل : « هن » ^(١) .

الثالثة : النقص ، وهو في المنزلة الأخيرة ، يدخل أربعة أسماء ، ولا يدخل « ذو » ولا « فم » محذوف الميم . لأن هذين الاسمين . ملازمان للإعراب بالحروف عند استيفائهما الشروط — كما سبق — .

فن الأسماء الستة ما فيه لغة واحدة وهو « ذو » و « فم » بغير ميم . وما فيه لغتان ، وهو « هن » .

وما فيه ثلاث لغات وهو أب ، أخ ، حم ^(٢) .

= آخر كل واحدة منها في الأصل : « الواو » (أبَوُ - أَعُو حَمَوُ - كما في رقم ٥ من ص ١١١) حذف الواو تخفيفاً ؛ فلا ترجع عند الإضافة . بل يستغنى عنها في كل الأحوال . والحق هنا هو ما قلناه في سابقه ؛ أن التعليل الصحيح هو نطق العرب الفصحاء .

(١) نقل بعض النحاة فيها القصر ، أيضاً - كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ١١١ -

(٢) على ضوء ما تقدم نستطيع أن نفهم قول ابن مالك :

وارْفَعْ بواوٍ وانْصِبْ بالألف واجرُرْ بياء - ما من الأسماء أصف
مِنْ ذَاكَ : « ذُو » ، إِنْ صُحِبَتْ أَبَانَا والقَمُ حَيْثُ الميمُ مِنْهُ بَانَا
« أَب » ، « أَخ » ، « حَم » ، كذا « وَهْن » والنَّقْصُ فِي هَذَا الْآخِرِ أَحْسَنُ
وَفِي « أَب » وَتَالِيَيْهِ يَنْدُرُ . . وَقَصْرُهَا مِنْ نَقْصِهِنَّ أَشْهُرُ
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : بين الحروف الثلاثة النابتة عن الحركات الأصلية الثلاث ؛ وتلك الحروف هي : الواو ، والألف ، والياء .

وفي البيت الثاني : صرح أن من الأسماء الستة : « ذو » ، بشرط أن يبين محبة ، أى : يدل على محبة ؛ بأن يكون بمعنى : « صاحب » . وأن منها : « الفم » بشرط أن تبين (أى : تنفصل) منه الميم .
وفي البيت الثالث والرابع : أوضح أربعة . وصرح بأن النقص في كلمة : « هن » أحسن من الإعراب بالحروف .. وأما أب وأخ وحَم فالتقص فادر فيها - مع جوازها - ، ولكن القصر أحسن .

.....

زيادة وتفصيل :

(١) بالرغم من تلك اللغات المتعددة التي وردت عن العرب في الأسماء الستة ، يجدر بنا أن نقصر على اللغة الأولى التي هي أشهر تلك اللغات وأفصحها ، وأن نهمل ما عداها (١) - ، حرصاً على التيسير ، ومنعاً للفوضى والاضطراب الناشئين من استخدام لغات ولهجات متعددة .

وقد يقال : ما الفائدة من عرض تلك اللغات إذ آ ؟ .

إن فائدتها هي لبعض الدارسين المتخصصين وأشباههم ؛ إذ تعينهم على فهم النصوص القديمة ، المتضمنة تلك اللهجات التي لا تروى اليوم محاكاتها ، ولا القياس عليها ، ولا ترك الأشهر الأفصح من أجلها .

(ب) جرى العرف على التسمية ببعض الأسماء الستة السالفة ، مثل : أبو بكر - أبو الفضل - ذى النون - ذى يَزَن فإذا سمي باسم مضاف من تلك الأسماء الستة المستوفية للشروط جاز في العلم المنقول منها أحد أمرين :

أولهما : إعرابه بالحروف - ، كما كان يُعْرَبُ أولاً قبل نقله إلى العلامية - كما يصح إعرابه بغير الحروف من الأوجه الإعرابية الأخرى التي تجري على تلك الأسماء الستة ؛ بالشروط والقيود التي سبقت عند الكلام عليها ، أي : أن كل ما يصح في الأسماء الستة المستوفية للشروط قبل التسمية بها يصح لإجراؤه عليها بعد التسمية .

ثانيهما : وهو الأنسب أن يلتزم العلم صورة واحدة في جميع الأساليب ، مهما اختلفت العوامل الإعرابية ، وهذه الصورة هي التي سمي بها ، واشتهر ، فيقال - مثلاً - (كان « أبو بكر » رفيق الرسول عليه السلام في الهجرة) - (إن « أبو بكر » من أعظم الصحابة رضوان الله عليهم) - (أننى الرسول عليه السلام على « أبو بكر » خير الثناء) . . . فكلية : « أبو » ونظائرها من كل علم مضاف صدره من الأسماء الستة يلتزم حالة واحدة لا يتغير فيها آخره ، ويكون معها عربياً بعلامة مقدرة ، سواء أكانت العلامة حرفاً أم حركة ، على حسب اللغات المختلفة السالفة (٢) . . .

(١) مع أن محاكاة صحيحة .

(٢) وإنما كان هذا الوجه أنسب وأولى لمطابقته للواقع الحقيق ، البعيد عن اللبس ، ولأن بعض المعاملات الرسمية الآن لا تجري إلا على أساس الاسم الرسمي المدون في السجلات الحكومية (انظر سبباً مماثلاً في : « - » من ص ١٢٥) .

وإنما تكون العلامة مقدرة إذا لم توجد علامة إعرابية ظاهرة مناسبة ، ففي المثال السابق — كان أبو بكر رفيق الرسول ... — تُعرب كلمة : « أبو » اسم « كان » مرفوعاً بالواو الظاهرة ، ولا داعي للتقدير في هذه الصورة ؛ لوجود الواو الظاهرة التي تصلح أن تكون علامة إعرابية مناسبة . وكذلك لو كان العلم هو : « أبا بكر » أو « أبي بكر » فإننا نقول في مثل : (إن أبا بكر عظيم) إنه منصوب بالألف الظاهرة ، ولا داعي للتقدير ، وفي مثل : (اقتد بأبي بكر ...) إنه مجرور بالياء الظاهرة أيضاً .

(ح) إذا أعرب أحد الأسماء الستة بالحروف ، وأضيف إلى اسم أوله ساكن (مثل : جاء أبو المكارم ، ورأيت أبا المكارم ، وقصدت إلى أبي المكارم) فإن حرف الإعراب وهو : الواو ، أو الألف ، أو الياء — يحدف في النطق ، لا في الكتابة . وحدفه لالتقاء الساكنين ؛ فهو محذوف لعله ، فكأنه موجود . فعند الإعراب نقول : « أبو » مرفوع بواو مقدرة نطقاً ، و « أبا » منصوب بألف مقدرة نطقاً ، و « أبي » مجرور بياء مقدرة نطقاً ؛ فيكون هذا من نوع : « الإعراب التقديري » ؛ بحسب مراعاة النطق . أما بحسب مراعاة المكتوب فلا تقدير .

(د) من الأساليب العربية الفصيحة : « لا أبا له . . . » أو : « لا أبا لفلان ... » ^(٢) فما إعراب كلمة : « أبا » إذا وقعت بعدها اللام الجارة للضمير الغائب ، أو لغيره من الضمائر ، أو الأسماء الظاهرة ؟ .

يرى بعض النحاة أنها اسم « لا » منصوبة بالألف ، ومضافة إلى الضمير أو غيره مما بعد اللام ، واللام التي بينهما زائدة ، ومع أنها زائدة هي التي جرت ما بعدها ، وليس المضاف ، فالمضاف في هذا المثال — وأشباهه — لا يعمل في المضاف

(١) راجع رقم ١ ص ٢٠٤ — الآتية ؛ ففيها ضابط أفضل وفيها إشارة إلى قرار مفيد للمجمع الفنوي مسجل في رقم ٢ من هامش ص ١٥٩ .

(٢) هذا التركيب قد يراد به : المبالغة في المدح ، وأن الممدوح لا ينسب لأحد ؛ فهو معجزة تولى الله إظهارها على غير ما يعرف البشر ؛ فثله كعيسى عليه السلام . وقد يراد به المبالغة ، في الذم ، وأنه لقيط ، (أى ، مولود غير شرعي) . ولكن الأكثر أن يراد به الدعاء عليه بعدم الناصر . وكلمة : « أبا » هنا ليست معرفة بالإضافة ؛ لأن إضافتها غير محضة — كما سيجيء — في باب « الإضافة » ص ٣٠٤ م ٩٣ — بإضافتها كإضافة كلمة : « مثل » في نحو : مثلك كريم ؛ لأنه لم يقصد في أب معين ، بل هو ومن يشبهه ؛ إذ هو دعاء بعدم الناصر مطلقاً . وفي باب : « لا » بيان مفيد عن معنى هذا الأسلوب ، وإعرابه .

.....

إليه . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر : « لا » (١) .

وفى هذا الإعراب خروج على القواعد العامة التى تقضى بأن المضاف يعمل فى المضاف إليه . وفيه أيضاً أن اسم « لا » النافية للجنس وقع معرفة ؛ لإضافته إلى الضمير ، أو غيره من المعارف ، مع أن اسم « لا » المفرد لا يكون معرفة ... و... و...

وقد أجابوا عن هذا إجابة ضعيفة ؛ حيث قالوا : إن كلمة « أبا » ذات اعتبارين ؛ فهى بحسب الظاهر غير مضافة لوجود الفاصل بينهما ، فهى باقية على التنكير ، وليست معرفة ؛ والإضافة غير محضة ؛ وإذ لا مانع من أن تكون اسم « لا » النافية للجنس . وكان حقها البناء على الفتح ؛ لكنها لم تبن للاعتبار الثانى ؛ وهو مراعاة الحقيقة الواقعة التى تقضى بأنها مضافة ؛ فنُصِبَتْ بالألف لهذا ، وصارت معرفة لا مبنية .

وكل هذا كلام ضعيف ، ويزداد ضعفه وضوحاً حين نراه لا يصلح فى بعض الحالات ، ولا يصدق عليها ، كالتى فى قولهم : « لا أبألى » فقد وقعت كلمة : « أبا » فى الأسلوب معرفة بالحرف ، فإن اعتبرناها مضافة فى الحقيقة لياء المتكلم لم يصح إعرابها بالحرف ، لأن المضاف من الأسماء الستة لياء المتكلم لا يصح إعرابه بالحرف . وإن اعتبرناها غير مضافة أصلاً مراعاة للظاهر - بسبب وجود حرف اللام الفاصل - لم يصح إعرابها بالحرف أيضاً ، فهى على كلا الاعتبارين لا تعرب بالحرف .

وأحسن رأى من النواحي المختلفة هو اعتبار كلمة : « أبا » اسم « لا » ، وغير مضافة ، بل مبنية على الألف على لغة من يلزم الأسماء الستة الألف دائماً فى جميع الحالات ، وأنها خالية من التنوين بسبب هذا البناء .

ويرى بعض النحاة إعراباً آخر ، هو : بناء كلمة « أبا » على فتح مقدر على آخرها منع من ظهوره التعذر ، باعتبار هذه الألف أصلية من بنية الكلمة كالألف التى فى آخر كلمة « هذا » فكلاهما عنده حرف أصلى تقدر عليه علامات البناء . ولا يعتبره حرفاً زائداً جىء به ليكون علامة لإعراب (٢) .

والخلاف شكلى ، لا أثر له . وهو يقوم على اعتبار الألف الأخيرة زائدة ، أو أصلية . وسيجىء لهذه المسألة إشارة أخرى فى باب « لا » .

(١) وكيف يتعلقان مع أن حرف الجر زائد ؟

(٢) راجع حاشية الخضرى ، ج ١ أول باب « لا » النافية للجنس .

المسألة ٩ :

ب - المثني .

- (أ) أضواء نجم . راقب الفلكي نجماً . اهتديت بنجم .
 (ب) أضواء نجمان . راقب الفلكي نجمين . اهتديت بنجمين .

تدل كلمة : « نجم » في الأمثلة الأولى : « أ » على أنه واحد . وحين زدنا في آخرها الألف والنون ، أو الياء المفتوح ما قبلها ، وبعدها النون المكسورة - دلت الكلمة دلالة عددية على اثنين ؛ كما في أمثلة : « ب » واستغنيا بزيادة الحرفين عن أن نقول : (أضواء نجم ونجم . راقب الفلكي نجماً ونجماً . اهتديت بنجم ونجم .)
 أى : أننا اكتفينا بهذه الزيادة بدلا من عطف كلمة على نظيرتها الموافقة لها تمام الموافقة في الحروف ، والحركات ، والمعنى العام . فكلمة : « نجمان » أو « نجمين » وما أشبههما تسمى : « مثني » ، وهو :

(اسم يدل على اثنين ^(١) ، متفقين في الحروف ، والحركات ، والمعنى ؛ بسبب زيادة في آخره ^(٢) تغني عن العاطف ^(٣) والمعطوف . وهذه الزيادة هي الألف وبعدها نون مكسورة ^(٤) ، أو الياء وقبلها فتحة ، وبعدها نون مكسورة .

(١) الدلالة على اثنين قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية . فالحقيقية : هي التي تكون بلفظ المثني الصريح المستوفى للشروط الآتية ؛ مثل : الفارسيين - الحبثيين ... المحمدين ... وغير هذا مما يدل على معنى حقيقية لا مجازاً ، ولا اشتراكاً معنوياً بين المثني وغيره ، كالضمير « نا » فإنه مشترك يصلح من جهة المعنى للمثنى وغيره . في نحو : قمنا ، وذهبنا لزيارة الصديق .
 وغير الحقيقية : هي التي تدل على التثنية توسعاً ومجازاً ، كقول الشاعر :

إِنْ لِلخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ

(أى : كلا ذلك الخير والشر ، مواجهة ، وطريق واضح) فكلمة : « ذا » تدل في حقيقتها اللغوية على المفرد المذكور ، ولكنها تدل بمعناها هنا على المثني ؛ لأنها إشارة إلى ما ذكر من الخير والشر ، وهذه الدلالة مجازية لأن دلالة « ذا » على غير المفرد مجازية .

(راجع ج ٣ باب : الإضافة - م ٩٥ ص ٨٩ عند الكلام على كلا وكلتا .)

(٢) أى : أن تلك الدلالة هي بسبب الزيادة التي في آخره .

(٣) وهو : حرف العطف .

(٤) سيجي الكلام على فائدة هذه النون ، وحركتها ، وحكمتها ، عند الكلام على فائدة نون جمع المذكور السالم وحركتها (ص ١٥٦) .

فليس من المثني ما يأتي :

- ١ - ما يدل على مفرد ؛ مثل : نَجْم . وَرَجَلَان^(١) . ولا مثل : شعبان ، ومرؤان ، وبَحْرَيْن ... ، مما أصله مثني ثم سُمِّيَ به واحد^(٢) .
- ٢ - ما يدل على أكثر من اثنين ؛ كالجمع ؛ مثل : نجوم ، وصِنوان^(٣) . . .
- وكاسم الجمع^(٤) . مثل : قوم ، ورهظ . . .

٣ - ما يدل على اثنين^(٥) ، ولكنهما مختلفان في لفظيهما ، مثل : الأبوين ؛ للأب والأم . أو : مختلفان في حركات أحرفهما ؛ كالعُمَريين ؛ لِعُمَرَ بن الخطاب ، وعَمْرُو بن هِشَام ، المعروف ؛ « بأبي جهل » ، أو مختلفان في المعنى دون الحروف وحركاتها ؛ كالعينين ؛ تريد بإحداهما العين الباصرة ، وبالأخرى البئر^(٦) ، فلا يسمى شيء من هذا كله مثني حقيقة ، وإنما هو ملحق

- (١) بمعنى : ماش (غير راكب) ؛ تقول : على رجلان ؛ أى : ماش ؛ وليس براكب .
 - (٢) سيجىء الكلام تفصيلاً على حكم المثني المسمى به - في « ج من ص ١٢٥ - .
 - (٣) تقول : بعض الشجر صِنوان ؛ فهو جمع مفرد ؛ صنو ، والصننو : الشجرة التي تنشا مع أختها في أصل واحد ؛ فهما شجرتان ، مشتركتان في الساق ، وتنفصل كل واحدة عند أعلى الساق .
 - (٤) تعريفه في رقم ٢ من هامش ص ١٤٨ .
 - (٥) سيجىء في - ٨ - من ص ١٥٨ أن المثني قد يكون لفظه في ظاهره دالا على الثنية ومعناه الجمع .
 - (٦) وأمثال هذا ؛ من كل لفظين مشتركين في الحروف ، والحركات ؛ تريد بأحدهما معنى ، وبالأخر معنى يخالفه على سبيل الحقيقة ؛ كالمثال السابق ، أو على سبيل المجاز ؛ مثل : (القلم أحد اللسانين) . وتقول جمهرة النحاة : إن ذلك كله مقصور على ماورد عن العرب ، وسمع منهم . كما أن العمريين والأبوين وغيرهما مقصور عليهم ؛ شأن كل اسمين يراد تثنيتهما مع وجود اختلاف بين مفرديهما ، وأحدهما أهم من الآخر . فقد كان العرب يرجحون الأهم ويغلبونه بإجراء الثنية على لفظه وحده ، ثم يجعلون معنى المثني شاملا لهما معاً ، منطبقاً عليهما ، وهذا ما يسمى : « التغليب » وما ورد منه ملحق بالمثني ، وليس مثني حقيقة .
- والخير أن يكون التغليب قياساً عند وجود قرينة تدل على المراد بغير لبس : كما لو أقبل شخصان معروفان واسم أحدهما : محمد ، والآخر على ؛ فقلت : جاء العليان أو الحمدان ؛ لكثرة تلازمهما ، أو شدة تشابههما في أمر واضح . وبهذا الرأي العمل النافع يقول بعض الباحثين القدامى والحديثين ؛ والأخذ به حسن ومفيد .
- هذا ، والشائع عند العرب تغليب الأقوى والأقدر « في الثنية كالأبوين » . للأب والأم ، وتارة يغلبون الأخف نطقاً كالعُمَريين ، لأبي بكر وعمر ، وتارة يغلبون الأعظم في اتساعه أوضاعته . . . كقوله تعالى وما يستوي البحرين ، هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج) . في الآية تغليب للبحر على النهر . كما يكثر عندهم تغليب المذكر على المؤنث ، كقولهم : « القمران » في الشمس والقمر ، والعاقل على غيره ؛ في مثل : صالح والعصفور ، يقال : الصالحان يغردان . . . ولم يغلبوا المؤنث إلا في قليل من الحالات ، أشهرها :
- ١ - قولهم : ضُبَّعان ، يريدون : الضَّبُع الأنثى وفحلها . (ويقال للأنثى « ضُبُع » ولفحلها ضُبَّعان)
 - فاختاروا اللفظ الخاص بالأنثى ، ونثوه ، وأطلقوه عليهما معاً ؛ تغليفاً للأنثى .

٤ - ما يدل على اثنين متفقين في المعنى والحروف وحركاتها ولكن من طريق العطف بالواو ، لا من طريق الزيادة السالفة ؛ مثل : أضاء نجم ونجم .

٥ - ما يدل على اثنين ، ولكن من طريق الوضع اللغوي ، لا من طريق تلك الزيادة ، مثل : شَفَعَ (ضد فَرَدَ ، ووتر) . ومثل زَوْجَ وزَكَاً ، وهما بمعنى شَفَعَ . فكل واحدة من هذه الكلمات تدل دلالة لغوية على قسمين متماثلين متساويين تماماً (وهى القسمة الزوجية ضد الفردية) . فهى تدل على التثنية ضمناً ، ولكن من غير أن يكون فى آخرها الزيادة السالفة .

= ب - قولم : فرغت من كتابة رسالتى لثلاث بين يوم وليلة (أى : لثلاث محصورة بين كونها أياماً وكونها ليالى) . وضابط هذه المسألة : أن يكون معنا عدد تمييزه مذكر ومؤنث ، وكلاهما لا يعمل وهما مفصولان من العدد بكلمة : « بين » .

وقد غلبوا فى المثال السابق التأنيث على التذكير ؛ بدليل أن اسم العدد خال من علامة التأنيث ، وهو لا يخلو منها إلا فى حالات ، أهمها : أن يكون المعدود المذكور متأخراً فى الجملة ، مؤنثاً خالصاً - بألا يكون معه مذكر - أو مؤنثاً تغليباً ؛ بأن يكون معه مذكر ، ليس له الأهمية والتغليب . ومن أمثله أيضاً : قاتلت تسعاً بين رجل وامرأة ، قرأت عشرا بين كتاب وكراسة . . . إلخ . وهذه المسألة تحة فى ج ٤ « باب العدد » - تذكيره وتأنيثه - م ١٦٥ ص ٥٠٢ لمناسبة هنالك .

ج - المروتان : الصفا والمروة ، وهما جبلان بمكة المكرمة . والتغليب للمروة المؤنثة .

أما « التغليب » فى الجمع فيجئ فى رقم ١ من هامش ص ١٣٩ .

(١) النحاة هم الذين يطلقون اسم : « الملحق بالمثنى » على كل كلمة تعرب بإعراب المثنى ، وليست مثنى حقيقياً ؛ بسبب فقدانها أحد الشروط الخاصة بالمثنى الحقيقى . ويشترطون فى الملحق أن يكون مسموعاً (والحق أنه قد يتقاس - أحياناً - كما سبق فى التغليب) . أما اللغويون فيطلقون . « المثنى » على كل ما يعرب بإعراب المثنى ؛ سواء أكان مثنى حقيقياً أم ملحوقاً به . فالمسألة مجرد اصطلاح ، ولا مانع من استعمال هذه التسمية أو تلك ، بشرط مراعاة الأحكام الخاصة بكل عند الاستعمال .

وشبيه بهذا ما اصطلاح عليه النحاة من « الجمع » و « اسم الجمع » - . وفى رقم (٢) من هامش ص ١٤٨ تعريف لاسم الجمع - فى حين يطلق اللغويون عليهما اسماً واحداً هو : الجمع . وقد يكون المراد عند اللغويين من الاسم المجموع - اثنين ؛ لأن الجمع فى اصطلاحهم يطلق على الاثنين ، كما يطلق على ما زاد على الاثنين ويؤيد هذا شواهد كثيرة فصيحة ، فى مقدمتها القرآن . قال تعالى : « ودَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فى الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ » وقوله تعالى : « إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » وقوله تعالى : (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لى سَاجِدِينَ) وقول أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون :

العينُ بَعْدَهُمُو كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُجِلَتْ بِشَوْكٍ ؛ فَبِى عَوْرًا تَدْمَعُ

فأطلق الجمع فى قوله : حداقها - وهى جمع : « حدقة » - وأراد الاثنين (كما جاء فى حاشية ياسين على التصريح ج ٢ أول باب المضاف لياء المتكلم) ونظر رقم ٢ من هامش ١٣٧ ثم « ز » من ص ١٦٠ .

« ملاحظتهامة » : من الضوابط اللغوية ما صرح به النحاة ، وملخصه :

أن كل مثنى فى المعنى مضاف إلى متضمنه - بكسر الميم الثانية المشددة ، وصيغة اسم الفاعل : أى : إلى ما اشتمل على المضاف - يجوز فيه الأفراد ، والتثنية ، والجمع . والأفضل الجمع نحو قوله تعالى : « إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » . وتقول : تصدقت برأس الكباشين - أو رأسى الكباشين ، أو روسهما . = النحو الوافى - أول

ومثلها : « كلاً » فإنها تدل على شيئين متساويين أو غير متساويين ، ولكن من غير زيادة في آخرها ، فهذه ملحقة بالمتنى .

٦ - ما يدل على اثنين ، وفي آخره زيادة ، ولكنها لا تغنى عن العاطف والمعطوف ؛ مثل : كلتا - اثنان - اثنان أو : ثنتان ؛ فليس لواحدة من هذه الكلمات مفرد مسموع عن العرب ، على الرغم من وجود زيادة في آخرها ^(١) ، ولهذا تعد ملحقة بالمتنى ، وليست متنى حقيقة .

حكم المتنى : أنه يرفع بالألف نيابة عن الضمة . وبعدها نون مكسورة ^(٢) ؛ مثل : يتحرك الكوكبان . وينصب بالياء نيابة عن الفتحة ، وهذه الياء قبلها فتحة وبعدها نون مكسورة ؛ مثل : شاهدت الكوكبتين . ويجر بالياء نيابة عن الكسرة وقبلها فتحة ، وبعدها نون مكسورة ، مثل : فرحت بالكوكبتين .

هذا هو أشهر الآراء ^(٣) في إعرابه وإعراب ملحقاته ^(٤) ، (ومنها كلا ، وكلتا ، واثنان . واثنان ، أو ثنتان) ^(٥) . إلا أن كلا وكلتا لا تعربان بهذه الحروف إلا إذا أضيفتا للضمير ؛ الدال على التثنية ؛ سواء أكانتا للتوكيد ، أم لغيره ،

= وإنما فضل الجمع على التثنية لأن المتضايين كالشيء الواحد ، فكروا الجمع بين تثنيتهما ، ولأن المتنى جمع في المعنى . وفضل الجمع على الأفراد لأن المتنى جمع في المعنى - كما سلف - والأفراد ليس كذلك ؛ فهو أقل منه منزلة في الدلالة على المتنى . هذا ما قاله النحاة كالصبيان ج ٣ والخضرى ج ٢ في أول باب التوكيد - وينطبق ما سبق على « النفس والعين المستعملتين في التوكيد ؛ خضوعاً للسماح الوارد فيهما ، لا تطبيقاً للضابط السالف ؛ فقد قال الصبيان في الموضع المشار إليه : إن إضافتهما ليست لمتضامتهما ، بل إلى ما هو بمعناها ؛ لأن المراد منهما الذات . وسيجيء في « ز » من ص ١٦٠ ضابط آخر أوضحه شارح « المفصل » وهو يخالف الضابط الذى هنا بعض المخالفة . ويبدو أن الرأي الأقوى هو ما قاله شارح « المفصل » . ويرى بعض النحاة أن يطلق على الملحق بالمتنى تسمية خاصة به ، هي : « اسم المتنى » فيكون هناك « اسم المتنى » ، كما يكون هناك « اسم الجمع » .

(١) فلم يرد عنهم : « كلت » ولا اثن ، ولا اثنة ، ولا ثنت ، مع أن الألف في « كلتا » زائدة والتاء أصلية . وقيل العكس . والألف والنون زائدتان في اليواق .

(٢) وهى حرف مبني على الكسر في أشهر اللغات وأفصحها من بين لغات متعددة ؛ فقليل من العرب يفتحها بعد ألف المتنى ، ومنهم من يضمها بعد الألف ، ويكسرهما بعد الياء في حالتى النصب والجر . (وستجيء في ص ١٥٦) وجدير بنا اليوم للاقتصار على الأكثر الأوضح .

(٣) ستجيء آراء أخرى في إعرابه . وبها في « ب » من ص ١٢٣ وكذلك في المسمى به - « ج » ص ١٢٥ .

(٤) ويدخل فيها : « المتنى المسمى به » ، والمتنى تغليبا ، واثنان . واثنان ، وغيرها . أما السبب في التسمية : بالمتنى والجمع فسبب بلاغى : كالملاح ، أو الدم أو التليج ؛ (طبقاً للبيان الآتى في « ج » من ص ١١٦) هذا ويلاحظ أن « النون » التى في آخر المتنى المسمى به يتعدد ضبطها بتعدد الآراء التى في ص ١٢٥ « ج » .

(٥) يجوز إضافة : اثنتين واثنين إلى ظاهر أو ضمير بشرط أن يكون معنى المضاف إليه ومدلوله غير معنى المضاف ومدلوله ؛ فلا يصح أن تقول : جاء اثنا محمد وعلى إذا كان محمد وعلى هما الاثنان ، =

فإن كانتا للتوكيد وجب أن يسبقتهما المؤكّد الذي يطابقه الضمير الدّال على التثنية؛ فمثالهما لغير التوكيد: (أكرمُ الوالدَيْنِ؛ فإن كليهما صاحب الفضل الأكبر عليك . . . وعاون الجدّين، فإن كليهما أكثر الناس حباً لك). فالكلمتان هنا ليستا للتوكيد، وهما معربتان كالمثنى، منصوبتان بالياء.

ومثالهما للتوكيد: (جاء الفارسان كلاهما—غابت السيدتان كلتاهما)؛ «فكلا» — ومثلها «كلتا» — توكيد مرفوع بالألف؛ لأنه ملحق بالمثنى، وهو مضاف والضمير: «هما» مضاف إليه، مبنى على السكون في محل جر. ونحو: (صافحت الفارسَيْنِ كليهما، والمحسنتين كليهما، وأثنت على الفارسَيْنِ كليهما، والسيدتين كليهما) (فكلا وكلتا توكيد منصوب أو مجرور بالياء، مضاف، والضمير مضاف إليه، مبنى على السكون في محل جر^(١) . . .).

فلو أضيفت «كلا أو كلتا» لاسم ظاهر^(٢) لم تعرب إعراب المثنى، ولم تكن للتوكيد وأعربت — كالمقصود — على حسب الجملة، بحركات مقدرة على الألف، في جميع الأحوال: (رفعاً، ونصباً، وجراً)، مثل: (سبق كلا المجتهدَيْنِ، وفازت كلتا الماهرتَيْنِ)، «فكلا وكلتا»: فاعل مرفوع بضمّة مقدرة على الألف. ومثل: (هناك كلا المجتهدَيْنِ، وكلتا الماهرتَيْنِ)؛ فكلا وكلتا مفعول به، منصوب بفتحة مقدرة على الألف. (وسألت عن كلا المجتهدَيْنِ، وعن كلتا الماهرتَيْنِ)، فكلا وكلتا مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة المقدرة على الألف . .

= ومدلولها هو مدلول المضاف. لا يصبح هذا بسبب فقد الشرط السالف، ولا جاء اثنا كما، إذا كان المراد بالمضاف إليه هما الاثنان المخاطبان؛ لأن معناهما والمراد منهما هو معنى المضاف والمراد منه، فلا فائدة من إضافة الشيء لنفسه (— كما سيجيء في باب الإضافة — ج)، أما إن كان المراد من «اثنا» خادمين، أو: كتابين، أو . . . هو شيان يختلفان في معناهما وذاتهما عن معنى المضاف إليه ومدلوله — فلا مانع (راجع «و»، من ص ١٣٤).

وهذه المناسبة نذكر أن «كلا» و«كلتا» في جميع أحوالهما لا يستعملان إلا مضافين؛ إما لمعرفة دالة على اثنين بغير تفريق، وإما لتكره مختصة كذلك—في الصحيح—، ولو كانت المعرفة بحسب الظاهر مفردة أو جمعاً — وسيجيء بيان المراد من هذين في ص ٣٩٥ ص ٩٧ باب «الإضافة» عند الكلام على: «كلا وكلتا» — فإذا أعربا إعراب المثنى وجب أن تكون هذه المعرفة ضميراً للتثنية على الوجه الذي شرحناه. (ولهما أحكام أخرى في بابي: «التوكيد» و«الإضافة» من الجزء الثالث ليس موضع سردها هنا).

أما اثنان واثنان فلا تجب إضافتهما (كما في ص ١٣٤) بل يجوز فيهما الإضافة وعدمها. لكن إذا أضيفا وجب في—الصحيح—أن يكون مدلولهما مخالفاً لمدلول المضاف إليه، سواء أكان اسماً ظاهراً أم ضميراً—كما تقدم—.

(١) انظر («١» ورقم ٢ من: «ب») ص ١٢٣ في الزيادة — حيث بعض الصور الدقيقة المتصلة بهذا الحكم.

(٢) والأفصح أن يكون الظاهر مثنى معرفة. غير مفرق—كما سيجيء في الجزء الثالث، باب الإضافة—

مما تقدم نعلم :

(١) أن « كلا وكلتا » إذا أُضيفتا للضمير تعربان كالثنى — أى : بالحروف المعروفة في إعرابه — ؛ سواء أكانتا للتوكيد^(١) أم لغيره . ولا بد أن يكون الضمير بعدهما للثنىة .

(٢) وأنهما عند الإضافة للظاهر ، لا تُعْرَبَانِ إعراب المثنى ، بل تعربان على حسب الجملة (فاعلاً أو مفعولاً . أو مبتدأ ، أو خبراً ... إلخ) ، وبحركات مقدرة على الألف دائماً ، كإعراب المقصور^(٢) .

* * *

(١) وإذا كانتا للتوكيد وجب أن يسبقهما المؤكّد وبعدهما الضمير الذى يطابقه .

(٢) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

بِالْأَلِفِ ارْفَعِ الْمُثْنَى ، وَكَلَا
« كِلْتَا » كَذَلِكَ . « اثْنَانِ ، وَاثْنَتَانِ »
كَابْنَيْنِ وَابْنَتَيْنِ يَجْرِيَانِ
وَتَخْلُفُ « أَلِيَا » فِي جَمِيعِهَا « الْأَلِفُ »
جَرًّا وَنَصْبًا بَعْدَ فَتْحٍ قَدْ أَلِفَ

أى : أن المثنى يرفع بالألف ، و« كلا » ترفع بالألف إذا وصلت بمضمر ، وكانت هي مضافاً ، والضمير هو المضاف إليه « وكلتا » : كذلك . أما « اثنان » و« اثنتان » فليحقتان بالثنى ، ويجريان في إعرابهما على الطريقة التى تجرى في إعراب : « ابنين وابنتين » وهذان من نوع المثنى الحقيقى يُرفعان بالألف . أما في حالة النصب والجر ، فتحل الياء في كل ما سبق محل الألف ، فتكون الياء نائبة عن الفتحة وعن الكسرة .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) عرفنا ^(١) أنه لا يجوز إعراب : « كلا وكلتا » إعراب المثنى إلا بشرط إضافتهما للضمير الدال على التثنية .

لكن يجب التنبيه إلى أن تحقق هذا الشرط يوجب إعرابهما إعراب المثنى من غير أن يوجب إعرابهما توكيداً ؛ فقد يتحتم عند تحققه إعرابهما توكيداً فقط ، وقد يمتنع إعرابهما توكيداً ويتحتم إعرابهما شيئاً آخر غيره ، وقد يجوز في إعرابهما الأمران ؛ التوكيد وغيره ؛ فالحالات ثلاث عند تحققه .

^١ في مثل : أقبل الضيفان كلاهما ، وأجادت الفتاتان كلتاها . . . يتعين التوكيد وحده .

وفي مثل : النجمان كلاهما مضى ^(٢) ، والشاعرتان كلتاها نابغة — يمتنع التوكيد ، ويتحتم هنا إعرابهما مبتدأين ، وما بعدهما خبر لهما ، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للمبتدأ الأول ؛ (وهو : النجمان ، والشاعرتان) ولا يصح إعراب « كلا وكلتا » في هذا المثال توكيداً ؛ لكيلا يكون المبتدأ (النجمان — الشاعرتان) مثنى ، خبره مفرد ؛ إذ يصير الكلام : النجمان مضى ، الشاعرتان نابغة ؛ وهذا لا يصح ^(٣) .

وفي مثل : النجمان كلاهما مضيتان ^(٢) ، والشاعرتان كلتاها نابغتان ... يجوز فيهما أن يكونا للتوكيد . وما بعدهما خبر للمبتدأ . ويجوز في كل منهما أن يكون مبتدأ ثانياً خبره ما بعده ، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للمبتدأ الأول .

* * *

(ب) إعراب المثنى وملحقاته بالحروف هو أشهر المذاهب الصحيحة وأقواها — كما أسلفنا ^(١) — ويجب الاقتصاد عليه في عصرنا ؛ منعاً للقوضى والاضطراب في الاستعمال الكلامي والكتابي ، وأما اللغات الأخرى الصحيحة فلا يسوغ استعمالها اليوم — بالرغم من جواز محركاتها — وإنما تُذكر للمتخصصين ؛ ليسترشدوا بها في

(١٩) في ص ١٢٠ .

(٢٠) يلاحظ أن لفظ « كلا وكلتا » مفرد ، ولكن المعنى مثنى ؛ فيجوز في الخبر وفي الضمير العائد عليهما مراعاة لفظهما ، أو معنهما ، طبقاً للبيان الذي في آخر الصفحة التالية .

(٣) كما سيبيء في رقم ٢ من الصفحة الآتية .

...
...

فهم بعض النصوص اللغوية الواردة عن العرب بتلك اللغات واللهجات . ومن أشهرها :
١ - إلزام المثني وملحقاته (غير : كلا وكلتا)^(١) الألف في جميع أحواله ،
مع إعرابه بحركات مقدرة عليها ، وبعدها النون مكسورة غير منونة ؛ تقول عندي
كتابان نافعان ، اشتريت كتابان نافعان ، قرأت في كتابان نافعان ، فيكون
المثني مرفوعاً بضمة مقدرة على الألف ، ومنصوباً بفتحة مقدرة عليها ، ومجروراً
بكسرة مقدرة كذلك ؛ فهو يعرب إعراب المقصور ، والنون للتثنية في هذه الحالات ،
مبنية على الكسر - بغير تنوين - ، وتحذف عند الإضافة .

٢ - إلزام المثني الألف والنون في جميع أحواله مع إعرابه بحركات ظاهرة علي
النون المنونة ، كأنه اسم مفرد - وهذه لغة قليلة جداً - ، تقول : عندي كتابان
نافعان ، واشتريت كتابان نافعان ، وقرأت في كتابان نافعان ، ويحذف التنوين
إذا وجد ما يقتضي ذلك ؛ كوجود «أل» في أول المثني . أو إضافته ، ... وكذلك
لمنع الصرف إذا وجد مانع من الصرف ، فيرفع معه بالضمة من غير تنوين ،
وينصب ويجر بالفتحة من غير تنوين أيضاً .

أما « كلا ، وكلتا » ففيهما مذهب أيضاً ؛ أشهرها وأحقها بالاتباع ما سبق
فيهما ؛ وهو إعرابهما إعراب المثني بالحروف ، بشرط إضافتهما إلى ضمير
دال على التثنية - علماً بأنهما لا تضافان مطلقاً إلى ضمير للمفرد ، كالذي في
نحو : كلاي وكلتاي ، وإلا وقع التعارض بين دلتهما على التثنية ، ودلالة الضمير
على الأفراد . وبسبب التعارض امتنعت إضافتهما إلى ضمير للجمع أيضاً ، نحو :
كلاهم ، وكلتاهم - ، فإن أضيفا إلى الظاهر أعربا معه إعراب المقصور .

وهناك من يعربهما إعراب المقصور في جميع أحوالهما^(٢) ، أي : بحركات
مقدرة على الألف^(٢) دائماً . ومنهم من يعربهما إعراب المثني في جميع أحوالهما ،
ولو كانت إضافتهما إلى اسم ظاهر مثني . ولا حاجة اليوم إلى غير اللغة المشهورة .

هذا ، ولفظهما مفرد ، مع أن معناهما مثني ؛ فيجوز في الضمير العائد
عليهما مباشرة ، وفي الإشارة ، وفي الخبر ، ونحوه - أن يكون مفرداً ، وأن يكون
مثني ، تقول : (كلا الرجلين سافر ، أو سافرا) ، (وكلا الطالبين أديب ، أو أديبان) ،

(١) ستجى هنا اللغات المختلفة فيهما . (٢ و ٢) حتى في حالة إضافتهما للضمير :

...
...
(وكلتا الفتاتين سافرت ، أو سافرتا) ، (وكلتاهما أديبة ، أو أديبتان) ، والأكثر مراعاة اللفظ . كقول الشاعر :

لا تَحْسَبَنَّ الموتَ موتَ البلي وإنما الموتُ سؤالُ الرجال
كلاهما موتٌ ، ولكن ذَا أفضعُ من ذاك ؛ لذُلِّ السؤالِ

ويتعين الإفراد ومراعاة اللفظ في مثل : « كلانا سعيد بأخيه . . . » من كل حالة يكون المعنى فيها قائماً على المبادلة والتنقل بين الاثنين وحدهما ، دون نظر إلى غيرهما ؛ فينسب إلى كل واحد منهما المعنى الذي ينسب إلى الآخر ، دون الاكتفاء بذكر المعنى مجرداً من دلالة المبادلة والتنقل بينهما ؛ كالمثال السابق ؛ إذ المراد منه : كل واحد منا سعيد بأخيه . وكقولنا : كلانا حريص على مودة صاحبه وكلانا محب لخير زميله^(١) . . .

بقيت مسألة تتعلق بالإعراب في مثل : محمد وعلى كلاهما قائم ، أو كلاهما قائمان ؛ فكأمة : « كلاهما » في المثال الأول مبتدأ حتماً وقائم خبره . . . والجملة خبر الأول ، ولا يصح إعراب « كلا » للتوكيد ، لما يترتب على ذلك من إعراب كلمة « قائم » خبر المبتدأ ، وهذا غير جائز ؛ إذ لا يقال : محمد وعلى قائم ؛ لعدم المطابقة اللفظية . أما في المثال الثاني فيصح إعرابهما مبتدأ أو توكيداً — كما سبق في « ١ » .

* * *

(ج) جرى الاستعمال قديماً وحديثاً على تسمية فرد من الناس ، وغيرهم باسم ، لفظه مثنى ولكن معناه مفرد ، بقصد بلاغى ؛ كالملاح ، أو الدم ، أو

(١) ومثل قول الشاعر :

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدُّ تغانياً
أى : كل واحد منا غنى عن أخيه .

وهناك كلمات أخرى تشبه « كلا » و « كلتا » في أن لفظها مفرد ، ومعناها قد يكون مفرداً حيناً ، وقد يكون مثنى أو جمعاً حيناً آخر ، مع التذكير أو التأنيث على حسب كل حالة . ومن تلك الكلمات : « كم » ، و « من » ، و « ما » ، و « أئى » و « بعض » . . .

وسيجى الكلام عليها من هذه الناحية في أبوابها ، ومنها : باب الموصول - ص ٣٤٠ وأيضاً عند الكلام على مرجع الضمير في باب الضمير ؛ ص ٢٦٦ حيث تعرض بعض الصور والأحكام الهامة الخاصة بذلك . أما التطابق بين المبتدأ والخبر فيجىء في ص ٤٥٢ وما بعدها . .

التعليق^(١) . . . - ، مثل : « حمدان » ثنية : « حمد » ، و « بدران » ثنية « بدر » و « مبروان » ، ثنية : « مرو » ؛ (وهي : الحجرة البيض الصلبة) و « شعبان » ثنية « شعب » و « جبران » ثنية « جبر » ، ومثل : محمد بن ، وحسن بن ، والبحرين (اسم إقليم عربي على خليج العرب . . .) فهذه الكلمات وأشباهاها ملحقة بالثنى^(٢) ، وليست مثنى حقيقية . وفي إعرابها وجهان تثبت فيهما النون في جميع الحالات الإعرابية حتى حالة الإضافة ؛ لأنها نون في صيغة علم مفرد ، وإن كان لفظه في صورة المثنى ؛ فهي حرف هجائي ، داخل في تكوين العلم وصياغته ، ولا شأن لها بالثنية الحقيقية . وليست كثناء التأنيث حرف معنى - ويقول الهمع (ح ١ ص ٤٥ - الباب الخامس جمع المذكر السالم) ما نصه في حروف العلم : « قد صارت بالعلمية لازمة للكلمة ، لأن العلمية تسجل الاسم وتحصره من أن يزداد فيه أو ينقص » ٥١ .

أحدهما : حذف علامتي الثنية من آخرها ، وإعرابها بعد ذلك بالحروف ؛ كباقي أنواع المثنى الحقيقي ، ولكن لا تحذف نونها مطلقاً ؛ فتقول سافر أخى بدران^(٣) ، يجب الناس أخى بدرين ، وتحدثوا عن بدرين . . . ، وهذا صديق محمدان ، وصافحت محمدتين ، وسلمت على الصديق محمدتين . وفي الأخذ بهذا الوجه احتمال الوقوع في اللبس . والآخر : إلزامها في كل الحالات ، الألف والنون ، - مثل عمران - وإعرابها إعراب ما لا ينصرف للعلمية والزيادة - بحركات ظاهرة فوق النون ، فترفع بالضممة من غير تنوين ، وتنصب وتجر بالفتحة من غير تنوين^(٤) أيضاً . ولا يصح حذف النون مطلقاً وهذا الوجه أنسب من سابقه ؛ لأن احتمال اللبس فيه أخف .

ولعل الخير في إباحة وجه ثالث يحسن الاصطلاح على إباحته ، - وإن كنت لم أره لأحد من قدامي النحاة ؛ فإنهم قصره على جمع المذكر السالم^(٥) - ، هو إبقاء العلم على ما هو عليه من الألف والنون ، أو الباء والنون - مع إعرابه كالاسم المفرد بحركات إعرابية مناسبة على آخره ، ومنعه من الصرف إذا تحقق شرط المنع .

(١) كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ١٢٠

(٢) بغير « أل » ؛ لأنه علم على واحد ، وليس مثنى حقيقة . بخلاف العلم عند ثنيته ؛ فيجب تصديده « بال » أو غيرها مما يجلب له التعريف ، - كما سيجيء في رقم ٣ من ص ١٢٩ . -

(٣) اشترط بعض النحاة لإعرابه بالحركات كالمنوع من الصرف ، ألا تزيد حروفه عند الثنية على سبعة . كاشبيبا ؛ للسنة المجدية . فإن زادت (مثل : اثنيينا بين) وجب إعرابه بالحروف .

(٤) انظر آخر الهامش في ص ١٥٢ ورقم ٢ من ص ١٥٣ .

وتجب مُراعاة الأفراد فيه إذا جاء بعده ما يقتضى المطابقة - كالخبر والنعت... - وهذا الوجه وحده أولى بالاتباع ، إذ لا يؤدي إلى اللبس ؛ لأنه الموافق للواقع ، وليس في أصول اللغة ما يعارضه^(١) ، بل إن أكثر المعاملات الجارية في عصرنا يُوجب الاقتصاد عليه ؛ فالمصارف^(٢) لا تَعترف إلا بالعلم المحكّي ، أى : المطابق للمكتوب نصّاً في شهادة الميلاد . وفي الشهادة الرسمية المحفوظة عندها ، المماثلة لما في شهادة الميلاد . ولا تقضى لصاحبه أمراً مَصْرِفياً إلا إذا تطابق إمضاؤه (توقيعه) واسمه المسجل في تلك الشهادة تطابقاً كاملاً في الحروف ، وفي ضبطها ، فمن اسمه : « حَسَنَيْن » أو : « بدران » ... يجب أن يظل على هذه الصورة كاملة في جميع الاستعمالات عندها ، مهما اختلفت العوامل التي تقتضى رفعه ، أو نصبه ، أو جره . فلو قيل فيهما : حَسَنَان ، أو : بَدْرَيْن ؛ تبعاً للعوامل الإعرابية لكان كل علم من هذه الأعلام دالاً في عُرْف المصرف على شخص آخر مغاير للشخص الذي يدل عليه العلم الأول ، وأن لكل منهما ذاتاً وحقوقاً ينفرد بها ، ولا يناها الآخر ، ولن يوافق المصرف مطلقاً على أن الاسمين لشخص واحد ، ولا على أن الخلاف يتجه للإعراب وحده ، دون الاختلاف في الذات ، ومثل المصارف كثير من الجهات الحكومية ؛ كالبريد ، وأنواع الرخص ، والسجلات الرسمية المختلفة . ويقوى هذا الرأي ويؤيده ما نقلناه عن النحاة في الصفحة السابقة خاصّاً بحروف العلم .

أما الوجه الأول فقد يوهم أنه مثنى حقيقى ، بسبب صورته الشكلية ، ولا يأمن اللبس فيه إلا الخبير الذى لا ينخدع بالصورة الشكلية ؛ فيعرف أنه علم لمفرد ؛ ويُدرك أن العلم المثنى الحقيقى لا يتجرد من « أل » إلا عند إضافته ، أو ندائه ... — كما سيجىء — ، وهذا غير مضاف ولا منادى فليس بمثنى حقيقى ، بل إنه قد يضاف^(٣) فيزداد اللبس قوة . ولا يخلو الثاني من لبس ، أيضاً — كما تقدم — .

(١) من الممكن الاستئارة - إلى حد ما - في تأييد هذا الرأي بما نقله الجمع (ج ١ ص ٤٧) من أن بعض العرب يجعل إعراب المثنى - وكذا جمع المذكر - على النون ؛ إجراء له مجرى المفرد ؛ فيقولون : هذانُ غيلانٌ .. (٢) جمع مَصْرِفٍ - بفتح الميم ، وكسر الزاء - : وهو ما يسمّى : « البنك » . (٣) يصح إضافة العلم أحياناً إلى المعرفة لداع بلاغى ؛ كقصد تعيينه ، نحو : محمدٌ علىّ ، وفاطمةٌ حسنٌ ، بشرط ألا يكون « المضاف » من أولاد « المضاف إليه » ؛ إذ يترتب على فقد الشرط أن =

.....
.....

وفي الأوجه الثلاثة السابقة ، لا تحذف النون في الإضافة^(١) - كما أشرنا - .

* * *

(د) اشترط جمهور النحاة فيما يراد تثنيته قياساً ثمانية^(٢) شروط :

١ - أن يكون معرباً ؛ فلا يثنى المبنى الباقي على بنائه . وأما (هذان ، وهاتان ، واللذان ، واللتان) ، فقد وردت عن العرب هكذا معربة - مع أن مفرداتها مبنية ؛ ولا يقاس عليها^(٣) . . . فإن كان اللفظ في أصله مفرداً مبنياً ، ثم صار علماً فإنه يعرب وينون - طبقاً للملاحظة التي في ص ٧٩ - ويصح تثنيته وجمعه ...

٢ - أن يكون مفرداً ؛ فلا يثنى جمع المذكر السالم . ولا جمع المؤنث السالم ؛ لتعارض معنى التثنية وعلامتها ، مع معنى الجمع^(٤) وعلامتهما . أما جمع التكسير واسم الجمع فقد يثنى كل منهما أحياناً ؛ نحو : « جِمَاسَالَيْنِ ، ورَهْطَيْنِ » في تثنية : « جمال » و « رهط » بقصد الدلالة في التثنية على التنوع ، ووجود مجموعتين متميزتين بسأمر من الأمور . وكذلك يثنى اسم الجنس - غالباً - للدلالة السابقة ؛ نحو : ماءين ، ولبنين . وأكثر النحاة يمنعون تثنية جمع التكسير ، ويقصرونه على السماع - وتستجىء الإشارة لهذا في ح من ص ١٦١ - أما التفصيل فكأنه : « باب جمع التكسير » من الجزء الرابع ، م ١٧٤ . ص ٦٢٠ .

وأما المثني فلا يثنى . ولا يجمع ؛ لكيلا يجتمع إعرابان بعلامتهما على كلمة

= يكون أصل المثالين السابقين - ونظائرهما - : محمد بن علي ، وفاطمة بنت حسن . فحذف المضاف ، وهو (ابن ، بنت) وأقيم المضاف إليه مقامه . وحذفها شاذ ، يقتصر فيه على المسموع -- منعاً للإلباس - كما نصوا على هذا في باب الإضافة (انظر ج ٣ ص ١٥٥ م ٩٦) وتفصيل هذا في باب : العلم . رقم ١ هامش ص ٢٩٤ حيث الأوجه الجائزة في العلم .

(١) لأنها ليست نون تثنية ، بل هي نون في آخر ضم مفرد . نلفظه كالثنى . وحذفها يذير صيغته .

(٢) وهي شروط عامة فيه وفي جمع المذكر السالم - كما يجيء في رقم ١ من هامش ص ١٤٠ .

(٣) وأما نحو : (يا محمدان - يا محمدون - لا رجلين) فإن البناء متأخر عن التثنية وعن الجمع . أي : أنه طارئ على الكلمة المنشأة أو المجموعة ، فهو عرضي صادف عند مجيئه الكلمة على حالها هذه ؛ فهي ألفاظ - كما يقولون - مبنية بعد التثنية والجمع . وليست منشأة أو مجموعة بعد البناء . . . وأما « مَرَّكَانَ وَمَرَّوْنُ » - ونحوهما في تثنية « مَن » وجمعها في « الحكاية » . . . فليست الزيادة فيهما للتثنية والجمع ، وإنما هي للحكاية بدليل حذفها في وصل الكلام . - راجع الصبان في هذا المكن - .

(٤) إذا سمى بهما فقد يصح جمعهما على الوجه الموضح في « ب » من ص ١٥٥ وفي « هـ » من ص ١٧٢ .

واحدة . وهذا هو الرأى السائغ الذى يحسن الاختصار عليه .

لكن لو سمي بالثنى ، وصار علماً ، وأريد تثنية هذا المسمى لم يصح تثنيته مباشرة ، وإنما يصح بطريقة غير مباشرة ، بأن تأتى قبل هذا الثنى العلم بالكلمة الخاصة التى يتوصل بها لتثنيته ؛ وهى « ذو » قبل الثنى المذكور ، و « ذات أو : ذوات » قبل الثنى المؤنث . ولا بد - بعد ذلك - أن تكون كل واحدة من هذه الكلمات الخاصة محتومة بعلامة التثنية للمذكر أو المؤنث فى حالات الإعراب المختلفة ؛ فيقال للمذكر فى حالة الرفع : « ذوا » ... وفى حالتى النصب والجر : « ذوى ... » مثل : نبغ ذوا حمدان ، وأكرمت ذوى حمدان ، واستمعت إلى ذوى حمدان . فكلمة : « ذوا وذوى » تعرب على حسب حاجة الجملة ، كإعراب الثنى . وهما « مضافان » ، والثنى المسمى به هو : « المضاف إليه » دائماً ، ويحتفظ بكل حرفه ، ثم تجرى عليه أحكام المضاف إليه ، ومنها الجر ...

ويقال للمؤنث فى حالة الرفع : « ذاتا » ، أو : ذواتا ، وفى حالة النصب والجر : « ذاتى ... » أو « ذواتى »^(١) . . . وتعرب هذه الألفاظ على حسب حاجة الجملة كإعراب الثنى ، وهى « مضافة » والمسمى به هو « المضاف إليه » الذى يخضع للحكم السالف^(٢) .

٣ - أن يكون نكرة ، أما العلم فلا يثنى ؛ ولا يجمع . . .^(٣) لأن الأصل فيه أن يكون مسماه شخصاً واحداً معيناً ، ولا يثنى أو يجمع إلا عند اشتراك عدة أفراد فى اسم واحد^(٤) ، فيفقد كل منها تعيينه ، وهذا معنى قول النحويين : « لا يثنى العلم ولا يجمع إلا بعد قصد تنكيره » ، ويجب بعد التثنية والجمع إرجاع التعريف إليه إذا اقتضى المقام هذا ، ويتحقق التعريف الجديد بإحدى الوسائل ومن أظهرها إدخال : « أل » المعرفة^(٥) على أوله ، أو وقوعه بعد حرف

(١) جاء فى الجمع (١ ص ٤٤) ما نصه : (وأما « ذات » فقالوا فى تثنيتهما « ذاتا » على اللفظ بلا رد للواو ، إلى أصلها وهو القياس .. و « ذواتا » على الأصل برد لام الكلمة - وهى الياء - ألفاً لتحر كمها) .

(٢) وهذه الطريقة غير المباشرة يصح جمع الثنى الذى سمي به . ولكن تستخدم قبله كلمة : « ذوو » رفعاً ، « وذوى » نصباً وجراً . وهو بعدهما : « المضاف إليه » ، الخاضع للحكم الذى أوضحناه .

(٣) سيجىء بيان عن جمع العلم جمع مذكر سالم وما يترتب على هذا الجمع - (فى رقم ٢ من هامش ص ١٣٩) .

(٤) لهذايضاح فى رقم ١ من هامش ص ٢٩٤ . (٥) ستجىء فى م ٣٠ .

.....
.....

من أحرف النداء ^(١) - مثل : « يا » - لإفادة التعيين والتخصيص أيضاً ، بسبب القصد المتجه لشخصين معينين ^(٢) ؛ نحو : يا محمدان ، أو إضافة إلى معرفة ؛ مثل : حضر محمدانك . فلا بد مع تثنية العلم - وجمعه - من شيء مما سبق يجلب له التعريف ؛ لأن العلم يدل على واحد معين . كصالح ، وأمين . ومحمود ^(٣) ، والتثنية - وكذا الجمع - تدل على وقوع مشاركة بينه وبين آخر ، فلا يبقى العلم مقصوراً على ما كان عليه من الدلالة على واحد بعينه ، بل يشترك معه غيره عند التثنية والجمع ؛ وفي هذه المشاركة نوع من الشيوع ، يناقض التعيين والتحديد الذي يدل عليه العلم المفرد ^(٤) . هذا إلى أن العلم المفرد قد صار بعد التثنية والجمع إلى لفظ لم تقع ^(٥) به التسمية أولاً . . .

٤ - غير مركب ^(٦) : فلا يثنى بنفسه ^(٧) المركب الإسنادي ؛ وهو المكون من جملة اسمية ، أو فعلية (أى : من مبتدأ وخبر ؛ مثل « محمد مسافر » علم على شخص ، أو من فعل وفاعل ، مثل : « فتح الله - علم على شخص أيضاً ») . وإنما يثنى من طريق غير مباشر ، فنأتى بكلمة : « ذو » للمذكر ، و « ذات » أو : ذوات « للمؤنث ؛ لتوصل معنى التثنية إليه . وهى ترفع بالالف . وتنصب وتجر بالياء . وتكون مضافة إلى المركب في الأحوال الثلاثة ، بقول : (جاء ذوا « محمد مسافر » . وذاتا . . .

(١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٢ من هامش ص ٤١ وله إشارة في هامش ص ٢٩٤ .

(٢) في سبب تعريف المنادى المعروف آراء ، منها : أن السبب هو القصد والإقبال عليه ؛ ومنها أنه التعريف الذى كان قبل ندائه ، وقيل : إن التعريف الأول الذى كان قبل النداء قد زال وعاد جديداً بعد النداء . . . إلى غير هذا مما يذكره النحاة مفصلاً في أول باب النداء - ج ٤ -

(٣) قد ينكر العلم لحكمة بلاغية أشرنا إليها مفصلة في رقم ١ من هامش ص ٢٩٤ .

(٤) يستثنى من هذا : « جُمادى » ؛ تثنية : « جُمادى » ؛ علم على الشهر العربى المعروف ، و « عَمَّاتان » لجليلين ، و « آبائان » ؛ لجليلين أيضاً ، و « أذرعان » لبلد بالشام ، و « عرفات » لجليل بمكة . فإن العرب قد استعملت هذه الأعلام (المثنى منها ، والمجموع) بغير زيادة شيء يجدد لها تعريفاً ، لأن علميتها الأولى لم تفارقها في التثنية والجمع ؛ فليست في حاجة إلى تعريف جديد .

(٥) راجع شرح المفصل (ج ١ ص ٤٦) عند الكلام على المثنى والمجموع من الأعلام .

(٦) أنواع المركب تسمى هنا ، وفي « ب » من ص ١٤٥ . وتفصيل الكلام على كل واحد منها سيبنى في باب العلم ، ص ٣٠٠ و ٣٠٩ وما بعدها .

(٧) عدم تثنيته بنفسه (أى : مباشرة) حكم متفق عليه بين النحاة .

... ..
... ..

أو : ذواتا « هندٌ مسافرةٌ » ، (وشاهدت ذوى « محمدٌ مسافرٌ » وذاتى ... ،
أو : ذواتى « هندٌ مسافرةٌ ») ؛ (ونظرت إلى ذوى « محمدٌ مسافرٌ » وذاتى ...
أو : ذواتى « هندٌ مسافرةٌ » . والمركب الإسنادى فى كل هذه الحالات مضاف
إليه ، مجرور بكسرة مقدرة ، منع من ظهورها حركة الحكاية ...^(١)

كذلك المركب المزجى : (كحَضْرَمَوْت ، اسم بلد عربى ، يَمْنَى و « بَعْلَبَك »
اسم بلد لُبْنَانى ، واسم معبد هناك . أَيْضًا . و « سَيْبَوِيَّة » اسم إمام النحاة ...)
فإنه لا يثنى بنفسه مباشرة^(٢) ؛ وإنما يثنى بمساعدة : « ذو ، ذات ، أو :
ذوات » ، بعد تشنيتهما وإضافتهما ؛ تقول : (هناك « ذَوَا » بعلبك ، وذواتا أو :
ذواتا بعلبك) ، وزرت « ذوى » بعلبك . وذاتى ، أو ذواتى بعلبك) ، (ونزلت بذوى
بعلبك ، وبذاتى أو : ذواتى بعلبك) ، وهكذا ...
ومثله المركب العددي : كأحدَ عشر ، وثلاثةَ عشر .

ومن العرب من يعرب المركب المزجى بالحروف كالمثنى الحقيقى ؛ فيقول :
البعلبكان « و « البعلبكَيْنِ » ، والأخذ بهذا الرأى أسهل وأخف . لدخوله مع
غيره فى القاعدة العامة لإعراب المثنى ؛ فيحسن الاقتصار عليه^(٣) اليوم .
وفيه من يميز تشنية صدره وحده معرباً بالحروف ، ويستغنى عن عجزه نهائياً ؛
فيقول فى حالة الرفع « الحَضْرَانِ » فى « حَضْرَمَوْت » ، و « البعلان » فى « بعلبك » ،
و « السيميان » فى « سَيْبَوِيَّة » وفى حالة النصب والجريأتى بالياء مكان الألف .
ولكن هذا الرأى يوقع فى لبس وإبهام وتخلط بين المركب المزجى وغيره ، فيحسن
إهماله فى استعمالنا .

وأما المركب الإضافى « كعبد الله » و « عبد العزيز » و « عبد الحميد » ، فلا
خلاف فى تشنية صدره المضاف ، مع إعرابه بالحروف ، وترك المضاف إليه على حاله
من الجر ؛ تقول : (هما عبدا الله ، وهما عبدا العزيز) ، (وسمعت عبدى الله :
وعبدى العزيز) ، (وأصغيت إلى عبدى الله ... إلخ ...)

(١) كما يجىء فى : « ج » من ص ١٧١ .

(٢) هذا هو الشائع . وسيجىء هنا - وفى « ب » من ص ١٤٥ - رأى آخر يبيع تشنيته وجمع
مباشرة ، وقد ارتضيانه للسبب الموضح هناك .

(٣) هذا رأى الخاص . وحذا الاتفاق عليه ؛ ليكتسب قوة وحصانة .

... ..

هذا موجز ما يقال فيه وهناك تفصيلات أخرى هامة^(١).

أما إذا كان المركب وصفيًا « أى : مكونًا من صفة وموصوف ؛ مثل^(٢) :
 الرجل الفاضل » - فيثنى الصدر والعجز معًا ، ويعربان بالحروف ؛ فتقول : جاء
 الرجلان الفاضلان ، ورأيت الرجلين الفاضلين ، ومررت بالرجلين الفاضلين ،
 وبالرغم من أن هذا هو رأى الشائع فإنه يقع فى لبس كبير ؛ إذ لا يظهر معه أنه
 مثنى ، مفردُه علم مركب وصفى . ولهذا كان من المستحسن^(٣) اليوم تثنيته بالطريقة
 غير المباشرة ، وهى زيادة « ذَوَا » ، وذَوَى ، قبله ، وذاتا ، أو ذواتا ... وذاتى ، أو
 ذَوَاتى . . . وبهذا تكون طريقة تثنيته هى طريقة جمعه الآتية^(٤) . . .

٥ - أن يكون كل من المفردين موافقًا للآخر فى اللفظ موافقة تامة فى الحروف
 وعددها وضبطها ؛ فلا يثنى مفردان بينهما خلاف فى شيء من ذلك ؛ إلا ما ورد
 عن العرب ملاحظًا فيه « التغليب » كما - شرحنا^(٥) .

٦ - أن يكون كل من المفردين موافقًا للآخر فى المعنى ، فلا يثنى لفظان مشتركان
 فى الحروف وضبطها ، ولكنهما مختلفان فى المعنى حقيقة أو مجازًا ، مثل : « عين »
 للباصرة « وعين » للجارية ، فلا يقال : هاتان عينان ، تريد بواحدة معنى غير
 الذى تريده من الأخرى^(٦) . . .

٧ - وجود ثان له فى الكون ، فلا تثنى كلمة : شمس ، ولا قمر ، عند
 القُدَامَى ؛ لأن كلا منهما لا ثانى له فى الكون فى زعمهم . أما اليوم فقد ثبت وجود
 شمس وأقمار لا عداد لها ؛ فوجب إهمال هذا الشرط قطعًا . إذ لا يوجد فى
 المخلوقات شيء لا نظير له .

(١) وهى المذكورة فى مكانها الأنسب (ج ٤ باب جمع التكسير . م ١٧٤ ص ٦٢٢ - بعنوان :
 تثنية أنواع المركب ؛ وجمعها جمع تكسير . . .) ، وبيان أن من المركب الإضافى ما هو مبذو بكلمة :
 (ذى ، أو ابن ، أو أخ) وما هو مبذو بغيرها ، وحكم كل : ومنه ما يجب فيه تثنية المضاف
 والمضاف إليه معًا - كما سيجىء أيضًا فى ص ١٤٦ - . . . انخ .

(٢) من الأعلام القديمة : « القاضى الفاضل » اسم شاعر وأديب مشهور بالنثر الفنى المسجوع .

(٣) هذا رأى الخاص . . . وحذا الاتفاق عليه ليكتسب قوة وحصانة .

(٤) فى ص ١٤٦ . (٥) فى رقم ٦ من هامش ص ١١٨ .

(٦) يتصل بهذا ويوضحه ما فى رقم ٦ من هامش ص ١١٨ .

... ..
... ..

٨ - عدم الاستغناء عن تثنيته بغيره ، فلا تثني - في الرأي الغالب عندهم^(١) -
- كلمتا : « بعض » و « سواء » - مثلاً - استغناء عنهما بتثنية جزء ، وسيّ ،
فنقول : « جزءان وسيّان » ، ولا تثني كلمة : « أجمع وجمعاء » في التوكيد ؛
استغناء بكلاً وكلتا فيه . كما لا يثنى العدد الذي يمكن الاستغناء عن تثنيته بعدد
آخر ، مثل : ثلاثة وأربعة ؛ استغناء بستة وثمانية^(٢) . ولذلك تثني مائة وألف ،
لعدم وجود ما يغني عن تثنيتهما .

وقد جمعوا الشروط السالفة كلها في بيتين ؛ هما :

شرطُ المثني أن يكون مُعرباً ومفرداً ، منكرأً ، ما رُكِباً ^{لكن}
موافقاً في اللفظ والمعنى ، له مماثلٌ ، لم يُغْنِ عنه غيره

وزاد بعضهم شرطاً آخر هو : أن يكون في تثنيته فائدة ؛ فلا يثنى : « كل »
ولا يجمع ؛ لعدم الفائدة من ذلك . وكذلك الأسماء التي لا تستعمل إلا بعد
نفي عام ، وتقتصر في الاستعمال عليه ؛ مثل : أحد^(٣) ، وعَرِيب ، تقول : ما في
الدار أحد ، وما رأيتَ عَرِيباً . . . (أي : أحداً) .

* * *

(هـ) عرفنا^(٤) أن المثني يغني عن المتعاطفين (أي : المعطوف ، والمعطوف
عليه) وأن ما يدل على اثنين من طريق العطف لا يسمى - اصطلاحاً - مثني ؛
مثل : نجم ونجم ؛ ومن هنا لا يجوز إهمال التثنية استغناء بالعطف بالواو ،
إلا لغرض بلاغي ، كإرادة التكثير في مثل : أخذتَ مني ألفاً وألفاً ، أو بيان
عدد المرات ، وما تحتويه المرة الواحدة ؛ مثل : أرسلت لك الدنانير ، ثلاثة
وثلاثة . ثم أرسلت لك كتاباً وكتاباً^(٥) . . . أو : وجود فاصل ظاهر بين المعطوف

(١) وهو رأى يصعب التسليم به عندى : لما فيه من تمسير بغير داع ، ولأن السماع يخالفه في بعض تلك
الألفاظ .

(٢) هذا إن كان المراد من الثلاثة والثلاثة - مثلاً - مجموعهما ، فيقال : ستة : بدلا من
تثنيتهما . أما إن كان المراد بيان عدد مجموعات من كل فيجوز : كأن تقول : (هذه مجموعات أقلام ،
عدها ثلاث حزم ، وهذه مجموعات أخرى ، عددها ثلاث حزم أيضاً ، والاثنتان الأوليان مختلفتان عن
الثلاثين الآخرين في الثمن والجودة . .) ثم انظر « هـ » الآتية .

(٣) البيان الخاص بكلمة : « أحد » في رقم ١ من هامش ص ٢١٠ .

(٤) في ص ١١٧ و ١١٩ .

(٥) انظر - هـ - من ص ١٥٨ لأهميته . وأما بيانه كاملاً في الجزء الرابع : باب العدد .

... ..
... ..

والمعظوف عليه ، مثل : قرأتُ كتابًا صغيرًا ، وكتابًا كبيرًا ، أو فاصل مقدّر ؛ كأن يكون لك أخ غائب اسمه : عليّ ، وصديق غائب اسمه : عليّ ، أيضًا ، ثم تفاجأ برؤيتهما معًا ، فتقول : عليّ وعليّ في وقت واحد ! كأنك تقول : عليّ أخى وعليّ صديقى أراهما الآن ! ! .

هذا إن كان العطف بالواو ، فإن كان بغيرها فلا تغنى التثنية — غالبًا — لأن العطف بغير الواو يؤدي معاني تضيع بالتثنية ، كالترتيب في الفاء ، تقول دخل زائر فزائر ، بدلا من دخل زائران ، وهكذا^(١) .

ومما ينطبق عليه تعريف المثنى : الضمير في مثل أنتما قائمان ؛ فهو دال على اثنين ، ويغنى عن أنت وأنت ، بما في آخره من الزيادة الخاصة به ، وهى « ما » ولكنه في الحقيقة لا يعد مثنى ، ولا ملحقا به ، لسببين : أولهما : أنه مبنى ، وشرط المثنى أن يكون معربًا — كما عرفنا^(٢) .

وثانيهما : أن الزيادة التى فى آخره ليست هى الزيادة المشروطة فى المثنى .

* * *

(و) من الملحق بالمثنى : « اثنان » و « اثنتان » (وفيها لغة أخرى : ثنتان) وهما لفظان ملحقان به ، فى كل أحوالهما ؛ أى : سواء أكانا منفردين عن الإضافة ، مثل : جاء اثنان ، جاءت اثنتان . . . أم مركبين مع العشرة ؛ مثل : انقضى اثنا عشر يوماً ، واثنتا عشرة ليلة ، فتعرب « اثنا واثنتا » على حسب الجملة لإعراب المثنى . (أما كلمة : « عشر » ، وكذا « عشرة » فاسم مبنى على الفتح لا محل له ؛ لأنه بدل من نون المثنى الحرفية)^(٣) ، أم مضافين إلى ظاهر ، نحو : جاءنى اثنا كتبك ، وثنتا رسائلك ، أم مضافين إلى ضمير ، نحو : غاب اثنا كما ، وحضرت ثنتا كما .

لكن الصحيح عند إضافتهما للظاهر أو للضمير أن يراد بالمضاف إليه شيء غير المراد من « اثنا وثننا » ، أى : غير المراد من المضاف ؛ فلا يقال حضر اثنا محمود وصالح ، ولا حضر اثنا كما ، إذا كان مدلول المضاف إليه فى الحالتين هو مدلول « اثنا » ، (أى : مدلول المضاف) ؛ لأن المضاف إليه فى هذه الحالة يؤدي ما

(١) ويلاحظ ما سبق فى رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة . (٢) فى ص ١٢٨ .

(٣) ستجىء إشارة لهذا فى « د » من ص ١٥٦ وبيان السبب الصحيح وفى ص ٣١٣ .

.....
.....

تؤديه « اثنان » : و « اثنان » ومعناه هو معناه ؛ فالإضافة لا فائدة منها : إذ هي — كما سبق ^(١) — من إضافة الشيء إلى نفسه ؛ فلا حاجة إليها . بخلاف ما لو قلنا : جاء اثنا المنزل ، إذا كان المراد صاحبيه ، وجاءت اثنا المنزل ، إذا كان المراد صاحبيه ، وجاء اثنا كما ، وجاءت اثنا كما ، والقصد — مثلاً — خادمتا كما ، أو سيارتا كما . . . فإن المراد من المضاف في الأمثلة السالفة غير المراد من المضاف إليه ، وكذلك كل ما يكون الضمير فيه للمفرد أو الجمع ، من نحو : جاء اثناه واثناه ، واثناك واثناك ، واثناكم واثناكم . . . وهكذا . . . فلا بد في المضاف إليه (سواء أكان اسماً ظاهراً أم ضميراً) أن يدل على غير الذى يدل عليه المضاف ؛ وهو ؛ الكلمتان : « اثنان واثنان » ، وقد سبقت الإشارة لهذا ^(١) . . .

(ز .) إذا أضيف المثنى حذفت نون التثنية ؛ فمثل : (سافر والوالدان) . من غير إضافة المثنى ، تقول إذا أضفته : (سافر والدآ على) . فإذا أضيف المثنى المرفوع — فقط — إلى كلمة أولها ساكن ؛ مثل : جاءنى صاحباً الرجل ، ومكبراً ما الضيف . . . فإن علامة التثنية — وهى الألف — تحذف فى النطق حتماً لا فى الكتابة ^(٢) .

لكن ماذا نقول فى إعرابه ؟ أهو مرفوع بالألف الظاهرة فى الخط ، أم مرفوع بالألف المقدرة ، وهى التى حذفت نطقاً فقط لالتقاء الساكنين (لأنها ساكنة وما بعدها ساكن) والمحذوف لعله كالثابت ؟ يرجع النحاة أن نقول : إنه مرفوع بالألف المقدرة ؛ لأنهم هنا يقدمون النطق على الكتابة ، ويعدون هذه الحالة فى عداد حالات « الإعراب التقديرى » ^(٣) . ونرى أنه لا داعى للأخذ بهذا وحده الآن ^(٤) .

(ح) هناك مفردات محذوفة الآخر (أى : لام الكلمة) ، مثل : أخ ، ويد . أصلهما : أخو ، ويدئ . فإذا أريد تثنية هذا النوع فقد يرجع المحذوف حتماً أو لا يرجع . وما لا يرجع ما حذفت لاه وجاءت همزة الوصل فى أوله عوضاً عن لاه المحذوفة ، كالتى فى كلمة « اسم » ، وكذلك ما لا تُردّ لاهه عند إضافته على حسب القاعدة التالية :
جاء فى شرح المفصل (ج ٤ ص ١٥١) . ما ملخصه :

(١٠١) آخر هامش ص ١٢٠ .

(٢) قرار الجمع اللغوى الخاص بهذا (فى رقم ٢ من هامش ص ١٥٩) .

(٣) تفصيل الكلام عليه فى ص ٨٤ .

(٤) كاسيانى فى « و » من ص ١٥٩ وفى رقم ٢ من ص ٢٠٤ .

اعلم أن المحذوف الآخر (أى : محذوف اللام) على ضربين : ضرب يُردّ إليه فى التثنية الحرف الساقط ، وضرب لا يرد إليه . ففى كانت اللام المحذوفة ترجع فى الإضافة فإنها ترد إليه — فى الفصيح — عند التثنية . وإذا لم يرجع الحرف المحذوف عند الإضافة لم يرجع عند التثنية ؛ فمثال الأول : أخ وأب ؛ تقول فى تثنيتهما : هذان أخوان ، وأبوان ، ورأيت أخوين وأبوين ، ومررت بأخوين وأبوين ؛ لأنك — فى اللغة المشهورة — تقول فى الإضافة : هذا أبوك وأخوك . ورأيت أباك وأخاك ، وذهبت إلى أبيك وأخيك ؛ فترى اللام قد رجعت فى الإضافة ^(١) فكذلك فى التثنية ... ومثال الثانى : يد ودم ؛ فإنك تقول فى التثنية : « يدان » و « دمان » فلا تردّ الذاهب ؛ لأنك لا تردّه فى الإضافة . ا . ه .

وهذا خير ما يتبع . أما غيره فضعيف لا نلجأ إليه اختياراً ^(٢) .

(ط) بقيت أحكام هامة تختص بالمشئى من ناحية دلالة على اثنين أو على أكثر .

ومن ناحية تجريده أحياناً من علامتى التثنية ؛ استغناء بالعطف . أو التكرار ...

ومن ناحية نونه ، ووجوب ذكرها أو حذفها ، ونوع حركتها

وإشارة إلى حذف ألف التثنية ،

وستجىء تلك الأحكام الهامة فى : (جـ — د — هـ — و) ص ١٥٦ ، وما بعدها .

(ى) سيجىء (فى ج ٤ ص ٥٦٦ م ١٧١) باب خاص بطريقة التثنية .

وأهمها : تثنية المقصور ، والمنقوص ، والممدود . . .

* * *

(١) لكن : أهذه الواو الظاهرة عند إضافة : « أخ وأب » هى الواو الأصلية التى تعتبر لام الكلمة ، أم هى واو الأسماء الخمسة ؟ رأيان فى الحكم على نوع الواو المحذوفة . والذى يراه شارح المفصل هنا أن الواو المذكورة هى : لام الكلمة . — انظر « د » من هامش ص ١٥١ ؛ حيث البيان . —

(٢) لهذا الضابط بيان أكمل سيجىء فى : « كيفية التثنية والجمع » (ج ٤ ص ٧١ م ٥٦٦) وقد عرضه صاحب الهمع (ج ١ ص ٤٤) وكذلك الصبان (ج ٤ ص ١١٩ فى آخر باب : « المقصور والممدود ») ، وأشرنا إليه فى رقم ٤ من هامش ص ١١١ وفى آخر رقم ١ من هامش ص ١٦٤ .

المسألة ١٠ :

ح - جمع المذكر السالم

- (أ) فاز على . هَنَأَتْ عَلِيًّا . أسرع إلى على .
 (ب) فاز العليُّون . هَنَأَتْ العليِّين . أسرع إلى العليِّين .

نفهم من كلمة : « على » في القسم الأول : « أ » أنه شخص واحد ، ثم زدنا عليها الواو والنون المفتوحة . أو الياء المكسور ما قبلها . وبعدها النون المفتوحة ، فصارت تدل على أكثر من اثنين ، كما في القسم الثاني : « ب » . وبسبب هذه الزيادة استغنيانا عن أن نقول : فاز على وعلى وعلى أى : أن زيادة حرفي الهجاء المذكورين أغنت عن عطف كلمتين متماثلتين أو أكثر على نظيرة سابقة ، تماثلاً يقتضى اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى ، والحروف ، والحركات . فلكلمة « العليون » وما يشبهها تسمى : « جمع مذكر سالم »^(١) وهو :

« ما يدل على أكثر من اثنين^(٢) ؛ بسبب زيادة معينة في آخره ، أغنت عن

(١) المراد بالسالم : ما سلم فيه صيغة المفرد ؛ وذلك : بأن يبقى المفرد على حاله بعد الجمع ؛ لا يدخل حروفه تغيير في نوعها ، أو عددها ، أو حركاتها ، إلا عند الإغلال في نحو : المصطَفَوْنَ - القاضُونَ . هذا ، وكلمة « السالم » تعرب صفة للجمع ، أو للمذكر ، فتضبط على حسب حالة الموصوف . والأحسن - كما في الصبان والخضري - أن تكون صفة للكلمة : « المذكر » فتضبط مثله قال الصبان في هذا الموضع ما نصه : (لأن السلامة في الحقيقة للمذكر عند جمعه ؛ كما يفهم من قوله : « سلامة بناء واحدة » . نقله شيخنا السيد عن الشنوافي) . اهـ . ومثل هذا يقال في معنى وضبط كلمة : « السالم » في : « الجمع المؤنث السالم » ولهذا يسميان : « جمعي التصحيح » ، لصحة مفردهما في الغالب عند جمعه عليهما . بخلاف : « جمع التكسير » فإن مفرده لا بد أن يتغير في الجمع ، فكأنما يصيبه الكسر ليدخله التغيير .

(كما سيجيء في رقم ٤ من هامش ص ١٤٩) وفي باب ج ٤ - .

(٢) هذا في اصطلاح النحاة . أما اللغويون فقد يطلقون كلمة : « الجمع » على المثنى ، فالجمع عندهم ما دل على اثنين أو أكثر . (وقد سبق البيان والأمثلة الواردة - في ١ من هامش ص ١١٩ وكما يجيىء في بيان متصل بهذا في : « ز » من ص ١٦٠) .

وإذا كان جمع المذكر السالم دالا - عند النحاة - على أكثر من اثنين فا حدود هذه الزيادة ؟ أنتصر في ثلاثة عشرة وما بينهما ، ولا تزيد على العشرة ، أم تزيد ؟ يقول سيبويه إن جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم يدلان - في الغالب - على عدد قليل لا ينقص عن ثلاثة ، ولا يزيد على عشرة ؛ فهما كجموع القلة التي للتكسير ، ينحصر مدلولها في ثلاثة عشرة وما بينهما .

عطف المفردات المتماثلة في المعنى ، والحروف ، والحركات ، بعضها على بعض .
فليس من جمع المذكر ما يأتي :

١ - ما يدل على مفرد ؛ مثل : محمود ، أو (محمد بن) علماً على شخص واحد .

٢ - ما يدل على مثنى ، ومنه : المحمودان . . . ، أو على جمع تكسير ؛
كالأحامد ، جمع أحمد ، أو على جمع مؤنث سالم ، كالفاطمات ؛ لخلو الثلاثة
من الزيادة الخاصة بجمع المذكر السالم ، ومن الدلالة المعنوية التي يختص بتأديتها .

٣ - ما يدل دلالة جمع المذكر ، ولكن من طريق العطف بالواو ؛ نحو :

جاء محمود ، ومحمود ، ومحمود^(١) . . .

٤ - ما يدل دلالة جمع المذكر ، ولكن من طريق الوضع اللغوي وحده ؛ لا من طريق
زيادة الحرفين في آخره ؛ مثل : كلمة : « قوم » إذا كانت بمعنى : الرجال ، فقط .

٥ - ما يدل على أكثر من اثنين ، ولكن مع اختلاف في معنى المفرد ؛ مثل :

= وقال آخرون - ورأهم الصحيح - إنها صالحان للأمرين ؛ ما لم توجد قرينة تعين أحداً الأمرين ؛
كالتى تعين القلة في قوله تعالى : (واذكروا الله في أيام معدودات . . .) فإن المراد بها « أيام التشريق » وهى قلة .
وكالتى تعين الزيادة في قوله تعالى عن الصالحين : «... وهم في الغرفات آمنون » وقوله تعالى : « إن المسلمين
والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات . . .
و... أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مِدَاداً لكلمات ربى
لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى... » - (وسيجىء هذا في باب جمع التكسير ج ٤ ص ١٧٢ . ص ٥٨٢ .
وراجع أيضاً خاتمة المصباح المنير ص ٩٥ بعنوان : « فصل . الجمع قسماً - وكذلك كتاب : مجمع البيان
لمعلوم القرآن - للطبرسى ، ج ٣ ص ٨٨) .

وجاء في كتاب « المحتسب » لابن جنى (ج ١ ص ١٨٦ « سورة النساء ») ما نصه :
(كان أبو على الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابتة ، وقد عرض عليه حسبان بن ثابت شعره ،
وأنه لما وصل إلى قوله :

لنا الجفشات الغرّ يلْمَعْنَ بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما...

قال له النابتة : لقد قلت جفانك وسيوفك . قال أبو على : هذا خبر مجهول لا أصل له ؛ لأن
الله تعالى يقول : « وهم في الغرفات آمنون » ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى
العشر) ١ . وفي رقم ٢ من هامش ص ١٦٣ . إحالة على هذا الكلام الذى ينطبق على جمع المؤنث السالم أيضاً .
(١) الوصول إلى معنى جمع المذكر السالم من طريق العطف بالواو غير جائز في أكثر الأحوال ؛

للاستثناء عنه بالجمع المباشر (أى : بزيادة حرف الهجاء على المفرد) .

وهناك بعض حالات يجوز فيها العطف بالواو ، قياساً على التثنية ، وهى الحالات التى ذكرت في - ٥ -

من ص ١٣٣ أما العطف بغير الواو فجائز للأسباب المدونة هناك .

الصالحون محبوبون ؛ تريد رجلين يسمى كل منهما : « صالحاً » ومعهما ثالث ليس اسمه « صالحاً » ، ولكنه تقي ، معروف بالصلاح ؛ فأنت تذكره مع الآخرين على اعتبار أنه صالح في سلوكه ، لا على أنه شريك لهما في التسمية .

وقد يكون الاختلاف في بعض حروف المفرد أو كلها ؛ فلا يصح أن يكون « السعيدون » جمعاً لسعد ، وسعيد ، وساعد (أسماء رجال) ، ولا جمعاً لمحمود وصالح وفهيم ، كذلك .

وقد يكون الاختلاف في حركات الحروف^(١) ، فلا يصح : العُمَرَوْنَ قرشيون إذا كان المراد : عُمَرُ بن الخطاب . وعُمَرُ بن أبي ربيعة ، وعَمَرُو بن هشام . . . (المعروف بأبي جهل) .

حكمه :

حكم جمع المذكر السالم الأصيل هو : الرفع بالواو نيابة عن الضمة ، وبعدها حرف النون مَبْنِيّاً على الفتح ، مثل : « قد أفلح المؤمنون » والنصب بالجر بالياء المكسور ما قبلها وبعدها حرف النون مَبْنِيّاً على الفتح ، صادقتُ المؤمنين ، وأثنت على المؤمنين .

* * *

نوعاً جمع المذكر السالم :

الاسم الذي يُجمع جمع مذكر سالم نوعان : أحدهما « العلم^(٢) » والآخر : « الصفة^(٣) » .

(١) مثل هذا الجمع - وما سبقه مما فيه اختلاف في معنى المفرد أو حروفه أو حركاتها - لا يصح إلا من باب : « التعليل » - وقد سبق شرح التعليل ، وبيان صورته في المثني رقم ٦ من هامش ص ١١٨ - وأن العرب تغلب الأهم كتغليبهم المذكر عند الجمع ، ولو كان أقل عدداً من المؤنث ، مثل : محمود والزينات متعلمون . وتغليبهم العاقل ولو كان قليل العدد على غيره ؛ مثل : محمود والعصافير يأكلون . . . والتغليب المسموع في الجمع كثير ، يسوغ لنا تفصيل الرأي الذي يميز القياس عليه ، بشرط أن تقوم قرينة تدل على أن المتكلم قد استخدمه في كلامه .

(٢) « ملاحظة » : إذا جُمع العلم زالت علميته ، فلا بد له بعد الجمع مما يعيد إليه التمييز - إذا اقتضى المقام هذا - كزيادة « أل » المعرفة في أوله ، أو زيادة حرف النداء قبله ، شأنه في هذا كشأن العلم الذي يشئ . وقد سبق الإيضاح والتفصيل في ص ١٢٩ ويحيى في هامش ص ٢٩٤ - لكن إذا سمى بالثني أو بالجمع - بأن صار لفظ العلم الدال على واحد هو لفظ مثني أو مجموع - فإنه في هذه الصورة لا يحتاج إلى ما يجلب له تعريفاً ؛ لأنه معرفة بالعلمية التي لم يطرأ عليها ما يزيلها .

(٣) العلم قد يكون جامداً ؛ أي : يدل على مجرد الذات من غير زيادة شيء عليها ، ولا ملاحظة أمر =

(١) فإن كان الاسم علمياً فلا بد أن تتحقق فيه الشروط الآتية^(١) قبل جمعه :

١ - أن يكون علمياً^(٢) المذكور، عاقل^(٣)، خالياً من تاء التأنيث الزائدة^(٤)،

ومن التركيب ، ومن علامة تثنية أو جمع .

فإن لم يكن علمياً لم يجمع هذا الجمع ، فلا يقال في رجل : رجلون^(٥) ؛ ولا في

غلام ؛ غلامون

وإن كان علمياً لكنه لمؤنث ، لم يجمع أيضاً ؛ فلا يقال في زينب : الزينبون ،

ولا في سعاد : السعادون . والعبرة في التأنيث أو عدمه ليست بلفظ الغلسم ، وإنما

بمعناه ، وبما يدل عليه وقت الكلام ؛ فكلمة : سعاد ، أو زينب ، إن كانت علمياً المذكور،

واشتهرت بذلك عند النطق بها ، فإنها تُجمع جمع مذكر سالم ، وكلمة :

حامد ، أو حلیم . . . إن كانت علمياً معروفاً لمؤنث لم تجمع هذا الجمع .

وإن كان علمياً المذكور لكنه غير عاقل^(٦) لم يجمع أيضاً ، مثل : « هلال » وهو علم

= آخرسواها ؛ مثل : الفضل ، وإبراهيم ، وسعد ، أسماء أشخاص . أما الصفة (ويراد بها المشتق ، ولا يراد بها

المتع هنا) فلا تدل على الذات وحدها قبل العلمية ؛ وإنما تدل عليها وعلى شيء آخر معها ؛ مثل : « عالم »

« كامل » ، « نبيل » ، فكل واحدة من هذه الصفات المشتقة قبل العلمية تدل على ذات ومعه شيء آخر ؛

هو : العلم ، أو الكمال ، أو النبيل . . . فإذا صارت علمياً على شخص تجردت من الوصف الزائد ،

وصارت جامدة تدل على مجرد الذات ؛ مثل : (فاضل) علم على شخص ، فإنها لا تدل بعد العلمية إلا على

الذات ، ويبقى لها الأمان إذا لم تكن علمياً ؛ فهي بعد العلمية اسم جامد ، وإن كانت في أصلها مشتقة .

(راجع ج ٣ ص ١٧٩ م ٩٨) .

(١) وهي غير الشروط العامة الأخرى التي لا بد من تحققها فيه . وتنحصر الشروط العامة في شروط

المتى التي تقدمت في « د » من ص ١٢٨ فإنها شروط لجمع المذكر السالم أيضاً .

(٢) أى : علم شخص . أما علم الجنس فلا يجمع منه هذا الجمع إلا بعض ألفاظ التوكيد المعنوى

تفيد الشمول - كما سيحى في رقم ٤ من هامش ص ١٤٢ - مثل : أجمع وملحقاته (وهي : أكنع -

أبصع - أبتع .. وتفصيل الكلام عليها في : باب « التوكيد » - ج ٣ م ١١٦ ص ١٧٤) ، فيقال : أجمعون ،

لأنه في الأصل مشتق ، إذ أصله « أفعل تفضيل » قبل أن يتحول إلى التوكيد .

(٣) انظر المراد من « العاقل » في رقم ٦ الآتي :

(٤) انظر إيضاحها في رقم ١٠ من الهامش الآتي ، وفي « ١ » من ص ١٤٥ . وكذا حكم المختوم

بألف التأنيث إذا أريد جمعه جمع مذكر سالم .

(٥) إلا إذا دخله التصغير ، مثل : رَجِيل ، ورَجِيلون ، أو عند إلحاق ياء النسب بآخره ؛

مثل : إنسانى وإنسانيون ، وغلانى وغلانيون ؛ لأن التصغير أو النسب يفيد نوعاً من الوصف فكأنه

مشتق ؛ فيدخل في قسم الصفة الآتي .

(٦) ليس المراد بالعاقل أن يكون عاقلاً بالفعل ؛ وإنما المراد أنه من جنس عاقل ؛ كالأدمين =

على : حصان ، و « نسيم » علم على : زورق ، و « قمر » ، علم على الكوكب المعروف ... وكذلك إن كان علماً للمذكر عاقل ، ولكنه مشتمل على تاء التأنيث الزائدة ^(١) مثل : حمزة ، وجمعة ، وخليفة ، ومعاوية ، وعطية ... فإنه لا يجمع جمع مذكر ^(٢) سالم ، ولا يصح هنا ملاحظة المعنى ؛ لوجود علامة التأنيث في اللفظ ؛ فيقع بينها وبين علامة جمع المذكر التناقض والتعارض بحسب الظاهر ، كما لا يصح أن تحذف ؛ لأن حذفها يقع في لبس ؛ إذ لا ندري أكانت الكلمة مؤنثة اللفظ قبل الجمع أم لا ؟ لهذا اشترطوا خلو المفرد من تاء التأنيث الزائدة ؛ - كما قلنا - ...

وكذلك إن كان علماً مركباً ؛ إما تركيب إسناد ، (مثل : فَتَحَ اللهُ - رامَ اللهُ - سعدٌ مُقْبِلٌ - رزقٌ شامِلٌ ، وأشباهاها من الأعلام ...) ؛ فإنه لا يجمع مباشرة ، باتفاق ؛ وإنما يجمع بطريقة غير مباشرة ، بأن تسبقه كلمة : « ذو » مجموعة ، ويبقى هو على حاله لا يدخله تغيير مطلقاً ، لا في حروفه ، ولا في حركاته ، مهما تغيرت الأساليب ؛ فيقال : « ذَوُو كَذَا » رفعا ، « وذَوِي كَذَا » نصباً وجراً ؛ فتعني « ذَوُو - وذَوِي » عن جمعه - كما سيجيء ^(٣) ...

وإما : مركباً تركيب مزج ، كخَالَوَيْهِ ، وسَيَبَوَيْهِ ، ومَعْدِيكَرِب ... ،

= والملائكة ؛ فيشمل المحنون الذي فقد عقله ، والطفل الصغير الذي لم يظهر أثر عقله بعد . وقد يجمع غير العاقل ، تنزيلاً له منزلة العاقل ، إذا صدر منه أمر لا يكون إلا من العقلاء . فيكون جمع مذكر ، وقيل : هو ملحق به ؛ مثل قوله تعالى : « إني رأيت أحدَ عشرَ كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ؛ فالسجود لا يكون إلا من العاقلين ، ولكن الله نزل الكواكب والشمس والقمر منزلة العاقلين ؛ لأنها فعلت فعلهم . ومثلهما قوله تعالى عن السماء : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها ، قالتا : أتينا طائعين » - فهذا قول صادر من السماء والأرض ، والكلام لا يكون إلا من العقلاء .

(١) أى : أتى ليست عوضاً عن فاء الكلمة أو لامها . أما التي للعرض مثل : عِدَّة وثْبَةٌ - فلا تمنع من الجمع فيقال عند التسمية : عِدُون - وثَبُون - مع حذفها . (انظر ما يتصل بهذا في « ١ » من ص ١٤٥)

(٢) ويجمع قياساً جمع مؤنث سالم . والكوفيون يميزون جمعه جمع مذكر سالم بعد حذف تائه ، فقد جاء في كتاب : « الإنصاف » - ص ١٨ - مانصه : (ذهب الكوفيون إلى أن الاسم الذي في آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلاً - يجوز أن يجمع بالواو والنون - أى : بعد حذف التاء حتماً - وذلك نحو : طلحة وطلحون ، وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ، إلا أنه يفتح اللام ؛ فيقول : « الطَّلَحون » ؛ كما قالوا : « أَرَضون » ؛ حملاً على : « أَرْضات » . وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز) . ١ هـ . والواجب الاقتصاد - هنا - على المذهب البصري ، لمسايرته الأعم الأفصح ، ولخلوه من اللبس .

أو : تركيب عدد ؛ كأحد عشر ، وثلاثة عشر ، وأربعة عشر . . . والمشهور في هذه المركبين عدم جمعهما جمعاً مباشراً ؛ فيستعان بكلمة : « ذو » مجموعة على : (ذَوُو ، وذَوَى) ؛ فتغنى عن جمعهما ؛ - كما سيجى أيضاً ^(١) . . .

أما المركب الإضافي كعبد الرحمن وعبد العزيز فيجمع صدره المضاف ؛ ويبقى العجز (وهو المضاف إليه) على حاله من الجر - في أكثر الحالات ^(٢) ؛ تقول : اشتهر عبدو الرحمن ، وصافحت عبدى الرحمن ، وسلمت على عبدى الرحمن . ولا يجمع ما آخره علامة تثنية ، أو علامة جمع مذكر ^(٣) ؛ مثل : الحمدان أو المحمدَيْن (علماً على شخص) والمحمدون أو المحمدين ، علماً كذلك ^(٤) .

* * *

(ب) وإن كان الاسم صفة (أى : اسماً مشتقاً باقياً على وصفيته) ^(٥) فلا بد أن تتحقق فيه الشروط الآتية قبل جمعه ، وهى :

أن تكون الصفة لمذكر ، عاقل ^(٦) ، خالية من تاء التأنيث ، ليست على وزن : « أفْعَلْ » ^(٧) (الذى مؤنثه : فَعْلَاء) ، ولا على وزن : « فَعْلَان » (الذى مؤنثه :

(١) فى ص ١٤٥ عند الكلام على جمع المركب ؛ حيث تجد فى « المركب المزجى » رأياً آخر ارتضيناه . ويلاحظ أيضاً ما فى « ج » ص ١٤٦ - وستجى إشارة أخرى لجمع أنواع المركب فى الجزء الرابع ، آخر . « باب جمع التكسير » . م ١٧٤ . بنعنوان : تثنية أنواع المركب وجمعها .

(٢) انظر التفصيل الذى فى ص ١٤٦ .

(٣) ولا يجمع هذا الجمع ما آخره علامة جمع المؤنث السالم .

(٤) لأن جمع العلم المشتمل على علامة التثنية يؤدى إلى أن يجتمع فى اللفظ الواحد علامة التثنية مع علامة الجمع ؛ وهذا يؤدى إلى الاختلاف والتعارف بين معنى التثنية وعلامتها ومعنى الجمع وعلامته . وكذلك جمع العلم المشتمل على علامة الجمع يؤدى إلى أن تتكرر فى العلم المجموع علامة الجمع ، وهذا لا يقع فى صحيح التراكيب العربية . وقد يقتضى الأمر - أحياناً - التسمية بهذا الجمع ، أو ماحقاقته - ، وفى هذه الحالة تترك العلامة السابقة على حالها ؛ ويغرب الجمع بالحركات الظاهرة على الذون - مسaire لأوضح اللغات المتعددة الواردة فيه - ، وسندكرها فى ص ١٥٣ - وإذا سمى بهذا الجمع فقد يقتضى الأمر جمع هذا الاسم الذى سمي به . وستجى طريقة ذلك فى « ب » من ص ١٥٥ .

(٥) بأن يظل عليها ، ولا يتركها إلى العلمانية (انظر البيان فى رقم ٣ من هامش ص ١٣٩) .

(٦) انظر المراد من : « عاقل » فى رقم ٧ من هامش ص ١٤٠ .

(٧) ليس من هذا وزن « أفْعَلْ » الذى كان فى أصله صفة داخلة فى باب أفْعَلْ التفضيل ،

ثم تركت الوصفية ، وصارت علم جنس يعرب توكيداً معنوياً ، يفيد الشمول ، ويصح جمعه جمع مذكر ؛ - ومن ألفاظه : « أجمع . أكتع ، أبصع ، أبتع » ؛ (طبقاً لما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ١٤٠ - ولما سيجى فى بابها المناسب ، وهو : باب : التوكيد - ج ٣ م ١١٦ ص ٤١٧) .

فَعَلَى) ، ولا على وزن صيغة تستعمل للمذكر والمؤنث .

فإن كانت الصفة خاصة بالمؤنث ، لم تجمع جمع مذكر سالم ؛ منعاً للتناقض بين ما يدل عليه المفرد ، وما يدل عليه جمع المذكر ، مثل : « مُرْضِع » فلا يقال : مرضعون ، وكذلك إن كانت لمذكر ، ولكنه غير عاقل^(١) ؛ مثل : صاهل ، صفة « للحصان » أو : ناعب ، صفة للغراب ، فلا يقال على سبيل الحقيقة — لا المجاز — صاهلون ، ولا ناعبون . أو : كانت مشتملة على تاء تدل على التأنيث ؛ نحو : قائمة ؛ فلا يصح : قائمتون^(٢) .

وكذلك ما كان صفة على وزن : « أَفْعَلَّ » (الذى مؤنثه : فَعْلَاء) نحو أخضر ؛ فإن مؤنثه : خضراء ، وأبيض ، فإن مؤنثه : بيضاء ، فلا يقال أخضرون ، ولا أبيضون ، — على الأصح^(٣) — . ومثله ما كان على وزن : « فَعْلَان » (الذى مؤنثه ، فَعْلَى) ، مثل : سكران وسكِرَى^(٤) . وكذلك ما كان على صيغة

(١) بأن تكون اشتهرت في العرف بأنها لغير العاقل من الأجناس .

(٢) لا يصح جمع الصفة المشتملة على تاء التأنيث جمع مذكر سالم ؛ سواء أكانت التاء باقية على دلالتها على التأنيث ، نحو : قائمة ، كاتبة ، خطيبة ، شاعرة ، ... أم كانت دالة على التأنيث بحسب الأصل ، ثم انتقلت منه وتركته لتأدية معنى آخر ؛ كالمبالغة في مثل : « علامة » لكثير العلم ، وفي مثل : « فِصَامَة » لكثير الفهم ، و « رواية » لكثير الرواية ، (وهي حفظ الأخبار والأحاديث) فالتاء في هذه الكلمات وأشباهاها للمبالغة ، ولكنها بحسب وضعها الأول للتأنيث ؛ فيلاحظ الأصل دائماً ، ولا عبرة — في الرأي الراجح — بما طرأ عليه . وكذلك لا يصح جمعها بعد حذف التاء ؛ لأن الحذف يؤدي إلى لبس محقق . (٣ و ٢) هذا رأى البصريين ومن يؤيدهم . ويخالفهم الكوفيون فلا يتمسكون بشرطى منع « أفعل » و « فعلان » ومؤنثهما . وأدلتهم وشواهدهم كثيرة مقبولة . ولا معنى اليوم لإهدار رأيهم ، وخاصة إذا منع لبساً ، وإن كان الأول أكثر وأفصح ؛ وكان ابن كيسان يقول : لا أرى في رأى الكوفي بأساً — كما جاء في المفصل ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠ — ورأيه شديد . فلم المنع ؟ أليكون بسبب أن الصفات الدالة على الألوان لا أفعال لها ولا مصادر ؛ فهي بهذا تخالف سائر المشتقات ؛ كما قد يتوهم بعض النحاة ؟ (وقومهم بعيد عن الحق ، فقد ذكر ابن القطاع في كتابه : « الأفعال » كثيره من أكثر اللغويين أن هذه الصفات أفعالا صحيحة ، واردة بكثرة عن العرب) . أم لأن أكثر هذه الصيغ يُقَرَّب من الفعل ... والفعل لا يجمع (كما يقول الصبان ، وكما يقول شارح المفصل في ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠) ؟ كل هذه العلل وأشباهاها واهية ، وخاصة بعد الوارد الفصيح ، وهو كثير ، وبعد إجازتهم في التفضيل « ما كان منها على وزن : « أَفْعَلَّ » دالا على أمر معنوي ؛ نحو : أحرق ، وأبيض القلب . ونحو : فلان أبيض سريرة من فلان ، أو : أسود سريرة منه ، بمعنى : أنه أظلم منه نفساً ، أو أخبث منه . . . أو نحو هذا . . . (وسيجيء البيان والأدلة في باب : « أفعل التفضيل » ج ٣ ص ٣٨٤ م ١١٢) وكذلك يجيء في رقم ٤ من هامش ص ١٦٣ وفي « د » من ص ١٧٢ =

تستعمل للمذكر والمؤنث ، كصيغة : « مِفْعَال » كـمِهْذَار^(١) ، و « مِفْعَل » ؛ كـمِغْشَم^(٢) . و « فَعُول »^(٣) ؛ مثل : صَبُور وشُكُور ، و « فَعِيل »^(٤) ؛ مثل : كَسِير وقَطِيع ؛ إذ لا يتأتى أن يكون المفرد صالحاً للمذكر والمؤنث معاً وجمعه لا يكون إلا للمذكر ؛ فيقع اللبس والخلط بسبب هذا .

ملاحظة : كل ما سبق من أنواع الصفات وصيغها التي لا يصح جمعها جمعاً مذكراً سالماً متوقف على أن تكون الصفة باقية على وصفيتها ، فإن تركتها وصارت علماً جاز جمعها جمع مذكر سالم^(٥)
إلى هنا انتهت الشروط الواجبة فيما يجمع أصالة^(٦) جمع مذكر سالم .

= أن النحاة يقولون : (ما لا يصح جمعه جمع مذكر سالم لا يصح - غالباً - في مؤنثه أن يجمع جمع مؤنث سالم) ولذا يمتنعون تلك الصيغ والألفاظ أن تجمع جمع مؤنث سالم ؛ استناداً إلى الرأي البصري السالف ، وقد بان ما فيه . وقد أخذ المجمع الفهري القلهرى بالمذهب الكوفي وبلغه بنى أسد التي تلحق تاء التانيث - جوارراً - بسكرانة وأشباهها . ونص قرار المجمع - كما جاء في ص ٨٣ من المجلد الشامل للبحوث والمحاضرات التي أقيمت في مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين المنعقد ببغداد سنة ١٩٦٥ - هو :
(حيث إن تانيث « فَعْلَان » بالتاء لغة في بنى أسد - كما في الصحاح - ولغة بنى أسد - كما في المخصص وقياس هذه اللغة صرفها في النكرة ؛ كما في شرح المفصل . والنطاق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء وإن كان غير ماجاء به خيراً ؛ كما في قول ابن جني ، لذا يجوز أن يقال : عطشانة وغضبانة وأشباههما . ومن ثم يصرف « فَعْمَلَان » وصفاً ، ويجمع « فَعْمَلَان » ومؤنثه « فَعْلَانة » جمعي تصحيح) اهـ .
ولهذا إشارة متممة في رقم ٤ من هامش ص ١٦٣ .

(١) كثير الهذر ؛ وهو : الخلط ، والكلام بما لا يليق .
(٢) الشجاع الذي لا يمنعه شيء عن قصده .
(٣) يستعمل للمذكر والمؤنث ، بشرط أن يكون بمعنى : « فاعل » وقبله موصوفه ، أو ما يقوم مقامه ، - بالتفصيل الذي سيجيء في باب : « التانيث » - ج ٤ ص ٥٤٦ م ١٦٩ - ومنه يعلم حكم جديد في تانيث « فَعُول » وجمعه جمع تصحيح للمذكر والمؤنث هو ما قرره بجمع اللغة العربية :
١ - من جواز إلحاق تاء التانيث بصيغة « فعول » بمعنى : فاعل .
ب - يترتب على ذلك جواز جمعها للتصحيح .

(٤) يستعمل للمذكر والمؤنث ، على سبيل الأغلبية الراجعة ، لا على سبيل التحتم ، بشرط أن يكون بمعنى : « مفعول » وقبله موصوفه أو ما يقوم مقامه . واستعمال هذه الصيغة في المذكر والمؤنث هي والصيغ التي قبلها خاضع للتفصيل المدون في باب التانيث (ج ٤ ص ٥٤٦ م ١٦٩) فإن جعل علماً جاز جمعه ومثله كل وصف آخر يستعمل للمذكر والمؤنث في الأصل ، ثم ترك أصله وصار علماً .

(٥) طبقاً لليبان الهام الذي سبق في رقم ٣ من هامش ص ١٣٩ .

راجع « التصريح شرح التوضيح » في هذا الموضع .

(٦) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَارْفَعَ بِوَاوٍ ، وَبَيَّأَ اجْرُزَ وَأَنْصَبَ
سَالِمَ جَمْعٍ عَامِرٍ وَمُذْنَبٍ
يشير بعامر : للعلم ، وبمذنب : للصفة .

زيادة وتفصيل :

(١) اشترطوا^(١) في العلم أن يكون خالياً من تاء التأنيث الزائدة — إلا عند الكوفيين — والمراد بها : التي ليست عوضاً عن فاء الكلمة ؛ أو عن لام الكلمة ، لأن التي تكون عوضاً عن أحدهما هي عوض عن أصل ؛ فهي كالأصلية . فالأولى مثل : عدة ، أصلها : وَعَدَ ، حذفت الواو ، وعُوض عنها تاء التأنيث وكُسرت العين ، والثانية مثل : مئة . وأصلها : مِئَوٌ ؛ حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث .

فإن كانت عوضاً عن أصل وجعل اللفظ اسماً لمسمى (أى : صار علماً) فإنه يجمع قياساً بعد حذفها . ويكون من الجموع الحقيقية ؛ تقول : « عِدُون » لجمع مذكر سالم ، ومثلها : مِئُون ؛ أما إذا لم يجعل علماً ، فإنه يصح جمعه إن كان محذوف اللام ، مثل : الجيش مِئُون ، ولكنه يعد من ملحقات جمع المذكر السالم .

أما ألف التأنيث المقصورة أو الممدودة فلا يشترط خلوها منها ، فلو سمينا رجلاً بـسَلَمَسَى ، أو : صحراء ... ، حذفت في جمع المذكر السالم الألف المقصورة ، وقلبت همزة الممدود واواً ، فيقال : السَلَمَسَوْنَ والصَحْرَاوُن (أعلام رجال) . . .^(٢)

(ب) لا يجمع المركب الإسنادى جمع مذكر سالم إلا بطريقة غير مباشرة ؛ — كما سبق^(٣) — وذلك بأن تأتي قبله بكامة : « ذُوو » أو : « ذَوَى » (وهما جمع : « ذو » و « ذى ») فنقول : غاب ذوو فتح الله ، وأكرمنا ذَوَى فتح الله ، وسلمنا على ذَوَى فتح الله^(٣) . وهذا باتفاق .

أما المركب المزجى فأشهر الآراء أنه لا يجمع إلا بالطريقة السابقة ، غير المباشرة وهناك رأى آخر يجزّ جمعها مباشرة — وكذلك تشيته^(٤) — ، فيقال : جاء الخالَوَيْهُون ، وشاهدت الخالَوَيْهَيْن ، وقصدت إلى الخالَوَيْهَيْن ، ومثله سيبويه ، ومعديكرب (اسم رجل) وغيرهما من باقى المركبات المزجية ، وهذا الرأى أسهل

(١) في ص ١٤٠ و ١٤١

(٢) راجع الصبان والحضرى . وهل بين هذه الصورة والصورة الآتية في ص ١٦٨ (تحت عنوان :

ثانها) نوع من التخالف ؟

(٤) انظر ص ١٣١ .

(٣٣) في ص ١٤١ .

... ..
... ..

الآراء . وأجدرها بالقبول ، لدخوله في الحكم العام لجمع المذكر السالم^(١) وبُعدّه من التّلبس - كما سيّجىء في : « ج » - .

وأما المركب التقييدى ؛ وهو : المركب من صفة وموصوف مثل : « الرجل الفاضل » . أو من غيرهما ؛ مما لا يُعَدُّ في المركبات الثلاثة السابقة - فالأشهر أن يقال في جمعه : ذَوُو ، وذَوَى « الرجل الفاضل » ، فلا يجمع مباشرة ، وإنما يتوصل إلى جمعه بكلمة (ذو) رفعاً و (ذَوَى) نصباً وجراً .

وقد سبق أن قلنا^(٢) : إن المركب الإضافى يجمع صدره دون عجزه . وهذا صحيح إن كان المضاف وحده هو المتعدد ، دون المضاف إليه ؛ (كما نقول في « عبد الله » عند الجمع المرفوع : عبدُ اللهِ) . أما إن تعدد أفراد المضاف وأفراد المضاف إليه معا (كعبد السيد والمضاف والمضاف إليه مصريان مثلاً - ، وعبد السيد والمضاف والمضاف إليه شاميان - مثلاً - ، وعبد السيد لعراقيين) ، فالواجب جمع المضاف والمضاف إليه معاً جمع مذكر سالم ، فنقول : عبدو السيدين ، أو جمع تكسير ، فنقول : عبيد السادة^(٣) . . .

(ج) سبق^(٤) أنه يشترط في الاسم الذى يجمع جمع مذكر سالم ، ما يشترط في الاسم المراد تثنيته ؛ ومن شروطه : أن يكون معرباً . . . فلو كان مبنياً لزوماً كبعض الأعلام التى على صيغة : « فعّال » ؛ (مثل : رَقَّاش أو : حَذَّام على أنها أعلام رجال) لم يجوز جمعه مباشرة^(٥) ، وإنما يجمع بطريق الاستعانة بكلمة : (ذَوُو) رفعاً ، و (ذَوَى) نصباً وجراً .

(١) حبذا الاتفاق على الأخذ بهذا الرأى المشهور ، وإيثاره ، وعمل الدارسين على نشره ، وترك الرأى السابق ، وغيره من باقى الآراء الأخرى التى لاتناسب عصرنا . . (٢) في ص ١٤١ .

(٣) انظر رقم ٣ من هامش ص ١٣١ . (٤) في رقم ١ من هامش ص ١٤٠ .

(٥) أشرنا في ص ٧٩ - إلى الفرق في الحكم بين هذه الصورة والحكم الوارد في تلك الصفحة ، تحت عنوان : « ملاحظة » ؛ فالحكم الذى هنا منصب على اسم موضوع من أول أمره علماً مبنياً لزوماً ولم يستعمل قبل العلمية مع البناء الملائم في شئ آخر ، فهو أصيل فيهما ، غير منتقل إليهما من حالة سابقة . ومثل هذا العلم لا يجمع جمع مذكر سالم إلا من الطريق غير المباشر الموضح هنا ، ليظل العلم محققاً بصورته التى لا بد منها . بخلاف الصورة التى سبقت في ص ٧٩ فإن الاسم فيها معرب متون ، علم ، بعد أن كان في أصله مفرداً مبنياً غير علم ؛ فترك أصله وصار علماً منقولاً من معناه وحكمه السابقين إلى العلمية الجديدة ومعها الإعراب والتثنية ؛ فيصح جمعه جمع مذكر سالم بطريقة مباشرة كالأعلام المستوفية للشروط .

... ..

ولما كانت كلمة « سيبويه » و « خالويه » وأشباهها هي من الأعلام المبنية لزوماً — كان حقها ألا تجمع جمع مذكر سالم إلا بالاستعانة بكلمة : « ذُو » ، و « ذَوِي » ، لكن هذين العَلَمَين وأشباههما يدخلان من ناحية أخرى في قسم المركب المزجي . وقد آثرنا — في الصفحة السابقة — الرأي الذي يبيح جمعه مباشرة جمع مذكر سالم .

(د) سيجيء (في ج ٤ ص ٤٥٧ م ١٧١) — باب خاص بطريقة جمع الاسم جمع مذكر سالم ، وأهمها طريقة جمع : المقصور ، والمحدود ، والمنقوص جمع مذكر سالم .

المسألة ١١ :

الملحق بجمع المذكر السالم

أَلْحَقَ النحاة بجمع المذكر السالم في إعرابه أنواعاً ؛ أشهرها : ستة ؛ فَتَقَدَّ كل نوع منها بعض الشروط ، فصار شاذّاً ، ملحَقاً بهذا الجمع ، وليس جمعاً حقيقياً ، وكل الأنواع الستة سماعي^(١) ؛ لا يقاس عليه ، — لشذوذه — وإنما يُدْكَرُ هنا لفهم ما ورد منه في النصوص القديمة .

أولها : كلمات مسموعة تدل على معنى الجمع ، وليس لها مفرد من لفظها ، ولكن لها مفرد من معناها ، مثل كلمة : «أُولُو»^(٢) في قولنا : «المُخْتَرَعُونَ أُولُو فَضْلٍ» ، أى : أصحاب فضل ؛ فهي مرفوعة بالواو نيابة عن الضمة . لأنها ملحقة في إعرابها بجمع المذكر السالم — إذ لا مفرد لها من لفظها ، ولها مفرد من معناها . وهو : صاحب — وهي منصوبة وبجرورة بالياء نيابة عن الفتحة أو الكسرة في قولنا : كَانَ الْمُخْتَرَعُونَ «أُولِي» فَضْلٍ ، وَاثْتَفَعَتْ مِنْ «أُولِي» الْفَضْلِ . ومثل هذه الكلمة يسمى : «اسم جمع»^(٣) . ومن الكلمات المسموعة : أيضاً كلمة : (عَالَمُونَ) . ومفرداها : عَالَمٌ ، — وهو ما سوى الله — من كل مجموع متجانس من المخلوقات ، كعَالَمِ الحيوان ، وعَالَمِ النبات ، وعَالَمِ الجماد ؛ وعَالَمِ المال . وعَالَمِ الطائرات . . . إلخ .

وكلمة : «عَالَمٌ» المفردة تشمل المذكر والمؤنث والعاقل وغيره . في حين أن كلمة : «عَالَمُونَ» لا تدل — مع الجمعية — إلا على المذكر العاقل ، فهي تدل على معنى

(١) الأنسب في النوع الخامس (وهو : ما سمي بجمع مذكر سالم) أن يكون قياسياً . ولا قوة للرأى الذى يقصر على السماع . — كما سيجد في رقم ٢ من هامش ص ١٥٢ وفي «أ» ص ١٥٣ —

(٢) الهمزة مضمومة في النطق من غير مدّ بالريغ من وقوع الواو الساكنة بعدها كتابة . ولا يصح كتابة ألف بعد الواو الأخيرة .

(٣) هو ما يدل على أكثر من اثنين ، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معاً ، وليست صيغته على وزن خاص بالتكثير ، أو غالب فيه . ومن الأمثلة : إيل — جماعة — فلك . . . وقد سبق له إشارة عابرة في رقم ١ من هامش ص ١١٩ . أما البيان الوافى عنه ، وعن حالاته المختلفة وأحكامه ففى ج ٤ ص ٥١٠ م ١٧٤ باب : جمع التكثير .

خاص بالنسبة لما يندرج تحت كلمة «عالم»^(١)، والخاص لا يكون جمعاً للعام^(٢)؛ لهذا كان «عالمون» إما اسم جمع للكلمة : «عالم» وليس جمعاً له : وإما جمعاً له غير أصيل ، ولكن بتغليب المذكر العاقل على غيره . وفي هذه الحالة لا تكون جمع مذكر سالم حقيقة ؛ لأن اللفظة ليست علماً ولا صفة ، وإنما تلحق به في الإعراب بالحروف كغيرها مما فقد بعض الشروط .

ثانيها : من الكلمات المسموعة ، ما لا واحد له من لفظه ولا من معناه ، وهي : (عشرون^(٣) ، وثلاثون ، وأربعون ، وخمسون . وستون ، وسبعون ، وثمانون ، وتسعون) وهذه الكلمات تسمى : «العقود العددية» وكلها أسماء جموع أيضاً ، ملحقة به في الإعراب بالحروف .

ثالثها : كلمات مسموعة أيضاً ؛ ولكن لها مفرد من لفظها . وهذا المفرد لا يسلم من التغيير عند جمعه هذا الجمع ، فلا يبقى على حالته التي كان عليها قبل الجمع ؛ ولذلك يسمونها : «جموع تكسير»^(٤)، ويلحقونها بجمع المذكر في إعرابها بالحروف ؛ مثل : بَسَوْن ، وإِحَرَّوْن ، وأَرَضَوْن ، وَدَوُّو ، وسَنَوْن وبابه^(٥)، فكلمة : «بَنَوْن» : مفردها . «ابن» حذفت منه الهمزة عند الجمع ، وتحركت الباء ؛ وكلمة «إِحَرَّوْن» مفردها : «حِرَّة»^(٦)، زِيدت الهمزة في جمعها .

(١) فدلالته داخلية فيما يسمى : «العموم الشُّمُول» مع أن دلالة كلمة : «عالم» داخلية فيما يسمى : «العموم البَدَلِي» الذي هو دلالة الكلمة المفردة على معنى عام ، فإذا جمعت جمع مذكر سالم دلت على معنى خاص بالنسبة لمنها قبل جمعها . فكلمة : «عالم» تدل على المخلوقات العاقلة وغير العاقلة ، فإذا جمعت جمع مذكر سالم فقبل فيها : «عالمون» صارت مقصورة الدلالة على العاقلين وحدهم .

(٢) وهناك سبب آخر في ص ١٥١ هو : أنها ليست علماً ولا صفة .
(٣) ولا يقال إن عشرين مفردها : عشر ؛ لثلاث يلزم على ذلك صحة إطلاق عشرين على ثلاثين ، وإطلاق ثلاثين على تسعة . وهكذا . . . ؛ ذلك لأن أقل الجمع النحوي - لا القوي - ثلاثة ، من مفرده ؛ فلو كان مفرد العشرين هو : «عشر» لكانت عشرون صادقة على (٣ × ١٠) أي : ثلاث عشرات على الأقل ومجموعها يساوي ثلاثين . ولو كان مفرد الثلاثين هو : «ثلاث» لكانت الثلاثون صادقة على ٣ × ٣ أي : على تسعة ، وهكذا مما هو ظاهر الفساد . . .

(٤) لأن جمع التكسير هو الذي يتغير فيه صيغة المفرد حتماً ، ولا يبقى مفرده سليماً عند الجمع ؛ فلا بد فيه من تغيير ؛ إما في عدد حروفه فقط ، وإما في حركاته فقط ، وإما فيهما معاً . بخلاف جمعي التصحيح ، وهما : جمع المؤنث السالم الحقيقي ، وجمع المذكر السالم الحقيقي . فإن صيغة مفردها لا يدخل عليها تغيير عند الجمع إلا للإعلال ، ونحوه . (انظر رقم ١ من هامش ص ١٣٧) .

(٥) المراد من باب : «سنة» كل اسم ثلاثي حذفت لامة ، وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة ، ولم يعرف له عند العرب جمع تكسير معرب بالحركات ، ولم يعرف له - أيضاً - مفرد مذكر ورد عنهم مجموعاً بالواو والنون أو بالياء والنون . وبالشرط الأخير خرج نحو : «هَسَنَة» فإن مذكرها - وهو : «هَسَن» - ورد عن العرب مجموعاً جمع المذكر ، فلو جمعت كلمة . «هَسَنَة» جمع مذكر أيضاً لا لتبس المؤنث بالمذكر .
(٦) أرض ذات حجارة مجوفة سود ؛ كأنها احترقت بالنار .

« وَأَرْضُونَ » (بفتح الراء) لا مفرد لها إلا : أَرْض (بسكونها) ؛ فتغيرت حركة الراء عند الجمع من سكون إلى فتح . هذا إلى أن المفرد مؤنث ، وغير عاقل . وكلمة : « ذَوُو » في الجمع مفتوحة الذال ، مع أن مفردها : « ذُو » مضموم الذال . وكلمة : « سنون » مكسورة السين في الجمع ، مفتوحاتها في المفرد^(١) ، وهو : « سِنَّة » ، فضلاً عن أنها لمؤنث غير عاقل أيضاً ، — وأصلها « سِنَّة » أو « سَنَو » ، بدليل جمعها على « سَنَهَات » و « سَنَوَات » — ثم حذفت لام الكلمة ، (وهي الحرف الأخير منها) ، وعوض عنه تاء التأنيث المربوطة ، ولم ترجع اللام عند الجمع .

ومن الكلمات الملحققة في الإعراب بهذا الجمع سماعاً^(٢) ، والتي تدخل في باب « سِنَّة » كلمة : عِصَّة ، وجمعها : عِصُون (بكسر العين فيهما) . وأصل المفردة : « عِصَّة » بمعنى : كذب وإفراء . أو : « عِصَو » . بمعنى : تفريق . يقال : فلان كلامه عِصَّة ، أى : كذب ، وعمله عِصَوٌ بين الإخوان ، أى : تفريق وتشثيت ؛ فلام الكلمة هاء ، أو واو . ومثلها « عِزَّة » ، جمعها : عِزُون (بالكسر فيهما) . والعِزَّة : الفرقة من الناس ، وأصلها عِزَى ؛ يقال : هذه عِزَّة تطلب العلم . . . وأنتم عِزُون في ميدان العلم . وأيضاً : « ثُبَّة » بالضم ، وجمعها : ثُبُون ، بضم أول الجمع أو كسره^(٣) ، والثُّبَّة « الجماعة » ، وأصلها ثُبَوٌ ، أو : ثُبَيٌّ ، يقال : الطلاب مختلفون : ثُبَّةٌ مقيمة . وثُبَّةٌ مسافرة ، وهم ثُبُون .

وعلى ضوء ما سبق نعرف السبب في اعتبار تلك الكلمات المسموعة : ملحقة بجمع المذكور في إعرابها ، والسبب في تسميتها بجمع التكسير ؛ لأن تعريف جمع التكسير وحده هو الذي ينطبق عليها ، دون غيره من جمعي التصحيح ؛ إذ هو « ما تغيَّر فيه بناء الواحد^(٤) » وقد تغير بناء واحدها^(٥) .

(١٥١) الغالب في باب « سَنَة » وأخواتها — وقد سبق توضيح المراد من (بابها) في رقم ٥ من هامش ص ١٤٩ : أن ما كان منه مفتوح الفاء في المفرد فإنه يكسر في الجمع ؛ مثل سَنَة وسِنين . وما كان مكسور الفاء في المفرد لم يتغير في الجمع ؛ مثل مائة ومِئتين . وما كان مضموم الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل ثُبَّةٌ وثُبَيين .

(٢) لأن باب « سَنَة » (أى : ما يشبهها — وقد سبق توضيحه في رقم ٥ من هامش ص ١٤٩ —) سماعي .. وهذه القيود الموسوعة له إنما هي لضبط ما سمع ، لا لقياسيته ؛ فالأمر فيه كغيره مسموع .

(٣) انظر رقم ٤ من هامش ص ١٤٩ .

(٤) وكذلك نعرف السبب في امتناع جمع الكلمات الآتية جمع مذكر سالم ، وفي عدم إدخالها في

ملحقاته :

رابعها : كلمات مسموعة لم تستوف بعض الشروط الأخرى الخاصة بجمع المذكر ؛ فألحقوها به ، ولم يعتبروها جمعاً حقيقياً . ومن هذه الكلمات ، « أهل » ، فقد قالوا فيها : أهلون . مثل :

وما المالُ والأهلونُ إلا ودائعُ ولا بد يوماً أن تردّ الودائعُ

فجمعوها مع أنها ليست علماً ولا صفة . ومنها « عالمون » ، ليست علماً ، ولا صفة أيضاً . وقد تكلمنا عنها من وجهة أخرى فيما سبق ^(١) . ومنها : « وابل » ؛ بمعنى : مطر غزير . يقال : غمّر الوابلون الحقول . فجمعوها . مع أنها لا تدل على عاقل ... خامسها : كلمات من هذا الجمع المستوفى للشروط ، أو مما ألحق به ، ولكن سُتِي

= ١ - تمرة ، لعدم وجود حذف فيها .

ب - عِدَّةٌ وزِنَةٌ ، غير علمين ، لأن المحذوف من كل واحدة هو فاء الكلمة ، فأصل الأولى « وعد » . والثانية : « وزن » ، حذفت الفاء وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة . أما إن كانا علمين ، لذكر فإنه يجوز جمعهما بعد حذف التاء من آخرهما بالصورة التي سبقت في « ا » من ص ١٤٥ .

ج - اسم (وأصلها : « سَمَوٌ » . يضم السين وكسرها ، وسكون الميم) وأخت وبنت ، وأصلهما : « أخَوٌ » . و « بَنَوٌ » ، على المشهور فيهما ؛ حذفت اللام في الثلاثة ، وعوض عنها الهزة في أول كلمة : اسم ، وسكنت السين ، وعوضت التاء المفتوحة لا المربوطة في الأخيرتين . وشذ : بنون .

د - يد ، ودم . أصلهما : « يَدَيٌّ » . و « دَمَيٌّ » ؛ حذفت اللام ، ولم يعوض عنها شيء . وشذ : أبون وأخون ، لأن مفردهما وأوى اللام . وقد حذفت الواو التي هي لام الكلمة بغير رد ، ولا تعويض . ومثل : « أب » وأخ بقية الأسماء الستة على الرأي القائل بأنها وردت عن العرب بمجموعة جمع مذكر شذوذاً ؛ أى : هنون ، وحمون ، وذوون ، وفون .

ولا يمنع النحاة أن تكون الواو الأصلية التي هي لام الكلمة قد رجعت عند الجمع ثم حذفت . فأصل الكلمة عند الجمع كما يقولون : « أبَوُنْ » ثم حركت الباء بالضم إتياعاً للواو - (كما يحصل أحياناً ، كالإتياع في المفرد المضاف ، نحو : أبي) - بعد حذف فتحة الباء . ثم حذفت ضمة اللام ، لثقلها ، وطلباً للتخفيف بخذفها ، فالتق ساكنان ؛ الواو الأصلية وواو الأسماء الستة ؛ فحذفت الواو الأصلية التي هي لام الكلمة ؛ فإنها رجعت ثم حذفت كما يتخيلون . وهذه الصور الخيالية لا أثر لها في ضبط الكلمة وصحة المعنى . فالواجب الانصراف عنها وإهمالها ؛ لما فيها من تكلف واضح لا داعي له . . .

وللحكم السابق اتصال قوى وبعض تشابه بما سبق في « ح » من ص ١٣٥ ورقم ؛ من هامشها .

هـ - شاة ، وشفة ؛ لأن لكل واحدة منهما جمع تكسير مسموعاً عن العرب ، ومعرباً بالحركات ؛ يقال : في الحقل شياه كثيرة ، ولإبل شفاء غليظة . (وأصل شاة : شَوَه ؛ حركت الواو بالفتح للتخفيف - كما يقولون - فقلبت ألفاً ؛ فصارت : شاة ، ثم حذفت الهاء وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة فصارت : شاة . وأصل شفة هو : « شفه » حذفت الهاء ، وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة) .

(١) ص ١٤٨ .

بالكلمة^(١) قديماً أو حديثاً وهي مجموعة ، وصارت علماً^(٢) على مفرد - بالرغم من صيغة الجمع - فمن أمثلة الأول المستوفى للشروط « حَسَدُونَ » . و « شَهَبُونَ » . و « عَبَدُونَ » . و « خَسَدُونَ » و « زِيدُونَ » ... أعلام أشخاص معروفة قديماً وحديثاً . ومثال الثاني : « عَلِيُّونَ » . (اسم لأعلى الجنة) المفرد : عَلِيٌّ . بمعنى المكان العالى ، أو عَلِيَّة ، بمعنى : الغرفة العالية . وهو ملحق بالجمع ، لأن مفردة غير عاقل . سادسها : كل اسم من غير الأنواع السابقة يكون لفظه كلفظ الجمع في إشتال آخره على واو ونون ، أو ياء ونون ، لا فرق في هذا بين أن يكون نكرة : مثل : « يَاسَمِين » و « زَيْتُون » ... أو علماً مثل : « صِفَيْن » و « نَصِيبَيْن » و « فِاسْطَيْن »^(٣) .

* * *

(١) تصح التسمية بجمع المذكر السالم وغيره من الجموع الأخرى للداعى البلاغى الذى قصده العرب في جاهليتهم وإسلامهم من التسمية بتلك الجموع وبالمثنى - كما سبق في « ج » من ص ١٢٥ - ، وعن أم الدواعى : المدح - ويشمل التعظيم - ، والذم ، والتلميح ... وما يؤيد هذا مجيء واو الجماعة في مخاطبة المولى جل شأنه ؛ كالتى في قوله تعالى حكاية لما يقوله يوم القيامة المعاند الحاحد فضل ربه : « رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت » كما يؤيده أن الضمير « نحن » موضوع للتكلم الذى معه غيره ، أوللتكلم وحده إذا أراد تعظيم نفسه .

أما طريقة إعراب المسى به فى « أ » من ص ١٥٣ .
(٢) التسمية بجمع المذكر السالم شائعة قديماً وشيوعاً يحملها قياسية ، فلا قوة للرأى الذى يقصرها على السماع . - ولهذا إشارة فى رقم ١ من هامش ص ١٤٨ وفى « أ » من الصفحة الآتية -

(٣) وإلى كل هذا يشير ابن مالك بقوله :

وارفع بواو وبيا اجرز وانصب سالم جمع عامر ، ومذنب
وشبه ذين ، وبه عشرونا وبابه الحق ، والأهلونا
أولو ، وعالمون ، عليونا وأرضون ، شذ ، والسنوننا
وبابه ، ومثل حين قد يرد ذا الباب ، وهو عند قوم يطرذ

يريد شبه ذين : ما أشبه « عامرا » من كل علم ، مستوف للشروط ، وما أشبه كلمة : « مذنب » ، فى أنه صفة مستوفية كذلك . ثم يقول الحق به عشرون وبابه . والمراد ببابه : أخوات عشرين من العقود العديدة التى ذكرناها ، وكذلك أهلون ، وأولو ، وعالمون ، وعليون .

ثم قال : وشذ : أرضون ، وباب سنين ؛ - وقد أوضحنا المراد من باب « سنين » فى رقم ٥ من هامش ص ١٤٩ - وإنما صرح بشذوذ ذين ، مع أن جميع ملحقات جمع المذكر السالم شاذة - إلا النوع الخامس ، كما سبق - ؛ لأن الشذوذ ؛ فيها أقوى ، لفقد كل منهما أكثر الشروط . فكلاهما اسم جنس (وليس علماً ولا صفة) ، وكلاهما مؤنث ، وغير عاقل ، ولم يسلم مفردة عند الجمع .

ثم بين أن « سنين وبابه » قد يعرب إعراب : « حين » ، فتلازمه الياء والنون ، وتظهر الحركات على النون متونة إلا عند وجود ما يمنع التنوين . وأن من العرب من يجعل هذا الإعراب الخاص بكلمة : « حين » عاملاً يشمل كل جمع مذكر سالم ، سمي به ، ولا يجعله مقصوراً على سنين وبابه . - طبقاً لما فى رقم ٢٠ من ص ١٥٣ - ومنهم من يجعله عاماً شاملاً ما سمي به ، وما لم يسم به .

زيادة وتفصيل :

(١) بمناسبة النوع الخامس نشير إلى أن التسمية يجمع المذكر السالم معروفة قديماً وحديثاً ، كالتسمية بغيره من أنواع المفردات ، والمثنيات ، والجموع . فقياسيته أنسب ^(١) فإذا سُمِيَ به مذكر فقيه عدة إعرابات ، يرتبها النحاة الترتيب التالي ، بحسب شهرتها وقوتها :

١ - أن يعرب بالحروف كجمع المذكر السالم - مع أنه علم على واحد - فيبقى حاله بعد التسمية به كحاله قبلها . تقول في رجل اسمه سعدون : جاء سعدون وأكرم سعدين ، وأصغيت إلى سعدين . وفي هذه الحالة لا تدخله « أل » التي للتعريف ، ولا غيرها مما يجلب التعريف ، لأنه معرفة بالعلمية ^(٢) . وإذا جاء بعده ما يقتضى المطابقة - كالنعت ، والخبر ... - وجب أن يطابق في الإفراد ، مراعاة لمعناه ومدلوله . ولا يصح حذف نونه عند إضافته ، لأنها ليست نون جمع ، ولأن حروف العلم لا يصح زيادتها أو نقصها - كما تقدم في المثنى ص ١٢٦ نقلاً عن الهمع - . واحتمال اللبس في هذا الوجه قوى . لإيهامه أنه جمع ، ولأن حروفه تتغير بتغير إعرابه ، مع أنه علم لمعين .

٢ - أن يلزم آخره الياء والنون رفعاً ، ونصباً ، وجراً ، ويعرب بحركات ظاهرة على النون مع تنوينها ^(٣) - غالباً - تقول في رجل اسمه محمد بن : هذا محمد بن ، ورأيت محمد بناً ، وقصدت إلى محمد بن ، فكلمة : « محمد بن » : إما مرفوعة بالضمة الظاهرة ، أو : منصوبة بالفتحة الظاهرة ، أو : مجرورة بالكسرة الظاهرة ، مع التنوين ^(٣) (غالباً في كل حالة) ^(٤) (إعرابها - كما يقول النحاة

(١) كما سبق في رقم ١ من هامش ص ١٤٨ وفي ٢ من هامش ص ١٥٢ - وكذلك سبق بيان الغرض من هذه التسمية في « ج » من ص ٢٥ - وفي رقم ١ من هامش ص ١٥٢ .

(٢) انظر « الملاحظة » التي في رزم ٢ من هامش ص ١٣٩ .

(٣ و ٣) إن لم يوجد مانع يمنع التنوين ، كالأسياب الخاصة بمنع الصرف ؛ ومنها هنا العجمة مع العلمية ؛ مثل : « قينسرين ، اسم بد بالشام » ومنها : النداء ، ومنها : « أل » الجالبة للتعريف ، ومنها الإضافة في آخره .

(٤) بشرط ألا تزيد حروفه على سبعة : (وهي أقصى ما يصل إليه تكوين الاسم المفرد أصالة في اللغة العربية) . فإن زاد على سبعة بسبب طارئ على أصله أخرجه عن ذلك الأصل - كأن يكون علماً منقولاً من مثنى ، أو من جمع . . . نحو أشهبين - لم يعرب بالحركات ، وإنما يعرب بالحرف (الياء) الذي في آخره ؛ ليكون إعرابه بالحرف دليلاً على زيادة الياء والنون فيه ؛ فلا يخرج الاسم عن أقصى العدد المألوف من حروف الكلم - ومثل هذا أيضاً يراعى في الآراء التالية .

كإعراب : غَسْلَيْنِ^(١) وحين) وهذه النون لا تسقط في الإضافة ؛ لأنها — كالتى في الحالة السابقة — ليست نون جمع .

والأخذ بهذا الإعراب . — فى رأينا — أحسن ؛ فى العلم المختوم بالياء والنون ، والاقتصار عليه أولى^(٢) ؛ ليسره ومطابقته للواقع الحقيقى ، فهو بعيد ، عن كل لبس ؛ إذ لا يوهِم أن الكلمة جمع مذكر حقيقى ؛ وإنما يدرك سماعها أنها علم على مفرد ، لتنوينه ، ولعدم تغير الحروف فى آخره .

وإذا جاء بعده ما يقتضى المطابقة — كالنعت والخبر — وجب أن يطابق فى الإفراد ؛ مراعاة لمعناه ومدلوله .

وهناك سبب هام يقتضى الاقتصار على هذا رأى فى العلم المختوم بالياء والنون هو : « المعاملات الرسمية » الجارية فى عصرنا على الوجه المبين عند الكلام على التسمية بالمتنى^(٣) . . .

والقصد من سرد الآراء التى تخالف هذا الأحسن والأيسر فهم النصوص القديمة الواردة بها ، دون أن نبیح اليوم استعمالها ؛ ومن الإساءة للغتنا أن نفتح الأبواب المؤدية إلى البلبلة والاضطراب فيما ننشئه من كلام ، وإلى التفسير من غير داع ، فيما نمارسه من شئون الحياة .

ومن العرب من يجرى حكم : « غَسْلَيْنِ وحين » منوناً — فى الغالب — أو غير منون على « سنين » وبابه كله . وإن لم يكن علماً . ومنهم من يجريه منوناً على جميع أنواع المذكر السالم وملحقاته — كما سبق^(٤) .

٣ — أن يلزم آخره الواو والنون فى كل الحالات ، ويعرب بحركات ظاهرة على النون من غير تنوين^(٥) فيكون نظير : « هارون » فى المفردات الممنوعة من الصرف . وهذه النون لا تحذف للإضافة ، للسبب السالف .

٤ — أن يلزم آخره الواو والنون ، فى كل الحالات ، ويعرب بحركات ظاهرة

(١) هو : الصديد الذى يسيل من أهل جهنم .

(٢) انظر قرار مجمع اللغة العربية ومؤتمره فى اختيارها هذا الحكم وهو مدون فى رقم ٣ من هامش

الصفحة الآتية : (٣) فى آخر ص ١٢٦ . (٤) فى آخر هامش ص ١٥٢ .

(٥) فهو ممنوع من الصرف ؛ للعلمية وشبه العجمة ؛ لأن وجود الواو والنون فى الأسماء المفردة يكاد

يكون من خواص الأسماء الأعجمية .

على النون ، مع تنوينها^(١) فيكون نظير « عَرَبُونَ »^(٢) من المفردات . والنون ثابتة لا تحذف للإضافة .

ونرى أن الاختصار على هذا الإعراب^(٣) أحسن في العلم المختوم بالواو والنون ؛ مثل : زيدون — لما سبق في نظيره المختوم بالياء والنون — مع وجوب مراعاة الأفراد فيما يقتضى المطابقة « كالنعت والخبر » كما تقدم في الصورة الثانية .

٥ — أن يلزم آخره الواو والنون المفتوحة في جميع الحالات ، ويعرب بحركات مقدرة على الواو . والنون ثابتة هنا في جميع حالات الإعراب ، كشأنها في الحالات السالفة .

(ب) إذا سُمِّيَ بجمع المذكر ، أو بما ألحق به (كالأعلام الواردة في النوع الخامس^(٤)) . ومنها : حمدون ، خسلدون ، عبلدون ، زيدون ، علبتون ..) ، وأريد جمع هذا العلم جمع مذكر سالم ، لم يصح جمعه مباشرة — كما عرفنا — وإنما يصح جمعه من طريق غير مباشر ؛ وذلك بالاستعانة بالكلمة الخاصة التي يجب أن تسبق هذا العلم . وتلحقها علامة الجمع رفعاً ، ونصباً ، وجراً ، وهذه الكلمة هي : « ذو » دون غيرها ، وتصير في الرفع : « ذُوْ » ، وفي النصب والجر : « ذَوِي » وهي « مضافة » ، والعلم بعدها هو — « المضاف إليه » دائماً ، ويصح فيه من الإعرابات السابقة ما يساير صورته : فيقال : جاعن ذُوْ حمدون ، وصافحت ذَوِي حمدون ، وأصغيت إلى ذَوِي حمدون . . . فكلمتا : « ذُوْ » و « ذَوِي » تعرب على حسب حاجة الجملة ، وترفع بالواو ، وتنصب وتجر بالياء وتلك الكلمة هي التي توصل لجمع المسمى بجمع المذكر السالم وملحقاته .

(١) إن لم يوجد مانع من الصرف : كالعجمة مع العلمية هنا — أو الإضافة ، أو النداء ، أو التأنيث أو « أل » المفيدة للتعريف وستأتى في م ٣٠ .

(٢) المال الذي يدفعه المشتري مقدماً في صفقة ؛ لضمان إتمامها ، وأنه لن يرجع عن شرائها ، وإلا ضاع ذلك المقدم .

(٣) وقد اقتصر عليه المجمع اللغوي القاهري ومؤتمره — طبقاً لما جاء في ص ١٣ من كتابه الصادر في سنة ١٩٦٩ باسم « كتاب في أصول اللغة » ونص قراره تحت عنوان : (صيغة : فَمَلُونُ وكونها عربية) وإعرابها : (ما كان من الأعلام منتهياً بواو ونون زائدتين نحو — ميسون ، وحمدون ، وخسلدون له أمثلة منذ أقدم العصور العربية ، فصيحته عربية . وعليها صيغ ماورد من أعلام أهل المغرب . وهو يعرب إعراب المفرد بالحركات على النون مع التنوين ، ومع لزوم الواو . فإن كان علماً مؤنث منع من الصرف للعلمية والتأنيث . ويأخذ هذا الحكم ما كان منتهياً بياء ونون زائدتين (٥) . (٤) في ص ١٥١ .

.....
.....

أما الطريقة إلى تثنية هذا الجمع فهي الطريقة التي تقدمت في التثنية^(١) ،
ويستعان فيها بكلمة : « ذو » أيضاً .

(ح) سبقت الإشارة^(٢) إلى أن النون مفتوحة في جمع المذكر السالم وملحقاته^(٣) في أحواله الإعرابية المختلفة ؛ (أى : في حالة رفعه بالواو ، أو نصبه أو جره بالياء) بشرط ألا يكون مسمى به ، ولا علاقة لهذه النون بإعرابه . ومن العرب من يكسرها ، ولكن لا داعي للأخذ بهذه اللغة ، منعاً للخلط والتشتيت من غير فائدة . وإذا وقعت النون آخر جمع مذكر سالم مسمًى به ففي ضبطها الأوجه المختلفة التي سبقت في : « اوب » .

أما نون المثني وجميع ملحقاته^(٤) فالأشهر فيها أن تكون مكسورة في الأحوال الإعرابية المختلفة . وقليل من العرب يفتحها ، ومنهم من يضمها بعد الألف ، ويكسرها بعد الياء ، في حالتى النصب والجر ، ولا داعي للعدول عن الرأى الأشهر في الاستعمال ، للسبب السالف^(٥) في حركة نون جمع المذكر السالم .

(د) لنون المثني والجمع وملحقتهما أثر كبير في سلامة المعنى ، وإزالة اللبس ؛ ففي قولنا : (سافر خليلان : موسى ومصطفى) - نفهم أن موسى ومصطفى هما الخليلان ، وأنهما اللذان سافرا ، بخلاف ما لو قلنا : (سافر خليلاً موسى ومصطفى) ؛ بغير النون فإننا قد نفهم الكلام على الإضافة (إضافة كلمة : خليلاً إلى موسى) ويتبع هذا أن الخليلين هما اللذان سافرا ، دون موسى ومصطفى ، والفرق بين المعنيين كبير . ومثل هذا أن نقول في الجمع : (مررت ببنتين أبطال) ؛ فالأبطال هم البنون ؛ والبنون هم الأبطال ، فالو حذفت النون لكان الكلام : (مررت ببني أبطال) ، وجاز أن نفهم الكلام على الإضافة ؛ إضافة كلمة : « البنين » إلى : « أبطال » ؛ فيتغير المعنى .

(١) في آخر رقم ٢ من هامش في أول ص ١٢٩ . (٢) ص ١٢٩ .

(٣) ويدخل فيها : ما سمي به ، وما جمع على سبيل « التغليب » ، وغيرهما . .

(٤) يدخل فيها ما سمي به ، وما ثنى على سبيل « التغليب » ، واثنان واثتان ، وغيرهما من كل ما

أعرب إعراب المثني - كما سبقت الإشارة لهذا في رقم ٤ من هامش ص ١٢٠ -

(٥) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَنُونُ مَجْمُوعٍ وَمَا بِهِ التَّحَقُّقُ فَافْتَحْ وَقُلْ مَنْ يَكْسِرُهُ نَطَقَ
وَنُونُ مَا ثَنَى وَالْمُلْحَقُ بِهِ بِعَكْسِ ذَاكَ اسْتَعْمَلُوهُ ؛ فانتبه

كلمة « نون » الأولى مبتدأ ، خبره : الجملة الفعلية : « افتح » و « الفاء » التي في أولها زائدة لتزيين اللفظ - كما في الصبان ، وانظر رقم ٤ من ص ٣٩٣ و ٤١ ص ٥٣٥ .

وكذلك تمنع النون توهم الأفراد في مثل: (جاءني هذان، ورحبت بالداعين للخير)؛
فلولم توجد النون لكان الكلام: (جاءني هذا، ورحبت بالداعي للخير)؛ وظاهره
أنه للمفرد، وهو غير المراد قطعاً.

وتحذف نون المثني والجمع للإضافة - كما أشرنا - في الأمثلة السابقة؛ وهو
حذف لازم؛ كحذفها وجوباً مع «اثنين» و «اثنتين» عند تركيبهما مع
عَشْرَ، أو عَشْرَةَ...؛ فتحل كلمة: «عَشْرَ، أو: عَشْرَةَ» مكان النون
بعد حذفها، نحو: «اثنا عشر» و «اثنتا عشرة»؛ فتعرب: «اثنا»
و «اثنتا» إعراب المثني، وكلمة «عَشْرَ أو: عَشْرَةَ» اسم مثنى^(١) على الفتح
لا محل له من الإعراب، لوقوعه موقع نون المثني التي هي حرف - كما سبق^(٢).

وقد تحذف جوازاً للتخفيف؛ إذا كانت في آخر اسم مشتق (أى: وَصَف)
في أوله «أل» الموصولة^(٣)، وقد نصب بعده مفعوله؛ مثل: ما أنتا المهمل
واجباً، - وما أنتم المانعو خيراً؛ ومنه قراءة من قرأ: «والمقيمى الصلاة»
(بنصب كلمات: «واجباً»، و «خيراً»، و «الصلاة»؛ على أنها مفعول
به لاسم الفاعل الذي قبل كل منها)^(٤).

ويجوز سبويه وآخرون حذف نون ما دل على تثنية أو جمع من أسماء الموصول؛
نحو: اللذان، واللتان، والذين.

وقد تحذف نون الجمع جوازاً إذا وقع بعدها لام ساكنة، كقراءة من قرأ:
(غير مُعْجِزِي اللَّهِ)، بنصب كلمة «اللّه» على أنها مفعول به (أصله:
معجزين الله)، وقراءة: «إنكم لذائقو العذاب» بنصب كلمة: «العذاب»
على أنها مفعول به أيضاً، وأصلها: «إنكم لذائقون العذاب».

وأقل من هذا أن تحذف من غير وقوع اللام الساكنة بعدها؛ كقراءة من
قرأ: «وما هم بضارّني به من أحد» وأصلها: «بضارين به».
وقد تحذف النون جوازاً لشبه الإضافة في نحو: لا غلامى لحمد، ولا مكرّمى
للجاهل، إذا قدرنا الجار والمجرور صفة، والخبر محذوفاً^(٥).

(١) لتضمنه - كما يقولون - معنى حرف العطف؛ إذ الأصل: اثنا وعشر... إلخ. والسبب الحق
السمع المحض.

(٢) في «و» من ص ١٣٤ ويحيى في ٣١٣.

(٣) وجود «أل» دليل على أن الكلمة غير مضافة.

(٤) إيضاح هذه الحالة في باب الإضافة - ٣ م ٩٣ -.

(٥) أصحاب هذا الرأي يوضحونه بأن الجار والمجرور إذا جعل صفة لاسم «لا» النافية للجنس صار =

وكذلك في . لَبَيْكَ^(١) وَسَعْدَيْكَ^(٢) . . . وأشباههما عند من يرى أن الكاف حرف للخطاب ، وليست باسم . وقد يحذفان للضرورة في الشعر .

هذا ، وعلى الرغم من أن حذفهما جائز في المواضع التي ذكرناها — فمن المستحسن في غير الضرورة ، وغير لَبَيْكَ وسَعْدَيْكَ وأشباههما ، الفرار منه قدر الاستطاعة ؛ منعاً للغموض واللبس ، وضبطاً للتعبير في سهولة ، ووضوح ، واتفاق يلائم حالة الناس اليوم . أما المواضع التي يجب فيها حذفهما فلا مفر من مراعاتها .

(هـ) الأصل^(٣) في المثنى أن يدل على اثنين حقيقة . لكن قد يكون اللفظ ظاهره الثنية ومعناه الجمع بشرط وجود قرينة ؛ فيكون ملحقاً بالمثنى في الإعراب فقط . وليس مثنى حقيقة ؛ لفقده شرط الثنية ؛ ومن ذلك : « ارجع البصر كرتين » أى : كرتات ؛ لأن المراد التكثير ، والتكثير لا يتحقق بكرتين ، وإنما يتحقق بكرات . ومثله : حَسَنَاتِيكَ . . . وهذا النوع يجوز فيه التجريد من علامتهى الثنية اكتفاء بالعطف ، مثل : أتعبتنا الأسفار ؛ خمس وخمس ، وذهاب وذهاب ، ورجوع ورجوع . ومنه قول الشاعر :

تَسْخُدِي^(٤) بِنَا نَجْبُ أَفْنَى عَرَائِكِهَا خَمْسٌ وَخَمْسٌ وَتَأْوِيبٌ وَتَأْوِيبٌ

وقد يغني التكرار عن العطف^(٥) ؛ كقوله تعالى : « صفّاً صفّاً » ، وقوله : « دَكَاً دَكَاً » .

= هذه الصفة من قسم الشبيه بالمضاف ؛ لأن الصفة من تمام الموصوف ؛ كالمضاف إليه فإنه يتم المضاف . وإذا صار شبيهاً بالمضاف جاز عندهم حذف ما في آخره من التنوين ، أو نون المثنى والجمع كما يحذف من المضاف الأصيل . وسيجى هذا في باب « لا » الجنسية آخر الجزء — ص ٦٩٠ .

- (١) بمعنى : إجابة منك بعد إجابة .
- (٢) بمعنى إسماعداً لك بعد إسماعداً . أى : مساعدة لك بعد مساعدة ، أو معاونة لك بعد معاونة .
- (٣) ما يأتي هو الذى أشرنا إليه في رقم ٥ من هامش ص ١١٨ حيث قلنا : إن اللفظ قد يكون في ظاهره للمثنى ، وفي معناه للجمع . . . وله صلة أيضاً بما في « هـ » من ص ١٣٣ .
- (٤) « تسخدى » : تسرع . « نجب » جمع : نجبية ، وهى : الناقة الأصيلة الجيدة .
- (٥) « عرائك » ، جمع : عريكة ، وهى : السنام ، « التأويب » السفر طول النهار ، أو : الرجوع من السفر وغيره ، والأحسن هنا : الأول ، والخمس : سفر خمسة أيام . ويصح : الخمس (بكسر الخاء) وهو ترك الإبل ثلاثة أيام ترعى بغير شرب ، ثم ترد الماء في اليوم الرابع . (كأن تشرب في يوم الخميس — مثلاً — وتترك الشرب ثلاثة أيام بعده ؛ هى : الجمعة ، والسبت ، والأحد ، ثم تشرب في اليوم الرابع ، وهو يوم الاثنين . فإذا احتسبنا اليوم الأول الذى شربت فيه كان يوم الاثنين هو الخامس له . ومن هنا جاء الخمس بكسر الخاء . — (٥) سبق للسألة إيضاح وتفصيل في « هـ » — من ص ١٣٣ .

(و) سبق ^(١) أن المثنى المرفوع بالألف إذا أضيف إلى كلمة أولها ساكن ؛ وقد حذفت منه النون بسبب الإضافة — مثل : غاب حارسا الحقل ، وأقبل زارعا الحديقة — فإن علامة التثنية (وهى الألف) تحذف نطقاً ، لا خطاً ^(٢) . ويرجح النحاة في إعرابه أن يقال : إنه مرفوع بألف مقدرة . . .

وكذلك الشأن في جمع المذكر ؛ فإنه إذا أضيف حذفت نونه للإضافة ؛ فإن كانت إضافته إلى كلمة أولها ساكن حذفت واوه رفعاً ، وبأوه نصباً وجراً ؛ في النطق ، لا في الكتابة ^(٢) ؛ تقول : جاء عالمو المدينة ، وكرمت عالمي المدينة ، وسعيت إلى عالمي المدينة ^(٣) .

لكن ما إعرابه ؟ . أيمكن مرفوعاً بالواو الظاهرة في الكتابة ، أم بالواو المقدرة المحذوفة في النطق لالتقاء الساكنين ؛ فهي محذوفة لعله ، فكأنها موجودة ؟ . وكذلك في حالة النصب والجر ؛ أيمكن منصوباً ومجروراً بالياء المذكورة أم المقدرة ؟

يرتضى النحاة أنه معرب في جميع حالاته بالحرف المقدر ؛ لأنهم هنا يقدمون النطق على الكتابة ، ويسعدون هذه الحالة كحالة المثنى في أنها من مواضع الإعراب التقديرى ^(٤) ، لا الإعراب اللفظي .

ونقول هنا ما سبق أن قلناه في المثنى : وهو أنه لا داعى اليوم للأخذ بهذا الرأي وحده ، ولن يترتب على إهماله ضرر ؛ لأن الخلاف شكلي لا قيعة له . ولكن الإعراب التقديرى هنا لا يخلو من تكلف ، وقد يؤدي إلى اللبس .

كذلك تقدر الواو رفعاً — فقط — في جمع المذكر السالم إذا أضيف إلى ياء المتكلم ؛ نحو : جاء صاحبي ، وأصلها : صاحبون لي ؛ حذفت اللام للتخفيف ، والنون للإضافة ؛ فصارت الكلمة صاحبوي . اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما

(١) في « ز » من ص ١٣٥ .

(٢٠٢) مع ملاحظة قرار المجمع اللغوي الذي يبيح — المد عند خوف اللبس وهو القرار الذي سجلناه في رقم ٢ من هامش ص ٥١ ونعيد تسجيله هنا ونصه : — تحت عنوان : إباحة المد عند التقاء الساكنين ، أو زيادة موضع لاغتناف التقاء الساكنين — : (لا حرج على من يدفع اللبس بمد عند الساكنين ، مثل قولهم : اجتمع مندوبو العراق بمندوبي الأردن) .

(٣) يشترط لصحة هذا الحذف ألا يكون جمع المذكر مقصوراً — كما سيبيء البيان في رقم ٣ من

ص ٢٠٤ — . (٤) بيانه في ص ٨٤٧٥ و ٨٤٧٦ وستذكر مواضعه مفصلة في ص ١٩٨ .

.....
.....

بالسكون ، قُلِبَت الواو ياء ؛ وأدغمت في الياء ؛ فصارت الكلمة : صاحِبِيّ ،
ثم حركت الباء بالكسرة ؛ لتناسب الياء ؛ فصارت الكلمة : صاحِبِيّ ، ومثلها : جاء
خادمي ومساعدتي ، إذ يرتضى النحاة في إعرابها : « خادمي » ، فاعل مرفوع
بالواو المقدرة المنقلبة ياء المدغمة في ياء المتكلم . و« خادم » مضاف ، وياء
المتكلم مضاف إليه ؛ مبنية على الفتح في محل جر . وكذلك الباقي وما أشبهه .

ويقول فريق آخر : إن إعراب كلمة : « صاحِبِيّ » وأشباهاها هو إعراب
لفظي ، لا تقديري ؛ لوجود ذات الواو ، ولكن في صورة ياء . وتغير صورتها لعلّة
تصريفية لا يقتضى أن نقول إنها مقدرة . والخلاف بين هذين الرأيين لا قيمة له ؛
لأنه خلاف لفظي ، شكلي ، لا يترتب عليه شيء على ؛ فلا مانع من اتباع أحد
الرأيين . والأول أفضل لموافقته لبعض حالات خاصة أخرى .

(ز) جسم الإنسان - وغيره - ذو أعضاء ، وأجزاء ، وأشياء أخرى تتصل
به ، منها : ما يلزمه ويتصل به دائماً ؛ فلا ينفصل عنه في وقت ، ثم يعود إليه
في وقت آخر ؛ كالرأس ؛ والأنف ، والظهر ، والبطن ، والقلب . . . ومنها :
ما يتصل به حيناً ، وينفصل عنه حيناً ، ويعود إليه بعد ذلك ؛ كالثوب ، والأدوات
الجسمية الأخرى وأشباهاها . . . فإذا كان في الجسم شيء واحد لا يتعدد ،
ولا ينفصل عنه - كالرأس ؛ والقلب - وضحمت إليه مثله جاز فيه ثلاثة أوجه :

أولها : الجمع : وهو الأكثر . نحو : ما أحسن رؤوسكما . ومنه قواه
تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » . وإنما عبروا بالجمع مع أن المراد
الثنية ، لأن الثنية في الحقيقة جمع لُغَوِيٌّ^(١) ؛ ولأنه مما لا يقع فيه لبس ،
ولا إشكال ؛ فمن المعلوم ألا يكون للإنسان إلا رأس واحد ، وقلب واحد . . .
ثانيها : الثنية على الأصل وظاهر اللفظ ؛ نحو : ما أحسن رأسَيْكما ،
وأطيب قلبَيْكما .

ثالثها : الإفراد : نحو ؛ ما أحسن رأسكما ، وأطيب قلبكما . وهذا جائز
لوضوح المعنى ، إذ كل فرد له شيء واحد محتم من هذا النوع ، فلا يُشْكِلُ ،
ولا يقع في لبس . فجاء باللفظ المفرد ، للخفة .

(١) راجع ماله اتصال بهذا ، والأمثلة الواردة التي تؤيده في رقم ١ من هامش ص ١١٩ ورقم ٢
من هامش ص ١٣٧ .

أما ما يكون في الجسد منه أكثر من واحد ؛ كاليد ، والرجل ؛ فإنك إذا
ضممته إلى مثله لم يكن فيه إلا التثنية ؛ نحو : ما أكرمَ يديكما ، وما أسرعَ
رجليكما . أما قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... » فإنه
جمع ؛ لأن المراد : الأيمان : (جمع يمين ، أي : اليد اليمنى) (١) .

وأما ما يتصل بالجسم وينفصل عنه من نحو : ثوب ، وغلام .. فلا يجوز
فيه إلا التثنية إذا ضممت منه واحداً إلى مثله ؛ نحو : عَجِبْتُ بثوبيكما ...
وسلمت على غلاميكما ... إذا كان لكل واحد ثوب وغلام ، ولا يجوز الجمع
في مثل هذا ؛ منعاً للإيهام واللبس ؛ إذ لو جمع لأوهم أن لكل واحد أثواباً
وغلماناً ، وهو غير المراد (٢) . وكذلك لا يجوز الإفراد ؛ للسبب السالف .

(ح) سبق الكلام على منع تثنية جمع المذكر وجمعه بطريقة مباشرة فيها . وإباحة
ذلك عند التسمية به (٣) بالطريقة الموضحة هناك ... ، فهل يجوز تثنية جمع التكسير ،
وجمعه ؟ . فريق قال : إن جمعه مقصور على السماع ، أما تثنيته فلخص
الرأى (٤) فيها عنده أن القياس يأبى تثنية الجمع ، وذلك أن الغرض من الجمع
الدلالة على الكثرة العددية ، والتثنية تدل على القلة ؛ فهما متدافعان ، ولا يجوز
اجتماعهما في كلمة واحدة . وقد جاء شيء من ذلك — عن العرب — على تأويل
الإفراد ؛ قالوا : إيلان ، وغنّمان . وجمّالان ، ذهبوا بذلك إلى القطع الواحد ،
وضموا إليه مثله فثنوه .. وما دام القياس يأباه فالأحسن الاختصار فيه على السماع (٥) .
وفريق آخر — كما سيجيء (٥) — يميل إلى إباحة الجمع فيما يدل على القلة ،
دون ما يدل على الكثرة .

والأفضل الأخذ بالرأى القائل إن الحاجة الشديدة قد تدعو أحياناً إلى جمع
الجمع ، كما تدعو إلى تثنيته ؛ فكما يقال في جماعتين من الجمال : جمالان —
كذلك يقال في جماعات منها : جمالات . وإذا أريد تكسير جمع التكسير
روعى فيه ما نصوا عليه في بابهِ (٥) .

* * *

(١) هل المراد أن اليمين واحدة ، فإذا انضمت إلى مثلها جاز الجمع ؟ إن كان هذا التعليل صحيحاً
فهو منطبق على جميع الأعضاء الزوجية في الجسم . فكيف تجب التثنية ؟ إلا أن يقال إن اليمين أشهر في اليد
اليمنى حتى تكاد تختص بهذا الوصف ، وتصير بمنزلة شيء واحد .

(٢) راجع الجزء الرابع من شرح «المفصل» ص ١٥٥ . (٣) في ص ١٥٥ ، ١٢٩ .

(٤) راجع الجزء الرابع من شرح المفصل ص ١٥٣ . (٥) في ج ٤ ص ٥٥٥ م ١٧٤ .

المسألة ١٢ :

د - جمع المؤنث السالم^(١)

- ١ - { حضرت سيدة . سمعتُ سيدة . قرأتُ مقالة سيدة .
 حضرت سيدات . سمعتُ سيدات . قرأتُ مقالات لسيّدات .
- ٢ - { فازتُ هند . أكرمُ الوالدَ هنداً . هذه مدرسة هند .
 فازتُ الهنداتُ . أكرمُ الوالدَ الهنداتُ . هذه مدرسة الهنداتُ .
- ٣ - { عطيةُ طالبٌ ماهرٌ . إن عطيةَ طالبٌ ماهر . لعطيةَ نشاطٌ ظاهر .
 العطياتُ طالبون ماهرُونَ . إن العطياتُ طالبون مهرة . للعطياتُ نشاط .
 اتسعتُ السُرَادِقَاتُ . ملأ الناسُ السُرَادِقَاتُ . جلس القومُ في السُرَادِقَاتُ .

في الأمثلة السابقة كلمات مفردة ؛ تدل كل كلمة منها على شيء واحد مؤنث ،
 أو مذكر ، (مثل : سيدة ، هند ، عطية ، سُرَادِق . . .) .

وحين زدنا في آخرها الألف والتاء المفتوحة^(٢) صارت تدل على جمع مؤنث ؛
 مثل : سيدات ، هندات^(٣) ، عطيات^(٣) ، سُرَادِقَات ، واستغينا بهذه الزيادة
 عن العطف بالواو^(٤) ؛ أي : عن أن نقول : سيدة ؛ وسيدة ، وسيدة . . . أو هند ،
 وهند ، وهند . . . إلخ .

فهذه الكلمات تسمى : « الجمع بالألف والتاء الزائدين » ، أو :
 « جمع المؤنث السالم » كما هو المشهور^(٥) ، وهو : (ما دل على أكثر من

(١) سبق في رقم ١ من هامش ص ١٣٧ معنى : « السالم » وضبطها . وسبب تسميته هو وجمع
 المذكر السالم : بجمعي التصحيح .

(٢) أي : تاء التأنيث المتصلة التي ليس أصلها الهاء ؛ فهي غير التاء المربوطة التي تدل على
 تأنيث الاسم - كما سيجيء في رقم ٣ من هامش ص ١٦٣ و ١٦٦ ورقم ١ من هامش ص ١٦٦ - .

(٣ و ٣) - انظر الملاحظة التي في ص ١٦٧ .

(٤) قد يجوز العطف بالواو أحياناً ، أو بغيرها للدواعي التي بينها في المثني ، وجمع المذكر (في

« ه » من ص ١٣٣ و ١ من هامش ص ١٣٨) .

(٥) يفضل كثير من النحاة الأقدمين تسميته : « الجمع بألف وتاء مزيدتين » ، دون تسميته بجمع =

اثنين^(١) بسبب زيادة معيّنة في آخره، أغنت عن عطف المفردات المتشابهة في المعنى، والحروف، والحركات، وبعضها على بعض، وتلك الزيادة هي «الالف والتاء» في آخره). ومفرد هذا الجمع قد يكون مؤنثاً لفظياً ومعنوياً معاً^(٢)؛ مثل : سيدة وسُعْدَى^(٣) ولمِيَاء . والجمع : سيدات ، وسُعْدَيَات ، واسْمِياوات .

= المؤنث السالم ؛ لأن مفردة قد يكون مذكراً، كسرادق وسراقات، وأحياناً لا يسلم مفردة في الجمع ؛ بل يدخله شيء من التغيير: كسُعْدَى وسُعْدَيَات ؛ فإن ألف التأنيث التي في مفردة صارت ياء عند الجمع . ومثل لمياء ولياوات ؛ قلبت الهزرة وأوا في الجمع ؛ ومثل : سجدة وسجّدات ؛ تحركت الجيم في الجمع بعد أن كانت ساكنة في المفرد . وبالرغم من ذلك كله لا مانع من التسمية الثانية ؛ لأنها تنطبق على أغلب الحالات ، واشتهرت بين النحاة وغيرهم حتى صارت «اصطلاحاً» معروفاً ، وخاصة الآن .

(١) ما العدد الذي يدل عليه جمع المؤنث السالم؟ أهو عدد لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على عشرة ؛ فيكون كجمع القلة ، أم يزيد على العشرة ؟ بيان هذا في رقم : ٢ من هامش ص ١٣٧ .

(٢) ينقسم المؤنث باعتبار معناه إلى حقيقي ؛ وهو : ما يلد ويتناسل - ولو من طريق البيض والتفريخ ، كالطيور - ، وإلى غير حقيقي ؛ (أى : إلى مجازي) ، وهو ما كان مؤنثاً لا يلد ولا يتناسل ، مثل : أرض ، شمس . . .

وينقسم باعتبار لفظه إلى «لفظي» ؛ وهو : ما كان مشتملاً على علامة تأنيث ظاهرة ، سواء أكان دالاً على مؤنث أم مذكراً؛ مثل : فاطمة ، وحزة ، ومعاوية ، وشجرة ، وسلمى ، وخضراء . وإلى «معنوي» وهو ما كان لفظه خالياً منها مع دلالاته على التأنيث . . نحو : زينب ، وشمس ، وأرض . . . وسيجيء بيان هذا في باب الفاعل ج ٢-م ٦٦ ص ٧٥- وأشهر علامات التأنيث في الاسم هي التاء المربوطة التي أصلها الهاء في مثل : أمينة ، وشجرة . . . وألف التأنيث المقصورة في مثل : دنيا . ورياً - وعليا - والممدودة في مثل : خضراء ، وبيضاء وأربعاء . وهناك علامات أخرى تلي تلك ؛ كالكسرة في مثل الضمير ؛ «أنت» ، . . . ونون النسوة في مثل : «أنن» . . . وللتأنيث وعلاماته وأحكامه باب خاص به في الجزء الرابع - م ١٦٩ ص ٥٤٢ .

(٣) يستثنى من المقصورة عند البصريين ومن معهم : «فمئل» مؤنث : «فمئلان» ، مثل : «سكرى» مؤنث «سكران» فلا يقال «سكرّيات» . ويستثنى من الممدودة : «فملاء» مؤنث : «أفعل» ؛ كحمراء ، مؤنث أحمر ؛ فلا يقال : حمراوات ؛ - لأن النحاة يقولون : ما لا يصح جمعه جمع مذكر سالم لا يصح - غالباً - في مؤنثه أن يجمع جمع مؤنث سالم - كما سبق البيان والتفصيل في رقم ٣ من هامش ص ١٤٣ ، وفي «د» من ص ١٧٢ - فهاتان لا يجمعان جمع مذكر ولا جمع مؤنث سالمين (إلا عند الكوفيين) مادام باقيين على الوصفية ؛ فإن صاروا اسمين مجردين من الوصفية - جاز جمعهما تصحيحاً جمع مذكر أو مؤنث على حسب المعنى . وبسبب هذه الاسمية قيل : «خضراوات» لبعض أنواع النبات ، و«حمراوات» لبعض المدن و«كبريات» و«صغريات» جمع : «كبرى» و«صغرى» اسم موضعين في مصر . .

- انظر : «ب» من ص ١٤٢ ؛ لأهميتها ، وكذا «ا» من «الزيادة التي تليها في ص ١٤٥ . ورأى الكوفيين هنا - كرايمهم في جمع هاتين الصيغتين جمع مذكر سالم - أنسب ، وأدلتهم مقبولة ؛ لما سبق أن عرضناه في رقم ٣ من هامش ص ١٤٣ وفيها قرار الجمع اللغوي بإباحة جمع «فمئلان فمئل» بالتفصيل والبيان المذكورين هناك ؛ فالأخذ بالرأى الكوفي سائغ ، وإن كان الرأى البصرى أقوى . .

وقد يكون مفردة مؤنثاً معنويّاً^(١) فقط ؛ بأن يكون لفظه خالياً من علامة التأنيث مع دلالته على مؤنث حقيقي ؛ مثل : هند ، وسعاد . والجمع : هندات ، وسعادات .
وقد يكون مفردة مؤنثاً لفظياً فقط ؛ بأن يكون لفظه مشتقاً على علامة تأنيث ، مع أن المراد منه مذكر . مثل : عطية ، اسم رجل ، وجمعه : عطيات ، وشبّكة ، اسم رجل ، وجمعه : شبّكات ، ومثل : حمزة ، وطلحة ، ومعاوية ...
وقد يكون مفردة مذكراً ؛ كسرّادق وسرّادات
حكمه :

حكم هذا الجمع أنه يرفع بالضمّة ، وينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة ، ويجر بالكسرة - ، كما في الأمثلة السابقة ، وأشباهاها - مع التنوين في كل صورة خالية مما يعارضه^(٢) . وكل هذا بشرط أن تكون الألف والتاء زائدتين معاً ؛ فإن كانت الألف زائدة والتاء أصلية ، - (مثل : بيت وأبيات ، وقوت وأقوات ، وصوت

(١) يستثنى من « المؤنث المعنوي » ما كان علماً لمؤنث على وزن : فَعْمَالٌ ؛ (مثل « حَذَامٌ » و « رَقَاشٌ » و « قَطَامٌ ») عند من يقول ببناء صيغة « فَعْمَالٌ » دائماً ؛ لأن المبنى لزوماً لا يثنى ولا يجمع .
(٢) وهذا التنوين هو تنوين « المقابلة » وتفصيل الكلام عليه في ص ٤١ - وإنما يجب ذكر هذا التنوين في كل الحالات إن لم يمنع منه مانع آخر ؛ كالإضافة ، أو : أل - . . .

وهناك لغة تنصبه بالفتحة إن كان مفردة محذوف اللام (وهي : الحرف الأخير من أصول الكلمة) ولم تُرَدِّ هذه اللام عند الجمع ، مثل : سمعت لغات العرب ، وأكرمت بناتهم ؛ لأن المفرد فيهما : لغة ، وبنت ؛ وأصلهما « لغتو » و « بنتو » . حذف الواو فيهما ، ولم ترجع في الجمع . فإن ردت اللام في الجمع مثل : سنوات ، وسنات ، في جمع سنة ، وجب نصبه بالكسرة . إلا عند الكوفيين - وأبيهم هنا ضعيف - فإنهم يجرّون نصبه بالفتحة مطلقاً ، سواء أ حذف لأمه أم لم تحذف .

ومن النحاة من يعتبر كلمة : « بنات » جمع تكسير . وحجته : أن مفرداها « بنت » قد دخله التغير عند الجمع ، وهذا شأن المفرد عند جمعه تكسيراً لا جمعاً مؤنثاً سالماً أصيلاً والأكثرية تعتبرها جمع مؤنث (راجع التصريح ج ١ . باب الفاعل ، عند الكلام على تأنيث الفعل لأجل فاعله) . .

ومن المستحسن جداً إهمال هذه اللغات ، والاقصاء على أكثر اللغات شيوعاً وأشدها جرياناً في الأساليب السامية ، وهي اللغة الأولى . وإنما نذكر غيرها ليستعين بمعرفتها المتخصصون في فهم النصوص القديمة ، دون استعمالها - على الرغم من صحة محاسنها بضعف - .

« ملاحظة » بهذه المناسبة نذكر أن المفرد الذي يراد جمعه بالألف والتاء الزائدتين إن كان محذوف اللام بغير تعويض همزة الوصل عنها ، فإن لأمه ترجع في الجمع إن كانت ترجع في الإضافة فإن لم ترجع في الإضافة فإنها لاترجع في الجمع . . . أى : أن حكمها من جهة رجوعها في الجمع هو حكم رجوعها عند الإضافة - كما سبقت الإشارة في رقم ١١١ من هامش ص ١١١ . والبيان في « ح » من ص ١٣٥ - .

وأصوات ، ووقت وأوقات . . .) - لم يكن جمع مؤنث سالم ، ولم ينصب بالكسرة ؛ وإنما هو جمع تكسير ، ينصب بالفتحة ، وكذلك إن كانت ألفه أصلية والتاء زائدة ، - (مثل : سَعَاة ^(١) : جمع ساع ، ورماة : جمع رام ، ودعاة : جمع داع ، وأشباهاها) - ؛ فإنه يدخل في جموع التكسير التي تنصب بالفتحة .

ملحقاته :

ألحق بهذا الجمع في الإعراب نوعان ، أولهما : كلمات لها معنى جمع المؤنث السالم ولكن لا مفرد لها من لفظها ؛ وإنما لها مفرد من معناها ، فهي اسم « جمع » ^(٢) ، مثل : « أولات ^(٣) » ومفردها : « ذات » ، بمعنى صاحبة ، فمعنى كلمة : « أولات ^(٣) » هو : صاحبات . تقول : الأمهات أولاتُ فضل - عرفت أولاتِ فضل - احترمت أولاتِ فضل .

وكلمة : « أولات » مضافة ^(٤) دائماً ؛ ولهذا ترفع بالضممة من غير تنوين ، وتنصب وتجر بالكسرة من غير تنوين أيضاً ؛ ومثلها : « اللات » (اسم موصول لجمع الإناث) ، عند من يلحقها بجمع المؤنث ^(٥) ، ولا يبينها على الكسر ، كالإعراب

(١) أصل سَعَاة : سُمِيَّة ؛ (على وزن مُمَلَّة) ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفاً ، فصارت سَعَاة : فألفها أصلية ؛ لأنها منقلبة عن حرف أصل ، وهو الياء التي أصلها لام الفعل : « سَمَى » ؛ لأنه يأتى اللام ، تقول : سميت سمياً . ومثلها : رماة ؛ فأصلها : رُمِيَّة ؛ تحركت الياء وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفاً ، والفعل « رَسَى » يأتى اللام أيضاً ؛ تقول : رميت رمية .

أما دعاة ، فأصلها : دُعَوَة ؟ تحركت الواو وانفتح ما قبلها ؛ فقلبت ألفاً . والفعل « دعا » واوى اللام ؛ تقول : دعوت دعوة . . . فالألف هنا أصلية ، لأنها منقلبة عن واو أصلية .

(٢) سبق تعريفه في رقم ٢ من ص ١٤٨ .

(٣٠٣) همزتها مضمومة ، ولا تمد ؛ برغم وجود واو بعدها .

(٤) وإضافتها لا تكون إلا لاسم جنس ظاهر (مثل : عليم ، فضل ، أدب . . .) ، أما غير الظاهر

فلا تضاف إليه ؛ كالضمير الذي يعود على اسم جنس ، فلا يصح الفضل أولاته الأمهات) .

ومن أمثلة « أولات » قوله تعالى : « وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٌ . . . » « فأولات » خبر كان ؛ منصوب بالكسرة ، واسمها : نون النسوة المدعمة مع نون « كان » .

« ويقول النحاة : أصل « كان » هنا : كَوْنٌ ، بضم الواو بعد تحويل الفعل إلى باب : فَعَلٌ . استثقلت الضمة على الواو فنقلت منها إلى الكاف بعد حذف الفتحة ، ثم حذفت الواو لا لتقاء الساكنين ! والتكلف في هذا ظاهر ، لاداعي له ، فخير منه أن نقول : إن العرب تضم الكاف من « كان » وتحذف الألف عند إسناد هذا الفعل لنون النسوة ، أو لضمير رفع متحرك ، من غير أن يكون هناك علة إلا نطقهم .

(٥) لاداعي للأخذ بهذه اللغة اليوم للأسباب التي نرددها كثيراً .

المشهور ، يقول : جاءت اللاتُ تعلمن ، ورأيت اللات تعلمن ، وفرحت باللاتِ تعلمن ؛ فاللات عنده اسم جمع لكلمة : (الّتي) .

ثانيهما : ما سمي به من هذا الجمع ^(١) وملحقاته ، وصار علماً للمذكر أو مؤنث بسبب التسمية ، مثل : سعادات ، وزينبات ، وعينايات ، ونعمات ، وأشباهاها مما صار علماً على رجل أو امرأة . ومثل : عَرَقات ؛ (اسم مكان بقرب مكة) ، وأذِرِعات (اسم قرية بالشام) ، وغير ذلك . مما لفظه لفظ جمع المؤنث ، ولكن معناه مفرد مذكر أو مؤنث . مثل : سافرت سعاداتٌ ، ورأيت سعادات ، واعترفت لسعادات بالفضل . فهذا النوع يعرب بالضمة رفعاً ، وبالكسرة نصباً وجراً ، مع التنوين ^(٢) في كل الحالات ؛ مراعاةً لناحيته اللفظية الشكلية التي جاءت على صورة جمع المؤنث السالم ، مع أن مدلولها مفرد . وإنما يثبت التنوين عند عدم المانع الذي يقتضي حذفه ؛ كوجود « أل » أو : « الإضافة » . . .

وبعض العرب يحذف هذا التنوين . وبعضهم يعربه بالضمة رفعاً من غير تنوين ، وينصبه ويجره بالفتحة من غير تنوين في الحالتين ، أى : يعربه لإعراب ما لا ينصرف ؛ مراعاةً لمفرده ، بشرط أن يكون هذا المفرد مؤنثاً ؛ فيقول : اتسعتُ أذِرِعاتُ ، رأيتُ أذِرِعاتَ ، تمتعتُ بأذِرِعاتَ . وإذا أراد الوقوف على آخره وقف بالثناء المفتوحة ^(٣) .

(١) في رقم ١ من هامش ص ١٥٢ بيان السبب في التسمية بالمثنى وبالجمع .

(٢) لكن كيف يوجد التنوين في هذا النوع مع وجود ما يوجب منعه من الصرف ؛ وهو : « العلمية والتأنيث المعنوي » في مثل : « سعادات » وأشباهاها ؛ من كل لفظ على صيغة جمع المؤنث ولكنه علم على مفردة ؟ (قلنا التأنيث المعنوي ، لأن التاء الموجودة تاء مفتوحة ليست هي التي تدل على تأنيث اللفظ ، وإنما الذي يدل على تأنيث اللفظ هو التاء المربوطة التي أصلها هاء ؛ كما سبق في رقم ٢ و ٣ من هامش ص ١٦٢ و ١٦٣) - يجيب النحاة عن هذا بأن التنوين هنا للمقابلة ، لا للصرف ، لأن الكلمة منقولة من جمع المؤنث ؛ وتنوين المقابلة لا يحذف عند وجود ما يقتضي منع الاسم من الصرف (وقد سبق الرأي في هذا النوع من التنوين ص ٤١) وسيجيء رأى أنسب وأضبط ؛ وهو حذف التنوين منه - إذا كان علماً لمؤنث - مراعاةً للعلمية والتأنيث المعنوي ؛ مع جره بالفتحة فينطبق عليه حكم المنوع من الصرف ويحسن الأخذ بهذا الرأي ، لأنه يمنع اللبس ويزيل الإبهام ، ويجعل المراد واضحاً جلياً . وهذه وظيفة اللغة ومهمتها وما يرى إليه الخبير بأسرارها - وستجىء إشارة لهذا الرأي في « ١ » من ص ١٧٦ - .

(٣) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَمَا بِنَا وَأَلِفٍ قَدْ جُمِعَا يُكْسَرُ فِي الْجَرِّ وَنِ النَّصْبِ مَعَا =

فهذه ثلاثة آراء في المسمى به ، قد يكون أفضلها الأخير^(١) ؛ فيحسن الاختصار عليه في استعمالنا - مع مراعاة شرطه -

« ملاحظة » : إذا كان المفرد الذى يراد جمعه هذا الجمع علماً فإنه يفقد عند الجمع - علميته ، وما يترتب عليها من التعريف الحتمى ويصير نكرة - طبقاً لما سبق تفصيله ، وبيان سببه^(٢) - فلا بد له بعد الجمع من شيء يعيد إليه التعريف ؛ كزيادة « أل » المعرفة في أوله ، أو وجود حرف النداء قبله . . .

ويشترط في المفرد الذى يراد جمعه هذا الجمع أن يكون خالياً من الإعراب بحرفين ؛ فلا يجمع المفرد المختوم بعلامة جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم .

= كَذَا : «أولاتُ» ، والذى اسماً قد جعل كَأَذْرِعَاتٍ فيه ذا أيضاً قبل أى : أن ما جمع بناء وألف فإنه يكسر في حالة الجر والنصب ؛ فينصب بالكسرة ، ويجر بالكسرة أيضاً . ولا يفهم من كلمة « معاً » أن الحالتين تحصلان في وقت واحد ؛ كما هو مدلول كلمة : « معاً » عند أكثر اللغويين القائلين باتحاد زمنها - وإنما المر مطلق وقوع الحالتين من غير اتفاقهما في زمن واحد . و « تا » في كلمة : « بتا » قد تقرأ منونة كشأن حروف الهجاء عند قصرها ؛ حيث يجب تنوينها على المشهور ؛ بناء على أنها مقصورة المدود ؛ فأصلها : « تاء » فإذا قصرت يقدر إعرابها على الألف المحذوفة لفظاً ؛ لالتقاء الساكنين (لأنها ساكنة ، والتنوين ساكن) فالألف محذوفة لعلة تصريفية ؛ والمحذوف لعلة كالثابت . نعم إن ترك التنوين للإضافة ، أو لوجود « أل » في أوله ، أو للوصل بنية الوقف أو للنداء . . . - جاز الإعراب المقدر على الألف . وقال بعضهم : إن حروف الهجاء إن كانت من غير همزة في آخرها (مثل با - تا - ثا . . إلخ) فإنها موضوعة من أول الأمر على حرفين هجائيين ، وليست مقصورة من مد ؛ فهي مبنية على السكون دائماً من غير تنوين . وهذا أيسر وأوضح .

وأشار في البيت الثانى : (كذا أولات) إلى النوعين الملحقين بجمع المؤنث السالم ، وأولهما : اسم الجمع ، نحو : « أولات » ، وثانيهما : ما جعل من جمع المؤنث علماً على شيء واحد ، فإنه يجرى عليه الحكم العام السالف .

هذا ، وكلمة : « أولات » في البيت قد تمنع من التنوين باعتبار أنها علم على تلك الكلمة ، ومؤنث ؛ فتمنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وقد تنون بإرادة اللفظ لا الكلمة المعينة ؛ فتكون علماً على ذلك اللفظ غير مؤنث ؛ فلا يمنع من الصرف .

(١) هذا الرأى منسوب للكوفيين ، وهو خير الآراء الثلاثة ؛ لأنه - وهو مسموع عن العرب - لا يقع في لبس ولا إبهام ؛ إذ يدل بحذف تنوينه مع جره بالفتحة - على أن المراد منه علم مؤنث مفرد ؛ فلا مجال فيه لتوهم أنه جمع . فهو يسائر القاعدة العامة الواضحة .

(٢) عند الكلام على المثنى (رقم ٣ ص ١٢٩) وعلى جمع المذكر السالم (رقم ٢ من هامش ص ١٣٩)

زيادة وتفصيل :

(١) هذا الجمع ينقاس في ستة أشياء :

أولها : كل ما في آخره التاء الزائدة ^(١) ؛ مطلقاً أى : سواء أكان علماً ، مثل : فاطمة ، أم غير علم ، مثل : زراعة - تجارة . مؤنثاً لفظاً ومعنى . مثل : حليلة ، رقية ؛ من أعلام النساء ، أم مؤنثاً لفظاً فقط ؛ مثل : عطية ، حمزة ، معاوية ، من أعلام الرجال ، وسواء أكانت التاء للتأنيث كالأمثلة السابقة ، أم للعرض عن حرف أصلي ، نحو : عدة ، وثبة ، تقول : في جمعهما : عِدَات - ثِبَات ^(٢) ؛ وقد تكون التاء للمبالغة ، نحو : علامة وعلاّمات .

ويستثنى مما فيه التاء كلمات ، منها : امرأة ، وأمة ، وشاة ، وشقة ، وقلة ^(٣) وأمة ، وملة ^(٤) .

هذا ، ويجب حذف التاء من آخر كل مفرد ، مؤنث ، عند جمعه جمع مؤنث سالم ؛ لكيلا تتلاقى مع التاء التي في آخر الجمع . فإن كان الاسم بعد حذفها مختوماً بألف لازمة ، أو بهزة قبلها ألف زائدة - نحو : فتاة . . . ، وهبأة . . . - روعي في جمع هذين الاسمين ما يراعى في جمع المقصور والممدود ^(٥) - مع ملاحظة ما في رقم ٦ من هامش ص ١٨٨ ، وكذا « و » في ص ١٩٠ - .

ثانيها : ما في آخره ألف التأنيث المقصورة أو الممدودة (سواء أكان علماً ، أم غير علم ، لمؤنث أم لذكر ^(٦)) ، فثال المقصورة : « سَعْدَى » وهي علم مؤنث ، « وقُضْلَى » ، وهي غير علم ، وإنما هي صفة لثاء ، « ودُنْيَا » إذا كانت علماً لذكر . ومثال الممدودة : « زَهْرَاء » ، « - حسناء » وهي غير

(١) أى : يشترط أن تكون التاء غير أصلية . وقد سبق الكلام على الأصلية في ص ١٦٤ .

(٢) وأصل عدة : وعد . وأصل ثبة : « ثَبَيْتُ » ؛ فالتاء في الأولى عوض عن فاء الكلمة ، وفي الثانية عوض عن لامها .

(٣) اسم لعبة للأطفال .

(٤) لعل السبب في عدم جمع هذه الكلمات جمع مؤنث سالم - كما يقال - أنها لم تسمع عن العرب . وهو سبب لا ينهض حجة ، ولم يأخذ به بعض النحاة ؛ فأجاز جمعها جمع مؤنث سالم . ورأيه حسن ؛ لجريانه على الأصول اللغوية العامة ، وإن كان الأفضل مراعاة الرأي الشائع .

(٥) سيحىء الباب الخاص بتثنيتهما وجمعهما - في « ٤٤ م ١٧١ ص ٥٦٦ - لمعرفة الفرق بينهما

إن وجد .

(٦) إذا كان المفرد مختوماً بألف التأنيث وهو علم لذكر في جمعه بالألف والتاء آراء غامضة لم تتعرض

لصحته « انظر الحضري » وانظر « ا » من ص ١٤٥ - .

...
...

علم ، وإنما هي صفة لمؤنث ، و « زكرياء » علم للمذكر .

ويستثنى من هذا القسم — عند غير الكوفيين كما سبق ^(١) — صيغتان : (« فَعَلَتِي » ؛ مؤنث « فَعْلَان » ، مثل « سَكْرِي » مؤنث « سَكْرَان ») ، (« وَفَعْلَاء » مؤنث : « أَفْعَل » مثل : « خضرَاء وسوداء ») ، وكلتاهما صفة لمؤنث ^(٢) ، وليست بعلم .
ثالثها : كل علم لمؤنث حقيقى ^(٣) وليس فيه علامة تأنيث ، كزَيْنَب ، ونَوَال ، وإِحْسَان ، — أعلام نساء — إلا ما كان مثل : « حَذَام » عند من يبنيه على الكسر في جميع أحواله — كما سبق ^(٤) .

رابعها : مصغر المذكر الذى لا يعقل ، مثل : « نُهَيْرَات » ، تصغير : « نهر » و « جَبِيلَات » ؛ تصغير « جبل » و « مَعْيِدَات » ، تصغير : « معدن » .
خامسها : وصف المذكر غير العاقل ؛ مثل : هذه بساين جميلات ^(٥) ، زُرَّتْهَا أياماً معدودات .

سادسها : كل خماسى لم يسمع له عن العرب جمع تكسير ^(٦) ؛ مثل : سُرَادِقَات — وَقَيْصُومَات — وَجَمَامَات — وَكَتَّانَات — واصطبلات — وقِطْمِيرَات ... في جمع : سُرَادِق ، وَقَيْصُوم ^(٧) ، وَحَسَام ، وَكَتَّان ، واصطبل ، وقِطْمِير ^(٨) .
وما عدا تلك الأنواع الستة مقصور على السماع ؛ مثل : شَمَّالَات ^(٩) .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ١٦٣ . و ١٤٣ وفيهما بيان مفيد .

(٢) وهذا على الرأى الراجح — عندهم — وهو : أن ما لا يجمع مفردة جمع مذكر سالم لا يجمع — غالباً — جمع مؤنث سالم أيضاً . وقد سبق (في رقم ٣ من هامش ص ١٦٣) بيان ما في هذا الرأى . وكذلك في ب من ص ١٤٢ .

(٣) عاقل ، كزَيْنَب . . . أو غير عاقل — على الأصح — مثل : لَبُون ، علم على ناقة ، وكذا : هَوَجَل .

(٤) في رقم ١٠ من ص ٧٩ . والسبب أن المبنى لزوما لا يثنى ولا يجمع مباشرة — كما كررنا —

(٥) فالنعت هوجميلات ، وبفردها : جميل ، والمنعوت هوبساتين ، وبفردها : بستان . وهو مذكر غير عاقل ، فالعبرة في النعت والمنعوت بالفرق ، ومثله : « أياماً معدودات » . المفرد المنعوت هو : يوم ، ومفرد نعته هو : معدود . وكذلك : « جبال راسيات » . مفرد المنعوت : جبل ، ونعته هو راس . . .

(راجع حاشية ياسين على التصريح في هذا الموضع . . ج ١ ص ٨١ عند الكلام على جمع المؤنث السالم وما يطرد في جمعه) .

(٦) وبعض النحاة — كما جاء في الهمع — لم يشترط كونه خاسيا ، مكتفيا باشتراط أنه لم يسمع له جمع تكسير . والأفضل عدم الاعتداد برأيه ؛ لمخالفته الأثرية . (٧) نوع من النباتات .

(٨) الشق الذى في وسط نواة التمر . أو القشرة التى تغطى النواة أو تغطى الثمرة . .

(٩) جمع : شَمَال ؛ اسم نوع من الرياح .

.....

 وإلى ماسبق يشير بعضهم بقوله عن جمع المؤنث السالم، وما يقاس فيه ولا لا يقاس :
 وقسّه في : ذى التاء ، ونحو : ذَكَرَى ودرهم مُصَغَّرٌ ، وصَحْرًا وزَيْنَبٌ ، ووصفٍ غيرِ العاقلِ وغيرِ ذا مسلمٍ للناقلِ
 يريد أنه مقيس في كل ما هو مختوم بالتاء ؛ مثل : فاطمة ، ورحمة ، ونعمة ، أو ألف
 التأنيث المقصورة ؛ مثل : ذَكَرَى ، أو الممدودة ؛ مثل : صَحْرَاءُ ، وفي مصغر
 غير العاقل ؛ نحو : دُرَيْهَمٌ ، في تصغير : دِرْهَمٌ ، وفي المؤنث الحقيقي الخالي
 من العلامة ؛ كزَيْنَبُ - وفي وصف غير العاقل ، نحو : هذه بساتين جميلات
 زرتها أياماً معدودات^(١) . أما غير هذه الخمسة فمقصود على السماع عن العرب ؛
 فمن نقل عنهم شيئاً أخذنا بما نقل ، وسألمنا به . وقد ترك السادس وهو الحماسى
 الذى لم يسمع له جمع تكسير .

* * *

(ب) إذا كان المفرد اسماً^(٢) ، مؤنثاً ، ثلاثياً ، صحيح العين ، ساكنها ،
 غير مضعفها ، مختوماً بالتاء أو غير مختوم بها - وأردنا جمعه جمع مؤنث سالم
 - بعد استيفائه هذه الشروط الستة - فإنه يراعى في جمعه ما يأتي^(٣) :

١ - إن كانت « فاء » المفرد مفتوحة وجب تحريك العين الساكنة بالفتح في
 الجمع أيضاً ؛ تبعاً للفاء . تقول في جمع : ظَرْفٌ ، وَبَدْرٌ ، وَنَهْلَةٌ ،
 وَسَعْدَةٌ ، . . . (وكلها أسماء إناث) ظَرْفَاتٌ ، وَبَدَرَاتٌ ، وَنَهْلَاتٌ ،
 وَسَعْدَاتٌ . بفتح الثانى فى كل .

٢ - وإن كانت فاء المفرد مضمومة ، جاز فى العين ثلاثة أشياء : الضم ،
 أو الفتح ، أو السكون ؛ تقول فى جمع ، لُطْفٌ ، وَحُسْنٌ ، وَشُهْرَةٌ ، وَزُهْرَةٌ
 (وكلها أسماء إناث) . لُطْفَاتٌ ، وَحُسْنَاتٌ ، وَسَهْدَاتٌ ، وَزَهْرَاتٌ ، بضم الثانى
 فى كل ، أو فتحه ، أو تسكينه .

إلا إن كانت « لام » المفرد ياء فلا تضم العين فى الجمع ، مثل : غُنْيَةٌ^(٤) ، فلا
 يُقَالُ : غُنْيَاتٌ^(٥) ، وإنما يقال : غُنْيَاتٌ^(٦) ، أو : غُنْيَاتٌ ؛ بفتح الذون أو سكونها .

(١) انظر رقم ٥ من هامش الصفحة السابقة . (٢) علماً ، أو غير علم بشرط ألا يكون وصفاً .

(٣) تفصيل الكلام عليه فى البحث الخاص بالأحكام العامة التى تخص جمع المؤنث السالم

(٤) بمعنى : غنى . وتصلح علماً للمؤنث .

ج ٤ ص ٥٧٣ م ١٧١ .

(٥) لأن العرب تستثقل الضمة قبل الياء .

(٦) ولا تقلب الياء هنا ألفاً ؛ لأن الزيادة التى فى آخر الكلمة المجموعة تمنع القلب .

.....
.....

٣- وإن كانت فاء المفرد مكسورة جاز في العين ثلاثة أشياء ؛ الكسر ، أو الفتح ، أو السكون ، تقول في جمع : سحر ، وهند ، وحكمة ، ونعمة (أسماء إناث) : سحرات ، هندات ، حكممات ، نعمات ، بفتح الثاني في كل ، أو كسره ، أو تسكينه ، إلا إذا كان المفرد المؤنث مكسور الفاء ولا ممة واو مثل : « ذرّوة » ، فلا يجوز في العين إلتباعها للفاء في الكسر ؛ فلا يقال : ذرّوات ^(١) وإنما يقال : ذرّوات ^(٢) ، أو : ذرّوات ؛ بفتح العين أو تسكينها .

ولا بد في المفرد الذي تجرى عليه الأحكام السالفة أن يشتمل على الشروط الستة التي سردناها . فإن فقد شرط لم يجز إلتباع حركة العين لحركة الفاء ؛ ومن ذلك أن تكون الكلمة صفة لا اسماً ، مثل : « ضخمّة » ، فلا يقال فيها : ضخممات بفتح الخاء . أو تكون اسماً غير مؤنث مثل : سعد ، علم رجل ، فإنه لا يجمع جمع مؤنث سالم ، ولا تتحرك عينه ، أو تكون غير ثلاثية ، مثل : « زكزل » و « عنسيّة » (لجارية) ، فلا يتغير شيء من حركات حروفهما عند الجمع . أو تكون غير صحيحة العين ؛ مثل « نحوود » ^(٣) ، « وقينة » ^(٤) فلا يتغير شيء من حركات حروفهما عند الجمع ، أو تكون مُضعفة العين ، مثل : جنة وجنات ، فلا يتغير شيء من حركات حروفها في الجمع . وكذلك إن كانت العين غير ساكنة ؛ مثل : حيكّم (علم فتاة) .

وقد وردت جموع مخالفة لبعض الشروط السالفة ؛ فلا نقيس عليها ؛ لأنها لغة نادرة ؛ أو قليلة لبعض العرب ، أو دفعت إليها ضرورة شعرية .

ولهذا البحث مزيد إبانة وتفصيل في موضعه الخاص من باب : « تثنية المقصور والممدود وجمعهما » ، في الجزء الرابع ^(٥) . . .

* * *

(ج) إذا كان المفرد مركباً إضافياً ، وأريد ^(٦) تثنيته أو جمعه جمع مؤنث سالم ، فإن صدره هو الذي يثنى ويجمع ، ويبقى عجزه على حاله ، مثل : سيدة الحسن (علم امرأة) يقال في تثنيته وفي جمعه : سيدتا الحسن ، وسيدات الحسن . وهذا إن لم يكن صدره المضاف كلمة : « ذو » ، أو كلمة : « ابن » ، أو :

(١) لأن العرب تستثقل الكسرة قبل الواو .

(٢) ولا تقلب الواو هنا ألفاً ؛ إذ لا يصح القلب مع وجود الزيادة في آخر الاسم المجموع .

(٣) هي الفتاة الجميلة . (٤) جارية . (٥) ج ٤ ص ٥٦٦ م ١٧١ .

(٦) راجع ما تقدم في ص ١٢٨ خاصاً بشروط ما يراد تثنيته ، ومنها : أن يكون غير مركب .

« أخ » ونحوهما . . . من أسماء ما لا يعقل من الأجناس ، — ومنها : ذو القعدة ، وذو الحجة ، وابن لبون ، وابن آوى ، وابن عرس^(١) . . . — فإن كان المضاف أحدها وأريد جمعه فالأغلب أن يجمع جمع مؤنث سالم ، فيقال مثلاً : ذوات القعدة ، وذوات الحجة ، وبنات آوى ، وبنات عرس . . . ولا فرق في ذلك بين اسم الجنس غير العلم الجنسي ؛ كابن لبون ، وعلم الجنس ؛ كابن آوى . والفرق بينهما أن ثانی الجزأین من علم الجنس لا يقبل : « أل » بخلاف اسم الجنس — كما سيجىء في ج ٤^(٢) . . . —

وإن كان مركباً إسنادياً مثل : « زادَ الجمالُ » (علم امرأة) بقي على حاله تماماً في كل الحالات ؛ وأتينا قبله بكلمة : « ذاتاً » في التثنية^(٣) ؛ و « ذوات » في الجمع المؤنث ، تقول : جاءت ذاتا زادَ الجمالُ ، وذواتُ زادَ الجمالُ . ويجرى الإعراب على « ذات » و « ذوات » ؛ دون العلم المركب إسنادياً ؛ فإنه يبقى على حاله دائماً . ويعرب مضافاً إليه ، مجروراً بكسرة مقدرة ، منع من ظهورها : الحكاية .

وكذلك نأتى — في أشهر الآراء^(٤) — بهذه الكلمات المساعدة التي تُوصل إلى التثنية وجمع المؤنث السالم إن كان مركباً تركيب مزج ؛ مثل : شهر زاد^(٥) ، اسم امرأة .

* * *

(د) المفرد الذى لا يصح جمعه جمع مذكر سالم ، لا يصح — غالباً — في مؤنثه أن يجمع جمع مؤنث سالم . وقد سبق بيان هذا ، وما فيه^(٦) .

(هـ) إذا سمي بجمع المؤنث^(٧) ، أو ملحقاته — مثل : سعادات ، عنايات . . . — وأريد تثنية هذا المسمى لم يصح تثنيته إلا من طريق غير مباشر بأن نأتى قبله بالكلمة الخاصة التي توصلنا لهذا الغرض مع إضافتها ؛ وهى كلمة : « ذاتا^(٨) » . . .

(١) انظر هامش ص ١١٠ لأهميته .

(٢) آخر باب جمع التكسير (م ١٧٤ ص ٦٢٢ وهناك بعض الأحكام الهامة) . وسبقت الإشارة

لبض هذا في رقم ١ من هامش ص ١١٠ .

(٣ ، ٤) المفرد : ذات ، وقد يقال عند التثنية : ذواتا ، رفعا ، و « ذواتى » نصباً وجراً

(٤) غالباً ؛ إذ له إعرابات أخرى ستذكر بعضها في باب العلم . ص ٣٠٧ وما بعدها . . .

(٥) وأصلها قبل التركيب المزجى : زاد شهر .

(٦) في رقم ٣ من هامش ص ١٦٣ وكذلك في رقم ٣ من هامش ص ١٤٣ .

(٧) انظر ص ١٦٥ و هامش ١٦٦ حيث الحكم الخاص بالتسمية بهذا الجمع .

... ..

رفعا^(١)، و « ذاتى »^(٢)... نصباً وجرّاً. وتعرب كل واحدة منهما على حسب حاجة
 الجملة لإعراب المثنى؛ فترفع بالألف، وتنصب وتجر بالياء. وهى « المضاف »^(٣)،
 والعلم المسمى به بعدها « مضاف إليه ».

وإذا أريد جمع هذا المسمى به جمعاً مؤنثاً سالماً، وجب الإتيان قبله بكلمة
 « ذوات » المضافة؛ والمسمى هو المضاف إليه.

* * *

(١) أو : ذواتا ...

(٢) أو : ذواتى ...

(٣) لأنها لا تجيء هنا إلا مضافة.

المسألة ١٣ :

هـ - إعراب ما لا ينصرف

- ١ - تعلم محمود . نافس الطلاب محموداً . فاض الثناء على محمود .
أو : مصطفى . أو : مصطفى . أو : مصطفى .
- ٢ - تعلم أحمد . نافس الطلاب أحمد . فاض الثناء على أحمد .
- ٣ - تعلمت ليلتي . نافست الطالبات ليلتي . فاض الثناء على ليلتي .
- ٤ - صالح أفضل من غيره - عرفت أفضل من غيره - سلمت على أفضل من غيره .
صالح أفضل الزملاء - عرفت أفضل الزملاء - سلمت على أفضل الزملاء .
- ٥ - صالح هو الأفضل - عرفت الأفضل - يتساءل الطلاب عن الأفضل .
من الأسماء المعربة - غالباً - ^(١) نوع يعرب بالحركات الظاهرة ، أو المقدرة ، فيرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالكسرة ؛ مع وجود التنوين في الحالات الثلاث ^(٢) ؛ وهذا النوع المعرب المنون يسمى : « الاسم المعرب المنصرف » ، أى :
« الاسم المعرب المنون ^(٣) » . ويسمى اختصاراً : « الاسم المنون » ، أو :
« المنصرف » . كأمثلة القسم الأول .

ومن الأسماء المعربة نوع آخر يرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة أيضاً ^(٤) ، نيابة عن الكسرة ، ولكن من غير تنوين - غالباً - في الحالات الثلاث ؛ وهذا النوع المعرب - غالباً - ^(٤) يسمى : « الاسم الذى لا ينصرف » ؛ (أى : لا يُنُون) ولا فرق في هذا النوع بين أن تكون حركة آخره ظاهرة ، كأمثلة القسم الثانى ، أو مقدرة كأمثلة القسم الثالث .

والاختلاف بين صورتى المعرب المنصرف والمعرّب غير المنصرف ، ينحصر فى أمرين أولهما : أن « المنصرف » يعرب بالحركات الأصلية الظاهرة ، أو المقدرة ؛ رفعاً ، ونصباً ، وجرّاً ؛ فالضممة للرفع ، والفتحة للنصب ، والكسرة للجر .

(١ و ٢) انظر « ب » من ص ١٧٦ .

(٢) سبق الكلام تفصيلاً على هذا النوع من التنوين وغيره ، فى ص ٣٣ وما بعدها .

(٣) هو الاسم المعرب المنصرف الذى سبق الكلام عليه فى ص ٣٣ ويسمى : « بالاسم المنصرف » ؛ اختصاراً - كما أشرنا هناك - وأن « الصَّرف » قد يسمى : « الإجراء » فى استعمال بعض القدامى ، وأن « منع

الصرف » ، « هو عدم الإجراء » - طبقاً للبيان الآتى فى ج ؛ باب : ما لا ينصرف -

- كما سيجدىء .

(٤) بشرط أن يكون خالياً من : « أل » ومن الإضافة

ثانيهما : أنه يُنَوَّن في جميع حالاته ، إلا إن وجد مانع آخر يمنع التنوين ^(١) .
أما الاسم الذي لا ينصرف فتتلخص حركات آخره الظاهرة ، أو المقدرة في أنه يرفع
بضمّة واحدة من غير تنوين ، وينصب بفتحة واحدة من غير تنوين ، ويجر
بفتحة واحدة أيضاً من غير تنوين ^(٢) ؛ فهو يختلف عن سابقه في أمرين : في
عدم التنوين ، وفي الجر بالفتحة نيابة عن الكسرة .

وإنما يتحقق الاختلاف بينهما بشرط ألا يكون الاسم « المعرب غير المنصرف »
مضافاً أو مبدوءاً « بأل » فإن كان مضافاً مثل كلمة : « أفضل » في آخر أمثلة القسم
الرابع ، أو مبدوءاً « بأل » مثل كلمة : « الأفضل » في القسم الخامس ، وجب
جره بالكسرة دون الفتحة ، مع حذف التنوين في الحالتين أيضاً ؛ لأن التنوين
لا يوجد في الاسم المضاف ، أو المبدوء (بأل) مهما كان نوعها ^(٣) .

هذا وللإسم الذي لا ينصرف باب خاص — سيجيء في الجزء الرابع — تُبَيِّن
فيه أسباب المنع من الصرف ، وتوضح أحكامه ، ونقتصر هنا على ما يناسب
موضوع الإعراب ، تاركين غيره لذلك الباب .

* * *

(١) كأن يكون الاسم مضافاً ، أو مبدوءاً بأل ، أو غير ذلك مما يمنع التنوين « كالداء » ،
تقول : جاء الطبيب ، أو : طبيب المدينة ، ورأيت الطبيب ، أو : طبيب المدينة ، وقصدت إلى الطبيب ؛
أو : طبيب المدينة ؛ إذ يمنع التنوين مع « أل » ومع الإضافة في كلمة : « طبيب » كما يمنع في مثل :
يا طبيب ؛ لمعني . أما عند عدم وجود مانع فيجب التنوين .

(٢) قد ينون المنوع من الصرف إذا زالت علميته وقصد تنكيهه — كما سبق في رقم ٣ من هامش ص
٣٣ ورقم ٣ من هامش ص ٣٧ — عند الكلام على التنوين ، وكما يأتي البيان في رقم ٢ من هامش ص ٢٩٤ ،
وفي باب المنوع من الصرف (ج ٤) .

(٣) ستأتي أنواعها في م ٣٠ ص ٤٢١ — ومثلها « آم » التي تنوب عنها في لغة بعض القبائل (انظر
« ح » في ص ١٧٦) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَجُرَّ بِالْفَتْحَةِ مَا لَا يَنْصَرِفُ مَا لَمْ يُضَفْ ، أَوْ يَكُ بَعْدَ : « أَل » رَدِفٌ

ومعنى « ردف » : تبع « أَل » ، وجاء بعدها مباشرة من غير فاصل بينهما . وكلمة : « جر » قد
تكون فعلاً ماضياً مبنيّاً على الفتح ، وهو مبنى للمجهول ، وقد تكون فعل أمر ؛ فيصح عندئذ في آخرها ضم الراء
أو كسره ، أو فتحة . فالضم لأن أصلها : اجزُرْ (مثل : انصُر) نقلت ضمة الراء الأولى إلى الجيم فحذفت
الهزة ، وأدغمنا الراءين ، وضممنا الراء المشددة إتباعاً للجيم . وإن شئنا فتحنا الراء المشددة في « جر » للغة ،
أو كسرناها ؛ مراعاة للأصل في التخلص من التقاء الساكنين . وليس هذا مقصوداً على كلمة : « جر »
بل يتبع أن كل فعل أمر على وزنها .

.....

زيادة وتفصيل :

(ا) سبقت الإشارة - في جمع المؤنث السالم ، (ص ١٦٦) - إلى أن هذا الجمع وملحقاته عند التسمية به يصح إعرابه إعراب ما لا ينصرف ، كما يصح إعرابه إعراب جمع المؤنث السالم ، مراعاة لأصله وصورته . والإعراب الأول أحسن ، لما سبق هناك .

(ب) من المبنيات ما يكون ممنوعاً من الصرف لانطباق سبب المنع عليه ؛ مثل : سيبويه ؛ فإنه علم^(١) مبني على الكسر وجوباً في كل حالاته - في الرأي الشائع^(٢) - ، فعند اعتباره ممنوعاً من الصرف للعامة مع التركيب المزجي نقول في إعرابه في حالة الرفع : إنه مرفوع بضمّة مقدرة منع من ظهورها حركة بنائه الأصلي على الكسر ، أو : إنه مبني على الكسر في محل رفع .

ونقول في حالة نصبه : إنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة بنائه الأصلي على الكسر ، أو : إنه مبني على الكسر في محل نصب^(٣) .

ونقول في حالة جره : إنه مجرور بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها حركة بنائه الأصلي على الكسر . ولا مانع أن نقول هنا أيضاً : إنه مبني على الكسر في محل جر . ولكن النحاة يفضلون - بحق - في حالة الجر الأعراب الأول ، لأنه يوافق الحكم العام للاسم الذي لا ينصرف .

(ح) بعض القبائل العربية يستعمل كلمة : « أم » بدلا من « أل » فيقول : امقمر يستمد امضوء من امشمشمش ، أي : (القمر يستمد الضوء من الشمس) وعلى هذه اللغة يمنع الاسم عندهم من الصرف إذا بدئ بكلمة : (أم) المستعملة بدلا من : « أل »^(٤) .

* * *

(١) هو علم ، مركب مزجي ؛ فينطبق عليه منع الصرف ؛ فوق أنه مبني لا يدخله تنوين التثنية وقد سبق الكلام على تنوينه - في الكلام على أنواع التنوين - ص ٣٣ . وسعود للكلام على المركب المزجي وعلى إعرابه بمناسبة أخرى في ص ١٩٦ و ٣١١ و ٣١٣ وما بعدها .

(٢) انظر ما يتصل بهذا في « ب » و « ج » من ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣ و ٤) وهذا أوضح وأكثر .

(٤) راجع : الصبان والمجمع . . . - وليس من السائق اليوم أن نستعمل « أم » هذه كاستعمال أهلها القدماء ، ولا أن ندخلها في أساليبنا بدلا من « أل » .

المسألة ١٤ :

و - الأفعال الخمسة

(١) العاقل يتكلم بعد تفكير - لن يتكلم العاقل متسرعاً - لم يتكلم عاقل فيما لا يعنيه .

١ - أنما^(١) تتكلمان بخير - أنما لن تتكلما إلا بخير - أنما لم تتكلما إلا بالخير .

٢ - الحكيمان يتكلمان بخير - الحكيمان لن يتكلما إلا بخير - الحكيمان لم يتكلما إلا بالخير .

(ب) ٣ - أنتم تساعدون المحتاج - أنتم لن تساعدوا المحتال - أنتم لم تساعدوا المحتال .

٤ - الأغنياء يشاركون في النفع - الأغنياء لن يشاركوا - الأغنياء لم يشاركوا في إساءة .

٥ - أنت - يا فاطمة - تعملين جيداً . أنت لن تعملي بتوان - أنت لم تعملي بتوان .

إذا كان المضارع صحيح الآخر ، وغير مختوم بضمير بارز^(٢) ، فإنه يعرب بالحركات الأصلية الظاهرة (الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب إذا سبقه ناصب ، والسكون في حالة الجزم إذا سبقه جازم) . كأمثلة القسم « ١ » .

أما إذا اتصل بآخره ألف اثنتين (وله معها صورتان : إحداهما أن يكون مبدوءاً ببناء المخاطب ، والأخرى أن يكون مبدوءاً بياء الغائب ، كأمثلة ١ ، ٢ من القسم « ب » .) أو اتصل بآخره واو الجماعة ، (وله معها صورتان كذلك ؛ أن يكون مبدوءاً ببناء المخاطب أو بياء الغائب ، كأمثلة ٣ و ٤ من « ب ») أو اتصل آخره بياء المخاطبة ، (كأمثلة القسم الخامس من « ب ») - فإنه في هذه الصور الخمس التي يسميها النحاة : « الأفعال الخمسة » - يرفع بثبوت النون^(٣) في حالة

(١) إذا كان الضمير مؤنثين غائبين (مثل : هما) جاز أن يكون المضارع مبدوءاً بـ « لا » بالتاء ، ولكن التاء أكثر - طبقاً للإيضاح الآتي في « ج » - من ص ١٨١ - فنقول : هما تفعلان ، أو : هما يفعلان .
(٢) أي : ظاهر . وهذا على الرأي الشائع في أن ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة أسماء ، فهي ضمائر يرب كل منها فاعلاً . وهو الرأي الواجب اتباعه اليوم ، خلافاً للرأي الضعيف القائل بأنها حروف .
(٣) أي : بالنون الثابتة الموجودة .

الرفع ، نيابة عن الضمة ، وينصب في حالة النصب بحذف النون نيابة عن الفتحة ، ويجزم في حالة الجزم بحذفها أيضاً نيابة عن السكون . (أمثلة ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

وهذا معنى قولهم : الأفعال الخمسة هي : « كل مضارع اتصل بآخره ألف اثنين ، أو واو جماعة ، أو ياء مخاطبة ^(١) . وحكمها : أنها ترفع بثبوت النون ، وتنصب وتجزم بحذفها . وهذه النون عند ظهورها تكون مكسورة ^(٢) بعد ألف الاثنين ، مفتوحة في باقي الصور ^(٣) . »

« ملاحظة » : إذا كان المضارع معتل الآخر بغير إسناد لضمير رفع بارز — فحكمه سيجىء هنا في مكانه الخاص ^(٤) . فإن كان مسنداً لضمير رفع بارز وجب أن تلحقه تغيرات مختلفة ؛ بيائها وتفصيل أحكامها في الباب المعدل لذلك ^(٥) ، وهو باب : إسناد المضارع والأمر إلى ضمائر الرفع البارزة ؛ بتوكيد ، وغير توكيد .

* * *

(١) فلألف الاثنين صورتان ، ولواو الجماعة صورتان ، ولياء المخاطبة صورة واحدة .

(٢) في الغالب الذي يحسن الاختصار عليه .

(٣) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَجْعَلْ لِنَحْوِ : « يَفْعَلَانِ » النُّونَ رَفْعاً ، وَتَدْعِينِ وَتَسْأَلُونِ

وَحَذَفُهَا لِلنَّصْبِ وَالْجَزْمِ سِمَةً كُلَّمْ تَكُونِي لِتَرْوِي مَظْلَمَةً

أى : اجعل ثبوت النون علامة للرفع في : (يفعلان ، وتدعين ، وتسالون) . وهى الأفعال المضارعة المشتعلة على الضمائر السالفة ؛ فالأول مشتمل على « ألف الاثنين » ، والثاني على « ياء المخاطبة » ، والثالث على « واو الجماعة » . واجمل حذف النون سمّة ؛ (أى : علامة) ، لنصبها ، وجزمها .

(٤) في ص ١٨٢ .

(٥) ج ٤ م ١٤٤ ص ١٧٧ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(ا) إذا قلت : النساء لن يَعْفُونَ عن المسيء ؛ فالنون هنا نون النسوة ، وليست نون الرفع التي تليها تأخر الأفعال الخمسة . كما أن الواو واو أصلية ، لأنها لام الفعل ؛ إذ أصله : « عفا » ، « يعفو » . تقول : النساء يَعْفُونَ ؛ ... « يعفو » فعل مضارع ، مبني على السكون الذي على الواو ؛ لاتصاله بنون النسوة ؛ ونون النسوة فاعل ، مبني على الفتح في محل رفع . وتقول : « النساء » لن يَعْفُونَ « يعفو » : فعل مضارع ، مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ؛ في محل نصب بلن ، والنون فاعل ... وتقول : النساء لم يَعْفُونَ ، « يَعْفُو » فعل مضارع ، مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، في محل جزم : « لم » ، ونون النسوة فاعل ... بخلاف قولك : الرجال يَعْفُونَ ؛ فإن النون هنا علامة للرفع ، والواو ضمير الجمع ، فاعل ، مبني على السكون في محل رفع . وأصله : الرجال يَعْفُونَ (على وزن : يَفْعَلُونَ) ؛ استثقلت الضمة على الواو الأولى (التي هي حرف علة ، ولام الفعل أيضاً) فحذفت الضمة ؛ فالتقى ساكنان ، هما : الواوان . حذفت الواو الأولى لأنها حرف علة ، ولم تحذف الواو الثانية ؛ لأنها كلمة تامة ، إذ هي ضمير ، فاعل . يحتاج إليه الفعل ، فصار الكلام : « الرجال يَعْفُونَ » على وزن : « يَفْعَلُونَ » وعند وجود ناصب أو جازم تحذف النون ، تقول : الرجال لن يَعْفُوا (على وزن : يَفْعَلُوا) ومنه قوله تعالى : « وأن تَعْفُوا أقرب للتقوى » والرجال لم يَعْفُوا ، فحذفت نون الرفع ؛ لوجود أحدهما ، بخلاف نون النسوة ، فإنها لا تحذف — كما سبق .

(ب) عرفنا أن نون الرفع تحذف وجوباً للناصب أو الجازم ؛ كحذفها في قوله تعالى : « لن تَسْأَلُوا النَّبِيرَ حَتَّى تَنْفَقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » ، وقول الشاعر المصري ^(١) :

لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً فإؤه العذب لم يُخلَقْ اكسلان
وقد تحذف لغير ناصب أو جازم ، وجوباً أو جوازاً ؛ فتحذف وجوباً إذا جاء بعدها نون التوكيد الثقيلة ؛ مثل : (أنما — يا صاحباي — لا تقصران في

أداء الواجب) ، (وأنتم — يا رجال — لاتهملنّ في العمل) ، (وأنّ — ياقدارة — لا تتأخّرنّ عن معاونة البائس) ؛ فحذفت نون الرفع في الجميع ؛ لتوالي الأمثال (أى : لتوالي ثلاثة أحرف متماثلة زائدة ؛ هى : النونات الثلاث . . .)^(١) وحذفت معها أيضاً واو الجماعة ، وياء المخاطبة دون ألف الاثنين^(٢) ، ولكن عند إعراب المضارع المرفوع نقول : مرفوع بالنون المقدرة ، كما سبق بيان سببه وتفصيله . وتحذف جوازاً عند اتصالها بنون الوقاية^(٣) ، مثل : الصديقان يَكْرِمانِي ، أو : يَكْرِمانِي ، والأصدقاء يَكْرُمُونِي ، أو : يَكْرُمُونِي ، وأنّ تكرمينِي ، أو : تكرمينِي .

وكما يجوز حذفها وبقاؤها بغير إدغام عند وجود نون الوقاية يجوز إدغامها فيها ؛ فتصير نوناً مشددة ، تقول : الصديقان يَكْرمانِي ، والأصدقاء يَكْرُمُونِي^(٤) وأنّ تكرمينِي^(٥) .

فتلخص من هذا أن نون الأفعال الخمسة لها ثلاثة أحوال عند اتصالها بنون الوقاية : الحذف ، أو الإدغام في نون الوقاية ، أو الزك مع إبقاء النونين^(٥) . وهناك لغة تحذف نون الرفع (أى : نون الأفعال الخمسة) في غير ما سبق ؛ وبها جاء الحديث الشريف « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تسحّ أبؤا^(٦) » ، أى : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تتحابوا . وقوله أيضاً : « كما تكونوا يولّى عليكم » في بعض الآراء ، وليس من السائغ اتباع هذه اللغة في عصرنا ، ولا محاكاتها ، وإنما ذكرناها لنفهم ما ورد بها في بعض النصوص القديمة .

(١٠١) في رقم ١ و ٤ من هامش ص ٩٥ شرط امتناع التوالى ، وإيضاحه ، وسبب بقاء ألف الاثنين . . .

(٢) راجع « ج ود » من ص ٩٤ و ٩٨ .

(٣) وهذا رأى سيبويه وفريق معه ... وقال آخرون الذى يحذف هو : « نون الوقاية » . ولكل أدلة كثيرة . والرأى الأول أولى ، ولا سيما إذا عرفنا أن نون الوقاية جاءت لغرض خاص ؛ فحذفها يضيع ذلك الغرض .

وتفصيل الكلام على « نون الوقاية » مسجل في الموضوع الخاص بها - (ص ٢٨٠ م ٢١ ، مع ملاحظة الإشارة السابقة في « ج » ص ٥٠ وفي رقم ٤ من هامش ص ٩٥ ورقم ١ من هامش ص ٩٦ - ثم ص ٢٨٤) (٤ و ٥) يجوز هنا أن يحذف الضمير أو لا يحذف ، (راجع رقم ١٥٤ من هامش ص ٩٥ و ٩٦) .

(٥) سيجىء الأحوال الثلاثة في ص ٢٨٤ .

(٦) أى : تتحابوا .

.....

(ح) يجوز ^(١) أن تقول : « هما تفعلان » و « هما يفعلان » عند الكلام على مؤنثين غائبين ؛ ففي الحالة الأولى تؤنث مراعيّاً أنك تقول في المفردة : هي تفعل ؛ بوجود التاء أول المضارع . فكأن الأصل — مثلاً — الفتاة تفعل ؛ لأن الضمير بمنزلة الظاهر المؤنث الذي بمعناه . فإذا قلت : « هما تفعلان » فقد أدخلت في اعتبارك الحالة السابقة . وإذا قلت : « هما يفعلان » فقد أدخلت في اعتبارك مراعاة لفظ الضمير الخالي الذي للمثنى الغائب ، والأول أكثر وأشهر ، وفيه بُعد عن اللبس ، فوق ما فيه من مسايرة لقاعدة هامة ؛ هي : أن الفعل يجب تأنيثه إذا كان مسنداً للضمير يعود على مؤنث ^(٢) . . .

* * *

(١) الإيضاح الآتي هو ما أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ١٧٧ .

(٢) وقياساً على هذا يجوز في المضارع المسند لنون النسوة أن يكون مبدوءاً بآليات أو بالتاء ، نحو : والودات يحرصن على راحة أبنائهن ، أو تحرصن . ويؤيد هذا القياس ما سيحيى (في « ب » من الجزء الثاني باب الفاعل ص ٧٥ م ٦٦ عند الكلام على الحكم السادس) فقد نصوا هناك على جواز الأمرين صراحة وأن الأحسن تصديره بالياء لا بالتاء ، تبعاً للمأثور ، واستغناء بنون النسوة عن التاء في الدلالة على التأنيث .

المسألة ١٥ :

ز- المضارع المعتل الآخر^(١)

ليس في الأفعال ما يدخله الإعراب إلا الفعل المضارع أحياناً . وهو قسمان :

(١) مضارع صحيح الآخر : مثل : يشكر ، يرتفع ، ينزل . . . وحكمه : أنه يعرب بحركات ظاهرة على آخره في كل أحواله : (رفعاً ، ونصباً ، وجزماً) ؛ تقول : يشكرُ المرء من أعانه ، لن يرتفع شأن الخائن ، لم ينزل مطرٌ في الصحراء . . . ، « فيشكرُ » : مرفوع بالضمّة الظاهرة ، و « يرتفع » : منصوب بالفتحة الظاهرة ، و « ينزل » مجزوم بالسكون الظاهر ، أما الجر فلا يدخل الأفعال ، كما هو معلوم .

(ب) مضارع معتل الآخر^(٢) ، وهو ثلاثة أنواع :

١ - معتل الآخر بالألف ، مثل : يخشى ، يرضى ، يرقى .

وحكمه : أنه تُقدّر على آخره الضمة في حالة الرفع ، مثل : يخشى الصالح ربه ، فيخشى : مضارع مرفوع بضمّة مقدرة على الألف .

وكذلك تقدّر الفتحة على آخره في حالة النصب ؛ مثل : لن يرضى العاقل بالأذى ؛ فيرضى : مضارع منصوب بفتحة مقدرة على الألف . وسبب التقدير في الرفع والنصب تعذر ظهور الحركة على الألف ، واستحالتها .

أما في حالة الجزم فتحذف الألف^(٣) . وتبقى الفتحة قبلها دليلاً عليها^(٤) ؛ مثل : لم يرق العاجز ، فكلمة يرق : فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ١٨٧ م ١٦ حيث البيان الخاص بحروف العلة ، والمعتل ، والمعل ، والمند ، واللين . . .

(٢) على الرغم من أن علامة الإعراب مقدرة على آخره فإنها تراعى في توابعه حتماً . وهذه المراجعة هي التي تقتضى وجود « الإعراب التقديرى » وعدم إغفال شأنه . كما سيحىء في رقم « ج » من ص ١٩٨ وكما سبق البيان في ص ٨٤ .

(٣) انظر نوع الألف المستحقة للحذف في « ب » من ص ١٨٥ -

(٤) هناك لغة لا تحذف حرف العلة للجازم . والبيان في « أ » من ص ١٨٥ .

حذف الألف . ومثله المضارع « تَلَقَّ » في قول الشاعر :

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتبياً
صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه

٢- معتل الآخر بالواو ، مثل : يسمو ، يصفو ، يبدو .

وحكمه : أنه يرفع بالضمة المقدرة^(١) ، مثل : يسمو العالم ، فيسمو : مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو . ولكنه ينصب بفتحة ظاهرة على الواو ، مثل لن يصفوا الماء إلا بالتنقية . ويجزم بحذف الواو^(٢) ، وتبقى الضمة قبلها دليلاً عليها ، مثل لم يبدُ النجم وراء السحب المتراكمة . فالفعل : « يبدُ » ، مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف الواو .

٣- معتل الآخر بالياء ؛ مثل : يمشى ، يبنى ، ومثل يُغضِي في أول البيت^(٣) التالي :

يُغضِي حياءً ، وَيُغضِي من مهابةٍ فلا يُكَلِّمُ إلا حينَ يَتَبَسَّمُ
وحكمه كسابقه ، يُرْفَع بضمة مقدرة على الياء ؛ مثل : يمشى الحازم في الطريق المأمون ؛ وَيُنْصَب بفتحة ظاهرة على الياء ؛ مثل : لن يبغى أخٌ على أخيه . وَيُجْزَم بحذف الياء^(٤) ، وتبقى الكسرة قبلها دليلاً عليها ، مثل : لم يَبْنِ المجد إلا العصاميون ، وقول الشاعر يمدح^(٥) :

أناةٌ ؛ « فإن لم تُغنِ عَقَبَ بعدها وعيدٌ ؛ فإن لم يُغنِ أغنت عَزائمهُ »

ومن أمثلة حذف الألف والياء من آخر المضارع المجزوم قول الشاعر :

فمن يلقَ خيراً يحمدُ الناسُ أمره ومن يَغْوَ^(٦) لا يعدُّم على الغي لائماً

(١) التي منع من ظهورها ثقلها على الواو - كما يقول النحاة . والسبب الصحيح أن العرب لم تظهرها - ومن أمثلتها وهي مقدرة قول الشاعر :

تصفوا الحياة لجاهل ، أو غافل عما مضى فيها وما يتوقع

(٢ و ٣) انظر نوع حرف العلة (الواو ، وكذا الياء) الذي يحذف في « ب » ص ١٨٥ .

(٣) البيت من قصيدة للفرزدق يمدح زين العابدين بن الحسين .

(٤) هناك لغة لا تحذف حرف العلة للجازم . والبيان في « أ » من ص ١٨٥ وانظر في « ب » من تلك الصفحة ما يختص بحذف الياء وكذا : « ج » من الصفحة التي تليها .

(٥) يصف المدحوخ بالحلم ، فإن لم ينفع الحلم في ردع المسيء هددته وأوعده ، فإن لم ينفع الوعيد والتهديد لجأ إلى عزيمته في استخدام القوة مع المسيء .

(٦) يضل ، ولا يتبع الطريق القويم .

وملخص ما سبق في أنواع المضارع الثلاثة المعتلة الآخر :
 أنها متفقة في حالتي الرفع والجزم ، مختلفة في حالة النصب فقط . فجميعها
 يرفع بضمة مقدرة على آخره ، ويجزم بحذف حرف العلة الأصيل^(١) ، مع بقاء
 الحركة التي تناسبه ؛ لتدل عليه بعد حذفه ؛ (وهي الفتحة قبل الألف ، والضمة
 قبل الواو ، والكسرة قبل الياء)
 أما في حالة النصب فتقدر الفتحة على الألف ، وتظهر على الواو والياء^(٢) .

* * *

(١) يشترط في حرف العلة الذي يحذف أن يكون أصيلاً . (انظر السبب في « ب » من ص
 - (١٨٥)

(٢) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَأَيُّ فِعْلٍ آخِرُ مِنْهُ أَلِفٌ أَوْ وَأَوْ يَاءٌ ، فَمُعْتَلًا عُرِفَ
 فَالْأَلِفُ أَنْوَ فِيهِ غَيْرَ الْجَزْمِ وَأَبْدِ نَصْبَ مَا كِيدَعُو ، يَرِي
 وَالرَفْعَ فِيهِمَا أَنْوَ وَاحْدُفَ جَازِمًا ثَلَاثُهُنَّ تَقْضِي حَكْمًا لَازِمًا
 (انو = قدر . أبد = أظهر) .

أى : يعرف الفعل المضارع المعتل الآخر بأن يكون مخموماً بالألف ، أو الواو ، أو الياء . وقدر
 على حرف الألف الحركات كلها غير الجزم . وأظهر النصب في المعتل الآخر بالواو كيدعو ، أو بالياء ، كيرى ،
 مع تقدير الرفع فيهما ، واحذف أحرف العلة الثلاثة في حالة جزمك أفعالها .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) هناك لغة تجيز إبقاء حرف العلة في آخر المضارع المجزوم ؛ فيكون مجزوماً ؛ وعلامة جزمه حذف حركة الإعراب المقدرة على حرف العلة قبل مجيء الجازم^(١) . . . وهذه اللغة نذكرها لمجرد العلم بها ؛ لاستخدامها في فهم النصوص القديمة ، الواردة بها ، لا لتطبيقها اليوم في استعمالنا ، فإن هذا التطبيق غير مرغوب فيه الآن ؛ منعاً للتشعيب والتشتيت .

(ب) عرفنا^(٢) أن المضارع المعتل الآخر يُحذف آخره عند الجزم . وهذا بشرط أن يكون حرف العلة أصيلاً في مكانه ، كالأمثلة السابقة ؛ فلا يكون مبدلاً من الهمزة . مثل : (يقرأ الرجل ، أى : يقرأ) . (يوضو وجهه على ؛ بمعنى : يحسن ويضيء . وأصله يَوضُوْ) ، ومثل : (يُقرى الضيف السلام ؛ بمعنى : يُلقيه ، وأصله : يقرئ) ؛ فلو كان حرف العلة مبدلاً من الهمزة كالكلمات السابقة لكان خيراً ما يقال هو : أن المضارع مجزوم بسكون مقدر على الهمزة المنقلبة ألفاً ، أو واواً ، أو ياء ، في تلك الأمثلة وأشباهاها ، ولا يحذف حرف العلة المبدل من الهمزة . ومن الأمثلة أيضاً : (« يَسْرَا » المريض و « يَبْرُو » ، أى : يُشْفَى) ؛ وأصلهما : « يَسْرَأ » و « يَبْرُو » ؛ بالهمز فيهما . و (« يَبْرِي » الله المريض . أى : يَشْفِيه) ؛ وأصله ، يُبْرِثه . ومثل : (يَمْلأ الساقى الإناء ، أى : يملأ ..) و « يمتلى » الإناء : أى : يمتلىء ، و (« يبطو » القطار ؛ أى : يُبْطُوْ) . . . فلا داعى للتفصيل الذى يقوله النحاة ، وملخصه : أن إبدال حرف العلة من الهمزة ، إن كان بعد دخول الجازم ، فهو إبدال قياسي ، لسكون الهمزة بسببه . فيكون الجازم قد عمل عمله فيها ؛

(١) وهذه اللغة ورد قول قيس بن زهير من بنى عبس :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ
وقول الآخر :

هَجَوْتَ زَبَانَ ثُمَّ جِئْتَ مَعْتَذِراً مِنْ هَجَوِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ
وبتلك اللغة وردت القراءة في الآية الكريمة من سورة « طه » (فاضرب لهم طريقاً في البحر يَبْسَا لا تخفْ دَرَكَاً ولا تخشى) حيث بقيت الألف في آخر الفعل : « يَخْشَى » مع أنه مجزوم ؛ بسبب العطف على المجزوم . وكذا القراءة في الآية الأخرى المدونة في « د » من ص ٢٠٥ أما النص على هذه اللغة وأمثلةها فراجعها متعددة ، منها : المجمع (ج ١ ص ٥٢ ، الباب السابع الخاص بإعراب المضارع المعتل الآخر . ومنها : الجزء الأول من كتاب معاني القرآن ، للفراء ص ١٦١ .

(٢) في ص ١٨٢ - وما بعدها -

وهو : الجزم ؛ ومتى سكنت الهمزة ، كان إبدالها من جنس حركة ما قبلها قياساً ؛ فتقلب ألفاً أو واواً ، أو ياء ، على حسب تلك الحركة ، ولا تحذف هذه الحروف إذ لا داعي لحذفها ، بعد أن أدت الجازم عمله ، وفي هذه الحالة تعرب الكلمة مجزومة بسكون مقدر^(١) على الهمزة المتقلبة المختفية . . .

أما إن كان الإبدال من الهمزة قبل الجزم ، فهو إبدال شاذ ، والأفصح عدم حذف حرف العلة أيضاً ، ويكون الفعل مجزوماً بسكون مقدر على الهمزة المتقلبة المختفية كسابقه ، ولا يحذف حرف العلة — مع أن الجازم حين وروده على الفعل لم يكن أمامه الهمزة ، ليؤثر فيها — لأن حرف العلة هذا عارض ، وليس أصيلاً ، ولا اعتداد بالعارض عندهم^(٢) :

فالفرق بين الحالتين أن الأولى لا يحذف فيها حرف العلة باتفاق ، لما بينوه ؛ وأن الثانية فيها خلاف ، ولكن الأشهر عدم الحذف أيضاً .

ولذا كان الأمر على ما وصفنا فما المانع أن يكون الحكم الفاصل هو عدم الحذف دائماً ، لنستريح من تعدد الآراء ، واختلاف الحجج ، من غير أثر واضح ؟ . هذا هو الأفضل .

(ح) سبق^(٣) أن المضارع المعتل الآخر بالياء يرفع بضمة مقدرة عليها ويجزم بحذفها . والأغلب أن تكون هذه الياء مذكورة كالأمثلة التي عرضناها . ومن الجائز حذفها لغير جازم ، قصداً للتخفيف ، أو مراعاة الفواصل ، ونحوها ؛ تبعاً لبعض القبائل العربية ، بشرط أمن اللبس بين هذا النوع الجائز من الحذف^(٤) ، والنوع الآخر الواجب الذي سببه الجزم . وبإثبات الياء وحذفها في المضارع المرفوع ، جاء القرآن الكريم ، قال الله تعالى^(٥) : « قالوا يا أبانا ما نبغى . هذه بضاعتنا ردت إلينا » ... وقال تعالى^(٦) : « ذلك ما كننا نبغ ، فارتدّا على آثارهما قصصاً » .

(١) وإنما كان السكون مقدراً لأنه على الهمزة وهي مختفية ، فهو مختف ممها ، ويكون ظاهراً حين تظهر ، ولا يصح أن يكون مقدراً على الألف ، أو الياء ؛ لأن هذه الحروف قد جاءت بعد أن أدى الجازم عمله ، واستوفى حقه ، كما أوضحنا .

(٢) راجع الصبان آخر باب : « المغرب والمبني » عند الكلام على المضارع المعتل .

(٣) في رقم ٣ من ص ١٨٣ . (٤) في سورة يوسف .

(٥) أما حذف الياء التي هي ضمير المتكلم من آخر الأفعال فجائز أيضاً مثل : « أكرمسن » ، وأهائسن » في قوله تعالى في سورة الفجر : (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته وثممه فيقول ربني أكرمسن . وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربني أهائسن) أي : أكرموني وأهائني . ومثل قوله تعالى في سورة العنكبوت (فإياي فاعبدوني) أي : فاعبدوني . وأما حذف هذه الياء إذا كانت « مضافاً إليه » فتجىء له إشارة في هامش ص ٢٠١ — ويحىء البيان الشامل في باب : المضاف إلى ياء المتكلم — ج ٣ — (٦) في سورة الكهف .

المسألة ١٦ :

الإسم المغرب الممثل الآخر

من الأسماء العربية^(١) :

١ - نوع "صحيح" الآخر ، مثل : ، صالح ، سعاد ، جمل ، شجرة ، قمر ، سماء . . . وهذا النوع يعرب في أحواله الثلاثة بحركات ظاهرة على آخره ؛ تقول : صالح "محسن" ، وإن صالحاً محسن ، وحبذا الإحسان من صالح . . . وكذا بقية الأمثلة مع مراعاة الأحكام التي شرحناها في المسائل المختلفة السابقة .

ب - ومنها نوع "ممثل الآخر" ، جار مجرى الصحيح ، وهو ما آخره ياء أو واو ، وكلا الحرفين متحرك قبله ساكن ، وقد يكون الحرفان مشددين أو مخففين ؛ نحو : ظَبْنِي - دَكْنُو - مَرْمِي - مَغْرُو . . .

وحكم آخره من الناحية الإعرابية كحكم صحيح الآخر ؛ فهو شبيه به في الحكم . ومن هذا الشبيه أيضاً المختوم بياء مشددة للنسب ، ونحوه ، بشرط ألا يكون تشديده بسبب إدغام ياعين إحداهما ياء المتكلم : ومن الأمثلة : عبقرى - كرمى - شافعى . . . ، فخرج ما كانت إحدى ياعيه للمتكلم ، نحو : خليلتى - صاحبتى - بسنى - كاتبى^(٢) .

ج - ومنها نوع ممثل الآخر^(٣) لا يشبه الصحيح : ومن أمثله (الرضا ، العلا ،

(١) أما غير العربية فلا دخل لها في هذا الموضوع الخاص بالإعراب وعلاماته الأصلية أو الفرعية ، كما هو معروف ؛ لأن المبني لا تتغير علامة آخره . . . وهذا عند النحاة . ويخالفهم القراء وبعض اللغويين في هذا على الوجه المبين في رقم ٥ من هامش ص ١٨٨

(٢) كما في ج ٤ ص ٤٥ م ١٣١ - وذكرنا هناك أنه يسمى : «الملحق بالممثل الآخر» وله حكم خاص موضع في باب المضاف لياء المتكلم ج ٣ .

(٣) أى : في آخره حرف من حروف العلة الثلاثة ؛ وهى : الألف ، والواو ، والياء . وقد يكتفى النحاة بتسميته : «الممثل» فقط ؛ لأن الممثل في اصطلاحهم هو : «ممثل الآخر» (وهو ما كان حرفه الأصل الأخير حرف علة) سواء أكان اسماً ، أم فعلاً . أما الصريفيون فقد جرى اصطلاحهم على أن الممثل هو : ما كان أحد حرفيه الأصلية حرف علة ؛ سواء أكان حرف العلة في الأول ، أم في الوسط ، أم في الآخر ، أم في أكثر من موضع . وسواء أكان ذلك في اسم أم فعل . ولكل حالة من تلك الحالات المختلفة اسم خاص بها ، وحكم معين في علم : «الصرف» . ولم يطلق النحاة ولا الصريفيون اسم =

المعدى ، الحمى . . .) وأيضاً (الهادى ، الداعى ، المنادى ، المرتجى . . .)
وأيضاً (أدكؤ^(١) طوكيؤ^(٢)) ، سمندؤ^(٣) ، قمندؤ^(٤) . . .) .

وهذا النوع . المعتل الآخر الذى لا يشبه الصحيح ثلاثة أقسام على حسب
حرف العلة الذى فى آخره :

أولها : المقصور^(٥) . وهو : (الاسم العربى الذى فى آخره ألف^(٦) لازمة^(٧)) .

المعتل على شئ من الحروف ؛ مع أن بعض الحروف قد يكون معتلاً ؛ مثل : إلى ، على ، فى . . . والسبب
فى ذلك أن كلامهم فى المعتل ، وأنواعه ، واسم كل نوع وحكمه - إنما هو من ناحية الإعراب . وما يتصل
به ، وهى ناحية لا تتصل بالحروف ، إذ الحروف كلها مبنية كما عرفنا - فى ص ٧٦ - على أنه لا مانع
من تسمية الحرف الذى فيه حرف علة « بالمعتل » . ولكن لا يصح تسميته بالمقصور ، ولا بالمقصود ،
ولا بالأسماء الأخرى الخاصة التى أطلقها النحاة أو الصرفيون على أنواع المعتل من الأسماء أو الأفعال (كالمثال ،
والأجوف ، والناقص . . إلخ) لأن هذه التسميات مقصورة عندهم على أنواع المعتل من الأسماء والأفعال
وحددها .

ومن المقرر أن حرف العلة إن كان ساكناً بعد حركة تناسبه فهو حرف علة ، ومدّ ، ولين ؛
نحو : مساعد ، ومساعد ، وسعيد . وإن كان ساكناً بعد حركة لا تناسبه فهو حرف علة ولين مدّ ، نحو :
جؤهر ، وزين . وإن كان متحركاً فهو حرف علة فقط ؛ مثل : حور ، وهيف . . . (راجع الخضرى
ج ٢ فى بابى الترخيم والإعلال بالنقل) . وعلى هذا تكون الألف دائماً حرف علة ، ومدّ ، ولين .

ويتروى فى كلام النحاة : « الحرف الممثل » يريدون به الحرف الذى يخضع لأحكام الإعلال ،
وتجوز عليه ضوابطه ، - كقلب الياء المتطرفة بعد الألف الزائدة همزة ؛ كقولهم فى بنى : بناء . . . فإن
لم يخضع لتلك الأحكام فهو حرف علة فقط ؛ كالقفل الماضى : عور ، أو : هيف . .
وستجىء إشارة لهذا فى ج ٢ هامش ص ٨٦ م ٦٧ .

(١) اسم بحيرة ، وبلد مصرى على الساحل الشمالى ، قرب الإسكندرية .

(٢) حاضرة بلاد اليبان .

(٣) اسم طائر ، واسم حصن فى (بلتراد) .

(٤) اسم طائر .

(٥) مما يلاحظ : أن النحاة لا يطلقون اسم المقصور والممدود على الاسم إلا إذا كان معرباً . بخلاف
اللفظين والقراء ، فإنهما يطلقونهما على العرب والمبنى ، ولذا يقولون فى : (أول وأولاه ، اسمى إشارة) إن
الأول مقصور ، والثانى ممدود ، مع أن الاسمين مبنيان . فالاصطلاح يختلف عند الفريقين .

- كما سبق فى رقم ١ من هامش ص ١٨٧ ، وكما سيجىء فى باب اسم الإشارة ، - رقم ١ من هامش
ص ٢٢٤) وفى رقم ١ من هامش ص ٤٥٠ م ١٧٠ ج ٤ -

(٦) وهذه الألف يكون قبلها فتحة دائماً ، كشأن جميع الألفات . فإن جاء بعدها تاء التأنيث
مثل : فتاة ، ومباراة زال عنه اسم المقصور وحكمه ، وصار إعرابه على التاء - كما فى : « و »
من ص ١٩٠ - وسيجىء البيان والإيضاح فى الباب الخاص به من الجزء الرابع ، ص ٥٥٨ م ١٧١ ص ٥٦٩

(٧) لا تفارقه فى حالة من حالات إعرابه الثلاث ؛ الرفع ، والنصب ، والجر ، إلا إذا وجدت
علة صرفية تقضى بحذفها ؛ فتحذف لفظاً ، ولكنها تعتبر موجودة تقديراً ؛ لأن المحذوف لعله كالثابت ؛
وذلك كحذفها عند التنوين فى مثل : فتى ، علا ، رضى ؛ فإنها موجودة تقديراً . وهذا معنى قولهم :
إن ألف المقصور موجودة دائماً ، إما لفظاً وإما تقديراً . وعند الوقف يحذف التنوين - فى الشائع - ، فترجع
الألف ، ويكون الإعراب مقدراً عليها . وهذا هو الشائع فى الإعراب اليوم ، ولا بأس به ، بل فيه تيسير =

وحكمه : أن يعرب بحركات مقدرة على هذه الألف في جميع صوره ؛ رفعاً ، ونصباً ، وجراً ، إذ لا يمكن أن تظهر الفتحة أو الضمة أو الكسرة على الألف . ومن أمثلته : « إن الهدى هدى الله » . « اتَّبِعْ سَبِيلَ الْهُدَى » . فكلمة : « الهدى » الأولى ، اسم « إن » ؛ منصوبة بفتحة مقدرة على الألف ، وكلمة : « هدى » الثانية خبر « إن » ، مرفوعة بضمة مقدرة على الألف ، أيضاً . وكلمة : « الهدى » الثالثة مضاف إليه ، مجرورة بكسرة مقدرة على الألف ^(١) .

ومن أمثلته : رضا الله أسمى الغايات . إن رضا الناس غاية لا تُدرك ، احرص على رضا الله فكلمة : « رضا » مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة بحركة مقدرة على الألف وهكذا كل الأسماء المقصورة ^(٢) .

وليس من المقصور ما يأتي ؛ لعدم انطباق التعريف السالف عليه :

(أ) الأفعال المختومة بألف لازمة ، مثل : دعاً ، سعى ، يخشى ، ارتقى . وإنما هي نوع من الأفعال التي تسمى ناقصة . (ويراد بهذه التسمية هنا : أنها معتلة الآخر) .

(ب) الحروف المختومة بألف لازمة ، مثل : إلى ، على . . . لأن هذه كذلك ؛ ليست أسماء .

= وإذا كانت الألف لا تفارقه ، وعلامة الإعراب لا تظهر عليها مطلقاً ؛ كما أوضحنا ؛ فلم لا يعتبر مبنياً ؟ تقدم جواب هذا في « و » من ص ٩٩ .

وقلنا في « ب » ص ١٠٦ (وسيجيء أيضاً في ج ٣ م ٩٧ ص ١٧٤ عند الكلام على المضاف إلى ياء المتكلم) أن بعض العرب يقلب ألف المقصور ياء ، ويدغمها في ياء المتكلم : فيقول في كلمة : « هدى » عند الإضافة لياء المتكلم : هدى خير الوسائل للسعادة . وفي هذه الصورة يكون معرباً بالياء التي أصلها الألف بدلا من حركات الإعراب التي كانت مقدرة على الألف ، فهو ما ناب في حرف عن حركة . ولا يحسن اليوم الأخذ بهذا الرأي .

(١) وهي تكتب ياء هنا ، وتكتب في مواضع أخرى ألفاً ؛ تبعاً لقواعد الإملاء التي تقضي بأن ألف المقصور الثلاثية إن كان أصلها ياء تكتب ياء ، وإن كان أصلها واواً تكتب ألفاً ؛ فلا بد من إرجاع الألف الثلاثية إلى أصلها . أما التي تزيد على ثلاثة فإنها تكتب ياء دائماً . وسواء أكتب ألف المقصور ياء أم ألفاً - فإنها في جميع أحوالها تسمى : « ألفاً » ، مادام قبلها فتحة . وهذا الرأي هو الشائع اليوم في رسم الحروف .

والكوفيين رأى آخر يميز كتابة المقصور الثلاثي بالألف أو الياء إن كان الاسم مضموم الأول أو مكسور . . . ولا نعرض لبيان أن هذا أنسب أم ذاك والسبب .. ولكن الذي لا شك فيه أن قواعد رسم الحروف معقدة مضطربة ، في حاجة إلى ضبط وتجديد وتيسير . وهذا من أخص خصائص المجمع اللغوي ؛ لأنه - في هذه الناحية - يمثل الهيئات العلمية اللغوية مجتمعة ، والبلاد العربية كلها .

(٢) مع ملاحظة أن الكلمة المقصورة إن كانت ممنوعة من الصرف - مثل موسى - على اعتباره ممنوعاً من الصرف - فإنها تخضع لأحكام المنع المختلفة . ومنها الجرب بالفتحة المقدرة بدلا من الكسرة المقدرة ، إن لم يكن هناك مانع ..

(ح) الأسماء المبنية المختومة بهذه الألف ؛ مثل : « ذا » و « تا » من أسماء الإشارة . ومثل : « إذا » الظرفية ، و « ما » الموصولة ، وغيرها من الأسماء المبنية .
 (د) الأسماء المعربة التي في آخرها واو ، أو ياء ، مثل : « أدكو » - « طوكيو » - « الهادي » - « العلى » ؛ لأنها ليست معتلة الآخر بالألف .
 (هـ) المثني في حالة الرفع مثل : سافر الوالدان ، والأسماء الستة في حالة النصب ، مثل : رأيت أباك ؛ لأن الألف فيهما غير لازمة ، إذ تتغير وتجيء مكانها الياء مع المثني في حالة نصبه وجره ؛ مثل : أكرمت الوالدين ، وأصغيت إلى الوالدين . وتجيء مكانها الواو أو الياء مع الأسماء الستة في حالة رفعها وجرها ؛ مثل : أبوك كريم ، استمع إلى أبيك .

(و) أشرنا ^(١) إلى أن «المقصور» إذا زيدت بعد ألفه تاء التأنيث - نحو : فتاة ، مباراة ، مستدعاة - يفقد اسمه وحكمه بسبب هذه التاء ، ولا يسمى مقصوراً لأنه لا يكون مقصوراً إلا بشرط انتهائه بألف تقع عليها الحركات الإعرابية مقدرة . ولا يتحقق هذا الشرط إذا وقعت بعد ألفه تاء التأنيث ؛ إذ تكون «التاء» هي خاتمة أحرفه ، وعليها تقع الحركات الإعرابية ظاهرة لا مقدرة ، ولذا تبقى عند تشنيته للدلالة على تأنيثه ، وتحذف عند جمعه . ويراعى في الاسم بعد حذفها ما يراعى في جمع المقصور ^(٢) - .

ويجب التنبيه للفرق الواسع بين تاء التأنيث السالفة والهاء الواقعة ضميراً بعد ألف المقصور في مثل : « من أطاع هواه أعطى العدو مناه » فهذه الهاء كلمة مستقلة تماماً ، وما قبلها مستقل بإعرابه بحركات مقدرة على الألف التي هي نهاية الاسم المقصور .

ثانيها : المنقوص ، وهو : (الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة ^(٣) ، غير مشددة ، قبلها كسرة ، مثل : العلى ، المرتقى ، المستعلى .) .

(١) في رقم ٦ من هامش ص ١٨٨ ويلاحظ آخر ما جاء في أول قسم « ا » ص ١٦٨ .
 (٢) مما سيجيء بيانه في الباب الخاص بتشنيث المقصور وجمعه في الجزء الرابع ، م ١٧١ ص ٥٦٦ .
 (٣) إذا حذفت الياء لعلامة صرفية كالتنوين ، أو علة أخرى ، فهي في حكم الموجودة ؛ مثل : هذا داعٍ للخير . ويكون الإعراب على هذه الياء المقدرة .
 ولماذا لا يعتبر المنقوص من المبنيات ؟ سبق جواب هذا في « و » من ص ٩٩ .

وحكمه : أن يرفع بضمة مقدرة على الياء في حالة الرفع ، وينصب بفتحة ظاهرة على الياء في حالة النصب ^(١) ويجز بكسرة مقدرة ^(٢) عليها في حالة الجر ؛ مثل : الخلق العالى سلاح لصاحبه — إن الخلق العالى سلاح لصاحبه — تمسك بالخلق العالى . فكلمة : « العالى » في الأمثلة الثلاثة نعت (صفة) . ولكنه مرفوع في المثال الأول بضمة مقدرة ، ومنصوب في المثال الثانى بالفتحة الظاهرة ، ومجرور في المثال الثالث بالكسرة المقدرة . ومثله : الباقي للمرء عمله الصالح — إن الباقي ^(٣) للمرء عمله الصالح — حافظ على الباقي من مآثر قومك . فكلمة : « الباقي » في المثال الأول مبتدأ مرفوعة بضمة مقدرة ، وهى في المثال الثانى اسم «إن» منصوبة بالفتحة الظاهرة ، وهى في الثالث مجرورة بكسرة مقدرة ، وهكذا . فالمنقوص يرفع ويجز بحركة ^(٤) مقدرة على الياء ؛ وينصب بفتحة ظاهرة عليها ، — كما رأينا .

والمنقوص الذى تقدر الضمة والكسرة على يائه وتظهر عليها الفتحة يجب إثبات يائه إن كان غير ممنون — (لسبب يمنع التنوين ؛ كإضافته ، أو اقترانه بأل ^(٥)) ، أو تننيته ، أو جمعه جنع مؤنث سالم ...) ^(٦) — فإن كان ممنوناً لخلوه مما يمنع التنوين : وجب — فى رأى فى الشائع — حذف الياء دون التنوين فى حالتى الرفع والجر ، مع تقدير الضمة والكسرة عليها ، ويجب بقاء الياء والتنوين فى حالة النصب ؛ (نحو : خير ما يُحمد به المرء خلقٌ عالٍ — إن خلقاً عالياً يتحلّى به المرء خير له من الثروة والجاه — لا يحرص العاقل على شيء قدّر حرصه على خلقٍ عالٍ يشتهر به) ، فيرفع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة ، وينصب بفتحة ظاهرة على الياء الثابتة مع التنوين ، ويجز بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة ، وإنما حذف الياء لالتقاء ساكنة مع التنوين فى حالتى الرفع والجر ؛ إذ الأصل : (عالٍسن) فى الرفع ،

(١) وفى بعض اللهجات تكون هذه الفتحة مقدرة حمّا إن كانت الياء فى آخر الصدر المضاف إلى العجز فى المركب المزجى طبقاً للبيان المفيد الآتى فى « أ » من ص ١٩٦

(٢) لبعض القبائل لغات أخرى منها حذف هذه الياء رفعاً وجراً ؛ طبقاً لما سيجىء فى البيان الذى فى ص ١٩٧

(٣) ومثل قول الشاعر : إن الليالى لم تحسن إلى أحد إلا أساءت إليه بعد إحسان

(٤) فإن كان ممنوعاً من الصرف ؛ مثل ليالٍ — بواقٍ ... جرى عليه حكم المنوع من الصرف كما شرحناه فى ص ٣٨ وهامش ٣٩

وإذا كان المنقوص ممنوعاً من الصرف وسمى به ؛ مثل : جَوَانٍ ، وقَوَاضٍ ، علمين مؤنثين — فلا تقدر الكسرة على الرأى المشهور ، وإنما يجز بالفتحة ، لكن أظهار الفتحة لخففتها فى حد ذاتها ، أم تقدر لنيابتها عن الكسرة الثقيلة ؟ رأيان أشهرهما الثانى .

(٥) بعض القبائل يحذف ياء المنقوص المفعول « بأل » رفعاً وجراً — طبقاً لما سيجىء فى ص ١٩٧ —

(٦) سيجىء فى الجزء الرابع الباب الخاص بتننية المنقوص وجمعه .

و (عَالِيَيْنَ) ^(١) في الجر ، استقلت الضمة والكسرة على الياء ، فحذفنا ، فالتقى ساكنان ، الياء والتنوين ، حذفت الياء لالتقاء الساكنين ، فصارت الكلمة : عال ، في حالي الرفع والجر - كما سلف - . ومن أمثلة حذف الياء من المنون المرفوع كلمتا : « مدنٍ ومُقَصِّصٍ » في قول الشاعر بمدح كريمًا :
فهو مُدْنٌ للجود - وهو بغيضٌ - وهو مُقَصِّصٌ للمال ، وهو حبيبٌ
« ملاحظة » : إذا كانت لام المنقوص محذوفة بغير تعويض همزة الوصل عنها (مثل : شَجَّ) فإنها ترجع أولاً ترجع في الثنية وفي جمع المؤنث السالم طبقاً للضابط الذي سبق ^(٢) .

وليس من المنقوص ما يأتي ، لعدم انطباق التعريف السالف عليه :

(أ) الفعل بجميع أنواعه ، ولا سيما المختوم بياء لازمة ، مثل يَسْتَوِي محمد التنقل ، ويجرى وراء رزقه ، وكذلك الحرف ؛ ولا سيما المختوم بياء ؛ مثل : في .

(ب) الاسم الذي في آخره ياء لازمة ولكنها مشددة ؛ مثل : كرسى ^(٣) .

(ج) الاسم المختوم بياء ولكنه مبنى : مثل : الذي ، التي ... ذى (اسم إشارة) .

(د) الاسم المعرب الذي آخره ياء تلازمه في بعض حالاته ، ولكنها ليست ملازمة له في كل حالاته ؛ كالأسماء الستة في حالة جرهما بالياء ؛ مثل : ألم أحسن إلى أخيك ؟ وكذلك المثني وجمع المذكر السالم في حالة نصبهما وجرهما ؛ مثل : أكرم الوالدَيْنِ ، واعتن بالوالدَيْنِ ، وصافح الزائرينَ ، وأسرع إلى الزائرينَ ؛ فإن الياء في الأسماء الخمسة لا تثبت ؛ بل تتغير ويحل محلها الواو رفعاً ، والألف نصباً . كما أن الياء في المثني وجمع المذكر السالم تتغير ، ويحل محلها الألف في حالة رفع المثني ، والواو في حالة رفع جمع المذكور ...

(هـ) الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة ، ولكن ليس قبلها كسرة ؛ مثل : طَبِي وكِرسِيّ ؛ فالياء في الأولى قبلها سكون ظاهر على حرف صحيح ، وفي الثانية قبلها سكون ظاهر على حرف علة ^(٣) .

* * *

(١) هذه النون هي رمز التنوين طبقاً للبيان الذي سبق في ص ٢٦ .

(٢) في آخر رقم ٥ من هامش ص ١١١ وفي « ح » من ص ١٣٥ .

(٣) فكلية كرسى وأشباها - ليست من المنقوص لمائنين ، لا للمانع واحدها : عدم سكون الياء

لزوجاً ، وعدم كسر ما قبلها .

ثالثها : الاسم العرب الذى آخره الحقيقى واو ساكنة لازمة قبلها ضمة . وهذا نوع لا تعرفه اللغة العربية الأصيلة ؛ ولم يُسمع عن العرب ، إلا فى بضع كلمات نقلوها عن غيرهم من الأجانب ، منها : « سَمَسْنَدُو^(١) » ، « قَسَمَسْنَدُو^(٢) » ، لكن لا مانع من تسمية بعض الأشخاص وغيرهم بأسماء مختومة بتلك الواو ؛ كتسمية شخص أَرِسْطُو ، أو (خَوْفُو ، أو : سِنْفَرُو^(٣)) ، أو : يدَعُو ، أو : يسمو ، وتسمية بلد : (أدفو ، أو أدكو^(٤)) ، أَرِكْنُو^(٥) ، طوكيو^(٦) ، كُنْغُو^(٧) .

ولما كان هذا النوع غير عربى فى أصله ، ونادر فى استعمال العرب ، أهمله النحاة ، فلم يضعوا له اسماً ، ولا حُكْماً — فيما نعرف^(٨) . . . — ولعل الحكم الذى يناسبه فى رأينا هو أن يعرب بحركات مقدرة على آخره فى جميع حالاته ، بغير تنوين^(٩) ؛ فيرفع بالضمة المقدرة على الواو ، وينصب بالفتحة المقدرة عليها ، ويجر بالفتحة المقدرة عليها بدلا من الكسرة^(١٠) ، تقول : كان « سِنْفَرُو » ملكاً

(٢٠١) سبق شرحهما فى هامش ص ١٨٨ — رقم ٤٣ — منها : هِنْدُو ، كما جاء فى الهمع — اسم بلد .

(٣) « خوفو » اسم فرعون من فراعنة مصر فى الدولة الأولى القديمة ، وهو بانى هرم الجيزة الأكبر . و « سنفرُو » اسم فرعون آخر .

(٤) بلدان ، أولاها بصعيد مصر ، والأخرى بالساحل الشمالى — كما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ١٧٠ .

(٥) اسم واحة على الحدود المصرية الغربية .

(٦) اسم حاضرة اليابان .

(٧) إقليم بوسط إفريقيا .

(٨) لم أجد له اسماً ولا حكماً فيما لدى من المراجع المختلفة ، إلا ما ذكره بعض النحاة ، كالصبيان فى آخر باب المنوع من الصرف ، عند الكلام على المنقوص من الأسماء المنوعة من الصرف ، فإنه قال ما نصه : « لوسميت بالفعل « يَفْزُو » و « يدَعُو » ، ورجعت بالواو والياء ، أجرته مجرى « جوار » وتقول فى النصب : رأيت يدعى ويفزى . قال بعضهم : ووجه الرجوع بالواو والياء ما ثبت من أن الأسماء المتمكنة ليس فيها ما آخره واو قبلها ضمة ، فتقلب الواو ياء ويكسر ما قبلها . وإذا شئت بالفعل : « يرم » من : « لم يرم » رددت إليه ما حذف منه ؛ ومنعته من الصرف : تقول : هذا يرم ، ومررت بـ يرم ، والتنوين للعوض ، ورأيت يرمى .

(« وإذا سميت بالفعل : « يَفْزُو » من : « لم يَفْزُو » قلت : هذا يَفْز ، ومررت بـ يَفْز ، ورأيت يَفْزى . إلا أن هذا ترد إليه الواو وتقلب ياء لما تقدم ثم يستعمل استعمال جوار ») ٥١١ .

وفى هذا الكلام — فوق ما فيه من تخيل بعيد — ما يستدعى التوقف والنظر ، (كما قلنا فى ج ٤ ص ١٦١ ، ١٦٢ م ١٤٥) لأن الأخذ به يؤدى إلى تغيير صورة العلم تغييراً يقع فى اللبس والإبهام . ويحدث لصاحبه مشقات فى معاملاته .

(١٠ ، ٩) لأن الاسم فى هذه الحالة يكون علماً أعجمياً ؛ فيمنع من الصرف ، ويجر بالفتحة بدلا من الكسرة إن لم يمنع من ذلك مانع آخر . كالإضافة ، أو : أل .

مصرياً قديماً ، إن « سنفرو » أحد الفراعين ، هل عرفت شيئاً عن سنفرو ؟ .
وهذا الحكم يسري على الكلمات القليلة التي أخذها العرب عن غيرهم ، كما يسري
على الأسماء التي لم يأخذوها ، وكذلك المستحدثة بعدهم للأشخاص والبلاد وغيرها^(١) .
وبناء على هذا الرأي لا يصح إظهار الحركات الإعرابية على الواو ؛ لأن ظهورها
يؤدي إلى إدخال تغيير على العلم في مظهره يؤدي إلى اللبس^(٢) .

وليس من النوع الثالث ما يأتي :

(أ) الفعل الذي آخره واو ، مثل : يدعو ، يسمو ، يعلو ، لأن هذه
ليست أسماء ،

(ب) الاسم الذي ليس معرباً ، مثل : ذو ، بمعنى الذي (نحو :
جاء ذوقام)^(٣) . . .

(ج) الاسم المعرب الذي آخره واو ، لكنها ليست في الآخر الحقيقي بل
في الآخر العارض ؛ مثل : يا « ثمو » و يا « محمو » في ترخيم كلمتي : « محمود »
و « محمود » حين النداء ؛ فإن الآخر الحقيقي هو الدال ، لا الواو .

(د) الاسم المعرب الذي آخره واو ، ولكنها ليست ساكنة ، مثل :
هو ، أو ليست دائمة ثابتة ؛ كالأسماء الخمسة في حالة الرفع ، مثل : سعد
أنحوك^(٤) . . . فإن هذه الواو تتغير في حالة النصب ، وتحل محلها الألف ؛
كما تتغير في حالة الجر وتحل محلها الياء .

(١٠١) وقد رأيت ما يقوى هذا الحكم من كلام « العُكْبَرِي » شارح ديوان « المتنبي » حيث جاء
في القصيدة التي مطلعها :

« لهذا اليوم بعد غد أريجُ و زار في العدو لها أجيجُ »
عند البيت :

فإن يُقَدِّم فقد زُرنا « سَمْدًاو » وإن يُعْجَم فموعده الخليج
ما نصه : (قال ابن جني سألت المتنبي : لم لم تعرب سمندو ؟ - يريد : لم لم تظهر الفتحة على الواو في آخر
كلمة : سمندو ؟ ؟ فقال : لو أعربتُها لم تعرف) .
فسمع ابن جني الجواب ولم يعلق عليه ، فسكوته قد يفيد الرضا بما سمع .

(هذا وسيجيء حكمه عند إضافته لياه المتكلم في الباب الخاص بهذا - ج ٣ ص ١٤٣ م ٦٩ -
كما سيجيء حكمه عند تشنيته وجمعه في الباب الخاص بذلك ، ج ٤ م ١٧١ ص ٥٦٦ -)

(٢) أما « ذو » التي من الأسماء الستة فالواو في آخرها غير لازمة ، وأيضاً ليست أصلية .
(٣) ومثلها واو جمع المذكر السالم المضاف : مثل : جاء عالم الهندسة ؛ فإن هذه الواو تتغير ،
ويحل محلها الياء نصباً وجرّاً . هذا إلى شيء آخر ، هو : أن الواو في الأسماء الستة وفي جمع المذكر طارئة فهي
خارجة عن صيغة الكلمة ، وهذا يبعدها من النوع الثالث .

(هـ) الاسم المعرب الذى آخره واو لازمة ، ولكن ليس قبلها ضمة ؛ مثل :
حَلُّوْ ، خَطُّوْ ، صَحَّوْ ، فإنه من المعتل الجارى مجرى الصحيح ^(١) فى إعرابه
بمحركات ظاهرة على آخره ، رفعاً ، ونصباً ، وجراً ^(٢) .

« ملاحظة » سيجىء فى ج ٤ ص ٥٦٦ م ١٧١ باب خاص بطريقة تشنية
المقصور ، والمنقوص ، والممدود ، وجمعها جمع مذكر سالم وجمع مؤنث سالم .

* * *

(١) سبق تعريفه وحكه فى ص ١٨٧ .

(٢) وفيما سبق من المعتل وأحكام المقصور والمنقوص يقول ابن مالك .

وسمَّ مُعْتَسِلًا مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا كَالْمُصْطَفَى ، وَالْمُرْتَقَى مُكَارِمًا
فَالأَوَّلُ الْإِعْرَابُ فِيهِ قُدْرًا جَمِيعُهُ ؛ وَهُوَ الَّذِي قَدْ « قُصِرَا »
وَالثَّانِ « مَنْقُوصٌ » ، وَنَصْبُهُ ظَهَرَ وَرَفَعُهُ يُنَوَّى ، كَذَا أَيْضًا يُجَزُّ

.....

زيادة وتفصيل :

(١) عرفنا ^(١) أن المنقوص تقدر على آخره الضمة ، والكسرة ، وتظهر الفتحة ؛ مثل : أجبت داعي الحق . لكن إذا وقع المنقوص صدر مركب مزجي ^(٢) ، فإنه قد يجوز - عند بعض القبائل - في هذا الصدر أن يُعَرَّب إعراب المضاف ، ويعرب ما بعده (وهو : العَجَز) مضافاً إليه ، ممنوعاً من الصرف أو غير ممنوع على حسب حالته وما يستحقه . وفي هذه الحالة لا تظهر الفتحة على ياء المنقوص - في الأشهر ^(٣) عندهم - ومن أمثله : عرفت « داعي سلم » ، أو : « معدي كرب » ، أو « صافى هناء » (أسماء أشخاص) ودخلت « سواقي خبيل » ، أو : « مرابي سفر » أو : « قالي قلا » (أسماء بلاد) فالصدر يعرب إعراب المنقوص من غير أن تظهر عليه الفتحة في حالة النصب . وهذا هو نوع المنقوص الذي لا تظهر على يائه الفتحة في حالة نصبه ^(٤) ومع أن هذا هو المشهور - قديماً في تلك اللغة - فالمناسب لنا اليوم ألا نلجأ إلى الإضافة ؛ لأن ترك الياء في حالة النصب بدون فتحة ظاهرة قد يدعو للحيرة والإيهام بغير داع ، فالخير ألا نعرِّب إعراب المتضايين ، وإنما الخير أن نستعمل الاستعمال المشهور في المركب المزجي ؛ بأن يكون الإعراب على آخر العجز وحده ، مع ترك الصدر على حاله فلا نعرِّب إعراب المضاف إليه ؛ لأن قصر الإعراب على آخر العجز وحده ، هو الذي يدل على أن اللفظ مركب مزجي .

ومن العرب من يجوز فتح هذه الياء كغيرها من ياء المنقوص ، كما أن منهم من يسكن ياء المنقوص دائماً في كل الصور . ولكن من المستحسن عدم الأخذ بهذين الرأيين ؛ للدواعي القوية التي نرددها ، والتي نردفها بأننا حين نذكر آراء مختلفة نذكرها لا لنحاكيها ، - فالحاكاة اليوم للأشهر وحده - وإنما نذكرها للمتخصصين ؛ ليستعينوا بها على فهم النصوص القديمة التي تشتمل عليها ، إلا إذا أشرنا إلى جواز استعمالها لسبب قوى .

(١) في ص ١٩١ .

(٢) تعريف المركب المزجي وأحكامه وكل ما يختص به مدون في باب « العلم » ، وسيأتي « ص ٣٠٠

و ٣١١ و ٣١٣ وما بعدهما) .

(٣) ويحسن في هذه الحالة كتابة الصدر منفصلاً عن العجز ؛ ليكون هذا الانفصال دالاً على

الإضافة ، وموجهاً إليها ؛ إذ المضاف غير المضاف إليه ؛ فنحكما أنهما لا يتصلان في الكتابة بخلاف حال المزج ؛ فإنه يقوم على أنهما بمنزلة شيء واحد ؛ ولذا يتصلان كتابة في الغالب (انظر ص ٣٠٠

و ٣١٤) . (٤) سيجيء البيان أيضاً في ص ٣١٤ وفي ج ٤ ص ١٧٦ م ١٤٧ .

وقد^(١) أشرنا إلى أن بعض القبائل يحذف من «المنقوص» المفرد ، المقترن بأل ياءه في حالتي الرفع والجر ؛ وبلغتهم جاء القرآن الكريم ؛ مثل كلمة : «الباد» في قوله تعالى في سورة الحج : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ، الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ . . . » ، أى : البادى . . . ومثل «بالوَاد» في قوله تعالى في سورة الفجر : «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . . . » أى : بالوادي . ومثل : «الْمُتَعَالِ» في قوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) أى : المتعالى .

وإذا ختم صدر المركب المزجى بواو ، وأريد إضافة الصدر إلى العجز — اتباعاً للرأى السالف — فإن الحركات كلها تقدر على الواو ؛ مثل : «نَهْرُوْ هِنود»^(٢) و «مَجْدُوْ ملوك»^(٣) . . . ، والحكمة في عدم ظهور الفتحة هو الحرص على بقاء الاسم على حالته الأصلية ؛ ليبقى دالاً على صاحبه ، دلالة العلام ، لا دلالة المضاف والمضاف إليه . لأن الإضافة هنا ظاهرية شكلية فقط . ولم أر من يميز الإعراب على آخر العجز وحده ، مع ترك الصدر على حاله ، ولا من عرض حكماً لهذا النوع من المعلن — كما أسلفنا^(٤) — لكن حملته على نظيره المركب المزجى المختوم صدره بالياء قد يبيح هذا ، بل يجعله أفضل ؛ إذ يدل على أن اللفظ مركب مزجى ، مضاف ؛ فلا يقع فيه لبس .

(ب) إذا أضيفت كلمة «لدى»^(٥) للضمير فإن ألفها تقلب ياء ، مثل : «زاد الخير لديك» ، فكلمة : «لدى» ظرف منصوب بفتحة مقدرة . لكن أهذه الفتحة مقدرة^(٦) على الياء الظاهرة ، أم مقدرة على الألف التى كانت فى الأصل ، وانقلبت ياء ؟ . يفضل النحاة أن يقولوا منصوب بفتحة مقدرة على الألف التى صارت ياء ، وذلك لسببين :

أولهما : أن الألف هى الأصل ، فلها الاعتبار الأول .
ثانيهما : أن الياء فى آخر العربات تظهر عليها الفتحة فى الأغلب ، فإذا

(١) فى ص ١٩١ .

(٢) نهر : علم زعيم هندى وطنى فى عصرنا وقد تولى رئاسة الوزارة قبل موته وبعد استقلال بلاده .

(٣) اسم أمير فارسى . (٤) فى ص ١٩٣ ، النوع الثالث .

(٥) هى ظرف مكان معرب ، بمعنى : عند . وتفصيل الكلام عليها فى «باب الظروف» ج ٢ ص

٣٢٥ م ٧٩ و ج ٣ باب الإضافة ص ٤٨ م ٩٤ .

(٦) منع من ظهورها السكون الذى جاء للتخفيف . أو مراعاة أصلها وهو أنها لا تظهر على الألف التى انقلبت ياء .

.....
.....

جعلنا الفتحة مقدرة على الألف ، بقيت القاعدة السابقة سليمة مطردة ، بخلاف ما لو جعلناها مقدرة على الياء فيكون التقدير مخالفاً للأعم الأغلب ؛ وهو ظهور الفتحة مباشرة على الياء^(١).

...

مواضع الإعراب التقديرى

(ح) فهمنا من المسائل السابقة^(٢) ، معنى الإعراب الظاهر ، والإعراب المقدّر (أى : التقديرى) ، فى الأسماء والأفعال المضارعة . وسواء أكانت علامة الإعراب ظاهرة أم مقدرة — لا بد أن نلاحظ فى التوابع ، فىكون التابع مماثلاً فى علامة إعرابه للمتبوع^(٣).

وبقى أن نشير هنا إلى أن الإعراب التقديرى لا ينحصر فى تلك المواضع التى سبق الكلام عليها فى المضارع المعتل الآخر^(٤) ، وفى الاسم المعتل الآخر^(٥) ؛ لهذا كان من المستحسن أن نجتمع هنا ما تفرق من مواضع الإعراب المقدّر^(٦) (التقديرى) التى سبقت ، والتى لم تسبق ، وأن نركزها فى موضع واحد ، ليسهل الرجوع إليها .

فمن هذه المواضع ما تقدر فيه الحركات (الأصلية أو الفرعية^(٧)) ، ومنها ما تقدر فيه الحروف النائية عن الحركات الأصلية . (فالحروف تقدر كالحركات) . وإليك البيان :

أولاً : أشهر المواضع التى تقدر فيها الحركات الأصلية :

١ — تقدر الحركات الثلاث (أى : الضمة ، والفتحة ، والكسرة) على آخر الاسم المقصور ، — مثل المصطفى — فى كل حالاته الثلاث : الرفع ، والنصب ،

(١) وهذا من فلسفة النحاة . ولن يترتب على الأخذ بالرأى الأول ضرر ؛ بل لعله الأوضح والأسهل ، ولا حاجة بنا إلى التشدد . (٢) فى ص ٧٢ و ٨٤ وما بعدها .

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ١٨٢ ؛ ففيه الإشارة لهذا . وفى ص ٨٤ بيان آخر لفائدة الإعراب التقديرى والمحل . (٤) ص ١٨٢ (٥) ص ١٨٧

(٦) وهو غير الإعراب المحلى الذى سبق بيانه فى : « ١ » من ص ٨٤ والذى ستجىء له إشارة فى ص ٣١٤ وأيضاً فى ج ٢ ص ٣٢٠ م ٨٩ .

(٧) كالفتحة المقدرة النائية عن الكسرة فى المنوع من الصرف ، مثل قبلت النصح من هدى (اسم امرأة) .

... ..
... ..

والجر^(١)، - وكذلك على آخر الاسم المعتل بالواو^(٢).

٢ - تُقدّر حركتان فقط هما : الضمة ، والكسرة ، على آخر الاسم المنقوص في حالة الرفع والجر^(٣).

٣ - تقدر الحركات الثلاث على آخر الاسم ، إذا سكن للوقف ، مثل جاء محمد^١ . رأيت محمد^(٢) ، قصدت إلى محمد^(٣) (بإعراب « محمد » مرفوعة ، أو منصوبة أو مجرورة ، بحركة مقدرة . منع من ظهورها السكون العارض للوقف) . ومثل هذا يقال في الفعل المضارع صحيح الآخر ، رفعاً ، ونصباً ، مثل : على يأكل^١ ، على لن يأكل^(٢) ، فالفعل (يأكل) مرفوع ، أو منصوب ، بحركة مقدرة ، منع من ظهورها السكون العارض للوقف^(٣) . ومن التيسير في الإعراب واختصار الكلام ، أن نقول في إعراب « محمد » إنه : مرفوع أو منصوب ، أو مجرور بالحركة الأصلية ، وضبط بالسكون للوقف ؛ وكذلك نقول في المضارع إنه : مرفوع ، أو منصوب بالحركة الأصلية ، والسكون للوقف . ومثل هذا نقوله في بقية المواضع الآتية :

٤ - تقدر الحركات الثلاث جوازاً على الحرف الأخير من الكلمة ، إذا كان مما يدغم في الحرف الأول من الكلمة التالية ؛ مثال ذلك في الاسم قراءة من قرأ : « وقتل داوود^١ جالوت » بإدغام الدال في الجيم ؛ ومثاله في الفعل : يكتب بكر ، بإدغام الباءين في بعض اللغات . ومن التيسير لما سبق ، أن نقول : « داوود » ، و « يكتب » مرفوع ، وجاءه السكون العارض لأجل الإدغام .

٥ - تقدر الحركات الثلاث جوازاً على الحرف الأخير من الكلمة ، إذا سكن للتخفيف^(١) : كتسكين الحروف الآتية في الكلام ، نثره ونظمه ، وفي

(١) كما سبق في ص ١٨٨ . (٢) كما سبق في ص ١٩٣ .

(٣) كما سبق في ص ١٩١ أما الفتحه فتظهر في حالة نصبه .

(٤) عند الوقف في حالة النصب - فقط - يقلب التنوين ألفاً ، وهو المشهور ، فيكون منصوباً بفتحة ظاهرة على الدال ، بعدها ذلك التنوين المنقلب ألفاً مثل : أكرمت محمداً . أما على اللغة التي تقف بحذف التنوين مطلقاً فتكتب « محمد » بسكون الدال .

(٥) يكون هذا السكون أيضاً في الأسماء المبنية ، والأفعال المبنية ، إذا كان آخر كل منهما متحركاً وسكن للوقف ، مثل محمد قام . . . إلى أين . . . بل إنه يوجد في الحروف المتحركة الآخر . مثل . « مند » ؛ باعتبارها حرف جر ، فتقول : مند .

(٦) الأصل في ذلك أن الكلمة الواحدة - أو ما هو بمنزلة الكلمة الواحدة ، كالكلمة التي بعدها الضمير المتصل - إذا اشتملت على ثلاثة أحرف متحركة ؛ (نحو : عسق ، وفخذ ، وإبط ...) أو أكثر ، = النحو الوافي - أول

.....
.....

بعض القراءات القرآنية . فقد سكنت الهمزة المكسورة في قوله تعالى : « فتوبوا إلى
إلى بارتئكم » . وسكنت الناء المضمومة في قوله تعالى : « وبعولتهن أحق ببرد هين » .
وسكنت السين المضمومة في قوله تعالى : « قالت لهم رُسُلهم » .
وسكنت الهمزة المكسورة في آخر كلمة السَّيِّء من قوله تعالى في المشركين :
« فلما جاءهم نذيرٌ مما زادهم إلا نُفُوراً ، استكباراً في الأرض ومكثراً السيِّء » ،
ولا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » .

وسكنت الراء المضمومة في قوله تعالى : « إن الله يأمرُكُمُ أن تَوَدُّوا الْأُمَانَاتَ إِلَى
أَهْلِهَا » . وكذلك سكنت الراء المضمومة في قوله تعالى : « وما يشعرُكم أنها إذا
جاءت لا يؤمنون » . ومن التيسير أن نقول في كل كلمة من الكلمات السابقة
وأشباهها : إنها مرفوعة ، أو منصوبة ، أو مجرورة ، بالعلامة الأصلية وسُكُنَتْ
للتخفيف^(١) . . .

٦ - تقدر الحركات الثلاث جوازاً على الحرف الأخير من الكلمة ، إذا
أهملنا حركته الأصلية ، وجعلناها مماثلة لحركة الحرف الذي يليه بعده ، كقراءة من
قرأ : « الحمد لله رب العالمين » ، بكسر الدال ، تبعاً لحركة اللام التي جاءت
بعدها ، وتسمى هذه الحركة : « الإتياع للاتح » ؛ لأننا أتبعنا السابق للاتح
فيها ، ومن الممكن مراعاة التيسير السابق . وهذا النوع من الإتياع يختلف اختلافاً
واسعاً عن الإتياع الذي سبق في « ح » ص ٥٩ وعن الإتياع الذي يكون في التوابع
الأصلية الأربعة (النعت - التوكيد - العطف - البَدَل) .

٧ - تقدر الحركات الثلاث على آخر العلم المحكي^(٢) من غير تغيير في حالة
من أحواله ؛ رفعاً ونصباً وجراً ، كالعلم المركب تركيب إسناد ؛ مثل : « فَتَسَحَّ

= جاز تسكين الحرف الثاني المتحرك تخفيفاً . أما التخفيف الذي للوقف فيكون في آخر الكلمة - كما تقدم - وقد
يجري التخفيف بين هذه الحروف المتحركة إذا كانت في كلمتين ؛ بعض منها في آخر كلمة سابقة وبعض آخر
في أول التي تليها ؛ كالذي في كلمة : « السيء » ويأمر ، ويشعر . . . من الآيات . وهذا يسمى :
« التخفيف مع الوصل على نية الوقف » ومن أمثلته أيضاً الآية التي في « د » ص ٢٠٥ (ولهذا إشارة في الجمع
ج ١ ص ٥٤ ، وفي الجزء الأول من الحضرى والصبان ؛ آخر باب : « المغرب » والمبني . أما البيان والتفصيل
ففي ص ٦ ج ٥ من كتاب : « إرشاد الأريب » إلى معرفة الأديب ، لياقوت الرومى ، طبعة مرجليوث) .

(١) فهذا سكون عارض يختلف اختلافاً أساسياً عن أنواع السكون الأخرى ولا سيما السكون الذي
يجلبه الحازم - كما سيجي في موضعه من جزء ٤ م ١٤٨ ص ٢١٢ باب « إعراب الفعل » .
(٢) الذي نريد أن نخاكي نطقه في صورته الأصلية التي جاءت عليها أولاً . ومن صور الحكايات في
غير العلم ما سبق في « ج » ص ٣٠ .

.....

 الله» ، «نصر الله» ، «على شاعر» (وكل هذه أعلام أشخاص) . تقول :
 جاء «فتح الله» - شاهدت «فتح الله» - ذهبت إلى «فتح الله» ؛ فتبقى حركة
 الكلمتين كما هي في الأصل ، مع إعرابهما معاً في الحالة الأولى فاعلاً مرفوعاً
 بضمه مقدرة للحكاية ، وهي غير هذه الضمة الظاهرة . . . وإعرابهما في الحالة
 الثانية مفعولاً به منصوباً بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها ضمة الحكاية ، وفي
 الحالة الثالثة مجروراً ، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها
 حركة الحكاية ، وكذا البقية .

٨ - تقدر الحركات الثلاث على آخر الاسم المضاف لياء المتكلم^(١) ،

(١) للإضافة إلى ياء المتكلم بحث مستقل شامل (في ج ٣ ص ١٦٧ م ٩٧) ونكتي هنا بالإشارة إلى أن
 الإضافة إلى ياء المتكلم تشمل الإضافة الظاهرة إلى ياء المتكلم ، كما تشمل الإضافة المقدرة إليها ، يريدون
 بالظاهرة : (ما كانت فيها الياء نفسها بارزة غير محذوفة ، وغير منقلبة حرفاً آخر) ؛ مثل كتابي
 صاحبي . ويريدون بالمقدرة إليها إحدى الحالات الآتية :

(أ) ما كانت فيها الياء محذوفة من غير عوض عنها ، مع وجود ما يدل عليها ؛ كالكسرة قبلها ؛
 مثل : يارب ساعد ، وأصلها : ياربي .

(ب) ما كانت فيها الياء محذوفة ، ولكن عوض عنها تاء التانيث المبنية على الفتح أو على الكسر ؛
 مثل : يا أبت (أي : يا أبي) فكلمة : «أب» من «أبت» منادى منصوب ؛ لأنه مضاف للياء المحذوفة
 التي عوض عنها تاء التانيث ؛ وتاء التانيث حرف ، إذ الياء لم تنقلب إليها ، كما تنقلب إلى الألف ؛
 ولهذا كانت كلمة «أب» منصوبة ، ولكن بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الفتحة التي جاءت لمناسبة
 تاء التانيث ، لأن تاء التانيث تقتضي فتح ما قبلها . ذلك قولهم ، وهو صحيح دقيق . ولكن من
 الممكن الاختصار فنقول : إنها منصوبة بفتحة ظاهرة .

(ج) ما كانت فيها الياء منقلبة ألفاً ، مثل : يا «صاحباً» لا تترك زيارتي . فكلمة «صاحب»
 منادى مضاف منصوب بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الفتحة التي جاءت لمناسبة الألف ؛ ومن
 التيسير أن نقول : منصوب بالفتحة الظاهرة .

ملاحظة : إنما تقدر الحركات الثلاث على المضاف إلى ياء المتكلم . بشرط ألا يكون مثنى ،
 ولا جمع مذكر سالم ، ولا منقوصاً ، ولا مقصوراً . فإن كان مثنى وهو مرفوع ، فإن ياء المتكلم تثبت
 مفتوحة بعد ألف التثنية الساكنة : نحو : جاء صاحبي .

وإن كان مثنى وهو منصوب أو مجرور فإن ياء المتكلم تثبت في الحالتين مدغمة في ياء التثنية ،
 ومفتوحة ، نحو رأيت صاحبي (وأصلها - كما سبق - صاحبين لي ، حذفت النون واللام للإضافة ، أو حذفت
 النون للإضافة ، واللام للتخفيف ، وأدغمت الياء في الياء مع فتح الثانية منها) .

وإن كان جمع مذكر فإن واوه في حالة الرفع والإضافة لياء المتكلم موجودة وليست مقدرة ،
 ولكنها تقلب ياء ، وتدغم الياءان ، مع كسر ما قبلهما ، وفتح ياء المتكلم ؛ مثل : جاء صاحبي ، (وأصله :
 صاحبون لي . حذفت النون واللام للإضافة ، أو حذفت النون للإضافة ، واللام للتخفيف - كما سبق -
 فصارت : «صاحبوي» اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحدهما بالسكون ؛ قلبت الواو ياء ، وأدغمت =

.....

مثل : هذا كتابي ، قرأت كتابي ، وانتفعت بكتابي . فكلمة : « كتاب » الأولى خير مرفوع بضمه مقدرة ؛ منع من ظهورها الكسرة التي جاءت لمناسبة ياء المتكلم . — « كتاب » مضاف ، و « ياء المتكلم » مضاف إليه ، مبني على السكون في محل جر . وكلمة : « كتاب » الثانية . مفعول به ، منصوب بفتحة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها الكسرة التي جاءت لمناسبة ياء المتكلم ، و « ياء المتكلم » مضاف إليه مبني على السكون في محل جر . وكلمة : « كتاب » الثالثة مجرورة بالياء ، وعلامة جرها كسرة مقدرة منع من ظهورها الكسرة الظاهرة ، التي جاءت لمناسبة ياء المتكلم ، و ياء المتكلم مضاف إليه . . .

وبعض النحاة لا يوافق على أن الكسرة في حالة الجر مقدرة ، وإنما هي الكسرة الظاهرة ، وهو إعراب أحسن ، إذ لا داعي للتعقيد والإعانات والتطويل ، ويجدر الأخذ بهذا وحده .

ولما كانت ياء المتكلم قد تنقلب ألفاً أحياناً ، فنقول ، في : (يا « صاحبي » ؛ ويا « صديقي ») : يا « صاحباً ، ويا « صديقاً » . . . كانت كلمة : « صاحب » و « صديق » منادى منصوب بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الفتحة التي جاءت لمناسبة الألف ، التي أصلها ياء المتكلم ، « وصاحب ، وصديق » ؛ مضاف و ياء المتكلم المنقلبة ألفاً : مضاف إليه ، مبني على السكون في محل جر . ومن الممكن في هذه الحالة مراعاة التيسير بأن نعرب كلمة « صاحب »

= الياء في الياء ، وكسر ما قبلها ؛ فصارت صاحبي . ويكون مرفوعاً بالواو التي قلبت ياء كما سبق ؛ وإن كان منصوباً أو مجروراً فإن ياءه تدغم في ياء المتكلم ، التي تتحرك بالفتح ، وقبلها كسرة ، مثل : أكرمت زائري ، وسلمت غل زائري ؛ فكلمة : (زائري ، وأصلها : زائرين لي .) منصوبة أو مجرورة ، وعلامة نصبها وجرها الياء الأولى الساكنة ، المدغمة في ياء المتكلم المفتوحة ؛ وكلمة زائري : مضاف ، و ياء المتكلم : مضاف إليه ، مبنية - على الفتح - في محل جر . هذا والياء الأولى في مثل كلمة : « زائري » السالفة تختلف عن الياء الأولى في كلمة « صاحبي » في المثال السابق ، وهو ؛ « جاء صاحبي » ، لأن الياء الأولى في كلمة : صاحبي ، منقلبة عن واو ، فهي علامة رفع ، بخلاف الأخرى ، فهي ياء الجمع ، علامة للنصب أو الجر .

وإن كان منقوصاً ، فإن ياءه تثبت في كل أحواله ، وتدغم في ياء المتكلم ، التي تتحرك بالفتح ؛ مثل : جاء هادي ، كلمت هادي ، استمعت إلى هادي . فكلمة : « هادي » مرفوعة ، أو منصوبة ، أو مجرورة ، بحركة مقدرة على الياء الأولى ؛ منع من ظهورها السكون العارض للإدغام ؛ ولا يحسن أن يقال : منع من ظهورها اشتغال المحل بالسكون ، لأن السكون عدم الحركة ، والعدم عندهم لا يشغل ، إنما الذي يشغل هو الوجود .

وإن كان مقصوراً تثبت ياء المتكلم بعد ألفه دائماً ، مع فتحها . وفي الباب الخاص بالمضاف إلى ياء المتكلم إيضاح لكل ما سبق - ومكانه ما أشرنا إليه وهو ج ٣ ص ٦٩ م ٩٦ -

و «صديق» منادى منصوب بالفتحة الظاهرة ، مضاف ، وباء المتكلم المنقلبة ألفاً : مضاف إليه ... وهو إعراب محمود ؛ لخلوه من الإطالة التي في سابقه .

٩ - يُقَدَّر السكون على الحرف الأخير من الفعل ، إذا تحرك للتخلص من التقاء الساكنين ؛ مثل : لم يكن المحسن ليتأخر عن المعاونة . فقد تحركت النون بالكسر ، مع أن الفعل مجزوم بـ «لم» ، لأن هذه النون الساكنة قد جاء بعدها كلمة أولها حرف ساكن ، وهو اللام ، فالتقى ساكنان لا يجوز التقاؤهما ، فتخلصنا من التقائهما بتحريك النون بالكسر ، كالشائع في مثل هذه الحالة ؛ فكلمة : «يكن» مضارع مجزوم بـ «لم» ، وعلامة جزمه سكون مقدر ، بسبب الكسرة التي جاءت للتخلص من الساكنين ...

ومن الممكن مراعاة التيسير هنا بأن نقول : مجزوم وحرك بالكسر للتخلص من الساكنين .

١٠ - يقدر السكون على الحرف الأخير من الفعل ، إذا كان مجزوماً مدغمًا في حرف مماثل له ، نحو : لم يمدَّ العزيز يده ، ولم يفرَّ الشجاع . فكل من كلمة : «يمد» ، و «يفر» مجزوم الآخر ، وعلامة جزمه السكون المقدر ، منع من ظهوره الفتحة التي جاءت للتخلص من الساكنين^(١) . ويمكن التيسير بالاختصار هنا .

١١ - كذلك يقدر السكون على الحرف الأخير من الفعل الذي حرك لمراعاة القافية ، مثل قول الشاعر :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَتِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ
فكلمة : «تُعَلِّمُ» مضارع مجزوم في جواب الشرط ، وعلامة جزمه السكون المقدر ، الذي منع من ظهوره الكسرة التي جاءت لمراعاة آخر القافية ؛ ذلك أن كل الأبيات التي قبل هذا البيت مخنومة بميم مكسورة ، فلم يكن بُدَّ من كسر آخر الفعل لمراعاة آخر القافية . ولا مانع من التيسير بالاختصار ، بل إنه حسن كحسنة في كل المواضع التي سبقت .

(١) ذلك أن الدال الأخيرة ، والراء الأخيرة فهما مجزومة بحرف الجزم ، وكل منهما قبله حرف مماثل له ، ساكن بسبب الإدغام ، قبل مجيء الجازم ، فالتقى ساكنان ، فتخلصنا من التقائهما هنا بالفتحة الظاهرة .

.....

إلى هنا انتهى أظهر المواضع التي تقدر فيها الحركات الإعرابية .

* * *

ثانياً : أشهر المواضع التي تقدر فيها الحروف النائية عن الحركات الأصلية هي :

١ - تقدر الحروف التي تعرب بها الأسماء الستة ، إذا جاء بعد تلك الحروف ساكن ، مثل : جاء أبو الفضل ... ؛ وذلك لحذفها في النطق فقط - كما تقدم (١) - أما في الخط فلا بد من كتابتها . فإن رُوى المكتوب فلا تقدير . والأفضل في النطق أن تقف - عند الإعراب - على آخر كلمة : « أبو » فتظهر الواو ؛ فلا يكون هناك تقدير في الحالتين ، ونستريح من التشعيب في القاعدة الواحدة . وللمجمع اللغوي في هذا قرار مفيد سجلناه في ص ١٥٩ - رقم ٢ من هامشها .

٢ - تقدر ألف المثني المضاف إذا جاء بعدها ساكن ، مثل : ظهر نجماً الشرق ، وذلك لحذفها في النطق دون الكتابة - كما سبق (٢) - أما عند إعراب المكتوب فلا تقدير . وهنا نذكر ما قيل في الحالة السابقة . وقرار المجمع اللغوي السالف .

٣ - تقدر واو جمع المذكر السالم وياؤه إذا كان مضافاً ، وجاء بعدهما مباشرة - ساكن ؛ مراعاة لحذفهما في النطق : مثل : يقيظ عاملو الحقل مبكرين ، ورأيت عاملي الحقل في نشاط (٣) . ولا تقدير عند إعراب المكتوب . وهنا يقال ما قيل في الحالة الأولى والثانية وقرار المجمع اللغوي السالف .

وشرط التقدير أن يكون جمع المذكر غير مقصور ؛ فإن كان مقصوراً لم تحذف الواو ولا الياء ، لأن ما قبلهما مفتوح دائماً ، فلا توجد علامة مناسبة قبلهما ، تدل على الحرف المحذوف ، ولهذا يتحركان (٤) فقط ؛ مثل : سافر مصطفو الفصل في

(١) في « ج » من ص ١١٥ .

(٢) في « ز » من ص ١٣٥ وفي « و » من ص ١٥٩ .

(٣) سبقت الإشارة لهذا في ص ١٥٩ .

(٤) وتكون الحركة بالكسر لأنه الأصل من التخلص في التقاء الساكنين ، وقد تكون بغيره ، كالضم مع الواو ، أحياناً . . . تبعاً لاعتبارات أخرى ، مكان تفصيلها : التخلص من التقاء الساكنين .

.....
.....

رحلة ؛ (جمع : مصطفى) استقبلت مصطفى الفصل (١).

٤ - تقدر واو جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم في حالة الرفع ؛ مراعاة لحذفها في النطق ، مثل جاء صاحبي ؛ (وقد سبق) (١).

٥ - تقدر النون في الأفعال الخمسة عند تأكيدها ، مثل : لا تكتبُنْ فالمضارع مسند إلى واو الجماعة المحذوفة . . . وقد سبق التفصيل (٢).

* * *

(د) قال تعالى : « إنه من ۞ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ۞ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ » فكلمة « مَن ۞ » هنا شرطية ، والفعل « يَتَّقِ ۞ » ؛ مضارع مجزوم ؛ لأنه فعل الشرط ، وعلامة جزمه حذف الياء ؛ « ويصبر ۞ » ؛ مضارع مجزوم ، لأنه معطوف عليه .
وقرأ بعض القراء : (إنه من ۞ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ) بإثبات الياء في آخر : « يتقى » ، وإسكان الراء في آخر الفعل : « يصبر » ، مع عدم الوقف عليه . (٣) ، فإثبات الياء إنما هو على اعتبار « من ۞ » شرطية و « يتقى » مضارع ، فعل الشرط ، مجزوم بحذف الحركة المقدرة على الياء قبل مجيء الجازم ؛ تبعاً لتلك اللغة ، التي لا تحذف حرف العلة للجازم ، وإنما تبقيه ، وتحذف الحركة المقدرة عليه فقط (٤) ؛
و « يصبر ۞ » مضارع مجزوم معطوف عليه .

ويصح أن يكون « من ۞ » اسم موصول والفعل « يتقى » مضارع مرفوع بضمة مقدرة والفعل المضارع : يصبر ۞ معطوف عليه ، مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها السكون العارض لأجل التخفيف ، أو لأجل نية الوقف في حالة الوصل (٥) (أى : وصل : « يصبر ۞ » عند القراءة ، بالكلام الذي بعدها ، وعدم الوقف عليها) .
وهناك آراء أخرى نرى الخير في إهمالها .

(١) راجع ص ١٥٩ .

(٢) في « ج » من ص ٩٤ وما بعدها .

(٣) أما عند الوقف على « يصبر ۞ » فالتسكين هو الشائع ، فلا إشكال معه .

(٤) سبق بيان هذه اللغة في « أ » من ص ٢٠٥ .

(٥) انظر رقم ٦ من هامش ص ١٩٩ .

المسألة ١٧ :

النكرة والمعرفة

(أ) في الحديقة رجلٌ - تكلم طالبٌ - قرأت كتاباً - مصر يحترقها نهرٌ .

(ب) أنا في الحديقة - تكلم محمودٌ - هذا كتابٌ - مصر يحترقها نهر النيل .

لكلمة : « رجل » - في التركيب الأول ، وأشباهها - معنى يدركه العقل سريعاً ، ويفهم المراد منها بمجرد سماعها ، أو رؤيتها مكتوبة ، لكن هذا المعنى العقلي المحض ، والممدلول الذهني المجرد غير مُعَيَّن ولا محدَّد في العالم الواقعي ، عالم المحسوسات والمشاهد ، وهو الذي يسمونه : العالم الخارجي عن العقل والذهن .

والسبب : أن ذلك المعنى الذهني المجرد ؛ « أى : المعنى العقلي المحض » إنما ينطبق في عالم الحس والواقع على فرد واحد ، ولكنه فرد له نظائر كثيرة تشابهه في حقيقته ^(١)

(١) يراد بالحقيقة هنا ما أشرنا إليه في صفحتي ٢٤ و ٢٨٨ - : (مجموعة الصفات الذاتية ؛ « أى : الأساسية الأصلية » التي يتكون منها الشيء ، وتميز جنساً من جنس ، ونوعاً من نوع : ولولاها لتشابهت أفراد كلِّ ، واختلطت) . فعقيقة الإنسان هي ؛ مجموعة الصفات الذاتية الخاصة به ، والتي تميز نوعه من نوع آخر ؛ - كالطائر مثلاً - ، وتجعله نوعاً مستقلاً منفصلاً . وتلك الصفات الذاتية في الإنسان هي : الحيوانية والنطق معاً . وحقيقة الحيوان هي : صفاته الذاتية الخاصة به ، والتي تفصل جنسه عن جنس آخر ؛ - كالنبات - ، وتفرق بينهما . وهكذا ... وتلك الصفات الذاتية في الحيوان هي : الحياة التي مصدرها الروح والحركة الاختيارية ... ومن مجموع تلك الصفات الذاتية للشيء تنشأ حقيقته ، وتكون صورته في ذهن أيضاً . لكن كيف تنشأ تلك الصورة الذهنية المحضة ؟

يجيب عن هذا علماء انطلق بقولهم الذي أشرنا إليه في صفحتي ٢٤ و ٢٨٨ . إن الإنسان حين يرى النخلة - مثلاً - أول مرة في حياته ، يستخدم حواسه في كشف حقيقتها ، ويسأل عنها غيره ؛ حتى يعرف أنها شجرة ، وأنها تسمى : النخلة ، ويرأها مرات بعد ذلك فيقوى إدراكه لها . ثم يرى شجرة « برتقال » على النحو السالف ، وشجرة « ليمون » ، وشجرة « يوسى » وشجرات أخرى كثيرة ؛ فينتهي عقله إلى معرفة صفات ذاتية مشتركة بين تلك الأشجار المختلفة النوع ، ويرسم العقل من مجموع تلك الصفات صورة خيالية للشجرة - أى شجرة كانت - بحيث تنطبق تلك الصورة الخيالية على كل شجرة مهما كان نوعها . فهو قد اهتم أولاً إلى أن الصفات الذاتية المشتركة بين الشجرات الكثيرة هي : الجنود ، والجنود ، والفروع ، والثمر - والورق . . . ثم أنشأ من مجموعها صورة خاصة لما يسمى : « شجرة » . فحين يسمع المرء كلمة : « شجرة » يسرع عقله فيدرك المراد منها ، وهو تلك =

وتماثله في صفاته الأساسية ؛ فكأنه فرد واحد متكرر الصور والنماذج المتشابهة التي ينطبق على كل منها معنى : « رجل » ومدلوله ؛ فإن معناه يصدق على : محمد ، وضالح ، وفهم . . . ، وآلاف الآلاف غيرهم . فهو خال من التحديد الذي يجعل المدلول مقصوراً على فرد واحد متعين ، مُتميّز من غيره ، مستقل بنفسه ؛ لا يختلط وسط أفراد أخرى تماثله . وهذا معنى قولهم : « مُبْهَم الدلالة » ؛ أى : أنه ينطبق على فرد شائع بين أفراد كثيرة من نوعه ، تشابهه في حقيقته ، يصح أن يطلق على كل منها اسم : « رجل » ويستحيل في عالم الحس تعيين أحدها دون غيره ، وتخصيصه وحده بهذا الاسم .

لكن إذا قلتُ : « أنا في الحقيقة » ، فإن الشروع يزول ، والإيهام يختفي ؛ بسبب تحديد المدلول ، وحصره في واحد معين ؛ هو : المتكلم ؛ فلا ينصرف الذهن إلى غيره ، ولا يمكن أن ينسب الوجود في الحقيقة لسواه .

= الصورة التي سبق له أن رسمها من مجموع الصفات الذاتية المشتركة ، ولا يدرك سواها ، ولا يخصص شجرة معينة ، كشجرة نخيل ، أو برتقال ، أو ليمون ، أو غيرها ، ولا يستحضر في داخله - غالباً - غير تلك الصورة الخيالية التي ابتكرها ، وكونها من قبل ، والتي يسميها العلماء حيناً : « الصورة العقلية المجردة » وحيناً : « الصورة الذهنية المجردة » أو : « الحقيقة الذهنية المحضة » أى : التي لا يحتاج العقل في إدراكها إلى استحضار صورة شجرة معينة ، أو استرجاع نموذج من الشجرات الأولى التي كانت أوصافها الذاتية المشتركة سبباً في تكوين الصورة الذهنية لما يسمى : « شجرة » .

فالصورة التي رسمها العقل هي صورة خيالية محضة ، لا وجود لها في عالم الحس والواقع ، على الرغم من أنه انتزع عناصر تكوينها من نماذج وأشياء محسوسة مشاهدة ، يستقل كل منها بنفسه ، وينفرد عن غيره ، لكنها تشابه في صفات ذاتية مشتركة بين الجميع - كما سبق - . وكل واحد من تلك النماذج والأشياء المتشابهة يسمى : « حقيقة خارجية » ؛ لأنه المدلول الحسى ، والمضمون الواقعى للحقيقة الذهنية ، مع خروجه عن دائرة الذهن المجردة ؛ بسبب وجوده فعلاً في دائرة الحس والمشاهدة ، فكل واحدة من شجرة النخيل ، أو البرتقال ، أو الليمون ، أو . . . تصلح أن تكون المدلول الحسى المقصود من كلمة : « شجرة » التي هي حقيقة ذهنية . وإن شئت فقل : إن كل واحد من تلك الأشياء يصلح أن يكون الحقيقة الخارجية التي هي مضمون الحقيقة الذهنية ، ومدلولها المقصود ، وأن الحقيقة الذهنية تنطبق في خارج الذهن على كل واحد من تلك الأشياء ، وتصدق عليه .

وما سبق نعلم أن مجموع الصفات الذاتية المشتركة بين أفراد الحقيقة الخارجية هو الذى يكون الحقيقة الذهنية المحضة ، وأن مدلول الحقيقة الذهنية المحضة ينطبق على كل فرد من أفراد الحقيقة الخارجية ، ويصدق عليه ، دون تخصيص فرد أو تعيينه - كما سيجىء في هذا الباب عند الكلام على « اسم الجنس » ، وعلم الجنس » ، ص ٢٨٨ .

وإذا قلنا : تكلم طالب ؛ فإن كلمة : « طالب » اسم ، له معنى عقلى ، ومدلول ذهنى . ولكن مدلوله الخارجى « أى : الذى ، فى عالم الحس والواقع ؛ خارجاً عن العقل والذهن وبعيداً منهما » ، غير محصور فى فرد خاص يمكن تعيينه وتمييزه من أشباهه ؛ وإنما ينطبق على : حامد ، وحليم ، وسعد ، وسعيد . . . وآلاف غيرهم من يصدق على كل واحد منهم أنه : « طالب » ؛ ويشترك مع غيره فى هذا الاسم ؛ فهو اسم يدل على فرد ، ولكنه فرد شائع بين أشباه كثيرة ، متأللة فى تلك الحقيقة التى أشرنا إليها ، والتى يقال لكل فرد منها إنه : « طالب » فعناه مبهم ؛ ودلالته شائعة ، كما سبق .

لكن إذا قلنا : « تكلم » محمود ؛ فإن الشيوخ والإبهام يزولان ؛ بسبب كلمة : (محمود) التى تدل على فرد بعينه ؛ والتى تمنع الاشتراك^(١) التام فى معناها ومدلولها . ومثل هذا يقال فى : « قرأت كتاباً » ؛ فإن لفظ : « كتاب » اسم شائع الدلالة ، غامض التعيين ؛ إذ لا يدل على كتاب خاص يتجه الفكر إليه مباشرة دون غيره من الكتب ؛ فهو يصدق على كتاب حساب ، وكتاب هندسة ، وكتاب أدب ، وكتاب لغة وسواها . . . ، كما يصدق على كتاب محمود ، وكتاب فاطمة ، وغيرهما . . . لكن إذا قلنا : « هذا كتاب » تعين الكتاب المراد ، وتحدد المطلوب بسبب الإشارة إليه . وأنه هو المقصود دون غيره من آلاف الكتب .

وكذلك يقال فى المثال الأخير : « مصر يخرقها نهر » . فأى نهر هو ؟ قد يكون نهر النيل ، أو دجلة ، أو الفرات ، أو غيرها من مئات الأنهار التى يصدق على كل منها أنه : « نهر » ؛ لأن الاسم غامض الدلالة ؛ لانطباقه على كل فرد من أمثاله فإذا قلنا : « مصر يخرقها نهر النيل » ؛ زال الشيوخ ، واختفى الغموض ؛ بسبب الكلمة التى جاءت بعد ذلك ؛ وهى : « النيل » .

فكلمة : رجل ، وطالب ، وكتاب ، ونهر ، وأشباهها ، تسمى : نكرة ، وهى : (اسم يدل على شئ واحد ، ولكنه غير معين) ؛ بسبب شيوعه بين أفراد كثيرة من نوعه تشابهه فى حقيقته ، ويصدق على كل منها اسمه . وهذا معنى

(١) قد تكون كلمة : « محمود » مشتركة بين عدة أفراد ، ولكن هذا الاشتراك محدود ضئيل بالنسبة للشيوخ والاشتراك فى النكرة ؛ فلا يسلب العلم التعيين والتحديد جملة ، ولا يجعله غامضاً مبهماً كالغموض والإبهام اللذين فى النكرة المحضة ؛ مثل كلمة : رجل .

قولهم : « مدلول النكرة فرد شائع بين أفراد جنسه »^(١) . ومن أمثلتها غير ما سبق
الكلمات الآتية التي تحتها خط : سمعت عصفوراً - ركب سفينة - كتبت -
رسالة - قطفت زهرة^(٢) . . .

أما لفظ « أنا » و « محمود » ، و « هذا » ، و « نهر » ، و « النيل » وأمثال ما سبق
في : « ب » فيسمى : « معرفة » ؛ وهي : (اسم يدل على شيء واحد مُعَيَّن) ؛ لأنه
متميز بأوصاف وعلامات لا يشاركه فيها فرد من نوعه . ومن أمثلتها غير ما سبق :
سمعت تغريد « عصفورى » - « هذه » سفينة ركبها - كتبت « الرسالة » . . .

وللنكرة علامة تُعرف بها ؛ هي : أنها تقبل دخول : « أل »^(٣) التي
تؤثر فيها فتفيدها التعريف ، (أى : التعيين ، وإزالة ما كان فيها من الإبهام والشيوع)
وبهذه العلامة نذكر أن كل كلمة من الكلمات السابقة (وهي : رجل ، طالب ،
كتاب . . .) ، نكرة ، لأنها تقبل دخول « أل » التي تكسيها التعريف . تقول :
الرجل شجاع ، الطالب نافع ، الكتاب نفيس . . . وقد صارت هذه الكلمات
معارف بعد دخول : « أل » .

وربما كانت النكرة لا تصلح في ذاتها لدخول « أل » عليها مباشرة ، وإنما
تدخل على كلمة أخرى بمعناها ، بحيث تصلح كل واحدة منهما أن تحل محل
الأخرى ؛ فلا يتغير شيء من معنى الجملة : مثل : كلمة « ذو » ، فإنها بمعنى :
« صاحب » ، تقول : أنت رجل ذو خلق كريم ، والحسن إنسان ذو قلب رحيم ،
فكلمة : « ذو » نكرة لا شك في تنكيرها ؛ مع أنها لا تقبل « أل » التي تفيدها
التعريف . ولكنها بمعنى كلمة أخرى تقبل « أل » ، وهي كلمة : « صاحب »^(٤)

(١) ويسمى أيضاً بعض العلماء : « اسم الجنس » . وسيأتى تفصيل ذلك في موضعه عند الكلام
على العلم . - ص ٢٨٨ - كما سيأتى أنها قسمان محضة وغير محضة ، وتعريف كل (ص ٢١٣) .

(٢) مما يدخل في حكم النكرة الجملة والأفعال - كما في رقم ١ من هامش ص ٤٧ والبيان في

رقم ١ من هامش ص ٢١٣ -

(٣) كلمة : « أل » هنا علم على اللفظ المعين المكون من الهززة واللام ؛ فهززة حمزة قطع ، يجب
كتابتها ، والنطق بها تطبيقاً للبيان الجلى الذى في رقم ١ من هامش ص ٤٢١ وفى « أ » من ص ٣٠٦ .

(٤) كلمة : « صاحب » هنا ليست اسم فاعل معناه مصاحب ؛ لأن معناها الأصل الدال على التجدد
والحدوث قد أهمل ، وغلبت عليها « الاسمية » المحضة ؛ فألحقت بالأسماء الجامدة ؛ ولذلك لا تعمل ؛ فـ « أل » =

التي يصح أن تحل محل كلمة : « ذو »^(١).

ومن هنا كانت « ذو » نكرة ؛ لأنها - وإن كانت لا تقبل « أل » - تصلح أن تحل محل كلمة : « صاحب » التي تقبل « أل » ، وتقع في الجملة مكانها ، من غير أن يترتب على ذلك إخلال بالمعنى^(٢).

علامة النكرة - كما سبق - : أن تقبل بنفسها « أل » التي تفيدها التعريف ، أو : تصلح أن تقع موقع كلمة أخرى تقبل : « أل » المذكورة^(٣).

=الداخله عليها للتعريف ، وليست بالموصلة التي تدخل على اسم الفاعل ونحوه من المشتقات التي تعمل . ملاحظة : جميع المشتقات إذا صارت أعلاماً ، تكون في حكم الأسماء الجامدة - كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ١٣٩ وآخره من هامش ص ١٤٣ -

(١٠١) ومثل : « ذو » كلمات أخرى لا تقبل بنفسها « أل » ، ولكنها تقع موقع كلمات تقبلها. ومن ذلك : « أحد » التي همزتها أصلية ، وليست منقلبة عن واو ، ومعناها : إنسان ؛ - وغيره - وهذه لا تستعمل إلا بعد نون . أما التي همزتها منقلبة عن واو ، وأصلها : « وحد » التي منها كلمة : « واحد » أول الأعداد كالتى في قوله تعالى : « قل هو الله أحد » أى : واحد ؛ فإن هذه التي بمعنى « واحد » تقع بعد النون والإثبات ، بخلاف كلمة : « أحد » التي همزتها أصلية ، فإنها لا تقع إلا بعد نون - كما تقدم - وكما في التصريح ج ١ - أول باب النكرة والمعرفة -

ومن ذلك : « عَرِيب » ، و « دَيَّار » تقول : ما في البيت أحد ، وعَرِيب ، أودَيَّار . ومعنى الجميع : ما في البيت أحد ؛ - كما سيجيء في ص ٥٨٨ - فهي كلمات لا تستعمل إلا بعد نون في الأغلب ، وهي متوغة في الإبهام ؛ فلا تكون معرفة ولا تقبل « أل » التي للتعريف ، ولها واقعة موقع ما يقبلها ؛ وهو : إنسان ، مثلاً . . . وكذا « من » و « ما » ؛ إذا كانا بمعنى : « شيء ، أى شيء » سواء أكان ذلك الشيء إنساناً أم غير إنسان ، تقول : سافرت إلى من مسرور بك ، أى : إلى إنسان مسرور بك ، ولعبت بما مفيد لى . أى : بشيء مفيد لى ؛ فكلمة : « من » و « ما » ، وأشباههما - نكرات ؛ لأنها لا تقبل أل ، ولكنها واقعة موقع ما يقبلها ؛ وهو هنا : إنسان ، وشيء . والدليل على أن الكلمات الثلاث نكرات - وقوع كل منها موصوفة للنكرة في الأمثلة السابقة .

وقد تكون « من » و « ما » أداتين للشرط ، مثل : من يتقن عمله يدرك غايته . وما تفعل من خير يرجع إليك أثره . ومعناها كل إنسان يتقن . . . وكل شيء تفعله . . .

وقد يكونان للاستفهام ؛ مثل : من حضر ؟ وما رأيك ؟ ومعناها : أى إنسان حضر ؟ ولئى شيء رأيك ؟ فالأصل في أسماء الشرط والاستفهام أن تقع موقع ذات ، أو زمان ، أو مكان ، أما تضمينها الشرط أو الاستفهام فأمر زائد على أصل وضعهما - كما سبق في ص ٨٩ عند الكلام على الحروف -

ومن تلك الكلمات أيضاً أسماء الأفعال النكرات ؛ مثل « صه بالتونين ؛ فإنه واقع موقع « سكوتاً » أى : موقع : المصدر الدال على الأمر ، أو موقع : اسكت ، أداًل على ذلك المصدر . . .

(٢) على الرغم من أن النحاة ارتقصوا هذه العلامة فإن المحققين منهم انتهوا بعد مناقشات طويلة إلى أنها

وبديه^١ أن هذه العلامة لا تدخل المعرفة ، ولا توجد فيها ؛ لأن « أل » تفيد التعريف ، كما أشرنا ، والمعرفة ليست في حاجة إليه ؛ فقد اكتسبته بوسيلة أخرى سنعرفها . فإن ظهرت « أل » في بعض المعارف فليست « أل » التي تفيد التعريف ، وإنما هي نوع آخر ، جاء لغرض غير التعريف ، سيذكر في مكانه^(١) .
والمعارف سبعة :

- ١ - الضمير ، مثل : أنا ، وأنت ، وهو . . .
- ٢ - العلم ، مثل : محمد ، وزينب . . .
- ٣ - اسم الإشارة : مثل : هذا ، وهذه ، وهؤلاء . . .
- ٤ - اسم الموصول . مثل : الذي ، والتي . . .
- ٥ - المبدوء بـ «أل» المعرفة (أى : التي تفيد التعريف) ، مثل : الكتاب ، والقلم ، والمدرسة ، إذا كانت هذه أشياء معينة . . .
- ٦ - المضاف إلى معرفة ؛ مثل : بيتي قريب من بيتك . وكذلك : نهر النيل في أمثلة « ب » . . . وهذا بشرط أن يكون المضاف قابلاً للتعريف ؛ فلا يكون من الألفاظ المتوعدة في الإيهام^(٢) التي لا تتعرف بإضافة ، أو غيرها ، كلفظ غير ، ومثل - في أغلب أحوالهما - .

٧ - النكرة المقصودة من بين أنواع المنادى^(٣) . مثل : يا شرطي^٤ ، أو : يا حارس^٥ ؛ إذا كنت تنادى واحداً معيناً^(٤) ، تنجّه إليه بالنداء ، وتقصده دون

= ليست صالحة أحياناً لتحقيق الغرض منها ، وبأن العلامة الوافية بالغرض هي استقصاء المعارف ، وما يكون خارجاً من دائرتها فهو النكرة حقاً ، لأن الوصول إلى النكرة من غير هذا الطريق غير مضمون فوق ما فيه من عسر وتكلف . (١) ستجى أنواع « أل » في ص ٤٢١ م ٣٠ .

(٢) اللفظ المتوغل في الإيهام هو الذي لا يتضح معناه إلا بآخر ينضم له ، ويزاد عليه ، ليزيل إيهامه ، أو يخفف من شيعه ؛ كإضافته إلى معرفة تُعرفه أو تُخصّصه . ولكن الأغلب أنه لا يستفيد التعريف من المضاف إليه المعرفة إلا بأمر خارج عن الإضافة ؛ كوقوع كلمة : « غير » بين متضادين معرفتين ، كالتي في قوله تعالى (أهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم . . .) .
وستجى لهذا إشارة في : « ١ » من ص ٤٢٣ أما تفصيل الكلام عليه في باب الإضافة ج ٣ م ٩٣ ولا سيما رقم ٤ من هامش ص ٢٤ .

(٣) أنواع المنادى خمسة يتعرف منها بالنداء نوع واحد - في الرأي الأرجح - هو : النكرة المقصودة دون غيرها .
وسيجى تفصيل الكلام عليها في باب النداء أول الجزء الرابع .

(٤) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله في باب : « النكرة والمعرفة » :

غيره ؛ ذلك أن كلمة : « شُرْطَى » وحدها . أو كلمة : « حارس » وحدها ،
نكرة ؛ لا تدل على معين ، ولكنها تصير معرفة عند النداء ؛ بسبب القصد — أى :
التوجه — الذى يفيد التعيين ، وتخصيص واحد بعينه ، دون غيره^(١) .
هذا ، ولكل معرفة من المعارف السبعة السابقة باب مستقل سيجىء مشتملا
على كل ما يخصها من تفصيلات وأحكام .

• • •

نَكْرَةٌ قَابِلٌ « أَلْ » مُؤَوَّرًا أَوْ وَاقِعٌ مَوْقِعٌ مَا قَدْ ذُكِرَا
وغيره مَعْرِفَةٌ ؛ كَهُمْ ؛ وَذَى وَهِنْدٌ ؛ وَابْنَى ؛ وَالْغَلَامُ ؛ وَالَّذِى

يريد : أن النكرة اسم قابل « أَلْ » أى : قابل لفظ « أَلْ » الذى يؤثر فيها التعريف . . (واسم « أَلْ »
يراد به هنا : « اللفظ » فهو مذكر ، وقد يراد به فى صيغة أخرى : « الكلمة » فيكون مؤنثا) .
(١) المعرفة تدل على التعيين . وفى هامش ص ٢٩٥ بيان وزيادة إيضاح للمقصود من التعيين
والتخصيص ؛ ولكن المعارف تختلف فى درجة التعيين والتعريف ؛ فبعضها أقوى من بعض . وآراء النحاة
متضاربة فى ترتيبها من حيث القوة . وأشهر الآراء : أن أقوالها بعد لفظ الجلالة وضميره — هو : ضمير
المتكلم ، ثم ضمير المخاطب ، ثم العلم ؛ وهودرجات متفاوتة القوة فى درجة التعريف . ويلحق بعلم الشخص
فى درجة التعريف العلم بالقلبة ، ثم ضمير الغائب الخالى من الإبهام ؛ (بأن يتقدمه اسم واحد معرفة أو نكرة ،
نحو : حسين رأيت ، ورجل كريم لاقيته . فلو تقدمه اسمان أو أكثر ولم يتعين مرجعه بسبب هذا التعدد
وعدم القرينة التى تحدده — نحو : قام محمود وحامد فصافحته — تسرب إليه الإبهام ، ونقص تمكنه من
التعريف) ، ثم اسم الإشارة ، والمنادى (النكرة المقصودة) وهما فى درجة واحدة ؛ لأن التعريف
بكل منهما يتم إما بالقصد الذى يعينه المشار إليه ، وإما بالتخاطب كما سيجىء فى « ب » من ص ٤٤٠
ثم الموصول ، والمعروف بأل ؛ وهما فى درجة واحدة ؛ أما المضاف إلى معرفة فإنه فى درجة المضاف إليه .
إلا إذا كان مضافا للضمير . فإنه يكون فى درجة العلم — على الصحيح .

وأقوى الأعلام أسماء الأماكن ، لقلة الاشتراك فيها ، ثم أسماء الناس ، ثم أسماء الأجناس .

وأقوى أسماء الإشارة ما كان للقرب ، ثم ما كان للوسط ، ثم ما كان للبعد .

وأقوى أنواع « أَلْ » التى للعهدا كانت فيه للعهد الحضورى ، ثم ما كانت فيه للنوعين الآخرين من العهد ،

ثم للجنس . (راجع شرح التصريح وحاشيته ، ثم الفصل ٥ ص ٨٧) .

حكم الجمل وأشباهها بعد المعارف والنكرات :

الجملة نوعان^(١)، وشبهها نوعان^(٢) كذلك . فإذا وقع أحد الأربعة بعد النكرة المحضة^(٣) فإنه يعرب صفة ، وبعد المعرفة المحضة^(٤) يعرب حالا^(٥) ؛ فمثال الجملة الفعلية بعد النكرة المحضة : حضر غني « يتصدق » . ومثال الجملة الاسمية بعدها : حضر غني « إحسانه غامر » . ومثال الظرف : رأيت طائراً « فوق » الغصن . ومثال الجار مع المجرور : رأيت بلبلًا « في قفصه » .

(١) الجملة نوعان، اسمية وفعلية . وهي بنوعها في حكم النكرات (كما أشرنا في ١ من هامش ص ٧ ؛ وفي رقم ١ هامش ص ٢١٣) وكذلك الأفعال . وقد ورد هذا في مراجع مختلفة ؛ منها : حاشية « ياسين » على التصريح ، أول باب : « النكرة والمعرفة » ؛ حيث قال ما نصه : « أما الجمل والأفعال فليست نكرات ، وإن حكم لها بحكم النكرات . وما يوجد في عبارة بعضهم أنها نكرات فهو تجاوز » ٥١ . ويقول شارح المفصل (ج ٣ ص ١٤١) ما نصه : « إن وقوع الجملة نعتاً للنكرة دليل على أن الجملة نفسها نكرة ؛ إذ لا يصح أن توصف النكرة بالمعرفة . . » ٥١

وسواء أكانت نكرة أم في حكم النكرة فالخلاف شكلي لا أهمية له . وقد أشرنا للسائلة السالفة في مواضع مختلفة من أجزاء الكتاب - ومنها : ج ٢ - رقم ٣ من : هامش ص ٣١١ م ٨٤ ومنها : ج ٣ ص ٢٤ م ٩٣ وص ٣٤٩ و ٣٥٤ م ١١٤ . (٢) هما : الظرف والجار مع مجروره .

(٣) النكرة المحضة : هي التي يكون معناها شائعين أفراد مدلولها ، مع انطباقه على كل فرد ، مثل كلمة « رجل » فإنها تصدق على كل فرد من أفراد الرجال ، لعدم وجود قيد يجعلها مقصورة على بعضهم ، دون غيره . بخلاف : « رجل صالح » فإنها نكرة غير محضة ؛ لأنها مقيدة ؛ تنطبق على بعض أفراد من الرجال ؛ وهم الصالحون ، دون غيرهم . فاكسبت بهذا التقييد شيئاً من التخصص ، والتحديد ، وقلة العدد بسبب الصفة التي يعلوها ، والتي جعلتها أقل إبهاماً وشيوعاً من الأولى . ومثل الصفة غيرها من كل ما يخرج النكرة من عمومها وشيوعها الأكل إلى نوع من التحديد وتقليل أفرادها ؛ كإضافة النكرة الجامدة إلى نكرة أخرى - كما سيجيء في باب : « الإضافة » - وكونها نعتاً لنكرة محضة ، أو وقوعها حالا ، أو غير هذا من سائر القيود . وإذا كانت النكرة محضة سميت : « نكرة تامة » ، أي : كاملة التذكير ، لم تنقص درجة تذكيرها بسبب وجود نعت أو غيره مما يقيد إطلاقها ، ويخفف إبهامها . ومن النكرات التامة : « ما » التعجبية - كما ستجيء في باب : « التعجب » ج ٣ م ١٠٨ - وإذا كانت غير محضة سميت : « نكرة ناقصة » . وعلى هذا فالنكرة إما تامة ، وإما ناقصة ؛ فهي قسمان من هذه الناحية .

(٤) والمعرفة المحضة هي الحالية من علامة تقريبها من النكرة ، كوجود « أل الجنسية » في صدرها . والمعرفة قسمان : « تامة » : وهي التي تستقل بنفسها في الدلالة الكاملة على معين ، كضمير المتكلم ، وكالعلم . . . و . « ناقصة » وهي التي تحتاج في أداء تلك الدلالة الكاملة إلى شيء معها ؛ كاسم الموصول ؛ فإنه يحتاج للصلة دائماً . (٥) انظر التفصيل والبيان الهام في « أ » ص ٢١٥ .

ومثال الجملة الفعلية بعد المعرفة المحضة : أقبل خالد « يضحك » ، ومثال
الاسمية بعدها : أقبل خالد « وجهه مشرق » . ومثال الظرف : أبصرت طائرتنا
« فوق » السحاب . ومثال الجار مع المجرور : أبصرت طائرتنا « في وسط » السحاب .

أما إذا كانت النكرة غير محضة ، أو المعرفة غير محضة ، فإنه يجوز فيما
بعدهما من جمل وشبه جمل أن يعرب « صفة » أو « حالا » ؛ تقول في الأمثلة السابقة
بعد غير المحضة : حضر غنى كريم « يتصدق » ، وحضر غنى كريم « إحسانه غامر » ،
ورأيت طائراً جميلاً « فوق » الغصن ، ورأيت بلبلًا شجياً « في قفصه » . . .

ومثال الجملة الفعلية بعد المعرفة غير المحضة : يروقي الزهر يفوح عطره ، بإدخال
« أل الجنسية ^(١) » على الاسم . ومثال الاسمية بعدها : يروقي الزهر عطره فوّاح .
ومثال الظرف : يروقي الثمر فوق الأغصان . ومثال الجار مع مجروره :
يسرني الطير على الأغصان ،

فوجود « أل » الجنسية « في أول الاسم جعله صالحاً للحكم عليه بأنه معرفة
أو نكرة ، على حسب الاعتبار الذي يوجه لهذا أو لذلك ^(١) .

(١) (طبقات البيان الذي في : « ح » من ٢١٦ - هذا ، وتفصيل الكلام على « أل » الجنسية
وتوضيح أحكامها في ص ٤٢٥ .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) يجوز اعتبار شبه الجملة بنوعيه (الظرف والجار مع مجروره) صفة بعد المعرفة المحضة على تقدير متعلقه معرفة . وقد نص على هذا الصبان - ج ١ أول باب : « النكرة والمعرفة » - حيث قال : « أسلفنا عن الدماميني جواز كون الظرف (ويراد به في مثل هذا التعبير : شبه الجملة بنوعيه) بعد المعرفة المحضة صفة ، بتقدير متعلقه معرفة) . ١ هـ . أى : أن المتعلق المعرفة سيكون هو الصفة ؛ لمطابقتها الموصوف في التعريف . ولا مانع أن يكون شبه الجملة نفسه هو الصفة إذا استغنيا به عن المتعلق تيسيراً وتسهيلاً - طبقاً لما سيجيء - في رقم ١ من هامش ص ٣٨٥ وما بعدها ، وفي رقم ٣ من هامش ص ٤٧٥ بالإيضاح والشرط المسجلين هناك - .

وإذا كان شبه الجملة بعد المعرفة المحضة صالحاً لأن يكون صفة على الوجه السالف ، وهو صالح أيضاً لأن يكون حالاً بعدها كصلاحه للوصفية والحالية أيضاً بعد النكرة غير المحضة - أمكن وضع قاعدة عامة أساسية : هي : « شبه الجملة يصلح دائماً أن يكون حالاً أو صفة بعد المعرفة المحضة وغير المحضة ، وكذلك بعد النكرة بشرط أن تكون غير محضة - أو يقال : إذا وقع شبه الجملة بعد معرفة أو نكرة فإنه يصلح أن يكون حالاً ، أو صفة : إلا في صورة واحدة هي أن تكون النكرة محضة ؛ فيتعين أن يكون بعدها صفة ، ليس غير .

وبما هو جدير بالملاحظة أن جواز الأمرين فيما سبق مشروط بعدم وجود قرينة تجوب أحدهما دون الآخر ، حرصاً على سلامة المعنى . فإن وجدت القرينة وجب الخضوع لما تقتضيه ، كالأشأن معها في سائر المسائل . وإن لم توجد فالحكم بجواز الأمرين سائغ^(١) .

(ب) من الأسماء ما هو نكرة في اللفظ ، معرفة في المعنى ؛ مثل كلمة : « أول » في نحو : كان سفرى إلى الشام عاماً « أول » . أى : في العام الذى قبل العام الذى نحن فيه . ومثل : كان وصلى هنا « أول » من أمس . أى : في اليوم الذى قبل أمس . فدلّل كلمة : « أول » - في الأسلوب العربى السابق - لا إيهام فيه

(١) أشرنا للحكم السالف في باب « الحال » من الجزء الثانى ، ص ٣٦٧ م ٨٤ - وفي الجزء الثالث باب التعت « ص ٤٦٠ م ١١٤ .

ولا شيوع مع أن الكلمة نكرة ، ولا تستعمل فيه إلا نكرة ؛ محاكاة للأساليب
الفصيحة الواردة . وتجري عليها أحكام النكرة ؛ كأن يكون موصوفها نكرة^(١) . . .
ومن الأسماء ما هو معرفة في اللفظ ، نكرة في المعنى ، مثل : « أسامة »
« أئى : أسد » : فهو علم جنس على الحيوان المفترس المعروف ، وهو من هذه
الجهة التي يراعى فيها لفظه ، شبيه بالعلم : « حمزة » - وغيره من الأعلام
الشخصية - في أنه لا يضاف ، ولا تدخله « أل » ، ويجب منعه من الصرف ،
- إذا تحققت دواعى المنع - ويوصف بالمعرفة دون النكرة ، ويقع مبتدأ ، وصاحب
حال^(٢) . . . ولكنه من جهة أخرى معنوية غير معين الدلالة ؛ إذ مدلوله شائع بين
أفراد جنسه ، مبهم : فهو مثل كلمة : « أسد » في الدلالة^(٣) .

(ح) ومن الأسماء صنف مسموع يصلح للحالين بصورته المسموعة عن العرب
مثل كلمة : « واحد » في قولهم ؛ « واحد أمه » . ومثل كلمة : « عبد » ، في
قولهم : « عبد بطنه » ؛ فكل واحدة منهما يصح اعتبارها معرفة ؛ لإضافتها
للمعرفة ، ويصح اعتبارها نكرة منصوبة على الحال عند النصب . ومثلها :
المبدوء « بأل » الجنسية^(٤) ؛ مثل : الإنسان أسير الإحسان ، فهو من ناحية المظهر
اللفظي معرفة : لوجود « أل » الجنسية . ومن جهة المعنى نكرة ، لشيوعه ؛ ولأن معناه
عام مبهم ؛ فكأنك تقول : كل إنسان . . . وكل إحسان . . . فلا تعيين ،
ولا تحديد ، فهو صالح للاعتبارين كما سبق^(٥) ،

وستجىء إشارة لهذا في باب : الحال ج ٢ ص ٣١١ م ؛ ٨ وفي باب : النعت

ج ٣ ص ٣٨٠ م ١١٤ .

(١) سيجىء لها بيان آخر في باب : « الظروف » ج ٢ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ م ٧٩ - وفي ج ٣ ص
١٤٩ ١٤٩ م ١٥٢ ٩٥ باب : « الإضافة » .

(٢) لأن الغالب على المبتدأ وصاحب الحال أن يكونا معرفتين ، إلا في مواضع محددة معروضة في بابيهما .

(٣) سيجىء الإيضاح الوافي لعلم الجنس ، ومعناه ، وأحكامه - في هذا الباب عند الكلام على العلم
بنوعيه ؛ الشخصى والجنسى . (ص ٢٨٦ وما بعدها) .

(٤) راجع أحكامهما في ص ٤٢٥ وما بعدها .

(٥) راجع حاشية ياسين (ج ١) أول باب : النكرة والمعرفة . وكذلك المجمع ج ١ ص ٥٤ ، أول هذا

الباب ، حيث قال بعد كلامه على ما فيه « أل الجنسية » إنه :
« من قبيل اللفظ معرفة ، ومن قبيل المعنى - لشياعه - نكرة ، ولذلك يوصف بالمعرفة اعتباراً بلفظه ،

وبالنكرة ؛ اعتباراً بمعناه . . . »

لكنه لم يقيد نوع الوصف بمفرد أو غير مفرد . فهل يجوز وصفه بالمفرد النكرة مع وجود « أل الجنسية » ؟
يبدو الأمر غريباً غير معروف لنا . أما وصفه بالجملة أو شبه الجملة فجائز . كما يجوز اعتبارها حالين .
فلا اختلاف في اعتبار الجملة وشبهها صفة أو حالا . ولعل الواجب الاختصار في الوصف عليهما ، دون
الوصف بالمفرد لأسباب لغوية أخرى .

المسألة ١٨ :

الضمير^(١)

تعريفه : (اسم جامد يدل على : متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب) فالمتكلم
مثل : أنا^(٢) ، والتاء ، والياء ، ونحن ، ونا . نحو : أنا عرفتُ واجبي - نحن
عرفنا واجبنا . . . وأدّيناها كاملاً .

والمخاطب مثل : أنت ، أنت^(٣) . . . أنتم ، أنتم . أنتن ، والكاف ، وفروعها . .
في نحو : إن أباك قد صانك . . .

والغائب^(٤) مثل : هي ، هو ، هما ، هم ، هن ، والهاء في مثل : يصون الحر
وطنه بحياته^(٥) . . . وكذا فروعها . . .

(١) الضمير والمضمر : بمعنى واحد ، وقد يعبر عنهما في بعض المراجع القديمة : بالكناية ،
والمكنى ؛ لأنه يكنى به (أى : يرمز به) عن الظاهر ؛ اختصاراً ؛ لأن اللبس مأمون - غالباً - مع الضمير .
(٢) الغالب في كتابة الضمير : « أنا » إثبات ألف في آخره . وأكثر القبائل العربية يثبت هذه
الألف أيضاً عند الوقف ، ويحذفها عند وصل الكلام وفي درجته . ومنهم من يحذفها في الوقف أيضاً ، ويأتى
بهاء السكت الساكنة بدلاً منها ، فيقول عند الوقف : أنه . وقليل منهم يثبت الألف وصلًا ووقفًا ؛ ففيها
لغات متعددة ، أقواها وأشهرها إثباتها في الكتابة دائماً ، وعند الوقف ، وحذفها في وسط الكلام . وقد أدى
هذا الخلاف إلى البحث في أصل الضمير : « أنا » أثلاث هو : لأن الألف في آخره أصلية ، أم ثنائى
لأنها زائدة ، جاءت إشباعاً للفتحة ، وتبييناً لها عند الوقف ؟ رأيان . لكل منهما أثره في نواح مختلفة ، منها :
التصغير والنسب .

(٣) التاء التي في آخر ضمير المخاطبة المؤنثة (مثل : أُنْتِ) هي للخطاب وليست للتأنيث ، وكذا التاء
التي في الضمير الدال على تثنيتها وجمعها ، نحو : أنتما يافتانان نبيلتان ، وأنتم ياطالبات العلم نبيلات .
- ولهذا إشارة في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٦ - وسيجيء البيان في م ٦٦ باب : « الفاعل » ج ٢ عند الكلام
على الحكم السادس من أحكامه ص ٧٤ وهامشها ، وما يليها .

(٤) إذا رفع اسم الفاعل - أو غيره من المشتقات العاملة - ضميراً مستتراً وجب أن يكون للغائب
دائماً ، ويعود على غائب ؛ طبقاً للبيان الآتى في « ط » من ص ٢٧٠ .

(٥) لا بد في الضمير من أن يكون اسماً ، وجامداً ، معاً . « ا » فأما أنه اسم فلا نطابق بعض
علامات الاسم عليه - وقد تقدمت ، في ص ٢٦ وما بعدها - كالإسناد في ضائير الرفع ، والمفعولية في ضائير
النصب ، وقبول الجر في غيرهما ، وهناك كلمات الواحدة منها تدل على التكلم ، أو الخطاب ، أو الغيبة ، ولا تسمى
ضميراً ؛ لأنها حرف وليست اسماً ؛ من ذلك قول العرب : النِّجاءُ لك « بمعنى : النجاة لك ، أى : النجاة لك .
(النجاة ، مفعول به لفعل محذوف تقديره : اطلب . وسيجيء في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٠ أنه يجوز فيها أن =

ويسمى ضمير المتكلم والمخاطب : « ضمير حضور » ، لأن صاحبه لا بد أن يكون حاضراً وقت النطق به ^(١).

حكم الضمير :

الضمير بأنواعه الثلاثة السالفة ، اسم ، جامد ، مبنى ، وبسبب بنائه لا يثنى ، ولا يجمع — فلا تدخله العلامة الخاصة بالثنية أو الجمع . إنما يدل بذاته وتكوين صيغته ، على المفرد المذكر ، أو المؤنث ، أو على المثنى بنوعيه المذكر والمؤنث معاً ^(٢) ، أو على الجمع المذكر ، أو المؤنث — ، كما يتضح من الأمثلة السابقة وما يأتي — ومع دلالة على الثنية أو الجمع لا يسمى مثنى ، ولا جمعاً .

= تكون اسم فعل أمر بمعنى : أسرع) فهذه « الكاف » تدل على الخطاب ، مع أنها ليست ضميراً ؛ إذ لو كانت ضميراً لكانت كالضمير ، لها محل من الإعراب ؛ رفعا ، أو نصبا ، أو جراً ، وهي لا تصلح لشيء من ذلك ؛ إذ لا يوجد في الكلام ما يقتضى أن تكون في محل رفع مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو غير ذلك مما يجعلها في محل رفع وليس في الكلام كذلك ما يقتضى أن تكون في محل نصب . ولا يصح أن تكون في محل جر ؛ إذ لا يوجد حرف جر يحجرها ، ولا يوجد مضاف تكون بعده مضافة إليه في محل جر ؛ لاستحالة أن يكون مثل هذا المضاف مقروناً بال ، ولا يوجد سبب آخر للجر ؛ كالنبتية . وإذا ليس لها محل من الإعراب . ويتبع هذا ألا تكون اسماً ؛ لأن الاسم له — في الغالب — محل إعرابي ؛ وكذلك لا تصلح أن تكون فعلاً ؛ فلم يبق إلا أن تكون حرفاً يدل على الخطاب ، من غير أن يسمى ضميراً .

ويقال على ما سبق : « التَّجَاوَى » و « النَّجَاء » ؛ بمعنى : « النجاة » ، والنجاء له ، أو تكون فعل أمر ، بمعنى : أسرع ؛ أيضاً .

وما سبق يقال في اسم الإشارة الذي في آخره علامة للخطاب ؛ مثل : ذلك الكتاب ؛ فإن الكاف حرف خطاب ؛ وليست اسماً ؛ كالشأن في كل علامات الخطاب التي في أسماء الإشارة وبعض ألفاظ أخرى (انظر ص ٢٣٨ وما بعدها ، ورقم ٢ من هامش ص ٣٢٤ كما سيحىء التفصيل في باب اسم الإشارة) .

« ب » وأما أنه جامد فلمعوم وجود أصل له ، ولا مشتقات . وبعض الألفاظ المشتقة قد تدل بنفسها وبصيغتها مباشرة على ما يدل عليه الضمير ، مع أنها لا تسمى ضميراً ؛ لعدم جمودها ؛ مثل : كلمة : « متكلم » ؛ فإنها تدل على التكلم ، ومثل كلمة : « مخاطب » ؛ فإنها تدل على التخاطب ، ومثل كلمة : « غائب » ؛ فإنها تدل على الغياب . . .

هذا ، والضمير من الألفاظ التي لا تصلح أن تكون نعتاً ولا منعوتاً (كما سيحىء في باب النعت ، ج ٣ ص ١١٤ ص ٤٥٠) .

(١) إلى بعض ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ ، كَانَتْ ، وَهُوَ ، سَمِ بِالْضَّمِيرِ

(٢) فلا ضمير يختص بأحدهما دون الآخر .

ينقسم الضمير إلى عدة أقسام ، بحسب اعتبارات مختلفة :

(أ) ينقسم بحسب مدلوله إلى ما يكون للتكلم فقط ، وللخطاب . فقط ؛ وللغيبه كذلك . - وقد سبقت الأمثلة - وإلى ما يصلح للخطاب حيناً ، وللغيبه حيناً آخر ؛ وهو : ألف الاثنين ، وواو الجماعة ، ونون النسوة . فثال ألف الاثنين اكتبوا : يا صادقان ، والصادقان كتبوا ، والصادقان كتبوا . ومثال واو الجماعة : اكتبوا يا صادقون ، والصادقون كتبوا . ومثال نون النسوة : اكتبن يا طالبات . والطالبات كتبن ^(١) ...

(ب) وينقسم بحسب ظهوره في الكلام وعدم ظهوره إلى : بارز ومستر ؛ فالبارز : هو الذي له صورة ظاهرة في التركيب ، نطقاً ^(٢) وكتابة ، نحو : أنا رأيتك في الحديقة . فكل من كلمة : أنا ، والتاء ، والكاف - ضمير بارز . والمستر ^(٣) . ما يكون خفياً ^(٣) غير ظاهر في النطق والكتابة ؛ مثل : ساعد

(١) وعلى ذكر نون النسوة كان القدماء يؤرخون فيقولون في رسائلهم ومكاتباتهم مثلاً . كتبت هذه الرسالة لسبع خلون من رمضان ، أو لخمس بقين منه . فهل يصح أن يقال في هذا وفي نظائره ما لا يعقل لسبع خلوت ، أو لخمس بقيت ؟ موجز الإجابة في ص ٢٦٥ والتفصيل في مكانه الأنسب (ج ٤ ص ٥٢٤ م ١٦٧ - آخر باب : العدد - حيث بيان الاستعمال الفصح في طريقة التاريخ واستخدامه) .

(٢) وقد يكون الظهور في النطق غير ميسور أحياناً - لوقوع ساكن بعد الضمير الساكن - فيستدل على بروز الضمير بشيء آخر كد الصوت بالحركة قبله في ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة كما في نحو : اكتبوا .. ، اكتبوا .. ، اكتبى ... فإن هذه الضمائر ظاهرة في الكتابة دون النطق : والذي يدل على الضمير البارز هو مد الصوت بالحركة قبله وقد سبق في رقم ٥٠ من ص ٢ ورقم ٢ من هامش ص ١٥٩ و ١٤٤ أنه لا حرج على من يدفع اللبس بالمد عند التقاء الساكنين ... إلخ . وقرار المجمع اللغوي في ذلك .

(٣) المستر في حكم الموجود الملفوظ به ، مع أنه غير مذكور في اللفظ ولا يسمى محذوفاً ، لأن هناك فرقاً بين الضمير المستر والضمير المحذوف ؛ فالمستر في حكم الموجود المنطوق به ، كما قلنا ، أما المحذوف فإنه كان ملفوظاً به ثم ترك وأهمل ، فليس في حكم الموجود . يدلك على هذا أنهم يقولون : لو سميت شيئاً بكلمة : « ضرب » التي استر فيها الضمير لوجب حكايتها مع الضمير المستر كما تحكى الجملة ، بغير تغيير مطلقاً في جميع الحالات الإعرابية ، وتصدر « ضرب » مع فاعلها المستر من جهة حكما عند الحكاية مثل جملة : « ضرب الرجل » التي ظهر فيها الفاعل ؛ فهما في حكم الحكاية سواء . أما إذا سميت بكلمة : « ضرب » المحذوف منها الضمير الفاعل لسبب والأصل ضربت ، مثلاً فإنها تعرب على حسب الجملة كما سيجيء في باب العلم مفصلاً (ص ٣٠٤ وما بعدها ، وفي رقم ٢ من هامش ص ٣١٠) والمستر لا يكون إلا من ضمائر الرفع ، فهو في محل رفع دائماً ، أما المحذوف فيكون من ضمائر الرفع وغيرها ، ولهذا يكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب الموقع .

والصحيح أن المستر نوع من الضمير المتصل الذي سيجيء تفصيله ، وليس نوعاً من المنفصل ، =

غيرك يساعدك؛ فالفاعل لكل من الفعلين ضمير مستتر تقديره في الأول :
« أنت » وفي الثاني : « هو » .

والبارز قسيان ، أولهما : المتصل . وهو : « الذي يقع في آخر الكلمة دائماً ، ولا يمكن أن يكون في صدرها ولا في صدر جملتها » ؛ إذ لا يمكن النطق به وحده ، بسبب أنه لا يستقل بنفسه عن عامله ؛ فلا يصح أن يتقدم على ذلك العامل مع بقائه على إعرابه السابق قبل أن يتقدم ؛ كما لا يصح أن يفصل بينهما - في حالة الاختيار - فاصل من حرف عطف ، أو أداة استثناء ؛ كيلا ، أو غيرهما^(١) .
ومن أمثلة الضمائر المتصلة بآخر الأفعال ؛ التاء المتحركة ، وألف الاثنين ، وواو الجماعة ، ونون النسوة ، وذلك كله في مثل : سمعت النصح ، والرجلان سمعا ، والعلاء سمعوا ، والفاضلات سمعن . فليس واحد من هذه الضمائر بممكن أن يستقل بنفسه فيقع أول الكلمة قبل عامله ، ولا أن يتأخر عنه مع وجود فاصل بينهما^(٢) .

= ولا نوعاً مستقلاً بنفسه يسمى : « واسطة » بين المتصل والمنفصل . (راجع الخصري وهامش التصريح عند الكلام على الضمير المستتر . . .)

والمستتر ركن أساسي في الجملة ، لا يتم معناها بغيره ، فلا بد منه ؛ لأنه « عمدة » كما يسمونه ، أى : لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً ، (إلا في بعض حالات قليلة كالربط بين الخبر والمبتدأ) وأشياء ذلك وأما غيره فقد يستغنى عنه إذا عدم من الجملة .

وبهذه المناسبة يقول النحاة إن الضمير البارز له وجود في اللفظ ولو بالقوة ، فيشمل المحذوف في مثل : جاء الذى أكرمت . أى : أكرمته . لإمكان النطق به ؛ أولأنه نطق به أولاً ثم حذف ، بخلاف الذى استتر فإنه لا وجود له في اللفظ ، لا بالفعل ، ولا بالقوة . فأمره عقل ؛ إذ لا يمكن النطق به أصلاً ، وإنما يستعيرون له المنفصل في مثل : قاتل في سبيل الله ؛ فيقولون : إن الفاعل ضمير مستتر تقديره : أنت ؛ وذلك للتقريب . وبهذا يحصل الفرق بين المستر والمحذوف . هذا إلى أن المستر أحسن حالاً من المحذوف ؛ لأنه يدل عليه اللفظ والعقل بغير قرينة فهو كالموجود ؛ ولذلك كان خاصاً بالعمد . أما المحذوف فلا بد له من القرينة . وهكذا قالوا !!

(١) انظر أول هامش في ص ٢٢٣ .

(٢) يقول ابن مالك :

وذو اتّصال مِنْهُ مالا يُبتدأ ولا يَلِي «إِلَّا» اختياراً ، أبداً
كالياء ، والكافِ ، من : «ابْنِي أَكْرَمَكَ» والياءُ وَالْهَاءُ من : «سَلِيهِ مَا مَلَكُ»
ما لا يبتدأ ، أى : ما لا يبتدأ به . ومثّل للمتصل بما يأتي : (لضمير المتكلم المجرور) .. بالياء
في «ابْنِي» ، (والمخاطب المنصوب المحل ..) بالكاف في : «أكرمك» ؛ (والمخاطب والمرفوع المحل
معاً) بياء المخاطبة ، في : «سَلِيهِ» . وللغائب المنصوب المحل بالهاء من : سَلِيهِ . =

ثانيهما : المنفصل ؛ وهو الذى يمكن أن يقع فى أول جملته ، وبيندى الكلام به ؛ فهو مستقل بنفسه عن عامله ؛ فيسبق العامل ، أو يتأخر عنه مفصلاً بفواصل ؛ مثل : أنا ، ونحن ؛ وإياك . . . فى مثل : أنا نصير المخلصين . ونحن أنصارهم ، وإياك قصدت ، وما النصير إلا أنا ، وما المخلصون إلا نحن .

هذا ، وقد سبق^(١) حكم الضمائر ، وأنها : أسماء ، جامدة ، مبنية الألفاظ - سواء فى هذا ما ذكرناه وما سذكره بعد - وأنها لا تنثنى ولا تجمع^(٢) وينقسم المتصل بحسب مواقعه من الإعراب إلى ثلاثة أنواع :

أولها : نوع يكون فى محل رفع فقط ؛ وهو خمسة ضمائر : التاء المتحركة للمتكلم ؛ نحو : صدقتُ ، وكذلك فروعها^(٣) ، وألف الاثنين : نحو : المتعلمان

= وبمناسبة « الهاء » التى للغائب المفرد نقول إن الأشهر فى حركتها أن تكون مبنية على الضم . إلا إذا كان قبلها كسرة ، أو ياء ساكنة ؛ فيجوز أمران ؛ المجازيون يضمونها ، وغيرهم يكرهها . وبلغة المجازيين قرأ القراء (وما أنسانيه إلا الشيطان) (ومن أوفى بما عاهد عليه الله . . .) (إذ قال لأهله امْكُثُوا) وقرأ آخرون بالكسر . ويفهم مما سبق أن المجازيين يبنونها على الضم فى كل حالاتها . وهى فى جميع أحوالها تكون مشبعة الحركة إذا وقعت بعد متحرك ؛ فيمتد الصوت بحركتها حتى يكاد يحدث فى النطق - لا الكتابة - ، حرف علة مناسباً لتلك الحركة ؛ فبعد الضمة الواو ، وبعد الكسرة الياء . أما إذا كانت متحركة بعد ساكن مطلقاً ، إلا الياء فالأحسن ضمها من غير إشباع لحركتها ؛ سواء أكان الساكن صحيحاً ، نحو : « منه » ، أم معطلاً بغير ياء ؛ مثل : « أباه ، أبوه » . . . أما الساكن الياء فقد سبق الكلام فيه . (ثم انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٢٣ ، وما بينهما من اختلاف) .

(١) فى ص ٢١٨ . وفى هذا يقول ابن مالك :

وَكُلُّ مُضْمَرٍ لَهُ الْبِنَاءُ يَجِبُ وَلَفْظُهُ مَا جُرَّ كَلَفْظُهُ مَا نُصِبَ

أى : المضمرات كلها مبنية ، لا فرق فى ذلك بين ما يكون محله الجر ، أو محله النصب ، وترك ابن مالك ما يكون محله الرفع بسبب ضيق النظم - وهو مبنى أيضاً . فكل ضمير لا بد أن يكون لفظه مبنياً ؛ إما على السكون ، وإما على حسب حركة آخره . ولا بد أن يكون بعد ذلك فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب حاجة الجملة . وهذا معنى قولهم : إن الضمير مبنى اللفظ ، معرب المحل .

(٢) انظر الحكم فى ص ٢١٨ .

(٣) التاء المتحركة التى للمتكلم هى الأصل ، وتبنى على الضم ؛ مثل : صدقتُ . وفروعها الخمسة هى : صدقتَ ؛ للمخاطب المذكور . صدقتِ ، للمخاطبة . صدقتُما ، للمثنى المخاطب ، مذكراً ومؤنثاً . صدقتُم ، لخطاب جمع الذكور . صدقتُن ، لخطاب جمع الإناث . وهناك حالة يجب فيها بناء تاء المخاطبة على الفتح دائماً . وستجىء فى ص ٢٣٨ .

ومن الأمثلة السابقة نعلم أن التاء التى هى ضمير متصل مرفوع - تبنى على الضم إذا كانت للمتكلم ، =

صَدَقَا ، وَاوَا الْجَمَاعَةَ ، نَحْوُ : الْمُتَعَلِّمُونَ صَدَقُوا^(١) ، وَنَوْنُ النِّسْوَةِ ؛ نَحْوُ .
الْفَتَيَاتِ صَدَقْنَ ، وَبَاءُ الْمُخَاطَبَةِ ، نَحْوُ : اصْدُقْ يَا مُتَعَلِّمَةً^(٢) .

ثَانِيهَا : نَوْعٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ مَحَلِّ النِّصْبِ وَمَحَلِّ الْجَرِّ ، إِذْ لَا يَوْجَدُ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ
خَاصٌّ بِمَحَلِّ النِّصْبِ ؛ وَلَا ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ خَاصٌّ بِمَحَلِّ الْجَرِّ . وَهَذَا النَّوعُ الْمُشْتَرَكُ
بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ ضَمَائِرَ^(٣) ؛ بَاءُ الْمُتَكَلِّمِ ، وَكَافُ الْمُخَاطَبِ بِنَوْعِيهِ ؛ وَهَاءُ الْغَائِبِ بِنَوْعِيهِ .

= وَتَبْنَى عَلَى الْفَتْحِ إِذَا كَانَتْ لِلْمُخَاطَبِ الْمَذْكُورِ ، وَتَبْنَى عَلَى الْكَسْرِ إِذَا كَانَتْ لِلْمُخَاطَبَةِ ؛ وَتَلْتَزِمُ الْبِنَاءَ عَلَى
الْفَتْحِ فِي الْحَالَةِ الْمَعْنِيَةِ الَّتِي أَشْرْنَا لَهَا وَاسْتَجَى فِي ص ٢٣٨ وَتَوْصِلُ وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الضَّمِّ بِمِيمٍ وَأَلْفٍ ؛
لِلدَّلَاةِ عَلَى خُطَابِ اثْنَيْنِ أَوْ اثْنَتَيْنِ . وَكَذَلِكَ تَوْصِلُ وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الضَّمِّ . بِمِيمٍ سَاكِنَةٍ لِلدَّلَاةِ عَلَى خُطَابِ جَمْعِ
الذَّكَورِ ، وَبِنَوْنٍ مُشَدَّدَةٍ لِلدَّلَاةِ عَلَى خُطَابِ جَمْعِ الْإِنَاثِ . « انْظُرْ إِعْرَابَ الضَّمَائِرِ ص ٢٣٦ » .
وَإِذَا وَلَّى الْمِيمُ السَّاكِنَةُ الَّتِي لَجَمْعِ الذَّكَورِ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ جَازِئٌ مِيمٍ وَإِشْبَاعٌ حَتَّى يَنْشَأَ : مِنَ الْإِشْبَاعِ وَאו
مِثْلُ : هَذَا ضَيْفٌ أَكْرَمْتُمُوهُ ، وَمَعْنَى صَدِيقٍ صَافِحْتُمُوهُ . وَجَازَ إِبْقَاءُ الْمِيمِ سَاكِنَةٍ . وَلَكِنْ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَكْثَرُ
وَالْأَشْهُرُ . فَيَحْسُنُ الْاِقْتِصَارُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ مَالِكٍ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِقَوْلِهِ :

وَأَلِفٌ ، وَالْوَاوُ ، وَالنُّونُ ، لِمَا غَابَ وَغَيْرُهُ ؛ كَقَامَا ، وَاعْلَمَا
وَالْمُرَادُ بِغَيْرِهِ : الْمُخَاطَبُ فَقَطْ ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ لِلْغَائِبِ وَالْمُخَاطَبِ ، وَلَا تَكُونُ لِلْمُتَكَلِّمِ .

(١) بِمَعْضِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَةِ يَجْذِفُ وَاوُ الْجَمَاعَةِ ؛ اِكْتِفَاءً بِالضَّمَّةِ الَّتِي قَبْلَهَا . قَالَ الْفَرَّاءُ فِي كِتَابِهِ :
(« مَعَانِي الْقُرْآنِ » ج ١ ص ١٩) مَا نَصَّهُ : « قَدْ تَسْقُطُ الْعَرَبُ الْوَاوُ وَهِيَ وَاوُ الْجَمَاعَةِ ؛ اِكْتِفَاءً بِالضَّمَّةِ قَبْلَهَا
فَقَالُوا فِي : « ضَرَبُوا » ؛ قَدْ ضَرَبُوا ، وَفِي : قَالُوا : قَدْ قَالَ . وَهِيَ فِي هَوَازَنٍ وَعُلْيَا قَيْسٍ ... » ثُمَّ اسْتَشْهَدَ
أَيْضًا بِأَبْيَاتٍ سَمِعَهَا مِنْهُمْ كَقَوْلِ قَائِلِهِمْ : فَلَوْلَانِ الْأَطْبَاءُ كَانَ عِنْدِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الْأَسَاءَةُ ...
- وَالْأَسَاءَةُ جَمْعُ آسٍ ، وَهُوَ هَذَا مِنْ يَمَالِجِ الْجَرْحِ - .

(٢) وَلَا تَكُونُ ضَمَائِرُ إِلَّا عِنْدَ اتِّصَالِهَا بِالْأَفْعَالِ : أَمَّا إِذَا اتَّصَلَتْ بِالْأَنْعَاءِ مِثْلُ : الْقَائِمَانِ ،
الْقَائِمُونَ - فَهِيَ حُرُوفٌ دَالَّةٌ عَلَى التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ -

(٣) هَذِهِ الضَّمَائِرُ لَا تَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا ؛ وَلَكِنَّهَا قَدْ تَقَعُ أحياناً بَعْدَ « لَوْلَا » الَّتِي
لِلامْتِنَاعِ ؛ وَالَّتِي لَا يَقَعُ بَعْدَهَا إِلَّا الْمَبْتَدَأُ ؛ فَيَقَالُ : « لَوْلَايَ » لَتَمِيتَ . وَ« لَوْلَاكَ » لَمْ أَحْتَمِلْ مَشَقَّةَ
الْحَضُورِ ، وَ : « لَوْلَاها » لِنَضَاجَتِ فُرْصَةِ الْمَعَاوَنَةِ الْكَرِيمَةِ . فَكَيْفَ نَعْرَبُ هَذَا الضَّمِيرَ الْوَاقِعَ بَعْدَ « لَوْلَا » ؟
إِنْ سَيِّبُوهُ يَمْرُبُ : « لَوْلَا » حَرْفٌ جَرِّ شَبِيهِ بِالزَّائِدِ ، وَمَا بَعْدَهُ مَجْرُورٌ لِقَظاً فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مَبْتَدَأٌ ، وَغَيْرُهُ يَجْذِفُ
- كَمَا سَبَّجِي - « فِي ب مِنْ ص ٢٤١ - فِي مَوْضُوعِ الْكَلَامِ عَلَى إِعْرَابِ الضَّمِيرِ - لَكِنْ قُلْنَا هُنَاكَ إِنْ الْأَفْضَلُ
اعْتِبَارُ هَذَا النَّوعِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ فِي حَالَةِ وَقُوعِهِ بَعْدَ « لَوْلَا » فَقَطْ ؛ فَيَكُونُ مَبْتَدَأً مَبْنِيّاً عَلَى حَرَكَةِ آخِرِهِ فِي مَحَلِّ
رَفْعٍ . وَلَا يَجُوزُ اعْتِبَارُهُ ضَمِيرٌ رَفْعٍ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَقَطْ . وَإِذَا وَقَعَ ضَمِيرٌ مِنْ هَذِهِ الضَّمَائِرِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ عَسَى
مِثْلُ : « عَسَانِي » أَوْ عَسَايَ أَوْ قَفَى » ؛ أَوْ : عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ ؛ أَوْ : عَسَاهُ أَنْ يَجْتَنِبَ الْإِسَاءَةَ ؛ فَإِنْ خِيرَ
مَا يَقَالُ هُوَ اعْتِبَارُ « عَسَى » حَرْفاً بِمَعْنَى : « لَعَلَّ » مِنْ أَخَوَاتِ « إِنْ » وَالضَّمِيرُ اسْمُهَا - كَمَا سَبَّجِي فِي : =

فأما ياء المتكلم فمثل : ربي أكرمني^(١) (فالياء الأولى في محل جر ، لأنها مضاف إليه ، والياء الثانية في محل نصب ، لأنها مفعول به) .

وأما كاف المخاطب فيهما فمثل : لا ينفعك إلا عملك . (فالكاف الأولى في محل نصب . لأنها مفعول به^(٢) ؛ والكاف الثانية في محل جر ، لأنها مضاف إليه^(٣) .
وأما هاء الغائب^(٤) بنوعيه المذكر والمؤنث فمثل : من يتفرغ لعمله يحسنه .

= « د » من ص ٦٢٦ ، باب أفعال المقاربة ، والشروع ، والرجاء ، وفي رقم ٢ من هامش ص ٦٢٨ باب : « إن وأخواتها » -

وهذه المناسبة نذكر أن الياء في مثل : قومي ياهند ، تختلف عن الياء في نحو : ربي أكرمني . لأن الياء في : « قومي » للمخاطبة ، فهي فاعل في محل رفع . بخلافها في المثال الأخير الذي وقعت فيه الياء الأولى للمتكلم في محل جرباً بالإضافة ؛ والثانية في محل نصب مفعول به .

كما أن الضمير الذي يتصل بآخر الفعل في مثل : الرجلان عرفهما علي . الرجال عرفهم . المسافرين عرفهم - هو ضمير بارز متصل يختلف تماماً عنه إذا وقع في ابتداء جملة ، أو وقع فيها بعد كلمة : « إلا » في مثل : هما عرفا ، وهم عرفوا ، وهن عرفن ، وما عرف إلا هما ، أو هم ، أو هن ؛ لأنه حين تقدم أو حين وقع بعد « إلا » لم يبق على إعرابه الأول مفعولاً لعامله ؛ وإنما صار مبتدأ أو : فاعلاً على حسب السياق ؛ فتغير إعرابه بعد التقدم ؛ فصار نوعاً آخر مخالفاً للسابق ؛ طبقاً لما تقدم في تعريف المتصل - ص ٢٢٠ - (١) متى يجوز حذف ياء المتكلم من آخر الأفعال ؟ الجواب في رقم ٥ من هامش ص ١٨٦ .

(٢) قد تقع كاف الخطاب - أحياناً . حرفاً مجرداً للخطاب ؛ فلا يكون له محل من الإعراب ؛ كالتى في آخر أسماء الإشارة وبعض الأسماء الأخرى مما سبق « في رقم ٥ من هامش ص ٢١٧ » ؛ وما سنفصله عند الكلام على إعراب الضائر (ص ٢٣٦ وما بعدها ولا سيما ص ٢٣٨) .

(٣) مما يجب التنبيه له . أن هاء المفرد الغائب تكتب مفردة ؛ أى : لا يتصل - كتابة - بها حرف ناشئ من إشباع حركتها ؛ تقول : من يتفرغ لعمله يحسنه ، ويحمده الناس على إحسانه وإجادته . أما إن كانت الهاء للغائبة المفردة فيجب - في الأفصح - زيادة الألف بعدها متصلة بها نطقاً وخطاباً ؛ نحو : من تتفرغ لعملها يحمدها الناس على تفرغها ، وإحسانها ، وإجادتها .

(راجع أول الهامش ص ٢٢١ وما بينهما من اختلاف في بعض الحالات) .

وكذلك يجب أن يزداد بعدها كتابة ونطقاً : « ما » إن كانت هذه الهاء لضمير الغائب المثني بنوعيه ؛ مثل : الوالد والجد هما أحق الناس بالرعاية ، ولهما أعظم الفضل على أبنائهما . والوالدة والجددة أعطف الناس على أطفالهما ، وشفتقتهما لا تمدهما شفقة . فإلهما هي الضمير المتصل وبعدها « الميم » حرف عماد ، والألف حرف دال على مجرد الشبهة .

وكذلك يجب أن يزداد بها « الميم » الدالة على جمع الذكور الغائبين ، والنون المشددة الدالة على جمع الإناث الغائبات ، نحو : خير الناس أنفعهم للناس ، وخير النساء أحرصهن على الكمال . لكن أياً كان الضمير هو الهاء فقط والحروف التى بعدها زائدة للفرق بين ضمير المفردة والمفرد وغيرهما ، أم يكون الضمير مجموع الاثنين ، « الهاء » والأحرف الزائدة ؟ رأيان . والخلاف لفظي لا أثر له من الناحية العملية . . والمستحسن مراعاة الأمر الواقع ؛ والأخذ بالرأى الذى يعتبر الضمير هو مجموع الاثنين ؛ لأنه رأى يراعى التفرقة =

أم ؛ من تنفرغ لعملها تحسنه (فالهاء الأولى في المثالين في محل جر ، لأنها مضاف إليه ، والهاء الثانية في محل نصب ؛ لأنها مفعول به) .
 ثالثها : نوع مشترك بين الثلاثة : وهو ؛ (نا) نحو : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) . فالأولى في محل جر . لأنها مضاف إليه ؛ والثانية في محل نصب ، لأنها مفعول به ^(١) - كما سبق - والثالثة والرابعة في محل رفع ؛ لأنها فاعل ^(٢) .
 وبما سبق نعلم أن للرفع ضمائر متصلة تختص به ، وليس للنصب وحده أو الجر وحده شيء خاص به .

= الواقعة فعلا بين ضمير المفردة الغائبة وضمير المفرد الغائب - وغيرها - . فوق أنه عمل واقعي فيه تيسير .
 وعلى أساسه يقول أصحابه : الضمير للمفرد المذكر الغائب هو : « الهاء » وحدها ؛ والمفردة الغائبة : « ها » والمثنى بتوحيه : « هما » ، وجمع الذكور : « هم » وجمع الإناث : « هن » والفرق واضح بين الاثنين في ثلاثة أمور ؛ في النطق ، وفي الكتابة ، وفي المعنى . وعليه العمل الآن . ولهذا نظير يجيء في ص ٢٣٥ -
 وجدير بالملاحظة أن الضمائر الثلاثة السالفة (هما - هم - هن) بالاعتبار السالف هي ضمائر متصلة حتماً ، ولا يصح اعتبارها من نوع الضمائر المرفوعة المنفصلة أصالة ، لأن المرفوعة أصالة ، كالتى تنجى في « هـ » ص ٢٣٦ - مركبة البنية في أصلها ، وليست مبنية على حرف واحد زيد على آخره حرف أو حرفان ؛ فالفرق بين النوعين كبير برغم ظاهرها ؛ فأحدهما قد نشأ فردى الصيغة والتكوين ، ثم زيد على آخره حرف أو حرفان ، والآخر قد نشأ من أول أمره مركب الصيغة ؛ فهما مختلفان في أصلهما ، كاختلافهما في كثير من الأحكام .
 (١) إذا كانت « نا » في آخر الفعل الماضى فقد تكون للفاعل ، ويبنى الفعل الماضى معها على السكون وجوباً ؛ نحو : خرجنا - حضرنا - كتبنا - فهمنا . وقد تكون للمفعول به ؛ فلا يبنى آخره على السكون لها ؛ نحو : أخرجنا الوالد من الحديقة ، وأحضرنا إلى البيت ، وأفهمنا ما يجب عمله .
 (٢) يقول ابن مالك :

لِلرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَجَرٍّ : (نا) صَلَحَ كاعْرِفَ بِنَا : فَإِنَّا نِلْنَا الْمَنَحَ
 والمعنى : صلح الضمير : (نا) للأمور الثلاثة ، أى ؛ لأن يكون في محل جر ، مثل : اعرف بنا (أى : اعترف بقدرنا ، أو : اشعر بنا) . ولأن يكون في محل نصب ، مثل : إنا . . . ، ولأن يكون في محل رفع ، مثل : نلنا .

(ملاحظة) لا يقال : (إن الضمير « الياء » يصلح للأمور الثلاثة مع دلالة على المتكلم في كل حالة فيكون شبيهاً بالضمير (نا) : مثل ؛ يفرحنى كونى حريصاً على واجبى . فالياء في الجميع للمتكلم ومحلها في الأول نصب (لأنها مفعول به) وفي الثانية رفع (لأنها اسم « كَوْنٌ » ؛ مصدر « كان » الناقصة) وفي الثالث جر ، لأنها مضاف إليه . كذلك الضمير : (هم) في مثل : يفرحهم كونهم حريصين على واجبه ؛ فإنه ضمير متصل في الجميع . ومحل نصب في الأول (لأنه مفعول به) . ورفع في الثانى (لأنه اسم « كَوْنٌ » ، مصدر كان الناقصة) وجر في الثالث لأنه مضاف إليه . لا يقال إن الضميرين السابقين مثل « نا » لأن « الياء » و « هم » في الأمثلة المذكورة وأشباهها وقعا في محل رفع بصفة عارضة ، ناشئة من أن المضاف هنا كالفعل يطلب مرفوعاً ؛ لا بصفة أصلية ، والكلام في الضمير المشترك بين الثلاثة بطريق الأصالة .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

روى أبو علي (القالى فى كتابه : « ذيل الأمالى والنوادر » ص ١٠٥) عن بعض الأعراب قول شاعرهم :

فها أنا للعشاق يا « عَزَّ » قائد وبى تُضرب الأمثالُ فى الشرق والغرب
والشائع (١) هو دخول : « ها » التى للتنبيه على ضمير الرفع المنفصل الذى خبره
اسم إشارة ؛ نحو : « هأنذا » المقيم على طلب العلوم . وغير الشائع دخولها عليه إذا
كان خبره غير اسم إشارة ؛ نحو : هأنا ساهر على صالح الوطن . . وهو — مع قلة
شيوعه — جائز ، لورود نصوص نظمية ونثرية ، فصيحة متعددة ، تكفى للقياس عليها .
منها قول عمر بن الخطاب يوم « أحد » حين وقف أبوسفیان بعد المعركة يسأل :
أين فلان ، وفلان ... من كبار المسلمين . فأجابه عمر . هذا رسول الله عليه السلام ،
وهذا أبو بكر ، وهأنا عمر . . . (٢) ومنها بيت لمجنون ليلي (٣) ، ونصه :

وعروة مات موتاً مستريحاً وهأنا ميتٌ فى كل يوم
كما روى صاحب الأمالى (٤) أيضاً البيت التالى لعوف بن مُحَلَّم ، ونصه :
ولوعا ، فَشَطَطَتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبِ فهأنا أبكى والفؤاد جريح
وقول سُهَيْم ، من شعراء صدر الإسلام :

لو كان يَسْغَى الفِداء قلت له هأنا دون الحبيب يا وجعٌ
ويترب على الحكم الشائع ما صرحوا به من جواز الفصل بين : « ها » التى
للتنبيه واسم الإشارة بضمير المشار إليه مثل : هأنذا أشجع النصح ، وهأنذا تعمل
الخير . وهأنتم أولاء تصنعون ما يفيد .

وقد يقع الفصل بغير الضمير قليلا — مع جوازه — كالقسم بالله فى مثل : ها
— والله — ذا رجل محب لوطنه ، و « إن » الشرطية فى مثل : ها إن ذى حسنة

(١) كما جاء فى حاشية الأمير على مقدمة كتاب : « المغنى » ولهذا إشارة فى ص ٣٣٧ .

(٢) النص فى ص ١١٠ من كتاب تنزيل الآيات شرح شواهد الكشاف .

(٣) كتاب : الذخيرة ، لابن بسام ، ج ٢ القسم الثانى .

(٤) ج ١ ص ١٢٣ .

تَشْكُرُ بِضَاعَفٍ ثَوَابَهَا. وقد تعاد «ها» التنبيه بعد الفاصل للتقوية ... ، نحو :
هَأَنْتُمْ هؤُلاءِ تَخْلَصُونَ .

* * *

وينقسم المنفصل بحسب مواقفه من الإعراب إلى قسمين : أولهما ؛ ما يختص
بمحل الرفع ، وثانيهما ما يختص بمحل النصب .

فأما الذى يختص بمحل الرفع [فأثنا عَشَرَ^(١)] ، موزعة بين المتكلم ، والمخاطب
والغائب ، على الوجه الآتى :

(أ) للمتكلم ضميران ، «أنا» للمتكلم وحده ، و «نحن» للمتكلم المعظم
نفسه ، أو معه غيره . (و «أنا» هو الأصل ، و «نحن» هو الفرع)^(٢) .

(ب) للمخاطب خمسة ؛ أولها ؛ - وهو الأصل - : «أنت» ، للمفرد المذكر ،
ثم الفروع : «أنت» للمخاطبة^(٣) المؤنثة ، «وأنتما» للمذكر المثني المخاطب ،
أو المؤنث المثني المخاطب ، «أنتم» لجماعة الذكور المخاطبين ، «وأنتن» لجماعة
الإناث المخاطبات .

(ج) للغائب خمسة ؛ أولها وأصلها : «هو» للمفرد الغائب . ثم فروعه :
«هى»^(٤) ، للمفردة الغائبة ، و «هما» للمثنى الغائب^(٥) : و «هم» لجمع الذكور
الغائبين ، و «هن» لجمع الإناث الغائبات^(٦) ؛

(١) وليس بين الضمائر المنفصلة ما هو مختص بمحل الجر أصالة (انظر رقم ١ من الهامش التالى) .
(٢) المراد بالفرع هنا : أن يكون الضمير دالا على معنى زائد لا يوجد فى الأصل . ذلك أن
الأصل فى الضمير - عندهم - أن يكون لواحد مذكر ؛ سواء أكان الواحد متكلماً ، أم مخاطباً ، أم غائباً ،
مثل : (أنا) فإىكون دالا على أكثر من واحد ، أو يكون دالا على التأنيث فهو فرع .
(٣) راجع ما يختص بهذه التاء فى الضمير : «أنت» وفروعه ، وأنها للخطاب ، وليست للتأنيث
برقم ٣ من هامش ص ٢١٧ .

(٤) الأصل أن تكون الهاء فى : «هو» مضمومة ، وفى : «هى» مكسورة . ويجوز تسكينها
بعد الواو ، أو : الفاء ؛ أو : ثم ، أو : اللام .

(٥) وإذا كان لمؤنثين غائبتين جاز فى المضارع بعده أن يكون مبدؤاً بالتاء - وهى الأكثر - أو
بالياء ؛ تقول : هما تفعلان ، أو هما يفعلان ؛ طبقاً للبيان الذى سبق فى رقم ١ من هامش ص ١٧٧ و ١٨١ .

(٦) ويصح فى المضارع بعده إن كان مسنداً لنون النسوة تصديره بالتاء وأولياءه نحو : الوالدات
تحرصن أو يحرصن على راحة أولادهن وهن تحرصن أو يحرصن . . . (انظر ص ١٨١) . وتجب ملاحظة
الفرق الكبير بين الضمائر الثلاثة (ها - هم - هن) التى فى مركبة البنية أصالة ، ومنفصلة للرفع حتماً - ونظائرها
التي سبقت فى آخر رقم ٣ .

فمجموع الضمائر المنفصلة المرفوعة اثنا عشر على التوزيع السالف^(١).
وأما الضمائر التي تختص بمحل النصب فاثنا عشر ضميراً أيضاً ، كل منها مبدوء بكلمة : إيا^(٢) .

فللمتكلم : « إياي » ، وهو الأصل ، وفرعه : « إيانا » للمتكلم المعظم نفسه ، أو معه غيره .

وللمخاطب المفرد « إياك » ، وهو الأصل . وفروعه : « إياك » ، للمخاطبة ، و « إياكما » ، للمثنى المخاطب ، مؤنثاً ، أو مذكراً ، و « إياكم » ، لجمع الذكور المخاطبين ، و « إياكن » لجمع الإناث المخاطبات .

وللغائب : « إياه » للمفرد الغائب . وفروعه : « إياها » للمفردة الغائبة ، و « إياهما » للمثنى الغائب بنوعيه ، و « إياهم » لجمع الذكور الغائبين ، و « إياهن » لجمع الإناث الغائبات .
فللمتكلم اثنان ، وللمخاطب خمسة ، وللغائب خمسة . وليس هناك ضمائر منفصلة تختص بمحل الجر .

هذا ، وجميع الضمائر المنفصلة تشارك نظائرها المتصلة في الدلالة على التكلم ، أو الخطاب ، أو الغيبة ، فلكل ضمير منفصل نظير آخر متصل يماثله في معناه فالضمير « أنا » يماثل التاء ، والضمير « نحن » يماثل « نا » ، وهكذا

وينقسم المستتر إلى قسمين :

(١) وهذه الضمائر الاثنا عشر لا تكون بالأصالة إلا مرفوعة . فأما استعمالها غير مرفوعة فإنما هو بالنيابة عن ضمير الجر أو النصب في بعض أساليب مسموعة يقتصر عليها ؟ . ومع أنها مسموعة يحسن ترك استعمالها ، لقيح وقعها على السمع . فن النيابة عن ضمير الجر : « ما أنا كأت ، ولا أنت كأتا » والقيح هنا بسبب وقوع الضمير الخاص بالرفع في محل جر . ومن النيابة عن ضمير النصب وهو شاذ أيضاً قولهم : « يا أنت » وللإضطرار لوزن الشعر في مثل قول الشاعر : « ياليتني وهما تخلو بمزلة . . . »
فقد عطف ضمير « هما » الخاص بالرفع على الياء التي هي ضمير نصب .

لكن يكثر نيابتها عن الضمير المنصوب أو المحجور في حالة استعمالها للتوكيد ؛ مثل : سمعتك أنت تحب ومرت بك أنت . وهو استعمال قياسي .

(٢) سيجيء الكلام على إعراب « إيا » بملحقاتها المختلفة عند الكلام على كيفية إعراب الضمائر (ص ٢٣٦ وما بعدها) . وهي كثيرة الاستعمال في أسلوب : « التحذير » بصورة المتعددة التي سيجيء في بابها الخاص - ج ٤ ص ٩٧ م ١٤٠ - ومن أمثلته : إياك والنجمة ، فإنها تزرع الضغينة - إياك مواقف الاعتذار فإنها تجلبه للذة ، مضيعة للكرامة . . . ويصح : إياك من النجمة - إياك من مواقف الاعتذار . . .

أولهما : المستر وجوباً ، وهو الذى لا يمكن أن يحل محله اسم ظاهر^(١) ، ولا ضمير منفصل ؛ مثل : « إني أفرح حين نشترك في عمل نافع » . فالفعل المضارع : « أفرح » ، فاعله ضمير مستر وجوباً ، تقديره : أنا . ولا يمكن أن يخلفه اسم ظاهر ولا ضمير منفصل ، إذ لا نقول : أفرح محمد — مثلاً — ولا أفرح أنا ، على اعتبار « أنا » فاعلاً ، بل يجب اعتبارها تأكيداً للفاعل المستر الذى يشابهها في اللفظ والمعنى .

كذلك الفعل المضارع : « نشترك » فاعله مستر وجوباً تقديره : « نحن » ولا يمكن أن يحل مكانه اسم ظاهر ولا ضمير منفصل ؛ إذ لا نقول : « نشترك محمد » ولا : « نشترك نحن » على اعتبار كلمة : « نحن » فاعلاً ؛ لأنها لو كانت فاعلاً لوجب استتارها حتماً . ولكنها تعرب تأكيداً للضمير مستر يشابهها في اللفظ والمعنى .

وثانيهما : المستر جوازاً ، وهو الذى يمكن أن يحل محله الاسم الظاهر أو الضمير البارز ؛ مثل : الطائر تحسرتك . النهر يتدفق . فالفاعل فيهما ضمير مستر جوازاً تقديره : هو ، إذ من الممكن أن نقول : الطائر تحرك جناحه ، والنهر يتدفق ماؤه : بإعراب كلمتي « جناح » و « ماء » فاعلاً للعامل الموجود وهو : « تحرك » و « يتدفق » . ومن الممكن كذلك أن نقول : الطائر ما تحرك إلا هو ، والنهر ما يتدفق إلا هو ... بإعراب الضمير البارز : « هو » فاعلاً للعامل الموجود .

والمستر بنوعيه لا يكون إلا مرفوعاً متصلاً — كما سبق — .

• • •

مواضع الضمير المرفوع المستر وجوباً . أشهر هذه المواضع تسعة^(٢) :

(١) لا يحل محله اسم ظاهر يرفع بهامله الذى في الجملة نفسها قبل أن يحل هذا الاسم الظاهر محل الضمير ، فلو قلنا : « نشترك محمد في عمل نافع » — لكان الكلام غير صحيح في تركيبه ؛ لأن كلمة : « محمد » لا تقع فاعلاً للفعل : « نشترك » ، الذى كان عاملاً للرفع في الضمير السابق « نحن » . ولو قلنا : « نشترك » « نحن » ، لكانت : « نحن » هذه تأكيداً للضمير المستر ؛ ولا يصح أن تكون فاعلاً مرفوعاً بالعامل الموجود ، وهو الفعل « نشترك » فالضمير المستر وهو « نحن » لم يصلح أن يحل محله اسم ظاهر ولا ضمير بارز بحيث يكون كل منهما معمولاً للفعل : « نشترك » .

(٢) سرد ابن مالك من هذه المواضع أربعة في قوله :

ومن ضمير الرفع ما يستتر كافع ، أو افق : نغبط . إذ تشكر
ويقول في الضمير البارز المنفصل المرفوع المحل (وهو الذى يقابل السابق) :

وذو ارتفاع وانفصال : « أنا » ، « هو » « وأنت » ... والفروع لا تشبهه =

١ - أن يكون فاعلاً لفعل الأمر المخاطب به الواحد المذكور ، مثل : « أسرع »
لإنقاذ الصارخ ، وبادرْ إليه . بخلاف الأمر المخاطب به الواحدة ، نحو : قومي ،
أو للمثنى بنوعيه ؛ نحو : قومَا ، أو الجمع بنوعيه ، نحو : قوموا ، وقمن . فإن هذه
الضمائر تعرب فاعلاً أيضاً ، ولكنها ضمائر بارزة .

٢ - أن يكون فاعلاً^(١) للفعل المضارع المبدوء ببناء الخطاب للواحد ؛ مثل :
يا بُنَيَّ ، أتعرف متى تتكلم ومتى تسكت ؛ فتُحمدَ ؟ بخلاف المبدوء
ببناء الخطاب للواحدة ؛ مثل : تتعلمين يا زميلة ، أو للمثنى بنوعيه ، مثل : أنتما
تتعلمان . أو للجمع بنوعيه ؛ مثل : أنتم تتعلمون ، وأنن تتعلمن ؛ فإن كل هذه
ضمائر رفع بارزة ؛ (إذ لا بد من إبرازها وإعرابها فاعلاً) ، وبخلاف المضارع
المبدوء ببناء الغائبة ، فإنه مستتر جوازاً ؛ مثل : الأخت تقرأ^(٢) .

٣ - أن يكون فاعلاً للفعل المضارع المبدوء بهمزة التكلم ؛ مثل : أحسنُ
اختيار الوقت الذي أعملُ فيه فأبتنِ عملي ، وقول الشاعر :

لا أذودُ الطيرَ عن شجري قد بَلَوتُ المرَّ من ثمرِهِ

٤ - أن يكون فاعلاً للفعل المضارع المبدوء بالنون ؛ مثل : نحب الخير ،

= أى : لا تشبه بغيرها ؛ بحيث يصعب تمييز بعضها من بعض . ويقول في الضمير البارز المنفصل
المنسوب المحل :

ودُو انتصابٍ في انفصالٍ جُعلاً ؛ « إِيَّاي » ، والتفريع ليس مُشْكَلًا
أى : جعل الضمير « إِيَّاي » مثلاً للضمير السالف ، وهو التكلم ، أما باقى فروعه الخمسة فمفرقتها
سهلة ، وليست أمراً مُشْكَلًا .

(١) ومثل الفاعل : اسم الناسخ إذا كان هذا المضارع ناسخاً يرفع اسمه (كالمضارع المنق) :
« لا تكون » في الاستثناء .

(٢) إذا كان المضارع مبدوءاً ببناء المخاطبة المفردة ، أو لمثنائها ، أو جمعها فليست قازية للتأنيث ،
وإنما هى علامة الخطاب المخص ، لوجود ما يدل على التأنيث ؛ وهو الضمير المتصل بالفعل ؛ ومن الأمثلة
أيضاً للمضارع المبدوء ببناء للخطاب لا للتأنيث : أنت يا زميلتي لا تعرفين العيب - أنتم يا زميلتي لا تعرفان
العيب - أنن يا زميلاتي لا تعرفن العيب . بخلاف التاء التي تجيء للتأنيث في أول المضارع الذى يكون فاعله
اسماً ظاهراً ، مؤنثاً ، المفردة ، أو لمثنائها ، أو جمعها ، نحو : تتعلم عائشة - تتعلم العائشتان - تتعلم
العائشات . وكذلك إن كان فاعله ضميراً متصلاً للغائبة المفردة ، أو لمثنائها ؛ مثل : عائشة تتعلم - العائشتان
تتعلمان . فإن كان فاعله ضميراً متصلاً بجمع الغائبات (أى : ذوات النسوة) فالأحسن - وليس بالواجب -
تصديره بالياء لا بالتاء ؛ استثناء بنون النسوة في آخره ؛ نحو : الوالدات يبذلن الطاقة في حاية الأولاد ؛
- طبقاً لما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٤٧ وص ١٨١ وسيجيء الكلام فى ج ٢ ص ٧٥ م ٦٦ - باب : الفاعل - .



ونكره الأذى ؛ فنغوز برضا الله والناس .

٥ - أن يكون فاعلا للأفعال الماضية التي تفيد الاستثناء ؛ مثل : خلا عدا - حاشا . تقول : حضر السباح خلا واحداً - أو : عدا واحداً - أو : حاشا واحداً . ففاعل « خلا وعدا وحاشا » ضمير مستتر وجوباً تقديره : هو ^(١) ...
٦ - أن يكون اسماً مرفوعاً لأدوات الاستثناء الناسخة ؛ (وهي : ليس ، ولا يكون) ^(٢) . تقول : انقضى الأسبوع ليس يوماً . انقضى العام لا يكون شهراً . فكلمة « يوماً » و « شهراً » خبر للناسخ ، وهي المستثنى أيضاً . أما اسم الناسخ فضمير مستتر وجوباً تقديره : هو .

٧ - أن يكون فاعلا لفعل التعجب الماضي ؛ وهو : « أفعلّ » ؛ مثل : ما أحسن الشجاعة في الحق : « فأحسن » فعل ماضٍ للتعجب ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره ؛ هو . « يعود على : ما » .

٨ - أن يكون فاعلا لاسم فعل مضارع ، أو اسم فعل أمر ؛ مثل : أف من الكذب ؛ (بمعنى : أتضجر جداً) . وآمين ، (بمعنى : استجب) .
٩ - أوفاعلا للمصدر النائب عن فعله الأمر ؛ مثل ؛ قياماً للزائر . فقياماً : مصدر ، وفاعله مستتر وجوباً ، تقديره : « أنت » ؛ لأنه بمعنى : قم .

فهذه تسعة مواضع ^(٣) ، هي أشهر المواضع التي يستتر فيها الضمير وجوباً ، ولا يكون إلا مرفوعاً متصلاً - كما أشرنا من قبل . - أما الضمير المستتر في غير تلك المواضع فاستتاره في الأشهر ^(٣) - جائز ، لا واجب .

(١) يعود على بعض مفهوم من الكلام السابق ؛ أي : خلا هو ، أي : يفهم ، وسيجيء إيضاح هذا ، وبسط القول في المراد منه عند الكلام عليه في باب الاستثناء (ج ٢) .

(٢) بصيغة المضارع « يكون » الذي للغائب ، وقيله . « لا » النافية دون غيرها - كما سيجيء في

ج ٢ م ٨٣ ص ٣٢٨ باب « الاستثناء » .

(٣ و ٣) يزيد عليها بعض النحاة : فاعل « نعم » و « بش » وأخواتهما . . . إذا كان ضميراً مفسراً بنكرة ، مثل : نعم رجلا عمر . ففاعل « نعم » ضمير مستتر تقديره : هو ، تفسره النكرة التي تعرب بعده تمييزاً ، وهي هنا : « رجلا » . لكن المعروف أن رأياً كوفياً يميز في « نعم » و « بش » وأخواتهما أن يبرز فاعلهما الضمير ؛ مثل : نعمتا رجلين حامد وصالح ، نعموا رجلا ؛ صالح ، وحامد ، وعلى . وقد يبرز وتجره الباء الزائدة نادراً - فلا يقاس عليه - ؛ مثل نعم بهم رجلا . فإن لاحظنا أن هذا الضمير قد يبرز في بعض الأحيان لم يكن من النوع المستتر وجوباً . وإن لاحظنا أن بروزه قليل أو نادر أمكن الإغضاء عن هذا ، وعددناه من المستتر وجوباً . ولكن الأول أحسن . . .

.....

زيادة وتفصيل :

يعرب الضمير المرفوع المستتر جوازاً :

(أ) إماً فاعلاً ، أو نائب فاعل ، أو اسماً لفعل ناسخ ، إذا كان الفعل في كل ذلك لغائب أو غائبة ؛ مثل : آيةُ المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . ومثل قول شوق عن الصلاة : لو لم تكن رأس العبادات لعدت من صالحه العادات ، وقولهم : رب كلمة تجلب نعمة ، وأخرى تجرّ نقمة .

(ب) وإما فاعلاً لاسم فعل ماض ، مثل : البحر هيهات ، بمعنى : يبعد جداً ، أى : هو .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : شتان الصحة والضعف . بمعنى : افرق الحال بينهما جداً ، فالصحة فاعل . وتقول : الصحة والضعف شتان . أى : هما ، فالفاعل ضمير ، مستتر جوازاً ، تقديره : هما . وتقول : هيهات البحر هيهات . وشتان الصحة والضعف شتان . ففاعل « هيهات » الثانية ضمير مستتر جوازاً تقديره : « هو » يعود على البحر ، بشرط أن تكون الجملة المكونة من : « هيهات » الثانية وفاعلها توكيداً للجملة التي قبلها ؛ فيكون الكلام من توكيد الحمل بعضها ببعض . أما لو جعلنا لفظة : « هيهات » الثانية وحدها توكيداً للأولى فإنها لا تحتاج إلى الفاعل^(١) ، ويكون الكلام من نوع توكيد اسم الفعل وحده بنظيره . واسم الفعل ؛ كالفعل إذا وقع أحدهما - وحده بدون فاعل - توكيداً لفظياً فإنه لا يحتاج لفاعل^(٢) . وكذلك يقال في : « شتان » في الحالتين .

(ج) وإما مرفوعاً لأحد المشتقات المحضة : (كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، نحو : على نافع ، أو مكرم ، أو فريح) ؛ ففي كل واحدة من هذه الصفات المشتقة ضمير مستتر جوازاً ، تقديره : « هو »^(٣) ويكون الضمير المرفوع بها فاعلاً ، إلا مع اسم المفعول ، فيكون نائب فاعل .

(١) سيجىء في باب الفاعل (ج ٢ ص ٦٦ ص ٧٠) بيان أفعال لا تحتاج لفاعل ، والرأى فيها .

(٢) كما سيجىء في باب التوكيد (ج ٣) .

(٣) ولا بد أن يعود على غائب ؛ طبقاً للبيان الذي في « ط » من ص ٢٧٠ - كما سبقت الإشارة

في رقم ٤ من هامش ص ٢١٧ - .

أما المشتقات غير المحضة (وهي التي غلبت عليها الاسمية المجردة من الوصف ، بأن صارت اسماً خالصاً لشيء) فإنها لا تتحمل ضميراً ؛ كالأبطح ، والأجرع من أسماء الأماكن ، ومثلهما : الأبيض ، والأرجب ، والمسعود ، والعالي . وهي أسماء قصور ، والمفتاح ، والمعلقة ، والملعب

ومن المشتقات المحضة : « أفعل التفضيل »^(١) . والغالب فيه أنه يرفع الضمير المستتر ، ولا يرفع الظاهر — قياساً — إلا في المسألة التي يسميها النحاة مسألة : « الكحل » وقد يرفعه نادراً — لا يقاس عليه — في مثل : مررت برجل أفضل منه أبوه ، بإعراب كلمة : « أبو » فاعلاً^(٢) . وكذلك يرفع الضمير البارز نادراً في لغة من يقول : مررت برجل أفضل منه أنت ، بإعراب « أنت » فاعلاً ، حملاً لها على الفاعل الظاهر في مسألة « الكحل » . ولو أعرب « أنت » مبتدأ . خبره : أفضل ، لحاز ولم يكن أفعل التفضيل رافعاً للضمير .

بناء على ماتقدم نقول : لو لاحظنا أنه لا يرفع الظاهر إلا قليلاً ، ولا يرفع الضمير البارز إلا نادراً — فإن فاعله الضمير المستتر فيه يكون من نوع المستتر وجوباً ، مع الإغضاء عن تلك القلة والندرة وإغفال وجودهما ، وإن لاحظنا الواقع من غير إغفال للقلة والندرة قلنا : إنه مستتر جوازاً .

تلخيص ما سبق من أنواع الضمائر :

(أ) ينقسم الضمير باعتبار مدلوله إلى ثلاثة أقسام : متكلم ، ومخاطب ، وغائب .

(ب) ينقسم الضمير باعتبار ظهوره في الكلام وعدم ظهوره إلى قسمين : بارز ، ومستتر .

(١) تفصيل الكلام عليه وعلى أحكامه مدون في بابہ الخاص بالجزء الثالث ، م ١١٢ .

(٢) فلو أعربناها مبتدأ متأخراً وخبره « أفضل » ، لم يكن الإعراب ضعيفاً ، لأنها ليست مرفوعة بأفعل التفضيل . وكذلك كل إعراب مثل هذا .

.....

أقسام البارز

ينقسم الضمير البارز إلى قسمين : منفصل ، ومتصل .

(٢) ينقسم الضمير البارز المنفصل باعتبار محله الإعرابي إلى :

١ - بارز منفصل في محل رفع ، وهو : اثنا عشر ضميراً ؛ للمتكلم اثنان ، هما : « أنا » وفروعه « نحن » . وللمخاطب : « أنت » وفروعه الأربعة . وللغائب : « هو » وفروعه الأربعة .

٢ - بارز منفصل في محل نصب ؛ وهو : اثنا عشر ضميراً ؛ للمتكلم اثنان « إياي » وفروعه « إيانا » . وللمخاطب « إياك » وفروعه الأربعة . وللغائب « إياه » وفروعه الأربعة .

ولا يوجد ضمير بارز منفصل في محل جر .

(ب) ينقسم الضمير البارز المتصل باعتبار محله الإعرابي إلى ما يأتي :

٣ - بارز متصل في محل رفع ؛ وهو خمسة : التاء المتحركة - ألف الاثنين - واو الجماعة - ياء المخاطبة - نون النسوة .

٢ - بارز متصل صالح لأن يكون في محل نصب حيناً ، وفي محل جر حيناً آخر ، وهو ثلاثة : ياء المتكلم ، والكاف ، والهاء ^(١) . . .

٣ - بارز متصل ، صالح لأن يكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، هو : « نا » ، ولا يوجد ضمير بارز متصل في محل نصب فقط ، أو في محل جر فقط .

أقسام الضمير المستتر

(١) مستتر وجوباً وله جملة مواضع ، أشهرها : تسعة ^(٢) .

(١) ما إعراب كل واحد من الثلاثة لو حل في محل المبتدأ ، كأن يقع بعد « لولا » ؟ . . .
 الجواب في « ب » من ص ٢٤١ .
 (٢) سبقت في ص ٢٦٨ .

(ب) مستتر جوازاً وله مواضع غير السالفة .

ويتضمن الرسم الآتي كل ما سبق .

مستتر		الضمير		بارز	مختص بمحل الرفع	
جوازاً	وجوباً	منفصل	متصل			
في غير التسعة	أشهر مواضعه تسعة	في محل نصب	في محل رفع	مشارك بين	↓	(١) التاء المتحركة
	وهو اثنا عشر :	وهو اثنا عشر :	وهو : الثلاثة ، وهو :	مشارك بين		(تُت)
	للتكلم اثنان :	للتكلم : أنا ، ونحن .	(نا)	النصب والجر		(٢) ألف الاثنين
	إيأى وإيأنا	والمخاطب خمسة	وهو ثلاثة			
	والمخاطب خمسة :	هى :	(١) الياء لغير			(٣) واو الجماعة
	إيأك ، وفروعه	أنت ، وفروعه .	المخاطبة			
	وللفأب خمسة :	وللفأب خمسة :	(٢) الكاف			(٤) ياء المخاطبة
	إيأه ، وفروعه	هو ، وفروعه	(٣) الهاء			(٥) نون النسوة

تقسيم آخر للضمير بحسب محله الإعرابى :

ينقسم إلى خمسة أقسام :

- ١ - مرفوع متصل .
- ٢ - مرفوع منفصل .
- ٣ - منصوب متصل .
- ٤ - منصوب منفصل .
- ٥ - مجرور ، ولا يكون إلا متصلاً .

المسألة ١٩ :

الضمير المفرد^(١) ، والضمير المركب

الغرض من الضمير : (الدلالة على المتكلم ، أو المخاطب ، أو الغائب)^(٢) ، ... مع الدلالة في كل حالة على الأفراد ، أو الثنية ، أو الجمع ، وعلى التذكير ، أو التأنيث . . .

(أ) غير أن بعض الضمائر يقوم بهذه الدلالة مستقلاً بنفسه ، معتمداً على تكوينه وصيغته الخاصة به ، غير محتاج إلى زيادة تلازم آخره ؛ لتساعده في أداء مهمته ، فصيغته مفردة (بسيطة) وذلك كالياء ، والتاء ، والهاء ، في نحو : إني أكرمتُ من أكرمته . فالياء وحدها تدل على المتكلم المفرد مطلقاً^(٣) ، وكذلك التاء في : « أكرمت » الأولى . أما التاء الثانية فتدل بذاتها على المخاطب المفرد ، المذكور أو المؤنث على حسب ضبطها ، وأما الهاء فتدل على المفرد المذكور الغائب . فكل ضمير من الثلاثة — وأشباهاها — كلمة واحدة ، انفردت بتحقيق الغرض منها — وهو الدلالة على التكلم ؛ أو الخطاب ، أو الغيبة ، مع التذكير أو التأنيث ، ومع الأفراد — دون أن تحتاج في تحقيق هذا الغرض إلى زيادة تلازم آخرها . ومثلها : « نحن » في : نحن نسارع للخيرات — فإنها لفظة واحدة في تكوينها ، وصيغة مستقلة بنفسها في أداء الغرض منها ؛ وهو : « التكلم مع الدلالة على الجمع ، أو على تعظيم المفرد ، ولم يتصل آخرها اتصالاً مباشراً بما يساعدها على ذلك الغرض .

(ب) وبعضاً آخر من الضمائر يقوم بتلك الدلالة ؛ ولكن من غير أن يستقل بنفسه في أدائها ، بل يحتاج لزيادة لازمة تتصل بآخره ؛ لتساعده على أداء المراد ؛ فصيغته مركبة ، وتكوينه ليس مقصوراً على كلمة واحدة . وذلك

(١) أى : الذى هو كلمة واحدة ، وليس كلمتين أو أكثر ، ويسمونه : « البسيط » .

(٢) كما عرفنا في ص ٢١٧ .

(٣) أى : سواء أكان مفرداً مذكراً ، أم مؤنثاً .

مثل الضمير : « إِيَّاءَ » فإنه لا يبدل على شيء مما سبق إلا بعد أن تلحقه زيادة في آخره ؛ تقول : إِيَّاي - إِيَّاكَ - إِيَّاكُمَا - إِيَّاكُم - إِيَّاكُنَّ . . . ولولا هذه الزيادة ما أذى مهمته ، ومثله : أنت ، تقول : أنْتَا ، أنْتُمْ ، أنْتُنَّ . . . وهكذا .

* * *

كيفية إعراب الضمير بنوعيه : المستتر والبارز

قلنا^(١) : إن الضمائر كلها مبنية . . . ؛ فعند إعرابها لا بد أن نلاحظ أمرين : أولهما : موقع الضمير من الجملة ، أهو في محل رفع ؛ (كأن يكون مبتدأ في مثل : أنت أمين) ، أم في محل نصب ؛ (كأن يكون مفعولا به في مثل : زارك الصديق) ؛ أم في محل جر ؛ (كأن يكون مضافا إليه في مثل : كتابي مثل كتابك) ؟ . . .

ثانيهما : حالة آخر الضمير ؛ أساكنة هي ؛ مثل : أنا ، أم متحركة مثل : التاء في : أحسنت ؟ .

فلإذا عرفنا هذين الأمرين أمكن إعراب الضمير بعد ذلك ؛ فإذا كان الضمير مبنياً على السكون فقد يكون في محل رفع ؛ لأنه مبتدأ في مثل : أنا مسافر ، أو لأنه فاعل في مثل : « نا » من « سافرنا » وقد يكون في محل نصب ؛ لأنه مفعول به . مثل : « نا » في حامد « أكرمنا » . وقد يكون في محل جر في مثل : « نا » من أقبل علينا . . . وهكذا باقى مواضع الرفع ، والنصب ، والجر .

وإذا كان الضمير متحركاً فإنه يبنى على نوع حركة آخره ؛ فيبنى على الضم ، أو الفتح ، أو الكسر ، على حسب تلك الحركة . ويكون معها في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعه من الجملة - كما سبق - ، أهو مبتدأ ، أم فاعل ، أم مفعول ، أم مضاف إليه . أم غير ذلك ، فكلمة : « نحن » في مثل : (نحنُ أصدقاء) ، مبنية على الضم في محل رفع ؛ لأنها مبتدأ . والكاف في مثل : (أكرمكَ الوالد) ، مبنية على الفتح في محل نصب ، لأنها مفعول

به^(١)، والهاء في مثل : (محمد قصدتُ إليه) ؛ مبنية على الكسر في محل جر . . . وهكذا يقال في كل ضمير يتكون من لفظة واحدة لا يتصل بآخرها زيادة ، كالتى أشرنا إليها من قبل .

فإن كان الضمير غير مقتصر على نفسه بل في آخره تلك الزيادة^(٢) اللازمة مثل : (إياك - إياكم - إياكن - أنت - أنتما - أنتم - أنتن) فإن الأنسب اليوم إدماج الضمير والزيادة الحتمية معاً عند الإعراب ، وعدّهما بمنزلة كلمة واحدة ، بحيث لا نعتبر أن الضمير في : « إياكما ، و . . . » وفي « أنتما ، و . . . » هو كلمة : « إيا » وحدها ، « وأن » وحدها . . . وأن الكاف ، أو التاء ، حرف خطاب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وما بعدها حرف دال على التثنية ، أو على جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم ، فمن المستحسن رفض هذا التجزىء رفضاً قاطعاً ، وأن نتبع النحاة الداعين إلى اعتبار كلمة : « إيا » مع ما يصحبها لزوماً هما معاً : « الضمير » ، وأنهما في الإعراب كلمة واحدة^(٣) . وكذلك : « أنتما » وباقي الفروع .

وهذا الرأي الحسن الواضح يناسبنا اليوم ؛ لما فيه من تيسير وتخفيف ، واختصار ، وليس فيه ما يسيء إلى سلامة اللغة وفصاحتها ؛ فتقول في كل من : أنت - أنتما - أنتم - أنتن - إياك - إياكم - إياكن . . . ، ونظائرها - إن الكلمة كلها بملحقاتها ضمير مبنى على كذا في محل كذا^(٤) .

* * *

-
- (١) انظر ما يتصل بحكم هذه الكاف في رقم ٥ من هامش ص ٢١٧ ثم في ص ٢٣٨ .
 (٢) هي الزيادة التي تتصل بآخر الضمير : « إيا » . سبق بيانها في ص ٢٢٧ ومثلها الزيادة التي تتصل بآخر الضمير : « التاء » ، سبق بيانها في رقم ٣ من هامش ص ٢٢١ .
 (٣) وهذا هو المذهب الكوفي ، كما نص عليه « العُكْبَرِيُّ » في كتابه المسمى : « إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب » ، والقراءات في جميع القرآن » - ج ١ ص ٤ - .
 (٤) لهذا نظير في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٢ .

.....

زيادة وتفصيل

(١) . وقوع « الكاف » حرف خطاب متصرف .

قد يتعين أن تكون « الكاف » حرف خطاب مبنياً ؛ فلا محل له من الإعراب ^(١) (أى : أنه لا يكون ضميراً) وفي هذه الحالة يتعين أن يكون متصرفاً على حسب المخاطب تذكيراً ، وتأنيساً ، وإفراداً ، وتثنية ، وجمعا وفيما يلي أشهر المواضع غير التي سبقت ^(٢)

١ - فى مثل : أَرَأَيْتَكَ الحديقةَ ، هل طاب ثمرها مبكراً ؟ . أَرَأَيْتَكَ الزراعةَ ؛ أتغنى عن الصناعة ؟ . ومعنى « أَرَأَيْتَكَ » : أخبرنى ؛ الحديقة أخبرنى الزراعة وإليك الإيضاح :

كاف الخطاب الحرفية قد تتصل بآخر الفعل : « رأى » الذى فاعله تاء المخاطب ؛ فيصير « أَرَأَيْتَكَ » بشرط أن تسبقه همزة الاستفهام ، وأن يحىء بعد الكاف اسم منصوب ، ثم جملة استفهامية ^(٣) . وهو فعل ماض . فاعله التاء المتصلة بآخره ، المبنية على الفتح دائماً ، فى محل رفع . لأنها فاعل . وتقع بعدها « الكاف » حرف خطاب ؛ يتصرف وجوباً - فى هذه الصورة وفروعها الآتية - على حسب المخاطبين ^(٤) ، ولا تتصرف التاء . . . فنقول للمخاطبة : أَرَأَيْتَكَ . وللثنى بنوعيه : أَرَأَيْتَكُمَا ، وللجمع المذكر : أَرَأَيْتَكُم ، وللجمع المؤنث : أَرَأَيْتَكُن . ومعنى « أَرَأَيْتَكَ » : أخبرنى ، كما سبق . وهى جملة إما منقولة من : رأيت ، بمعنى : « عرفت » ، أو بمعنى : أبصرت ؛ فيحتاج فعلها لمفعول واحد فى الحالتين ، وإما منقولة من : « رأيت بمعنى : عِلِمْتُ » ؛ فيحتاج إلى مفعولين . وسواء أكانت منقولة من هذه أم من تلك فإنها فى أصلها جملة خبرية بمعنى ما تقدم . ثم صارت بعد النقل وبعد أن لازمتها همزة الاستفهام

(١) سبقت أنواع من الكاف الحرفية فى رقم ٥ من هامش ص ٢١٧ .

(٢) كما أشرنا لهذا فى : ٢ - رقم ٥ من هامش ص ٥ وفى ص ١٥ .

(٣) راجع رقم ٢ من هامش ص ٣٢٤ .

... ..
... ..

جملة إنشائية . طلبية ، لها معنى جديد ؛ هو ؛ أخبرني ، (أى : طلب الاستخبار وهو : طلب معرفة الخبر) . وعلى أساس هذين الاعتبارين يكون إعراب ما يأتي بعدها ؛ فإن لاحظنا أن أصلها : « عرفت ، أو أبصرت » — كان الاسم المنصوب بعدها مفعولاً به لفعلها ، وتكون الجملة الاستفهامية بعدها مستأنفة . وعلى اعتبار أن أصلها : « علمت » يكون ذلك الاسم المنصوب بعدها مفعولاً به أول ، وتكون جملة الاستفهام التي بعده في محل نصب ، تغني عن المفعول الثاني . وإن لاحظنا حالتها الحاضرة ، وأنها الآن جملة إنشائية طلبية ؛ بمعنى « أخبرني » ، ولم نلتفت إلى الأصل الأول — فإن الاسم المنصوب بعدها يكون منصوباً على نزع الخافض ^(١) ، والجملة الاستفهامية بعده مستأنفة ؛ فكأنك تقول في الأمثلة السابقة وأشباهها : أخبرني عن الحديقة ؛ هل طاب ثمرها مبكراً ؟ أخبرني عن الزراعة ؛ أغني عن الصناعة ؟ وجدير بالتنويه أن الاستعمال السابق لا يكون إلا حين نطلب معرفة شيء له حالة عجيبة ؛ وأن يكون بالصورة المنقولة عن فصحاء العرب ؛ فيبدأ الأسلوب — كما قلنا — بهمزة الاستفهام ؛ يتلوها جملة : « رأيتك » ؛ فاسم منصوب ؛ فجملة استفهامية تبين الحالة العجيبة التي هي موضع الاستخبار . فلا بد أن يشمل الأسلوب على هذه الأمور الأربعة ، مرتبة على حسب ما ذكرنا . غير أن الاستفهام في الجملة المتأخرة قد يكون ظاهراً كما مثل ؛ وقد يكون مقدرًا هو وجملته ؛ كما في قوله تعالى : « رأيتك هذا الذي كرمت على » ، لنز آخرتن ... إلخ . فالتقدير : « رأيتك هذا الذي كرمت على ، لِمَ كرمته على ؟ » .

وقد يحذف الاسم المنصوب الذي بعد : « رأيتك » إذا كان مفهوماً ؛ نحو قوله تعالى : « قل رأيتكم إن أناكم عذاب الله » . أى : قل رأيتكم المعارضين إن أناكم عذاب الله .

هذا إن قصد الاستخبار والتعجب — أما إن بقي الفعل « رأى » من « رأيت »

(١) توضيحه وبيان حكمه في ج ٢ ص ١٦٠ م ٧١ (طريقة تعدية الفعل الثلاثي اللازم) .

على أصله اللغوي الأول بمعنى : « عرفت » أو بمعنى : « أبصرت » أو بمعنى : « علمت » وجاءت قبله همزة الاستفهام في الحالتين فإن « التاء » اللاحقة به تتصرف ، وتعرب فاعلاً ، وتعرب « الكاف » المتصلة به ضميراً مفعولاً به . وتتصرف على حسب حال المخاطب ؛ فتقول : « أرايتك ذاهباً » أرايتك ذاهبة » ، أرايتكما ذاهبتين ، أو : ذاهبين ، أرايتكم ذاهبين ، أرايتكن ذاهبات فتكون « الكاف » وحدها ، أو هي وما اتصلت به من علامة تثنية أو جمع — ضميراً مفعولاً به أول : والاسم المنصوب بعد ذلك هو المفعول الثاني . « هذا إذا كانت : « رأى » بمعنى : « عليم » التي تنصب مفعولين . أما إذا كانت « رأى » تنصب مفعولاً واحداً فالضمير هو مفعولها ، والاسم المنصوب بعده حال .

وسيجيء في أول الجزء الثاني تفصيل الكلام على الفعل : « رأى » من ^(١) ناحية معناه وتعديته إلى مفعول أو أكثر .

٢ — في اسم الفعل الذي يقوم معنى وعملاً مقام فعل لا ينصب مفعولاً به ، ومن المسموع : حسيهَلْ ؛ بمعنى : أقبل . والنَّجاء ^(٢) . بمعنى : أسرع . ورؤيدَ ، التي بمعنى تمهل ... ؛ فقد ورد عن العرب قولهم : حسيهَلْكَ ، والنَّجاء لك ، ورؤيدَكَ . . . ؛ « فالكاف » هنا حرف خطاب يتصرف على حسب المخاطبين ، — كشأنه في كل الصور المعروضة هنا — ، ولا يصح أن يكون ضميراً مفعولاً به لاسم الفعل ؛ لأن هذه الألفاظ من أسماء الأفعال لا تنصب مفعولاً به ؛ لأنها تقوم معنى وعملاً مقام أفعال لا تنصب مفعولاً به . وكذلك لا يصح أن تكون « الكاف » ضميراً في محل جر مضافاً إليه ؛ لأن أسماء الأفعال مبنية ؛ فلا يكون واحد منها مضافاً ^(٣) .

٣ — في بعض أفعال مسموعة عن العرب يجب الاقتصار عليها ؛ منها : الفعل « أبصِرْ » في مثل ؛ أبصرك محمدأ ، بمعنى : أبصر محمدأ ، ولا يمكن أن تكون الكاف هنا مفعولاً به ؛ لأن هذا الفعل لا ينصب إلا مفعولاً به واحداً ؛ وقد نصبه ؛ ونعني به : « محمدأ » ولأن فعل الأمر لا ينصب ضميراً للمخاطب الذي يتجه إليه الأمر . ومنها الفعل « ليس » في مثل : لستك محمدأ مسافراً .

ومنها : « نِعَمْ وبشْ » في مثل : نعمك الرجل محمود ، وبشك الرجل سليم ... ؛

(١) في باب : « ظن وأخواتها » ص ٥٥ م ١٠ مناسبة له ، ثم تنمة هامة في ص ١٣ ثم في باب « أعلم وأرى » من ذلك الجزء .

(٢٠٢) راجع ما سبق في ص ٧٨ وفي رقم ٥ من هامش ص ٢١٧ .

.....
.....

لأن كلاً من الفعلين وذلك « نِعَم » و « بَشَس » لا ينصب مفعولاً به ^(١).
ومثل : حَسَبَ في قَوْلِهِمْ : جَنَّتْ ، وما حَسِبْتَكَ أَنْ تَجِيءَ ؛ لأن الكاف لو أعربت ضميراً لكانت المفعول الأول « لحَسَبَ » ، وإمكان المفعول الثاني هو المصدر المؤول (أَنْ تَجِيءَ) ويترتب على ذلك أن يكون المصدر المؤول خبراً عن الكاف ، باعتبار أن أصلهما المبتدأ والخبر (لأن مفعولاً : حسب ؛ أصلهما المبتدأ والخبر) وإذا وقع المصدر المؤول هنا خبراً عن الكاف ترتب عليه الإخبار بالمعنى عن الجثة ؛ وهو ممنوع عندهم في أغلب الحالات ^(٢).

٤ - بعض حروف مسموعة يجب الإقتصار عليها ؛ مثل : كَلَّا ، بَلَى ، تقول : كَلَّاكَ ، أنت لا تُخلف الوعد ؟ . ويسألك سائل : ألسْتُ صاحب فضل عليك ؟ فتجيب : بَلَّاكَ . أى : بلى لك . (بمعنى أنا موافق لك في أنك صاحب فضل) .

...

(ب) كيف نعرب الضمير الواقع بعد : « لولا » إذا كان من غير ضمائر الرفع ؟ وكيف نعرب الضمير الواقع بعد : « عسى » إذا كان من غير ضمائر الرفع أيضاً ؟
أشرنا في رقم ٢ من ص ٢٣٣ إلى أن « ياء » المتكلم ، و « كاف » الخطاب ، و « هاء » الغائب ، ضمائر مشتركة بين محلي النصب والجر ، ولا تكون في محل رفع . فما إعراب كل منها إذا وقع بعد كلمة : « لولا » الامتناعية التي لا يتبع بعدها إلا المبتدأ ؛ مثل : لولاي ما حضرت - لولاك أسافرت . - الطائفة سريعة ؛ لولاها لتأخرت ، وفضل الطيران عظيم ؛ لولاه لاحتملنا مشقات عظيمة . . . فما إعراب هذا الضمير الواقع بعد : « لولا » في الأمثلة السابقة وأشباهاها ؟

نعيد ما سبق ^(٣) ، وهو أن أبسر وأوضح ما يقال في الضمائر الثلاثة أنها في أصلها لا تقع في محل رفع . لكنها تصلح بعد « لولا » خاصة أن تقع في محل رفع ؛ فيعرب كل ضمير منها مبتدأ مبنياً على الحركة التي في آخره ، في محل رفع ،

(١) سيجىء هذا في بابها الخاص (ج ٣ م ١١٠ ص ٢٥٢) .

(٢) هو ممنوع على سبيل الحقيقة ، لا المجاز - وسيجىء البيان في ج ٢ م ٦٠ ص ١٢ - باب : « ظن وأخواتها » .

(٣) في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٢ .

...
 وخبره محذوف « وهذا رأى - فوق يسره ووضوحه - يؤدي إلى النتيجة التي ترى إليها الآراء الأخرى ، من غير تعقيد - وفي مقدمتها : رأى سيبويه الذي يجعل : « لولا » في هذه الأمثلة وأشباهاها حرف جر شبيه بالزائد » . وما بعدها مجرور بها لفظاً مرفوع محلاً ؛ لأنه مبتدأ . ونكتني بالإشارة إلى تعدد الآراء من غير تعرض لتفاصيلها المرهقة المدونة في المطولات .

وكنلك قلنا فيما مضى : إذا وقع ضمير من تلك الثلاثة بعد « عسى » التي للرجاء (والتي هي من أخوات كان ، ترفع الاسم وتنصب الخبر ، نحو : عساى أن أدرك المراد ، أو : عسانى ، أو : عساك أن توفق في عمل الخير . وعساه أن يرشد إلى الصواب . . .) - فخير ما يقال في إعرابها : أن « عسى » حرف رجاء ؛ بمعنى : « لعل » تنصب الاسم وترفع الخبر ، وليست فعلاً من أخوات كان . وهذا أيسر وأوضح من باقى الآراء الأخرى الملتوية^(١) .

...

(ح) ضمير الفصل :

من أنواع لضمير نوع يسمى : « ضمير الفصل »^(٢) . وهو من الضمائر السابقة ، ولكن له أحكام خاصة ، ينفرد بها . وإليك أمثلة توضحه ، وتبين أثره :

١ - « الشجاع الناطق بالحق يبغى رضا الله » . ما المعنى الأساسى الذى نريده من هذا الكلام ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه ؟ . أهو : الشجاع يبغى رضا الله ؟ . فتكون جملة : « يبغى رضا الله » ركنًا أساسيًا فى الكلام ؛ لأنها خبر ، لا يتحقق المعنى الأصلى إلا بوجوده وانضمامه إلى المبتدأ (كلمة : « الشجاع ») وما عداها ما فليس أساسيًا ، وإنما هو زيادة تخدم المعنى الأصلى وتكمله (فتعرب كلمة الناطق : صفة) ... أم أن المعنى الأساسى هو : « الشجاع ، الناطق بالحق » . فكأننا نتحدث عن الشجاع ، ونعرفه بأنه : الناطق بالحق ؛ فتكون كلمة :

(١) انظر ما يتصل بهذا فى « د » من ص ٦٢٦ وفى رقم ٢ من هامش ص ٦٢٨ . وما بعده .

(٢) أو : ضمير العماد ، أو : الدعاة . . . كما سيجىء البيان فى ص ٢٤٢ .

« الناطق » ، هي الأساسية والضرورية التي يتوقف عليها المعنى المطلوب ؛ لأنها خبر لا يستقيم المعنى الأصلي ولا يتم بدونه ، وما جاء بعدها فهو زيادة تكميلية ؛ تستخدم المعنى الأصلي من غير أن يتوقف وجوده عليها ، ومن الممكن الاستغناء عنها . الأمران جائزان ، على الرغم من الفارق المعنوي بينهما . ولا سبيل لتفضيل أحدهما على الآخر ؛ لعدم وجود قرينة توجه لهذا دون ذاك .

لكن إذا قلنا : « الشجاع — هو — الناطق بالحق ، ينبغي رضا الله » . فإن الأمر يتغير ؛ بسبب وجود الضمير : « هو » ؛ فيتعين المعنى الثاني وحده ، ويمتنع الأول ، ويزول الاحتمال الذي كان قائماً قبل مجيء الضمير .

٢ — « إن الزعيم الذي ترفعه أعماله تمجده أمته » . ما المعنى الأساسي في هذا الكلام ؟ . أهو تعريف الزعيم بأنه : « الذي ترفعه أعماله » فيكون هذا التعريف ركناً أساسياً في الكلام ، لا يمكن الاستغناء عنه بحال . وما بعده متمم له ، وزيادة طارئة عليه ، يمكن الاستغناء عنها . وتعرب « الذي » اسم موصول خبر « إن » . . . أم هو القول بأن : « الزعيم تمجده أمته » ؟ . فتكون هذه الجملة الفعلية أساساً في الفائدة الكلامية لا يقوم المعنى إلا بها ، « لأنها خبر » ولا يتحقق المراد إلا بوجودها مع كامة الزعيم ، وما عداها فزيادة طارئة لا أصيلة (وتعرب كامة : « الذي » اسم موصول ، صفة) ؟

الأمران متساويان ؛ بصح الأخذ بأحدهما أو بالآخر بغير ترجيح ؛ لعدم وجود قرينة مرجحة . لكن إذا قلنا : « إن الزعيم — هو — الذي ترفعه أعماله » امتنع الاحتمال الثاني . وتعين المعنى الأول ، بسبب وجود الضمير الدال على أن ما بعده هو الجزء الأساسي المتمم للكلام ، وأن الغرض الأهم هو الإخبار عن الزعيم بأنه : « الذي ترفعه أعماله » . (فتكون كلمة : « الذي » هي الخبر ، وليست صفة) وما عدا ذلك فزيادة فرعية غير أصيلة في تأدية المراد .

٣ — « ليس المحسن المنافق بإحسانه ، يخفى أمره على الناس » . فما المعنى الأصيل . في هذا الكلام ؟ أهو القول بأن المحسن لا يخفى أمره على الناس ؛ فيكون نفي « الخفاء » هو الغرض الأساسي ، وما عداه زيادة عَرَضية (وتعرب كلمة : « المنافق » صفة) ؟

أم القول بأنه : (ليس المحسن ، المنافق بإحسانه) ؟ . فن كان متافقاً بإحسانه فلن يسمى : محسناً . فقد نفينا صفة الإحسان عن المنافقين ، فتكون كلمة « المنافق »

... ..
... ..

جزءاً أصيلاً في تأدية المعنى ؛ (لأنها خبر « ليس ») وما عداها تكملة طارئة .
الأمران جائزان ، إلا إذا قلنا ليس المحسن - هو - المنافق ؛ فيتعين المعنى
الثاني وحده ؛ لوجود الضمير : « هو » ، القاطع في أن ما بعده هو الأصيل ، وهو
الأساسي في إتمام المعنى ؛ لأنه خبر .

٤ - يقول النحاة في تعريف الكلام : « الكلام . اللفظ ، المركب ،
المفيد ... » أتكون كلمة : « اللفظ » أساسية في المعنى المراد ؛ لأنها خبر ، أم غير
أساسية ؛ لأنها بدل من « الكلام » ، وما بعدها هو الأساسي ؟ الأمران متساويان .
فإذا أتينا بكلمة : « هو » تعين أن تكون كلمة « اللفظ » خبراً ، لا بدلاً^(١) .

فالضمير - هو - وأشباهه يسمى : « ضمير الفصل » ؛ لأنه يفصل في الأمر
حين الشك ، واختفاء القرينة ... ؛ فيرفع الإبهام ، ويزيل اللبس ؛ بسبب
دلالة على أن الاسم بعده هو الخبر لما قبله ؛ من مبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ،
وليس صفة ، ولا بدلاً ولا غيرهما من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى
الأساسي ، كما يدل على أن الاسم السابق مستغن عنها ، لا عن الخبر . وفوق ذلك كله
يفيد في الكلام معنى الحصر والتخصيص (أى : « القصر » المعروف في البلاغة) .
تلك هي مهمة ضمير الفصل . لكنه قد يقع أحياناً بين ما لا يحتمل شكاً
ولا لبساً ؛ فيكون الغرض منه مجرد تقوية الاسم السابق ، وتأكيده معناه بالحصر .
والغالب أن يكون ذلك الاسم السابق ضميراً ؛ كقوله تعالى : « وكنا نحن الوارثين » ،
وقوله تعالى : « ... كنت أنت الرقيب عليهم » ، وقوله تعالى : « إن ترن أنا أقتل
منك ما لا وولداً فعسى ربي أن يؤتيني ... » ، ففي المثال الأول قد توسط ضمير
الفصل « نحن » بين كلمتي : « نا » و « الوارثين » ، مع أن كلمة : « الوارثين »
خبر « كان » منصوبة بالياء ، ولا تصح أن تكون صفة^(٢) ، إذ لا يوجد موصوف
غير « نا » التي هي ضمير ، والضمير لا يوصف . وفي المثال الثاني توسط ضمير
الفصل (أنت) بين « التاء » و « الرقيب » ، مع أن كلمة : « الرقيب » منصوبة ؛
لأنها خبر (كان) ولا تصح أن تكون صفة للتاء^(٣) ، لأن الضمير لا يوصف

(١) ومثل هذا - تماماً - يصح في قوله تعالى في سورة الأنفال : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو
الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ..) بنصب كلمة : « الحق » في القراءة المعروفة المعتادة اليوم .
(٢ و ٣) ولا تاباً آخر ، لأنها منصوبة ، والمتبوع هنا (هو : نا) في محل رفع .

— كما قلنا — وكذلك الشأن في المثال الثالث الذى توسط فيه ضمير الفصل « أنا » بين « الياء » ^(١) وكلمة : « أقل » التى هى المفعول الثانى للفعل : « ترى » ولا يصح أن تكون صفة للياء ، لأن الضمير لا يوصف . و . و . وهكذا وقع ضمير الفصل قبل ما لا يصلح صفة ، بل قبل ما لا يصلح صفة ، ولا تابعا من التوابيع أو المكملات .

وإذا كان البصريون يسمونه : « ضمير الفصل » فالكوفيون يسمونه بأسماء أخرى تتردد أحيانا في كتب النحو ؛ فبعضهم يسميه : « عمادا » ؛ لأنه يعتمد عليه في الالتهاء إلى الفائدة ، وبيان أن الثانى خبر لا تابع ، ولا مكمل آخر . وبعضهم يسميه : « دعامه » ؛ لأنه يدعم الأول ، أى : يؤكد ، ويقويه ؛ بتوضيح المراد منه . وتخصيصه ، وتحقيق أمره ، بتعيين الخبر له ، وإبعاد الصفة ، وباقي التوابيع ، وغيرها ؛ إذ تعيين الخبر يوضح المبتدأ ، ويبين أمره ، لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى .

شروط ضمير الفصل :

يشترط فيه ستة شروط : (اثنان فيه مباشرة ، واثنان في الاسم الذى قبله ، واثنان في الاسم الذى بعده) . فيشترط فيه مباشرة :

١ — أن يكون أحد ضامائر الرفع المنفصلة .

٢ — أن يكون مطابقاً للاسم السابق في المعنى ، وفي التكلم ، والخطاب ، والغيبية ، وفي الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، وفي التذكير ، والتأنيث ، كالأمثلة السابقة ، ومثل : « العلم هو الكفيل بالرقى ، يصعد بالفرد إلى أسنى الدرجات . والأخلاق هى الحارسة من الزلل ، تصون المرء من الخطل » — « النيران هما المضيئان فوق كوكبنا ، يسببجان في الفضاء » — « العلماء هم الأبطال ؛ يحتملون في سبيل العلم ما لا يحتمله سواهم » — « الأمهات هن البانيات مجد الوطن ، يقمن الأساس ويرفعن البناء » . . . وهكذا ، فلا يجوز : كان محمود أنت الكريم ، ولا ظننت محموداً أنت الكريم : لأن الضمير « أنت » ليس معناه معنى الاسم السابق « محمود » ، ولا يدل عليه ؛ فلا يكون فيه التأكيد المقصود من ضمير

الفصل ، ولا يحقق الغرض . وكذلك لا يجوز : كان المحمودان أنت الكريمان .
ولا إن هنداً هو المؤدبة ، وأمثال هذا مما لا مطابقة فيه . . .

ويشترط في الاسم الذى قبله :

١ - أن يكون معرفة .

٢ - وأن يكون مبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ؛ كاسم « كان » وأخواتها ؛ واسم « إن » وأخواتها ؛ ومعمول « ظننت » وأخواتها . كالأمثلة السابقة ، ومثل : « الوالد هو العامل على خير أسرته ، يراقبها ، والأم هي الساهرة على رعاية أفرادها ، لا تغفل » - « كان الله هو المنتقم من الطغاة ، لا يهملهم » - « إن الصناعة هي العماد الأقوى في العصر الحديث ، تنمو عندنا » - « وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » .

وسبب اشتراط هذا الشرط أن اللبس يكثر بين الخبر والصفة ؛ لتشابههما في المعنى ؛ إذ الخبر صفة في المعنى - بالرغم من اختلاف كل منهما في وظيفته وإعرابه ، وأن الخبر أساسى في الجملة دون الصفة - . فالإتيان بضمير الفصل يزيل اللبس الواقع على الكلمة ، ويجعلها خبراً ، وليست صفة ، لأن الصفة والموصوف لا يفصل بينهما فاصل إلا نادراً . نعم قد يقع اللبس بين الخبر وبعض التوابع الأخرى غير الصفة ، ولكنه قليل ، أما مع الصفة فكثير .

ويشترط في الاسم الذى بعده :

١ - أن يكون خبراً لمبتدأ ، أو لما أصله مبتدأ - كالأمثلة السالفة .

٢ - أن يكون معرفة ، أو ما يقاربها^(١) في التعريف « وهو : أفعل التفضيل

المجرد من أل والإضافة ، وبعده : من » .

فلا بد أن يتوسط الاسم الذى بعد ضمير الفصل بين معرفتين ، أو بين

معرفة وما يقاربها . ومن أمثلة ذلك غير ما تقدم .

١ - العالم هو العامل بعلمه ؛ ينفع نفسه وغيره .

٢ - إن الثروة هي المكتسبة بأشرف الوسائل ؛ لا تعرف دنساً ، ولا تقرب خسة .

٣ - ما زالت الكرامة هي الواقية من الضعة ، تدفع صاحبها إلى المحامد .

وتجنبه مواقف الذل .

(١) في الصفحة الآتية ليوضح هذا ، وسببه .

.....
.....

ومن أمثلة توسطه بين معرفة وما يقاربها :

- ١ - النبيل هو أسرع من غيره لداعى المروءة ، يلبي من ينادى .
- ٢ - الشمس هي أكبر من باقى مجموعتها ؛ لا تغيب .
- ٣ - الموت فى الحرب أكرم من الاستسلام ، والاستسلام هو أقبح من الهزيمة لا يُمحى عاره .

فلا يصح اعتباره ضمير فصل فى مثل : كان رجل هو سباق أشواط ؛ لعدم وجود المعرفتين معاً . ولا كان رجل هو السباق ؛ لعدم وجود المعرفة السابقة ؛ ولا كان محمد هو سباق أشواط ؛ لعدم وجود المعرفة الثانية ، أو ما يقاربها .

أما اشتراط أن يكون ما قبله معرفة فلأن لفظ ضمير الفصل لفظ المعرفة ، وفيه تأكيد ؛ فوجب أن يكون المدلول السابق الذى يؤكد هذا الضمير معرفة ، كما أن التأكيد كذلك ، ووجب أن يكون ما بعده معرفة أيضاً ؛ لأنه لا يقع بعده - غالباً - إلا ما يصح وقوعه نعتاً للاسم السابق . ونعت المعرفة لا يكون إلا معرفة . ولكل ما سبق وجب أن يكون بين معرفتين .

أما ما قارب المعرفة - وهو أفعل التفضيل المشار إليه - فإنه يشابه المعرفة فى أنه مع « مين » لا يجوز إضافته ، ولا يجوز دخول « أل » عليه ؛ فأشبه العلم من نحو : محمد ، وصالح ، وهند . فى أنه - فى الغالب - لا يضاف ، ولا تدخل عليه « أل » . هذا إلى أن وجود (من) بعده يفيد تخصيصاً ، ويكسبه شيئاً من التعيين والتحديد يقربه من المعرفة ^(١) .

إعراب ضمير الفصل :

أنسب الآراء وأيسرها هو رأى الذى يتضمن الأمرين التالين :

- ١ - أنه فى الحقيقة ليس ضميراً « بالرغم من دلالة على التكلم ، أو الخطاب . أو الغيبة » ؛ وإنما هو حرف خالص الحرفية ؛ لا يعمل شيئاً ؛ فهو مثل « كاف الخطاب » فى أسماء الإشارة . وفى بعض كلمات أخرى ؛ (مثل : ذلك ، وتلك ، والنجاءك ، وقد سبقت الإشارة إليها فى هذا الباب) ^(٢) . فن أنسب أيضاً تسميته :

(١) هكذا قالوا ، ولا داعى لشيء من التعليل ؛ لأن السبب الحقيقى هو استعمال العرب ليس غير ، ومجىء كلامهم مشتقاً على ضمير الفصل بين المعرفتين ، أو بين المعرفة وما شابهها .

(٢) فى رقم ٥ من هامش ص ٢١٧ - وفى ص ٢٣٨ وما يليها .

... ..
... ..

« حرف الفصل » ، ولا يحسن تسميته : « ضمير الفصل » إلا مجازاً ؛ بمراعاة شكله وصورته الحالية ، وأصله قبل أن يكون لمجرد الفصل .

٢ - أن الاسم الذى بعده يعرب على حسب حاجة ما قبله ، من غير نظر ولا اعتبار لحرف الفصل الموجود ؛ فيجرب الإعراب على ما قبل حرف الفصل وما بعده من غير التفات إليه ؛ فكأنه غير موجود ؛ لأنه حرف مهمل ، (أى : لا يعمل) ، والحرف لا يكون مبتدأ ولا خبراً ، ولا غيرهما من أحوال الأسماء . وإذا كان غير عامل فإنه لا يؤثر في غيره تأثيراً إعرابياً ، على الرغم من فائدته التى اقتضت وجوده .

لكن هناك حالة يكون فيها اسماً ، ويجب إعرابه وتسميته فيها : « ضمير الفصل » ؛ وهى نحو : « كان السَّبَّاقُ هو على »^(١) (برفع كلمة : السَّبَّاق ، وكلمة : على) . حيث لا مفر من اعتبار : « هو » ضميراً مبتدأ ، مبنياً على الفتح فى محل رفع ، وخبره كلمة : « على » المرفوعة ، والجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب خبر : « كان » ، وبغير هذا الاعتبار لا نجد خبراً منصوباً لكان . ومثل هذا يقال فى كل جملة أخرى لا يمكن أن يتصل فيها الاسم الثانى بالأول بصلة إعرابية إلا من طريق اعتبار الضمير بينهما اسماً له محل إعرابى مبتدأ (على نحو ما تقدم) أو غيره . وإن اتباع ذلك رأى الأنسب والأيسر لا يمنع من اتباع غيره ، لكنه يربحنا من تقسيم مرهق ، وتفصيل غنيف يردده أصحاب الآراء الجدلية ، متمسكين بأنه ضمير ، وأنه اسم إلا فى حالات قليلة . من غير أن يكون لآرائهم مزية تنفرد بها دون سواها ، وسنعرض بعض تفريعاتهم ليأخذ بها من يشاء ، وليستعين بها على فهم الأوجه الإعرابية الواردة فى صور قديمة مأثورة مشتملة على ذلك الضمير .

إنهم يقولون إن ضمير الفصل اسم ؛ فلا بد له - كباقي الأسماء - من محل إعرابى ، إلا إذا تعذر الأمر ؛ فيكون اسماً لا محل له من الإعراب كالحرف ، أو هو حرف . ويرتبون على هذا الأصل فروعاً كثيرة معقدة ، ويزيدها تعقيداً كثرة

(١) وهذا من الأمثلة التى تخل فيها الضمير عن مهنة الفصل وتجرد لتقوية الاسم السابق ،

.....
.....
الخلافاً فيها ، وإليك أوضح هذه التفريعات . (ونحن في غنى عن أوضحها وغير
الأوضح بما اقترحناه من التيسير المفيد) :

١ - « العقل هو الحارس » : إذا كان الاسم الواقع بعد ضمير الفصل مرفوعاً
جاء في الضمير أن يكون مبتدأ ثانياً خبره الاسم المتأخر عنه ؛ وهو : « الحارس »
والجملة منهما معاً خبر المبتدأ الأول : (العقل) .

ويجوز عندهم شيء آخر : أن يكون ضمير الفصل اسماً مهماً ، (أى : لا يعمل ،
ولا محل له من الإعراب) أو حرفاً ؛ فكأنه غير موجود في الكلام ؛ فيعرب ما بعده على
حسب حاجة الجملة من غير اعتبار لوجود ذلك الضمير ؛ فتكون كلمة : « حارس »
هنا مرفوعة خبر المبتدأ ، لكنهم يفضلون إعرابه مبتدأ ثانياً ؛ لكيلا يقع الضمير
مهملاً لا محل له من الإعراب من غير ضرورة .

ومثل ذلك يقال مع « إن وأخواتها » ؛ مثل : إن محمداً هو الحارس ، لأن
الاسم الذي بعد الضمير مرفوع .

٢ - « كان محمد هو الحارس » ظننت محمداً هو الحارس .

إذا وقع ضمير الفصل بعد اسم ظاهر مرفوع . وبعده اسم منصوب - لم يجوز
في الضمير عندهم إلا اعتباره اسماً مهماً ، لا محل له من الإعراب ، كالحرف ،
أو هو حرف . وما بعده في الحالتين خبر كان ، أو مفعول ثانٍ للفعل : « ظن »
أو أحد أخواتهما . أما إذا كانت كلمة : « الحارس » وأشباههما مرفوعة (لأنه يجوز
فيها الرفع) فالضمير عندئذ مبتدأ ، وما بعده خبر له ، والجملة منهما في محل
نصب خبر : « كان » ، أو مفعولاً ثانياً للفعل : « ظن » ، أو لأخواتهما^(١) .

٣ - « كنت أنت المخلص » ، إذا توسط ضمير الفصل بين اسمين ، السابق
منهما ضمير متصل مرفوع ، والمتأخر اسم منصوب - جاز في ضمير الفصل أن
يكون اسماً لا محل له من الإعراب ، كالحرف ، أو هو حرف ، وما بعده يعرب على
حسب حاجة ما قبله ، فهو هنا منصوب خبر كان . وجاز في ضمير الفصل أن

(١) يقول سيبويه إن كثيراً من العرب يحملون « هو » وأخواته في هذا الباب اسماً مبتدأ ،
وما بعده مبنياً عليه (أى : خبره) وحكى عن « رؤية » أنه كان يقول : أظن زيدا هو خير منك . وحكى
أن كثيراً من العرب كانوا يقولون ؛ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون . (راجع كتاب سيبويه ،
ج ١ ص ٣٩٥) .

.....
.....

يكون تأكيداً لفظياً للتاء (لأن الضمير المنفصل المرفوع يؤكد كل ضمير متصل ؛
وتكون كلمة : « المخلص » خبراً لكان منصوباً .

٤ — إذا كانت كلمة « المخلص » في المثال السابق مرفوعة وليست منصوبة وجب
في ضمير الفصل أن يكون مبتدأ خبره كلمة : « المخلص » ، والجملة منهما في
محل نصب خبر « كان » . ومثل هذا يقال في كل ما يشبه الفروع السابقة .

وهناك فروع وأحوال أخرى متعددة ، نكتفي بالإشارة إليها ، إذ لا فائدة من
حصرها هنا بعد أن اخترنا رأياً سهلاً يريحنا من عنائها . فن شاء أن يطلع عليها
فليرجع إليها في المطولات^(١) .

* * *

(د) ضمير الشأن ، أو : ضمير القصة ، أو : ضمير الأمر ، أو : ضمير
الحديث ، أو : ضمير^(٢) المجهول . . .

من الضمائر نوع آخر له كل الأسماء السالفة ، والاسم الأول أشهر ، فالذى
يليه — وله أحكام محدودة . وفيما يلي البيان :

كان العرب الفصحاء — ومن يحاكيهم اليوم — إذا أرادوا أن يذكروا جملة
(اسمية ، أو فعلية) ، تشتمل على معنى هام ، أو غرض فخيم ، يستحق توجيه
الأنفاس والنفوس إليه — لم يذكروها مباشرة ، خالية مما يدل على تلك الأهمية
والمكانة ؛ وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها ؛ ليكون الضمير — بما فيه من إبهام^(٣)
وتركيز ، ولا سيما إذا لم يسبقه مرجعه — مثيراً للشوق ، والتطلع إلى ما يزيل إبهامه ،
باعثاً للرغبة فيما يبسط تركيزه ؛ فتجىء الجملة بعده ؛ والنفس متشوقة لها ، مقبلة عليها ،
في حرص ورغبة . فتقديم الضمير ليس إلا تمهيداً لهذه الجملة الهامة . لكنه يتضمن
معناها تماماً ، ومدلوله هو مدلولها ؛ فهو بمثابة رمز لها ، ولحظة أو إشارة توجّه إليها .

(١) كشرح الفصل ج ٥ ص ١٠٩ ، وكالمع ص ٦٨ ، بحث : « ضمير الفصل » ،
والمعنى : ج ٢ ص ٩٦ بحث : « شرح حال الضمير المسى : فصلاً وعماداً » . . .

(٢) في ص ٢٥٢ بيان السبب في كل تسمية . وفي رقم ٤ من هامش ص ٢٥٩ بيان المراد من
« المجهول » .

• (٣) معنى الإبهام موضع في رقم ٣ من هامش ص ٥٢ .

.....
.....

ومن أمثلة ذلك :

١ — أن يتحدث فريق من الأصدقاء عن غنى افتقر ، فيقول أحدهم :
وارحمته ! ! لم يبق من ماله شيء ، فيقول الثاني : حسبته أن أنفقه في سبيل الخير .
ويقول الثالث : من كان يظن أن هذه القناطر تنفد من غير أن تدخر منها
شيئاً يصونه من ذل الفاقة ، وجحيم البؤس ؟ . فيقول الرابع متأوهاً : يا رفاق ،
« هو : الزمان غدار ، وهى : الأيام خائنة » .

فالغرض الذى يرمى إليه الرابع من كلامه : (بيان غدر الزمان ، وخيانة الأيام .
أو : تقلب الزمان) . وهو غرض هام ، لما يتضمن من عبرة ، وموعظة ، والتماس عذر
للصديق . وقد أراد أن يدل على أهميته . ويوجه النفس إليه ، فهتد له بالضمير ؛
« هو » و « هى » من غير أن يسبقه شيء يصلح مرجعاً ؛ ليشير الضمير بإبهامه هذا ،
وتركيذه ، شوق النفس . وتطلعها إلى ما يجيء بعده . وتوجه بشغف إلى ما سيذكر .
ولن يزيل غموض الضمير ويوضح المراد منه إلا الجملة التى بعده ؛ فهى التى تفسره ؛
وتخليه : فهو رمز لها . أو كناية عنها . وهى المفسرة للرمز . المبينة لمدلول الكناية .
والرمز ومفسره . والكناية ومدلولها — من حيث المعنى شيء واحد (ولذلك
يعرب الضمير هنا مبتدأ ، وتعرب الجملة خبراً عنه من غير رابط ؛ لا تحادها في
المعنى) . ومثل ما سبق نقول في بيت الشاعر :

هو : الدهر ميلاد . فشغل . فأتى فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

٢ — أن تسير في حديقة . فأتت . بهيجة . فتستهويك ؛ فتقول : « إنه —
الزهر ساحر » « إنها — الرياحين رائعة » ، أو : « إنه — يسحرنى الزهر » « إنها —
تروعنى الرياحين » . . . فقد كان في نفسك معنى هام . وخاطر جليل — هو :
« سحر الزهر » ، أو : « روعة الرياحين » . فأردت التعبير عنه بجملة اسمية أو فعلية .
ولكنك لم تذكر الجملة إلا بعد أن قدمت لها بالضمير (فى كالمى : إنه ... إنها ...)
لما فى الضمير — ولا سيما الذى لم يسبقه مرجعه — من إبهام وإيحاء مركزين ؛
يثيران فى النفس شوقاً وتطلعاً إلى استيضاح المبهم ، وتفصيل المركّز . وهذا
عمل الجملة بعده . فإنها تزيل إبهامه ، وتفسر إيحاءه ، وتبسط تركيزه : فتقبل
عليها النفس ، متشوقة ، متفتحة .

... ..
... ..

٣ - يشتد البرد في إحدى الليالي ، وتعصف الرياح ؛ فيقول أحد الناس :
هذا برد قارس ، لم أشهده قبل اليوم في بلادنا ، فيقول آخر : لقد شهدت مثله
كثيراً ، ولكن عصف الرياح لم أشهده . ويحاذلها ثالث ، فيقول : « هو : نظام
الكون ثابت » و « إنه : الجو خاضع لقوانين الطبيعة » و « إنها : الطبيعة ثابتة
القوانين » فالضمير (هو ... والهاء ... وها) رمز وإيحاء إلى الجملة الهامة التالية التي
هي المدلول الذي يرمى إليه ، والغرض الذي يتضمنه . فكلاهما في المعنى سواء .

فكل ضمير من الضمائر التي مرت في الأمثلة السابقة - ونظائرها - يسمى
عند جمهرة البصريين : « ضمير الشأن » . وهو : « ضمير يكون في صدر جملة
بعده ؛ تفسر دلالاته ، وتوضح المراد منه ، ومعناها معناه » .

ولإنما يسمونه « ضمير الشأن » لأنه يرمز للشأن ، أي : للحال التي يراد الكلام
عنها ، والتي سيدور الحديث فيها بعده مباشرة . وهذه التسمية أشهر تسمياته ، وأكثر
الكوفيين يسمونه : « الضمير المجهول » ؛ لأنه لم يسبقه المرجع الذي يعود إليه ، ويسمى
عند بعض النحاة : « ضمير القصة » ، لأنه يشير إلى القصة « أي : المسألة التي
سيتناولها الكلام » ، كما يسمى أيضاً : ضمير الأمر ، وضمير الحديث ؛ لأنه يرمز
إلى الأمر الهام الذي يجيء بعده ، والذي هو موضوع الكلام ، والحديث المتأخر عنه .
ولهذا الضمير أحكام ؛ أهمها : ستة ، وهي أحكام يخالف بها القواعد
والأصول العامة ؛ ولذلك لا يلجأ إليه النحاة إذا أمكن اعتباره في سياق جملته نوعاً
آخر من الضمير^(١) .

أولها : أنه لا بد أن يكون مبتدأ ، أو أصله مبتدأ ، ثم دخل عليه ناسخ ؛
كأمثلة السابقة . ومثل : « قل هو : الله أحد » ؛ فقد وقع في الآية مبتدأ .

(١) راجع المفتي ج ٢ في المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر . وشرح المفصل ج ٢ ص ١١٤
وكذلك حاشية الصبان في باب : « كان » عند الكلام على قول ابن مالك :

وَمُضْمَرُ الشَّانِ اسْمًا اَنْوَ اِنْ وَقَعَ مُوَهِّمٌ مَا اسْتَبَانَ اَنَّهُ اِمْتَنَعَ

.....
.....

أو مثل قول الشاعر :

وما هو من بئسوا الكلوم^(١) ويُنْتَقَى به ناثباتُ الدهر — كالدائم البُخْل

فقد وقع اسماً لـ « ما » الحجازية . ومثل قول الشاعر :

عَلِمْتُهُ : « الحقُّ لا يخفى على أحد » فَكُنْ مُحِقّاً تَنْتَلِ مَا شِئْتَ مِنْ ظَفَرٍ

ثانيها : أن تكون صيغته للمفرد ؛ فلا تكون للمثنى ، ولا للجمع ، مطلقاً ، والكثير

أن تكون للمفرد المذكور ، مراداً به الشأن ، أو : الحال ، أو : الأمر . ويجوز أن تكون

بلفظ المفردة المؤنثة عند إرادة القصة ، أو : المسألة ؛ وخاصة إذا كان بعده في الجملة

مؤنث عمدة^(٢) ؛ كقوله تعالى : « فإذا هي ؛ شاخصة^(٣) أبصار الذين كفروا » ،

وكقوله تعالى : « فإنها ؛ لا تَعْمَى الأبصار ، ولكن تَعْمَى القلوبُ التي في

الصدور » . ومثل : « هي ؛ الأعمال بالنيات » و « هي ؛ الأم مدرسة » .

ثالثها : أنه لا بد له من جملة تفسره ، وتوضح مدلوله ، وتكون خبراً له — الآن

أو بحسب أصله^(٤) — مع التصريح بجزأَيها ؛ فلا يصح تفسيره بمفرد ، بخلاف غيره

من الضمائر ، ولا يصح حذف أحد طرفي الجملة ، أو تقديره .

رابعها : أن تكون الجملة المفسرة له متأخرة عنه وجوباً ، ومرجعه يعود على

مضمونها^(٥) ، فلا يجوز تقديمها كلها ، ولا شيء منها عليه ؛ لأن المفسر لا يجيء

قبل المفسر (أى : أن المفسر لا يجيء قبل الشيء الذي يحتاج للتفسير) .

خامسها : أنه لا يكون له تابع ؛ من عطف ، أو توكيد ، أو بدل ، أما النعت

(١) الكلوم : الجروح . المفرد : كَلِمٌ .

(٢) وقد اشترط — بحق — أكثر البصريين هذا الشرط لتأنيثه ، والمعدة — كما عرفنا — : جزء أساسي في الجملة لا يمكن الاستغناء عنه ؛ كالمبتدأ ، وكالخبر ، أو : ما أصله المبتدأ أو الخبر . وكالفاعل ونائبه .

(٣) متجهة في الفضاء ممتدة ؛ لا تتحرك ولا تتغير .

(٤) كأن يسبقها ناسخ . ومن هذه النواسخ : « أن » المخففة من الثقيلة ، و « كأن » المخففة كذلك — كما سيحىء في ص ٦٧٣ و ٦٨١ — في باب « إن » .

(٥) من هنا نعلم أن : « ضمير الشأن » لا يكون له مرجع متقدم يوضحه ؛ وإنما مرجعه يجيء بعده وهو مضمون الجملة التي تليه ؛ فهي التي توضحه وتفسره . فلو كان الذي يفسره مفرداً لم يكن ضمير الشأن . ففي مثل عرفته علياً ، أو : ربه طالباً — لا يكون الضمير هنا للشأن ، وإنما هو ضمير يعود على متأخر . وعودة ضمير الشأن على متأخر إحدى المسائل التي يصح فيها إرجاع الضمير على متأخر لفظاً ورتبة . وسيجيء بيانها ، في « و » ص ٢٥٨ ومنها : « ضمير الشأن » في ص ٢٦١ .

فهو فيه كغيره من أنواع الضمير ؛ لا يكون لها نعت ، ولا تكون نعتاً لغيرها .
سادسها : أنه إذا كان منصوباً — بسبب وقوعه مفعولاً به لفعل ناسخ ينصب
مفعولين ، أصلهما المبتدأ والخبر — وجب إبرازه واتصاله بعامله ؛ مثل : ظننته « الصديق
نافع » — حسبته « قام أخوك » — فالهاء ضمير الشأن في موضع نصب ؛ لأنها
المفعول الأول للفعل : « ظن » والجملة بعدها في محل نصب ، هي المفعول الثاني له .
أما إذا كان مرفوعاً متصلاً . وعامله فعل ، فإنه يستتر في هذا الفعل ،
ويستكن فيه ؛ مثل : ليس خلق الإنسان نفسه . ففي « ليس » — في رأى ابن
مالك — ضمير مستتر حتماً ؛ لأن « ليس ، وخلق » فعلان من نوع واحد ؛
لأنهما ماضيان . ووقوع الفعل معمولاً تالياً مباشرة^(١) لعامله الفعل الذى من نوعه ،
قليل جداً في فصيح الكلام . . . فلا بد من اسم يرتفع بالفعل « ليس^(٢) » ،
ولذلك كان اسمها ضميراً مستتراً فيها^(٣) . ومثله قولهم : « كان على عادل » — وكان
أنت خير من محمد — . . . ففي « كان » في الحالتين ضمير مستتر تقديره :
« هو » أى : الحال والشأن ، . . . ويعرب اسمها لها ، والجملة بعده مفسرة له ،
وهي خبر « كان » . وهكذا غيره من المأثور ، أو مما يجاريه ؛ كقول الشاعر :

إذا متّ كان (الناس صنفان) ؛ شامت وآخر مُشْنٍ^(٤) بالذى كنت أصنع
ومثله :

هي الشفاء لدائى لو ظفرت بها وليس منها (شفاء الداء مبذول)
ففي « كان ، وليس » ضمير للشأن مستتر ، تقديره : « هو » يفسره الجملة

(١) أى : بغير فاصل بينهما .

(٢) إلا على اعتبارها حرف نفي لا يعمل ، وهو هنا حسن . ولهذا الأسلوب صلة بما يجيء عن الأخبار
في ص ٩٧ ؛ ومزيد لإيضاح هام يجيء في باب : « كان » حيث الكلام على الفعل : « ليس » — ص ٥٥٩ .
(٣) ومن هذا ما مثل به « المبرد » من قولهم : « ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد
يُهْتَمُّ المصيب . ولكن يعطى كل ما يستحقه » (والمراد بقدم العهد : كبر السن . ومعنى يهْتَمُّ : يُعْظَم) .
(٤) مادح .

.....
.....

الواقعة بعده خبراً للناسخ ؛ وهى : (الناس صنفان) و (شفاء الداء مبذول) (١) .

ومما يجب التنبيه له أن الأساليب السالفة — ونظائرها — لا تكون صحيحة معدودة من الأساليب المشتعلة على ضمير الشأن إلا إذا كانت صادرة من خبير بأصول اللغة ، مدرك للفروق بين التراكيب ، ولأثرها فى المعانى المختلفة ، وأنه صاغ هذا الأسلوب المشتعل على ضمير الشأن صياغة مقصودة لتحقيق الغرض المعنوى الذى يؤدى به . ولولا هذا لصارت اللغة عبثاً فى تراكيبها ، ينتهى إلى فساد فى معانيها . ولا شك أن حسن استخدام هذا الضمير ، وتمييزه من غيره لا يخلو من عسر كبير .

* * *

(هـ) مرجع الضمير (٢) :

الضمائر كلها لا تخلو من إبهام (٣) وغموض — كما عرفنا (٤) — سواء أكانت للمتكلم ، أم للمخاطب ، أم للغائب ؛ فلا بد لها من شىء يزيل إبهامها ، ويفسر غموضها . فأما المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام ؛ فهو حاضر يتكلم بنفسه ، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة . وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف ؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد ؛ فلا بد لهذا الضمير من شىء يفسره ، ويوضح المراد منه . والأصل فى هذا الشىء المفسر الموضح أن يكون

(١) رفع كلمة : « صنفان » وكلمة : « مبذول » وعدم نصبهما — فى كلام العرب الفصيح ، ومن يحاكيه — دليل على أنهما خبرا المبتدأ ، والجملة فى محل نصب خبر كان ، واسمها ضمير الشأن ، المستتر فى الناسخ .

(٢) قد يكون المرجع متعدد — كما سيبنى — فى ص ٢٦١ — .

(٣) المراد بالإبهام هنا : معناه اللغوى ، وهو : الخفاء والغموض ؛ فإن من يسمع : « نحن » — مثلاً — لا يدرك المدلول كاملاً ؛ أهو : نحن العرب ، أم نحن الأدباء ، أم نحن الزراع وبسبب هذه الشائبة من الغموض ، ولا سيما إذا كان كان كان الضمير للغائب ، ولم يوجد ما يوضحه ، ويجب الاختصاص — أو غيره — لإزالتها ؛ وللاختصاص باب مستقل يبنى فى ج ٤ .

أما النعاة فيطلقون « الإبهام » على نوعين من الأسماء دون غيرها ؛ هما : أسماء الإشارة ، وأسماء الموصول وله معنى خاص فيها . وهم يفرقون بين الضمير والمجهول ؛ على الوجه الذى سنبينه فى « ج » من ص ٣٣٨ ورقم ٣ من هامش ص ٣٤٠ .

(٤) فى « د » من ص ٢٥٠ .

... ..
... ..

— في غير ضمير الشأن^(١) — متقدماً على الضمير ، ومذكوراً قبله^(٢) لبيان معناه أولاً ، ويكشف المقصود منه ، ثم يجيء بعده الضمير مطابقتاً^(٣) له ؛ — فيما يحتاج للمطابقة ؛ كالتأنيث والإفراد وفروعهما . . . — فيكون خالياً من الإبهام والغموض . ويسمى ذلك المفسر الموضح : « مرجع الضمير » .
فالأصل في مرجع الضمير أن يكون سابقاً على الضمير وجوباً . وقد يهمل هذا الأصل لحكمة بلاغية ستجىء^(٤) . ولهذا الأقدم صورتان .

(١) أما ضمير الشأن فرجعه إلى مضمون الجملة المفسرة له ، المتأخرة عنه ، — طبقاً لما سلف في ص ٢٥٣ ، ولما يجيء في رقم ٦ من ص ٢٦١ .

(٢) الغالب أن يكون المتقدم المذكور هو — في مكانه — أقرب شيء للضمير يصلح مرجعاً ؛ ولذا يقولون إن الضمير يعود على أقرب مذكور ، إلا إن كان قبله متضايقان ، والمضاد ليس كلمة « كل » ولا « جميع » فالأكثر رجوعه إلى المضاد دون المضاف إليه (راجع الصبان ج ١ ، باب المغرب والمبني ، عند الكلام على : « كلا وكلتا ») .

فإن كان المضاف هو كلمة : « كل » أو « جميع » فالغالب عودته على المضاف إليه ، (كما نص عليه الصبان عقب الموضع السالف . — وسيجىء في : « ز » من ص ٢٦١ — وله أمثلة أخرى في رقم ٢ من هامش ص ٤٦٤ —) .

ويشترط لعودته على أقرب مذكور ألا تقوم قرينة تدل على أن المرجع هو لغير الأقرب ، فإن وجدت وجب النزول على ما تقتضيه — ، كالثبات معها في كل الحالات ؛ إذ عليها وحدها المعول ، ولها الأفضلية — ، ففى مثل : عاونت فتاة من أسرة تاريخها مجيد ، يعود الضمير على : « أسرة » ؛ لأنها أقرب مرجع للضمير ، ولا يصح بمقتضى الأصل السالف عودته إلى : « فتاة » بخلاف : عاونت فتاة من أسرة مجاهدة ، فقدت عائلها وهى طفلة ، فالضائر عائدة على : فتاة . مراعاة لما يقتضيه المعنى .

ومثل : اعتنيت بغلاف كتاب تخيرته . فالضمير عائد على المضاف ؛ مراعاة للأكثر ، بخلاف : تخيرت غلاف كتاب صفحاته كثيرة ، لقيام القرينة الدالة على عودته للمضاف إليه . . (وستجىء إشارة للحكم السالف في مناسبة أخرى من ص ٢٦١ عند الكلام على تعدد المراجع) .

وإذا حذف المضاف الذي يصح حذفه ، جاز — وهو الأكثر — عدم الالتفات إليه عند عودة الضائر ونحوها مما يقتضى المطابقة ، فكأنه لم يوجد ، ويجرى الكلام على هذا الاعتبار . وجزأ مراعاته كأنه موجود ، مع أنه محذوف . وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : « وكمن من قرية أهلكتنا فجاءها بأسنا بياتا ، أوهم قائلون) ، والأصل : وكمن من أهل قرية ؛ فرجع الضمير : « ها » مؤنثاً إلى « القرية » ؛ ورجع الضمير : « هم » مذكراً ؛ لاعتبار المحذوف وملا حظته . ولا تناقض بين الاثنين ؛ لأن الوقت مختلف . (وتفصيل هذا الحكم مع عرض أمثله المختلفة مدون في باب الإضافة ج ٣ ص ١٦٠ م ٩٦) .

(٣) لهذه المطابقة ضوابط مفصلة في : « ح » من ص ٢٦٢ وهى ضوابط هامة ، تدل على أن المطابقة قد يلاحظ فيها شيء يتصل بالمرجع أحياناً كما يتبين من الضابط « ٧ » ص ٢٦٥ . . .

(٤) في « و » من ص ٢٥٨ .

.....
.....
الأولى : التقدم اللفظي أو الحقيقي ؛ وذلك بأن يكون متقدماً بالفظه وبرتبته^(١) .
معاً : مثل : الكتابُ قرأته ، واستوعبتُ مسائله .

والأخرى : التقدم المعنوي ويشمل عدة صور ؛ منها :

١ - أن يكون متقدماً برتبته مع تأخير لفظه الصريح ، مثل نسق حديقته المهندس . فالحديقة مفعول به ، وفي آخرها الضمير ، وقد تقدمت ومعها الضمير على الفاعل مع أن رتبة الفاعل أسبق . ومثل قول المتنبي يتنزل :

كأنها الشمس يُعَي كَفَّ قابضه شعاعها ، ويراه الطرف مقرباً والأصل : يعي شعاعها كَفَّ قابضه . فالضمير عائد على الفاعل المتأخر لفظاً لا رتبة .

٢ - أن يكون متقدماً بالفظه ضمناً ، لا صراحة ، ويتحقق ذلك بوجود لفظ آخر يتضمن معنى المرجع ، ويرشد إليه ؛ ويشترك معه في ناحية من نواحي مادة الاشتقاق . مثل قوله تعالى : « اَعْدِلُوا » ؛ هو أقرب للتقوى « فإن مرجع الضمير : « هو » مفهوم من « اعدلوا » ؛ لأن الفعل يتضمنه ، ويحتويه ، ويدل عليه ، ولكن من غير تصريح كامل بلفظه ؛ إنه « العدل » المفهوم ضمناً من قوله : « اعدلوا » واللفظان : « اعدلوا » و « العدل » مشتركان في أصل المعنى العام . وفي ناحية من مادة الاشتقاق .

ومثل هذا : « من صدَقَ فهو خير له ، ومن كَذَبَ فهو شر عليه » فرجع الضمير في الجملة الأولى : « الصدق » ، وهذا المرجع مفهوم من الفعل : « صدَقَ » . كما أن مرجع الضمير في الجملة الثانية هو « الكذب » ، وهو مفهوم من الفعل : « كَذَبَ » وكلا الفعلين قد اشتمل على المرجع ضمناً ؛ لا صراحة لاشتراكهما مع المرجع الصريح في أصل معناه ، وفي ناحية من أصل الاشتقاق ... ومن ذلك أن تقول للمصانع : أنقنْ ؛ فهو سبب الخير والشهرة . أى : الإيتقان ، وتقول للجندى : اصبرْ ؛ فهو سبب النصر ، أى : الصبر^(٢) .

(١) التقدم اللفظي أن يكون المرجع مذكوراً نصاً قبل الضمير ؛ مثل : الوالد فضله عيم . والتقدم في الرتبة أن يكون ترتيب المرجع في تكوين الجملة متقدماً على الضمير ، وسابقاً عليه ؛ بحسب الأصول والقواعد العربية ؛ فرتبة الفاعل متقدمة على المفعول ، ورتبة المبتدأ سابقة على الخبر ، ورتبة المضاف قبل المضاف إليه . . . وهكذا . . .

(٢) ومن ذلك قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » . =

٣ - أن يسبقه لفظ ليس مرجعاً بنفسه ، ولكنه نظير للمرجع (أى : مثيله وشريكه فيما يدور . بشأنه الكلام) ، مثل : لا ينجح الطالب إلا بعمله ، ولا ترسب إلا بعملها . أى : الطالبة . ومثل قوله تعالى : (وما يُعَمِّرُ من مُعَمَّر ولا يُنْقِصُ من عُمره إلا في كتاب . . .) ، أى : من عمر مُعَمَّر آخر .

٤ - أن يسبقه شيء معنوي (أى : شيء غير لفظي) يدل عليه ، كأن تجلس في قطار ، ومعك أمتعة السفر ، ثم تقول : يجب أن يتحرك في ميعاده . فالضمير « هو » - فاعل المضارع : « يتحرك » - والضمير « الهاء » لم يسبقهما مرجع لفظي ، وإنما سبقهما في النفس ما يدل على أنه القطار . وقد فهم من الحالة المحيطة بك ، المناسبة للكلامك ، وهذه الحالة التي تدل على المرجع من غير ألفاظ تسمى : « القرينة المعنوية » أو « المقام »^(١) .

ومثل هذا أيضاً أن تقول لمن ينظر إلى مجلة حسنة الشكل : إنها جميلة ، وقراءتها نافعة . فالضمير « ها » راجع إلى المجلة ، مع أن هذا المرجع لم يذكر بلفظ صريح ، أو ضمني ، أو غيرهما من الألفاظ ، ولكنه عرف من القرينة الدالة عليه . ومثله أن تتجه إلى الشرق صباحاً فتقول : أشرق ، أو تتجه إلى الغرب آخر النهار ، فتقول : « غَرَبَت » . أو : توارت بالحجاب ، تريد الشمس في الحاليتين ، من غير أن تذكر لفظاً يدل عليها . ومثله : أن تقف أمام آثار مصرية فاتنة ، فتقول : ما أبرعهم في الفنون . تريد قدماء المصريين . . . وهكذا .

(و) عودة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة :

عرفنا المواضع التي يكون مرجع الضمير فيها متقدماً تقدماً لفظياً (أى :

= فالضمير في : « إنها » راجع إلى الاستعانة المفهومة من « استعينوا » عند من يرى ذلك . ومنه قول الشاعر :

إِذَا نُهِىَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ : وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافٍ

أى : جرى إلى السفه .

(١) ومنها قول حاتم لامرأته ماويّة التي تلومه على الكرم خوفاً الفقر :

أَمَاوِيُّ ، لَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْماً ، وضاق بها الصدر

أى : حشرجت النفس ؛ بمعنى حلول الوقت الذي تخرج فيه الروح .

حقيقياً) أو تقدماً معنوياً. غير أن هناك حالات يجب فيها عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ لحكمة بلاغية^(١). وتسمى : «مواضع التقدم الحكيم»^(٢) وأهمها ستة :

١ - فاعل « نعم ، وبش » وأخواتهما ، إذا كان ضميراً ، مستتراً ، مفرداً ، بعده نكرة تفسره ؛ (أى : تزيل إبهامه ، وتبين المراد منه ؛) لأنه لم يسبق له مرجع ؛ ولذا تعرب تمييزاً ؛ نحو : نعم رجلاً صديقاً . فنعم فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على : « رجلاً »^(٣).

٢ - الضمير المحرور بافظ : « رب » . ولا بد أن يكون مفرداً ، مذكراً ، وبعده نكرة تفسره (أى : تزيل إبهامه الناشئ^(٤)) من عدم تقدم مرجع له ، وتكون هي مرجعه ، وتوضح المقصود منه ، ولذا تعرب تمييزاً) نحو : ربه صديقاً ؛ يعين على الشدائد . فالضمير « الهاء » عائد على « صديق » . وإنما دخلت « رب » على هذا الضمير - مع أنها لا تدخل إلا على النكرات - لأن إبهامه بسبب عدم تقدم مرجعه مع احتياجه إلى ما يفسره ويبينه ، جعله شبيهاً بالنكرة^(٥) . . .

(١) أهمها : الإجمال ثم التفصيل بعده ؛ بقصد التفتيح بذكر الشيء أولاً مبهماً ، ثم تفسيره بعد ذلك ؛ فيكون شوق النفس إليه أشد ، وتطلّعها إلى التفسير أقوى ؛ فيكون إدراكه وفهمه أوضح ، بسبب ذكره مرتين ، مجملًا ففصلاً ، (أو : مبهماً فمفسراً) .

(٢) لأن المرجع فيها متأخر لئلا يلبس بلاغية ، فهو في حكم المتقدم . وهذه المواضع يذكرها بعض النحاة في باب : « الفاعل » ، ولكن الأنسب ذكرها هنا في باب : الضمير « حيث الكلام على الضمير وكل ما يتصل به » .

(٣) إنما يكون هذا حيث لا يوجد مرجع سابق ؛ فلو وجد مرجع (مثل : الأمين نعم رجلاً) وجب أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً (وجوباً أو جوازاً ، طبقاً لما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٢٥٩) يعود على السابق وهو : « الأمين » في المثال .

(٤) وبسبب إبهامه الناشئ من عدم مرجع له قد يسمى : « الضمير المجهول » (كما سيحىء في ج ٢ ص ٤٨٣ م ٩٠ عند الكلام على الحرف « رب » في باب حروف الجر) - وانظر هذا الاسم في « د » من ص ٢٥٠ و ٢٥٢ .

(٥) هذا قول النحاة : والتعليل الحقيقي هو السماع من أفواه العرب . وفي إعراب المثال المذكور أقوال أيسرها : أن « رب » ، حرف جر شبيه بالزائد ، و (الهاء) مجرورة مبنية ، وعلامة جرها كسرة مقدرة منع من ظهورها الضمة التي هي حركة البناء الأصلي . في محل رفع مبتدأ ! (لأن « الهاء » ضمير جر ينوب في هذا الموضع « بعد رب » عن ضمير رفع ؛ مثل : هو) « صديقاً » تمييز ، « يعين على الشدائد » ، الجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ . أما بقية الآراء في هذا المثال وأشباهه وفي مجرور « رب » ففصلها بوضوح في آخر الجزء الثاني عند الكلام على « رب » وأحكامها . (م ٩٠ ص ٤٨٢) .

.....
.....

٣ - الضمير المرفوع بأول المتنازعين ؛ مثل : يحاربون ولا يسجبنُ العرب .
فالضمير في : « يحاربون » (وهو الواو) عائد على متأخر (وهو العرب) . (وأصل
الكلام : يحارب ولا يجبن العرب) : فكل من الفعلين يحتاج إلى كلمة : « العرب »
لتكون فاعلا له وحده . ولا يمكن أن يكون الفاعل الظاهر مشتركا بين فعلين .
فجعلناه فاعلا للثاني ؛ وجعلنا ضميره فاعلا للأول ^(١) . . .

٤ - الضمير الذي يبدل منه اسم ظاهر ليفسره ؛ مثل : (سأكرمه . . .
السَّبَّاق) . فلكمة : « السَّبَّاق » - بدل من الماء ، وجاءت بعدها لتفسرها . ومثل :
(احتفلنا بقدمه . . . الغائب) . فالغائب بدل من الماء ؛ التوضيحها .

٥ - الضمير الواقع مبتدأ ، وخبره اسم ظاهر بمعناه ، يوضحه ، ويفسر
حقيقته ؛ فكأنهما شيء واحد من حيث المعنى . مثل : (هو النجم القطبي ^(٢)) ؛
تعرف فائدته) ؛ فلكمة « هو » مبتدأ ، خبره كلمة النجم المتأخرة عنه ^(٣) .

(١) راجع هذا الحكم ج ٢ من ص ٨ م ٧٣ باب : « التنازع » . . . أحكامه .

(٢) ومثله قول الشاعر :

وقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ، ولكن في تناولها بُعد
وقول المتنبي :

هُوَ الْحَظُّ ، حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وحتى يكون اليوم لليوم سيِّدا
وقوله أيضاً :

هُوَ الْبَيْنُ ، حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ ويا قلب ، حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ
(ما تأنَّى الحزائق : ما تتصل الجماعات المرتحلة) .

(٣) ويصح أن يعرب الضمير في هذا المثال - ونظائره - مبتدأ مع إعراب الاسم الظاهر الذي
يفسره « بدلا أو عطفت بيان » . وفي هذه الحالة يكون الخبر مذكورا بعدهما أو محذوفا على حسب السياق ،
ولا مانع أن يكون الخبر مفردا ، أو جملة ؛ أو : شبهها . . . ويصح كذلك أن يكون الضمير المبتدأ
هو ضمير الشأن أو القصة . . . (وقد سبق الكلام عليه في ص ٢٥٠ « د ») . . . وفي هذه الصورة
يكون خبر المبتدأ جملة بعده . . . (راجع الصبان ، ج ١ - باب الضمير عند الكلام على بيت ابن مالك :
فا لذي غيبة أو حضور . . . إلخ

وكذلك شرح المكبري لديوان المتنبي - ج ٣ - للقصيد التي مطلعها :

هو البين حتى ما تأنَّى الحزائق ..

٦ - ضمير الشأن^(١) ، والقصة ، مثل : (إنه ؛ المجد أمنية العظاماء - إنها رابطة العروبة قوية لا تنفصم) . فالضمير في « إنه » و « إنها » ضمير الشأن أو القصة ... ومن كل ما سبق نعلم أن ضمير الغائب لا بد أن يكون له مرجع ؛ وهذا المرجع - إن كان لفظياً أو معنوياً - يتقدم عليه وجوباً . وإن كان حكيمياً يتأخر عنه وجوباً^(٢) . . .

* * *

(ز) تعدد مرجع الضمير :

الأصل في مرجع ضمير الغائب (أى : في مفسره) أن يكون مرجعاً واحداً ، فإن تعدد ما يصلح لذلك ، واقتضى المقام الاختصار على واحد تعين أن يكون المرجع الواحد هو : الأقرب في الكلام إلى الضمير . نحو : حضر محمد وضيف ؛ فأكرمته . فرجع الضمير هو « الضيف » ، لأنه الأقرب في الكلام ، ولا يمكن عودته على المرجعين السابقين معا ؛ لأنه مفرد ، وهما في حكم المثنى ؛ فالمطابقة الواجبة مفقودة - وسيجيء الكلام عليها هنا - ونحو : قرأت المجلة ورسالة ؛ بعثت بها إلى صديق . فرجع الضمير هو : « الرسالة » ، لأنها الأقرب ، وللسبب السالف أيضاً ، وهو : فقد المطابقة .

وإنما يعود الضمير على الأقرب في غير صورتين ؛ إحداهما : أن يوجد دليل يدل على أن المرجع ليس هو الأقرب ؛ مثل : حضرت سعاد وضيف فأكرمتهما^(٣) .. والثانية : أن يكون الأقرب مضافاً إليه ؛ فيعود الضمير على المضاف^(٤) ،

(١) سبق شرحه في ص ٢٥٠ . . .

(٢) ولا يجوز في غير ما سبق عود الضمير على مرجع متأخر . ومن المسموع الشاذ الذي لا يقاس عليه قول حسان بن ثابت في رثاء مطعم بن عدى :

ولو أن مجدداً أخذ الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً
وقول الآخر :

وما نفعت أعماله المرء راجياً جزاء عليها من سوى من له الأمر

(٣) يجب التنبيه إلى المشابهة والمخالفة بين هذه الصورة والصورة الأخرى تحت عنوان « ملاحظة » في ص ٢٦٩ .

(٤) لأن المضاف إليه ليس إلا مجرد قيد في المضاف - غالباً - .

.....
.....

بشرط ألا يكون كاحمة « كُلّ » ، أو « جميع » ، مثل : زارني والد الصديق فأكرمته
أى : أكرمت الوالد . إلا إن وجد دليل يدل على أن المقصود بالضمير هو المضاف
إليه لا المضاف ؛ فيجب الأخذ بالدليل ؛ مثل : عرفت مضمون الرسالة ثم
طويتها ؛ لأن تأنيث الضمير دليل على أن مرجعه هو المضاف إليه المؤنث ،
لا المضاف ، ومثله : قرأت عنوان الكتاب ثم طويته ، أى : « الكتاب » ؛ لأنه الذى
يُطوى . وحصدت قمح الحقل ثم سقيته ؛ لأن الحقل هو الذى يسقى ، لا القمح
المحصود . وأقبل خادماً أخى فأمره بالرجوع إلى السوق ؛ لشراء بعض الحاجات ؛
لأن الخادماً لا يتأمر ، وإنما يؤمر . وكذلك إن كان المضاف هو كلمة : « كل » أو
« جميع » فالأغلب عودته على المضاف إليه ^(١) .

وإذا تعدد المرجع من غير تفاوت فى القوة — وهو التفاوت الذى يكون بين
المعارف فى درجة التعريف ، وشهرته — وأمكن عود الضمير إلى مرجع واحد فقط ،
وإلى أكثر ؛ من غير أن يقتضى الأمر الاختصار على واحد . نحو : جاء الأقارب
والأصدقاء وأكرمتهم — فالأحسن عود الضمير على الجميع ، لا على الأقرب وحده .
ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا الموضع — وفى غيره ، من سائر مسائل اللغة —
أن الذى يجب الأخذ به أولاً ، والاعتماد عليه ؛ إنما هو الدليل الذى يعين مرجع
الضمير ويحدده ؛ فالدليل — أى : القرينة — لها وحدها القول الفصل فى الإيضاح
هنا ، وفى جميع المواضع اللغوية الأخرى .

وإذا كان للضمير مرجعان أو أكثر مع التفاوت فى القوة — وجب أن يعود على
الأقوى ، طبقاً للبيان المفصل الذى سيجىء — فى رقم ٩ من ص ٢٦٨ — .

* * *

(ح) التطابق ^(٢) بين الضمير ومرجعه .

عرفنا ^(٣) أن ضمير الغائب لا بد له من مرجع . وبقي أن نعرف أن التطابق

(١) سبقت الإشارة — مفصلة — للحكم السالف فى رقم ٢ من هامش ص ٢٥٦ . وله أمثلة أخرى

فى رقم ٢ من هامش ص ٤٦٤ .

(٢) التطابق أنواع مختلفة ؛ منها ما يكون بين الضمير ومرجعه ؛ كالفى سيذكر هنا ، ومنها
ما يكون بين المبتدأ وخبره ، وسيجىء فى بابهما — ص ٤٥٢ وما بعدها — ومنها ما يكون بين النعت وشعوته
وسيذكر فى بابه أيضاً ج ٣ — م ١١٤ ص ٤٢٨ ، وهكذا يذكر كل فى بابه .

(٣) فى ص ٢٥٥ .

.....
.....

واجب بين ضمير الغائب ومرجعه . على الوجه الآتى : - وهذا يراعى فى التطابق المطلوب فى صور كثيرة ؛ كالتى بين المبتدأ وخبره^(١) ، والنعت ومنعوته ، والحال وصاحبها . . . ونحو هذا مما يقتضى المطابقة - .

١- إن كان المرجع مفرداً مذكراً أو مؤنثاً وجب - فى الرأى الأصح - أن يكون ضمير الغائب مطابقاً له فى ذلك ، نحو : النائم تيقظَ ، أى : « هو » . والمسافر حضر أبوه ، والغريبة عادت سالمة . أى : « هى » . والطالبة أقبل والدها . . . فضمير الغائب قد طابق مرجعه فى الأمثلة السابقة ؛ لإفراداً ، وتذكراً ، وثأنثاً .

وكذلك إن كان المرجع مثنى فى الحالتين . تقول فى الأمثلة السابقة^(٢) : (النائمان تيقظَا ، والمسافران حضر أبوهما^(٣) . والغريبتان عادتا^(٤) سالمين . والطالبتان أقبل والدهما^(٥)) . وقد يعود الضمير مفرداً مؤنثاً مع أن السابق عليه أمران ، أحدهما مذكر - طبقاً للبيان الآتى فى ص ٢٦٩ تحت عنوان « ملاحظة » - .

٢- إن كان المرجع جمع مذكر سالم وجب (فى الرأى الأغلب) أن يكون ضميره واو جماعة ؛ مثل : المخلصون انتصروا . ولا يصح أن يكون غير ذلك ، كما لا يصح - فى الأفصح - أن يتصل بالفعل وشبهه علامة تأنيث ؛ فلا يقال المخلصون فازت ، ولا المخلصون تفوز ، ولا فائزة ، أى : « هى » ؛ بضمير المفردة المؤنثة فى الأمثلة السابقة ، على إرادة معنى : « الجماعة » من المخلصين . فكل هذا غير جائز فى الرأى الأعلى الذى يحسن الاختصار عليه اليوم .

٣- إن كان المرجع جمع مؤنث سالم لا يتعقّل فالأفضل أن يكون ضميره مفرداً مؤنثاً ؛ مثل ؛ الشجرات ارتفعت . أى : « هى » . والشجرات سقيتها . . . وهذا أولى من قولنا : الشجرات ارتفعن ، والشجرات سقيتهن ، بنون الجمع المؤنث مع صحة مجيئها . فجيء واحد من الضميرين يبنى بالغرض . ولكن أحدهما أفضل من الآخر .

(١) فى هامش ص ٣٤٩ مواضع يجوز فيها تأنيث الضمير ، وتذكيره ؛ مراعاة للفظ الموصول أو معناه . وكذلك تجب أنواع هامة من المطابقة بين المبتدأ والخبر فى الباب الخاص بهما - كما أشرنا - ص ٤٥٢ م ٣٤ - وما يعمدها فى الزيادة والتفصيل .

(٢ و ٣) الضمير هو ألف الاثنين فى آخر الفعل . وهو صالح للمثنى المذكر والمؤنث وللغائب والحاضر .

(٣ و ٣) الضمير « هما » صالح للمثنى بنوعيه .

وإن كان المرجع جمع مؤنث للعاقل ، فالأفضل أن يكون ضميره نون جمع المؤنث (وهى : نون النسوة) فى جميع حالاته (أى : سواء أكان المرجع جمع مؤنث سالم مثل : الطالبات حضرن ، وأكرمهن العلماء ، أم جمع تكسير للمؤنث ؛ مثل : الغواوى تعلمن ؛ فزادهن العلم جلالات)^(١) وكل هذا أولى من قولنا : الطالبات حضرت ، وأكرمها العلماء ، والغواوى تعلمت ؛ وزادها العلم جلالات . حيث يكون الضمير مفرداً مؤنثاً ، مع صحة مجيئه بدلاً من نون النسوة^(٢) . فاستعمال أحد الضميرين صحيح فصيح ، ولكن نون النسوة فى هذه الصورة أصح وأفصح .

٤ - إن كان المجمع جمع تكسير مفردة مذكر عاقل - جاز أن يكون ضميره واو جماعة ؛ مراعاة للفظ الجمع ، وأن يكون مفرداً مؤنثاً ، مع وجود تاء التأنيث فى الفعل وشبهه ؛ نحو : الرجال حضروا ، أو : الرجال حضرت ، أو الرجال حاضرة . ويكون التأنيث على إرادة معنى : « الجماعة » . ومع جواز الأمرين يستحسن ضمير التأنيث إن كان عامل الفاعل قد اتصلت به علامة تأنيث ، كما يستحسن ضمير التذكير إن لم توجد فى عامله علامة التأنيث نحو جاءت الرجال كلها ، وحضر الأبطال كلهم^(٣) .

فإن كان مفردة مذكراً غير عاقل ، أو مؤنثاً غير عاقل ، جاز فى الضمير أن

(١) ذلك أن جمع المؤنث منه ما يكون سالماً (أى : لم يتغير مفردة عند جمعه) ويسمى : « جمع المؤنث السالم » ، ويكون فى آخره الألف والتاء الزائدتان ، ومنه ما يتغير مفردة عند الجمع ؛ فيكون جمع تكسير للمؤنث ولا يكون فى آخره الألف والتاء ، الزائدتان . وبسبب ما تقدم اختلف النحاة فى مثل كلمة : « بنات » أمى جمع تكسير ؛ لأن مفرداها - وهو « بنت » يتغير فيه حركة أوله عند جمعه السالف - أم هو جمع مؤنث سالم ؛ لوجود الألف والتاء الزائدتين فى آخره ؟ . رايان ، تفصيل الكلام عليهما فى ج ٣ باب الفاعل . . .

(٢) جاء فى تفسير البيضاوى - وكذا الكشاف - سورة البقرة « عند تفسير قوله تعالى : (لهم فيها أزواج مطهرة . .) ، ما نصه : (قرئ : « مطهرات » وهما لغتان فصيحتان ، يقال : النساء فعلت وفعلن . وهن فاعلة وفواعل ، قال الشاعر : سلمى بن ربيعة من شراء الحماسة - .

وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القمدور فملّت

انتهى تفسير البيضاوى .

ثم جاء فى حاشية الشهاب على البيضاوى ما نصه :
(قوله : وهما لغتان فصيحتان) يعنى أن صفة جمع المؤنث السالم والضمير العائد إليه مع الفعل يجوز أن يكون مفرداً مؤنثاً ومجموعاً مؤنثاً ؛ فنقول : النساء فعلت ، والنساء فعلن ، ونساء قانتات وقانتة . ا . هـ .
(٣) راجع الصبان ، ج ٢ باب الفاعل عند الكلام على تأنيث فعله .

التأنيث ، مراعاة للمتقدم أو للمتأخر^(١) ، مثل : الحديقة ناضرة ، وهي منظر فائن ، أو : وهو منظر فائن ، ومثل : الزراعة مفيدة ، وهو باب من أبواب الغنى ، أو : وهي باب من أبواب الغنى . وأسماء الإشارة وغيرها مما قد يحتاج للمطابقة - تشارك الضمير في هذا الحكم^(٢) (كما سيجيء في بابها^(٣)) ، وفي باب^(٤) المبتدأ . . .) ، نحو : الصناعة غنى وهذه مطلب حَيَوَى أصيل ، أو : وهذا ...

٨ - إذا كان المرجع : « كم » جاز أن يرجع إليها الضمير مراعى فيه لفظها ، أو مراعى فيه معناها^(٥) .

بيان ذلك : أن لفظ : « كم » اسم مفرد مذكر ، ولكن يعبر به عن العدد الكثير ، أو القليل ، المذكر ، أو المؤنث : فلفظها من ناحية أنه مفرد مذكر - قد يخالف أحياناً معناها الذي يكون مثنى مؤنثاً ، أو مذكراً ، وجمعاً كذلك بحالته ، فإذا عاد الضمير إلى : « كم » من جملة بعدها جاز أن يراعى فيه ناحيتها اللفظية ؛ فيكون مثلها مفرداً مذكراً ، وجاز أن يراعى فيه ناحيتها المعنوية إن دلّت على غير المفرد المذكر ؛ فيكون مثنى ، أو جمعاً ، مؤنثاً ، أو مذكراً فيها . . . تقول : كم صديق قدم للزيارة ! . بإفراد الضمير وتذكيره ، مراعاة للفظ « كم » . وتقول : كم صديق قَدَمَا ، أو : قدموا ؛ بثنية الضمير ، أو جمعه ؛ مراعاة لما يقتضيه المعنى . كذلك تقول : كم طالبة نجح ، بمراعاة لفظ : « كم » ، أو : كم طالبة نجحت ، ونجحتنا ، ونجحن ؛ بمراعاة المعنى .

وهناك كلمات أخرى تشبه « كم » في الحكم السابق ، منها : « كلاً » و « كلتا » . وقد سبق الكلام عليهما من هذه الناحية^(٦) . ومنها « مَن »^(٧) ، و « ما »^(٨) و « كل »^(٩) و « أى » . وكذلك كلمة : « بعض »^(٩) في صور

(١) وهذا في غير المتصايفين . وقد سبق حكم الضمير العائد على أحدهما في رقم ٢ من هامش ص ٢٥٦ وفي « ز » من ٢٦١ .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٢٢ ثم انظر رقم ٦ من هامش ص ٣٢١ وص ٤٥٦ وما بعدها .

(٣) رقم ٦ من هامش ص ٣٢١ . (٤) ص ٤٥٦ .

(٥) راجع الجزء الرابع من المفضل ص ١٣٢ . (٦) ص ١٢٤ وما بعدها .

(٧) انظر ما يختص بها في ٣٤٩ .

(٨) ولها بيان في رقم ٢ من هامش ص ٣٥١ .

(٩) سبقت الإشارة في ص ٤٠ لنوع التنوين الذي في كلمتي : « كل وبعض » .

... ..
... ..

معينة . تقول في المفرد المذكور وغيره : من سافر فلانه يفرح ، ويصحح أن تقول في غير المفرد المذكور : ومن سافرا . . . ، ومن سافروا . . . ، ومن سافرت ، ومن سافرتا . . . ومن سافرن . . . كذلك تقول للمفرد وغيره : ما تفعل من خير يصادفك جزاؤه — ويصحح في غيره : . . . ما تفعل — . . . ما تفعلوا . . . ما تفعل . . . ما تفعلن . . .

كل رجل سافر ، كل رجلين سافرا ، أو : سافرا ، كل الرجال سافرا ، أو : سافروا . كل متعلمة سافرت ، أو : سافرت ، كل متعلمتين سافرت ، أو : سافرتا . كل المتعلمات سافرت ، أو : سافرتن ، ومن مراعاة الجمع قول جرير :

وكل قوم لهم رأيٌ ومختبرٌ وليس في تغليب رأي ولا خبرٌ
لكن الأغلب — وقيل الواجب — إذا وقعت كلمة : « كل » مبتدأً وأضيفت إلى نكرة مراعاة معنى النكرة في خبر المبتدأ : « كل » : كقوله تعالى : (كل حزب بما لديهم فرحون) ، وقول جرير السابق . فإن أضيفت لمعرفة صبح اعتبار معنى المعرفة ، أو اعتبار لفظ : « كل » المفرد المذكور . كقوله عليه السلام : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » — ومثل : كلكم هداة للخير وكلكم داعون إليه . وقول الشاعر :

كل المصائب قد تمر على الفتي وتهون ، غير شامة الحساد^(١) . . .
أي رجل حضر . أي رجلين حضر ، أو : حضرا . . . — أي الرجال حضر ، أو : حضروا — أي كاتبة حضر ، أو حضرت — أي كاتبتين حضر ، أو حضرتتا — أي الكاتبات حضر ، أو : حضرن .

بعض الناس غاب ، في الصور المختلفة ؛ مراعاة للفظ « بعض » . ويصح مراعاة المعنى وحده ؛ فيقال : بعض الناس غاب أو غابت ، أو : غابا ، أو : غابتا ، أو : غابوا — أو : غبسن . وهكذا باقي الصور الأخرى التي تدخل تحت الحكم السالف وينطبق عليها^(٢) .

(١) سيجيء الكلام على إضافة « كل » وما يترتب على الإضافة ج ٣ في باب الإضافة م ٩٤ ص ٧١ .

(٢) كما يراعى اللفظ أو المعنى في الضمير يراعى أيضاً في كل ما يحتاج للمطابقة أحياناً ، مثل :

الخبر ، والصفة ونحوهما — كما أشرنا في الصفحة الماضية — وكما يجيء في باب التوكيد ج ٣ م ١١٦ ص ٤١٥ .

... ..
... ..

وكذلك يجوز اعتبار اللفظ أو المعنى في المحكى بالقول : ففي حكاية من قال :
« أنا قائم » يصح : قال محمود أنا قائم ، رعاية للفظ المحكى ، كما يصح : « قال :
محمود هو قائم » ؛ رعاية للمعنى وحال الحكاية ؛ لأن محموداً غائب وقت الحكاية .
وكذا لو خاطبنا شخصاً بمثل : « أنت بطل » ، وأردنا الحكاية فيصح : « قلنا لفلان
أنت بطل » ، كما يصح : « قلنا لفلان هو بطل »^(١) .

ومع أن مطابقة الضمير للفظ المرجع أو لمعناه جائزة ، وقياسية في الحالات
السابقة — فإن السياق أو المقام قد يجعل أحدهما أنسب من الآخر أحياناً . والأمر
في هذا متروك لتقدير المتكلم الخبير ، وحسن تصرفه على حسب المناسبات التي
قد تدعوه لإيثار اللفظ أو المعنى عند المطابقة ، على الرغم من صحة الآخر .

« ملاحظة » : بمناسبة الكلام على مطابقة الضمير للفظ المرجع أو لمعناه ،
نشير إلى ما سيجيء في ص ٣٤٩ وهامشها من صور هامة — غير التي سبقت —
يجوز فيها الأمران ، أو يتعين أحدهما دون الآخر أو

أما المطابقة بين المبتدأ وخبره فتجىء في ص ٤٥٢ م ٣٤ — كما أشرنا في رقم ١
من هامش ص ٢٦٢ — .

٩ — إذا كان للضمير مرجعان أو أكثر مع التفاوت في القوة^(٢) ، عاد على
الأقوى^(٣) ، والمراد بالتفاوت في القوة التفاوت الذي يكون بين المعارف في درجة
التعريف وشهرته ؛ وهي التي أشرنا إليها عند بدء الكلام على المعرفة والنكرة . فالضمير
أعرف^(٤) من العلم ، والعلم أعرف من الإشارة وهكذا^(٥) . بل إن الضمائر
متفاوتة أيضاً ؛ فضمير المتكلم أعرف من ضمير المخاطب ، وضمير المخاطب أعرف
من ضمير الغائب

فإذا صلح للضمير مرجعان ؛ أحدهما ضمير متكلم ، والآخر ضمير مخاطب

(١) راجع الصبيان ج ٢ باب حروف الجر عند الكلام على « اللام » .

(٢) أما عند عدم التفاوت فقد سبق الحكم في ص ٢٦٢ .

(٣) وهذا ما سبقت الإشارة إليه في ص ٢٦٢ آخر « ز » .

(٤) أى : أقوى درجة في التعريف .

(٥) راجع رقم ١ من هامش ص ٢١٢ .

... ..
... ..

— قُدِّمَ المتكلم — فى الرأى الأصح — ؛ مثل : أنا وأنت سافرنَا ؛ ولا يقال : أنا وأنت سافرتما ؛ إلا قليلا ، لا يحسن الالتجاء إليه فى عصرنا . وإذا كان أحد المرجعين للمخاطب والآخر للغائب قُدِّمَ المخاطب ، نحو : أنت وهو ذهبتما ؛ ولا يقال : أنت وهو ذهبتَا ، إلا قليلا يحسن البعد عنه .

وإذا كان أحدهما ضميراً والآخر علماً أو معرفة أخرى روى الضمير ، نحو : أنا وعلى أكلنا ؛ ولا يقال — فى الرأى الأفضل — أكَلَا ، وتقول : أنا الذى سافرت ، ... وهذا أفضل من : أنا الذى سافر . . . وتنتجه إلى الله فتقول : أنت الذى فى رحمتك أطمع ، وهو أفضل من : أنت الذى فى رحمته أطمع ، وهكذا^(١) . ولا داعى لترك الأفضل إلى غيره وإن كان جائزاً هنا ؛ لأن الأفضل متفق عليه ؛ وفى الأخذ به مزية التعبير الموحد الذى نحرص عليه لمزاياه ، إلا إن اقتضى غيره داع قوياً . . . ١٠ — إذا كان المجمع لفظاً صالحاً للمذكر والمؤنث — مثل كلمة : « الروح » — جاز عود الضمير عليه مذكراً أو مؤنثاً ، فنقول : الروح هى من الأسرار الإلهية لم تُعرف حقيقتها حتى اليوم . . . أو هو من الأسرار الإلهية لم يعرف حقيقته حتى اليوم ، وإذا عاد على ذلك اللفظ الصالح للأمرين ضميران جاز^(٢) أن يكون أحدهما للتذكير والآخر للتأنيث ، نحو : الروح هى من الأسرار التى لم يُعرف حقيقته .

١١ — الغالب — وقيل : الواجب — فى الضمير بعد : « أو » التى للشك أو للإبهام أن يكون مفرداً ؛ مثل : شاهدت المِريخ أو القمر يتحرك . أما بعد « أو » التنويعية (التى لبيان الأنواع والأقسام) ، فالمطابقة ؛ كقوله تعالى : (. . . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما^(٣)) . . .) .

وبهذه المناسبة نذكر أن للضمير العائد على المعطوف والمعطوف عليه معا ، أو على أحدهما ، أحكاماً هامة لا يمكن الاستغناء عن معرفتها ، وكلها مختص بالمطابقة

(١) لهذه الصورة الخاصة بالموصول إيضاح مفيد ، وتفصيل هام يحى فى بابه وفى ٣٨٠ « ب » .

(٢) سيجى بيان هذا فى باب : « المعطف » ج ٣ ص ٤٨٩ م ١١٨ عند الكلام على : « أو » وقد سبقت له الإشارة فى رقم ٤ و ٣ من هامش صفحتى ٢١٧ و ٢٣١ .

(٣) راجع الصبان ج ٢ عند قول ابن مالك فى باب الفاعل : « والحذف قد يأتى بلا فصل . . . » إلخ

.....
.....

وعندها ، وهى موضحة تفصيلا فى باب العطف (ج ٣ ص ٦٣٣ م ١٢٢) .
« ملاحظة »^(١) .

• • •

قال تعالى : (والذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . . .) .

فقد عاد الضمير مفرداً مؤنثاً مع أن السابق عليه أمران أحدهما مذكر ، وهو الذهب ، والآخر مؤنث ، وهو الفضة .

ويقول أحد النحاة^(٢) ما نصه : « أعاد الضمير على الفضة لأنها أقرب المذكورين ، أو لأنها أكثر وجوداً فى أيدي الناس فيكون كنزها أكثر . ونظيره قوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين) »^(٣) .

« أو أنه أعاد الضمير على المعنى ، لأن المكنوز دنانير ودرهم وأموال . ونظيره قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ، لأن كل طائفة مشتملة على عدد كبير . وكذا قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) ، يعنى المؤمنين والكافرين .

« أو أن العرب إذا ذكرت شيئين يشتركان فى المعنى تكفى بإعادة الضمير على أحدهما : استغناء بذكره عن ذكر الآخر ؛ لمعرفة السامع باشتراكهما فى المعنى ومنه قول حسان :

إن شَرَّخَ الشَّابَّ وَالشَّعَرَ الْأَسَدَ وَدَا مَا لَمْ يُعَاصِ كَانَ جُنُونَا
وَلَمْ يَقِلْ مَا لَمْ يُعَاصِيَا . . . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ

(١) من المفيد استبانة المشابهة والمخالفة بين ما تتضمنه هذه الملاحظة وما سبق فى رقم « ز » من ص ٢٦١ .

(٢) هو أبو بكر الرازى فى كتابه غرائب التنزيل المدون على هامش كتاب « إعراب ما من به

الرحمن . . . » للعكبري ج ١ ص ١١١ .

(٣) فقد جعل الضمير (فى : أنها) عائد على الصلاة . وهذا أحد الآراء . وهناك رأى آخر يقول إن

الضمير راجع إلى : « الاستماعة » المفهومة من قوله : « استعينوا » ؛ طبقاً لما سبق فى رقم ٢ من هامش ٢٥٧ .

.....

 (إن كانوا مؤمنين) ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
 وأنتم تسمعون عنه) ١ . ه .

(ط) اختلاف نوع الضمير مع مرجعه :

قد يختلف نوع الضمير مع مرجعه في مثل : أنا عالم فائدة التعاون ، وأنا مؤمن
 بحميد آثاره ، فالضمير في كلمتي : « عالم ومؤمن » مستتر ، يتحتم أن يكون تقديره :
 « هو » فما مرجعه ؟ .

يجيب النحاة : إن أصل الجملة : أنا رجل عالم فائدة التعاون ، وأنا رجل مؤمن
 بحميد آثاره ، فالضمير للغائب ، وهو عائد هنا على محذوف حتماً ، ولا يصح عودته
 على الضمير « أنا » المتقدم ، كما لا يصح أن يكون الضمير المستتر تقديره : « أنا »
 بدلاً من : « هو » ؛ لأن اسم الفاعل لا يعود ضميره إلا على الغائب^(١) ، وهذا
 يقتضي أن يكون الضمير المستتر للغائب أيضاً .

وقد يختلف الضمير مع مرجعه إذا كان الضمير هو المسمى في الجملة الواقعة
 صلة : « بالعائد » ؛ طبقاً للتفصيل الذي سيجيء في باب اسم الموصول ، ولا
 سيما الذي في : « ب » ص ٤٤٣ . وهو تفصيل يقتضي التنبيه للفرق بين الصور
 المعروضة هناك والصورة التي هنا ، وفي رقم ٩ من ص ٢٦٨ .

(١) راجع حاشية الخفري ج ١ باب : « ظن وأغواتها » عند الكلام على أحكام : « التعليق »
 وقد أشرنا لهذا (في رقم ٤ من هامش ص ٢١٧ ومن هامش ٢١ م ٢١ ج ٢) و (في م ١٠٢ ص ٢٤٣
 ج ٣ باب اسم الفاعل) .

والظاهر أن هذا الحكم ليس مقصوراً على اسم الفاعل بل يسرى على غيره من باقي المشتقات المتحملة
 ضميراً مستتراً . فيجب أن يكون للغائب ، ويعود على غائب .

المسألة ٢٠ :

حكم اتصال الضمير بعامله

تقدم^(١) أن الرفع ضمائر تختص به ؛ بعضها : « متصل » : كالتاء المتحركة ؛ و « نا » في مثل : سمعتُ إلى الخير ، وسعينا . وبعضها : « منفصل » ، ولكنه يؤدي ما يؤديه المتصل من الدلالة على التكلم ، أو الخطاب ، أو الغيبة ؛ مثل : « أنا » ؛ فإنها ضمير منفصل يدل على التكلم ، كما تدل عليه تلك « التاء » ، ومثل : « نحن » ؛ فإنها ضمير منفصل يدل على التكلم المعظم نفسه ، أو جماعة المتكلمين ؛ كما تدل عليه : « نا » ، تقول : أنا أمين على السر ، ونحن أمناء عليه ... وللنصب كذلك ضمائر تختص به ؛ منها : « المتصل » ، كالكَاف في مثل : صانك الله من الأذى ، ومنها : « المنفصل » الذي يؤدي معناه ؛ مثل : إياك ، في : نحو : إياك صان الله ، ومنه : « إياك نعبد وإياك نستعين » . أما الجر فليس له ضمائر تختص به — كما عرفنا — . لكن هناك ضمائر متصلة مشتركة بينه وبين غيره ، كالكَاف ، والهاء . . . إلى غير ذلك مما سبق إيضاحه وتفصيله ، ولا سيما ما يدل على أن الضمير — مع اختصاره ، وقلة حروفه — يؤدي ما يؤديه الاسم الظاهر ، وأكثر^(٢) .

ونزيد الآن : أن الكلام إذا احتاج إلى نوع من الضمير — كالضمير المرفوع ، أو المنصوب — وكان منه المتصل والمنفصل ، وجب اختيار الضمير المتصل ، وتفصيله على المنفصل الذي يفيد فائدته ؛ ويدل دلالته ؛ لأن المتصل أكثر اختصاراً في تكوينه وصيغته ، وأوضح وأيسر في تحقيق مهمة الضمير ، فتقول : بذلت طاقتي في تأييد الحق ، ، وبذلنا طاقتنا فيه ، ولا تقول : بذل « أنا » . ولا بذل « نحن » . . . وتقول : كرمك الأصدقاء ؛ ولا تقول : كرم « إياك » الأصدقاء . وتقول فرحت بك ، ولا تقول : فرح أنا بأنت .

(١) في ص ٢٢١ وما بعدها .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٢١٧ .

فالأصل العام الذى يجب مراعاته عند الحاجة للضمير هو : اختيار المتصل وتفضيله ما دام ذلك فى الاستطاعة ، ولا يجوز العدول عنه إلى المنفصل ، إلا لسبب^(١) . هذا هو الأصل العام الواجب اتباعه فى أكثر الحالات^(٢) .

غير أن هناك حالتين يجوز فيهما مجيء الضمير « منفصلا » مع إمكان الإتيان به « متصلا » .

الحالة الأولى : أن يكون الفعل — أو ما يشبهه^(٣) — قد نصب مفعولين^(٤) ضميرين ، أولهما أعرف من الثانى ؛ فيصح فى الثانى أن يكون متصلا وأن يكون منفصلا . نحو : الكتابُ أعطيتنيهِ ، أو : أعطيتني إياه ، والقلمُ أعطيتكهُ ، أو : أعطيتك إياه . فالفعل : « أعطى » هو من الأفعال التى تنصب مفعولين ، وقد نصبهما فى المثالين ، وكانا ضميرين ؛ ياء المتكلم ، وهاء الغائب فى المثال الأول ، وكاف المخاطب وهاء الغائب فى المثال الثانى . والضمير الأول ، فى المثالين أعرف^(٥) من الثانى فيهما ؛ فصَحَّ فى الثانى الاتصال والانفصال . ومثل ذلك أن تقول : الخيرُ سَلَّكتنيهِ^(٦) وسَلَّنى إياه . والخيرُ سَأَلتكَه ، وسَأَلتكَ إياه .

وبهذه المناسبة نشير إلى حكم هام يتصل بما نحن فيه ، هو : أنه إذا اجتمع ضميران ، منصوبان ، متصلان ، وأحدهما أخص من الآخر (أى : أعرف منه ، وأقوى درجة فى التعريف) . فالأرجح تقديم الأخص منهما . تقول : المالُ أعطيتكهُ ، وأعطيتنيهِ ، فتقدم الكاف على الهاء فى المثال الأول ؛ لأن الكاف للمخاطب ، والهاء للغائب ؛ والمخاطب أخص من الغائب . وكذلك تقدم الياء

(١) وسنذكر هنا حالتين يجوز فيهما الاتصال والانفصال ، ثم نذكر — فى الزيادة والتفصيل ص ٢٧٦ — أهم الأسباب التى توجب الانفصال ، وتحتته .

(٢) وفى هذا يقول ابن مالك :

وَفِي اخْتِيَارٍ لَا يَجِئُ الْمُنْفَصِلُ إِذَا تَأْتَى أَنْ يَجِئَ الْمُتَّصِلُ

(٣) شبه الفعل (أى : المشتق) هو : ما يشترك معه فى أصل الاشتقاق ، ويعمل عمله — غالباً — كاسم فاعله ، واسم مفعوله . . .

(٤) لأنه من الأفعال التى تنصب مفعولين ، مثل « ظن » وأخواتها . . . (وانظر رقم ٦ من هامش ص ٢٧٥) .

(٥) أى : أقوى منه فى درجة التعريف والتعيين . وقد عرفنا أن ضمير المتكلم أعرف من ضمير المخاطب ، وضمير المخاطب أعرف من ضمير الغائب ، وأوضحنا هذا بإسهاب . (فى رقم ١ من هامش ص ٢١٢) .

(٦) أى : أسألني إياه .

في المثال الثاني على الماء أيضاً ؛ لأن الياء للمتكلم وهو أخص من الغائب . ومن غير الأرجح أن تقول أعطيتك^(١) وأعطيتني^(٢) . فإن كان أحد الضميرين منفصلاً جاز تقديم الأخص وغير الأخص عند أمن اللبس ؛ تقول : الكتاب أعطيتك أو أعطيتني إياك ، وأعطيتني أو أعطيتني إياي . بخلاف : الأخ أعطيتك إياه ، فلا يجوز تقديم الغائب ؛ خشية اللبس ، لعدم معرفة الآخذ والمأخوذ منهما ؛ فيجب هنا تقديم الأخص ؛ ليكون تقديمه دليلاً على أنه الآخذ . فكأنه في المعنى فاعل ، والأصل في الفاعل أن يتقدم^(٣) .

هذا ، وقد اشترطنا في الحالة الأولى أن يكون الضميران منصوبين ، وأولهما أعرف من الثاني .

(أ) فإن لم يكن الضميران منصوبين ؛ بأن كان أولهما مرفوعاً والثاني منصوباً وجب وصل الثاني بعامله إن كان عامله فعلاً^(٤) ؛ نحو : النظام أحببته .

(ب) وإن كان أولهما منصوباً والثاني مرفوعاً — وجب فصل المرفوع ؛ إذ لا يمكن وصله بعامله مع قيام حاجز بينهما ؛ وهو الضمير المنصوب . نحو : ما سمعك إلا أنا .

(ح) وإن كانا منصوبين ، وثانيهما أعرف — وجب فصل الثاني ، مثل : المال سلبه إياك اللص . وكذلك إن كان مساوياً للأول في درجة التعريف بأن وقع كل منهما للمتكلم ؛ مثل : تركتني لنفسى ؛ فأعطيتني إياي ، أو : للخطاب ،

(١ و ٢) الواو التي بعد الضمير هي واو الإشباع التي تنشأ من إطالة الفسة . والغالب كتابة هذه الواو إذا وقع بعدها ضمير آخر متصل ، كالذي هنا . وهذه اللفظة — وإن كانت جائزة — لا يحسن استخدامها ، ولا ترك الأربع الشائع في الأساليب العالية لأجلها .

(٣) وإلى ما تقدم يشير ابن مالك بقوله :

وَقَدَّمَ الْأَخْصَّ فِي اتِّصَالٍ وَقَدَّمَنُ مَا شِئْتَ فِي انْفِصَالٍ

(٣) وجب وصله بعامله الفعل ، ولو كان المتقدم غير الأعرف : مثل أكرمك ، وأكرموا إياك (لأن الياء فاعل المصدر ، مجرور بالإضافة في محل رفع) . أو كان مرفوعاً فقط ، ولا يكون إلا مستتراً ؛ مثل : أنا المكرم ، أو المكرم إياك ؛ بناء على أن الكاف مفعول به لا مضاف إليه ، وإلا تعين الوصل ؛ لأن الضمير المجرور لا يكون إلا متصلاً . وكذلك يجب الوصل في : « أنا مكرمه » من غير آل ؛ لتعين الإضافة فيه . فإن دخل التنوين على الوصف تعين الفصل ؛ مثل : أنا مكرم إياه . (راجع الخصري)

مثل : أعطيتك إياك ، أو للغائب مع اتفاق لفظهما ، مثل : أعطيته إياه ^(١) ، ولا يجوز اتصال الثاني ؛ فلا تقول أعطيتنني . ولا أعطيتكك ، ولا أعطيتهوه . إلا إن كانا لغائبين واختلف لفظهما ؛ فيجوز وصل الثاني . تقول : سألت أخى عن القلم والكتاب فأعطيتهما ، ومنحتهما ^(٢) ، أو أعطيتهما إياه ، ومنحتهما إياه ^(٣) ...
الحالة الثانية : أن يكون الضمير الثانى منصوباً بكان أو إحدى أخواتها ^(٤) .
(لأنه خبر لها) فيجوز فيه الوصل والفصل ؛ نحو ؛ الصديق « كنته » أو : كنت إياه ، والغائب ليسه محمد ^(٥) أو ليس محمد إياه ^(٦) .

...

(١) يلاحظ أن أحد الضميرين هو : « الهاء » ، والآخر هو : « إياه » كلها على الرأى الذى سبق تفصيله (فى ص ٢٢٧ وفى آخر ص ٢٣٧) . ولما كانت الهاء فى كلمة « إياه » هى التى تدل وحدها على الغيبة كان شأنها شأن الهاء الأولى فى الدلالة ، وكان لفظهما متفقاً ، ولا أهمية لزيادة « إيا » فى إحداها ؛ إذ لا تؤثر هذه الزيادة فى دلالة الضمير .
(٢) وإلى هذا يشير ابن مالك بقوله :

وفى اتِّحَادِ الرُّتْبَةِ الزَّمْ فَضْلاً وقد يُبَيِّحُ الْغَيْبُ فِيهِ وَضْلاً

(٣) إن لم يوجد فى الكلام إلا ضمير واحد منصوب واستغنى عن الآخر باسم ظاهر فالأرجح وجوب الوصل ؛ نحو : الكتاب أعطيته علياً .

(٤) سواء أكان الاسم ضميراً كامثال : (الصديق كنته ؛ أو : كنت إياه) أم غير ضمير ؛ نحو ؛ الصديق كانه محمد . ومحل جواز الوجهين فى كان وأخواتها مخصوص بغير الاستثناء . أما فيه فيجب الفصل ؛ نحو : الرجل قام القوم ليس إياه ، ولا يكون إياه (لأن « ليس » يكون هنا فعلين للاستثناء ناسخين أيضاً) فلا يجوز « ليسه » ولا « يكونه » كما لا يجوز : إلا . فكما لا يقع المتصل بعد « إلا » لا يقع بعد ما هو بمعناها . أما تفصيل الكلام على استعمال هذين الفعلين فى الاستثناء فوضعه : باب الاستثناء - ج ٢ ص ٣٢٨ م ٨٣ - .

(٥) هذا المثال ليس من النوع الذى سبق الكلام عليه فى رقم (٤) لأن « ليس » هنا ليست للاستثناء .

(٦) فى هذه المسألة وإننى قبلها تختلف آراء النحاة ، وتشعب من غير داع ، ولا فائدة ؛ فهم من يقول بجواز الفصل والوصل على السواء ، وذلك حين يكون العامل الناصب للضميرين فعلاً ، أو ما يشبهه ، غير ناسخ ، فينصب مفعولين ليس أصاهاما المبتدأ والخبر مثل ، سل ... أعطى - يعطى ... وهذا الرأى هو الأشهر . ومنهم من يقول إن الوصل واجب ، ولا يجوز الفصل إلا للضرورة .

وكذلك يجوزون الأمرين ويختلفون فى الترجيح إن كان العامل الناصب للضميرين فعلاً - أو ما يشبهه - - يتعدى إلى مفعولين ، الثانى منهما خبر فى الأصل ؛ مثل : ظن ؛ وخال ، وأخواتهما الناسخة ، تقول : الصديق ظننتك ، أو ظننتك إياه ، وخلتني ، وخلتني إياه ؛ فابن مالك ومن معه يختارون الاتصال ، وغيرهم يختار الانفصال .

وكذلك اختلفوا فى الأرجح إن كان الضمير الثانى منصوباً بكان أو إحدى أخواتها ... و ... =

.....
.....

زيادة وتفصيل :

عرفنا^(١) أن الغرض من الضمير هو الدلالة على المراد مع الاختصار ، ولذا وجب اختيار المتصل دون المنفصل الذى يؤدي معناه ؛ كلما أمكن ذلك . إلا فى حالتين — سبق الكلام عنهما^(٢) — يجوز فى كل واحدة اختيار الاتصال أو الانفصال . لكن هناك حالات أخرى يتعذر فيها مجيء الضمير متصلاً ؛ فيجىء منفصلاً وجوباً ، وتسمى حالات الانفصال الواجب . وأشهرها :

- ١ — ضرورة الشعر ؛ مثل قول الشاعر يتحدث عن قومه :
وما أصحاب من قوم فأذكرهم^٣ إلا يزيدهم حباً إلى^٤ هم^(٣)
- ٢ — تقديم الضمير على عامله لداع بلاغى ، كالحصر^(٤) (القصر) ولما كان الضمير المتصل لا يمكن أن يتقدم بنفسه على عامله وجب أن يحل محله المنفصل الذى بمعناه وحكمه ؛ . ففى مثل : نسبحك ، ونخافك يا رب العالمين — لا نستطيع عند الحصر أن نقدم الكاف وحدها ، لذلك نأتى بضمير منصوب بمعناها ، وهو :

= وكل هذا الخلاف لا خير فيه ، وهو مرهق بغير فائدة فقد ثبت أن الوصل والفصل فى المسائل السابقة واردان عن العرب الفصحاء بكثرة تبجح القياس ؛ فلا داعى لهذا التشعب الذى أشار إليه ابن مالك بقوله :

وَصِلْ أَوْ أَفْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ ، وَمَا أَشْبَهُهُ . فى : « كُنْتُهُ » الخلف انتمى كَذَاكَ : « خِلْتَنِيهِ » . واتصلاً أَخْتَارُ ، غَيْرِى اخْتَارَ الانفصلاً

فهو يقول : إنه يجوز الوصل والفصل فى « هاء » سَلْنِيهِ ، وما أشبه سَلْنِيهِ ؛ من كل فعل غير ناسخ ، « أو شبهه » — نصب ضميرين ، أولهما أخص من الثانى ... ولم يبين ابن مالك الخلاف الذى فى المسألة السالفة ، واكتفى ببيان الخلاف فى مثل : كتته ، وأنه انتمى ، أى : أشهر ، وكذلك فى خِلْتَنِيهِ من كل فعل ناسخ ينصب مفعولين . وصرح بأنه يختار الاتصال ، وأن غيره يختار الانفصال .

(١) فى رقم ١ من هامش ص ٢١٧ . (٢) فى ص ٢٧٣ .

(٣) المبنى : إذا سمع أصحاب صفات قوى ، مدحوم ، وزادنى حباً فيهم (أى فى قوى) ، وقد اضطر الشاعر إلى أن يقول « يزيدهم حباً إلى هم » بدلا من أن يقول : « يزيدونهم حباً إلى » ؛ ففصل الضمير « هم » الثانى — بدلا من واو الجماعة — لضرورة الشعر .

(٤) ويسمى أيضاً : « القصر » : وله بيان فى رقم ٤ من هامش ص ٤٩٥ .

.....
.....

« إياك » فنقول : إياك نسبح ، وإياك نخاف .

٣ — الرغبة في الفصل بين الضمير المتصل وعامله بكلمة « إلا » ، لإفادة الحصر . وهذا الفصل لا يتحقق إلا إذا أتينا بالضمير منفصلاً ؛ مثل : ربنا ما نعبد إلا إياك ، ولا نهاب إلا إياك .

وقد يكون الحصر بغير « إلا » ، وبالرغم من هذا ينفصل الضمير ؛ مثال ذلك ، الحصر بإيما^(١) في قول الشاعر :

أنا الذائد الحامى الذمّارَ وإيما يدافع عن أحسابهم أنا ، أو : مثلى

ومن أمثلة الفصل للقصر : إن الأبطال نحن ؛ « فنحن » ضمير منفصل خبر إن ، ولا يمكن اتصاله بعامله (إن) ؛ وذلك لأن خبرها الذى ليس شبه جملة لا يتقدم على اسمها .

٤ — أن يكون عامله اللفظى محذوفاً ؛ مثل : إياك والكذب ، فأصل : « إياك » هو : أحذرك ، أو : أخوفك . حذف الفعل — ومعه فاعله — وبقي الضمير « الكاف » وهو ضمير متصل لا يستقل بنفسه ؛ فحذفناه ، وأتينا مكانه بضمير منفصل يؤدى معناه ، ويستقل بنفسه ؛ وهو : إياك . وقد سبق^(٢) بيان إعرابه ، كما سبق^(٣) أنه — وفروعه — كثير الاستعمال فى أسلوب : « التحذير » بصورة المتعددة التى ستجىء فى بابها الخاص — ج ٤ ص ١٢٢ م ١٤٠ .

٥ — أن يكون عامله معنوياً ؛ مثل : أنا صديق وفى ، وأنت أخ كريم . فالضمير : « أنا » ، و « أنت » مبتدأ مفعول بالابتداء . والابتداء عامل معنوى . لا وجود له فى اللفظ ؛ فلا يمكن وصل الضمير به .

(١) « المحصور فيه » إيما هو المتأخر ، أى : « أنا » ، كما يفهم من البيان الذى فى رقم ٤ من هامش ص ٩٥ .

(٢) ص ٢٣٦ .

(٣) فى رقم ٢ من هامش ص ٢٢٧ .

٦ - أن يكون عامله حرف نقي . مثل : الخائن غادر ؛ فما هو أهلاً للصدقة .
فالضمير « هو » اسم « ما » الحجازية . وهي العاملة فيه الرفع ؛ ولكنها من الحروف
التي لا يتصل بآخرها الضمير ولا غيره^(١) :

٧ - أن يكون الضمير تابعاً لكلمة تفصل بينه وبين عامله ؛ مثل : نحن
نكرم العلماء وإياكم : فالضمير : « إياكم » معطوف ؛ فهو تابع يتأخر عن
متبوعه ، والمعطوف عليه : « العلماء » هو المتبوع الذي يجب تقدمه عليه . وقد
فصل المتبوع بين الضمير : « إياكم » وعامله : « نكرم » ، ومثله قوله تعالى في
الكفار : (يُخْرِجُونَ الرُّسُلَ وَإِيَّاكُمْ) ، وقول القائل في مدح عمر^(٢) رضي الله عنه :
مُبْرَأً مِنْ عَيُوبِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَاَللهُ يَرعى أَبَا حَقِصٍ وَإِيَّانَا

٨ - أن يقع الضمير بعد واو المصاحبة (وتسمى : واو المعية) مثل : حضر
الرفاق ، وسأسافر وإياهم إلى بعض الأقاليم .

٩ - أن يكون فاعلاً لمصدر مضاف إلى مفعوله (فيفصل المفعول به بين
الضمير الفاعل وعامله) ، مثل : بمساعدتكم نحن انتصرتم^(٣) ؛ فكامة :
« مساعدة » مصدر مضاف إلى مفعوله « الكاف » . وفاعله كامة : « نحن » .

١٠ - أن يكون مفعولاً به لمصدر مضاف إلى فاعله ؛ مثل : سررت من إكرام
العقلاء إياك .

١١ - أن يقع بعد إما الدالة على التفصيل ؛ مثل : كتَبَ : إما أنت ، وإما هو .

(١) ومنه قوله تعالى : « ما من أمهاتهم » . وقول الشاعر : في « إن » النافية إلى تعمل عمل ليس :

إِنْ هُوَ مُسْتَوِيًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَضْعَفِ الْمَجَانِينِ

(٢) وكنيته : « أبو حفص » وكلمة « أبا حفص » هي التي فصلت (في البيت التالي) بين التابع
المعطوف وعامله ، أي : بين الضمير « إيانا » وبين عامله : « يرعى » الذي يجيء بعده المتبوع ، أي :
المعطوف عليه .

(٣) والأصل قبل الإضافة للمفعول : بمساعدتنا إياكم . . . أي : انتصرتم بسبب المساعدة التي

قدمناها نحن .

.....
.....

١٢ - أن يقع بعد اللام الفارقة^(١) ، مثل :

إن وجدْتُ الصديقَ حقاً لإياك ، فسرُّني ؛ فلن أزال مطيعاً

١٣ - أن يكون منادى - عند من يحيز نداء الضمير - مثل : يا أنت . يا إياك .

١٤ - أن يكون الضمير منصوباً وقبله ضمير منصوب . والناصب لهما عامل

واحد مع اتحاد رتبتي الضمير : مثل : عَلِمْتُني إياي^(٢) ، عَلِمْتُكَ إياك ،
وَعَلِمْتَهُ إياه .

١٥ - أن يكون الضمير مرفوعاً يمشق جارا على غير من هو له ، مثل :
محمدٌ على مكرمه هو^(٣) :

* * *

(١) إذا خففت إنَّ المشددة فالأكثر إهماها ؛ فلا تنصب الاسم ولا ترفع الخبر ، والأكبر أن يحى بعدد اللام ، لتدل على أنها المخففة المهملية ، وليست المشددة العاملة ؛ مثل : إنَّ صالح لقائم . وهذه اللام تسمى : « الفارقة » ؛ لأنها التي تفرق بين « إن » المشددة العاملة ، والمخففة المهملية ، وقد يجعلها بعض النحاة نوعاً من لام الابتداء . وسيجيء الكلام عليها في باب المبتدأ والخبر في ص ٦٥٧ وأيضاً في آخر باب : « إن » - ص ٦٧١ - .

(٢) يقال هذا في معرض الفخر غالباً ؛ نحو : شعري شعري .

(٣) فهذا الضمير البارز المنفصل كان مستتراً قبل إبرازه ، والمستتر نوع من المتصل - كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٢١٩ - وسيجيء شرح الضمير الجارى على غير من هو له في المكان الخاص به من باب المبتدأ والخبر (ص ٤٦٣) .

المسألة ٢١ :

زيادة نون الوقاية^(١)

من الضمائر المتصلة : « ياء المتكلم » ، وتسمى - أحياناً - : « ياء النفس » وهي مشتركة بين محلي النصب والجر ؛ مثل : « زرتني في حديقتي » . فإن كانت في محل نصب فناصبها إما فعل أو اسم فعل ، أو حرف ناسخ ؛ (مثل : « إن » أو إحدى أخواتها) . وإن كانت في محل جر فقد تكون مجرورة بحرف جر ؛ أو تكون مجرورة بالإضافة ، لأنها مضاف إليه .

(١) فإن كانت منصوبة بفعل ، أو باسم فعل ، أو بالحرف « ليت »^(٢) (وهو حرف ناسخ من أخوات إن) يجب أن يسبقها مباشرة نون مكسورة تسمى : « نون الوقاية »^(٣) . فمثال الفعل : (ساعدني أخي ، وهو يساعدي عند الحاجة ، فساعديني ؛ فما أقدرك على المساعدة الكريمة) . فقد توسطت نون الوقاية بين الفعل وياء المتكلم ، ولا فرق بين أن يكون الفعل ماضياً ، أو مضارعاً^(٤) ، أو أمراً . ولا بين أن يكون متصرفاً ، أو جامداً^(٥) . ومثال اسم الفعل : « دَرَاكَ » ، و « تَرَاكَ » و « عليك » بمعنى : أدرك ، و « أترك » ، والزم . فيجب عند مجيء ياء المتكلم أن نقول : دراكني ، وتراكني ، وعليكني . بمعنى أدركني ؛ وأتركني . والزمني . ومثال ليت : ليتني أزور أنحاء الدنيا - ليتني أستطيع معاونة البائسين جميعاً^(٦) . . .

(١) وقد تسمى : « نون العمد » .

(٢) إلحاق نون الوقاية بالحرف « ليت » واجب عند كثير من النحاة ، وشائع غالب عند غير هؤلاء .
(٣) لأنها في استعمالها غالب تنى الفعل الصحيح الآخر - أي : تصونه - من وجود كسرة في آخره عند إسناده لياء المتكلم . أما المعتل الآخر ؛ مثل : دعا ، فإنه محمول عليه . وثق كذلك ما اتصل به غير الفعل من تغيير آخره عند اتصالها به . ولأنها تمنع اللبس ؛ مثل : أكرمني أخي ، أو : يكرمني ، أو : أكرمني - فلو لم توجد النون المتوسطة بينه وبين ياء المتكلم لقلنا : أكرمني أخي ، يكرمني أخي ، أكرمني . فيترتب على ذلك وجود كسرة في آخر الفعل ؛ والكسر لا يدخل الأفعال ؛ كما يترتب على ذلك أن يلتبس - أحياناً - فعل الأمر المتصل آخره بياء المتكلم بفعل الأمر المسند لياء المخاطبة ؛ مثل : أكرمي . فلا ندرى المراد . وقد يلتبس الفعل الماضي بالمصدر في مثل : نظري محمود مُعَفَّي ؛ فلا ندرى أكلمة : « نظر » فعل ماضٍ ، أم مصدر . وأصح تعليل يسبق ما ذكرناه : أنه استعمال العرب .
(٤) مثل : ليس - عسى - .
(٥) مثل : ليس - عسى - .
(٦) انظر ما يتصل بهذا في « أ » ص ٢٨٤ .

هذا حكم نون الوقاية في الأحوال السابقة . وقد حذفت سماعاً من آخر بعض الأفعال ، ومن آخر « ليس وليت » . والحذف في كل ذلك نادر لا يقاس عليه ؛ فلا نقول ، هنا رجل ليسى ؛ أى : غيرى . وليتى أعاون كل محتاج ؛ بمعنى : « ليتنى » . وقد تحذف فيهما للضرورة الشعرية ، مثل قول الشاعر :

عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ^(١) الطَّيْسِ^(٢) إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسَى

وقول الآخر :

كَمْئِنِي جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أَصَادِفُهُ^(٣) ، وَأَفْقِدُ كُلَّ مَالِي
وإن كانت منصوبة بالحرف « لعل » جاز الأمران ، والأكثر حذف النون نحو : لعلى أدرك آمالى ، ولعلنى أبلغ ما أريد .

وإن كانت منصوبة بحرف ناسخ آخر (غير : ليت ، ولعل) جاز الأمران على السواء ، تقول : إئتني مخلص ؛ وإني وفى . لكننى لا أخلص للغادر . أو : لكنى لا أخلص للغادر . وتقول ... سررت من أنتى سباق للخير ، أو : من أئى سباق ... وهكذا الباقى من الأحرف الناسخة الناصبة التى تصلح للعمل فى هذه الياء^(٤) .

(ب) وإن كانت ياء المتكلم مجرورة بحرف جر فإن كان حرف الجر « مِن » أو « عَنْ » وجب الإتيان بنون الوقاية ، وحذفها شاذ أو ضرورة ؛ تقول منى الصفح ، ومنى الإحسان ، وعنى يصدر الخير والإكرام ، بخلاف « مِنى » ، و « عَنِى » .

وإن كان حرف الجر غيرهما وجب حذف النون ؛ مثل : لى فيك أمل ، وبى نزوع إلى رؤيتك ، وفى مبل لتكريمك^(٥) .

(١) كعدد .

(٢) الرمل الكثير .

(٣) الفصير مذكر ، لأنه عائد على عدو يتحدث عنه ، ويرغب فى مقاتلته .

(٤) من الحروف الناسخة التى لا تصلح : « لا ، ويا » .

(٥) وفيما سبق يقول ابن مالك مقتصراً على الفعل وحده وبعض الحروف الناسخة :

وَقَبْلَ : « يَا النَّفْسِ » مَعَ الْفِعْلِ التَّزَمُ « نُونُ وَقَايَةٍ » . « وَلَيْسَى » قَدْ نُظِمَ
و « لَيْتَنِي » فشا . و « لَيْتَنِي » نَدَرَا وَمَعَ « لَعَلَّ » اعْكِسْ ، وَكُنْ مُخَيَّرًا ...
فِي الْبَاقِيَاتِ ، واضطراراً خَفَفَا « مِنَى » و « عَنِى » بَعْضُ مَنْ قَدْ سَلَفَا

(ح) وإن كانت الياء مجرورة بالإضافة ، والمضاف هو كلمة ساكنة الآخر ؛ مثل : « لَدُنْ » (بمعنى : عند) ، أو : كلمة « قَدْ » ، أو : « قَطْ » (وكلاهما بمعنى : حَسَبَ ، أى : كاف) ^(١) فالأصح إثبات النون ^(٢) ؛ مثل : « قَدْ بلغت من لَدُنِّي عذراً » . ومثل : قَدَدْنِي من مواصلة العمل المرهق ، وقَطَّنِي من إهمال الرياضة المفيدة . ويجوز بقلّة حذف النون في الثلاثة ؛ تقول : لَدُنِّي ، قَدِي - قَطِّي ؛ وهو حذف لا يحسن ^(٣) بالرغم من جوازه .

فإن كان المضاف كلمة أخرى غير الثلاث السابقة وجب حذف النون ، مثل : هذا كتابي أحمله معي حيناً . وحيناً أدعه في بيتي فوق مكتبي .

...

الملخص :

يستخلص مما تقدم أن إثبات نون الوقاية وعدم إثباتها مرتبط بحالات ياء المتكلم المنصوبة محلاً ، أو المجرورة محلاً . وبنوع العامل الذي عمل فيها النصب ، أو الجر .

١ - فإن كانت هذه الياء منصوبة ، وناصبها فعل ، أو اسم فعل - وجب إثبات نون الوقاية قبلها .

٢ - وإن كانت هذه الياء منصوبة وناصبها حرف ناسخ هو : « ليت »

(١) تقول : قَدَدْنِي المال ؛ وقَطَّنِي . أى : حَسَبْنِي ؛ بمعنى : كافئني ، وتكون الدال مخففة بالسكون . وكذلك الطاء . وهما في هذه الحالة اسمان ؛ والمشهور أنهما مبنيان ، وأن بناءهما على السكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة الجملة التي يقعان فيها . (أما « حسب » : فإنها معربة في هذا المثال ، لا مبنية . وفي ج ٣ ص ١٤٧ م ٩٥ من باب الإضافة تفصيل الكلام على أنواعها ، وأحكامها المختلفة) .

وإذا كانا اسمين - كما وصفنا - وأضيفا إلى ياء المتكلم ، فإن الأحسن الإتيان بنون الوقاية فاصلة بين المضاف والمضاف إليه .

وقد تكون كل منهما - وهي مخففة الآخر - اسم فعل مضارع ، مبنى على السكون ، بمعنى : يكنى ، وفي هذه الحالة يجب الإتيان بنون الوقاية ؛ لتفصلهما عن ياء المتكلم ، نحو : قَدِي ، وقَطَّنِي . . .

أما « قد » التي هي حرف في مثل : قد اعتدل الجو ، و « قط » التي هي ظرف للماضي في مثل : ما فعلته « قط » فلا يتصلان بياء المتكلم . . . (٢) محافظة على السكون الذي بنيت الكلمة عليه .

(٣) وقد أشار ابن مالك إلى الحالة السابقة من ناحية مجي نون الوقاية وعدم مجيها ، بقوله :

وَفِي « لَدُنِّي » قَلَّ . وَفِي : « قَدَدْنِي وَقَطَّنِي » : الْحَذْفُ أَيْضاً قَدَدْنِي

وجب - في الأشهر - إثبات النون . فإن كان الحرف الناسخ هو : « لعل » جاز الأمران ، والأفصح الإثبات ، وإن كان غيرهما - مما يصح إدخاله على هذه الياء^(١) - جاز الأمران على السواء .

٣- وإن كانت الياء مجرورة بحرف وعامل الجر هو : « من » ، أو : « عن » وجب إثبات النون . وإن كان حرفاً آخر غيرهما وجب الاستغناء عنها بحذفها .

٤- وإن كانت مجرورة بالإضافة والمضاف ، اسم ساكن الآخر ؛ كأحد الكلمات الثلاث : (لدنٌ - قدٌ - قطٌ -) جاز الأمران ، ولكن الأفصح إثبات النون^(٢) . وفي غير هذه الثلاثة - ونظائرها - يجب الحذف .

(١) انظر ٤ من هامش ص ٢٨١ .

(٢) ليظل الاسم محتفظاً بالسكون الذي هو علامة بقاءه الأصل .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) عرفنا مما سبق أن نون الوقاية واجبة في آخر الأفعال الناصبة لياء المتكلم . ومن تلك الأفعال المضارع ، سواء أكان في آخره نون الرفع ؛ (وهى : نون الأفعال الخمسة) ^(١) أم كان مجرداً منها ؛ مثل :

أنت تعرفنى صادق الوعد ، وأنتم تعرفوننى كذلك ، ولم تعرفونى مخافاً .
فإذا اجتمعت نون الأفعال الخمسة ونون الوقاية جاز أحد الأمور الثلاثة الآتية :
١ - ترك النونين (نون الرفع ونون الوقاية) على حاملها من غير إدغام ^(٢) ؛ تقول أنتما تشاركانى فيما يفيد - أنتم تشاركونى فيما يفيد ، وهكذا ..
٢ - إدغام النونين ، تقول فى الأمثلة السابقة : أنتما تشاركانى ..
وأنتم تشاركنى ، وأنت تشاركنى ^(٣) ..

٣ - حذف إحدى النونين ؛ تخفيفاً ، وترك الأخرى : تقول : أنتما تشاركانى وأنتم تشاركونى .. وأنت تشاركنى ؛ بنون واحدة فى كل ذلك ^(٤) .

(ب) هناك بعض أمثلة مسموعة ، وردت فيها نون الوقاية فى آخر اسم الفاعل ، واسم التفضيل ؛ فمن الأول قوله عليه السلام لليهود ؛ هل أنتم صادقونى ؟ .

(١) تفصيل الكلام عليها فى ص ١٧٧ .

(٢) وهو جعلها نوناً واحدة مشددة مفتوحة .

(٣) بحذف واو الجماعة ، وياه المخاطبة ، لالتقاء الساكنين . والأصل : تشاركونى وتشاركنى ، وحذف الضميران للسبب الذى شرحناه تفصيلاً فى « ج » ص ٩٤ وما بعدها . مع مراعاة الهوامش هناك ، وما فيها من بيان ، وملاحظة ما يتصل بهذه المسألة فى « ح » من ص ٥٠ وفى « ب » من ص ١٧٩ .

(٤) فى تعيين نوع النون المحذوفة جدل طويل ؛ أهى نون الأفعال الخمسة ، أم نون الوقاية ؟ . والأيسر - وهو الذى يسائر القواعد العامة أيضاً - أن نقول عند الإعراب : إن النون الموجودة هى نون رفع الأفعال الخمسة ؛ بشرط أن يكون المضارع مرفوعاً ؛ فيقال فى إعرابه إنه مرفوع بثبوت النون ... أما إذا كان منصوباً أو مجزوماً ، فالنون الموجودة هى : « نون الوقاية » ؛ والمحذوفة هى نون رفع الأفعال الخمسة حتماً ؛ فيقال فيه منصوب أو مجزوم بحذف النون ، والنون الموجودة هى نون الوقاية . وفى غير ما سبق يتسأى أن تكون المحذوفة هذه أو تلك ؛ فلا أثر لثنى من ذلك فى ضبط كلمات الجملة ، وفهم معناها . (انظر ص ١٨٠) .

... ..
... ..

ولو حذف النون لقال صادق^(١). ومثله قول الشاعر :
وليس الموافيني^(٢) - ليرُفَدَ^(٣) - خائباً فإنَّ له أضعافَ ما كان أملاً
وقوله :

وليس بمُعِينِي - وفي الناس مُنْتَعٌ - صديقٌ إذا أعْيَا على صديقٍ
ولو حذفت النون لقليل : المواق والمعيبي ، ومثال اسم التفضيل قوله عليه السلام :
« غيرُ الدجال أخوفني عليكم^(٤) . وروى : أخوفني عليكم » (أى : غير
الدجال أخوف الأمور التي أخافها عليكم . . .) .

والشائع - بين النحاة - أن هذه الأمثلة لا يقاس عليها ؛ لقليلتها ، لكن الرأي
السديد : أنه قد يجوز أحياناً إذا وجد داع^(٥) .

(ح) إذا كان الفعل مختوماً بنون النسوة لم يغير ذلك من لزوم نون الوقاية قبل
ياء المتكلم ؛ مثل : النساء أخبرنني الخبر ، هن يخبرنني . . . أخبرنني يا نسوة .

* * *

(١) فيكون أصلها : صادقون لي ؛ حذفت اللام للتخفيف ، والنون للإضافة ؛ فصارت :
صادقوي ، اجتمعت الواو والياء ، وسقت إحداهما بالسكون ؛ فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء ؛
فصارت صادقوي ؛ ثم قلبت ضمة القاف كسرة ؛ لتناسب الياء .

(٢) الذي يقصدني ويأتني إلى .

(٣) لينال العطاء والمهبة . (الرُّفْدُ : العطاء) .

(٤) المعنى : غير الدجال أخوف عندي من الدجال المعروف لديكم بصفاته ، إذ يمكنكم أن
تحتسروا منه ، وتتقوا ضرره . أما غيره فيستتر أمامكم ، فيخدعكم . (هذا ، وفي الدجال وما يتصل بحقيقته ،
وغيرها مطاعن كثيرة) .

(٥) إن كانت تلك الأمثلة قليلة لا تكفي للمحاكاة ، والقياس عليها - فهناك اعتبار آخر له
أهميته ؛ هو : أن زيادة نون الوقاية في بعض صور من اسم الفاعل واسم التفضيل قد تزيل - أحياناً -
اليس ، وتمنع النמוש ؛ وهذا غرض تحرص على تحقيقه اللغة ، وتدعو إليه . فمثل : . من صادق ؟ »
- إذا كانت مكتوبة - قد نفروها من إضافة المفرد إلى ياء المتكلم الساكنة ، أو من إضافة جمع المذكر
إلى ياء المتكلم المدغمة في ياء الجمع ؛ فتكون الياء مشددة مفتوحة . ولا يزيل هذا اليس إلا نون الوقاية ،
فوق ما تجلبه من خفة النطق . وفي هذه الحالة وأشباهاها تكون النون مرغوبة ، بل مطلوبة ؛ عملاً بالأصل
القوي العام الذي يدعو للفرار من كل ما يقع في ليس ، جهد الاستطاعة .

أما في صورها الأخرى التي لا ليس فيها عند اتصال أحدهما بياء المتكلم فلا داعي لنون الوقاية ، ويجب
الأخذ بالرأي الذي يمتنعها .

المسألة ٢٢ :

العلم

(١) (محمود - إبراهيم) (فاطمة - أمينة) (مكة - بيروت)
(بَرَدَى^(١) - دِرْجَلَة^(٢)) . . .

(ب) رجل - شجرة - إنسان - حيوان - معدن . . .

(ح) أسامة (للأسد). ثعلب (لثعلب). شَبَوَة (للعقرب) ذُوَالَة (للدئب) . . .

كل كلمة في القسم الأول : (١) تدل بنفسها مباشرة^(٣) على شيء واحد ، معيّن بشكله الخاص ، وأوصافه المحسوسة التي ينفرد بها ، وتميزه من باقي أفراد نوعه . فلكلمة : « محمود » تدل بذاتها^(٣) على فرد واحد له صورة معينة ، ووصف حسيّ ينطبق عليه وحده دون غيره من أفراد النوع الإنساني . وكذلك إبراهيم ، وفاطمة ، وأمينة ، وغيرها .

وكلمة : مكة ، أو : بيروت ، أو : أشباههما من أسماء البلاد - تدل على شيء واحد محسوس ، هو : بلد معين ، له خصائصه ، وأوصافه الحسية التي لا تنطبق على سواه ، ولا تحمل إلى الذهن صورة غيره . وكذلك الشأن في بَرَدَى ، ودِرْجَلَة ، وغيرهما من الأتھار المعينة .

فكل كلمة من الكلمات السالفة إنما تدل بلفظها وبحروفها الخاصة بها على معنى واحد ، معين ، ينطبق على فرد واحد ، أي : « تدل على مُسمًى بعينه » وهي لا تحتاج في دلالتها عليه إلى معونة لفظية أو معنوية تأتيها من غيرها ، بل تعتمد على نفسها في إبراز تلك الدلالة .

أما كلمات القسم : (ب) الثاني فتدل الواحدة منها على معنى معين ، ولكنه معنى غير مقصور على فرد واحد ينحصر فيه ؛ وإنما ينطبق على أفراد كثيرة مشتركة معه في النوع ، فهو صالح لكل منها ، لا يختص بواحد دون آخر ، أي : أنه شائع بينها ، كما

(١) اسم النهر الذي يحترق « دِشَق » ، بسورية .

(٢) اسم نهر العراق .

(٣) أي : من غير حاجة إلى زيادة لفظية أو معنوية .

سبق أن قلنا في النكرة^(١). فكلمة : رجل ، أو شجرة . . . أو غيرهما من سائر النكرات تدل على مدلول واحد ، لفرد واحد ، ولكن هذا الفرد شائع ، له نظائر وأشباه كثيرة قد تبلغ الآلاف . . . ويصلح كل منها أن يكون هو المقصود، وليس بعضها أولى من بعض في ذلك، فإذا أردنا لهذه الكلمة أن تدل على مدلول واحد معين لا ينطبق على غيره وجب أن تنضم إليها زيادة لفظية أو معنوية تجعل مدلولها مركزاً فيه وحده بغير شيوخ ، كأن تقول : (رأيت رجلاً في النادي ، فصافحت الرجل) . أو (هذا رجل ، أو : أعجبني هذا الرأي)؛ مشيراً إلى شيء حسي أو معنوي معروف مُتَمَسِّز ، أو : (أكرمت الذى زارك) فوجود « أل » في كلمة « الرجل » بالطريقة السالفة جعلتها تدل على مُعَيَّن . ووجود الإشارة الحسية أو المعنوية جعلت كلمة : « هذا » تدل على معين . ووجود صلة الموصول — وهى لفظية — جعلت كلمة : « الذى » تدل على معين . ووجود قرينة التكلم أو الخطاب جعلت الضمير الخاص بكل منهما يدل على معين . وهكذا . . . فلولا الزيادة التى انضمت إلى كل واحدة ما حصل التعيين والتخصيص . . . ومن هنا يتضح الفرق بين كلمات القسم الأول التى هى نوع من « المعرفة » يسمى : « العَلَمُ الشخصى » أو « علم الشخص^(٢) » وكلمات القسم الثانى التى هى « نكرة » قبل وجود الزيادة التى انضمت إليها. ثم صارت بعدها نوعاً من أنواع « المعرفة » . فكللمات القسم الأول تستمد من ذاتها وحدها التعيين والتحديد، بخلاف الثانية . وهذا معنى قولهم فى تعريف العلم :

« إنه اللفظ الذى يدل على تعيين مسماه تعييناً مطلقاً » ، أى : غير مقيد بقرينة تكلم، أو خطاب، أو غشبية ، أو إشارة حسية، أو معنوية ، أو زيادة لفظية ؛ كالصلة . . . أو غير ذلك من القرائن اللفظية أو المعنوية التى توضح مدلوله ، وتحدد المراد منه . فهو غنى بنفسه عن القرينة، لأنه عَلَمٌ^(٣) مقصور على مسماه، وشارة خاصة

(١) ص ٢٠٦ .

(٢) لأن مدلوله فى الغالب شيء مشخص، (أى : مجسم ، محسوس ، متميز من غيره) . وقد يكون شيئاً ذهنياً ؛ كالعلم الذى يسمى به الجنين المنتظر ولادته ، وكالعلم الدال على قبيلة معينة ؛ بحيث يراد به مجموع من وجد فيها ومن سيوجد ؛ فإن هذا المجموع لا وجود له إلا فى الذهن فقط، ولا وجود له فى خارج الذهن ، إذ لا يقع تحت الحس . وهذا النوع يُسمى : « العلم الذهنى » ، أى : الموضوع لمعين فى الذهن فقط ، متخيل وجوده فى خارجه .

(٣) علامة .

به ، وافية في الدلالة عليه وحده . وكل كلمة من كلمات القسم الثاني وأشباهها تسمى : نكرة ^(١) .

(١) وقد سبق تعريفها وإيضاحها (في أول باب : « النكرة والمعرفة » ص ٢٠٦) والنكرة تسمى أيضاً : « اسم جنس » عند جمهرة كبيرة من النحاة لا ترى فرقاً بينها وبين اسم الجنس ، فإن كان لمعين فهي : « النكرة المقصودة » ؛ وإن كانت لغير معين فهي : « النكرة غير المقصودة » - كما سيبيء في باب « النداء » ج ٤ - وفي هذا الرأي تخفيف وتيسير من غير ضرر ؛ فيحسن الأخذ به . أما غير هؤلاء فيرى فرقاً بين الاثنين ، يوضحه بقوله الذي سبق أن لخصناه (في الباب الأول) في ص ٢٣ ، عند الكلام على اسم الجنس ، وفي هذا الباب عند الكلام على النكرة ، هامش ص ٣٠٦) . ومضمونه :

أن النكرة هي نفس الفرد الشائع بين أشباهه ، وهي المذلول الحقيقي المراد من اللفظ ؛ وليست معناه الخيالي المجرد ، القائم في الذهن . وأما اسم الجنس فهو الاسم الموضوع لذلك المعنى الذهني المجرد ، ليدل عليه من غير تذكر - في الغالب - لفرد من أفراده الخارجية ، ولا استحضار لصورته في دائرة الذهن ، ومن غير ربط - في الغالب - بين اللفظ ومذلوله الحقيقي ؛ فكلمة : « رجل » مثلاً ؛ إن أريد منها الجسم الحقيقي المعروف ؛ (المكون من الرأس ، والجذع ، والأطراف ...) ، فهي : « النكرة » ؛ وتنطبق على كل جسم حقيقي به تلك الأجزاء الثلاثة بفروعها ، أما إن أريد منها المعنى القائم في الذهن لكلمة : « رجل » وهو المعنى الخيالي الذي يخلقه العقل ، ويتصوره بعيداً عن صورة صاحبه وعن استحضار هيئة فرد من الأفراد التي تنطبق عليها تلك الصورة ، فهي : « اسم الجنس » ، ومذلوله هو : المعنى المجرد ، أو : الحقيقة الذهنية المجردة ، أو : المعنى الخيالي العام ، ويوضحون ذلك بأن المعنى المجرد ، أو : الحقيقة الذهنية المجردة ، أو : المعنى الخيالي العام - متعدد الأصناف في داخل الذهن ؛ فلا بد أن يكون لكل صنف اسم يميزه من الآخر ؛ فلكل الأصناف الذهنية التي هي المعاني المجردة ... تسمى : الأجناس ، ويسمى الذي يميز كل واحد : « اسماً للجنس » أو : « اسم الجنس » ، أي : الاسم الموضوع لهذا الجنس ؛ ليفرق بينه وبين جنس آخر ؛ كما وضع « رجل » اسماً للصنف المعروف من المخلوقات ، ليمتيزه من صنف آخر كالشجر ، والطيور .

ولكن كيف ينشأ في الذهن هذا المعنى المجرد ؟ وكيف تتكون تلك الحقيقة الذهنية فيه فتنتطبق على أفراد كثيرة ؟ كيف يدرك العقل معنى : شجرة - مثلاً - إدراكاً مجرداً ؟ ومن أين يصل إلى هذا ؟ وكيف ؟

يقولون - كما أشرنا في صفحتي ٢٣ و ٢٠٦ - إن أصناف النبات الكبير متعددة ؛ كأشجار النخل ، والبرتقال ، والليمون . . . وقد رأى المرء النخلة مرات ، وفي كل مرة يحس ويدرك شيئاً من أوصافها . ثم رأى البرتقال كذلك ؛ ثم الليمون . . . ثم . . . ثم وبعد تعدد المرات في أزمنة متباعدة - كشف العقل في تلك الأشياء المتعددة صفات مشتركة ، وانتزع من مجموع تلك الصفات المشتركة صورة واحدة عقلية ، خيالية ، أي : معنى مجرداً واحداً ، ينطبق في خارج الذهن على كل فرد من الأفراد السابقة ، وعلى مئات وآلاف غيرها تشبهها في تلك الأوصاف التي عرفها . فإذا نسى المعنى العقل الخالص ؟ . أو : ما اسم الحقيقة الذهنية المحضة التي ولدتها تلك المشاهدات ، كي يميزها من المعاني الذهنية الأخرى الكثيرة ؟ سميناها : « شجرة » . فكلمة : « شجرة » هي اسم لشيء أدركه الذهن بعد أن صورته من صفات مشتركة بين أفراد خارجة عنه ، لا وجود لها في داخله ، وإنما هي في خارجه ؛ فليس في الذهن شجرة حقيقية لنوع من أنواع النبات ، وإنما هي - كما شرحنا - بارزة في خارجه . فكلمة : « شجرة » اسم يدل على جنس يدرك العقل معناه تخيلاً . أما حقيقته الواقعية المحسنة ، المنطبقة على أفرادها - فهي في خارج الذهن . متى انتزع العقل المعنى المجرد أمكنه بعد ذلك أن يدرك مذلوله من غير حاجة - في الغالب - إلى استرجاع صورة حقيقية لفرد من أفرادها . وما يقال عن « شجرة » يقال عن كل معنى عام عقل آخر ، أي : أن العقل يدرك المراد منه من غير حاجة إلى استحضار صورة من صور أفرادها .

وإليك كلمة : « إنسان » أيضاً ، فقد رأى المرء محموداً ، وحامياً ، وأمياً ، وفريدة ، ومية . . . وتكررت مشاهدته هذه الأفراد ، واستخادم حواسه فيها ؛ حتى استطاع العقل بعد ذلك أن ينتزع من الصفات =

أما أمثلة القسم الثالث: (ح) فهي لنوع آخر يختلف في دلالاته عن النوعين السابقين

= المشتركة بينها صورة خيالية، أى: معنى واحداً ذهنياً للإنسان، له أفراد ومدلولاته الحقيقية الكثيرة، وليست في داخل الذهن؛ وإنما هي في العالم الخارجي الحسى البعيد عن النطاق الداخلى للذهن. فهو معنى واحد عام يدل على جنس (أى: صنف) له أفراد الحسية المتعددة البعيدة عن داخل العقل، ومن منطقة الذهن التى لا تحتوى في داخلها شيئاً حسياً، وصار العقل بعد ذلك لا يحتاج - غالباً - في إدراك المراد من ذلك المعنى إلى استرجاع صورة حسية لفرد من أفرادها؟. فإسم المعنى المجرد الذى انتزعه العقل؛ ليمثل هذا الجنس، ويدل عليه، ويميزه من الأجناس المعنوية الأخرى؟ اسمه: «إنسان».

كذلك أدرك العقل مجموع الصفات المشتركة بين على، وأسد، وعصفور، وحصان... و... وكون منها صورة خيالية، أى: معنى ذهنياً واحداً ولكنه عام يمثل جنساً (أى: صنفاً) له في خارج العقل أفراد حقيقية كثيرة، وهذا المعنى العقل العام يسمى: «حيواناً».

وكذلك أدرك العقل من مجموع الصفات المشتركة بين حديد وذهب فضة... و... صورة خيالية، أى: معنى ذهنياً عاماً لجنس اسمه: «معدن».... وهكذا.

فالمعاني الذهنية العامة كثيرة، وهى معان مجردة؛ إذ لا يكون معها في داخل الذهن مدلولاتها الحسية الحقيقية التى في خارجه. فإذا كان الذهن يدرك معنى «رجل» و«إنسان» و«معدن» فهل يضم في داخله نماذج حقيقية لكل واحد من هذه؟ لا.

ولما كانت المعاني الذهنية المختصة التى تمثل الأجناس مترابطة، مترابطة في داخله - وجب أن يكون لكل جنس اسم خاص به، يميزه من غيره؛ فلهذا اسم: «شجرة»، ولذلك اسم: «إنسان»، ولثالث اسم: «حيوان»، ولرابع اسم: «معدن» ولخامس اسم: «جماد»... وهكذا... فكلمة «شجرة» اسم لجنس معين، أى: لمعنى ذهنى متميز، وكذا البواقي. فاسم الجنس اسم موضوع ليدل على معنى ذهنى واحد، ولكنه معنى عام، له أفراد حقيقية، كثيرة في خارج الذهن. وهذا معنى تعريفهم «أنه يدل على الماهية بغير نظر إلى أفرادها - غالباً -». يريدون بالماهية (الحقيقة الذهنية المجردة أو: المعنى العقل الخالص)، وبذلك الاسم تتميز المعاني الذهنية بعضها من بعض؛ أى: يتميز جنس من باقى الأجناس الأخرى.

من كل ما تقدم فاعلم أن اسم الجنس عندهم هو اسم للمعنى الذهنى المجرد، وأن النكرة هى مدلوله الخارجى الذى ينطبق عليه ذلك المعنى فعلاً؛ أى: هى نفس الفرد الشائع... إلخ. هذا هو الفرق بينهما عند من يراه. وهو فرق فلسفى متعب في تصوره، ليس وراءه فائدة عملية.

واسم الجنس ثلاثة أقسام سبق الكلام عليها في الباب الأول (ص ٢٣ وما بعدها).

ويسوقنا الكلام عن النكرة وعن اسم الجنس إلى شيء ثالث لا مناص من إيضاحه هنا؛ وهو: «عَلَمُ الجنس». فما المراد منه؟ وما مدلوله؟ وما أحكامه؟.

أطلقنا الكلام في اسم الجنس، وكررنا له الأمثلة، وانتهينا من كل ذلك إلى أنه الاسم الموضوع للصورة العقلية الخيالية أى: للمعنى العقل العام المجرد، أى: للحقيقة الذهنية المختصة... وأتينا حين نسمع، أو نقرأ - كلمة «شجرة»، أو: «إنسان»، أو: معدن... نفهم المراد منها سريعاً من غير أن يستحضر العقل - فى الغالب - صورة معينة للشجرة؛ كالنخلة، أو صورة معينة للإنسان كحسين، أو: صورة معينة للمعدن؛ كذهب، فقد استغنى العقل عن تلك الصورة الفردية بعد مشاهداته الأولى الكثيرة، وصار يدرك المراد حين يسمع اسم الجنس إدراكاً مجرداً، أى: خالياً من استحضار صورة فرد من أفراد ذلك الجنس ومن غير حاجة - فى الغالب - إلى استرجاع شكله وهيبته - كما شرحنا - لكن هناك بعض الصور العقلية (أى: الصور الذهنية) لأجناس لا يمكن - بحال - أن يدركها العقل وحدها من غير أن يتخيل صورة فرد، أى: فرد - من ذلك الجنس -، ولا يمكن - مطلقاً -

يسمى : (علم الجنس)^(١) .

ولتوضيحه نقول : إذا دخلت حديقة الحيوان فرأيت الأسد ، ومنظره الرائع المتهيب ، وشاهدت ما يغطي عنقه ، وينسدل على كتفيه ؛ من شعر غزير ، كثيف ، يسمى : اللبد ، وما ينبت فوق فمه من شعر طويل ؛ كأنه الشارب - فسميت الأسد بعد ذلك باسم ، هو : « صاحب اللبد » أو « أبو الشارب » ، فهذه التسمية تحمل الذهن - قسراً - عند إطلاقها وعند سماعها على تخيل صورة

= أن يفهم المراد منها من غير أن يستحضر صورة لواحد - أى واحد - تنطبق عليه . مثال ذلك كلمة : « أسامة » فإن معناها : « أسد » لكن لا يدرك العقل معنى أسامة إلا مصحوبة بصورة « أسد » ؛ فالحقيقة الذهنية هنا ليست مجردة من صورة فرد ؛ وإنما يلازمها حتماً صورة تنطبق عليه . وكذلك كلمة : « ثعالة » فإن معناها : « ثعلب » ولكن العقل لا يفهم هذا المعنى متعزلاً ولا منفصلاً عن مصاحبة صورة « ثعلب » . وذلك على خلاف كلمة : « أسد » و« ثعلب » ، وأشباههما ... وبعبارة أخرى كلمة : « أسد » و« ثعلب » وأشباهها تدل في عالم الحس والواقع على مئات وآلاف من ذلك الحيوان المتوحش . فإذا تخيلنا صورة ذهنية لواحد من فصيلة : الأسد - مثلاً - وقد رسم العقل تلك الصورة في دأثره ، بحيث جعلها رمزاً يدل على تلك الفصيلة ووضعنا للرمز علماً خاصاً به (أى : اسماً مقصوراً عليه) ليدل عليه ؛ وينطبق على كل فرد من أفراد تلك الفصيلة ، فإن هذا العلم يسمى : « علم الجنس » . أى : علماً يدل على ذلك الجنس ، ويرشد لكل فرد من أفراد . وما يوضح هذا المعنى ويقربه إلى الفهم (وإن كان ليس علم جنس) ما نعرفه في عصرنا الحالى من تمثال : « الجندى المجهول » ؛ فإننا حين نسمع : « الجندى المجهول » يتجه عقلنا مباشرة إلى صورة ذلك الجندى ويستحضر الذهن تمثاله المعين الذى يرمز له ، وهو تمثال واحد ، ورمز مفرد . ولكنه ينطبق في عالم الحس والواقع على الآلاف من الجنود المجهولين . ويجب أن ننتبه إلى أن ذلك الفرد القليل غير معين ، وأنه شائع بين أفراد جنسه ؛ فهو فى المعنى كالنكرة . وفى هذا يقول بعض النحاة :

إن علم الشخص واقع على الأشخاص . كحمد ، وعلى ، فالعلم فيه يخص شيئاً بعينه ، لا يشاركه فيه غيره . وعلم الجنس يخص كل شخص من ذلك الجنس يقع عليه ذلك الاسم ؛ نحو : أسامة ، و« ثعالة » فإن هذين الاسمين يتعلمان على كل ما يقال له : « أسد » و« ثعلب » . وإنما كان العلم هنا للجنس ولم يكن كالأناسى لأن لكل واحد من الأناسى حالة مع غيره ؛ من بيع ، وشراء ، أوزاعة ، أو غير ذلك ؛ فاحتاج إلى اسم يخصه دون غيره ، ليكون الاسم دليلاً على صاحبه ويميزاً له من غيره ... وأما هذه السباع التى لا تثبت ولا تستقر بين الناس - فلا تحتاج إلى أسماء ، أو ألقاب تميز أفراد الجنس الواحد بعضها من بعض . فإذا لحقها اسم ، أو لقب لم يكن ذلك خاصاً بفرد دون آخر ، وإنما كان متجهاً لكل واحد من أشخاص ذلك الجنس ؛ فإذا قلت : أسامة أو ثعالة ... فكأنك قلت هذا الضرب ، أو : هذا الجنس الذى رأيته أو سمعت به من السباع وتخيلت صورة فرد منه وقت الكلام ... فهذه الألفاظ معارف ، إلا أن تدريفاً أمر لفظي . وهى من جهة المعنى نكرات ؛ لشيوعها فى كل واحد من الجنس وعدم انحصارها فى شخص بعينه دون غيره . فكان اللفظ موضوع لكل شخص من هذا الجنس ، فوضع اللفظ للفرد الشائع جملة بمنزلة العلم ، بالرغم من هذا الشيوع ... ومراعاة الواقع الصريح فى أن الفرد شائع غير معين جعله بمنزلة النكرة . ومن هنا كان لعلم الجنس اعتباران ؛ أحدهما : « لفظي » يدخله فى عداد العلم (والعلم هو نوع من المعارف) ، والآخر « معنوي » يدخله فى عداد النكرة . ولكل منهما آثاره التى ستعرفها . وسيجيء إيضاح آخر فى ص ٢٩٦ عند الكلام على القسم الثالث الذى فى رأس هذه الصفحة . (راجع الفصل ج ١ ص ٣٤ وما بعدها) .

(١) تكلمنا عليه بإفاضة ، وبمعالجة أخرى فى الهامش الذى قبل هذه مباشرة . أما الكلام على قياسيته فى رقم ١ من ص ٢٩٩ .

عامة للأسد حتمًا ، وعلى تذكّر مثال خيالى له ، من غير أن تكون تلك الصورة أو المثال مقصورة على أسد معين كالذى كان فى الحقيقة ؛ بل تنطبق عليه وعلى غيره من أمثاله . فهذا الاسم الجديد (صاحب اللبد ، أو : أبو الشوارب) الذى وضعته للصورة هو علم يدل عليها ؛ وعلى كل صورة من أفراد صنفها . أى : أنه شارة ورمز للصورة لا تمثل فرداً بعينه ، وإنما تمثل الصنف كله ، وترمز له . أو : أنها نموذج يمثل ما يسمونه : « الجنس » كله ؛ فتتنطبق على كل فرد من أفراد ذلك الجنس ؛ وهذا معنى قولهم فى ذلك الاسم : « إنه علم للجنس » ، أو : « علم الجنس » .

ومثل هذا يقال عن كلمة : « أسامة » . فقد أطلقت أول مرة على أسد معين لداع دعا إلى هذه التسمية . فإذا قيلت بعد ذلك لم يفهم العقل معناها فهمًا مجرداً من غير تخيل صورة فرد — أى فرد — من أفراد ذلك الحيوان المفترس ، بل لا بد أن يحصل مع الفهم تخيل صورة تمثل أسداً غير معين . أى : لا بد مع الإدراك من ذلك التخيل الذى يعيد إلى الذهن صورة تمثل المراد وتنطبق على كل فرد من أفراد ذلك الجنس ويصدق عليها الاسم ، فهذا الاسم هو الذى يسمى : « علماً للجنس » كله ، أو : « علم الجنس » .

ومثل هذا أن ترى القبيل ونحطومه فتسميه باسم آخر هو : (أبو الخرطوم) فهذا علم جديد للقبيل ينطبق على الفرد الذى أمامك ، وعلى كل نظير له من صنفه ، فهو علم لواحد غير معين من الأفيال . فإذا كان « اسم الجنس » هو اسم يدل على الحقيقة الذهنية المجردة أى : الخالية من استرجاع الخيال لصورة فرد منها — كما سبق^(١) — فإن علم الجنس يدل على تلك الحقيقة ، مركزة فى صورة كاملة يقترن بها عند ما يسترجعها الذهن ويستعيد الخيال لفرد غير معين من أفراد ذلك الجنس ؛ فهى تصدق على كل فرد . فكان هذا العلم موضوع لكل فرد من أفراد تلك الحقيقة الذهنية العقلية . ولذا قالوا فى تعريف « علم الجنس » ، إنه : (اسم موضوع للصورة الماثلة التى يتخيلها العقل فى داخله لفرد شائع من أفراد الحقيقة العقلية) ومن أمثله أيضاً — غير ما سبق^(٢) — « ابن ذآية » ؛ للغراب و « بنت الأرض » ؛ للحصاة ، « وابنة اليم » ؛ للسفينة^(٣) . . .

* * *

(١) فى هامش ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) هنا وفى « ج » ص ٢٨٦ .

(٣) وكذلك جميع ألفاظ التوكيد المعنوى « الملحق » بألفاظ التوكيد المعنوى الأصلية ، كما سيجىء عند الكلام على حكمه فى رقم ٤ من ص ٢٩٧ .

المسألة ٢٣ :

أقسام العلم

له عدة أقسام باعتبارات مختلفة :

(أ) فينقسم باعتبار تَشَخُّص^(١) معناه وعدم تشخصه إلى علم شخص ، وإلى علم جنس^(٢) .

(ب) وينقسم باعتبار لفظه إلى علم مفرد ، وعلم مركب^(٣) . . .

(ح) وينقسم باعتبار أصالته في العلمية وعدم أصالته إلى مُرْتَجَل ، ومنقول^(٤) . . .

(د) وينقسم باعتبار دلالته على معنى زائد على العلمية أو عدم دلالته — إلى اسم ، وكُنية ، ولقب^(٥) . . .

تلك هي أشهر أقسامه^(٦) ، ولكل منها أحكامه الخاصة^(٧) وفيما يلي بسط وإيضاح لتلك الأقسام .

التقسيم الأول :

يتضمن انقسام العلم باعتبار تَشَخُّص معناه وعدم تشخصه إلى علم شخص ، وعلم جنس^(٨) . . .

(١) أى : اعتبار أن مِماه شخص — أى : جسم — له وجود حقيقى ، محسوس ، وليس أمراً ذهنياً بحراً (أى : أنه لا يكون حقيقة عقلية مجردة) ، وهذا فى الغالب (انظر رقم ٢ من هامش ص ٢٨٧ ثم البيان المفيد فى هامش ص ٢٨٨) .

(٢) وهناك نوع آخر من العلم يسمى : « العلم بالغلبة » ومكان الكلام عليه ص ٤٣٣ وهو فى قوة « العلم الشخصى » من ناحية التعريف . أما فى غيرها فبينهما نوع اختلاف أوضحناه هناك .

(٣) موضعهما ص ٣٠٠ . (٤) وضعهما ص ٣٠٢ .

(٥) موضع الثلاثة ص ٣٠٧ .

(٦) وهناك قسم العلم المقرون بكلمة : « أل » لزوماً أو غير لزوم ، وأحكام كل : رستجىء فى ص ٤٢٩ .

(٧) تجيء فى ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٨) هذان قسمان للعلم الوضعى ، ويقابله « العلم بالغلبة » والفرق بين الوضعى ومقابله موضح فى

فى رقم ٥ من هامش ص ٤٣٤ .

علم الشخص :

« هو : اللفظ الذى يدل على تعيين مسماه تعييناً مطلقاً » . وقد شرحنا^(١) هذا شرحاً وافياً ، وأوضحنا المراد من : « الإطلاق » .

وله حكم معنوى وأحكام لفظية . فأما حكمه المعنوى : فالدلالة على فرد واحد ، مشخص معيّن^(٢) — فى الغالب — ويكون هذا الفرد من بين ما يأتى من الأنواع :

١ — أفراد الناس ، مثل : على ، وسمير ، وشريف ، ونبيلة ... وغيرهم من أفراد الأجناس التى لها عقل ، وقدرة على الفهم ، كالملائكة والجن ، مثل : جبريل ، وإبليس ...

٢ — أفراد الحيوانات الأليفة التى يكون للواحد منها علم خاص به ، مثل : « بَرَق » ، علم لحصان ، و « بارع » علم لكلب ، و « فصيح » علم على بلبل و « مكحول » علم على ديك ...

٣ — أشياء أخرى لها صلة وثيقة بحياة الناس وأعمالهم : كأسماء البلاد ، والقبائل ، والمصانع ، والبواخر ، والطائرات ، والنجوم ، والعلوم ، والكتب ، وغيرها من كل ماله ارتباط قوى بمعايش الناس ، وله اسم خاص به لا يطلق على غيره ... مثل : مصر ، دِمَشْق ، حَمَّاب (أسماء بلاد) . ومثل : تميم ، طى ، غَطَفَان ... (أسماء قبائل عربية قديمة) . ومثل : زامر ، وألبا ، وفرد (أسماء مصانع مسماة بأسماء أصحابها) . ومثل : محروسة — عناية — قاصد خير ... (أسماء بواخر) ... وغير ذلك مما يشبهها من كل مدرسة ، أو معبد ، أو ملجأ ، أو طائرة ، أو مؤسسة ... بشرط أن يكون لكل منها اسم خاص يُعرف به ، ولا يشاركه فيه سواه — غالباً — . وهذه الأشياء المعينة المحددة التى تدل عليها الأعلام تسمى : « المدلولات » ، أو : « الحُكْمُ المعنوى » لعلم الشخص^(٣) .

(١) فى ص ٢٨٦ وما بعدها ، ولا سيما هامش ص ٢٨٨ .

(٢) والصحيح أن العلم لا يفقد علميته عند تصغيره .

(٣) وإلى بعض ما سبق يشير ابن مالك إلى أنواع علم الشخص بقوله فى أول باب : العلم .

اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّى مطلقاً عِلْمُهُ ؛ كَجَعْفَرٍ ، وَخَزْنِقَا

وَقَرْنٍ ، وَعَدَنٍ ، وَلَاحِقٍ وَشَذَقَمٍ ، وَهَيْلَةٍ ، وَوَاشِقٍ

فجعفر : علم رجل . وخرنق : علم امرأة . وقرن : علم قبيلة ، وعدن : علم بلد . [ولا حق] : علم فرس . وشذقم : علم جبل ، وهيلة : علم شاة ، وواشق : علم كلب . وسيجيء كلامه . على علم الجنس هامش — فى

وأما أحكامه اللفظية فكلها أثر من آثاره معرفة ؛ فلذا لا يضاف ، ولا يعرف
« بآل » ؛ لعدم حاجته لشيء منهما^(١) « ويصح أن يقع مبتدأ ؛ مثل :

(١) قد يكون من الدواعي البلاغية ؛ (كالملاح والذم...) ، كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ١٣٠ .
ما يقتضى تنكير العلم ؛ إما تنكيراً صريحاً ، نحو : رأيت محمداً من المحدثين ، و (ما من زيد كزيد بن
ثابت) ، وإما تنكيراً ملحوظاً ؛ أى : « مقدراً » كقول أبي سفيان : لا قرش بعد اليوم . وقول بعض
العرب : (لا بصرة لكم) . (فوقه فيها اسم « لا » ، دليل على تنكيره ؛ لأن اسمها المفرد نكرة) .
وإذا نكر العلم جاز إضافته بشرط أن تكون الإضافة لغير أبيه ؛ منعاً للإلباس ، الذى يحدث فى مثل :
أقبل عليّ محمود . إذ لا ندرى : أحمد هذا هو أبوه ، وأن الأصل على بن محمود... أم أنه شخص آخر ؟ ولهذا
منعوا حذف المضاف إذا كان كلمة « ابن » ... طبقاً لما سيجىء فى باب الإضافة (ج ٣ ص ٩٦ م ١٥٦) .
كما جاز أن ندخله « آل » التى للتعريف ، أو غيرها مما يُعرفه ، وأن يثنى ، وأن يجمع ، من غير أن
تلقه بعد التثنية والجمع « آل » التى تعرفه ؛ فبقى على تنكيره . أما العلم الباقى على علميته فإنه عند تثنيته
ويجمعه يفقد التعريف ؛ لمشاركة غيره له فى اسمه ، وصيرورته بلفظ لم يقع به التسمية فى الأصل ؛ فإذا
أردنا إرجاع التعريف له بعد التثنية والجمع ونجب أن نزيد عليه ما يفيد التعريف ، مثل : « آل » ؛
فكلمة مثل ؛ محمد هى علم ؛ فهى معرفة . فإذا ثنى أو جمع قيل : محمدان ، محمدون - وكلاهما نكرة ؛
طبقاً لشروط التثنية والجمع فإذا أردنا تعيينه وتعريفه زيدت عليه « آل » - مثلاً - كى تجعله معرفة . (وقد
أوضحنا هذا فى رقم ٣ من ص ١٢٩) .

هذا ، والأصل فى العلم الخاص أنه لا يجوز إضافته ؛ لأن الإضافة لا تفيد شيئاً من التعريف أو :
التخصيص والإيصال ... ؛ لأنه معرفة بنفسه ، فليس فى حاجة جديدة إليها . ولا يجوز أن ندخله « آل »
المعرفة ؛ ونحوها ، لأنه فى غنى عنها . لكن إذا وجد داع بلاغى - كما قلنا - فإنه يجرى مجرى
النكرات ، وسائر الأسماء المبهمة الشائعة ؛ فتدخله « آل » المعرفة ، ويضاف - ولو كان العلم فى الحالين
علماً بالغلبة ، كما سيجىء فى ص ٤٣٦ - فتفيد الإضافة مزاياها فى التعريف ، والتخصيص ، والإيضاح .
كقول النابغة الجعدي يهجو الأخطل :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي خَلْفِ رَسُولَا أَحَقَّا أَنْ أَخْطَلَكَمُ هَجَايَ؟

وقد يكون الغرض البلاغى أمراً آخر (غير ما أشرنا إليه من المدح والذم) ، هو : تقليل الاشتراك
وزيادة التبيين والتحديد والإيضاح ، ومنه قول الشاعر :

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النُّقَا رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِي

وسيجىء كلام على هذا البيت لمناسبة أخرى ، فى ج ٣ باب الإضافة ص ٩٤ م ٩٣ .

وقول الآخر :

يَاعَدَ أُمُّ الْعَمْرُو مِنْ أَسِيرِهَا حَرَّأْسَ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُورِهَا

وأنشد ابن الأعرابي :

يَالَيْتَ أُمُّ الْعَمْرُو كَانَتْ صَاحِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَأَ عَلَى الرِّكَائِبِ =

محمود نابه ، ويقع صاحب حال متأخرة عنه ، ومتقدمة ؛ مثل : جاء حامدٌ مبتسماً

= وقول الأخطل :

وقد كان منهم حاجِبٌ وابنُ أمِّه أبو جندلٍ والزَّيْدُ زيْدُ المَعارِكِ

وقول الآخر :

باللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ

وقد أشرنا لما تقدم في رقم ١ من هامش ص ٤٣٦ لمناسبة هناك .

وفيما سبق يقول شارح المفضل ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ما ملخصه :

(العلم الخاص لا يجوز إضافته ، ولا إدخال لام التعريف عليه ؛ لاستثنائه وتعريف العلمية عن تعريف آخر . إلا أنه ربما شورك في اسمه ، أو وقع الاعتقاد بذلك ، فيخرج عن أن يكون معرفة ، ويصير من طائفة كل واحد منها له اسمه ، ويجرى مجرى الأسماء الشائعة التي تحتاج إلى إيضاح وتعيين . نحو رجل ، وفسر ؛ فحينئذ يمكن إضافته ، وإدخال الألف واللام عليه ، كما يقع ذلك في الأسماء الشائعة . فالإضافة نحو : زيدكم وعمركم . وعلا زيدنا يوم النفا رأس زيدكم ... ونحويا ليت أم العمرو كانت صاحبي ... ونحو : يزيد سليم ، وعمر الخير ، ومضر الحمراء ، وأعمار الشاة ، وربيعة الفرس ... وهذه الأعلام متى أضيفت - لمعرفة - فقدت التعريف بالعلمية ؛ واكتسبت تعريفاً آخر يفيدها الإيضاح ؛ هو التعريف بالإضافة ، وصارت مثل « أخيك » ، و « غلامك » في تعريفهما بالإضافة . . . هذا إن أضيف العلم لمعرفة ، أما إذا أضيف إلى نكرة فهو نكرة ؛ نحو : مررت بمحمد رجل ، وعلى امرأة . إلا أنه يحدث في المضاف عندئذ نوع تخصيص ؛ لأنك جعلته « محمد رجل » ، ولم تجعله « محمداً » شائعاً في المحمدين ، كما أنك إذا قلت ، « غلام رجل » - استفيد منه أنه ليس لامرأة ...) ١ هـ - (راجع أيضاً رقم ٣ من هامش ص ٣١٧ الآتية ، والخضري ج ١ عند الكلام على شروط المثني) .

فما سبق يتبين أن الاستعمال الشائع الآن غير صحيح ؛ حيث يضاف العلم إلى اسم الوالد ؛ أو الوالدة ، نحو : محمد على ، ومحمود حامد ، وزينب صالح ، وفاطمة كامل ، وأمينة عائشة ... وأشباهها فالأعلام الأولى : هنا (محمد - محمود - زينب - فاطمة - أمينة ...) هي أعلام لأبناء مضافة إلى أعلام الوالد أو الوالدة . ومن المحتم أن تتوسط بينهما كلمة : « ابن وابنة » ولا يصح حذفها مطلقاً ؛ ولو كان الحذف قائماً على اعتبارها مضافاً محذوفاً أقيم المضاف إليه مقامه ؛ لأن هذا الحذف يقع في اللبس ؛ إذ لا دليل منه يدل على أن المضاف من أولاد المضاف إليه ؛ ولهذا نصوا - في باب الإضافة ، كما سبق - على منع حذف المضاف إذا كان لفظة « ابن » ومثلها : ابنة (راجع ج ٣ م ٩٦ ص ١٥٥) .

لكن ما المراد بالإيضاح في جانب المعارف ، وبالتخصيص في جانب النكرات ؟ . أشار لهذا صاحب « المفضل » . فيما سبق وفيما يجيء .

فالمراد بالإيضاح هو : رفع الاحتمال ، وإزالة الاشتراك في المضاف إلى المعرفة . والمراد بالتخصيص : تقليل الاحتمال والاشتراك في المضاف إلى النكرة . بيان ذلك : أننا حين نقول : سافر محمود - مثلاً - « فمحمود » علم قد يشترك فيه عدة أشخاص ؛ فلا ندري من منهم الذي سافر . فإذا قلنا : سافر « محمود الحديقه » أو : « محمود البيت » ، أو محمود نا « فقد زال الاحتمال ، وارتفع الاشتراك بسبب إضافته = النحو الوافي - أول

أو جاء مبتسماً حامداً - لأن الغالب في المبتدأ وصاحب الحال أن يكونا معرفتين -
ويُمنع من الصرف إن وجد مع العلمية سبب آخر للمنع ، كالتأنيث في مثل :
أصغيت إلى فاطمة . ويكون نعتة معرفة مثله ، ولا يصح أن يكون نكرة .

علم الجنس :

تعريفه :

اسم موضوع للصورة الخيالية التي في داخل العقل ، والتي تدل على فرد شائع
من أفراد الحقيقة الذهنية^(١) .

حكمه المعنوي :

أكثر ما يتجه إليه معناه هو : الدلالة على واحد غير معين ؛ فشأنه في
هذه الدلالة كشأن النكرة . ولكن هذا الواحد الشائع يكون من بين الأشياء الآتية
المسموعة^(٢) عن العرب :

١ - حيوانات غير أليفة ؛ كالوحوش ، والحشرات السامة ؛ وجوارح الطيور ،

= لمعرفة ؛ كما لو أتينا بعده بنعت - مثلاً - فقلنا : سافر محمود العالم .

وإذا كانت إضافته إلى نكرة فإن الاحتمال لا ينقطع ، والاشتراك لا يزول ، وإنما يخف أمرها
ويقل كما سبق في : محمد رجل ... وقد يحصل الاحتمال ويبقى الاشتراك بعد إضافة العلم إلى المعرفة ؛ ولكن
هذا قليل لا يلتفت إليه (راجع التصريح وهامشه في أول باب : النعت) .

ثم قال صاحب شرح المفصل في المكان السابق :

« أما إدخال « أل » على العلم فقليل جداً في الاستعمال ، وإن كان القياس لا يأباه كل الإباء ؛
لأنك إذا قدرت فيه التنكير ، وأنه ليس له مزية على غيره من المسمين به جرى مجرى : « فرس »
و « رجل » ، ولا تستنكر أن تدخل عليه « أل » وقد جاء في الشعر وما أقله . . . »

وقد يتكرر العلم المنوع من الصرف ، مثل : جاء أحمد - ، ورأيت أحمداً - ومرت بأحمد
إذا كان هذا الاسم مشتركاً بين عدة أفراد كل منهم يسمى : بأحمد ، ولا تقصد فرداً معيناً ، وقد سبق
بيان هذا في تنوين : « التنكين » (في رقم ٣ من هامش ص ٣٣ و ٣ من هامش ص ٢٧) ويرى بعض
النحاة أن العلم إذا أضيف لا يفقد علميته ؛ بل تبقى وإنما يكتسب من الإضافة زيادة إيضاح على إيضاحه
السابق ، تفيد تعييناً ، وتنع أثر الاشتراك عنه ؛ كاللغى في قول العرب : هذا جميل بشنية ، وقيس ليل .
والخلاف لفظي شكلي ؛ لا أثر له . وإن كان الرأي الأول هو الذي يساير القواعد النحوية العامة .

(١) سبق شرح هذا بإضافة في ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٢) انظر رقم ٢ ص ٢٩٩ حيث الكلام على قياسته .

ومنها ؛ (أبو الحارث وأسماء ، وهما : للأسد) ، (وأبو جَعْدَة وذُو آلة ، وهما : للذئب) ، (وشَبَوَة وأُمّ عِرْيَط ، وهما : للعقرب) ، (وَثُعَالَة وأبو الحُصَيْن ، وهما : للثعلب) .

٢ - بعض حيوانات أليفة^(١) ؛ ومنها : (هَيَّان بن بَيَّان ؛ للإنسان المجهول نسبه وذاته . ومثله : طامر بن طامر) ، (وأبو المضاء ، للفرس) ، (وأبو أيوب ، للجمل) ، (وأبو صابر ؛ للحمار) ، (وبنت طبق ، للسليخة^(٢)) ، (أبو الدَّغَفَاء ، للأحمق) ، من غير تعيين فرد واحد بذاته في شيء مما سبق . فلو أريد به فرد واحد معين لكان علم شخص .

٣ - أمور معنوية^(٣) (أى : ليست محسوسة ؛ فهي تخالف النوعين السابقين) مثل : (أم صبور ، علم للأمر الصعب الشديد) . ومثل : (سُبُحان ، علم للتسبيح) ، (وأُم قَشْعَم ، علم للموت) ، (وَكَيْسَان ، علم للغدر) ، (وَيَسَّار ، - على وزن ؛ «فَعَال» ، وهو وزن للمؤنث هنا - ، علم للميسرة ، أى : اليسر) . (وَفَجَّار ؛ علم للفجيرة ، أى : الفجور ، وهو الميل عن الحق) ، (وَبَرَّة ؛ علم للمبرة ، أى : البر) .

٤ - جميع ألفاظ التوكيد المعنوية « الملحقة » بألفاظه الأصلية ؛ لأن كل لفظ من هذه الملحقات هو علم جنس يدل على الإحاطة والشمول ، ولهذا لا يجوز نصبه على الحال في رأى الصحيح - ومن تلك الألفاظ الملحقة : (أجمع - جمعاء - أجمعون - جُمَع) ، وكذلك (أَكْتَع - أَبْع - أَبْصَع) ، وسيجىء البيان بتفصيل هذا في باب التوكيد ج ٣ م ١١٦ - ص ٥٠٢ .
أحكامه اللفظية :

هى الأحكام اللفظية الخاصة بقسيمه : « علم الشخص » ؛ فهما متشابهان فيها^(٤) ؛

(١) يجىء علم الجنس من هذا النوع قليل بالنسبة للتوعين الآخرين ؛ لأن الأشياء المألوفة توضع الأعلام للفرد منها ، لا للجنس .

(٢) وقد تستعمل للمية . (٢) انظر ص ٢٩٩ ففيها تكملة مهمة .

(٤) ولكن يجب ملاحظة ما يمتاز به « علم الشخص » من صحة جمعه جمع مذكراً باطراد إذا استوفى شروط هذا الجمع (وقد سبقت في ص ١٤٠) ، أما علم الجنس فلا يجمع منه هذا الجمع إلا ألفاظ معدودة ؛ هى : أجمع - أكتع - أبصع - أبتع ... (طبقاً لما أشرنا إليه في رقم ٢ من هاش ١٤٠ ورقم ٤ من هاش ص ١٤٢ - أما الإيضاح والتفصيل في المكان الخاص ، وهو باب : التوكيد ، ص ١١٦ م ٣٠٠) .

فلا يجوز^(١) في علم الجنس أن يضاف ، ولا أن تدخل عليه « أل »^(٢) المعروفة . . . فلا تقول : أسامةُ الحديقة في قفص ، ولا الأسامة في قفص . وهو يقع مبتدأ : مثل أسامة مفترس ؛ ويكون صاحب حال متأخرة^(٣) عنه ؛ مثل : زار أسامة غاضباً . ويمنع من الصرف إن وجدت علة أخرى مع العلمية ، كالتأنيث في مثل : أسامةُ ملك الوحوش ؛ فتمتنع كلمة : « أسامة » من الصرف للعلمية والتأنيث^(٤) . ويجب أن يكون نعت معرفة مثل : أسامة القوى ملك الوحوش . ولا يصح أن يكون نكرة^(٥) - في الرأي الصحيح .

وفيما سبق من الأحكام المعنوية واللفظية بيان وتفسير لقول النحاة : « حُكِمَ علم الجنس أنه نكرة معني ، معرفة لفظاً » .

* * *

(١ و ١) الأشياء التالية كلها لا تجوز ؛ بشرط بقاءه على علميته . فإن نكحنا إضافته ، وإقترانه بأل ، ووصفه بالنكرة ، وعدم منعه من الصرف ... وهي أمور تجزى في « علم الشخص » ؛ طبقاً لما بيناه عند الكلام عليه - انظر رقم ١ من هامش ص ٢٩٤ حيث البيان - .

(٢) لأن مجيئها متأخرة عنه دليل على أنه معرفة ؛ إذ الحال المتأخرة لا يكون صاحبها نكرة في الغالب - إلا في مواضع معينة تخالف هذه . أما إذا تقدمت الحال فإن صاحبها قد يكون معرفة ؛ مثل : أقبل ضاحكاً الضيف ، وقد يكون نكرة ؛ مثل : أقبل ضاحكاً ضيف .

(٣) ومثلها : « ثعالة » للشعلب ، و « برة » للمبرة . و « سبحان » ، و « وكيسان » ، للعلمية وزيادة الألف والنون . وكلمة : « أوبر » في « بنات أوبر » - نوع من الكأنة . - للعلمية ووزن الفعل ... وهكذا . (٤) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله في آخر باب : العلم .

ووضعوا لبعض الأجناس علم كعلم الأشخاص لفظاً وهو علم من ذاك : « أم عريضة » للعقرب وهكذا . : « ثعالة » للشعلب ومثله : « برة » ؛ للمبرة كذا ؛ « قمار » ، علم للفجرة

أي : أن العرب وضعوا علم جنس لبعض الأجناس - انظر رقم ٢ من الصفحة الآتية - في الأحكام اللفظية . أما في الحكم المعنوي فكلاهما يدل على فرد واحد ، غير أن علم الشخص يدل - في الأغلب - على فرد واحد متعين ، وعلم الجنس يدل على فرد واحد غير متعين . وهذا هو المراد من قول ابن مالك أنه : عم . بصيغة الفعل الماضي ، يريد : أن مدلوله عم الأفراد ؛ بحيث يصدق مدلوله على كل فرد ، دون فرد بذاته ؛ فهو عام شائع من جهة مدلوله .

و « قمار » علم للمؤنث ؛ ولذا قال علم : للفجرة ؛ أي : الفجور ، فالتاء فيها ليست للمرة ، وتأنيث الوحدة ؛ وإنما هي التاء الدالة على حقيقة الشيء ؛ أي : ذاته الأساسية الشائعة في ضمن أفرادها .

زيادة وتفصيل

١ - استعمل العرب علم الجنس في أمور معنوية - كما سبق^(١) - غير أن بعض تلك الأمور قد استعملوه حيناً علم جنس ؛ فتجرى عليه الأحكام اللفظية الخاصة بعلم الجنس ؛ فهو معرفة من هذه الجهة ، وحيناً استعملوه كالنكرة تماماً ؛ فلا يلاحظ فيه تعيين مطلقاً. والطريق إلى معرفة هذا النوع المعنوي هو : « السماع » المحض عن العرب . ومن أمثله : **فَيْسَنَة** (بمعنى : وقت) و « **بُكَرَة** » و « **عُدْوَة** » وهما بمعنى أول النهار ، و « **عَشِيَّة** » بمعنى آخر النهار . فهذه الكلمات تستعمل بغير تنوين ؛ فتكون معرفة ؛ مثل : قضينا **فَيْسَنَة** في الحديقة ، أى : **الفَيْسَنَة** المعينة من يوم معين . ونقول ؛ فلان يتعهدنا **بُكَرَة** ، أى : **البكرة** المحددة الوقت واليوم . وكذا . « **عُدْوَة** وعشية » بغير تنوين ؛ تريد بكل منهما وقتها ويومها المحددين . فأنت تقصد الأوقات المعينة التي تبينها هذه الأسماء السابقة^(٢) .

أما إذا قلتها بالتنوين فليست تريد واحدة ، معينة ، محددة في يوم محدد - وإنما تريد « **فَيْسَنَة** » أى **فَيْسَنَة** ، من يوم أى يوم ، و « **بُكَرَة** » ، أى **بكرة** أيضاً ، وهكذا الباقي . . .

وفي الأثر المروى : (للمؤمن ذنب يعتاده **الفَيْسَنَة** بعد **الفَيْسَنَة**) فدخل أول دليل على أن الكلمة قبلها كانت نكرة . ويترتب على هذا الاختلاف في المراد الاختلاف في الأحكام اللفظية التي عرفناها ، والتي تطبق على الكلمات باعتبارها علم جنس ، ولا تطبق عليها باعتبارها نكرات ، ولا يعرف هذا في النوعين الآخرين من علم الجنس ؛ فهما معرفتان ، وحكهما من جهة اللفظ حكم علم الجنس .

٢ - جاء في بعض المراجع - كالصبان - ما يفهم منه أن « علم الجنس » سماعي . لكن الذي قد يفهم من بعض المراجع الأخرى - كالجمع ، ج ١ ص ٧٣ - أنه قياسي في غير الأنواع المعنوية الموضحة هنا . وهذا الرأي وحده هو الأنسب ؛ لأن المدلولات التي تحتاج إلى علم جنسي كثيرة في كل زمن بسبب ما يجد فيه من أنواع ومخترعات وأجناس . . .

* * *

(١) في رقم ٣ من ص ٢٩٧ .

(٢) وهذه الأسماء مزيد إيضاح في ج ٢ - هامش ص ٢٢١ م ٧٩ .

التقسيم الثاني :

وهو يتضمن انقسام العلم باعتبار لفظه إلى علم مفرد ، وعلم مركب . فالمفرد : ما تَكُونُ من كلمة واحدة^(١) ، مثل : صالح ، مأمون ، حليلة ، (أعلام أشخاص) . والمركب : ما تكون من كلمتين أو أكثر . وهو ثلاثة أقسام :

أولها : المركب الإضافي : ويركب من مضاف ومضاف إليه ؛ مثل : عبدُ العزيز ، وسعد الله ، وعزَّ الأهل . . .

وثانيها : المركب الإسنادي^(٢) : ويركب إما من جملة فعلية ؛ - أى : من فعل مع فاعله أو مع نائب فاعله - ، مثل : (فَتَحَ اللهُ) و (جَادَ الحقُّ) و (سُرُّ من رأى) ، وإما من جملة اسمية ؛ أى : من مبتدأ مع خبره - مثل : (الخيرُ نازلٌ) و (السيدُ فاهمٌ) و (رأسٌ مملوءٌ) ، وكلها أسماء أشخاص معاصرين إلا (سُرُّ من رأى) فإنها اسم مدينة عراقية قديمة .

وقد ألحق بالمركب الإسنادي بعض ألفاظ لا ينطبق عليها تعريفه - لأنها ليست جملة - ولكنها تخضع لحكمه ، وسيجيء البَيَانُ^(٣) .

وثالثها : المركب المزجي^(٤) : وهو ما تركب من كلمتين امتزجتا (أى : اختلطتا بأن اتصلت الثانية بنهاية الأولى . . .)^(٥) حتى صارتا كالكلمة الواحدة^(٦) ؛ من

(١) ملاحظة : سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٣٠٨ أن الكنية - مع تركيبها الإضافي - تعد من قسم العلم الذي معناه إفرادي بالإيضاح الذي هناك .

(٢) المركب الإسنادي هو : ما انضمت فيه كلمة إلى أخرى على وجه يفيد حصول شيء ، أو عدم حصوله ، أو طلب حصوله - كما أوضحنا ذلك في ص ٢٨ - فالإسناد هو نسبة الحصول أو عدمه ، أو طلبه . أى : للتحدث عن ذلك الشيء بما ينسب إليه ؛ سلباً ، أو إيجاباً ، أو طلباً ، ولا يتأتى هذا إلا بجملة فعلية ، أو اسمية ، أو ما في حكم كل منهما . وللاقتضين ومن جاء بعدهم أعلام كثيرة مركبة تركيباً إسنادياً . ونحن في عصرنا الحاضر نحكيهم في ذلك ، بل نفوقهم في الإكثار ؛ حتى لقد نعرف اليوم كتباً مختلفة ، من أسمائها : « يسألونك » و « أسألوني » . و « المعركة قادمة » . و « جاء النصر » و « نحن هنا » و « من الأعلام » : و « حيدر آباد » و « الله آباد » بلدان في الهند ، ومثل : « شَمَر » لرجل ولغرس .. ورام الله ، لبلد في كُبدان . (٣) في ص ٣١٠ ورقم ٢ من هامشها .

(٤) وقد تفصل بينهما الواو المهملة - وهي الزائدة سماعاً - الجرد الفاصل بين الكلمتين ، ولا تفيد عطفاً ، ولا غيره . في مثل كيت وكيت ، وذيت وذيت ... طبقاً لما سيجيء في ج ٤ ص ٥٤٠ م ٦٦٨ باب : كم وكأين ، وكذا . (٥) لا يكون المركب المزجي إلا من كلمتين فقط ، كما يفهم من التعريف ، ولا يصح مزج أكثر منهما ، لأن العرب لم تتركب ثلاث كلمات . وقد صرح بهذا الأصفهاني (ج ١ في أول باب العرب والمبني =

جهة أن الإعراب أو البناء يكون على آخر الثانية وحدها غالباً، أمّا آخر الأولى فيبقى على حاله قبل التركيب^(١). ومن أمثلته: بُرّ سعيد (اسم مدينة مصرية)، ورامهرمز،

= عند الكلام على إعراب المضارع - وقال الصبان هناك: لا اعتراض على الحكم السالف بما ورد من نحو: لا ماء بارد، ببناء الوصف وهو كلمة «بارد» على الفتح... فإن هذا الاعتراض مدفوع بأن «لا» إنما دخلت بعد تركيب الموصوف والوصف، وجعلهما كالشيء الواحد. ولا يقاس على باب «لا» غيره» ا. هـ - (انظر «ب» من ص ٧٠١ ص - وتى امتزجتا صار العلم بهما كلمة واحدة ذات شطرين، كل شطر منهما في العلم بمنزلة الحرف المجاني الواحد من الكلمة الواحدة) كما نص على هذا شارح المفصل ج ٤ ص (١١٦) والأصل في العلم قبل التركيب أن يكون لكل واحدة منهما معنى معين يخالف معنى الأخرى، أما بعد التركيب المزجي فالأمر يختلف فإن كان هذا التركيب علماً من النوع الذي تتركز فيه علامات الإعراب أو البناء على آخر الثانية فقط (وسيجى في ص ٣١١ وما بعدها؛ كسيبويه، وبعليك، وغيرها من الأمثلة المعروضة هنا، ونظائرها) زال المعنى الأصلي لكل منهما نهائياً، ولا يصح ملاحظته، لأنه ينشأ من المزج معنى جديد مستحدث؛ لا صلة له بالمعنى السابق لهما أو لإحدهما.

أما إن كان هذا المركب المزجي من النوع الآخر الذي سيجى (في ص ٣١٣) وهو الذي يبنى على فتح الجزأين؛ (كالمركبات العددية؛ مثل: ثلاثة عشر، وأربعة عشر... أو: المركبات الظرفية، نحو: صباح مساء... أو: الحالية؛ نحو: فلان جارى بيت بيت أى: «لاصقاً... أو: باقى المركبات الأخرى التى تبنى على فتح الجزأين معاً - (ومنها ما يفصل بينهما الواو وسماها؛ طبقاً لما تقدم فى رقم ٤؛ وللأحكام المدونة فى أبوابها...)، فإن المعنى بعد التركيب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الذى كان لكل كلمة قبل مزجها بأختها، فيتكون المعنى الجديد من معناها السابق، مع بعض زيادة تنضم إليه دون إلغاء للسابق، أو إهمال لملاحظته فى تكوين المعنى المستحدث، فأساس المعنى الجديد هو معناها القديم مع ضم زيادة إليه. وهذا النوع يلاحظ فيه قبل المزج أنه على تقدير: «واو العطف» بين الكلمتين وأنها فى حكم المتعاطفين، فعناهما بملاحظتهما قبل التركيب هو معناهما الجديد بعد المزج، بغير ملاحظتهما (راجع شرح المفصل ج ١ ص ٦٥ و ج ٤ ص ١٢٤).

(١) ولا يكاد يختلف هذا التعريف عن التعريف النهائى الذى ارتضاه المجمع اللغوى القاهرى ونصه: (كما جاء فى ص ٥٢ من كتابه المجمعى المسمى: «كتاب فى أصول اللغة»، الصادر فى سنة ١٩٦٩)، هو: (المركب المزجى ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلهما اسماً واحداً، إعراباً وبناء، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين - ويكون ذلك فى أعلام الأشخاص، وفى أعلام الأجناس، والظروف، والأحوال، والأصوات، والمركبات العددية) ا. هـ. ومن المركب المزجى فى الأصوات قولهم: «قاش ماش» بالكسرة فيما لصوت طى القماش - كما سيجى. فى ج ٤ باب: «أسماء الأصوات» م ١٤٢ ص ١٥٦ - وسيجى الكلام على حكمه فى ص ٣١١ و ٣١٣، وكذلك فى ج ٤ باب المنوع من الصرف ص ٢١٧ م ١٤٧.

ويلاحظ أن الإعراب أو البناء يكون على آخر الثانية فى غير المركبات المزجية العددية وما شابهها مما يكون حكمه البناء على فتح الجزأين معاً؛ طبقاً لما ذكر فى هذا الهامش، وفى سابقه، ولبيان الآتى فى ص ٣١٣.

وَطَبَرِ سْتَان ، وَجَرْدِ سْتَان ؛ من أسماء البلاد الفارسية^(١) ومثل : نِيُويُرك ،
وقالِقلا^(٢) ، وَجَرْدِ نِسْتِي^(٣) وَبَعْلَبَك^(٤) وَسِيَبَوِيَه^(٥) ، وَبَرَزَوِيَه^(٦)
وَنِفْطَوِيَه^(٧) ، وَخَالَوِيَه^(٨) ، ومثل^(٩) : (السَّلاحْدَار ، وَالخازَنْدَار ، وَالبُندُقْدَار) .
فالعلم إما مفرد ، وإما مركب تركيب إضافة ، أو تركيب إسناد ، أو : تركيب
مزج^(١٠) .

التقسيم الثالث :

يتضمن انقسام العلم باعتبار أصلاته في العلمية وعدم أصلاته ، إلى مُرْتَجَل ،
ومنقول . فالمُرتَجَل : ما وضع من أول أمره علماً ، ولم يستعمل قبل ذلك
في غير العلمية . ومثاله : الأعلام التي اخترعها العرب أول مرة لمسميات

(١) فالأولى مكونة من : (رام ، وهرمز) ؛ وهما معا اسم مدينة فارسية ، واسم رجل أيضاً ، والثانية
مكونة من : (طبر ، وستان) ، ومعنى ستان : مكان ، والثالثة من : (جرد ، وستان) .

(٢) اسم بلد بالشام .

(٣) اسم حى مشهور من أحياء وسط القاهرة ، على النيل

(٤) بلد ببلقان الآن . وأصله : « بعل » (اسم صنم) و « بك » (اسم رجل يعبد) ، ثم
صارا اسماً واحداً للبلد .

(٥) كلمة فارسية مركبة من : « سيب » بمعنى : تفاح ، و « ويه » بمعنى : رائحة . فالمراد
« رائحة التفاح » وقد تقدم المضاف إليه على المضاف ، كما هو الشأن في اللغة الفارسية ، وبعض اللغات
الأعجمية ، وصار مركباً مزجياً ، علماً على الإمام النحوى الأكبر المتوفى حول سنة ١٨٠ هـ .

(٦) لقب أحمد بن يعقوب الأصفهاني من أئمة الحديث الشريف .

(٧) اسم عالم لغوى كبير . وأصل « النفط » ما تسميه العامة : « زيت البترول » .

(٨) اسم عالم لغوى كبير ، وأديب نحوى ، في القرن الرابع الهجرى .

(٩) الأسماء الآتية هي من الأعلام المشهورة في عصرنا . وترجع في أصلها إلى دولة « المماليك »
التي حكمت مصر سنوات طويلاً . وكانت تطلق على مكان السلاح ، أو المشرف على شؤونه اسم :
« السلاحدار » وعلى المشرف على شئون الخزن : « الخازندار » وعلى شئون البندق : « البندقدار » بتقديم
المضاف إليه على المضاف في تلك الألفاظ كالشأن في اللغة الفارسية . وبعض اللغات الأخرى - كما تقدم -
إذ الأصل : دار السلاح ، ودار الخازن ، ودار البندق . . . وعند تقديم المضاف إليه على المضاف يصير
التركيب مزجياً بعد أن كان إضافياً .

ويحسن في التركيب المزجى وصل الكلمتين خطأ إن كان الحرف الأخير من الصدر مما يوصل بغيره ؛ فيكون
هذا الاتصال الخطي دليلاً على المزج .

(١٠) وليس من أنواع المركب هنا : العلم المركب الوصفي ؛ وهو الذى يتألف من موصوف وصفة ؛
مثل : الطالب المؤدب . . . ؛ فكلاهما يعد من قبيل المفرد في أحكامه . - كما سيجىء بيانه في رقم ٢ من
هامش ص ٣١٠ - .

عندهم ؛ ومنها : أدَد (علم رجل) - وسعاد^(١) (علم امرأة) - وقفقس ، (علم للأب الأول لقبيلة عربية) معروفة . ومثل : الأعلام التي يبتكرها الناس لمسميات خاصة عندهم ، من غير أن يكون لها عند العرب الخُلص وجود سابق ، مثل : بطليموس ، وكليوباترة ، وغاندى وأعلام أناس آ . ومثل :

« جِسْن » ، علم على بلد . و « رَسَح » علم على جبل ، « وبَحْن » علم على شجرة مُعينة . وغير ذلك من الأعلام التي يبتكرونها في عصر من العصور ، على حسب رغبتهم وأذواقهم^(٢) .

ويريدون بالمنقول^(٣) - وهو الأكثر - أحد شيئين :

أولهما : العلم الذي لم يُستعمل لفظه أول الأمر علماً مطلقاً ؛ وإنما استعمل أولاً في شيء غير العلمية ، ثم نُقِل بعده إلى العلمية^(٤) ؛ مثل : حامد ، محمود فاضل ، أمين فقد كانت قبل العلمية تؤدي معنى آخر ، ثم انتقلت منه إلى العلمية .

وثانيهما : العلم الذي استعمل أول أمره علماً لفرد في نوع ، ثم صار علماً لفرد في نوع آخر يخالف الأول ؛ مثل : « سعاد » علم امرأة ؛ ثم صار علم قرية لا علم امرأة .

١ - والنقل قد يكون من اسم منفرد اللفظ^(٥) ؛ فيشمل : ما هو منقول من معنى

(١) - إذا كان العلم مرتجلاً « كسعاد » مثلاً - ثم سميت به امرأة ثانية وثالثة ، لم يفرج ، بسبب تكرار التسمية - عن أنه مرتجل ما دام النوع لم يختلف . أما إذا اختلف النوع فإن الاسم الثاني والثالث لا يكون مرتجلاً ؛ بل يكون منقولاً : كتسمية إنسان بأسامة ؛ فإن « أسامة » مرتجل بالنسبة للأسد ، ومنقول بالنسبة للإنسان .

(٢ و ٢) وما يلاحظ أن وضع الأعلام الشخصية المرتجلة ليس مقصوداً على العرب الخالص - وكذا المنقولة - وإنما هو حق لهم ولغيرهم ، في كل زمان ومكان . أما الأعلام الجنسية - فقد سبق حكمها في رقم ٢ من ص ٢٩٩ .

وإذا صارت الكلمة علماً مرتجلاً أو منقولاً ، خضعت للضوابط والأحكام العامة التي تجري عليه في الإعراب أو البناء - ولا سيما ما تقتضي به الملاحظة « التي في ص ٧٩ - وفي التذكير والتأنيث ، وفي منع الصرف وعدمه ، وفي الأفراد والتثنية وجمع التصحيح ، وباقي الأحكام المختلفة ، ويجري عليها في جموع التكسير ما يجري على نظائرها . فإن لم يكن لها نظائر فعل ما يقارنها ؛ طبقاً لما تقتضي به الضوابط العامة . وفي كتاب لمع (ج ٢ ص ١٨٣ باب التكسير) طريقة جمع الأعلام المرتجلة والمنقولة

(٣ و ٣) إذا كان العلم منقولاً من لفظ مبنى مفرد - أي : منفرد - ، ليس من أنواع المركب الثلاثة) وجب تغيير حكمه ، فيصير معرباً منوناً ؛ طبقاً « للملاحظة » المفيدة التي تقدمت في ص ٧٩ ثم انظر رقم ١ من هامش ص ٣٠٩ - ولها إشارة في « ب » من ص ٣٠٦ .

من المعاني العقلية الخالصة التي يُسمَّون كُلاًّ منها : « الحدث المجرد » مثل : فصل ، وسُعود ، ومجد ، وهيبة . . . أعلام أشخاص — وما هو منقول من اسم عين ، (أى : من ذات مجسَّمة محسوسة) ؛ مثل : غزال ، وقمحة ، وزيتون وفيل . . . أعلام أشخاص . . . وما هو منقول من اسم مشتق ؛ مثل : صالح ، ونبل ، ومحمد ، ومفتاح .

٢ — وقد يكون النقل من الفعل وحده ^(١) ؛ من غير أن يكون معه فاعل ظاهر ، أو ضمير مستتر ، أو بارز ، ومن غير أن يلاحظ الفاعل أو يُقدَّر بوجه من الوجوه ؛ فيشمل المنقول من فعل ماضٍ مثل : شمَّرَ ، وجادَ ، وصفا ، (أسماء أشخاص) . أو : من فعل مضارع ؛ مثل : يزيد ^(٢) ، وتكبس ^(٣) ، وتَعَزَّزَ ^(٤)

(١) النقل إذا كان من فعل مع فاعله الظاهر ، أو فاعله الضمير المستتر ، أو البارز — فإنه يعد نقلاً من جملة فعلية ؛ فتعرب إعراب المركب الإسنادي ؛ حيث تخضع للحكاية التي سيجي بياؤها في هذا الباب (ص ٣١٠ ورقم ١ من هامشها) .

أما النقل من الفعل وحده فليس نقلاً من جملة . ويعرب الفعل في هذه الحالة إعراب المنوع من الصرف ، للعلمية مع وزن الفعل مثلاً ؛ كما هو الحال هنا ، أو : للعلمية مع سبب آخر إن وجد . ومن أمثلة الفعل الماضي وحده : « شمَّر » علم على شخص ، وعلم على فرس أيضاً — كما سلف — ومن أمثلة المضارع وحده « يشكر » علم نوح عليه السلام ، وعلم قبيلة ، وجبل صغير بالقاهرة عند القلعة . ومن أمثلة الأمر : « اُسْكُت » — بضم الهززة — علم على صحراء عربية . وهذه الهززة للقطع ، مع أنها في الأصل للوصل ؛ لأن هززة الوصل — كما سيجي البيان في ورقم ٢ من هامش ص ٣٠٦ — وفي هامش ص ٤٢١ — إن وجدت في لفظ ليس علماً ثم صار علماً — فإنها تصير هززة قطع .

فإن احتمل النقل أن يكون من جملة فعلية ومن فعل وحده مثل : « اُسْكُت » كان حمله على الفعل وحده أولى ؛ لأن النقل من الجملة مخالف للأصل ؛ فلا يلجأ إليه إلا بدليل وقرينة ؛ كما في كلمة « يزيد » في قول الشاعر :

نُبِثْتُ أَخَوَالِي بَنِي يَزِيدٍ ظُلْمًا عَلَيْنَا لَهُمْ فَدِيدٌ

فإن رفع كلمة : « يزيد » دليل على أن النقل من جملة فعلية ، فعلها : « يزيد » وفاعلها : ضمير مستتر تقديره : هو ؛ إذ لو كان النقل من الفعل وحده لوجب أن يقول : يزيد ؛ فيكون مجروراً بالفتحة ؛ لأنه مضاف إليه ، ممنوع من الصرف ؛ للعلمية ووزن الفعل .

(نُبِثْتُ : أُخْبِرْتُ . أى : أخبرني العارفون . « الفديد » : الصياح . « ظُلْمًا » مفعول لأجله ، لفعل محذوف تقديره : يصيحون . « علينا » : جار ومجرور متعلق بالفعل المحذوف . « ولهم فديد » مبتدأ وخبر . والجملة في محل نصب حال . و « نُبِثْتُ » أصل فعله : « نُبِثَ » فعل ماضٍ ينصب ثلاثة مفاعيل : أولها قد صار نائب فاعل بعد حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول . وثانيهما « أخوالى » والثالث الجملة من الفعل المحذوف وفاعله « وهى جملة : يصيحون » .

(٢) علم على رجل .

(٣) علم على امرأة .

(٤) علم للمدينة باليمن .

وتغلب^(١)، ويشكر^(٢). أو : من فعل أمر ، مثل : سالم ، وسامح^(٣).

٣ - وقد يكون النقل من جملة ، إما اسمية ، مثل : « على أسد » ، و « ما شاء الله »^(٤) و « نحن هنا » اسم كتاب . . . وإما جملة فعلية كاملة ؛ مثل : فَتَسَحَّ اللهُ ، زَادَ الْخَيْرُ ، وَأَطْرَقَا (اسم بلد ، وصحراء ببلاد العرب) ، والنقل في هذه الأمثلة هو من جملة فعلية كاملة ؛ لأن الفاعل فيها اسم ظاهر ، أو ضمير بارز .

٤ - وقد يكون النقل من حرف معنًى ؛ كتسمية شخص بكلمة : « رَبِّ » ، أو : إن . . . وقد يكون من حرفين^(٥) ، مثل : ربما ، إنما .

٥ - وقد يكون من حرف واسم^(٥) . . . مثل : بهتاء ، ومثل : الحارث (اسم قبيلة عربية) .

٦ - أو حرف^(٥) وفعل مثل : اليزيد^(٦) . . .

هذا : ومن خصائص العلم بنوعيه السالفين أمران :

أما أولهما : فإنه اسم جامد لا صلة له بالاشتقاق ولو كان في أصله وقبل نقله إلى العلمية اسماً مشتقاً . لهذا تجرى عليه أحكام الجامد وحده^(٧) . . .

وأما ثانيهما : فإن صيغته المكوّنة من الحروف الهجائية كتلة مناسكة الحروف لأن العلمية تحدده وتحصره ، فلا يجوز الزيادة على حروفه أو النقص^(٨) .

(١) علم لقبيلة عربية .

(٢) علم لنوح عليه السلام ، أو : لجليل ، كما سبق - في رقم ١ من هامش ص ٣٠٤ - ولقبيلة عربية هجاها الشاعر بقوله :

« ويشكر » لا تستطيعُ الوفاء وتعجزُ « يشكر » أن تغدِراً

(٣) كلاهما اسم رجل .

(٤) أى : الذى شاء الله ، وأراده .

(٥) وهـ وهـ) انظر ما يختص بهذا النوع من النقل ، وحكمه ، في رقم ٢ من هامش ص ٣١٠ .

(٦) وإلى بعض ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَمِنْهُ مَنَقُولٌ ، كَفَضْلٍ ، وَأَسَدٌ وَذُو ارْتِجَالٍ ، كَسُعَادٍ ، وَأَدَدٌ

(٧) كما تقدم في رقم ٣ من هامش ص ١٣٩ و ٤ من هامش ص ٢٠٩ .

(٨) طبقاً للبيان المفيد الذى سبق في « ج » من ص ١٢٥ .

زيادة وتفصيل

(أ) إذا كان العلم منقولاً من لفظ مبدوء بهمزة وصل فإن همزته بعد النقل
تصير همزة قطع - كما أشرنا ^(١) - نحو: « إنشراح » علم امرأة ، ونحو : « أل »
علم على الأداة الخاصة بالتعريف أو غيره ، بشرط أن تكتب منفردة مقصوداً بها
ذاتها ؛ فتقول : « أل » كلمة ثنائية ، كما تقول : « أل » في اللغة أنواع
من حيث المدلول . . . ومثل : يوم « الإثنين » . . . بكتابة همزة : « الإثنين » لأنها
علم على ذلك اليوم ^(٢) . . . ومثل : « أسكُت » علم على صحراء . . .
(ب) وإذا كان العلم منقولاً من لفظ مفرد مبنى فإنه يصير بعد هذا النقل
معرباً منوناً ؛ طبقاً للبيان التفصيلي الذي سبق ^(٣) .

* * *

(١) في رقم ١ من هامش ص ٣٠٤ وهامش ٤٢١ .
(٢) ولا التفت لما اشترطه بعضهم لإخراج نوع من الأعلام من هذا الحكم ؛ إذ الصحيح أن هذا
الحكم عام يشمل الأعلام بأنواعها المختلفة ، كما يشمل غير الأسماء من كل لفظ مبدوء بهمزة وصل قد سمي
به ، وصار علماً .

- راجع « حاشية الصبان » في آخر باب النداء ، عند قول ابن مالك .
« وباضطرار خن جمع » يا « و « أل » . . . » وكذلك : « التصريح ، والخصري » في هذا الموضع
نفسه . وللخصري تعليل قوي ، نصه :

« ما بدئ همزة الوصل فعلا كان أو غيره ، يجب قطعها في التسمية به ؛ لصيرورتها جزءاً من الاسم ؛
فتقطع في النداء أيضاً ؛ ولا يجوز وصلها لأصالتها ، كما - وصلت - في لفظ الجلالة ؛ لأن له خواص
ليست لغيره . . . » هـ . . . فلا التفت إلى ما نقله الصبان عن غيره في موضع آخر .

(٣) في ص ٧٩ بعنوان : « ملاحظة » . . . ثم انظر رقم ١ من هامش ٣٠٩ .

التقسيم الرابع :

وهو يتضمن انقسام العلم باعتبار دلالة على معنى زائد على العلمية أو عدم دلالة ، إلى : « اسم ، ولقب ، وكُنْيَة » . فأما الاسم هنا ^(١) فهو : علمٌ يدل على ذات معينة مشخّصة - في الأغلب - ^(٢) ، دون زيادة غرض آخر من مدح ، أو : ذم ، أو : غيرهما ؛ مثل : سعيد ، كامل ؛ مرّيم ، بُشَيْنَة ، وأشباهها من كل ما يكون القصد منه أمر واحد ؛ هو : مجرد الدلالة على ذات المسمى ، وتعيينها وحدها ، دون غيرها ، ودون إفادة شيء آخر يتصل بها ؛ كمدح أو : ذم ... وأما اللقب فهو : علمٌ يدل على ذات مُعيّنة مشخّصة - في الأغلب - مع الإشعار - بمدح أو ذم ؛ إشعاراً مقصوداً بلفظ صريح ^(٣) ؛ مثل : (بَسَام ، الرشيد ، جميلة ...) ، (السفاح ، صخر ، عرجاء ...) .

(١) أى : في باب : « المعارف » ؛ لا في باب : « تقسيم الكلمة » - وقد سبق في ص ٢٦ - ؛ حيث الاسم يقابل هناك الفعل ، والحرف .
(٢ و ٣) أما في غير الأغلب فيفقد التعيين والتشخيص ، طبقاً لما أوضحناه في رقم ٣ من هامش ص ١٢٩ وفي رقم ١ من هامش ص ٢٩٢ .

(٣) لأن كل واحد من القسمين الآخرين للعلم (وهما ؛ الاسم والكنية) لا يخلو من مدح أو ذم ، ولو من ناحية بعيدة . غير أن الممول عليه في اللقب - فوق دلالة على الذات المعينة - هو أن يدل على المدح أو الذم بلفظ صريح بأحدهما إشعاراً واضحاً قريباً . فليس المراد من اللقب مجرد الدلالة على الذات ، وإنما المقصود منه أمران معاً ؛ الدلالة على المسمى المعين ، والإشعار بمدحه أو ذمه . وهذا أهم من تلك الدلالة ؛ إذ يمكن الوصول إليها من طريق آخر ، هو طريق الاسم ؛ فإنه يكاد يكون مقصوداً عليها وحدها ، ويختص بها - وإن كان لا يخلو من رائحة مدح أو ذم ... - كما سبق .

وأما الكنية فإنها تدل على المسمى ، وتدل معه على المدح والذم كاللقب - طبقاً لما أسلفنا - ولكن من طريق التعريض ، لا من طريق التصريح ؛ لأن المتكلم حين يكنى عن شخص فيقول عنه : « أبو علي » مثلاً أو : « أم هانئ » . . . ، ولا يصح بالاسم أو باللقب ، فإنما يرى من وراء ذلك إلى تعظيمه ، أو تحقيره بعدم ذكر اسمه ؛ تعظيماً وتقديساً ، أن يجري اللسان به ، أو : تحقيراً ، وازدراء ، وأنه لا يستحق الذكر . وقد يحجب التعظيم أو التحقير ضمنيّاً أيضاً ، ولكن من ناحية أن المضاف يكتبه من المضاف إليه ؛ مثل : أبو الفوارس ، وأبو هلب ، وأم الدواهي (القنبلة الذرية) . . . فقد فهم المدح ، أم الذم ، في الكنية فهماً ضمنيّاً ، كشف عنه المضاف إليه . وقد يراد بالكنية التفاؤل بأن يعيش صاحبها حتى يكون أباً أو أخاً لفلان . وقد يراد التشاؤم . . . وما سبق نعلم أن كلا من اللقب والكنية يؤدي أمرين معاً ؛ هما :

(أ) الدلالة على مسمى معين .

(ب) والمدح أو الذم .

غير أن اللقب يدل عليهما بلفظ صريح مقصود ، وأن الكناية تدل عليهما من طريق ضمني ، فيه التعريض ، وليس فيه التصريح المكشوف . وهذا هو الفارق الهام بينهما وبين اللقب .

شيء آخر ؛ هو : أن الاسم واللقب قد يدلان معاً بلفظهما الصريح على مدح ظاهر ، أو ذم واضح ؛ نحو : الحسن الصادق - الحطّية الأجرب - ومعنى الحطّية : القصير - وفي مثل هذه الصورة يكون =

وأما الكُنْيَةُ فهي علم مركب تركيباً إضافياً^(١)، بشرط أن يكون صدره (وهو المضاف) كلمة من الكلمات الآتية : (أب ، أم) ، (ابن ، بنت) ، (أخ ، أخت) ، (عم ، عمة) ، (خال ، خالة) ، مثل : الأعلام الآتية : (أبو بكر ، أبو الوليد) ، (أم كلثوم ، أم هانئ) ، (ابن مريم ، بنت الصديق) ، (أخو قيس ، أخت الأنصار) ، وهكذا^(٢) . . . وليس منه : أبٌ لمحمد ، وأم لهند ، وغيرهما من كل مالا إضافة فيه على الوجه السابق .

وكل قسم من الأقسام الثلاثة السالفة قد يكون مرتجلاً أو منقولاً ، مفرداً أو مركباً ، إلا الكنية فإنها لا تكون إلا مركبة .

* * *

الأحكام الخاصة بالتقسيمات السالفة ، وتتركز في النواحي الأربعة الآتية :
أولها : الأحكام الخاصة بإعراب العلم المفرد ، والعلم المركب .

= الاسم هو ما وضعه الوالدان - ونحوهما أولاً - دالاً على المسمى : ليكون اسماً له ابتداءً ، مهما كان ذلك ، وما استعمل في ذلك المسمى بعد وضع هذا الاسم الأول فإن كان مشعراً بمدح أو ذم فلقب ، وإن كان مُصدراً باب أو أم ونحوهما مما سردناه فكنية . فاعتبار الإشعار بالمدح أو الذم ، وملاحظة التصدير بأب أو أم أو نحوهما مما ذكرناه إنما يكون بعد وضع اللفظ الدال على الذات أولاً ، أى : بعد وضع الاسم .
راجع الصبان ، ج ١ أول باب الكلام وما يتألف منه عند قول ابن مالك : « قال محمد هو ابن مالك . . . » .

فإن لم يعرف الموضوع ابتداءً والسابق من الاسم واللقب فالأحسن اعتبار المتقدم هو الاسم والمتأخر هو اللقب ، والكنية هي المصدرة بأحد الألفاظ المعروفة ، (أب - أم . . .) .

(١) ألحقنا في رقم ١ من هامش ص ٣٠٠ إلى أن الكنية - مع تركيبها الإضافي لفظاً - معدودة من قسم العلم الذى معناه إفرادى ؛ فكل واحد من جزأها لا يدل بمفرده على معنى يتصل بالعلمية . . . ولهذا حين يقع بعدها تابع ؛ كالنعت مثلاً في قولنا : جاء أبو الفوارس الشجاع ، فإن النعت ، (وهو هنا كلمة : « الشجاع ») يعتبر فى المعنى نعتاً للآتين معاً ، أى : للمضاف والمضاف إليه ، ولا يصح أن يكون نعتاً لأحدهما فقط ؛ وإلا فسد المعنى . ولكنه يتبع في الإعراب المضاف وحده . أى : أن لفظه تابع في إعرابه للمضاف ، وأما معناه فواقع على المضاف والمضاف إليه معاً .

طبقاً لما سيجى فى بات النعت (ج ٣ ص ١١٤) - راجع التصريح ج ٢ آخر باب الإضافة ، عند الكلام على الشاهد الذى فى قول معاوية حين سلم من الطغمة ومات منها على بن أبى طالب .

نَجَوْتُ وَقَدْ بَلَ الْمُرَادِيُّ سَيْفُهُ من ابن أبى شَيْخٍ الْأَبَاطِحِ طَالِبِ

والمرادى هو قاتل على رضى الله عنه . (واسمه : عبد الرحمن بن مُلْجَم ، من قبيلة مُرَاد) .

(٢) وما سبق يقتضى أن يكون المضاف إليه غير لقب للمضاف ؛ فلا يصح فى الكنية أن يكون عجزها (وهو المضاف إليه) لقباً لصدرها (وهو المضاف) لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه - فى الأغلب - إلا بتأويل متكلف ، كما سيجى فى رقم ١ من هامش ص ٣١٧ .

ثانيها : الأحكام الخاصة بالترتيب بين الاسم ، والكنية ، واللقب ، إذا اجتمع من هذه الأعلام اثنان ، أو ثلاثة .

ثالثها : الأحكام الخاصة بإعراب ما يجتمع منها .

رابعها : الأحكام المعنوية وبقية الأحكام اللفظية الأخرى التي تتصل بعلم الشخص وعلم الجنس .

(١) فأما العلم المفرد ، كحامد ، وسعيد ، وسميرة ، وعَبَّلة . . . فإنه يخضع في إعرابه وضبط آخره لحاجة الجملة المشتملة عليه ؛ فقد يكون مبتدأ ، أو : خبراً ، أو فاعلاً . . . أو مفعولاً ، أو مجروراً بالإضافة ، أو بالحرف ؛ أو غير ذلك ؛ فيرفع ، أو ينصب ، أو يجر على حسب ما تقتضيه الجملة . تقول : حامد أديب ، إن حامداً أديبٌ . أعجبت بأدب حامد ؛ فتضبط كلمة : « حامد » بالضبط المناسب لموقعها ^(١) ؛ كالشأن في كل الأسماء المنفردة .

وأما العلم المركب : فإن كان تركيبه إضافياً ، (كعبد الله . . .) أعرب صدره - وهو المضاف - كما أعرب المفرد السابق (أى : على حسب حاجة الجملة ؛ فيكون مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو غير ذلك) . ويبقى المضاف إليه على حالته ؛ وهى الجر دائماً . تقول : عبدُ الله شاعرٌ ، فاز عبدُ الله ، صاحبت عبدَ الله ، سارعت إلى عبدِ الله ؛ فالمضاف - وهو كلمة : عبد - تغيرت علامة آخره بتغير حاجة الجُمْل ، وبقي المضاف إليه مجروراً لم يتغير .

وإن كان تركيبه إسنادياً (مثل : فتحَ الله . . . - الخيرُ نازلٌ) بقي على حاله وصورته اللفظية قبل التسمية ؛ فلا يدخله تغيير مطلقاً ، لا في ترتيب حروفه ، ولا في ضبطها ، ثم يجرى عليه ما يجرى على المفرد ؛ فيعرب على حسب حاجة

(١) هذا الحكم عام : فيشمل الكلمة المبنية إذا نقلت من معناها ، وصارت علماً ، فقد جاء في التصريح ، ج ٢ أول باب المنادى ما نصه :

« قال الرضى في باب العلم : إذا نقلت الكلمة المبنية ، وجعلتها علماً لغير ذلك اللفظ فالواجب الإعراب » هـ ، ثم قال صاحب التصريح ما نصه :

« فعلٌ هذا تقول في : كيفَ ، وهؤلاءِ ، وكمْ ، ومنذُ . . . ، أعلاماً عند النداء : يا كيفُ ، ويا هؤلاءِ ويا كم ، ويا منذُ . . . بضمة ظاهرة ، فهى متجددة للنداء » هـ .

وهناك النص الآخر الذى سبق تدوينه في ص ٧٩ بعنوان : « ملاحظة » وما يختلف عنها في « ج »

الجملة التي تحتويه . ولكن يكون إعرابه مقدرا على آخره بسبب وجود علامة للحكاية فيكون مبتدأ ، وخبراً ، وفاعلاً ، ومفعولاً . . . وغير ذلك على حسب ما تقتضيه تلك الجملة ، إلا أن آخره يظل على حاله ملتزماً علامته الأولى قبل العلمية في جميع تلك الحالات مهما تغيرت الجمل ؛ فكأنه كلمة واحدة تلازمها علامة واحدة للإعراب ، لا تتغير في الرفع ، ولا في النصب ، ولا في الجر . تقول : « فتح الله » نشيط . جاء « فتسح الله » . صاحب « فتسح الله » . رضيت عن « فتسح الله » . فالتسليم : (فتح الله) في الجملة الأولى : مبتدأ ، مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره ، للحكاية ^(١) .

وفي المثال الثاني : فاعل مرفوع . وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره ، للحكاية وفي الثالث : مفعول به ، منصوب ، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره للحكاية . وفي الرابع : مجرور ، وعلامة جره كسرة مقدرة للحكاية ؛ فهو لا يتأثر بالعوامل تأثراً ظاهراً ، وإنما يتأثر بها تأثراً تقديرياً يصيب آخره ؛ فيجعله معرباً بحركات مقدرة للحكاية .

ويقال في المثال الثاني : («الخيرُ نازلٌ» حضر) . (إن «الخيرَ نازلٌ» حضر) . (سَلِّمْ عَلَى «الخيرِ نازلٍ») . . . وهكذا في كل مثال آخر من أمثلة المركب الإسنادي ، وملحقاته ^(٢) فإنه يكون معرباً ، وعلامات إعرابه مقدرة ؛ لأجل

(١) الحكاية الأصلية معناها : أن نردد اللفظ بحالته الأصلية ونعيد نطقه أو كتابته بالصورة التي سمعناها أو قرأناها من غير أن نغير شيئاً من حروفه أو حركاته مهما غيرنا الجمل والتراكيب ويجوز أن نردده بمعناه إن لم يمنع مانع ديني ، أو غيره ؛ كإرادة النص عليه من غير إدخال تغيير فيه . (راجع مزية الحكاية في رقم ١ من هامش ص ٣١ ، ثم من هامش : « ١ » ص ٤٥ م ٦٢ ج ٢ ، حيث الإيضاح المناسب) .

وإنما كاذب الضمة مقدرة . هنا وفي كل حالات الرفع لأن الضمة الموجودة حالياً هي الضمة التي كانت في العلم قبل أن يكون مبتدأ أو خبراً ؛ فلم تترك مكانها لتحل فيه الضمة الخاصة بالمبتدأ أو بخبره من المرفوعات ويكون . منصوباً بفتحة مقدرة ، ومجروراً بكسرة مقدرة .

(٢) يدخل في هذه الملحقات : العلم المنقول من حرفين ؛ مثل : ربما ، إنما . . . والعلم المنقول من حرف واسم ؛ مثل : إن عُمَرَ ، أو : من حرف وفعل ؛ مثل : لن يسافر - وقد سبقت لمحة عن هذه الأنواع الثلاثة في ص ٣٠٥ - فكل علم من هذه الأعلام الملحقة وأشباهاها ليس مركباً إسنادياً ؛ لأنه ليس جملة . ولكنه عند الإعراب يحكى كالمركب الإسنادي . أما العلم المركب من موصوف وصفة ؛ مثل : محمد الفاضل « فقد اعتبره النحاة ملحقاتاً بالمفرد ، فيجوز على الموصوف الإعراب على حسب =

وإن كان تركيبه مزجياً غير مختوم بكلمة : (وَيَه) ، مثل : رَامَهُرْمُزُ ونُيُوسُوكُ . . . فإنه يعتبر في الرأي الغالب — كالكلمة الواحدة ، ويعامل من ناحية الإعراب معاملة المفرد الممنوع من الصرف ، فيكون على حسب جملته ؛ مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً . . . أو غير ذلك ؛ لكنه يرفع بالضممة من غير تنوين ، وينصب ويجر بالفتحة في الحالتين من غير تنوين^(٢) . نقول : رَامَهُرْمُزُ جميلةٌ ، إن رَامَهُرْمُزَ جميلةٌ ، سمعت رَامَهُرْمُزَ ، فتغير حركة الحرف الأخير وحده تبعاً لحالة الإعراب مع خلوه من التنوين ، ويبقى غيره من الأحرف على حالته الأولى .

فإن كان تركيبه مزجياً مختوماً بكلمة : « وَيَه » (مثل : حَمْدُ وَيَه — خَالُوِيَه) ، كان كسابقه خاضعاً لحاجة الجملة ؛ فيكون مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً أو مفعولاً . . . إلخ ، إلا أن آخره في كل هذه الأحوال يكون مبنياً على الكسر — في المشهور — نقول : خَالُوِيَه عالم لغويٌ جليل ، وإن خَالُوِيَه عالم لغويٌ جليل ، وخالُوِيَه شهرة فائقة . . . فقد وقعت كلمة : « خَالُوِيَه » مبتدأ ، واثماً لإن ، ومجرورة باللام ، ولم تتغير حالة آخرها بتغير الحمل ؛ بل لزم البناء على الكسر ؛ فهي مبتدأ مبنية على الكسر في محل رفع . وهي اسم إن مبنية

= الجملة ، وتنبه الصفة في علامة الإعراب . ولعل الأفضل أن يكون ملحقة في حكمه بالمركب الإسنادي فيحكى ؛ منعاً من اللبس ، ومنع اللبس من أهم الأغراض التي تحرص عليها اللغة ، وقالوا في التسمية بمثل : « عالم أبوه » ومثل : (مكريم محمد) إن كلمة « عالم » تعرب على حسب العوامل التي قبلها . أما كلمة : « أبوه » و « محمد » فيبقيان على حالهما . والأفضل عندي أيضاً أن يجرى على هذا النوع حكم المركب الإسنادي ؛ منعاً من اللبس ؛ إلا إن كانت الأساليب الصحيحة تخالفه ، فيجب اتباعها ، والقياس عليها . ولكنني لم أهتم إلى شيء مسومع من العرب من تلك الأساليب ، ولم أعرف من روى عنهم أمثلة منها .

(١) هناك آراء أخرى في طريقة إعرابه أشرنا إليها في ص ٣١٣ ونرى عدم استعمالها ؛ لاعتبارات شتى ؛ في مقدمتها : أنها لا تلائم الحياة الحاضرة ، ولا تسائر الأساليب الصحيحة المنتشرة اليوم .

(٢) لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتركيب المزجي ؛ فيرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة أيضاً ؛ من غير أن يدخله التنوين مطلقاً ؛ في حالة من تلك الحالات ما دام علماً مزجياً — كما سبق في « ب » من ص ١٧٦ — فإن خرج من العلمية جاز تنوينه على الوجه الذي أوضحناه في رقم ٣ من هامش ص ٣٣ .

على الكسر في محل نصب ، وهي مجرورة باللام مبنية على الكسر في محل جر^(١) ...
وهكذا في الأحوال التي تشابه ما سردناه^(٢) .

.....

« ملاحظة » : إذا أريد تثنية نوع من أنواع المركب السالفة ، أو جمعها
وجب اتباع الطريقة الخاصة بذلك وهي مشروحة في مكانها الأنسب^(٣) . . .

(١) هذا الإعراب في الحالات الثلاث هو الأوضح والأسهل ويصح إعراب آخر ؛ ففي حالة الرفع
نقول : مرفوع بضم مقدرة ، منع من ظهورها حركة البناء الأصل على الكسر ، وفي حالة النصب منصوب
بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة البناء الأصل على الكسر . وفي حالة الجر : مجرور بفتحة مقدرة منع
من ظهورها حركة البناء الأصل على الكسر . . . نقول هذه العبارات أو ما يماثلها في تأدية المراد .
(٢) انظر أنواعاً أخرى من المركب المزجي وأحكامها في رقم ٥ من هامش ص ٣٠٠ وفي

زيادة وتفصيل :

من أنواع المركب المزجي ما يستعمل غير علم^(١) ؛ كالمركب العددي (أى : الأعداد المركبة) ، وهى ؛ أحد عشر ، وتسعة عشر ، وما بينهما . فكل واحد منها مبنى دائماً على فتح الجزأين فى جميع أحواله ، وفى كل التراكيب . ويقال فى إعرابه : مبنى على فتح الجزأين فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حسب حالة الجملة . ما عدا اثني عشر ، واثنى عشر ؛ فإنهما يعربان إعراب المثنى . فاثنا واثنتا ترفعان بالألف فى حالة الرفع ، وتنصبان وتجران بالياء فى حالتى النصب والجر . أما كلمة : « عشر ، وعشرة » فهى اسم مبنى على الفتح لا محل له ، لأنها بدل من حرف النون فى المثنى . وهذا هو ما يقال فى إعرابها — كما سبق^(٢) — وسيجىء تفصيل الكلام عليهما فى الباب الخاص بالعدد ، بالجزء الرابع .

وكالظروف المركبة ؛ مثل : (صباح مساء) فى مثل : (والذى يسأل عنا صباح مساء) ، أى : كل وقت . وكالأحوال المركبة فى مثل : (أنت جارنا بيت بيت) ، أى : ملاصقاً .

فكل هذه المركبات التى من نوع الأعداد ، والظروف ، والأحوال — مبنية على فتح الجزأين فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالتها من الجملة ؛ تقول فى الأعداد : (جاء أحد عشر رجلاً ، وأبصرت أحد عشر رجلاً ، ونظرت إلى أحد عشر رجلاً) . وتقول : (أنا أسأل عنك «صباح مساء») أى : كل وقت . فالكلمتان معاً ظرف مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب ، وتقول : (أنجى جارى « بيت بيت ») فالكلمتان معاً حال ، مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب . ففى كل ما سبق يكون اللفظ المركب مبنياً على فتح الجزأين فى محل رفع ؛ لأنه فاعل — مثلاً ، أو شيء آخر يكون مرفوعاً — . وفى محل نصب ، لأنه مفعول به ، أو ظرف ،

(١) سبقت إشارة لهذا فى ص ٣٠٠ وفى رقم ٥ من هامشها حيث الكلام على تعريف المركب المزجي ، وأنواعه ومنه ما يفصل بين كلمتيه الواو الزائدة سماعاً ، المهملة التى ليست إلا للفصل المحض ؛ نحو : (كيت وكيت — وذيت وذيت) بالبيان الآتى فى موضعه من ج ٤ باب « كم » ص ١٦٨ م ٥٤٠ .

(٢) فى « و » من ص ١٣٤ ، وفى : « د » من ص ١٥٦ .

أو حال ، أو : شيء آخر منصوب . وفي محل جر ؛ لأنه في محل شيء مجرور .
فأخر كل كلمة من الكلمتين يلزم حركة واحدة لا تتغير ؛ هي الفتحة .
وحكم هذا المركب هو البناء على الفتح .

وهذا الإعراب في الأمثلة السابقة نوع مما يسمونه : « الإعراب المَحَلِّي »^(١) حيث يكون للكلمة حالة لفظية ظاهرة - غالباً - ، حَلَّت محل أخرى غير ظاهرة ، ولكنها ملحوظة في الإعراب برغم عدم ظهورها ؛ ولهذا تراعى في التتابع وغيرها - وهو غير « الإعراب التقديري » الذي سبق الكلام عليه^(٢) .

وما ذكرنا من حكم المركب المزجي بأنواعه المختلفة هو الذي يحسن الأخذ به .
والاقتصار عليه وحده في استعمالنا ؛ لأنه أشهر الآراء وأقواها . . . والاقتصار عليه يمنع الفوضى في ضبط الكلمات ، ويريحنا من جدل أهل المذاهب المختلفة .
وعلى الرغم من هذا سنذكر بعض الآراء الأخرى ، لا لاستعمالها ؛ ولكن ليستعين بها من يشاء في فهم النصوص القديمة التي تسايرها تلك الآراء وتنطبق عليها ، وتوضح الضبط الوارد بألفاظها . . .

فن تلك الآراء أن المركب المزجي غير المختوم بكلمة : (وَيَه) يجوز فيه البناء على الفتح في جميع حالاته . تقول : هذه بعلبك . إن بعلبك جميلة . لم أسكن في بعلبك ، فتكون مبنية على الفتح دائماً في محل رفع ، أو نصب . أو جر .

ومنها : أنه يجوز إعرابه إعراب المتضايقين^(٣) ؛ فيكون صدره - وهو المضاف - معرباً على حسب حالة الجملة ، ويكون عجزه - وهو المضاف إليه - مجروراً أبداً ؛ تقول : هذه بعل بلك . إن بعل بلك جميلة . لم أسكن في بعل بلك .

(١) ومن أنواعه أيضاً جميع الأسماء المبنية ؛ (كأسماء الإشارة ، والموصول ، والضمير) ، وبعض الأفعال المبنية (كالماضي الواقع فعل شرط ، أو جوابه ، فإنه مبني في محل جزم) ، وكذلك بعض الجمل (كالتنقيح خبراً ، أو صفة ، أو حالاً . . .) - انظر البيان في ص ٨٤ ، ثم ص ١٩٨ .

(٢) ص ٨٤ وفي « ج » من ص ١٩٨ .
(٣) والإضافة هنا غير محضة للأسباب الموضحة في موضعها الأنسب ، وهو باب : « الإضافة » ، ج ٣ ص ٤٧ م ٩٣ وفي باب المنوع من الصرف (ج ٤ م ١٤٧ « و » ص ٢١٨ وهماشها) .

وفي هذه الحالة - وحدها - يحسن في الكتابة فصل المضاف من المضاف إليه ، وعدم وصلهما خطأ . بخلاف أكثر الحالات الأخرى . كما أن المضاف في هذه الحالة إن كان معتل الآخر فإنه يظل ساكنًا دائمًا ، ولا تظهر عليه الحركة ؛ بل تقدر ؛ مثل : عرفت « مَعْدِي كَرَب » ، فكلمة « معدى » مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الياء ؛ مع أن الفتحة تظهر على الياء دائمًا ؛ ولكنها لا تظهر هنا ، لثقلها مع التركيب - كما سبق البيان^(١) - .

أما المركب المزجي المختوم بكلمة : (وَيَنه) فقد أجازوا فيه حالة أخرى غير البناء على الكسر ، هي إعرابه كالمنوع من الصرف ، فيرفع بالضم ، وينصب ويجر بالفتحة ، من غير تنوين في الحالات الثلاث ؛ مثل : سيويه^١ إمام نحوى كبير ، عرفت سيويه^٢ ، وتعلمت من سيويه^٣ .

(١) عند الكلام على المنقوص في ص ١٩٦ .

(ب) أما الترتيب بين قسمين^(١) فيلاحظ فيه ما يأتي :

- ١ - لا ترتيب بين الاسم والكنية ، فيجوز تقديم أحدهما وتأخير الآخر ،
مثل : أبو الحسن على بطل ، أو : على أبو الحسن بطل .
- ٢ - لا ترتيب بين اللقب والكنية ؛ فيجوز تقديم أحدهما وتأخير الآخر ؛
مثل : الصديق أبو بكر أول الخلفاء الراشدين ، أو : أبو بكر الصديق أول
الخلفاء الراشدين .

- ٣ - يجب الترتيب بين الاسم واللقب ؛ بحيث يتقدم الاسم ويتأخر اللقب^(٢) .
مثل : عمر الفاروق هو الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين ، وهذا الترتيب واجب
إن لم يكن اللقب أشهر من الاسم ؛ فإن كان أشهر جاز^(٣) الأمران ؛ مثل :
المسيح^(٤) عيسى بن مريم رسول كريم ، أو : عيسى بن مريم المسيح رسول
كريم . ذلك أن « المسيح » أشهر من « عيسى » . ومثل : السفاح عبد الله أول
الخلفاء العباسيين ، أو : عبد الله السفاح . . . ومن أجل ذلك كثر تقديم ألقاب
الخلفاء والملوك على أسمائهم - مع صحة التأخير - .
وما سبق نعلم أن الترتيب عند اجتماع قسمين غير واجب إلا في حالة واحدة^(٥) ؛

(١ و ٢) أما حكم الترتيب عند اجتماع الثلاثة فيجبي في ص ٣١٩ .
(٢) وتأخير اللقب عن الاسم واجب - بشرطه - سواء أوجد مع الاسم كنية أم لم توجد .
(٣) وهناك صورة أخرى لا يجب فيها تقديم الاسم وتأخير اللقب ، بل يجوز ، هي : أن يكون
اجتماعهما على سبيل إسناد أحدهما للآخر . (أي : الحكم على أحدهما بالآخر سلباً أو إيجاباً) . ففى
هذه الحالة يتأخر المحكوم به ، ويتقدم المحكوم عليه . فإذا قيل : من زين العابدين ؟ . فأجبت :
زين العابدين على - فهنا يتقدم اللقب ؛ لأنه المعلوم الذى يراد الحكم عليه بأنه على ، ويتأخر الاسم
لأنه محكوم به . . . وإذا قيل : من على الذى تمتدحونه ؟ . فأجبت : على زين العاين . فيتقدم الاسم
هنا ؛ لأنه المعلوم الذى يراد الحكم عليه ، ويتأخر اللقب ، لأنه محكوم به . وهكذا - انظر رقم ٨٨ هامش
ص ٤٤٢ ورقم ٢ من هامش ص ٤٩٣ - فعدنا صورتان لا يجب تأخير اللقب فيها ، وإنما يجوز .
(٤) معانى المسيح كثيرة ؛ منها : أنه يمسح الباطل ويزيله .
(٥) زیدت عليها حالة ثانية فى رقم ٣ من هذا الهامش . وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

واسماً أتى ، وكنيةً ، ولقباً وأخرنَ ذا إن سِوَاهُ صحباً

يريد : أن العلم ثلاثة أنواع ؛ فأتى اسماً ، أو : كنية ، أو : لقباً ، ثم أشار إلى أن هذا (أى :
اللقب) يتأخر إن صحب سواه من القسمين الآخرين ؛ بأن اجتمع مع الاسم أو الكنية ، ولكن هذا الرأى
يخالف المشهور ؛ من أن اللقب لا يتأخر إلا مع الاسم فقط ، دون الكنية - بالشرط الذى قدمناه -
ولو أنه قال : « وأخرنَ ذا إن سواها صحباً » لكان أحسن ، وأوفق فى بيان أن المراد تأخير اللقب إن
صحب شيئاً سوى الكنية .

هى حالة اجتماع الاسم واللقب ؛ فيجب تأخير اللقب عنه بشرط ألا يكون أشهر من الاسم ؛ فإن كان اللقب أشهر جاز الأمران .

(ح) أما إعراب قسمين عند اجتماعها فيُستع فيهما ما يأتي :

١ - إن كان القسمان مفردين ^(١) مثل : « على سعيد » جاز اعتبارهما متضايقين ^(٢)

فيكون الأول هو المضاف ، ويعرب ويضبط على حسب حاجة الجملة . ويكون الثانى هو المضاف إليه . وهو مجرور دائماً ؛ تقول : غاب على سعيد ، وعرفت على سعيد ؛ وسألت عن على سعيد ^(٣) ، وجاز عدم إضافتهما فيعرب الأول ويضبط على حسب حالة الجملة ، ويكون الثانى تابعاً له ^(٤) فى جميع حالات الإعراب ؛ فتكون كلمة : « سعيد » مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة تبعاً للكلمة

(١) وفى هذه الحالة لا بد أن يكون أحدهما اسماً والآخر لقباً ؛ إذ لا دخل للكنية فى الأفراد ؛ لأنها لا بد أن تكون مركبة تركيباً إضافياً - كما سبق فى ص ٣٠٨ - ولا بد أن يكون المضاف إليه معها غير لقب للمضاف ؛ إذ الشيء لا يضاف - فى الأغلب - إلى نفسه ، طبقاً للبيان السابق فى رقم ٢ من هامش ص ٣٠٨ .

(٢) بشرط ألا يمنع من الإضافة مانع ، كوجود « أل » فى العلم الأول منهما ؛ مثل (السعد المقنع) اسم رجل ، ولقبه ؛ فلا يجوز إضافة « السعد » إلى « المقنع » ؛ لأن الإضافة المحضة تتمتع فيها « أل » من المضاف . كما تتمتع الإضافة إذا كان المضاف والمضاف إليه بمعنى واحد ؛ كما يبدو هنا فى ظاهر الأمر ، ولكنهما مختلفان تأويلاً ؛ فأحدهما يراد به الاسم المجرد ، والآخر يراد به المسمى ، - كما سيحى التفصيل فى باب الإضافة ج ٣ هامش ص ٤١ و ١١٩ م ٩٣ - وهذا النوع من إضافة الاسم إلى المسمى (أى : إلى اللقب) . والحاجة إلى هذا التأويل فى هذا الوجه جعلت الإعراب على الوجه التالى أفضل .

(٣) جاء فى ص ٢٣ ج ١ من شرح : « المفصل » ما ملخصه :

إذا لقيت علماً مفرداً بمفرد أضفت العلم إليه ؛ نحو : سعيد كرز . كان اسمه : « سعيداً » ، ولقبه « كرزاً » . فلما جمع بينهما أضيف العلم إلى اللقب . وكذلك . « قيس قفة » ، وزيد بطة » . فإذا أضفت الاسم إلى اللقب صار كالاسم الواحد ، وسلب ما فيه من تعريف العلمية ؛ كما إذا أضفته إلى غير اللقب ؛ نحو : « زيدكم » ، فصار التعريف بالإضافة . وجعلت الألقاب معارف ؛ لأنها جرت مجرى الأعلام ، وخرجت عن التعريف الذى كان لها بالآلف واللام قبل التلقب - أى : إن وجدا من قبل - ؛ كما أنا إذا قلنا : « الشمس » كان معرفة بالآلف واللام ، وإذا قلنا : « عبد الشمس » - كان من قبيل الأعلام . فالعلم يفقد التعريف بالعلمية عند إضافته إلى اللقب ويكتسب تعريفاً جديداً بالإضافة . وكل هذا بشرط إضافته إلى اللقب (.. ١ هـ . ثم راجع رقم ١ من هامش ص ٢٩٤ .

(٤) فيعرب الثانى بدلا من الأول ؛ بدل كل من كل ، أو يعرب عطف بيان ، أو توكيداً لفظياً بالمرادف ؛ فهذه الإعرابات الثلاثة جائزة . إلا إن منع من البدل مانع مما ذكره فى باب ، فيمتنع ويبقى الإعرابان الآخران .

هذا ، وإعراب الثانى تابعاً للأول على وجه من الأوجه الثلاثة ، قوى لا تأويل فيه ، فهو خير من الإعراب فى الحالة الأولى ؛ حالة اعتبارهما متضايقين لما فيها من التأويل الذى أشرنا إليه فى رقم ٢ .

الأول ؛ وهي : « على » . ولا دخل للكنية هنا ؛ لأن الكنية مركبة تركيباً إضافياً ، فتدخل في الأحوال الثلاثة الآتية الخاصة بالمركب الإضافي ، ولا تدخل في المفرد الذي نحن بصدده - كما أشرنا من قبل - .

٢ - وإن كان القسمان ، مركبين معاً تركيب إضافة ؛ مثل : « عبد العزيز سعد الله » فإن المضاف الأول ، وهو : « عبد » يُضبط ويعرب على حسب حاجة الجملة ، وبعده المضاف إليه . ويكون المضاف الثاني ، وهو : « سعد » تابعاً له ^(١) في إعرابه . ويليه المضاف إليه .

٣ - وإن كان الأول هو المفرد والثاني هو المركب تركيب إضافة ؛ مثل : « على زين العابدين » - أعرب المفرد على حسب الجملة ، وجاء المضاف الذي بعده تابعاً له في إعرابه ^(١) ؛ تقول : على زين العابدين شريف . إن علياً زين العابدين شريف . وماذا تعرف عن علي زين العابدين ؟ .

ويجوز شيء آخر ؛ أن يكون الأول المفرد مضافاً ؛ يُضبط ويعرب على حسب حاجة الجملة ، وأن يكون المضاف إليه هو صدر الثاني ؛ تقول : على زين العابدين شريف ، إن علي زين العابدين شريف . ماذا تعرف عن علي زين العابدين ؛ فتكون كلمة : « على » معربة على حسب العوامل ، ومضافة . وتكون كلمة : « زين » مضافة إليها مجرورة .

٤ - إن كان الأول هو المركب تركيب إضافة والثاني هو المفرد ؛ مثل : زين العابدين على - فإن صدر الأول ؛ (أي : المضاف) ، يضبط ويعرب على حسب حاجة الجملة ، يليه المضاف إليه ، ويعرب المفرد تابعاً له ، تقول : زين العابدين على شريف ، إن زين العابدين علياً شريف ، عطفت على زين العابدين على .

أما المركب المزدوج وملحقاته ، والمركب الإسنادي فلا يعتد بتركيبيهما في هذا الشأن وإنما يعتبر كل منهما بمنزلة المفرد عند اجتماعه بقسم آخر ، وتجرى عليه أحكام المفرد السابقة ^(٢) .

(١) فيعرب بدل كل من كل ؛ أو عطف بيان ، أو توكيداً لفظياً بالمرادف ؛ بالإيضاح الذي سبق في رقم ٤ من هامش الصفحة الماضية .

(٢) مع ملاحظة الحالة الإعرابية الخاصة بكل منهما - كما شرحناها في ص ٣٠٨ وما بعدها - فالمركب الإسنادي يلزم آخره حركة لفظية لا تنفير ، ويكون معها في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، بسبب الحكاية . والمركب المزدوج المحتوم بكلمة : « و » يلزم آخره حالة واحدة ؛ وهي : البناء على الكسر - في الأغاب - ويكون معها في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ... وإن لم يكن محتوماً بكلمة « و » =

وإلى هنا ينتهى الكلام على الترتيب والإعراب^(١) بين قسمين عند اجتماعهما .
أما إذا اجتمعت الأقسام الثلاثة : (الاسم ، والكنية ، واللقب) فيراعى فى الترتيب بينها ما سبق إيضاحه ؛ حيث يجوز تقديم بعضها على بعض . إلا اللقب فلا يجوز تقديمه - فى أكثر حالاته - على الاسم^(٢) ؛ ففى مثل : عمر بن الخطاب الفاروق - يجوز أن تقدم أو تؤخر ما شئت من الاسم ، أو الكنية ، أو اللقب . إلا صورة واحدة لا تجوز ؛ وهى : تقديم كلمة : « الفاروق » على « عمر » . ما دامت كلمة : « عمر » هى الأشهر .

= ولا مبنياً على فتح الجزأين ؛ رفع بالضمه من غير تنوين ، ونصب وجرب بالفتحة من غير تنوين فهما ؛ لأنه ممنوع من الصرف - فى الأشهر - . وهذه هى الأحكام الإعرابية الشائعة التى يجمل الاختصار عليها الآن ، وترك ما عداها مما يدخل فى باب اللهجات التى لا تناسب حاضرتنا
ويلاحظ كذلك أن الثانى فى الصور السالفة كلها يجوز فيه « القطع » المشار إليه فى رقم ١ من هامش ص ٣٢٠

(١) وفى الإعراب يقول ابن مالك من غير أن يتعرض للتفصيل والترتيب الذى سلكناه :

وَأِنْ يَكُونَا مُفْرَدَيْنِ فَأَضِفْ حَتْمًا ، وَإِلَّا أَتْبِعِ الَّذِي رَدَفَ

يريد بالشرط الأول : أنه : إذا اجتمع قسمان من أقسام العلم ، وكانا مفردين ، مثل : سعيد محمود - وجب عنده إعرابهما متضايقين ؛ فالأول - وهو المضاف - يعرب على حسب حالة الجملة ، والثانى يعرب مضافاً إليه مجروراً . هذا رأى ابن مالك ، وقد عرفنا البيان الشافى فى ذلك ؛ حيث أوضحنا أن الإضافة ليست واجبة ، وإنما هى جائزة كالإتباع ؛ بل الإتباع أفضل .

ثم يقول فى الشرط الثانى : إن لم يكونا مفردين ؛ بأن يكونا معاً مركبين تركيب إضافة ، أو يكون الأول مركباً إضافياً والثانى مفرداً ، أو العكس - فإن الأول يعرب على حسب حاجة الجملة ، والثانى يكون تابعاً له فى الإعراب (فيكون : بدلا ، أو عطف بيان ، أو توكيداً لفظياً بالمترادف) ومعنى « الذى ردف » أى : الذى جاء ردفاً للأول ، أى : بعده متأخراً عنه .

ثم أشار إلى نوعين من أنواع العلم ؛ هما : المركب الإسنادى والمزجى ؛ فقال :

وجملة ، و ما بمزج ركباً ذا إن بغير ؛ « و يه » تم أعربا

أى : أن التركيب الإسنادى وهو المراد بقوله : « جملة » وكذلك المركب المزجى غير المختوم بكلمة : « و يه » فإنهما يعربان على حسب حاجة الجملة . وقد شرحنا طريقة إعرابهما ، وإن لم يوضحها الناظم ، كما شرحنا طريقة إعراب المركب المزجى المختوم بويه والأنواع المبنية على فتح الجزأين (ص ٣١٣ ، ثم أشار إلى المركب الإضافى من غير أن يذكر حكمه بقوله :

و شاع فى الأعلام ذو الإضافة كعبد شمس ، وأبى قحافة

وعبد شمس : علم على جد معاوية ، وأبو قحافة : علم على والد أبى بكر الصديق . وفى هذا البيت والذى قبله إشارة إلى الأنواع الثلاثة للعلم المركب ، وهى : العلم المنقول من جملة ، وهو المركب الإسنادى ، والعلم المركب تركيباً مزجياً ، والعلم المركب تركيباً إضافياً .

(٢) إلا فى الصورتين الجائزتين ، وقد أوضحنا إحداها فى رقم ٣ من ص ٣١٦ والأخرى فى رقم ٣ من هامشها .

وكذلك يراعى فى الإعراب بين الأول والثانى ماسبق أيضاً حين اجتماعهما بدون الثالث، فإذا انضم إليهما لم يتغير إعرابهما، وأعرّب الثالث تابعاً للأول فى إعرابه^(١).

* * *

(د) هذا ، وما يخص الأقسام السالفة من الأحكام المعنوية وباقي الأحكام اللفظية الأخرى قد سبق الكلام عليها^(٢).

(١) ويجوز فيه أيضاً ما يسمى : « القطع » وهو جائز فيه وفى غيره على التفصيل الآتى : إذا اجتمع قسمان من أقسام العلم أو ثلاثة ، فإنه يجوز دائماً فى الثانى والثالث - إن وجد - : « القطع » وهو مخالفة للأول فى حركته الإعرابية ، والانفصال عنها إلى ما يخالفها فى الرفع ، أو النصب ؛ بشرط أن يكون الرفع أو النصب غير موجود فى الأول ؛ فإن كان الأول مرفوعاً جاز قطع ما بعده إلى النصب ، وإن كان الأول منصوباً جاز قطع ما بعده إلى الرفع . وإن كان الأول مجروراً جاز فيه ما بعده القطع إلى الرفع ، أو : القطع إلى النصب ، زيادة على الجر بالتبعية ؛ تقول فى الزعيم « سعد زغلول » : اشهر سعد زغلولاً - بالخطابة ، فيجوز قطع كلمة : « زغلول » عن الرفع . أى : : عن أن تكون مثل الأول فى حركته ، وعن أن تكون تابعة له ، وإنما تكون منصوبة ، مفعولاً به لفعل محذوف ، تقديره : أعى ، أو : أريد ... أو نحو ذلك.

وفى مثل : عرفت سعداً - زغلول - يجوز فى كلمة : « زغلول » الرفع ؛ فتكون مقطوعة عن حركة الأول غير تابعة له ؛ فتعرب خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره : « هو » مثلاً . وفى مثل : سمعت عن سعد زغلول - يجوز فى كلمة (زغلول) الرفع ، أو النصب ، على القطع السالف ، كما يجوز فيها الجر على أنها تابعة له . . .

وملخص ما سبق فى القطع أنه : مخالفة الثانى والثالث لعلامة الاسم الأول ، فإذا كان الأول مرفوعاً جاز فى الباقي النصب فقط على القطع ، مع إعراب المقطوع مفعولاً به لفعل محذوف . وإذا كان الأول منصوباً جاز القطع فى الباقي إلى الرفع مع إعرابه خبر مبتدأ محذوف . وإذا كان الأول مجروراً جاز القطع فى الباقي إلى الرفع ، أو إلى النصب ، أو إلى الجر ، مع إعرابه فى كل حالة بما يناسبها ، وتقدير العامل الملائم لها .

أما الغرض من القطع ومن العدول عن الإعراب الذى أوضحناه للتابع - إلى الإعراب الآخر الذى أوضحناه هنا أيضاً ، فغرض بلاغى ؛ هو بيان أن المقطوع يستحق اهتماماً خاصاً ؛ لرفعة شأنه ، أو حقارة منزلته . وقد أوضحنا القطع - بتفصيل مناسب - والغرض البلاغى منه فى باب المبتدأ والخبر لمناسبة أقوى ، وهى : مناسبة حذف المبتدأ وجوباً (ص ٥١٠ م ٣٩) أما موضعه الأصل وبيانه الأكل فباب النعت من الجزء الثالث ، ص ٤٦٩ م ١١٥ .

(٢) فى صفحتى ٢٩٢ و ٢٩٦ وما بعدهما .

المسألة ٢٤ :

اسم الإشارة^(١)

تعريفه : « اسم يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه » . كأن ترى عصفوراً فتقول وأنت تشير إليه : « ذا » رشيقي ؛ فكلمة : « ذا » تتضمن أمرين معاً ، هما : المعنى المراد منها (أى : المدلول المشار إليه ، وهو : جسم العصفور) ، والإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه . والأمران مقترنان ؛ يقعان في وقت واحد^(٢) ؛ لا ينفصل أحدهما من الآخر ، لأنهما متلازمان دائماً .

والغالب أن يكون المشار إليه (وهو : المدلول) شيئاً محسوساً^(٣) كالمثال السابق . وكأن تشير بأحد أصابعك إلى كتاب ، أو قلم ؛ أو سيارة ، وتقول : ذا كتاب — ذا قلم — ذى سيارة . وقد يكون شيئاً معنوياً ، كأن تتحدث عن رأى ، أو : مسألة في نفسك ، وتقول : ذى مسألة تتطلب التفكير — ذا رأى أبادر بتحقيقه . . .

تقسيم أسماء الإشارة

تنقسم أسماء الإشارة بحسب المشار إليه إلى قسمين : قسم يجب أن يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية أنه مفرد ، أو مثنى ، أو جمع^(٤) . . . مع مراعاة التذكير ، والتأنيث ، والعقل^(٥) ، وعدمه في كل ذلك^(٦) . وقسم يجب أن

(١) اسم الإشارة اسم مبهم وسيجيء بيان المبهم في « ج » من ص ٣٣٨ وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٤٠ .

(٢) انظر ص ٩٣ ، ففيها الإيضاح .

(٣) مما تجب ملاحظته أن الإشارة نفسها لا بد أن تكون حسية . أما مدلولها — وهو المشار إليه — فقد يكون حسياً وهو الأصل ، وقد يكون معنوياً .

(٤) إذا كان المشار إليه اسم جنس جمعياً فلاسم الإشارة حكم خاص ، هو حكم الضمير العائد على مرجعه ، — ، وقد سبق بيانه في رقم ١ من هامش ص ٢٢ وفي رقم ٦ من ص ٢٦٥ — .

(٥) والمراد بالعقل : من له قدرة على الفهم والتعلم والحكم ، بأصل طبيعته ؛ ولو فقد هذه القدرة لسبب عارض . وقد يعبر النحاة أحياناً « بالعالم » بدلا من : العاقل .

(٦) إذا اختلف المشار إليه في التذكير والتأنيث مع المراد الأصيل منه جاز في اسم الإشارة التذكير والتأنيث ؛ مراعاة لأحدهما ؛ نحو : القطن محصول أساسي عندنا . وهذه الثروة يجب العناية بها ، أو : وهذا ثروة يجب العناية بها . ومثل : كتاب البخلاء للجاحظ زاد أدبي رائع ، وهذه مزية يسمى وراها =

يُلاحَظ فيه المشار إليه أيضاً ، ولكن من ناحية قَرِيَّة ، أو بعده ، أو توسطه بين القرب والبعد^(١) .

فالقسم الأول خمسة أنواع :

(أ) ما يشار به للمفرد المذكور مطلقاً : (أى : عاقلاً أو غير عاقل) :

وأشهر أسمائه « ذا »^(٢) . نحو : ذا طيار ماهر — ذا بلبل صدّاح^(٣) .

(ب) ما يشار به للمفردة^(٤) المؤنثة مطلقاً (أى : عاقلة وغير عاقلة) وهو عشرة

ألفاظ ؛ خمسة مبدوعة بالذال هى : ذى — ذه — ذه ، بكسر الهاء مع اختلاس^(٥) كسرتها — ذه ، بكسر^(٦) الهاء مع إشباع الكسرة نوعاً — ذات^(٧) .

= الأديب ، أو : وهذا مزية يسعى وراءها الأديب ومن الأمثلة قوله تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى . هذا أكبر) — وقد أشرنا لهذا فى رقم ١ من هامش ص ٢٢ وفى رقم ٧ من ص ٢٦٥ .

(١) تقدير القرب والبعد والتوسط متروك للعرف الشائع عند المتكلم ، ومن معه .

(٢) « ذا » هو الأشهر . ويحسن الاختصار عليه — حرصاً على التيسير والإيضاح — وترك ما عداه

ما هو مسموع بقلة عن العرب ؛ مثل : « ذاء » ، بهزرة مكسورة . و « ذائه » بهزرة مكسورة دائماً ،

بعدها هاء مكسورة كذلك ، و « ذائه » بهزرة وهاء مضمومتين دائماً . و « ألك » — لليعيد — بهزرة

مفتوحة مدودة هى اسم الإشارة ، بعدها لام مكسورة للبعد ، فكاف للخطاب (أى : ذلك) . فهذه الألفاظ

الواردة لإشارة المفرد المذكور خمسة ؛ سردناها لنستعين بمعرفتها على فهم ما ورد منها فى الكلام القديم ، مثل قول القائل :

هَذَاؤُهُ الدَّفْتَرُ خَيْرُ دَفْتَرٍ فِي يَدِ قَرْمٍ مَاجِدٍ مُصَدِّرٍ

مع تفصيل الاختصار فى استعمالنا على « ذا » كاسبق .

(٣) المفرد إما أن يكون مفرداً حقيقة كالمثالين المذكورين ، أو حكماً ؛ كالإشارة إلى جمع ،

أو فريق ؛ مثل : هذا الجميع مسارع للخيرات ، هذا الفريق غالب . وأيضاً فى مثل : الصيف حار ،

والشتاء بارد . أما الخريف فبين ذلك . أى : بين المذكور من الحار والبارد . وما وقعت الإشارة به للجمع

حكماً قول الشاعر :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ : « كَيْفَ لَبِيدُ »

(٤) سواء أكانت مفردة حقيقة كما مثل ، أم حكماً ؛ مثل الفقرة والجماعة — على الوجه المتقدم

فى رقم ٣ .

(٥) الاختلاس هو : النطق بالحركة خفيفة سريعة ، مع عدم إطالة الصوت بها .

(٦) الإشباع إيضاح الحركة ، مع تقويتها وإطالة الصوت بها ؛ حتى ينشأ من ذلك حرف علة

مناسب ؛ كالألف بعد الفتحة ؛ وكالواو بعد الضمة ؛ والياء بعد الكسرة — وهو حرف علة زائد ، يقال له :

« حرف إشباع » . ويجوز كتابتها مع الإشباع هكذا « ذهى » بإثبات الياء الناشئة من إطالة الصوت

بالكسرة .

(٧) ومن التيسير أن نجملها كلها اسم إشارة ، ولا نتابع رأى القائل : إن اسم الإشارة هو

« ذا » وحدها ، وإن التاء للتأنيث .

والغالب فيها الضم ، فهى اسم إشارة مبنى على الضم فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب

موقعها فى جملتها .

وخمسة مبدوءة بالتاء ، هي : تى - تا - ته - تيه ، بكسر الهاء مع اختلاس الكسرة - تيه^(١) ، بكسر الهاء مع إشباع الكسرة نوعاً . تقول : ذى الفتاة شاعرة . . . تى الفتاة محسنة . . . وكذا الباقى منهما^(٢) .

(ح) ما يشار به للمثنى المذكر مطلقاً - أى : عاقلاً وغير عاقل - ، وهو لفظة واحدة : « ذان » رفعاً ، وتصير : « ذَيْن » نصباً وجراً^(٣) . تقول : ذان عالمان ، إن ذَيْن عالمان ، سلمت على ذَيْن ، فتعرب كالمثنى ، أى : « ذان » : مبتدأ مرفوع بالآلف . « ذَيْن » : اسم : « إن » منصوب بالياء . « ذَيْن » ، مجرور بعلى ، وعلامة جره الياء أيضاً .

(د) ما يشار به إلى المثنى المؤنث مطلقاً ، وهو لفظة واحدة : « تان » رفعاً « وتصير : تَيْن » نصباً وجراً ، تقول : تان محسنتان : إن تَيْن محسنتان ، فرحت بتَيْن المحسنتين . (« تان » مبتدأ مرفوع بالآلف - « تَيْن » اسم : « إن » منصوب بالياء - « تَيْن » مجرور بالياء ، وعلامة جره الياء) .

(هـ) ما يشار به للجمع مطلقاً (مذكراً ومؤنثاً ، عاقلاً وغير عاقل) هو لفظة واحدة : « أولاء » . ممدودة فى الأكثر ، أو : أولى مقصورة ؛ مثل :

(١) ويجوز إثبات الياء الناشئة من الإشباع هكذا « تى » . - كما سبق فى رقم ٦ من الهامش السابق -
(٢) يقول ابن مالك :

بذلًا لمفردٍ مذكرٍ أَشْرُ بذى ، وذَه ، تى ، تآ ، على الأنثى اقتصِرْ
أى : أشر للمفرد المذكر بكلمة : « ذا » واقتصر فى الإشارة إلى الأنثى على كلمة : « ذى »
و « ذه » و « تى » و « تا » . ولم يذكر الباقى :
(٣) يقول ابن مالك :

و « ذان ، تان » ، لِلْمُثْنَى الْمُؤَنَّثِ الَّتِي تَرْفَعُ وَفِي سِوَاهُ « ذَيْن » . « تَيْن » . اذْكُرْ تُطْعِ
أى : للمثنى فى حالة رفعه صيغتان ؛ هما : ذان ، وتان ، ولم يوضح المشار إليه بهما وقد عرفناه :
(« ذان ») للمثنى المذكر المرفوع ، و « تان » للمثنى المؤنث المرفوع) ، وفى سوى الرفع يقال فيهما : « ذَيْن » و « تَيْن » بالياء والنون ويجوز تشديد النون ، وعدم تشديدها فى : (ذان ، وتان) ، وكذلك فى (ذَيْن وتَيْن) ، لكن عند تشديدها فى الأخيرتين تتحرك الياء بالفتحة ، أى : أنها تتحرك بالفتحة فى حالتى نصبهما وجهرهما إذا شددت النون - وسجى الإشارة لهذا فى رقم ٢ من هامش ص ٣٤٤ - .
(٤) يقول ابن مالك :

وبأولى أَشْرُ لِيَجْمَعَ مُطْلَقًا والمَدُّ أَوْلَى . . .

أولئك الصناعات نافعون . ومثل : « إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولاً »^(١).

* * *

أما القسم الثاني من أسماء الإشارة ، وهو الذى يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية قربه ، أو بعده ، أو توسطه بين القرب والبعد ؛ فإنه ثلاثة أنواع :

(أ) الأسماء التى تستعمل فى حالة قربه . هى : كل الأسماء السابقة الموضوعات للمفرد ، والمفردة ، والمثنى والجمع ، بنوعيهما ، من غير اختلاف فى الحركات أو الحروف ومن غير زيادة شئ فى آخر تلك الأسماء .

(ب) الأسماء التى تستعمل فى حالة توسطه للدلالة على أن المشار إليه متوسط الموقع بين القرب والبعد ، هى : بعض الأسماء السابقة بشرط أن يزداد فى آخر كل اسم منها الحرف الدال على التوسط ، وهذا الحرف هو : « كاف الخطاب الحرفية »^(٢) ، فإنها وحدها — بغير اتصال لام البعد بها — هى الخاصة بذلك . أمّا ما تلحق

(١) المد والقصر عند اللغويين والقراء — (كما سبق عند الكلام على المقصور فى رقم ٥ من هامش ص ١٨٨ وكما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٥ وكذا رقم ١ من هامش ص ٥٥٨ م ١٧٠ ج ٤) — يكون فى المغرب وفى المبنى ، كما نرى هنا كلمة : « أولا » أما عند النحاة فقصوران على المغرب . والمقصود بالمد فى البيت السالف (فى رقم ٤) الإشباع الذى شرحناه فى رقم ٦ من هامش ص ٣٢٢ وهو المد الصرفى الذى يقضى بوجود همزة فى آخر الكلمة بعد ألف المقصور . أما الهمزة التى فى أول كلمة : « أول » فلا يصح إشباعها عند النطق بها ، بالرغم من أن قواعد الإملاء توجب زيادة واو بعدها فى الكتابة للفرق بينها وبين كتابة : « الألى » التى هى اسم موصول — كما ستجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٥ — وهذه الهمزة لا تثبت اليوم على التحصيل . وقد آن الوقت لإعادة النظر فى قواعد الإملاء على يد المختصين بهذه الشؤون ، ولا سيما المجمع اللغوى .

(٢) هذه الكاف حرف مبنى ، وليست ضميراً ؛ فلا يصح أن يكون اسم الإشارة مضافاً ، وهى مضاف إليه ؛ لأنها حرف كما قلنا ؛ ولأن اسم الإشارة بجميع أنواعه — حتى المثنى منه — لا يضاف ، لأنه (ما عدا المثنى) مبنى — كما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٣٤ — ، والمبنى فى أكثر حالاته لا يضاف . ومع أن هذه الكاف حرف خطاب فإنها مع غير كلمة : « هنا » الآتية فى ص ٣٢٧ — تنصرف كما تنصرف الكاف الاسمية التى هى ضمير خطاب على حسب المخاطب) فتكون الحرفية مبنية على الفتح للمخاطب المفرد ، المذكر ، وعلى الكسر للمخاطبة نحو : ذاك — ذاك . وتلحقها علامة التنثنية ، وميم جمع المذكر ، ونون النسوة ؛ نحو : ذا كـ ، ذا كن — وهذا هو « التنصرف الكامل » وهو أشهر اللغات وأسماعها ، ويحسن الأخذ به وحده ؛ لأن يساعد على زيادة الإيضاح ومنع اللبس .

وهناك لغة أخرى لا تلحق بها علامة ، وتبينها على الفتح لكل أنواع المخاطب المذكر ، وعلى الكسر لكل أنواع المخاطب المؤنث . وهذا هو « التنصرف الناقص » . وهو فى درجته أقل من الأول . ويل هذا « عدم تصرفها » مطلقاً ؛ فتبنى على الفتح فى جميع أحوال الخطاب . هذا وكاف الخطاب مع الظرف « هنا » مفردة مفتوحة دائماً ، مهما كان المخاطب ، كما سيجىء فى رقم ٣ من هامش ص ٣٢٨ .

آخره من بعض الأسماء السابقة - دون بعض - فيقتصر على آخر أسماء الإشارة التي للمفرد المذكر ، والتي للمثنى ، والتي للجمع بنوعيهما ؛ نحو : ذاك المكافح محبوب - ذاك المكافحان محبوبان - تانك الطبيبتان رخيتمان - أولئك المقاومون للظلم أبطال ، أو : أولاك ، (بمد كلمة : « أولاء » وقصرها) .

وكذلك تلحق ثلاثة من أسماء الإشارة الخاصة بالمفردة المؤنثة ، هي : (تي - تا - ذى) نحو : تيك الدار واسعة . . . ولا تلحق آخر السبعة الأخرى التي للمفردة المؤنثة ، فباستبعاد هذه السبعة تكون بقية أسماء الإشارة التي للقرب صالحة للمتوسط أيضاً .

ولا تلحق آخر اسم من أسماء الإشارة إذا كان مبدوءاً بحرف التنبيه : « ها » وبينهما فاصل ؛ كالضمير في مثل : هأنذا محب للإنصاف ؛ فلا يقال في الأفصح هأنذاك - كما سيجىء^(١) .

« ملاحظة » : هذه الكاف تلحق أيضاً اسم إشارة للمكان ، وهو يعتبر في الوقت نفسه ظرفاً من ظروف المكان ؛ ونعني به الظرف : « هنا » - وسيجىء إيضاحه قريباً^(١) - ؛ نحو : هناك في أطراف الحديقة دوح ظليل .

وخلاصة ما تقدم أن الأسماء التي للمتوسط هي الأسماء السابقة التي للقرب . ولكن بشرط زيادة « كاف » الخطاب الحرفية في آخر الاسم للدلالة على المتوسط ؛ (تقول : ذاك الطائر مغرد . . . تيك الغرفة واسعة . . .) وبشرط أن كاف الخطاب الحرفية لا تزداد في آخر الإشارة الخاصة بالمفردة المؤنثة إلا في ثلاثة : « تي » و « تا » و « ذى » ولا تدخل في السبعة الأخرى - على الصحيح - وهذا هو الموضع الثاني الذي لا تدخله تلك الكاف^(٢) .

(>) الأسماء التي تستعمل في حالة بُعد .

لا سبيل للدلالة على أن « المشار إليه » بعيد إلا بزيادة حرفين معا في آخر اسم الإشارة ، هما : « لام » في آخره تسمى : « لام البعد » ، يليها وجوباً

(١ و ١) ص ٢٢٧ .

(٢) أما الموضع الأول فقد ذكر قبل هذا مباشرة ، وهو اسم الإشارة المبدوءة بحرف التنبيه : « ها » ، وبينهما فاصل ، وكذلك لا تدخل في اسم الإشارة : « ثم » ، ولا اسم الإشارة المنادى ؛ نحو : يا هذا - (كما سيجىء في رقم ٦ هامش ص ٣٢٧ ، وفي باب المنادى ، ج ٤) .

« كاف الخطاب » الحرفية ، ولا يصح أن توجد « لام البعد » بغيرها . وهذه اللام تزداد هنا في آخر بعض الأسماء دون بعض ؛ فتزاد مع « الكاف » في آخر أسماء الإشارة التي للمفرد ؛ نحو : ذلك الكتاب لا ريب فيه . وتزداد في آخر ثلاثة من الأسماء التي لإشارة المفردة (وهي الثلاثة التي تدخلها « كاف الخطاب » الحرفية ؛ دون السبعة الأخرى التي لا تدخلها) ؛ نحو : تلك الصحارى ميادين أعمال ناجحة .

وتزداد في آخر كلمة : « أولى » المقصورة التي هي اسم إشارة للجمع مطلقاً ، نحو : أولئك المغتربون في طلب العلم جنود مخلصون ، دون « أولاء » الممدودة التي هي اسم إشارة للجمع فلا يقال - في الرأى الأرجح - أولاء لك^(١) المغتربون مخلصون . . .

ولا تزداد في اسم الإشارة الذى للمثنى المؤنث أو المذكر ، ولا في اسم الإشارة المبدوء بحرف التنبيه : « ها » ، المختوم بـ « كاف » الخطاب الحرفية ؛ فلا يصح في مثل : « هناك وهاتك » أن يقال : هذا لك^١ ، ولا هاتاك لك^١ . . . على اعتبار « اللام » فيهما للبعد ، و « الكاف » حرف خطاب .

وما سبق يتبين أنه لا يجوز زيادة لام البعد وحدها بغير « كاف الخطاب » الحرفية بعدها ؛ ولهذا يمتنع زيادة « لام البعد » في آخر الأسماء الخالية من تلك « الكاف » إماماً لأن « الكاف » لا تدخلها مطلقاً ؛ (كالأسماء السبعة التي لإشارة المفردة) ، وإما لأن هذه الكاف تدخلها ولكن اسم الإشارة خال منها عند الرغبة في إلحاق لام البعد بآخرها . وإن شئت فقل : إن أسماء الإشارة التي تستعمل في حالة البعد لا بد أن يزداد في آخرها . حرفان معاً ، هما لام تسمى : « لام البعد »^(١) ، وحرف الخطاب (الكاف) بعدها فيما يصح فيه مجيء الكاف : نحو : ذلك السَّبَّاح بارع . وهذه اللام لا توجد وحدها بغير كاف الخطاب بعدها ؛ فيجوز إلحاق اللام بآخر أسماء الإشارة التي للمفرد والمفردة بشرط وجود تلك الكاف فيما يصح وجودها فيه ، ويمتنع إلحاق اللام بأسماء الإشارة التي لا تدخلها الكاف مطلقاً^(٢) ، أو التي تدخلها ، ولكنها لم يكن لها وجود عند الرغبة في إلحاق اللام .

(١ ، ١) هذه اللام تكسر إن كان قبلها ساكن ، كالألف المحذوفة إملائيًا في نحو : « ذلك » و « تالك » . . . وقد تسكن فيحذف ما قبلها مباشرة من ساكن ؛ كالياء ، أو الألف في اسمي الإشارة : في وتا . تقول : تيلك ، وتلك^(٢) . وهي الأسماء السبعة التي أشرنا إليها في الحالة الثانية « ب » .

وكذلك يصح إلحاق هذه اللام بكلمة « أولى » المقصورة ، دون الممدودة - على الأرجح - ودون المثني بنوعيه أيضاً .

ويصح أن تدخل : « ها » التى هى حرف تنبيه ^(١) على اسم الإشارة الخالى من كاف الخطاب ؛ مثل : هذا ، هذه ، هذان ، هؤلاء . . . وقد تجتمع مع الكاف بشرط عدم الفَصْل بشيء - كالضمير - بين « ها » واسم الإشارة ؛ نحو هذاك - هاتاك . . . لكنهما إذا اجتمعا لم يصح مجيء لام البعد معهما ، فلا يجوز هذا لك ^(٢) . وهذا موضع آخر من المواضع التى تمتنع فيها لام البعد ^(٣) .

وتمتنع الكاف إن فصل بين « ها » التنبيه واسم الإشارة فاصل ^(٤) ؛ كالضمير فى نحو : هأنذا ^(٥) مُخلص ، فلا يصح الإتيان بالكاف بعد اسم الإشارة وهذا هو موضع آخر لا تدخله كاف الخطاب ^(٦) ، وإذا لا تدخله لام البعد أيضاً .
بقى من أسماء الإشارة التى من القسم الثانى كلمتان : هُنا ، و : « ثم »

(١) سميت بذلك لأن المراد منها : إما تنبيه الغافل إلى ما بعدها ، وتوجيهه إلى ما يذكر . وإما إشعار غير الغافل إلى أهمية ما بعدها ، وجلال شأنه ؛ ليتفرغ له ، ويقبل عليه .

(٢) يشير ابن مالك إلى الكاف واللام فى البعد وعدمه قائلاً : (مع العلم بأنه يقصر كلامه على القريب والبعيد وهما الوسط ؛ لأنه يدخله فى البعيد كغريق آخر من النجاة - انظر « الملاحظات » فى ص ٣٢١) .

لدى البعد انطقاً
بالكاف حرفاً دون لام ؛ أو معة واللام إن قدمت « ها » ممتنعة

(٣) المواضع التى تمتنع فيها اللام خمسة هى :

١ - اسم الإشارة الذى ليس فى آخره كاف الخطاب .

ب - أسماء الإشارة السبعة التى للمؤنث ، وهى التى لا تدخلها الكاف أيضاً .

ج - أولاء ممدودة .

و - اسم الإشارة المثني ؛ مذكراً ومؤنثاً .

ه - اسم الإشارة المبدوء بها التنبيه ، والمختوم بكاف الخطاب .

(٤) كما سبق فى ص ٣٢٥ .

(٥) أصله : (ها أنذا) ، ولكن قواعد رسم الحروف تقضى بكتابتها متصل الحروف : « هأنذا » .

(٦) والموضع الأول هو أسماء الإشارة السبعة التى للمؤنث - وقد سبق الكلام عليها - كذلك لا تدخل على اسم الإشارة : « ثم » - كما سيجئ - ولا على اسم اسم الإشارة المنادى : نحو : يا هذا ، كما هو مبين فى باب المنادى ، ج ٤ ، وسبقت الإشارة إليه فى رقم ٢ من هامش ٣٢٥ .

النحو الوافى - أول

وكلتاها تفيد الإشارة مع الظرفية^(١) التي لا تنصرف.

فأما : « هُنَا » فهي اسم إشارة إلى المكان القريب ، مثل : « هنا العلم والأدب » . وقد يزداد في أولها حرف التنبيه : « ها » نحو : « ها هُنَا الأبطال » فهي في الحالتين سواء .

وبسبب دلالتها على المكان مع الإشارة دخلت في عداد ظروف المكان أيضاً فهي اسم إشارة وظرفُ مكان معاً . وهي ظرفُ مكان لا يتصرف ، فلا تقع فاعلاً ، ولا مفعولاً ، ولا مبتدأً ، ولا غير هذا مما لا يكون ظرفُ مكان . ولا تخرج عن الظرفية المكانية إلا إلى نوع خاص من شبه الظرفية^(٢) ؛ هو الجرّ بالحرف « مِنْ » أو « إِلَى » ، نحو : سرت من هنا إلى هناك .

ويصح أن يزداد على آخرها الكاف المفتوحة للخطاب^(٣) وحدها أو مع « ها » التنبيه فتصير مع الظرفية اسم إشارة للمكان المتوسط ؛ هناك ، أو : « ها هناك » في الحديقة الفواكه . ويصح أن يتصل بآخرها كاف الخطاب المفتوحة ، وقبلها لام البعد فتصير مع الظرفية اسم إشارة للمكان البعيد مثل : « هناك » في الصعيد أبدع الآثار . وفي هذه الصورة تمتنع « ها » التنبيه ؛ لأن « ها » التنبيه لا تجتمع مع لام البعد - كما أشرنا^(٤) - .

وقد يدخل على صيغتها الأصلية بعض تغيير ، فتصير اسم إشارة للمكان البعيد ؛ من غير وجود لام البعد ؛ ومن ذلك : هُنَا ، هِنَا ، هَنَّتْ - هِنَّتْ . . . فهذه لغات فيها ، وكلها تفيد مع الظرفية الإشارة للمكان البعيد .

(١) إذا وقع الظرف : « ثُمَّ » خيراً وجب تقديمه على المبتدأ ، وكذلك الظرف : « هنا » إذا سبقه - من غير فاصل - حرف التنبيه : « ها » - وهذا رأى صاحب المجمع (١ ص ١٠٢ ، ومن نقل عنه كالصبان - عند كلامهما على تقديم الخبر) بحجة أن « ها » التي للتنبيه واجبة الصدارة ؛ كما يقول « المجمع » وبسببها يجب تصديرها هنا . والرأى وحجته ضعيفان مرفوضان بالأدلة القوية المؤيدة بالمع أيضاً ، وهي مدونة في ص ٥٥ من مجلة المجمع اللغوي القاهري ، الجزء الثامن عشر . والظاهر : أن الأغلب - لا الواجب - في الظرف « هنا » المسبوق بهاء التنبيه بنبر فاصل هو تقديمه على المبتدأ ، ويصح تأخيرها كما ينبغي في رقم ١ من هامش ص ٣٣٧ . (٢) توضيحه في رقم ١ من ص ٣٣٥ . (٣) ولا بد أن تكون هذه الكاف معها مفردة ومفتوحة ، مهما تغير المخاطب ؛ وبذلك يسمونها : كاف الخطاب غير المتصرفة . أما الكاف مع غيرها فقد سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٢٤ أنها تكون متصرفة كاملة التنصرف ؛ وهذا هو الأحسن . وقد تكون فاقصة التنصرف في رأى آخر له تفصيل هناك . وقد تكون غير متصرفة مطلقاً في رأى ثالث . (٤) في ص ٣٢٦ .

وأما الأخرى : « ثَمَّ » فاسم إشارة إلى المكان البعيد ؛ مثل : تأمل النجوم
فثَمَّ الجلال والعظمة . وهي ^(١) — كسابقتها — ظرف مكان لا يتصرف ، إلا أن
« ثَمَّ » للبعد خاصة ، ولا تلحقها « ها التنبية » ، ولا « كاف الخطاب » ، وهما
الحافان اللذان قد يلحقان نظيرتها .
وقد تلحقها — دون نظيرتها — تاء التأنيث المضبوطة — غالباً — بالفتح ؛ فيقال
ثَمَّة ^(٢) .

وبما تقدم نعلم أن المكان باعتباره وعاء ، (أى : ظرفاً يقع فيه أمر من الأمور ،
ومعنى من المعانى) — قد اختص وحده باسمين من أسماء الإشارة ؛ فلا يشار إليه
باعتباره وعاء وظرفاً إلا بواحد منهما . ومن أجل هذا كانا فى محل نصب على
الظرفية ^(٣) لا يفارقهما أحدهما إلا إلى الجرح من أو إلى . أما بقية أسماء الإشارة فتصلح
لكل مشار إليه بها ، مكاناً أو غير مكان . إلا أن المشار إليه بغيرها إذا كان
مكاناً فإنه لا يعتبر ظرفاً ؛ مثل هذا مكان طيب ، وتلك بقعة جميلة ،
فكل واحدة من كلمتى : « مكان » . و « بقعة » مشار إليه ، دال على المكان ،
ولكنه لا يسمى ظرفاً .

* * *

(١) يشير ابن مالك إلى ما سبق بقوله :

وَبِهِنَّ أَوْ : هَا هُنَا أَشْرُ إِلَى ذَاتِ الْمَكَانِ ، وَبِهِ الْكَافُ صِلَاً
فِي الْبُعْدِ . أَوْ بِثَمَّ فَهْ ، أَوْ : هُنَا أَوْ بِهِنَالِكَ ، انْطَقَنْ ، أَوْ هُنَا
يقول : أشر إلى المكان القريب بكلمة : هُنَا ، من غير « ها » التى للتنبية ، أو مع « ها » التنبية ؛
فتقول : « ها هنا » .

أما عند الإشارة إلى البعيد فصل الكاف بكلمة : « هنا » . و « ها هنا » ، أو : جى باسم
إشارة آخر يفيد البعد ؛ وهو : ثَمَّ ، أو : هُنَا ، أو : هنالك ... ولا تخرج هذه الظروف (ثَمَّ ،
وكذا : هنا ، باستعمالاتها المختلفة) من الظرفية إلا إلى شبه الظرفية ، وهو : الجرح بالحرف : « من » ،
أو : إلى (انظر رقم ١ من هامش ص ٣٣٥) .

(٢) من العرب من يسكن هذه التاء ، ومنهم من يستغنى عنها فى حال الوقف فقط . ومنهم من
يستغنى عنها بهاء ساكنة يشبها فى حال الوقف فقط ؛ ويسمونها : « ها السكت » . ومنهم من يبق هاء
السكت فى الوصل أيضاً ؛ فيجمل الوقف والوصل سيات . وكل هذه طبقات نحن فى غنى عنها اليوم مكتفين
بالكلمة مجردة من كل زيادة ، أو مع زيادة التاء المربوطة ، المتحركة بالفتحة ؛ منعاً للآراء الكثيرة التى
لا داعى لها فى حياتنا القائمة ، ولا أثر لها إلا العناء والإيهام . وحسب المتخصصين — وحدهم — أن يعرفوا
هذه اللغات لفهم النصوص القديمة دون محاكاتها . (٣) انظر رقم ١ من هامش ص ٣٣٥ .

في الجدول الآتي بيان أسماء الإشارة في الأنواع الخمسة السابقة^(١)؛ وهي التي يلاحظ فيها المشار إليه من ناحية إفراده ، وتثنيته ، وجمعه ، مع التذكير ، والتأنيث ، والعقل ، وعدمه ، في كل حالة ، وكذلك مع القرب ، والتوسط ، والبعد :

نوع المشار إليه (عاقلا وغير عاقل)	أسماء الإشارة للمذكر والمؤنث	اسم الإشارة للقريب	المتوسط	البعيد	ملاحظات
الجمع بنوعيه - كما سبق الكلام عليه في « هـ »	أولَى :	هذه الأسماء كما هي للمشار إليه القريب	أولاك {	أولَى لك ؛ بزيادة لام البعد ، مع كاف الخطاب	
	أولام :		أولئك {	لا تستعمل البعد - على الأرجح -	
اسمان للإشارة مع الظرفية المكانية	هنا ، (مبنى على السكون) في محل نصب ، ظرف (مكان ، غير متصرف ...)	للقريب {	هناك {	هناك بزيادة لام البعد مع كاف الخطاب	
	ثمَّ (مبنى على الفتح في محل نصب ظرف مكان ، غير متصرف)		للبعيد {	هي نفسها للبعد فلا تكون لغيره ولا يزداد عليها	

كيفية استعمال أسماء الإشارة وإعرابها

عند اختيار اسم من أسماء الإشارة لا بد أن نعرف أولاً :
حالة المشار إليه من ناحية : (إفراده ، أو : تثنيته ، أو : جمعه) و (تذكيره
أو تأنيثه) ، (عقله ، وعدم عقله) .

ثم نعرف ثانياً : حالته من ناحية : (قربه ، أو توسطه ، أو بعده) .

(١) فإذا عرفنا حالته من النواحي الأولى تخيرنا له من أسماء الإشارة ما يناسب
فالشار إليه إن كان مفرداً مذكراً — عاقلاً أو غير عاقل — كرجل وباب ، نختار
له : « ذا » ، مثل : ذا رجل أديب ، ذا باب مُحْكَم . فكلمة « ذا » اسم
إشارة ، مبني على السكون في محل رفع ، لأنها مبتدأ في هذه الجملة ، وقد
تكون في محل نصب أو جرّ في جملة أخرى « فثال محلها المنصوب : نجح
العلماء في الوصول إلى القمر ؛ والنزول على سطحه^(١) ، وإن ذا من عجائب العلم .
وقول الشاعر :

أيها الناس ، إن ذا العصرَ عصرُ الـ علمم ، والجدُّ في العلا ، والجهد
ومثال محلها المجرور قول الآخر :

ولستُ بِإِمعةٍ^(٢) في الرجالِ أسائل عن ذا ، وذا ، ما الخبر ؟

فهي مبنية دائماً . ولكنها في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب
موقعها من الجمل .

وإن كان المشار إليه مفرداً ، مؤنثاً — عاقلة أو غير عاقلة — مثل : فتاة وحديقة
فاسم الإشارة المناسب لها هو : « ذى » أو إحدى أخواتها ؛ مثل : ذى غرفة بديعة —

(١) كان هذا أول مرة سجلها التاريخ ؛ ففي سنة ١٩٦٩ فقد نزل ثلاثة من الأمريكيين على سطحه ،
وأقاموا فوقه نحو ثلاثين ساعة ، عادوا بعدها إلى وطنهم (الولايات المتحدة) سالمين . ثم كانت المرة
الثانية في ديسمبر سنة ١٩٧٢ قام بها أمريكيون أيضاً ، وأدركوا من التوفيق والنجاح أضغاف ما تم
في الرحلة الأولى .

(٢) الإمعة : من لا أهمية له ، ولا رأى . وإنما يسأل غيره عن كل شيء ، ويتابعه بغير
تفكير .

ذى فتاة ماهرة . . . وهى اسم إشارة مبنية دائماً على السكون ولها محل ... فهى هنا مبنية على السكون فى محل رفع ، لأنها مبتدأ ، أما فى جملة أخرى فبنية على السكون أيضاً ، ولكن فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة .

وإن كان المشار إليه مثنى مذكراً - للعاقل أو غيره - مثل : فارسين - وقلمين - فاسم الإشارة المناسب له : « ذَانِ » رفعاً ، و « ذَيْنِ » نصباً وجرّاً ؛ فيعرب كالمثنى ؛ تقول : ذان فارسان ، حاكيت ذَيْنِ الفارسَيْنِ ، اقتديت بذَيْنِ الفارسَيْنِ - ذان قلمان جميلان ، اشتريت ذَيْنِ القلمَيْنِ ، كتبت بذَيْنِ القلمَيْنِ ؛ فاسم الإشارة هنا معرب مرفوع بالالف فى حالة الرفع ، ومنصوب ومجرور بالياء فى حالى النصب والجر . وكذا فى كل جملة تشبه هذه .

فإن كان المشار إليه مثنى مؤنثاً - للعاقل أو غيره - ، فاسم الإشارة الذى يناسبه هو : « تَانِ » رفعاً ، و « تَيْنِ » نصباً وجرّاً ، فيُعرب إعراب المثنى ؛ تقول : (تانِ الشاعرتان فصيحتان ، إن تَيْنِ فصيحتان ، أصغيت إلى تَيْنِ الفصيحتين) - (تانِ وردتان - شملت تَيْنِ الوردتين ، حرّصت على تَيْنِ الوردتين) ؛ فاسم الإشارة ^(١) فى الأمثلة السالفة معرب إعراب المثنى . وكذا فى كل جملة أخرى مشابهة .

وإن كان جمعاً للعاقل أو غيره مثل : الطلاب - الأبواب - أتيناً باسم الإشارة المناسب ؛ وهو كلمة : « أولاء » ممدودة أو مقصورة . وفى الحالتين لا بد

(١) من الخير التيسير باتباع هذا رأى القائل : بأنها يعربان إعراب المثنى ، بالرغم من أن مفرد كل منهما مثنى قبل تثنيته ، والمثنى لا يثنى ولا يجمع . . . وحجة هذا رأى أن العرب الفصحاء أدخلت عليهما علامتان الدالتان على التثنية ؛ والإعراب : (وهما : الألف والتون ، والياء والتون) فلا داعى لإغفال الواقع بجعل الكلمتين مبنيتين على الألف رفعاً ، وعلى الياء نصباً وجرّاً ، كما يرى فريق آخر من النحاة ؛ لأن الأخذ برأيه يبعدنا من مراعاة الظاهر السهل الذى يناسبنا اليوم . وإذا أخذنا بالتيسير المشار إليه وجب أن نلاحظ أن كل كلمة من الكلمات السابقة (أى : « ذان » ، و « ذين » و « تان » و « تين ») لا يصح إضافتها إلى كلمة بعدها ؛ لأن الإضافة المحضة تفيد المضاف تعريفاً أو تخصيصاً . واسم الإشارة معرفة ؛ فلا تفيده الإضافة شيئاً . هذا ، إلى أن جميع أسماء الإشارة - ما عدا المثناة - مبنية ، والمبنى من أسماء الإشارة لا يضاف - غالباً - فالكاف الواقعة فى مثل « ذانك » و « تانك » رفعاً ، ونصباً ، وجرّاً حرف خطاب (وقد تكلمنا عنه فى رقم ٢ من هامش ص ٣٢٤) ، وليست ضميراً مضافاً إليه ؛ إذ لو كانت ضميراً مضافاً إليه لحذفت نون المثنى من المضاف منهما ، ومن مثل قوله تعالى : « فذانك برهانان من ربك » .

من بنائها ، ولابد لها من محل إعرابى ، تقول : أولاً الطلاب نابهون ، أولاً الأبواب مفتحة . واسم الإشارة هنا ممدود مبنى على الكسر فى محل رفع ؛ لأنه مبتدأ . أما فى جملة أخرى فيكون مبنياً على الكسر أيضاً ، ولكنه فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب موقعه من الجملة التى يكون فيها . ومثله : «أولى» المقصورة . إلا أنها فى جميع أحوالها مبنية على السكون فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة .

وإن كان المشار إليه مكاناً أتينا بكلمة : «هنا» وهى إشارة وظرف مكان معاً ، مبنية على السكون — أو غيره على حسب لغاتها — فى محل نصب^(١) ؛ لأنها ظرف غير متصرف — كما سلف — ؛ تقول : هنا موطن العلم ؛ أى : فى هذا المكان . وقد يكون قبلها «ها» التى للتنبيه وحدها ، نحو : ها هنا ، أو هى والكاف المفتوحة نحو : ها هناك . وقد يلحقها الكاف واللام معاً بشرط عدم وجود «ها» التى للتنبيه ؛ نحو : هنالك العلم والأدب .

ومثلها . «ثم» فهى اسم إشارة للبعيد وظرف مكان معاً — ولا تتصرف — ، مبنية على الفتح فى محل نصب^(٢) تقول : ثم متفر السباحة . أى : هنالك . ويجوز أن تلحقها تاء التأنيث المضبوطة بالفتحة — غالباً كما سبق^(٣) — فتقول : ثمّة ميدان للتسابق الأدبى .

ولما كانت «ثم» تفيد البعد بنفسها لم يكن هنا داع لأن تلحقها الكاف ، ولا اللام . وما تقدم نعلم :

أن لكل «مشار إليه» اسم إشارة يناسبه ، وأن كل «اسم إشارة» مقصور على مشار إليه بعينه ، وأن جميع أسماء الإشارة مبنية ؛ إما على السكون أو غيره ، ولكنها فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب تصرفها ، وموقعها من الجملة

(١) بشرط ألا يسبقها حرف الجر «من» أو «إلى» — كما تقدم فى ص ٣٢٨ — ، فإن سبقها أحدهما فهى فى محل جر ، لأنها لا تخرج عن الظرفية إلا لشبه الظرفية ، وهو الجر بالحرّف : «من» أو «إلى» . ومن المعلوم أنها ظرف غير متصرف . والظرف غير المتصرف لا يترك النصب على الظرفية إلا إلى شبهها ، وهو الجر بالحرّف : «من» . لكن ظروفاً ثلاثة هى : (هنا — ثم — أين) قد تجر بالحرّف : «إلى» أيضاً . (راجع الصبان فى هذا الموضع) . ويزاد على الثلاثة السالفة الظرف : «حتى» إلا أنه يصح جره ، بالحرّف «حتى» كما يجر بالحرّفين أيضاً «من وإلى» — طبقاً لما سيجىء فى رقم ٤ من هامش ص ٣٣٨ — وفى ج ٢ باب الظرف م ٧٩ .

(٢) بالشرط السالف فى رقم ١ من هذا الهامش ، فهو يسرى عليها كزميلتها .

(٣) فى ص ٣٢٩

وليس فيها معرب إلا كلمتان ؛ هما : « ذان » للمذكر المثنى « وتان » للمؤنث المثنى ؛ فيعربان إعراب المثنى — يرفعان بالآلف ، وينصبان ويجران بالياء .
ومع أنهما معربان ، فإنهما لا يضافان — كما سبق^(١) — شأنهما في ذلك كشأن المبنى من أسماء الإشارة ؛ لا يجوز إضافة شيء منه مطلقاً .

* * *

(ب) وإذا عرفنا حالة المشار إليه في ناحية قربه أو بعده أو توسطه لم يتغير شيء من طريقة إعراب الأسماء السابقة . فإن وجد في آخر واحد منها كاف الخطاب الدالة على التوسط (نحو ذاك . . . هناك) قيل فيها : « الكاف » حرف خطاب ، مبنى . . . لا محل له من الإعراب . وإن وجد معها « لام البعد » أحياناً مثل : « ذلك » — وهذه اللام لا توجد منفردة عن الكاف — كما أشرنا^(٢) — قيل فيها : اللام للبعد ، مبنى على الكسر في نحو : ذلك ، وعلى السكون في نحو : تَسْلُك . . . لا محل لها من الإعراب .

وإن وجد في أول اسم الإشارة « ها » التي للتنبيه ؛ مثل : « هذا » قيل فيها : حرف تنبيه مبنى على السكون لا محل له . (مع ملاحظة أن الكاف بعد كلمة : « هنا » حرف خطاب ، لا يتصرف مطلقاً ، فهو مبنى على الفتح دائماً ، أما بعد غيرها فيجوز أن يتصرف^(٣) .

(١) في رقم ٢ و ١ من هامش ص ٣٢٤ و ٣٢٤ .

(٢) في « ج » من ص ٣٢٥ .

(٣) راجع رقم ٢ من هامش ص ٣٢٤ . . .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) للمناسبة هنا وللأهمية نلخص ما ذكرناه وأيدناه بالنصوص المسموعة الصحيحة (في ص ٢٢٥) وهو أنه : يجوز الفصل بين « ها » التي للتنبيه واسم الإشارة بضمير المشار إليه ؛ مثل : هأنذا أسمع النصيح ، وهأت ذّا تعمل الخير ، وهأتّم أولاء تصنعون ما يفيد ...

ويصح الفصل بغير الضمير مع قلّته ؛ كالقسم بالله ؛ نحو : ها - والله - ذا الرجل محب لوطنه . وكذلك « إن » الشرطية - مثل ها - إن - ذى حسنة - تتكرر بضاعف ثوابها ... وقد تعاد « ها » التنبيه بعد الفصل ؛ لتوكيد التنبيه وتقويته ؛ مثل : ها أنتم هؤلاء تحبون العمل النافع .

والشائع هو دخول : « ها » التي للتنبيه على ضمير الرفع المنفصل الذى خبره اسم إشارة ، نحو : هأنذا المقيم على طلب العلوم . ومن غير الشائع - مع صحته ؛ طبقاً للبيان والأمثلة المتعددة التى فى ص ٢٢٥ - دخولها إذا كان خبره غير اسم إشارة ، نحو : هأنا ساهر على صالح الوطن .

ويستأنس لهذا أيضاً - وإن كان فى غنى عنه لكنه فى معرض التنصيص - بما جاء فى « الصبان والخضرى » معاً فى باب : « الحال » عند الكلام على العامل المضمّن معنى الفعل ، كذلك ، وليت ، وكأن ، وحرف التنبيه ... حيث قالوا فى التمثيل لحرف التنبيه : (هأت زيد راكباً ...) ا ه ، وهذا مجرد الاستئناس فقط ؛ فقد سبقت الأمثلة الفصيحة الواردة عن يستشهد بكلامه من العرب .

« ملاحظة » يتعين - عند فريق من النحاة - أن يكون اسم الإشارة المبدوء بكلمة : « ها » التي للتنبيه مبتدأ فى مثل : هذا أخى ؛ لأن « ها » التي : للتنبيه لها الصدارة^(١) بشرط أن تتصل باسم الإشارة مباشرة لا يفصل بينهما ضمير ؛ فإن فصل الضمير فى مثل : « هأنذا » ، فالضمير هو المبتدأ ، واسم الإشارة هو الخبر .

(١) قلنا فى رقم ١ من هامش ص ٣٢٨ إن هذا رأى صاحب المعجم (ج ١ ص ١٠٢ ومن ردهه ؛ كالصبان) كما قلنا إن الحكم بتقديم اسم الإشارة المبدوء بحرف التنبيه « ها » تقديماً واجباً على الخبر هو حكم مدفوع بأدلة قوية يؤيدها السماع ؛ طبقاً للبيان والإيضاح المذكورين هناك . والظاهر أن تقديمه على الخبر أكثر ، لا واجب .

... ..
... ..

ويجوز : « هذا أنا » ولكن الأول أحسن وأسمى في الأساليب الأدبية العالية - كما
ستجىء الإشارة لهذا في رقم ٨ من ص ٤٩٨ ، وتكملتها في رقم ٤ من هامش
ص ٤٩٩ .

(ب) عرفنا^(١) أن كلمة « هنا » اسم إشارة للمكان القريب ، وهي في الوقت
نفسه ظرف مكان ، (أى : أنها تتضمن الأمرين معاً) . وقد تقع : « هنالك »
و « هنالك » و « هنّا » المشددة - أسماء إشارة للزمان ، فت نصب على الظرفية
الزمانية ؛ مثل قول الشاعر :

وإذا الأمورُ تشابهت وتعاظمتُ فهناك يعرفون أين المفرعُ
أى : في وقت تشابه الأمور^(٢) . وكقوله تعالى عن المشركين^(٣) : « يوم
نحشرهم . . . » ، إلى أن قال : « هنالك تبسّو كل نفس ما أسلفت » ،
أى : في يوم حشرهم .
وكقول الشاعر :

حسنت نَوَارُ ولات هنّا حنّت وبدا الذى كانت نَوَارُ أجنت
أى : ولات في هذا الوقت حنين ؛ لأن « لات » مختصة بالدخول على ما يدل على
الزمن^(٤) .

(ج) يطلق النحاة على أسماء الإشارة وأسماء الموصول اسماً خاصاً ؛ هو
« المبتهمات » ، لوقوعها على كل شيء ؛ من حيوان ، أو نبات ، أو جماد ،

(١) في ص ٣٢٨ .

(٢) لأن الظرف : « هنا » داخل في جواب « إذا » الشرطية ، التى هي ظرف لما يستقبل من
الزمان .

(٣) في سورة : يونس ، ورقم الآية ٢٨ ، وما بعدها .

(٤) « لات » في الشاهد : مهملّة ، لا تعمل عمل « لا » . بسبب تقديم الخبر وهو : « هنّا » .
ولا يصح أن تكون : « هنا » اسمها ؛ لأنها ظرف غير متصرف - كما سبق في ص ٣٢٨ - ولا تخرج
عن الظرفية إلا لشبهها ، وهو هنا الجر بالحرف « من » أو : « إلى » . . . فلا تكون اسماً لناسخ ،
ولا غير ذلك ، ولأنها معرفة ، و « لات » لا عمل لها في المعرفة . (وما يلاحظ أن خروج : « هنا »
عن الظرفية قد يكون إلى الجر بالحرف « إلى » وهذا لا يكون في غيرها ، وغير « ثم » ، و « أين » ومثلها :
« متى » لكن هذا الظرف قد يجر بالحرف : « حتى » أيضاً - دون بقية الظروف غير المتصرفة ؛
فإنها - غالباً - لا تخرج إلى الجر بهذا الحرف كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٣٣٥) .
وسيجىء الكلام على هذا الشاهد في « هـ » من ص ٦٠٤ عند الكلام على « لات » .

... ..

 وعدم دلالتها على شيء معين ، مفصّل ، مستقل ، إلا بأمر خارج عن لفظها ؛
 فالموصول لا يزول إبهامه إلا بالصلة ، نحو : رجع الذي غاب ، - كما سيجيء ^(١) - .
 واسم الإشارة لا يزول إبهامه إلا بما يصاحب لفظه من إشارة حسية - كما عرفنا ^(٢) -
 ولذلك يكثر بعده مجيء النعت ، أو : البدل ، أو عطف البيان ؛ لإزالة إبهامه ،
 ومنع اللبس عنه ؛ تقول : جاء هذا الفاضل . جاء هذا الرجل ^(٣) ...

(١) في رقم ٣ من هامش ص ٣٤٠ .
 (٢) في ص ٣٢١ .
 (٣) إذا كان ما بعد اسم الإشارة مشتقاً فأعرابه نعتاً هو الأفضل . أما إذا كان جامداً فالأفضل
 إعرابه بدلاً ، أو : عطف بيان - كما سيجيء في بابهما ج ٣ - كل ذلك ما لم يوجد مانع .

المسألة ٢٦ :

الموصول

الموصول قسمان : اسمي ، وحرقي . وسنبداً بالأول^(١) .
تعريفه : نُقَدِّمُ له بالأُمثلة الآتية :

- (أ) فرح الذي سمعت الذي أصغيت إلى الذي . . .
(ب) فرح الذي (حضر والده) - سمعت الذي (صوته مرتفع) -
أصغيت إلى الذي (فوق المنبر . . . أو : الذي في الغرفة . . .)
(ج) وقفت التي احترمت التي لم أشهد التي . . .
(د) وقفت التي (تخطب) - احترمت التي (خطبته رائعة) - لم أشهد
التي (أمام المدياع . . . أو : التي بالحجرة . . .) .

في كل جملة من جمل القسم الأول : « أ » كلمة : « الذي » ، فما معناها ؟
وما المراد منها ؟ .

لأنها اسم مسماه ومدلوله غير واضح ، فلا ندري أهو : سعد ، أم علي ،
أم ، سمير ، أم غيرهم من الرجال ؟ ولا نعرف أهو حيوان آخر ؟ أم نبات ،
أم جماد ؟ ، وما عسى أن يكون بين أفراد الحيوان ، أو النبات ، أو الجماد ؟
إذاً هو اسم « غامض المعنى »^(٢) ، مبهم^(٣) الدلالة . ولهذا الغموض والإبهام
أثرهما في غموض المعنى الكلي للجملة ولإبهامه .

(١) لأنه أحد المعارف التي نحن بصدددها . أما الثاني فحرف ؛ لا دخل له بالمعارف ، فليس
بمجال الكلام عليه هنا . ولكنه يذكر للنسبة بينه وبين الأول . وسيجيء في ص ٥٧ ؛ بسط الكلام عليه .
(٢) خفي المعنى .

(٣) أشرنا في ص ٣٢ وهامشها إلى أن المراد بالمبهم في باب الموصولات هو : المُجْمَل الذي
لا تفصيل فيه ولا استقلال ، ولا تعيين ، ولا تحديد . (كما في حاشية التصريح) وقد سبق في « ج » من
ص ٢٣٨ أن أسماء الإشارة تسمى هي والموصولات : « الأسماء المبهمة » ، وأوضحنا هناك
سبب التسمية ، وأنه وقعها على كل شيء ؛ من الحيوان ، أو النبات ، أو الجماد ، من غير تعيين وتفصيل
لذلك الشيء إلا بأمر خارج عن لفظها . جاء في المفصل (ج ص ٨٦) ما ملخصه :

(إنه حين يقال بين المعارف أسماء مبهمة فالمراد بها ضربان فقط ؛ (أسماء الإشارة ، والموصولات) - كما
أوضحنا في رقم ٣ من هامش ص ٢٥٥ - والفرق بين المفسر والمبهم أن ضمير الغائب يُبين بما قبله في الغالب
(وهو الاسم الظاهر الذي يمد عليه المفسر ؛ نحو قولك : محمد مرت به) - والمبهم الذي هو اسم الإشارة -

لكن حين أتينا بعد ذلك الاسم « الغامض المبهم » بجملة (اسمية، أو فعلية) تشتمل على ضمير يعود عليه ، أو شبه جملة^(١) - رأينا المعنى قد اتضح ، وزال الغموض والإبهام عنه وعن الجملة كلها ، كما في القسم الثاني : « ب » .

وكذلك الشأن في قسم : « ج » حيث اشتملت كل جملة فيه على اسم « غامض مبهم » هو : « التي » ؛ وقد امتد الغموض والإبهام منه إلى المعنى الكلي للجملة ؛ فصار غامضاً مبهماً . لكن هذا العيب اختفى حين أتينا بعد ذلك الاسم : (التي) بجملة مشتملة على ضمير يعود عليه ، أو شبه جملة ؛ فزال عنه الغموض والإبهام أولاً ، وعن الجملة كلها تبعاً له ، كما في القسم « د » .

فكلمة « الذي » و « التي » وأشباههما تسمى : « اسم موصول » . وهو : (اسم غامض مبهم يحتاج دائماً^(١) في تعيين مدلوله ، وإيضاح المراد منه - إلى أحد شيئين بعده ؛ إما : جملة وإما شبهها^(٢) ، وكلاهما يسمى : « صلة الموصول »^(٣))

= يفسر بما بعده ، وهو : الجنس . كقولك : هذا الرجل ، وهذا الثوب ، ونحوه . والمعنى بالإبهام : وقوعها على كل شيء من حيوان ، ونبات ، وجماد ، وغيرها ، ولا تخص مسمى دون مسمى . هذا معنى الإبهام فيها ، لا أن المراد به التنكير ؛ ألا ترى أن هذه الأسماء معارف ؛ لما ذكرناه .

« والقسم الثاني من المبهات هو : اسم الموصول ؛ كالذي ، والتي ، ومن ، وما ... وكلها معارف بصلاتها ؛ فبينما بما بعدها أيضاً . إلا أن أسماء الإشارة تبين باسم الجنس . والموصولات تبين بالجمل بعدها : - أو : أشباه الجمل - . والذي يدل على أنها معارف أنه يتمتع بدخول علامة التنكرة عليها ؛ وهي : « رُب » ، وأنها توصف بالمعارف ؛ نحو : جانف الذي عندك العاقل ، وتقع أيضاً وصفاً للمعارف ؛ نحو : جانف الرجل الذي عندك . وكلها مبهمة ؛ لأنها لا تخص مسمى دون مسمى كما كانت أسماء الإشارة كذلك ...) ١ . هـ . باختصار .

والاسم المبهم كما أوضحناه هنا - يختلف عن « اسم الزمان المبهم » الذي يحىء لإيضاحه في مكانه المناسب من الأجزاء التالية ، (ومنها ج ٢ ص ٢٣٩ م ٧٨ ، وص ٢٧٩ م ٧٩) ، وكذلك يختلف عن المنادى المبهم . والمراد به نداء « أى » و « أية » و « اسم الإشارة - كما سيجىء في باب المنادى ج ٤ .

(١٠١) فتخرج - مثلاً - التنكرة الموصوفة بجملة ؛ نحو : « واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله » ؛ لأن حاجتها إلى الجملة ليست دائمة ؛ وإنما هي مؤقتة بمدة وصفها فقط ، لا في سائر أحوالها .

(٢) شبه الجملة هو : الظرف والجار مع مجروره . وهنا نوع خاص آخر سيجىء (في ص ٣٨٤ وما بعدها ، ولا سيما ص ٣٨٦) هو « الصفة الصريحة » وتكون صلة « أل » الموصولة . ولا تكون صلة لغيرها . ولا تدخل في شبه الجملة إلا في هذه الصورة - انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٥٧ - .

(٣) وهذه الجملة أو ما يقدّم مقامها توصل به ؛ ولذلك سمي موصولاً ؛ فهو موصول بها ، أو : هي موصولة به ، وصحيت لهذا : « صلة » وبها تعرف الموصولات الاسمية .

ولا بد في الجملة من ضمير يعود على اسم الموصول ، أو ما يغنى عن الضمير ،
 — طبقاً للبيان الخاص بالصلة^(١) — وهذه الصلة هي التي تفيد الموصول الاسمي
 التعريف .

* * *

ألفاظ الموصول الاسمي :

ألفاظه قسمان : مختص ، وعام (ويسمى العام : مشتركاً) .

فالمختص : ما كان نصاً في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض ، مقصوراً
 عليه وحده ؛ فلنوع المفرد المذكور ألفاظ خاصة به ، ولنوع المفردة المؤنثة ألفاظ
 خاصة بها ، وكذلك للمثنى بنوعيه ، وللجمع بنوعيه .

والعام أو المشترك : ما ليس نصاً في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض ،
 أى : ليس مقصوراً على بعضها ؛ وإنما يصلح للأنواع كلها .

وأشهر الألفاظ الخاصة ثمانية ، موزعة على الأنواع الآتية :

اللفظ المختص :	النوع الذي يستعمل فيه :
١ - اللَّذِي ^(١)	ويختص بالمفرد المذكر ^(٢) ؛ سواء أكان عاقلاً ، أم غير عاقل ؛ تقول : الذي كتب الرسالة منشىً - الذي يتلألأ في السماء نجم . وكلمة : « الذي » مبنية على السكون دائماً في كل أحوالها . غير أنها تكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة . وتختص بالمفردة المؤنثة ، عاقلة كانت أم غير عاقلة ؛ تقول : التي رسمت الصورة بارعة - التي أنارت الكون شمس كبيرة ^(٣)
٢ - الَّتِي ^(١)	وكلمة « التي » مبنية على السكون دائماً في كل أحوالها ؛ وتكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة . ويختص بالثنائي المذكر ؛ عاقلاً أو غير عاقل . ففي حالة الرفع نحذف الياء من الاسم المفرد وهو : « الذي » ونجىء بعلامتي التنثية (الألف والنون المكسورة) . وفي حالة النصب والجر نحذف الياء أيضاً من ذلك المفرد ، ونجىء بعلامتي التنثية ؛ - وهي : الياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة بعدها - ؛ نحو : نجا اللذان استعدا .
٣ - اللَّذَانِ وَاللَّذَيْنِ	

(١ و ١) تقضى قواعد « الإملاء » الشائعة حتى اليوم أن تكتب بلام واحدة وتحذف الثانية ؛
لأن كثرة الاستعمال لا تجعل القارئ يشبه في حقيقتها

(٢) ورد في الفصح استعمال « الذي » مفرداً في لفظه ، جمعاً في معناه ، بشرط أمن اللبس
كقوله تعالى في المنافقين : (مثلهم كشمل الذي استوفد ناراً ، فلماً أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ،
وتركهم في ظلمات لا يبصرون ...) ، فالضائر العائدة على « الذي » ضائر جمع . وكقوله تعالى :
(والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ، بضمير الجمع أيضاً - .

(٣) ورد في الفصح استعمال « التي » مفردة في لفظها ، جمعاً في معناها ؛ فقد قرأ بعض القراء آية
سورة النساء ، وهي قوله تعالى في بيان المحرمات : (... وأماكنكم التي أرضعنكم ...) مكان : « اللاتي
أرضعنكم » في القراءة المشهورة . قال أبو الفتح ابن جني في كتابه : « المختص » في تبيين القراءات الشاذة
(ج ١ ص ١٨٥ سورة النساء) ما نصه :

(ينبغي أن تكون « التي » هنا جنساً ؛ فيعود الضمير على معناه دون لفظه ، كما قال سبحانه :
و « الذي جاء بالصدق وصدق به ... » ثم قال بعد : « أولئك هم المتقون » ، - وهذه الآية من سورة
الزمر ، ونصها : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » - فهذا على مذهب الجنسية ؛ كقولك : =
النحو الواقي - أول

اللفظ المختص :	النوع الذي يستعمل فيه :
	<p>عاونت اللّذين استعدا ، قصدت إلى اللّذين استعدا . ونحو : العلم والمال هما اللذان يَسْبِيانِ الأُمم — إن اللّذين شاهدتهما صديقان كَرِيمان — بادرت إلى اللّذين شاهدتهما .</p> <p>والأحسن أن يكون « اللذان » و « اللتان » ^(١) معربتان إعراب المثني ، وأن تكون نونهما مكسورة من غير تشديد في جميع أحوالهما ^(٢) — رفعا ونصباً وجراً .</p>

« الرجل أفضل من المرأة » وهو أمثل من أن يمتد في حذف النون من آخر « الذي » — يشير أبو الفتح إلى رأى من قال : إن الأصل هو : « الذين » حذفت من آخره النون — هـ . . .

ثم أوضح أن حذف النون وجه ، ولكن الأول أقوى . وأيده بدليل . ثم نقل قول الشاعر :

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
وقال إنه يحتمل الرأيين ، وإن الأول أقوى . (فلج : اسم بلد بين البصرة واليمامة) .

يق أن أسأل : كيف يصح القول بأن كلمة « الذي » هنا محذوفة النون ، وأن أصلها : « الذين » للجمع ، مع أن بعض الضمائر المائدة عليها هي للمفرد ؟ كما أسأل عن الداعي إلى التأويل والحذف والتقدير مع صحة إعراب التي — وهي للمفردة — نعماً لكلمة « أمهات » وهي جمع مؤنث سالم للمقلاء . وهذا النعت صحيح ، طبقاً للتحقيق الأكمل المعروض في باب : « النعت » — ج ٣ م ١١٤ ص ٤٣ عند الكلام على حكم النعت الحقيقي ، ومطابقته للمنعوت أو عدم مطابقته ؟

(١) كلتاها تكتب بلامين .

(٢) هذا هو الأشهر الذي يحسن الاختصار عليه . ويجوز أن تكون مكسورة أيضاً مع التشديد ، ولكنها في حالة النصب والبحر تقتضي فتح الياء قبلها ؛ تقول : « اللذان ؛ اللّذين » ... فتكون في التشديد وعدمه كنون « ذان » و « ثان » اسمي الإشارة حيث يصح فيها الإعران كما أسلفنا . — في رقم ٣ من هامش ص ٣٢٣ — تقول في حالة الرفع : ذان — ثان — أو : ذان — ثان . وفي حالتَي النصب والبحر : ذَيْن وَتَيْنِ أو : ذَيْن وَتَيْنِ . فالنون في كل الأمثلة السابقة — من انتهاء الإشارة والموصول — صالحة للتشديد وعدمه ، لكنها عند النصب والبحر تستلزم عند التشديد فتح الياء قبلها .

وإلى ما سبق يشير ابن مالك :

مَوْصُولُ الْأَسْمَاءِ : الَّذِي ، الْأُنْثَى : الَّتِي
بَلْ مَا تَلِيهِ أَوَّلِهِ الْعَلَامَةُ
وَالنُّونُ مِنْ ذَيْن وَتَيْنِ شُدُّدًا
وَالْيَا إِذَا مَائِنًا لَا تُثَبِّتُ
وَالنُّونُ إِنْ تَشَدَّدَ فَلَا مَلَامَةَ
أَيْضًا وَتَعْوِضُ بِذَلِكَ قَصْدًا

يقول : ألقاظ الموصول الاسمي هي : « الذي » . ولم يذكر أنها للمفرد المذكر ، مكتفياً بالمقابلة التالية ؛ حيث يقول : إن الأنثى (أي : المفردة) لها : « التي » . ثم أوضح أن الياء في كلمتي : « الذي » —

اللفظ المختص :	النوع الذى يستعمل فيه :
٤ - اللَّتَّانِ - اللَّتَّيْنِ	ويختص بالثنى المؤنث ؛ عاقلاً ؛ وغير عاقل . وينطبق عليه كل ما سبق فى : « اللذان » ؛ من حيث حذف ياء المفرد ، وزيادة علامتى التثنية ، وإعرابه لإعراب المثنى ، ومن حيث تشديد النون وعدم تشديدها ؛ تقول : اللتان تحسنان عملهما تفوزان - أعرف اللتين فازتا - أكبرت شأن اللتين فازتا ... للعقلاء من جمعى المذكر والمؤنث ، تقول : سرنى الألتى هاجروا فى طلب العلم . أو الألاء ... وراقنتى « الألتى » ، خدمنن بلادهن بإخلاص ... أو : الألاء .
٥ - الألتى ^(١) مقصورة ، أو : الألاء ، ممدودة	ومن أمثلتها لجمع المذكر قول الشاعر يمدح : هم الألتى وهبوا للمجد أنفسهم فما يبالون ما لا أقسوا إذا حمّدوا ... والألتى بالقصر مبنية على السكون . أما الممدودة فمبنية على الكسر ، وكلاهما فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب الجملة . للىجمع المذكر العاقل ؛ تقول : الذين ينقادون للغضب يلاقون شر العواقب .
٦ - اللّذين ^(٢)	

= و « التى » لا تشبث ، أى : لا تبقى عند تثنيتهما فتحذف ، ويحذف بعد الحرف الذى وليته - أى : جاءت بعده - علامتا التثنية ؛ وهما الألف والنون رفعا ، أو الياء والنون نصبا وجرا . وصرح بأن تشديد النون فى التثنية لا لوم فيه ، وكذلك تشديد النون فى « ذين » و « تين » اسمى إشارة جائز أيضا - كما سبق - فى رقم ٣ من من هامش ص ٣٢٣ - وأن التشديد فى هذه النونات كلها هو تعويض عن الياء التى حذفت من غير داع لأجل التثنية . وهذا تعليل يجب إهماله . لأن العلة الصحيحة هى استعمال العرب ليس غير .

(١) من الواضح أن : « الألتى » اسم جمع (وهو) ما يدل على معنى الجمع ، وليس له مفرد من لفظه ومنعاه معاً ... انظر رقم ٢ من هامش ص ١٤٨) وليست جمعاً ، إذ لا ينطبق عليها شروطه . وتكتب بغير واو بعد الهزة . بخلاف « ألتى » . اسم إشارة ؛ فإن الواو تلزمها بعد الهزة - كما فى هامش ص ٣٢٤ - وقد سبق القول : - (فى رقم ٥ من هامش ص ١٨٨ ورقم ١ من هامش ص ٣٢٤ وكذا رقم ١ من ص ٥٥٨ م ١٧٠ ج ٤) ، أن النحاة لا يطلقون « المقصور والممدود » إلا على الأسماء المعربة وحدها من هذين النوعين . أما اللغويون والصرفيون فيطلقونها على المعرب وعلى المبنى مبهما . وبرأهم جرى التعبير هنا ، وفى اسم الإشارة أيضاً .

(٢) ليست جمع مذكر ، لأنها لا تنطبق عليها شروطه ، فهى ملحقة به ، وتكتب بلام واحدة .

النوع الذى يستعمل فيه :	اللفظ المختص :
<p>والمشهور أن كلمة : « الذين » لا تتغير حالتها رفعاً ، ولا نصباً ، ولا جرّاً ؛ لأنها اسم مبنى على الفتح دائماً فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة . وهذا رأى وحده هو الأولى بالاتباع^(١) .</p> <p>وتختص بجمع المؤنث للعاقلة وغير العاقلة ، تقول : اللات سبقتن فى الميدان العملى كثيرات ، ومنهم اللات أشتهرن بالاختراع ... - أو اللاتي أو : اللاتي - امتلاء البحر بالسفن اللات تشقه طولا وعرضا ، وهى محملة بالبضائع المتنوعة اللات تنتقل بين أطراف المعمورة ... أو : اللاتي أو : اللاتي^(٢) . (واللات واللات مبنيتان على الكسر . أما اللاتي واللاتي فمبنيتان على السكون) . والأربعة فى محل رفع ، أو : نصب ، أو : جر ، على حسب موقعها من الجملة</p>	<p>٨،٧ - اللات ، أو : اللاتي . واللات ، أو : اللاتي</p>

(١) يحسن إهمال الرأى الآخر الذى يعمرها بالحرف إعراب جمع المذكر فى كل حالاتها ؛ فرفعها بالواو والنون (اللذين) . وينصبها ويجرها بالياء والنون (الذين) ؛ فيقول : ندّم اللذين أهلكوا - ورأيت الذين انتصروا يسخرون من الذين انهزموا . وقيل إنها مبنية على الواو والياء فى تلك الحالات وليست معربة (كما فى رقم ١ من هامش ص ٣٧١) .

(٢) وإلى ما سبق فى (٤) و (٥) و (٦) يقول ابن مالك :

جَمْعُ الَّذِينَ : « الْأَلْي » ، « الَّذِينَ » مطلقاً وبعضهم بالواو رفعاً نطقاً
يريد : أن كلمة « الذى » تجمع جمعاً لغوياً - وهو الذى يدل على مطلق التعدد ، ولو لم تنطبق عليه شروط الجمع النحوية - على « أَلْي » ، وعلى « الذين » . فلفظ « الذى » يستعمل المفرد المذكر ، ويقابل هذا المفرد المذكر جمع المذكر ، وله كلمتان : « الألى » و « الذين » ولم يتعرض لتفصيل ما يختص به كل اسم منهما ، واكتفى بأنهما للجمع . وزاد أن « الذين » للجمع مطلقاً أى : فى جميع حالاتها من الرفع ، والنصب ، والجر ، وأن بعض العرب يحمله كجمع المذكر السالم ؛ فيأتى فيه بالواو رفعاً ، ويعمرها فى هذه الحالة ، وكذلك فى حالتى النصب والجر ، وعلامتهما موجودتان وهى الياء والنون . وقيل إنها مبنية على الواو والياء فى الحالات الثلاث ، كما شرحنا .

ويقول ابن مالك مشيراً ؛ إلى ما مر فى ٧ و ٨ :

بِاللَّاتِ وَاللَّاءِ : « الَّتِي » قد جُمعا واللات كالَّذِينَ نَزَرًا وقعا

أى : أن « الَّتِي » - وهى اسم موصول للمفردة المؤنثة - تجمع على « اللات » ، « واللاء » جمعاً لغوياً يدل على مجرد التعدد - كما سبق - ، لا جمعاً نحوياً ، إذ أنها ليست مستوفية لشروط الجمع النحوى . فإذا كانت كلمة : « الَّتِي » للمفردة المؤنثة فالذى يقابلها ويحل محلها فى جمع المؤنث هو : =

وإلى هنا انتهى الكلام على المشهور من الموصولات المختصة الثمانية ، ويلاحظ أن كل واحد منها مبدوء « بآل » الزائدة لزوماً ؛ فلا يمكن الاستغناء عنها^(١) ، وأن هذه الموصولات الاسمية الثمانية مبنية ما عدا ألفاظ الثنية ؛ فيحسن إعرابها .

أما ألفاظ القسم العام (وهو المشترك) فأشهرها : ستة أسماء ، لا يقتصر واحد منها على نوع مما سبق في القسم الخاص ؛ وإنما يصلح لجميع الأقسام من غير أن تتغير صيغته اللفظية^(٢) . فكل اسم من الموصولات المشتركة ثابت على صورته ، لا يتغير مهما تغيرت الأنواع التي يدل عليها ؛ لأنه مبنى ، وبناءؤه على السكون ، إلا لفظه : « أى » فإنها قد تبني ، وقد تعرب ، — كما سيجيء^(٣) .

ولما كان كل اسم من هذه الأسماء المشتركة صالحاً للأنواع المختلفة كان الذى يوضح مدلوله ويميز نوع المدلول هو ما يجيء بعده من الضمير ، أو غيره من القرائن التي تُعَيِّنُه ، وتزيل أثر الاشتراك^(٤) .

= « اللات » و « اللاه » . ولم يذكر أنهما بالياء في آخرهما وبغير الياء أيضاً . ثم بين أن كلمة : « اللاه » قد تستعمل — قليلاً — للعقلاء مكان كلمة : « الذين » وتحل محلها لجمع المذكر من الناس ، فتقول : جاء اللاه زرعوا الحقل ؛ أى : الذين .

(١) في الأشهر الأنصح . ويقول شارح المفصل : (ج ١ ص ٤١٣) ما نصه : — باختصار قليل — (...) إذا ثبت أن : « آل » لا تفيد هنا — في باب اسم الموصول — التعريف كان زيادتها لضرب من إصلاح اللفظ ؛ وذلك أن : « الذى » وأخواته مما فيه « آل » إنما دخل توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل ، وذلك أن الجمل نكرات ، ألا ترى أنها تجري أوصافاً على النكرات ، نحو قولك : مررت برجل أبوه زيد ، ونظرت إلى غلام قام أخوه ، وصفة النكرة نكرة . فلما كانت تجري أوصافاً على النكرات لتتكررها أرادوا أن تكون في المعارف مثل ذلك ؛ فلم يَسْعُ أن تقول : مررت بزيد أخوه كريم ، وأنت تريد النعت لزيد لأنه قد ثبت أن الجمل نكرات ، والنكرة لا تكون وصفاً للمعرفة . ولم يمكن إدخال « آل » التي للتعريف على الجملة ، لأن « آل » هذه من خواص الأسماء ، والجملة لا تختص بالأسماء إلا أن لفظ « الذى » قبل دخول « آل » لم يكن على لفظ أوصاف المعارف فزادوا في أوله « آل » ليحصل لهم بذلك لفظ المعرفة الذى قصدوه ، فيتطابق اللفظ والمعنى (...) اهـ . وقد سبقَت الإشارة العابرة لبعض ما سبق في هامش ص ١١٠ . وكل ما تقدم خيال محض يحسن إهماله ؛ إذ لا يعرف العرب الأصل عنه شيئاً . أما التعليل الحق فهو كلام العرب وحده .

(٢) أى : مادته المكونة من الحروف وضبطها . . . (٣) في ص ٣٦٣ .

(٤) سيجيء توضيح هذا وتفصيله عند الكلام على صلة الموصول ، والرباط ص ٣٧٣ م ٢٧ .

وإليك الألفاظ الستة ، ونواحى استعمالها :

(١) مَنْ ^(١) : أكثر استعمالها فى العقلاء ، نحو : خير إخوانك من واساك ، وخَيْرٌ منه مَنْ كَفَّكَ شَرَّهُ . وقول الشاعر :

ولا خيرَ فيمن لا يُوطِّنَ نفسهُ على نائبات الدهر حين تنوبُ
وتكون للمفرد بنوعيه ، والمثنى والجمع بنوعيهما : تقول : غاب من كتب ، ومن كُتِبَ - ومن كُتِبَا ، ومن كُتِبَتَا ، ومن كتبوا ، ومن كتبُن .

وقد تستعمل فى غير العقلاء فى الأحوال الآتية :

(١) أن يكون الكلام فى شيء له أنواع متعددة ، مُفَصَّلة بكلمة : « مَنْ » .
وفى تلك الأنواع العاقل وغيره ، مثل : الحيوانات كثيرة مختلفة ؛ فيها من ينطق بفصيح الكلام ؛ كالإنسان ، ومن يغرد بصوت عذب ؛ كالبلبل ، ومن يصيح بصوت منكر ؛ كالبومة ... ومن الأمثلة قوله تعالى ^(٢) (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ، فَنهَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ...) .

(ب) أن يقع ^(٣) مِنْ غير العاقل أمر لا يكون إلا من العقلاء ، فعندئذ نشبه بهم ، وننزله منزلتهم ^(٤) فى استعمال : « مَنْ » ؛ كأن تسمع البلبل يشدو بلحن شَجِيٍّ واضح التنغيم . فتقول : أطربنى « مَنْ » يغنى فى عشه بأطيب الأناشيد . وكأن ترى القمر يشرف عليك كإنسان ينظر إليك : فتقول : إن من يُطِلّ علينا من برجه العالى بين الكواكب والنجوم يصغى إلى مناجاتى وهمسى ... وكالغريب الذى يقول للطيور المتناسقة المسافرة : هل فيكن من يحمل سلامى إلى أهلى ونحلاًنى ... ؟

(ح) أن يكون مضمون الكلام متجهاً إلى شيء يشمل العاقل وغيره ، ولكنك تراعى أهمية العاقل ؛ فتغلبه على سواه . مثل : أيها الكون العجيب ، مَنْ فيك ينكر قدرة الله الحكيم ؟ .

(١) يتردد ذكرها أحياناً فى اصطلاح النحاة باسم : « من المعرفة الناقصة » (لاحتياجها لزوماً إلى الصلة التى تضم معناها .) ، يريدون : « من » التى هى اسم موصول . وشملها : « ما » الموصولة ؛ حيث يطلق عليها اسم . - ما « المعرفة الناقصة » ، - كما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٥١ - .

(٢) فى سورة النور . (٣) ولو تخيلنا منا ، وتزِيلنا له منزلة الذى يحصل

(٤) لبيان ذلك : أنه متى نسب إلى غير العاقل شيء لا ينسب (نفيًا أو إثباتًا) إلا إلى العاقل أجرينا عليه حكمه من غير نظر لرأى المتكلم ، أو المخاطب ، أو غيرهما .

زيادة وتفصيل:

كلمة : « مَنْ » - سواء أكانت موصولة أم غير موصولة - إحدى الكلمات التي لفظها مفرد مذكر ، ولكن معناها قد يخالف لفظها ، ولهذا يصح أن يعود الضمير عليها مفرداً مذكراً^(١) ، مراعاة للفظها - وهو الأكثر^(٢) - . ويجوز فيه مراعاة المعنى المراد ، وهو كثير^(٣) ؛ فمن الأول قوله تعالى في المشركين : (ومنهم

(١) سبقت مواضع « التتابق بين الضمير ومرجعه » في « ح » من ص ٢٦٢ ، و ٢٦٨ وتجنّب لها بقية في ص ٤٥٢ وما بعدها .

وإذا كانت « من » موصولة ومعناها هو المفرد المذكر ، فهي مثل : « الذي » (ص ٣٤٣) إلا أن « من » لا تكون - في أحد الآراء القوية - صفة ، ولا موصوفة ؛ بخلاف « الذي » ؛ تقول : رجع الطائر الذي هاجر ، وجاء الذي رجل الظريف ، فتقع كلمة : « الذي » صفة وموصوفة ؛ بخلاف « من » في ذلك الرأي المخالف - (راجعه في رقم ٤ من ص ٣٥٢ وما يتصل به في رقم ٤ من هامش ص ٣٧٦) . (٢) (كما سبقت الإشارة في رقم ١ من هامش ص ١٢٥ وفي رقم ٨ من ص ٢٦٦) . وإنما يكون الأكثر في الضمير مراعاة لفظها في غير الحالات الآتية - : وسيشار إلى بعضها في رقم ٤ من هامش ص ٣٧٦ - :

١ - أن يحصل لبس من مراعاة لفظها ؛ نحو : أعط من سألتك ؛ فلا يجوز من سألك إذا كان المراد أنثى .

ب - أن يكون في مراعاة اللفظ وقوع في قبح ؛ نحو : من هي حمراء خادمك . بمعنى : « من هي حمراء - هي خادمك » فيجب مراعاة المعنى ؛ فلا يقال : من هو حمراء جاريتك ؛ لكيلا تكون كلمة : « حمراء » المؤنثة خبراً عن الضمير المذكر .

وكذلك العكس في نحو : من هو أحمر « جاريتك » ؛ فلا يقال : من هي أحمر جاريتك ؛ ليكلا يكون الخبر (وهو كلمة أحمر) مذكراً ، وللمبتدأ الضمير مؤنثاً .

وكذلك لا يجوز : من - هو أحمر - جاريتك ؛ لأن المبتدأ والخبر ؛ (هو أحمر) متطابقان في التذكير وهما صلة الموصول . ولكن اسم الموصول (من) مفرد مذكر ، وخبره « جارية » مؤنث . ولا مانع من هذا . لولا أن الموصول مع صلته كالشيء الواحد ، والصلة هنا متطابقة في التذكير لكن خبر الموصول مؤنث وهو بمنزلة الخبر عن الصلة ؛ فيقع التخالف الممنوع ؛ فكأنك أخبرت عن المذكر بمؤنث .

وقد يراعى المعنى كثيراً بعد مراعاة اللفظ ؛ نحو قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين) .

وقد يراعى اللفظ ، ثم المعنى ، ثم اللفظ ؛ نحو قوله تعالى : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزواً ، أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا وتلى =

.....
.....

من يؤمن^١ به^(١) ، ومنهم من لا يؤمن به .
ففاعل « يؤمن » مفرد مذكر ؛ مراعاة للفظ « من » .

ومن الثاني قوله تعالى فيهم : (ومنهم من يستمعون إليك) وقول الفرزدق
يخاطب الذئب :

تعال ، فإن عاهدتني لا تخونني نَكُنْ مثلَ من - يا ذئبُ - يصطحبانِ
فالفاعل في الآية واو الجماعة ، وفي البيت ألف الاثنين وكلاهما ضمير عائذ
إلى « من » مراعاة لمعناها :

وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : (بَلَّغْ من أَسْلَمَ وجهَهُ لله وهو
مُحْسِنٌ ، فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ) . فالضماير في الشطر الأول من الآية مفردة مذكورة ؛ مراعاة للفظ :
« من » . بخلافها في الشطر الثاني فإنها للجمع ؛ مراعاة لمعنى : « من »

ومثل قوله يخاطب زوجات الرسول عليه السلام تعالى : (وَمَنْ يَقْنُتْ
مِنْكُمْ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ . . .) .

ففاعل الفعل : « يقنت » ؛ ضمير مفرد ، مذكر ؛ مراعاة للفظ : « من »
أما الضماير بعده فللجمع المؤنث ، أو للمفردة ؛ مراعاة لمعنى : « من » .

= مستكبراً كان لم يسمعا ، كان في أذنيه وقمراً . فبشره بعذاب أليم) - وتستجىء الإشارة لهذا في رقم ١

من هامش ص ٣٧٧ .

أما مراعاة المعنى أولاً ، ثم اللفظ فالأفضل اجتنابه .

(١) بالقرآن .

٢- « ما ^(١) » وأكثر استعمالها في غير العاقل ، وتكون للمفرد بنوعيه ،
والثنائي والجمع بنوعيهما ^(٢) ؛ تقول : أعجبنى ما أضاء - ... ما أضاءت - ...
ما أضاءا - ... ما أضاءتا - ... راقني ما هاجروا - ... ما هاجرنا . وقد
تكون للعاقل في مواضع :

(أ) إذا اختلط العاقل بغيره ، وقصِد تغليب غير العاقل لكثرة : نحو
قوله تعالى : (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » . وقول الشاعر :
إذا لم أجِدْ في بلدة ما أريدُه فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ
(ب) أن يلاحظ في التعبير أمرانِ مقترنان ؛ هما : ذات العاقل ، وبعض
صفاته ، معاً ؛ نحو : أكرم ما شئت من المجاهدين والأحرار ، فكأنك تقول :
أكرم من الرجال من كانت ذاته موصوفة بالجهاد ، أو بالحرية ؛ فأنت تريد بتعبيرك
أمرين مجتمعين : الذات ، ووصفاً آخر معها ، ولا تريد أحدهما وحده .
ومثل : صاحب ما تريد من الطلاب ؛ العالم ، والمخلص ، والصالح . تريد أن
تقول : صاحب من كانت ذاته موصوفة بالعلم ، ومن كانت ذاته موصوفة
بالإخلاص ، ومن كانت ذاته موصوفة بالصلاح . فالمقصود أمران مجتمعان هما :
الذات ، ومعها شيء آخر من الأوصاف الطارئة عليها .

(ح) المبهم أمره ؛ كأن ترى من بُعد شبحاً لا تدري أهو إنسان أم غير
إنسان ؛ فتقول : ما ذاك ؟ أو : إني لا أتبين ما أراه ، أو لا أدرك حقيقة ما أراه ...
وكذلك لو علمت أنه إنسان ، ولكنك لا تدري أموث هو أم مذكر ؟ . ومنه قوله
تعالى على لسان مريم : (إني نَسَاوْتُكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي » ...

(١) قد يتردد ذكرها في اصطلاح النحاة أحياناً باسم : « ما المعرفة الناقصة » (لاحتياجها
لزوماً إلى الصلة التي تتم معناها) ؛ يريدون التي هي اسم موصول . كما يطلق على « من » الموصولة اسم :
« المعرفة الناقصة » ، أيضاً - كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٣٤٨ - . وهي غير « ما » التي تعد
حرف موصول (انظر « د » ص ٤١١ ورقم ٣ من هامشها .

(٢) لما كانت « ما » إحدى الموصولات المشتركة التي لفظها مفرد مذكر ، ومعناها قد يكون غير
ذلك ، جاز في التفسير العائد إليها أن يكون مطابقاً لفظها أو لمعناها ، كالذي سبق في - من « الموصولة ،
وغير الموصولة - ص ٣٤٩ - وقد سبق بيان لهذا في ص ٢٦٦ . فكلمة : « ما » - موصولة وغير موصولة -
مثلها ؛ كالمتبادر من كلام الصبان .

زيادة وتفصيل :

(١) تصلح (من) و (ما) لأحد الاستمالات الخمسة الآتية بحسب ما يقتضيه المقام :

١ - اسم موصول ، مثل : قوله تعالى : (ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق) .
وقول الشاعر :

إن شرَّ الناسِ منْ يَبْسُمُ لي حينَ ألقاهُ ، وإنْ غبْتُ شَتَمَ

٢ - اسم استفهام ، مثل : ما معك من المال ؟ -
« ومنْ لك بالحرِّ الذي يحفظ اليَدَ (١) ؟ » .

٣ - اسم شرط (٢) ، مثل : منْ يعملْ سوءاً يُجْزَ به - وما تصنعُ منْ خيرٍ تجدْ جزاءه خيراً .

٤ - نكرة موصوفة ، مثل : ربُّ منْ نصحتهُ استفاد من نصحك (أى : ربَّ إنسانٍ نصحته استفاد . . .) وربُّ منْ مُعْجَبٌ بك ساعدك . ورب ما كرهته تحقق فيه نفحك (أى : رب شيء كرهته) ، ورب ما مكروه أفاد (٣) .
ويصلح لهذا قول الشاعر :

الصدقُ أرفعُ ما اعتَزَّ الرجالُ به وخيرُ ما عودَ ابنًا في الحياة أبُ
والغالب : فى : « من » إذا كانت نكرة موصوفة أن تصلح لأن يحل محلها
كلمة : « إنسان » ، ولا بد أن يقع بعدها صفة ، فإن لم يقع بعدها صفة فهي

(١) هذا شطريبت صدره : « وما قتل الأحرار كالعفو عنهم .. » - واليد : المعروف .

(٢) الفرق كبير لفظاً ومعنى بين نوعى « ما ومن » الشرطيتين والموصولتين ، فالشرطيتان الواقعتان مبتدأً تختلفان تماماً عن الموصولتين الواقعتين مبتدأً أيضاً وإيضاح هذا الفرق بين النوعين مفصل فى مكانه من باب الجواز - (ح ٤ م ١٥٤ ص ٣٢٠) وهو تفصيل هام ، موضح بالأمثلة وما جاء به : أن « الموصولتين » ليس فيهما تعليق شيء على آخر ؛ وإنما يدلان على مجرد الإخبار المطلق ، ولا يجزمان . بخلاف الشرطيتين ، فلا بد فيهما من الجزم والتعليق معاً .

(٣) والدليل على أن « من » و « ما » فى الأمثلة السابقة نكرة موصوفة أنهما مجروران برب ؛ وهى لا تجر - غالباً - إلا النكرات . وبعدها جملة ، والجملة بعد النكرة صفة .

(هذا ، ولا توصل كلمة « ما » النكرة الموصوفة بكلمة : « رب » فى الكتابة) . وانظر رأياً آخر فى رقم ١

نكرة غير موصوفة ، وتسمى : « نكرة تامة » . وتكون أيضاً -- بمعنى (١) : إنسان . . .
 كما أن الغالب في « ما » التي هي نكرة موصوفة أن تصلح لأن يحل محلها
 كلمة : « شيء » ولا بد أن يقع بعدها صفة لها . وإن لم يقع بعدها صفة فهي
 نكرة غير موصوفة ، بمعنى : شيء ، أيضاً ، وتسمى : « نكرة تامة » (١) . . .
 ٥ - نكرة تامة (أى : غير موصوفة) - وهي التي سبقت الإشارة إليها -
 مثل : رُب من زارنا اليوم . رُب ما غرّد في المساء . أى : رب إنسان زارنا ، ورب
 شيء غرّد . . . فالجملية الفعلية - في المثالين في محل رفع ، خبر .

* * *

- (ب) تخصص « ما » دون « من » بمعان أخرى ؛ منها السبعة الآتية :
- ١ - أن تكون اشتماً يفيد التعجب ؛ مثل : ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا !! .
 - ٢ - أن تكون حرفاً للنفي فيجب له الصدارة ؛ مثل : ما الخائن صديق ، أو :
 صديقاً . وقول العرب : ما ذهب من مالك ما وعظلك (٢) .
 - ٣ - أن تكون كافة ؛ (أى : حرفاً يدخل على العامل فيكفّه - بمعنى :
 يمينه - عن العمل ، ويتركه معطلاً) ، كأن تدخل على حرف جر ، أو على
 ناسخ ، أو نحوهما ، فلا يعمل ؛ مثل : ربما رجل زارنا نفعناه - ربما يود المهمل
 لو كان سباقاً . إنما الأمم الأخلاق .
 - ويجب في الكتابة وصل « رُب » بكلمة : « ما » الكافة ؛ لأن الذي يُفصل
 هو « ما » النكرة الموصوفة ؛ كما سبق (٣) .
 - ٤ - أن تكون حرفاً زائداً (٤) (أى : كلمة يمكن حذفها فلا يتأثر المعنى
 الأساسي) وتقع كثيراً بعد : « إذا » الشرطية ؛ مثل : إذا ما المسجد نادانا أجبتنا . . .
 أو بعد غيرها ، مثل : قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) ، وقوله :
 (مَا) (٥) خطيئاتهم أغرّوا . . .) .

(١٠١) وستجيء بعد هذا مباشرة في رقم ٥

(٢) « ما » الأولى نافية ، أما الأخيرة فتصلح موصولة ، ونكرة موصوفة ، والكلام مثل قديم ، يقال
 للحزين الذي أضاع ماله سدى ؛ فيتعلم بعد ذلك الحذر ، ويبالغ في الحيلة ؛ فلا يضع منه شيء
 ويحافظ على ماله . فضياع ماله بسبب إهماله كان الوسيلة الناجحة لصيانته ؛ فكأنه لم يضعه سدى .

(٣) في رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة .

(٤) لتأكيد المعنى الأساسي وتقويته . وكما تسمى « زائدة » تسمى عند بعض القدمين : « صلة » ،
 شأنها عندهم شأن غيرها من سائر الحروف والكلمات الزائدة ، حيث يطلقون على كل منها : « صلة » ؛
 لا فرق في هذه التسمية بين « ما » وغيرها من كل لفظ زائد ، اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً (وفي رقم ٣ من
 هامش ص ٣٧٣ بعض المعاني الأخرى لكلمة : « صلة ») . (٥) أى : بسبب خطيئاتهم .

.....
.....

٥ - مصدرية ظرفية (أى : تُسَبِّك مع ما بعدها بظرف ومصدر معاً^(١)) ؛
مثل : الصانع يبيع ما أجاد صناعته . أى : مدة إجادته صناعته . وقول الشاعر يفتخر :
ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
أى : مدة سيرنا .

وهي وحدها حرف محض ، ولكن المصدر المنسبك اسم يفيد أمرين : معنى
وظرفية معاً .

٦ - أن تكون مصدرية غير ظرفية (أى : تُسَبِّك مع ما بعدها بمصدر فقط) ،
مثل : كوفئ المخلصون بما أخلصوا ، أى : بإخلاصهم .

وهي وحدها حرف محض^(١) ، ولكن المصدر المنسبك اسم يفيد معنى مجرداً ، فقط .
٧ - أن تكون مُهَيَّئَةً . (وهي التى تتصل بآخر كلمة غير شرطية . فتَهَيَّئُهَا
وتُعِدُّهَا لمعنى الشرط وعمله) كدخول « ما » على « حيث » ، فى مثل : حيثما
تَصَدَّقْ تجد لك أنصاراً .

٨ - أن تكون مُغَيِّرَةٌ . . . (وهي الحرفية التى تلحق آخر أداة شرطية ؛
فتغَيِّرُهَا إلى غير الشرط ، كدخول « ما » على آخر « لو » فى مثل : « لو ما »
تُحَافِظُ عَلَى الْمِيعَادِ . فقد تغيرت « لو » بسبب : « ما » الحرفية ، وانتقلت هنا من
الشرط إلى التخصيص .

٩ - أن تقع صفة ، مثل : لأمر ما غاب القائد . فالمراد : لأمر أى أمر .
وهذه قد يُعَبَّرُ عنها : « بالإلهامية » ، ويتفرع على الإبهام ، إما الحقارة ؛ نحو :
أعْطُ فُلَانًا شَيْئًا ما . تريد شيئاً تافهاً حقيراً ، وإما التفضيم ؛ نحو : لأمر ما ،
هرب الحارس ، تريد لأمر عظيم هرب . . . وإما النوعية ؛ نحو : عاون علينا
معاونةً ما ، تريد : نوعاً من المعاونة .

ويقول بعض المحققين من النحاة : هى فى كل هذه الصور الخاصة بالصفة
ليست اسماً ، وليست صفة ؛ وإنما هى حرف زائد ؛ يُفِيدُ التَّنْبِيْهَ ؛ وتقوية المعنى ،

.....

 ويرى ترجيح هذا وأفضليته . وحجته : أنه ليس في كلامهم نكرة جامدة
 وقعت نعتاً إلا إذا كان بعدها كلمة تماثل الموصوف تماماً ؛ نحو : مررت
 برجل أى رجل ، وأكلنا فاكهة أى فاكهة . فالحكم عندهم على « ما »
 المذكورة بالاسمية واقتضاء الوصفية — حكم بما لا نظير له ؛ فيجب اجتنابه ؛
 كما يقولون .

وهذا الخلاف شكلي ، لا قيمة له . والرأيان سيّان ، في تحقيق الغرض
 فلا أهمية بعد ذلك لجعلها حرفاً زائداً — وهو الأسهل — أو اسماً يعرب صفة .

* * *

٣- ... « أل » - وتكون للعاقل وغيره^(١) مفرداً وغير مفرد ؛ نحو :
اشتهر الكاتب ، أو : الكاتبة ، أو : الكاتبان ، أو : الكاتبان ، أو الكاتبون ،
أو : الكاتبات . ولا تكون موصولة إلا إذا دخلت على صفة صريحة^(٢) ؛ فتكون

(١) ولفظها مفرد مذكر ، ولكن معناها قد يكون غير ذلك . ولا يراعى في الضمير العائد عليها إلا المعنى ؛ خوفاً من اللبس - كما سيجىء في ص ٣٧٧ - .

(٢) ليست « أل » هذه هنا للتعريف - في الأشهر ؛ وإنما هي لضرب من إصلاح اللفظ وتزيينه ؛ لأن اسم الموصول يتعرف بصلته . وكثير من أسماء الموصول مجرد من « أل » مع أنه معرفة ؛ فتعريفه جاء من صلتها ؛ لا من « أل » . ولو كانت للتعريف لمنعت من إعمال اسمى الفاعل والمفعول إذا كانا بمعنى الحال أو الاستقبال ؛ إذ تبعدهما - كما يقولون - عن شبه الفعل ؛ وتقربهما من الجوامد ؛ لأنها من خصائص الأسماء ؛ والأصل في الأسماء الجمود ؛ بسبب وضعها للذوات ، والجامد لا يعمل ، بخلاف الفعل وما يشبهه . لكن يقول شارح المفصل (ج ٦ ص ٦١) إنها اسم موصول تفيد التعريف مع كونها بمعنى : « الذى » - كما سنشير في رقم ١ من هامش ص ٣٧٠ - والرأى الأول هو الأنسب .

وليس حرف موصول ؛ لأنها لا تقول مع ما بعدها بمصدر ؛ ولأنها قد تدخل قليلا على الجملة ، و « أل » المصروفة لا تسبك ، ولا تدخل على الجملة . هذا إلى أمور أخرى دعت إلى اعتبارها اسم موصول ؛ أهمها أمران :

أولهما : وجود ضمير بعدها لا مرجع له سواها ؛ والضمير لا يعود إلا على اسم ؛ نحو : قد أفلح المؤمن ؛ وخاب الجاحد . فى كلمة : « المؤمن » ضمير تقديره : « هو » ؛ لا مرجع له إلا « أل » التى بمعنى « الذى » هنا . وكذلك تقديره فى كلمة : « الجاحد » وكقوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) وقوله : (والعاديات ضبحاً) فى : « المؤمنون » ضمير تقديره : « هم » يعود على « أل » . وفى « العاديات » ضمير تقديره : « هى » أو « هن » ، يعود على « أل » . ولا مرجع لكل ضمير سوى « أل » . ولا يمكن أن يكون اسم الفاعل فى الأمثلة السابقة وأشباهاها خالياً من الضمير لأسباب قوية دونها النحاة ، وأثبتوا بها أن أكثر المشتقات - ومن هذا الأكثر - اسم الفاعل ، واسم المفعول يحمل ضميراً مستتراً . (كما سبقت الإشارة فى رقم ٢ من ص ٢٩) . وللضمير المنصوب العائد إليها حكم خاص سيجىء فى رقم ٣ من هامش ص ٣٩٦ .

ثانيهما : أن هذه الأسماء التى دخلت عليها « أل » قد يعطف عليها الفعل أحياناً ؛ نحو قوله تعالى : (إن المصددين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً) وقوله تعالى : (والعاديات ضبحاً) إلى قوله : (فأنثرن به نقتلاً) . فالفعل : « أقرض » فى المثال الأول معطوف على « المصدقين » . والفعل : « أنثر » فى الجملة الثانية معطوف على « العاديات » . والفعل لا يعطف إلا على فعل مثله ، أو على ما يشبه الفعل - كما سيجىء فى ج ٣ باب « العطف » - والمعطوف عليه هنا ليس بفعل ؛ فلم يبق إلا أنه يشبه الفعل ، لأنه أحد مشتقاته ومن ثم كانت « أل » الداخلة على المشتقات الصريحة المشبهة للفعل اسم موصول يعود عليها الضمير من المشتق - وليس حرفاً ، كما سيجىء ، فيمتنع العطف عليه - .

والمراد هنا بالمشتقات الصريحة (أى : الصفات الصريحة) : « اسم الفاعل ، واسم المفعول ، اتفاقاً وفى الصفة المشبهة خلاف سيجىء فى ص ٣٨٤ و ٣٨٦ - لأنها يدلان على الحدث والتجديد كالفعل . أما الصفة المشبهة وباقي المشتقات فتدل على الثبوت ؛ فهى بعيدة من الفعل ، قريبة من الأسماء الحامدة . ومن ثم كانت « أل » الداخلة على « أفعال التفضيل » للمعهد ، وليس موصولة - كما ستجىء - الإشارة فى

رقم ٤ من هامش ص ٤٧٣ وسيجىء البيان فى باب أفعال التفضيل ج ٣ م ١١٢ - .
ولا تكون « أل » اسم موصول إذا وجد فى الكلام ما يدل على أنها « للمعهد » فتكون حرف تعريف ، لا اسم موصول ؛ مثل : قابلت محترعاً مشهوراً ؛ فأكبرت المخترع المشهور ، واستشرت عاقلاً مأموناً فعملت بمشورة العاقل المأمون . فكلمة : « أل » فى « المخترع » و « المشهور » و « العاقل » و « المأمون » للمعهد ؛ فهى أداة تعريف فقط ، (وتفصيل الكلام على « أل » التى للمعهد فى ص ٢١) ؛ أما الداخلة =

الصفة مع مرفوعها هنا من قسم: « شبه الجملة » الواقع صلة ؛ كما مثل ، ونحو: إن العاقل الأريب^(١) يحتال للأمر حتى يفوز به ، والعاجز الضعيف يتسوّى ويتردد حتى يفلت منه .

هذا ، ومع أن « أل » اسم موصول ، وتعتبر كلمة مستقلة — فإن الإعراب لا يظهر عليها ؛ وإنما يظهر على الصفة الصريحة المتصلة بها^(٢) ، التي تعرب مع مرفوعها صلة لها .

٤ — « ذو » وتكون للعاقل وغيره ؛ مفرداً وغير مفرد^(٣) ؛ نحو : زارني ذو تعلّم

= على المشتقات التي تعمل عمل الفعل فهي اسم موصول إذ لو كانت حرفاً لكانت من خواص الأسماء كما يقولون ، فلا يكون المشتق بعدها شيئاً بالفعل يعمل عمله ويدطف عليه الفعل ، وإنما يكون مجرد اسم فقط ، على يدل الذات وحدها — وقد سبق البيان في هامش ص ٣٥٦ — (١) العاقل .

(٢) أطال النحاة القول في إعراب : « أل » الموصولة التي هي اسم مستقل ؛ أن تكون مبنية على السكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب جملتها ؟ أم تكون : « أل » معربة بحركات مقدرة وليست مبنية ؟ . وما إعراب الصفة الصريحة بعدها في الحالتين ؟ . وما نوع الصلة كذلك ؟ وخير ما انتهوا إليه . أنها مع الصفة التي بعدها بمنزلة الشيء الواحد ؛ فكأنهما المركب المزجي ؛ يظهر إعرابه على الجزء الأخير منه (راجع هامش التصريح في هذا الموضوع ، والخضري عند الكلام على بيت ابن مالك :

وصفة صريحة صلة « أل » . . . إلخ) .

أما صلتها فقد اختاروا إدخالها في نوع : « الشبيه بالجملة » ، واعتبارها منه ، وليست من نوع الجملة . وهذا الرأي يوجد نوع جديد من شبه الجملة ، خاص بصلة : « أل » وحدها ، إذ المعروف أن شبه الجملة — كما أشرنا في رقم ٢ من هامش ص ٣٤١ — نوعان فقط ، هما : الظرف ، والجار مع مجروره . فهذا الرأي يحدث قسماً ثالثاً لشبه الجملة . وهو — على ما به — أيسر الآراء ، وأنسبها وأقلها مغالز — كما سيجيء في ص ٣٨٨ وله إشارة في ص ٣٧٠ — .

(٣) وهي نوع آخر يخالف « ذو » التي بمعنى « صاحب » ، إحدى الأسماء الستة ، والتي سبق الكلام عليها في ص ١٠٩ ، وتستعمل « ذو » اسم موصول ؛ مبني على السكون المقدر على الواو في محل كذا — وهذا عند بعض القبائل العربية ، (ودها ؛ طى ، أو : طيس — والنسبة السماعية إليهما : طائى) ، دون بعض آخر . ومن أمثلتها قول ممدان الطائي :

فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هَلُمَّ ، فإن المَشْرِفَ الفَرَّائضُ

أظنك — دون المال — ذو جئت تبغني ستلقاك بيض للنفوس قوابض

(المشرق : السيف — الفرائض : العطايا المفروضة) . وفي الجزء الثالث من كتاب « الكامل » للمبرد باب أخبار نحوارج — أمثلة أخرى متعددة .

ولفظها مفرد مذكر في جميع حالاته ، لكن معناها قد يكون غير ذلك ؛ فبراعى في الضمير العائد عليها لفظها أو معناها . والقبائل التي تستعملها مذاهب مختلفة ؛ أشهرها ما ذكرنا هنا . ومنهم من يدخل عليها تنكيراً عند استعمالها للمؤنث ؛ فيجعل أوها ألفاً ، ويزيد عليها تاء التأنيث فتصير : « ذات » ؛ لتكون بعد الزيادة مثل : « التي » في الدلالة على المفردة المؤنثة .

ولكن تمتاز : « ذات » بأنها تدل بصيغتها الحالية على المثنى المؤنث أيضاً ، وبأنها تجمع على : « ذوات » —

وذو تعلمت . وذو تعلمنا ، وذو تعلموا ، وذو تعلمن^(١) . وهي مبنية على السكون المقدر على الواو ، في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من جملتها .

٥ - « ذا » . وتكون للعاقل وغيره ، مفرداً وغير مفرد^(٢) ؛ نحو : ماذا رأيت ؟ ماذا رأيتهما ؟ ماذا رأيتهن ؟ . وماذا رأيتهن ؟ . ويصح وضع : « مَنْ » الاستفهامية مكان : « ما » الاستفهامية في كل ما سبق ، ومنه قول الشاعر : مَنْ ذا يُعيرك عينه تبكى بها ؟ أرايت عيناً للبكاء تعار ؟ وقول الآخر^(٣) :

مَنْ ذا نواصل إن صرمت حبالنا ؟ أو من نحدّث بعدك الأسرار ؟
فكلمة : « ما » أو : « من » اسم استفهام مبتدأ ، مبنى على السكون في محل

تندل على الجمع المؤنث كما تدل عليه : « اللواتي » . وهي في الحالات السابقة كلها مبنية على الفم . وفي هذا يقول ابن مالك :

وكالتى أيضاً لديّهم : « ذات » وموضع « اللاتى » أتى « ذوات » ومن المستحسن ، ترك « ذو » بلهجاتها المختلفة ؛ لغرابتها في عصرنا ، وعدم الحاجة الحافزة لاستعمالها وحسبنا أن نذكرها هنا لنذكرها حين تتردد في النصوص القديمة . وقد وردت في بعض تلك النصوص مستعملة استعمالاً دقيقاً أوضحناه في باب الإضافة ج ٣ م ٩٣ وثلاثها : « ذات » وكذلك في ج ٢ باب الظرف ص ٢٥٠ و ٢٥٥ م ٧٩ .

ويلاحظ أن لكلمة : « ذات » استعمالاً أخرى مختلفة ؛ منها : أن تكون مجرد اسم مستقل ، معناه : حقيقة الشيء وماهيته . والنسب إليها هو : « ذاتي » باعتبار لفظها الحالي ، أو « ذوى » باعتبار أصلها . - طبقاً للبيان الشامل الذي سيحيى في باب النسب ، ج ٤ م ١٧٨ ص ٥٥٤ . -
(١) يقول ابن مالك فيما سبق :

و« مَنْ » و« مَا » و« أَل » ، تساوى ما ذكرُ وهكذا « ذُو » عِنْد طَيِّبٍ شُهْرُ
أى : أن كل واحد من هذه الأسماء (من - ما - أَل) يساوى الثمانية الماضية كلها في الاستعمال من ناحية أنه وحده صالح لكل ما صلحت له الثمانية من الأنواع ، مع عدم تغير لفظه . وكذلك « ذو » عند بعض القبائل التي منها طي - كما سبق . ثم قال عن طي :

وكالتى أيضاً لديّهم : « ذات » وموضع « اللاتى » أتى : « ذوات » وقد أوضحنا معنى البيت عند الكلام على « ذو » في آخر هامش الصفحة السابقة مباشرة ؛
(٢) فهي من الألفاظ المفردة المذكورة ، ولكن معناها قد يكون غير ذلك فيجوز في الضمير العائد عليها مرعاة هذا أو ذاك .
(٣) عمر بن أبي ربيعة . وثله قول شوق :

شرف العصامين صنع نفوسهم من ذا يقيس بهم بنى الأشراف ؟

رفع . و « ذا » اسم موصول — بمعنى : الذى أو غيره من أسماء الموصول المناسبة
لمعنى الجملة والسباق — خبر ، مبنى على السكون فى محل رفع .

ولا تكون « ذا » موصولة إلا بثلاثة شروط :

أولها : أن تكون مسبوقة بكلمة : « ما » أو : كلمة : « من » الاستفهاميتين ؛
كما فى الأمثلة السابقة . فلا يصح : ذا رأيت ، ولا ذا قابلته . . . ويغلب أن تكون
للعاقل إذا وقعت : بعد « مَنْ » ولغير العاقل إذا وقعت بعد : « ما » .

ثانيها : أن تكون كلمة « مَنْ » وكذا « ما » مستقلة بلفظها ، ومعناها — وهو هنا
الاستفهام^(١) — ، وبإعرابها ؛ فلا تُركَّب إحداها مع « ذا » تركيباً يجعلهما معاً كلمة
واحدة فى إعرابها (وإن كانت ذات جزأين) وفى معناها أيضاً — وهو الاستفهام^(١) —
— تركيبها فى نحو : ماذا السديم ؟ . ماذا عطارى ؟ . من ذا الأول ؟ . من ذا النائم ؟ .
فكلمة : « ماذا » كلها — اسم استفهام وليست موصولة ، ومثلها كلمة : « من ذا »^(٢) .
وفى حالة التركيب التى شرحناها توصف : « ذا » بأنها « ملغاة إلغاء حكيمياً
لا حقيقياً^(٣) » لأن وجودها الحقيقى أمر ثابت باعتبارها جزءاً من غيرها أما وجودها
المستقل ، فقد ألغى — أى — : زال — بسبب التركيب مع « ما » أو « من »
الاستفهاميتين ، وصارت جزءاً من كلمة استفهامية بعد أن كانت وحدها كلمة
مستقلة تعرب اسم موصول .

ثالثها : ألا تكون « ذا » اسم إشارة ؛ فلا تصلح أن تكون اسم موصول ؛ لعدم
وجود صلة بعدها ، بسبب دخولها على مفرد ؛ نحو : ماذا المعدن ؟ ماذا الكتاب ؟
من ذا الشاعر ؟ . من ذا الأسبق^(٤) ؟ .

تريد : ما هذا المعدن ؟ . ما هذا الكتاب ؟ . من هذا الشاعر ؟ . من هذا الأسبق ؟ .

* * *

(١) انظر « ب » من ص ٣٦١ .

(٢) فتعرب كل كلمة بجزأها فى الأمثلة السابقة ، مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع ، أو خبراً
مقدماً .

(٣) انظر البيان الآتى فى : « ا » من الزيادة والتفصيل — ص ٣٦٠ .

(٤) وفى هذا يقول ابن مالك :

ومثل « ما » « ذا » بعد : « ما » استفهام — أو « مَنْ » إذا لم تُلغَ فى الكلام
أى : أن « ذا » تشبه « ما » فى أنها صالحة لجميع الأنواع مع عدم تغير لفظها ، وذلك بشرط أن تقع
بعد « ما » التى للاستفهام ، أو : « من » التى للاستفهام أيضاً . واكتفى بهذا الشرط ، وترك باقى
الشروط ، لضيق النظم ، وقد ذكرناها .

زيادة وتفصيل

(١) عرفنا أن « ذا » قد تُركَّب مع « ما » أو « من » الاستفهاميتين ، فينشأ من تركيبهما كلمة واحدة في إعرابها — وإن كانت ذات جزأين — وفي معناها ، وهو : الاستفهام ، مثل : ماذا الوادى الجديد ؟ . من ذا المنشئ المدينة القاهرة ؟ . وعندئذ توصف « ذا » بأنها الملقاة بإلغاء حكمياً ، لا حقيقياً ؛ لأنها من حيث الحقيقة والواقع موجودة فعلا . ولكن من حيث اندماجها في غيرها ، وعدم استقلالها بكيانها ، وإعراب خاص بها — تُعدَّ غير موجودة . ومن أمثلتها قول جرير :

يا خُزَرَ تَغْلِبَ ماذا بالُ نِسوتكمْ لايسْتَقِيقُنْ إلى الدَّيْرَيْنِ تَحْنَانَا
أما إلغاؤها الحقيقي فيكون باعتبارها كلمة مستقلة بنفسها ، زائدة ، يجوز حذفها وإبقاؤها . ويترتب على تعيين نوع الإلغاء بعض أحكام ؛ منها :
١ — أن كلمة : « ذا » في الإلغاء الحقيقي لا يكون لها محل من الإعراب ، فلا تكون فاعلا ، ولا مفعولا ، ولا مبتدأ ، ولا غير ذلك ؛ لأنها لا تتأثر بالعوامل ؛ ولا تؤثر في غيرها — شأن الأسماء الزائدة عند من يجيز زيادتها ، — وهم الكوفيون وتبعهم ابن مالك — بخلافها في الإلغاء الحكمي ؛ فإنها تكون جزءاً أخيراً من كلمة ، وهذه الكلمة كلها — يجزأها — مبنية على السكون دائماً في محل رفع ، أو نصب ، أو : جر ، على حسب موقعها من الجملة ، (مبتدأ ، وخبراً ، وفاعلا ، ومفعولاً . . . إلخ) . وما تصلح فيه لنوعي الإلغاء قول الشاعر :

من ذا الذي ما ساء قسطن ومن له الحُسنى فقط

٢ — وفي الإلغاء الحقيقي يجب تقديم « من » و « ما » الاستفهاميتين في أول جملتهما حتماً ، كالأمثلة السابقة ؛ لأن الاستفهام الأصيل له الصدارة الواجبة في جملته . بخلاف الإلغاء الحكمي ، فيجوز معه الأمران : إما تقديم الاستفهام بكامل حروفه في جزأيه على عامله . وإما تأخير عنه ، فلا يكون للاستفهام وجوب الصدارة في جملة عليه ؛ تقول : ماذا صنعت ، أو صنعت ماذا^(١) ؟ . . . فالاستفهام هنا معمول لعامله المتأخر عنه أو المتقدم عليه .

(١) راجع الصبان ، ج ١ ، باب الموصول ، عند الكلام على : « ذا » الموصولة . وجاء في حاشية ياسين على التوضيح (ج ٢ باب : « التواصب » ، عند الكلام على : « كى ») مانصه : (قال ابن مالك -

... ..
... ..

٣- وفي الإلغاء الحقيقي تحذف ألف « ما » الاستفهامية في حالة الجر مثل :
عمّ « ذا » سألت ؟ . تطبيقاً للقاعدة المعروفة ؛ (وهي : حذف ألف « ما »
الاستفهامية عند جرها) . بخلاف الإلغاء الحكمي لأن أداة الاستفهام فيه هي
« ماذا » يجزأها وليست « ما » وحدها .

* * *

(ب) لا يقتصر إلغاء « ذا » على تركيبها مع « ما » أو « من » الاستفهاميتين ؛
فذلك هو الغالب - ؛ فقد يقع الإلغاء بتركيبها مع « ما » أو « من » الموصولتين ،
أو النكرتين الموصوفتين ؛ فتنشأ كلمة واحدة هي : « ماذا » أو : « من ذا » فنعرّبها
اسم موصول ، أو نكرة موصوفة . فالأولى مثل قول الشاعر :
دَعَيْ ما ذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب خبريني
فماذا ، كلها اسم موصول مفعول « دعى » . وصلته جملة : « علمت » لا محل
لها . ويرى « الفارسي » وأصحابه أن « ماذا » نكرة موصوفة . مفعول « دعى »
وليست موصولة : لأن « ماذا » كلمة واحدة ، ولكنها مركبة من شطرين ؛
والتركيب كثير في أسماء الأجناس - ومنها : النكرة الموصوفة - ، قليل في أسماء
الموصول ، وتكون جملة : « علمت » في محل نصب صفة النكرة . أى : دعى
شيئاً علمته .

* * *

مما تقدم (في ا و ب) نعلم أننا إذا أردنا إعراب مثل : « ماذا رأيته في
المعرض » ؟ . أو : « من ذا رأيته ؟ » جاز لنا أن نجعل « ماذا » بشرطيهما
كلمة واحدة ، وكذلك « من ذا » وكلتاها اسم استفهام مبتدأ . وجاز أن نجعل « ما »
أو « من » استفهام مبتدأ و « ذا » زائدة لا محل لها من الإعراب والخبر في كل
ما سلف هو الجملة الفعلية .

ويجوز أن تكون « ذا » في الحالتين السالفتين اسم موصول بمعنى الذي . خبر .
ويجوز في أمثلة أخرى أن تكون « ماذا » و « من ذا » بشرطيهما موصولتين

« إن » ما » الاستفهامية إذا ركبت مع : « ذا » لا يلزم صديقتها ؛ فيعمل ما قبلها فيما بعدها ؛ رفعا
نحو : كان ماذا ؟ . أو نصبا ؛ كقول أم المؤمنين : أقول ماذا ؟ هـ .
وفي هذا النص اقتصار على التركيب مع « ما » الاستفهامية . أما النصوص الأخرى - كالتي في
الصبيان - ففريضة في : « من » و « ما » الاستفهاميتين ، وفي أنها تركب مع غيرها أحيانا من بعض
الفاظ ليس لها الصدارة - وتجيء في : « ب » - .

... ..
... ..

أو نكرتين موصوفتين على حسب ما أوضحنا ... و ... و ...
ويظهر أثر الإلغاء وعدمه في توابع الاستفهام ؛ كالبدل منه ؛ وفي الجواب عنه . ففي البدل مثل : ماذا أكلت ؟ . أتفاحاً أم برتقالاً ؟ . — بنصب كلمة « تفاحاً » — يكون النصب على البدلية دليلاً على أن الإلغاء هنا حكماً^(١) ؛ لأن « ماذا » مفعول مقدم « لأكلت » ، و « تفاحاً » بدل منها . أما لو قلنا : ماذا أكلت ؟ . أتفاح أم برتقال ؟ . فإن كلمة « تفاح » المرفوعة يصح أن تكون بدلاً من « ذا » الواقعة خبراً عن كلمة : « ما » فلا يكون هنا إلغاء .

وكالمثال السابق في صحة الرفع والنصب كلمة : « نحب » في قول الشاعر :
ألا تسألان المرأة ماذا يحاول ؟ أنحب فيقضى . أم ضلال وباطل ؟
ومثله من ذا أكرمت ؟ . أمحمداً أم محموداً ؟ . بنصب الاثنين أو برفعهما على الاعتبارين السابقين .

أما الجواب عن الاستفهام ففي مثل : ماذا كتبت في الرسالة ؟ . فيجيب :
المستول : خير أو : خيراً ؛ فالرفع على اعتبار كلمة : « ذا » اسم موصول « مبدل منه » ، والنصب على اعتبارها ملغاة .

والحكم بجواز الأمرين في الجواب ملاحظ فيه « الاستحسان المجرد » ، فن المستحسن — كما قالوا — أن يكون الجواب مطابقاً السؤال اسمية وفعلية .^(٢) ومن الأمثلة قوله تعالى : (يسألونك : ماذا ينفقون ؟ . قل : العفو) — أى : الزيادة — بالنصب أو بالرفع ، ومثل قوله تعالى : (ماذا أنزل ربكم ؟ . قالوا : خيراً) ، أو خير .

(ح) في نحو قوله تعالى : (من ذا الذى يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له . . .) ، يصح في كلمة : « ذا » الإلغاء الحقيقي أو الحكيمى . وفي الحالتين تكون كلمة : « الذى » خبراً . ويصح أن تكون « ذا » اسم موصول بمعنى « الذى » خبر « من » . وتكون كلمة : « الذى » الموجودة توكيداً لفظياً لكلمة : « ذا » التى هى اسم موصول بمعناها .

« ملاحظة » : يصح في بعض الصور التى سبقت (فى : ا ، و ب ، و ج) إعرابات أخرى ، لا حاجة إليها هنا .

* * *

(٢) راجع الصبان .

(١) ويصح أن يكون حقيقياً .

٦- « أَيْ » وتكون للعاقل وغيره . مفرداً وغير مفرد ؛ تقول ؛ يسرنى أَيْ هو نافع . يسرنى أَيْ هى نافعة . يسرنى أَيْ هما نافعان . يسرنى أَيْ هما نافعتان . يسرنى أَيْ هم نافعون . يسرنى أَيْ هن نافعات . . .

وتختلف « أَيْ » فى أمر البناء والإعراب : عن باقى أخواتها من الموصولات المشتركة ، فأخواتها جميعاً مبنية ، أما هى فتبني فى حالة واحدة ، وتعرب فى غيرها .

فتبني إذا أضيفت ^(١)، وكانت صلتها جملة اسمية ^(٢)، صدرها - وهو المبتدأ - ضمير محذوف . فهذه شروط ثلاثة لبنائها .

نحو : يعجبني أيهم مغامرٌ . سأعرف أيهم مغامر . سأحدث عن أيهم مغامرٌ . والأصل فى كل ذلك : أيهم هو مغامر . . . فإن لم يتحقق شرط من شروط بنائها الثلاثة وجب إعرابها . ولهذا تعرب فى الحالات الآتية :

(أ) إذا كانت مضافة ، وصلتها جملة اسمية ، صدرها (وهو ؛ المبتدأ) مذكورٌ سواء أكان المبتدأ ضميراً أم غير ضمير ^(٣) . . . نحو : سيزورنى أيهم (هو أشجع) - سأصافح أيهم (هو أشجع) - وسأقبل على أيهم (هو أشجع) .

(ب) إذا كانت غير مضافة ، وصلتها جملة اسمية ، صدرها مذكور ، مثل : سيفوز ، أَيْ : (هو مخلص) - سنكرم أَيْاً (هو مخلص) - سنحتنى بأى (هو مخلص) .

(ح) إذا كانت غير مضافة ، وصلتها جملة اسمية ، صدرها غير مذكور نحو : سيسبق ، أَيْ « خبير » ، وسوف نذكر بالخير أَيْاً محسنٌ ، ونُعنتى بأى بارع ^(٤) .

(١) ليس بين الأسماء الموصولة المشتركة وغير المشتركة ما يجوز إضافته إلا « أَيْ » فى بعض حالاتها . وسيجىء فى الزيادة - ص ٣٦٥ - بعض الأحكام الخاصة بها . ومنها أنه يستحسن استقبال عاملها ، وأن يتقدم عليها .

(٢) وهى المبتدأ مع خبره ، أو ما يفنى عن الخبر .

(٣) لا فرق فى هذا الحكم وما بعده بين أن يكون صدرها ضميراً كما مثلنا - وغير ضمير - كما سيجىء فى « د » - ؛ نحو : سيزورنى أيهم محمود خير منه . ولكن الضمير هو الأعم الأغلب ؛ حتى اقتصر عليه أكثر النحاة .

(٤) وفى « أَيْ » وأحوالها يقول ابن مالك :

« أَيْ » كَمَا ، وَأَعْرَبَتْ مَا لَمْ تُضَفْ وَصَدَرُ وَصَلِيهَا ضَمِيرٌ انْحَدَفَ =

(د) وتعرب أيضاً إن كان صدر صلتها اسماً ظاهراً ؛ نحو : تزور أيهم
(محمد مكرمه) . أو : فعلاً ظاهراً ، نحو : سوف أثنى على أيهم يتسامى بنفسه ،
أو فعلاً مقدراً ، نحو : سأغضب على أيهم عندك ^(١) .

= ومعنى البيت : « أى » مثل « ما » الموصولة في أن كلا منهما اسم موصول صالح للمفرد وغير
المفرد ، والعاقل وغيره . لكن الحقيقة أن بينهما بعض فروق ؛ منها : أن « ما » مبنية دائماً ، وأنها
لغير العاقل في الأغلب . أما « أى » فتبنى في حالة واحدة ، وتعرب في عدة حالات غيرها ، وأنها للعاقل
وغير العاقل . . .

(١) والفعل هنا محذوف : لأن « عند » ظرف ، ولا يتعلق الظرف - وكذا الجار مع مجروره -
في باب : « الموصول » إلا بفعل محذوف تقديره : « استقر » - مثلاً - ، والجملة من الفعل والفاعل لا محل
لها صلة .

وإنما يجب أن يكون « المتعلق به » المحذوف - في باب الموصول - فعلاً لتكون الصلة جملة فعلية ؛
إذ لا بد أن تكون جملة فعلية . إلا صلة « أل » فإنها لا تكون إلا « صفة صريحة » مع مرفوعها - كما
سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦ - .

وصلة « أل » هذه تعد قسمًا ثالثاً من أقسام « الشبيه بالجملة » وهو قسم خاص بها وحدها في باب
الموصول . أما في غير باب الموصول فيكون الشبيه بالجملة أمران : الظرف ، والجار مع مجروره . ويكون
كلاهما إما متعلقاً بفعل محذوف ، وإما باسم مشتق بمعنى ذلك المحذوف (كما سيحىء هنا في رقم ١ من
هامش ص ٣٨٤ وفي باب المبتدأ والخبر ص ٤٧٥) .

زيادة وتفصيل :

يسوقنا الكلام على « أئ » إلى سرد أنواعها المختلفة^(١). وهي ستة - كلها معربة إلا « أئ » التي تكون وُصلة للنداء ، وإلا واحدة من حالات « أئ » الموصولة ، وقد سبقت هنا - وفما يلي إيضاح موجز للستة :

١ - موصولة . والمستحسن كثيراً - ولكنه ليس باللازم - أن يكون عاملها مستقبلاً ، ومتقدماً عليها . ويجب أن تضاف لفظاً ومعنى ، معاً ، أو معنى فقط - بأن يحذف المضاف إليه بقرينة ، طبقاً للبيان الذي في باب الإضافة^(٢) - ، وأن تُعرب أو تبنى ، على حسب ما شرحنا^(٣) . وإذا أضيفت فإضافتها إلى المعرفة أقوى وأفضل . ويحسن الاختصار على هذا الرأي ، لأنه المعتمد عليه عند جمهرة النحاة كالاقتصار على الرأي الذي يلتزم في لفظها الأفراد والتذكير ، دون اتباع اللغة الأخرى التي تبيح أن تلحقها تاء التأنيث . إذا أُريد بها المؤنث نحو : « آية » وتلحقها كذلك علامة التثنية والجمع . فيقال فيهما : آيات - آيتان - آيئون - آيات ... بالإعراب في جميع أحوال المثني والجمع . . . لأن التثنية والجمع من خصائص الأسماء المعربة في الغالب . ولك أن تصرح بالمضاف إليه ؛ كأن تقول : آيتهن - آياهن - آيتاهن - آيوهم - آياتهن ... وعلى هذه اللغة - التي سجلها الأشموني والصبان - لا تكون « أئ » من ألفاظ الموصول المشترك .

٢ - أن تكون اسم شرط معربة ؛ مُضافة ، إما للنكرة مطلقاً^(٤) ؛ نحو : أئ حكيم تصادق أصادق ، وأئ رفاق تصاحب أصحاب ... وإما لمعرفة ، بشرط أن تكون المعرفة دالة على متعدّد صراحة^(٥) ، أو تقديرأ^(٦) ، أو عطفأ بالواو^(٧) ؛ فمثال التعدد الصريح : أئ الأشراف تسائر أسائر . ومثال التعدد المقدّر - وهو الذي يلحظ فيه ما يكون في الفرد الواحد من أجزاء متعددة^(٨) ، مثل : أئ

(١٤١) سيجيء الكلام مفصلاً هاماً على الاستفهامية ، والشرطية ، والنعمية ، والحالية في المكان المناسب لها من ج ٣ باب : « الإضافة » ، ص ٩٥م - أما التي تكون وصلة للنداء في باب : « النداء » : أول الجزء الرابع . (٢) في ص ٣٦٣ . (٣) أئ : سواء أكانت للمفرد ، أم لغيره .

(٤٤) المتعدد الصريح هو الذي له أفراد كثيرة حقيقية ، بأن يكون لكل فرد منها أجزاؤه الخاصة التي يتكون منها مجموعه كاملاً ، ويقوم عليها تركيبه تاماً .

أما المتعدد تقديرأ فهو الفرد الواحد الذي له أجزاء متعددة يتركب من انضمام بعضها ، إلى بعض .

(٥) المراد : عطف معرفة مفردة - وهي التي لا تدل على متعدد - على نظيرتها .

(٦) وكذلك ما قد يكون له من أنواع مختلفة ، مثل : أئ المعدن تتخيره أوافق عليه . تريد : أئ

أنواع المعدن ...

محمد تستحسن* أستحسن*، تريد : أى أجزاء محمد تستحسن* أستحسن* .
ومثال التعدد بالعطف بالواو : أبى وأبىك يتكلم* بحسن الكلام ، بمعنى : أيًا ...
وإضافتها واجبة لفظًا ومعنى معاً ، أو معنى فقط ، لحذف المضاف إليه
بقريئة - طبقاً لما سيجىء في باب الإضافة - ج ٣ - .

٣ - أن تكون اسم استفهام ، معربة ، مضافة ، إما للنكرة مطلقاً ؛ (للمفرد أو
لغيره) نحو : أى كتاب تقرأه ؟ . وأىُّ صحف تفضلها ؟ . . . وإما للمعرفة
بشرط أن تكون المعرفة دالة على متعدد صريح ، أو مقدر ، أو عطف ، عليها
بالواو معرفة مفردة ؛ نحو : أى الرجال أحق بالتكريم ؟ . ونحو : أى على
أجمل ؟ . تريد : أى أجزاء على أجمل ؟ . ونحو : أبى وأبىك فارس الأحزاب ؟ .
وإضافة « أى » الاستفهامية واجبة لفظاً ومعنى معاً ، أو معنى فقط ؛ بحذف
المضاف إليه ؛ لقريئة ، كما سيجىء في ج ٣ - باب الإضافة .

٤ - أن تكون اسماً ، معرباً ، نعتاً يدل على بلوغ المنعوت الغاية الكبرى في
مدح أو ذم . ويشترط أن يكون المنعوت نكرة - في الغالب^(١) - وأن تكون « أى »
مضافة لفظاً ومعنى معاً إلى نكرة مذكورة بعدها ، مشاركة للمنعوت في لفظه
ومعناه ، نحو : استمعت إلى عالم أى عالم . فإذا أضيفت^(٢) إلى النكرة وكانت
هذه النكرة اسماً مشتقاً كان المدح المقصود أو الذم هو المعنى المعين المفهوم من
المشتق ؛ أى : المعنى المجرد الذى يدل عليه هذا المشتق ؛ فإذا قلنا : رأينا فارساً ،
أى فارس . . . فالمعنى المقصود هو المدح بأمر واحد ؛ هو : « الفروسية » المفهومة
من المشتق (فارس) . وإذا قلنا : احترسنا من خائن أى خائن . . . فالمعنى المراد
هو الذم بشئ واحد هو « الخيانة » المفهومة من المشتق (خائن) . أما إذا أضيفت
إلى نكرة غير مشتقة فإن المدح أو الذم يشمل جميع الأوصاف التى يصح أن
توصف بها هذه النكرة ؛ فمن يقول لآخر : إني مسرور بك ؛ فقد رأيتك رجلاً

(١) لأنه يصح - مع قلته - أن يكون معرفة . ويترتب على هذا أن يتبعه في التعريف المضاف
إليه بعد « أى » فيكون معرفة مثله ، ولا يصح أن يتخالف في هذا . وسيجىء البيان في ج ٣ - باب
الإضافة والنعت (ص ١٠٤ و ١١٦ م ٩٥ وما بينها) ، ثم في (ص ٤٤٤ م ١١٤ و ٤٥٢) ،
ومنه يتضح صحة الأسلوب الشائع في مثل : استراح المسافر أى استراحة ، ويتمتع أى تمتع ، بشرط أن يكون
يكون المصدر محنوقاً في هذه الأساليب ونابت عنه « أى » التى كانت في الأصل نعتاً له . وهو : استراحة أى
استراحة ، وتمتعاً أى تمتع - كما سيجىء في ج ٢ ص ١٧٥ م ٧٥ في بيان حذف المصدر - .
(٢) بما يأتى سيذكر مرة أخرى في ج ٣ ، باب « الإضافة » - م ٩٥ - ص ١٠٤ وما بعدها عند
الكلام على « أى » .

...
...
أى رجل ، . . . فكأنما يقول : رأيتك رجلاً جمع كل الصفات التى يمدح بها الرجل . ومن يقول فى ذم امرأة أساءت إليه : إنها امرأة أى امرأة . . . فإنما يقصد أنها جمعت كل الصفات التى تذم بها المرأة .

والأغلب فى النكرة التى هى المنعوت ، والتى ليست مصدرأً — لأن المصدر قد يحذف وتنوب عنه صفته — أن تكون مذكورة فى الكلام ، ومن الشاذ عند أكثرهم ورود السماع بحذفها فى قول القائل ^(١) :

إذا حارب الحجاج أى منافق علاء بسيف كلما هزّ يقطع
يريد : منافقأً أى منافق .

ويقول أكثر النحاة : « إن هذا فى غاية الدور » ^(٢) فلا يصح محاكاته ، ثم يزدون التعليل : أن الغرض من الوصف « بأى » هو المبالغة فى المدح أو الذم ، والحذف مناف لهذا ؛ فن الحتم عندهم ذكر الموصوف ، الذى ليس بمصدر .. هذا كلامهم ^(٣) .

٥ — أن تكون حالاً بعد المعرفة ، دالة على بلوغ صاحبها الغاية الكبرى فى مدح أو ذم ^(٤) . ويشترط أن تكون مضافة لفظاً ومعنى معاً لنكرة مذكورة بعدها ؛ نحو : أصغيت إلى على أى خطيب .

٦ — أن تكون وصلة لنداء ما فيه « أل » ، نحو : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) . وهذه مبنية قطعاً .

* * *

ولكل نوع من الأنواع السابقة أحكام هامة — لفظية ومعنوية — مفصلة فى الأبواب الخاصة به ، ولا سيما بابى « الإضافة والنداء » ، غير أن الذى عرضناه الآن للمناسبة العابرة هو أحكام موجزة ، عرفنا منها : أن « أيتاً » الشرطية والاستفهامية يضافان إلى النكرة مطلقاً ، كما يضافان إلى المعرفة . ولكن بشرط يجب تحققه فى هذه المعرفة .

(١) ينسب البيت الآتى للفرزدق .

(٢) المجمع ج ١ باب الموصول ص ٩٣ .

(٣) لكن سيجىء فى باب : « الإضافة » — ج ٣ ص ٩٥ و ١١٢ وما بعدها عند الكلام عليها — أنى رأيتها محذوفة أيضاً فى كلام للإمام على بن أبى طالب ونصه : (كما جاء فى ص ٧٨ من كتاب : « سجع الحمام فى حكم الإمام ، لعل الجندى وزميليته) : « اصحب الناس بأى خلق شئت يصحبوك بمثلها » اهـ . وورودها فى نثر الإمام على أفصح البلغاء فوق ورودها فى البيت السابق قد يبيح استعمالها وإن كان هذا الاستعمال قليلاً . وصحبتنا أنه مسموع فى النثر وفى الشعر من أفصح العرب . هذا بعض الأدلة المدونة هناك ومنها أيضاً إعراب فريق من المفسرين لقوله تعالى : (فى أى صورة ما شاء ركبك) .

(٤) على الوجه المراد منهما فى النعت — وقد تقدم فى رقم ٤ ص ٣٦٦ —

.....
.....

كما عرفنا أن كلمة : « أَى » الواقعة نعتاً ، أو حالا تضاف للنكرة دون المعرفة في الأغلب ^(١) نحو : فرحت برسالة أَى رسالة . انتصر محمود أَى قائد . وأما التى هى وصلة لنداء ما فيه « أَل » فلا تضاف مطلقاً ، وهى مبنية . وكذلك « أَى » الموصولة فإنها مبنية فى إحدى حالاتها التى أوضحناها . أما بقية أنواع « أَى » ؛ من شرطية ، واستفهامية ، . . . و . . . فعربية .

ولما كانت « أَى » الشرطية والاستفهامية تضاف للنكرة حيناً والمعرفة حيناً آخر على الوجه السالف — كانت عند إضافتها للنكرة بمنزلة كلمة : « كُلّ » المراد منها المضاف إليه كاملاً ؛ فيراعى فيما يحتاج معها للمطابقة — كالخبر ، والضمير العائد عليها — مراعاة المعنى ، غالباً ؛ فيطابق المضاف إليه ، تذكيراً ، وتأنيثاً ؛ وإفراداً ، وتثنية ، وجمعاً ؛ تقول ؛ أَى غلام حضر ؟ أَى غلامين حضرا ؟ أَى غلمان حضروا ؟ أَى فتاة سافرت ؟ أَى فتاتين سافرتا ؟ أَى فتيات سافرن ؟ .

أما عند إضافتها إلى معرفة فتكون بمنزلة كلمة : « بعض » ، المراد منها بعض أجزاء المضاف إليه ؛ فيراعى فى عود الضمير عليها وفى كل ما يحتاج للمطابقة معها أن يكون مطابقاً للفظ المضاف ، وهو : « أَى » فيكون مفرداً ، مذكراً كلفظها . وهذا هو الغالب ، فنقول : أَى الغلامين حضر ؟ ... أَى الغلمان حضر ؟ وهكذا الباقى ^(٢) . كما تقول ذلك فى الصورتين السالفتين عند الإتيان بلفظ : « كل وبعض » بدلاً من : « أَى » .

ويرى بعض النحاة أنه لا مانع فيهما من مراعاة اللفظ أو مراعاة المعنى ، فيجوز عنده الأمران . وفى هذا تيسير محمود لا يمنع من الأخذ به مانع ، فنستريح من التقسيم وآثاره ، إلا أن الأول أفصح وأقوى .

* * *

وإلى هنا انتهى الكلام على الألفاظ الستة العامة (أَى : المشتركة) .

(١) قد تضاف « أَى » النعتية للمعرفة قليلاً كما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٣٦٦ ، وكما يجىء

فى الجزء الثالث ، بابى : « الإضافة والنعت » .

(٢) إيضاح هذا كله — ولا سيما تذكير لفظة « أَى » وتأنيثها — فى موضعه المناسب ، وهو باب

الإضافة ج ٣ م ٩٥ ص ١٠٤ و ١٠٦ وما بعدها .

وبتلخص كل ما سبق من الألفاظ المختصة والمشاركة في الجدول الآتي :

(١) الألفاظ المختصة الثمانية :

اللفظ المختص	النوع الذي يصلح له	حكمه من ناحية الإعراب والبناء
١ - الذى	المفرد المذكر مطلقاً (أى عاقلاً ، وغير عاقل)	مبنى على السكون فى محل على حسب جملته .
٢ - التى	المفرد المؤنثة . مطلقاً	مبنى على السكون فى محل
٣ - اللذان - اللذين	المثنى المذكر . مطلقاً	الأحسن أن يعرب إعراب المثنى .
٤ - اللتان - اللتين	المثنى المؤنث مطلقاً	الأحسن أن يعرب إعراب المثنى .
٥ - الألى أو : الألاء	الجمع المذكر والمؤنث مطلقاً	مبنى على السكون فى محل على حسب جملته . مبنى على الكسر فى محل على حسب جملته .
٦ - الذين	الجمع المذكر العاقل . .	مبنى على الفتح فى محل على حسب جملته .
٧ ، ٨ - اللات ، اللاتى و : اللاء - اللاتى	الجمع المؤنث بنوعيه	اللات ، واللاء : مبنيتان على الكسر فى محل على حسب الجملة . واللاتى واللائى مبنيتان على السكون فى محل على حسب الجملة .

فالمفرد المذكر لفظة واحدة ، وكذلك لشناه : وكذلك جمعه : فلهذه الثلاثة ثلاثة ألفاظ .

والمفردة المؤنثة لفظة واحدة ، وكذلك مُشناها . أما جمعها فله لفظتان مختومتان بالياء ، أو غير مختومتين . فهذه أربعة .

وللجمع بنوعيه لفظة واحدة ، تستعمل مقصورة أو ممدودة .
فمجموع الألفاظ كلها ثمانية .

(ب) الألفاظ الستة العامة ، (أى : المشتركة) :

اللفظ العام	النوع الذى يصلح له	حكمه من ناحية البناء أو الإعراب
١ - مَنْ	أكثر استعماله فى العقلاء ؛ إفراداً ، وتثنية ، وجمعاً ، وقد يستعمل فى غيرهم أحياناً .	مبنى على السكون فى محل . . . على حسب الجملة .
٢ - ما	أكثر استعماله فى غير العقلاء إفراداً ، وتثنية ، وجمعاً . وقد يستعمل فى غيرهم	مبنى على السكون فى محل . . . على حسب الجملة .
٣ - أَلْ (١) . . .	يستعمل فى جميع الأنواع ؛ ويشترط فى صلته أن تكون صفة صريحة : (اسم فاعل أو : اسم مفعول فقط) (٢)	مبنى على السكون . ولكن يحسن إعرابه ، وألا يظهر الإعراب عليه ، وإنما يكون على الصفة الصريحة المتصلة به باعتبارهما بمنزلة كلمة واحدة — كما شرحنا (٣) — .
٤ - ذُو	يستعمل فى جميع الأنواع	مبنى على السكون فى محل . . . على حسب جملته .
٥ - ذَا	يستعمل فى جميع الأنواع بثلاثة شروط — سبقت —	مبنى على السكون فى محل . . . على حسب الجملة .
٦ - أَيْ	يستعمل فى جميع الأنواع	مبنى على الضم فى حالة واحدة ، ويعرب فى غيرها .

* * *

(١) هى اسم موصول . وهل تفيد ما دخلت عليه التعريف أو لانتفيه ؟ . رأيان سبق بيانهما فى رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦ ، فصاحب المفصل (ج ٦ ص ٦١) يقول إنها تفيد التعريف ، وغيره يخالفه . وهى مغايرة للنوع الداخلى على أسماء الموصول ، — كالذى ، — التى — فهذا النوع الداخلى على الموصول زائد زيادة لازمة ، كما يقول صاحب المفصل وغيره ، وكما جاء بتفصيل أشمل فى حاشية : « ياسين » على « التصريح » ، أول باب : « النكرة والمعرفة » — انظر البيان المفيد فى رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦ — (٢) وهذان النوعان متفق عليهما . أما الصفة المشبهة ففهي خلاف شديد . وسيجىء بيان لهذا فى ص ٣٨٤ . (٣) فى رقم ٢ من هامش ص ٣٥٧ وفى ص ٣٧٢ و ٣٨٨ .

كيفية إعراب أسماء الموصول :

(١) جميع الأسماء الموصولة المختصة مبنية ، إلا اسمين للمثنى معربين ؛ هما : « اللذان » « واللذان » . وما عدا هذين الاسمين المعربين يلاحظ مع بنائه موقعه من الجملة ، أفاعل هو ، أم مفعول به ... أم مبتدأ ، أم خبر ... أم غير ذلك ؟ فإذا عرفنا موقعه ، وحاجة الجملة إليه — نظرنا بعد ذلك إلى آخره ؛ أساكن هو أم متحرك ؟ فإذا اهتدينا إلى الأمرين ؛ (موقعه من الجملة ، وحالة آخره) ، قلنا في إعرابه : اسم موصول مبنى على السكون ، أو على حركة كذا ، في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب الجملة ؛ « فالذى » مبنية على السكون دائماً ، ولكنها في محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب موقعها من الجملة ؛ ففي مثل : (سافر الذى يرغب فى السياحة) ، مبنية على السكون فى محل رفع ، لأنها فاعل . وفي مثل : (ودعت الذى سافر) مبنية على السكون فى محل نصب ؛ لأنها مفعول به . وفي مثل : (أشرت على الذى سافر بما ينفعه) مبنية على السكون فى محل جر بعلّى .

ومثل هذا يقال فى باقى المبنيات من الأسماء الموصولة المختصة ؛ سواء منها ما كان مبنياً على السكون أيضاً ؛ وهو : « التى » ، و « أولى » مقصورة ، « واللاتى » ، « اللاتى » . أو مبنياً على الكسر ؛ وهو : « أولاء » ، و « اللات » و « اللائ » . أو مبنياً على الفتح وهو : « الذين »^(١) .

أما الاسمان الخاصان بالثنائية ؛ وهما : « اللذان » و « اللتان » ، رفعاً . و « اللذين » و « اللتين » ، نصباً وجرّاً ، فالأحسن — كما سبق^(٢) — أن يكونا معربين كالمثنى ؛ فيرفعان بالألف ، وينصبان ويجران بالياء .

(ب) وجميع الأسماء الموصولة العامة (أى : المشتركة) مبنية كذلك ؛ إلا (أى) ؛ فإنها تكون مبنية فى حالة ، وتكون معربة فى غيرها ، على حسب ما أوضحنا^(٣) .

(١) ومن ينطقون بها بالواو رفعاً يعربونها ، ويحملونها فى حكم المالحق بجمع المذكر ، فيقولون : اللذين حضروا كرماء . إن الذين حضروا كرماء . أسرع إلى الذين حضروا . فهى فى المثال الأول مبتدأ مرفوع بالواو ، وفى المثال الثانى اسم « إن » منصوب بالياء ، وفى الثالث مجرور بالياء ، وعلامة جره الياء ... وقيل إنها مبنية على الواو والياء فى الصور السالفة وأشباهها — كما تقدم فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٦ .

والأساس الذى نتبعه فى الموصولات العامة هو الأساس الذى بيناه فى الموصولات المختصة ؛ بأن ننظر أولاً إلى موقع اسم الموصول المشترك من جملته ؛ أمبتداً هو ، أم خبر ، أم فاعل ، أم مفعول ... أو ... ؟ فإذا عرفنا موقعه نظرنا إلى آخره ؛ أساكن هو أم متحرك ؟ . فإذا أدركنا الأمرين قلنا عنه : إنه مبنى على السكون أو على حركة « كذا » فى محل رفع ، أو نصب : أو جر . لأنه مبتداً ، أو خبر . أو فاعل ، أو مفعول به ، أو مضاف إليه ... أو ... أو ...

فكلمة « مَن » مبنية على السكون دائماً ، ولكن فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر . فهى فى مثل : (قعد « مَن » حضر) - مبنية على السكون فى محل رفع ؛ لأنها فاعل . وهى فى مثل : (آنست « مَن » حضر) - مبنية على السكون فى محل نصب ؛ لأنها مفعول به . وهى فى مثل : (سعدت « بمن » حضر) - مبنية على السكون فى محل جر ؛ لأنها مجرورة بالياء .

وهكذا يقال فى : « ما » و : « ذو » وفى : « ذا » الواقعة بعد « ما » أو « من »

الاستفهاميتين ^(١)

أما « أل » الموصولة ^(٢) فالأحسن ألا نطبق عليها الأساس السابق ؛ فلا ندخل فى اعتبارنا أنها مبنية ، ولا ننظر إلى آخرها ؛ وهو اللام - وإنما ننظر معها إلى الصفة الصريحة التى بعدها ، ونجرى على الصفة وحدها حركات الإعراب ؛ ففى مثل : (إن الناصح الأمين خير معوان فى ساعات الشدة ، يلجأ إليه المكروب فينقذه بصائب رأيه) - نقول : « الناصح » اسم إن منصوب ، « الأمين » صفة منصوبة . « المكروب » فاعل مرفوع ^(٣) .

(١) نحو : ماذا قرأته ؟ من ذا رأيته ؟ فما أو من ، اسم استفهام مبتداً مبنى على السكون محل رفع ، وذا : اسم موصول خبر مبنى على السكون فى محل رفع - كما قلنا آنفاً (ص ٣٥٨ وما بعدها) .
(٢) وقد سبق - فى رقم ٢ من هامش ص ٣٥٧ - أنها لا بد أن تتصل بصفة صريحة ، تكون هى ومرفوعها ، صلة « أل » وفى هذه الحالة تعتبر الصلة من قسم « شبه الجملة » . كما تعتبر « أل » مع الصفة بمنزلة « المركب المزجى » يجرى الإعراب على آخر الجزء الثانى منه .

(٣) ولا داعى لأن نعتبر « أل » فى مثل هذه المواضع كلمة مستقلة بنفسها ؛ كى لا نقع فى كثير من التعقيد المرهق ، أشرنا إلى بعضه فيما سلف ، وسيجىء أيضاً فى ص ٣٨٨ .

المسألة ٢٧

صلة الموصول ، والرباط

الموصلات كلها — سواء أكانت اسمية أم حرفية^(١) — مبهمة^(٢) المدلول ، غامضة المعنى ، كما عرفنا . فلا بد لها من شيء بعدها واجب التأخير عنها ، يزيل لبهامها وغموضها ، وهو ما يسمى : « الصلة » . فالصلة هي التي تُعَيِّن مدلول الموصول ، وتُصَلِّ مجمله ، وتجعله واضح المعنى ، كامل الإفادة . ومن أجل هذا كله لا يستغنى عنها موصول اسمي ، أو حرفي . وهي التي تُعرِّف الموصول الأسمي — في الصحيح — . . . (٣) .

شروطها :

الصلة نوعان : جملة^(٤) (اسمية أو : فعلية) وشبه جملة . والجملة هي الأصل^(٥) .

فأما النوع الأول — وهو الجملة بقسميها — فن أمثلتها ، قوله تعالى في دفع الأذى : (ادفعْ بالتي هي أحسن ؛ فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حسيم) ، وقول الشاعر يصف إساءة أحد أقاربه :

وَيَسْعَى إِذَا أَبْنَى لِيَهْدِمَ صَالِحِي وليس الذي يَبْنِي كمنْ شَأْنُهُ الْهَلْدِمُ

(١) ستجيء الموصولات الحرفية في ص ٤٠٧ — (انظر رقم ١ من هامش ص ٣٤٠) .

(٢) أي : لا تدل على شيء مفصل معين (وقد سبق توضيح معنى المبهم في : « ج » ص ٣٣٨ وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٤٠) .

(٣) ملاحظة : يتكرر في بعض المسائل النحوية ذكر « الصلة » مع أن الجملة خالية من الموصول بنوعيه . فإلى المراد منها ؟ النحاة يطلقون في اصطلاحهم كلمة : « صلة » على أمرين ؛ أحدهما : « صلة الموصول » بالتفصيل المعروف هنا ، والآخر : (متعلقات الفعل وما يشبهه) مما يجيء مكملاً له كشبه الجملة ، بشرط غلو الكلام من موصول محتاج لشبه الجملة صلة له . وقد يطلقون الصلة على اللفظ الزائد مطلقاً — طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ٤ من هامش ص ٣٥٣ .

(٤) توضيح معنى الجملة بقسميها مدون في رقم ٥ من هامش ص ٤٤٦ ، ثم في ص ٤٦٦ .

(٥) لما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٣٨٤ .

ولا يتحقق الغرض منها إلا بشروط ، أهمها^(١) :

١ - أن تكون خبرية^(٢) لفظاً ومعنى ، وليست للتعجب ؛ نحو ؛ أقرأ الكتاب

(١) وتستجىء شروط أخرى في ص ٣٧٨ .

(٢) وهى الجملة التى يكون معناها صالحاً للحكم عليه بأنه صدق أو كذب ؛ من غير نظر لقائلها ، من ناحية أنه معروف بهذا أو بذاك . ومن أمثلتها أن يقول قائل : نزل المطر أمس . أو : حضر والدى اليوم . أو : يحضر الغائبون غداً . فكل جملة من هذه الجمل عرضة لأن توصف بأنها صادقة أو كاذبة في حد ذاتها ، (أى : بإغفال قائلها ؛ فكأنه مجهول الحال تماماً من ناحية اتصافه بالصدق والكذب) . وهذا معنى قولهم : إن الجملة الخبرية هى التى تحتل الصدق والكذب لذاتها . أى : بدون نظر لقائلها ؛ فلانحكم على جملة خبرية بأنها صادقة فقط ، لأن قائلها معروف بالصدق ، ولا كاذبة فقط ؛ لأن قائلها مشهور بالكذب .

ويقابلها الجملة الإنشائية ، وهى التى يطلب بها إما حصول شيء ، أو عدم حصوله ، وإما إقراره والموافقة عليه ، أو عدم إقراره . فلا دخل للصدق والكذب فيها . وهى قسمان :

إنشائية طلبية ؛ أى : يراد بها طلب حصول الشيء أو عدم حصوله . ويتأخر تحقق وقوع معناها عن وجود لفظها . وتشمل الأمر ، والنهى ، والدعاء ، والاستفهام ، والتثنية (مثل : ليت) والعرش ، والتحضيض . . . - كما هو مدون في المصادر الخاصة بالبلاغة .

وإنشائية غير طلبية ؛ وهى التى يتحقق - غالباً - مدلولها بمجرد النطق بها دون أن يكون طلبياً . وتشمل جملة التعجب - عند من يرى أنها ليست خبرية - وجملة المدح أو الذم ، وجملة القسم نفسه ، لا جملة جوابه ، و « رُبَّ » - لأنه حرف لإنشاء التكثير أو التقليل - ، و « كم الخبرية » ، وصيغ العقود التى يراد إيقاعها ، وإقرارها ؛ كقولك لمن طلب أن تبيع أو تهب له كتاباً - مثلاً - : بعت ، أو وهبت لك ما تريد . . . كما يشمل الترجى ؛ مثل : « لعل » ، وأفعال الرجاء ؛ مثل : « عسى » . ولكن الصحيح وقوع « عسى » فعل صلة دون غيرها من صيغ الرجاء - قال بعض المحققين : « المشهور أن : « عسى » إنشاء . لكن دخول الاستفهام عليها في قوله تعالى : « فهل عسى . . . » ووقعها خبراً لأن في نحو : « إني عسى صائماً » دليل على أنه فعل خبرى ، فينبغى أن يجوز وقوعها صلة بلا خلاف) ١ هـ . نقلنا عن الصبان في هذا الموضع .

وأكثر أنواع الإنشاء غير الطلبى يتحقق معناه بمجرد النطق بلفظه - كما تقدم - ، ومنه ألفاظ البيع والهبة . . .

هذا ، والجملة الخبرية التى تقع صلة إنما تسمى خبرية بحسب أصلها الأول فقط ، قبل أن تكون صلة ، فإذا صارت صلة فلا تسمى خبرية ، لخلوها من المعنى المستقل بنفسه ؛ إذ لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو الإيجاب يقتصر عليها وحدها ؛ بل هى لذلك لا تسمى : « كلاماً » ، أو : « جملة » مطلقاً ، فعدم تسميتها جملة خبرية من باب أولى . ومثلها الجملة الواقعة صفة ، أو خبراً ، أو حالا ؛ فكل واحدة من هذه الجمل تسمى : « جملة » حين تكون مستقلة بنفسها ، وبمعناها المقصود لذاته ، فإذا فقدت استقلالها وصارت متممة معنى في غيرها (بأن تقع صلة ، أو صفة ، أو خبراً ، أو حالا ، أو . . .) فلا تسمى جملة ، ولا كلاماً ؛ إذ ليس لها كيان معنوي مستقل .

كما سبق - في رقم ٢ من هامش ص ١٥ وله إشارة في رقم ٤ من هامش ص ٤٦٦ - :

الذى « يفيدك » . بخلاف : أقرأ الكتاب الذى « حَافِظٌ عليه » لأن جملة ؛ « حافظٌ عليه » ، إنشائية ، وليست خبرية . وبخلاف : مات الذى « غفر الله له » لأن جملة : « غفر الله له » خبرية فى اللفظ دون المعنى ؛ إذ معناها طلب الدعاء للميت بالغفران ؛ وطلب الدعاء لإنشاء ، لا خبر ، وبخلاف : هنا الذى « ما أفضَلَه » ؛ لأن الجملة التعجبية إنشائية - فى رأى كثير من النحاة - برغم أنها كانت خبرية قبل استعمالها فى التعجب . ويلحق بالخبرية - هنا - الإنشائية التى فعلها : « عَسَى » الناسخ .

وقد يصح فى : « أنْ » - وهى من الموصولات الحرفية - وقوع صلتها جملة طلبية ، نحو : (كتبت لأخى بأن دأومٌ على أداء واجبك) . وهذا مقصور على « أنْ »^(١) دون غيرها من الموصولات الاسمية والحرفية .

٢ - أن يكون معناها معهوداً مفصلاً للمخاطب^(٢) ، أو بمنزلة المعهود المفصل . فالأولى مثل : (أكرمت الذى قابلك صباحاً) ؛ إذا كان بينك وبين المخاطب عهد فى شخص مُعَيَّن . ولا يصح غاب الذى تكلم ، إذا لم تقصد شخصاً معيناً عند السامع . والثانية : هى الواقعة فى مَعْرِضِ التّفخيم ، أو معرض التهويل ؛ مثل : (يا له من قائد انتصر بعد أن أبدى من الشجاعة ما أبدى !!) ويا لها من معركة قُتِل فيها

= هذا ومن الجمل التى يصح أن تقع صلة ، الجملة الخبرية الواقعة جواباً للقسم ، بشرط أن تكون - كغيرها من الجمل - مشتملة على رابط يربطها بالموصول ، كما سيجىء - نحو : أحب الذى أقسمُ بالله - لقد ساعد الضعيف . وكذلك الجملة الخبرية الواقعة جواباً للشرط ؛ نحو : أكرم الذى إن تكرمه يعرف فضلك . بشرط وجود رابط فيها ، أو فى الجملة الشرطية ، أو فيهما معاً . فثال الرابط فى الجملة الجوابية فقط : صاحب النبيل الذى إن يتغير الزمن لا يتغير خلقه ، ومثال الرابط فى الجملة الشرطية فقط : اعمل الذى إن تعمله يفرح العقلاء . ومثال الرابط فيهما : ليس الناصح الذى إن ينصح يعلن أمام الناس العيوب . نعم إن جملة القسم نفسها إنشائية ، فلا تكون صلة ؛ إنما الصلة هى الجملة الواقعة جواباً له ؛ فإنها خبرية ، دون جملة القسم ؛ فإنها - كما سبق - إنشائية ، لحيد التأكيد .

(انظر رقم ٢ من ص ٣٧٨ حيث بيان الأشياء التى يجوز أن تفصل بين الموصول وصلته) .

(١) كما سيجىء فى ص ٤٠٨ وفى رقم ١ من هامش ص ٤٠٩ عند الكلام على الموصول الحرفى (أن) .

(٢) أى : معروفاً له ، تفصيلاً ، لا إجمالاً ، وأنه يختص بشئ معين ، كما سبق ؛ لأن الغرض

من الصلة أن توضح للمخاطب اسم الموصول المبهم بما كان يعرفه قبل مجئ اسم الموصول ، من اتصافه بمضمون الجملة - . مع ملاحظة الفرق بين هذا - وهو يختص بعلم المخاطب - وما يأتى فى رقم ٤ من

ص ٣٨٠ - وهو غير مقصور على المخاطب بل يشمل كل فرد ...

النحو الوائى - أول

من الأعداء مَنْ قُتِلَ !!) . أى : أبْدَى من الشجاعة الشيء الكثير المحمود .
وقتل في المعركة الكثير الذى لا يكاد يُعَدَّ . ومثل هذا قوله تعالى : (فَأَوْحَى إِلَى
عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) . أى : الكثير من العلم والحكمة . . . وقوله تعالى : « فَغَشَّيَهُمْ
مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ » . أى : الهول الكثير ، والبلاء العظيم .

والمعول عليه في ذلك كله هو الغرض من الموصول ؛ فإن كان الغرض منه أمراً
معهوداً للمخاطب جاءت صلته معهودة مفصلة ، وإن أريد به التعظيم أو التهويل
جاءت مبهمة بمنزلة المفصلة .

٣ — أن تكون في الموصول الاسمية مشتملة على ضمير يعود على اسم الموصول
— غالباً^(١) — ويطابقه ؛ إما في اللفظ^(٢) والمعنى معاً ، وإما في أحدهما فقط على
التفصيل الذى سنعرفه . وهذا الضمير يسمى : « العائد ، أو : الرابط » لأنه
يعود — غالباً — على اسم الموصول ، ويربطه بالصلة . ولا يكون إلا في صلة
الموصولات الاسمية دون الحرفية^(٣) .

ويجب أن تكون مطابقته تامة ؛ بأن يوافق لفظ الموصول ومعناه . وهذا حين يكون
الموصول اسماً مختصاً ؛ فيطابقه الضمير في الأفراد والتأنيث ، وفروعهما ؛ نحو :
سَعِدَ الذى أخلص ، واللذان أخلصا ، والذين أخلصوا . والى أخلصت ، واللذان
أخلصتا ، واللاتى أخلصن . ومن هذا قول الشاعر :

أَمْتَزَلْتَنِي مَنِيَّ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلْ الْأَزْمَنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

أما إن كان الاسم الموصول عامّاً (أى : مشتركاً) فلا يجب في الضمير
مطابقته مطابقة تامة ؛ لأن اسم الموصول العام : لفظه مفرد مذكر دائماً ، كما
أسلفنا (مثل : مَنْ — ما — ذو . . .) ولكن معناه قد يكون مقصوداً به .
المفردة ، أو المثني ، أو الجمع . بنوعيهما ، ولهذا يجوز في العائد (أى : الرابط) .

(١) لأنه قد يعود على غيره جوازاً في نحو : أنا الذى سافرت — كما سيجىء البيان في «ب» من
الزيادة — ص ٣٨٠ . وقد يجوز حذفه ، طبقاً للبيان الآتى في ص ٣٩٤ م ٢٨ .

(٢) وذلك بأن يكون لفظ الموصول خاصاً بنوع واحد يقتصر عليه ، كأن يدل على المفرد المذكور
وحده ، أو على المفردة وحدها ، أو مثني أحدهما ، أو جمعه . وعند ذلك يطابقه الضمير ، فيكون مثله
للمفرد المذكور ، أو المفردة المؤنثة ، أو المثني أحدهما ، أو لجمع أحدهما .

(٣) لأن الموصول الحرفي يحتاج إلى صلة حتماً ، ولا يكون له رابط .

عند أمنّ اللبس، وفي « غير أل » : مراعاة اللفظ، وهو الأكثر، ومراعاة المعنى وهو كثير^(١) أيضاً - بالتفصيل الذي عرفناه - تقول شَقِيَّ مَنْ أُسْرِفَ ... فيكون الضمير مفرداً مذكراً في الحالات كلها ؛ مراعاة للفظ « من » ، ولو كان المراد المفردة، أو المثني ، أو الجمع بنوعيهما . وإن شئت راعيت المعنى ، فأثبت بالرابط مطابقة له ؛ فقلت : من أُسْرِفَتْ - من أسرفا - من أُسْرِفَتَا - من أسرفوا - من أُسْرِفُوا - من أسرفن . فالمطابقة في اللفظ أو في المعنى جائزة عند أمن اللبس في العائد على اسم الموصول المشترك . إلا إن كان اسم الموصول المشترك « أل » فتجب المطابقة في المعنى وحده ؛ لخفاء موصوليتهما بغير المطابقة - كما سبق عند الكلام عليها^(٢) .

وقد يغني^(٣) عن الضمير في الربط^(٤) اسم ظاهر يحل مكان ذلك الضمير ، ويكون بمعنى الموصول ؛ نحو : أشكر عليّاً الذي تفعلك علمُ عليّ ، أى : علمه . ونحو : قول الشاعر العربي :

فيا رَبَّ لَيْلَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَنْتَ الَّذِي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَطْمَعُ
أى : في رحمته أطمع^(٥) .

(١) ويجوز مراعاة المعنى بعد مراعاة اللفظ ، ويجوز العكس ، كما يجوز مراعاة اللفظ ، ثم المعنى ، ثم اللفظ - كما في رقم ٢ من هامش ص ٣٤٩ - . . . كل ذلك مع أمن اللبس . فإن حصل لبس من مراعاة اللفظ وجب مراعاة المعنى ؛ نحو : أنصف من أنصفتك . فلا يصح من أنصفك إذا كان المراد أنثى . ومثل اللبس . . قبح الإخبار بمؤنث عن مذكر ، نحو : من - هي حمراء - أمتك . وكذا في باقي المواضع الأخرى التي سبقت إليها الإشارة التفصيلية في رقم ٢ من هامش ص ٣٤٩ .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٣٥٦ .

(٣) لسبب بلاغي ؛ كالاستعطف ، أو التلذذ ، أو زيادة الإيضاح .

(٤) « ملاحظة » : يرى بعض النحاة : أن جملة الصلة قد تخلو من الرابط إذا عطف عليها بالفاء ، أو الواو ، أو : ثم - جملة أخرى مشتملة عليه ، مثل : الذي يشتد الكرب فيصبر ، شجاع - التي يتحرك القطار وتجلس ، عاقلة - الذي لاحت الفرصة ثم اغتنمها ، حازم . فجملة الصلة في هذه الأمثلة خالية من الرابط ؛ اكتفاء بوجوده في الجملة المتأخرة المعطوفة على جملة الصلة . وهذا رأى مقبول تؤيده الأساليب الكثيرة المسنوعة . (راجع الصبان ج ١ ، باب : « المبتدأ » ، عند الكلام على : الخبر الجملة ، ورابطه) .

(٥) ويصلح أن يكون منه قول الشاعر البحرى :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِينِ

(أى : عن عطاء كل لئيم دنس) . والأصل عما يدنسها . وهذا على اعتبار « ما » موصولة .

.....

زيادة وتفصيل

(١) هناك شروط أخرى في جملة الصلة ؛ أهمها :

١ - أن تتأخر وجوباً عن الموصول^(١) ؛ فلا يجوز تقديمها ، ولا تقديم شيء منها عليه . إلا إن كان بعض مكملاتها شبه جملة ففي تقديمه خلاف يجيء بيانه في الشرط الثاني .

٢ - أن تقع بعد الموصول مباشرة ؛ فلا يفصل بينهما فاصل أجنبي ؛ (أى : ليس من جملة الصلة نفسها) . وألا يفصل بين أجزاء الصلة فاصل أجنبي أيضاً ؛ ففي مثل : اقرأ الكتاب الذى يفيدك فى عملك ، وأرشد إليه غيرك ... لا يصح : (اقرأ الكتاب الذى - غيرك - يفيدك فى عملك ، وأرشد إليه) ؛ لوجود فاصل أجنبي بين الموصول وصلته ، وهو كلمة : « غير » التى هى من جملة أخرى غير جملة الصلة . ولا يصح : (اقرأ الكتاب الذى يفيدك - غيرك - فى عملك ، وأرشد إليه) ، لوجود فاصل أجنبي لم يفصل بين الموصول وصلته مباشرة ؛ وإنما تخلل جملة الصلة ، وفصل بين أجزائها مع أنه ليس منها ... وهكذا .

لكن هناك أشياء يجوز الفصل بها بين الموصولات الاسمية وصلتها إلا « أل » (فلا يجوز الفصل بينها وبين صلتها مطلقاً) . وكذلك يجوز الفصل بها بين الموصول الحرفى : « ما » وصلته - فى رأى قوى - دون غيره من باقى الموصولات الحرفية .

فأما الأشياء التى يجوز أن تفصل بين هذه الأنواع من الموصولات وصلتها فهى : جملة القسم ؛ نحو : غاب الذى « والله » قهر الأعداء^(٢) . أو جملة النداء بشرط أن يسبقها ضمير المخاطب ؛ نحو : أنت الذى - يا حامد - تتعهد الحديقة . أو بالجملة المعترضة ؛ نحو : والذى الذى - أطال الله عمره - يرعى

(١) سواء أكان اسماً أم حرفياً ؛ كالواضح من كلام النحاة ، ومنهم ابن عقيل ، والأشومى والصبيان عند بيت ابن مالك ، وهو : « وكلها يلزم بعده صلة ... » وجاء فى الأشومى (فى باب : « كان وأخواتها » عند الكلام على « دام » وقول ابن مالك فى خبرها : « وكل سبقته دام حظر ») ، قوله : إن الإجماع على منع خبر دام على « ما » مستلزم ، فقال الصبيان مبيناً سبب المنع ونفسه : (للزوم تقدم بعض الصلة على الموصول الحرفى وهو ممنوع ، ولزوم عمل ما بعد الحرف المصدرى فيما قبله وهو ممنوع أيضاً » اهـ .

(٢) انظر آخر رقم ٢ من هامش ص ٣٧٤ وهو فى صدر هامش ص ٣٧٥ .

شثوني ، أو بجملة الحال ، نحو : قدم الذى - وهو مبتسم - يحسن الصنيع .
أو : « كان » الزائدة ، نحو : كَرَّمَت الذى كان شاركته فى السباحة^(١) . . .

وكذلك يجوز تقديم بعض أجزاء الصلة الواحدة على بعض بحيث يفصل المتقدم بين الموصول وصلته ، أو بين أجزاء الصلة ، إلا المفعول به ؛ فلا يصح تقديمه على عامله إن كان الموصول حرفياً غير : « ما »^(٢) تقول : تفتح الورد الذى - العيون - يَسْرُ ببهائه . أو : تفتح الورد الذى - ببهائه - يَسْرُ العيون . تريد فيهما : تفتح الورد الذى يسر العيون ببهائه .

والفصل بتلك الأشياء على الوجه الذى شرحناه - جائز فى الموصولات الاسمية إلا « أل » ، غير جائز فى الموصولات الحرفية^(٣) إلا « ما » ؛ كما قلنا ؛ فيصح أن تقول : فرحت بما الكتابة أحسنت ، أى : بما أحسنت الكتابة . (بإحسانك الكتابة) .

ولما كان الفصل بين الموصول وصلته غير جائز إلا على الوجه السالف امتنع مجيء تابع للموصول قبل مجيء صلته ؛ ^{لا يكون له قبلها نعت ، ولا عطف بيان ،} أو نعت ، ولا توكيد ، ولا بدل ، وكذلك لا يُخْبَر عنه قبل مجيء الصلة وإتمامها . لأن الخبر أجنبى عن الصلة ، وكذلك لا يستثنى من الموصول ؛ فلا يصح : (رجع الذى - الصالح - ينفع المحتاجين) ؛ ولا يصح : (يحترم العقلاء الذى - محمداً - يفيد غيره) ، ولا : (نظرت إلى الذى - والحصن - سكنته) ، ولا : (رأيت التى - نفسها - فى الحقل) ، ولا : (جاء الذين - الذى - فاز) ، ولا : (الذى - سباح ماهر - عبر النيل) ، ولا : (وقف الذين - إلا محموداً - فى الغرفة) ، تريد : رجع الذى ينفع المحتاجين الصالح . ويحترم العقلاء الذى (أى : محمداً) ، يفيد غيره . ونظرت إلى الذى سكنته والحصن . ورأيت

(١) لهذا إشارة فى ص ٥٧٧ .

(٢) إذا اشتملت صلة الموصول الحرفى على مفعول به فى تقديمه على عامله بخلاف رددته المطولات ومنها : « الصبان » فقد ذكر - (فى ج ٢ آخر باب : « الفاعل » عند الكلام على امتناع تقدم المفعول به على عامله) - أنه يمنع تقديمه إن كان عامله واقعاً فى صلة حرف مصدرى ناصب ، بخلاف غير الناصب ، فيجوز : عجبت بما زهراً تفتح . . . ثم قال : « ومنهم من أطلق المنع » اهـ .

(٣) سبب ذلك هو : النهج العربى المسموع ، الذى يجعل « أل » مع صلته (وهى : الصفة الصريحة) كالكلمة الواحدة . وكذلك الموصولات الحرفية - غير ، « ما » فى رأى قوى - لشدة امتزاج الموصول الحرفى بصلته ؛ لتأويله معها بمصدر ؛ فهو مع صلته أقوى امتزاجاً من الاسمى . أما الموصول الحرفى : « ما » فقد وردت أمثلة تبين الفصل عند فريق كبير .

التي في الحقل نفسها . وجاء الذي فاز . والذي عبر النيل سباح ماهر - ووقف
الذين في الغرفة إلا محموداً .

ويفهم من هذا الشرط والذي قبله شيء آخر . هو : أنه لا يجوز تقديم الصلة
ولا شيء من مكملاتها على الموصول ، وهذا صحيح ، إلا أن يكون المكمل ظرفاً ،
أو جاراً مع مجروره - فيجوز التقديم عند أمن اللبس^(١) ، نحو : أمامنا الذي
قرأته رسالة كريمة . أي : الذي قرأته أمامنا رسالة كريمة . ومثل : الغزاة
هي - في حديثك - التي دخلت . أي : الغزاة هي التي دخلت في حديثك .

٣ - ألا تستدعي كلاماً قبلها ؟ فلا يصح : كتب الذي لكنه غائب ،
ولا : تصدق الذي حتى ما له قليل ؛ إذ « لكن » لا يتحقق الغرض منها
(وهو : الاستدراك) إلا بكلام مفيد سابق عليها ، وكذلك : « حتى » لا بد أن
يتقدمها كلام مفيد تكون غاية له .

٤ - ألا تكون معلومة لكل فرد ؟ فلا يصح شاهدت الذي فمه في وجهه ،
ولا حضر من رأسه فوق عنقه^(٢) .

(ب) إذا كان اسم الموصول خبراً عن مبتدأ ، هو ضمير متكلم أو
مخاطب ، جاز أن يراعى في الضمير الرابط^(٣) مطابقتها للمبتدأ في التكلم أو الخطاب ،
وجاز مطابقتها لاسم الموصول في الغيبة ؛ تقول : (أنا الذي حضرت ، أو : أنا
الذي حضر) . (وأنت الذي برعت في الفن ، أو : أنت الذي برع في الفن) ؛

(١) فقد وردت أشئلة لذلك في الكلام الفصيح - وفي مقدمته القرآن الكريم - تؤيد هذا الرأي
الكوفي الذي يرتضيه أيضاً بعض أئمة البصريين ، كالمازني والمبرد ، وتخالف الرأي الذي يمارضه معارضة
أساسها التكلف في التأويل بغير داع . ومنها قوله تعالى : (وكانوا فيه من الزاهدين) ، وقوله تعالى :
(وقاسمها إني لأكفأ من الناصحين) . وقوله تعالى : (وأنا على ذلكم من الشاهدين) . فكلية «أل» في الآيات
السالفة ، اسم موصول ، صلته المشتق ، وتقدم الجار والمجرور - وهما من مكملات الصلة - على اسم الموصول .
وقد أول كثير من النحاة تلك الآيات ونظائرها ، فجعلوا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف متقدم عليهما
يشبه الموصول وصلته المذكورين بعد ؛ فقالوا إن التقدير هو : (وكانوا من الزاهدين فيه من الزاهدين)
(وقاسمها إني من الناصحين لكما من الناصحين) (وأنا من الشاهدين على ذلكم من الشاهدين) وهذا التأويل
مرفوض ، إذ لا حاجة تفسطرننا إليه وإلى إخراج الآيات المتعددة . وغيرها - عن ظاهرها التركيبي العالي .
وقد قال المبرد في الكامل (١٦٠ . . . ص ٢٩) « إني أختار هذا الرأي ، وإنه رأى المازني أيضاً » . اهـ .
هذا ، وورود تلك الشواهد في أفصح الكلام وهو القرآن الكريم - يبيح لنا محاكاتها على الوجه الرادة
به من غير تردد . (٢) مع ملاحظة الفرق بين هذا وما سبق في رقم ٢ من ص ٣٧٥ .

(٣) الرابط (أي : المائد) بحث مستقل في ص ٣٩٤ .

... ..
... ..

فالتاء في الصورة الأولى يراد بها المبتدأ : (أنا) ولا تعود على اسم الموصول . وهو في هذه الحالة يعرب خبراً ؛ ولا يحتاج لرباط يعود عليه من الصلة ؛ اكتفاء واستغناء بالتاء المراد بها المبتدأ ؛ فيكون المبتدأ والخبر هنا كالشيء الواحد . أما في الصورة الثانية فالضمير في الصلة للغائب فيعود على اسم الموصول . ومثل ذلك يقال في الحالتين اللتين وقع فيهما المبتدأ ضمير المخاطب ، وخبره اسم موصول .

وكذلك يقال أيضاً في حالة ثالثة ؛ هي : أن يكون المبتدأ ضمير متكلم أو مخاطب ، وله خبر موصوف باسم موصول ؛ فيجوز في الرباط أن يكون للتكلم أو للمخاطب ؛ مراعاة للمبتدأ ، ويجوز فيه أن يكون للغيبة ، مراعاة لاسم الموصول . تقول : أنا الرجل الذي عاونت الضعيف ، أو أنا الرجل الذي عاون الضعيف — وأنت الرجل الذي سبقت في ميدان الفنون ، أو : أنت الرجل الذي سبق في ميدان الفنون^(١) .

ولنأخذ يجوز الأمران في الحالات السابقة ونظائرها بشرطين :

أولهما : ألا يكون المبتدأ الضمير مُشَبَّهًا بالخبر في تلك الأمثلة ؛ فإن كان مُشَبَّهًا بالخبر لم يجوز في الربط إلا الغيبة ؛ نحو : أنا في الشجاعة الذي هزم الرومان في الشام . وأنت في القدرة الذي بنى الهرم الأكبر ؛ تريد ؛ أنا في الشجاعة كالذي هزم الرومان في الشام ، وأنت في القدرة كالذي بنى الهرم الأكبر . فالمبتدأ في المثالين مقصود به التشبيه ، لوجود قرينة تدل على ذلك ؛ هي : أن المتكلم والمخاطب يعيشان في عصرنا ، ولم يدركا العصور القديمة .

وثانيهما : ألا يكون اسم الموصول تابعاً للمنادى : « أي » ، أو : أيّة ، في مثل : يأيّها الذي نصرت الضعيف ستسعد ، ويأيّها التي نصرت الحق ستفوزين . فلا يصح أن تشتمل الصلة على ضمير خطاب في رأى بعض النحاة ، دون بعض آخر . وملخص المسألة — كما سيجيء في ج ٤ ص ٣٦ م ٣٠ باب أحكام تابع المنادى — هو أنه لا بد من وصف ؛ « أي وأيّة » ، عند نداءهما بواحد من أشياء معينة محددة ، منها : اسم الموصول المبدوء « بأل » وقد اشترط الجمع (ج ١ ص ١٧٥) ، أن يكون الموصول مبدوءاً بأل ، وأن تكون صلته خالية من الخطاب ،

(١) راجع ما سبق في هذا عند الكلام على تعدد مرجع الضمير رقم ٩ من ص ٢٦٨ وما بعدها ولا سيما : « ط » من ص ٢٧٠ — كي يتبين الفرق بين الصور المعروضة .

فلا يقال يأيها الذى قمت . فى حين نقل الصبان (ج ٣ أول باب تابع المنادى) - صحة ذلك قائلًا ما نصه : (ويجوز يأيها الذى قام . ويأيها الذى قمت) ، والظاهر أن الذى منعه المصع ليس بالمنوع ، ولكنه غير الأفصح الشائع فى الكلام المأثور ؛ بدليل ما قرره النحاة ونقله الصبان فى الموضع المشار إليه ونصه : (الضمير فى تابع المنادى يجوز أن يكون بلفظ الغيبة ؛ نظرًا إلى كون لفظ المنادى اسمًا ظاهرًا ، والاسم الظاهر من قبيل الغيبة ، ولفظ الخطاب نظرًا إلى كون المنادى مخاطبًا ، فعلمت أنه يجوز أيضًا : يا زيد نفسه أو نفسك . قاله الدماميني . ثم قال : ويجوز يأيها الذى قام ، ويأيها الذى قمت) (١) هـ . كلام الصبان نصًا .

وكل ما سبق تقريره فى العائد من حيث التكلم أو الخطاب أو الغيبة يثبت لكل ضمير قد يحىء بعده ويكون بمعناه ؛ نحو : أنا الذى عاهدتك على الوفاء ما عشت . أو أنا الذى عاهدك على الوفاء ما عاش^(١) ، وقد يختلفان كما فى قول الشاعر :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

وسيجىء فى باب : « أحكام تابع المنادى » (فى الجزء الرابع) أن الضمير المصاحب لتابع المنادى يصح فيه أن يكون للغائب أو للمخاطب ، وأن هذا الحكم عام يسرى على توابع المنادى المنصوب اللفظ وغير المنصوب ، إلا صورة واحدة مستثناة وقع فيها الخلاف . وتطبيقًا لذلك الحكم العام نقول : يا عربا كلكم ، أو : كلهم ويا هارون نفسك ، أو : نفسه ، خذ بيد أخيك - يا هذا الذى قمت أو قام أسرع إلى الصارخ .

أما الصورة المستثناة التى وقع فيها الخلاف فهى التى يكون فيها المنادى لفظ . (أى ، أو : أية) والتابع اسم موصول ، فلا يجوز عند فريق من النحاة أن تشتمل صلته على ما يدل على خطاب ؛ فلا يصح : يأيها الذى حضرت ، ويصح عند غيره - كما سلف - .

هذا ، وبالرغم من جواز المطابقة وعدمها فى الصور السابقة التى فى قسم « ب » - فإن مطابقة الرابط لضمير المتكلم أفصح ، وأوضح ؛ فهى أولى من مراعاة

(١) وكما يراعى هذا فى رابط جملة الصلة يراعى بصورة أقوى فى رابط جملة الخبر ، (وسيأتى هنا فى باب المبتدأ والخبر) ، كما يراعى فى جملة الحال والنعت (- ج ٢ و٣ -) وقد سبق بعض منه فى باب : (الضمير ، عنه الكلام على موضوع : تطابق الضمير ومرجمه) (ص ٢٦٢) .

... ..
... ..

الموصول الغائب ، وكذلك مطابقته للمخاطب أولى من اسم الموصول الغائب ؛ لأن زيادة الإيضاح غرض لغوي هام ، لا يُعَدَّل عنه إلا للداعِ آخر أهم .

(ح) يميز الكوفيون جزم المضارع الواقع في جملة بعد جملة الصلة ، بشرط أن تكون الجملة الفعلية المشتملة على هذا المضارع مرتبة على جملة الصلة كترتب الجملة الجوابية على الجملة الشرطية حين توجد أداة الشرط التي تحتاج للجملتين ، فكان الموصول بمنزلة أداة الشرط ، والجملتان بعده بمنزلة جملة الشرط وجملة الجواب . فقي مثل : من يزورني^(١) أزوره ... يميزون : من يزورني أزوره ؛ يجزم المضارع : « أزُر » على الاعتبار السالف^(٢) . لكن حجتهم هنا ضعيفة ، والسماع القوي الغالب لا يؤيدهم ، ولهذا يحسن إهمال رأيهم ، والاكتفاء من معرفته بفهم المسموع الوارد ، دون محاكاةه — كما سيحيى في الجوازم (ج ٤) والنعت (ج ٣) — .

* * *

(١) باعتبار « من » موصولة ، بدليل عدم جزم المضارع بعدها
(٢) وما يوضح المذهب الكوفي ما تضمنته القصة الآتية (وهي مدونة في ص ٣٥ من الجزء الأول ، من المجلد الرابع والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الصادر في سنة ١٩٦٩) ونصها : « أن العلامة ابن مرزوق الحفيد ، قال : (« حضرت مجلس شيخنا ابن عرفة ، أول مجلس حضرته . فقرأ قوله تعالى : (وَمَنْ يَمْشِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ...) ، فتطرق لقراءة « يَمْشِ » بالواو ، مع جزم « نُقَيِّضْ » . وقال : وجهها أبو حيان بكلام ما فهمته ، ولعل فيه خطئاً ، قال ابن مرزوق : فاهتديت إلى فهمه . وقلت : إن جزم « نُقَيِّضْ » هو بمن الموصولة ؛ لشبهها بمن الشرطية ، وإذا كانوا يعاملون الموصول مطلقاً بذلك فمن التي يشبه لفظها لفظ الشرط أولئك . فاستحسن كلامي رحمه الله . ولكن الحاضرين أنكروا معاملة الموصول معاملة الشرط ، وقالوا : كيف يكون ذلك ؟ . فقلت : دخول الفاء في خبر الموصول في نحو : « الذي يأتيني فله درهم » ، دليل على ذلك : فنازعوني في ذلك . فقلت : قال ابن مالك في التسهيل : « وقد يجزمه متسبب عن صلة الذي : تشبيهاً بجواب الشرط » . فطالبوني بالشاهد ، فأثدت قول الشاعر :

كذلك الذي يبغى على الناس ظالماً تصبّه على عمده عواقب ما صنع
فأنسكوا » . ٥١ .

(٢) ج ٤ ص ٤٣٧ « ٥٧ » ١٥٧ عند الكلام على أحكام الجملة الجوابية .

(٣) ج ٣ ص ١١٤ « ٤٦٣ » ز باب النعت (بالجملة وشبه الجملة) .

وأما النوع الثاني وهو : « شبه الجملة » في باب الموصول فثلاثة أشياء^(١) :
الظرف - والجار مع المجرور - والصفة^(٢) الصريحة . ويشترط في الظرف والجار
مع المجرور أن يكونا تامين ، أى : يحصل بالوصل بكل منهما فائدة^(٣) ؛

(١) كل واحد من هذه الثلاثة يسمى : « شبه جملة » ، ولا يسمى جملة . - وفي ص ٤٧٦ وهامشها
بيان واف بسبب التسمية - والأصل في صلة الموصول أن تكون جملة - كما سبق في ص ٣٧٣ - ؛ سواء
أكانت فعلية أم اسمية ؛ لأن الجملة وحدها هي التي تزيل الإبهام ؛ فتحقق الغرض من الصلة . وليس
واحد من الثلاثة التي تشبهها - بجملة حقيقية . ولهذا وجب في الظرف وفي الجار مع مجروره إذا وقع أحدهما
صلة أن يكون متعلقاً بفعل محذوف ؛ ليكون الفعل مع فاعله الذي استقر في شبه الجملة بعد حذف
الفعل - هما الصلة في الحقيقة ؛ وإن كان الأيسر والأسهل اعتبارهما الصلة الملحوظة ، أو الصلة بحسب
الأصل ، مع اعتبار الظرف والجار مع مجروره الصلة بحسب الظاهر الحال . ولا ضرر في هذا الاعتبار
ما دامت الجملة الفعلية عند حذفها قد تركت اختصاصها لشبه الجملة بعدها . فحمل الضمير الذي كان فيها ،
وغيره مما قرره النحاة على الوجه الذي سردناه (في ص ٤٧٥ وهامشها) . وعلى هذا يكون ما يدور على الألسنة
اليوم عند الإعراب من أن الظرف ، أو الجار مع مجروره ، هو الصلة ، أمراً سائفاً مقبولاً - فوق أنه
رأى لبعض القدامى أيضاً - يحمل طابع التيسير والاختصار .

أمّا إن وقع أحدهما خبراً ، أو نعتاً ، أو حالاً ، فيصح تعلقه بمحذوف هو فعل ، أو اسم
مشتق استقر مرفوعه في شبه الجملة بعد حذف هذا المشتق ؛ فلا يتحتم تعلقه بفعل محذوف ؛ كما يتحتم في
الصلة ، وكما يتحتم في القسم الذي يحذف عامله - كما سنعرف - ويجوز التيسير والاختصار هنا أيضاً بجمل
شبه الجملة نفسه هو الخبر ، أو النعت ، أو الحال .

أما « الصفة الصريحة » فهي اسم مشتق بمعنى الفعل ، وله مرفوع خاص به ، يجيء بعده ظاهراً ، أو :
مستتراً ، كما أن الفعل كذلك . ولكن المراد بالصفة الصريحة هنا لا يشمل - كما سيجىء البيان في رقم ٢ من
هامش ص ٣٨٦ - إلا نوعين من الأسماء المشتقة ؛ هما : اسم الفاعل مع مرفوعه ، واسم المفعول مع مرفوعه ؛
فكلاهما يشبه الفعل في المعنى وفي الاحتياج إلى مرفوع بعده . ولهذا سمى شبهاً بالجملة . أما الصفة المشبهة ففيها
خلاف ، والنحاة يقولون ؛ إن الصفة الصريحة مع مرفوعها لا تسمى شبهة بالجملة إلا حين تقع صلة « أن » .
وبالرغم من أنها تسمى شبهة بالجملة - هنا فقط - فإنها في قوة الجملة معنى ، أى : من جهة المعنى (وهذا
الرأى هو الذى رجحه الصبان) كما تكون في قوة الجملة حين تقع خبراً . ويعدها بعض النحاة جملة حين
تكون خبراً - كما سيجىء في باب المبتدأ ، رقم ٥ من هامش ص ٤٤٦ - وهذه الصفة مع مرفوعها لا محل
لها من الإعراب (على الصحيح) حين تكون صلة « أل » ؛ كما أن جملة الصلة لا تدخل لها من الإعراب .
وعلى هذا ؛ إذا ذكر شبه الجملة في غير باب الموصول لم ينصرف إلا للظرف ، والجار مع مجروره ،
دون الصفة الصريحة .

(٢) سيجىء في باب « المبتدأ » (رقم ٥ من هامش ص ٤٤٦) أن بعض النحاة يعدها جملة هناك ، -
كما أشرنا في رقم ١ .

(٣) أوضح علامة تدل على وجود « الفائدة » المطلوبة من الظرف ومن الجار مع مجروره هي أن يفهم
متعلقهما المحذوف بمجرد ذكرهما . ويتحقق هذا في صورتين .

تزيل إبهام الموصول ، وتوضح معناه من غير حاجة لذكر متعلقهما ؛ نحو :
تكلم الذى عندك ، وسكت الذى فى الحجرة . فكل من الظرف : (عند) والجار
مع المجرور : (فى الحجرة) ، تام . ولا بد أن يتعلق كل منهما فى هذا

= الأولى : أن يكون هذا المتعلق المحذوف شيئاً يدل على مجرد الوجود العام ، والحضور المطلق دون
زيادة معنى آخر . ويسمى هذا : « الاستقرار العام » ، أو : « الكون العام » ومعناها مجرد الوجود
فى نحو : (تكلم الذى عندك) لا يفيد الظرف : « عند » شيئاً أكثر من الدلالة على وجود الشخص
وجوداً مطلقاً ؛ من غير زيادة شيء آخر على هذا الوجود ؛ كالأكل ، أو الشرب ، أو القراءة ، أو
غيرها . وهذا هو : « الاستقرار العام » أو : « الكون العام » ... كما قلنا . ولا يحتاج فى فهمه إلى قرينة ،
أو غيرها . وكذلك نحو : (سكت الذى فى الحجرة) ، أى : الموجود فى الحجرة وجوداً مطلقاً ، غير
مقيد بزيادة شيء آخر ؛ كالنوم ، أو : الضحك ، أو : المشى ... وكذلك غيرها من الأمثلة .

ولما كان هذا الكون العام واضحاً ومفهوماً بداهة وجب حذفه إن وقع صلة ؛ لعدم الحاجة إليه فى
كشف المراد ؛ فهو محذوف كالمذكور . وكذلك يحذف وجوباً إن وقع خبراً ، أو صفة ، أو حالاً ،
كما سنعرف هنا ، وفى أبوابها .

الثانية : أن يكون متعلقهما أمراً خاصاً محذوفاً لوجود ما يدل عليه . ويظهر المتعلق الخاص فى
المثالين السابقين بأن نقول : « تكلم الذى وقف عندك » و « سكت الذى نام فى الحجرة » . فكلمة :
« وقف » أو « نام » تؤدى معنى خاصاً ؛ هو : الوقوف ، أو : النوم ، ولا يمكن فهمه إلا بذكر
كلمته فى الجملة ، والتصريح بها ؛ فليس هو مجرد حضور الشخص ووجوده المطلقين ؛ وإنما هو الوجود
والحضور المقيدان بالوقوف أو بالنوم . . . ولهذا لا يصح حذف المتعلق الخاص إلا بدليل يدل عليه ؛
مثل : قعد صالح فى البيت ، ومحمد فى الحديقة ؛ فتقول : بل صالح الذى فى الحديقة . تريد : بل صالح
الذى قعد فى الحديقة . فإن حذف المتعلق الخاص بغير دليل كان الظرف والجار مع المجرور غير تامين ؛
فلا يصلحان للصلة ؛ مثل : هداً الذى أمامك ، أو : منك . تريد : هداً الذى غضب أمامك ، أو :
غضب منك . . . ومثل غاب الذى اليوم . . . أو الذى بك . . . تريد : غاب الذى حضر اليوم ،
والذى استعان بك . . .

هذا ، وظرف المكان هو الذى يكون متعلقة فى الصلة كوناً عاماً واجب الحذف ، أو كوناً خاصاً
واجب الذكر إلا عند وجود قرينة فيجوز معها حذفه أو ذكره . أما ظرف الزمان فلا يكون متعلقه
إلا خاصاً ؛ فلا يجوز حذفه إلا بقرينة ، وبشرط أن يكون الزمن قريباً من وقت الكلام ؛ نحو : نزلنا
المنزل الذى الباردة ، أو أمس ، أو آنفاً ، (أى : فى أقرب ساعة ووقت منا) ، تريد : الذى نزلناه
الباردة ، أو أمس أو آنفاً . فإن كان زمن الظرف بعيداً من زمن الإخبار بمقدار أسبوع مثلاً ، لم يحذف
العامل . فلا تقول : نزلنا المنزل الذى يوم الخميس أو يوم الجمعة . إذا كان قد مضى نحو أسبوع . . .
ولم يحدد النحاة الزمن القريب أو البعيد ؛ ولكن قد يفهم من أمثلتهم أن القريب : ما لم يتجاوز يومين ،
وأن البعيد ما زاد عليهما . وربما كان عدم التحديد مقصوداً منه ترك الأمر للتكلم والسامع .

وشبه الجملة بنوعيه يسمى : « مستعراً » - بفتح القاف - حين يكون متعلقه كوناً عاماً ، ويسمى :
« لفظاً » حين يكون متعلقه كوناً خاصاً مذكوراً ، أو محذوفاً لقرينة - وشرح هذا فى ص ٧٧ - .

الباب (١) - وحده - بفعل لا بشيء آخر ؛ وهذا الفعل محذوف وجوباً - لأنه كَوْن عام^(٢) تقديره : استقرّ ، أو حلّ ، أو نزل ... وفاعله ضمير مستتر يعود على اسم الموصول ، ويربط بينه وبين الصلة . فالأصل في المثالين السابقين - تكلم الذى استقر عندك ، وسكت الذى استقر فى الحجرة . وهكذا . . .

« ملاحظة » : إذا وقع الظرف نفسه صلة « أل » - (بأن دخلت عليه مباشرة ، كصنيع بعض القبائل العربية فى مثل قولهم : سررت من الكتاب الممتعك ؛ (يريدون : الذى معك) - فإنّ تعلق الظرف فى هذه الحالة لا يكون إلاّ بصفة صريحة ، تقديرها : « الكائن » ، أو : نحو هذا التقدير . لأن صلة : « أل » لا بد

(١) لأن الصلة - لغير أل - كما قلنا - لا بد أن تكون جملة (للسبب الذى فى رقم ١ من هامش ص ٢٨٣) ، ووقوع الظرف أو الجار مع المجرور صلة ليس قائماً على أساس أنه بنفسه الصلة ، وإنما على أساس تعلقه بفعل يكون هو وفاعله الصلة فى الحقيقة . ولا يصح فى هذه الصلة التى لغير : « أل » أن يكون الظرف أو الجار مع المجرور متعلقاً باسم محذوف ، مشتق أو شبه يكون خبراً لمبتدأ محذوف ؛ ويكون التقدير مثلاً : تكلم الذى هو كائن عندك ، أو فى الحجرة ، لا يصح ذلك لأن شرط الحذف من الصلة - كما هو مدون فى ص ٣٩٢ و ٣٩٤ - ألا يصلح الباقى بعد الحذف لأن يكون صلة . والباقى هنا - وهو الظرف أو الجار مع المجرور - صالح لذلك . أما فى غير الصلة فالظرف والجار مع مجروره إذا تعلقا بمحذوف ، جاز أن يكون فعلاً وأن يكون مشتقاً مع مرفوعه ؛ كما إذا وقعاً خبراً ، أو صفة ، أو حالاً ... وفريق من النحاة يرى أن الظرف وحده ، أو الجار مع المجرور ، هو الصلة دون الحاجة إلى متعلقهما . لكن إذا عرفنا أن وظيفتهما المعنوية فى الجملة لا تتحقق إلا مع قيام عامل فيهما يكلان معناه - أمكننا أن نستريح إلى ما يقوله أصحاب الرأى الأول من وجود عامل محتوم لهما ، وأن هذا العامل المحتوم هو فى الصلة فعل يتعلقان به ، فيحذف حيناً ، أو يذكر حيناً على حسب أحكامه الخاصة به . - وقد أوضحنا هذا فى باب : « حروف الجر » ، آخر الجزء الثانى . - غير أننا فى عصرنا قد نعرب الظرف أو الجار مع المجرور صلة ، وخبراً ، وحالاً ، وصفة ، من غير أن نذكر فى الكلام أن كلا منهما متعلق بمحذوف ، ومن غير إنكار لأمر هذا المحذوف ؛ وإنما نهمله اعتماداً على شهرته ومعرفته ، وأنه لا حاجة لترديده مع الاقتناع بوجوده . وهذا إيجاز حسن مقبول . ويتفق مع رأى بعض الأئمة من يقولون إن اختصاص الفعل فى الصلة قد انتقل إلى شبه الجملة كما انتقل إليه أيضاً ضمير الفعل . (وقد أشرنا لهذا فى هامش ص ٣٨٤ وسيجيء تفصيله فى هامش ص ٤٧٥ حيث قلنا فى تلك الصفحة لا غنى عن الرجوع إلى الإيضاح التام الذى فى ج ٢ ص ٢٣٢ م ٧٨ وص ٤١٣ وما بعدها م ٨٩) .

(٢) سبق - فى رقم ١ من هامش ص ٣٨٤ - أنه لا بد أن يكون العامل المحذوف « فعلاً » إذا تعلق به شبه الجملة الواقع صلة لموصول غير « أل » كما يجب تقديره فعلاً فى جملة القسم ، لأن جملة الصلة لموصول غير « أل » وجملة القسم الذى يحذف عامله لا يكونان إلا فعليتين - كما سيجيء فى ج ٢ باب الظرف ص ٢٣٢ م ٧٨ - .

أن تكون صفة صريحة ، ولا يصح التعلق بفعل — كما سنعرف^(١) . . .
 أما الصفة^(٢) الصريحة فالمراد بها : الاسم المشتق الذي يشبه الفعل في التجدد والحدوث^(٣) ، شبهاً صريحاً ؛ أى : قوياً خالصاً (بحيث يمكن أن يحمل الفعل محله) ولم تغلب عليه الاسمية الخالصة . وهذا ينطبق على اسم الفاعل — ومثله صيغ المبالغة — واسم المفعول ؛ لأنهما باتفاق يفيدان التجدد والحدوث ؛ مثل (قارى ، فاهم) ، (زرّاع ، سبّاق) ؛ (مقروء ، مفهوم) . . .^(٤)

(١) فيما يلي مباشرة .

(٢) لا يراد بالصفة هنا الذات ، وإنما يراد بها الاسم المشتق من المصدر للدلالة على شيئين معاً ؛ هما : ذات ، وشيء فعلته تلك الذات ، أو وقع عليها من غيرها ، أو اتصل بها بنوع من الاتصال نحو : قائم ، مكرم ، ملعب . فكلية : « قائم » تدل على شيئين : (ذات) « فعلت القيام » ، وكلية : « مكرم » تدل على شيئين أيضاً : (ذات) « حصل لها الإكرام » . . . و « ملعب » تدل على شيئين : (ذات ، أى : مكان) « حصل فيه اللعب » وهكذا . . . والأحسن أن يقال : « معنى صاحبه » لأن صاحبه في أحيان قليلة يكون غير ذات ولا مشخص .

وعلى ضوء ما تقدم نفهم معنى قولهم : إن المشتق هو ما دل على ذات وصفة ، أى : ذات ؛ وشيء آخر اتصفت به تلك الذات ؛ بأن فعلته هي مباشرة ، أو لم تفعله هي وإنما وقع عليها . أو التصق بها بطريقة ما ، كما أشرنا .

والمشتقات الأصلية ثمانية ، (يجب شرحها في الجزء الثالث ص ١٧٨ م ٩٨ وما بعدها) ؛ اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعل التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة ، والمصدر الميمي . (ومنها ؛ الأفعال أيضاً باعتبارها مأخوذة من المصدر ، وإن كانت لا تدل على ذات) . ولكل مشتق باب يعوى أحكامه المختلفة . والذي يعيننا الآن أن كل واحد من هذه المشتقات الثمانية يشبه — في الغالب — الفعل المضارع الذي يشترك معه في الاشتقاق من مصدره ؛ « فقام » يشبه « يقوم » وكلاهما مشتق من « القيام » . و « مكرم » يشبه « يكرم » ؛ وكلاهما مشتق من « الإكرام » و « ملعب » يشبه « يلعب » وكلاهما مشتق من « اللعب » وهكذا . والمشتق إنما يشبه — غالباً — المضارع في معناه ، وفي عمله ، وفي الدلالة على زمنه ، وفي حركات الحروف وسكتاتها . غير أن هذا الشبه متفاوت بين تلك المشتقات ، وليست فيه سواه ، فنه ما يشبه في الأشياء السابقة كلها ؛ كاسم الفاعل ، واسم المفعول ؛ ولذا يسميان : « الصفة الصريحة » ؛ أى : المحضة ، القاطعة في مشابهته — وهما المقصودان في صلة أل — ويمكن تأويلهما به ، مع بعدهما عن الاسم الصميم (أى : الخامد) ، ومنها ما يشبه في أكثرها كالصفة المشبهة ، ثم اسم التفضيل . ومنه ما يشبه في أقلها وهو اسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة ؛ فإن كل واحد من هذه الثلاثة لا يكاد يشبه المضارع — باطراد في شيء إلا في المعنى العام ، ثم لا يكاد — بعد ذلك — يشبه ولا يشبه غيره من الأفعال في الدلالة على الزمن ، ولا في العمل ، ولا في الحركات ، ولا السكتات ، ولا غيرها .

(٣) لذلك يقولون عنها إنها اسم في اللفظ ، فعل في المعنى ، ويعطف عليها الفعل ؛ مثل قوله تعالى :

(إِنَّ الْمَصْدُقَيْنَ الْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ . . .)

(٤) أما الصفة المشبهة ففيها خلاف غنيف — عرضه في أول باب : « الإضافة » عند الكلام على المضاف الذي يشبه : « يفعل » ، والإضافة المحضة وغير المحضة . ووجه منعهما أن تكون صلة : « أل » ومخالفتهما لاسم الفاعل واسم المفعول الأصليين أنها لا تقول بالفعل ، لأنها للثبوت والفعل للتجدد والحدوث ؛ ومن ثم كانت « أل » الداخلة على اسم التفضيل ليست موصولة . ووجه الجواز مشابهتها بالفعل في رفعها الاسم الظاهر .

وتكون الصفة الصريحة مع مرفوعها^(١) صلة « أل » خاصة ؛ فلا يقمان صلة
لغيرها ، ولا تكون « أل » اسم موصول مع غيرهما على الأشهر^(٢) . تقول : انتفع
القارئ - سمّا الفاهم - اغثنى الزّراع ، فاز السّباق ، المقروء قليل ، ولكن
المفهوم كثير . . . ومثل المرتجى والخائب في قول الشاعر :
الصدق يألفه الكريم المرتجى والكذب يألفه الدنيء الخائب

ولمّا كانت الصفة الصريحة مع مرفوعها هي التي تقع صلة « أل »
وتتصل بها اتصالاً مباشراً ، ولا ينفصلان ؛ حتى كأنهما كلمة واحدة - كان
المستحسن إجراء الإعراب بحركاته المختلفة على آخر هذه الصفة الصريحة دون

(١) لا بد أن يرفع اسم الفاعل فاعلاً ، وأن يرفع اسم المفعول نائب فاعل ، وقد يحتاج كل منهما
بعد ذلك إلى مفعول به أو أكثر ، وربما لا يحتاج ؛ فشأنهما في الحاجة إلى المفعول كشأن فعلهما . وبيان هذا
وتفصيله مدون في بابها ج ٣ .

(٢) بشرط دلالتها على الحدوث . فلو قامت قرينة على أنها للدوام وجب اعتبار « أل » التي
في صدرها للتعريف ؛ لأنها مع الدوام يعتبران « صفة مشبهة » ؛ كالؤمن ، والمهندس ، والصانع ،
وإنما قلنا : « على الأشهر » ، لأن بعض القبائل العربية قد يدخل « أل » على الجملة المضارعية ؛ فتكون
هذه الجملة هي الصلة . ومن أمثلتها ؛ قول الشاعر :

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتَهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْبَجَلِ

أي : الذي ترضى حكومته . (مع ملاحظة أن « أل » الداخلة على تاء المضارع يجوز إدغامها
في التاء وعدم إدغامها ، بخلاف « أل » الحرفية - وسيجيء الكلام عليها في ص ٢٢٢ - فإنها تدغم في التاء
عند دخولها عليها في مثل : التمر - التراب - التبر . . . وغيرها من الأسماء أو الأفعال ، كدخولها على
مضارع مبدوء بالتاء ، وقد صار علماً مجرداً . (أي : اسماً محضاً لا يدل على معنى الفعل ، ولا على زمنه)
مثل الأعلام « تشكر » و « تسعد » و « تعز » نقول بالإدغام : التشكر ، والتسعد ، والتعز . . .)
ومنهم من يدخلها على الجملة الاسمية ويجعل هذه الجملة صلة ، مثل قول الشاعر :

مِنَ الْقَوْمِ الرَّسُولُ اللَّهِ مِنْهُمْ لَهُمْ دَانَتْ رِقَابُ بَنِي مَعَدٍّ

(أي : من القوم الذين رسول الله منهم) . أو على الظرف ويجعله صلة ، نحو قول الشاعر :

مَنْ لَا يَزَالُ شَاكِرًا عَلَى الْمَعَةِ فَهُوَ حَرَمٌ بِعَيْشَةٍ ذَاتِ سَعَةٍ

(أي : الذي معه) . والظرف « مع » متعلق هنا بصفة صريحة ، محذوفة تقديرها : « الكائن » معه ؛ لأن
صلة « أل » لا بد أن تكون كذلك . ولا يصح تعلقه في هذا المثال وأشباهه بفعل محذوف للسبب السالف ؛
فهو مستثنى من وجوب تعلق شبه الجملة بفعل محذوف يكون مع فاعله صلة - كما أشرنا في ص ٣٨٥ - .
« وأل » في الأمثلة السابقة كلها اسم موصول بمعنى الذي - أو أحد فروعه - مبنى على السكون في محل
رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعه من الجملة (فهي مثل « الذي » تماماً أو « التي » وفروعها ،
في أمثلة أخرى) ، وما بعدها من جملة فعلية أو اسمية هو صلة الموصول لا محل له . فإن جاء بعدها ظرف فهو
متعلق بصفة صريحة محذوفة ، هي مع فاعلها صلة الموصول لا محل له ، ولا يصح تعلقه بفعل - لما قلنا - .

ملاحظة « أل » ؛ فهو يتخطاها - برغم أنها اسم موصول ^(١) مستقل ، وأن صلته هي شبه الجملة المكون من الصفة الصريحة مع مرفوعها - فالصفة وحدها هي التي تجرى عليها أحكام الإعراب ، ولكنها مع مرفوعها صلة لا محل لها . والأخذ بهذا الإعراب ^(٢) أيسر وأبعد من التعقيد الضارب في الآراء الأخرى .

فإن غلبت الاسمية على الصفة صارت اسماً جامداً ، ولم تكن « أل » الداخلة عليها اسم موصول ، مثل الأعلام : المنصور ، والهادى ، والمأمون ، والمتوكل . . . من أسماء الخلفاء العباسيين ؛ ومثل : الحاجب ؛ لما فوق العين . والقاهرة ، والمنصورة ، والمعورة ، من أسماء البلاد المصرية ^(٣) .

* * *

= وقد ذكرنا هذه الأمثلة وإعرابها ، والأحكام الخاصة بها ، لا نستعملها - مع حوازا استعمالها - ولكن لفهم نفاذها التي قد تمر بنا في النصوص القديمة ، من غير أن يكون ذلك داعياً للرضا عن استعمالها اليوم ؛ لقلة المأثور منها ، ونفور الذوق البلاغى الحديث من استعمالها ، وانصراف الكثرة عنها قديماً وحديثاً فالخير في تركها مهجورة .

(١) وهل تفيد التعريف أو لا تفيده ؟ رأيان سبق تفصيل الكلام عليها في رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦ ورقم ١ من هامش ص ٣٧٠ .

(٢) وقد سبق هذا (في رقم ٢ من هامش ص ٣٥٦ وص ٣٥٧ . . .) وهو رأى لبعض النحاة القدامى .

(٣) وفي الصلة وشروطها وما يتصل بها يقول ابن مالك بإيجاز :

وَكُلُّهَا يَلْزُمُ بَعْدَهُ صَلَـةٌ عَلَى ضَمِيرٍ لَاتِقٍ مُشْتَمِلَةٍ
وَجَمْلَةٍ أَوْ شَبْهُهَا الَّذِي وُصِّلَ بِهِ : كَمَنْ عِنْدِي الَّذِي ابْنُهُ كُفْلٌ
وصِفةٌ صريحةٌ صَلَـةٌ : « أَلْ » وَكَوْنُهَا بِمُعْرَبِ الْأَفْعَالِ قَلْ

أى : كل الموصولات يحتاج بعده إلى صلة دائماً ؛ ولا فرق في هذا بين الموصولات الاسمية ، والحرفية ثم قال ! الصلة لابد أن تشتمل على ضمير لائق ؛ أى ؛ مطابق للموصول . وقد عرفنا أن هذا الرابط خاص بصلة الموصول الاتسمى دون الحرفى . ثم بين أن الذى يوصل به (أى : الذى يكون صلة) هو الجملة أو شبه الجملة . وأتى بمثال واحد فيه موصولان ؛ أحدهما صلته شبه جملة ، والآخر صلته جملة ، والمثال هو : « من عندى الذى ابنه كفل » ، أى : الذى عندى هو الذى ابنه كفل (أى : كان موضع الرعاية) . فكلمة « من » اسم موصول مبتدأ ، وصلته شبه الجملة : « عند » ، وخبره : الذى ، اسم موصول أيضاً . وصلته جملة اسمية هي : (ابنه كفل) .

ثم أشار في البيت الثالث إلى أن صلة « أل » لا تكون إلا الصفة الصريحة . وقد شرحناها - وأن دخولها على الفعل المعرب ؛ وهو المضارع - قليل ؛ فيكون هو وفاعله صلة . ومن أمثله البيت الذى سبق في هامش ص ٣٨٧ - وهو :

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ

.....

زيادة وتفصيل

يقتضى المقام أن نعرض لمسائل هامة تتصل بما نحن فيه : منها :

- ١ - تعدد الموصول ، والصلة .
 - ٢ - حذفها .
 - ٣ - حذف الموصول .
 - ٤ - اقتران الفاء بخبر اسم الموصول ، والتفريعات المتصلة بهذا .
 - ٥ - حذف العائد (ولهذا بحث مستقل في ٣٩٤) .
- وليك الكلام في هذه المسائل .

١ - تعدد الموصول والصلة :

٢ - قد يتعدد الموصول^(١) من غير أن تتعدد الصلة ؛ فيكتفى موصولان أو أكثر بصلة واحد . ويشترط في هذه الحالة أن يكون معنى الصلة أمراً مشتركاً بين هذه الموصولات المتعددة ، لا يصح أن ينفرد به أحدها ، دون الآخر ، وأن يكون الرابط مطابقاً لها باعتبار تعددها^(٢) . مثل : فاز بالمنحة « الذى » « التى » أجادا ، وأخفق « الذين واللاتى » أهملوا . ففي المثال الأول وقعت الجملة الفعلية : (أجادا) صلة لاسمى الموصول : « الذى » و « التى » . ولا يصح أن تكون صلة لأحدهما بغير الآخر ؛ لاشتراكهما معاً في معناها ؛ ولأن الرابط مثنى لا يطابق أحدهما وحده ، وإنما لوحظ فيه أمرهما معاً^(٣) . وكذلك الشأن في المثال الآخر .

٢ - قد تتعدد الموصولات وتتعدد معها الصلة ؛ فيكون لكل موصول صلته ؛ إما مذكورة في الكلام ، وإما محذوفة^(٤) . جوازاً ، وتدل عليها صلة أخرى مذكورة .

(١) بنوعيه : والاسمى الحرفى .

(٢) مع ملاحظة أن الرابط لا يوجد إلا في صلة الموصول الاسمى دون الحرفى -- كما سبق في

ص ٣٧٦ .

(٣) مع مراعاة التغليب في بعض نواحي المطابقة ؛ كالتذكير في المثالين المذكورين . والتغليب جائز عند وجود قرينة ، (كما أوضحنا في رقم ٦ من هامش ص ١١٨ وفى رقم ١ من هامش ص ١٣٩) .

(٤) لا يجوز حذف صلة الموصول الحرفى إلا إذا بقى معمولها ؛ مثل : أمّا أنت منطلقاً انطلقت . أى : لأن كنت منطلقاً انطلقت . فحذفت « كان » وبقي معمولها ... كما هو موضح في آخر باب :

.....
.....

بشرط أن تكون المذكورة صالحة لواحد دون غيره ؛ فلا تصلح لكل موصول من تلك الموصولات المتعددة ؛ نحو : عُدْتُ « الذى » و « التى » مرضت . وسارعت بتكريم « اللاتى » و « الذين » أخلصوا للعلم . فالصلة فى كل مثال صالحة لأحد الموصولين فقط ؛ بسبب عدم المطابقة فى الرابط ؛ فكانت صلة لواحد ، ودليلاً لفظياً على صلة الآخر المحذوفة جوازاً . فأصل الكلام عدت الذى مرض ، والتي مرضت . وسارعت بتكريم اللاتى أخلصن . والذين أخلصوا . وهذا نوع من حذف الصلة جوازاً ، لقريئة لفظية تدل عليها (١) . . .

وقد تحذف الصلة لوجود قريئة لفظية أيضاً ولكن من غير أن يتعدد الموصول ؛ مثل : من رأيت فى المكتبة ؟ . فتجيب : محمد الذى . . . أو : سعاد التى . . . ويشترط ألا يكون فى الكلام ما يصلح صلة بعد المحذوفة .

وقد تحذف الصلة من غير أن يكون فى الكلام قريئة لفظية تدل عليها وإنما تكون قريئة معنوية يوضحها المقام ؛ كالفخر ، والتعظيم ، والتحقير ، والتهويل . . . فن أمثلة الفخر أن يسأل القائدُ المهزومُ البادى عليه وعلى كلامه أثرُ الهزيمة ، قائداً هزمه : من أنت ؟ . فيجيبه المنتصر : أنا الذى . . . أى : أنا الذى هزمتك . فقد فهمت الصلة من قريئة خارجية ، لا علاقة لها بالفاظ الجملة . ومثل : أن يسأل الطالبُ المتخلف زميله الفائز السابق بازدياد : من أنت ؟ فيجيب الفائز : أنا الذى . . . أى : أنا الذى فزت ، وسبقتك ، وسبقت غيرك . . ومنه قول الشاعر يفاخر :

نَحْنُ الْأُمَى . . . فَتَاجِمَعُ جُمُو عَكَ ثُمَّ وَجَنَّهُمُ الْيَنَنَا

= « كان » عند الكلام على حذفها ص ٨٠ - ومثل قولهم :

« كُلُّ شَيْءٍ مِّمَّهٌ مَا ، النِّسَاءُ وَذِكْرُهُنَّ »

أى : ما عدا النساء وذكرهن . يريد : كل شيء سهل يسير ، قد يحتمله الحر ، ويصبر عليه - ما خلا التعرض لنسائه ، والتحدث عنهن . . . وهذه أمثلة مسموعة بكثرة تبين القياس عليها ؛ بقريئة تدل على المحذوف ، ولا تدع مجالاً للخفاء - كما سنعرف - بكلمة : « ما » هنا موصول حرق . وبعده الفعل « عدا » محذوفاً مع فاعله . (وتفصيل الكلام عليهما مسبوقين بما المصدرية ، موضع فى باب الاستثناء - ج ٢ -) .

(١) وما ذكرناه فى النوعين السابقين يوضح قول النحاة : (قد ترد صلة بعد موصولين أو أكثر ، مشتركةً كما فيها ، أو مدلولاً بها على ما حذف . فالاشتراك فيها إذا ناسبت الصلة جميع ما قبلها من الموصولات ، والدلالة فيها إذا لم تناسب إلا واحداً منها) . ثم قالوا : إن القسم الأول يدخل فى قسم الصلة المحذوفة ، وإن الثانى يدخل فى قسم الصلة المحذوفة ، أو التى فى الية .

... ..
... ..

أى : نحن الذين اشتهروا بالشجاعة ، والبطولة ، وعدم المبالاة بالأعداء .
ومن أمثلة التحقير أن يتحدث الناس عن لص فتاك ، أوقعت به حيلة فتاة
صغيرة و غلام ، حتى اشتهر أمرهما . ثم يراهما اللص ؛ فيقول له أحد
الناس : انظر إلى التى والذى . . . أى : التى أوقعت بك . والذى أوقع بك . . .
ويشترط فى حذف الصلة هنا ما سبق فى سابقتها من عدم وجود ما يصلح صلة بعد
المحذوفة .

وقد وردت أساليب قليلة مسموعة عند العرب ، التزموا فيها حذف الصلة ؛
كقولهم : عند استعظام شئء وتهويله : « بعد اللَّتْيَا ^(١) وَالَّتَى ... » ، يريدون : بعد
اللَّتْيَا كَلَّفْتُنَا ما لا نطيع ، والتى حَمَلْتُنَا ما لا نقدر عليه — أدركنا ما نريد .
مما تقدم نعلم أن حذف الصلة فى غير الأساليب المسموعة جائز عند وجود
قرينة لفظية ، أو معنوية ؛ سواء أكانت الموصولات متعددة ، أم غير متعددة
بشرط عام ؛ هو ألا يكون الباقى بعد حذفها صالحاً لأن يكون صلة .

٣- يجوز حذف الموصول الاسمى ^(٢) غير « أل » إذا كان معطوفاً على
مثله ، بشرط ألا يقع حذفه فى لبس ؛ كقول زعيم عربى : « أيها العرب ،
نحن نعلم ما تفيض به صدور أعدائنا ؛ من حقد علينا ، وبغض لنا ، وأن فريقاً
منهم يدبر المؤامرات سرّاً ، وفريقاً يملأ الحواضر إرجافاً ^(٣) ، وفريقاً يُعيد
العُدّة للهجوم علينا ، وإشعال الحرب فى بلادنا . ألا فليعلموا أن من يُدبّر
المؤامرات ، وينشر الأراجيف ، ويحشد الجيوش للقتال — كمن يطرق حديداً
بارداً . بل كمن يضرب رأسه فى صخرة عاتية ليحطمها ؛ فلن يخذلها
وسيحطم رأسه » .

فالمعنى يقتضى تقدير أسماء موصولة — محذوفة — ؛ وإلا فسد ؛ فهو يريد
أن يقول : من يدبر المؤامرات ، ومن ينشر الأراجيف ، ومن يحشد الجيوش ...
ذلك لأنهم طوائف متعددة ، ولن يظهر التعدد إلا بتقدير « من » . ولولاها
لأوهم الكلام أن تلك الأمور كلها منسوبة لفريق واحد ؛ وهى نسبة فاسدة . ولهذا

(١) اللَّتْيَا (بضم اللام المشددة أو فتحها) تصغير : « التى » . . . سماعا . . .

(٢) لهذا إشارة فى ص ٤٠٨ — الأمل الخامس .

(٣) هو : إذاعة الأخبار السيئة الكاذبة ؛ ليضطرب الناس ، ويشعروا .

.....

يجب عند الإعراب مراعاة ذلك المحذوف ، كأنه مذكور ، ومثله قول حسان في أعداء الرسول عليه السلام :

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَسْمُدْهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ
 فالتقدير ؛ من يهجو رسول الله ، ومن يمدحه ، ومن ينصره سواء . ولولا هذا
 التقدير لكان ظاهر الكلام أن الهجاء والمدح والنصر — كل أولئك — صادر من
 فريق واحد . ومن هذا قوله تعالى (١) : (قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) ،
 أى : والذي أنزل إليكم ، لأن المنزل إلى المسلمين ليس هو المنزل إلى غيرهم
 من أهل الكتاب .

أما الموصول الحرفي فلا يجوز حذفه . إلا « أن » فيجوز حذفها (٢) ؛ مثل
 قوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم) ، وقد يجب . ولهذا الحذف — بنوعيه —
 تفصيلات — موضعها الكلام على « أن » الناصبة (٣) .

٤ — قد يقرن الخبر الذى مبتدؤه بـ «سول بالفاء وجوباً أو جوازاً ، أو الذى
 مبتدؤه متصل باسم الموصول بنوع من الاتصال على الوجه الذى يحىء بيانه وتفصيله
 فى مكانه المناسب من باب المبتدأ والخبر ، تحت عنوان : « مواضع اقتران الخبر بالفاء »
 ص ٥٣٤ م ٤١ وما بعدها . ومنها نعلم مواضع زيادة « الفاء » فى صلة الموصول بنوعيه
 بسبب إبهامه وعمومه .

• • •

(١) على لسان المسلمين حين مخاطبتهم من أهل الكتاب .
 (٢) سجد له إشارة فى الأمر الخامس ، ص ٤٠٨ ، أما التفصيل فى الجزء الرابع ، باب :
 إعراب الفعل « التواصب » .

المسألة ٢٨ :

حذف الرابط (أى : العائد)

لا بد لكل موصول - اسمي أو حرفي - من صلة . فإن كان اسمياً وجب أن تشمل صلته ^(١) على رابط ؛ هو : الضمير ، أو ما يقوم مقامه ، كما أسلفنا .
هذا الضمير الرابط قد يكون مرفوعاً ؛ مثل « هو » في نحو : خير الأصدقاء مَنْ هو عَوْنٌ في الشدائد . . . أو منصوباً ؛ مثل : « ها » في نحو : ما أعجب الآثار التي تركها قدامؤنا . أو مجروراً ؛ مثل : « هم » في نحو : أصغيتُ إلى الناصحين الذين أصغيتُ إليهم .

والرابط في كل هذه الصور - وأشباهاها - يجوز ذكره في الصلة كما يجوز حذفه ، بعد تحقق شرط عام . هو : « وضوح المعنى بدونه ، وأمن اللبس » . ومن أهم مظاهر أمن اللبس ألا يكون الباقي بعد حذفه صالحاً صلة ^(٢) .
غير أن هناك شروطاً خاصة أخرى تختلف باختلاف نوع الضمير ، يجب تحققها قبل حذفه ، سواء أكان اسم الموصول هو « أى » أم غيرها . وفما يلي التفصيل :
(١) إن كان الضمير الرابط مرفوعاً لم يحذف إلا بشرطين - غير ذلك الشرط العام - : أن تكون الصلة جملة اسمية ، المبتدأ فيها هو الضمير الرابط ، وأن يكون خبره مفرداً ^(٣) . كأن يسألك سائل .

(١) مما تجدر ملاحظته أن الصلة قد تكون جملة ، فتشتمل على الرابط حتماً - ويجوز حذفه . . . كما سيجيء - وقد تكون (ظرفاً ، أو جاراً مع مجروره) فيتعلقان بفعل محذوف مع فاعله فتكون الصلة في الحقيقة جملة فعلية كذلك ، ولا يصح أن يكون تعلقهما بفعل الفعل هنا - كما عرفنا - وقد تكون الصلة صفة صريحة ، (وهي : في هذا الباب من قسم الشبيه بالجملة) ، ولا بد أن تشمل على ضمير رابط أيضاً . فالصلة بجميع أنواعها لا بد أن تشتمل على الرابط ، بالطريقة السالفة . . . وقد يحذف الرابط لداع من الدواعي التي ستجيء .

(٢) وقد يصح الاستثناء عنه في بعض حالات كما سبق في « ب » من ص ٣٨٠ وكما سيجيء في « ا » من ص ٤٠١ . والمراد بالاستثناء هنا : أنه غير ملاحظ مطلقاً ؛ لا لفظاً ولا تقديراً بخلاف العائد المحذوف أو المستتر فإنه ملاحظ .

(٣) لأن الخبر المفرد لا يصلح أن يكون صلة بعد حذف المبتدأ ، وأيضاً لأنه يدل على المحذوف ، ويرشد إليه . هذا ويختلف معنى الأفراد باختلاف موضوعات النحو ؛ فإراد به في موضوع الخبر : ما ليس جملة ، ولا شبه جملة . وقد اقتصرنا على أهم الشروط لحذف العائد المرفوع . وهناك شروط أخرى لحذفه ؛ منها ألا يكون معطوفاً ؛ مثل : رأيت الذي حامد وهو صديقان . فالمعطوف هنا ليس مبتدأ =

كيف نُفَرِّقَ بين ماء النهر وماء البحر ؟ فتجيب : الأنهار التي عذبةُ الماء ، والبحار التي مِلْحِيَّةُ الماء . تريد : الأنهار التي هي عذبة الماء ، والبحار التي هي مِلْحِيَّةُ الماء . ومثل : أن يسأل : ما أوضحُ فارقٍ بين النجم والكوكب ؟ . فتقول : النجم الذي مضى ، بنفسه ، والكوكب الذي مستمِدُّ نوره من غيره . أى : النجم الذي هو مضى بنفسه والكوكب الذي هو مستمِدُّ (١)

فلإذا استوفى الضمير المرفوع الشرطين الخاصين ومعهما الشرط العام جاز حذفه (٢) . والأحسن عند الحذف أن تكون صلته طويلة (أى : ليست مقصورة

= ولكنه معطوف على المبتدأ ؛ فهو في حكمه . وحذف المعطوف يؤدي إلى بقاء الحرف العاطف بدون المعطوف ؛ وهو ممنوع - إلا في مسائل معدودة ، (سردناها في - ج ٣ - باب : «المطف» ، وهي غير التي نحن بصددناها) ، كما يؤدي حذف العاطف والمعطوف معاً ، إلى إظهار الكلام بصورة الإخبار بالمتنى عن المفرد ؛ وهي صورة معيبة في مظهرها ، كما يقولون !! .

ومنها : ألا يكون معطوفاً عليه ، نحو : تكلم الذي هو وحامد علانان ؛ كى لا يقع حرف العطف في الصدارة ، وفوق ذلك ليس له معطوف عليه ظاهر ، ولكيلا يقع المتنى خبراً عن مفرد ، في الصورة الظاهرية إن حذف حرف العطف مع الضمير الرابط ؛ وهو أمر يستقبحونه من حيث الشكل والمظهر - كما سبق - . ومنها : ألا يكون بعد «لولا» ؛ نحو : حضر الذي لولا هو لخرجت ؛ لوجب حذف الخبر العام بعد «لولا» فأصل الكلام : ... لولا هو موجود ؛ فإذا حذف معه المبتدأ كان الحذف كثيراً مجحفاً ؛ لشموله الحملة كاملة .

ومنها : ألا يكون بعد حرف تنقي ؛ نحو : سكت الذي ما هو جاهل . ومنها : ألا يكون محصوراً بإلا أو إنما ؛ نحو : كتب الذي ما في الفرفة إلا هو ، أو : كتب الذي إنما في الفرفة هو . فيجوز الشروط سبعة .

(١) ومن الأمثلة الواردة قراءة من قرأ قوله تعالى : (تماماً على الذي أحسن) أى : الذي هو أحسن وما حكاها سيبويه عن الخليل : « ما أنا بالذي قاتل لك وسوءاً » أى : بالذي هو قاتل ؛ وقول الشاعر :

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي عَقَبِ الْأَيَّامِ يَنْسَوْنَ مَا عَوَاقِبُهَا

أى : ينسون الذي هو عواقبها . - على اعتبار « ما » موصولة - والعقب : الشدائد - المفرد : عَقَبَةٌ .

(٢) وإذا لا يصح الحذف في الحالات الآتية :

١ - أن تكون الصلة جملة فعلية ، أو شبه جملة ؛ مثل : أشرق الذي يملأ نوره الفضاء . ومثل : سقى النهر النبات الذي في الحقول ؛ لأن كلا منهما صالح لأن يقع بنفسه صلة ، مع خلوها مما يدل على أن عناك مبتدأ محذوفاً . بخلاف الخبر المفرد ؛ فإنه غير صالح أن يكون صلة ، ولأنه يشعر بحذف المبتدأ ، - كما سبق - .

ب - أن تكون الصلة جملة اسمية لكن الرابط فيها ليس مبتدأ ؛ مثل : يتحرك الكوكب الذي =

عليه وعلى خبره المفرد ، وإنما يكون لها مُكَمَّلَات ؛ كالمضاف إليه ، أو المفعول ، أو الحال ، أو النعت ، أو غير ذلك . . .) ، نحو : نزل المطر الذى مصدر مياه الأنهار ، ونحو : برعت مصانعنا التى الرجاء العظيم ، أو : التى رجاؤنا فى الغنى قريباً ونحو : اشتد الإقبال على التعليم الذى كفيل بإنهاض الفرد والأمة ويجوز أن نقول : نزل المطر الذى حياة ، وبرعت مصانعنا التى الرجاء ، واشتد الإقبال على التعليم الذى سعادة .

والأساليب العالية لا تتجسَّح كثيراً إلى حذف العائد المرفوع ؛ فلإن جنحت إليه اختارت — فى الغالب — طويل الصلة ^(١) .

(ب) إن كان الرابط ضميراً منصوباً لم يجوز حذفه إلا بثلاثة شروط خاصة — غير الشرط العام السالف — هى : (أن يكون ضميراً متصلاً ^(٢)) ، (وأن يكون ناصبه فعلاً تاماً ، أو وصفاً تاماً) ، (وأن يكون هذا الوصف لغير صلة : « أل » ^(٣))

= فإنه القمر ؛ لأن الرابط فيها اسم « إن » المنصوب . ومثل : يتحرك الكوكب الذى شكله مستدير ؛ لأن الرابط مجرور بالإضافة ؛ فليس مبتدأ . . .

ح — أن تكون الصلة جملة اسمية ، الرابط فيها مبتدأ ضمير ، ولكن خبره ليس بمفرد : بأن يكون الخبر جملة فعلية ؛ مثل : دهشت من القروء التى هى « تعاكى الإنسان » . أو جملة اسمية ، مثل : دهشت من القروء التى هى حركاتها كحركة الإنسان . أو شبه جملة ؛ مثل : دهشت من التى هى أمامك . فكل ذلك لا يجوز فيه حذف الرابط ؛ لأن الخبر يصلح أن يكون صلة بعد حذف المبتدأ الرابط ، وليس فى الخبر ما يدل على المحذوف . بخلاف المفرد ، لأنه لا يصلح أن يكون صلة ، ولأنه يشعر بحذف المبتدأ ، — كما عرفنا — .

(١) إلا الأسلوب الذى يشتمل على : « لا سيما » ؛ فيجب فيه حذف صدر الجملة ولو كانت قصيرة ؛ نحو : أنزلوا الناس منازلهم ، ولا سيما العالم ؛ إذا كانت « ما » اسم الموصول ، و « العالم » خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : هو . أى : ولاسى الذى هو العالم . (وسيجيء فى ص ٤٠١ الإيضاح التام فى إعراب : « لا سيما » ، وأسلوبها . أما الإشارة إلى وجوب حذف المبتدأ ولو لم تطل الصلة فى رقم ٣ من هامش ص ٤٠٤ .

(٢) ولو جوازاً كبعض الأمثلة التالية . فالمراد ألا يكون واجب الانفصال .

(٣) منصوب صلة « أل » لا يجوز حذفه إن عاد إليها ؛ لأنه يدل بوجوده على اسميتها الخفية المشروحة فى هامش ص ٣٥٦ — فى حذفه ضياع الدليل . فإن عاد إلى غيرها جاز حذفه ؛ كما سيجيء فى رقم « د » من هامش الصفحة الآتية .

التي يعود عليها الضمير) ؛ مثل : ركبَت القطار الذي ركبَت ، أى : ركبته ، وقرأت الصحيفة المفيدة التي قرأت^(١) ، أى : قرأتها . وقول الشاعر يصف مدينته :

بها ما شئتَ مِن دِينٍ ودنياً وجيران تنأهوا في الكمالِ
أى : ما شئتَه : وقول الآخر :

ومن ينفق الساعاتِ في جمعِ مالهِ مخافةَ فقرٍ فالذى فعلَ الفقرُ
أى : فعله . . . ومثل : اشكر الله على ما هو مُؤَلِّيك ، واحمدَه على ما أنت المُعْطَى . أى : موليكه (والأصل : موليك إياه) ، والمُعْطاه^(٢) .

ومثل : الذى أنا مُعِيرُكَ - كتابٌ . والذى أنت المسلوب - المالُ . أى : الذى أنا مُعِيرُكَ كتاب ، والذى أنت المسلوبه - المال^(٣) . . .

(١) ومثل قول الشاعر - وهذا عند القدماء من أبلغ أبيات الرثاء :

أيتها النفسُ أجملِي جَزَعاً إِنَّ الذى تَحْذَرِينَ قد وقعا
أى : تحذرينه .

(٢) إذا حذف العائد المنصوب (المستوفى للشروط) فلا مانع - عند أمن اللبس - من توكيده ؛ نحو : شربت الماء الذى أحضرت نفسه ؛ أى : أحضرته نفسه . أو من المطف على ؛ نحو : سافر الذى ودعت وصالحاً . أو مجيء الحال منه متأخرة أو متقدمة مثل : هند التى كلمتُ واقفةً ، أو : هند التى واقفةً كلمتُ . أى : كلمتها .

(٣) مما يوضح هذا قولنا : أعارك محمود كتاباً . فالذى هو معيرك : كتاب . وسلب اللص على المال ، فالذى على مسلوبه : المال . (كتاب : خبر للمبتدأ « الذى » . المال : خبر للمبتدأ « الذى ») . وما سبق فنعلم أنه لا يصح الحذف في الحالات الآتية :

أ - أن يكون الضمير المنصوب منفصلاً . نحو : أقبل الربيع الذى إياه أحب . بتقديم الضمير ؛ لأنه لو تأخر لا تصل بالفعل وجوباً . فصار : أحبه ؛ (تطبيقاً لقاعدة عدم فصل الضمير الذى يمكن وصلة - وقد سبقت في ص ٢٧٢) ولو حذف وهو متقدم لالتبس بالمحذوف المتأخر ، لعدم القرينة الدالة على تقدمه .

ب - أن يكون الضمير منصوباً بفعل ناقص ؛ مثل : قابلت الذى كانه محمود (الماء خبر مقدم وليست اسم كان ؛ لأن اسم كان مرفوع ، والماء لا تكون مرفوعة ؛ لأنها ليست من ضمائر الرفع) . أو بوصف ناقص ؛ مثل : حضر الذى أنا كائنه ؛ لعدم وجود ما يدل على المحذوف ويعينه .

ج - أن يكون الضمير منصوباً بحرف ؛ مثل : اشتد الحر الذى كأنه اللهب ؛ لأن الضمير اسم الحرف : كان .

د - أن يكون اسم الموصول الذى يعود عليه الرابط هو «أل» نحو : المكرمها على فاطمة . فإن عاد على =

فإن فقد شرط لم يصح الحذف^(١).

* * *

(ح) وإن كان الرابط ضميراً مجروراً — والشرط العام متحقق — فلما أن يكون مجروراً بالإضافة ، أو بحرف جر . فالجور بالإضافة يجوز حذفه إن كان

= غيرها جاز حذفه ؛ نحو : جاءت إلى أنا المكرم ، أى : المكرمها . — كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٣٩٦ .

٥ — أن يكون حذفه سبباً في اللبس وغموض المعنى ؛ نحو : رأيت من عرفته في القطار ؛ فلو قلنا : رأيت من عرفت في القطار لم يتبين المحذوف أهو : ضمير للغائب المذكر أم المؤنث ؟ أهو للمثنى أم الجمع .. ؟ فقد يكون أصل المحذوف واحداً مما يأتي : عرفته ، عرفتها . عرفتهما . عرفتهن . ومثله : رأيت من كلمته في داره ؛ فلو حذف الضمير المنصوب لحق مدلوله ، ولكان في الكلام ضمير آخر يرمي به الربط ، ولكن يقع بسببه اللبس والغموض ؛ فلا . ندرى أهنالك حذف أم لا . وحذف العائد المنصوب بالفعل أكثر في الأساليب الأدبية المأثورة من المنصوب بالوصف .

(٣) وقد أشار ابن مالك إلى حذف العائد المرفوع والمنصوب إشارات موجزة بعد كلامه على « أى » الموصولة ؛ وأنها مثل « ما » الموصولة ، وأنها تعرب إلا إن أضيفت ، وحذف صدر صلتها الضمير فتبقى . ثم قال : إن من العرب من يعربها في كل الحالات ، وإن باقى الموصولات يقتضى « أيا » في الحذف . أى : يتبعها ويكون مثلها في حذف صدر صلتها الضمير ، وإن هذا الحذف كثير إن استطالت الصلة ، ونزراً (أى : قليل عنده) إن لم تستطع . كل ذلك بشرط ألا يصلح الباقي لأن يكون صلة . يقول :

أَيُّ « كَمَا » وَأَعْرَبْتَ مَا لَمْ تُصَفِّ وَصَدْرُ وَصْلِهَا ضَمِيرٌ انْحَدَفَ
وَبَعْضُهُمْ أَعْرَبَ مُطْلَقاً . وَفِي ذَا الْحَدَفِ أَيَّا غَيْرُ أَيُّ يَقْتَضِي

(يريد : غير أى يقتضى أيّا ، ويتبعها في حذف صلتها) . . .

إِنْ يُسْتَطَلَّ وَضُلَّ . وَإِنْ لَمْ يُسْتَطَلَّ فَالْحَدَفُ نَزْرٌ ، وَأَبَوَا أَنْ يُخْتَرَلْ

(الوصل هنا : هو الصلة ، يختزل : يختصر بسبب الحذف) .

إِنْ صَلَحَ الْبَاقِي لَوْضَلٍ مُكْمِلٍ

ثم انتقل في الشطر الثانى من البيت السابق إلى الكلام على حذف العائد المنصوب قائلاً :

وَالْحَدَفُ عِنْدَهُمْ كَثِيرٌ مُنْجَلِي

فِي عَائِدٍ مُتَّصِلٍ ، إِنْ انْتَصَبَ بِفِعْلٍ . أَوْ وَضَفَ ؛ كَمَنْ نَزَجُو يَهَبُ
أى : من نزجوه يهب .

المضاف اسم فاعل ، أو اسم مفعول^(١) . وكلاهما للحال أو الاستقبال^(٢) ؛ مثل :
يفرح الذى أنا مُكْرِمُ الْآنَ أو غداً : (أى : مكرمه) . ويرضىنى ما أنا معطى
الآن أو غداً (أى : مُعْطاه^(٣)) ومثلهما : جادت مصنوعاتنا ، فالبس منها ما أنت
لابس غداً^(٤) ، واطلب منها ما أنت طالب بعد حين ، (أى : لابس . . .
وطالبه) — إن يسلبنى اللص بعض المال أتألم لما أنا مسلوب (أى : مسلوبه) .

والمحروور بالحرف يجوز حذفه بشرط أن يكون اسم الموصول مجروراً بحرف
يشبه ذلك الحرف^(٥) في لفظه ، ومعناه ، ومتعلقه^(٦) . وإذا حذف الرابط حذف
معه الحرف يحره ؛ مثل : سلمت على الذى سلمت ، (أى : سلمت عليه
وانتهيت إلى ما انتهيت . (أى : إلى ما انتهيت إليه) .

وقد يكون حرف الجر غير داخل على اسم الموصول وإنما على موصوف باسم
الموصول . نحو : مشيت على البساط الذى مشيت ؛ أى : عليه ، وسرت فى
الحديقة التى سرت ؛ أى : فيها^(٧) .

(١) مما ينصب فعله مفعولين فى الأصل . ليكون أحدهما نائب فاعل لاسم المفعول ، والثانى هو
المضاف إليه لفظاً .

(٢) مع استيفائه بقية الشروط اللازمة لإعماله ، وهى مدونة فى باب — ج ٣ — .

(٣) فلا يجوز الحذف فيما يأتى :

١ — المضاف غير الوصف (المشتق) ؛ نحو : تألم الذى غاب أهله .

٢ — المضاف الذى هو اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، وكلاهما للماضى ؛ فلا يعمل ، نحو
أكنت بالأس ما كنت بانيه ؛ ومثل فرح السائل بما كان معناه .

(٤) الدليل على أن اسم الناعل للمستقبل هنا وجود فعل الأمر قبله ؛ وهو للمستقبل . وأيضاً
وجود كلمة : « غداً » بعده ، كما أن أداة الشرط دليل على الاستقبال فى المثال الذى بعده ، إذ أدوات
الشرط الجازم تجعل زمن الفعل بعداً مستقبلاً حتماً ولو كان الفعل الواقع بعده ماضياً . (كما فى ص ٥٩
ما لم يمنع من ذلك مانع مما تقدم عند الكلام على زمن الفعل المضارع — ص ٥٧ — .

(٥) لأن اسم الموصول هو نفس ضميره فى المعنى ؛ فإذا حذف الضمير ومعه حرف الجر كان
فى الكلام ما يدل عليه .

(٦) وهو العامل فيهما ؛ بحيث يكون المتعلق فى كل منهما مشابهاً الآخر ، إما فى لفظه ومعناه
معاً ، كالأمثلة المذكورة ، وإما فى معناه فقط ؛ مثل ؛ فرحت بالذى سرت . أى : به . ويجوز أن
يكون أحد المتعلقين فعلاً ماضياً والآخر مضارعاً من مادته أو أمراً كذلك . . . ويجوز أن يكون أحدهما
فعلاً ، والآخر وصفاً (مشتقاً) من المادة نفسها بمعناه . . .

(٧) وقد يكون داخلاً على مضاف إلى اسم الموصول نحو سلمت على صديق الذى سلمت . أى :
الذى سلمت عليه . أو داخلاً على مضاف للموصوف باسم الموصول ؛ نحو : سلمت على صديق الرجل الذى
سلمت ، أى : عليه . . .

تلك حالة حذف العائد المجرور ، وهي كثيرة في الأساليب العالية^(١) .

= وقد اكتفينا بذكر أشهر الشروط ، وبقي منها : ألا يكون الضمير عمدة (لأن العمدة لا يمكن الاستغناء عنه) فلا حذف في مررت بالذي مرَّ به (لأن الجار والمجرور نائب فاعل ؛ ونائب الفاعل عمدة لا تستغنى عنه الجملة) وألا يكون الضمير محصوراً ؛ فلا يحذف في : مررت بالذي ما مررت إلا به . وألا يكون حذفه موقعاً في ليس (وهذا شرط عام في جميع ما يحذف - كما سبق -) فلا حذف في مثل : رغبت في الذي رغبت فيه ؛ لأن الكلام مع الحذف يصير : رغبت في الذي رغبت . فلا ندرى المقصود بعد الحذف ؛ أهو : رغبت فيه أم عنه . والمعنيان مختلفان . فمجموع شروط حذف العائد المجرور بالحرف خمسة ؛ هي :

(أ) أن يكون الموصول مجروراً بحرف جر .

(ب) وأن يكون هذا الحرف الجار كالحرف الذي يجر الرابط لفظاً ، ومعنى ، ومتعلقاً ؛ (والمتعلق هو : العامل ، ويكنى فيه هنا التشابه) فلا يجوز حذف الرابط عند اختلاف حرفي الجر في شيء من هذا ؛ كاختلاف لفظهما ومعناها معاً ؛ نحو : رغبت عن الذي أنت راغب فيه ؛ أو : في لفظهما دون معنهما ؛ نحو : جلست بالحجرة التي أنت جالس فيها (لأن معنى « الباء » و « في » هو : الظرفية) أو في معنهما دون لفظهما ؛ نحو : مررت بالذي مررت به على محمود . والمراد : مررت بالذي مررت معه على محمود ؛ فالباء الأولى بمعنى : الإلصاق ، والثانية بمعنى المصاحبة (مع) ، أو اختلاف متعلقهما ، نحو رغبت في الذي أنت زاهد فيه .

(ح) ألا يكون الرابط عمدة .

(د) ألا يكون الرابط محصوراً .

(هـ) ألا يكون حذفه موقعاً في ليس .

ويجوز بعض النحاة حذف الرابط المجرور إذا تعين المحذوف ولم يوقع في ليس ، تطبيقاً للقاعدة العامة التي تنص على أن ما لا ضرر في حذفه لاخير في ذكره . ويكتفون من الشروط بهذا ، ويدكرون من أمثله قوله تعالى : « ذلك الذي يبشر الله عباده » ، أي : به . وقول الشاعر :

ومن حسد يحجور على قوى وأى الدهر ذو لم يحسدوني
أى لم يحسدوني فيه . . . وهذا رأى حسن ، والأخذ به في جميع الشئون اللغوية مقصد بلاغى قويم .

() وفي حذف العائد المجرور يقول ابن مالك :

كَذَلِكَ حَذَفُ مَا يَوْصَفُ خُفِضًا كَأَنْتَ قَاضٍ بَعْدَ أَمْرٍ مِنْ : قَضَى
كَذَا الَّذِي جُرَّ بِمَا الْمَوْصُولُ جَرَّ كَمَرَّ بِالَّذِي مَرَرْتُ ؛ فَهَوَ بَرَّ

أى : كذلك يجوز حذف الرابط المجرور إذا كان عامله وصفاً (بالتفصيل الذي سبق) ومن أمثله ، كلمة : « قاض » الواقعة بعد فعل أمر ، ماضيه « قضى » يشير إلى قوله تعالى : « فاقض » ما أنت قاض ، أى : ما أنت قاضيه . وهذا هو النوع الأول من العائد المجرور الذي يكون عامله وصفاً مضافاً . أما النوع الثانى فهو العائد المجرور بما جر الموصول ، أى : بحرف جر كالذي جر الموصول لفظاً ، ومعنى ، وتعلقاً . . . إلخ . نحو : مر بالذي مررت : أى به . . .

.....

زيادة وتفصيل

(ا) قد يستغنى الموصول عن العائد كما في بعض الصور التي سلفت ^(١) .
 (ب) الكلام في : « ولا سيما ^(٢) ، وأخواتها » من ناحيتي معناها ، وإعرابها في جملتها ...

يتضح معنى « ولا سيما » من الأمثلة التالية :
 (المعادن أساس الصناعة ؛ ولا سيما الحديد .) - (تجود الزروع بمصر ؛ ولا سيما القطن) - (نحتقر الأشرار ؛ ولا سيما الكذّاب) ...
 فالمثال الأول يتضمن : أن الصناعة تقوم على أساس ؛ هو : المعادن ؛ كالنحاس ، والرصاص ، والفضة ... وكالحديد أيضاً . فالحديد يشاركها في وصفها بأنها : « أساس » ، ولكنه يختلف عنها في أن نصيبه من هذا الوصف أكثر وأوفر من نصيب كل معدن آخر .

وفي المثال الثاني حُكِمَ بالجوادة على ما ينبت في مصر ، من قمح ، وذرة وقصب ، و ... ومن قطن أيضاً ؛ فالقطن يشاركها في الاتصاف بالجوادة ؛ ولكنه يخالفها في أن نصيبه من هذه الجودة أوفى وأكبر من نصيب كل واحد من الزروع .

وفي المثال الثالث نحكم بالاحتقار على الأشرار ؛ ومنهم اللص ، والقاتل ، والمنافق ... ومنهم الكذاب - أيضاً - فهو شريكهم في ذلك الحكم ، وينطبق عليه الوصف مثلهم . ولكن نصيبه منه أكبر وأكثر من نصيب كل فرد منهم .

مما سبق نعرف أن الغرض من الإتيان بلفظ : (ولا سيما) هو : إفادة أن ما بعدها وما قبلها مشتركان في أمر واحد ، ولكن نصيب ما بعدها أكثر وأوفر من نصيب ما قبلها . ولذا يقول النحاة : إن « لا سيما » ، معناها : لا مثل ^(٣) . . . يريدون : أن ما بعدها ليس مماثلاً لما قبلها في المقدار الذي يخصه من الأمر المشترك

(١) في « ب » من ص ٣٨٠ ، وفيها إشارة لهذا الحكم . وقد سبق معنى الاستثناء في رقم ٢ من هامش ص ٣٩٤ .

(٢) مركبة من كلمتين هما : (سي) بمعنى مثل - كما سيجي ، و (ما) ، وتصل في الكتابة بكلمة « سي » كما يرى علماء الرسم « الإملاء » .

(٣) وهذه يعدها النحاة من أخوات : « لا سيما » التي سيجي الكلام عليها في ص ٤٠٦ .

بينهما ؛ وأن ما بعدها يزيد عليه في ذلك المقدار ؛ سواء أكان الأمر المشترك محموداً ، أم مذموماً^(١) .

أما إعرابها في جملتها وإعراب الاسم الذي بعدها فقد يكفى جمهرة المتعلمين علمها أن :

١ - « ولا سِيَمًا » لا تتغير حركة حروفها ولا ضبطها ، مهما اختلفت الأساليب .
ب - وأن الاسم الذي بعدها يجوز فيه الأوجه الثلاثة : (الرفع ، والنصب ، والجر) سواء أكان نكرة أم معرفة^(٢) .

ج - وأن فيها عدة لغات صحيحة^(٣) لا يمنع من استعمال إحداها مانع . ولكن أكثرها في الاستعمال الأدبي هو (ولا سِيَمًا) ؛ فيحسن - من غير وجوب ولا تخيم - الاقتصاد عليه ؛ لما فيه من المسaire للأساليب الأدبية العالية التي تكسب اللفظ قوة في غالب الأحيان .

وفي هذا القدر كفاية لمن يبتغي الوصول إلى معرفة الطريقة القويمة في استعمالها ، من غير أن يتحمل العناء في تفهم الإعرابات المختلفة . أما من يرغب في هذا فإليه البيان الاسم الواقع بعد : (ولا سيما) إما أن يكون نكرة ، وإما أن يكون معرفة ؛ فإن كان نكرة جاز فيه الأوجه الثلاثة كما سبق ، تقول :

- ١ - اقتنيت طرائف كثيرة ، ولا سِيَمًا : أقلام ، أو أقلاماً ، أو أقلام .
- ٢ - اشتريت طيوراً بديعة ، ولا سِيَمًا عصفور ، أو : عصفوراً ، أو : عصفور .
- ٣ - قصرت ودى على المخلصين ؛ ولا سِيَمًا واحد ، أو واحداً ، أو : واحد .

(١) وبسبب هذه المخالفة في المقدار يذكر بعض النحاة لفظ « ولا سيما » في باب : « المستثنى » ؛ لما في الاستثناء من مخالفة ما بعد الأداة لما قبلها في إثبات الحكم ، أو نفيه . فبين المخالفتين نوع تشابه من بعض الوجوه دون بعض ؛ إذ المخالفة بعد « ولا سيما » تكون في المقدار وحده . مع الاشتراك في الأمر نفسه . أما في الاستثناء فالمخالفة تقع في الحكم كله ؛ نفيًا أو إيجاباً . ولا مشاركة فيه بين ما وقع بعد الأداة وما وقع قبلها . وبعض آخر يذكروها (أي : ولا سيما) في باب : « الموصول » ؛ لاشتراكها على « ما » التي يصح أن تكون اسم موصول .

(٢) يعارض كثير من النحاة في نصب المعرفة ، ومن التيسير الأخذ بالرأى الآخر الذي يبيح نصبها ؛ ليكون الحكم عاماً ؛ يشمل النكرة والمعرفة .

(راجع المطولات التي عرضت للرأين ؛ ومنها : شرح الكافية ، ج ١ ص ٣٤٩ ، وحاشية الصبان ، ج ٢ - في آخر باب الاستثناء عند الكلام على : « لا سيما » - وكذا : المنى ، « ج ١ » عند الكلام على موضوع : « سي » .)

(٣) منها الاستثناء عن الواو فقط ، أو الاستثناء عنها وعن « لا » معاً . ومنها تخفيف الياء في كل لغاتها .

.....

 وإن كان الاسم الواقع بعدها معرفة فالأنسب^(١) جواز الأوجه الثلاثة أيضاً ،
 كما في الأمثلة التالية :

- ١ - أتمتع برؤية الأزهار ، ولا سيما : الوردُ ، أو الوردِ ، أو 'الوردِ' .
 - ٢ - شاهدت آثاراً رائعة ، ولا سيما الهرمُ ، أو الهرمِ ، أو : الهرمِ .
 - ٣ - ما أجمل الكواكب في ليل الصيف ' ولا سيما ' القمرُ ، أو ' القمرِ ' أو : القمرِ .
- وفيما يلي الإعراب تفصيلاً :

(١) بيان السبب في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة .

الكلمة	إعرابها في حالة رفع الاسم بعدها	في حالة نصبه	في حالة جرّه
و لا	للاستئناف ^(١) . . . نافية للجنس ، حرف مبني على السكون لا محل له من من الإعراب سَيّ : اسمها منصوب ، لأنه مضاف -	« و » كالسابق .. « لا » كالسابق ..	« و » كالسابق .. « لا » كالسابق ..
سَيّما		سَيّ اسم لامبني ^(٤) على الفتح في محل نصب	(سَيّ) اسم « لا » منصوب لأنه مضاف في هذه الصورة
أقلام	« ما » اسم موصول ^(٢) ، مبني على السكون في محل جر مضاف إليه . () ويحتاج لصلة) . خبر لمبتدأ محذوف وجوباً ^(٣) تقديره : « هو » والجملة من المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب ، صلة الموصول ، وخبر « لا » محذوف ، تقديره مثلاً : موجود . . .	« ما » زائدة حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب « أقلاماً » تمييز ^(٥) منصوب أما خبر « لا » فمحذوف تقديره : موجود . . . أو ما يشبه هذه الكلمة	« ما » زائدة . (أقلام) مضاف إليه محذوف تقديره موجود ، أو ما يشبهها

(١) وهذا أيسر الآراء وأوضحها . ويصح أن تكون للحال والجملة بعدها (من لا واسمها وخبرها) في محل نصب حال . كما يصح أن تكون عاطفة ، والجملة بعدها معطوفة على الجملة قبلها . لكن لا داعي للإعرابات المختلفة ؛ ففي الأول الكفاية والسهولة .

(٢) وكما يصح هنا أن تكون « ما » اسم موصول ، يصح أن تكون نكرة موصوفة بمعنى : « شيء » والجملة بعدها صفة لها في محل جر . والخبر محذوف .

(٣) سبق (في رقم ١ من هامش ص ٣٩٦) عند الكلام على حذف العائد أنه واجب الحذف في « لا سيما » ولو لم تطل الصلة .

(٤) مبني في هذه الصورة وليس معرباً ؛ لأنه غير مضاف ولا شبيه بالمضاف . واسم « لا » يكون معرباً في هاتين الحالتين فقط .

(٥) لكلمة : « سَيّ » أو لكلمة : « ما » عن أنها نكرة تامة ، وليست زائدة ، وهو الأحسن . =

.....
.....

ولا سيما كالذى سبق في نظائرها تماماً .
كلمة : عصفور } يجرى عليهما الإعراب السابق في كلمة : « أقلام » رفعاً ،
وكلمة : واحد ونصباً ، وجرأ .

وإعراب المعرفة في حالتى الرفع والجر كإعراب النكرة فيهما . أما في حالة
النصب فتعرب النكرة تمييزاً كما أوضحنا ، وتعرب المعرفة مفعولاً به ^(١) ففى مثل :
أتمتع برؤية الأزهار ولا سيما الورد - يصح أن يكون الإعراب كما يلى :
الواو للاستثناء . (لا) نافية للجنس . (سى) اسمها منصوب ومضاف .
(ما) نكرة تامة بمعنى : شيء ، وهى مضاف إليه . مبنية على السكون فى محل
جر . وخبر لا محذوف تقديره : موجود مثلاً - و (الورد) مفعول به لفعل محذوف
تقديره : أخص : أو : أعنى والفاعل مستتر وجوباً تقديره : أنا . ومثل
هذا يقال فى كلمة : الهرم ، والقمر ، فى الأمثلة التى سلفت ^(٢) - ونظائرها -
وقد تقع الحال المفردة أو الجملة بعد : (ولا سيما) نحو : أخاف الأسد ،
ولا سيما غاضباً ، أو : وهو غاضب وقد تقع الجملة الشرطية بعد ما ، وغير
الشرطية ، أيضاً ؛ نحو : النمر غادر ، ولا سيما إن أبصر عدوه ^(٣) .

* * *

= والنكرة التامة لا تحتاج إلى صفة بعدها . لكونها بمعنى : « شئ » ، أى شيء ؛ وهذا يجعلها صالحة لأن يراد
منها : رجل - عصفور - طائر - أسد وغير ذلك مما يناسب جملتها . عن الوجه السابق فى ص
٣٥٣ .

(١) وقيل - كما فى المفتى - منصوب على الاستثناء ، لأن « لا سيما » بمعنى : « إلا » التى
للاستثناء .

(٢) فى ص ٤٠٥ .

(٣) وقد يقع بعدها الظرف والجملة الفعلية مطلقاً ؛ الشرطية ، وغير الشرطية أيضاً - كما جاء
صريحاً فى « الصبان ، والهمع » وجاء من غير تقييد فى حاشية الجزء الأول من الأمير على المفتى ، عند
الكلام على : « أى » - الشرطية - والذى يميننا من الأمثلة السابقة وأشباهاها هو النص على جواز وقوع
الحال المفردة والحال الجملة بعدها ، وكذلك وقوع الجمل ومنها : جملة الشرط ، أما الإعراب فأمر ثانوى
عرضت له المطولات . وملخص ما قالوا فى الحال ؛ إن كلمة « سى » اسم : « لا » مبنية على الفتح فى
محل نصب ، ولا تحتاج إلى خبر ؛ (كشأنها فى مثل : ألا ماء ، أى : أنمى ماء) و « ما » كافة .
« غاضباً » حال من مفعول الفعل المقدر هنا ؛ وهو : أخصه (لأن معنى « سيما » هنا : خصوصاً) أى :
أخصه بزيادة الغضب فى هذه الحالة . ومثل هذا يقال فى الحال الجملة . أما فى الجملة الشرطية فجواب
الشرط مدلول عليه بالفعل المقدر ؛ أى : إن غضب أخصه بزيادة خوف . (راجع الصبان ج ٢ فى آخر باب
المستثنى - كما قدمنا - فيه التفصيل) . وبقية المراجع التى أشرنا إليها فى رقم ٢ من هامش ص ٤٠٢ .

.....

 أما أخوات : « ولا سيما » ^(١) فقد نقل الرواة منها : « لا مثيلَ مآ . . . »
 و « لا سوى ما . . . » — فهذان شاركان : « لا سيما » في معناها ، وفي أحكامها
 الإعرابية التي فصلناها فيما سبق .

ومنها : « لا تَرَمَا . . . » و « لو تَرَمَا . . . » وهما بمعناها ، ولكنهما
 يخالفانها في الإعراب ، وفي ضبط الاسم بعدهما ، فهذان فعالان ، ولا بد من رفع
 الاسم الذي يليهما بعد : « ما » ولا يمكن اعتبار « ما » زائدة وجر الاسم بعدها
 بالإضافة ؛ لأن الأفعال لا تضاف . والأحسن أن تكون : « ما » موصولة وهي
 مفعول به للفعل : « تر » وفاعله ضمير مستتر ، تقديره : أنت . والاسم بعدهما
 مرفوع — وهذا هو الوارد سماعاً — على اعتباره خبر مبتدأ محذوف ، والجملة
 صلة .

وإنما كان الفعل مجزوماً بعد : « لا » — لأنها للنهي . والتقدير في مثل :
 « قام القوم لا تر ما على » . . . ، هو : لا تبصر أيها المخاطب الشخص الذي
 هو على فإنه في القيام أولى منهم .

أو تكون : « لا » للنفي ، وحذفت الياء من آخر الفعل سماعاً وشذوذاً ، وكذلك
 بعد « لو » سماعاً . والتقدير : لو تبصر الذي هو على لرأيتَه أولى بالقيام .
 والجدير بنا أن نقصر في استعمالنا على : « ولا سيما » لشيوعها قديماً وحديثاً .

(١) ما يأتي مذكور بمناسبة أخرى في الجزء الثاني « هـ » من ص ٣٣٦ م ٨٣ .

ب- الموصولات الحرفية .

عرفنا أن الموصولات قسمان : اسمية وقد سبق الكلام عليها^(١) ، وحرفية وهي خمسة^(٢) : « أن » ، (مفتوحة الهمزة ، ساكنة النون أصالة^(٣)) . و « أن » الناسخة (المشددة النون ؛ أو الساكنة النون للتخفيف) و « ما » ، و « كي » ، و « لو » وكلا القسمين لا بد له من صلة متأخرة عنه ، لا يصح أن تتقدم عليه هي أو شيء منها — ، — كما أوضحنا^(٤) — . أما الفصل بين الموصول الحرفي وصلته ، أو الاسمى ، وصلته ، وكذا الفصل بين أجزاء الصلة ، فقد سبق الكلام^(٥) عليه (وهو بحث هام) .

لكن بين الموصول الاتمى والحرفي فروق ، أهمها ستة :

الأول : أن الموصولات الاتمية — غير أى وغير المثناة — لا بد أن تكون مبنية^(٥) في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الجملة (وذلك شأن كل الأسماء المبنية .) بخلاف الموصولات الحرفية ، فإنها مبنية أيضاً ؛ ولكن لا محل لها من الإعراب ؛ — شأن كل الحروف — فلا تكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ؛ مهما اختلفت الأساليب .

الثاني : أن صلة الموصول الاسمى لا بد أن تشتمل على ما يسمى : « العائد » ؛ أما صلة الحرفي فلا تشتمل عليه مطلقاً .

الثالث : أن الموصول الحرفي لا بد أن يسببك مع صلته سبباً ينشأ عنه مصدر يقال له : « المصدر المسبوك » أو « المصدر المؤول » ، يعرب على حسب حاجة الجملة — كما سنبينه بعد^(٦) — . ولهذا تسمى الموصولات الحرفية : « حروف السبك »^(٧) أو : « الحروف المصدرية » وتنفرد بالسبك ، دون الموصولات الاسمية .

(١ و ١) في ص ٣٤٠ .

(٢) غير « همزة التسوية » التي يجيء بيانها في ص ٤١٤ .

(٣) أى : أنها ليست مخففة من « أن » المشددة الناسخة .

(٤ و ٤) في ص ٣٧٣ والبيان في ص ٣٧٨ وهما شها .

(٥) أما : (أى) فتعرب في بعض أحوالها — كما سبق في ص ٣٦٣ والموصول المثني يعرب في الصحيح .

(٦) في « ب » من ص ٤١٤ .

(٧) قد يَمَّ السبك بغير حرف سابق طبقاً لما سيجيء في : « أ » ص ٤١٤ .

الرابع : أن بعض الموصولات الحرفية لا يوصل بجملة فعلية فعلها جامد^(١) ؛ مثل : « لو » ، و « ما » المصدرية ، إلا أن « ما » المصدرية توصل أحياناً بأفعال الاستثناء الجامدة الثلاثة ؛ وهي : (خلا — عدا — وكذا : حاشا ، في رأى) ، فهذه الثلاثة مستثناة من الحكم السالف . أو لأنها متصرفة بحسب أصلها ؛ فجمودها عارض طارئ لا أصيل . والمصدر المؤول منها ومن فاعلها مؤول بالمشتق ، . . . أى : مجاوزين^(٢) .

الخامس : أن الموصول الاسمى — غير « أل » يجوز حذفه على الوجه الذى قدّمناه^(٣) ، أما الحرفى فلا يحذف منه إلا : « أن » الناصبة للمضارع ، فتحذف جوازاً أو وجوباً — ؛ طبقاً لما هو مبين عند الكلام عليها فى : النواصب^(٤) — وهى فى حالة حذفها تسبك مع صلتها كما تسبك فى حالة وجودها^(٥) . . .

السادس : أن الموصول الحرفى : « أن » يصح — فى رأى المشهور — وقوع صلتها جملة طلبية^(٦) ، دون سائر الموصولات الاسمية والحرفية . فإن صلتها لا بد أن تكون خبرية . . .

وفى بلى شىء من التفصيل الخاص بالموصولات الحرفية الخمسة — مع ملاحظة ما يجب لكل منها من صلة ، وما يجب أن يتحقق فى كل صلة من شروط مفصلة سبقت^(٧) ، وفى مقدمة الشروط ألا يتقدم شىء من الصلة وتوابعها على الموصول الحرفى ، وغير الحرفى^(٨) .

(١) أن . — السّاكنة النون أصالة — ، لا تكون صلتها إلا جملة فعلية ،

(١) كما سيجى فى رقم ٤ من هامش ص ٤١٢ وفى ٥ من ص ٤١٣ .

(٢) راجع الصبان عند الكلام عليها فى باب الاستثناء . وسيجى هنا فى ج ٢ باب الاستثناء — ٨٣ م وباب الحال م ٨٤ .

(٣) فى رقم ٣ من ص ٣٩٢ .

(٤) فى باب : إعراب الفعل من الجزء الرابع .

(٥) وقد يتعين تقديرها فى بعض الأساليب السماعية ، حيث لا مفر من التقدير ، مثل : يعجبني يحضر الأخ . وهو تركيب له بعض نظائر نادرة مسموعة ، لا يقاس عليها ، لندرتها . فلو لم تقدر « أن » لوقعت جملة : « يحضر الأخ » فاعلاً للفعل « يعجب » ، أو لكان الفاعل مقدراً بقول ، أو غيره ، وكلا الأمرين لا يرضاه جمهور النحاة .

(٦) كما سبق فى ص ٣٧٥ . ويحىء فى : « أ » التالية ورقم ١ من الهامش الآتى .

(٧) فى ص ٣٧٣ و ٣٧٨ .

(٨) كما نص الصبان وغيره هناك .

فعلها كامل التصرف ؛ سواء أكان ماضياً ؛ نحو : عجبت من أن تأخر القادم .
أم مضارعاً ؛ نحو : من الشجاعة أن يقول المرء الحق في وجه الأقوياء ، وقول
الشاعر :

إن من أقبح المعاييب عاراً أن يَمُنَّ الفتى بما يُسئديه
أم أمراً^(١) ، نحو : أنصح لك أن بادِرْ إلى ما يرفع شأنك .

وهي في كل الحالات تؤول مع صلتها بمصدر يُستغنى به عنهما^(٢) ، ويعرب
على حسب حاجة الجملة ، فيكون مبتدأ ، أو فاعلاً أو مفعولاً به ، أو غير ذلك ؛
طبقاً لتلك الحاجة . وقد يسد مسدّ المفعولين أيضاً . ولكنها لا تنصب إلا المضارع^(٣) ،

(١) وفي هذه الحالة تكون جملة الصلة قد وقعت طلبية . وهو جائز في : « أن » وحدها من
الموصلات الحرفية . أما الموصلات الاسمية فيشترط في صلتها أن تكون خبرية . - كما سبق هنا وفي
ص ٣٧٥) وعلى هذا ليس في الموصلات بنوعها ما يجوز أن تكون صلتها طلبية إلا : « أن » مفتوحة
الهمزة ساكنة النون أصالة ، كما تبين في الفرق السادس .

(٢) تجيء طريقة سبك المصدر المؤول ، وفائدته ، وكل ما يتصل به . . . في « به » وج من
صفحتي ٤١٤ و ٤١٧ .

(٣) أما الماضي والأمر فلا تنصبهما لفظاً ولا محلاً . بخلاف (إن) الشرطية : فإنها لما قلبت
الماضي إلى الاستقبال ناسبها أن تعمل في محله . فـ : « أن » المتصلة بالماضي أو الأمر هي الناصبة
للمضارع وإن كانت بقية النواصب لا تدخل إلا على المضارع .

ووصل « أن » بالماضي ، وعدم تغييرها زمنه أمر متفق عليه ؛ أما وصلها بالأمر ففيه خلاف ؛
فسيبويه يجوزُه ؛ بدليل دخول الجار عليها في نحو : كتبت إليه بأن قم ، أو : كتبت إليه بالأمر تقوم
(أصلها : « أن لا » ثم ادغمت « النون » في « لا » الناهية) وحرف الجر لا يدخل إلا على الاسم ، فتؤول
(أن) مع صلتها بمصدر طلبى ؛ أى : بمصدر يفيد الأمر أو النهى . . . فيكون التقدير : كتبت إليه
بالأمر بالقيام ، أو بالنهى عن القيام . . .

وغير سيبويه يقول إن كل موضع وقع فيه الطلب (سواء أكان أمراً أم غيره) ، هو صالح
لأن تكون « أن » فيه تفسيرية ؛ بمعنى : « أى » المفسرة . وذلك إذا لم يوجد حرف جر ظاهر
قبل « أن » ؛ كقوله تعالى : (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومه . . .) ، وقوله تعالى : (فأوحينا
إليه أن اصنع الفلك . . .) ، وقوله : (وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي . . .)
فهى في كل هذه الأمثلة تفسيرية إن لم يقدر قبلها الجار ؛ لانطباق وصف التفسيرية عليها (ذلك
الوصف الذى يتلخص في أمور ثلاثة مجتمعة ؛ هي : وقوعها مسبقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه ،
وخلوها من حرف جر ، ووقوع جملة بعدها) ولا حاجة إلى تقدير حرف الجر عند عدم وجوده
ظاهراً في الكلام ؛ إذ ما الداعى لتقديره ، واعتبارها مصدرية لا مفسرة ؟ . أما إن وجد قبلها حرف
جر ظاهر فهى زائدة عند أصحاب الرأى السالف ، فى مثل : كتبت إليه بأن قم أو بالأمر تقوم . (أصلها :
أن لا تقوم . . .) يكون أصل الكلام كتبت إليه « بقم » أو بلا « تقوم » ؛ زيدت « أن » منعاً
لصورة ظاهرية شكلية مكرومة وهى : دخول حرف الجر ظاهراً على الفعل : وإن كان في الواقع اسماً
بسبب قصد لفظه . . . ا . هـ ، (نقلاً عن الخضرى ج ١ أول باب الموصل ، بتصريف يسير) .

والخلاف بين الرأيين شكلى لا أثر له في تكوين المفرد ، أو الجملة ، أو ضبط حروفهما ، فكلا الرأيين
يبيح هذا الاستعمال ، ويرضى عن الأسلوب ، ويمدّه فصيحاً ؛ وهذا هو الأهم . فلا مانع يمنع بعد ذلك من
الأخذ بأحد الرأيين عند الإغراب ، إذ لا ترجيح بينهما .

وتخلص زمنه للاستقبال المحض ، ولا تنفصل منه بفواصل^(١) . . . ولا تُغَيَّر زمن الماضي ، ولا تكون للحال ، فدلالته الزمنية إما للماضي المحض ، وإما للمستقبل الخالص^(٢) . . .

وليس من هذا النوع ما يقع بعده جملة اسمية^(٣) مسبقة بما يدل على يقين ، نحو : علمت « أن » محمدٌ لقائمٌ ، أو جملة فعلية فعلها جامد : نحو : أعتقد أن ليس الظالم بمستريح النفس ، فإن هذين من النوع التَّالِي الذي تكون فيه « أن » مخففة من « أن » المشددة النون^(٤) . . .

(ب) « أن » المشددة النون ، وتكون صلتها من اسمها وخبرها ؛ نحو : سَرَّني أن الجو معتدل ، ويُستغنى عن الثلاثة بعد صوغ المصدر المنسلك بطريقته الصحيحة . ومثلها : (أن) المخففة النون الناسخة ؛ حيث تتكون صلتها من اسمها وخبرها . ولكن اسمها لا يكون - في الأفصح - إلا ضميراً محذوفاً ، وخبرها جملة بعده ؛ نحو : أيقنت أن علىٌ لمسافر^(٥) ؛ (ومنه المثالان السالفان في آخر الكلام على « أن » الناصبة للمضارع) . ويستغنى عن الثلاثة بعد صوغ المصدر المؤول بطريقته الصحيحة ، ويعرب هذا المصدر في النوعين على حسب الجملة ؛ فيكون فاعلاً ، أو مبتدأ ، أو مفعولاً به ، أو غير ذلك^(٤) . . . وقد يُسَدّ مسدّ المفعولين إن وجد في الجملة ما يحتاج لهما .

(ج) « كَيَّ »^(٦) . وصلتها لا تكون إلا جملة مضارعية (وتنصب المضارع

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٧٢ .

(٢) كما سيحيى البيان في ج ٣ باب : « إعمال المصدر » ، ص ٢٠٦ م ٩٩ .

(٣) تكون هي الصلة وتسبك معه بمصدر .

(٤ و ٤) « ملاحظة » - يقول النحاة : لم يرد في الكلام الفصح وقوع « أن » المصدرية بنوعها (المخففة والناصبة للمضارع) مع صلتها مبتدأ يستغنى عن الخبر بحال سدت مسده . ولا بعد « كان » و « إن » التاسختين بغير فاصل من خبرهما . ولا بعد « لا » النافية للجنس غير المكررة . وهذا الحكم ينطبق على « ما » المصدرية وصلتها أيضاً . وسيحيى البيان في ج ٣ باب إعمال المصدر . م ٩٩ ص ٢٠٧ .

(٥) الأصل : أيقنت أنه على لمسافر . وهذا الضمير هو ضمير « الشأن » أو ضمير « القصة » الذي سبق الكلام عليه تفصيلاً في الضمائر ، ص ٢٥٠ -

و « أن » المخففة لها مواضع وأحكام مكان الكلام عليها في هذا الجزء باب : « إن وأخواتها » ومن أشهر مواضعها أن تقع بعد ما يدل على اليقين . . . أو يقع بعدها فعل جامد . . . أو فعل للدعاء . . . أو . . . (انظر ص ٦٧٦) .

(٦) وهي مثل « أن » المصدرية عملاً ومعنى ، ولكن لا بد أن يسبقها لام الجر لفظاً أو تقديرًا (إذ يجوز حذف حرف لام الجر قبلها ، فتكون مقدرة) . لكي نعتبرها في الحالتين مصدرية خالصة . وسيحيى تفصيل الكلام على « كَيَّ » وأنواعها وأحكامها في ج ٤ ص ٢٢٧ م ١٤٨ .

نحو : أحسنت العمل لكي أفوز بخير النتائج . ومنها ومن صلتها معها يسبك المصدر المؤول الذي يستغنى به عنهما ، ويعرب على حسب حاجة الجملة ، وهذه الحاجة لا تكون هنا إلا لمجرور باللام دائماً . . .

(د) « ما » ، وتكون مصدرية^(١) ظرفية ؛ نحو : (سأصاحبك ما دمت مُخلصاً ، وألا زِمَك ما أنصفت) . أى : مدة دوامك مخلصاً ، ومدة إنصافك . ومثل قول الشاعر :

المرو ما عاش ممدود له أمل لا تنتهى العين حتى ينتهى الأمر^(٢)
أى : مدة عيشه^(٣) . . .

ومصدرية غير ظرفية^(٤) ، مثل : (فزعت مما أهمل الرجل ، ودهشت مما ترك

(١) وهى المصدرية الزمانية ؛ لأن الزمان يقدر قبلها ؛ فيذكر قبلها كلمة : « زمان » أو مدة . . . أو وقت . . . أو نحو ذلك من كل ما يفيد معنى الزمن . ويرى فريق من النحاة أن الأفضل تسميتها بالمصدرية الزمانية ، بدلا من تسميتها المشبوبة « المصدرية الظرفية » . وحجته : أن التسمية الأولى وحدها هى التى تشمل نحو قوله تعالى : (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إذ التقدير : كل وقت أضاءه لهم . . . فالزمان المقدر « مضاف » إليه مجرور ، والمجرور بالإضافة لا يسمى ظرفاً . ومن المضاف إليه - وهو المصدر المؤول - اكتسب المضاف ، (وهو كلمة : « كل ») الظرفية الزمانية . وكلمة : « كل » منصوبة بجوابها : « مشوا » . وسيجىء فى باب « كان » ص ٥٦٣ إيضاح أكل ، يتناول « ما » المصدرية الظرفية ، بمناسبة الكلام هناك على : « ما دام » .

(٢) أى : لا تنتهى العين من التطلع إلى الأشياء التى تدعو للأمل إلا بانتهاء كل أثر للانسان ، وهذا يكون بانتهاء أجله .

(٣) ومثل هذا ما قيل فى الرثاء : أبكى لفقدك ما ناحت مطوقة وما ساقن يوماً على ساق (٤) علائها أن يصلح فى مكانها « أن » المصدرية . لكنها لا تنصب المضارع كما تنصب « أن » . و « أن » المصدرية الداخلة على الماضى لا تنبر زمنه ، بل تركه على حاله ، وتخلص زمن المضارع للمستقبل . ولا تدل على الحال مطلقاً . بخلاف « ما » المصدرية بنوعها فتصلح للزمنة الثلاثة على حسب المعنى والقرينة ، ولكن الأكثر أن تكون للحال . . .

« راجع » ص ٤١٠ والملاحظة التى فى رقم ٤ من هامشها ، والبيان الذى فى رقم ٥ من هامش ص ٤١٩ .

وقد يختلط الأمر - على غير الفطن - بين « ما » التى هى اسم موصول والتى هى حرف موصول ، مع أن المعنى يختلف باختلاف نوعهما ؛ فى مثل : أعجبنى ما صنعت ! . وسرى ما لبست : يجوز أن تكون « ما » اسم موصول فيها ، والعائد محذوف تقديره : ما صنعته ، وما لبسته ، كما يجوز أن تكون « ما » حرف موصول ، ولا شئ محذوف ، والتقدير : أعجبنى صنعك ، وسرى لبسك ، وهذا صحيح فى المثالين السابقين وأشباههما ؛ عند فقد القرينة التى تعين . فإن وجدت قرينة توجه إلى أحدهما دون الآخر وجب الأخذ بتوجيهها ؛ كأن يكون المصنوع والملبوس أمراً معيناً معروفاً ، والحديث متجه إلى ذاته ومادته ؛ فتكون « ما » اسم موصول . أما إن كان المراد التحدث عن المعنى المجرد ، أى : الحدث ، وهو الصنع نفسه ، أو اللبس - فإن « ما » حرف موصول .

وهناك حالة يتعين فيها أن تكون « ما » حرف موصول ؛ هى : أن يكون الفعل بعدها لازماً ، أو يكون متعدداً قد استوفى مفعوله ؛ مثل : (وضاعت عليهم الأرض بما رحبت) و (يسر المرو ما ذهب اللبالي . . .) لأن الفعل بعدها لازم ، فلو كانت اسم موصول لم نجد عائداً ، ولا يصح تقدير ضمير . ومثله : أعجبنى ما قمت ؛ للسبب السابق أيضاً ، ومثل سرى ما قرأت الصحف - وما كتبت الرسائل =

العمل) ، أى : من إهمال الرجل ، ومن تركه العمل . وكقول العرب :
« أَنْجَزَ حُرّاً مَا وَعَدَ ^(١) » . وقول شاعرهم :

وإننى إذا ما زرتُها قلتُ : « يا اسلَمسى » وهل كان قسوى « يا اسلَمسى » ما يَصِيرُها ^(٢) ؟
وكلاهما تكون صلته فعلية ماضوية ^(٣) ؛ كالتى فى أكثر الأمثلة السابقة ، أو
مضارعية ^(٤) ؛ نحو : لا أجلس فى الحديقة ما لم تجلس فيها ، أى : مدة عدم
جلوسك فيها . وإنى أبتهج بما تكرم الأخوان ، أى : بإكرامك الإخوان . ومثل قول
الشاعر :

المراء — ما لم تُفِدْ نفعاً لإقامته — غَيَمَ حَمَى الشمس لم يَمطر ، ولم يَسِرِ
أو جملة اسمية ^(٥) ؛ نحو : أزورك ما الوقت مناسب ، ويرضىنى ما العمل
نافع ؛ أى : أزورك مدة مناسبة الوقت ، ويرضىنى نفع العمل . ولكن الأكثر فى
المصدرية الظرفية أن توصل بالجملة الماضوية ، أو بالمضارعية المنفية بلم ؛ كالأمثلة
السابقة . ويقل — مع صحته — وصلها بالمضارعية التى ليست منفية بلم ؛ مثل :
لا أصبح ما تنام ، أى : لا أصبح مدة نومك .

= فالفعل فيها متعدد قد استوفى مفعوله ، ولا يصح فيه تقدير ضمير مفعول آخر . (وسيجيء فى باب :
« كان » ص ٥٦٣ — كلام عن « ما » المصدرية الظرفية بمناسبة البحث فى : ما دام ، كما أشرنا فى
رقم ١ من هامش الصفحة السابقة) .

(١) أى : وعده . وهذا مثل قديم يقال بهذه الصيغة الخبرية ملح من وعد فأنجز . كما يقال لمن
وعد ولم ينجز ؛ بقصد تحريضه وحثه على الإنجاز .

(٢) أى : ما يضرها . وتقدير المصدر المؤول فى البيت : « غَيَمَها — و « ما » الأولى زائدة —

(٣) إذا وقعت صلة : « ما » المصدرية الظرفية جملة ماضوية فعلها : « دام » الناسخ وجب
أن تكون هى وصلتها معمولة لفعل مضارع قبلها — كما سيجيء البيان عند الكلام عليها فى ص ٥٦٥ — .

(٤) بشرط أن يكون الفعل الماضى والمضارع متصرفين ولو تصرفاً ناقصاً ، كما فى الفعل : « دام »
عند من يقول بأن له مضارعاً ومصدراً ناسخين مثله ، وهو قول مرجوح يحسن إهماله ، لضعفه — كما
سيجيء عند الكلام على شروط عمله فى موضعه الأصيل ، وهو باب « كان » — وإذا ارتضينا الرأى
القائل بعدم تصرفه مطلقاً وجب عده من الأفعال القليلة الجامدة التى تلزم الماضى وتدخل عليها « ما
المصدرية غير الظرفية » و « ما المصدرية الظرفية » فإنهما قد يوصلان بالفعل الجامد ومنه : (خلا —
— عدا — ومثلها : « حاشا » فى رأى . والثلاثة من أفعال الاستثناء — كما سبق فى ص ٤٠٨) — أما
وصلها بالأمر فممتنع .

(٥) بشرط ألا تكون مبدوءة بحرف مصدري آخر لأن الحرف المصدري لا يدخل على نظيره
لغير تأكيد لفظى — كما سيجيء فى رقم ٤ من هامش الصفحة التالية ، وفى رقم ٥ من هامش ص ٦٤٣ — أما
مثل : لا أخون إلا ما نمتا أن فى السماء نجماً ؛ فإن المصدر المؤول من أن ومعمولها فى محل رفع فاعل لفعل محذوف ،
تقديره : ثبت . أى : ما ثبت وجود نجم فى السماء ، والفعل والفاعل صلة : « ما » . والتقدير : مدة ثبوت
نجم فى السماء . وقد يجوز — فى رأى — أن يكون « أن » وصلتها فى محل مصدر مؤول مبتدأ ؛ خبره
محذوف ، تقديره : ثابت . والمبتدأ والخبر صلة ما .

ومن الحرف المصدرى « ما » وصلته ينشأ المصدر المؤول الذى يُستغنى به عنهما .

ويصح الفصل - مع قلته - بين « ما » المصدرية بنوعيتها ، وما دخلت عليه ^(١) ، دون غيرها من الموصولات الحرفية . (مع ملاحظة أنها كغيرها من سائر الموصولات الحرفية وغير الحرفية لا يجوز تقديم صلتها ولا شئ من الصلة عليها ^(٢))
(هـ) « لو » ^(٣) ، وتوصل بالجملة الماضوية ، نحو : (ودِدْتُ لورأيتك معنى فى النزهة .) وبالمضارعية : نحو : (أودُّ لو أشاركك فى عمل نافع ^(٤)) ، ولا توصل بجملة فعلية أمرية . ولا بد أن يكون الفعل الماضى أو المضارع تام التصرف . ومنها ومن صلتها يسبك المصدر المؤول الذى يُستغنى به عنهما .

* * *

-
- (١) وفى الفصل بالمفعول به خلاف ، تقدم فى رقم ٢ من هامش ص ٣٧٩ .
(٢) طبقاً لما تقدم فى ص ٣٧٣ والبيان الذى فى ص ٣٧٨ .
(٣) الأكثر فى « لو » المصدرية أن تقع بعد « ود » و « يود » ، وما معناها ؛ كآحب ، ورغب واختار ، ولا تحتاج لجواب ؛ وتخلص زمن المضارع بعدها للمستقبل المحض ولكنها لا تنصب - كما سيجىء فى ص ٤١٩ وفى بابها الخاص بالجزء الرابع .
(٤) وقد توصل بالجملة الاسمية ؛ نحو قوله تعالى : (وإن يأت الأحزاب يودُّوا لوأنهم بادؤوا فى الأعراب) ، ولكن وصلها بالجملة الاسمية - على جوازه - قليل بالنسبة لوصلها بالماضى والمضارع المتصرفين . . .

وقد توالى فى الآية السابقة - وأشباهاها - حرفان مصدریان ، وهما لا يتوالیان إلا لتوكيد لفظي ، (كما سبق فى رقم ٥ من الهامش السالف) وهو غير متحقق هنا - ولذا يعرب المصدر المؤول من : « أن ومعمولها » فاعلاً لفعل محذوف تقديره : « ثبت » - مثلاً - كما يعرب المصدر المؤول من : « لو » والفعل : « ثبت » وفاعله ، مفعولاً للفعل : « يود » قبله . ويجوز غير هذا مما مجال الكلام عليه باب : « لو » ج ٤ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) من حروف السَّبَك — عند فريق كبير من النحاة — « همزة التسوية »
وهي التي تقع بعد كلام مشتمل على لفظة : « سواء » ، وبلى الهمزة جملتان ،
ثانيتها : مصدرة بكلمة : « أم » الخاصة بتلك الهمزة . ومن الأمثلة قوله تعالى :
(إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم ، لا يؤمنون) ، فالهمزة
مسبوكة مع الجملة التي بعدها مباشرة بمصدر مؤول يعرب هنا « فاعلا » ، والتقدير :
إن الذين كفروا سَوَاءٌ — بمعنى : متساو — إنذارك وعدمه عليهم ؛ فهم يعربون
كلمة : « سواء » خبر : « إن » والمصدر المؤول فاعل لكلمة : سواء ، التي
هي بمعنى اسم الفاعل : « متساو »^(١) . وقيل : إن الجملة تسبك هنا بمصدر من
غير سابك ؛ كما سبكوه في المثل العربي : « تَسْمَعُ بالمعِينِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تَرَاهُ » ؛ برفع المضارع « تَسْمَعُ » في إحدى الروايات ؛ فقالوا في سبكه :
سماعك بالمعِينِ . . . من غير تقدير « أَنْ » قبل السبك ، وكما يقدرُونَ في كل
ظرف زمان أَضِيفَ إلى جملة بعده ، كالذي في قوله تعالى : (ويوم نُسِيرُ
الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً . . .) ، فقد قالوا : التقدير : « ويوم تسيير الجبال » —
من غير وجود حرف سابك^(٢) . . .

ومما يشبه هذا في تأويل المصدر بغير حرف سابك ، نوع من « الاستثناء
المفرغ » كثير الورد في أفصح الأساليب ، نحو : ناشدتك الله لا نصرت المظلوم^(٣) . . .

* * *

(ب) كيف يصابغ المصدر المنسبك من حرف مصدرى مع صلته ؟
للوصول إلى المصدر المؤول نتبع الخطوات الأربع التالية إن كان الحرف
المصدرى هو : « أَنْ » ، أو : « أَنَّ » ، كما في الأمثلة المعروضة ، أما إن كان
غيرهما فيجرى عليه ما جرى على هذين تمامًا ، وفيما يلي البيان :

(١) في الآية إعرابات أخرى وتفصيلات عرضنا لها في باب العطف — ج ٣ ص ٥٦٩ م ١١٨ —
الكلام على « أَمْ » العاطفة .

(٢) راجع الصبان ج ٢ أول باب : « الاستثناء » وسيجيء البيان في ج ٣ ، باب العطف عند
الكلام على : « أَمْ » ص ٥٦٨ م ١١٨ — ولها إشارة في ج ٣ — ص ٢٨ م ٩٣ و ٨٣ م ٩٤ .

(٣) والتأويل : ناشدتك الله إلا نصرك المظلوم . ولهذا النوع من « الاستثناء المفرغ » ومن
تأويل المصدر معه بغير سابك ، بيان تام جل ، موضعه « باب : الاستثناء » — ج ٢ م ٨١
ص ٣٠٢ من الطبعة الثالثة .

١ - نستخرج المصدر الصريح لخبر « أن »
المشتق في الجمل المشتملة على « أن » ، أو
المصدر الصريح للفعل غير الجامد الذي بعد
« أن » الناصبة في الجمل المشتملة على الفعل ؛
فنجده في الأمثلة المعروضة : « كثرة » -
« نهضة » - « نفع » .

٢ - نضبط ذلك المصدر الصريح على
حسب حاجة الجملة هكذا : « كثرة » ..
(مرفوعة في القسم الأول) ، « نهضة » ..
(منصوبة في القسم الثاني) ، « نفع » (مجرورة
في القسم الثالث) ؛ لأن الأول محتاج
لفاعل . والثاني محتاج لمفعول به ، والثالث
محتاج إلى مجرور .

٣ - نذكر بعده اسم « أن » في الجمل التي
كانت مشتملة على « أن » . ونذكر
الفاعل في الجمل التي كانت مشتملة على
« أن » الناصبة والفعل ؛ فيكون : كثرة
الفواكه ، نهضة الصناعة ، نفع الإذاعة .
٤ - نضبط ذلك الاسم الذي وضعناه بعد المصدر
الصريح - بالجر ، ونعربه مضافاً إليه ؛ فتكون
الجمل بعد السبك : شاع كثرة الفواكه - عرفت
نهضة الصناعة بمصر - آمنت بنفع الإذاعة
و بإتمام الخطوة الرابعة تم عملية سبك المصدر
المؤول ؛ وتظهر الجملة في شكلها الجديد ؛
خالية من « أن » و « أن » ومن صلتها
السابقة بعد أن تم الاستغناء عن هذه الأربعة

شاع (أن الفواكه كثيرة) في بلادنا .
شاع (أن تكثر ، الفواكه) في بلادنا .

عرفت (أن الصناعة ناهضة) بمصر .
عرفت (أن تنهض الصناعة) بمصر .

آمنت ؛ (أن الإذاعة نافعة)
آمنت ؛ (أن تنفع الإذاعة)

وعند السبك لا ندخل تغييراً في الباقي من الجملة إلا على اسم « إن » أو فاعل
الفعل بالطريقة التي أوضحناها . أما ما عداها مما لم يحذف فيبقى على حاله الأولى .

ومثل هذا يتبع حين يكون الحرف المصدرى هو : « أن » المخففة من الثقيلة
أو : « لو » ، أو : « كى » ، أو : « ما » .

وقد يقتضى الأم فى بعض الأمثلة عملاً زائداً على ما سبق ؛ ففى مثل : (سرى
أن تَسِيْقَ) . . . تنتهى الجملة بعد إجراء الخطوات الأربع السابقة إلى قولنا :
(سرى سبقُ أنت) فيقع فاعل الفعل المضارع « مضافاً إليه » بعد استخراج المصدر
الصريح - كما قدمنا - ولا كان هذا الفاعل (الذى صار مضافاً إليه) ضميراً
للمخاطب ، مرفوعاً دائماً ، ولا يمكن أن يكون مجروراً ، وجب أن نضع بدله
ضميراً بمعناه ؛ يصلح أن يكون مجروراً ، هو : كاف المخاطب ، فنقول : سرى
سبقك . . . وهكذا يجرى التغيير والتبديل على كل ضمير آخر لا يصلح للجر
كالذى فى قول الشاعر :

ومن نكّدت الدنيا على الحرّ أن يَـرَى عَدُوّاً له ما من صداقه بُدُّ
حيث يكون المصدر المؤول المضاف : (رؤية هو) ، ثم يقع التبديل المشار
فيصير : رؤيته . . .

مسألة أخرى ؛ قلنا^(١) فى تحقيق الخطوة الأولى : إننا نأتى بالمصدر الصريح
نخبر الناسخ : (أن) حين يكون الخبر مشتقاً ، أو بمصدر الفعل الذى دخلت
عليه : « أن » . . .

فإن كان خبر الحرف المصدرى : (أن) اسماً جامداً - نحو : عرفت أنك
أسد ، أو : ظرفاً ، أو جاراً مع مجروره ؛ نحو : عرفت أنك فوق الطيارة ،
أو عرفت أنك فى البيت - فإننا نأتى فى الجامد بلفظ مصدر عام هو : « الكَوْنُ » ،
مبشّراً ، أو قبله كلمة : « عدم » التى تفيد النفي ، إن كان الكلام منفيّاً ، ويحل لفظ
« الكون » محل المصدر الصريح المطلوب ويقوم مقامه ، ثم نتمم باقى الخطوات ؛
فنقول : عرفت كونك أسداً . ونأتى بالاستقرار أو الوجود فى الظرف والجار مع
المجرور : أى : عرفت استقرارك فوق الطيارة ، أو فى الدار .

ويصح فى الخبر الجامد شيء آخر هو : أن نزيد على آخره ياء مشددة مع التاء
فتكون هذه الزيادة مفيدة للمصدرية ، وتجعله بمنزلة المصدر الصريح ، فنقول :
عرفت أسديتَكَ ، كما تقول : فروسيَّتَكَ ووطنيتَكَ ، وهو ما يسمى :
« المصدر الصناعى »^(٢) . . .

وإن كان الفعل الذى فى الجملة جامداً ، فليس له مصدر صريح : مثل « عسى » فى قولنا : (شاع أن يتحقق الأمل ، وأن عسى الكرب أن يزول) وفى هذه الحالة يؤخذ المصدر الصريح من معنى الفعل الجامد : « عسى » (ومعناها هنا : الرجاء) ويضاف هذا المصدر إلى ما يناسبه ؛ فنقول : شاع تحقق الأمل ، ورجاء زوال الكرب .

وإذا كان الفعل بنوعيه الجامد وغير الجامد — للنفي مثل قوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أتينا بما يفيد النفي ؛ ككلمة : « عَدَم » فنقول : وعدم كون شيء للإنسان إلا سعيه .

وهكذا نحتال للوصول إلى المصدر الصريح مُشَبَّهًا أو منفياً ، على حسب ما يقتضيه الكلام : بحيث لا يفسد المعنى ، ولا يختل ، ولا يتغير ما كان عليه قبل السبك من نفي أو إثبات .

* * *

(ح) لماذا نلجأ فى الاستعمال إلى الحرف المصدرى وصلته ، ثم نؤولهما بمصدر — ولا نلجأ ابتداءً إلى المصدر الصريح ؟ لم نقول — مثلاً — : يحسن أن تأكل ، ولا نقول : يحسن أكلك ؟ .

إن الداعى للعدول عن المصدر الصريح إلى المؤول أمور هامة تتعلق بالمعنى أو بالضوابط النحوية . فمن الأولى :

١ — الدلالة على زمان الفعل ؛ سواء أكان ماضياً نحو : الشائع أن حضرت ، أم مستقبلاً ؛ نحو : الشائع أن تحضر . فلو قلنا من أول الأمر : الشائع حضورك ، لم ندر زمن الحضور ؛ أمضى ، أم لم يمتنع ؟ . لأن المصدر الصريح لا يدل بنفسه على زمن^(١) .

٢ — الدلالة على أن الحكم مقصور على المعنى المجرد للفعل ؛ من غير نظر لوصف يلابسه ، أو لشيء آخر يتصل به ؛ نحو : أعجبنى أن أكلت ، أى : مجرد أكلك لذاته ؛ لا لاعتبار أمر خارج عنه ؛ ككثرته ، أو قلته ، أو : بطئه ، أو سرعته ، أو حسن طريقته ، أو قبورها . . . ولو قلنا : أعجبنى أكلك . . . لكان محتملاً لبعض تلك الأشياء والحالات ، كطريقة الأكل ، أو نوع المأكول . . .

٣ — الدلالة على أن حصول الفعل جائز لا واجب ، نحو : ظهر أن يسافر

.....

.....

إبراهيم . فالسفر هنا جائز . ولو قلنا ؛ ظهر سفر إبراهيم لساخ أن يسبق إلى بعض الأذهان أن هذا الأمر واجب .

٤ - الحرص على إظهار الفعل مبنياً للمجهول ؛ تحقيقاً للغرض من حذف فاعله . وذلك عند إرادة التعجب من الثلاثي المبني للمجهول ؛ ففي مثل : عُرِفَ الحق ، يقال : ما أحسن ما عُرِفَ الحق . وكذلك في حالات أخرى من التعجب يحىء بيانها في بابه^(١) .

ومن الثانية الفروق الآتية بين المصدر المؤول والمصدر الصريح ، ووجود أحد هذه الفروق كاف لأن نلجأ إلى أحد نوعي المصدر دون الآخر :

١ - أنه لا يصح وقوع المصدر المؤول من « أن » والفعل مفعولاً مطلقاً مؤكداً للفعل ؛ فلا يقال : فحت أن أفرح . في حين يصح أن يؤكد الفعل بالمصدر الصريح ؛ مثل : فرحت فرحاً .

٢ - لا يصح أن يوصف المصدر المؤول ؛ فلا يقال : يعجبني أن تمشى الهادئ ، تريد : يعجبني مشيك الهادئ . مع أن الصريح يوصف .

٣ - قد يسد المصدر المؤول من « أن » والفعل مسد الاسم والخبر في مثل : عسى أن يقوم الرجل ؛ على اعتبار « عسى » ناقصة^(٢) ، والمصدر المؤول من « أن » والمضارع وفاعله يسد مسد اسمها وخبرها معاً . وليس كذلك الصريح .

٤ - قد يسد المصدر المؤول من « أن » والفعل مسد المفعولين فيما يحتاج إلى مفعولين ؛ مثل : « حَسِبَ » في قوله تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ...) وليس كذلك الصريح . ومثل هذا يقال في : « أن » و « أن » الناسختين - أى : المشددة والمخففة - مثل قول الشاعر :

فإنك كالليل الذي هو مُسْدِرُكِي وإن خلت أن المُنْتَهَى^(٣) عنك واسع

٥ - يصح أن يقع المصدر المؤول خبراً عن الجثة من غير تأويل في نحو : على إما أن يقول الحق وإما أن يسكت ؛ لاشتماله على الفعل والفاعل والنسبة بينهما بخلاف المصدر الصريح .

(١) في الجزء الثالث .

(٢) في رأى فريق كبير من النحاة ، دون فريق - كما سيحىء في رقم ٢ من هامش ص ٦٢١ - ورأيه أنسب .

(٣) المنتهى : النأى والبعد ؛ أو مكانها . والبيت من قصيدة للنايفة الذبياني يمدح بها النعمان ويعتذر له عن وشاية وصلته ، ويصفه هنا بأنه واسع السلطان والنفوذ ، لا يستطيع أحد أن يخرج من دائرة نفوذه ، أو يفر من سطوته ، كالليل لا يفر منه أحد .

٦ - هناك مواقع إعرابية يصلح لها المصدر الصريح دون المؤول ، وهي المدونة في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ بعنوان : « ملاحظة » .

* * *

(د) من المعلوم ^(١) أن المصدر الصريح (مثل ، أكل - شرب - قيام - قعود) لا يدل بنفسه على زمن مطلقاً ، وكذلك المصدر المؤول الذي يكون نتيجة سبك الحرف المصدرى وصلته ؛ فإنه - وقد صار مصدراً - لا يدل بنفسه على زمن مطلقاً . ولكن تبقى الدلالة على الزمن ملاحظة ، واستفادة من العبارة الأصلية التي سبك منها ؛ فكأنه يحمل في طيه الزمن الذي كان في تلك العبارة قبل السبك . أما هو فلا يدل بذاته المجردة على زمن . وبالرغم من هذا لا يمكن معه إغفال الزمن السابق على السبك ، وخاصة بعد أن عرفنا أن ذلك الزمن قد يكون سبباً من أسباب اختيار المصدر المؤول دون الصريح ؛ ففي نحو : شاع أن نهض العرب في كل مكان - نقول : « شاع نهوض العرب في كل مكان » ، فيكون زمن النهوض ماضياً على حسب الزمن الذي في الأصل قبل التأويل ، لا على حسب المصدر المؤول ذاته ؛ فإنه مجرد من الزمن . أما في مثل : « الشائع أن ينهض العرب في كل مكان » فيكون المصدر المؤول هو : « الشائع نهوض العرب » ، أيضاً ؛ فيكون زمن النهوض هنا مستقبلاً ؛ مراعاة للزمن الذي في العبارة الأولى . لهذا كان المصدر المؤول من « أن » الناصبة للفعل وصلتها ملاحظاً فيه الزمن الماضي أو المستقبل على حسب نوع الفعل الذي دخل في السبك ؛ أماض هو فيلاحظ الماضي بعد التأويل ، أم مضارع فيلاحظ الزمن بعد التأويل مستقبلاً ؟ . ولا يكون للحال ، لأن المضارع المنصوب « بأن » يتخلص للاستقبال ، ولا يكون للحال ^(٢) . ومثلها : « لو » المصدرية فإنها بمعناها تخلص زمنه للاستقبال وإن كان كانت لا تنصبه - كما تقدم عند الكلام عليها ^(٣) - وكذا : « ما » المصدرية فإنها لا تنصبه ، ولكنها إذا دخلت على جملة مضارعية كان المصدر المنسبك منها ومن صلتها للحال - غالباً - كما سبق ^(٤) - وقد تكون لغيره ^(٥) .

(١) كما سبق في رقم ١ ص ٤١٧ .

(٢) وقد سبق أن النواصب والجوازم والسين وسوف . . . تخلص المضارع للاستقبال (راجع ص ٥٩ و ٦٠ وما بعدهما) .

(٣) في رقم ٣ من هامش ص ٤١٣ .

(٤) في ص ٥٨ وفي رقم ٤ من هامش ص ٤١١ .

(٥) جاء في شرح المفصل ج ٨ ص ١٤٤ ما يقطع بأن زمن المصدر المنسبك من « أن » وصلتها =

أما « كى » فالمصدر المنسبك منها ومن صلتها مستقبل الزمن ، وهذا على أساس أنها لا تدخل إلا على المضارع فتنصبه — وتخلصه للزمن المستقبل فقط ، كشأن النواصب كلها — فيلاحظ الاستقبال فى المصدر المؤول منها ومن صلتها .

وأما « أن » (المشددة النون) فالمصدر المنسبك منها ومن صلتها يكون على حسب دلالة الصلة ؛ فقد يكون مستقبلا إذا كان خبرها دالا على ذلك ؛ كالمضارع الخاص بالاستقبال لوجود قرينة ، فى مثل ؛ أعرف أن محمداً يسافر غداً ؛ وهى كلمة ؛ « غد » وقد يكون دالا على الحال لوجود قرينة ؛ فى مثل أعرف أن عالما يقرأ الآن ؛ وهى كلمة : « الآن » وقد يكون دالا على الماضى نحو شاع أن العدو انهزم . وقد يكون خالياً من الدلالة الزمنية فى مثل : المحمود أن الجرح معتدل والمعروف أن الصديق فضيلة .

* * *

= الجملة الفعلية يكون إما ماضياً ، وإما مستقبلا على حسب نوع الفعل الذى فى صلتها . أما زمن المصدر المنسبك من « ما » وصلتها فعناه الحال . فهل يكون للحال دائماً ولو كان الفعل ماضياً ؟ الأمر غامض . والرأى أنه للحال ما لم تقم قرينة على غيره ، فيراعى ما تدل عليه القرينة وهذا يوافق ما جاء فى الجزء الثانى من حاشيتى الصبان والخضرى ، أول باب : « إعمال المصدر » فى الخضرى ما نصه :

(مقتضى كلام الشارح أن : « ما » لا تقدر مع الماضى ولا المستقبل ، وليس كذلك . بل هى صالحة للأزمنة الثلاثة ، إلا أن يقال إنما خصوها . بذكر الحال ، لتعذره مع « أن » ولأن دلالة : « أن » مع الماضى على الماضى ومع المضارع على المستقبل أشد من دلالة : « ما » عليهما) .

وفى حاشية الصبان ما لا يخرج فى مضمونه عما سبق .

المعرّف بـ «أل»^(١)

- ١ - زارنى صديق - زارنى صديق ؛ فأكرمت الصديق .
 - ٢ - اشتريت كتاباً - اشتريت كتاباً ؛ فقرأت الكتاب .
 - ٣ - تنزهت فى زورق - تنزهت فى زورق ؛ فتهاذى الزورق بى .
- كلمة : « صديق » فى المثال الأول مبهمة : لأنها لا تدل على صديق مُعَيَّن معهود ؛ فقد يكون محمداً ، أو : علياً ، أو محموداً ، أو : غيرهم من الأشخاص الكثيرة التى يصدق على كل واحد منهم أنه : « صديق » ، فهى نكرة - والنكرة لا تدل على معين ، كما عرفنا^(٢) - لكن حين أدخلنا عليها « أل » دلت على أن صديقاً معيناً - هو الذى سبق ذكره ، ودار الحديث بشأنه - قد زارنى دون غيره من باقى الأصدقاء .

ومثلها كلمة : « كتاب » فى المثال الثانى ، فإنها مبهمة ؛ لا تدل على كتاب مُعَيَّن ؛ بل تنطبق على عشرات ومئات من الكتب ؛ فهى نكرة ؛ لكن حين أدخلنا عليها : « أل » وقلنا : « الكتاب » صارت تدل على أن كتاباً معيناً - هو الذى سبق ذكره ، والكلام عنه - - قد اشتريته .

ومثل هذا يقال فى كلمة : « زورق » ؛ فإنها نكرة لا تدل على زورق معروف . وحين أدخلنا عليها « أل » صارت تدل على واحد معين تنزهت فيه .

فكل كلمة من الكلمات الثلاث وأشباهها كانت فى أول أمرها نكرة ، ثم صارت بعد ذلك معرفة ؛ بسبب دخول : « أل » عليها . لهذا قال النحاة : إن « أل » التى من الطراز السابق وسيلة من وسائل التعيين ، أى : أداة من أدوات

(١) إذا كانت « أل » مستقلة بنفسها كما فى هذا العنوان الذى لم تتصل فيه باسم بعدها - كانت همزتها همزة قطع ؛ يجب إظهارها نطقاً وكتابة ؛ لأن كلمة « أل » فى هذه الحالة تكون علماً على هذا اللفظ المعين . وهمزة العلم قطع - فى رأى الأنسب - وأو كان العلم منقولاً من لفظ آخر ، بشرط أن يصير جزءاً ملازماً له ؛ مثل : أ رجل مسافر ، علم على إنسان - كما نصوا على هذا فى باب النداء ، (وكما سبق فى باب العلم - رقم ١ من هامش ص ٣٠٤ ، والبيان فى رقم ص ٣٠٦)

(٢) فى ص ٢٠٦ .

التعريف ؛ إذا دخلت على النكرة التي تقبل التعريف^(١) جعلتها معرفة ؛ كالأمثلة السابقة ونظائرها .

وليس مما يناسبنا اليوم أن نذكر آراء القدماء في كلمة « أل » التي هي حرف للتعريف ؛ أمي كلها التي تُعرَّف ، أم اللام وحدها ، أم الهمزة وحدها ؟ ... فإن هذا التردد لا طائل وراءه بعد أن اشتهر الرأي القائل بأنهما معاً^(٢) . ولكن الذي يناسبنا ترديده هو ما يقولونه من أن كلمة : « أل » عدة أقسام^(٣) منها :

(١) هناك نكرات لا تتعرف - في الأغلب - ؛ بل تبقى على تنكيرها ؛ ومنها : كلمة : « غير » ، و « مثل » وأشباههما ، مما يسمى : « نكرات متوغة في الإبهام » (انظر رقم ٥ من هامش الجدول الذي في ص ٨٥) . ويجيء الكلام عليها مفصلاً في باب : « الإضافة » ، أول الجزء الثالث .
(٢) دفعنا إلى هذه الإشارة الموجزة ، والاكتفاء بها - ما نجد في بعض المراجع المطولة - ومنها المراجع اللغوية التي لا غنى للجمهور المثقفين عنها - أنها تقول : « اللام » بدلا من : « أل » فلا يدرى غير الأخير ما تريده من « اللام » . فالقاموس - مثلاً - يقول في مادة : « الجرول » ما نصه : (والجرول - كجعفر - : الأرض ذات الحجارة ، و . . . و . . . و . . . وبلا « لام » لقب الحطيئة العبي) . فأى لام يقصد ؟ . أمي الأولى أم الأخيرة ؟ . إنه يقصد الأولى التي للتعريف والتي قبلها همزة الوصل ، ولا يدرك هذا إلا اللغوي . . . ومن أراد معرفة تلك الآراء مفصلة فليرجع إلى مظانها ، في مثل : « حاشية الصبان » ، والتصريح ، وغيرهما ، وهي آراء لا جدوى وراءها اليوم ، كما قلنا .
وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

«أل» حَرْفُ تَعْرِيفٍ، أَوْ : «اللَّامُ» فَقَطْ . فَنَمَطٌ . عَرَّفَتْ ، قُلْ فِيهِ : النَّمَطُ .

يريد : أن « أل » للتعريف إذا كانت مركبة من الهمزة واللام معاً ؛ أو : أن التعريف يكون باللام وحدها ، والهمزة للوصل . فإذا أردت تعريف كلمة : « نمط » التي هي نكرة فقل فيها : النمط ؛ بإدخال « أل » عليها (والنمط : بساط كالنوع الذي يسميه العامة : « الكليم » . وكذلك الجماعة من الناس تشابه في الأمر . . .) .

أما كلمة : « فقط » فقد قال « الخفري » في هذا الموضع ما نصه : (« الفاء » زائدة لتزيين اللفظ ، و « قط » بمعنى : حسب . وهي حال من « اللام » - في بيت ابن مالك - أي : حال كونها حسبك : أي : كافيتك عن طلب غيرها . وقيل « الفاء » : في جواب شرط مقدر ، و « قط » خبر لمحدوف - فالتقدير : إن عرفت هذا فقط ، أي : فهي حسبك - أو اسم فعل ؛ بمعنى : « انتبه » أي : إذا عرفت ذلك فهي حسبك ، أو : فانتبه عن طلب غيرها) . ١٥

فهى مبنية على السكون في محل نصب ، حال ، أو : في محل رفع ، خبر ، أو : لا محل لها ؛ لأنها اسم فعل . والفاء في كل الحالات زائدة .

وجاء في ص ٢١ من حاشية الألبوسي على القطر ، ما نصه : (« فقط » ، أي : « فحسب » ولم تسمع منهم إلا مقرونة بالفاء ، وهي زائدة ، وكذا ، فحسب . . . وفي المطول : أن « قط » من أسماء الأفعال بمعنى : انتبه . وكثيراً ما تصدر بالفاء تزييناً للفظ ، وكأنه جزء شرط محذوف . وفي كتاب : « المسائل لابن السيد » : « وإنما صليحت الفاء في هذه لأن معنى : أخذت درهماً فقط ، أخذت درهماً فاكفيت به . ١٥ . ومنه يعلم أنها عاطفة ، ومن المطول أنها - فاء - فصيحة ؛ ولكل وجهة » (١٥ . ١٥) .

أما : « حسب » فتفصيل الكلام عليها في الجزء الثالث ؛ باب الإضافة ص ١٤٧ م ٩٥ حيث البيان الكامل لأحكامها .

(٣) إذا ذكرت «أل» في الكلام مطلقة (أي : لم يذكر معها ما يدل على نوعها) . كان المراد منها : =

الموصولة ، وهى اسم - فى رأى الأربح - وقد سبق الكلام عليها فى الموصولات^(١) ومنها المعرّفة ، ومنها الزائدة^(٢) . وفيما يلى بيان هذين القسمين .

(١) « أل » « المُعَرِّفَة » (أى : التى تفيد التعريف) .

وهى نوعان : نوع يسمى : « أل العهدية » ، (أى : التى للعهد) ، ونوع يسمى : « أل الجنسية » ، وكلاهما حرف^(٣) .

فأما « العهدية »^(٤) فهى : « التى تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف تجعل مدلولها فرداً معيناً بعد أن كان مبهمًا شائعاً » . وسبب هذا التعريف والتعيين يرجع لواحد مما يأتى :

١ - أن النكرة تذكر فى الكلام مرتين بلفظ واحد^(٥) ، تكون فى الأولى مجردة من « أل » العهدية ، وفى الثانية مقرونة « بأل » العهدية التى تربط بين النكرتين ، وتحدد المراد من الثانية : بأن تحصره فى فرد واحد هو الذى تدل عليه النكرة الأولى^(٦)

= « أل المعرّفة » لأنها المقصودة عند الإطلاق . أما إذا أريد غيرها فلا بد من التقييد ، وترك الإطلاق ؛ فيقال : « أل » « الموصولة » - مثلاً - ، وقد سبق الكلام عليها فى ص ٣٥٦ وعلى إعرابها فى رقم ٢ من هامش ص ٣٥٧ - أو : الزائدة ...

(١) فى ص ٣٥٦ .

(٢) ستجىء فى ص ٤٢٩ .

(٣) ويجب إدغامه فى التاء إذا وقعت بعده ، طبقاً للبيان الذى سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٣٨٧ .

(٤) من هذا النوع « أل » الداخلة على « أفعل التفضيل » فإنها لا تكون إلا للعهد - كما سيبيء البيان فى باب - ج ٣ م ١١٢ ص ٣٩٨ عند الكلام على القسم الذى به « أل » . وكما سبقت الإشارة فى رقم ٢ من ص ٣٥٦ .

(٥) قد يكون اللفظ السابق مذكوراً صراحة كالأمثلة المعروضة ، وقد يكون كناية ؛ نحو قوله تعالى فى سورة مريم : (وليس ، الذكر كالأنثى) . فالذكر تقدم قبل ذلك مكنياً عنه بقول مريم (إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ...) ، أى : منقطعاً لخدمة بيت المقدس - على حسب ما كان شائعاً زمنها . وهذا النذر خاص بالذكر عندهم إذ ذاك .

(٦) فإن النكرة الثانية بمنزلة الضمير ، والأولى بمنزلة مرجع الضمير ، و « أل » هى الرابطة بينهما الدالة على اتصال الثانية بالأولى اتصالاً معنوياً . ويدل على أن الثانية بمنزلة الضمير والأولى بمنزلة مرجعه أنك فى مثل : نزل مطر فأنعش المطر زرعونا - قد تستغنى عن : أل وعن كلمة : « مطر » الثانية ؛ اكتفاء بالضمير المستتر فى الفعل ، والذى قد يفنى عنهما ؛ حيث تقول : نزل مطر فأنعش زرعونا . لهذا يقول النحاة : إن فائدة : « أل العهدية » التنبيه على أن مدلول ما دخلت هو مدلول النكرة السابقة ، الماثلة لها فى لفظها ؛ الخالية من « أل » . فلو قلنا : نزل مطر فأنعش مطر زرعونا ؛ بتكرار كلمة : « مطر » فى الحالتين لوقع فى اليوم أن المراد من كلمة : « مطر » الثانية ، مطر آخر غير الأول ، مع أن المراد منهما واحد . ولذلك لا ينعت الاسم المعروف بأل العهدية ، لأنه يشبه الضمير ، وواقع مع « أل » موقعه كما سبق . وما قيل فى كلمتى « مطر » يقال فى كلمتى : « سيارة » ، وكلمتى « رسول » ونظائرها ... - راجع شرح التوضيح وحاشيته فى هذا الموضع .

ولما كانت الثانية بمنزلة الضمير ، والأولى بمنزلة مرجعه ساغ اعتبار الثانية معرفة ، مع أن الأولى نكرة : كالشأن فى مثل : جاء ضيف فأكرمه الوالد . فكلمة : « ضيف » نكرة ، لا تدل على واحد معين ، أما الضمير : « الهاء » فعرفه تدل على معين ، مرجعه النكرة ، برغم أن معنى الضمير هو معنى = النحو الواقى - أول

كالأمثلة التي تقدمت^(١)، ونحو: نزل مطر؛ فأنعش المطر زروعنا. أقبلت سيارة، فركبت السيارة، وقوله تعالى: (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فعصى فرعون الرسول). فكل كلمة من الثلاث: (مطر - سيارة - رسول) وأشباهاها قد ذكرت مرتين؛ أولاهما بغير «أل» فبقيت على تنكيرها. وثانيتها مقرونة بأل العهدية التي وظيفتها الربط بين النكرتين ربطاً معنوياً يجعل معنى الثانية فرداً محدوداً محصوراً فيما دخلت عليه وحده، والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها. وهذا التحديد والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة؛ لأنها صارت معهودة عهداً ذكريراً، أى: معلومة المراد والدلالة؛ بسبب ذكر لفظها في الكلام السابق ذكرأ أدى إلى تعيين الغرض وتحديده بعد ذلك، وأن المراد في الثانية فرداً معين^(٢)؛ هو السابق، وهذا هو ما يسمى: «العهد الذكري».

٢ - وقد يكون السبب في تعريف النكرة المقترنة بأل العهدية هو أن «أل» تحدد المراد من تلك النكرة، وتحصره في فرد معين تحديداً أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، وليس أساسه ألفاظاً مذكورة في الكلام الحالي. وذلك العلم السابق ترمز إليه «أل» العهدية وتدل عليه، وكأنها عنوانه. مثال ذلك؛ أن يسأل طالب زميله: ما أخبار الكلية؟ هل كتبت المحاضرة؟. أذهب إلى البيت؟. فلا شك أنه يسأل عن كلية معهودة لهما من قبل، وعن محاضرة وبيت معهودين لهما كذلك، ولا شيء من ألفاظ السؤال الحالية تشير إلى المراد إلا: «أل»؛ فإنها هي التي توجه الذهن إلى المطلوب. وهذا هو ما يسمى: «العهد الذهني» أو: «العهد العلمي».

٣ - وقد يكون السبب في تعريف تلك النكرة حصول مدلولها وتحققه في وقت الكلام، بأن يبتدئ الكلام خلال وقوع المدلول وفي أثنائه؛ كأن تقول: (اليوم

== مرجعه تماماً، ولم يمنع ذلك أن يكون الضمير معرفة، ومرجعه نكرة. وذلك أن الضمير قد أوصلنا إلى شيء واحد مع أن هذا الشيء الواحد ينطبق على أفراد كثيرة. ومثل هذا يقال فيما دخلت عليه «أل» العهدية التي نحن بصدها؛ فإن الاسم الأول نكرة؛ فهي لا تدل على معين، أما الاسم الثاني الذي دخلت عليه فمعرفة؛ لأن معناها مراد به الاسم الأول، ومحصور فيه، برغم أنه نكرة تدل على أفراد متعددة.

ويتصل بهذا ما يجيء في رقم ٣ من هامش ص ٤٣٣.

(١) في صدر الباب ص ٤٢١

(٢) لهذا إيضاح في رقم ٦ من هامش الصفحة السابقة، ثم في رقم ٣ من هامش ص ٤٣٣.

يحضر والذى) . - (يبدأ على الساعة) - (البرد شديد الليلة) . . . تريد من « اليوم » و « الساعة » و « الليلة » ؛ ما يشمل الوقت الحاضر الذى أنت فيه خلال الكلام . ومثل ذلك : أن ترى الصائد يحمل بندقيته ؛ فتقول له : « الطائر » . أى : أصب الطائر الحاضر وقت الكلام . وأن ترى كاتباً يحمل بين أصابعه قلماً فتقول له : « الورقة » . أى : خذ الورقة الحاضرة الآن . وهذا هو « العهد الحضورى »^(١) .

فأنواع العهد ثلاثة : « ذِكْرِي » ، و « ذهني » . أو : علمي . و « حضوري » وللثلاثة رمز مشترك يدخل على كل نوع منها ؛ هو : « أل » . وتسمى : « أل التى للعهد » أو : « أل العهدية »^(٢) . فإذا دخلت على النكرة جعلتها معرفة ، تدل على فرد معين دلالة تقرب من دلالة العلم الشخصى بذاته لا برمز آخر^(٣) . ولهذا كانت « أل العهدية » تفيد النكرة درجة من التعريف تُقَسَّرُ بها من درجة العلم الشخصى ، وإن لم تبلغ مرتبته وقوته ؛ وإنما تجعلها فى المرتبة التى تليه مباشرة .

* * *

وأما : « أل الجنسية » فهى الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد^(٤) . ومثالها ؛ النجم مضىء بذاته ، والكوكب يستمد الضوء من غيره . . . فالنجم ، والكوكب ، والضوء ، معارف بسبب دخول « أل » على كل منها ، وكانت قبل دخولها نكرات (وشأن النكرات - كشأن اسم الجنس -)^(٥) ،

(١) وأكثر ما يقع « أل » التى للعهد الحضورى فى صدر الكلمات التى بعد أسماء الإشارة ؛ نحو : جانف هذا الرجل أو بعد « أى » فى النداء ؛ نحو : يأبها الرجل . وقد تقع فى غيرهما كالأمثلة التى عرضناها من قبل .
(٢) أى : التى لتعريف صاحب العهد ؛ وهو : الشيء الممهور ؛ سواء أكان واحداً أم أكثر ؛ فى التركيب كلمتان محذوفتان . بقى شيء يتعلق بإفادتها التعريف وهو فى رقم ٣ من هامش ص ٤٣٣ .
(٣) لأن علم الشخص معرفة بصيغته ؛ لا برمز آخر ، ولا بشئ خارج عن مادته بخلاف النكرة التى جاءها التعريف من « أل » فإن « أل » أجنبية منها ، وخارجة عن صيغتها .

(٤) يقول النحاة : إذا دخلت « أل » على اسم مفرد أو غير مفرد ، وكان هناك معهود مما شرحناه فهى للعهد . وإن لم يكن هناك معهود فهى للجنس . (انظر رقم ٣ من هامش ص ٤٢٨) .

(٥) إيضاح ذلك : أن كلمة : « نجم » - مثلاً - تدل على معنى شائع مبهم ؛ يصدق وينطبق على كل جرم سماوى مضىء ؛ من غير حصر النجم فى واحد معين ، فهو يصدق على هذا ، وذاك ، وعلى آلاف غيرها . وهذا معنى النكرة واسم الجنس (كما سبق إيضاحه بإسهاب فى ص ٢٣ وهامش ص ٢٠٦ و ٢٨٨) ، فهى تدل على واحد غير معين ولا محدد ، لأنه واحد شائع بين أمثاله ، لا يمكن تخصيصه بالمتعين ، من بين أفراد جنسه . (أى : أفراد صنفه ونظائره) فإذا أدخلنا « أل » على كلمة : « نجم » وهو فرد من أفراد جنسه كانت لتعريف الجنس كله ، لا لتعريف ذلك الفرد الواحد ؛ لأن تعريف الفرد الواحد يقتضى أن ترى النجوم كلها واحداً واحداً ، وترى إضاءة كل واحد بذاته ، ثم تقول بعدها : للنجم مضىء بذاته . ولما كانت تلك الرؤية الشاملة المحيطة بكل النجوم أمراً مستحيلاً لا يقدر عليه =

لا تدل على واحد معين) ، وليس في الكلام ما يدل على العهد .
 ولدخول « أل » هذه على الأجناس سميت : « أل الجنسية » . وهي أنواع
 من ناحية دلالتها المعنوية ، ومن ناحية إفادة التعريف .

١ - فمنها التي تدخل على واحد من الجنس فتجعله يفيد الشمول والإحاطة
 بجميع أفراده إحاطة حقيقية ؛ لا مجاز فيها ، ولا مبالغة^(١) ، بحيث يصبح أن
 يحل محلها لفظة « كل » فلا يتغير المعنى ؛ نحو : النهر عذب ، النبات حي ،
 الإنسان مفكر ، المعدن نافع . . . فلو قلنا : كل نهر عذب ، كل نبات حي ،
 كل إنسان مفكر ، كل معدن نافع . . . بحذف « أل » في الأمثلة كلها وبوضع
 كلمة : « كل » مكانها - لبقى المعنى^(٢) على حالته الأولى .

وحكم ما تدخل عليه « أل » من هذا النوع أن يكون لفظه معرفة ؛ تجري عليه
 أحكام المعرفة^(٣) ، ويكون معناه معنى النكرة المسبوقة بكلمة : كل ؛ فيشمل كل
 فرد من أفراد مدلولها ، مثل كلمة « المالك » في قول الشاعر :
 إذا الملك الجبار صعرَّ خدَّه مَشَّيْنَا إِلَيْهِ بالسُّيُوفِ نَعَاتِهِ^(٤)

٢ - ومنها التي تدخل على واحد من الجنس ، فتجعله يفيد الإحاطة ، الشمول ؛
 لا بجميع الأفراد ، ولكن بصفة واحدة من الصفات الشائعة بين تلك الأفراد ؛
 وذلك على سبيل المجاز والمبالغة ؛ لا على سبيل الحقيقة الواقعة ؛ نحو : أنت
 الرجل علماً ، وصالح هو الإنسان لطفاً ، وعلى هو الفتى شجاعة . تريد : أنت

— مخلوق — كان دخول « أل » على كلمة : « نجم » وقولنا : « النجم » معناه أن كل واحد من هذا الجنس
 الذي عرفناه بمقولنا دون أن تحيط بكل أفراده الخوامس - مضيئاً بذاته ؛ فكأنها تعرف الجنس مثلاً في
 فرد واحد من أفراده ؛ يغني تعريفه عن تعريفها ، وينوب عنها في ذلك . أو كأنها تعرف فرداً يدل على
 الجنس كله ، ويميز إليه . وهكذا يقال في باقي الأمثلة - راجع رقم ٣ من هامش ص ٤٢٨ - .

(١) وعلاقتها : أن يصح الاستثناء مما دخلت عليه ؛ لأن المستثنى لا بد أن يكون أقل أفراداً
 من المستثنى منه ؛ نحو قوله تعالى : (إن الإنسان لئى خسر ، إلا الذين آمنوا . .) ومن العلامات أيضاً :
 أن يصح نعته بالجميع ؛ نحو ؛ قوله تعالى ، (أو الطغفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) ، ونحو
 قولهم : أهلك الناس الدينارُ الخسر ، والدرهم البيض ، فكأنه قال : الدناير ، والدرهم .

(٢) وهذه تسمى : « أل الاستباقية » ؛ لأنها تدل على أن المعنى يستغرق جميع أفراد الجنس أى :
 يحيط بأفراده إحاطة شاملة حقيقية . ومثلها « أل » في النوع الثاني ، الدالة على أن الجنس يستغرق صفة من
 الصفات على سبيل المجاز والمبالغة .

(٣) فيكون مبتدأ ، ويكون نعتاً للمعرفة ، ويكون صاحب حال . وغير ذلك مما يفلب عليه أن
 يكون معرفة لا نكرة . . .

(٤) صعرَّ خدَّه : أماله وحوله عن ناحية الناس ؛ كى لا يرام ؛ ترفماً منه ، وكبراً .

كل الرجال من ناحية العلم ؛ أى : بمنزلتهم جميعاً من هذه الناحية وحدها ، فإنك جمعت من العلم ما تفرق بينهم ؛ ويسعد موزعاً عليهم بجانب علمك الأكمل المجتمع فيك ؛ فأنت تحيط بهذه الصفة (صفة العلم) إحاطة شاملة لم تنهياً إلا للرجال كلهم مجتمعين . وكذلك صالح من ناحية الأدب ؛ فهو فيه بمنزلة الناس كلهم ؛ نال منه ما نالوه مجتمعين . وكذلك على ؛ بمنزلة الغتيان كلهم فى الشجاعة ؛ أدرك وحده من هذه الصفة ما توزع بينهم ، ولم يبلغوا مبلغه إلا مجتمعين . وكل هذا على سبيل المبالغة والادعاء^(١) .

وحكم ما تدخل عليه « أل » من هذا النوع كحكم سابقه لفظاً ومعنى .
 ٣ - ومنها التى لا تفيد نوعاً من نوعى الإحاطة والشمول السابقين ؛ وإنما تفيد أن الجنس يراد منه حقيقة القائمة فى الذهن ، ومادته التى تكون منها فى العقل بغير نظر إلى ما ينطبق عليه من أفراد قليلة أو كثيرة ، ومن غير اعتبار لعددتها ، أو لصفة عرَضية طارئة عليها . وقد يكون بين تلك الأفراد ما لا يصدق عليه الحكم ... نحو : « الحديد أصلب من الذهب - الذهب أنفَس من النحاس » . تريد : أن حقيقة الحديد (أى : مادته وطبيعته) أصلب من حقيقة الذهب (أى : من مادته وعنصره) من غير نظر لشيء معين من هذا أو ذاك ؛ كفتاح من حديد ، أو خاتم من ذهب ؛ فقد توجد أداة من نوع الذهب هى أصلب من أداة مصنوعة من أحد أنواع الحديد ؛ فلا يمنع هذا من صدق الحكم السالف الذى ينص على أن الحديد فى حقيقة أصلب من الذهب فى حقيقة من غير نظر إلى أفراد كل منهما - كما سبق - إذ أنك لا تريد أن كل قطعة من الأول أصلب من نظيرتها فى الثانى ؛ لأن الواقع يخالفه ، ومثل هذا أن تقول : « الرجل أقوى من المرأة » ، أى : أن حقيقة الرجل وجنسه من حيث عنصره المتميز - لا من حيث أفراده - أقوى من حقيقة المرأة وجنسها من حيث هى كذلك ، من غير أن تريد أن كل واحد من الرجال أقوى من كل واحدة من النساء ، لأنك لو أردت هذا لخالفك الواقع . وهكذا يقال فى : « الذهب أنفَس من النحاس » . وفى : « الصوف أغلى من القطن » . وفى : « الفحم أشد تاراً من الخشب » ... وفى : « الماء ، والتراب ، والهواء ، والجحاد ، والنبات ... »

(١) ولذا يصح إحلال كلمة : « كل » محل « أل » على سبيل المجاز والمبالغة - كما سبق فى رقم ٢ من ص ٤٢٦ « والمحصَر » هو الذى يفيد أنهم جميعاً لم يبلغوا درجته فى الصفة .

تقول : الماء سائل : أى : أن عنصره وطبيعته من حيث هى مادة ، تجعله فى عداد السوائل ، من غير نظر فى ذلك إلى أنواعه ، أو أفراده ، أو شيء آخر منه — فتلك حقيقته ؛ أى : مادته الأصلية التى قام عليها . وتقول : التراب غذاء النبات ، أى : أن عنصره وطبيعته كذلك ؛ فهى حقيقته الذاتية ، وماهيته التى عرف بها من حيث هى . وتقول : الهواء لازم للأحياء ؛ أى : أن عنصره ومادته وحقيقته كذلك وهكذا .

وتسمى « أل » الداخلة على هذا النوع : « أل » التى للحقيقة « ، أو : للطبيعة » ، أو : « للماهية ^(١) » ، فلا علاقة لها بالإحاطة بالأفراد ، أو بصفاتهم ، أو بعدم الإحاطة . وتفيد ما دخلت عليه نوعاً من التعريف يجعله فى درجة « عكس الجنس » ^(٢) لفظاً ومعنى .

فعانى « أل الجنسية » إما إفادة الإحاطة والشمول بكل أفراد الجنس حقيقة ، لا مجازاً ، وإما إفادة الإحاطة والشمول لا بأفراد الجنس ؛ وإنما بصفة من صفاته وخصائصه على سبيل المبالغة والادعاء ^(٣) والمجاز ، وإما بيان الحقيقة الذاتية ، دون غيرها .

* * *

(١) وعلامتها : ألا يصلح وضع كلمة : « كل » بدلها ، لا حقيقة ولا مجازاً ، لأن المقصود من الحقيقة ليس الدلالة على الأفراد ، قليلة كانت الأفراد أم كثيرة ، وإنما المقصود شيء آخر هو ما ذكرناه . (٢) قد سبق الكلام على علم الجنس ودرجته (فى ص ٢٩٠ و ٢٩٦ وما بعدها) .

(٣) راجع رقم ٥ من هامش ص ٤٢٥ . وقد جاء فى « كليات أبى البقاء » ، ص ٦٦ عند الكلام على « أل » ما نصه : « إذا دخلت « أل » فى اسم — فرداً كان أو جمعاً — وكان ثمة معهود ، فإنها تصرف إليه . وإن لم يكن ثمة معهود فإنها تحمل على الاستفراق عند المتقدمين (يريد : أنها تشمل جميع أفراد الجنس فرداً فرداً ، أو تشمل صفة شاملة من صفاته — كما شرحنا) — وعلى الجنس عند المتأخرين (يريد أنها تدل على صنف من الجنس يكون كافياً للدلالة على الجنس ، ونموذجاً يبنى عن رؤية الباقي ؛ فكانه نموذج — عينة — للجنس) إلا أن المقام عندهم إذا كان خطائياً يحمل على كل الجنس ، وهو : « الاستفراق » وإذا كان استدلالياً ، أومل يمكن حمله على الاستفراق ، فإنه يحمل على أدنى الجنس (يريد على فرد واحد فقط) ، حتى يطل الجمعية ، ويصير مجازاً عن الجنس كله . فلو لم تصرفه إلى الجنس وأبقيناه على الجمعية يلزم إلغاء حرف التعريف من كل وجه ؛ إذ لا يمكن حمله على بعض أفراد الجمع ، لعدم الأولوية ؛ إذ التقدير أنه لا عهد ؛ فيتبين أن يكون للجنس . فحينئذ لا يمكن القول بتعريف الجنس مع بقاء الجمعية ؛ لأن الجمع وضع لأفراد الماهية ، لا للماهية من حيث هى ، فيحمل على الجنس من طريق المجاز) .

وجاء فى شرح المفصل — ج ٩ ص ١٩ ، عند الكلام على : « أل » وأقسامها . — ما نصه : (فأما تعريف الجنس فإن تدخل اللام (أى : « أل ») على واحد من الجنس لتعريف الجنس جميعه ، لا لتعريف الشخص منه — أى : الفرد الواحد منه — وذلك نحو قولك : الملك أفضل من الإنسان ، والعسل حلو ، والخل حامض ، و « أهلك الناس الدرهم والدينار » فهذا التعريف لا يكون عن إحاطة ؛ لأن ذلك متعذر ؛ لأنه لا يمكن أحداً أن يشاهد جميع هذه الأجناس (أى : جميع أفرادها) وإنما معناه أن كل واحد من هذا الجنس المعروف بالمعقول دون حاسة المشاهدة أفضل من كل واحد من الجنس الآخر ، وأن كل جزء من العسل الشائع فى الدنيا حلو ، وأن كل جزء من الخل حامض) .

المسألة ٣١ :

ب - « أل » الزائدة^(١)

هى التى تدخل على المعرفة أو النكرة فلا تُغَيِّر التعريف أو التنكير^(١) وربما كان لها أثر آخر ، - كما سيجىء هنا - « فمثال دخولها على المعرفة : (المأمون بن الرشيد من أشهر خلفاء بنى العباس) . فالكلمات : « مأمون » ، و « رشيد » و « عباس » ، معارف بالعلمية قبل دخول « أل » . فلما دخلت عليها لم تحدث تغييراً فى تعريفها ، ولم تغيِّر تعريفها جديداً . ومثال دخولها على النكرة ما سُمِع من قولهم : « ادخلوا الأول فالأول . . . » وأشباهها . فكلمة « أول » نكرة ؛ لأنها حال^(٢) ، ولم تخرجها « أل » عن التنكير .

و « أل الزائدة » نوعان - كلاهما حرف^(٣) - أحدهما : نوع تكون فيه « زائدة لازمة » وهى التى تقترب باسم معرفة ، ولا تفارقه بعد اقترانها به ، ومن هذا اقترانها ببعض الأعلام منذ استعماله علماً ؛ فلم يوجد خالياً منها منذ علميته . . .^(٤) ولا تفارقه بعد ذلك مطلقاً ، برغم زيادتها ، كبعض أعلام مسموعة عن العرب لم يستعملوها - فيما يقال - بغير « أل » ؛ مثل : السَّمَوِيُّ^(٥) ، واليسع^(٦) ، وأللات^(٧) والعزى^(٨) . وكبعض

(١) والمراد بالزائدة هنا : ما ليست موصولة ، وليست للتعريف ، ولو كانت غير صالحة للسقوط .

(٢) « أول » السابقة ، حال منصوية ، والثانية معطوفة عليها بالفاء التى تفيد الترتيب . وزيدت فيها « أل » شذوذاً فى النثر ؛ كما تزداد فى النظم للضرورة . والأصل ادخلوا أول فأول ، أى : ادخلوا مرتين - كما سيجىء فى رقم ٦ من هامش الصفحة التالية - . أما البيان الخاص بهذا فى باب الحال (ج ٢ م ٨٤) فى التقسيم الثالث الخاص بالتنكير والتعريف .

(٣) ويجب إدغامه فى التاء إذا وقعت بعده مباشرة ، طبقاً للبيان الذى سبق فى آخر رقم ٣ من هامش ص ٣٨٧ .

(٤) وهذا يشمل ما وضع من أول أمره علماً مقروناً « بأل » ، ولم يستعمل فى غير العلمية ؛ من قبل كالسَمَوِيُّ ، وما كان مجرداً فى أصله من « أل » ثم دخلته عند انتقاله إلى العلمية ، ولازمته معها من أول لحظة - ؛ كالنضر ، والنعمان .

(٥) اسم شاعر جاهلى ، مشهور بالوفاء . (٦) اسم نبي .

(٧) اسم صنم للعرب فى الجاهلية . (٨) اسم صنم للعرب فى الجاهلية (وهى ؛ مؤنث أعز) .

الظروف المبدوءة بأل ، مثل : « الآن » ^(١) للزمن الحاضر ، وبعض أسماء الموصولات المصدرة بها ؛ كالتى ، والذى ، والذين ، واللاتى . . . ومن الزائدة اللازمة : « أل » التى للغلبة ، وسيجىء بيانها ^(٢) . . .

والآخر : نوع تكون فيه زائدة عارضة (أى : غير لازمة ، فتوجد حيناً ، وحيناً لا توجد) ، وهذا النوع ضربان :

ضرب اضطرارى يلجأ إليه الشعراء وحدهم عند الضرورة ، ليحافظوا على وزن الشعر وأصوله ؛ كقول القائل :

ولقد جنيتك ^(٣) أكمؤاً وعساقلاً ولقد نهيتك عين بنات الأوبر ^(٤)

فقد أدخل الشاعر « أل » على كلمة : « أوبر » مضطراً ؛ مع أن العرب حين تستعملها « علم جنس » تجردها من « أل » ؛ فتقول : بنات أوبر ، ومثل قول الشاعر :

رأيتك كمأ أن عرفت وجوهنا صدّدت وطبت النفس ياقينس عن عسمر ^(٥)

فقد أدخل الشاعر « أل » على كلمة : « النفس » التى هى تمييز ، والتمييز نكرة — على المشهور — فلا تدخله « أل » ، وكان الأصل أن يقول : طبت نفساً . ولكن الضرورة ^(٦) الشعرية قهرته . ^(٧)

(١) ظرف زمان منصوب . وقد يجز بمن قليلاً ؛ فهو معرب . وهذا الرأى أوضح وأيسر من الرأى القائل بأنه مبنى على الفتح دائماً .

وإذا كان معرباً ومعناه الزمن الحاضر فكلمة : « أل » فيه للعهد الحضورى فتكون معروفة ، وليست زائدة (راجع رقم ٣ من ص ٤٢٤) . وإيضاح الكلام على هذا الظرف مدون فى باب : « الظرف » ج ٢ ص ٢٦٣ م ٧٩ .

(٢) فى ص ٤٣٣ .

(٣) « جنيتك » ؛ أى : جنيت لك ؛ وجمعت . « الأكمؤ » : جمع ، مفردة : كمؤ . وهو نبات فى البادية ، له ثمرة يجنيه العرب . وقد سبق أول الكتاب — ص ٢٢ — أن كلمة : « كمؤ » تكون مفرداً أيضاً لكلمة : « كمأة » التى هى اسم جنس جمعى . ولكن هنا لم يفرق بينه وبين واحدة بالثناء فى المفرد كما هو الكثير ، وإنما وقعت الثاء فى اسم الجنس الجمعى . « المساقل » : جمع مفردة : عسقول (على وزن عصفور) نوع أبيض ، كبير من الكمأة ، ويسميه بعض الناس : شحمة الأرض .

(٤) « بنات أوبر » علم على نوع من الكمأة ، ردىء الطعم . له زغب كلون التراب .

(٥) يقول لما رأيت — ياقينس — وجوهنا (أى : زعماءنا) وأكابرننا ، تسليت عن صديقك عمرو الذى قتلناه ، وطبت نفساً .

(٦) وملحق بهذا النوع زيادتهما فى النثر شذوذاً . مثل : ادخلوا الأول فالأول ، كما سلف البيان فى ص ٤٢٩ .

(٧) وفيما سبق من الزيادة اللازمة وغير اللازمة يقول ابن مالك :

وقد تَزَادُ لازماً كَاللَّاتِ وَالْآنَ ، وَالَّذِينَ ، ثُمَّ اللَّاتَى

وَلَا اضْطَرَّارَ ، كِبَنَاتِ الْأَوْبَرِ كَذَا ، وَطَبَّتِ النَّفْسُ يَا قَيْسُ السَّرَى
وَالسَّرَى أَصْلُهَا : السرى : بتشديد الياء ، ومعناها الشريف .

٢- وضرب اختياري يلجأ إليه الشاعر وغير الشاعر لغرض يريد أن يحققه ؛ هو : « لمح الأصل » . وبيان :

أن أكثر الأعلام منقول عن معنى سابق كان يؤديه قبل أن يصير علماً ، ثم انتقل إلى العلمية ، وترك معناه السابق - ولذا يسمى : « العلم المنقول » - مثل : عادل ، ومنصور ، وحسن ... فقد كان المعنى السابق لكل اسم من هذه المشتقات هو الدلالة على أمرين معاً : ذات وصفة - أى ذات فعلت العدل . أو وقع عليها النصر ، أو انصفت بالحسن . . . ، ولا دخل للعلمية بواحد من الأمرين . . . ثم صار كل واحد بعد ذلك « علماً جامداً » يدل على مُسمًى مُعين فقط ، ولا يدل معه على شيء من الوصف السابق ؛ فكلمة : عادل ، أو منصور أو : حسن ، أو ما شابهها ... قد انقطعت صلتها بالوصف السابق بمجرد نقلها منه إلى الاستعمال الثاني ؛ وهو : « العلمية » وصارت بعد العلمية اسماً جامداً لا يتضمن صفة ، ولا يشتمل عليها مع أنها كانت في الأصل اسماً مشتقاً .

فإذا أردنا ألا تنقطع تلك الصلة المعنوية ، وأن تبقى الكلمة المنقولة مشتملة على الأمرين معاً - (وهما : المعنى الأصلي السابق . والدلالة الجديدة ؛ وهي : العلمية) - فلإننا نزيد في أولها : « أل » لتكون رمزاً دالاً على المعنى القديم تلميحاً ؛ ينضم إلى المعنى الجديد ، وهو : العلمية مع الجحود ؛ فنقول : العادل ، والمنصور ، والحسن ، فتدل الكلمة (بذاتها وبصيغتها التي اعتبرناها جامدة) على العلمية ، وتدل على الوصف القديم « بأل » التي تشير وتلمح إليه . ولهذا تسمى : « أل التي للمح الأصل » ، ومن أجله تزداد زيادة لازمة في كثير من الأعلام المنقولة الصالحة لدخولها ؛ لتشير إلى معانيها القديمة التي تحوى المدح ، أو الذم ، أو التفاؤل ، أو التشاؤم .. ؛ نحو : الكامل ، المتوكل ، السعيد ، الضحاك ، الخاسر ، الغراب ، الخليج ، المحروق . . . وغير ذلك من الأعلام المنقولة قديماً وحديثاً^(١) .

ونقل العلم قد يكون من « اسم معنوي جامد » ؛ كالتنقل من المصدر في مثل :

(١) « ملاحظة » : لا خير في الأخذ بالرأى القائل : إن زيادة « أل » للمح الأصل سماعية ؛ لأن الأخذ به بالرغم من أنه الأغلب - يضيع الغرض من زيادتها ؛ وهو غرض تدعو إليه الحاجة في كل المصنوع وقد حرصت العرب على تحقيقه ؛ فأكثر من استعمال الأعلام المنقولة إكثاراً مستفيضاً . فيه المبدوء . بال للمح الأصل ، وغير المبدوء ؛ فلا داعي للتفصيل من غير داع يقصر هذه الزيادة على السماع كما يريدونها هنا ، وهو ألا نستعمل علم منقولاً سوى العلم الذي استعمله العرب بلفظه ونصه ، فنبتقيه على معناه القديم ، ولا مانع عندهم من إطلاقه بنصه على معنى جديد .

الفضل ، والصلاح ، والعرفان ... وقد يكون من « اسم عين جامد » ؛ كالصخر ،
والحجر والنعمان^(١) ، والعظم ... وقد يكون من « كلمات مشتقة » في أصلها ؛
كالهادي ، والحارث ، والمبارك ، والمستنصر ... ويُهْمَلُ هذا الاشتقاق بعد
العلمية فتعدّ الكلمات من الجامد - كما سبق - .

فالأعلام السابقة وأشباهاها زيدت عليها « أل » عند ابتداء استعمالها في
العلمية ليجتمع في كل علم أمران هما : لمح الأصل والعلمية ، أمّا عند الرغبة -
وقت التسمية- في الاختصار على العلمية وحدها فلا تزداد « أل » ، والأعلام في الحالتين
جامدة .

وأما من ناحية التعريف والتنكير فلا أثر لها مطلقاً ؛ فوجود « أل » التي للمح
الأصل وعدم وجودها سيّان من هذه الناحية كما تقدّم^(٢) - ، لأنّ العلم يستمد
تعريفه من علميته ؛ لا من « أل » التي للمح الأصل .

والأعلام كلها صالحة للدخول « أل » هذه ، إلا العلم المرتجّل^(٣) ؛ (كسعاد ،
وأدّ ،) ، وإلا العلم المنقول الذي لا يقبل « أل » بحسب الأصول العامة ؛ إما لأنّه
على وزن فعل من الأفعال ؛ والفعل لا يقبلها ؛ (مثل : يحين ، يزيد ، تعزّز ،
يشكر ، شَمَّر ..) .. وإما لأنّه مضاف ؛ والمضاف لا تدخله « أل » ؛ (نحو :
عبد الرؤف ، وسعد الدين ، وأبو العينين^(٤))

من كل ما سبق نعلم أن أشهر أنواع « أل » هو : الموصولة ، والمعرفة
بأقسامها ، والزائدة بأقسامها .

* * *

(١) أصله : اسم للدّم . (٢) أول البحث (ص ٤٢٩ و ٤٣١) .
(٣) سبق شرحه في ص ٣٠٢ . ولم تدخل « أل » هذه على العلم المرتجّل لأنّه ليس ذا أصل يلمح
إليه ، على حين الغرض من زيادتها هو التلميح والإشارة إلى أصل العلم ، ولن يكون له أصل إلا إذا كان
منقولاً .
(٤) يقول ابن مالك - في إيجاز عن لفظ « أل » ، وأنه قد يدخل بعض الأعلام للدلالة على لمح
الأصل ولا يفيد تعريفاً :

وبعضُ الأعلامِ عليه دَخَلُ لِمَحٍّ مَا قَدْ كَانَ عَنْهُ نُقْلًا
كَالْفَضْلِ وَالْحَارِثِ وَالنُّعْمَانِ قَدْ كُرِّرَ ذَا وَحْدُهُ سَيَّانِ

يريد : أن بعض الأعلام يدخل عليه لفظ « أل » بقصد التلميح إلى الأصل الذي نقل عنه العلم ،
وما يحتويه من وصف يراد إلصاقه بالعلم المنقول ، وحذف كلمة « أل » وذكرها سيّان من ناحية التعريف
والذكّير .

المسألة ٣٢ :

العلم بالغلبة^(١)

المعارف متفاوتة في درجة التعريف — كما سبق^(٢) — ؛ فبعضها أقوى من بعض وبسبب هذا التفاوت كان علم الشخص أقوى من المَعْرِف « بأل العهدية » ، وأقوى من « المضاف لمعرفة » . غير أن كل واحد من هذين قد يصل — أحياناً — في قوة التعريف إلى درجة « علم الشخص » ، ويصير مثله في الأحكام الخاصة به ، وليبان ذلك نقول :

إن كلاً من المَعْرِف « بأل العهدية » ، و « المضاف لمعرفة » ، قد يكون ذا أفراد متعددة ؛ فالكتاب^(٣) — مثلاً — ينطبق على عشرات ، ومئات ، وألوف . . . من الكتب ، وكذلك النجم ، والمنزل ، والقلم . . . وكتاب سعد ، يصدق على كل كتاب من كتبه المتعددة ، ومثله : قلم حَمَّاد ، وثوب عثمان . . .^(٤)

غير أن فرداً واحداً من أفراد المَعْرِف « بأل » أو من أفراد « المضاف لمعرفة » قد يشتهر اشتهاً بالغاً دون غيره من باقي الأفراد ؛ فلا يخطر على البال سواه عند الذكر ؛ بسبب شهرته التي غطت على الأفراد الأخرى ، وحجبت الذهن عنها .

(١) تعريفه : أن يغلب معنى اللفظ عند إطلاقه على فرد من مدلولاته ، دون باقي الأفراد ؛ بسبب شهرة الأول ، كما سنشرحه . ومن أحكامه التي ستذكر أنه يعد من ناحية التعريف في درجة العلم الشخصي ، — كما في الصفحة التالية ، وكما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٢٩٢ .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٢١٢ .

(٣ و ٤) المراد من « أل » العهدية هذه أنها كانت عهدية بحسب أصلها قبل أن تكون للغلبة ، أما بعد أن تصير للغلبة فزائدة لازمة — كما سبق في ص ٤٣٣ و ٤٣٦ — وبما بعدهما .

وقد يقال : إن « أل العهدية » أداة تعريف ، فكيف يكون مدلولها متعدد حين تكون للعهد ؟ .
أجاب النحاة : (إن « أل » العهدية تدخل على كل فرد عهد بين المتخاطبين على البذل — أي : على التبادل — فصحبها كل فرد بينهما على البذل ، فثلا لفظ : « العقبة » المعروف بأل العهدية وضع في الأصل ليستعمل في كل فرد عهد بينهما على البذل ، فخصصته الغلبة « بعقبة أيّلة » — وهي على الحدود الشرقية لمصر — (راجع الصبان في هذا ، وكذا البيان الذي في رقم ٦ من ص ٤٢٣) بل إن مدلول العلم الشخصي قد يتعدد أحياناً ، (كما سبق — في رقم ١ من هامش ص ٢٩٤) بالرغم من أنه أقوى من المعرفة بأل ، أو : المعرفة بالإضافة وله إشارة في رقم ١ من هامش ص ٤٣٦ .

ومن أمثلة ذلك : المصحف ، الرسول ، السنة ، ابن عباس^(١) ، ابن عمر ، ابن مسعود ؛ فالمراد المشهور اليوم من المصحف هو : كتاب الله وقرآنه الكريم ... ومن الرسول : النبي محمد عليه السلام ، ومن السنة : ما ثبت عنه من قول ، أو فعل ، أو تقرير .^(٢) كما أن المراد المشهور من : ابن عباس هو : عبد الله ، بن عباس ، بن عبد المطلب^(٣) . . . دون فرد آخر من أبناء العباس . وكذلك المراد الشائع من : ابن عمر ، هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، دون غيره من أولاد عمر . وكذلك المراد الشائع من ابن مسعود ، هو : عبد الله بن مسعود أيضاً ، وكانت تلك الكلمات في الأصل - قبل اشتهاها ، وشيوع مدلولها - معرفة بالإضافة ، أو بآل العهدية ، ولكن درجة تعرفها بأحدهما لم تبلغ درجة العكس الشخصي ؛ الدال على واحد بعينه ؛ لأنها ليست أعلاماً شخصية ؛ فلا تدل على فرد معين ؛ إذ الأصل في كلمة : « المصحف » أن تنطبق على كل^(٤) غلاف يحوى صحفاً . وفي كلمة : « الرسول » أن تنطبق على كل إنسان أرسل من جهة إلى جهة معينة . وفي كلمة : « السنة » أن تنطبق على كل طريقة مرسومة ، وفي كلمة : « ابن فلان » أن تنطبق على كل ابن من أبناء ذلك الرجل . لكن اشتهرت كل كلمة مما سبق - بعد التعريف - في فرد ، واقتصرت عليه ؛ بحيث إذا أطلقت لا تنصرف لغيره ؛ فقوى التعريف فيها ، وارتفع إلى درجة أرق من الأولى ؛ تسمى : « درجة العكس بالغلبة » ، (أى : التغلب بالشهرة) وهي درجة تلحقه بالعلم الشخصي^(٥) في كل أحكامه ؛ فظهر الكلمة أنها معرفة « بآل » ،

(١) كانت كلمة : « ابن » في هذه الأمثلة وأشباهاها ، معرفة ؛ لأنها مضافة إلى معرفة . ولكن العلم بالغلبة (الشهرة) هو مجموع الكلمتين المضاف والمضاف إليه معاً ، وصار تعريفه بالعلمية الغالبة ، كما سيحى في رقم هـ من هذا الهامش - وزال التعريف السابق .

(٢) ما يقوله (أى : يوافق عليه) بالسكوت ؛ كأن يرى شخصاً يقول قولاً ، أو يعمل عملاً بشرط أن تكون الأقوال أو الأعمال من الشؤون المتصلة بالدين - ؛ فيسكت ، ولا يظهر ما يدل على المعارضة فيكون سكوته موافقه ضمنية ؛ تسمى : « تقريراً » .

(٣) جد الرسول عليه السلام .

(٤) انظر الإيضاح الذي في رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة ، ورقم هـ من هامش ص ٤٢٣ .

(٥) قال النحاة ؛ إن العلم قسمان : علم بالوضع ؛ فيشمل علم الشخص وعلم الجنس ، وعلم بالغلبة ، وهو ما شرحناه . وأهم فارق بينهما : أن العلم الوضعي بعين مسماه تعييناً مطلقاً من أول لحظة وضع فيها على مسماه ، ووقع فيها الاختيار على لفظه ليكون رمزاً على ذلك المسمى ؛ مثل إبراهيم ، فإنه يدل على صاحب ذلك الاسم ابتداء من تلك اللحظة التي وقع عليه الاختيار فيها ليدل على إبراهيم . أما العلم بالغلبة فقد كان أول أمره معرفة « بآل العهدية » ، أو : بالإضافة ، ولم يكن علماً في ابتداءه -

أو بالإضافة ، ولكن حقيقتها أنها صارت معرفة بعلمية الغلبة . وهي في درجة علم الشخص — كما قلنا — وتلقى معها الدرجة القديمة . ومن أمثلة العلم بالغلبة : المدينة ^(١) ، العتقة ^(٢) ، الهرم ^(٣) . . . مجلس الأمن ^(٤) ، جمعية الأمم ^(٥) ، إمام النخاعة ^(٦) . . . وغيرها مما هو عكس بالغلبة ^(٧) : كالنابغة ، أو الأعشى ، أو الأخطل . . . وأصل النابغة : الرجل العظيم ، وأصل الأعشى : من لا يبصر ليلاً ، وأصل الأخطل : الهجاء . ثم تغلب على كل أصل مما سبق الاستعمال والاشتهار في العلمية وحدها .

أحكامه :

هو ماحق بالعلم الشخصي — كما تقدم — ويسرى عليه ما يسرى على ذلك ، مع ملاحظة أن « أل » التي في العلم بالغلبة قد صارت قسمًا مستقلًا من ، أل » الزائدة اللازمة (أى : التي لا تفارق الاسم الذي دخلت عليه .) ، يسمى : « أل » التي للغلبة « ولم تبق للعهد كما كانت ^(٧) . وبالرغم من أنها زائدة ، ولزامة فإنها تحذف وجوبًا عند ندائه ، أو لإضافته ؛ مثل : (يا رسول الله قد بلغت رسالتك) . (هذا مصحف عثمان) ، (يا نابغة ، أسمعنا من طرائفك) . . . فشأنها في الحالتين المذكورتين من جهة الحذف وعدمه شأن « أل » المعرفة ^(٨) — في الرأي الأرجح — .

== أمره ؛ فنزلت غلبته (أى : شهرته) منزلة الوضع ؛ فصارها في درجة « العلم الشخصي » . وحين تصل الكلمة إلى درجة العلم بالغلبة تلغى درجة التعريف السابقة وتحل محلها الدرجة الجديدة ، وتصبح « أل » زائدة . لازمة بعد أن كانت للعهد .

- (١) مدينة الرسول عليه السلام ، وإليه هاجر ، وفيها قبره الشريف .
- (٢) اسم بلد على الحدود الشرقية المصرية . (والعقبة في الأصل : اسم للطريق . الصاعد في الجبل) .
- (٣) بناء بمصر ، أثرى ، ضخم ، مرت عليه آلاف السنين من غير أن تؤثر فيه تأثيراً يذكر .
- (٤ و ٥) مؤسسة عالمية قائمة الآن ، تضم مندوبين ورؤساء عن الدول الكبيرة ، ينظرون في الشؤون الدولية الهامة .
- (٥) سيبويه (توفي حول سنة ١٨٠ هـ) .

- (٦) ويراد به — كما قلنا في ص ٤٣٣ — كل اسم كان معناه متعمداً بحسب وضعه الأصلي ، ثم غلب استعماله في فرد معين من أفراد ذلك المعنى المتعدد ، لا يراد غيره عند الإطلاق ؛ فصار خاصاً بسبب ذلك التعمين الناشئ من الشهرة .
 - (٧) أشرنا لهذا في ص ٤٢٩ وفي ٣ من هامش ص ٤٣٣ .
 - (٨) ذ « أل » المعرفة لا تبقى كذلك عند الإضافة أو النداء ، لكن يجب ملاحظة أن : « أل » التي للغلبة لا تثبت مطلقاً مع حرف النداء ، فلا يتوصل لنداء ما فيه بكلمة : « أى » أو : كلمة : « ذا » كما يتوصل لنداء ما فيه « أل » الجنسية مما ليس علماً بالغلبة ، فلا يصح : يأيها النابغة ، ولا إذا النابغة ، كما يصح : يأيها الرجل ، ويا ذا الرجل (راجع حاشية الصبان ج ١ في هذا الموضوع) .
- وفي العلم بالغلبة يقول ابن مالك :

أما العلم بالغلبة إذا كان مضافاً ، فإن إضافته تلازمه ولا تفارقه في نداء ، ولا في غيره : تقول في النداء : يا بنَ عمرَ قد أحسنت ، ويا بنَ عباس قد أفدت الناس بفقهك ، ويا بن مسعود قد حققت لنا كثيراً من أحاديث الرسول . . .

وإذا اقتضى الأمر إضافته^(١) فإنه يضاف مع بقائه على الإضافة

وقد يصيرُ علماً بالغلبة مضافاً أو مصحوباً «أل» ؛ كالعقبة وحذف «أل» ذي-إن تُناد أو تُضِف أو جب، وفي غيرهما قد تُحذف

أى : قد يصير «المضاف» أو : «المعرف بأل» علماً بالغلبة ، لا بكونه علم شخص ، ولا علم جنس . (وهذا نوع آخر من العلم بخالفهما ، كما سبق أن أشرنا) . حذف «أل» ذي (أى : هذه) واجب في حالتين : إذا نوى الاسم المبدوء بها ، أو أضيف . وأشار بقوله : « وفي غيرهما قد تُحذف » إلى أن «أل» الدالة على العلم بالغلبة وردت محذوفة في غير الحالتين السابقتين : (النداء ، والإضافة) فقد قال بعض العرب : هذا عتيقٌ طالماً . وهذا يوم إثنين مباركاً ، بدلا من «العيق» علم على نجم خاص ، و «الإثنين» علم على اليوم الأسبوعي المعروف . وهذا الحذف شاذ لا يصح القياس عليه .

(١) أشرنا في باب العلم (رقم ١ من هامش ص ٢٩٤) إلى أن علم الشخص قد يكون متعدداً يشترك في التسمية به عدد كثير ؛ فثل : محمد ، ومحمود ، وصالح ، وغيرهم من الأعلام الشخصية قد يسمى بكل منها عدة أفراد - ونقول هنا إن العلم بالغلبة قد يقع فيه ذلك ؛ مثل ابن زيدون . . . وابن خلدون . . . وابن هاني ؛ والنابغة . . . فإن كل واحد منها علم بالغلبة على شاعر معين ، أو : عالم كبير . . . وقد يشترك معني التسمية آخرون . وهذا الاشتراك والتعدد في الأعلام بنوعها يجعلها غامضة الدلالة نوعاً ، ويجعل تعيين المراد بها غير كامل ، وفي هذه الحالة يجوز إضافة العلم إلى معرفة - إن لم يمنع من الإضافة مانع - ، رغبة في الإيضاح وإزالة كل أثر للغموض والإبهام . فنرى إضافة علم الشخص . ما ورد عن العرب من قولهم : جميل بشينة ، وقيس ليل ، وعمر الخير ، وسخر الحمراء ، وربيعة الفرس ، وأعمار الشاة ، ويزيد سليم ، وقول الشاعر :

بالله يا ظبياتِ القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلي من البشر

وقول الآخر :

علازئدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيخص ماضى الشفرتين يحانى

ومن إضافة العلم بالغلبة قولهم : ؛ أهلا بابن عمرنا . ومرحبا بابن عباسنا .

وقد أدخلوا «أل» قليلا على المضاف إليه في العلم المركب تركيباً إضافياً ، ومع قلته يجوز إذا قدرت فيه التذكير - كما سبق - لأن الأصل في المعارف ألا تضاف . قالوا : «يا ليت أم عمرو كانت بجاني . . .» فالغرض من إضافة العلم : هو الإيضاح ، (ويراد به إزالة الاشتراك اللفظي الناشئ من إطلاق العلم على أفراد كثيرة : بحيث لا يطلق بعد الإيضاح إلا على واحد في الغالب) .

وقد سبق أن أشرنا لهذه المسألة في رقم ٣ من هامش ص ١٢٧ ثم فصلنا الكلام عليها في رقم ١ من هامش

الأولى^(١)، تقول : أنت ابن عُمَرَنا العادل ، وهذا ابن عباسنا زعيم الفتوى .

= وبهذه المناسبة نعيد ما قلناه هناك من أن الإضافة إلى المعرفة تفيد الإيضاح على الوجه الذي شرحناه ؛ (وهو : رفع الاحتمال والاشتراك في المعرفة . . .) ، أما الإضافة إلى التكرار فإنها تفيد التخصيص . ويراد به تقليل الاشتراك فقط ، ولا تفيد إزالته ورفعها ؛ فإذا قلت : « كتاب رجل » فإن الذي ينطبق عليه هذا المعنى أقل كثيراً مما ينطبق عليه لفظ : كتاب ، بنظر إضافة ، (راجع ما سبق في تلك الصفحات) .

(١) فيصير « المضاف إليه » في التركيب الإضافي الأول هو « المضاف » في التركيب الإضافي الثاني ، إن لم يمنع من هذه الإضافة مانع ؛ كأن يكون المضاف الجديد منوفاً ، أو فيه « أل » فإن كان كذلك يجب حذف المانع قبل الإضافة . . .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

إذا أريد تعريف العدد « بآل » فلما أن يكون مضافاً^(١) إلى معدوده ، وإما أن يكون مركباً^(٢) ، أو مفرداً^(٣) (عقداً) ، أو معطوفاً^(٤) . فإذا كان العدد مضافاً وأردنا تعريفه « بآل » فالأحسن إدخالها على المضاف إليه وحده — أى : على المعدود — ؛ نحو : عندى ثلاثة الأقلام ، وأربع الصحف ، ومائة الورقة ، وألف^(٥) القرش . وعندئذ ينسب المضاف التعريف من المضاف إليه في هذه الإضافة المحضة^(٦) . والكوفيون يجيزون إدخال « آل » عليهما معاً ، ويحتجون بشواهد متعددة ، تجعل مذهبهم مقبولا ، وإن كان غير فصيح^(٧) . . .

(١) ويسميه بعض النحاة : « مفرداً » وهذه التسمية أحسن من تسميته : « مضافاً » وهو يشمل : « ثلاثة » وعشرة وما بينهما . ويضاف غالباً لجمع مجرور ؛ كما يشمل مائة ، وألفاً ، ومركباتهما ، وتضاف غالباً للمفرد مجرور (والأحكام المفصلة الخاصة بالعدد مسجلة في بابه بالجزء الرابع) .
(٢) وهو يشمل : «أحد عشر وتسعة عشر» وما بينهما . ويتركب كل عدد من كلمتين ، هما بمنزلة كلمة واحدة ؛ يقال في إعرابها : مبنية على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة الجملة . إلا اثني عشر ؛ واثني عشرة : فيمر بان كالمثنى دائماً . وقد سبقت طريقة إعرابها في ص ١٢٠ و ١٥٧ .
(٣) يسميه بعض النحاة « عقداً » وهذه أفضل من تسميته : « مفرداً » . وهو ٢٠ - ٣٠ - ٤٠ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠ .

(٤) وهو يشمل كل عدد مكون من اثنين ؛ أحدهما ؛ معطوف عليه ، والآخر معطوف بالواو مثل : واحد وعشرون . . . سبع وثلاثون . . . خمس وأربعون . . .
(٥) جرى بعض الكتاب - في عصرنا وقبل عصرنا - على إدخال : « آل » على العدد دون المعدود ؛ فيقولون : الألف قرش مثلاً . وقد أعلنت الحكومة عن مشروع رمي لنشر بعض الكتب القديمة النفيضة ، أسمته : « مشروع الألف كتاب » ويدور جدل قديم وحديث حول صحة هذا الاستعمال أو خطئه . وقد ورد مثله في أحاديث الرسول عليه السلام . منها قوله : « ... وأتى بالألف دينار » ونقل الصبيان (في الجزء الأول من حاشيته ، آخر باب : « المعروف بآل ») ، نص الحديث . وورد في شواهد : « التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح » - - باب : الاستعانة باليد . . . - قوله عليه السلام : « ثم قرأ العشر آيات » . . . كما ورد في نصوص أخرى تصلح للاستشهاد ، وورد في استعمال كثير من يتأنس بكلامهم وإن لم يكونوا من أهل الاستشهاد . . .

فلكل ما سبق يجوز قبوله مع الاعتراف بأنه غير مستحسن ، وأن الخير في تركه . ويقول الشهاب الخفاجي في حاشيته على : « درة الفواص » إن ابن عصفور قال : « هو جائز على قبحه » . وجاء في حاشية ابن سعيد على الأشموني صريح رفضه : « الألف دينار » قائلا : بأنه مرفوض وإن أجازاه قوم من الكتاب كما نقل ابن عصفور .

والذين يرفضونه يتأولون النصوص الواردة به بتكلف ظاهر لا داعي له .

(٦ و ٦) في ٣ - ص ١٤ م ٩٣ تفصيل الكلام على : الإضافة المحضة وغير المحضة ، وأن الكوفيين يجيزون في الإضافة المحضة إدخال « آل » على المضاف إذا كان عدداً بشرط دخوله على المضاف إليه (أى : على المعدود) أيضاً مع إيضاح ذلك كله ، والرأى فيه .

.....
.....

وإذا كان العدد مركباً فالأحسن إدخالها على الجزء الأول منه ؛ نحو : قرأت
الأحد عشر كتاباً ، وسمعت الخمس عشرة أنشودة . . .

وإذا كان مفرداً — أى : أنه من العقود — دخلت عليه مباشرة ؛ نحو : فى
حدبقتنا العشرون كرسيّاً ، والثلاثون شجرة . والأربعون زهرة . . .

وإذا كان معطوفاً فالأحسن دخولها على المتعاطفين^(١) لتعريفهما معاً ؛ نحو :
أنفقت الواحد والعشرين درهما ، وكتبت الخمسة والعشرين سطرّاً . .

وإذا كان المضاف إليه — وهو المعدود — معرفاً « بأل » فإن المضاف يكتب
منه التعريف فى الإضافة المحضة — كما سبق — سواء أكانا متصلين لافصل بينهما ،
نحو : هذه (ثلاثة الأبواب ، ومائة اليوم ، وألف الكتاب) . . .^(٢) — أم فصل بينهما
اسم واحد ؛ (نحو ؛ هذه ثلاث قطع الأبواب ، وخمسمائة الألف) — أم اسمان ،
(نحو : هذه ثلاث قطع خشب الأبواب ، وخمسمائة ألف الدرهم) — أم ثلاثة
أسماء ؛ (نحو : هذه ثلاث قطع خشب صنوبر الأبواب ، وخمسمائة ألف
درهم الرجل) — أم أربعة ؛ (نحو : هذه ثلاث قطع خشب صنوبر صناعة
الأبواب ، ، وخمسمائة ألف درهم صاحب البيوت) . .

ويسرى التعريف من المضاف إليه الأخير إلى ما قبله مباشرة ، فالذى قبله . . .
وهكذا حتى يصل إلى المضاف الأول ، فيكون معرفة كالمضاف إليه الأخير ،
وما بينهما . وهذا حكم كل إضافة محضة ؛ طالبت بسبب القواصل المضافة
أم قصرت ، فإنك تعرف الاسم الأخير ؛ فيسرى تعريفه إلى ما قبله ، فالذى
قبله . . . وهكذا ، حتى يصل التعريف إلى المضاف الأول^(٣) . غير أن كثرة
الإضافات المتوالية معيبة من الناحية البلاغية بغية فى الذوق الأدبى ؛ فلا تلجأ
إليها جهد استطاعتنا .

• • •

(١) ها : المعطوف والمعطوف عليه .

(٢) انظر رقم ه من هامش الصفحة السابقة .

(٣) راجع الأشرفى ، آخر باب : « أداة التعريف » . وكذا شرح : « المفصل » ج ٦ ص ٤٣

فى الكلام على تعريف العدد . وعلى هذا يمتنع تعريف المضاف إليه فى مثل : « المال عشرون ألف
دينار » ؛ لأنه لو عرف لانتقل التعريف منه إلى المضاف قبله ، والمضاف هنا تمييز ؛ لا يكون
معرفة إلا عند الكوفيين .

الاسم النكرة المضاف إلى معرفة-المنادى النكرة المقصودة :

بقي من أنواع المعارف السبع نوعان ، سبق الكلام عليهما ^(١) بما ملخصه :
 (١) أن النكرة التي تضاف لمعرفة - مثل : قلمي شبيه بقلمك - قد تكتسب منها التعريف ، وتصير في درجتها . أى : أن المضاف النكرة قد يكتسب التعريف من المضاف إليه المعرفة ، ويرقى في التعريف إلى درجته . إلا إذا كانت النكرة مضافة إلى الضمير فإنها تكتسب منه التعريف ، ولكنها ترقى في التعريف إلى درجة : « العَلَم » - في الرأى الصحيح - لا إلى درجة الضمير .

ولإنما يكتسب المضاف من المضاف إليه التعريف على الوجه السالف إذا كان المضاف لفظاً غير متوغل في الإبهام ؛ فإن كان متوغلاً فيه لم يكتسب التعريف - في أكثر حالات استعماله - بإضافة ، أو غيرها ؛ ^(٢) كالإثماء : غير - حسب - مثل ^(٣) . . . و . . .

(ب) أن من أنواع المنادى نوعاً واحداً يكتسب التعريف بالنداء ، وهذا النوع الوحيد ، هو : « النكرة المقصودة » ، مثل : يا شرطى ، أو يا حارس . . . إذا كنت تنادى واحداً منهما معيناً بقصد دون غيره . ذلك أن كلمة : « شرطى » وحدها ، أو : كلمة . « حارس » وحدها نكرة ، لا تدل في أصلها قبل النداء على فرد معين ، ولكنها تصير معرفة بعد النداء ، بسبب القصد والاتجاه الذى يفيد التعيين ، وتخصيص واحد بعينه ، دون غيره

ودرجة هذا المنادى في التعريف هي درجة اسم الإشارة - لأن تعريف كل منهما يتم بالقصد الذى يعينه المشار إليه في اسم الإشارة ، والتخاطب في المنادى النكرة المقصودة - كما سبق .

(١) ص ٢١١

(٢) ولإنما يكتسبه بأمر خارج عن الإضافة ، كوقوع كلمة « غير » بين متضادين معرفتين كالتى في قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذى أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم) . . . إلخ - كما قلنا في رقم ٢ من هامش ص ٢١١ .

(٣) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٢ من ص ٢١١ أما تفصيل الكلام عليه فى ج ٣ م ٩٣ باب : الإضافة - ص ٢٤ - .

المسألة ٣٣ :

المبتدأ والخبر ، وما يتصل بهما .

تعريفهما :

- (أ) الشمسُ متعددةٌ - الأَقمارُ كثيرةٌ - المحيطاتُ خمسٌ .
 (ب) أَمَرُفَعُ البناءُ - ما حَسَنَ الظلمُ - ما مَكْرَمُ الجبانُ .

في القسم الأول : (أ) كلمات تحتها خط ، كل واحدة منها اسم ، مرفوع ، في أول الجملة ، خال من عامل^(١) لفظي أصيل ، وبعده كلمة

(١) العامل هو : ما يدخل على الكلمة فيؤثر في آخرها ؛ بالرفع ، أو النصب ، أو الجر ، أو الجزم ؛ كالفعل فإنه يؤثر في آخر الفاعل ؛ فيجمله مرفوعاً ، وفي آخر المفعول فيجمله منصوباً . وكالجارم ؛ فإنه يؤثر في آخر المضارع ؛ فيجمله مجزوماً . وكحرف الجر ؛ فإنه يؤثر في آخر الاسم ؛ فيجمله مجزوماً ، وهكذا .
 والعامل ثلاثة أنواع :

أ - أصلي ، لا يمكن الاستغناء عنه ؛ وإلا فسد المعنى المقصود من الجملة ، ومن أمثله : المضارع ، وأدوات النصب ، والجزم ، وبعض حروف الجر . . .

ب - زائد ؛ وهو الذي يمكن الاستغناء عنه من غير أن يترتب - في الأغلب - على حذفه فساد المعنى المقصود ؛ كبعض الحروف الزائدة في الجر ؛ مثل « الباء » و « من » وغيرهما من باقي الحروف التي لا تجيء بمعنى جديد ، وإنما تزداد لمجرد تقوية المعنى ، وتوكيده ، وربما لا يستغنى عنه ؛ (كما سبق في ص ٦٦ و ٧٠) ولا يحتاج حرف الجر الزائد مع مجروره إلى متعلق .

ج - شبيه بالزائد ؛ (وينحصر في بعض حروف الجر) ؛ ويؤدي معنى جديداً خاصاً لا يمكن الاستغناء عنه . ولكنه مع ذلك لا يحتاج مع مجروره إلى متعلق . بخلاف حروف الجر الأصلية ؛ فإن كل حرف منها لا بد له مع مجروره من متعلق . (ومن أمثلة الشبيه بالزائد : « رب » ؛ وهي تفيد التقليل أو التكاثر . و « لعل » ؛ وهي تفيد الترجي ، « ولولا » - في رأي - وهي تفيد الامتناع) . . . فحرف الجر الأصلي يؤدي معنى جديداً خاصاً ، ولا يمكن الاستغناء عنه ؛ ولا بد له مع مجروره من متعلق يتعلّقان به . وحرف الجر الزائد يمكن الاستغناء عنه ، - لأنه لا يؤدي معنى خاصاً جديداً ، وإنما يفيد تقوية المعنى القائم - ، ولا يحتاج مع مجروره إلى متعلق ؛ فهو مخالف للأصلي من ناحيتين . أما حرف الجر الشبيه بالزائد فيشبه الأصلي من ناحية أنه لا يمكن الاستغناء عنه ؛ لأنه يؤدي معنى خاصاً جديداً ، ويخالفه من ناحية أنه مع مجروره لا يحتاجان إلى متعلق يتعلّقان به ؛ كما أنه يشبه الزائد من ناحية عدم التعلق ، ويخالفه من ناحية أنه لازم كى يؤدي معنى خاصاً جديداً ، والزائد لا يؤدي معنى خاصاً جديداً ، ولا يحتاج لتعليق .

(وتفصيل هذا يحجز في مكانه الأنسب ، وهو حروف الجر ، آخر الجزء الثاني ص ٤٠٤ م ٨٩) .
 ومن العوامل ما هو « لفظي » ؛ أي : يظهر في النطق وفي الكتابة ؛ كالعوامل التي سبقت ، ومنها ما هو « معنوي » يدرك بالعقل لا بالحوس ؛ كالابتداء الذي يرتفع به المبتدأ - وهذا الابتداء هو السبب في أن « الحال » لا تجيء من المبتدأ عند بعض النحاة ؛ دون بعض ، (طبقاً لبيان والتفصيل الآتين في باب الحال ١ ج ٢ م ٨٤ ص ٣٣٩ ورقم ٣ من هامش ص ٣٣٧) - وكانت تجرد من الناصب والجازم ؛ فيرتفع به المضارع . والعوامل بنوعها : اللفظية والمعنوية ؛ ليست في الحق والواقع هي التي تؤثر بنفسها ؛ وإنما التي تؤثر

تتسم المعنى الأساسى للجملة : (أى : تتضمن الحكم بأمر من الأمور لا يمكن أن تستغنى الجملة عنه فى إتمام معناها الأساسى ، كالحكم على الشمس بالتعدد ؛ وعلى الأقمار بالكثرة ، وعلى المحيطات بأنها خمس . . .) ذلك الاسم يسمى : « مبتدأ » والكلمة الأخرى تسمى : « خبر » المبتدأ . وكلاهما مرفوع .

وفى القسم الثانى : (ب) أمثلة لمبتدأ أيضاً ، ولكنه غير محكوم عليه بأمر ؛ لأنه وصف^(١) يحتاج^(٢) إلى فاعل بعده ، أو نائب فاعل ؛ يتسم الجملة ، ويكمل معناها الأساسى ؛ مثل : كَلِمَتِي : « البناء » « والظلم » فإنهما فاعلان للوصف^(٣) ، ومثل كلمة : « الجبان » ؛ فإنها نائب فاعل له^(٤) . وقد استغنى الوصف بمرفوعه عن الخبر .

مما سبق نعرف أن المبتدأ القياسى : (اسم مرفوع فى أول جملة^(٥) ، مجرد من العوامل اللفظية الأصلية^(٦) ، محكوم عليه بأمر . وقد يكون وصفاً مستغنياً بمرفوعه فى الإفادة وإتمام الجملة) . والخبر القياسى هو : (اللفظ الذى يكمل الجملة مع المبتدأ^(٧)) ، ويتمم^(٨)

= ويحدث حركات الإعراب هو المتكلم . ولكن النحويين نسبوا إليها العمل والتأثير ؛ لأنها المرشدة إلى تلك الحركات اللازمة لكشف المعانى (كما أوضحنا هذا ومزاياه بتفصيل تام فى هامش ص ٧٣) ، ولا بأس بما صنعوا . وإنه بلليل الشأن .

(١) كررنا أن المراد بالوصف هنا : « المشتق » وهو : ما أخذ من كلمة أخرى - يغلب أن تكون مصدراً - وتقرع منها ، مع تقارب بينهما فى المعنى والحروف . ويجب أن يكون الوصف فى هذا الباب نكرة ، لأنه بمنزلة الفعل ، والفعل فى حكم النكرة - كما رددنا فى رقم ١ من هامش ص ٢١٣ وغيرها - وهناك ما يقوم مقام الوصف ، وسنذكر الوصف الذى له مرفوع وما يلحق بهذا الوصف فى « ب » من ص ٤٤٨ .

(٢) ذلك لأن بعض أنواع الوصف يشبه الفعل فى أنه يرفع بعده فاعلاً أو نائب فاعل ؛ وذلك بشروط معينة . . . فاسم الفاعل يرفع فاعلاً ، واسم المفعول يرفع نائب فاعل ، وهكذا . . . مثل : أحاضر ضيفك ؟ أعجوس اللص ؟ ولهذا إشارة فى رقم ٣ من هامش ص ٥٣ - .

(٣) الوصف فى الأول اسم فاعل ، وفى الثانى صفة مشبهة .

(٤) لأن الوصف اسم مفعول ؛ فهو يحتاج إلى نائب فاعل - كما سبق فى رقم ٢ . وكما سيجىء فى رقم ٣ من هامش ص ٥٣ -

(٥) غالباً .

(٦) أما غير الأصلية فقد يحتوئها - وسيجىء البيان فى ص ٤٤٧ . وجدير بالملاحظة أن المبتدأ

- وكذا اسم الناسخ - لا يكون ظرفاً باقياً على ظرفيته ، ولا جاراً مع مجروره - .

(٧) أين الخبر فى قولهم : فلان . وإن كثر ماله - لكنه بخيل . . . ؟ انظر الإجابة فى : « و »

من ص ٤٥١ .

(٨) وإنما كان الخبر متمماً المعنى الأساسى للجملة ، لأنه حكم صادر عن المبتدأ . فالمبتدأ هو الشيء المحكوم عليه ، والخبر هو الشيء المحكوم به (أى : هو الحكم) وهذا يقتضى - فى الأغلب - أن يكون المبتدأ معلوماً للمتكلم والسامع معاً قبل الكلام ؛ ليقع الحكم على شيء معلوم ، وأن يكون الخبر =

معناها الأساسي . ، بشرط أن يكون المبتدأ غير وصف . ومن هنا كان المبتدأ

= مجهولاً للسامع ، لا يعرفه إلا بعد النطق به ، أو أنه هو موضع الإهتمام به ، والتطلع إليه ، دون المبتدأ . والرغبة في إعلان هذا المجهول ، وكشف أمره ، ونسبته إلى المبتدأ - هي الداعية للنطق بالجملة الاسمية كلها . ولذا يقول المحققون : إن الأساس الصحيح للفرقة بين المبتدأ والخبر ، والاهتداء إلى تمييز كل منهما بدون خلط ، إنما يقوم بينهما على الفارق المعنوي السابق ؛ فما كان منهما معلوماً قبل الكلام ، ولا يساق الحديث لإعلانه وإيادته للسامع فهو المبتدأ (أى : المحكوم عليه) ولو جاء لفظه متأخراً في الجملة ، وما كان منهما مجهولاً للسامع ، ويريد المتكلم إعلانه به ، وإذاعته له ، فهو الخبر (أى : المحكوم به) ولو جاء لفظه متقدماً . في الجملة فإن لم يوجد عند السامع علم سابق بأحدهما ، ولم توجد قرينة دالة على التمييز بينهما وجب تقديم المبتدأ ، وتأخير الخبر ، ليكون الترتيب دالاً ومرشداً على كل منهما ، ويرتفع اللبس . هذا هو الأصل العام وهو الأساس القويم الذي يجب التمويل عليه في أغلب الحالات - كما سبق - بالرغم من مخالفة بعض النحاة - . ولزيادة الإيضاح نسوق المثال الآتي : أن يعرف المخاطب شخصاً مثل : « إبراهيم » بعينه واسمه ، ولكنه لا يعرف أنه زميله في الدراسة ؛ فيقول : « إبراهيم زميلك » ، جاعلاً المبتدأ هو المعروف للمخاطب ، والخبر هو المجهول له ، المحكوم به - . وذلك شأن الخبر في الأغلب كما قدمنا ؛ أن يكون هو الشيء المجهول للمخاطب وأنه المحكوم به - فلا يصح أن تقول : « زميلك إبراهيم » بغير قرينة تدل على تقديم الخبر . أما إذا عرف المخاطب زميلاً له ولكنه لا يعرف اسمه ، وأردت أن تبين له الاسم فإنك تقول : زميلك إبراهيم ، جاعلاً المعلوم له هو المبتدأ ، والمجهول له المحكوم به هو الخبر ، فلو عكس الأمر في إحدى الصورتين السالفتين لانعكس المعنى تبعاً لذلك ، واختلف المراد ؛ إذ يصير المحكوم به محكوماً عليه ، والعكس .

- راجع ج ٣ ص ١٥٤ من شرح المفصل . ولما سبق إشارة موجزة في ص ٤٨٥ ثم تلخيص في رقم ٢ من هامش ص ٤٩٣ .

ومن شروط الخبر ألا يكون معلوماً من المبتدأ وتوابعه ؛ فلا يقال : والد محمد والد ، ولا كتاب على صاحبه على . . .

- راجع حاشية ياسين على التوضيح ج ٣ باب : « الترقيم » عند الكلام على المحذوف للترقيم . لما سبق لا يصح أن يكون معنى الخبر المفرد هو معنى المبتدأ ، سواء أكان موافقاً له في اللفظ أم غير موافق . لكن إذا دل الخبر على زيادة معنى ليست في المبتدأ ، وقامت القرينة على هذه الزيادة - صح وقوعه خبراً ولو كان مماثلاً للمبتدأ في لفظه ، فيصح أن يقال : والد محمد والد ، إذا قامت القرينة على أن المراد : أنه والد عظيم ، أو رحيم ، أو نحو ذلك ، كما يصح أن يقال : كتاب على صاحبه على ، إذا قامت القرينة على أن المراد : أنه على العالم ، أو الخبير ، أو غير هذا مما يحمل معنى الخبر جديداً ليس مستفاداً من المبتدأ وتوابعه . وعلى هذا الأساس يقال : المال مال - الحرب حرب ، الجد جد - الشمس مشرقة - كل هذا بشرط قيام القرينة على أن المراد من الخبر معنى جديد - كما قلنا - غير معنى المبتدأ وتوابعه . ويصح أن يكون من هذا قول الشاعر يحن إلى وطنه :

بلادٌ كما كنَّا وكنَّا نحبُّها إذ الأهلُ أهلٌ والبلادُ بلادٌ
وقول الآخر :

الحُرُّ حرٌّ عزيزُ النَّفْسِ حيث شَوَى والشمسُ في كل برج ذاتُ أنوارٍ
ومن شروط الخبر شبه الجملة بنوعيه أن يكون تاماً ، وأن يكون ظرف الزمان خبراً عن المعنى - في الغالب - لا عن اللفظ (أى : الشيء المجسّد) ؛ طبقاً للبيان والتفصيل الخاصين بكل ذلك في ص ٤٧٨ . « ملاحظة » :

قد يتمم الخبر - بنفسه - الفائدة مع المبتدأ ، وهذا هو الأصل الأغلب ؛ لأنه المحكوم به على المبتدأ ؛ كما عرفنا . وقد يتممها في بعض الأحيان بمساعدة لفظ آخر يتصل به نوع اتصال ، كالنعت =

القياسي نوعين؛ نوعاً يحتاج إلى خبر حتماً^(١) وقد يتحتم أيضاً أن يكون هذا الخبر جملة أو شبهها كما سيأتي^(٢) - ، ونوعاً لا يحتاج إلى خبر^(٣)، وإنما يحتاج إلى مرفوع بعده يعرب فاعلاً أو نائب فاعل^(٤) . ولا بد في هذا النوع أن يكون وصفاً^(٥)

= في قوله تعالى : يخاطب المعارضين : (بل أنتم قوم عادون) ، أي : ظالمون . وقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) ، وقول الشاعر :

نقول فيرضى قولنا كل سامع ونحن أناس نُحسن القول والفعلا

فالذي تتم الفائدة الأساسية هو النعت ، لا الخبر ، لأن معنى الخبر معلوم بداهة في الأمثلة السالفة من دلالة التفسير على التكلم أو التخاطب ، فكلاهما قد دل بذاته وبصيغته المباشرة على حقيقة صاحبه وهي : « قوم » أو : « أناس » فهذا الخبر من النوع الذي يكمل هو وتابعه مجتمعين الفائدة الأساسية مع المبتدأ - على الوجه المشار إليه في : « ا » و « ب » من ص ٥٣١ و ٥٣٢ وتجيء له إشارة في ج ٣ باب النعت ، م ١١٤ ص ٤٢٥ - ومثل البيت السابق قول الآخر :

- ونحن أناس نحب الحديث ونكره ما يوجب المائعا وما ينطبق على خبر المبتدأ ينطبق على خبر النواسخ أيضاً ، كقول الشاعر :

ولا خير في رأي بغير روية ولا خير في رأي تعاب به غداً

إذ لا تتحقق الفائدة الأساسية من : « نحن أناس » - ولا من : « لا خير في رأي » فهذا في البيت غير صحيح المعنى بغير انضمام الصفة إليه ، وهي شبه الجملة في الشطر الأول ، والجملة في الشطر الثاني . من النوع الذي نحن بصده : المبتدأ اسم الشرط ؛ فإن خبره - في الأرجح - هو الجملة الشرطية . وهذه لا تتم المعنى إلا بالجملة الجوابية المترتبة عليها ؛ كما أشار لهذا « الصبان » في ج ١ باب الكلام وما يتألف منه عند بيت ابن مالك :

والأمر إن لم يك للنون محل فيه ، هو اسم ، نحو : صة وحيهل

انظر ما يتعلق بإعراب هذا البيت في ص ٦٩ .

وسيجيء عنه البيان في ج ٤ ص ٤١٨ م ١٥٧ باب الجوازم والأحكام الخاصة بمحمل الشرط والجواب

(١) وفي ص ٤٥٧ حكم هذا الخبر من حيث المطابقة .

(٢) في ص ٤٧٣ . وبعض الأمثلة في « ج » من هامش ص ٥٤٣ .

(٣) لا يحتاج المبتدأ إلى خبر إن كان هذا المبتدأ ناسخاً يعمل ؛ لأن اسم الناسخ يفنى عن خبر

هذا المبتدأ الناسخ (انظر البيان في رقم ١ من هامش ص ٥٦٦) وسيجيء في رقم ٤ من

هامش ص ٤٤٩ صورة أخرى ؛ هي أن الناسخ « مثل : ليس » يحتاج لخبر منصوب فيفنى عنه - أحياناً -

اسم مرفوع . وستشير لهذا في « ه » من ص ٤٥١ . (٤) ومن أنواع نائب الفاعل : « شبه الجملة » .

(٥) ولو تأويلا - كما سيجيء في « ب » من ص ٤٤٩ وفي « د » من ص ٤٥٠ حيث بعض

الصور الأخرى - ومنها صور سماعية ، لا يحتاج فيها المبتدأ إلى خبر ، ولا إلى ما يفنى عن الخبر .

مُنْكَرًا^(١)، وأن يكون رافعاً لاسم بعده^(٢) يتمم المعنى^(٣)؛ فإن لم يتمم المعنى لم يعرب الوصف مبتدأ مستغنياً بمرفوعه بالصورة السالفة؛ ففي مثل: ما حاضرٌ والدهُ علىّ - لا يتم المعنى بالاقتصار على الوصف مع مرفوعه؛ (أى: ما حاضرٌ والدهُ). وفي هذه الحالة يعرب الوصف (وهو كلمة: «حاضر») إعراباً آخر؛ كأن نجعله خبراً مقدماً، و«والد» فاعله، و«علىّ» مبتدأ^(٤) مؤخر...

والأكثر في الوصف الواقع مبتدأ أن يعتمد على نقي، أو استفهام؛ بأن يسبقه شيء منهما؛ كالأمثلة السالفة في: «ب»^(٥) ويجوز - بقلة - ألا يسبقه شيء منهما؛ نحو: نافعٌ أعمالُ المخلصين، وخالدٌ سيرُ الشهداء.

ولا فرق بين أن يكون المبتدأ اسماً صريحاً؛ كالأمثلة السالفة - وأن يكون اسماً بالتأويل؛ نحو «أن» تقتصد «أنفع لك»، «وأن» تجتنب «الغضب أقرب»

(١) ولا يحتاج تنكيره لمسوغ (كما سيجيء في رقم ٣ من هامش ص ٤٨٥).

(٢) سوا أكان ظاهراً؛ نحو أمقائل علىّ؟ أم ضميراً بارزاً - كما سيجيء في ص ٤٥٥ ورقم ١ من هامشها - نحو أمقائل أنت؟ أم ضميراً متصلاً مجروراً بحرف جر؛ نحو: فلان مفضوب عليه، فالضمير المجرور نائب فاعل في محل رفع. وعند التساهل والتيسير يقال في الإعراب: الجار والمجرور نائب فاعل - كما في رقم ٤ من هامش ص ٤٦٢ -.

أما رفعه الضمير المستتر فكثير من النحاة يمنعه؛ نحو أقائم بعد أم قاعد؟. وذلك على اعتبار أن كلمة «قاعد» معطوفة على قائم؛ فهي مبتدأ مثلها، يحتاج إلى فاعل يكون ضميراً وبارزاً، وهو هنا غير بارز، وفريق آخر يجيزه مستتراً، ورأيه أحسن. لأن الأخذ به - هنا - أيسر، ولا ضرر فيه ولا تكلف.

(٣) لأن الوصف هنا بمنزلة الفعل، والاسم المرفوع بالوصف بمنزلة الفاعل أو نائب الفاعل، وكلاهما يتمم معنى الجملة. ودليل المشابهة بين الوصف والفعل أن الوصف لم يرد مصغراً، ولا منعوياً، ولا معرفاً. وكذلك لم يرد في الأعم الأغلب - مثنى أو مجموعاً - وإن كان من القليل الجائز إعمالها. - كما سيجيء في ج ٣ ص ٢٤٣ م ١٠٢، باب «اسم الفاعل».

(٤) ويصح «إعراب» علىّ «مبتدأ مؤخر»، و«والد»: مبتدأ ثانٍ. والوصف، «حاضر» خبر مقدم للمبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول.

(٥) تقييدهم الاعتماد بالنفي والاستفهام يدل على أن الاعتماد على غيرها لا يمكن في تحقيق الأكثر والأفصح: كما في مثل: محمود قائم أبواه، فإعراب «قائم» مبتدأ ثانياً، غير فصيح، بالرغم من اعتياده على المبتدأ المخبر عنه؛ (كما قال صاحب المعنى - راجع حاشية الصبان، ج ١ في هذا الموضع) - أما الاعتماد في باب اسم الفاعل - وأمثاله - فيختلف عما هنا في أسبابه وأنواعه وأحكامه، كما سيجيء في باب ج ٣.

للسلامة . أى : اقتصادك . . . واجتنابك^(١) ، وكقول الشاعر :
 فما حَسَسَ أن يَعْدِرَ^(٢) المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذرُ
^(٣) والمبتدأ مع خبره ، أو مع ما يُغْنِي عن الخبر^(٤) ، نوع من الجملة الاسمية^(٥) .

(١) فالمصدر المؤول من « أن » والفعل والفاعل « في محل رفع مبتدأ .
 (٢) المصدر المؤول كاملاً هو : عذر المرء نفسه ، والمبتدأ هو : عذر ... ويصح إعرابه فاعلاً للوصف : « حسن » قبله ، ويصح أيضاً إعرابه خبراً للوصف .
 (٣) وكذلك قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ، مامن صداقته بدُّ
 (٤) التعبير بقولنا : « المبتدأ مع خبره أو ما يغنى عن الخبر . . . » أفضل وأدق من التعبير الوارد في كثير من المراجع النحوية ، وهو : « المبتدأ مع خبره ، أو مع مرفوعه الذى يستغنى به عن الخبر . . . » لأن المبتدأ قد يستغنى عن الخبر وعما يغنى عنه استغناء تاماً ، وقد يستغنى عن خبره باسم مرفوع للتاسيخ ؛ (طبعاً لما أشرنا إليه في رقم ٢ و ٤ من هامش ص ٤٤٤ وللبيان الذى في رقم ١ من هامش ص ٥٦٦ وفى « د » من ص ٤٤٩) .

(٥) الجملة - كما سبق في الباب الأول - ما تركبت من جزأين أساسيين يؤديان معنى مفيداً . وهما يسميان : طرفى الجملة ، أو ركنيها . (راجع ص ١٥) ، والجملة قسمان : - وسنشير لما يأتى في ص ٤٦٦ -

١ - اسمية ، وهى : التى تكون مبدوءة باسم بدءاً أصيلاً ؛ كالجملة المكونة من المبتدأ مع خبره ، أو : مع ما يغنى عن الخبر وكاسم الفعل مع مرفوعه .
 وهذه المناسبة يقول النحاة : إن الوصف مع مرفوعه ولو كان اسماً ظاهراً يعدّ من قبيل المفرد ، لا الجملة ، إلا الوصف الواقع بمبتدأ مستغنياً بمرفوعه عن الخبر ، فقول : جملة ، وقيل : إنه فى حكم الجملة ، وهذا هو الشائع ، وأما الوصف الواقع صلة : « أل » فالأرجح أنه شبه جملة ، (كما سبق عند الكلام على : « صلة الموصول » رقم ١ من هامش ٣٨٤) وليس جملة ، ولكنه فى قوتها معنى . والخلاف لفظى ؛ لا أثر له من حيث المعنى ؛ فلا داعى للاهتمام به . وقد سبق بيان لهذا فى الموضع المشار إليه .

ب - فعلية وهى التى تكون مبدوءة بفعل ؛ (ومنها الجملة المبدوءة بحرف النداء) .
 وقد أشار ابن مالك إلى كثير من الأحكام السابقة الخاصة بالمبتدأ بقوله فى باب عنوانه : « المبتدأ والخبر » :

مُبْتَدَأُ زَيْدٌ ، وَعَاذَرُ خَبِيرٌ إِنَّ قُلْتَ : زَيْدٌ عَاذَرُ مَنْ أَعْتَذَرَ
 وَأَوَّلُ مُبْتَدَأٌ والثانى فاعلٌ أَعْنَى : فى : أَسَارِ ذَانِ ؟
 وَقَسْ ، وَكَاسْتَفْهَامُ النَّفْسِ ، وَقَدْ يَجُوزُ نَحْوُ : فَائِزٌ أَوَّلُو الرِّشْدِ
 أى : إن قلت : (زيد عاذر من اعتذر ؛ بمعنى ؛ أنه قابل عذر من اعتذر) فزيد مبتدأ ، و « عاذر » خبر . وإن قلت : (أسار هذان ؟) ، فإن : « سار » هو الاسم الأول ؛ مبتدأ ، و « ذان » - هو الاسم الثانى - فاعل ، أَعْنَى عن الخبر ؛ لأن المبتدأ وصف مسبوق هنا باستفهام . ثم قال : قس على هذا المثال أشباهه ؛ من كل وصف معتمد على استفهام ، أو نفي . ويجوز - بقلة - ألا يسبقه شئ منهما ؛ نحو : فائز أولو الرشد ؛ فلا يتغير الإعراب .

وبمناسبة الكلام على المبتدأ والخبر وأنهما مرفوعان^(١)، بحث النحاة - كعادتهم - عن العامل الذى يوجد الضمة فى كل منهما . ولما لم يجدوا قبل المبتدأ عاملاً لفظياً يوجددها ، قالوا إن العامل معنوى ؛ هو ؛ وجود المبتدأ فى أول الجملة ؛ لا يسبقه لفظ آخر ؛ وسمّوا هذا العامل المعنوى : « الابتداء » . فالمبتدأ عندهم مرفوع بالابتداء . أما الخبر فعامل الرفع فيه هو : المبتدأ ؛ أى : أن الخبر مرفوع بالمبتدأ هذا رأى من عدة آراء لا أثر لها فى ضبط كل منهما ، ولا فى وضوح معناهما ، ومعنى الكلام . فالخير فى إهمالها ، وتناسيها ، والاقتصار على معرفة أن المبتدأ مرفوع ، والخبر مرفوع كذلك^(٢) .

(١) إما رفعاً ظاهراً ؛ (نحو : الزراعةُ ثروةٌ) أو رفعاً مقدراً ؛ نحو : (الصناعةُ غنى) وإما محسناً كأن يكون الخبر جملة ، - أو نحوها مما يكون فى محل رفع ، كالمصدر المؤول - (نحو : الأمانة تجلب الفنى - الصناعة خيرها عميم - براعتك أن تحييد عملك . . .)

(٢) يقول ابن مالك فى تلك القاعدة التى لا فائدة منها لليوم :

ورفعوا مُبتدأً بالابتداء كذاكَ رَفَعُ خَبَرٍ بالمُبتدأ

.....
.....

زيادة وتفصيل

(١) عرفنا^(١) أن العوامل اللفظية الأصلية لا تدخل على المبتدأ ، وأن المبتدأ وكذا الناسخ لا يكون شبه جملة (أى : لا يصح أن يكون أحدهما ظرفاً باقياً على ظرفيته ، أو : جاراً مع مجروره) أما العوامل غير الأصلية (وهى الزائدة ، وشبه الزائدة) ، فقد تدخل ؛ فمثال الزائدة « مِّنْ » فى قوله تعالى : (هلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ^(٢) اللَّهِ) ، ومثال شبه الزائدة : « رَبِّ » فى مثل : (رَبِّ قَادِمٌ غَرِيبٌ أَقَادِنَا) فكلمة : « مِّنْ » حرف جر زائد ؛ دخل على المبتدأ ؛ فَجَسَرَهُ فى اللفظ ، دون المحل . ولذلك نقول فى إعرابه : إنه مبتدأ ، مجرور بمِنْ فى محل رفع^(٣) . وكذلك كلمة : « قَادِمٌ » فإنها مبتدأ مجرور فى اللفظ بحرف الجر الشبيه بالزائد وهو : « رَبِّ » - فى محل رفع^(٤) .

(١) رقم ٦ من هامش ص ٤٤٢
(٢) يعرب النحاة كلمة : « غير » فى هذه الآية إما صفة لخالق ، (التى هى مبتدأ مجرورة فى اللفظ ، مرفوعة فى المحل) ، والخبر محذوف ؛ فالتقدير : هل من خالق غير الله « لكم ؟ » ، ولما خبر المبتدأ ولا يعربونها فاعلاً يغنى عن الخبر ؛ بحجة أن الوصف الذى له فاعل يغنى عن الخبر بمنزلة الفعل ، والفعل لا تدخل عليه « من » الزائدة ؛ فكذا ما هو بمنزلة . وهذا رأى أساسه التخيل والتوهم ؛ فلا داعى للأخذ به ؛ كى لا تخرج هذه الحالة من القاعدة العامة (الموضحة فى : « ١ » من ص ٤٥٣) بفرض حجة مقبولة .
(٣) ومن أمثلة ذلك : (بحسبك علم ، فإنه أمضى سلاح ، وكافيك بحسن الخلق ؛ فإنه غنى دائم) ، فالباء فى كلمتى : « حسب » و « حسن » حرف جر زائد ، وما بعدها مجرور بها فى محل رفع مبتدأ . « وحسبك » بمعنى « كافيك » وكلاهما بمعنى : يكفيك . (وقد سبقت إشارة إلى استعمال : « فحسب » فى هامش ص ٤٢٢ أما تفصل الكلام عليها فى ج ٣ باب الإضافة ، ص ١٤٧ م ٩٥) .
ومن الأمثلة أيضاً : ناهيك بدين الله ؛ فالباء حرف جر زائد ، و « دين » مجرور بها فى محل رفع مبتدأ ، وبغيره كلمة : « ناهى . . . » والمعنى دين الله ناهيك عن طلب غيره ؛ لكفايته . وهذه الكلمة متوغلة فى الإيهام (انظر ج ٣ م ٩٣) وفى الأمثلة السابقة إعرابات أخرى ليس مكانها هنا .

ومن مواضع زيادة « باء الجر » دخولها على المبتدأ بعد « إذا » الفجائية ، نحو خرجت فإذا بالصادق قادم - كما جاء فى المغنى عند الكلام على : « باء الجر » - ، وكذلك دخولها على المبتدأ الضمير فى مثل : كيف بك عند اشتداد الكرب . والأصل كيف أنت . . . فلما زيدت الباء وجب تغيير الضمير « أنت » لأنه ضمير مقصور على الرفع . فأتينا بدله بضمير يؤدى معناه ، ويصلح لدخول حرف الجر ، وهو : « كاف » المحاطب ، (مجرورة بالباء لفظاً فى محل رفع مبتدأ ومن هذا قول النابغة الأساس - ج ١ مادة : « جنح » ص ١٣٧) - :

يقولون حِصْنٌ . ثم تَأبَى نَفْسُهُمْ فكيف بحصن والجبال جُنُوحٌ ؟
وسيجى البيان فى باب حروف الجر ج ٢ م ٩٠ عند الكلام على الباء م ٩٠ ص ٤٥٥ ط ٣ .
(٤) تقدم فى هامش ٤٤١ الكلام على حرف الجر الأصل ، والزائد ، والشبيه بالزائد .

(ب) الوصف الذى له مرفوع يستغنى به عن الخبر باطراد هو الوصف المشتق الجارى مجرى فعله فى كثير من الأمور ؛ وأَوْضَحُهَا : المشاركة فى الحروف الأصلية . وحركاتها وسكناتها ، وفى عمله ، ومعناه . . . كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وكذا اسم التفضيل ؛ فإنه قد يرفع الظاهر فى مثل : ما رأيت ورقةً أحسنَ فى سطورها الخطُّ منه فى ورقة محمود ، فيقال هنا عند وقوعه مبتدأ : هل أحسنُ فى سطور هذه الورقة الخطُّ منه فى سطور غيرها ^(١) ؟ . . .

ويلحق بالوصف - قياساً - ما أول به ؛ من كل جامد تضمن معناه ؛ مثل : أسد الرجلان ؟ . بمعنى أشجاع الرجلان ؟ . و« المنسوب » ؛ نحو : أعربى الشاعران . أى : أمنسوب الشاعران للعرب ؟ . و« ذو » بمعنى صاحب ؛ نحو : أذو علم القادمان ؟ بمعنى : أصحاب علم القادمان ؟ . و« المصغر » ؛ نحو : أصْخِرَ المرتفعان ؛ لأنه بمعنى : أصغر صغير ؟ . فكل هذه الأنواع المؤولة تجرى قياساً مجرى المشتق فى أن لها مرفوعاً فى بعض الأحيان ^(٢) تستغنى به عن الخبر ^(٣) .

(ح) قلنا إن الوصف يسبقه فى الأكثر نفي ، أو استفهام - دون غيرهما ؛ فالنفي قد يكون بالحرف ؛ نحو : ما غائب الشاهدان ، أو بالفعل ؛ نحو : ليس محبوب الغادرون ^(٤) .

(١) انظر ما يتصل ويوضح هذا فى رقم ٤ من هامش ص ٤٦٢ . .

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ٤٤٥ . (٣) انظر رقم ٦ من هامش ص ٤٦١ .

(٤) « ليس » فعل ماض . « محبوب » اسمها مرفوع ، وأصله مبتدأ ، « والغادرون » نائب فاعل « للمحبوب » ، مرفوع بالواو ، ويفنى عن خبر ليس (فهو من المواضع التى يفنى فيها المرفوع مع بقاءه مرفوعاً - عن المنصوب ؛ وقد أشرنا لهذا فى رقم ٢ من هامش ص ٤٤٤ ، كما أشرنا هناك إلى صورة أخرى ؛ هي : أن المبتدأ لا يحتاج إلى خبر إن كان هذا المبتدأ وصفاً ناسخاً يعمل على الوجه الذى وضعه المثال الذى فى رقم ١ من هامش ص ٥٦٦ .

جاء فى حاشية الصبيان هنا - عند الكلام على إعراب الوصف الواقع بعد أداة النفي « ليس » - ما يقارب النص الآتى : « إدخال اسم « ليس » فيما نحن فيه هو باعتبار كونه مبتدأ فى الأصل . وكذا يقال فى اسم « ما » عند اعتبارها حجازية . وكذلك إدخال الفاعل - ونائبه - فيما نحن فيه ، هو باعتبار كونه مغنياً عن خبر مبتدأ فى الأصل . وكذا يقال فى خبر « ما » الحجازية ، ثم فى إغناء الفاعل - أو : نائبه - عن خبر « ليس » أو « ما » إغناء مرفوع عن منصوب . ولا ضرر فى ذلك ، ويظهر أنه لا يقال : هذا الفاعل أو نائبه - فى محل نصب ، باعتبار إغناؤه عن خبر : « ليس » أو : « ما » ، لأنه ليس للأداة « ما » أو : « ليس » فى هذه الحالة خبر حل محله الفاعل - أو نائبه - ، بل الذى تستحقه بعد اسمها فاعل - أو نائب - لاسمها (١) . هـ ، بتصرف قليل يوضح ما غمض من بعض ألفاظ قليلة .

و بالاسم ؛ نحو : غير نافع ^(١) مال حرام . وغيرها من أدوات النفي التي تدخل على الأسماء . بخلاف ما لا يدخل عليها ؛ مثل : لم ، ولمّا ، ولن ، فإنها أدوات نفي مختصة بالمضارع . وقد يكون النفي لفظياً ؛ لوجود لفظه كما سبق ، أو معنوياً في نحو : «إنما قائم الحاضرون» ؛ لأنه في قوة : «ما قائم إلا الحاضرون» . وإذا نقض النفي بـ «إلا» لم يتغير الحكم السابق ؛ نحو : ما قائم إلا الحاضرون . وكذلك الاستفهام قد يكون بالحرف ، نحو : أحافظُ الصديقان العهد ؟ هل عالمُ أنبا الخبر ؟ . أو بالاسم ؛ نحو : كيف جالس الضيوف ؟ . ومن مكرم الأباء ! . ومتى قادم السائحون ؟ .

(وكلمة « كيف » حال من الفاعل وهو « ضيوف » . مبنية على الفتح في محل نصب ^(٢) . و « من » مفعول به لكلمة : مكرم ، مبنى على السكون في محل نصب . و « متى » ظرف لكلمة : « قادم » مبنى على السكون في محل نصب) . وقد يكون الاستفهام مقدراً يدل عليه دليل ؛ نحو : واقف الرجلان أم قاعدان ؟ . فوجود « أم » دليل على أنها مسبوقه باستفهام : شأن « أم » التي لطلب التعيين .

(د) سبق ^(٣) أن المبتدأ القياسي الذي يستغنى بمرفوعه عن الخبر مقصور على نوع معين من المشتقات (أى : من الوصف) ؛ وعلى الجامد المؤول بالمشتق ، وقد سبقت الأمثلة . و من أمثلة الجامد أيضاً بعض أساليب شماعية وقع فيها المبتدأ اسماً جامداً ليس له خبر ؛ وإنما له اسم مرفوع يغنى عن الخبر ؛ وذلك لتأول الجامد بالمشتق ،

(١) « غير » مبتدأ ، مضاف . « نافع » مضاف إليه مجرور . « مال » فاعل ؛ نافع ، يغنى عن الخبر ، لأن المعنى : (ما نافع مال حرام) ، فأنزلنا : « غير نافع » منزلة : « ما نافع » ؛ لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد ، ولهذا يقال : إن الوصف هنا - وهو كلمة : « نافع » ليس مبتدأ . ومثله ما ورد من قول الشاعر :

غَيْرُ لَاهٍ عِدَاكَ فَاطَّرِحَ اللَّهُ وَ ، وَلَا تَغْتَرِّرْ بِعَارِضِ سَلَمٍ

• فغير مبتدأ مضاف ، و « لاه » مضاف إليه مجرور ، و « عدا » فاعل للوصف : « لاه » يغنى عن الخبر : ومثل قوله :

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن
فالجار والمجرور (على زمن) نائب فاعل للوصف (مأسوف ، اسم المفعول) يغنى عن الخبر .

(٢) في هامش ص ٤٠٩ أوجه إجاب : « كيف » .

(٣) في ص ٤٤٢ وفي « ب » من ص ٤٤٨ .

.....

كقولهم : لا نَوَلُّكَ أن تفعل كذا . . . يريدون : ما مُتَنَاولُكَ أن تفعل . . .
 أى : ليس مُتَنَاولُكَ هذا الفعل ، فليس هو الذى تتناوله . والمراد لا ينبغى
 ولا يليق بك تناوله . فكأمة : « نَوَلَّ » جامدة ؛ لأنها مصدر بمعنى : التناول ،
 ولكنها مؤولة بالمشتق ؛ إذ معناها : تناول ، فهي بمعنى اسم المفعول ، وتعرب
 مبتدأ ، بمعنى : متناول ، والمصدر المؤول من أن والفعل والفاعل : (أن تفعل)
 فى محل رفع نائب فاعل لها . ولا مانع من أن تكون كلمة « نول » مبتدأ والمصدر
 المؤول فى محل رفع خبره وبهذا لا تحتاج إلى تأويل .

وكذلك ورد فى المسموع بعض أساليب أخرى قليلة (لا يجوز القياس عليها) وقع
 فيها المبتدأ وصفاً لا خبره ، ولا مرفوع يغنى عن الخبر ، منها : أقبل رجل يقول
 ذلك . والمراد ؛ قتل رجل يقول ذلك ^(١) ؛ أى : صَغُر شأنه وحَقُر . ف قيل إن أَلْبِتْدَأ
 لا يحتاج هنا إلى خبر ، وجملة : (يقول ذلك) صفة « لرجل » النكرة ؛ لأن
 حاجة النكرة إلى الصفة أشد من حاجة المبتدأ إلى الخبر ؛ فَتَفَضَّل الصفة على
 الخبر ؛ فتغنى عنه . وقيل السبب هو : أن المبتدأ ليس مبتدأ فى المعنى ؛ إذ الكلام
 ليس مقصوداً به التفضيل ؛ وإنما المعنى : قتل رجل يقول ذلك ؛ فهو مبتدأ
 فى ظاهره ، فعل فى معناه وحقيقته ؛ فيكتفى بالمضاف إليه الذى هو
 فاعل فى الأصل ، ويستغنى به عن الخبر . وقيل : إنه مبتدأ والجملة هى الخبر ؛
 والأخذ بهذا رأى وحده أوفق ؛ لمسايرته الأصل العام الذى يقضى بأن للمبتدأ
 خبراً ، أو مرفوعاً يغنى عنه . على أن هذا الأسلوب سماعى ؛ لا يجوز القياس
 عليه ؛ لقلة الوارد منه . وإنما عرضناه ليفهمه من يراه فى النصوص المسموعة ؛
 فيقتصر عليها فى الاستعمال .

(هـ) أشرنا فى (رقم ٢ من هامش ص ٤٤٤) إلى المبتدأ الذى لا يحتاج
 لخبر إن كان هذا المبتدأ وصفاً ناسخاً يعمل : (كالمثال الذى فى رقم ١ من
 هامش ص ٥٦٦) وأشرنا فى رقم ٤ من هامش ص ٤٤٨ إلى الناسخ الذى يحتاج
 لخبر منصوب ؛ فيستغنى عنه بمرفوع . وهناك المثال والبيان .
 (و) إذا كان الخبر هو الذى يترجم الفائدة مع المبتدأ — على الوجه المشروح

(١) ومن معانيه أيضاً نل الجنس ، أى : لا رجل يقول ذلك وهو من الألفاظ الملازمة للابتداء —
 كما سيحى فى « ج » من هامش ص ٥٤٣ . —

فما تقدم^(١) فأين الخبر في مثل : فلان - وإن كثُر ماله - لكنه بخيل ؟ .
وهذا تعبير يتردد على ألسنة بعض السابقين من : « المولدين »^(٢) الذين لا يستشهد بكلامهم
ومثله : فلان - وإن كثُر ماله - إلا أنه بخيل . وكلا التعبيرين ظاهر القبح
والفساد^(٣) بالرغم مما حاوله بعض متأخري النحاة - كما نقل الصبان^(٤) - من تأويله
تأويلاً غير مستساغ ، ليصحح الأول على أحد اعتبارين :
أولهما : أن جملة الاستدراك هي الخبر ، بشرط اعتبار المبتدأ مقيداً بالقيد
المستفاد من الجملة الشرطية التي بعده ، فإن المراد ؛ فلان مع كثرة ماله ، بخيل . . .
أو : فلان الكثير المال بخيل : أو نحو هذا . . . والتكلف المعيب ظاهر في هذا .
ثانيهما : أن يكون الخبر محذوفاً والاستدراك منه . أى : فلان دائب
العمل وإن كثُر ماله لكنه بخيل . أو . . .
وهذا الوجه المعيب ينطبق على المثال الثاني أيضاً^(٥) .

(١) ص ٤٤٢ ورقم ٨ من هامشها .

(٢) جاء في المصباح المنير ما نصه في مادة « ولد » : « رجل مولد ، بالفتح :
عربي غير محض ، و « كلام مولد » كذلك » . هـ . وغير محض ، أى غير خالص . وفي
الأساس ما نصه : (« ولدوا حديثاً وكلاماً : استحدثوه . وكلام مولد : ليس من أصل
لغتهم . وشاعر مولد » . هـ .

(٣) أما في الأسلوب الأول فلعدم وقوع « لكن » بين جملتين ، كما تقتضيه الصواب التي
توجب أن تقع أداة الاستدراك (وهي « لكن » مشددة النون ، وساكنها) بين جملتين ، كما توجب ألا تقع
في صدر جملة تعرب غيرها عن مبتدأ ؛ إذ المبتدأ ليس جملة ؛ فلا تتوسط بين جملتين ،
وأما في الأسلوب الثاني فلأنه نوع من الاستثناء غير معروف عن العرب الذين يستشهد بكلامهم .

(٤) (ج ١) أول باب : « المبتدأ والخبر » ، عند تعريف الخبر .

(٥) سيجيء لهذا البحث بيان آخر في رقم ٢ من هامش ص ٤٧١ ، وإشارة أخرى عند الكلام
على : « لكن » ، في رقم ٢ من ص ٦٣٠ - وكذلك في ج ٤ ص ٤٠٧ ، م ١٥٥ حيث نجد وجهاً
ثالثاً ، هو : زيادة « إن » وهو معيب هنا .

المسألة ٣٤ :

تطابق^(١) المبتدأ الوصف مع مرفوعه ، وعدم تطابقه . . .

إذا كان المبتدأ وصفاً متقدماً^(٢) فله مع مرفوعه حالتان ؛ إحداهما : أن يتطابقا في الأفراد ، والثنية ، والجمع . والأخرى : ألا يتطابقا .

(١) فإن تطابقا في الأفراد مع تقدم الوصف (مثل : أحاضر القلم ؟ - ما مهزوم الحق) ... ، جاز أن يعرب الوصف المتقدم مبتدأ ، مع إعراب الاسم المرفوع به فاعلا ، أو نائب فاعل ، على حسب نوع الوصف^(٣) ، وجاز أن يعرب الوصف خبراً مقدماً . مع إعراب الاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخرأ . ففي المثال الأول يجوز أن تكون كلمة : « حاضر » مبتدأ ، وكلمة : القلم » فاعل أغنى عن الخبر ، ويجوز أن تكون كلمة : « حاضر » خبراً مقدماً . والقلم مبتدأ مؤخرأ . وفي المثال الثاني يصح أن تكون كلمة : مهزوم ؛ مبتدأ « والحق » نائب فاعل أغنى عن الخبر . كما يجوز أن تكون كلمة : « مهزوم » خبراً مقدماً مع إعراب : « الحق » مبتدأ مؤخرأ .

والمطابقة في الأفراد على الوجه السابق الذي يبيح الإعرابين المذكورين تقتضي المطابقة في التذكير والتأنيث حتماً ؛ فإن اختلفت في مثل : « أمغرد في الحديقة عصفورة » ؟ . وجب إعراب الوصف مبتدأ ، والاسم المرفوع بعده فاعله أو نائب فاعل ؛ على حسب نوع الوصف^(٤) ، ولا يصح إعراب الوصف خبراً مقدماً

(١) المراد به : التماثل في الأفراد ، والثنية ، والجمع ، وما يصحب ذلك من التأنيث ، والتذكير وقد سبقت صور هامة منه (في : « ح » من ص ٢٦٢) وهي غير الآتية هنا ، وفي ص ٤٥٥ . والتطابق أنواع : يذكر كل نوع في الباب الذي يناسبه ، كما قلنا في ٢ من هامش ص ٢٦٢ أما غير الوصف ففي ص ٤٥٧ . (٢) لأن الوصف المتأخر لا يصح أن يسبقه مرفوعه (الفاعل ، أو نائب الفاعل) ، إذ الوصف بمنزلة الفعل في هذا ؛ والفعل لا يتقدم عليه مرفوعه .

(٣) فالاسم المرفوع باسم الفاعل وصيغ المبالغة ، أو بالصفة المشبهة ، أو بأفعل التفضيل - يعرب فاعلا ، والمرفوع باسم المفعول يعرب نائب فاعل - كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٤٤٢ - ولا يميزون تطبيق هذا الحكم على نحو : (هل من خالق غير الله . . .) لما تقدم في رقم ٢ من هامش ص ٤٤٨ - وهناك الرد عليه .

(٤) ويعرب نائب فاعل حين يكون الوصف إسم مفعول - كما أشرنا في رقم ٣ - .

مع إعراب الاسم المرفوع مبتدأ مؤخرًا ؛ وذلك لعدم تطابقهما في التأنيث ؛ إذ لا يصح أن نقول : أعصفورة مغرد في الحديقة .

ومما يجوز فيه الأمران أيضًا : أن يكون الوصف أحد الألفاظ التي يصح استعمالها بصورة واحدة في الأفراد والتأنيث وفروعهما من غير أن تتغير صيغتها ؛ مثل كلمة : «عدو^(١)» ، فيصح : اللص عدو - اللصان عدو - اللصوص عدو - اللصة عدو - اللصتان عدو - اللصات عدو . . . فمثل هذه الكلمة التي يصح فيها أن تلزم صورة واحدة في جميع الأساليب يجوز فيها إذا وقعت مبتدأ وبعدها اسم مرفوع : (مثل : أعدو^(٢) اللص - أعدو^(٣) اللصان - أعدو^(٤) اللصوص - . . .) أن يكون هذا الاسم المرفوع بها فاعلا لها أو نائب فاعل ، على حسب نوع الوصف . كما يجوز أن يكون الوصف خبراً مقدماً مع إعراب المرفوع بعده مبتدأ مؤخرًا . فهذه مسألة أخرى يجوز فيها الأمران^(١) . ومثلها المصدر الذي يصح أن يستعمل بلفظ واحد في استعمالاته المختلفة ؛ مثل : أحاضر عدل - أحاضر عدل - أحاضر عدل . . . و . . .

وإن تطابقا في التثنية أو الجمع (مثل : ما السابحان المحمدان - ما السابحون المحمدون) ، فالأحسن - في رأى جمهرة النحاة^(٢) - أن يعرب الوصف خبراً مقدماً مع إعراب الاسم المرفوع مبتدأ مؤخرًا^(٣) .

(١ و ٢) ومن الكلمات التي قد تستعمل بلفظ واحد في الأساليب المختلفة : «صريح» ، «ومحض» (في مثل : هذا عربي محض ، أى : خالص العروبة ، وعربيان محض ، وعرب محض) و«رسول» ، «صديق» ، و«قنعان» (بضم القاف ، وسكون النون . رجل قنعان ، أى : يقنع الناس بكلامه ، ويرضون برأيه ، وامرأة قنعان ، ونسوة قنعان . . . كل ذلك بغير تثنية ولا جمع ، ولا تأنيث . . .) و«دلاص» ، (يقال : درع دلاص ، أى : براقه ، بلفظ واحد في الاستعمالات كلها إلى غير ذلك من الألفاظ التي ورد كثير منها في آخر الجزء الثاني من : «المزهر» للسيوطي .
(٢) وقيل هو واجب ؛ لما سيحىء في رقم ٣ بعد هذا مباشرة .
(٣) وفي هذا رأى يقول ابن مالك :

وَالثَّانِ مَبْتَدَأٌ وَذَا الْوَصْفُ خَبَرٌ إِنَّ فِي سَوَى الْإِفْرَادِ طَبَقًا اسْتَقَرَّ
يريد «بالتثنية» : الاسم المرفوع يعد الوصف ؛ فيعرب مبتدأ مؤخرًا ، ويعرب الوصف خبراً مقدماً بشرط أن يكون ذلك الاسم طبقاً ، (أى : مطابقاً) للوصف في غير الأفراد ، بأن يطابقه في التثنية والجمع . ونحن لا نوافق النحاة القدامى على رأيهم هذا ؛ لأن حجبتهم واهية ؛ فهم يقولون إن الوصف في هذه الصورة لو أعرب مبتدأ وما بعده فاعله أو نائب فاعله ؛ لترتب على ذلك أن يكون الوصف =

(ب) وإن لم يتطابقا فإن كان الوصف مفرداً ومرفوعه مثنى أو جمعاً (مثل : أعالم المحمدان ؟ . أحجوب المحمدون ؟) صح التركيب في هذه الصورة الخالية من المطابقة ، ووجب إعراب الوصف مبتدأ ، وإعراب مرفوعه فاعلاً أو نائب فاعل - على حسب حاجة الوصف - أغنيتني عن الخبر ، ولا يجوز أن يكون مرفوعه مبتدأ لثلا يترتب على ذلك أن يكون المبتدأ مثنى أو جمعاً والخبر مفرداً ؛ وهذا لا يجوز . ويتساوى في هذا الحكم أن يكون مرفوع الوصف اسماً ظاهراً ، وضميراً بارزاً^(١) . . .

أما في غير هذه الصورة فلا يصح التركيب ؛ ويكون الأسلوب فاسداً . فمن الصور الفاسدة : أن يكون الوصف مثنى والاسم المرفوع مفرداً ؛ مثل : ما قاتمان محمد ، أو يكون الوصف مثنى والاسم المرفوع جمعاً ؛ نحو : أقاتمان

= مثنى ، أو مجموعاً ، والوصف عندهم إذا رفع اسماً بعده ، يكون بمنزلة الفعل ؛ والفعل لا يثنى ولا يجمع ؛ فكذلك ما هو بمنزلة . ونقول هنا ما قلناه من قبل - في رقم ٢ من هامش ص ٤٤٨ - ؛ وهو أن أساس رأيهم التوهم ، والتخيل ، والقياس الجدلي ، لا اليقين ، ولا الظن القوي ، أو ما يدانيه ، ولا القياس الحقيقي على ما نطق به العرب ، ففيه ما فيه من تحكم لا داعي له ؛ فقد تكلم العرب الفصحاء بمثل هذا الأسلوب كثيراً ، ولم يقولوا لأحد إن الوصف مبتدأ أو غير مبتدأ ، ولم يقولوا في المرفوع بعده إنه يجب أن يكون مبتدأ والوصف خبره . . . لم يقولوا شيئاً من ذلك ولم يتعرضوا للناحية الإعرابية . فكل حقهم وحق اللغة علينا ألا نخالف نهج هذا الأسلوب عند الصياغة كما ورد عنهم في تأدية معنى معين ، وألا نخرج عن طريقتهم في تكريره ، وضبط مفرداته ، ومعناه . أما ما عدا ذلك من الأسماء والتسميات والإعرايات - فلا شأن لهم به ، وإنما هو شأن المعنيين بالدراسات اللغوية والنحوية في العصور المختلفة . وقد ترقب على رأى النحاة التقادى تعدد التقسيم في مطابقة الوصف ، وكثرة الأحكام ، فكان هناك التطابق في الأفراد ، وله حكمان ، وهناك التطابق في التثنية والجمع ، ولكل حكم . والرأى السح الذي يرتضيه العقل أن التطابق في الأفراد كالتطابق في التثنية وفي الجمع ؛ فما يجوز في حالة الأفراد يجوز في غيره عند التطابق ، وبذلك ندخل التطابق كله في قسم واحد متفق في حكمه ، ونستغنى عن التطابق في حالتي التثنية والجمع وعن حكمه المستقل . ولن يترتب على ذلك ضرر في طريقة صوغ الأسلوب ، ولا في ضبط كلماته وحروفه ، ولا في معناه ، كما قلنا .

وفوق هذا فرأينا يسائر بعض اللهجات الصحيحة التي تناقض حجة النحاة في قولهم : « إن الفعل لا تلحقه علامة تثنيته ولا جمع ، وأن ما يشبهه يسير على مثاله » ذلك أن بعض القبائل العربية الفصيحة يخالف هذا ؛ فيلحق بالفعل علامة التثنية والجمع ، وبلغتهم أخذ فريق كبير من النحاة - كما سيحيى في ج ٢ باب : « الفاعل » وأحكامه ومنها : الحكم الرابع ، م ٦٦ ص ٧١ - فالرأى بتوحيد التطابق رأى فيه تيسير فوق مسابرة للمقل والنقل .

(١) ومن أمثلة التفسير البارز قول الشاعر :

خليلى ، ما واف بعهدنى أنتما إذا لم تكونا لى على من أفاطع
فليس من اللازم أن يكون مرفوع الوصف اسماً ظاهراً . فقد يكون ضميراً مستتراً أو بارزاً ، وقد يكون ضميراً متصلاً مجروراً بحرف جر ؛ (كالمثال الذى سبق في رقم ٢ من هامش ص ٤٤٥ و ٤) من هامش ص ٤٦٢ .

المحمدون ؟ . أو يكون الوصف جمعاً ، والاسم المرفوع مفرداً ، مثل : أحاضرون محمدٌ ؟ . أو يكون الوصف جمعاً والاسم المرفوع مثنى ؛ نحو : أحاضرون الرجلان . . . وهكذا كل صورة تخلو من المطابقة الصحيحة .

من كل ما تقدم يمكن تلخيص الحالات الإعرابية الخاصة بالمبتدأ الوصف في ثلاث^(١) :

الأولى ؛ وجوب إعرابه مبتدأ يرفع فاعلاً ، أو نائبه - إذا لم يطابق ما بعده . وهذه الحالة مقصورة على أن يكون الوصف المتقدم مفرداً ، والاسم المرفوع بعده مثنى أو جمعاً ؛ نحو : أسابيح المحمودان ؟ - أسابيح المحمودون ؟ .

الثانية : وجوب إعرابه خبراً^(٢) مقدماً والاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخرأ ، وذلك عند تطابقهما في التثنية أو في الجمع ؛ نحو : أناثمون الرجلان ؟ . أناثمون الرجال ؟ .

الثالثة : جواز الأمرين إن تطابقا في الأفراد ، وما يقتضيه ؛^(٣) مثل : أقارئ الجندى ؟ . وفي بعض مسائل سبقت الإشارة إليها^(٤) .

(١) مع «مراعاة المحكوم عليه والمحكوم به ، فهذه المراعاة واجبة دائماً ، ولها الاعتبار الأول ، وتقضى بأن يكون المحكوم عليه هو المبتدأ ، والمحكوم به هو : الخبر وقد شرحنا هذا في هامش ص ٤٤٢ .

(٢) وذلك رأي كثير من النحاة ، ورأينا جواز الأمرين ؛ لما بسطناه في رقم ٣ من هامش ص ٤٥٤

(٣) ما لم يمنع مانع آخر سبق توضيحه في ص ٤٥٣ . وكراعاة المحكوم والمحكوم عليه .

(٤) في ص ٤٥٤ .

زيادة وتفصيل

(١) هناك أنواع أخرى من المطابقة الواجبة ، أو الجائزة ، أو الممنوعة . فيجب أن يكون الخبر مطابقاً للمبتدأ في الأفراد ، والتذكير ، وفروعهما ^(١) ؛ بشرط أن يكون الخبر مشتقاً لا يستوى فيه التذكير والتأنيث ، وأن يكون جارياً على مبتدئه . ومن الأمثلة : محمود غائب ، المحمودان غائبان ، المحمودون غائبون . فاطمة غائبة . الفاطمتان غائبتان ، الفاطمات غائبات ... فلا يجب التطابق في مثل : زينب إنسان ، ولا مثل : أتعرف الدنيا خداعة ؟ . وهي إقبال وإدبار ؛ لعدم اشتقاق الخبر . ولا في : هذا جريح ؛ لأن الخبر وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث (وسيجيء في باب : « التأنيث » من الجزء الرابع تفصيل هذه المسألة) ولا في : سعاد كريم أبوها ؛ لأن الخبر جار على غير مبتدئه .

وإذا كان المبتدأ جمعاً لما لا يعقل جاز في خبره أن يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمعاً سالماً مؤنثاً ، أو جمع تكسير للمؤنث . كما يصح أن يكون جمع تكسير للمذكر ؛ إن كان مفردة مذكراً لغير العاقل — ولم يمنع من الجُمُوع السالفة مانع آخر — نحو : (العقوبات رادعة ، أو : رادعات ، أو : روادع) — (البيوت عالية ، أو : عاليات ، أو : عوال ، وهذان جمع : عالية) ، أو أعمال ، جمع : أعلى . فإن كان المبتدأ جمع مؤنث للعاقل جاز في خبره أن يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير للمؤنث ؛ نحو : (المتعلمات نافعة ، أو : نافعات ، أو : نوافع) وقد سبق لهذا — ولحالات أخرى — بيان عند الكلام على تطابق الضمير ومرجه ^(٢) .

(١) وكذلك تسرى المطابقة وجوباً على المبتدأ المتعدد — مثنى ؛ أو جمعاً — إذا كان تعدده بطريق التفريق ؛ أى : عطف بعض الأفراد على بعض ؛ نحو : الأرض والشمس كوكبان في المجموعة الشمسية ؛ ونحو : محمود وعلى وصالح مختبرون ... ومن الثنية بالتفريق قول الشاعر :

الكِبَرُ والحمدُ ضِدَّانِ . اتفاقُهُما مِثْلُ اتفاقِ قَتَاءِ السِّنِّ والكِبَرِ

(الفتاه : الشباب) . وقد يكون تعدد المبتدأ بمراعاة معطوف محذوف ، نحو : راكب الناقة طليحان — بالبيان الذي في أول ص ٤٥٣ .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٢٢ ثم ص ٢٦٢ « ح » ثم في رقم ٦ من هامش ص ٣٢١ ثم في ص ٣٤٩ وهامشها وص ٤٥٧ وما بعدها ، ويحیی له بيان أيضاً في ج ٣ ص ٤٣٠ م ١١٤ — باب التثنية — وفيه بيان بعض المراجع التي أخذ منها .

وقد يُدسّرُ المبتدأ لمراعاة الخبر ؛ كقوله تعالى : (فذانك بُرهانان من ربك)
والإشارة المثناة راجعة إلى : « اليد والعصا » قبل هذه الآية ^(١) ، وهما مؤنثتان .
ولكن المبتدأ هنا مذكر لتذكير الخبر ، ومثله قوله تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربّي هذا أكبرُ) ^(٢) . . . فاسم الإشارة الأول : (هذا) مذكر ، مع أن
المشار إليه — وهو : الشمس — مؤنث ؛ فحق الإشارة إليها أن تكون باسم
إشارة للمؤنث ؛ مثل : « هذه » . قال الزمخشري : « فإن قلت : ما وجه التذكير ؟
قلت : جعلُ المبتدأ مثل الخبر ، لكونهما عبارة عن شيء واحد ؛ كقولهم :
« ما جاءت حاجتك » ؟ ^(٣) . أي : ما صارت حاجتك ؟ ومن كانت أمك ؟ . . .
— ومثل هذا ينطبق على الآية السابقة وهي : (هذا ربّي) . على أن التذكير
في هذه الآية واجب ؛ لصيغته « الرب » عن شبهة التأنيث لو قيل : « هذه ربّي » .
ألا تراهم قالوا في صفة « الله » : « علام » ، ولم يقولوا : « علامة » — وإن كان
« العلامة » أبلغ — ؛ احترازاً من علامة التأنيث « ا . هـ » ببعض اختصار .

ومن تأنيث المبتدأ المذكر مراعاةً لتأنيث الخبر قراءة من قرأ قوله تعالى :
(ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربّنا ما كنا مشركين) بالتاء في أول المضارع :
« تكن » لتأنيث اسم الناسخ ؛ وهذا الاسم هو المصدر المنسبك المتأخر ، وهو في
أصله مذكر ، ولكنه أنت موافقة للخبر المتقدم ، وبسبب تأنيث هذا الخبر أنت
الفعل « تكن » .

وإذا كان الخبر دالاً على تقسيم أو تنويع جاز عدم مطابقته للمبتدأ في الأفراد
وفروعه ؛ نحو : (الصديق صديقان) ، مقيم على الود والولاء ، وتارك لهما ،
(والإخاء إخاءان) ، خالص لله ، أو لمغنم عاجل . وكقولهم : (المال أنواع) ؛
محمود الكسب ، محمود الإنفاق ؛ وهذا خيرها . وخبيث الثمرة خبيث المَصْرِف ؛
وهذا شرّها ، وما اجتمع له أحد العيبين وإحدى المزيّتين ؛ وهو بمنزلة بين المنزلتين
السالفتين .

(١) في قوله تعالى في سورة « القصص » : (.. وأن ألقِ عصاك ...) — راجع ما قاله أبو حيان

في البحر عند تفسيره الآية ، ج ٧ ص ١١٧ .

(٢) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٧ من ص ٢٦٥ ورقم ٦ من هامش ص ٣٢١ .

(٣) بيان هذا الأسلوب وإعرابه في هامش رقم ١ من ص ٥٥٦ .

.....
.....

وقد تختلف المطابقة بين المبتدأ المتعدد الأفراد والخبر المفرد إذا كان المبتدأ متعدد الأفراد حقيقة ، ولكنه يُنَزَّل منزلة المفرد ؛ بقصد التشبيه ؛ أو المبالغة ، أو نحوهما ؛ سواء أكان بمنزلة المفرد المذكر أم المؤنث ، وقد اجتمعا في قولهم : (المقاتلون في سبيل الله رجل واحد ، وقلب واحد ، وهم يدٌ على من سواهم) ، وقولهم : (التجارب مرشد حكيم ، والمتفكرون بإرشاده قلعة تترددونها الشدائد) ، ومن أمثلة التعدد الحقيقي أيضاً ، قول الشاعر :

المجد والشرف الرفيع صحيفةٌ جُعِلَتْ لها الأخلاق كالعنوان

وقد يختلفان تذكيراً وتأنيثاً ، ولكن مع أفراد المبتدأ وعدم تعدده . وسبب الاختلاف — كسابقه — المبالغة ، أو التشبيه ، ونحوهما ؛ مثل : (الشدّة مُرَبِّ حازم ، والتجربة معلم نافع ، واللص هَيَّابَة ، والمؤرخ نَسَّابَة) . وقد يختلفان كذلك إذا كان المبتدأ اسم جنس جمعياً على الوجه الذي سبق تفصيله (١) .

ومن الخبر الذي يجوز فيه التذكير والتأنيث كلمتا : « أَحَدٌ ، وإحدى » المضافتين ، إذا كان المضاف إليه لفظاً يخالف المبتدأ في التذكير أو التأنيث ؛ فيجوز في الكلمتين موافقة المبتدأ ، أو الخبر ، مثل : (المال أحد السعادتين) ، أو : (إحدى السعادتين) بتذكير « أحد » مراعاة للمبتدأ المذكر (المال) وبالتأنيث مراعاة للمضاف إليه المؤنث ، وهو كلمة : السعادتين . ومثل : (الكتابة أحد اللسانين) ، أو (إحدى اللسانين) ، بالتأنيث أو التذكير ، طبقاً لما سلف (٢) .

وقد يكون الخبر مؤنثاً والمبتدأ مذكراً مضافاً إلى مؤنث ؛ فيستفيد التأنيث من المضاف إليه ، أو العكس ؛ (بأن يكون الخبر مذكراً والمبتدأ مؤنثاً مضافاً إلى مذكر ؛ فيستفيد منه التذكير) ، ويشترط في الحالتين أمران (٣) .

١ — أن يكون المبتدأ المضاف صالحاً للحذف ، والاستغناء عنه بالخبر من غير أن يفسد المعنى .

٢ — أن يكون المبتدأ المضاف كلاً للمضاف إليه ، أو جزءاً منه ، أو مثل الجزء

(١) في ص ٢١ و ٢٦٥ .

(٢) راجع رقم ٧ من ٢٦٥ ورقم ٦ من هامش ٣٢١ ففيها بعض إيضاح لهذه المسألة والتي تليها .

(٣) راجع البيان والتفصيل الخاص بهذا الحكم في ج ٣ ص ٦٢ م ٩٣ باب الإضافة .

ومن أمثلة اكتساب المضاف من المضاف إليه التأنيث قول الشاعر :

وما حُبُّ الديارِ شَغَفَنَ قلبي ولكن حُبُّ مَنْ سكنَ الديارا

ومن أمثلة اكتساب المضاف التذكير من المضاف إليه قولهم : (رؤيةُ الفكرِ عواقبَ الأمور مانعٌ له من التسرع) .

وهناك حالات هامة من المطابقة وأحكامها المختلفة أشرنا إليها فيما سبق^(١) .

(ب) الغالب أن البديل يرتبط به ما بعده ، ويعتمد عليه ، فيطابقه في حالتي التذكير والتأنيث وغيرهما ، نحو : (إن الغزال عينه جميلة ، وإن الفتاة جفنتها فاتر) ، بنصب كلمتي « عين » و « جفن » - وهما بدلان - وتأنيث خبر « إن » في المثال الأول ، وتذكيره في الثاني . ولولا أن الملاحظ هو البديل - وأنه بمنزلة المبدل منه - لوجب التذكير في الأول ، والتأنيث في الثاني . ولا مانع من العدول عن مراعاة البديل فيما سبق إلى مراعاة المبتدأ في الكلمتين ، ولعله الأحسن ؛ لبعده عن اللبس الناشئ من البديل . ولا بد عند مراعاة الغالب من عدم وجود قرينة تمنعه ، وتدل على غيره . ومن غير الغالب قول الشاعر :

إن السيوفَ غُدُوها ورواحهها تركت هوازن مثل قَرْنِ الأعْضَبِ^(٢)

فقد جاء الفعل « ترك » مؤنثاً مراعاة لاسم : « إن » ، لا للبديل^(٣) . . .

* * *

(١) في رقم ٢ من هامش ص ٤٥٧ بيان مواضعها ، وأرقام صفحاتها . . .

(٢) الأعْضَبُ : الحيوان المكسور قرنه .

(٣) راجع في هذه المسألة الصبان ج ٣ آخر باب : « البذل » ، والخضري ج ٢ أول ذلك الباب .

وستجىء في الجزء الثالث من « النحو الوافي » ص ٦٥٢ م ١٢٦ باب : « البذل » .

المسألة ٣٥ :

أقسام الخبر .

عرفنا^(١) أن الخبر جزء أساسي في الجملة ؛ يُكتملها مع المبتدأ الذي ليس بوصف^(٢) ، ويتم معناها . وهو ثلاثة أقسام : مفرد ، وجملة ، وشبه جملة^(٣) .
القسم الأول : الخبر المفرد

ما ليس جملة ، ولا شبه جملة . وإنما يكون كلمة واحدة ، أو بمنزلة الواحدة^(٤) .
وهو إما جامد^(٥) ؛ فلا يرفع ضميراً مستتراً^(٦) فيه ، ولا ضميراً بارزاً ، ولا اسماً ظاهراً ؛

(١) في ص ٤٤٢ .

(٢) لأن الجزء الذي يكمل الجملة مع المبتدأ الوصف لا يسمى خبراً ؛ وإنما يسمى - كما سبق في ص ٤٤٤ - « مرفوع الوصف » ؛ سواء أكان المرفوع فاعلاً ، أم نائب فاعلاً ، ويقول ابن مالك في الخبر :
والخبرُ الجزءُ المُتِمُّ الفائدةَ كاللَّهُ بَرٌّ والأَيَادِي شاهِدَةٌ
(الله بر) مبتدأ وخبر ، وكذلك : « الأيادي » مبتدأ ، مرفوع بضمّة مقدرة على الياء ،
و « شاهدة » خبر مرفوع . ولم يصرح ابن مالك بأن الخبر يكمل الجملة بشرط أن يكون مع المبتدأ ؛
لضيق النظم ، والاكتفاء بالمثالين .

(٣) يراد شبه الجملة في هذا الباب أمران ، هما : الظرف ، والجار مع مجروره ، أما في صلة
الموصول فيراد به هذين ، وأمر ثالث ، هو : « الصفة الصريحة » التي تقع صلة « أل » - على التفصيل
الذي ذكرناه في ص ٣٨٤ و ٤٧٥ .

(٤) ما هو بمنزلة الواحدة يشمل أنواع الاسم المركب ؛ كالمركب المزجي ، والمركب العدي الذي
يلحق به (مثل : هذه نيويورك - أنتم أحد عشر) والمركب الإسنادي (مثل : هذا « جاد ، الله » ...
ولا يدخل الإضافي .

(٥) أي : ليس مشتقاً . ويذكر هنا كثيراً : الوصف ، بمعنى : المشتق .

(٦) إلا عند التأويل ، (مثل : قلب الظالم حجر . أي : قاس لا يلين) ، (يد الشجاع حديد .
أي : قوية) . ولا يصح التأويل بالمشتق إذا أريد بالجامد ذاته الأصلية حقيقة أو مبالغة ؛ كأن يرى
أسداً حقيقياً فتقول : هذا أسد ، أو : ترى شجاعاً فتقول على المبالغة والأدعاء المجازي : هذا أسد .
كما لا يجوز التأويل إذا أريد التشبيه البليغ في : هذا أسد ؛ أي : هذا كالأسد في الشجاعة . وقد سبق
بيان الجار مجرى المشتق ، وأنه مثل : هذا أسد ، أي : شجاع ، وكذا المنسوب ، و « ذو » بمعنى :
صاحب ، والمصغر ... راجع « ب » من ص ٤٤٨ .

هذا ويجرى على الجامد المقول بالمشتق كثير من أحكام المشتق ، لا تجرى عليه إلا بعد التأويل ...

مثل كلمتي : « كُرّة » و « نهر » في قولنا : الشمس كُرّة - الفرات نهر . ومثل
كلمتي : « إقبال » ، « وإدبار » في قول الشاعر يصف ناقته التي فقدت وليدها :
ترتّع^(١) مارتعت ، حتى إذا أدكرت^(٢)

فإنما هي إقبال وإدبار^(٣)

فالخبر في الأمثلة السابقة فارغ من الضمير المستتر ، وغير رافع للضمير بارز ، أو
لاسم ظاهر بعده .

وإمامنا^(٤) (أى : وصف) فيرفع - في الأغلب - ضمير أمستراً وجوباً ، أو :
يرفع ضميراً بارزاً ، أو : اسمًا ظاهرًا بعده ؛ مثل : الهرم مرتفع - الآثار غالية ... أى :
مرتفع هو ، وغالية هي^(٥) . فقد تحمل الخبر المفرد المشتق ضميراً مستتراً وجوباً يعود
على المبتدأ ، ليربط الخبر به ارتباطاً معنوياً . ومثل : ما راغب أنتم في الظلم ؟ فقد رفع

(١) ترعى . (٢) تذكرت .

(٣) يريد ، مقبلة ومدبرة ، من شدة الحزن عليه .

(٤) المشتق الذي يتحمل الضمير : هو ما سبقت الإشارة إليه في ص ٤٤٨ - بأنه الذي يجري
مجرى فعله في كثير من أموره ، كالشاركة في حروفه الأصلية وفي حركاته ، وسكناته ، وعمله ، كاسم
الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعال التفضيل ... وكذلك الجامد الذي تضمن معنى ذلك
المشتق كالمنسوب ، والمصغر ، و « ذى » بمعنى : صاحب -

أما المشتق الذي لا يجري مجرى الفعل ولا يتأول به فإنه لا يتحمل ضميراً ؛ كاسم الآلة ، واسم الزمان ،
أو المكان ؛ فكلمة « مفتاح » اسم آلة ، مشتق من الفتح فإذا وقع خبراً في مثل قول الشاعر :

الرفق بمن . وخير القول أصدقه . وكثرة المزح مفتاح العداوات

لم يتحمل ضميراً . وكذلك ما كان على صيغة « الزمان أو المكان » : نحو ؛ ملعب ، ومطعم ،
ومجلس ، وموعد ... فإنه لا يتحمل الضمير إذا وقع خبراً ... إنما يتحمّله المشتق الجارى مجرى الفعل
- كما قلنا - وذلك بشرط ألا يرفع اسماً ظاهرًا بعده ، نسب . أصالح غائب والده ؟ أو ضميراً بارزاً ؛
نحو : أصالح ذاهب أنت إليه ؟ في الحالتين لم يرفع الوصف ضميراً مستتراً ؛ لوجود فاعله منطوقاً به في
اللفظ ، والوصف لا يرفع فاعلين مطلقاً . وكذلك إذا رفع ضميراً متصلًا مجروراً ؛ مثل : الخائن مغضوب
عليه ؛ فالضمير المجرور بحرف الجار في محل رفع نائب فاعل ، برغم أننا - للتيسير كما أشرنا في رقم
٢ من هامش ص ٤٤٥ - نقول : الجار مع مجروره نائب فاعل ، والمشتق : « مغضوب » فارغ من
الضمير ؛ إذ ليس للمشتق إلا مرفوع واحد ، وقد استفاه ، وهو : البارز .

والضمير المستتر في الوصف واجب الاستتار - كما عرفنا - إلا في بعض الصور ، ومنها : ما يوجب
إبرازه ؛ كالحصر في مثل : على ما قائم إلا هو ، وكجريان الوصف على غير ما هو له مع عدم أمن
أقبح . - كما سيجيء في ص ٤٦٣ - ويعرب في هاتين الحالتين فاعلاً أو نائب فاعل على حسب نوع المشتق .

(٥) إذا ظهر مثل هذا الضمير بعد المشتق فالأحسن إعرابه - في غير الحالات التي أشرنا

إليها في رقم ٤ - توكيداً للضمير المستتر ، لا فاعلاً ، مع مراعاة ما في رقم ١ من هامش ص ٤٦٤ .

الخبر المفرد المشتق ضميراً بارزاً بعده . ومثل : الورد فاتن ألوانه ، ساحر أنواعه . فكل من الوصفين : (فاتن ، وساحر) قد وقع خبراً مفرداً مشتقاً ، ورفع بعده اسماً ظاهراً . فلا بد أن يرفع الخبر المشتق المفرد ضميراً مستتراً وجوباً ، أو : ضميراً بارزاً^(١) ، أو : اسماً ظاهراً بعده .

ومن المشتق ما يعرب على حسب الظاهر خبراً للمبتدأ . مع أن معناه في الواقع لا ينصب على ذلك المبتدأ ، ولا ينسب إليه مباشرة : مثل : البنت الأب مكرمته هنيء . « فالبت » : مبتدأ أول . و « الأب » : مبتدأ ثان . و « مكرمة » : خبر المبتدأ الثاني ، مع أن معنى هذا الخبر - وهو : « الإكرام » - منسب على المبتدأ الأول وحده . لأن البنت هي المكرمة ؛ أي : المنسوب لها الإكرام ، دون المبتدأ الثاني . ومثل : الشفيق الأم مساعدوها هو . فكلمة « الشفيق » : مبتدأ أول ، و « الأم » : مبتدأ ثان . و « مساعد » : خبر المبتدأ الثاني . مع أن معنى هذا الخبر - وهو : « مساعد » - واقع على الأول ، ولاحق به ، دون المبتدأ الثاني . . . وهكذا كل وصف وقع خبراً عن مبتدأ غريب عن معنى ذلك الخبر ، وعن مدلوله . ومثل هذا الخبر يقول عنه النحاة : « إنه جارٍ على غير صاحبه » ، أو : « جارٍ على غير من هو له » .

ولما كان هذا الخبر مشتقاً وجب أن يرفع ضميراً مستتراً ، أو بارزاً ، أو : اسماً ظاهراً ، - كما تقدم - غير أن الضمير هنا يجوز إبرازه ، كما يجوز استتاره ، بشرط أن يكون المبتدأ الأصيل وهو (المنسوب إليه معنى الخبر ، والمحكوم عليه حقيقة) ، شيئاً واضحاً لا يشبهه بغيره عند الاستتار ؛ أي : بشرط أمن اللبس ؛ كما في الأمثلة السابقة . وهناك أمثلة للوصف الواقع خبراً يصلح فيها أن يكون جارياً على من هو له وعلى غير من هو له ؛ فيقع اللبس في المراد : نحو : « الفارس الحصان متعيبه » ، فكلمة : « الفارس » مبتدأ ، و « الحصان » مبتدأ ثان « متعيب » خبر الثاني ، وفيه ضمير مستتر ، تقديره : « هو » . والجملة من الثاني وخبره خبر الأول . فما المراد من هذا المثال ؟ أنريد الحكم على الحصان بأنه يتعب الفارس ؛ فيكون الخبر جارياً على من هو له ، أم نريد الحكم على الفارس بأنه يتعب

الحصان ؛ فيكون الخبر جارياً على غير من هو له ؟ الأمران محتملان مع اختلافهما في المعنى . وهذه هي حالة اللبس ، حيث لا قرينة تُرجح أحدهما على الآخر . فإن كان المراد هو المعنى الأول الذى يقتضى جريان الخبر على من هو له وجب استتار الضمير ؛ ليكون استتاره دليلاً على هذا المعنى ؛ فنقول : « الفارسُ الحصانُ مُتَّعِبُهُ » . وإن كان المراد هو المعنى الثانى الذى يقتضى جريان الخبر على غير من هو له وجب إبراز الضمير منفصلاً ؛ ليكون إبرازه دليلاً على جريانه على غير من هو له ؛ فنقول « الفارسُ الحصانُ مُتَّعِبُهُ »^(١) فالضمير : « هو » عائد على الفارس . المنسوب إليه « أنه متعب » ، والمحكوم عليه بذلك الحكم ، والضمير : « الهاء » المتصل بالخبر — وهو الهاء فى آخر كلمة : « متعبه » — عائد إلى المبتدأ الثانى .

ومثل : « الكلبُ الثعلبُ مخيفُهُ » . فكلمة « الكلب » مبتدأ أول . و « الثعلب » : مبتدأ ثان ، و « مخيف » : خبر الثانى ، وهو مضاف ، والهاء مضاف إليه . فما المراد ؟ قد نريد الحكم على الثعلب بأنه يخيف الكلب ؛ فيكون الخبر جارياً على صاحبه ، ويجب استتار الضمير ؛ ليكون استتاره دليلاً على جريانه على صاحبه . وقد نريد المعنى الثانى ؛ وهو جريانه على غير صاحبه ؛ فيجب إبراز الضمير منفصلاً ؛ ليكون إبرازه شارة على هذا المعنى ؛ فنقول : « الكلبُ الثعلبُ مخيفُهُ » ويكون الضمير « هو » البارز عائداً على « الكلب » ، أى : على المبتدأ الأصيل المحكوم عليه حقيقة بالخبر ؛ أى : بأنه المخيف . أما الضمير الآخر (وهو : الهاء المتصلة بالخبر) فعائد على المبتدأ الثانى^(٢) .

(١) فى حالة اللبس وجريان الخبر على غير من هو له ، يتعين أن يكون الضمير البارز فاعلاً أو نائب فاعل على حسب نوع الوصف ؛ لأن جريانه على غير صاحبه يمنع استتاره ، ويوجب إبرازه منفصلاً ؛ فيستمر فاعلاً أو نائب فاعل كما كان قبل إبرازه ؛ إذ ليس للوصف إلا مرفوع واحد ؛ فإذا كان ضميراً مستتراً وطراً ما يوجب إبرازه منفصلاً بقيت له حالة الفاعلية أو النياية عن الفاعل ، ولا يعرب تأكيداً للضمير المستتر . ولا مانع أن يحمل اسم ظاهر محل الضمير لينع اللبس ، نحو : الفارس الحصان . متعبه الفارس . ومن المستحسن عدم محاكاة هذا الأسلوب ، إذ لا يكاد يخلو من إبهام ، حتى مع إبراز الضمير — كما سيجىء — .

(٢) مثل هذا : قائد الجيش راجيه هو — ساكن الحصن حارسه هو — . . . زيلة البنت مرشدتها هي — . . . معلمة الطفلة محبوبتها هي . . . فالضمير البارز فى الأمثلة السابقة أصله مستتر ويصلح أن يكون مرجعه المضاف أو المضاف إليه ، فيحصل اللبس ، لعدم تعيين المرجع . وإذا يجب =

وختلاصة ما تقدم :

١ - أن الخبر الجامد لا يتحمل الضمير إلا عند التأويل الذي يقتضيه السياق^(١) وأما المشتق فيتحمله . - في الأغلب -

٢ - إذا جرى الخبر المشتق على غير من هو له ، وكان اللبس مأموناً ، جاز استتار الضمير في المشتق ، وجاز إبرازه .

٣ - وإن لم يؤمن اللبس وجب إبرازه^(٢) .

ومن المستحسن عدم محاكاة الأساليب المشتملة على هذا النوع الذي يجري فيه الضمير على غير صاحبه وعدم صياغة نظائر لها ؛ منعاً لاحتمال الغموض وعدم فهم المراد منها ؛ بالرغم من كثرة ورودها في الكلام العربي الأصيل ، كما يستحسن إهمال الرأي الذي يوجب إبراز الضمير في حالة أمن اللبس ، لمخافاته الأصول اللغوية العامة التي تأبى الإطالة بغير إفادة .

* * *

= إبراز الضمير لمنع ذلك اللبس . نعم الأكثر في الضمير أن يعود للمضاف ، لكن ، قد يعود للمضاف إليه أحياناً - كما سبق البيان في رقم ٢ من هامش ص ٢٥٦ وله إشارة في « ز » من ص ٢٦١ - فإذا برز الضمير تعين إرجاعه للمضاف .

(١) على الوجه الذي سبق في ص ٤٤٨ و ٤٤٩ .

(٢) إلا إن حل محله اسم ظاهر يزيل اللبس . - كما سبق في رقم ١ من هامش الصفحة الماضية - وما يلاحظ أن وجوب الإبراز ليس خاصاً بضمير الخبر المفرد عند اللبس . بل يشمل ضمير الخبر الواقع جملة ؛ نحو : محمد صالح أكرمه . كذلك ما يحتمل أن يكون مفرداً أو جملة (كمتعلق الظرف والجار مع مجروره) ، نحو : حامد محمود عنده ، أو في حديقته . كما أن اللبس وإبراز الضمير ليس مقصوراً على الخبر ، بل يشمل أشياء أخرى ، كالحال في مثل : ركب عادل الحصان متعبه هو ، وكالنتب ، في مثل : سمير عادل بصدق مكرمه هو ، وكالصلة في مثل عادل الحصان النافعه هو . وإذا وقعت جملة فعلية مكان واحد من الثلاثة كان الفعل في كل منها كالوصف الواقع خبراً . . .

القسم الثاني - الخبر الجملة^(١):

الجملة : كلمتان أساسيتان لا بد منهما للتوصل على معنى مفيد ؛ كالفعل مع فاعله ، أو مع نائب فاعله ؛ في مثل : فرح الفائز ، وأكبريم النابغ ، وتسمى هذه الجملة : « فعلية » ؛ لأنها مبدوءة - أسالة - بفعل . والمبتدأ مع خبره ، أو ما يغنى عن الخبر في مثل : المال فائن . وهل الفائز مال ؟ . وتسمى هذه الجملة : « اسمية » ؛ لأنها مبدوءة « أسالة »^(٢) باسم . فالجملة إما « اسمية » ، وإما فعلية^(٣) وكل واحدة منهما قد تقع خبراً^(٤) ؛ فتكون هنا في محل رفع^(٥) ؛ نحو : الصيف يشتد حره ، الشتاء يقسو برده^(٦) . الربيع جَوَّه معتدل . الخريف جَوَّه متقلب . وقد اجتمعت الجملتان في قول الشاعر :

السَّبَّحِيُّ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظَّلْمُ مَرَّعُهُ وَخَيْمُ^(٧)

ويشترط في الجملة الواقعة خبراً أن تشتمل على رابط^(٨) يربطها بالمبتدأ ، إلا

(١) سبق في ص ٤٤٤ أن الخبر يكون جملة أو شبهة وجوباً في مسائل معينة ، سيجي بيانها في « ج » من ص ٤٧٣ . وبمض الأمثلة في « ج » من هامش ص ٥٤٣ .

(٢) بأن يكون تقدمه أصلياً لا طارئاً لسبب بلاغي : كتقدم المفعول على فعله لإفادة الحصر في مثل : محمداً أكرمت ؛ فإن هذا التقدم البلاغي ليس أصيلاً .

(٣) ما تقدم عن الجملة بنوعها هو اختصار لما عرضناه عنها في رقم ٥ من هامش ص ٤٤٦ .

(٤) وإذا صارت خبراً لم يصح تسميتها جملة إلا على حسب أصلها السابق ، (طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ٢ من هامش ص ١٥ ورقم ٢ من هامش ص ٣٧٤) ، ولا يخرج الكلمة عن الصدارة الأصلية أن يسبقها حرف عامل ؛ مثل : « ما » الحجازية ، و « لا » النافية للجنس ، و « إن » ، أو غير عامل مثل : « ما » و « لا » النافيتين . . . فالعبرة بما يقع بعد هذه الأدوات من فعل ، فتكون الجملة فعلية ، أو اسم ، فتكون اسمية .

(٥) إذا وقعت الجملة خبراً كانت نائبة عن المفرد ؛ لأنها واقعة بموقعه ، وحالة محله ، إذ المفرد هو الأصل ، (طبقاً للإيضاح المفصل الذي سبق خاصاً بالإعراب المحلى ، ص ٨٤ و ٣١٤ وهامشها) والمركب فرع منه . لذلك يحكم على موضعها هنا بالرفع ؛ على معنى أنه لو وقع المفرد - الذي هو الأصل - موقعها لكان مرفوعاً . فنجد الإعراب نقول : (الجملة من : المبتدأ والخبر) أو من « الفعل والفاعل » ... في محل رفع خبر المبتدأ .

(٦) ومن هذا قول الشاعر :

الصدق يألفه الكريم المرتجى والكذب يألفه اللئى الأخبى

(٧) المرتج هنا : المرعى ، أى : الثبات الذى ترعاه الحيوانات . والأصل : مكان الرعى . والوخيم : السبي الضار .

(٨) هناك شروط أخرى متجىء في الزيادة ص ٤٧١ ، وفي تلك الصفحة نص صريح على جواز وقوع الجملة الإنشائية خبراً . وفيها كذلك طريقة إعراب الجملة الواقعة خبراً .

إن كانت بمعناه ، كما سيجيء^(١) . وهذا الرابط ضرورى -؛ كالضمير فى الجمل السالفة - ولولاه لكانت جملة الخبر أجنبية عن المبتدأ ، وصار الكلام مفككاً لا معنى له ؛ لانقطاع الصلة بين أجزائه ؛ فلا يصح أن نقول : محمد يذهب على ، وفاطمة يجيء القطار . . . لفساد التركيب ، واختلال المعنى بفقد الرابط .

والروابط أنواع كثيرة ؛ منها :

١ - الضمير الراجع إلى المبتدأ وهو أصل الروابط وأقواها ، وغيره خلف عنه سواء أكان ظاهراً ؛ (مثل : الزارع « فضله كبير ») أم كان مستتراً ، أى : مقدراً ؛ (مثل : الأرض « تتحرك » . وقولهم : مخالفة الناصح الأمين « تُوِثَّ الحسرة » ، وتُعَقِّبُ الندامة) ، أم كان محذوفاً^(٢) لا علم به مع ملاحظته ونيتة ؛ (مثل : الفاكهة « أفةٌ بعشرة قروش » أى : أفة منها . ومثل : حجارة الحرم « حجر بوزن عشرة » أى : حجر منها . ومثل : الورق « اللون لونُ اللب » ، أى : اللون منه ؛ ومثل : الثوب « الرائحة رائحة الزهر » ، أى : الرائحة منه) .

(١) فى ص ٤٦٩ .

(٢) بشرط أن يكون معلوماً . ومن المعلوم ما ينصب بفعل ؛ نحو : الطيور الأليفة جميلة ، وكل أحب ، أى : أحبه . وما ينصب بوصف ؛ نحو : الكتاب أنا معطيك ، أى : معطيكه . ومن المعلوم ما يجر بمشتق ؛ كأمم الفاعل فى نحو : الآثارُ أنا زائر ؛ أى : زائرها ؛ وما يجر بحرف جر يدل على التبعض ، ولا يبقى بعد حذف الضمير المحرور ؛ نحو : السكر رطل بدرهمين ؛ أى : رطل منه ، أو يدل على الظرفية ؛ نحو : الدهر يوبان ؛ فيوم نفرح ، ويوم نحزن ؛ أى : نفرح فيه ، ونحزن منه .

وقد يكون الضمير المحرور محذوفاً مع حرف الجار ؛ لوجود نظير لما يسبقهما فيدل عليهما ؛ نحو : اعمل بنصحى ؛ فإن الذى أنصحك به أنت مفلح . أى : مفلح به .

ومن المعلوم ما يكون ضميراً مرفوعاً ؛ نحو : قراءة من قرأ قوله تعالى : (إن هذان لساحران ...) على اعتبار : « إن » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف وغيرها جملة ؛ أى : إن هذان هما ساحران . والذى دعا لذلك دخول اللام على كلمة : « ساحران » التى هى الخبر ؛ فلو كانت : . . « إن » حرفاً بمعنى : نعم - كما يقول بعضهم - « هذان » مبتدأ مرفوع بالالف « وساحران » خبره مرفوع بالالف - لترتب على ذلك دخول اللام على خبر المبتدأ ؛ وهو ضعيف عندهم !! بخلاف دخولها على المبتدأ نفسه ؛ فقدروا دخولها على مبتدأ محذوف ضمير . إلى غير ذلك من كل موضع يحذف فيه الضمير ؛ لوجود ما يدل عليه . هذا والضمير المحذوف غير الضمير المستتر كما أوضحنا ذلك من قبل - فى رقم ٣ من هامش ص ٢١٩ - .

« ملاحظة » يصح أن يقال : الفتيات أقبلن ، أو أقبلت . ولكن أحد الضميرين قد يكون أفصح استمالاً من الآخر ، طبقاً للبيان الذى فى رقم ١ من هامش ص ٢١٩ ولما فى رقم ٣ من ص ٢٦٣ .

ويشترط في الضمير الرابط أن يكون مطابقاً للمبتدأ السابق في التذكير ،
والثانيث والإفراد ، والثنية ، والجمع ^(١) .

٢ - الإشارة إلى المبتدأ السابق ؛ نحو ؛ الحرية « تلك » ^(٢) « أمينية الأبطال ،
والإصلاح » ذلك ^(٣) « مقصد المخلصين . ومنه قوله تعالى : (والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها « أولئك » أصحاب النار) . . .

٣ - إعادة المبتدأ السابق ؛ بقصد التفخيم ، أو التهويل ، أو التحقير . وإعادة
قد تكون بلفظه ومعناه معاً ؛ نحو : الحرية ما الحرية ^(٣) ؟ . الحرب ما الحرب ؟ .
السارق من السارق ؟ . وقد تكون بمعناه فقط ؛ نحو : السيف ما المهند ؟ . الأسد
ما الغضنفر ؟ . على من أبو الحسين ؟ . بشرط أن يكون أبو الحسين كنية
على ، والمراد بهما شخص واحد .

٤ - أن يكون في الجملة الواقعة خبراً ما يدل على عموم يشمل المبتدأ السابق
وغيره ؛ نحو : (أمّا جُبْنُ المحارب فلا جِبْنَ في بلادنا ، وأما هربه فلاهربَ عندنا .
والعربيّ نِعَمَ البطل) . . . فنفي الجبن هنا أمر عام يشمل جبن المحارب وغير المحارب ،
وكذلك عدم الهرب في بلادنا يشمله ويشمل غيره . . . والبطل المدح بكلمة :
« نِعَم » يشمل العربي وغيره .

٥ - أن يقع بعد جملة الخبر الخالية من الرابط جملة أخرى معطوفة عليها
بـ « أو » ، أو : « أو » ، ثم ، مع اشتغال المعطوفة على ضمير يعود على المبتدأ

(١) مع مراعاة صور المطابقة التي تكلمنا عليها في « ح » من ص ٢٦٢ ، وفي هذا الباب
ص ٤٥٢ وما بعدها . ومع مراعاة ما سبق أن أشرنا إليه - في رقم ١ من هامش ص ٣٨٢ - إذا كان
المبتدأ ضميراً للتكلم ، متعدد الأخبار ، وأحد الأخبار جملة فعلية ؛ فإن الضمير الرابط يصح أن يكون
للتكلم ، أو للغائب ؛ مثل : أنا صادق أحب الإنصاف ، أو : يجب الإنصاف . وكذلك إن كان المبتدأ
ضميراً للمخاطب ، وخبره متعدداً ، فإنه يجوز في الرابط أن يكون للمخاطب أو للغائب ؛ نحو : أنت
صادق تحب الإنصاف ؛ أو : يجب الإنصاف ولا يتغير الحكم إن جعلنا الجملة الفعلية السابقة ،
ونظائرها ، نعتاً ، لا خبراً . وكذلك لا يتغير إن جعلناها حالا ، بشرط أن يكون صاحب الحال معرفة ،
مثل : أنا الصادق أحب الإنصاف وأنت الصادق تحب الإنصاف لكن مراعاة التكلم والمخاطب في كل الصور
السالفة . أبلغ وأسمى من مراعاة الغياب . - ثم انظر ما قديكون من المشابهة أو المخالفة بين هذه المسألة
والأخرى التي سبقت في باب الوصول - ب ص ٣٨٠ -

(٢) بشرط إعراب اسم الإشارة مبتدأ ثانياً . ويجوز فيه إعرابات أخرى لا يكون فيها الخبر جملة .
(٣) « الحرية » ؛ مبتدأ أول : « ما » اسم استفهام ، مبتدأ ثان ، مبنى على السكون في محل رفع
« الحرية » خبر الثاني ، والجملة من الثاني وغيره في محل رفع خبر المبتدأ الأول .

الأول ؛ فيُكتفى في الجملتين بالضمير الرابط الذي في الثانية^(١) ، فثال الواو : (الزارع
نبت الزرع وتعهده - الطالب بدأت الدراسة واستعد لها^(٢)) . . . ومثال الفاء :
(الصانع تيسرت أسباب الصناعة فأقبل غير متردد ، والعامل كثرت ميادين العمل
فوجد الرزق مكفولاً^(٣)) ومثال ثم : (القمر طلعت الشمس ثم اختفى نوره ، والنجوم
انقضى النهار ، ثم أشرق ضوءها) .

٦ - أن يقع بعد جملة الخبر الخالية من الرابط أداة شرط حذف جوابه لدلالة
الخبر عليه ، وبقي فعل الشرط مشتملاً على ضمير يعود على المبتدأ ؛ مثل : (الولد
يترك الأولاد الصباح إن حضر . . . - الضيف يقف الحاضرون إن قدّم) . . .
تلك أشهر الروابط . ويجوز أن تستغنى جملة الخبر عن الرابط إن كانت
هي نفس المبتدأ في المعنى^(٤) ومساوية له في مدلوله ؛ بحيث يتضمن كل منهما
المعنى والمدلول الذي يتضمنه الآخر تماماً^(٥) (أى : من غير زيادة ولا نقص)
كأن يقول رجل لزميله ؛ ما رأيك في التجارة ؟ . فيجيب : رأيي « التجارة

(١) ومثل هذا يصح في كل جملة أخرى تحتاج للرابط ؛ كالصلة ، والصفة ، والحال .
(٢) وقد تكون الجملة الخبرية الخالية من الرابط مشتملة على اسم قد عطف عليه بالواو اسم
آخر يشتمل على « ضمير يعود على المبتدأ الأول ، نحو : الضيفة شرب القمح وزرعها . الورد تحركت
فروع الأشجار وفروعه . . .

وقد تكون الجملة الثانية نعتاً وفيها الضمير : نحو : الورد قطفت واحدة أحبا ، وقد تكون مشتملة على
عطف بيان فيه الضمير ؛ نحو : على صاحبت محموداً أخاه .
وإنما كان العطف بالواو هو الأغلب هنا لأنها هي التي تفيد مطلق الجمع ، دون حروف العطف
الأخرى .

(٣) أما العكس وهو عطف جملة بالفاء خالية من الضمير على جملة الخبر المشتملة عليه - فجائز ؛
نحو : قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) . برغم أن الجملة المعلقة
على جملة الخبر بمنزلة الخبر تستحق الضمير ، لا فرق في هذا بين الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ ، والواقعة خبراً
للتاسخ ، كالتى في الآية .

(٤) - هذا الاستثناء جائز لا واجب كما قلنا ؛ فلا مانع أن يكون في هذه الجملة المتفقة في معناها
مع معنى المبتدأ رابط ، إن أمكن ، سواء أكان ضميراً . . . وهو الغالب - أم غير ضمير .

(٥) كل خبر ولو كان مفرداً ، هو في الحقيقة نفس المبتدأ في المعنى تماماً ؛ كما يتبين من مثل :
« المطر نازل » ؛ فإن النازل هنا هو : المطر ، والمطر هو النازل ، فكلاهما يتضمن معنى الآخر كاملاً
ويساويه في المدلول ، غير أن المقصود بالخبر الواقع جملة تتحد مع المبتدأ في المعنى - هو : كل جملة
خبر بها عن مبتدأ مفرد ، يدل على معنى تلك الجملة ، ويحوى مضمونها (مدلولها) فهو في ظاهره لفظ
مفرد ، ولكنه ينطوي على معنى الجملة وعلى مضمونها ، ومن أمثله ؛ قول - كلام - حديث - فلق - رأى . . .
وأيضاً ضمير الشأن - وقد تقدم موضوعه في ص ٢٥٠ - مثل قوله تعالى : « قل هو الله أحد » ضمير
الشأن : « هو » مبتدأ ، خبره الجملة الاسمية بعده . وهذه الجملة التي وقعت خبراً خالية من الرابط ، لأن
معناها ومدلولها مساو تماماً لمعنى المبتدأ الضمير « هو » فمدلول كل منهما هو مدلول الآخر .

غنى^(١) فالجملة الواقعة خبراً مطابقة في معناها للمبتدأ في معناه ومدلوله؛ فكلاهما مُساوٍ للآخر في المضمون؛ فالرأى هو: «التجارة غنى» و«التجارة غنى» هي: «الرأى». ومن أمثلة ذلك: أن يتكلم متكلم فيسأله الآخر ماذا تقول؟ فيجيب: قولي «الدليل مهن» ، كلامي «الكرامة تأتي المهانة» ، فجملة الخبر في كل مثال هي نفس المبتدأ السابق في المعنى ، والمبتدأ السابق في كل مثال يتضمن معنى الجملة الواقعة خبراً؛ فكلاهما يتضمن معنى الآخر ، ودلالته^(٢).

(١٠١) سيجىء في الزيادة والتفصيل طريقة إعراب هذا المثال وأشباهه.. («ب» ص ٤٧١).

(٢) يشير ابن مالك إلى تقسيم الخبر إلى مفرد وجملة؛ فيقول:

وَمُفْرَدًا يَأْتِي ، وَيَأْتِي جُمْلَةً حَاوِيَةً مَعْنَى الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ
وَلِنْ تَكُنْ إِيَّاهُ مَعْنَى اكْتَفَى بِهَا كَذَا نَقِي: اللَّهُ حَسْبِي، وَكَفَى

أى: أن الخبر قد يكون مفرداً ، وقد يكون جملة . ويشترط في الجملة أن تكون حاوية معنى المبتدأ الذي سبقت لإتمام الفائدة معه . أى: تكون مشتملة على معناه . . . ويتحقق هذا الشرط بالربط بينهما بالضمير ، أو ما يخلفه . فإن كانت الجملة هي المبتدأ في المعنى (بالطريقة التي شرحناها) اكتفى بها من غير رابط ؛ مثل: (نطقى : الله حسبي) ، فالمبتدأ يتضمن معنى الخبر الجملة ، والخبر الجملة يتحد في المعنى مع المبتدأ . وفي مثل هذه الصورة يصح الاستغناء عن الرابط .
(وكلمة : « معنى » الثانية في كلام ابن مالك منصوبة على أنها: تمييز ، أى: من جهة المعنى . وكلمة : « كنى » المراد منها : وكفى به ؛ أى : بالله . حُذِفَ حرف الجر الزائد وحده ، وهو « الباء » فانفصل الضمير الذي كان مجروراً في محل رفع وصار تقديره : هو) ، ثم استمر مرفوعاً في الفعل « كنى » . ثم قال :

وَالْمُفْرَدُ الْعَامِدُ فَارِغٌ ، وَإِنْ يُشْتَقُّ فَهُوَ ذُو ضَمِيرٍ مُسْتَكِنٍ
أى: أن الخبر المفرد نوعان ؛ فالجامد منه فارغ من الضمير ، والمشتق ليس بفارغ ؛ بل فيه ضمير مستكن ؛ أى: مستتر . ثم قال :

وَأَبْرَزَتْهُ مُطْلَقًا حَيْثُ تَلَا مَا لَيْسَ مَعْنَاهُ لَهُ مُحَصَّلًا

أى: أبرز الضمير الرابط مطلقاً (سواء أمن اللبس أم لم يؤمن . وهذا مذهب البصريين) إن وقع الخبر بعد مبتدأ ليس معنى الخبر محصلاً له ؛ بأن يكون الخبر جارياً على غير من هو له . فالمراد من كلمة : « ما » المبتدأ . والضمير في : « معناه » يعود على الخبر . أى: أبرز الضمير مطلقاً حيث يقع الخبر بعد مبتدأ لا يكون الخبر محصلاً له . أى: لا يكون حاوياً لمعناه ، ولا جارياً عليه . والتعقيد في هذا البيت ظاهر .

ومذهب البصريين فيه تضييق من غير داع ؛ حيث يوجب إبراز الضمير مطلقاً ، مع أنه لا داعي لوجوب الإبراز عند أمن اللبس .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) اشترطنا^(١) في جملة الخبر وجود رابط ، — بالتفصيل الذى أوضحناه —
ويشترط فيها أيضاً أن تكون غير ندائية ؛ (فلا يصح : محمد يا هذا ...)
وأن تكون غير مبدوءة بكلمة : « لكن »^(٢) أو : « حتى » أو : « بل » ؛ لأن كل
واحدة من هذه الكلمات تقتضى كلاماً مفيداً قبلها . « فالاستدراك » بكلمة :
« لكن »^(٢) لا يكون إلا بعد كلام سابق . وكذلك : « الغاية » بكلمة : « حتى »
« والإضراب » بكلمة : « بل »^(٣) .

ويجوز في جملة الخبر أن تكون قسَمِيَّة^(٤) ؛ نحو : القوّى والله ليهزمَن عدوه .
وأن تكون إنشائية ؛ سواء كانت إنشائية طلبية ؛ (نحو : الحديقة نَسَقُهَا)
وقوله تعالى : (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ؟) . وقوله تعالى : (وأصحاب اليمين
ما أصحاب اليمين ؟) .. أم غير طلبية ، (مثل : الصديق لعله قادم — العادل
نعم الوالى ، والظالم بشس الحاكم) .

(ب) في الأساليب التى يكون فيها الخبر جملة معناها هو معنى المبتدأ
مثل : (كلامى : « الجلو معتدل ») — (حديثى : « يجيء الفيضان صيفاً ») —
(قولى : « نشر التعليم ضرورى ») — (خطبى : « التوحد قوة ») — (مقالى :
« احذروا الخائنين ») — ... يجوز إعرابان :

(١) في ص ٦٦ .

(٢ و ٣) يسكون النون ؛ فتكون للاستدراك والابتداء معاً ؛ ولا تعمل شيئاً أمابتشديد النون فتكون
للاستدراك ، وتعمل عمل « إن » . وفي كلتا الحالتين لا بد أن يسبقها كلام تام يحصل بسببه الاستدراك .
وقد وردت بعض أساليب قليلة وقعت فيها لكن (بالتشديد) في صدر جملة الخبر ؛ مثل : « محمود وإن
كثر ماله ، « لكنه » نجيل . فقيل : لا مانع أن تكون الجملة خبراً مع تصديرها ولكن ، وقيل إن الخبر
مخوف ، والاستدراك منه ، وأصل الكلام مثلاً : محمود وإن كثر ماله لا يتوانى ، لكنه نجيل . والأسلوب
مؤكد ، وهو على كلا الإعرابين معيب — كما سبق البيان في : « و » من ص ٥٠ ؛ وكما يأتي في رقم ٢ من
هامش ص ٦٣٠ — بعيد من الأساليب الصحيحة ، الواردة في الكلام الفصيح ؛ فلا يقاس عليه ؛ لتصوره
بمن لا يحتاج بكلامه .

(٣) وفي هذا يقول السيوطى في المنع (ج ١ ص ٩٦) ما نصه :

(لا يسوغ الإخبار بجملة ندائية ، نحو : زيد يا أخاه ، ولا مصدرة ولكن ، أو : بل ، أو :
حتى ، بالإجماع في كل ذلك) .

(٤) إذا كانت الجملة القسمية ذاتها نوعاً من الإنشاء غير الطلبى تبعاً للرأى القائل بهذا — دخلت
في عداد هذا النوع الآتى بعد .

... ..
... ..

أولهما : أن نعرب الجملة^(١) الاسمية و الفعلية مجزأة على حقيقتها جزأين (مبتدأ : وخبراً ، أو فعلاً وفاعلاً) ، ثم يكون مجموع الجزأين في محل رفع خبر المبتدأ السابق ؛ ففي مثل : (كلامي : الجو معتدل) نقول : « كلام » مبتدأ مضاف ، والياء مضاف إليه ، مبني على السكون في محل جر ، « الجو » مبتدأ ثان : « معتدل » خبره ، والجملة من الجزأين (المبتدأ الثاني وخبره) في محل رفع خبر المبتدأ الأول . وفي مثل : (حديثي : يزداد الفيضان صيفاً) ، نقول : « يزداد » مضارع مرفوع . « الفيضان » فاعل مرفوع « صيفاً » ظرف منصوب ، والجملة من الجزأين (الفعل والفاعل) في محل رفع خبر المبتدأ . فلكل جزء من أجزاء الجملة وجود مستقل ، وإعراب خاص به وحده : ثم يكون مجموع الجزأين معاً هو خبر المبتدأ السابق .

ثانيهما : أن ننظر إلى تلك الألفاظ التي كانت في الأصل^(١) جملة نظرنا إلى شيء واحد ليس مجزأ ، وليس له كلمات منفردة ؛ فكأنه كتلة واحدة ليس لها أجزاء . أو : أنه بمنزلة كلمة واحدة مهما تعددت الكلمات ؛ فهي من قبيل المركب الإسنادي الذي ننطق فيه بالألفاظ على حسب ضبطها الأصلي - قبل أن تكون خبراً أو : شيئاً آخر - ؛ من غير تغيير شيء من حروفها أو ضبطها . ثم نقول عنها كلها الآن : إنها خبر مرفوع بضممة مقدرة على آخره لأجل الحكاية ، (وهي - كما سبق^(٢)) ترديد اللفظ الأصلي وترجييعه على حسب هيئته الأولى - غالباً - ؛ حروفاً وضبطاً) . ويكون الخبر في هذه الحالة من قبيل الخبر المفرد . لا الجملة ؛ فنقول في إعراب : (كلامي : « الجو معتدل ») « كلام » مبتدأ : مضاف . والياء مضاف إليه . « الجو معتدل » - كلها - خبر مرفوع بضممة مقدرة . على آخره^(٣) ، منع من ظهورها حركة الحكاية . ونقول في مثل : (حديثي « يظهر الفيضان صيفاً ») « حديث » : مبتدأ

(١) إذا وقعت الجملة خبراً أو غيره فإنها لا تسمى جملة إلا بحسب أصلها قبل الخبرية - وغيرها - طبقاً للبيان السابق في رقم ٢ من هامش ص ١٥ .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٣١٠ .

(٣) نقول : إنها مقدرة مع وجود ضمة ظاهرة في آخر كلمة : « معتدل » ؛ لأن هذه الضمة الموجودة لم تجز لأجل الخبر المحكي ؛ إذ أنها موجودة قبل مجيئه . وستبقى في بقية الأحوال ؛ كحالتي النصب ، والخبر . أما الضمة الخاصة بالخبر المحكي فتغير ظاهرة في النطق ؛ وإما هي مقدرة .

... ..
... ..

مضاف ... الياء مضاف إليه ... « يظهر الفيضان صيفاً » ، - كلها - خبر مرفوع بضممة مقدرة على آخره ؛ منع من ظهورها حركة « الحكاية » ... وهكذا .

وقد يقع العكس كثيراً ، فيكون المبتدأ جملة بحسب : أصلها (١) ، ولكنها صارت محكية . والخبر مفرد يتضمن معناها ، كأن يقول قائل : أريد أن تدلني على آية قرآنية ، وعلى مثل قديم ، وعلى حكمة مأثورة . فتجيب : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) آية قرآنية - (إن أخاك من وإساك) مثل قديم - (رب عيش أهون منه الحمام) حكمة من حكم المتنبي فالآية كلها من أولها إلى آخرها مبتدأ مرفوع ، بضممة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية . وكلمة : « آية » هي الخبر . وكذلك (إن أخاك من وإساك) كلها من أولها إلى آخرها مبتدأ مرفوع بضممة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها حركة الحكاية ، والخبر كلمة : « مثل » ، وكذا يقال في : « رب عيش أهون منه الحمام » .

وكما تتكون الجملة المحكية من مبتدأ وخبره تتكون من فعل وفاعله ، ومن غير ذلك من كل تركيب ينشئ جملة . والمهم في الألفاظ المحكية أن تكون دائماً بصورة واحدة في جميع الحالات الإعرابية ، ولكنها مع ذلك في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ؛ على حسب موقعها الإعرابي .

(ح) أشرنا (٢) إلى أنواع من المبتدأ تحتاج إلى خبر حتماً ، وإلى وجوب أن يكون هذا الخبر جملة - ويلحق بها نوع يجب أن يكون خبره شبه جملة ، جاراً مع مجرورها - وأشهر تلك الأنواع المحتاجة لجملة : أتمام الشرط الواقعة مبتدأ (٣) ، وكذا : ضمير الشأن (٤) ، و « كـيـأين » (٥) ، الخبرية التي تشبه « كم » الخبرية ،

(١) مثل هذا المبتدأ لا يعد جملة ؛ لأن المبتدأ في أصله لا يكون جملة - وإنما يعد جملة على إرادة لفظه المحكي . أما الخبر إذا كان جملة هي نفس المبتدأ في المعنى فيجوز فيها إعرابان - كما عرفناهما - أحدهما : اعتبار هذه الجملة بجزء جزأين ، كل منهما له إعراب ، ومجموع الجزأين هو الخبر . وثانيهما اعتبارها جملة محكية لا ينظر فيها إلى تجزئة ؛ فتعرب كلها خبراً محكياً .

(٢) في ص ٤٤٤ . (٣) تفصيل الكلام عليها في الباب الخاص بالجوازم ج ٤ .

(٤) سبق الكلام عليه مفصلاً في ص ٢٥٠ .

(٥) بيانها وتفصيل أحكامها في ج ٤ الباب الخاص « بكم وكأين » ، وفي الصبان ، هناك : ما يفيد أن خبرها يكون في الأكثر جملة فعلية ، مصدرية ، بماض أو مضارع . وقد يكون جملة اسمية أو شبه جملة ؛ كما يفهم من كلامه هناك ... وسيجيء البيان في الموضع السالف .

والمختص بالمدح والذم إذا تقدّم ، والمنصوب على الاختصاص ؛ فإنه (يجب فيه أن يتقدم عليه اسم بمعناه يعرب مبتدأ ، ويعرب الاسم المنصوب على الاختصاص مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : «أخُصَّ» - مثلاً - والجملة خبر عن ذلك المبتدأ) .
ويجب أن يكون خبر « ما » التعجبية جملة .

ومن شبه الجملة السالف خبر المبتدأ الملازم للابتداء سماعاً ؛ نحو : طُوبَى للمؤمن ؛ فإن خبره لا يكون إلا جاراً مع مجروره وهما شبهان بالجملة . . . - ومثله قولهم في المدح : لله درّ فلان . . . وغير هذين مما سيجيء ^(١) ؟ .

* * *

(١) في ص ٤٨١ وفي « ج » من هامش ص ٥٤٣ .

القسم الثالث - الخبر شبه الجملة :

يزيد النحاة بنسبه الجملة هنا أمران^(١)؛ أحدهما : الظرف بنوعيه الزماني والمكاني ، والآخر : حرف الجر الأصلي مع مجروره . فالخبر قد يكون ظرف زمان ؛ نحو : الرحلة « يوم » الخميس ، والرجوع « ليلة » السبت . وقد يكون ظرف مكان ؛ نحو : « الحديقة » أمام البيت ، والنهر « وراءه » ؛ فكلمة « يوم » . و « ليلة » - وما يشبههما - ظرف زمان . منصوب ، في محل رفع^(٢) ؛ لأنه خبر المبتدأ . وكلمة

(١) أما في اسم الموصول فشبّه الجملة ثلاثة أشياء ، سردنا تفصيلها في ص ٣٨٤ وسيجيء كلام خاص بالجار مع مجروره ، في باب الحال - ج ٢ ص ١٠٠ م ٦٨ - .

(٢) وهذا رأى حسن بارع . (أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ٣٨٤ ، باب : « الموصول » وقد سجله شارح كتاب المفصل في ج ١ ص ٩٠ ، ٩١ عند الكلام على أقسام الخبر) -

وإنما كان في محل رفع لأن الأصل أن يكون الخبر مفرداً مرفوعاً ، إذ المفرد « بسيط » و « البسيط » أصل المركب فجاء الظرف والجار مع المجرور وحلاً في محل ذلك الأصل ؛ فبجئهما طارئ عرضي والمسألة شكلية ، بجته ، ولا أثر لها من الناحية العملية التحقيقية ؛ فلو قلنا : « ظرف منصوب خبر المبتدأ » أو : « جار مع مجروره خبر المبتدأ » ؛ من غير أن نزيد شيئاً ما حصل قصور ، ولا وقعنا في خطأ ، ولكن مساوياً في صحته لقلونا ؛ إن شئنا الجملة متعلقان بمحذوف هو الخبر ... لكن قد يكون الأخذ بالإعراب الأول أنسب ؛ لأنه أوضح ظهوراً ، لمراعاة الأصل ، والغالب فيه ... وإليك النص الذي سجله شارح المفصل :

(اعلم أنك لما حذف الخبر الذي هو : « استقر » أو « مستقر » ، وأقيمت الظرف مقامه - على ما ذكرنا - صار الظرف هو الخبر ، والمعاملة معه (أى : أن الآثار اللفظية والمعنوية في الجملة قد انتقلت إليه) وهو متاير المبتدأ والمعنى ، ونقلت الضمير الذي كان في « الاستقرار » إلى الظرف ، وصار مرتفعاً بالظرف ، كما كان مرتفعاً بالاستقرار ، ثم حذفت « الاستقرار » ، وصار أصلاً مرفوعاً لا يجوز إظهاره ؛ للاستغناء عنه بالظرف ، وقد صرح ابن جني بجواز إظهاره ، وللقول عندي في ذلك أنه بعد حذف الخبر الذي هو الاستقرار ، ونقل الضمير إلى الظرف ، لا يجوز إظهار ذلك المحذوف ؛ لأنه قد صار أصلاً مرفوعاً . فإن ذكرته أولاً وقلت : زيد استقر عندك - لم يمنع منه مانع ...

« واعلم أنك إذا قلت : « زيد عندك » فعندك ظرف منصوب بالاستقرار المحذوف ؛ سواء أكان فعلاً أم اسماً ، وفيه ضمير مرفوع ، والظرف وذلك الضمير في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ . وإذا قلت : « زيد في الدار » أو : « من الكرام » فالجار والمجرور في موضع نصب بالاستقرار ، على حد انتصاب « عندك » إذا قلت : « زيد عندك » . ثم الجار والمجرور والضمير المتصل في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ... اهـ) لكن ما المراد من قوله السابق : « فإن ذكرته أولاً وقلت : زيد استقر عندك - لم يمنع منه مانع ... ؟ » إن كان المراد ذكر « الاستقرار » قبل الخبر الظرف المسبوق بالمبتدأ - أدنى هذا إلى نقض ما قرره من عدم جواز إظهار « الاستقرار » المحذوف . وإن كان المراد تقديم « الاستقرار » في صدر الجملة قبل المبتدأ بحيث يصير المبتدأ فاعلاً أو شيئاً آخر غير مبتدأ فقد يصح . فالمراد غامض ، ويزيد مثاله غموضاً .

هذا ، وهو يشير بقوله (الجار والمجرور في موضع نصب بالاستقرار ... إلخ) إلى ما هو معروف في الاصطلاح النحوي من أن المجرور أصله مفعول به في المعنى ، وحرف الجر الأصلي أداة لتوصيل أثر الفعل إليه .

فاعتبار الظرف هو الخبر من غير أن يتعلق بشئ آخر وكذلك اعتبار الجار الأصلي مع مجروره هو =

«أمام» و «وراء» وما يشبههما - ظرف مكان ، منصوب في محل رفع ؛ لأنه خبر المبتدأ . وقد يكون الخبر جاراً أصلياً مع مجروره ؛ نحو ، - السكر من القصب - إخوان

= الخبر - مذهب قديم من عدة مذاهب (سجلتها المراجع النحوية ؛ كالمفصل والصبان) وقد سجلنا رأى صاحب «المفصل» . والأخذ به يربحنا من بحوث جدلة مضنية ، وتقسيات متعددة ؛ لانفع لها اليوم وليس فيها إلا العناء العقل الذى تضيق به الناشئة . وسنعرض لبعض تلك البحوث بقليل من التفصيل ؛ لا للأخذ بها ، ولكن ليقف عندها المتخصصون وقفة الفاحص .

جاء فى شرح ابن عقيل عن العامل المحذوف ما نصه : « ذلك المحذوف واجب الحذف . وقد صرح به شذوذاً ؛ كقوله :

لك العزّ إن مولاك عزّ ، وإن يهن فأنت لدى بمجوحة الهون كائن

وكا يجب حذف عامل الظرف والجار والمجرور إذا وقعا خبراً كذلك يجب حذفه إذا وقعا صفة ... أو حالاً ... أو ...) ٨١ .

وهنا قال الحضرى فى وجوب حذف العامل ما نصه : « محل ذلك إذا قُدّر كوناً عاماً . . . فإن قدر خاصاً جاز ذكره فى الكل - كما علمت - وجوز ابن جنى إظهار العام أيضاً ؛ تمسكاً بنحو : قوله تعالى : (فلما رآه مستقراً عنده) .

«ورُدّ» بأنه استقرار خاص بمعنى عدم التحرك، لا عام بمعنى مطلق الحصول حتى يجب حذفه» ٨١ . وما قاله الحضرى صرح به بعض المفسرين .

هذا ، وسيجيئ فى الجزء الثانى (باب : الظرف م ٧٨ ص ٢٣٦ عند الكلام على تعلق الظرف بعامله) بيان مفيد عن رأى الداعى إلى تقدير عامل واجب الحذف ، والدليل على وجوده ، وبيان آخر عن اعتباره غير موجود .

وشبه الجملة - فى هذا الباب - هو : الظرف ، والجار مع مجروره . وسمى « شبه جملة » لأن كلا منهما قد يدل على جملة ومعناها . وأساس هذا التعليل عندهم : أن الظرف أو الجار الأصل مع مجروره ليس هو الخبر فى الحقيقة ، وإنما الخبر الحقيقى لفظ آخر محذوف ، يتعلق به الظرف ، والجار الأصل مع المجرور ، إذ لا بد أن يتعلقا بفعل أى فعل (لا فرق بين المتمدى واللازم ، والجامد والمتصرف ، والتام والناقص) (كما سيجيئ البيان فى ج ٢ - باب : « حروف الجر » ٨٩ ص ٤٠) أو بما يشبه الفعل ؛ من : اسم فعل ، أو : من مشتق يعمل عمل الفعل ، أو : من جامد مؤول بالمشتق . وبهذا التعلق الواجب يتم المعنى . (وقد يتعلقان - أحياناً - بالنسبة ، أى : بالإسناد ؛ طبقاً لما هومين فى : « ب » من الزيادة التالية ص ٨١) . والمحذوف قد يكون فعلاً مع فاعله ، وهذا أمر متعين متبحر إذا وقع شبه الجملة فى جملة الصلة لموصول غير « أل » ، أو لجملة القسم ، لأن جملة الصلة للموصول غير « أل » وكذا جملة القسم ؛ لا بد أن تكون كل واحدة منهما فعلية (كما سبق فى رقم ١ من هامش صفحتى ٣٨٤ و ٣٨٥ ، وكما سيجيئ فى ج ٢ باب الظرف

ص ٢٣٤ م ٧٨ وباب حروف الجر ص ٤٦٠ م ٩٠) - لكن التعلق يكون بالفعل وحده ، وقد يكون فى غيرهما شيئاً آخر مما سبق ، ففى مثل « الكتاب فوق المكتب » و « الولد فى البيت » - يكون تقدير الكلام مثلاً : الكتاب « استقر » ، أو : « مستقر » فوق المكتب . والولد « استقر » أو : « مستقر » فى البيت ، ونحو ذلك من فعل محذوف ، أو غيره مما يدل على مجرد الوجود والاستقرار ، من غير معنى زائد على هذا الوجود المطلق الذى يسمونه : « الكون العام » . (أى : الوجود العام الخالى من شئ آخر معه ؛ كالنوم ، أو : القراءة ، أو اللعب) . . . فلا يصح عندهم أن يكون التقدير : الولد نام أو : نائم فى البيت . ولا : الكتاب تحرك ، أو : متحرك فوق المكتب ، لأن كل واحد من هذه الألفاظ يدل على الوجود ، مع زيادة شئ آخر ؛ كالوجود ومعه النوم للولد ، والوجود ومعه التحرك للكتاب ، وهكذا ... أى : =

السوء كخشَب في النَّار ؛ يأكل بعضه بعضاً . ؛ فالجار الأصلي مع المحرور في محل رفع خبر المبتدأ . ومنه قول الشاعر :

للعيد يومٌ من الأيام منتظرٌ والناس - في كل يومٍ منك - في عيدٍ

= أنه وجود مقيد بشئ آخر يزيد عليه ، وليس بالوجود المطلق المجرد . فثل هذا الوجود المقيد يسمى : « كوناً خاصاً » يجب ذكره ، إلا إذا دلت قرينة عليه عند الحذف فيصح حذفه . وقد دفعهم إلى هذا التقدير للكون العام المحذوف ، واعتباره كالملفوظ - ما يتمسكون به - بحق - من أن الظرف والجار الأصل مع المحرور لا بد أن يتعلقا بعامل - كما قلنا - يتمنان معناه ، ويعمل فيهما . فأين العامل الذي يؤثر فيهما ، ويتعلقان به إذا كان المبتدأ جامداً في نحو : الفزال في الحديقة ، وكثير من الأمثلة المشابهة ؟ . لذلك يقولون في الإعراب : الظرف أو الجار الأصلي مع مجروره متعلق بمحذوف خبر ؛ سواء أكان المحذوف فعلاً مع فاعله (أى : جملة فعلية ؛ مثل : استقر ، أو : ثبت ، أو : « كان » التي بمعنى : « وجد » وهي ؛ كان التامة) ، أم كان مفرداً (أى : اسماً مشتقاً ؛ مثل : مستقر ، أو : كائن المشتقة من « كان » التامة - ، أو : موجود أو : شيئاً آخر يصلح عاملاً) ، فليس الخبر عندهم في أصله هو الظرف نفسه ، أو الجار الأصلي مع المحرور مباشرة ، وإنما الخبر في الأصل هو المحذوف الذي ينوونه ، ويتعلق به كل واحد من هذين . ولما كان كل منهما صالحاً لأن يتعلّق بالفعل المحذوف ، ويدل عليه بغير خفاء ولا لبس - كان شبه الجملة بمنزلة النائب عنه ، والقائم مقامه . والفعل مع فاعله جملة ؛ فأناب عنها وقام مقامها فهو شبه بها ؛ لذلك أسوه : « شبه الجملة » . وأوجبوا حذف متعلقه إن كان كوناً عاماً وقع خبراً ، أو : صفة ، أو : حالا . . . » وكذلك إن كان صلة لموصول غير « أل » لكن يجب مع الصلة - لنبر « أل » - أن يكون المحذوف فعلاً ، ولا يصح أن يكون اسماً مشتقاً - أو غيره مما يشبه الفعل - كما عرفنا عند الكلام عليها ، لأن صلة الموصول غير - « أل » - يجب أن تكون جملة فعلية ، ومثلها جملة القسم التي حذف منها عاملها (. . .) .

ثم زادوا فقسوا كلا من الظرف ، والجار الأصلي مع المحرور إلى مستقر : (بفتح القاف) وإلى : « لغو » يريدون بالمستقر : ما كان متعلقه المحذوف « كوناً عاماً » يفهم بدون ذكره . وسمى « مستقراً » لأمرين ؛ لاستقرار معنى عامله فيه ، (أى : ففهمته) . ولأنه حين يصير خبراً - مثلاً - يستقل إليه الضمير من المحذوف ويستقر فيه . وبسبب هذين الأمرين يجب حذفه حتماً .

ويريدون باللغو : ما كان متعلقه « كوناً خاصاً » وسمى كذلك لأن وجوده ضئيل الأثر مع وجود عامله ؛ إذ لا يستقر فيه معنى ذلك العامل ، ولا يتحمل ضميره . وفي هذه الحالة يتحتم أن يكون العامل الملفوظ به في الجملة هو الخبر - مثلاً - ويجب ذكره ، ولا يجوز حذفه إلا لقرينة - كما في الأمثلة التي ستجيء - . ولو حذف لوجودها لكان هو الخبر أيضاً مع حذفه ؛ فلا يصح في حالتي ذكره أو حذفه أن يكون الظرف أو الجار الأصلي مع مجروره خبراً ، ولا في موضع رفع خبراً . وهذا نوع من التشدد لا داعي له ؛ إذ لا مانع أن نعرب « الظرف اللغو » خبراً في الحالة التي يحذف فيها عامله المعروف ، كما أعربنا زميله المستقر .

والكون العام واجب الحذف ؛ إذ لا فائدة من ذكره ؛ لوجود ما يدل عليه في غير خفاء ولا لبس ، ولانتقال الضمير منه إلى شبه الجملة - كما قلنا - كما أن الكون الخاص يجب ذكره حتماً لعدم وجود ما يدل عليه عند حذفه ؛ فإن وجدت قرينة تدل عليه وتعينه صح حذفه ، مثل : الفارس فوق الحصان ، أى : راكب فوق الحصان ، ومن لى بفلان ؟ أى : من يتكفل لى بفلان . والبحر من الشعراء ؛ أى : معلود منهم .

ومثل قوله تعالى في القصص : « الحرّ بالحرّ » على تقدير : « مقتول » ، لأن تقدير الكون العام في الأمثلة السالفة لا يؤدي المعنى المراد . والمتعلق الخاص المحذوف لوجود قرينة تدل عليه هو عندهم الذي يعرب خبراً - كما سبق - لا شبه الجملة . وبالرغم من حذفه فإنه لا يخرج الظرف - في رأيهم - عن اعتباره =

ويشترط في الظرف الواقع خبراً ، وفي الجار الأصلي مع المجرور كذلك — أن يكون تاماً ، أى : يحصل بالإخبار به فائدة بمجرد ذكره ، ويكتمل به المعنى المطلوب من غير خفاء ولا لبس ، كالأمثلة السابقة . فلا يصلح للخبر منهما ما كان ناقصاً ؛ مثل : محمود اليوم ... أو حامد بك ؛ لعدم الفائدة . أما حيث تحصل الفائدة فيصح وقوعهما خبراً ؛ ويكون كل منهما هو الخبر مباشرة ؛ — أى : أن شبه

= لغوا ؛ ولا يتناقض مع ما هو ثابت له من أنه : « كون خاص » ؛ فالمعول عليه عندهم في الحكم بالغلو راجع إلى خصوص الكون ، وأنه ليس بعام ؛ سواء ذكر الكون الخاص أم حذف ، وفي الاستقرار إلى عموم الكون ، وأنه ليس بخاص .

ويتنقلون بعد هذا إلى تقسيمات ، وتفريعات شاقة ، وأدلة جدلية مرهقة في إثبات تلك الأقسام والفروع وفي المفاضلة بين أن يكون المتعلق المحذوف فعلاً أو اسماً . . . وغير هذا مما لا حاجة إليه اليوم ، ولا ضرر من إهماله . بل الخبر في إهماله ، وفي ترك ما نقلناه عنهم ، وما لم نقله ، وفي الاختصار على إعراب الظرف والجار الأصلي مع المجرور خبراً — مثلاً — في محل رفع ، كما شرحنا أول هذا الموضوع ، وكما هو رأى بعض السابقين . ولا داعي للتشدد في البحث عن العامل ونوعه . مع عدم الحاجة إليه ؛ ولا في الخضوع له ، وركوب الشطط لإظهار آثاره ؛ لأن المعنى جلي كامل بدونه ؛ فذلك التشدد وذلك الخضوع هو الجانب المغيب في نظرية العامل النافعة الجميلة . وإذا أخذنا بهذا الرأى السهل اليسير كان تسمية الظروف والجار مع مجروره « شبه جملة » ، إنما هي من قبيل الإبقاء على التسمية القديمة ، ومزاغة أصلها السابق ، أو لأن كلا من الظرف والجار الأصلي مع مجروره ليس مفرداً في الحقيقة ، بل هو مركب ؛ إذ يحمل معه الضمير المستتر الذي انتقل إليه من المحذوف على الوجه الذي بسطناه .

وإنما البحث ، وإنصافاً للنحاة نذكر أن رأيهم في وجوب تعلق شبه الجملة « شديد ، وأن حجتهم في تحميم ذلك التعلق قوية — وإيضاحها المفيد في ج ٢ ص ٢٣٦ م ٧٨ باب الظرف ، وص ٤٠٥ باب حروف الجر — ، وتلخص هنا في أن الخبر هو المبتدأ معنى ، وكذلك المبتدأ هو الخبر معنى ؛ كما في مثل : « على الخطيب » فاختطبت في هذه الجملة « هو على » ، وعلى هو الخطيب ، فكلاهما من جهة المعنى هو الآخر . وكذلك الشأن في كل مبتدأ وخبر على النسق السالف الوارد في الاستعمال العربي . فلو أردنا بغير التعلق تطبيق هذا الضابط العام الصحيح على الخبر شبه الجملة لم ينطبق ، بل يفقد المعنى معه ، ولا يصلحه إلا التعلق على الوجه الذي يذكره النحاة ؛ في مثل : على أمانك ... لا يصح أن يكون الظرف (أمام) هو : على ولا أن يكون على هو : « الأمام » نفسه ؛ إذا المعنى في كل منهما مخالف للآخر تمام المخالفة ، ولا يصلحه إلا أن يكون الظرف متعلقاً بشئ آخر غير المبتدأ ؛ هو « كائن » ، أو « موجود » أو نحوهما . ومثل هذا يقال : في السفر يوم الخميس ، فليس السفر هو يوم الخميس نفسه ، ولا يوم الخميس هو السفر ..

فالظرف بنوعه لا يستقل بنفسه في إحداث معنى جديد ، لأنه وعاء — كالوعاء الحسى — لا بد له من مضمون ، (أى : من شئ يقع فيه) ، وهذا المضمون هو ما يسمى : « المتعلق » وهو الذي لا بد أن يقع في الظرف ، وإلا فقد المعنى بغيره تماماً ، وما يقال في الظرف يقال في الجار الأصلي مع المجرور ، إذ لا فائدة منهما إلا بتعلقهما ، وقد أوضحنا هذا بإسهاب وتفصيل في مكانه المناسب — ج ٢ ص ٢٣٦ م ٧٨ باب : « الظرف » وكذلك ، في ص ٤٠٥ وما بعدها م ٨٩ باب : « حروف الجر » ، واستيفاء الموضوع على الوجه احميد يقتضى الرجوع إلى تلك الصفحات .

الجملة نفسه يكون الخبر^(١) - في الرأي المختار .

بقيت مسألة تتعلق ببيان نوع الظرف التام الذى يصلح أن يكون خبراً .
فأما ظرف المكان فيصلح - في الغالب - أن يقع خبراً عن المبتدأ المعنى وعن المبتدأ
الجملة^(٢) ؛ فمثال الأول ؛ (العلم عندك - الحق معك) . ومثال الثانى : (الكتاب
أمامك - الشجرة خلفك) . ولا بد فى ظرف المكان أن يكون خاصاً^(٣) لكى
يتحقق شرط الإفادة ؛ كالأمثلة السالفة ؛ فلا يصح أن يكون عاماً ؛ مثل : العلم
مكاناً ، أو الكتب مكاناً ؛ لعدم الإفادة .

وأما ظرف الزمان فيصلح أن يقع خبراً عن المبتدأ المعنى فقط ، بشرط أن
تتحقق الإفادة ؛ كأن يكون الزمان خاصاً^(٣) ، لا عاماً ؛ مثل : السفر صباحاً .
والراحة ليلاً . بخلاف : السفر زماناً ، الفصل دهرأ ، الأدب حيناً ... ؛ لعدم
الإفادة .

(١) يقول ابن مالك :

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَزْ نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ ، أَوْ : اسْتَقَرَّ

أى : أن الظرف والجار مع مجروره قد يقع كل منهما خبراً لا بنفسه ، ولكن بمتعلقه على حسب
رأيهم الذى تناوناه بالبحث والتصحيح فى هامش ص ٤٧٥ ، فلا بد من تعلقه - عندهم - بعامل يحذف
فى الأغلب ، وهذا العامل قد يكون فعلاً ؛ مثل : « استقر » أو : « ثبت » أو « وجد » - أو « كان »
(بمعنى : وجد ... ولا تكون هنا إلا تامة) وقد يكون المحذوف اسماً مشتقاً ؛ مثل : مستقر ، أو كائناً
(بمعنى موجود ، من « كان » التامة) . فإذا وقع الخبر شبه جملة فليس هو الخبر فى رأيهم ، وإنما الخبر
هو ما قبله من جملة فعلية ، فعلها محذوف ، وفاعلها ضمير ، استقر فى شبه الجملة ، أو الخبر مفرد مشتق
علماً بأن العامل فى هذا الخبر إنما هو الفعل الذى حذف ، وبقي فاعله ، وكذلك هو المشتق من غير
الضمير الذى كان مستتراً فيه ، ثم تركه واستقر فى شبه الجملة بعد حذف المشتق .

(٢) هذا تعبير النحاة . ويريدون بالمعنى : الأمر غير المحسوس ، أى : الذى لا يكون جسماً نحسه
بإحدى الحواس الخمس ، كالبصر ... ، وإنما يكون شيئاً مفهوماً بالعقل ، مثل : العلم ، الذكاء ،
الأدب ، النبيل ، الشرف ... أما الجملة فالجسم الذى نحسه بالبصر ، أو بغيره من الحواس ؛ ومنه .
الشجرة ، المنزل ، القلم ... ويشترط كثير من النحاة فى الظرف أن يفيد فائدة جديدة إذا وقع خبراً عن
المبتدأ المعنى . ويريدون بالفائدة الجديدة : ألا تكون أمراً معروفاً للمخاطب ، أو مستتراً ، فالجديد مثل :
المقابلة ظهراً ، وغيره مثل : طلوع الشمس يوم الجمعة ، لعدم استفادة السامع شيئاً جديداً كان جاهلاً به .
وفريق لا يشترط ذلك فى الظرف ولا فى الخبر عامة : بل يكتفى بمجرد الافادة ولو كانت معلومة قبل
سماع الخبر ؛ مثل الشمس منيرة . وقد يكون الرأى الأول هو المقبول ؛ لأن الفرض من الكلام الإفادة
الجديدة ، وإلا كان عبثاً - انظر ما يتصل بهذا فى : « ١ » من ص ٤٨٩ - .

(٣) وذلك بتحديدته ، أو : بتقييده بقيد بعده مما هو مذكور فى « ج » من ص ٤٨١ .

وهو لا يصلح أن يكون خبراً عن الجثة إلا قليلاً ؛ وذلك حين يفيد^(١) أيضاً ؛
فلا يصح : الشجرة يوماً — البيت غداً ؛ لعدم الإفادة . ويصح : القطن صيفاً .
القمح شتاء ، لتحقيق الفائدة ؛ إذ المراد : ظهور القطن صيفاً . وظهور القمح
شتاء . ومنه قولهم : الهلالُ الليلةَ ، والرطبُ شهرى ربيع .

وسُجِّمَلَ الأمر أن ظرف المكان التام يصلح — في الغالب — خبراً للمبتدأ
بنوعيه : « المعنى » ، والجثة « وأن ظرف الزمان التام يصلح في الغالب خبراً للمبتدأ المعنى
دون الجثة ، إلا إن أفاد^(١) . والإفادة تحقق في الظرف بنوعيه حين يكون خاصاً
لا عاماً ، فالمعول عليه في الإخبار بالظرف — مطلقاً — هو الإفادة^(٢) .

(١ و ١) طرق الإفادة موضحة في : « ج » من الزيادة الآتية في ص ٤٨١ .

(٢) وسجّجته توضيحها في : « ج » من الصفحة التالية . وفي هذا يقول ابن مالك باختصار :

ولا يكون اسمُ زمانٍ خبراً عن جُثَّةٍ ، وإنْ يُفَدَ فَأَخْبِرَا

« ملاحظة »

هذه المناسبة نشير إلى موضع آخر من المواضع التي يصح أن يقع المعنى فيها خبراً عن الجثة ، هو :
خبر أفعال الرجاء (وستأتي في ص ٦١٩) ، وبعض أخواتها من أفعال المقاربة (وستأتي في ص ٦١٢) ؛
مثل : الوالد عسى أن يحضر . . . أما صحة وقوع الخبر هنا معنى عن جثة فله إشارة في رقم ٦ من
هامش ص ٦١٥ ، وبيان مناسب في رقم ١ من هامش ص ٦١٦ .

زيادة وتفصيل

(١) من الألفاظ الملازمة للابتداء^(١) كلمة : « طَوْبَى »^(٢) ، وهذه الكلمة لا يكون « خبرها إلا الجار مع مجروره ، - كما سبق^(٣) - نحو : طوبى للصالح .
 (ب) شبه الجملة لا بد أن يتعلق بعامله على الوجه الذى شرحناه^(٤) ، فإن لم يوجد فى الكلام عامل يصح التعلق به صح أن يكون تعلقه بالإسناد نفسه (أى : بالنسبة الواقعة بين ركنى الجملة) ، كقول ابن مالك فى باب « الاستثناء » من ألفيته خاصاً بالأداتين : « خلا وعدا » : (وحيثُ جرّاً فهما حرفان ...) فالظرف : « حيث » متعلق بالنسبة (أى : بالإسناد) المأخوذة من قوله : « فهما حرفان » ، أى : تثبت حرفيتهما حيث جرّاً .

أما وجود الفاء هنا فله بيان أوضحناه عند إعادة الكلام فى هذه المسألة فى الجزء الثانى : (بابى الظرف وحروف الجر ، م ٧٩ ص ٢٥١ و م ٨٩ ص ٤٠٥ و باب الاستثناء - وفيه البيان أكمل - م ٨٣ هامش ص ٣٣١) .

(ح) قلنا^(٥) : إن ظرف الزمان لا يقع خبراً عن الذات (الجثة) إلا بشرط أن يفيد^(٦) . وهذه الإفادة تتحقق بأحد الثلاثة الآتية :

الأولى : أن يتخصص ظرف الزمان إما بنعت ؛ مثل : نحن فى يوم طيب ، و : نحن فى أسبوع سعيد . وإما بإضافة ؛ مثل : نحن فى شهر العيد ... وإما بعلمية ، مثل : نحن فى رمضان ، ويجب جر الظرف الزمانى فى هذه الصور الثلاث بنى ؛ ويكون الجار مع المحرر فى محل رفع خبراً^(٧) ولا يُعْرَب فى حالة جره أو رفعه ظرفاً ؛ ولا يسمى ظرفاً اصطلاحاً ؛ لأن هذه التسمية الاصطلاحية مقصورة عليه حين يكون منصوباً على الظرفية دون غيرها^(٨) ...

(١) كما سبق فى ص ٧٤ - وسيجىء بعض هذه الألفاظ فى : « ج » من هامش ص ٥٤٣ .

(٢) بمعنى : الجنة ، أو : السعادة .

(٣) فى « ج » ص ٧٣ . وكيمض الأمثلة فى « ج » من هامش ص ٥٤٣ .

(٤) فى رقم ٢ من هامش ص ٧٥ . ويشترط فى تعلق الجار ومجروره أن يكون الجار أصلياً .

(٥) فى ص ٧٩ .

(٦) وكذلك لا يقع صفة ، ولا صلة ، ولا حالا ، إلا مع إفادته ؛ لأنها كالخبر فى المعنى .

(٧) انظر البيان الموضح لهذا الإعراب فى رقم ٢ من هامش ص ٧٥ .

(٨) كما سيجىء فى ص ٨٤ . وفى ص ٢٤٤ م ٧٩ باب : « الظرف » - ج ٢ - .

الثانية : أن يكون المبتدأ الذات مما يتجدد ، بان يظهر في بعض الأوقات دون بعض ؛ فله مواسم معينة يظهر فيها ثم ينقطع ، ثم يظهر ، وهكذا . . . فيكون شبهها بالمعنى ؛ مثل : البرتقال شهوَر الشتاء ، والبطيخ شهوَر الصيف — الهلال الليلة . وفي هذه الحالة يجوز نصب ظرف الزمان : أو جره بنى . وهو في الحالتين في محل رفع خبر . وعند جره لا يسمى ظرفاً — كما عرفنا .

الثالثة : أن يكون المبتدأ الذات صالحة لتقدير مضاف قبله تدل عليه القرائن : بحيث يكون ذلك المضاف أمراً معنوياً مناسباً ؛ كأن يلازم المرء بيته يوماً للراحة ، فيعرض عليه صديقه الخروج لنزهة بحرية ، فيعاند قائلًا : البيت اليوم ، والبحر غدًا ، أى : ملازمة البيت اليوم ، ونزهة البحر غدًا . ومثله : الكتاب صباحاً ، والحديقة عصرًا . أى : قراءة الكتاب صباحاً ، ومتعة الحديقة عصرًا . . . وفي هذه الصورة يكون الظرف منصوباً في محل رفع خبراً .

والحالات الثلاث ^(١) السابقة قياسيةّة ؛ يصح محركاتها ؛ وصوغ الأساليب الحديثة على مقتضاها .

لكن كيف نعرب الظرف الزماني في غير تلك الأحوال الثلاثة ؟ وكيف نعرب المكانى ؟ . وكيف نضبطهما ؟ . في كل ذلك خلاف كبير ، نستصنى منه ما يأتي إن الأصل في الظرف أن يكون منصوباً مباشرة ، أو في محل نصب ^(٢) .

١ — فإن كان الظرف ^(٢) للزمان ووقع خبراً عن معنى ليس للزمان — جاز رفعه ، ونصبه ، وجره بنى . ويكون المرفوع هو الخبر مباشرة ، ويكون المنصوب ، أو المجرور مع حرف الجر الأصلي ، في محل رفع ، هو : الخبر ، تقول : الصوم شهرٌ ، أو : شهرٌ ، أو في شهر . والراحة يوم ، أو يوماً ، أو في يوم ، والأكل ساعة ، أو ساعة ، أو في ساعة . (أى : زمن الصوم . . . وزمن الراحة . . . وزمن الأكل) لكن

(١) زاد بعض النحاة على الأمور الثلاثة السابقة أموراً أخرى ؛ نرى من الميسور إدخالها وإدماجها فيما سبق . من ذلك أن يكون اسم الزمان « مضافاً إليه » والمضاف اسم معنى يفيد العموم ؛ مثل : أكلَ يوم ثوب جديد ؟ . أو يكون اسم الزمان خاصاً ، والمبتدأ المعنى عاماً ؛ مثل نحن في شهر كذا ؛ أو يكون المبتدأ عاماً والزمان مشلولاً به عن خاص مثل : في أى الشهور نحن . . .

(٢) الظرف المنصوب مباشرة هو الظرف المعرب . أما الذى يكون في محل نصب فهو الظرف المبني أصالة ؛ مثل : « حيث » أو المبني في بعض الحالات ، مثل : قبل ، وبعد . . .

الأحسن الرفع مباشرة إن كان الزمان نكرة والمبتدأ المعنى يعم ذلك الزمان كله أو أكثره ؛
نحو : الصوم يومٌ ، والسهر ليلةٌ .

٢- إن كان الظرف زمانياً من أسماء الشهور ووقع خبراً عن مبتدأ هو معنى
وزمان ، تعين رفع الخبر ، مثل : أولُ السنة المحرمُ ، شهرُ الصوم رمضانُ .

٣- وإن لم يكن هذا الخبر الظرف من أسماء الشهور . ولكن لفظ المبتدأ
يتضمن - في معناه - عملاً - جاز الرفع والنصب ؛ مثل : الجمعة اليوم . أو السبت
اليوم ، أو العيد اليوم ، لتضمنها^(١) معنى الجمع ، والقطع ، والعود . ومنه :
« اليوم يومك » ؛ لتضمنه معنى : شأنك الذي تذكر به . فإن لم يتضمن عملاً ؛
كالأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس - كان الرفع أحسن .

٤- وإن كان الظرف للزمان ، ورفع خبراً للمبتدأ الذات في الحالات التي
يصح وقوعه خبراً فيها ؛ لإفادته - وقد سبقت - فحكمه كما سبق هناك^(٢) .

٥- وإن كان الظرف للمكان ، ووقع خبراً عن ذات ، أو معنى ، وكان
متصرفاً^(٣) - جاز رفعه ونصبه ؛ مثل : الكبار جانب ، أو : جانباً ، والأطفال
جانب ، أو جانباً . (برفع كلمة : « جانب » . أو : نصبتها) والرجل أمامك ،
والدار خلفك (برفع أمام ، وخلف ، أو نصبتها) ، ومثل : العلم ناحية والعمل
ناحية ، برفع كلمة : « ناحية » أو نصبتها .

(١) كما أن في الجمعة معنى الاجتماع ، وفي السبت معنى : القطع ، وفي العيد معنى العود ؛
(أى : الرجوع حيث ؛ لأنه يرجع كل عام) ، كذلك في الأضحية معنى : التضحية ... وفي الفطر
معنى : الإفطار ... يكون العمل واقعاً في الظرف .

(٢) في « ح » ص ٤٨١ .

(٣) الظرف المتصرف هو : ما يترك النصب على الظرفية إلى حالات إعرابية أخرى غير الجر
بالحرف ؛ كأن يكون مبتدأ ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً به ... مثل : يوم ، وشهر ، وساعة ...
تقول : يوم العيد قريب ، وجاء يوم الصوم ، وانتظر يوم النصر ... وغير المتصرف هو : الذي
لا يترك الظرفية أبداً (مثل : قسط : وهي ظرف يستغرق الزمن الماضي ، ولا بد أن يسبقه نفي . ومثل : عوص
وهي ظرف يستغرق الزمن المستقبل ، ولا بد أن يسبقه نفي أيضاً) أو : يتركها إلى حالة تشبهها ؛ وهي :
الجر بمن - غالباً - مثل : النصر من عند الله ، أو : بالحرف : « إلى » أيضاً ؛ مثل : الظرف : أين ،
ومثل : « هنا » - وهي اسم إشارة ، وظرف مكان معاً كما تقدم في أسماء الإشارة - في نحو : إلى هنا تنج
الأنظار . ومثلها : ثم ، وهي إشارة للبعد وظرف مكان فهذه الظروف الثلاثة تجر « من » أو إلى - .

فإن كان غير متصرف مثل « فوق » وجب نصبه^(١) : نحو : الكتاب فوق المكتب .

٦- إذا قلت : ظهر ك خلفك ، جاز رفع الظرف المكاني : « خلف » ونصبه . أما الرفع فلأن الخلف في المعنى هو : الظهور . فالخبر هو اسم محض معناه معنى المبتدأ ، وأما النصب فعلى الظرفية الواقعة خبراً . وكذلك ما يشبه ما سبق من الظروف المكانية ، نحو : نعلك أسفل رجلك ، والركب أسفل منك . وقد سبق أن الظرف المكاني الخبر به إذا كان غير متصرف ، يجب نصبه ؛ مثل : رأسك فوقك ، ورجلاك تحتك ؛ لأن « فوق » و « تحت » ظرفين للمكان غير متصرفين .

٧- إذا كان الظرف الزماني غير متصرف : مثل : « ضحوة » المراد بها ضحوة معينة ليوم معين - وجب النصب ، مثل : العمل ضحوة .

٨- إذا كان الظرف بنوعيه متصرفاً ، محدود المقدار ، ووقع خبراً عن المبتدأ الذات - جاز في الظرف الرفع ، والنصب ، بشرط أن يكون المبتدأ الذات على نية تقدير مضاف قبله ، يدل على البعد والمسافة ، مثل : المدرسة منى ميل أو ميلاً . المدينة منى يوم أو يوماً ، أى : بُعِدُ المدرسة وبعد المدينة قلت هذا - مثلاً - قبل ابتداء السير . فإن كان المقصود أن المدرسة أو المدينة من أشياء تبعد عما سرنا ميلاً تعين النصب على الظرفية ، وكان الخبر هو الجار والمجرور : « منى » بخلاف الرفع فإنه على تقدير : بُعِدُ مكانها منى ميل ، مثلاً

٩- من الأساليب الواردة عن العرب ، مثل : « حامد وحده » . يريدون : أنه موضع التفرد ، وفي مكان التوحد ؛ فيجوز إعراب : « وحده » ظرفاً منصوباً في محل رفع خبر^(٢) .

« ملاحظة » : إذا ترك الظرف الزماني أو المكاني النصب على الظرفية ، إلى الرفع أو إلى الجر فإنه لا يعرب ظرفاً ، ولا يسمى بهذا الاسم^(٣)

(١) إلا عند بئانه على الضم في الحالة المذكورة في باب الإضافة (وهي : أن يضاف ، ويحذف المضاف إليه ، وينوي معناه) .

(٢) مع أن الأصل : « وحده » مصدر للفعل وحده (كَمَلِمَ وكَرَّم) ويجوز إعراب « وحده » حال مؤولة بمعنى : منفرداً . . . على التفصيل الذي سيأتي في باب : « الحال » .

(٣) وقد سبقت الإشارة لهذا في ص ٤٨١ .

المبتدأ المعرفة ، والمبتدأ النكرة .

إذا قلنا: الطيار شجاع - الوطني مخلص - العربي كريم... كان قولنا هذا حُكْمًا على الطيار بالشجاعة، وعلى الوطني بالإخلاص، وعلى العربي بالكرم. أى: أننا حكمنا على المبتدأ بحكم مُعَيَّن؛ هو: الخبر^(١). فالمبتدأ في هذه الجملة الاسمية - ونظائرها - محكوم عليه دائماً بالخبر، والمحكوم عليه لا بد أن يكون معلوماً عند الحكم ولو إلى حدٍّ ما، وإلا كان الحكم لغواً لا قيمة له؛ لصدوره على مجهول^(٢)، وصارت الجملة غير مفيدة إفادة تامة مقصودة؛ كما في مثل: زارع في القرية... صانع في المصنع... يد متحركة... جسم مسرع... وغيرها مما لا يفيد الإفادة الحقيقية المطلوبة؛ بسبب عدم تعيين المبتدأ، أو عدم تخصيصه. أى: بسبب تنكيهه تنكيراً تاماً؛ ولهذا امتنع أن يكون المبتدأ نكرة^(٣) إذا كان غير وصف، لأنها شائعة مجهولة في الغالب. فلا يتحقق معها الغرض من الكلام؛ وهو: الإفادة المطلوبة، فإن هذه الإفادة هي السبب أيضاً في اختيار المعرفة لأن تكون هي المبتدأ حين يكون أحد ركني الجملة معرفة، والآخر نكرة^(٤)؛ مثل: شجرة المتحركة. لكن إذا أفادت النكرة الفائدة المطلوبة صح وقوعها مبتدأ.

وقد أوصل النحاة مواضع النكرة المفيدة حين تقع مبتدأ إلى نحو أربعين موضعاً. ولا حاجة بنا إلى احتمال العناء في سردها، واستقصاء مواضعها، ما دام الأساس الذي تقوم عليه هو: «الإفادة» فعلى هذا الأساس وحده يرجع الحكم على صحة الابتداء بالنكرة، أو عدم صحته، من غير داع لحصر المواضع أو

(١) أى: المعنى المستفاد من الخبر.

(٢) سبق لإيضاح هذا في رقم ٨ من هامش ص ٤٤٢.

(٣) إنما يمتنع أن يكون المبتدأ نكرة إذا كان له خبر. أما إذا كان وصفاً له فاعل أو نائب فاعل ينفي عن الخبر فلا يكون إلا نكرة (كما سبق في ص ٤٤٥)، ولا يحتاج لمسوغ؛ لأن المبتدأ في هذه الحالة يكون محكوماً به، بمنزلة الفعل، لا محكوماً عليه، والفاعل، في مرتبة النكرة (كما في رقم ١ من هامش ص ٤٧ وفي رقم ٢ من هامش ٢٠٩ - ورقم ١ من هامش ٤٤٢).

(٤) إلا في مسألتين يجوز في كل منهما الابتداء والخبرية؛ هما «كم» و «أفعل التفضيل»، في مثل: كم مالك؟ وخير من علي محمود. - ويشار لهما في رقم ٢٦ من ص ٤٩١.

عَدَّهَا^(١) . هذا إلى أن تلك المواضع الكثيرة يمكن تجميعها وتركيزها في نحو أحدَ عَشَرَ تغني عن العشرات^(٢) التي سردوها . وإليك الأحدَ عَشَرَ .

١ - أن تدل النكرة على مدح ، أو ذم ، أو تهويل ؛ مثل : (بطلٌ في المعركة . خطيب على المنبر) - (جبانٌ مُدْبِرٌ . جاسوسٌ مقبل) - (بلاء في الحرب . جحيم في الموقعة) .

٢ - أن تدل على تنويع وتقسيم ؛ مثل رأيت الأزهار ؛ فبعضٌ أبيضٌ . وبعضٌ أحمرٌ ، وبعضٌ أصفرٌ ... عرفت فصل الخريف متقلباً ، فيومٌ بارد ، ويومٌ جارٍ ، ويومٌ معتدل . وقول الشاعر :

فيومٌ علينا ، ويومٌ لنا ويومٌ نساء . ويومٌ نُسرَّ

٣ - أن تدل على عموم ؛ نحو : كلٌّ محاسبٌ على عمله . وكلٌّ مسئول عما يصدر منه ؛ فن^(٣) يعملٌ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره . ومن يعملٌ مثقالَ ذرةٍ شراً يره .

٤ - أن تكون مسبقة بنى ، أو استفهام ؛ مثل : ما عملٌ بضائعٍ ، ولا سعىٌ بمغمور . فن^(٤) منكرٌ هذا ؟ . وقول من طالت غربته :

وهل داءٌ أَمَرُّ من التَّنائي ؟ وهل بُرءٌ أَرَمُّ من التَّلَاقِ ؟

(١) وكذلك فعل سيبويه والمتقدمون ؛ ولهذا يرى بعض النحاة - بحق - أنه لا داعي لهذا الشرط ؛ لأنه مفهوم بداهة ؛ إذ لا يتكلم عاقل بغير ما يفيد ، وإلا عرض نفسه وكلامه للحكم عليه بما لا يرضاه . أما المتأخرون فتوقعوا أن يخطئ كثير مواضع الإفادة ، فحاولوا أن يدلوهم عليها ؛ بحصر مواضعها ، واستقصائها ؛ فاطالوا بغير حاجة ، أو اختصروا مع الإخلال .

(٢) بل أرجع بعض النحاة جميع المسوغات إلى : « العموم والخصوص » (انظر الخفري في هذا الموضوع) .

(٣) « من » شرطية . وهي تفيد العموم ؛ كبقاى أدوات الشرط ، وكأسماء الاستفهام التي تقع مبتداً ، مثل : أى جاء ؟ - من هنا ؟ ومثل هذا الشرط والاستفهام يدل على العموم بنفسه مباشرة ؛ لا بكلمة أخرى سبقت .

(٤) « من » : مبتداً نكرة ولكنه اسم استفهام ؛ فلا يحتاج لمسوغ آخر . ولا مانع أن تكون أداة النفي في هذا الباب ناسخة ، فيصير المبتداً النكرة اسماً لها ؛ ولهذا يصح اعتبار « ما » و « لا » اللتين في المثال عاملتين . ومثلهما « ليس » في قول الشاعر :

وليسَ شيءٌ أعزَّ عِندى من العِلِّ فَمَا أَبْتَنِي - سِوَاهُ أُنَيْسَا

ومن مسوغات الابتداء بالنكرة أن يدخل عليها ناسخ - أى ناسخ - فتصير اسماً له ، ولا تسمى مبتداً - كما سيجي في رقم ١١ من ص ٤٨٨ . وص ٥٤٣ .

٥ - أن تكون النكرة متأخرة ، وقبلها خبرها ؛ بشرط أن يكون مختصاً^(١) ؛ سواء أكان ظناً ، أم جاراً مع مجروره ، أم جملة ، أو شبهها مثل : عند العزيز إباء ، وفي الحرّ ترفع ، وقول الشاعر :

وللحليم أوقات^(٢) ، وللجهل^(٣) مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
ومثل : نفعتك يرّاه والد ، وصانك حنائها أم .

٦ - أن تكون مخصصة بنعت^(٤) ، أو بإضافة ، أو غيرهما مما يفيد التخصيص ؛ نحو : نومٌ مبكرٌ أفضل من سهر ، ويقظة البكور أنفع من نوم الضحا ، وقول العرب : أحسنُ الولاة من سعدت به رعيته ، وأشقاهم من شقيت به . وشر البلاد بلاد لا عدل فيها . ولا أمان . وقولهم : ويلٌ للشجّي من الخليلي^(٥) .

٧ - أن تكون دعاء ؛ نحو : سلامٌ على الخائف - شفاءٌ للمريض - عونٌ للباس ؛ بشرط أن يكون القصد من النكرة في كل جملة هو الدعاء .

(١) المقصود بالاختصاص هنا : أن يكون المجرور في الخبر الواقع جاراً مع مجروره ، وأن يكون المضاف إليه في الظرف المضاف الواقع خبراً ، وأن يكون المسند إليه في الخبر الواقع جملة . . . أن يكون كل واحد مما سبق صالحاً بنفسه لأن يكون مبتدأ في جملة أخرى ؛ فلا يجوز : في إنسان ترفع . ولا : عند رجل إباء ، ولا وليد له ولد زجل . . .

(٢) النصب والانتقام .

(٣) إذا لم يكن النعت مخصصاً - نحو : واحد من الناس في الحديقة - لم يكن مسوغاً . والنعت قد يكون ملفوظاً به نحو : زائر كريم أماناً . وقد يكون مقدرًا لقرينة معنوية تدل عليه ؛ مثل : أنتم أيها الحاضرون - فزتم جميعاً بالبطولة ، وطائفة لم تفز بها . أي : طائفة من غيركم . . . وقد يكون معنويًا ؛ ألا يقدر في الكلام ، وإنما يستفاد من نفس النكرة بقرينة لفظية ؛ نحو : وليد نايف ؛ لأن التصغير في كلمة : « وليد » يقوم مقام النعت ؛ إذ معنى التصغير : ولد صغير . ومثله صبيغ التمجيب ، نحو : ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا . . . ؛ لأنه بمنزلة شيء عظيم حسن الدين والدنيا . لهذا كان « التمجيب » من المسوغات . وقد أدمج بعضهم الإضافة في نوع آخر ؛ هو : العمل ، (وسيجي في رقم ١٢ من ص ٤٨٩) ؛ لأن المضاف يعمل الجر في المضاف إليه .

(٤) هذا من مثل أمثال العرب يقال لفارغ البال ، المرتاح خاطر ، الذي يسخر بالخرين ، أو يزيد الآمد . (والويل : الهلاك . والشجّي - بياء شديدة أو مخففة ؛ كما نص عليها المحققون - : الخزين المهموم . والخلّ : الخالي من المهموم) المبتدأ النكرة هو كلمة : « ويل » ، وخبره شبه الجملة (للشجّي) ، وقد تعلق شبه الجملة الأخير (وهو : من الخلى) بالمبتدأ : « ويل » بمعنى : هلاك ؛ فهو مبتدأ في حكم المصدر معنى ؛ فيصح التعلق به ، ويستفيد بالتعلق نوعاً من التخصيص يبيح الابتداء به . ويصح أن يكون المسوغ للابتداء به هو : التهويل أو التميم .

النحو الوافي - أول

٨ - أن تكون جواباً ، مثل : ما الذى فى الحقيقة ؟ . فتُجيب : كتاب فى الحقيقة ..

٩ - أن تكون فى أول جملة الحال ، سواء سبقتها واو الحال ، أم لم تسبقها ؛
مثل : قطعت الصحراء ، ودليلٌ يَهْدِينِي ، وركبت البحر ليلاً وإبرةً ترشد الملاحين .
ومثل : كلَّ يومٍ أذهب للتعلم ، كتبٌ فى يدي .

١٠ - أن تقع بعد الفاء الداخلة على جواب الشرط ؛ وهى التى تسمى :
« فاء الجزاء » ؛ مثل : مطالبُ الحياة كثيرة : إن تَيْسَّرَ بعضٌ فبعضٌ لا يَتَيْسَّرُ ،
والآمال لا تنفَدُ ؛ إن تحقق واحدٌ فواحدٌ يتجدد .

١١ - أن يدخل عليها ناسخ - أى ناسخ - وفى هذه الحالة لا تكون مبتدأ ،
وإنما تصير اسماً للناسخ ، ومن ثَمَّ يصحّ فى أسماء النواسخ أن تكون فى أصلها
معارف أو نكرات - كقولهم : كان إحسانٌ رعايةً الضعيف ، وإنّ يداً أن
تذكروا الغائب (١) . . .

(١) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٤ من هامش ص ٤٨٦ - وستجىء إشارة أخرى عند الكلام العام على

زيادة وتفصيل :

(١) قلنا ^(١) إن مسوغات الابتداء بالنكرة كثيرة ؛ أوصلها النحاة إلى أربعين ، بل أكثر . وبالرغم من كثرتها بقيت نكرات أخرى قد تعرب مبتدأ ، مع أنها لا تدخل تحت مسوغ مما ذكره ؛ نحو : « مذ » و « منذ » فهما نكرتان في اللفظ ؛ في نحو : ما رأيته « مذ » أو « منذ » يومان ، وإن كان بعض النحاة يعتبرهما معرفتين معنى ؛ إذ المعنى : أمد انقطاع الرؤية يومان مثلاً ^(٢) .

على أن تلك الكثرة من المسوغات قد فتحت الباب أمام كل نكرة لتدخل منه إلى الابتداء ، حتى صار من العسير الحكم على نكرة - أى نكرة - بأنها لا تصلح أن تكون مبتدأ . كما صار الرأي القائل : « إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا إن أفادت » - رأياً لا جديد فيه ؛ لدخوله تحت أصل لغوي عام : هو : « ما يستحدث معنى أو يزيد في غيره لا يُطعن في وجوده ، ولا يُستغنى عنه ، وما لا فائدة منه لا خير في ذكره » .

وتأييداً لكلامنا وتوفية للبحث - نذكر أهم تلك المسوغات ، ليؤمن المتردد أنها أبواب مفتوحة تتسرب منها النكرات كلها إلى الابتداء . وقد سبق منها أحد عشر . وفيما يلي الباقي مع الاختصار على ما يغني عن غيره ، وما يمكن إدماج غيره فيه ^(٣) .

١٢ - أن تكون النكرة عاملة ؛ سواء كانت مصدراً ؛ نحو : إطعام مسكيناً طاعة ، أم وصفاً عاملاً ^(٤) ، نحو : متقن عمله يشتهر اسمه . ومن العمل أن تكون مضافة ؛ لأن المضاف يعمل الجرح في المضاف إليه ؛ مثل : كلمة خير تأسير النفس . . .

١٣ - أن تكون النكرة أداة شرط ؛ نحو ؛ من يعمل خيراً يجد خيراً .

(١) في ص ٤٨٥ .

(٢) راجع الخصري عند الكلام على الموضع الرابع من مواضع تأخير الخبر .

(٣) وستجيء لهذا إشارة في رقم ٥ من ص ٤٩٧ ، وفي رقم ٣ من ص ٥٠٢ - وكذلك في ج ٢ ص ٧٩ باب الظرف ، وص ٤٧٨ م ٩٠ باب حروف الجر . (٤) انظر ما يتصل بهذا في الملاحظة التي في ص ٥٨١ وكذلك في ص ٤٧ و ٧٠ . (٥) عند من يقول بأنه يعمل بغير أن يسبقه نفي أو استفهام . أما من يشترط للعمل تقدم النفي أو الاستفهام فإن وجود أحدهما مسوغ للابتداء بالنكرة .

... ..
... ..

١٤ - أن يكون فيها معنى التعجب - كما سبق^(١) - ؛ نحو : ما أبرع جنود المظلات .

١٥ - أن تكون محصورة ؛ نحو : إنما رجل "مسافر" .

١٦ - أن تكون في معنى المحصور - بشرط وجود قرينة تُهَيِّئُ لذلك - نحو :
حادث دعاك للسفر المفاجئ ، أى : ما دعاك للسفر المفاجئ إلا
حادث . ويصح في هذا المثال أن يكون من قسم النكرة الموصوفة
بصفة غير ملحوظة ، ولا مذكورة . . . أى : حادث خطير دعاك
إلى السفر . والأول أحسن .

١٧ - أن تكون معطوفة على معرفة ؛ نحو : محمود وخادم^(٢) مسافران .

١٨ - أن تكون معطوفة على موصوف ، نحو : ضيف كريم وصديق حاضران .

١٩ - أن يكون معطوفاً عليها موصوف ، نحو : رجل وسيارة جميلة أمام البيت .

٢٠ - أن تكون مبهمة قصداً ، لغرض يريده المتكلم ؛ نحو : زائرة عندنا .

٢١ - أن تكون بعد «لولا» ؛ نحو : لولا صبر وإيمان لقتل الحزين نفسه .

٢٢ - أن تكون مسبوقة بلام الابتداء ؛ نحو : لـرجل "نافع"^(٣) .

٢٣ - أن تكون مسبوقة بكلمة : «كتم» الخبرية ؛ نحو كم صديق "زرتة"^(٤)
في العطلة فأفادنى كثيراً .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ٨٧ .

(٢) هذه ليست مبتدأ ، ولكنها معطوفة على المبتدأ ، فهي بمنزلة .

(٣) يعرضها النحاة في باب : «إن» ، وستابعهم ؛ فنذكرها مفصلة في ص ٦٥٩ ، ثم في

ص ٦٧٣ .

(٤) أصل الكلام هنا ؛ صديق زرتة كم زورة ! . فكلم : مفعول مطلق واجب الصدارة ، مبنى
على السكون في محل نصب ، و «صديق» مبتدأ . أما «كم» الاستفهامية فداخلة في مسوغات
الاستفهام .

... ..
... ..

- ٢٤ - أن تكون مسبوقة بإذا الفجائية^(١) ؛ نحو : غادرت البيت فإذا مطرٌ .
٢٥ - أن يكون مراداً بها حقيقة الشيء وذاته الأصلية ، نحو : حديد خير
من نحاس^(٢) .
٢٦ - أن تكون إحدى المسألتين المشار إليهما في رقم ٤ من هامش ص ٤٨٥ .

(١) سيجى بيان موجز عنها في رقم ١ من هامش ص ٥٠٨ .

(٢) وفي الابتداء بالنكرة ومسوغاته يقول ابن مالك :

ولا يجوز الإبتداء بالنكرة ما لم تُفد : كعند زيد نجرة
وهل فتى فيكم ؟ ، فما خيل لنا ورجل من الكرام عندنا
ورغبة في الخير خير ، وعمل بر يزين . وليُقَسَّ ما لم يُقل

يشير بالمثل الأول : (عند زيد نجرة) إلى جواز وقوع المبتدأ نكرة ؛ (والنمرة ؛ ما نسميه
الآن : الشال من الصوف .) ، والمسوغ هو تقديم الظرف المحتمن : « عند » .

ويشير في البيت الثاني إلى مسوغ الاستفهام في : « هل فتى ؟ » ، والتي في : « ما خيل لنا » . والتنت
في : « رجل من الكرام » .

ويشير في البيت الأخير إلى النكرة العاملة ، مثل : « رغبة في الخير » « فرغبة » : مصدر « في الخير » :
متعلق به ؛ فهو بمنزلة معموله ، أى : بمنزلة مفعوله . أى : « من رغب الخير » أو تكون مضلقة ؛
مثل : عمل بر ...

ثم يشير بقياس ما لم يذكر على ما ذكره .

المسألة ٣٧ :

تأخير الخبر جوازاً ، ووجوباً .

الخبر من ناحية تأخيرهِ عن المبتدأ وتقدمه ثلاث حالات : أن يتأخر وجوباً ، وأن يتقدم وجوباً . وأن يجوز تأخره وتقدمه .

فأما تأخره وتقدمه جوازاً فهو الأصل الغالب ، حين لا يجب أحد الأمرين الآخرَين ؛ نحو : السحاب بخار متكاثف - البرق شرارة كهربائية - قول الشاعر ^(١) :

أفي كل عام غُرْبَةٌ ونُزُوحُ أَمَسًا لِلنَّوَى من وَتِيَةٍ فترُيحُ

ففي هذه الأمثلة وأشباهها يصح تقديم الخبر وتأخيره ^(٢) . . .

أما تأخيره وجوباً ؛ ففي مواضع أشهرها :

١ - أن يكون المبتدأ والخبر معاً متساويين ^(٣) أو متقاربين في درجة تعريفهما

(١) بغير نظر لما تقتضيه الأوزان الشعرية أحياناً من وجوب التقديم أو التأخير لمراعاة الوزن وحده والمحافظة عليه . فلو لم نراعِ الوزن الشعرى لجاز الأمران كما في النثر أيضاً . وكقول الشاعر :

ومن البلية غذل من لا يرعوى عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

فهنا عدة أخبار متقدمة يجوز تأخيرها إذا لم نراعِ وزن الشعر .

(٢) وما يجوز فيه الأمران مخصوص « نعم وبش » في مثل : نعم الفارس على . . . فيجوز تأخير « على » عن الجملة الفعلية التي قبله وإعرابه مبتدأ متأخراً ، خبره تلك الجملة الفعلية السابقة عليه ويجوز تقديمه عليها مع إعرابه مبتدأ وهي خبره . ويشترط في هذا الخصوص وفي إعرابه السالف شروط تفصيلية مكانها ج ٣ ص ٣٥٣ م ١١٠ - باب نعم وبش .

« ملاحظة » إذا تعددت الأخبار للمبتدأ الواحد فلها حكم خاص في جواز التقديم والتأخير يحى في ص ٥٢٨ ، وكذا في رقم ١٦ من هامش ص ٥٣٠ حيث الكلام على تعدد الخبر .

(٣) سبق في باب المعارف أن أنواعها تتفاوت في درجة التعريف وقوته ؛ فنوع أقوى من نوع آخر ؛ فالضمير أقوى من العلم ، والعلم أقوى من اسم الإشارة . . . وهكذا . بل إن النوع الواحد قد يتفاوت في درجة تعريفه وقوته ؛ فضمير المتكلم أقوى من ضمير المخاطب . وضمير المخاطب ، أقوى من ضمير الغائب . . . وهكذا على الوجه المفصل هناك (في رقم ١ من هامش ص ٢١٢) . . .

كذلك التكررة تتفاوت في درجة التكرير وقوته ؛ فالتكررة المحضة (وهي المتوغلّة في التكرير ؛ أي : في الإبهام والشيوع) بسبب أنها تخصص بوصف ، أو بإضافة ، أو بغيرهما - أقوى في التكرير من المختصة ؛ لأن الاختصاص يضعف التكرير ، إذ يقرب التكررة من المعرفة بعض التقريب . والمراد من تساوى المعرفتين هنا أن يكونا في درجة واحدة في التعريف - ولو كان من نوعين مختلفين كالعلم بالغلبة ، مع علم الشخص - كأن يكونا ضميرين معاً للتكلم ، أو للمخاطب ، أو للغائب ، أو يكونا علمين أو اسمي إشارة . والمراد من تساوى التكررتين أن تكونا محضتين معاً . . .

أو تنكيرهما ، بحيث يصلح كل منهما أن يكون مبتدأ ؛ نحو : أخى شريكى -
أستاذى رائدى فى العلم - مكافح أمين جندى مجهول - أجمل من حرير أجمل
من قطن . . .

فى هذه الأمثلة وأشباهها يجب تأخير الخبر ؛ لأن تقديمه يوقع فى لبس ؛
إذ لا توجد قرينة ^(١) تُعينه ، وتميزه من المبتدأ ؛ فيختلط المحكوم به بالمحكوم عليه ،
ويفسد المعنى ^(٢) تبعاً لذلك . فإن وجدت قرينة معنوية أو لفظية تدل على أن
المتقدم هو الخبر وليس المبتدأ جاز التقديم ^(٣) ؛ فنال « المعنوية » : أبى أخى فى
الشفقة والحنان . . . فكلمة : « أب » خبر مقدم ؛ وليست مبتدأ ؛ لأن المراد :
أخى كأبى . . . أى : الحكم على الأخ بأنه كالأب فى الشفقة والحنان ، ولا
يُعقّل العكس . فالمحكوم عليه هو : « الأخ » ؛ فهو المبتدأ ، والمحكوم به هو :

= وأما تقارب المعرفتين - وقد يسمى أحياناً : « تفاوتهما فى الدرجة » ؛ لما بينهما من اختلاف غير واسع -
فمنه أن يكونا من نوع واحد مع اختلافهما فى درجة ذلك النوع ؛ كضمير المتكلم مع ضمير المخاطب .
أو ضمير المخاطب مع ضمير الغائب ، أو أن يكونا من نوعين مختلفين ولكنهما متقاربان ، كالعلم مع
ضمير المخاطب ؛ فإن العلم يقاربه ، أو كالعالم الشخصى مع المعروف « بأل المهدي » ، فإن المعروف هابقاربه .
وتقارب النكرتين معناه أن إحداها مختصة بالأخرى غير مختصة ؛ فهى قرينة من أختها إلى حد ما
(قد يسمى أيضاً « تفاوتاً » ؛ لوجود اختلاف بينهما ، وإن كان يسيراً) .

(١) كررنا أن القرينة هى العلامة التى تدل على المعنى المراد ، وتوجه إليه ، وتزيل عنه الغموض واللبس ؛
فإن كانت لفظاً سميت : « لفظية » . وإن كانت غير لفظ سميت : « معنوية » ، أو : عقلية . وقد تقسم
فى مواضع أخرى إلى : « حسية » ؛ وهى : التى تدرك بإحدى الحواس ؛ فتشمل اللفظية ، وإلى : « غير
حسية » وهى التى تدرك بالعقل . . . كما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٥٠٧ .

(٢) أوضحنا أول هذا الباب - رقم ٨ من هامش ص ٤٤٢ - معنى المحكوم عليه ، والمحكوم به ،
ولما كان الأغلب فى الأول - وهو المبتدأ - أن يكون شيئاً معلوماً للسامع ، وأن يكون الثانى - وهو
الخبر - مجهولاً له ، وجب عند اللبس تأخير الثانى (أى : الخبر) ؛ إذ لو تقدم وأعربناه مبتدأ لا نقلب
المحكوم به المجهول محكوماً عليه معلوماً . وصار المعلوم مجهولاً ، وجاء الحكم فى الحالتين مخالفاً لامراد ، وهذا
فساد معنوى . وفى الموضوع السالف بيان شاف مفيد .

ولزيادة الإيضاح نسوق المثال الآتى ، أن يعرف المخاطب شخصاً مثل : « إبراهيم » بعينه واسمه ؛
ولكنه لا يعرف أنه زميله فى الدراسة ؛ فتقول : إبراهيم زميلك ، جاعلاً المبتدأ هو المعروف له ، والخبر
هو المجهول له ، المحكوم به . وذلك شأن الخبر فى الأغلب - كما قدما - أن يكون هو الشئ المجهول للمخاطب
وأنه المحكوم به ؛ فلا يصح أن تقول : زميلك إبراهيم ، بخبر قرينة تدل على تقديم الخبر . أما إذا عرف
زميلاً له ، ولكنه لا يعرف اسمه ، وأردت أن تعين له الاسم ، فإنك تقول : زميلك إبراهيم . جاعلاً المعلوم
له هو المبتدأ ، والمجهول له المحكوم به هو الخبر . فلو عكس الأمر فى إحدى صورتين لا نعكس المعنى ؛
تبعاً لذلك ، واختلف المراد ؛ بسبب الخروج على ذلك الأصل ، ومخالفته .

(٣) وإذا صح التقديم فهل يكون أحدهما أولى به من الآخر ؟ . الجواب فى : « ب » من

« الأب » الذى يشابهه الأخ . فالأب هو الخبر ولو تقدم ؛ لأن القرينة المعنوية تميزه ، وتجعله هو الخبر ؛ فصح التقديم لوجودها .

ومثل : الجامعة فى التعليم البيت . « فالجامعة » خبر مقدم ، « والبيت » مبتدأ مؤخر ؛ فهو المحكوم عليه بأنه مشابه للجامعة ؛ إذ لا يعقل العكس . ومثل : نور الشمس نور الكهربا - ضوء القمر ضوء الشموع - الأسد فى الغضب القط فى الثرة - الجبل الهرم فى الضخامة - هذا العالم فى براعته هذا الطالب فى تعلمه . - وهكذا .

ومثال القرينة « اللفظية » : حاضر رجل أديب . فكلمة « حاضر » هى الخبر ؛ لأنها نكرة محضة^(١) والنكرة التى بعدها (وهى : رجل) نكرة غير محضة ؛ لأنها مخصصة بالصفة بعدها ؛ فهى أحق بأن تكون المبتدأ بسبب تخصصها^(٢) .

٢ - أن يكون الخبر جملة فعلية ، فاعلها ضمير مستتر يعود على المبتدأ نحو : (الكواكب « تتحرك ») ، فالجملة الفعلية المكونة من الفعل المضارع وفاعله ، خبر المبتدأ . فلو تقدم الخبر قلنا : تتحرك الكواكب - لكأن « الكواكب » فاعلا ، مع أننا نريدها مبتدأ ، وليس فى الكلام ما يكشف اليبس ، بخلاف ما لو كان الفاعل اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً . نحو : تتحرك كواكبها السماء - قد أضاء النجمان . . . ؛ فتعرب الجملة الفعلية فى المثال الأول : (تتحرك كواكبها) خبراً متقدماً ؛ لاشتغالها على ضمير يعود على المبتدأ : « السماء » فرجوع الضمير إلى كلمة : « السماء » دليل على أنها متأخرة فى الترتيب اللفظى فقط ، دون الترتيب الإعرابى (المسمى : الرتبة^(٣)) ؛ لأن الضمير لا يعود على متأخر لفظاً ورتبة إلا فى مواضع^(٤) . ليس منها هذا الموضع . فكلمة : « السماء » متأخرة فى اللفظ ، لكنها متقدمة فى الرتبة . وأصل الكلام : السماء تتحرك كواكبها : فكلمة :

(١) أى : غير متخصصة بنعت ، أو إضافة ، أو نحوهما (طبقاً للبيان السابق - رقم ٣ هامش ص ٤٩٢)

(٢) لما عرفناه من أن المبتدأ يكون هو المعرفة ، أو النكرة المتخصصة عند اجتماع أحدهما مع النكرة المحضة . وهذا بشرط ألا تقوم قرينة تعارضه .

(٣) الترتيب الإعرابى أو « الرتبة » ، يجعل لبعض الألفاظ الأسبقية فى الجملة دون بعض ؛ فالمبتدأ أسبق من الخبر ، والفعل أسبق من الفاعل ، والفاعل أسبق من المفعول ، والمضاف أسبق من المضاف إليه وهكذا . وقد تكون هناك أسباب لمخالفة هذا الأصل أحياناً . على حسب ما هو موضح فى مواضعها .

(٤) سردناها عند الكلام على الفصير فى ص ٢٥٨ .

« السماء » مبتدأ . وجاز تقديم الخبر عليها مع أنه جملة فعلية لأن اللبس مأمون ، إذ الفاعل فيها اسم ظاهر ، وليس ضميراً مستتراً يعود على ذلك المبتدأ^(١)
وتعرب الجملة الفعلية في المثال الثاني خبراً مقدماً ، و « النجمان » مبتدأ . ولا لبس فيه ، لأن وجود الضمير البارز (وهو ألف الاثنين) وإعرابه فاعلاً — في اللغات الشائعة عند العرب — أوجب أن يكون « النجمان » مبتدأ ، لا غير ؛ إذ لا يوجد ما يحتاج إلى فاعل . ومن ثم كان اللبس مأموناً^(٢)

وكما يقع اللبس بين المبتدأ والفاعل الضمير المستتر على الوجه السابق ، يقع بين المبتدأ ونائب الفاعل إذا كان ضميراً مستتراً أيضاً ؛ نحو : البيت أقيم . وكذلك بين المبتدأ وفاعل اسم الفعل . إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً ؛ نحو : القمر هيهات . وقد يلتبس المبتدأ لو تأخر بالتوكيد ؛ نحو : أنا سافرت ؛ فلو تأخر المبتدأ الضمير لكان توكيداً للتاء . فبسبب اللبس يمتنع التقديم في كل ما سبق^(٣)

٣ — أن يكون الخبر محصوراً فيه المبتدأ^(٤) ؛ إنمّا ، أو : إلا ؛ مثل : إنمّا

(١) وتنطبق هذه الصورة على قول حسان :

قد ثَكَلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاحِدُهُ أَوْ كَانَ مُتَشَبِّهاً فِي بُرْثُنِ الْأَسَدِ

(٢) وهذا على اعتبار أن الفعل — في اللغات الشائعة — لا تلحقه علامة تشبيه ولا جمع ، وأن حمل الكلام على الكثير الشائع أحسن وأصح . أما على اللغة القليلة — وهي هنا صحيفة — التي تجيز إلحاق هذه العلامة باللبس مخوف غير مأمون ، فلا يجوز التقديم ، والخير في ترك التقديم في هذه الصورة ، مبالغة في الاعتماد على شبهة اللبس .

(٣) ومن نوع الخبر الذي يجب تأخيره الجملة الفعلية الواثمة خبراً « عن ما » التمجيدية كما سيجيء في ص ٤٩٩ .

(٤) أى : أن المبتدأ بمعناه يكون منقطعاً بالخبر ، محصوراً في هذا الخبر . وبيان المحصر — ويسمى « القصر » — يتضح من التمثيل الآتي : إذا أردنا قصر شيء على شيء ؛ بحيث يكون أحدهما مختصاً بالآخر ؛ منقطعاً له — أى متفرغاً له كل التفرغ — سميت هذه العملية ؛ « حصراً » ، أو : « قصراً » . كأن تريد قصر « البحترى » على الشعر ، وانقطاعه له فتقول : إنمّا البحترى شاعر . فقد قصرنا « البحترى » على الشعر ؛ أى : جعلناه مختصاً بالشعر ، منقطعاً له دون غيره من العلوم والفنون الأخرى . ولا يد في المحصر (القصر) من شيء محصور ، ومن محصور فيه ذلك الشيء ، ومن علامة حصر . فالبحترى في المثال السابق هو « المحصور » ، ويسمى « المقصور » أيضاً . والشعر هو المحصور فيه ، ويسمى : « المقصور عليه » — كل ذلك مالم تمنع قرينة — وعلامة المحصر هي : « إنمّا » ، وقد تكون « إلا » كما في المثالين الآخرين أو غيرها . وللقصر طرق معينة متعددة . وعلامات خاصة ، لها موضعها في « علم المعاني » . وإذا كانت أداة المحصر (القصر) « إنمّا » فالمقصود عليه هو التأخر في جملتها ؛ وإذا كانت الأداة « إلا » فالمقصود عليه هو الواقع بعدها مباشرة .

البحترى شاعر - إنما المتنبى حكيم - ما النيل إلا حياة مصر - ما الصناعة إلا ثروة . فلا يجوز تقديم الخبر ؛ كى لا يزول الحصر بطريقته الخاصة الموصلة لمعنى معين ، فلا يتحقق بعد زواله المعنى على الوجه المراد .

٤ - أن يكون الخبر لمبتدأ دخلت عليه لام الابتداء ^(١) ، نحو : لتعلم مع تعب خير من جهل مع راحة ؛ لأن لام الابتداء لها الصدارة فى جملتها ؛ فيجب تقديمها مع ما دخلت عليه ؛ وهو المبتدأ .

٥ - أن يكون المبتدأ اسماً مستحقاً للصدارة فى جملة ، إما بنفسه مباشرة ، كأسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط ، وما التعجبية ، وكما الخبرية ^(٢) ... ؛ (مثل : من القادم ؟ وأى شريف تصاحبته أصاحبه - ما أطيب خلقتك ! ! كم صديق عرفت فيه الذكاء) ! وإما بغيره ؛ كالمضاف إلى واحد مما سبق ^(٣) ؛ فالمضاف إلى اسم استفهام نحو : صاحب من القادم ؟ . والمضاف إلى اسم شرط نحو : غلام أى رجل شريف تعاونه أعاونته . والمضاف إلى كم الخبرية ، نحو : خادم كم صديق عرفت فيه الذكاء ^(٣) .

(١) لها باب خاص فى ص ٦٥٧ .
(٢) أما الاستفهامية فداخله فى أسماء الاستفهام التى لها الصدارة أيضاً .
(٣) غير « ما التعجبية » ؛ فإنها لا تقع مضافاً إليه . وإلى المواضع السابقة يشير ابن مالك بقوله :
والأصل فى الأخبار أن تؤخر
وجوزوا التقديم إذ لا ضرراً
فأمنعه حين يستوى الجزآن
عرفاً ونكراً عادى بيان
أى : أن الأصل الغالب فى الأخبار هو تأخيرها ، ولا مانع من التقديم إذا لم يترتب عليه فساد لفظى أو : معنوى .
فأمنع التقديم إذا استوى المبتدأ والخبر فى التعريف والتكثير . وعندما البيان الذى يوضح أن أحدهما هو المبتدأ ، وأن الآخر هو الخبر . (« وعرفاً ونكراً » ، منصوبين على « التمييز » ، أو : على « نزع الحافض - ويسمى « الحذف والإيصال » - وتفصيل الكلام عليه فى ج ٢ م ٧١ ص ١٥٣ باب : « تعدية الفعل ولزومه » ...) ، ثم قال ابن مالك :

كذا إذا ما الفعل كان الخبراً
أو قصد استعماله منحصراً
أو كان مسنداً لذى لام ابتداء
أو لازم الصدر كمن لى منجداً ؟

وأمنع التقديم أيضاً إذا كان الفعل - مع فاعله - هو الخبر ، أو كان الخبر محصوراً فيه .
ومعنى البيت الأخير : أن الخبر يمنع تقديمه إذا كان مسنداً لصاحب لام ابتداء ؛ أى : إذا كان هذا الخبر مسنداً ، والمسند إليه مبتدأ مصدراً باللام التى تدخل على المبتدأ للدلالة على الابتداء . وكذلك يمنع تقديمه إذا كان المبتدأ لازم الصدارة ، أى : لا يكون إلا فى صدر جملة .

زيادة وتفصيل :

- (١) هناك مواضع أخرى يجب فيها تأخير الخبر ؛ أشهرها ما يأتي :
- ١ - ما ورد مسموعاً من مثل : راكبُ الناقة طليحان^(١) . (أى : مُتَعَبِّان ؛ أصابهما الإعياء والإرهاق) ، وأصاه : راكبُ الناقة والناقة طليحان : من كل مبتدأ مضاف ، أخبر عنه بخبر مطابق في الثنية أو الجمع للمضاف مع المضاف إليه من غير عطف شيء ظاهر على المبتدأ ؛ (أى من غير ظهور عاطف ولا معطوف) ؛ كالمثال السابق . ونحو : مهندسُ البيت جميلان - ونحو : خادم الطفلين لاعبون : أى : مهندسُ البيت والبيت جميلان ، وخادم الطفلين والطفلاين لاعبون . فالمعطوف على المبتدأ محذوف لوضوح المعنى . والخبر هنا واجب التأخير .
- لكن أيجوز القياس على تلك الأساليب التي يحذف فيها حرف العطف والمعطوف على المبتدأ ؛ لوضوح المعنى ؟ . الأحسن الأخذ بالرأى القائل بجوازه ، بشرط وجود قرينة واضحة تدل على المحذوف : لأن هذا الرأى يطابق الأصول اللغوية العامة التي تقضى بجواز الحذف ؛ عند قيام قرينة جلية تدل على المحذوف . وتمنع خفاء المعنى ؛ كما رددنا هذا كثيراً^(٢) . . .
- ٢ - أن يكون الخبر مقرونًا بالفاء^(٣) ؛ ونحو : من ينصحني فمخلص . فإن تقدم الخبر وجب حذف الفاء .
- ٣ - أن يكون الخبر مقترنًا بالباء الزائدة ؛ نحو : ما شريف بكاذب .
- ٤ - أن يكون الخبر طلبياً ؛ نحو : المحتاجُ عاونهُ ، والبائسُ لا تؤلّه .
- ٥ - أن يكون الخبر عن « منذ » أو « منذ » ، يجعلهما مبتدأين معرفتين في المعنى : نحو : ما سافرت منذُ أو منذ شهران (إذ المعنى : زمن انقطاع الرؤية شهران^(٤) .

(١) سيجىء لهذا المثل بيان في ج ٣ باب : « العطف » م ص ٥٤٢ م ١١٨ ، عند الكلام على حذف واو العطف .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٠٧ .

(٣) سيجىء في ص ٤٣٤ بيان المواضع التي يقترن فيها الخبر بالفاء . . .

(٤) كما سبق في ص ٤٨٩ وكما سيجىء في ص ٥٠٢ - وفي ج ٢ باب : « الظرف » ، م ١٩ ص ٢٧٨ و ٥٠٢ وباب : « تروف الجر » م ٨٩ ص ٤٧٨ .

... ..
... ..

٦ - الخبر عن ضمير الشأن^(١) الواقع مبتدأ ؛ نحو : (قل : هو الله أحد) .

٧ - خبر المبتدأ إذا كان هذا الخبر جملة هي عين المبتدأ في المعنى ؛ نحو :
(كلامي : « السفر مفيد » - (قولي : « العمل نافع ») .

٨ - خبر اسم الإشارة المبدوء بكلمة : « ها » التي للتنبيه في جملة اسمية ؛
نحو : هذا أخى . وهذا رأى كثير من النحاة . لكن من الميسور رفضه بالأدلة التي
سبق^(٢) والتي تجعل تقديم المبتدأ هنا مستحسنًا ، لا واجبًا . وإنما يتعين -
عند أصحاب ذلك الرأى - أن يكون اسم الإشارة في الجملة الاسمية هو : المبتدأ
ولا يكون خبراً ، بحجة أن : « ها » التي للتنبيه تتطلب الصدارة ، بشرط أن تتصل
باسم الإشارة مباشرة ، لا يفصل بينهما ضمير . فإن فصل بينهما الضمير في مثل
« ها أنذا » ، فالضمير هو المبتدأ ، واسم الإشارة هو الخبر . ويجوز : هذا أنا .
ولكن الأول أحسن وأولى ؛ لكثرة الأساليب الأدبية الواردة به^(٣)

٩ - خبر المبتدأ الذى للدعاء ؛ نحو : سلام عليكم ، وويل للأعداء^(٤)

١٠ - خبر المبتدأ إذا كان هذا الخبر متعدداً يؤدي تعدده معنى واحداً ؛ مثل :
الفتى نحيف سمين ، أى متوسط بين الأمرين - الرمان حلو حامض ، أى متوسط
بينهما - ؛ لأنه لا يجوز تقديم الخبر المتعدد الذى يؤدي معنى واحداً ، ولا تقديم واحد
مما تعدد^(٥) .

١١ - خبر المبتدأ التالى : أمّا ؛ نحو : أما صالح فعالم ؛ لأن الفاء لاتنفع
بعد « أمّا » مباشرة . ولأن الخبر الذى تدخل عليه لا يتقدم على المبتدأ - كما سلف - .

١٢ - خبر المبتدأ المفصول من خبره بضمير الفصل^(٦) ، نحو : الشجاع
هو الناطق بالحق غير هباب .

(١) سبق تفصيل الكلام عليه وعلى أحكامه وكل ما يختص به في ص ٢٥٠ « د » .

(٢) في رقم ١ من هامش ص - ٣٢٨ ورقم ١ من هامش ص ٣٣٧ .

(٣) كما سبق في « ا » من ص ٣٣٧ وكما سيبنى في رقم ١ من هامش ص ٥٠٠ .

(٤) هذا رأى كثير من النحاة . ولكن رأى عدة نصوص قديمة يحتاج بها تقلم فيها الخبر الجار مع

مجروره على المبتدأ الذى للدعاء . فالأحسن أن يقال : إن التأخير هو الأكثر ، وليس بالواجب .

(٥) كما سيبنى البيان في موضوع « تعدد الخبر » ص ٥٢٩ .

(٦) له بحث خاص مستقل في ص ٢٤٢ « ح » .

١٣ - خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ ضمير تكلم أو خطاب ، وقد أخبر عنه بالذي وفروعه مع وجوده بعد الضمير مطابقتاً للتكلم ، أو الخطاب ؛ نحو : أنا الذى أساعد الضعيف . أنما الأذان تساعدان الضعيف . . .

١٤ - ويجب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر فى الباب المسمى : (الإخبار عن : «الذى») ، نحو : الذى صافحته محمد .

١٥ - خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ ضمير متكلم أو مخاطب ، وخبره معرفة بآل . بعدها ضمير مطابق للمبتدأ فى التكلم والخطاب ، نحو : أنا السيف أمزق الضلال - أنت الجندى تدافع عن الوطن .

١٦ - خبر المبتدأ اسم الموصول ، ويجب تأخير الخبر عنه وعن الصلة معاً^(١)

١٧ - الخبر إذا كان جملة فعلية ماضوية والمبتدأ «ما التعجبية» ؛ نحو : ما أقدر الله أن يُدْنِي المتباعدين^(٢) .

«ملاحظة عامة» : يجب تقديم كل اسم أو فعل سبقته أداة عَرَضَ ، أو تَمَنَّ ، أو رجاء ، أو نفي ، أو طلب .

(ب) أثار النحاة والبلاغيون جدلاً مرهقاً حول بعض الحالات التى يكون فيها المبتدأ والخبر متساويين فى التعريف والتنكير ، أو متقاربين فيهما ؛ من غير لبس فى المعنى . ويدور الجدل حول معرفة الأحق منهما بأن يكون المبتدأ . وإذا ظهر الأحق فهل يجوز الإغضاء عن أحقيته بجملة خبراً وجعل الخبر مبتدأ ؟ . وقد سبق^(٣) بيان المراد من التساوى والتقارب فى التعريف والتنكير .

بالرغم من جدلهم المرهق^(٤) ؛ يتلخص الجواب السديد فى أن المعول

(١) كما فى ص ٣٧٨ .

(٢) سبقت الإشارة لهذا ، فى رقم ٥ من ص ٤٩٦ .

(٣) فى رقم ٣ من هامش ص ٤٩٢ .

(٤) وقد عرض لبعضه صاحب : «المفصل» ، وكذا : «الصبيان» بإيجاز فى الجزء الأول ، باب :

«المبتدأ والخبر» ، عند الكلام على مواضع تأخير الخبر وجوباً . وكذلك : «التصريح» وهامشه فى الموضع السابق أيضاً ؛ وكذلك «المفنى» أول الباب الرابع :

.....

عليه في جوار تقديم المبتدأ على الخبر ليس مجرد التساوى أو التقارب في درجة التعريف والتنكير ؛ وإنما المعول عليه وحده هو وجود قرينة تدل على أن هذا هو : « المحكوم عليه » ؛ (أى : أنه المبتدأ) ، وذلك هو : « المحكوم به » ، (أى : الخبر) على حسب المعنى ؛ بحيث يتميز كل من الآخر ، دون خلط أو اشتباه . فتنى وجدت القرينة التي تمنع الخلط واللبس جاز تقديم أحدهما وتأخير الآخر على حسب الدواعي^(١) . وإن لم توجد القرينة وجب تأخير الخبر حتماً ، منعاً للالتباس من غير أن يكون للتساوى أو التقارب دخل في الحالتين . فلا بد من مراعاة حال السامعين من ناحية قدرتهم على إدراك أن هذا « محكوم عليه » فيكون مبتدأ ، وأن ذلك « محكوم به » فيكون خبراً . فإذا وقع في وههم المتكلم أن التمييز غير ممكن ، وأن اللبس محتمل وجب إزالته ؛ إما بالقرينة التي تبعده وتبدده ، وإما بالتزام الترتيب ؛ فيتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر ؛ ليكون هذا التقدم دليلاً على أنه المبتدأ ، ووسيلة إلى تعيينه ؛ لموافقته للأصل الغالب في المبتدأ .

(١) إلا في الحالة التي أشرنا إليها في رقم ٨ من ص ٤٩٨ وهي حالة اسم الإشارة المقرون بكلمة « ها » التنبيه ، مع معرفة أخرى ؛ إذ يتعين أن يكون اسم الإشارة هو المبتدأ ؛ لأن حرف التنبيه لا بد أن يتصدر - عند فريق من النحاة دون فريق ، طبقاً للبيان المفصل الذي في رقم ١ من هامش ص ٣٢٨ - إلا إن كانت المعرفة الأخرى ضميراً ؛ ففي هذه الحالة يحسن أن يكون المبتدأ هو الذي تسبقه (ها) التنبيه ، واسم الإشارة يحىء بعده خبراً ، نحو : « هأنذا » . وقد يجوز مراعاة القاعدة العامة بتقديم الإشارة أيضاً في هذه الصورة مع تأخير الضمير ؛ نحو : هذا أنا ، ولكن الأول أكثر في الأساليب الأدبية المعروفة . (انظر ص ٣٣٧) .

المسألة ٣٨ :

تقديم الخبر وجوباً

(وهي الحالة الثالثة له)

يتقدم الخبر وجوباً في مواضع ؛ أهمها :

١ - أن يكون المبتدأ نكرة محضة^(١) ، ولا مسوغ للابتداء به إلا تقدم الخبر المختص^(٢) ، جملة كان الخبر أم شبهها (أى : سواء أكان الخبر ظرفاً أم جاراً مع مجروره ، أم جملة) . . . فنال شبه الجملة : عندك كتاب - على المكتب قلم . . . فإن كان للمبتدأ مسوغ آخر جاز - عند عدم المانع - تقديم الخبر وتأخيرها ؛ نحو : عندك كتاب جميل - على المكتب قلم نفيس ؛ ويجوز : كتاب جميل عندك ، وقلم نفيس على المكتب . ومثال الجملة : قَصَدَكَ وَلَدُهُ محتاج . فلا يجوز تقديم المبتدأ ؛ وهو : « محتاج » ؛ لأنه نكرة محضة ، ولأن المبتدأ النكرة إذا تأخر عنه خبره الجملة أو شبه الجملة فقد يتوهم السامع أن المتأخر صفة ، لا خبر^(٣) .

٢ - أن يكون المبتدأ مشتملاً على ضمير يعود على جزء^(٤) من الخبر ؛ نحو : في الحديقة صاحبها . فكلمة : « صاحب » مبتدأ ، خبره الجار مع المجرور السابقين : (في الحديقة) . وفي المبتدأ ضمير يعود على الحديقة التي هي جزء من الخبر . ولهذا وجب تقديم الخبر ؛ فلا يصح : صاحبها في الحديقة ؛ لكيلا يعود الضمير على

(١) سبق الكلام على النكرة المحضة في رقم ٣ من هامش ٢١٣ وعلى الظرف المختص ، وكذا الجار مع مجروره في ص ٤٧٧ وفي رقم ١ من هامش ٤٨٧ . وكذا الرأي في المبتدأ النكرة في ص ٤٨٩ .

(٢) كل هذا كلام القائلين بأن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ . وسردوا عشرات من المسوغات لا تترك نكرة بغير أن تصلح للابتداء ؛ كما أوضحنا فيما سلف (ص ٨٥ وما بعدها) ، وانتهينا منه إلى أنه لا قيمة لهذا التوهم ، ولا داعي لبقاء تلك القاعدة ، وعندئذ يكون الموضع الأول من مواضع تقديم الخبر هو : (أن يكون المبتدأ نكرة محضة ، ويراد تخصيصه ، بتقديم خبره الظرف أو الجار مع المجرور المختصين ، أو : الجملة) . أما دعوى التوهم فخيالية لا مجال لها ما دامت الجملة الاسمية قد أدت الفائدة الأساسية المطلوبة .

(٣) عبارة النحاة : « يعود على الخبر » . ولكن الصحيح أنه يعود على جزء من الخبر كما في المثال - ؛ إذ الضمير عائد على المجرور وحده ، وهو جزء من الخبر ؛ لأن الخبر الجار مع مجروره .

متأخر لفظاً ورتبة ؛ وهو ممنوع هنا . ومثل ذلك : « في القطار رُكَّابُه » فكلمة : « ركاب » مبتدأ خبره الجار مع الجرور السابقين . وفي المبتدأ ضمير يعود على : « القطار » وهو جزء من الخبر ، ويجب تقديم الخبر ؛ فلا يصح : رُكَّابُه في القطار ؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ وهو ممنوع هنا كما قلنا . وهكذا . . .

٣ - أن يكون الخبر الصدارة في جملته ؛ فلا يصح تأخيره . ومما له الصدارة أسماء الاستفهام ؛ نحو : أين العصفور ؟ . فكلمة : « أين » اسم استفهام ، مبني على الفتح في محل رفع ، خبر مقدم ، و « العصفور » مبتدأ مؤخر . ونحو : متى السفر ؟ فكلمة : « متى » اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم ، و « السفر » مبتدأ مؤخر . ومثل هذا : كيف الحال ؟ - من القادم ؟ . . .

وكذلك الخبر الذي ليس اسم استفهام بنفسه ، ولكنه مضاف إلى اسم استفهام نحو : مِلْكُ مَنْ السَّيَّارَةُ ؟ . وصاحبُ أَى اختراع أنت ؟ . ومما له الصدارة « مُنْذُ وَمُنْذُ » عند إعرابهما ظرفين خبرين متقدمين في مثل : ما رأيت زميلي مُنْذُ أو مُنْذُ يومان . ولو أعربناهما مبتدئين لوجب تقديمهما أيضاً^(١).

٤ - أن يكون الخبر محصوراً^(٢) في المبتدأ بإلا أو إنما ؛ نحو : مافي البيت إلا الأهل ، إنما في البيت الأهل ؛ فلا يجوز تأخير الخبر وتقديم المبتدأ ، لكيلا يختل الحصر المطلوب ، ويختلف المراد^(٣).

(١) سبقت الإشارة لهذا في « أ » من ص ٨٩ ؛ وفي رقم ٥ من ص ٩٧ - وسيجىء البيان عنهما في ج ٢ باقي : الطرف وحروف الجر .

(٢) وقد أشرنا باختصار إلى « الحصر » وطريقته في رقم ٤ من هامش ص ٩٥ .

(٣) وقد أشار ابن مالك إلى المواضع الأربعة السابقة بقوله :

ونحو : عندي درهمٌ وليَ وطَرٌّ مُلتَزِمٌ فيه تَقَدُّمُ الْخَبَرِ

يشير هذا البيت إلى الموضع الأول : (والوتر هو : الغرض والحاجة) ، ثم قال :

كَذَا إِذَا عَادَ عَلَيْهِ مُضْمَرٌ مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبَيَّنًا يُخْبِرُ

يشير إلى الموضع الثاني ؛ وهو : تقديم الخبر إذا عاد عليه مضممر (أى : ضمير) من المبتدأ الذي يخبر عنه بخبر ، وهذا الخبر يبين ويفسر الضمير العائد إليه .

و « مما » أى : من المبتدأ الذي . . . و « به » بالخبر - حالة كون الخبر مبيناً - وعنه : (عن المبتدأ . .) وفي البيت كثير من التعميد ، والضمائر المتلوية في مراجعها . (ثم أشار إلى الموضع الثالث فالرابع بقوله :

... ..

كَذَا إِذَا يَسْتَوْجِبُ التَّصْدِيرَ كَأَيِّنَ مَنْ عَلِمْتَهُ نَصِيرًا ؟
وَجَبَرَ الْمَحْضُورَ قَدَّمَ أَبَدًا كَمَا لَنَا إِلَّا اتِّبَاعُ أَحْمَدًا

يريد : أن يقول : كذلك يجب تقديم الخبر إذا كان من الألفاظ التي تستوجب التصدير ، أى : تستحقه وجوباً ؛ نحو : أين من علمته نصيراً ؟ « فأين » اسم استفهام د خبر مقدم ... إلخ .
« من » : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر ...
وكذلك يجب تقديم خبر المحصور فيه ، أى : خبر المبتدأ الذي وقع فيه الحصر (فالخبر محصور ، والمبتدأ محصور فيه) مثل : ما لنا إلا اتباع أحمد .

زيادة وتفصيل :

- (١) من المواضع التي يجب فيها تقديم الخبر :
- ١ - أن يكون لفظة « كم » الخبرية ^(١) ؛ نحو : كم يوم غيابك !! أو : أن يكون مضافاً إليها ؛ نحو : صاحبكم كتاب أنت !! .
- ٢ - أن يكون قد ورد عن العرب متقدماً في مشمل من أمثالهم ؛ نحو : « في كل واد بنو سعد » ؛ لأن الأمثال الواردة لا يصح أن يدخلها تغيير مطلقاً ، (لا في حرفها ، ولا في ضبطها ، ولا في ترتيب كلماتها) ^(٢) . . .
- ٣ - أن يكون المبتدأ مقروناً بقاء الجزاء ؛ نحو : أمّا عندك فالخير .
- ٤ - أن يكون الخبر اسم إشارة ظرفاً للمكان ؛ نحو : « هنا ^(٣) وثم » في مثل : ها هنا النبوغ ، وثم العلم والأدب . بشرط وجود « ها » التي للتنبيه قبل الظرف : « هنا » ؛ فيصير : ها هنا .
- ٥ - أن يكون تأخير الخبر مؤدياً إلى خفاء المراد من الجملة ، أو مؤدياً إلى الوقوع في لبس ؛ فنثال الأول : لله درك ^(٤) عالماً ، فالمراد منها : التعجب ، ولو تأخر الخبر ، وقلنا : درك لله - لم يتضح التعجب المقصود .
- ومثال الثاني : عندى أنك بارع ، . . . من كل مبتدأ يكون مصدراً مسبوكاً من « أن » (مفتوحة الهمزة مشددة النون) ومعمولها ؛ وهي « أن » التي تفيد التوكيد . فلو قلنا : أنك بارع عندى - لكان التأخير سبباً في احتمال اللبس في الخلط بين « أن » المفتوحة الهمزة المشددة النون ، و « إن » المكسورة الهمزة المشددة النون ، وسبباً في احتمال لبس آخر أقوى ، بين « أن » المفتوحة الهمزة المشددة التي معناها التوكيد ، وتسبك مع معموليها بمصدر مفرد - و « أن » التي بمعنى :

(١) أما الاستفهامية فلها الصدارة أصالة كأسماء الاستفهام السابقة . فكم بنوعها واجبة الصدارة .

(٢) كما سيحى في ص ٥١٨ .

(٣) هذا ما صرح به فريق من النحاة ، كصاحب « المصباح » - ج ١ ص ١٠٢ - ولكن السماع الكثير يخالفه في الظرف : « هنا » - كما أوضحنا هذا بإفاضة في رقم ١ من هامش ص ٣٢٨ .

(٤) الدر : اللب . والمقصود من هذه الجملة المدح والتعجب معاً ؛ بسبب ما يليه المتكلم من أن اللب الذي ارتضاه مخاطب ونشأ عليه هولبن خاص من عداقه هياه وحده لإعداد هذا المخاطب إعداداً ممتازاً ينفرد به (راجع ج ٢ رقم ٢ من هامش ص ٢١ م ٦٠) . وهذا الأسلوب قد التزم فيه العرب تقديم الخبر ، فلا يصح تأخيره .

« لعل » ، وهذه مع معموليها جملة ؛ فلا تسبك معهما بمصدر مفرد ، و فرق كبير في الإعراب بين المفرد والجملة ، وفي المعنى بين التوكيد ، والترجي أو الظن . . . فقد صار اللبس محتملاً لفظاً ، وكتابة ، ومعنى ، بسبب تأخير الخبر ، فلو تقدم لا متنع اللبس ؛ إذ الحكم الثابت « إن » المكسورة الهمزة المؤكدة ، و « أن » المفتوحة الهمزة التي بمعنى : « لعل » أن كلا منهما مع معموليه جملة ، وأن كلا منهما لا يجوز تقديم معمول خبره عليه ؛ سواء أكان الممول ظرفاً أم غير ظرف (١) . ولهذا يسهل الاهتداء إلى إعراب الظرف في المثال السابق ، وأشباهه ، وأنه خبر ، وليس معمولاً للخبر متقدماً عليه ؛ إذ لو لم نعر به خيراً واعتبرنا « أن » (المفتوحة الهمزة ، المشددة النون) حرفاً للتوكيد لكان المصدر المؤول منها ومن معموليها مبتدأ ، ولا نجد له خبراً ؛ وهذا لا يصح . ولو اعتبرناها بصورتها هذه بمعنى : « لعل » لم يصح تعليق الظرف المتقدم بخبرها إذ لا يجوز تقديم شيء من معمولات خبرها عليها — كما قلنا — . وكذلك لو اعتبرناها « إن » المكسورة الهمزة ، المشددة النون ، للتوكيد ؛ فلم يبق بدّ من إعراب ذلك الظرف خبراً متقدماً .

فتقدمه — أو غيره من معمولات — يحتم أمرين :

(أ) تعيين نوع « أن » التي بعده ؛ فتكون للتوكيد ، مفتوحة الهمزة مشددة النون .

(ب) أنه خبر متقدم وليس معمولاً لخبرها .

كما أن تأخيرها يوجب أمرين :

(أ) اعتبارها « أن » (مفتوحة الهمزة ، مشددة النون) بمعنى : « لعل » ، أو كسر

همزتها مع تشديد نونها لتكون للتوكيد .

(ب) إعرابه في الصورتين معمولاً للخبر وليس خبراً .

ولا شك أن كل اعتبار من الاعتبارات السالفة يؤدي إلى معنى يخالف الآخر .

وإنما يكون تقديم خبر « أن » واجباً على الوجه الذي شرحناه بشرط عدم وجود أمّا الشرطية . فإن وجدت جاز تأخير الخبر (٢) ؛ إذ المشددة المكسورة الهمزة ،

(١) كما هو مبين في رقم ٣ من هامش ص ٦٣٥ — وفي « و » من ص ٦٤٦ .

(٢) تقول : أمّا عنى فأئك بارع . أو : أمّا أنك بارع فعننى .

.....

وكذا التي بمعنى : « لعل » لا يقعان بعدها^(١) . . .
 وغاية القول : أنه يجب تقديم الخبر في كل موضع يؤدي فيه تأخيرها إلى لبس .
 أو خفاء في المعنى أو فساد فيه .

(١) لأنه لا يجوز الفصل بينها وبين « الفاء » التي بعدها جملة اسمية مصدرية بكلمة : « إن » مكدورة الهمزة ، ولا « أن » مفتوحة الهمزة ، التي بمعنى : « لعل » - كما سيجيء في رقم ٣ من هادش ص ٦٣٥ - سيجيء في ج ٤ ص ٤٧٠ و ٤٧٦ م ١٦١ تفصيل الكلام على : « أمّا » وأحكامها .

المسألة ٣٩ :

حذف المبتدأ والخبر .

يحذف كل منهما جوازاً أو وجوباً في مواضع معينة ؛ فيجوز حذف أحدهما بشرط أن يدل عليه دليل ، وألاً يتأثر المعنى ولا التركيب بحذفه^(١) ؛ فمثال حذف المبتدأ جوازاً أن يقال : أين الأخ ؟ . فيجواب : في المكتبة . فالجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره : « الأخ » . وأصل الكلام : « الأخ في المكتبة » ، حُذِفَ المبتدأ جوازاً ؛ لوجود ما يدل عليه ، مع عدم تأثر المعنى والتركيب بحذفه . ومن الأمثلة أيضاً أن يقال : كيف الحال ؟ . فيجواب . . . « حسن » . فكلمة : « حَسَنٌ » خبر لمبتدأ محذوف تقديره : « الحال » . وأصل الجملة : « الحال حسن » حُذِفَ المبتدأ جوازاً ؛ لوجود ما يدل عليه ، مع عدم تأثر المعنى والتركيب بحذفه . . . وهكذا .

ومثال حذف الخبر جوازاً أن يقال : مَنْ في الحقل ؟ . فيجواب : « على » . فكلمة « على » مبتدأ مرفوع ، والخبر محذوف^(٢) تقديره : « في الحقل » . وأصل

(١) هذا الحذف تطبيق لقاعدة لغوية عامة ، تشمل المبتدأ والخبر وغيرهما ؛ ومضمونها . أن الحذف جائز في كل ما يدل الدليل عليه ؛ بشرط ألا يتأثر المعنى أو الصياغة بحذفه تأثراً يؤدي إلى عيب وفساد لفظي أو معنوي . ويريدون بالدليل : القرينة الحسية (ومنها اللفظية) أو : العقلية (المعنوية) التي ترشد إلى لفظ المحذوف ومعناه ؛ وإلى مكانه في جملة (طبقاً للتقسيم الذي سبقت له الإشارة في رقم ١ من هامش ص ٤٩٣) - ويريدون بعدم تأثر المعنى : بقاءه على حاله قبل الحذف ، فلا ينقص ، ولا يصيبه لبس ، أو خفاء أو تغيير -

انظر « ١ » من ص ٤٨٩ . حيث الأصل اللغوي العام الذي يتصل بهذا .

(٢) يكثر حذف المبتدأ جوازاً في جواب الاستفهام ؛ نحو : ما الحديد ؟ . فيقال : معدن ؛ أي : هو معدن . ومنه قوله تعالى : (ما أدراك ماهيه ؟ نار حامية) ، أي : هي نار حامية . . . وقوله : (هل أنيستم بيثراً من ذلكم ؟ . . . النار . . .) ، أي : هو النار . وكذلك بعد الفاء الداخلة على جواب الشرط ؛ نحو : من يعمل صالحاً فلنفسه . . . أي : فعمله لنفسه . وكذلك بعد القول : مثل : الآية الكريمة التي تسجل كلام الكفار عن القرآن بأنه أساطير الأولين وهي : (قالوا : أساطير الأولين ..) أي : (هو : أساطير الأولين) . وقد يحذف جوازاً في غير هذه المواضع ؛ مثل قوله تعالى : (سورة أنزلناها وفرضناها) . وقوله : (براءة من الله ورسوله . . .) ، أي : هذه . . .

وقد اجتمع الحذف الجائز والذكر في قول الشاعر :

قصر عليه تحيةً وسلامٌ خلعت عليه جمالها الأيأمُ

أي : (هذا قصر) - (عليه تحية وسلام) .

الكلام . « على في الحقل » . حذف الخبر جوازاً لوجود ما يدل عليه : مع عدم تأثر المعنى والأسلوب بحذفه . ومثله : ماذا معك ؟ . فيقال : « القلم » . فكلمة : « القلم » مبتدأ مرفوع ، والخبر محذوف ، تقديره : « معي » . وأصل الكلام : « القلم معي » : ومثل : خرجت فإذا الولد ^(١) . والأصل قبل حذف الخبر : خرجت فإذا الولد موجود...

وقد يحذف المبتدأ والخبر معاً بالشرط السابق : نحو : (المحسنون كثير) فمن يساعد محتاجاً فهو محسن ، ومن يساعف مستغيثاً فهو محسن ، ومن يشهد شهادة الحق . . .) أى : من يشهد شهادة الحق فهو محسن . فجملة : (هو محسن) مبتدأ وخبر ، وقد حذفوا معاً ، جوازاً ^(٢) . ومن ذلك : (من يخلص في واجبه فهو عظيم) ومن ينفع وطنه فهو عظيم ، ومن يخدم الإنسانية . . .) أى : فهو عظيم ^(٣) .

(١) « إذا » هنا للمفاجأة ، أى : للدلالة على هجوم الشيء الذى بعدها : ووقوعه بغتة . و « إذا » الفجائية « لا بد أن يسبقها كلام ، ولا تحتاج إلى جواب : ولا بد أن تكون المفاجأة في الزمن الحال ؛ (لا المستقبل ولا الماضي) ، وأن تقرر بها الفاء الزائدة للتوكيد . والمراد بالزمن الحال : أن وقوع المعنى بعدها ووقوع المعنى قبلها مقترنان ، بأن يتحقق وقوعهما معاً في وقت واحد ، ولو كان ماضياً ؛ نحو : خرجت أسس فإذا النسيم منعش ، فالوقت الذى تحقق فيه الخروج تحقق معه في الحال - أى : في الوقت نفسه - إنعاش النسيم ؛ لا قبله ، ولا بعده . ومثل هذا يقال في بيت الشاعر :

كم تمنيتُ لى صديقاً صدوقاً فإذا أنتَ ذلكَ المتمنى

(وسيجي كلام على إعراب « إذا » في ص ٥٩٢ - ثم راجع ٢٦٠ - د ص ٢٦٠ م ٧٩) ، فتقدير المثال : خرجت فإذا الولد موجود ؛ وهذا على اعتبار أن « إذا » الفجائية حرف - مراعاة للأسهل - أما على اعتبارها ظرف زمان أو مكان فهى الخبر ؛ أى : في الوقت أو في المكان الولد . (٢) فكلمة : « من » اسم شرط جازم مبنى على السكون في محل رفع مبتدأ . « يشهد فعل مضارع ، فعل الشرط ، مجزوم ، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره : هو ؛ والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ . « شهادة » مفعول مطلق منصوب ، ومضاف . « الحق » مضاف إليه مجرور « فهو محسن » الفاء داخلة على جواب الشرط . « هو » مبتدأ مبنى على الفتح في محل رفع ، « محسن » خبره مرفوع ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل جزم جواب الشرط .

وفي هذا المثال يصح أن يكون المخوف هو الخبر وحده : والتقدير : « ومن يشهد شهادة الحق محسن » . فتكون كلمة : « محسن » خبر « من » ولا تكون « من » الشرطية ، وإنما تكون اسم موصول مبتدأ ، مبنى على السكون في محل رفع « يشهد » مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره : هو . . . والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول والخبر محذوف . تقديره « محسن » . (٣) وقد أشار ابن مالك إلى الحذف السابق فقال :

وحذف ما يُعلمُ جائزٌ ؛ كما تقولُ : زيدٌ ، بعد : مَنْ عندك ما ؟

وفي جواب : كيف زيدٌ ؟ قل : دَنِفٌ فزيدٌ استغنى عنه إذ عُرِفَ

ومعنى البيت الأول : أن الحذف جائز في كل ما يعلم ؛ فيشمل حذف المبتدأ وحده ، وحذف الخبر وحده ، وحذفهما معاً ، وغيرها . والشرط في ذلك كله أن يكون المخوف معلوماً ، لم يتأثر المعنى ولا

ذلك هو الحذف الجائر^(١)، أما الواجب فللمبتدأ مواضع « وللخبر أخرى . وفيما يلي البيان :

— انصوغ بعذفه ؛ ولن يكون معنوباً إلا إذا وجد دليل يدل عليه . ولم يذكر ابن مالك هذا الشرط صراحة ، اكتفاء بشرط العلم ؛ لأن المخوف لن يكون معلوماً حقاً إلا إذا وجد الشرط المذكور . وضرب مثالا لحذف الخبر هو : أن يسأل سائل : من عند كما ؟ فتقول : « زيد » . التقدير « زيد عندنا » ؛ فحذف الخبر وهو « عندنا » ؛ لتعلم به على الوجه السالف .

(١) ويمتنع حذف الجزأين معاً أو أحدهما إذا وقعت جملتهما خبراً عن ضمير الشأن (وقد سبق تفصيل الكلام عليه في الضائرات — ص ٢٥٠ — نحو : قل هو الله أحد) .

وأق في البيت الثاني بمثل حذف المبتدأ هو أن يسأل سائل : كيف زيد ؟ فيكون الجواب : « دَئِف » أى شديد المرض « فدئف » خبر المبتدأ الذى استغنى عنه فحذف ، وأصل الجملة : زيد دئف .

وقد ردد في كلامه اسم : « زيد » على عادة قدامى النحاة في كثرة ترديده خلال أمثلتهم ؛ هو : وعمرو ؛ ويكر . وخله . . . حتى صار التمثيل بهذه الأسماء بغيضاً اليوم ؛ لابتذاله . يتحاشاه — بحق — أهل البلاغة والمقدرة الفنية من المعاصرين .

وهذه المناسبة نشير إلى أن كلمة : « كيف » أو : « كَيْ » — كما ينطقها بعض العرب — هي فى أكثر استعمالها : إما اسم مبنى على الفتح ، معناه الاستفهام عن حالة الشيء ؛ (أى : السؤال عن هيئته الطارئة عليه ، دون السؤال عن ذاته وحقيقته) ، وإما اسم معرب ، لا يدل على استفهام ، وإنما يدل على الحالة المجردة ، والهيئة المحضة ، بأن يكون بمعنى : « الكيفية » . وإما شرطية غير جازمة . فلها حالات ثلاث لا تكاد تخرج عنها . ولكل حالة أحكامها التى نوضحها فيما يلي .

(١) فلاستفهامية لها الصدارة فى جملتها . وهى مبنية على الفتح وجوباً فى كل مواقعها المختلفة باختلاف الأساليب التى تحتويها . وضابط إعرابها أن ننظر إلى العامل بعدها ؛ فإن كان محتاجاً إليها باعتبارها جزءاً أساسياً لا يستغنى عنه فإنها تعرب على حسب حاجته ، فتكون خبراً فى مثل : كيف أنت ؟ . لأن العامل الذى بعدها مبتدأ يحتاج للخبر ؛ فهى الخبر له ، مبنية على الفتح فى محل رفع . وكذلك هى الخبر فى مثل : كيف بك ؟ وكيف به . — بالإيضاح الذى سبق رقم ٣ من هامش ص ٤٤٨ — وفى مثل : كيف كنت ؟ تعرب خبراً « لكان » ، مبنية على الفتح أيضاً فى محل نصب ؛ لاحتياج « كان » لخبر منصوب ، وفى مثل : كيف ظننت الضيف ؟ تكون مبنية على الفتح فى محل نصب ، مفعولاً ثانياً للفعل : « ظن » — وهو من الأفعال التى تحتاج لمفعولين ، أصلهما المبتدأ والخبر — فإن كان ما بعدها غير محتاج لها احتياجاً أساسياً على الوجه السالف بقيت مبنية على الفتح أيضاً . ولكن فى محل نصب دائماً ؛ إما لأنها حال ؛ نحو : كيف حضر الضيف (أى : حضر الضيف فى أى حال ؛ وعلى أى هيئة) ، وإما لأنها مفعول مطلق ؛ نحو (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟) « فكيف » مفعول مطلق . والمعنى : فعل ربك بأصحاب الفيل أى فعل . . .

فهى فى كل ما سبق اسم استفهام مبنى على الفتح فى محل رفع ، أو نصب ، على حسب حاجة العامل ، ولا تكون فى محل جر مع بقائها استفهامية إلا سماعاً فى بعض أمثلة نادرة لا يقياس عليها ؛ منها : قوهم : على كيف تبيع الأحمرين ؟ .

ولسببويه رأى آخر حسن فى معنى « كيف » الاستفهامية ، وفى إعرابها . وقد اضطرب النحاة فى شرحه إلى أن تناوله « الخضرى » فى حاشيته ، فأزال عنه الغموض والحقاء ، وكشف بشرحه السبب فى استحسان صاحب « المعنى » وتأييده لذلك الرأى . وملخصه : أن معنى : « كيف » الاستفهامية عند سببويه شئ واحد ، هو السؤال عن الحال والهيئة الطارئة على الأمر المستل عنده ، وأن من يقول : كيف

مواضع حذف المبتدأ وجوباً ، أشهرها أربعة :

(١) المبتدأ الذى خبره فى الأصل نعت ، ثم ترك أصله وصار خبراً ، بيان هذا : أن بعض الكلمات يكون نعتاً خاصاً بالملح كالذى فى نحو : ذهبت إلى الصديق الأديب ، أو بالذم كالذى فى ، نحو : ابتعدت عن الرجل السفيف . أو بالترحم ^(١) كالذى فى نحو : ترفق بالضعيف البائس . فكلمة «الأديب» و «السفيف» و «البائس» نعت مفرد ^(٢) ، مجرور ، لأنه تابع للمنعوت فى حركة الإعراب ، التى هى الجرف فى الأمثلة السابقة .

= محمد؟ وكيف الجو؟ . يريد . فى أى حال محمد؟ . وعلى أى حال الجو؟ . فعناها اللفظى البقي هو : - فى أى حال؟ ، أو : على أى حال؟ . بحيث تستطيع أن تحذف لفظها وتضع مكانه هذا الذى بمعناه ، فلا يتأثر المراد . وهذا معنى قول سيويه إنها : « ظرف » مبنى على الفتح ؛ لأن كلمة : « ظرف » يراد منها أحياناً الجار مع مجروره . ثم هو يريد الظرفية المجازية ؛ كالتى فى مثل : فلان فى حالة حسنة . ولا يريد الظرفية الحقيقية النحوية التى تقتضى أن يكون الظرف منصوباً على الظرفية ؛ إذ لا تدل على زمان أو مكان ، وإنما يريد ما قلناه من نحو : فى أى حال - وعلى أى هيئة وبهذا تكون « كيف » عنده مبنية على الفتح فى محل رفع أو نصب على حسب حاجة العوامل ، ولا تكون فى محل جر ، ولا مقصورة على النصب للظرفية أو لغيرها . وهذا رأى قريب من سابقه ، وحسن أيضاً - كما قلنا -

(روى كل ما تقدم راجع للمنى والهمع ، فى مبحث « كيف » وكذا الصبان والخضرى وحاشية ياسين

فى باب المبتدأ والخبر - ج ١ - عند بيت ابن مالك ' وفى جواب : كيف زيد؟ قل : دنف...

ثم فى أول باب « أعلم وأرى »)

(ب) والى تجردت عن الاستفهام ، وتخلصت لمعنى الحالة المجردة (أى كانت بمعنى :- «الكيفية») تكون اسماً مبنياً أيضاً على الفتح فى جميع صورها إلا صورة واحدة تعرب فيها ، ولا تنبى ، وهى الحالة التى يحتاج إليها العامل لتكون مفعولاً به فتكون اسماً معرباً مفعولاً به مجرداً عن معنى السؤال ، وليس له وجوب الصدارة ؛ فتعرب مفعولاً به ، منصوباً لعامل قبله كالذى قبل أيضاً فى آية (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) حيث أعربها بعض النحاة مفعولاً به منصوباً ، مضافاً إلى الحملة الفعلية بعده ، ثم تأويل هذه الحملة الفعلية بالمصدر طبعاً لما هو موضح فى باب الإضافة - ٣ خاصة بالحملة الواقعة مضافاً إليه - كتأويل الحملة الفعلية بالمصدر فى قوله تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) بإضافة كلمة « يوم » إلى الحملة بعده . فالمعنى : ألم تر كيفية فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ . ومثله التأويل فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى : (رب أرني كيف تحيي الموتى...؟) أى : أرني كيفية إحيائك الموتى .

وفى الآيتين آراء أخرى ولكن ماعرضناه أوضح وأيسر تطبيقاً ، وليس فيه ما يعارض حكماً مطرداً ، أو قاعدة أصيلة .

أما فى غير هذه الحالة التى تعرب فيها مفعولاً به منصوباً مباشرة فإنها تنبى على الفتح - كما أشرنا - .

(ج) والشرطية اسم شرط غير جازم - على الأرجح - يقتضى بعده فعل شرط وفعل جواب . ولا بد أن يكون الفعلان بعدهما متفقين فى مادة اشتقاق اللفظ وفى المعنى نحو : كيف تكتب أكتب ، ولا يجوز كيف تكتب أقرأ

وتفصيل الكلام على هذا الاستعمال وحكه مدون فى موضعه الخاص من الجزء الرابع - باب الجوازم

ص ٤١٥ م ١٥٦ .

(١) إظهار الرحمة والحنان .

(٢) النعت المفرد - كالخبر المفرد ، وكالحال المفرد - ما ليس جملة ، ولا شبه جملة .

لكن يجوز إبعاد النعت عن الجرّ إلى الرفع أو النصب بشرط^(١)، وعندئذ لا يسمى «نعتاً»، ولا يعرب في حالته الجديدة «نعتاً» - وقد يسمّى: «نعتاً مقطوعاً أو منقطعاً»^(٢) - . وإنما يكون في حالة رفعه خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره: «هو» - مثلاً - فيكون المراد: ذهبت إلى الصديق «هو الأديب». ابتعدت عن الرجل؛ «هو السفيه». ترفق بالضعيف، «هو البائس» .

ويكون في حالة نصبه مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً مع فاعله. تقديره: «أمدح»، أو: «أذم»، أو: «أرحم»، على حسب معنى الجملة. والفاعل في هذه الأمثلة ضمير مستتر وجوباً تقديره: أنا. فالمراد: أمدح الأديب... أذم السفيه... أرحم البائس. ولا يصح إعراب كلمة منها ولا تسميتها نعتاً بعد أن تركت الجرّ إلى الرفع أو النصب. ولكن يصح تسميتها نعتاً مقطوعاً أو منقطعاً - كما سبق - هـ

ومن الأمثلة: (أصغيت إلى الغناء الشجي^(٣)) - فرعت من رؤية القاتل الفتاك - أشقت على الطفل اليتيم... فكلمة «الشجي» نعت مفرد مجرور؛ تبعاً للمنعوت. وتفيد المدح. وكلمة: «الفتاك» نعت مفرد مجرور؛ تبعاً للمنعوت، وتفيد الذم. وكلمة: «اليتيم» نعت مفرد مجرور، وتفيد الترحم. فتلك الكلمات الثلاث وأشباهها - من كل نعت مفرد مجرور يفيد المدح، أو الذم، أو الترحم - قد يجوز إبعادها عن الجرّ، إلى الرفع أو النصب؛ فلا تعرب نعتاً مفرداً مجروراً، وإنما تعرب في حالة الرفع خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره: «هو» ويكون المراد: «هو الشجي». «هو الفتاك». «هو اليتيم»... كما تعرب في حالة النصب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً مع فاعله. تقديره: أمدح... أو: أذم... أو: أرحم... على حسب الجملة، فالمراد: أمدح الشجي... أذم الفتاك... أرحم اليتيم^(٤) وبعد إبعادها عن الجرّ قد تسمى «نعتاً مقطوعاً» أو «منقطعاً» .

(١) شجي: مفصلة في موضعها الأنسب، وهو: باب النعت، ج ٣ ص ٤٧١ م ١١٥.
(٢) قد يسمى نعتاً مقطوعاً، أو: منقطعاً؛ بمعنى: أنه منقطع عن أصله وتارك لاسمه الأول وحده السابق. - انظر ما يأتي في رقم؛ من الهامش -
(٣) الذي يسر ويسفرح.

(٤) قلنا: إن تلك الكلمات وأشباهها لا تعرب نعتاً إلا حين تكون تابعة للمنعوت في حركة إعرابه أما حين تخالفه إلى الرفع أو النصب فلا تكون نعتاً؛ لأن صلها الإعرابية به تنقطع لدخولها في جملة جديدة مستأنفة - في الرأي الشائع - ؛ ولا صلة بينها وبين الجملة السابقة من ناحية الإعراب فكلتاها مستقلة بنفسها فيه بناء على الرأي المتقدم؛ نعم إن تلك الكلمة التي كانت في الأصل: «نعتاً» قد تسمى: «النعت المقطوع» أو: «المنقطع»، ولكن تسميتها هذه بالنعت لم يلاحظ فيها حالتها الجديدة؛ وإنما لوحظ فيها حالتها القديمة التي تركتها؛ فهي تسمية «مجازية» باعتبار ما كان، لا باعتبار ما هو متحقق بعد القطع. أما الوصف بالمقطوع، أو: بالمنقطع... فلاحظ فيه أنها صارت في حالتها =

وإذا كان النعت مرفوعاً في الأصل جاز إبعاده عن الرفع إلى النصب فقط ،
 — وقد يسمى : « نعتاً مقطوعاً ، أو منقطعاً » ويُعرب مفعولاً لفعل محذوف تقديره ...
 وإذا كان منصوباً جاز إبعاده عن النصب إلى الرفع فقط ، — وقد يسمى :
 « نعتاً مقطوعاً ، أو منقطعاً » وإذا كان مجروراً جاز قطعه إلى الرفع أو النصب
 — كما تقدم .

والذي يتصل بموضوعنا هو : النعت المقطوع إلى الرفع ، حيث يعرب بعد
 القطع خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً ، ولا يجب الحذف إلا بشرط أن يكون أصل
 النعت للمدح ، أو الذم ، أو الترحم ، دون غيرها — كما سبق ^(١) —
 ٢ — المخصوص بالمدح أو الذم .

وبيانه : أن في اللغة أساليب للمدح ، وأخرى للذم ، وكلاهما يؤلّف بطريقة

= الجديدة ، وإعرابها المستحدث — مقطوعة عن إعرابها السابق ، وعن حركتها الأولى . لأن جملتها الجديدة
 مستأنفة لا محل لها من الإعراب — كما أسلفنا — ؛ فليس بين الجملتين صلة إعرابية ؛ بالرغم من أن الغرض
 من الجملة الجديدة هو : إنشاء المدح ، أو الذم ، أو الترحم ... وهذه أغراض كان يدل عليها النعت قبل قطعه ...
 أما السبب في تحويلها من نعت مفرد في جملة إلى خبر مرفوع أو إلى مفعول به ، وكلاهما
 في جملة جديدة مستقلة بنفسها ، لا صلة في الإعراب بينها وبين سابقتها ... ، فسبب بلاغي ؛ ذلك
 أنهم حين يرون أهمية الغرض من هذه الكلمة ، وجلال معناها وأن هذا المعنى جدير بالتأنويه ، وتوجيه
 الأبصار والأسماع إليه ؛ يحولونها عن سياقها المألوف ، وإعرابها الطبيعي ؛ يقطعها وجوباً من جملتها ،
 وإدخالها في جملة جديدة ؛ الغرض منها : إنشاء المدح ، أو الذم ، أو الترحم ؛ فتكون دلالة الجملة
 الجديدة على تحقيق المراد أقوى وأظهر من دلالة الكلمة المفردة .

وقد يكون القصد من القطع تقوية التخصيص ؛ إذا كان وقوعه بعد نكرة ؛ نحو : مررت بأسد
 في قفصه زائرٌ أو زائرٌ . أو : تقوية الإيضاح إذا كان وقوعه بعد معرفة ؛ نحو : أصغيت لعلی
 الشاعر ؛ فيكون الحذف فيهما جائزاً .

هذا ، وليس من اللازم في النعت المنقطع أن يكون مجروراً قبل القطع تبعاً للمنعت ، بل يجوز أن
 يكون مرفوعاً في حالته الأولى ، أو منصوباً ؛ تبعاً لذلك المنعت . فإن كان المنعت مرفوعاً جاز في نعته
 المرفوع النصب على القطع . ولا يجوز الرفع ، منعاً للالتباس ، لأنه إن رفع فلان يعرف أنه مقطوع .
 وإن كان المنعت منصوباً جاز قطع النعت إلى الرفع فقط ولا يجوز إلى النصب ؛ منعاً للالتباس
 كذلك . أما إذا كان المنعت مجروراً فيجوز قطعه إلى الرفع ، أو النصب ، كما سبق ،
 إذ لا لبس مع أحدهما .

وقد قلنا : إن المنصوب بعد القطع لا يعرب نعتاً ؛ فقد دخل في جملة جديدة مستقلة بإعرابها ،
 لأنها — في الرأي الشائع — جملة مستأنفة إنشائية (من نوع الإنشاء غير الطلبي) . فلو ظهر الفعل المحذوف
 حذفاً واجباً لأوهم أن الكلام خبري . وقد حمل على حذف الفعل وجوباً ، حذف المبتدأ وجوباً أيضاً .
 ولا يجوز القطع إلا إذا كان المنعت معرفة ، أو نكرة خاصة . كما أن الفعل والمبتدأ يكونان جنهما واجباً
 مع النعت المقطوع الذي أصله للمدح أو الذم أو الترحم ، فإن كان أصله لشيء غير ما ذكرنا فالحذف
 جائز ولا واجب — كما تقدم ، وكما سيبيء في باب النعت ، وقد سبقت إشارة لبعض هذا في رقم ١ من هامش ،
 ٣٢٠ عند الكلام على بعض أحكام العلم .

معينة ، وصُورَ مختلفة ، مشروحة في أبوابها^(١) النحوية . فن أساليب المدح : أن تقول في مدح زارع اسمه حلیم : « نِعْمَ الزَّارِعُ حلیم » . وفي ذم صانع اسمه سليم : « بئس الصانع سليم » . . . فالممدوح هو « حلیم » ويسمى : « المخصوص بالمدح » والمذموم هو : « سليم » ويسمى : « المخصوص بالذم » . ومثلهما : « نِعْمَ الوَقْفُ حامد » ، أو : « بئسَ المخْلِفُ وعده زُهَيْر » . فالممدوح هو : « حامد » ، ويسمى : « المخصوص بالمدح » . والمذموم هو : « زهير » ، ويسمى : « المخصوص بالذم » . فالمخصوص في الحالتين يقع بعد جملة فعلية ، مكونة من فعل معين — يدل على المدح ، أو على الذم ، — وفاعله . وقد يتقدم المخصوص عليهما ؛ فنقول : « حلیم نعم الزارع » . . . « سليم بئس الصانع » .

وله صور وإعرابات مختلفة ، يعيننا منها الآن إعرابه إذا وقع متأخراً عن تلك الجملة ؛ فيجوز إعرابه خبراً ، مرفوعاً ، مبتدأ محذوف وجوباً ، تقديره : « هو »^(٢) فيكون أصل الكلام : « نعم الزارع هو حلیم » — « بئس الصانع هو سليم » .
٣ — أن يكون الخبر صريحاً في القسم (الحَلِيف) . وصراحته تتحقق بأن يكون معلوماً في عرف المتكلم والسامع أنه يمين ؛ نحو : في ذمتي لأسافرن مجاهداً — بجيأتى لأخذُ من العدالة . تريد : في ذمتي يمين^(٣) ، أو عهد ، أو ميثاق . . .
— بجيأتى يمين ، أو عهد ، أو ميثاق . . .

٤ — أن يكون الخبر مصدرراً يؤدي معنى فعله ، ويغنى عن التلطف بذلك الفعل — في أساليب معينة ، محدّدة الغرض ؛ محاكاة للعرب في ذلك ، وقياساً على كلامهم — ؛ كأن يدور بينك وبين طبيب ، أو مهندس ، أو زارع . . .

(١) مثل باب : « نعم وبئس » وما جرى مجراها . وسيجيء في الجزء الثالث .

(٢) هذا هو الشائع . ولنا رأى أيسر وأوضح ، وسنذكره في مكانه من باب : « نعم وبئس » . . .

— ج ٣ —

(٣) المراد : في ذمتي وفي رقبتي ما يتعلق باليمين أى : بتنفيذ مضمونها ، ويتصل بالقسم وتحقيق المراد منه ؛ كالسفر مثلاً ، أو خدمة العدالة ؛ لأن كلا منهما هو مضمون اليمين والقسم ، والغرض منها ؛ ولذلك يسمى « جواب اليمين » أو : « جواب القسم » . وهو الذى يستقر في الذمة ، ويتعلق بالرقبة وليس اليمين أو العهد أو الميثاق .

وإنما كان حذف المبتدأ واجباً هنا لأنه واجب التأخير بسبب تنكيره ، وقد وجد ما يدل عليه عند حذفه ؛ وهو : جواب القسم .

كلام في عمله . فيقول عنه : « عملٌ لذيذٌ » . أى : عملٌ عملٌ لذيذٌ . وهذه الجملة في معنى جملة أخرى ^(١) فعلية ، هي : « أعمل عملًا لذيذًا » . فكلمة : « عملاً » مصدر . ويعرب مفعولاً مطلقاً للفعل الخالى : (أعمل) وقد حذف الفعل وجوباً ؛ للاستغناء عنه بالمصدر الذى يؤدى معناه ، وللتمهيد لإحلال جملة اسمية محل هذه الجملة الفعلية . . . وصار المصدر مرفوعاً بعد أن كان منصوباً ؛ ليكون خبراً لمبتدأ محذوف ؛ فتشأ جملة اسمية تؤدى المعنى الأول تأدية أقوى من السابقة ^(٢) . ومن الأمثلة أن يقول السباح : « سباحةٌ شاقةٌ » ، أى : سباحتي سباحةٌ شاقةٌ . وهذه الجملة في معنى : أسبَحُ سباحةً شاقةً . فكلمة « سباحة » مصدر منصوب ، لأنه مفعول مطلق للفعل : « أسبَحَ » ، ثم حذف الفعل وجوباً ؛ استغناءً عنه بوجود المصدر الذى يؤدى معناه ؛ ثم رفع المصدر ليكون خبراً لمبتدأ محذوف ؛ فتشأ جملة اسمية جديدة ، تكون أقوى وأبرع في تأدية المعنى من الجملة الفعلية الأولى .

ومن الأمثلة أيضاً أن يقول السعيد : شكرٌ كثيرٌ — حمدٌ وافرٌ . . . وأن يقول المريض أو المكدر : صبرٌ جميلٌ — أملٌ طيبٌ . . . وأن يقول الولد لوالده الذى يطلب شيئاً : سمعٌ وطاعةٌ . . . أى : أمرى وحالى سمعٌ وطاعةٌ ^(٣) .

(١) يوضح هذا الحكم ما سيجيء في ج ٢ م ٧٦ ص ٢٠٧ - موضوع : « حذف عامل المصدر وإقامة المصدر المؤكد مكانه » . على الرغم من أن المصدر هناك منصوب في أكثر حالاته ، وهو هنا مرفوع . قلنا « في معنى جملة أخرى » لنفر من قول القائلين إن أصل الكلام « أعمل عملاً لذيذاً » ثم تناولوا هذا الأصل بالحذف والزيادة والتأويل . . . مما لم يعرفه العرب ، ولم يخطر ببالهم . فلكى يكون الكلام صادقاً صائباً معاً قلنا : في معنى جملة أخرى .

(٢) لأن هذه جملة اسمية ؛ والجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام - غالباً - بخلاف الأولى .

(٣) إنما يكون المحذوف وجوباً هو المبتدأ حين يكون المقصود قيام المصدر مقام فعله نهائياً على الوجه السالف . ووجود قرينة تدل على هذا . فإن لم يكن المقصود ما سبق نحو : « صبر جميل » ، وأملٌ طيب ، وباقي الأمثلة الأخرى - تغير الحكم ؛ فجاز أن يكون المحذوف هو المبتدأ ؛ أى : صبرى صبر جميل . . . وأن يكون المحذوف هو الخبر ؛ أى : صبر جميل أحسن من غيره ، أو أنسب لى ، أو أليق بك . . . وإذا جاز في المحذوف أن يكون هو المبتدأ أو الخبر فأيهما أولى بالذكر ؟ .

أطال النحاة من غير داع ؛ والأولى بهذا أو ذاك ما له سبب لذكره ، أو لحذفه .

زيادة وتفصيل :

(١) هناك مواضع أخرى - غير الأربعة السالفة - يجب فيها حذف المبتدأ ، منها :

١ - الاسم المرفوع بعد « لا سيما » ؛ في مثل : أحب الشعراء ، ولا سيما « شوقي » بإعراب : « شوقي » خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : هو ^(١) .

٢ - بعد المصدر النائب عن فعل الأمر : في مثل : « سَقِيًّا لك » ^(٢) . . . و « رَعِيًّا لك » . . . ومثلهما في قول الشاعر :

نُبِشْتُ نَعْمَتِي عَلَى الْهَجْرَانِ عَاتِبَةً سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِدَاكِ الْعَاتِبِ الزَّارِي

وغيرهما من كل مصدر ينوب عن فعل الأمر نيابة تغني عن لفظه ومعناه ، وبعد

المصدر ضمير مجرور لمخاطب . فأصل : « سَقِيًّا لك » « اسْقِ يا رب » . . . « الدعاء لك يا فلان » . وأصل « رَعِيًّا لك » « ارْعَ يا رب » . . . « الدعاء لك يا فلان » ، فالمصدر نائب عن لفظ فعل الأمر وعن معناه ، وبعده المخاطب المجرور وبالجار مع المجرور خبر لمبتدأ محذوف . ولا يصح أن يكون هذا الجار مع مجروره متعلقاً بالمصدر : (سَقِيًّا ورَعِيًّا . . .) ، لأن هذا التعلق يخالف للأصول العامة

(١) سبق في آخر باب الموصول (ص ٤٠١ وما بعدها) ، التفصيل في إعراب : « لا سيما - وأخواتها - وإعراب الاسم الذي بعدها ، وطريقة استعمال أسلوبها . ومن ذلك التفصيل نعلم أن الاسم الذي بعدها يجوز فيه الرفع والجر إن كان معرفة - ويجوز فيه الرفع ، والنصب ، والجر ، إن كان نكرة . قلنا هناك : التحقيق أن الأوجه الثلاثة جائزة في الاسم الذي بعدها ، سواء أكان معرفة ، أم نكرة . . . كما قلنا أيضاً : إذا كان الاسم الذي بعدها يجوز فيه الأوجه الثلاثة فالداعي إلى كدالذهن بمعرفة إعراباتها ، وتفصيل كل إعراب ؟ . الحق أنه لا داعي لذلك ؛ فالهمم - وهو حسنا - أن نعلم الغرض الصحيح من أسلوبها ، وطريقة استعمالها ، وأن كل اسم بعدها يجوز فيه الحركات الثلاث ، من غير تعرض لتوجيه كل حركة ، أو إعراب ذلك الاسم وإعرابها .

(٢) « سَقِيَّا لك » . هو : دعاء موجه لله أن يسقي المخاطب . وليس الغرض أن يسقيه بالماء حقاً ، وإنما الغرض من السقي الإنعام الغامر ، والرضا الأكمل . « والرعي » دعاء بالرعاية . وهذه اللام فهما ، تسمى : « لام التبيين » ، لأنها تبين أن ما بعدها مفعول معنوي - لا نحوي - كهذا المثال ، وأن ما قبلها فاعل معنوي كذلك . وقد تبين العكس أحيانا ؛ (أى : أن ما بعدها فاعل معنوي - لا نحوي - وما قبلها مفعول كذلك ؛ نحو : قولك للحاقد : يؤسأ لك

- كما سيجيء في هامش الصفحة التالية ، وفي ج ٢ باب حروف الجر عند الكلام على اللام - .

في تكوين الجملة^(١).

(١) تقضى تلك الأصول بأن الجملة الواحدة لا يصح أن تجمع في وقت واحد بين صيغتين مختلفتين لخطاب اثنين مختلفين ؛ كأن تكون إحدى الصيغتين فعل أمر ، أو ما ينوب عنه ، والخطاب فيها متجهاً لشيء ، وتكون الصيغة الأخرى مخالفة للأولى في لفظها وفي مخاطب الذي تنجّه إليه. فلو تعلق الجار والمجرور بالمصدر لفُسِدَ المعنى لأن المصدر في مثل : « سقيا » نائب عن فعل الأمر : « اسق » - وله فاعل كفعل الأمر ، وفاعله مستتر فيه تقديره : « أنت » ويصح أن يقال : إنه محذوف تقديره : « أنت » طبقاً للبيان الذي سنذكره بعد ؛ فهو يتضمن كفعله مخاطبة « الله » بالدعاء ، في الوقت الذي يتضمن فيه الضمير المجرور مخاطبة شيء آخر تدعو الله له ، وبهذا تشتمل الجملة الواحدة على الخطابين اللذين لا يجتمعان ؛ لأن اجتماعهما يفسد المعنى (إذ يكون التقدير : اسق يا الله لك . فيؤدى هذا إلى أن : الله منه السق ، وله السق ، والشطر الثاني فاسد) ولهذا قالوا - بحق - : إن « سقياك » وما هو على نطقها ليس جملة واحدة ، وإنما هو جملتان ؛ إحداهما «سقيا» ؛ فكلمة : « سقيا » مصدر نائب عن فعل الأمر ؛ ويعرب مفعولاً مطلقاً منصوباً ، وفاعله مستتر فيه أو محذوف - كما تقدم ، وكما يجيء - وتقديره في الحالتين : « أنت » والأخرى : « لك » . فالجار ؛ مع مجروره خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره : الدعاء . . . وأصل الجملة الثانية : الدعاء لك ؛ وأصل الكلام كله : سقيا (بمعنى : اسق يا الله) الدعاء لك أيها المخاطب الذي أدعوا الله لك .

وما يستحق التنويه أن الضمير الظاهر الواقع بعد ذلك المصدر (وهو ضمير الخطاب المجرور) له اتصال معنوي بالجملة الأولى ، مع أنه في جملة بعدها مستقلة عنها في الإعراب. وسبب ذلك الاتصال المعنوي : أنه قد يكون هو المقصود من الأولى ، والذي ينصب عليه ما فيها من دعاء أو غيره ؛ فكأنه من جهة المعنى - لامن جهة الإعراب - مفعول به. فعنى « سقيا لك » اسق يا رب فلاناً . . . فن فلان هذا ؟ أين هو في الكلام ؟ لا يتحقق إلا في الخطاب الواقع بعد اللام . فظاهره أنه مجرور باللام ، ولكنه في حقيقته المعنوية بمنزلة المفعول به ؛ مع أنه لا يعرب مفعولاً به ؛ إذ لا بد من اعتبار الكلام جملتين عند الإعراب - كما أوضحنا -

كذلك : « رَعِيَا لك » معناها : ارعَ يا رب فلاناً . فن فلان ؟ أين هو في الكلام ؟ لا يوجد له من حيث المعنى إلا في الخطاب الذي يدل عليه ضمير الخطاب بعد اللام ، فظاهره أنه مجرور بها ، ولكنه في حقيقته المعنوية بمنزلة المفعول به ، مع أنه لا يعرب مفعولاً به . إذ لا بد من اعتبار الكلام جملتين عند إعرابه ، كما سبق . . .

وفي بعض الأساليب الأخرى قد يكون ذلك الضمير المجرور بمنزلة الفاعل من جهة المعنى مع أنه لا يصح إعرابه فاعلاً ؛ نحو : « بؤساً لك » أيها العدو ، و : « سَحَقاً لك » ، أو : « بُعْداً لك » . تخاطب عدواً ، أو من يخون أمانته ، مثلاً . . . وتدعو عليه . وأصل الكلام : « اُبْؤُسْ » ؛ في الدعاء عليه بالبؤس ؛ - وهو : المرض والفقر - . و « اُسْحَقْ » ؛ في الدعاء عليه بالسحق ، وهو : الهلاك . وابتعد ، في الدعاء عليه بالبعد ؛ وهو : الهلاك أيضاً . فكأنك تقول بؤْسُكَ ، وَسَحَقُكَ وَبُعْدُكَ ، أى : صرت بانساً ، ساحتاً ، باعداً ؛ فالضمير المجرور بعد اللام هو الذي حل محل الفاعل في المعنى =

٣ - بعد ألفاظ معينة مسموعة عن العرب ؛ مثل : (من أنت ؟ . محمد) وهو أسلوب سماعي يقال حين يتحدث شخص حقير بالسوء عن شخص عظيم اسمه : محمد ... - مثلاً - والتقدير : من أنت ؟ . مذكورك محمد ... أو : مذمومك محمد ... أى : من أنت ؟ . وما قيمتك بالنسبة للشخص الذى تذكره بالسوء ؛ وهو محمد ؟ . فالمثل يتضمن تحقيراً للمغتاب ، وتعظيماً لمحمد . فمحمد خبر لمبتدأ محذوف تقديره : مذكورك ... أو مذمومك ... (أى : الشخص الذى تذكره فى حديثك ، أوتذمه فيه) . ولما كان هذا الأسلوب السماعي قد ورد بغير مبتدأ صار من الواجب التزامه

= لافى الإعراب ، وصار مؤدياً معناه . غير أنه فى مثل هذه التراكيب التى يكون فيها الضمير المحرور فاعلاً فى المعنى لا يكون التركيب مشتملاً على خطابين مخاطبين مختلفين ، وإنما يكون مشتملاً على خطابين بلفظين مختلفين ، والمخاطب واحد فيهما ، فإن . « بؤساً » لك « وسُحْقاً » لك « وبعداً » لك - معناها (بؤست ، الدعاء لك) . (سحقت . الدعاء لك) (بعدت - الدعاء لك) فتاء الخطاب ، وكاف الخطاب فى كل جملة هما مخاطب واحد ، مع اختلاف صيغتهما فى اللفظ ، بخلاف : « سقياً » ؛ فإن المخاطب فيها غير المخاطب فى الضمير المحرور ، وهو الكاف بعدها .

بالرغم من اتحاد الخطابين فى مثل ؛ « بؤساً » لك . فإن الجار والمحرور بعدها يعرب خبراً لمبتدأ محذوف ، وجوباً ، تقديره : الدعاء ... والكلام يشتمل على جملتين ؛ لا جملة واحدة . وليس الجار مع المحرور هنا متعلقاً بكلمة : « بؤساً » ، أى : بالمصدر ، لأن التعدى باللام يكون للمفعول به ، ولا يكون للفاعل المعنوى ، كالأذى هنا . فالمانع هنا من التعلق بخالف للمانع مع الضمير الذى يكون بمعنى المفعول به . وفى الحالتين لا بد أن يكون الكلام جملتين عند الإعراب .

وما سبق من التفصيل مقصور على المصدر النائب عن فعل الأمر ، وبعده المحرور ضمير المخاطب . فإن ناب المصدر عن غير الأمر ، نحو : شكرأ لك كثيراً ، أى : أشكر لك شكرأ ، أو كان المحرور اسماً ظاهراً ، أو ضميراً غير ضمير المخاطب ، نحو : سقياً للأمين ورعيأ له - فاللام حرف لتقوية العامل ؛ فتكون حرف جر زائد ، وما بعدها محرور بها فى محل نصب ؛ لأنه مفعول به بالمصدر . أو ليست بزايدة فالجار والمحرور متعلقان بالمصدر ، فكأنك تقول : اسق يارب الأمين ، وأرعه . وللبحث ثمة وتقسيم ليس مكانه هنا ؛ وإنما مكانه : باب : « المفعول المطلق » - ج ٢ - وباب حروف الجر - ج ٢ - عند الكلام على لام الجر التى معناها : « التبيين » .

ومن كل ما تقدم يتضح ما ذكرناه من سبب تسمية تلك اللام : « لام التبيين » .
يق إيضاح ما أشرنا إليه من فاعل المصدر النائب عن فعل الأمر ؛ كالمصدر : « سقياً » هو فاعله .
أفاعله ضمير مستتر فيه تقديره : هو ؟ . أم فاعله محذوف ... ؟ قال الصبان ، (ج ٢ - أول باب : إعمال المصدر) - إن فاعله هنا ضمير مستتر تقديره : « أنت » . مع أنه سجل فى باب الفاعل - ج ٢ - عند الكلام على مواضع حذف الفاعل - أن الفاعل يحذف جوازاً « حين يكون عامله مصدراً ؛ مثل : ضرباً زيداً ، وقوله تعالى : (أو إلهام فى يوم ...) بناء على ما ذكره من عدم تحمله الضمير لمحوده ، . ثم . قال : « وذهب السيوطى إلى أنه فى مثل ذلك يتحمل الضمير لأن الجاهل إذا تأول بالمشق

... ..
... ..

والإبقاء عليه بغير زيادة أو نقص ؛ لأنه بمنزلة المثل ؛ والأمثال لا تتغير مطلقاً^(١) .
وقد ورد ذلك الأسلوب بالنصب أيضاً : (من أنت ؟ . محمداً...) . التقدير : (من
أنت ؟ . تذكر محمداً ، أو تدم محمداً) ؛ فتكون الكلمة المنصوبة مفعولاً به
لفعل محذوف وجوباً مع فاعله .

ومن الأساليب المسموعة أن يقال : « لا سواء » عند الموازنة بين شيئين .
والتقدير : لا هما سواء ، أو : لا سواء ؛ بمعنى : لا يستويان . فكلمة : « سواء »
خبر مبتدأ محذوف وجوباً تقديره : « هما » أو : « هذان » .
ويرى فريق من النحاة أن الحذف في المسألتين جائز لا واجب . والأخذ
بهذا الرأي أنسب فيما نصوغه من أساليبنا . أما الوارد المسموع عن العرب نصاً على
أنه مثل من أمثالهم فيجب إبقاؤه كما ورد عنهم .

= تحمل الضمير . وضرباً زيداً في معنى : « اضرب » و « إطعام » في معنى : « أن تطعم . وهذا تأويل
بالمشتق » ه . . . فالمفهوم أن هناك رأيين أقواهما أن فاعله مستتر فيه كفاعل فعل الأمر تماماً ، والآخر
أنه محذوف ، وأن المصدر نائب عن فعل الأمر وفاعله معاً ، والخلاف شكلي .
(١) لا في حروفها ، ولا في ضبطها ، ولا في ترتيب كلماتها كما سبق في رقم ٢ من ص ٥٠٤ .

مواضع حذف الخبر وجوباً ، أشهرها خمسة :

١ - أن يقع الخبر «كوناً عاماً»^(١) والمبتدأ بعد «لولا الامتناعية» ، نحو : (لولا عدلُ الحاكم لقتل الناسُ بعضهم بعضاً . ولولا العلم لشتى العالمُ ، ولولا الحضارة ما سعد البشر) . . . أى : لولا عدل الحاكم موجود ... لولا العلم موجود . . . لولا الحضارة موجودة . . . فالخبر محذوف قبل جواب : «لولا» . . .

ومن هذه الأمثلة وأشباهها يتضح أن الخبر . يحذف فيها وجوباً بشرطين ؛ هما : وقوعه «كوناً عاماً» ، ووجود «لولا الامتناعية» قبل المبتدأ . فإن لم يتحقق أحد الشرطين ، أو هما معاً : تغير الحكم ؛ فإن لم توجد «لولا» فإن حكم الخبر من ناحية الحذف وعدمه كحكم غيره من الأخبار كلها ؛ وقد سبق الكلام عليها^(٢) . وإن لم يقع كوناً عاماً - بأن كان خاصاً - وجب ذكره إن لم يدل عليه دليل ؛ نحو : لولا السفينةُ واسعةٌ ما حدثتْ مئات الركاب - لولا الطيارُ بارعٌ ما نجا من العاصفة . . . ؛ فكلمة : «واسعة» وكلمة : «بارع» - خبر من نوع الكون الخاص الذى لا دليل يدل عليه عند حذفه ، ولذا يجب ذكره ، فإن دل عليه دليل جاز فيه الحذف والذكر ؛ نحو : (الصحراء قحلة لعدم وجود الماء بها ؛ فلولاء الماء معدومٌ لأثبتت - دخل اللص الحديقة لغياب حارسها ؛ فلولاء الحارس غائب لخاف اللص - اضطرب البحر من شدة الهواء . فلولاء الهواء شديد ما اضطرب) . . . فكل من : «معلوم» و «غائب» و «شديد» قد وقع خبراً ، وهو كون خاص ، فيصح ذكره كما يصح حذفه لوجود ما يدل عليه عند الحذف^(٣) .

٢ - أن يكون لفظ المبتدأ نصّاً فى القسم^(٤) ، نحو : لعمرُ الله^(٥) لأجيدَنَّ

(١) أى : يدل على مجرد الوجود العام من غير زيادة عليه . وقد سبق شرح هذا فى هامش ص ٤٧٦ .

(٢) لولا التى هى حرف امتناع لوجود ، بخلاف «لولا التحضييفية» ، فلا يلها المبتدأ .

ومثل : «لولا» الامتناعية : «لوما» التى تفيد الامتناع أيضاً ، فيجب حذف الخبر بعدها .

(٣) فى ص ٥٠٧ .

(٤) ما ذكرناه من حكم الخبر بعد : «لولا» هو أصنى مذاهب النحاة ، وأحقها بالقبول ؛

لمسايرته الأصول اللغوية العامة .

(٥) بحيث يغلّب استعماله فى القسم غلبة واضحة فى الاستعمال ؛ فيدرك السامع أنه قسم قبل

أن يسمع المقسم عليه .

(٦) حياة الله : فهو حلف بوجوده الله .

عملي - لأمانة الله لن أهمل واجبي - حياة أبي لا أنصرُ الظالم - لأيمنُ الله
 لأسرعن للملهورف . . . فالخبر محذوف في الأمثلة كلها قبل جواب القسم .
 وأصل الكلام لَعَمْرُكَ اللهُ قَسَمِي . . . لأمانة الله قَسَمِي . . . حياة أبي
 قَسَمِي . . . لأيمنُ الله قَسَمِي^(١) . . . ومن الأمثلة قول الشاعر :
 لَعَمْرُكَ مَا الْإِيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ^(٢) فَا اسْطَعْنَتْ^(٣) مِنْ مَعْرِفَهَا فَتَزَوَّدَ . . .^(٤)
 فالمبتدأ في كل مثال كلمة صريحة الدلالة على القسم ؛ لأنه غلب استعمالها فيه
 في عُرْف المتكلم والسامع لها ، ولذلك حُذِف خبرها . (وهو قَسَمِي) لأنها تدل
 عليه ، وتغني عنه ، ولا يصح أن يكون المحذوف في الأمثلة السابقة هو المبتدأ .

وهناك سبب آخر قويّ يحتم أن يكون المحذوف هو الخبر ؛ ذلك السبب وجود
 لام الابتداء في أول كل اسم للقسم ؛ إذ يدل وجودها على أن المذكور هو المبتدأ دون
 الخبر ؛ لأن الغالب عليها أن تدخل على المبتدأ لا على الخبر ؛ ليكون لها الصدارة
 الحقيقية التي هي من أحكامها .

فإن لم يكن المبتدأ نصاً في اليمين ، أو لم توجد لام الابتداء - لم يكن حذف
 الخبر واجباً ، وإنما يكون جائزاً ، نحو : (عهدُ الله قسمي لا أرتكب ذنباً -
 أمرُ الدين قسمي لا أفعل إساءة) . . . بإثبات الخبر أو حذفه .

٣ - أن يقع الخبر بعد المعطوف بواو تدل دلالة واضحة على أمرين مجتمعين ،
 هما : العطف ، والمعية^(٥) نحو : الطالب وكتابه . . .

(١) أيمن الله : بركته . (انظر « ج » من هامش ص ٥٤٣) .

(٢) سلفة ترجع لصاحبها بعد حين .

(٣) أمح : استطعت .

(٤) مثل هذا قول الآخر :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تَصْبِهِ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرِ

(٥) معنى المعية هنا ؛ مشاركة ما بعد الواو (وهو المعطوف) لما قبلها (وهو المعطوف عليه)

في أمر بحيث يجمعان فيه ، ولا يراد أن ينفرد أحدهما به . وعلامة الواو التي تفيد الأمرين معا : (العطف
 والمعية) وتكون نصاً في المعية - أن يصح حذفها ، ووضع كلمة « مع » مكانها فلا يتغير المعنى ؛ بل
 يزداد وضوحاً . والواو هنا غير التي ينصب الاسم بعدها على أنه « مفعول معه » طبقاً لما سيجيء في بابه
 - ج ٢ - وهي غير « واو المعية » المشار إليها في رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية .

وليبيان هذا نسوق المثال الآتى : إذا أقمت فى بلد تراقب أهله ؛ فرأيت
 الفلاح يلزم حقله ، والصانع يلزم مصنعه ، والتاجر يلزم متجره ، والملاح
 سفينته ، والطالب معهدته ، وكل واحد من أهلها يتفرغ لشأنه ، لا يكاد يتركه ،
 ثم أردت أن تصفهم . فقد تقول : شاهدت أهل البلد عاكفين على أعمالهم منصرفين
 لشئونهم ؛ (الفلاح وحقله) - (الصانع ومصنعه) - (التاجر ومتجره) - (الملاح
 وسفينته) - (الطالب ومعهدته) - (كل رجل وحرفته)^(١) . فما معنى كل جملة من
 هذه الجمل ؟ . معناها (الفلاح وحقله متلازمان) - (الصانع ومصنعه متلازمان)
 وهكذا الباقى

وإذا تأملت تركيب جملة منها (مثل : الفلاح وحقله) عرفت أنها مركبة
 من مبتدأ ؛ وهو : « الفلاح » . بعده واو تفيد أمرين^(٢) معاً ، هما : العطف ،
 والمعية ، وبعد هذه الواو يجر المعطوف على المبتدأ ، ويشاركه فى الخبر ، ثم
 يجر بعده الخبر . لكن أين الخبر الواقع بعد المعطوف ؟ . إن الخبر محذوف
 نفهمه من الجملة ؛ وهو كلمة : « متلازمان » أو : « متصاحبان » أو : « مقترنان »
 أو : ما يدل على الملازمة والمصاحبة التى توحى بها الواو التى بمعنى : « مع »
 وتدلّ عليها فى وضوح ظاهر للسامع ، ومثل هذا يقال فى الأمثلة الأخرى .

(١) نشير هنا إلى إشكال يورده النحاة فى مثل هذا التركيب ويحييون عنه ؛ هو : أنه لا يصح عود
 التفسير إلى « كل » وإلا صار المعنى كل رجل وحرفة كل رجل مقترنان ، وهذا يؤدى إلى : كل رجل
 يقارن حرفة كل رجل) كما لا يصح عودته إلى « رجل » ؛ وإلا كان المعنى : (كل رجل يقارن
 حرفة رجل واحد ، أى : كل رجل وحرفة رجل واحد مقترنان) والمعنيان فاسدان .

والجواب أن كلمة : « كل » فى قوة أفراد متعددة ؛ فكأنك تقول : أفراد متعددة . فالتفسير العائد
 عليها أو على ما أضيفت إليه (مثل : رجل) يكون من مقابلة الجمع بالجمع ، ومقابلة الجمع بالجمع
 تقتضى القسمة آحاداً ، كما فى قولك : ركب القوم دوابهم ؛ إذ معناه ركب كل واحد من القوم دابته .
 فكذلك هناك ؛ ويكون المعنى : كل فرد وحرفته مقترنان . أو محمد وحرفته ، وعلى وحرفته .. وهكذا .

(٢) وهذه الواو التى للمعية والعطف مما لا تدخل هنا إلا على الاسم المعطوف بها ، ولا تدخل على
 فعل ، فهى غير نظيرتها الأخرى التى تفيد المعية والعطف مجتمعين مع دخولها على مضارع يجب نصبه بأن
 مضمره وجوباً بشرط أن يكون مسبوقاً بنى أو طلب محض على الوجه الموضح فى ج ؛ باب : « إعراب الفعل » -
 مثل : لم يتصلق النبيل فيفتخر . وهى غير « واو المعية » المشار إليها فى رقم ٥ من هامش الصفحة
 السابقة .

فإن لم تكن الواو نصّاً في المعية لم يكن حذف الخبر واجباً ، وإنما يكون جائزاً عند قيام دليل يدل عليه ؛ نحو : الرجل وجاره مقترنان ، أو : الرجل وجاره ، فقط لأن الاقتصار على المتعاطفين يفيد الاشتراك والاصطحاب . أما جواز ذكر المحذوف فلأن الواو هنا ليست نصّاً في المعية ؛ إذ الجارُ لا يلزم جاره ، ولا يكون معه في الأوقات كلها ، أو أكثرها .

٤ - الخبر الذي بعده حال تدل عليه ، وتسد مسده ^(١) ، من غير أن تصلح في المعنى لأن تكون هي الخبر ؛ نحو : « قراءتي النشيد مكتوباً » . وذلك في كل خبر لمبتدأ ، مصدر - في الغالب ^(٢) - وبعد هذا المصدر معموله ، ثم حال بعد المعمول تدل على الخبر المحذوف وجوباً ، وتغني عنه ، ولا تصلح ^(٣) في المعنى أن تكون خبراً لهذا المبتدأ ^(٤) ؛ كالمثال السالف . فكلمة « قراءة » مبتدأ ، وهي مصدر مضاف ، والياء مضاف إليه ؛ « النشيد » مفعول به للمصدر - فهو المعمول للمصدر - « مكتوباً » حال منصوب ولا تصلح أن تكون خبراً لهذا المبتدأ ؛ إذ لا يقال : قراءتي مكتوب . وإنما الخبر ظرف محذوف مع جملة فعلية بعده أضيف لها ، والتقدير ؛ « قراءتي النشيد إذا كان مكتوباً » ، أو : « إذا كان مكتوباً » وقد حذف الخبر الظرف بمتعلقه ^(٥) ، ومعه المضاف إليه ؛ لوجود ما يدل عليه ، ويسد

(١) نقلنا (في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠) أن النحاة يقولون : لم يرد في الفصيح وقوع أن المصدرية بنوعها (المحففة ، والناسبة للمضارع) مع صلتها مبتدأ يستغنى عن الخبر بحال سدت مسده ، ومثلها « ما » الصدرية راجع البيان هناك - . وفي هذا تعارض مع قولهم الآتي في « ١ » من هامش ص ٥٢٦ إلا إن كان مرادهم بالمنع أنه لم يجز في الفصيح الخالص وإن ورد في غيره .

(٢) ليس من اللازم أن يكون المبتدأ نفسه هو المصدر فقد يكون « أفعل تفضيل » مضافاً إلى المصدر الصريح أو المؤول ؛ طبقاً للبيان الآتي في : « ١ » من ص ٥٢٦ .

(٣) تختلف الشروط المذكورة في حالة تجيء في « ب » من ص ٥٢٦ .

(٤) نجيء بكلمة : « إذ » حين يكون الفرض من الكلام الزمن الماضي ؛ لأن « إذ » تستعمل في الغالب ظرفاً للماضي . ونجيء بكلمة « إذا » حين يكون الفرض الزمن الحال ، أو المستقبل ، أو المستمر ، لأن « إذا » تستعمل ظرفاً في كل هذا - غالباً - « وكان » في المثاليين تامة ، وفاعلها مستتر تقديره : « هو » صاحب الحال . والخبر المحذوف هو الظرف : « إذ أو إذا » وهو مضاف والجملة الفعلية التي بعده مضاف إليه ، وقد حذفت معه .

(٥) إذ الشائع عند النحاة أن الظرف (وكذا الجار مع مجروره) لا يكون خبراً بنفسه مباشرة ، وإنما يتعلق بمحذوف يكون هو الخبر . (تقديره هنا : قراءتي النشيد حاصلة إذا كان - أو إذا كان - مكتوباً ومثل هذا يقال في باقي الأمثلة التالية حيث يكون الظرف محذوف هو ومتعلقه . أما الرأي في أن شبه الجملة يكون هو الخبر بنفسه مباشرة أو متعلقه فقد سبق البيان الكامل بشأنه في ص ٤٧٥ وهامشها .

مسده^١ في المعنى ؛ وهو ؛ الحال التي صاحبها الضمير ، الفاعل ، المحذوف مع فعله .
ومثله : مساعدتي الرجل محتاجاً ، أي : إذا كان ... أو : إذا كان محتاجاً .
« فمحتاجاً » حال لا تصلح مع جهة المعنى أن تكون خبراً لهذا المبتدأ ، إذ لا
يقال : مساعدتي محتاج (وصاحب هذه الحال هو الضمير الناعل المحذوف مع
فعله) . و « الرجل » مفعول به للمصدر - فهو معموله - ومثل هذا يقال في : شربي
الدواء سائلاً ، وأكلي الطعام ناضجاً - . . . و . . .

فإن كانت الحال صالحة لوقوعها خبراً للمبتدأ المذكور وجب رفعها لتكون
هي الخبر ؛ فلا يصح إكرام الضيف عظيمًا ، بل يتعين أن نقول : إكرام
الضيف عظيم . . . بالرفع على الخبر^(١) . . .

(١) قد يخطر على البال السؤال عن السبب في استعمال هذا الأسلوب ، وإشاره ، مع أنه قد يبدو
غريباً . ويجب كثرة النحاة بأنه يفيد معنى دقيقاً خاصاً ؛ هو قصر هذا المبتدأ على الحال - غالباً - أي :
حصر معنى هذا المبتدأ في الحال ؛ فكان الناطق بمثال من تلك الأمثلة السالفة - ونظيرتها - يقول : قراء
النشيد لا تكون إلا في حال كتابته ، أما في غيرها فلا أقرؤه - مساعدتي الرجل متصورة على حالة
احتياجه ، أما في غيرها فلا أساعده . وهكذا . . . وعندهم أننا لو لم نصطنع هذا الأسلوب بطريقته الماثورة
عن العرب لحرمنا ما يحققه من الغرض المعنوي السالف الذي يقررونه في أكثر الصور .

أما إعراب هذا التركيب فوضع جدل عنيف يثير الدهش والأسف ، لعدم جدواه . ويقول صاحب
المجم (ج ١ ص ١٠٥) إن مسألة الحال التي تسد مسد الخبر : « مسألة طويلة الذيل ، كثيرة الخلاف ،
وقد أفردتها قديماً بتأليف مستقل » ، ثم عرض - كغيره - للتليل من تلك الآراء المختلفة فلم يزدنا بسردها
ويجمل أصحابها إلا دهشاً ، وأسفاً ، بل استنكاراً لطول الذيل ، وكثرة الخلاف ، والتأليف المستقل فيما
لا غناء فيه .

لترك هذا لنقول إن الإعراب الذي ذكرناه هو أحد تلك الآراء المتعددة ، والذين ارتضوه أكثر
من غيرهم ، ويوجبون أن يكون الظرف (إذ - أو : إذا) متعلق بمحذوف هو الخبر الأصل
وأن هذا الظرف مضاف إلى جملة فعلية بعده ؛ وهو بالجملة محذوفان وجوباً : لدلالة الحال على ذلك
المحذوف وسدها مسد الخبر ؛ فلا حاجة لذكره معها . ولا يقبلون أن يكون الظرف بمتعلقه هو الخبر مع
وجود الحال ولا يقبلون شيئاً يكون هو الخبر ، بل يحتسبون أن تقوم الحال مقام الخبر المحذوف وتبقى
عن ذكره ؛ زاعمين أنه لو كان في الجملة خبر أصيل ، واقتصرت الحال على إعرابها حالاً ليست قائمة مقام
الخبر لترتب على هذا أن يفصل الخبر بين هذه الحال وعاملها المبتدأ المصدر ، والفصل بين المصدر ومعموله
بأجنبي - وهو هنا الخبر - ممنوع عندهم ، ويضمون إلى هذا أدلة جدلية وهمية نرى الخير في إهمالها ، وفي
إعراب الظرف المحذوف بمتعلقه هو الخبر مباشرة ، أو الخبر لفظ آخر محذوف يناسب السياق وتدل عليه
القرينة مع إعراب الحال المذكورة حالاً أصيلة لا تسد مسد الخبر ولا غيره . وهذا رأى كثير من الكوفيين
وبعض البصريين كالبرد ؛ فقد جاء في كتابه « الكامل » (ج ٢ ص ٧٨) حين قال الفرزدق لا خير :
« حلكم مُسْتَسْطًا » - وهذه الجملة ، كما يقول النحاة من الأمثلة التي وقعت فيها الحال سادة مسد الخبر
ساعماً ؛ لأن هذه الحال صالحة لوقوعها خبراً - ما نصه :

هذا، وتتلخص جميع مواضع حذف الخبر - التي سبقت - في العلم بالمحذوف لوجود ما يدل عليه ، أو ما يغني عنه في المعنى لا في الإعراب .
٥ - حذفه من بعض أساليب مسموعة عن العرب ؛ منها : حَسْبُكَ يَنْسَمُ النَّاسُ .

« ملاحظة » : بقيت حالة سبقت الإشارة إليها ^(١) ، وهي التي يكون فيها المبتدأ متقدماً - مباشرة - على أداة شرطية ، فإن اقترن مابعدهما بالفاء ، أو صلح لمباشرة الأداة الشرطية - كان هو الجواب للأداة الشرطية - في الرأي الأرجح - وكان خبر

= « إعرابه أنه أراد : لك حكمك مُسَمَّطاً ، واستعمل هذا فكثير حتى حذف - أي : الخبر ، وهو لك - استخفافاً » (أي : للخفة) لعل السامع بما يريد القائل : كقولك : الحلال والله . أي : هذا الحلال : وأغنى عن قوله : « هذا » - القصد والإشارة . وكان يقال لرؤية الشاعر : كيف أصبحت ؟ ويقول خبر عافاك . الله . فلم يضم حرف الخفض ، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال ، والمُسَمَّط : المرسل غير المردود . . .) ١ هـ . . . فترى من هذا أنه قدر الخبر المحذوف لكثرة الاستعمال جازاً ومجوراً ، ولم يجعل الحال سادة مسده . ولعل هذا الرأي هو الأفضل ، ليسره ووضوحه وخلوه من التكلف والتعقيد ، ولا مانع من قبول ما ارتضوه على أن يكون رأيهم في المنزلة الثانية بعد الرأي الذي عرضناه .

ومن تكلفهم وتعقيدهم أنهم يوجبون أن يكون صاحب الحال هو الضمير فاعل الفعل المحذوف (كان التامة ، أو ما يماثلها) وهذا الضمير عائد على معمول المصدر . فلم لا يكون صاحب الحال هو معمول المصدر مباشرة بدلاً من الضمير العائد على المعمول (الذي هو كلمة : النشيد - الرجل - الدواء . . . في الأمثلة السابقة ، وأشباهها) ؟ . يعمنون هذا الإعراب السهل الواضح بحجة أضعف مما سبق ، فيقولون : لو كان صاحب الحال هو المعمول للمصدر مباشرة لأدى ذلك إلى أن تعجز الحال في ترتيبها المكافي بعد ذلك المعمول بأن يكون المصدر متقدماً ، يليه معموله ، وبعدهما الحال ؛ لأن الثلاثة كتلة متأسكة ، تلتزم الترتيب السابق ، ولا يفصل بينها فاصل ، وهذا الترتيب والتأسك يوجبان - عندهم - أن يجيء الخبر بعدها جميعاً . . . فكيف تمد الحال مسد خبر ذكرت قبله ، ولم يحذف قبل مجيئها ليختل مكانه لها فتحل به ؟ . يتعللون بهذا مع أن الضمير ومرجعه بمثابة شيء واحد .

ذلك بعض جدلهم بإيجاز كبير ، وهو نوع من الجدل الذي يضيع فيه الوقت والجهد بغير طائل . وقد حل وقت نيذه . ومن شاء أن يلج به فليرجع إلى المطولات التي اشتملت عليه كالمعجم (ج ١ ص ١٠٥) ولا علينا أن نعرب الحال في الأمثلة السابقة ونظائرها « حالا » مستقلة بنفسها ليست قائمة مقام الخبر ، - كما قلنا - وأن الخبر هو الظرف بمتعلقه ، أو : هو لفظ غير الظرف يصلح خبراً ، وقد حذف بسبب العلم به ، وأن صاحب الحال هو معمول المصدر مباشرة ، وليس الضمير . العائد على ذلك المعمول . ولا داعي لبذل الجهد الضائع في إخضاع كلام عربي بليغ لضوابط لا تنطبق عليه ؛ وليسيطر « العامل » فيما لا نفع فيه ، على حين يجب أن تخضع الضوابط والعوامل لفصيح الكلام العربي المسموع عنهم في هذا الأسلوب .

(١) أصل الكلام ، حسبك السكوت يتم الناس . (ومعنى حسبك : « كافيك » ، فتكون اسماً عادياً معرباً ، أو بمعنى : « يكتيك » فتكون : اسم فعل مضارع -) وقد تقدم الكلام عليها في الضمير ص ٢٨٢ وسيجيء البيان الأوضح في ج ٣ ص ١٤٧ م ٩٥ باب الإضافة) ، وفي هذا المثال يصح أن تكون اسماً مبتدأ مرفوعاً ، مضافاً ، والكاف إليه ؛ مبنى على الفتح في محل جر - السكوت خبر مبتدأ .

المبتدأ محذوفاً وجوباً : نحو : (الطفل إن يتعلم فهو نافع) - (الصانع إن يتقن صناعته يستفد مالا وجاهاً) . فدخول « الفاء » على الجملة الاسمية (في المثال الأول) دليل على أن هذه الجملة جواب للشرط ، وليست خبراً ؛ لكثرة دخول الفاء على الجملة الجوابية دون الخبرية . ، وجزم المضارع : « يستفد » - في المثال الثاني - دليل على أنه جواب الشرط ، وعلى صلاحه لمباشرة الأداة ، وأن الجملة المضارعية ليست خبراً^(١) ...

فإن لم يقترن ما بعدهما بالفاء ، أو لم يصلح لمباشرة الأداة ، كان خبراً ، والجواب محذوفاً ؛ نحو : (الطفل إن يتعلم هو نافع) - (الصانع إن يهمل صناعته ليس يستفيد) ؛ إذ لو كان جواباً للشرط لوجب اقترانه بالفاء .

(١) في هامش ص ٦٩ حيث البيان وما فيه من خلاف .

(٢) راجع حاشي الصبيان والحضري ج ١ باب : « الكلام ، وما يتألف منه » ، عند بيت ابن مالك :

والأمر - إن لم يك للنون محل فيه ، هو اسم ؛ نحو : صه ، وحيهل

وقد نخصنا ما فيهما في هامش ص ٦٩ .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) لا فرق في المصدر الواقع مبتدأ بين أن يكون صريحاً كالأمثلة السابقة^(١) وأن يكون مؤولاً ؛ مثل : أن^{*} أقرأ^{*} النشيد مكتوباً - أن^{*} أساعد^{*} الرجل محتاجاً . وكذلك لا فرق في الحال بين المفردة كالتى سبقت وغير المفردة ، كالظرف في نحو : قراءتى النشيد مع الكتابة - أكلتى الطعام مع النضج - وكالجملة الاسمية نحو : قراءتى النشيد وهو مكتوب ، أو : الفعلية مضارعية وغير مضارعية ؛ نحو : مساعد^{*} الرجل يحتاج ، أو : مساعدتى الرجل وقد احتاح .

وليس من اللازم أن يكون المبتدأ نفسه هو المصدر فقد يكون المبتدأ أفعل تفضيل مضافاً إلى المصدر - الصريح ، أو المؤول الذى وصفناه - نحو : (أحسن^{*} قراءتى النشيد مكتوباً ، أكمل^{*} مساعدتى الرجل محتاجاً) - (أحسن^{*} ما أقرأ^{*} النشيد مكتوباً - أكمل^{*} ما أساعد^{*} الرجل محتاجاً) .

(ب) من الأساليب الصحيحة : « محمد والفرس يباريها » ، أو : « محمد وهند تسابقه » . . . ونحو هذا من كل أسلوب يشتمل على مبتدأ ، بعده معطوف بواو العطف ، ثم يجرى بعد ذلك المعطوف شيء ينسب حصوله للمعطوف ، أو المعطوف عليه ، ويقع أثره المعنوى على الآخر الذى لم ينسب له الحصول . ففي المثال الأول نرى المبتدأ هو : « محمد » ، وبعده المعطوف بالواو هو : « الفرس » ، وبعده الفعل « يبارى » الذى ينسب حصوله للمبتدأ « محمد » ، ولكن يقع أثره على الفرس فكأنك تقول : محمد يبارى الفرس . . . وفي المثال الثانى : المبتدأ هو : « محمد » أيضاً ، وبعده المعطوف بواو العطف ؛ وهو : « هند » والفعل الذى بعده هو : « تسابق » وينسب حصوله للمعطوف « هند » ، ولكن يقع أثره المعنوى على المبتدأ ؛ فكأنك تقول : هند تسابق محمد . . . فأين خبر المبتدأ في المثالين السابقين وأشباههما ؟

خير الآراء في ذلك أن الخبر محذوف ، (والتقدير : محمد والفرس يباريها مسرعان) . . . (محمد وهند تسابقه متنافسان) . . . ويجوز أن يكون الواو واو الحال والجملة بعدها حال أغنت عن الخبر^(٢) . . .

(١) في رقم ٤ من ص ٥٢٢ .

(٢) هذا الإعراب - المنقول عنهم - يؤدى - كما سيحىء هنا - إلى إهمال الشروط التى اشترطها ، أكثر النحاة في المبتدأ الذى يستغنى بالحال عن خبره . وقد عرفناها في رقم ٤ من ص ٥٢٢ .

... ..
... ..

والأول أحسن ؛ الاعتبارين :

« أولهما » : مطابقته لقاعدة عامة ؛ هي : أن الأصل في المبتدأ أن يكون له خبر أصيل ، لا شيء آخر — كالحال — يصدّ مسدّه ، وأن هذا الخبر الأصيل يصح حذفه لدليل .

« ثانيهما » : أنه يصلح لكل التراكيب التي تتصل بموضوعنا . ومن هذه التراكيب ما يكون فيه المبتدأ غير مستوف للشروط التي تجعله يستغنى بالحال عن الخبر كالمثاليين المعروضين هنا ، وأشباههما^(١) . . .

(١) لم يتعرض ابن مالك في ألفيته لمواضع حذف المبتدأ — وقد ذكرناها من قبل في ص ١٠٥ و ١٥٥ — واقتصر على مواضع حذف الخبر الواجب حيث يقول :

وبعد « لولا » غالباً — حذف الخبر حتم ، وفي نصّ يمين إذا استقرّ

فهذا البيت يتضمن موضعين من مواضع حذف الخبر وجوباً ؛ أحدهما : بعد « لولا » والآخر الخبر الذي يكون مبتدؤه نصاً في اليمين . ويريد بقوله : (غالباً) ، أى في أغلب الآراء وأكثرها ؛ لأن هناك آراء أخرى غير هذا ، في الآراء الغالبة لكثرة النحاة أن حذف « حتم » ، أى : واجب . وهذا الحكم بالوجوب استقر ؛ أى : ثبت في حالة أخرى هي حالة الخبر الذي يكون لمبتدأ نص في اليمين . ثم قال :

وبعد « وإِ عَيَّنْتَ مفهومَ مع كمثل : « كلُّ صانعٍ وما صنع »

وقبل حال لا يكون خبراً عَنِ الَّذِي خبرُهُ قَدْ أَضْمَرَ

يريد بالبيت الأخير : أن الخبر يحذف وجوباً قبل حال لا تصلح أن تكون خبراً لمبتدأ الذي خبره قد أضمّر ... أى : قد حذف وقدر ، وضرب مثالين لتلك الحال ؛ أحدهما فيه المبتدأ مصدر ... والآخر فيه المبتدأ أنفل التفضيل المضاف . فيقول :

كَضَرْبِي الْعَبْدَ مُسِيئاً ، وَأَنْتُمْ تَبَيِّنِي الْحَقَّ مَنْوِطاً بِالْحَكْمِ

أى : أَنْتُمْ

المسألة ٤٠ :

تعدد الخبر - تعدد المبتدأ^(١)

يكثر أن يكون للمبتدأ الواحد خبران أو أكثر^(٢)؛ مثل : (المتنبى شاعرٌ، حكيمٌ). فكلمة «المتنبى» مبتدأ، و «شاعرٌ» خبر، و «حكيمٌ» خبر ثان. وكذلك : (شوقٌ شاعر، ناثر، حكيم)؛ فكلمة «شوقٌ» مبتدأ و «شاعر» خبر : و «ناثر» خبر ثان، و «حكيم» خبر ثالث. ويصح أن يتعدد الخبر، ولو كان المبتدأ محذوفاً، كقول الشاعر :

غريبٌ ، مَشُوقٌ ، مُوَلَّعٌ بادِكاركم وكل غريب الدار بالشوق مُوَلَّعٌ
أى : أنا غريب... ، غير أن التعدد ثلاثة أنواع ؛ لكل منها خواصه وأحكامه :
أولها : أن يتعدد الخبر لفظاً ومعنى ، بحيث يكون كل واحد مخالفاً للآخر
في هذين الأمرين ؛ نحو : بلدنا زراعى ، صناعى - صحيفتنا علمية ، أدبية ،
سياسية . . . فكلمة «بلد» مبتدأ ، بعده خبران ، مختلفان ، لفظاً ومعنى ؛ وكل
معنى مقصود لذاته. وكلمة «صحيفة» مبتدأ ، وبعدها ثلاثة أخبار ؛ كل واحد
منها على ما وصفنا . ونحو قوله تعالى : (وهو الغفورُ، الوَدودُ ، ذو العرشِ ، المجيدُ
فعالٌ لما يريد) . . .

وحكم هذا النوع أنه يجوز فيه عطف الخبر الثانى وما بعده على الخبر الأول
بحرف عطف مناسب^(٣)؛ فيصح فى الأمثلة السابقة أن نقول : بلدنا زراعىٌ
وصناعىٌ - صحيفتنا علميةٌ ، وأدبيةٌ ، وسياسيةٌ . . . - معهدنا علمىٌ ، وأدبىٌ ،
ورياضىٌ ، وثقافىٌ . . . بإثبات حرف العطف أو حذفه فى كل الأمثلة ؛ فعند
إثباته يعرب ما بعده معطوفاً على الخبر الأول^(٤) دائماً ، مع أن ما بعد الخبر الأول

(١) سيجى (فى «ب» من ص ٥٣٢) تعدد المبتدأ ، وإن كان ابن مالك لم يتعرض له .

(٢) لأن الخبر حكم على المبتدأ ؛ ولا مانع أن يحكم على الشئ الواحد بحكم أو حكمين أو أكثر .

(٣) بواو العطف أو يغيرها من أدوات العطف على حسب المعنى .

(٤) كما هو حكم المعطوف بالواو ، ولهذا الحكم تفصيل مدون فى مكانه من باب العطف ج ٣ .

هو خبر في المعنى والتقدير ولكن لا نسميه عند الإعراب ^(١) خبراً . أما عند حذف العاطف فيسمى اللفظ المتعدد : خبراً ، ويعرب خبراً .

وعند تعدد الأخبار بغير عطف يجوز - إن لم يوجد مانع - تقديمها كلها أو بعضها على المبتدأ . أما مع العطف فيجوز تقديمها جميعاً ، أو تأخيرها جميعاً .

ثانيها : أن يتعدد الخبر في اللفظ فقط وتشارك الألفاظ المتعددة في تأدية معنى واحد ، هو المعنى المقصود ؛ وذلك بأن تكون الألفاظ مختلفة ؛ ولكل منها معنى خاص به يخالف معنى الآخر - . ولكنه معنى غير مقصود لذاته ؛ وإنما المعنى المقصود لا يتحقق إلا بأن تنضم هذه المعاني الخاصة المتخالفة ، بعضها إلى بعض ، لتؤدى وهي منضمة مجتمعة معنى واحداً جديداً لا ينشأ إلا من مجموعها ؛ كأن ترى رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل . فتقول : (الرجل طويل قصير) تريد أنه « متوسط » فكل من كلمتي : « طويل » و « قصير » لها معنى خاص يخالف الآخر ، ولكنه ليس مقصوداً هنا لذاته ؛ وإنما المقصود منه أن ينضم إلى المعنى الآخر لينشأ عن انضمامهما معنى واحد جديد ، هو : « متوسط » وهو المعنى المراد ، الذي لا يفهم من إحدى الكلمتين منفردة ؛ وإنما يفهم منهما معاً ؛ رغم أن كل واحدة منهما تسمى : خبراً ^(٢) . وتعرب خبراً ، ولها - وحدها - معنى خاص ، ولكنه غير مقصود ، كما قلنا . ومثل : الطفل سمين نحيف ، أى : معتدل . ومثل : الفاكهة حلوة مرة . أى : متغيرة الطعم ، أو متوسطة ، بين الحلاوة والمرارة ، وهكذا . . .

ولهذا النوع ضابط يميزه ؛ هو : أن المعنى المراد يتحقق ويصلح حين نجعل الألفاظ المتخالفة كتلة واحدة هي الخبر ، ويفسد إذا جعلنا بعضها هو الخبر دون بعض . على أننا عند الإعراب لا بد أن نعرب كل واحد خبراً ، ونسميه خبراً ، - كما قلنا - ونعلم أنه يشتمل ^(٣) على ضمير مستتر يعود على المبتدأ ، وهو غير

(١) يسمى في الإعراب معطوفاً ، لتوسط حرف العطف بينه وبين المعطوف عليه الخبر الأول . لكنه من ناحية المعنى - لا الإعراب - يعتبر خبراً ، لأن المعطوف على الخبر خبر ، وعلى المبتدأ مبتدأ ، وعلى الصلة صلة ، وهكذا . . . إلا المانع .

(٢) وذلك من باب المجاز .

(٣) إذا كان مشتقاً ، أو مؤولاً به .

الضمير المستتر الذى يحويه المعنى الحديد الناشئ من اجتماع كل المعانى الفردية غير المقصودة .

وحكم هذا أنه لا يجوز فيه العطف ؛ لأن الخبرين أو الأخبار شئ واحد من جهة المعنى والعطف يشعر - غالباً - بغير ذلك^(١) . كما لا يجوز أن يتفصل فيه بين الخبرين أو الأخبار فاصل أجنبي ، ولا يتأخر^(٢) المبتدأ عن تلك الأخبار أو يتوسط فيها^(٣) . . .

ثالثها : أن يتعدد الخبر فى لفظه ومعناه ولكن تعدده فى هذه الحالة يكون تابعاً لتعدد المبتدأ فى نفسه حقيقة أو حكماً . ويوصف المبتدأ بأنه متعدد فى نفسه حقيقة حين يكون ذا فردين أو أفراد ، أى : حين يكون مثنى أو جمعاً ؛ نحو : (الصديقان مهندس ، وطبيب) . ونحو : (السباقون غلام ، وشاب ، وكهل) . وفى المثال الأول تعددت أفراد الخبر فكانت فردين ، يستقل كل منهما عن الآخر ؛ تبعاً لتعدد أفراد المبتدأ المثنى ؛ إذ يشمل فردين . وفى المثال الثانى تعددت أفراد الخبر فكانت ثلاثة أفراد - على الأقل - تبعاً للأفراد المقصودة من المبتدأ الجمع . فالمبتدأ المثنى فى المثال السابق فى قوة مبتدأين لكل منهما خبر ، والمبتدأ الجمع فى قوة ثلاث مبتدعات لكل منها خبر . . . وهكذا .

ويوصف المبتدأ بأنه متعدد حكماً حين يكون منفرداً (أى : شيئاً واحداً) ولكنه ذو أجزاء وأقسام يتركب منها مجتمعة ، وهى التى تعرب خبراً له ؛ نحو : جسم الإنسان رأس ، وجذع ، وأطراف . ونحو : البيت غرفة للضيوف ، وغرفة للأكل ، وغرفة للقراءة ، وغرف للنوم . ونحو : حديقة الحيوان جزء للوحوش ، وجزء للطيور ، وجزء للقردة . . . و . . . و . . .

والفرق بين هذا النوع الحكمى وسابقه الحقيقى أن المبتدأ فى النوع السابق لا بد أن يكون ذا فردين أو أفراد ، وكل فرد له كيان ذاتى مستقل ، كامل ، يتركب من أجزاء متعددة .

(١) لأن العطف - غالباً - يقتضى المغايرة ؛ فالمعطوف غير المعطوف عليه من جهة المعنى ، إلا حين تقوم قرينة قوية على توافقهما فى المعنى ، وأن العطف للتفسير .

(٢) سقت الإشارة لهذا فى رقم ١٠ من مواضع وجوب تأخير الخبر ص ٤٩٨ .

(٣) فحكم النوع الثانى يخالف لحكم الأول العمل ؟ .

أما في هذا النوع فالمبتدأ فرد واحد، لكن له أجزاء، ومن هذه الأجزاء مجتمعة يتكون ذلك الفرد الواحد.

وحكم هذا النوع أنه يجب فيه عطف الخبر الثاني والثالث وما بعدهما، على الأول^(١)؛ بشرط أن يكون حرف العطف هو: الواو. ومتى عطف الخبر زال عنه اسم الخبر، وسمى عند الإعراب «معطوفاً»^(٢).

هذا، وتعدد الخبر ليس مقصوراً على نوع الخبر المفرد؛ بل يكون فيه (نحو: الجملة طبية، هندسية، زراعية، تجارية...)، ويكون في الجملة؛ (نحو: العصفور يغرد، يتحرك، يطير، يتلفث - الصيف نهاره طويل، ليله قصير). وفي شبه الجملة؛ (نحو: الطائر أمامك؛ قُربك). وقد يكون مختلطاً؛ (نحو: القائد أسد يتقدم^(٣) الجنود). فكلمة: «أسد» خبر. وكذلك جملة: «يتقدم»، (ونحو: الأسد يكثير عن أنيابه، غاضب، عابس)، فجملة؛ (يكثير...) خبر، وكذلك كلمة: غاضب، وكلمة: عابس.

نستخلص من كل ما سبق حكم الأخبار المتعددة:

(أ) فقد تكون واجبة العطف.

(ب) وقد تكون ممتنعة العطف.

(ج) وقد يجوز فيها العطف وعدمه.

(١) مع صحة تقديم الأخبار كلها على المبتدأ، وتأخيرها كلها عنه، وإلى تعدد الخبر يشير ابن مالك إشارة مختصرة بقوله:

وَأَخْبَرُوا بِأَشْيَاءٍ أَوْ بِأَكْثَرٍ عَنْ وَاحِدٍ؛ كَقَوْلِهِمْ سَرَاةً شُعْرًا...

يريد: أن العرب أخبروا بخبرين أو أكثر عن مبتدأ واحد؛ كما في المثال الذي ساقه، فكلمة «هم»: مبتدأ «سراة»: خبر أول «شعرا» - أي: شعراء -، خبر ثان، مرفوع بضمه مقدرة على الألف. والمسرأة: جمع سرى؛ وهو: الشريف.

(٢) مع أنه في المعنى خبر؛ لما سبق من أن المعطوف على الخبر خبر.

(٣) يصح في مثل هذه الجملة أن تكون نعتاً - كما سيحيى في الزيادة التالية:

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) من الأخبار المتعددة ما لا يصلح أن يكون نعتاً للخبر الأول ؛ نحو :
المجلات طبية ، هندسية ، زراعية ، لأن المعنى يفسد مع النعت ، إذ يؤدي إلى
أن الطبية صفتها هندسية ، زراعية ؛ وهو غير المقصود . ومثل : الأسد يكشثر
عن نابه ، غاضب ؛ إذ لا يوجد في الكلام ما يصلح أن يكون منعوياً .
وكثير من الأخبار المتعددة يصلح أن يكون نعتاً للخبر الأول ؛ مثل : هذا
أسد يزأر ؛ فجملة : « يزأر » تصلح أن تكون في محل رفع خبراً ثانياً ، أو نعتاً
للخبر الأول . ومثلها : الحطيشة شاعرٌ مُحَضَّرٌ^(١) ، هَجَاءٌ . فيجوز في كل
من كلمتي « مُحَضَّرٌ » و « هَجَاءٌ » أن تكون خبراً ، وأن تكون نعتاً لكلمة : « شاعر » .
ونحو : « ولادة » الأندلسية أميرة شاعرة ، كاتبة ، موسيقية ؛ فيجوز في
كل واحدة من الكلمات الثلاث الأخيرة أن تكون خبراً بعد الخبر الأول . وأن
تكون نعتاً للخبر الأول .

هذا : وجواز الأمرين في كل ما سبق - وفي غيره من كل ما يجوز فيه أمران
أو أكثر - متوقف على عدم القرينة التي تعين واحداً يجب الاتجاه إليه وحده ؛ إذ
لكل أمر معنى يخالف غيره .

ومن الألفاظ ما يجب أن يكون نعتاً للخبر ، ولا يصلح خبراً ؛ وذلك حين
يمنع مانع معنوي أو لغوي ، نحو : حامد رجل صالح ، . . أو : على رجل
يفعل الخير ؛ فالخبر هو : « رجل » والأصل في الخبر أن يتم الفائدة الأساسية
- كما عرفنا - لكنه لم يتمها هنا لعدم إفادة الإخبار به إلا مع النعت ؛ لأن
رجولته مستفادة من اسمه ، لا من الخبر وهذا من نوع الخبر الذي يتم الفائدة
بتابعه^(٢) . . . ولذلك كان الأحسن في قوله تعالى : (كونوا قردة خاسئين) ، أن

(١) المحضرم ؛ من أدرك عصرين مختلفين من المصور التاريخية ، لكن أكثر استعماله : في كل
من أدرك الجاهلية وأول الإسلام . والخطيئة من هذا النوع .

(٢) راجع « الملاحظة » التي في آخر هامش ٤٤٣ ، حيث الكلام على الخبر المحتاج للنعت حتماً .
وفيها إشارة إلى صورة تدخل في نوع الخبر الذي يتم الفائدة بتابعه ؛ هي صورة المبتدأ الذي يكون اسم
شرط . فالراجع أن خبره هو الجملة الشرطية .

تكون كلمة : « خاسئين » خبراً ثانياً ، لا نعتاً ؛ لأن جمع المذكر السالم لا يكون نعتاً لغير العاقل إلا بتأول لا داعي له هنا . . .

ومثل قول النحاة : « الفاعل ، اسم ، مرفوع . متأخر عن فعله : دال على مَنْ فعل ذلك الفعل ، أو قام به ... » فيجب أن يكون الخبر هو كلمة : « اسم » فقط ، وما بعده صفات له ، وليست أخباراً ؛ لأن الأصل في الخبر أن يتم المعنى الأساسي مع المبتدأ . وهنا لا يتم المعنى بواحد مما جاء بعد الخبر الأول . إذ الفاعل لا يتم معناه ولا تتضح حقيقته بأنه مرفوع فقط . أو متأخر فقط . . . أو فقط . وإنما يتم معناه وتتضح حقيقته بأنه اسم موصوف بصفات معينة ؛ مجتمعة ، هي : الرفع ، مع التأخير ؛ مع الدلالة . . . فكلية : « اسم » هي التي تعرب وحدها خبراً ؛ لأنها مع تلك القيود - التي نسميها : « نعوتاً » - تكمل المعنى الأساسي مع المبتدأ ، وتنتم الفائدة . ومثل هذا يقال في تعريف المبتدأ ، وتعريف الخبر ، والمفعول ، وكل تعريف من التعريفات العلمية المشتملة على ألفاظ وقيود تصلح أن تكون أخباراً أو نعوتاً لولا المانع السابق . الذي يوجب الاختصار على خبر واحد ، وما عداه فنعت له يكمل بها المعنى الأساسي مع المبتدأ .

(ب) قد يتعدد المبتدأ . وأكثر ما يكون ذلك في صورتين يحسن عدم القياس عليهما في الأساليب الأدبية والعلمية وغيرهما مما يقتضي وضوحاً ودقة ؛ لأنهما صورتان فيهما تكلف ظاهر ، وثقل جلي لا يخلو من غموض . وقيل إنهما موضوعتان^(١) ؛ فلا يصح القياس عليهما .

(١) نقل السيوطي - في الجزء الأول من كتابه : « الجمع » ، ص ١٠٨ ، عند الكلام على تعدد الخبر والمبتدأ - ما قاله أبو حيان في هذه الصور وأمثالها من : (أنها من وضع النحاة ، للاختبار والتمرين ، ولا يوجد مثلها في كلام العرب ألبتة) اهـ . ولهذا يحسن عدم استخدامها . وقد ساق بعد ذلك - مباشرة - أمثلة أخرى هي بالهزل ولغو القول أشبه ، ؛ تكررها توالي « أسماء الموصول » ، يعينها منها ما ختمها به من قوله : (قال ابن الحجاز : العرب « لا تدخل موصولا على موصول » وإنما ذلك من وضع النحويين . وهي مشكلة جدا . .) اهـ .

وإنما كانت هذه مشكلة خطيرة لما فيها من خلق أساليب لا تعرفها العرب - فوق أنها أساليب بغيضة - ولا تجرى على سنن من مذهبهم التي يباح محاكاتها ، والابتكار فيها بالطرائق المرسومة .

... ..

الأولى : صالح ، محمود ، هند ، مكرمه من أجله . . . ، حيث تعددت
 المبتدئات متوالية ، مع خلو كل منها من إضافته لضمير ما قبله . ثم جاءت
 الروابط كلها متوالية بعد خبر المبتدأ الأخير .

ولإرجاع كل ضمير إلى المبتدأ الذى يناسبه نتبع ما يأتى :

١ - أن يكون أول خبر لآخر مبتدأ ، ويكون الضمير البارز فى هذا الخبر

الأول راجعاً إلى أقرب مبتدأ قبل ذلك المبتدأ الذى أخبر عنه بأول خبر .

٢ - ثم يكون الضمير البارز الثانى للمبتدأ الذى قبل ذلك مباشرة . وهكذا ...
 فترب الضمائر مع المبتدئات ترتيباً عكسياً . ففى المثال السابق نعرب كلمة
 «مكرمه» خبراً عن «هند» ، والضمير الذى فى آخر : «مكرمه» - وهو : الهاء - يعود
 إلى : «محمود» ، والضمير الذى فى آخر : «أجله» ، وهو : «الهاء» أيضاً يعود
 إلى : «صالح» ، ويكون المراد : محمود هند مكرمه من أجل صالح ، أو : هند
 مكرمة محموداً من أجل صالح . وذلك بوضع الاسم الظاهر مكان الضمير
 العائد إليه .

الثانية : فى مثل : محمد ، عمه ، خاله ، أخوه قائم ، حيث تعددت المبتدئات
 وكان الأول منها مجرداً من إضافته للضمير . أما كل مبتدأ آخر فضاف إلى ضمير
 المبتدأ الذى قبله . فعنى الجملة السابقة ، أخو خال عم محمد - قائم - فنضع
 مكان كل ضمير الاسم الظاهر الذى يفسر ذلك الضمير العائد عليه .
 وفى الأمثلة السابقة للصورتين ما ينهض دليلاً على أن استعمال هذه الأساليب
 معيب ، والقرار منها مطلوب^(١) .

المسألة ٤١ :

مواضع اقتران الخبر بالفاء

الخبر مرتبط بالمبتدأ ارتباطاً معنوياً قوياً^(١). ويزداد قوة ببعض الروابط اللفظية الخاصة ؛ كالضمير العائد على المبتدأ من الخبر ، وكغيره مما عرفناه ، ولهذا كان الغالب على الخبر أن يكتفى بتلك الروابط ، وأن يخلو من « الفاء » التي تستخدم للربط^(٢) في بعض الأساليب الأخرى . فمن أمثلة الخبر الحالية من الفاء : التجارة باب للثروة - العمل وسيلة الغنى - النظافة وقاية من المرض - الصناعة ، ما الصناعة ! ! - الصديق ذلك تاج الفضائل . . .

ومن الألفاظ التي ليست خبراً ولكنها تحتاج - أحياناً - إلى الفاء الرابطة بينها وبين ما سبقها : « جواب اسم الشرط^(٣) المبهم^(٤) الدال على العموم » ؛ (لكونه لا يختص بفرد معين ؛ وإنما هو شائع) ؛ مثل : « من يعمل خيراً فجزاؤه خير » . فكلمة « مَنْ » اسم شرط مبهم ، يدل على العموم ، وبعده فعل الشرط مستقبل الزمن ؛ وهو^(٥) : (يعمل) ، ثم يليه جملة اسمية - جزاؤه خير - هي جواب الشرط ، أى : نتيجة المترتبة عليه ، التي يتوقف حصولها في المستقبل أو عدم حصولها على وقوعه أو عدم وقوعه ، وقد اقترنت هذه الجملة الاسمية بالفاء ؛ فربطت بينها وبين جملة الشرط . وذل هذا الارتباط على اتصال

(١) لأن الخبر محكوم به ، والمبتدأ محكوم عليه - كما عرفنا في رقم ٨ من هامش ص ٤٤٢ فلا وجود لأحدهما من هذه الناحية بدون الآخر .
هذا إلى أن الخبر في المعنى هو المبتدأ ؛ كما يقال بحق .

(٢) لأنها تدل على السببية والتعقيب (أى : على أن ما بعدها مسبب عما قبلها ، وأنه يتحقق سريعاً بتحقيقه ووجوده) وهى أيضاً تؤكد ترتب ما بعدها على ما قبلها ، فهى بمثابة القسم . (انظر رقم ١ من هامش الصفحة الآتية) .

(٣) في هامش ص ٦٩ من ص ٥٢٤ الكلام على المبتدأ الذي يليه أداة شرط ، وبيان الخبر والجواب .

(٤) في ص ٢٠٧ معنى : « الإبهام » - ثم في ص ٣٣٨ و ٣ من هامش ص ٣٤٠ بيان المبهم

من الإسماء خاصة ، ومعنى إبهامه ، ولا سيما : « أسماء الموصول » .

(٥) فعل أداة الشرط الحازمة مستقبل الزمن دائماً ، ولو كان فعلاً ماضياً في اللفظ ؛ لأن كل أدوات الشرط الحازمة - وبعضاً من الشرطية غير الحازمة - تجعل فعل الشرط الماضي في اللفظ مستقبل الزمن من حيث معناه ؛ وكذلك فعل الجواب . (راجع ص ٥٩) .

معنوى بين الجملتين ، وأن الثانية منهما نتيجة للأولى . ولولا الفاء الرابطة لكان الكلام جُمُلاً مفككة ، لا يظهر بينها اتصال معنوى وأثره . ومثل هذا كل أسماء الشرط الأخرى المشتملة على الإبهام ، ولها جملة شرطية ، تليها جملة جواب مقرونة بالفاء . . .

غير أن الخبر — مفرداً أو غير مفرد — قد يقترن بالفاء وجوباً في صورة واحدة ، وجوازاً في غيرها^(١) ، إذا كان في الحالتين شبيهاً بجواب الشرط ، بأن يكون نتيجة للكلام قبله ، مستقبل الزمن ، خال من أداة شرطية ، وفي صدر هذا الكلام مبتدأ يشتمل — غالباً^(٢) — على العموم والإبهام ؛ نحو : الذى يصادقنى فحترم : « فالذى » اسم موصول مبتدأ^(٣) ، وهو ينطوى على الإبهام والعموم ، وبعده كلام مستقبل المعنى^(٤) : هو : « يصادقنى » له نتيجة مترتبة على حصوله وتحققه ، — هى الخبر : (محترم) — وقد دخلت الفاء على هذا الخبر ؛ لشبهه بجواب الشرط في الأمور الثلاثة السالفة التى تتركز في :

(وجود مبتدأ دال على الإبهام والعموم ، كما يدل اسم الشرط المبتدأ على الإبهام والعموم) و (وجود كلام بعد المبتدأ مجرد من أداة شرطية ، مستقبل المعنى في الأغلب^(٥)) ؛ كوجود جملة الشرط بعد أداة الشرط) و (ترتب الخبر على الكلام السابق عليه ؛ كترتب جواب الشرط على جملة الشرط — وهذا مهم) .
ومن الأمثلة : رجلٌ يكرمنى فحجوب — من يزورنى فمسرور ، وقول أحد

(١) كما سيحىء في ص ٥٣٨ — والغرض من بحثيها النص على مراد المتكلم من لزوم وقوع الخبر ؛ نتيجة حتمية لوقوع ما قبله ولولا « الفاء » لكان هناك شك حول النتيجة من جهة احتمال وقوعها وتحققها ، أو وقوع غيرها وتحققه (راجع المعنى والصبيان ، ورقم ٢ من الهامش السابق) .

(٢ و ٢) انظر ما يتصل بهذا الشرط في رقم ٤ من هذا الهامش .

(٣) ليس من اللازم أن يكون مستقبل اللفظ أيضاً كالأمثلة الماضية ؛ وإنما يكفي أن يكون مستقبل المعنى فقط دون اللفظ ؛ نعو : قوله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) و « ما » في الآية موصولة ، وليست شرطية ؛ بدليل قراءة من قرأ : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فالفعل . « أصاب » ماض في اللفظ ، مستقبل في المعنى ، لأن المراد أن كل شيء يصيبنا في المستقبل هو نتيجة لعملنا ، وليس المراد الكلام على شيء سبق .

(٤ و ٤) جاء في حاشية الأمير على « المعنى » عند الكلام على « الفاء » المفردة ودخولها في خبر المبتدأ ما يفيد أن الجملة قد تكون ماضية . ونص كلامه أنها تدخل على كل خبر (« لبتدأ شابه الشرط في العموم وذكر جملة بعده ، صلة أو صفة . وأصل الجملة أن تكون مستقبلة كالشرط ، وقد تكون ماضية . وقد يراد بالمبتدأ معين ؛ نحو قوله : « إن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ، ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ») (٥) . — انظر رقم ٤ من هامش ص ٥٤١ —

الأدباء للوالى : من ^(١) أرادك بسوء فجعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك ، وكلُّ عدوٍّ فتحت قدمك . .

وهكذا كل خبر تحققت فيه الأمور الثلاثة ؛ سواء أكان خبراً مفرداً ، أم جملة ، أم شبه جملة . فالقاعدة العامة في اقتران الخبر بالفاء هي : مشابهته لجواب الشرط في تلك الأمور الثلاثة ، مع خلو الكلام من أداة شرط بعد المبتدأ ، لكيلا يلتبس الخبر بجواب الشرط .

وقد تتبع النحاة المواضع التي تتحقق فيها تلك المشابهة فوجدوها تركز في موضعين ، لا تكاد تخرج عنهما ، مع خلو كل موضع من أداة شرط بعد المبتدأ .

الأول : كل اسم موصول عام وقعت صلته جملة فعلية مستقبلية المعنى — في الأغلب ^(٢) — أو وقعت ظرفاً ، أو جاراً مع مجروره ، بشرط أن يكون شبه الجملة بنوعيه متعلقاً بفعل مستقبل الزمن — في الأغلب ^(٢) .

الثاني ؛ كل نكرة عامة ، وصفت بجملة فعلية : مستقبلية المعنى — في الأغلب — أو بظرف ، أو بجار مع مجروره على الوجه السالف الذى يقضى بتعلق شبه الجملة بفعل مستقبل الزمن — في الأكثر — .

ولإذا اقترن الخبر بالفاء وجب تأخيرها عن المبتدأ ؛ كالأمثلة التي أوضحناها ، فإن تقدم وجب حذف الفاء ^(٣) .

* * *

(١) « مِّن » موصولة . والأفعال الماضية التي بعدها مستقبلية الزمن ؛ لأنها للدعاء وتحقق الدعاء لا يكون إلا في المستقبل (ثم انظر رقم ٢ و ٣ من الهامش السابق) .

(٢ و ٢) انظّم رقم ٢ و ٣ من هامش الصفحة السابقة .
والصلة بالظرف ، أو الجار مع مجروره ليست فعلاً ملفوظاً دالاً على المعنى المستقبل ، ولكنها تتضمن فعلاً مقدراً ؛ لأن كلا منهما — بحسب الأصل — متعلق بفعل محذوف يمكن تقديره هنا فعلاً مضارعاً مستقبلياً ، مثل : « يستقر » أو ما بمعناه . وبعد حذف هذا المتعلق حل الظرف أو الجار مع مجروره محله ، فكلاهما بمنزلة فعل مستقبل الزمن في هذا التركيب . ومن المقرر في شبه الجملة — بنوعيه — إذا وقع صلة لغير «أل» أن يتعلق بفعل لا باسم . . . (راجع الفصل ج ١ ص ١٠٠ وكذا ما سبق هنا في شبه الجملة ، ص ٣٨٤) ، وقد يكون في الكلام قرينة أخرى تدل على أن معناه لا يتحقق إلا في المستقبل .

(٣) كما سبق في رقم ٢ من ص ٤٩٧ .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

لم يكتف النحاة بالتركيز الذي أشرنا إليه، وإنما عرضوا للتفصيل ، وعدّ المواضع المختلفة التي تقع فيها المشابهة ، مع استيفاء كل منها الشروط الثلاثة السالفة ، مبالغة منهم في الإبانة والإيضاح . وإليك بيانها بعد التنبيه إلى أمرين :

أولهما : أن الأغلب في كل الجمل الفعلية الواقعة صلة أو صفة في الصور الآتية ، أن يكون زمنها مستقبلاً محضاً . ويجوز أن يكون ماضياً — مع قلته ، كما أسلفنا^(١) — فليس من الواجب المحتوم استقبال الزمن في تلك الجمل الفعلية . والأغلب كذلك في شبه الجملة بنوعيه (الظرف والجار مع مجروره) الواقع صلة أو صفة في الصور التالية أن يتعلق بفعل مستقبل الزمن . ونستغنى بهذا التنبيه عن ذكر كرامة « الأغلب » في كل صورة من الصور التالية . منعاً للتكرار .

ثانيها : أن كثيراً منها — مع صحته لا تستسيغه أساليبنا الحديثة العالية . فحير لنا ألا نحاكبه قدر الاستطاعة ، وأن نعرف هذه المواضع لفهم ما قد يكون منها في كلام السابقين ، دون القياس عليها ، بالرغم من إباحة هذا القياس .

١ — خبر المبتدأ الواقع بعد « أمّا » الشرطية . نحو : أما الوالد فرحيم وهذا الموضع هو الذي يجب فيه اقتران الخبر بالفاء دون باقي المواضع^(٢) ؛ فيجوز فيها الاقتران وعدمه ، والاقتران أكثر .

٢ — أن يكون المبتدأ اسم موصول صلته جملة فعلية زمنها مستقبل^(١) ، تصلح أن تكون جملة للشرط^(٣) : نحو الذي يستريض فنشيط .

(١٠١) انظر رقم ٢ و ٣ من هامش ص ٥٣٦ .

(٢) هذا الموضع لا يذكره بعض النحاة هنا ؛ لأن اقتران الخبر فيه بالفاء إنما هو لأجل : « أمّا » المتضمنة معنى الشرط ، وليس لشبه المبتدأ بأداة الشرط في الإيهام والمعموم

(٣) الجملة الفعلية التي تصلح أن تكون للشرط هي التي لا يكون فعلها فعل طلب — كالأمر أو النهي — ولا فعلاً جامداً ؛ مثل : ليس أو عسى ، ولا فعلاً مسبوقاً بأداة شرط ؛ نحو قوله تعالى : (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبني ...) ولا بما ؛ ولا لن ، التائيين ، ولا قد ، ولا السين ولا سوف ، ولا رب ، ولا القسم ... ولا غير هذا مما يجيء تفصيله في مكانه الخاص ؛ وهو : باب الجوازم (ج ٤) .

... ..
... ..

٣- أن يكون المبتدأ اسم موصول صلته ظرف متعلق بفعل مستقبل الزمن ؛ نحو :
الذى عندك فأديب .

٤- أن يكون المبتدأ اسم موصول صلته جار مع مجروره ، متعلقان بفعل
مستقبل الزمن ؛ نحو : الذى فى الجامعة فرجل .

٥- أن يكون المبتدأ نكرة عامة بعدها جملة فعلية زمنها مستقبل ، صفة ^(١)
للكرة ؛ نحو : رجل يقول الحق فشجاع .

٦- أن يكون المبتدأ نكرة عامة ، بعدها ظرف - متعلق بفعل مستقبل -
والظرف ^(١) صفة لها ؛ نحو : طالب مع الأستاذ فستفيد .

٧- أن يكون المبتدأ نكرة عامة ، بعدها جار ومجرور متعلقان بفعل مستقبل
الزمن ، وشبه الجملة ، صفة لها ؛ نحو : طالب فى المعمل فتنفع .

٨- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى موصول صلته جملة فعلية مستقبلية الزمن ،
تصلح أن تكون جملة للشرط ؛ نحو : كتاب الذى يتعلم فقصون ...

٩- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى موصول صلته ظرف ؛ متعلق بفعل مستقبل
الزمن ؛ نحو : قلم الذى أمامك فجميل .

١٠- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى موصول صلته جار مع مجروره متعلقان بفعل
مستقبل الزمن ؛ نحو : مرشدة التى فى البيت فخبيرة .

١١- أن يكون المبتدأ لفظ « كل » (أو : ما بمعناها ؛ مثل : جميع) مضافاً
إلى نكرة موصوفة بجملة فعلية بعدها ... ^(٢) نحو : كل رجل يهمل فصغير ...

١٢- أن يكون المبتدأ لفظ « كل » (أو ما بمعناها) ، مضافاً إلى نكرة
موصوفة بظرف متعلق بفعل مستقبل الزمن ، نحو : كل وطنى أمام الوطن فمخلص .
وقول الشاعر :

كُلُّ سَعْيٍ سَوَى ^(٣) الذى يورث القو زَ فعقباه حسرةٌ وخسارُ

(١١) بشرط أن تكون الجملة الفعلية المستقبلية الزمن ، سالحة لأن تقع شرطية .

(٢) ستجىء هنا الصور الخاصة بإضافة كلمة : « كل » .

(٣) على اعتبار « سوى » ظرفاً ، طبقاً لما سيجىء فى ج ٢ باب : الاستثناء .

١٣- أن يكون المبتدأ لفظ « كل » (أو ما بمعناها) مضافاً إلى نكرة موصوفة بجار ومجرور متعلقين بفعل مستقبل الزمن . - نحو : كل فتاة في العمل فنانة -
١٤- أن يكون المبتدأ موصوفاً باسم موصول صلته جملة فعلية مستقبلة الزمن تصلح للشرط ، نحو : الزميل الذى يعاونك فرياضى .

١٥- أن يكون المبتدأ موصوفاً باسم موصول صلته ظرف متعلق بفعل مستقبل الزمن ؛ نحو : الزائرة التى معك فثالئة .

١٦- أن يكون المبتدأ موصوفاً باسم موصول صلته جار مع مجروره متعلقين بفعل مستقبل الزمن ؛ نحو : الرائد الذى فى الرحلة فأمين .

١٧- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى اسم موصوف بموصول صلته جملة^(١) فعلية ؛ نحو ؛ خادم الرجل الذى يزرع فنانع .

١٨- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى اسم موصوف بموصول صلته ظرف متعلق بفعل مستقبل الزمن ؛ نحو : كاتب الرسالة التى معك فقدير .

١٩- أن يكون المبتدأ مضافاً إلى اسم موصوف بموصول صلته جار مع مجروره متعلقين بفعل مستقبل الزمن ؛ نحو : مؤلف الكتب التى فى الحقيقة فعظيم .

وفى جميع الأمثلة السابقة يجوز أن يكون الخبر مفرداً ، أو جملة ، أو شبه جملة . ولا بد من خلو الجملة بعد المبتدأ من أداة شرط ، ومن غيره مما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٥٣٨ .

تلك هى أشهر الصور التى يقترن الخبر فيها بالفاء - وجوباً فى واحدة ، وجوازاً فى الباقى - لغرض هام ، هو : النص على مراد المتكلم من ترتب الخبر على الكلام الذى قبله . وتأكيده أن الخبر نتيجة مرتبة على ما سبقه ...^(٢)

ولو فقد شرط من الثلاثة التى بينهاها لا متنع دخول الفاء على الخبر ؛ فثال فقد العموم ؛ سعيك الذى تبدله فى الخير محمود . ومثال فقد الاستقبال : الذى زارنى أمس مشكور . ومثال الجملة الفعلية^(٣) المستقبلة الواقعة صلة أو صفة وهى غير صالحة لأن تقع شرطية ؛ لاشتمالها على ما ، أو : لن ، أو : قد ، أو

(١) مستقبلة الزمن ، وصالحة لأن تقع شرطية .

(٢) طبقاً للبيان السابق فى رقمى ٢ و ١ من هامش ص ٥٣٥ و ٥٣٦ .

(٣) يلاحظ ما يتصل بهذا فى رقم ٢ من هامش ٥٣٦ .

أو ... : الذى لن يزورنى مسيء ... ومثل : صديق قد يزورنى متفضل . وهكذا من كل مالم يسترف الشروط . .

وقد تدخل الفاء جوازاً — ولكن بقلة لا تمنع القياس — فى الخبر الذى مبتدؤه كلمة : « كل » إما مضافة لغير موصوف أصلاً ؛ نحو : كل نعمة فمن الله ، وقول الشاعر^(١) :

وكل الحادثات — وإن تناهت — فقرون بها الفرج القريب
ولمّا مضافة لموصوف من نوع غير ما سبق^(٢) ؛ نحو : كل أمر مفرح أو مؤلم فنتيجة لعمل صاحبه .

وإذا كان المبتدأ « أل » الموصولة وصلتها^(٣) صفة صريحة مستقبلية الزمن — جاز الإتيان بالفاء فى الخبر ؛ نحو : الصانع والصانعة فنافعان إن أجادا . المخترع والمخترعة ففيدان حين تنهيا لهما الوسائل . ومنه قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » . . . وفريق من النحاة منع دخول الفاء فى هذه الصورة ، وأول الآية ، وهذا رأى لا يصح الأخذ به مع وجود آية كريمة تعارضه ، كما لا يصح تأويل الآية لتوافقه . فالصحيح دخولها على الخبر فى هذه الصورة ، ولو كان أمراً أو نهياً .

بقى أن نعرف أن المبتدأ الذى يشبه اسم الشرط فيما سبق إذا دخل عليه ناسخ — غير إن ، وأن ، ولكن — فإن الناسخ يمنع دخول الفاء على خبره ، أما « التراسخ : إن ، وأن ، ولكن » ، فلا تمنع ؛ فيجوز مع كل واحد منها دخول الفاء : مثل قوله تعالى : (إن الذين فتنوا^(٤) المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) ، وقوله تعالى : (واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه) ، وقول الشاعر :

فوالله ما فارقتمكم قالياً^(٥) لكم ولكن ما يُقضى فسوف يكون

(١) البيت الآتى نقله صاحب الأمالى (ج ٢ ص ٣٠٧) عن ابن دريد .

(٢) فى رقم ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الصورة السالفة .

(٣) فى ص ٣٧٢ و ٣٨٨ طريقة إعراب « أل » مع صلتها .

(٤) جملة الصلة هنا ماضوية . فهى تؤيد الرأى الذى سبق — فى رقم ٣ من هامش ص ٥٣٦ — وهو

الرأى الذى يصرح بأن جملة الصلة قد تكون جملة ماضوية فى المسألة التى نحن بصددھا . أما الذين يشترطون استقبال الصلة فيقولون الآية الأولى على معنى : (إن الذين يتبين أنهم فتنوا المؤمنين والمؤمنات . . .) ومثل هذا يقال فى الآية الثانية وفى آيات أخرى سردتها المراجع النحوية ، ومنها « الصبان » فى الجزء الأول آخر باب : « المبتدأ والخبر » عند الكلام على موضوع اقتران الخبر بالفاء . (٥) كارهاً .

.....

وإذا عطفت على المبتدأ الذى خبره نوع من الأنواع السابقة المقرونة بالفاء ، أو :
 على ما يتصل به من صلة ، أو صفة ، ونحوها — يجب تأخير المعطوف
 عن الخبر ؛ إذ لا يجوز الفصل بينه وبين مبتدئه بالمعطوف ، ففى مثل : الذى عندك
 فؤدب ، لا يصح أن يقال : الذى عندك والخادم فؤدب ، أو : فؤدبان ،
 وهكذا . . .

المسألة ٤٢ :

نواسخ الابتداء : كان وأخواتها . . . (١)

معنى الناسخ :

الجملة الاسمية في مثل : « الرياحين مُتَعَة » — مركبة من اسمين مرفوعين ، يسمى أولهما : « المبتدأ » ، وله الصدارة في جملته — غالباً . — ويسمى الثاني : « خبراً » ؛ كما هو معروف . ولكن قد يدخل عليهما ألفاظ معينة تغير اسمهما ، وعلامة إعرابهما ، ومكان المبتدأ من الصدارة في جملته . ومن هذه الألفاظ : « كان » . . . ، « إن » . . . « ظن » . . . ولكل واحدة أخوات (١) . مثل : كان العامل أميناً ، وقول الشاعر :
 وإذا كانت النفوس كباراً تسعيت في مرادها الأجسام
 فيصير المبتدأ اسم « كان » مرفوعاً ، ويسمى : « اسمها » ، وليس له الصدارة الآن ، ويصير خبر المبتدأ خبر « كان » منصوباً ، ويسمى : « خبرها » (٢) . . . ومثل : إن العامل أمينٌ ؛ فيصير المبتدأ اسم « إن » منصوباً ويسمى : « اسمها » ، وتنزل عنه الصدارة ، ويصير خبره خبر « إن » مرفوعاً ، ويسمى : « خبرها » . وتقول ، ظننت العامل أميناً ؛ فيصير المبتدأ والخبر مفعولين منصوبين للفعل : « ظننت » ويسمى كلاهما : « مفعولاً به » . وليس للمبتدأ الصدارة الآن .

وتسمى الكلمات التي تدخل على المبتدأ والخبر فتغير اسمهما ، وعلامة إعرابهما ،

(١ و ١) المراد بأخواتها : نظائرها من الكلمات التي تشابهها في العمل ، وتخالفها في اللفظ والمعنى ؛ سواء أكانت مع أخوها من جنس واحد ، فهما فعلان ؛ مثل : كان — أضحى — ظل . . . أم كانتا من جنسين مختلفين . فأحدهما فعل ، مثل : « كان » و « ليس » والأخرى حرف ؛ مثل : « ما » الحجازية التي تعمل عملها .

(٢) التسمية بالاسم وبالخبر هي مجرد اصطلاح نحوي ؛ لا مناسبة له في الجملة ؛ فثل : « كان على غائباً » ، تعرب كلمة : « على » اسم « كان » ، مع أنه في الحقيقة اسم للذات المعينة ؛ وليس اسماً « لكان » ، ولا علماً عليها ؛ لأننا لا نسميها باسم جديد خاص . . . ونعرب « غائباً » خبر « كان » مع أنه في الحقيقة والواقع خبر عن : « على » ، وليس خبراً عن : « كان » ؛ لأنها ليست مبتدأ فنجيها لها بخبر . غير أن الاصطلاح النحوي جرى بما سبق . وقد يكون المراد : الاسم المصاحب لكان ، الملابس لها ، والمراد بالخبر : أنه خبر بحسب الأصل .

و « كان » الناسخة وأخواتها من الأفعال التي تعمل عملها لا ترفع فاعلاً ، ولا تنصب مفعولاً به ، ولا تحتاج لأحدهما ما دامت ناسخة . غير أن هذه الأفعال الناسخة تؤثت لتأنيث اسمها ، بالشروط والطرق التي يؤثت بها الفعل التام لتأنيث فاعله . وقد ذكرناها في موضعها الخاص من ج ٢ ص ٦٥ م ٦٦ .

ومكان المبتدأ : « النواسخ » ، أو : « نواسخ الابتداء » ؛ لأنها تُحدث نسخاً ،
 أى : تغييراً على الوجه الذى شرحناه^(١) ولا مانع من دخولها على المبتدأ النكرة^(٢) ؛
 فيصير اسماً لها ؛ إذ لا يشترط فى اسمها أن يكون معرفة فى الأصل ، ولكن يشترط
 فى اسمها ألا يكون شبه جملة ؛ لأن اسمها فى أصله مبتدأ ، والمبتدأ لا يكون شبه
 جملة^(٣) . . .

(١) لا تدخل النواسخ على المبتدأ إذا كان واحداً مما يأتى :
 أ - المبتدأ الذى له الصدارة الدائمة فى جملة بحيث لا يصح أن يتقدم عليه شيء : كأسماء الشرط ،
 وأسماء الاستفهام ، وكـم الخبرية ، والمبتدأ المقرون بلام الابتداء . . . ويستثنى من هذا النوع الذى
 له الصدارة فى جملة - ضمير الشأن ؛ فيجوز أن تدخل النواسخ عليه .

(وقد تقدم عليه الكلام فى باب الضمير ص ٢٥٠) .
 وكذلك يستثنى المبتدأ إذا كان اسم استفهام ، أو مضافاً لاسم استفهام ؛ فيجوز أن تدخل عليه « ظن
 وأخواتها » مع استيفائهما الفاعل ، ومع تقديم اسم الاستفهام وجوباً على الناسخ ، نحو : أيهم ظننت أفضل؟
 وعلام أيهم ظننت أفضل؟ . ولا تدخل هنا ، « كان » ، ولا « إن » ولا أخواتها ؛ لأن الاسم فى بابى :
 « كان وإن » لا يتقدم على العامل ، وأما الخبر فيجوز أن يتقدم فى بابى : « كان وظن » وأخواتها إذا
 كان اسم استفهام ، أو مضافاً إلى اسم استفهام ، نحو : أين كنت ؟ . وأين ظننت محموداً . . . ؟
 بشرط ألا يمنع من التتقدم مانع مما سيجيء عند الكلام على تقدم خبر « كان » . أما خبر « إن » وأخواتها
 فلا يتقدم .

ب - المبتدأ الذى يجب حذفه ، وخبره نعت مقطوع . وقد تقدم الكلام عليه ، فى ص ٥١٠ .
 ج - كلمات معينة لم تقع إلا مبتدأ فى الأساليب الواردة التى لا يجوز تغيير هيئتها ؛ لأنها جرت
 مجرى الأمثال ، والأمثال لا تتغير ؛ كالكلمات الملازمة للابتداء ، فى نحو : لله در الخطيب ، ونحو : « أقل
 رجل يفعل ذلك » ، (وقد سبق الكلام عليهما فى باب المبتدأ - ص ٤٧٤ و ٤٥٠) ، ونحو : « ما
 التجبية ، مثل : « ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا » . وهذا النوع يسمى : « الملازم للابتداء بنفسه »
 (أى : بسبب مزية فى نفسه امتاز بها : وهى ؛ أن العرب خصته بالابتداء فلم تستعمله إلا مبتدأ) .
 وكل هذا يسمى : « الاسم غير المتصرف فى استعماله » ؛ لأنه مقصور على ضبط واحد ، وطريقة واحدة
 فى الاستعمال ؛ لا يتجاوزها . وليس من اللازم أن يكون مرفوعاً ، فن أنواعه ما هو مقصور على
 النصب - أو غيره - كالمقصوب على المصدرية لداع ؛ كنيابته عن فعل الأمر فى مثل : « سقياً ، ورعياً » ،
 (وقد سبق الكلام عليهما فى ص ٥١٥ ، فليس أصله المبتدأ الذى يصلح لدخول النواسخ عليه .

وبما يتصل بهذا : المبتدأ المقصور - فى الغالب - على معنى واحد لا يستعمل فى غيره ؛ كالدعاء ، أو
 القسم ، أو غيرها ، مع تميزه صيغة واحدة لا تتغير صورتها ، ومع ملازمته الأفراد ؛ فلا يكون مثنى ،
 ولا جمعاً ؛ كقولهم فى الدعاء : « طوبى للأمين » ، ولا يكون الخبر للكلمة : « طوبى » إلا الجار مع مجروره ،
 (كما سبق فى « ١ » من ص ٤٨١) - ومن أمثلته أيضاً قول على رضى الله عنه : (طوبى لمن شغله عيبه
 عن عيوب الناس) . ومثل كلمتى : « ويل ، وسلام » فى قولهم : « ويل للخائن . وسلام على المصلح » ،
 واللفظان الأخيران يستعملان فى غير الابتداء أحياناً . وقولهم فى القسم : أيمن الله لألتزم الإنصاف .
 ولهذا القسم بيان يتصل بتركيبه فى رقم ٢ من ص ٥١٩ - .

د - الملازم للابتداء بسبب غيره ، كالاسم الواقع بعد « لولا » الامتناعية ، و « إذا » الفجائية . . .
 فإنهما لا يدخلان إلا على المبتدأ ؛ مثل ؛ لولا العلوم ما تقدمت الحضارة ، ومثل : خرجت فإذا الأصدقاء .

(٢) كما سبق فى رقم ٤ من هامش ص ٤٨٦ وفى رقم ١١ من ص ٤٨٨ .

(٣) كما تقدم فى رقم ٦ من هامش ص ٤٤٢ و « ١ » من ص ٤٤٧ .

وما سبق يتبين أن النواسخ بحسب التغيير^(١) الذي تحدثه ثلاثة أنواع :

نوع يرفع اسمه وينصب خبره ؛ فلا يرفع فاعلا ، ولا ينصب مفعولا ؛ مثل : « كان - وأخواتها » ، ونوع ينصب اسمه ويرفع خبره ، مثل « إن - وأخواتها » ، ونوع ينصب الاثنين ، ولا يستغنى عن الفاعل ؛ مثل : « ظن - وأخواتها » . ولكل نوع أحواله وأحكامه المفصلة في بابہ الخاص .

وكلامنا الآن على : « كان » وأخواتها من الأفعال الناقصة التي تعمل عملها^(٢) ، وتسمى أيضاً : الأفعال الناقصة^(٣) . وفيما يلي بيان أشهرها ، وشروط عملها ، ومعنى كل فعل :

إنها ثلاثة عشر فعلاً^(٤) ، هي : (كان - ظل - بات - أصبح - أضجى -

(١) أما النواسخ بحسب صيغتها وتكوينها اللفظي فثلاثة أنواع أيضاً ، « أفعال » ، مثل : كان وأكثر أخواتها ، و « أسماء » وهي المشتقات من مصادر تلك الأفعال التي يمكن الاشتقاق منها ؛ مثل مصادر كان ، وأصبح ، وأمسى . . . فيقال : يكون - كن - كائن . . . وهكذا .

« وحروف » مثل : « ما الحجازية » من أخوات كان . . . ومثل « إن » وأخواتها .

(٢) ولما نظرنا أخرى من الحروف تعمل عملها سيجيء الكلام عليها في ص ٥٩٣ .

(٣) سميت « ناقصة » لأن كل فعل منها يدل على « حدث ناقص » (أي : معنى مجرد ناقص) لأن إسناده إلى مرفوعه لا يفيد الفائدة الأساسية المطلوبة من الجملة الفعلية إلا بعد مجيء الاسم المنصوب ، فالاسم المنصوب هو الذي يضم المعنى الأساسي المراد ، ويحقق الفائدة الأصلية للجملة . وهذا يخالف الأفعال التامة ؛ فإن المعنى الأساسي يتم بمرفوعها الفاعل ، أو نائب الفاعل « فكان » الناقصة مثلاً تدل مع اسمها على حصوله ووجوده وجوداً مطلقاً (وهو : ضد الغم) وهذا معنى غير مراد ، ولا مطلوب ، فإذا جاء الخبر تعين المعنى المطلوب ، وتحدد .

و « صار » مع اسمها تدل على مجرد تحوله ، وانتقاله من حالته ، من غير بيان لحالته الجديدة . ولا توضيح لما انتهى إليه أمره ، والخبر هو الذي يبين ويوضح .

و « أصبح » مع اسمها تدل على مجرد دخوله في وقت الصباح ، وليس هذا هو المقصود من الناقصة فإذا جاء الخبر كان كفيلاً بتحقيق المراد . وهكذا . . .

وليس السبب في تسميتها « ناقصة » أنها تتجرّد للزمان وحده ، ولا تدل معه على حدث (معنى) كما يقول بعض النحاة - وأشارنا إليه في رقم ٢ من « مش ص ٤٦ - ، فهذا الرأي مدفوع بأدلة كثيرة جاوزت العشرة ، وسجلتها المطولات (وقد أشار إلى بعضها بإيجاز محمود ، ومنطق سليم : صاحب « حاشية الأمير على المعنى » في الباب الثالث من المجلد الثاني ، عند الكلام على تعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل الناقص) .

(٤) غير الأفعال التي بمعنى : « صار » ، وستذكر بعدها في ص ٥٥٧ ، وغير « أفعال المقاربة » وما يتصل بها . ولها باب مستقل - في ص ٦١٤ - ، وغير أفعال أخرى قليلة الشهرة ؛ لقلة استعمالها ناقصة في فصيح الأساليب ؛ مثل : أفتأ ؛ بمعنى : فتى . . .

هذا والأفعال السبعة الأولى كاملة التصرف نسبياً - إذ يجيء من مصدرها أكثر المشتقات - « وليس » جامدة بالاتفاق ، و « دام » جامدة على الأصح . والأربعة الباقية ، ناقصة التصرف .

كما سيجيء في ص ٥٦٧ .

أمسى - صار - ليس - زال - برح - فنى - انفلك - دام . وكل هذه الأفعال تشترك في أمور عامة ، أهمها ^(١) :

ألا يكون اسمها شبه جملة ، وأن عملها ليس مقصوراً على الفعل الماضى منها ، بل يشمل ما قد يكون لمصدرها من مشتقات أخرى .

وأنها لا تعمل إلا بشرط أن يتأخر اسمها عنها ^(٢) ، وأن يكون خبرها غير إنشائي ؛ فلا يصح : كان الضعيف عاونه ^(٣) ، وأن يكون الاسم والخبر مذكورين معاً ، ولا يصح - مطلقاً - حذفهما معاً ، ولا حذف أحدهما . إلا « ليس » ، فيجوز حذف خبرها النكرة العامة ، وإلا « كان » فيجوز في أسلوبها أنواع من الحذف . وسيجىء البيان عند الكلام عليهما ^(٤) .

وألا يتقدم الخبر عليها إذا كان اسماً متضمناً معنى الاستفهام ؛ وهى مسبقة بأحد حرفى النى : « ما » أو : « إن » ؛ فلا يقال : أين ما يكون الصديق ؟ ولا أين إن يكون الصديق ؟ ولا أين ما زال العمل ؟ لأن « ما » و « إن » النافيتين هما الصدارة فى كل جملة يدخلان عليها ؛ فلا يصح أن يسبقهما شئ من تلك الجملة ، وإلا كان الأسلوب فاسداً ^(٥) . . .

وأنها إذا كانت مسبقة بما المصدرية وجب ألا يسبقها شئ من صلة « ما » ، لأن « ما المصدرية بنوعها » لا يسبقها شئ من صلتها - كما تقدم ^(٦) - .

وأن صيغتها حين تكون بلفظ الماضى ، وخبرها جملة فعلية مضارعية - لا بد أن يماثلها زمن هذا المضارع ؛ فينقلب ماضياً ^(٧) - عند عدم وجود مانع - ؛

(١) انظر ما نقلناه عن النحاة - فى رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ - من قولهم : لم يرد فى الكلام الفصح وقوع « أن المصدرية » بنوعها (المخففة ، والناسبة للمضارع) مع صلتها مبتدأ يستغنى عن الخبر بحال سدّت مسدده ، ولا بعد « كان » « وأن » الناسخين بنير فاصل من غيرها . . . وكذلك « ما » المصدرية - راجع البيان هناك -

(٢) وسيأتى هذا عند الكلام على حكم معموليها من ناحية التقديم والتأخير - ص ٥٦٩ .

(٣) لا فرق فى المنع بين الإنشاء الطلبى ؛ مثل : كان والدك أحترمه ، وغير الطلبى مثل : كانت صحتى « يحفظها الله ، أو : يكون مالى أدامه الله » على أن تكون الجملة الأخيرة فى المثالين دعائية ؛ فلا يصح اعتبار « كان » ناسخة فى هذه الأمثلة وأشباهها بما وقع فيها الخبر جملة . إنشائية وللإنشاء بنوعيه إيقاض فى رقم ٢ من هامش ص ٣٧٤ . (٤) فى ص ٥٥٨ و ٥٨٠ .

(٥) راجع منع هذا التقدم فى ص ٥٦٩ وفى رقم ٣ من هامش ص ٥٧٠ . (٦) فى ص ٤٠٧ .

(٧) كما سبق هذا عند الكلام على أحوال المضارع من ناحية دلالاته الزمنية - ص ٩١ - ومنه

يعلم أنه لا يدخل فى هذا الحكم الفعل المضارع الذى فى خبر النواسخ الدالة على الحال فقط ؛ كأفعال للشروع ؛ أو الدالة على الاستقبال فقط ؛ كأفعال الرجاء .

ففي مثل : أصبح العصفور يغرد - يكون زمن المضارع « يغرد » ماضياً ، مع أن الفعل مضارع ، ولكنه - هو وكل الأفعال المضارعة - يتابع زمن الفعل الماضي الناسخ ويوافق في الزمن ، بشرط عدم المانع الذي يعينه لغير المضي - كما أشرنا . وأن أخبارها لا تكون جملة فعلية ماضوية ، ما عدا « كان » فإنها تمتاز بصحة الإخبار عنها بالجملة الماضوية ^(١) .

بقي من شروط الخبر : أن يتمم المعنى بنفسه مباشرة مع الاسم - وهو الغالب - وقد يتممه في بعض الأحيان بمساعدة النعت ، طبقاً للبيان المفصل الذي سبق في باب : « المبتدأ والخبر » ، موضحاً بالأمثلة . . .

ويشترط في الخبر أيضاً ألا يكون معلوماً من اسم الناسخ وتوابعه ، كما في البيان السالف ^(٢) .

أما في غير الأمور المشتركة السالفة فلكل فعل ناسخ - وكل ما قد يكون لمصدره من مشتقات ^(٣) - معناه الخاص مع معموليه ^(٤) وشروطه الخاصة التي سنعرضها فيما يلي :

(١) راجع حاشية الأولى على القطر ص ٣٤٠ - غير أن المراجع الأخرى تضطرب في هذا الحكم وتختلف اختلافاً واسعاً (تبدو صورته في حاشية ياسين على التصريح ، ج ١ ، أول هذا الباب ، وفي الجمع ج ١ ص ١١٣ . . .) وشي ما يستخلص من تلك الآراء هو :

١ - مقاله الجمع ؛ ونصه : (شرط ما تدخل عليه : « صار » وما جمعناها ، و « دام » و « زال » وأحوالها - زيادة على ماسبق - ألا يكون خبره فعلاً ماضياً (يريد : جملة ماضوية) فلا يقال : صار زيد عَلمَ ، وكذا البواق ؛ لأنها تفهم الدوام على الفعل ، واتصاله بزمن الإخبار ، والماضي يفهم الانقطاع ؛ فتدافعاً . وهذا متفق عليه . . .) ١ هـ .

ب - أما في غير تلك الأفعال فالصحيح جوازه مطلقاً ، وعليه البصريون ؛ لكثرة وروده في القرآن ، والكلام الفصيح كثرة تبين القياس عليه - وقد عرض « الجمع » أمثلة متعددة من هذا الوارد . . . - أمّا الكوفيون فيشترطون لصحته وجود « قد » قبله ، ثم إن المفهوم من الحاشية التي على شرح التصريح ، بعنوان : « فائدة » - برغم تعدد الآراء فيها أن المستحسن غاية الاستحسان - وإن لم يبلغ حد الوجوب عند غير الكوفيين - هو اقتران الخبر بالحرف : « قد » إن كان الفعل الناسخ وفعل الخبر ماضيين معاً ، أو مضارعين معاً . ففي تماثل في نوعهما الفعلان - الفعل الناسخ والفعل الذي في خبره - فالمستحسن تصدير الخبر بالحرف ، « قد » ، ويجوز عدم مجيئها . وتمتاز « كان » بجواز مجيء « قد » وعدم مجيئها في الحالات السالفة ، - وغيرها من سائر حالاتها الأخرى . كما تشهد بهذا النصوص العالية الفصيحة التي عرضها الدخلة ويقوى مجيء « قد » في الخبر حجة الكوفيين التي سند كوفي رقم ٢ من هامش ص ٥٥٩ ثم انظر ما يتصل بالأخبار وهذا في ص ٢٥٤ لأهية .

(٢) في هامش ص ٤٤٣ (٣) انظر ما يخص بجمود هذه الأفعال واشتقاقها في ص ٥٦٧ .

(٤) لأن الفعل وحده بدون معموله لا يحقق الفرض ؛ لأنه يدل على مجرد معنى جزئي غير معين =

كان : نفهم معناها من مثل : كان الطفل جارياً ؛ فهذه الجملة يراد منها إفادة السامع أن الطفل منسوب له شيء ؛ هو : « الجرى » ، وأن الجرى تحقق في زمن ماض ، بدليل الفعل : « كان » .

ولو قلنا : يكون الطفل جارياً — لكان المراد إفادة السامع أن الطفل منسوب له شيء ؛ هو : « الجرى » ، وأن الجرى تحقق في زمن حالى أو مستقبل ، بدليل الفعل المضارع : « يكون » .

ولو قلنا : كن جارياً — لكان المراد إفادة السامع أن المخاطب موصوف بتوجه طلب معين إليه ؛ هو ؛ مباشرة الجرى ، أى : مطالبته بالجرى في المستقبل ؛ بدليل فعل الأمر : « كُنْ » .

مما سبق نفهم المراد من قول النحاة : « كان » مع معموليها تفيد اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافاً مجرداً^(١) في زمن يناسب صيغتها ، أو صيغة المذكور في الجملة من مشتقات مصدرها ؛ فإن كانت الصيغة فعلاً ماضياً فالزمن ماض محض بشرط ألا يوجد ما يجعله لغير الماضى المحض . وإن كانت الصيغة فعلاً مضارعاً خالصاً^(٢) فالزمن صالح للحال والمستقبال ، بشرط ألا يوجد ما يجعله لأحدهما ، أو لغيرهما . وإن كانت الصيغة فعل أمر فالزمن مستقبل ؛ إن لم يوجد ما يجعله لغيره . وإن كانت الصيغة إحدى مشتقات مصدرها فالزمن على حسب ما يناسب هذا المشتق^(٣) .

حكمها : لا بد لإعمالها هي والمشتقات من تحقق الشروط العامة السالفة . وقد تستعمل « كان » الناسخة بمعنى : « صار »^(٤) فتأخذ أحكامها ، وتعمل عملها بشروطه ؛ مثل : جمد الماء فكان ثلجاً — احترق الخشب فكان تراباً^(٥) .

= ولا يحدد - في زمن خاص ، ولا يدل على أكثر من هذا ؛ كالصبح في : أصبح ، والمساء في : أمسى والضحا : في أضحى . . . ويكون الزمن ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً على حسب نوع الفعل الناسخ . أما الفعل مع معموليه فيدل على اتصاف الاسم بمعنى الخبر في زمن معين ، اتصافاً ينشأ عنه أن تؤدي الجملة معناها المطلوب الأسمى كاملاً واضحاً .

(١) اتصافاً مجرداً ؛ أى : لازيادة معه ؛ لأنها لاتدل بصيغتها على نفي ، أو دوام ، أو تحول ، أو زمن خاص ؛ - كالصبح ، والمساء ، والضحا - ولا على غير ذلك مما تدل عليه أخوتها . حقاً إنها تدل على الزمن الماضى أو غيره ، ولكن دلالتها عليه مطلقة ؛ إذ لاتقيدها فيها بالصباح ، أو المساء ، أو غيرهما .

(٢) أى : حقيقياً ؛ بمعنى أنه غير مضحوب بما يجعل زمنه للماضى فقط ؛ مثل : « لم » ، أو للمستقبل فقط ؛ مثل : « سوف » ، أو للحال مثل : « ما » النافية

(٣) طبقاً للأحكام الخاصة بكل مشتق ، والمدونة في بابها .

(٤) سيجىء في ص ٥٥٦ الكلام على « صار » ، وشروطها ، ومعناها الذى هو : التحول والانتقال من حالة إلى أخرى . . .

(٥) ومنه قوله تعالى (وفتحت السماء فكانت أبواباً ، وسيّرت الجبال فكانت سراباً) ، أى : « صارت » فيها ؛ لأن المعنى يقتضى هذا .

وقد تستعمل - بقرينة - بمعنى : « بَقِيَ عَلَى حاله : واستمر شأنه ، وسيستمر من غير انقطاع ولا تَقْصِدُ بزمن مُعَيَّن »^(١) نحو : كان الله غفوراً رحيمًا .

وقد تستعمل تامة^(٢) ، وتكثر في معنى : حصل وحدث (أى : وُجِد) فتكتفى بفاعلها ؛ نحو : أشرقت الشمس فكان النور ، وكان الدفء ، وكان الأمن . أى : حصل وظهر ، ومثل قول الشاعر يصف إحدى البقاع^(٣) :

وكانت ، وليس^(٤) الصبح فيها بأبيض وأضحت^(٥) ، وليس الليل فيها بأسود^(٦)

وما تقدم من الأحكام للفعل الماضى : « كان » يثبت لباقي أخواته المشتقات ، كالمضارع ، والأمر ، واسم الفاعل و مع ملاحظة أن بينها اختلافًا في نوع الزمن وبعض الخصائص الأخرى المدونة في أبوابها - .

هذا ، وتضم الكاف من الفعل الماضى : « كان » عند اتصاله بضمائر الرفع المتحركة ؛ كالتاء ، ونون النسوة ، طبقاً للبيان الذى سلف مفصلاً^(٧) .

وبقى من أحكام « كان » أربعة أخرى ، - سيجىء الكلام عليها مفصلاً في موضعه من آخر هذا الباب - ؛ وهى : أنها تقع زائدة^(٨) ، وأن الحذف يتناولها كما يتناول أحد معموليها^(٩) ، أو هما معاً ، وأن نون مضارعها قد تحذف^(١٠) ، وأن خبرها قد يُنْقَضَى . وهذا يجىء الكلام عليه مع باقى الأخبار الأخرى المنفية^(١١) .

* * *

(١) سبقت إشارة لهذا في آخر ص ٥٥ .

(٢) الفعل التام - كاسبق في رقم ٣ من ص ٥٤٥ - هو ما يكتفى بمرفوعه في إتمام المعنى الأساسى للجملة .

(٣) بأنها في الصبح مظلمة بظلام الليل ؛ لغياب بعض الوجوه المشرقة المنيرة . فإذا ظهرت تلك الوجوه عند الضحا زال الظلام ، وحل محله بياض النور . وشبهه بهذا قول القائل في المعنى نفسه : أرى الصبح فيها منذ فارتقت مظلماً فإن أبئت صار الليل أبيض فاصماً

(٤) ليست هذه الواو من نوع « الواو » الداخلة في خبر الناسخ ، والتي يجىء الكلام عليها في : « ١ » من الصفحة التالية متضمناً شروطها

(٥) أضحي هنا تامة ، كما سيجىء في ص ٥٥٥ .

(٦) ومن الأمثلة أيضاً قول حسان رضى الله عنه ، يخاطب المشركين في مكة حين اعترضوا المسلمين القادمين من المدينة لزيارة الكعبة :

فإمّا تعرّضوا عنا اعترضنا وكان الصبح وانكشف النطاء
وإلا فاصبروا لحِلادِ يوم يمز الله فيه من يشاء .

(٧) في رقم ٢ من هامش ص ١٦٥ .

(٩) ص ٥٨٠ .

(٨) ص ٥٧٩ .

(١١) ص ٥٩٠ .

(١٠) ص ٥٨٨ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) إذا وجد نفي قبل « كان » الماضية والمضارعة وكان خبرها جملة مقترنة « بإلا » الاستثنائية الملقاة - جاز أن يقترن بالواو ، كقول الشاعر :

ما كان من بشرٍ إلا وميته محتومة ؛ لكن الآجال تختلف

لأن النفي قد نقض هنا « إلا » ، والنفي ونقضه شرطان - على الصحيح - لجواز زيادة الواو في الجملة الواقعة خبر : « كان » أو مضارعها - كما تقدم - .

وهذه الواو تسمى « الواو الداخلة على خبر الناسخ » وتدخل أيضاً في خبر « ليس بالشرط السالف - كما سيجيء^(١) - ، وقد سمعت^(٢) قليلاً في خبر غيرهما من النواسخ ، ولا يصح القياس على هذا القليل .

وبرغم أن وجودها جائز في غير القليل مما ذكرناه ، فإن الخير - كما يرى كثير من النحاة - في العدول عنها ؛ حرصاً على الدقة في التعبير ، وبعداً عن اللبس الذي قد ينشأ بين هذه الواو والواو الأخرى التي للحال - أو غيره - ، فلكل نوع معنى يخالف معنى النوع الآخر^(٣) . والبراعة تقتضى الإبانة التامة ، وتجنب أسباب اللبس والاشتباه ؛ نزولاً على حكم البلاغة .

(١) في ص ٥٦١ وقد جاء في الصبان - ج ٢ باب : « لا النافية للجنس » عند بيت ابن مالك :

« وركب المفرد فاتحاً . . . » - مانصه :

(قال الروداني : قولهم إن خبر الناسخ تدخله الواو . . . ، غير مسلم على إطلاقه . وحاصل ما في « التسهيل والجمع » أن الخير إن كان جملة بعد « إلا » لم يقترن بالواو ، إلا بعد « ليس و كان » المنفية ، دون غيرهما من النواسخ . وبغير « إلا » يقترن بالواو بعد « كان » وجميع أخواتها ، لا بعد جميع النواسخ . هذا عند الأخفش وابن مالك . وغيرهما لا يميز اقتران الخبر بالواو أصلاً . وحملوا ما ورد من ذلك على أنه حال ، والفعل تام لا ناقص ، أو محذوف الخبر للضرورة) ١٥ .

ومن أمثلة الواو في خبر « ليس » قول الشاعر :

ليس شيء إلا وفيه - إذا ما قابلته عين البصير - اعتبار .

وسيعاد البيت في ص ٥٦١ لمناسبة هناك .

(٢) - راجع الصبان ج ١ في هذا الموضع آخر باب « كان » وفي ج ٢ منه ، أول باب : « لا » النافية للجنس - وقد ذكرنا بعض الأمثلة المسموعة في رقم ٢ من هامش من ص ٦٨٧ .

(٣) ولعل هذا كان السبب فيما ذهب إليه بعض النحاة الأقدمين من منع استعمال هذه الواو ، وفي تأويل النصوص القديمة المشتملة عليها تأويلاً يتنبه مرة إلى اعتبار الواو للحال ، والجملة بعدها في =

... ..
... ..

(ب) من الأساليب الأدبية الشائعة : « كائنًا ما كان » ، و « كائنًا من كان » ؛ في مثل : (سأفعل ما يقضى به الواجب ؛ كائنًا ما كان . . . وسأحقق الغرض الكريم كائنًا ما كان . . .) أى : سأفعل ذلك مهما جدّ من الأمور ، ومهما كان ذلك الواجب ؛ وذلك الغرض . ومثل : سأرد الظالم : « كائنًا من كان » — سأكرم التابع « كائنًا من كان » . . . أى : سأفعل ذلك مهما كان الإنسان الظالم ، أو : التابع .

أما إعرابه فتعدد الأوجه ، وأيسر ما يقال وأنسبه هو : « كائنًا » حال منصوب واسمه ^(١) ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على الشئ السابق ، صاحب الحال و « ما » أو « من » نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب خبر « كائن » . و « كان » فعل ماض تام ، وفاعله ضمير مستتر يعود على « ما » أو « من » والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب صفة « ما » أو « من » . سأفعل ذلك كائنًا شيئًا كان . أو : كائنًا إنسانًا كان . أى : سأفعل ذلك كائنًا أى شئ وجد ، أو : أى إنسان وجد ^(٢) . . .

ومن الأساليب المرددة في كلام القُدامى الفصحاء ، مشتملة على : « ممّا » — برغم غرابتها اليوم — قولهم : « ربما اشتدت وقُدة الشمس على المسافر في الفلاة ؛ فكان ممّا يُغطّي رأسه وذراعيه ، وربما ثارت الرمال ؛ فكان ممّا يَحْجُبُ عينيه ومنخره . . . » يريدون : فكان ربما يغطّي رأسه وذراعيه — وكان ربما يحجب عينيه ومنخره : أى : يغطيهما ؛ فكلمة : « ممّا » بمعنى : « ربما » ^(٣) . . .

* * *

= محل نصب حال ، وخبر الناسخ محذوف . ومرة إلى أنها زائدة شذوذاً . . . و . . . ونحن في غنى عن هذا كله بتركها ، وعدم القياس على المسموع منها . (راجع ص ٥٦١ ورقم ٢ من هامش ص ٦٨٧) .
(١) لأنه اسم فاعل من « كان » الناقصة ؛ فيعمل عملها .

(٢) تخبرنا ماسبق من بين الآراء المشورة في المراجع المختلفة ؛ ومنها الجزء الأول من « الأشموني ، والتصريح » ، في باب : « كان وأخواتها » عند الكلام على : « كان التامة » وما يشاركها من أخواتها .

(٣) تصدى لهذا الأسلوب عالم معاصر من تونس — هو : الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور — رحمه الله — و كان عضواً مراسلاً بالمجمع اللغوى بالقاهرة — وخصه ببحث في الجزء التاسع من مجلة المجمع (ص ١١٦) عرض في الجلسة الحادية عشرة « من جلسات مؤتمر المجمع في دورته « الثامنة عشرة » ، ووافق عليه المجمع والمؤتمر ، وقرّر أن ذلك أسلوب لغوى يراد منه الكثرة ، وقد يدل على القلة أحياناً . والبحث نفيس وملخصه مع الإيجاز = النحو الوافى — أول

... ..
... ..

= هو : أن بعض المركبات استعملت كلمة مفردة ؛ كالذى ورد في «صحيح البخارى» عن ابن عباس ونفسه : «(كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة إذا نزل عليه الوحي ، وكان ما يحرك لسانه وشفتيه . . . » وقد أهمل ابن الأثير في كتابه : « النهاية » ، معنى قوله : « مما يحرك لسانه وشفتيه » وفسره عياض في كتابه : « المشارق » بأن معناه : « كثيراً ما يحرك به لسانه وشفتيه » وبعد أن فسره روى عن أحد الأئمة من شراح الحديث ما يأتي : « في مثل هذا كأنه يقول : هذا من شأنه ودأبه ؛ فجعل « ما » كناية عن ذلك ، ثم أدمج « النون » اهـ . وقال آخر : (إن معنى : « ما » هنا هو : « ربما ») وهذا من معنى ما تقدم ؛ لأن « ربما » تأتي للتكثير أيضاً . وفي «مسلم» ، في حديث : النجوم أمانة السماء : (وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء) ثم قال : تكون « ما » هنا بمعنى : « ربما » التي للتكثير ، وقد تكون فيها زائدة) اهـ مسلم ثم قال الباحث المعاصر : ما نلخصه في المسائل الآتية :

١ - شواهد هذا الاستعمال كثيرة في الحديث والشعر ؛ منها - غير ما تقدم - قول رافع في «البخارى» في باب «الحرق والزرع» : (« كنا نسكرى الأرض بالناحية ، منها مسمى لسيد الأرض ، قال فما يصاب ذلك وتسلم الأرض ، وما تصاب الأرض ويسلم ذلك . . . ») . ومنها قول ابن عباس الوارد في «صحيح مسلم» في كتاب : تعبیر الرؤيا (إن رسول الله كان مما يقول لأصحابه : « من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له . ») ومنها قول البراء بن عازب : (« كنا إذا صلينا خلف رسول الله مما نحب أن نكون عن يمينه . ») ومنها قول أبي حية النميري :

وإنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ

ثم قال الباحث : تعرض لهذا اللفظ « السيرافي » في شرح كتاب سيبويه . بما نصه عند قول سيبويه : (اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك . . .) اهـ . وهنا قال السيرافي : (أراد : ربما يحذفون . . . وهو يستعمل هذه الكلمة كثيراً في كتابه . والعرب تقول : أنت مما تفعل كذا . . . أى : ربما تفعل . وتقول العرب أيضاً : « أنت مما أن تفعل . أى : أنت من الأمر أن تفعل ؛ فتكون « ما » بمنزلة الأمر - أى : الشيء - و « أن تفعل » بمنزلة الفعل ؛ - أى : مصدر تقديره : « فِعْلٌ » ، أى : بمنزلة هذا اللفظ - ويكون « أن تفعل » ، في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : « ما » وتقديره : أنت فعلك كذا وكذا من الأمر الذي تفعله) اهـ كلام السيرافي كما نقله الباحث

٢ - من السيرافي أخذ ابن هشام في كتابه : « المغني » عند الكلام على معاني : « من » ، فقال عن العاشر من معانيها : (مرادفة « ربما » وذلك إذا اتصلت « بما » كما في قول الشاعر أبي حية النميري :

وإنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الْفَمِ

قال السيرافي وفريق غيره من النحاة ، وخرجوا عليه قول سيبويه : « واعلم أنهم مما يحذفون الكلم . . . » والظاهر أن « من » فيهما ابتدائية ، و « ما » مصدرية ، وأنهم جعلوا كأنهم خلقوا من الضرب مثل خلق الإنسان من عجل .) اهـ .

ثم قال الباحث :

في كلامه هذا احتمال مخالفته في أن جعلوها بمنزلة : « ربما » ؛ ، لأن : « ربما » لاتعين للتكثير ، واحتمال أنه فسر كلامهم بجملة على إرادة التكثير كما فسر آخرون .

وقد أشار ابن هشام - كعوض من سبقوه - إلى كيفية الحذف التي اعتبرت هذا التركيب ، وأبقت =

... ..

= فيه معنى التكرير ، أو معنى « ربما » ، « أو غير ذلك ، كما هو واضح من كلامهم حيث يظهر ترددهم في منشأ معنى التكرير ؛ أمشؤه الحرف « من » كما يرى ابن هشام ، أم الحرف « ما » كما يرى غيره ؟

٣ - ويقول الباحث : ينبغي التنبيه إلى أن هذا التركيب إذا استعمل هذا الاستعمال يبيح في موضع خبر المبتدأ ويبيح في موضع خبر « كان » وفي موضع الحال ، فن ظن اختصاص ذلك بخبر « كان » فقد وهم . كما ينبغي التنبيه إلى أن أصل استعماله في هذا المعنى ألا يصرح معه بلفظ الكثرة ، فواقع فيه لفظ : « كثير » فهو جار مجرى التفسير من الراوى ، أو مجرى التأكيد من القائل ؛ تخفاء دلالة التركيب على التكرير ، ومثاله قول سمرة بن جندب : « كان رسول الله مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا . . . ؟ » ، وقول أبي موسى : « وكان رسول الله كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء . والتنبه كذلك إلى أن قول السيرافي : « وتقول العرب أيضاً « أنت بما أن تفعل . . . » - غريب ، لا يعرف شاهده من فصيح الكلام ؛ فضلاً عن كون الحرف « أن » فيه غير واقع موقعاً ، مع ما فيه من اجتماع ثلاثة أحرف متوالية من أحرف المعاني ، وهى : « من » و « ما » و « أن » سواء أجملت « ما » مصدرية أم زائدة . وإلى هنا انتهى كلام الباحث ، بعد الاستغناء عن بضع كلمات منه .

هذا ويوضح ما سبق أيضاً قول سيبويه - ج ١ ص ٤٧٦ - « إن « من » الحارة إذا كُفَّت بالحرف « ما » الزائدة قد تكون بمعنى : « ربما » واستشهد بالبيت السالف .

وجاء في آخر الجزء الرابع من القاموس - باب : الألف اللينة - عند الكلام على : « ما » وأنواعها ، واستعمالاتها . - النص التالى : (« إذا أرادوا المبالغة في الإخبار عن أحد بالإكثار من فعل ؛ كالكتابة قالوا : « إن زيداً ما أن يكتب » . أى : إنه مخلوق من أمر ؛ ذلك الأمر هو الكتابة) اهـ .

وقد أشرنا بإيجاز - للأسلوب السابق في ج ٢ ، باب « حروف الجر » ، م ٩٠ ص ٤٣١ عند الكلام على : « من » .

ظل : تفيد مع معموليها اتّصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافاً يتحقق طول النهار - غالباً - ، في زمن ماض ، أو حاضر ، أو مستقبل ، بحيث يناسب دلالة الصيغة المذكورة في الجملة ^(١) ؛ نحو :
 ظل الجو معتدلاً - يظل الجو معتدلاً . . . و . . .
 وتستعمل كثيراً بمعنى : « صار » عند وجود قرينة ؛ فتعمل بشروطها ^(٢) ؛
 نحو قوله تعالى : (وإذا بشر أحدكم بالأثني ظل وجهه مسوداً) ، أى : صار ^(٣) .
 وقد تستعمل تامة في نحو : ظل الحر ؛ بمعنى : دام وطال . . .
 شروط عملها : لا يشترط لها وللمشتقات من مصدرها سوى الشروط العامة التي سلفت .

* * *

أصبح : تفيد مع معموليها اتّصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافاً يتحقق صباحاً في زمن ماض أو حاضر ، أو مستقبل ؛ بحيث يناسب دلالة الصيغة المذكورة في الجملة ^(١) ، مثل : أصبح الساهر متعباً . وتستعمل كثيراً - مع القرينة - بمعنى : « صار » فتعمل بشروطها ^(٢) ؛ مثل أصبح النفط دعاماً للصناعة . وإنما كانت بمعنى : « صار » في هذا المثال وأشباهه لأن المراد ليس مقصوراً على وقت الصبح . وإنما المراد التحول من حالة قديمة إلى أخرى جديدة ليست خاصة بالصباح .
 وتستعمل - كثيراً - تامة ، نحو : أيها السارى ^(٤) وقد أصبحت ، أى : دخلت في وقت الصبح ^(٥) .
 وشروط عملها وعمل باقي المشتقات من مصدرها هي الشروط العامة السالفة ، فهي مثل : « ظل » .

* * *

(١ و ١) شرحنا معنى : « مناسبة الزمن للصيغة » في ص ٤٤٨ ورقم ١ من هامشها .

(٢) وهي في ص ٥٥٦ .

(٣) لأن وجهه لم يكن مسوداً قبل البشّر ؛ وإنما تحول من لونه الأصلي إلى السواد بعد ولادة البنت .

(٤) المسافر ليلاً .

(٥) وقد وردت زائدة هي و « أمسى » في كلام عربي قديم نصه : « الدنيا ما أصبح أبدها ، وما أمسى أدفأها » . والمراد : ما أبدها ، وما أدفأها . وهذا لا يقاس عليه - كما سيجيء في رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية - وفي ص ٥٨١ - وإنما نذكره لفهمه ، ونفهم نظيره مما قد يمر بنا في أثناء قراءة النصوص القديمة المقصورة على السماع .

أضحى : تفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها انصافاً يتحقق وقت الضحا ، في زمن يناسب دلالة الصيغة ، . . . مثل : أضحى الزارع منكباً على زراعته ، وتستعمل كثيراً بمعنى : « صار » فتعمل عملها بشروطها في مثل : أضحى الميدان الصناعي مطلوباً . وإنما كانت هنا بمعنى « صار » لأن المعنى ليس على التقيد بوقت الضحا أو غيره — وإنما على التحول والانتقال من حالة إلى أخرى . وقد تستعمل تامة في مثل : أضحى النائم ؛ أى : دخل في وقت الضحا^(١) . شروط عملها : هي الشروط العامة التي سبقت ؛ فهي وبقية المشتقات تشبه « ظل » في الاكتفاء بالشروط التامة .

• • •

أمسى : تفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها انصافاً يتحقق مساءً ، في زمن يناسب دلالة الصيغة ؛ مثل : أمسى المجاهد قريراً . وتكون كثيراً بمعنى : « صار » فتعمل بشروطها ؛ مثل : اقتحم العلم الفضاء المجهول : فأمسى معلوماً ؛ أى : صار معلوماً ؛ لأن المراد ليس التقيد بوقت المساء ، وإنما المراد التحول والانتقال . وتستعمل تامة في مثل : أمسى الحارس ، أى : دخل في وقت المساء^(٢) . شروط عملها وعمل المشتقات من مصدرها : هي الشروط العامة السالفة ؛ كظل .

• • •

بات : تفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها طول الليل ، في زمن يناسب الصيغة في دلالتها ؛ مثل : « بات القائد ساهراً ، وقول الشاعر :

أبيتُ نجيباً للهموم كأنما خيالَ فراشي جمرة " تنوهجُ وتكون تامة ، في مثل : بات الطائر ؛ بمعنى : نزل ليقضى الليل في بعض الأمكنة . شروط عملها وعمل المشتقات هي الشروط العامة .

• • •

(١) وفي مثل البيت الذي سبق - (ص ٥٤٩) - وفيه « كان » ، و « أضحى » تامتان - وهو :

و كانت وليس الصبح فيها بأبيض وأضحت وليس الليل فيها بأسود

(٢) قلنا في رقم ٥ من هامش الصفحة السالفة عند الكلام على « أصبح » : إنها هي (أمسى)

تزدان كما في العبارة القديمة ، « الدنيا ما أصبح أبدوها ، وما أمسى أدفاها » ، وقلنا : إن هذا لا يقاس عليه . . . كما سيبي في ص ٥٨١ .

صار : نفيد مع معموليها تَحَوَّلَ اسمها ، وَتَغَيَّرَ من حالة إلى حالة أخرى ينطبق عليها معنى الخبر في الزمن المناسب لدلالة الصيغة ، مثل : صارت الشجرة باباً . أى : تحولت الشجرة (وهى اسم : صار) من حالتها الأولى إلى حالة جديدة ، سميت فيها باسم جديد ، هو : « باب » (وهو ؛ الخبر) ، ومثل : صار الماء بخاراً ؛ فقد تحول الماء (وهو : اسم : صار) ، من حالته الأولى إلى حالة جديدة يسمى فيها : « بخاراً » (وهو : الخبر) .

وتستعمل تامة في مثل : صار الأمر إليك ؛ بمعنى ؛ ثبت واستقر لك ^(١) ، وفي مثل : إلى الله تصير الأمور ، أى تنج : وتخضع له وحده .

شروط عملها : يشترط فيها ، وفي الأفعال التى بمعناها ^(٢) ، وفي المشتقات من مصدرها :

١ — الشروط العامة السالفة .

٢ — ألا يكون خبرها جملة فعلية فعلها ماض ، فلا يصح صار الجالس وقف ، ولا صار المتكلم سكت ^(٣) . . .

* * *

(١) أى : من أول الأمر من غير أن يكون هذا تحولاً عن حالة سابقة .
 (٢) الأفعال التى بمعناها سبق بمضها ، وبعض آخر سيجىء ، وكلاهما مدون في الصفحة التالية .
 (٣) لأن خبر « صار » لا بد أن يكون معناه متصلاً ويمتد إلى وقت الكلام ؛ فإذا قلنا : صار الماء بخاراً ، وصار السباح يقفز . فلا بد أن يكون البخار والقفز موجودين عند النطق بهذا الكلام . فلو كان الخبر جملة ماضوية لدل على انقطاع المعنى قبل النطق بهذا الكلام ؛ فيفسد المراد .
 (انظر ما يتصل بهذا في رقم ١ من هامش ص ٥٤٧) .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

بشرك مع « صار » في المعنى ، والعمل ، والشروط ، أفعال أخرى - غير التي سبقت^(١) - أشهرها : أحد عشر ، كل منها يصح أن تحل « صار » محله . واستعماله قياسى مثلها . وهى :

١ - آض . مثل : آضَ الطفل غلاماً ، وآضَ الغلام شاباً : بمعنى : « صار » فيهما .

٢ - رجع . مثل : قوله عليه السلام : « لا تَرْجِعُوا بعدى كفاراً يَضْرِبُ بعضكم رقاب بعض » .

٣ - عاد ، مثل : عاد البلد الزراعى صنعياً .

٤ - استحال ، مثل : استحال الخشب فحماً .

٥ - قعد ، مثل : قعدت المرأة مكافحةً فى الميادين المختلفة .

٦ - حار ، مثل :

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئِهِ يَحْوَرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ ساطِعُ
٧ - ارتد ، مثل قوله تعالى : (.. أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) .

٨ - تَحَوَّلَ ، مثل : تحول القطن نسيجاً ، وتحول النسيج ثوباً رائعاً .

٩ - غَدَا : مثل غَدَاَ العملُ الحرَّ مرموقاً . وقول الشاعر :

إذا غَدَاَ مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغِلاً فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ^(٢)

١٠ - راح : مثل : راحَ المرءُ مقدراً بما يحسنه .

١١ - جاء ، فى مثل : ما جاءت حاجتُكَ ؟ فقد ورد هذا الأسلوب فى

الأساليب الصحيحة المأثورة بنصب كلمة : « حاجة » ، ومعناه : ما صارت حاجتك ؟ . والمراد : أى حاجة صارت حاجتك ؟ . وإنما نُصِبَتْ كلمة « حاجة » لأنها خبر « جاء » التى بمعنى : « صار » ، واسمها ضمير يعود على « ما »

(١) الإفعال التى سبقت ، والتى تشارك « صار » فى المعنى والعمل وشروطه .. هى (كان ، ص ٥٤٨)

و (ظل - أصبح - أضى - أسمى - ... فى ص ٥٥٤ و ٥٥٥)

(٢) الخراب والنهب

.....

الاستهامية التي تعرب مبتدأ مبنية على السكون في محل رفع ، والجملة من « جاء
 ومعمولها » في محل رفع خبرها^(١) .

* * *

(١) يصح القياس على هذا الأسلوب ؛ فيقال : ما جاء ت سِفارتَكَ ومفاوضتَكَ . . . ؟ من
 غير التقيد بكلمة : « حاجة » فيصح لإحلال كلمة أخرى محلها على حسب المعنى . كما يجوز ضبط كلمة :
 « حاجة » ونظائرها بالرفع ؛ فتكون اسم : « جاء » ، « وما » الاستهامية خبرها ، مقدّما ، في محل
 نصب . والمعنى : أى شيء صارت إليه حاجتك .

ليس : فعل ماض جامد ، تفيد مع معموليها نفي اتصاف اسمها بمعنى خبرها
اتصافاً يتحقق في الزمن الحالى^(١) نحو : ليس القطار مقبلاً . فالمراد نفي القدوم
عن القطار الآن^(١) . ولا تكون للنفي في الزمن الحالى إلا عند الإطلاق ، أى : عند عدم
وجود قرينة تدل على أن النفي واقع في الزمن الماضى ، أو في المستقبل . فإن وجدت
قرينة تدل على أنه واقع في أحدهما وجب الأخذ بها ؛ نحو : ليس الغريب
مسافراً أمس ، أو : ليس سافر^(٢) الغريب ، أو : زرعت الحقول ليس حقلاً ...^(٣)
فوجود كلمة : « أمس » ، أو : وجود الفعل الماضى^(٤) بعدها ، أو قبلها — دليل
على أن النفي للماضى ... أما في نحو : ليس الغريب مسافراً غداً ، أو قوله
تعالى في عذاب الكافرين يوم القيامة : (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ)
فيكون النفي متجهماً للمستقبل ؛ لوجود قرينة لفظية في المثال الأول ؛ وهى كلمة : « غد » ،

(١) الحال ، أو الآن ، أو : الحاضر : هو زمن الكلام . وبالرغم من أنها لنفي الحال كثيراً
— وقد تكون لنفي الزمن الماضى ، أو المستقبل بقرينة — فإنها عند الإعراب تمر بفعلاً ماضياً في كل
أحوالها ، وكذلك لو كانت للنفي المجرد من الزمن ومن العمل .

(٢) هذا الأسلوب صحيح ، ولكنه غير شائع في الكلام القديم ؛ فلاداعي لمحاكاته . والفعل
والفاعل في محل نصب خبر « ليس » . واسمها ضمير الشأن ، مستتر فيها ؛ طبقاً لرأى بعض النحاة ، ومنهم
ابن مالك — وقد سبق عند الكلام على ضمير الشأن ، (ص ٢٥٠) وقلنا هناك (في رقم ٢ من هامش
ص ٢٥٤) أن الأحسن في هذا الأسلوب ونظائره (مما يقع فيه فعل بعد « ليس » مباشرة بغير فاصل ..) أن
تكون هى حرف نفي مهملة ؛ أى : لا يعمل ، فليس له اسم ولا خبر . وهذا الإعراب أيسر وأنسب ؛ لأن
وقوع الفعل معمولاً تالياً مباشرة لعامله الفعل الذى هو من نوعه ، قليل جداً في الكلام الفصحى — ولهذا
الحكم صلة بما سبق في رقم ١ من هامش ص ٥٤٧ — وإجمالاً في هذه الصورة يوافق لغة تميم التى تهملها
في كل الأحوال ، وبلغتهم : « ليس الطيب إلا المسك » ولكن لا يحسن اليوم الأخذ برأى تميم ، إلا في
هذه الصورة التى أشرنا إليها .

ويقول القرطبي — في ص ٧٢ من مقدمة . تفسيره ، في باب : « الرد على من طعن في القرآن » ، —
ما نصه : (إن العرب لم تقل ليس قلت . فأما قلت قلت بالتاء فشاذا ، قبيح ، خبيث ، ردىء
لأن « ليس » لاتجحد (أى : لاتنفي) الفعل الماضى ، ولم يوجد مثل هذا إلا في قولهم : « أليس قد
خلق الله مثلهم » وهو لغة شاذة . . .) « ١ » .
وأشترط الكوفيون للقياس على هذا الأسلوب دخول « قد » على خبر « ليس » ؛ مجازاة للمثال المسموع ،
ولأن « قد » تقربه من الحال .

(٣) « ليس » في هذا المثال فعل من أفعال الاستثناء — كما سيجىء في بابه ، ج ٢ م ٨٢ ص ٣٢٨ —
(٤) ويفهم من هذا صحة وقوع الفعل الماضى في خبرها ، ولكنه قليل قبيح — كما سلف في
رقم ٢ — والمستحسن أن يكون هذا الماضى مقروناً بالحرف « قد » ليقربه من الحال طبقاً لرأى الكوفيين الذين
يشترطون هذا في الماضى خبر « ليس » ، (كما سبق هنا ، وفي رقم — ب — من هامش ص ٥٤٧) .
أما الاعتراض بأن « ليس » لنفي الزمن الحالى فيلزم من الإخبار عنها بالماضى تناقض . . .
فقد أجاب عنه النحاة : بأنها تكون لنفي الحال في الجملة غير المقيدة بزمان ، أما المقيدة به فنفيها على
حسب القيد . هذا إلى أن « قد » تقربه من الحال كما عرفنا

الدالة عليه ، ولوجود قرينة عقلية في الآية تدل عليه أيضاً ، هي : أن يوم القيامة لم يأت حتى الآن .

وقد يكون المراد منها نفي الحكم نفيًا مجرداً من الزمن ؛ كقول العرب : (ليس لكذوب مروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيء الخلق سُؤدُد) ، وقولهم : (ليس مِنَّا من عقى أباه ^(١)) .

شروط عملها ؛ وأحكامها :

١ - هي الشروط العامة .

٢ - لا تستعمل تامة .

٣ - لا يجوز تقدم خبرها عليها في الرأي الأرجح ^(٢) .

٤ - يجوز حذف خبرها ، إذا كان نكرة عامة ؛ نحو : ليس أحد ... ،

أى : ليس أحد موجوداً ، أو : نحو ذلك ..

ويجوز جره بالباء الزائدة ، بشرط ألا تكون أداة استثناء ^(٣) ؛ وبشرط

ألا ينتقض النفي بالآ ؛ نحو : ليس الغضب بمحمود العاقبة ، وقول الشاعر :

وليس يَمَغْنُ في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوع شفيعٌ

فإن نقض النفي بالآ لم يصح جر الخبر بالباء الزائدة ؛ فلا يجوز ليس الغنى

إلا بَغْنَى النفس ^(٤) . . .

٥ - لا يصح وقوع « إن الزائدة » بعدها ^(٥) .

٦ - يجوز أن يتصل بآخرها الكاف التي هي حرف محض للخطاب ^(٦) : مثل :

لستك محمدا مهملًا . وقد سبق البيان المتصل بهذا ^(٧) .

وبقى من أحكام ليس حكم يتعلق بخبرها المنفى . وسيجى الكلام عليه مع بقية

الأخبار المنفية ^(٨) . . .

(١) عصاه وترك الإحسان إليه .

(٢) راجع مواضع تقدم الخبر هنا ، في ص ٥٦٩ .

(٣) لأنها لو كانت أداة استثناء لكانت بمعنى : « إلا » ، والمقترن « ببالا » لا يزداد في أوله

« الباء » - كما سيجى في رقم ٢ من هامش ٦٠٧ - ومثلها : « لا يكون » الاستثنائية . أما الكلام على هذين الفعلين باعتبارهما من أفعال الاستثناء فكانه باب : الاستثناء - ح ٢ ظم ٨٣ ص ٢٧٦ -

(٤) انظر رقم ٤ من هامش ص ٤٤٨ حيث الكلام على الناسخ الذي يحتاج إلى منصوب فيستغنى

عنه بمرفوع . (ومن أمثلة هذا الناسخ : ليس) .

(٥) راجع الصبان ، والمجم - أول باب « ما » الحجازية .

(٦) وهو حرف متصرف على حسب المخاطب ، أفراداً وتثنية وجمعا ، مع التذكير أو التأنيث في كل ذلك .

(٧) في رقم ٣ من ص ٢٤٠ .

(٨) في ص ٥٩٠ .

زيادة وتفصيل :

(١) أشرنا فيما سبق^(١) إلى أنه يجوز في خبر « ليس » ما جاز في خبر « كان » بصورتَيْها الماضية والمضارعة، المسبوقة بالنفي ، من اقترانه بالواو حين يكون جملة موجبة^(٢) ، بسبب اقترانها بكلمة : « إلا » الملقاة ؛ كقول الشاعر :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ إِذَا مَا قَابَلَتْهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعتبارُ
وتسمى هذه الواو : « الواو الداخلة على خبر الناسخ » كما عرفنا .

ونقول هنا ما قلناه في « كان » : من أن الأحسن العدول عن زيادتها — برغم أن وجودها جائز — حرصاً على دقة التعبير ، وبعداً عن اللبس الذي قد ينشأ بين هذه الواو والأخرى التي للحال أو لغيره . . . فلكل واحدة موضع تستعمل فيه ومعنى تؤديه ، وتركها يربحنا مما قال بعض النحاة الأقدمين من تأويل للنصوص المشتبهة عليها ، وتكلف لا داعي له .

(ب) لا تقع « إن » الزائدة بعد « ليس »^(٣) — فلا يصح أن يقال : ليس إن الكلوب محترماً ، مع أنه يجوز زيادتها بعد « ما » النافية المهيمنة التي معناها معنى « ليس » ، مثل : ما إن الضعف محمود ، أما وقوعها بعد « ما » الحجازية فيبطل عملها^(٤) .

(ج) قد يقع بعد خبر « ليس » و « ما » معطوف مشتق ، له أحكام مختلفة تجيء في « ب » من ص ٦١١ .

(١) في ص ٥٥٠ وهامشها رقم ١ ويحيى في رقم ٢ من هامش ص ٦٨٩ .

(٢) لأن « ليس » تفيد النفي ، والامتناء ينقص النفي .

(٣) صرح بهذا الصبان وصاحب « المجمع » في أول باب : « ما » الحجازية — كما أشرنا في رقم ٥ من الصفحة السابقة .

(٤) كما سيحيى في « ١ » من ص ٥٩٤ .

زال : تدل بذاتها وصيغتها على النفي ، وعدم وجود الشيء ؛ من غير أن تحتاج في تأدية هذه الدلالة للفظ آخر ؛ فإذا وجد قبلها نفي أو شبهه (وهو : النفي ، والدعاء) انقلب معناها للإثبات ^(١) ؛ مثل : ما زال العدو ناقماً . أى : بقى واستمر ناقماً . وفي هذه الحالة تفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى الخبر اتصافاً مستمراً لا ينقطع ، أو مستمراً إلى وقت الكلام ، ثم ينقطع بعده بوقت طويل أو قصير ؛ كل ذلك على حسب المعنى . فمثال المستمر الدائم : ما زال الله رحيمًا بعباده — ما زال القليل كبير الأذنين . . . ومثال الثاني : لا يزال الحارس واقفاً . لا يزال الخطيب متكلمًا .

ومثالها مع النفي : لا تزال ^(٢) بعيداً عن الطغيان . ومع الدعاء (وأدواته هنا « لا » ، أو : « لن ») لا زال الخير منهمراً عليك في قابل أيامك — لا يزال التوفيق رائدك في كل ما تقدم عليه — لن تزال عناية الله تحرسك فيما يصادفك من مكاييد . . . بشرط أن يكون القصد من كل ذلك هو : الدعاء للمخاطب . . . ولا تستعمل « زال » المسبوقه بالنفي أو شبهه تامة ^(٣) . . .

ويشبهها في الدلالة على النفي بذاتها ، وصيغتها ، وفي اشتراط أداة نفي قبلها ، أو شبهه للعمل — أخوات لها في هذا ، هي : (فتى — برح — انفك — وسيأتى الكلام على كل واحد من الثلاثة) ^(٤) .

(١) لأن نفي النفي إثبات . والنفي والدعاء يتضمنان في المعنى نفياً ؛ لأن المطلوب بهما ترك شيء ؛ وهذا الترك نفي .

(٢) في هذا المثال وأشباهه تكون : « لا » ناهية مع تضمنها معنى النفي — كما سبق في رقم ١ — وهي لا تدخل إلا على المضارع دائماً ، فإذا كان المضارع بعدها فعلاً ناسخاً من مضارع هذه الأربعة (زال — فتى — برح — انفك) كان متضمناً للنفي مع تضمنها للنفي ؛ فيصير المعنى في المثال : أنك من عدم البعد عن الطغيان . أى : أنك عن الطغيان . ومثلها « لن » التي للدعاء فإنها خاصة بالمضارع بخلاف « لا » الدعائية ؛ فإنها تدخل على الماضي والمضارع .

(٣) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٦٨ حيث الكلام على مبتدأ ناسخ (مثل : زائل) لاحتياج إلى خبر إن كان هذا المبتدأ وصفاً ناسخاً يعمل ؛ لأن اسم الناسخ يفنى عن خبر المبتدأ . . .

(٤) ومثلها : (وإن كان قليل الاستعمال) « وذسى » ، و « رام » التي مضارعها « يرم » وكلاهما بمعنى : « زال » الناسخة . ومن شواهد استعمالهما :

لَا يَتَى الْحُبُّ شِيْمَةَ الْحَبِّ مَا دَا مَ ؛ فَلَا تَحْسَبْنَهُ دَا أَرْعَوَاءَ وَقَوْلُهُ :

إِذَا رُمْتَ مِمَّنْ لَا يَرِيْمُ مُتِيْمًا سُلُّوا فَقَدْ أَبْعَدْتَ مِنْ رَوْمِكَ الْمَرِيْمَ

شروط إعمالها ، وإعمال المشتقات من مصدرها :

١ - يشترط فيها الشروط العامة .

٢ - أن يسبقها نني^(١) ، أو نهى ، أو دعاء ؛ - كالأمثلة التي سبقت - ولا فرق في النني بين أن يكون ظاهراً ؛ مثل : (لا زال الغني ثمة الجدة) ، وأن يكون مقدرأ لا يظهر في الكلام ، ولكن المعنى يكشف عنه ، والسياق يرشد إليه ؛ مثل : (تالله يزال الشحيح محروماً متعة الحياة حتى يموت) . أى : تالله لا يزال . وحذف النني قياسى معها بشرط أن يكون بالحرف : « لا » ، وأن يكون الفعل مضارعاً في جواب قسم^(٢) .

٣ - ألا يكون خبرها جملة فعلية ماضوية ؛ فلا يصح : ما زال المسافر

(١) سواء أكان النني بالحرف ، مثل : « ما » أم بفعل موضوع للنني ؛ مثل : « ليس » ؛ تقول : ليس ينفك العزيز مكرماً وقول الشاعر :

قضى الله يا أسماء أن لست زائلاً أحبك حتى يُغْمَضَ العين - مغمضٌ

أو بفعل طارئ عليه النني ؛ مثل : « قلتما » ؛ في نحو : « قلتما يبرح الأنبياء دعاة الهدى » . فكلمة : « قلتما » هنا تركت معنى التقليل ، وصارت ، بمعنى « ما » النافية ؛ لوجود قرينة تدل على ذلك ؛ هي : أن الأنبياء لا يبرح الدعوة للهدى مطلقاً ؛ إذ لا يصح أن يقال : إنها قد تركت دعوة الله بعض الأحيان .

أو بفعل يتضمن معنى النني ويستلزمه ؛ كالفعل ؛ « آبى » ؛ بمعنى : امتنع وكره ، مثل : أبى أن زال استغفر الله ، لأن معنى : « أبى » لم أفعل ، أو باسم مثل ؛ « غير » في نحو : غير منفلك العالم أسير علمه . ويستعان على إعراب هذا المثال بما سبق في رقم ١ من هامش ص ٤٤٩ وبما يحى في رقم ١ من هامش ص ٥٦٨ .

(٢) يصح أن تحذف أداة النني قبل « زال » وأخواتها الثلاث بالشرطين المذكورين ؛ لأن العرب تحذف أحياناً « لا » النافية في جواب القسم ، مع ملاحظتها وتقديرها في المعنى ؛ لأن اللبس عندئذ بين المنى والموجب ، مأمون ؛ إذ لو كان الجواب غير منى في المعنى والتقدير لوجب أن يكون المضارع مؤكداً باللام والنون معاً ؛ جرياً على الأغلب والأقوى في جواب القسم عند البصريين ، وبأحدهما عند كثرة الكوفيين . ومن أمثلة حذف « لا » قوله تعالى : « (تالله تفتأ تذكر يوسف . . .) . أى : لا تفتأ .

جاء في أمالي أبي القاسم الزجاجي - ص ٥٠ - في بيت ليل الأخيلية تترى توبة ، وصدره : « فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا . . . مانصه : » (تريد : لا أبكى بعد توبة هالكا . . . والعرب تضمّر « لا » النافية في جواب القسم مع ملاحظتها في المعنى ؛ لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون ؛ كقولك : والله لأخرجن . قال الله عز وجل : « تالله تفتأ تذكر يوسف . . . » أى : لا تفتأ تذكر يوسف » (١) هـ .

وقال الشاعر :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك ، وأوصالى

أما بيت ليل الأخيلية في رثاء توبة كاملاً فهو :

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأحفيل من دارت عليه الدوائر
أى : لا أبكى ولا أحفيل . . . (حفله ، وحفّل به ، يحفيل . . . ، أهّم وبألى) .

غاب ؛ لأن « زال » تفيد مع معموليها استمرار المعنى إلى وقت الكلام ، ثم ينقطع بعده أو لا ينقطع ، — كما سبق — والخبر إذا وقع جملة فعلية ماضوية كان منافياً للاستمرار ، ومعارضاً له : لدلالته في هذه الجملة على الماضي وحده ، دون اتصال بالحال أو : المستقبل ^(١) .

٤ — ألا يقع خبرها بعد : « إلا » ؛ فلا يصح : ما زال النجم إلا بعيداً ؛ لأن النفي نُقِضَ وزال بسبب : « إلا » .

٥ — أن يكون مضارعها هو : « يزال » التي ليس لها مصدر مستعمل . أما : « زال » التي مضارعها : « يَزِيل » ومصدرها « زَيْل » فليست من الأفعال الناسخة ، وإنما هي فعل تام ، متعد ، إلى مفعول به ، ومعناها : مَيَّزَ وفصل . تقول « زال » التاجر بضاعته زَيْلاً : أى : مَيَّزَهَا وفصلها من غيرها . وكذلك : « زال » التي مضارعها : « يزول » ومصدرها : « الزوال » فإنها ليست من النواسخ ؛ وإنما هي فعل لازم ، معناه : هلك وفَنِيَ . . . مثل : زال سلطان الطغاة زوالاً ؛ بمعنى : هَلَكَ وفَنِيَ هلاكاً وفناء . وقد يكون معناها : انتقل من مكانه ، مثل : زال الحجر ؛ أى : انتقل من موضعه . . .

وسيجيء آخر هذا الباب حكم خاص بخبرها المنفى ، وخبر أخواتها عند الكلام على الأخبار المنفية عامة ^(٢) .

فتى : تشترك هي والمشتقات من مصدرها مع « زال » في كل أحكامها السابقة ، أى : في معناها ، وفي شروطها . إلا الشرط الأخير ، الخاص بالمضارع لاختلاف المضارع فيهما . وإلا صحة وقوع : « فتى » تامة في بعض الأساليب — دون زال — ومنها : فتى الصانع عن شيء بمعنى : نسيه .

برح : تشترك — هي والمشتقات من مصدرها — مع « زال » في كل أحكامها السالفة ، أى : في معناها ، وفي شروطها ، إلا الشرط الأخير ، الخاص بالمضارع ؛ لاختلاف المضارع فيهما ؛ وإلا صحة وقوع « برح » تامة ؛ — دون زال — مثل قوله تعالى : (وإذ ، قال موسى لفتهاه لا أبرح . . .) ، أى : لا أذهب ، ولا أنتقل ^(٣) . . .

(١) راجع ما يتصل بهذا في أول ص ٥٤٧ و « أ » من هامشها . (٢) ص ٥٩٠ .
(٣) لاصلة بين (برح وأبرح) الناسختين ؛ طبقاً للبيان الموضح لهما هنا ، وأبرحت التامة في قول =

انفكك : تشترك - وهى والمشتقات من مصدرها - مع « زال » فى كل أحكامها المتقدمة إلا الشرط الأخير الخاص بالمضارع ؛ لاختلاف المضارع فيهما ، وإلا صحة استعمال « انفك » تامة ، بمعنى : انفصل - دون زال - ؛ مثل : فككت حلقات السلسلة فانفكت ، أى : انفصلت . . .

دام : تفيد مع معموليها استمرار المعنى الذى قبلها مدة محددة . هى مدة ثبوت معنى خبرها لاسمها ؛ نحو : يفيد الأكل ما دام المرء جائعاً : ويضر ما دام المرء ممثلاً . ففائدة الأكل تدوم بدوام وقت معين ، محدد ؛ هو : وقت جوع المرء . والضرر يدوم كذلك بدوام وقت معين ، محدود ؛ هو : وقت الامتلاء ، ولا بد فى دوام ذلك الوقت المحدد من أن يستمر ويمتد إلى زمن الكلام .

شروط إعمالها :

١ - يشترط فيها الشروط العامة .

٢ - أن تكون بلفظ الماضى^(١) ، وقبلها ما المصدرية الظرفية^(٢) .

= العرب : « لله درك فارساً ، وأبرحتَ جاراً » ، بمعنى : عظمتَ فارساً وعظمتَ جاراً . يقال أبرح الرجل ، إذا جاء بالبرح - بسكون الراء - أى : بالعجب (والبيان فى ج ٢ باب : « التمييز » م ٨٧ ص ٣٩٠) فجملته : « أبرحتَ » فعل وفاعل . « وجارا » : تمييز .

(١) تبعاً للرأى الأرجح . كما سيتضح فى رقم ٢ من هامش الصفحة التالية .

(٢) هى التى تقول مع ما بعدها بمصدر مع نيابتها عن ظرف زمان بمعنى : مدة ، أو : وقت أو زمن ، أو نحوهذا من كل مايدل على الزمان ، ويكون هذا المصدر المؤول معمولاً للمضارع الذى قبلها ؛ مثل : أشاركك مادمت أميناً . (وقد سبق الكلام عليها وعلى المصدر المؤول ، فى الموصول الحرفى (ص ٤١١) . ولتقريب فهمها يفترضون أن أصل الجملة : أشاركك مدة مادمت أميناً ، فكلمة « مدة » ظرف زمان مضاف . وكلمة « ما » مصدرية ، تسبك مع الجملة التالية لها بمصدر : ؛ تقديره « دوامك » . وهذا المصدر المؤول هو المضاف إليه . ثم حذف الظرف المضاف ، وناب عنه المضاف إليه من غيرسبك (وهو : « ما » مع الجملة التى تليها) ، وصار هذا المضاف إليه منصوباً على الظرفية ؛ لنيابته عن الظرف المحذوف ، كما ناب ، المصدر الصريح عن الظرف فى مثل : قابلتك غروب الشمس ؛ أى : وقت غروب الشمس ، فقد حذف الظرف المضاف ، وناب المصدر المضاف إليه عنه ؛ فصار منصوباً .

فإن تقدم على « دام » « ما » المصدرية فقط - أى « ما » المصدرية غير الظرفية - كانت فعلاً تاماً ، بمعنى :بقى واستمر . نحو : يسرى مادمت ، أى : دوامك وبقاؤك - . ومثله : يسرى مادمت شجاعاً ، أى : يسرى دوامك شجاعاً . ولا يصح أن تكون « ما » مصدرية ظرفية فى هذا المثال ؛ فليس المراد يسرى المدة ، وإنما المراد : يسرى الدوام والاستمرار ، وفوق كبير بين الاثنين : لأن الذى يسرى هو الدوام ، لا المدة .. وكذلك إن سبقها « ما » النافية كانت فعلاً تاماً ، بمعنى :بقى واستمر طويلاً . نحو : مادام الضيف . أى : ما بقى واستمر ، وكذلك إن لم تسبق مطلقاً بلفظة « ما » النافية أو غير النافية ، نحو : دام الظلم فأهلك أعوانه ، ونحو : دام محمد صحيحاً (صحيحاً : حال منصوبة ، وليست خبراً) .

وإذا أُسْنِدَتْ للضمير رفع متحرك وجب ضم الدال ، وحذف الالف ^(١)
 ٣ - أن يسبقهما معاً كلام متصل به اتصالاً معنوياً ، بشرط أن يكون جملة فعلية مضارعية ^(٢) .

٤ - ألا يكون خبرها جملة فعلية ماضوية ؛ لأن «دام مع معموليها» تفيد استمرار المعنى إلى وقت الكلام ، والجملة الماضوية تفيد انقطاعه ، فيقع التناقض ^(٣) .

٥ - ألا يتقدم خبرها عليها وعلى «ما» معاً ؛ لأن «ما» المستدرية الظرفية ^(٤) لا يسبقها شيء من صلتها التي تسبك معها بمصدر . أما توسطه بينها وبين «ما» فجائز .

وما سبق نعلم : أن جميع أفعال هذا الباب تستعمل ناقصة وتامة إلا ثلاثة أفعال تلتزم النقص ؛ (وهي : قى - زال - ليس) - .
 كما نعلم : أن كل فعل ناقص (ناسخ) لا يعمل هو وما قد يكون لمصدره من

= ومن المفيد أن نشير إلى أن الفعل «دام» قد يكون ناقصاً أو غير ناقص مع تقدم «ما» المصدرية الظرفية عليه ؛ فليس من اللازم نقصانه عند وجودها ؛ فقد يكون تاماً لا يعمل كما في قوله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض) ، فالمعول عليه في الحكم بالنقصان أو عدمه هو أنها لا تعمل بغير أن يتحقق الشرط . لكن وجود الشرط لا يستلزم حتماً أن تعمل ، فمع وجوده يجوز إهمالها وإعمالها على حسب المعنى ، إذ لا يازم من وجود الشرط وجود المشروط (كما يقول علماء المنطق) ، ولكن لا يوجد الشرط بدون وجود الشرط ؛ كالرؤية لا تكون إلا بوجود العين . لكن وجود العين لا يقتضى الرؤية ؛ إذ يصح أن تكون العين مغلقة ، أو نائمة ، أو معجبة عن الإبصار لسبب . .

(١) يوضح هذا ما سبق في آخر رقم ٢ من هامش ص ١٦٥ خاصاً بالفعل : «كان» .

(٢) كقول الشاعر :

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعه الكرامة حيث مالا ...

وهذا الشرط نص عليه صاحب شرح المفصل (في ص ١١٤ من الجزء السابع) حيث قال : (أما : «دام» فلا تستعمل إلا بلفظ الماضي - كما كانت «ليس» كذلك - ولا يتقدمها إلا فعل مضارع ؛ نحو : لا أكلمك مادام زيدا قائماً) اهـ .

أما قوله تعالى : (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) فلهم فيه كلام يخرجهم عما نحن فيه - وقد أشرنا لهذا الشرط في رقم ٣ من هامش ص ٤١٢ . واشترط مضياً هو الأربع - كما قلنا - ويعارض فيه بعض النحاة ، محتجاً بأن لها مضارعاً ناسخاً هو : «يدوم» ولها مصدر ناسخ كذلك . (راجع الصبان في هذا الموضوع) وهذا الرأي ضئيف مردود ، لقيامه على فهم نظري محض لا تؤيده الشواهد . والصحيح أنها فعل ماض جامد إذا سبقت «ما» المصدرية الظرفية .

(٣) راجع ما يتصل بهذا في «أ» من هامش ص ٥٤٧ .

(٤) والمصدرية غير الظرفية أيضاً - راجع حكم النوعين في ص ٤١٣ - .

مشتقات ، إلا بشروط مفصلة ؛ فلا يكفي الاختصار على ما يذكره بعض النحاة من تقسيم هذه الأفعال الناسخة ثلاثة أقسام مجتملة ؛ بحسب ما يلزم لها من شروط ، أو لا يلزم ، حيث يقولون :

- (أ) قسم يعمل بدون شرط ، وهو ثمانية أفعال :
كان - أصبح - أضحى - أمسى - ظل - بات - صار - ليس .
(ب) قسم يعمل بشرط أن يسبقه نفي ، أو شبه نفي ، وهو أربعة أفعال :
زال - برح - فنى - انفك .
(ح) قسم يعمل بشرط أن يسبقه « ما » المصدرية الظرفية وهو فعل واحد :
« دام » . . .

فهذا التقسيم غير سليم ؛ لا اعتباره القسم الأول غير محتاج إلى شروط ، ولأنه ترك في القسمين الأخيرين شروطاً هامة ، لا يصح إهمالها ، وقد عرفنا تفصيلها ^(١) .

* * *

بقي أن نعود إلى مسألة أشرنا إليها من قبل ^(٢) ؛ هي : أن النسخ ليس مقصوراً على الأفعال الماضية وحدها ، بل يشملها ويشمل ما قد يكون لمصادرها من مشتقات ؛ فتعمل بالشروط التي للماضى . وتفصيل هذا أن الأفعال الناسخة ثلاثة أقسام :

- (أ) قسم جامد ، - أى : لا يتصرف مطلقاً ، ولا يوجد منه غير الماضى - ، وهو فعالان : « ليس » بالاتفاق ، و « دام » ^(٣) في أشهر الآراء .

(١) ويشير ابن مالك إلى عمل « كان » بقوله :

تَرْفَعُ كَانََ الْمَبْتَدَأَ اسْمًا وَالْخَبَرَ تَنْصِبُهُ ؛ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرَ
أى : كان عمر سيداً ، ويذكر أخواتها بقوله :

كَكَانَ : ظَلَّ ، بَاتَ ، أَضْحَى ، أَصْبَحَا أَمْسَى ، وَصَارَ ، لَيْسَ ، زَالَ ، بَرَحَا
فَتَى ، وَانْفَكَ ، وَهَذَى الْأَرْبَعَةُ لِشِبْهِ نَفْيٍ ، أَوْ لِنَفْيٍ مُتَّبِعَةٍ
أى : أن الأربعة الأخيرة في الترتيب تتبع نفيّاً أو شبه نفي ، ومعنى تتبعه : تليه وتجيء بعده ؛
(فلا بد أن تُتْبِعَهَا النّفى ، أى : تذكرها بعده) ثم قال :

ومثلُ كَانَ : « دَامَ » مسبقاً بمَا كَلَّفَ . - مَا دُمْتَ مصيباً دِرْهَمًا

أى : أن الفعل : دام « في العمل مثل « كان » في عملها بشرط أن يسبقه « ما » المصدرية الظرفية » ، ولم يذكر أنها « مصدرية ظرفية » لضيق الوزن الشعري ؛ فاكفى بمثال يحويها ؛ وهو : أعط درهما مادمت مصيباً ، أى : مدة دوامك مصيباً الدرهم ، أو مصيباً المحتاج .

(٢) في ص ٥٤٦ و ٥٤٧

(٣) انظر رقم (٢) من هامش ص ٥٦٥ .

(ب) قسم يتصرف تصرفاً شبيهاً كاملاً ؛ فله الماضي ، والمضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسم الفاعل ، دون اسم المفعول وباقي المشتقات ؛ فإنها لم ترد في استعمال الفصحاء ؛ وهو سبعة : (كان-أصبح-أضحى-أمسى-بات - ظل - صار) ، فن أمثلة « كان » للماضي : كان الوفاء شيمة الحر ، وللمضارع : يكون الكلام عنواناً صاحبة ، وللأمر : كونوا أنصار الله . وللمصدر قول العرب : كونك شريفاً مع الفقر خير من كونك دنيئاً مع الغنى . وقول الشاعر :

ببذل وحلم سادَ في قومه الفتي وكُونُكَ إِيَّاهُ عليكَ يسيرُ
ولاسم الفاعل :

وما كل من يبدي البشاشة كائناً أخاكَ إذا لم تُلْفِه لكَ مُنْجِداً
وهكذا ... وبقية الأفعال السبعة مثل « كان » في هذا التصرف « الشبيه بالكامل » والذي يسمونه أحياناً : « الكامل نسبياً » .

(ج) قسم يتصرف تصرفاً ناقصاً ؛ وهو الأربعة المسبوقة بالنفي ، أو شبهه . (وهي : زال - برح - فنى - انفل) فهذه الأربعة ليس لها إلا الماضي ، والمضارع ، واسم الفاعل ؛ مثل : لا زالت الأمطارُ موردَ الأنهار . ولا تزال الأنهارُ عمادَ الحياة . وليس النيلُ زائلاً^(١) عمادَ الزراعة في بلادنا ؛ ومن هذا قول الشاعر :

قضى الله يا أسماءُ أنْ لستَ زائلاً^(٢) أحبكُ ، حتى يغمضَ العينَ مغمضُ^(٣)

* * *

(١) لوقلتنا : ما زائلُ النيلُ عمادَ الزراعة في بلادنا - فأين خبر المبتدأ الذي هو كلمة « زائل » ؟ أيكون خبره الاسم والخبر معاً أم أحدهما ؟ الراجح - عند الصبان - أن خبره هو اسم فقط ؛ فتكون كلمة « النيل » اسم « زائل » وفي الوقت نفسه خبر له باعتباره مبتدأ . ولا اعتراض بأن خبر المبتدأ لم يتعم الفائدة الأساسية ، لأن عدم إتمامه الفائدة ناشئ من أمر عرضي هو نقصان المبتدأ . فهذا نوع من المبتدأ الناسخ ؛ يستثنى عن خبر المبتدأ ؛ اكتفاء باسم الناسخ مع بقاء خبر الناسخ على حاله من الضبط الذي يستحقه باعتباره خبر الناسخ . (راجع الصبان في هذا الباب عند بيت ابن مالك : « وغير ماضٍ مثله قد عملا ... ») وقد أشرنا لهذه الصورة في رقم ٢ من هامش ص ٤٤٤ وفي ٣ من هامش ص ٥٦٢

(٢) تقدم البيت في رقم ١ من هامش ص ١٦٥ لمناسبة هناك . وفيما سبق يقول ابن مالك :

وغيرُ ماضٍ مثله قَدْ عَمِلَا إِنْ كَانَ غَيْرُ المَاضِ مِنْهُ اسْتِعْمِلَا
أى : أن الفعل غير الماضي إن وجد واستعمل فإنه يعمل مثله ؛ فغير الماضي يشمل المضارع والأمر وكذلك يشمل ما يوجد من المشتقات الأخرى .
هذا ، ولا يصح في كلمة : « مثل » النصب على أنها حال من فاعل : « عمل » إلا للضرورة ، أو على رأى ضعيف ، لما يترتب على هذا من تقديم معدول الفعل المسبوق بالحرف : « قد » وهو ممنوع في القول الأصح - كما سبق في رقم ١ هامش ص ٥٢ نقلاً عن الخفري - .

المسألة ٤٣ :

حكم الناسخ ومعموليهِ من ناحية التقديم والتأخير

الترتيب - في هذا الباب - واجب بين الناسخ واسمهِ ؛ فلا يجوز تقديم الاسم على عاملهِ الناسخ^(١) . أما الخبر فإن كان جملة خالية من ضمير يعود على اسم الناسخ ، فالأحسن تأخيرهِ عن الناسخ واسمهِ^(٢) معاً ؛ لأن تقدمه - في هذه الصورة - على الناسخ أو توسطه بين الناسخ واسمهِ ، غير معروف في الكلام العربي الفصيح^(٣) .

ويجب تأخيرهِ عنهما إن كان جملة مشتملة على ضمير يعود على اسم الناسخ ؛ كالضمير الذى فى الجملة الفعلية : « تُوسِعُهُ » من قول أعرابي ينصح صديقه : « دَعْ ما يَسْبِقُ إلى القلوب إنكارُهُ ، وإن كان عندك - اعتذارُهُ^(٤) فليس من حكمتي عنك نُكْرًا^(٥) تُوسِعُهُ فيك عُذْرًا^(٦) .

مما تقدم يكون للجملة الواقعة خبراً للناسخ حكم واحد ؛ هو : التأخير عنهما - إما وجوباً ، وإما استحساناً - .

وأما الخبر الذى ليس جملة (وهو : المفرد ، وشبه الجملة) فله ست حالات^(٧) :

(١) كما أشرنا فى ص ٥٤٦ .

(٢) قلنا : « الأحسن » ؛ لأن الخلاف واسع فى جواز التقديم ، أو منعه ، أو تقييده بحالات دون غيرها - راجع « المصنع » ج ١ ص ١١٨ - ويقول « المصنع » فى حالة التأخير الواجب وهى التى جعلناها مستحسنة ما نصه : (لا يجوز تقديمه فيها ، ولا توسطه ؛ سواء أكانت اسمية ؛ نحو : كان على أبوه قائم أم فعلية رافعة ضمير الاسم ؛ نحو : كان على يقوم ؛ أم غير رافعة ؛ نحو : كان على يمر محمود به . ومستند المنع فى ذلك عدم سماعه .) ١ هـ .

لكن قد يكون الواجب التمثيل بنحو : « كان المريض يغيب الطبيب فيتألم من غيابه ، أو : فيتألم الناس من غيابه ؛ كى تكون جملة الخبر خالية من كل ضمير يعود على اسم الناسخ .

(٣) هذا كلامهم . وبالرغم من أنه غير معروف فى الكلام المأثور ، يجوز بمض النحاة تقديمه قياساً على خبر المبتدأ . لكن القياس هنا غير مستحسن بعد أن تبين لهم أن الكلام العربى لم يرد به تقدم هذا النوع من الخبر الجملة .

(٤) العذر لفعله .

(٥) أدرأ مستقبهاً .

(٦) تزيده ما يقننه ويرضيه . والجملة الفعلية : (توسعه) فى محل نصب خبر « ليس »

(٧) ولمصولاته - إن وجدت - حالات أخرى سيجىء الكلام عليها فى الزيادة ، ص ٥٧٦ .

الأولى : وجوب التأخر عن الاسم^(١) ، وذلك :

١ - حين يترتب على التقديم لبس لا يمكن معه تمييز أحدهما من الآخر^(٢) نحو : كان شريكى أخى - صار أستاذى رفيقى فى العمل - باتت أختى طبيبتى ... فلو تقدم الخبر لأوقع فى لبس لا يظهر معه الاسم من الخبر . والفرق المعنوى بينهما كبير ؛ لأن أحدهما محكوم عليه ؛ وهو : الاسم ، والآخر محكوم به ، وهو : الخبر .

٢ - حين يكون الخبر واقعاً فيه الحصر ؛ كأن يكون مقروناً بإلا المسبوقة بالنفى ؛ (نحو : ما كان التاريخ إلا الخبر الصادق ، أو مسبوقةً « بإنما ») ؛ (مثل : إنما كان التاريخ الخبر الصادق ؛ لأن المحصور فيه « إلا » يجب اتصاله بها ، متأخراً عنها ، والمحصور فيه « بإنما » يجب فصله وتأخيرها ، فلو تقدم التأخر فى الصورتين تغير المقصود ، وفات الغرض الهام من الحصر .

الثانية : وجوب التقديم على الاسم فقط ؛ (فيتوسط الخبر بينه وبين العامل الناسخ) وذلك حين يكون الاسم مضافاً إلى ضمير يعود على شئ متصل بالخبر^(٣) ؛ مع وجود ما يمنع تقدم الخبر على الناسخ ؛ مثل يعجبنى أن يكون للعمل أهله^(٤) فلا يصح : (يعجبنى أن يكون أهله للعمل) ؛ لما فى هذا من عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ، وهو ممنوع فى مثل هذا^(٥) . . .

(١) وهذا يقتضى التأخر عن الناسخ حتماً ؛ لما تقدم من وجوب تأخير اسم الناسخ عن عامله .
(٢) بأن يكونا معرفتين معاً أو نكرتين معاً . على الوجه الذى تقدم فى المبتدأ والخبر ص ٤٩٢ و « ب » ص ٤٩٩ م ٣٧) .
(٣) ليس من اللازم أن يكون الضمير « مضافاً إليه » ، وإنما اللازم أن يكون معمولاً للاسم ، أو مرتبطاً به بصلة إعرابية قوية .

(٤) هذا المثال هو الذى يوضح الحالة الثانية توضيحاً دقيقاً ؛ لوجود « أن » المصدرية فيه ؛ لأن وجودها يمنع تقديم شئ عليها من جملتها التى تألها ، كما تمنع تقديم شئ يفصل بينها وبين الفعل الذى دخلت عليه لتنصبه ؛ فلا يصح تقديم الخبر عليها ، أو على الفعل الذى تنصبه ، كما لا يصح تأخيرها عن الاسم ؛ لأن فى الاسم ضميراً يعود على شئ متصل بالخبر ؛ فتقديم الخبر ممنوع ، وتأخيرها ممنوع ؛ فلم يبق إلا توسطه بين الاسم وعامله الناسخ . أما أمثلة النحاة من نحو : (كان غلامٌ هندٍ يعلمها) فلا يجب الاقتصاد على توسط الخبر ؛ (غلام) بين الاسم والعامل الناسخ ، لجواز أن يتقدم الخبر على الناسخ فى هذا المثال وأشباهه من غير ضعف . فأمثلتهم المشار إليها لاتصلح للتوسط الواجب وحده

(٥) هناك حالة أخرى يجب فيها توسط الخبر بين الناسخ واسمه - وهى التى تقدمت فى رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ وستجىء فى ج ٣ م ٩٩ باب : إعمال المصدر - وملخصها : أنه لم يرد فى الفصيح وقوع « أن المصدرية » بنوعها : (الخففة من الثقيلة ، والناسبة للمضارع) بعد « كان » ، وإن « الناسختين بغير فاصل من خبرهما ؛ نحو : كان مطلوباً أن يخلص الصانع - وكان مفيداً أن الصانع متعلم .

الثالثة : وجوب التقدم على العامل الناسخ^(١) ؛ وذلك حين يكون الخبر اسماً واجب الصدارة ؛ كأسماء الاستفهام ، و « كم » الخبرية . . . نحو : أين كان الغائب ؟ وقول الشاعر :

وقد كان ذِكْرِي^(٢) للفراق يترُوعُنِي فكيف أكونُ اليوم ؟ وهو يقينٌ
وكم مرةً كانت زيارة المعالم المشهورة !!

ويشترط في هذه الحالة ألا يكون العامل الناسخ مسبوقاً بشيء آخر له الصدارة ؛ مثل : « ما » النافية . . . ؛ لأن الخبر الذي له الصدارة لا يدخل على ماله الصدارة^(٣) ، فلا يصح : أين ما كان الغائب ؟ ولا : أين ما زال البستاني ؟ وكذلك لا يصح أن يكون العامل الناسخ هو : « ليس » لأن خبرها لا يجوز أن يسبقها ، في الرأي الأرجح^(٤) .

الرابعة : وجوب التوسط بين العامل الناسخ واسمه ، أو التأخر عنهما معاً ؛ وذلك حين يكون العامل مسبوقاً بأداة لها الصدارة ، ولا يجوز أن يفصل بينهما وبين العامل الناسخ فاصل . ومن أمثله : الاستفهام بالحرف « هل » ، في مثل : هل أصبح المريض صحيحاً ؟ فيجب تأخره كهذا المثال : أو توسطه فنقول : هل أصبح صحيحاً المريض ؟ الخامسة : وجوب التوسط بين الناسخ واسمه ، أو التقدم عليهما إذا لم يوجد مانع من التقدم ، وذلك :

١ - حين يكون الاسم مضافاً لضمير^(٥) يعود على شيء متصل بالخبر ؛ فنقال

(١) وهذا يقتضى التقدم أيضاً على الاسم .

(٢) تذكرى .

(٣) لكيلا يجتمع شيان لكل منهما الصدارة ؛ فيقع بينهما التعارض ، ولا يمكن تفضيل أحدهما على الآخر . و « ما » النافية من الأدوات التي لها الصدارة - كما سيجيء في رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية - فلا يجوز تقديم الخبر ولا غيره من جملتها عليها . وكذا كل ماله الصدارة ؛ كالاستفهام ، وأسماء الشرط ، وغيرهما .

هذا مايقوله النحاة . ولكن السبب الحقيقي هو عدم استعمال العرب الفصحاء للأسلوب المشتغل على أداتين لهما الصدارة . (راجع رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية) .

(٤) كما أشرنا في رقم ٣ من ص ٥٦٠ وفي رقمي ١٥٤ من هامش ص ٥٧٤ و ٥٧٥ وإذا كانت للاستثناء مع النسخ لم يجوز تقديم خبرها عليها بالاتفاق . ومثلها : « لا يكون » الناسخة الاستثنائية .

(٥) انظر رقم ١ من هامش الصفحة السابقة .

التوسط : أمسى (في البستان) حارسه ، وبات (مع الحارس) أخوه^(١) . ومثال التقديم عليهما^(٢) بغير مانع : في البستان أمسى حارسه ، ومع الحارس بات أخوه . فقد توسط الخبر أو تقدم ؛ لكيلا يعود الضمير الذي في الاسم على شيء متأخر لفظاً ورتبة ، وهو لا يجوز هنا

٢ - حين يكون الاسم واقعاً فيه الحصر ؛ كأن يكون مقروناً بإلا المسبوقة بالنفي ؛ فمثال التوسط ؛ ما كان حاضراً إلا على ، ومثال التقديم على العامل ما حاضراً^(٣) . كان إلا على : لأن تقديم المحصور فيه يفسد الحصر . . .

السادسة : جواز الأمور الثلاثة : (التأخر عن العامل فقط ، والتقدم عليه ، والتوسط بينه وبين الاسم . . .) في غير ما سبق ؛ نحو : كان الخطيب مؤثراً . أو كان مؤثراً الخطيب ، أو مؤثراً كان الخطيب . ومثله : كان خلقُ المرء سلاحه ، ويجوز : كان سلاحه خلقُ المرء^(٤) ، كما يجوز : سلاحه كان خلقُ المرء .

فأحوال الخبر الستة تلخص فيما يأتي إذا كان غير جملة :

١ - وجوب تأخيره عن الناسخ واسمه معاً .

(١) ليس في هذه الحالة ما يمنع من تقديم الخبر على الناسخ . ولهذا يصح توسطه وتقدمه . بخلاف الحالة الثانية التي يجب فيها تقدم الخبر على الاسم وحده ؛ إذ لا بد فيها من وجود مانع يمنع تقدم الخبر على الناسخ . ويمتنع تأخره عن الاسم ؛ فيتعين توسط الخبر بين الناسخ واسمه .

(٢) بشرط ألا يكون قبل العامل شيء له الصدارة ؛ فإن وجد شيء له الصدارة وجب تقديم الخبر على العامل وحده دون أن يتقدم على ماله الصدارة ، إلا أن يكون هناك ما يمنع توسط الخبر بين العامل وماله الصدارة ، كحالة الاستفهام بـ هل : في مثل : هل كان السفر طيباً . (راجع الحالة الرابعة السابقة) .

(٣) إذا كان العامل مسبوقاً بـ « بما » النافية فإنه لا يجوز تقديم الخبر عليها وعلى العامل معاً ؛ لأن لها الصدارة . لكن يجوز تقديمه على العامل وحده دون « ما » ، أى : يجوز أن يتوسط بينهما - كما سبق في رقم ٣ من هامش الصفحة السالفة - فإن كان النافي حرفاً آخر ، مثل : « لم » أو « لا » أو « لن » أو غيرها إلا « إن » النافية ؛ فإنها مثل : ما النافية ، جاز أن يتقدم عليه الخبر ؛ نحو : مستريحاً لم يصبح السهران - منصوراً لا يزال الحق - مخلصاً لن يكون الكذاب - انظر رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية - .

(٤) والضمير هنا عائد على متأخر لفظاً فقط . دون رتبة ، لأنه عائد على : « خلق » الذي هو اسم : « كان » والاسم متقدم على الخبر في الرتبة .

٢ - وجوب تقديمه عليهما معاً .

٣ - وجوب توسطه بينهما .

٤ - وجوب تقديمه على العامل الناسخ ، أو التوسط بينه وبين الاسم .

٥ - وجوب توسطه بينهما ، أو تأخره عنهما .

٦ - جواز تأخره عنهما ، أو تقدمه عليهما ، أو توسطه بينهما .

وتلك الأحوال والأحكام تنطبق على جميع أخبار النواسخ في هذا الباب إلا خبر الأفعال التي يشترط لإعمالها أن يسبقها نفي ، أو شبهه ، وإلا خبر « دام » التي يشترط لإعمالها أن يسبقها « ما » المصدرية الظرفية ، وإلا خبر « ليس » كما سبقت الإشارة إليها ^(١) ، فهذه ثلاثة مستثناة ، لكل واحد منها صور ممنوعة ، وإليك البيان .
فأما الأفعال التي يشترط أن يسبقها نفي أو شبهه فتنتطبق عليها الأحكام السابقة إلا حالة واحدة هي وجود النافي « ما » ، فلا يجوز تقديم الخبر عليه ؛ لأن « ما » النافية لها الصدارة - كما سبق - ^(٢) ؛ فلا يصح : متكلماً ما زال محمود ، ولكن يصح تقدمه على العامل الناسخ وحده دون حرف النفي : « ما » فيصح : ما متكلماً زال محمود . كما يصح تقدمه على حروف النفي الأخرى ؛ (مثل . لا . ولم ، ولن . . .) أما بقية الصور الأخرى من التقديم والتأخير فشأن هذه الأفعال التي لا تعمل إلا بسبق نفي أو شبهه ، كشأن غيرها .

وأما « دام » فتنتطبق عليها الأحوال والأحكام السابقة إلا حالة واحدة لا تجوز ، وهي تقدم الخبر عليها وعلى « ما » المصدرية الظرفية ^(٣) ، ففي مثل : « سابق في

(١) في رقم ٣ من ص ٥٥٩

(٢) في رقم ٣ من هامش صفحتي ٥٧١ و ٥٧٢ ومثلها : « إن » في أرجح الآراء . ومنع تقديم الخبر على أحد حرفي النفي : « ما » و « إن » عام ، يشمل خبر الأفعال الناسخة التي لا بد أن يسبقها نفي أو شبهه ، مثل : زال ، كما يشمل خبر الأفعال الناسخة التي لا يشترط أن يسبقها ذلك ، مثل : « كان » المسبوقة بأحد حرفي النفي ، بل إنه يشمل كل جملة أخرى مبدوءة بأحدهما ، فلا يجوز تقديم شيء من هذه الجملة على أحدهما

(٣) ملاحظة : قال الأشموني في هذا الموضع مانصه : « (دعوى الإجماع على منع هذه الصورة مسلمة) اه فقال الصبان في سبب المنع مانصه : « (للزوم تقدم بعض الصلة على الموصول الحرفي ؛ وهو ممنوع ، ولزوم عمل ما بعد الحرف المصدرى فيما قبله ، وهو أيضاً ممنوع اه . ومن كل ما سبق يتبين أن الموصول الحرفي لا يصح أن يسبقه شيء مطلقاً من صلاته (أى من كل الجملة التي هي صلة له) .

البيت ما دام المطر منهراً « لا يصح أن يقال : (سابق في البيت منهراً ما دام المطر) ؛ لأن « ما » المصدرية الظرفية — كسائر الحروف المصدرية المختلفة ^(١) ، لا يصح أن يتقدم عليها شيء من الجملة التي بعدها ؛ وهي الجملة التي تقع صلة لها . لكن يجوز أن يتقدم الخبر على « دام » وحدها فيتوسط بينها وبين « ما » المذكورة ^(٢) ؛ ففي المثال السابق يصح أن يقال : سابق في البيت ما منهراً دام المطر . وفي مثل : أقرأ الكتاب ما دامت النفس راغبة ؛ لا يصح أن نقول : أقرأ الكتاب راغبة ما دامت النفس . . . وهكذا ^(٣) .

وأما « ليس » فتنتطبق عليها جميع الأحوال والأحكام السابقة أيضاً ^(٤) إلا حالة

(١) طبقاً لما مرّ في آخر هامش الصفحة السالفة ، وأشرنا إليه في ص ٣٧٨ وهامشها عند الكلام على الصلة .

(٢) تقدم — في ص ٤١٠ وفي رقم ٤ من هامش ص ٥٧٠ و . . . — أنه لا يجوز الفصل بالخبر — أو بغيره — بين « أن المصدرية » والفعل الذي تنصبه ؛ في حين يجوز الفصل به بين « ما المصدرية الظرفية » والفعل الذي دخلت عليه ؛ (طبقاً لما سلف في ٣٧٨) مع أن كل واحد منهما حرف مصدرى لا يجوز أن يسبقه شيء من الجملة التي يدخل عليها — وهي الجملة التي يسبك معها بمصدر .

وبينهما فرق من جهة أخرى : فإن المصدرية تنصب المضارع ؛ فلا يجوز الفصل بينهما مطلقاً — بالخبر أو بغيره — ، محاذة للوارد الفصيح من كلام العرب ، « وما المصدرية » لاتنصبه إن دخلت عليه ؛ فيجوز الفصل بينهما بالخبر .

(٣) إلى بعض ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وفي جميعها تَوَسُّطَ الخبرِ أَجَزُ ، وَكُلُّ سَبْقِهِ دَامَ حَظَرُ
كَذَاكَ سَبْقُ خَيْرٍ : « مَا » النَّافِيَةُ فَجِيءَ بِهَا مَتْلُوءَةً ، لَا تَالِيَةَ

يريد : أن جميع النواسخ السابقة يجوز فيها توسط الخبر بين الناسخ واسمه . ولم يذكر شرط ذلك ، ولا تفصيله — ، وقد تداركناه . ثم قال : إن كل النحاة حظر (أى : منع) سبق خبر « دام » عليها ، ولم يبين هذا المنع خاص بتقديمه عليها وحدها دون « ما » المصدرية الظرفية التي تسبقها ، أم بتقديمه عليها معاً ؟ وقد أسلفنا أن المنوع هو تقديمه عليهما معاً . أما توسطه بينهما فليس بممنوع . ثم قال : كذلك منع كل النحاة سبق الخبر وتقدمه على « ما » النافية ؛ لأن لها الصدارة في جملتها ؛ فلا يسبقها شيء منها . ويجب أن تكون متلوة ؛ أى : سابقة ، يتلوها غيرها ، ويجيء بعدها . ولا يصح أن تكون تالية غيرها ولا أن تحجى بعده .

(٤) بشرط ألا تكون للاستثناء ؛ فإن كانت للاستثناء لم يحز تقديم خبرها اتفاقاً . ومثلها :

— كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٥٧١ —

« لا يكون » الناسخة الاستثنائية

واحدة وقع فيها الخلاف بين النحاة ، هي الحالة التي يتقدم فيها الخبر عليها ،
ففرق منع ، وفريق أجاز^(١) . والاقتصار على المنع أولى .

* * *

الآن وقد عرفنا حكم الخبر المفرد ، وشبه الجملة ، من ناحية التقدم ، أو التوسط ،
أو التأخر ... بقي أن نعرف حكم معمولاته من هذه الناحية أيضاً ؟ . وسيجيء
البيان في الصفحة التالية .

* * *

(١) حجة الفريق الأول أنه لم يرد على ألسنة العرب التقديم ؛ فلا يسوغ لنا مغالفتهم . وحجة
الفريق الثاني أنه ورد تقديم معمول الخبر عليها في الكلام الفصيح ، ومنه قوله تعالى عن عذاب الكفار :
(أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) . فكلمة « يوم » ظرف للخبر : « مصروفاً » فهذا الظرف معمول
للخبر وقد تقدم على « ليس » ؛ فتقدمه يشعر بجواز تقدم الخبر ! !

وهذا كلام غير مقبول بعد الاعتراف بأن الكلام العربي لم يرد به تقديم الخبر نفسه لا معموله .
ويقول ابن مالك - في منع تقدم خبر « ليس » ، وأن المنع هو المختار ، وفي تعريف الفعل التام ؛ (أى :
الذي ليس بناسخ ، طبقاً للبيان السالف في رقم ٣ من ص ٥٤٥) وفي بيان الأفعال التامة :

وَمَنْعُ سَبْقِ خَبَرٍ « لَيْسَ » اضْطُرْفِي وَذُو تَمَامٍ مَا يَرْفَعُ يَكْتَفِي

وَمَا سِوَاهُ نَاقِصٌ ، وَالنَّقْصُ فِي « فَتَى » ، « لَيْسَ » ، « زَالَ » دَائِمًا قُفِي

اضطفي : اختيار . . . أى : أن المختار منع تقديم خبر « ليس » عليها . وأن الفعل « التام » هو :
الذي يكتفى بمرفوعه الفاعل ، أو : نائب الفاعل ، « والنقص » هو : الذي لا يكتفى بمرفوعه ، وإنما يحتاج إلى
اسم وخبر . وجميع أفعال هذا الباب تستعمل تامة وناقصة إلا ثلاثة (ليس ، فتى ، زال) ؛ فإن النقص فيها
لازماً قُفِي ، أى : تبعها ، ولازمها ، ولا يتركها .
وقد سبق التفصيل .

(هذا وكلمة : « ليس » الأولى مقصود لفظها ، وهي مفعول به للمصدر ، « سبق » وهذا المصدر
مضاف لفاعله : خبر) .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) عرفنا مما تقدم حكم الخبر «المفرد وشبه الجملة» ، من حيث تقدمه وحده على عامله الناسخ ، أو توسطه بينه وبين اسمه ، أو تأخره عنهما ، وبقي للموضوع بقية تتصل بتقديم معمول هذا النوع من الأخبار على عامل الخبر ، وهي أن الخبر المفرد يتمتع بتقديمه وحده على الناسخ إذا كان الخبر قد رفع اسماً ظاهراً ؛ ففي مثل : « كان الرجل نبيلاً مقصده » و « بات المغني ساحراً صوته » ... — لا يصح : « نبيلاً كان الرجل مقصده » — ولا ساحراً بات المغني صوته^(١) ؛ لأنه لا يجوز تقديم الخبر المفرد وحده دون معموله المرفوع — كما قلنا — فإن تقدم مع معموله المرفوع جاز^(٢) ، فيصح : « نبيلاً مقصده كان الرجل » . « ساحراً صوته بات المغني » .

فإن كان معمول الخبر المفرد منصوباً نحو : « أضحي الرجل راكباً الطائرة » جاز تقديم هذا الخبر وحده على العامل الناسخ ، لكن مع قبح^(٣) . نحو : راكباً أضحي الرجل الطائرة .

وإن كان المعمول ظرفاً أو جاراً مع مجروره جاز تقديم الخبر وحده بغير قبح . ففي مثل ؛ ظل الفتى مشغلاً يوماً ، وأمسى قرير العين في بيته — يصح أن يقال : مشغلاً ظل الفتى يوماً ، وأمسى في بيته قرير العين .

(ب) يتصل بمسألة تقديم معمول الخبر المفرد مسألة توسط هذا المعمول الذي ليس « شبه جملة » بين الناسخ واسمه ، ففي مثل : كان القادم راكباً سيارة . وكان المسافر راكباً سفينة . . . نعرب كلمة : « سيارة » وكلمة : « سفينة » — وأمثالهما — مفعولاً به لخبر ؛ « كان » فكل واحدة منهما معمولة لذلك الخبر ، وليست معمولة للفعل « كان » . فهل يجوز تقديم ذلك المعمول وحده على الاسم بحيث يتوسط بينه وبين كان ؛ بأن نقول : كان سيارة القادم راكباً ؟ وكان سفينة المسافر راكباً .. ؟ لا يجوز ذلك ، بشرط ألا يكون المعمول « شبه جملة » ؛ لأن

(١) لأن المأثور من الفصح لم يقع فيه الفصل بين الوصف ومرفوعه بأجنبي عنهما .

(٢) مع ملاحظة — أن المعمول المرفوع هنا يعرب فاعلاً أو نائب فاعل على حسب الجملة

فلا يصح تقديمه مطلقاً على عامله

(٣) لقلة شيوعه في الأساليب الفصيحة القديمة .

... ..
... ..

تقديم شبه الجملة جائز ، أما تقديم غيره فمخالف للنهج العام الذى تسير عليه الجملة العربية فى نظام تكوينها المأثور ، وطريقة ترتيب كلماتها . وذلك النهج يقتضى ألا يقع بعد العامل - مباشرة - معمول لغيره بشرط ألا يكون هذا المعمول شبه جملة ...^(١)؛ ففى مثل : أقبل القطار يحمل الركاب . . . ، نعرب كلمة : « الركاب » مفعولاً به للفعل : « يحمل » وهذا الفعل هو ، عاملها ؛ فهى وثيقة الصلة به ، وليست أجنبية منه ؛ فلا يصح أن نقدمها ونضعها بعد عامل آخر ؛ هو : « أقبل » لأنها أجنبية عنه ؛ فلو قلنا : أقبل الركاب القطار يحمل - لكان هذا الأسلوب بعيداً عن الصواب : لمخالفة النسق الصحيح الوارد فى تركيب الجملة ؛ وهو النسق الذى تدل عليه تلك القاعدة العامة التى أشرنا إليها ، والتى ملخصها : « أنه لا يجوز أن يلى العامل - مباشرة - معمول لعامل آخر » . أو : « لا يصح أن يلى العامل - مباشرة - معمول أجنبى عنه » .

ولا فرق فى المعمول المتقدم بين أن يكون معمولاً لخبر « كان » أو لخبر غيرها من النواسخ ، وغير النواسخ ، ولا بين أن يكون المعمول مفعولاً أو غير مفعول ... إلا شبه الجملة : (الطرف والجار مع مجروره) ، فإنه يجوز أن يلى عاملاً آخر غير عامله . والقاعدة بعد هذا عامة - كما أسلفنا - فلا تختص بعامل معين ، ولا تقتصر على معمول دون آخر ، وهى مستمدة من الأساليب الكثيرة الفصيحة ، وعلى أساسها بنى الحكم السابق .

هذا إذا تقدم المعمول وحده بدون الخبر ، كالأمثلة السابقة ، وكذلك إن تقدم ومعه الخبر ، وكان المعمول هو السابق على الخبر ؛ ففى مثل : كان الطالب قارئاً الكتاب ... لا يصح أن يقال : كان الكتاب الطالب قارئاً . أما لو تقدمت معاً وكان الخبر هو السابق فالأحسن الأخذ بالرأى الذى يبيحه ؛ لمسايته الأساليب الفصيحة المأثورة^(٢) ؛ فيصح أن نقول : كان قارئاً الكتاب الطالب .

(١) الشرط ألا يكون المعمول شبه جملة . وبناء على هذه القاعدة العامة لا يصح فى باب : « كان » وأحوالها أن يتوسط بين العامل (الناسخ) واسمه المرفوع - معمول لعامل آخر إذا كان المعمول ليس شبه جملة . وإنما قلنا : العامل ومرفوعه ؛ إذ لا يمكن أن يتم التوسط الممنوع هنا إلا بين العامل ومرفوعه ؛ لأنهم يشترطون أن يقع التوسط الممنوع بعد العامل مباشرة ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الفاصل الأجنبى بين الناسخ واسمه المرفوع .

(٢) وقد تستدعيه بعض الحالات البلاغية . كل ذلك مع مراعاة الأحوال والشروط العامة لتقديم خبر الناسخ ؛ وقد أوضحناها فى ص ٥٦٩ .

... ..
... ..

غير أن هناك حالة واحدة يصح فيها تقديم معمول الخبر وحده ، أو مع الخبر ، متقدماً عليه ، أو متأخراً عنه ؛ هي - كما سبق - أن يكون معمول شبه جملة (أى : ظرفاً ، أو : جاراً مع مجروره) ، نحو : بات الطير نائماً على الأشجار ، وأصبح الطلُّ مراً كما فوق الغصون ... فيصح أن يقال : بات على الأشجار الطير نائماً - وأصبح فوق الغصون الطلُّ مراً كما ... وهكذا ^(١) . وقد وردت أمثلة قليلة مسموعة تقدم فيها معمول الخبر وحده ، مع أنه ليس شبه جملة ؛ فتناولها النحاة بالتأويل والتكلف لإدخالها تحت قاعدة عامة تصونها من مخالفة القاعدة السابقة . والأحسن إغفال ما قالوه ، - إذ لا يرتاح العقل إليه ^(٢) - والحكم على تلك الأمثلة القليلة بالشذوذ ؛ فلا يصح القياس عليها .

* * *

(١) وفيما سبق بقول ابن مالك :

ولا يلي العامل معمول الخبر إلا إذا ظرفاً أتى ، أو : حرف جر
أى : أن معمول الخبر لا يتقدم وحده أو مع الخبر فيقع بعد العامل مباشرة ؛ لأن هذا التقدم ممنوع ؛ لإلا في حالة واحدة ، هي : أن يكون معمول ظرفاً أو حرف جر مع مجروره و (ظرفاً أتى - أى : أتى ظرفاً . بمعنى : وقع ووجد) . والمراد بحرف جر : أن يكون مع مجروره لأن حرف الجر وحده لا أثر له في الجملة . (٢) إذا رأوا في الكلام المسموع أسلوباً مثل : صار - الصحف - المتعلمة تقرأ ، أعربوها بتقديرات مختلفة أشهرها ما يأتي : « صار » فعل ماض . اسمه ضمير الشأن المستتر ، وهو كالظاهر في الفصل . « الصحف » مفعول به للفعل « تقرأ » . وبهذا الإعراب لا يكون معمول عندهم قد وقع بعد العامل مباشرة ؛ لوجود ضمير الشأن المستتر فاصلاً بينهما ، كما قلنا . « المتعلمة » مبتدأ مروع . « تقرأ » : فعل وفاعل . وهذه الجملة الفعلية خبر المبتدأ ، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر الناسخ : « صار » . وفي هذا تكلف ظاهر ، وإضعاف لبناء الجملة والمراد الحق من معناها بعد تقديرهم ضمير الشأن . وكان الواجب أن يقبلوا مثل هذا الأسلوب ، أو يرفضوه . أما التكلف والتأويل فلا يعرفه العرب على هذه الطريقة ، ولا محل له اليوم . والأحسن أن نختار رفض ذلك الأسلوب . وفيما سبق يقول ابن مالك :

ومضمّر الشّان اسماً أنو إن وقع مؤهّم ما استبان أنه امتنع
يريد : انضمام الشأن وقدّره بعد الناسخ مباشرة ، إن وردت لك بعض أمثلة ذمك ، وتخيل لك أنها التي استبان منها ؛ أى : ظهر منها .

المسألة ٤٤ :

زيادة : « كان » وبعض أخواتها

« كان » ثلاثة أنواع : « تامة ، وناقصة » - وقد عرفناهما - « وزائدة » ، وقعت في كثير من الأساليب الماثورة بلفظ الماضي ، مع توسطها بين شيئين متلازمين^(١) ، كالمبتدأ والخبر في مثل : القطار كان قادم ، أو : الفعل والفاعل في مثل : لم يتكلم كان عالم ، أو الموصول وصلته في مثل : أقبل الذي كان عرفته ، أو الصفة والموصوف في مثل : قصدت لزيارة صديق كان مريض ، أو المعطوف والمعطوف عليه في مثل : الصديق مخلص في الشدة كان والرخاء ، أو حرف الجر ومجروره في مثل : القلم على كان المكتب ، أو بين « ما » التعجبية وفعل التعجب^(٢) في مثل : ما كان أطيب كلامك ، وما كان أكرم فعلك . . . وقول الشاعر :

ما كان أسعد من أجابك آخذاً بهداك ، مجتنباً هوى وعنادا
وقد وردت زيادتها بلفظ المضارع - قليلاً - مع توسطه بين شيئين متلازمين ؛ في مثل : « أنت تكون رجل نابه الشأن » . . ، غير أن هذه القلة لم تدخل في اعتبار النحاة ؛ فقد اشترطوا للحكم بزيادة « كان » شرطين : أن تكون بصيغة الماضي ، وأن تكون متوسطة بين شيئين متلازمين ، على الوجه السالف .

لكن إذا وقعت : « كان » زائدة ، فما معنى زيادتها ؟ وكيف نعربها ؟ أقياسية تلك الزيادة ، أم الأمر مقصور فيها على السماع ؟ .

(١) أما معنى زيادتها فأمران :

أولهما : أنها غير عاملة ؛ (فلا تحتاج إلى معمول من فاعل ، أو مفعول ، أو اسم وخبر ، أو غيرهما ؛ إذ ليس لها عمل^(٣)) ؛ وليست معمولة لغيرها - وهذا شأن كل فعل زائد - ولا يتأثر صوغ الأسلوب بحذفها .

(١) أى : لا يوجد أحدهما بدون الآخر - ولو تقديرًا - إذ لا يمكن أن يستقل بنفسه واحد منهما . وتوسطها بينهما يقتضى أنها لا تقع في أول الجملة أو آخرها ؛ فلا بد أن تكون حشواً بين متلازمين .

(٢) سيجى في : « باب التعجب » إشارة لزيادتها - ج ٣ رقم ٣ من هامش ص ٣٢٨ - م ١٠٨ -

(٣) يرى بعض النحاة أنها ليست بزائدة ، وإنما هي ملغاة فقط - انظر آخر هامش ص ٦٦ -

حيث البيان - ولا أثر لهذا الخلاف اللفظي في التسمية ؛ إذ لا يترتب عليه شيء في المعنى والصياغة .

وثانيهما : أن الكلام يستغنى عنها ، فلا ينقص معناه بحذفها . ولا يخفى المراد منه ، وكل فائدتها أنها تمنح المعنى الموجود قوة ، وتوكيداً ، فليس من شأنها أن تُحدث معنى جديداً ، ولا أن تزيد في المعنى الموجود شيئاً إلا التقوية والتأكيد ؛ فحين نقول : « الوالد عطوف » ، يكون المراد من هذه الجملة نسبة العطف والحنان إلى الوالد ، وإلصاقهما بذاته ، وإذا قلنا : والله الوالد عطوف ، أو : إن الوالد عطوف . . . لم يزد المعنى شيئاً ، ولم ينقص ؛ ولكنه استفاد قوة وعمكناً ؛ بسبب القسم ، أو : « إن » وأشباههما ، ومثل هذا يحصل من زيادة « كان » حين نقول الوالد كان عطوف . وفرق كبير بين كلمة تنشئ معنى جديداً ، أو تزيد في المعنى القائم ، وكلمة أخرى - كهذه - لا تنشئ معنى جديداً ولا تزيد في المعنى الموجود ، ولكنها تقتصر على تأكيده وتقويته .

لهذا تجردت كلمة : « كان » عند زيادتها من الحدث الذي يكون في الفعل ؛ فلا تحتاج إلى فاعل ، ولا إلى اسم ، وخبر ، ولا لشيء آخر مطلقاً - كما سلف - ؛ لأن الذي يحتاج لذلك إنما هو الفعل الذي له حدث ، ومنه : « كان التامة ، أو الناقصة » . أما « الزائدة » فخالفة لهما في ذلك ؛ فهي في زيادتها المحضة مقصورة على التقوية والتأكيد .

ومن الأمرين السالفين يتبين أن بقاءها أو حذفها لا يؤثر في صياغة التركيب ولا في معناه الأصلي . غير أن الراجح أنها تدل على الزمن الماضي إذا كانت بصيغته . ولا سيما إذا توسطت بين « ما التعجبية ، وفعل التعجب » ؛ في مثل : ما كان أحسن صنعك ، وما كان أرق حديثك ؛ فإنها في هذه الصورة تدل على الزمن الماضي ^(١) ، إذ المراد أن الحسن والرقه كانا فيما مضى ^(٢) . ولا تدل على غيره ، ولا تحتاج لفاعل ولا لشيء آخر ، كما لا يحتاج إليها عامل ليؤثر فيها .

(١) والسبب هو أن التعجب لا يكون إلا بصيغة الماضي ، ومع أنه بصيغة الماضي لا يدل - في الأرجح - على زمن الماضي - ولا غيره ؛ لأنه صار مع التعجب إنشاء لمجرد التعجب ، مسلوب الدلالة على الماضي ، ولا أثر للزمن فيه . فلما دخلت عليه : « كان » بقيت محتفظة بدلالاتها الزمنية الأولى ، وصار فعل التعجب معها واقعاً في الماضي دالاً عليه وإن سلب بغيرها الماضي . (راجع ما يختص بهذا في باب « التعجب » ، ج ٣ ١٠٨م رقم ٣ من هلمش ص ٣٢٨) .

(٢) راجع شرح المفضل ج ٧ ص ١٠٥ وقد سبق - في آخر هامش ص ٦٧ - أن نقلنا كلامه الخاص بزيادة « كان » .

(س) أما قياسية استعمالها أو الاقتصار فيها على السماع فالنسب الأخذ بالرأى القائل بقياسيتها في التعجب وحده ، دون غيره من باقى الحالات ؛ منعاً للخلط .
 وفيراً من سوء الاستعمال^(١) ، وهذان عيبان يتوقاهما الحريص على سلامة لغته ،
 التجير بأسرارها .

وقد وردت زيادة بعض أخواتها ، كأصبح ، وأمنسى ، فى قولهم : الدنيا
 ما أصبح^(٢) أبردّها ! . وما أمنسى أدفأها ! . يريدون : ما أبردّها وما أدفأها ...
 والأمر فى هذا وأشباهه مقصور على السماع لا محالة .

« ملاحظة عامة » : الأصل فى الكلمة — مهما اختلفت أنواعها ، وتباينت
 صيغها — أن تكون عاملة ، أو معمولة ، أوهما معا . وهذا الأصل واجب المراعاة
 — دائماً — عند عدم المانع . والأخذ به مقدم « حين الفصل فى أمر الكلمة من ناحية
 أصالتها ، أو زيادتها . فليس من المستحسن الحكم عليها بالزيادة إذا أمكن الحكم
 لها بالأصالة^(٣) »

(١) وقد أشار ابن مالك إلى زيادتها حيث قال مختصراً :

وَقَدْ تَزَادَ « كَانَ » فى حَشْوٍ ؛ كما كَانَ أَصَحَّ عِلْمَ مَنْ تَقَدَّمَ

يريد بالحشو: التوسط بين شيئين متلازمين . على الوجه الذى شرحناه فى ص ٥٧٩ — .

(٢) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٥ من هاشى ص ٥٥٤ ، وفى رقم ٢ من هاشى ٥٥٥ .

(٣) انظر ص ٤٧ و ٧٠ وما يتصل باستحداث المعنى ... فى « ١ » من ص ٤٨٩

المسألة ٤٥ :

حذف « كان » وحذف معموليها ، وهل يقع ذلك في غيرها ؟

ليس بين النواسخ السالفة^(١) (وهي كان ، وبعض أخواتها) ما يجوز حذفه وحده ، أو مع أحد معموليه ، أو مع معموليه — إلا : « ليس ، وكان » .

فأما « ليس » فيجوز حذف خبرها على الوجه الذي شرحناه سند الكلام عليها^(٢) .

وأما « كان » فقد اختصت — وحدها — من بين أخواتها بأنها تعمل وهي مذكورة أحياناً ، أو محذوفة أحياناً أخرى . والأصل أن تُذكر مع معموليها ليقوم كل واحد من الثلاثة بنصيبه في تكوين الجملة ، وتأدية المعنى المراد . لكن قد يطرأ على هذا الأصل ما يقتضى العدول عنه ، لأسباب بلاغية تدعو إلى حذف واحد أو أكثر .

وصور الحذف أربعة : حذف « كان » وحدها ، أو حذفها مع اسمها فقط ، أو حذفها مع خبرها فقط ، أو حذفها مع معموليها . وهذه الصور الأربع شائعة في الكلام الفصيح شيوعاً متفاوتاً يبيح لنا محاكاته ، والقياس عليه . (ومن تلك الصور صورتان تحذف : « كان » فيهما وجوباً ، لوجود عَوَضٍ عنها ؛ وصورتان تحذف فيهما جوازاً ؛ كما سنعلم . . .) .

وبقي حذف خبرها وحده . أو اسمها وحده ، وكلا الصورتين ممنوع في رأى الأصح عند جمهرة النحاة .

١ — فأما حذفها وحدها دون معموليها أو أحدهما فواجب بعد « أن » المصدرية في كل موضع أريد فيه تعليل شيء بشيء ؛ مثل . « أمّا أنت غنياً فتصدّق » ؛

(١) مايتقى خاص بالأفعال الناسخة التي سبقت ؛ فلا يشمل أفعال المقاربة وأخواتها ، مع أنها من أخوات « كان » وسيجيء الكلام عليها في باب مستقل — ص ٦١٤ — لكن بين النوعين اختلاف في أمور وضحاها في « ب » ص ٦١٨
(٢) ص ٥٥٩

فأصل هذه الجملة فيما يتخيلون لتوضيحها^(١) : تَصَدَّقْ : لأن^(٢) كنت غنياً .
ثم حذفت اللام الجارة . تخفيفاً ؛ - لأن هذا جائز وقياسي قبل : « أن »^(٣) - ؛
فصارت الجملة : تَصَدَّقْ أن كنت غنياً . ثم تقدمت « أن » وما دخلت عليه
(أى : تقدمت العلة على المعلول) فصارت الجملة : « أن كنت غنياً تصدَّقْ » .
ثم حذفت : « كان » وأتينا بكلمة : « ما » عوضاً عنها . وأدغمناها في « أن » ؛
فصارت : « أمّا » . والحذف هنا واجب - كما سلف - لوجود العوض عن « كان » .
وبقي اسم « كان » بعد حذفها ؛ وهو : تاء المخاطب . ولما كانت التاء ضميراً للرفع
متصلاً - لا يمكن أن يستعمل بنفسه - أتينا بدله بضمير منفصل ، للرفع ، يقوم
مقامه . ويؤدى معناه ؛ وهو : « أنت » فصارت الجملة : أمّا أنت غنياً تصدَّقْ .
ثم زيدت : « الفاء » في المaul^(٤) . فصارت الجملة : أمّا أنت غنياً فتصدَّقْ .
ومثالها : أما أنت قوياً فاعملْ جيداً . وأما أنت شاباً فحافظ على شبابك بالحكمة^(٥) .
ويجب عند محاكاة هذا الأسلوب - اتباع طريقته في تركيب الجملة وترتيبها ،
ولا سيما مراعاة الخطاب^(٦) .

(١) إنما كان ذلك - وهو حسن هنا - من تخيل النحاة بقصد الإيضاح ؛ والتقريب ، وتبرير
المحاكاة ؛ لأن العرب الأوائل حين تكلموا بمثل هذا الأسلوب لم يدُرْ بخلدن شيء من هذا الحذف ؛
والتقدير ، والتعليل ؛ إنما نفقوا سليقة وطبعاً . بغير اعتقاد على تحويل وتأويل ، أو مراعاة لقواعد
المنطق ، وغيره ، مما لم يعرفوه في عصورهم السابقة على وضع القواعد النحوية .
(٢) فاللام هنا لبيان العلة والسبب . فما بعدها علة وسبب لما قبلها . فكان السبب في أمرك
الشخص بالصدقة هو : غناه .

(٣) يجوز حذف حرف الجر قياساً مطرداً قبل : « أن » وأن « عند أمن اللبس . . . - وتفصيل
الكلام على هذا الحذف في موضعه المناسب وهو باب : « تعدى الفعل ولزومه » (ج ٢ م ٧١ ص ١٥٥) .
(٤) تشبيهاً له بجواب الشرط في ترتيبه على ما قبله .

(٥) من هذه الأمثلة وماسبقها من الشرح والتحليل يتضح أن شروط حذف « كان » وجوباً في
هذه الحالة ستة شروط مجتمعة : أن تقع صلة لأن المصدرية ، وأن تُسبق « أن » المصدرية بحرف آخر
الذي يفيد التعليل (كاللام) ، وأن يحذف حرف الجر ، وأن تتقدم العلة على المعلول مع اقترانه بالفاء ،
وأن تجيء « ما » عوضاً عن « كان » المحذوفة ، ثم تدغم في أن . . . ثم نجى بضمير منفصل للمخاطب
يحل محل الضمير المتصل ، ويكون بمعناه ، وينفى عنه .

(٦) بالرغم من قياسية هذا الأسلوب وإيضاح مراده بعد ذلك الشرح ، يحسن اجتنابه في عصرنا
الذي لا يستسيغه ؛ لغرابته ، وتعقيد .

٢ - وأما حذفها مع اسمها دون خبرها فجائز وكثير بعد «إن» و«لو» الشرطيتين ،
فمثاله بعد «إن» : المرء محاسب على عمله ؛ إن خيراً يكن الجزاء خيراً ، وإن شراً
يكن الجزاء شراً^(١) ؛ فالأصل : المرء محاسب على عمله : إن كان العمل خيراً يكن
الجزاء خيراً ، وإن كان العمل شراً يكن الجزاء شراً ؛ فقد حذفت «كان» مع اسمها .

ومثال حذفهما بعد «لو» الشرطية : تعود الرياضة ولو ساعة في اليوم ، واحذر
الإرهاق ولو برهة قصيرة . فالأصل : تعود الرياضة ولو كانت الرياضة ساعة
في اليوم ، واحذر الإرهاق ، ولو كان الإرهاق برهة قصيرة . . . فحذفت «كان»
مع اسمها وبقي الخبر^(٢) . ومن هذا قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ، ذو بغى ، ولو ملكاً جنوده ضاق عنها السهل والجبل
أى : ولو كان ذو البغى ملكاً . . .

٣ - وأما حذفها مع خبرها دون اسمها فجائز بعد : «إن» و«لو» الشرطيتين
أيضاً ؛ - مع قلته هنا ، بالنسبة للحالة السالفة - فمثاله بعد «إن»^(٣) : المرء
محاسب على عمله ؛ إن خيراً فخير^(٤) وإن شراً فشر . الأصل مثلاً : المرء محاسب على

(١) لافرق في الحذف بين «إن» التي تدل على : «التنوع» (أى : تعدد الأنواع بعملها)
كما في المثال . والتي لاتدل على تنوع ؛ مثل قولك للمابس : تبسم ، وإن جزئياً ، أى : وإن كنت جزئياً .
ولكن الحذف بعد «التنوية» أشهر وأوضح . ويحسن الاختصار عليه لذلك ، مع أن الثاني صحيح أيضاً .
(٢) «كان» فيها بلفظ الماضي . ويصح أن تكون فيها أوفى أحدهما بلفظ المضارع ، على
تقدير : إن يكن العمل خيراً يكن الجزاء خيراً ، وإن يكن العمل شراً يكن الجزاء شراً ، وهكذا في كل
مثال ، علماً بأن الماضي إذا وقع فعل شرط جازم ، أو جوابه ، فإنه يتخلص للزمن المستقبل ؛ فظاهره
أنه ماضٍ لكن زمنه مستقبل

- كما عرفنا في ص ٥٤ - .

(٣) وهذه تخالف «إن» التفصيلية التي يحى الكلام عليها في ج ٣ ص ٦٦٠ م ١٢٥ .
(٤) في مثل هذا التركيب يصح في الاسمين بعد «إن» أربعة أشياء ؛ رفعهما معاً ، نحو : إن خير
فخير ؛ أى : إن كان في عمله خير فجزاؤه خير . ويصح نصبهما معاً ، نحو : إن خيراً فخيئراً ، على
تقدير : إن كان عمله خيراً فهو يلاق خيراً . ويصح نصب الأول ورفع الثاني ، نحو : إن خيراً فخير ، أى
إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير . ويصح رفع الأول ونصب الثاني ، نحو : إن خير فخيئراً ، أى : إن
كان في عمله خيراً فالجزاء يكون خير . . . وهذا الوجه أضعف الأربعة لكثرة الحذف فيه ، ولكنه قياسى
كالثلاثة الأخرى .

ومن الممكن التخفيف والتيسير والاختصار بمعرفة الأوجه الأربعة بمجمل دون احتمال الغناء في الإعراب
التفصيل لكل حالة ، فيمكن أن يقال إن الاسمين يجوز رفعهما معاً ، أو نصبهما معاً ، أو رفع الأول ونصب =

عمله ؛ إن كان في عمله خيرٌ فجزاؤه خير ، وإن كان في عمله شرٌ فجزاؤه شر... ومثاله بعد «لو» : أطعم المسكين ولو رغيغ^١ . أى : ولو كان في بيتكم رغيغ ، أو : ولو يكون عندكم رغيغ .

٤ - وأما حذفها مع معموليها فواجب بعد «إن الشرطية» أيضاً ، ولكن في أسلوب معين ؛ مثل : « اذهب إلى الريف صيفاً ، إمّا لا^٢ » . والأصل : « اذهب إلى الريف صيفاً إن كنت لا تذهب إلى غيره » . حذفت «كان» وهى فعل الشرط ، مع اسمها ، ومع خبرها ، دون حرف النفي الذى قبله ، وأتينا بكلمة : « ما » عوضاً عن «كان» وحدها^(١) ، -وبسبب العوض كان حذفها واجباً ، فلا تجتمع هى وكلمة : « ما » - . وأدغمت فيها النون من «إن» الشرطية ؛ فصار الكلام : «إمّا^(٢) لا» . وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ، وتقديره مثلاً : « فافعل هذا » .

ومثل ما سبق أن تقول لآخر : « ساعد المحتاج ببعض المال » ؛ فيجيب : « ليس عندى ما يزيد على حاجتى » . فتقول : « ساعده بالمعاملة الكريمة إمّا لا » فأصل الكلام : ساعده بالمعاملة الكريمة إن كنت لا تملك غيرها... وجرى على الجملة من الحذف والتقدير ما جرى على سابقتها ، مما يفترضونه للتيسير والإيضاح كما بيناه... .

= الثانى ، أو العكس ؛ إذ النرض من الإعراب التفصيل هو الوصول إلى سلامة النطق ، وصحة الضبط المؤدى إلى صحة المعنى المراد . وهذا يتحقق بمعرفة القاعدة الإجمالية التى ذكرناها ، والاقتصار عليها .
(١) أما اسمها وخبرها فقد حذفاً بغير تعويض .

(٢) يرى بعض النحاة أن الأصل في هذه الجملة وأشباهها لايشتمل على : « كان » ولا معموليها ، وإنما أصل التركيب : افعل هذا إما لاتفعل غيره ... فلفظ « إمّا » مركب من « إن الشرطية » المدغمة في « ما » الزائدة للتأكيد ، و « لا » نافية لفعل الشرط . ثم حذف فعل الشرط وفاعله وحذف الجواب أيضاً لدلالة ما قبله عليه ، وصارت الجملة أفعل هذا إما لا . . . هذا إن كانت الهمزة مكسورة ، أما إن كانت مفتوحة فأصل الكلام : اذهب إلى الريف لأن كنت لاتذهب إلى غير الريف ، ثم جرى التأويل الذى أشرنا إليه في القسم الأول (رقم « ١ » من الحذف الواجب) .

سواء أكانت التقدير هذا أم ذاك أم غيرها ، وسواء أكانت الهمزة مكسورة أم مفتوحة... فالذى يجب الالتفات إليه أن هذه التأويلات والتقديرات - على تعقيدها - لا أهمية لها ؛ وإنما المهم هو معرفة الأسلوب من ناحية صياغته ، وطريقة تركيبه ، ودقة استعماله فى مثل موضع الذى استعمله العرب فيه ؛ بحيث لا نخطئ فى صياغته ، ولا طريقة استعماله ، ولا فهم المراد منه ، وهذا أمر يسير لاحتياج معه إلى شيء من الكد العقلى المؤدى إلى فهم تلك الأوجه الإعرابية ، المختلفة .

وحذف « كان » هنا واجب كما سلف ؛ لوجود عِوَض عنها ؛ فهو الموضع الثاني من موضعى الحذف الواجب بسبب العوض ، إذ لا يصح الجمع بين العوض ، والمعوَض عنه ، وقد حُذِفَ معها معمولاهما ، والموضع الأول بعد « أن » المصدرية السابقة وقد حُذِفَ وحدها - أما فى غيرهما فالحذف جائز .

ومن الأمثلة الشائعة لحذف كان مع معموليها - بعد « إن » من غير تعويض ؛ قولك لآخر : أتسافر وإن كان البرد شديداً ؟ . فيجيب : نعم ، وإن . . . أى : أسافر وإن كان البرد شديداً . ومثله : أعطى السائل وإن كان أجنبياً ؟ . فتجيب : وإن . . . أى : أنا أعطيه ، وإن كان أجنبياً^(١) . ومثل هذا الحذف جائز عند عدم اللبس . ووجود قرينة تدل على المحذوف .

من كل سبق نعلم : أن « كان » تحذف جوازاً فى حالتين ؛ (هما الثانية والثالثة) وجوباً فى حالتين أخريتين ، (هما الأولى والأخيرة) وتجيء « ما » عوضاً عنها فى كل منهما ، ولا يجوز إرجاع « كان » مع وجود العوض عنها فى حالتى حذفها وجوباً . أما فى الحالتين الجائزتين فحذفها وإرجاعها سواء .

* * *

(١) وقد أشار ابن مالك إلى بعض مواضع الحذف باختصار ، قائلا :

وَيَحْذِفُونَهَا وَيُبْقُونَ الْخَبَرَ وَبَعْدَ «إِنْ» وَ«لَوْ» ، كَثِيرًا ؛ ذَا اشْتَهَرَ

أى : إنهم يحذفون « كان » مع اسمها ، ويبقون الخبر ، وهذا الحذف قد اشتهر بعد « إن » و « لو » الشرطيتين على الوجه الذى فصلناه . ثم أشار إلى موضع آخر بقوله :

وبعد أن تعويض : « ما » عنها ارتكب كمثل : أما أنت برأ فاقترَبُ -

يريد : قد ارتكب (أى : حصل) تعويض : « ما » عن : « كان » المحذوفة الواقعة بعد : « أن » المصدرية . وضرب لها مثلاً هو : « أما أنت برأ فاقترَبُ » أصله : اقترَبُ لأن كنت برأ . أى : صاحب خير ومعروف ، ثم جرى الحذف ، والتعويض ، والتأخير ، والزيادة ، كما شرحنا .

.....

زيادة وتفصيل :

(١) ورد في الكلام القديم -- في عصور الاحتجاج -- حذف « كان » مع اسمها بعد : « لَدُنْ » : كأن يسألك سائل : متى كان الاجتماع ؟ . فتجيب : يوم الخميس من لَدُنْ عصرًا إلى المغرب . أى : من زمن كان الوقت عصرًا إلى المغرب . . . وهذا حذف نادر ، مقصور على النصّ الوارد فيه ، ولا يقاس عليه ؛ لندرته . وإنما عرضناه هنا لِيُفْهَمَ حين يرد في كلام القدماء ، من أهل الاحتجاج .

(ب) قد وردت « كان وحدها محذوفة في كلام قديم مع بقاء اسمها وخبرها ؛ ومنه :

أزمان « قومي » والجماعة كالذى لَزِمَ الرَّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ مَمِيلًا

أى : أزمان كان قومي مع الجماعة^(١) - فكلمة : « قوم » اسم « كان » المحذوفة « والجماعة » الواو للمعية ، . . . الجماعة مفعول معه ، و « كالذى » خبرها . والسبب في تقدير « كان » أن المفعول معه لا يقع - في الأكثر - إلا بعد جملة مشتملة على لفظ الفعل وحروفه ، أو على معناه دون حروفه .

* * *

(١) قالوا : إن مراد الشاعر هو وصف ما كان من استواء الأمور واستقامتها قبل الخليفة عثمان - رضى الله عنه - . فشبه حال قومه في تماسكهم وتلازمهم ، وعدم تنافرهم - بحال راكب لزم الرحالة (وهى : سرج من جلد لا يخالطه خشب) خوف أن يميل ميلا ، أى : ميلا .

المسألة ٤٦ :

حذف « النون » من مضارع « كان » :

إذا دخل جازم على مضارع « كان » فإنه يجزمه ، وتُحذف الواو التي قبل النون ^(١) . نحو : لَسَمَ أَكُنْ من أعوان الشر ، ولم تكنْ من أنصاره ، وكقول علي : لا تَكُنْ عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرّاً . وأصل الفعل بعد الجازم : لَسَمَ أَكُونُ - لم تكونْ - لا تكونْ ؛ فهو مجزوم بالسكون على النون ؛ فالتقى ساكنان : الواو والنون ؛ فحذفت الواو - وجوباً - للتخلص من التثاقص ؛ فصار الفعل ؛ لم أَكُنْ - لم تكنْ - لا تَكُنْ . . .

ومثل هذا يقال في أصل الفعل : « يَكُنْ » من قول القائل .
إذا لم يَكُنْ فيَكُنْ اظْل ولا جَنَى فأبْعَدَكُنْ الله من شجرات
ويجوز بعد ذلك حذف النون ؛ تخفيفاً ؛ فنقول : لم أَكْ - لم تَكْ - لا تَكْ . . .
وكقول الشاعر :

فإنْ أَكْ مَظَاوَأَ فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وإنْ تَكْ ذَا عُسْبَى فَمِثْلُكَ يَعْتَبُ ^(٢)
وهذا الحذف جائز - كما قلنا - ؛ سواء أوقع بعدها حرف هجائي ساكن ^(٣) ؛
(نحو : لم أَكْ الذي ينكر المعروف ، ولم تَكْ صاحب الجاحد) - أم وقع بعدها
حرف هجائي متحرك ، (نحو : لم أَكْ ذا مَن . ولم تَكْ مصاباً به) ، إلا إن كان
الحرف المتحرك ضميراً متصلاً فيمتنع حذف النون ؛ نحو : (الشَّبَحُ المَقْبَلُ علينا
يُوحى بأنه صديقي الغائب ؛ فإنْ يَكُنْهُ فسوف نسعد بلقائه ، وإنْ لم يَكُنْهُ
فسوف نأسف) . أى : إن يكن إياه . . . وإن لم يكن إياه ^(٤) .

(١) وهي الواو التي أصلها عين الكلمة ، وتقلب « ألفا » في الماضي .
(٢) البيت من قصيدة الشاعر الجاهلي : « النابغة الذبياني » ؛ يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر له عن وشاية بلغته . (المُعْتَبَى : الرضا . يُعْتَب : يزيل أسباب العتاب بالرضا ، وقبول العذر) .
(٣) عند من يبيح ذلك ، كابن مالك ، ومن معه . ورأيه أنسب .
(٤) ملخص شروط حذف النون ستة : كونها في مضارع ، مجزوم ، وجزمه بالسكون عند اتصاله في التلقين بما بعده (أى : في حالة الوصل ، لا الوقف ؛ لأن النون في حالة الوقف ترجع وتظهر) . وليس بعده ساكن عند من يشترط هذا ؛ - كسيبويه . وغيره لا يشترط هذا - . ولا ضمير متصل .

وتسرى الأحكام السالفة على المضارع الذى ماضيه « كان » الناقصة ، كالأمثلة التى سبقت ، والذى ماضيه « كان » التامة^(١) ؛ نحو : (صفا الجو ، واعتدل ؛ فلم تكن سحب ، ولم يكن برد ولا حرّ) . . . بإثبات النون أو حذفها . أى : لم توجد سحب ولم يوجد برد . . .^(٢)

وبهذه المناسبة نشير إلى أمرين :

أولهما : ما تقتضيه القواعد اللغوية من حذف « الألف » التى هى عين الفعل : « كان » ، ومن حذف « الواو » التى هى عين « مضارعه وأمره » ، بشرط أن تكون الأفعال الثلاثة ساكنة الآخر ؛ كقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . وقوله تعالى : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وقوله تعالى : (بئس الله فاعبداً ، وكن من الشاكرين) . وقول الشاعر :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإنّ فسّادَ الرأى أن تشرّدَ دأ

ثانيهما : وجوب ضم الكاف من الماضى عند إسناده لضمير رفع متحرك^(٣) ، كما فى بعض الأمثلة السالفة ، تطبيقاً للبيان الذى عرضناه من قبل^(٤) .

* * *

(١) ومعناها : حدث ، أو : وُجِدَ . . . - وقد سبق تفصيل الكلام عليها فى ص ٥٤٩

(٢) وفى هذا يقول ابن مالك :

ومن مضارع كان منجزم تحذف نون ، وهو حذف ما التزم

يريد : أن المضارع من : « كان » مطلقاً (سواء أكانت تامة . أم ناقصة) عند جزمه تحذف منه النون ؛ حذفاً غير ملتزم ، أى : لم تلزمه العرب ولم تمسك به باطراد . وإنما فعلته حيناً وتركته حيناً . ونحن نتابعها فيما فعلت ، فنبیح الأمرين .

(٣) كالثناء ، ونون النسوة .

(٤) فى رقم ٢ من هامش ص ١٦٥ .

المسألة ٤٧ :

نفي الأخبار في هذا الباب

وحكم زيادة « باء الجر » فيها ، وفي الأسماء

إذا دخلت أداة نفي على فعل من أفعال هذا الباب - غير (« ليس » ، و « زال » وأخواتها الثلاثة) - فإن النفي يقع على الخبر ؛ فتزول نسبته الراجعة إلى الاسم ؛ ففي مثل : ما كان السارق خائفاً - وقع النفي على الخوف ، وسُلبت نسبته الراجعة إلى السارق ؛ ^(١) فإذا أردنا إثبات هذا الخبر ، وجعل نسبته موجبة مع وجود أداة النفي ^(٢) - أتينا قبله بكلمة : « إلا » فنقول : ما كان السارق إلا خائفاً ؛ لأنها تنقض معنى النفي ، وتزيل أثره عن الخبر متى اقترنت به . وفي مثل قول الشاعر :
لم يك معروفك برقاً خلباً ^(٣) إن خير البرق ما الغيث معه

وقع نفي خلافة البرق على المعروف . فإذا أريد إثباتها قيل : لم يك معروفك إلا برقاً خلباً . كل هذا بشرط ألا يكون الخبر من الكلمات التي ينحصر استعمالها في الكلام المنفي وحده ، مثل : يعجيب ^(٤) ؛ فإن كان منها لم يحز اقترانه بكلمة : « إلا » ؛ ففي مثل : ما كان المريض يعجيب بالدواء... لا يقال : ما كان المريض إلا يعجيب بالدواء . وفي : ما كان مثلك أحداً ^(٥) ، لا يقال : ما كان مثلك إلا أحداً .

(١) والمراد : ما حصل خوف السارق ؛ وإذا كان النفي داخلاً على « كان » الناسخة ، أو على مضارعها وبعدها لام الجحد ، تغير الحكم السالف ، وصار للجملة كلها معنى وحكم يختلفان عما نحن بصده هنا - طبقاً للبيان الخاص بلام الجحد وسيجيء تفصيله في النواصب ج ٤ م ١٤٩ -

(٢) لسبب بلاغي ؛ كالحصر مثلاً .

(٣) البرق الخلب : الذي لا مطر بعده . وهذا لاخير فيه للبلاد التي ترتوي بالمطر .

(٤) بمعنى : ينتفع ؛ نحو : ما يعجيب فلان بالدواء ، أي : ما ينتفع به . لا التي بمعنى : أقام ، أو وقف ، أو رجع ، أو غيرها مما لا يلزمه النفي . وبمثل : « يعجيب » كلمتا « أحد ، وديار » وكذا ؛ عريب . . . فهذه كلها لا تستعمل إلا في كلام منفي ؛ نحو : ما في البيت أحد ، أو : ما فيه ديار ، أو : ما فيه عريب . وللثلاثة بمعنى واحد .

(٥) بشرط أن تكون الهمزة أصلية . . . وهذا غالب في غير كلمة « أحد » بمعنى « واحد » التي يصح استعمالها في الإثبات والنفي . (راجع رقم ١ من هامش ص ٢١٠ حيث الإيضاح لكلمة : أحد) .

فإن كان الفعل الناسخ هو : « ليس » (وهي معدودة من أدوات النفي)^(١) فالحكم لا يتغير (من ناحية أن المنفى بها هو الخبر ، وأنه إذا قصد إيجابه وبقاء نسبته إلى الاسم وضعنا قبله : « إلا » ، وأنه إذا كان من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في كلام منى لم يجوز اقترانه بإلا) ، ومن الأمثلة : ليس الخطيب عاجزاً ؛ فقد انصب النفي على « العجز » وزالت نسبته الراجعة إلى الخطيب . فإذا أردنا إبطال النفي عن الخبر ، ومنع تأثيره في معنى الخبر — أتينا قبله بكلمة : « إلا » فقلنا : ليس الخطيب إلا عاجزاً ؛ لأنها تنقض النفي ، وتمنع أثره ؛ فيصير المراد معها هو الحكم على الخطيب بالعجز ، وهو حكم يناقض السابق .

أمّا في مثل : ليس المريض يعيج بالدواء ، فلا يصح اقتران الخبر بإلا ؛ فلا يقال : ليس المريض إلا يعيج بالدواء . فشأن « ليس » في هذا كشأن « كان » المسبوقه بالنفي ؛ حيث لا يصح أن يقال فيها : ما كان المريض إلا يعيج بالدواء ؛ — كما سبق — .

فإن كان الفعل الناسخ هو كلمة : « زال » أو إحدى أخواتها الثلاث ، (والأربعة لا بد أن يسبقها^(٢) نفي ، أو شبهه) — فخيرها مثبت غير منفي ؛ لأن كل واحدة منها تفيد النفي ، وقبلها نفي ، ونفي النفي إثبات ؛ فمثل : ما زال المال قوة ... ، فيه إثبات لاستمرار القوة للمال . وحكم موجب بنسبتها إليه ، يمتد من الماضي إلى وقت الكلام ؛ فالنفي في كلمة : « زال » وأخواتها مسلوب ومنقوض بالنفي الذي قبلها قبلها مباشرة . والمعنى في جملتها موجب ، وخبرها مثبت ، كما قلنا — فلا يقرن بكلمة « إلا » ؛ فلا يصح ما زال المال إلا قوة ؛ فشأنه شأن خبر : « كان » الحالية من نفي قبلها ؛ فكلتا الخبرين موجب . (أى : مثبت) .

ولإذا كان خبر الناسخ منفياً إمّا « بليس » غير الاستثنائية ، وإمّا « بما »^(٣) على الوجه السالف^(٤) جاز أن يدخل عليه بكثرة حرف الجر الزائد : « الباء » نحو : (ليس الحليم ببلادة)^(٥) ، وما كان الحليم ببليد يحتمل المهانة . أى : ليس

(١) تفصيل الكلام عليها في ص ٥٥٩ . (٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٦٣ .

(٣) العاملة (الحجازية) — باتفاق — والمهملة ، تبه للأرجح .

(٤) ويتضمن الشروط التي سلفت ، وهي : (« أ » وجوب نفي الخبر مع بقاء هذا النفي ، وعدم نقضه بإلا) فلا يصح : ما ألهم إلا يعذب . ب — إن يكون الخبر صالحاً للاستعمال في الكلام الموجب ، غير مقصور على الكلام المنفي ؛ فلا يصح : ما مثلك بأحد — — ألا يكون الخبر واقعاً في الاستثناء ؛ فلا يصح : كرم العلماء ليس بالأدعياء ... أو لا يكون بالأدعياء .

(٥) وتعرب كما يأتي : « الباء » حرف جر زائد . « بلادة » مجرورة بحرف الجر الزائد ، وعلامة جرّها الكسرة ، في محل نصب ؛ لأنها خبر « ليس » أيضاً ؛ فكلمة : « بلادة » مجرورة في اللفظ بحرف الجر الزائد ، ومنصوبة محلاً أو تقديرًا ؛ لأنها خبر أيضاً . والبحار الزائد مع مجروره لا يتملكان بشئ .

الحليم بلادة ، ما كان الحليم بليداً ؛ يحتمل المهانة . فزيدت « باء الجر » في أول الخبر المنفى في المثالين — وأشباههما — لغرض معنوي ؛ هو : توكيد النفي وتقويته^(١) . وليست زيادتها مقصورة على أخبار بعض النواسخ دون بعض ، وإنما هي جائزة في جميع تلك الأخبار ؛ بشرط أن تكون منفية^(٢) قد استوفت بقية شروط الزيادة ، فلا يصح زيادتها في خبر موجب (أى : مثبت) كخبر : « زال » وأخواتها ؛ لأن الخبر فيها موجب — كما عرفنا .

ومع أن زيادتها مباحة بالشروط السالف فإنها متفاوتة في الكثرة بين تلك الأخبار فتكثر في خبر : « ليس » ، نحو قوله تعالى : « أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟ » وقول الشاعر :

ولستُ بهَيَّابَ لمنْ لا يَهَابُنِي ولستُ أرى للمرءَ مالا يَرَى لِيَمَا
ثم في خبر : « ما » الحجازية ؛ نحو قوله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد) وقوله : (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) ، ثم في خبر « كان » .

وإذا تقدم الخبر المنفى فتوسط بين الناسخ واسمه جاز لإدخال « باء » الجر الزائدة على الاسم المتأخر ؛ ففي نحو : ليس الشجاع متهوراً — يصح أن يقال : ليس متهوراً بالشجاع . وفي نحو : ما كان الجلود إسرافاً — يصح أن يقال : ما كان إسرافاً بالجلود^(٣) . ومن المستحسن ألا نلجأ لهذه الزيادة في اسم الناسخ إلا حيث يتضح أمرها ، وتشتد الحاجة إليها .

* * *

(١) ذلك أن باء الجر لا تزداد هنا إلا في الخبر المنفى ؛ فوجودها دليل على وجود النفي وإعلان عنه ، وإزالة شبهة غيابه . فكان النفي بها قد تكرر . هذا وقد سبق في أول الكتاب فائدة الحرف الزائد ص ٧٠ .

(٢) زيادتها جائزة في المنفى من أخبار بعض الأفعال النواسخ ؛ فتدخل أخبار « كان » وأخواتها إلا « ليس » الاستثنائية ، و « لا يكون » الاستثنائية ، وإلا « زال » ، و « قى » ، و « برح » ، و « انفك » ، لأن أخبار هذه الأربعة موجبة — كما تقدم — ، وتزداد في مضارع : « كان » بشرط أن يكون منفياً بحرف النفي : « لم » ؛ نحو : كلمتني فلم أكن بمشغول عنك ؛ ولم تكن بمنصرف عني . فالباء حرف جر زائد ، وما بعدها مجرور بها ، في محل نصب — كما سيجيء البيان في ص ٦٠٧ — وتزداد أيضاً في أخبار « ما » الحجازية وأخواتها ، وكذلك غير الحجازية — في الرأي الأرجح — . وتزداد في المفعول الثاني من مفعولي : « ظن وأخواتها » ، نحو : ما ظننت المؤمن بجهان . أما زيادتها في غير هذه المواضع ، فالأحسن البعد عن استخدامها ، والاعتصام به على المسموع دون محاكاته ، أو القياس عليه (انظر ص ٦٠٨) .

على أن لزيادة « الباء » موضوعاً تفصيلياً هاماً سجلناه في مكانه الأنسب (وهو باب : حروف الجر — ج ٢ م ٩٠ ص ٥٥) وما بعدها ، حيث الكلام على الكلام أحكام باء الجر . (٣) راجع الصبيان .

المسألة ٤٨ :

الحروف التي تشبه « ليس » في المعنى والعمل :

(ما - لا - لات - إن)

من الحروف نوع يشبه الفعل : « ليس » في معناه ، وهو : النفي ^(١) ، وفي عمله وهو : النسخ ^(٢) ؛ فيرفع الاسم وينصب الخبر ^(٣) . وبهذه المشابهة في الأمرين يُعد من أخوات : « ليس » مع أنها فعل ، وهو حرف . كما يُعد من أخوات « كان » ؛ لمشابهته لها في العمل السالف فقط . وأشهر هذه الحروف أربعة : (ما - لا - لات - إن) وهذه الأربعة - كسائر النواسخ - لا يكون اسم واحد منها شبه جملة ؛ لأن اسم الناسخ في الأصل مبتدأ ، والمبتدأ لا يكون شبه جملة مطلقاً - كما عرفنا ^(٤) - .

فأما الحرف الأول : « ما » فبعض العرب - كالحجازيين - يُعمله ، وبعض آخر (كبنى تميم) يُعمله ^(٥) ، وهو يفيد عند الفريقين . نفي المعنى عن الخبر في الزمن الحالى عند الإطلاق ^(٦) ؛ تقول : ما الشجاع خوافاً ، أو : ما الشجاع خواف

(١) سبق (في ص ٥٥٩) أن « ليس » فعل ماض ينفي معنى الخبر في الزمن الحالى عند الإطلاق ، (أى : عند عدم وجود قرينة تبين نوع الزمن ، أو التجرد منه) ؛ فإن وجدت لزم الأخذ بمدلولها ... ومثلها الحروف : « ما » و « إن » ؛ و « لات » ، و « لا » العاملة عمل : « ليس » ؛ أما « لا » المهملة فيجىء تفصيل الكلام عليها في رقم ١ من هامش ص ٦٠١ . فالحروف الأربعة تشبه « ليس » في أمر معنوى مشترك ؛ وهو نفي المعنى في الزمن الحالى عند الإطلاق - وقد سبق في رقم ١ من هامش ص ٥٣ بيان عن « ما » النافية للحال -

(٢) سبق شرح النسخ ومعناه عند بدء الكلام على النواسخ ، ص ٥٤٣ .

(٣) يشترط ، في أخبار هذه الحروف ما يشترط في أخبار النواسخ الأخرى - مما أشرنا له في ص ٥٤٧ - وهو وجوب أن يتم الخبر المعنى بنفسه مباشرة مع الاسم ، وقد يتم في بعض الأحيان بلفظ آخر يتصل به نوع اتصال ، وكذلك وجوب ألا يكون الخبر معلوماً من اسم الناسخ وتوابعه . أما البيان التفصيل في باب : « المبتدأ والخبر » - هامش ص ٤٤٣ .

(٤) في ص ٥٤٤ .

(٥) وسواء أكان عاملاً أم مهملاً فله الصدارة في جملته بشرط دلالاته على النفي - راجع الصبيان في باب ظن وأخواتها عند الكلام على الأدوات التي يقع بها التعليق ؛ لصداقتها - وسيجىء البيان في ج ٢ ص ٦١٣٠ - .

(٦) انظر ص ٥٣ وهامشها رقم ١ حيث البيان الذي يوضح معنى « ما » النافية وأثرها في الزمن الحالى وغيره ، وكلام صاحب المفصل في هذا .

— بالإعمال أو الإهمال — ومثل هذا يتأتى في قول الشاعر :
وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق
وقول الآخر :

لَعَمْرُكَ ما الإسراف فيَّ طبيعةٌ ولكنَّ طبعَ البخلِ عِنْدِي كالْموتِ
والذى يحسن الأخذ به في عصرنا هو الإعمال ، لأنه اللغة العالية ، لغة القرآن
وأكثر العرب ، ولا داعي للأخذ باللغة الأخرى — وهى صحيحة أيضاً — ^(١) يجوز
الأخذ بها . منعاً للبلبة ، وتعدد الآراء من غير فائدة ...

وتشتهر العاملة باسم : « ما الحجازية » . ويشترط لإعمالها خمسة شروط مجتمعة ^(٢) :

- (أ) ألا تقع بعدها كلمة : « إن » الزائدة ^(٣) ؛ فيصح الإعمال في مثل
ما الحق مغلوباً ، ولا يصح في مثل : ما إن الحق مغلوب ^(٤) .
(ب) ألا ينتقض نفيها عن الخبر بسبب وقوع « إلا » بعدها ^(٥) ؛ فتعمل

(١) وإنما أشرنا إليها هنا لينتفع بها المتخصص في فهم ما يصادفه من النصوص القديمة التي تطابقها .
(٢) هناك بعض شروط أخرى تركناها ؛ إما لاندماجها في غيرها ؛ — كاشتراط ألا يكون اسمها شبه
جملة وإما لأنها متكلفة غير مقبولة ؛ فلا داعي للإعناء بها . من هذا اشتراطهم ألا يبدل من خبرها المنفى
بدل « موجب » بسبب اصطحابه « إلا » نحو : ما العدو شيء إلا شيء لا يعاب به . فكلمة « شيء » الأولى خبر
المبتدأ ، والثانية بدل منها . مرفوع . وهو موجب ، لوقوعه بعد « إلا » . ووقوع البدل موجباً يقتضى عندهم أن
يكون المبدل منه موجباً أيضاً . ثم يقولون ، كيف يكون المبدل منه موجباً مع أنه خبر « ما » النافية التي تنفى معنى
الخبر ؟ فيقع التناقض الذى لا مفر منه إلا باشتراط ذلك الشرط الذى نرى إهماله ، وعدم التعميل عليه ؛ لأمرين :
أولهما : أن دليلهم منقوض بدليل جدلٍ مثله ، لانريد أن نعرضه ؛ منعاً لإطالة المناقشة الجدلية بغير فائدة .
وثانيهما : — وهو الأهم — أن بعض أئمة النحاة ؛ كسيبويه ، لم يشترطه ؛ لأن صوراً كثيرة من الكلام القصيح
تخلو منه . وهذه هى حجة قاطعة ، وفيها تيسير . وبخاصة إذا أخذنا بقولهم : إنه يفتقر في الشوائب ما لا يفتقر في
الأوائل (كما سيجى في : ج ٣ باب « البدل » ، وغيره . وسنشير له في رقم ٢ من هامش ص ٥٩٨ ؟)

(٣) سبقت الإشارة لهذا في « ب » من ص ٥٦٠ .

(٤) إن كانت « إن » ليست زائدة وإنما هى لتأكيد النفي لم يبطل العمل ، بشرط وجود فاصل
لفظي بين الحرفين ، أو قرينة أخرى تدل على أنها للتأكيد ؛ طبقاً للبيان الذى في رقم ١ من هامش ص ٥٩٦
وقد سبق « (في ص ٥٦١) أنه لا يصح وقوع « إن » الزائدة ، بعد « ما » النافية العاملة ، ولا بعد
« ليس » — كما صرح بهذا الصبان ، وصاحب الجمع في أول باب : « ما » الحجازية — .

(٥) أو وقوع « لكن » ، أو : « بل » ، كما سيجى ، في ص ٥٩٧ ، وخرج النقض بكلمة :
« غير » فإنه لا يبطل عمل : « ما » ؛ نحو : ما الإساءة غير بلاء لصاحبها ، (بنصب كلمة « غير ») .

في مثل : ما الجرم منحرفاً ، ولا تحمل في مثل : ما الجرم إلا منحرف ، وقول الشاعر :

إذا كانت النعمى تُكَدَّرُ بالأذى فها هي إلا مَحْنَةٌ وعذابٌ^(١)

لأن الخبر مثبت هنا بسبب «إلا» التي أبطلت النفي ، وأزالت أثره عنه ، ولا يضر نقضه عن المعمول ؛ نحو : ما أنت متكلماً إلا بصواب .

(ح) التزام الترتيب بين اسمها وخبرها الذي ليس شبه جملة ، فلا يصح تقديم الخبر الذي ليس شبه جملة على الاسم ؛ ولهذا تَعْمَلُ في مثل : ما المعدنُ حجراً ، وتُهْمَلُ في مثل : ما حجراً المعدنُ ؛ لتقدم خبرها على اسمها . فإن كان الخبر شبه جملة جاز إعمالها وإهمالها عند تقدمه ومخالفته الترتيب ؛ مثل : ما للسرور دوامٌ ، وقول الشاعر :

وما للمرء خيرٌ في حياة إذا ما عُدَّ من سَقَطَ المتاع^(٢)

بالإعمال أو الإهمال في كل ذلك ؛ فعند الإهمال يكون شبه الجملة في محل نصب ؛ خبر « ما » ، وعند الإهمال يكون في محل رفع ، خبر المبتدأ^(٣) .

(د) ألا يتقدم معمول الخبر على الاسم ، بشرط أن يكون ذلك المعمول المتقدم غير شبه جملة ؛ ففي مثل : ما العاقل مصاحباً الأحق - لا يصح الإعمال مع تقدم كلمة : الأحق على الاسم ؛ لأنها معمول للخبر . وليست شبه جملة ، فيجب الإهمال فتقول : ما ، الأحق - العاقلُ مصاحبٌ .

فإن كان المعمول المتقدم شبه جملة جاز الإعمال والإهمال ، نحو : ما في الشرَّ أنت راغباً ، وما عندك فضلٌ ضائعاً ، ويجوز . . . راغبٌ ، وضائعٌ^(٤) .

(١) ومثل هذا قول الآخر :

وما الناس إلا واحد كقبيلة يمد ، وألف لا يمد بواحد

(٢) سقط المتاع : هو المتاع المهمل المتروك ؛ لعدم فائده . (وفي هذا البيت وقعت « ما » بعد

كلمة « إذا » فيتمين الحكم بزيادة « ما » - كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٧٠ -

(٣) لا يظهر للإعمال أو الإهمال أثر مباشر في هذه الأمثلة وأشباهها ، وإنما يظهر الأثر فيما يجيء

بعدها من توابع ؛ - كالعطف مثلاً ، على الخبر - فعند الإعمال يكون التابع منصوباً كخبر « ما » المنصوب ، وعند الإهمال يكون التابع مرفوعاً كخبر المبتدأ .

(٤) للسبب العام الموضح في « ب » من ص ٥٧٦ .

كذلك يتمتع بتقديم معمول الخبر على الخبر ؛ ومعمول الاسم على الاسم إذا كان المعمول في صورتين غير شبه جملة ؛ فلا إعمال في نحو : ما العاقل - الصواب - تاركٌ ، ولا في نحو : ما الشطط ركبٌ آمنٌ والأصل ما العاقل تاركٌ الصواب . وما ركبٌ الشطط آمنٌ . فإن كان شبه جملة جاز تقديمه .

(هـ) ألا تتكرر « ما » ، فلا عمل لها في مثل : « ما » ، « ما » الحُرُّ مقيم على الضيم ؛ لأن كلمة : « ما » الأولى للنفي ، وكلمة « ما » الثانية للنفي أيضاً ؛ فهي قد نفت معنى الأولى ، لأن نفي النفي إثبات^(١) ؛ فتبتعد « ما » الأولى عن النفي ، وينقلب معنى الجملة إلى إثبات ، وهو غير المراد^(٢) .

* * *

(١) فإن تكررت وكانت لتأكيد النفي في الأولى ، لا لإزالته ، صح الإعمال - مع ضعفه ، حتى قيل بشنوده - وذلك بأن تكون « ما » الثانية تأكيداً لفظياً للأولى يقوى نفياً ، ولا يزيله ، مع ملاحظة أن هذا التوكيد اللفظي ضميم أو شاذ ، كما قلنا ، لعدم وجود فاصل بين حرفي النفي ، كما تقتضى ضوابط التوكيد اللفظي - التي منها : أن توكيد الحروف التي ليست للجواب يقتضى تكرار الحرف الأول ومعه لفظ آخر يفصل بينه وبين الثاني الذي جاء للتوكيد - وسيأتى في ج ٣ ص ٥١٥ م ١١٦ هذا - ، والذي يدل على أن الثانية تفيد نفياً جديداً يزيل الأول ، أو أنها تفيد نفياً يؤكد الأول ، إنما هو القرائن اللفظية - ومنها الفاصل اللفظي - أو المعنوية . ومع التكرار لا يصح بغير شنود أن توجد « ما » في الجملة الواحدة أكثر من مرتين ؛ إحداهما : الأولى ، والثانية تكرارها لها .

(٢) وقد عرض ابن مالك لبعض ماسبق من الشروط ، تاركاً بعضاً آخر ، حيث يقول :

إِعْمَالُ «لَيْسَ» أَعْمَلَتْ : «مَا» . «دُونَ» : «إِنْ» مَعَ بَقَا النَّفْيِ ، وَتَرْتِيبُ زُكْنِ سَجَلٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ لِإِعْمَالِ : «مَا» عمل ليس ؛ وهي : ألا توجد بعدها «إِنْ» الزائدة ، وألا ينتقص النفي (بسبب تكرارها نافية ، أو بوقوع حرف نفي آخر بعدها يزيل عن خبرها معنى النفي ، أو بدخول إلا - أو غيرها - على الخبر مما يزيل عنه النفي) ، وأن يبقَى الترتيب بين اسمها وخبرها ؛ فلا يتقدم الخبر على الاسم . (وكلمة زكن معناها : علم) ، ثم يقول :

وَسَبَقَ حَرْفُ جَرٍّ أَوْ ظَرْفٍ كَمَا بَيَّأَنْتَ مَعْنِيًا ، أَجَازَ الْعُلَمَاءُ أَيْ : أن العلماء أجازوا تقديم الخبر إذا كان حرف جر جمع مجروره ؛ ومثل له بقوله : ما بَيَّأَنْتَ مَعْنِيًا ومثاله هذا إنما يصلح لتقديم شبه الجملة المعمول للخبر نفسه ، لا لتقدم الخبر . لكن جواز تقديمه يؤذن بصحة تقديم الخبر شبه الجملة أيضاً . أو كان ظرفاً ، مثل : ماعند العاجز حيلة ، وذلك بناء على ما استنبطوه من كلام العرب .

حكم المعطوف على خبرها :

(١) إن كان حرف العطف مما يقتضى أن يكون المعطوف موجباً (أى : مثبتاً) ، مثل : « لكن » و « بل » - وجب رفع المعطوف^(١) ؛ مثل : ما الفضل مجهولاً لكن معروف ؛ وما الإحسان منكوراً ، بل مشكور ؛ فيجب الرفع في كلمتي : « معروف » و « مشكور » وأشباههما ؛ محاكاة لنظائرهما في الكلام الفصيح المأثور^(٢) . وتعرب كلا منهما خبراً لمبتدأ محذوف ؛ فكأن أصل الكلام . ما الفضل مجهولاً لكن هو معروف . وما الإحسان منكوراً بل هو مشكور . ويتعين في هذه الحالة إعراب كل واحدة من « لكن » و « بل » حرف ابتداء . ولا يصح إعرابها حرف عطف ، لما يترتب على ذلك من أن يكون المعطوف جملة على حسب التقدير السابق . مع أنه لا يصح أن يكون المعطوف بهما جملة .

(١) تفصيل ذلك : أن « لكن » تكون حرف عطف بثلاثة شروط ؛ (أن يسبقها نفي ، أو نهي) (وألاً تكون مقترنة بالواو قبلها) ، (وأن يكون معطوفها مفرداً ، لا جملة) . ومثالها : ما أغضبت السياق ، لكن المتأخر . فإذا كان ما قبلها منفياً - كالمثال السابق - تركته منفياً على حاله ، وأقرت معناه المنفى ، ولم تغيره ، وأثبت نقيضه لما بعدها ؛ في العبارة السابقة انتفى الحكم بالإغضب على السياق ، ووقع الحكم بالإغضب على المتأخر . وفي مثل : ما غابت فاطمة لكن زينب - انتفى الحكم بغياب فاطمة ، وثبت الحكم بغياب زينب . وهكذا نرى الحكم المنفى قبل : « لكن » ؛ يبق منفياً على حاله ، ويثبت نقيضه لما بعدها فإن فقد شرط لم تصلح عاطفة ، وجب أن تكون حرف ابتداء محض ، واستدراك ، وأن تدخل على جملة جديدة لا على مفرد .

وأما « بل » فإنها تكون حرف عطف بعد النفي وغيره ولا تعطف إلا المفردات على الصحيح . فإذا كانت بعد نفي ، أو نهي كان شأنها شأن : « لكن » في أنها تترك ما قبلها على حاله ؛ أى : تقر معناه المنفى ولا تغيره وتثبت نقيضه لما بعدها ؛ نحو : ما أهنت نبيلاً بل حقيراً . فقد انتفى حكم الإهانة عن النبيل وثبت حكم الإهانة للحقير . أما إن كانت بعد كلام موجب ، أو بعد أمر ، فإنها تقيد الإضراب أى : العدول عن الحكم السابق ، ونقله إلى ما بعدها ، وترك ما قبلها كالمسكوت عنه ؛ بتركه غير محكوم عليه بشئ ، نحو : غرد المصفور ، بل الليل . وفي الصفحة الآتية ما يزيد الأمر وضوحاً .

(٢) هذا هو التعليل الصحيح لوجوب الرفع . أما ما زاد عليه من أنه خبر مبتدأ محذوف ، وأنه لا يصح العطف و مما قيل بعد ذلك - فهو تحليل وتعليل منطقي ؛ ابتكره النحاة ؛ لإيضاح الحكم السابق ، وضبط حدوده ؛ منعا للخطأ . وقد أحسنوا فيه ، وإن لم يعرف العرب الأوائل شيئاً عنه .

ولو جعلنا المعطوف بهما مفرداً ولم نلاحظ التقدير السابق لوجب أن يكون منصوباً ومنفياً ، تبعاً للخبر المعطوف عليه ؛ — لأن المعطوف المفرد يشابه المعطوف عليه في حركات الإعراب ، وفي النفي ، والإثبات ، والعامل فيهما واحد . — وهنا يقع التعارض بين المعطوف عليه والمعطوف ؛ فالأول منى « بما » ومعمول لها . والثاني معمول لها أيضاً وموجب^(١) . لوقوعه بعد . « لكن » أو : « بل » . المسبوقين بنفى . و « ما » لا تعمل في الموجب ، ومن هنا يجيء التعارض أيضاً ؛ وهو يقضى بمنع العطف ولو كان عطف مفرد على مفرد^(٢) ، ويقضى بالرفع . والأحسن أن يكون رفعه خبراً مبتدأ محذوف .

وما تقدم نعلم أن الكلام في الحالة السالفة : — وحى : « ا » — لا يشتمل في حقيقته على عطف مطلقاً ؛ فلا عاطف ، ولا معطوف عليه ، ولا حرف عطف^(٣) .

(ب) أما إن كان العطف لا يقتضى أن يكون المعطوف موجباً ، وإنما يقتضى أن يشابه المعطوف عليه في حركات إعرابه ، ونفيه ، وإثباته : كالواو والفاء . . . فإنه يجوز في هذه الحالة نصب المعطوف ورفع ، مثل : ما أنت

(١) للسبب الموضح في رقم ١ من هامش الصفحة السابقة .

(٢) إذا كان خبر « ما » مجروراً بالباء الزائدة مثل : ما النجم بمظلم ، لكن مضى — أو بل مضى — وجب الرفع أيضاً دون النصب والجرح ؛ لقول النحاة : لا يصح الجر هنا عطفاً على لفظ الخبر المجرور بالباء الزائدة . ولا النصب ، عطفاً على محله . وحجتهم أن الباء « عملت » الجر في المعطوف عليه ، فهي العاملة أيضاً في المعطوف تبعاً لذلك ؛ لأنه يشابه المعطوف عليه في حركات الإعراب . فالعامل فيهما واحد ، والمعطوف هنا موجب كما سبق . والباء لا تدخل على الموجب ، وإنما تزداد بعد النفي .

وهذا كلام مردود ، لأنه نفى فقط ، يحتاج إلى سماع يؤيده ، فوق أنهم يفترون في الثواب ما لا يفترون في الأوائل . وسجل النحاة هذا في مواضع متعددة ، (كاللذني في الصبان ، ج ٢ باب : « الاستثناء » عند الكلام على تمذر البدل من اللفظ في الاستثناء التام غير الموجب . وكالذني في هج الهوامع ج ١ ص ٢١٥ ، وقد أشرنا لهذا في رقم ٢ من هامش ص ٥٩٤ ، ويجيء في ج ٢ ص ٣١١ م ٨١) .

والواجب أن يرجعوا للكلام العربي ، ويعرضوا لحالته ، ثم يستنبطوا منه الحكم الواقع . ولا نعرف أنهم فعلوا . ولهذا نجيز الجر والنصب ، وإن كان الرفع هو الأدوى .

(٣) وقد كان التعبير في أول الأمر بحرف العطف والمعطوف عليه تعبيراً مجازياً ؛ روى فيه الأصل والصورة الظاهرية التي تشبه صورة العطف ، وإن كان الواقع والحقيقة أنه لا أثر للعطف هنا .

قاسياً وعنيفاً على الضعيف : أو : « عنيفٌ » بنصب كلمة : « عنيفاً » لأنها معطوفة على خبر « ما » المنصوب . وبرزعها ؛ لأنها معطوفة على خبر « ما » باعتبار أصله الأول قبل مجيء « ما » ؛ فقد كان خبراً مرفوعاً للمبتدأ^(١) . ومع أن الرفع جائز يحسن الاختصار على النصب ، ليكون الأسلوب مُتَّسِقاً مُؤْتَلِفاً^(٢) . . .

وتلخيص ما تقدم في : « ا و ب » هو :
أن رفع المعطوف جائز مع كل حرف من حروف العطف . وأما نصبه فمقصود
على بعض حروف العطف دون بعض آخر يقتضى إيجاب المعطوف مثل :
لكن ، وبل^(٣) . . .

* * *

(١) وإلى ماسبق يشير ابن مالك بقوله :

وَرَفَعَ مَعْطُوفٍ بِلَكِنْ ، أَوْ : بِبَلٍ مِنْ بَعْدِ مَنْصُوبٍ بِـ « مَا » الزَّمْ-حَيْثُ حُلْ
ومعنى البيت واضح بعد تقديره على الوجه التالى : الزم رفع معطوف ولكن أو ببل من بعد منصوب
« بما » ؛ حيث وجد ذلك المنصوب . والمراد بمنصوب « ما » : خبرها . و (« من بعد منصوب » ، ؛ جار
ومجرور متعلقان بكلمة « رفع ») .

(٢٢) ماسبق هو حكم العطف على خبر « ما » فى نوع من الأساليب . وهناك أساليب أخرى تشتمل
على : « ما » ، أو « ليس » ، لها أحكام خاصة بالمعطوف بعد الخبر ، ستجىء فى : « ب » من ص ٦١١ .
النحو الوافى - أول

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(ا) إنما عرض النحاة للعطف على خبر « ما » دون العطف على أخبار غيرها من النواسخ الأخرى التي لا يشترط فيها عدم نقض النفي ، لأن « ما النافية » يشترط في عملها ألا ينتقض نفي خبرها . فإن انتقض لم تعمل - كما سبق - والحرفان (« لكن » ، و « بل ») من حروف العطف ، ينتقض كل منهما النفي عن المعطوف بعده ، ويجعله موجباً ، مع أن المعطوف عليه منفي . ولما كان المعطوف على خبر « ما » هو بمنزلة خبرها - وجب أن يكون ذلك المعطوف منفيّاً كالخبر المعطوف عليه ؛ لكي تعمل فيه « ما » النصب . غير أن المعطوف هنا موجب لوقوعه بعد « لكن » ، أو « بل » فالنفي منقوض عنه ، وصار بعد نقضه موجباً . ولهذا لم يصح نصبه ، لأنه بمنزلة الخبر - كما قلنا - و « ما » لا تعمل في الموجب . وقياساً على ما سبق^(١) يجري هذا الحكم على كل ناسخ آخر ، (مثل : إن - لا ، ومسيجيء الكلام عليهما) مما يشترط في إعماله ألا ينتقض النفي عن خبره ، فعند العطف على خبره ينطبق عليه الحكم السالف .

(ب) أنسب الآراء ، أنه لا يجوز حذف « ما » الحجازية وحدها ، أو مع أحد معموليها ، أو معهما . كما يجوز حذف معموليها ولا أحدهما .
(ح) إذا دخلت همزة الاستفهام على « ما » الحجازية لم تغير شيئاً من أحكامها السابقة .

* * *

(١) لم أرفق الكتب المتداولة نصاً على هذا القياس ، ولكنه الذي يساير الأصل العام الذي عرضوه .

وأما الحرف الثاني - : لا « فهو للنفي . وفريق من العرب - كالحجازيين - يُعْضِلُهُ عمل : « ليس » ويجعل النفي به منصباً مثلها على معنى الخبر في الزمن الحالى عند عدم قرينة تدل على زمن غير الحال ^(١) ، وفريق آخر - كالتميمين - يهمله . تقول لا معروفٌ ضائعاً ، أو : لا معروفٌ ضائع ، ... بالإعمال أو الإهمال . وله في الحالتين الصدارة في جملته ... ^(٢)

والمهم عند إعمالها هو فهم معناها ، وإدراك أثرها المعنوي في الجملة ، ليحسن استخدامها على الوجه الصحيح ^(١) وفيما يلي الإيضاح .

(أ) لا رجلٌ غائباً - تشمل هذه الجملة على كلمة : « لا » النافية ،

وبعدها اسم مفرد مرفوع ، وبعده اسم منصوب . فما الذي تفيد هذه الجملة ؟

تفيد هذه الجملة التي يكون فيها اسم : « لا » مفرداً - أى : غير مثنى وغير مجموع - احتمال أمرين : نفي الخبر (وهو : الغياب) عن رجل واحد ، ونفي الغياب عن جنس الرجل كله ؛ فرداً فرداً ؛ فلا غياب لواحد أو أكثر .

ولو قلنا : لا رجالان غائبين . ولا رجالٌ غائبين - لكان الأمر محتملاً لنفي الغياب عن اثنين فقط ، أو عن جماعة فقط ، ومحتملاً أيضاً - في صورتين - نفي الغياب عن جنس الرجل كله ؛ فرداً فرداً ؛ بحيث لا يتخلو واحد من الحكم عليه بعدم الغياب .

(ب) لا طائرٌ موجوداً - تفيد هذه الجملة التي يكون فيها اسم « لا » مفرداً

(أى : غير مثنى وغير مجموع) ما أفادته التي قبلها من احتمال أمرين ؛ نفي وجود طائر واحد ، ونفي وجود جنس الطائر كله ؛ فرداً فرداً ؛ فلا وجود لطائر واحد ، ولا أكثر .

ولو قلنا : لا طائران موجودين ، ولا طيورٌ موجودةٌ - لكان النفي إما واقعاً على طائرين فقط ، وإما واقعاً على جماعة فقط ، وإما واقعاً على الجنس كله - في صورتين -

(١٠١) إذا كانت مثل « ليس » في معناها وعملها أفادت نفي المعنى عن الخبر في الزمن الحالى ، إلا إن دلت قرينة على أن نفي معنى الخبر في زمن آخر - كما تقدم هنا ، وفي رقم ١ من هامش ص ٥٩٣ - وهذا إن كانت « لا » عاملة عمل « ليس » فأما « لا » المهمله التي لا عمل لها في الجملة الاسمية - ولا في غيرها - فإنها من ناحية أثرها المعنوي في الجملة الاسمية - تشبه « لا » العاملة عمل « ليس » فهما في المعنى متشابهتان ، ولكنهما في الإعمال والإهمال مختلفتان ؛ فإحدهما تعمل والأخرى لاتعمل . (راجع الصبيان أول باب : « لا » النافية للجنس) .

فإن كانت « لا » المهمله داخلية على جملة فعلية فعلها ماض فإنها تنفي معناه في زمنه الخاص به وإن دخلت على مضارع فإنها - في الرأي الراجح - تخلص زمنه للمستقبل ، وتنفي معناه في هذا الزمن المستقبل . والبيان في رقم ٣ من هامش ص ٥٩ (ويلاحظ أن المهمله يصح دخولها على الجملة الاسمية والفعلية) .

(٢) طبقاً للرأى الراجح - انظر رقم ٢ من هامش ص ٦٠٣ -

واحدًا واحدًا ؛ بحيث لا يخلو طائر من الحكم عليه بعدم الوجود .
 مما سبق نعلم أن : « لا » النافية التي تعمل عمل : « كان » لا تدل على نفي
 معنى الخبر عن الجنس كله فرد فرداً دلالة قاطعة لا تحتل معها أمراً آخر ؛ وإنما
 تدل - دائماً - على احتمال أمرين^(١) ، فإن كان اسمها مفرداً دلت على نفي معنى
 الخبر عن فرد واحد ، أو على نفيه عن كل فرد من الأفراد . وإن كان اسمها مثنى
 أو جمعاً دلت أيضاً على احتمال أمرين ؛ إما نفي معنى الخبر عن المثنى فقط ، أو
 عن الجميع قده ، وإما نفيه عن كل فرد من الجنس . فدلالته على نفي معنى الخبر
 تحصل هذا ، وتحتل ذلك في كل حالة ، وليست نصاً^(٢) ، في أمر واحد .

ومن أجل أنها تحتل نفي معنى الخبر عن الفرد الواحد إذا كان اسمها مفرداً
 سميت : « لا التي لنفي الواحد » ، أو : « لا التي لنفي الواحد » ، أى : الواحد أيضاً .
 والذين يعملونها يشترطون لذلك شروطاً خمسة^(٣) .

أولها : أن يكون اسمها وخبرها نكرتين^(٤) أو ما في حكم النكرة^(٥) - ؛ مثل :
 لا مالٌ باقياً مع التبذير : فإن كانا أحدهما معرفة أو كلاهما - لم تعمل^(٦) .

(١) ما لم توجد قرينة تمنع الاحتمال ، وتعين أحدهما وحده .
 (٢) إذا أردنا النص على أن النفي يقع على كل فرد من أفراد اسم « لا » - أى : يقع على أفراد الجنس
 واحداً واحداً ، من غير احتمال آخر - أتينا بالحرف الذي يدل على ذلك ، وهو : « لا » النافية للجنس ؛
 بشرط أن يكون اسمها مفرداً . لا مثنى ولا جمعاً . وهى من أخوات « إن » تنصب مثلها الاسم وترفع الخبر .
 (وسيجي الكلام مفصلاً عليها في بابها الخاص ، آخر هذا الجزء ، ص ٦٨٣) ، فإن لم يكن اسمها مفرداً
 بأن كان مثنى أو جمعاً كانت فيها هى و « لا » العاملة عمل ليس - سواء ؛ فيقع الاحتمال بين أن يكون
 الخبر منفياً عن الاثنين فقط ، أو عن الجماعة فقط ، وأن يكون منفياً عن كل فرد من أفراد الجنس . فالفرق
 بين نوعي « لا » العاملة إنما يتحقق حين يكون اسمها مفرداً . (انظر هامش ص ٦٨٥ ؛ حيث البيان) .
 (٣) مع ملاحظة مالا يصلح أن يدخل عليه الناسخ ، (وقد سبق في رقم ١ من هامش ص ٥٤٣) .
 ومنه : ألا يكون اسمها شبه جملة .

(٤) فلا يصح : لا السلاحُ مأموناً في يد الطائش . لا سلاحُ المأمون في يد الطائش ، لا السلاحُ
 المأمون إذا كان في يد الطائش . . . فتل هذه تراكيب غير صحيحة ؛ بسبب إعمال « لا » مع فقدتها
 شرطاً من شروط الإعمال . إلا عند الكوفيين ؛ فإنهم لا يشترطونه ، وبمذهبهم قال المتنبي :

إذا الجودُ لم يُرزقْ خلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً

(٥) يجوز أن يكون خبرها جملة فعلية أو شبه جملة ؛ لأنها يكونان في حكم النكرة - (كما سبق)

في رقم ١ من هامش ص ٤٨ وفي ١ من هامش ص ٢١٣ وفي ٢ من هامش ص ٢٠٩ . . . -)

ثانيهما : عدم الفصل بينها وبين اسمها . وهذا يستلزم الترتيب بين معموليها ، فيجب تأخير الخبر ، وكذلك تأخير معموله الذى ليس شبه جملة ، عن الاسم ، كى لا يفصل بينها وبين اسمها فاصل ؛ نحو : لا حصنٌ واقياً الظالم^(١) . ولا يصح أن يسبقها شيء من جملتها^(٢)

ثالثها : ألا ينتقض النفي بإلا ، ففى مثل : لا سعىٌ إلا مشمر . . . لا يصح نصب الخبر^(٣) .

رابعها : عدم تكرارها ؛ فلا تعمل فى مثل : لا ، لا مسرعٌ سبّاق . إذا كانت « لا » الثانية لإفادة نفي جديد^(٤) .

خامسها : ألا تكون نصّاً فى نفي الجنس^(٥) - كما شرحنا - وإلا عملت عمل : « إن » : تلك هى الشروط الحتمية لعمل « لا » التى لنفى الواحد ، وهى نفسها الشروط لعمل « ما » الحجازية مع زيادة شرطين فى عمل « لا » ؛ وهما : أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، وألا تكون نصّاً فى نفي الجنس^(٦) .

وحذف خبرها كثير فى جيد الكلام ؛ ومنه أن تقول للمريض ؛ لا بأسٌ ؛ أى : لا بأسٌ عليك . وفلان وديع لا شك . أى لا شكٌ فى ذلك ، أو فى وداعته . . .

(١) فلا يصح : « لا واقياً حصنٌ الظالم » لتقديم الخبر . ولا يصح : لا - الظالم - حصنٌ واقياً ؛ لتقديم معموله وحده . ولا يصح : لا - واقياً الظالم - حصنٌ ؛ لتقديمهما معاً . إلا إن كان معمول الخبر شبه جملة فيجوز تقديمه وحده ؛ نحو : لا - فى العمل حازم مهمل - ولا ساعة الجيد عاقل متوانياً .

(٢) والصحيح أن « لا » بنوعها العاملة والمهمله ، هى من حروف النفي التى لها الصدارة . (راجع العصبان فى باب : « ظن وأخواتها » ، عند الكلام على أدوات التعليق التى لها الصدارة) وسيجىء البيان فى ج ٢ ص ٢٦ م ٦١ .

(٣) ومن أثر هذا أنه إذا عطف على خبرها بالحرف ، « لكن » أو : « بل » لم يحز العطف بالنصب ووجب رفع المعطوف ، لما سبق بيانه فى ص ٥٩٧ وفى الزيادة ص ٦٠٠ .

(٤) فإن تكررت وكانت الثانية مفيدة لنفى جديد يزيل النفي السابق ، وليست تأكيداً للأولى - فإنها لاتعمل ؛ لأن نفي النفي إثبات ؛ فتبتعد عن معناها الأساسى فى مثل : لا لا مكافحٌ مسرور . وإن كانت الثانية تأكيداً للأولى - مع قلته وضعفه - ؛ بسبب عدم الفاصل بينهما - جاز إعمالها ؛ نحو : لا لا حامدٌ مستريحاً . وقد عرفنا أن الذى يدل على أن الثانية للتوكيد أو لإفادة نفي جديد - هو : القرائن اللفظية أو المعنوية . ولا تتكرر - فى الأرجح - إلا مرة واحدة بحيث لاتشتمل الجملة منها على أكثر من اثنين . (انظر رقم ١ من هامش ص ٥٩٦ ففيه ما يتصل بهذا) .

(٥) راجع « لا » النافية للجنس آخر هذا الجزء ٦٨٣ .

(٦) لم يذكر من شروط « لا » عدم وقوع : « إن » الزائدة بعدها كاشتراطه فى « ما » لما هو معروف من عدم وقوع : « إن » الزائدة بعد « لا » .

« ملاحظة : لا يتغير شيء من الأحكام السالفة إذا دخلت همزة الاستفهام على « لا » سواء أكان الاستفهام باقياً على حقيقته ، أم خرج إلى معنى آخر كالتبويغ ... أو الإنكار ... ، مثل : ألا إحسانٌ لفتيمر من هذا الرجل الغنى^(١) البخل ... »

أما الحرف الثالث : « إن » فهو لنفي معنى الخبر في الزمن الحالى عند الإطلاق . وإعماله وإهماله سيان^(٢) . ولكن الذين يعملونه يشترطون الشروط الخاصة بإعمال « ما »^(٣) النافية إلا الشرط الخاص بعدم وقوع « إن » الزائدة بعدها ؛ إذ لا تقع « إن » الزائدة بعد « إن » النافية ؛ نحو : إن الذهب رخيصاً (بمعنى : ما الذهب رخيصاً) أو : إن الذهب رخيص . ففي المثال الأول تعرب « إن » حرف نفي ناسخ بمعنى : ما ، وبعدها اسمها وخبرها . وفي المثال الثانى : « إن » حرف نفي مهمل ، وبعدها مبتدأ مرفوع ، ثم خبره المرفوع^(٤) . ومن أمثلة إعمالها ، قول الشاعر :

إنَّ المرءَ مَسِيئًا بانقضاءِ حَيَاتِهِ ولكنَّ بَأْنَ يُبَغِّى عليه فيُخَذَّلَا

وهى - فى حالتى إعمالها وإهمالها - لنفى معنى الخبر فى الزمن الحالى ، ما لم تقم قرينة على غيره - كما تقدم - .

وأما الحرف الرابع : « لات »^(٥) فهو لنفى معنى الخبر فى الزمن الحالى عند

(١) راجع الخضرى ج ١ باب : « لا النافية » للجنس عند بيت ابن مالك

وَأَعْطِ. « لا » مَعَ هَمْزَةٍ اسْتِفْهَامٍ مَا تَسْتَحِقُّ دُونَ الاسْتِفْهَامِ
حيث صرح بأن دخول همزة الاستفهام على « لا » بنوعها لا يغير من أحكامها ، على الوجه الآتى فى م ٥٩ ص ٧٠٤ .

(٢) إذا كانت عاملة وجب دخولها على جملة اسمية - كالأشأن فى النواسخ كلها - ولا يصح أنه يكون اسمها شبه جملة . أما إذا كانت مهمله فيجوز دخولها على الاسمية والفعلية ؛ فن أمثلة المهمله الداخلة على الاسمية قوله تعالى : (إن الكافرون إلا فى غرور) ومن أمثلة الداخلة على الفعلية قوله تعالى : (إن يستبشعوا إلا الظن) ، وقوله : « (إن يقولون إلا كذبا) .

(٣) تقدمت شروطها ، فى ص ٥٩٤ - ويراعى فى العطف على خبر « إن » ما سبق فى العطف على خبر « ما » (ص ٥٩٧) والزيادة التى فى ص ٦٠٠ .

(٤) ويجوز هنا ما يجوز فى « ما » من صحة نقض النفى عن معمول الخبر ، دون الخبر ، نحو : ما أنت قارئاً كتباً إلا النافعة .

(٥) يقول النحاة : إن أصلها « لا » ثم زيد عليها التاء لتأنيث اللفظ ؛ كالتاء فى « رُبَّتْ » و « نُمِتْ » . غير أن التاء مع « لات » متحركة بالفتح دائماً . وزيادتها تفيد مع تأنيث اللفظ تأكيد النفى =

الإطلاق. ويشترط لعملها^(١):

(أ) الشروط الخاصة بعمل « ما »^(٢) إلا الشرط الخاص بعدم وقوع : « إن » الزائدة بعدها ؛ إذ لا تقع « إن » الزائدة بعد : « لات » .

(ب) ثلاثة شروط أخرى ؛ هي : (أن يكون اسمها وخبرها كلمتين داليتين على الزمان^(٣)) ، (وأن يحذف أحدهما دائماً ، والغالب أنه الاسم) . (وأن يكون المذكور منهما نكرة) ؛ مثل : سهوتَ عن ميعادك ، ولاتَ حين سهو . أى : ولاتَ الحين^(٤) حين سهو . وإعرابها : « لا » نافية ؛ تعمل عمل : « ليس » التاء للتأنيث اللفظي^(٥) واسمها محذوف تقديره : الحين ، أو : الوقت ، أو : الزمن ... « حين » خبرها ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، مضاف ، « السهو » مضاف إليه مجرور . ومثل : تسرعتَ في الإجابة ، ولاتَ حينَ تسرعُ ، أى : وليس الحينُ حينَ تسرعُ ، أو ليس الوقتَ وقتَ تسرع ، والإعراب كالسابق .

* * *

= وتقويته . هذا كلام النحاة ملخصاً من آراء متعددة لا يستريح العقل لواحد منها ، ولا إلى أن التاء زيدت على كلمة : « لا » ... لأن العرب الأوائل نطقوا بكنتا الكلمتين (لا ، ولات) مستقلة ، لم يذكروا أن إحداهما أصل للأخرى ، ولم يكن لهم علم بشيء مما اصطلاح عليه النحاة بعدم ، وبنوا عليه أحكامهم ، فن الخير ترك الآراء المتشعبة ، والاقتصار على اعتبار : « لات » كلمة واحدة مبنية على الفتح ، معناها : النفي ، وعملها هو عمل « كان » وليس في هذا ما يسيء إلى اللغة في تركيب كلماتها ، ولا ضبط حروفها ، ولا أداء معانيها على الوجه الصحيح المأثور الذي يجب الحرص عليه وحده أشد الحرص ، ولا سيما إذا كان في اتباعه تيسير وسماحة للعقل والواقع . وقد آن الوقت للتحرر من تلك الآراء الجذلية التي لا حاجة إليها اليوم .

(١) مع ملاحظة ما لا يصح أن يدخل عليه الناسخ - وقد سبق بيانه في رقم ١ من هامش ص ٥٤٤ ورددنا أن اسم الناسخ - مهما اختلفت أنواع النواسخ - لا يكون شبه جملة .

(٢) وقد سبقت ، في ص ٥٩٤ - ويراعى في العطف على خبرها ما سبق في العطف على خبر « ما » (ص ٥٩٥ وفي الزيادة ص ٦٠٠) .

(٣) مثل كلمة : « حين » - وهي أكثر الكلمات الزمنية التي استعملها العرب معمولة للحرف : « لات » ومثل : « ساعة » و « أوان » و « وقت » وغيرها مما يدل على الزمن .

(٤) قالوا : كلمة : « الحين » هنا معرفة (مع أن : « لات » لاتعمل إلا في التكرات) لأن المنى في المثال هو « حين » معين ، معروف ؛ وهو الذي سها فيه المخاطب . فالتقدير : لاتَ حينَ سهوكَ حينَ سهو : أى : ليس زمنُ سهوكَ زمنَ سهو : بمعنى : أن زمن سهوك لا يصح ولا يصلح أن يكون زمن سهو . فاشتراط التذكير في معموليها مما - كما ينص عليه أكثر النحاة - إنما يتحقق في التركيب اللفظي الذي يشتمل على معمولين مذكورين فيه صراحة ؛ أما في التقدير فلا يشترط ذلك (كما في تقدير المثال السابق)

وخير من هذا كله أن يكون الشرط هو : تنكير ما يذكر صريحاً من معمولين ؛ وهذه عبارة بعض النحاة الأقدمين ؛ وتربحنا من الجدل الذي لاداعى له ، ومن تحقق الشرط في التركيب اللفظي ، دون التقدير ، وأمثال هذا

(٥) أو : لات - كلها - حرف نفي مبني على الفتح لا محل له ، وهذا أحسن . . . ، اعتماداً على ما تقدم في رقم ٥ من هامش الصفحة السابقة .

زيادة وتفصيل :

(ا) وردت « لات » في بعض الكلام العربي القديم مهملة (أى : لا عمل لها) ، فكانت متجردة للنفي المحض . ومنه قول الشاعر :

تَرَكَ النَّاسُ لَنَا أَكْنَافَهُمْ وتولَّوا ، لاتَ لَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ
فهي هنا حرف نفي محض^(١) مؤكداً بحرف نفي آخر من معناه ، هو : « لم »
وهذا الاستعمال مقصور على السماع لا يجوز اليوم محاكاته . وإنما عرضناه لنفهم
نظائره في الكلام القديم حين تمر بنا ، ومنه قول القائل :

لَتَهْنِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَسْبِي جَوَارِكَ حِينَ لَاتَ مَجِيرُ
فهي حرف نفي مهمل^(٢) . « ومجير » فاعل لفعل محذوف أو مبتدأ خبره محذوف .

(ب) حكم العطف على خبر : « لات » نفسه كحكم العطف على خبر
« ما » . وقد تقدم (في ص ٥٩٧ و ٦٠٠) فيتعين الرفع إن كان حرف العطف
يقتضى إيجاب ما بعده ، (مثل : لكن ، وبل) ، تقول : شمت ولات حين
سامة ، بل حين صبر ، أو لكن حين صبر ، فإن كان حرف العطف لا يقتضى
إيجاب ما بعده (كالواو) جاز النصب والرفع ، تقول : رغبت في الراحة أياماً ،
ولات حين راحة ، وحين استجمام ، ينصب كلمة « حين » المعطوفة أو رفعها .

(ج) من أسماء الإشارة : « هنّا » وهي في أصلها ظرف مكان - كما عرفنا في
باب : أسماء الإشارة^(٣) . وقد وقعت في الكلام العربي القديم بعد كلمة : « لات »
كقول القائل : (حَنَّتْ نَوَارُ وَلَاتِ هَنّاً حَنَّتْ^(٤)) ...) وخير ما يقال في إعرابها :
إن : « لات » حرف نفي مهمل (أى : لا عمل له) ، « هنّا » اسم إشارة للمكان ،
منصوب على الظرفية ، خبر مقدم ، « حنت » حن : فعل ماض ، قبله « أن » مقدرة .
والثناء للتأنيث ، والفاعل مستتر تقديره : هي والمصدر المؤول من الفعل والفاعل و « أن »
المقدرة قبل « حنت » في محل رفع مبتدأ مؤخر . وخبره اسم الإشارة الظرف المتقدم :
(هنّا) . وهذا أسلوب يحسن الوقوف فيه عند السماع ، والبعد عن محاكاته .

* * *

(١) لدخولها على جملة فعلية . فليس لها اسم ولا خبر .

(٢) لأن معموليها ليسا دالين على الزمان . (٣) ص ٣٣٨ .

(٤) عرضنا لهذا الشاهد وإتمام البيت في ص ٣٣٨ وذكرنا هناك بعض الآراء ، ومنها الرأي للقاتل
إن : « هنّا » قد تكون ظرف زمان .

المسألة ٤٩ :

زيادة باء الجر في خبر هذه الأحرف

تقدم أن « باء الجر » تزداد في مواضع^(١)، منها : أخبار الأفعال الناسخة إذا كانت تلك الأخبار منفية ؛ (فلا تزداد في أخبار « ما زال » وأخواتها الثلاثة ؛ لأن أخبارها موجبة) ، وأن الغرض من تلك الزيادة هو تأكيد النفي وتقويته — كما عرفنا .
ومن تلك المواضع التي تقدمت : خبر « ليس »^(٢) ؛ ويكثر فيه زيادة الباء ؛ نحو : ليس الحازم بمتواكل . فالباء زائدة ، و « متواكل » مجرورة بها في محل نصب خبر « ليس » . ونزيد هنا أن من مواضع زيادتها خبر « ما » العاملة والمهملة ، فيكثر في خبرها المنى زيادة الباء ؛ نحو : ما العربي ببخيل ، وما العربي بهياب الشدائد . وأصل الكلام : ما العربي بخيلاً . أو بخيلٌ — ما العربي هيباً أو هياب . . . ، فالباء حرف جر زائد ، وما بعدها مجرور في محل نصب خبر : « ما » إن كانت عاملة . أو في محل رفع خبر المبتدأ ، إن كانت : « ما » مهمله^(٣) .
ومن الأمثلة ، قوله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد) ، وقول الشاعر :

أَقْصِرْ — فَوَادِي — فَمَا الذِّكْرَى بِنَافَعَةٍ وَلَا بِشَافَعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا
وقد تزداد أحياناً بعد خبر : « لا » العاملة^(٤) ، نحو : لا جاهٌ بخالد . ولا سلطانٌ

(١) في ص ٥٩٠ وما بعدها ، إيضاح مناسب لبعض مواضع زيادة الباء ، وسبب الزيادة ، وأنها قد تزداد في الاسم إذا توسط الخبر بينه وبين الناسخ .

(٢) في ص ٥٩١ بشرط ألا تكون أداة استثناء ، وألا ينتقص النفي « بلأ » . فإن كانت أداة استثناء فهي بمعنى « إلا » فلا يزداد في خبرها الباء . ومثلها « لا يكون » أداة الاستثناء — كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٥٩٠ .

(٣) بشرط ألا يكون إمامها يسبب نقض النفي في خبرها ، فإن كان سببه لم تدخل عليه الباء الزائدة ؛ لأن الكلام يصير مع نقض النفي موجباً ؛ فلا يصح زيادة الباء في مثل : ما أنت إلا فاضح .
وهناك شرط آخر لزيادة : « الباء » في خبر « ما » ؛ هو : أن يكون الخبر من الألفاظ التي تقبل الإيجاب والتي لا يقتصر استعمالها على المعاني المنفية ؛ فلا تزداد « الباء » في كلمة : أحد ، وعريب ودِيَار ، في نحو : ما مثلك أحد ... فلا بد لزيادة الباء في خبر « ما » من تحقيق الشرطين السابقين . (انظر ص ٥٩٠ و ٥٩١ وهما) .

هذا ، والذي يدل على أن زيادة « الباء » هي في خبر العاملة أو المهمل ما يكون الخبر من توابع ، فإن ضبط التابع بغير الجر يدل على نوع الخبر ، وأنه خبر العاملة أو المهمل .

(٤) سواء أكانت عاملة عمل « ليس » أم عاملة عمل « إن » .

بدانهم . وأصل الكلام : لا جاء خالداً ، ولا سلطاناً دائماً . (والإعراب كالسابق) ...
وقد تقدم ^(١) أيضاً أنها تزداد في خبر المضارع من « كان » ^(٢) ، بشرط أن يكون منفياً
بحرف النفي : « لم » ؛ نحو : كلمتني فلم أكن بمشغول عنك ، ولم أكن بمنصرف عن
حديثك . أى : لم أكن مشغولاً عنك ، ولم أكن منصرفاً عن حديثك . فالباء حرف
جر زائد ، وما بعدها مجرور بها في محل نصب : خبر « أكن » ، وأنها قد تزداد أيضاً
في المفعول الثاني من مفعولى : « ظن وأخواتها » ، نحو : ما ظننت المؤمن بيجبان .
أما زيادتها في بقية الأفعال والحروف الناسخة ، أو في خبر المبتدأ ، أو في
غير ما سبق — فمقصود على السماع ^(٣) .

* * *

(١) في رقم ٢ من هامش ص ٥٩٢ .
(٢) ماعدا (لا يكون) الاستثنائية ؛ لأن الباء لاتزداد في خبرها ، ولأنها لا بد أن تكون للغائب
وقبلها : « لا » النافية .
(٣) يقول ابن مالك في كل ماسبق من زيادة الباء ومن الكلام على : « (لا - ولات) ما يأتي
باختصار : (وقدم الكلام على زيادة الباء قبل أن يتكلم على : لا - ولات » ، وكان الواجب التأخير عنهما) .
وبعد : « ما » و : « ليس » جرَّ « الباء » الخبر . وبعد : « لا » ونفى : « كان » قد يُجرَّ
أى : جرت « الباء » الخبر بعد : « ما » وبعد : « ليس » . ثم قال : وقد يجر الخبر بعد « لا »
التي هي من أخوات « ليس » وبعد : « كان » المنفية ؛ لأن نفيها ينصب على خبرها (بشرط أنها
غير الاستثنائية) — كما شرحنا — ثم قال :

في النكراتِ أَعْمِلْتُ كَلَيْسَ : « لا » وقد بَلَى : « لات » و « إن » ذا العَمَلِ
أى : أعملت ؛ - « لا » في النكرات عمل « ليس » ؛ فترفع الاسم وتنصب الخبر ؛ بشرط أن يكونا
نكرتين معاً . ثم قال : وقد تتولى : « لات » و « إن » هذا العمل ؛ فيرفع كل منهما الاسم ، وينصب
الخبر ، ولم يذكروا شرطاً . ثم عاد فقال :

وَمَا لِيْلَاتٍ فِي سِوَى حِينَ عَمَلٍ وَحَذَفُ ذِي الرَّفْعِ فَشَا . وَالْعَكْسُ قُلْ
يريد : أن : « لات » لا تعمل في سوى « الحين » ، أى : الزمن ، فلا بد أن يكون اسمها وخبرها
لفظين دالين على الزمن ، ولا بد من حذف أحدهما . كما عرفنا ، ولكن حذف الاسم صاحب الرفع هو
الفاعل ؛ أى : الشائع ، والعكس قليل ؛ وهو حذف الخبر ، وبقاء الاسم .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

يتردد في مواطن مختلفة من كتب النحو ما يسمى : « العطف على التوهم » ؛ وهو نوع يجب الفرار من محاكاته^(١) - قدر الاستطاعة - ولتوضيحه نسوق المثالين التاليين :

(١) « ليس المؤمن متأخراً عن إغاثة الملهوف » . فكلمة : « متأخراً » خبر « ليس » ، وهو منصوب ، ويجوز - كما عرفنا^(٢) - أن تزداد الباء الجر في أول الخبر فنقول : « ليس المؤمن بمتأخر عن إغاثة الملهوف » ؛ فتكون كلمة : « متأخر » في الظاهر مجرورة بالباء الزائدة ، لكنها في التقدير في محل نصب ، لأنها خبر « ليس » .

فإذا عطفنا على الخبر المجرور بالباء الزائدة كلمة أخرى ؛ بأن قلنا : (ليس المؤمن بمتأخر وقاعد عن إغاثة الملهوف) فإنه يجوز في المعطوف - وهو كلمة : « قاعد » مثلاً - الجر ، تبعاً للمعطوف عليه المجرور في اللفظ ، كما يجوز نصبه ، تبعاً لهذا المعطوف عليه المنصوب محلاً ، لأنه خبر « ليس » . فالمعطوف في المثال السابق يجوز نصبه تبعاً لمحل الخبر ، كما يجوز جره تبعاً للفظ الخبر المجرور بالباء الزائدة المذكورة في الجملة ، والتي يجوز زيادتها في مثل هذا الخبر .

لكن إذا خلا الخبر من الباء الزائدة فكيف نضبط المعطوف عليه ؟ . أيجوز النصب والجر مع عدم وجودها كما كانا جائزين عند وجودها ؟ يقول أكثر النحاة : نعم . ففي المثال السابق يصح أن نقول : ليس المؤمن متأخراً وقاعدًا عن إغاثة الملهوف ، أو : ليس المؤمن متأخراً وقاعد . . . بنصب كلمة : « قاعد » أو جرها ؛ فالنصب لأنها معطوفة على الخبر المنصوب مباشرة ؛ ولا عيب في هذا . والجر لأنها معطوفة على خبر مجرور في التقدير ؛ على تخيل وتوهم أنه مجرور بالباء الزائدة ؛ فكأن المتكلم قد تخيل وجود الباء الزائدة ، مع أنها غير موجودة بالفعل . وتوهم أنها ظاهرة في أول الخبر ؛ - ولذا يسمونه : « العطف على التوهم » - مع أن

(١) سيجيء نوع منه - (في ج ٤ باب النواصب ص ٣٣٧ ، ١٤٩) ، عند الكلام على فاء السببية ، وكذلك في باب : « العطف » (ج ٣ ص ٦٣٦ م ١٢٢) - يقتضيه وضوح الكلام ، واستقامة معناه ، مع تقدير « أن » المضرة وجوباً .

(٢) في ص ٦٠٥ .

توهمه غير صحيح . ومن العجيب أن يتوهم ويتخيل ما لا وجود له ، ويبني عليه آثاراً . وهذا أمر يجب الفرار منه — كما قلنا — ؛ لما فيه من البعد المعيب ، والعدول عن الطريقة المستقيمة الواضحة إلى أخرى ملتوية ، لا خير فيها ، بل فيها الضرر . فإن قهرتنا بعض الأساليب القديمة على الالتجاء إليه وجب أن تقتصر عليه في الوارد ، ونحصر أمره في المسموع من تلك الأساليب ، دون أن نتوسع فيها بالمحاكاة والقياس ؛ إذ لا ضرورة تلجئنا إلى محاكاتها . بل إن اللبس والإفساد كامنان في القياس عليها . وهذا هو الرأي السديد المنسوب لبعض النحاة الأقدمين^(١) وإليه وحده تستريح النفس ، ولا فرق فيه بين العطف على خبر « ليس » أو : « ما » أو : غيرهما من الأخبار التي تزداد في أولها الباء جوازاً^(٢) . . .

مثال آخر :

« ما المحسن مناناً بإحسانه » . كلمة : « مناناً » — خبر « ما » منصوبة ، ويجوز أن تزداد « باء » الجر في خبر : « ما » الحجازية على الوجه المشروح في زيادتها — فيقال : ما المحسن بمنان بإحسانه . فتكون كلمة : « منان » مجرورة في الظاهر بالباء الزائدة ، ومنصوبة المحل ، لأنها خبر « ما » ؛ فإذا عطفنا على هذا الخبر المجرور كلمة أخرى^(٣) ، جاز في المعطوف ، إما الجر تبعاً للخبر المجرور لفظه ، وإما النصب أيضاً تبعاً للخبر المنصوب محله ؛ فيقال ما المحسن بمنان وذاكر إحسنه أو : « ذاكرأ » إحسانه ؛ يجر كلمة : « ذاكرأ » ، أو نصبها .

(١) وقد تردد في مراجع وأبواب مختلفة، منها شرح الأشدوف، آخر باب: « حروف الجر »، ومنها كتاب: « تنزيل الآيات »، شرح شواهد الكشاف، ص ١٦ عند بيت الشاعر:

مشائيم ، ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بيبين غرابها

حيث عطف : « ناعب » بالجر على : « مصلحين » يتوهم إن المعطوف عليه مجرور بالياء ، وأن التقدير بمصلحين . وأيضاً ورد هذا البيت ومعه آخر في « الكامل للمبرد » ج ١ ص ٢٧٩ للاستشهاد بكل منهما على الحكم السالف .

(٢) والكلام على هذا النوع من الجر يذكرنا نوعاً آخر من الجر يجب التشدد في إهماله ، وفي ترك استعماله ، والاعتصار فيه على المسموع وحده ، لوضوح فساد وإفساده ؛ هو: « الجر بالمجاورة » . وسيجيء تفصيل الكلام عليه (في ج ٢ ص ٤٠١ م ٨٩ باب: حروف الجر) (وفي ج ٣ ص ٨ م ٩٣ باب الإضافة) .
(٣) وكان حرف العطف غير : « لكن » و « بل » . . . (راجع ص ٥٩٧ السابقة . . .) .

فإذا لم تكن «باء» الجر الزائدة المذكورة في أول الخبر فكيف نضبط المعطوف ؟ .
يقول أكثر النحاة : إن العطف عند عدم وجود باء الجر الزائدة في الخبر كالعطف مع وجودها : فيجوز النصب في المعطوف تبعاً للنصب اللفظي في الخبر المعطوف عليه ؛ كما يجوز الجر في المعطوف تبعاً لترتهمهم الجر في الخبر المعطوف عليه .
واقتراضهم أن ذلك الخبر مجرور بالباء الزائدة ؛ مع أنها غير موجودة في الكلام .
ويسمون هذا : «العطف على التوهم» - كما أسلفنا - وهو توهم لا يصح الالتفات إليه اليوم ، ولا الأخذ بما يرتبونه عليه ؛ دفعاً منا لتلعب الذي أوضحنه . ويتسارى في هذا خبر «ليس» وخبر «ما» وغيرهما من الأخبار التي يجوز في أولها زيادة باء الجر .
(ب) إذا وقع بعد خبر «ليس» أو خبر «ما» - مشتق معطوف ، فكيف نضبطه ؟ . لهذا صور يعيننا منها ما ^(١) يأتي :

أولاً : أن يكون المشتق المعطوف على خبرها وصفاً ^(٢) عاملاً وبعده اسم مرفوع ، سببى ^(٣) له ، نحو : «ليس المستعمر أميناً . ولا صادقاً وعدّه» . أو : «ما المستعمر أميناً ولا صادقاً وعدّه» . فيجوز في الوصف المعطوف وهو كلمة : «صادق» ما يجوز فيه لو كان غير رافع اسماً بعده ؛ وعلى هذا يصح في كلمة : «صادق» النصب بعطفها على الخبر المنصوب مباشرة وهو كلمة : «أميناً» كما يصح فيها الجر ؛ عطفاً على الخبر المجرور على حسب توهم النحاة أن الخبر مجرور بباء زائدة غير ظاهرة في اللفظ ... وهو توهم وتخل سبق هنا رفضه : في «أ» أما الاسم السببي المرفوع بعد الوصف المعطوف فيعرب في الحالة السالفة فاعلاً ^(٣) له (وقد يعرب أحياناً نائب فاعل في جملة أخرى إذا كان الوصف الراجع له اسم مفعول) . وفي المثال السابق بصورتيه يلتزم الوصف الأفراد فلا يشئ ولا يجمع - في رأى أكثر النحاة - ...

ويصح أن يكون الوصف مرفوعاً مبتدأ - لا معطوفاً - وأن يكون السببى ^(٤) بعده

(١) مع ملاحظة الصور التي سقت في ص ٥٩٧ . (٢) أى اسماً مشتقاً .

(٣ و٣) السببى هنا : ما له صلة وارتباط بالوصف ، كقراءة ، أو صداقة ، أو عمل ، أو شيء .

متصل به . ويربط بينهما الضمير ونحوه مما يعود على ذلك الوصف .

(٤) والعطف في المثال السابق بصورتيه عطف مفرد على مفرد .

مرفوعاً به ، يُغنى عن الخبر (سواء أكان المرفوع فاعلاً ، أم نائب فاعل) . وفي هذه الصورة يلتزم الوصف الأفراد أيضاً . ويكون الوصف مع مرفوعه معطوفاً على الجملة التي قبله ^(١) .

ويصح أن يكون السببي مبتدأ متأخراً والوصف خبراً مرفوعاً متقدماً — لا معطوفاً وفي هذه الحالة يتطابقان ؛ أفراداً ، وتثنية ، وجمعاً ، وتذكيراً ، وتأنثياً ؛ نحو : ليس على مهملاً ولا مقصراً أخوه — ليس على مهم — ولا مقصران أخواه — ليس على مهملاً ولا مقصرون إخوانه ^(٢)

وكذلك لو كان الناسخ « ما » بدلاً من « ليس » .

ثانياً : أن يكون المعطوف وصفاً أيضاً ، وقبله : « ليس » ومعمولاًها ، ولكن بعده اسم أجنبي ^(٣) . فيُعطف الأجنبي على اسمها ، ويرفع مثله . ويعطف الوصف على خبرها ، وينصب مثله ، تقول ليس محمود حاضراً ، ولا غائباً ^(٤) حامد ، فكلمة : « حامد » معطوفة على الاسم : « محمود » مرفوعة مثله ، وكلمة « غائباً » معطوفة على الخبر « حاضر » منصوبة مثله .

فإن كان خبر « ليس » مجروراً بالباء الزائدة جاز أيضاً جر الوصف ؛ تقول : ليس محمود بحاضر ، ولا غائب حامد ؛ بجر كلمة : « غائب » لأنها معطوفة على الخبر المجرور لفظه بالباء الزائدة ؛ ويجوز في الحالتين السالفتين رفع الأجنبي

(١) والعطف على هذا الإعراب عطف جملة على جملة .

(٢) ويتعين العطف في هذه الصورة ، وأن يكون عطف جملة على جملة .

(٣) أى : ليس سببياً . وقد سبق شرح السببي (في رقم ٣ ص ٦١١) .

(٤) في هذا المثال معطوفان ، ومعطوفان عليهما ؛ وحرف عطف واحد ، هو : الواو ، وهذا

المثال يصلح أن يكون إما عطف جملة على جملة — أى : ليس محمود حاضراً وليس حامد غائباً . وإما : عطف مفردين بالواو على نظيرين هما سابقين ، فتكون كلمة : « غائباً » معطوفة بالواو على كلمة : « حاضراً » وكذلك كلمة : « حامد » معطوفة بالواو أيضاً على كلمة : « محمود » ، ومن اختصاص الواو أن تعطف معطوفين بالصورة السابقة . لكن من أى أنواع العطف هذا ؟ أعطف مفرد على مفرد أم جملة على جملة ؟ قولان ، سنوضح أمرهما والصواب منهما في باب العطف — ٣ — والمناسب هنا أن العطف عطف جملة على جملة

... ..

على أنه مبتدأ ، خبره الوصف المتقدم ، فيتطابقان . وتكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى .

ثالثاً : أن يكون المعطوف وصفاً ، قبله « ما » ومعمولاًها ؛ وبعده اسم أجنبي ؛ فيجب رفع هذا الوصف الواقع بعد خبرها ؛ سواء أكان خبرها منصوباً ، أم مجروراً بالباء الزائدة ؛ نجو : ما محمود حاضراً ولا غائب حامداً^(١) ، أو : ما محمود بحاضر ولا غائب حامداً .

* * *

(١) السبب الحقيقي هو أن أساليب العرب الفصحاء جرت على هذا . لكن النحاة يذكرون السبب النحوي أن خبر : « ما » لا يتقدم على اسمها : فكذلك خبر ما عطف على اسمها ، لأن كلمة : « حامداً » معطوفة على : « محمود » التي هي اسم « ما » فكانت كلمة : « حامداً » بمنزلة اسم : « ما » بسبب أنها معطوفة على الاسم ، وكلمة « غائب » معطوفة على كلمة : « حاضراً » التي هي خبر « ما » ؛ فكانها بمنزلة خبر « ما » بسبب ذلك العطف . وقد تقدم ما هو بمنزلة الخبر على الاسم فلا تعمل فيه : « ما » ؛ لفقد الترتيب . فالأحسن في إعراب الوصف في هذه الحالة أن يكون خبراً مقدماً والمرفوع بعده مبتدأ ، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، فالعطف عطف جميل .

المسألة ٥٠ :

أفعال المقاربة ، وأفعال الشروع ، وأفعال الرجاء . . . (١)

أفضل المقاربة — معناها :

في جملة مثل : « الماء يَغْلِي » ، يفهم السامع — بسبب وجود الفعل المضارع — أن الماء في حالة غليان الآن (٢) ، أو : أنه سيكون كذلك في المستقبل (٣) فإذا قلنا : « كاد الماء يَغْلِي » — اختلف المعنى تماماً ؛ إذ نفهم أمرين : أن الماء اقترب من الغليان اقتراباً كبيراً ، وأنه لم يَغْلَ بالفعل ؛ أي : أنه في حالة إن استمرت زمناً قليلاً فسيغلي . والسبب في اختلاف المعنى الثاني عن الأول هو وجود الفعل : « كاد » في الجملة الثانية ، مع أنه ماضٍ (٤) .

وكذلك الشأن في مثل : « القطار يتأخر » إذ نفهم من الجملة أن القطار مباشر التأخر الآن ، أو في المستقبل . فإذا قلنا : « كاد القطار يتأخر . . . » تغير المعنى ، وفهمنا أمرين ؛ أنه اقترب من التأخر جداً ، وأنه — بالرغم من ذلك — لم يتأخر في الواقع . أي : أنه في حالة ، إن طال زمنها قليلاً يقع في التأخر . والسبب في اختلاف المعنى الثاني عن الأول وجود الفعل الماضي : « كاد » .

ومثل ما سبق : « الكأس تتدفق ماء » فالمعنى : أن الماء يفيض منها الآن ، أو مستقبلاً . فإذا قلنا : « كادت الكأس تفيض ماء » تغير المعنى ، وانحصر في

(١) هذا أحد أبواب النواسخ ، وقد عرفنا أن اسم الناسخ لا يكون شبه جملة .

(٢) أي : وقت الكلام ، وهو : الزمن الحال . (٣) هو الزمن الذي بعد الكلام .

(٤) يلاحظ هنا أن المضارع في خبرها يتقلب زمنه قريباً جداً من الحال — (كما سبق في ص ٥٧ وسبجيم في رقم ٧ من هامش ص ٦١٥) — ، كما أن زمنها الماضي يتقلب مسبباً قريباً من الحال ؛ ليتوافق زمن الفعل مع زمن خبره ؛ فإذا قلت : كاد المطر ينزل ، فالمراد قرب زمن نزوله من الحال ، وأنه لم ينزل فعلاً . وقد يكون الزمن في : « كاد » وفي خبرها مقصوداً على الماضي وحده ، أو على المستقبل ، حين تقوم القرينة القاطمة على أن المراد المقاربة فيما مضى ، أو فيما يستقبل ، مثل : كاد القطار يتأخر أمس — يكلمه المريض يغادر المستشفى غداً .

(راجع في كل ما سبق ج ٧ ص ١١٥ من شرح المفصل : الأفعال المقاربة) .

أنها اقتربت كثيراً من التدفق . وأنها لم تتدفق بالفعل ، وهذا التغير بسبب وجود الفعل الماضي : « كاد » .

من الأمثلة السابقة — وأشباهاها — يتبين أن الفعل : الماضي « كاد » يؤدي في جملته معنى خاصاً ، هو الدلالة على التقارب بين زمن الخبر والاسم ^(١) ، تقارباً كبيراً مجرداً ، (أى : لا ملابسة ^(٢) فيه ، ولا اتصال) . ومن أجل ذلك سميت « كاد » ^(٣) فعل : « مقارنة » . ولها إخوة تشاركها في تأدية هذا المعنى . ومن أشهر أخواتها : (كَرَبَ — أوشكَ ... ^(٤)) — مثل : كَرَبَ الليلُ يُنْقَضُ — أَوْشَكَ الصبحُ يَقْبَلُ ، بمعنى : « كاد » فيهما . وكلها بمعنى : « قَرُبَ » .

عملها :

أفعال المقاربة أفعال ناقصة (أى : ناسخة) ترفع المبتدأ ^(٥) اسمًا لها ، وتنصب الخبر ^(٦) — فلا ترفع فاعلاً . ولا تنصب مفعولاً ما دامت ناسخة ^(٧) ؛ فهي من أخوات « كان » . غير أن الخبر في أفعال المقاربة لا بد أن يشتمل على :

١ — فعل مضارع ^(٧) يكون مرفوعه (من فاعل ، أو نائبه ...) ضميراً في الغالب .

(١) هما هنا : اسمها وخبرها ، وسنعرّفهما . فهذه الأفعال جاءت لتفيد قرب زمن وقوع الخبر من الاسم قريباً كبيراً — وقد يقع الخبر أولاً يقع ، بل قد يستحيل وقوعه ، نحو قوله تعالى : (يكاد زيتها يضيء ...) (٢) أى : أن كلا منهما يظل منفصلاً عن الآخر ؛ لا يحاطه ، ولا يتصل به فعلاً ، ولا يندمج فيه مباشرة . (٣) التي مضارعها : « يكاد » ، لا التي مضارعها : يكيد ، بمعنى يحكر ويسير . (٤) ومنها : « أَلَمْ » وقد ورد في الأثر : (لولا أنه شيء قضاه الله لألم أن يذهب بصره .) ومنها : « أولى » . . . ولا داعى لاستعمال القريب من أفعال هذا الباب من غير حاجة ؛ بالرغم من جواز استعماله . (٥) ولهذا لا يكون اسمها شبه جملة — كما سبق — لأن المبتدأ لا يكون شبه جملة .

(٦ و ٧) مع ملاحظة أنها لا تدخل على الأشياء التي لا تدخل عليها النواسخ — وقد سبق بيانها في رقم ١ من هامش ص ٥٤٤ — وأن الأخبار في هذا الباب كله بأنواعه المختلفة يشترط فيها ما يشترط في كل أخبار النواسخ (مما أشرنا له في ص ٥٤٦ وبيانه التفصيلي في باب « : المبتدأ والخبر » هامش ٤٤٣) والتنبيه إلى الملاحظة التي في هامش ص ٤٨٠ خاصة بأن « أفعال الرجاء » وبعض أفعال المقاربة يصح أن يقع المعنى فيها خبراً عن الحصة ؛ طبقاً للبيان الذي في رقم ١ من الهامش التالي .

(٧) يكون زمن هذا المضارع ماضياً قريباً من الحال عند استعمال « كاد » أو إحدى أخواتها بلفظ الماضي — كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٦١٤ ؛ فهو مضارع في اللفظ وفي الإعراب ، ماضٍ قريب من الحال في الزمن ، مثلها ؛ لأن المضارع الواقع مع مرفوعه في خبر كاد الماضية أو إحدى أخواتها يكون زمنه مثلها ، — كما سبق — بالرغم من إعرابه فعلاً مضارعاً .

النحو الوافي — أول

٢ - وأن يكون هذا المضارع مسبوقة « بأن المصدرية »^(١) مع الفعل : « أوْشَكَ » وغير مسبوقة بها مع الفعلين : « كاد » : « وَكَتَرَبَ » ، نحو : (أوْشَكَ المطر أن ينقطع ، وكاد الجو يعتدل ، وَكَتَرَبَ الهواء يطيب) . ويجوز - قليلاً - العكس ، فيتجرد خبر : « أوْشَكَ » ، من « أن » ويقترن بها خبر « كاد » و « كَرَب » ، ولكن الأول هو الشائع في الأساليب العالية التي يحسن الاختصار على محاكاتها .

ومن النادر أن يكون الخبر غير جملة مضارعية . ولا يصح محاكاة هذا النادر ، بل يجب الوقوف فيه عند المسموع^(٢) .

وعمل أفعال المقاربة ليس مقصوراً على الماضي منها : بل ينطبق عليه وعلى ما يوجد

(١) نترك للنحاة اختلافهم في نوع « أن » الداخلة في أخبار هذا الباب كله (كأخبار أفعال المقاربة هذه ، وأفعال الرجاء ص ٦٢١) فأكثرهم يميل إلى أنها حرف نصب غير مصدرى وأن فائدته تخلص المضارع للزمن المستقبل ، دون زمن آخر ، ويرفضون أن تكون مصدرية ؛ بحجة أنها لو كانت مصدرية لوجب أن تسبق مع الجملة المضارعية بعدها بمصدر مؤول يكون خبراً للناسخ ، فيترتب على ذلك الإخبار بالمعنى عن الجثة ، وهو ممنوع - غالباً - . ففي مثل : عسى محمود أن يجود ، يقع المصدر المؤول من أن والمضارع وفاعله خبر « عسى » في محل نصب ؛ فيكون التقدير : عسى محمود جوده . فيقع « جود » - وهو أمر معنوي - خبراً عن « عسى » ، وهو في الحق خبر عن محمود ؛ لأن اسم عسى وخبرها أصلهما المبتدأ والخبر ، ولا يجوز أن يكون المبتدأ جثة وخبره أمراً معنوياً - غالباً - ولا يبيح ذلك ناسخ قبلها . وقال فريق آخر : لا مانع من اعتبار « أن » الداخلة في أخبار هذا الباب هي الناصبة المصدرية ، والمصدر المنسبك منها ومن المضارع مع فاعله - هو خبر الناسخ ؛ إما على سبيل المبالغة ، وإما على تقدير مضاف قبله ، أو قبل اسم الناسخ ، فيكون التقدير في المثال السابق : عسى محمود صاحب جوده ، أو عسى حال محمود جوده

هذا كلام السابقين . وخير منه أن تكون « أن » مصدرية ناصبة ويغتفر في هذا الباب كله الإخبار بالمعنى عن الجثة ؛ فنسريح من تكلف التأويلات البصرية السالفة ، كما نسريح من تكلف التأويلات الكوفية التي تجعل المصدر المؤول بدل اسم المرفوع السابق ، ويجعلون : « عسى » فعلاً تاماً معناه : « التوقع » . ففي مثل : عسى على أن يحضر . . . يكون التقدير : عسى على حضوره ، أى : يُتوقع على حضوره ، ويكون الغرض من « البدل » هو التفصيل بعد الإيهام الداعي للتشويق . والذي يمتنعنا من هذا كله هو أن التمييز السالف صحيح ، لا ضعف في استعماله ومحاكاته ، ولا يمتنعنا بعد هذا نوع التأويل الذي يأخذ به فريق دين آخر . (ولهذا إشارة في رقم ١ من هامش ص ٦٣٦) .

(٢) ومنه قول الشاعر :

فَأَبْتُ إِلَى «فَهْمٍ» وَمَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ

(أبت) رجعت (فهم) : اسم قبيلة . (تصفير) : أى : تخلو من كل شيء فيها . . . والنادر المسوع هو مجيء مفرداً . أما غيره وهو : - الجملة الماضية ، أو اللاحقة ، أو شبه الجملة - فلم يسمع عن العرب .

من المشتقات الأخرى - وهي محدودة هنا - أشهرها ثلاثة : مضارع للفعل « كاد » . ومضارع للفعل « أوشك » ، واسم فاعل له . نحو : يكاد^(١) العلم يكشف أسرار الكواكب - يوشك القمر أن يتكشف للعلماء - أنت موشك^٢ أن تنتهي إلى خير .

والأكثر أن تستعمل « كاد » و « كَرَبَ » ناسختين^(٣) . أما « أوشك » فيجوز أن تقع تامة ؛ بشرط أن تُسند إلى « أن » والفعل المضارع الذي فاعله ، أو نائب فاعله ، ضمير مستتر : نحو : القويّ أوشك أن يتعب ؛ فالمصدر المؤول من « أن » ، والفعل المضارع وفاعله في محل رفع ، فاعل « أوشك » التامة^(٤) ومثله قول الشاعر :
إذا المجدُّ الرفيع تواكلته^(٥) بناة السوء أوشك أن يضيعا^(٥)

وهي في حالة تمامها تلزم صورة واحدة لا تتغير ، مهما تغير الاسم السابق عليها ، فلا يتصل بآخرها ضمير رفع مستتر أو بارز : تقول : القويان أوشك أن يتعبا . والأقوياء أوشك أن يتعبوا . القوية أوشك أن تتعب . القويتان أوشك أن تتعبا . القويات أوشك أن يتعبن . . . بخلاف ما لو كانت ناقصة ؛ فيجب أن يتصل بآخرها ضمير رفع يطابق الاسم السابق : التذكير ، والتأنيث ، وفي الإفراد ، وفروعه : فتقول في الأمثلة السابقة : (أوشك) - (أوشكا) - (أوشكوا) - (أوشكت) - (أوشكتما) - (أوشكن) .

فإن وقع بعد المضارع المنصوب اسم مرفوع ظاهر نحو : أوشك أن يفوز القويّ - جاز في « أوشك » أن تكون تامة ، وأن تكون ناقصة^(٦) .

(١) ومثله قول الشاعر :

بنا من جوى الأحزان والوجدلوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب

(٢) عند وقوعهما تامتين لا يصح إسنادهما إلى « أن » والمضارع ؛ أي : لا يكون في الفصيح فاعلهما أو مرفوعهما مصدراً مؤولاً .

(٣) ويجوز - في هذا المثال - أن تكون ناقصة ، واسمها ضمير يعود على « القوي » ويبرها المصدر المؤول بعدها (انظر رقم ١ من الهامش السابق) .

(٤) اتكل بعضهم على بعض في إقامته وحراسته ، أو : أهملوه .

(٥) الألف زائدة في آخر المضارع ، للشعر .

(٦) فعلى اعتبارها تامة تكون كلمة : « القويّ » فاعلاً للمضارع ، والمصدر المؤول فاعلاً « لأوشك » .

وعلى اعتبارها ناقصة ، يكون الاسم الظاهر المرفوع : « القوي » ، اسمها ، طبقاً للرأى الآتي في رقم ٣ من هامش الصفحة التالية - والمصدر المؤول خبرها . ويجوز إعرابات أخرى .
وستجيء لهذا إشارة عند الكلام على أفعال الرجاء .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) « كاد » كغيرها من الأفعال في أن معناها ومعنى خبرها منى إذا سبقها نى ، ومثبت إذا لم يسبقها نى ، خلافاً لبعض النحاة ؛ فمثل : « كاد الصبي يقع » معناه : قارب الصبي الوقوع ، فقاربة الوقوع ثابتة . ولكن الوقوع نفسه لم يتحقق . وإذا قلنا : « ما كاد الصبي يقع » فعناه : لم يقارب الصبي الوقوع ؛ فقاربة الوقوع منتفية . والوقوع نفسه منى من باب أولى ، ومثل هذا يقال نى بيت الشاعر : إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكسِدْ إليه بوجه - آخر الدهر - تُقْبِلُ^(١)

(ب) تعد أفعال المقاربة من أخوات « كان » الناسخة - كما عرفنا^(٢) - ولكن أفعال المقاربة تختلف فيما يأتى :

- ١ - « أفعال المقاربة » لا بد أن يكون خبرها جملة مضارعية - فى الأصح - مسبقة بأن^(٣) الناصبة للفعل أو غير مسبقة - طبقاً للتفصيل السابق - وفاعل المضارع لا بد أن يكون فى الأرجح - ضميراً يعود على اسمها . وقد ورد رفعه السببى^(٤) فى حالات قليلة لا يحسن القياس عليها ، مثل قولهم : كاد الطلّال تكلمنى أحجاره .
- ٢ - خبرها لا يجوز أن يتقدم عليها .

(١) وقد قالوا فى بيت ذى الرمة :

إذا غيّرَ النَّائِيُ المحبين لم يَكْذُ رَسِيسُ الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ
إنه صحيح بليغ . لأن معناه : إذا تغير حب كل محب لم يقترب حوى من التغير ، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه . فهذا أبلغ من أن يقول : « لم يبرح » ؛ لأنه قد يكون غير بارح مع أنه قريب من البراح . بخلاف المنبر عنه بنى مقاربة البراح . (ريس الهوى : أوله وشدته) . وكذا قوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » . هو أبلغ من نى الرؤية من أن يقال لم يرها . لأن من لم ير ، قد يقارب الرؤية . بخلاف من لم يقارب : . . . (راجع الأشمبى ، والصبان) .

(٢) فى ص ٦١٥

(٣) إذا كانت الجملة المضارعة مسبقة بأن الناصبة فالخبر هو المصدر المنسبك . (المؤول) .

مجاراة للرأى الذى سبق فى رقم ١ من هامش ص ٦١٦ .

(٤) أى : الاسم الظاهر ، المضاف لتفسير اسمها - كما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٦١١ -

... ..
... ..

٣- إذا كان خبرها مقترناً «بأن» المصدرية لم يجوز - في الأشهر^(١) - أن يتوسط بينها وبين اسمها ، أما غير المقترن فيجوز كما في خبر «كان» .

٤- يجوز حذف خبرها إن عُلِمَ ، نحو : «من تأتَى أصاب أو كاد ، ومن عَجَلَ أخطأ أو كاد» ، وهو كثير في خبر «كاد» قليل في خبر «كان» ومع قلته جائز بالتفصيل الذي سبق في موضعه^(٢) . . .

٥- لا يقع فعل من أفعال المقاربة زائداً .

(>) يرى بعض النحاة أن أوشك « ليست من أفعال المقاربة ، وإنما هي من أفعال الرجاء التي سيجيء الكلام عليها في هذا الباب^(٣) ، مستشهداً ببعض أمثلة مأثورة تؤيده . ولا داعي للأخذ برأيه اليوم ، بعد أن شاع اتباع الرأي الآخر الذي يخالفه ، وتؤيده أيضاً شواهد فصيحة قديمة ، تسايروها أساليبنا الحديثة . وإنما ذكرنا الرأي الأول ليستعين به المتخصصون على فهم النصوص القديمة التي توافقه .

* * *

(١) في هذا الرأي المنسوب للشلوبين ومن معه - تضيق ، بالرغم من أنه الأنصح . وهناك رأى للمبرد ، والفارسي ، والسيّرائي ، ومن معهم - يبيح التوسط . وفي هذا الرأي تيسير ، وإزالة للفرقة بين الخبر المقرون بأن ، وغير المقرون بها ، ولكنه غير الأنصح .

وستجىء الإشارة لهذا في رقم ٤ من هامش ص ٦٢١ ورقم ٢ من هامش ص ٦٢٤ - .

(٢) ص ٥٨٢ .

(٣) ص ٦٢١ .

أفعال الشروع - معناها :

ما معنى كلمة : « شَرَعَ » و « أَخَذَ » في مثل : (شَرَعَ الْمُغْنِي يُجَرِّبُ صوته ، وَيُصْلِحُ عُوْدَهُ ، وَأَخَذَ يَوَائِمُ^(١) بين رَنَاتِ هذا ، وَفَغَمَاتِ ذاك) ... ؟

معنى : « شَرَعَ » أنه ابتدأ فعلاً في التجربة وبأشْر أولها حقيقة ، وكذلك معنى كلمة : « أَخَذَ » فهي تفيد أنه ابتدأ فعلاً في المواءمة والتوفيق بين الاثنين .

وكذلك في مثل : (أَعَدَّ الطَّعَامُ : فشرَعَ المدعوون يتوجهون إلى غرفته ، وأخذ كل منهم يجلس في المكان المهيأ له ..) أى : ابتدءوا في الذهاب إلى الغرفة حقيقة ، وبأشروا الانتقال إليها فعلاً ، كما ابتدءوا في الجلوس ومارسوه . ومرجع هذا الفهم إلى الفعل : « شرع » ، « وأخذ » فكلأهما يدل على ما سبق ؛ ولهذا يسميه النحاة : « فَعْلُ شُرُوعٍ » يريدون : أنه الفعل الذي يدل معناه على أول الدخول في الشيء^(٢) ، وَبَدَأَ التلبس به ، وبمباشرته .

وأشهر أفعال الشروع : شَرَعَ - أنشأ - طَفِقَ - أَخَذَ - عَلِقَ - هَبَّ - قام - هَلْهَلْ - جَعَلَ^(٣) . . .

عملها :

هذه الأفعال جامدة ؛ لأنها مقصورة على الماضي^(٤) ، إلا « طَفِقَ »^(٥) و « جعل » فلهما مضارعان . وعملها الدائم هو رفع المبتدأ ونصب الخبر - بشرط

(١) يلائم ويوفق (٢) أى : دخول الاسم في الخبر .

(٣) هذا الفعل قد يكون بمعنى الظن ، أو : التحويل ، فينصب مفعولين . وقد يكون بمعنى :

خَلَقَ ، وأوجد ؛ فينصب مفعولاً به واحداً ؛ كما سيحى في ج ٢ م ٦٠ باب « ظن وأخواتها » .

(٤) لما كانت هذه الأفعال الماضية دالة على الشروع ، كانت ماضية في الظاهر فقط ، ولكن زمنها للحال ، وزمن المضارع الواقع في خبرها مقصور على الحال أيضاً ؛ ليتوافقا فيتلأم معناها . ويقول النحاة : إن هذا هو السبب في عدم اقتران خبرها « بأن » المصدرية ؛ إذ « أن » المصدرية تخلص زمن المضارع للاستقبال ، وأفعال الشروع تدل على الزمن الحاضر فيقع التعارض بين زمنها

(٥) من باب . ضرب ، وعلم ، وقَرَح .

أن يكون المبتدأ صالحاً لدخول النواسخ^(١) عليه - فلا ترفع فاعلاً ، ولا تنصب مفعولاً ما دامت ناسخة ؛ فهي من أخوات « كان » الناقصة ؛ ولا تقع تامة^(٢) - في الأغلب - حين إفادتها معنى : « الشروع »

وإذا كانت للشروع فحكم خبرها ما يأتي :

- ١ - أن يكون جملة مضارعية الفاعل فيها أو نائبه ضمير .
- ٢ - أن يكون هذا المضارع غير مسبوق « بأن » المصدرية^(٣) - كالأمثلة السابقة - .
- ٣ - تأخير هذه الجملة المضارعية وجوباً عن الناسخ واسمه ، فلا يجوز أن تتقدم على عاملها (فعل الشروع) ولا أن تتوسط بينه وبين اسمه^(٤) .
- ٤ - جواز حذفها وهي خبر إن دل عليها دليل .

أفعال الرجاء^(٥) - معناها :

يتضح معناها من مثل : اشتد الغلاء ؛ فعسى الله أن يخفف حدته - زاد شوق الغريب إلى أهله ، فعسى الأيام أن تقرب بينهم - تطلّع الرحالة إلى كشف المجاهل ؛ فعسى الحكومة أن تهني له الوسائل . . .

ففي المثال الأول : رجاء وأمل في الله أن يخفف شدة الغلاء . وفي الثاني : رجاء وأمل أن تقرب الأيام بين الغريب وأهله . وفي الثالث كذلك : أن تعد الحكومة للرحالة الوسائل . . . ففي كل مثال رجاء وأمل في تحقيق شيء مطلوب

(١) لا يصح أن يكون اسمها شبه جملة - كما أضحنا - وقد سبق في هامش ص ٤٤٤ هـ المبتدأ الذي لا يصلح لدخول النواسخ .

(٢) بعض هذه الأفعال قد يكون للشروع دون أن يكون ناسخاً كالفعل « شرع » - راجع معناه في : كتاب « لسان العرب » .

(٣) للسبب الموضح في رقم ٤ من هامش ص ٦٢٠

(٤) هذا رأى الشلوين ومن معه ، وفيه تضيق . والأنسب الأخذ بالرأى الآخر الذي يبيح التوسط ، وهو منسوب للمبرد ، والسيرائي والفارسي - كما في رقم ٢٠١ من هامش ص ٦١٩ و ٦٢٤ - بالرغم من أن الأول هو الأنصح -

(٥) الرجاء أو الأمل ، معناه : الطمع في إدراك شيء محبوب ، مرغوب فيه ، وانتظار وقوعه ، وهو الرجاء المتوقع

يُفهم من الفعل المضارع مع مرفوعه ، والكلمة التي تدل على الرجاء والأمل هي : « عسى » . ولهذا تعد من أفعال الرجاء التي يدل كل فعل منها على : « ترقّب الخبر ، والأمل في تحققه ووقوعه » . (والخبر المرتقب هنا هو : ما يتضمنه المضارع مع مرفوعه ، كما سبق) .
ومن أشهر هذه الأفعال : عسى - حَرَى^(١) - اخلَوْلَاقَ^(٢) . . .

عملها :

هي أفعال ماضية في لفظها^(٣) ، جامدة^(١) ، الصيغة . والأغلب أنها ناسخة ترفع الاسم^(٤) وتنصب الخبر ، بشرط أن يكونا صالحين لدخول النواسخ^(٥) ؛ فهي من الأفعال الناقصة (أى : الناسخة) أخوات « كان » . ونحوها - في الأفصح - مضارع مسبوق : بأن^(٦) ، وفاعله ضمير ، لكن يجوز في خبر « عسى » أن يكون مضارعه غير مسبوق بأن ؛ نحو : عسى الأمن يدوم^(٧) . . . كما يجوز أن يكون فاعل هذا المضارع سببياً ، (أى : اسماً ظاهراً مضافاً للضمير اسمها) ؛ نحو : عسى الوطن يدوم عزّه .

(١٥١) في آخر الزيادة والتفصيل - ص ٦٢٩ - بيان عن : « حَرَى » وعن اشتقاقها وجمودها ، ومعانيها . . .

(٢) قد يدل بعض هذه الأفعال على الإشفاق ، وهو : الخوف من أمر مكروه ، ومنه ، (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) - كما سيجيء ، في « ب » من ص ٦٢٧ - وإذا وقعت « عسى ولعل » في كلام الله كان لها معنى آخر ؛ هو المذكور في رقم ١ من هامش ص ٦٣٦ . ولا تقع « ما » الزائدة بعد « عسى » التي معناها : الرجاء مطلقاً . كما سيجيء في رقم ٣ من هامش ص ٦٢٨ ورقم ٤ من آخر هامش ص ٦٦٤

(٣) هي ماضية في اللفظ ولكن زمنها هنا مستقبل ، إذ لا يتحقق معناها إلا في المستقبل ولذلك كان زمن المضارع الواقع في خبرها مستقبلاً فقط ، ليتوافقا .

(٤) ولا يصح أن يكون اسمها شبه جملة .

(٥) طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ١ من هامش ص ٥٤٤

(٦) صرح الصبان - في آخر باب : التعجب ، ج ٣ - بأنه لا يصح إحلال « أن » (مفتوحة الهمزة ، مشددة النون) محل « أن » ساكنة النون في خبر « عسى » . مع أن كلا منهما حرف مصدرى .

والظاهر أن الأمر يسرى على « عسى » وأخواتها .

(٧٧) انظر هامش ص ٤٧٩ و ص ٤٨٠ حيث الملاحظة الخاصة بصحة أن يكون خبر هذه

الأفعال معنى عن جثة . والبيان في رقم ١ من هامش ص ٦١٦ .

حكمها :

١ - يجب تقديم هذه الأفعال على معموليها ، فلا يصح تقديمهما معا ولا تقديم أحدهما ، عليهما .

٢ - يجب - في رأى دون آخر^(١) - تأخير الخبر المقرون « بأن » عن الاسم .

٣ - يجوز حذف الخبر للدليل .

٤ - الأغلب في استعمال هذه الأفعال أن تكون ناقصة - كما سبق - لكن يجوز في « عسى » ، « واخلوق » أن يكونا تامين ، بشرط إسنادهما إلى « أن » المضارع الذى مرفوعه ضمير يعود على اسم سابق على الفعلين ، دون إسنادهما إلى ضمير مستتر أو بارز ؛ فلا بد لتمامهما أن يكون فاعلهما مصدراً مؤولاً من « أن » وما دخلت عليه من جملة مضارعية ، ولا يصح في حالة تمامهما أن يكون فاعلهما ضميراً مطلقاً ، تقول : (الرجل عسى أن يقوم - الزرع اخلوق أن يفتح) ، فالمصدر المؤول في المثالين فاعل^(٢) وفي هذه الحالة لا يكون في « عسى » و « اخلوق » ضمير مستتر^(٣) . . .

وفي حالة التام تلتزم « عسى » وأختها صورة واحدة لا تتغير مهما تغير الاسم السابق ، فلا تلحقهما علامة تثنية ولا علامة جمع - لأن فاعلهما مذكور بعدهما - . . . نحو : الرجل عسى أن يقوم - الرجلان عسى أن يقوما - الرجال عسى أن يقوموا . . . وهكذا .

أما عند النقص في : « عسى » و « اخلوق » ، فلا بد أن يتصل بآخرهما اسمهما ، وهو ضمير مطابق للاسم السابق عليهما . فإن لم يتصل بهما ضمير ، وأُسْنَدتا إلى : « أن » والمضارع الذى مرفوعه ضمير ، فهما تامتان ، - كما سلف - والمصدر المؤول

(١) انظر رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية ، وب « من ص ٦٢٧

(٢) ويرى بعض النحاة في الثلاثة أن المصدر المؤول سد مسد معمولين ، فهي عنده - دائماً - أفعال ناقصة . وفي هذا الرأى تيسير .

(٣) وهذا التمام خاص بهما ، وبأوشك من أفعال المقاربة - كما سبق عند الكلام عليها في ص ٦١٧ - ولثلاثة بعض الأحكام الأخرى العامة وسيجيء في الزيادة ، ص ٦٢٦ .

فاعلهما، ففي حالة النقص نقول: الرجل عسى^(١) أن يقوم — الرجلان عسيا أن يقوموا — الرجال عسوا أن يقوموا — البنت عست أن تقوم — البنتان عستتا أن تقوموا — النساء عستين أن يقمن . . . و . . .^(٢)

فإن كان فاعل المضارع (أو نائبه) اسماً ظاهراً جاز في كل فعل منهما أن يكون تاماً، وأن يكون ناقصاً؛ فعند التام يكون المصدر المؤول من «أن» والمضارع مع مرفوعه الظاهر — فاعلاً للفعل التام. وعند النقص لا يكون الاسم الظاهر المتأخر مرفوعاً للمضارع، بل يصير اسماً للناسخ ويكون الخبر هو: المصدر المؤول من «أن» والمضارع مع مرفوعه^(٣) الفاعل، أو ما يغني عن الفاعل.

(١) يعتبر من ضمائر الرفع المتصلة بآخر الناسخ كل صميم مستمر وقع اسماً لذلك الناسخ.

— راجع رقم ٣ من هامش ص ٢١٩ —

(٢) انظر بعض الصور الجائزة في ص ٦٢٦ و «هـ»، ص ٦٢٨ ومنها بعض الصور والأحكام

الخاصة باستعمالات: «حرى»

(٣) وهذا الإعراب مبنى على رأى المبرد، والسيّرافى، والفارسي، وغيرهم من القائلين بجواز توسط الخبر بين فعل الرجاء واسمه. وفي الأخذ به توسعة وتيسير، دون رأى الشلوبين وغيره ممن يمتنعون التقديم، وإن كان المنع هو الأنصح. — وقد سبقت الإشارة لهذا في رقم ١ و ٣ من هامش صفحتي (٦١٧ و ٦١٩) وهناك إعرابات أخرى في الحالتين سيجيء بعضها في الزيادة، وفيما سبق يقول ابن مالك:

كَكَانَ «كَادَ» وَ «عَسَى» لَكِنْ نَدَرُ غَيْرُ مُضَارِعٍ لِهَذَيْنِ خَبَرٍ
وَ كَوْنُهُ بَدُونِ «أَنْ» بَعْدَ (عَسَى) نَزَرُ، وَ «كَادَ» الْأَمْرُ فِيهِ عَكْسًا

أى: أن «كاد» و «عسى» مثل: «كان» في العمل، — كلاهما يرفع الاسم وينصب الخبر؛ لأنهما من الأفعال الناقصة — ومن النزر، (أى: من القليل جداً) أن يكون خبرهما غير جملة مضارعية. ثم بين أن الجملة المضارعية الواقعة خبراً عن «عسى» — لا تخلو من «أن» المصدرية — فيكون المصدر المؤول هو الخبر — والعكس في الجملة المضارعية الواقعة خبراً عن «كاد». فالأكثر عدم اقترانها «بأن»، ثم قال:

وَ كَعَسَى «حَرَى». وَلَكِنْ جُعِلَا خَبَرَهَا حَتْمًا «بَدَنَ» مُتَّصِلًا
وَأَلْزَمُوا اخْلَوْلَى: «أَنْ» مِثْلَ: «حَرَى» وَبَعْدَ: «أَوْشَكَ» انْتِفَا: «أَنْ» نَزَرَا

يريد: أن «حرى» كعسى، كلاهما من أفعال الرجاء معنى وعملًا. غير أن «حرى» لا يخلو خبرها من «أن» المصدرية، فن ألزمت أن يتصل بها. وكذلك «اخلولق»؛ فقد «أوجبوا» اتصالها «بأن» مثل: «حرى». أما «أوشك» فيلزمها «أن»، وقد تحذف نادراً، ولا يقاس على هذا النادر، كما لا يقاس على النزر في كل ما سبق (هذا، والألف في آخر الفعل: «جعل — زائدة»). =

وكل هذا يصح في : « اخلولق » أيضاً^(١).

= ثم قال :

ومثل « كاد » في الأصح « كَرَبَا » وَتَرَكَ « أَنْ » مَعَ ذِي الشَّرْعِ « وَجَبَا »
كَأَنَّهُمَا السَّائِقُ يَحْدُو ، وَطَفِقَ كَذَا : « جَعَلْتُ » ، « وَأَخَذْتُ » و« عَلِقَ »
يريد : أن « كرب » مثل : « كاد » في معناها ، وهو : المقاربة ، وفي عملها ، وفي عدم اتصال
خبرها « بَأَنْ » في الأغلب . ثم عرض لترك « أَنْ » مَعَ ذِي الشَّرْعِ ؛ أى : مع الفعل صاحب الشرع - ؛
فأوجب الحذف ، وعد من أفعال الشرع ، أنشأ ، وطفق : وجعل ، وأخذ ، وعلق ، ومثل للأول
بقوله : أنشأ السائق يحدو ؛ أى : يُغْتَنَى .
ثم قال :

واستعملوا مُضَارِعًا «لَأَوْشَكَا » و« كَادَ » لَا غَيْرُ ، وَزَادُوا «مُوشَكَا »
أى : أفعال هذا الباب كلها جامدة ، ليس لها مشتقات ، إلا « كاد » فلها مضارع ، وإلا « أوشك »
فلها مضارع أيضاً . وقد ورد لها اسم فاعل قليلا حيث سمع : موشك ، ولا مانع من استعماله .
(١) وهذا هو ما قصد إليه ابن مالك بقوله :

بَعْدَ عَمَى ، اخلولق ، أَوْشَكَ ، قَدْ يَرَرْدُ غِنَى بِـ « أَنْ يَفْعَلَ » عَنْ ثَانٍ قُفِدَ
يريد « بَأَنْ يَفْعَلَ » كل جملة مضارعية ، مسبوقة بَأَنْ المصدرية ؛ فهو لا يريد « أَنْ يَفْعَلَ »
ذاتها ، وإنما يريد ما هو على صياغتها ونمطها ، فتستغنى بها تلك الأفعال الثلاثة عن الثاني اللازم لها ؛
وهو الخبر . فالمراد أنها تستغنى بالمصدر المؤول عن الخبر ، فلا تحتاج إليه ؛ فهي تكتفى بمرفوعها وتكون
تامة لا ناقصة .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

إذا وقعت « عسى » ومثلها : « اخلوق » و « أوشك » بعد اسم ظاهر مرفوع^(١) ، وليس بعدها في الجملة اسم ظاهر ولا ضمير بارز ؛ مثل : الصديق عسى أن يحضر — جاز أمران :

(١) أن تخلص « عسى » من ضمير مستتر فيها أو بارز ، فتكون تامة . فاعلها هو المصدر المؤول بعدها من « أن » والمضارع مع مرفوعه المستتر — كما سلف —^(٢) والجملة من « عسى » وفاعلها في محل رفع خبر المبتدأ الذي قبلها وهو : (الصديق) . ونحو : الحمدان عسى أن يتقدما . الحمدون عسى أن يتقدما . البنات عسى أن يتقدمن ...

(٢) أن تكون ناقصة ، فشتمل على ضمير — مستتر في بعض الحالات^(٣) ، أو بارز في غيرها — هو اسمها يعود على المبتدأ السابق عليها ، ويطابقه في التذكير والتأنيث ، وفي الإفراد وفروعه ، وخبرها هو المصدر المؤول من « أن » والمضارع مع مرفوعه المستتر أو البارز . والجملة منها ومن اسمها وخبرها في محل رفع خبر المبتدأ الذي قبلها^(٤) ؛ مثل : محمد عسى أن يحضر — الحمدان عسما أن يحضرا — الحمدون عسوا أن يحضروا — النساء عسين أن يحضرن ... — كما تقدم — .

أما إذا تأخر ذلك الاسم المرفوع بحيث يقع بعد المضارع المسبوق بأن المصدرية كما في المثال : عسى أن يحضر الوالد — فيجوز أربعة أوجه^(٥) .

الأول : أن يكون الاسم المتأخر مبتدأ (وهو مع تأخره في اللفظ متقدم في الرتبة) . « عسى » فعل ماض تام ، وفاعلها هو المصدر المؤول من « أن » ، ومن

(١) بأن كانت مسندة إليه مع مرفوعه .

(٢) في ص ٦٢٣ .

(٣) هي التي يكون فيها اسم الناسخ ضميراً للمفرد الغائب أو المفردة الغائبة

(٤) وإلى هذه الحالة ويشير ابن مالك بقوله :

وجردن « عسى » أو ارفع مضمرًا بها إذا اسم قبلها قد ذكرنا

(٥) ومع أن هذه الأوجه جائزة من الناحية الإعرابية فلكل منها معنى قد يختلف عن الآخر بعض

الاختلاف من الناحية البلاغية . والأوجه الأربعة إنما تجوز في غير الحالة : « ه » الآتية في ص ٦٢٨ .

المضارع مع مرفوعه المستتر ، والجملة من « عسى » وفاعلها في محل رفع خبر المبتدأ المتأخر .

الثاني : أن يكون الاسم المتأخر مبتدأ مع تأخره . « عسى » فعل ماض ناقص ، اسمها ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على المبتدأ ، المتأخر في اللفظ ، المتقدم في الرتبة ، ويطابقه ؛ وخبرها هو المصدر المؤول من « أن » والمضارع مع مرفوعه المستتر . والجملة من « عسى » واسمها وخبرها في محل رفع خبر المبتدأ المتأخر .

الثالث : أن تكون « عسى » تامة وفاعلها هو المصدر المؤول بعدها من « أن » والفعل المضارع مع مرفوعه ، ومرفوعه هو الاسم الظاهر بعده . (الوالد) .

الرابع : أن تكون « عسى » ناقصة واسمها هو : الاسم الظاهر المتأخر (الوالد) وخبرها هو المصدر المؤول من أن والفعل المضارع ومرفوعه المستتر .

وتشترك « اخلولق » و « أوشك » مع « عسى » في كل ما سبق من الحالات ^(١) . . .

(ب) سبق ^(٢) أنه لا يجوز في أفعال الرجاء أن يتقدم خبرها عليها ، كما لا يجوز ^(٣) - في رأى - أن يتوسط بينها وبين اسمها إن كان المضارع مقترناً « بأن » . ويجوز حذف خبرها للعلم به .

كما سبق عند الكلام على الصلة ^(٤) أن أفعال الرجاء لا تصلح أن تكون أفعال صلة ، إلا « عسى » طبقاً لما هو مدون هناك . .

، والأكثر في « عسى » أن تكون للرجاء . وقد تكون للإشفاق ^(٥) (أى : الخوف من وقوع أمر مكروه) ، مثل قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

(ح) إذا أسند الفعل : « عسى » لضمير رفع لتكلم أو لمخاطب جاز فتح

(١) انظر رقم ٢ من هامش ص ٦٢٣ ، ورقم ١ من هامش ص ٦٢٢ خاصاً بهذا الإعراب .

(٢) في ص ٦٢٣ .

(٣) وهذا على غير الرأى الذى أشرنا إليه في رقم ١ . (٤) في ص ٣٧٤ وهامشها .

(٥) كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٢ وكما يجيء في رقم ١ من هامش ص ٦٣٦ .

السين وكسرهما ؛ نحو : عَسَيْتَ^(١) أن أسلِّمَ من المرض ، وعَسَيْتَ أن تفوز بالغنى ، وعَسَيْتِما . . . وعَسَيْتِمْ . . . وعَسَيْنِ . . . بفتح السين أو كسرهما في كل ذلك ، — ونظائره . — والفتح أشهر^(٢) .

(د) في مثل : عساني أزورك — عساك تزورني ، عساه يزورنا . . . من كل تركيب وقع فيه بعد « عسى » الضمير : « الباء » أو « الكاف » أو « الهاء » وهي ضمائر ليست للرفع — تكون : « عسى حرفاً للرجاء^(٣) » ، بمعنى : « لعل » وتعمل عملها ، وهذا أيسر الآراء — كما سبق^(٤) — ، ويجوز اعتبار « عسى » من أخوات « كان » وهذا الضمير في محل رفع اسمها . ولا يكون كذلك في غير هذا الموضع والأفضل الإعراب الأول ، والاقتصار عليه أحسن .

(هـ) في مثل : عسى أن يتلطف الطبيب مع المريض — يوجب النحاة إعراب كلمة : « الطبيب » فاعلاً للفعل : « يتلطف » . ولا يجوزون أن تكون مبتدأ متأخراً ، ولا اسماً لعسى الناقصة ، ولا غير ذلك^(٥) ، وحجتهم في المنع أن إعرابها بغير الفاعلية للفعل : « يتلطف » يؤدي إلى وجود كلمة أجنبية في وسط صلة « أن » فمن الخطأ إعراب أن « مصدرية » « ويتلطف » مضارع منصوب بها ، وفاعله ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على « الطبيب » المتأخر في اللفظ ؛ دون الرتبة . وعلة الخطأ أن كلمة : « الطبيب » سواء أكانت مبتدأ متأخراً ، أم اسماً لعسى . . . قد

(١) وإسناده لهذه التاء التي هي ضمير — دليل من الأدلة التي يعتمد عليها أصحاب الرأي القائل بأن « عسى » فعل ماض ، وليست حرفاً . أما بقية أفعال هذا الباب فلا خلاف في أنها فعل .

(٢) وفي هذا يقول ابن مالك :

والفتح والكسر أجزء في السين ومنْ نحو : عَسَيْتُ ، وانتَقَا الفتح زُكُنْ

أي : أن الفتح والكسر جائزان في مثل : « عسيت » حين يتصل بها ضمير رفع لمتكلم ، أو مخاطب كما شرحنا ، « زكن » انتقاء الفتح (بمعنى : علم اختياره عن العرب) ، وأنه أفضل عندهم من الكسر .

(٣) وفي هذه الحالة لا تقع بعدها « ما » الزائدة لأن « ما » الزائدة لا تقع بعد عسى —

كما سيبي في آخر رقم ٤ من هامش ص ٦٦٤ وكما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٢

(٤) في رقم ٣ من هامش ص ٦٢٢ — وفي ب من ص ٢٤١ ، وستجىء لها إشارة في رقم ٢ من

هامش ص ٦٢٨ .

(٥) وهذه هي الحالة المستثناة التي أشرنا لها في رقم ٥ من هامش ص ٦٢٦ .

وقعت غريبة بين أجزاء صلة « أن » لأنها ليست من تلك الصلة ، وفصلت بين تلك الأجزاء . ولا يجوز الفصل بأجنبي في تلك الصلة .

ومثل هذا قالوا : في إعراب كلمة : « رَبَّ » ، في قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) . عند إعراب كلمة : « مقاماً » ظرفاً .

(و) من الاستعمالات الصحيحة وقوع اللفظ : « حَرَّى » اسماً منوناً مع ملازمته الإفراد والتذكير في جميع حالاته ؛ نحو : الصانع حَرَّى أن يُكْرَمَ — الصانعان حَرَّى أن يُكْرَمَا — الصانعون حَرَّى أن يكرموا — الصانعة حَرَّى أن تكرم — الصانعتان حَرَّى أن تكروا — الصانعات حَرَّى أن يُكْرَمْنَ ... ولفظ : « حَرَّى » في كل الاستعمالات السابقة مصدر ، معناه : جدير وحقيق ؛ فهو مصدر بمعنى الوصف .

والأحسن أن يكون مصدراً لفعل تام متصرف ليس من « أفعال الرجاء » هو الفعل : حَرَّى — يَحَرَّى — حَرَّى . وقد يجيء من هذا الفعل التام المتصرف وصف مشتق على : « حَرَّى » (وزان : غَنِيَّ) ، وعلى : حَرَّ (وزان : صَدَّ ، بمعنى ظَمآن) وهذان الوصفان هما صفتان مُشَبَّهَتَان ولا يلتزمان صيغة واحدة ، وإنما تلحقهما علامة التثنية ، والجمع ، والتذكير والتأنيث ، فيقال : المكافح حَرَّى أو حَرَّ أن يفوز — المكافحان حَرَيَّان ، أو حَرَيَّان أن يفوزا — المكافحون حَرِيُون أو حَرِيُون أن يفوزوا — المكافحة حَرِيَّة أو حَرِيَّة ... المكافحتان حَرِيَّتَان أو حَرِيَّتَان ... المكافحات حَرِيَّات أو حَرِيَّات ...

المسألة ٥١ :

الحروف الناسخة^(١) : « إن » ، وأخواتها .يراد بالحروف الناسخة - هنا - سبعة أحرف^(٢) لا خلاف في حرفيتها ، وهى :

- (١) { المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه . - إن المرءَ مخبوءٌ تحت لسانه .
الذفاقةُ وقايةٌ من المرض . - إن النظافةَ وقايةٌ من المرض . }
١ - إن ، بكسر
الهمزة ، مع
تشديد النون^(٣)
- (٢) { الغضبُ بلاءٌ على صاحبه . - ثبت أن الغضبَ بلاءٌ على
صاحبه .
العملُ وسيلةُ الرزقِ ... - عرفتُ أن العملَ وسيلةُ الرزقِ }
٢ - أن ، بفتح
الهمزة ، مع
تشديد النون^(٣)
- (٣) { الصمتُ حسنٌ ... - الصمتُ حسنٌ ، لكن
الكلامَ أحسنُ منه أحياناً .
الرياضةُ مفيدةٌ - الرياضةُ مفيدةٌ ، لكن
الإسرافُ فيها ضارٌ . }
٣ - لكن ،
بتشديد النون^(٣)
- (٤) { وجهُ القط كوجهِ الأسد . - كأنَّ وجهَ القط وجهُ أسدٍ
البردُ كالملح في الشكل . - كأنَّ البردَ ملحٌ . }
٤ - كأن^(٤) :
بتشديد النون^(٣)
- (٥) { الاستعمارُ زائلٌ . - لستَ الاستعمارَ زائلٌ .
الاستبدادُ صريعٌ . - لستَ الاستبدادَ صريعٌ . }
٥ - لست^(٥) .
- (٦) { الغائبُ قادمٌ . - لعلَّ الغائبَ قادمٌ .
الصديقُ وفى . - لعلَّ الصديقَ وفى . }
٦ - لعل^(٥) .
- (٧) { مُهمِّلٌ عمله خاسرٌ . - لا مهملاً في عمله كاسبٌ .
خائنٌ وطنه معذبٌ . - لا خائناً وطنه مطمئنٌ . }
٧ - لا - (وسيجىء
لها باب مستقل^(٦))

(١) تقدم معنى الناسخ - في أول باب : « كان » وأخواتها ص ٤٣٥ - وبيان ما لا يصح دخول الناسخ عليه .

(٢) يزداد عليها : « عسى » بشرط أن تكون للرجاء (أى : بمعنى : « لعل ») وبشرط أن يكون اسمها ضميراً لغير الرفع ، وقد سبق تفصيل الكلام عليها في أفعال الرجاء ص ٦٢١ - وعلى حرفيتها في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٢ وفى « ن ص ٦٢٨ » .

(٣) يجوز تخفيف النون في الحروف الأربعة : المختومة بالنون . سدة ، (وهى : إن - أن - كان - لكن) ويترتب على هذا التخفيف أحكام تنشأ عنه . وسيجىء ذكرها تفصيلاً في بحث خاص بها ، ص ٦٧٣ .

(٤) مع اعتبار الأداة كلها كلمة واحدة ، ولا التفات لما يقال عن أصلها : « الكاف ، وأن » (وهى) تختص « لست » و « لعل » دون أخواتهما بأنهما لا يكونان إلا في أسلوب إنشائي - كاسبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٧٤ ، وكما يجىء عند الكلام عليهما في رقم ٣١ من هامش ٦٣٥ - ولكن نوع الإنشاء

مهما اختلف فهو « طلبى » مع : « لست » و « غير طلبى » مع « لعل » . (٦) ص ٦٨٥

وكل واحد من هذه السبعة يدخل على المبتدأ والخبر بأنواعهما^(١) وأحوالهما ؛ فيتناولهما بالتغيير ؛ في اسمهما ، وفي شيء من ضبط آخرهما ؛ إذ يصير المبتدأ منصوباً ، ويسمى : اسم الناسخ ، ويبقى الخبر مرفوعاً ، ويسمى ؛ خبر الناسخ . - كالأثلة المذكورة^(٢) . - وفي جميع الحالات لا يصح أن يكون اسم الناسخ هنا شبه جملة ، كما لا يصح في أسماء النواسخ الأخرى .

ولكل واحد من تلك الحروف معنى خاص يغلب فيه ، فالغالب في « إن » و « أن » : التوكيد^(٣) وفي : « لَسَكِين » .

(١) انظر « الملاحظة » التي في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ ، وتختص بمنع وقوع « أن » بنوعها بعد « كان » و « إن » و « لا النافية للجنس » وكذلك لاتقع « ما المصدرية » بعد النواسخ الثلاثة السابقة . وهناك شرط يبيح الوقوع في بعض الصور السابقة

(٢) تختلف هذه النواسخ عن « كان » وأخواتها في أمور ثلاثة : أولاً : أن هذه النواسخ حروف : أما « كان » وأخواتها فهي الأفعال ؛ مثل : كان ، وأصبح ، وأضحى ومنها الحروف ، مثل : ما - لا - لات - إن ومنها الأسماء ، وهي المشتقات التي تعمل عمل تلك الأفعال .

ثانياً : أن هذه النواسخ تنصب الاسم وترفع الخبر . أما تلك فترفع الاسم ، وتنصب الخبر . ثالثاً : أن هذه الحروف لازمة التصدير ؛ (أى : لابد أن تكون في صدر جملة) إلا « أن » (المفتوحة الهمزة ، المشددة النون) ؛ فيجوز أن يسبقها شيء من جملتها ؛ - كما سيجيء في ص ٦٣٧ وفي « ب » من ص ٦٤٥ - ويجب أن تكون مع معموليها جزءاً في الإعراب من جملة أخرى . أما « كان » وأخواتها فليست لازمة التصدير

(٣) المراد : توكيد النسبة ، أى : توكيد نسبة الخبر للمبتدأ ، وإزالة الشك عنها أو الإنكار ؛ فكلا الحرفين في تحقيق هذا الغرض بمنزلة تكرار الجملة ، ويفيد ما يفيد التكرار ؛ ففي مثل : إن المال عماد العمران . . . ؛ تعنى كلمة « إن » عن تكرار جملة : « المال عماد العمران » ،

ومن الخطأ البلاغي استخدامها إلا حيث يكون الخبر موضع الشك أو الإنكار . والتأكيد بهما يدل على أن خبرهما محقق عند المتكلم ، وليس موضع شك . ولا يستعملان إلا في تأكيدات الإثبات . (انظر ما يقتضيه معنى التوكيد في « أن » - ص ٦٤٤ « أ »)

وقد تكون « أن » - مفتوحة الهمزة - للتبرجى مثل « لعل » في معناها ، وسيجيء الكلام على حكمها في رقم ٣ من هامش في ص ٦٣٧ .

وقد تكون « إن » - مكسورة الهمزة - بمعنى : « نعم » ، فتعتبر حرف جواب محض لا يعمل شيئاً ، كقول الشاعر :

قالوا: كبرت. فقلت: «إن»، وربما ذَكَرَ الكبيرُ شبابه فتطرباً
أى : فحزن - وقول الآخر :

ويقلنَ شيبٌ قد علا لك ، وقد كبرتَ . فقلت : إنه
الماء لسكرت .

ويجوز أن يقع المصدر المنسبك من « أن » (المفتوحة الهمزة ، المشددة النون) ومعموليها اسمي لأختها مكسورة الهمزة ، ولبقية الأحرف الناسخة . بشرط أن يتأخر ؛ ويتقدم عليه خبرها شبه جملة ، نحو : إن عندي أنك غلص ، و كان في نفسي أنك تشعر بهذا ، ولعل في خاطرك أنك أحب الأصدقاء إلى . . . = النحو الوافي - أول

الاستدراك^(١) ولا بد أن يسبقها كلام له صلة معنوية بمعنولها^(٢)، وفي: «كأن»: التشبيه^(٣)

= وهكذا. فالمصدر المؤول هو اسم للحرف الناسخ (كما سيحيى في «ب» من ص ٦٤٥)
بقى السؤال عن معنى: «ما» وإعرابها في قول الشاعر:

وإنَّا لِمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً على رأسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الفَمِ

والإجابة عن هذا موضحة مفصلة في ص ٥٥١ وفي رقم ٣ من هامشها.

(١) هو إبعاد معنى فرعى يخطر على البال عند فهم المعنى الأصل لكلام مسموع أو مكتوب، ومثال ذلك قولنا: «هذا غنى» فيخطر بالبال أنه محسن بسبب غناه. فإن كان غير محسن أسرعنا إلى إزالة الخطأ بمجىء ما يدل على ذلك، مثل كلمة: «لكن» وبعدها المعمولان، فنقول: «هذا غنى لكنه غير محسن». ومثل: «الكتاب رخيص»، فيقع في الخطأ أنه لا نفع فيه. فإن كان غير ذلك بادرنا بمجىء كلمة: «لكن» مع معنولها لإزالة هذا الوهم؛ فنقول: «الكتاب رخيص، لكنه كبير النفع...» وهكذا... فلا بد أن يكون قبلها كلام يتضمن معنى أصلياً يوحى بمعنى فرعى ناشئ منه وهذا المعنى الفرعى هو الذى يراد إبعاده بكلمة: «لكن»، ويعبر النحاة عن هذا بقولهم في «الاستدراك»: إنه: «تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه». وهذا يقتضى أن يكون المعنى بعدها مخالفاً للمعنى الفرعى الذى يفهم مما قبلها، ومغايراً له. وتقع بعد التثنية والإثبات. فإن كان المعنى الفرعى الناتج مما قبلها موجباً كان ما بعدها منفياً في معناه، وإن كان المعنى الفرعى قبلها منفياً في مضمونه كان المعنى بعدها موجباً، فوجودها ينشئ عن المغايرة والمخالفة بين معنى ما بعدها والمعنى الفرعى المفهوم مما قبلها. من غير حاجة إلى أداة نافية في أحدهما.

ولا يصح أن تكون الجملة الاسمية بعدها خبراً عن مبتدأ أو عن ناسخ قبلها - ولا غير خبر أيضاً - كما سنعرف في رقم ٢ -.

واستعمال «لكن» في «الاستدراك» هو الأعم الأغلب. ومن الجائز استعمالها في بعض الأحيان مجرد تأكيد المعنى، كما كان يستعملها النحساء؛ مثل: «لو اعتذر المسئء لئاسيت لئاساته؛ لكنه لم يعتذر» فهي هنا لتأكيد عدم الاعتذار، وهو مفهوم بدونها من كلمة: «لو» التى تفيد في هذا المثال نفي معنى الكلام المثبت بعدها.

ومن الآيات المشتملة على «لكن» قوله تعالى: «لكننا هو الله ربى» وأوضح الآراء فيها أن تقدير الكلام: لكن (بسكون النون) أنا هو الله ربى. فحذفت الهمزة تخفيفاً، وأدغمت النون في النون؛ فصارت: لكننا - (بنون مشددة بعدها ألف).

و «لكن» - مشددة النون - هى التى تعد من أخوات «إن» في العمل. أما: «لكن» مخففة النون (أى: الساكنة النون) فليست من أخوات «إن» ولا من النواسخ. بالرغم من أن معناها: «الاستدراك» أيضاً - كما سيحيى في ج ٣ باب العطف -

(٢) أى: لا بد أن تتوسط بين جملتين كاملتين، بينهما نوع اتصال معنوى، - لا إعرابى - بحيث تكون في صدر الثانية منهما، ولا يصح في الجملة الثانية المصدرة بها أن تقع خبراً - أو غيره - عن شيء سابق على «لكن»، كما أشرنا - في رقم ١ - أما ما ورد في كلام السابقين المولدين من نحو: فلان وإن كثر ماله - لكنه بخيل، أو: إلا أنه بخيل: فقد سبق بيان الرأى فيه (في ص ٤٥١).

(٣) المراد: تشبيه اسمها بخبرها فيما يشتهر به هذا الخبر. والتشبيه بها أقوى من التشبيه بالكاف؛ فثل: كأن الحمل فيل في الضخامة، أقوى في التشبيه من: «الحمل كالفيل في الضخامة». ولا يليها - في الغالب - إلا المشبه: أما «الكاف» و «مثل»... وأضرابها فيلها المشبه به في الأكثر، على الصورة التى فصلها اللسانيون في كل ذلك.
واستعمالها في التشبيه مطرد في سائر أحوالها عند جمهرة النحاة. ولكن فريفاً يقول: إنها لا تكون للتشبيه =

.....
.....

=إلا حين يكون خبرها اسماً أرفع من اسمها قدراً أو أحط منه ؛ نحو : كأن الرجل مملّك . أو : كأن اللص قرد . أما إذا كان خبرها جملة فعلية ، أو ظرفاً ، أو جاراً مع مجروره ، أو صفة من صفات اسمها - فإنها للظن ؛ نحو : كأن محموداً وقف ، أو عندك ، أو في الدار ، أو واقف . . لأن محموداً هو نفس الذي وقف ، ونفس المستقر عندك ، أو في الدار ، ونفس الواقف ... والشئ لا يشبه بنفسه . ويقول الذين يرونها للتشبيه باطراد : إنها في الأمثلة السابقة ونظائرها - جارية على أداء مهمتها الأصلية ؛ وهي : التشبيه باعتبار أن المشبه به مخوف ، فالأصل : كأن محموداً شخص وقف ، أو شخص عندك ، أو شخص في البيت ، أو شخص واقف . . أو اعتبار المشبه به هو نفس المشبه ، ولكن في حالة أخرى له . ولا مانع عندهم من تشبيه الشخص في حالة معينة - بنفسه في حالة أخرى تخالفها ؛ فيكون المراد : كأن محموداً في حاله وهو غير واقف شبيه بنفسه وهو واقف

والخلاف شكلي ، ولكن هذا الرأي أنسب لأنه عام ينطبق على كل الحالات ، ويريحنا من التشتيت ، والخلاف ، وتشعيب القواعد . والأخذ بهذا الرأي أو ذاك إنما يكون حيث لا توجد القرينة التي تعين المراد . فإن وجدت وجب الأخذ بها .

ومن الأساليب الفصيحة المسموعة قولهم : « كأنك بالفرج آت » وبالشقاء مقبل » . « وكأنك بالدنيا لم تكن » ، وبالأخرة لم تنزل » . وقد تعددت الآراء في المراد . ومنها في الأسلوب الأول : التعبير عن قرب مجيء الفرج ، وقرب إقبال الشتاء . وفي الثاني خطاب متجه إلى المحتضر : كأن الدنيا لم تكن (أي : لم توجد) أو : كأنك لم تكن بالدنيا ، لقصر المدة فيها في الحالتين ، وكأنك في الآخرة - تنوهم أنك لم تنزل عن الدنيا ولم تبارحها .

وتعددت كذلك في إعراب تلك الأساليب إعراباً يساير معنى واضحاً ؛ وما ارتضوه في الأسلوب الأول أن يكون معنى « كأن » هنا : التقريب . والكاف اسمها . وأصل الكلام : كأن زمانك آت بالفرج . ثم حذف الضاف ، وهو كلمة : « زمان » . أما الخبر فهو كلمة : « آت » مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة . والجار والمجرور : (بالفرج) متعلق بالخبر : (آت) . وبالشقاء - الواو حرف عطف ، والجار مع مجروره متعلق بكلمة : مقبل ؛ المعطوفة على كلمة « آت » السابقة ؛ فأصل الكلام : كأن زمانك آت بالفرج ، ومقبل « بالشقاء » .

وارتضوا في الأسلوب الأخير أن يكون الخبر محذوفاً فيهما . وجملة : « لم تكن » ، وكذلك جملة : « لم تنزل » في محل نصب ، حال . والأصل : كأنك تبصر بالدنيا حالة كونك لم تكن بها (لأنك تبصرها في لحظة مغادرتها) وكأنك تبصر بالأخرة في حالة كونك لم تنزل (أي : في حالة لم تنزل فيها عن الدنيا ، ولم تغادرها نهائياً) .

وهناك إعرابات أخرى كل منها يساير معنى معيناً ، فتختلف الإعرابات باختلاف المعاني التي يتضمنها كل أسلوب . (راجع حاشية الصبان ج ١ عند الكلام على : كأن) .

ولعل الإعراب الواضح الذي يساير معنى واضحاً في المثالين الأولين هو انراض أن أصلها : كأنك آت بالفرج ومقبل بالشقاء ، وهذا - مع مسايرته المعنى يفيد القرب الذي سبق الأسلوب شاهداً عليه . لأن مخاطبة دليل القرب .

ولا مانع من اعتبار : كأن للقرب أول التشبيه . فإن كانت للقرب فمعناها ظاهر ، وإن كانت للتشبيه فلنراد « كأنك شخص أو شيء آت بالفرج ، ومقبل بالشقاء . فالمشبه به مخوف . وعلى هذا أو ذاك =

... ..
... ..
= تعرب «الكاف» اسمها ، و«آت» خبرها . و«الفرج» جار ومجرور متعلق بالخبر . و«مقبل» «الواو»
حرف عطف «مقبل» معطوف على : «آت» . و«ب» «الثناء» جار ومجرور متعلق بكلمة : «مقبل»
وما يقولونه في تأييد إعرابهم المخالف مردود وضعيف .. (كالأنى ورد في المغنى والتصريح وحواشيا عند
الكلام على : كأن) .

كما يصح في المثال الأخير : اعتبار كلمة «كأن» للتشبيه (تشبيه المخاطب في هذه الحالة بنفسه
في حالة أخرى ؛ فالشبه والمشبه به شخص واحد ، ولكن في حالتين مختلفتين ، وهذا أمر جائز عندهم ،
— كما أسلفنا — . أى : كأنك في حالة وجودك بالدنيا شبه نفسك في حالة عدم وجودك بها .) فالكاف
اسمها ، والجار والمجرور ؛ (بالدنيا) متعلق بالفعل : «تكن» فكلمة : «لم» حرف جزم . «تكن»
تامة بمعنى «توجد» فعل مضارع مجزوم بها . والفاعل : أنت ، والجملة في محل رفع خبر : «كأن» .
(فالمراد : كأنك عند الاحتضار لم توجد بالدنيا ، فأنت في حالتك هذه تشبه نفسك في حالة عدم وجودك
فيها ؛ فالحالتان سياتن) . و«بالآخرة» الواو حرف عطف . الجار والمجرور حال مقدم من الضمير فاعل
الفعل المضارع : «تزل» المجزوم بالحرف : «لم» (فالمراد : كأنك لم توجد بالدنيا ولم تزل عنها
في حالة وجودك بالآخرة ؛ لأنك على بابها . والجملة الفعلية الثانية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة) .
ويرى فريق آخر قصر التشبيه في : «كأن» على الحالة التى يكون فيها خبرها جامداً ؛ مثل :
«كأن البخيل حجر» . أما في غيره فهى للتحقيق ، أو : التقريب ، أو الظن . . . ومن أمثلة
التحقيق عندهم قوله تعالى : (وئى كأنه لا يقلح الكافرون) ، إذ المعنى هنا محقق قطعاً . ولا مجال
فيه للتشبيه . ومثله قول الشاعر المتفزل :

كأننى حين أمسى لا تكلمنى متيممً أشتهى ما ليس موجوداً

وهذا رأى حسن ولكن جمهورهم لا يخرجونها عن التشبيه ، وحجتهم ما ذكرنا من أن المشبه به قد يكون
مخوناً . وقد يكون هو المشبه أيضاً ، ولكن في حالة أخرى كما سبقت الإشارة ؛ ففى مثل : «كأن علياً
يلعب» يكون المراد : كأن علياً شخص يلعب ، أو : كأن علياً في حال عدم لعبه يشبه علياً في حالة لعبه .
أى : كأن هيئته في غير لعبه كهيئته في اللعب (راجع الجزء الأول من المصع ص ١٣٣) ، وقد قلنا :
إن الأخذ بهذا الرأى أحسن عند عدم القرينة ، إبعاداً للخلاف ، واختصاراً نافعاً في القواعد . أما مع
القرينة فلا ، كالأية . والتأويل في الآية — ونظائرها — عسير ، لأن القرينة تدل على أنها للتحقيق
قد يكون أصل المضارع في : (كأنك في الدنيا لم تزل . . .) هو : «يزول» من «زال» التامة ،
بمعنى : فنى وذهب . فالزأى مضمومة . وقد يكون أصله : «يزال» ؛ من : «زال» ، يزال «الناسخة
مثل : لا يزال الحر مكمراً» ، بمعنى : بق واستمر ، فالزأى مفتوحة . والمعنى منها يخالف ما سبق ،
بعد ، أى : أن الآخرة باقية خالدة تنتظر .

شروط إعمال هذه الأحرف الناسخة^(١) :

(١) يشترط لإعمالها ألا تتصل بها : « ما » الزائدة^(٢) ، فإن اتصلت بها « ما » الزائدة^(٣) - (وتسمى : « ما » الكافّة)^(٤) - منعتها من العمل ، وأباحّت دخولها على الجمل الفعلية بعد أن كانت محتصة بالاسمية . إلا : « ليت » فيجوز إعمالها وإعمالها^(٥) عند اتصالها بكلمة : « ما » السالفة ولا تدخل على الجمل الفعلية ؛ فيجب الإهمال في مثل : إنما الأمين صدق^(٥) . ولكنّا الخائن عدو ، وفي مثل قول الشاعر يصف حصاناً ببياض وجهه ، وسواد ظهره :

وكانما انتفجر الصباح بوجهه حسناً ، أو احتبس الظلام بيمتنيه^(٦)

(١) يشترط في اسمها وخبرها ما يشترط في اسم كان وخبرها مما تقدم ذكره من شروط عامة في ص ٥٤ مع ملاحظة مايجي هنا من فروق قليلة بين النوعين ومن شروط أخرى لا بد منها لإعمال «إن» وأخواتها وينفرد خبر «لعل» بجزأ تصديره « بأن » المصدرية ؛ نحو : لعل أحدكم أن يسارع في الخيرات فيلقى خير الجزاء . . . (ولا مانع في هذه الحالة أن يقع المعنى خبراً عن الذات كوقوعه خبراً ليمسى . . . وقد سبق الكلام عليها في باب أفعال المقاربة رقم ١ من هامش ص ٦١٦) .

وإذا وقعت « لعل » أو « عسى » في كلام الله تعالى لا يكون معناها الرجاء ، أو الإشفاق ؛ لاستحالة ذلك عليه . وإنما يكون معناها التحقيق والقطع حيناً ، وحيناً الرجاء أو الإشفاق منسوباً إلى الذي يدور بصدده الكلام ، لا إلى المولى جل شأنه . (ولهذا إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٢) .

(٢) يشترط أن تكون « ما » حرفاً زائداً يمنع هذه الحروف الناسخة من العمل . فإن لم يكن حرفاً زائداً لم يمنعها مثل « ما » الموصولة في نحو : إن ما في القفص بلبل . (أى : إن الذي في القفص بلبل) ومثل « ما » الموصوفة في نحو : إن مامطيعاً نافع ، أو إن مايطيع نافع ، (أى : إن شيئاً مطيعاً أو يطيع - نافع .) فكلية : « ما » في المثاليين ليست كافّة (أى : ليست مانعة للحرف الناسخ عن العمل) ، ويجب فصلها في الكتابة منه . بخلاف الزائدة ، فيجب وصلها بآخره في الكتابة . ولا تدخل « ما » الزائدة « على » عسى » التي قد تكون حرفاً كهذه الأحرف الناسخة .

(٣) لأنها كفت^(٧) (أى : منمت) الحرف الناسخ من العمل ولذا يكتب بعض القدماء في إعراب مثل : «إنما» بقوله : « كافّة ومكفوفة » يريد : أن « ما » الزائدة « كفت » الناسخ عن العمل ، وكفت نفسها كذلك عن أن تكون « موصولة أو موصوفة . . » واقتصرت على أن تكون مهملة زائدة . أو : أنها كفت الحرف الناسخ . وهو قد كنهها أيضاً أن تكون نوعاً آخر غير الزائدة .

(٤) وفي هذا يقول ابن مالك في بيت سيجي في ص ٦٦٤ .

ووصل « ما » بذى الحروف مبطل إعمالها . وقد يُبقى العمل

أى : أن اتصال « ما » الزائدة بهذه الحروف يبطل عملها . وقد يبقى العمل - اختياراً - في « ليت » وحدها دون أخواتها ، في الرأي الأحسن .

(٥) وقول الشاعر :

إنما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن وعى

وقوله تعالى : من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . . .

إذا اتصلت - ما - الزائدة بأحد الحرفين الناسخين : « إن » أو « أن » ، منعتها من العمل ، وصار كل واحد منهما بعد هذه الزيادة أداة من أدوات الحصر ؛ تزيد تأكيد المعنى قوة ووضوحاً . . . (وقد سبقّت الإشارة الموضحة في رقم ٤ من ص ٤٩٥) مثل : إنما أنت كبير الهمة ، أو : عرفت أنما أنت كبير الهمة ؛ فقد قصرنا المخاطب على صفة معينة ؛ هي كبر الهمة ؛ وحصرنا أمره فيها . وتأويل « أن » (المفتوحة الهمة المشددة النون) مع معمولها بمصدر مؤول تختفي عند ظهوره لا يمنع من إفادتها الحصر عند اتصالها بما الزائدة ، لأن إفادة الحصر تم قبل التأويل وسبب المصدر . (٦) بظهره .

ويجوز الأمران مع : « ليت » مثل : ليتما على حاضر ، أو : ليتما عليّ حاضر ، وهي في الحالتين مختصة بالجمل الاسمية .

(ب) يشترط في اسم هذه الأحرف شروط ، أهمها :

ألا يكون من الكلمات التي تلازم استعمالاً واحداً ، وضبطاً واحداً لا يتغير ؛ كالكلمات التي تلازم الرفع على الابتداء ، فلا تخرج عنه إلى غيره ؛ ككلمة : « طوبى » وأشباهاها^(١) - في مثل : طوبى للمجاهد في سبيل الله . - فإنها لا تكون إلا مبتدأ .

وأيضا لا يكون من الكلمات الملازمة للصدارة في جملتها ، إما بنفسها مباشرة ، كأسماء الشرط ، و : « كم » . . . ، وإما بسبب غيرها^(٢) ؛ كالمضاف إلى ما يجب تصديره ؛ مثل : صاحب من أنت ؟ . فكلاهما لا يصلح اسما لحرف ناسخ .

والسبب : هو أن هذه الحروف الناسخة ملازمة للصدارة في جملتها (ما عدا « أن »)^(٣) فإذا كان اسم واحد منها ملازماً للصدارة وقع بينهما التعارض . ولهذا كان من شروط إعمالها - أيضاً - أن يتأخر اسمها ونحوها عنها .

وأيضا لا يكون اسمها في الأصل مبتدأ واجب الحذف ؛ كالمبتدأ الذي خبره في الأصل نعت ، ثم انقطع عن النعت إلى الخبر^(٤) ؛ نحو :

(١) لهذه الكلمات بيان في رقم ١ من هامش ص ٥٤٢ - أول باب : « كان » وأخواتها ومثلها بعض الكلمات التي تلازم النصب على المصدرية ، أو على غير المصدرية
(٢) مما مريانه في رقم ١ من هامش ص ٥٤٤ .

(٣) إذا كانت « أن » للترجي - أي : مثل : « لعل » التي تفيد هذا المعنى - وجب ما يأتي : أن تلازم صدر جملتها ، وأن تكون الجملة في هذه الصورة اسمية حتماً ، ولا يصح اعتبار « أن » حرفاً مصدرياً يؤول مع معموليه بمصدر مفرد . كما لا يصح - وهي بمعنى : « لعل » - أن يتقدم عليها أحد معموليها ، ولا معمول أحدهما - وقد سبق توضيح هذا في رقم ٥ من ص ٥٠٤ ويحيى له إشارة في « و » من ص ٦٤٨ -

(٤) سبق أن أوضحنا المراد بالنعت المقطوع وسببه . - في ص ٥١٠ ، وسيجيء تفصيل الكلام عليه في الباب الخاص بالنعت - ويستثنى من المبتدأ الواجب الحذف ضمير الشأن في مثل : « إن من يرض عن الشريك سوء الجزاء » ؛ إذا الأصل : إنه من يرض . . . أي : إنه الحال والشأن (وقد تقدم الكلام على ضمير الشأن ص ٢٥٠) فهذه الهاء في الأصل نائبة عن مبتدأ ، هو : الحال والشأن . ولا يصح أن تكون كلمة « من » اسم « إن » لأن « من » شرطية ؛ والشرط له الصدرة ، فلا يسبقه ناسخ ، هذا إلى أن المضارعين بعدها مجزومان .
وشله قول الشاعر :

إِنَّ مِنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً

أي : إنه من يدخل يلقى

وحذف ضمير الشأن في هذا الباب كثير بقريئة تدل عليه وعلى المراد ؛ (كما هو مشروط عند كل حذف) ومنه الحديث . . . إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون . أي : إنه . . .

عرفت محموداً العالم^(١).

(ح) ويشترط في خبرها ألا يكون إنشائياً^(٢)، (إلا الإنشاء المشتمل على : « نعم » و « بشئ » وأخواتهما من أفعال المدح والذم) فلا يصح : إن المريض ساعده . وليت البائس لا تهنه . . . ويصح : إن الأمين نعم الرجل ، وإن الخائن بشئ الإنسان .

(د) وكذلك يشترط في خبرها إذا كان مفرداً أو جملة - أن يتأخر عن اسمها ؛ فيجب مراعاة الترتيب بينهما في هاتين الحالتين ؛ بتقديم الاسم وتأخير الخبر ، نحو : إن الحق غلاب - إن العظام كفوها العظماء - إن كبار النفوس ينفرون من صغائر الأمور^(٣) . . . وقول الشاعر :

إن الأمين - إذا استعان بخائن - كان الأمين شريكه في المائم
فلو تقدم الخبر لم تعمل ، بل لم يكن الأسلوب صحيحاً . وهذا الشرط يقتضي عدم تقدمه على الناسخ من باب أولى .

أما إذا كان الخبر غير مفرد وغير جملة ، بأن كان شبه جملة : (ظرفاً أو جاراً مع مجروره) . فيجوز أن يتقدم على الاسم فقط ، فيتوسط بينه وبين الحرف الناسخ عند عدم وجود مانع^(٤) : نحو ؛ إن في السماء عبرة^(٥) ، وإن في دراستها

(١) برفع كلمة : « العالم » على أنها خبر مبتدأ محذوف . وكانت في الأصل نعتاً ثم تركته ، وصارت خبراً ؛ إذا الأصل « عرفت محموداً العالم » ينصب العالم على أنها صفة ، ثم قطعت عن النعت إلى الخبر للأسباب التي أشرنا إليها في ص ٥١٠ .

(٢) سوء أكان الإنشاء طلباً أم غير طلب (راجع رقم ٢ من هامش ص ٣٧٤ ويجوز في خبر « أن » المخففة أن يكون جملة دعائية - كما سيبيء في ص ٦٧٨ - كقراءة من قرأ بتخفيف النون (أى : تسكينها) ، قوله تعالى : (والخامسة أن غفب الله عليها) ويقول « الرضى » : (لا أرى مانعاً من وقوع الجملة الطلبية خبراً عن « إن » و « لكن » مع قلته .) ولاداعي للأخذ بالرأى القليل هنا .

(٣) ومثل هذا قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

(٤) ولين الأمثلة قوله تعالى : (إن علينا لكهدى . وإن لنا للأخرة والأولى) . وقوله تعالى : (إن لدينا أنكالا وجحيماً) وجاء في الأشرفي مانعه : (قال في العمدة : ويجب أن يقدر العامل في الظرف بعد الاسم كما يقدر الخبر وهو غير ظرف) اه . . . والمفهوم أن المراد بالظرف ما يشمل الجار ومجروره . فالمراد هنا : شبه الجملة بنوعيه .

(٥) فيما سبق يقول ابن مالك في باب عنوانه : إن إخوانها :

لأن ، أن ، ليت ، لكن ، لعل ، كأن - عكس ما لكان من عمل -
كان زيدا عالم يائي كفاء ، ولكن ابنه ذو ضغن
يقول : لإن - وما تبعها من الحروف المذكورة بعدها - عكس ما ثبت من العمل لكان وأخوتها
« فكان » ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الحروف تعمل عكسها : تنصب الاسم وترفع الخبر ، ووضح هذا =

عجائب . وقول الشاعر :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةِ فَضْلٍ مِنَ الْكِرَمِ
ومثل : إن هنا رفاقاً كراماً ، وإن معنا إخواناً أبراراً . وقولهم في وصف
رجل : « كَانَ وَاللَّهِ سَمَحًا سَهْلًا مَحْبُوبًا ، كَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبًا ، أَوْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ سَبَبًا » . فإن وُجِدَ مانع لم يجوز تقدمه ؛ كوجود لام الابتداء في
الخبر ؛ نحو : إن الشجاعة لفي قول الحق : حيث لا يجوز تقديمه وفيه لام الابتداء ^(١) . . .
وهناك حالة يجب فيها تقديمه ؛ هي : أن يكون في الاسم ضمير يعود على شيء
في الخبر شبه الجملة ؛ مثل : إن في الحقل رجاله ، وإن في المصنع عماله .
ومثل : إن أمام الدار حارسها ، وإن عند الزرع صاحبته . فاسم الناسخ (رجال
وعمال ، وحارس ، صاحب) مشتمل على ضمير يعود على بعض الخبر ^(٢) ؛
(أى : على الحقل ، والمصنع ، والدار ، والزرع) ، ولو تأخر الخبر لعاد ذلك الضمير
على متأخر في اللفظ وفي الرتبة معاً ، وهو ممنوع هنا ^(٣) .

= بأمثلة في البيت الثاني ، هي : إن زيدا عالم بأني كفاء ، ولكن ابنه ذو ضغن (أى : حقد) فعرض أمثلة
لحروف ثلاثة ؛ هي : إن ، أن ، لكن ...

هذا ويتردد في كلام النحاة القدماء - وغيرهم - اسم « زيد » « عمرو » « بكر » « خالد » ، وهي أسماء
عربية صحيحة ، ولكنها شاعت في استعمالاتهم حتى صارت مبتذلة فيحسن العدول عنها في استعمالنا قدر
استطاعتنا ، كما أشرنا لهذا كثيراً . ثم قال :

وراعِ ذا الترتيبَ . إلا في الذي كَلَيْتَ فيها ، أو : هنا - غير البذِي

يريد : أن مراعاة هذا الترتيب الوارد في أمثله بين المعملين أمر واجب ؛ فيتقدم الاسم ويتأخر الخبر
وجوباً إلا في مثل : ليت فيها غير البذِي (أى : البذِي ؛ وهو : الوقع) ومثل : ليت هنا غير البذِي ؛ من
كل تركيب يقع فيه خبر إن وأخواتها ظرفاً أو جاراً مع مجروره . وقد اقتصر على بيان هذه الحالة التي يجوز
فيها التقديم ، ولم يذكر تفصيل المواضع التي يجب فيها التقديم والتي يجب فيها التأخير ، وقد ذكرناها
(١) ومن الموانع أن يكون الحرف الناسخ هو « عني » (التي بمعنى : لعل) أو الحرف : « لا » -
كما سيأتي في بابها ص ٦٩٠ - فلا يجوز تقديم خبر هذين الحرفين مطلقاً .

(٢) لأن الخبر هو الجار مع مجروره ، والضمير عائد على المجرور وحده ؛ فهو عائد على بعض
الخبر - كما سبق أن أوضحناه .

(٣) وهناك حالة أخرى يجب فيها تقديم خبر أن (المفتوحة الهمزة المشددة النون) ستجيء في :
« ب » من ص ٦٤٥ .

وإذا وقع المصدر المؤول من « أن مع معموليها » مبتدأ ؛ وكان تأخير خبره في هذه الصورة مؤدياً
إلى اللبس ، وجب تقديم هذا الخبر ؛ مثل : عندي أنك فاضل .

أما سبب اللبس وما يترتب عليه فقد تقدم في رقم ٥٠٤ من ص ٥٠٤ حيث مواضع تقديم خبر المبتدأ وجوباً .

وبما تقدم نعلم أن للخبر — في هذا الباب — ثلاثة أحوال من ناحية تقديمه ، أو تأخيره على الاسم .

الأولى : وجوب تأخيره إذا لم يكن شبه جملة .

الثانية : وجوب تقديمه إذا كان شبه جملة ، وكان الاسم مشتملا على ضمير يعود على بعض شبه الجملة ، (أى : على بعض الخبر) .

الثالثة : جواز الأمرين إذا كان شبه جملة ، — غير ما سلف — ولم يمنع من التقديم مانع .

أما معمول الخبر (مثل : إن المتعلم قارئ كتابك ، وإنه منتفع بعلمك ،) فلا يجوز تقدمه على الحرف الناسخ ، لكن يجوز تقدمه على الخبر ، وحده ، فيتوسط بينه وبين الاسم ؛ سواء أكان معمول شبه جملة ، أم غير شبهها ، فتقول : إن المتعلم — كتابك — « قارئ » ، وإنه — بعلمك — منتفع . ففي الجملة الأولى تقدم على الخبر وحده معموله الذى ليس بشبه جملة (وهو : كتابك) ؛ وفي الثانية تقدم على الخبر معموله شبه الجملة : (وهو الجار والمجرور : « بعلم ») .

كما يصح تقديم معمول الخبر على الاسم والتوسط بينه وبين الناسخ في حالة واحدة ، هى : أن يكون معمول شبه جملة ؛ نحو : إن في المهد الطفل نائم — إن بيننا الودَّ راسخ .

* * *

ويؤخذ من كل ما سبق :

١ — أنه لا يجوز أن يفصل بين الحرف الناسخ واسمه فاضل إلا الخبر شبه الجملة الذى يصح تقديمه ، أو معمول الخبر إذا كان معمول شبه جملة أيضاً .

٢ — وأنه لا يجوز أن يتقدم على الحرف الناسخ اسمه ، أو خبره ، أو معمول أحدهما .

* * *

زيادة وتفصيل :

(ا) قد يحذف الحرف الناسخ مع معموليه أو أحدهما ، ويظل ملحوظاً تتجه إليه النية ؛ كأنه موجود . وأكثر ما يكون الحذف في إن (المكسورة الهمزة ، المشددة النون^(١)) ، ومن أمثلة الحذف في أن (مفتوحة الهزرة مشددها النون) ، قوله تعالى : (أين شركائى الذين كنتم تزعمون . . .) بناء على أن التقدير : تزعمون أنهم شركائى . وقد تحذف مع الخبر ويبقى الاسم ، وقد تحذف وحدها ويبقى اسمها وخبرها ، وقد يحذف أحدهما فقط^(٢) ، وكل ذلك مع ملاحظة الحذف ولا يصح شيء مما سبق إلا إذا قامت قرينة تدل على المحذوف مع عدم تأثير المعنى بالحذف ، وهذه قاعدة لغوية عامة أشرنا إليها من قبل^(٣) ؛ هي : (جواز حذف ما لا يتأثر المعنى بحذفه . بشرط أن تقوم قرينة تدل عليه) .

وقد يجب حذف خبر « إن »^(٤) إذا سدت مسددة واوالمعية ؛ نحو : إنك وخيراً ، أى : إنك مع خير ، أو سد مسدده الحال ؛ نحو ؛ قول الشاعر :

إن اختيارك ما تبغيه ذا ثقة بالله مستظهيراً بالخزم والحد
أو مصدرأ مكرراً ؛ نحو : إن القافلة سيراً سيراً .

وتختص : « ليت » بالاستغناء عن معموليها ، وبأحكام أخرى سبقت شروطها وتفصيلاتها . عند الكلام عليها - فى هامش ص ٦٣٥ -

(ب) الأنسب الأخذ بالرأى القائل يجوز تعدد الخبر فى هذا الباب على الوجه الذى سبق لإيضاحه فى تعدد خبر المبتدأ^(٥) ؛ لأن التعدد هنا وهناك أمر تشتد إليه حاجة المعنى أحياناً .

(ح) من العرب من ينصب بهذه الحروف معمولين ؛ كما تنطق الشواهد الواردة به . لكن لا يصح القياس عليها فى عصرنا ؛ منعاً لفوضى التعبير والإبانة ، وإنما نذكر رأيهم - كمعادتنا فى نظائره - ليعرفه المتخصصون فيكشفوا به ، - فى غير حيرة ولا اضطراب - ما يصادفهم من شواهد قديمة وردت مطابقة له ، مع ابتعادهم عن محركاتها .

* * *

(١) راجع الأمثلة فى هامش ص ٦٦٥ وما بعدها وكذا فى ج ٨ ص ٨٥ من شرح المفصل . وفى حاشية الألبانى على شرح القطر ج ١ ص ٢٦٨ (٢) فى رقم ١ من هامش ص ٦٣٥ .
(٣) هذا التقييد فى الحذف الواجب بأنه خبر إن لم يذكره صاحب « الممع » بالرغم من أن الأمثلة التى ذكرها المحذف هى خبر « إن » والأحسن التقييد .
(٤) ص ٥٢٨ .

المسألة ٥٢ :

فتح همزة « إن » وكسرها .

لهمزة « إن » ثلاثة أحوال ، وجوب الفتح ، وجوب الكسر ، وجواز الأمرين .

الحالة الأولى :

يجب فتحها في موضع واحد ، هو : أن تقع مع معموليها جزءاً من جملة مفتقرة إلى اسم مرفوع ، أو منصوب ، أو مجرور ، ولا سبيل للحصون على ذلك الاسم المطلوب إلا من طريق مصدر منسبك من « أن » مع معموليها . ففي مثل : (شاع أن المعادن كثيرة في بلادنا - سرفى أنك باراً أهلك) ... لا نجد فاعلاً صريحاً للفعل : « شاع » ولا للفعل : « سرفى » مع حاجة كل فعل للفاعل . ولا وسيلة هنا للوصول إليه إلا بسبك مصدر مؤول من : « أن » مع معموليها ؛ فيكون التقدير شاع كثرة المعادن في بلادنا - سرفى ببرك أهلك^(١) . وكذلك الفعل : « زاد » في قول القائل :

القد زادني حباً لنفسى أننى بغض إلى كل امرئ غير طائل^(٢)

وفي مثل : (عرفت أن المدن مزدحمة - سمعت أن البحار ممتلئة بالأحياء) . . .

نجد الفعل : « عرف » محتاجاً لمفعول به ، وكذلك الفعل : « سمع » . فأين المفعولان ؟ لا نتوصل إليهما إلا بسبك مصدر من : « أن » مع معموليها ؛ فيكون التقدير : عرفت ازدحام المدن - سمعت امتلاء البحار بالأحياء .

وفي مثل : (تأملت من أن الصديق مريض - فرحت بأن العربي مخلص)

للعروبة) . . . ، نجد حرف الجر : « مِن » ليس له مجرور ، وكذلك حرف الجر : « الباء » وهذا غير جائز في العربية . فلا مفر من أن يكون المصدر المنسبك من « أن » مع معموليها في الجملة الأولى هو المجرور بالحرف : « مِن » وفي الجملة الثانية هو المجرور « بالباء » . والتقدير : تأملت من مرض الصديق - وفرحت بإخلاص

(١) المصدر الذي تقدر به « أن » مع معموليها هو المصدر الصريح المأخوذ إما من خبرها إن كان اسماً مشتقاً ، أو فعلاً متصرفاً ، وإما من الاستقرار والوجود إن كان الخبر ظرفاً أو جاراً مع مجروره ، وإما هو الكون المضاف لاسمها إن كان الخبر جامداً . وتفصيل هذا وإيضاحه قد سبق في « ب » من باب : « الموصول » ص ٤١٤ .

(٢) رجل غير طائل : حقير خسيس .

العربي للعروبة ... وهكذا كل جملة أخرى تتطلب اسمًا لها ، ولا سبيل لإيجاده إلا من طريق مصدر منسبك من « أن » مع معموليها .

ومن الأمثلة غير ما سبق : (حَقًّا ، أنك متعلمٌ رَفَعٌ لقدرك - « المعروف أن التعلم نافع) . . . فالمصدر المؤول في الجملة الأولى مبتدأ ، والتقدير : تَعَلَّمَكَ رَفَعٌ لقدرك حَقًّا ^(١) . أما في الجملة الثانية فهو خبر ، والتقدير : المعروف نَفَعُ التعلم .

ومثله المصدر المؤول بعد : « لولا » حيث يجب فتح همزة « أن » نحو : لولا أنك مخلص لقاطعتك . والتقدير : لولا إخلاصك حاصل لقاطعتك .

ومما سبق نعلم أن المصدر المؤول يجر لا كمال نقص في الجملة ؛ فيكون فاعلا ، - أو نائبه - ، أو مفعولا به ^(٢) ، أو مبتدأ ^(٣) ، أو خبراً ^(٤) . وقد يكون غير ذلك ^(٥) كما نفهم المراد من قول النحاة : يجب فتح همزة : « أن » إذا تحتم تقديرها مع معموليها بمصدر يقع في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ^(٦) .

* * *

(١) انظر ما يختص بكلمة : « حَقًّا » في : « د » من ص ٦٤٧ .

(٢) بشرط أن يكون المفعول به غير محكي بالقول .

(٣) انظر « الملاحظة » التي في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ حيث النص على عدم وقوع « أن المصدرية » بنوعها (المنقفة من الثقيلة ، والناصبة للمضارع) مع صلتها مبتدأ يستثنى عن الخبر بحال سلت مسده .

(٤) عن اسم معنى . . . (راجع الزيادة والتفصيل رقم ١ في ص ٦٤٦) .

(٥) مما سيجيء في « ج » من ص ٦٤٥ ، وما بعدها . إلا في أشياء توضيحها هناك .

(٦) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَهَمَزٌ : « إِنْ » افْتَحَ لِسَدِّ مُضَدَّرٍ مَسَدَّهَا ، وَفِي سِوَى ذَلِكَ اكْسِرَ

أى : افتتح همزة « إِنْ » لسد المصدر مسدها مع معموليها .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) « أن » - مفتوحة الهمزة، مشددة النون - معناها التوكيد - كما شرحنا^(١) - وهي مع اسمها وخبرها تؤول بمصدر معمول لعامل محتاج لهذا المصدر فمن الواجب أن يكون الفعل وغيره مما هي معمولة له - مطابقاً لها في المعنى ؛ بأن يكون من الألفاظ الدالة على العلم الثابت واليقين ؛ لكيلا يقع التعارض والتناقض بينهما (أى : بين ما يدل عليه العامل ، وما يدل عليه المعمول) وهذا هو ما جرت عليه الأساليب الفصيحة حيث يتقدمها ما يدل^(٢) على اليقين والقطع ؛ مثل : اعتقدت ، علمت ، وثقت ، تيقنت ، اعتقادی * . . . ومثل الألفاظ الدالة على الخوف والحذر في رأى سيبويه ومن معه - بشرط أن يكون الخوف والحذر متيقنين .

ولا يقع قبلها شيء من ألفاظ الطمع - التوقع - ، والإشفاق ، والرجاء^(٣) ، ... مثل أردت ، اشتيت ، وددت . . . وغيرها من الألفاظ التي يجوز أن يوجد ما بعدها أو لا يوجد ؛ والتي لا يقع بعدها إلا « أن » الناصبة للمضارع . وهذه لا تأكيد فيها ولا شبه تأكيد ؛ فنقول : أرجو أن تحسن إلى الضعيف ، وأرغب أن تعاون المحتاج . وكالتى في الآية الكريمة : (والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ...

وما ذكرناه في « أن » المشددة يسرى على : « أن » المفتوحة الهمزة المخففة من الثقيلة ؛ فكلاهما في الحكم سواء ، نحو قوله تعالى : (علم أن سيكون منكم مرضى) .

ومن الألفاظ ما لا يدل على اليقين ، ولا على الطمع والإشفاق وهو صالح أن يقع بعده « أن » المشددة والمخففة التاسختان ، كما يقع بعده « أن » التي تنصب الفعل المضارع وهذا النوع من الألفاظ هو ما يدل على الظن ؛ مثل : ظننت ، وحسبت . وخلصت . . . ومعنى الظن : أن يتعارض الدليلان ، ويرجح أحدهما الآخر . وقد يقوى الترجيح فيستعمل اللفظ بمعنى اليقين ؛ نحو قوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم)

(١) راجع هذا في رقم ٣ من ص ٦٣١ ثم التفصيل في « المصدرية » - ص ٦٧٨ - وقد سبقت الإشارة إلى « أن » المصدرية مع نظائرها من الحروف المصدرية في ص ٤٠٧ .
(٢) عند المتكلم .
(٣) سبق بيان المراد من هذه الألفاظ الثلاثة في رقم ٣ من هامش ص ٦٣٥ .

وقد يضعف حتى يصير مشكوكاً في وجوده : كأفعال الرجاء والطمع وألفاظهما الأخرى .

(ب) لا تكون « أن » (المفتوحة الهمزة . المشددة النون) مستقلة بنفسها مع معموليها : فلا بد أن تكون معهما جزءاً من جملة أخرى ^(١) ... غير أنه لا يجوز أن يقع المصدر المؤول من : « أن ومعموليها » اسماً لأختها المكسورة الهمزة ^(٢) . فإذا أريد ذلك وجب الفصل بينهما بالخبر : فيتقدم بشرط أن يكون شبه جملة ^(٣) . نحو : إن عندي أن التجربة خير مرشد . إن في الكتب السماوية أن الرسل هداة للناس وقد سبق ^(٤) أنه يجوز وقوع « أن » مع معموليها اسماً للأحرف الناسخة — ومنها : إن — (أى : أن يكون المصدر المؤول اسماً للحرف الناسخ) بشرط أن يتقدم عليه الخبر شبه الجملة .

(ح) أشرنا ^(٥) إلى بعض مواضع المصدر المؤول من « أن ومعموليها » . وقد يقع فاعلاً لفعل ظاهر كما رأينا هناك ، أو مقدر ، نحو : اسمع ما أن الخطيب يخطب . أى : ما ثبت أن الخطيب يخطب ، (مدة ثبوت خطبته) وذلك لأن « ما » المصدرية الظرفية لا تدخل — في أشهر الآراء — على الجملة الاسمية المبدوءة بحرف مصدري ^(٦) . ومثلها العبارة المأثورة : « لا أكلم الظالم ما أن في السماء نجماً . أى : ما ثبت أن في السماء نجماً . . . » .

ومن الفعل المقدر أيضاً أن يقع ذلك المصدر المؤول بعد : « لو » الشرطية ؛ نحو : لو أنك حضرت لأكرمتك . فالمصدر المؤول فاعل لفعل محذوف ، والتقدير : لو ثبت حضورك . . . لأن « لو » الشرطية لا تدخل إلا على الفعل في الرأي المشهور . والأخذ به أولى من الرأي القائل : إن المصدر المؤول مبتدأ خبره محذوف

(١) كما أوضحنا في ص ٦٤٢ . (٢) أشرنا لهذا في رقم ٣ من هامش ص ٦٣١ .

(٣) راجع شرح المفصل ج ٨ ص ٧١ . ويذكرون في سبب المنع أن كل واحدة منهما تفيد التوكيد وحرف التوكيد لا يدخل مباشرة على نظيره . هذا إلى أن دخول إن المكسورة على أختها قد يوقع في الوم أن المفتوحة الهمزة أضعف في إفاة التوكيد من المكسورة الهمزة ؛ فجئى بهذه لتجبر الضعف ، مع أنهما متساويان . وكل هذا تعليل متكلف ومصنوع ، وإنما التعليل الحق هو محاكاة العرب الفصحاء . .

(٤) في رقم ٣ من هامش ص ٦٣١ تم انظر رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ بعنوان « ملاحظة »

(٥) في ص ٦٤٢ .

(٦) إذ الحرف المصدري لا يدخل على نظيره لغير توكيد لفظي . (كما سبق في رقم ٥ من هامش

... ..
... ..

وجوباً ، أو مبتدأ لا يحتاج إلى خبر . . . ؛ لأن فيهما تكلفاً وبعداً^(١) .

وقد يقع ذلك المصدر نائب فاعل ، نحو قوله تعالى : (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ
اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) . ، وقد يقع خبراً عن مبتدأ الآن ، كالمثال السالف
(وهو : المعروف أن التعلم نافع) أو بحسب الأصل : نحو : (كان المعروف أنك
مقيم .) لكن يشترط في المبتدأ الذي يقع خبره هذا المصدر المؤول ، ثلاثة شروط :

١ - أن يكون اسم معنى ؛ نحو : الإنصاف أنك تُسَوِّى بين أصحاب
الحقوق ؛ فلا يصح : الأسد أنه ملك الوحوش ، بفتح الهمزة . بل يجب
كسرها - كما سيجيء^(٢) - .

٢ - وأن يكون غير قول^(٣) ؛ فلا يجب الفتح في مثل : قولي : أن البطالة
مهلكة .

٣ - وأن يكون محتاجاً للخبر المؤول من « أن » ومعموليها ليكمل معه المعنى
الأساسي للجملة ، من غير أن يكون المبتدأ داخلاً في معنى الخبر ؛ (أى : من
غير أن يكون معنى الخبر مشتملاً وصادقاً عليه) ، نحو : اعتقادي أنك نزيه .
فكلمة : اعتقادي . مبتدأ يحتاج إلى خبر يتم المعنى الأساسي . فجاء المصدر
المؤول ليتممه . والتقدير : « اعتقادي نزاهتك » ، فالخبر هنا يختلف في معناه
عن المبتدأ اختلافاً واضحاً . فإن كان المؤول من : « أن مع معموليها ، ليس هو
محط الفائدة الأصلية ، (أى : ليس المقصود بتكملة المعنى الأساسي : كأن
يكون معناه منطبقاً على المبتدأ وصادقاً عليه) فإنه لا يعرب خبراً ، بل الخبر
غيره . كما في المثال السابق وهو : « اعتقادي أنك نزيه » إذا لم يكن القصد الإخبار
بنزاهته والحكم عليه بها ، وإنما القصد الإخبار بأن ذلك الاعتقاد حاصل واقع ،
فيكون المصدر المؤول مفعولاً به للمبتدأ ، والخبر محذوف ؛ والتقدير - مثلاً -
اعتقادي نزاهتك ، حاصل ، أو ثابت . . . ، والمصدر المؤول في هذا المثال
ينطبق على المبتدأ ، ويصدق عليه ؛ لأن مدلول النزاهة هنا هو : الاعتقاد ،
ومدلول الاعتقاد هو النزاهة . . . و . . .

(١) بيان الأسباب في ج ٢ ص ١٤٠ م ٦٩ باب : « الاشتغال » - وفي باب : « لو » من

الجزء الرابع . (٢) في رقم ٦ من ص ٦٥١ .

(٣) حكم الواقعة بعد قول موضح في رقم ٤ من ص ٦٥٠ و ٥ من ص ٦٥٥ .

وقد يقع المصدر المؤول مفعولاً لأجله ؛ نحو : زرتك أنى أحبك ، أو مفعولاً معه ، نحو : يسرنى قعودك هنا ، وأنتك تحدثنا . أو مستثنى ؛ نحو ترضينى أحوالك ، إلا أنك تخلف الميعاد . ويقع مضافاً إليه بشرط أن يكون المضاف مما يضاف إلى المفرد . لا إلى الجملة ؛ مثل : سرنى عمك غير أن خطك ردى . أى : غير رداة خطك . فإن كان المضاف مما يضاف إلى الجملة وحدها وجب كسر الهمزة ؛ مثل : حضرت حيث إنك دعوتنى ، بكسر همزة : « إن » مراعاة للرأى الذى يحتم إضافة « حيث » للجملة ، دون الرأى الآخر الذى يبيح إضافتها لغير الجملة فيبيح فتح همزتها .

ومثل المواضع السابقة ما عطف عليها ؛ نحو قوله تعالى :

(..... اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم) .

فالمصدر المؤول وهو « تفضيل » معطوف على المفعول به : « نعمة » ، وكذلك ما أبدل منها ؛ نحو قوله تعالى : (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ، أنها لكم) ، فالمصدر المؤول : وهو : « استقرارها وكونها » بدل من : « إحدى » . وهكذا . . .

ولا يكون هذا المصدر المؤول مفعولاً مطلقاً ، ولا ظرفاً . ولا حالاً . ولا تمييزاً ولا يسد مسد « مفعول به » أصله خبر عن ذات ^(١) ؛ نحو : ظننت القادم إنه عالم فلو فتحت الهمزة لكان المصدر المؤول من : « أنه عالم » ؛ مفعولاً ثانياً للفعل : « ظننت » مع أن أصل هذا المفعول خبر عن كلمة : « القادم » فيكون التقدير « القادم علم » فيقع المعنى خبراً عن الجثة ^(٢) ، وهذا مرفوض هنا إلا بتأويل لا يستساغ مع « أن » .

(د) من الأساليب الفصيحة : « أحقاً أن جبرتنا استقللوا ^(٣) يريدون ؛ أى حق أن جبرتنا استقللوا . فكلمة : « حقاً » ظرف زمان ^(٤) - فى الشائع - . والمصدر المنسبك من « أن » مع معموليها مبتدأ مؤخر . ولهذا وجب فتح همزة « أن » . أى : أى حق استقلال جبرتنا .

(١) جثة .

(٢) المانع الحق : هو استعمال العرب الفصحاء ، وكراهتهم فتح الهمزة فى مثل هذا الموضع .

(٣) بمعنى : أحقاً أن جبرتنا ارتحلوا . « والحيرة » جمع : جار .

(٤) كما فى الحضرى والتصريح ، آخر باب : « الظوف » . والظرف هنا مجازية . وبيان هذا فى باب :

ويصح أن تكون كلمة : « حقاً » . مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره :
 حَقَّ (بمعنى : ثَبَّت) والمصدر المنسبك فاعله . أى : أحق حقاً استقلال
 جيرتنا ؟ . وأحياناً يقولون : « أمّا أن جيرتنا استقلوا » . فكلمة : « أمّا »
 (بتخفيف الميم)^(١) بمعنى : حقاً ، ويجب فتح همزة « أن » بعدها .

وخير ما ارتضوه في إعرابها : أنها مركبة من كلمتين : فالهمزة للاستفهام ،
 « ما » ظرف : بمعنى : شئ . ويراد بذلك الشئ : « حق » ، فالمعنى :
 « أحقاً » وكلمة : « ما » مبنية على السكون في محل نصب على الظرفية ، وهى خبر
 مقدم ، والمصدر المؤول مبتدأ مؤخر^(٢) .

(هـ) قد يَسُدّ المصدر المؤول من أن ومعموليه مسد المفعولين إن لم يوجد
 سواه ، نحو : ظننت أن بعض الكواكب صالح للسكنى . وكذلك في كل موضع
 تحتاج فيه الجملة إلى ما يكمل نقصها فلا تجد غيره . مع عدم مانع يمنع منه ...

(و) أشرنا من قبل^(٣) إلى وقوع : « أن » المفتوحة الهمزة المشددة النون -
 للترجى ، فتشارك « لعل » في تأدية هذا المعنى ، وتحتاج إلى جملة اسمية بعدها ،
 فترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، ولا بد أن يكون لها الصدارة في جملتها وتوابع جملتها .
 - كالشأن في « لعل » - ولا يصح أن تسبك مع ما بعدها بمصدر مؤول : فهى
 تخالف « أن » المفتوحة الهمزة المشددة النون التى معناها التوكيد في أمور : فى
 المعنى : وفى وجوب الصدارة : وفى منع السبك بمصدر مؤول .

(١) إذا كانت « أمّا » - مخففة الميم - حرف استفتاح وجب كسر همزة : « إن » بعدها .

- كما سيجىء فى ص ٦٤٩ وفى رقم ٣ من ص ٦٥٧ - .

(٢) الكلام على هذا الأسلوب فى ج ٢ ص ٢٥٦ « هـ » م ٧٩ .

(٣) فى رقم ٥ من ص ٥٠٤ حيث الإيضاح . وله إشارة فى رقم ٣ من هامش ص ٦٣٧ .

الحالة الثانية :

يجب كسر همزة : « إن » في كل موضع لا يصح أن تسبك فيه مع معموليها بمصدر ؛ فيجب الكسر فيما يأتي :

١ - أن تكون في أول جملتها حقيقة ، نحو : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) ، وقول الشاعر يمدح محسنًا :

يُخْفِي صِنَاعَتَهُ ، وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنْ الْجَمِيلُ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَ
وتعتبر في أول جملتها حكمًا إذا وقعت بعد حرف من حروف الاستفتاح^(١) مثل : أَلَا ، وَأَمَّا^(٢) ؛ نحو : (أَلَا إِنْ أَنْكَارَ الْمَعْرُوفِ لَوْم) - (أَمَّا إِنْ الرِّشْوَةُ جَرِيْمَةٌ مِنَ الرَّاشِيِّ وَالْمُرْتَشِيِّ) . ومثلهما « الواو » التي للاستئناف ، كقول الشاعر :
وإِنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ ، وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
وكذلك كل واو أخرى تقع بعدها جملة تامة .

فإن سبقها شيء من جملتها وجب الفتح ، نحو : عندى أن الدين وقاية من الشرور . وهكذا^(٣) . . .

٢ - أن تقع في أول جملة الصلة ، بحيث لا يسبقها^(٤) شيء منها ؛ نحو : أحترمُ الذي (إنه عزز النفس عندى) ، وكذلك في أول جملة الصفة التي موصوفها اسم ذات ؛ نحو : أحبُّ رجلاً (إنه مفيد) . وفي : أول جملة الحال أيضاً ؛ نحو : أُجِيلُ الرجلَ (إنه يعتمد على نفسه) ، وأُكْبِرُهُ (وإنه بعيد من الدنيا) .

٣ - أن تقع في صدر جملة جواب القسم وفي خبرها اللام ، سواء أكانت جملة القسم اسمية ؛ نحو : لعمرك (إن الحذر مطلوب) ، أم كانت فعلية فعلها

(١) حرف يدل على بدء الكلام ، وعرض جملة جديدة ، والتنبيه على أن هذا الكلام هام ومؤكد عند المتكلم . (٢) (انظر رقم ٣ من ص ٦٥٧) ، ثم « ب » من ص ٧٠٨ . وفي رقم ١ من هامش ص ٦٤٨ . (٣) ولصدارتها في الجملة صور أخرى كالتى تجيء في ص ٦٥٢ .

(٤) فإن وقعت حشواً : كأن سبقها شيء من جملة الصلة) لم تكسر ؛ نحو : جاء الذى عندى أنه فاضل . ومنه : لا أفعله ما أن في السماء نجماً . أى : ما ثبت أن في السماء نجماً - وقد سبق بيان هذا في « ح » من ص ٦٤٥ .

مذكور ؛ نحو : أحلف بالله (إن العدلَ محبوب) ، أو غير مذكور ، نحو والله (إن الظلمَ لوخيم العاقبة) .

فإن لم يقع في خبرها اللام لم يجب^(١) كسر الهمزة إلا إذا كانت جملة القسم جملة فعلية فعلها محذوف ؛ نحو : والله إن السباحة مفيدة . وقول الشاعر :

فوالله إني ذلك المخلص الذي عزيز على الأيام أن يتغيرا

يتضح مما سلف أن الكسر واجب في كل الحالات القسمية التي تظهر فيها اللام في خبر «إن» . وكذلك في الحالة التي تحذف فيها تلك اللام من الخبر بشرط أن تكون جملة القسم فعلية ، قد حذف فعلها .

٤ - أن تقع في صدر جملة محكية بالقول (لأن المحكي بالقول لا يكون إلا جملة ، - في الأغلب -) بشرط ألا يكون القول بمعنى الظن^(٢) . فتكسر وجوباً في مثل : (قال عليه السلام : «إن الذين يُسرُّ» . ويقول الحكماء : «إن المبالغة في التشدد مدعاة للنفور» ، فقل للمتشددين : «إن الاعتدال خير» .)

وكذلك في الشطر الثاني من بيت الشاعر :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا : «إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ»

فإن وجد القول ولم تكن محكية به بل كانت معمولة لغيره لم تكسر ، نحو : أيها العالمُ ، أخصك القول ؛ أنك فاضل ؛ أي : لأنك فاضل ؛ فالمصدر المؤول معمول للام الجهر ، لا للقول .

وكذلك لا تكسر إن كان القول بمعنى : «الظن» ، بقرينة تدل على هذا المعنى فيعمل عمله في نصب مفعولين . - نحو : أتقول المرامدُ أن الجوّ بارد في الأسبوع المقبل ؟ . أي : أظن^(٣) (فتفتح مع أنها مع معموليها معمولة للقول ؛ لأن القول هنا بمعنى «الظن» ينصب مفعولين فيكون المصدر المؤول منها ومن معموليها في محل نصب يسد مسدّ المفعولين) . . .

(١) وإنما يجوز الأمران ؛ طبقاً للبيان الذي سيحيى في رقم ٢ من مواضع الفتح والكسر ص ٦٥٣ .
(٢) ولا الاعتقاد أيضاً . فلا بد من أمرين ؛ أن تكون الجملة معمولة للقول ، وأن «القول» ليس بمعنى : «الظن ولا الاعتقاد» . ولا بد كذلك ألا يكون مبتدأ داخل في إمالة الخامسة الآتية في ص ٦٥٥ .
(٣) الدليل على أن القول هنا بمعنى «الظن» أن المرامد حين تكهن بما سيقع في المستقبل - ولا سيما المستقبل البعيد - لا تملك الدليل القاطع على صحتها ، وعلى أنه ستحقق حتماً ، فقد يقع أو لا يقع . أما تفصيل الكلام على القول بمعنى الظن وأحكامه . فيحيى في أول ج ٢ باب : «ظن وأخواتها» .

٥ - أن تقع بعد فعل من أفعال القلوب^(١) وقد علّق عن العمل ، بسبب وجود لام الابتداء في خبرها ؛ نحو : علمت إن الإسراف لطريق الفقر^(٢) . فإن لم يكن في خبرها اللام^(٣) فتحت أو كسرت . نحو : علمت إن الرياء بلاءٌ - بفتح الهمزة ، أو كسرها^(٤) .

٦ - أن تقع خبراً عن مبتدأ اسم ذات ؛ نحو : الشجرة لأنها مشمرة^(٥) وقد يدخل على هذا المبتدأ ناسخ ؛ ومنه قوله تعالى : (إنَّ الذين آمنوا ، والذين هادوا^(٦) ، والصابئين^(٧) ، والنصارى ، والمجوس^(٨) ، والذين أشركوا - إنَّ اللهَ يَمْضِلُ بينهم يوم القيامة^(٩)) .

(١) سيجىء في باب : « ظن وأخواتها » ، أول الجزء الثاني - تفصيل الكلام على أفعال القلوب التي تنصب مفعولين . والذي يعيننا الآن هو : « الأفعال القلبية » المتصرفة التي يدخلها التعليق ؛ (وهو ترك العمل لفظاً دون معنى ، لما نفع) ؛ فتكون في ظاهرها غير ناصبة للمفعولين ، أو لأحدهما ؛ بسبب ذلك المانع ولكنها في الحكم والتقدير ناصبة . نحو : « ظننت لبطائر مغرد » فالحملة من : (طائر مغرد) مكونة من مبتدأ وخبر ، في محل نصب ، قد سدت مسد المفعولين للفعل : « ظننت » ولم ينصبها لفظاً ؛ لاعتراض ماله صدر الكلام ، وهو هنا : « لام الابتداء » .

وأشهر أفعال القلوب التي يلحقها التعليق : (رأى - علم ، - وجد - درى . . .) وهذه أفعال تدل على اليقين . (وخال - ظن - حسب - زعم - عُدَّ - حجا - جعل . . .) وهذه أفعال تدل على الرجحان .

(٢) يقول النحاة إن السبب في التعليق هو وجود لام الابتداء ؛ لأن لها الصدارة في جملتها فتسنع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها . وهنا تأخرت اللام وزُحِلَّت عن مكانها ؛ لوجود « إن » التي لها الصدارة أيضاً (انظر البيان رقم ٠ هامش ص ٦٥٩ . والعلة الحقيقية في تأخيرها هي السماع عن العرب .

(٣) - كما سيجىء في نم ٣ من ص ٣٥٤ - فالفتح على اعتبار الفعل غير معلق ، والكسر على اعتباره معلقاً ، وأداة التعليق هي : « إن » مكسورة الهمزة ، إذ لها الصدارة في جملتها ، وكل ماله الصدارة يمد من أدوات التعليق - كما عرفنا - راجع الصبان ج ٢ في هذا الموضع .

(٤) لو فتحت لكان المصدر المؤول خبراً عن الحنة ، والتقدير : « الشجرة إثمارها » . وهو غير المعنى المطلوب ، ولا يتحقق هنا لإبتكاف لاداعي له ، أو بتخرجه على المجاز ونحوه . . .

(٥) كانوا يهوداً . (٦) المنتقلين بين الأديان ، أو : هم عبدة النجوم .

(٧) الذين يعبدون النار .

(٨) فكلمة « الذين » الآن ، أصلها مبتدأ قبل دخول الناسخ : « إن » ، ثم صارت اسمه . وجملة إن الله يفصل بينهم ؛ (وهي مكونة من إن ومفعولها) - في محل رفع خبر « إن » الأولى .

(٩) وفي مواضع كسر همزة « إن » يقول ابن مالك :

فَاكْسِرْ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَفِي بَدْءِ صَلَـةٍ وَحَيْثُ « إِنَّ » لِيَمِينٍ مُكْمِلَةً

أى : اكسر همزة « إن » إذا وقعت في ابتداء جملتها ، أو حيث تكون مكملة لليمين ، بأن تقع في صدر جملة جواب القسم - على التفصيل الذي شرحناه - . ثم قال :

أَوْ حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلَّ حَالٍ ؛ كَزُرْتُهُ ، وَإِنِّي لَذُو أَمَلٍ وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ ، كَاعْلَمُ إِنَّهُ لَذُو تُقَى

.....

زيادة وتفصيل :

(ا) يَعدّ بغض النحاة مواضع أخرى للكسر ؛ منها :
 أن تقع « إن » بعد كلمة : « كَلَاً » التي تفيد الاستفتاح ؛ نحو : قوله تعالى : « كَلَّا ، إن الإنسان ليطغى ، أنْ رآه استغنى . . . » .
 أو يقع في خبرها اللام من غير وجود فعل للتعليق ، نحو : إن ربك لسريع العقاب .

أو تقع بعد « حتى » التي تفيد الابتداء ، نحو : يتحرك الهواء ، حتى إن الغصون تراقص - تفيض الصحراء بالخير - حتى إنها تجود بالمعادن الكثيرة .
 والتوابع لشيء من ذلك ؛ نحو : إن النشاط محمود ، وإن الحمول داء . . .
 والحق أن هذه المواضع ينطبق عليها الحكم الأول ، وهو أنها واقعة في صدر جملة ؛ فلا يمنع من الحكم لها بالصدارة أن يكون لجملة نوع اتصال معنوي - لإعرابي - بجمة قبلها ؛ كمثال : « حتى » السابق . . . « وكَلَّا » ، في بعض الأحيان . أما اتصالها الإعرابي فيمنع كسرها إن كان ما قبلها محتاجاً إلى المصدر المؤول منها مع معموليها احتياجاً لا مناص منه ، كما سبق .

* * *

الحالة الثالثة :

جواز الأمرين (أى : فتح همزة « إن » وكسرها) . وذلك فى مواضع ، أشهرها :

(١) أن تقع بعد كلمة : « إذا » الدالة على المفاجأة^(١) ، نحو : (استيقظت فإذا إن الشمس طالعة ، وفتحت النافذة ، فإذا إن المطر نازل) . فالكسر على اعتبار : « إذا » حرف - تبعاً للرأى الأسهل - مع وقوع « إن » بعده فى صدر جملتها الاسمية المصرّح بطرفيها ؛ بأن يُذكر بعدها اسمها وخبرها . والفتح على اعتبار « إذا » حرف أيضاً ، والمصدر المؤول من « أن » مع معموليها فى محل رفع مبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير : استيقظت فإذا طلوع الشمس حاضر ، وفتحت النافذة فإذا نزول المطر حاضر . . .

ويجوز اعتبار « إذا » الفجائية ظرف زمان ، أو مكان أيضاً ، خبراً مقدماً . والمصدر المنسبك من « أن » ومعموليها مبتدأ مؤخر ، والتقدير فى المكان أو فى الوقت طلوع الشمس ، أو نزول المطر . . .

(٢) أن تقع صدرأ فى جملة هى جواب للقسم ، وليس فى خبرها اللام ؛ بشرط أن تكون جملة القسم إمّا اسمية ؛ نحو : لعَمْرُك إن الرياء فاضحٌ أهلته ، وإما فعلية فعلئها مذكور ؛ نحو : أقسم بالله أن الباغى هالكٌ ببيغيه ، بفتح الهمزة وكسرها فيهما ، (فإن كان فعل القسم محذوفاً فالكسر واجب - كما سبق^(٢) - ؛ نحو : بالله إن الزكاة طهارة للنفس) . فالكسر بعد جملة القسم الاسمية فى المثال الأول هو على اعتبار : « إن » فى صدر جملة ؛ لأنها - فى هذه الحالة - مع معموليها جملة الجواب التى لا محل لها من الإعراب . والفتح هو على اعتبارها ليست فى الصدر ، وأن المصدر المؤول منصوب على نزع الخافض^(٣) ؛ فهو مجرور بحرف جر محذوف ،

(١) أى : هجوم الشيء ووقوعه بغتة . والكلام على : « إذا » الفجائية وشروطها مدون فى رقم ١ من هامش ص ٥٠٨ . (٢) فى رقم ٣ من ص ٦٤٩ .

(٣) أى : بتقدير حرف جر نزع من مكانه وحذف ؛ فنُصب الاسم المجرور بعده - مفعولاً به - ليكون نصبه / بغير عامل نصب دليلاً على المحذوف ، هذا تقديرهم الإعرابى الشائع . ولا مانع أن يكون المصدر المؤول مبتدأ خبره محذوف ، والجملة جواب القسم مباشرة .

وأصل جواز الفتح والكسر هنا راجع - كما جاء فى الهمع - إلى الخلاف فى جملة القسم والمقسم عليه ؛ =

وشبه الجملة سد مسدّ جواب القسم ، لا محل له - وليس جواباً أصيلاً^(١) والتقدير لعمرك قسمي على فضيحة الرياء أهله . وكذلك في المثال الثاني بعد فعل القسم المذكور ، فالكسر على اعتبار « إن » في صدر جملة ؛ فهي مع معموليها جملة الجواب لا محل لها ، والفتح على اعتبار المصدر المؤول منصوباً بنزع الخافض ؛ فهو مجرور بحرف جرّ محذوف - كما سبق - والتقدير : أقسم بالله على هلاك الباغي ببغيه . ويكون الجار مع المحرور قد سد مسد جملة الجواب ؛ وأغنى عنه - كما سبق - وليس جواباً أصيلاً^(١) ، ولم تقع « أن » في صدره .

٣ - أن تقع بعد فعل من أفعال القلوب ؛ وليس في خبرها اللام ، - طبقاً لما تقدم بيانه^(٢) - ؛ نحو : علمت أن الدين عاصمٌ من الزل .

٤ - أن تقع بعد فاء الجزاء^(٣) ، نحو : من يرضَ عن الجريمة فإنه شريك في الإساءة . فكسر الهمزة على اعتبار « إن » في صدر جملة ؛ فهي مع معموليها جملة في محل جزم جواب أداة الشرط : « من » . وفتح الهمزة على اعتبار « أن » ليست في الصدر ؛ فيكون المصدر المؤول من أن ومعموليها في محل رفع مبتدأ ، خبره محذوف ، أو خبر مبتدؤه محذوف . والتقدير : من يرض على الجريمة فشركته في الإساءة حاصلة ؛ أو : فالثابت شركته في الإساءة . . .

= إحداهما معمولة للأخرى فيكون القسم عليه مفعولاً به ، أو بمنزلة المفعول به لفعل القسم ، أم لا ؟ فن قال : « نعم » فتح ؛ لأن هذا حكم « إن » إذا وقعت مع معموليها مفعولاً به . ومن قال : « لا » ، وأن جملة القسم تأكيد للمقسم عليه من غير عمل فيه ، كسر . ومن جواز الأمرين أجاز الوجهين .

(١٠١) إنما سد مسد الجواب ولم يكن الجواب مباشرة لأن جواب القسم لا يكون إلا جملة . ولن يترتب على الخلاف في التسمية أثر في المعنى أوفى صياغة الأسلوب ؛ فهو خلاف شكل محض .

(٢) في رقم ٥ من ص ٦٥١ .

(٣) هي الفاء الواقعة في صدر جواب الشرط وجزائه ، (أى : في صدر النتيجة المترتبة على تحقق فعل الشرط) .

وليس من اللازم أن تكون هذه الفاء داخلة في جواب أداة شرط ؛ فقد تكون داخلة على شيء يشبه الجواب لأداة تشبه الشرط في « العموم والإيهام » ؛ كاسم الموصول ، وغيره مما سبقت له إشارة في رقم ٣٩٣ أما البيان ففي ١ ص ٥٣٥ ومن الأمثلة قوله تعالى : « وأعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة . . . » فيجوز في « أن » الثانية الفتح أو الكسر . و « ما » موصولة وليست شرطية ؛ لأن الشرطية لها الصدارة فلا تدخل عليها النواسخ ؛ والعائد محذوف ؛ والتقدير : غنمتموه . . . فعلى كسر همزة « إن » تكون جملتها هي الخبر ، وعلى الفتح يكون المصدر المؤول منها مع معموليها . مبتدأ خبره محذوف ، أى : فكون خمسة لله ثابت ، أو يكون خبراً لمحذوف ، أى : فالواجب كون خمسة لله ، والجملة خبر « إن » الأولى . (راجع حاشية الخضرى في هذا الموضع) .

٥ - أن تقع^(١) بعد مبتدأ هو قول : أو في معنى القول^(٢) ، وخبرها قول : أو في معناه أيضاً ، والقائل واحد : نحو : (قولى : إني معترف بالفضل لأصحابه ، وكلامى : إني شاكر صنيع الأصدقاء) . فقولى - وهو المبتدأ - يُرَاد به خبر «إن» - وهو : (معترف بالفضل) ، وخبر «إن» هو القول نفسه : أى : هو الذى قيل . فهما فى المراد - من هذه الجملة - متساويان ، وقائلهما واحد ، وهو : المتكلم . كذلك : «كلامى» مبتدأ ؛ يراد به : خبر «إن» ، وهو : (شاكر صنيع الأصدقاء) وخبر «إن» هو الكلام نفسه الذى هو المبتدأ ؛ فالمراد منهما واحد ، وقائلهما واحد . وهمزة «إن» فيها يجوز كسرهما - لصداقتها - عند قصد الحكاية (أى : ترديد الألفاظ ذاتها ، نصّاً) فتكون «إن» مع معموليها جملة وقعت خبراً^(٣) . ومع أنها محكية بالقول نصّاً تعرب فى محل رفع خبر المبتدأ : ويجوز فتح الهمزة إذا لم يُقصد النص على الحكاية ؛ وإنما يكون المقصود هو مجرد التعبير عن المعنى المصدرى من غير تقييد مطلقاً بنصّ العبارة الأولى المعينة : ولا بترديد الجملة السابقة بألفاظها الخاصة فيكون المصدر المؤول من أن مع معموليها فى محل رفع خبر المبتدأ ، والتقدير : قولى اعترافى بالفضل لأصحابه . وكلامى شكرى صنيع الأصدقاء فإن لم يكن المبتدأ قولاً أو ما فى معناه وجب الفتح ، نحو : اعتقادى أن الزراعة جالبة الغنى ، وعملى أنى أزرع الحقل . فالمصدر المنسبك خبر المبتدأ . ويجب الكسر إن لم يكن خبر «إن» قولاً أو ما فى معناه ، مثل كلمة : «مستريح» فى نحو : قولى إني مستريح^(٤) ، أو لم يكن قائل المبتدأ وخبر «إن» واحداً ؛ فلا يتساوى مدلول

(١) يراعى الفرق بين هذه الصورة والأخرى (رقم ٤) السابقة فى ص ٦٥٠ .

(٢) الذى فى معنى القول هو ما يدل دلالة من غير لفظه ؛ مثل : كلام ، حديث ، نطق ، ولا يراد هنا «القول» بمعنى : «الظن» وعمله ؛ فقد سبق حكمه فى رقم ٤ من ص ٦٥٠ . وأنه الفتح .

(٣) وكأنك قلت فى المثالين السالفين عند كسر الهمزة : (قولى هذا اللفظ - كلامى هذا اللفظ) أى : هذا النص بحروفه . وهذا يقول الصبان : إن المراد : («حكاية لفظ الجملة - أى : الإتيان بها » بلفظها ، وليس المراد أنها مقول القول »)

(٤) خير الصور التى توضح هذا الحكم أن يكون خبر «إن» ليس شاملاً بمعناه المبتدأ ، ولا منطبقاً عليه بمدلوله ؛ كالاستراحة فى المثال المذكور ؛ فإن معناها لا يشمل القول ولا يتضمنه ولا ينطبق مدلولها عليه . وبمثل هذا يقال فى الحالة الثانية ، لأن صاحب الصراخ ليس هو صاحب الكلام الواقع مبتدأ .

(٤) ومن أمثلتهم لانتفاء القول الثانى : «قولى إني مؤمن» لا يصح الفتح ؛ لأن الإيمان لا يخبر به عن القول ؛ لأن الإيمان مصدره القلب ، والقول مصدره اللسان .

المبتدأ والخبر ، ولا يتوافقان ؛ نحو : كلامي إن المريض يصرخ . ففي هاتين الحالتين يجب كسر الهمزة - للصدارة - ، وتكون « إن » مع معموليها جملة في محل رفع خبر المبتدأ^(١) . . .

* * *

(١) انظر بعض المواضع الأخرى في الصفحة الآتية ، ثم « الملاحظة » المفيدة التي في ص ٦٥٨ وما سبق نفهم كلام ابن مالك في جواز الأمرين حيث يقول في اختصار :

بَعْدَ إِذَا فُجَاءَةٌ ، أَوْ قَسَمَ لَا لَامَ بَعْدَهُ - بِوَجْهَيْنِ نَحْوِ (يريد : نَحْيَ - أى : نقل عن السابقين ، ونسب إليهم - الوجهان ، وهما : الفتح والكسر) بعد إذا فجاءة ، وبعد قسم لا لام في جملة جوابه ، ثم قال :

مَعَ تِلْوٍ « فَا » الْجَزَا ، وَذَا يَطْرُدُ فِي نَحْوِ : « خَيْرُ » الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ
أى : (مع تلوفاء الجزاء) ، فكلمة : « مع » معطوفة على كلمة « بعد » ، التي في أول البيت السابق بحرف العطف المحذوف ؛ وهو : الواو . يريد : بعد إذا فجاءة ، ومع تلوفاء الجزاء ، ثم قال : إن هذا الحكم بجواز الأمرين مطرد في كل أسلوب على شاكلة : « خير القول إني أحمد » . وهذه الحالة الرابعة في كلامه هي الخامسة التي شرحناها . ويلاحظ في مثاله أن المبتدأ كلمة : « خير » ليس قولاً ، ولكنه مضاف للقول ؛ فهو بمنزلة .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(١) سرد بعض النحاة مواضع أخرى يجوز فيها الأمران ، ومن الممكن الاستغناء عن أكثرها ؛ لفهمها مما سبق . فما سردوه :

١ - أن تقع « أن » مع معموليها معطوفة على مفرد لا يفسدُ المعنى بالعطف عليه . نحو : سرتي نبوغك ، وإنك على المنزلة . فيجوز فتح همزة : « أن » فيكون المصدر المؤول معطوفاً على نبوغ ، والتقدير : سرتي نبوغك وعلو منزلتك . والمعنى هنا لا يفسدُ بالعطف . ويجوز كسر الهمزة فتكون « إن » في صدر جملة مستقلة .

ومثال ما يفسد فيه المعنى بالعطف فلا يصح فتح الهمزة : لى بيت ، وإن أخى كثير الزروع . فلو فتحت الهمزة لكان المصدر المؤول معطوفاً على « بيت » والتقدير : لى بيت وكثرة زروع أخى ، وهذا معنى فاسد ، لأنه غير المراد إذا كان المتكلم لا يملك شيئاً من تلك الزروع . ومثله ما نقله النحاة : « إن لى مالا . وإن عمرأ فاضل » إذ يترتب عليه أن يكون المعنى : إن لى مالا وفضل عمرو . وهو معنى غير المقصود .

٢ أن تقع بعد « حتى » ، فتكسر بعد « حتى » الابتدائية - كما سبق (١) - فى مثل : تتحرك الريح حتى إن الغصون تراقص . . . لوقوعها فى صدر جملة . وتفتح إذا وقعت بعد « حتى » العاطفة ، أو الجارة ، نحو : عرفت أمورك حتى أنك مسابق . أى : حتى مسابقتك . بالنصب على العطف ، أو بالجر . والأداة فيهما : « حتى » .

٣ - أن تقع بعد « أمّا » (المخففة الميم) ، نحو : أمّا إنك فصيح ، فتكسر إن كانت « أمّا » حرف استفتاح ، وتفتح إن كانت بمعنى : « حَقّاً » - كما سبق (٢) - .

٤ - أن تقع بعد . لا جرم (٣) ، نحو : لا جرم أن الله ينتقم للمظلوم (٤) .

(١) فى ص ٦٥٢ . (٢) فى « د » من ٦٤٧ وفى رقم ١ هامش ص ٦٤٩ .

(٣) لها إشارة عابرة فى « د » من ص ٧٠٩ باب . (لا النافية للجنس) أما البيان فى رقم ٤ التالى .

(٤) فالتفتح على اعتبار « لا » زائدة ، أو ليست بزائدة ، وإنما هى حرف جواب لئى المعنى السابق

عليها إذا كان المتكلم غير موافق عليه ، و « جرم » فعل ماض بمعنى : « وجب » . والمصدر المؤول من أن مع معموليها فاعل للفعل : « جرم » . وهذا لإعراب سيبويه ، وعليه اقتصر . أما الفراء فيقول : معنى : =

... ..
... ..

٥ - أن تقع في موضع التعليل ، نحو قوله : (إِنَّا كُنَّا نَدْعُوهُ مِنْ قَبْلُ ،
إنه هو البر الرحيم) قرئ بفتح الهمزة ، على تقدير لام التعليل فلا تقع « أن »
في صدر الجملة ؛ أى : لأنه هو البر الرحيم ، وقرئ بكسر الهمزة على اعتبار :
« إن » في صدر جملة جديدة . ومثله قوله تعالى : (وَصَلَّ عَلَيْهِمْ . إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ) . فالفتح على تقدير لام التعليل ، أى : لَأَنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ
لَهُمْ ، والكسر على اعتبار : « إن » في صدر جملة جديدة . . .

٦ - وقوعها بعد « أى » المفسرة ؛ نحو : (سرفى ابتداعك المفيد ، أى : أنك
تبتكر شيئاً جديداً نافعاً) . فالكسر على اعتبار « إن » في صدر جملتها التفسيرية
- ولا محل لها - والفتح على اعتبار المصدر المؤول - هنا - بدلا من المصدر الذى قبله .

٧ - أن تقع بعد حيث الظرفية ، نحو : أزورك حيث إنك متيم في بلدك
بفتح الهمزة وبكسرها ، فالفتح على اعتبار : « حيث الظرفية » داخلة على المفرد
المضاف إليه ، وهو المصدر المؤول ، والكسر على اعتبارها داخلة على المضاف إليه
الجملة ، وهذا هو الأفصح ؛ إذ الأغلب في « حيث » أن تضاف للجملة .

* * *

ملاحظة : سردنا فيما تقدم مواضع الحالة الثالثة التى يجوز فيها فتح همزة « إن »
وكسرها . ومن الممكن الاكتفاء بوضع ضابط عام مركز يشملها جميعاً ، ويغنى عنها ؛
كأن يقال : (يجوز فتح همزة « إن » وكسرها في كل موضع يصلح لاعتبار « إن »
في صدر جملتها ، ولا اعتبارها مؤولة مع معموليها بمصدر مسبوك ، أى : يصلح للأمرين) .

= « لا جرم » ، هو : « لا بد » فلا نافية للجنس و « جرم » اسمها ، مبنى على الفتح في محل
نصب ، والمصدر المنسبك من « أن » ومعموليها مجرور بحرف جر محذوف ، والخبر محذوف أيضاً - وهو
متعلق الجار ومجروره - والتقدير : لا جرم من أن الله ... إلخ وهو يجوز كسر الهمزة ، ويقول في
سببه : إن بعض العرب يجريها مجرى اليمين ، بدليل وجود اللام في قولهم : « لا جرم لآتينك » .
والأحسن في هذه الحالة أن نعرب « لا » نافية للجنس و « جرم » اسمها متضمنة القسم ، وجملة :
« لآتينك » هى : جواب القسم ، وأغنت عن الخبر .

(راجع حاشية الصبان في هذا الموضع من جواز فتح الهمزة وكسرها) ، وتستجىء الإشارة لهذا
والإفاضة في القسم وجوابه - في موضعه المناسب من الجزء الثانى وهو : باب « حروف الجر » عند الكلام
على : « حروف القسم » .

المسألة ٥٣ :

لامُ الابتداء^(١) ، فائدتها ، مواضعها

حين نقول : أصل الماس فحم ، أو : بعض الحيوانات برّى بحريّ - قد يشك السامع في صدق الكلام ، أو ينكره ؛ فنلجأ إلى الوسائل التي ترشد إليها اللغة لتقوية معنى الجملة ، وتأكيده مضمونها ، وإزالة الشك عنها أو الإنكار . ومن هذه الوسائل تكرار الجملة . لكن التكرار قد تنفر منه النفس أحياناً . فنعدل عنه إلى وسائل أخرى لها مزية التكرار في تأكيد معنى الجملة ، كالقسم ، أو : « إن » فنقول : (والله أصل الماس فحم - إن بعض الحيوانات برّى بحريّ) ، أو : « لام الابتداء » وتدخل على المبتدأ كثيراً ، نحو : (لرجل فقير يعمل ، أنفع لبلاده من غنى لا يعمل - ليد كاسبة خير من يد عاطلة) . وتدخل على غيره ، كخبر « إن » ، نحو : (إن أبطال السلام خير من أبطال الحرب) . وهكذا باقى الوسائل اللغوية التي تؤكد مضمون الجملة ، وتقوى معناها .

وهذه اللام مفتوحة ، وفائدتها (أى : أثرها المعنوي) : تأكيد مضمون الجملة المثبتة وإزالة الشك عن معناها المثبت ؛ ولذلك لا تدخل على حرف النفي ، ولا فعل النفي ، ولا على المنفى بأحدهما ، ولكنها تدخل على الاسم المفيد لمعنى النفي . مثل : إن المنافق لغير مأمون الصداقة . وسميت : « لام الابتداء » لأن أكثر دخولها على المبتدأ أو على ما أصله المبتدأ ، نحو : لوالدك أشفق الناس عليك ، وإن عنده خبرة ليست لك ، فاستعن برأيه .

وإذا دخلت هذه اللام على الخبر فقد يسميها بعض النحاة : « اللام المرحلقة^(٢) » .

أما آثارها النحوية فأشهرها : الصدارة في جملتها - غالباً - وأنها إذا دخلت على

(١) سبقت الإشارة إليها في رقم ٢٢ من ص ٤٩٠ ولم نعرض هناك لآثارها وأحكامها الهامة ، بحارة لكثير من النحاة أثروا أن يكون تفصيل ذلك كله هنا .

(٢) يقولون في سبب التسمية : إن مكانها في الأصل الصدارة في الجملة الاسمية . فلما شغل المكان بكلمة : « إن » - وهي التي لها الصدارة أيضاً ؛ كلام الابتداء والتي تفيد التوكيد مثلها ، والتي تمتاز بأنها عاملة - تقدمت ، وزحلت اللام من مكانها الذي تكثر فيه إلى مكان بعده - في الغالب - هو الخبر . لكن السبب الحق هو استعمال العرب . - لهذا إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٦٥١ - .

المضارع خلصت زمنه للحال، نحو: إن العصفور لَيَسْفَرْدُ ؛ — أى : الآن فى وقت الكلام — وهذا إن لم توجد قرينة تدل على غير الحال ؛ كالقرينة الدالة على الاستقبال، فى قوله تعالى : (وإن ربك لَسَاحِكٌ بينهم يوم القيامة ...)، لأن يوم القيامة لم يحن بعد ، فهى تُعَيِّن المضارع للحال إن كان مبهماً خالياً من قرينة لغير الحال .

مواضع دخولها :

لها مواضع تدخلها جوازاً ، والخلاف فيها شديد ، وقد استصغينا منه ما يأتى :

- ١ — المبتدأ ، — وهو الكثير — كالأمثلة السابقة . وكقول الشاعر :
- وَلَسَّيْنُ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى أَذَى وَلَسَّ مَرُتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى ذَلٍّ
- ٢ — الخبر المتقدم على المبتدأ ؛ نحو : لصادقٌ أنت ولَسَّ سَدِيدٌ رأيتك .
- ٣ — خبر إنَّ (المكسورة المهمزة ، المشددة النون) — دون أخبار أخواتها فى الرأى الأصح — ؛ نحو : إن الشتاء لفصل النشاط ، وإنه لموسم السياحة فى بلادنا .

وقول الشاعر :

إِنَّا — عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ — لَنَلْتَقَى بِالْفَكْرِ ، إن لم نَلْتَقِ

ولكن يشترط فى خبر « إن » الذى تتصدره لام الابتداء أربعة شروط :

(١) أن يكون متأخراً عن الاسم ، فلا يجوز دخولها فى مثل : (إن فىك إنصافاً ، وإن عندك ميلاً للحق) ؛ وذلك لتقدم الخبر (٢) .

(ب) وأن يكون مثبتاً ؛ فلا يصح : (إن العمل لَمَّا طال بالأمس . أو : إن العمل لَمَّا نفعه قليل) . بل يجب حذفها قبل « ما » النافية وغيرها من أدوات النفي الداخلة على خبر « إن » . . . (٣)

(١) وقد أشار ابن مالك إلى هذا الموضع بقوله :

وبعد ذات الكسرِ تَصْحَبُ الْخَبْرُ لَامُ ابْتِدَاءٍ ، نَحْوُ : إِنِّى لَوَزَرٌ

يريد « بذات الكسر » : صاحبة الكسر ، وهى : « إن » المكسورة المهمزة . و« وزر » أى : ناصر ومبلج لمن يستعين به .

(٢) عرفنا (فى ص ٦٣٨) أن الخبر فى هذا الباب لا يتقدم على الاسم إلا إن كان شبه جملة .

(٣) مثل : لم ، لن ، لا ، لا . . . فدخل لَامُ الابتداء عليه غير مسوع . وهذا هو التعليل

الصحيح . فوق أن دخولها على هذه الأدوات المبسوطة باللام يثقل النطق بها .

- (ح) ألا يكون جملة^(١) فعلية فعلها ماض ، متصرف ، غير مقرون بكلمة : « قد » ، فلا يصح : « إن الطائرة لأسرعت... »^(٢) بل يجب حذف لام الابتداء . فإن كان الخبر جملة فعلية فعلها ماض غير متصرف جاز - في غير « ليس » ؛ لأنها للنفي - دخول اللام وعدم دخولها ، نحو : (إن القطار لنعم وسيلة السفر ، أو نعم وسيلة السفر ... وإن إسرار السائق لبشس العمل ، أو بشس العمل) . بإدخال اللام على « نعم » ، و « بشس » أو عدم إدخالها ... وكذلك يجوز إن كان الفعل ماضياً متصرفاً ، ولكنه مقرون بكلمة : « قد »^(٣) فتصحبها اللام أو لا تصحبها ؛ نحو : إن العلم لقد رفع صاحبه ، أو : رفع ...
- (د) ألا تكون الجملة الفعلية شرطية ؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على أداة الشرط ، ولا على فعله ولا على جوابه .

(١) المشهور بين النحاة أن « لام الابتداء » لا تدخل على جملة فعلية (ماضوية أو مضارع) إلا إذا كانت هذه الجملة خبر إن (مكسورة الهزمة ، مشددة النون) دون غيرها من أحوالها ، ودون الجمل الفعلية الأخرى التي ليست خبراً ؛ إذ تكون اللام فيها لقسم ، أو زائدة ، أو غير ذلك . (انظر رقم ٢ التال) .

(٢) في هذا المثال : « إن الطائرة لأسرعت » يجب حذف اللام على اعتبارها للابتداء - كما سبق في رقم ١ - ويجوز إبقاؤها على أنها في جواب قسم ، ويجب أن تقوم قرينة دالة على هذا أو ذاك ؛ لأن بين المعنيين اختلافاً واضحاً ؛ وإلا كانت صياغة الأسلوب غير مسيطرة للمعنى ، فيقع من الفساد في التعبير ما يجب توقيه .

ويقول النحاة في التفرقة بين اللامين : إذا جاءت « إن » وبعدها اللام المصاحبة لمضارع مؤكّد بنون التوكيد أو الداخلة على الماضي المتصرف الخالي من : « قد » . فإن هذه اللام تكون لام قسم مقدر ، داخلة على جوابه ، وليست لام ابتداء ؛ مثل : إن الحازم ليعتد عن المساوى - إن الكفء لئال جزاءه . والسبب في الحالة الأولى منع التعارض بين لام الابتداء التي تخلص زمن المضارع للحال - ونون التوكيد التي تخلصه للمستقبل . والسبب في الحالة الثانية : أن لام الابتداء - والزمن معها للحال - لا تدخل على الماضي المتصرف الخالي من « قد » ، منعاً لتعارض الزمنين بينهما . أما المقترن « بقد » فإنها تقرب زمنه من الحال - كما عرفنا في ص ٥٢ - فلا يتعارض مع لام الابتداء . وهاتان الصورتان يمتنع فيهما كسر همزة : « إن » إذا تقدم عليها عامل يطلب العمل في موضعها مع معموليها ؛ تقول : علمت أن الحازم ليعتد عن المساوى . وعلمت أن الكفء لئال جزاءه . لأن هذه اللام - كما سبق - لقسم ، وليست للابتداء ؛ فهي في موضعها المتأخر المناسب لها ، غير ملحوظ فيها التقديم قبل مجيء : « إن » ذلك التقديم الذي هو أصلها . بخلافها في مثل : علمت أن الحازم ليعتد عن المساوى ؛ فإنها تكسر معها ؛ لأن هذه اللام للابتداء ، وهي من الأدوات التي لها الصدارة ، فتعلق الفعل وتوجب كسر همزة « إن » كشأن ماله الصدارة . وهي مقدمة في الأصل والثنية ، وإنما تأخرت لليلة السابقة ، وهي : أنها تفيد توكيد الجملة ، و « إن » كذلك ؛ فبقيت هذه ؛ لأصالتها وقوتها بالعمل ، وتأخرت تلك ؛ - كما يقال ، - وستأق هنا فروق أخرى بين اللامين .

(٣) لأن « قد » تقرب - أحياناً - الماضي من الحال ، كما تقرب المستقبل من الحال أيضاً .

أما إن كان الخبر جملة فعلية فعلها مضارع مثبت^(١) فيجوز دخول اللام على المضارع المثبت سواء أكان متصرفاً أم غير متصرف تصرفاً^(٢) كاملاً، إلا في حالة واحدة وقع فيها الخلاف ؛ هي التي يكون فيها مبدوءاً بالسين ، أو سوف . فلا يصح - في الرأي الأحق - أن تقول : « إن الطائفة لستحضر ، أو : لسوف تحضر » بل يجب حذف اللام من هذا المضارع^(٣) المبدوء بالسين ، أو سوف ومن أمثلة^(٤) دخولها قوله تعالى في أهل الديانات المختلفة : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَسَبْحَكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) وقوله عليه السلام : إِنَّ الْعَجُوبَ^(٥) لِيَأْكُلَ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ) ، وقول الشاعر :

إِنَّ الْكَرِيمَ^(٦) لِيُخَفِّي عَنْكَ عُسْرَتَهُ^(٧) حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا . وهو مسجود^(٨)

(١) أما المنى فالأكثر والأفصح الذي يجب الاقتصار عليه هو عدم دخولها عليه : كقوله تعالى (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

(٢) غير متصرف تصرفاً كاملاً مثل الفعل : يدع ويذر ، على الرأي القائل : بأنه لا ماضى لها ، ولا مصدر . أما المضارع الذي لا يتصرف مطلقاً فلا وجود له .

(٣) لودخلت عليه لوقع تعارض واضح ، لأن لام الابتداء تجعل زمن المضارع للحال . أما « السين » أو « سوف » فتجعل زمنه للمستقبل ؛ فلو اجتمعنا في أول المضارع لاجتمع فيه علامتان متعارضتان ؛ إحداهما تدل على أن زمنه للحال ، والأخرى تدل - في الوقت نفسه - على أن زمنه للمستقبل . لكن قد يصح تلاقيهما معاً واجتماعهما على اعتبار آخر ؛ هو : أن تكون اللام للقسم ؛ ففي المثال السابق : إن الطائفة لستحضر ، أو لسوف تحضر . . . يكون المنى : إن الطائفة والله لستحضر ، أو لسوف تحضر . . . فاللام لا تجعل زمن المضارع هنا للحال ، وإنما تجعله للمستقبل بقرينة السياق ، فلا تعارض بينها وبين السين أو سوف - وهذا فرق آخر بين اللامين غير مافي آخر الصفحة السابقة . ومن المهم إدراك الفرق بين الأسلوبين ، فلكل منهما معنى يخالف الآخر ؛ فليس الأمر مجرد احتيال لإدخال اللام أو عدم إدخالها ، وإنما الأمر الذي له الاعتبار الأول هو المنى وحده ؛ فإن اقتضى أن يتضمن الكلام قسماً جاز - مع القرينة - إدخال اللام على الجملة المضارعة المبدوءة بالسين أو سوف ، الواقعة جواباً . وإن لم يقتض قسماً لم يجر إدخال اللام على تلك الجملة ؛ وإلا كانت اللغة عبثاً .

وفي شروط الموضوع الثالث من مواضع « لام الابتداء » يقول ابن مالك باختصار :

وَلَا يَلِي ذِي اللَّامِ مَا قَدْ نُفِيًا وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ مَا كَرَّرَ ضِيًا

أى : لا يقع بعد هذه اللام الخبر المنى ؛ سواء أكان جملة فعلية أم اسمية كما مثلنا . وكذلك لا يليها خبر إذا كان جملة فعلية ، فعلها ماض ، مثل : « رضى » في أنه ماض ، مثبت ، متصرف ، غير مقرون بكلمة : « قد » فإن كان مقروناً بكلمة : « قد » جاز أن يليها ؛ مثل : إن ذا لقد سما على العدا مستحوداً ، أى : غالباً ، مستولياً على ما يريد .

(٤) أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٦٥٩ إلى أنه قد سبقت لحة عابرة عن « لام الابتداء » (في

رقم ٢٢ من ص ٤٩٠ . (٥) الكبر والاختيال .

(٦) الشريف الأصل . (٧) فقره واحتياجه .

(٨) يقاسى تعب الفقر . ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

وإني لأستحي - وفي الحق مسجود - إذا جاء باغى الخير أن أتعدرا
مسجود : متع ومندوحة عن الباطل . أتعدر : أتذر - عن إجابته . . .

وإن كان الخبر جملة اسمية جاز دخول اللام على مبتدئها - وهو الأنسب -
أو على خبره ؛ نحو : إنَّ الكهْرَبَا لأثرُها عميقٌ في حياتنا . . . أو : إنَّ الكهْرَبَا
أثرُها لعميقٌ في حياتنا .

وإن كان الخبر شبه جملة دخلت عليه أيضاً ؛ نحو : إن الذخائر الأدبية
لعندك ، وإن نفائسها لفي بيتك .

٤ - معمول خبر « إنَّ » بشرط أن يكون هذا المعمول متوسطاً بين اسمها وخبرها ^(١)
أو غيرهما من الكلمات الأخرى التي دخلت عليها « إنَّ » ، وأن يكون الخبر خالياً
من لام الابتداء ، ولكنه صالح لقبولها . ففي مثل : « إن الشدائد مظهرٌ أبطالا ،
وإن المحن صاقلةٌ نفوساً » ، يصح تقديم معمول الخبر مقروناً بلام الابتداء ؛
فنقول : إن الشدائد لأبطالا مظهرٌ ، وإن المحن لنفوساً صاقلةٌ . فإن تأخر المعمول
لم يجوز إدخال اللام عليه ؛ كما في المثالين السابقين قبل تقديمه .

وكذلك لا يجوز إدخالها عليه إن كان الخبر مشتملاً عليها ؛ ففي مثل : إن
العزیز ليرفضُ هواناً - لا يصح : إنَّ العزیزَ هواناً ليرفضُ ^(٢) .

وكذلك لا يجوز إدخالها عليه إن كان الخبر الخالي منها غير صالح لها ؛ كأن
يكون جملة فعلية ، فعلها ماض ، متصرف . غير مقرون بكلمة « قد » ؛ ففي
مثل : إنَّ الحرَّ رَضِيَ كفاحاً - لا يصح أن نقول : إن الحرَّ لكِفاحاً
رَضَى .

٥ - ضمير الفصل ^(٣) ؛ نحو : إن العظمة لفي الترفع عن الدنيا ، وإن

(١) سواء أقدم الاسم كالأثلة المذكورة ، أم تقدم الخبر شبه الجملة نحو : إن عندى لى البيت
ضيئاً . ويجوز أن يتقدم على المعمول المقرون باللام معمول آخر خال منها ؛ نحو : « إن عندى لى
الحديقة ضيئاً قاعد » . فالمراد : أن يتوسط المعمول المقترن باللام بين الألفاظ الواقعة بعد « إن » .

(٢) ولا يجوز دخولها أيضاً على المعمول المتقدم إن كان « حالا » ؛ ففي مثل : إن السائح عاد
إلى بلده مسروراً ، لا يصح : إن السائح لمسروراً عاد إلى بلده . ومثله ، التمييز ، والمستثنى ، والمفعول
مع ، دون باقى المعمولات . وكل هذا هوانسب الآراء .

(٣) سبق تفصيل الكلام على معناه وحكمه وكل ما يتصل به فى (٢٤٢) باب : « الضمير »
وهو هنا يتوسط بين اسم « إن » وخبرها .

العظيم هو البعيد عن الأدناس . وإذا دخلت على ضمير الفصل لم تدخل على الخبر .

٦ - اسم « إن » بشرط أن يتأخر ويتقدم عليه الخبر^(١) شبه الجملة ؛ مثل :
إن أمامك لمستقبلاً سعيداً ، وإن في العمل الحرّ نجلاً واسعاً . وقول الشاعر يخاطب زوجته :

إن من شيمتي لبذلّ تِلَادِي^(٢) دون عِرْضِي . فإن رُضيتِ فكُفُوِي^(٣)
وإذا دخلت على الاسم المتأخر لم تدخل على الخبر^(٤) .

* * *

-
- (١) وقد يبق الخبر متأخراً ولكن يتقدم معموله على الاسم ، نحو : إن في الدار لضيفاً متظرو .
(٢) ما لي الأصيل الذي ليس طارئاً . (٣) فداؤو، على حياتك معي .
(٤) وقد أشار ابن مالك إلى الموضع الرابع والخامس والسادس بقوله :

وتصحّب الواسط . : معمول الخبر والفصل ، واسما حلّ قبله الخبر

يريد : أن لا يام الابتداء تدخل على الواسط ؛ أى : المتوسط . إذا كان معمولاً لخبر « إن » وبعبارة أخرى : تدخل لا يام الابتداء على معمول الخبر إذا كان المعمول متوسطاً بين اسم إن وخبرها ، أو بين غيرهما ما يقع بعدها . وكذلك تدخل الفصل ، أى : ضمير الفصل . . . وتدخل اسم « إن » بشرط أن يحل الخبر قبله ، بمعنى : يتقدم عليه . ثم أشار بعد ذلك إلى بيت سبق شرحه في مكان أنسب (ص ٦٣٦) هو :

ووصل : « ما » بذى الحروف مبطلٌ إعمالها . وقد يَبْقَى الْعَمَلُ

يريد : أن اتصال : « ما » التي هي حرف زائد - بهذه الحروف الناسخة ، - غير الحرف : ليت - يبطل عملها فقط دون معناها ، ومتى بطل عملها صارت غير مخصصة بالدخول على الجمل الاسمية ، فتصلح للدخول عليها وعلى الجمل الفعلية أيضاً . (ولا بد من وصلها في الكتابة بالحرف الذي قبلها) . ولكن العمل قد يبق في : « ليت » وحدها ، على القول الأرجح الذي يحسن الاقتصاد عليه ؛ فيجوز في « ليت » التي بعدها « ما » الحرفية الزائدة - أن تكون عاملة ، وأن تكون مهملة . وهي في الحالتين لا تدخل إلا على الجملة الاسمية - كما سبق - و « ما » الزائدة هذه تسمى : « ما » الكافة - لأنها كفت - أى : منعت - ذلك الحروف عن العمل . ولا تقع بعد « لا » التي للجنس ، ولا « عسى » التي بمعنى : لعل .

(كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٢ ورقم ٣ من هامش ٦٢٨) .

المسألة ٥٤ :

حكم المعطوف بعد خبر «إن» وأخواتها^(١) ،
وحكمه إذا توسط بين المعمولين

(١) كيف نصب الأسماء التي تحتها خط : وهي : (الشمس - النثر - الجهل - النقط ...) وأشباهاها من كل اسم تأخر عن «إن» ومعموليه وكان معطوفاً على اسمها ^(٢) . . . ؟	{ إن الأقماسَ دائراتٌ في الفضاء ، والشموسُ . إن الشعر محمودٌ في مواطن - والنثرُ . إن الإهمال مفسدٌ للأعمال - والجهلُ . إن الحديد دِعامَة الصناعة - والنقطُ .
---	--

يجوز أمران ؛ النصب والرفع . ويكفي معرفة هذا الحكم من غير تعليل^(٣) .
وبالرغم من جواز الأمرين فالنصب هو الأوضح والأنسب^(٤) ؛ لموافقته في النصب
لاسم «إن» المنصوب ، أي : للمعطوف عليه ؛ فلا عناء معه ولا شبهة .

(ب) فإن تأخر خبر «إن» وتوسط ذلك المعطوف بينه وبين اسمها
المعطوف عليه فالأحسن اتباع الرأي القائل بجواز الأمرين أيضاً ، وأن النصب غير
واجب^(٥) مع أنه الأوضح والأنسب - كما سبق - .

(١) لا تسرى الأحكام التالية على « لا » النافية للجنس ؛ فلها أحكام خاصة تجيء في
ص ٦٩٧ و ٧٠١ كما سنعرف .

(٢) قد يكون العطف على غير اسمها مع بقاء الحكم الآتي ؛ وهو ؛ جواز النصب والرفع - كما سنعرف -

(٣) لا داعي للاهتمام بتعليله ، وبمعرفة الآراء المختلفة في سبب النصب والرفع ؛ إذ المقصود الأول
من نحو ضبط الألفاظ ضبطاً صحيحاً يوافق المعنى . وهذا الغرض يتحقق هنا بمعرفة الحكم السالف ،
والاكتفاء به ، لأنه مستنبط من الكلام العربي الأصل . وحسب المتعلمين هذا .

(٤) وحذا الاختصار عليه فيما نشئ من أساليب ؛ فتساير الضبط الأوضح ، الذي يسهل إدراك
سببه وتوجيهه . وما يقال في عطف النسق من جواز الأمرين وإثبات النصب ، يقال في بقية التوابع (الامت
وعطف البيان ، والتوكيد ، والبدل) ؛ مثل : إن محموداً قائم ، الفاضل - أو : إن محموداً قائم ،
أبو البركات ، أو : أبا البركات ، أو إن محموداً قائم ، نفسه ، أو : إن الرايتين قد استحسنتهما ، أولائهما -
بالنصب والرفع في كل التوابع السالفة ؛ متابعة للرأي الأحسن .

(٥) وقد تعرض ابن مالك للحالة الأولى وحدها ؛ وهي حالة العطف بعد مجيء الخبر ، فقال

وجائزُ رفعُك معطوفاً على منصوبٍ «إن» بعد أن تستكملاً

أي : إذا استكملت «إن» معموليها جاز العطف على اسمها - إن اقتضى المعنى ذلك - ويصح في هذا
المعطوف أن يكون منصوباً ، أو مرفوعاً ، أما سبب النصب والرفع فيجىء الكلام عليه في هامش الصفحة التالية .

وفيا يلي بعض الأمثلة لتأخر الخبر ، وتوسط المعطوف :

إن القاهرةَ ودِمَشقُ حاضرتان عظيمتان .
 إنَّ مكةَ والمدِينةُ بلدان مكرَّمان .
 إنَّ العدالة والنصفَةَ كفيلتان بالأمن والرخاء .
 إنَّ الظلمَ والاستبدادُ مؤذنان بخسراب
 العُمران .

من التيسير الحسن إجازة النصب والرفع في كل كلمة من : (دمشق - المدينة - النصفة - الاستبداد ...) وأشباهاها مع الاقتصار ، على معرفة هذا الحكم دون تعليله . فيكون الحكم في الحالتين السالفتين (ا ، ب) واحداً ، والقاعدة مطردة ^(١) ؛ سواء أكان المعطوف متقدماً على الخبر متوسطاً بينهما وبين الاسم المعطوف عليه ، كهذه الأمثلة ، أم متأخراً عنهما معا ، كالأمثلة الأولى .

(١) فتطبق - في سر ووضوح - على الحالتين السالفتين ، وعلى أحوال أخرى أتعبت كثرة النحاة في توجيهها ، لعدم أخذهم بهذه القاعدة السليمة ، فلو أن هذه الكثرة لم تتشدد بغير داع لاستراحت وأراحتنا من التعقيد المتعب . لم يختلف النحاة في حكم الحالة الأولى التي يقع فيها المعطوف متأخراً عن : « إن » ومعمولها ، وإنما اختلفوا في تحليل النصب والرفع ، وفي توجيه كل منهما ؛ وهو خلاف تشعبت الأدلة فيه . ولما كانت الغاية المقصودة هي - كما قلنا - معرفة الحكم نفسه مع سلامة المعنى المراد ، وقد عرفناه ، فلا حاجة بعده لاحتمال مشقة التحليل . وبالرغم من هذا نلخصه في وضوح ودقة للمتخصصين :

ا - تحليل النصب عند تأخر المعطوف عن الخبر والاسم معاً :

في المثال الأول : « (إن الأقمارَ دوائر في الفضاء ، والشموس) يجوز أن تكون « الشمس » بالنصب معطوفة على « الأقمار » منصوبة مثلها . و « دوائر » خبر عن المعطوف مع المعطوف عليه . فأصل الكلام « إن الأقمار والشموس دوائر في الفضاء » فالعطف من نوع عطف الكلمة الواحدة على الكلمة الواحدة ؛ ويسمونه : « عطف المفرد على المفرد » كما في نحو : « إن الرسم والتصوير لغتان عالميتان » بعطف كلمة : « التصوير » على كلمة الرسم .

وجوز أن يكون أصل الكلام : « إن الأقمار دوائر » ، في الفضاء ؛ وإن الشمس دوائر فحذفت « إن » الثانية مع خبرها لدلالة ما قبلها عليها (وقد سبق في ص ٦٤١ الإشارة إلى هذا الحذف وصوره وأحواله) وكلمة : « الشمس » اسم « إن » المحذوفة مع خبرها ؛ فتكون الجملة الاسمية الثانية المكونة من « إن » المحذوفة ومن اسمها وخبرها ، معطوفة على الجملة الاسمية الأولى المكونة من « إن » المذكورة ومعمولها . والعطف هنا عطف جملة اسمية على جملة اسمية (راجع ص ٦٧ من الجزء الثاني من شرح المفصل) . وفي المثال الثاني : « (إن الشمر محمود في مواطن ، والنثر) - يجوز في كلمة : « النثر » النصب ولكن على اعتبار أنها اسم « إن » المحذوفة مع خبرها ؛ فأصل الكلام ؛ « إن الشمر محمود في مواطن وإن النثر محمود في مواطن » . فحذفت « إن » الثانية مع خبرها ، والعطف هنا عطف جملة اسمية (مكونة من « إن » الثانية ومعمولها) على الجملة الاسمية السابقة المكونة من « إن » المذكورة ومعمولها . ولا يصح في هذا المثال =

= ماصح في سابقه من عطف المفرد على المفرد (بعطف كلمة : « النثر » على كلمة : « الشعر » التي هي اسم « إن ») ؛ لأن العطف على اسم « إن » مباشرة يؤدي هنا إلى تقرير مرفوض ؛ إذ يجعل أصل الكلام : إن الشعر والنثر محمود في مواطن . فيقع الخبر غير مطابق ؛ لأنه مفرد ، واسم إن مع ما عطف عليه بالواو متعدد في حكم المثنى ، فتضيق المطابقة اللفظية الواجبة بين المبتدأ والخبر ، أو : بين ما أصله المبتدأ والخبر ؛ إذ لا يصح أن يقال : « إن الهواة والماء ضروري للحياة بإعراب كلمة : « الماء » معطوفة على : « الهواة » عطف مفردات . . . وهذا يقال أيضاً في المثال الثالث : (إن الإهمال مفسد للأعمال والجهل) فالنصب جائز على اعتبار عطف الجملة ، فيكون التقدير : إن الإهمال مفسد للأعمال وإن الجهل مفسد . . . ولا يصح أن يكون عطف مفرد بالواو على مفرد ، ؛ كى لا يؤدي إلى عدم المطابقة اللفظية ؛ يجعل التقدير : إن الإهمال والجهل مفسد للأعمال . . .

وهكذا كل أسلوب آخر يشبه هذا الأسلوب . أما حيث لمانع من عطف المفردات فيجوز مراعاته ، أو مراعاة عطف الجمل كما في المثال الأول

ب - تحليل الرفع عند تأخر المعطوف أيضاً عن الخبر والاسم معا : يرى بعضهم : أن سبب الرفع في كلمة : (الشموس - النثر - الجهل - النفط) وأشباهاها - هو اعتبار كل واحدة منها ، مبتدأ خبره محذوف ، يفسره خبر « إن » ، والجملة الاسمية ، المكونة من هذا المبتدأ وخبره المحذوف معطوفة على الجملة الاسمية الأولى المكونة من « إن » ومعمولها . فأصل الكلام إن الأعمار دائرات (والشموس دائرات) - إن الشعر محمود في مواطن (والنثر محمود في مواطن) . . . وهكذا . . . فالعطف عطف جملة اسمية على جملة اسمية .

ويرى آخرون : أن هذه الكلمات المرفوعة معطوفة على الضمير المستتر في خبر « إن » وخاصة إن كان الخبر مشتقاً وبينه وبين المعطوف فاصل ، لأن الخبر المشتق يحوى الضمير المستتر بغير تأويل ، ولأن وجود الفاصل يرضى ، القائلين بأنه : « لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل - ومنه المستتر - إلا مع فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه (الذي هو : الضمير) . فكلمة « الشموس » يجوز رفعها ؛ لأنها معطوفة على الضمير المستتر في « دائرات » وتقدير الضمير : « هي » . والفاصل بينهما موجود . وكلمة « النثر » يجوز رفعها باعتبارها معطوفة على الضمير المستتر في كلمة : محمود ، وتقديره : « هو » . والفاصل موجود أيضاً . وكلمة : « الجهل » معطوفة على الضمير المستتر في كلمة : « مفسد » وتقديره : « هو » ، والفاصل موجود ، وهكذا . . . فالعطف عطف مفردات .

ويرى فريق ثالث : أن العطف إنما هو على اسم « إن » مباشرة ؛ باعتباره في الأصل مبتدأ مرفوعاً قبل مجئ الناسخ ؛ فيجوز الرفع مراعاة لذلك الأصل بشرط ألا يتعارض مع المطابقة المطلوبة بين معمول : « إن » . ولكل فريق من الثلاثة - وغيرهم - أدلة في تأييد مذهبه ، وفي الرد على معارضي . لكن الحق أن كثيراً من تلك الأدلة جبديّة ، وأن كثيراً من الأساليب العربية الفصيحة ينطبق عليها بعض الآراء دون بعض .

* * *

نتنقل بعد ذلك إلى الحالة الثانية التي يتأخر فيها الخبر ويتقدم عليه المعطوف ؛ فيتوسط بينه وبين اسم « إن » . وقد قلنا : إنه يجوز فيها الرفع والنصب أيضاً . ولولم نأخذ بهذا الرأي لوقتنا في لجة غامرة من التحمل ، والجلد ، والتأويل الذي لاخير فيه ، والذي يمتد إلى القرآن الكريم ، والكلام الفصيح من غير داع مستساغ . وتوجيه النصب هنا يحتاج لمزيد من اليقظة والإدراك ، كما سيتبين مما يأتي :

١ - تحليل النصب :

... ..
... ..

= في مثل : (إن القاهرة ودمشق حاضرتان ...) يجوز نصب «دمشق» على اعتبار واحد؛ هو أنها معطوفة على اسم «إن» المنصوب ، والخبر هو : «حاضرتان» ؛ فالعطف عطف مفرد على مفرد ، ولا يجوز أن يكون عطف جملة على جملة بإعراب «دمشق» منصوبة ، اسم «إن» المحذوفة مع خبرها الذي يدل عليه خبر «إن» الموجودة ؛ إذ يكون التقدير : إن القاهرة حاضرتان - وإن دمشق حاضرة - فتختل المطابقة اللفظية . هذا إلى أننا سنعطف جملة على جملة لم تكمل ولم تتم . والأمران ممنوعان .

ولو أعربنا كلمة «حاضرتان» خبر «إن» المحذوفة ، وخبر المذكورة محذوف لكان التقدير إن القاهرة حاضرة وإن دمشق حاضرتان «وهو فاسد ؛ لاختلال المطابقة اللفظية ، كفساده في مثل : محمود وصالح غائبان ، على اعتبار كلمة . «صالح» مبتدأ خبره محذوف فيكون التقدير : محمود - وصالح غائب - غائبان . . . والفساد واضح هنا ، كوضوحه لو أعربنا كلمة : «صالح» مبتدأ ، خبره كلمة : «غائبان» والتقدير : محمود غائب وصالح غائبان .

والأمر بالعكس لو قلنا : إن القاهرة ودمشق حاضرة ؛ إذ يصح أن يكون «دمشق» منصوبة إما : على اعتبارها اسم «إن» المحذوفة ، وحدها ، وكلمة : «حاضرة» المذكورة خبرها . ويكون خبر «إن» المذكورة محذوف تقديره : عاصمة . مثلاً - . فالأصل : إن القاهرة عاصمة . . . وإن دمشق حاضرة ؛ فالجملة الاسمية الثانية معطوفة على الجملة الاسمية الأولى . والعطف عطف جمل ، ولا يصح أن يكون عطف مفردات ؛ لما يترتب عليه من تقدير يجعل أصل الجملة : «إن القاهرة ودمشق حاضرة» فتختل المطابقة اللفظية - كما تختل في مثل : حامد وأمين قائم - بعطف «أمين» مباشرة - على : «حامد» فيقع المفرد خبراً عن المثنى أو ما في حكمه ؛ وهذا ممنوع .

وإما على اعتبارها اسم «إن» المحذوفة - أيضاً - مع خبرها . وأصل الكلام : إن القاهرة حاضرة وإن دمشق «حاضرة» فتقدمت الجملة الثانية ، واعتبرت بين اسم «إن» الأولى وخبرها ، فهي جملة معترضة ، وليست معطوفة ؛ إذ لا يصح عطف جملة على جملة إلا بعد أن تتم الجملة الأولى ، وهي المعطوف عليها - كما تقدم -

وما سبق نعرف أن النزول على حكم المطابقة اللفظية أمر محتموم ؛ فحيث تحققت وتحكمت - كالمثال الأول - وجب اعتبار العطف عطف مفردات ، وحيث اختلفت - كالمثال الثاني - وجب اعتباره عطف جمل ، أو اعتبار الجملة الثانية غير معطوفة ، وإما هي جملة معترضة تقدمت من تأخير ففصلت بين اسم إن وخبرها . وقد تكون مستأنفة إن اقتضى المعنى ذلك .

ب - تحليل الرفع :

في المثال الأول ونظائره من نحو : إن العدالة والنصفة كفيلتان بالأمن والرخاء ، يجوز رفع كلمة : «النصفة» على أنها معطوفة على اسم «إن» باعتبار أصله مبتدأ مرفوعاً قبل مجيء الناسخ ، والخبر هو كلمة : «كفيلتان» ، فالعطف عطف مفردات ؛ لمطابقة الخبر لاسم «إن» مع المعطوف . ولا يصح أن يكون عطف جمل ، بإعراب كلمة : «النصفة» مبتدأ خبره محذوف ، لما يلزم عليه من فساد الأسلوب لفساد المطابقة ؛ كما شرحنا .. ولما يلزم عليه أيضاً من عطف جملة على جملة أخرى لم تكمل .

فلو قلنا : إن العدالة والنصفة كفيفة بالأمن والرخاء ، لجاز الرفع على اعتبار كلمة : «النصفة» مبتدأ خبره ، كلمة : «كفيفة» الموجودة ، وخبر «إن» محذوف . - بعد اسمها - تقديره : كفيفة أوضاعاً . . . أو . . . وتقدير الكلام : إن العدالة كفيفة بالأمن ، والنصفة كفيفة بالأمن . فيكون الكلام عطف جملة اسمية لاحقة على نظيرتها السابقة ، كما يجوز إعراب كلمة : «كفيفة» الموجودة خبر «إن» . أما خبر المبتدأ فمحذوف تقديره : كفيفة - مثلاً - فتكون الجملة المكونة من المبتدأ =

«انظر جملة اعتراضية بين اسم « إن » وخبرها ، ولا يجوز أن تكون معطوفة ؛ لما سبق من أنه لا يجوز عطف جملة على جملة إلا بعد أن تم الأولى وهي التي عطف عليها .

ولا اعتداد برأى من يرفض الرفع في الصورة التي لا مطابقة فيها - وغيرها - فيمنع أن يقال : إن العدالة والنصفة كفيلة . . . كما يمنع أن يقال : إن محمداً وعلى قائم . فلو أخذنا برأيه لاعتترضتنا أمثلة ناصعة الفصاحة من القرآن الكريم . والكلام العربي الصحيح ، ولم نجد بداً من التمثل المعيب ، والتأويل البغيض . وكيف يوجب كثير من النحاة النصب . وحده - عند العطف بعد الاسم وقبل مجيء خبر « إن » مع مجيء الرفع في قوله تعالى : (إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، «والصابئون» ، والنصارى - من آمن بالله...) ؟ فكلمة : « الصابئون » وقعت مرفوعة بعد العاطف وقبل مجيء خبر « إن » واسم « إن » هو كلمة : « الذين » ومثلها قراءة قوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي . . .) برفع كلمة « ملائكة » بعد العاطف وقبل خبر « إن » وكذلك قول الشاعر

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي الْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ

وكلمة « قيار » (وهي اسم حصان الشاعر) مرفوعة : بعد العاطف وقبل خبر « إن » . ومثل قول الشاعر :

وَالْإِذَا فاعَلِمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ بَغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شَقَاقٍ

فالضمير « أنتم » ضمير رفع . وغير هذا من الشواهد المتعددة . كيف يقبلون أن تقول الآية - بغير داع - لتطابق القاعدة ولا يتصرفون في القاعدة تصرفاً صريحاً يسائر الآية ، مع اعتقادهم أن القرآن أفسح كلام عربي وأعلاه ؟ ولم التمثل في الأمثلة العربية الأخرى - وهي كثيرة - وترك القاعدة بغير إصلاح ؟ وهل يصير الأسلوب الفاسد صالحاً بمجرد التأويل والنية الخفية من غير تغيير يطرأ على ظاهره ؟

ثم هم لا يبيحون التأويل إلا في الأمثلة المسموعة التي تخالف قاعدتهم ، أما الأمثلة التي هي من كلام المحدثين ففسادة - في رأيهم - فساداً ذاتياً ؛ فلا يجوز قبولها ، ولا التماس التأويل فيها . وهم يؤولون المرفوع في الأمثلة السالفة وأشابهها بما نعتبه حكماً عاماً صحيحاً في ذاته ، لا يحتاج لتأويل - وغير مقصور على الوارد المسموع ، فيؤولون المرفوع في الآية الأولى وفي البيت مبتدأ - خبره محذوف ، والجملة معترضة - بين اسم إن وخبرها ، لتقدم المبتدأ وخبره عن مكانهما ، وتوسطهما بين اسم « إن » وخبرها . فأصل الآية - عندهم : (إن الذين آمنوا - والصابئون كذلك - من آمن منهم) - وأصل البيت : فإني - وقيار غريب - لغريب ، ويفضلون أن تكون الجملة في المثلثين اعتراضية لامعطوفة ، فزاراً من العطف قبل تمام الجملة المعطوف عليها ، إن جعل من عطف الجمل ، وزاراً من تقدم المعطوف على المعطوف عليه إن عطف المرفوع على الضمير المستتر في الخبر فهم يؤولون البيت بتأويل الآية الأولى وحدها فيجعلون كلمة : « غريب » المشتعلة على لام الابتداء خبراً « إن » ولا يجعلونها خبراً لكلمة « قيار » لأن دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ ضعيف . فخير هنا مخوف ؛ والتقدير « وقيار غريب » أو « وقيار مثل » والجملة منهما اعتراضية . وكل هذا مقبول ، ولكن على أساس أنه حكم عام غير مقصور على السماع - كما تقدم - وأنه صحيح ذاتياً .

أما في الآية الثانية : (إن الله وملائكته . . . فيلتمسون تأويلاً آخر ، فيجعلون خبر « إن » هو المخوف ، ويجعلون الاسم المرفوع مبتدأ خبره المذكور بعده ، والتقدير عندهم : إن الله يصلي على النبي ، وملائكته يصلون على النبي ؛ إذ لا يصلح في هذه الآية التقدير الأول الذي صلح لسابقتها ، لما يترقب =

عليه من أن يكون التقدير ؛ إن الله يصلون على النبي ؛ فتحصل المطابقة اللفظية بين اسم « إن » وخبرها ، وهي لازمة كما قلنا ، فإن لم يوجد ما يمين أحد التأويلين فهما - عندهم - جائزان .

كل هذا وماسبقه من تأويل عندهم ، عنه لاسموع لاحتاله ، يربحنا منه الأخذ بالرأى الذى يبيح الأمرين : الرفع والنصب بالتوجيه الذى شرحناه ، فوق ما فيه من راحة أخرى ؛ إذ يجعل القاعدة واحدة مطردة ؛ فيسوى بين العطف بعد مجيء خبر « أن » وقبل مجيئه .

على أننا نقول : حسب الناس في الصور السابقة كلها أن يحاكون أساليب القرآن ، والكلام العربى الفصيح ؛ فلا نرهقهم بالتأويلات المختلفة ، وفهمها . ومن شاء أن يؤول كلامهم بعد قبوله كما أول القرآن ، فليفعل . وعلى ضوء ما سبق يمكن الوصول إلى حكيمين :

أولهما : فساد التركيب في مثل : « إن محمداً وإن علياً منطلقان ؛ لاشتغاله على خبر واحد لمتعاطفين تكررت فيها « إن » فيكون معمولاً واحداً لعاملين ، هما : « إن » الأولى و « إن » الثانية وهو بهذه الصورة غير جائز ؛ لأن كل عامل منهما يحتاج وحده إلى معمول خاص به (راجع المجمع ج ١ ص ١٣٥)

ثانيهما - توجيه الأساليب الآتية : تطبيقاً على ما سبق - :

« إن رجلاً و غلاماً حاضراً » . فكلهما « غلاماً » منصوبة على أنها معطوفة عطف مفردات على اسم « إن » المنصوب لفظه . ولوقلنا : إن رجلاً و غلاماً حاضراً ، لكأن كلمة « غلام » مرفوعة ؛ لأنها معطوفة عطف مفردات على اسم « إن » ، باعتبار أصله المبتدأ قبل أن يصير اسم « إن » ، وكلمة : « حاضراً » هى الخبر في الحالتين ؛ لأنها شئ ؛ فهى مطابقة للمعطوف والمعطوف عليه معاً .

أما إذا لم تطابق في مثل : إن رجلاً و غلاماً حاضراً . تريد : إن رجلاً حاضراً ، وإن غلاماً حاضراً ، مع قيام قرينة تدل على هذا المراد - فالأصول اللغوية العامة لا تمنع هذا الأسلوب ؛ فيصح أن تكون كلمة « حاضراً » خبر « إن » المذكورة . وكلمة « غلاماً » اسم « إن » المحذوفة مع خبرها ، وهذه الجملة معترضة ، ولا تصلح أن تكون معطوفة ، لما سبق توضيحه - في الرأى الراجح - .

وكذلك إن لم تطابق في مثل : إن رجلاً و غلاماً حاضراً . فكلمة « حاضراً » خبر « إن » المذكورة « و غلاماً » مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير : إن رجلاً حاضراً ، و غلاماً حاضراً ، وتكون الجملة الثانية معترضة - أيضاً - بين اسم إن وخبرها .

ويجوز في المثال الأول : (إن رجلاً و غلاماً حاضراً) اعتبار كلمة : « حاضراً » خبر « إن » محذوفة وحدها . وخبر المذكورة محذوف أيضاً ، والجملة الثانية معطوفة على الأولى عطفت جمل . . . وهكذا

ملاحظة : مما يجب التفطن له أن كل واحد من هذه الاعتبارات - وأشباهها - لا يصح الاتجاه إليه بداعى التحمل المحض في تصحيح كلمة لم يتضح في السياق مرادها المسمى السليم ولا مهمتها في توضيح المراد ، ولا يصح تلمس التصويب لمن نطق بها عقواً ، على غير هدى لغوى يؤدى إلى المعنى المقصود ؛ وإلا صارت اللغة لعباً ولغوياً . وإنا نلجأ إلى التأويل حين يكون هو الوسيلة لتحقيق المعنى المراد الصادر عن قصد ؛ لقيام قرينة تفرسه وتأتى سواه .

و بالرغم من الاعتبارات السالفة تقضى الحكمة ألا نلجأ إلى استعمال تلك الأساليب ما وجدنا مندوحة للبعد عنها . ومن الخير أن نكتفى في العطف على اسم « إن » بضبط المعطوف منصوباً فقط ، سواء . أكان العطف قبل مجيء الخبر أم بعده ، لأن هذا هو المسلك الظاهر ، المتفق عليه ، والنهج الواضح الذى يعد أتباعه عن أهم مقاصد البلغاء . ما لم يوجد مقصد أسمى يدعو للعدل المحم عنه ؛ كإقتضاء المقام أن يكون العطف عطف جمل ، لا عطف مفردات ؛ لأن الأول يؤدى غرضاً غير الذى يؤديه الثانى .

حكم المعطوف مع أخوات «إن»^(١) :

كل ما قيل في حكم المعطوف بعد استكمال «إن» خبرها . وقبل استكمالها - يقال أيضاً في حرفين من أخواتها ، هما : «أن» (المفتوحة الهمزة ، المشددة النون) و « لكن » المشددة النون ، سواء أكان العطف قبل استكمالها الخبر أم بعده ، فالحروف الثلاثة الناسخة : («إن» - «أن» - لكن ») مشتركة في الحكم السالف . تقول : علمت أن طائرة مسافرة وسيارة^٢ ، أو : علمت أن طائرة وسيارة^٣ مسافرتان ، بنصب كلمة : «سيارة» ورفعها ، مع تقدمها على الخبر وحده ، أو تأخرها عنه . كما تقول : الفواكه كثيرة في بلادنا ، لكن التفاح قليل . والبُرقوق^٤ . أو لكن التفاح والبُرقوق قليلان ، بنصب كلمة : «البُرقوق» أو رفعها مع التقدم على الخبر وحده أو التأخر عنه ، مراعى في كل ذلك ما سبق من الضوابط ، ولا سيما المطابقة .

أمّا «ليت» و «لعل» و «كأن» فلا يجوز معها في المعطوف إلا النصب ، سواء أوقع بعد استكمالها الخبر أم قبل استكمالها . مثل : ليت الأخ حاضر والصديق^٥ ، أو ليت الأخ والصديق حاضران ؛ بنصب كلمة : «الصديق» في الحاليتين . ومثل : لعل العلاج مفيد والدواء^٦ ، أو : لعل العلاج والدواء مفيدان ، بنصب كلمة : «الدواء» فيهما . ومثل : ليت الصحة دائمة والثروة^٧ ، أو : ليت الصحة والثروة دائمتان . بنصب كلمة : الثروة فيهما وهكذا....^(٢)

وأما : «لا النافية للجنس»^(٣) فلا ينطبق عليها حكم المسألتين السالفتين ؛ لأن لها أحكاماً خاصة ستجىء في بابها^(٤)

(١) في المسألة التالية ما في سابقها من كثرة الخلاف ، والشعيب ؛ بحيث يصعب استخلاص حكم يسائر أسنى الأساليب الفصيحة ، وأدق الأحكام اللغوية العامة ، وقد أثبتنا في المسألتين ما استصفيناه (٢) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَأَلْحَقْتُ بِإِنْ «لَكِنْ» ، وَ «أَنْ» مِنْ دُونِ «لَيْتَ» ، وَ «لَعَلَّ» وَكَأَنَّ

أي : ألحق «بإن» في الحكم السابق الخاص بالعطف - حرفان من أخواتها ؛ هما : «أن» (المفتوحة الهمزة ، المشددة النون) و « لكن » ، بتشديد النون ، وخالفها ثلاثة أخرى ؛ هي : «ليت» و «لعل» ، و «كأن» وقد فصلنا ذلك الحكم . ويزاد على هذه الثلاثة «لا الجنسية» لما قرئناه من انفرداها بأحكام خاصة وفي بيت ابن مالك خففت النون في «أن» و «كأن» لضرورة الشعر التي جعلت النون ساكنة فيهما .

(٣) وهي من أخوات «إن» . (٤) في ص ٦٩٧ و ٧٠١ .

ونستخلص من كل ما تقدم أمرين :

(أ) أن المعطوف على اسم من أسماء هذه الحروف الناسخة يجوز فيه النصب مطلقاً ، (أى : سواء أكان الحرف الناسخ هو : « إن » أم غيره من أخواته ؛ وسواء أكان العطف بعد استكمال الخبر أم قبل استكمالهِ ومجيئهِ) إلا « لا » الجنسية ، فللعطف على اسمها أحكام خاصة تجيء في بابها^(١) .

(ب) امتياز : إن ، وأن ، ولكن - دون أخواتها - بجواز شيء آخر ؛ هو : صحة رفع المعطوف على اسمها ؛ سواء أكان المعطوف متوسطاً بين الاسم والخبر أم متأخراً عنهما معا .

* * *

المسألة ٥٥ :

تخفيف الحروف المشددة للناسخة ^(١) :

(إِنَّ ، أَنْ ، كَأَنَّ . لَكِنَّ)

الحرف الأول :

فأما « إِنَّ » (المكسورة الهمزة ، المشددة النون) فيجوز فيها التخفيف بحذف النون الثانية المفتوحة ، وإبقاء الأولى ساكنة . وعندئذ تصلح « إِنَّ » المخففة للدخول على الجمل الاسمية والفعلية ، بعد أن كانت مع التشديد ناسخة مختصة بالاسمية . (١) فإن خُفِّفت ودخلت على جملة اسمية جاز إبقاء معناها ، وعملها ،

وسائر أحكامها التي كانت لها قبل التخفيف ^(٢) ، وجاز إبقاء معناها دون عملها ، فتصير مهملة ملغاة . مثل إِنَّ جريراً لشاعر أُمَوِيَّ كبير ، أو : إِنَّ جريراً لشاعر أُمَوِيَّ كبير . ومثل : إِنَّ أبا حنيفة لإمام عظيم ، أو : إِنَّ أبا حنيفة لإمام عظيم ، بنصب كلمتي : « جريراً ، وأبا » على الإعمال ، وبرزعهما على الإهمال . . . وإهمالها أكثر في كلام العرب ، ويحسن - اليوم - الاقتصار عليه .

وإذا أهملت « أَنْ » مع دخولها على جملة اسمية - وجب مراعاة ما يأتي :

١ - أن يكون اسمها قبل إهمالها - اسماً ظاهراً لا ضميراً ؛ مثل : إِنَّ بَغْدَادُ لبلد تاريخي مشهور .

٢ - أن تشتمل الجملة التي بعدها على لام الابتداء ^(٣) ؛ لتكون رمزاً للتخفيف . ودالة على أنها ليست النافية ، ولذا قد تسمى : اللام الفارقة ^(٤) ، لأنها تفرق بين المخففة والنافية ؛ مثل : إِنَّ تُونُسُ لَرَجَالُهَا عرب . ويجوز نركها والاستغناء عنها متى وجدت قرينة واضحة تقوم مقامها في تبين نوع « إِنَّ » ، وأنها المخففة .

(١) هذا هو البحث الذي أشرنا إليه في رقم ٣ من هامش ص ٦٣٠ .

(٢) إلا العمل في الضمير ؛ فإن العمل فيه مقصور على المشددة ؛ تقول : إِنَّكَ عدو الطغيان بتشديد « إِنَّ » . ولا يجوز التخفيف في اللغة المستحسنة التي هي حسبنا اليوم .

(٣) تفصيل الكلام عليها في ص ٦٥٩

(٤) هذه لام الابتداء في الرأي الراجح ، وتجيء عند التخفيف . ولكن مكانها يختلف باختلاف التراكيب على الوجه التالي :

(أ) فعند دخول « إِنَّ » المخففة على جملة اسمية فإن اللام تدخل على الخبر عند الإهمال .
(ب) وعند دخول « إِنَّ » المخففة على جملة فعلية فإن الإهمال واجب - في الأرجح - ، ويكون =

وليست النافية ، لكن عدم تركها أفضل^(١) . ولا فرق في القرينة بين أن تكون لفظية أو معنوية . والمعنوية أقوى .

ومن القرائن اللفظية أن يكون الخبر فيها منفيًا ؛ مثل : إن المجاملة لن تضر صاحبها . فكلمة « إن » مخففة ، وليست نافية ؛ لأن إدخال النفي على النفي لإبطال الأول قليل جدًا في الكلام الفصيح ؛ إذ يمكن مجيء الكلام مثبتًا من أول الأمر ، من غير حاجة إلى نفي النفي المؤدى للإثبات بعد تطويل . ومثال القرينة المعنوية : (إن العاقل يتبع سبيل الرشاد) . (إن المحسن يكون محبوبًا) . (إن الاستقامة تجلب الغنى) ؛ إذ المعنى يفسد على اعتبار « إن » للنفي في هذه الأمثلة . . . ومن هذا النوع قول الشاعر :

أنا ابنُ أبَاةِ الضَّيِّمِ من آلِ مالِكٍ وإن مالِكٌ كانت كرامَ المعادنِ
فلو كانت « إن » للنفي لكان عجز البيت ذمًا في قبيلة مالِك ، مع أن صدره مدحها^(٢) .

= الفعل بعدها ناسخًا - كما سيجيء في ب من ص ٦٧٥ - وتدخل اللام على خبره الحال ، أو على خبره بحسب الأصل ؛ فالأول نحو : إن كنت لناصرًا المظلوم . والثاني : إن ظننتك لطموحًا . فإن كان غير ناسخ - وهذا قليل لا يصح القياس عليه اليوم - دخلت على فاعله إن كان اسمًا ظاهرًا ، أو ضميرًا بارزًا ؛ نحو : إن يزينك لنفسك ، وإن يشينك لهيئة ؛ فكلمة : « نفس » اسم ظاهر ، فاعل للفعل : « يزين » ، وكلمة : « هي » ضمير بارز فاعل للفعل : يشين ، وإياه التي في آخر الضمير هاء للسكت . والمراد : إن نفسك هي التي تزينك ، وهي التي تشينك ، أي : تعيبك - انظر « أ » من ص ٦٧٦ - فإن اجتمع الفاعل والمفعول به دخلت على السابق منهما ، نحو : إن أحسن لكاتب عملك . أو : إن أحسن لعملك كاتب . وإنما تدخل على السابق منهما بشرط ألا يكون ضميرًا متصلًا (ظاهرًا أو مستترًا) فإن كان ضميرًا متصلًا لم تدخل عليه اللام ودخلت على المتأخر : مثل : إن عظمت لعالمًا نافعا ، وإن مدحت لإياه ، والعاقل إن مدح لعظيم (فقد دخلت اللام على المفعول به مع تأخره) لأن الفاعل في المثالين الأولين ضمير متصل بارز ، وفي الأخير ضمير متصل مستتر .

(١) إلا لما منع يمنع ؛ كدخولها على حرف نفي .

(٢) حذف اللام هنا لعدم الحاجة إليها ؛ لأن المقام للمدح ؛ وهو يقتضى الإثبات لا النفي . وفي هذه الحالة يجوز حذفها وإثباتها .

وما يلاحظ أننا لو أردنا إدخالها في المثال السالف لكان الأنسب إدخالها على كلمة : « كرام » دون الفعل : « كان » ؛ لأنها لا تدخل على ماض ، متصرف ، خال من « قد » - كما سبق - في ص ٦٦١ - سواء أكانت « إن » عاملة أم غير عاملة .

هذا ، وكلمة : « أباة » جمع « آب » بمعنى : كاره . و « مالِك » اسم قبيلة عربية ؛ سميت باسم زعيمها ، والشاعر يتباهى في صدر البيت بأنه من أسرة ذلك الزعيم ، وأنها تكره الضيم ؛ (أي : الذل) وأنها =

٣- أن يكون الخبر من النوع الذى يصلح لدخول اللام عليه ، وقد سبق بيانه (١) .

(ب) وإن خُفِّفَت ودخلت على جملة فعلية وجب الإهمال (٢) - فى رأى الأشهر - وأن يكون الفعل بعدها ناسخاً (٣) ؛ مثل : الحرية عزيزة ، وإن كانت لأمنية النفوس الكبيرة ، وقول أعرابي لأحد الفتيان : رَحِمَ الله أباك ، إن كان ليملاً العين جمالاً ، والأذن بياناً ، ومثل : إن يكادُ الدليلُ ليألفُ الهوان . ومثل : إن وجدنا المناقق لأبعدد من إكبار الناس وتقديرهم (٤) .

* * *

= قبيلة كريمة الأصول . فكلمة «مالك» الأولى اسم للزعيم ، والثانية اسم القبيلة ؛ ولهذا أنث الفعل معها . (١) راجع ص ٦٦٠ .

(٢) ولاداعى للأخذ بالرأى القائل بأعمالها ، واعتبار اسمها ضمير الشأن المحذوف . وهو رأى مقبول أيضاً .

(٣) مثل كان وأخواتها . (ومن أخواتها : أفعال المقاربة ، وما يتصل بها ...) ومثل : « ظن وأخواتها » - ويشترط فى هذا الفعل الناسخ ألا يكون نافياً ؛ مثل : « ليس » ، ولا منقياً ؛ مثل ما كان ، مازال ، ما برح ، لن أبرح ، لن أفتأ . . . وأن يكون غير داخل ، فى صلة ؛ مثل : مادام ، وتجيء اللام فى خبر الناسخ الحالى ، أو خبره بحسب الأصل (كما سبق فى ب هامش ص ٦٧٣) . (٤) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَحُفِّفَتْ : « إِنَّ » فَقَلَّ الْعَمَلُ وَتَلَزَمُ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ

وَرُبَّمَا اسْتُغْنِيَ عَنْهَا إِنْ بَدَأَ مَا نَاطِقٌ أَرَادَهُ مُعْتَمِدًا

أى : إذا خففت « إن » قلَّ إعمالها . وإذا أهملت لزم مجيء اللام بعدها ، وقد شرحنا ما يتعلق بمجيئها .

ثم أوضح فى البيت الثانى أن هذه اللام قد يمكن تركها ، والاستغناء عنها إن بدا (أى : ظهر) المراد الذى أرادته المتكلم ، معتمداً فى ظهوره على قرينة توضحه - ومعنى (بدا مانطق أرادته) ظهر الذى أرادته الناطق - ثم قال :

وَالْفِعْلُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَاسِخًا فَلَا تُلْفِيهِ - غَالِبًا - بِإِنْ ذِي مُوَصَّلًا

« ذى » بمعنى : هذه . يريد : أن الفعل إن لم يكن من الأفعال الناسخة فإنك - غالباً - لا تُلْفِيهِ (أى : لا تتجده) فى الكلام الفصيح متصلاً بـ « إن » المحففة ؛ فلا يقع بعدها مباشرة (وكلمة : « غالباً » تعرب ظرف زمان أو مكان . فالمعنى : انتفى فى غالب الأزمنة ، أو فى غالب التراكيب وجود الفعل غير الناسخ متصلاً مباشرة بالحرف « إن » المحففة) .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

(ا) من الأمثلة العربية المسموعة : «إِنْ لِيَزِيَنَّكَ لَنَفْسُكَ ، وَإِنْ يَشِينُكَ لَهَيْبَةٍ» . وقد سبق^(١) ، ومنها : «إِنْ قَنَنْتَ كَاتِبَكَ لَسَوْطًا»^(٢) . وقول الشاعر :
شَلَّتْ^(٣) يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

وهي أمثلة يستشهد بها النحاة على وقوع الأفعال غير الناسخة بعد «إِنْ» إذا خففت . ولا داعي لمحاكاة هذه الأمثلة القليلة . وحسبنا أن نبين معناها ، والغرض الذي نستعملها فيه ، دون القياس عليها من هذه الناحية .

(ب) بمناسبة تخفيف «إِنْ» يعرض النحاة للقراءات التي في قوله تعالى : «وَإِنْ كَلَّا لَسَمًا لِّیُؤْفِقَیْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» ، وتوجيه كل قراءة . وإليك بعض ذلك .
١ - (وإن كلاً لسماً لیؤفقیئنهم ربك أعمالهم) بتشديد النون ، وتخفيف

«ما» ، فيكون الإعراب : «كلاً» اسم إن . «لما» ، اللام لام ابتداء ، «ما» زائدة ؛ لتفصل بين اللامين ، «لیؤفقیئنهم» اللام للابتداء ؛ لتوكيد الأولى ، والجملة بعدها خبر «إِنْ» .

ويصح إعراب آخر : «كلاً» اسم إن المشددة . «لسماً» اللام لام الابتداء ، «ما» : اسم موصول خبر «إِنْ» مبني على انكسار في محل رفع . «لیؤفقیئنهم» اللام للقسم ، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب جواب قسم محذوف ؛ وجملة القسم وجوابه صلة «ما» ، والتقدير : «لسماً والله لیؤفقیئنهم»^(٤) . وجملة القسم وإن كانت إنشائية — هي لمجرد التأكيد وجملة جوابه هي الصلة في الحقيقة . أي : (وإن كلاً لسلّدين والله لیؤفقیئنهم) لهذا لا يقال إن جملة القسم هنا إنشائية مع أن جملة الصلة لا تكون إلا خبرية^(٥) .

(١) في «ب» من هامش ص ٦٧٣ .

(٢) أي : إنك قنعت كاتبك سوطاً ، بمعنى : ضربته على رأسه بالسوط ، فأحاط به إحاطة القناع

برأس المرأة . (٣) يدعوليه بشلل يمينه ؛ فالجملة دعائية .

(٤) انظر ص ٣٧٨ حيث الأشياء التي يجوز الفصل بأحدها بين الموصول وصلته .

(٥) راجع الصبان في هذا الموضع ، ثم ما يتصل بهذا في ص ٣٧٤ و ٣٧٨ السابقتين .

... ..
... ..

٢- (وإنْ كُلاً لَمَّا ليُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) بتخفيف «إنْ» و «مَّا» مع إعمال «إنْ» كأصلها. والإعراب لا يختلف عما سبق؛ فيصح هنا ماصح هناك.

٣- (وإنْ كُلُّ لَمَّا ليُوفِّيَنَّهُمْ . . .) بتخفيف «إنْ» و «مَّا» . فكلمة «إنْ» مهمله . كل : مبتدأ . وما بعد ذلك يصح فيه الأوجه السالفة في الصورة الأولى مع ملاحظة أن الأخبار هنا تكون للمبتدأ .

٤- (وإنْ كلاً لَمَّا ليُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) بتخفيف «إنْ» وتشديد «لَمَّا» والإعراب يجري على اعتبار «إنْ» حرف نفي ، و «لما» أداة استثناء بمعنى : «إلا» و «كلاً» مفعول لفعل تقديره : أرى - مثلاً - محذوف ، و «ليُوفِّيَنَّهُمْ» . اللام للقسمة ، والجملة ، بعدها جوابه ، أى : ما أرى كلاً إلا والله ليُوفِّيَنَّهُمْ .

٥- وإنْ كلاً لَمَّا ليُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) بتشديد «إنْ» و «لَمَّا» والأحسن اعتبار «لما» حرف جزم ، والمجزوم محذوف ، والتقدير : (وإنْ كلاً لَمَّا يُوَفِّقُوا أَعْمَالَهُمْ . . .) ليُوفِّيَنَّهُمْ» اللام للقسمة ، والجملة بعدها جوابه ، والقسمة وجوابه كلام مستأنف .

وعلى ضوء ما تقدم نعرب قوله تعالى : (وإنْ كُلُّ لَمَّا جميعٌ لدينا مُحَضَّرُونَ) فعند تشديد «لما» تكون بمعنى «إلا» ، و «إنْ» المخففة حرف نفي . «كل» مبتدأ ، جميع : خبره ، محضرون » نعت للخبر ، مرفوع بالواو ، «لدى» ظرف متعلق به ، مضاف ، «نا» مضاف إليه مبنى على السكون في محل جر . وعند تخفيف «ما» يكون الإعراب ، كما يأتي :

«إنْ» مهمله «كُلُّ» مبتدأ . «لَمَّا» اللام لام الابتداء ، «ما» زائدة ، «جميع» مبتدأ ثان^(١) «محضرون» خبر الثاني ، والثاني وخبره خبر الأول . «لدينا» «لدى» ظرف متعلق بكلمة «محضرون» . «نا» مضاف إلى الظرف . ويجوز في هذه الآية وسابقتها إعرابات وتوجيهات أخرى^(٢) .

(١) وإعرابها هنا مبتدأ أحسن من إعرابها خبراً؛ لكيلا تدخل «لام الابتداء» على الخبر؛ مع صحة لأن دخولها على المبتدأ هو الأكثر .

(٢) سجلها الصبان والتصريح والخضري في آخر باب «إن» وأخواتها عند الكلام على تخفيف «إن» .

الحرف الثاني : أن

وأما « أن » (مفتوحة الهمزة ، مشددة النون) فيجوز فيها التخفيف بحذف النون الثانية المفتوحة ، وترك الأولى ساكنة ؛ نحو : أيقنت أن «على شجاع» . ويتحتم اعتبار « أن » مخففة من الثقيلة متى وجدت علامة مما يأتي :

١ - أن تقع بعد ما يدل على اليقين ^(١) والقطع ، مثل . (أيقن - تيقن - جزم - عليم - اعترف التي بمعنى : عليم ، أو : أقر - اعتقادي - لا شك) وغيرها من الأفعال أو الألفاظ التي تفيد اليقين ^(٢) ؛ نحو : أيقنت أن عدل من الله كل جزائه . وقول الشاعر :

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ؟
فإن عرّضت أيقنت أن لا أخاليا

٢ - أن تدخل على فعل جامد ، أو : على رُبّ ، أو : على حرف تنفيس ^(٣) ؛ نحو : اعتقادي أن ليس لشفقة الوالدين مثيل ؛ وقول الشاعر :

ولم رأيت الشمس زادت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسوء ممد

ومثل :

أجدك ما تدبرين أن رُبّ ليلة
كان دجأها من قرونك ينشدر

وقول الناصح لسامعيه :

فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا
أن سوف تلتقون خزيًا ظاهر العار

٣ - أن يقع بعدها فعل دعاء ، نحو أطل الله عمرك ، وأن هيأ لك المستقبل

السعيد .

(١) انظر ص ٦٤٤ وما يدل على اليقين عند سيبويه ، ومن معه - الألفاظ الدالة على الخوف والحذر إذا كان أمرها متيقنا - كما في الصفحة المشار إليها -

(٢) أما التي تقع بعد ما يدل على الظن (مثل : ظن ، زعم ، خال ، . . . والظن معناه : ترجيح أحد الأمرين) فإنها صالحة لأن تكون مخففة ، وأن تكون مصدرية ناصبة للمضارع بعدها . وبعضها لأحدهما وجود قرينة لفظية تقضي بالتعيين . فوجود الفاصل ، أو رفع المضارع بعدها - قرينة لفظية على أنها المخففة . ونصب المضارع بعدها قرينة لفظية على أنها المصدرية الناصبة له . فإن لم تكن مسبقة بما يدل على اليقين أو الظن فهي المصدرية الناصبة للمضارع حتماً ؛ كالتى تقع بعد ما يفيد الرغبة أو الإشفاق ، أو الطمع أو التوقع (وقد سبق بيان المراد من هذه الألفاظ في رقم ٣ من هامش ص ٦٣٥ ؛ نحو : أود أن أشارك في كل عمل نافع - أعشى أن يشتد البرد - أرجو أن أهني الزملاء بما يسهلهم - يسرف أن يزورف العلماء .) انظر «أوب» من ص ٤٠٨ وما بعدها و ٦٤٤ ، وتستجى لأنواع « أن » المختلفة بيان شامل في باب النواصب (ج ٤ ص ٢٦٥ و ٢٧٣ م ١٤٨) .

(٣) هوالسين ، أو : سوف ، وقد سبق الكلام على معناها ، والفرق بينهما - في ص ٦٠ - .

٤ - أن تكون داخلية على جملة اسمية مسبوقة بجزء أساسي من جملة أخرى - لا بجملة كاملة - بحيث يكون المصدر المؤول من : « أن » المحففة والجملة الاسمية التي دخلت عليها مكملًا أساسيًا في تكوين الجملة التي منها الجزء السابق. كقوله تعالى : (وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . فالمصدر المؤول خبر المبتدأ : « آخِر »^(١) . وقول الشاعر :

كفى حزنًا أن لا حياةَ هنيئةٌ ولا عملٌ يرضى به اللهُ - صالحُ
فالمصدر المؤول فاعل : « كفى »^(٢)
آثار التخفيف :

ويترب على التخفيف أربعة^(٣) أحكام ، يوجب أكثر النحاة مراعاتها :
أولها : إبقاء معنى : « أن » وعملها على حالهما الذي كان قبل التخفيف .
ثانيها : أن يكون اسمها ضميرًا^(٤) محذوفًا ، ويغلب أن يكون ضمير شأن^(٥) محذوف كالنمات السابق ؛ وهو : أيقنت أن (على شجاع)^(٦) .
ثالثها : أن يكون خبرها جملة ؛ سواء أكانت اسمية أم فعلية ، نحو : علمتُ أن حاتمٌ أشهرُ كرام العرب ، وأيقنت أن قد أشبهه كثيرون .
رابعها : وجود فاصل - في الأغلب - بينها وبين خبرها إذا كان جملة^(٧) فعلية ، فعلها متصرف ، لا يقصد به الدعاء .
والفاصل أنواع :

(أ) إما « قد »^(٨) نحو : ثبت أن قد ازدهرت الصناعة في بلادنا ، ونحو قول الشاعر :
شهدتُ بأن قد خطُ ما هو كائنٌ وأنتك تَمْنَحُو ما تَشَاءُ وتُشَبِّتُ
(ب) وإما أحد حرفي التنفيس^(٩) مثل : أنت تعلم أن سأكون نصير الحق ،

(١) سيجي للآية مناسبة أخرى في : « أ » ص ٦٨٠ . (٢) راجع ما سبق في ص ٦٤٤ .
(٣) في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ بعض أحكام أخرى تقتضى الرجوع إليها .
(٤) سواء أكان لتكلم ، أم مخاطب ، أم غائب ، ومن الأمثلة قوله تعالى : (أن يا إبراهيمُ قد صدقتَ الرؤيا) التقدير عند سيويه : أنك يا إبراهيم .
(٥) سبق الكلام على ضمير الشأن تفصيلًا في ص ٢٥٠ وما بعدها .
(٦) اسم « أن » ضمير محذوف تقديره « هو » . أى : الحال والشأن سراج الجملة الاسمية بعده في محل رفع ، خبر : « أن » المحففة .
(٧) هذا الفاصل قد يزيد في توضيح نوعها ، ويؤكد أنها المحففة من الثقيلة ، وليست المصدرية الناصبة للمضارع . (٨) تدخل هنا على الماضي فقط .
(٩) وهما : « السين » و « سوف » ويدخلان على المضارع المثبت فقط . (وقد سبق الكلام عليهما في ص ٦٠) .

وقول الشاعر :

وإذا رأيت^(١) من الهلال نُموهُ أيقنت أن سيصيرُ بديراً كاملاً

وقول الآخر :

واعلم - فَعَلِمُ المرءُ يَسْتَفَعُهُ - أنْ سَوَفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا

(ح) وإما حرف نفي من الحروف الثلاثة التي استعملها العرب في هذا

الموضع ؛ وهي^(٢) : (لا - لن - لم) . نحو : أيقنت أن^(٣) لا^(٣) يَخْدِرُ الشريفُ ،

وأن^(٤) لن يَحِيدَ عن الحق . ووثقت أن^(٥) لم ينصر الله المبطلين .

ومن الأمثلة قوله تعالى : (وحسبوا^(٦) أن لا تكونُ فتنة) ، في قراءة من

رفع « تكونُ » ، وقوله تعالى : (أَيْحَسِبُ أنْ لنْ يَتَّقِدِرَ عليه أحد) ، وقوله

تعالى : (أَيْحَسِبُ أنْ لم يره أحد) .

(د) وإما « لو » ، والنص عليها في كتب النحاة قليل مع أنها كثيرة في

المسموع ؛ نحو : أوقن أن لو أخلصنا لبلادنا لم يطمع الأعداء فينا .

ومما تقدم^(٧) نعلم أن الفصل غير واجب^(٨) في الحالات الأخرى التي منها :

(١) أن يكون الخبر جملة اسمية ؛ نحو قوله تعالى : (وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أن^(٩))

الحمد لله رب العالمين) ، ونحو : (الثابت أن انتقام من الله يَحُلُّ بالباغي) . إلا

(١) وفي بعض الروايات : إن الهلال إذا رأيت نموهُ . . .

(٢) وتدخل « لا » على الماضي والمضارع ، وتختص « لم » و « لن » بالمضارع . وزاد الرضى

« ما » وجعلها مثل « لا » .

(٣) في هذه الصورة - وأشباهها - يجب فصل « أن » ، وإظهار النون قبل « لا » في الكتابة دون

النطق وضابط إبرازها خطأ لا نطقاً ينحصر في أن تكون غير ناصبة للمضارع ؛ سواء أكان بعدها

فعل أم اسم ، نحو : تيقنت أن لا ينتصرُ ضعيفٌ ونحو : أشهد أن لا إله إلا الله

(٤) بشرط أن تكون بمعنى : اعتقدوا .

(٥) لحص بعض النحاة الفواصل السابقة ومواضعها فقال : (الفعل إما مثبت وإما مني ، وكل

منها إما ماضٍ ، وإما مضارع . فالمثبت إن كان ماضياً ففاصله : « قد » وإن كان مضارعاً ففاصله

أحد حرفي التنفيس . والمنفي : إن كان ماضياً ففاصله : « لا » فقط ، وإن كان مضارعاً ففاصله :

« لا » ، أو : « لن » أو : « لم » . وأما « لو » فإنها في الامتناع شبيهة بالنافي فتدخل على الماضي

والمضارع هـ . وقد سبق في رقم ٢ من هذا الهامش أن : « الرضى » جعل « ما » مثل « لا » .

(٦) وإما هـ جازئ في الأنواع التي ستذكر : إن لم يوجد مانع ؛ إذ لا تدخل « أن » المصدرية

الناصبية للمضارع على هذه الأنواع ؛ فلا مجال لحذف اللبس بينها وبين المخففة - وهي آمن اللبس كان

الفصل جائزاً لا واجباً .

(٧) على اعتبارها مخففة ، لا مفسرة . وقد سبقت مناسبة أخرى للآية في أول الصفحة السالفة .

عند إرادة النفي نحو : عقيلتي أن لا كاذب محترم ؛ ومنه : أشهد أن لا إله إلا الله .

(ب) أن يكون الخبر جملة فعلية فعلها جامد ؛ نحو قوله تعالى : « وأن »

ليس للإنسان إلا ما سعى . ونحو : وثقت أن ليس للكرامة مكان في نفوس الأدنياء .

(ح) أن يكون الخبر جملة فعلية ؛ فعلها متصرف ، ولكن قصد به

الدعاء^(١) ؛ كالذي رواه أعرابي قائلاً : وقف أخي يدعو : « أسأل ربي التوفيق لما

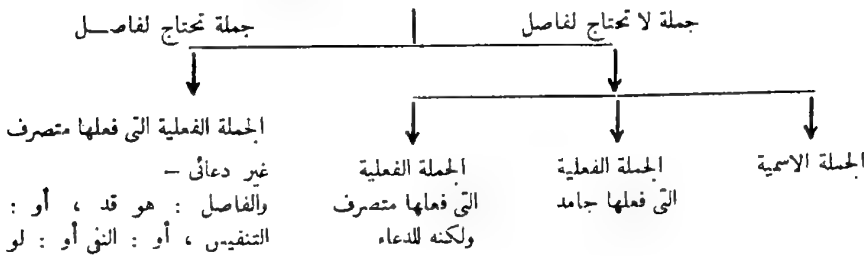
يرضيه ، ودوام العافية عليّ » . ونظر إلى ، وصاح : « وأن كتب الله لك الأمن

والسلامة ما حييت ، وأن أسنخ عليك نعمته ظاهرة وباطنة في قابل أيامك ، وأن

أهلك كل باغ يستصدي لإيذائك » .

وفي الرسم التالي بيان للصور السالفة :

الجملة الواقعة خبر « أن » المخففة^(٢)



(١) سواء أكان بخبر أم شر ؛ كما يتبين من المثال بعد .

(٢) وفي أحكام « أن » المخففة من الثبيلة يقول ابن مالك :

وإن تخففت « أن » فاسمها استكن والخبر اجعل جملة من بعد « أن »

تضمن هذا البيت حكيم من أحكامها الأربعة التي تترتب على التخفيف :

أولها : أن لها اسماً استكن ، أي : استتر واختفى ؛ لأنه لا يظهر في الكلام ، وإنما يكون ضميراً

مخفوفاً . ولم يذكر أنه ضمير ، لصيق الشعر . كما أنه خفف نون الفعل : « استكن » للضرورة .

وثانيهما : أن خبرها يكون جملة ، وأوضح بعد ذلك ما يكون في الجملة الفعلية الواقعة خبراً ، حيث تكلم عن فعلها قائلاً :

وإن يكن فعلاً ولم يكن دعاء ولم يكن تضريفه ممتنعاً

فالأحسن الفصل بقَدْ ، أو : نفى ، أو : تنقيس ، أو : لو . وقليل ذكر « لو »

أي : إن يكن صدر الجملة فعلاً ، لا يراد منه الدعاء ، ولم يكن جامداً ، فالأحسن الفصل بينه وبين « أن » المخففة بفواصل من الفواصل التي سردناها في البيت الأخير .

(إن يكن فعلاً . . . يريد : إن يكن الخبر فعلاً . . والفعل وحده لا يكون الخبر ، وإنما الخبر الجملة المكونة من الفعل والفاعل معاً . ففي التعبير تساهل . أو : المراد : إن يكن صدر الجملة فعلاً) .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

ورد في بعض النصوص القديمة — اسم « أن » المخففة من الثقيلة ضميراً بارزاً ، لاضميراً محذوفاً . ومعها الخبر جملة فعلية ، أو مفرد . من ذلك قول الشاعر يخاطب زوجته :

فلو أنك في يوم الرِّخاءِ سألْتَنِي طلاقَكَ ، لم أبخلْ وأنتِ صَدِيقُ
فقد وقعت « الكاف » اسم : « أن » وخبرها جملة : « سألتني » . ومثل قول الآخر :

لقد علمَ الضيفُ والمُرْمِلون^(١) إذا غبرَ أفقُ^(٢) وهبتَ شَمَالاً^(٣)
بأنك ربيعٌ^(٤) وغيثٌ مريعٌ وأنك هناك تكونُ شَمَالاً^(٥)

ففي البيت الثاني تكررت « أن » المخففة مرتين ، واسمها ضمير « بارز » فيهما ، وخبر الأولى مفرد ، وهو كلمة : « ربيع » ، وخبر الثانية جملة فعلية هي : « تكون الشمال » . وقد وُصِفَتْ هذه الأمثلة الشعرية بأنها شاذة ، أو بأنها لضرورة الشعر ، كما وُصِفَتْ نظائرها النثرية بأنها شاذة . فالواجب أن نقتصر على الكثير الشائع الذي سردنا قواعده وضوابطه ، منعاً للاضطراب في التعبير ، دون محاكاة هذه الشواهد التي تخالفها ، والتي نقلناها ، ليعرفها المتخصصون ؛ فيستعينوا بها على فهم ما قد يكون لها من نظائر قديمة . دون أن يحاكيوها .

* * *

(١) الفقراء . المفرد : مَرْمِل .

(٢) المراد : اسودت الدنيا في عين الإنسان : من شدة يؤنه وحاجته .

(٣) أي : هبت الريح شمالاً . فكلمة : « شمالاً » حال منصوبة . وصاحب الحال هو الضمير المستتر ، فاعل الفعل : « هب » . وهبوب الشمال الباردة العاصفة في بعض المواسم والبقاع قد يكون باعث فزع ، ودليل قحط .

(٤) كالربيع موسم النضرة ، والفواكه ، ونمو الزروع ، ونضجها ؛ فأنت — مثله — محبوب نافع . « مريع » خصيب . والغيث الخصيب ، هو : المطر الغزير الذي يكون من آثاره إنبات الزرع ، والخصب الكثير . (٥) الشمال : الذي يغيث المحتاج ، ويعين من يستعين به .

الحرف الثالث : كَأَنَّ

وأما « كَأَنَّ » فيجوز تخفيف نونها المشددة (بحذف الثانية المفتوحة ، وإبقاء الأولى ساكنة) ، ويترتب على التخفيف أمور ؛ منها :

- (أ) أن معناها لا يتغير ، وإعمالها واجب .
 (ب) أن اسمها - في الأغلب - يكون ضميراً للشأن ، أو لغیر الشأن ،
 فمثال الأول . كَأَنَّ عصفورٌ سهمٌ في السرعة^(١) ، أى : كأنه (الحال والشأن)
 عصفورٌ سهمٌ . ومثال الثاني : يَدُقُّ البَرْدُ^(٢) النافذة ، وكأنَّ حجرٌ ، أى :
 كأنه حجر^(٣) . ولو قلنا : يَدُقُّ البَرْدُ النافذة وكأنَّ « حجر » صغير يَدُقُّ -
 بلجاز الاعتباران^(٤) .

وقد اجتمعت المشددة والمخففة في قول الله تعالى يصف المفضل عن سبيله : (وَإِذَا تَسَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَئِي مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا ؛ كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا)^(٥) .

- (ح) أن خبرها لا بد أن يكون جملة إذا وقع اسمها ضمير شأن^(٦)
 فإن كانت اسمية فلا حاجة لفاصل بينها وبين « كَأَنَّ » مثل : (كَأَنَّ سَبَّاحٌ في
 سباحته سمكة في انسياها) . وإن كانت فعلية^(٧) ، فالأحسن الفصل^(٨) بالحرف :

(١) فاسم « كَأَنَّ » ضمير الحال والشأن المحذوف . وخبرها الجملة الاسمية بعدها . ولا يصح هنا أن يكون اسمها ضميراً لغیر الحال والشأن ؛ لعدم وجود مرجع سابق يعود عليه . (وتفصيل الكلام على ضمير الشأن في ص ٢٥٠ . .) (٢) ما جمد من قطرات المطر ، وصار قطعاً ثلجية صغيرة .

(٣) فاسم « كَأَنَّ » ضمير محذوف ليس ضمير شأن ، لعدم وجود جملة بعده تفسره ، وهي جملة لازمة له كما سبق في شرحه - ص ٢٥٠ وما بعدها - . وكما سيجيء في رقم ٦ من هذا الهامش .

(٤) أى : يجوز اعتبار الضمير للشأن ؛ لوجود جملة بعده تفسره ، وعدم اعتباره للشأن ، لوجود ما يصلح قبله أن يكون مرجعاً له .

(٥) الوقرها : ثقل السمع ، أو : الصمم . وأول الآية : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله يغیر علم ، ويستخذها هزواً ، أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا . . »

(٦) لأن ضمير الشأن - كما قلنا - لا بد له من جملة بعده تفسره . وهذه الحالة وحدها هي التي يجب فيها وقوع خبر : « كَأَنَّ » المخففة جملة . أما باقي الحالات فيجوز أن يكون جملة أو غير جملة وفي بعض أمثلة مسموعة جاء اسم « كَأَنَّ » المخففة اسماً ظاهراً ، كقول الشاعر :

وَصَدْرٌ مُشْرِقٍ النَّحْرِ كَأَنَّ تَدْرِيبُهُ حُقَّانَ

ولايقاس على هذا . (٧) فعلها غير جامد ، وغير دعائي (كما في الصبان) .

(٨) لأن هذا الفصل هو الذي يفرق بين « كان المخففة من الثقيلة » وأن المصدرية « الناصبة للمضارع ، المسبوقة بحرف الجر الكاف » .

« قد » قبل الماضي المثلث ، وبالحرف : « لم » قبل المضارع المنق ، نحو :
 كأنَّ قد هَوَى الغريقُ في البحر ؛ كصخرة هَوَتْ في الماء ، وكأنَّ لم
 يكن بين الغرق والنجاة وسيلة للإنقاذ .

* * *

الحرف الرابع : لكنَّ

وأما « لكنَّ » فيجوز تخفيف نونها المشددة (فتحذف الثانية المفتوحة وتبقى
 الأولى ساكنة) .

ويترتب على التخفيف وجوب إهمالها في الرأي الأقوى - وزوال اختصاصها
 بالجملة الاسمية ، فتدخل على الاسمية ، وعلى الفعلية ، وعلى غيرهما ، ويبقى لها
 معناها بعد التخفيف وهو : الاستدراك^(١) . ومن الأمثلة قول الشاعر :
 ولستُ أجازي المعتدي باعتدائه ولكنَّ بصفح^(٢) القادر المتحلم

* * *

وأما « لعل » - بلغاتها المختلفة - فلا يجوز تخفيف لامها المشددة .

(٣)

* * *

(١) قد سبق شرح معناه في رقم ١ من هامش ص ٦٣٢ .
 (٢) الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره : « أجازي » أو « أصافح » : فتكون « لكن »
 داخلة على جملة فعلية . ويصح تعلقها بمصدر محذوف تقديره : مجازاة - أي : ولكن مجازاته بصفح ...
 فتكون داخلة على جملة اسمية . والأول أوضح .
 (٣) وفي الأحكام السالفة كلها يقول ابن مالك :

وُخِفَّتْ « كَأَنَّ » فَنُوي . مَنْصُوبُهَا ، وَثَابِتاً أَيْضاً رُوي

نقد اقتصر على الإشارة إلى تخفيفها وإلى أن اسمها يُنَوَّى ؛ أي : (يُطَوَّى في النفس ؛ فيكون ضميراً ،
 ولا يكون ظاهراً - نُوي يُنَوَّى : طَوَّى يُطَوَّى) وقد روي ظاهراً ثابتاً في الكلام . وهذا قليل ،
 سبق مثاله .

المسألة ٥٦ :

« لا » - النافية للجنس ^(١)

نسوق بعض الأمثلة لإيضاح معناها :

حين نقول : « لا كتابٌ في الحقيقة » ؛ (بإدخال : « لا » على جملة إسمية في أصلها ، ورفع كلمة : « كتاب » التي للمفرد) يكون معنى التركيب مُحْتَمِلًا أمرين :

أحدهما : نفي وجود كتاب واحد في الحقيقة ، مع جواز وجود كتابين أو أكثر فيها .

والآخر : نفي وجود كتاب واحد : وما زاد على الواحد ؛ فليس بها شيء من الكتب مطلقًا . فالتركيب مُحْتَمِلٌ للأمرين . ولا دليل فيه يعين أحدهما ، ويمنع الاحتمال .

وكذلك حين نقول : « لا مصباحٌ مكسورٌ » ، (بإدخال : « لا » على جملة اسمية في أصلها ، ورفع كلمة : « مصباح » التي للمفرد) ، فإن التركيب يحتمل أمرين : أحدهما : نفي وجود مصباح واحد مكسور ، ولا مانع من وجود مصباحين مكسورين ؛ أو أكثر .

والآخر : نفي وجود مصباح واحد مكسور وما زاد على الواحد أيضًا . فلا وجود لشيء من جنس المصابيح المكسورة . فالتركيب يحتمل نفي الواحد المكسور فقط ، كما يحتمل نفي الواحد المكسور وما زاد عليه .

ومثل هذا يقال في : « لا سيارةٌ موجودةٌ » ، (بإدخال « لا » على جملة اسمية الأصل ، ورفع كلمة : « سيارة » - التي للمفردة) حيث يحتمل التركيب الأمرين ؛ وهما : (نفي وجود سيارة واحدة ، دون نفي سيارتين وأكثر) ، (ونفي وجود شيء من جنس السيارات مطلقاً) ، فلا وجود لواحدة منها ؛ ولا لأكثر .

مما سبق نعلم : أن ، « لا » في تلك الأمثلة - وأشباهاها - تدل على نفي

(١) يلاحظ مالا يصح أن يدخل عليه الناسخ ، وقد سبق البيان في رقم ٣ من هامش ص ٥٤٤ - وصرحنا في مواضع مختلفة أن اسم الناسخ (ومنه اسم « لا الجنسية ») لا يكون شبه جملة مطلقاً .

يُحْتَسَمَلُ وقوعه على فرد واحد فقط ، أو على فرد واحد وما زاد عليه .
ولمّا كان النّفى بها صالحاً لوقوعه على الفرد الواحد سماها النّحاة : « لا التّى لنفى
الوَاحِدَة » (أى : لنفى الواحد) وهى إحدى الحروف النّاسخة^(١) التّى تعمل عمل
« كان النّاقصة » .

فإذا أردنا أن تدل الأمثلة السابقة وأشباهاها على النّفى الصّريح^(٢) العام^(٣) وجب
أن نضبط تلك الألفاظ ضبطاً آخر ؛ يؤدى إلى هذا الغرض ؛ فنقول : لا كتاباً
فى الحقيقة ؛ - لا مصباح مكسور - . لا سيارة موجودة ، فضبط تلك الكلمات
المفردة بهذا الضبط الجديد - وهو بناء الاسم على الفتح ، ورفع الخبر ، كما
سيجيء - يجعل النّفى فى كل جملة صريحاً فى غرض واحد ؛ لا احتمال معه لغيره ،
كما يجعله عاماً ؛ ينصبّ على كل فرد ؛ فيقع على الواحد ، وعلى الاثنين ، وعلى
الثلاثة ، وما فوقها ، ولا يسمح لفرد أو أكثر بالخروج من دائرته .

ومثل هذا يقال فى نحو : (لا مهملاً عملته فائزٌ - لا راعباً فى المجد
مُتَصَرِّراً) . . ونحوهما مما يقع فيه الاسم منصوباً بعد : « لا » وليس مرفوعاً ، والخبر
هو المرفوع - على الوجه الذى سنشرحه - فهى تنفى الحكم عن كل فرد من أفراد
جنس الشّئ الذى دخلت عليه نفياً صريحاً وعمماً ؛ كما قلنا : وهذا مراد النّحاة
بقولهم فى معناها :

« إنها تدل على نفي الحكم عن جنس اسمها نصّاً^(٤) . أو : « إنها لاستغراق^(٥)
حكم النّفى لجنس اسمها كله نصّاً » . ويسمونها لذلك ؛ « لا النّافية
للجنس »^(٦) . أى ؛ التّى قُصِدَ بها التّنصيص على استغراق النّفى لأفراد الجنس

(١) سبق تفصيل الكلام عليها مع أخواتها (فى ص ٦٠١) وقد اقتضى المقام هناك - فى رقم ٢
من هامش ص ٦٠٢ - الإشارة إلى « لا » النّافية للجنس ، دون التفصيل الذى مكانه هنا .
(٢) أى : القاطع فى أمر واحد ، ولا مجال معه للاحتمال السالف بين أمرين .

(٣) الذى يشمل نفي المعنى عن الفرد الواحد ، وعما زاد عليه .

(٤) أى : بغير احتمال لأكثر من معنى واحد .

(٥) يراد بالاستغراق : الشمول الكامل الذى يتناول كل فرد من أفراد الجنس ، دون أن يترك أحداً

(٦) ويسمونها بعضهم : « لا التّى للتبرقة » ؛ لأنها تدل على تبرقة جنس اسمها كله من معنى الخبر .

وهذا الاسم ترد فى بعض الكتب القديمة ، وتختص به ، لقوة دلالتها على النّفى المؤكّد أكثر من أدوات
النّفى الأخرى .

والنّفى بها قد يكون مطلق الزّمن ؛ أى : لا يقع على زمن معين . وإنما يراد منه مجرد نفي النسبة بين معموليها
وسلب المعنى بغير تقييد بزمن خاص . نحو : لا حيوان حَجَرٌ - لا وفاء لغادر . . وقد يراد بها نفي المعنى =

كله من غير ترك أحد. تمييزاً لها من : « لا التي لنى الوحدة » ، فليست نصاً في نى الحكم عن أفراد الجنس كله ؛ وإنما تحتل نفيه عن الواحد فقط ، وعن الجنس^(١) كله ؛ — على ما عرفنا . . . —

« ملاحظة » : سبق^(٢) بيان هام في حكم « لا » النافية المهيمة (أى : التي لا عمل لها في الهملة الاسمية ولا في غيرها) فإنها من ناحية أثرها المعنوي في الهملة الاسمية تشبه « لا » العاملة عمل « ليس » ، فالخرفان متشابهان في المعنى دون العمل ؛ إذ أن أحدهما يعمل ، والآخر لا يعمل .

= في زمن معين حين تقوم قرينة كلامية أو غير كلامية تدل على نوع الزمن — ويكثر أن يكون الحال — كقوله تعالى : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ ...) وكأن يسأل سائل : أى المزرعة الآن أحد ؟ فيجيب : لا أحد فيها . وقد يكون الزمن بالقرينة مستقبلاً ، كقوله تعالى عن يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) أو ماضياً — كقول الشاعر :

تَعَزَّ ؛ فَلَا إِقْلِينَ بِالْعِيشِ مُتَعَا وَلَكِنْ لِيُورَادَ الْمُنُونِ تَتَابِعُ

وغیر هذا من الأمثلة التي سيجيء بعض منها . فإن لم توجد قرينة فالغالب الحال .
(١) لهذا يصح أن يقال مع « لا التي لنى الوحدة » حين يكون اسمها مفرداً : لا كتاب في الحقيقة ؛ بل كتابان ، أو : بل كتب فيها ؛ فيكون القصد نفي المعنى عن الفرد الواحد دون ما عداه . ولا يصح أن يقال هذا مع « لا » النافية للجنس حين يكون اسمها مفرداً .

وتسوقنا المناسبة إلى بيان أمر هام ؛ وهو : أن المراد من النى لا يختلف في نوعي « لا » (النافية للجنس ، والنافية للوحدة) إذا كان اسمها مثنى أو جمعاً : نحو : (لاصالحين خائنان ، أو ؛ لا صالحين خائنون . ونحو : (لا صالحان خائنين ، ولا صالحون خائنين) . فالنفي في هذه الصور لا يختلف من جهة احتماله أن يكون واقعاً في كل صورة على الجنس كله فرداً فرداً ، وأن يكون واقعاً على القيد الخاص بالانثنية أو بالجمعية . فالفرق الصحيح بين المراد من النفي في نوعي : « لا » إنما يظهر في موضع واحد ، هو الموضع الذي يكون فيه اسمها مفرداً ؛ — لا مثنى ولا جمعاً — فيكون النفي في « لا » النافية للجنس نصاً لا يقبل احتمالاً ، وشاملاً لكل فرد حتماً . ويكون النافية للوحدة محتلاً أمرين . أما عند ثنية اسميها أو جمعه فالنفي لا يختلف باختلاف نوعيهما ؛ فيكون محتلاً في كل منهما إما نفي الحكم عن الجنس كله ، وإما نفي قيد الثنية فقط ، أو قيد الجمع فقط كما قلنا ، فؤداه فيهما واحد عند ثنية الاسم أو جمعه ، ولكنه يختلف عند أفراد الاسم .

وصفة القول في هذا المقام . أن « لا » العاملة بنوعيهما لا يختلف المراد منها إذا كان اسمها مثنى أو جمعاً ؛ إذ يكون المراد نفي الحكم عن الجنس كله فرداً فرداً ، أو نفي القيد الخاص بالثنية أو بالجمع ، دون غيرها . أما إذا كان الاسم مفرداً فالفرق بين النوعين يكون كبيراً ، فالنفي للجنس نفي الحكم عن كل فرد من أفرادها على سبيل التخصيص والشمول ، والتي لنى الوحدة يدور الأمر فيها بين أمرين ؛ نفي الحكم عن أفراد الجنس كله ، ونفيه عن فرد واحد منه ؛ فالنفي فيها محتمل لأمرين . . .

وما سبق موافق رأى « الصبان » هنا ، وهو واضح مفيد ، مؤيد بما قاله « السعد » في « المطول » وقد ختم « الصبان » الكلام بقوله نصاً : (احفظ هذا التحقيق ، ولا تلتفت إلى ما وقع في كلام البعض وغيره مما يخالفه . .) اهـ

عملها وشروطه :

« لا » النافية للجنس حرف ناسخ من أخوات : « إن » ^(١) ينصب الاسم ^(٢) : ويرفع الخبر ^(٣) . ولكنها لا تعمل هذا العمل إلا باجتماع شروط ستة :
أولها : أن تكون نافية . فإن لم تكن نافية لم تعمل ^(٤) مطلقاً .
ثانيها : أن يكون الحكم المنفى بها شاملاً لجنس اسمها كله ، (أى : منصباً على كل فرد من أفراد ذلك الجنس) . فإن لم يكن كذلك لم تعمل عمل « إن » ^(٥) :
نحو : لا كتابٌ واحدٌ كافياً . . . ، إذ أن كلمة : « واحد » قد دلت دلالة قاطعة على أن النفي ليس شاملاً لأفراد الجنس كله ، وإنما هو مقصور على فرد واحد .

ثالثها : أن يكون المقصود بها نفي الحكم عن الجنس نصّاً — لا احتمالاً —
فإن لم يكن على سبيل التنصيص لم تعمل عمل « إن » ^(٥) كالأمثلة السالفة أول البحث .

رابعها : ألا تتوسط بين عامل ومعموله (بأن تكون مسبقة بعامل قبلها

(١) ومن الفوارق بينهما صحة وقوع : « ما » الزائدة بعد : « إن » وأخواتها على الوجه السابق في بابها ، ولا يصح وقوعها بعد : « لا » — وقد سبقت الإشارة لهذا في آخر رقم ه من هامش ص ٦٦٤ —
(٢) انظر الملاحظة المدونة في رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ وتختص بعدم وقوع « ما المصدرية » و « أن المصدرية » بنوعيهما (المحففة والناسبة للمضارع) مع صلتها مبتدأ بعد « لا » النافية للجنس غير المكررة — راجع البيان هناك —
(٣) سبق في أول هامش ص ٤٤٤ ما يفيد أن خبرها كغيره من أخبار المبتدأ وأخبار النواسخ ، قد يتم المعنى بنفسه — كالأمثلة السالفة — وقد يتمه بنفسه مع قابعه حين لا تتحقق الفائدة به وحده كقول الشاعر :

ولا خَيْرَ في رأى بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ ولا خَيْرَ في جهل تُعَابٌ بِهِ غَدًا .

هذا ، ويشترط في خبرها ما يشترط في كل أخبار النواسخ مما سبقت إليه الإشارة في ص ٥٤٦

و ٥٤٧ وفي المبتدأ والخبر ، هامش ص ٤٤٣ —

(٤) كأن تكون اسماً بمعنى ، غير ؛ نحو : فعلت الخير بلا تردد ، أو : تكون زائدة ؛ فلا تعمل شيئاً في الحالتين ، ولا تختص بالدخول على الجميل الاسمية ؛ ومن الأمثلة للزائدة قوله تعالى مخاطباً إبليس : (ما منعك ألا تسجد ..) وقوله : (لئلا يعلم أهل الكتاب ...) ومثل ؛ « لا » النافية في قوله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ...) أو تكون نافية فتختص بحزم المضارع ، مثل : لا تتردد في عمل الخير .

(٥ هـ) وعملت عمل ليس ؛ نحو : لا تلم مَكْسوراً ، أو أهملت وتكررت ، نحو : لا قلم مَكْسور ، ولا كتاب ضائع . (واختيار هذه أو تلك خاضع لما يقتضيه المعنى المراد) .

يحتاج لمعمل بعدها) كحرف الجر في مثل : حضرت بلا تأخير^(١) ، وقول الشاعر :

مُتَّارَكَةً السَّفِيهَ بلا جواب أَشَدُّ على السَّفِيهَ من الجواب

خامسها : أن يكون اسمها وخبرها نكرتين^(٢) ؛ فإن لم يكونا كذلك لم تعمل مطلقاً^(٣) ، وَلَا تُعَدُّ من أخوات « إن » ولا « ليس » ؛ كالتى في قول الشاعر :

(١) تعرب « لا » اسماً بمعنى « غير » ؛ مجروراً بكسرة مقدرة على الألف . و « لا » مضاف و « تأخير » مضاف إليه مجرور . وهذا أوضح إعراب .

ويموز أن تكون « لا » حرف نفي باقية على حرفيتها . وقد تخطاها حرف الجر « الباء » وعمل الجر مباشرة في كلمة : « تأخير » التى بعدها . و « لا » في هذه الصبورة ليست زائدة ، بالرغم من أن العامل تخطاها ؛ لأن الحكم بزيادتها يؤدى إلى فساد المعنى

(٢) إلا في أمثلة مسموعة يحىء الكلام عليها في الزيادة والتفصيل (ص ٦٩٥) . ويدخل في حكم النكرة أمران :

(١) شبه الجملة بنوعيه . (الظرف والجار مع مجروره) وذلك على اعتبار شبه الجملة نفسه هو الخبر (كما تقدم في ص ٧٥ وما بعدها) أو على اعتبار أن متعلقه نكرة محذوفة ، هي الخبر ، كقولهم : لا قوة فوق الحق ، ولا أمان مع الطفيان . وقولهم : لا راحة لحسود ، ولا مروءة لكذوب ، ولا خير في لذة تُعَقَّب ندما . وقول الشاعر :

لاخير في وعد إذا كان كاذباً ولاخير في قول إذا لم يحسن فعل
(ويلاحظ هنا في إعراب « لا » ومعمولها ما يحىء في رقم ٢ من هامش ص ٦٩١) . وقول الآخر :

فلا مجد - في الدنيا - لمن قل ماله ولا مال - في الدنيا - لمن قل مجده

(ب) الجملة الفعلية (لأنها في معنى النكرة ، وبمنزلة) كما جاء في التصريح في هذا الباب ، عند آخر الكلام على شروطها - وكما في أبواب أخرى ، والبيان في رقم ١ من هامش ص ٢١٣) ، وقد اشتملت الأسانيب القصص على أمثلة للجملة الفعلية ، نقلوا منها البيت السابق (في هامش ص ٦٨٧) وهو :

تَعَزَّ فلا إلفين بالعيش مُتَعَا ولكن لَوُرَادِ المنون تتابع

ومنها :

يُحَشِّرُ الناس لا بنين ولا آباء إلا وقد عَنَتَهُمْ شئون

فجملة « متعا » في البيت الأول في محل رفع خبر : « لا » ، وكذلك جملة : « عنهم شئون » في البيت الثاني . والواو التى قبل هذه الجملة هي التى تزداد في خبر الناسخ . ما لم نأخذ بالرأى الذى يشترط في « لا » العاملة عمل « إن » ألا ينتقص نفيها بإلا . فإن أخذنا به - وهو الأشهر ، كما سيجىء في آخر هامش الصفحة الآتية - كانت الواو للحال ، والجملة بعدها حالية . والخبر محذوف (وقد سبق في ص ٥٥٠ وهامشها . رقم ١ - وفي : « ١ » من ص ٥٦١ أن هذه الواو تدخل في خبر « كان » المنفية إذا سبقته « إلا » الناقضة للنفي ، ومثله خبر « ليس » المسبوق بإلا على الوجه الذى أوضحناه هناك . وقيل تدخل في خبر غيرهما كالبيت السابق ، وكقول أحد شعراء ديوان الحماسة : « فأمنى وهو عريان . » وقولهم : « ما أحل إلا وله نفس إمارة » . وقيل إن هذا مقصور على « كان وأخواتها » دون بقية النواسخ . وهناك التفصيل .

(٣) لأن التعريف فيه تحديد وتعيين ؛ وهذا يناقض أنها لنفى الجنس كله بغير تحديد ولا تعيين .

لا القومُ قومي ، ولا الأعوانُ أعوانِي إذا وَتَا^(١) يومَ تحصيلِ العُلا وإني
سادسها : عدم وجود فاصل بينها وبين اسمها . فإن وجد فاصل أَهْمَلْتُ
(أى : لم تعمل شيئاً) وتكررت ؛ نحو لا في النبوغ حظٌ لكسلان ، ولا نصيبٌ^(٢) ،
وهذا الشرط يستلزم الترتيب بين معموليها^(٣) فلا يجوز أن يتقدم الخبر — ولو كان
شبه جملة — على الاسم . فإن تقدم لم تعمل مطلقاً ؛ مثل : لا لهازل هيبةٌ
ولا توقير — .

وكذلك لا يجوز تقدم معمول الخبر على الاسم ؛ ففي مثل : لا جنديَّ تاركٌ
ميدانه . . . لا تعمل حين نقول ، لا ميدانه جندي تاركٌ .
فإذا استوفت شروطها وجب إعمالها^(٤) ؛ (إن اقتضى المعنى ذلك ، سواء أكانت
واحدة ، أم متكررة — على التفصيل الذى سنعرفه) .

* * *

(١) تباطأ وأهل . فإن لم يكن اسمها نكرة أهملت ووجب تكرارها ؛ نحو : لا على مقصر ، ولا حامد .
ومثل : لا البخلُ محمود ، ولا الإسرافُ مقبول ، وإن لم يكن خبرها نكرة وجب إعمالها ، والغالب
تكرارها أيضاً . نحو : لا إنسانٌ هذا ولا حيوانٌ .

(٢) ومع تكرارها وعدم إعمالها — بسبب وجود فاصل — يظل معناها هو نفس الجنس كله نصاً ،
بشرط وجود التكرتين بعد هذا الفاصل ، فعدم إعمالها في هذه الحالة لا يخرجها عن أنها من الناحية المعنوية
لنفس الجنس كله ، بشرط دخولها على التكرتين بعد الفاصل .

(٣) لأن تقديم الخبر أو معموله على الاسم يؤدي إلى الفصل بين « لا » واسمها وهو ممنوع . ومن
باب أولى لا يصح تقديم الخبر أو معموله عليها ؛ لأن ما يقع في حيز النفي (أى : في مجاله ودائرته) لا يجوز
أن يتقدم على أداة النفي ؛ فلها الصدارة حتماً . لكن هل يجوز أن يتقدم معمول الخبر على الخبر
وحده ؟ يجب بعض النحاة : نعم .

(٤) الشروط الستة منها أربعة في « لا » مباشرة ، هى : (كونها للنفي — للجنس — للتخصيص —
عدم توسطها بين عامل ومعمول) وواحد في معموليها ؛ هو : (تنكيرهما معاً) وواحد في اسمها هو :
اتصالها بها مباشرة وهذا يستلزم تأخير خبرها عن اسمها) .

وزاد بعضهم شرطاً فيها ، هو : ألا ينتقض نفياً بإلا — طبقاً للأشهر — كما سبق في « ب »
من هامش الصفحة السابقة — .

حكم اسم « لا » المفردة ؛ (أى : المفردة التى لم تتكرر) .
لهذا الاسم حالتان :

الأولى : أن يكون مضافاً ^(١) أو شبيهاً بالمضاف ^(٢) . وحكمه وجوب إعرابه ،
مع نصبه بالفتحة ، أو بما ينوب عنها . فن أمثلة المضاف :

كلمة : (قول) اسم « لا » ، منصوبة بالفتحة ، لأنها اسم مفرد ، ومضاف .	لا قول زورٍ نافع
كلمة : (أنصار) اسم « لا » ، منصوبة بالفتحة ؛ لأنها جمع تكسير ، ومضاف .	لا أنصارٍ خيرٍ متنافرون
كلمة : (ذا) اسم « لا » ، منصوبة بالألف نيابة عن الفتحة ؛ لأنها من الأسماء الستة ، ومضافة .	لا ذا أدبٍ تمام
كلمة : (نصيحتى . . .) اسم « لا » ، منصوبة بالياء نيابة عن الفتحة ؛ لأنها ، مشى مضاف .	لا نصيحتى إخلاصٍ أنفعٍ من نصيحة الوالدين
كلمة : (خائنى . . .) اسم « لا » ، منصوبة بالياء نيابة عن الفتحة ، لأنها جمع مذكر ، ومضاف .	لا خائنى وطنٍ سالمون . . .
كلمة : (مهملات) اسم « لا » ، منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة ؛ لأنها جمع مؤنث سالم مضاف .	لا مهملاتٍ عملٍ مكرمات

(١) إما لنكرة ، وإما لمعرفة بشرط ألا يكتسب منها التعريف ؛ بسبب توغله في الإيهام ؛ ككلمة : « مثل » - نحو : لأمثل محمود مؤدب - . . . و « غير » وسواهما لما لا يكتسب التعريف غالباً (كما أوضحنا في رقم ٥ من هامش الجدول الذى فى ص ٨٠ ، وكذا فى رقم ١ من هامش ص ٤٢٢) لأن : « لا » لا تعمل فى معرفة .

(٢) هو الذى يجرى بعده شئ يكمل معناه . بشرط أن يكون ذلك الشئ التالى : إما مرفوعاً باسم « لا » ؛ نحو : لا مرفقاً شأنُ حاملٍ ، وإما منصوباً به ؛ نحو : لا متعهداً أموراً مقصراً (ويلحق بهذا النوع : الأسماء المعطوف عليها ، وليست علماً ، نحو لا سبعةً وأربعين غائبين ، وتتميز المقود وغيرها . نحو : لا عشرين رجلاً متكاسلون) وإما جاراً ومجروراً متعلقين به ؛ نحو : لا متواكلاً فى عمله محمود . فإن كان مجروراً بالإضافة فإنه يكون من المضاف لا من الشبيه بالمضاف ، كما عرفنا -

والشبيه بالمضاف يجب أن يكون معرباً ومتوناً . إلا أن وجد مانع من التثنية . وأجاز فريق من غير البصريين عدم تنوينه ؛ محتجاً بقوله تعالى : « ولا جدالَ فى الحجج » ، لأن المعنى عنده : « ولا جدالَ فى الحجج مقبول » فالجار والمجرور من متمات اسم « لا » والخبر مخذوف لا تعلق للجار والمجرور به . وكذلك قوله عليه السلام : (لا مانعٌ لما أعطيت ، ولا معطىٌ لما منعت) لأن المعنى عنده على حذف الخبر ، والجار والمجرور من متمات اسم « لا » فهما متعلقان به ، لا بالخبر - وقد أجيب عن هذين وأمثلهما بأن الخبر المخذوف ، موضعه قبل الجار والمجرور ، والأصل : « ولا جدالَ حاصلٍ فى الحجج » ، ولا مانعٌ مانعٌ لما أعطيت ؛ فالجار مع المجرور متم للخبر المخذوف ، متعلقان به . وهذا تكلف مردود ؛ لتكراره وتقييد موضعه فى فصيح الكلام ، وبالرغم منه يحتمل التزام التثنية - لأنه الأكثر والأشهر الذى تتوحد عنده الألسنة - .

ولا يدخل شئ من التوابع الأربعة (كالنعت ماعدا صورة العطف السابقة . . .) فى الأشياء التى تكلل المعنى ؛ وتجعل الاسم بسببها شبيهاً بالمضاف ؛ لأن الاسم غير عامل فيها - انظر رقم ٢ من هامش ص ٧٠٣ - .

ومن أمثلة الشبيه بالمضاف :

كلمة (مرتفعاً) اسم « لا » منصوبة بالفتحة	لا مرتفعاً قدره مغفور . . .
» (بائعاً) » » » » »	لا بائعاً دينته بدينه رابع . . .
» (خمسة) » » » » »	لا خمسة وعشرين غائبون . . .
» (ساعياً) » » » » »	لا ساعياً وراء الرزق محروم . . .
» (قاعداً) » » » » »	لا قاعداً عن الجهاد معذور . . .
» (سائقين) » » » » »	لا سائقين طيارة غافلان . . .
» (حارسين) » » » » »	لا حارسين بالليل نائمون . . .
» (راغبات) » » » » »	لا راغبات في الشهرة مستريحات . . .

ومن الأمثلة السالفة يتضح الإعراب مع النصب بالفتحة مباشرة في المفرد^(١) وفي جمع التكسير ، (ومثله : « اسم الجمع »^(٢) ؛ كقوم ، ورَهْط^(٣) ، إذا كانا من الحالة الأولى المذكورة) ، وبما ينوب عن الفتحة وهو : الألف ، في الأسماء الستة ، والياء في المثني وجمع المذكر السالم ، والكسرة في جمع المؤنث السالم .

الثانية : أن يكون مفرداً (ويراد بالمفرد هنا : ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف ، ولو كان مثني ، أو مجموعاً) وحكمه : وجوب بنائه على الفتح^(٤) أو ما ينوب عن الفتح^(٥) ، فيبنى على الفتح مباشرة إن كان مفرداً أو جمع تكسير

(١) وهو الذي ليس بمثنى ولا جمع .

(٢) سبق - في رقم ٢ من هامش ص ١٤٨ - بيان موجز عن « اسم الجمع » ، قلنا : إن البيان الوافي

موضعه ج ٤ ص ٥١٠ م ٧٣ - باب جمع التكسير . (٣) جماعة

(٤) وهناك حالة يبني فيها على الضم ، ستجيء في « ب » من الزيادة - ص ٦٩٥ - ويعملون سبب البناء على الفتح بأنه تركيب « لا » مع اسمها ، بحيث صاروا الكلمة الواحدة ؛ فأشبهوا الأعداد المركبة كـ (خمسـ عشر .. وغيرها) . لكن السبب الحق هو استعمال العرب .

ومن المعلوم أنه حين بنائه على الفتح لا يدخله التنوين . وأنه يكون دائماً في محل نصب : فلفظه مبنى على الفتح أو ما ينوب عن الفتحة ، ومحل النصب دائماً . ولهذا يراعى المحل - أحياناً - في التوابع - كما سيجيء .

في ص ٦٩٤ وفي : « ١ » من ص ٧٠٢

(٥) ولا تنوب الألف هنا عن الفتحة ؛ لأن الألف تنوب عنها في نصب الأسماء الستة ، حين تكون مضافة . والإضافة - في الأغلب - تتعارض مع حالة البناء التي نحن بصدددها . ولهذا اضطربت آراء النحاة أمام الأسلوب الفصيح الوارد عن العرب من قولهم : « لا أبالك » . . . حيث وقع اسم « لا » منصوباً بالألف مع أنه مفرد (أي : غير مضاف) ؛ فقالوا في تأويله : إن « أباً » مضاف للكاف ، =

أواسم جمع ؛ مثل : لاعالم متكبر^(١) لا علماء متكبرون - لا قوم للصفية .
ويبنى على الياء نيابة عن الفتحة إن كان مثني أو جمع مذكر سالماً ؛ نحو :
لا صديقين متنافران - لا حاسدين متعاونون .

ويبنى على الكسرة نيابة عن الفتحة إن كان جمع مؤنث سالماً ، ويجوز
أيضاً بناؤه على الفتحة ؛ نحو : لا والذات قاسيات . وبالوجهين روى
قول الشاعر :

إن الشباب الذي مجد عواقبه فيه نكسدت ، ولا لذات للشيب

بناء كلمة : « لذات » على الفتح ، أو على الكسر .

= منصوب بالألف بغير تنوين ؛ لأنه مضاف ، واللام زائدة . والخبر محذوف . والتقدير : لا أباك
موجود . ومع أنه مضاف - ليس معرفة ؛ لأن إضافته غير محضة ؛ فهي كالإضافة في قولنا : « غيرك » ،
و« مثلك » ... ونحوهما لا يفيد المضاف تعريفاً . وذلك القائل لم يقصد نفي أب معين ، وإنما يقصد نفيه
ومن يشبهه ؛ إذ هو - غالباً - دعاء بعدم الناصر ، والإضافة غير المحضة ليس مقصورة على إضافة الوصف
العامل إلى معموله ؛ فلم تعمل « لا » في المعرفة . وإنما زيدت اللام بين المضاف والمضاف إليه دفعا
لكراهية إدخال : « لا » على المضاف إليه الذي يشبه في صورته الظاهرية المعرفة ، دون حقيقته المرادة .
وهناك آراء أخرى تقتضي الفائدة الإلزام بها (وقد ذكرناها تفصيلاً عند الكلام على هذا الأسلوب
ومعناه في ص ١١٥) وكل رأى يواجه باعتراض . وانتهى الأمر إلى أن الأفضل اعتبار كلمة : « أبا »
اسم « لا » مبنية على فتح مقدر على الألف (كما جاء في الخضرى في أول باب « لا ») ، جرياً على لغة القصر
التي تلزم الألف فيها آخر الأسماء الستة . وعلى أساسها لا تكون كلمة « أبا » في الأسلوب السالف معربة .
أما الخبر فالجار والمجرور بعدها .

ومن الأساليب المسموعة - بكثرة - أيضاً قولهم : « لا غلامى لك » « بالثنية » و « لاخادصى
لك » (بالجمع) على اعتبار أن وزن المثني ووزن الجمع قد حذفت كلتاها للإضافة - كما سبق في ص ١٥٦ -
وأن المثني والجمع منصوبان ؛ لأنهما مضافان . فكيف يمدان من نوع المضاف مع وجود اللام فاصلة
بين المضاف والمضاف إليه ؛ وهذا لا يجوز في رأى المعترضين ؟

وقد أجيب بأن النون لم تحذف للإضافة ، وإنما حذفت للتخفيف ؛ فالكلمتان مبنيتان على الياء ،
لا مرتبتان ، والجار والمجرور بعدهما خبر . وقيل : إن الكلمتين شبهتان بالمضاف بسبب اتصال « لك » بهما .
والنون مخنوفة للتخفيف . وخبرهما محذوف ... إلى غير ذلك من الإجابات . ومن الواجب ألا نحاكى
هذا الأسلوب برغم أن بعض النحاة يبيحه ، (كما سيأتى في باب الإضافة ، ج ٣ ص ١٠ - م ٩٣)
لأن الأخذ به - ولا سيما اليوم - يبعد اللغة عن أخص خصائصها ، وهو : الإبانة ، والوضوح ، والفرار
من اللبس .

(١) ومن أمثلة المفرد :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يَزِنَ حسن الجسوم عقولُ

ومع أنه مبنى في الحالات السالفة ، هو في محل نصب دائماً ، أى : أنه مبنى لفظاً منصوب محلاً^(١) .

* * *

(١) طبقاً للبيان السابق في رقم ٤ من هامش ص ٦٩٢

(٢) وهذه المناسبة نشير إلى ما نسمعه اليوم من بعض الواهين المتسرعين الذين يطلبون الأخذ برأى قديم ضعيف ملخصه : وضع اسم « لا » بأنواعه الثلاثة (المفرد ، والمضاف ، والشبيه بالمضاف) تحت حكم واحد ، هو : « الإعراب والنصب » وأن يقال في إعراب الاسم المفرد : « إنه منصوب بغير تنوين » ويزعمون - خاطئين - أن في هذا نيسيراً واقتصاراً على حكم واحد شامل بدل حكين مختلفين . فكيف غاب عن بالهم ما في هذا الرأى من الخطل والفساد ؟

ذلك أن اللغة في مصطلحاتها المشهورة ، لاتعرف اسماً معرباً بغير تنوين ، إلا المنوع من الصرف للأسباب المعروفة ، أولداع آخر ؛ كالإضافة ، أو البناء أو بعض صور النداء ... فالأخذ بذلك الرأى يوجب في اصطلاحات اللغة قسماً جديداً لاتعرفه من الأسماء المعربة المنوعة من التنوين . على أن هذا القسم الجديد يحتاج - كما يقولون - إلى التصريح بأنه : « معرب منصوب بغير تنوين » . وهذا حكم خاص به يختلف عن حكم النوعين الآخرين . فأين - إذاً - الاختصار والاقتصار على حكم واحد كما يتوهمون ؟ وكيف خفى عليهم أن النصب هنا بغير تنوين معناه : « البناء على الفتح » ؛ أو أن الكلمة ممنوعة من الصرف . . . - كما أشرنا - ؟

وشيء آخر هام لم يفتنوا له ، هو أن بناء الاسم المفرد على الفتح في محل نصب يقتضى أن يراعى محله حتماً في بعض التوابع ؛ فيؤثر فيها - كما عرفنا هنا ، وكما سيحى في ص ٦٩٧ - فتصير منصوبة متونة عند عدم المانع . تبعاً لمحله فقط . وقد غاب عنهم هذا .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(ا) سبق^(١) أن من شروط إعمال : « لا » : تنكير معموليها . وقد وردت أمثلة فصيحة وقعت فيها عاملة مع أن اسمها معروفة . من ذلك قوله عليه السلام : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده . وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . ومن ذلك قولهم : « قضية » ولا أبا حسن^(٢) لها . وقولهم : لا أمية^(٣) في البلاد . وقولهم : لا هيم^(٤) الليلة للمطى . وقولهم : يبكى على زيد ولا زيد مثله . . . وغير هذا من الأمثلة المسموعة . وقد تناوينا النحاة بالتأويل^(٥) كي يخضعوها لشرط التنكير . وهو تأويل لا داعي لتكلفه مع ورود تلك الأمثلة الصريحة ، الدالة على أن فريقاً من العرب لا يلتزم التنكير . فعلياً أن نقبل تلك النصوص بحالها الظاهر دون محركاتها ، ونقتصر في استعملنا على اللغة الشائعة المشهورة التي تشترط الشروط التي عرفناها ؛ توحيداً لأداة التفاهم ، ومنعاً للتشبيب بين المتخاطبين بلغة واحدة .

(ب) قلنا إن حكم اسم « لا » المفرد هو البناء على الفتحة ، أو ما ينبو عن الفتحة . وقد يصح بناؤه على الضمة العارضة في حالة واحدة^(٦) ، هي أن يكون الاسم كلمة : « غير » - ونظيراتها - فتكون كلمة : « غير » مبنية على الضمة الطارئة

(١) في ص ٦٨٩ .

(٢) هي كنية : علي بن أبي طالب ؛ والد الحسن والحسين . وهذه عبارة نثرية من كلام عرين الخطاب ، صارت مثلاً في الأمر المسير يتطلب من مجله .

(٣) علم على الرجل الذي تنسب إليه الدولة الأموية .

(٤) اسم لص ، أو اسم سائق إبل .

(٥) من ذلك قولهم : إن المراد من المعرفة هنا - نكرة ، فالمراد من : قيصر ، وأبا حسن ، وأمية ، وهيم ، وزيد - شخص ، أي شخص ، مسمى بهذا الاسم . فعين نقول : لا كسرى أو : لا قيصر بعده ، تريد : لا مسمى بهذا الاسم ، وحين نقول « لا أبا حسن لها : أي : لا مسمى بهذا الاسم لها ، أو لا فيصل لها ، وهكذا . . . فالكلمة معرفة في الظاهر ، ولكنها نكرة تأويلاً . وهذا مسوغ لعمل « لا » عندهم . ومن تأويلاتهم : أن المعرفة كان قبلها مضاف محذوف ملحوظ ، وهو نكرة . ثم أقيم المضاف إليه مقامه ؛ فيقدرون في لا كسرى . . . أو : لا قيصر بعده . . . لا مثل كسرى ، ولا مثل قيصر . . . ولا مثل أبي حسن . . . ولما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه صار الكلام : لا كسرى ، لا قيصر ، لا أبا حسن . . . وعلى كل تأويل اعتراض ، أو أكثر سجلته المطولات .

والحق أن مثل هذا التأويلات افتعال لا غير فيه ، لعدم مساييرته الحقيقة الناطقة بأن بعض العرب قد يعمل : « لا » مع تعريف اسمها . (٦) وهي التي سبقت الإشارة إليها في رقم ٤ من هامش ص ٦٩٢ .

النحو الوافي - أول

.....

في محل نصب ، بشرط أن تكون مضافة مسبوقة بكلمة : « لا - أو : ليس » -
 وبشرط أن يكون المضاف إليه محذوفاً قد نُوى معناه على الوجه المفصل في مكانه
 من باب : « الإضافة » ؛ نحو : قطعت ثلاثة أميال لا غير - أو ليس غير - أى :
 لا غيرها ، أو ليس غيرها مقطوعاً .

والنحاة يقولون في إعراب هذا : إنه مبنى على فتح مقلر ، منع من ظهوره
 الضم العارض للبناء أيضاً - في محل نصب . وفي هذا تكلف وتطويل يدعونهم إليه
 رغبتهم في إخضاع هذا النوع لحكم المفرد بحيث يكون الحكم (وهو البناء على
 الفتح في محل نصب) عاماً مطرداً . لكن لا داعي لهذا التكلف . إذ لا مانع
 من أن يقال : إنه مبنى على الضم - مباشرة - في محل نصب .
 (كما في الصبان والخضري عند كلامهما على أحكام : « غير » في باب
 الإضافة ، وستجىء في الموضع الذي أشرنا إليه) .

• • •

اسم « لا » المتكررة مع العطف

- (١) { لاخير مرجو من الشرير ، ولا نفع
لاخير مرجو من الشرير ، ولا نفعاً
لاخير مرجو من الشرير ، ولا نفع }
- إذا تكررت : « لا » وكانت كل واحدة مستوفية شروط العمل ، فكيف نضبط الاسم الواقع بعد : « لا » المتكررة ؛ وهي التي ليست الأولى ؟ (١)
- (٢) { لا تقدم ولا رقي مع الجهالة
لا تقدم ولا رقياً مع الجهالة
لا تقدم ولا رقي مع الجهالة }
- لهذا الاسم صورة متعددة بتعدد الأساليب التي يوضع فيها . ونبدأ بصورة من أكثر تلك الصور استعمالاً ؛ هي التي يكون فيها اسم « لا » الأولى مفرداً ، واسم المتكررة مفرداً معطوفاً على اسم الأولى . كما في الأمثلة المعروضة .
- (٣) { لا نهر في الصحراء ولا بحر ، أو :
ولا بحراً ، أو : ولا بحر }

يجوز في هذا الاسم المفرد المعطوف أحد ثلاثة أشياء (٣) :

أولها : البناء (٤) على الفتح ، أو ما ينوب عن الفتح ، فنقول في المثال الأول :
لا خير مرجو ولا نفع . على اعتبار « لا » المتكررة نافية للجنس . « نفع » اسمها ، مبني على الفتح في محل نصب — وخبرها محذوف (٥) تقديره — مثلاً — :

- (١) أما الأولى فقد سقت الكلام عليها في ص ٦٨٥ وما بعدها .
(٢) عرفنا — في ص ٦٩٢ — أن المراد بالمفرد هنا : ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف ؛ فيدخل في المفرد هذا المعنى ، المتنى والجمع . وإذا تكررت والاسم غير مفرد فالحكم يجرى في رقم ١ من هامش ص ٧٠١ .
(٣) ولكل إعراب معنى خاص به .
(٤) وفي حالة البناء لا يدخله التنوين ؛ كالشأن في كل مبني ؛ ولما سقت في ص ٦٩٢ ورقم ٤ من هامشها .
(٥) وما هو جدير بالتنويه أن خبر المتكررة قد يكون محذوفاً كهذا المثال ، وأن العطف فيه من نوع عطف الجملة على الجملة ، خضوعاً لقاعدة المطابقة . وقد يكون الخبر مذكوراً والمطف عطف جملة على جملة كقولنا : لا خير مرجو من الشرير ولا نفع مرجو منه ، ومثله : لاكرامة لمنافق ، ولا شرف لكذاب ، وقولهم : اللهم لا شكايه من قضائك ، ولا استبطاء لجزائك ، ولا كفران لنعمتك ، ولا مناصبة لقدرتك . وقد يكون الخبر صالحاً للثنين مما كالمثال الثاني (لا تقدم ولا رقي مع الجهالة) . فالظرف من حيث المطابقة صالح للثنين ، فالمطف عطف مفردات إن جعلنا الظرف خبراً عن المعطوف عليه والمعطوف معاً . أما إن جعلناه خبراً لأحدهما فقط ، وخبر الثانية محذوفاً فالمطف عطف جملة . ومثل هذا يقال في المثال الثالث أيضاً فلا بد قبل الحكم على نوع العطف (بأنه عطف جملة أو عطف مفردات) من النظر أولاً إلى الخبر ، ومطابقته ، أو عدم مطابقتها للمعطوف والمعطوف عليه معاً ، وأنه صالح للإختبار به عهما ، أو غير صالح . وهذه من الأمور التي تتطلب يقظة وإدراكاً تامين .

مرجؤ^(١) . والجملة الاسمية الثانية معطوفة على الجملة الاسمية الأولى ؛ فعندنا جملتان .

ونقول في المثال الثاني : لا تقدم ولا رقى مع الجهالة ؛ فتكون كلمة : « رقى » اسم ، « لا » الثانية على الاعتبار السابق ، ولكن خبرها وخبر الأولى هو الظرف : « مع » فإنه يصلح خبراً لهما^(٢) .

ونقول في الثالث : لا نهر في الصحراء ولا بحر . فيجرب على هذا المثال ما جرى على الثاني^(٣) .

ثانيهما : الإعراب^(٤) مع نصبه بالفتحة أو ما ينوب عنها . فنقول في المثال الأول : لا خير مرجؤ من الشرير ، ولا نفعاً ، بإعرابه منصوباً . وهذا على اعتبار : « لا » الثانية زائدة لتوكيد النفي ؛ فلا عمل لها . وكلمة « نفعاً » معطوفة بحرف العطف على محل اسم « لا » الأولى ؛ لأن محله النصب . (فهو مبنى في اللفظ ، لكنه منصوب المحل ، كما سبق^(٥)) .

ونقول في المثال الثاني : لا تقدم ولا رقى مع الجهالة . على الاعتبار السابق أيضاً ؛ فتكون « لا » المكررة زائدة لتوكيد النفي ، « رقى » معطوفة على محل اسم « لا » الأولى . وخبر « الأولى » هو الظرف : « مع » .

ونقول في المثال الثالث : لا نهر في الصحراء ولا بحراً ؛ كما قلنا في الأول تماماً .

ثالثها : الإعراب مع رفعه^(٦) بالضمة ، أو بما ينوب عنها ؛ فنقول في المثال الأول : لا خير مرجؤ من الشرير ، ولا نفع . برفع كلمة : « نفع » على اعتبار « لا » الثانية زائدة لتوكيد النفي ؛ فلا عمل لها . و « نفع » مبتدأ مرفوع ، خبره محذوف ، والجملة الاسمية الثانية معطوفة على الجملة الاسمية الأولى .

ويصح اعتبار « لا » الثانية عاملة بعمل « ليس » وكلمة : « نفع » اسمها

(١) في مثل هذا المثال وأشباهه لا يمكن اعتبار كلمة : « نفع » المبنية معطوفة على كلمة : « خير » المبنية ، واكتسبت منها البناء . لا يمكن ذلك ؛ لأن البناء لا ينتقل إلى التوابع ، ولا يراعى فيها إن كان سببه بناء المتبوع - كما في « ج » من هامش ص ٧٠١ وفي « ا » من ص ٧٠٢ .

(٢) انظر رقم ٥ من هامش الصفحة السابقة .

(٣) الإعراب يقتضى تنوينه . إلا إن وجدنا ما يمنع التنوين ؛ كنح الصرف . .

(٤) في ص ٦٩٤ وهامشها .

(٥) ومع تنوينه أيضاً ، إلا إن وجد ما يمنع التنوين ؛ كنح الصرف .

مرفوع . والخبر محذوف . والجملة من « لا » الثانية ومعمولها معطوفة على الجملة الأولى .

ويصح اعتبار « لا » الثانية زائدة لتوكيد النفي . وكلمة : « نفع » معطوفة على « لا » الأولى مع اسمها^(١) . — لأنهما بمنزلة المبتدأ المرفوع : فالمعطوف عليهما معاً يكون مرفوعاً أيضاً^(٢) . — ويجرى على المثالين الأخيرين ما جرى على المثال الأول ؛ حيث يصح في كلتي رقي ، و « بحر » الرفع على أحد الاعتبارات الثلاثة السابقة^(٣) .

« ملاحظة » : إذا تكررت « لا » وكل واحدة مستوفية الشروط ، مفردة الاسم ؛ وكانت الأولى لنفي الوحدة (أى : عامة عمل ليس) جاز في اسم المكررة بعد عاطف ، أمران : أن يكون معرباً مرفوعاً بالضمه أو بما ينوب عنها ، وأن يكون مبنياً على الفتح أو ما ينوب عن الفتحه ؛ مثل : لا قوى ولا ضعيف أمام القانون . أو : لا قوى ولا ضعيف أمام القانون .

(١) فالرفع — في هذا المثال — إما على اعتبار « لا المكررة » زائدة لتوكيد النفي . والاسم بعدها معطوف على اسم الأولى ؛ فالمعطوف مرفوع كالمعطوف عليه . والخبر عنهما معا هو الظرف : (أمام) . وإما على اعتبار « لا » المكررة زائدة للنفي أيضاً . والاسم بعدها مبتدأ^(٤) ، وإما على اعتبار « لا » المكررة عاملة عمل « ليس » والمرفوع بعدها اسمها^(٥) .

ولما جاز الرفع على هذين الاعتبارين ، ولم يجز النصب لأن النصب إنما يجزى على اعتبار أن « لا » المكررة زائدة ، والاسم الذى بعدها معطوف على محل اسم الأولى ، المبني لفظاً المنصوب محلاً . ولما كان اسم الأولى هنا مرفوعاً . وليس مبنياً على الفتح

(١) أو على اسم « لا » وحده عند بعض النحاة — في هذه الصورة وأشباهاها فما يأتى — باعتباره مبتدأ في الأصل . ولا أثر للخلاف بين الرايين .

(٢) وإنما يصح هذا الاعتبار على تقدير : « لا خير ولا نفع مرجو من الشرير » بشرط أن يكون المعطف هنا « عطف تفسير » لا مفارقة فيه بين معنى المعطوف والمعطوف عليه ، كالتفسير في مثل : أخذت المسجد والذهب فصعته وانفقت به . أما إن كان المعطف مقتضياً للمغامرة المعنوية — كأكثر حالات المعطف — فلا يصح الإعراب السالف ، إذ فيه تختل المطابقة حين نقول : لا خير ولا نفع مرجو من الشرير . والصواب : « مرجو » كما نقول : لا كبير ولا صغير مهملان ، لا مهمل .

(٣) تنطبق الاعتبار السابقة على كلمة : « مال » في قول شاعرهم :

لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ فلم يسمع النطق إن لم يسمع الحال

(٤) وخبره هو الظرف : « أمام » وخبر الأولى محذوف . أو المكس ؛ فيكون الظرف خبر الأولى وخبر الثانية هو المحذوف . وعلى كلا الاعتبارين تكون الجملة الاسمية الثانية معطوفة على الجملة الاسمية الأولى . (٥) والخبر هنا ونوع المعطف كالحالة السابقة .

لفظاً . كان غير منصوب محلاً ؛ فلا يجوز العطف بالنصب على محل لا وجود له ^(١) .

(ب) والبناء على الفتح على اعتبار « لا » المكررة نافية للجنس ،
إلى هنا انتهى الكلام على أحكام اسم « لا » المكررة مع العطف ، حين يكون
الاسم مفرداً بعد كل واحدة . وهي أحكام تسرى على اسم « لا » المكررة ^(٢) مرة أو

(١) إلى كل الأحكام السابقة يشير ابن مالك إشارة موجزة بقوله :

عَمَلٌ « إِنَّ » اجْعَلْ لِلَّاءِ « فِي نَكِرِهِ مُفْرَدَةً جَاءَتْكَ ، أَوْ : مُكْرَرَةً

يريد : اجعل عمل « إن » من اختصاص « لا » النافية للجنس المكررة وغير المكررة ؛ فتعمل
النصب في الاسم ، والرفع في الخبر ، بشرط أن يكون ما تعمل فيه نكرة ، فلا يجوز أن يكون اسمها
أو غيرها معرفة ، ومن باب أولى لا يجوز أن يكونا معرفتين ، ثم قال :

فَانْصِبْ بِهَا مُضَافاً أَوْ مُضَارِعَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ الْخَبَرَ اذْكُرْ رَافِعَةً
وَرَكَّبَ الْمَفْرَدَ فَاتِحاً ؛ كَلَّاءَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ . وَالثَّانِ اجْعَلْ :
مَرْفُوعاً ، أَوْ : مَنْصُوباً ، أَوْ مُرَكَّباً وَإِنْ رَفَعْتَ أَوَّلًا لَا تَنْصِبْ

عرض في هذه الأبيات لأحكام اسم « لا » فقال : انصبه ؛ (لأنها العامل الذي يعمل فيه
النصب) وذلك حين يكون مضافاً ، أو مضارعاً له ، أى : مشابهاً للمضاف . وبعد ذلك الاسم
المنصوب اذكر الخبر رافعاً إياه . ويؤخذ من هذا البيت أمران .

أولهما : أن اسم : « لا » يكون مرفوعاً منصوباً حين يقع مضافاً ، أو شبيهاً بالمضاف .

وثانيهما : أن الخبر يرفع بشرط أن يجيء بعد الاسم ، غير متقدم عليه ، فلا بد من الترتيب بينهما
بحيث يتقدم الاسم ويتأخر الخبر . ولم يتعرض لبقية الشروط التي ذكرناها

وأوضح بعد ذلك حكم الاسم الذي ليس مضافاً ولا شبيهاً به ؛ وهو : الاسم المفرد ؛ فقال :
« رَكَّبَ الْمَفْرَدَ فَاتِحاً » أى : ركب مع « لا » ، فاتحاً إياه ، بأن تجعله مبنياً على الفتح ؛ بسبب
التركيب . (لأنهم يجعلون سبب البناء هو تركيبه مع « لا » تركيباً يجعل الكلمتين بمنزلة كلمة واحدة ؛
مثل : خمسة عشر ، وغيرها من الأعداد المبنية على الفتح ، من أجل تركيبها) ومثال المفرد المبني
كلمة : « حول » ، وكلمة « قوة » في نحو : لاحول ولا قوة أمام قدرة الله . وهو مثال أيضاً لاسم
« لا » المكررة . وبين أن حكم اسمها الرفع ، أو النصب ، أو التركيب مع « لا » فيكون مبنياً معها على
الفتح . (أى : أن اسم « لا » المكررة إذا كان مفرداً يجوز فيه ثلاثة أشياء : الرفع ، أو النصب ،
أو البناء على الفتح) . ثم أوضح أن هذه الثلاثة جائزة بشرط أن يكون اسم « لا » الأولى غير مرفوع . فلن كان
مرفوعاً - لأنها عاملة عمل « ليس » ، أو مهملة ؛ لعدم استيفائها الشروط - لم يجوز في اسم « لا » المكررة
إلا الرفع أو البناء على الفتح ، ولم يجز فيه النصب ، وقد شرحنا ذلك كله ، وعرضنا لأسبابه .

(٢) في مثل : قصدتك يوم لاحر ولا برد . . . يجوز جملة إعرابات ، منها : رفع كلمتي :
« حر ، وبرد » على اعتبار « لا » ملغاة ، أو عاملة عمل « ليس » . ومنها : بناء الكلمتين على الفتح
باعتبار « لا » عاملة عمل « إن » - والخبر في كل الصور السالفة محذوف . ومنها جر الكلمتين باعتبار « لا »
اسم بمعنى « غير » وهو مضاف ، ونعت ، متوئمة كلمة : « يوم » مع تنوين يوم . والمضاف إليه هو
الكلمتان المحذورتان - راجع الصبان ج ٢ باب الإضافة ، عند الكلام على « إذ » ففيه بعض البيان - .

أكثر ، بشرط استيفاء كل واحدة شروط العمل ، وإفراد اسمها ؛ كما عرفنا^(١).

...

حكم المعطوف على اسم « لا » بغير تكرارها^(٢) :

إذا لم-تتكرر : « لا الجنسية » وعطف على اسمها جاز في المعطوف التكررة الرفع

(١) أما إذا تكررت « لا » المستوفية للشروط ولم يكن اسم كل واحدة مفرداً فإن الحكم يختلف باختلاف الصور الناشئة من ذلك ؛ وأهمها :

أ - أن تكون الأسماء كلها مضافة أو شبيهة بالمضاف ؛ نحو : لا زارع حقلاً ، ولا يستأنى حديقته هنا ، فيجوز في الاسم بعد المكررة إما النصب على اعتبارها نافية للجنس ، وهو اسمها منصوب بها ، وبغيرها محذوفة ، أو : هو المذكور ، وبغير الأولى محذوف ، والجملة الاسمية الثانية مطبوعة على الأولى في الحالتين . وإما النصب أيضاً لكن على اعتبارها زائدة لتوكيد النفي ، وهو معطوف على اسم الأولى المنصوب . والظرف ؛ « هنا » خبر عنهما (والمطف عطف مفردات ؛ لأن المعطوف ليس جملة ، وكذلك المعطوف عليه) . وإما الرفع على اعتبار « لا » مهمله : وبمدها مبتدأ . أو على اعتبارها عاملة عمل : « ليس » وهو اسمها ، والخبر في الحالتين محذوف أو هو المذكور . والجملة الاسمية الثانية مطبوعة على الجملة الاسمية الأولى (وعند اعتبار المذكور خبراً يكون الخبر الآخر محذوفاً)

ب - أن يكون الاسم بعد الأولى مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ، وبعد المكررة مفرداً مثل : لا عمل خير ولا يرأول من إكرام الولدين ؛ فيجوز في الاسم المفرد بعد المكررة أن يكون اسمها مبنياً على الفتح ؛ لأنها نافية للجنس وبغيرها محذوف أو هو المذكور وبغير الأخرى هو المحذوف ، والجملة الاسمية الثانية مطبوعة على الجملة الاسمية الأولى .

ويجوز فيه النصب عطفاً على اسم الأولى المنصوب (عطف مفردات) ويجوز فيه الرفع على اعتبار « لا » نافية للوحدة وهو اسمها . أو على اعتبارها مهمله وهو مبتدأ ، والخبر في الحالتين محذوف أو هو المذكور وبغير الأخرى هو المحذوف ، والجملة فيها مطبوعة على الجملة الاسمية الأولى .

ج - أن يكون الاسم بعد الأولى مفرداً وبعد المكررة مضافاً أو شبيهاً به ، نحو لا يرأول عمل خير أول من إكرام الولدين . . . فالاسم بعد الأولى مبنى وبعد المكررة يجوز فيه النصب عطفاً على محل اسم الأولى ، وتكون « لا » المكررة زائدة لتوكيد النفي ، أو : أن الثانية نافية للجنس والاسم بعدها منصوب بها ، والخبر محذوف أو المذكور وهي مع جملتها مطبوعة على الأولى مع جملتها . وهنا المطف عطف جمل . ويجوز رفعه على أنه اسم لا العاملة عمل « ليس » ، أو على أنه مبتدأ وهي مهمله ، وفي الحالتين يكون الخبر محذوفاً أو مذكوراً على حسب الجملة ، والمطف فيها عطف جمل .

وهذا ولا تراعى حالة البناء في اسم الأولى لأن البناء لا يراعى في التوابع - كما سبق . في رقم ١ من هامش ص ٦٩٨ ويأتى في « ١ » من ص ٧٠٢ .

ومن المفيد التنويه مرة أخرى بأن اعتبار المطف عطف جمل أو عطف مفردات ، إنما يتوقف على الخبر المذكور ، أوه خبر للأولى وحدها فيكون خبر الثانية محذوفاً ويكون المطف من نوع عطف الجمل ، أم أنه خبر الثانية ؛ فيكون خبر الأولى هو المحذوف ، والمطف عطف جمل أيضاً ؟ أو أنه صالح لهما معاً (كما إذا كان شبه جملة) فيصح أن يكون المطف عطف مفردات ، أو جمل ؛ نحو : لا سيارة ولا طائرة هنا . فإن جعلنا الظرف خبراً لأحدهما فقط وجعلنا خبر الأخرى هو المحذوف فالمطف عطف جمل . فن المهم التنبيه لهذا كله ، وإلى مطابقة الخبر وعدم مطابقتها .

(٢) وهذا الحكم خاص بالمعطوف على اسم « لا » دون أغواها من الحروف الناسخة ، فلنن أحكام أخرى سبقت في ص ٦٦٥ .

أو النصب في جميع الحالات (أى : سواء أكان مفرداً أم غير مفرد ، وسواء أكان اسمها - وهو المعطوف عليه - ، مفرداً أم غير مفرد ، ومن أمثلة ذلك :

(١) لا كتابَ وقلمٌ في الحقيقة ، أو : لا كتابَ وقلمًا في الحقيقة .
فيجوز في المعطوف أمران :

الرفع على اعتبار أن كلمة : « قلم » ، معطوفة على « لا » مع اسمها ، وهما بمنزلة المبتدأ المرفوع ، فالمعطوف عليهما مرفوع أيضاً . أو : على الاسم وحده باعتباره مبتدأ في الأصل - وهذا أحسن -

والنصب على اعتبار أن كلمة : « قلم » معطوفة على محل اسم « لا » المبنى ، لأنه مبنى في اللفظ لكنه منصوب المحل ، فيجوز العطف عليه بمراعاة محله ، لا لفظه (لأن البناء لا يراعى في التوابع ، كما سبق)^(١) .

(ب) لا كتابَ هندسة وقلمٌ رصاص في الحقيقة ، يجوز في المعطوف الأمران : الرفع على الاعتبار السالف ، والنصب على العطف على لفظ اسم « لا » المنصوب .

(ج) لا كتابَ حساب وقلمٌ أو قلمًا في الحقيقة . يجوز في المعطوف الأمران الرفع والنصب على الاعتبارين السالفين في : « ب » .

(د) لا كتابَ وقلمٌ رصاص ، في الحقيقة . يجوز في المعطوف الأمران : الرفع أو النصب على الاعتبارين السالفين في : « ا » .

فإن كان المعطوف معرفة لم يحز فيه إلا الرفع على اعتباره مبتدأ^(٢) . . .

وعلى ضوء الصور والأساليب السالفة - أفراداً وتركيباً - تُضبط الصور الأخرى التي لم نعرضها هنا . ويجب مراعاة الخبر بدقة ، ليظهر المعنى ، ويمكن تمييز نوع العطف إن وجد^(٣) .

حكم المعطوف على اسم « لا » المكررة :

يتبع المعطوف عليه ، (أى : يتبع اسمها) في إعرابه رفعاً ونصباً دون أن يتبعه في البناء كما عرفنا .

(١) في رقم ١ من هامش ص ٦٩٨ وفي آخر « ج » من هامش ص ٧٠١

(٢) لأن اسم : « لا » بتوحيها لا يكون معرفة ، وعند عطفه على اسم الأولي يكون بمنزلة الاسم مع عدم صلاحيته لذلك ؛ بسبب تعريفه . هكذا يعالون . والعللة الصحيحة هي نطق العرب ، واستعمالهم .

حكم نعت اسم « لا »

كيف نضبط الكلمات التي تحتها خط وهي :	{	لا تاجرَ خَدَاعٍ ناجحٌ
(خَدَاع - مسرعة - رديئة) وأشباهاها من		لا سيارةَ <u>مسرعة</u> مأمونةٌ
كل كلمة وقعت (نعتاً : مفرداً) ، (لاسم :		لا كتابةٌ ، <u>رديئة</u> ممدوحة
« لا » النافية للجنس ، المفرد) ، (ولم يفصل بين		
النعت والمنعوت فاصل) ^(١) .		

يجوز في ضبط هذا النعت أحد أمور ثلاثة :

(أ) بناؤه على الفتح^(٢) أو بما ينوب عن الفتح ؛ كالشأن في اسم : لا ، فنقول : لا تاجرَ خَدَاعٍ ناجحٌ - لا سيارةَ مسرعة مأمونةٌ - لا كتابةَ رديئةَ ممدوحةٌ .

(ب) إعرابه منصوباً بالفتحة : أو بما ينوب عنها ؛ مراعاةً لمحل اسم « لا » . فنقول : لا تاجرَ خَدَاعاً ناجحاً - لا سيارةَ مسرعة مأمونةٌ - لا كتابةَ رديئةَ ممدوحةٌ .

(ج) إعرابه مرفوعاً بالضمة أو بما ينوب عنها . على اعتباره نعتاً للكلمة : « لا » مع اسمها ؛ وهما معاً بمنزلة المبتدأ المرفوع ، فنعتها مرفوع كذلك ، أو على اعتباره نعتاً لاسمها وحده^(٣) ؛ تقول :

(١) فالشروط ثلاثة . أن تكون الكلمة : نعتاً مفرداً (أى : ليست مضافة ، ولا شبيهة بالمضاف) - وأن يكون اسم : « لا » مفرداً ، وألا يفصل بين النعت والمنعوت فاصل ؛ هذا ، والنقطة ينصب في الحقيقة على النعت . وسيجيء في الزيادة : - « أ » ص ٧٠٧ - أسلوب خاص يشتمل على نوع من النعت له حكم يختلف عما سيذكر هنا .

(٢) على تخيل أنه ركب مع اسم « لا » قبل مجيئها تركيب خمسة عشر ، وغيرها من الأسماء المركبة من كلمتين صارتا بمنزلة كلمة واحدة ، وبنيت على فتح الجزأين بسبب التركيب . ولا يصح أن يكون بناء النعت هنا تبعاً لبناء اسم « لا » ؛ لما نقرر من أن بناء المتنوع لا ينتقل إلى التابع . كما أن وجود نعت لاسم « لا » المفرد لا يخرج الاسم عن حالة الإفراد - كما سبق في آخر رقم ٣ من هامش ص ٦٩١ - ؛ لأنه لا عمل له في النعت .

(٣) باعتبار أن أصله مبتدأ .

لا تاجر خداع ناجح - لا سياره مسرعه مأمونه - لا كتابه رديئه ممدوحه^(١).
فإن اختل شرط من الشروط الثلاثة السالفة لم يصح بناء النعت على الفتح ، وصح
أن يكون مرفوعاً أو منصوباً . فإذا كان النعت غير مفرد ، - مثل : لا تاجر
خداع الناس ناجح - ، فإنه لا يجوز في هذا النعت (وهو : خداع) أن
يكون مبنياً على الفتح^(٢) ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً على الاعتبار
الذى أوضحناه سالفاً (في : « ب » و « ح ») .

وإن كان المنعوت غير مفرد ، مثل : لا تاجر خشب خداع ناجح ، لم يجوز
البناء على الفتح أيضاً^(٣) ، وجاز النصب أو الرفع ؛ كسابقه .
وكذلك الحكم إن وجد فاصل بين النعت والمنعوت ؛ مثل لا تاجر وصانع
خداعان ناجحان . فلا يجوز بناء كلمة « خداعان » بل يجب نصبها ، أو رفعها .
وما يلاحظ أن المنعوت إذا كان غير مفرد (بأن كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف)
فإنه سيجىء بعده ما يفصل بينه وبين النعت حتماً .

(١) وفي هذه الأحكام يقول ابن مالك :

ومفرداً نعتاً لمبني يلى فافتح ، أو : انصب ، أو : ارفع ، تغل

يريد : أن النعت المفرد ، الذى يلى اسم « لا » المبني ، يجوز فيه الفتح ، أو النصب . وإن شئت ؛
فأرفقه ؛ تكن عادلاً بين الرفع وغيره . أو تكن عادلاً بين الثلاثة (والفاء في : « فافتح زائدة لتحسين اللفظ ،
فلا تمنع من تقدم معمول ما دخلت عليه . مثل كلمة : « مفرداً » هنا) .

(٢) لأن بناءه على الفتح يقوم على تخيل أنه مركب مع اسم « لا » كتركيب الأسماء
التي يقتضى التركيب بناءها على فتح الجزأين ؛ كسبعة عشر ، وغيرها من الأعداد والأسماء المركبة - كما
أوضحناه في رقم ٢ من هامش الصفحة ٧٠٣ - وهذا التركيب لا يكون إلا بين كلمتين فقط . فإذا كان
النعت غير مفرد ، أو كان المنعوت غير مفرد - ترتب على هذا أن يقع التركيب بين أكثر من كلمتين ،
وهذا مرفوض . وكذلك الشأن لو وجد فاصل بين النعت والمنعوت ؛ فإنه سيؤدى إلى قيام التركيب بين
أكثر من كلمتين . (٣) وإلى النعت غير المستوفى للشروط يشير ابن مالك بقوله :

وغير ما يلى ، وغير المفرد لا تبني : وانصبه ، أو الرفع أقصد

يقول : إذا كان النعت لا يلى المنعوت ؛ لوجود فاصل بينهما ، أو كان أحدهما أو كلاهما غير
مفرد - فلا تبني النعت ، بل انصبه ، أو أقصد إلى الرفع ؛ فأنت غير بين النصب والرفع - دون البناء .
ثم أشار بعد ذلك إلى حكم العطف على اسم « لا » التي لم تتكرر ؛ فقال : إن حكم المطفوف هو حكم
النعت المفصول . ذلك الحكم الذى يقضى باختيار النصب أو الرفع دون اختيار البناء . وقد شرحنا حكم
ذلك العطف تفصيلاً ، ويقول فيه ابن مالك :

والعطف إن لم تتكرر : « لا » احكمأ له بما للنعت ذى الفصل انتمى

انتى ، أى : انتسب . ولحكمأ ، أصلها : احكم ؛ بذون التوكيد الخفيفة ، وقلبت ألفا عند الوقف .

... ..
... ..

زيادة وتفصيل :

البدل النكرة (وهو الصالح للدخول : « لا ») كالنعت المفصول ، نحو ؛ لا أحد ، رجلا ، وامرأة فيها . بالنصب أو الرفع ، ولا يجوز بناؤه على توهم تركبه مع المبدل منه ، لأن البدل على نية تكرار العامل : « لا » ، فيقع بين البدل والمبدل منه فاصل مقدر يمنع من ذلك التركيب الوهمي . وأجازه بعضهم لأن هذا الفاصل — وهو « لا » — يقتضى الفتح^(١).

فإن كان البدل معرفة وجب رفعه^(٢) ، نحو لا أحد محمدٌ وعلىٌ فيها . وكذا يقال في عطف البيان .

أما التوكيد فالأفضل في اللفظي منه أن يكون جارياً على لفظ المؤكّد من ناحية خلوه من التنوين . ويجوز رفعه أو نصبه . وأما المعنوي فيمتنع هنا تبعاً للرأى الشائع القائل : إنه لا يتّبع نكرة ؛ لأن ألفاظه معارف . أما على الرأى القائل إنه يتبعها فيتعين رفعه ، لعدم دخول « لا » على المعرفة^(٣) .

* * *

(١) ومن المستحسن هنا عدم الأخذ بهذا الرأى الذى يوقع فى لبس .

(٢) على اعتباره بدلا من « لا » مع اسمها وهما بمنزلة المبتدأ المرفوع . . . ، أو من اسمها بحسب أصله المبتدأ .

(٣) حاشية الخضرى ج ١ باب « لا » عند الكلام على تكرارها ووقوع اسمها بعد عاطف .

المسألة ٥٩ :

بعض أحكام أخرى

(١) دخول همزة الاستفهام على « لا » النافية للجنس ^(١) .
إذا دخلت همزة الاستفهام على : « لا » النافية للجنس صار الأسلوب
إنشائيًا ، ولم يتغير شيء من الأحكام السالفة كلها . - وهذا أوضح الآراء
وأيسرها - يتساوى معه أن تكون « لا » مفردة ، ومكررة ، وأن يكون الاسم مفرداً
وغير مفرد ، منعوتهً وغير منعوته ، معطوفاً وغير معطوف . . . إلى غير ذلك من
سائر الأحكام التي أوضحناها .

ولا فرق فيما سبق بين أن تكون الهمزة للاستفهام الصريح عن النفي المحض
(أى : دون قصد توبيخ أو غيره . . .) ؛ نحو : ألا رجل حاضر ^(٢) ؟ أو
للاستفهام المقصود به التوبيخ ^(٣) ؛ كقولك للبخیل : ألا إحسان منك وأنت غني ؟ .
أو للاستفهام المقصود به التمني ^(٤) ؛ نحو ألا مال ^(٥) فأساعد المحتاج ^(٦) ؟ .

* * *

- (١) وكذلك على « لا » التي لنى « الوحدة » كما تقدم فى رقم ١ من هامش ص ٦٠٤ منقولاً عن
الحضرى . . .
(٢) إذا كان السؤال عن عدم حضور أحد من الرجال .
(٣) ولا يسمى الآن استفهاماً ؛ فقد تحول عنه إلى الغرض الجديد ؛ (من التوبيخ ، أو التمني ،
أو غيرهما) وتسميته استفهاماً إنما هى بحسب أصله قبل أن يتحول .
(٤) انظر الزيادة والتفصيل ص ٧٠٧ .
(٥) الخبر محذوف ؛ تقديره ، موجود . (راجع ما يأتى فى الزيادة والتفصيل - ٧٠٧ - خاصاً
بكلمة : « ألا » التي للتمنى) .
(٦) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَأَعْطِ « لَا » مَعَ هَمْزَةٍ اسْتِفْهَامٍ مَا تَسْتَحِقُّ دُونَ الاسْتِفْهَامِ

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) من الأساليب الصحيحة في التمني : « ألا ماء ماء باردآ » . فكلمة : « ماء » الثانية نعت ^(١) للأولى : فهو مبنى على الفتح ، لأنه بمنزلة المركب المزجي مع اسم « لا » . ويجوز نصبه . ويمتنع رفعه عند سيبويه ومن معه ، على اعتبار مراعاة محل (لا) مع اسمها ، وأنها بمنزلة المبتدأ ، ولكن يجوز عند المازني ومن وافقه . وعلى هذا ، تكون « ألا » التي : للتمنى مُحْتَفَظَةٌ عند بعض النحاة — بجميع الأحكام الخاصة التي كانت لكلمة : « لا » قبل دخول الهمزة . وقبل أن يصيرا كلمة واحدة للتمنى .

وإذا لم يكن خبرها مذكوراً فهو محذوف . وبخالف في هذا فريق آخر كسيبويه ؛ فيرى أنها حين تكون للتمنى — لا تعمل إلا في الاسم ؛ فلا خبر لها ؛ لأنها صارت بمنزلة : أتمنى . فقولك : « ألا ماء » ، كلام تام عنده ؛ حملاً على معناه ، وهو : أتمنى ماء . فلا خبر لها لفظاً ولا تقديرًا ، واسمها هنا يكون بمنزلة المفعول به . ولا يجوز إلغاء عملها في الاسم ، كما لا يجوز الوصف ولا العطف بالرفع مراعاة للابتداء ؛ كما أشرنا . ولا يقع هذا الخلاف في النعوت الأخرى . التي سبق حكمها ^(٢) .

والرأى الأول — مع عيبه — أفضل ؛ لأنه مطرد يساير القواعد العامة ؛ فلا داعي للأخذ بالرأى الثاني المنسوب لسيبويه ومن معه .

ويتعين تنوين كلمة : « باردآ » ، لأن الغرب لم تركب أربعة أشياء ^(٣) تركيباً مزجياً ، ولا يصح إعراب كلمة : « ماء » الثانية « توكيداً » ، ولا « بدلاً » ؛ إذ يكون كل منهما تابعاً مقيداً بالنعت الآتي بعده ، مع أن الأول — وهو المتبوع — مطلق ؛ فليس التابع مرادفاً له حتى يؤكد ، ولا مساوياً له حتى يبدل منه بدل مطابقة .

لكن جوز بعضهم « التوكيد » في قوله تعالى : (لَنَسْفَعَنَّا بِالْناصِيَةِ ناصية

(١) لجواز النعت بالجامد الموصوف بالمشق ، مثل : مررت برجل رجل صالح وهو من النعت الذي يسمى نعتاً موثقاً ؛ أى : مهبطاً (إذ يحصل به التمهيد للنعت بالمشق الذي بعده) ، وسيجيء بيان هذا في موضعه الخاص — وهو باب النعت ج ٣ ص ٣٧٠ م ١١٤ . (٢) في ص ٧٠٣ .

(٣) راجع ص ٣٠٠ و ٣١٣ حيث المركب المزجي (تعريفه ، وأنواعه ، وحكمه) .

كاذبة (فكذا هنا . وجوز بعضهم أن يكون « عطف بيان » ؛ لأنه يجيز أن يكون أوضح من متبوعه^(١) .

(ب) قد ترد كلمة : « ألا » للاستفتاح والتنبية (بقصد توجيه ذهن إلى كلام هام ، وثيق عند المتكلم ، يجيء بعدها^(٢)) . وهي كلمة واحدة . لا عمل لها ، فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية ؛ فالاسمية نحو : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، والفعلية كقوله تعالى : (ألا يوم يأتيهم مصروفاً عنهم) ، فقد دخلت على « ليس » .

كما تجيء وهي كلمة واحدة للعرض^(٣) ، والتخصيص ؛ فتختص بالجملة الفعلية ؛ فتأل العرض : ألا تشاركني في الرحلة الجميلة . ومثال التخصيص ألا تقاوم أعداء الوطن .

(ح) يجرى على خبر « لا » ما يجرى على سائر الأخبار ، من جواز الحذف - وكثرته - إن دل دليل . وليس من اللازم لجواز الحذف أن يكون الخبر هنا شبه جملة ؛ فقد يكون شبه جملة كقول الشاعر :

إذا كان لإصلاحى لجسمى - واجباً فإصلاح نفسى - لا محالة...أوجب
أى : لا محالة فى ذلك . وقول الآخر :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة^(٤) لهم ولا سراة إذا جهأهم سادوا
أى : ولا سراة لهم إذا جهأهم سادوا .

وقد يكون المحذوف جملة ؛ كأن يقال : هل من جاهل يصلح للسيادة ؟

(١) الخلاف شديد بين النحاة فى كل إعراب من هذه الإعرابات (وتراه ملخصاً فى آخر باب « لا النافية للجنس » فى الجزء الأول من : التصريح ، والبيان ، ووجزاً فى حاشية الحضرى)
والذى يمكن استصفاؤه من الجدل العنيف وما يتضمنه من اعتراضات هو : صحة الإعرابات السالفة كلها ، وأن أحسنها إعراب الكلمة الثانية « نعماً موطئاً » (كما سيحىء فى باب النعت من الجزء الثالث ص ٣٧٠ م ١١٤ طبقاً لما أشرنا) .

(٢) كما فى رقم ١ من هامش ص ٦٤٩ .

(٣) العرض : طلب الشيء برفق . والحض : طلبه بشدة وقوة . وتفصيل الكلام عليهما فى الجزء الرابع : باب : ألا ، ولولا ، ولوما ... م ١٦٢ ص ٤٧٧ .

(٤) جمع سرى ، وهو : الشريف ، كريم الحساب .

... ..
... ..

فيجاء : لا جاهل . أى : لا جاهل يصلح للسيادة . . . وقد يكون مفرداً
كالأمثلة الآتية بعد :

والدليل على الحذف قد يكون مقالياً ؛ كأن يقال : من المسافر ؟ فيجاء :
لا أحد . أى : لا أحد مسافر . وقد يكون الدليل مفهوماً من المقام والحالة
الملايسة ؛ كأن يقال للمريض : لا بأس ، أى : لا بأس عليك . وللسارق :
لا نجاة ، أى : لا نجاة لك . وبغير الدليل لا يصح الحذف . . . (١)

ومن الأساليب التي حذف فيها الخبر : « لا سيما » وقد سبق الكلام عليها (٢) .
ومنها : لا إله إلا الله (٣) ؛ ومنها : لا ضير (٤) . ومنها : لا ضرر ولا ضرار (٥) .
ومنها : لا فوت (٦) . . .

وقد يحذف الاسم للدليل ، نحو : لا عليك . أى : لا بأس عليك .
(د) بمناسبة الكلام على : « لا » يتعرض بعض النحاة لتفصيل الكلام على

(١) وفي هذا يقول ابن مالك :

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذا المراد مع سقوطه ظهراً

(٢) في الجزء الأول : (آخر باب : « الموصول » ٢٨٣ ص ٤٠١) .

(٣) يصح في كلمة : « الله » في هذا المثال - كما سيجيء في الصفحة التالية - الرفع ، إما
باعتبار أنها بدل من « لا » مع اسمها ؛ لأنها في حكم المبتدأ ، إذ هما في محل رفع بالابتداء عند
سيبويه . . . وإما باعتبار أنها بدل من اسم « لا » قبل دخول الناسخ عليه ، فقد كان في
أصله مبتدأ قبل مجيء « لا » وإما باعتبارها بدلا من الضمير المستتر في الخبر المحذوف - وهذا هو الرأي
الشائع - وتقدير الضمير « هو » فتكون كلمة : « الله » بدلا منه .

ويصح نصب كلمة : « الله » على الاستثناء ؛ لأن الكلام تام غير موجب ؛ فيجوز فيه البدلية
والنصب - كما هو معروف في أحكام المشتق - (راجع الصبيان - ٢ أول باب الاستثناء . حيث
عرض الآراء السالفة) وقالوا لا يجوز في لفظة : « الله » وأشباهها - أن تكون بدلا من لفظ « إله » لأنه
مشتق منه منى ، والمشتق هنا موجب بسبب وقوعه بعد « إلا » ، والعامل المشترك الذي عمل فيهما معا
هو « لا » . فيرتب على هذا الإعراب أن تكون « لا » قد عملت في الموجب - لأن العامل في البذل هو
العامل في المبدل منه ، عند أكثرهم - ، وهي لا تعمل في الموجب . هذا سبب المنع عند أكثرهم . لكن
آخرين يقولون بالجواز ؛ بحجة أنه يقتضي في الثواني ما لا يقتضي الأوائل - طبقاً للبيان الذي يجيء في
باب : « الاستثناء » - .

(٤) لا ضرر . (٥) لا ضرار : لا ضرر ولا معارضة ولا مخالفة بغير حق .

(٦) لا فوت ، ولا ضياع وقت أو غيره .

الأسلوب الذى يشتمل على : « لا جَرَمَ » واعتبار « لا » زائدة . أو غير زائدة .
وقد سبق^(١) تفصيل هذا .

(هـ) إن جاء بعد « لا » جملة اسمية صدرها معرفة ، أو صدرها نكرة لم تعمل فيها — بسبب وجود فاصل ، مثلاً — أو جاء بعدها فعل ماضٍ لفظاً ومعنى^(٢) لغير الدعاء — وجب تكرار « لا » في أشهرها الاستعمالات . فمثال الاسمىة التى صدرها معرفة قوله تعالى : (لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرِكَ القمرَ ، ولا الليلُ سابقُ النهارِ)^(٣) .

والشطر الثانى من قول الشاعر :
عليها سلام لا تواصلَ بعده فلا القلبُ محزون « ولا الدمعُ سافحُ »^(٤)
ومثال النكرة التى لم تعمل فيها قوله تعالى : (لا فيها غَوَلٌ)^(٥) ، ولا هم عنها يُنْزِفُونَ^(٦) . . .) ، ولم تعمل هنا لوجود فاصل .

ومثال الماضى لفظاً ومعنى قوله تعالى : (فلا صدَق ولا صلَّى . . .) وفى الحديث : إن المنبَتَ^(٧) لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . وقولهم : والله لا حاق الشر إلا بأهله ؛ ولا لصيق العار إلا بكاسبه .

(و) إذا وقعت كلمة « إلا » بعد « لا » جاز فى الاسم المذكور بعد « إلا » الرفع والنصب . نحو : لا إلهَ إلا اللهُ ، — بالرفع أو النصب — ، ولا سيفَ إلا ذو الفقار . أو ذَا الفقار فالنصب على الاستثناء ، والخبر محذوف قبل « إلا » . والرفع على البدل ، إما من محل « لا » مع اسمها ؛ وإما على البدل من

(١) فى رقم ٤ من ص ٦٥٧

(٢) الماضى لفظاً ومعنى هو — كما تقدم فى ص ٥٢ « د » — ما كانت صيغته كالماضى وكذلك معناه فإن كان زمنه الحال أو الاستقبال فهو ماضى اللفظ دون المعنى ، ومنه : لا غفر الله للقاتل : فإنه فعل ماضٍ الدعاء ، والدعاء يحمل معناه مستقبلاً . وفى هذه الحالة لا يجب تكرار « لا » .

(٣) إن كانت الجملة الاسمية دعائية لم يجب معها تكرار « لا » ولو كانت هذه الجملة مستوفية للشرط ؛ كقولك للمحسن الذى تدعو له : لا فقر يصيبك .

(٤) ومثله قول الآخر :

فلا هَجَرُهُ يبدو — وفى اليأس راحة — ولا ودَّه يُصفو لنا فنكاره

(٥) صداع وضرر ، أو سكر .

(٦) تسلب عقولهم .

(٧) الذى انقطع عن رفاة فى السفر ، بسبب إرهاقه دابته فى الإسراع حتى عجزت ، فسبقه الرفاق .

الضمير المستتر في الخبر المحذوف ، وإما من محل اسم « لا » بحسب أصله الأول ؛ فقد كان مبتدأ ، وقد أوضحنا هذا قريباً ^(١) .

(ز) إذا لم تعمل : « لا » بسبب فقد شرط العمل ، مثل : دخولها على معرفة ، أو لوجود فاصل بينها وبين اسمها . . أو . . - فالواجب عند الجمهور تكرارها - كما تقدم -

ويلزم تكرارها ^(٢) مع اقترانها بالواو العاطفة إذا وليها مفرد مني بها وقع خبراً أو نعتاً ، أو حالاً ، نحو : على لا قائم ولا قاعد ، ومررت برجل لا قائم ولا قاعد ، ونظرت إليه لا قائماً ولا قاعداً .

وتتكرر أيضاً إذا دخلت على الماضي لفظاً ومعنى ، وكان لغير الدعاء - كما سلف - ، نحو : محمود لا قام ولا قعد . وقد يغني عن تكرارها حرف نفي آخر ، وهذا قليل ؛ مثل لا أنت أبديت رأيك ولم تظهر غرضك . ومنه قول الشاعر : (... فلا هو أبداها ولم يتجمجم) ^(٣) ، وبمناسبة صحة هذا على قلته ننقل هنا ما قاله الصبان ، في باب : الاشتغال - ج ١ - وحكم الاسم السابق ، وكيف يضبط عند شرح بيت ابن مالك :

« واختير نصب قبل فعل ذي طلب وبعد ما إملاؤه الفعل غلب .. »

حيث قال الأشموني : إن النصب يختار في مواضع ، منها . . و . . ومنها النفي بما ، أو : لا ، أو : إن ، وضرب الأمثلة الآتية الحرفي هو : (ما زيداً رأيته ، ولا عمراً كلمته ، وإن بكرأضربته ..) وهنا قال الصبان ما نصه : (قوله : ولا عمراً كلمته ..) مقتطع من كلام ؛ أي : لا زيداً رأيته ، ولا عمراً كلمته ؛ لأن « لا » الداخلة على الماضي غير الدعائية ، يجب تكرارها . كذا نقله شيخنا عن الدنوشري وأقره هو والبعض . وعندى أنه يقوم مقام تكرار لا الإتيان بدل « لا » الأولى بما « النافية » كما في المثال ، لأنها مثلها في الدلالة على النفي وفي الصورة ؛ إذ كل منهما لفظ ثنائي آخره ألف لينة) « ١ هـ .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ٧٠٩ .

(٢) راجع الصبان أيضاً ج ٢ آخر باب : « التمت » .

(٣) من كلام زهير في معلقته التي أولها :

.....

.....

ولم تتكرر في نحو : لا نَوَلُّكَ أن تفعل كذا ... لأنه بمعنى : لا ينبغي^(١) .
فلم يبق شيء لا تتكرر فيه وجوباً سوى المضارع ؛ نحو : حامد لا يقوم^(٢) ...

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ

(١) فكأنها دخلت على المضارع ؛ فلا يجب تكرارها . وقد سبق الكلام على هذا الأسلوب ومعناه في ص ٧ وسيجيء أيضاً في الرقم التالي :

(٢) قال الرضى : (يجب تكرير « لا » المهملة الداخلة على غير لفظ الفعل إلا في موضعين ؛ أحدهما : أن تكون داخلة على الفعل تقديرًا . وذلك إذا دخلت على منصوب بفعل مقدر ؛ نحو : لا مرحباً ، أى : لا لقيت مرحباً . أو لا رَحِبَ موضعك مرحباً . أو على جملة اسمية بمعنى الدعاء ؛ نحو : لا سلام على الخائن ؛ لأن الدعاء بالفعل أولى ، فكأنه قيل « لا » لا سَلَمَ سلاماً ، ولذا دخلت على : « فوك » كما مر - في « ز » وفي ص ٤٥٠ - قولهم : لا نَوَلُّكَ أن تفعل كذا ، بمعنى : لا ينبغي لك ، والنول العطية ، وهو مبتدأ ، وما بعده مصدر مؤول خبره . وقيل فاعل أو نائب فاعل سد مسد الخبر على اعتبار أن (النول) بمنزلة الوصف الذى له مرفوع يسد مسد الخبر - وإنما لم تتكرر « لا » في هذه المواضع لأنها إذا دخلت على الفعل لم يجب تكرارها إلا إذا كان الفعل ماضياً غير دعاء ؛ نحو قوله تعالى : (فلا صدَّقَ ولا صُلِّى) .

وثانيهما : أن تكون بمعنى : « غير » مع أحد ثلاثة شروط :

١ - أن تدخل على لفظة : « شيء » سواء انجَرَّ بالإضافة ؛ نحو : هو ابن لا شيء ، أو بحرف الجر - أى حرف كان - نحو : كنت بلا شيء ، وضُغِبَت من لا شيء ، أو انتصب ، نحو : إنك ولا شيئاً ، أو ارتفع ، نحو أنت ولا شيء .

٢ - أن ينجر ما بعد « لا » بياء الجر قبلها ، نحو : كنت بلا مال ، ولا ينجر إذا لم يكن لفظ « شيء » إلا بها من بين حروف الجر .

٣ - أن يُعْطَف ما بعد « لا » على المحرور بكلمة « غير » كقوله تعالى (غير المنضوب عليهم ولا الضالين ...) ٥١ . راجع التصريح هنا .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ١٩٧٥/٢٢٠٤

مطابع دار المعارف بمصر - ١٩٧٥

١/٧٤/٤٠٣

النَّجْوَى الْوَاقِعَى

النَّحْوُ الْوَالِئُ

مَعَ رَنْبِطِهِ بِالْأَسَالِيبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْحَيَاةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُبْتَدَةِ

الْقِسْمُ الْمَوْجَزُ لَطَلِبَةِ الدِّرَاسَاتِ النُّحَوِيَّةِ وَالضَّرْفِيَّةِ بِالْجَامِعَاتِ

وَالْمَفْصَّلُ لِلْأَسَاتِذَةِ وَالْمُتَخَصِّصِينَ

مَشْتَمِلًا عَلَى الصُّوَابِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي قَرَرَتْهَا الْمَجَامِعُ اللُّغَوِيَّةُ وَمُؤْتَمَرَاتُهَا الرَّسْمِيَّةُ

الجزء الثاني

تأليف

عبد الله حسن

الأستاذ السابق بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

ورئيس قسم النحو ، والصرف ، والعروض

* * *

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

* * *

الطبعة الرابعة



دار المعارف بمصر

النحو الوافى .

أربعة أجزاء ، تستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية .
وفى صدر الجزء الأول : « مقدمة الكتاب ، ودستور تأليفه » .
ومن مواد هذا الدستور : إعداد كل مسألة إعداداً مُحْكَمًا
مستقلاً ، يناسب طلبه الدراسات « النحوية والصرفية » ، ومناهجها
بالجامعات ، ثم تعقيب كل مسألة بعد ذلك مباشرة — قبل
الانتقال إلى مسألة جديدة — « بزيادة وتفصيل » يناسبان الأساتذة
والمتخصصين ، مع العناية فى أكثر المسائل بتسجيل أرقام الصفحات
التي تشتمل على ماله صلة بالمسألة المعروضة ، وتدوين تلك الأرقام
فى الهوامش ؛ ليتيسر للراغب جمع ما تفرق من أحكامها فى مواضع
متعددة ، لدواع ومناسبات مختلفة .

وتبين صفحات « الزيادة والتفصيل » برمز فى أعلاها ؛ يدل عليها
وحدها ، ويميزها من غيرها ؛ هو : سطر ، أو سطران ، من النقط
الأفقية المتقاربة المتلاحقة .

المسألة ٦٠ :

ظَنُّ وَأَخَوَاتُهَا^(١)

أمثلة :

الكلامُ عُزْوَانٌ على صاحبه . — علمتُ الكلامَ عُزْوَانًا على صاحبه .
المجاملةُ حارسةٌ للصدّاقة . — ظننتُ المجاملةَ حارسةً للصدّاقة .
الوفاءُ دليلٌ على النبيل . — اعتقدتُ الوفاءَ دليلًا على النبيل .

الماءُ الجامدُ ثلجٌ . — صيّرَ البردُ الماءَ ثلجًا .
الجلندُ أسودٌ . — رَدَّتْ^(٢) الشمسُ الجلندَ أسودًا .
الحشبُ مشتعِلٌ . — تركتُ النارُ الحشبَ رمادًا .

من النواسخ ما يدخل — في الغالب^(٣) — على المبتدأ والخبر فينصبهما معًا ، ويُغيّر اسمهما ؛ إذ يَصِيرُ اسم كل منهما : « مفعولاً به »^(٤) للناسخ . (مثل : عَلِمَ ، ظَنَّنَ — اعتقد — صيّر . . . ، وغيرها من الكلمات التي تحتها خط في الأمثلة المعروضة) . وهذا هو : « القسم الثالث » من النواسخ ، ويشتهر باسم :

(١) هما من النواسخ . ويلاحظ ما لا يصلح أن يدخل عليه الناسخ ، (وقد سبق بيانه وبيان معنى الناسخ ، وعمله ، وأقسامه ، وما يتصل بهذا — في ج ١ ص ٤٣ م ٤٢ — باب : « كان وأخواتها » . وتأتي له إشارة في ص ٢١) — .
(٢) صيرت .

(٣) كان دخول هذا النوع من النواسخ على المبتدأ والخبر أمراً غالباً ، لأن منه ما قد يدخل عليهما ، وعلى غيرهما ، كالفعل : « حسب » ، ومنه ما لا يدخل إلا على غيرهما ؛ كأفعال التحويل الآتية — في ص ٨ — . وللنحاة تعليل يسوغ الدخول على غيرهما ، سيجيء في « ا » من ص ١١ .

(٤) وبالرغم من اعتبارهما مفعولين ، هما « عمدتان » ، لا « فضلتان » كبقية المفعولات ، (كما سيجيء في رقم ١ هامش ص ١٧٩) ؛ لأن أصلهما المبتدأ والخبر ؛ فيكون الثاني في المعنى هو الأول ، ولو تأو يلا ، والأول هو الثاني في المعنى أيضاً ؛ كالشأن في المبتدأ والخبر دائماً . وقد يدخل هذا الناسخ على غيرهما . — كما سنعرف في « ا » من ص ١١ — والمفعول الثاني هنا هو الذي تم به الفائدة الأساسية ؛ لأنه الخبر في الأصل ، فهو أهم .

لاحظ ما يأتي في « ج » من ص ١٢ ، لأهميته .

« ظَنَ » وأخواتها « وليس فيه حروف ؛ فكله أفعال ، وأو أسماء تعمل عملها . وتنحصر هذه الأسماء في مصادر تلك الأفعال ، وفي بعض المشتقات العاملة عملها . فالفعل الماضي المتصرف ^(١) هنا ، لا ينفرد وحده بالعمل السالف ؛ وإنما يشابهه فيه ما قد يكون له من مضارع ، وأمر ، ومصدر ، واسم فاعل ، واسم مفعول ، دون بقية المشتقات ^(٢) الأخرى . أما غير المتصرف فعمله مقصور على صيغته الخاصة به ، إذ ليس لها فروع ، ولا صيغ أخرى تتصل بها .

وقد ارتضى بعض النحاة تقسيم الأفعال العاملة هنا قسمين ؛ مراعيًا الأغلب في استعمالها ^(٣) ؛ هما : « أفعال قلوب » ^(٤) ، و « أفعال تحويل » ^(٥) . ولا بد لكل

(١) الفعل الماضي المتصرف إما أن يكون تصرفه كاملاً ؛ — فيكون له المضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسم الفاعل . . . وبقية المشتقات المعروفة ، كالفعل : « سمع » — وإما أن يكون تصرفه ناقصاً ؛ فيكون له بعض تلك المشتقات فقط ؛ كالفعل : « كاد » ، من أفعال المقاربة . وكالفعل : « يدع » . أما غير المتصرف مطلقاً فهو الجامد الذي يلزم صيغة واحدة لا يفارقها ؛ كالفعل : « تَعَلَّمَ » بمعنى : « أعلم » ، والفعل : « هب » ، بمعنى : ظن . وهما من أفعال هذا الباب القلبية ، وكالفعل « عسى » و « ليس » وهما من أخوات « كان » . — ولأنواع المشتقات إشارة عابرة في رقم ٢ التالى —

(٢) رددنا في مناسبات مختلفة ، أسماء المشتقات الاصطلاحية من المصدر ؛ وهى : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعال التفضيل ، المصدر الميمى ، اسم الزمان ، اسم المكان ، اسم الآلة . (ويدخل في عداد المشتقات أكثر الأفعال بأنواعها الثلاثة) . وهذه المشتقات قسمان :

قسم يعمل عمل فعله بشروط ؛ فيرفع الفاعل مثله ، أو نائب الفاعل ، وقد ينصب المفعول به ، كفعله أحياناً ، وهو : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعال التفضيل ، المصدر الميمى . ويدخل في هذا القسم العامل : المصدر الأصل أيضاً (بالرغم من جموده ، في رأى الشائع) . .

وقسم لا يعمل شيئاً من عمل الفعل ؛ ويسمى : « المهمل » . وهو : اسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة . ولا دخل للقسم المهمل في أحكام هذا الباب . بل إن بعض المشتقات العاملة لا يدخل في أحكامها ؛ فالصفة المشبهة الأصلية خارجة من أحكامها ؛ لأنها تعبى من الفعل اللازم وحده ؛ فلا تنصب مفعولاً به . أما غير الأصلية فقد تنصب بالشروط والطريقة المذكورة في بابها (ج ٣ ص ٢٨٢ م ١٠٤) وأفعال التفضيل خارج ؛ لأنه لا ينصب مفعولاً به . والفعل الماضى الذى للتعجب خارج ؛ لأنه ينصب مفعولاً واحداً . فالثلاثة لا تصلح لأحكام هذا الباب ، — كما سيحىء في ص ٢٦ م ٦١ — .

(٣) راجع « ج » من ص ١٢ حيث تقسيم آخر ، وبيان عن سبب التقسيمين .

(٤) سميت بذلك لأن معانيها قائمة بالقلب ، متصلة به ، وهى المعانى النفسية التى تعرف اليوم : بالأمور النفسية ؛ ويسمىها القدماء : الأمور القلبية ، لاعتقادهم أن مركزها القلب . ومنها : الفرح — الحزن — الفهم — الذكاء — اليقين — الإنكار . . .

(٥) تدل على انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى تخالفها . وتسمى أيضاً : « أفعال التصيير » ؛ لأن كل فعل منها بمعنى : « صَيَّر » ، أى : حوّل الشيء من حالته القائمة إلى أخرى تغايرها .

فعل في القسمين من فاعل^(١)؛ ولا يغنى عنه وجود المفعولين أو أحدهما :

(١) فأما أفعال القلوب^(٢) فمنها ما قد يكون معناه العلم . (أى : الدلالة على اليقين^(٣) والقطع) ، ومنها ما قد يكون معناه الرجحان^(٤) . والنوعان صالحان للدخول - مباشرة - على المبتدأ الصريح ، وعلى المصدر المؤول من « أن » مع معموليها ، أو : « أن » والفعل مع مرفوعة^(٥) .

ويشتهر من الأفعال الأولى^(٦) سبعة :

(١) علم - (٧) . ؛ مثل : علمت البرَّ سبيلَ المحبة ، وعلمت المحبة سبيلَ القوة .

(٢) رأى^(٨) : رأى الأمل داعيَ العمل ، ورأيت اليأس رائدَ الإخفاق ، وقول الشاعر :

(١) بخلاف « كان » وأخواتها من الأفعال الناسخة ؛ فإنها لا ترتفع الفاعل - وهذا أحد وجوه الاختلاف بين النوعين .

(٢) أفعال القلوب ثلاثة أنواع : نوع لازم (لا ينصب المفعول به) مثل : فكَّر - تفكر - حزِن - جَبَنَ ونوع ينصب مفعولاً به واحداً ؛ مثل : خاف - أحَبَّ - كره ونوع ينصب مفعولين ؛ كأفعال هذا الباب المذكورة هنا ، بشرط أن تؤدي معنى معيناً ؛ كما سنعرف .

(٣) هو : الاعتقاد الجازم الذي لا يعارضه دليل آخر ينلم به المتكلم . وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحاً في الواقع أو غير صحيح .

(٤) الشك : ما ينشأ في النفس من تعارض دليلين في أمر واحد ؛ بحيث تتساوى قوتها في التعارض والاستدلال ؛ فلا يستطيع المرء ترجيح أحدهما على الآخر ؛ لعدم وجود مرجح . أما الرجحان أو الظن ، فهو ما ينشأ من تغلب أحد الدليلين المتعارضين في أمر ؛ بحيث يصير أقرب إلى اليقين . فالأمر الراجح محتمل للشك واليقين ، لكنه أقرب إلى اليقين منه إلى الشك . وفي هذه الحالة يسمى المرجوح : « وهماً » .

(٥) فاعله أو نائب الفاعل . وانظر « ب » من ص ١١ .

(٦) وهي الدالة على العلم . وقد يستعمل كل منها في معانٍ أخرى غير اليقين ؛ فينصب مفعولاً واحداً ، أو لا ينصب . (وسنعرض لبعض هذا في « ح » ص ١٢) .

(٧ ، ٨) يستعمل الفعل : « علم » أحياناً في القسم غير الصريح ؛ فيحتاج . لجواب ، وتكرر بعده همزة « إن » . (وقد أشرنا لهذا في آخر الجزء الأول . وله إشارة تليق في ص ٥٠٠ - وسيجيء في الباب التالي : (« أعلم وأرى » - ص ٥٩ -) حكم الفعلين : « علم » و « رأى » إذا سبقتهما همزة النقل (أى : همزة التعدية) .

وبما يتصل بمعنى الفعل « رأى » وباستعماله ماضياً وروده في الأساليب العالية بمعنى : « أخبرني » ؛ نحو : رأيته هذا الكتاب ، هل عرفت قيمته ؟ ... وقد أوضحنا هذا الأسلوب ونوع الكاف وحكمها ، بتفصيل واف يشمل معناه ، وصياغته ، وطريقة استعماله . . . (في باب الضمير ص ٢٣٨ ، م ١٩ من الجزء الأول - الطبعة الرابعة -) . وسيجيء له إشارة في ص ١٦ .

رَأَيْتَ لِسَانَ الْمَرْءِ وَافِدًا^(١) عَقْلَهُ وَعُنْوَانَهُ ؛ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعَسِّنُونَ؟^(٢)

(٣) وَجَدْتُ مِثْلَ ؛ وَجَدْتُ ضِعَافَ الْأَمِّ نَهْبًا لِأَقْوِيَائِهَا ،

وَوَجَدْتُ الْعِلْمَ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ ..^(٣) .

(٤) دَرَى ؛ : دَرَيْتُ الْمَجْدَ قَرِيبًا مِنَ الدَّائِبِ فِي طَلْبِهِ ،

وَدَرَيْتُ لَذَّةَ إِدْرَاكِهِ مَاحِيَةً تَعْبَ السَّعْيِ إِلَيْهِ .

(٥) أَلْفَقَيْ^(٤) ؛ مِثْلَ : أَلْفَقَيْتُ الشَّدَائِدَ صَاقِلَةً لِلنَّفُوسِ ، وَأَلْفَقَيْتُ

إِحْتِمَالَهَا سَهْلًا عَلَى كِبَارِ الْعِزَامِ .

(٦) جَعَلَ- جَعَلْتُ ؛ : جَعَلْتُ^(٥) الْإِلَهَ وَاحِدًا ، لَا شَكَّ فِيهِ .

(٧) تَعَلَّمْتُ^(٦) ؛ بِمَعْنَى « اَعْلَمْتُ » : مِثْلَ : تَعَلَّمْتُ وَطَنَكَ شَرَكَةً بَيْنَ أَبْنَائِهِ ،

وَتَعَلَّمْتُ نَجَاحَ الشَّرَكَةِ رَهْنًا بِالْإِخْلَاصِ

وَالْعَمَلِ .

* * *

(١) رَسُولَ عَقْلِهِ وَدَلِيلِهِ . وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَيَعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يَلْحَنُ

(٢) وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :

قَدْ جَعَلْنَا الْوُدَادَ حَتْمًا عَلَيْنَا وَرَأَيْنَا الْوَفَاءَ بِالْأَعْهَدِ فَرَضًا

(٣) وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى :

(أَلَمْ يَجْعِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . . .)

(٤) لَا يَسْتَعْمَلُ هَذَا الْفِعْلَ هُنَا إِلَّا مَزِيدٌ بِالْهَمْزَةِ .

(٥) أَيْ : اعْتَقَدْتُ . وَمِنْ هَذَا - فِي بَعْضِ الْأَرَاءِ - قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَجْعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ

الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) أَيْ : اعْتَقَدُوا . - انْظُرْ رَقْمَ ٤ فِي هَامِشِ ص ٨ :

وَهَذَا الْفِعْلُ مَعَانٍ أُخْرَى سَيَجِيءُ بَعْضُهَا (وَقَدْ أَشْرْنَا لَهَا فِي رَقْمِ ٣ مِنْ هَامِشِ ص ٩) .

(٦) الْفِعْلُ : « تَعَلَّمَ » بِمَعْنَى : « اَعْلَمَ » ، فَعِلَ أَمْرٌ جَامِدٌ - عِنْدَ فَرِيقٍ مِنَ النَّحَاةِ - لَا يَجِيءُ

مِنْ صِفَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ غَيْرِ الْأَمْرِ ، مَعَ كَثْرَةِ دَخُولِهِ عَلَى مُصْدَرٍ مَوْجُودٍ ، أَدَاتُهُ : « أَنْ » الْمَشْدُودَةُ أَوْ الْخَفِيفَةُ

النَّاسِخَتَيْنِ ، أَوْ « أَنْ » الدَّاخِلَةُ عَلَى الْفِعْلِ ؛ نَحْوُ : تَعَلَّمَ أَنْ وَطَنَكَ شَرَكَةً . وَتَعَلَّمَ أَنْ تَنْجَحَ الشَّرَكَةُ

بِالْإِخْلَاصِ (كَمَا فِي رَقْمِ ٤ مِنْ هَامِشِ ص ١١) . وَتَتَصَرَّفُ عِنْدَ فَرِيقٍ آخَرَ بِمَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْفِعْلِ

الْمُتَصَرِّفِ . وَقَدْ شَاعَ الرَّأْيُ الْأَوَّلُ - وَيَسُدُّ فِيهِ الْمَصْدَرُ مَسَدَ الْمَفْعُولِينَ - فَيَحْسُنُ اتِّبَاعُهُ ؛ تَوْجِيهًا لِلتَّفَاهُيمِ

(وَسَيَجِيءُ إِيضَاحُ هَامِشِنَا فِي رَقْمِ ١ مِنْ هَامِشِ ص ١٩) .

ويشتهر من الأفعال الثانية ^(١) ثمانية، هي :

(١) ظَنَ : مثل : ظَنَّ الطَّيَّارُ النهرَ قنَّاةً ، وظَنَّ البيوتَ الكبيرةَ أَكْوَاخًا .

(٢) خَالَ ^(٢) : « » : خَالَ المسافرُ الطائرةَ أَنْفَعَ لَهُ ، وهو يَخَالُ الركوبَ فِيهَا مَنَعَةً .

(٣) حَسَبَ : « » : أَحَسَبَ السَّهْرَ الطَّوِيلَ إِرْهَاقًا ، وَأَحَسَبَ الإِرْهَاقَ سَبِيلَ المَرَضِ ، وقول الشاعر :

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البِلَاسِ وإنما الموتُ سؤالُ الرجالِ ^(٣)

(٤) زَعَمَ ^(٤) : مثل : زَعَمَتِ المَلَايِنةُ مَرغُوبَةً فِي مَواطِنَ ، وزَعَمَتِ التَّشَدُّدَ مَرغُوبًا فِي أُخْرَى .

(١) وهى الدالة على الرجحان . وقد يستعمل كل منها فى معانٍ أُخْرَى ؛ فيُنصبُ مفعولاً واحداً ، أولاً يُنصبه (كما سيجىء قريباً فى ج من ص ١٢ وما بعدها) .

(٢) ومضارعها المسموع كثيراً للمتكلم هو : إِخَالَ - بكسر الهمزة غالباً . وهذا السماعُ الغالبُ مخالفٌ للقياس ، وفتح الهمزة لغة قليلة مسموعة أيضاً . والمستحسن الاقتصاد على الكثير الغالب - كاسبق فى ج ١ م ٤ عند الكلام على : « أَحرف المضارعة » ص ٤٧ -

فإن كان الفعل « خال » بمعنى : تكبر ، أو ظلم الذى بمعنى : عرج . . فهو لازم .

(٣) بعد هذا البيت :

كلاهما موت . ولكنَّ ذا أَفْطَحَ من ذاك ، لذلَّ السُّؤالِ

(٤) كثر الكلام فى معنى : « زعم » . وصفوة ما يقال : إنها قد تكون بمعنى اليقين أحياناً عند المخاطب ؛ كقول أبى طالب يخاطب الرسول عليه السلام :

ودعوتنى وزعمتَ أَنَّكَ ناصحٌ ولقد صدقتَ ، وكنتَ ثَمَّ أَمِيناً

وقد تكون بمعنى الاعتقاد من غير دليل ؛ كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أَن لن يُبعثوا . . . » إلخ . وقد تدل على الرجحان . وقد تستعمل للدلالة على الشك ، وهو الغالب فى استعمالها ، وقد تستعمل فى القول الكاذب ؛ فإذا قلت : « زعم فلان كذا » فكأنك قلت : كذب ، وردد كلاماً غير صحيح . والقرينة هى التى تحدد المعنى المناسب للمقام من بين المعانى السالفة . وقد تكون بمعنى : « كفل » أو بمعنى رأس (أبى : ساد - وشرف) . أو بمعنى : سمن أو هزل . . . فيتغير حكمها فى التمضى واللزوم - تبعاً لتغير المعنى - على الوجه المبين فى رقم ٥ من هامش ص ٢٠ .

وزعم - كغيرها من الأفعال القلبية الناصبة للمفعولين - قد تنصب المفعولين مباشرة ، وقد تدخل على « أن » مع الفعل ومرفوعه ، أو « أن » مع معموليها ؛ فيكون المصدر المؤول فى الحالتين ساداً مسد المفعولين ، ومتنياً عنهما ، وهذا هو الأغلب فى « زعم » - كما سيجىء فى رقم ٤ من هامش ص ١١ - وإليه تميل أكثر الأساليب الأدبية ؛ كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أَن لن يبعثوا . . . » . وقول الشاعر :

وقد زعمتُ أَنى تغيرتُ بعدها ومن ذا الذى - يا عزَّ - لا يتغير ؟

(٥) عَدَدٌ ؛ مثل : عَدَدَتِ الصَّدِيقَ أَخًا . وقول الشاعر :
 فَلَا تَعْنُدُ الْمَوْلَى^(١) شَرِيكَكَ فِي الْغَنَى وَلَكِنَّا الْمَوْلَى شَرِيكَكَ فِي الْعُدْمِ^(٢)
 (٦) حَجَجًا^(٣) ؛ مثل : حَجَجْنَا السَّائِحَ الْمِثْدَنَةَ بِرُجْ مَرَاقِبَةٍ .
 وقول الشاعر :

قَدْ كُنْتُ أَحْجِجُ أَبَا عَمْرٍ وَأَخًا ثَقَةً حَتَّى أَلَمَّتْ بِنَا يَوْمًا مُلْدَنَاتُ
 (٧) جَعَلَ ؛ مثل : جَعَلَ الصِّيَادَ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ حَوْتًا .
 وقوله تعالى في المشركين : « وَجَعَلُوا الْمَالِ الْكَثِيرَ
 الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْ آثَرُوا... »^(٤)
 (٨) هَبْ ؛ « هَبْ مَالُكَ سِلَاحًا فِي يَدِكَ ؛ فَلَا تَعْتَمِدْ
 عَلَيْهِ وَحْدَهُ »^(٥) . . .

وهذا الفعل دون بقية أفعال الرجحان السالفة - جامد ، ملازم صيغة الأمر^(٦)

* * *

(ب) وأما أفعال التحويل (أو : التَّصْيِيرُ) فأشهرها سبعة ، ولا تدخل على
 مصادر مؤول من « أَنْ » مع معموليها ، أو من « أَنْ » والفعل مع مرفوعه^(٧) - وهي :
 (١) صَيَّرَ ؛ مثل : صَيَّرَ^(٨) الصَّائِغُ الذَّهَبَ سَبِيكَةً ، وَصَيَّرَ
 السَّبِيكَةَ سِوَارًا .

-
- (١) الناصر ، أو الصديق . (٢) الفقر الشديد .
 (٣) لهذا الفعل معان أخرى يتغير بسببها حكمه ، طبقاً للبيان الذي في رقم ٥ من هامش ص ٢٠ .
 (٤) وقيل : إن « جعل » هنا بمعنى : اعتقد - كما في رقم ٥ من هامش ص ٦ .
 (٥) لهذا الفعل الجامد معنى واستعمال يخالف فيهما المتصرف الذي على صورته الآتية في ص ٢٠ .
 (٦) هو فعل أمر ، بمعنى : « ظَنَنْ » وهو بهذا المعنى فعل جامد ، لا يكون منه غير الأمر ، ودخوله
 على « أَنْ » مع معموليها جائز ، نحو : هَبْ أَنْ آمَالَ مُحَقِّقَةً . فالمصدر المؤول من أَنْ مع معموليها في
 محل نصب ، سد مسد المفعولين . وهذا استعمال نادر في الأساليب الرفيعة ، بالرغم من إجازته (انظر
 الخضرى والتصريح . ثم رقم ٤ من هامش ص ١١ الآتية) .
 أما الأمر « هَبْ » المتصرف فله بيان يجيء في ص ٢٠ .
 (٧) كما سيجيء في آخر . « ب » من ص ١١ .

(٨) « صَيَّرَ » ، و « أَصَارَ » ، فعلان ، أصلهما قبل التعدية بالتضعيف والهمزة : « صَارَ »
 الذى هو من أخوات « كَانَ » ، نحو : صَارَ الخشبُ بَابًا . وبعد تعديتهما ابتعدا عن عمل « كَانَ » ،
 وانتقلا منه إلى نصب المفعولين ؛ نحو : صَيَّرَ الجوهرى الدرَّ فصوصاً ، وَأَصَارَ الفصوص عقداً .
 أما « صَيَّرَ » بمعنى : « نقل » فينصب مفعولاً واحداً ، نحو : صيرت السائح إلى دار الآثَار ، أى : نقلته .

(٢) جَعَلَ - مثل : جعل الغازلُ القطنَ خيوطاً ، وجعل الحائك الخيوطَ نسيجاً^(١) . . .

وقول الشاعر :

اجعلْ شعاركَ رحمةً ومودةً إن القلوبَ مع المودة تُكسِبُ
(٣) اتَّخَذَ - مثل : اتخذ المهندسون الحديدَ والخشبَ باخرةً ،
واتخذ المسافرون الباخرةَ فُنُوداً .

(٤) تَخَذَ - » : تَخَذَتِ الحرارةُ الثلجَ ماءً ، وتَخَذَتِ
الماءُ بخاراً .

(٥) تَرَكَ - » : ترك الموجُ الصخورَ حصىً ، وتركت
الشمسُ الحصىَ رمالاً .

(٦) رَدَّ - » : ردَّ الأملُ الوجوهَ الشاحبةَ مُشْرِقةً ، وردَّ
النفوسَ اليائسةَ مُستَبشرةً .

(٧) وَهَبَ - مثل : وهبتِ الآلاتُ الحديثةُ السنابلَ حبياً ،
وهبت الحبُّ دقيقتاً ، وهبت الدقيقُ
عجينةً^(٢) .

* * *

وفيما يلي بيان موجز للأفعال السابقة^(٣) ، وأنواعها المختلفة :

(١) ومثل قوله تعالى :

(وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يَذَّكَّرَ ، أو أراد سُكُوراً) خِلْفَةٌ : يجمع ، كل
منهما بعد الآخر

(٢) وهَبَ ، بمعنى : « صير » - فعل ماض جامد ، ولا يستعمل في معنى التحويل إلا بصيغة
الماضي . ومنه قولهم : « وهبني الله فداء الحق » ، أي : صيرني .

(٣) إلى ما سبق يشير ابن مالك باختصار ، قائلا :

انْصَبَ بِفِعْلِ الْقَلْبِ جُزْأَيِ ابْتِدَا أَغْنَى : رَأَى - خَالَ - عَلِمْتُ - وَجَدَا
ظَنَّ - حَسِبْتُ - وَزَعَمْتُ - مَعَ عَدُوٍّ حَجَا - دَرَى - وَجَعَلَ : اللَّذَّ كَأَعْتَقَدَ
وَهَبَ - تَعَلَّمَ - وَالْتَمَى كَصَيَّرَا أَيْضاً - بِهَا انْصَبَ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا =

ظن وأخواتها

ب - أفعال تحوِيل

١ - أفعال قلبيّة

أفعال يقين ،	أفعال رجحان ،	أشهرها سبعة :
وأشهرها سبعة :	وأشهرها ثمانية :	
(١) عَلِمَ ^(١)	(١) ظَنَّ	(١) صَيَّرَ
(٢) رَأَى	(٢) خَالَ	(٢) جَعَلَ
(٣) وَجَدَ	(٣) حَسِبَ	(٣) اتَّخَذَ
(٤) دَرَى	(٤) زَعَمَ	(٤) تَخَذَ
(٥) أَلْفَى	(٤) عَدَّ	(٥) تَرَكَ
(٦) جَعَلَ	(٦) حَسَبَا	(٦) رَدَّ
(٧) تَعَلَّمَ ، بمعنى : اَعْلَمَ	(٧) جَعَلَ	(٧) وَهَبَ
	(٨) هَبَ	

= أى : انصب بفعل القلب جملة ذات ابتداء - وهى الجملة الاسمية الخالصة - وسرد فى الأبيات كثيراً من أفعال القلوب التى شرحناها ؛ منها ما يدل على اليقين ، ومنها ما يدل على الرجحان . وقبل سردها صرح بكلمة : « أعنى » ليدل على أن المقصود أفعال معينة ، دون غيرها ؛ أفليس كل فعل قلبي ينصب مفعولين - كما أوضحنا فى رقم ٢ من هامش ص ٥ - وطالب أن تنصب هذه الأفعال جزأى ابتداء (وهما : المبتدأ والخبر) كما أشار إلى أن « جعل » إذا كان من أفعال القلوب - أى : بمعنى الفعل : « اعتقد » - فإنه ينصب مفعولين مثله . وهو يختلف فى المعنى والعمل عن « جعل » الذى سبق الكلام عليه فى باب : « أفعال المقاربة والشروع » من الجزء الأول ، كما يختلف فى معناه عن « جعل » الذى هو من أفعال الرجحان ، والذى من أفعال التحويل والتصيير ؛ كما عرفنا فى الشرح .

والفعل : « اعتقد » معدود من أفعال كثيرة قد تنصب مفعولين ولم تذكر فى هذا الباب . منها :
تيقن - تمنى - توهم - تبين - شعر - أصاب إلى غير هذا مما سرده صاحب الجمع فى هذا الباب (ج ١ ص ١٥١) ونقل بعضه الصبيان هنا .

أما أفعال التحويل والتصيير فلم يذكرها ابن مالك ، واكتفى بأن يشير إليها بقوله :

..... وَالَّتِي كَصَيَّرَ أَيْضاً بِهَا انْصَبَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرًا

أى : انصب - أيضاً - مبتدأ وخبراً بالنواسخ التى مثل « صير » فى إفادة التحويل .

وقضت ضرورة الشعر على الناظم بزيادة الألف فى آخر الفعلين : « وجد » ، « صير » ، وبتخفيف الدال فى الفعل : عدَّ . أما كلمة : « اللذ » فى أبياته فهى لغة صحيحة فى « الذى » .

(١) انظر ماله صلة بهذا الفعل فى رقم ٧ و ٨ من هامش ص ٥ .

زيادة وتفصيل :

(١) ليس من اللازم — كما أشرنا^(١) — أن يكون المفعولان أصلهما المبتدأ والخبر حقيقة . بل يكفي أن يكون أصلهما كذلك ولو بشئ من التأويل المقبول ، كالشأن في أفعال التجويل ، وكالشأن في : « حسب » ؛ مثل : صيرت الفضة خاتماً ؛ إذ لا يصح المعنى بقولنا : الفضة خاتم ؛ لأن الخبر هنا ليس هو المبتدأ في المعنى الحقيقي ؛ فليست الفضة هي الخاتم ، وليس الخاتم هو الفضة ؛ إلا على تقدير أن هذه الفضة ستؤول^(٢) إلى خاتم . ومثل : حسبت المريخ الزهرة ؛ إذ لا يقال على سبيل الحقيقة المحضة : المريخ الزهرة ؛ فساد المعنى كذلك ؛ فليس أحدهما هو الآخر ، إلا على ضرب من التشبيه ؛ أو نحو من التأويل السائغ ، المناسب للتعبير . فالأول (أى : التشبيه) قد جعل المفعول الثانى بمنزلة ما أصله الخبر ، وإن لم يكن خبراً حقيقياً في أصله .

هذا كلامهم . والواقع أنه لا داعى لهذا التمحلل ، والتماس التأويل ؛ إذ يكفي أن يكون فصحاء العرب قد أدخلوا التواسخ على ما أصله المبتدأ والخبر حقيقة ، وعلى ما ليس أصله الحقيقي المبتدأ والخبر ، مما يستقيم معه المعنى المراد بغير غموض .

(ب) ليس من اللازم أن تدخل أفعال هذا الباب القلبية على المبتدأ والخبر لتنصب كلاهما مباشرة^(٣) ؛ فقد تدخل على « أن » مع معموليها ، أو : على « أن » مع الفعل ومرفوعه ؛ فيكون المصارع ساداً مسد المفعولين^(٤) ، مغنياً عنهما .

(١) في رقم ٤ من هامش ص ٣ .

(٢) أى : ستتحول وينتهى أمرها في المستقبل إليه .

(٣) أى : نصباً صريحاً لتأويل فيه ، ولا سبك ، ولا تقدير .

(٤) وسنعود للكلام على هذا المصدر عند بحث الحكم الثالث من الأحكام التى تختص بها الأفعال القلبية (فى ص ٤٣) ،

والأغلب فى « زعم » وفى « تعلم » بمعنى : « أعلم » دخولهما على « أن » مع معموليها ، أو على « أن » ، والفعل مع مرفوعه — كما فى رقم ٦ من هامش ص ٦ وفى ٤ من هامش ص ٧ — والأغلب فى « هب » الأمر الجامد بمعنى « ظن » عدم دخوله عليهما ، برغم صحة دخوله : كما سبق (فى رقم ٦ من هامش ص ٨ . أما الأمر المتصرف فله حكم فى ص ٢٠) .

والأحسن الأخذ بالرأى السهل القائل : إن المصدر الموقول فى هذا الباب يسد مسد المفعولين ، دون =

مثل : علمت أن السباحة أسلم من الملاكمة ، وأظن أن العاقل يختار الأسلم .
وقول الشاعر :

يرى الجبناء أن الجبن حزمٌ وتلك خديعة الطبع اللثيم
ومثل : دريت أن الكبيرُ بغيض إلى النفوس الكبيرة ، ووجدت أن صفائر
الأمور محبة إلى النفوس الصغيرة . ومثل : من زعم أن يستخدع الناس فهو المخدوع
ومن حسب أن يدرك غايته بالتمنى فهو مخبول^(١) .

أما أفعال التحويل فلا تدخل على « أن » ومعموليها ، ولا على « أن » والفعل
مع فاعله^(٢) . . .

(ح) جرى بعض النحاة على تقسيم الأفعال القلبية السابقة أربعة أقسام ،
بدلاً من اثنين :

فلايقين وحده خمسة : وجد - تعلم ، بمعنى : أعلم - درى - ألتفتى - جعل .
والرجحان وحده خمسة : جعل - حجا - عدت - زعم - هب ، بمعنى : ظن .
وللأمرين والغالب اليقين ، اثنان : رأى - عليم .
وللأمرين والغالب الرجحان ، ثلاثة : ظن - خال - حسسب .

= الرأي القائل : إنه يسد مسد المفعول الأول ، وأن المفعول الثاني محذوف ، وتقديره : « ثابتاً » ،
أو ما يشبهه ؛ ففى نحو : وجدت أن الصبر أنفع فى الشدائد - يقدرون : وجدت نفع الصبر فى الشدائد
ثابتاً . . . وهذا نوع من التضييق والإطالة لا داعى له .

(١) فى مثل قولهم : « غبت ، وما حسبك أن تغيب » تكون « الكاف » حرفاً محضاً لمجرد الخطاب
ومتصرفاً . وليس اسماً ضميراً ؛ إذ لو كان ضميراً لكان هو المفعول الأول للفعل « حسب » ومفعوله الثانى
هو المصدر المؤول : (أن تغيب) . ويترتب على هذا أن يكون ذلك . المصدر المؤول خبراً عن « الكاف » ،
باعتبار أن أصلهما المبتدأ والخبر ؛ لأن مفعول « حسب » أصلهما - فى الغالب - المبتدأ والخبر .
وإذا وقع المصدر المؤول هنا خبراً عن الكاف أدى إلى الإخبار بالمنى عن الجنة . وهو ممنوع عندهم فى أغلب
الحالات إذا كان المراد الإخبار من طريق الحقيقة ، لا من طريق المجاز . أما من طريق المجاز فصحيح -
كما سبق البيان فى الجزء الأول ص ٢٤١ م ١٩ . باب : « الضمير » عند الكلام على « كاف الخطاب » -

لكن التقسيم الثنائي أنسب ؛ لأنه أدمج القسم الثالث في الأول ، والرابع في الثاني ؛ نظراً للغالب عليهما ، وتقليلاً للأقسام^(١) ، واكتفاء بالإشارة إلى أن كل فعل قد يستعمل في معنى آخر غير ما ذكره ، مع ضرب أمثلة لذلك :

١ - فن أفعال اليقين وألفاظه ما يستعمل في الرجحان ؛ فينصب مفعولين أيضاً ، وقد يستعمل في بعض المعاني الأخرى ؛ فينصب مفعولاً به واحداً ، أو لا ينصب ؛ فيكون لازماً . كل ذلك على حسب معناه اللغوي الذي تدل عليه المراجع اللغوية الخاصة ، وليس هنا موضع استقصاء تلك المعاني ؛ وإنما نسوق بعضها :

فن الأمثلة : الفعل « عَلِمَ » ؛ فإنه ينصب المفعولين حين يكون بمعنى : اعتقد وتيقن - كما سبق - ؛ مثل : علمت الكواكب متحركة . وقد يكتفى بمفعول به واحد في هذه الحالة ؛ بأن تأتي بمصدر المفعول الثاني ، وتنصبه مفعولاً به ، ونكتفي به ، بعد أن نجعله مضافاً أيضاً ، ونجعل المفعول الأول هو المضاف إليه . فنقول : علمت تتحرك الكواكب ، فيستغنى عن المفعول الثاني وعن تقديره . ومن النحاة من لا يقصر هذا الحكم على « عَلِمَ » ؛ بل يجعله عامماً في جميع أفعال هذا الباب ؛ فيجيز إضافة مصدر المفعول الثاني إلى المفعول الأول . والاكتفاء بهذا المصدر مفعولاً به واحداً^(٢) .

وقد يكون بمعنى : « ظن » ؛ فينصب مفعولين أيضاً ؛ مثل : أعلمت الجوّ بارداً في الغد . فإن كان بمعنى : « عرّف » نصب مفعولاً به واحداً^(٣) ؛ مثل :

(١) راجع الخصرى أول هذا الباب .

(٢) وهذا الرأي فيه اختصار محمود ، ولا ضرر في الأخذ به أحياناً . وتفضيل أحدهما متروك للمتكلم ؛ ليختار منهما ما يناسب كلامه على حسب الدواعي البلاغية . ومن تلك الدواعي أن الإبانة قد تقتضيان - أحياناً - أن نصرح بالمفعولين منصوبين - . . . فإن لم يكن في التصريح بهما زيادة إيضاح ، أو إزالة لبس عند السامع ، أو إتمام فائدة - فلاختصار أحسن .

(٣) في بعض كتب اللغة - دون بعض - ما يدل على أن « المعرفة » مقصورة على العلم المكتسب بحاسة من الحواس ؛ جاء في « المصباح المنير » ، مادة « عرف » مانصه : (عرفته عِرْفَةً - بالكسر - وعرفاناً ، علمته بحاسة من الحواس الخمس) . وأيضاً يرى كثير من النحاة فرقاً بين « علم » التي بمعنى : « عرف » و « علم » التي بمعنى : « اعتقد » وأنهما غير متساويين لا في المعنى ولا في العمل ، وحجته : =

علمت الخبر ؛ أى : عرفته^(١). وإن كان بمعنى : « انشأت » فهو لازم لا ينصب
المفعول به ؛ مثل : عَلِمَ البعير^(٢) ، أى : انشأت شفطه العليا . . .
والفعل : « رأى » ينصب المفعولين إذا كان بمعنى : اعتقدَ وثيقنَ ، أو :

= أن « العلم » الذى بمعنى : « المعرفة » يتعلق بنفس الشيء وذاته المادية ؛ تقول : « علمت القمر » ،
كما تقول « عرفت القمر » كلاهما معناه منصب على ذاته المحسوسة وجرمه ، (أى : حقيقته المادية)
وعلى هذا تكون « علم التى » بمعنى : عرف « مختصة عندهم بما يسميه المنطقة : « الذات » أو : « الشيء
المفرد » أى : « البسيط » وكلا الفعلين بهذا المعنى يتعدى لواحد .

أما « علم » الناصبة للمفعولين فمختصة - عند تلك الكثرة - بوصف الذات بصفة ما ، ولا شأن لها
بالذات وحدها مباشرة ، مثل : علمت القمر منتقلا . أى : علمت اقتراف ذات القمر بالتنقل ، وليس
المراد علمت ذات القمر وجرمه . فالفعل « علم » بهذا المعنى مختص بما يسميه المنطقة : « الكليات » .
على أساس ما سبق كله يكون القائل : « عرفت قدوم الضيف » مريداً عرفت القدوم ذاته ، دون
زيادة أخرى عليه ، فهو لا يريد وصف الضيف بالقدوم . بخلاف من يقول : علمت من الرسالة الضيف
قادماً ، فإنه يريد اقتراف الضيف بالقدوم ، ولا يريد أنه علم حقيقة القدوم المنسوب إلى الضيف ،
بشرط أن يكون الفعل « علم » فى هذا المثال ناصباً مفعولين .

وقال الرضى : لافرق بين الفعلين فى المعنى ، وإنما الفرق فى العمل ؛ فالفعل : علم بمعنى : عرف
ينصب مفعولاً واحداً ، والآخر ينصب مفعولين ، بالرغم من تساويهما معنى ؛ لأن العرب هى التى فرقتهما
بينهما فى العمل دون المعنى ، فلا اعتراض عليهما .
غير أن كلامه هذا - مع قبوله والارتياح له - مناقض لما قرره فى هذا الشأن فى باب : « كان » -
كما نصوا على ذلك -

والحق أن الخلاف بين الآراء السابقة يسير ، يكاد يكون شكلياً ، ذلك أن بين الفعلين (المتعدى لواحد
والمتعدى لاثنتين) فرقاً فى المعنى الحقيقى لا المجازى ، وأنه لا مانع من استعمال أحدهما مكان الآخر مجازاً
لسبب بلاغى .

(١) وإلى هذا يشير ابن مالك فى بيت متأخر ، نصه :

لِعِلْمٍ عَرَفَانٍ وَظَنٌ تَهَمَةٌ تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزِمَةٌ

(« لعلم عرفان » ؛ أى العلم المنسوب للعرفان ، ولعلمى العرفان . « ظن تهمة » ؛ أى : الظن
المنسوب معناه التهمة . .) يريد : أن « علم » بمعنى - والمصدر : العلم ؛ بمعنى : العرفان - يتعدى
لمفعول واحد . ومثله : الفعل : « ظن » بمعنى : اتهم - والمصدر : الظن ؛ بمعنى : الاتهام - ومثال
الأول : اقترب الشيخ فلمت صاحبه ؛ أى عرفته . ومثال الثانى : اختفى القلم ، فظننت اللص ؛ أى :
أتهمته .

(٢) فهو أَعْلَمُ . والناقعة عَلِمَاءُ . (والفعل من بابى : فرح وضرب ، وهو لازم فى الحالتين) .

بمعنى : « ظَنَنْتَ » . وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى عن منكبرى البعث ويوم القيامة : « إنهم يَرَوْنَهُ بُعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً »^(١) . فالفعل الأول بمعنى : « الظن » والثاني بمعنى : اليقين^(٢) . وكلاهما نصب مفعولين . وكذلك إن كان معناه مأخوذاً من : « الحُسْمُ » (أى : دالاً على الرؤيا المنامية) ، نحو : كنت نائمًا ؛ فرأيت الصديق مسرعاً إلى القطار^(٣) .

فإن كان معناه الفهم وإبداء الرأى في أمر عقلى فقد ينصب مفعولاً به واحداً ، أو مفعولين ، على حسب مقتضيات المعنى ؛ مثل : يختلف الأطباء في أمر القهوة ؛ فواحد يراها ضاربةً ، وآخر يراها مفيدةً إذا خلت من الإفراط . أو : واحد يرى ضررها ، وآخر يرى إفادتها .

وكذلك ينصب مفعولاً به واحداً إن كان معناه : أبصر بعينه ؛ مثل : رأيت النجم وهو يتألاً . وقول الشاعر :

فإذا نظرتَ رأيتَ قومًا سادة وشجاعةً ، ومهابةً ، وكالا
وقول الآخر :

إنَّ العرائنَ تَلَقَّها محسَّدةً ولن ترى للثامِ الناسَ حسَّاداً

(١) المراد بالبعد هنا : عدم حصول الشيء ، ونفى وقوعه . وبالقرب : حصوله ووقوعه . وعلى هذا جرت ألسنة العرب وأساليبهم الفصيحة .

(٢) كاليقين في الفعل « رأى » من قول الشاعر :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله في موطن فالحزم أن يترحلاً
(٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

ولِرَأَى الرُّوْيَا أَنْتُمْ مَا لِعِلْمَا طَالِبَ مَفْعُولَيْنِ مِنْ قَبْلُ أَنْتَمَي

(أنتم : انصب . انتمى : انتسب . والتقدير : أنتم للفعل : « رأى » الذى مصدره « الرؤيا » ما انتمى من قبل للفعل : « علم » طالب المفعولين لينصبهما . و « الرؤيا » هى المصدر الغالب لرأى الحُسْمِيَّة) أى : انصب للفعل : « رأى » الذى مصدره : « الرؤيا » المنامية - ما انتسب وثبت من قبل للفعل : « علم » الذى يطلب مفعولين ، ويتعدى إليهما بنفسه (لكن سنعرف فى « د » من ص ٣٧ وفى ج من ص ٤٣ أن « رأى » الحلمية لا يدخلها تعليق ولا إلغاء ، بخلاف : « علم ») .

وكذلك أن كان معناه أصاب : الرثة ؛ مثل انطلق السهم فرأى الغزال ؛
أى : أصاب رثته .

وقد أشرنا قريباً^(١) إلى أن الأساليب العالية يتردد فيها الماضى : « رأى »
— دون المضارع ، والأمر ، والمشتقات الأخرى — مسبوقاً بأداة استفهام . ومعناه :
« أخبرنى » ؛ نحو : رأيتك هذا القمر ، أمسكون هو ؟ وينصب مفعولاً به ،
أو مفعولين ، على حسب المراد من الأسلوب ، وأوضحنا الأمر بإسهاب فيما سبق^(٢) .

كذلك يتردد فى تلك الأساليب وقوع المضارع : « أرى » مبنياً للمجهول
— غالباً — على حسب السماع ، وناصباً للمفعولين^(٣) ؛ لأن معناه : « أظن »

(١) فى رقم ٨ من هامش ص ٥ .

(٢) هذا الأسلوب يتطلب بياناً شافياً ، جلياً ، يتعرض لنواحيه المختلفة ، كصيagته ، وتركيبه ،
ولإعرابه ، ومعناه . . . وقد وفيناه حقه فى موضعه من الجزء الأول ، ص ٢٣٨ م ١٩ — من الطبعة الرابعة —
عند الكلام على الضمير وأنواعه . . .

(٣) إذا كان المضارع « أرى » بمعنى : « أظن » ، ويعمل عمله — فكيف ينصب مفعولين مع
رفعه نائب فاعل ، هو فى الأصل مفعول به أيضاً ؟ أليس معنى هذا أنه كان قبل بنائه للمجهول ينصب
من المفاعيل ثلاثة ، مع أن الفعل : « أظن » ينصب اثنين فقط ؟

يجب النحاة بإجابتين ؛ كل واحدة منهما وافية فى تقديرهم . وفى الأولى من التعارض والتكلف ما
سنعرفه .

الأولى : أن هذا المضارع : « أرى » المبنى للمجهول — غالباً ، طبقاً للسمع — قد يكون ماضيه هو
« أرى » مفتوح الهجزة ، الناصب لثلاثة من المفاعيل ، والذي معناه : « أعلم » الدال على اليقين
— وسيجىء الكلام عليه فى الباب التالى ص ٥٨ — ؛ مثل : أرى العالم الناس السفر للكواكب سهلاً ؛ أى :
أعلمهم السفر سهلاً . . . ومقتضى هذا أن يكون مضارعه ناصباً ثلاثة أيضاً ، وليس ناصباً اثنين فقط .
لكن السبب فى نصبه اثنين أنه ترك معنى ماضيه ، وانتقل إلى معنى آخر جديد ؛ إذ صار بمعنى : الفعل
المضارع : « أظن » لا بمعنى الفعل المضارع : « أعلم ويعلم » وغيرهما مما فعله الماضى : « أعلم » الدال
على اليقين . فلما ترك معناه الأصلى إلى معنى فعل آخر ، كان من الضروري أن يترك عمله الأصلى ليعمل
العمل المناسب للمعنى الجديد ، فينصب مفعولين لا ثلاثة . وعلى هذا يتعين أن يكون ضمير المتكلم فى المضارع
المبنى للمجهول فاعلاً ، ولا يصح أن يكون نائب فاعل ؛ لأن اعتباره نائب فاعل يؤدى إلى اعتباره مفعولاً
به فى الأصل قبل أن ينوب عن الفاعل ؛ فينتهى الأمر إلى أن ذلك المضارع قد نصب من المفاعيل ثلاثة .
وهذا مرفوض عندهم حتماً . فالسبب فى تعدية المضارع المبنى للمجهول — سماعاً — إلى مفعولين مع أن ماضيه :

الدال على الرجحان ؛ نحو : كنت أرى الرحلة مُتَعَمِّية ، فإذا هي سارة .
ولا يكون معناه في الفصحح الوارد : « أَعْلَمْتُ » ؛ الدال على اليقين ، بالرغم

« أرى » الدال على العلم واليقين ، ينصب ثلاثة ، هو استعماله بمعنى الفعل : « أظن » المتعدى لاثنتين ، من باب الاستعمال في اللازم ؛ لأن معنى : « أرى العالمُ الناسَ السفر سهلاً » هو : « جعل العالم الناس ظانين السفر سهلاً » وصحة هذا المعنى تستلزم صحة قولنا : ظن الناس السفر للكواكب سهلاً .

أما إن كان الفعل « أرى » مفتوح الهمزة (أى : غير مبنى للمجهول ، وهذا جائز) ومعناه : « أظن » فينصب مفعولين بغير حاجة لتأويل واضح التكلف والتواء ، كالذى سبق .

الثانية : أن الفعل : « أرى » المضارع المبني للمجهول سماعاً ، ينصب ثلاثة من المفاعيل برغم أنه بمعنى : الظن ، وأن ماضيه بمعنى : « أَظُنُّنْتُ » وأول المفاعيل الثلاثة هو الذى صار نائب فاعل ، ويليهِ المفعولان المنصوبان . ويقولون : إن الفعل « أرى » المبني للمجهول هو المضارع للفعل الماضى : « أَرَيْتُ » المبني للمجهول أيضاً ، بمعنى : « أَظُنُّنْتُ » كما سبق ، وإن العرب لم تنطق بالماضى « أَرَيْتُ » إلا مبنياً للمجهول ، ولم يعرف عنهم بناؤه للفاعل . كما لم يعرف عنهم أنهم قالوا : « أَظُنُّنْتُ » ببناء الماضى « أَظُنُّنْتُ » للمجهول مع أنه بمعنى الماضى « أَرَيْتُ » . وفى هذه الإجابة بعض اليسر ومسيرة القواعد العامة ، وإن كانت - كالأولى - لا تخلو من تكلف ، والتواء .

وخير منها أن نقول : (إذا كان المضارع « أرى » المبني للمجهول بمعنى : « أظن » فإنه يرفع نائب فاعل ، وينصب بعده مفعولين فقط) وبهذا نستريح من الإطالة والإعنات والتأويل ، ولن يترتب على هذا رأى ضرر لفظى أو معنوى .

وقد اتفق النجاة على أن نائب فاعله لا بد أن يكون ضميراً للمتكلم الواحد أو الأكثر ؛ نحو : شاع الحديث عن الحياة في الكواكب ، وأرى المريخ مأهولاً . أو نرى المريخ مأهولاً . وقد يكون للمخاطب ؛ كقراءة من قرأ الآية الكريمة : (وتُرَى الناسَ سكارى) ينصب كلمة : « الناس » .

ما تقدم نعلم أنه لا بد للمضارع : « أرى » الذى سبق الكلام عليه - من نائب فاعل يكون ضميراً للمتكلم - فى الأغلب - ومن مفعولين منصوبين . أما الفعل : « أَرَيْتُ » الذى يتردد فى الأساليب الصحيحة أيضاً بصيغة الماضى المبني للمجهول - فقد يكون بمعنى : « أَظُنُّنْتُ » ، لكن الغالب فى استعماله أن يكون بمعنى : « أَعْلَمْتُ » أى : من مادة « العلم » لا من مادة الظن .

(راجع فى كل ما سبق : حاشية الخضرى ، والصبان ، والتصريح ، فى باب « إن وأخواتها » عند الكلام على المواضع التى يجوز فيها فتح همزة « أن » وكسرها ، ومنها : « إذا الفجائية » . وبيت الشاعر : وكنت أرى زيدا كما قيل سيذاً . . . إلخ . ثم راجع بعد ذلك المراجع السالفة فى باب « ظن » عند الكلام على « رأى » وأنواعها .

بقى بعد ذلك - بهذه المناسبة - سؤال ؛ هو : أهناك فعل مبني للمجهول دائماً ؟ الجواب : لا ؛ طبقاً لما سيجىء فى ص ١٠٨ .

من أن الماضي : « أَرَيْتُ » المبني للمجهول والمسند للضمير : « التاء » - لا يستعمل في الأكثر إلا بمعنى : « أَعْلِمْتُ » المفيد لليقين ؛ مثل : أَرَيْتُ الخَيْرَ في مقاومة الباطل .

وكذلك يتردد في بعض الأساليب المسموعة وقوع المضارع : « تَرَى » قد حذف آخره ، وقبله الحرف : « لا » ، أو : « لو » ، وبعده « ما » الموصولة في الحالتين . ومعناه فيهما : « لا سيما » ، مثل : كَرَمْتُ الضيَوفَ ، لا تر ما على - أو : كَرَمْتُ الضيَوفَ لو تر ما على . والمعنى ولا سيما على ^(١) . . .

والفعل : « وَجَدَ » قد يكون بمعنى : « لَقِيَ ، وصادف » ؛ فينصب مفعولاً به واحداً ؛ نحو : وجدت القلم . وقد يكون بمعنى « استغنيت » ، فلا يحتاج لمفعول ؛ نحو : وَجَدَ الأبني بعمله .

والفعل : « دَرَى » قد ينصب المفعولين كما سبق ، والأكثر استعماله لازماً مع تعديته إلى مفعوله بحرف الجر : « الباء » ؛ نحو : « دَرَيْتُ بالخبر السار » . فإن سبقتهمزة التعدية نصب بنفسه مفعولاً آخر مع الجورور ؛ نحو : قد أدريتك بالخبر السار ^(٢) . وكذلك يتعدى لواحد إن كان بمعنى : « ختل » (أى : خدع) نحو : دَرَيْتُ الصيدَ ؛ بمعنى : ختلته وخذعته .

والفعل : « تَعَلَّمَ » ينصب المفعولين حين يكون جامداً بمعنى : « اُعْلِمَ » . فإن كان مشتقاً بمعنى : « تَعَلَّمَ » نصب مفعولاً به واحداً ؛ مثل : تَعَلَّمَ .

(١) سبق الكلام على معنى هذين الأسلوبين المسموعين ، وتفصيل إعرابهما ، وأحكامهما في الموضوع المناسب . وهو الجزء الأول ، باب الموصول ، - م ٢٨ ص ٣٦٣ من الطبعة الثالثة والتي بعدها - عند الكلام على « لاسيما » والاختصار في الاستعمال على هذه أحسن .

(٢) فإن وقعت همزة التعدية بعد أداة استفهام ، كما في قوله تعالى : (القارة ، ما القارة ؟ وما أدراك ما القارة ؟) فقيل إن الفعل في الآية نصب ثلاثة مفاعيل ؛ أولها : الضمير « الكاف » ، وثانيها وثالثها معاً الجملة الاسمية التي بعد الضمير ، فقد سدت مسد المفعولين الأخيرين . وقيل إن الفعل نصب بنفسه مفعولاً واحداً هو الضمير ، وإن الجملة سدت مسد المفعول الآخر الذي يتعدى إليه الفعل « أدري » بحرف الجر : « الباء » فالجملة في محل نصب بإسقاط حرف الجر ، كما في قولنا : « فكرت . » ، أهذا صحيح أم لا ؟ وأصله : فكرت ، في هذا ، أصح أم لا . . . (راجع الخضرى في هذا الموضوع) وراجع أيضاً « > » من ص ٣٧ .

فنون الآداب (١).

والفعل : « أَلْفَى » قد يكون بمعنى : « وَجَدَ » و « لَقِيَ » فينصب مفعولاً به واحداً ؛ نحو : غاب عصفورى ، ثم أَلْفَيْتُهُ .

٢ — ومن أفعال الرجحان ما قد يستعمل في اليقين ؛ فينصب المفعولين أيضاً . وقد يستعمل في بعض المعاني اللغوية الأخرى ؛ فينصب بنفسه مفعولاً واحداً ؛ أو لا ينصبه ؛ وذلك على حسب ما ترشد إليه اللغة . ومن أمثلة ذلك الفعل : « خال » فعناه اليقين في نحو : إخال الظلمَ بغيضاً إلى النفوس الكريمة . وكذلك الفعل « ظن » في نحو : أظنَّ اللهَ متقماً من الجبارين . والفعل : « حَسِبَ » في نحو : حَسِبْتُ المالَ وقايةً من ذل السؤال . فإن كان « حَسِبَ » (٢) بمعنى : « عَدَّ » نصب مفعولاً به واحداً ؛ نحو : حَسِبْتُ النقودَ آتَى معي . أى : عددتها . وإن كان معناه صار ذا بياض ، وحمرة ، وشقرة — كان لازماً ؛ نحو : احسب الغلام

والفعل : « جعل » إن كان بمعنى : « أَوْجَدَ » أو بمعنى : « فَرَضَ وأوجب » — نصب مفعولاً به واحداً ؛ نحو : جعل الله الشمس ، والقمر ، والنجوم ، وسائر

(١) بين الفعلين فرق في اللفظ والمعنى والاستعمال ؛ فالفعل الأول : تعلم : بمعنى : « اعلم » فعل أمر جامد ؛ لا ماضى له ، ولا مضارع ، ولا مصدر ، ولا شيء من المشتقات في رأى الأقوي (كما أسلفنا في رقم ٦ من هامش ص ٦) . والغالب في استعماله دخوله على « أن » مع معمولها ، أو « أن » والفعل مع مرفوعه ؛ نحو : تعلم أن احتمال الأذى في سبيل الله لذة . . . فالصدر المؤول من « أن » مع معمولها سد مسد المفعولين . ومعناه مطلوب تحقيقه سريعاً ، وتحصيل المراد منه في المستقبل القريب الذي يشبه الحال ؛ وذلك بالإصغاء للتكلم ، واستيعاب ما يريد فوراً ، وتنفيذ ما يحى بعد فعل الأمر بغير تمهل . أما الفعل الثاني فلفظه أمر أيضاً ، ولكنه غير جامد ، فله ماضى هو : « تَعَلَّم » وله مضارع هو : « يتعلم » وله مصدر . . . وباقى المشتقات . . . والغالب في استعماله دخوله مباشرة على مفعوله الصريح . ويجوز دخوله على « أن » مع معمولها ، أو : « أن » مع الفعل ومرفوعه ؛ فيكون المصدر المؤول مفعوله . ومعناه مطلوب تحقيقه وتحصيله في المستقبل ، ولكن مع تمهل وامتداد ، واتخاذ للوسائل المختلفة . الكفيلة بالوصول .

(٢) الغالب في الفعل : « حسب » بمعنى : « عَدَّ » ، فتح « السين » في الماضي ، وضمها مضارعه .

المخلوقات ؛ أى : أوجدها وخلقها^(١) ونحو : جعلت للحارس أجرأ^(٢) ، بمعنى فرضت له ، وأوجبت على
والفعل ؛ « هب » ينصب مفعولاً به واحداً إن كان متصرفاً^(٣) أمراً من الهية ؛ نحو : هب بعض المال لأعمال البر^(٤) . أو أمراً من الهية ؛ نحو : هب ربك في كل ما تقدم عليه من عمل . وهكذا^(٥)

* * *

(١) ومن هذا قوله تعالى : ((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا ، وقمرأ منيراً))
(٢) قد يكون الفعل : « جعل » . بمعنى : شرع . (وقد سبق الكلام عليه مع أفعال الشروع فى باب أفعال المقاربة ج ١ ص ٤٦٤ م ٥٠) وقد يكون بمعنى : اعتقد ، أو ظن ، أو « صير » - كما عرفناه فيما سبق .
(٣) وهذا « الأمر » المتصرف مخالف فى معناه واستعماله لفعل الأمر الجامد الذى على صورته وسبق الكلام عليه فى ص ٨ .

(٤) وردت أمثلة صحيحة نصب فيها مفعولين بنفسه ؛ منها : انطلق معى ؛ أهبك نبلا . (المخصص ج ١ ص ٢٢٧) . ولا مانع من محاكاتها وإن كانت قليلة ؛ إذ الكثير أن ينصب بنفسه مفعولاً واحداً ، ويتعدى للآخر بحرف الجر . وقد صرح المغنى بأن هذا الفعل نصب المفعول الثانى بعد إسقاط حرف الجر : « اللام » ومن المستحسن هنا تسجيل النصوص الواردة فى المراجع المختلفة للدلالة على صحة استعمال هذا الفعل : (وهب) متمديا بنفسه إلى مفعولين مباشرة ، أو إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بمعونة حرف الجر ؛ كى ينقطع الجدل حول صحة تعديته إلى المفعولين مباشرة . جاء فى المخصص - ج ١ ص ٢٢٧ - ما نصه : ((قال سيبويه : وهبت لك ، ولا يقال : وهبتك . قال أبو على : وقد حكاهما غيره ؛ ذكر أبو عمرو : أنه سمع أعرابياً يقول لآخر : « انطلق معى أهبك نبلا » . حكاه أبو سعيد السيرافى)) ا هـ . وجاء فى « المغنى » عند الكلام على اللام المفردة - ج ١ ص ١٨٤ - ما نصه ((تنبيه : زادوا اللام فى بعض المفاعيل المستغنية عنها - كما تقدم - وعكسوا ذلك فحذفوها من بعض المفاعيل المفتقرة إليها ؛ كقوله تعالى : « تبغونها عوجاً » وقوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل » وقوله : « وإذا كالوهم أو وزنهم . . . » . وقالوا : وهبتك ديناراً ، وصدتلك ظيما ، وجنيتك ثمرة . . .)) ا هـ وجاء فى الصبيان - ج ٢ ص ٢١٦ باب : حروف الجر ، عند التمثيل للام الملك بقول الأشموني : وهبت لزيد ديناراً - ما نصه : ((التمثيل مستفاد من الفعل ، لا من اللام . ؛ بدليل أنك لو أسقطت اللام ، وقلت : وهبت زيدا ديناراً لكان الكلام صحيحاً دالاً على التمثيل . ولو مثل : بجعلت لزيد ديناراً لكان أحسن)) ا هـ

(٥) إن كان الفعل : « زعم » بمعنى : « كفل » ، أو : رأس (أى : شرف رساد) تعدى لواحد بنفسه ، أو بحرف الجر ، والمصدر : « الزعامة » . وإن كان بمعنى : سين أو هزل (أى : أصابه الهزال) لم ينصب بنفسه مفعولاً . (راجع ما يتصل بهذا ويتممه فى رقم ٤ من هامش ص ٧) .
وإن كان الفعل « حجا » بمعنى : قصد ، أو : رد ، أو : ساق ، أو : حفظ ، أو : كتم ، أو غلب فى الحاجة (وهى إقامة الحجة ، وإظهار البراعة وحدة الذكاء فى تقديمها) نصب مفعولاً به واحداً

شروط لإعمالها :

يشترط لإعمال هذه النواسخ بنوعيهما القلبيّ والتحويليّ ، أن يكون المبتدأ الذى تدخل عليه صالحاً للنسخ على الوجه الذى سبق تفصيله وتوضيحه عند بدء الكلام على النواسخ^(١) . وملخصه :

أن النواسخ بأنواعها المختلفة لا تدخل على شىء مما يأتي :

(١) المبتدأ الذى له الصدارة الدائمة فى جملة ؛ بحيث لا يصح أن يسبقه منها شىء . ومن أمثلته : أسماء الشرط — أسماء الاستفهام — كتم الخبرية — المبتدأ المقرون بلام الابتداء . . . (نحو : من يكثر مزحه تضرع هيته . من ذا الذى ما ساء قط ؟ كتم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله !! . لكلمة حق فى وجه حاكم ظالم أفضل عند الله من اعتكاف صاحبها يوماً فى المسجد) .

ويستثنى من هذا النوع الذى له الصدارة فى جملة — ضمير الشأن^(٢) فيجوز أن تدخل عليه النواسخ بأقسامها المختلفة ؛ نحو حسبه « الحق واضح » .

لكن تختص النواسخ فى هذا الباب — دون غيرها من النواسخ — بجواز دخولها على المبتدأ الذى هو اسم استفهام ، أو المضاف إلى اسم استفهام . وإذا دخلت على أحدهما وجب تقديمه عليها ؛ نحو : أيتها ظننت أحسن ؟ و غلام أى حسبت أنشط ؟ .

ولا تدخل على أحدهما « كان » ولا « إن » ولا أخواتهما ؛ منعاً للتعارض ؛ إذ الاسم فى بابى « كان » و « إن » وأخواتهما لا يصح تقديمه على الناسخ . فلو وقع الاسم أحدهما لامتنع تقديمه على الناسخ ؛ تطبيقاً لهذا الحكم ، مع أن الاستفهام لا بد أن يتقدم^(٣) .

(١) راجع ج ١ ص ٤٠٢ م ٤٢ من هذا الكتاب ؛ حيث التفصيل والبيان الذى لا غنى عنه .

(٢) سبق شرحه ، فى ج ١ ص ١٧٧ باب : الضمير وأنواعه .

(٣) أما الخبر فيجوز أن يكون اسم استفهام ، أو مضافاً إلى اسم استفهام فى البابين ، ولا يجوز هنا أن يكون جملة إنشائية ؛ ويجوز تقديمه فى بابى : « ظن » و « كان » بشرط ألا يوجد مانع يمنع من =

(ب) المبتدأ الملازم للابتداء بسبب غيره ؛ كالاسم الواقع بعد « لولا » ؛
الامتناعية ، أو بعد « إذا » الفجائية ؛ فإنه لا يكون إلا مبتدأ ؛ إذ لا يصح - في
الرأى الأشهر - دخول أحدهما على غير المبتدأ ؛ نحو : لولا العقوبة لزدت
الجرائم . ونحو ؛ فتحت الكتاب ؛ فإذا الصَّوْرُ فاتنة .

(ح) المبتدأ الذي يجب حذفه بشرط أن يكون أصلُ حَذْفِهِ نعتاً مقطوعاً^(١)
نحو : شكراً للمتعلّم ، النافعُ العزيزُ (أى : هو النافعُ العزيزُ) .

(د) كلمات معينة لم ترد عن العرب إلا مبتدأ . ومنها : « ما » التعجبية ،
وكلمة : « طوبى » ؛ (بمعنى : الجنة) وكلمة : دَرَّ^(٢) ، وكلمة : أَقْلَ . . .
وذلك في نحو : ما أجملَ الهواءَ سَحَرًا !! ، وما أطيّبَ الرياضةَ عصرًا !! طوبى
للاشهداء ، وثله دَرَّ^(٢) !! وأقْلَ^(٣) رجل يُنْكَرُ فضلهم .

= تقديمه ، كوجود « ما النافية » قبل الناسخ ، أو غيرها من الموانع التي ذكرناها في أحوال خبر « كان »
(ج ١ ص ٤٢٠ م ٤٣) ، مثل : أين كنت ؟ وأين ظننت الكتاب ؟ أما خبر « إن » وأحوالها فلا
يتقدم عليها - كما سبق في بابها ح - وقد قلنا إن الخبر هنا لا يكون جملة إنشائية برغم ورود صور منها
مسموعة ، فنل النحاة واحدة منها ثقيلة في نطقها ، ولا أدري لماذا تخيروها دون غيرها مع ما فيها من ثقل
وإن كانت صادقة المعنى ؟ هي قولهم : « رأيت الناس ، اخْبِرْ تَقْيَاهُ » . أى : اختبر كل واحد منهم
تبغضه وتكرهه ؛ لما تكشفه من عيوبه . فهذا - وأمثاله - على إضمار قول مقدر ؛ أى : رأيت الناس
مقولاً فيهم : اختبر كل واحد منهم تبغضه وتكرهه . ويرى كثير من النحاة عدم القياس على هذا . والحق
أن القياس عليه جائز بشرط وجود قرينة كاشفة تمنع الغموض ؛ وتهدى المقصود ؛ لأن هذا هو الموافق
للأصول اللغوية العامة . وفيه تيسير وتوسيع في ميدان الكلام والتعبير بغير ضرر ، كما يتبين هذا من
الباب الخاص بأحكام « الحكاية » .

(١) سبق تفصيل الكلام على النعت المقطوع في الجزء الأول ص ٣٧٥ م ٣٩ . وله تفصيل أشمل

في باب النعت ح ٣ ص ٣٥٧ م ١١٥ .

(٢ و ٣) الدر : اللين . « وثله در البطل » . . . أسلوب يتقدم فيه الخبر وجوباً ، (لأن العرب
التزمت فيه التقديم) ويقصد به المدح والتعجب من بطولته ، معاً . . . والسبب : هو ما يدعيه القائل
من أن اللين الذي ارتضعه البطل في صغره ، ونشأ عليه ، وترعرع - لم يكن لبناً عادياً كالمألوف لنا ، وإنما
هو لبن خاص أعده الله لهذا البطل في طفولته ؛ لينشأ نشأة ممتازة ، ويشب عظيماً . فنسب اللين لله - ادعاء -
ليكون من وراء ذلك إظهار الممدوح في صفات تفوق صفات البشر ، وكأنه ليس منهم ، فهو أسمى
وأرق ، للعناية الإلهية التي خصته برعايتها .

(راجع رقم ١ من هامش ص ٤٢٤ و « ح » من ص ٤٢٧ من هذا الجزء ، وص ٥٠٤ ح ١ م ٣٨
من الطبعة الرابعة) .

(٣) أى : قَلَّ رجل يقول ذلك ، بمعنى : صغُرُ وحقُرُ . (راجع ج ١ ص ٣٢٨ م ٣٣) .

ومثل بعض ألفاظ الدعاء ؛ ومنها ^(١) : سلام - ويل ؛ في نحو : سلام على الأحرار ، وويل للجبنة .

* * *

حكم الناسخ ومعموليه من ناحية التقديم والتأخير :

لا ترتيب في هذا الباب بين الناسخ ومعموليه ؛ فيجوز - لغرض بلاغي - أن يتقدم عليهما معاً ، ويتأخر عنهما ، ويتوسط بينهما . لكن يترتب على كل حالة أحكام سيجىء تفصيلها قريباً ^(٢) . فمثال تقدم الناسخ عليهما : يظن الجاهلُ السرابَ ماء . ومثال تأخره عنهما : السرابُ ماءٌ يظن الجاهلُ . ومثال توسطه بينهما : السرابُ يظن الجاهلُ ماءً ، أو : ماءٌ يظن الجاهلُ السرابَ .

أما الترتيب بين المفعولين وتقديم أحدهما على الآخر دون الناسخ فحكمه حكم الترتيب بين أصلهما المبتدأ والخبر قبل دخول الناسخ عليهما ؛ فما ثبت لأصلهما يثبت لهما من غير اعتبار وجود الناسخ . و يترتب على هذا أن يكون المفعول الأول واجب التقديم على المفعول الثاني في كل موضع يجب فيه تقديم المبتدأ على الخبر ، وأن يكون المفعول الثاني واجب التقديم على المفعول الأول في كل موضع يجب فيه تقديم الخبر على المبتدأ ، وأن يكون تقديم أحدهما على الآخر جائزاً في كل موضع يجوز فيه تقديم المبتدأ أو الخبر بغير ترجيح . فلا بد من مراعاة الأصل ^(٣) في ناحية التقديم والتأخير ، وتطبيقه على الفرع تطبيقاً مماثلاً . وفي مثل : حسبت أخى شريكى ، يجب الترتيب ؛ بتقديم المفعول الأول وتأخير الثاني ؛ منعاً لوقوع لبس لا يمكن معه تمييز الأول من الثاني ؛ فيلبس المعنى تبعاً للملك . وفي مثل : علمت الكلب حارساً أميناً ، يجب تقديم المفعول الثاني عند إرادة الحصر في الأول ؛ فنقول : ما علمت حارساً أميناً إلا الكلب . أى : أنه لا حارس أميناً سواه . وفي مثل : ظننت القيطَ البَرى ^(٤) ثعلباً ، يجوز تقديم المفعول الثاني ؛

(١) الكثير في اللفظين الآتين الرفع على الابتداء ، ولا مانع من النصب على اعتبار آخر ؛ كما سيجىء البيان في ص ٢٣٠ .

(٢) في ص ٣٨ .

(٣) سبق إيضاحه في الجزء الأول (ص ٣٦١ م ٣٧) عند الكلام على مواضع تأخير الخبر .

(٤) الصحراوى غير الأليف .

فتقول : ظننت ثعلباً القِيطَ البرّى ؛ إذ لا مانع يمنع تقديم أحدهما على الآخر . . . وهكذا تجب مراعاة الأحكام الخاصة بالترتيب بين المبتدأ والخبر ، وتطبيقها هنا ، عند النظر فى الترتيب بين المفعولين ^(١) .

ما تنفرد به الأفعال القلبية الناسخة ، هى وما يعمل عملها : تنفرد النواسخ القلبية بخمسة أحكام ، منها حكم واحد مشترك بينها جميعاً ، سواء أكانت متصرفة أم جامدة ، وهذا الحكم هو : تنوع مفعولها الثانى . أما الأحكام الأربعة الأخرى فمقصورة على النواسخ القلبية المتصرفة ، دون الجامدة ، وسيجىء لهذه الأربعة بحث مستقل ^(٢) .

(١) فأما تنوع المفعول الثانى الذى أشرنا إليه فلأنه خبر فى الأصل ؛ فهو ينقسم إلى مثل ما ينقسم إليه الخبر ؛ من مفرد ^(٣) ، وجملة ^(٤) ، وشبه جملة ^(٥) ؛ فليس من اللازم فى المفعول الثانى أن يكون مفرداً ، وإنما اللازم أن يكون الناسخ قليباً متصرفاً أو غير متصرف ^(٦) ؛ كما فى الأمثلة الآتية ، ومن المهم التنبيه لإعراب كل قسم ، ولا سيما الجملة وشبهها .

(١) ستجىء إشارة موجزة لهذا الترتيب فى ص ١٧٦ م ٧٢ .

(٢) فى ص ٢٦ المسألة : ٦١ .

(٣) المراد بالمفرد هنا وفى الخبر : ما ليس جملة ولا شبهها .

(٤) بشرط ألا تكون إنشائية .. لأن الإنشائية لا تصلح هنا (انظر رقم ٣ من هامش ص ٢١) .

(٥) طبقاً لما جاء فى بعض المراجع الوثيقة وتؤيده النصوص الفصيحة التى تكتفى لإباحة القياس عليه .

(٦) قد سبقت أمثلة المفرد . ومثال الجملة الاسمية قول الشاعر :

حَذَارِ ، حَذَارِ مِنْ جَشْعٍ ؛ فَإِنِ
رَأَيْتَ النَّاسَ أَجْشَعُهَا الثَّامُ

ومثال الجملة الفعلية المضارعية قول الشاعر :

فَهَبْكَ عَدُوًى لَا صَدِيقِي فَرِيحاً
رَأَيْتَ الْأَعَادِي يَرْحَمُونَ الْأَعَادِيَا

ومثال الماضوية :

وَإِنِ رَأَيْتَ الشَّمْسَ زَادَتْ مَحَبَّةً
إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

فكل واحدة من الجمل (أجشعها الثام - يرحمون - زادت محبة) . سدت مسد المفعول الثانى الذى يحتاج إليه الفعل الناسخ . ومثال شبه الجملة - قول بعضهم : رأيت قدرة الله فى كل شيء ، وألفيت سلطانه فوق كل سلطان . وقول الشاعر يفتخر :

إِنِّى - إِذَا خَفَى الرِّجَالُ - وَجَدْتَنِى
كَالشَّمْسِ ؛ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

فشبه الجملة (الجار مع مجروره ، أو الظرف) سد مسد الثانى .

إعرابه	نوعه	المفعول الثاني	الجملة مشتملة على الفعل القلبي ومفعوليّه
مفعول ثان منصوب » » » » » »	مفرد مفرد مفرد	داه مزرياً سوء	علمت الرياء داه وبيل . أحسب النفاق مزرياً بصاحبه . زعمت الكذب سوء أدب
فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر تقديره : هو والجملة في محل نصب (١) تسد مسد المفعول الثاني . فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر تقديره : هي والجملة في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني . فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر تقديره : هو . والجملة في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني .	جملة فعلية . جملة فعلية . جملة فعلية . (٢) . . .	(يعرف ×) (تضيق ×) (حالف ×)	أرى الفضل يعرف أهله تعلم (اعلم) الفرصة تضيق بالتواني وجدت التوفيق حالف أهل الإجابة
هي : مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع . المنبر خبره الجملة في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني . هو : مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع . السلطان خبره . الجملة في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني هو : مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع ، هدف : خبره . الجملة في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني .	جملة اسمية جملة اسمية جملة اسمية	هي المنبر هو السلطان هو هدف	ألفيت الإذاعة هي المنبر العام ، إخال سلطان الضمير هو السلطان الأكبر أظن المجدد هو هدف العظيم .
متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني ، أو الظرف نفسه سد مسد المفعول الثاني (٣) . متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني ، أو الظرف نفسه سد مسد المفعول الثاني . متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني ، أو الظرف نفسه سد مسد المفعول الثاني .	ظرف منصوب ظرف منصوب ظرف منصوب	عند مع فوق	درّيت الصديق عند الشدة . جعلت الكتاب معك . أعلم قوة الحق فوق طغيان الباطل .
متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني . أو الجار مع مجروره سد مسد المفعول الثاني (٣) . متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني ، أو الجار مع مجروره سد مسد المفعول الثاني . متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني ، أو الجار مع مجروره سد مسد المفعول الثاني .	جار مع مجروره جار مع مجروره جار مع مجروره	في مجابة في عمل من دواعي ..	أحسب الخير في مجابة أهل السوء . أرى السعادة في عمل الخير . غنمت العفو من دواعي التألف .

(١) ما معنى في محل نصب . . . ؟

سبق الجواب عن هذا واضحاً عند تفصيل الكلام على الإعراب المحلى والتقديرى . - ١ م ٦ في آخر المعرب والمبني . . .

(٢) قد يكون الفعل الثاني في الجملة الفعلية ناسخاً ؛ كقول الشاعر :

رأيت دنو الدار ليس بنافع إذا كان ما بين القلوب بعيداً

(٣٣) راجع رقم ٢ من هامش ص ٤٥٠ م ٨٩ ، وهى تلخيص لما سبق في ج ١ ص ٢٧١ و ٢٧٢ م ٢٧ م

٣٥ حيث الكلام على شبه الجملة بنوعيه ، من ناحية وقوعه هو أو متعلقه خبراً ، وصفة . . . و . . .

المسألة ٦١ :

ب - الأحكام الأربعة الخاصة بالأفعال القلبية المتصرفة^(١).

عرفنا^(٢) أن الأفعال القلبية متصرفة ، إلا فعلين ؛ هما : « تَعَلَّمْتُ »^(٣) بمعنى « اعلِمْ » ، و « هَبَّ » بمعنى : « ظَنَّ » ؛ فحَو : تعلم داء الصمت خيراً من داء الكلام . وهب كلامك محموداً ؛ فتَحَذِّرْ له أنسب الأوقات .

والفعل القلبي المتصرف قد يكون له الماضي ، والمضارع ، والأمر ، والمصدر واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وبقيّة المشتقات المعروفة . لكن الناسخ الذي يعمل في هذا الباب هو الماضي وما جاء بعده مما صرّحنا باسمه هنا ، دون بقيّة المشتقات المعروفة^(٤) التي اكتفينا بالإشارة الموجزة إليها ، ولم نصرح بأسمائها . وبديهي أن النواسخ المتصرفة التي سردنا أسماءها - متساوية في العمل ؛ لا فرق بين ماضٍ وغيره ، ولا بين فعل واسم مما سردناه^(٥) . أما الناسخ الجامد فيعمل وهو على صورته

(١) هذا البحث هو الذي سبقت الإشارة إليه في ص ٢٤ عند بيان ما تفرّد به الأفعال القلبية من خمسة أمور سبق منها واحد - في ص ٢٤ - قبل هذه الأربعة الآتية .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٤ وفي رقم ٦ من هامش ص ٦ ، ٨ ، ٦ .

(٣) على الرأي القائل بأنه جامد . وهو الرأي الشائع الذي يحسن الاقتصار عليه (كما سبق في رقم ٦ من هامش ص ٦ ورقم ١ من هامش ص ١٩) . أما على الرأي القائل بأنه متصرف فيجرى عليه ما يجري على الأفعال القلبية المتصرفة .

(٤) أوضحنا - في رقم ١ و ٢ من هامش ص ٤ - معنى المتصرف وقسميه ، وبيان المشتقات المختلفة ، والعامل منها وغير العامل ، وما يعمل في غير هذا الباب ولكنه لا يصلح للعمل هنا ، وأسباب ذلك . . .

(٥) ومن الأمثلة ، الفعل : « علم » ، وما يتصرف له ؛ نحو : علم العاقل الحياة جهاداً - يعلم العاقل الحياة جهاداً - اعلم الحياة جهاداً ، فارسه - عِلِّمْ العاقل الحياة جهاداً دافع له إلى الصبر والدأب - العاقل عالم الحياة جهاداً - معلوم الحياة جهاداً . (الحياة : هي المفعول الأول ؛ لكنه صار نائب فاعل لاسم المفعول ، إذ لا بد لاسم المفعول من نائب فاعل حتماً . لا فاعل) .

وتسوّقنا المناسبة إلى بيان أن اسم الفاعل لا بد له من فاعل - لا نائب فاعل - وقد يكون فاعله امياً ظاهراً ، أو ضميراً . غير أن الضمير لا بد أن يكون للغائب دائماً ، ولهذا قالوا في مثل : أنا صائم .. ومثل : أنا مخلص ... ، إن فاعل اسم الفاعل ضمير مستتر تقديره : « هو » . على تأويل : أنا رجل صائم ... =

القائمة ، لا يفارقها ، ولا يبدل محل عليها تغيير .

وتختص الأفعال القلبية المتصرفة ، هي وما تتصرف له مما ذكرنا اسمه صريحاً بأحكام تنفرد بها ؛ فلا يدخل - في الأغلب - حكم منها على المشتقات القلبية التي لا تعمل هنا ^(١) ، ولا على الأفعال القلبية الجامدة ، ولا على أفعال التحويل وما يتصرف منها . وأشهر تلك الأحكام أربعة ^(٢) :

الحكم الأول - التعليق :

ومعناه : « منع الناسخ من العمل الظاهر في لفظ المفعولين معاً ، أو لفظ أحدهما ، دون منعه من العمل في المحل » ^(٣) . فهو في الظاهر ليس عاملاً للنصب ، ولكنه في التقدير عامل . وهذا ما يعبر عنه النحاة بأنه :

« إبطال العمل لفظاً ، لا محلاً » . سواء أكان أثر الإبطال واقعاً على المفعولين معاً ، أم على أحدهما .

هذا المنع والإبطال واجب إلا في صورة واحدة ^(٤) . وسببه أمر واحد ، هو : وجود لفظ له الصدارة ^(٥) يمتد إلى الناسخ ؛ فيفصل بينه وبين المفعولين معاً ،

= أنا رجل مخلص ... فالضمير المستتر تقديره : « هو » للغائب ، وعائد على محذوف ؛ ليكون عائداً على الغائب ؛ إذ لا يصح أن يعود إلا عليه . فن الخطأ إرجاعه إلى متكلم أو مخاطب

(راجع الخضرى ج ١ « باب ظن » عند الكلام على بيت ابن مالك : « وخص بالتعليق والإلغاء .. » - وستجى الإشارة لهذا في باب اسم الفاعل ج ٣ ص ١٩١ م ١٠٢ كما سبق البيان في ج ١ م ١٩ ص ٢٤٣ من الطبعة الثالثة ، عند الكلام على اختلاف نوع الضمير مع مرجعه) .

والظاهر أن هذا الحكم ليس مقصوداً على اسم الفاعل وحده ، بل يشاركه فيه كل مشتق يتحمل ضميراً مستتراً ؛ فيجب أن يكون الضمير المستتر للغائب ، ويعود على غائب دائماً .

(١) وهى المشتقات التى لم نصرح فيما سبق باسمها . إلا التعليق بالاستفهام فإنه عام شامل ، وستجى الإشارة لهذا في رقم ٢ من هامش ص ٣٢ أما البيان المفصل فى ٣٦ .

(٢) وهى غير الحكم المشترك : « ا » الذى يدخل التواسخ القلبية المتصرفة والجامدة ، وغيرها . وقد سبق بيانه فى ص ٢٤ .

(٣) تفصيل الكلام على الإعراب المحل فى ج ١ م ٦ فى الزيادة والتفصيل التى فى آخر : « المغرب والمبنى » - كما أشرنا -

(٤) جائزة ، وتجى فى رقم ٤ من هامش ص ٣٠ .

(٥) ترددها فى المراجع النحوية المختلفة ومنها : حاشية الصبان على الأشمونى ، فى هذا الموضع =

أو أحدهما ، ويَتَحَوَّلُ بينه وبين العمل الظاهر . ويسمى هذا اللفظ الفاصل : « بالمانع » ويقع بعده جملة ^(١) - في الغالب - ؛ ففي مثل : علمت البلاغة إيجازاً ، ورأيت الإطالة عجزاً . نجد الفعل : « عَلِمَ » قد نصب مفعولين مباشرة . وكذلك الفعل ؛ « رأى » - فإذا قلنا : علمت لتبلاغة إيجازاً ، ورأيت لتلاطلة عجزاً - لم ينصب كل من الفعلين شيئاً في الظاهر ، بسبب وجود « لام الابتداء » التي فصلت بين كل فعل ناسخ ومفعوليه - وهى من ألفاظ التعليق ، أى : من الموانع - ، ولكن هذا الفعل ينصب المحل ؛ فنقول عند الإعراب : « البلاغة » : مبتدأ - « إيجازاً » : خبره . والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب ؛ سدّت مسدّ مفعول « عَلِمَ » (وهذه الجملة هى التى تسمى - في الغالب - اللفظ المانع من العمل) .

وكذلك نقول : « الإطالة » : مبتدأ - « عجزاً » : خبره . والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب ؛ سدّت مسدّ مفعولتى : « رأى » . فقد وقع التعليق بسبب وجود المانع من العمل ، ووقع بعد المانع جملة محلها النصب ؛ لتسدّ مسدّ المفعولين .

أما في مثل : علمت البلاغة لتهيى الإيجاز ، ورأيت الإطالة لتهيى العجز ، فاللفظ المانع من العمل - وهو لام الابتداء - قد وقع في المثالين بعد المفعول به الأول ، ووقع بعد المانع جملة سدّت مسدّ المفعول به الثانى الذى لا يظهر في الكلام ، وحلّت محله وحده . فعند الإعراب يحذف المفعول به الأول باسمه وبإعرابه ؛ (مفعولاً به أول ، منصوباً) ^(٢) . وتعرب الجملة التى بعد المانع لإعرابها التفصيلي ، ويزاد عليه : « أنها في محل نصب ؛ سدّت مسدّ المفعول به الثانى ^(٣) الذى وقع عليه التعليق » .

= من الباب حيث يتكلم على أدوات « التعليق » ، ومنها : « كم » بنوعها ؛ فقال ما نصه : (« كل ماله الصدر يُعلق ») ١١٠ .

(١) إلا إن كان المانع هو أحد المفعولين بحسب أصله : نحو ؛ علمت من أنت ، أو وقع المصدر المؤول ساداً مسدّ المفعولين ، أو ثانيهما وحده .

(٢) ستجىء حالة يجوز فيها رفعه - في رقم ٤ من هامش ص ٣٠ - .

(٣) إذا سدّت جملة مسدّ المفعول الثانى - أو مسدّ غيره ما يكون مفرداً لا جملة - فهى مفرد فى =

نعلم مما تقدم أن أثر التعليق في منع العمل لفظي ظاهري فقط ؛ لا حقيقي ، محلي ، وأن سببه الوحيد وجود فاصل لفظي له الصدارة ، يسمى : « المانع » ؛ يفصل بين الناسخ ومفعوليه معاً ، أو أحدهما ^(١) ، وبعد « المانع » جملة ^(٢) تسد مسد المفعولين معاً ، أو أحدهما على حسب التركيب . . .

ولما كان أثر التعليق مقصوراً على ظاهر الألفاظ دون محلها كان اختفاء النصب عن المفعولين معاً أو أحدهما ، هو اختفاء شكلي محض ؛ لا حقيقي محلي — كما قدمنا — ولهذا يصح في التوابع (كالعطف . . .) مراعاة الناحية الشكلية الظاهرة ، أو مراعاة الناحية المحلية ؛ فنقول : علمت لبلاغة إيجاز والفصاحة اختصاراً — ورأيت لبلاطة عجز والحشو عيب ؛ برفع المعطوف ؛ تبعاً للفظ المعطوف عليه ، وحركته الظاهرة ^(٣) . أو نقول : علمت للبلاغة إيجازاً ، والفصاحة اختصاراً — ورأيت لبلاطة عجز والحشو عيباً ؛ بنصب المعطوف ؛ تبعاً للحكم المحلي في المعطوف عليه . فإعادة إحدى الناحيتين جائزة ^(٣) .

أما سبب التعليق في هذه الأمثلة وأشباهاها ، فيتركز في الأمر الواحد الذي

= المعنى ؛ في مثل : أظن محمداً أبوه قائم ، تعرب الجملة — « أبوه قائم » — مبتدأ وخبر ، في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني ؛ فهي مفرد في المعنى ؛ لأن المعنى : أظن محمداً قائم الأب . وقد نص النحاة على هذا ، وتقسيمته كتبهم ، — ومنها : الصبان في الجزء الأول عند الكلام على علامات الأسماء ، وأوضحنا هذا وبسطنا الكلام على الإعراب المحلى في الموضع الذي أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ٢٥ .

(١) فلا بد من تقدم الناسخ على « المانع » ، ولا بد من تقدم « المانع » على المفعولين معاً ، أو على الثاني فقط ؛ إذ ليس من اللازم — كما كان عرفنا — أن يقع أثر التعليق . على المفعولين معاً ، فقد يقع على الثاني وحده ، ويبقى الأول منصوباً كما قبل التعليق . أما وقوعه على الأول دون الثاني فغير ممكن ؛ لأن أداة التعليق التي تفصل بين الناسخ ومفعوله الأول ستكون فاصلة كذلك بين الناسخ ومفعوله الثاني في الوقت نفسه .

(٢) إلا في الحالة التي سبق استثناءها في رقم ٤ من هامش ص ٢٧ . ونجى في رقم ٤ ص ٣٠ (٣٣) يجب عند العطف بالنصب على محل الجملة التي علق بها الناسخ — أن يكون المعطوف إما جملة اسمية في الأصل ؛ كالأمثلة السابقة ؛ فيمطف كل جزء من جزأها على ما يقابله ، في الجملة المتبوعة . وإما مفرداً فيه معنى الجملة ؛ نحو : علمت لمحمود « أديب » و « غير » ذلك من أموره . فلا يصح : علمت لمحمود « أديب » و « غير » علمت لمحمود « أديب » وشاعراً — إلا على تأويل وتقدير محذوف في كل صورة ، أما كلمة « غير » في المثال السالف فإنها منصوبة جوازاً ؛ لأنها بمنزلة الجملة كما قلنا . فهي معطوفة بالنصب على محل الجملة الاسمية التي هي المعطوف عليها ؛ فلفظ « غير » — وهو مفرد — قد =

ذكرناه ؛ وهو : وجود فاصل لفظي بعد الناسخ ؛ يفصل بينه وبين مفعوليه أو أحدهما ، بشرط أن يكون هذا الفاصل اللفظي من الألفاظ التي لها الصدارة ^(١) في جملتها ، مثل : لام الابتداء ، وأدوات الاستفهام ^(٢) ، وغيرها من كل ما له الصدارة في جملته ^(٣) . وبعبارة أخرى :

(يحدث التعليق بكل لفظ له الصدارة إذا فصل بين الناسخ ومفعوليه معاً ، أو توسط بين المفعولين) .

وإليك مثالا آخر للمانع الذي يفصل بين الناسخ ومفعوليه معاً ، أو يفصل بين الناسخ ومفعوله الثاني فقط :

أعلمُ ، محمودٌ حاضرٌ أم غائبٌ ؟ أعلمُ محموداً ، أحاضر هو أم غائب ؟

فتي وقع بعد الناسخ مانع بإحدى الصورتين السالفتين من العمل الظاهر حتماً ، دون العمل التقديري (المحلى) كما رأينا ، وأوجب التعليق ^(٤) .

وأشهر الموانع الألفاظ الآتية التي لها الصدارة ، وكل واحد منها يوجب ^(٤) التعليق :

= ساغ عطفه على محل الجملة ؛ لأنه بمعناها ؛ إذ معناه : علمت محمودٌ « أديبٌ » ومحموداً غير ذلك ، أى : متصفاً بغير ذلك . (أى : علمت محموداً متصفاً بغير ذلك) .

— راجع - ص ٤٧٨ م ١٢١ باب العطف . وعطف المفرد على الجملة ، والمكس - .

(١) تقدم الناسخ على « المانع » واجب . وهو مع تقدمه لا يعمل النصب في « المانع » ، ولا فيما بعده ، إذ لو عمل فيه أو فيما بعده النصب لفقد المانع صدارته في جملته ، وصار حشواً لا يصلح سبباً للتعليق ؛ ووقوعه حشواً مع بقاء أثره غير جائز .

(٢) انظر ما يختص بالاستفهام في ص ٣٦ .

(٣) انظر رقم ٥ من هامش ص ٢٧ .

(٤ ، ٤) إلا في حالة يكون فيها جائزاً ، وتستجىء هنا . وعند إعراب المثال الأول الوارد هنا نقول : « محمود حاضر » ، مبتدأ وخبر . وجملتهما في محل نصب سدت مسد مفعولي : « أعلم » . وفي المثال الثاني نقول : « محموداً » ، مفعول أول . « حاضر » : خبر مقدم ، « هو » : مبتدأ مؤخر ، والجملة منهما في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني وحده . ومن المثالين يتضح أن الجملة الواقعة بعد « المانع » وجوباً قد تسد مسد المفعولين معاً أو مسد الثاني عند وجود الأول منصوباً لفظه .

أما الحالة التي يكون فيها التعليق جائزاً - لا واجباً - فحين تكون أداة التعليق مسلطة على الثاني وحده (كأن يكون المفعول الثاني قد صدر - في الغالب - بكلمة استفهام ، أو مضافاً إليها وقد سبقها المفعول الأول ، في الصورتين ؛ نحو : علمت الأديب من هو ؟ وظننت الشاعر أخو من هو ؟) ففي هاتين الصورتين يجوز نصب الكلمة السابقة التي هي المفعول الأول ؛ لأن الناسخ سلب عليها من غير مانع ، =

(١) لام الابتداء ، كالأمثلة السالفة .

(ب) لام القسم : نحو : علمت لَيْسُحَسَبَسَنَ^(١) المرءُ على عمله .

(ج) حرف من حروف النفي الثلاثة^(٢) : (ما - إن - لا) دون غيرها من

= ويجوز رفعها ؛ لأنها هي وما بعد الاستفهام شيء واحد في المعنى ؛ فكأنها واقعة بعد الاستفهام فلا يؤثر فيها الناسخ . فالتعليق جائز هنا .

(١) يقولون في مثل هذا : إن اللام داخل على جواب القسم المقدر . وأصل الجملة : « علمت - أقسم والله - ليحاسبن المرء على عمله » . فجواب القسم - وهو جملة : « يحاسبن المرء » - مع جملة القسم المقدرة وهي : (أقسم ×) في محل نصب سدّاً معاً مسد المفعولين . أى : أن مجموع الجملتين هو الذى سد مسد المفعولين ، وأنه في محل نصب . وما يترتب على هذا الإعراب من عدم وقوع أداة التعليق في صدر جملتها يدفعونه بأن وقوعها في الصدارة ليس واجباً مطرداً ؛ وإنما هو الغالب . ويفرض أنه واجب حتماً فالمقصود بالقسم وجملته هو تأكيد جملة جوابه ؛ فهما معاً كالشيء الواحد ؛ فإذا تقدمت أداة التعليق على جواب القسم وحده فكأنها في الوقت نفسه قد تقدمت على جملة القسم واحتلت مكان الصدارة اللازم لها ؛ فلا تعتبر متخيلة عنه . فوجودها في صدر الثانية يعد بمنزلة التصدر في الأولى .

لكن سيترتب على قولهم هذا محذور آخر ؛ هو : وقوع جملة جواب القسم في محل نصب ، والشائع أنها لا محل لها من الإعراب . وقد أجابوا : بأنها لا محل لها باعتبارها : « جواب قسم » - ولا مانع أن يكون لها محل باعتبار آخر ؛ هو : « التعليق » ومعنى هذا أن جملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب إذا لم يوجد عامل يحتاج إليها حتماً ؛ فإن وجد عامل يحتاج إليها حتماً كانت معمولة له .

وقيل إن « العلم » في المثال السالف من نصب على مضمون جملة الجواب فقط ، بدون نظر إلى أنها جواب قسم ؛ فجملة الجواب وحدها على هذا الاعتبار في محل نصب سدت مسد المفعولين . (راجع الصبان ج ٢ عند الكلام على أدوات التعليق) .

وفي هذا الرأي راحة وتيسير ؛ لأنه واقعي ؛ لا يلتفت إلى الجملة القسمية المستترة ، ولا يتناسى أن جواب القسم هنا ليس مجلولاً للقسم ؛ وإنما الغرض الأساسى الأول هو إيقاف الناسخ ما يريده ، ولا ضرر في أن يستفيد القسم منه بعد ذلك .

(وسيجيء الكلام على جملة القسم وجوابه في باب : حروف الجر (ص ٥٠٠ وفي ص ٥٠٦ النص الخاص بأن جملة جواب القسم قد يكون لها محل إعرابي مع جملة القسم) .

(٢) سواء أكان واحد منها ناسخاً أم مهمل ، فالأولان قد يعملان عمل « ليس » ، والأخير قد يعمل عمل « إن » أو : « ليس » فالثلاثة مع الإعمال أو الإهمال صالحة لأن تكون أداة تليق . ولا داعي لاشتراط بعضهم القسم قبل كل أداة من الثلاثة ؛ لأن هذا الاشتراط - فوق ما فيه من تضيق - لا سند له من النصوص الفصيحة الكثيرة ، فالوارد منها يدعو إلى إغفاله . ويزيد التمسك بإغفاله قوة ما يقوله أصحابه من أن القسم قبل هذه الأدوات الثلاثة يجب تقديره إن لم يكن ظاهراً في الجملة ؛ مثل : « علمت ما محمد جبان » إذ يقدرونه : علمت والله ما محمد جبان . فما الحاجة إلى التقدير والتأويل بغير داع ؛ ولا سيما التأويل القائم على مجرد التخيل المذكور ؟ وإنه لتخيل مستطاع في كل صورة خالية من القسم ، =

أدوات النفي الأخرى . فمثال « ما » النافية : علمت ما التهور شجاعة . ومثال « إن » النافية : زعمت إن الصفيحُ الجميلُ ضارٌّ (أى : ما الصفيحُ الجميلُ ضارٌّ) ومثال « لا » النافية : ألفتُ لا الإفراطُ محمودٌ ولا التفريطُ ^(١) .

(د) الاستفهام ^(٢) ؛ وله صور ثلاث : أن يكون أحد المفهولين اسم استفهام

= فتصير به صحيحة إلا أنه يدفعنا إلى الدخول في الجدل المرهق الذي مر في المسألة السابقة - في رقم ١ من هامش الصفحة الماضية - الخاصة بجواب القسم ومحل من الإعراب ، كما سيفتح علينا أبواباً أخرى للاعتراض والجدل ؛ نحن في غنى عنها ، ولا حاجة للبيان اللغوي الناصح بها .
وزيادة في البيان نقول : إن اشتراط القسم مقصور عند جمهرة النحاة على : « لا - إن » - النافيتين ، ولا يكاد يوجد خلاف في صدارة « ما » النافية غير الزائدة ؛ عاملة وغير عاملة . فقد جاء في الجزء الأول من « المغني » عند الكلام على « لا » ما نصه :

(تنبيه - اعتراض « لا » بين الجار والمجرور في نحو : غضبت من لا شيء ، وبين الناصب والمنصوب في نحو قوله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . . وبين الجازم والمجزوم في نحو : إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض . .) وتقدم معمول ما بعدها عليها في نحو قوله تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها . . » - دليل على أنها ليس لها الصدر . بخلاف « ما » . . . « اللهم إلا أن تقع في جواب القسم فإن الحروف التي يتلقى بها القسم كلها لها الصدر . ولهذا قال سيبويه في قوله : « آليت حب العراق الدهر أطعمه . . » أن التقدير : على حب العراق ، فحذف الخافض ، ونصب ما بعده ؛ بوصول الفعل إليه ، ولم يجعله من باب : « زيداً ضربته » ؛ لأن التقدير « لا أطعمه » وهذه الجملة جواب : لآليت ؛ فإن منناه : حلفت . وقيل : لها الصدر مطلقاً ، وقيل : « لا » مطلقاً . والصواب الأول (١) هـ

وإنما قال سيبويه ذلك لأن « لا » هنا لها الصدارة ؛ لوقوعها في جواب القسم ؛ فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، ولا يفسر عاملاً أيضاً . . وقال الأشموني عند سرد الأدوات التي لها الصدارة ، ويحدث التعليق بسببها ما نصه : (ألزم التعليق عن العمل في اللفظ إذا وقع الفعل قبل شيء له الصدر ؛ كما إذا وقع قبل « ما » النافية ؛ نحو قوله تعالى « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » وقيل « إن » - ولا « النافيتين في جواب قسم ملفوظ أو مقدر . .) هـ ١ .
وقد استدرك الصبان فقال ما نصه :

(قوله في جواب قسم . . ، قيل الصحيح أنه ليس بقيد . لكن في « المغني » ما يظهر به وجه التقييد ؛ حيث نقل فيه أن الذي اعتمده سيبويه أن « لا » النافية إنما يكون لها الصدارة حيث وقعت في صدر جواب القسم . وقال في محل آخر : « لا » النافية في جواب القسم لها الصدر ؛ لخلوها محل ذوات الصدر ؛ كلام الابتداء و « ما » النافية . . هـ ١ و « إن » مثل : « لا ») هـ ١ كلام الصبان .

(١) الإفراط : المبالغة في إعداد الشيء حتى يتجاوز حدوده المأمودة . والتفريط : الإهمال فيه . فهما نقيضان .

(٢) لأن الاستفهام له الصدارة ، فلا يعمل ما قبله فيه ، إلا إن كان ما قبله حرف جر ؛ نحو : من علمت الخبر ؟ - بم جئت ؟ - عم يتساءلون ؟ - على أى حال كنت ؟ . . =

نحو : علمت أيّهم بطل ؟ أو يكون مضافاً إلى اسم استفهام ؛ نحو : علمت صاحب أيّهم البطل ؟ أو يكون قد دخلت عليه أداة استفهام ؛ نحو : علمت أعلى مسافر أم مقيم ؟ وأعلم هل الشتاء أنسب للعمل من الصيف ^(١) ؟ وقولهم لطريف : لا ندري أجيدك أبلغ وألطف ، أم هنالك أحب وأظرف ؟ .

(هـ) الألفاظ الأخرى التي لها الصدارة في جملتها ؛ مثل « كم » ^(٢) .
الخبرية ؛ في نحو : دريئت كم كتاب اشتريته . ومثل : « إن » وأخواتها ، ما عدا « أن » مفتوحة الهمزة ؛ فليس لها الصدارة ؛ نحو : علمت إنك لمنصف ^(٣) ،

= أو كان ما قبله مضافاً واسم الاستفهام مضاف إليه ، نحو : صديق من أنت ؟ . . .)
وجدير بالتنويه أن التعليق بالاستفهام عام ليس مقصوراً على أفعال هذا الباب القلبية - كما أشرنا في رقم : ١ من هامش ص ٢٧ ؛ وسيجيء البيان في ص ٣٦ -

(١) عرض بعض النحاة هذه الصور الثلاث بشيء من التفصيل ، فقال : إن الاستفهام قد يكون بالخرق ؛ نحو قوله تعالى : « وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون » . أو بالاسم الواقع مبتدأ مباشرة ، نحو : ستعلم أيّ الرايين أفضل ؟ أو يكون المبتدأ مضافاً إلى اسم الاستفهام ؛ نحو : علمت أبو من صالح . أو يكون اسم الإستفهام خبراً ؛ نحو علمت متى السفر . أو يكون الخبر مضافاً إلى اسم الاستفهام نحو : علمت صباح أي يوم قدومك . أو يكون اسم الاستفهام فصلة ؛ نحو : علمت أي كتاب تقرأ . وقول الشاعر :

حُشْمَاشَةٌ زَفِيسٍ وَدَّعْتُ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِذَيْنِ أَشَمِيعُ

وما سلف يتبين أن الاستفهام قد يكون حرفاً فاصلاً بين العامل والجملة ، وقد يكون اسماً فصلة ، وقد يكون اسماً عمدة ، سواء أكان العمدة مبتدأ مباشرة للاستفهام ، أم خبراً مباشرة كذلك . وسواء أكان العمدة مبتدأ مضافاً والاستفهام هو المضاف إليه أم خبراً مضافاً والاستفهام هو المضاف إليه .

(٢) « كم » ، نوعان : « استفهامية » ؛ وهي : اسم يسأل به عن عدد شيء . وتحتاج لتمييز منصوب في الغالب ؛ نحو : كم درهماً تبرعت به ؟ وتدخل في أدوات التعليق الاستفهامية . « وخبرية » ؛ وهي : اسم يدل على كثرة الشيء ووفرته ، ولها تمييز مجرور في الغالب ؛ نحو : كم ظالم أهلَكَ الله بظلمه . و « كم » بنوعيها لها باب خاص في الجزء الرابع يضم أحكامها المختلفة (ص ٤٢٥ م ١٦٨) .

(٣) في هذا المثال يصح أن تكون أداة التعليق هي : « إن » ، أو « لام الابتداء » ؛ فكلاهما له الصدارة ؛ فيصلح للتعليق . ولا يقال : « لام الابتداء فيه ليس بعدها جملة » . ففي هذا القول إغفال لما قررروه من أن موضعها الأصل هو أول الجملة . فلما شغلته « إن » - ولها الصدارة أيضاً - تخلت عنه اللام ، وتأخرت إلى الخبر ؛ منأً للتعارض . على أن هذا من التعليلات المصنوعة التي لا خير في ترديدها . وحسبنا أن نهتدى إلى ما في الكلام المأثور من تعليق ، سببه « إن » أو : « لام = النحو الوافي - ثان

ونحو : لا أدري لعل الله يريد بكم خيراً . والأغلب الفصيح في : « لعل » هذه أن تكون أداة تعليق للفعل : « أدري » المبدوء بالهمزة ، أو بحرف آخر من حروف المضارعة (نَدْرِي - تَدْرِي - يَدْرِي ^(١) . . .) .

ومثل : أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة في نحو : لا أعلم إن كان الغد ملائماً للسفر أو غير ملائم . ونحو أحسب لو اختلف العامل وصاحب العمل لَسَعِدَا .

* * *

فيما يلي أمثلة تزيد التعليق وضوحاً ^(٢) ، وتبين موضع « المانع » ، وأن موضعه بعد الناسخ حتماً ويليه المفعولان ، أو بعد الناسخ مع توسط هذا المانع بين المفعولين :

= الابتداء » ، أو : هما معاً ؛ فكل هذا صحيح ومريح .
وما يقال في لام الابتداء الداخلة على خبر « إن » يقال في لام الابتداء الداخلة على اسم « إن » المتأخر ، أو على معمول خبرها ؛ نحو : « حسبت إن في الصحراء لمناجم ، وعلمت إن المناجم لكنوزاً ممتلئة » . ويجب كسر همزة « إن » في الأمثلة السابقة وأشباهاها من كل جملة تجمع بين « إن » و « لام الابتداء » . كما سبق في مواضع كسرهما . وسبب ذلك في رأيهم : أن « لام الابتداء » تصيب الفعل القلبي بالتعليق ، وهذا التعليق يقتضي أن تقع بعده في الغالب جملة - كما سبق في ص ٢٨ - . فلما وقعت « إن » في صدر هذه الجملة كسرت وجوباً . فلام الابتداء كانت السبب في التعليق ، وفي كسر همزة « إن » . فإذا لم توجد « لام الابتداء » فلن يكون هناك داع للتعليق ، ولا لكسر همزة « إن » ، فتفتح .
لكن أين تقع هذا مع إدخالهم « إن » في عداد الأدوات التي لها البصدارة ، وتحدث التعليق ؟ لا . ومن أجله قال بعض النحاة بحق : يجوز كسر همزة « إن » وفتحها في المثال السابق عند خلوها من لام الابتداء . فن اختار الكسر لسبب عنده فله اختياره . ولكن يجب مع الكسر تعليق الفعل القلبي ، لما سبق تقريره من اعتبار « إن » مكسورة الهمزة في عداد أدوات التعليق . ومن اختار الفتح لسبب آخر فله اختياره ، ولا يصح تعليق الفعل القلبي في هذه الحالة ؛ لعدم وجود أداة التعليق ؛ إذ ليست « أن » مفتوحة الهمزة من أدواته . (راجع ج ١ ص ٤٨٨ م ٥١) .

وراجع الصبان ج ٢ باب ظن وأخواتها عند الكلام على أدوات التعليق .

(١) ومن الأمثلة قول الشاعر :

ولا تحرم المرء الكريم فإنه أخوك ولا تدري لعلك سائله

(٢) من الممكن البدء بهذه الأمثلة ، وتفهمها قبل الدخول في تعريف التعليق وما يتصل به .

السبب	الجملة بعد تعليق الناسخ	الجملة وفيها الناسخ بغير تعليق
الفصل بلام الابتداء بين الناسخ ومعموليّه ممّا .	علمت للتواضع غير الضمة	علمت للتواضع غير الضمة
الفصل بلام الابتداء بين الناسخ ومعموليّه ممّا .	أنفيت للعظمة غير التعاطم	أنفيت للعظمة غير التعاطم
الفصل بالقسم بين الناسخ ومعموليّه ممّا .	عددت والله التجارب غير معلم	عددت (١) التجارب خير معلم
الفصل بأداة النفي « ما » بين الناسخ ومعموليّه ممّا .	جعلت ما اتباع الهوى إلا شرّ البلايا	جعلت اتباع الهوى شرّ البلايا
وقوع لام الابتداء قبل المفعول الثاني وحده جعل أثر التعليق ينصب عليه .	وجدت الشرق هو مستردّ مجده	وجدت الشرق مستردّاً مجده .
وقوع القسم قبل المفعول الثاني وحده جعل أثر التعليق ينصب عليه كذلك لام القسم .	أرى التقصير في العمل والله هو إساءة للوطن . أحسب خلف الوعد ليهين صاحبه .	أرى التقصير في العمل إساءة للوطن . أحسب خلف الوعد إهانة لصاحبه .
وكذلك حرف النفي : « لا »	درت إكرام الجار لا يؤدي إلا لطيب الإقامة .	درت إكرام الجار مؤدياً لطيب الإقامة .

ففي الأمثلة الأربعة الأولى وقع المانع (الفاصل) بعد الناسخ وقبل المفعولين مباشرة ؛ فلا نقول في إعرابهما إنهما مفعولان ؛ وإنما نقول هما — في الأمثلة المعروضة — مبتدأ وخبر ، والجملة في محل نصب سدّت مسدّ المفعولين .

وفي الأمثلة الأربعة الأخيرة وقع الناسخ في صدر جملة ، ثم وليّه المفعول به الأول . أما المفعول به الثاني فغير ظاهر في الكلام بعد أن حلت محله جملة جديدة . وفي مثل هذه الحالة يبقى المفعول به الأول محتفظاً باسمه وبعلامة إعرابه ، فيعرب مفعولاً به أول ، وتعرب الجملة التي (٢) بعده إعراب الجملة المستقلة ، ويزاد على إعرابها أنها في محل نصب ، تسدّ مسدّ المفعول به الثاني . . .

(١) أيقنت .

(٢) قد تكون الجملة فعلية ، وقد تكون اسمية ؛ فالحكم عليها بأنها جملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر ، أو جملة فعلية مكونة من فعل ومرفوعه . . . موقوف على نوعها المعروض .

زيادة وتفصيل :

(١) تقدم ^(١) أن الفعل القلبي الناصب لمفعولين يصيبه التعليق إذا وجدت إحدى أدوات التعاليق ، ومنها : « الاستفهام » .
والتعليق بالاستفهام ليس مقصوراً على الأفعال القلبية المتصرفة الخاصة بهذا الباب - كما أشرنا من قبل ^(١) - ، وإنما يصيبها ويصيب غيرها ، طبقاً للبيان الآتي :

١ - الفعل القلبي الناصب لمفعول به واحد ؛ مثل : نسي - عرف . . . ومنه قول الشاعر :

ومن أنتمو ؟ إنا نسينا من أنتمو . وريحكمو ! من أى ريح الأعاصير

٢ - الفعل القلبي اللازم ، مثل : تفكّر ؛ كقوله تعالى : « أولم يتفكروا ؟ » ما بصاحبكم من جنة ؟ ؛ فالتعليق هنا عن الجار المجرور ^(٢) ؛ لأن المجرور بالحرف بمنزلة المفعول به ^(٣) .

٣ - ما ليس قلبياً ، وينطبق على أفعال كثيرة لا تكاد تدخل تحت حصر ؛ مثل : نظر - أبصر - سأل - استنبأ ومن الأمثلة قوله تعالى : (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) ، وقوله تعالى : (فَسْتَبْصِرْ وَتُبْصِرُونَ ؛ أَيَّتَكُمْ الْمَفْتُونُ ؟) ، وقوله تعالى : (يَسْأَلُونَ : أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟) ، وقوله تعالى : (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقُّ هُوَ ؟ . . .) ، فهذه الأفعال ونظائرها قد يصيبها التعليق بأداة الاستفهام ، ولهذا يوقف في الآية الأولى على قوله : (يتفكروا) ، والكلام بعدها مستأنف ، وهو : (ما بصاحبكم من جنة ؟) ، وما استفهامية بمعنى النفي ، إذ المراد : أى شيء بصاحبكم من الجنون ؟ ليس به شيء منه . ^(٤)

(١) وفي رقم ١ من هامش ص ٢٧ وفي « د » من ص ٣٢ .

(٢) انظر « ح » الآتية .

(٣) كما سيبيء في ص ١٥٩ .

(٤) ما نزع « ما » في الآية ؟ يقول الصبان إن بعض النحاة يراها على حسب الظاهر نافية ؛ ويكون الوقف على قوله : « أولم يتفكروا . . . » فابمده استئناف . ويراها آخرون : « استفهامية » بمعنى « البلى » - أى : أى شيء بصاحبكم من الجنون ؟ أى : ليس به شيء منه

(ب) عرفنا ^(١) أن التعليق لا يكون في الأفعال القلبية الجامدة، ولا في بعض النواسخ الأخرى ؛ كأفعال التحويل فما المراد من هذا ؟ أيراد أن الألفاظ التعليق لا تقع بعد تلك الأفعال الجامدة ولا بعد تلك النواسخ ؛ فلا يحدث التعليق ؟ أم يراد أن هذه الألفاظ مع وقوعها بعدها لا تقوى على منعها من العمل الظاهري ، فكأنها غير موجودة ؟ يرتبني النحاة الرأي الأول . والاقتصار عليه حسن .

(ح) سبق ^(٢) أن الجملة بعد أداة التعليق تسدّ مسدّ المفعولين إن كان الناسخ يتعدى إليهما ، ولم يتنصب المفعول به الأول مباشرة ، فإن نصبه سدت مسدّ الثاني فقط

فإن كان الفعل ليس ناسخاً ولا يتعدى لمفعولين ، ووقعت بعده جملة مسبوقه بأداة التعليق — فإن كان يتعدى بحرف جر ، فالجملة في محل نصب بإسقاط الجار ؛ نحو : فكرت أصبح هذا أم غير صحيح ؟ أى : فكرت في ذلك ^(٣) . وإن كان الفعل يتعدى بنفسه إلى واحد غير مذكور سدت مسدّ ؛ نحو : عرفت من البارح ؟ فإن كان مذكوراً في الكلام ؛ نحو : عرفت البارح أبو من هو ؟ فقبل الجملة بدل كل من كل ، على تقدير مضاف ؛ أى : عرفت شأن البارح ، وقيل بدل اشتمال من غير حاجة إلى تقدير ، أو هي مفعول ثان لعرفت بعد تضمينه معنى : « عامت » . والرأيان الأخيران أوضح وأيسر استعمالاً ، ولكل منهما مزية قد يتطلبها المقام ، ويقتضيها المعنى .

(د) إذا كانت « رأى » حُلُمِيَّة لم يدخل عليها التعليق ^(٤) .

* * *

(١) في ص ٢٧ .

(٢) في ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) سبقت إشارة لهذا ولإعراب آخر في رقم ٢ من هامش ص ١٨ .

(٤) كما سيجيء في « ج » من ص ٤٢ .

الحكم الثاني - الإلغاء :

وهو : « منع الناسخ من نصب المفعولين معاً ؛ لفظاً ومحلاً ، منعاً جائزاً ،
— في الأغلب — لا واجباً » . أو هو : « إبطال عمله في المفعولين معاً لفظاً ومحلاً ،
على سبيل الجواز لا الوجوب » . ولا يصح أن يقع المنع على أحد المفعولين دون الآخر .

وسببه : إماً توسط الناسخ بين مفعوليه مباشرة بغير فاصل آخر بعده يوجب
التعليق^(١) ، وإما تأخره عنهما . فإذا تحقق السبب جاز — في الأغلب^(٢) — الإعمال
أو الإهمال ، وإن لم يتحقق وجب الإعمال . فللناسخ ثلاث حالات من ناحية
موقعه في الجملة ، وأثر ذلك :

الأولى : أن يتقدم على المفعولين . وفي هذه الحالة يجب إعماله — عند عدم
المانع — ؛ فينصبهما مفعولين به ، نحو : رأيت النزاهة وسيلةً لتكريم صاحبها .

الثانية : أن يتوسط بين مفعوليه مباشرة . وفي هذه الحالة يجوز — في الأغلب^(٢) —
إعماله ؛ فينصبهما مفعولين^(٣) به ؛ نحو : النزاهة — رأيت — وسيلةً لتكريم
صاحبها . ويجوز إهماله^(٤) ؛ فلا يعمل النصب فيهما معاً ، ولا في أحدهما ؛

(١) إذ يجب التعليق لوجود سببه ، ويجوز في صورة واحدة — وبيانها في رقم ٤ من

هامش ص ٣٠ —

(٢ ، ٢) إلا في مسائل ستذكر في رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية . ثم انظر رقم ١ من هامش

ص ٤٠ .

(٣) في حالة توسط العامل بين مفعوليه يجوز أن يكون المفعول الثاني هو المتقدم عليه ، ويجوز
في حالة — تقدم هذا المفعول الثاني أن يكون جملة ، أو شبه جملة ، أو مفرداً ، وهي الأنواع الثلاثة التي
ينقسم إليها — كما سبق في : « ١ » من ص ٢٤ — ومن الأمثلة لتقدمه وهو جملة ما نقلوه من نحو :

(شجاك — أظن — ريع الظاعنين . . .) فكلية « ريع » يجوز ضبطها بالنصب مفعولاً أول للفعل :
« أظن » . والجملة الفعلية « شجاك » ، (أى : أحزنك) في محل نصب تسد مسد المفعول الثاني . فيكون
أصل الكلام : أظن ريع الظاعنين شجاك . فتقدمت الجملة الفعلية السادة مسد المفعول الثاني . ويصح في
كلمة : ريع « الرفع على أنها فاعل للفعل : « شجا » ويكون الفعل « أظن » مهمل . ويجوز أيضاً رفع
كلمة : « ريع » على أنها خبر للكلمة : « شجا » المبتدأ ، ومعناها : « حزن » ولا تكون في هذه الصورة
فعلاً ، ويكون الفعل : « أظن » متوسطاً بينهما ، مهمل .

(٤) وفي هذه الصورة تكون جملة : « رأيت » ، معترضة ، لا محل لها من الإعراب .

ولأنما يرتفعان باعتبارهما جملة اسمية: (مبتدأ وخبراً)، نحو: النزاهةُ — رأيتُ — وسيلةً لتكريم صاحبها .

الثالثة : أن يتأخر عن مفعوليه ؛ والحكم هنا كالحكم في الحالة السابقة ؛ فيجوز إعماله فينصب المفعولين ؛ نحو: النزاهةُ وسيلةً لتكريم صاحبها — رأيتُ . ويجوز إعماله فلا يعمل نصب^(١) ويرتفع الاسمان باعتبارهما جملة اسمية ، مركبة من مبتدأ وخبره ؛ نحو: النزاهةُ وسيلةً لتكريم صاحبها — رأيتُ .

مما تقدم ندرك أوجه الفرق بين التعليق والإلغاء ؛ وأهمها :

(١) أن التعليق واجب^(٢) عند وجود سببه . أما الإلغاء فجائز — في الأغلب^(٣) — عند وجود سببه .

(١) والجملة من الفعل وفاعله استثنائية ، كما كانت قبل التأخر عن المفعولين .

(٢) إلا في الحالة التي يكون فيها جائزاً ، (وقد سبق بيانها في رقم ٤ من هامش ص ٣٠) .

(٣) الإلغاء جائز في أغلب الأحوال . لكن هناك بعض حالات أخرى يجب فيها الإعمال فقط ، أو الإهمال فقط . فيجب الإعمال إذا كان الناسخ منقياً ، سواء أكان متأخراً عن المفعولين ، أم متوسطاً بينهما ، نحو : « مطراً نازلاً لم أظن » . أو : « مطراً لم أظن نازلاً » ؛ لأنه لا يجوز أن يبنى الكلام على المبتدأ والخبر ثم نأتى بالظن المنقى ، إذ إلغاء الفعل المنقى — في صورتين — قد يوهم أن ماسوى الفعل مثبت . مع أن نفي الفعل يعم الجملة كلها ، ويتجه في المعنى إلى المفعولين المنصوبين عند تقدمهما ، أو تأخر أحدهما . فلنمنع هذا الاحتمال والوهم يجب الإعمال ؛ مبالغة في الاحتراس ؛ كما يقولون .

وهذا التليل — دون الحكم — لا ترتاح له النفس إلا إن أيدته النصوص الفصيحة التي لم يعرضوها فيما وقع في يدي من المراجع .

ويجب الإهمال إذا كان العامل مصدراً ؛ نحو : (المطر قليل — ظنى غالب) ؛ لأن المصدر المتأخر لا يعمل — غالباً — في شيء متقدم عليه ، فلا يصح تقديم مفعوله عليه أو مفعوليه (عند كثير من النحاة وبخالفهم آخرون ، كما سيجيء في بابها ، ج ٣) .

وكذلك يجب الإهمال إذا كان في المفعول المتقدم لام ابتداء ، أو غيرها من ألفاظ التعليق ؛ نحو : لخالد مكافح ظننت ؛ لأن لام الابتداء وألفاظ التعليق تمنع العامل من العمل فيما بعدها — غالباً — وقد يعتبر هذا تعليقاً في رأى بعض النحاة الذين لا يشترطون في التعليق تقدم الناسخ . ولا قيمة لهذا الخلاف في التسمية ؛ لأن الأثر واحد — إلا في التوابع كما سيجيء في « د » — لا يتغير باختلاف الرأيين ؛ فكلاهما يوجب الإهمال . وهذا حسينا .

وكذلك يجب الإهمال إذا وقع الناسخ بين اسم إن وخبرها ؛ مثل : إن التردد — حسبت — مضيمة . أو بين « سوف » وما دخلت عليه ؛ نحو : سوف — إخال — أكافح الشر . أو بين معطوف ومعطوف عليه ؛ نحو : ذاك الخير — أحسب — والبر .

(ب) أن أثر التعليق يصيب المفعولين معاً أو أحدهما . أما أثر الإلغاء فيصيبهما معاً .

(ح) أن أثر التعليق لفظي ظاهري ، لا يمتد إلى الحقيقة والمحل . وأثر الإلغاء لفظي ومحلي معاً .

(د) أن التعليق يجوز في توابعه مراعاة ناحيته اللفظية الظاهرية ، أو مراعاة ناحيته المحلية . والإلغاء لا يجوز في توابعه إلا مراعاة الناحية الواحدة التي هو عليها ؛ وهي الناحية الظاهرة المحضة .

(هـ) أن التعليق لا بد فيه من تقدم الناسخ على معموليه ؛ ومن وجود فاصل بعده له الصدارة .

أما الإلغاء فلا بد فيه من توسط ^(١) الناسخ بينهما ، أو تأخره عنهما ؛

(١) يذكر النحاة بعض أمثلة يستدلون بها على أن الإلغاء قد يقع والفعل الناسخ متقدم على مفعوليه ، وليس متوسطاً ولا متأخراً . ثم يؤولون تلك الأمثلة تأويلاً يخرجها من حكم الإلغاء ، ويدخلها في أحكام أخرى مطردة تنطبق عليها بعد ذلك التأويل . وهذا تكلف مردود ، وتصنع يجب البعد عنه ، منعاً للفوضى في التعبير ، والخلط في الأصول العامة . فن تلك الأمثلة قول الشاعر :

أرجو وآملُ أن تدنو مودتها وما إخالُ لدينا منك تنويلُ

فالفعل : « إخال » قد ألغى ؛ فلم ينصب المفعولين : « لدى » و « تنويل » مع أنه مقدم عليها ، ومع تقدمه فكلمة « لدى » ظرف ، خبر متقدم ، وكلمة : « تنويل » مبتدأ مؤخر . أي : أنه لم ينصبها ؛ بدليل رفع الثانية . فما السبب في الإلغاء ؟ لا سبب . لهذا ينتحلون ما يجعل الأسلوب صحيحاً . فيتحيلون وجود « ضمير شأن » مستتر بعد الفعل : « إخال » ؛ فالتقدير : « إخاله . فيكون ضمير الشأن المستتر هو المفعول به الأول ، وتكون الجملة الاسمية بعده : (لدينا تنويل) في محل نصب ، تسد مسد المفعول الثاني ، إذ يصح في الأفعال القلبية - كما سبق ، في « ١ » ص ٢٤ - أن يكون مفعولها الثاني جملة أو غيرها . وهذا التأويل الخيالي لا يوجد في الكلام . ناسخ متقدم لم يعمل . أي : لا يوجد في الكلام إلغاء ، ولا مخالفة للقاعدة التي توجب عمل الناسخ المتقدم ... ، فلم هذا ؟ ما فائدته ؟ إن واقع الأمر صريح في مخالفة التعبير للقاعدة . والسبب هو الضرورة الشعرية ، أو المسايرة للغة ضعيفة ، أو ما إلى ذلك مما يخالف اللغة الشائعة في البيان الرفيع الذي يدعوننا لهجر تلك التأويلات ، والفرار منها ؛ حرصاً على سلامة اللغة ، وإيثارة للراحة من غير ضرر ، والاقتصار في القياس على ما لا ضعف فيه ، ولا شذوذ ، ولا تأويل

ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

كذلك أدبتُ حتى صار من خلقي أنى وجدتُ ملاكُ الشيمة الأدبُ =

وليس في حاجة بعد هذا إلى فاصل : أو غيره ^(١) .

= ففي البيت فعل قلبي (هو : وجد) لم ينصب المفعولين : مع أنه متقدم . فلماذا أصابه الإلغاء مع تقدمه؟ يجيبون بمثل الإجابة السابقة : فيأولون . ويتخيلون وجود « ضميرشان » مستتر بعد ذلك الفعل ، ويعربون هذا الضمير مفعوله الأول ، والحملة الاسمية : « ملك الشيمة الأدب » في محل نصب سدت مسد المفعول به الثاني . أو : يقولون : إن الفعل أصابه « التعليق » بسبب وقوع لام ابتداء مقدرة بعده ، وأصل الكلام كما يتخيلون : « أنى وجدت لملك الشيمة الأدب » . . . وفي هذا ما في سابقه مما يوجب عدم الأخذ بمثل هذا التخيل ، والتأول ، واتقاء ضرره بالاختصار على مالا حاجة فيه إلى تصيد وتحليل .

(١) فيما سبق يقول ابن مالك بإيجازه المعروف :

وخصّ بالتعليق والإلغاء ما من قبل : « هب » والأمر : « هب » قد ألزما
كذا : « تعلم » . ولغير الماض من سواهما جعل كل ما له زكن .
(« خص » : فعل أمر . ويصح أن يكون فعلا ماضيا مبنيًا للمجهول . « الأمر » : مبتدأ مرفوع . « هب » : مبتدأ ثان . « ألزم » فعل ماض للمجهول ، وفائب فاعله ضمير مستتر تقديره : هو ، يعود على « هب » والحملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول الذي هو : « الأمر » . والرباط محذوف ، والتقدير : ألزمه ، أى : ألزم صورة الأمر وصيغته . والألف التي في آخر : « ألزما » زائدة لأجل الشعر ، وتسمى : « ألف الإطلاق » . أى : الألف الناشئة من إطلاق الصوت بالفتحة ، ومدّه بها حتى ينشأ من المد : « ألف » . « زكن » : علم) .

ومعنى البيتين : التعليق والإلغاء مختصان ببعض الأفعال التي سقت أول الباب دون بعض . ولم يبين الأفعال المقصودة ، مكتفياً بأن قال : إنها الأفعال التي ورد ذكرها قبل : « هب » و « تعلم » في الأبيات الثلاثة الأولى من الباب . وبالرجوع إليها يتبين أنها الأفعال القلبية المتصرفة ، دون فعلين منها أخرجهما صراحة : هما : « هب » بمعنى : « ظن » ، و « تعلم » بمعنى : « اعلم » ، - ويزاد عليهما أفعال التحويل أيضاً - ثم قال :

إذا كان الناسخ هنا غير ماض فإنه يعمل عمل الماضي ، ويدخل عليه من الأحكام ما يدخل على الماضي . ولم يذكر تفصيل شيء من هذا المجهل . ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام على بعض أحكام التعليق والإلغاء ؛ فقال :

وجوز الإلغاء لا في الابتداء وانو ضمير الشأن أو لام ابتداء :
في موههم إلغاء ما تقدم ما والتزم التعليق قبل : نفى « ما »
و « إن » و « لا » « لام ابتداء » ، أو قسم كذا ، و « الاستفهام » ذا له انحتم

يريد : أن الإلغاء أمر جائز لا واجب ، وأنه لا يقع حين يكون الناسخ في ابتداء جملة ، أى : متقدماً على مفعوله . فإذا كان في ابتداءها لم يصح إلغاء عمله - أما إذا لم يكن في ابتداءها - بأن وقع بين المفعولين أو بعدها فإن الإلغاء والإعمال جائزان - في الأغلب - ثم أشار بتقدير « ضمير الشأن » ، أو تقدير « لام ابتداء » إذا وردت أمثلة قديمة توهم أن الناسخ المتقدم قد ألغى عمله . وقد شرخنا هذا وأبدينا الرأي فيه . ثم سرد بعض الموانع التي تكون سبباً في التعليق ؛ فعرض منها ثلاثة أدوات للنفي (ما - إن - لا) وعرض ثلاثة تغايرها ؛ هي : لام الابتداء - القسم - الاستفهام . وقال في الاستفهام : انحتم له ذا . أى : وجب لأجله وقوع التعليق بسببه . ثم قال بعد ذلك :

« ليعلم » عرفان ، و « ظن » تهمة تعدية لواحيد ملتزمة =

زيادة وتفصيل :

(ا) إذا تقدم الناسخ على مفعوليه فلن يخرج من حكم هذا التقدم - في رأى الأصح - أن يسبقه معمول آخر له ، أو لأحدهما ؛ نحو : متى علمت الضيف قادمًا ؟ باعتبار : « متى » ظرفًا للناسخ ، أو لمفعوله الثانى .

وكذلك لن يخرج من حكم التقدم أن يسبقه شىء آخر ليس معمولًا له ، ولا لأحدهما ، مثل : إني علمت الحذر واقياً للنسر .

(ب) يختلف النحاة في بيان الأفضل عند توسط العامل أو تأخيره . ولهم في هذا جدل طويل ، لا يعنينا منه إلا أن الأنسب هو تساوى الإلغاء والإعمال عند توسط العامل . أما عند تأخره فالأمران جائزان ولكن الإلغاء أعلى ، لشيوعه في الأساليب البليغة الماثورة .

وإذا توسط الناسخ أو تأخر وكان مؤكداً بمصدر فإن الإلغاء يتفصح ؛ نحو : الكتاب - زعمت زعمًا - خيرَ صديق ؛ لأن التوكيد دليل الاهتمام بالعامل ، والإلغاء دليل على عدم الاهتمام به ؛ فيقع بينهما شبه التخالف والتنافى . فإن أكد الناسخ بضمير يعود على مصدره المفهوم في الكلام بقرينة ، أو باسم إشارة يعود على ذلك المصدر - كان الإلغاء ضعيفاً أيضاً ؛ نحو : السفينة - ظننته - قصراً . أى : ظننت الظن - السفينة - ظننت - ذاك - قصراً . أى : ذاك الظن . . .

(ح) رأى الحُلُمى لا يصيبها الإلغاء ، وقد سبق^(١) أنها لا يصيبها تعليق .

* * *

= وَلِرَأَى الرَّوْيَا ، أَنْتُمْ مَا لِعِلْمَا طَالِبَ مَفْعُولَيْنِ مِنْ قَبْلُ انْتَمَى

وقد سبق شرح هذين البيتين في مناسبة قرية - ص ١٤ و ١٥ - بما ملخصه : أن « عليم » إذا كان منسوباً للعرفان (بأن كان معناه : « عرف » الذى مصدره : « العرفان ») . وأيضاً : « ظن » إذا كان مصدره « الظن » المنسوب للهمة (بأن يكون الفعل : « ظن » بمعنى : « اتهم » . ومصدره : « الظن » بمعنى الاتهام ؛ ومنه الهمة) - فإن كل فعل منهما يتعدى لمفعول واحد لزوماً ؛ أى : حتماً . ما دام معناه ما سبق . ثم قال : إن الفعل « رأى » المنسوب للرؤيا (بأن كان مصدره « الرؤيا » المنامية) ينصب مفعولين .

الحكم الثالث - الاستغناء عن المفعولين بالمصدر المؤول :

يجوز أن يَسُدَّ المصدر المؤول من « أن » الناسخة^(١) وما دخلت عليه ، أو : « أن » المصدرية الناصبة وما دخلت عليه من جملة فعلية - مسدَّ المفعولين ، ويغني عنهما^(٢) . ويجب أن يراعى في معنى المصدر بعد تأويله أن يكون مثبتاً أو منفياً على حسب ما كان عليه المعنى قبل التأويل .

فمن أمثلة المثبت ما جاء في خطبة لقائد مشهور : (عَلِمْنَا أن السيفَ ينفع حيث لا ينفع الكلام ، ورأينا أن كلمة القَوِيّ مسموعة * فمن زعم أن يفوز وهو ضعيف فقد أخطأ ، ومن ظن أن يَسْلَمَ بالاستسلام فقد قضى على نفسه ...) . وتقدير المصادر المؤولة^(٣) : (علمنا نفع السيف ... - رأينا سماع كلمة القوى - من زعم فوزه ... - من ظن سلامته ...) فكل مصدر من المصادر التي نشأت من التأويل سدَّ مسدَّ المفعولين المطلوبين للفعل القلبى الذى قبله . فالمصدر « نفع » ، أغنى عن مفعولى الفعل « علم » . والمصدر : « سماع » ، أغنى عن مفعولى الفعل : « رأى » . والمصدر : « فوز » ، أغنى عن مفعولى الفعل : « زعم » . والمصدر : « سلامة » أغنى عن مفعولى الفعل « ظن »^(٤) ويقاس على هذا أشباهه^(٥)

(١) سواء أكانت مشددة النون أم مخففة .

(٢) سبق (فى رقم ٦ و ٤ و ٦ من هامش ٦ و ٧ و ٨ وفى ١ من هامش ص ١٩) أن هذاكثر فى الفعلين « زعم » و « تعلم » بمعنى ، « أعلم » . قليل فى : « هب » بمعنى : « ظن » . وأن المصدر المؤول سد مسد المفعولين معا طبقاً للرأى المختار هناك ، وفى رقم ٤ من هامش ص ١١ .

(٣) سبق (فى جـ ص ٢٩٩ م ٢٩ من هذا الكتاب ، باب : الموصول) إيضاح شامل لطريقة صوغ المصدر المؤول بصوره المختلفة ، وبيان الدافع لاستعمال الحرف المصدرى ، وصلته ، ودون الالتجاء إلى المصدر الصريح ابتداء .

(٤) وكذلك المصدر المؤول بعد فعل الأمر الذى فى آخر الآية الكريمة : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظالموا منكم خاصة . واعلموا أن الله شديد العقاب) .

(٥) يكون الفعل القلبى فى الأمثلة السابقة وأشباهها عاملاً فى لفظ المصدر المتصيد (أى ، المستخرج) من « أن » و « أن » وصلتهما ، وليس عاملاً فى الجملة التى دخلت عليها « أن » أو « أن » . إذ لو كان عاملاً فى الجملة نفسها لوجب تعليق الفعل عن العمل ، بسبب الفاصل (طبقاً لما عرفناه فى « التعليق ») ولوجب أيضاً كسر همزة « إن » لوقوعها فى صدر جملة جديدة . فالذى حل محل المفعولين هو المصدر المؤول وهو مفرد . وكل هذا بشرط خلو خبر « إن » من لام الابتداء ؛ لأن وجودها يوجب كسر همزة « إن » ويوجب « التعليق »

(راجع رقم ٣ من هامش ص ٣٣ ورقم ٤ من هامش ص ٤٨ . وكذلك جـ ١ ص ٤٨٩ م ٥١) .

من مثل قول الشاعر ^(١) :

تَوَدَّ عَسَدِي ثُمَّ تَزَعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ ؛ إِنْ الرَّأْيَ عَنْكَ لِعَازِبِ
فالمصدر المؤول من « أَنْ » مع معموليها « يَسُدُّ مَسَدٌ مَفْعُولِي الْفِعْلِ : « تَزَعُمُ »
ومن أمثلة المعنى المنفى قول الشاعر :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ كَذِبًا وَالْحَقُّ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ مَقْبُولٌ
وتأويل المصدر مع زيادة ما يدل على النفي هو : « اللَّهُ يَعْلَمُ عَدَمَ كَذِبِ
قولي » .

— وقد سبق ^(٢) تفصيل الكلام على طريقة صوغ المصدر المؤول .

* * *

الحكم الرابع ^(٣) — جواز وقوع فاعلها ومفعولها الأول ضميرين معينين :
وذلك بأن يكونا ضميرين متصلين ، متحدين في المعنى ^(٤) ، مختلفين في
النوع ؛ نحو : عَلِمْتُنِي رَاغِبًا فِي مَوَدَّةِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَرَأَيْتُنِي حَرِيصًا عَلَيْهَا .
فالتاء والياء في المثالين ضميران . متصلان ، ومدلولهما شيء واحد ؛ فهما للمتكلم ،
مع اختلاف نوعهما : فالتاء ضمير رفع فاعل ، والياء ضمير نصب ، مفعول به .
ونحو : عَلِمْتُكَ زَاهِدًا فِي الشَّهْرَةِ الرَّائِفَةِ ، وَحَسِبْتُكَ نَافِرًا مِنْ أَسْبَابِهَا . فالتاء
والكاف في المثالين ضميران ، متصلان ، ومعناهما واحد ؛ لأن مدلولهما هو
المخاطب . مع اختلاف نوعهما كذلك ؛ فالتاء ضمير رفع فاعل ، والكاف ضمير
نصب . مفعول به ^(٥) .

(١) وقول الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَى ؟ خِلْتُ أَنَّنِي دُعِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ ، وَلَمْ أَتَبَدَّلْ

(٢) سبق في (ج ١ ص ٢٩٩ م ٢٩ من هذا الكتاب ، باب : الموصول) .

(٣) انظر تكميلته الهامة في الزيادة والتفصيل .

(٤) بأن يكون مدلولهما واحداً (أَيْ : أَنْ صَاحِبُ كُلِّ مَبْنِيٍّ هُوَ صَاحِبُ الْآخَرِ ، فَكِلَاهُمَا يَدُلُّ
عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الثَّانِي) .

(٥) ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ) : « أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى »

فالفاعل : « رَأَى » فاعله ضمير مستتر ، تقديره : « هُوَ » — والضمير المستتر نوع من المتصل —
ومفعوله الأول : « الهاء » — فقد وقع الفاعل والمفعول هنا ضميرين ، متصلين ، متحدين في المعنى ؛ لأن
مدلولهما واحد ؛ هو : الغائب ، مع اختلاف نوعهما ، فالضمير المستتر : « هُوَ » ضمير رفع ، فاعل ،
والضمير « الهاء » المذكوو ضمير نصب ، مفعول به .

زيادة وتفصيل :

الحكم الرابع غير خاص بالأفعال القلبية وحدها ؛ فهناك بعض أفعال أخرى تشاركها فيه ؛ مثل : « رأى » البصرية والحلمية . وهو كثير فيهما . ومثل : « وجد » (بمعنى : لقي) . و« تقد » . و« عدم » . وهو قليل في هذه الثلاثة ؛ ولكنه قياسى في الخمسة . وفي غيرها مما نصت عليه المراجع ؛ وليس عاماً في الأفعال ؛ نحو : استيقظتُ فرأيتنى منفرداً — أخذنى النوم فرأيتنى جالساً في حفل أدبى — ساءت نفسى في غمرة الحادث : أين أنا ؟ ثم وجدتنى (أى : لقيت نفسى ، وعرفت مكانها) — فقدتنى إن جنحت إلى خيانة . أو عدمتنى . ولا يجوز هذا في غير ما سبق إلا ماله سند لغوى يؤيده . فلا يصح : كرمتنى . ولا سمعتنى . ولا قرأتنى . وأشباهاها مما لم يرد في المراجع . إلا إن كان أحد الضميرين منفصلاً . فيجوز في جميع الأفعال . نحو : ما لمست إلا إياى — ما راقبت إلا إياى ^(١) .

ويمتنع فى باب : « ظن وأخواتها » . وفى جميع الأفعال الأخرى — اتحاد الفاعل والمفعول اتحاداً معنوياً إن كان الفاعل ضميراً . متصلاً ، مستتراً ، مفسراً بالمفعول به ، فلا يصح محمداً ظن قائماً — ولا عالياً نظراً ؛ بمعنى : محمداً ظن نفسه وعلياً نظر نفسه . . . لأن مفسر الضمير هنا : (أى : مرجعه) هو المفعول به . فإن كان الضمير الفاعل منفصلاً بارزاً صح ؛ فيقال : ما ظن محمداً قائماً إلا هو . وما نظر علياً إلا هو

(١) « ملاحظة » : المفهوم من كلام النحاة أنهم يعمون ما سبق من اجتماع الفاعل والمفعول به إذا كانا ضميرين ، متصلين ، متحدين معنى — بأن يكونا متكلم واحد ، أو مخاطب واحد — مختلفين نوع . ولا فرق فى هذا بين المفعول به الحقيقى ، والمفعول به التقديرى ، وهو الذى يتعدى إليه العامل بحرف جر ، إذا الجورور فى هذه الصورة مفعول به تقديراً . فـ « أحييتك » ، أو « أضررتك » ، أو « أضررتك » . إذا كان الضميران المتكلم . كما يمتنع أن يقال : « أوثقتك » ، وأوثقت بك إذا كان الضميران مخاطب واحد . لكن يمتنع رأيهم فى المفعول التقديرى آيات كريمة متعددة ، منها قوله تعالى : (وهزى إليك بجذع النخلة . .) وقوله تعالى : (واضمم إليك جناحك . .) قوله تعالى : (أمسك عليك زوجك) ولا عبرة بما يقوله « الضبان » نقلاً عن « المفتى » من أن الآيات مؤولة على تقدير حذف مضاف ؛ وكلمة « نفس » مجزوفة ، وأن الأصل : هزى إلى نفسك — اضمم إلى نفسك — أمسك على نفسك — قاصدين بهذا التأويل أن توافق الآيات رأيهم ، مع أن الواجب أن يغيروا رأيهم ليوافق أفصح كلام عرفوه ؛ فلا علينا من اتباعه ، ومن شاء فليتأوله .

المسألة ٦٢ :

الْقَوْل

معناه ، متى ينصب مفعولا واحداً ؟ ومتى ينصب مفعولين ؟

يعرض النحاة في هذا الباب للقول ومشتقاته ؛ لتشابهه بينه وبين « الظن » في بعض المعاني والأحكام . وصفوة كلامهم : أن « القول » متعدد المعاني ، وأنّ الذي يتصل منها بموضوعنا معنيان ؛ أحدهما : « التلفظ المحض ، وبمجرد النطق » والآخر : « الظن » .

(١) فإن كان معناه : « التلفظ المحض ، وبمجرد النطق » فإنه ينصب مفعولاً به واحداً ، تكون دلالة المعنوية مقصودة غير مهملة ^(١) ، سواء أكان الذي جرى به التلفظ ، ووقع عليه القول — كلمة مفردة ^(٢) ، أم جملة . فثال المفردة ما جاء على لسان حكيم : (تسألني عن العظيمة الحقّة ؛ فأقول : « الكرامة ») ، وعن رأس الرذائل ؛ فأقول : « الكذب » (فعني « أقول » هنا : « أنطق » ، وأتلفظ » . والكلمة التي وقع عليها القول (أي : التي قيلت) ، هي : « الكرامة » — « الكذب » . وكلتاها مفعول به منصوب مباشرة .

ومن الأمثلة للكلمة المفردة أيضاً : سألت والدي عن مكان نقضى فيه يوم العطلة ، فقال : « الريف » . وعن شيء نعمله هناك ، فقال : « التنقل » ، فعني قال : « تلفظ ونطق » ، والكلمة التي وقع عليها القول هي : « الريف » — « التنقل » وتعرب كل واحدة منهما مفعولاً به منصوباً مباشرة . ومثل هذا قول الشاعر :

جَدَّ الرِّحِيلُ ، وَحَثَّنِي صَبْحِي قالوا : « الصباح » ؛ فطَيَّرُوا لُبِّي ^(٣)

(١) المراد من أنها مقصودة غير مهملة : ألا تكون مجرد تصويت لا اعتبار فيه للمعنى مطلقاً ولا التفات للمدلول على الوجه المشار إليه في رقم ٧ من هامش الصفحة الآتية .

(٢) أي : ليست جملة ، ولا شبه جملة .

(٣) وقول الآخر .

بلدٌ يكاد يقول حيه نَ تزوره : « أهلاً وسهلاً »

ومن أمثلة الجملة بنوعيها^(١) : (قلتُ : الشعرُ غذاءُ العاطفة^(٢)) . . . —
 (أقول : تصفو النفسُ بسماعِ الغناء الرفيع) — (قال شوقي : « آيةُ هذا الزمانِ الصَّحْفُ »)
 . (ويقولُ : « تسيرُ مسيرَ الضحَا في البلادِ » . . .) .

ومثل :

(يقولون : « طالَ الليلُ ») : والليلُ لم يُطلْ ولكنَّ من يشكو من الهمِّ يسهرُ
 فعنى « القول » في هذه الأمثلة كسابقه . وبعده جملة اسمية ، أو فعلية ، يزداد على
 إعرابها : أنها في محل نصب^(٣) سدّت مسدّ المفعول به للقول ، وليست مفعولاً به^(٤)
 مباشرة . بخلاف الكلمة المفردة ، فإنها هي المفعول به مباشرة — كما تقدم —
 سواء أكان الناطق بالكلمة قد نطقها ابتداءً : دون أن يسمعها من غيره فيردها
 بعده : كالتي في المثال الأول .^(٥) أم كان نطقه بها تالياً لنطق آخر ، وترديداً لما سمعه ؛
 كالتي في الثاني^(٥) . وهي في الحالتين لا تسمى كلمة « محكية بالقول » في اصطلاح
 كثرة النحاة^(٦) . ولو كان النطق بها ترديداً ومحاكاةً لنطق سابق ؛ لأن الحكاية في
 هذا الباب لا تكون عندهم للكلمة المفردة^(٧) .

(١) وقعت الجملة الاسمية والفعلية بعد القول في البيت التالى :

قالوا : نراك بلا سُقْم . فقلت لهم : السُّقْمُ فى القلب . ليس السُّقْمُ فى البدن .

(٢) ومن الجملة الاسمية أيضاً قوله تعالى : (قد : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتق) .

(٣) وهذا هو الأعم الأغلب في محلها — انظر « ا » من ص ٥٣ —

(٤) لأن أصل المفعول به لا يكون جملة ، فهي تسد مسد ، ولا تكون مفعولاً به أصيلاً .

(٥ و ٥) من « ا »

(٦) انظر « ا » من ص ٥٣ .

(٧) إلا إذا كانت الكلمة المفردة لا تدل على جملة ، ولا تعبر عنها ، ولا عن مفرد ؛ وإنما
 يراد نص لفظها المنطوق من قبل (دون نظر لمعناه مطلقاً ، ولا لمدلوله ؛ فلما هو ترديد الكلمة ترديداً
 صوتياً مجرداً) . (انظر ما يوضح هذا في رقم ١ من هامش الصفحة السابقة) . فيجب حكايته ورعاية
 إعرابه بضبطه المنطوق السابق ، نحو : « قال على باب » ، إذا تكلم بكلمة : « باب » مرفوعة . ومثل
 كلمة « نعم » في قول الشاعر :

إذا قلت فى شيء « نَعَمْ » فأتئمّه فإنَّ « نَعَمْ » دينٌ على الحرِّ واجب

هذا ، ولا يخرج التكملة عن وصفها بالإفراد أن يكون في المقصود منها : الجملة أو الجمل ؛ أى : أن
 تكون في ظاهرها لفظة مفردة يراد بها مضمون جملة أو جمل ، مثل : (سمعت المؤمن يصيح : « الله أكبر » ،
 لقد قال : كلمة رائعة) . فالكلمة هنا مفردة في معنى الجملة ؛ لأنها تقوم مقامها في المضمون . ومثل :
 كنت في ندوة أدبية ؛ فسمعت من يقول حديثاً ، وأصغيت لشاعر يقول قصيدة ، ولخطيب يقول خطبة .
 فكل كلمة من الكلمات الثلاث : (حديثاً — قصيدة — خطبة) مفردة في ظاهرها ، ولكنها في مقام جمل =

أما الجملة التي تسدّ - في الأغلب^(١) - مسدّ مفعول « القول » والتي محلها النصب فيسمونها : « مَحْكِيَّةٌ بالقول » بشرط أن تكون قد جرّت من قبل على لسان ، ثم أعادها المتكلم ، وردّد ما سبق أن جرى على لسانه أو على لسان غيره . فلا بد في الجملة التي تسمى : « مَحْكِيَّةٌ » أن تكون قد ذُكرت مرة سابقة قبل حكايتها بالقول . وإلا فلا يصح تسميتها : « مَحْكِيَّةٌ » على الصحيح . والأغلب أنها في الحالتين في محل نصب ، سادة مسدّ المفعول به . وتشتهر بين المعرّبين بأنها : « مقوّل القول »^(٢) ؛ أى : الجملة التي جرى بها القول ، وهي المرادة منه .

* * *

(ب) وإن كان معنى « القول » - ومشتقاته هو : « الظن » (أى : الرجحان)^(٣) فإنه ينصب مفعولين مثله - بالشروط التي سنعرّفها - ويجرى عليه ما يجرى على « الظن »^(٤) (بمعنى الرجحان) من التعليق ، والإلغاء ، وسائر الأحكام السابقة الخاصة بالأفعال القلبية ؛ فهو والظن سواء . إلا في اختلاف = كثيرة ؛ لأن الحديث الذي في الندوة لا يكون إلا جملاً متعددة ، وكذلك القصيدة ، والخطبة ؛ فالكلمة هنا مفردة ولكنها في معنى الجملة ، كما يقول النحاة .

وقد يراد بالكلمة المفردة ، لا نصّها ؛ وإنما الرمز والكناية إلى لفظة أخرى ؛ مثل : قلت « كلمة » . أريد : لفظة معينة نطق بها قبل نطق الآن ؛ مثل لفظة : صفور ، أو بلبل ، أو خديجة ، أو كتاب ، أو غير ذلك مما أشير إليه ، ولا أريد إعادة النطق به لداعٍ بمعنى .

فالكلمة المفردة التي لا تحكى ، ثلاثة أنواع هنا : كلمة مفردة لا يراد التمسك بنصّها الحرفي بضبطه الأول المنطوق ، وكلمة مفردة في لفظها ولكنها في معنى الجملة ، وكلمة هي رمز لأخرى مفردة . والثلاثة مفعول به مباشرة القول -

ثم انظر « ١ » من ص ٥٣ ؛ لأهميتها .

(١٤١) وقد تكون فاعلاً أو نائب فاعل ، طبقاً للبيان الذي في ص ٦٦ وفي ٣ من هامش ص ١١٣ .

(٢) وهذا التعبير أحسن ؛ إذ يصدق على الجملة التي سبق النطق بها والتي لم يسبق ، فهو تعبير عام يشمل الحالتين وقد اجتمعتا في قول جميل :

بشينة قالت - يا جميل - : أَرَبْتَنِي فَقُلْتُ : كلانا - يابِشَيْنُ - مُرِيبُ

أما التعبير هنا بكلمة : « المحكية » فيؤدى إلى أن يشمل ما سبق النطق به ، وما لم يسبق ، مع أن الشائع قصر « الحكاية » على الذى يعاد ، إلا عند إرادة المجاز .

(٣) سبق معنى الرجحان في رقم (٤) من هامش ص ٥ .

(٤) ولهذا تفتح همزة « أن » الواقعة بعد « القول » الذى معناه « الظن » ؛ لأن القول بهذا المعنى ينصب مفعولين ؛ فيكون المصدر المؤول من « أن » مع معموليها ساداً مسدّ المفعولين . (كما سبق في ج ١ في موضع الكسر ص ٤٨٨ م ٥١ ، ولما تقدم هنا في رقم ٥ من هامش ص ٤٣ ويحيى في رقم ١ من هامش ص ٥٢) .

الحروف الهجائية . ومن الأمثلة : أتقول السماءَ صحواً^(١) في الغد — ؟ أتقولان الكتابَ نفيساً إنْ تَمَّ إعداده ؟ — أتقولون السفرَ المتَّظَر مفيداً ؟ . . .
 فلا بد من مفعولين منصوبين بعده^(٢) — إلا عند التعليق أو الإلغاء^(٣) — فإن لم يتحقق له المفعولان المنصوبان لم يكن معناه « الظن » وإنما يكون معناه : « التالُفُ المحض ، وبمجرد النطق » ، وفي هذه الصورة يكون من النوع الأول « ١ » الذي ينصب مفعولاً به واحداً ، ولا ينصب مفعولين ؛ فدلولة إن كان كلمة مفردة وقع عليها القول وجب اعتبارها مفعوله المنصوب مباشرة ؛ مثل : أتقول : الجَوَّ ؟ ؛ أى : أنتنطق بكلمة : « الجَوَّ » وإن كان مدلوله جملة اسمية أو فعلية فهي في محل نصب تسدّ مسدّد ذلك المفعول به الواحد ، مثل : أتقول : الحروبُ خادمةٌ للعلوم ؟ — أتقول : السِّلْمُ الطويلة داءٌ ؟ . ومثل : أتقول : قد يجمع الله الشيتيين بعد اليأس من التلافي ؟ — أتقول : لا يضيع العُرفُ^(٤) بين الله والناس ؟ فعنى « تقول » في هذه الجملة هو : تنطق ، ومعنى « القول » في كل ما تقدم هو « النطق » لا الظن ، والجملة بعده في الأمثلة المذكورة : « مَقُولُ القول » ولا تُسمى محكية بالقول إلا إذا سبق النطق بها قبل هذه المرة — كما أوضحنا — .
 وملخص ما تقدم : أن القول المستوفى للشروط^(٥) إذا وقع له مفعولان منصوبان به كان بمعنى : « الظن » حتماً ، وتجرى عليه أحكام « الظن » ولا وجود للحكاية هنا أو غيرها ، — على الأرجح . — وإذا وقع له كلمة واحدة (هي التي قيلت) كان معناه : « مجرد النطق » ، ونصبها مفعولاً به واحداً ، ولا تسمى هذه الكلمة محكية^(٦) ، مع أنها هي مفعوله المباشر . وكذلك إذا وقع له جملة اسمية أو فعلية كان معناه مجرد النطق أيضاً ، ولكنه ينصب مفعولاً به واحداً نصباً غير مباشر ؛ لأن الجملة التي بعده تكون في محل نصب ؛ فتسدّ مسدّد المفعول به ، وتسمى :

(١) لا غيم ولا مطر فيها .

(٢) ويجوز أن يحل محل المفعول به الثاني جملة ، أو شبه جملة ، (كما أسلفنا في أحكام الأفعال القلبية — « ١ » ص ٢٤ — ومنها : القول بمعنى الظن) . وتكون الجملة في محل نصب .

(٣) أو : عند قيام قرينة تدل على حذفها ، أو حذف أحدهما — كما سيبيء في ص ٦٣٥٦ م .

(٤) المعروف والخير .

(٥) وهي موضحة في الصفحة الآتية

(٦) إلا في الصورة التي تقدمت في رقم ٧ من هامش ص ٤٧ .

« مَقُولُ القول » دائماً ، ولا تسمى « محكية بالقول » إلا إذا سبق النطق بها .

فالقول بمعنى « الظن » لا حكاية معه — كما عرفنا — إذا وقع له مفعولان المنصوبان . فإذا تغير ضبطهما وصارا مرفوعين أصالة^(١) فإن معناه وعمله يتغيران تبعاً لذلك ؛ إذ يصير معناه : النطق المجرد ، ويقتصر عمله على نصب مفعول واحد فتكون الجملة الجديدة اسمية في محل نصب ، تسدّ مسدّ مفعوله .

شروط القول بمعنى الظن :

يشترط النحاة ما يأتي لإجراء القول مجرى الظن معنى وعملاً ، طبقاً لما استنبطود من أفصح اللغات العربية ، وأكثرها شيوعاً :

(١) أن يكون فعلاً مضارعاً .

(٢) وأن يكون للمخاطب بأنواعه المختلفة^(٢) .

(٣) وأن يكون مسبوقاً باستفهام^(٣) .

(٤) وألا يفصل بين الاستفهام والمضارع فاصل . لكن يجوز الفصل بالظرف ، أو بالجار^(٤) مع مجروره ، أو بمعمول آخر للفعل ، أو بمعمول معموله^(٥) . وكثير من النحاة لا يشترط عدم الفصل ، ورأيه قوى ، والأخذ به أيسر .

(٥) ألا يتعدى بلام الجر ؛ وإلا وجب الرفع على الحكاية^(٦) ، نحو : أتقول للوالد فضلك مشكور ؟ .

فمثال المستوفى للشروط الخمسة : أتقول المنافق أخضر من العدنو ؟

أتقول الاستحمام ضاراً بعد الأكل مباشرة ؟ .

(١) أى : بغير سبب إلغاء العامل .

(٢) المفرد وغير المفرد ، والمذكر والمؤنث . . .

(٣) سواء أكانت أداة الاستفهام اسماً أم حرفاً ، وسواء أكان المستفهم عنه الفعل أم بعض

معمولاته . . .

(٤) يشترط ألا يكون الجار هو اللام المدية للمضارع ، كما سيأتى في الشرط الخامس .

(٥) لا مانع من الفصل بأكثر من واحد مما ذكر .

(٦) ويكون القول بمعنى الانطق ، والجملة بعده في محل النصب سادة مسدّ مفعوله .

ومثال الفصل بالظرف : أفوق السحاب — تقول الطائر مرتفعاً ؟ .

وقول الشاعر :

أَبْعَدَ بَعْدَ تَقُولِ الدَّارَ جَامِعَةً شَمَلِي بِهِمْ ، أَمْ تَقُولِ الْبَعْدَ مَحْتَمَا
وبالجار مع مجروره : — أفي أعماق البحر — تقول الغواصة مقيمة ؟ .
وبمعمول الفعل مباشرة : — وأثقاً — تقول الكيمياء دِعامَة الصناعة ؟ ومن هذا
أن يفصل أحد المفعولين بين الاستفهام والفعل المضارع ، كقول الشاعر :
أَجْهَلًا تَقُولُ : بَسْنِي لُوْىَ لَعَمْرُ أَيْكَ أَمْ مِتْجَاهِلِنَا
والأصل : أتقول بني لوى جهالا . . .

وبمعمول معموله : — الألمان — تقول : العدلَ ناشراً . والأصل : ناشراً
للأمن .

فإذا اختل شرط من الشروط السابقة لم يكن « القول » بمعنى : « الظن » فلا
ينصب مفعولين مثله ، ولا يخضع للأحكام الأخرى التي يخضع لها « الظن » وإنما
يكون بمعنى : « النطق والتلفظ » ؛ فينصب مفعولاً به واحداً لا محالة .

أما إذا استوفى شروطه مجتمعة فيجوز أن يكون كالظن معنى وعملاً ، على
التفصيل الذي شرحناه . ويجوز — مع استيفائه تلك الشروط كاملة — أن يكون
بمعنى : « النطق والتلفظ » فينصب مفعولاً به واحداً فقط ، وعندئذ يتعين أن يكون
الاسمان بعده مرفوعين حتماً — كما سلف — ويتعين لإعرابهما مبتدأ وخبراً في محل
نصب ، لتسد جملتهما مسد المفعول به . فالأمران جائزان عند استيفائه الشروط^(١) .
ولكن لكل منهما معنى وإعراب يخالف الآخر . والمتكلم يختار منهما ما يناسب
المراد . فيصح : أتقول : الطائر مرتفعاً ؟ كما يصح : أتقول : الطائر مرتفع ؟
ينصب الاسمين معاً ، أو يرفعهما على الاعتبارين السالفين المختلفين^(٢) ؛ طبقاً
للمعنى المقصود .

وهناك رأى آخر مستمد من لغة قبيلة عربية اسمها : سُلَيْمٌ ، وملخصه :

(١ و ١) فليس استيفاءه الشروط موجباً تنزيهه منزلة « الظن » . وإنما يميز ذلك فقط . أما
لإجرائه مجرى الظن فيوجب أولاً تحقيق الشروط كلها . . .

أن القول — ومشتقاته — إذا كان معناه : « الظن » فإنه ينصب مفعولين مثله .
وتجرى عليه بقية أحكام « الظن » بغير اشتراط شيء من تلك الشروط الخمسة
أو غيرها ، فالشرط الوحيد عندهم أن يكون معناه : « الظن »^(١) فإن لم يتحقق
هذا الشرط يكن معناه — في الغالب — « النطق المجرد والتلفظ » ، وينصب مفعولاً
به واحداً ، ولهذا يجب رفع الاسمين بعده : واعتبار جملتهما الاسمية في محل نصب
تسدّ مسدّ مفعوله .

(١) ويرى بعض النحاة : أن « سليماً » لا يشترطون أن يكون معناه « الظن » فعندهم القول
قد ينصب مفعولين دائماً . وفي هذا الرأي ضعف . وقد أشرنا (في رقم ٤ من هامش ص ٤٨) إلى وجوب
فتح همزة « أن » الواقعة بعد « القول » إذا كان معناه الظن ، لأنه يحتاج إلى مفعولين ؛ فيكون المصدر
المؤول من « أن » مع معموليها في محل نصب ساداً مسدّ المفعولين . ونشير هنا إلى أن الرأي السالف يساير
لغة سليم وغيرها ما دام القول بمعنى الظن ؛ لحاجته إلى ما بعده ، فتفقد « إن » الصدارة في جملتها ؛
فتفتح همزتها وجوباً .

زيادة وتفصيل :

(١) تضطرب أقوال النحاة في اللفظ المحكى بالقول ؛ أيكون مفرداً وجملة ؛ أم يقتصر على الجملة فقط ؟ أيكون ترديداً ومحاكاة لنطق سابق به ، أم يكون ابتداء كما يكون ترديداً ومحاكاة ؟ أيكون حكاية للقول بمعنى النطق والتلفظ فقط ، أم يكون حكاية له بهذا المعنى . وبمعنى الظن أيضاً ؟ . . . إلى غير ذلك من صنوف التفریع ؛ والخلف ، والاضطراب الذي يخفى الحقيقة ، ويغشى على وضوحها ، ويكدّ الذهن في استخلاصها . وقد تخيرنا أصفى الآراء فيها ، وقدمناه فيما سبق ^(١) . وللحكاية تفصيلات وأحكام أخرى في بابها الخاص ، وأشرنا في الجزء الأول ^(٢) إلى بعض أحكامها .

(ب) الأصل ^(٣) في الجملة المحكية بالقول أن يذكر لفظها نصّاً كما سُمع من غير تغيير ، وكما جرى على لسان الناطق بها أول مرة . لكن يجوز أن تحكى بمعناها ، لا بالفاظها ^(٤) فإذا نطق الناطق الأول . وقال حكمة : هي : الأمم الأخلاق « . جاز لمن يحكيها بعده أن يرددها بنصها الحرفي . وبضبطها وترتيبها ، فيردها بالعبارة التالية : قال الحكيم : الأمم الأخلاق « . . . وجاز أن يرددها بمعناها مع مراعاة الدقة في المعنى ؛ كما يأتي : قال الحكيم : الأمم ليست شيئاً إلا الأخلاق « . أو : الأمم بأخلاقها « . أو : ما الأمم إلا أخلاقها « . . . وعلى هذا لو سمعنا شخصاً يقول : البرد قارس « . لجاز في الحكاية أن نذكر النص بحروفه وضبطه وترتيبه : قال فلان : البرد قارس « ، أو بمعناه : قال فلان : البرد شديد . . .

وإذا قالت فاطمة أنا كاتبة « — مثلاً — وقلت : لزيتب أنت شاعرة « ؛ فلك في الحكاية أن تذكر النص : (قالت فاطمة « أنا كاتبة » . وقلت لزيتب « أنت شاعرة ») ، مراعاة لنص اللفظ المحكى فيهما ، ولك أن تذكر المعنى : (قالت فاطمة « هي كاتبة » ، وقلت لزيتب « هي شاعرة » ، أو : إنها شاعرة ») مراعاة لذلك المعنى

(١) في ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) م ٢ ص ٣١ .

(٣) ومراعاته أحسن .

(٤) إن لم يكن هناك ما يقتضى التمسك بالنص الحرفي لداع ديني ، أو علمي ، أو قضائي ، أو

.

في حالة الحكاية ؛ حيث تكون فيها فاطمة وزينب غائبتين وقت الكلام^(١).
فالحكاية بالمعنى لا تقتضى المحافظة على اسمية الجملة ، أو فعليتها ، أو نصّ
كلماتها ، أو إعراب بعض كلماتها إعراباً معيناً ؛ وإنما تقتضى المحافظة على
سلامة المعنى ، ودقته ، وصحة الألفاظ ، وصياغة التركيب ، فيكنّى في الجملة
الحكيّة أن تكون صحيحة في مطابقة المعنى الأصلي ، وسليمة من الخطأ اللفظي .

فإن كانت الجملة الحكيّة مشتملة في أصلها على خطأ لغويّ أو نحويّ وجب
حكايتها بالمعنى للتخلص مما فيها من خطأ . إلا إن كان المراد إظهار هذا الخطأ ،
وإبرازه لسبب مقصود ؛ وعندئذ يجب حكايتها بما اشتملت عليه .

(ج) هل يلحق « بالقول » الذى معناه النطق والتلفظ ، ما يؤدى معناه
من كلمات أخرى ؛ مثل : ناديت ، دعوت ، أوحيت ، قرأت - أوصيت -
نصحت . . . وغيرها من كل ما يراد به : « النطق المجرد ، والتلفظ المحض »
فتنصب مفعولاً به أو مفعولين^(٢) ، على التفصيل الذى سبق ؟ .

الأنسب الأخذ بالرأى القائل : إنها تلحق به في نصب المفعول والمفعولين ،
ما دامت واضحة الدلالة على معناه . ومن الأمثلة قوله تعالى : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ :
لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ، وقوله تعالى : (فَمَدَعَا رَبَّهُ : إِنِّي مُغْلِبٌ فَانْتَبَسِرْ)
بَكَسْر الهمزة في قراءة الكسر . وقوله تعالى : (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ : لَسْتُ لَكِنَّ
الظَّالِمِينَ) . . . ولا داعى للتأويل في هذه الآيات وغيرها بتقدير « قول » . . . إذ
لا حاجة للتقدير مع الدلالة الواضحة ، وعدم فساد المعنى أو التركيب . . .

أما إذا اقتضى المقام التقدير فلا مانع منه لسبب قوى . ومن ذلك قوله تعالى :
(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ . . .
أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) . . . أى : فيقال لهم : أكفرتم ؟ فهنا القول

(١) لأن ذكر اسميهما دليل - فى الغالب - على غيابهما وقت حكاية الكلام . ولولا غيابهما
لاتجه إليهما الخطاب : « قلت لك » - . . . بدلا من « قلت لفاطمة .. وقات لزينب .. » . (راجع حاشية
الصبان ج ٢ آخر باب « ظن » وكذلك الحضرى - وغيره - فى هذا الوضع) .

(٢) طبقاً للرأى الذى يفيد أن سُلِّبَا - كما نقل بعض النحاة - تنصب بالقول مفعولين مطلقاً ،
(أى : ولو لم يكن بمعنى : الظن . ، كما سبق فى رقم ١ من هابش ص ٥٢) .

محذوف^(١) ولا بد من تقديره لصحة المعنى والأسلوب .

(١) هذا موضع من مواضع حذفه جوازاً ؛ لوجود كلام قبله يدل عليه وعلى مكانه ، وهو قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه . . . إلخ) . وبثله قراءة من قرأ قوله تعالى في سورة الشعراء : « وإذ نادى ربك موسى : أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون . ألا تتقون) .. بالتأين - لا بالياء فالتاء ، وهذه قراءة أخرى - قال ابن جني في كتابه : « المحتسب » - ج ٢ ص ١٢٧ - عن هذه قال القراءة مانصه : (« هو عندنا على إضمار القول فيه . وإيضاحه : وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ، قوم فرعون ، فقل لهم : ألا تتقون . وقد كثر حذف القول عندهم ، من ذلك قول الله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، . . . سلام عليكم . . . » . أى : يقولون : سلامٌ عليكم ») « اهـ »

هذا ، وما سبق يظهر أن ابن جني من أصحاب الرأي الذى لا يلحق بالقول الذى معناه النطق والتلفظ ما يؤدى معناه ؛ مثل : ناديت . . .

المسألة ٦٣ :

حذف المفعولين ، أو أحدهما ، وحذف الناسخ

الاختصار أصل بلاغى ، لا يختص بباب ، ولا يقتصر على مسألة ، ويراد به : حذف ما يمكن الاستغناء عنه من الألفاظ لداع يقتضيه . وهو جائز بشرطين :

(أ) أن يوجد دليل يدل على المحذوف ، ومكانه ^(١) .

(ب) وألا يترتب على حذفه إساءة للمعنى ، أو إفساد^٢ فى الصياغة اللفظية .

واستناداً إلى هذا الأصل القويم يصح الاختصار هنا بحذف المفعولين معاً أو أحدهما . فمثال حذفهما معاً : — هل علمت الطائرة سابحةً فى ماء الأنهار ؟ . فتجيب : نعم ، علمتُ . . . — هل حسبت الإنسان واصلاً إلى الكواكب الأخرى ؟ . نعم ، حسبت . . . ، أى : علمت الطائرة سابحةً وحسبت الإنسان واصلاً . . .

ومثال حذف الثانى وحده (وهو كثير) : أى الكلامين أشدُّ تأثيراً فى الجماهير ؛ أشعرُ أم الخطابة ؟ فتقول : أظن الخطابة . . . أى : أظن الخطابة أشدَّ . . .

ومثال حذف الأول وحده ، (وحذفه أقل من الثانى) : ما مبلغ علمك بخالد بن الوليد ؟ فتقول : أعلم . . . بطلا صحابياً من أبطال التاريخ . أى : أعلم خالداً بطلا . . .

فقد صحَّ الحذف فى الأمثلة السابقة ؛ لتحقق الشرطين معاً . فإن لم يتحقق

(١) لأن عدم معرفة المحذوف يفسد المعنى فساداً كاملاً ، وعدم معرفة مكانه يؤثر فى المدنى قليلاً أو كثيراً ؛ فلو وضع الكلمة فى الجملة أثر فى المعنى . ولا فرق فى الدليل (القرينة) بين أن يكون مَسْأَلِياً ؛ (أى : قولاً يدل على المحذوف) وأن يكون حالياً ؛ (أى : أمراً آخر مفهوماً من الحال والمقام ، بغير نطق ولا كلام . ولهذا إشارة فى رقم ١ من هامش ص ٢١٩ م ٧٦ ، وراجع ح ١ ص ٣٦٢ م ٣٧) .

(٢) يرى بعض النحاة الاختصار على هذا الشرط ؛ لأنه يتضمن معنى الشرط الأول . ولكننا ذكرناهما ممَّا مبالغة فى الإيضاح والإبانة .

الشرطان معاً لم يجز الحذف^(١)؛ فلا يصح في تلك الأمثلة وأشباهها : علمت فقط ، ولا حسبت فقط ، بحذف المفعولين فيهما . ولا يصح علمت الطيارة . . . ولا حسبت الإنسان . . . بحذف المفعول الثاني فقط ، ولا علمت . . . سابحة ، ولا حسبت . . . واصلاً ؛ بحذف الأول . وهكذا من كل ما فقد الشرطين معاً ، أو أحدهما .

واعتماداً على الأصل البلاغي السابق أيضاً يصح حذف الناسخ مع مرفوعه ؛ نحو : ما ذا تزعم ؟ فتجيب : . . . الأخ منتظراً في الحقل . أى : أزعم^(٢) . . .

(١) ولا التفات لمن أباح : « الاختصار » ؛ وهو الحذف بغير دليل . لأن هذه الإباحة مفسدة .
(٢) في المسألتين الأخيرتين ؛ (مسألة ٦٢ : « القول » ومسألة ٦٣ : « الحذف ») يقول ابن مالك في الحذف :

وَلَا تُجِزُ هُنَا بِلَا دَلِيلٍ سُقُوطَ مَفْعُولَيْنِ ، أَوْ مَفْعُولٍ .

يريد : ليس من الجائز في هذا الباب سقوط مفعول (أى : حذفه) أو مفعولين . إلا بوجود دليل يدل على المحذوف . وكلامه مختصر ، وقد وفيناه . ويذكر في القول :

و « كَتَّظُنُّ » اجْعَلْ : « تَقُولُ » إِنْ وَلِي مُسْتَفْهَمًا بِهِ . وَلَمْ يَنْفَصِلْ بِغَيْرِ ظَرْفٍ . أَوْ كَظَرْفٍ ، أَوْ عَمَلٍ وَإِنْ بِبَعْضِ ذِي فَصْلَتَ يُحْتَمَلُ

المعنى : اجعل « تقول » - وهى مضارع للمخاطب - مثل « تظن » في المعنى والعمل إن وليت : « تقول » مستفهماً به ، أى : إن جاءت « تقول » بعد أداة يُستفهم بها . (فزوع الفعل « تقول » بعد الاستفهام شرط) .

وشرط آخر ؛ هو : ألا ينفصل الفعل المضارع : « تقول » عن أداة الاستفهام بفواصل غير الظرف . أما الظرف فيجوز أن يقع فاصلاً بينهما ، كذا ما يشبه الظرف ؛ وهو الجار مع مجروره . - وقد يطلق « الظرف » - أحياناً - على شبه الجملة بنوعيه - وكذا كل شيء آخر وقع عليه عمل الفعل : « ظن » أو عَمَلُ معمول الفعل ؛ كالأمثلة التى سبقت في الشرح .
ثم بين رأى الآخر في : « القول » بالبيت التالى :

وَأَجْرَى « الْقَوْلُ » ، « كَظُنُّ » مُطْلَقًا عِنْدَ « سُلَيْمٍ » ؛ نَحْوُ ؛ قُلْ ذَا مُشْفِقًا

أى : قبيلة « سليم » تجرى القول مجرى الظن في المعنى ، والعمل والأحكام المختلفة ، من غير اشتراط شيء مطلقاً . إلا اشتراط أن يكون « القول » بمعنى « الظن » . . . مثل : قل هذا مشفقاً . وقد سبق رأى آخر لهم . في رقم ١ من هامش ص ٥٢

المسألة ٦٤ :

أعلم ... أرى ..

فرح	الحزين	أفرحت	الحزين
زَهَقَ	الباطل	أزهق الحق	الباطل
لَانَ	المتشدد	ألانت الحوادث	المتشدد

سمع	الصدیقُ	الخَبَرَ السارَّ	أسمعتُ	الصدیقَ	الخَبَرَ السارَّ
وَرَدَ	الغائبُ	أهله	أوردتُ	الغائبَ	أهله
قَرَأَ	الأديبُ	القصيدةَ	أقرأتُ	الأديبَ	القصيدةَ

علمتُ	الحرفةَ	وسيلةَ	الرزقِ	أعلمتُ	الغلامَ	الحرفةَ	وسيلةَ	الرزقِ
علم	الشبابُ	الاستقامةَ	طريقَ	السلامةِ	أعلمتُ	الشبابَ	الاستقامةَ	طريقَ
رَأَيْتُ	الفهمَ	رائدَ	النبوغِ	أَرَيْتُ	المتعلمَ	الفهمَ	رائدَ	النبوغِ
رَأَى	الخبراءُ	الآثارَ	كنوزاً	أَرَيْتُ	الخبراءَ	الآثارَ	كنوزاً	

الفعل نوعان : « لازم » ؛ (أى : قاصر ؛ لا ينصب بنفسه المفعول به) ،
و « متعد » ؛ ينصب بنفسه مفعولاً به ، أو مفعولين ، أو ثلاثة . ولا يزيد عليها .

ولتعددية الفعل اللازم وسائل معروفة في بابهِ ^(١) . منها : وقوعه بعد « همزة النقل » . (أى : همزة التعدية) فإذا دخلت همزة النقل على الفعل الثلاثي اللازم ، أو الثلاثي المتعدى لواحد أو لاثنتين غيَّرت حاله ، وجعلت الثلاثي اللازم متعدياً لواحد - كأمثلة : « ا » - وصيَّرت الثلاثي المتعدى لواحد متعدياً لاثنتين - كأمثلة « ب » - وصيَّرت الثلاثي المتعدى لاثنتين متعدياً لثلاثة - كأمثلة : « ح » - فشأنها أن تجعل فاعل الفعل الثلاثي مفعولاً به ^(٢) ؛ فننقله من حالة إلى أخرى تخالفها ^(٣) ؛ فتكسب الجملة مفعولاً به جديداً لم يكن له وجود قبل دخول همزة النقل

(١) هو باب « تعدى الفعل ولزومه » . وسيأتى في ص ١٥٠ م ٧٠ .

(٢) كما سيجيء في ص ١٥٨ م ٧١ . وفي رقم ٢ من ص ١٦٥ .

(٣) ولهذا سميت أيضاً : « همزة النقل » .

على الفعل : أما غير الثلاثي فلا تدخل عليه هذه الهمزة .

ولا يكاد يوجد خلاف هامّ في أن التعدية بهمزة النقل على الوجه السالف قياسية في الثلاثي اللازم ، وفي الثلاثي المتعدى بأصله لواحد^(١) . إنما الخلاف في الثلاثي المتعدى بأصله لاثنتين ؛ أتكون تعديته بهمزة النقل مقصورة على فعلين من الأفعال القلبية ؛ هما : « عَلِمَ - ورأى »^(٢) - دون غيرهما من باقي الأفعال القلبية التي تنصب مفعولين ؛ والتي سبق الكلام عليها^(٣) - أم ليست مقصورة على الفعلين المذكورين ؛ فتشملهما ، وتشمل أخواتهما القلبية التي مرّت في الباب السالف ؟ رأيان . وتميل إلى أولهما جمهرة النحاة ، فتَقْصِرُ التعدية على الفعلين المعينين (« عَلِمَ » و « رَأَى ») ولا تبيح قياس شيء عليهما من أفعال اليقين والرجحان وغيرهما ، فلا يصح عندها أن تقول . أَظُنَنْتُ الرجلَ السيارةَ قادمةً ، وأحسبته السفرَ فيها مريحاً . في حين يصح هذا عند بعض آخر يبيح القياس على الفعلين السالفين ، ولا يرى وجهاً للفرقة بينهما وبين نظائرهما من أفعال اليقين والرجحان التي تنصب مفعولين بحسب أصلها^(٤) .

سواء أخذنا برأى الجمهرة أم بالرأى الآخر ؛ فالفعل القلبيّ الناصب للمفعولين بحسب أصله وبحسب رأى كل منهما في نوعه^(٥) سينصب ثلاثة بعد دخول

(١) راجع الأشموني والصبان - ج ١ - أول باب : « تعدى الفعل ولزومه » .

(٢) سواء أكانت عِلْمِيَّةً كالأمثلة المذكورة ، أم حُلْمِيَّةً ؛ وهي التي مصدرها « الرؤيا » المنامية . كقوله تعالى :

« إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ »

(٣) في ص ٥ . ثم راجع رقم ٢ من ص ١٦٥ ورقم ١ من هامشها .

(٤) وهذا رأى حسن اليوم ؛ فإنه مع خلوه من التشدد والتضييق ، يسائر الأصول اللغوية العامة ، ويلأّم التعبير الموجز المطرب في بعض الأحيان ، فتقول : أَظُنَنْتُ الرجلَ السيارةَ قادمةً ؛ بدلا من جعلت الرجل يظن السيارة قادمة ، إذ من الدواعي البلاغية ، والاستعمالات اللازمة في العلوم الحديثة ما قد يجعل له التفضيل . فن الخير إباحة الرأيين ، وترك الاختيار للمتكلم يراعى فيه الملابسات .

(٥) من ناحية أنه محصور في الفعلين السالفين دون غيرهما من أفعال القلوب ، أو غير محصور فيها وإنما يشمل كل أفعال القلوب التي سبق شرحها .

همزة التعدية عليه . ومفعوله الثاني والثالث أصلهما المبتدأ والخبر ، ويجرى عليهما في حالتها الجديدة ما كان يجري عليهما قبل مجيء همزة التعدية ؛ فتطبق عليهما وعلى أفعالهما - وباقى المشتقات - الأحكام والآثار الخاصة بالأفعال القلبية التى سبق شرحها ، ومنها : التعليق ، والإلغاء ، والحذف اختصاراً لدليل . . .

فمن أمثلة التعليق : أعلمتُ الشاهدَ لأداءُ الشهادة واجبٌ ، وأريته إن^(١) كتمانها لإثمٌ كبيرٌ . ومن أمثلة الإلغاء أو عدمه : النخيلُ أعلمتُ البدوىَّ أنسبُ للصحراء - أو : أنسبُ للصحراء أعلمتُ البدوىَّ النخيلُ - أو : النخيلُ أنسبُ للصحراء أعلمتُ البدوىَّ . وأصل الجملة : أعلمتُ البدوىَّ النخيلُ أنسبُ للصحراء . أما المفعول به الأول من الثلاثة فقد كان فى أصله فاعلاً كما عرفنا ، فلا علاقة له بهذه الأحكام والآثار الخاصة بالأفعال القلبية السالفة .

ومن أمثلة حذف المفعول به الثانى لدليل أن يقال : "هل عرفت حالة المزرعة ؟ فتجيب : أعلمنى الخيرُ . . . جيدةً ، أى : أعلمنى الخير المزرعة جيدةً . ومثال حذف الثالث لدليل ؛ أن يقال : هل علمَ الولدُ أحداً قادماً لزيارتك ؟ فتجيب : أعلمته زميلاً ، أى : زميلاً قادماً^(٢) لزيارتى . ومثال حذف الثانى والثالث معاً أن تقول : أعلمته . . .

فإن كان الفعل : « عَلِمَ » بمعنى : « عَرَفَ » أو كان الفعل : « رَأَى » بمعنى : « أَبْصَرَ » - لم ينصب كلاهما فى أصله إلا مفعولاً به واحداً كما سبق^(٣) . نحو : علمتُ الطريقَ إلى النهر - رأيتُ الشهبَ المتساقطة . فإذا دخلت على أحدهما همزة التعدية صيرته ينصب مفعولين ، نحو : أعلمتُ الرجلَ الطريقَ إلى النهر ، وأريته^(٤) الغلامَ الشهبَ المتساقطة . وهذان المفعولان ليسا فى الأصل مبتدأ وخبراً ؛ إذ لا يصح : الرجلُ الطريقُ - الغلامُ الشهبُ . ولهذا لا يصح

(١) يوضح هذا المثال مع كسر همزة « إن » ما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٣٣ .

(٢) المعنى الأساسى لا يتم إلا بهذه الكلمة ، فلا تعرب حالا ، لأن الحال فضلة .

(٣) فى ص ١٣ ، ١٤ .

(٤) سبقت أحكام خاصة ببعض حالات هذا الفعل عند بنائه للمجهول ، وطريقة إعرابه - فى

تطبيق الأحكام والآثار الخاصة بالأفعال القلبية عليهما . إلا التعليق فجائز ، ومنه قوله تعالى : (رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) .

وقد نصت كتب اللغة على أفعال أخرى - قلبية وغير قلبية - قد ينصب كل فعل منها بذاته ثلاثة من المفاعيل ، دون وجود همزة التعدية قبله . وأشهر تلك الأفعال خمسة : نَبَأَ - أُنْبَأَ - حَدَّثَ - أَخْبَرَ - خَبَرَ . . . مثل : نَبَأَتْ الْغَيَارَ الْجَوْءَ مناسباً للطيران - أُنْبَأَ الْبَحَّارُ الْمِيْنَاءَ مستعداً - حَدَّثَ الصَّدِيقَ الرَّحْلَةَ طَيِّبَةً - أَخْبَرَتِ الْمَرِيضَ الرَّاحَةَ لازمةً - خَبَرَتِ الْبَائِعَ الْأَمَانَةَ أَنْفَعَ لَهُ . والكثير في الأساليب الماثورة أن يكون فيها تلك الأفعال الخمسة مبنية للمجهول ، وأن يقع أول المفاعيل الثلاثة نائب فاعل مرفوعاً ، ويبقى الثاني والثالث مفعولين صريحين . ومن الأمثلة قول الشاعر :

نُبِّشَتْ نُعْمَى - عَلَى الْهَجْرَانِ - عَابَةً سَقِيًّا وَرَعِيًّا^(٢) لَذَاكَ الْعَانِبِ الزَّارِي

وقد جاء في القرآن « نَبَأًا » ناصباً مفعولاً واحداً صريحاً ، وسدّ مسدّ المفعولين الآخرين جملة « إن » مع معموليها ، بعد أن عُلِّقَت الفعل عنها باللام في قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ - إِذَا مَزَقْتَ كُلَّ مُمَزَّقٍ - إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)^(٣) .

- (١) فالآية تشتمل على فعل الأمر « أر » وهو من « أرى » البصرية التي تنصب مفعولين بشرط وجود همزة التعدية قبلها . و « ياء المتكلم » هي مفعوله الأول . وجملة « كيف تحيي الموتى » في محل نصب سدّت مسدّ المفعول الثاني . في الرأي الراجح . باعتبار « كيف » استفهامية معمولة للفعل : « تحيي » (وقد سبق الكلام على إعراب « كيف » في ج ١ ص ٤٦٢ م ٣٩ وسيجيء في رقم ٣ من هامش ص ١١٣) .
(٢) في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٢ بيان عن كلمتي « سقى ورعى » ، وفي ج ١ م ٣٩ ص ٤٦٨ بيان أكل
(٣) فيما سبق يقول ابن مالك في باب مستقل ، عنوانه : « أعلم وأرى » .

إِلَى ثَلَاثَةٍ « رَأَى » وَ « عَلِمَا » عَدَّوْا ، إِذَا صَارَا : أَرَى وَأَعْلَمَا

وَمَا لِمَفْعُولِي : « عَلِمْتُ » مُطْلَقًا لِلثَّانِ وَالثَّالِثِ : أَيْضًا حَقَقًا

التقدير - وهو شرح أيضاً - : النحاة عدّوا الفعل : « رأى » والفعل : « علم » إلى ثلاثة من المفاعيل إذا صار كل من الفعلين في صيغة جديدة ؛ هي : « أرى » ، وأعلم » ؛ حيث سبقتهما (همزة التعدية) . ثم بين أن ما ثبت لمفعولي « علم » من الأحكام المختلفة باعتبارهما في الأصل مبتدأ وخبراً - يثبت للثاني والثالث هنا ، فليس الثاني والثالث مع وجود همزة التعدية إلا الأول والثاني قبل دخولها على فعلهما . (والألف في « علما » وأعلما - وحققا - ألف الإطلاق الزائدة لوزن الشعر) . ثم قال : =

.
.

زيادة وتفصيل :

من الأساليب الفصيحة : أحبُّ العلومَ ، ولا تَرَ ما العلومَ الكونيةَ . أو :
أحب العلومَ ، ولو تَرَ ما العلومَ الكونيةَ . . . بمعنى : ولا سِيا العلوم الكونية .
وقد سبق الكلام مفصلاً على : « لا سِيا » وعلى هذه الأساليب التي بمعناها - (١)
وسيجيء هنا لمناسبة أخرى (٢) .

= وَإِنْ تَعَدَّيَا لَوَاحِدٍ بِلَا هَمْزٍ ، فَلَاثِنَيْنِ بِهِ تَوَصَّلَا
وَالثَّانِ مِنْهُمَا كَثَانِي أَثْنَى كَسَا فَهُوَ بِهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ ذَوَاتِيسَا

يريد : إذا تعدى كل من « علم » و « رأى » إلى مفعول واحد قبل مجيء حرف التعدية (وهو :
الهمزة) ، فإن الفعل يتوصل بحرف الهمزة إلى مفعولين يتعدى لهما ، ليس أصلهما المبتدأ والخبر . الثاني
منهما كالثاني للفعل : « كسا » في مثل : كسوت المحتاج ثوباً ؛ حيث لا يصلح الثاني في هذا المثال
وأشباهه أن يقع خبراً للأول : إذ لا يصح : المحتاج ثوب . . .
ولما كان المفعول الثاني للفعل : « كسا » ليس خبراً في الأصل - كان هو وفعله غير قابلين للأحكام
الخاصة بالأفعال القلبية وآثارها ، ومنها أن يكون جملة ، وشبه جملة ، والإلغاء . . . ، إلا التعليق
فيجوز على الوجه الذي سبق في ص ٦٠ . ومثله المفعول الثاني للفعل : « علم » بمعنى « عرف » والفعل
« رأى » بمعنى : « أبصر » كلاهما يشبه في هذا الحكم ، فالمفعول الثاني للفعل « علم » و « رأى
بالمعنيين المذكورين « ذواتسا » بالمفعول الثاني للفعل : « كسا » أى : ذو محاكاة ومتابعة واقتداء به فيما
سبق . ثم قال ابن مالك :

وَكَاَرَى السَّابِقِ : نَبَأً ، أَخْبِرَا حَدَّثَ ، أَنْبَأَ ، كَذَلِكَ خَبَرَا .
أى : مثل الفعل : « أرى » السابق أول الباب ، في نصب ثلاثة من المفاعيل بضمة أفعال أخرى ،
نرد منها في البيت خمسة . وإنما قال « أرى » السابق ليعتمد عن « أرى » الذي بعده وهو الذي ينصب
مفعولين بعد دخول همز التعدية . وما ضيه هو : رأى ، بمعنى : نظر .

(١) في ج ١ م ٢٨ ص ٣٦٣ - الطبعة الثالثة .

(٢) في « ه » من ص ٣٦١ .

المسألة ٦٥ :

الفاعل^(١)

تعريفه :

اسم ، مرفوع ، قبله فعل تام^(٢) ، أو ما يشبهه^(٣) ، وهذا الاسم هو الذى فَعَّلَ^(٤) الفعل ، أو قام به^(٥) .

(١) للنحاة فيه تعريفات كثيرة ، راعوا فى أكثرها جانب الدقة اللفظية المنطقية . ولا بأس بهذا ؛ لولا أنهم بالغوا حتى انتهوا إلى إطالة مذمومة لا تناسب التعريف ، أو اختصار مريب ؛ يحوى الغموض والإبهام . وقد اخترنا من تعريفاتهم ما خلا من العيبين السالفين ، ومال إلى الوضوح ، واليسر ، وإن اشتمل على بعض أجزاء يعدها المناطقة من أحكام الفاعل ، لا من تعريفه ؛ مثل : الرفع . ولكن هذا لا أهمية له قديماً وحديثاً .

(٢) أى : ليس من الأفعال الناقصة . - وهى النواسخ التى تحتاج إلى اسم وخبر ، لا إلى فاعل ؛ مثل : الفعل « كان » وأخواتها الفعلية . - ويشترط فى الفعل أيضاً أن يكون مبنياً للمعلوم ، لأن المبنى للمجهول يحتاج إلى نائب فاعل فى الأغلب ، ولا يحتاج إلى فاعل . وإنما قلنا فى « الأغلب » لتخرج الأفعال الملزمة للبناء للمجهول - فيما يقال - فإنها قد تحتاج لفاعل أحياناً - وسيجىء البيان والتفصيل فى ص ١٠٨ - .

(٣) من كل ما يعمل عمل الفعل ؛ كالمصدر ، واسم الفاعل ، والصفة المشبهة ، وباقى المشتقات العاملة التى سبق الكلام عليها (فى الباب الأول ، هامش ص ٤ ، وغيره) ، وكاسم الفعل أيضاً . فالمصدر نحو عجبت من إتلاف المال محمد ، واسم الفاعل ؛ مثل : أصانع الثوب فتاة ؟ والصفة المشبهة مثل : سحرنا الخطيب بكلام جميل أساليبه ، قوى براهيته . وأفضل التفضيل ؛ نحو : هذا الأكل خلقه ... وهكذا . أما اسم المفعول فحكمه حكم المبنى للمجهول ؛ كلاهما يرفع نائب فاعل ، (كما سيجىء) . ومثل الجامد المؤول بالمشقة ؛ نحو : العدو نمر ، أى : هو ؛ لأنه بمعنى : غادر ؛ فهو جامد مؤول بالمشقة ، وفاعله ضمير مستتر فيه . وقد يكون ظاهراً نحو : القائد أسد هجماته ، أى : القائد جريئة هجماته .

(٤) وقد سبق بيان الجامد المؤول بالمشقة فى ج ١ ص ٣٢٦ م ٣٣ باب المبتدأ .

(٥) أو يفعله الآن ، أو فى المستقبل ؛ ليشمل المضارع الذى يقع مدلوله الآن أو فى المستقبل ؛ ويشمل الأمر الذى يقع مدلوله فى المستقبل ؛ وكذا الفعل الذى قبله أداة تعليق ؛ مثل : إن يحضر الغائب نستقبله ، والفعل هنا قد يكون داخلاً فى جملة إنشائية للمدح ؛ مثل : نرى المحسن ؛ لأن الفعل فى بعض الجمل ومنها الجمل الإنشائية التى للمدح ، وفى التعريفات العلمية لا يدل على زمان - كما قرره المحققون ، وأشارنا إليه هامش - ١ ص ٣١ م ٤ - ولا فرق بين أن يكون معنى الفعل موجباً أو منفيّاً ؛ نحو : انتصر الشجاع ، ولم ينتصر الجبان .

(٥) يرد على البال السؤال عن الفرق المعنوى بين الفاعل الذى قام به الفعل ، والمفعول به الذى وقع عليه الفعل ؛ لأن المعنى اللغوى للعبارتين واحد . بحيث لو وضعت إحداهما مكان الأخرى ما تغير المعنى اللغوى . .

فمثال الاسم ، صريحاً ، أو مؤولاً : (ولقد نصبركم الله في مواطن كثيرة) -
 (واعبدوا الله - ولا تشركوا به شيئاً)^(١) - (شاع أن البغي وخيم العاقبة) -
 (اشتهر أن تنتقل العدوى من المريض للسليم) .

ومثال ما يشبه الفعل : أوقف على الشجرة عصفورة - ما فَرِحَ أعداؤنا
 بوحادثنا وقوتنا . فكلمة : « عصفورة » فاعل للوصف ؛ (وهو : واقف ، اسم
 الفاعل) وكلمة : « أعداؤنا » فاعل للوصف : (فَرِحَ - الصفة المشبهة) .
 ومن أمثلة الفاعل الذي قام به الفعل أيضاً : اتسعت ميادين العمل في بلادنا ،
 وتنوعت أسبابه ، فلن يضيق الرزقُ بطالبيه ما داموا جادين .

= إن الفرق اللفظي بين الفاعل والمفعول به معروف للنحاة ؛ فالفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب ،
 وهذا الفرق اللفظي يستتبع عندهم فوقاً اصطلاحياً في معنى كل جملة ، يوضحه ما يأتي :
 « تحرك الشجر » . كلمة : « الشجر » تعرب فاعلاً نحوياً . لكن هذا الإعراب لا يوافق المعنى اللغوي
 الواقعي للكلمة : « فاعل » . وهو : « من أوجد الفعل حقيقة ، وبأثر بنفسه إبرازه في الوجود » ؛ لأن
 الشجر لم يفعل شيئاً ؛ إذ لا دخل له في إيجاد هذا التحرك ، ولا في خلقه ، وجمله حقيقة واقعة بعد أن لم
 تكن ؛ فليس للشجر عمل إيجابي - مطلقاً - في إحداث التحرك . وكل علاقته به أنه استجاب له ، وتفاعل معه ؛
 فقامت الحركة به ، وخالطته ، ولا يسته ، من غير أن يكون له اختيار أو دخل في إيجادها ، كما سبق .
 فأين الفاعل الحقيقي الذي أوجد التحرك من عدم ، وكان السبب الحقيقي في إبرازه للوجود ؟
 ليس في الجملة ما يدل عليه ، أو على شيء ينوب عنه . فإذا قلنا : حرك الهواء الشجر - تغير الأمر ؛
 فظهر الفاعل الحقيقي المنشيء للتحرك ، وبأن الموجد له ، الذي أوقع أثره على المفعول به .
 مثال آخر : تمزقت الورقة . تعرب كلمة : « الورقة » فاعلاً نحوياً . وهذا الإعراب لا يوافق ولا
 يساير المعنى اللغوي للكلمة ؛ « فاعل » ، ولا يوافق الأمر الواقع ؛ لأن الورقة في الحقيقة لم تفعل شيئاً ؛
 فلم تمزق نفسها ، ولا دخل لها في تمزقها ، ولم تشترك فيه بعمل إيجابي يحدثه ؛ ولكنها تأثرت به حين
 أصابها . فأين الفاعل الحقيقي - لا النحوي - الذي أوجد التمزق . وجمله حقيقة قائمة بالورق ؟ لا وجود
 له في الجملة ، ولا دليل يدل عليه أو على شيء ينوب عنه . لكن إذا قلنا : مزق الطفل الورقة - ظهر
 الفاعل الحقيقي ، واتضح من أوجد الفعل بمعناه اللغوي الدقيق .

وبما سبق يتبين الفرق المعنوي بينهما ، وأنه ينحصر في :

أ - أن الفاعل النحوي - على الوجه السالف - ليس هو الفاعل الحقيقي ، وإنما هو المتأثر بالفعل ،
 وليس في الجملة ما يدل على ذلك الفاعل الحقيقي ، أو على شيء ينوب عنه .
 ب - وأن المفعول به ليس فاعلاً نحوياً ولا حقيقياً . وإنما هو المتأثر بالفعل ، أيضاً ، ولكن مع
 اشتغال جملته على الفاعل الحقيقي ، أو ما ينوب عنه .

(١) المراد بالاسم الصريح هنا : ما يشمل الضمير ؛ كما في الآية .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

يكون الفاعل مؤولا إذا وقع مصدراً منسباً من حرف مصدرى وصلته .
وحروف المصادر خمسة^(١)، لكن الذى يصلح منها للسبك فى باب الفاعل
ثلاثة^(٢) ؛ هى : « أن » - « أن » - « ما » ، المصدرية بنوعها . مثل : يسعدك أن
تعمل الخير ، ويسعدنى أنك حريص عليه . (أى : يسعدك عمل الخير ويسعدنى
حرصك عليه) . ومثل : ينفعك ما أخلصت فى عملك - يسرنى ما طالت ساعات
الصفو . (أى : ينفعك إخلاصك فى عملك - يسرنى مدة^(٣) إطالة ساعات الصفو)
فلا يوجد المصدر المؤول إلا من اجتماع أمرين مذكورين - غالباً^(٤) - فى الكلام ،
هما : حرف سابك وصلته . ولا يجوز حذف أحدهما إلا « أن » الناصبة للمضارع

(١ و ١) حروف المصادر وتسمى : «حروف السبك» ، خمسة ، وهى : (أن الناصبة للمضارع - أن
مشددة ومخففة - ما - كى - لو) وقد سبق الكلام على معناها ، وصلتها ، وكل ما يتعلق بها فى ج ١ -
آخر باب : الموصول - ص ٣٦٨ م ٢٩ من هذا الكتاب . وزاد عليها بعضهم همزة التسوية ؛ فإنها من أدوات
السبك عندهم . وهى التى تقع بعد كلمة : «سواء» ، ويليهما صلتهما مشتملة على لفظة «أم» الخاصة بهما .

كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ...)
فالهمزة تسبك -بغير سابك- مع الجملة بعدها بمصدر يعرب هنا فاعلا . والتقدير : إن الذين كفروا سواء-
بمعنى : متساو- إنذارك وعدمه عليهم . فهم يعربون كلمة : «سواء» خبر «إن» والمصدر المؤول - من غير
سابك - فاعل لكلمة «سواء» التى هى بمعنى اسم الفاعل

(وتفصيل الكلام على هذا فى مكانه الخاص ج ٣ باب العطف عند بيان أحوال « ام » .
ص ٤٣١ م ١١٨ - وسبقت الإشارة له فى ج ١ بآخر «باب الموصول» م ٢٩ ، كما قلنا)

(٢) أما : « كى » المصدرية فلا تصلح للسبك فى باب الفاعل ؛ لأنها - فى الغالب - تكون
مسيبقة بلام الجر لفظاً . أو تقديراً . فالمصدر المؤول منها ومن صلتهما مجرور باللام ؛ فلا يكون فاعلا
وكذلك : « لو » المصدرية ؛ لأنها - فى الغالب - مسبوقة بجملة فعلية ، فعلها «ود» أو «يود» - أو ما
فى معناها ، فالمصدر المنسبك منها ومن صلتهما يعرب مفعولا للفعل الذى قبلها . . .

(٣) بشرط أن يكون المراد : أن مدة الإطالة هى التى تسر ، وليست الإطالة نفسها ؛ وإلا
كانت « ما » مصدرية فقط .

فإنها قد تحذف وحدها وجوباً أو جوازاً في مواضع معينة ، وتبقى صلتها - كما سيجيء^(١) - ومع حذفها في تلك المواضع تسبك مع صلتها الباقية مصدراً يعرب على حسب حالة الجملة . وقد حذفت سماعاً في غير تلك المواضع ، وبقيت صلتها أيضاً . وهو حذف شاذ لا يصح القياس عليه . ومنه قولهم : وما راعنى إلا يسيرَ الركبُ . أى : إلا أن يسيرَ الركب . ، والتقدير... ما راعنى إلا سيرُ الركب ؛ فالمصدر المؤول فاعل . ومثله : يُفرحنى يبرأ المريض ؛ أى : أن يبرأ المريض والتقدير : يفرحنى برؤ المريض ؛ فالمصدر المنسبك فاعل . وهو نظير المسموع ، وكلاهما لا يجوز القياس عليه ، وإنما يذكر هنا لفهم المسموع الوارد في الكلام العربى القديم ، دون محاكاته .

وقد دعاهم إلى تقدير « أن » حاجة الفعل الذى قبلها إلى فاعل ، فيكون المصدر المنسبك منها ومن صلتها في محل رفع فاعلاً . ولولا هذا لكان الفاعل محذوفاً أو جملة : (يسير الركب - يبرأ المريض) وكلاهما لا يرضى عنه النحاة ، لخالفته الأعم الأغلب .

وبهذه المناسبة نشير إلى أن الراجح الذى يلزمنا اتباعه اليوم يرفُضُ أن تقع الجملة الفعلية أو الاسمية فاعلاً . وأما قوله تعالى في قصة يوسف : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه) . . . فالفاعل ضمير مستتر تقديره : « هو » عائد على المصدر المفهوم من الفعل . أى : بدا لهم بداء ، أى : ظهور رأى . وهذا أحد المواضع التى يستتر فيها الضمير - كما سبق^(٢) - .

وهناك رأى يجيز وقوعها فاعلاً مطلقاً . ورأى ثالث يجيز وقوعها فاعلاً بشرط أن تكون فعلية معلقة^(٣) بفعل قلى ، وأداة التعليق الاستفهام ؛ كقوله

(١) في الجزء الرابع ، باب « إعراب الفعل » حيث الكلام على النواصب ثم الجوازم . . .

(٢) ج ١ ص ١٨١ م ٢٠ عند الكلام على « مرجع الضمير » .

(٣) شرحنا في الباب الأول : (ظن وأغواتها) التعليق وأدواته . ص - ٢٧ .

.

تعالى : (وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ^(١) فَعَلْنَا بِهِمْ) . والرأى الأول أكثر مسaire للأصول اللغوية ، وأبعد من التشنيت والتفريق ، وآثارهما السيئة في الإبانة والتعبير ، فالإقتصار عليه أولى .

نعم إن كانت الجملة مقصوداً لفظها وحكايتها بحروفها وضبطها جاز وقوعها فاعلاً ؛ لأنها — بسبب قصد لفظها — تعتبر بمنزلة الفرد ؛ كأن تسمع صوتاً يقول : « رأيت البشير » . فتقول : « سرنى رأيتُ البشير » ؛ فتكون الجملة كلها باعتبارها كتلة واحدة متماسكة ، فاعلاً ، مرفوعاً بضممة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها حركة الحكاية^(٢) .

(١) تفصيل الكلام على حالات : « كيف » الإعرابية والبنائية ، في ج ١ م ٣٩ ص ٥٠٩ .
 (٢) انظر رقم ٣ من هامش ص ١١٩ حيث البيان الخاص بنوع الجملة التي تصلح نائب فاعل .

المسألة ٦٦ :

أحكام الفاعل

للفاعل أحكام تسعة ، لا بد أن تتحقق فيه مجتمعة :

أولها : أن يكون مرفوعاً ، كالأمثلة المتقدمة . ويجوز أن يكون الفاعل مجروراً في لفظه ، ولكنه في محل رفع . ومن أمثله إضافة المصدر إلى فاعله ؛ في نحو : يسرنى إخراجُ الغنيِّ الزكاةَ ؛ فكلمة : « الغنيِّ » مضاف إليه مجرور . وهي فاعل المصدر ؛ إذ المصدر هنا يعمل عمل فعله : ^(١) « أخرج » فيرفع مثله فاعلاً ، وينصب مفعولاً به . . . وأصل الكلام : يعجبني إخراجُ الغنيِّ الزكاةَ ؛ ثم صار المصدر مضافاً ، وصار فاعله مضافاً إليه مجروراً في اللفظ ، ولكنه مرفوع في المحل بحسب أصله ^(٢) ، كما قلنا ؛ فيجوز في تابعه (كالنعت ، أو غيره من التوابع الأربعة ^(٣)) ، أن يكون مجروراً ؛ مراعاةً للفظ ، أو مرفوعاً مراعاةً للمحل ، تقول : يعجبني إخراجُ الغنيِّ المقتدرِ الزكاةَ ؛ برفع كلمة : « المقتدرِ » أو جرّها .

ومن أمثلة ذلك أيضاً الفاعل المجرور بحرف جرّ زائد . ويغلب أن يكون حرف الجرّ الزائد هو : « مِن » ، أو : « الباء » ، أو : « اللام » . نحو : ما بَقِيَ من أنصارٍ للظالمين — كَفَى ^(٤) بالحق ناصراً ومعيناً — هيهات لتحقيق الأمل بغير الجهد الصادق . فكلمة : « أنصار » مجرورة في اللفظ بحرف الجرّ الزائد : « مِن » ، ولكنها في محل رفع فاعل ، وكلمة : « الحق » ، مجرورة بحرف الجرّ الزائد : « الباء » في محل رفع ؛ لأنها « فاعل » . وكذلك كلمة : « تحقيق » مجرورة باللام الزائدة في محل رفع ؛ لأنها فاعل لاسم الفعل : « هيهات » .

(١) في أول الجزء الثالث باب خاص بإعمال المصدر ، وأحكامه المختلفة ، وكذا اسم المصدر .

(٢) ومثل المصدر المضاف لفاعله اسم المصدر في نحو : يسرنى عطاء الغنيِّ الفقير . فكلمة « عطاء »

اسم مصدر الفعل : « أعطى » الذي مصدره : إعطاء . وقد أضيف اسم المصدر لفاعله ، ونصب مفعوله . ففاعله مجرور اللفظ ، مرفوع المحل .

(٣) في آخر الجزء الثالث باب مستقل لكل واحد منها .

(٤) فعل ماض ، معناه : وفّى وأغنى : (حصل به الاستغناء) . . .

فالفاعل في الأمثلة الثلاثة وأشباهاها مجرور اللفظ ، مرفوع المحل ؛ بحيث لو جاء بعده تابع (كالعطف ، أو غيره من التوابع الأربعة) لجاز في تابعه الرفع والبحر ؛ — كما أسلفنا — ففي المثال الأول نقول : ما بقي من أنصار وأعوان^(١) للظالمين ؛ بالجر والرفع في كلمة : « أعوان » المعطوفة . وفي المثال الثاني نقول : كنى بالحق والأخلاق بجر كلمة : « الأخلاق » ورفعها . وفي الثالث هيهات لتحقيق الأمل والفوز بجر كلمة : « الفوز » ورفعها^(٢) .

ثانيها : أن يكون موجوداً — ظاهراً ، أو مستتراً — لأنه جزء أساسي^(٣) في

(١) إذا كان المعطوف معرفة والمعطوف عليه مجروراً بمن الزائدة ؛ مثل : ما بقي من أنصار والجنود . . . ، وجب في المعطوف الرفع فقط — كما يقول النحاة — لأن « من » الزائدة لا تكون جارة زائدة — في الرأي الأغلب — إلا بشرطين — كما سيجيء في ص ٤٦٢ — أن تكون مسبوقه بنى أو شبهه ، وأن يكون المجرور بها نكرة . ولما كان المعطوف في حكم المعطوف عليه ، ويعد معمولاً مثله لحرف الجر الزائد : « من » — وجب عندهم أن يكون نكرة كالمعطوف عليه . فإن لم يكن مثله لم يصح أن يكون معمولاً للحرف « من » فلا يصح فيه الجر ، ويجب فيه الاقتصار على الرفع . وكذا إن كان المعطوف عليه نكرة وأداة العطف : « لكن » أو : « بل » ؛ لأن المعطوف بهما بعد النفي والنهي يكون مثبتاً ؛ فلا يصح جره ؛ لأنه بمنزلة المجرور بالحرف « من » والمجرور به لا بد أن يكون نكرة منفية .

(راجع إيضاح الكلام على : « بل » و « لكن » في ج ١ ص ٤٤٣ م ٤٣ وفي باب العطف جزء ٣) .

هذا تلخيص كلامهم . وهو مناقض لما يقولونه في مواضع مختلفة ؛ من أنه يفتقر في الثواني (أى في التوابع — وأشباهاها) — ما لا يفتقر في الأوائل — راجع البيان ص ٣٣٨ م ٨١ وله إشارة ٦٣٢ — وبناء على هذا أحكاماً كثيرة ؛ فلا داعي هنا لخروجهم على ما قرروه ، وتشدهم وتضييقهم . والرأى — عندي — تطبيق قاعدتهم السابقة على توابع الفاعل المجرور ؛ فيجوز في توابعه الجر مطلقاً ؛ مراعاة للفظ المجزور ، والرفع مراعاة لمحلّه . وليس في هذا ضرر لفظي أو معنوي بل فيه تيسير ، وتخفيف ، وتقليل للتفريع .

(٢) وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

الفاعلُ الَّذِي كَمَرُفُوعِيْ : أَتَى زَيْدٌ مُنِيرًا وَجْهَهُ ؛ نِعَمَ الْفَتَى

وقد اكتفى في تعريف الفاعل بذكر أمثلة مستوفية للشروط هي : أتى زيد . . . فكلمة « زيد » فاعل للفعل المتصرف : « أتى » وكلمة : « وجه » فاعل للوصف المشبه للفعل ؛ وهو : « منير » اسم فاعل . و « الفتى » فاعل للفعل الجامد : « نعم » ؛ فقد عدد الفاعل تبعاً لأنواع العامل .

(٣) الجزء الأساسي في الجملة ، أو الأصل ، هو : الذي لا يمكن الاستغناء عنه في أداء معناها الأصل ، ويسميه النحاة : عمدة . ومنه : المبتدأ — الخبر — الفاعل — كثير من أنواع الفعل

جملته ؛ لابدّ منه ، ولا تستغنى الجملة عنه لتكملة معناها الأصيل مع عامله ؛ ولهذا لا يصح حذفه .

ويستثنى من هذا الحكم أربعة أشياء^(١) كل منها يحتاج للفاعل ، ولكنه قد يحذف - وجوباً ، أو جوازاً - لداع يقتضى الحذف ؛ وهى :

(أ) أن يكون عامله مبنياً للمجهول ؛ نحو : (يأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم . . .) ، ومثل : إن القوى يُخافُ بأسه . وأصل الكلام : كُتِبَ الله عليكم الصيام - إن القوى يخاف الناسُ بأسه . . . ثم بُنى الفعل للمجهول ، فحذف الفاعل وجوباً ، وحلّ مكانه نائب له .

(ب) أن يكون الفاعل واو جماعة أو ياء مخاطبة ، وفعله مؤكّد بنون التوكيد ؛ كالذى فى خطبة أحد القواد . . .

« أيها الأبطال ، لتَهْزِمُنْ أعداءكم ، ولتَرْفَعُنْ رايةَ بلادكم خفاقة بين رايات الأمم الحرة العظيمة . . . فأبشروا يا بلادى ؛ فوالله لتسمعن أخبار النصر المؤزر^(٢) ، ولتفرحن بما كتب الله لك من عزة ، وقوة ، وارتقاء . »

(وأصل الكلام : تهزمونن - ترفعونن - تسمعينن - تفرحينن - حذف نون الرفع لتوالى الأمثال . ثم حذف وجوباً واو الجماعة ، وياء المخاطبة ؛ لالتقاء الساكنين)^(٣) .

(ح) أن يكون عامله مصدرراً ؛ مثل : لإكرام الوالد^(٤) مطلوب . والحذف هنا جائز .

(١) زاد عليها بعض النحاة . ولكن الزيادة لم تثبت على التمهيص ، ولم يرض عنها المحققون (راجع الخضرى ج ١ ، والصبان ج ٢ أول باب الفاعل عند الكلام على مواضع حذفه) بل إنهم لم يرضوا عن هذه الأربعة ، وقالوا هناك ؛ إن الحذف فيها ظاهرى فقط ، وليس بتحقيق . ولهم أدلتهم المقبولة القوية ، وإن كنا قد وقفنا وسطاً .

(٢) البالغ الشديد .

(٣) الكلام على هذا الحذف من نواحيه المختلفة مدون بالجزء الأول ص ٦٢ المسألة السادسة .

أما التفصيل الأكل فى ج ٤ ص ١٢٩ م ١٤٣ . بابي : نون التوكيد ، ثم الإعلال والإبدال .

(٤) يرى بعض النحاة : أن المصدر جامد ، فلا يتحمل ضميراً مستتراً فاعلاً ، إن حذف فاعله الظاهر ، إلا إن كان نائباً عن عامله المحذوف فيتحمل ضميره (راجع ص ٢٢١) . ويرى بعض آخر =

(د) أن يحذف جوازاً مع عامله لدواع بلاغى ، بشرط وجود دليل يدل عليهما مثل : من قابلت ؟ فتقول : صديقاً^(١) . أى : قابلت صديقاً .

وفى بعض الأساليب القديمة التى نحاكيها اليوم ما قد يومم أن الفاعل محذوف فى غير المواضع السالفة ، لكن الحقيقة أنه ليس بمحذوف . ومن الأمثلة لهذا : أن يتكلم اثنان فى مسألة ، يختلفان فى تقديرها ، والحكم عليها ، ثم ينتهى بهما الكلام إلى أن يقول أحدهما لصاحبه : إن كان لا يناسبك فافعل ما تشاء . ففاعل الفعل المضارع : « يناسب » ليس محذوفاً ، ولكنه ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود إلى شيء مفهوم من المقام . أى : إن كان لا يناسبك رأى ، أو نصحى ، أو الحال الذى أنت فيه^(٢)

ومنها : أن يعلن أحدهما رأيه بقوة وتشدد ، فيقول أحد السامعين : ظهرَ - أو : تبين - أو : تكشف . . . يريد : ظهر الحق . . . أو تبين الحق . . . أو : تكشف الحق .

وقُصارى القول : لا بد - فى أكثر^(٣) الحالات - من وجود الفاعل اسماً ظاهراً ، أو ضميراً مستتراً أو بارزاً . وقد يحذف أحياناً ؛ كما فى تلك المسائل الأربعة . وحذفه فى المسألتين الأوليين واجب ، أما فى الأخيرتين فجائز .

= أنه جامد مؤول بمشتق فهو محتمل للضمير ، ففاعله مستتر فيه (راجع : رقم ٢ ص ١١٣ ورقم ٢ من هامش ص ٢٢١) .

(١) ليس من اللازم فى هذه الصورة ، وأشباهها من كل اسم مذكور وحده . - أن يعرب مفعولاً به ؛ بل يصح إعرابه شيئاً آخر يناسب الغرض والمقام ؛ كأن يكون مبتدأ خبره محذوف ، أو العكس . . . أو . . . أو . . .

(٢) سبق الكلام على هذا الموضوع عند الكلام على مرجع الضمير - ص ٢٣٠ م ١٩ .

(٣) انظر ص ٧٢

زيادة وتفصيل :

هناك أفعال لا تحتاج إلى فاعل مذكور أو محذوف ؛ منها : « كان »^(١) الزائدة ؛ مثل : المالُ - كان - عمادٌ للمشروعات العمرانية .
ومنها الفعل التالى لفعلٍ آخر ؛ ليؤكد توكيداً لفظياً ؛ مثل : (اقرب - اقرب - القطار) ؛ (فتهياً - تهياً - له) . فالفعل الثانى منهما مؤكد للأول توكيداً لفظياً ؛ فلا يحتاج لفاعل^(٢) مع وجود الفاعل السابق .

ومنها أفعال اتصلت بآخرها : « ما » الكافة . (أى : التى تكفُ غيرها عن العمل ، وتنع ما اتصلت به أن يؤثر فى معمول) مثل : طالما - كثر ما - قلما ، . . . نحو : (طالما أوفيت بوعدك ، وكثر ما حمدت لك الوفاء ؛ وقلما^(٣) يخلف النبيل وعده) ويعرب كل واحد فعلاً ماضياً مكفوفاً عن العمل (أى : ممنوعاً) بسبب وجود « ما » التى كفتّه . وقد يقال فى الإعراب : طالما - أو : كثر ما - أو : قلما - « كافة ومكفوفة » بمعنى : أن كل كلمة من الاثنتين كفت الأخرى ، ومنعتها من العمل ، فهى كافة لغيرها ، ومكفوفة بغيرها .

وهناك رأى أفضل ؛ يعرب الفعل ماضياً ، ويعرب « ما » مصدرية ، والمصدر المنسبك منها ومن صلتها فى محل رفع فاعل الفعل الماضى ؛ فالتقدير : طال إيفاءك بوعدك - وكثر حمدى لك الوفاء - وقل إخلاف النبيل وعده . وإنما كان هذا الرأى أفضل لأنه يوافق الأصل العام الذى يقضى بأن يكون لكل فعل أصلى فاعل ؛ فلا داعى لإخراج هذه الأفعال من نطاق ذلك الأصل^(٤) .

هذا ويقول اللغويون : إن تلك الأفعال - فى الرأى الأحسن الجدير بالاتباع - لا يليها إلا جملة فعلية ؛ كالأمثلة السابقة .

(١) تفصيل الكلام على زيادتها ، وفائدتها وإعرابها . . . فى ج ١ ص ٢٨ المسألة : ٤٤ .

(٢) ولا لشيء آخر من المعمولات (طبقاً للبيان التفصيلى الآتى فى باب « التوكيد » ، > ٣ -

م ١١٦ ص ٥١٠) :

(٣) تستعمل : « قلما » فى أغلب الأساليب لإثبات الشيء القليل ؛ كهذا المثال المذكور بعد .

وقد تستعمل فى بعض الأساليب للنفي المحض ؛ فتكون حرفاً نافياً - لا فعلاً - مثل : « ما » النافية ، و « لا » النافية نحو : قلما يسلم الصفيه من المكارة . أى : ما يسلم . . . ولا بد فى استعمالها حرف نفي

من وجود قرينة تدل على هذا . والأحسن ترك هذا الاستعمال القليل - بالرغم من جوازه - فراراً من اللبس .

(٤) ولأن العلة التى يذكرونها لكف الفعل فى مثل : « قلما » وعدم احتياجه للفاعل - وهى كما =

ثالثها : وجوب تأخيرها عن عامله ، كالأمثلة السالفة . وقد يوجد في بعض الأساليب الفصحى ما يوهم أن الفاعل متقدم . والواقع أنه ليس بفاعل في الرأي الأرجح ؛ ففي مثل : « الخير زاد » ، لا تُعرب كلمة : « الخير » فاعلاً مقدماً ، وإنما هي مبتدأ . وفاعل الفعل بعده ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على الخير ، والجملة الفعلية خبر المبتدأ . وفي مثل : إن ملهوف استعان بك فعاونته ، تعرب كلمة : « ملهوف » فاعلاً^(١) بفعل محذوف يفسره الفعل بعدها ؛ والتقدير : إن استعان بك ملهوف — استعان بك — فعاونته . ومثله : إن أحد استغاث بك فأغثه . . . وقوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) فالفاعل لا يكون متقدماً . أما الاسم المتقدم على الفعل في تلك الأمثلة وأشباهها فقد يعرب حيناً ، مبتدأ ، وفاعل الفعل الذي بعده ضمير مستتر يعود على ذلك الاسم ، وقد يعرب في حالات أخرى فاعلاً لفعل محذوف يفسره المذكور بعده^(٢) ، أو غير هذا من الأوجه الاعرابية الصحيحة التي تليها عن أن يكون فاعلاً متقدماً .

رابعها : الشائع أن يتجرد عامله (فعلاً كان ، أو شبه فعل) من علامة في آخره تدل على التثنية أو على الجمع حين يكون الفاعل اسماً ظاهراً مثنى أو جمعاً ، نحو : طلع النيران — أقبل المهنتون — برعت الفتيات في الحرف المتزلية . فلا

= جاء في المعنى - شبه في معناه للحرف : « رب » علة واهية .
وعلى اعتبار « ما » كافة ، يجب وصلها بالفعل الذي قبلها في الكتابة ؛ فتشبه بآخره . أما على اعتبارها مصدرية فيجب فصلها في الكتابة .

(١) بيان السبب في ص ١٤٤ .

(٢) هذا رأى فريق كبير من النحاة ، وخاصة البصريين . ويرى غيرهم - ولا سيما الكوفيين - جواز تقدم الفاعل على عامله . وهم يعربون الاسم الظاهر المرفوع من الأمثلة المذكورة فاعلاً . وبالرغم من الميل للتيسير وتقليل الأقسام يبدو رأى البصريين هنا أقرب مسابقة للأصول اللغوية ؛ ذلك أن مهمة « المبتدأ » البلاغية تختلف عن مهمة « الفاعل » ؛ فلا معنى للخلط بينهما ، وإزالة الفوارق التي لها آثارها في المعنى - كما سيحىء إيضاحه مفصلاً في مكانه المناسب ص ١٤٤ من باب « الاشتغال » - .
وفي الحكم الثاني والثالث يقول ابن مالك :

وبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ ، فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ ، وَإِلَّا فَضَمِيرٌ اسْتَتَرَ

أى : أن الفعل لا بد له - في الأغلب - من فاعل بعده ، فإن ظهر فهو المطلوب ، ولا استتار ولا حذف ، وإلا فهو ضمير مستتر . . . أو محذوف إن كان الموضع موضع حذفه .

يصح في الأمثلة السابقة وأشباهها — طبقاً للرأى الشائع — أن يتصل بآخر الفعل ألف تثنية ، ولا واو جماعة ، ولا نون نسوة ؛ فلا يقال : طلعاَ النَّيِّرَان — أقبلوا المهنتون — برعنَ الفتيات^(١) . . . إلّا على لغة تزيد هذه العلامات مع وجود الفاعل الظاهر بعدها . وهى لغة فصيحة^(٢) ، ولكنها لم تبلغ من درجة الشبوع والجرى على ألسنة الفصحاء ما بلغته الأولى التى يحسن الاكتفاء بها اليوم ، والاقتصار عليها ؛ إيثاراً للأشهر ، وتوحيداً للبيان — مع صحة الأخرى — .

ومثل الفعل في الحكم السابق ما يشبهه في العمل ، فلا يقال في اللغة الشائعة : هل المتكلمان غريبان ؟ هل المتكلمون غريبون ، بإعراب كلمتى : « غريبان » و « غريبون » فاعلاً للوصف ، ويجوز على اللغة الأخرى^(٣) .

(١) لا يقال هذا ولو كانت التثنية والجمع من طريق التفريق والعطف بالواو ؛ مثل : طلعا الشمس والقمر . . . - حضروا محمود ، وصالح ، وحامد . . - تعلمن فاطمة ، ومية ، وبثينة . . . (٢) لأن الوارد المسبوع بها كثير في ذاته ، وإن كان قليلاً بالنسبة للوارد من اللغة الأخرى . ولا معنى لما يتكلفه بعض النحاة من تأويل ذلك الوارد المشتغل على علامة التثنية أو الجمع مع وجود الفاعل الظاهر بعد تلك العلامة ؛ قاصداً بالتأويل إدخال تلك الأمثلة تحت حكم آخر لا يمنع اجتماع الضمير مع ذلك الاسم المرفوع في جملة فعلية واحدة ؛ فهذا خطأ منهم ؛ إذ المقرر أن القلة النسبية لاتمنع القياس ، وأنه لا يصح إخضاع لغة قبيلة لغة أخرى ما دامت كلتاها عربية صحيحة . ويستدل الذين يجيزون الجمع بين الأمرين بأمثلة كثيرة : منها قوله تعالى : (وَأَسْرَوْا النَّجْوى الذين ظلموا . .) . وقوله تعالى : (عَسُوا وَصَمُوا كثيرٌ منهم . .) بإعراب كلمة : « الذين » وكلمة « كثير » هى « الفاعل والواو حرف محض ؛ للدلالة على الجمع » . وعليها قول الشاعر :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمَقَا

وقول الآخر :

لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ أَفَلَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَكَفَّفُ

ولا داعى عندهم لإعراب الواو فاعلاً ، مع إعراب الاسم الظاهر بدلا ، أو غيره من ضروب التأويل التى منها إعراب الاسم الظاهر مبتداً متأخراً ، وتكون الجملة الفعلية قبله خبراً متقدماً . . . ومن البديهي أن محاكاة القرآن في ألفاظه المفردة والمركبة محاكاة دقيقة أمر سائغ بل مطلوب ، فإذا حاكيناه في مثل الآيتين السابقتين — وغيرهما — كانت المحاكاة الدقيقة صحيحة قطعاً ، ولا يجوز أحد أن يصف التركيب بالخطأ . ومن شاء بعد ذلك أن يؤول تعبيراتنا بمثل ما أول به الآيتين فليفعل ، فليس يعنيننا إلا صحة التركيب المسابير للقرآن وسلامته من الخطأ ، سواء أكانت صحته وليدة التأويل أم غيره . فالهمم الصحة لانوع التعليل .

(٣) لعل الأخذ باللغة الأخرى التى تزيد هذه الحروف في آخر الفعل — أحسن في حالة الوصف ؛ =

خامسها : أن عامله قد يكون مضمرأ (أى : محذوف اللفظ) جوازاً أو وجوباً :

(١) فيكون العامل مضمرأ (أى : محذوف لفظه) جوازاً إذا وقع جواب استفهام ظاهر الأداة ، تشتمل جملته على نظير العامل المحذوف . نحو : من انتصر ؟ فتجيب : الشجاع . أى : انتصر الشجاع . . . ونحو : أحضر اليوم أحد ؟ فتجيب : الضيف ، أى : حضر الضيف . . .

أو يكون فى جواب استفهام ضمنى مفهوم من السياق من غير تصريح بأداته ودلالته ؛ نحو : ظهر المصلح فاشتد الفرح به . . . العلماء - القادة - الجنود - أى : فرح العلماء - فرح القادة - فرح الجنود - . . . فكان سائلا سأل : من فرح به ؟ فكان الجواب : العلماء . . . ؛ فالاستفهام غير صريح ، ولكنه مفهوم من مضمون الكلام . ومثل : ازدحم الطريق ؛ الأولاد ، السيارات ، الدراجات أى : زحمة الأولاد ، زحمة للسيارات . . . زحمة الدراجات . . . فليس فى الكلام استفهام صريح ، وإنما فيه استفهام ضمنى ، أو مقدر يفهم من السياق ؛ فكان أصل الكلام : من زحمة ؟ فأجيب : الأولاد ، أى : زحمة الأولاد . . . ، ومثل : العيد بهجة مأمولة ، وفرحة مشتركة : الكبار ، الأطفال ، الرجال ، النساء . . . فى الكلام سؤال ضمنى أو مقدر ؛ هو : من يشترك فيها ؟ فأجيب : الكبار . . . أى : يشترك فيها الكبار . . . ومثل : لم يدخل الحزن قلبك لموت فلان . . . ، فتقول : بل أعظم الحزن . فكان أصل الكلام : هذا أصحح ؟ فأجيب : أعظم الحزن ، أى : بل دخله أعظم الحزن . . .

= لأنه أيسر وأوضح - كما سبق أن قلنا فى باب المبتدأ والخبر عند الكلام على الوصف - ص ٣٣٠ م ٣٤ - . وفى الحكم الرابع يقول ابن مالك :

وجرد الفعل إذا ما أسنداً لاثنين ، أو جمع ، كفاز الشُّهداء

وقد يقال : سَعِدَا وسَعِدُوا والفعل للظاهر بعد مُسْنَدٌ

يقول : لا تلحق بآخر الفعل الذى فاعله اسم ظاهر - مثنى أو جمع - علامة تثنية أو جمع . وساق مثالا لذلك : « فاز الشهداء » فالفاعل جمع تكسير للرجال ، وفعله مجرد من علامة جمع الرجال ؛ فلم يقل : فازوا الشهداء . ثم عاد فقال : إنه قد يصح فى بعض اللغات زيادة علامة التثنية والجمع على اعتبارها مجرد علامة حرفية ، وليست ضميراً فاعلاً ؛ لأن الفاعل اسم ظاهر مذكور بعدها ، والفعل قلبه ؛ فتقول : سعدا الرجال ، وسعدوا الرجال . . .

وهكذا^(١).

(ب) ويكون العامل مضمراً وجوباً إذا وقع مُفسراً بما بعد فاعله من فعل آخر (أو ما يشبهه) يعمل في ضمير يعود على الفاعل الظاهر السابق ، أو : في اسم مضاف إلى ضمير^(٢) يعود على ذلك الفاعل ؛ نحو : إن ضعيفاً استنصرَكَ فانصرهُ - إن صديقاً حضر والده فأحسن استقباله . فالفعل : « استنصرَ » و « حضر » هو المفسر للفعل المحذوف . وأصل الكلام : إن استنصرَكَ ضعيفاً استنصرَكَ ، وفاعل الفعل المفسر ضمير مستتر تقديره : « هو » يعود على فاعل الفعل المحذوف . وكذلك فاعل الفعل : « حضر » فإنه مفسر لفعل محذوف ، والتقدير : إن لابسَ صديقاً حضر والده فأحسن استقباله^(٣) ؛ فالضمير في كلمة : « والده » مضاف إليه ، والمضاف هو كلمة : « الولد » المعمولة للفعل المفسر : « حضر » . وفي هذين المثالين وأشبهاهما لا يجوز الجمع بين المفسر والمفسر ؛ لأن المفسر هنا يدل على الأول ، ويغنى عنه ؛ فهو كالعوض ، ولا يجوز الجمع بين العوض والمعوّض عنه^(٤).

سادسها : أن يتصل بعامله علامة تأنيث تدل على تأنيثه (أى : على تأنيث الفاعل حين يكون مؤنثاً ، هو ، أو نائبة)^(٥) ، وزيادتها على الوجه الآتى :

- (١) يجوز في الأسماء التي أعربناها فاعلاً لفعل محذوف إعرابات أخرى لغير ما نحن فيه .
(٢) هذا الاسم المضاف يسمى : « الملابس » للفاعل ، أى : الذى يجمعه به صفة أى صلة ؛ كقرابة ، أو صداقة . أو عمل ، أو تملك . . .
(٣) سيحىء في باب : « الاشتغال » تفصيل المسألة ، وتوضيحها ، وسبب اختيارهم هذا الإعراب - ص ١٤٠ م ٦٩ و ١٤٥ وما بعدهما

(٤) وفي الحكم الخامس يقول ابن مالك :

وَيَرْفَعُ الْفَاعِلُ فِعْلًا أَضْمَرَا كَمَثَلِ : زَيْدٌ ، فِي جَوَابِ : مَنْ قَرَأَ؟

يريد أن الفاعل قد يكون مرفوعاً بفعل مضمّر ، (أى : غير مذكور مع فاعله) . وضرب لهذا مثالا هو : أن يسأل سائل : من قرأ ؟ فيجواب : زيد . أى : قرأ زيد . واكتفى بهذا عن سرد التفصيل الخاص بهذا الحكم ، وقد ذكرناه .

(٥) وكذلك تدل على تأنيث اسم الناسخ إن كان العامل من النواسخ . وتمتنع التاء ، في مواضع ستذكر في « ه » من ص ٨٤ .

(ا) إن كان العامل فعلاً ماضياً لحقت آخره تاءُ التأنيث الساكنة^(١) ،
مثل قول شوقي في سَكِينَةَ بنت الحسين بن عليّ - رضى الله عنهما - :

كَانَتْ سَكِينَةُ تَمْلَأُ الْدُنْيَا ، وَتَهْزَأُ بِالرَّوَاةِ
رَوَتْ الْحَدِيثَ ، وَفَسَّرَتْ آيَ الْكِتَابِ الْبَيْنَاتِ

(ب) إن كان العامل مضارعاً فاعله المؤنث اسم ظاهر ، للمفردة ، أو لمثنائها أو جمعها ، لحقت أوله تاء متحركة : مثل : تَتَعَلَّمُ عائشة ، تتعلم العائشان - تتعلم العائشات . وكذلك إن كان فاعله ضميراً متصلاً للغائبة المفردة أو لمثنائها^(٢) ، مثل : عائشة تتعلم^(٣) - العائشان تتعلمان . ومثل قولهم : عجبت للباغى كيف تهدأ نفسه ، وتنام عيناه ، وهو يعلم أن عين الله لا تنام ؟ وكالمضارع « تملأ » و « تهزأ » في البيت السالف .

فإن كان فاعله ضميراً متصلاً بجمع الغائبات (أى : نون النسوة) فالأحسن - وليس بالواجب^(٤) - تصديره بالياء ، لا بالتاء ؛ استغناء بنون النسوة في آخره ؛ نحو : الوالدات يذلن الطاقة في حماية الأولاد ، ويسهرن الليالى في رعايتهم . ويصح : تبدلن ، تسهرن . . . ولكن الياء أحسن - كما تقدم - .
(ح) إن كان العامل وصفاً^(٥) لحقت آخره تاءُ التأنيث المربوطة^(٦) ؛ مثل :

(١) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي الْمَاضِيَ إِذَا كَانَ لِأُنْثَى ؛ كَأَبَتْ هِنْدُ الْأَذَى
والفاعل في مثاله مؤنث حقيق . وقد يكون مؤنثاً - مجازياً ؛ « كالعين ؛ والطلول » في قول الشاعر :

وَتَلَفَّتْ عَيْنِي ؛ فَمَذْ خَفِيتْ عَنِ الطَّلُولِ ۚ تَلَفَّتِ الْقَلْبُ
ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر - وفيه الفاعل مؤنث لفظي مجازي - :

إِذَا أَبَقْتَ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرٍ

(٢) أما تاء المخاطبة للمفردة ، ومثنائها ، وجمعها ؛ فليست تاء تأنيث ؛ وإنما هي للدلالة على الخطاب لا على التأنيث ؛ نحو : أَنْتِ يَا زَيْمِلَى لَا تَعْرِفِينَ الْعَبْثَ - أَنْتَا يَا زَيْمِلَى لَا تَعْرِفَانِ الْعَبْثَ - أَنْتِ يَا زَيْمِلَى لَا تَعْرِفِينَ الْعَبْثَ .

(٣) الضمير المستتر نوع من المتصل - كما سبق في ج ١ م ١٨ ص ١٩٨ باب الضمير - .

(٤) كما سبق تفصيل هذا في باب الفعل (ح ١ م ٤ رقم ٢ من هامش ص ٤٦ عند الكلام على :

« المضارع » وكذا في « ج » ص ١٨١ م ١٤ عند الكلام على الأفعال الخمسة) .

(٥) أى : اسما مشتقا (٦) انظر « ج » من ص ٨٤ حيث التكملة .

أساهرةٌ والدةُ الطفل ؟ ...

وحكم زيادة تاء التانيث عام ينطبق على المواضع الثلاثة السالفة (أ - ب - ج) غير أن زيادتها قد تكون واجبة ، وقد تكون جائزة . فنحجب في حالتين :
الحالة الأولى : أن يكون الفاعل اسماً ظاهراً ، تحقيق التانيث (١) ، متصلاً

(١) المؤنث أنواع اصطلاحية ، فنه : « المؤنث الحقيقي » وهو الذي يلد ويتناسل . وقد يكون تناسله من طريق البيض والتفريخ ؛ كالطيور .
ومنه : « المؤنث المجازي » ، وهو الذي لا يلد ولا يتناسل ، ولكنه يجري في أغلب استعمالاته اللفظية على حكم المؤنث الحقيقي فيؤنث له الفعل أحياناً ، وكذلك الصفة والخبر . . . ومن أمثله : شمس ، أرض ، سماء . . .

ومن الأنواع : « المؤنث اللفظي » وهو الذي يشتمل لفظه على علامة تانيث ؛ سواء أكان مؤنثاً حقيقياً ، أم مجازياً ، أم دالاً على مذكر ، فن أمثلة المؤنث اللفظي والحقيق معاً : عائشة - فاطمة - ليلى - سدى - نجلاء ، ومن أمثلة المؤنث اللفظي والمجازي معاً : ورقة ، صحيفة ، صحراء . . . ومن أمثلة المؤنث اللفظي ومعناه مذكر : طلحة ، معاوية . . .

وهناك نوع من المؤنث يسمونه « المؤنث المعنوي » فقط وهو : ما كان دالاً على مؤنث مطلقاً ، مع خلو لفظه من علامة تانيث .

ونوع آخر يسمونه : « المؤنث تأويلاً » ؛ كالكتاب ، مراداً به : الصحيفة ، وكالسان ، مراداً به الرسالة .

ونوع آخر ؛ يقال له : « المؤنث حكماً » وهو المذكر المضاف لمؤنث ؛ نحو كلمة : « كل » في قوله تعالى :

(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) ونحو كلمة : « صدر » في قول الشاعر :

« وتعلّمت صدر القناة على الـدأ . » فكلمة : « كل » مذكّرة ، وكذا كلمة : « صدر » . ولكلّهما في المثالين مؤنثين ، فقد اكتسبتا التانيث من المضاف إليه ؛ وأنت الفعل لتأنيثهما . وهذا النوع - وكذا المؤنث - تأويلاً - مع جواز استعماله وصحة محركاته يقتضي أن نقصد في استعماله ؛ منعاً للشبهة اللغوية ، وحيرة السامع والقارئ . فإن خيف اللبس باستعماله وجب العدول عنه ، نزولاً على الصالح اللغوي .

وليس من اللازم أن توجد علامة لفظية للتانيث في المؤنث الحقيقي ، أو المجازي ؛ فقد توجد كبعض الأمثلة السابقة ، أو لا توجد مثل : زينب ، سعاد ، مى . . . ومثل : عين ، أذن ، يد . . . (وفي الجزء الرابع - ص ٤٣٧ م ١٦٩ - الباب الشامل الخاص بالتأنيث ، وأقسامه المتعددة ، وعلاماته ، وأحكامه المختلفة) .

وقد أشار ابن مالك إلى حالتي الوجوب بقوله :

وإِنَّمَا تَلْزَمُ فِعْلَ مَضْمَرٍ مُتَّصِلٍ . أَوْ مُفْهِمٍ ذَاتِ حِرِّ

يريد : أن علامة التانيث تكون لازمة في الفعل الذي فاعله ضمير متصل - مستمر ، أو بارز - يعود على مؤنث مطلقاً . وكذلك في الفعل الذي فاعله اسم ظاهر متصل به ما يفهم ويدل على مؤنثة حقيقية ...

بعامله مباشرة^(١)، غير مراد منه الجنس، وغير جمع^(٢) - وما يجري مجراه - كقولهم : سَعِدَت امرأةٌ عرفت ربها حق المعرفة ؛ فأطاعته . وشقيت امرأة لم تراقبه في السر والعلن . ويلاحظ التفصيل الآتي :

١ - إن كان الفاعل اسماً ظاهراً مؤنثاً حقيقياً ولكنه مفصول من عامله بفواصل جاز تأنيث العامل وعدم تأنيثه^(٣) ؛ نحو : نسَقَ الزهرَ مهندسةٌ بارعة . أو نسَقَتْ . . . ومثل : ما صاح إلا طفلةٌ صغيرة ، أو : صاحت ، وعدم التأنيث هو الأوضح حين يكون الفاصل كلمة : « إلا »^(٤) والأفصح مع غيرها التأنيث^(٥) .

(١) لزوم التأنيث في هذه الحالة باق إذا عطف على الفاعل مذكر ؛ نحو : قامت عائشة ومحمد ، كما يلزم التذكير في عكسه ؛ مثل : قام محمد وعائشة . أما قولهم يُغْلَبُ المذكر على المؤنث عند الاجتماع فخاص بنحو : عائشة ومحمد قاتمان .

(راجع الصبان) وانظر ما يتصل بهذا في رقم ٤ من هامش ص ٨٣ .

(٢) بأن يكون مفرداً ، أو مثنى ؛ لأن للجموع حكماً سيجيء هنا .

(٣) سواء أكان الفاصل ضميراً كالذي في قوله تعالى : (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات . . .) أم غير ضمير كالأمثلة التي ستجيء .

(٤) أو : غير ، أو سوى . . . مع ملاحظة أن كلمة : « غير » أو : « سوى » هي التي تعرب فاعلاً ، ولكنها مضافة إلى المؤنث .

(٥) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَقَدْ يُبَيِّحُ الْفَصْلُ تَرْكَ التَّاءِ فِي نَحْوِ : أَتَى الْقَاضِيَ بِنْتُ الْوَاقِفِ
يريد : أن الفصل بين الفعل وفاعله الظاهر المؤنث الحقيقي الذي وصفناه - يبيح تجريد الفعل من علامة التأنيث ، وضرب لذلك مثلاً هو : أتى - القاضي - بنت الواقف . ويصح أنت القاضي . . ولولا الفصل لوجب تأنيث الفعل . ثم قال :

وَالْحَذْفُ مَعَ فَضْلٍ بِإِلَّا فَضْلاً كَمَا زَكَ إِلَّا فَتَاةُ ابْنِ الْعَلَا
وفي رأي ابن مالك أن عدم التأنيث مفضل على التأنيث حين يكون الفاصل كلمة : « إلا » مثل : ما زكا إلا فتاة ابن العلا ؛ أي : ماصلحت إلا فتاة الرجل المعروف بابن العلا . ثم قال :

وَالْحَذْفُ قَدْ يَأْتِي بِإِلَّا فَضْلٍ ، وَمَعَ ضَمِيرٍ ذِي الْمَجَازِ فِي شِعْرِ وَقَعِ
أي : إن العامل الذي فاعله مؤنث ظاهر حقيق قد يتجرد من علامة التأنيث مع عدم وجود فاصل ؛ نحو : قال فتاة . وكذلك قد تحذف علامة التأنيث من العامل الذي فاعله ضمير متصل - مستتر ، أو بارز - يعود على مؤنث مجازي (ذي مجاز ، أي : صاحب مجاز) نحو الأرض اهتز بالأمس اهتزازاً شديداً ، ثم انشق بعد ذلك وهذا الحذف شاذ لا يصح محاكاته ، ولا القياس عليه .

٢ - وكذلك يصح الأمران إن كان الفاعل ظاهراً ، ومؤثراً حقيقياً غير مفصول ، ولكن لا يراد به فرد معين ، وإنما يراد به الجنس كله ممثلاً في الفاعل ، فكأن الفاعل رمز لجنسٍ معناه ، أو مرادٌ به ذلك الجنس كله . ومنه «الفاعل» الذي فعله : «نعم» أو «بش» أو أخواتهما^(١) . فيجوز إثبات علامة التأنيث في العامل وحذفها . نحو : نعم الأم ، ترعى أولادها ، وتشرف على شئون بيتها . . . فكلمة « الأم » هنا لا يراد بها واحدة معينة ، وإنما يُرمز بها إلى جنس الأم من غير تحديد ولا تخصيص . وهذا على اعتبار « أل » جنسية^(٢) ؛ فيجوز أن يقال : نعم الأم ، ونعمت الأم^(٣) .

٣ - وكذلك إن كان الفاعل ظاهراً ولكنه جمع تكسير للإناث أو الذكور فيصح تأنيث العامل ، وعدم تأنيثه ؛ نحو : عرفت الفواطم طريق السداد ، واتبعت الهنود سبل الرشاد . ويصح : عرف . . . واتبع . . . ؛ فالتأنيث على قصد تأويل الفاعل بالجماعة ، أو الفئة ، . . . وعدم التأنيث على قصد تأويله بالجمع أو الفريق ؛ فكأنك في الحالة الأولى تقول : عرفت جماعة الفواطم طريق السداد ، واتبعت جماعة الهنود سبل الرشاد . وكأنك في الحالة الثانية تقول : عرف جمع الفواطم^(٤) . . . واتبع جمع الهنود^(٤) . . . فالتأنيث ملاحظ فيه معنى « الجماعة » والتذكير ملاحظ فيه معنى « الجمع » . وكأن العامل مسند إلى هذه أو تلك ؛ ويجرى التأنيث أو التذكير على أحد الاعتبارين .

ومثل قولهم ؛ إذا دعا البدوي استجاب سكان الحى لدعوته ؛ فأسرع الرجال

(١) في الجزء الثالث باب خاص بهما ، وبألفاظ المدح والذم الأخرى .

(٢) وليست للبعد . ومقتضى ذلك - كما قالوا ، ونصوا على أنه لا بُعد فيه - جواز الأمرين في مؤثّر قصد به الجنس ؛ نحو : صار المرأة متعلمة كالرجل . ومثل هذا : ما قام من امرأة ؛ فيصح زيادة تاء التأنيث وعدم زيادتها ؛ لأن «مين» أفادت الجنسية . بخلاف ما قامت امرأة ؛ لكون المراد بها الفرد ، وإنما جاء العموم من النى . . .

(٣) ليس من اللازم في هذه الصورة أن يكون الفاعل ظاهراً ، فقد يكون ضميراً مفسراً بنكرة بعده ، نحو : نعم فتاة عائشة ؟

(٤ - ٤) ؛ وإنما صح حذف التاء من الفعل مع أن فاعله اسم ظاهر حقيقى التأنيث لأن تأويله بمعنى « الجمع » جملة بمنزلة المذكر مجازاً ؛ فأزال المجازى الطارئ ما كان يلاحظ لأجل التأنيث الحقيقى كما أزال التذكير الحقيقى في « رجال » في الصورة التالية

إليه ، وبادر الفتيان لنجدته . . . ويجوز : استجابت - أسرع - بادرت ؛ فيجرب التأنيث أو التذكير هنا - كما في سابقتهما - على أحد الاعتبارين .

ويجرب على اسم الجمع ^(١) واسم الجنس الجمعي ^(٢) العرب ^(٣) ، ما يجرب على جمع التكسير ؛ نحو : قالت طائفة لا تسالموا العدو . ونحو : شربت البقر . . . ويجوز : « قال ، وشرب » ^(٤) . . .

٤ - وإن كان الفاعل الظاهر جمع مؤنث سالماً - مستوفياً للشروط ^(٥) - فحكمه كحكم مفرد ؛ فيجب تأنيث عامله - في الرأي الأقوى - كقولهم : بلغت الأعرايات في قوة البيان وبلاغة القول مبلغ الرجال ، وكانت الشاعرات تعجيد

(١) هو ما يدل على ما يدل عليه الجمع ، ولكن ليس له مفرد من لفظه ، مثل : قوم - رهط - طائفة . . أو : هو ما يدل على أكثر من اثنين ، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معاً . وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير ، أو غالب فيه . فيدخل في اسم الجمع ماله مفرد من معناه فقط ؛ مثل : إبل وقوم ، وجماعة ؛ فهذه الكلمات - وأشباهاها - مفرد من معناها فقط ، مفرد إبل هو : جمل أو فاقة ، ومفرد قوم وجماعة هو : رجل أو امرأة ، وليس لها مفرد من لفظها ومعناها معاً ، برغم دلالتها على أكثر من اثنين . وسنعيد هذا البيان مفصلاً في ج ٤ باب « جمع التكسير » ، م ١٧٤ ص ٦٢٥ وباب « التأنيث » م ١٦٩ - حيث الكلام في : « ج » على تذكير أسماء الجمع وتأنيثها . . . و . . . المناسبة تقتضيه هناك .

(٢) سبق تعريفه وكل ما يتصل به في ج ١ م ١ ص ٢٠ - وانظر حكم مفردة في : « ا » ص ٨٤

(٣) بخلاف المبني مثل : « الذين » في رأى من يعتبرها اسم جنس جمعياً (وانظر « ا » في ص ٨٤

حيث تنمى الحكم الخاص بعامل اسم الجنس الجمعي) .

(٤) وفي جمع التكسير وفي فاعل « نعم » وأخواتها (وهي التي سبق الكلام عليها قبل جمع التكسير

- ص ٨١ -) يقول ابن مالك :

والتَّاءُ مَعَ جَمْعٍ سِوَى السَّالِمِ مِنْ مُذَكَّرٍ كَالتَّاءِ مَعَ إِخْدَى اللَّيْنِ

أى : تاء إلتانث التي تزداد في العامل للدلالة على تأنيث الفاعل - حكمها من ناحية وجودها أو الاستغناء عنها ، كحكمها في العامل الذي يكون فاعله هو كلمة : « اللين » (بمعنى : الطوب الذي لم يطبخ بالنار ولم يدخلها) حيث يقال : تكاثر اللين . أو تكاثرت اللبن ؛ بزيادة تاء التأنيث أو بخذفها ؛ فكذلك الشأن في كل جمع سوى جمع المذكر السالم المستوفى للشروط - وجمع المؤنث السالم المستوفى أيضاً - فلم يبق جمع سواهما إلا جمع التكسير ، فكأنه يريد أن يقول : إذا كان الفاعل جمع تكسير جاز في عامله التأنيث ؛ نحو : قام الرجال ، وقامت الرجال ، على نحو ما شرحناه . ثم قال :

وَالْحَذَفُ فِي « نِعَمَ الْفَتَاةُ » اسْتَحْسَنُوا لِأَنَّ قَصْدَ الْجِنْسِ فِيهِ بَيِّنٌ

(٥) سبقت شروطه في ج ١ ص ١٠٠ المسألة ١٢ .

القريض كالشعراء ، وربما سبقت شاعرة كثيراً من الفحول . . .

فإن لم يكن مستوفياً للشروط جاز الأمران ؛ نحو : أعلنت الطلحات السفر ،
أو أعلن . . . (جمع : طلحة ، اسم رجل) ؛ وكقول بعض المؤرخين : (لما
تمت « أذريعات » ^(١) بناء وعمراناً هياً واليها طعاماً للفقراء ، ونظر فإذا جمع من
النساء مقبل ؛ فقال : الحمد لله ، أقبل أولات الفضل ممن عملن بأنفسهن ،
وساعدن بأولادهن ؛ ابتغاء مرضاة الله . . .) فيصح في الفعلين : « تم . . . » -
« أقبل . . . » زيادة تاء التأنيث في آخرهما ، أو عدم زيادتها .

وبديه أن الفاعل إذا كان جمع مذكر سالماً مستوفياً للشروط ، لا يجوز
- في الرأي الأصح - تأنيث عامله ؛ وإنما يحكم له بحكم مفردة ؛ كقولهم :
« أسرع المحاربون إلى لقاء العدو ، فرحين ، ولم يتزحزح الواقفون في الصفوف
الأمامية ، ولم يتقهقر الواقفون في الصفوف الخلفية ؛ حتى كتب الله لهم النصر ، وفاز
المخلصون بما يبتغون » .

فإن كان غير مستوفٍ للشروط ^(٢) جاز الأمران على الاعتبارين السالفين -
(معنى الجمع أو : معنى الجماعة) نحو : أظهر أولو العلم في السنوات الأخيرة
عجائب ؛ لم يشهد الأرضون مثلها من بدء الخليفة ، وشاهد العالمون من آثار
العبقريّة ما جعلهم يرفعون العلم والعلماء إلى أعلى الدرجات . . . ؛ فيصح في الأفعال
المذكورة عدم إلحاق علامة التأنيث بها كما هنا ، أو زيادتها فيقال : أظهرت -
تشهد - شاهدت . . .

٥ - وإن كان الفاعل الظاهر مؤنثاً غير حقيقي (وهو : المؤنث المجازي) صح
تأنيث عامله وعدم تأنيثه ؛ نحو : امتلأت الحديقة بالأزهار - تمتلئ الحديقة
بالأزهار . ويصح : امتلأ ، ويمتلئ .

٦ - هناك صور للفاعل المؤنث الحقيقي لا يصح أن يؤنث فيها عامله ، منها :
أن يكون الفاعل هو التاء التي للمفردة ؛ مثل : كتبت - أو لمناها ؛ نحو كتبتما ،

(١) اسم بلد بالشام .

(٢) وين هذا أن يدخل على صيغة المفرد عند الجمع تغيير - أي تغيير - في عدد الحروف ، أو

أو التي معها نون النسوة ؛ مثل كتبتُن^(١) . . . أو يكون الفاعل هو : « نا » التي
لجماعة المتكلمات ؛ نحو : كتبنا . أو نون النسوة ، نحو : كتبتن . . .
ومنها : أن يكون الفاعل المؤنث الحقيقي مجروراً في اللفظ بالباء التي هي حرف
جر زائد ، وفعله هو : كلمة ؛ « كَتَفَى » مثل : « كنى بهند شاعرة^(٢) » .

الحالة الثانية^(٣) : أن يكون الفاعل ضميراً متصلاً عائداً على مؤنث مجازي ، أو
حقيقي ؛ كقولهم : بلادك أحسنتُ إليك طفلاً ، وأفاءت عليك الخير يافعاً ؛
فن حقاها أن تسترد جزاءها منك شاباً وكهلاً . وكقولهم : الأم المتعلمة تحسن رعاية
أبنائها ؛ فترفعُ شأنَ بلادها . . .^(٤) ففاعل الأفعال (وهي : أحسن - أفاء -
تسترد . . .) ضمير مستتر تقديره : « هي » ، يعود على مؤنث مجازي ، وأما فاعل
الفعلين : (تحسّن - ترفع . . .) فضمير مستتر تقديره : « هي » يعود على
مؤنث حقيقي . . .

فإن كان الفاعل ضميراً بارزاً منفصلاً كان الأفصح الشائع في الأساليب
العالية عدم تأنيث عامله : نحو : (ما فاز إلا أنت يا فتاة الحى) - (الفتاة
ما فاز إلا هي) - (إنما فاز أنت - إنما فاز هي) ، و . . . وأشباه هذه الصور
كما يقال عند إرادة الحصر . ومع أن التأنيث جائز فإن الفصحاء يفرون منه .

(١) طريقة إعراب هذا الضمير ونظائره موضحة تفصيلاً في موضعها الأنسب وهو « كيفية إعراب
الضمير » ج ١ م ١٩ ص ٢١٣ .

(٢) نص النحاة على أن يكون الفعل هو : « كنى » الذى يكون فاعله مجروراً بحرف الباء الزائدة .
 ويفهم من هذا أن غيره من الأفعال التي فاعلها مجرور بحرف جر زائد - قد يتصل به علامة تدل على تأنيث
ذلك الفاعل . بل إنهم ذكروا أمثلة للتأنيث بمناسبة عارضة في باب النائب عن الفاعل . ومن تلك الأمثلة
قوله تعالى : (وما تسقط من ورقة . . .) وقوله تعالى : (وما تخرج من ثمرات من أكمامها . . .)
وقوله تعالى : (وما تحمّل من أثني . . .) .

(٣) سبقت الأولى من حالتى وجوب التأنيث في ص ٨٧ .

(٤) « ملاحظة » : التأنيث في صور الحالة الثانية واجب ولو عطف على الفاعل مذكر ؛ نحو :
البنات قامت - هي - والوالد ؛ كوجوبه في نحو : قامت البنات والوالد . كما يلزم التذكير في عكسه ؛ نحو :
الوالد قام هو والبنات ؛ كوجوبه في نحو : قام الوالد والبنات . أما قولهم : « يغلب المذكر على المؤنث عند
الاجتماع فخاص بنحو : البنات والوالد قائمان . الوالد (ولهذا إشارة موضحة سبقت في رقم ١ من هامش
ص ٧٩) .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(ا) اسم الجنس الجمعي الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء المربوطة — إذا وقع مفردة هذا فاعلاً وجب تأنيث عامله مطلقاً ؛ (أي : سواء أكان من الممكن تمييز مذكرة من مؤنثه ، كبقرة وشاة ، أم لم يمكن ؛ كنملة ودودة) ؛ فيقال : سارت بقرة — أكلت شاة — دأبت نملة على العمل — ماتت دودة .

أما اسم الجنس المفرد الخالي من التاء الذي لا يمكن تمييز مذكرة من مؤنثه فيجب تذكير عامه ، ولو أريد به مؤنث ؛ مثل : صَاحْ هدهد — غرد بلبل ، ... فإن أمكن تمييز مذكرة من مؤنثه روعي في تأنيث العامل وعدم تأنيثه ما يدل عليه التمييز . فالمعول عليه في تأنيث عامل اسم الجنس المفرد الخالي من التاء ، أو عدم تأنيثه — هو مراعاة اللفظ عند عدم التمييز .

(ب) إذا كان الفاعل جمعاً يجوز في عامله التذكير والتأنيث (كجمع التكسير) فإن الضمير العائد على ذلك الفاعل يجوز فيه أيضاً التذكير والتأنيث ؛ نحو : قامت الرجال كلهم — أو قام الرجال كلها . . . والأحسن لدى البلغاء موافقة الضمير للعامل في التذكير وعدمه ؛ نحو : قامت الرجال كلها ، أو قام الرجال كلهم ، ونحو : حضرت الأبطال كلها ، أو : حضر الأبطال كلهم ، وذلك ليسير الكلام على نسق مماثل .

(ح) كما تلحق تاء التأنيث الفعل في المواضع السابقة تلحق أيضاً الوصف — كما سبق^(١) — إلا إذا كان الوصف مما يغلب عليه ألا تلحقه التاء في بعض حالاته ؛ مثل : « فَعُول » ، بمعنى : « فاعل » ؛ كصَبُور ، وجَحُود . . . ومثل : « فَعِيل » بمعنى : مفعول ؛ كطريح وطريد ، بمعنى : مطروح ، ومطروء^(٢) . ومثل : « أَفْعَل » التفضيل^(٣) في بعض صوره . وكذلك لا تلحق آخر اسم الفعل^(٤) ؛ كهيئات . ولا العامل

(١) في « ج » من ص ٧٧ .

(٢) بيان هذا وتفصيله في الباب الخاص بالتأنيث ج ٤ م ١٦٩ ص ٤٣٧ .

(٣) له باب مستقل في ج ٣ م ١١٢ ص ٣٢٢ .

(٤) له باب مستقل في ج ٤ م ١٤١ ص ١٠٨ .

إذا كان شبه جملة على رأى الذى يجعل شبه الجملة رافعاً فاعلاً بشروط اشتراطها وهو رأى يحسن إغفاله اليوم .

(د) إذا قصد لفظ كلمة ما ؛ (اسماً كانت ، أو فعلاً ، أو حرفاً) جاز اعتبارها مذكرة على نية : « لفظ » أو مؤنثة على نية : « كلمة » . وكذلك حروف الهجاء فى رأى الأشهر ؛ تقول فى كلمة سمعتها مثل : « هواء » أعجبنى الهواء ، أو : أعجبتنى الهواء . فالأولى على إرادة : أعجبنى لفظ : « الهواء » والثانية على إرادة : أعجبتنى كلمة : « الهواء » . وتقول فى إعراب : « أعجب » إنه فعل ماض ، أو لأنها فعل ماض . . .

وتقول « أل » هو : حرف يفيد التعريف أحياناً . أو : هى حرف يفيد التعريف أحياناً . وهكذا . . .

وتنظر للحرف الهجائى « الميم » مثلاً فتقول : إنه جميل المنظر ، أو لأنها جميلة المنظر . . .

وعلى حسب التذكير أو التأنيث فى كل ما سبق ، — ونظائره — يذكر أو يؤنث العامل والضمائر وغيرها من كل ما يتصل بالمطابقة .

(هـ) الأحكام الخاصة بالتذكير والتأنيث المترتين على وقوع الفاعل مفرداً مؤنثاً ، تُطبَّق أيضاً حين وقوعه مثنى مؤنثاً ، فيجرى على عامل الفاعل المؤنث المثنى ، وعلى الضمائر العائدة عليه من التذكير والتأنيث ، ما يجرى عليهما مع الفاعل المفرد المؤنث — كما يفهم مما سبق — كما سبق حكم العامل مع الفاعل المجموع .^(١)

سابعها : أن يتقدم — أحياناً — على المفعول به ؛ كالأمثلة السابقة ، وكقول الشاعر :

وإذا أراد اللهُ أمراً لم تَجِدْ لقضائه رداً ولا تحويلاً
ولهذا التقدم أحوال ثلاث ؛ فقد يكون واجباً ، وقد يكون ممنوعاً ، وقد يكون جائزاً .

(١) فيجب الترتيب بتقديم الفاعل وتأخير مفعوله في مواضع ، أشهرها :

١ — خوف اللبس الذي لا يمكن معه تمييز الفاعل من المفعول به ؛ كأن يكون كل منهما اسماً مقصوراً ؛ نحو : ساعدَ عيسى يحيى ، أو مضافاً لياء المتكلم ؛ نحو : كرمَ صديقي أبى^(١) . فلو تقدم المفعول به على الفاعل لخفيت حقيقة كل منهما ، وفسد المراد بسبب خفائها ؛ لعدم وجود قرينة تزيل هذا الغموض^(٢) واللبس . فإن وجدت قرينة لفظية أو معنوية تزيله لم يكن الترتيب واجباً . فمثال اللفظية : أكرمتُ يحيى سعادتي ، فوجود تاء التأنيث في الفعل دليل على أن الفاعل هو المؤنث (سعادتي) ، ومثل : كلّم فتاهُ يحيى ؛ لأن عودة الضمير على « يحيى » دليل على أنه الفاعل ، وأنه متقدم في الرتبة^(٣) ، برغم تأخره في اللفظ . (ولهذا يُسمّى المتقدم « حُكماً ») . ولم يكن مفعولاً به لكيلا يعود الضمير على شيء متأخر في اللفظ والرتبة ؛ وهذا أمر لا يساير الأساليب الصحيحة التي تقتضي بأن الضمير لا بد أن يعود على متقدم في الرتبة ، إلا في بعض مواضع^(٤) معينة ، ليس منها هذا الموضع .

ومثال المعنوية : أتعبتُ نُعْمَى الحُمَى . فالمعنى يقتضي أن تكون « الحمى » هي الفاعل ؛ لأنها هي التي تتعب « نُعْمَى » ، لا العكس .

(١) يقع اللبس في صور كثيرة ؛ فيشمل كل الأسماء التي يقدر على آخرها الإعراب ، كالمقصور ، وكالمضاف إلى ياء المتكلم ، وكالأسماء التي تعرب إعراباً محلياً ، ومنها « المبنيات » ؛ كإسماء الإشارة ، وأسماء الموصول . . .

(٢) لا التفات لما يقال من أن مخالفة الترتيب جائزة مع اللبس ، فهذا كلام لا يساير الأصول اللغوية العامة ، ولا يوافق القصد من التفاهم الصريح بالكلام .

(٣) بيان الرتبة والدرجة ملخص في رقم ١ من هامش ص ٨٨ .

(٤) سبقت في باب الضمير ج ١ ص ١٨٤ م ١٠ .

٢ - أن يكون الفاعل ضميراً متصلاً والمفعول به اسماً ظاهراً ؛ نحو : أُنقِنتُ العملَ ، وأُحكمتُ أمرَه . ولا مانع في مثل هذه الصورة من تقدم المفعول به على الفعل والفاعل معاً ؛ لأن الممنوع أن يتقدم على الفاعل وحده ، فيتوسط بينه وبين الفعل .

٣ - أن يكون كل منهما ضميراً متصلاً ولا حَصَرٌ^(١) في أحدهما ؛ نحو عاونتك كما عاونتني .

٤ - أن يكون المفعول به قد وقع عليه الحصر . (والغالب أن تكون أداة الحصر هي : «إِنَّمَا» أو «إِلَّا» المسبوقه بالنفي) ، نحو : إِنَّمَا يفيد الدواءُ المريضَ ، أو : ما أفاد الدواءُ إلا المريضَ .

وقد يجوز تقديم المفعول به على فاعله إذا كان المفعول محصوراً بإلا المسبوقه بالنفي ، بشرط أن تتقدم معه «إِلَّا» ؛ نحو : ما أفاد - إلا المريضَ - الدواءُ^(٢) . ومع جواز هذا التقديم لا يميل أهل المقدره البلاغية إلى اصطناعه ؛ لمخالفته الشائع بين كبار الأدباء .

(ب) ويجب إهمال الترتيب ، وتقديم المفعول به على الفاعل فيما يأتي :

١ - أن يكون الفاعل مشتملاً على ضمير يعود على ذلك المفعول به ، نحو : صان الثوبَ لابسُهُ - قرأ الكتابَ صاحِبُهُ^(٣) . . . في الفاعل (وهو : لابس - صاحب) ضمير يعود على المفعول به السابق^(٤) . فلو تأخر المفعول به لعاد ذلك

(١) سبق في الجزء الأول - ص ٣٦٤ م ٣٧ - الإشارة إلى معنى الحصر (القصر) والفرض منه ..
(٢) لما كان المحصور بإلا هو الواقع بعدها مباشرة كان تقدمه معها لا ليس فيه ؛ لأن وجودها قبله مباشرة يدل على أنه المحصور بغير غرض . أما المحصور «بإِنَّمَا» فإنه المتأخر عنها ، الذي لا يليها مباشرة . فإذا تقدم ضاع - في بعض الحالات - الفرض البلاغي من الحصر ، ولا قرينة في الجملة تدل على التقديم وموضعه . فيقع اللبس الذي يفسد الغرض .
(٣) ومثل الشطر الثاني من قول الشاعر :

حديث ذوى الأبواب أهوى وأشتهى كما يشتهي الماء المبرّد شاربُهُ

(٤) يتساوى في هذا الحكم اتصال الضمير بالفاعل مباشرة ، - كالمثالين المذكورين - واتصاله بشيء ملازم للفاعل ، لا يمكن أن يستغنى عنه الفاعل ، كصلة الموصول إذا كان الفاعل - أو نائبه - اسم موصول كالذي في قول الشاعر :

سموت فأدركت العلاء وإنما يُلقَى عليّات العلا من سما لها

في الصلة : (سمالها) ضمير يعود على المفعول به ، (وهو : عليّات) فوجب تقدم المفعول لهذا .

الضمير على متأخر لفظاً ورتبة^(١)؛ وهو مرفوض في هذا الموضع . أما عوده على المتأخر لفظاً دون رتبة - وهو المسمى بالمتقدم حكماً - فجائز . ومن أمثلته : عود الضمير من مفعول به متقدم على فاعله المتأخر ؛ نحو ؛ حملت ثمارها الشجرة . - فالضمير « ها » في المفعول عائد على « الشجرة » التي هي الفاعل المتأخر في اللفظ ، دون الرتبة ؛ لأن ترتيب الفاعل في تكون الجملة العربية يسبق المفعول به . ونحو : أفادت صاحبها الرياضة - أروى حقله الزارع . . .

أما عودة الضمير على المتأخر لفظاً ورتبة فكما عرفنا - ممنوعة إلا في بعض مواضع محددة . وقد وردت أمثلة قديمة عاد الضمير فيها على متأخر لفظاً ورتبة في غير تلك المواضع ؛ فحكيم عليها بالشذوذ وبعدم صحة محاكاتها ، إلا في الضرورة الشعرية ، بشرط وضوح المعنى ، وتمييز الفاعل من المفعول به ؛ فن الخطأ أن نقول : أطاع ولدُها الأم - أرضى ابنه أباه .

٢ - أن يكون الفاعل قد وقع عليه الحصر (بأداة يغلب أن تكون « إلا » المسبوقة بالنفي ، أو « إنما ») . نحو : لا ينفع المرء إلا العمل الحميد - إنما ينفع المرء العمل الحميد . وقد يجوز تقديم المحصور « بإلا » على مفعوله إذا هي تقدمت معه وسبقته ؛ نحو : لا ينفع إلا العمل الحميد المرء . . . « ملاحظة » : ستأتي^(٢) مواضع يجب أن يتقدم فيها المفعول به على عامله ، فيكون متقدماً على فاعله تبعاً لذلك .

(١) شرحنا (في باب الضمير ج ١ ص ١٨٢) معنى التقدم في اللفظ مع التقدم في الرتبة ، ومعنى التقدم في اللفظ دون الرتبة . وملخصه : أن بناء الجملة العربية قائم على ترتيب يجب مراعاته بين كلماتها ؛ فتتقدم واحدة على الأخرى وجوباً أو جوازاً ؛ فإن كان تقدم اللفظ واجباً بحسب الأصل الغالب عليه سمى تقدماً في الرتبة ، أو في الدرجة ، فالأصل في المبتدأ وجوب تقدمه على الخبر ، والأصل في الفعل وجوب تقدمه على فاعله ومفعوله ، والأصل في الفاعل أن يتقدم على المفعول . . . فإذا تحقق هذا الأصل ووضع كل لفظ في مكانه وفي درجته قيل إنه متقدم في اللفظ وفي الرتبة ؛ كالمبتدأ حين يتقدم على خبره ، وكالفعل حين يتقدم على مفعوله . فإذا تأخر المبتدأ عن خبره ، أو الفاعل عن مفعوله ، لم يفقد درجته ، ولم تزل عنه رتبته ، برغم تأخره اللفظي ؛ فيقال عنه : إنه متأخر لفظاً لا رتبة . . .

وهناك مواضع يجوز فيها عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة شرحناها - كما قلنا - في مكانها الأنسب لها ، وهو باب الضمير ج ١ ص ٢٣٤ م ٢٠ برغم أن بعض المطولات النحوية تذكرها في آخر باب الفاعل لمناسبة طارئة . (٢) في الصفحة التالية .

(ح) فى غير ما سبق (فى : ا ، ب) يجوز الترتيب وعدمه . ومن أمثلة تقديم الفاعل على المفعول جوازاً^(١) قول الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
ومن أمثلة تقديم المفعول به — جوازاً — على فاعله وحده : الجهل لا يلد الضياء
ظلامه . . . ، والشرط الأول من قول الشاعر :

أبت لى حمل الضيم نفس أيتة وقلب إذا سيم الأذى شب وقده^(٢)
وفهم من الأقسام السالفة أن المواضع التى يتقدم فيها الفاعل وجوباً — هى
عينها المواضع التى يتأخر فيها المفعول به وجوباً ، فيمتنع تقديمه على فاعله . والعكس
صحيح كذلك ؛ فالمواضع التى يتقدم فيها المفعول به على فاعله وجوباً هى عينها
المواضع التى يتأخر فيها الفاعل وجوباً ، ويمتنع تقديمه عليه . وحيث لا وجوب
فى التقديم أو التأخير يجوز الأمران ، ولا يمتنع تقديم هذا أو ذاك .

* * *

بقيت مسألة الترتيب بينهما وبين عاملهما . وملخص القول فيها : أن الفاعل
لا يجوز تقديمه على عامله — كما سبق^(٣) — وأن المفعول به يجب تقديمه على عامله
فى صور^(٤) ، ويمتنع فى أخرى ؛ ويجوز فى غيرهما .

(ا) فيجب تقديمه :

١ — إن كان اسماً له الصدارة فى جملته ؛ كأن يكون اسم استفهام ، أو اسم
شرط . . . ؛ نحو ؛ من قابلت ؟ — أى نبيل تكرم أكرم . . . وكذلك إن
كان مضافاً لاسم له الصدارة ؛ نحو : صديق من قابلت ؟ — صاحب أى نبيل
تكرم أكرم . . .

(١) إلا إذا أوجب الوزن الشعرى أحدهما .

(٢) ناره . ومن أمثلة التقديم الجائز قول الشاعر :

ولا خير فى حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقول
(٣) فى ص ٧٣ .

(٤) وفى هذه الصور يكون متقدماً على فاعله أيضاً — كما أشرنا — ؛ إذ لا يمكن أن يتقدم على
عامله دون أن يتقدم على فاعله .

٢ - كذلك يجب تقديمه إن كان ضميراً منفصلاً لو تأخر عن عامله لوجب اتصاله^(١) به ؛ كقولهم : « أيها الأحرار : إياكم نخاطب ، وإياكم ترقب البلاد ... » فلو تأخر المفعول به : (إيا) لا تتصل بالفعل ، وصار الكلام : نخاطبكم ... ترقبكم ... ؛ فيضيع الغرض البلاغي من التقديم (وهو : الحصر) .

٣ - وكذلك يجب تقديمه إذا كان عامله مقرونًا بفاء الجزاء^(٢) في جواب « أمّا » الشرطية الظاهرة أو المقدرة ، ولا اسم يفصل بين هذا العامل وأمّا . فيجب تقديم المفعول به ليكون فاصلاً ، لأن الفعل - وخاصة المقرون بفاء الجزاء - لا يلي « أمّا » الشرطية^(٣) . ومن الأمثلة قوله تعالى : (فأما اليتيم ، فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر) ، وقوله : (وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ...^(٤) بخلاف : أما اليوم فسادك نفسك ، حيث لا يجب تقديم المفعول به ، لوجود الفاصل ؛ وهو هنا : الظرف^(٥) .

(ب) ويمتنع تقديم المفعول به على عامله في الصور الآتية^(٦) : (وقد سبقت الإشارة لبعضها) .

١ - جميع الصور التي يمتنع فيها تقدمه على فاعله . وقد سبقت^(٧) ؛ (ومنها أن يكون تقدمه موقعاً في لبس ، نحو : ساعد يحيى عيسى . فلو تقدم المفعول به - من غير قرينة - لالتبس بالمتبداً ، ومهمة المتبداً المعنوية تخالف مهمة الفاعل .

(١) وذلك في غير باب : « سلتيه » و « خلتيه » حيث يجوز الاتصال والانفصال مع تأخر المفعول عن عامله ؛ (كما تقدم في ج ١ ص ١٧٢ باب الضمير . م ٢٠) .

(٢) في هذا الموضع يصح أن يعمل ما بعد فاء الجزاء فيما قبلها .

(٣) كما سيجيء في ص ١٣٩ .

(٤) هذا الموضع يعبر عنه بغض النحاة بأنه ما يكون العامل فيه جواباً للأداة « أمّا » الشرطية المقدرة ، ويعبر عنه بعض آخر بما يكون العامل فيه فعل أمر مقروناً بالفاء ، والمعمول به منصوباً بفعل الأمر . ولم يشترط وجود « أمّا » المقدرة . فعند الإعراب قد يلاحظ وجودها فتكون الفاء في الأمثلة السابقة داخلة على جوابها ، أولاً يلاحظ وجودها فتكون الفاء زائدة . والمفعول المتقدم معمولاً لفعل الأمر المتأخر عنه . وهذا الإعراب أيسر وأوضح لخلوه من التقدير . (ثم انظر الأمر الثالث ص ١٣٩) .

(٥) راجع ص ١٣٩ .

(٦) مع ملاحظة ما هو مذكور منها في الزيادة ، - ص ٩٣ - .

(٧) في ص ٨٦ .

وكذلك بقية الصور الأخرى ، ما عدا الثانية ؛ فيجوز فيها الأمران .

٢ - أن يكون مفعولا لفعل التعجب « أفعلل » في مثل : ما أعجَّبَ قدرةَ الله التي خلقت هذا الكون .

٣ - أن يكون محصوراً بأداة حصر ؛ هي : « إلا » المسبوقه بالنفي ، أو « إنما » نحو : لا يقول الشريف إلا الصدق - إنما يقول الشريف الصدق .

٤ - أن يكون مصدراً مؤولا من « أن » المشددة أو المخففة مع معموليها ؛ نحو : عرف الناس أن الكواكب تفوق الحصر ، وأيقن العلماء أن بعض منها قريب الشبه بالأرض . إلا إن كانت « أن » مع معموليها مسبوقة بأداة الشرط : « أمّا » ؛ نحو : أمّا أنك فاضلٌ فعرفت . لأن « أمّا » لا تدخل إلا على الاسم .

٥ - أن يكون واقعاً في صلة حرف مصدري^(١) ينصب الفعل (وهو : أن - كى) في نحو : (سرتي أن تقرن القول الحسن بالعمل الأحسن ؛ لكي يرفع الناس قدرك) . فإن كان واقعاً في صلة حرف مصدري غير ناصب جاز - في رأى - تقديمه على عامله ، لا على الحرف المصدري ؛ نحو : أبتهج ما الكبير أحترم الصغير . والأصل : أبتهج ما أحترم الصغير الكبير ، وامتنع - في رأى آخر^(٢) - تقديمه على عامله . وهذا الرأى أقوى وأنسب في غير صلة « ما » المصدرية^(٣) .

٦ - أن يكون مفعولا لعامل مجزوم بحرف جزم يجزم فعلا واحداً^(٤) ، فيجوز تقدمه على عامله وعلى الجازم معاً ، ولا يجوز تقدمه على العامل دون الجازم ؛ تقول : وعداً لم أخلف ، وإساءة لم أفعل . ولا يصح : لم وعداً أخلف ، ولم إساءة أفعل .

٧ - أن يكون مفعولا به لفعل منصوب بالحرف : « لن » ، فلا يجوز أن يتقدم

(١) بيان الحروف المصدرية ، وتفصيل الكلام على أحكامها ندون في ج ١ ص ٢٩٤ م ٢٩ :

(٢) لهذا بيان في ج ١ م ٢٩

(٣) راجع « الصبان » في هذا الموضع ، ثم « التصريح » في باب « الحال » ، عند الكلام على تأخر الحال عن عاملها وجوباً .

(٤) فخرج حرف الشرط الذي يجزم فعلين مثل : إن . فلا يجوز التقدم عليه .

على عامله فقط ، وإنما يجوز أن يتقدم عليه وعلى « لن » معاً ، نحو : ظلماً لن أحاول ، وعدواناً لن أبداً^(١) .

وفى غير مواضع التقديم الواجب ، والتأخير الواجب^(٢) ، يجوز الأمران .

(١) وقد عرض ابن مالك عرضاً سريعاً موجزاً لأحوال الترتيب السابقة ، واكتفى فيها بالإشارة المختصرة التي لا توفى الموضوع حقه من الإيضاح والتفصيل النافعين . قال :

وَالْأَصْلُ فِي الْفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلَا وَالْأَصْلُ فِي الْمَفْعُولِ أَنْ يَنْفَصِلَا
وَقَدْ يُجَاءُ بِخِلَافِ الْأَصْلِ وَقَدْ يَجِبُ الْمَفْعُولُ قَبْلَ الْفِعْلِ

يريد : أن الأصل في تكوين الجملة الغريبة ، وترتيب كلماتها ، يقتضى اتصال الفاعل بعامله ، وانفصال المفعول به عن ذلك العامل بسبب وقوع الفاعل فاصلاً بينهما ؛ إذ مرتبة الفاعل مقدمة على مرتبة المفعول به . ومراعاة هذه المرتبة تجعل الفاعل هو الذى يلى العامل ، وتجعل المفعول به مفصلاً منه بالفاعل . ثم بين أن هذا الأصل لا يراعى أحياناً ؛ فيتقدم المفعول به على الفاعل ، ويفصله عن فعله وعامله . وانتقل بعد ذلك إلى حالتين من الحالات التي يجب فيها تأخير المفعول به ، وهما حالة خوف اللبس ، وحالة الفاعل الضمير ، غير المحصور ، الواجب اتصاله بعامله ، فقال فيهما :

وَأَخَّرَ الْمَفْعُولَ إِنْ لَبَسَ حُلُمَزٌ أَوْ أَضْمَرَ الْفَاعِلُ غَيْرَ مُنْحَصِرٍ

وأوضح بعد ذلك أن المحصور « بإلا » أو « إنما » يجب تأخيره ؛ فاعلاً كان أو مفعولاً به ، وأنه يجوز تقديمه . ولم يذكر النوع الذى يصح تقديمه ، ولا شرطه ، مكتفياً بأن يقول إن تقديم المنحصر يصح إذا ظهر المقصود ، ولم يخفَ المعنى ، أو يتأثر بالتقديم . وفى هذا يقول :

وَمَا بِإِلَّا أَوْ بِإِنَّمَا انْحَصَرَ أَخَرُ ، وَقَدْ يَسْبِقُ إِنْ قَصِدَ ظَهَرَ

وختم كلامه بأن بين أن عود الضمير من المفعول به المتقدم على فاعله المتأخر شائع فى أفصح الأساليب ، لا عيب فيه ؛ لأنه عائد على متأخر فى اللفظ متقدم فى الرتبة . وهذا كثير سائع ، كما قلنا ؛ وساق مثالا لذلك هو : خاف ربّه عمر . أما عود الضمير من الفاعل المتقدم على مفعوله المتأخر فوصفه بأنه شاذ ، لا يصح القياس عليه ؛ ومثل له بنحو : زان نوره الشجر . فيقول :

وَشَاعَ نَحْوُ : « خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ » . وَشَذَّ نَحْوُ : « زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرُ »

وكلامه مجمل ، بل مبتور .

(٢) ومن مواضع التأخير الواجب ما يأتى فى الزيارة - ص ٩٣ - .

.
.

زيادة وتفصيل :

هناك مواضع أخرى لا يجوز فيها تقدم المفعول به على عامله . منها ^(١) : أن يكون مفعولا به لفعل مؤكد بالنون . نحو : حاربَن هواك .

أو مفعولا به لفعل مسبق بلام الابتداء ؛ وليس قبلها « إن » ؛ ففي مثل : لينصر ^(١) الشريفُ أهلَ الحق ... ، لا يصح أن يقال : أهلَ الحقَ لينصر الشريف . ويصح أن يقال : إن الشريف أهلَ الحقَ لينصرُ .

أو يكون فعله مسبقاً بلام القسم ؛ نحو : والله لفي غد أقضى حق الأهل .
أو مسبقاً بالحرف : « قد » نحو : قد يدرك المتأني غايته ؛ أو : « سوف » ؛
نحو : سوف أعمل الخير جهدي .

أو مسبقاً باللفظ : « قلما » ؛ نحو : قلما أخرت زيارةً واجبةً .

أو : « ربما » ، نحو : ربما أهلك البعوضة الفيل .

(١) راجع المواضع التالية في الصبان ، وكذا المجمع ج ١ ص ١٦٦ .

(٢) على اعتبار هذه اللام للابتداء .

ثامنها : عدم تعدّده ؛ فلا يصح أن يكون للفعل وشبهه إلا فاعل واحد .

أما مثل : تصافح عليّ وأمين ، ومثل : تسابقَ حلّيمٌ ، ومحمودٌ ، وسليمٌ ، و . . . فإن الفاعل هو الأول ، وما بعده معطوف عليه . ولا يصح في الاصطلاح النحويّ إعراب ما بعده فاعلاً ، برغم أن أثر الفعل ومعناه متساو بين الأول وغيره^(١) .

تاسعها : إغناؤه عن الخبر حين يكون المبتدأ وصفاً مستوفياً الشروط^(٢) ؛

مثل : أمتقن الصانعان ؟ .

(١) يقول النحاة : إن مجموع المعطوف والمعطوف عليه في المثالين السابقين وأشباههما هو الفاعل الذي أسند إليه الفعل ؛ فلا تمدد إلا في أجزائه . لكن هذا المجموع من حيث هو مجموع لا يقبل الإعراب ، فجعل الإعراب في أجزائه .

(٢) للوصف المستغنى بفاعله عن الخبر أحكام وتفصيلات سبق بيانها في بابها المناسب لها (باب المبتدأ والخبر ج ١ ص ٣٢٢ م ٣٣) .

• • • • •
• • • • •

زيادة وتفصيل :

مسألة أخيرة : عرض بعض^(١) النحاة لما سماه : « الاشتباه بين الفاعل والمفعول به » ، وصعوبة التمييز بينهما في بعض الأساليب . وأن ذلك يكثر حين يكون أحدهما اسماً ناقصاً (أى : محتاجاً لتكملة بعده تبين معناه ؛ كاسم الموصول ، و«ما الموصوفة» ... و...) والآخر اسماً تاماً ؛ (أى : لا يحتاج للتكملة) . وضرب لذلك مثلاً ؛ هو : « أعجب الرجل ما كره الأخ » . فما الفاعل في الجملة السابقة ؟ أهو كلمة : « الرجل » ، أم كلمة : « ما » التى بعده ؟ وما « المفعول به » فى الحالتين ؟ . وقد وضع ضابطاً مستقلاً لإزالة الاشتباه ؛ ملخصه :

(أ) أن نفرض الاسم التام هو الفاعل ؛ فنضع مكانه ضميراً مرفوعاً للمتكلم ، ونفرض الاسم الناقص هو المفعول به ، ونضع مكانه اسماً ظاهراً ، منصوباً ، أى اسم ، بشرط أن يكون من جنسه^(٢) ؛ (حيواناً مثله إن كان المراد من الاسم الناقص حيواناً ، وغير حيوان إن كان الناقص كذلك) ، فإن استقام المعنى مع هذا الفرض فالضبط الأول صحيح ، على اعتبار أن الاسم التام هو الفاعل ، وأن الناقص هو المفعول به ، وإن لم يستقم المعنى لم يصح الضبط السابق . نقول فى المثال السالف أعجبتُ الثوب . فالتاء ضمير للفاعل المتكلم ، جاءت بدلاً من الاسم التام (الرجل) وكلمة : « الثوب » جاءت بدلاً من الاسم الناقص : « ما » وهى من جنسه ، باعتبارها من جنس غير حيوانى . وقد ظهر أن المعنى على هذا الفرض غير مستقيم ؛ وهذا ينتهى إلى أن الضبط الذى كان قبله غير صحيح أيضاً . فإن كان المقصود من : « ما » ، إنساناً مثلاً ، فوضعنا مكانها فرداً من أفراد الإنسان فقلنا : أعجبتُ محمداً . . . - صحَّ الفرض وصح الضبط الذى كان قبله .

(ب) نفرض الاسم التام : « الرجل » فى المثال السابق هو المفعول به . « وما » هى الفاعل ؛ فنضع مكان المفعول به ضميراً منصوباً للمتكلم ، ونضع مكان الناقص اسماً ظاهراً ، أى اسم ، بشرط أن يكون من جنسه ؛ فإن استقام المعنى صح الضبط السابق وإلا فلا يصح ؛ نقول : أعجبنى الثوب ؛ إن كان المراد من « ما » شيئاً غير حيوانى ، فيستقيم المعنى ويصح الضبط الأول .

(١) منهم الأشمونى فى آخر باب الفاعل .

(٢) عاقلاً كان الجنس أم غير عاقل .

(ح) إذا لم يصلح المعنى على اعتبار الاسم التام فاعلاً أجريت التجربة على اعتباره مفعولاً به ، وكذلك العكس إلى أن يستقيم .

وكالمثال السالف : أمكن المسافر السفر^(١) ، بنصب : « المسافر » ، كما يدل على هذا الضابط السالف ؛ لأنك تقول : أمكنني السفر ؛ بمعنى : مكّنتني فاستطعته ، ولا تقول : أمكنتُ السفر .

والحق أن هذه المسألة التي عرض لها بعض النحاة لا تُفهم بضابطهم^(٢) ، ولا يزول ما فيها من اشتباه إلا بفهم مفرداتها اللغوية ، وقيام قرينة تدل على الفاعل والمفعول به ، وتفرق بينهما . أما ذلك الضابط وما يحتويه من فروض فلا يزيل شبهة ، ولا يكشفها ؛ لأنه قائم على أساس وضع اسم ظاهر مكان الناقص بشرط أن يكون من جنسه (حيواناً عاقلاً ، وغير عاقل — أو غير حيوان) فكيف نختار هذا البديل من جنس الأصيل إذا كنا لا نعرف حقيقة ذلك الأصيل وجنسه ؟ فعرفة البديل متوقفة على معرفة الأصيل أولاً . ونحن إذا اهتدينا إلى معرفة الأصيل لم نكن بعده في حاجة إلى ذلك الضابط ، وما يتطلبه من فروض لا تجدى شيئاً ؛ ذلك أن الأصيل سيدل بمعناه في جملته على من فعل الفعل ، فيعرف من وقع عليه الفعل تبعاً لذلك ، ويزول الاشتباه . وإذاً لا حاجة إلى الضابط ، ولا فائدة من استخدامه ؛ لأن الغرض من استخدامه الكشف عن حقيقة الاسم الناقص ، وهذا الكشف يتطلب اختيار اسم من جنسه ليحل محله . فكيف يمكن الاهتداء إلى اسم آخر من جنسه إذا كان الاسم الناقص مجهول الجنس لنا ؟ .

فن الخير إهمال تلك المسألة بضابطها ، وفروضه ، والرجوع في فهم المثالين السابقين وأشباههما إلى فهم المعاني الصحيحة لمفرداتها اللغوية ، والاعتماد بعد ذلك على القرائن ، مع الفرار — جهد الطاقة — من استعمال تلك الأساليب الغامضة . هذا هو الطريق السديد ، وعليه المعول .

(١) الاسمان هنا تامان — وهى حالة قليلة بالنسبة للأولى .

(٢) عبارة الضابط كما وردت عنهم هي : « أن تجعل في موضع التام إن كان مرفوعاً ضمير المتكلم المرفوع ، وإن كان منصوباً ضميره المنصوب ، وتبدل من الناقص اسماً بمعناه في العقل وعدمه » .

المسألة ٦٧ :

النائب عن الفاعل^(١)

من الدواعي^(٢) ما يقتضى حذف الفاعل دون فعله . ويترب على حذفه أمران محتومان ؛ أحدهما : تغيير يطرأ على فعله^(٣) ، والآخر : إقامة نائب عنه يحل محله ، ويجرى عليه كثير من أحكامه التي أسلفناها^(٤) - ؛ كأن يصير جزءاً أساسياً في الجملة ؛ لا يمكن الاستغناء عنه ، ويُرفع مثله ؛ وكتأخره عن عامله^(٥) ، وتأنيث عامله له أحياناً ، وتجرد العامل من علامة تثنية أو جمع ... ؛ وكعدم

(١) يسميه كثير من القدماء : « المفعول الذى لم يسم فاعله » . والأول أحسن ؛ لأنه أخصر ، ولأن النائب عن الفاعل قد يكون مفعولاً به في أصله وغير مفعول به ؛ كالمصدر ، والظرف ، والخارج مع مجروره ؛

هذا ، والذي يحتاج لنائب فاعل ويرفعه شيثان ، أحدهما : « الفعل المبني للمجهول » . وقد يسمى أيضاً : « الفعل المبني للمفعول » ، والتسمية الأولى أحسن - طبقاً لما سبق في رقم ١ - والآخر : « اسم المفعول » ؛ فلا بد لكل منهما من نائب فاعل . ويزاد عليهما المصدر المؤول في رأى سيجىء في « ب » من ص ١١٠ ، أما اسم المفعول ، وأحكامه ، وكل ما يتعلق به ، فله باب خاص مستقل في الجزء الثالث .

(٢) بعضها لفظي ؛ كالرغبة في الاختصار في مثل : لما فاز السباق كوفى . أى : كافأت الحكومة السباق ، مثلاً وكالمائلة بين حركات الحروف الأخيرة في السجع ؛ نحو : من حسن عمله عُرف فضله . فلو قيل : عرف الناس فضله ، لتغيرت حركة اللام الثانية ، ولم تكن مائلة للأولى ، وكالضرورة الشعرية

وبعضها معنوي ؛ كالجمل بالفاعل ، وكالخوف منه ، أو عليه ... (وما يصلح لكل واحد من الثلاثة قولنا : قُتل فلان ، من غير ذكر اسم القاتل) وكإيهامه ، أو تعظيمه بعدم ذكر اسمه على الألسنة صيانة له ، أو تحقيره بإيهامه وكعدم تعلق الغرض بذكره ، حين يكون الغرض المهم هو الفعل . وكشبوعه ومعرفته في مثل : جيلت النفوس على حب من أحسن إليها أى : جيلها الله وخلقها

(٣) ولا بد أن يكون فعله غير جامد ، وغير أمر - كما سيجىء في رقم ٨ من ص ١٠٧ -

(٤) في ص ٦٨ .

(٥) يرى بعض النحاة أنه يجوز تقديم نائب الفاعل إذا كان شبه جملة ؛ ؛ لأن علة منع التقديم - وهي خوف التباس الجملة الاسمية بالفعلية - غير موجودة هنا (راجع الصبان ج ٣ باب ٣ « أفلن التفصيل » عند قول ابن مالك : « وما به إلى تعجب وصل . . . ») . ولهذا إشارة في رقم ٢ من هامش ص ١١١ .

تعدده ، وكإغناء هذا النائب عن الخبر أحياناً في مثل : أمزروع الحقلان ؟
(فالحقلان : نائب فاعل للمبتدأ اسم المفعول ، واسم المفعول لا يرفع إلا نائب
فاعل ؛ كما عرفنا من قبل) . . . إلى غير هذا من الأحكام الخاصة بالفاعل ؛
والتي قد تنتقل بعد حذفه إلى نائبه ^(١) .

ولكل واحد من الأمرين تفصيلات وأحكام تخصه .

(١) إليك ما يتعلق بالأمر الأول :

١ - إن كان الفعل ماضياً ، صحيح العين ^(٢) ، خالياً من التضعيف -
وجب ضم أوله ، وكسر الحرف الذي قبل آخره إن لم يكن مكسوراً من قبل .
فالفعل في مثل : (فَتَحَ الْعَمَلُ بَابَ الرِّزْقِ - أَكْرَمَ النَّاسُ الْغَرِيبَ . . .) ،
يتغير بعد حذف الفاعل ؛ فيصير في الجملة : (فَتَحَ بَابُ الرِّزْقِ . . .) ^(٣) -
أَكْرَمَ الْغَرِيبُ . . .) ^(٤) ، (وهناك بعض حالات يجوز فيها كسر أوله ،

(١) وفي هذا يقول ابن مالك :

يُنُوبُ مَفْعُولٌ بِهِ عَنْ فَاعِلٍ فِيمَا لَهُ - كَنِيلٌ خَيْرٌ نَائِلٌ

وأصل الكلام : نال المستحق خير نائل ؛ أى : خير عطاء . فحذف الفاعل ، وتغير الفعل بعد حذفه
تغيراً سنعرفه . وناب عنه المفعول به . وليس من اللازم أن يكون النائب مفعولاً به ، كما قلنا . . .

(٢) من الاصطلاحات اللغوية الشائعة : « فاء » الكلمة ، « عين » الكلمة ، « لام » الكلمة .
يريدون بالفاء : الحرف الأول من الكلمة الثلاثية ، أصيلة الأحرف ، وبالعين : الحرف الثاني منها ،
« أى : الأوسط » وباللام الحرف الثالث ؛ « أى : الأخير » . ويقولون عنها لذلك : إنها على وزن :
« فَعَمَلٌ » ؛ مثل : كتب - قعد - فتح . . . فكل واحدة على وزن « فَعَمَلٌ » .

(٣) ومثل الفعل : « جُمِعَ » في قول الشاعر :

إِذَا جُمِعَ الْأَشْرَافُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ فَأَفْضَلُهُمْ مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ صَانِعَا

(٤) أين الكسرى نحو : صيم الشهر - بيع القطن ؟

أصلهما : صُومَ - بَيَّعَ . وخضوعاً لأحكام عامة في : « الإعلال » طرأ عليهما تغيير معروف ؛
بقلب الضمة فيهما كسرة ، فقلب الواو ياء ، وحذف الكسرة من ياء : « بيع » - وانظر رقم ه الآتي
ص ١٠٢ - فالكسر مقدر كتقديره في المضعف ؛ (مثل : عُدَّ ، فأصله : عُدَّ قبل الإدغام) .
وأين الكسر أيضاً قبل الآخر في الفعل : « أُصِيبَ » - ونحوه - من قول الشاعر :

وإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمَّ عَلَيْهِمْ مَأْتِماً وَعَوِيلاً

الكسر مقدر ؛ إذ الأصل : « أُصُوبُ » ؛ نقلت حركة : الواو للحرف الصحيح قبلها بعد حذف
السكون ؛ ثم قلبت الواو بعد الكسرة ياء . . .

وستجىء . . . (١) .

٢ - إن كان الفعل مضارعاً وجب - في كل حالاته - ضم أوله أيضاً ، وفتح الحرف الذى قبل آخره إن لم يكن مفتوحاً من قبل ؛ فالمضارع في مثل : (يَرْسُمُ المهندسُ البيتَ - يُحَرِّكُ الهَوَاءُ الغصنَ ...) يصير في الجملة بعد حذف الفاعل : يَرْسُمُ البيتُ - يُحَرِّكُ الغصنُ (٢) . ومثل قول الشاعر :

أعندى وقد مارستُ (٣) كل خفيّة يصدّق واشٍ ، أو يُخَيِّبُ سائل

وقد يكون الفتح قبل الآخر مقدّاراً لعلّة تمنع ظهوره ؛ مثل : يُصَامُ . (أصله : يُصَوِّمُ ، ثم صار « يُصَامُ » لسبب صرّفى معروف) (٤) . ومثل : « تُصَابُ وتُنَالُ » ، في قول الشاعر :

يهون علينا أن تُصَابَ جُؤمُننا وتسلمَ أعراضُ لنا وعقول

وفي قول الآخر :

إنّ الكبار من الأمو ر تُنال بالهمم الكبار

والأصل قبل التغيير الصرّفى : تُصَوِّبُ وتُنَيِّلُ

(١) في رقم ٥ من ص ١٠٢ .

(٢) وفي الحالتين السابقتين يقول ابن مالك :

فأَوَّلُ الْفِعْلِ اضمَّنَ ، وَالْمُتَّصِلُ بِالْآخِرِ اكْسَرَ فِي مُضِيِّ ؛ كَوُصِّلَ
وَجَعَلَهُ مِنْ مُضَارِعٍ مُنْفَتِحًا كَيُنْتَحَى ؛ الْمَقُولُ فِيهِ : يُنْتَحَى

أى : أن أول الفعل المبنى للمجهول يضم في الماضى والمضارع ، وأن الحرف المتصل بالآخر يكسر في الماضى ؛ مثل : وُصِّلَ ؛ فأصله : وَصَلَ ، ويصير مفتوحاً في المضارع ، مثل : ينتحى ، فإن الحرف الذى قبل آخره يفتح عند البناء للمجهول ؛ فيصير : « يُنْتَحَى » . (ينتحى الرجل إلى الشجرة : أى : يميل إليها ، ويتهجئ نحوها) . وقد قلنا : إن هناك بعض حالات يكسر فيها أول الماضى ، كالحالة الخامسة السادسة ، والسابعة - وستجىء - .

(٣) جربتُ وعرفتُ .

(٤) هو : نقل فتحة « الواو » و « الياء » . إلى الساكن الصحيح قبلها ؛ فتكون « الواو » ،

وكذا « الياء » متحركة بحسب أصلها - قبل نقل فتحتها - ويكون ما قبلها متحركاً بحسب الحالة الجديدة التى طرأت عليه بعد أن كان ساكناً ؛ فينقلب حرف العلة « ألفاً » .

٣ - إن كان الماضي مبدوءاً ببناء تكثر زيادتها عادة - سواء أكانت للمطاوعة (١)

(١) حين نسمع شخصاً يقول : (علّمت الغلام الزراعة .) ، يتردد على ذهن سؤال ؛ هو : هل استجاب الغلام للتعليم واستفاد ؟ ويظل السؤال قائماً حتى يجد جواباً . فإذا قال المتكلم : علّمت الغلام الزراعة فتعلمها - دل الفعل الثاني على أن الغلام تعلم ، واستفاد واستجاب للتعليم ، وحقق معناه ، وهذا هو ما يسمى : « المطاوعة » . وحين يقول شخص : (كسرت الحديد) ، قد يرد على ذهن : كيف تستطيع تكسير الحديد ؟ هل استطعت تكسيه حقا ؟ فإذا قال المتكلم : كسرت الحديد فتكسر ، كان الفعل : « تكسر » هو الجواب عن المطلوب ، الماحى للشبهة السالفة ، الدال على أن الحديد تأثر بالكسر واستجاب له ، وحقق معنى الفعل الأول . ولهذا يسمى الفعل الثاني : « مطاوعاً » . وبثله : حطمت الصخر ... فتحطم ، بریت الخشب ... فانبرى ... مع وجود الفاء العاطفة في كل ذلك ، ولا يصح العطف هنا بغيرها - طبقاً لما نص عليه ابن الأثير في كتابه : الجامع الكبير ، ج ١ ص ٢٠٢ عند كلامه على حرف العطف - فالمطاوعة في فعل هي :

« قبول فاعله التأثير بأثر واقع عليه من فاعل فعل ذي علاج محسوس إلى فاعل فعل آخر يلاقيه اشتقاقاً ، بحيث يحقق التأثير معنى ذلك الفعل » .

والتعريف السابق للمطاوعة هو أوضح التعريفات وأشملها ، وهو ملخص الذي ارتضاه « الخضرى » - وكذا الصبان - في باب : « تعدى الفعل ولزومه » ج ١ . ونصاً على اشتراط العلاج الحسى ، وعلى تلاق الفعلين في الاشتقاق ؛ فلا يقال : علّمت الرجل المسألة فانعلمت ؛ لعدم المعالجة الحسية ، ولا يقال : ضربته فتألم ، لعدم التلاق في الاشتقاق .

وحصول الأثر وتحقيقه ليس بالواجب ، وإنما هو الغالب الكثير ؛ طبقاً لما جاء في حاشية التصريح ، ج ١ . باب : « التعدى واللزوم » ، فقلا عن البيضاوى في تفسير قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) حيث صرح بأنه : (يقال : كسرت فلم ينكسر ، وعلّمت فلم يتعلم . وقال : إن حصول الأثر غالب لازم) . ١٨ . وهذا الرأي يسائر المسموع كثيراً ، ويلاحظ أنه جعل الفعل : « علّم » من أفعال المعالجة الحسية ، خلافاً لسابقه .

والمطاوعة أحكام وصيغ قياسية تشتمل كل صيغة منها على بعض حروف خاصة ترمز للمطاوعة ، وتدل عليها ، منها التاء في أول الماضي ، ويسمونها لذلك : تاء المطاوعة ؛ مثل : درّبت الصانع ؛ فتدرب . هدمت الحائط ؛ فهدم . فجدّرت الماء فتفجر . كسّرت الفصن فتكسر . . . وسيجيء بعض الأحكام والصيغ - في هامش ص ١٦٧ - وهو بعض هام .

وقد عقد صاحب « المخصص » (ابن سيده) بحثاً لطيفاً (في الجزء ١٤ ص ١٧٥ وما حوفاً) عرض فيه لكثير من أوزان المطاوعة القياسية ، ومنها : أن كل ماضى ذي أربعة أحرف على وزن « فَعَلَّ » يكون له مضارع على وزن « تَفَعَّل » وهذا جزء من قواعد عامة هناك تفيد أعظم الفائدة ، وتتسع لكثير مما نظنه محذوراً . وفي الجزء الأول من جملة جميع اللغة العربية بالقاهرة شيء قليل من تلك الأوزان ، مستخلص من المرجع السابق الأصيل .

ومن بين قرارات هذا المجمع قياسية جميع أفعال المطاوعة . وقد سجل هذا القرار في الصفحة الثامنة من المجلد الذى أصدره بعنوان : « البحوث والمحاضرات » في مؤتمر الدورة الخاصة بسنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ . =

أم لغيرها - (مثل الماضي : تَعَلَّمَ ، تَفَضَّلَ - تعاون - تناشد ، تجاهل ...)
 وجب ضم الحرف الثاني مع الأول ؛ ففي مثل : تَعَلَّمَ الصبي حرفة - تَفَضَّلَ
 الصديقُ بالزيارة - ... يصير الماضي : تَعَلَّمْتُ حرفةً - تَفَضَّلْتُ بالزيارة^(١) ...
 وفي مثل قولهم : (تعلم البحار فن الملاحة ، وتعاون مع رفاقه فأمنَ الخطر ...)
 يصير الكلام بعد بناء الفعل الماضي للمجهول : تَعَلَّمَ^(٢) فنُّ الملاحة ، وتُعَوِّون
 مع الرفاق ؛ فأمنَ الخطرُ وهكذا

٤ - إن كان الماضي مبدوءاً بهزمة وصل فإن ثالثة يضم مع أوله ؛ ففي مثل :
 (اعتمدَ العاقلُ على كفاحه - انتصرَ المكافحُ بعمله) - يقال في بناء الفعلين
 للمجهول : اُعْتَمِدَ على الكفاح - اُنْتَصَرَ بالعمل^(٣) .

= ومن قراراته أيضاً ما جاء في ص ٣٩ من كتابه : (مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة
 الثامنة والعشرين) خاصاً بمطامع «فعل» الثلاث المتعدى ونصه :- (وسيعاد للناسبة في ص ١٦٨) (كل
 فعل ثلاثي متعد ، دال على معاملة حسنة فطواره القياسي هو : « انفعَلَ » . ما لم تكن فاء الفعل واوا ،
 أو لاماً ، أو نوناً ، أو ميماً ، أو راء ، ويجمعها قولك : « ولنسر » فالتقياس فيه : « افعل » .) اه .
 (١) يقول ابن مالك :

وَالثَّانِي التَّالِي «تَا» الْمَطَاوَعَةُ كَالْأَوَّلِ اجْعَلْهُ يَلَا مُنَازَعَهُ

أى : اجعل الحرف الثاني في الماضي مضموماً كالأول . إن كان الأول تاء المطاوعة ، إذ لا نزاع - أى :
 لا خلاف في هذا .

(٢) إذا كانت التاء التي في أول الماضي لا تكثر زيادتها فلا يضم الحرف الذى يليها ؛ مثل :
 تَرَمَّسَ الزارع الحب ، (أى : رمسه ، بمعنى : دفنه .) وإنما كانت زيادة التاء غير معتادة في هذه
 الكلمة - وأشباهاها - لأنها جاءت للتوصل إلى النطق بالسكن ، وهو الراء ، وهذا اختصاص همزة الوصل .
 (٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَالثَّالِثَ الَّذِي بِهِمْزُ الْوَصْلِ كَالْأَوَّلِ اجْعَلْنَهُ كَأَسْتَحْلِي

أى : أن الحرف الثالث من الفعل المبدوء همزة الوصل يضم كالأول . ومثل له بالفعل «أستحلي» المبني
 للمجهول . وأصله : « اسْتَحْلَمَ » مبدوءاً بهزمة وصل . فلما بني للمجهول ضم الحرف الأول والثالث منه .
 وما يلاحظ في البيت أن كلمة : « ثالث » . . . بالنصب تعرب مفعولاً به لفعل محذوف يفسره
 الفعل الآتي بعده ؛ وهو : « اجعل » المؤكد بالنون . مع أن الفعل المؤكد بالنون لا يصلح أن يعمل فيما
 قبله ، ولا أن يفسر عاملاً محذوفاً قبله . وكذلك إعراب « كالأول » فإنه جار ومجرور متعلق بالفعل
 المتأخر عنه المؤكد بالنون ، وهو : « اجعل » والفعل المؤكد بالنون لا يصح أن يتعلق به شبه جملة قبله ،
 وهذا هو رأى الأقوى والأفصح . ويخالفه رأى آخر أقل شيوعاً وقوة يراه مقبولاً في شبه الجملة وحدها . .
 لكن ابن مالك يقع في هذه المخالفة كثيراً لضرورة النظم ، وقد سبق لها نظائر في الجزء الأول (انظر =

٥ - إن كان الماضي الثلاثي مُعَلَّ العین^(١)؛ وَاوِيَّاً كان أو يائيَّاً - مثل : صام ، باع - وبنى للمجهول ، جاز في فائه عند النطق أو الكتابة ، إما الكسر الخالص ؛ فينقلب حرف العلة ياء ؛ نحو : صِيمَ ، بِيْعَ ، وإما الضم الخالص ، فينقلب حرف العلة واواً ، نحو : صُومَ ، بُوعَ ، وإما الإشمام^(٢) - وهذا لا يكون إلا في النطق -

والكسر أعلاها ، فالإشمام ، فالضم . وكل واحد من الثلاثة جائز بشرط ألا يوقع في لبس ، وإلا وجب العدول عنه إلى ضبط آخر لا لبس فيه ؛ فكثير من الماضي المُعَلَّ الوسط قد يوقع في اللبس إذا بُنِيَ للمجهول ، وأسند لضمير تكلم ، أو خطاب ؛ سواء أكان الضمير فيهما للمفرد المذكور أم لغيره ، وكذلك

= فهرس الجزء الأول م ٧ هامش ص ٩٦ طبعة ٣ ورقم ١ هامش ص ٧٥ قبلها (والمربون يلتسمون تأويلات وتقديرات لتصحيح مخالفته . ولا داعي لشيء من هذا ، لما فيه من تكلف وتعمق . ويمكن التصريح بأن النظم قهره على ارتكاب المخالفة ؛ وهذا هو السبب الحق .

(١) محل العین « ما يكون وسطه حرف علة » ويخضع لأحكام « الإعلال » المعروفة في الباب الخاص بهذا (ج ٤) . ومنها : قلب حرف العلة الواو أو الياء ألفاً ، في نحو : صام - هام . . . فأصلهما صومَ - هيَمَ - . . . ومنها : نقل حركة حرف العلة الواقع عين الكلمة إلى ساكن صحيح قبله بالشروط المذكورة هناك ؛ نحو : يقوم ، وأصله : يَقُومُ . . . إلى غير ذلك من أحكام « الإعلال » التي تدخل على حرف العلة ؛ فتحدث به تغييراً .

فإذا كان حرف العلة الواقع عين الفعل لا يخضع للأحكام السالفة فإنه لا يسمى : « معلال » ، وإنما يسمى : « معتلا » وجاز في فائه من الحركات الثلاث ما يجوز في فاء الفعل الصحيح ؛ مثل : عَوِرَ - هيَّيفَ - اعتور . . . وغيرها من الأفعال المشابهة لها ؛ فإنها تسلك مسلك الفعل الصحيح عند بنائها للمجهول - كما قلنا .

والشائع بين النحاة أن حروف العلة الثلاث (و - ا - ي) إذا سكنت وكان قبلها حركة مجانسة لها سميت : حروف علة ، ومدّ ، ولين . فإن لم تجانسها الحركة التي قبلها سميت : حروف علة ولين . فإن تحركت فهي حروف علة فقط (راجع حاشية الخضرى « ج ٢ » أول باب : الإعلال بالنقل) . ومن النحاة من يطلق اللين على حرف العلة المتحرك . وهذا يخالف للشائع ، كما قال الخضرى في المرجع السالف - (وقد سبقت لهذا إشارة في ج ١ م ١٦ هامش ص ١٦٩ من الطبعة الثالثة - وسيجيء التفصيل الأوضح في ج ٤ في باب « الترغيم » و « الإعلال والإبدال ») .

(٢) الإشمام - عند النحاة - هو : النطق بحركة صوتية تجمع بين الضمة والكسرة على التوالي السريع ، بنير مزج بينهما ؛ فينطق المتكلم أولاً ببجزء قليل من الضمة ، يعقبه جزء كبير من الكسرة ؛ يجلب بعده ياء . فالجمع بين الحركتين ليس معناه الخلط بينهما في وقت واحد خلال النطق ؛ وإنما معناه مجيئهما على التعاقب السريع بالطريقة التي أسلفناها .

إذا أسند لنون النسوة الدالة على الغائبات . فالفعل : « ساد » - وأشباهه - في نحو « ساد الرجل قومه بالفضل »... إذا أسندناه لضمير متكلم أو مخاطب من غير أن يبنى للمجهول ، قلنا عند الضم : « سُدَّتْ » . ولو بنينا الفعل للمجهول ، وقلنا : « سُدَّتْ » أيضاً^(١) ؛ لوقع اللبس حتماً بين هذه الصورة التي بُنِيَ فيها للمجهول والصورة السالفة التي لم يُبْنَ فيها للمجهول . وفراراً من اللبس الذي ليس معه قرينة تزيله ، يجب البعد عن ضم الحرف الأول^(٢) في هذه الصورة المبنية للمجهول ، ولنا بعد ذلك استعمال الكسر ، أو : الإشمام .

ومثل : الفعل : « ساد » غيره من كل فعل ماضٍ ثلاثي ، إما مُعْلٍ الوسط بألف أصلها واو ؛ (وليس من باب : « فَعِلَ يَفْعَلُ » ؛ كخاف يخاف...^(٣)) مثل : شاق ، يشوق ، رام ، يروم . . . وإما مُعْلٍ الوسط بألف أصلها ياء أيضاً ؛ فليس اللبس مقصوراً على الماضي الثلاثي المعلن الوسط بألف أصلها واو ، وليس من باب فَعِلَ يَفْعَلُ ، بل يمتد إلى الماضي الثلاثي المعلن الوسط بألف أصلها ياء ؛ مثل الفعل : « زاد » في نحو : قد زادك الصديق ودّاً ؛

(١) لإيضاح هذا المثال وأشباهه نقول في : « ساد الرجل قومه بالفضل » إذا أسند الماضي المبني للمعلوم إلى ضمير المخاطب مثلاً ؛ صارت الجملة : سُدَّتْ قَوْمُكَ بالفضل - بضم السين - فإذا صارت الجملة : يامهمل سادك النافع .. وأردنا بناء الفعل للمجهول مع إسناده للمخاطب أيضاً فإننا نخذف الفاعل « النافع » ونقيم المفعول به (وهو : كاف الخطاب) مقامه . ولما كان الضمير « الكاف » لا يقع في محل رفع وجب استبداله ووضع ضمير آخر بمعناه في مكانه ؛ بحيث يصلح الضمير الجديد أن يكون في محل رفع نائب فاعل . لهذا نجيء بدله بضمير الخطاب التام ؛ فنقول عند بنائه للمجهول : يا مهمل سُدَّتْ ؛ أى : صرت مسوداً ، لا سيداً ؛ بمعنى أن غيرك صار سيديك . فالصورة الشكلية للفعل واحدة عند الضم ، في حالتى بنائه للمعلوم والمجهول ، وفيها يقع اللبس . وللفرار منه منعوا في المبني للمجهول ضم أوله إن كانت عينه ألفاً أصلها واو . . . إلا نحو : خاف - كما سيجيء هنا .

(٢) لا يجوز الضم في الواو إلا إذا كان ماضيه فَعِلَ (بكسر العين) ومضارعه على وزن : يَفْعَلُ (بفتح العين) نحو : خاف - يخاف (وأصله : خوف - يخَوْف) . ذلك أن الفعل : « خاف » وأشباهه - إذا أسند وهو مبني للمعلوم لمخاطب - مثلاً - يصير : خِفْتُ ، بكسر أوله ، وحذف وسطه ، طبقاً لقواعد الإسناد . فلو بنى للمجهول وكسر أوله لآوَقِعَ في لبس ؛ بسبب تشابه صورتي الفعل في حالتى بنائه للمعلوم والمجهول . والفرار من هذا اللبس يوجب ضم أوله عند بنائه للمجهول أو الإشمام .

(٣) للسبب الذي تقدم في رقم ٢ والذي يمنع الكسر في مثل : « خاف يخاف » عند بناء الماضي للمجهول ويوجب الضم .

فإنه إذا أسند لضمير المخاطب — مثلاً — من غير بناء للمجهول يصير : قد زدت الصديقَ ودّاً ، بكسر أول الماضي . وإذا أسند للمخاطب أيضاً مع البناء للمجهول فإن كسر أوله صار : زدت ودّاً^(١) كذلك ، فصورته في الحالتين واحدة مع اختلاف الإسناد والمعنى . وهذا هو اللبس الواجب توقيه . ومن أجله لا يصح الكسر هنا عند بنائه للمجهول ؛ فيجب العدول عنه ؛ إمّا إلى ضم أوله نطقاً وكتابة ، فنقول : « زدت » . وإمّا إلى الإشمام (وهذا لا يكون إلا في حالة النطق — كما عرفنا —) .

ومثل الفعل « زاد » كثير من الأفعال الماضية المعلّة الوسط بالألف التي أصلها الياء ؛ ومنها : دَانَ ، يدين — قاس ، يقيس — عاب ، يعيب — باع ، يبيع ... وخلاصة ما سبق :

أن الواجب يقتضى العدول عن ضم فاء الثلاثي المعلن العين بالواو ، عند خوف اللبس (إلا ما كان مثل : « خاف ») ، والعدول عن كسر فاء الثلاثي المعلن العين بالياء عند خوف اللبس أيضاً . وكذلك إن أوقع الإشمام في لبس وجب العدول عنه إلى النطق بالكسرة الصريحة الواضحة ، أو بالضمّة الصريحة الواضحة .

ومن أجل اللبس والعمل على اجتنابه وضع النحاة القاعدة التالية :

(يجوز في فاء الفعل الماضي ، الثلاثي ، المُعْتَلِّ الوسط ، عند بنائه للمجهول ثلاثة أشياء : الضم ، أو : الكسر ، أو : الإشمام ، بشرط أمن اللبس في كل حالة ، فإن أوقع الضم في لبس وجب تركه إلى الكسر أو الإشمام ، وإن أوقع الكسر في لبس وجب تركه إلى الضم أو الإشمام ، وإن أوقع الإشمام في لبس وجب العدول

(١) وذلك بعد حذف الفاعل وإقامة المفعول به (الكاف) مقامه ، ولما كانت « الكاف »

— كما أوضحتنا في رقم ١ من هامش ص ١٠٣ — من الضائرات التي لا تقع في محل رفع أتينا مكانها بضمير المتكلم مثلها مع صلاحيتها لأن يكون نائب فاعل في محل رفع ، هو : تاء المخاطب . والمعنى المقصود في المثال الثاني المبني للمجهول هو الدلالة على وقوع الزيادة على المخاطب . أما في المثال الأول فهو الدلالة على وقوع الزيادة من المخاطب (الفاعل) ، على الصديق (المفعول به) . والفرق كبير بين الدالتين مع اتفاق الصورة الشكلية للفعلين . ومن هنا يقع اللبس الذي يجب الفرار منه ؛ بتغيير الشكل في المبني للمجهول . . .

عنه إلى النطق بحركة صريحة واضحة ، هي : الضمة أو الكسرة ، بحيث يمنع اللبس معها . وعند صحة الأمور الثلاثة ، يكون الكسر أحسنها^(١) ، فالإشمام ، ثم الضم وهو أقلها استعمالاً .

٦- وإن كان الماضي الثلاثي المبني للمجهول مضعفاً^(٢) ، مدغمًا ؛ مثل الفعل : « عَدَّ » في : « عَدَّ الصَّيْفُ الْمَالَ »^(٣) . . . - جاز في فائه الأوجه الثلاثة ، (الضم الخالص ، وهو الأكثر هنا ، فالإشمام ، فالكسر الخالص) ، تقول وتكتب : عرفت أن المال قد عَدَّ - بضم العين أو كسرهما - كما يجوز الإشمام في حركتها عند النطق . وإذا خيف اللبس في وجه من الثلاثة وجب تركه إلى غيره ؛ كالفعل : « عَدَّ » - « رَدَّ » ، وأشباههما ، فإن فعل الأمر منهما يكون مضموم الأول : فيلتبس به الماضي المبني للمجهول إذا كانت حركة فائه الضمة ؛ إذ يقال : عَدَّ الْمَالَ ، رَدَّ الْعَدُو . فلا تتضح حقيقة الفعل ؛ أهو فعل ماض مبني للمجهول أم فعل أمر ؟ وفي مثل هذه الحالة يجب العدول عن الضم إلى الكسر ، أو الإشمام ، لأن الكسر والإشمام لا يدخلان أول هذين الفعلين إذا كانا للأمر^(٤) .

(١) وبالكسر جاء قول الشاعر :

إِذَا قِيسٌ إِحْسَانُ امْرَأٍ بِإِسَاءَةٍ فَارْبَى عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تَغْفِرُ

(٢) مضعف الثلاثي : ما كانت عينه ولا منه من جنس واحد ؛ نحو : عدّ - مدّ - شقّ - صبّ .

(٣) وفي قول الشاعر :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عَدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ

(٤) وإنما قرئ : « رَدَّ » ، بالضم قوله تعالى : (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ...)

لوجود قرينة تمنع اللبس ، هي : أن فعل الأمر لا يكون فعل شرط للأداة « لو » أو غيرها . وفي الأوجه الثلاثة الجائزة في الثلاثي محل العين . وفي الثلاثي المضعف ، ومنع ما يقع منها في لبس ، يقول ابن مالك :

وَإِكْسَرُ أَوْ أَشْمَمُ « فَا » ثَلَاثِيٌّ أَعْلَى عَيْنًا ، وَضَمُّ جَا ، كَبُوعٌ : فَاحْتِمِلْ

أى : اكسر أو أشمم « فا » ثلاثي المثل العين . وقد جاء فيه الضم عن العرب ؛ فيجوز القياس عليه ؛ واحتمل قبوله ؛ بحجته عنهم . (« فا » هي مقصور الحرف : « فاء » . و « جا » ، هي : مقصور الفعل : « جاء » . وعند قراءة كلمة « أو » في البيت تتحرك الواو بالفتحة التي انتقلت إليها من الهمزة التي بعدها . والأصل : أو أشمم ؛ لأنه أمر من الفعل : « أَشْمَمَ » الرباعي . وقد انتقلت حركة الهمزة إلى الواو الساكنة بعد حذف الهمزة للوزن الشعري) . ثم يقول :

٧ - وتجاوز الأوجه الثلاثة أيضاً في الحرف الثالث الأصلي من الماضي المعلن العين ؛ إذا كان على وزن ؛ انفعل ، أو : افتعل ؛ مثل : (انقاد - انهال - انهار . .) ، ومثل : (اختار - اجتاز - احتال . . .) .

ويلاحظ هنا أن حركة الحرف الأول (وهو : همزة الوصل) لا تلزم صورة واحدة في ضبطها ، فلا تقتصر على حركة معينة ، وإنما تماثل وتسائر حركة الحرف الثالث ، وأن ضمة الثالث ستؤدي إلى قلب الألف التي بعده واواً ، وأن كسره ستؤدي إلى قلبها ياء ؛ فلا بد في حركة الحرف الأول - وهو همزة الوصل - من أن تكون مناسبة لحركة الثالث في الضم ، أو الكسر ، أو الإشمام ، كما سبق ؛ فيقال ويُكتب فيهما : أنقُود ، أو : انقِيد ، أو : ينطق بالإشمام في حركة الحرف الأول والثالث ، وكذا باقي الأفعال التي تشبه : « انقاد » .

كذلك يقال ويُكتب : اُختُور ، أو : اختير ، أو : ينطق بالإشمام في حركة الحرف الأول والثالث ، وكذا يقال في باقي الأفعال التي تشبه : « اختار » .

ويشبههما في الحكم السابق : « انفعل » و « افتعل » إذا كانا صحيحين مُضْعَفِي اللام ؛ نحو : انصب - انسد - انجر - . . . ومثل : امتد - اشتد - ابتل . . . فإذا بنى فعل للمجهول من هذه الأفعال ونظائرها - جاز في حرفه الثالث - عند أمن اللبس - الضم ، الخالص نطقاً وكتابة ، أو : الكسر الخالص كذلك ، أو الإشمام نطقاً ، وفي كل حالة من الثلاث يتحرك الحرف الأول ؛ - وهو همزة الوصل - ، بمثل حركة الحرف الثالث ، نحو : اُنْصَبْ - أو اِنْصِبْ . . . اُمْتِدْ - اِمْتِدْ^(١) .

= وَإِنْ يَشْكُلُ خَيْفُ لَبْسٍ يُجْتَنَبُ وَمَا لِبَاعٍ قَدْ يُرَى لِنَحْوِ حَبْ

يريد : إذا أدى وجه من الأوجه الثلاثة السالفة إلى اللبس الذي لا يمكن معه تمييز الفعل المبني للمجهول من غيره ، وإلى اختلاط المعاني - وجب اجتناب ذلك الوجه إلى آخر ليس فيه لبس .

ثم بين أن ما ثبت من الأحكام لفاء الفعل : « باع » - وغيره من الماضي الثلاثي الملل الوسط - عند البناء للمجهول ، قد ثبت لنحو : « حَبْ » من كل فعل ماض ثلاثي مضاعف ، حيث يجوز في فائه الأمور الثلاثة ، بشرط أمن اللبس ؛ فإن خيف اللبس في أحدها وجب تركه :

= (١) وفي هذا يقول ابن مالك :

٨ - إن كان الفعل جامداً أو فعل أمر لم يصبح بناؤه للمجهول مطلقاً ...

٩ - إن كان الفعل ناقصاً (مثل : كان ، وكاد ، وأخواتهما) فالصحيح أنه يبنى للمجهول ، وتجري عليه أحكام المبنى للمجهول^(١) بشرط الإفادة ، وعدم اللبس - إلا الناقص الجامد ؛ مثل : ليس ، وعسى ؛ لأن الجامد لا يبنى للمجهول - كما سبق ...

= وَمَا لِفَا بَاعَ لِمَا الْعَيْنُ تَلِي فِي اخْتَارَ ، وَانْقَادَ ، وَشَبَّهَ يَنْجَلِي

وفي هذا البيت شيء من التعقيد بسبب التقديم ، والتأخير ، والحذف . والأصل الذي يريده : الذي يثبت لفاء : «باع» يثبت كذلك للحرف الذي تليه عين الفعل من نحو : «اختار» و«انقاد» أو شبههما ينجلي ، (أى : يتضح) . والمشابهة تكون في الوزن والإعلاق . وهناك ما يشبههما من جهة انطباق الحكم عليه ، كأنفعل وافتعل ؛ الصحيحين مشددي اللام . . . - تلى العين ، أى : تليه . فالهاء مخلوقة - والمعنى : ما تقرر من الأوجه الثلاثة في حركة الفاء من الفعل المثل العين . (مثل : باع ، صام) يتقرر مثله للحرف السابق لعين الفعل المملة ، إذا كان الفعل على وزن : «افتعل» أو «انفعل» وأشباههما وما يلحق بهما . . .

(١) بالرغم من صحة بناء هذه الأفعال للمجهول فمن المستحسن عدم بنائها للمجهول ؛ مسايرة للأساليب العليا ، وأحكام البلاغة التي ترى فيها ثقلاً في النطق ، وقبحاً في الجرس . وسيأتى في (ب) من ص ١٢٢) كلام خاص بنجر «كان» وحدها يتصل بما نحن فيه .

.

زيادة وتفصيل :

(١) ورد عن العرب أفعال ماضية تشتهر بأنها ملازمة للبناء للمجهول ، سَمَاعًا عن أكثر قبائلهم . وهي الأفعال التي يعتبرها اللغويون مبنية للمجهول في الصورة اللفظية ، لا في الحقيقية المعنوية ^(١) ؛ ولذلك يعربون المرفوع بها فاعلا ؛ وليس نائب ^(٢) فاعل . ومن أشهرها : هُزِلَ - دُهِشَ وشُدَّه ، وهما بمعنى واحد - ؛ ومنها : (شُغِفَ بكذا ، وأُولِعَ به ، وأُهْتَرِ به ، أُسْتَهْتَرَ به ، وأُغْرِيَ به ، وأُغْرِمَ به . . .) ، وكلها بمعنى واحد ؛ هو : التعلق القوي بالشيء) ومنها : أَهْرِعَ ، بِمَعْنَى : أَسْرَعَ . ومنها : نَتَجَ . ومنها : عُنِيَ بكذا ؛ أى : اهتم به . ومنها : حُمَ فلان (بمعنى أصابته الحمى) - أَعْمَى عليه - فُلِدَجَ - امْتَقَعَ لونه (بمعنى تَغَيَّرَ) - زُهِيَ (بمعنى تكبر) ^(٣)

لكن ما حكم مضارع هذه الأفعال ؟؛ أيجب بناؤه للمجهول مثلها ، أم يتوقف أمره - كماضيه - على السماع الوارد من العرب في كل فعل ؟
 الصحيح أنه مقصور على السماع الوارد في كل فعل ^(٤) . ومنه في الشائع : (يَهْرَعُ ، يُعْنَى ، يُوَلِّعُ ، يُسْتَهْتَرُ . . .) .

بقي توضيح المراد من أن تلك الأفعال الماضية ملازمة للبناء للمجهول سماعًا عن أكثر القبائل :

(١) لأن الفاعل - في الأغلب - هو الذى فعل الفعل ، أو قام به الفعل . . . ، وهذا ينطبق على الاسم المرفوع بعد هذه الأفعال .

(٢) وهذا في رأى الشائع الذى ورد صريحاً في كثير من المراجع ؛ كالقاموس المحيط ، في مقدمته تحت عنوان : (المقصد ، في بيان الأمور التي اختص بها القاموس) . وهو المقصود بعنوان « مسألة » . وكالحضري في مواضع متفرقة ، منها : باب « أبنية المصادر » ، عند الكلام على مصدر : « فَعَلَ » . . . - إلا إن كان المبنى للمجهول لزوماً غير رافع الاسم بعده ؛ نحو : سَقَطَ في يد المتسرع ، (بمعنى : نَدِمَ) ، فشبه الجملة نائب فاعل ، وليس بفاعل : لأن الفاعل لا يكون شبه جملة .

(٣) عقد « ابن سيده » في كتابه : « المحصص » (ج ١ ص ٧٢) باباً سماه : ما جاء من الأفعال على صيغة ما لم يسم فاعله .

(٤) جاء النص على هذا في مقدمة « القاموس » في (بيان الأمور التي اختص بها القاموس) تحت عنوان « مسألة » .

يرى أكثر النحاة أن المراد هو عدم استعمالها في معانيها السالفة مبنية للمعلوم ؛
تقول : شُدْهت من الأمر ، بالبناء للمجهول ، ولا يصح عند هؤلاء شَدَّهني
الأمر ، بالبناء للفاعل ، لاعتمادهم على ما جاء في كتاب : « فصيح ثعلب » ،
ونحوه من التصريح القاطع بأنها لا تبنى للمعلوم .

وأنكر بعض المحققين — كابن برّيّ^(١) — ما قاله ثعلب وغيره من اللغويين
والنحاة . وحجة ابن برّيّ في الإنكار أن « ثعلباً » ومن معه لم يعلموا ما سجّله ابن
درستويه وردده ؛ ونصّه^(٢) : « (عامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون
إلا مضموم الأول ، ولم يقولوا إنه إذا سُمِّيَ فاعله جاز بغير ضم . وهذا غلط
منهم ، لأن هذه الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي ؛ فإذا لم يُسَمَّ فاعلها
فهي كلها مضمومة الأوائل ، ولم نخصّ بذلك بعضها دون بعض . وقد بينّا ذلك
بعلمته وقياسه ؛ فيجوز : عُنيت بأمرك ، وعنانى أمرك — وشُغلت بأمرك ، وشغّلني
أمرُك — وشُدْهت بأمرك ، وشَدَّهني أمرُك . . .) ، ا ه ، هذا ما نقله
« ابن برّيّ »^(١) » وختمه بقوله : (وفي ذلك كفاية تغني عن زيادة إيضاح وبيان) « ا ه

ورأيه هو السديد الذي تؤيده النصوص الصحيحة التي تحمل الباحث على أن يسأل :
كيف خفيت هذه النصوص على كثير من اللغويين والنحاة القُدَامَى ؟ وكيف رتبوا
على وجود نوع وهمي من الأفعال يلزم البناء للمجهول — في رأيهم — أحكاماً خاصة ؛
كمنع محيىء « صيغتي التعجب » من الثلاثي مباشرة ، وعدم صحته إلا بوسيط . وكمنع
صوغ « أفعال التفضيل » من مصادرهما إلا بوسيط كذلك . . . و . . . و . . .

ولا شك أن رأى « ابن برّيّ » ومن معه من المحققين هو السديد — كما تقدم —
والأخذ به يؤدي إلى إلغاء تلك الأحكام الخاصة ، ويبيح في الثلاثي « التعجب »
المباشر ، وكذا « التفضيل » بغير وسيط ، ويرد لتلك الأفعال اعتبارها وحققها ،
ويجعل شأنها شأن غيرها من باقي الأفعال التي يصح أن تبنى للمعلوم حيناً ، وللمجهول
حيناً آخر ، على حسب مقتضيات المعنى .

(١٠٩) ضبط القاموس الياء مشددة بالشكل .

(٢) ما يأتي منقول مما يسمى بالاسم الآتي نصه : : (الرسالة المشتعلة على انتقاد « ابن الخشاب
البغدادى » على العلامة « أبى محمد الحريرى » في مقاماته . وانتصار الشيخ الإمام العلامة أبى محمد عبد الله
ابن برّيّ للإمام الحريرى في الرد على « ابن الخشاب ») ا ه . وهذه الرسالة مطبوعة في ختام بعض طبعات
« مقامات الحريرى » .

(ب) عرفنا^(١) أن نائب الفاعل يكون مرفوعاً بأحد شيئين ؛ الفعل المبني للمجهول ، واسم المفعول ، فهل يرتفع بالمصدر المؤول المسبوك في أصله من « أن » والفعل المبني للمجهول ؟ انتهى النحاة إلى أن الأصح جوازه بشرط أمن اللبس . ومن أمثلتهم : عجبت من أكل الطعام ؛ بتنوين المصدر « أكل » ورفع كلمة : « الطعام » على اعتبارها نائب فاعل له . والأصل عندهم : عجبت من أن أكل الطعام . فلما سُبِكَ المصدر المؤول صارت كلمة : « الطعام » نائب فاعل له بعد سبكه .

فإن أوقع في السبكِ لبس لم يصح ؛ نحو ؛ عجبت من إهانة على ، إذا كان على هو المهان ؛ (والأصل : من أن أهين على) فيتعين أن يكون المصدر مضافاً و « على » ، هو المضاف إليه المحرور ، وهو في محل نصب مفعول به ، ولا يصح الرفع ؛ لوقوع اللبس بسببه .

وكما صح رفع نائب الفاعل بالمصدر المؤول يصح أن يكون محروراً باعتباره مضافاً إليه ، والمصدر هو المضاف ؛ فيكون نائب الفاعل محروراً لفظاً ، مرفوعاً محلاً ؛ كما يجوز جعل ما أضيف إليه المصدر في محل نصب على المفعولية ، والفاعل محذوف من غير نيابة شيء عنه .

أما على الرأى الذى يمنع المصدر المؤول من رفع نائب فاعل فيتعين إضافة المصدر لما بعده ويكون ما بعده - وهو المضاف إليه - في محل نصب على المفعولية^(٢) .

بالرغم من أن الأصح - عندهم - جوازه ، فالأنسب اليوم عدم الالتجاء إليه ؛ لأنه لا يكاد يخلو من غموض وثقل يناهزان الأساليب الناصعة العالية ، وأسس البلاغة ، وهذان أمران لهما اعتبارهما . ويزيدهما قوة ورجاحة خلو المراجع المتداولة من أمثلة مسموعة عن فصحاء العرب تؤيده .

(ح) في الفعل الثلاثي المعلن العين ، وفي غيره من الأفعال الماضية المبينة للمجهول - لغات أخرى ، أعرضنا عنها ؛ لأنها لهجات متعددة ، لقبائل متباينة لا نرى خيراً في استعمالها اليوم ؛ حرصاً على الإبانة والتوحد المفيد قدر الاستطاعة ، ومنعاً للتشتت والتعدد في أهم وسيلة للتفاهم والإيضاح ، وهى : اللغة .

المسألة ٦٨ :

ب - الأشياء التي تنوب عن الفاعل بعد حذفه .

نتنقل إلى الأمر الثاني ^(١) الذي يترتب على حذف الفاعل ؛ وهو : إقامة نائب عنه يحل محله ، ويخضع لكثير من أحكامه ، - كما قلنا - .

والذي يصلح للنياحة عن الفاعل واحد من أربعة أشياء ؛ المفعول به ، والمصدر ، والظرف ، والجار مع مجروره ^(٢) ، وقد تلحق بها - أحياناً - حالة خامسة ، ستجىء ^(٣) .

(١) فأما المفعول به فقد سبقت له أمثلة كثيرة . غير أن فعله قد يكون متعدياً لواحد ؛ كالأمثلة المشار إليها . وقد يكون متعدياً لاثنتين أصلهما المبتدأ والخبر ؛ كمفعولى : « ظن » وأخواتها ^(٤) - فى مثل ؛ ظنَّ الغلامُ الندى مطراً ، أو ليس أصلهما المبتدأ والخبر ؛ كمفعولى : « أعطى » وأخواتها ، ومنها : « كسا » ، فى مثل : أعطى الغنىُّ الفقيرَ مالاً ، وكسا المحتاجُ ثوباً ^(٥) . وقد يكون متعدياً لثلاثة ؛ « كأعلم » و « أرى » ^(٦) ، نحو : أعلم الطبيبُ المريضَ الدواءَ شافياً .

فإن كان الفعل متعدياً لمفعول به واحد ، مذكور فى الكلام ، أقيم هذا الواحد مقام الفاعل وإن كان متعدياً لاثنتين مذكورين فقد يكون أصلهما المبتدأ والخبر أو ليس أصلهما كذلك . فأى المفعولين ينوب ؟ .

(١) أما الأول فقد سبق فى ص ٩٨ .

(٢) راجع ما قلناه أول الباب (فى رقم ٥ من هامش ص ٩٧) من أن بعض النحاة يميز تقديم نائب الفاعل إذا كان شبه جملة ، وبينان السبب .

(٣) فى ص ١١٩ - أما غير هذه الخمسة فسيجىء عنه كلام فى الزيادة والتفصيل ص ١٢٢ - أ - ومنه يعلم وجود أشياء أخرى .

(٤) سبق بابه فى ص ٣ .

(٥) ليس أصل المفعولين هنا المبتدأ والخبر ، إذ لا يقال على سبيل الحقيقة اللغوية . لا المجاز : الفقير مال - المحتاج ثوب ؛ لفساد المعنى الحقيقي على هذا .

(٦) سبق بابه فى ص ٥٨ .

وإن كان متعدياً لثلاثة مذكورة فأياً ينوب كذلك (١) ؟

خير الآراء وأنسبها : اختيارُ الأول للنيابة إذا كان هو الأظهر والأبين للقصد مهما كان نوع فعله . لكن لا مانع من تركه ، واختيار غيره ؛ فيكون في هذا اختيار لغير الأفضل . فإن كان غير الأول هو الأقدر على إيضاح المراد ، وإبراز الغرض من الجملة فنيابته مقدمة على نيابة الأول . ولا بد في كل الحالات من أمنّ اللبس ؛ وإلا وجب العدول عما يحدثه إلى ما لا يحدثه . وفيما يلي أمثلة لأنواع الفعل المتعدى قبل بنائه للمجهول ، وبعد بنائه ، وما يحدثُ اللبسَ وما لا يحدثه .
فما لا يحدثه ؛

(عَرَفَ المسترشدُ الصوابَ - عَرَفَ الصوابُ) .

(ظَنَّ الجاهلُ الخُفَّاشَ طائراً - ظَنَّ الخُفَّاشُ طائراً - ظَنَّ طائرُ الخُفَّاشِ) .

(أعطى الولدُ الطفلَ كتاباً - أعطى الطفلُ كتاباً - أعطى كتابُ الطفلِ) .

(أعلِمْتُ التاجرَ الأمانةَ نافعةً - أعلِمَ التاجرُ الأمانةَ نافعةً - أعلِمَ

الأمانةُ التاجرَ نافعةً - أعلِمَ نافعةُ التاجرَ الأمانةَ) .

ولا يصح إنابة غير الأول في مثل : (أعطيت محمدًا فريقيًا من الأعوان) .
(منحتُ الشركةَ مهندساً) . لأن كلاً من الأول والثاني يصلح أن يكون آخذاً ومأخوذاً ؛ فلا يمكن التمييز بينهما عند بناء الفعل للمجهول إلا باختيار أولهما ليكون نائب فاعل ؛ لأن اختياره يجعله بمنزلة الفاعل في المعنى ؛ فيتضح من تقدمه أنه الآخذ ؛ وغيره المأخوذ . ومثل هذا يقال في : ظننت الولدَ الولدَ ، حيث يجب اختيار الأول للنيابة لأن كلاً منهما صالح أن يكون هو المظنون الشبيه بالآخر . ولا يمنع هذا اللبس إلا اختيار الأول وذلك للسبب السالف ؛ ولا سيما أن الأول هنا

(١) الخلاف بين النحاة عنيف متشعب فيما يصلح للنيابة عند تعدد المفعول به ، وتباين أوصافه ؛ أهو الأول وحده ، فلا يصح إنابة غيره ، أم الأول وغيره ؛ فيختار واحد بغير تعيين ؟ وهل الأول وغيره سواء عند الاختيار ، لا مزية لأحدهما على الآخر ؟ وهل بين المفعولين أو الثلاثة ما لا يصلح للنيابة ؟

... و ... و ...

ولا نريد الإرهاق ببرد أوجه الخلاف ، وأسبابه ، وأدلته كما وردت في المطولات فليس في الرد ما يناسبنا اليوم . وحسبنا أن نستقصى الآراء ، ونستصني هاخيراً لنقدمه هنا .

هنا أصله مبتدأ ، والمبتدأ متقدم بحسب أصل رتبته على الخبر . ومثل هذا يقال في : (أعلم السائق المهندس زميله مهملًا) ، حيث يجب اختيار الأول ، لما سلف .

وإذا وقع الاختيار على واحد وجب ترك ما عداه على حاله — كما كان — مفعولا به منصوبا^(١) .

ومما يجب التنبيه له أن المفعول الثاني « لظن » وأخواتها قد يكون جملة — كما سبق في بابها^(٢) — فإن كان جملة لم يصح اختياره نائبًا للفاعل ؛ لأن الفاعل ونائبه لا يقعان جملة^(٣) في الراجع . وينطبق هذا على غير « ظن » أيضًا ؛ فهو حكم عام فيها وفي غيرها . . .

(٢) وأما المصادر — ومثله اسم المصدر — فيصلح للنياحة عن الفاعل بشرطين ؛ أن يكون متصرفًا . ومختصًا . والمراد بالتصرف : ألا يلزم النصب على المصدرية .

(١) وإلى بعض ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

وَبِاتِّفَاقٍ قَدْ يَنْتُوبُ الثَّانِ مِنْ « كَسَا » فِيمَا التَّبَاسُ أَمِنْ
فِي بَابِ : « ظَنَّ » وَ « أَرَى » الْمَنْعُ اشْتَهَرَ وَلَا أَرَى مَنَعًا إِذَا الْقَصْدُ ظَهَرَ

يريد : أن النحاة اتفقوا — بناء على ما استنبطوه من كلام العرب — على جواز إنابة المفعول الثاني الذي فعله : « كسا » وشبهه ، — وهو الفعل الذي ينصب مفعولين ، ليس أصلها المبتدأ والخبر — إذا أمن لا لتباس . أما إنابة الثاني عما فعله « ظن » أو « رأى » — وأخواتها فقد بين أن المشهور المنع . وهو لا يوافق على المنع إذا كان القصد يظهر ويتضح بالثاني . ولم يتعرض للمفعول الثالث الذي فعله ينصب ثلاثة ، وقد ذكرنا أن حكمه كغيره . وسيعاد البيتان لمناسبة أخرى في هامش ص ١٢٠ :

(٢) ص ٢٤ .

(٣) قد تقع الجملة نائب فاعل إذا حكيت بالقول ، وقصد لفظها بحروفها وضبطها — بالتفصيل المبين « في ب » من ص ٥٣ — ؛ لأنها تكون حينئذ بمنزلة المفرد ، بسبب قصد لفظها . مثل قوله تعالى : (وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض . . .) فيجوز أن تكون جملة : « لا تفسدوا » هي نائب الفاعل مرفوعة بضمّة مقدرة على آخرها ، منع من ظهورها الحكاية . . . ومثل المحكية أيضًا المؤولة بالمفرد ؛ نحو : « عرف كيف جاء على . أي : « عرف كيفية مجيء على

(راجع ج ١ ص ٣٩ — هامش ص ٥٠٩ — حيث تفصيل الكلام على حالات إعراب : « كيف » وبنائها وقد أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ٦١ و ١ من هامش ص ٦٧ وهذا يشمل المفعول الثاني لظن وغيرها .)

أما وقوع الجملة فاعلا فقد سبق فيه في ص ٦٦ وأن الأرجح المنع .

ولأنما ينتقل بين حركات الإعراب المختلفة ؛ فتارة يكون مرفوعاً ، وأخرى يكون منصوباً ، أو مجروراً ؛ على حسب حالة الجملة ؛ مثل : فهِم ، جلوس ، تَعَلَّم . . . ؛ نحو : الفهمُ ضروريٌّ للمتعلِّم — إن الفهمَ ضروري . . . — اعتمدت على الفهم . . . و . . . وكذا الباقي ونظائره مما لا يلزم النصب على المصدرية . لأن ملازمته النصب على المصدرية تمنع أن يكون مرفوعاً مطلقاً ؛ فلا يصلح نائب فاعل أو غيره من المرفوعات .

فإن كان المصدر — أو اسمه ^(١) — ملازماً النصب على المصدرية لم يكن متصرفاً ولم يصح اختياره للزيادة عن الفاعل ؛ مثل : « معاذ » ؛ فإنه مصدر ميمي لم يشتهر استعماله عن العرب إلا منصوباً مضافاً ^(٢) في نحو : معاذ الله أن يغدر الأمين . ومثل : « سبحان » ^(٣) ؛ فإنه اسم مصدر لم يشتهر استعماله عن العرب كذلك إلا منصوباً مضافاً — في الأغلب — ، فلو وقع أحدهما نائب فاعل لصار مرفوعاً ، ونخرج عن النصب الواجب له ، وهو ضبط لا يصح مخالفته ، ولا الخروج عليه ؛ حرصاً على اللغة ، ومحافظة على طرائقها المشهورة .

والمراد بالاختصاص : أن يكتسب المصدر من لفظ آخر معنى زائداً على معناه المبهم ، المقصور على الحدث الجرد ؛ ليكون في الإسناد إليه فائدة . فالمعاني المبهمة الجردة (مثل ؛ قراءة — أكل — سفر . . . و . . . وأمثالها) ؛ يدل كل منها على معناه الذي يفهم من لفظه نصّاً ، دون زيادة شيء عليه ؛ فكلمة : « قراءة » ليس في معناها الحرفي ما يدل على أنها قراءة سهلة أو صعبة ، نافعة أو ضارة ، . . . و « الأكل » ليس في معناه الحرفي ما يدل على أنه لذيق أو بغيض ، قليل أو كثير ، حار أو بارد . . . و « السفر » ليس في معنى نصه الحرفي

(١٠١) اسم المصدر في جميع ألفاظه وصيغه مقصور على السماع ، (كما سيجيء في الباب الخاص بتعريفه وبأحكامه — ج ٣ م ٩٩ ص ٢٠١ — وستأتى لهذا إشارة في رقم ٣ من هامش ص ٢١٤ . (٢) « معاذ » في نحو : معاذ الله أن أنسى الفضل ، مصدر ميمي نائب عن اللفظ بفعله ، (أى : يغنى عن التلفظ بفعله) . والأصل أعوذ بالله معاذاً . ثم حذف الفعل ، وقام المصدر نائباً عن لفظه ، وأضيف ؛ فصار : معاذ الله . ويعرب مفعولاً مطلقاً . (وستجىء إشارة له في ص ٢٣٦ م ٧٦ ، ولاستعماله غير مضاف ، لضرورة الشعر .)

(٣) اسم مصدر معناه : التسبيح . وفعله : سَبَّح . وستجىء إشارة له في ص ٢٣٤ م ٧٦ ؛ ولاستعماله في ضرورة الشعر غير مضاف .

ما يدل على أنه سفر قريب أو بعيد ، سهل أو شاق ، مرغوب فيه أو مرغوب عنه . . . وهكذا يدل المصدر وحده - وكذا اسمه - على المعنى المجرد ؛ أى : على ما يسمونه : « الحَدَثُ المحض » فثقل هذا المصدر ، أو اسمه لا يصلح أن يكون نائب فاعل ، لأن الإسناد إليه لا يفيد معنى جديداً أكثر من معنى فعله ؛ فكأنه جاء لتأكيد معنى فعله ؛ وتوكيد المعنى الموجود ليس هو المقصود الأساسى من الإسناد ؛ ولا يوصف بأنه معنى جديد ، فلا يصح أن يقال : عَلِمَ عَلِمٌ ، فَهُمْ فَهْمٌ . . . إذ لابد مع المصدر من زيادة معنى جديد على معناه الأصلي ؛ ليكون صالحاً للنيابة عن الفاعل ، وهذه الزيادة تأتية من خارج لفظه ، وهى التى تجعله مختصاً .

وتحدثت بواحد أو أكثر من أمور متعددة ؛ منها : وصفه ؛ نحو : عَلِمَ عَلِمٌ " نافع " - فَهُمْ فَهْمٌ عميق . ومنها : إضافته ؛ نحو : عَلِمَ عَلِمٌ المخترعين ، وَهُمْ فَهْمٌ العباقرة . ومنها : دلالة على العدد ؛ نحو : قرئ عشرون قراءة . . . وغير هذا من كل ما يزيل لبهام المصدر ، واسمه ، ويزيد معناهما على مجرد تأكيد معنى الفعل ، ويجعل الإسناد إليهما مفيداً فائدة جديدة أساسية .

ومما سبق نعلم المراد من قولهم المختصر : « إن المصدر يصلح للنيابة إذا كان مفيداً » ويكتفون بهذه الجملة ، لأن الإفادة لا تحقق إلا بالشرطين السالفين وهما : « التصرف والاختصاص » .

(٣) وأما الظرف بنوعيه فيصلح للنيابة عن الفاعل إذا كان مفيداً أيضاً ، وهذه الفائدة تتحقق بشرطين ؛ أن يكون الظرف متصرفاً كامل التصرف ، وأن يكون مختصاً .

والمراد بالتصرف الكامل : صحة التنقل بين حالات الإعراب المختلفة ؛ من (رفع ، إلى نصب ، إلى جر ؛ على حسب حالة الجملة) ، وعدم التزامه النصب على الظرفية وحدها دائماً ، أو النصب على الظرفية مع الخروج عنها أحياناً إلى شبه الظرفية ، وهو الجر بالحرف « من » ^(١) - فى الغالب - ؛ لأن عدم تصرفه

(١) ينقسم الظرف - باعتبار التصرف وعدمه - إلى ثلاثة أقسام : ظرف كامل التصرف ، وظرف ناقص التصرف ، - ويسمى أيضاً الشبيه بالمتصرف - وظرف غير متصرف مطلقاً . وسيجىء هنا موجز عنها . أما تفصيل الكلام على الأقسام كلها فى باب الظرف ص ٢٤٢ م ٧٨ .

الكامل يمنع وقوعه مرفوعاً - نائب فاعل أو غيره من المرفوعات ، كما سبق . فمثال
الظرف الكامل التصرف : يوم - زمان - قَدْ آم - خلف . . . ؛ لأنك تقول :
اليومُ يومٌ طيبٌ - قضيتُ يوماً طيباً - تطاعت إلى يوم طيب . . . وتقول :
قَدْ آمك فسيحٌ - إن قَدْ آمك فسيحٌ - سأتيه إلى قَدْ آمك . فهذه الظروف
المتصرفة يصح وقوعها نائب فاعل إن كانت مختصة ^(١) .

ومثال الظرف غير المتصرف مطلقاً (وهو الذي يلزم النصب على الظرفية
وحدها) : قَطُّ ^(٢) - عوض ^(٣) - إذا - سَحَر - (بشرط أن يراد به سحرٌ
يوم معين دون غيره ؛ ليكون ظرفاً ملازماً للنصب) . فلا يصح أن يقع واحدٌ
من هذه الظروف - وأشباهاها - نائب فاعل ؛ فلا يقال عنه نائب فاعل في مثل :
ما كُتِبَ قَطُّ - لن يُكْتَبَ عوضٌ - ما يجاء إذا جاء الصديق - مُدِح سحرٌ .
لا يقال ذلك ^(٤) لعدم تحقق الفائدة المطلوبة من الإسناد ، ولئلا يخرج الظرف عن
الظرفية إلى غيرها وهي الحكم الدائم الثابت له في الكلام العربي الأصيل الذي
لا تجوز مخالفة طريقته .

ومثال الظرف الشبيه بالمتصرف (أى : الظرف ناقص التصرف ، وهو الذي
لا يترك النصب على الظرفية إلا إلى ما يشبهها ؛ وهو الجر بالحرف « من » - غالباً

(١) « ملاحظة » : إذا صار الظرف نائب فاعل ، أو شيئاً آخر غير النصب على الظرفية ، فإنه
لا يسمى ظرفاً - كما سيجىء في بابه ، ص ٢٤٤ - .

(٢) سيجىء له إشارة أخرى في « ب » من ص ٢٦١ والأشهر في ضبطه أن يكون بفتح القاف مع
تشديد الطاء المضمومة ، وأن يفيد استغراق الزمن الماضي كله منفياً ؛ لأنه - في الأشهر - لا بد أن يسبقه
النفي أو شبهه ؛ نحو : ما تأخرت قط . أى : ما تأخرت فيما انقضى من عمرى إلى الآن . وهو ظرف مبنى
على الضم . (وفيه لغات أخرى أقل شيوعاً) .

و « قط » هذه غير التى فى مثل : تصدق بدرهمين أو ثلاثة فقط ؛ فإن هذه بمعنى : حسب » ،
والفاء زائدة لتزيين اللفظ .

(وتقصيل المسألة وإيضاحها في ج ١ م ٣٠ ص ٣٨٢ عند بيت مالك في باب : « المرفوع بآل » :
« آل » حرف تعريف أو اللام فقط . . .)

(٣) هو ظرف لاستغراق الزمن المستقبل المنقضى ؛ لأنه - فى الغالب - يكون مسبوقاً بالنفى .
وحكمه عند عدم إضافته : البناء على الضم أو الفتح أو الكسر ، فإن أضيف كان معرباً ؛ نحو :
لن أنافق عوض العائضين . - كما سيجىء فى « ب » من ص ٢٦١ - .

(٤) لا يقال ذلك ؛ سواء اعتبرنا كلا منها نائب فاعل ، مرفوعاً مباشرة ، أو اعتبرناه غير معرب ،
أى : نائباً مبنياً فى محل رفع .

— كما سبق) : عند — ثم — مع . . . وهذا النوع لا يصلح للنيابة عن الفاعل ؛ لأنه كسابقه — لا يفيد الفائدة المطلوبة من الإسناد ، ولأنه لا يصح إخراجه عن الحُكم والضبط الذى استقر له وثبت فى الكلام العربى المأثور ؛ وهو نصب أو الجر الغالب بمن ؛ فلا يقال : قرئ عند ، ولا كتبت ثم . ولا عُرِف مع (١) . . .

والمراد بالاختصاص هنا : أن يزداد على معنى الظرف معنى جديد آخر يكتسبه من كلمة تتصل به اتصالاً قوياً ؛ ليزول الغموض والإبهام عن معناه . كأن يكون الظرف مضافاً ؛ نحو : أذن وقت الصلاة — نُودى ساعة البيع . . . أو يكون موصوفاً ؛ نحو : قضى شهرٌ جميلٌ فى المصايف — قُطِعَ يومٌ كاملٌ فى السفر — أو يكون معرفاً (٢) ؛ نحو : يُحسب اليومُ لأنه معتدل ، أو غير ذلك مما يزيد معنى جديداً على الظرف ، ويخرج معناه السابق من الإبهام والتجرد .

(٤) وأما الجار مع مجروره فإن كان حرف الجر زائداً — نحو : ما صُدِرَ من شيء — فلا خلاف فى أن النائب هو المجرور وحده — « وأنه مجرور لفظاً ، مرفوع محلاً » ، فيجوز فى التوابع مراعاة لفظه أو محله .

أمّا حرف الجر الأصلى مع مجروره — نحو : قُبِعَ فى الحديقة الناضرة فالصحيح أن الذى ينوب منهما عن الفاعل هو المجرور وحده (٣) (برغم أن الشائع

(١) بعض النحاة يجيز فى مثل : جلس عندك — بإضافة الظرف إلى الضمير — أن يكون الظرف منصوباً على الظرفية مع كونه فى الوقت نفسه فى محل رفع بالنيابة عن الفاعل . ويجيز فى قوله تعالى : لقد تقطع بينكم . . . وقوله (ومنا دون ذلك) أن يكون الظرف فى الآية الأولى منصوباً على الظرفية فى محل رفع فاعلاً . وأن يكون فى الآية الثانية منصوباً على الظرفية فى محل رفع مبتداً . وهذا غريب . والمشهور فى الآيتين ونظائرها ما يضاف فيه الظرف إلى المبنى أن يبنى على الفتح جوازاً ؛ فيكتسب البناء من النضاف إليه . وفى هذه الحالة التى يبنى فيها على الفتح جوازاً تكون فتحته فتحة بناء ، لا فتحة إعراب . فيكون مبنيًا على الفتح فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر على حسب حاجة الجملة . . .

(راجع الخضرى والصبان فى هذا الموضع من باب نائب الفاعل) .

(٢) ومنه التعريف بالعلمية ؛ مثل : رمضان ، للشهر المعروف . ومثل : « سحر » — فى رأى — إذا جعل علماً على سحر يوم معين عند القائلين بعلميته .

(٣) فهو مجرور فى الظاهر ، ولكنه فى المعنى والتقدير مرفوع . ولا يصح — فى رأى القوى — مراعاة هذا المعنى والتقدير فى التوابع أو غيرها ؛ فهو أمر ملاحظ عقلياً فقط ، ولا يجوز مراعاته أو تطبيق حكمه على غيره . شأنه فى ذلك شأن المجرور بحرف جر أصلى بعد فعل لازم مبنى للمعلوم ؛ نحو : قعد الرجل فى البيت . فإن كلمة : « البيت » مجرورة فى اللفظ ؛ لكنها فى المعنى والتقدير منصوبة ؛ لأنها =

على الألسنة هو : الجار مع مجروره . ولا مانع من قبوله تيسيراً وتخفيفاً^(١) .
ويشترط لإنايتهما أن يكون الإسناد إليهما مفيداً . وتحقق الفائدة بأمرين ؛
أن يكون حرف الجر متصرفاً ، وأن يكون مجروره مختصاً .

والمراد من التصرف في حرف الجر ألا يلتزم طريقة واحدة لا يخرج عنها إلى
غيرها ... كأن يلتزم جر الأسماء الظاهرة فقط ؛ (ومن أمثاته : مذٌ — منذ —
حتى ...) ، أو جرّ النكرات فقط ؛ (ومن أمثاته : «رُبّ») ، أو يلتزم جرّ نوع
آخر معين من الأسماء ؛ (كحروف القسم ؛ فإنها لا تجر إلا مُقْسَمًا به ،
وكحروف الجر التي للإستثناء (وهى : خلا — عدا — حاشا) فإنها لا تجر إلا
المستثنى . ومثل : مذ ومنذ ؛ فإنهما لا يجران إلا الأسماء الظاهرة الدالة على الزمان ...)
فلا يصح وقوع شئ من تلك الحروف مع مجروراتها نائب فاعل ؛ فلا يقال
نائب فاعل في مثل : صُبِّعَ منذُ الصبح ، ولا زُرِعَ حتى الشاطئُ ، ولا قُوتِلَ رُبُّ
رجل عنيد ... و ...^(٢) .

والمراد بالاختصاص : أن يكتسب الجار مع مجروره معنى زائداً فوق معناهما

= بمنزلة المفعول به للفعل اللازم . ولا يصح في رأى الأحسن مراعاة هذا النصب في التوابع أو غيرها ؛
فنصبها التقديرى أمر ملاحظ فيها عقلياً ، مقصور عليها وحدها ؛ فالجرور بحرف جر أصل مع الفعل المبني
للمجهول مرفوع « محلاً » ، ورفعه هذا مقصور عليه . والمنصوب حكماً مع الفعل المبني للمعلوم منصوب
محلاً ، ونصبه هذا مقصور عليه ؛ فكلاهما يشبه الآخر في حركة معنوية عقلية ، مقصورة عليه وحده ؛
لا يظهر لها أثر في غيره . (انظر رقم ١ من هامش ص ١٢٦ ثم رقم ٣ من هامش ١٥١ لأهميته حيث
تجد رأياً آخر ، وتعليقاً عليه) .

(١) وفوق ذلك يربحنا من أنواع مرهقة من الجدل الثقيل حول إثبات أن النائب هو حرف الجر
وحده ، أو مجروره وحده ... أو

(٢) وكذلك يشترط ألا يكون معنى حرف الجر هو : « التعليل » كالذى يفهم من « اللام »
و « الباء » وقد يفهم من حرف الجر « من » أحياناً . والداعى لهذا الاشتراط عندهم أن حرف الجر حين
يكون معناه التعليل يكون مجروره مبنياً على سؤال مقدر . أى : يكون بمنزلة جواب عن سؤال مقدر ؛
فكان المجرور من جملة أخرى . ويمثلون له بأمثلة منها قول الشاعر :

يُغْضَى حَيَاءً ، وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

أى : يُغْضَى هو ، أى الطرف ؛ لأن الإغضاء خاص بالطرف ؛ فيدل عليه . ولا يصح عندهم أن
يكون الجار والمجرور نائب فاعل ؛ لأن معنى حرف الجر هنا : « التعليل » ؛ فالجرور مبنى على سؤال =

الخاص بهما. ويجيئهما هذا المعنى الزائد من لفظ آخر يتصل بهما ؛ كالوصف ، أو المضاف إليه ، أو غيرهما مما يكسبهما معنى جديداً ؛ فتحصل الفائدة المطلوبة من الإسناد .

ومن أمثلة الجار والمجرور المستوفين للشروط : أَخَذَ من حقل ناضج - قُطِعَ في طريق الماء . فلا يصحّ : أَخَذَ من حقل - قُطِعَ في طريق . . .

من كلّ ما سبق نعرف أن « الإفادة » هي الشرط الذي يجب تحقيقه فيما ينوب عن الفاعل من مصدر ، أو ظرف ، أو جار مع مجروره ، وأن هذه الإفادة تنحصر في التصرف والاختصاص معاً .

(٥) يلحق بما تقدم الجملة المحكيّة بالقول ، وكذا المؤوالة بالمفرد ، طبعاً للبيان الذي سلف ^(١) عنهما .

* * *

إلى هنا انتهى الكلام على الأشياء التي يصاح كل واحد منها أن يكون نائب فاعل إذا لم يوجد غيره في الجملة ، فإذا وجد أكثر من واحد صالح للإنابة لم يجز أن ينوب عن الفاعل إلا واحد فقط ؛ لأن نائب الفاعل - كالفاعل - لا يتعدد . لكن ما الأحق بالنيابة عند وجود نوعين مختلفين ، صالحين ، أو أكثر ؟ . يميل كثير من النحاة إلى الرأي القائل باختيار المفعول به ^(٢) دائماً ، (أى : في كل الحالات) ؛ ليكون هو النائب ، ويفضله على غيره . وهم - مع ذلك - يجيزون ترك الأفضل ؛ ففي مثل : أنشد الشاعر القصيدة لإنشاداً بارعاً في الحفل أمام الحاضرين ، يكون الأفضل عندهم - حين بناء الفعل للمجهول - اختيار المفعول به نائباً ؛ فيقال : أنشِدْتُ القصيدةُ ، إنشاداً بارعاً ، في الحفل أمام الحاضرين . ولا مانع من ترك الأفضل واختيار غيره ، كما قالوا .

= مقدر ، هو : لماذا يفنى ؟ فأجيب : من مهابة . فكان الجواب من جملة أخرى في رأيهم - كما سبق - لكن كيف نوفق بين هذا الرأي وما يخالفه مما يأتي في : « ١ » ص ١٢٢ الإجابة هناك .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ١١٣ .

(٢) وبالفن ، فيفضله ، ولو كان من نوع المفعول به المنسوب على نزع الخافض . ويترتب على هذا الاختيار بعض صور لها أحكام خاصة ، منها ما سيبيح في « ٥ » من ص ١٢٢ .

والحق أن الرأي السديد الأنسب هو أن نختار من تلك الأنواع ما له الأهمية في إيضاح الغرض ، وإبراز المعنى المراد ، من غير تقيد بأنه مفعول به أو غير مفعول به ، وأنه أول أو غير أول ، متقدم على البقية أو غير متقدم . ففي مثل : « خطف اللص الحقيبة من يد صاحبها أمام الركاب في السيارة » - تكون نيابة الظرف : « أمام » أولى من نيابة غيره ؛ فيقال خُطِفَ أمام الركاب في السيارة الحقيبة من يد صاحبها ؛ لأن أهم شيء في الخبر وأعجبه أن تقع الحادثة أمام الركاب ، وبحضورهم ؛ وهم جمع كبير يشاهد الحادث فلا يدفعه ، ولا يبالي بهم اللص . . .

وقد تكون الأهمية في مثال آخر : للعجار والمجورور ؛ نحو : سُرِقَ في ديوان الشرطة سلاح جنودها . . . وهكذا^(١).

(١) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَقَابِلٌ مِّنْ ظَرْفٍ أَوْ مِّنْ مَّصْدَرٍ أَوْ حَرْفٍ جَرٍّ بِنِيَابَةٍ حَرَى

يريد : أن اللفظ القابل للنيابة حر (أى : حقيق وجدير بها) إذا كان ذلك اللفظ ظرفاً أو مصدراً ؛ أو حرف جر . ولعل ابن مالك يريد : أو مجرور الحرف (فكلمة « قابل » مبتدأ خبره : « حر » وقد حذف التنوين ورجعت الياء عند الوقف ؛ فصارت « حرى » . وقوله : « من ظرف » جار ومجرور ، حال من الضمير في « قابل » ، أو صفة لقابل ؛ فتقدير البيت نحويّاً هو : ولفظ قابل للنيابة حَرَى بِنِيَابَةٍ ، حالة كون هذا اللفظ ظرفاً ، أو مصدراً ، أو حرف جر - أو : هذا اللفظ موصوف بأنه من ظرف ، أو من مصدر ، أو حرف جر) . ثم قال بعد ذلك :

وَلَا يَنْبُؤُ بَعْضُ هَذِي إِنْ وُجِدَ فِي اللَّفْظِ مَفْعُولٌ بِهِ . وَقَدْ يَرُدُّ

يريد أنه لا يصح - في الغالب - إنابة شيء مما ذكره في البيت السابق مع وجود المفعول به . ثم عاد فقرر أنه قد يرد في الكلام الصحيح إنابة غير المفعول به مع وجوده . ثم سرد بعد ذلك بيتين سبق شرحهما في مكانهما الأنسب من هذا الباب ص ١١٣ - وهما :

وَبِاتِّفَاقٍ قَدْ يَنْبُؤُ الثَّانِ مِنَ بَابِ « كَسَا » فِيمَا اتَّبَاسُهُ أَمِنْ

فِي بَابِ : « ظَنَّ وَأَرَى » ، الْمَنْعُ اشْتَهَرَ وَلَا أَرَى مَنَعًا إِذَا الْقَصْدُ ظَهَرَ

ثم ختم الباب بالبيت التالي :

وَمَا سِوَى النَّائِبِ مِمَّا عُلِّقَا بِالرَّافِعِ ، النَّصْبُ لَهُ ، مُحَقَّقًا

يريد : أن النائب عن الفاعل سيصير مرفوعاً ؛ لتعلق معناه بالفعل الرافع له ؛ فلأن معناه علق =

ومثل هذا يقال عند حذف الفاعل ، وعدم وجود مفعول به في الجملة ينوب عنه ، مع وجود أنواع أخرى تصلح للنيابة : فإن اختيار بعض هذه الأنواع دون بعض يقوم على أساس الأهمية ودرجتها ؛ فما كان أكبر أهمية وأعظم تحقيقاً للمراد من الجملة ، فهو الأحق بالاختيار ، والأولى بالنيابة .

= برافمه (وثبت أنه رافمه) لا بد أن يرتفع . وما سوى هذا النائب فالتنصب له . أى : حكمه التنصب .
 (وكلمة « محققاً » ، حال من الضمير ، الهاء في : « له ») فإذا وجد في الكلام مفعول به أو أكثر ، ومعه شيء آخر يصلح للنيابة عن الفاعل - فالذى وقع عليه الاختيار للإنابة يرتفع ، وما عداه ينصب لفظاً ، إلا الجملة المحكية ، والمؤولة بالمفرد (وقد سبق حكمها في رقم ٣ من هامش ص ١١٣) وإلا المحرور ؛ فيبقى جره على حاله لفظاً ، وينصب محلاً . بالتفصيل الذى عرضناه .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(ا) في الإنانة عن الفاعل لا يجوز إنابة الحال ، والمستثنى ، والمفعول معه ، والتمييز الملازم للنصب ، والمفعول لأجله ؛ فكل واحد من هذه الخمسة لا يصلح للإنابة ؛ لأنها تخرجه من مهمته الخاصة ، وتنقله إلى غيرها ، وقد تتغير حركته الملازمة له . لكن فريقاً من النحاة يرى - بحق - جواز نيابة التمييز المحرور بالحرف « من » ، وكذا نيابة المفعول لأجله المحرور . بشرط أن يحقق كل منهما الفائدة المطلوبة منه ، والغرض من وجوده ؛ نحو : يقام لإجلال العلماء النافعين ، ويفاض من سرور رؤيتهم ، ويسمى كل منهما : نائب فاعل ، ويحول عنه الاسم السابق . ورأى هذا الفريق حسن^(١) .

(ب) الصحيح أنه لا يجوز إنابة خبر « كان »^(٢) ولا سيما المفرد ؛ لعدم الإفادة ؛ فلا يصح : كينَ قامَ ، (على فرض استساغته) ؛ إذ معناه كما يقولون : حصل كون لقائم . ومن المعلوم أن الدنيا لا تخلو من حصول كون لقائم .

(ح) عرفنا^(٣) أن جمهرة النحاة تختار المفعول به - دون غيره - لإقامته نائباً عن الفاعل المحذوف عند تعدد الأنواع الصالحة للنيابة . وقد شرحنا رأيهم ، وأوضحنا ما فيه ، وبترتب على الأخذ برأيهم ما يأتي :

إذا قلت : زيدَ في أجر الصانع عشرون - كانت « عشرون » باعتبارها مرفوعة النائب عن الفاعل ، ولا يكون الفعل متحملاً ضميراً ، ولا يلحق بآخره علامة تشنية أو جمع .

أما إذا قلت : « الصانع » فقلت : الصانعُ زيدَ في أجره عشرون - فيجوز أحد أمرين :

(١) أن تكون : « عشرون » مرفوعة على أنها نائب الفاعل ، والفعل معها خال

(١) لكن كيف نوفق بين هذا الرأي وما يخالفه مما سبق في رقم ٢ من هامش ص ١١٨ ؟ في الرأي الآخر توضيح بغير داع .

(٢) هذا الحكم خاص بخبر كان - دون أخواتها (انظر رقم ١ من هامش ص ١٠٧) .

(٣) في ص ١١٩ .

من الضمير ، فلا يتصل بآخره علامة تشنية أو جمع . وفي هذه الصورة يجب بقاء
الجار والمجرور ، واشتماله على ضمير مطابق للاسم السابق - المبتدأ - ويكون هو
الرابط ، مثل : الصانعان زيد في أجرهما عشرون - الصانعون زيد في أجرهم
عشرون . . . وهكذا .

٢ - نصب كلمة : « عشرين » على أنها ليست نائب فاعل (١) ، وإنما
النائب ضمير متصل بالفعل ، لأن الفعل في هذه الصورة يتحمل الضمير مستتراً
أو بارزاً ، يعود على المبتدأ ويطابقه ، ويكون هو الرابط . وفي هذه الحالة يمكن
الاستغناء عن الجار ومجروره ، أو عدم الاستغناء مع بقاء الضمير الذي في آخر
المجرور ، ومطابقته أيضاً للمبتدأ : (تقول : الصانعان زيداً عشرين . أو : الصانعان
زيداً في أجرهما عشرين) - (الصانعون زيدوا عشرين . أو الصانعون زيدوا في
أجرهم عشرين . . .) وهكذا . . .

(١) والأحسن في هذه الصورة أن تعرب مفعولاً مطلقاً (أى : نائبة عن المصدر) .

المسألة ٦٩ :

اشتغال العامل عن المفعول

(١) في مثل : « شاورتُ الخبيرَ » — يتعدى الفعل المتصرف : « شاورَ » بنفسه إلى مفعول به واحد ؛ فينصبه ؛ ككلمة : « الخبير » هنا . ويجوز — لسبب بلاغى ، أو غيره — أن يتقدم هذا المفعول به الواحد على فعله ^(١) ، ويحل في مكانه بعد تقدمه أحد شيئين :

إما ضمير عائد إليه ، يعمل فيه الفعل الموجود النصب مباشرة ، ويستغنى به عن ذلك المفعول المتقدم ؛ فنقول : الخبيرُ شاورته (فالهاء ضمير حل محل المفعول السابق ، واكتفى به الفعل) — .

وإما لفظ ظاهر آخر ، يعمل فيه الفعل المتصرف النصب أيضاً ؛ بشرط أن يكون هذا اللفظ الظاهر سببياً ^(٢) للمفعول به المتقدم الذى استغنى عنه الفعل ، وأن يكون مشتملاً على ضمير يعود على ذلك المفعول به ؛ نحو : الخبيرُ شاورت زميله . فاللفظ الظاهر : « زميل » هو الذى حل محل المفعول به السابق ، وهو سببى له ومضاف ، والضمير في آخره مضاف إليه ، عائد على المفعول به المتقدم .

والسببى في هذا المثال مضاف ، لكنه في مثال آخر قد يكون متبوعاً بنعت ، ونعته هو المشتمل على الضمير المطلوب ؛ نحو : التجارةُ عرفت رجلاً يتقنها ؛ (فجملة « يتقنها » نعت ، وفيها الضمير العائد) . وقد يكون متبوعاً بعطف بيان مشتمل على ذلك الضمير أيضاً ؛ نحو : الصديقُ أكرمتم الوالد أباه ، وقد يكون متبوعاً

(١) بشرط ألا يفصل بين الفعل والمفعول به المتقدم فاصل ، غير توابع الاسم المتقدم (من : النعت والتوكيد ، والعطف البيانى ، أو العطف بالواو ، والبدل) وغير المضاف إليه ، وغير الظرف ، وغير الجار ومجروره . ويصح الفصل بالأمرين ؛ الظرف والجار ومجروره معاً . كما يجوز الفصل بما لا بد منه مما يقتضيه المقام ، وذكر الضمير ، فإن كان العامل وصفاً صالحاً للعمل جاز الفصل — كما سيجىء في ص ١٢٩ — .

(٢) المراد بالسببى للاسم : كل شيء له صلة وعلاقة بذلك الاسم ، سواء أكانت صلة قرابة ، أم صداقة ، أم عمل ، أم غير هذا مما يكون فيه جمع وارتباط بين الاسمين بنوع من أنواع الجمع والارتباط .

بعطف نسق بالواو — دون غيرها — مشتملاً على الضمير المذكور ، نحو : الزميلة^١ أكرمت الوالد وأهلها . ولا يصلح من التوابع سببى غير أحد هذه الثلاثة .

ومن الممكن حذف ما حُلَّ محل المفعول به السابق من ضميره العائد إليه مباشرة ، أو سبببته المشتمل على ضمير يعود عليه كذلك . ومتى وقع هذا الحذف صار الاسم المتقدم مفعولاً به للفعل المتأخر عنه كما كان . وتفسر^٢ هذا الفعل لنصبه .

وكالأمثلة السابقة نظائرها ؛ نحو : يصاحب العاقل^٣ الأخيار . . . أنجز الوعد . . . وأشباههما ؛ حيث ينصب الفعل المتصرف مفعولاً به واحداً^(١) ؛ يجوز أن يتقدم على عامله ، ويحل محله أحد الشئين ؛ إما ضميره العائد عليه مباشرة ، والذي يعمل فيه الفعل الموجود النصب ، ويستغنى به عن المفعول السابق ؛ فنقول : الأخيارُ يصاحبهم العاقل — الوعدُ أنجزه — وإما لفظ ظاهر سببى يشتمل على ضمير يعود على المفعول به المتقدم ، ويشغل الفعل الموجود بنصبه ، ويكتفى به عن ذلك المفعول ؛ فنقول : الأخيارُ يصاحب العاقل زملاءهم — الوعدُ أنجز صاحبه . . . وهكذا ، من غير أن نتقيد فى السبببى بأن يكون مضافاً ؛ فقد يكون مضافاً ، أو منعوتاً ، أو عطف بيان ، أو عطف نسق بالواو ، مع اشتمال كل واحد على الضمير العائد إلى الاسم السابق .

ويصح — كما سبق — حذف الضمير العائد على ذلك الاسم المتقدم ، كما يصح حذف السبببى وما فيه من ضمير عائد عليه أيضاً ؛ فيصير الاسم المتقدم فى الحالتين مفعولاً به للفعل المتأخر ، ويتفرغ هذا الفعل لنصبه بعد أن كان قد انصرف عنه إلى الضمير المباشر ، أو إلى السبببى .

(ب) وليس من اللازم أن يكون الفعل المتصرف متعدياً بنفسه مباشرة إلى المفعول به الواحد ، وإنما يجوز أن يكون هذا الفعل قاصراً لا يتعدى إلى المفعول به إلا بمساعدة حرف جر أصلى^٤ ؛ نحو : فرحت بالنصر ؛ فالفعل : « فرح » لازم لم ينصب مفعوله (وهو : « النصر ») بنفسه مباشرة ؛ وإنما نصبه بمعونة حرف الجر :

(١) وقد ينصب أكثر من واحد ولكن الذى يتقدم عليه واحد فقط — كما سيأتى فى رقم ٢ من

« الباء » . فكلمة « النصر » فى ظاهرها مجرورة بالباء ، ولكنها فى المعنى والحكم بمنزلة المفعول به ^(١) ، ويصح فى هذه الكلمة المجرورة التى تعتبر بمنزلة المفعول به فى المعنى والحكم ، أن تتقدم وحدها — دون حرف الجر — على فعلها ؛ بشرط أن يحل محلها بعد حرف الجر مباشرة أحد الشئتين : إما الضمير الذى يعمل فيه الفعل مع وحكمها ، والذى يعود على المفعول به المعنوى السابق ؛ نحو : النصر فرحت به ، وإما لفظ آخر سببى ، يعمل فيه الفعل ، ويشتمل على ضمير يعود على المفعول به المعنوى (الحكمى) السابق ، نحو : النصر فرحت بأبطاله ^(٢) .

ومثل هذا يقال فى النظائر : من نحو ؛ ينتصر الحق على الباطل — سر — فى طريق الخير . . . ، حيث يصح : الباطل ينتصر الحق عليه — الباطل ينتصر الحق على أعوانه — طريق الخير سر فيه — طريق الخير سر فى جوانبه . . . وهكذا ، من غير أن تنقيد فى السببى بأن يكون مضافاً ؛ فقد يصح أن يكون واحداً من التوابع الثلاثة التى ذكرناها .

ومن الممكن حذف الضمير أو السببى ، فيرجع الاسم السابق إلى مكانه القديم فيعمل فيه عامله الجر .

(ح) وليس من اللازم أيضاً أن يكون العامل فعلاً ، فقد يكون ^(٣) اسم

(١) ومع أنها بمنزلة المفعول به معنى وحكماً لا يجوز نصبها مع وجود حرف الجر قبلها ، كما لا يجوز — فى رأى الأنسب — اعتبارها فى محل نصب . ولهذا لا يصح فى توابعها إلا الجر فقط (راجع رقم ٣ من هامش ص ١١٧ ثم رقم ٣ من هامش ص ١٥١ م ٧٠ — حيث رأى الآخر ، والتعليق عليه .

(٢) إذا كان الاسم المشتغل عنه ظرفاً وجب فى الضمير العائد عليه أن يجر بالجر « فى » ، نحو : يوم الخميس سافرت فيه . وهذا هو المشهور . ويجوز حذف حرف الجر ؛ توسعاً ، فيقال : سافرت ؛ طبقاً للبيان المفصل الذى سيجىء فى رقم ٣ من هامش ص ٢٤٧ ورقم ١ من هامش ص ٢٥٢ . (٣) لا يكون العامل هنا إلا فعلاً متصرفاً ، أو اسم فاعل ، أو صيغة مبالغة ، أو اسم مفعول . ولا يكون صفة مشبهة ، ولا تفضيلاً ، ولا وصفاً آخر ، لأن ما بعد هذه الثلاثة من معمولاتها لا يكون مفعولاً به . ويشترط فى هذا الوصف العامل ألا يوجد ما يمنعه من العمل فى المتقدم ؛ كاسم الفاعل المبدوء بكلمة « أل » . وكذلك إذا كان مجرداً منها ومعناه المضى المحض ، فإنه لا ينصب مفعولاً به بعده ، فلا يصلح أن يوضح عاملاً قبله ، أو يرشد إليه إن كان محذوفاً . فلا اشتغال فى مثل : المخترع أنا المادحة ، ولا المخترع أنا مادحة أس . ولا اشتغال إذا كان اسم المفعول للماضى ، أو مقروناً بأل ، أو كان العامل اسم فعل ؛ لأن اسم الفعل لا يتقدم معموله عليه ؛ فهو لا يعمل فيما قبله ؛ والذى لا يتقدمه مفعولاً لا يصلح =

فاعل ، أو : اسم مفعول ، فنحو : أنا مشارك الأمين ، نقول فيه : الأمين أنا مشاركة^(١) — الأمين أنا مشارك رفاقته . ونحو : الحق منصور على الباطل ، نقول فيه : الباطل الحق منصور عليه — الباطل الحق منصور على شياطينه .

فتى تقدم المفعول به على عامله ، وحل محله ما يشغل مكانه ، ويعنى العامل عن ذلك المفعول به المتقدم ، فقد تحقق ما يسميه النحاة : « اشتغال العامل عن المعمول » ، ويقولون في تعريف الاشتغال :

أن يتقدم اسم واحد^(٢) ، ويتأخر عنه عامل يعمل في ضميره مباشرة ، أو يعمل في سببى للمتقدم ، مشتمل على ضمير يعود على المتقدم ؛ بحيث لو خلا الكلام من الضمير الذى يباشره العامل ، ومن السببى ، وتفرغ العامل للمتقدم — لعمل فيه النصب لفظاً ، أو معنى (حكماً) كما كان قبل التقدم .

فلا بد في الاشتغال من ثلاثة أمور مجتمعة ؛ « مشغول » ، وهو : العامل ، ويسمى أيضاً : « المشتغل » ، وله شروط عرفناها^(٣) . « ومشغول به » : وينطبق على الضمير العائد على الاسم السابق مباشرة ؛ كما ينطبق على اللفظ السببى الذى له ضمير يعود على ذلك المتقدم . و « مشغول عنه » وهو : الاسم المتقدم الذى

= أن يكون موضحاً ولا دالا على عامل قبله محذوف ، لهذا السبب نفسه لا يصح الاشتغال إذا كان العامل مصدراً ، . . . ، أو فعلاً جامداً ، كفعل التعجب ، وعسى ، وليس ، وغيرها من كل ما ليس له مفعول به ، أولا يصلح أن يتقدم عليه مفعوله . هذا إلى أن العامل في الاشتغال لا بد أن يكون مشتقاً والمصدر وما بعده بما ذكرناه هنا — ليس مشتقاً . نعم يجوز الاشتغال في المصدر ، وفي اسم الفعل ، وفي ليس ، عند من يجيز تقديم معمول الأولين ، وخبر ليس ، نحو : محموداً لست مثله ، أى : باينت محموداً لست مثله ، وهو رأى — على قلة أنصاره — مقبول ، وفيه توسعة .

(١) سيأتى في الجزء الثالث (باب اسم الفاعل ، م ١٠٢ ص ٢١٤ — الهامش رقم ١) ما نصه : (في هذا المثال — وأشباهه — نجد الاسم السابق منصوباً مع أن الضمير الراجع إليه مجرور ، لكنه مجرور في حكم المنصوب : لأن كلمة : مشارك » ، أو « مساعد » — ونظائرها في مثل هذا التركيب في حكم الفعل ، وتوניהها ملحوظ ، وإن لم يكن ملفوظاً . فالضمير هنا كالضمير في مثل : « أعليا مررت به » مجرور في حكم المنصوب (راجع شرح المفصل ج ٦ ص ٦٩) . وانظر « ب » السابقة ص ١٢٥ .

(٢) التقييد بواحد هو الرأى الصحيح عند عدم تعدد العامل المقدر ، ولا مانع أن يكون العامل متعدياً إلى أكثر من واحد ولكن الذى يتقدم عليه هو معمول واحد له — كما سبق في رقم ١ من هامش ص ١٢٥ .

(٣) في الصفحات السابقة ، وفي رقم ٣ من هامش ص ١٢٦ . وانظر رقم ١ من ص ١٣٨ .

كان في الأصل متأخراً، مفعولاً به حقيقياً أو معنوياً (حكيمياً) ، ثم تقدم على عامله ، وترك مكانه للضمير المباشر ، أو للسببي ؛ فانصرف العامل عن المفعول ، واشتغل بما حل محله .

ولا بد في هذا الاسم المتقدم أن يتصل بعامله بغير فاصل ممنوع بينهما^(١) إذا

(١) وقد سبق في رقم ١ من هامش ص ١٢٤ ما يجوز الفصل به .

وفي بيان « الاشتغال » وتوضيح أمره يقول ابن مالك :

إِنْ مُضْمَرُ اسْمٍ سَابِقٍ فِعْلاً شَغَلَ عَنْهُ بِنَصْبٍ لَفْظُهُ أَوِ الْمَحَلِّ - ١
فَالسَّابِقَ أَنْصَبَهُ بِفِعْلٍ أَضْمَرَ حَتْمًا ، مُوَافِقٍ لِمَا قَدْ أَظْهَرَ - ٢

(أى : إن شغل ضمير اسم سابق فعلاً ، عن نصب الاسم السابق لفظاً أو محلاً ، مثل : البيت قعدت فيه - فانصب الاسم السابق بفعل مضمر « أى : غير ظاهر ؛ لأنه محذوف » حتماً ؛ أى : إضماراً حتماً ، لا مفر منه في حالة النصب ؛ لأنه محذوف ، ويكون ذلك الفعل المحذوف موافقاً للفعل الظاهر في الجملة من ناحية اللفظ والمعنى ، أو المعنى فقط - كما سيأتى -) ذلك تقدير البيتين ومعناها ؛ مع ما فيهما من التواء النظم ؛ بسبب التقديم والتأخير ، والحذف .

يريد : حين يوجد اسم متقدم على فعله ، ولهذا الاسم المتقدم ضمير يعود عليه ، ويشغل فعله بدلاً من نصب السابق لفظاً أو محلاً - فإن ذلك الاسم السابق يجوز نصبه ولكن بفعل غير ظاهر حتماً ؛ فلا يجوز إظهاره . ويكون هذا الفعل المحذوف موافقاً للفعل المذكور (فكلمة حتماً : صفة لمصدر محذوف ، أى : إضماراً حتماً ، فتعرب مفعولاً مطلقاً ، و « بنصب » بمعنى عن : نصب ، فالباء بمعنى : « عن » ثم بين بعد أبيات : أن العامل قد يتعدى إلى مفعوله بمساعدة حرف جر ؛ فينصبه محلاً ، (أى : حكماً) حين لا يتعدى إليه مباشرة . وعندئذ يفصل حرف الجر بينهما . وقد يفصل بينهما المضاف حين يكون المضاف إليه هو الضمير العائد للاسم السابق . والحكم في حالة فصل العامل المشغول كالحكم في حالة وصله المباشر بالمعمول ؛ فيقول :

وَفَصْلٌ مَشْغُولٌ بِحَرْفٍ جَرٍّ أَوْ بِإِضَافَةٍ كَوَصْلٍ يَجْرِي - ١٠

وشرح بعد ذلك بأن العامل هنا قد يكون فعلاً أو وصفاً عاملاً ؛ فالوصف العامل يساوى الفعل فيما تقدم ؛ بشرط ألا يوجد مانع يمنع الوصف من العمل ونصب مفعوله إذا تقدم ؛ فيقول :

وَسَوْفَى ذَا الْبَابِ وَصْفاً ذَا عَمَلٍ بِالْفِعْلِ ، إِنْ لَمْ يَكْ مَانِعٌ حَصَلَ - ١١

وقد شرحنا من قبل - في رقم ٣ من هامش ص ١٢٦ - نوع الوصف الذى يصلح للعمل هنا ، والمانع الذى يعوقه عن العمل ، وسبب ذلك ثم ختم الباب بالبيت التالى :

وَعُلُقَةٌ حَاصِلَةٌ بِتَسَاوٍ كَعُلُقَةٍ بِتَنَفُّسِ الْأِسْمِ الْوَاقِعِ - ١٢

ومضمونه : أن السببي الخالى من الضمير إذا كان له تابع يشتمل على ضمير عائد على الاسم السابق =

كان العامل فعلاً^(١) . أما إن كان وصفاً فيجوز الفصل .

* * *

حكم الاسم السابق في الاشتغال :

يجوز في هذا الاسم السابق من ناحية إعرابه وضبط آخره ، أمران — بشرط ألا يوجد ما يحتم أحدهما مما سنعرفه — .

أولهما : إعرابه مبتدأ ، والجملة بعده خبره^(٢) .

وثانيهما : إعرابه مفعولاً به لعامل محذوف وجوباً . يدل عليه ويرشد إليه العامل المذكور بعده في الجملة ، فيكون العامل المحذوف وجوباً مشاركاً للمذكور إما في لفظه ومعناه معاً ، وإما في معناه ، فقط ، ولا يصح الجمع بين العاملين مادام مشتركين^(٣) ، إذ المذكور عِرض عن المحذوف . فمثال الأول : الأمين شاركته ، فالتقدير : شاركتُ الأمينَ شاركته . ومثال الثاني : البيتَ قعدت فيه ، التقدير : لابتست البيتَ ، قعدت فيه : أو : لازمت البيتَ ، قعدت فيه . ومثل : الحديقةَ مررت بها ؛ أى : جاوزت الحديقة مررت بها . وهكذا نستأنس بالعامل المذكور في الوصول إلى العامل المحذوف وجوباً من غير أن نتقيد أحياناً بلفظ العامل المذكور أما معناه فنحن مقيدون به في كل حالات الاشتغال .

مع جواز الأمرين السالفين فالأول (وهو إعرابه مبتدأ) أحسن ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير عامل محذوف ، ولا إلى التفكير في اختياره ، وفي موافقته للعامل المذكور ، وقد تكون موافقته معنوية فقط ؛ فحتاجُ — أحياناً — إلى كدّ الفكر^(٤) .

* * *

= فإن العلاقة (أى : العلاقة) تحصل وتم بين العامل والتابع كما تحصل وتم بالاسم الواقع بعد العامل مباشرة ، وهذا الاسم هو ضمير المتقدم ، أو سببه المشتغل على ضميره . .

(١) يجوز الفصل بتوابع الاسم السابق ، — إلا العطف بحرف غير الواو — وبالمضاف إليه ، وشبه الجملة ، وغير هذا مما سبق تفصيله كاملاً في رقم ١ من هامش ص ١٢٤ .

(٢) في هذه الصورة التي يرفع فيها الاسم السابق — تخرج المسألة من باب : « الاشتغال » كما تخرج صور أخرى ستجيء . (انظر رقم ١ من هامش ص ١٣٠) .

(٣) فإن لم يكونا مشتركين جاز أن يكون الأول مذكوراً . ومعنى هذا جواز نصب الاسم السابق بفعل مخالف للمذكور ؛ فلا اشتغال معه — كما سنوضحه في الزيادة والتفصيل في رقم ٢ من ص ١٣٨ .

(٤) والبلاغيون يفرقون بين الأمرين ؛ إذ يترتب على أحدهما أن تكون الجملة اسمية ، وعلى الآخر = النحو الواو — ثان

والنحاة يتخيرون هذا الموضع للكلام على حكم كثير من الأسماء المتقدمة على عواملها ، وينتھزون فرصة : « الاشتغال » ليعرضوا أحكام تلك الأسماء ؛ سواء منها ما يدخل في باب : « الاشتغال » وتنطبق عليه أوصافه التي عرفناها ، وما لا يدخل فيه ، ولا تنطبق عليه صفاته ^(١) . وهم يقسمونها ثلاثة أقسام ^(٢) : ما يجب نصبه ، وما يجب رفعه ، وما يجوز فيه الأمران .

= أن تكون فعلية ، وفرق بلاغى بين المدلولين ، مع صحتهما ؛ لهذا يقولون : إن أحسن الأمرين هو ما يتفق مدلوله مع غرض المتكلم . فإن لم يعرف غرضه فهما سيحان .

(١) كالحالة التي يجب فيها رفع الاسم السابق ؛ إذ لا ينطبق عليها في الصحيح تعريف « الاشتغال » الأصول . ومثلها حالات الرفع الأخرى التي يكون الرفع فيها جائزاً ، فحالة الرفع بنوعيه لا ينطبق عليها - في الصحيح - الاشتغال الحقيقي ، مادام الاسم مرفوعاً .

- كما سيحى في « ب » من ص ١٣٢ ثم انظر رقم ٢ من ص ١٣٨ .

(٢) الواقع أنهم يقسمونها خمسة أقسام ، « قسم يجب فيه النصب ، وقسم يجب فيه الرفع ، وقسم يجوز فيه الأمران والنصب أرجح ، وقسم يجوز فيه الأمران والرفع أرجح ، وقسم يجوز فيه الأمران على السواء » . وواضح أن هذا التقسيم يوجب النصب وحده في بعض حالات ، ويوجب الرفع وحده في حالات أخرى كذلك ، ويميز الأمرين في كل حالة من الأحوال الثلاثة الباقية . ولكن هذه الإجازة قد تكون مع الترجيح أحياناً ؛ كأن يكون النصب هو الأرجح ؛ فيكون الرفع هو الراجح ، أو العكس ؛ (بأن يكون النصب هو الراجح ، والرفع هو الأرجح) . واستعمال الراجح ليس معيباً ولا ضعيفاً من الوجهة اللغوية . نعم هو - مع كثرته وقوته - لا يبلغ « درجة » الأرجح فيها ، لكن كلاهما عربى فصيح ، وهذه الأرجحية مزية يسيرة إذا كان الداعى لها أمراً بلاغياً مما يطرأ ويتغير بحسب الدواعى ، فهي ليست أرجحية ذاتية دائمة ؛ وإنما هى خاضعة لأذواق البلغاء في العصور اللغوية المختلفة ؛ متفاوتة بتفاوت تلك الأزمان والدواعى ؛ - لكيلا تتحجر البلاغة وتجمد عند حد لا تتجاوزه كما يصرح علماءها - فالراجح قد يشيع ويكثر استعماله في عصر لغوى ؛ فيكون هو الأرجح ، وعندئذ ينزل الأرجح إلى « درجة » الراجح ، ثم يتبدل الحال مرة أخرى في عصر لغوى جديد ، فيذبح استعمال بلاغى لم يكن ذاتاً من قبل ، بل في بيئة أخرى مع اتحاد العصر ، فيقع التغيير في « الدرجة » كما وصفنا ؛ وهكذا دواليك . . . فالتفاوت بينهما منشؤه الأرجحية التي قد تتغير ، ولا تثبت - كما قلنا - ولو كان منشؤه القلة الذاتية المعيبة والضعف ، أو الحسن والقبح اللغويين . لوجب الاقتصاد على القوى دون الضعيف ، وعلى الحسن دون القبيح . لهذا لا داعى لكثرة الأقسام ، والأحكام ، وتعدد الآراء في كل حكم ، وما يتبعه من عناء لا طائل وراءه .

على أنا سنشير إلى أقسامهم الخمسة (في ص ١٣٧) ، ونصف منها بالقلة ما وصفوه ، علماً بأن هذه القلة - كما سبق - ليست المعيبة في الاستعمال ، ولا المانعة من القياس على نظائرها ؛ لأنها نسبية لاذاتية ، أى : أنها قلة عديدة راجحة ، بالنسبة للكثرة العددية التي للأرجح ، ولو كانت القلة معيبة هنا ما وصفوا الضبط الوارد بها بأنه « راجح » ، وأن غيره أرجح ؛ إذ المريب الذى لا يصلح استعماله لا يوصف بأنه راجح ولا حسن ، وفوق هذا فالخلاف محتمل في أمر هذين الوصفين وانطباقهما أو عدم انطباقهما على بعض أقسامهم .

(١) فيجب نصب الاسم السابق إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل ؛ كأداة الشرط ، وأداة التحضيض^(١) ، وأداة العرّض^(٢) ، وأداة الاستفهام^(٣) إلا الهمزة^(٤) ؛ نحو : (إنّ ضعيفاً تصادفُهُ^(٥)) فترقى به - حيناً أدبياً تجالسُهُ يؤنسُك - (هَلَا حَلَمْنَا تصطعنه - أَلَا زيارةً واجبة تؤديها) - (متى عملاً تباشره ؟ أين الكتاب وضعته ؟) فلا يجوز الرفع في هذه الأمثلة ونظائرها على الابتداء. أما الرفع على أنه فاعل ، أو نائب فاعل لفعل محذوف ، أو أنه اسم لكان المحذوفة - فجائز^(٥) . ومن الأمثلة للرفع قوله تعالى ؛ (وإنّ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره . . .) ، وقول الشاعر :

(١٠١) التحضيض هو : الحث وطلب الشيء بقوة وشدة تظهر في نبرات الصوت وكلماته ، والعرّض : طلب الشيء برفق وملاينة ، تعرف من نبرات الصوت ، وصياغة كلماته أيضاً . وكثير من أدواتهما مشترك بينهما ؛ مثل : - هَلَا - أَلَا - لَوْلَا - لَوْما . . . (ولهذه الأدوات باب خاص - في ج ٤ م ١٦٢ - يفصل أحكامها المختلفة التي منها : اختصاصها بالفعل إذا كانت للتحضيض أو العرّض) . (٢) إنّما تكون أدوات الاستفهام مختصة بالفعل وحده إذا وقع بعدها في جملتها ؛ كالمثالين المذكورين ؛ بخلافها في نحو : متى العمل ؟ - أين الكتاب ؟ نخلو كل جملة من فعل بعد أداة الاستفهام . أى : أن وجود الفعل بعد أداة الاستفهام - غير الهمزة ؛ لأنها ليست مختصة بالأفعال ، بل تدخل عليها كما تدخل على الأسماء - ووقوعه متأخراً عنها في جملتها ، يجعل هذه الأداة مختصة بالدخول على الفعل .

(٣) لما تقدم من أنها غير مختصة بالأفعال . وفي هذا الموضع الذي يجب فيه النصب يقول ابن مالك : والنَّصْبُ حَتْمٌ إِنْ تَلَا السَّابِقُ مَا يَخْتَصُّ بِالْفِعْلِ ؛ كَإِنْ ، وَحَيْثُمَا - ٣ (تلا السابق : أى : وقع الاسم السابق بعد ما يختص بالفعل . . .)

(٤) المضارع هنا مرفوع لا يصح جزؤه ، لأنه ليس فعلاً للشرط ؛ لأن الشرط المحزوم هو الفعل المحذوف مع فاعله ، وموضعهما ؛ بعد أداة الشرط مباشرة . - بغير فاصل - أما هذا الفعل المذكور فهو مع فاعله جملة مضارعية مفسرة يتحتم رفع مضارعها ، وهي تفسر الجملة الفعلية التي حذفت وبقى ميموها المنصوب ، والتي بعد أداة الشرط مباشرة . فالمفسر جملة ، وكذلك المفسر . ولا يصح أن يكون الفعل المذكور هو المفسر وحده ، بالرغم من أنه المرشد للفعل المحذوف ، والدال عليه . وسيجيء في الزيادة والتفصيل (في رقم ٤ من ص ١٣٩ وما بعدها) بيان مناسب عن الفعل إذا كان هو المفسر وحده ، وأنه يكون كذلك عند رفع الاسم الواقع بعد أداة الشرط ، باعتباره مرفوعاً لفعله المحذوف . . . ، وعن الجملة الفعلية إذا كانت بتأنيدها هي المفسرة ، وليس الفعل وحده .

(٥) سيجيء في الزيادة والتفصيل (ص ١٣٨ رقم ٣ و ٤ وما بعدهما) إيضاح واف عن النصب الواجب ومكانه ، ثم عن هذا الرفع وما يقال فيه ، ثم تعقيبه بمرض للرأى السديد .

وليس بعامرٍ بنيانٌ قوم إذا أخلاقُهُم كانت خراباً
وقول الآخر :

وإذا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ العا رِ فَبُعْدُ (١) لمن يرومُ نَجَازَه (٢)
التقدير : وإن استجارك أحد من المشركين استجارك . . . - وإذا كانت
أخلاقهم كانت . . . (٣) - وإذا كَسَا مطلب كسا حلة العار . . . وهكذا (٤).

* * *

(ب) ويجب (٥) رفع الاسم السابق :

١ - إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الاسم ؛ فلا يجوز أن يقع بعدها فعل ؛
مثل : إذا « الفجائية » (٦) ؛ نحو : خرجت فإذا الرفاقُ أشاهدهم ؛ فيجب رفع
كلمة : « الرفاق » ولا يجوز نصبها على الاشتغال بفعل محذوف ؛ لأن « إذا
الفجائية » لا يقع بعدها الفعل مطلقاً ؛ لا ظاهراً ولا مقدراً .

(١) فهلاكاً (دعاء بالهلاك) .

(٢) إنجاز ، والحصول عليه .

(٣) ومثله قول الشاعر :

وما استعصى على قوم منالٌ إذا الإقدامُ كان لهم ركاباً

(٤) ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

إذا أنت أعطيت الغني ثم لم تجدْ بفضل الغني أُنْفِيت مالَكَ حامدٌ

الأصل : أُعْطِيت أُعْطِيت الغني فحذف الفعل : « أُعْطِيَ الأول » ، وبقي نائب فاعله : « التاء » وهو
ضمير واجب الاتصال ، لا يستقل بنفسه ، فأتينا مكانه بضمير منفصل له معناه وحكمه ، وهو : أنت .
ومثل هذا يقال في كلمة : « نحن » من قول الشاعر :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلقنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقَفُوا

الأصل : وإن أومأنا أومأنا . حذف الفعل الأول ، وبقي فاعله : « نا » وهو ضمير متصل لا يستقل
بنفسه ، فأتينا مكانه بما يصلح محله ، وهو : « نحن »

وكذلك الضمير : « نحن » في قول الآخر :

إذا نحن ناصرنا أمراً ساد قومه وإن لم يكن من قبل ذلك يُذَكِّرُ

(انظر ما يوضح هذا في ص ١٤١ وما بعدها)

(٥) وهذه الحالة - كثيراً من حالات الرفع الواجب والجاز - ليست داخلية في الاشتغال الأصلي

(انظر رقم ١ من هامش ص ١٣٠) .

(٦) سبق إيضاح لها في ج ١ ص ٤٨٢ .

ومثل « إذا » الفجائية أدوات أخرى ؛ منها : « لام » الابتداء في نحو : إني لَنَدَّوَالِدُ أَطِيعُهُ ؛ فلا يجوز نصب كلمة : « الوالد » على الاشتغال ، ولا اعتبارها مفعولا به لفعل محذوف مع فاعله ؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على المفعول به .

ومنها : واو الحال الداخلة على الاسم الذي يليه المضارع المثبت ، في مثل : أَسْرَعُ وَالصَّارِخُ أَغِيثُهُ ؛ فلا يصح نصب « الصارخ » على اعتباره مفعولا به لفعل محذوف مع فاعله ، وتقديرهما : « أَغِيثُ X » ، والجملة من الفعل المحذوف مع فاعله في محل نصب على الحال . — لا يصح هذا ؛ لأن الجملة المضارعية التي مضارعها مثبت ، غير مسبوق بلفظ : « قَدْ » ... ، لا تقع حالا — على الأرجح — إذا كان الرابط هو : « الواو » فقط ^(١) ؛ كهذا المثال وأشباهه .

ومنها : « ليت » المتصلة « بما » الزائدة ؛ فلا نصب على الاشتغال في مثل : لَيْتَا وَفِي أَصَادِفُهُ ؛ لأن « ما » الزائدة لا تُخْرِجُ « ليت » من اختصاصها بالأسماء ؛ إذ يجوز لإعمال « ليت » وإعمالها ؛ فالمنصوب بعدها اسم لها ، ولا يصح أن يقع بعدها فعل مطلقا .

٢ — وكذلك يجب رفع الاسم السابق إذا وقع قبل أداة لها الصدارة في جملتها ؛ — فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها — ، وبعد تلك الأداة العامل . مثل أداة الشرط ، والاستفهام ^(٢) ، وما النافية ، ولا النافية الواقعة في جواب قسم . . . ^(٣) ؛ فلا يصح نصب الاسم السابق في نحو : الْكِتَابُ إِنْ اسْتَعْرَثْتَهُ فَحَافِظْ عَلَيْهِ — المريض هل زرتَه ؟ — الحديقةُ ما أَتَلَفْتُ زُرْعَهَا — والله الذنوبُ لا أَرْكَبُهَا . . . ؛ لأن هذه الأدوات لها الصدارة ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ؛ (أى : لا يجوز أن يتقدم

(١) كما سيجيء في ص ٣٩٨ من باب الحال .

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ١٣١ .

(٣) وما لا يعمل ما بعده فيما قبله : أدوات التحضيض والعرض ، ولام الابتداء ، وكم الخبرية ، والحروف الناسخة ، « ما عدا أن » ، والموصول ، والموصوف ، وحروف الاستثناء . فكل هذا لا يعمل ما بعده فيما قبله ؛ فلا يصلح دالا على المحذوف . فلا يصح النصب في الأسماء التي في أول الجمل التالية : التائه هلا أرشدته — الضالّ ألا هديته — الخائف لأناموئته — الهرم كم مرة زرتَه ! ! — الخير إني أحبيته — النزيه الذي أصطفاه — الفناء فن أهواء — شاع ما المال إلا ينفقه العاقل في النافع . أما حرفا التنفيس فالشائع جواز النصب والرفع في الاسم الذي يسبقهما ؛ نحو الرسالة سأكتبها — القصيدة سوف أحفظها .

معمولها عليها ، ولا معمول "لعامل بعدها" . وما كان كذلك لا يصلح أن يكون دالاً على عامل محذوف بمائله ، ولا مرشداً إليه^(١) . ومثلها : أدوات الاستثناء ؛ فلا نصب في نحو : ما السفر إلا يحبه الرحالون^(٢) . . .

* * *

(ح) ويجوز الأمران^(٣) ، في غير القسمين السالفين ، فيشمل ما يأتي :

١ - الاسم - المشتغل عنه - الذي بعده فعل دال على طلب ؛ كالأمر^(٤) ، والنهي ، والدعاء ؛ نحو : الحَيَّوَانُ اِرْحَمْنِه - الطيورُ لا تعذبها - اللهم

(١ و ١) لأن ما لا يصلح أن يكون عاملاً بنفسه لا يصلح أن يكون مفسراً لعامل محذوف . وفي وجوب الرفع يقول ابن مالك :

وَإِنْ تَلَا السَّابِقُ مَا بِالْإِبْتِدَاءِ يَخْتَصُّ فَالرَّفْعُ التَّزِمُهُ أَبَدًا - ٤
كَذَا إِذَا الْفِعْلُ تَلَا مَا لَمْ يَرِدْ مَا قَبْلُ مَعْمُولًا لِمَا بَعْدُ ، وَجِدْ - ٥

ومعنى البيتين : إن تلا الاسم السابق ما يختص بالابتداء ... - أى : إن وقع الاسم السابق بعد لفظ مختص بالدخول على المبتدأ - فالترزم رفع ذلك الاسم السابق .

كذلك يجب رفع الاسم السابق إذا كان الفعل المشتغل قد وقع بعد لفظ لا يرد ما قبله معمولاً لعامل بعده . « الفعل تلا ما لم يرد ما قبل معمولاً لما بعد وجد » أى : تلا الفعل شيئاً ، لم يرد ما قبل ذلك الشيء معمولاً لما وجد بعده . وفي هذا البيت شيء من التعقيد .

(٢) مع ملاحظة أن المسألة لا تكون من باب : « الاشتغال » في حالة ضبط الاسم السابق بالرفع

- كما سبق في رقم ١ من هامش ص ١٣٠ - .

(٣) سواء أكان الأمر بصيغة فعل الأمر ؛ نحو : الترددُ اجتنبه ، أم بلام الأمر الداخلة على المضارع ؛ نحو : الترددُ لتجنبته .

« ملاحظة » : هذا من المواضع التي يعدها النحاة جائزة النصب والرفع ولكن النصب عندهم أرجح ؛ بحجة « أن الإخبار بالطلب عن المبتدأ قليل ، وخلاف القياس ؛ لعدم احتمال الصدق والكذب إلا بتأويل . . . بل قيل بمنه . وإنما اتفقت السبعة على الرفع في آية السرقه (وهى قوله تعالى : « والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما . . . ») لأنه ليس مما نحن فيه ؛ لتقديره عند سيبويه : « ما يُتَلَى عليكم حكم السارق . . . » فخره - وهو الجار والمجرور - محذوف ، والفعل (اُقتلُوا ..) بعده مستأنف لبيان الحكم ؛ فالكلام جملتان ، لأن هذا ليس من مواضع دخول الفاء في الخبر عنده . أما عند المبرد فالجمله الفعلية خبر ودخلته الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط ؛ ولهذا امتنع النصب ؛ لأن ما بعد فاء الجزاء وشبهها لا يعمل فيما قبلها . . .) ا هـ كلام الخضرى . ومثله في الصبان وغيره .

الشهيدُ أرحمُ ، أو : الشهيدُ رحمته الله . . .

وكذلك إن وقع الاسم السابقُ بعد أداة يغلب أن يليها فعل ، كهزة الاستفهام ، نحو : أطائرةٌ ركبتهما ؟ وكأدوات النفي الثلاثة : (ما - لا - إن -) ؛ نحو : ما السفهُ نطقته - لا الوعدُ أخلفته ، ولا الواجبُ أهملته - إن السوءُ فعلته . ومثل : « حيث » المجردة من « ما » ، نحو : اجلس حيث الضيفُ أجلسته .

وكذلك إن وقع الاسم السابق بعد عاطف تقدمته جملة فعلية ، ولم تفصل كلمة : « أمّا »^(١) بين الاسم والعاطف ؛ نحو : خرج زائر والقادمُ استقبلته ، فلو فصلتُ « أمّا » بينهما كان الاسم « المشتغل عنه » في حكم الذي لم يسبقه شيء ؛ نحو : خرج زائر ، وأمّا المقيم فأكرمه .

فالأمثلة في كل الصور السابقة وأشباهاها ، يجوز فيها الأمران . النصب والرفع . وجمهرة النحاة تدخلها في النوع الذي يجوز فيه الأمران قياساً ، والنصب أرجح^(٢) عندهم . وحجتهم : أن الرفع يجعل الاسم السابق مبتدأ ، والجملة الطلبية بعده خبر ، ووقوع الطلبية خبراً - مع جوازه - قليل بالنسبة لغير الطلبية . أو يجعل الاسم السابق مبتدأ بعد همزة الاستفهام ونحوها ، ووقوع المبتدأ بعدها - مع جوازه - قليل أيضاً ، لكثرة دخولها على الأفعال دون الأسماء ، أو يجعل الجملة الاسمية بعده إذا كانت غير مفصولة بأما^(٣) ، معطوفة على الجملة الفعلية قبله ؛

(١) كان الفاصل المراد هنا - غالباً - هو : « أمّا » ؛ لأن ما ما بعدها مستأنف ، ومنقطع في إعرابه عما قبلها : فلا أثر للفصل بغيرها (راجع الأمر الثالث ص ١٣٨) .

(٢) وإلى الأمور التي مرت في القسم الأول يشير ابن مالك ، ويبين أن المختار النصب فيقول :

واختِيرَ نَصْبٌ قَبْلَ فِعْلٍ ذِي طَلَبٍ وبعدَ ما إِيلاؤه الفِعْلَ غَلَبَ - ٦
وبعدَ عاطف - بلاَ فضلٍ على معمولٍ فِعْلٍ مُسْتَقَرٌّ أَوَّلًا - ٧

يريد : أن النصب والرفع جائزان في أمور ، ولكن النصب هو المختار فيها ؛ وذلك حين يقع الاسم السابق قبل فعل دال على الطلب ، (انظر رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة لأهميته) أو : بعد شيء غلب إِيلاؤه الفعل ، (أى : غلب أن يليه ويقع بعده الفعل ؛ كهزة الاستفهام) ،

وكذلك بعد عاطف يعطف الاسم السابق على معمول لفعل آخر مذكور أول جملته بغير فصل بين العاطف والمعمول . وصياغة البيت الثاني عاجزة عن تأدية المراد منه ؛ إذ المراد أن الاسم المشتغل عنه =

والعطف على جملتين مختلفتين في الاسمية والفعلية - مع صحته - قليل .

٢ - الاسم السابق (أى : المشتغل عنه) الواقع بعد عاطف غير مفصول بالأداة : « أمّا » وقبله جملة ذات وجهين ^(١) ، مع اشتغال التى بعده في حالة نصبه على رابط يربطها بالمبتدأ السابق ^(٢) ؛ - كالضمير العائد عليه ؛ أو الفاء المفيدة للربط به - ؛ نحو : (النهرُ فاض ماؤه صيفاً ، والحقولُ سقيناها من جداوله) - « العلم الحديث نجح في غزو الكون السماوى ، فالعلومُ الرياضية ، استلهمها الغزاة قبل الشروع) . فيصح رفع كلمتى : « الحقول - والعلوم » على اعتبار كل منهما مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية بعده . وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الاسمية التى قبلها . ويجوز نصب الكلمتين على أنهما مفعولان لفعل محذوف ، والجملة من هذا الفعل المحذوف وفاعله معطوفة على الجملة الفعلية الواقعة خبراً قبليهما . وفى الحالتين تتفق الجملتان المعطوفتان مع الجملتين المعطوف عليهما فى ناحية الاسمية أو الفعلية ؛ فيجوزى الكلام على نسق واحد ، ولهذا يتساوى ^(٣) الأمران .

= يجوز فيه الأمران ، والنصب أرجح إذا كان ذلك الاسم واقماً - مباشرة - بعد عاطف يعطف جملة التى تحتويه ، على الجملة الفعلية قبله والتى استقر مكان فعلها فى أولها ، سواء أكان الممولى فى الجملة الفعلية السابقة مرفوعاً ؛ مثل : غاب حارس وحارساً أحضرته (فكلمة « حارس » الأولى فاعل وهو ممول للفعل : غاب) أم ممولاً منصوباً ، نحو : صافحت رجلاً ، وجندى كلمته (فكلمة : « رجلاً » مفعول ، وهو ممول للفعل : صافحت) فنصب الاسم المشتغل عنه يقتضى أن يكون مفعولاً لفعل محذوف يوضحه المذكور بعده . والجملة من الفعل المحذوف وفاعله معطوف على الجملة التى قبلها ، فالعطف عطف جملة فعلية على جملة فعلية ، وليس عطف مفردات . فلا معنى لقول ابن مالك إن العطف على ممول فعل مستقر فى أول جملة التى قبل العاطف . ذلك أن الممول فى الجملة السابقة ليس معطوفاً عليه كما أوضحنا . ولكن ضيق الوزن وضرورة الشعر أوقعه فى التعبير القاصر . وقد تأوله النحاة بأن التقدير : وبعد عاطف - بلا فصل - على جملة ممول فعل مستقر أولاً . . . ومهما كان العذر فإن الخير هو فى اختيار الأسلوب الناصح الوافى الذى لا يحوى عيباً ، ولا يتطلب تأويلاً أو تقديراً .

(١) وهى الجملة الاسمية التى يكون المبتدأ فيها اسماً خبره جملة فعلية ؛ مثل : الشجرة ظهر ثمرها - الفاكهة طاب طعمها . (ومنها : الجملة التعجبية . ولكن التعجبية لا تصلح فى هذا الموضع) أو : هى جملة اسمية صدرها مبتدأ ، وعجزها جملة فعلية ، كقولهم : النبيل زادته النعمة نبلاً وشرفاً ، واللثيم زادته النعمة لؤماً وبطراً . - الحر ينتصر لكرامته ، والذليل يمتنها .

(٢) لأنها حينئذ تكون معطوفة على الخبر ، فلا بد فيها من رابط كالخبر (راجع الأشموفى

والصبيان) .

(٣) وفى هذا يقول ابن مالك :

٣- الاسم السابق (المشتغل عنه) الواقع في غير ما سبق . نحو الرياحين
زرعتها . والنحاة يميزون الأمرين ويرجحون الرفع ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير عامل
محذوف ^(١) .

« ملاحظة » بانضمام هذه الأقسام الثلاثة (١ ، ٢ ، ٣) إلى القسم الذي يجب
فيه النصب فقط ، والقسم الذي يجب فيه الرفع فقط . . . ، تنشأ الأقسام الخمسة
التي عرضها النحاة في هذا الباب ، وارتضوها وجعلوا لكل منها حكماً . وقد أشرنا ^(٢)
إلى أنه يمكن إدماج بعضها في بعض ، وجعلها ثلاثة ، اختصاراً وتيسيراً .

= وَإِنْ تَلَاَ الْمُعْطُوفُ فِعْلاً مُخْبِراً بِهِ عَنِ اسْمٍ فَاعْطَفْنِ مُخْبِراً - ٨

يريد : إن وقع الاسم السابق بعد حرف عطف قبله فعل ، وهذا الفعل - مع فاعله - خبر عن
مبتدأ قبلهما وقبل حرف العطف ، فلك الخيار في هذه الحالة أن تعطف ما بعد حرف العطف على ما
قبله مباشرة ، عطف جملة فعلية على الجملة الفعلية السابقة ، وأن تعطف ما بعد حرف العطف على كل
ما قبله ، عطف جملة اسمية على نظيرتها الاسمية . وقد شرحنا توجيه كل حالة من هاتين الحالتين المتساويتين
في الصفحة ، شرحاً يوضح هذا البيت الغامض المتيور .

(١) وفي حالة الرفع لا تكون المسألة من باب « الاشتغال » - كما كررنا في كل حالات الرفع
الواجب والجائز - وفي هذا يقول ابن مالك :

والرفعُ في غيرِ الذي مرَّ رَجَحَ فما أُبَيحَ أفعَلْ . ودُعِ ما لم يُبَيحْ - ٩

(٢) في رقم ٢ من هامش ص ١٣٠ .

.....

زيادة وتفصيل :

١ - زاد فريق من النحاة شروطاً أخرى للاشتغال رفضها سواء ؛ بحجة أنها لا تثبت على التمهيص . وهذا رأى شديد حملنا على إهمالها ؛ ادخاراً للجهد ، وإبعاداً للنوع من الجدل لاخير فيه للنحو .

٢ - أشرنا قريباً^(١) إلى صحة أن يكون الاسم السابق المنصوب مفعولاً به لفعل محذوف ، يخالف الفعل المذكور بعده في جملته ، ولا يكون له صلة بلفظه ولا بمعناه ؛ وذلك حين تقوم قرينة تدل على هذه المخالفة : كأن يقال : ماذا اشتريت ؟ فتجيب : كتاباً أقرؤه . « فكتاباً » مفعول به لفعل محذوف تقديره : اشتريت كتاباً أقرؤه ؛ فالفعل المحذوف يخالف للمذكور في لفظه ومعناه ؛ فلا تكون المسألة من باب « الاشتغال » ، ولا يكون العامل الثانى صالحاً للعمل في المفعول به السابق ، ولا مفسراً لعامله المحذوف . وفي هذه الحالة أتى يختلف فيها الفعلان : المحذوف والمذكور ، لا يكون الحذف واجباً ، وإنما يكون جائزاً^(٢) ، فيصح في الفعل المحذوف أن يذكر . أما الحذف الواجب ففي : « الاشتغال » ؛ فلا يصح الجمع بينهما ؛ لأن الثانى بمنزلة العِوض عن الأول ؛ ولا يجمع بين العوض والمعوّض عنه^(٣) .

٣ - إنما يقع « الاشتغال » بمعناه العام الذى يشمل الاسم السابق المرفوع بعد أدوات الشرط ، والتخصيص والاستفهام ، غير الهمزة ، - كما سبق - في الشعر ؛ فقط ؛ للضرورة . وأما في النثر فلا يحسن بعد تلك الأدوات إلا صريح الفعل^(٤) .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ١٢٩ .

(٢) ما لم يوجد سبب آخر غير الاشتغال يوجب .

(٣) لا يصح الجمع بين العوض والمعوّض عنه . وهذا أسلم من قولهم : لا يصح الجمع بين التفسير والمفسّر ، « أى : المفسّر والمفسّر » لأنه يصح أحياناً الجمع بين هذين كما في التفسير بما بعد الحرف : « أى » وكالتفسير بعطف البيان ، ويأو العطف التى تفيد التفسير . . . - كما سيبيء في ص ١٤٣ - ومن هنا كان التعبير بعدم جواز الجمع بين العوض والمعوّض عنه هو الأسلم والأدق .

(٤) يقول النحاة : إن وقوعه في النثر مستقيح ، ولو وقع فيه لحاز مع القبح .

ويستثنى من أدوات الشرط ثلاثة أشياء ؛ يقع بعدها الاشتغال نثراً ونظماً .

أولها : أدوات الشرط التي لا تنجزم ؛ ومنها : إذا - ولو - مثل قوله تعالى : (إذا السماء انشقت . . .) إلخ ، ومثل : لو الحرب امتنعت لطابت الحياة .

وثانيها : « إن » ، بشرط أن يكون الفعل في التفسير ماضياً لفظاً ، نحو : إن علمنا تعلمته فاعمل به ، أو ماضياً معنى ^(١) فقط ، نحو : إن علمنا لم نتعلمه فانتك فائدته . فإن كان فعل التفسير مضارعاً مجزوماً ^(٢) لم يقع الاشتغال بعده إلا في الشعر ، دون النثر .

وثالثها : « أمّا » الشرطية . ولكن لا يجب نصب الاسم بعدها ؛ لأن الاسم يليها حتماً ^(٣) ، ولو كان الفعل مذكوراً بعده ؛ نحو : قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم . . .) فقد قرئ « ثمود » بالرفع على الابتداء ، وبالنصب على الاشتغال . وفي حالة النصب يجب تقدير العامل بعد الاسم المنصوب ، وبعد الفاء معاً ؛ لأن « أمّا » لا يليها إلا الاسم ^(٤) ولا يفصل بينها وبين الفاء إلا اسم واحد ، والتقدير - كما يقولون - وأما ثمود فهديناهم ^(٥) هديناهم . وللبحث تحقيق .

٤ - من الأصول النحوية أن المحذوف قد يحتاج - أحياناً - إلى شيء مذكور يفسره ، ويدل عليه . وقد يكون التفسير واجباً ، كما في باب : « الاشتغال » . وفي هذا الباب إن كان المحذوف جملة فعلية فتفسيره لا يكون إلا بجملة مذكورة في الكلام ، مشاركة للمحذوفة في لفظها ومعناها معاً ، أو في المعنى فقط ؛ نحو :

(١) كالمضارع الداخلة عليه « لم » فإنها - ، في الأغلب - تقلب زمنه للمضى .

(٢) انظر سبب الجزم في رقم ٢ من هامش ص ١٤١ .

(٣) كما تقدم هنا ، وفي رقم ١ ص ٩٠ .

(٤) وقد عرفنا أن شرط وجوب النصب وحده أن تكون الأداة الشرطية مختصة بالدخول على الأفعال دون الأسماء . وليست « أمّا » كذلك . لأنها لا تدخل إلا على الاسم .

لهذا كان الاختصار على نصب الاسم السابق غير واجب ، بل يجوز فيه الأمران .

(٥) للآية السالفة بيان هام يبيح في الجزء الرابع - آخر باب : « أمّا الشرطية » م ١٦١

ص ٤٧٤ - عند الكلام على حذف « أمّا » كالذي في قوله تعالى : (« وربك فكسر » ، وثيابك فطهر » ، والرجز فاهجر . . .) .

العظيم نافسته — المصنَع وقفت فيه . التقدير : نافست العظيم نافسته — لا بست المصنَع وقفت فيه . أو نحو ذلك مما يؤدي إلى الغرض في الحدود المرسومة . ولا يصح هنا تفسير الجملة بغير جملة مثلها على الوجه السابق .

وإن كان المحذوف فعلاً فقط أو وصفاً عاماً يشبهه ، ويحل محله ، جاز أن يُفسَّر كل منهما بفعل أو بما يشبهه ، تفسيراً لفظياً ومعنوياً معاً ، أو معنوياً فقط والأفضل التماثل عند عدم المانع بأن يفسر الفعل نظيره الفعل ، ويفسر الوصف نظيره الوصف ، نحو : إن أحد دعاك لخير فاستجب — ما الصلح أنت كارهه . التقدير : إن دعاك أحد ، دعاك لخير فاستجب — ما أنت كاره الصلح — أنت كارهه .

ويدور بين النحاة جدل طويل في موضع الجملة المفسرة ؛ أيكون لها محل من الإعراب ، أم ليس لها محل ؟ وقد يكون الأنسب الأخذ بالرأى القائل إنها تساير الجملة المحذوفة « المفسرة » وتماثلها في محلها الإعرابي وعدمه ، كما تماثلها في لفظها ومعناها على الوجه السالف . وعلى هذا إن كانت الجملة المحذوفة (المفسرة) لا محل لها من الإعراب فالمفسرة كذلك لا محل لها من الإعراب ؛ نحو : البحر أحبيته ، أي : أحبيت البحر أحبيته ؛ فالجملة التفسيرية لا محل لها من الإعراب ؛ لأن الأصلية المحذوفة كذلك . وإن كانت الجملة المحذوفة (المفسرة) لها محل من الإعراب ؛ فالتى تفسرها تسايرها وتماثلها فيه ؛ نحو قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، أي : إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر ؛ فالجملة المحذوفة (المفسرة) في محل رفع خبر « إن » فالتى تفسرها . كذلك في محل رفع خبر . ونحو : العقلاء الواجب يؤدونه ؛ أي : العقلاء يؤدون الواجب يؤدونه ، فالجملة المحذوفة (المفسرة) في محل رفع خبر المبتدأ ، والمفسرة في محل رفع خبر المبتدأ كذلك . وفي قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) ... تقع الجملة الاسمية (المفسرة) مفعولاً به في محل نصب ؛ لأن المحذوف المفسر مفعول به منصوب ؛ إذ التقدير : « الجزاء » ، أو الجنة وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لهم مغفرة ... ؛ فجملة : « لهم مغفرة » هي المفسرة للمفعول به المحذوف ^(١) .

(١) ولا يصح أن تكون هي المفعول الثانى للفعل : « وعد » لأنه من باب « كسا » ، أي : من الأفعال التى لا يقع فيها المفعول الثانى جملة .

ولا تكون الجملة هي المفسرة في باب الاشتغال إلا حين يكون الاسم السابق منصوباً كالأثلة السالفة ؛ فإن كان مرفوعاً للمحذوف فالمحذوف هو فعله وحده^(١) ويتعين أن يكون مفسره هو الفعل المذكور وليس الجملة ، ولا بد — عند المحققين — أن يكون هذا الفعل المذكور (المفسر) مسائراً للمحذوف (المفسر) في حكمه وإعرابه اللفظي ، والتقدير ، والمحلى . . . مثل إن العتابُ يكثرُ يؤدُّ إلى القطيعة ، التقدير : إن يكثرُ العتابُ — يكثرُ — يؤدُّ إلى القطيعة . فالمفسر هو الفعل : « يكثرُ » الثاني ، وهو مضارع مجزوم كالأول المحذوف^(٢) . ومثل : إذا العنايةُ تلاحظُك عيونُها فلا تخفُ شيئاً . التقدير : إذا تلاحظُك العنايةُ تلاحظُك عيونُها ، فالمفسر في المثال هو الفعل : « تلاحظُ » وحده ، وهو كالأول في حكمه

(١) كما أشرنا في رقم ٤ من هامش ص ١٣٢ وفي ص ١٤٠ . سواء أكان الفعل مبنياً للمعلوم أم للمجهول ، تاماً أم ناقصاً ؛ مثل كان . كل هذا على حسب السياق ، وعلى مقتضاه يعرب الاسم المرفوع فاعلاً ، أو نائب فاعل ، أو اسماً لكان . . . مثل : إن برداً اشتد فاحترس — إن عملٌ أُتقِن فلزمه — وقول الشاعر : وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خراباً — ومثل هذا : المره مجزئ بعمله إن خير كان فجزأؤه خير . . . التقدير : (إن اشتد برد — اشتد فاحترس) — (إن أُتقِن عملٌ — أُتقِن فلزمه) — (المره مجزئ بعمله ، إن كان في عمله خير — كان — فجزأؤه خير . . .) — إذا كانت أخلاقهم — كانت . . .

(٢) ما سبب الجزم ؟ خلاف فيه . وجاء في الصبان ما نصه : « قال أبو علي : الفعل المذكور والفعل المحذوف في نحو قوله : « لا تجزئ إن متفناً أهلكته » . مجزومان محلا ؛ وجزم الثاني ليس على البديلة ؛ إذ لم يثبت حذف المبدل منه . بل على تكرير « إن » ، أى : إن أهلكت متفناً إن أهلكته . وساغ إضمار « إن » ، أى : وإن لم يسغ إضمار الأمر إلا في ضرورة ، لاتساعهم فيها ، ولقوة الدلالة عليها بتقديم مثلها . واستغنى بجواب « إن الأولى » عن جواب الثانية) » ١ هـ .

لكن ما ورد في كلامه من أن حذف المبدل منه لم يثبت ، هو مخالف لما قالوه من أنه قد يحذف في بعض الصور ، وسيجيء في الجزء الرابع — باب البدل ، م ١٢٣ ص ٦٥٢ — أحكام متفرقة ؛ منها الحكم : « د » ونصه : « قد يحذف المبدل منه ، ويستغنى عنه بالبدل بشرط أن يكون المبدل منه في جملة وقعت صلة موصول ؛ نحو أحسن إلى الذي عرفت المحتاج . أى : الذي عرفته المحتاج ؛ فكلمة : « المحتاج » يصح أن تكون بدلا من الضمير المحذوف » . ١ هـ ويصح فيها إعرابات أخرى ذكرت هناك .

الإعرابي . ومثل :

إذا الملكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهَ^(١) مشينا إليه بالسيوف نعاتبه
أى : إذا صَعَّرَ الملكُ خَدَّهَ ، صَعَّرَه ، فالمفسَّر هو الفعل الماضى وحده
(صَعَّرَ) ومثل :

قَمَنَ نَحْنُ نُؤْمِنُهُ^(٢) يَبَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ ، ومن لا نُجِرُّهُ يُمَنِّسُ مِنَّا مُفَنِّزًا
التقدير : فنِ نُؤْمِنُهُ يَبَيْتٌ وَهُوَ آمِنٌ . . . فالمفسَّر هو الفعل « نؤمن » وحده ،
وهو مجزوم كالفعل المفسَّر المحذوف . وكلمة : « نحن » فى البيت ضمير فاعل
للفعل المحذوف . وقد برزَ هذا الضمير — بعد استتاره الواجب — بسبب حذف فعله
وحده ؛ إذ لا يبقى الفاعل مستتراً بعد حذف عامله . فإذا رجع العامل وظهر ،
عاد الضمير الفاعل إلى الاستتار كما كان . فإن ظهر مع ظهور عامله لم يعرب
— فى رأى الشائع — فاعلاً ؛ وإنما يعرب توكيداً لفظياً للضمير المستتر المماثل له .
وينطبق هذا الكلام على البيت التالى :

فإن أنت لم ينفعك علمك^(٣) فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل
التقدير : فإن لم تنتفع لم ينفعك علمك . . . وأشباه هذا . فالفعل « ينفع »
هو وحده المفسَّر للفعل المحذوف ، وهو مُسَاير لذلك المحذوف فى الجزم والنفى
معاً . والضمير البارز « أنت » فاعل الفعل المحذوف ، وكان مستتراً وجوباً
فيه ، فلما حذف الفعل برز فى الكلام فاعله المستتر ، ولما رجع الفعل إلى
الظهور فى الجملة الأخيرة عاد فاعله الضمير إلى الاستتار . كما كان أولاً . ومثله
قول الشاعر :

(١) صعر خده : حوله إلى جهة لا يرى فيها الناس ؛ تكبراً منه وترفعاً .

(٢) بمعنى : نؤمنه ، أى : نمنحه الأمان .

(٣) يريد : إن لم يكن لك علم بحوادث الموت المحيطة بك بحيث يعظك فارجع إلى أصولك الأوائل

الذاهبين ، لعل لك عظة فى موتهم .

إذا أنت ^(١) فضلت امرأ ذا براعة على ناقص كان المديح من النقص
وقول الآخر :

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى وإن هو لاقاها فغير بليغ
وفي مثل :

لا تجزعي إن منفس^٢ أهلكته فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

يكون التقدير : لا تجزعي إن هلك منفس أهلكته . . . والمخدوف هنا
مطّوع للمذكور ، فهو من مادته اللفظية ومن معناه ، وإن كانت المشاركة اللفظية
ليست كاملة .

أما تفصيل الرأي القائل بمسايرة الجملة المفسّرة للجملة المفسّرة في حكمها ،
ومحلها الإعرابي فراجع إلى أمرين :

أولهما : أن الجملة المفسّرة قد يكون لها محل من الإعراب - بالاتفاق -
في بعض مواضع ، كالجملة المفسّرة لضمير الشأن ^(٢) في نحو : (قل : هو الله
أحد) ، فإن جملة « الله أحد » مبتدأ وخبر في محل رفع ، لأنها خبر لضمير
الشأن : « هو » . وفي نحو : ظننته : « الصديق نافع » ؛ الجملة الاسمية في محل
نصب ؛ لأنها المفعول الثاني للظن . . . وليس في هذا خلاف .

وثانيهما ^(٣) : أن هناك كلمات تفسر غيرها وقد تُسايرها في حركة إعرابها ؛
كالكلمات الواقعة بعد « أي » التي هي حرف تفسير في مثل : هذا سوار من
عسجد ، أي : ذهب . فكلمة : « أي » حرف تفسير ؛ يدل على أن ما بعده
يفسر شيئاً قبله . وكلمة : « ذهب » هي التفسير لكلمة : « عسجد » ويجب
أن تضبط مثلها في حركات الإعراب . نعم لأنهم يعربون كلمة « ذهب » وأمثالها

(١) فالأصل : إذا فضلت . . . فلما حذف الفعل بقيت التاء ، وهي هنا ضمير متصل فاعل لا يستقل
بنفسه ، فأتيينا مكانها بضمير مرفوع منفصل بمعناها ؛ هو الضمير : « أنت » - كما سبق مثل هذا في
رقم ٤ من هامش ص ١٣٢ - فإذا رجع الفعل المحذوف رجع فاعله السابق ، وهو « التاء » واتصل به .

(٢) راجع ضمير الشأن ج ١ ص ٢٢٦ م ١٩ - باب الضمير .

(٣) لهذا إشارة في رقم ٣ من هامش ص ١٣٨ .

مما يقع بعد « أئ » التفسيرية بدلا أو عطف بيان ؛ لكن هذا لا يخرجها عن أنها مماثلة للمفسر في حركة إعرابه ؛ إذ كل من البدل وعطف البيان تابع هو بمنزلة متبوعه .

ومن الكلمات التي تفسر غيرها ويتحتم أن تسايره في حركة إعرابه ما يقع بعد حرف العطف : « الواو » الذي يدل أحيانا على أن ما بعده مفسر لما قبله ، كما في مثل : الماء الصافي يشبه اللجين والفضة . فالواو حرف عطف للتفسير ، لأن ما بعدها يفسر ما قبلها . وهو مساير له — وجوباً — في حركات إعرابه ؛ إذ المعطوف كالمعطوف عليه في كثير من أحكامه التي منها حركات الإعراب .

فالرأي القائل باعتبار الجملة التفسيرية مسaire لما تفسره يجعلها كنظائرها من الجمل التي لها محل من الإعراب ، وكغيرها من المفردات التي تؤدي مهمة التفسير . ولا معنى للفرقة في الحكم بين ألفاظ تؤدي مهمة واحدة ، إلا إن كان هناك سبب قوى ، ولم يتبين هنا السبب القوى ؛ بل الذي تبين أن الكلام المأثور النصيح يؤدي أصحاب هذا الرأي الواضح الذي يمنع تعدد الأقسام والأحكام ، ويؤدي إلى التيسير بغير ضرر .

وقد أشرنا^(١) إلى أن الجملة لا تكون مفسرة في باب « الاشتغال » إلا حين يكون الاسم السابق منصوباً . فإن كان مرفوعاً لعامله المحذوف فالحذوف هو فعله وحده ، ويتعين أن يكون التفسير بفعل فقط ، كما قلنا إن الاسم السابق إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل وجب نصبه ، ولا يجوز رفعه على أنه مبتدأ ، وإنما يجوز رفعه على أنه مرفوع فعل محذوف ؛ كقوله تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » ، فكلمة : « أحد » فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، والتهدير : « وإن استجارك أحد من المشركين استجارك » . . . إلى آخر ما أوضحنا . . .

والذي نريد بسطه الآن أن بعض القدامى والمحدثين لا يروقه هذا التقدير ، ويسخرون منه ، مطالبين بإعراب الاسم المرفوع — في الآية السالفة وأشباهها — إما مبتدأ مباشرة ، وإما فاعلام مقدماً للفعل الذي بعده (أئ : للمفسر) وبإهمال التعليل الذي يحول دون هذا الإعراب ، لأنه — كما يقولون — تعليل نظري محض ،

أساسه التخيل والتوهم ، وتعارضه النصوص الكثيرة الواردة بالرفع الصريح . . .

ولا حاجة إلى عرض أدلة كل فريق ممن يبيح أو يمنع ؛ فقد فاضت بها المطولات والكتب التي تتصدى لمثل هذا الخلاف ، وسرد تفاصيله وأدلته التي تضيق بها الصدور - أحياناً - حين تقوم على مجرد الجدل ، وتعتمد على التسابق في إظهار البراعة الكلامية . ومنها : كتاب : « الإنصاف في أسباب الخلاف » ، لابن الأنباري . . .

والحق يقتضينا أن نحكم على كل وجه من أوجه الإعراب الثلاثة بالضعف . ولكن الضعف في حالة تقدير عامل محذوف ، أخف وأيسر . وفيما يلي البيان بإيجاز ، ولعل فيه - مع إيجازه - ما يرد بالأمر مؤزده الحق ، ويضعه في نصابه الصحيح . هذا ، وفي الاستثناس والاسترشاد بما يقال في الاسم المرفوع بعد أداة الشرط - كالأية السابقة ، وأمثالها - ما يكفي ويوصل لتأييد النحاة ، ودعم رأيهم في باقي حالات رفعه .

(١) في مثل : « إن عاقلٌ ينصحك ينفعك » ، لو أعربنا الاسم السابق : « عاقلٌ » مبتدأً لكانت الجملة الفعلية بعده (وهي : ينصحك) في محل رفع ، خبره . ويترتب على هذا أن تكون أداة الشرط ، وهي تفيد - دائماً - التعليق ^(١) قد دخلت على جملة اسمية ، مع أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت ^(٢) في أكثر الصور وهو من أضداد التعليق . وهنا يقع في الجملة الواحدة التعارض الواسع بين مدلول الأداة ، ومدلول المبتدأ مع خبره ؛ وهو تعارض واقعي ^(٣) لا خيالي ؛

(١) توقف حصول شيء ، أو عدم حصوله ، على أمر آخر ؛ فيكون الثاني - في الأغلب - مرتباً على الأول وجوداً وعدمًا . فإن كانت أداة الشرط جازمة فالتعلق والتوقف لا يتحقق إلا في المستقبل .
(٢) ثبوت الحكم إيجاباً أو سلباً . أى : تحقق وقوعه والقطع بحصوله ؛ سواء أكان موجباً أم منفيًا .

(٣) لإيضاح هذا التعارض نقول : الأصل في الجملة الاسمية - كما هو مقرر مقطوع به - أنها تدل - في الأغلب - على الثبوت إذا كانت اسمية محضة ؛ (أى خالية من فعل) ومن أمثلتها : الوالد رحيم - الوالدان فقهما عميم . . . وقد تفيد مع الثبوت الدوام بقريئة . هذا شأن الجملة الاسمية المحضة . فإن كانت غير محضة (وهي التي يكون فيها الخبر جملة فعلية) نحو : الوالد زاد فضله ، فإنها تفيد مع الثبوت التجدد ، وقد تفيد الاستمرار التجديدي . وكل ما سبق موضح بتفصيلاته في علوم البلاغة وغيرها . =

إذ مردّه الاستقراء المنتزع من الأساليب العربية الصحيحة التي لا يسوغ مخالفتها ، ولا سيما في النواحي المتعلقة بالمعنى ، وإلا اضطربت المعاني ، وتناقضت ، ولم تؤد اللغة مهمتها — . بخلاف الجملة الفعلية ؛ فإنها تقبل التعليق ، ولا تعارضه .

وشيء آخر يؤيد ما سلف ؛ هو أن بعض النصوص الفصيحة الواردة تدل على وجود لغات أو لهجات ترفع المضارع « ينصح » في ذلك المثال وأشباهه . فإذا ورد مرفوعاً فأين فعل الشرط ؟ أليكون هو فعل الشرط مع رفعه ؛ فتتكلف أقبح التأول والتمحل في إعرابه ؟ أم نتركه على حاله مرفوعاً ، ونقدّر فعلاً آخر للشرط مجزوماً مباشرة ؟ الأمران معيان . ولكن الثاني أقرب إلى القبول ؛ لأنه — بسبب جزمه المباشر الخالي من التأول — ينخرط في عداد أفعال الشرط ؛ إذ الأصل في أفعال الشرط أن تكون مجزومة . وهذا دليل آخر يدفعنا إلى رفض الوجه الإعرابي السابق (المبتدأ) . كما تحمل على رفضه أمور نحوية وبلاغية دقيقة وفي مقدمتها الفصل بالمبتدأ بين أداة الشرط الجازمة وفعلها وهذا ممنوع^(١) ؛ لمخالفته المأثور الشائع . ومنها : أن دخول النواسخ على المبتدأ مطّرد ، مع أن كثيراً من النواسخ لا يصح دخوله هنا على المبتدأ . ومن هذا الكثير الحرف : « إن » إذ له الصدارة في جملته ، فلا يصح وقوعه بعد أداة الشرط و

(ب) ولو أعربنا الاسم السابق وهو : « عاقل » وأشباهه ، فاعلاً — أو شيئاً آخر مرفوعاً بالعامل الذي بعده — كما يرى فريق من الكوفيين لكان هذا أخذاً برأى ضعيف أيضاً ، فوق ما فيه من الفصل الممنوع عند أكثر النحاة — كما أوضحنا — ، ومن اختلاط الأمر في كثير من الأساليب بين المبتدأ والفاعل

= ومنه يتبين أن الدلالة التي تؤديها الجملة الاسمية بنوعها (المحضة ، وغير المحضة) تعارض وتناقض « التعليق » . فكيف يجتمعان في جملة واحدة ؟

(١) عند جمهور البصريين (راجع شرح العكبري ، لديوان المتنبي وبيته التالي :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوّقه شيء عن الدوران
من القصيدة التي مطلعها :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

المتقدم كما في المثال المعروض ونظائره - وما أكثرها - فيوجد من يعرب كلمة « عاقل » مبتدأ ، والجملة الفعلية بعده خبره ، ومن يعربها فاعلاً مقدماً للفعل بعده . وعلى الإعراب الأول تكون الجملة اسمية ، وقد سبق ما فيها من عيب . أما على الإعراب الثاني فالجملة فعلية ؛ ودلالاتها مختلفة عن سابقتها ، فشتان بين مدلولي الجملتين في لغتنا ، هذا إلى مشكلات أخرى تتعلق بوجود فاعل مذكور - أحياناً - بعد الفعل المتأخر ، كالتاء في قول الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهل يمكن إعراب الضمير « أنت » في كل شطر فاعلاً مع وجود التاء بعده . ومشكلات تتعلق بالضمائر المستترة المتصلة بالفعل المتأخر ، كموقع الضمير « أنت » في مثل قول الشاعر :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت . وأى الناس تصفو مشاربها

فما إعراب « أنت » ؟ أتكون فاعلاً مقدماً للفعل « تشرب » مع أن فاعله ضمير مستتر وجوباً ، لا يجوز إظهاره ؟ أم تكون توكيداً متقدماً لذلك الفاعل المستتر مع أن التوكيد لا يصح تقديمه على المؤكّد ؟ ... إلى غير هذا من مشكلات تتصل بالضمائر ، - وسواها - كمشكلة الفاعل المتقدم في مثل : « محمد » قام ، بإعراب « محمد » فاعلاً عند من يميزونه . فما إعرابه إن سبقه ناسخ مثل : كان محمد قام ؟ أين الفاعل ؟ وأين اسم الناسخ ... ؟ وكذلك مشكلة عودة الضمائر ، ومطابقتها للفاعل المتقدم أو عدم مطابقتها ، واعتبارها حروفاً أو أسماء مهملة حيناً وغير مهملة حيناً آخر بغير ضابط سليم يعتمد عليه في كل ذلك .

(ح) فلم يبق إلا اختيار الإعراب الثالث القائم على تقدير فعل محذوف ، (تحقيقاً لما اشترطه جمهور النحاة من دخول أداة الشرط على فعل ظاهر أو مقدر ومنع دخولها على الاسم) واعتباره أفضلها ، وأن العيب فيه أخف وأيسر ، كما قلنا . ولن يترتب على هذا « التقدير » خلط بين المعاني والمدلولات اللغوية ، ولا تداخل بين القواعد النحوية . على أن « التقدير » باب واسع وأصيل في لغتنا ، ولكنه محكم ، وسائق ممن يحسن استخدامه - عند ميسر الحاجة الشديدة - على النمط الوارد الفصيح الذي يحتاج به ، والذي لا يؤدي إلى خلط أو اضطراب .

٤ - أجرى بعض النحاة الذين لا يقصرون الاشتغال على النصب - أحكاماً أربعة على الاسم السابق إذا كان مرفوعاً وبعده فعل قد عمل الرفع في ضميره أو في ملابسه :

فيجب رفع هذا الاسم السابق إما بالابتداء إذا وقع بعد أداة لا يليها فعل ؛ كإذا الفجائية ، وليما (المختومة « بما » الزائدة) ؛ نحو : خرجت فإذا النسيم ينعش - ليما الجو يعتدل ، وإما على الفاعلية بفعل محذوف إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل - كأداة الشرط - نحو : إن سيارةً أقبلت فاحرس منها . وقول الشاعر :

إذا أنت لم تتحسّم القديم بحادث من المجد لم ينفعك ما كان من قبل
ويكون الرفع بالابتداء راجحاً في مثل : الزارع يكافح : حيث لا يحتاج إلى تقدير شيء محذوف ، أما إعرابه فاعلاً بفعل محذوف فيحتاج إلى تقدير ذلك الفعل ، والتقدير هنا ردىء ما دام الاسم غير واقع بعد أداة تطلب فعلاً ؛ كأداة الاستفهام ، ونحوها . . .

وقد يكون الرفع بالفعل المحذوف راجحاً على الرفع بالابتداء في مثل : العاملة لستجتهد ؛ لأن وقوع الجملة الطلبية خبراً قليلاً بالنسبة لغير الطلبية .

وقد يستويان في مثل كلمة : « الزروع » من نحو : المطر نزل ، والزروع ارتوت منه . لأن الجملة الأولى ذات وجهين فإذا أعربت كلمة « الزروع » مبتدأ والجملة بعدها الخبر كانت هذه الجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية التي قبلها . وإذا أعربت كلمة : « الزروع » فاعلاً لفعل محذوف كانت هذه الجملة الفعلية معطوفة على الجملة الفعلية الواقعة خبراً قبلها .

٥ - أبيات ابن مالك في هذا الباب ليست مرتبة ترتيباً متماسكاً يساير المعاني ويؤلف بعضه بعضاً ، فقد يذكر بيتاً أو بيتين في أول الباب يشرح بهما قاعدة معينة ، ثم يأتي بيت أو أكثر ليشرح قاعدة ثانية ، فثالثة . . . ثم يذكر بيتاً آخر يتم القاعدة الأولى ، فآخر يتمم الثالثة ، وهكذا تتفرق أجزاء القاعدة الواحدة في بيتين أو أكثر ليس بينهما توال ، أو اتصال مباشر . فلم يكن بد من استنباء كل قاعدة على حدة استنباء كاملاً . ثم الإشارة في الهامش إلى أبيات ابن مالك

المتعلقة بتلك القاعدة ، وتدوينها على حسب ما يقتضيه تماسك القاعدة وتكاملها ، لا على حسب ورودها في ألفيته ؛ وإلا جاءت القاعدة مفككة . متناثرة هنا وهناك ، متداخلة في غيرها . على أنا وضعنا بجانب كل بيت من أبيات ابن مالك رقمه الخاص به الذي يدل على ترتيبه الحقيقي بين أبيات هذا الباب كما وردت في ألفيته .

٦ - أسلوب : « الاشتغال » بمعناه العام دقيق ، يتطلب براعة في تأليفه وضبطه ، كي يسلم من الخطأ ، والالتواء ، والتفكك ؛ فحبذا الاقتصاد في استعماله .

المسألة ٧٠ :

تعديّة الفعل ولزومه

الكلام على المفعول به ، وأحكامه المختلفة

الفعل التام ^(١) ثلاثة أنواع :

(١) نوع يسمى : « المتعدى » ^(٢) ؛ وهو : (الذى ينصب بنفسه مفعولاً به ^(٣) أو اثنين ، أو ثلاثة ؛ من غير أن يحتاج إلى مساعدة حرف جر ، أو غيره مما يؤدي إلى تعديّة الفعل اللازم ^(٤)) مثل : سَمِعَ - ظَنَ - أَعْلَمَ ، فى نحو : لما سمعت الخبرَ ظننت الراوىَ مخطئاً ، لكن الصحف أعلمتنا الخبرَ صحيحاً .

(١) الفعل التام ، هو : ما يكتفى بمرفوعه فى تأدية المعنى الأساسى للجملة ؛ مثل : ساد - أضاء - تحرك . . . وأشابها ؛ حيث نقول : ساد الهدوء - أضاء النجم - تحرك الكوكب . أما الناقص فهو الذى لا يكتفى بمرفوعه فى ذلك ، وإنما يحتاج معه لمنصوب حتماً ؛ مثل : « كان وأخواتها » من الأفعال الناقصة التى ترفع الاسم وتنصب الخبر - كما سبق فى ج١ ص ٤٠٣ م ٤٢ - وهذه الأفعال الناقصة (الناسخة) لا توصف بأنها متعدية أو لازمة ، وإنما هى قسم مستقل ، ومثلها الأفعال المسموعة التى تصلح للأمرين ؛ فتستعمل فى المعنى الواحد لازمة ومتعدية ، مثل : شكرت الله على ما أنعم ، ونصحت للعاقل بشكره . أو شكرت الله على ما أنعم ، ونصحت العاقل بشكره . فهذه الأفعال وأشابها قسم قائم بذاته أيضاً ؛

✓ وعلى هذا تكون أنواع الفعل - من ناحية التعدى واللزوم أو عدمها - أربعة ، نوع متعد فقط ، ونوع لازم فقط ، ونوع صالح للأمرين ، ونوع ناقص لا يوصف بأحدهما . والثلاثة الأولى أقسام للتام وحده .

(٢) يسميه بعض القدماء « المجاوز » ، أو « الواقع » : لأن أثره لم يقتصر على الفاعل وإنما جاوزه إلى المفعول به ، فوقع مدلوله عليه . (وفى ص ٨٦ بعض الأحكام الخاصة بالمفعول به من ناحية تقدمه وتأخره فى الجملة ، وترتيبه فيها) .

(٣) « المفعول به » هو : ما وقع عليه فعل الفاعل إيجاباً أو سلباً ؛ نحو : يطلب العاقل السعادة ، ولا ينسى السعى الحميد لها . وقد سبق - فى رقم ٥ من هامش ص ٦٣ بيان الفرق الكبير بين الذى يقع عليه الفعل ، وهو المفعول به ، والذى يقوم به الفعل ، وهو الفاعل .

والمفعول به يعد - فى الأغلب - من الفضلات ؛ طبقاً للبيان الذى فى ص ١٧٩ - ولا ينصبه إلا الفعل المتعدى وفروعه ، أما غيره من أنواع المفاعيل فينصبها الفعل المتعدى واللازم ، وكذا بقية المنصوبات . ويجوز الاختصار على كلمة : « مفعول » وحدها ، دون تقييدها بإلجار والمجرور بعدها ، لأن كلمة : « مفعول » إذا ذكرت مطلقة بغير قيد لا يراد منها إلا « المفعول به » . وهو غير « المفعول المطلق » الذى سيجىء فى ص ٢٠٤ ويختلف عنه اختلافاً واسعاً .

✓ (٤) اللازم أنواع ثلاثة ، يجىء بيانها فى ص ١٥٧ . وسيجىء فى ص ١٥٨ بيان الوسائل التى تؤدى إلى تعديّة الفعل اللازم .

(ب) نوع يسمى «اللازم»^(١) أو : «القاصر» ، وهو : (الذى لا ينصب بنفسه مفعولاً به أو أكثر ؛ وإنما ينصبه بمعونة حرف جر ، أو غيره مما يؤدي إلى التعدية) مثل : أسرف - انتهى - قعد - فى نحو : إذا أسرف الأحمق فى ماله انتهى أمره إلى الفقر ، وقعد فى بيته مكتوماً محسوراً^(٢) . فكل كلمة من : مال ، فقر ، بيت . . . هى فى المعنى - لا فى الاصطلاح - مفعول به للفعل قبلها . ولكن الفعل لم يوقع معناه وأثره عليها مباشرة من غير وسيط ؛ وإنما أوصله ونقله بمساعدة حرف جر ؛ كان هو الوسيط فى ذلك ؛ فهى فى الظاهر مجرورة به ، وهى فى المعنى فى حكم المفعول به لذلك الفعل^(٣) .

(ح) نوع مسموع ، يستعمل متعدياً ولازماً ؛ مثل : شكر ، ونصَح^(٤) .

(١) وقد يسمى : غير المتعدى ، أو : المتعدى بحرف الجر .

(٢) منقطعاً عن أسباب الخير ، ووسائل القوة .

(٣) وإذا كانت فى حكم المفعول به معنى فهل يجوز فى توابع هذا المفعول الحكسنى (أى :

المعنوى) النصب مراعاة لحكمه ، كما يجوز الجر مراعاة للفظه ؟

تؤخذ الإجابة من شرح كتاب : «المفصل» - فى ج ٧ ص ٦٥ - ونصها : (لفظه مجرور وموضعه نصب ؛ لأنه مفعول ؛ ولذلك يجوز فيما عطف عليه وجهان ، الجر والنصب ؛ نحو قولك : مررت بزيد وعمرو - وعمراً ؛ فالجر على اللفظ ، والنصب على الموضع ؛ وذلك من قبيل أن الحرف يتنزل منزلة الجزء من الفعل ؛ من جهة أنه به وصل إلى الاسم ؛ فكأنه كالمهزة فى : أذهبته ، والتضعيف فى : فإجر فرحته ، وتارة يتنزل منزلة الجزء من الاسم المجرور به ؛ ولذلك جاز أن يعطف عليهما بالنصب : فالجر على الاسم وحده . والنصب على موضع الحرف والاسم معاً) ١ هـ . والرأى صريح فى جواز الأمرين ، ولا شك أن ما يجرى فى العطف يجرى فى غيره من باقى التوابع . ثم عاد فردد هذا - فى ج ٨ ص ١٠ - من غير أن يقتصر فى التوابع على العطف . بل نص على الصفة أيضاً . ولا ريب أن بقية التوابع يجرى عليها ما يجرى على العطف والنعت .

ولعل الخير اليوم فى إهمال هذا الرأى ، والاقتصار على الرأى الآخر السديد الذى يوجب الجر وحده فى التوابع ، وترك النصب لما قد يكون مسموعاً من الكلام القديم دون محاكاته ؛ حرصاً على الضبط فى أداء المعانى بدقة وإحكام ، ومنعاً للخلط الذى يؤدي إليه إباحة النصب ، إذ يترتب على جواز النصب أن يكون لكل اسم مجرور بحرف جر أصلى إعراب محلى غير إعرابه اللفظى ، وهذا الحكم العام الشامل - الذى يقضى بإعراب جميع الأسماء المجرورة بحرف جر أصلى إعراباً محلياً بعد إعرابها اللفظى ؛ وبإدخالها فى أنواع الألفاظ التى لها إعراب محلى - يوقع فى اللبس بين أصالة حرف الجر وزيادته فوق أن ذلك الحكم غير معروف فى المعربات المحلية ، ولم يذكره أحد بين أنواعها المعروضة فى المراجع المتداولة - فيما نعرف - اللهم إلا المنادى المستغاث المجرور باللام ، بالتفصيل الخاص به فى باب الاستغاثة (ج ٤ ص ١٣٣ - ٦١) -

(راجع ما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ١١٧ و : «ب» ص ١٢٥ وما يتبعها فى رقم ١ من هامش ص ١٢٧ و ص ١٥٩ ثم ص ٤٤١) .

(٤) انظر «ب» من هامش ص ١٦٢ .

وقد أراد النحاة تيسير التمييز بين الفعل المتعدي بنفسه والفعل اللازم ، وسهولة تعيين كِلَيْتَهُمَا ؛ فوضعوا لذلك ضابطين^(١) يصلح كل منهما لأداء هذه المهمة — في رأيهم^(٢) .

أولهما : أن يتصل بالفعل ضمير ؛ — كالهاء^(٣) أو : ها — ، يعود على اسم سابق غير ظرف وغير مصدر .

وطريقة ذلك : أن يوضع الفعل في جملة تامة ، وقبله اسم جامد ، أو مشتق ؛ بشرط أن يكون هذا الاسم غير مصدر وغير ظرف . وبعد الفعل ضمير يعود على ذلك الاسم المتقدم . فإن صح التركيب واستقام المعنى فالفعل متعدي بنفسه ، وإلا فهو لازم . فإذا أردنا أن نتبين حقيقة الفعل : « أخذ » من ناحية التعدي وال لزوم وضعنا قبله اسماً غير مصدر وغير ظرف ، وجعلنا بعد الفعل ضميراً يعود على ذلك الاسم ؛ فنقول : الصحف أخذتها ، فزى المعنى سليماً والتركيب صحيحاً (لموافقته الأصول والضوابط اللغوية) ؛ فنحكم بأن هذا الفعل متعدي ؛ ينصب المفعول به بنفسه ، إلا إن صار المفعول به نائب فاعل فيرفع^(٤) .

ومثل هذا يُتَّبَع في الفعل « قعد » حيث نقول : الغرفة قعدتُها ؛ فندرك سريعاً فساد الأسلوب والمعنى . ولا سبب لهذا الفساد اللغوي إلا تعدي الفعل . « قَعَدَ » تعدياً مباشرة . لهذا نحكم بأنه لازم .

ومثل الفعلين « أخذ » و « قعد » غيرهما من الأفعال ؛ حيث يمكن التوصل إلى معرفة المتعدي واللازم باستخدام الضوابط السالف .

ولأنما اشترطوا في الاسم السابق أن يكون غير مصدر وغير ظرف ؛ لأن الضمير يعود عليهما من الفعل المتعدي واللازم على سواء ؛ فلا يصلح الضمير العائد على المصدر أو الظرف أن يكون أداة للتمييز ، بين المتعدي واللازم ؛ ففي مثل : طلبت

(١) انظر الحكم على هذا في رقم ٣ من هامش الصفحة التالية .

(٢) وتسمى : « هاء المفعول به » لأنها تعود عليه .

(٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

علامةُ الفعلِ المُعْدَى أَنْ تَصِلَ « ها » غَيْرَ مُصَدَّرٍ بِهِ ؛ نَحْوُ : عَمِلَ
فَانْصَبَ بِهِ مَفْعُولُهُ ، إِنْ لَمْ يَنْبُ عَنْ فَاعِلٍ ؛ نَحْوُ : تَدَبَّرْتُ الْكُتُبَ
أَي : تَأَمَّلْتُهَا .

منك أن تمشى في الصباح المبكر طويلاً ، ثم تبسّريح ساعة ، تذهب بعدها إلى
مزاولة عملك ، فماذا فعلت ؟

قد يكون الجواب : (المشى مشيته ، والساعة استريحتها^(١)) ، والذهاب ذهابه ،
والعمل زاولته . ففى الإجابة ضمائر عاد بعضها على المصدر أو على الظرف ، مع
أن أفعالها لازمة ؛ كما فى الثلاثة الأولى ، وعاد بعضها على المصدر أيضاً مع أن
الفعل : « زاول » متعد بنفسه .

ثانيهما : صياغة اسم مفعول تام^(٢) من الفعل الذى يُراد معرفة تعديته أو
لزومه ؛ فإن أدى اسم المفعول معناه بغير حاجة إلى جار ومجرور كان فعله متعدياً
بنفسه ، وإلا كان لازماً . ففى مثل : فتح - أكل - أعلن ... نقول : الباب مفتوح
- الفاكهة مأكولة - الخبر مُعلن ... فترى اسم المفعول مستغنياً عن الجار
والمجرور فى أداء المراد منه ، بخلافه عند صياغته من مثل : قَعَدَ - يَتَسَّسُ -
هتف ... حيث نقول : الحجرة مقعود فيها - القضاء على أسباب الحرب ميثوس
منه - العظيم مهتوف باسمه ... فاسم المفعول هنا لم يستغن فى أداء معناه عن
الجار مع مجروره ...

فالوسيلة إلى معرفة التعدية واللزوم تكون باستخدام أحد الضابطين السالفين ،
أو باستخدامهما معاً ؛ كما يقول النحاة^(٣) .

- (١) انظر نيابة العدد عن الظرف - فى ص ٢٦٥ .
- (٢) أى : لا يحتاج فى تأدية المعنى المراد منه إلى جار مع مجروره .
- (٣) الحق أن تلك الوسيلة ليست ناجعة ، ولا سليمة ، وأن الضابط الصحيح هو حكم اللغة
بمفرداتها ، وتراكيبها الواردة عن أهلها العرب . وقد حوت النصوص والمراجع الوثيقة كثيراً من هذه
المفردات والتراكيب ، وأبانت الكتب اللغوية - فى عناية تامة - ما تعدى من الأفعال وما لزم ، مع
سرد معانيها ؛ نشهد هذا فى كتاب : المصباح المنبر ، وفى القاموس المحيط ، وشرحه تاج العروس ،
وفى لسان العرب ، وفى أساس البلاغة ... وغيرها من المطولات اللغوية . أما الضابطان السالفان فلا يصلح
أحدهما أو كلاهما للإبانة دون الرجوع إلى تلك المراجع الوثيقة . وإلا فنأين نعلم ويعلم المستعرب
أن الفعل : (فتح - أكل - أعلن - ...) واسم المفعول منه مستغنيان عن الجار والمجرور ، وأن
الفعل : (قعد - يتسس - هتف ...) واسم مفعوله لا يستغنيان ؟ من أين نعلم أن هذا الأسلوب
صحيح فى تركيبه بعد التعدية ، أو غير صحيح ؟ وأن مثل : « الحجرة قعدتها » - خطأ ؟ لا سبيل لذلك
إلا بالرجوع إلى تلك المصادر اللغوية الأئينة ، ولا دخل للذوق الشخصى فى الصحة أو الفساد ؛ لأنه
غير مأمون . ومعنى ما تقدم أننا - ولاسيما المستعربون - لا نستطيع الانتفاع بأحد الضابطين السالفين أو =

وبالرغم من هذه الوسيلة لجئوا إلى أخرى أدق منها وأصح ؛ فقد بذلوا الجهد - قدر استطاعتهم - في استقصاء كلام العرب ، وحصر الأفعال اللازمة الواردة فيه ، وتقسيمها أقساماً تقريبية متعددة ، لكل قسم عنوان معين ينطبق - إلى حد كبير - على عدد كثير من الأفعال اللازمة الداخلة تحتها ؛ فيكتفى الراغب بمعرفة هذا العنوان ، وتطبيق معناه على الفعل الذي يريد الحكم عليه بالتعدي أو باللزم ؛ فيصل - غالباً - إلى ما يريد . فتنزلة هذا العنوان العام منزلة القاعدة التي تطبق على أفراد متعددة ؛ فتغنى عن المراجع اللغوية ، وتوصل إلى الغاية المرجوة بغير جهد مبدول ، ولا وقت ضائع . وقد نجحوا في وضع هذه العناوين أو القواعد التقريبية نجاحاً كبيراً يمكن الاعتماد عليه ، والاكتفاء به ، بالرغم من أنها لم تنطبق على قليل من الأفعال وصف بالشذوذ ، ونحوه . وأشهر تلك العناوين والقواعد التقريبية الدالة - في الغالب - على الأفعال اللازمة ما أتى :

١ - الأفعال الدالة على صفة تلازم صاحبها ، ولا تكاد تفارقه إلا لسبب قاهر ، وهي الأفعال الدالة على السجايا ، والأوصاف الفطرية ؛ مثل : شَرَّفَ فلان ؛ نَبَّلَ - ظَرَّفَ - قَصَّرَ - طال - سَمِنَ - نحف ... والأغلب في هذه الأفعال أن تكون على وزن : «فَعَّلَ» - بفتح فضم - وهذه صيغة تكاد تقتصر على الفعل ^(١) اللازم . ويتصل بهذا ما لا يدوم ولكن زمنه يطول ، أو يتكرر ؛ مثل : جَبَّنَ - شَجَّعَ - فَهَمَ ^(٢) - جَشَّعَ .

= بهما مآ دون تحكم اللغة أولاً ، والاعتماد على ما تشير به ، ولها وحدها القول الفصل . أما الضابطان أو أحدهما فيستطيع من عرف أولاً ، من اللغة تعدي هذا الفعل أو لزومه - أن يلجأ إليهما ؛ مجرد الاستئناس ، لا لمعرفة أمر مجهول ، بل لأنه لا يحتاج إلى مثل هذا الاستئناس ؛ لاستغنائاه عنه بالمعرفة اللغوية السابقة . وهناك سبب آخر هام ، هو أن هذه « الهاء » - ونحوها - قد تنصل بآخر الفعل اللازم وتعرب مع

لزومه مفعولاً به ، طبقاً للبيان والتفصيل في رقم ٣ من هامش ص ٢٤٧ فكيف تصلح علامة للتعدي ؟
(١) ويقول صاحب المغنى (ج ٢ الباب الرابع : الأمور التي لا يكون الفعل معها إلا قاصراً) : إنه لم يرد منها متعدياً سماعاً إلا اثنان ؛ هما : رَجَبٌ ، طَلَّحَ - بفتح أولهما ، وضم ثانيهما ؛ في مثل رَجَبْتُمْ الدار ، طَلَّحَ القمَرُ اليمنَ - كما سيجيء في ص ١٧٠ وفي رقم ٣ من هامش ص ١٨٣ - وكلام صاحب المغنى وتحديده منقوض بمثل الفعل : « بَصَّرَ » فإنه يعتمد في الأكثر بالباء ، وقد يعتمد بنفسه مباشرة ، طبقاً لما في بعض المراجع اللغوية ومنها : « المصباح المنير »

ولهذا صلة بما يجيء في رقم ١ من هامش ص ١٧٠ .

(٢) نهم الرجل : اشتدت رغبته في الطعام وملازمته .

٢ - الأفعال الدالة على أمر عَرَضِيٍّ^(١) طارئٌ ، يزول بزوال سببه المؤقت ؛
 كالأفعال في مثل : مريض المتعرض للعدوى - ، احمر وجهه - ارتعشت يده ...
 وكالأفعال الدالة على فرح أو حزن ؛ - (هينئ - سعيد - حزن - جزع -
 فرح - رجف ...) أو على نظافة وندس ؛ مثل : نَظَّفَ الثوب أو غيره -
 طهر - وضؤ - دنس - وسخ - قذر - نجس ...

٣ - الأفعال الدالة على لون ، أو حلية ، أو عيب ؛ مثل : حمير -
 احمر - احمرار - سود - اسود - ابيض ... ومثل : دَعِجَ^(٢) ، كَحَلَّ -
 عَوَزَ - عَمِيَ ...

٤ - الأفعال التي على وزن « افعلَّل » نحو : اقشَعَرَ - ابْدَعَرَ^(٣) - ،
 اشمَازَ - وما ألحق بهذا الوزن من مثل : افوَعَلَ (بسكون الفاء ، وفتح الواو
 والعين ، وتشديد اللام) ، نحو : اكْوَهَدَ^(٤) واكْوَالَ ...

٥ - الأفعال التي على وزن « افْعَنْلَل » ؛ من كل فعل في وسطه نون بعدها
 حرفان أصليان ، نحو : احْرَنْجِمَ^(٥) .

وكالأفعال التي تضاهي « افعلنل » من كل فعل في وسطه نون بعدها حرفان
 أحدهما زائد للإلحاق ، نحو : اقْعَنْسَسَ^(٦) ؛ فَإِن السين الثانية زائدة للإلحاق^(٧) ؛
 باحرنجم .

(١) يراد بالعرضي هنا . المعنى الطارئ الذي ليس له طول ثبات ، ولا دوام ، وليس حركة
 جسم . أما الفعل الدال على الحركة فقد يكون لازماً ؛ مثل : مشي ، وقد يكون متعدداً مثل : مدَّ
 (٢) دعجت العين : اشتد سوادها وبياضها - أو اتسعت مع شدة سواد المقلة .

(٣) ابذعر القطيع : تفرق هرباً .

(٤) اكوهد الفريخ : ارتعش ؛ ليشعر أمه بجوعه . واكوال الرجل . بمعنى : قَصُرَ .

(٥) احرنجم الرجل : أراد شيئاً ثم عدل عنه ، واحرنجمت الخيل أو الإبل . اجتمعت متزاحمة .

(٦) اقعنسس الجمل : أبي أن يثقاد ، أو : رجع إلى الخلف .

(٧) كانت العرب تزيد على الكلمة الشائعة حرفاً ؛ لتجعلها مساوية في عدد حروفها وفي

وزنها لكلمة أخرى ، وتجري مجراها في التصغير ، والنسب ، والجمع ، وغيرها . والذي يدعوها لذلك
 دواع في مقدمتها ضرورة الشعر ، والتقليح ، أو التكم . . .

وليس من حق أحد - سوى العرب القدامى - أن يزيد في بنية الكلمة الواردة شيئاً للإلحاق ؛ فذلك
 الزيادة مقصورة عليهم ، وقد انتهى زمنها بانتهاء عصورهم التي حددت للاستشهاد بكلامهم ، والتي حددها
 مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بنهاية القرن الثاني الهجري في الحواضر ، ونهاية القرن الرابع الهجري في =

ويلحق بهما ما كان على وزن «افْعَلْتَنِي» نحو اسْلَنْقَنِي^(١) واحْرَنْقَنِي^(٢) .

٦- الأفعال التي على وزن «فَعِيل» - بكسر العين أو فتحها - إذا كان الوصف منها على «فَعِيل» ؛ نحو : قوى الرجل ، فهو قَوِيٌّ ، وذلك^(٣) الضعيف فهو ذليل .

٧- الأفعال التي على وزن : انْفَعَلَ ؛ نحو : انبعث وانطلق ، والتي على وزن «أَفْعَلَّ» ، ومعناها : صار صاحب شيء معين . مثل : أَغْدَّ البعير ؛ بمعنى : صار ذا غُدَّة^(٤)

أو التي على وزن : «استَفْعَلَ» وتفيد الصيرورة^(٥) أيضاً ؛ نحو : اسْتَنْوَقَ الجمل ، أى : صار كالناقة ، واستأَسَدَ القط ؛ أى : صار كالأسد في صورته

٨- الأفعال الدالة على مطاوعة^(٦) فعل لفعل آخر متعد بنفسه لواحد ؛ مثل : امتد ؛ في نحو : مددت الحديد الساخن فامتد ، ومثل : «تَوَقَّرَ» في نحو : وَقَرَّتْ المال فتَوَقَّرَ ، ومثل : انكسر في نحو : كسرت الخشبة فانكسرت .

٩- الأفعال الرباعية الأصول التي يزداد عليها حرف أو حرفان ؛ مثل : تدحرج ، واحرنجم .

تلك هي أشهر أنواع الأفعال التي يغلب عليها اللزوم^(٧) .

= البوادي .

(راجع ص ١٨ من كتابنا : « رأى في بعض الأصول اللغوية والنحوية » ، وص ٢٠٢ من الجزء الأول من مجلة المجمع اللغوي القاهري ، و ٢٩٤ ، ٣٠٣ من محاضر انعقاده الأول)

(١) اسْلَنْقَ المريض : نام على ظهره .

(٢) احْرَنْقَى الديك : نفش ريشه ؛ استمدداً للقتال .

(٣) من باب : ضرب ، يضرب .

(٤) يريدون بها : ورماً ناتئاً يظهر في بعض أعضائه .

(٥) التحول والانتقال من حالة إلى حالة .

(٦) سبق شرح المطاوعة شرحاً وافياً وإيضاحها بالأمثلة (في رقم ١ من هامش ص ١٠٠) . وأشرفنا

هناك إلى أن صاحب كتاب «المخصص» (ابن سيده) عقد بحثاً وافياً للمطاوعة ضمنه كثيراً من شئونها

(في الجزء ١٤ ص ١٧٥) ، كما أشرفنا إلى قرار المجمع اللغوي القاهري بقياسية أفعال المطاوعة كلها ،

وقراره الخاص بمطاوع «فَعَّلَ» الثلاثي و

(٧) وفيما سبق يقول ابن مالك :

ولازمٌ غيرُ المعدَّى . وحُتِمَ لزومُ أفعالِ السَّجَايا ؛ كَنَهْمُ =

« ملاحظة » :

الفعل اللازم ثلاثة أنواع يتردد ذكرها في مناسبات مختلفة^(١) .

أولها : اللازم أصالة ؛ ويراد به الفعل الموضوع في أصله اللغوي لازماً ؛ مثل :
نام - قعد - تحرك - . . .

ثانيها : اللازم تنزيلاً ؛ ويراد به الفعل المتعدي لواحد ، ولكن مفعوله هذا يحذف - غالباً - في بعض الاستعمالات ؛ كأن يشتق من مصدر هذا الفعل اسم فاعل يضاف إلى فاعله ، فيصير اسم الفاعل بسبب هذه الإضافة دالاً على الثبوت بعد أن كان قبل الإضافة دالاً على الحدوث ، ويصير في حالته الجديدة : « صفة مشبهة » ، ويسمى باسمها ، وتجرى عليه كل أحكامها مع بقاءه على صورته الأولى ، دون بقاء اسمه السابق . وهو في حالته الجديدة لا ينصب « مفعولاً به » ؛ لأنه صار - كما قلنا - صفة مشبهة ، والصفة المشبهة لا تُشتق أصالة إلا من فعل لازم ، فَحَقُّ ما هو بمنزلتها أن يكون كذلك ، فيحذف - في الغالب - مفعوله ؛ مجازة لها ، ففي مثل : رَحِمَ قلبُ المؤمن الضعفاءَ ، يقال فيه : فلان راحمُ القلبِ .

ثالثها : اللازم تحويلاً ، وهذا يكون بتحويل الفعل المتعدي لواحد إلى صيغة : « فَعَّلَ » بقصد المدح أو الذم^(٢) وهذه الصيغة لا تكون إلا لازمة ؛ مثل : جَهَّلَ الآمِيَّ ، في ذم الآمِيَّ . والأصل المتعدي قبل التحويل هو : جَهَّلَهُ . . . ؛ فصار بعد التحويل لازماً .

= يريد : اللازم هو الذي ليس متعدياً . وشرع يبين أنواع الأفعال اللازمة ، فقال : حُتْمَ لزوم أفعال السجايا وعدم تعديتها ، أى : أن لزومها محتوم . ومرد أنواعاً أخرى في الأبيات التالية :
كَذَا : « افْعَلَلْ » والمُضَاهِي اقْعَنْسَسَا وما اقْتَضَى نَظَافَةً أَوْ دَنْسَا أَوْ عَرَضَا ، أَوْ طَاوَعَ الْمُعَدَّى لِوَاحِدٍ ؛ كَمَدَّهُ فَاْمْتَدَّ
أى : ما كان على وزن « افْعَلَلَلْ » فهو لازم ، وكذا الفعل الذى على وزن يضاهي ويشابه في أحكامه الفعل : « اقْعَنْسَس » فإنه يشابه الفعل « افْعَلَلَل » مثل : « احرنجم » - كما أوضحنا في الشرح - وكذلك من اللازم أيضاً ما دل على نظافة ، أو دنس ، أو عرض ، أو مطاوعة لفعل متعدٍ لواحد ...
(١) ولاسيما باب « الصفة المشبهة » - ج ٣ م ١٠٤ و ١٠٥ ص ٢١٦ و ٢٥٠ حيث البيان -
(٢) لهذا التحويل أحكام وضوابط مكان تفصيلها ج ٣ م ١١١ ص ٣٧٠ بعنوان : الأفعال التى تجرى مجرى « نعم وبئس . . . »

المسألة ٧١ :

طريقة تعدية الفعل اللازم الثلاثي

من الممكن جعل الفعل الثلاثي اللازم متعدياً إلى مفعول به واحد ، أو في حكم المتعدى إليه ^(١) ؛ وذلك بإحدى الوسائل التي سندكرها ، وكلها قياسية ، إلا الأخيرة ^(٢) . . .

وقبل أن نسردها نشير إلى أمر هام ، هو : أن هذه الوسائل كلها تتشابه في أمر واحد ، يتركز في صلاحية كل منها لتعدية الفعل اللازم . وتختلف بعد ذلك بينها اختلافاً واضحاً . وناحية الخلاف تركز أيضاً في أن كل وسيلة منها تؤدي مع التعدية معنى خاصاً لا تكاد تؤديه وسيلة أخرى ؛ فواحدة تفيد — مثلاً — مع التعدية جعل الفاعل مفعولاً به ؛ كهمزة النقل ^(٣) . ولهذا أثره في تغيير المعنى الأول ^(٤) ، وواحدة تفيد التكرار والتمهل ؛ كالتضعيف ، وهذا تغيير طارئ على المعنى السابق ، وثالثة تفيد المشاركة ، ولم تكن موجودة ؛ كتحويل الفعل اللازم إلى صيغة فاعل . . . وهكذا . . . ، مما سيتضح عند الكلام على كل واحدة ، وما تجلبه من المعنى الطارئ مع التعدية . فإن كان أثر الوسائل من ناحية التعدية واحداً فإن أثرها مختلف من ناحية المعنى . لهذا لا تختار وسيلة منها إلا على أساس أنها — مع تعديتها

(١) الذي في حكم المتعدى هو ما يبدو متعدياً بحسب المظهر الشكلي اللفظي دون الواقع الحقيقي المعنوي ، ويتضح هذا جلياً في الوسيطين الأخيرتين (٧ ، ٨) كما سيجيء عند الكلام عليهما . في ص ١٦٩ و ١٧١ هذا ، وما يسرى على الفعل يسرى على شبهه .

(٢) الأخيرة المقصورة على السماع هي : إسقاط حرف الجر وحده — دون مجروره — كما سيجيء في ص ١٧١ — وتلك الوسائل القياسية مستنبطة من الكلام العربي الأصيل الشائع ؛ لاستخدامها كسائر القواعد العامة المستنبطة منه ولا يلتفت إلى الرأي القائل إن استخدامها أو بعضها مقصور على السماع ؛ إذ لو كان كذلك ما كان هناك داع لتدوين هذه الوسائل ، ولوجب الاقتصاد على المسموع . وهذا غير مقبول إلا في الحالة الأخيرة ، حالة إسقاط حرف الجر وحده — كما سيأتى في ص ١٧١ (انظر رقم ٤ من هامش ص ١٦٣) . أما جعل المتعدى لازماً أو في حكمه ، فيجاء الكلام عليه في ص ١٨٢ .

(٣) إيضاحها في ص ١٦٥ ولها إشارة في « ح » ص ١٧٨ .

(٤) كما سيجيء في رقم ٢ من ص ١٦٥ .

الفعل - تجلب معها معنى جديداً يساير الجملة ، ويناسب الغرض . وعلى هذا الأساس وحده يقع الاختيار على وسيلة دون أختها ؛ فالتى تصلح لمعنى لا تصلح لغيره فى الغالب . . . إلا إذا عرف عنها أنها قد تشابه غيرها فى تأدية معناه ، كحرف الجر الأصلي فإنه يؤدى ما يؤديه همزة النقل أحياناً ؛ نحو : أذهبت العصفور ، وذهبت به . . . وإليك الوسائل :

١ - إدخال حرف الجر الأصلي المناسب للمعنى ، على الاسم الذى يعتبر فى الحكم - لا فى « الاصطلاح » ، كما شرحنا أول هذا الباب وكما يأتي هنا ^(١) - مفعولاً به معنوياً للفعل اللازم ^(٢) ، ليكون حرف الجر الأصلي مساعداً على توصيل أثر الفعل إلى مفعوله المعنوى ؛ فمثل : قعد - صاح - خرج - . يقال فى تعديته بحرف الجر : قعد المريض على السرير - صاح الجندى بالبوق - خرجت من القرية . فكلمة : السرير - البوق - القرية - . . . هى من الناحية المعنوية فى حكم المفعول به ؛ لوقوع أثر الفعل عليها ، وإن كانت لا تسمى فى « اصطلاح » النحاة مفعولاً به حقيقياً ^(٣) ، ولا يجوز - فى رأى الأنسب - نصب شئ من توابعها مادام حرف الجر الأصلي مذكوراً قبلها فى الكلام (كما سبق وكما سيبنى) ^(٤) .

وقد وردت أمثلة قليلة مسموعة عن العرب ، حُذِفَ فيها حرف الجر ، ونُصِبَ مجروره بعد حذفه ؛ منها : « تمرّون الديار » ، بدلاً من : تمرّون بالديار ، ومنها : « توجهت مكة » ، وذهبت الشام ، بدلاً من : توجهت إلى مكة ، وذهبت إلى الشام . . . ، فهذه كلمات مننصوبة على نزع الخافض ^(٥) ، كما يقول

(١) التعدية بحرف الجر ليست مقصورة على الثلاثى اللازم ؛ وإنما تشمل وتشمّل المتعدى لواحد أو أكثر ؛ فإنه يتمدى لغيره بالجار أيضاً - كما أشار إليه « الصبان » ، ونص عليه « الخضرى » صراحة فى أول هذا الباب - .

(٢ ، ٣) لأن « المفعول به » الحقيقى عندهم ؛ هو الذى يقع عليه الأثر مباشرة بدون مساعدة . ولهذا يسمون التعدية بحرف الجر : « تعدية غير مباشرة » ؛ لأنها جاءت نتيجة معاونة قدمت للفعل اللازم ، ولم يستطع التعدية إلا بهذه المعاونة .

(٤) راجع رقم ٣ من هامش ص ١١٧ ؛ ثم « ب » ص ١٢٥ م ٦٩ م ٣ من هامش ص ١٥١ . ثم فى ص ٤٣٩ ورقم ٢ من هامشها .

(٥) أى : عند نزع من مكانه ، والمراد : عند حذفه . وفى هذه الحالة تسمى أفعالها : متعدية مما يسمى : « الحذف والإيصال » أو : « بنزع الخافض » ، - وهذا نوع من الأول - أما مع وجود

التحويون ، والنصب به سماعي^(١) - على الأرجح المعول عليه - ؛ مقصور على ما ورد منها منصوباً مع فعله^(٢) الوارد نفسه ؛ فلا يجوز - في الرأي الصائب - أن ينصب فعل^(٣) من تلك الأفعال المحددة المعينة كلمة على نزع الخافض إلا التي وردت معه مسموعة عن العرب ، كما لا يجوز في كلمة من تلك الكلمات المحدودة المحدودة أن تكون منصوبة على نزع الخافض إلا مع الفعل^(٤) الذي وردت معه مسموعة . أى : أن هذه الكلمات القليلة المنصوبة على نزع الخافض لا يجوز القياس عليها ، فهي ، مقصورة على أفعالها الخاصة بها ، وأفعالها مقصورة

= حرف الجر فتسمى : متعدية بالحرف ؛ كما سبق .

- ولنزع الخافض بيان يجيء في « ١ » من رقم ٥ بهامش ص ١٦١ ، وإشارة في رقم ٣ من هامش ص ٤٩٢ ، عند الكلام على حذف حرف الجر . -

هذا ، ويلاحظ أن الكلام هنا وفي ص ١٩١ على حذف الجار مع بقاء مجروره يختلف في حكمه عن حكم حذف الجار مع مجروره ، وسيجيء في ص ٥٣٢ .

(٢ ، ١) راجع حاشية الأمير على « المغنى » - ج ١ - عند الكلام على : « لكن » مشددة النون . والحكم بأنه مقصور على السماع هو الأنسب ؛ لأنه يمنع اللبس والاضطراب اللغوي . وهو رأى أكثر أئمة اللغة ؛ كابن هشام ، وابن مالك ، والرضي ، وأبي حيان . . . وآراؤهم مسجلة في المراجع المختلفة ؛ ومنها ما جاء في حاشية « ياسين » في هذا الباب منقولا عن ابن هشام في « التوضيح » وشرحه ، عند كلامه ، على السبب الأول والثاني من أسباب : « التعدية » حيث يقول ما نصّه على سبب التعدية بنزع الخافض :

(« . . . لكن المصنف سيذكر أنه سماعي ») . . . وفلا صرح به المصنف في « التوضيح » بعد ذلك آخر الباب . وسجلت تلك الحاشية في آخر صفحة من صفحات الجزء الثاني - باب : « الإدغام » ما نصه : (إن النصب على نزع الخافض لا يصار إليه مع تيسر غيره . . .) وجاء في « حاشية الأمير على المغنى » - (ج ١ مبحث الحرف « على » الجار ، وبيان الأفعال التي حذف بعدها حرف الجر سماعاً ونصب المجرور بعد حذفه) ما نصه بعد تلك الأفعال المسموعة : (. . . إنما جاز ذلك في هذه لتعيين الحرف ، وتعيين محلّه . ولا يجوز القياس عليها وإن تعين الحرف . وتعين محله ، فلا يجوز برئت القلم السكين ، خلافاً لعلي بن سليمان) ١ هـ .

ويقول الرضي - ج ١ ص ٧٥ من شرح الشافية - ما نصّه : (إن باب الحذف والإيصال شاذ عند النحاة) .

وانظر رقم ٤ من هامش ص ١٧١ الآتية .

ويقول ابن مالك في تعدية الفعل اللازم بحرف الجر : يصح نصب الاسم المجرور بشرط حذف حرف الجر وهذا مقصور على النقل ؛ أى : على السماع . ونص كلامه في « ألفيته » هو :

وعدّ لازماً بحرف جرّ وإن حذف فالنصب للمنجّر . . . نقلاً . . .

وسيجيء الكلام على هذا البيت في هامش ص ١٦٤ .

(٣) أو ما يشبه الفعل . (٤) وشبهه .

عليها^(١) . ولولا هذا لكثُر الخلط بين الفعل اللازم^(٢) والفعل المتعدى وانتشر اللبس والإفساد المعنوي ، وفقدت اللغة أوضح خصائصها ؛ وهو : التبيين ؛ وأساسه الضوابط السليمة المتميزة التي لا تتداخل فيها ، ولا اختلاط .

وليس للتعدية بحرف الجر الأصلي - وشبهه -^(٣) حرف معين يجب الاقتصاد عليه وحده ، وإنما يختار للتعدية الحرف الذي يحقق المعنى المراد ، ويناسب السياق ؛ فقد يكون الحرف : من ، أو ، إلى ، أو الباء ، أو غيرها . . . كالأمثلة السابقة . وكقولنا : انصرف الصانع إلى مصنعه - وانصرف من المصنع إلى بيته - انصرف العالم عن الهزل - انصرف في سيارته . . . وهكذا تتغير أحرف الجر وتنوع مع العامل اللازم بتنوع^(٤) المعاني المطلوبة .

وحرف الجر إذا كان وسيلة للتعدية ، (وهي التعدية غير المباشرة) ، لا يجوز حذفه مع بقاء معموله مجروراً ، إلا في بضعة مواضع قياسية^(٥) .

(١ ، ٢) إلا الكلمة المنصوبة على ما يسمى : «الحذف والإيصال» أو : «نزع الخافض» في مثل «أرايتك الحديقة» هل راقك جمالها على اعتبار أن «أرايتك» بمعنى : أخبرني ، والحديقة : منصوبة على نزع الخافض ، والأصل عن الحديقة .

ولهذه المسألة تفصيل هام ، وإيضاح مفيد في ج ١ ص ٢١٦ م ١٩ - باب : «الضمير» .

(٣) توضيح حرف الجر الأصلي وشبهه - مدون في ص ٤٣٤ ، وفي رقم ٢ من هامش ص ٣٦ ؛ حيث البيان المفيد عن تقسيم حروف الجر من ناحية الأصالة وعدمها ، وفائدة كل قسم . . . و . . .

(٤) هذا أمر يجب التنبيه له ، فإذا رأينا لغوياً - أو غيره - ينص صراحة أو تمثيلاً على أن فعلاً - مثل : قعد ، أو نام . . - يتمدى بحرف الجر «في» أو بحرف جر آخر ينص عليه ، فليس مراده أن هذا الفعل لا يتمدى إلا بوسيلة واحدة هي : المحيى بجار مع مجروره ، وأن حرف الجر الذي يحى هو «في» أو غيره مما نص عليه . وإنما مراده أمران معاً ، هما : أن هذا الفعل لازم ، وأنه يجوز تعديته . بإحدى وسائل التعدية التي ستذكر هنا ، والتي منها الإتيان بحرف جر مناسب للمعنى والسياق مع مجروره ؛ دون الاقتصاد على حرف جر واحد في الأساليب والمعاني المختلفة . فإذا اقتضى الأمر تعديته بالوسيلة القياسية وكانت حرف الجر جازلنا أن نختار من بين حروف الجر حرفاً يناسب المقام والغرض المراد ، من غير التزام حرف واحد في كل المواقف المعنوية المتباينة . وعلى هذا يقول : قعدت على الكرسي - قعدت منذ ساعة - من قعدت به همة لم تهض به عشيته . . . وهكذا .

ويزيد الأمر وضوحاً ما سيجيء في ص ٣٦ ؛ خاصاً ببيان المراد من تعلق الجار والمجرور بالعامل .

(٥) سيجيء كثير منها في باب حروف الجر ص ٥٣٢ م ٩١ - وقد استفاض الخلاف والجدل في جواز حذف الحروف الجارة حذفاً قياسياً ، أو عدم جوازه ، وفي حكم المجرور بعد الحذف ؛ أي مجروراً كما كان أم ينصب على «نزع الخافض» ؟ - وهو نوع يسمى : «الحذف والإيصال» - النحو الثاني - ثان

ويعتينا الآن من تلك المواضع ما يكون فيه المجرور مصدراً مؤولاً من حرف

= وعند نصبه أيجوز أن يكون مفعولاً به لعامله المذكور ، أم لا يجوز؟ وما حكم المصدر المؤول إذا كان مجروراً بالحرف المحذوف؟ أليكون في محل جر أم في محل نصب على : « نزع الخافض » . . . ، أو على أنه مفعول به للعامل الجديد؟ ، بحوث جدلية ، وتفرعات متشعبة . . . وصفوة ما يقال هو أن حذف الجار على أربعة أنواع :

(١) نوع يحذف وينصب بعده المجرور بما يسمى : « النصب على » الحذف والإيصال « - أى : نزع الخافض - ؛ مثلاً : « تمرّون الديار » - توجهت مكة - ذهبت الشام . . . وهذا نوع قليل جداً - فهو غير مطرد ، وقد أوضحنا بإفاضة - في ص ١٥٩ - حكمه بأنه سماعي محض ؛ فلا يجوز في الفعل - وشبهه - الذي ورد منه أن ينصب على نزع الخافض لفظاً غير مسموع ، ولا يجوز في الاسم المنصوب على نزع الخافض أن ينصب على هذه الصورة إلا مع الفعل الوارد معه ؛ فلا يجوز تمرّون الحقول ، ولا : توجهت الحديقة ، ولا ذهبت النهر ، ولا أشباه هذا ، لأن تعدية هذه الأفعال لم ترد عن العرب - فيما يقال - إلا في : « الديار » و « مكة » و « الشام » على التوزيع السالف ، وكان ورودها فيهما قليلاً جداً فلا يسمح بالقياس . ومثلها : « مطرنا السهل والجبل » ، وضربت الخائن الظهر والبطن ، أى : في السهل والجبل - وعلى الظهر والبطن .

والقول بأن هذه الأسماء منصوبة على نزع الخافض أولى من القول بأنها مفعول به ، وأن الفعل قبلها نصبها شذوذاً ، لأن نصبها على المفعولية مباشرة ولو على وجه الشذوذ - قد يوجب - خطأ - أن الفعل قبلها متمد بنفسه ؛ وأن المعنى لا يحتاج إلى المحذوف ؛ فيقع في الهم إباحة تعديته مباشرة في غيرها . لكن إذا قلنا : « منصوبة على نزع الخافض » سماعاً كان هذا إعلاناً صريحاً عن حرف جر محذوف ، نصيب بعده المجرور ؛ فيكون النصب دليلاً على ذلك لا يستقيم المعنى إلا بملاحظته ، وتقدير وجوده .

ومن هذا النوع المنصوب سماعاً ما نصب على نزع الخافض للضرورة . والنصب على نزع الخافض - في السّعة أو في الضرورة - هو النوع الأشهر مما يتردد في كثير من المراجع اللغوية باسم : « الحذف والإيصال » ويراد به هنا : حذف حرف الجر ، و نصب مجروره ، وإيصاله بالعامل المحتاج للتعدية بعد حذف الجار . وقد تردد كذلك في عديد من المراجع اللغوية - ورد اسم كثير منها في كتاب : « السّماع والقياس » ص ٧٤ لأحمد تيمور - النصّ الصريح على أن الحذف والإيصال « مقصور على السّماع ، ولا يجوز استخدامه قياساً . وهذا الرأي هو الذي ارتضاه الصبان كذلك ، وقلنا كلامه في رقم ٤ من هامش ص ١٧١ ومن الواجب الاختصار عليه ؛ منأً للإفساد اللغوي الذي يترتب على رأى ضعيف آخر يعارضه ، ومن بعض صوره ما أشرنا إليه في رقم ٣ من هامش ص ١٧١ .

(ب) نوع يحذف وينصب بعده المجرور أيضاً ، ولكن على اعتباره مفعولاً به مباشرة - للعامل الذي يطلبه ؛ كالحروف التي يكثر استخدامها في تعدية بعض الأفعال المسموعة ؛ فتجر الأسماء بعدها . وكذلك يكثر حذفها بعد تلك الأفعال المعينة ؛ فتنتصب الأسماء بعد حذفها ؛ مثل الفعل : « دخل » فقد استعملته العرب كثيراً متعدياً بالحرف : « في » ؛ مثل : دخلت في الدار . وكذلك استعملته بغير « في » ونصب ما بعده فقالت : دخلت الدار ، ولم تقتصر في حالة وجوده أو حذفه على كلمة « الدار » بل أكثر من غيرها ، مثل : المسجد - الغرفة - الخيمة - القصر - الكوخ - . . . ، فكثرة استعمال الفعل بغير حرف الجر ، وموقع تلك الأسماء المختلفة بعده منصوبة مع عدم وجود عامل آخر - كل ذلك يدعو إلى الاطئنان

مصدرى من الحروف الثلاثة مع صلته . (وهى : أنْ ، وأنْ المختصة بالفعل^(١))

= أن تلك الأسماء المنصوبة هى مفعولات للفعل الموجود، وأن هذا الفعل نصبها مباشرة؛ فلا حاجة إلى اعتبارها منصوبة على نزع الخافض - كما يرى بعض النحاة دون بعض - لما فى هذا من المدول عن الإعراب الواضح ، المسابير لظواهر الألفاظ ومعانيها - إلى الإغراب ، والتعميد من غير داع .

ومعنى ما سبق أن الفعل : « دخل » يعد من الأفعال المسموعة التى تتعدى بنفسها تارة وبحرف الجر أخرى ، فهو : مثل : شكر - نصح - حيث تقول فيها : شكرت الله على ما أنعم ، ونصحت للفاقل بأن يشكره ، أو : شكرت الله على ما أنعم ، ونصحت للفاقل بأن يشكره . وهذا النوع هو « ج » الذى وصفناه أول هذا الباب - عند تقسيم الفعل التام إلى متعدي ولازم ، ص ١٥١ - بأنه قسم مستقل بنفسه يسمى : الفعل الذى يستعمل لازماً ومتعدياً . وهذا النوع يطرد فيه النصب مع حذف حرف الجر كما يطرد الجر مع ذكر الحرف .

(ح) نوع يحذف فيه الحرف قليلاً مع بقاء مجروره على حاله من الجر ، كما كان قبل حذف الجار وهذا النوع القليل مقصور على السماع لا محالة ؛ فلا يجوز التوسع فيه بجر كلمات غير الكلمات التى وردت عن العرب كقولهم : « لاه ابنُ عمك » . . . (أى : لله ابن عمك) . فقد حذفت اللام وبقي مجرورها ؛ فلا يجوز عند حذفها وضع مجرور آخر ؛ كأن يقال : المجد أنت - العمل النافع أخوك . تريد : للمجد أنت - للعمل النافع أخوك ، فهذا - وأشباهه - مما لا يصح .

ومن هذا المسموع القليل حذف « الباء » ، أو « على » ، مع بقاء مجرورها فى قول أعرابي سئل : كيف أصبحت ؟ فأجاب : « خير والحمد لله » أى : بخير ، أو : على خير . وحذف « إلى » فى قول آخر :

إذا قيل أى الناس شرّ قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع

أى : أشارت إلى كليب الأصابع مع الأكف . . . وهكذا من كل ما حذف فيه حرف الجر وبقي مجروره على حاله . وهذا النوع لا يطرد فيه الجر ، وإنما يقتصر على المسموع ؛ كما قلنا .

(د) نوع يكثر فيه حذف الجار مع إبقاء مجروره على حاله من الجر . وهذا النوع قياسى يطرد فى جملة أشياء ؛ أشهرها : حرف الجر الذى مجروره المصدر المؤول من أحد الحروف المصدرية الثلاثة مع صلته ، وهذه الحروف الثلاثة هى : (أنْ - أنْ - كى) ، وقد تكلمنا عليها هنا - أما بقية الأشياء ومناقشتها ، فموضوع الكلام عليها : آخر باب حروف الجر عند الكلام على حذف حرف الجر وإبقاء عمله - ص ٥٣٥ م ٩١ - ، والكثير منها غير داخل فى موضوع التعدية بحرف الجر الذى نحن فيه .

وما تقدم نعلم أن حرف الجر إذا حذف ، ينصب الاسم بعده فى حالتين ؛ إحداها : قليلة غير مطردة ، فالنصب فيها مقصور على السماع . والأخرى كثيرة مطردة ؛ فالنصب فيها قياسى . ويجز فى حالتين ؛ إحداها : قليلة غير مطردة ؛ فالجر فيها سماعى ، والأخرى : كثيرة مطردة فالجر فيها قياسى فالحالات الأربع ؛ منها اثنتان قياسيتان واثنتان سماعيتان .

(١) إذا وقعت « أنْ وأنْ » بعد حرف الجر الباء فى صيغة : « أقمِلْ » - بفتح فسكون فكسر - الخاصة بالتعجب جاز حذف الباء مع « أنْ » قياساً دون « أنْ » المشددة فى رأى قوى ، بحجة أن السماع لم يرد بحذفها ؛ وهذه التفرقة بينهما فى مسألة واحدة غير مقبولة ؛ لأن حذف الباء قبلهما جائز فى كل المسائل الأخرى ، فلم تخرج هذه المسألة - كما سنشير فى ص ٤٩٥ وفى رقم ٣ من هامش ص ٥٣٤ لكن =

وكي^(١) ، مثل : (سررت من أن الناشئ راغب في العلم ، حريص على أن يزداد منه ، لكي يبنى مجده ، ويرفع شأن بلاده) . فيصح حذف الجار قبل كل حرف من الثلاثة ؛ فتصير الجملة : (سررت أن الناشئ ... حريص أن يزداد ... كي يبنى ...) . فالمصادر التي تقول في العبارات السالفة من الحرف المصدرى وصلته ، تكون مجرورة على التوالى بالحرف : « مِنْ » فالحرف : « على » ، فالحرف : « اللام » ولا داعي لأن يكون المصدر المؤول في محل نصب على نزع الخافض - كما يرى فريق - لأن حرف الجر المحذوف ملاحظ هنا بعد حذفه ، والمعنى قائم على اعتباره كالموجود ؛ فهو محذوف بمثالة المذكور . ولأن النصب على نزع الخافض خروج على الأصل السائد الغالب ؛ فلا نلجأ إليه مختارين .

وهذا الحذف القياسي لا يصح إلا عند أمن اللبس^(٢) كما في الأمثلة السالفة ، وفي قول الشاعر :

ولا عار أن زالت عن الحرر نعمة ولكن عاراً أن يزول التَّجَمَّل

والأصل : (في أن زالت ... - في أن يزول ...) . فإن خيف اللبس لا يصح الحذف ؛ ففي مثل : (رغبت في أن يفيض النهر) ، لا يصح حذف حرف الجر : « في » فلا يقال : رغبت أن يفيض النهر ؛ إذ لا يتضح المراد بعد الحذف ؛ أهو : رغبت في أن يفيض النهر ، أم رغبت عن أن يفيض ... ؛ والمعنيان متعارضان متناقضان ؛ لعدم معرفة الحرف المحذوف المعين ، وخلق الكلام من قرينة تزيل اللبس . ومثل هذا : انصرفت عن أن أقرأ المجلة ؛ فلا يجوز حذف الجار ؛ لأن حذفه يؤدي إلى أن تصير الجملة : انصرفت أن أقرأ المجلة ؛ فلا ندري المقصود ؛ أهو : انصرفت إلى أن أقرأ ... ، أم انصرفت عن أن أقرأ ... ، والمعنيان متناقضان ، ولا قرينة تزيل اللبس^(٣) .

= إذا حذف الباء في التعجب بعد الصيغة السالفة ألاحظ في التقدير أم لا؟ رأيان، كما سيجيء في باب التعجب ج ٣ - ص ٢٧٢ م ١٠٩ .

(١) كي المصدرية لا بد أن يسبقها - لفظاً أو تقديراً - لام الجر التي تفيد التعليل .

(٢) طبقاً لما سيجيء في رقم ٢ من ص ٥٣٢ .

(٣) وفيما سبق يقول ابن مالك مقتصرأ على بعض الحالات :

وَعَدُّ لَازِمًا بِحَرْفٍ جَرٍّ وَإِنْ حُذِفَ فَالْنَّصَبُ لِلْمُنَجَّرِ =

٢ - إدخال همزة النقل على أول الفعل الثلاثي^(١) (وهي همزة تنقل معنى الفعل إلى مفعوله ، ويصير بها الفاعل مفعولاً . ولا تقتضى - فى الغالب - تكراراً ، ولا تمهلاً) ، نحو : خَفِيَ القمرُ - وأخفى السحابُ القمرَ ، ومثل : جَزَعْنَا وأَجَزَعْنَا ، فى قول الشاعر :

فإن جَزَعْنَا فإن الشرَّ أَجَزَعْنَا وإن صَبَرْنَا فإنَّا معشرٌ صَبَرُ^(٢)

٣ - تضعيف عين الفعل اللازم ، بشرط ألا تكون همزة^(٣) ؛ فى نحو :

نَقَلًا - وفى : « أَنْ » و « أَنْ » يَطْرُدُ مَعَ أَمَّنْ لَبَسَ ، كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا

« عجب أن يدوا » : أى أن يعطوا الدية ، وهى التمويض المالى الذى يدفعه من ارتكب نوعاً معيناً من الجرائم ؛ لياخذ المظلوم الذى وقعت عليه الجريمة . . .

يقول : إن تعدية اللازم تكون بإدخال حرف الجر على مفعوله المعنوى - كما شرحنا - وعند حذف حرف الجر ينصب الاسم المجرور ، بشرط أن يكون هذا النصب نقلاً عن العرب ؛ أى : مسموعاً فى كلمات واردة عنهم ؛ فليس النصب قياساً ولا مباحاً فى غير المنقول عنهم . ثم بين أن حذف الجار قياسى مطرد قبل « أَنْ » و « أَنْ » .

(١) التعدية القياسية بهمزة النقل ليست مقصورة على الفعل الثلاثى اللازم ؛ فقد صرح « الأشموني » فى أول هذا الباب - وتبعه « الصبان » - أن همزة النقل تدخل أيضاً على الثلاثى المتعدي للواحد ؛ فتجمله متعدياً لاثنتين .

أما دخوها على المتعدي لاثنتين فإن لم يكن من أفعال اليقين والرجحان فلا يصح تعديته بها لثلاثة وإن كان منهما جاز تعديته بها لثالث ، بشرط أن يكون الفعل هو : « أعلم » أو : « أرى » دون أخواتهما من أفعال اليقين والرجحان ، فإن فى تعدية أخواتها الخلاف الذى سبق فى ص ٥٩ .

ويقول صاحب المجمع - ج ٢ ص ٨١ باب « العوامل » وأولها : « الفعل » - ما نصه عن همزة النقل إنها : (لاتعدى ذا الاثنتين إلى ثلاثة فى غير باب : « علم » بإجماع) اه فكيف وصف الحكم بالإجماع مع وجود الخلاف فيه ، كما أشرنا ؟

(٢) جمع صبور . والبيت لأعشى باهلة .

(٣) لأنه غير مسموع فيها . هذا ، والتضعيف يقتضى - غالباً - التكرار والتمهل ، بخلاف همزة النقل ، بشرط ألا توجد قرينة تعارض كالتى فى قوله تعالى : (. . . لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدة . . .) فإن : « جملة واحدة » تعارض التكرار والتمهل فى الفعل : « نزل » . (انظر « و » فى هامش ص ١٦٩) .

وقد جعل جميع اللغة العربية بالقاهرة تعدية الفعل الثلاثى اللازم قياسية بالتضعيف لإفادة التكثير والمبالغة ، مصرحاً بهذا فى مواضع مختلفة من بحوثه اللغوية . ومنها بحثه الخاص بصحة استعمال : « بَرَّ » بمعنى : « سَوَّغ » حيث قال (فى ص ٢٢٤ من كتابه الذى عنوانه : « فى أصول اللغة » مشتقاً على مجموعة القرارات الجمعية التى أصدرها من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين) =

فرح المنتصر - نام الطفل ، نقول - فرحتُ المنتصر - نوّمتُ الأمُ طفلها .

٤- تحويل الثلاثي اللازم إلى صيغة : « فاعَل » ، الدالة على المشاركة ؛
نقول في : جلس الكاتب ، ثم مشى ، وسار - جالست الكاتب ، وماشيته ،
وسايرته .

٥- تحويل الفعل الثلاثي اللازم إلى صيغة : « استفعَل » التي تدل على
الطلب^(١) ، أو على النسبة لشيء آخر . فمثال الأول : حضر - عان (بمعنى : عاون)
تقول : استحضرتُ الغائب - استعنت الله ؛ أى : طلبت حضور الغائب ، وعوّن
الله . ومثال الثاني : حَسَّنَ - قُبِّحَ . . . تقول : استحسنتُ الهجرة - استقبحت
الظلم ؛ أى : نسبت الحسن للهجرة ، ونسبت القبح للظلم .

وقد تؤدي صيغة استفعل إلى التعدية لمفعولين إذا كان الفعل قبلها متعدياً
لواحد ؛ نحو : كتبت الرسالة - استكتبْتُ الأديبَ الرسالة ، وربما لا تؤدي ،
نحو : استفهمت الخير . والأحسن قصر هاتين الحالتين الأخيرتين على
السَّماع^(٢)

= ما نصه الموافقة والتأييد لما عرضه عليه لجنة الأصول وهو : « ترى اللجنة إجازة ماشاع من استعمال
« التبرير » في معنى « التسويغ » - استناداً إلى قرار المجمع في قياسية تضعيف الفعل للتكثير ،
والمبالغة) ١ هـ .

وفريق من النحاة يرى أن تعدية الثلاثي بالتضعيف ليست مقصورة على اللازم بل تشمل وتشمّل
المتعدى لواحد ، أيضاً فيتعدى لاثنتين
١ (و ٢) أما صيغة : « استفعل » الدالة على التصيرورة فلازمة - غالباً ، نحو : استأسد القط -
استرجل الغلام . . . أى : صار القط أسداً - صار الغلام رجلاً . وقد أباح المجمع اللغوي القاهري قياسية
صوغها وجاء قراره صريحاً (في ص ٣٦٤ من محاضر جلسات دور الانعقاد الأول) ونصه : (يرى
المجمع أن صيغة استفعل « قياسية لإفادة الطلب ، أو التصيرورة) ١ هـ .
وجاء في ص ٤٠ من الكتاب الذي أخرجه المجمع اللغوي في سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب في أصول
اللغة » مشتملاً على القرارات التي أصدرها المجمع من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين
ما نصّه تحت عنوان : « السين والتاء » للاتخاذ و « الجعل »

« (سبق للمجمع أن أقر قياسية دخول السين والتاء للطلب أو التصيرورة لكثرة ما ورد من أمثلة .
وترى اللجنة أن زيادة السين والتاء للاتخاذ والجعل وردت في أمثلة كثيرة ؛ نحو : استعبد عبداً ،
واستأجر أجيراً ، واستأهبني أباً ، واستأهمني أمة ، واستفعل فعلاً - واستخلف فلاناً ، واستمره في
أرضه واستشعر الرجل إذا لبس شعاراً ، و . . . و . . .
وفي اعتبار هذه الصيغة قياسية تيسير للاصطلاح العلمي ، والاستعمال الكتابي . لهذا ترى اللجنة =

٦ - تحويل الفعل الثلاثي إلى فَعَعَلَ (مفتوح العين) الذي مضارعه «يفعل» (بضمها) ، بقصد إفادة المغالبة^(١) ؛ نحو : كَرَمْتُ الفارس أكرمه ؛ بمعنى : غلبته في الكرم - شَرَفْتُ النبيل أشرفه ؛ بمعنى : غلبته في الشرف^(٢) . . .

= أن للمجمع قبول ما يصاغ من الكلمات على هذه الصيغة للدلالة على الجعل أو الاتخاذ) ١ هـ .
وقد وافق المجمع ومؤتمره على رأى اللجنة وصدر قرار الموافقة في الجلسة الثامنة لمؤتمر الدورة الواحدة والثلاثين في سنة ١٩٦٥ . هذا ، وفي ص ٤١ و ص ٢٠٣ من الكتاب المسمى السالف بحوث ومذكرات مفيدة تتصل بالقرار ، وبما اعتمد عليه المجمع والمؤتمر في الأخذ به وتأييده .

(١) تسابق اثنين أو أكثر - إلى أمر ؛ وتزاحمهما عليه ، رغبة في انتصار كل فريق على الآخر ، وتغلبه في ذلك الأمر . ولأهمية المغالبة بمنعود للكلام عليها في الزيادة والتفصيل ، ص ١٧٣ .

(٢) فيما يلي بعض صيغ فعلية ، كثيرة التداول ، أصلها ثلاثية مجردة ، ثم اشتملت على شيء من حروف الزيادة ، فكان لزيادة هذه الحروف المختلفة أثر في إيجاد معان مختلفة تتضح فيما يأتي - دون أن تفيد حصراً ولا تحثيماً - وإليك البيان :

(منقولاً من الصبان - ج ٤ - باب : «التصريف عند الحاشية» المتصلة بقول ابن مالك :

ومنتهاه أربعٌ إن جرّداً وإن يَزْدُ فيه فماستاً عداً ..
(١) (افعلّ) . يجيء لمعان ، منها :

«التعدية» كأخرج محمد عليا - و «الكثرة» كأضَبَّ المكانُ ، أى : كثر ضيابه ، وأعال الرجل : كثرت عياله .

«والصيرورة» ؛ كأغَدَّ البعير ؛ صار ذا غدة .

و «الإعانة» على ما اشتق الفعل منه ؛ كأحلبتُ فلانا ، أى : أعنته على الحلب .

و «التعريض له» كأبَيتُ العبد ، أى : عرضته للبيع .

و «لسلّبه» كأفْسَطَ محمد ، أى : أزال عن نفسه القسُوط ، وهو الجور ، وأشكيت فلانا ، أى : أزلت شكايته .

و «ووجدان المفعول به متصفا به» ؛ كأخْلَتُ الرجل ، أى : وجدته بخيلاً .

و «بلوغه» كأومأتِ الدراهم ، أى بلغت مائة ، وأنجَد فلان ، بلغ نجداً .

و «المطاوعة» ككبيته فأكسَبَ - وقد سبق بيان معنى «المطاوعة» ، وبعض أحكامها الهامة في رقم ١ من هامش ص ١٠٠ ، وتجيء تكملة لها هنا في (د-٥-ز) :

(ب) (فَاعِلٌ) هو : «لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظاً ولاشتراك فيها معنى» ؛ فحمد وعمل من : «ضارب محمد علياً» قد اقتسم الفاعلية والمفعولية بحسب اللفظ ؛ فإن أحدهما فاعل والآخر مفعول . واشتركا فيها بحسب المعنى ؛ إذ كل منهما ضارب لصاحبه ، ومضروب له ...

وقد جاء «لأصل الفعل» كعبادته ، أى : أبعدته ، وسافر فلان ، وقاتله الله ، وبارك فيه .

(ح) (تَفَاعُلٌ) - نحو : تضارب - هو : «للاشتراك في الفاعلية لفظاً ، وفيها وفي المفعولية معنى» . وقد جاء «لأصل الفعل» ؛ كتمال الله . و «تخييل الاتصاف به» كتنجاول . و «المطاوعة» ؛ كعبادته فتباعد . . . - وقد سبق إيضاح «المطاوعة» وحكمها في رقم ١ من ص ١٠٠ - كما أشرنا - ثم أنظر «د» التالية ففيها أن : «افتعل» تكون بمعنى تفاعل .

(د) (افْتَعَلَ) يجيء لمعان ، منها : التسبب في الشيء والسعي فيه . . . تقول اكتسبت المال =

« إذا حصلته بسعى وقصد ، وتقول : كسبته ، إن لم يكن بسعى وقصد . كالمال الموروث .
« ولأصل الفعل » ؛ كالتَّحَى ، أى : طلعت لحيته . و « المطاوعة » كأوقدت النار فاتقدت :
و « معنى تفاعل » نحو : اقتتلوا واختصموا .

« ملاحظة » : وما يختص بصيغتي : « افعل وتفاعل » الدالتين على الاشتراك ما قرره مؤتمر مجمع اللغة العربية (فى دورته السابعة والثلاثين) من جواز إسناد الصيغتين إلى معموليهما ، باستعمال « مع » أو « الباء » فى الصيغة الأولى ، واستعمال « مع » فى الصيغة الثانية ؛ (كقولهم : اتفق معه ، و التحم معه ، والتقى به ، واتصل به ، واجتمع به ، واجتمع به ، وتجاوب معه . . .) .

وما يتصل بصيغة « افعل » قرار المجمع اللغوى القاهرى (طبقا لما جاء فى ص ٣٩ من كتابه المسمى : « مجموعة القرارات العلمية » الصادرة فى الدورة الأولى والدورات التى تليها إلى نهاية الثامنة والعشرين) ونص القرار الخاص بمطاوع : « فَعَلَ » المتعدى - وقد سبقت الإشارة إليه فى هامش ص ١٠٠ - هو :
« (كل فعل ثلاثى ، متعدى ، دال على معالجة حسية ، فطاوعه القياسى هو : « انفعَلَ » . ما لم تكن فاء الفعل واوا ، أو : لا ما ، أو : نونا ، أو : ميما ، أو : راء ، ويحتمل قولك : (ونمِر) فالقياس فيه : « افعل ») ا ه - وسيجىء هذا فى « ه » ومعه الأمثلة -

وجاء فى كتاب : « الجامع الكبير » لابن الأثير - ج ١ ص ٤٨ - ما نصه بهامشها :

(قال الحريرى فى درة الفواص : يقولون : انضاف الشيء إليه ، وانفسد الأمر عليه . وكلا اللفظين معيرة لكاتبه ، والمتلفظ به ، لمخالفته السماع والقياس . والوجه : أضيف إليه ، ونفسد عليه ؛ فقد تقرر أن مطاوع « فَعَلَ » الثلاثى هو : « انفعَلَ وافتعل » ومطاوع « أفعَلَ » الرباعى هو : « فَعَلَ » ويشترط فى ذلك التعدى . وما ورد مما يخالف ما ذكر - نحو : انزعج مطاوع « أزعج » وانطلق مطاوع « أطلق » وانفحم مطاوع « انفحم » ، ونحو : انسرب مطاوع « سرب » وهو لازم - شاذ لا يقاس عليه . ونقل العلامة شهاب الدين الآلوسى (فى كشف الظنرة ص ٤٨) أن أبا على الفاريسى صحح قياس « انفعَلَ » من « أفعَلَ » الرباعى ، وأن ابن عصفور اختاره ، وأن ظاهر قول ابن بَرَى قياسية « انفعَلَ » من « أفعَلَ » الرباعى . قلنا : والسبب فى ذلك كله اضطراب النحويين فى فهم « المطاوعة »)
ا ه ما جاء فى كتاب : الجامع الكبير . لكن القاموس يقول فى مادة : « فسد » إن القياس لا يأتى انفسد .
وفىما يلى مباشرة الكلام على صيغة : « انفعَلَ » .

(ه) (انفعَلَ) يقول الصبان ما نصه : هو : « لمطاوعة الفعل ذى العلاج (أى : التأثير) المحسوس » ؛ كقسّمته فانقسم ؛ فلا يقال علمت المسألة فانعلمت ، ولا ظننت ذلك حاصلا فانظن ؛ لأن العلم والظن مما يتعلق بالباطن ، وليس أثرهما محسوساً . وأما نحو : فلان منقطع إلى الله تعالى ، وانكشفت لى حقيقة المسألة ، وحديث : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجل » - فن باب : « التجوز » . سلمنا أنه حقيقة ، لكن لا نسلم أنه مطاوع ، بل هو من باب انطلق على .) ا ه

« وجاء لأصل الفعل » كانطلق ، أى : ذهب و « لبلوغ الشيء » كاتحجز ؛ أى : بلغ الحجاز ، واستغنوا عن انفعَلَ بافتعل - كما سبق فى « د » - فيما فاؤه لام كلويته فالترى ، أو رام ، كرفعته فارتفع ، أو واو كوصلته فاتصل ، أو نون كنقلته فانتقل ، وكذا الميم غالباً ؛ كلاته فامتأ

٧ - التضمين - (وهو أن يُؤدَّى فعل - أو ما في معناه - مؤدَّى فعل آخر

= وسُمع محوته فامسح ، ومزته فامسز . والأصل : امسح وانماز ؛ فقلبت النون ميأ وأدغمت . وقد يستغنون عنه به في غير ذلك ، كاسترو واستد . « وقد يتشاركان في غير ذلك » ؛ كمجيت الشيء فانحجب واحتجب (انظر ما يتصل بهذا في الملاحظة السالفة) .

(و) (فَعَّلَ) - بتشديد العين ، بشرط ألا تكون همزة - ويحى لمعان ؛ منها : « تعدية اللازم ، أو : ذى الواحد » (يريد : أو : المتعدى لمفعول واحد) ؛ كقَرَحَت عليها ، وخَوَفْتَهُ صالحاً .

و « التكثير في الفعل » ؛ كطَوَّفَ محمود ؛ أى كثر طوافه - ومنه قولهم : يهدم الصدر الضيق ما شيده العقل - . أو : في الفاعل ؛ كبركت الإبل . أو : في المفعول ، كفلقت الأبواب .
و « السلب » ؛ كقَرَدَت البعير ؛ أى : أزلت قراده . و « التوجه » ؛ كسَرَقَ وغَرَبَ ، أى : توجه إلى الشرق والغرب . و « نسبة المفعول إلى ما اشتق الفعل منه » ؛ كفسَّطته ، أى : نسبته إلى الفسق . و « الصيرورة » ؛ كمجَزَّت الناقة ؛ أى : صارت عجوزاً . و « لأصل الفعل » مثل : فكَّرَ ، أى : تفكَّرَ .

ومن « فَعَّلَ » ما صيغ من المركب لاختصار حكايته ؛ نحو : هلَّلَ ، إذا قال : لا إله إلا الله ، و « أَمَّنْ » إذا قال : آمين ، و « أَيْهَ » إذا قال : أيها الرجل ، ونحوه . . .)
وتشديد العين على الوجه السالف يفيد أحياناً « التكرار والتفهل » ؛ نحو : علَّمت الطالب ، وبصَّرته بالحقائق . . . - وتقدم البيان في رقم ٣ من ص ١٦٥ ، وهامشه .

وما يلاحظ أن « الصبان » قرر هنا أن صيغة « فَعَّلَ » تنحى لتعدية : « اللازم ، أو ذى الواحد » مع أنه قرر (في ج ٢ آخر باب : تعدى الفعل ولزومه) قراراً آخر نصه : « (قال في المغنى : التضعيف سماعى في اللازم وفي المتعدى لواحد ، ولم يسمع في المتعدى لاثنتين . وقيل : قياسى في الأولين .) » ا هـ . فبأى الرأيين نأخذ ؟

الأنسب الأخذ بالرأى الذى يشمل اللازم والمتعدى لواحد - كما سبق - ؛ لأنه يتضمن تيسيراً بغير ضرر لغوى ولا فساد .

(انظر ما يتصل بهذا البحث ، في ج ٤ باب : « التصريف » . م ١٨٠ ص ٦٩٤ « ب » معانى أحرف الزيادة . . .) .

(ز) (استفعَلَ) يحى لمعان ، منها : « الطلب » ؛ كاستغفرت الله - أى : طلبت منه المغفرة - و « عد الشيء متصفاً بالفعل » ؛ كاستسمت فلاناً ؛ أى : عدته سمينا . و « الصيرورة » ؛ كاستحجر الطين ، أى : صار حجراً . و « لوجدان الشيء متصفاً بالفعل » ؛ كاستوبأت الأرض ، وجدها وبهية . و « المطاوعة » ؛ كأرحته فاستراح . - (وقد أشرنا إلى أن إيضاح « المطاوعة » مدون في رقم ٤ من هامش ص ١٠٠ -) - ثم انظر رقم (٢) من هامش ص ١٦٦ .

(ح) (افعلَّ) وافسَلَّ - بتشديد اللام فهما - وأكثر مجيئهما للألوان ثم الغيوب الحسية ، وقد يجيئان لغيرهما ؛ كإنقضَّ الطائر ، أى : سقط ؛ واملأ الشيء من الملامسة . والأكثر في ذى الألف العروض ، (أى : أن الأكثر في المشتمل على الألف بعد العين أن يكون أمراً عارضاً غير ملازم . =

أو ما في معناه ؛ فيُعْطَى حكمه في التعدية وال لزوم ^(١) . ومن أمثله في التعدية : لا تعزموا السفر ؛ فقد عُدِّيَ الفعل . « تعزم » إلى المفعول به مباشرة ؛ مع أن هذا الفعل لازم لا يتعدى إلا بحرف الجر ^(٢) ؛ فيقال : أنت تعزم على السفر . وإنما وقعت التعدية بسبب تضمين الفعل اللازم : « تعزم » معنى الفعل المتعدي : تَسَوَّى ، فنصب المفعول بنفسه مثله ؛ فمعنى : « لا تَعْزَمُوا السفر » لا تَسَوَّوْا السفر . . . ومثل : رَحُبَتْكُمْ الدار - وهو مسموع - فإن الفعل : « رَحُبَ » لازم ؛ لا يتعدى بنفسه إلى مفعول به ^(٣) . ولكنه تضمن معنى : « وَسِعَ » فنصب المفعول به « الكاف » مثله ؛ إذ يقال وَسِعَتْكُمْ الدار ؛ بمعنى : اتسعت لكم . ومثل : طَلَعَ القمرُ اليمنَ ، - وهو من الأمثلة المسموعة أيضاً - والفعل : « طَلَعَ » ^(٤)

= وفي ساقطها اللزوم . وقد يكون الأول لازماً كقوله تعالى في وصف الجنيتين : « مُدْهَمَّتَانِ » وإشافي عارضاً ؛ كاحمر وجهه خجلاً .

(ط) (أفعول) يحىء لمان منها : « المبالغة » ؛ نحو اخشوش الشعر ، أى : عظمت خشونته واعشوش المكان كثر عشبه . و « الصيرورة » نحو : احلولى . الشيء ، أى صار محلولاً . (١) عرفة كثير من النحاة بأنه : « إشراب اللفظ معنى لفظ آخر ، وإعطائه حكمه ؛ لتؤدى الكلمة معنى كلمتين » . لكن التعريف الذى ذكرناه هو الذى ارتضاه المجمع اللغوى القاهرى من بين تعريفات كثيرة ؛ - كما ورد في الجزء الأول من مجلته ص ١٨٠ وما حوّلها . وكما في ص ٢٠٢ من محاضر جلساته في دور الانعقاد الأول - . وفي المرجعين السالفين بحث لطيفة وأقية في أمر « التضمين » من نواحيه المختلفة . وقرار المجمع في ص ١٨٠ المشار إليها صريح في أن « التضمين » قياسى بشروط ثلاثة ؛ (أوما : تحقق المناسبة بين الفعلين . ثانياً : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس . ثالثاً : ملائمة التضمين للذوق العربى . ويوصى المجمع بعدم الالتجاء إلى التضمين إلا لغرض بلاغى) .

لكن أياكون التضمين فى الفعل وما شابهه - نوعاً من الجواز ، أم من الحقيقة ، أم مركباً منها ؟ وهل يختلف التضمين بمعناه السالف النحوى عن : « التضمين البيانى » وهو الذى يقضى بتقدير حال محذوفة موضعها قبل الجار والمجرور ، مناسبة فى معناها لهما ، ويتعلق بها الجار والمجرور من غير حاجة إلى إعطاء كلمة معنى كلمة أخرى لتؤدى المعنيين ، كما يقول النحاة ؟ وهل يمكن وجود التضمين السماعى ؟ كل هذا وأكثر منه وأوفى وأوضح ، مدون فى المرجعين السالفين وقليل منه مدون فى حاشية الصبان قبل آخر الباب . وكذلك عرض له « ياسين » فى حاشيته على « التصريح » - أول الجزء الثانى ، باب « حروف الجر » هذا تحت عنوان : « فصل - فى ذكر معانى الحروف الجارة » - عرضاً محمود الإسهاب ، فى نحو أربع صفحات كبيرة ، وقرر أن المختار أنه سماعى .

وقد سجلنا فى آخر هذا الجزء الثانى - ص ٥٦٦ - بحثاً نفيساً خاصاً به ؛ لا يستغنى عنه المتخصصون . ثم أبدينا فيه رأينا بإيجاز . وهو بحث لأحد أعضاء المجمع اللغوى القاهرى ألقاه صاحبه على زملائه . ثم تبعه فى الجلسة نفسها بحث لعضو آخر . وقد سجلتهما - مع المناقشات التى دارت حولهما - مجلة المجمع ، ونقلنا ذلك كله فى ص ٥٦٦ وما يليها ، مختوماً برأينا الخاص فى « التضمين » . (٢ ٢) هذا كلامهم . كيف وقد ورد متعدياً صراحة فى القرآن وفى الكلام العربى ؟ فقيم التأويل ؟

— بضم اللام^(١) — لازم ، ولكنه نصب المفعول به بنفسه بعد أن ضُمّن معنى : « بَلَغَ » .

ومن أمثلة جعل المتعدى لازماً : « سَمِعَ اللهَ لِمَن حَمَدَهُ » . فالفعل : « سَمِعَ » في أصله متعدّد بنفسه ، ولكنه هنا تضمن^(٢) معنى : « استجاب » فتعدى مثله باللام ، وهكذا . . .

والصحيح عندهم أن التضمين قياسي ، والأخذ بهذا الرأي يفيد اللغة تيسيراً واتساعاً^(٣) . ولما كان الفعل في التضمين لا يتعدى إلا بعد أن يستمد القوة من فعل آخر ، فقد وُصف بعد هذه التقوية بأنه في حكم المتعدى ، وليس بالمتعدى حقيقة ؛ لأن المتعدى الحقيقي لا تتوقف تعديته على حالة واحدة تجيئه فيها المعونة من غيره .

٨ — إسقاط حرف الجر توسعاً ، ونصب المجرور على ما يسمى : « نزع الخافض^(٤) » . وهذا — مقصور على السماع الوارد فيه نفسه ، دون استعمال آخر^(٥) . . . كقوله تعالى : (أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِكُمْ) ، أى : عن أمره . وهذا

(١) كشأن جميع الأفعال التي على وزن : « فَعَلَ » — بفتح فضم — وقد نقلنا في رقم ١ من هامش ص ١٥٤ عن صاحب المغني أنه لم يرد من هذه الصيغة متعدياً إلا رُحِبَ . وطلُعَ — بضم ثانيهما . فيما يعرف ، ولكن هذا التحديد والحصر مدفوعان بمثل : « بَصُرَ » كما قلنا هناك ، وذكرنا مرجعه ، وكما سيحيى أيضاً في رقم ٣ من هامش ص ١٨٣ .

(٢) قد ورد في كلام عربي أصيل ، فقيم التضمين ؟

(٢) ويمتاز التضمين من بقية وسائل التعدية بأنه قد ينقل الفعل اللازم طرفة إلى أكثر من مفعول واحد ؛ ولذلك عُديّ : « آلَوْتُ » بمعنى : « قصّرت » إلى مفعولين بعد أن كان الفعل قاصراً ، ذلك في نحو قولهم : لا آلوكم نصحاً ؛ لأنه تضمن معنى : « لا أمنعك » الذي ينصب مفعولين . وعُدّيّ : « أخبر ، وخبر ، وحدث ، ونبأ » إلى الثلاثة ، بعد أن تضمنت معنى : « أعلم » وبعد ما كانت متعدية إلى واحد بنفسها وإلى آخر بحرف الجر ، نحو قوله تعالى : (أنبئهم بأسمائهم) — (فلما أنبأهم بأسمائهم) — (نبتوني بعلم) .

(٣) وهو نوع مما يسمى : « الحذف والإيصال » وهذا النوع من نصب المجرور على « نزع الخافض » غير حذف حرف الجر حذفاً قياسياً مع بقاء الجر — طبقاً لما سيحيى في ص ٥٣٤ .

(٤) قال الصبان في هذا الموضع ما نصّه في حكم النصب على نزع الخافض : (إنه مخصوص بالضرورة ؛ فلا يجوز لنا استعماله ثراً — أى : في غير الضرورة الشرعية ولو في منصوبه المسموع) ١٥٨ وقال في أول باب المفعول له — ج ٢ — (إن النصب به سماعي على الأرجح .) ١٥٩

وقد سبقت الإشارة الوافية لهذه المسألة في ص ١٥٩ ، (وفي ج ١ في رقم ٣ من هامش ص ١٠٣ — م ٧ عند شرح بيت ابن مالك الذي أوله — وسيأتى هنا — فافزع بضم وانصبن فتحاً ...) .

— كسابقه^(١) — يكون فيه الفعل في حكم المتعدى وليس بالمتعدى حقيقة؛ مراعاة لأنه العامل في المجرور معنى ، ولكن لا دخل له في نصبه .

إلى هنا انتهى الكلام على أشهر الوسائل لتعدية الفعل اللازم ، ومنها يتضح ما أشرنا إليه^(٢) قبل سردها ، وهو :

أن كل وسيلة تؤدي مع تعدية الفعل اللازم معنى خاصاً لا تؤديه أختها — في الغالب — وأن تلك الوسائل قياسية مطردة ، ما عدا : إسقاط حرف الجر توسعاً ، مع نصب المجرور على نزع الخافض ؛ فإن إسقاطه بهذه الصورة^(٣) مقصور على السماع .

ولا داعي للأخذ بالرأى القائل إنه قياسي إذا وُجد حرف جر سابق نظير للحرف المحذوف ، ولو فصل بينهما فاصل ، كبيت ابن مالك :

فَارْفَعْ بِضَمٍّ ، وَانْصِبْ فَتْحًا وَجُرْ كَسْرًا ، كَذَكَرُ اللَّهِ عَبْدُهُ يَسُرُّ
أى : انصب بفتح ، وجر بكسر . لا داعي للأخذ بهذا الرأى ؛ منعاً للخلط ، ودفعاً للإلباس ؛ إذ قد يقع في وهم كثيرين أن الفعل متعدٍ بنفسه .

— انظر ما يتصل بهذا في رقم ١ من هامش ص ١٦٢ و ١٥٨ .
(١) كما سبقت لهما الإشارة في رقم ١ من هامش ص ١٥٨ . لكن كيف يكون منصوباً على نزع الخافض مع وروده منصوباً صريحاً في القرآن الكريم ؟ فلم التقدير ؟

(٢) في ص ١٥٨ .

(٣) كما سيجيء في ص ٥٣٥ — ويلاحظ الفرق بينها وبين حذف الجار قياساً مع بقاء معموله مجروراً ، على الوجه الذى سيجيء في ص ٥٣٤ كما يلاحظ ما سبق (في رقم ٥ من هامش ص ١٦١) من أنواع حذف الجار ، وحكم كل نوع •

.

زيادة وتفصيل :

سبق تعريف « المغالبة ^(١) » ، ووعدنا أن نتكلم عليها هنا ، ملخصين آراء الباحثين فيها :

جاء في مقدمة « القاموس » — في المقصد الأول الخاص ببيان الأمور التي امتاز بها القاموس ، عند تعليق المصحح على الأمر الخامس ، والكلام على الأمور التي توجب ضم العين في المضارع ضمًا قياسيًا ، ومنها أن يكون دالا على المغالبة — التعليق التالي :

(« قوله : أو دالاً على المغالبة . . . » يقتضى أن باب المغالبة قياسي ؛ وليس كذلك ، كما يدل عليه عبارة الرضى ؛ حيث قال (واعلم أن باب المغالبة ليس قياسياً بحيث يجوز نقل كل لغة إلى هذا الباب . قال : س ^(٢) . « وليس في كل شيء يكون هذا ؛ ألا ترى أنك لا تقول نازعني فنزعته أنزع به بضم العين [وهى الزاى] ، للاستغناء عنه بغلبته . وكذا غيره . بل نقول هذا الباب مسموع كثير ») اهـ .

وقال صاحب القاموس في الجزء الرابع مادة : الخصومة : ما نصه :

(الخصومة : الجدل — خاصمه مخاصمة ، وخصومة ؛ فخصمه يخصمه : غلبه ، وهوشاذ ، لأن فاعلته ففعلته يُردّ « يفعل » منه (أى : المضارع منه) إلى الضم ، إن لم تكن عينه حرف فإنه بالفتح ؛ كفأخره ففخره يفخره . وأما المعتل كوجدت وبعث فيردّ إلى الكسر إلا ذوات الواو ؛ فإنها تردّ إلى الضم ؛ كراضيته فرضوته أرضوه — وخافني فخفّته أخوفه . وليس في كل شيء ^(٣) ؛ فلا يقال : نازعته أنزع ؛ لأنهم استغنوا عنه بغلبته) .

وقال الجاربردى في شرح الكافية ^(٤) :

« معنى المغالبة : ما يذكر بعد المفاعلة مسنداً إلى الغالب » . أى : المقصود

(١) في رقم ١ من هامش ص ١٦٧ .

(٢) يريد : سيبويه .

(٣) أى : لا يقال هذا في كل شيء ، وإنما يقال في بعض الحالات دون بعض .

(٤) وقد نقلنا كلامه عن ص ٦٨ ج ١ من المواهب الفتحية .

بيان الغلبة في الفعل الذي جاء بعد المفاعلة ، على الآخر . فإذا قلت : كَارَمَنِي ، اقتضى أن يكون من غيرك إليك كرم ، مثل ما كان منك إليه ؛ فإذا غلبته في الكرم فإنك تبنيه على « فَعَلَّ » بفتح العين ؛ لكثرة معانيه . ثم خصوا من أبوابه بالرد إليه ما كان عين مضارعه مضمومة ، وإن كان من غير هذا الباب ، نحو كَارَمَنِي فَكَرَمْتُهُ ، يَكَارِمُنِي فَأَكْرُمُهُ ، وَضَارِبُنِي فَضَرَبْتُهُ ، يَضَارِبُنِي فَأُضْرِبُهُ (بضم الراء في المضارع) فهذا قد ضربته وضربك ، ولكنك قد غلبته في الضرب . ويجوز ألا يكون قد ضربك ، وإنما ضربتما غيركما ؛ لتغلبه في ذلك ، أو لتغلبك ، كذا البواق .

(وإنما فعلوا ذلك لأن « الفَعْلَ » بمعنى المغالبة قد جاء كثيراً من هذا الباب ؛ نحو الكَسِرُ ؛ وهو : الغلبة في الكَسِرِ ، والكَثَرُ ، وهو الغلبة في الكثرة ، والقَسَمُ ؛ وهو الغلبة في القمار ، فنقلوا من غير ذلك الباب أيضاً إليه ، ليدل على المراد الموضوع ؛ ثم استثنوا من هذه القاعدة معتل الفاء ؛ وأوياً كان نحو : وعد ، أو يائساً نحو : يسر ؛ فإنه لا ينقل إلى « يفْعَلُ » بضم العين ، لثلا يلزم خلاف لغتهم ؛ إذ لم يجيء « مثال »^(١) مضموم العين . فيقال : واعدني فوعدته أعده ، ويأسرنِي فَيَسِرْتُهُ ، ومعتل العين أو اللام ، اليائى ؛ فإنه لا ينقل إلى « يفْعَلُ » بالضم ، بل يبقى على الكسر ؛ فيقول يابغي فبعته أبيعه ، وراماني فرميته أرميه ؛ إذ لم يجيء أجوف ولا ناقص يأتي من : يفْعَلُ » بالضم ؛ لأنك لو ضمنت عينه لا قلب حرف الياء وأوياً فيلتبس بذوات الواو . ومثل هذا قاله الرضى وغيره من شراح الكافية) اهـ .

وجاء في الهمع (ج ٢ ص ١٦٣) في فعَل يفْعَل ما نصه : « لزموا الضم في باب المغالبة . على الصحيح ؛ نحو : ضاربني فضربته أضربُهُ — وكأبرني فكسبَرته أكسبَرُهُ ، وفاضلني ففضلته أفضله . وجوز الكسائي فتح عين مضارع هذا النوع إذا كان عينه أو لامه حرف حلق ؛ قياساً ؛ نحو : فاهمني ففهمته أفهمه ، وفاقهني ففقهته أفقهه ، وحكى الجوهري : واضأني فوضأته ، أوضؤه ؛ قال : وذلك بسبب الحرف الحلقى . وروى غيره : وشاعرتة فشعرتة ، أشعَرُهُ .

.....

 وفاخرته ففخرته أفخره ، بالفتح ، ورواية أبي ذرّ بالضم » ١ هـ .

ورأى الكسائي - مع قلته - حسن ؛ لأن فيه تيسيراً باستعمال ضبطين في بعض الصور والأساليب . والعجيب أن اللغتين شائعتان - حتى اليوم - في كثير من نواحي الإقليم الجنوبي « الصعيد » المصري .

مما تقدم - عن باب : المغالية - يعلم أنه مسموع كثير عند سيبويه . والوصف بأنه مسموع كثير يؤدي إلى الحكم بأنه قياسي ، وكذلك يعلم من قول شارح الكافية السابق - وهو : « أنك تبنيه على كذا - أن هذا من عملك ؛ فهو مقيس لك ؛ لكثرتة . وهذا رأى ابن جنى أيضاً في كتابه : « الخصائص » ج ١ عند الكلام على المغالية » .

وخير ما يلخص به الموضوع تلخيصاً وافياً حكيماً هو ما جاء في الجزء الثاني من مجلة المجمع اللغوى القاهرى ص ٢٢٦ ، ونصّه (١) :

« ذهب بعض إلى أن المغالية ليست قياساً ؛ وإنما هي مسموعة كثيراً . وذهب بعض إلى أن استعمالها مطرد في كل ثلاثى متصرف تام خال مما يلزم الكسر . وإنه يكفى أنه مسموع كثير لنقيس عليه ، كما قرر المجمع ، وكما قال ابن جنى » ١ هـ . وهذا هو الحكم الموفق الذى يحسن الاقتصار عليه .

(١) بقلم شيخ الجامع الأزهر - الأخضر حسين ، وكان - رحمه الله - أحد أعضاء المجمع اللغوى الأجلاء .

المسألة ٧٢ :

تعدد المفعول به ، وما يتَّبَعُ هذا من ترتيبه^(١) ، وحذف

عرفنا أن الفعل المتعدى قد يتعدى — مباشرة — إلى مفعول به واحد^(٢) ؛
نحو : عدل الحاكم يكفل السعادة للمحكومين . أو إلى مفعولين أصلهما
المبتدأ والخبر ، نحو : رأيت الظلم أقرب طريق للخراب . أو ليس أصلهما
المبتدأ والخبر ؛ نحو : منعبت النفس التسرع في الرأي . وقد ينصب ثلاثة ؛ نحو :
علمنى العقل الاعتدال واقياً من البلاء ... ولا يتعدى الفعل لأكثر من ثلاثة .

(١) فإن كان الفعل متعدياً لاثنتين أصلهما المبتدأ والخبر جاز مراعاة هذا
الأصل في ترتيبهما فيتقدم المفعول به الذى أصله المبتدأ على المفعول به الذى
أصله الخبر ؛ — ففى مثل : (الصبر أنفع فى الشدائد ...) يجوز ؛ حسب
الصبر أنفع فى الشديد ، كما يجوز : حسب أنفع فى الشدائد الصبر ، لكن مراعاة
الأصل أحسن .

وقد تجب مراعاة الأصل فى المواضع التى يجب فيها تقديم المبتدأ على الخبر^(٣) ؛
كأن يؤدى عدم الترتيب إلى الوقوع فى اللبس ؛ ففى نحو : خالد محمود ...
(المراد : خالد كمحمود) نقول : ظننت خالداً محموداً ؛ فلو تقدم الثانى لاختلط
الأمر والتبس ؛ إذ لا يمكن تمييز المشبه من المشبه به ؛ لعدم وجود قرينة تساعد على
هذا ؛ فيكون التقديم بمراعاة الأصل هو القرينة .

وقد تجب مخالفة الأصل ؛ فيتقدم المفعول الثانى فى المواضع التى يجب فيها
تقديم الخبر على المبتدأ^(٤) ؛ كأن يكون فى المفعول الأول ضمير يعود على الثانى ؛
نحو : ظننت فى البيت^(٥) صاحبه .

(١ و ٢) سبق — فى ص ٨٦ — حكم « المفعول به » الواحد من ناحيتى تقدمه وتأخره فى الجملة .
(أى : من ناحية ترتيبيه فيها) .

(٣ و ٤) وقد سبق البيان فى بابهما بالجزء الأول م ٣٧ ص ٦١ .

(٥) سبق فى (ص ٢٤ من باب « ظن وأخواتها ») أن المفعول الثانى للأفعال القلبية يجوز أن
يكون جملة ، وأن يكون شبه جملة ، كالمثال المذكور هنا . وقد وجب فيه التقديم على المفعول الأول كى
لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ وهذا ممنوع إلا فى مواضع أخرى محدودة ، ليس منها هذا الموضع .

فأحوال الترتيب بين المفعولين ثلاثة : حالة يجب فيها مراعاة الأصل بتقديم ما أصله المبتدأ وتأخير ما أصله الخبر، وحالة يجب فيها مخالفة هذا الأصل، وثالثة يجوز فيها الأمران. وقد تقدم هذا مفصلاً في موضعه الأنسب من باب : ظن « وأخواتها »^(١).

(ب) إن لم يكن أصلهما المبتدأ والخبر فالأحسن تقديم ما هو فاعل في المعنى على غيره ؛ نحو : أعطيت الزائرَ وردةً من الحديقة . « فالزائر » هو الآخذ ، و « الوردة » هي المأخوذة ؛ فهو في المعنى بمنزلة الفاعل ؛ وهي بمنزلة المفعول به ، وإن كانت هذه التسمية المعنوية لا يلتفت إليها في الإعراب . ويجوز مخالفة الأصل ؛ فيقال : أعطيت وردةً من الحديقة الزائرَ . لكن الترتيب أحسن .

وقد يجب التزام الترتيب بتقديم الأول حتماً وتأخير الثاني في مواضع ، أشهرها ثلاثة :

١ - خوف اللبس ؛ نحو أعطيت محموداً زميلاً في السفر . فلا يجوز تقديم الثاني ؛ إذ لو تقدم لم يتبين الآخذ من المأخوذ ، ولا قرينة تزيل هذا اللبس ، ولا وسيلة لإزالته إلا بتقديم ما هو فاعل في المعنى على غيره ؛ ليكون التقديم هو الدليل على أنه الفاعل المعنوي .

وفي هذه الصورة يجوز تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول وعلى الفعل معاً ؛ لعدم اللبس في هذه الحالة ؛ نحو زميلاً في السفر أعطيت محموداً .

٢ - أن يكون الثاني واقعاً عليه الحصر^(٢) ؛ نحو : لا أكسو الأولاد إلا المناسب ، فلو تقدم الثاني لفسد الحصر ، ولزال الغرض منه .

ولا مانع من تقديمه مع « إلا » ، على المفعول الأول ؛ إذ لا ضرر من هذا ، لأن المحصور فيه هو الواقع بعد « إلا » مباشرة ؛ نحو : لا أكسو إلا المناسب الأولاد .

٣ - أن يكون الأول ضميراً متصلاً والثاني اسماً ظاهراً ؛ نحو : منحتك الود . (لكن لا مانع من تقديم المفعول الثاني على الأول والفعل معاً ، نحو الود منحتك) .

وتجب مخالفة الترتيب في مسائل ، أشهرها ثلاثة أيضاً :

١ - أن يكون المفعول الأول (أى : الفاعل في المعنى) محصوراً نحو : ما أعطيت

(١) ص ٢٣ م ٦٠ .

(٢) تقدم في ج ١ ص ٣٦٤ م ٣٧ إيضاح للحصر (معناه وطريقته) .

المكافأة إلا المستحق. ويجوز تقديمه مع «إلا» على المفعول الأول وحده ، دون عامله .

٢ - أن يكون المفعول الأول - الذى هو فاعل معنوى - مشتملا على ضمير يعود على المفعول الثانى ؛ نحو : أسكنت البيت صاحبه . فإن كان الثانى هو المشتمل على ضمير يعود على الأول جاز الأمران ، نحو : أسكنت محمداً بيته ، أو : أسكنتُ بيته محمداً .

٣ - أن يكون المفعول الثانى ضميراً متصلاً ، والأول (أى : الفاعل المعنوى) اسماً ظاهراً ؛ نحو : القلم أعطيته كاتباً . . .

فأحوال الترتيب ثلاث فى هذا القسم « ب » ؛ هى : وجوب التزامه فى ثلاثة مواضع ، وجوب مخالفته فى ثلاثة أخرى ، وجواز الأمرين فى غير المواضع السالفة ^(١) .

(ح) إن كان الفعل متعدياً لثلاثة ، فالأول منها كان فاعلاً ، وقد صيرته همزة النقل مفعولاً به ^(٢) ، فالأصل الذى يراعى فيه أن يقدم على المفعول الثانى والثالث . وأصلهما - الأرجح - مبتدأ وخبر ؛ فيراعى فى الترتيب بينهما ما يراعى بين المبتدأ والخبر ؛ طبقاً للبيان الذى سبق ^(٣) (عند الكلام على حكم الناسخ ومعمولييه من ناحية التقديم والتأخير) .

* * *

(١) ترك ابن مالك الكلام على أحوال القسم الأول : « أ » - واقتصر على أحوال هذا القسم :

« ب » فقال بإيجاز :

وَالْأَصْلُ سَبْقُ فَاعِلٍ مَعْنَى ؛ « كَمَنْ » مِنْ : « أَلْبَسَنْ مَنْ زَارَكُمْ نَسَجَ الْيَمَنُ »

ويلزم الأصل لِجُوبِ عَرَى وَتَرَكَ ذَاكَ الْأَصْلُ حَتْمًا ، قد يرى

يريد : إذا تعدى الفعل لمفعولين ، أحدهما فاعل فى المعنى ، فالأصل المستحسن أن يتقدم هذا المفعول على غيره . وساق مثالا هو : « ألبس من زاركم نسج اليمن » . فكلمة : « من » مفعول به ، وهى من ناحية المعنى - لا الاصطلاح النحوى - بمنزلة الفاعل ؛ لأن مدلولها هو : اللابس ، « ونسج اليمن » ، هو الملبوس . وفى هذه الحالة يراعى الأصل بتقديم المفعول الذى هو فاعل معنوى ، ويجوز عدم مراعاته ؛ فنقول : ألبس نسج اليمن من زاركم والمراعاة أحسن ثم صرح بعد ذلك بأن مراعاة هذا الأصل قد تلزم بسبب موجب لمراعاتها قد عرا ، - أى : حل ووجد - كما صرح بأن ترك مراعاة الأصل قد يرى حتماً ، أى : قد يرى أمراً محتوماً ، واجباً . (حتماً : مفعول يرى) .

حذف المفعول به :

الأغلب أن يؤدي المفعول به معنى ليس أساسياً^(١) في الجملة ؛ فيمكن الاستغناء عن المفعول به من غير أن يفسد تركيبها ، أو يخلل معناها الأساسي ، ولهذا يسمونه : « فضلة » (وهي اسم يطلقه النحاة على كل لفظ معناه غير أساسي في جملته).

بخلاف المبتدأ ، أو الخبر ، أو الفاعل ، أو نائبه . . . أو غير هذا من كل جزء أصيل في الجملة لا يمكن أن تتكون ولا أن يتم معناها الأساسي إلا به ، مما يسميه النحاة « عُمدة » .

بالرغم من أن المفعول به فضلة — فقد تشتد الحاجة إليه أحياناً ؛ فلا يمكن الاستغناء عنه في بعض المواضع ، ولا يصح حذفه فيها ، كما سنرى . أما في غيرها فيجوز حذفه — واحداً أو أكثر — لغرض لفظي ، أو معنوي .
١ — فمن اللفظي : المحافظة على وزن الشعر ، كقول شوقي :

ما في الحياة لأنْ تُعَا تِب أو تجاسِبْ مُتَّسِعْ

(أى : تعاتب المخطئ أو تحاسبه^(٢)) . . . ، ومنها : المحافظة على تناسب القواصل^(٣) نحو قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم : (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى — إلا تذكرةً لمنْ يَخْشَى) ، وقوله : (والضُّحَا والليل إذا سَجَا^(٤) — ما ودَّ عك ربك ؛ وما قَلَا^(٥)) فحذف مفعول الفعل : « يخشى » ولم يقل : « يخشاه » أو : يخشى الله ؛ لكي تنتهي الجملة الثانية بكلمة مناسبة في وزنها لكلمة : « تَبَشَّى » التي انتهت بها الجملة الأولى . وكذلك الفعل : « قَلَا » الذي حذف مفعوله ؛ فلم يقل : « قلاك » ليكون مناسباً في وزنه للفعل : « سَجَا » .

(١) هذا في غير مفعول « ظن » وأخواتها ، لأن أصلهما المبتدأ والخبر — غالباً — ، فهما عمدتان بحسب أصلهما ، (كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٣ وقد سبق الكلام على حذفهما في ص ٥٦ م ٦٣) .
(٢) ومثل قول الشاعر :

شكركُ ؛ إن الشكر نوع من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضى
يريد : يقضى حقها من الشكر . . ، أو يقضى شكرها . . .

(٣) الكلمات التي في نهاية الجمل المتصلة اتصالاً معنوياً .

(٤) هداً وسكناً ، وخلا من الرياح والعواصف ، وأشباهها .

(٥) كثره .

ومنها : الرغبة فى الإيجاز ؛ نحو* : دعوت البخیل للبذل ، فلم يقبل ، ولن يقبل .
أى : لم يقبل الدعوة ، أو البذل ، ولن يقبل الدعوة أو البذل . . .

بـ - ومن المعنوى : عدم تعلق الغرض به ، كقول البخیل لمن يعيبه بالبخل : طالما أنفقتُ ، وساعدتُ ، وعاونتُ ؛ أى : طالما أنفقت المال ، وساعدت فلاناً ، وعاونت فلاناً^(١) .

أو : الترفع عن النطق به ؛ لاستهجانته ، أو : لاحتقار صاحبه ، أو نحو هذا من الدواعى البلاغية وغير البلاغية .

فإذا اشتدت حاجة المعنى إلى ذكر المفعول به بحيث يختل المعنى أو يفسد بحذفه لم يجوز الحذف ؛ كأن يكون المفعول به هو الجواب المقصود من سؤال معين ؛ مثل : ماذا أكلت ؟ فيجواب : أكلت فاكهة* . فلا يجوز حذف المفعول به : « فاكهة » لأنه المقصود من الإجابة ؛

أو : يكون المفعول به محصوراً ؛ نحو : ما أكلت إلا الفاكهة* .
أو : يكون مفعولاً به مُتَعَجِّباً منه بعد صيغة : « ما أفعل » التعجبية ، نحو : ما أحسن الحرية* .

أو : يكون عامله محذوفاً ؛ نحو : قول القائل « عند نزول المطر : خيراً لنا ، وشرّاً لعدونا ، أى : يجلب خيراً . . .

وليس هذا الحذف مقصوراً على مفعول الفعل المتعدى لواحد ؛ بل يشمل مفعولين ؛ مثل : « ظن » وأخواتها . وكذلك يشمل المفعول الثانى والثالث - دون الأول^(٢) - للأفعال التى تنصب ثلاثة ؛ مثل : « أعلم وأرى » كما سبق الكلام على

(١) وقد حذفت المفعولات ؛ لأن الغرض الهام من الجملة ليس فلاناً وفلاناً من الأشخاص المعينة ؛ إنما الغرض هو : البذل والإعطاء لهذا أو لذلك بغير تعيين . ومن هذا قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى) أى : أعطى المال واتقى الله . . . وقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ؛ أى يعطيك الخير ؛ فترضاه .

(٢) لأنه فى الأصل فاعل ، وقد صيرته همزة النقل مفعولاً به (راجع البيان الخاص بهذا فى ص ٥٨ ثم فى ص ٦٠) .

هذا وإيضاحه بالأمثلة^(١).

* * *

حذف عامل المفعول به :

بمناسبة الكلام على حذف المفعول به الواحد أو المتعدد يعرض النحاة إلى حذف عامله جوازاً أو وجوباً .

(أ) فيجيزون حذفه إن كان معلوماً بقرينة تدل عليه ، مثل ؛ ماذا حصدت فتقول : قمحاً . أى : حصدت قمحاً . وماذا صنعت ؟ فتجيب : خيراً . أى : صنعت خيراً^(٢) . . .

(ب) ويوجبون حذفه في أبواب معينة ؛ منها : الاشتغال ؛ وقد سبق^(٣) ، ومنها : النداء^(٤) ، ومنها : التحذير والإغراء^(٥) ، ومنها : الاختصاص^(٦) . . . ، بالشروط

(١) في ص ٦٠ .

وقد اقتصر ابن مالك على بعض مواضع الحذف ؛ فقال :

وحذفَ فضلةً أَجَزُ إنْ لَمْ يَضُرْ كحذفِ ما سبقَ جواباً أو حُصِرَ

يقول : أجز حذف الفضلة (والمراد هنا : المفعول به) بشرط ألا يضر حذفها . ويبيّن التي يضر حذفها بأنها ما سبقت جواباً ، أو وقعت محصورة على الوجه الذي شرحناه فيها .

(هذا والفعل : « يضر » هو مضارع مجزوم ، ماضيه : « ضار » بمعنى : ضرر ، تقول ضارني البرد يضرني ، بمعنى : ضرني ، يضرني) .

(٢) من القرائن ما يدل عليه سياق الكلام ؛ كقول الشاعر :

أَمْجَداً بلا سَعَى ؟ لقد كذبتكمُ نفوسُ ثناها الذَّلَّ أن تترفعا

يريد أنحبون مجداً . . . ؟ أو نحو هذا . . .

(٣) في ص ١٢٤ .

(٤) فإن المنادى منصوب بعامل محذوف وجوباً ، تقديره : أنادي ، أو أدعو ، وحرف النداء عوض عنه (طبقاً للبيان الآتي في باب : « النداء » أول الجزء الرابع) .

(٥) يشترط في حذف العامل في التحذير أن يكون التحذير بكلمة : « إياك » ؛ نحو : إياك والكذب ، أو : مع العطف ؛ نحو : الكذب والنفاق ، أو مع التكرار ؛ نحو : النار النار . . . ويشترط في الإغراء : العطف ؛ نحو : الكرامة والشهامة . أو التكرار ؛ نحو : الحياء الحياء . . .

— وسيجيء البيان والتفصيل في الباب الخاص بالإغراء والتحذير ، ج ٤ م ١٤٠ —

(٦) إيضاحه وتفصيل الكلام عليه في بابهِ الخاص (ج ٤ م ١٣٩) .

المدونة في باب^(١) كل^٢. ومنها : الأمثال المسموعة عن العرب بالنصب ؛ نحو :
أَحْشَقًا وَسَوْءَ كَيْلَةٍ^(٣) ؟ وكذلك ما يشبه الأمثال ؛ كقوله تعالى : (انْتَهُوا . . .
خيراً لكم) ، أى : واعملوا خيراً لكم .

* * *

الاشتباه بين الفاعل والمفعول به :

سبق تفصيل الكلام عليه ، وعلى طريقة كشفه ، فى آخر باب « الفاعل »^(٣).

* * *

جَعَلَ الفعل الثلاثى المتعدى لازماً أو فى حكم اللازم^(٤) ، قياساً .

يصير الثلاثى المتعدى لواحد لازماً — قياساً — أو فى حكم اللازم لسبب مما يأتى^(٥) :

(١) بالجزم الرابع . . . وفى حذف العامل الناصب للفضلة يقول ابن مالك :

وَيُحْذَفُ النَّاصِبُ إِذَا عَلِمَا وَقَدْ يَكُونُ حَذْفُهُ مُلْتَزِمًا

أى : يجوز حذف ناصب الفضلة (والمراد بها هنا : المفعول به) إن كان الناصب معلوماً بقرينة
وقد يكون الحذف أحياناً لازماً لا بد منه .

(٢) هذا مثل قوله فى الأصل أعراى لآخريبيع القتر رديئاً ، ولا يوفى الكيل . وقد اشتهر المثل
حتى صار يقال لمن يسيء إلى غيره إساءتين فى وقت واحد . (الحشف : أردأ القتر) .

والمثل : الكلام يشبه مضر به بمورده ؛ أى : يشبه ما يستعمل فيه أخيراً بما وضع له فى الأصل .
أما ما يشبه المثل ؛ (أى : يجرى مجراه) ، فكلام مستعمل فيما وضع له من الأصل ، واستعماله
شائع ودورانه على الألسنة كثير . (٣) ص ٩٥ .

(٤) يصير لازماً بأن ينسلخ عن التعدية ، ويتركها نهائياً ؛ بحسب الظاهر ، وبحسب
الحقيقة الواقعة والمعنى ؛ كما فى السبب الثانى والثالث . ويصير فى حكم اللازم بأن يكون بحسب المظهر
الشكلى اللفظى لازماً ؛ لا بحسب المعنى والواقع الحقيقى ؛ كما فى الأول ، والرابع ، والخامس ؛ لأن
« المضمن » ، تمتد باعتبار دلالة الأصلية على معنى الفعل المتعدى ، ولأن الضعيف عن العمل ،
الاحتياج إلى مساعدة حرف الجر ، تمتد فى المعنى وفى أصله للمفعول به ، وطالب له . وكذلك الفعل فى
الضرورة . . . هكذا قالوا .

أما جعل الفعل الثلاثى اللازم متعدياً فقد سبق الكلام عليه (فى ص ١٥٨) .

(٥) ليس من المناسب الأخذ بالرأى القائل إن كل الأسباب الآتية أو بعضها مقصور على
السباع ؛ إذ لو كان كذلك ما كانت هناك حاجة إلى ذكر هذه القواطع ، ولوجب قصر الأمر
على العرب . وفى هذا توضيح وإفساد يحافى طبيعة اللغة ، وينافى أصولها ، كما سبق فى الحالة الأخرى
(رقم ٢ من هامش ص ١٥٨) . ويلاحظ أن الثلاثة الأولى تجلب مع منع التعدية معنى جديداً ، على
الوجه الذى سبق شرح نظيره فى طريقه تعدية الفعل اللازم ، (ص ١٥٨ م ٧١) .

١ - التضمين^(١) لمعنى فعل لازم ؛ نحو : قوله تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) ، فإن الفعل : « يحذر » متعد فى الأصل بنفسه ، تقول حذرت عواقب الغضب . ولكنه حين تضمن معنى الفعل المضارع : « يَخْرُجُ » صار متعدياً مثله بحرف الجر : « عن » . فالمراد : فليحذر الذين يخرجون عن أمره . ومثله قوله تعالى : (وَلَا تَعْدُوا عَيْنَنَا عَنْهُمْ) فالفعل ؛ « تعدوا » بمعنى « تتجاوز » متعد بنفسه ؛ كما فى مثل : أنت لا تعدوا الحق ؛ أى : لا تتجاوز الحق . ولكنه هنا متعد بحرف الجر : « عن » ؛ بسبب تضمنه معنى فعل آخر ، هو : « تنصرف » الذى يتعدى بحرف الجر : « عن » .

ومثله قول القائل : « قد قتل الله زياداً عنى » فالفعل : « قتل » فى أصله متعد بنفسه مباشرة إلى مفعول واحد ، مستغن بعد ذلك - غالباً - عن التعدية بالحرف الجارّ إلى مفعول ثان . ولكنه هنا تضمن معنى الفعل : « صَرَفَ » المتعدى بنفسه إلى المفعول الأول ، وإلى الثانى بحرف الجر : « عن » ؛ فصار مثله متعدياً بنفسه إلى الأول ، وبهذا الحرف الجارّ إلى الثانى . فالمراد : قد صرف الله بالقتل زياداً عنى ... والتضمين من الوسائل التى تجعل المتعدى فى حكم اللازم ؛ ولا تجعله لازماً حقيقياً ؛ - لما بيناه من قبل (٢) .

٢ - تحويل الفعل الثلاثى المتعدى لواحد إلى صيغة : « فَعَلَ » (بفتح أوله وضم عينه) بشرط أن يكون القصد من التحويل إما المبالغة فى معنى الفعل والتعجب منه (٤) ، نحو : نَظَرُ الْقِطِّ ، وإما المدح أو الذم (٥) مع التعجب فيهما ؛ نحو :

(١) سبق الكلام على معناه ، والغرض منه ، وحكمه (فى ص ١٦٩ وما بعدها م ٧١) وقلنا : إن فى آخر هذا الجزء بحثاً نفسياً خاصاً به ، لا يستغنى عنه المتخصصون ، ويليه رأينا فيه بإيجاز .

(٢) فى رقم ١ من هامش ص ١٥٨ وفى ص ١٧١ .

(٣) وإنما كان تحويل الفعل الثلاثى المتعدى ، إلى هذه الصيغة مؤدياً إلى لزومه لأنها صيغة لا تكاد تستعمل إلا لازمة ، إذ لم يرد منها فى المسموع متعدياً إلا فعلان - فيما يقول ابن هشام - هما : رَجَبٌ ، وطلُعٌ (بفتح أولهما وضم ثانيهما) على الوجه الذى سبق بيانه ورفضه فى رقم ١ من هامش ص ١٥٤ .

(٤) بشرط استيفاء الفعل لشروط التعجب المدونة فى بابه الخاص - ج ٣ (ص ٢٠٤ و ص ٢٩٣) .

(٥) يجوز تحويل الفعل الثلاثى إلى : فَعَلَ - بضم العين - ليكون للمدح أو الذم كنم وبش على الوجه المشرح فى بابهما (ج ٣) مع أوجه اختلاف بينهما ؛ أشهرها : =

سَبَقَ الفيلسوفُ وفَهَّم . وذلك في مدحه بالسبق والفهم . ومنعُ القادرُ وحُبُسُ ؛
عند ذمه بمنع المعونة وحبسها .

٣ - الإتيان بمطامع^(١) للفعل الثلاثي المتعدى لواحد ؛ نحو : هَدَمْتُ
الحائط المائل ؛ فانهدم ، ثم بنيتهُ ؛ فانبني .

٤ - ضَعَفَ الفعل الثلاثي عن العمل بسبب تأخيره عن معموله ؛ نحو ،
قوله تعالى : (. . . إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) ، وقوله تعالى : (. . . الَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) .

ومثله العامل الوصف الذى يعتوره الضعف بسبب أنه من المشتقات ؛ مثل
قوله تعالى : (فَعَالَا لما يريدُ) ، وقوله : (مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ) ، والأصل :
إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُرُونَ الرؤيا - الذين يرهبون ربهم - فعَالَ ما يريد - مصدِّقًا
ما بين يديه . . .

وفى كل ما سبق تجيء قبل المعمول لام الجر ، وتسمى : « لام التقوية » ؛
لأنها تساعد العامل على الوصول إلى مفعوله المعنوى الحالى الذى كان فى الأصل
مفعوله الحقيقى .

والضعف على الوجه السابق يجعل المتعدى فى حكم اللازم ، وليس لازماً
حقيقة (٢) .

= أمران فى معنى : « فَعَلْ » ؛ وهما : لإشراجه التعجب مع عدم الاختصار على الملح الخالص أو الذم
الخالص ، وأنه للمدح الخاص بمعنى الفعل ، أو الذم الخاص كذلك ، لا العام الشامل الذى لا يقتصر
فيهما على معنى الفعل .

وأمران فى فاعله الظاهر ؛ وهما : جواز خلوه من « أَل » المباشرة وغير المباشرة ؛ نحو قوله تعالى :
(وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا) ، وجواز جره بالباء الزائدة ؛ نحو حب بزيرة المخلص .

واثنان فى فاعله المضمَر ؛ وهما : جواز عوده إلى ما قبله ، مع مطابقتها له ، نحو : محمد
شَرَّفَ رجلاً ؛ فيصح أن يكون الفاعل ضميراً عائداً على « محمد » المتقدم ، أو عائداً على : « رجلاً »
المتأخر . فإن عاد على المتقدم كان مطابقاً له فى الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث .
وإن كان عائداً على المتأخر لزم الإفراد ؛ تقول : المحمدان شَرَّفَا رجلين ، والمحمدون شَرَّفُوا رجلاً .
فاطمة شرفت امرأة ، وهكذا .

(١) سبق شرح المطاوعة فى ص ١٠٠ ، م ٧٦ .

(٢) لأن العامل متعد فى المعنى إلى ما بعد لام التقوية ؛ لكنه بحسب الشكل اللفظى الظاهر

لازم ، فمجيء اللام للتقوية يجعل العامل لا زماً بحسب المظهر .

ونعود فنشير إلى ضعف كلام النحاة فى هذه الوسيلة الرابعة - كما سيجىء البيان المفيد عنها فى حروف =

٥ - ضرورة الشعر ؛ كقول القائل :

تَسَبَّلْتُ فَوَادَكَ^(١) فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً^(٢) تَسْقِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ

فإن الفعل « تسقى » ينصب مفعولين بنفسه ولكنه تعدى إلى الثاني هنا : « بالباء » نزولاً على حكم الضرورة الشعرية . وهذه الوسيلة أيضاً مما يجعل الفعل في حكم اللازم ، وليس باللازم حقيقة ، لما أوضحناه من قبل^(٣) .

= الجبر ، (ص ٤٧٥) - إذ من المعروف أن الفعل المتعدى لواحد يجوز تقديم مفعوله عليه (إلا في بعض صور قليلة واجبة التقديم أو التأخير) وأنه لا يترتب على ذلك التقديم إبعاد الفعل عن التعدية إلى اللزوم إبعاداً حتمياً . وإذا كان بقاؤه متعدياً مع التقديم أمراً جائزاً فن أين يأتيه الضعف الذي يعالج بلام التقوية ؟ وما سبب هذا الضعف ؟ وإذا عرفنا أنه يجوز حذف هذه اللام فيعود الاسم بعدها مفعولاً منصوباً كما كان قبل مجيئها من غير أن يترتب على هذا فساد في صياغة الأسلوب أو في معناه فما الحاجة الحقيقية إليها ؟ وأين الضعف الذي تزيله ؟

كذلك المشتقات العاملة التي يصفونها بالضعف ، من أين يأتيها الضعف ؟ وما سببه وهي التي يجوز - أحياناً - أن تنصب مفعولها الخالي من لام التقوية مع تقدمه أو تأخره ، كما يجوز حذف لام التقوية إن وجدت فتنبه المشتقات مباشرة ، من غير أن يترتب على حذفها ضرر ؟ والأولى بالنحاة أن يقولوا :

(أ) إذا تعدى الفعل إلى « مفعول به » واحد ، وجاز تقدم هذا المفعول على فعله ، فقد يبقَى على حاله من النصب ، وقد يجر باللام ؛ فالأمران صحيحان .

(ب) إذا كان المشتق ناصباً مفعولاً به واحداً جاز في مفعوله النصب مباشرة أو جره باللام ، سواء أكان المفعول متقدماً أم متأخراً عن عامله .

(١) أصابته بالمرض بسبب الحب .

(٢) امرأة حسناء .

(٣) في رقم ١ من هامش ص ١٥٨ وفي ص ١٧١ .

المسألة ٧٣ :

التنازع في العمل^(١)

(أ) في مثل : وَقَفَ وتكلمَ الخطيبُ - نجد فعلين لا بد لكل منهما من فاعل ، وليس في الكلام إلا اسم ظاهر واحد ، يصلح أن يكون فاعلاً لأحدهما ، وهذا الاسم الظاهر هو : « الخطيب » . فأى الفعلين أحق بالفاعل ؟ وإذا فاز به أحدهما فأين فاعل الفعل الثاني ؟

(ب) وفي مثل : سَمِعْتُ وأبصرتُ القارئَ - نجد فعلين أيضاً ، يحتاج كل منهما إلى مفعول به منصوب . وليس في الكلام ما يصلح أن يكون مفعولاً به إلا شيئاً واحداً ؛ وهو : « القارئ » فأيهما أحق به ؟ وإذا فاز به أحدهما فأين مفعول الفعل الثاني ؟

(ج) وفي مثل : أنشدَ وسمعتُ الأديبَ ، نجد فعلين يحتاج أحدهما إلى مرفوع يكون فاعلاً ، ويحتاج الآخر إلى منصوب ، يكون مفعولاً به ، فمطلَب كل منهما يخالف الآخر - على غير ما في الحالتين السالفتين - وليس في الكلام إلا لفظة : « الأديب » وهي تصلح لأحدهما . فأى الفعلين أولى بها ؟ وما نصيب الآخر بعده ؟

(د) وفي مثل : أنستُ وسعدتُ بالزائر الأديبَ ، نجد كلاً من الفعلين محتاجاً إلى الجار مع مجروره^(٢) ، ليكمل المعنى ، فأى الفعلين أولى ؟ وما نصيب الآخر بعد ذلك ؟

(١) لنا في هذا الباب المضطرب المائج ، وفي أحكامه رأى خاص ، نراه أنسب ، وقد سجلناه في

آخره ، ص ٢٠١ .

(٢) أوضحنا (في باب : « تعدى الفعل ولزومه » ص ١٥١ - وفي حروف الجر - ص ٤٣٩ -)

أن المجرور للتعدية في هذا المثال وأشباهه يعد في المعنى بمنزلة المفعول به ، فهو في حكم المنصوب محلاً ، برغم أنه مجرور لفظاً ، ولا يجر في الرأي الأحسن مراعاة المحل إذا جاء تابع بعده .

وفي باب التنازع قد يتكلم النحاة أحياناً عن العامل الذي ينصب المفعول به لفظاً ، والذي ينصبه محلاً . يريدون بالأول ما يصل إليه العامل بنفسه ، وبالثاني : ما يصل إليه بحرف الجر .

من الأمثلة السالفة - وأشباهاها - نعرف أن الأفعال^(١) قد تتعدد في الأسلوب الواحد ، ويحتاج كل منها إلى معمول خاص به ، ولكن لا يوجد في الكلام إلا بعض معمولات ظاهرة ، تكفي بعض الأفعال دون بعض ، مع حاجة كل فعل إلى معمول خاص به ؛ فتتزاخم تلك العوامل الكثيرة على معمولات القليلة ، وكأنها تتنازع ليلظفر كل منها وحده بالمعمول ، ولهذا يسمى الأسلوب : « أسلوب التنازع »^(٢) . ويعرفه النحاة بأنه :

« ما يشتمل على فعلين - غالباً^(٣) - ، متصرفين^(٤) ، مذكورين ، أو على اسمين يشبهانهما في العمل ، أو على فعل واسم يشبهه في العمل ، وبعد الفعلين وما يشبههما معمول مطلوب^(٥) لكل من الاثنين السابقين .

والفعلان أو ما يشبههما يسميان : « عاملي التنازع » ، والمعمول يسمى : « المتنازع فيه » .

فلا بد في التنازع من أمرين ؛ أولهما : تقدم فعلين أو ما يشبههما في العمل ، وكلاهما يريد المعمول . ثانيهما : تأخير المعمول عنهما .

فمثال تقدم العاملين وهما فعلان متصرفان : تصدَّقَ وأخلص الصالح . ومثال تقدُّم العاملين وهما اسمان مُشْتَقَّان يعملان عمل الفعل : المؤمن ناصرٌ ومساعدٌ الضعيف . ومثال المختلفين : دَرَاكٍ وساعِدٍ الملهوف ، بمعنى أدرك وساعِد . وهكذا الصور^(٦) الأخرى التي تدخل في التعريف .

(١) مثل الأفعال ما يشبهها ما يعمل عملها - كما سيجيء هنا -

(٢) ويسميه بعض النحاة القداى : « الإعمال » .

(٣) سنعرف - في ص ١٨٩ - أنه يجوز أن تزيد العوامل على اثنين مع زيادة معمولات أو عدم زيادتها ، ويشترط في كل الحالات أن يزيد عدد العوامل على معمولات في الكلام ؛ لكي ينشأ « التنازع » .

(٤) إلا « فعل التعجب » فيجوز أن يكونا عاملين في « التنازع » مع أنهما جامدان - كما في الصفحة التالية - .

(٥) من حيث المعنى والعمل معاً ، ولو كان عملهما مختلفاً . وسيجيء في الزيادة والتفصيل نوع المعمول .

(٦) كأن يكون الفعلان معاً من نوع واحد (للماضى ، أو المضارع ، أو للأمر) وقد يكونان

مختلفين في بعض الصور ، وقد يكون أحد العاملين فعلاً والآخر اسماً يشبهه ، وقد يكون الفعل هو المتقدم على الاسم الذي يشبهه ، أو العكس . . .

على هذا لا يصح أن يكون من عوامل التنازع الحرف ، ولا العامل المتأخر في
 مثل : أيّ الرجال قابلت وصافحت ، ولا العامل الذي توسط المعمول بينه وبين
 العامل الآخر ، نحو : اشتريت الكتاب وقرأت ، ولا العامل الجامد ؛ مثل :
 « عسى » أو « ليس » ، كما في قول الشاعر :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

إلا فيعلّي التعجب^(١) ، فإنهما مع جمودهما يصح أن يكونا العامّين في أسلوب
 التنازع ؛ نحو ما أحسن وأنفع صفاء النفوس ، وأحسن وأنفع بصفاء
 النفوس .

زيادة وتفصيل :

(١) ليس من اللازم — كما أشرنا ^(١) — الاقتصار في أسلوب « التنازع » على عاملين متقدمين ، ولا على معمول واحد ظاهر ^(٢) بعدهما ، فقد يقتضى الأمر أن تكون العوامل ثلاثة ^(٣) متقدمة من غير أن يتعدد الم معمول ؛ نحو : يجلس ويسمع ويكتب المتعلم . وقد تتعدد العوامل والمعمولات الظاهرة ؛ نحو : تكتبون وتقرءون وتحفظون النصوص الأدبية كل أسبوع . ففي صدر الكلام ثلاثة عوامل تتنازع العمل في معمولين بعدها ؛ (أى : في المفعول به ، وهو : « النصوص » ، وفي الظرف ^(٤)) ، وهو : « كُـلُّ . . . ») ، والكثير في التنازع الاقتصار على عاملين ومعمول واحد . ولا يعرف في الأساليب القديمة الزيادة على أربعة عوامل ، ولكن لا مانع من الزيادة عند وجود ما يقتضيها . ويشترط — في كل الحالات — أن تقوم القرينة على أن الأسلوب أسلوب تنازع ؛ لتجرى عليه أحكام التنازع ، وأنه ليس من باب اللف والنشر : مثل : غردَ وزأر العصفور والأسد ؟ أى غرد العصفور ، وزأر الأسد . . .

(١) في رقم ٣ من هامش الصفحة ١٨٧ .

(٢) لا فرق في الم معمول بين أن يكون اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بشرط أن يكون الضمير منفصلاً مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو متصلاً مجروراً ، نحو : على إنما قام وقعد هو ، وما زرت وصافحت إلا إياه . ووثقت وتقويت بك . . .

كذلك لا فرق بين اختيار الأول وغيره للعمل ما لم يكن لأحدهما مرجح ؛ كوجود « لا » أو : « بل » العاطفين . فيجب إعمال الأول في مثل : أهنت لا أكرمت النمام . ويجب إعمال الثاني في مثل : ضربت بل أكرمت الرجل . لأن « بل » — هنا — تجعل الحكم لما بعدها . فاقبلها مسكرت عنه ، فلا يطلب الم معمول . و « لا » — هنا — تجعل الحكم لما قبلها مثبتاً . فاقبلها متى لا يطلب الم معمول . (٣) ومنه قول القطامي :

صريعٌ غوانٌ راقهنَّ ورقنهُ لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَوَائِبِ
فقد تنازع العمل في الظرف : « لَدُنْ » عوامل ثلاثة ؛ هى : صريع ، وراق — وراق ، الثانى أيضاً ، المسند إلى تَوْنِ النسوة .

(٤) انظر « ح » ص ١٩٠ .

(ب) لا بد أن يكون بين العاملين - أو العوامل - نوع ارتباط ؛ كالعطف في مثل : أعبدُ وأخافُ الله . أو أن يكون العامل المتأخر جواباً معنوياً عن السابق ؛ نحو قوله تعالى : (يَسْتَفْتُونَكَ ، قل الله يُفْتِيكُمْ فِي الْكَالَةِ)^(١) . أى : يستفتونك في الكلالة ، قل الله يفتيكم في الكلالة . . . أو جواباً نحوياً ، كجواب الأمر وغيره مما يحتاج لحواب ؛ نحو : أنشد ، استمع القصيدة . أو يكون المتأخر معمولاً للسابق ؛ نحو قوله تعالى : (وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً) . أو أن يكون العاملان خبرين عن اسم ؛ نحو : الحاكم مكافئ معاقب المستحق ...

(ح) يقع التنازع في أكثر المعمولات ، ومنها : المفعول به ، والمفعول المطلق . والمفعول لأجله ، وشبه الجملة ، دون الحال والتمييز - على الأصح - .

(د) ليس من التنازع « التوكيد اللفظي » ؛ كالذي في قولهم : « هيهات هيهات العقيقُ ومن به ... » ، لأن شرط التنازع : أن يكون المعمول مطلوباً لكل واحد من العاملين من حيث المعنى . وأن يوجد الضمير - إذا كان مرفوعاً - في العامل المهمّل ، وهو غير موجود في هذا التوكيد ، إذ الطالب للمعمول إنما هو كلمة : « هيهات » الأولى ؛ فهي وحدها المحتاجة للعقيق ؛ لتكون فاعلاً . والإسناد بينهما . أما كلمة : « هيهات » الثانية فلم تجئ للإسناد إلى العقيق ؛ وهي خالية من الضمير المرفوع ؛ وإنما جاءت لجرد تأكيد الأولى وتقويتها ؛ فالأولى هي المحتاجة للفاعل ، أما الثانية فلا تحتاج لفاعل ؛ ولا لغيره ، فليست عاملة ، ولا معمولة ؛ شأن نظائرها التي تجيء للتوكيد اللفظي . ومثل هذا : جاءك جاءك الراغبون في معرفتك^(٢) .

(١) الكلالة : الميت الذي ليس له والد ولا ولد ، أو : الوارث الذي ليس بوالد ولا بولد للميت .

(٢) فريق من النحاة يدخل هذين المثالين وأشباههما في باب التنازع ، ويجري عليهما أحكامه ؛ بأن يكون العامل هو الأول ، وفي الثاني ضمير مستتر ، أو العكس مع مراعاة التفصيل الخاص بأحكام =

= الضمير في باب التنازع . وفي هذه الحالة لا يكون العامل الثاني من باب التوكيد اللفظي ؛ لأن العامل الثاني في بابيه زائد للتوكيد اللفظي ؛ فلا فاعل له - في الرأي الشائع - فلا يتحمل ضميراً ، - كما سيجيء في باب : « التوكيد » من الجزء الثالث ، ص ٥١٠ م ١١٦ -
والذين يقولون إن التوكيد اللفظي لا يصلح للتنازع يستدلون بأمثلة مسموعة : منها قول الشاعر يخاطب نفسه :

فَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ النَّجَاةُ بِيَغْلَتَنِي ؟ أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُونَ أَحْبِسَ أَحْبِسَ
فلو كان في الكلام تنازع لقال : أتاك أتوك اللاحقون ، أو : أتوك أتاك اللاحقون ، تطبيقاً لأحكام التنازع .

والحق أن كلا الرأيين لا يصلح للأخذ المطلق أو الرفض المطلق ؛ مجرد أنه منسوب لهذا أو لذاك . وإنما الذي يعمل عليه عند عدم الضمير البارز هو الأخذ بما يسائر المعنى ويحقق الغرض ؛ فيجب أن تكون المسألة من باب التوكيد اللفظي وحده - ولا دخل للتنازع فيها - حين يقتضى المقام تحقيق غرض من أغراض التوكيد اللفظي ، وفي مقدمتها إزالة شك يحيط بالعامل وحده ؛ كأن يجري الحديث عن سقوط المطر عدة أيام متوالية ؛ فيقول أحد الحاضرين : لم يسقط المطر أمس . . . فيرد آخر : سقط المطر أمس . ففي هذه الصورة يدور الشك حول الفعل : « سقط » وحده دون فاعله ؛ إذ ليس هناك شك في أن الذي سقط هو : المطر ، وليس حجراً ، ولا حديد ، ولا خشباً . . . و .

أما في صورة أخرى يدور الشك فيها حول العامل ومعموله معاً فإن إزالة الشك عنها قد تكون بتكرار الجملة كلها ، وتكرارها قد يدخلها في باب التنازع ، ولا سيما مع وجود الضمير البارز . مثال ذلك : أن يدور الحديث حول عدم حضور أحد من الغائبين ؛ بأن يقول قائل : لم يحضر أحد من الغائبين . فيرد آخر : حضر حضر أخى ، أو : حضر حضرا المجاهدان ، أو : حضرا حضر المجاهدان ... فالمقام هنا يقتضى أن تكون المسألة من باب : « التنازع » ، وليست من توكيد الجملة الفعلية بأختها ؛ لأن توكيد الجملة الفعلية بنظيرتها الفعلية يقتضى تكرار لفظي الفعل والفاعل في كل واحدة منها =

كما هو مدون في باب : « التوكيد » ج ٣ م ١١٦ ص ٥١٠ -

الأحكام الخاصة بالتنازع^(١):

تتلخص هذه الأحكام فيما يأتي :

١ - لا مزية لعامل على نظيره من ناحية استحقاقه للمعمول (أى : للمتنازع فيه) ؛ فكل عامل يجوز اختياره للعمل من غير ترجيح في الأغلب^(٢) ؛ فيجوز اختيار الأول السابق مع إهمال الأخير ، ويجوز العكس^(٣) . وإذا كانت العوامل ثلاثة أو أكثر فإن الحكم لا يتغير بالنسبة للأول والأخير . أما المتوسط بينهما - ثالثاً أو أكثر - فيصح أن يساير الأول أو الأخير ؛ فالأمران متساويان بالنسبة لإعمال الثالث المتوسط ، وما زاد عليه من كل عامل بين الأول والأخير .

٢ - إذا وقع الاختيار على الأول ليكون هو العامل المستحق للمعمول وجب تعويض العامل الأخير المهمل تعويضاً يغنيه عن المعمول ، وذلك بإلحاق ضمير^(٤) به يطابق ذلك المعمول مطابقة تامة في الأفراد ، والتشنية ، والجمع ، والتذكير ،

(١) سنذكر أشهر الآراء ، ثم نردفه - آخر الباب في الزيادة والتفصيل ص ٢٠١ و ٢٠٣ - برأى لنا خاص قد يكون فيه يسر ونفع خالصان من الشوائب - كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ١٨٦ - .
(٢) إلا في الحالتين المذكورتين في رقم ٢ من هامش ص ١٨٩ .
(٣) الكوفيون يعملون الأول لسبقه ، والبصريون يعملون الثاني لقربه ، وهذا خلاف يجب إهماله ، إذ لا قيمة له في الترجيح ، وفي تفصيل أحد العاملين على الآخر إلا ما سبقت الإشارة إليه .
- في رقم ٢ - ويقول ابن مالك في الإشارة للتنازع ما نصه :

إِنْ عَامِلَانِ اقْتَضَيَا فِي اسْمِ عَمَلٍ قَبْلُ ، فَلِلْوَاحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلُ
وَالثَّانِ أَوْلى . عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَاخْتَارَ عَكْسًا غَيْرُهُمْ ذَا أَسْرَةٍ

يقول : إن وجد عاملان يتطلبان عملاً في اسم ظاهر ، وكانا قبله ، فلواحد منهما العمل دون نظيره ، وهذا الواحد ليس معيناً مقصوداً على أحدهما ، وإنما يجوز أن يعمل هذا أو ذاك ؛ ولا يصح أن يكون العمل لهما معاً في ذلك الاسم . وإعمال الثاني أولى عند البصريين ، لقربه . واختار غيرهم العكس ، أى : إعمال الأول ، لسبقه . ومعنى : « ذا أسرة » ، صاحب رابطة قوية ، يريد بها الرابطة العلمية ، وأصحاب هذا الرأي هم الكوفيون . (التقدير : اختار غيرهم العكس حالة كون غيرهم ذا أسرة) .

(٤) إلا في الحالة التي في ص ١٩٥ والأخرى التي في ص ١٩٨ حيث يجب إحلال اسم ظاهر بدل ذلك الضمير . طبقاً للتفصيل الموضح هناك .

والتأنيث ؛ لأن المعمول ، (المتنازع فيه) هو المرجع للضمير ، ويعتبر هذا المرجع متقدماً برغم تأخر لفظه عن الضمير . ولا بد من المطابقة بين الضمير ومرجعه في الأشياء السالفة .

والأفضل وجود الضمير في جميع الحالات ؛ سواء أكان ضمير رفع ، أم نصب ، أم جرّ ؛ فن إعمال الأول في المعمول المرفوع مع إعمال الأخير في ضميره : المثال الوارد في « ا » ، وهو ^(١) : « وقف - وتكلم - الخطيب » فنقول : (وقف - وتكلموا - الخطيبان) . (وقف - وتكلموا - الخطيبون) . (وقفت - وتكلمت - الخطيبة) . (وقفت - وتكلمتا - الخطيبتان) - (وقفت - وتكلمن - الخطيبات) .

فكأن الأصل : (وقف الخطيب ، وتكلم) . (وقف الخطيبان وتكلموا) . (وقف الخطيبون ، وتكلموا) . (وقفت الخطيبة ، وتكلمت) . (وقفت الخطيبتان ، وتكلمتا) ، (وقفت الخطيبات وتكلمن) . وهكذا . . .

والوسيلة المضبوطة لاستعمال الضمير على الوجه الصحيح أن نتخيل العامل الأول وهو في صدر الجملة ، ثم يليه مباشرة المعمول : « المتنازع فيه » وقد تقدم من مكانه حتى صار بعد العامل الأول بغير فاصل بينهما ، ثم يليهما كل عامل مهمل ، وبعده الضمير المناسب لهذا التركيب القائم على التخييل المحض ؛ كما في الأمثلة السالفة ؛ وكما في الآتية :

أوقدَ واستدفاَ الحارسُ : فكل من الفعلين : أوقدَ و استدفاَ يحتاج إلى كلمة : « الحارس » لتكون فاعلاً له . فإذا أعملنا الأول وجب تعويض الأخير بإلحاق ضمير مناسب بآخره . ولكي يكون الضمير مناسباً صحيح الاستعمال نتخيل أن الاسم الظاهر « المتنازع فيه » وهو كامة : « الحارس » قد تقدم حتى صار بعد العامل الأول مباشرة . (أى : بغير فاصل بينهما) . وهذا يقتضى أن يتأخر عنهما كل عامل مهمل . فكأن أصل الأسلوب : « أوقدَ الحارس واستدفاً . فالحارس » هو الفاعل للفعل : « أوقدَ » أما الفعل المهمل « استدفاً » فقد لحق

بآخره ضمير مستتر ، مرفوع ، يعرب فاعلاً ، ويغنى عن الاسم الظاهر « المتنازع فيه » . وهذا الضمير هنا مفرد مذكر ؛ ليطابق مرجعه « المتنازع فيه » . فلو كان المرجع مفرداً مؤنثاً أو مثنى أو جمعاً بنوعيهما ، لوجب أن يطابقه الضمير ، فنقول : (أوقدتُ — واستدفأتُ — الحارسة) . أوقد — واستدفاً — الحارسان) . (أوقدتُ — واستدفأتُ — الحارستان) . (أوقد — واستدفتوا — الحارسون) . (أوقدتُ — واستدفأتُ — الحارسات) وهكذا . فكأن الأصل : (أوقدت الحارسة ، واستدفأت) . (أوقدت الحارسان ، واستدفاً) . (أوقدت الحارستان ، واستدفأتا) . (أوقد الحارسون ، واستدفتوا) . (أوقدت الحارسان ، واستدفأتان . . .) هذا حكم « التنازع » عند إعمال الأول حين تتعدد العوامل ولا يتعدد المعمول المرفوع ؛ وهو هنا الفاعل الظاهر الذى يطلبه كل منهما .

وما سبق يقال فى مثال : « ب » ^(١) وهو : « سمعتُ وأبصرتُ القارئ » عند إعمال الأول أيضاً ، حيث تعددت العوامل التى يحتاج كل منها إلى المفعول به ؛ وليس فى الكلام إلا مفعول به واحد ؛ فنقول : (سمعت — وأبصرته — القارئ) . (سمعت — وأبصرتها — القارئة) . (سمعت — وأبصرتهم — القارئين) . (سمعت — وأبصرتهم — القارئتين) . (سمعت — وأبصرتهن — القارئات)

فكأن أصل الكلام عند التخيل : (سمعت القارئ وأبصرته) . (سمعت القارئة ، وأبصرتها) . (سمعت القارئتين ، وأبصرتهم) . (سمعت القارئتين ، وأبصرتهم) . (سمعت القارئات وأبصرتهن) . وكذلك يقال فى مثال : « ج » ^(٢) وهو : « أنشدَ وسمعتُ الأديب » ، برغم اختلاف المطلب بين العاملين ، فأحدهما يريد المعمول فاعلاً له ، والآخر يريده مفعولاً به ؛ فنقول ؛ عند إعمال الأول ^(٣) : « أنشدَ — وسمعتُه — الأديب » ^(٤) (أنشدت — وسمعتها — الأديبة) . (أنشد — وسمعتهما — الأديبان) . (أنشدت —

(٢٤١) ص ١٨٦ .

(٣) أما عند إعمال الأخير المحتاج للمفعول به فيجىء حكمه فى ص ١٩٩ .

(٤) ومثله قول أبى الأسود — كما رواه صاحب أساس البلاغة — :

كسأنى ولم أستكسبه فحمدته أخ لي يعطينى الجزيل ، وناصر

وسمعتهما - الأديبتان) . (أنشد - وسمعتهم - الأديبون) . (أنشدت - وسمعتهن - الأديبات) .

فكان الأصل مع التخيل : (أنشد الأديب ، وسمعته) . (أنشدت الأديبة ، وسمعتها) . (أنشد الأديبان ، وسمعتهما) . (أنشد الأديبون وسمعتهم) . (أنشدت الأديبات ، وسمعتهن . . .) .

ومثل هذا يقال عند إعمال الأول أيضاً في مثال : « د » ^(١) وهو : « أنست وسعدت بالزائر الأديب » حيث يحتاج كل من العاملين في تكلمة معناه إلى الجار مع مجروره ؛ نحو : (أنست - وسعدت - بالزائر الأديب ، به ^(٢)) . (أنست - وسعدت - بالزائرة الأديبة ، بها) . (أنست - وسعدت - بالزائرين الأديبين ، بهما) . (أنست - وسعدت - بالزائرتين الأديبتين ، بهما) . (أنست - وسعدت - بالزائرين الأديبين ، بهم) ، (أنست - وسعدت - بالزائرات الأديبات ، بهن) . وكان الأصل مع التخيل : (أنست بالزائر الأديب ، وسعدت به) . (أنست بالزائرة الأديبة ، وسعدت بها) . (أنست بالزائرين الأديبين ، وسعدت بهما) . (أنست بالزائرتين الأديبتين ، وسعدت بهما) . أنست بالزائرين الأديبين ، وسعدت بهم) ، (أنست بالزائرات الأديبات ، وسعدت بهن)

وهكذا نرى أن إعمال الأول يقتضى أمرين محتومين : ألاّ يعمل الأخير مباشرة في ذلك المعمول الظاهر ، وأن يعمل هذا الأخير في ضمير مطابق للمعمول الظاهر ، في الأفراد ، والثنائية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث .

ويعتبر مرجع الضمير في كل الصور السالفة متقدماً عليه ، بالرغم من تأخر لفظ المرجع - كما أسلفنا - .

وهناك حالة واحدة لا يصح فيها مجيء الضمير لتعويض الأخير المهمل ، وإنما يجب أن يحل محله اسم ظاهر ، تلك الحالة تتمحقق بأن يكون هذا الفعل المهمل محتاجاً إلى مفعول به لا يصح حذفه ؛ لأنه عمدة في الأصل ، ولا يصح إضماره ، إذ لو أضمرناه لترتب على إضماره عدم مطابقتها لمرجعه الاسم الظاهر ؛ مثل : (أظن - ويطناني أخاً - محموداً وعلياً ، أخوين) فكلمة : « محموداً » هي المفعول به الأول

(١) ص ١٨٦ .

(٢) يميز فريق من النحاة تقديم هذا المعمول بعد عامله . وسيجيء في الزيادة والتفصيل رأى مستقل .

للعامل ، وهو الفعل : « أظن » ، وكلمة : « علياً » معطوفة عليها . و « أخوين » هي المفعول به الثانى للفعل : « أظن » . وإلى هنا استوفى الفعل — العامل — : « أظن » مفعوله . ويبقى الفعل الأخير المهمل : « يظنان » وهو محتاج لمفعولين كذلك . فأين هما ؟ أو أين ما يغنى عنهما ؟ .

إن « الباء » ضمير ، وهى مفعوله الأول . وبقي مفعوله الثانى ، فلو أتينا به ضميراً أيضاً ، فقلنا : أظن — ويظنانى إياه — محموداً وعلياً أخوين ، أى : أظن محموداً وعلياً أخوين ويظنانى إياه — لكان (إياه) مطابقاً فى الأفراد « للباء » التى هى المفعول الأول ؛ فتتحقق المطابقة بينهما ، على اعتبار أن أصلهما مبتدأ وخبر ، كما هو الشأن فى مفعولى : « ظن وأخواتها » ولكنها لا تتحقق بين الضمير « إياه » وما يعود عليه ؛ وهو : « أخوين » ؛ إذ « إياه » ضمير للمفرد ، ومرجعه دال على اثنين ؛ فتفوت المطابقة بين الضمير ومرجعه . وهذا غير جائز .

ولو أتينا بالضمير الثانى مثنى فقلنا : أظن — ويظنانى إياهما — محموداً وعلياً ، أخوين — لتحقت المطابقة بين الضمير ومرجعه ؛ فكلاهما لاثنين ؛ ولكن تفوت المطابقة بين المفعول الثانى والمفعول الأول ، مع أن الثانى أصله خبر عن الأول ، ولا بد من المطابقة هنا بين المبتدأ والخبر ، أو ما أصلهما المبتدأ أو الخبر ، — كما أشرنا — .

فلما كان الإضمار هنا يوقع فى الخطأ وجب العدول عنه إلى الإظهار الذى يحقق الغرض ، ولا يوقع فى الخطأ ، فنقول : أظن — ويظنانى أخا — محموداً وعلياً أخوين . أى : أظن محموداً وعلياً أخوين ، ويظنانى أخاً . وفى هذه الصورة لا تكون المسألة من باب التنازع^(١) .

٣ — إذا عملنا الأخير ، وأهملنا الأول ، وجب الاستغناء عن تعويض الأول المهمل ؛ فلا نلحق به ضمير المفعول (المتنازع فيه) ولا ما ينوب عن ذلك الضمير . إلا فى ثلاث حالات ، لا بد فى كل واحدة من الإتيان بضمير مطابق للمفعول ، المتأخر عن هذا الضمير (وفى الحالات الثلاث يجوز عودة الضمير على متأخر لفظاً ورتبة^(٢)) .

(١) لهذه الحالة نظير (فى ص ١٩٨) ولكن عند إعمال الأخير وإهمال الأول .

(٢) كما سبق فى بابي : الضمير ، والفاعل . ج ١ ص ١٨٤ م ٢٠ .

الأولى : أن يكون المعمول المتأخر مرفوعاً ، كأن يكون فاعلاً مطلوباً لعمالين قبله — أو أكثر — وكل عامل يريد له نفسه ؛ نحو : شرب وتمهل العاطش . فإذا أعملنا الأخير وأهملنا الأول وجب إلحاق الضمير المناسب بالأول ^(١) ؛ فنقول : (شربت ، وتمهلت العاطشة) . (شربا ، وتمهل العاطشان) . (شربتا ، وتمهلت العاطشتان) (شربوا وتمهل العاطشون) . (شربن وتمهلت العاطشات) .

الثانية : أن يكون المعمول « المتنازع فيه » اسماً منصوباً أصله عمدة ؛ كفعول « ظن » وأخواتها ؛ فأصلهما المبتدأ والخبر ؛ وكخبر « كان » وأخواتها ^(٢) . وفي هذه الحالة لا يهدف الضمير المناسب ، وإنما يبقى ويوضع متأخراً عن المعمول (المتنازع فيه) ؛ نحو : أظنهما — ويظن محمد حامداً ومحموداً ، مخلصين — إياهما ، فالفعلان تنازعا كلمة : « مخلصين » لتكون المفعول الثاني . . . فجعلناها للأخير ، وأعملنا الأول في الضمير العائد إليهما وجعلناه متأخراً .

والمراد : يظن محمد حامداً ومحموداً مخلصين ، وأظنهما إياهما ، أى : أظن حامداً ومحموداً مخلصين . « فحامداً » ؛ مفعول أول للفعل : « يظن » . و « محموداً » معطوف عليه . « مخلصين » مفعول ثان للفعل : « يظن » . و « أظنهما » : « أظن » مضارع ، فاعله مستتر تقديره : « أنا » . « هما » ضمير ، مفعول أول . وقد تقدم ليتصل بفعله ، لأن الاتصال ممكن ؛ وهذا يقتضى التقديم فلا داعى للانفصال ^(٣) . « إياهما » : المفعول الثاني الذى جاء متأخراً ^(٤) .

ومثل : كنت وكان الصديق أخاً لإياه . فالفعلان تنازعا كلمة : « أنا » لتكون خبراً ؛ فجعلناها للمتأخر منهما ، وأعملنا السابق في ضمير هذا الخبر وجعلنا

(١) ولكى يقع الضمير موقعاً صحيحاً نتخيل — كما سبق — أن الفعل المهمّل قد تأخر عن مكانه إلى آخر الجملة ، وقد سبقته واو العطف وقبلها الفعل العامل وفاعله . وعلى أساس هذا التخيل نجى بالضمير مطابقاً لمرجه المتقدم عليه ، فكان أصل الكلام : تمهلت العاطشة ، وشربت . تمهل العاطشان وشربا . تمهلت العاطشتان وشربتا . تمهل العاطشون وشربوا . تمهلت العاطشات وشربن . . .

(٢) إلا خبر الجامد منها ؛ مثل : « ليس » و « عسى » إذ لا يصلح الجامد الذى ليس فعل

تعجب قياسى أن يكون عاملاً في « التنازع » — كما أوضحنا في ص ١٨٧ و ١٨٨ — .

(٣) طبقاً لما سبق في باب الضمير من الجزء الأول م ٢٠ .

(٤) هناك رأى حسن ، يميز حذفه . وارتضاء كثير من النحاة .

الضمير متأخراً بعد الخبر ؛ فالمراد : كان الصديق أخاً ، وكنت إياه ، أى : كنت أخاً . ويصح : كنته ؛ لأن الاتصال ممكن وجائز ؛ فلا داعى لوجوب الانفصال ^(١) .

بقى أن نذكر حالة ^(٢) لا يصح فيها حذف ضمير الاسم المتنازع فيه ، ولا إعمال الأول المhemل فيه ، وإنما يجب أن يحل محله اسم ظاهر ؛ وهذه الحالة هي التي يكون فيها الفعل الأول المhemل محتاجاً إلى مفعول به ، أصله عمدة ، فلا يحذف ^(٣) ولو أضمرناه لترتب على إضماره عدم مطابقتها لمرجعه الاسم الظاهرة ؛ نحو : (يظناني ، وأظن الزميلين أخوين — أخا) . فكلمة : « أظن » مضارع ، فاعله مستتر ، تقديره : « أنا » . وهذا المضارع محتاج إلى مفعولين ، أصلهما : المبتدأ والخبر ؛ فلا يحذف واحد منهما . « الزميلين » مفعوله الأول . « أخوين » : مفعوله الثاني . إلى هنا استوفى العامل الأخير مفعوليه . بقي أن يستوفى المتقدم المhemل (وهو : « يظنان ») ، مفعوليه . فالفعل « يظنان » مضارع . فاعله : « ألف الاثنين » و « الياء » . مفعوله الأول . فأين مفعوله الثاني ؟ .

لو جئنا به ضميراً مطابقاً للمفعول الأول فقلنا : يظناني — وأظن الزميلين أخوين إياه — لتحققت المطابقة بين المفعول الثاني « إياه » والمفعول الأول : « الياء » وهي المطابقة الواجبة بين المبتدأ والخبر ، أو ما أصلهما المبتدأ والخبر . ولكن نفوت المطابقة بين الضمير : « إياه » الذي للمفرد ، ومرجعه المثني ، وهو : « أخوين » . ولو جئنا به مثني ؛ فقلنا : يظناني — وأظن الزميلين أخوين — إياهما ، لتحققت المطابقة الواجبة بين الضمير ومرجعه ؛ فكلاهما للتثنية . وضاعت بين المفعول الثاني ، الدال على التثنية ، والمفعول الأول وهو « الياء » الدالة على المفرد ، مع أن المطابقة بينهما لازمة ؛ لأنهما في الأصل مبتدأ وخبر .

فللخروج من هذا الحرج نأتى بالمفعول الثاني اسماً ظاهراً ؛ فنقول . يظناني وأظن الزميلين أخوين — أخا . ولا تكون المسألة من باب « التنازع » ^(٤) .

فإن كان المفعول : « المتنازع فيه » ليس عمدة في أصله ، وكان العامل هو

(٢٠١) وهي التي أشرنا إليها في رقم ١ من هامش ص ١٩٦ عند إعمال الأول ، وإهمال الأخير .

(٣) بالرغم من جواز الحذف في غير التنازع — انظر « ١ » من ص ٢٠١ .

(٤) فهي في هذا كالتى سبقت في ص ١٩٦ .

المتأخر ، فالأحسن حذف المعمول ؛ نحو : عاوت وعاونني الجار . وليس من الأحسن أن يقال : عاونته وعاونني الجار .

الثالثة : أن يكون الضمير مجروراً^(١) ، ولو حذف لأوقع حذفه في لبس . فيبقى ويوضع متأخراً عن المعمول ؛ نحو : استعنت — واستعان عَمَلَى الزميل — به . فالفعل الأول يطلب كلمة : « الزميل » لتكون مجرورة بالباء : (أى : استعنت بالزميل) والفعل الأخير يطلبها لتكون فاعلاً ؛ لأنه استوفى معموله المجرور بالحرف ، « عَمَلَى » فأعملنا الفعل المتأخر في الاسم الظاهر ، وأضممرنا بعده ضميره مجروراً بالباء ، فقلنا : « به » . ولو تقدم بحيث يقع بعد عامله المهمل ، ويتوسط بين الفعلين لترتب على هذا تقدم الضمير الفضلة ، المجرور على مرجعه ، وهو غير مستحسن في هذه الصورة . ولو حذفناه وقلنا : استعنت — واستعان عَمَلَى الزميل لأدى حذفه إلى لبس ؛ إذ لا ندري : أالزميل مستعان به ، أم مستعان عليه . . .

فإن أمن اللبس فالأحسن الحذف مع ملاحظة المحذوف في النية ؛ فكأنه موجود ، نحو : مررت وممر بنى الصديق^(٢) .

(١) يعد المجرور بحرف جر للتعدية بمنزلة المفعول به المنصوب حكماً . (كما سبقت الإشارة في رقم ٢ من هامش ص ١٨٦) .
(٢) عرض ابن مالك أحكام التنازع بمجمل ، موجزة ، متداخلة . وساقها في الأبيات القليلة التالية :

وَأَعْمِلِ الْمُهْمَلُ فِي ضَمِيرِ مَا تَنَازَعَاهُ ، وَالتَّزِمِ مَا التَّزِمَا

يريد : إذا أعمل واحد وأهمل الآخر ، فإن المهمل يعمل في ضمير الاسم المتنازع فيه ، مع التزام الطريقة التي أشار النحاة بالتزامها في الإعمال ، أو : مع التزام الطريقة التي التزمها العرب في مثل هذه الأساليب . ولم يوضح هذه الطريقة ، ولم يتعرض لتفصيلها إلا بذكر مثالين في البيت الآتي ؛ يوضح أولهما إعمال العامل الأخير في الاسم الظاهر المتنازع فيه ، مع إعمال المتقدم في ضميره . ويوضح ثانيهما إعمال الأول في ذلك الاسم الظاهر المتنازع فيه مع إعمال الأخير في ضميره ؛ وكلا الفعلين يحتاج للاسم الظاهر ، ليكون فاعلاً له . يقول :

كَيْحُسْنَانٍ وَيُسِيءُ ابْنَاكَ وَقَدْ بَغَى وَاعْتَدَيَا عَبْدَاكَ

فالاسم المتنازع فيه هو : « ابنك » ، وقد أعمل فيه مباشرة الفعل المتأخر : « يسيء » أما الفعل =

=المتقدم: «يحسن» فقد أعمل في ضميره؛ فصار: «يحسنان» والمثال الذى فى الشطر الثانى يشتمل على الاسم المتنازع فيه؛ وهو: «عبدك»، وقد أعمل فيه الأول: «بنى» وأعمل المتأخر وهو: «اعتدى». ولكنه أعمل فى ضميره، فصار: «اعتديا». ولم يحذف الضير فى المثالين؛ لأنه ضمير رفع، فلا يحذف . . .

ثم انتقل إلى بيان حكم خاص بالعامل الأول المهمل؛ يتلخص فى أنه لا يعمل فى ضمير الاسم المتنازع فيه، إلا إذا كان ذلك الضمير الرفع، فإن كان للنصب، أو للجر لم يذكر مع الأول، وإنما يحذف إن كان ضميراً ليس عمدة فى الأصل، ويؤخر إن كان أصله عمدة. (وقد شرحنا هذا تفصيلاً، وأوضحناه بالأمثلة). ويقول فيه:

وَلَا تَجِئْ مَعَ أَوَّلٍ قَدْ أَهْمَلَا بِمُضْمَرٍ لِّغَيْرٍ رَفَعَ أَوهَلَا
بَلْ حَذَفَهُ الزَّمْ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ خَبَرٍ وَأَخَّرَهُ إِنْ يَكُنْ هُوَ الْخَبَرُ

(أوهل: أهمل. أى: صار أهلاً، بمعنى: أعيد، واستعمل فى غير الرفع) ثم بين الحالة التى يحل فيها الظاهر محل الضمير فقال:

وَأَظْهَرَ أَنْ يَكُنْ ضَمِيرٌ خَبَرًا لِّغَيْرٍ مَا يُطَابِقُ الْمَفْسَّرَا
نَحْوُ: أَظُنُّ وَيَظُنُّنِي أَخَا زَيْدًا وَعَمْرًا أَخَوَيْنِ فِي الرَّخَا

(الرخا = الرخاء . وهوسمة الرزق) .

.

زيادة وتفصيل :

يُعدّ باب « التنازع » من أكثر الأبواب النحوية اضطراباً ، وتعقيداً ، وخضوعاً لفلسفة عقلية خيالية ، ليست قوية السند بالكلام المأثور الفصيح ، بل ربما كانت مناقضة له .

(١) فأما الاضطراب فيبدو في كثرة الآراء والمذاهب المتعارضة التي لا سبيل للتوفيق بينها ، أو التقريب . وقد أهملنا أكثرها .

يتجلى هذا في أن بعضها يجيز حذف المرفوع ؛ كالفاعل ، وبعضها لا يجيز . وفريق يجيز أن يشترك فعلاً أو أكثر في فاعل واحد ، وفريق يمنع ، وطائفة تبيح الاستغناء عن المعمولات المنصوبة ، وعن ضمائرهما ، وطائفة تبيح حذف ما ليس عمدة الآن أو في الأصل ، وفئة تحتم تقدير ضمير المعمول متأخراً في بعض الصور ، وفئة لا تحتم ، فليس بين أحكام « التنازع » حكم متفق عليه ، أو قريب من الاتفاق ، حتى ما اخترناه هنا . وقد يبدو الخلاف واضحاً في كثير من المسائل النحوية الأخرى ، ولكنه في مسائل « التنازع » أوضح وأفصح ، كما يبدو في المراجع المطولة ^(١) . حيث يدور الرأس ، وتضيق النفس .

ومن مظاهر الاضطراب أيضاً أن يحرموا هنا ما أباحوه في أبواب أخرى ، فقد منعوا حذف ضمير الاسم المتنازع فيه إن كان أصله عمدة ؛ كأحد مفعولي « ظن » وأخواتها ، مع أنهم أباحوا ذلك في باب « ظن » ^(٢) . ومنعوا حذف المعمول إن كان فضلة ، والمهمّل هو المتأخر ، مع أنهم أجازوه في الأساليب الأخرى التي ليست للتنازع . ومنعوا هنا الإضمار قبل الذكر في بعض الحالات ، مع أنهم أباحوه في مكان آخر

وكأن اسم هذا الباب قد سرى إلى كل حكم من أحكامه .

(ب) وأما التعقيد فلما أوجبه مما ليس بواجب ، ولا شبه واجب ؛ فقد حتموا أن يكون ضمير الاسم المتنازع فيه واجب التأخير عنه حيناً - في رأى كثيرتهم ؛

(١) كالآشموقي وحاشيته ، والتوضيح وشرحه وحواشيه ، والجزء الثاني من الجمع و .

(٢) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٣ من هامش ص ١٩٨ .

فراراً من الإضرار قبل الذكر ، ومتقدماً حينئذ آخر إذا تعذر تأخير سبب ما تخيأوه . وربما استغنوا عن الضمير ، وأحلوا محله اسماً ظاهراً مناسباً إذا أدى الإضرار إلى الوقوع في مخالفة نحوية عندهم .

ولقد نشأ من مراعاة أحكامهم هذه أساليب بلغت الغاية في القبح ، لا ندرى : ألها نظير في الكلام العربي ، أم ليس لها نظير ؟ كقولهم ما نصه الحرقي : (استعنت واستعان علي زيد^(١) به) . (وظننت منطلقاً وظننتي منطلقاً هند إياها) . (وأعلمني وأعلمته إياه إياه زيد عمرأ قائماً) . (وأعلمت وأعلمني زيداً عمرأ قائماً إياه إياه ... و...)^(١) وهذا قليل من الأمثلة البغيضة ، التي لا يطمئن المرء إلى أن لها نظائر في الأساليب المأثورة . ومن شاء زيادة عجيبة منها فليرجع إلى مظانها في المطولات .

(ح) وأما الخضوع إلى الفلسفة العقلية الوهمية فواضح في عدد من مسائل هذا الباب ؛ منها : تحميمهم التنازع في مثل : قام وذهب محمد ؛ حيث يوجبون أن يكون الفاعل : « محمد » لأحد الفعلين ، وأما فاعل الآخر فضمير . ولا يبيحون أن يكون لفظ : « محمد » فاعلاً لهما ؛ بحجة « أن العوامل كالمؤثرات فلا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد »^(٢) ولا ندرى السبب في منع هذا الاجتماع مع إباحته لو قلنا : « قام محمد وذهب » فإن فاعل الفعل : « ذهب » ضمير يعود على محمد . فمحمد في الحقيقة فاعل الفعلين ؛ ولا يقبل العقل غير هذا . . .

من كل ما سبق يتبين ما اشتمل عليه هذا الباب من عيوب الاضطراب ؛ والتعقيد ، والتخيل الذي لا يؤيده - في ظننا - الفصيح المأثور .

ومن سلامة الذوق الأدبي وحسن التقدير البلاغي الفرار من محاكاة الصور البيانية وأساليب التعبير الواردة بهذا الباب - ولو كان لها نظائر مسموعة - لقبس تركيبها ، وغموض معانيها ، وصعوبة الاهتداء إلى صياغتها الصحيحة . . .

(١) الأشموني - في هذا الباب - عند شرح بيت ابن مالك الذي شطره الأخير :

(. . وأخرته إن يكن هو الخبر) وكذا في المطولات الأخرى .

(٢) حاشية الصبان وغيره . وقد أجاز الاجتماع فريق آخر ودفع الإجازة فريق ثالث !

ولتدارك هذا كله ، والوصول إلى أحكام واضحة ، سهلة ، لا غبار عليها من ناحية السلامة اللغوية ، وقوة مشابهتها للكلام البليغ ، وتناسقها مع الأحكام النحوية الأخرى - نرى أن تكون أحكام التنازع مقصورة على ما يأتي (وكلها مستمد من آراء ومذاهب لبعض النحاة ، تضمنتها الكتب المتداولة ، وهذا ما نود التنويه به) .

١ - تعريف التنازع : هو ما سبق أن ارتضيناه من مذاهب النحاة ، ونقلناه أول هذا الباب (١) .

٢ - تتعدد العوامل ؛ فتكون اثنين ، أو أكثر . وقد تتعدد المعمولات ، أو لا تتعدد ، ويشترط فيها عند تعددها أن تكون أقل عدداً من عواملها المتنازعة .

٣ - كل عامل من العوامل المتعددة يجوز اختياره وحده للعمل في المعمول المذكور في الكلام . ولا ترجيح من هذه الناحية ، لعامل على آخر .

٤ - إذا تعددت العوامل وكان كل واحد منها محتاجاً إلى معمول مرفوع ؛ (كاحتياجه إلى الفاعل في مثل : جلس وكتب المتعلم) فالمرفوع الظاهر في الكلام يكون لأحدها ، أما غيره من العوامل فمرفوعه ضمير يعود على ذلك الاسم المرفوع . ولا مانع هنا من عودة الضمير على متأخر في الرتبة .

ويجوز أن يكون المرفوع الظاهر مشتركاً بين العوامل المتعدد كلها (٢) ؛ إذا كان متأخراً عنها ؛ فيكون فاعلاً - مثلاً - لها جميعاً ، ولا يحتاج واحد منها للعمل في ضميره .

٥ - إذا تعددت العوامل وكان كل منها محتاجاً إلى معمول غير مرفوع جاز اختيار أحدها للعمل ، وترك الباقي من غير عمل ، لا في ضمير المعمول ، ولا في اسم ظاهر ينوب عنه ؛ لأن الاستغناء عن هذا الضمير أو ما يحل محله من اسم ظاهر ، جائز في الأساليب الفصيحة الخالية من التنازع . فلا بأس أن يجري في التنازع أيضاً ، وبعض المأثور من أمثلة التنازع يطابق هذا ويسايره . ولا فرق بين ما أصله عمدة ، وما أصله فضلة . وإذا وقع الحذف في لبس وجب إزالته بإحدى الوسائل التي لا تعقيد فيها . ولا تهوى بقوة الأسلوب ، وحسن تركيبه .

(١) ص ١٨٧

(٢) وتتعدد العوامل مع وجود معمول واحد لها ، رأى يبيحه ويصرح به بعض أئمة النحو ؛ كالفرأء - ومكانته بين كبار النحاة معروفة . وقد أوضحناها في ج ٣ م ٩٨ ص ١٥٨ باب : « أبنية المصادر » .

المسألة ٧٤ :

المفعول المطلق^(١)

معناه :

الفعل — بعد إدخاله في جملة — يدل على أمرين معاً ؛ أحدهما : « المعنى المجرد^(٢) » ، ويسمى : « الحدث » ، والآخر : « الزمان » . ففي مثل : (رجع المجاهد ؛ فأسرع الناس لاستقباله ، وفرحوا بقدومه . . . نجد ثلاثة أفعال ، هي : رجع — أسرع — فرح . . .) وكل فعل منها يدل بنفسه مباشرة ؛ — أى : من غير حاجة إلى كلمة أخرى ، — على أمرين معاً .

أولهما : معنى محض نفهمه بالعقل ؛ هو : الرجوع — الإسراع — الفرح . . . وهذا المعنى المجرد هو ما يسمى أيضاً : « الحدث » .

وثانيهما : زمن وقع فيه ذلك المعنى المجرد (الحدث) وانتهى قبل النطق بالفعل ؛ فهو زمن قد فات ، وانقضى قبل الكلام . وهذا الفعل يسمى : « الفعل الماضي » . ولو غيرنا صيغة الفعل ؛ فقلنا : (يرجع المجاهد ؛ فيسرع الناس لاستقباله ، ويفرحون بقدومه) — لَطَلَّ كل فعل بعد التغيير دالاً على الأمرين معاً ؛ وهما : « المعنى المجرد ، والزمن » . ولكن الزمن هنا صالح للحال والاستقبال . ويسمى الفعل في هذه الصورة الجديدة : « الفعل المضارع » .

(١) المطلق ، أى : الذى ليس مقيداً بقييد باقى المفاعيل بذكر شيء بعده ، كحرف جر مع مجروره ، أو غيره من القيود ؛ كالمفعول به — المفعول لأجله — المفعول معه . . . ويقولون في سبب إطلاقه : إنه المفعول الحقيقي لفاعل الفعل ؛ إذ لم يوجد من الفاعل إلا ذلك الحدث ؛ نحو : قام المريض قياماً ؛ فالمرضى قد أوجد القيام نفسه ، وأحدثه حقاً بعد أن لم يكن ؛ بخلاف باقى المفعولات ، فإنه لم يوجد لها ، وإنما سميت باسمها باعتبار إلصاق الفعل بها ، أو وقوعه لأجلها ، أو معها ، أو فيها ؛ فلذلك لا تسمى مفعولاً إلا مقيدة بشيء بعدها . هذا ، وقد لا زمت كلمة : « المطلق » حتى صاوت قيداً .

(٢) أى : العقل المحض الذى لا يقع تحت إحدى الحواس ؛ إذ لا كيان ولا وجود له إلا في العقل ؛ فهو صورة عقلية بحتة ؛ فلا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم بغيره ، ولا يدل على صاحبه الذى يقوم به ، ولا على أفراد ، ولا ثنائية ، ولا جمع ، ولا تذكير ، ولا تأنيث . هذا هو المراد من « التجريد البحت » .

ولو غيرنا الصيغة مرة ثالثة فقلنا : (ارجع . . . أسرع . . . افرح . . .
 — لدلّ الفعل في صورته الجديدة على الأمرين معاً ؛ وهما : « المعنى المجرد ، والزمن »
 لكن الزمن هنا مستقبل فقط . وينشأ ما يسمّى : « فعل الأمر » .
 فالفعل المتصرف — بأنواعه الثلاثة السالفة — يدل على : « المعنى المجرد
 (الحدث) ، والزمان ^(١) معاً » .

ولو أتينا بمصدر صريح ^(٢) لتلك الأفعال — أو نظائرها — لوجدناه وحده يدل
 في جملته على أمر واحد معين ؛ هو المعنى المجرد (أى : الحدث) فقط ؛ كالمصدر وحده
 في مثل : الرجوع حسن — الإسراع نافع — الفرح كثير . . . ؛ فهو يدل على أحد
 الشيئين اللذين يدل عليهما معاً الفعل ، ولا يدل على الثاني . . وهذا معنى قولهم :
 « المصدر الصريح ^(٣) يدل — في الغالب ^(٤) — على الحدث ، ولا يدل على الزمان » ^(٥) .
 والمصدر الصريح أصل المشتقات — في الرأي الشائع ^(٦) — ، ويصلح لأنواع
 الإعراب المختلفة ؛ فيكون مبتدأ ، وخبراً ، وفاعلاً ، ومفعولاً به . . . و . . .

(١) وهذا هو الغالب ؛ لأن هناك أفلا لا تدل — في الرأي الأرجح — على الزمان ؛ كنعم
 ويش في المدح والذم ، وكالأفعال التي في التعريفات العلمية ، وغيرها ، بما أوضحناه وفصلناه — فيما
 يتعلق بمعنى الفعل ، وأقسامه ، والزمان ، وغيره — بالجزء الأول م ٤ ص ٢٩ .
 (٢) أى : غير مؤول . وإذا أطلق المصدر كان المراد : الصريح .
 (٣) لأن المؤول يدل على زمن معين ، (على الوجه الذي بسطناه في مكانه من الجزء الأول ، م ٢٩
 ص ٣٠٢) .

(٤) لأن المصدر الصريح قد يدل مع الحدث على : « المرة ، أو الهيئة » . وإيضاح هذا وتفصيله
 في موضعه الخاص من باهما (ج ٣ م ١٠٠) .
 (٥) وإلى هذا أشار ابن مالك بقوله .

المصدرُ اسمٌ ما سوى الزَّمانِ مِنْ مَدْلُولِ الفعلِ ؛ كَأَمِنْ ، مِنْ أَمِنْ — ١

يقول في تعريف المصدر : إنه اسم يطلق على شيء غير الزمان من المدلولين اللذين يدل عليهما الفعل .
 ولما كان المدلولان هما : « الحدث ، والزمان » ، وقد صرح بأنه يدل على غير الزمان — اتجهت
 الدلالة بعد ذلك إلى المعنى المجرد وحده . ومثل للمصدر بكلمة : « أَمِنْ » وقال عنه : إنه من الفعل
 الماضي : « أَمِنَ » ، يريد بذلك : أن معنى هذا المصدر هو بعض مما يحويه الفعل « أَمِنَ » إذ الأَمِنْ
 يدل على المعنى المجرد الذي هو أحد شيئين يدل عليهما الفعل : أَمِنَ .

(٦) راجع هذا الرأي في ج ٣ باب : « أبنية المصادر » . م ٩٨ وفي م ٩٩ باب : « إعمال
 المصدر ، واسمه » .

و . . . ، وقد يكون منصوباً في جملته باعتباره مصدرأ صريحاً جاء لغرض معنى خاص ؛ كإكيد معنى عامله المشارك له في المادة اللفظية (أو غير هذا مما سيجيء هنا) مثل : حَطَّم التماسح السفينة تحطيماً . وفي هذه الحالة الخاصة وأشباهاها يسمى : « مفعولاً مطلقاً ^(١) » ، ويقال في إعرابه : إنه منصوب على المصدرية ، أو : منصوب لأنه مفعول مطلق .

وإذا كان منصوباً على هذه الصورة الخاصة فناسبه قد يكون مصدرأ آخر من لفظه ومعناه معاً ، أو من معناه فقط . وقد يكون فعلاً ^(٢) من مادته ومعناه معاً ، أو من معناه فقط ، وقد يكون الناصب له وصفاً متصرفاً يعمل عمل فعله — إلا أفعال التفضيل — ؛ كقولهم : (إن الترفع عن الناس ترفعاً أساسه الغطرسة ، يدفع بصاحبه إلى الشقاء دفعاً لا يستطيع منه خلاصاً) . وقولهم : (المخلص لنفسه إخلاص العقلاء يصدّها عن الغي ؛ فيسعد ، والمُعجَب بها إعجاب الحمقى يُطلق لها العنان فيَهْلِك) ^(٣)

فالمصدر : « تَرَفُّعاً » — قد نُصِبَ بمصدر مثله ؛ هو : تَرَفُّع .

والمصدر : « دفعاً » — قد نصب بالفعل المضارع قبله ؛ وهو : يدفع .

والمصدر : « إخلاصاً .. » — قد نصب باسم الفاعل قبله ؛ وهو : المخلص .

(١) سيجيء تعريفه في رقم ١ من هامش ص ٢١٠ .

(٢) بشرط أن يكون متصرفاً ، وتاماً ، وغير ملغى عن العمل ، فخرج الفعل الجامد ؛ كفعل التعجب ، والناقص مثل : كان . والملغى ، مثل « ظن » عند إلغائها بالطريقة السابقة — في ص ٣٨ —

(٣) وفي ناصب المصدر يقول ابن مالك :

بِمِثْلِهِ : أَوْ فِعْلٍ ، أَوْ وَصْفٍ نُصِبَ وَكُونُهُ أَصْلًا لِهَذَيْنِ انْتُخِبَ - ٢

بيّن في هذا البيت حكم المصدر ، وأنه قد ينصب بمصدر مثله ، أو بفعل ، أو بوصف ، وانتُخب كونه أصلاً للفعل والوصف ؛ أى : وقع الاختيار والتفضيل على الرأى القائل بهذا . ثم بين أقسام المصدر بحسب فائدته المعنوية ؛ فقال :

تَوْكِيداً ، أَوْ نَوْعاً يُبَيِّنُ ، أَوْ عَدَدَ كَسِرَتْ سَيْرَتَيْنِ ؛ سَيْرَ ذِي رَشَدٍ - ٣

أى : أن المصدر قد يفيد التوكيد ، أو يبين النوع ، أو يبين العدد . وساق مثالا يجمع الأقسام الثلاثة ؛ فإن : « سيرتين » هي لبيان العدد مع التوكيد أيضاً ، و « سير ذى رشداً » لبيان النوع مع التوكيد أيضاً . وترك القسم الرابع النائب عن عامله . وسيجيء في ص ٢١٩ .

والمصدر : « إعجاب » — قد نصب باسم المفعول قبله ؛ هو : المعجب .
 وكقولهم : الفَرَحُ فَرَحًا مسرفًا ، كالحزين حزناً مفراطاً ؛ كلاهما
 مسيء لنفسه ، بعيد عن الحكمة والسداد .
 فالمصدر : « فرحاً » — منصوب بالصفة المشبهة قبله وهي : « الفرح » .
 وكذلك المصدر : « حزناً » — فإنه منصوب بالصفة المشبهة قبله ، وهي :
 « الحزين »^(١) .

* * *

تقسيم المصدر بحسب فائدته المعنوية —

(أ) قد يكون الغرض من المصدر المنصوب أمراً واحداً ؛ هو : أن يؤكد
 — تأكيداً لفظياً — معنى عامله المذكور قبله ^(٢) ، ويُقوية ، ويقرره ؛ (أى :
 يبعد عنه الشك واحتمال المجاز) ويتحقق هذا الغرض بالمصدر المنصوب المبهم ^(٣) ،
 نحو : بلغ الخوت الرجل بلعا — طارت السمكة في الجوطيراناً . . .
 (ب) وقد يكون الغرض من المصدر المنصوب أمرين معاً — فهما متلازمان — :
 تأكيد معنى عامله المذكور ، وبيان نوعه ^(٤) ، ويكون بيان النوع هو

(١) والصفة المشبهة تنصب المصدر في الرأي الأنسب : لأن فيه تيسيراً — كما سيحى في بابها
 ج ١٠٥ م ٣ .

« ملاحظة » : قد يكون العامل في المنادى هو العامل في نصب المصدر . ومن الأمثلة قول الشاعر :
 يا هند دعوة صب هائم دَيف مَنى بوصل ، وإلامات أو كَرَبَا
 (راجع المجمع ج ١ ص ١٧٣ . وستحى لهذا إشارة في ج ٤ باب النداء ، م ١٢٧ ص ٦) .
 (٢) في ص ٢١١ و ٢١٢ الكلام على تقدم عامله عليه .

(٣) المصدر المبهم هو الذى يقتصر على معناه المجرد دون أن تحى له زيادة معنوية من ناحية
 أخرى ؛ كإضافة أو وصف ، أو عدد ، أو « أل » التى للمهد ،

والمصدر المختص : ما يؤدى معناه المجرد مع زيادة أخرى تحى لمعناه من خارج لفظه ؛ كالتى
 تحى له بسبب إضافته ، أو وصفه ، أو « أل » المهدية « فى أوله » ، أو . . . وفى هذا يقول الخضرى
 فى المبيّن للنوع ما نصه :

« (يقع مبيّن للنوع لكونه مضافاً ، أو موصوفاً ؛ كما مثله الناظم بقوله : (سرت سرتين سير
 ذى رشد) — أو محلى . بآل المهدية ؛ كسرت السير ، أى : المجهود بينك وبين مخاطبك . فهو
 ثلاثة أقسام . ويسمى : « المختص » أيضاً ؛ لاختصاصه بما ذكر . والتحقيق أن الممدود مختص أيضاً ؛
 لتحديد بالعدد المخصوص ؛ لذا جعل فى التسهيل المفعول المطلق قسمين . « مبهم » وهو المؤكد ، =

الأهم^(١)؛ نحو: نظرت للعالم نظراً الإعجاب والتقدير، وأثبتت عليه ثناءً مستطاباً. وقوله تعالى: (وإن الساعة لآتية)، فاصفح الصفح الجميل، وليس من الممكن بيان النوع^(٢) وحده من غير توكيده لمعنى العامل.

(ح) وقد يكون الغرض منه أمرين متلازمين أيضاً؛ هما: توكيد معنى عامله

= «ومختص» ، وهو قسمان: محدود، ونوعي () . . . ثم قال ما نصه: (إن النوعي إن كان مضافاً كان من باب النيابة على التحقيق - طبقاً للبيان الذي في رقم ٢ من هامش هذه الصفحة - وأما «ذوال» فالظاهر أنه قد يكون كذلك؛ كما إذا قصدت تشبيه سيرك الآن بسير سابق مهود للمخاطب سواء أكان منك أو من غيرك. وقد يكون أصلياً؛ كأن قصدت الإخبار عن ذلك السير المهود الذي وقع منك بميئته استحضاراً لصورته) ١ هـ كلام الخصري.

والبلاغة تقتضي أن يكون استعمال المصدر المهم مقصوداً على الحالة التي يكون فيها معنى عامله موضع غرابة أو شك؛ فيزيل المصدر المهم تلك الغرابة، وهذا الشك؛ كالأمثلة التي عرضناها. فليس من البلاغة أن يقال: قدمت قعوداً - أكلت أكلاً.. وأشياء هذا، ما دام الفعل: «قدم» أو: «أكل»، ليس موضع غرابة أو شك. نعم التعبير صحيح لغوياً، ولكنه ركيك بلاغياً. أما مثل: طارت السمكة طيراناً، فالبلاغة ترضى عن مجيء المصدر المهم؛ لغرابة معنى عامله، وتشكك السامع في صحته. . . . وهكذا.

وتوكيد المصدر لعامله هو من نوع التوكيد اللفظي - الذي سيجيء في الجزء الثالث م ١١٦ ص ٤٣٤ -؛ فيؤكد نفس عامله إن كان مصدرأ مثله، ويؤكد مصدر عامله الذي ليس بمصدر ليتحد المؤكد والمؤكد معاً في نوع الصيغة؛ (تطبيقاً لشرط التوكيد اللفظي، ومنه التوكيد بالمصدر الذي نحن فيه)؛ فعنى قولك: عبرت النهر عبراً - أوجدت عبراً عبراً. وهذا رأى المحققين. لكن سيقرب على الأخذ برأيهم حذف المؤكد في التوكيد اللفظي، وهذا الحذف - عند أكثرهم - ينافي الغرض من التوكيد اللفظي. وفوق هذا عامله الحقيقي محذوف أيضاً؛ ففي الكلام حذف كثير.

هل يجاب بأن المؤكد مع حذفه ملاحظ يدل عليه اللفظ المذكور الذي يشاركه في الاشتقاق، وهو: «عبرت» فهو محذوف كالمذكور؟

(١) يدخل في هذا القسم المصدر المصوغ للدلالة على الهيئة، (وسيجيء الكلام عليه في ج ١٠٣).
(٢) يقولون بحق: إن المصدر النوعي إن كان مضافاً فالأصح اعتباره نائب مصدر؛ لاستحالة أن يفعل الإنسان فعل غيره؛ وإنما يفعل فعله الصادر منه؛ فالأصل في مثل: سرت سير ذى رشد؛ هو: سرت سيرا مثل سير ذى رشد؛ فحذف المصدر، ثم صفته، وأنيب المضاف إليه منابه. ولولا ذلك لكان المعنى: أن سير ذى الرشد قد سرت هو نفسه؛ وهذا فاسد، إذ كيف أسير السير المنسوب لذى الرشد؟ كيف يكون ذو الرشد هو الذى ساره وأوجده؟ حين أقول أنا الذى سرت وأوجدته؟ ففي الكلام تناقض وفساد لا يزيلهما إلا اعتبار النوعي المضاف نائب مصدر. وهذا كلام دقيق، يتجه إليه غرض المعربين، وإن لم يتقيدوا به في إعرابهم الشائع المقبول أيضاً؛ تيسيراً وتخفيفاً. (راجع رقم ١ هامش ص ٢١٦).

المذكور مع بيان^(١) عدده ، ويكون الثاني هو الأهم . ولا يتحقق الثاني وحده بغير توكيده معنى العامل ؛ نحو : قرأت الكتاب قراءتين ، وزرت الآثار الرائعة ثلاث زورات .

(د) وقد يكون الغرض منه الأمور الثلاثة مجتمعة^(٢) ؛ نحو : قرأت الكتاب قراءتين نافعتين - وزرت الآثار الرائعة ثلاث زورات طويلات ...
ولابد من اعتبار المصدر مختصاً في هذه الحالات الثلاث الأخيرة : (ب - ج - د) ، لأن المصدر المبهم مقصور على التوكيد المحض ؛ لا يزيد عليه شيئاً . فإذا دل مع التوكيد على بيان النوع ، أو بيان العدد ، أو عليهما معاً - وجب اعتباره مصدراً مختصاً^(٣) .

ومما تقدم نعلم أن فائدة المصدر المعنوية قد تقتصر على التوكيد وحده ، ولكنها لا تقتصر على بيان النوع وحده ، ولا بيان العدد وحده ، ولا على هذين الأخيرين معاً ؛ إذ لا بد من إفادة التوكيد في كل حالة من هذه الحالات الثلاث . ومن ثمّ قسم بعض النحاة المصدر قسمين ؛ « مبهماً » ؛ ويراد به : المؤكّد لمعنى عامله المذكور . و « مختصاً » ؛ ويراد به المؤكّد أيضاً مع زيادة بيان النوع ، أو زيادة بيان العدد ، أو ببيانهما معاً .

وقسمه بعض آخر ثلاثة أقسام ؛ هي : المؤكّد لعامله المذكور ، والمؤكّد المبين لنوعه ، والمؤكّد المبين لعدده ، وسكت عن المؤكّد المبين للنوع والعدد معاً ؛ لأنه مركب من الأخيرين ؛ فهو مفهوم ومقبول بداهة . ونتيجة التقسيم واحدة^(٤) .

(١) ويدخل في هذا القسم المصدر المصوغ للدلالة على المرة ، وهو - في الغالب - لا يعمل ، كسائر المصادر العددية .

(٢) ونشير لهذا في رقم ٤ من هامش ص ٢١١ وكما في ص ٢١٢ . أما تفصيل الكلام عليه في بابه الخاص من ج ٣ م ١٠٠ .

(٢) هي : توكيد المعنى ، وبيان النوع ، وبيان العدد .

(٣) انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٠٧ - حيث البيان .

(٤) وهناك قسم آخر - سيجيء في ص ٢٢٠ - هو المصدر النائب عن عامله المحذوف ، وهو مستقل بنفسه في رأى حسن ؛ ولذا يقول المحققون إن أقسام المصدر أربعة ، والأخذ بهذا الرأى أنفع ، لأنه يذلل صعوبات لا يمكن تذليلها إلا بالتأويل والتقدير والتكلف من غير داع . ومن أمثلة هذا : أن المصدر المؤكّد لعامله لا يجوز في الغالب حذف عامله - كما سيجيء في ص ٢١١ و ٢١٩ وفي رقم ٢ من هامش ص ٢٢٠ - ، ولا أن يعمل ، مع أن هناك أنواعاً من المصادر قد تؤكد عامليها وتعمل عملها مع وجوب حذفه ؛ كالمصدر النائب عن عامله المحذوف ، فهذا تناقض يمنعه أن يكون هذا قسماً مستقلاً .

أمثلة لما سبق :

أمثلة للتوكيد وحده : كلم الله موسى تكليماً - غزا العلم الكواكب غزواً - نزل الطيارون فوق سطح القمر نزولاً ، ومشوا عليه مشياً . صافح الفيل صاحبه مصافحة . أمثلة للتوكيد مع بيان النوع : ترنم المغنّى ترنم البلبل - رسم الخبير رسماً بديعاً - أجاد المطرب إجادة الموسيقى .

أمثلة للتوكيد مع بيان العدد : قرأت رسالة الأديب قراءة واحدة ، وقرأها أخرى قراءتين ، وقرأها غيرنا ثلاث قراءات .

أمثلة للتوكيد مع بيان الأمرين : ترنمت ترنيمى البلبل والمغنّى الساحرين - رحلت لبلاد الشام ثلاث رحلات جميلات .

العلاقة بين المصدر والمفعول المطلق :

النحاة يسمون المصدر المنصوب الدال بنفسه على قسم مما سبق : « المفعول المطلق »^(١) .

فالمفعول المطلق تسمية يراد منها : « المصدر المنصوب المبهم ، أو المختص » . وقد يراد منها : « النائب عن ذلك المصدر » ؛ فهي تسمية صالحة لكل واحد منهما ، تنطبق عليه . - كما سنعرف^(٢) .

(١) يقول ابن هشام في تعريف المفعول المطلق : « إنه اسم يؤكد عامله ، أو يبين نوعه ، أو عدده ، وليس خبراً عن مبتدأ (كقولنا : علمك علم نافع) ولا حالا (نحو : ولي مدبراً) . . . » اهـ لا داعي لقوله : (ليس خبراً عن مبتدأ) ؛ لأن هذا الخبر مرفوع وعمدة ، كما أن خبر النواسخ عمدة . ولا لقوله : (ليس حالا) ، لأن الحال مشتق - في الغالب - أما المفعول المطلق فليس مرفوعاً ولا عمدة ، وليس بمشتق في الغالب . . . - هذا ، والحال في المثال مؤكدة لعاملها -

(٢) سنعلم مما سيحيى في ص ٢١٣ أن هناك أشياء تنوب عن المصدر الأصلي عند حذفه ؛ فتعرب مفعولاً مطلقاً ، أو نائب مصدر ، ولا تعرب مصدرأ . وعلى هذا قد يكون المصدر مفعولاً مطلقاً كالأمثلة السابقة ، (وقد يكون المصدر غير المفعول المطلق ؛ وذلك إذا كان المصدر مرفوعاً ، أو مجروراً أو كان منصوباً لا يبين توكيداً ، ولا نوعاً ، ولا عدداً ، نحو : القتل أشنع الجرائم ، والفتنة أشد من القتل . إن القتل أشنع الجرائم . وقد يكون المفعول المطلق غير مصدر ؛ كالأشياء التي أشرنا إليها ؛ وهي التي تنوب عن المصدر عند حذفه . فالمصدر والمفعول المطلق يجتمعان معاً في بعض الحالات فقط ، وينفرد كل منهما بحالات لا يوجد فيها الآخر . (وهذا يسمى عند المنطقة : بالعموم الوجهي بين شيئين ؛ فيجتمعان معاً في جهة معينة ، وينفرد كل منهما في جهة أخرى تجعله أعم ، وأشمل ، وأكثر أفراداً من نظيره . . .)

حكم المصدر^(١):

١ - إذا كان المصدر مؤكّداً لعامله المذكور في الجملة تأكيداً محضاً^(٢)؛ فإنه لا يرفع فاعلاً^(٣)، ولا ينصب مفعولاً به. إلا إن كان مؤكّداً نائباً عن فعله المحذوف^(٤).

كما لا يجوز - في رأى الشائع - تثنيته، ولا جمعه، ما دام المراد منه في كل حالة هو المعنى المجرد، دون تقييده بشيء يزيد عليه، (أى: ما دام المصدر مبهمًا)؛ فلا يقال: صفحت عن الخطئ صفحين، ولا وعدتك وعوداً. إلا إن كان المصدر المبهم مختوماً بالتاء؛ مثل التلاوة؛ فيقال: التلاوتان، والتلاوات.

وسبب امتناع التثنية والجمع أن المصدر المؤكّد مقصود به معنى الجنس^(٥)؛ لا الأفراد؛ فهو يدل بنفسه على القليل والكثير، فيستغنى بهذه الدلالة عن الدلالة العددية في المفرد، والتثنية، والجمع؛ لأن دلالته تتضمنها. ومثل المصدر المؤكّد ما ينبو عنه.

ولا يجوز أيضاً - في الغالب - حذف عامل المصدر المؤكّد ولا تأخيرته؛ عن معموله المصدر؛ لأن المصدر جاء لتقوية معنى عامله، وتقريره بإزالة الشك عنه، وإثبات أنه معنى حقيقى، لا مجازى، والحذف مناف للتقوية والتقرير، كما أن التأخير ينافى الاهتمام^(٦). لكن هناك مواضع يحذف فيها عامل المصدر المؤكّد وجوباً بشرط إنباء المصدر عنه، وستجىء^(٧).

(١) أفرد النحاة لإعمال المصدر باباً خاصاً بهذا العنوان، يشمل شروط إعماله، ويختلف أحكامه، (وسيجىء في ج ٣ ص ٢٠١ م ٩٩).

(٢) أى: مجرداً من كل زيادة أخرى تنضم إلى التوكيد؛ كالزيادة الدالة على النوع أو على العدد، أو عليهما.

(٣) لأنه نوع من التوكيد اللفظى - كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ٢٠٧ - والتوكيد اللفظى لا يكون عاملاً ولا معمولاً، إلا فيما نص عليه البيان المدون هنا، وفي بابها الخاص (ج ٣).

(٤) هذه الحالة الفريدة التى يعمل فيها المصدر المؤكّد عمل فعله. وستجىء مواضع نيابته عنه في ص ٢٢١ م ٧٦، أما المبين - بنوعه - فلا يعمل في الغالب، كما سنذكره.

(٥) المراد: الجنس الإفرادى، وهو ما يصدق على القليل والكثير، مثل: ماء - هواء - ضوء (راجع ج ١ ص ١٥ م ١).

(٦) هذا تعليل النحاة. أما التعليل الأنسب فهو «المحاكاة» للوارد عن فصحاء العرب.

(٧) في ص ٢٢١ م ٧٦.

٢ - أما المصدر المبين للنوع - إذا اختلف أنواعه - أو المبين للعدد، فيجوز تثنيتهما وجمعهما جميعاً مناسباً^(١)، وتقدمهما على العامل، وهما في حالة الإفراد أو التثنية أو الجمع، ولا يعملان شيئاً - في الغالب -^(٢)؛ فليس لهما فاعل ولا مفعول...؛ فمثال تثنية الأول وجمعه: سلكت مع الناس سلوكي العاقل؛ الشدة حيناً، والملاينة حيناً آخر - سرت سيرة الخلفاء الراشدين؛ أي: سلكت مع الناس نوعين من السلوك، وسرت معهم أنواعاً من السيرة. (وليس المراد بيان عدد مرات السلوك، وأنه كان مرتين، ولا بيان مرات السير، وأنه كان متعدداً)^(٣)، وإنما المراد بيان اختلاف الأنواع في كل حالة، بغير نظر للعدد^(٣)).

ومثال الثاني: خطوت في الحديقة عشر خطوات، ودُرت في جوانبها أربع دورات^(٤).

(١) المراد بالجمع المناسب هنا: ما تحققت شروط صحته؛ ذلك أن الجمع ثلاثة أنواع؛ (جمع مذكر - جمع مؤنث سالم - جمع تكسير). ولكل جمع من الثلاثة شروط خاصة به، لا بد من تحققها في مفردة قبل جمعه قياسياً. وتلك الشروط تختلف باختلاف المفرد لكل نوع.

(٢) وقد يعمل المبين للنوع أحياناً، كأن يكون مضافاً لفاعله، ناصباً لمفعوله أو غير ناصب؛ نحو: تأملت من إيذاء القوى الضعيف - حزن حزناً المريض. وهذا العمل - على قلته - قياسي.

(كما سيبيء البيان في ج ٣ م ٩٩).

(٣ و ٣) لأن دلالة المصدر على العدد هي من اختصاص القسم التالي العددي، وليست من القسم النحوي.

(٤) وإلى هذا يشير ابن مالك ببيت ذكره متأخراً عن هذا المكان المناسب له - وسيبيء في هامش من ٢١٨ -

وَمَا لِتَوْكِيدٍ فَوْحٌ أَبَدًا وَشَنْ ، وَاجْمَعْ غَيْرُهُ ، وَأَفْرَدًا

أي: أن المصدر الدال على التوكيد يجب توقيده؛ أي: إفراده؛ فلا يترك الإفراد إلى التثنية أو إلى الجمع. أما غيره فثمة إن شئت، أو اجمله جمعاً مناسباً، أو أفرد، أي: اجمله مفرداً. وقد أوضحنا في الصفحة الآتية أن النائب عن المصدر المؤكد، أو: المبين، يجري على حكمه.

حذف المصدر الصريح ، وبيان ما ينوب عنه

يجوز حذف المصدر الصريح بشرطين : أن تكون صيغته (أى : مادته اللفظية) من مادة عامله اللفظية ^(١) ، وأن يوجد في الكلام ما ينوب عنه بعد حذفه .

وحكم هذا النائب : النصب دائماً ^(٢) . ويذكر في إعرابه : أنه منصوب لنيابته عن المصدر المحذوف ، أو : منصوب لأنه مفعول مطلق ، ولا يصح في الإعراب الدقيق أن يقال : « منصوب لأنه مصدر » ؛ ذلك لأنه ليس مصدرًا للعامل المذكور ؛ إذ مصدر العامل المذكور قد حذف ، وهذا نائب عنه . . . فمن الواجب عدم الخلط بين المصطلحات ، والتحرز من الخطأ في مدلولاتها ؛ فعند إعراب المصدر الأصلي المنصوب نقول : إنه « مصدر منصوب » ، أو : « مفعول مطلق » منصوب كذلك . أما عند حذف المصدر الأصلي ووجود نائب عنه فنقول في إعرابه : « إنه نائب عن المصدر المحذوف ، منصوب » ، أو : « مفعول مطلق ، منصوب » ، ولا يصح أن يقال : مصدر . . .

(١) يشترط النحاة أن يكون المصدر متأسلاً في المصدرية . ويفسرونها بأنها التي تكرن من لفظ عامله وحروفه ، لا مطلق المصدر ؛ ففي مثل : سررت فرحاً - أو فرحت جذلاً - لا تعد كلمة « فرحاً » ولا كلمة : « جذلاً » مصدرًا متأسلاً للفعل المذكور ؛ لعدم الاشتراك اللفظي في الصيغة ، وإنما هما نائبتان عن المصدرين الأصليين المحذوفين ، والأصل : « سررت سروراً » ، و « فرحت فرحاً » ، ثم حذف المصدر الأصل ، وناب عنه مصدر آخر من غير لفظه ، ولكنه يرادفه من جهة المعنى . لهذا يعربون المصدر المرادف السالف « نائباً عن المصدر الأصل » ، أو : « مفعولاً مطلقاً » كما قلنا ، وكما عرفنا في رقم ٢ من هامش ص ٢١٠ أن المفعول المطلق يطلق - أحياناً - على المصدر الأصل المنصوب على المصدرية ، وقد يطلق على ما ينوب عنه أحياناً أخرى ، كما في هذا المرادف .

والمترادفان هما اللفظان المشتركان في المعنى تمام الاشتراك - بحيث يؤدي أحدهما المعنى الذي يؤديه الآخر - مع اختلاف صيغتهما في الحروف ؛ مثل : (فرح ، وجذل) ومثل : (شتان ، وكثره) ومثل : (حب ، ورقمة) .

(٢) مع خضوعه لبقية الأحكام التي كان يخضع لها المصدر المحذوف ؛ كما أشرنا قريباً في آخر الهامش ص ٢١٢ .

والأشياء التي تصلح للإنبابة عن المصدر كثيرة^(١)؛ منها : ما يصلح للإنبابة عن المصدر المؤكّد، وقد ينبو عن المصدر المبيّن أيضاً إذا وجدت قرينة تُعيّن المصدر المبيّن المحذوف . ومنها ما لا ينبو عن المصدر المؤكّد ، ولكنه ينبو عن غيره من باقي أنواع المصدر . فما يصلح للإنبابة عن المصدر المؤكّد :

- ١ - مرادفه^(٢)؛ مثل : أحببت عزيز النفس مَقَمَةً ، وأبغضت الوضع كُرْهًا .
- ٢ - اسم المصدر^(٣) ، بشرط أن يكون غير عَلَمٍ^(٤) : نحو : تَوْضُأُ المصلي وضوءاً - اغتسل الصانع غَسْلًا . فالوضوء والغسل اسماً مصدرين للفعلين قبلهما ، نائبين عن المحذوف . ومثل : فُرْقَةٌ ، وحُرْمَةٌ ، في قولهم : افترق الأصدقاء فُرْقَةً ، ولكنى أحترم عهودهم حُرْمَةً . فالكلمتان اسماً مصدرين للفعلين « افترق ، واحترم » قبلهما . ونائبين عن المصدرين المحذوفين^(٥) ؛ كالشأن في كل ما يلاقى المصدر في أصول مادة الاشتقاق^(٦) ؛ بأن يشاركه في حروف مادته

(١) يتبين مما يأتي أن أربعة أشياء تصلح للنبابة عن كل مصدر أصيل محذوف هي : (المرادف) - (ملاقيه في الاشتقاق ، ومن هذا اسم المصدر غير العلم) - (الضمير) - (اسم الإشارة) .

(٢) راجع رقم ١ من هامش الصفحة الماضية .

(٣) هو : ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه ، وخالفه من ناحية الاشتقاق . بنقص بعض حروفه عن حروف المصدر - وهذا هو الغالب - كما في الأمثلة المعروضة . فهما يتلاقيان في الاشتقاق . ولكن الغالب أن اسم المصدر تقل حروفه عن حروف المصدر الذي يلاقيه في مادة الاشتقاق ،

وقد عرضوا للفرق بين المصدر واسم المصدر من الناحية اللفظية السابقة ، ومن الناحية المعنوية ؛ فقالوا فيهما : إن لفظ المصدر يجمع في صيغته جميع حروف فعله ؛ فهو يجري عليه في أمرها ، واسم المصدر لا يجري على فعله وإنما ينقص عن حروفه - غالباً - وإن معنى المصدر ومدلوله هو : الحدث . أما اسم المصدر فعناه ومدلوله المصدر لا الحدث ، فهو يدل على الحدث بواسطة . أى : أن المصدر يدل على الحدث مباشرة وبالإصالة ، واسم المصدر بمنزلة النائب عنه في ذلك . على أن تفصيل الكلام على تعريفهما وإيضاح الفروق الدقيقة بينهما وسرد أحكامهما - سيجي في الباب الخاص بهما ؛ هو : باب : « إعمال المصدر » واسمه « (٣ ص ٢٠١ م ٩٩) . ومن الفوارق اللفظية المدونة هناك أن اسم المصدر مقصور على السماع ، أما المصدر فنه السماع ، ومنه القياسي .

(٤) وحجتهم أن العلمية معنى زائد على المصدر ؛ لأن المصدر يدل على الحدث فقط ، - كما عرفنا - فإذا كان النائب اسم مصدر وعلماً معاً فقد اجتمع فيه أمران ؛ هما : « العلمية » ، والدلالة على الحدث . . واجتماعهما يجعله غير صالح للنبابة عن المصدر المحذوف ؛ لأن المصدر المحذوف لا يدل على العلمية ؛ فكيف يدل عليها اسم المصدر وهو نائب عنه في لفظه وفي معناه ؟ أى : كيف يدل النائب على شيء ليس في الأصل ؟

(٥) انظر المصباح المنير ، مادة : « حرم » . (٦) يدخل في هذا المصدر المبيى .

الأصلية ؛ إما مع كونه مصدر فعل آخر ؛ كالمثالين الأولين ، ونحو : « التبتيل » في قوله تعالى : (واذكر اسم ربك ، وتَبَتَّلْ^(١) إليه تَبْتِيلاً) ، فإنه مصدر^(٢) للفعل : « بَتَّلَ » وقد ناب عن « التبتَّل » ، الذى هو مصدر الفعل : « تَبَتَّلَ » . وإما مع كونه اسم^(٣) عين ؛ نحو قوله تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً . . .) ، فكلمة : « نباتاً » اسم للشئ النابت من زرع أو غيره ، وقد ناب عن : « إنباتاً » الذى هو المصدر القياسى للفعل : « أنبت »^(٤) .

٣ - بعض أشياء أخرى ؛ كالضمير العائد عليه بعد الحذف ، وكالإشارة له بعد الحذف أيضاً ؛ كقولهم لمن يتكلم عن الإخلاص : « أخلصته لمن أودّه » ، وعن الإقبال : « أقبلتُ هذا » . والأصل : أخلصت الإخلاص ، وأقبلت الإقبال . فالضمير عائد على المصدر المؤكّد الذى حذف ، ونائب عنه ، وهو : (الإخلاص) واسم الإشارة يشير إلى المصدر المؤكّد الذى حذف وينوب عنه ؛ وهو : (الإقبال) .

والذى يصلح للإنبابة فى الأنواع الأخرى :

١ - لفظ كلّ أو بعض ، بشرط الإضافة لمثل المصدر المحذوف ؛ نحو : لا تنفق كل الإنفاق ، ولا تبخل كل البخل ؛ وابتغ بين ذلك قواماً^(٥) . إذا سنحت الفرصة لغاية كريمة فلا تتمهل فى اقتناصها بعض تمهل ، ولا تتردد بعض تردّد ؛ فإنها قد تُفُت ، ولا تعود .

ومثل كلّ وبعض ما يؤدى معناهما من الألفاظ الدالة على العموم أو على

(١) تفرغ وانقطع لعبادته وطاعته .

(٢) لم يعتبروا : « التبتيل » اسم مصدر للفعل : « تَبَتَّلَ » ؛ لأن حروفه تزيد على حروف مصدر هذا الفعل ، واسم المصدر - فى رأى الشائع عندهم - لا بد أن تقل حروفه عن حروف مصدر الفعل الذى يجرى على مقتضاه فى الاشتقاق . أما رأى الذى لا يشترط أن يقل عن حروف المصدر ، ويبيح أن تزيد ، فيجعل « تبتيلاً » اسم مصدر .

(٣) ذات مجسمة ، وليس - كالمصدر ؛ واسمه - معنى مجرداً .

(٤) يرى بعض النحاة أن كلمة « نبات » فى الآية مصدر جرى على غير فعله ؛ لأنه فى الأصل مصدر للفعل : « نبت » - ثم سمي به النابت ؛ فيكون داخلاً فى قسم الملاقى للمصدر فى الاشتقاق مع كونه مصدر فعل آخر . ولا مانع أن تكون « نبات » اسم مصدر للفعل : « أنبت » .

(٥) اطلب طريقاً وسطاً معتدلاً بين الأمرين .

البعضية ، مثل : جميع ، عامة ، بعض ، نصف ، شَطْر . . .

٢ - صفة المصدر المحذوف^(١) ؛ نحو : تكلمت أحسنَ التكلم وتكلمت أى تكلم^(٢) . إذ الأصل : تكلمت تَكَلَّمًا أحسنَ التكلم - وتكلمت تكلمًا أى تكلم ، بمعنى : تكلمت تكلمًا عظيمًا - مثلاً - .

٣ - مرادف المحذوف ؛ نحو : وقوفًا وجلوسًا فى مثل : قمت وقوفًا سريعًا للقادم العظيم ، وقعدت جلوسًا حسنًا بعد قعوده ، ومثل : لما اشتعلت النار صرخ الحارس صياحًا عاليًا ؛ لينبه الغافلين ، ولم يتباطأ توائيًا معيًّا فى مقاومتها .

٤ - اسم الإشارة ؛ والغالب أن يكون بعده مصدر كالمحذوف ؛ كأن تسمع من يقول : « راقنى عدل عمر » ؛ فتقول : سأعدل ذاك العدل العُمري . ويصح مع القرينة : سأعدل ذاك .

ومثل أن تسمع : أعجبني إلقاءك الجميل ، وسألنى ذاك الإلقاء ، أو سألتى ذاك ، فقد حذف المصدر بعد اسم الإشارة : لوجود القرينة الدالة عليه بعد حذفه ، وهى اسم الإشارة - فى المثالين - فإنه يدل دلالة المصدر هنا بالإشارة إليه ، ويغنى عنه^(٣) . . .

٥ - الضمير العائد على المصدر المحذوف ؛ كأن تقول لمن يتحدث عن الإكرام التام والإساءة البالغة : « أكرمُه من يستحقه ، وأسيئها من يستحقها » تريد : أكرم الإكرام التام من يستحقه . . . ، وأسيئ الإساءة البالغة من يستحقها^(٤) .

(١) ويدخل فى صفة المصدر المحذوف المصدر النوعى المضاف الذى سبق أن أشرنا إليه فى رقم ٢ من هامش ص ٢٠٨ وأوضحنا الرأى والسبب فى اعتباره نائباً عن المصدر .
والكثير فى الصفة النابتة عن المصدر أن تكون مضافة إليه ؛ كالأمثلة المذكورة ، وقول الشاعر :

الغنى فى يد اللثيم قبيح قدر قبيح الكريم فى الإملاق

أى : قبيح قبحاً قدر قبيح الكريم فى الإملاق .

(٢) هذا التركيب فصيح بالاعتبار الذى يليه ، والذى يبين أصله ، وما طرأ عليه من حذف .
(وبسط الكلام على صحته مدون فى ج ٣ - باب الإضافة ، م ٩٥ ص ١١٠ ، ١١٢ وما بعدها حيث الرأى الحاسم فى موضوع « أى ») . ولها إشارة فى باب النعت - ح ٣ م ١١٤ ص ٤٥٢ .

(٣) لا بد من هذه القرينة التى تجعل المحذوف بمنزلة المذكور ، وإلا كان اسم الإشارة نائباً عن مصدر مؤكد ، لا عن مصدر نوعى .

(٤) مثل هذا الأسلوب قد يبدو غريباً . لكن إذا عرفنا أن معناه : الإكرامُ ، أكرمُ إكراماً من يستحقه . والإساءة ، أسيء إساءة إلى من يستحقها - ذهب الغرابة . وهو أسلوب عربى صحيح له =

٦ - العدد الذال على المصدر المحذوف : نحو : يدور عقرب الساعات في اليوم واللييلة أربعاً وعشرين^(١) دورة ، ويدور عقربُ الدقائق في الساعة ستين^(٢) دورة .

٧ - الآلة التي تستخدم لإيجاد معنى ذلك المصدر المحذوف ، وتحقيق دلالة ؛ نحو : سقيت العاطش كوباً - ضرب اللاعب الكرة رأساً ، أو رجلاً ، أى : سقيت العاطش سقياً كوب - ضرب اللاعب الكرة ضرباً رأس ، أو ضرب رجلاً ، بمعنى : سقيت العاطش بأداة تؤدي مهمة السقى : تسمى : « الكوب » . وضرب اللاعب الكرة بأداة مرفوعة بهذا الضرب تُسمى : الرأس ، أو : الرجل^(٣) . ولا بد في الآلة أن تكون معروفة بأنها تستخدم في إحداث معنى المصدر ؛ فلا يصح سقيت الرجل العاطش دلوّاً - ولا ضرب اللاعب الكرة بطناً ؛ لأن الدلو لا يُسقى بها الرجل ، والبطن لا يُضرب به الكرة .

٨ - نوع من أنواعه ؛ نحو ؛ قعد الطفلُ القُرْفُصَاءَ^(٤) - مشى العدوُ القَهْقَرَى^(٥) ، أو : القَهْقَرَى - سرت وراءه الجرى - نام الآمن ملء جفونه^(٦) ... أى : قعد قعود القُرْفُصَاءَ - مشى مشى القَهْقَرَى ؛ وسرت سير الجرى - نام الآمن نوماً ملء جفونه . . .

= نظائر كثيرة في القرآن ؛ وغيره مثل قوله تعالى : (فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)
أى : لا أعذب العذاب - لا أعذب عذاباً - أحداً من العالمين . . .
(١ و ١) والأصل : دوراناً أربعاً وعشرين دورة - دوراناً ستين دورة . ثم حذف المصدر ، وناب عنه عدده .

(٢) في مثل هذه الأمثلة ونحوها حذف المضاف - وهو المصدر المنصوب - وأقيم المضاف إليه مقامه ؛ فصار منصوباً مثله ؛ إذ الأصل كما قلنا : سقيت العاطش سقى كوب - ضرب اللاعب الكرة ضرب رأس ، أو ضرب رجل .

(٣) نوع من القعود ، يستقر فيه الجالس ، وفخذه ملتصقتان ببطنه ، يحيط بهما ذراعه . أو يتكبد على ركبتيه ، لاصقاً فخذه ببطنه ، وكفاه تحت إبطيه . . .

والقرفصاء والقَهْقَرَى معدودان هنا نائبين للمصدر ؛ لأنهما من غير لفظ العامل ؛ بالرغم من أنهما مصدران أصليين للفعليين : « قَرْفَصَ » و « قَهْقَرَ » ؛ فهما مع فعليهما المشاركين لهما في المادة - مصدران ، أما مع عامل آخر لا يشاركهما في المادة اللفظية - كالذى هنا - فتائبان عن المصدر - كما سلف في رقم ١ من هامش ص ٢١٣

(٤) هى الرجوع إلى الخلف .

(٥) ومن هذا قول المتنبي عن قصائده ومشكلاتها المعنوية :

أَنَامَ ملء جفونى عن شواردها وَيَسْهَرُ الخلق جراًها ويختصم

(جراها = من جرائها . أى : من أجلها . . .) وما يصلح للتويع قول الشاعر :

٩ - اللفظ الدال على هيئة المصدر المحذوف ؛ كصيغة : « فعلة » ؛ نحو :

مشى القط مشية الأسد ، وثب وثبة النمر . فكلمة : مشية - وثبة - تدل على نوع من الهيئة يكون عليه المصدر ؛ فهي هنا نائبة عنه .

١٠ - وقته ؛ نحو : فلان يلهو ويمرح ؛ لأنه لم يحى ليلة المريض ، ولم يعيش ساعة الجريح . أى : لم يحى حياة ليلة المريض ، ولم يعيش عيشة ساعة الجريح . (تريد : لم يحى في ليلة كليلة المريض ، ولم يعيش في ساعة كساعة الجريح ؛ يذوق ما فيهما من آلام) . ومن هذا كلمة : « ليلة » في قول الشاعر :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً وبِت كما بات السليم ^(١) مُسهداً

١١ - « ما » الاستفهامية ؛ نحو : ما تكتب خطك ؟ بمعنى : أى كتابة تكتب خطك ؟ أرفقة ، أم ثلثاً ، أم تسخاً . . . ؟ ومثله : ما تزرع حقلك ؟ بمعنى : أى زرع تزرع حقلك ؟ أزرق قمح ، أم ذرة ، أم قطن . . . ؟

١٢ - « ما » الشرطية ؛ نحو : ما شئت فاجلس ، بمعنى : أى جلوس شئت فاجلس .

تلك هي أشهر الأشياء التي تنوب عن المصدر غير المؤكد عند حذفه ^(٢) . وتلخص كلها في أمر واحد ، هو : وجود ما يدل عليه عند حذفه ^(٣) ، ويعنى عنه من غير لبس .

= وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

والأصل : تؤخذ الدنيا أخذ غلاب ، ثم حذف المصدر المضاف وحل المضاف إليه محله ، ونصب . (١) الملدوغ .

(٢) ومنها : ملاقيه في الاشتقاق ؛ نحو قوله تعالى في مريم : (وأنبأنا نبأاً حسناً) واسم المصدر غير العلم ؛ نحو تكلم المتعلم كلام النبلاء - انظر رقم ٢ ص ٢١٤ ورقم ١ من هامشها . (٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَقَدْ يَنْوِبُ عَنْهُ مَا عَلَيْهِ دَلٌّ كَجِدِّ كُلِّ الْجِدِّ ، وَافْرَحِ الْجَدَلِّ - ٦

فسجل في هذا البيت أن المصدر ينوب عنه عند حذفه كل شيء يدل عليه . واقتصر في التمثيل على نائبين ؛ هما : لفظ « كل » ، - وقد أضافها للمصدر ؛ حيث قال : « جد كل الجد » - ، ولفظ المرادف ، وهو : الجدل ، بمعنى الفرح ، في « أفرح الجدل »

ثم ساق بعد هذا البيت بيتاً آخر سبق تدوينه وشرحه في مكانه المناسب له - بهامش ص ٢١٢ - ،

من مسائل الباب . هو :

وَمَا لَتَوَكِّدَ فَوَحِّدَ أَبَدَا وَثَنَ وَاجْمَعَ غَيْرُهُ وَأَفْرَدَا - ٥

حذف عامل المصدر .

إقامة المصدر المؤكّد نائباً عن عامله في بعض المواضع

(أ) يجوز حذف عامل المصدر المبيّن للنوع أو للعدد بشرط وجود دليل ^(١) مقالّي أو حاليّ يدلّ على المحذوف . فمثال حذف عامل النوعيّ للدليل مقالّي ، أن يقال : هل جلس الزائر عندك ؟ فيجواب : جلوساً طويلاً ؛ أي : جلس جلوساً طويلاً . ومثال حذفه للدليل حاليّ أن ترى صياداً أصاب فريسته ؛ فتقول : إصابةً سريعة ؛ أي : أصاب إصابة سريعة . ومن هذا قولهم للمتّهيّ للسفر : « سافراً حميداً ، ورجوعاً سعيداً » ، أي : تسافراً حميداً ، ورجوعاً سعيداً . ومثال حذف عامل العدديّ للدليل مقالّي : هل رجعت إلى بيتك اليوم ؟ فيجواب : رجعتين ، أي : رجعت رجعتين . والدليل حاليّ أن ترى خيل السباق وهي تدور : في الملعب ؛ فتقول : دورتين ؛ أي : دارت دورتين . . . وهكذا . والمصدر في الحالات السالفة منصوب بعامله المحذوف جوازاً ، وليس نائباً عنه .

(ب) أما المصدر المؤكّد لعامله فالأصل عدم حذف عامله ؛ لما عرفنا ^(٢) من أن هذا المصدر مسوق لتأكيد معنى عامله في النفس ، وتقويته ، ولتقرير المراد منه ، — أي : لإزالة الشك عنه — ، ولبیان أن معناه حقيقي لا مجازي ، وهذه هي دواعي المحيىء بالمصدر المؤكّد ، ومن أجلها لا يصحّ تثنيته ، ولا جمعه ، ولا أن يرفع فاعلاً أو ينصب مفعولاً ، ولا أن يتقدم على عامله ، ولا أن يحذف عامله ^(٣) . . . لأن هذا الحذف مناف لتلك الدواعي ، معارض للغرض من الإتيان بالمصدر المؤكّد ^(٤) .

(١) في رزم ١ من هامش ص ٥٦ أن الدليل (ويسمى : القرينة أيضاً) : قد يكون مقالياً ، أي : مرجعه إلى القول والكلام — وقد يكون حالياً ، لا شأن له بالقول أو الكلام ؛ وإنما الشأن فيه للمشاهدة ، أو نحوها مما يحيط بالشخص ، ويجمله يفهم أمراً مستتبّاً مما حوله ، دون أن يسمع لفظاً مطلقاً (٢) في ص ٢١١ و « ١ » من ص ٢٠٧ . (٣) سبقت أحكامه في ص ٢١١ .

(٤) فيما سبق يقول ابن مالك :

وَحَذَفُ عَامِلِ الْمُؤَكِّدِ امْتَنَعَ وَفِي سِوَاهُ لِلدَّلِيلِ مُتَّسَعٌ - ٦

يريد : أن هناك متسماً للحذف في غير عامل المؤكّد ، عند وجود دليل على المحذوف .

لكن العرب التزموا حذف عامله باطراد في بعض مواضع معينة ، وأنا بوا عنه المصدر المؤكّد ؛ فحذف محله ، وعميل عمله في رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وأغضيتني عن التلفظ بالعامل ، وعن النطق بصيغته ؛ وصار ذكر العامل ممنوعاً معه ؛ لأن المصدر بدل عنه ، وعوض عن لفظه ومعناه ^(١) ؛ ولا يجتمع العوض والمعوّض عنه ^(٢) .

ولما كان العرب قد التزموا الحذف والإنابة - معاً - باطراد في تلك المواضع ، لم يكن بُدّ من أن نحاكيمهم ، ونلتزم طريقتهم الحتمية في حذف العامل في تلك المواضع ، وفي إنابة المصدر المؤكّد عنه . ولهذا قال النحاة :

إن عامل المصدر المؤكّد لا يحذف جوازاً - في الصحيح - ؛ وإنما يحذف وجوباً في المواضع التي التزم فيها العرب حذفه لحكمة مقصودة ، مع إقامة المصدر المؤكّد مقامه ، والأمران متلازمان .

ومع أن العامل محذوف وجوباً فإنه هو الذي ينصب المصدر النائب عنه (أى : أن المصدر نائب عن عامله المحذوف ، ومنسوب به معاً) .

أما المواضع التي ينوب فيها هذا المصدر عن عامله ^(٣) المحذوف وجوباً فبعضها خاص بالأساليب الإنشائية الطلبية ، وبعض آخر خاص بالأساليب الإنشائية غير الطلبية ، أو بالأساليب الخبرية المحضة ^(٤) .

(١) هذا المصدر النائب أساسه المبالغة فهو أبلغ وأقوى في تأدية المعنى من عامله .

(٢) سبقت الإشارة (في رقم ٤ هامش ص ٢٠٩ وفي رقم ١ من هامش ص ٢٢٥ إشارة أيضاً) إلى أن الأفضل اعتبار المصدر النائب عن عامله قسماً مستقلاً بذاته يزداد على الأقسام الثلاثة المشهورة . والسبب أن كثيراً من المصادر النائية عن عاملها المحذوف قد يكون مؤكّداً لعامله ، والأصل في المؤكّد ألا يعمل ، وألا يحذف عامله مع أن المؤكّد هنا يعمل ويحذف عامله ؛ فيقع التعارض والتناقض بين حكم المؤكّد هنا وحكمه في ناحية أخرى . ولا سبيل للتغلب على هذا التعارض والتناقض إلا بالتأويل والتقدير ؛ - وهذا معيب - ، أو باعتبار المؤكّد هنا ، المحذوف عامله وجوباً ، قسماً مستقلاً . ولا ضرر في هذا ؛ بل فيه تغلب على الصعوبة السالفة .

(٣) بعض المصادر المؤكّدة قد تنوب عن عوامل مهملّة ، أو ليست من لفظها ؛ فتكون مقصورة على السماع ، كما يجيء في ص ٢٢٣ مثل : ويح ، ويل وسيجيء الكلام عنها في الزيادة ، ص ٢٣٠ .

(٤) سبق في ج ١ ص ٣٧٤ م ٢٧ إيضاح للجملة الخبرية ، والجملة الإنشائية . ولمخصه : أن الجملة الخبرية هي التي يكون معناها صالحاً للحكم عليه بأنه صدق أو كذب ، من غير نظر لقائلها من ناحية أنه معروف بهذا أو بذاك . مثل : نزل المطر أمس . فهي جملة صالحة لأن توصف بأنها - في حد ذاتها - صادقة أو كاذبة

والجملة الإنشائية هي التي يطلب بها إما حصول شيء ، أو عدم حصوله ، وإما إقراره والموافقة عليه ، أو عدم إقراره ؛ فلا دخل للصدق أو الكذب فيها .

١ - فيراد بالأساليب الإنشائية الطلبية هنا : ما يكون فيها المصدر المؤكّد النائب دالاً على أمر ، أو نهى ، أو دعاء ، أو توبيخ ، والكثير أن يكون التوبيخ مقرونًا بالاستفهام^(١) ؛ فمثال الأمر أن تقول للحاضرين عند دخول زعيم : قياماً . بمعنى : قوموا ، وأن تقول لهم بعد دخوله واستقراره : جلوساً . بمعنى : اجلسوا . فكلمة : « قياماً » مصدر (أو : مفعول مطلق) منصوب بفعل الأمر المحذوف وجوباً . والمصدر نائب عنه في الدلالة على معناه ، وفي تحمل ضميره المستتر الذي كان فاعلاً^(٢) له ؛ فصار بعد حذف فعله فاعلاً للمصدر النائب . ومثل هذا يقال في : « جلوساً » وأشباههما . والأصل قبل حذف العامل وجوباً : قوموا قياماً - اجلسوا جلوساً^(٣)

ومثال النهى أن تقول لجارك وقت سماع محاضرة ، أو خطبة . . . سكوتاً ، لا تكلماً ؛ أى : اسكت ، لا تتكلم . فكلمة : « سكوتاً » مصدر - أو : مفعول مطلق - منصوب بفعل الأمر المحذوف وجوباً ، والذي ينوب عنه هذا المصدر في أداء معناه . وفاعل المصدر النائب مستتر وجوباً ، تقديره : أنت ؛ وقد انتقل إليه هذا الفاعل بعد حذف فعل الأمر على الوجه السالف^(٢) . وكلمة : « لا » ناهية ،

= وهى قسبان : إنشائية طلبية ، أى : يراد بها طلب حصول الشيء أو عدم حصوله . وتشمل الأمر ، والنهى ، والدعاء ، والاستفهام ، والتمنى ، والعرض ، والتضييق . . . ، كما هو مدون في المصادر الخاصة بالبلاغة - . وإنشائية غير طلبية وهى التى يريد بها المتكلم : إعلان شيء والتسليم به ، وتقرير مدلوله ، من غير أن يصحب هذا الإعلان والتسليم طلب أمر آخر ، - كما سيجىء في ص ٢٢٣ وتشمل جملة التعجب - في رأى الشائع - وجملة المدح والذم بنعم وبئس ونظائرها ، وجملة القسم نفسه ، لا جملة جوابه ... ، وصيغ العقود التى يراد إقرارها ؛ مثل : بعثت ، وهبت ... إلى غير هذا مما في المرجع السابق .

(١) انظر رقم ٤ من هامش الصفحة الآتية .

(٢ و ٢) ذلك أن فعل الأمر المحذوف وحده ، له فاعل لم يحذف . فلما ناب المصدر عن فعل الأمر المحذوف وحده انتقل فاعله إلى المصدر النائب ، وصار فاعلاً له بعد أن كان فاعلاً لفعل الأمر المحذوف ؛ فالمصدر متحمل لتفسير عامله . وقيل : إن المصدر ناب عن الفعل المحذوف وعن فاعله معاً ؛ فلا يحتاج لفاعل وقيل

والرأى الأول أحسن ، لأنه يسائر القواعد النحوية العامة . والثاني أخف وأيسر . ولا تأثير لاختلافهما في الاستعمال الكلامي والكتابي .

(٣) ومثل قول الشاعر :

أكابرنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأ برح ، وأنتم مناهل =

و « تكلماً » : مصدر منصوب بالمضارع المحذوف ، المحزوم بلا الناهية^(١) ،
ونائب عنه في تأدية معناه . وفاعل المصدر ضمير مستتر فيه ، تقديره : أنت .
وهذا الضمير انتقل للمصدر النائب من المضارع المحذوف . — كما تقدم .

ومثال الدعاء بنوعيه^(٢) قول زعيم : « ربنا إنا قادمون على معركة فاصلة مع
طاغية جبار ؛ فنصرأ عبادك المخلصين ، وهلاكأ وسُحُقأ للباغي الأثيم » . أى :
فانصر — يا رب — عبادك المخلصين ، واهلك واسُحُقَ الباغي الأثيم . . .
ومنه « سَقِيأ » و « رَعِيأ »^(٣) لك ، « وجدعأ وليأ » لأعدائك . وإعراب المصادر
في هذه الأمثلة كإعرابها في نظائرها السابقة .

ومثال الاستفهام التوبيخي^(٤) : أبخلأ وأنت واسع الغنى ؟ أسفاهة وأنت

= يريد : يا أكابرنا ، أعطفوا علينا . . . — والبرُح : الشديد . المناهل : جمع مَنَهَل ، وهو
مورد الماء العذب الصافي .

(١) والأصل قبل الحذف فيها : اسكت سكوتأ ، لا تتكلم تكلمأ ، ولا يكون حذف المضارع
المحزوم « بلا » الناهية واجباً إلا في هذه الصورة — كما سيجيء هذا في موضعه من باب : « الجوازم » ،
ج ٤ م ١٥٣ عند الكلام على : « لا الناهية » .

(٢) الخير والشر .

(٣) يوجب أكثر النحاة حذف العامل هنا ؛ مراعاة للسجع . ويكون التقدير : (اسق يارب ،
ارع يارب . الدعاء لك أيها المخاطب) ، فالجار والمجرور في الصورتين خبر لمحذوف ؛ تقديره : الدعاء
— مثلاً — ولا يصح أن يكون الجار والمجرور متعلقين بالمصدر قبلهما ؛ لثلا يفسد المعنى ؛ إذ يكون :
اسق يارب لك — ارع يارب لك . وهذا فاسد ؛ لأن السق ليس مطلوباً لله ، وكذلك الرعى . من أجل
هذا قالوا بحق في مثل : سقيا لك — إن الكلام جملتان وليس جملة واحدة .

على أن لهذا البحث تفصيلات واسعة ، وتقرينات دقيقة ؛ لاغنى عن الإلمام بها ، لتعدد أحكامها
بتعدد استعمالاتها — وقد سجلناها في ج ١ ص ٣٧٢ م ٣٩ . —

ويجيز فريق من النحاة عدم التقيد بوجوب حذف العامل في مثل هذه الصورة المسموعة ، ورأيه
سائع ، والأول هو الأنصح والأقوى — كما سيجيء في « ح » من ص ٢٣٢ .

(٤) قد يكون التوبيخ للتكلم ، بأن يوجه صيغة التوبيخ مشتملة على الخطاب يريد بها نفسه ،
بقرينة . كقول القائل لنفسه : أتركأ للبل وأنا فقير ؟ وقد يكون التوبيخ للمخاطب ، نحو : أسرقة
وأنت غنى ؟ وقد يكون للغائب ، نحو : أخوفأ وهو جندى ؟ وقد يكون التوبيخ مسبقاً بأداة استفهام .
إما مذكرة صراحة ، أو ملحوظة في حكم المذكرة ، وإما غير مذكرة ولا ملحوظة . فثال المذكرة
وما في حكمها قول الشاعر :

أَذَلَّ إِذَا شَبَّ الْعِدَا نَارَ حَرِيهِمْ ؟ وزهوأ إِذَا مَا يَجْنَحُونَ إِلَى السَّلْمِ ؟

والأصل : أَتَذَلَّ ذلاً ؟ وتزهو زهوأ ؟ فالأول مسبق بهمة الاستفهام المذكرة ، والثاني مسبق بها =

مثقف ؟ أى : أتبخّل بخلاً ... أتسّفهُ سفاهة ... وإعراب المصدر هنا كسابقه :
 ونبابة المصدر عن عامله المحذوف فى الأساليب الإنشائية الطلبية - قياسية ،
 بشرط أن يكون العامل المحذوف فعلاً من لفظ المصدر ومادته ، وأن يكون المصدر
 مفرداً منكرأ ، وإلا كان سماعياً ؛ مثل : ويحّه ، - ويله ^(١) ... - كما تقدم ^(٢) .

٢ - ويراد - هنا - بالأساليب الإنشائية غير الطلبية : المصادر الدالة على
 معنى يريد المتكلم إعلانه وإقراره ، والتسليم به ، من غير طلب شيء ^(٣) ، أو عدم
 إقراره ، كما سبق ^(٤) . والكثير من هذه المصادر مسموع عن العرب جار مجرى
 الأمثال ، والأمثال لا تغَيّر ؛ كقولهم عند تذكر النعمة : (حمدأ ، وشكرأ ،
 لا كفرأ) ؛ أى : أحمّد الله وأشكره - ولا أكفر به . وكانوا يردّون الكلمات
 الثلاث مجتمعة لهذا الغرض وهو إنشاء المدح ، والشكر ، وإعلان عدم الكفر .
 ووجوب حذف العامل متوقف على اجتماعها ؛ مراعاة للمأثور ؛ وإلا لم يكن الحذف
 واجباً .

وكقولهم عند تذكر الشدة : « صبرأ ، لا جزعأ » . بمعنى : أصبر ^(٥) ،

= ملاحظة وتقديراً . ومثال غير المذكورة وغير المقدرة قول الشاعر :

خُمولا ، وإهمالاً ، وغيرك مولع بتثبیت أسباب السيادة والمجد
 أى : تحمل خُمولا ، وتهمل إهمالاً ...

(١) المصادر الدالة على الطلب لا تصلح أن تكون نعتاً ، ولا منعوياً - كما سيحىء فى باب النعت -

ج ٣ م ١١٤ ص ٤٤٥ .

(٢) فى رقم ٣ من هامش ص ٢٢٠ .

(٣) المقصود فى الأساليب الآتية : الإنشاء غير الطلبى - وقد شرحناه فى رقم ٤ من هامش

ص ٢٢٠ - ولكنهم جعلوها من قسم الخبر نظراً لصورة العامل ولفظه . ويرى بعض النحاة أنها أساليب
 خبرية لفظاً ومعنى . وهذا رأى حسن ، لوضوحه ، والمسألة رهن بالاصطلاح .

(٤) فى رقم ٤ من هامش ص ٢٢٠ .

(٥) أما كلمة : صبرأ فى مثل قول الشاعر :

فصبرأ فى مجال الموت صبرأ فما نيل الخلود بمستطاع

فصح أن تكون مصدرأ نائباً عن الفعل المضارع : « أصبر » فيكون هذا المصدر من نوع الإنشاء
 غير الطلبى وتصح أن تكون مصدرأ نائباً عن فعل الأمر - أى عن : « أصبر » - فيكون المصدر من
 نوع الإنشاء الطلبى الذى سبق بيانه .

لا أجزعُ ، يريد إنشاء هذا المعنى . وعند ظهور ما يعجب : « عجباً » ، بمعنى أعجبُ ، وعند الحث على أمر : (افعلْ وكرامةً) ، أى : وأكرمك . وعند إظهار الموافقة والامثال : (سمعاً وطاعة) ، بمعنى : أسمعُ وأطيعُ .

والمصدر فى كل ما سبق - أو : المفعول المطلق - منصوب بالفاعل المحذوف وجوباً وهو الذى ناب عنه المصدر فى أداء المعنى ، وفى تحمل الضمير الفاعل ، وتقديره للمتكلم : أنا .

ونبابة هذا النوع من المصادر عن عامله تكاد تكون مقصورة على الألفاظ المحددة الواردة سماعاً عن العرب . ويرى بعض المحققين جواز القياس عليها فى كل مصدر يشيع استعماله فى معنى معين ، ويشتهر تداوله فيه ، وله فعل من لفظه ، من غير اقتصار على ألفاظ المصادر المسموعة . وهذا رأى عملي مفيد^(١) .

٣ - ويراد بالأساليب الخبرية المحضة أنواع ، كلها قياسى ، بشرط أن يكون العامل المحذوف وجوباً فعلاً من لفظ المصدر ومادته .

منها : الأسلوب المشتمل على مصدر يوضح أمراً مبهماً مجملاً ، تتضمنه جملة قبل هذا المصدر ، ويفصل عاقبتها ؛ أى : يبين الغاية منها (فالشروط ثلاثة فى المصدر : تفصيله عاقبة ، وأنها عاقبة أمر مبهم تتضمنه جملة ، وهذه الجملة قبله) مثل : « إن أساء إليك الصديق فاسلك مسلك العقلاء ؛ فإما عتاباً كريماً ، وإما صفحاً جميلاً^(٢) » ؛ فسلوكُ مسلك العقلاء أمر مبهم ، مجمل ، لا يعرف المقصود منه ؛ فهو مضمون جملة محتاجة إلى إيضاح ، وتفصيل ، وإبانة عن المراد ، فجاء بعدها الإيضاح والتفصيل والبيان من المصدرين : « عتاباً » و « صفحاً » المسبوقين بالحرف الدال على التفصيل ؛ وهو : « إما » .

وهما منصوبان بالفعلين المحذوفين وجوباً ، وقد ناب كل مصدر عن فعله فى بيان معناه . والتقدير : فإما أن تعتب عتاباً كريماً ، وإما أن تصفح صفحاً جميلاً .

(١) لأنه يساير الأصول اللغوية العامة ، ولا تضار اللغة باتباعه . وقد أشرنا لهذا فى « ج » من

ص ٢٣٢ .

(٢) وتنفى « أو » عن « إما » الثانية ؛ كقول الشاعر :

وقد شفىنى ألا يزال يروعنى خيالك إما طارقاً أو مغادياً

ومثله: « إذا تعبت من القراءة فاتركها لأشياء أخرى ؛ فإما مشياً في الحدائق ، وإما استماعاً للإذاعة ، وإما عملاً يدوياً مناسباً » . فالمصادر « مشياً » — « استماعاً » — « عملاً » ... موضحة ومفصلة لأمر غامض مجمل في جملة قبلها ، يحتاج لبيان ، هو : « التَّرك لأشياء أخرى » فعامل كل منها محذوف وجوباً ، والتقدير : تمشى مشياً — تستمع استماعاً — تعمل عملاً . . . فهي مصادر منصوبة بفعلها المحذوف الذي نابت عنه في تأدية معناه . . . وانتقل إليها الفاعل بعد حذف العامل ؛ فصار فاعلاً مستتراً للمصدر النائب . والتقدير : « أنت » . ومثل قول الشاعر :

لأجهَدَنَّ ؛ فإمّا درءَ واقعة تُخشى ، وإما بلوغَ السؤل والأمل
والتقدير : فإمّا أدرأ درءَ واقعة ، وإما أبلغ بلوغَ السؤل . . .

ومنها : الأسلوب الذي يكون فيه المصدر مكرراً أو محصوراً ، ومعناه مستمراً إلى وقت الكلام ، وعامل المصدر واقعاً في خبر مبتدأ اسم ذات^(١) . فمثال المكرر : المطرُ سحاً سحاً — الخيل الفارهة^(٢) سهيلاً^(٣) ، سهيلاً ، وقول الشاعر :

أنا جدّاً جدّاً وهو كُـ يزدا د ؛ إذا ما إلى اتفاقٍ سبيلُ

(١) الشروط أربعة : أن يكون المصدر مكرراً أو محصوراً . وأن يكون عامله خبراً لمبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ، وأن يكون هذا المبتدأ اسم عين ؛ (أى : اسم ذات مجسمة) فلا يراد به أمر مننوى (عقلى) كالألم — الفهم — النيل — البراعة . . . ، وأن يكون معنى المصدر مستمراً إلى زمن الحال ؛ لا منقطعاً ولا مستقبلاً محضاً . فإن فقد شرط من الشروط لم يكن الحذف واجباً ، وإنما يكون جائزاً — فى رأى — .

ويقوم مقام التكرار والحصر السالفين بشرط استيفاء باقى الشروط — دخول الهزمة على المبتدأ نحو : أنت طيراناً ، والعطف على المصدر ؛ نحو أنت طيراناً وعموماً .

ويلاحظ هنا ما سبق أن أشرنا إليه (فى ب من ص ٢١٩) من أن حذف عامل المؤكّد ممنوع — على الصحيح — إلا حين يكون المصدر نائباً عن فعله فى المواضع التى ينوب فيها عنه ، (ومنها هذه الصورة التى ينوب فيها وجوباً عند استيفاء الشروط ، وجوازاً — فى رأى — عند فقد شرط أو أكثر .) ، وأن الأحسن اعتبار المصدر النائب عن عامله قسماً رابحاً مستقلاً بنفسه ؛ لأنه قد يؤكّد عامله المحذوف ، والأصل فى المؤكّد ألا يحذف عامله . فلقدف هذا التعارض يعتبر قسماً مستقلاً ؛ كى لا يدخل فى قسم المؤكّد غير النائب ، فيقع تعارض واضح بين حكم المؤكّد وهو يقتضى عدم حذف عامله ، وحكم هذه الأنواع التى يكون فيها المصدر نائباً عن عامله ومؤكّد له . مع أن هذا العامل محذوف (كما أشرنا فى رقم ٤ من هامش ص ٢٠٩ وفى رقم ٢ من هامش ص ٢٢٠) .

(٣) الصهيل : صوت الخيل .

(٢) النشيطة القوية .

ومثال المحصور : (ما الأسد مع فريسته إلا فتكاً — ما النمر عند لقاء الفيل إلا غدرًا)؛ التقدير : يَسْخُ سَخًا سَخًا — تَصْهَلْ صَهِيلًا صَهِيلًا — أجد جدًّا جدًّا — ... الا يفتك فتكاً — ... الا يغدر غدرًا — . فهذه المصادر وأشباهاها ؛ تقتضى — بسبب التكرار أو الحصر — حذف فعلها . وهى منصوبة بفعلها المحذوف وجوبًا ، ونائبة عنه فى بيان معناه ، ومتمحمة لضميره المستتر الذى صار فاعلاً ذا ، وتقديره : « هو » ، أو : « هى » على حسب نوع الضمير المستتر . ومنها : الأسلوب الذى يكون فيه المصدر مؤكِّدًا لنفسه ؛ بأن يكون واقعًا بعد جملة مضمونها كضمونه ، ومعناها الحقيقى — لا المجازى^(١) — كمعناه ، ولا تحتل مراداً غير ما يراد منه ؛ فهى نص فى معناه^(٢) الحقيقى ، نحو : « أنت تعرف لوالديك فضلها ، يقينًا » . أى : توقن يقينًا ، فجملة : « تعرف لوالديك فضلها » هى فى المعنى : « اليقين » المذكور بعدها ، لأن الأمر الذى توقنه هنا هو : الاعتراف بفضل والديك ، والاعتراف بفضل والديك هو الأمر الذى توقنه ، فكلاهما مُساوٍ للآخر من حيث المضمون .

ومثلها : سرتنى رؤيتك حقًا ، بمعنى : أحقَّ حقًا ، أى : أقرر حقًا . فالمراد من : سرتنى رؤيتك ، هو المراد من : « حقًا » ، إذ السرور بالرؤية هو : « الحق » هنا ، والحق هنا هو : « السرور بالرؤية » . فمضمون الجملة هو مضمون المصدر ، والعكس صحيح .

فكلمة : « يقينًا » ، و « حقًا » وأشباهاها من المصادر المؤكدة لنفسها ، منصوبة بالفعل المحذوف وجوبًا ، النائبة عنه فى الدلالة على معناه . أما فاعله فقد صار بعد حذف الفعل فاعلاً للمصدر ، وهذا الفاعل ضمير مستتر تقديره فى المثالىن : أنا .

ولا يصح فى هذا النوع^(٣) من الأساليب تقديم المصدر على الجملة التى يؤكد معناها ، ولا التوسط بين جزأيهما .

(١) لأن المجازى قد يراد منه ما لا يراد من المعنى الحقيقى للمصدر ، فقد يرادى الأمثلة الآتية السخرية أو التهكم . .

(٢) ولذلك سمي المؤكد لنفسه ، لأنه بمنزلة إعادة الجملة التى تتضمن معناه نصًا ؛ فكأنه نفس الجملة التى أعيدت ، وكأنها ذاته .

(٣) من هذا النوع : لا أفعل الأمر ألبتة . فكلمة : « ألبتة » ، مصدر حذف عامله وجوبًا . =

ومنها : الأسلوب الذى يكون فيه المصدر مؤكّداً لغيره ؛ بأن يكون المصدر واقعاً بعد جملة معناها ليس نصّاً فى أمر واحد يقتصر عليه ، ولا يحتمل غيره ، وإنما يحتمل عدة معانٍ مختلفة ، منها المعنى الذى يدل المصدر عليه قبل مجيئه فإذا جاء بعدها منع عنها الاحتمال ، وأزال التوهم ، وصار المعنى نصّاً فى شيء واحد ؛ نحو : هذا بيتى قطعاً أى : أقطع برأى قطعاً . فلولا مجيء المصدر : « قطعاً » لحاز فهم المعنى على أوجه متعددة بعضها حقيقى ، والآخر مجازى ، أقربها : أنه بيتى حقاً ، أو : أنه ليس بيتى حقيقة ، ولكنه بمنزلة بيتى ؛ لكثرة تردده عليه ، أو : ليس بيتى ولكنه يضم أكثر أهلى ... أو : ... ؛ فمجيء المصدر بعد الجملة قد أزال أوجه الاحتمال والشك ، والمجاز ، وجعل معناها نصّاً فى أمر واحد^(١) بعد أن لم يكن نصّاً .

وهو منصوب بعامله المحذوف وجوباً ، وقد ناب عنه بعد حذفه لتأدية معناه . وفاعل المصدر ضمير مستتر فيه ، تقديره : أنا ، انتقل إليه بعد حذف ذلك العامل ولا يصحح — أيضاً — فى هذا النوع من الأساليب تقديم المصدر « المؤكّد » لغيره على تلك الجملة ، ولا التوسط بين جزأها .

ومنها : الأسلوب الذى يكون فيه المصدر دالاً على التشبيه بعد جملة ، مشتملة — إجمالاً — على معناه وعلى فاعله المعنوى^(٢) ، وليس فيها ما يصلح عاملاً غير المحذوف^(٣)

= والتاء فيه ليست للتأنيث ، وإنما هى للوحدة . ومعنى « البت » القطع . أى : أقطع فى هذا الأمر القطعة الواحدة ؛ لا ثانية لها ، فلا أتردد ، ثم أجزم بعد التردد . وقد تكون « أل » هنا العهد ، أى : القطعة المعهودة بيننا ؛ وهى التى لا أتردد معها . فالبتة : تفيد استمرار النفي الذى قبلها . ولو لم توجد لكان انقطاعه محتملاً .

والأفصح ملازمة : « أل » لكلمة : « البتة » فى الاستعمال السالف وأن تكون هزئياً للقطع . (١) ولهذا سمي المؤكّد لغيره ، أى : للجملة التى قبله ، والتى لا تتضمن معناه نصاً ؛ لأنه أثر فيها ، وجعل معناها نصّاً ، فصار به مؤكّداً قوياً ، لا ضعف فيه ولا احتمال ، وقد كان ذلك المعنى ضعيفاً قبل مجيء المصدر .

(٢) يراد به الفاعل اللغوى — لا النحوى — وذلك من فعل الشيء حقيقة ، ولو لم تنطبق عليه الشروط النحوية للفاعل . كالمعنى فى المثال الآتى ... ، فهو فاعل معنى للغناء والتصويت . كذلك : « الشجاع » ، هو فاعل الزئير معنى ، لا نحويّاً .

(٣) جملة الشروط فى الحقيقة سبعة : كونه مصدرأ — مشعراً بأن معناه مما يحدث ويطرأ ، وليس أمراً ثابتاً دائماً أو كالدائم (أى : أنه ليس من السجايى الثابتة ، ولا الأمور الفطرية الملازمة ، كالكذاه =

نحو : « للمغنى صوتٌ صوتَ البلبل » . أى : للمغنى صوت . يُصَوِّت صوتَ البلبل ، بمعنى : صوتاً يشبهه . ومنه : « للشجاع المقاتل زئيراً زئير الأسد » . أى : يزأر زئير الأسد ، أى : زئيراً يشبه زئيره . ومنه : « للمهموم أنين ؛ أنين الجريح » .
أى : يئن أنين الجريح . (أنيناً شبيهاً بأنين الجريح) . . . وهكذا . والمصدر منصوب فى هذه الأمثلة على الوجه الذى شرحناه ^(١) .

= الطول - السمنة . فلا يكون ما نحن فيه : لفلان ذكاء العبرى . بنصب كلمة : « ذكاء »
الثانية لأنها من السجاية) - كونه دالاً على التشبيه - بعد جملة - هذه الجملة مشتملة على فاعله المعنوى ،
وعلى معناه - ليس فيها ما يصلح للعمل .

قال الحضري فى هذا المكان : (هذه الشروط لوجوب حذف الناصب إذا نصب ، ويجوز معها
رفعه ؛ بدلاً مما قبله ، أو : صفة له ؛ بتقدير : « مثل » أو خبراً محذوف . وهل النصب حينئذ أرجح ،
أو هما سواء ؟ قولان . . .) ٨١ .

(١) عرض ابن مالك - بإيجاز - لمواضع حذف عامل المصدر وجوباً فقال :

والحذف حتمٌ مع آتٍ بدلاً من فعله : كندلاً اللذ كاندلاً

أى : الحذف واجب فى عامل المصدر الآتى بدلاً وعوضاً عن فعله ، ومعنياً عن التلطف به ؛ مثل :
المصدر : « كندلاً » ومعناه : « سخطاً » ؛ وهو بمعنى « اندل » فى الدلالة على طلب التدل ، أى :
الخطف . فالمصدر « ندلاً » منصوب بعامله المحذوف « اندل » ونائب عنه فى تأدية معناه ، ومتحمل لضميره
الفاعل الذى تقديره : أنت . (واللذ : الذى) .
ثم قال :

وما لتفصيل : كإمّا منّا عاملُهُ يُحذفُ حيثُ عنّا

(عنّا ، أصله : عنّ ، بمعنى : عرض . والألف لوزن الشعر ، ويسمونها : ألف الإطلاق ، لأن
الصوت ينطلق من غير حبس ، ويمتد ؛ فيجىء بها) .

يريد : أن عامل المصدر يحذف حيث عرض هذا العامل بشرط أن يدل المصدر على تفصيل أمر مهم
قبله ، وساق لهذا بعض آية تصلح للتشيل ؛ هى قوله تعالى يخاطب المسلمين ، فى أمر أسرى الكفار المهزومين :
(فشدُّوا الوثاقَ : فإمّا منّا بعدُ ، وإمّا فداءً) .

الوثاق - القيد ، ومعنى شدة : إحكام ربطه وتمكينه . وموضع الشاهد هو : « منّا . فداءً » - التقدير :
تمنّون منّا بإطلاق الأسرى أحراراً بغير مقابل . أو يقدون أنفسهم فداء ، أى : يدفعون الفدية - وهى :
التعويض المالى أو غيره - فى نظير إطلاق سراحهم . ثم قال :

كذا مُكرّرٌ ، وذو حصيرٍ ، ورَدَّ نائبَ فعلٍ لاسمِ عَيْنٍ استندَ

أى : يحذف عامل المصدر وجوباً إذا وقع المصدر نائباً عن فعل محذوف استند لمبتدأ اسم عين . =

هذا ، وقد اشترطنا أن تكون الجملة السابقة مشتملة على معناه ، فهل يشترط أن تكون مشتملة على لفظه أيضاً ؟ .

الجواب : لا ؛ فإنها قد تشتمل على لفظه كالأمثلة السابقة ، وربما لا تشتمل ؛ مثل قول القائل يصف النخيل : (رأيت شجراً محتجباً في الفضاء ، ارتفاع المآذن) ، فكلمة : « ارتفاع » مصدر منصوب بعامل محذوف وجوباً ، تقديره : يرتفع ارتفاع المآذن . وإنما حذف وجوباً لتحقيق الشروط ؛ التي منها ؛ وقوع المصدر بعد جملة مشتملة على معناه ، وإن كانت غير مشتملة على لفظه ، لأن معنى : « رأيت شجراً محتجباً في الفضاء » — هو : رأيت شجراً مرتفعاً . ومثله : رأيت رجلاً يزحم الباب ، ضخامة الجمل ، أى : يضحّم ضخامة الجمل .

= أى : كان مسنداً هو وفاعله ، والمسند إليه مبتدأ ، دال على اسم عين (أى : على ذات) وقد شرحناه . ثم انتقل إلى المؤكد لنفسه أو لغيره :

وَمِنْهُ مَا يَدْعُوْنَهُ مُوَكَّلًا لِنَفْسِهِ ، أَوْ غَيْرِهِ ، فَاَلْمَبْتَدَأُ
نَحْوُ : لَهُ عَلَى أَلْفٍ عُرْفًا وَالثَّانِ كَابِنِي أَنْتَ حَقًّا صِرْفًا

يريد بالمبتدأ : النوع الأول ، وهو المؤكد لنفسه . « عرفاً » . أى : اعترافاً ، وهو المصدر المؤكد لنفسه ، والأصل أعترف اعترافاً ، فحذف الفعل وجوباً وناب عنه مصدره . و « صرفاً » ، أى : خالصاً ، وهى نعت لكلمة : « حقاً » أى : حقاً خالصاً لا شبهة فيه . و « حقاً » هى المصدر النائب عن فعله المحذوف وجوباً . ثم قال :

كَذَاكَ ذُو التَّشْبِيهِ . بَعْدَ جُمْلَةٍ كَلِي بُكَاءٍ ، بُكَاءُ ذَاتِ عُضْلَةٍ

يريد : المصدر المقصود به التشبيه بعد جملة مشتملة على فاعله المعنوى ، — كما أوضحنا في الشرح — . ومثل له بمثال هو : « لى بكاء بكاء ذات عضلة » ، أى : لى بكاء . أبكى بكاء ذات عضلة ؛ « فبكاء » هى المصدر الدال على التشبيه ، وعامله محذوف وجوباً . . . ولا يصح أن يكون عامله المصدر الذى قبله ، وهو كلمة : « بكاء » المقصورة ، لأن المصدر لا يعمل هنا ، لأنه ليس نائباً عن فعله ، ولا مؤولا بالحرف المصدرى . وهذان هما الموضعان اللذان يعمل في كل منهما المصدر الصريح . و « العضلة » الداهية . و « بكاء ذات عضلة » ، أى : بكاء من أصابها داهية .

.....

زيادة وتفصيل :

(١) كررنا أن الأفضل اعتبار المصدر النائب عن عامله قسمًا مستقلًا بنفسه ، ينضم إلى الأقسام الأخرى الشائعة ، وأوضحنا^(١) سبب استقلاله . أما عامله المحذوف فلا بد أن يكون في جميع المواضع القياسية فعلاً مشتركاً معه في المادة اللفظية ، وفي حروف صيغتها ، كالأمثلة الكثيرة التي مرت . وأما الأمثلة السماعية فمنها الخالي من هذا الاشتراك اللفظي ؛ مثل : ويح - ويل - ويس - ويسب . . . وأمثالها من الألفاظ التي كانت بحسب أصلها كنيات عن العذاب والهلاك ، وتقال عند الشتم والتوبيخ ، ثم كثر استعمالها حتى صارت كالتعجب ؛ يقولها الإنسان لمن يحب ومن يكره ، ثم غلب استعمال : « ويس » و « ويح » في الترحم وإظهار الشفقة ، كما غلب استعمال : « ويل » و « ويسب » في العذاب .

وإذا نصبت الألفاظ الأربعة - وأشباهها - كانت مفعولات مطلقة لعامل مهمل^(٢) ،

(١) في رقم ٤ من هامش ص ٢٠٩ ، و ٢ من هامش ص ٢٢٠ ، ورقم ١ من ص ٢٢٥ .

(٢) أى : لفعل من لفظها ؛ كان يستعمله العرب قديماً ، ثم تركوا استعماله اختياراً ؛ فصار مهملًا مستغنى عنه ؛ شأن كل شيء مهمل . لكن أيجوز استعمال اللفظ الذي أهمله العرب - سواء أكان فعلاً أم غير فعل ؟

الرأى السديد أنه لا مانع من استعماله ما دام معروفاً بنصه وصيغته . وما يؤيد استعمال الفعل المهمل ، ما جاء في المزهري : (ج ٢ ص ٣٠ باب : ذكر نوادر من التأليف) ونصه : « (قال ابن درستويه في شرح : « الفصيح » إنما أهمل استعمال « ودع ، وودر » - واللذين مضارعهما : يدع ويدر - لأن في أولهما واوا ، وهو حرف مستثقل ؛ فاستغنى عنهما بما خلا منه ، وهو « ترك » . قال واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب ، وهو الأصل ، بل هو في القياس الوجه ، وهو في الشعر أحسن منه في الكلام ؛ لقلة اعتياده لأن الشعر أقل استعمالاً من الكلام) ١ هـ .

فإن لم يكن معروف الصيغة نصاً ، وكان المعروف مصدراً أو مشتقاً ، فقد انطبق عليه رأى بعض اللغويين - كابن جني - وهو يقضى بصحة استعماله ، وبإباحة تكملة مادته اللغوية الناقصة بما يجعلها على غرار نظائرها ، فالمصدر تشتق منه فروع تسائر الفروع التي تشتق من نظيره في الدلالة العامة ، وفي الوزن . . . والمشتق - كاسم الفاعل وغيره - تكلل له الأنواع ، والفروع ، ومصدره بما يسائر نظائره في كل ذلك . وقد ارتضى مجمع اللغة بالقاهرة هذا المذهب ، وسار عليه في بعض قراراته .

وفيما يلي كلام ابن جني :

قال في كتابه الخصائص (ج ١ ص ٣٦٢ باب : في أن ما يقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)

ما نصه :

أولفعل من معناها ؛ فالأصل : (رحمه الله ويُنحاً وويساً ؛ بمعنى : رحمه الله رحمةً) —
 أو : (رحمه الله ويُنحَه وويسَه . بمعنى رحمه الله رحمته . . .) وكذا :
 (أهلكه الله ويُنلا ، وويُنبا ، أو أهلكه الله ويله ، وويُبه ؛ بمعنى أهلكه الله
 إهلاكاً ، وأهلكه الله إهلاكه) . فالفعل مقدّر في الأمثلة بما ذكرناه ، أو بما يشبهه
 أداء المعنى من غير تقيد بنصّ الأفعال السالفة التي قدرناها .

وقيل إن الكلمات السالفة : (ويُنح — ويس — ويل — ويب . . .) عند
 نصبها تكون منصوبة على أنها مفعول به ؛ وليست مفعولاً مطلقاً ؛ فالأصل
 مثلاً : ألزمه الله ويُنحه ، أو ويله . . . أو . . . ، وهذا رأى حسن لوضوحه ويسره .
 وإن كان الأول هو الشائع . ومثلها : بئله الأكف (في حالة الكسر) بمعنى :
 تترك الأكف ، أى : أترك ترك الأكف . . .

(ب) من المصادر المسموعة التي ليس لها فعل من لفظها ، ما يستعمل
 مضافاً وغير مضاف ، كالكلمات الخمس السابقة . فإن كانت مضافة فالأحسن
 نصبها على اعتبارها مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أو مفعولاً به ، كما شرحنا .
 والنصب هو الأعلى . ولم يعرف — سماعاً — في كلمة : « بئله » المضافة سواء .
 أما الكلمات الأربع التي قبلها فيجوز فيها الرفع على اعتبارها مبتدأ خبره محذوف ،

= « حكى لنا أبو علي عن ابن الأعرابي أنه قال : يقال درهت الخُبّازى ، أى : صارت كالدرهم ؛
 فاشتق من الدرهم ، وهو اسم عجمي . وحكى أبو زيد : رجل مُدرهته . قالوا ولم يقولوا منه دُرْهيم ؛ إلا
 أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل في الكف ، ولهذا أشباه » ١ هـ .

ثم قال بعد ذلك في ص ٣٦٧ من الفصل نفسه ما نصه :

« ليس كل ما يجوز في القياس يخرج به سماع ؛ فإذا أخذ إنسان على مثلهم ، وأمّ مذهبه لم يجب
 عليه أن يورد في ذلك سماعاً ، ولا أن يرويه رواية . . . » .

وفي ص ١٢٧ — باب تعارض السماع والقياس — ما نصه :

« إذا ثبت أمر المصدر الذي هو الأصل لم يتخالف شك في الفعل الذي هو الفرع . قال لى أبو علي في الشام :
 إذا صحت الصفة (المشتق) فالفعل في الكف . وإذا كان هذا حكم الصفة (المشتق) كان في المصدر أجدر
 لأن المصدر أشد ملازمة للفعل من الصفة . . . » ثم ضرب أمثلة تحتاج إلى حسن تفهم وأناة . . .
 وله فصل آخر جليل الشأن ، عظيم النفع ، عنوانه : فصل في اللغة المأخوذة قياساً (ج ١ ص ٤٣٩)
 — يؤيد ما سبق — وسنذكرها في آخر الجزء — هذا الفصل كاملاً ؛ لأهميته ، ونفيس مضمونه .

.

 أو خبراً والمبتدأ محذوف . وتقدير الخبر المحذوف : ويحُـهُ مطلوبٌ - مثلاً -
 ويلُـهُ مطلوبٌ - مثلاً - وهكذا الباقي وتقدير المبتدأ المحذوف : المطلوبُ
 ويحُـهُ المطلوبُ ويلُـهُ وهكذا

فإن كانت الكلمات الأربع مقرونة « بأل » فالأحسن الرفع على الابتداء
 - وهو الشائع - ؛ نحو : الويحُ للحليف ، والويلُ للعدو . ولا مانع أن تكون
 خبراً ؛ نحو : المطلوب الويحُ - المطلوب الويلُ ، ويجوز النصب على أنها
 مفعول مطلق للفعل المحذوف ، أو مفعول به لفعل محذوف أيضاً .

وإن كانت تلك الكلمات خالية من « أل ومن الإضافة » جاز النصب والرفع
 على السواء ؛ كقولهم : (الوعد دين ، فويلٌ لمن وعد ثم أخلف) - (ويحاً
 للضعيف المظلوم) . بالنصب أو الرفع في كل واحدة من الكلمتين .

وملخص الحكم : أن الرفع والنصب جائزان في كل حالات الألفاظ الأربعة غير
 أن أحد الأمرين قد يكون أفضل من الآخر أحياناً ، طبقاً للبيان السالف^(١) .

(ح) أشرنا^(٢) إلى أن فريقاً من النحاة يجيز عدم التقييد بالسماع ، وعدم
 وجوب حذف العامل في المصادر المسموعة بالنصب على المصدرية لنيابتها عن
 عاملها ، مثل : « سقياً » و « رعياً » كما يجيز في التي ليست مضافة ،

(١) ويجوز في حالتى الرفع والنصب المذكورتين أن يكون الاسم المعمول لهما مجروراً باللام ؛
 نحو : ويح المحسنين ، وويل الظالمين أو : ويحاً وويلاً . ومن هذا قول جرير :

كسبا اللومُ تيمناً خضرة في جلودها فويللاً لتيم من سرايلها الخضر
 ومن الرفع قولهم : « ويلٌ للشجى من الخلى » وتفصيل الكلام على هذا المثل العربى من حيث معناه ،
 وتشديد يائه ، وتحفيفها مدون في مكانه الأنسب - باب : « الصفة المشبهة » ، ج ٣ ص ٢٧٤ -
 ومعه مثل آخر هو : « ما أهون على النائم التقرير سهر المسهد المكروب » .

أما كلمة : « تمساً » و « بعداً » - و « تيباً » فأفصح الاستعمالات فيها النصب مع جر
 معمولها باللام ، فيقال : تمساً للختان ، وبعداً له (أى : هلاكاً) وتيباً له - (راجع كتاب مجمع
 البيان لعلوم القرآن ج ١ ص ٢٩٠ -) ؛ وهناك استعمالات أخرى جائزة .

(٢) في رقم ٣ من هامش ص ٢٢٢ .

.

ولا مقرونة بأل ، أن تضاف ، وأن تقترن بأل ؛ فتجرى عليها الأحكام السالفة في كل حالة . وهذا هو الأنسب اليوم ؛ ليسره مع صحته وإن كان الأول هو الأقوى .

(د) هناك مصادر أخرى مسموعة بالنصب ، وعاملها محذوف وجوباً ، وهي نائبة عنه ^(١) :

١ - منها : ما هو مسموع بصيغة التثنية مع الإضافة ؛ مثل : « لَبَّيْكَ ، وَسَعْدَيْكَ » ، لمن يناديك أو يدعوك لأمر . والأصل : أَلْبَى لبيك ، وأسعد سَعْدَيْكَ ؛ بمعنى : أجيبك إجابة بعد إجابة ، وأساعدك مساعدة بعد مساعدة . أى : كلما دعوتني وأمرتني أجبتك ، وساعدتك . والمسموع في الأساليب الواردة استعمال : « سَعْدَيْكَ » بعد « لَبَّيْكَ » . واتباع هذه الطريقة الواردة أفضل . لكن يجوز استعمال « سعديك » بدون « لبيك » إن دعت حكمة بلاغية . أما « لبيك » فالمسموع فيها الاستعمالان .

ومثل : حَنَانَيْكَ في قولهم : « حَنَانَيْكَ ، بعض الشر أهون من بعض » بمعنى : حنّ على حنانيك ؛ (أى : تحنن واعطف) حناناً بعد حنان ، ومرة بعد أخرى . - فهي هنا كلمة : « استعطاف » .

ومثل : دَوَائِيكَ ، في نحو : تقرأ بعض الكتاب ، ثم ترده إلى . فأقرأ بعضه ، وأرده إليك ؛ فتقرأ وترد وهكذا دَوَائِيكَ بمعنى أداول دوائيك ، أى : أجعل الأمر متداولاً ومتنقلاً بيني وبينك ، مرة بعد مرة .

ومثل : هَذَا ذَيْكَ ؛ في نحو : هَذَا ذَيْكَ في غصون الشجر ؛ أى : تهذّ هذا ذيك ؛ بمعنى : تقطع مرة بعد مرة . ومثل : حَجَازَيْكَ ؛ في نحو : حَجَازَيْكَ عن إيذاء اليتامى ؛ أى : تحجز حجازَيْكَ ؛ بمعنى : تمنع مرة بعد أخرى . ومثل : حَذَارَيْكَ ؛ في نحو : حَذَارَيْكَ الخائن ، أى : احذر حذارَيْكَ بمعنى : احذر الخائن ؛ حَذَاراً بعد حذر

(١) كثير من هذه المصادر متفرق في النصوص الأدبية القديمة وفي المراجع اللغوية ، وقد جمع طائفة كبيرة منها شارح الفصل ج ١ ص ١٠٩ وما بعدها ، وكذلك صاحب الجمع ، ج ١ ص ١٨٨ وما بعدها .

والمصادر السالفة كلها منصوبة ، وعاملها محذوف وجوباً وهي نائبة عنه ، وكلها غير متصرف — فى الأغلب — ، أى : أنها ملازمة فى الأكثر حالة واحدة سمعت بها ، وهي حالة النصب والثنية مع الإضافة إلى كاف الخطاب — التى هى ضمير مضاف إليه — . وقد ورد بعضها بغير الثنية ، أو بغير الإضافة مطلقاً ، أو : بالإضافة مع غير كاف الخطاب ، أو : له عامل مذكور . . . لكن لا داعى لمحاكاة هذه الأمثلة القليلة ؛ فلا خير فى محاكاتها، وترك الأكثر الأغلب .

بقى أن نسأل : ما معنى الثنية فى الأمثلة السابقة وأشباهاها ؟ أهى ثنية حقيقية يصير بها الواحد اثنين ليس غير ، فيكون معنى : « لبيك » ، و « سَعْدُكَ » و « حنانَيْكَ » . . . تلبية موصولة بأخرى واحدة ، ومساعدة موصولة بمساعدة واحدة ، وحناناً موصولاً بمثله واحد ؟ أياكون هذا واحداً لاقتصار المعنوى على اثنين هو المراد ، أم يكون المراد هو مجرد التكثير الذى يشمل اثنين وما زاد عليهما ؟

رأيان قويان . . . ، ولا داعى للاقتصار على أحدهما دون الآخر ؛ لأن بعض المناسبات والمواقف المختلفة قد يصلح له هذا ولا يصلح له ذاك ، وبعض آخر يخالفه ؛ فالأمر موقوف على ما يقتضيه المقام .

٢ — ومنها ما هو مفرد منصوب ملازم للإضافة — إلا فى ضرورة الشعر — مثل : « سبحان الله^(١) » أى : براءة له من سوء . ومثل : معاذ^(٢) الله ؛ أى : عياداً بالله ، واستعانة به . ومثل رِيحانَ الله ؛ أى : استرزاقَ الله . ولا يعرف لهذا فعل من لفظه ؛ فيقدر من معناه ؛ أى : أسترزقه . والكثير استعماله بعد سبحان الله . والثلاثة السالفة غير متصرفة . ومثلها : حاش^(٣) الله ؛ بمعنى تنزيه الله .

(١) « سبحان » اسم مصدر ؛ فهو فى حكم المصدر (وقد سبقت الإشارة إليه فى : ص ١١٤ م ٦٨) ومن استعماله غير مضاف لضرورة الشعر قول الأعشى :

أَقُولُ لِمَا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عِلْقَمَةِ الْفَاخِرِ

(٢) سبقت الإشارة الموضحة إليه فى ص ١١٤ م ٦٨ .

(٣) تفصيل الكلام عليها وعلى لغاتها وأوجه إعرابها موضع فى باب « الاستثناء » ص ٣٥٤ وفى

« ب » من ص ٣٦٠ عند بيان أنواع : « حاشا » .

٣ - أمثلة أخرى أكثرها ملازم النصب بغير تثنية ولا إضافة ؛ مثل : « سلاماً » من الأعداء ، بمعنى : براءةً منهم ، لا صلة بيننا وبينهم . بخلاف « سلام » بمعنى : تحية » ؛ فإنه متصرف .

ومثل : « حَجَرًا » في نحو قولك لمن يسألك : أتصاحب المنافق ؟ فتجيب : « حَجَرًا » ، أى : أَحْجَرُ حَجَرًا ؛ بمعنى أَمْنَعُ نَفْسِي ، وأبعده عني ، وأبرأ منه ^(١)
ومثل قولك لمن يطلب إنجاز أمره : (سأفعله ، وكرامةً ومَسْرَةً - أو : ونعمةً ، أو : ونُعَامَ عَيْنٍ - وهذه مضافة) - . . . ، أى : سأفعله وأكرمك كرامةً ، وأسرك مَسْرَةً ، وأُنعم نفسك نِعْمَةً ، وأُنعم نُعَامَ عَيْنٍ ، أى : إنعام عين بمعنى أمتعتك تمتع عين .

٤ - أمثلة أخرى تختلف عن كل ما سبق في أنها ليست مصادر ، ولكنها أسماء منصوبة تدل على أعيان ، أى : على أشياء مجسمة محسوسة : (ذوات) ، كقولهم في الدعاء على من يكرهونه : « تُرِبًا ^(٢) وجندلا ^(٣) » . والأحسن أن تكون هذه الكلمات وأشباهاها مفعولاً به لفعل محذوف ، والتقدير : ألزَمَهُ اللهُ تَرْبًا وجندلا ، أو : لى تَرْبًا وجندلا . أو : أصاب ، أو : صادف أو : نحو هذه الأفعال المناسبة لمعنى الدعاء المطلوب

(١) في الجزء الأول من تفسير القرطبي ص ٧٨ ما نصه :

(العرب تقول عند الأمر تنكره : « حَجَرًا له » - بضم الحاء ، وسكون الجيم - أى : دفعاً له . وهو استعاذة من الأمر) ١ هـ .

وجاء في بعض كتب التفسير الأخرى ما نصه (الحَجَر - بالكسر ويفتح - الحرام . وأصله : المنع) ١ هـ وفي كتب اللغة ما يأتي :

جاء في الأساس : « هذا حَجَرٌ عليك » : حرام . (والحاء هناك مضبوطة بالحركات الثلاث ، ضبط قلم . (أى : بالشكل) .

وفي القاموس ما نصه : (الحَجَر - مثله - المنع فصرح بتثليث الحاء) .

(٢) تراباً . (٣) صخرًا .

المسألة ٧٧ :

المفعول له ، أو : المفعول لأجله .

- | | | |
|--|-------------------------|-----|
| لازمت البيت ؛ استجمامًا | — أو : للاستجمام . | } ا |
| زرت المريض ؛ اطمئنًا عليه | — أو : للاطمئنان . | |
| أتغاضى عن هفوات زميل ؛ استبقاءً لمودته | — أو : لاستبقاء مودته . | |
| أحترم القانون ؛ دفعًا للضرر | — أو : لدفع الضرر . | |
| تنزهت ؛ طلب الراحة | — أو : لطلب الراحة . | } ب |
| تحفظت فى كلامى ؛ خشية الزلل | — أو : لخشية الزلل . | |
| ألترم الاعتدال ؛ رغبة السلامة | — أو : لرغبة السلامة . | |
| أسأل الخبير ؛ قصد الاسترشاد | — أو : لقصد الاسترشاد . | |
| أجلس بين الأصدقاء ؛ الصلح | — أو : للصلح . | } ح |
| أطلت المشى بين الزروع ؛ التمتع بها | — أو : للتمتع بها . | |
| أسعى بين المتخاصمين ؛ التوفيق | — أو : للتوفيق . | |
| هجرت الصحف الهزلية ؛ التفور منها | — أو : للتفور . | |

* * *

كل جملة من الجمل المعروضة تصلح أن تكون سؤالاً معه جوابه على النحو الآتى :

- ما الداعى أو : ما السبب فى أنك لازمت البيت ؟ الجواب : الاستجمام .
 ما العلة ، أو : ما السبب فى أنك زرت المريض ؟ . . . الاطمئنان .
 ما السبب فى تغاضيك عن هفوات زميلك ؟ استبقاء المودة . . .
 هكذا باقى الأمثلة ؛ حيث يدل كل مثال على أنه يصلح سؤالاً عن السبب ^(١) ،
 جوابه كلمة معه فى جملته .

(١) والغالب أن تكون أداة الاستفهام هى : « لماذا » ؟ أو : « لِمَ » ؟ ، أو : « ما » ؟ ،
 أو نحوها من كل ما يُسأل به عن السبب .

ولو لحظنا الكلمة الواقعة جواباً لوجدناها : مصدرّاً ، يبين سبب ما قبله (أى : علته ...) ، ويشارك عامله فى الوقت ، وفى الفاعل ^(١) ؛ لأن زمن الاستجمام وفاعل الاستجمام هو زمن ملازمة البيت وفاعلها . وزمن الاطمئنان وفاعله ، هو زمن زيارة المريض وفاعلها وكذا الباقي

فكل كلمة اجتمعت فيها الأمور - أو الشروط - الأربعة السالفة تُسمى : « المفعول له » ، أو : « المفعول لأجله » ^(٢) فهو : المصدر ^(٣) الذى يدل على سبب ما قبله (أى : على بيان علته) ^(٤) ويشارك عامله فى وقته ، وفاعله

أقسامه :

المفعول لأجله ثلاثة أقسام ^(٥) قياسية ، مجرد من « أل » والإضافة ؛ كالقسم الأول : « ا » . ومضاف ؛ كالقسم الثانى : « ب » ، ومقترن بأل ؛ كالقسم الثالث « ح » . وهذا القسم دقيق فى استعماله وفهمه ، قليل التداول قديماً وحديثاً - مع أنه قياسى - ومن المستحسن لذلك أن نتخفف من استعماله .

أحكامه :

١ - إذا استوفى شروطه جاز نصبه مباشرة ، وجاز جره بحرف من حروف

(١) وهذا هو الأعم الأغلب الذى يجب الاختصار عليه .

(٢) أى : لأجل شيء آخر ، بسببه حصل هذا المفعول . فالمراد : ما فعل لأجله فعل .

(٣) أى الصريح . ومثله : المصدر الميمى ، واسم المصدر . وكذلك المصدر المنسبك ؛ (وأمثله

فى رقم ١ من هامش ص ٢٤٠) ، ومن المصدر الميمى قول الشاعر :

وأمر تشتهيه النفس ، حلوا تركت مخافة سوء السماع

أى : تركته خوف سوء السمعة . وقول الأحنف بن قيس : « ربّ حلم قد تجرّعته ؛ مخافة ما هو أشد منه » . أى : خوف الذى هو أشد منه .

(٤) ولأنه يبين علّة ما قبله وسببه لا يكون من لفظ عامله ؛ - لكيلا يصير مصدرّاً مؤكّداً

لعامله - . والشئ لا يكون علّة نفسه ، كما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٢٣٩ - ولا من معناه ؛

ولا يبين نوعه ، أو عدده ؛ لأن هذا كله مناقض للتعليل الذى هو شرط أساسى للمفعول لأجله . ومن أظهر

أمثلة التعليل فى المصدر كلمة : « شرفاً » ، فى قول الشاعر :

إنّا لقوم أبّت أخلاقنا شرفاً أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينا

(٥) إذا كان المفعول لأجله مضافاً لمعرفة ، أو مقترباً « بأل » التى تفيد التعريف - فإنه يكون

معرفة ، وإذا كان مجرداً منهما فإنه يكون نكرة .

الجر التي تفيد التعليل ؛ وأوضحها^(١) : (اللام - ثم : في ، والباء ، ومن)
والأمثلة السالفة توضح أمر النصب والجر باللام ، ومن الممكن حذف اللام من
تلك الأمثلة ، ووضع حرف جر آخر من حروف التعليل مكانها . لكنه
في جميع حالات جره لا يُعَرَّب - اصطلاحاً - مفعولاً لأجله ، وإنما يعرب جاراً
وجروراً متعلقاً بعامله . وهذا برغم استيفائه الشروط ، وبرغم أن معناه في حالتي نصبه
وجره لا يختلف^(٢) .

ومع أن النصب والجر جائزان ، والمعنى فيهما لا يختلف - هما ليسا في درجة
واحدة من القوة والحسن ؛ فإن نصب المجرد أفضل من جره ، لشيوع النصب
فيه ، ولتوجيهه الذهن مباشرة إلى أن الكلمة : « مفعول لأجله » . وجر المقترن « بأل »
أكثر من نصبه . أما المضاف فالنصب والجر فيه سيان . (وقد تقدمت الأمثلة
للأنواع الثلاثة) .

فإن فقد شرط من الأربعة^(٣) لم يجز تسميته مفعولاً لأجله ، ولا نصبه على هذا
الاعتبار ؛ وإنما يجب جره بحرف من حروف التعليل السابقة ، إلا عند فقد التعليل ؛
فإنه لا يجوز جره بحرف من هذه الحروف الدالة على التعليل ؛ منعاً للتناقض .

(١) من أمثلة « في » التي لبيان السبب (أى : للتعليل) قوله عليه السلام : « دخلت امرأة النار
في هرة حبستها » . . . أى : بسبب هرة . ومن أمثلة الباء التي لبيان السبب قوله تعالى :

(فبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) أى : بسبب ظلم .
ومن أمثلة « من » الدالة على بيان السبب قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . . .) .
أى : بسبب إملاق (فقر) .

وسيجيء البيان التام عن هذه الأحرف مع نظائرها من حروف الجر ، في الباب الخاص بها ، آخر
هذا الجزء - ص ٥٨ - ٤٥٨ -

(٢ و ٣) يرى بعض النحاة أن المفعول لأجله حين يكون منصوباً ، لا يكون منصوباً بالعامل الذي
قبله ؛ وإنما يكون منصوباً على نزع الخافض (أى : عند نزع من مكانه ، وحذفه ؛ كما تقدم في رقم ٤
من هامش ص ١٧١ من باب : تعدى الفعل ولزومه) ولا داعي للأخذ بهذا الرأي ؛ لما فيه من تكلف وتعقيد
بغير فائدة . وحمل على مذهب ضعيف ، مردود ، - طبقاً للبيان السابق في ص ١٥٩ و ١٧١ وما بعدهما .
ومثله الآراء الأخرى التي تزيد بعض الشروط أو تنقص . ومن الزيادة أن يكون المفعول لأجله « قلبياً » ؛
لأن هذا الشرط مفهوم من شرط آخر ، هو : التعليل ؛ إذ التعليل - غالباً - يكون بأمور قلبية
معنوية ، لا بأمور حسية من أفعال الجوارح ، ويفهم أيضاً من باقي الشروط . . .

فثال، ما فقد المصدرية : (أعجبتني الحديقة : لأشجارها ، وسرني أشجارها ؛ لثمارها) ؛ فالأشجار والثمار ليستا مصدرين ، ولهذا لم يصح نصبهما مفعولين لأجله ، وصارتا مجرورين .

ومثال ما فقد التعليل : (عبدت الله عبادة ، وأطعت الرسول إطاعة ^(١)) . . .
ولا يجوز في هذين وأمثالهما الجر بحرف جر يفيد التعليل — كما سبق — .

ومثال ما لم يتحد مع عامله في الوقت : (ساعدتني اليوم ؛ لمساعدتي إياك غداً ^(٢)) .

ومثال ما لم يتحد مع عامله في الفاعل : (أجب الصارخ ؛ لاستغاثته) .
لأن فاعل الإجابة غير فاعل الاستغاثه ^(٣) .

(١) نصب المصدران : « عبادة » و « إطاعة » على المصدرية ؛ لأن كلا منهما مصدر مؤكد لعامله ، ولا يصلح مفعولاً لأجله ؛ لأن الشيء لا يكون علة نفسه ، — كما سبق في المفعول المطلق المؤكد — فكلاهما فقد شرط التعليل .

(٢) المراد من اتحاد المصدر مع عامله في الوقت أن يقع ويتحقق حدث العامل في أثناء زمن تحقق معنى المصدر فيتحقق المعنيان معاً في وقت واحد ؛ مثل : هرب اللص جيباً ، أو : يقع أول زمن العامل في آخر زمن تحقيق المصدر : نحو : حبست المتهم خوفاً من فراره ، أو العكس ، نحو : جئتكم حرصاً على إفادتك .
(٣) وفيما سبق يقول ابن مالك :

يُنْصَبُ «مَفْعُولاً لَهُ» الْمَصْدَرُ ، إِنْ أَبَانَ تَعْلِيلًا ؛ كَجُدُّ شُكْرًا ، وَدِنْ
أى : ينصب المصدر على اعتباره مفعولاً له إن أبان تعليل ما قبله ، أى : إن بين سبب ما قبله .
وضرب لهذا مثلاً هو : جد شكرًا . بمعنى : جد لأجل الشكر ، فكلمة : «شكرًا» مصدر بين سبب الجود .
ومعنى : «دِنْ» ، دائن الناس بجدوك وفضلك : ليشكروك . فهو فعل أمر من دان الرجل غيره بمعنى : صار دائناً له . ويصح أن يكون فعل أمر من : «دان» بمعنى : صار صاحب دين (بكسر الدال)
وعلى المعنيين يصح أن يكون للفعل مفعول لأجله محذوف ؛ تقديره : شكرًا . ويكون أصل الكلام :
جد شكرًا ، ودِنْ شكرًا . ثم قال في بيان بقية الشروط :

وَهُوَ — بِمَا يَعْمَلُ فِيهِ — مُتَّحِدٌ وَقْتًا ، وَفَاعِلًا ، وَإِنْ شَرَطُ فَقَدْ :
فاجزؤه بالحرف ، وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ مَعَ الشُّرُوطِ ، كَلِزُهْدٍ ذَا قَنِيعٍ
يريد : أنه يكون مفعولاً لأجله بشرط أن يكون متحداً مع عامله في الوقت والفاعل ، وهذا مراده من
قوله : «بما يعمل فيه متحد» . أى : وهو متحد بالذى يعمل فيه النصب . (والضمير عائد على المفعول له)
فإن فقد شرط فاجزر بالحرف ، ولا تنصب . ثم بين أن الجر بالحرف ليس ممتنعاً مع استبقاء الشروط ؛ مثل =

٢ - ومن أحكامه أنه يجوز حذفه لدليل يدل عليه عنه الحذف ؛ كأن يقال :
 (إن الله أهلٌ للشكر الدائم ؛ فاعبده شكراً ، وأطِعه) . والتقدير : أطعه
 شكراً ؛ فحذف الثاني للدلالة الأول عليه . ومثل : (إن الضيف الذى سيزورنا
 جدير أن نظهر له التكريم فى كل حركاتنا ؛ فنقف تكريماً ، ونتقدم عند قدومه
 تكريماً ، ونصافحه ...) ، أى : نصافحه تكريماً . ومثل هذا ما سبق من قول
 ابن مالك : « جُدْ شُكْرًا وَدِينٌ » .

= هذا قنع زهداً ؛ فيصح : هذا قنع لزهد . وانتقل بعد ذلك لبيان درجة النصب والجرح من القوة البلاغية
 عند دخولها فى أقسام المفعول لأجله ، فقال :

وَقُلْ أَنْ يَصْحَبَهَا الْمُجَرَّدُ وَالْعَكْسُ فِي مَصْحُوبٍ « أَلْ » وَأَنْشَدُوا :
 لَا أَقْعُدُ الْجُبْنَ عَنِ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَتْ زُمُرُ الْأَعْدَاءِ

(قل أن يصحبها : أى : يصحب الحرف . وأنته باعتباره : كلمة . ويجوز التذكير باعتبار أنه
 حرف) فدخول حرف الجرح على المجرد من « أَلْ والإضافة » قليل ، ودخوله كثير على المقرون بأل ؛
 مثل قول الشاعر القديم : لا أقعد الجبن عن الهيجاء . . . (أى : لا أقعد عن الهيجاء الجبن ، يريد :
 اللجبن ، أى : بسبب الجبن) .

ولم يتعرض ابن مالك للمضاف . وكلامه السابق يشعر بالحكم ، وهو أن النصب والجرح سيان ،
 إذ بين أن أحد الثلاثة يكثر فيه النصب دون الجرح ، وأن واحداً آخر يكثر فيه الجرح دون
 النصب ، وسكت عن الثالث ، فالسكوت فى هذه الحالة قد يوحي بجواز الأمرين على التساوى .

(١) من أمثلة حذفه - قوله تعالى : (يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا)

والأصل : كراهة أن تضلوا . أى : كراهة ضللكم ؛ فالمصدر المؤول مفعول له - كما نص على
 ذلك صاحب : « المعنى » عند الكلام على الحرف : لا - .

والمفهوم أن المفعول لأجله (وهو كلمة : كراهة) مضاف إلى المصدر المؤول بعدها ، ثم حذف
 المضاف ؛ فقام المضاف إليه مقامه ، وأعرب إعرابه . ومثل هذا يقال فى المصدر المؤول فى الآية
 الكريمة التالية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا
 لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) .

أى : كراهة جبوط أعمالكم - فى فسادها وضياع قيمتها - . . . وكالذى فى الآية التالية :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصْنِيُوا قَوْمًا
 بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .

٣ - ومنها : أنه - وهو منصوب أو مجرور - يجوز تقديمه على عامله ؛ نحو :
(طلباً للترهة - ركبت الباخرة) . (انتفاعاً - شاهدت تمثيل المسرحية) . والأصل :
ركبت الباخرة ؛ طلباً للترهة - شاهدت تمثيل المسرحية ؛ انتفاعاً . وقول الشاعر :
فما جزعاً - ورب الناس - أبكى ولا حرصاً على الدنيا اعتزاني
والأصل : فإ أبكى جزعاً^(١) . . .

٤ - ومنها : جواز حذف عامله ؛ لوجود قرينة تدل عليه ؛ نحو : بُعداً عن
الضوضاء ؛ في إجابة من سأل : لِمَ قصدت الضواحي ؟ . . .

٥ - ومنها : أنه لا يتعدد^(٢) ؛ سواء أكان منصوباً أم مجروراً ؛ فيجب الاختصار
على واحد للعامل الواحد - ولا مانع من العطف عليه أو البدل منه^(٣) - لهذا قالوا
في الآية الكريمة : (ولا تُمسكوهن ضراراً ؛ لتعتدوا) * . أن كلمة : « ضراراً »
مفعول لأجله ، والجار والمجرور : (لتعتدوا) متعلقان بها ، ولا يصلح أن يكون التعلق
في الآية بالفعل إلا عند إعراب : « ضراراً » حالاً مؤولة ؛ بمعنى : مضارين .

(١) ومثل هذا كلمة : « شوقاً » في بيت الكميث :

طربت ، وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً مني . وذو الشيب يلعب ؟

يريد : وما أطربَ شوقاً إلى البيض . كما يريد : وأذو الشيب يلعب ؟ فحذف هزمة الاستفهام
لأن حذفها كثير للخفة عند أمن اللبس - كما جاء في المحتسب ج ٢ ص ٢٠٥ -
(٢) لأن العلة في وجود الشيء لا تكون إلا واحدة ، والسبب الواحد لا يوجد إلا مسبباً عنه
واحداً .

(٣) ومن أمثلة العطف عليه قول علي رضي الله عنه في بعض الأشرار : « لا تلتق بزمهم الشفتان ؛
استصغاراً لقدرهم ، وذهاباً عن ذكرهم » ، وكذلك : « لعباً » في الشطر الثاني من البيت السابق .
ومن أمثلة البدل قول أحد الباحثين : (ما تأملت الكون إلا تجلت لي عظمة الله ، وعجائب قدرته ؛
فأطأطأ الرأس إخباتاً ، خشوعاً ، وتواضعاً . . .) فالخشوع هو الإخبات ، بدل كل من كل - .

المسألة ٧٨ :

ظرف الزمان ، وظرف المكان ^(١).

في مثل : (جاءت السيارة صباحاً ، ووقفت يمين الطريق ؛ ليركب الراغبون)
 — تدل كلمة : « صباحاً » على زمن معروف ؛ هو أول النهار وتتضمن في ثناياها
 معنى الحرف : « في » الدال على الظرفية ^(٢) ، بحيث نستطيع أن نضع قبلها هذا
 الحرف ، ونقول : (جاءت السيارة في صباح ، ووقفت يمين الطريق) ؛ فلا يتغير
 المعنى مع وجود « في » ، ولا يفسد صوغ التركيب . فهو حرف عند حذفه هنا
 ملاحظ كالوجود ، يراعى عند تأدية المعنى ، ولأن كلمة : « صباحاً » ترشد إليه ،
 وتوجه الذهن لمكانه ؛ وهذا هو المقصود من أن كلمة « صباحاً » تتضمنه ^(٣).

ولو غيرنا الفعل : « جاء » ، ووضعنا مكانه فعلاً آخر ؛ مثل : وقف —
 ذهب — تحرك . . . — لبقيت كلمة : « صباحاً » على حالها من الدلالة على
 الزمن المعروف ، ومن تضمنها معنى : « في » . وهذا يدل على أن تضمنها معنى :
 « في » مطرد ^(٤) مع أفعال كثيرة متغيرة المعنى .

(١) يسمى الظرف ينوعيه : « المفعول فيه » وهو نوع من : « شبه الجملة » ، وكذا من « شبه
 الوصف » — كما سيجيء في رقم ١ من هامش الصفحة الآتية . —

(٢) أى : « على أن شيئاً في داخل شيء آخر » ؛ فالغلاف الخارجى هو الظرف ، وما في داخله
 هو : المظروف ؛ نحو : الماء في الكوب . وفي مثل : « السفر اليوم » ، يكون الظرف هو اليوم ،
 والمظروف هو السفر .

(٣) فالمراد من تضمنها : أنها تشير إلى معنى « في » من غير أن تتضمن لفظه ، أو تنوب عنه
 في أداء معناه ، أو عمله ، أو تكتسب شيئاً بهذا التضمن . ولولذلك لوجب بناء هذه الظروف ؛ (لما
 يسميه النحاة : « السبب التضمني » ، أو المعنوي » ؛ وهو يمتنع غالباً ، ظهور الحرف — وقد سبق بيانه في
 الجزء الأول ، ص ٦٠ م ٧ — وهو يزيد الأمر هنا وضوحاً) — مع أن أكثر الظروف معرب ؛ ورغم
 تضمنه معنى : « في » .

(٤) أى : مستمر في مختلف الأحوال ، ومع كل الأفعال ومشتقاتها العاملة . غير مقصور على
 نوع معين منها . لكن يجب ملاحظة أمور ثلاثة .

أولها : ان كلمة : « في » لا يصح التصريح بها مع الظروف التي لا تنصرف — كما سيجيء في
 رقم ٤ من ص ٢٦٣ و « د » من ص ٢٧٠ — بخلاف المتصرفة .

بـخلاف ما لو قلنا : الصباحُ مشرقٌ — صباحُ الخميس معتدل ، . . . فإن كلمة : « الصباح » في المثالين ، وأشباههما تدل على الزمن المعروف ، ولكنها لا تتضمن معنى « في » . فلو وضعنا هذا الحرف قبلها لفسد الأسلوب والمعنى المراد منه ، إذ لا يصح أن يقال : في الصباح مشرق — ولا في صباح الخميس معتدل ؛ ومن أجل هذا لا يصح — اصطلاحاً — تسمية كلمة : « الصباح » في هذين المثالين ظرف زمان ؛ لعدم وجود شيء مظروف فيها ، بالرغم من أنها تدل على الزمان فيهما .

وتدل كلمة : « يمين » في المثال الأول على المكان ؛ لأن معناها وقفت السيارة في مكان ؛ هو : « جهة اليمين » . وهي متضمنة معنى : « في » ؛ إذ تستطيع أن نقول : وقفت في اليمين ، أو : في جهة اليمين ؛ فلا يتغير المعنى . ولو غيرنا الفعل ، وجئنا بآخر ، فآخر . . . لظلت كلمة : « يمين » على حالها من الدلالة على المكان ، ومن تضمنها معنى « في » باطراد .

بـخلاف قولنا : اليمين مأمونة — إن اليمين مأمونة — خلّت اليمين . . . فإنها في هذه الأمثلة — وأشباهها — لا تتضمن معنى الحرف : « في » ، ويفسد الأسلوب والمعنى بمجيئه ؛ إذ لا يقال : في اليمين مأمونة . وكذا الحال في باقي الأمثلة وأشباهها ؛ لهذا لا يصح تسميتها في هذه الأمثلة ظرف مكان ، لعدم وجود شيء مظروف فيها . . .

فكلمة : « صباحاً » في المثال الأول — ونظائرها — تسمى : ظرف « زمان » . وكلمة « يمين » ونظائرها ، تسمى : « ظرف مكان » .

فالظرف^(١) هو : (اسم منصوب يدل على زمان أو مكان ، ويتضمن معنى :

= وثانيها : أن نوعين من الظروف المكانية لا ينصبها إلا أفعال معينة خاصة ، أو مشتقاتها ؛ فلا يتضمنان — في الأعم الأغلب — معنى : « في » باطراد — كما سيبيء في رقم ٣ من هامش ص ٢٥٣ — فالظروف الدالة على المقادير لا تنصبها إلا أفعال السير ومشتقاتها ، والظروف التي تلاقى فعلها في الاشتقاق إنما ينصبها ما تجتمع معه في حروف مادته من فعل ، أو وصف يعمل عمله .

ثالثها : أن أسماء الزمان التي تلاقى فعلها في الاشتقاق ، ينصبها ما تجتمع معه في حروف مادته من فعل ، أو وصف يعمل عمله . . . انظر « ج » من ص ٢٥٤ .

(١) يسمى الظرف بنوعيه : « المفعول فيه » كما سبق في رقم ٢ من هامش الصفحة الماضية — وقد يطلق الظرف في كلام الأقدمين — أحياناً — مراداً منه الجار مع مجروبه . لأن كلمة : « الظرف » عندهم قد تشمل « شبه الجملة » بنوعيه ، وتطلق على كل منهما . صرح بهذا : « المعنى » ج ١ في مبحث : « كيف » و « المفعول » =

« في » باطراد^(١) . . .) وينقسم إلى ظرف زمان ، وظرف مكان^(٢) .

أحكام الظرف بنوعيه -

أشهرها سبعة :

١ - أنه منصوب^(٣) على الظرفية^(٤) ، فلو كان مرفوعاً ، أو كان منصوباً لداع آخر غير الظرفية ، أو مجروراً^(٥) ولو كان الجار هو : « في » الدالة على الظرفية - فإنه لا يسمى ظرفاً ، ولا يُعرب ظرفاً ، ولو دلّ على زمان أو مكان^(٥) .
وناصبه - ويسمى : عامله - إما مصدر ؛ نحو : المشى يمين الطريق أسلم ، والبحرى وراء السيارات يعرض للأخطار .
ولما فعل^(٦) لازم أو متعّد ، نحو : أنجزت عملي مساءً ، ثم قعدت أمام المذيع ، أتمتع به .

= ج ١ في باب الظرف - في المبحث المستقل الذي عنوانه « كيف » ص ٢١٤ . وكذا الحضري - وغيره . - في ج ١ باب : « المبتدأ والخبر » عند بيت ابن مالك الذي نصه : « وفي » جواب كيف زيد ؟ قل دنف ... » وانظر النحو الوافي (ج ١ م ٣٩ - ص ٣٦٢ من الطبعة الثالثة - .
وشبه الجملة يسمى أيضاً : « شبه المشتق ، أو : شبه الوصف » للسبب المدون في رقم ٣ من هامش ص ٣٧٣ .

أما حكم شبه الجملة بنوعيه : (الظرف ، والجار مع مجروره) بعد المعارف والتكرات فيجىء في ص ٤٤٦ .
(١) أى : بأن يتعدى إليه كل الأفعال مع بقاء تضمنه في المعنى لذلك الحرف الدال على احتواء الظرف لمعنى عامله . إلا الظروف التي أشرنا إليها (في رقم ٤ من هامش ص ٢٤٢) ومنها نوعان لا يتضمنان معنى « في » إلا في حالات معينة يكون فيها الفعل العامل أو مشتقاته من نوع معين ؛ فهما بسبب هذا التعيين لا يتضمنان معنى « في » باطراد .

(٢) وفي هذا يقول ابن مالك :

الظَّرْفُ وَقْتُ أَوْ مَكَانٌ ضَمَّنَا : « في » ، باطرَادٌ ؛ « كَهُنَا » أَمْكُثُ « أَزْمُنَا »

والأحسن في : « ضمنا » أن تكون ألفه للتثنية المراد منها الوقت والمكان . وكلمة : « أو » للتنويع ، بمعنى الواو .

(٣) إما مباشرة ؛ لأنه معرب مثل : يوم - وراء . . . ، وإما مبني في محل نصب . مثل : حيث - منذ ...

(٤ و ٥) انظر « ا » من ص ٢٥٩ حيث الكلام على الظرف المتصرف .

(٥) كالصور التي يجب فيها جره بالحرف : « في » وإعرابها بعد ذلك خبراً للمبتدأ - وقد

سبق في باب المبتدأ والخبر ، ج ١ م ٣٥ - .

(٦) تام أو ناقض ، جامد أو متصرف . . . أو غير ذلك . . . إلا الفعل : « ليس » ففي التعلق به

خلاف . (وسيجيء الكلام على سبب التعلق في ص ٢٤٩ وفي باب حروف الجر ، ص ٤٣٦ ب) .

ولما وصف^(١) حقيقى عامل ، (اسم فاعل ، اسم مفعول . . .) ، نحو
الطيارة مرتفعة فوق السحاب ، والسحاب مركوم تحتها لا يعوقها .

ولما وصف تأويلا ؛ ويراد به الاسم الجامد المقصود منه الوصف بإحدى
الصفات المعنوية ، مثل : أنا عمرُ عند الفصل فى قضايا الناس ، وأنت معاوية
ساعة الغضب ، فالظرف : « عند » منصوب بكلمة : « عمر » ، والمراد منها :
« العادل » . وكلمة : « ساعة » منصوبة بكلمة : « معاوية » والمراد منها :
الحليم^(٢) . . .

٢ - ولا بد أن يتعلق^(٣) الظرف بناصبه (أى : بعامله) وليس من اللازم أن يكون
عامله متقدماً عليه ؛ كالأمثلة السالفة ، فقد يكون متأخراً عنه ؛ كقولهم : (الحرُّ
عند الحمية لا يُضطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب
الأحقاد) . والمشهور أنه لا يتعلق بعامله المباشر إن كان هذا العامل حرفاً من
« حروف المعاني »^(٤) .

(١) أى : مشتق . والحقيقى : غير التأويل الآق .

(٢) وقد يكون ناصبه هو العامل فى المنادى ؛ كالظرف : « بين » فى قول الشاعر :

يا دار بين النقا والحزن ما صنعت يد النوى بالألى كانوا أهاليك؟

وسيجى بيان هنا ، وفى باب : « المنادى » ، ج ٤ م ١٢٧ -

(٣) معنى التعلق موضع فى « ب » ص ٢٦٧ وفيها أن التعلق قد يكون بعامل معنوى ، هو :
« الإسناد » .

(٤) المراد من : « حروف المعاني » موضع ، فى صدر الجزء الأول (م ٥) عند الكلام على
موضوع : « الحرف » - ومن أنواعها : حروف العطف ، وحروف الاستفهام ، وحروف النفي . . .
ونزيد هنا ما يقوله صاحب « المفصل » - فى ج ٨ ص ٧ - من أنها حروف جاءت عوضاً عن الجمل ،
ومفيدة معناها ، بأوجز لفظ ، فكل حرف منها يفيد فائدتها المعنوية مع الإيجاز والاختصار ؛ فحروف
العطف جىء بها عوضاً عن : « أعطف » ، وحروف الاستفهام جىء بها عوضاً عن : « أستفهم » .
وحروف النفي إنما جاءت عوضاً عن : « أجحد » ، أو : « أدنى » ، وحروف الاستثناء جاءت عوضاً
عن : « أستثنى » ، أو : « لا أقصد » ، وكذلك لام التعريف نابت عن : « أعرف » ، وحروف الجر
جاءت لتنوب عن الأفعال التى بمعناها ؛ فالباء نابت عن : ألصق - مثلاً - والكاف نابت عن أشبه ،
وكذلك سائر حروف المعاني : كأحرف النداء والتمنى . . .

وقد عقد صاحب المعنى - فى الجزء الثانى من كتابه - فصلاً عن شبه الجملة بنوعيه (« الظرف ، والخار
مع مجروره) ؛ عنوانه : « هل يتعلقان بأحرف المعاني » ؟ ملخصه : أن هنالك ثلاثة آراء : =

٣- أن عامله قد يحذف جوازاً ، أو وجوباً ؛ فيحذف جوازاً حين يدل عليه دليل ؛ كأن يقال : متى حضرت ؟ فيجواب : يوم الجمعة ؛ أى : حضرت يوم الجمعة . ومتى وصلت يوم الجمعة ؟ فيجواب : مساءً . أى : وصلت مساءً ؛ ومثل : كم ميلاً مشيت ؟ فيجواب : ميلين ؛ أى : مشيت ميلين ، ويسمى الظرف الذى ذكر عامله أو حذف جوازاً لوجود قرينة تدل عليه : « الظرف اللغو^(١) » . أما الذى حذف عامله وجوباً فيسمى : « الظرف المستقر^(٢) » .

= أولاً : المنع مطلقاً ، وهو المشهور . ثانياً : الجواز مطلقاً . ثالثاً : التفصيل ؛ فإن كان حرف المعنى نائباً عن فعل حذف جاز ذلك على طريق النياحة ، لا الأصالة ، وإلا فلا ؛ فنحو « يا محمد » يكون الجار والمجرور متعلقين بالحرف : « يا » ؛ لنيابته عن « أدعو » ، أو : « أنادى » . وأما الذين قالوا بالجواز مطلقاً فشاؤا له بقول الشاعر :

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الظَّرْفِ مَكْحُولُ
فالظرف : « غداة » ظرف للنفي ، أى : انتفى كونها في هذا الوقت إلا كأغن ، ولا يصح تعلقه بما بعد « إلا » لأن معمول المستثنى لا يتقدم عليهما - كما سيجيء في بابيه ص ٣٢٨ م ٨١ - . ومثل : ما ضربت الغلام للتأديب . فإن قصدت نفي ضرب معلل بالتأديب فالجار والمجرور متعلقان بالفعل ، والمنفى ضرب مخصوص ، وللتأديب تعليل للضرب المنفى . أما إذا قصدت نفي الضرب على كل حال فالجار والمجرور متعلقان بالنفي ، والتعليل له . أى : أن انتقاء الضرب كان لأجل التأديب ، لأنه قد يؤدب بعض الناس بالصفح عنه ، وتركك إيائه دون أن تضربه .

ومثاه في التماق بحرف النفي عندهم : ما أكرمت المنيء لتأديبيه ، وما أهنت الحسن لمكافأته ؛ إذ لوعاق هذا بالفعل لفسد المعنى المراد . ومثل هذا قوله تعالى : (مَا أَنْتَ بِمُجْنُونٌ) ؛ فالباء متعلقة بالنفي ؛ إذ لو علق الجار والمجرور بكلمة : « مجنون » ولم يتعلقا بالنفي - لأفاد نفي جنون خاص ؛ هو الجنون الذى يكون من نعمة الله . وليس في الوجود جنون هو نعمة ، ولا المراد نفي جنون خاص ... و ...

ثم قال صاحب المعنى تعليقاً على هذا رأى ما نصه :

« هذا كلام بديع . إلا أن جمهور النحويين لا يوافقون على صحة التعلق بالحرف ، فينبغي على قولهم أن يقدروا التعلق بفعل دل عليه النافي ... و ... » . ٨١ .

وإذا كان الكلام السالف بديعاً « كما يقول - بحق - صاحب المعنى » فكيف لا يوافق عليه جمهور النحاة بعد ما بدا له من تلك الآثار المعنوية الهامة التى كشفها أمصغابه ، وأبانوا جليل قدرها ؟ ولم التقدير والتأويل من غير داع ؟

لهذا لم يكن بد من الاطمئنان إلى ذلك الكلام والاقتصار عليه ، وإن خالفه الجمهور بغير حجة واضحة . اللهم إلا إن كان القصد أن التعلق بالفعل الذى يدل عليه النافي أظهر وأبين . فهذا صحيح .

(١ و ١) تكلمنا بإسهاب عن الظرف « اللغو » ، والظرف « المستقر » - ، بفتح القاف - وعن =

ويجب حذف هذا العامل في ستة مواضع :

أن يقع خبراً ، أو حالا ، أو صفة ، أو صلة ، أو مشتغلاً^(١) عنه ، أو لفظاً مسموعاً عن العرب محذوفاً في أكثر استعمالهم . فمثال الخبر : الأزهار أماننا ، والزروع حولنا . ومثال الحال : هذا الأسد أمام مروضه كالقار . ومثال الصفة : إن شهادة زور أمام القضاء قد تحضّر هُوةً سحيقة تحت أقدام شاهدها ، ومثال الصلة : احتفت بالضيف الذي معك . ومثال الاشتغال : يوم الأحد سافرت فيه^(٢) . ومثال المسموع : حينئذ الآن .

= سبب التسمية ؛ وما يصحبها من أحكام مختلفة ؛ في الجزء الأول (في ص ٢٧١ م ٢٧ و ٣٥٢٤٦) وهي أحكام هامة (منها : أن الظرف اللغوي لا يقع بنفسه خبراً ، ولا صلة وإنما الذي يقع هو عامله المذكور ، أو المحذوف جوازاً لقريئة - كما سيجيء ، في ص ٢٤٩ -) وبعضها يؤدي إلى تيسير محمود . ثم عدنا إلى الكلام المفصل مرة أخرى في هذا الجزء الثاني بمناسبة الكلام على حروف الجر ، وتعلقها بعامل محذوف - وغيره - وآثاره من النواحي المختلفة (في رقم ٣ من هامش ص ٢٤٥) . والموضوع كله جدير بالاطلاع عليه . (١) تقدم باب الاشتغال في هذا الجزء ص ١٢٤ .

(٢) القياس في الاشتغال بمعناه العام أن نقول : سافرت ، إلا أن الضمير العائد على الظرف يغلب جره بـي . وقد تحذف تيسيراً وقوساً ؛ - كما قالوا - على تخيل أن الفعل اللازم متعد بنفسه . وبناءً على هذا التخيل يكون الضمير المتصل به مباشرة ، مفعولاً به ، لا ظرفاً - بالرغم من أنه عائد على الظرف - ، ويصير الفعل بتمدياً بنفسه . (راجع الصبان في هذا الموضع ، ثم الفصل ج ٢ ص ٤٦) . وهذا التخيل يؤدي إلى اللبس والخلط بين المتعدي واللازم . فالخير في إبقاء حرف الجر وجوباً كما يرى كثرة النحاة . أما عند حذفه فالأنسب إعراب الضمير ظرفاً لأنه راجع إلى الظرف - (انظر رقم ٢ من هامش ص ١٢٦ ثم من ص ٢٥٢)

ومما فيه إشارة إلى التخيل السالف كلام « أبي على القالي » في كتابه : « ذيل الأمالي وال نوادر » - ص ٣ - عند عرضه قصيدة الأبيّرد الرياحي في رثاء أخيه ، ومطلعها :

تطاول ليسلى لم أنمه تقلباً كأن فراشي حال من دونه الجمر

قال : أبو على ، بعد الفراغ منها ما نصه : (قال أبو الحسن - يريد : أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش - من روى : « لم أنمه » جعله مفعولاً به على السعة ، كما قالوا : « اليوم صمته » . والمعنى : لم أتم فيه ، وصمت في اليوم . جعله مثل : زيد ضربته) اهـ .

ومثل هذا في كتاب : « الكامل للمبرد » - ص ٢٧ - فقد نقل في باب عنوانه : « من كلام العرب : الاختصار » حذف كلمة « في » من قول العرب : « أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً » ، وقول الراجز : « في ساعة يُحبها الطعام » - ببناء المضارع للمجهول - ثم قال بعد ذلك : (يريد في ساعة يُحبب فيها الطعام . وكذلك الأول معناه ما أذوق فيهن . . . ، وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولاً به على السعة ؛ كقولهم يوم الجمعة سرت ، ومكانكم قمت ، وشهر رمضان صمته . . . ؛ فهذا يشبه في السعة بقولك : « زيد ضربته » ، وما شابهه ، فهذا بيّن) اهـ .

والعامل المحذوف في الثلاثة الأولى يصح أن يكون وصفاً أو فعلاً ؛ فالتقدير على اعتباره وصفاً هو : (مستقر ، أو موجود ، أو كائن ، أو حاصل . . . ، وأشباه هذا مما يناسب) . وعلى اعتباره فعلاً هو : (استقر - وُجد - كان التي بمعنى : وُجد - حصل . . . وأشباه هذا مما يناسب) .

أما مع الصلة فيجب أن يكون فعلاً ^(١) ؛ لأن الصلة لغير « أل » لا بد أن تكون جملة فعلية ، والوصف مع مرفوعه ليس جملة ^(٢) .

والأحسن في « المشغول عنه » هنا ، وفي « المسموع » أيضاً أن يكون فعلاً ، فأصل المشغول عنه : سافرت يوم الأحد سافرت فيه . وأصل المسموع في قولهم : حينئذ الآن . هو : « كان ذلك حينئذ ، واسمع الآن » ^(٣) .

(١) وكذلك العامل المحذوف في - القسم ، لأن القسم والصلة - لغير أل - ، لا يكونان إلا جملتين ، ولن يتحقق هذا إلا بتقدير العامل المحذوف فعلاً ، وليس اسماً مشتقاً يشبهه - كما سيحىء في باب حروف الجر ص ٥٠٠ - أما صلة « أل » فصفة صريحة ؛ فيجب أن يكون المحذوف اسماً مشتقاً يصلح أن يكون صلة لها على الوجه الذي تقدم بيانه عند الكلام عليها في باب الموصول والصلة (ج ١ ص ٢٥٣ م ٢٦ و ٢٧١ م ٢٧) .

(٢) إذا كان المحذوف في الصلة وغيرها هو متعلق الظرف فهل يجوز أن نقول إن الظرف نفسه هو الصفة ، أو الصلة ، أو الحال ، أو الخبر ، ونستريح من التقدير ؟
الجواب ؛ نعم ، (وتفاصيل هذا وأدلتها قد سبقت في ج ١ ص ٢٧٢ ، م ٢٧ وفي باب المبتدأ والخبر شبه الجملة . م ٣٥ وسيجيء تلخيصها في الزيادة (ص ٢٤٩) ، وفي : « باب حروف الجر » (رقم ٣ من هامش ص ٤٤٥) .

(٣) هذا مثل يقال لمن ذكر أمراً تقادم عهده ، أى : (حصل وقوع ما تقوله حين إذ كان كذا وكذا ، واسمع الآن كلامي) ؛ فهما جملتان . والمقصود منعه من ذكر ما سبق ، وأمره بسماع ما يقال له الآن . وفي نصب الظرف وحذف عامله جوازاً أو وجوباً يشير ابن مالك بقوله :

فانصِبْهُ بِالْوَاقِعِ فِيهِ مُظْهِراً كَانَ ، وَإِلَّا فَاَنْوِهْ مُقَدِّراً

وَكُلُّ وَقْتٍ قَابِلٌ ذَاكَ ، وَمَا يَقْبَلُهُ الْمَكَانُ إِلَّا مُبْنِهما

نَحْوُ : الْجِهَاتِ ، وَالْمَقَادِيرِ ، وَمَا صَبِغَ مِنَ الْفِعْلِ ؛ كَمَرَمَى مِنْ رَمَى

الظرف يقع فيه المعنى إما من المصدر المجرد ، أو من الفعل ، أو من الوصف العامل . وهو هنا يقول : انصب الظرف بالعامل الذي معناه يقع في هذا الظرف . فالمراد : انصبيه بواحد من الأشياء السالفة إن كان موجوداً ، وإلا فقدّر . ثم بين أن كل وقت ، - أى : ظرف للزمان - يقبل النصب على الظرفية ؛ مبهماً كان أم مختصاً . أما ظرف المكان فلا ينصب منه إلا ما ذكره من الجهات ، والمقادير ، وما صبغ من الفعل . (وسيأتى شرح هذا في ص ٢٥٢) .

زيادة وتفصيل :

إذا كان عامل الظرف محذوفاً وجوباً في بعض المواضع^(١)، فما الداعي إلى ملاحظته عند الإعراب ، ووجوب تقديره في تلك المواضع ، واعتباره هو الخبر أو الصفة ، أو الحال ، أو الصلة ، أو . . . ، دون الظرف نفسه ؟ لم لا يكون الظرف نفسه هو الخبر ، أو الصفة ، أو الحال ، أو الصلة ، أو . . . — في تلك المواضع ما دام متعلقه المحذوف واجب الحذف ، ولا يصح ذكره بحال ؟ وإذا كان كلام العرب خالياً منه دائماً فكيف عرفنا أنه محذوف ؟ إن الحكم بالحذف يقتضى علماً سابقاً ومعرفة من اللغة بأن هذا المحذوف — أو نظائره — قد وُجد حقيقة في الكلام العربي ، ثم حذف لسبب طارئ . وهذه المعرفة لم توجد حقاً . فكيف حكمنا — إذاً — بأنه محذوف ؟ . . . إلى غير هذا مما يحتج به المعارضون ، وينتهون منه إلى أن الظرف نفسه هو الخبر ، أو الصفة ، أو . . . أو . . . ، وليس من اللازم في رأيهم أن يكون هذا الظرف منصوباً بالعامل المحذوف ، فقد يكون منصوباً بشيء آخر في الجملة ، أو بعامل معنوى كالحذف . . . أو بغير عامل . . . ، ولا ضرر في هذا عندهم .

وفريق منهم يقول إن خصائص العامل — ومنها : معناه ، وتحملّه للضمير — قد انتقلت للظرف ؛ فلا مانع أن يكون الظرف نفسه بعد هذا هو الخبر ، أو : الصفة . . . أو . . .

(وقد أشرنا لهذا الرأي في ص ٤٤٧ ، وسبق إيضاحه في الجزء الأول ، هامش ص ٢٧١ م ٢٧ وص ٣٤٦ م ٣٥) ، وأنه رأى مقبول عند بعض القدامى المحققين .

أما الذين يهتمون أن يكون العامل المحذوف هو الخبر ، أو الصفة . . . أو . . . — دون الظرف ، ويشترطون أن يكون للظرف في تلك المواضع متعلقاً هو الخبر أو الصفة . . . أو . . . ، فلهم حجة منطقية قوية . ولكنها على قوتها تسع للتفسير والتخفيف بغير ضرر ، وتنتهى إلى ما يقوله المعارضون ؛ هي : أن الزمان المجرد لا وجود له ؛ فمن المستحيل أن يوجد زمان لا يقع فيه حادث جديد ، أو لا يستمر فيه حادث موجود ، فخلو الزمان من أحداث جديدة أو مستمرة — محال . وبتعبير

(١) سبق بيانها في ص ٢٤٧ .

أدقّ : لا بدّ من اقتران كل حادث بزمان ، ويستحيل أن يوجد حادث في غير زمان . ولهذا سمى الزمان ظرفاً ؛ تشبيهاً بالظرف الحسى — كالأواني والأوعية التي توضع في داخلها الأشياء — . وإذا كان الأمر هكذا فكل زمان مقرون حتماً بالحادث المتصل به الواقع فيه ، وكثير من هذه الحوادث أمر عام يدل على مجرد « الوجود المطلق » من غير زيادة معنوية عليه . فهو معروف ، فلا داعي لذكره ؛ إذ لا فرق في المعنى بين : قولنا : « السفر حاصل غداً » ، وقولنا : « السفر غدا » لأنه هو الزمان متلازمان كما سلف ؛ فذكر الثاني كاف في الدلالة على وجود المحذوف ؛ فهو مع حذفه ملاحظ وكأنه موجود . هذا من الناحية العقلية المحضة^(١).

وهناك شيء آخر يقولونه في شبه الجملة الواقع خبراً — أو غير خبر — من الأشياء التي سلفت ؛ هو : أن اللفظ الدال على الزمان لا يُكَمَّل وحده — بغير متعلّقه — المعنى الأساسى للجملة ، ولا يستقل بنفسه في تحقيق فائدة تامة ، وإنما ييجىء لتكملة معنى آخر فيما يسمى : « العامل » ؛ فليس من شأن اللفظ الزمانى أن يتسم المعنى الأساسى المراد بغير ملاحظة العامل المحذوف ؛ فلولا ملاحظته في مثل : « السفر يوم الخميس » لكان المعنى : السفر زمان ، وهذا الزمان يوم الخميس ، وبعبارة أخرى : السفر هو يوم الخميس نفسه ، ويوم الخميس هو السفر ، والمعنى — لا شك — فاسد ، مع أن الثابت المقرر من استقراء كلام العرب يوجب أن يكون الخبر هو المبتدأ في المعنى ، والمبتدأ هو الخبر في المعنى كذلك ولا فساد في ذلك مطلقاً .

ومثل هذا يقولون في ظرف المكان ؛ فالمكان المجرد لا وجود له ؛ فمن المستحيل أن يوجد مكان لا تقع فيه أحداث جديدة ، أو تستمر فيه أحداث قديمة ؛ فالحوادث والأماكن مقترنان متلازمان على الدوام ، فذكر الثاني في الكلام كاف في الدلالة على وجود المحذوف الملاحظ حتماً ، فيتساوى المعنى بين : « على موجود في البيت » و « على في البيت » ، وكذلك بين « على موجود أمامك » ، و « على

(١) بل إن الظرف بنوعيه لا بد أن يدل في أصله على : « الوجود المطلق » ثم يمتاز « اللفظ » بدلالته — فوق هذا — على معنى خاص آخر ، كالأكل ، أو الشرب ، أو غيرها مما يزداد عليه فيجعله خاصاً مقيداً بعد أن كان عاماً مطلقاً . وسيجىء للموضوع بيان في باب : « حروف الجر » . عند الكلام على شبه الجملة — رقم ٣ من هامش ص ٤٤٥ — .

.

 أمامك » . هذا إلى أن ظرف المكان وحده بغير ملاحظة عامله المحذوف لا يتم
 المعنى الأساسى المراد ، ولا يكمل القصد ؛ فالمكان إنما يجيء لتكملة معنى ، ولا يمكن
 أن يستقل بإيجاد معنى أساسى جديد . وإذا ثبت أن لكل حادثة زمناً فلا بد لها
 من مكان أيضاً . وإذا استحال أن يخلو زمان من حادثة استحال أن يخلو مكان
 من حادثة أيضاً .

ولولا ملاحظة المحذوف لكان المبتدأ فى مثل : « الجلوس فوق » هونفس الخبر ،
 أى : أن : الجلوس هو « فوق » ، « وفوق » هو الجلوس ذاته ^(١) . وهذا معنى فاسد ،
 ومثل هذا يقولون فى الجار مع مجروره ؟ .

تلك هى الأدلة القوية ، ولا حاجة لغير المتخصصين بمعاناتها . وحسبنا أن
 نحكم بقوة رأى القائل بأن شبه الجملة هو الخبر ، أو الحال ، أو . . . ، وأنه
 رأى شديد لا مانع من مسابرة ، على الوجه المدون فى الجزء الأول فى الصفحات
 المشار إليها .

(١) لما تقرر من أن المبتدأ هو الخبر فى المعنى ، والخبر هو المبتدأ فى المعنى فى غير هذه المواضع .

٤ - أن أسماء الزمان الظاهرة ^(١) كلها تصلح للنصب على الظرفية ، يتساوى في هذا ما يدل على الزمان المبهم ^(٢) وما يدل على الزمان المختص ^(٣) ، فمثال الأول : عملت حيناً ، واسترحت حيناً ، ومثال الثاني : قضيت يوماً سعيداً في الضواحي ، وأمضيت يوم الخميس في الريف . كما يتساوى في هذا ما كان منها جامداً ؛ مثل : يوم ، وساعة . . . وما كان مشتقاً مراداً به الزمان ؛ كصيغتي : « مفعّل ، ومفعّل » - بفتح العين وكسرهما - القياسيتين الدالتين على « الزمان » ، بشرط أن تكون الصيغ القياسية المشتقة جارية على عاملها (أى : مشتركة معه في مثل

(١) بخلاف المضرة كضمير الظرف - في مثل : يوم الجمعة سرت فيه - فإنه ظرف يجر بالجر : « في » وجوباً ؛ فلا يقال : سرت ، إلا على رأى يبيح التوسع بحذف حرف الجر قبله ، وإعرابه مفعولاً به . (وقد سبق البيان والتفصيل في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٧ وله إشارة في رقم ٢ من هامش ص ١٢٦) .
(٢ و ٣) اسم الزمان المبهم هو : النكرة التي تدل على زمن غير محدود ، (أى : غير مقدر بابتداء معين ، ونهاية مروفة) ؛ مثل : حين ، وقت ، مدة ، زمن . أو : تدل على وجه من الزمان دون وجه ، مثل : صباح ، - عشية - غداة . (كما سيجيء في ص ٣٠١ م ٧٩ أما الإيضاح الأنسب فهو في باب الإضافة ج ٣ م ٩٤)

والمختص : عكسه ؛ ومنه المقدّر المعلوم ؛ لتعريفه بالعلمية ؛ كرمضان ، أو بالإضافة مثل : زمن الشتاء ، أو بآل ، مثل : اليوم . . . ، ومنه أيضاً : المقدّر غير المعلوم ؛ كالنكرة المحدودة غير المعينة ، نحو : سرت يوماً أو يومين ، والنكرة الموصوفة كسرت زمناً طويلاً .

وهناك فرق آخر يترتب على ما سبق ؛ هو : أن الظرف الزماني المبهم بمنزلة التأكيد المعنوي لزمن عامله . لأن معنى : سار الرجل ، هو : حصول سير من الرجل في زمن فات ، فإذا قلنا : « سار الرجل زمناً » كان المعنى أيضاً : حصول سير الرجل في زمن فات . فالظرف الزماني لم يفد إلا التأكيد المعنوي للزمن ؛ كما قلنا . ومنه (سبحانه الذي أسرى بعبد ليل) فكلمة : « ليل » ظرف زمان يؤكد زمن الفعل . « أسرى » ؛ لأن الإسراء لا يكون إلا ليلاً .

أما الظرف المختص فيفيد التأكيد المعنوي مع الزيادة الدالة على الاختصاص . وعلى هذا يكون من الظروف الزمانية ما يؤكد عامله كما يقع تأكيد العامل بالمصدر والحال ، ومنها ما يؤكد مع زيادة أخرى ؛ كالشأن في المصدر المبين للنوع أو للعدد ، - وقد سبق -

وسيجيء الكلام على الظرف المؤكّد والمؤسّس في « ب » من ص ٢٥٧ .
وظرف الزمان المبهم غير الأسماء المهمة التي سبق الكلام عليها في ج ١ (ص ٣٠٥ « - » م ٢٥ - وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٠٦ م ٢٦) .

وبمناسبة الكلام على الظرف الزماني المضاف تردّد كتب اللغة (أن العرب لم تصف كلمة : « تنهر » إلا إلى « رمضان ، والربيعين » . لكن لا مانع من إضافتها إلى الشهور الأخرى . ولا مانع كذلك من ترك الإضافة إلى : « رمضان والربيعين » وغيرها ؛ كما نصّ على ذلك النحاة .

(راجع الصبان - ج ١ - عند الكلام على الظرف « المبهم والمختص » .) وكذلك الجمع - ج ١ باب « الظرف » - ص ١٩٩ حيث البيان أوسع .

حروفه الأصلية) ، مثل : قعدت مقعد الضيف ، أى : زمن قعود الضيف^(١) .

أما أسماء المكان فلا يصلح منها للنصب على الظرفية إلا بعض أنواع :

(٢) منها : المبهم^(٢) وملحقاته ؛ نحو : الجهات الست ، فى مثل : وقف الحارس أمام البيت — وطار العصفور فوقه ... ، فإن كان المكان مختصاً لم يصح نصبه على الظرفية ، ووجب جره بالحرف : « فى » إلا فى حالتين :

الأولى : أن يكون عامل الظرف المكاني المختص هو الفعل : « دخل » أو : « سكن » أو : « نزل » فقد نصب العرب كل ظرف مختص مع هذه الثلاثة ؛ نحو : دخلت الدار ، وسكنت البيت ... ، ونزلت البلد ... ، والأحسن فى إعراب هذه الصور وأشباهها أن يكون كل من « الدار » ، و « البيت » ، « والبلد » مفعولاً به — لا ظرفاً — ويكون الفعل قبلها متعدياً^(٣) إليها بنفسه مباشرة .

الثانية : أن يكون الظرف المكاني المختص هو كلمة : « الشام » وعامله هو الفعل : « ذهب » . فقد قال العرب : « ذهبت الشام » وتعرب هنا ظرفاً — ومثله الظرف المختص : « مكة » مع عامله الفعل : « توجه » فقد قال العرب أيضاً : توجهت مكة . فنُصب ظرفاً مع هذا الفعل وحده . و « الشام » و « مكة » ظرفان مكانيان على معنى : « إلى » .

(ب) ومنها : المقادير^(٤) ، نحو : غلثوة — ميل — فرسسخ —

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٥٤ — (راجع أول « باب الظرف » فى ج ١ — من حاشيتى الخضرى والصبان) .

(٢) المراد به : ما ليس له هيئة ولا شكل محسوس ، ولا حدود تحصره بين نهايات مضبوطة ، تحدد جوانبه ؛ ومنه : الجهات الست — وما يشبهها فى الشيوع — وهى (أمام — خلف — يمين — شمال — فوق — تحت) والمختص : عكسه ؛ مثل : بيت — دار — غرفة —

وقد ألحق بالجهات الست ألفاظ ستجيء ؛ فى « أ » من ص ٢٥٧ منها : عند ، ولدى ... وهناك تفصيل آخر فى باب الإضافة ج ٣ م ٩٤ .

(٣) لنستريح من النصب على نزع الخافض ، ومن اعتراضات أخرى على إعرابه ظرفاً منصوباً .

(٤) ويلاحظ ما سبقت الإشارة إليه (فى رقم ٤ من هامش ص ٢٤٢ ورقم ١ من هامش ص ٢٤٤) وهو أن الظروف الدالة على المقادير لا تتضمن معنى : « فى » باطراد ؛ وإنما تتضمنها أحياناً قليلة لأن ناصبها لا بد أن يكون من أفعال السير ، أو مشتقاتها ؛ فلا توجد : « فى » مع ناصب آخر .

كذلك النوع الآتى : وهو ما صيغ من مادة فعله وحوى حروفه ، فإن هذا الظرف لا يتضمن معنى =

بَرِيد^(٢) . . . و . . . و . . . مثل : مشيت غَلْوَةً ، ثم ركبت ميلاً ، ثم سرت فَرَسَخًا .

(ح) ومنها : ما صيغ . على وزن^(٣) : « مَفْعَل » ، أو « مَفْعِل » للدلالة على المكان ، بشرط أن يكون الوزن جارياً على عامله ، (أى : مشتركاً معه في مثل حروفه الأصلية ، ومشتماً عليها)^(٤) ، مثل : وقفت موقِف الخطيب ، وجلست مجلس المتعلم - صنعت مصنع الورق ، وبنيت مبناه ... ، فلو كان عامله من غير لفظه لوجب الجر بالحرف : « في » ؛ نحو : جلست في مرمى الكرة^(٥) .

== « في » باطراد لأن ناصبه من فعل أو وصف يعمل عمله ، لا بد أن يكون مشتركاً معه في حروف صيغته فلا توجد « في » مع غيره . ففي هذين النوعين لا تطرد « في » ؛ إذ توجد مع بعض الأفعال المعينة ومشتقاتها دون بعض آخر لا يمكن أن يتضمنها معنوياً ؛ لأنه غير صالح للعمل في النوعين السالفين .

هذا ، وقد اختلف النحاة في المقادير ؛ أهي من المبهم ، أم شبيهة بالمبهم ، أم قسم قائم بذاته ، ... ولسنا في حاجة إلى العناء ؛ فاعتبارها قسماً مستقلاً أنسب ، وليست من المبهم ؛ لأنها معلومة المقدار ، ولكنها مختلفة الابتداء ، والانتهاء ، والبقعة ، بحسب الاعتبار ؛ فليس لها جهة ثابتة مستقرة فيها ، فالمليل قد يكون في بلد ، وقد يكون في غيرها ... ، يكون في صحراء ، وقد يكون في حضر ، وقد يكون في الشرق بالنسبة لشيء آخر ، أو في الغرب ، وهكذا .

(٢) الغلوة : مائة باع تقريباً ، أو : هي أبعد مسافة يقطعها السهم . والمليل : ألف باع ، والفرسخ : ثلاثة أميال ، ولبريد : أربعة فراسخ . . .

(٣) كما سبق في ص ٢٥٢ - ويكون اسم الزمان والمكان من الثلاثي على وزن : مَفْعَل (بفتح العين) إن كان مضارع فعله مفتوح العين ، أو مضمومها (مثل : يلعب - يقعد) أو : كان مضارعه معتل اللام ، ؛ نحو : يرى . ويكون على وزن مَفْعِل (بكسر العين) إن كان مضارع فعله مكسور العين ، مثل : يجلس ، أو : معتل الفاء في أصلها الماضي ، مع سلامة اللام ، بشرط أن تكون الفاء وأواؤها تحذف في مضارعه ؛ مثل : أيعد ، من : وعد .

أما من غير الثلاثي فيكون على وزن مضارعه ، مع إبدال أوله ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر ؛ مثل : « مُستخرج » ومضارعه : « يستخرج »

(وفي ج ٣ ص ٢٤٢ م ١٠٦ تفصيل الكلام عليهما وعلى أحكامهما) .

(٤) وكذلك ما سبقت إليه الإشارة (في رقم ٤ ص ٢٥٢) وهو المشتق من مصدر الفعل للدلالة على الزمان - وتحقق فيه هذا الشرط - وكان منصوباً ؛ فإنه يصلح أن يعرب ظرف زمان ؛ كالمثال : قعدت مَقْعَد الضيف ؛ أى : زمن قعود الضيف .

(٥) وردت ألفاظ مسموعة بالنصب لا يصح القياس عليها . مثل قولهم : فلان يجلس من الباب مَقْعَد القابلة (أى : المولدة) كناية عن قربها من الباب . وفلان مَرَجَرَ الكلب ، وَمَنَاطَ الثريا . كناية عن البعد فيهما .

ومن ثم كان هذا النوع غير متضمن معنى « في » باطراد ، ومستثنى من التضمن (١) المطرد .

وهذا القسم يكون مختصاً كالأمثلة السالفة ، وبهما ؛ نحو : وقفت موقفاً - جلست مجلساً (٢) .

ومما يلاحظ أن هذه الصيغة : (مَفْعَل - مَفْعِل) صالحة للزمان والمكان ويكون التمييز بينهما بالقرائن ؛ كأن يقال : متى حضرت ؟ فيجاب : حضرت محضر القطار ؛ أى : زمن حضور القطار ؛ لأن « متى » للاستفهام عن الزمن . بخلاف : أين حضرت ؟ فيجاب : حضرت محضر المجتمعين حول الخطيب ، أى : مكان حضور المجتمعين ... ؛ لأن « أين » أداة استفهام عن المكان .

٥ - أنه يجوز تعدد الظروف المنصوبة على الظرفية لعامل واحد بغير إلتباع (٣) ، بشرط اختلافها في جنسها : (أى : اختلافها زماناً ومكاناً) ؛ مثل : استرح هنا ساعة - أقم عندنا يوماً . أما إذا اتفقت في جنسها فلا تتعدد إلا في صورتين ؛ إحداهما : الإلتباع ؛ يجعل الظرف الثانى بدلاً (٤) من الأول ، نحو : أقابلك يوم

(١) كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٢٤٢ وفي رقم ٣ من هامش ص ٢٥٣ .
هذا والظروف المكانية الثلاثة : (المبهم - المقدار - ما صيغ من الفعل) هى التى أشار إليها ابن مالك فيما سبق - رقم ٣ من هامش ص ٢٤٨ - بقوله :

يَقْبَلُهُ الْمَكَانُ إِلَّا مُبْهَمًا

(٢) وإلى هذا أشار ابن مالك (وهو يسرد الأشياء التى تصلح للنصب على الظرفية المكانية ؛ ومنها ما صيغ من الفعل كرمى من رمى ،) بقوله :

وَشَرْطُ كَوْنِ ذَا مَقْيَسٍ أَنْ يَقَعَ ظَرْفًا لِمَا فِي أَصْلِهِ مَعَهُ اجْتِمَاعُ
(٣) أى : بغير أن يكون واحد منها تابعاً للآخر ، (نعمتاً له ، أو عطفاً ، أو توكيداً ، أو بدلاً) .

(٤) ولا يبدل الأكثر من الأقل - على الصحيح - ففى نحو : كتبت الرسالة يوم الخميس سنة كذا ... يعرب الظرف الثانى (سنة) حالا من الأول ، وليس بدلاً (راجع أول الباب السادس من المغنى) .

وهذا رأى البصريين . لكن جاء فى « الجمع » ، ما يرده بقوة حيث قال - فى ج ٢ ص ١٢٧ باب البذل ما نصه : (الختار - خلافاً للجمهور - إثبات بدل الكل من البعض ، لو روده فى الفصح ...) اه
وسرد أمثلة من القرآن والشعر تؤيد رأيه ، - وقد ذكرناها فى باب البدل - ج ٣ م ١٢٣ .

الجمعة ظهرأ . فكلمة « ظهرأ » بدل بعض من كلمة : يوم^(١) .

والأخرى ، أن يكون العامل اسم تفضيل ؛ نحو : المريض اليوم أحسن منه أمس . (فالיום وأمس ؛ ظرفان عاملها أفعال التفضيل وهو : أحسن) ، وقد تقدم عليه واحد ، وتأخر واحد . . .

٦ - أنه يجوز عطف الزمان على المكان وعكسه ؛ مسaire للرأى القائل بذلك ، توسعاً وتيسيراً ؛ نحو : أعطيت السائل أمالك ويوم العيد - قرأت الكتاب هنا ويوم السبت الماضى^(٢) . . .

٧ - إذا وقع الظرف خبراً فإنه يستحق أحكاماً خاصة يستقل بها ، وقد سبق تسجيلها فى مكانها الأنسب . وهو باب : « المبتدأ والخبر »^(٣) ، ومن تلك الأحكام أن يكون فى مواضع معينة باقياً على حالته من النصب ، وفى مواضع أخرى يكون مرفوعاً أو مجروراً ولا يسمى فى هاتين الحالتين ظرفاً . . . إلى غير هذا من الأحكام الهامة المدونة فى الموضع المشار إليه .

(١) ملاحظة : فى ضوء ما سبق نفهم ما جاء فى حاشية الخضرى ، ج ٢ ، أول باب : « البدل » ونصه : « (... بدل كل من بعض كلفيته غُدوة يوم الجمعة ، بنصب : « يوم » ، إذ لا يصح جملة ظرفاً ثانياً ؛ لأن ظرف الزمان لا يتعدد بلا عطف .) » اهـ

هذا ، وإن تعدد بعطف فإن ما بعد العاطف لا يسمى ظرفاً ، وإنما يسمى : « معطوفاً » .

(٢) لهذا الحكم تفصيل فى المكان الأنسب (ج ٣ آخر باب : « المطف » م ١٢٢) .

(٣) ج ١ م ٣٥ ص ٤٧٥ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١ .) عرفنا^(١) « المبهم » من ظروف المكان ، وأنه يشمل أنواعاً منها : « الجهات الست » . وقد ألحقوا بهذه الجهات ألفاظاً أخرى ، منها : (عند - لدَى - وسط - بين - إزاء - حذاء ..) . واختلفوا في مثل^(٢) : (داخل - خارج - ظاهر - باطن - جوف الدار - جانب ، وما بمعناه (مثل : جهة - وجه - كَتَف) في مثل : قابلته داخل المدينة أو خارجها ، أو ظاهرها . . . ؛ فكثير من النحاة يمنع نصب هذه الكلمات على الظرفية المكانية ؛ لعدم إبهامها ، ويوجب جرّها بالحرف : « في » . وفريق يجيز ، ويرى أنّ هذا هو الأوجه^(٣) ، لما فيه من تيسير ، لأن تلك الكلمات الدالة على المكان لا تخلو من إبهام ، فهي شبيهة بالمبهم ، وملحقة به .

وكان الجدير بكل فريق أن يستند في تأييد رأيه على موقفه من كثرة المسموع المأثور ، ويعتمد عليه وحده في الاستدلال ، واستنباط الحكم ، فمن نصره السماع الكثير فرأيه هو الأقوى دون غيره . ولكنهم لم يفعلوا . ومن ثمّ يكون الرأى المجيز أولى بالإتباع ، وإن كانت المبالغة في الدقة والحرص على سلامة الأسلوب وسموه تقتضى البعد عن الخلاف باستعمال الحرف « في » ؛ لاتفاق الفريقين على صحة مجيئه ؛ فيجوز التعبير اللغوى على سنن موحد .

(ب) من أنواع الظرف ما يكون مؤسّساً ؛ وما يكون مؤكّداً ، فالمؤسّس هو الذى يفيد زماناً أو مكاناً جديداً لا يفهم من عامله ؛ نحو : صفّا الجو اليوم ، فتخصّصته حول المياه المتدفقة ، وبين الأزهار والرياحين . فكل واحد من الظروف : (اليوم - حول - بين - . . .) يسمى : « ظرفاً مؤسّساً ، أو تأسيسياً » ؛ لأنه أسّس - أى : أنشأ - معنىً جديداً لا يفهم من الجملة بغير وجود هذا الظرف .

(١) في ص ٢٥٣ .

(٢) من كل ما لا يدل على حقيقته بنفسه ، وإنما تدور حقيقته بما تضاف إليه ؛ مثل : مكان - ناحية - أمام - وراء - جهة . . . ، فيقال مثلاً : مكان على - ناحية محمود . . .

(٣) راجع حاشية الخضرى ، باب : « الظرف » - ج ١ - فيها تلخيص الرأين ، وبيان الأوجه منها ، وأنه المفهوم من كلام صاحب « الجمع » في هذا الباب .

والمؤكد : هو الذى لا يأتى بزمن جديد ، ولا مكان جديد ، وإنما يؤكد زمناً أو مكاناً مفهوماً من عامله . ومن الأمثلة قوله تعالى : (سبحانه الذى أسرّى بعده ليلاً . . .) ، فالظرف : « ليلاً » ، لا جديد معه إلا التوكيد لزمّن الإسراء ؛ لأن الإسراء لا يكون إلا ليلاً . ومثل : صعد الخطيب فوق المنبر ؛ فالظرف : « فوق » لم يأت بجديد إلا توكيد معنى عامّله الدال على الصعود ، أى : الارتفاع والفوقية .

لما سبق كان الظرف فى مثل قول القائل : سرت حيناً ومدة لم يزد زمناً جديداً غير الزمن الذى دلّ عليه الفعل^(١) . . .

المسألة ٧٩ :

الظرف المتصرف وغير المتصرف ، وأقسام كل

الظرف بنوعيه قد يكون متصرفاً ، وقد يكون غير متصرف .

(١) فالمتصرف هو الذى لا يلزم النصب على الظرفية ، وإنما يتركها إلى كل حالات الإعراب الأخرى التى لا يكون فيها ظرفاً ؛ كأن يقع مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً به ، أو مجروراً بالحرّف : « فى » المذكور قبله — أو بغيره — ... أو ...

فمثال الزمان المتصرف كلمة : « يوم » فى العبارات التالية : يومكم مبارك ، ونهاركم سعيد . إن يومكم مبارك ، وإن نهاركم سعيد . جاء اليوم المبارك ... إننا نرقب مجيء اليوم المبارك — فى يوم العيد يتزاور الأهل والأصدقاء ... و ...

ومثال المكان المتصرف : يمينك أوسع من شمالك — العاقل لا ينظر إلى الخلف إلا للعبرة ؛ وإنما وجهته الأمام . ومثل : الفرسخ ثلاثة أميال ، ونعرف أن الميل ألف باع^(١).

وقد سبق^(٢) أن الظرف بنوعيه إذا ترك النصب على الظرفية إلى حالة أخرى غير النصب على الظرفية — ولو إلى الجر « بنى » أو بغيرها — فإنه لا يسمى ظرفاً ، ولا يعرب ظرفاً ، ولو دل على زمان أو مكان^(٣) . . .

(١) وفى الظرف المتصرف يقول ابن مالك :

وما يُرى ظَرْفًا وَغَيْرَ ظَرْفٍ فَذَلِكَ ذُو تَصَرُّفٍ فِي الْعُرْفِ

أى : فى عرف النحاة واصطلاحهم .

(٢) فى ص ٢٤٤ .

(٣) من أمثلة هذا كلمة : « اليوم » و « عام » فى قول الشاعر :

يطول اليومُ لا أَلْقَاكَ فيه وعامٌ نلتقى فيه قصير

ومثل كلمة : « غد » فى قول الشاعر :

لا مرحباً بغدٍ ، ولا أهلاً به إن كان تفريق الأُحبة فى غدٍ

حكم الظرف المنصرف :

- ١ - إما معرب منصرف ؛ مثل : يوم - شهر - يمين - مكان^(١) .
- ٢ - وإما معرب غير منصرف مثل : غُدْوَة^(٢) ؛ وَبُكْرَة^(٣) ؛ وَضَحْوَة ؛ بشرط أن تكون كل واحدة « علم جنس »^(٤) على وقتها المعين المعروف ؛ سواء أكان هذا الوقت مقصوداً ومحدداً من يوم خاص بعينه ، أم غير مقصود ولا محدد من يوم معين . فهذه الثلاثة - وأشباهاها - متصرفة ؛ تستعمل ظرفاً وغير ظرف ، وفي الحالتين تمنع من الصرف . وسبب منعها من الصرف : « العامية الجنسية والتأنيث اللفظي » . فإن فقدت العلمية لم تُمنع من الصرف ؛ وذلك لعدم التعيين (لأنها فقدت تعيين الزمن وتحديدته ؛ وصارت دالة على مجرد الوقت المحض الخالي من كل أنواع التخصيص إلا بقرينة أخرى للتعين) ؛ مثل : غُدْوَة وقت نشاط ، يسرنى السفر غدوةً والقدوم في ضحوة ، بشرط أن يراد بهما مطلق زمن بغير تعيينه . ومن هذا قوله تعالى في أهل الجنة : (ولهم رزقهم فيها بُكْرَة وَعَشِيًّا)^(٥) .

(١) انظر ما يختص بهذه الكلمة في ص ٢٦٥ ،

(٢) الوقت من طلوع الفجر إلى شروق الشمس . وفي ص ٥٥٣ كلام يختص بهذه الكلمة .

(٣) الوقت من طلوع الشمس إلى الضحوة ، أى : الضحا ، وهو وقت ارتفاع الشمس في الأفق .

(٤) سبق إيضاحه في مكانه المناسب (ج ١ ص ٢٦١ م ٢٢ و ٢٦٦ م ٢٣) .

(٥) لزيادة الإيضاح نسوق ما قاله الصبان في هذا الموضع من الجزء الثاني آخر باب الظرف .

قال : عن « غدوة وبكرة » - ومثلهما : ضحوة - ما نصه :

« إنهما علمان جنسيان ؛ بمعنى أن الواضع وضعهما علمين جنسيين هذين الوقتين ؛ أعم من أن يكونا من يوم بعينه ، أو لا . وهذا معنى قولهم : قصد بهما التعيين أو لم يقصد ، كما وضع لفظ : " أسامة " علماً للحقيقة الأسدية ، أعم من أن يقصد به واحد بعينه أو لا . فالتعيين المنقضي قصده هو التعيين الشخصي ، لا النوعي ؛ إذ هو لا بد منه . فلا اعتراض " بأن عدم قصد التعيين يضيرهما فكرتين منصرفتين " . ويؤيد ما ذكرناه قول الدمامي : " كما يقال عند قصد التعميم : أسامة شر السباع ، وعند التعيين هذا أسامة فاحذره - يقال عند قصد التعميم غدوة أو بكرة وقت نشاط ، وعند قصد التعيين لأسير " الليلة إلى غدوة أو بكرة " . قال : " وقد يخلو من العلمية فينصرفان ، ومنه قوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بُكْرَة وَعَشِيًّا) ، وحكى الخليل : جئتكم اليوم غُدْوَة ، وجئتني أمس بُكْرَة . والتعيين في هذا لا يقتضي العلمية حتى يمنع الصرف ؛ لأن التعيين أعم من العلمية ، فلا يلزم من استعمالهما في يوم معين أن يكونا علمين ؛ لجواز أن يشار بهما إلى معين مع بقائهما على كونهما من أسماء الأجناس النكرات بحسب الوضع ، كما تقول : رأيت رجلاً وأنت تريد شخصاً معيناً ، فيجمل على ما أردته من المعين ، ولا يكون علماً " هـ - . ما نقله الصبان .

ثم انظر الكلام عليهما في ج ١ ص ١١٠ م ٢٢ .

٣- وإما مبنى. والمبنى قد يكون مبنياً على السكون ، مثل : « إذْ » الواقعة « مضافاً إليه » والمضاف زمان ، نحو : لاح النصر ساعة إذْ أخلص المجاهدون - كان النصر يوم إذْ جاهد المخلصون . أو مبنياً على الكسر ، مثل الظرف : « أمس » عند الحجازيين ؛ في نحو : اعتدل الجوُّ أمس .

* * *

(ب) أما غير المتصرف^(١) : فنه الذى لا يستعمل إلا ظرفاً ، ومنه ما يستعمل ظرفاً ، وقد يترك الظرفية - ولا يسمى ظرفاً - إلى شبهها^(٢) ، وهو الجر بالحرف : « مِّنْ » - غالباً^(٣) - فنال الذى لا يستعمل إلا ظرفاً : « قَطُّ »^(٤) ، و « عَوْضٌ »^(٥) و « بَدَلٌ » ؛ بمعنى : مكان (مثل : خذ هذا بدلَ ذاك) ، و « مكان » بمعنى : بدل . (أما « مكان » بمعناه الأصلى فظرف متصرف)

« وَسَحَرٌ »^(٥) ؛ إذا أريد به سحرُ يوم معين محدد ؛ نحو : أزورك سحرَ يوم السبت المقبل ؛ وإلا فهو ظرف متصرف ؛ نحو : تمتعت بسَحَرٍ منعش ؛ فهل يساعفنى سحرٌ مثله ؟ .

ومثال ما يلزم النصب على الظرفية و قد يتركها إلى شبهها : (عند ، ولدُنْ

(١) سجدى له أمثلة أخرى في « الزيادة والتفصيل » ، ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٢) قلنا : « غالباً » لأن الظرف : « أين » قد يخرج عن النصب على الظرفية إلى الجر بالحرف : « من » أو : « إلى » . وكذلك الظرفان : « ثَمَّ » و « هنا » - بلغتهما مختلفتان - وهما في الوقت نفسه من أسماء الإشارة ؛ فيخرجان إلى الجر بأحد الحرفين : « من » أو « إلى » (راجع الصبان ج ١ باب اسم الإشارة عند الكلام على : ثَمَّ - وسبق لهذا بيان في ج ١ باب اسم الإشارة م ٢٥) . وكذلك الظرف : « متى » قد يخرج إلى الجر بالحرف : « إلى » أو : حتى .

(٣ ، ٤) سبق الكلام عليهما في هذا الجزء ص ١١٦ م ٦٨ وملخصه : أن « قَطُّ » ظرف زمان لاستفراق الماضى ، ولا يستعمل - في الغالب - إلا بعد نفي أو شبهه . والأفصح في ضبطه : فتح القاف وضم الطاء مع تشديدها ، وفيها لغات أخرى - وهو ظرف مبنى على الضم ، مثل : ما خدعت أحداً قط - (« وقط » غير : « فقط » التى سبق الكلام عليها في رقم ٢ من هامش ص ١١٦ - وقلنا هناك إن إيضاحها ، وبيان حكمها في ج ٢ م ٣٠ ص ٣٨٢ - عند بيت ابن مالك في المرفع « بَأَلْ » : (« أَلْ » حرف تعريف . . .)) وأنها بمعنى : « حسب » والفاء زائدة لتزيين اللفظ . . .

وعوض : ظرف لاستفراق الزمان المستقبل ، - غالباً - ولا يكاد يستعمل إلا بعد نفي أو شبهه . وهو مبنى على الضم ، أو الفتح ، أو الكسر ، إن لم يضاف . فإن أضيف أعرب ؛ نحو : لن أخادع عوض العائضين . (٥) الثالث الأخير من الليل .

وقبل ، وبعد ، وحَوَّل^(١) ، و . . .) ، مثل : مكثت عندك ساعة ، ثم خرجت من عندك إلى بيتي — سأقصد الحقائق لَدُنَّ الصبحِ حتى الضحا ، ثم أعود من لَدُنْهَا — حضرت قبل الميعاد ، ولم أحضر بعده . أو : حضرت من قبل الميعاد ، ولم أحضر من بعده^(٢) .

حكم الظرف غير المنصرف :

١ — إما معربٌ ممنوعٌ من الصرف ؛ مثل : عَتَمَـة^(٣) — عَشِيَّة^(٤) سَحَر^(٥) — بشرط أن يقصد بكل واحدة التعيين الدال على وقت خاص ، فتكون علم جنس عليه ، لدلالاتها على زمن معين محدد دون غيره من الأزمان المبهمة الحالية من التعيين ، نحو : استيقظت : ليلة الخميس سحرَ — حضرت يوم الجمعة عَشِيَّةً — سهرت يوم السبت عَتَمَـةً .

فإن فقدت هذه العلمية صارت نكرة لا تدل على وقت مخصص من يوم بذاته ، وخرجت من نوع الظرف غير المنصرف ودخلت في نوع المنصرف المنصرف ؛ فتصير مبتدأ ، وخبراً ، وفاعلاً ، و . . . وغير ذلك ، مع التوین في كل حالة ؛ نحو سحرٌ خير من عَشِيَّةً ، وربَّ عَتَمَـةٍ خير من سحرٍ^(٥) .

(١) من ظروف المكان غير المتصرفة : « حَوَّل » بلغاته المختلفة التي منها : حَوَّلَ . . . ، وَحَوَّلَ . . . ، وَحَوَّلَتِي . . . ، وَحَوَّلِي . . . ، وأحوال . . . وأحوالتي . . . مع إضافته في كل الصور . ومعناه الجهات المحيطة بالضاف إليه — راجع الصبان واللسان — ولهذا إشارة وبيان ، في ص ٢٧٢ — (٢) لهذه الظروف وملازمتها النصب على الظرفية أحكام تفصيلية موضع الكلام عليها باب : « الإضافة » ج ٣ ص ١١٤ وما بعدها . وفي هذا يقول ابن مالك :

وغيرُ ذِي التَّصَرُّفِ : الَّذِي لَزِمَ ظَرْفِيَّةً ، أَوْ شَبَهَهَا — مِنَ الْكَلِمِ

يريد : أن الظرف غير المنصرف من الكلمات ، هو : الذي لزم الظرفية وحدها ، أو : لزم الظرفية وقد يتركها إلى شبهها أحياناً . وفي البيت قصوري صياغته ؛ لقوله : وغير صاحب التصرف . بدل قوله : غير المنصرف . وكالحذف في الشطر الأخير حيث الواجب : ظرفية فقط ، أو : ظرفية وشبهها . (٣) الثلث الأول من الليل . (وهي ممنوعة من الصرف ، على رأى راجح) .

(٤) آخر النهار .

(٥ هـ) فتمنع كلمة : « سحر » للعلمية والعدل عن السَّحَرِ ؛ لأنها تدل على معين كما تدل عليه الكلمة المقرونة بـأل التي للتعريف ؛ فكان حقها التصدير بكلمة « أل » التي للتعريف ، ولكن العرب عدلوا عن هذا ؛ فاجتمع في الكلمة العلمية والعدل ، وبسبب اجتماعهما تحقق ما يوجب منع الصرف كما يقول النحاة — .

٢ - وإما معرب مصروف مثل : « بَدَل » و « مكان » السالفين^(١).

٣ - وإما مبنى على السكون أو غيره في مثل : لَدَن ، و مَتَى^(٢) ، و مَنَدُ ، و مَنَدُ^(٣) وقَطُّ ، . . . وغيرها (مما سيجيء^(٤))

٤ - جميع الظروف غير المتصرفة لا يصح التصريح قبلها بالحرف : « في » بخلاف المتصرفة ، وإذا ظهرت « في » قبل الظرف - مطلقاً - فإنه يصير اسماً محضاً مجروراً بها ، ولا يصح تسميته ظرف زمان أو ظرف^(٥) مكان .

ما ينوب عن الظرف :

(١) يكثر حذف الظرف الزماني المضاف إلى مصدر ، وإقامة المصدر مقامه^(٦) . فَيُنْصَبُّ مثله باعتباره نائباً عنه ، وذلك بشرط أن يُعَيَّنَ المصدرُ الوقت ويوضحه ، أو يبين مقداره ، وإن لم يعينه ؛ فمثال الأول : أخرج من البيت شروق الشمس ، وأعود إليه غروبها - أزورك في العام الآتي قدومَ الراجعين من الحج . (تريد : أخرج من البيت وقت طلوع الشمس ، وأعود إليه وقت غروبها - ووقت قدوم الراجعين) . فحذف الظرف الزماني : « وقت » . وقام مقامه المصدر ، وهو : (شروق - غروب - قدوم) ، فأعرب ظرفاً بالنيابة .

= وتمنع كلمتا : « عتمة وعشية » العلمية والتأنيث اللفظي . (وقد يوضح العلمية هنا ماسبق في رقم ٥ من هامش ص ٢٦٠) ويشترط لمنع الثلاثة من الصرف الحلوم من « أل » ومن الإضافة فإن نكرت نونت وتصرفت ؛ كقوله تعالى : (نجيناها من بحر) وكذلك مع أل أو الإضافة ؛ نحو : سافر الرجل يوم الجمعة البحر منه ، أو في سحره . (ولهذا الكلام صلة بما سيجيء عنها في ص ٥٥٣) وما بعدها . (١) في ص ٢٦١ .

(٢) (له إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٢٦١) وهو ظرف غير متصرف ، مبنى على السكون المقدّر دائماً . ويسأل به عن الزمان وقد يكون مع ظرفيته هذه اسم شرط جازم طبقاً لما سيجيء في ج ٤ باب الجوازم التي تجزم فملين .

(٣) لا يكون « مذ ومند » غير متصرفين إلا على الرأي الذي يمنع وقوعهما مبتدأ ، أو شيئاً آخر غير الظرفية (كما يجيء في رقم ٣ هامش ص ٢٧٠) .

(٤) في الزيادة والتفصيل ، ص ٢٦٨ .

(٥) كما سبق في ص ٢٥٩ و ١ من ص ٢٤٤ .

(٦) والمصدر قد يقع - أحياناً - ظرفاً دون تقدير مضاف ؛ مثل : أحقاً أنك مكافئ ، أى :

أنى حق . . . (وسيجىء في ه من ص ٢٧٣) . . .

ومثال الثاني : أمكث عندك كتابةً صفحة ؛ (أى : مدة كتابة صفحة) ،
وأنتظرك لبس الثياب ، (أى : مدة لبسها) ، وأغيب غمضة عين ، (أى : مدة
غمضها) ، ففى هذه الصور — ونحوها — بيان للمقدار الزمنى الذى يدل عليه
المصدر فى كل صورة ، دون أن يعين ذلك الوقت . ويحدده : (أهو الصبح ،
أم الظهر ، أم الغروب ، أم غيرهما . . . ؟) .

وقد يحذف الظرف وينوب عنه مصدر مضاف إلى اسم عين^(١) ثم يحذف
هذا المصدر المضاف أيضاً ، ويحل محله اسم العين . باعتباره نائباً عن النائب عن
الظرف الزمانى . ويعرب ظرفاً بالإنابة . نحو : لا أكلم السفية التيرين — أى :
مدة طلوع التيرين ؛ (وهما : الشمس والقمر) : فحذف الظرف الزمانى ؛ وهو
« مدة » ، وقام مقامه المصدر المضاف : « طلوع » ، ثم حذف المصدر المضاف وحل
محله المضاف إليه ؛ وهو : كلمة : « النيرين » . وتعرب ظرفاً بالإنابة — كما قلنا —
ومن أمثلتهم : لا أجالس ملحداً الفرقدين^(٢) ، ولا أماشيهِ القارِظين^(٣)
يريدون : مدة ظهور الفرقدين ، ومدة غياب القارِظين .

هذا ، والإنابة فى كل ما سبق قياسية إذا تحقق ما شرحناه .

(ب) أما نيابة المصدر عن ظرف المكان فقليلة حتى قصروها على المسموع
دون غيره — مثل كلمة : قُرب — ؛ نحو : جلست قرب المدفأة ، أى :
مكان قرب المدفأة . فكلمة : « قرب » مصدر بالنيابة .

(ح) وهناك أشياء أخرى غير المصدر تصلح للإنابة — قياساً — عن الظرف
بنوعيه بعد حذفه ، وتعرب ظرفاً بالنيابة .

منها : صفته ؛ نحو : صبرت طويلاً من الدهر — جلست شرقاً المنزل ؛ أى :
صبرت زمناً طويلاً . . . — جلست مجلساً شرقاً المنزل . أو جلست مكاناً شرقاً
المنزل .

(١) أى : اسم ذات ، أى : شئ حتى مجسم .

(٢) اسم نجمين .

(٣) رجلان خرجا يجمعان الفرقَظ (وهو : ثمر شجر السنط ، يستخدم فى الدباغة) فلم

ومنها : عدده ؛ بشرط أن يوجد ما يدل على أنه عدده : كالإضافة إلى زمان ،
أو مكان ؛ نحو : مشيت خمس ساعات قطعت فيها ثلاثة فراسخ .

ومنها : كل أو بعض ، وغيرهما مما يدل على الكلية والجزئية ، بشرط الإضافة
إلى زمان أو مكان^(١) ؛ نحو : نمت كلَّ الليل . وقول الشاعر :

أَكَلَّ الدهرَ حِلًّا وارتحالًا أمّا يُبْقِي على ، وما يَبْقِي ؟

ومثل : استمر الحفل بعضَ الليل . . . مشت القافلة كلَّ الأميال — أو
بعضَ الأميال^(٢) . . .

(١) كما سيجيء في باب الإضافة ج ٣ ص ٥٨ م ٩٤ .

(٢) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وقد ينوبُ عن مكان مصدرُ وذاك في ظرف الزمان يكثُرُ

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) الظروف من حيث التصرف وعدمه ، ودرجته ، أربعة أقسام :

قسم يمنع تصرفه أصلاً ؛ مثل : « قَطَّ » ، « عَوَّضَ » - وقد سبقا -
ومثل : « بَيَّنَّ » إذا اتصلت بها « الألف » أو « ما » فصارت : « بينا أو بينما » ،
فإنها عندئذ تلازم الظرفية تماماً - كالتى فى ص ٢٧٧ ، و ٢٧٨ أيضاً - .

ويلحق بهذا القسم : « عند ، وفوق ، وتحت »^(١) وأشباهها مما لا يخرج عن
الظرفية إلا إلى الجر بالحرف : « من » - غالباً^(٢) - .

وقسم ثان : يتصرف كثيراً ، كيوم ، شهر ، يمين^(٣) ، شمال ، ذات اليمين
ذات الشمال^(٤) .

وثالث : متوسط فى تصرفه ؛ وهو : أسماء الجهات (إلا ما سبق حكمه فى
القسمين السالفين ؛ من مثل : فوق ، وتحت ، ويمين ، وشمال ، وذات اليمين ،
وذات الشمال . . .) .

ومن هذا القسم المتوسط : « بين » التى لم يتصل بآخرها : « الألف » أو « ما »
فإن اتصلت بها : « الألف » أو : « ما » وصارت : (بينا - بينما) . . . فهى
ممنوعة التصرف^(٥) ، كما أسلفنا .

(١) هناك رأى يقول : « فوق ، وتحت » - يتصرفان نادراً . ولا داعى للأخذ به - وسيجىء فى
ص ٢٨٣ الكلام على حالات بنائهما وإعرابهما -

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ٢٦١ .

(٣) كل من الطرفين : « يمين » و « شمال » قد يكون معرباً - كما فى ص ٢٥٩ - ، وقد يكون
مبنياً . بالتفصيل الذى فى رقم ٥ من ص ٢٨٣) أما تفصيل الكلام على معنائها وإضافتهما فى ج ٣
ص ٣٦ م ٩٣ .

(٤) بشرط إضافة : « ذات » إلى : « اليمين » أو : « الشمال » .

(٥) كما سيأتى فى ص ٢٧٢ من هذا الجزء ، وفى ج ٣ ص ٣٦ م ٩٣ ، هذا ، إلى أن لكلمة : « ذو »
و « ذات » أحكاماً أخرى فى ج ١ ص ٧٠ م ٨ ، باب : « الأسماء الستة » ، ص ٢٥٤ م ٢٦ باب :

« الموصول » . .

(٥) وفى الحالتين يجب تصديرها وإضافتها للجملة ؛ طبقاً للبيان التفصيلى ؛ الآتى فى ص ٢٨٧ .

ورابع : تصرفه نادر في السماع ، لا يقاس عليه ، مثل : الآن ، وحيث ، ودون ، التي ليست بمعنى ردىء - ووسط ؛ بسكون السين في الغالب . أما بفتحها فاسم متصرف في الغالب أيضاً . وفي غير الغالب يجوز في كليهما التسكين والفتح ، والأفضل اتباع الغالب ؛ ليقع التفاهم بغير تردد . وقد وضعوا علامة للتمييز المعنوي بين الكلمتين ؛ فقالوا : إن أمكن وضع كلمة : « بين » مكان : « وسط » واستقام المعنى فهي ظرف ؛ نحو : جلست وسط القوم ، أى : بينهم . وفي هذه الحالة يحسن تسكين السين ؛ مراعاة للغالب . وإن لم تصلح كانت اسماً ، نحو : احمرّ وسط وجهه . وفي هذه الصورة يحسن تحريك السين بالفتح ، مراعاة للغالب .

(ب) إذا كان الظرف منصوب اللفظ أو المحل على الظرفية ، وجب - عند الأكثرين - أن يكون متعلقاً بالعامل الذي عمل فيه النصب^(١) ، وهذا العامل يكون - في الغالب - فعلاً^(٢) ، أو مصدرًا ، أو شيئاً يعمل عمل الفعل^(٣) كالوصف ؛ نحو : سافرت يوم الجمعة فوق درّاجة بخارية . أو : أنا مسافر يوم الجمعة فوق درّاجة بخارية . . . فالظرفان « يوم » و « فوق » متعلقان بعاملهما « سافر » أو : « مسافر » ومعنى أنهما متعلقان به : مرتبطان ومستمسكان به ، كأنهما جزءان منه لا يظهر معناه إلا بالتعلق به . فاستمسكهما بالعامل كاستمسك الجزء بأصله ، ثم هما في الوقت نفسه يكملان معناه .

بيان هذا : أن العامل يؤدي معناه في جملته ، ولكن هذا المعنى لا يتم ولا يكمل إلا بالظرف الذي هو جزء متمم ومكمل له ؛ ففي مثل : جلس المريض . . . قد نُحسّ في المعنى نقصاً يتمثل في الأسئلة التي تدور في النفس عند سماع هذه

(١) سبق (في رقم ٤ من هامش ص ٢٤٥ ثم في ص ٢٤٩ م ٧٨) كلام هام يتصل بهذا الموضوع ، ويتمه ؛ من ناحية التعلق بحروف المعاني ، والحكمة في وجوب التعلق . وسيجيء في ص ٤٤٥ ، رقم ٣ من هامشها ، باب جروف الجر ، عند الكلام على (شبه الجملة م ٨٩) - ما يزيده توفية واكتبالاً . (٢) والرأى الشائع القوي أن شبه الجملة بنوعيه (وهما الظرف ، وحرف الجر الأصلي مع مجروره) لا يجوز أن يتقدم على عامله الفعل المؤكد بالنون - طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ٣ من هامش ص ١٠١ . (٣) وقد يكون تعلقهما بعامل معنوي ، - إذا لم يوجد عامل آخر يصح التعلق به - وهذا العامل المعنوي هو : الإسناد (أى : النسبة) على الوجه المشروح في هامش ص ٣٥٧ ورقم ٢ من ص ٤٤١ أما تعلقه بأحرف المعاني فقد سبق بيانه في رقم ٤ من هامش ص ٢٤٥ م ٧٨ .

الألفاظ ؛ ومن الأسئلة : أين جلس ؟ أكان فوق السرير ، أم أمامه ، أم وراء النافذة ، ... أيمين الداخل ... أم شمال الخارج ... ؟ متى جلس ؟ أصبحاً ، أم ظهراً ، أم مساء ... ؟ وهكذا ... فإذا جاء الظرف الزماني أو المكاني فقد أقبل ومعه جزء من الفائدة ينضم إلى الفائدة المتحققة من العامل ؛ فيزداد المعنى العام اكتمالا بقدر الزيادة التي جلبها معه ؛ فمعنيته إنما هو لسبب معين ، ولتحقيق غاية مقصودة دعت إلى استحضاره ، هي عرض معناه ، مع تكملة معنى عامله . فلهذا وجب أن يتعلق به .

والاهتداء إلى هذا العامل قد يحتاج في كثير من الأحيان إلى فطنة وبقظة ، ولا سيما إذا تعددت في الجملة الواحدة الأفعال أو ما يعمل عملها ؛ حيث يتطلب استخلاص العامل الحقيقي من بينها أناة وتفهماً ؛ خذ مثلاً لذلك : (أسرعت الطائفة التي تخيرتها بين السحب) ... فقد يتسرع من لا دراية له فيجعل الظرف « بين » متعلقاً بالفعل القريب منه ، وهو الفعل : « تخير » فيفسد المعنى ؛ إذ يصير الكلام : تخيرت الطيارة بين السحب ، إنما الصحيح : أسرعت بين السحب ، وهذا يقتضى أن يكون الظرف متعلقاً بالفعل « أسرع » ، فيزداد معناه ، ويكمل بعض نقصه ، كما لو قلنا : تخيرت الطيارة فأسرعت بين السحب .

مثال آخر : (قاس الطبيب حرارة المريض ، وكتبها تحت لسانه) ، فلا يصح أن يكون الظرف « تحت » متعلقاً بالفعل « كتب » ؛ لثلاث يؤدي التعلق إلى أن الكتابة كانت تحت اللسان ؛ وهذا معنى فاسد لا يقع . أما إذا تعلق الظرف « تحت » بالفعل : « قاس » فإن المعنى يستقيم ، وترداد به الفائدة ، أي : قاس الطبيب حرارة المريض تحت لسانه . فالقياس تحت اللسان . وهكذا يجب الالتفات لسلامة المعنى وحدها دون اعتبار لقرب العامل أو بعده من الظرف^(١) . . .

(١) ومن الأمثلة أيضاً الشطر الثاني قول الشاعر يخاطب الإمام علياً رضى الله عنه :

يُخَبِّرُنَا النَّاسُ عَنْ فَضْلِكُمْ وَفَضْلِكُمْ الْيَوْمَ فَوْقَ الْخَبْرِ
حيث يتعين تعليق الظرفين (اليوم - فوق) بالخبر المحذوف ، طبقاً لأقوى الآراء .

(ح) الزمان أربعة أقسام^(١) :

أولها : المعين^(٢) المعدود^(٣) معاً ، مثل : رمضان - المحرم (من غير أن يذكر قبلهما كلمة : شهر) - الصيف - الشتاء . وهذا القسم يصلح جواباً لأدائي الاستفهام : « كم - متى » ، نحو : كم شهراً صمت ؟ متى رجعت من سفرك ؟ والجواب : صمت رمضان - رجعت الصيف . . .

ثانيها : غير المعين وغير المعدود ؛ فلا يصلح جواباً لواحد منهما ؛ مثل : حين - وقت .

ثالثها : المعين غير المعدود ؛ فيقع جواباً لأداة الاستفهام : « متى » فقط ؛ نحو : يوم الخميس ، وكلمة : « شهر » المضاف إلى اسم بعده من أسماء الشهور ، مثل : شهر صفر - شهر رجب . . . وذلك جواباً فيهما عن قول القائل : متى حضرت ؟ متى تغيت ؟ .

رابعها : المعدود غير المعين ؛ فيقع جواباً لأداة الاستفهام : « كم » فقط ، نحو : يومين ، ثلاثة أيام ، أسبوع - شهر - حوّل .

١ - فالذي يصلح جواباً للأداتين : « كم » ، و « متى » (وهو القسم الأول) أو يصلح جواباً للأداة : « كم » (وهو القسم الرابع) يستغفره الحدث (المعنى) ، الذي تضمنه ناصبه - سواء أكان الجواب نكرة أم معرفة - بشرط ألا يوجد ما يدل على أن الحدث تختص ببعض أجزاء ذلك الزمان . فإذا قيل : كم سرت ؟ فأجبت : « شهراً » ، وجب أن يقع السير في جميع الشهر كله ، ليلة ونهاره - إلا إن قامت قرينة تدل على أن المقصود المبالغة والتجاوز - وكذا إن كان الجواب : المحرم ، مثلاً . وكذا يقال في الأبد والدهر ، مقرونين بكلمة : « أل » فالحدث الواقع من ناصبهما يستغفرهما ليلاً ونهاراً^(٤) .

(١) من ناحية استغراق المعنى . (راجع المجمع ج ١ ص ١٩٧ والصبان ج ٢ ص ٩٥ وبينهما اضطراب ظاهر تداركناه بمعونة مراجع أخرى) .

(٢) أى : المعين بالعلمية . (٣) الدال بلفظه على عدد محدود .

(٤) أما كلمة ؛ « أبداً » بغير « أل » فلا ستغراق الزمن المستقبل وحده ؛ فإذا قلت : صام الرجل الأبد ، كان معناه : صام كل زمن من أزمنة عمره ، القابلة للصوم - عادة - إلى حين وفاته . ولا تقول : صام أبداً ؛ وإنما تقول إذا أردت المستقبل وحده : لأصومون أبداً .

فإن كان حدث الناصب (أى : معناه) مختصاً ببعض أجزاء الزمان . استغرق بعضها الذى يختص به ، وانصب عليه وحده دون غيره من الأجزاء الأخرى . فإذا قيل : كم صمت ؟ فكان الجواب : « شهراً » ، انصب الصوم على الأيام دون الليالى ، لأن الصوم لا يكون إلا نهاراً . وإذا قيل : كم سريت ؟ فكان الجواب : « شهراً » انصب السرى على الليالى دون الأيام ، لأن السرى لا يكون إلا ليلاً . وكذا يقال : فى الليل والنهار معرفين ، فالحدث الواقع على كل منهما مقصور على زمنه الخاص .

٢ - وغير ما سبق يجوز فيه التعميم والتبويض ؛ كيوم ، وليلة ، وأسماء أيام الأسبوع ، وأسماء الشهور ؛ بشرط أن يذكر قبلها المضاف وهو كلمة : شهر ؛ كشهر رمضان - شهر المحرم .

وهناك رأى آخر من عدة آراء فى هذا البحث ؛ هو : أن ما صلح جواباً لأداة الاستفهام : « كم » أو : « متى » يكون الحدث (المعنى) فى جميعه تعميماً أو تقسيطاً ، فإذا قلت : سرت يومين ؛ فالسير واقع فى كل منهما من أوله إلى آخره ، وقد يكون فى كل واحد من اليومين ، وإن لم يشمل اليوم كله من أوله إلى آخره . ولا يجوز أن يكون فى أحدهما فقط . ومن التعميم : صمت ثلاثة أيام ، ومن التقسيط أذنت ثلاثة أيام ، ومن الصالح لهما : تهجدت ثلاث ليال .

وعلى كل فهذه - كما قالوا - ضوابط تقريبية . والقول الفصل للقرائن الحاسمة ، ولا سيما العرف الشائع ؛ فتلك القرائن هى التى توضح أن المراد التعميم أو التبويض .

(د) قلنا^(١) إن الظرف غير المتصرف إما معرب منصرف ، وإما معرب غير منصرف ، وإما مبنى ، وقد تقدمت الأمثلة . وهو فى حالاته الثلاث لا يجوز أن تسبقه « فى »^(٢) . فالمبنى قد يكون مبنياً على السكون مثل : منذ^(٣) ، ولدن . . . أو على الضم مثل : منذ^(٣) ، أو على فتح الجزأين ؛ مثل ظروف الزمان أو المكان

(١) فى ٢٦٢ م ٧٩ . (٢) كما سبق فى : « ا » رقم ٤ من هامش ص ٢٤٢ وفى رقم ٤ من ص ٢٦٣ .

(٣ و ٣) لا يكون « منذ ومنذ » غير متصرفين إلا فى رأى الذى يقصرهما على الظرفية وحدها ،

ويمنع وقوعهما مبتدأ ، (كما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٢٦٣) .

المركبة تركيب مزج^(١)؛ (نحو : صباح مساء - يوم يوم - صباح صباح . والمعنى : كل صباح ومساء « أى : كل صباح ، وكل مساء » - وكل يوم - وكل صباح) . (ومثل : بين بين وستأق)^(٢) فإن فقدت الظروف التركيب ، أو أضيف أحد الجزأين للآخر ، أو عطف عليه - امتنع البناء ، ووجب إعرابها وتصرفها ... لكن أبقى المعنى فى الجميع مع فقد التركيب - بسبب وجود العطف ، أو الإضافة - كما كان مع التركيب أم يختلف ؟ .

اتفقوا على أنه باق فى الجميع ، إلا صباح مساء عند الإضافة ، مثل . أنت تزورنا صباح مساء ، ففريق يرى أنها كغيرها من الظروف المركبة التى تتخلى عن التركيب وتضاف ، فيظلل المعنى الأول باقياً بعد الإضافة (وهو هنا : كل صباح وكل مساء) ، وفريق يرى أن المعنى مع الإضافة يختلف ؛ فيقتصر على الصباح وحده كما فى المثال السالف ، حيث تقتصر الزيارة فيه على الصباح فقط ؛ اعتماداً على أن المعنى منصب على المضاف ، (وهو الصباح) . أما المضاف إليه فهو مجرد قيد له ؛ أى : صباحاً لمساء^(٣) . . .

والحق أن الأمرين محتملان فى المثال ، إلا عند وجود قرينة تحتم هذا وحده ، أو ذاك ، فوجودها ضرورى لمنع هذا الاحتمال .

ومن الظروف المركبة مزجاً ، المبنية لهذا على فتح الجزأين ، والتى لا تتصرف : « بَيْنَ بَيْنَ »^(٤) بمعنى : التوسط بين شيئين ، مثل : درجة حرارة الجو أو الماء : بَيْنَ بَيْنَ ، أى : متوسطة بين المرتفعة والمنخفضة . - ثروة فلان بَيْنَ بَيْنَ ، أى : بين الكثيرة القليلة . . . فإن فقد الظروف : « بَيْنَ » التركيب جاز أن يكون معرباً

(١) تفصيل الكلام على المركب المزجى - تعريفه ، وتقسيمه ، وحكمه - مدون فى الجزء الأول (م ٢٣ ص ٢٧٠ و ٢٧٩ وما بعدها فى أقسام العلم . . .) .

(٢) الكلام على بعض استعمالات : « بين » - فى ص ٢٧٧ و ٢٨٦ .

(٣) هذا رأى الحريرى ومن تابعه . وقد دفعه آخرون ، منهم ابن برى . والرأيان معروضان فى

الجمع - ج ١ ص ١٩٧ -

(٤) ستجىء إشارة إليها فى ص ٢٧٧ بمناسبة الكلام على : « إذ » كما سيجىء بعض أحكامها الهامة فى ص ٢٨٦ . وبيان « عن تركيبها المزجى فى ص ٢٨٩ .

متصرفاً ومنه قوله تعالى : (. . . مودةً بينكم) ، وقوله : (لقد تقطع بينكم) في قراءة من قرأه مرفوعاً ، أمّا من قرأه بالنصب بدل الرفع فقد جرى على أغلب أحواله ^(١) ومثله الظرف : « دون » في قوله تعالى : (ومنّا دونٌ ذلك) .

ومن الظروف غير المتصرفة ^(٢) : « ذا » ، و « ذات » ، بشرط إضافتها إلى الزمان دون غيره ، فيلتزمان النصب على الظرفية الزمانية فلا يجوز جرّهما بـ « في » ولا وقوعهما في موقع إعرافيّ آخر ، إلا على لغة ضعيفة لقبيلة « خثعم » تبيح فيهما التصرف . وقد رفضها جمهرة النحاة ^(٣) ؛ نحو : قابلت الأخ ذا صباح ، أو ذا مساء ، أو ذات يوم ، أو ذات ليلة ، أى : وقتاً ذا صباح ، ووقتاً ذا مساء ، ومدة ذات يوم ، ومدة ذات ليلة ، أى : وقتاً صاحباً لهذا الاسم ، ومدة صاحبة لهذا الاسم ^(٤) .

وقد تضاف « ذات » . إلى كلمة : « اليمين » أو : « الشمال » — وهما من الظروف المكانية كما سبق ^(٥) — فتصير ظرف مكان متصرفاً ؛ نحو : تتحرك الشجرة ذات اليمين وذات الشمال ، ونحو : دارك ذات اليمين والحدائق ذات الشمال . (وقد سبقت الإشارة إلى « ذا » و « ذات » من ناحية إفرادهما وجمعهما في الجزء الأول ، باب الأسماء الستة م ٨ ص ٦٩٩ ، وفي آخر هامش ص ٣٢١ منه إشارة إلى استعمال : « ذات » استعمال الأسماء المحضة المستقلة ، وأن النسب إليها هو : « ذووى ، أو ذاتى » طبقاً للبيان التفصيلى في باب النسب ج ٤ م ١٧٨ وص ٥٥٤) .

ومن غير المتصرف أيضاً : حوَالٍ — حَوَالَى — حَوَالَى — حَوَالَى . . . — أحوال — أحوالى ^(٦) . . . وليس المراد — فى الغالب — حقيقة الثنية والجمع وإنما

(١) يجوز إعرابه ظرفاً منصوباً مباشرة ، والفاعل محذوف ، ويجوز اعتباره اسماً مبنياً على الفتح فى محل رفع فاعل . . . وهناك إعرابات أخرى . . . وانظر كلاماً يختص به فى ص ٢٧٧ و ٢٨٦ .

(٢) لهذه الظروف أمثلة أيضاً فى ص ٢٦١ و ٢٦٦ م ٧٩ .

(٣) راجع المجمع ج ١ ص ١٦٨ .

(٤) سبقت الإشارة لهذه الظروف فى ص ٢٦٦ أما إيضاح معناها وحكم إضافتها مفصلة فيجىء

(٥) فى ص ٢٦٦ .

فى ج ٣ ص ٢٦ م ٩٣ .

(٦) لهذه الألفاظ إشارة فى رقم ١ من هامش ص ٢٦٢ .

المراد المعنى المفهوم من الكلمة المفردة ، وهو : الإحاطة والالتفاف — وقد يستعمل « حوَالِك » مصدرًا : مثل : لَبَّيْكَ^(١) ؛ لأن الحَوَل ، والحوَال يكونان بمعنى « جانب الشيء المحيط به » ، كما يكونان بمعنى : « القوة » .

ومن الظروف التي لا تتصرف « شَطَر » بمعنى : ناحية أو جهة ؛ كقوله تعالى (ومن حيثُ خرجتَ فولَّ وجهك شَطَرَ المسجد الحرام) ، ومنها : زنة الجبل ، أى : إزاءه ، ومثله : وزن الجبل ، أى : الناحية التي تقابله ؛ سواء أكانت قريبة أم بعيدة .

ومنها — فى رأى : صَدَدَكَ وَصَقَبَكَ ، تقول : بيتى صَدَدَ بيتك ، بنصبه على الظرفية ؛ أى : قربه وقبالاته ، وبيتى صَقَبَ بيتك ، أى : قربه كذلك ، والصحيح أن هذين الظرفين يتصرفان ؛ فيستعملان اسمين .

(هـ) هناك ألفاظ مسموعة بالنصب ، جرت مجرى ظرف الزمان والمكان ، وكانت مجرورة بحرف الجر : « فى » فأسقطوه توسعًا ، ونصبوها على اعتبارها متضمنة معناها . فمن أمثلة الزمان كلمة « حقًا » فى مثل : أحقًا أنك مسرور ؟ فحقًا ظرف زمان منصوب خبر مقدم ، والمصدر المؤول بعده مبتدأ والأصل : أفى حق سرورك^(٢) ؟ وقد نطقوا بالحرف « فى » أحيانًا فقالوا :

« أفى حقَّ مواساتى أخاكم ... » وقالوا : « أفى الحقَّ أفى مغرم بك هائم ... » وهذا الاستشهاد قد يصلح دليلًا على أن كلمة : « حقًا » السالفة ظرف زمان ... ومثلها : « غيرَ شك أنك مسرور » ، أو : « جهدَ رأى أنك محسن » ، أو : « ظنًا منى أنك أديب » . فغيرَ ، وجهدَ ، وظنًا — كلمات منصوبة هنا على الظرفية الزمانية^(٣) توسعًا بإسقاط حرف الجر : « فى » والأصل : فى غير شك — فى

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٢٣٣ م ٧٦ .

(٢) والظرفية هنا زمانية مجازية . — (كما فى الحضرى والتصريح آخر باب : « الظرف ») وقد

سبق الكلام عليه مفضلًا فى ج ١ ص ٥٨٦ — « د » — م ٥٢ — عند الكلام على فتح همزة « أن » . وسبقت الإشارة إليه فى رقم ٦ هامش ص ٢٦٣ .

(٣) والمعنى : سرورك حاصل فى زمن لا شك فى وقوع السرور فيه ، وإحسانك متحقق فى زمن سجلت فيه هذا قدر جهدى واستطاعتى ، وأدبك حاصل فى زمن أظن وقوعه فيه .

.

جهد رأى - فى ظنى - والظرف فيها جميعاً خبر مقدم والمصدر المؤول بعده مبتدأ مؤخر .

ومن أمثلة ظروف المكان السماعية: مُطَرْنَا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ ، وضربت الجاسوسَ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ . ولأنما كانت هذه الظروف سماعية مقصورة عليه لأنها لا تدخل فى أنواع الظروف المكانية القياسية^(١) .

(و) قد يُنَزَلُ بعض الظروف منزلة أداة الشرط ؛ فيحتاج الجملة بعدها جملة أخرى بمثابة الجواب ، وقد تقتزن هذه بالفاء ؛ كقوله تعالى : فى مُنْكَرَى الْقُرْآنِ : (ولأذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم . . .) .

وعلى هذا قول ابن مالك فى حكم « خلا وعدا » ، فى باب « الاستثناء » : (وحيث جرّاً فهما حرفان . . .)^(٢) .

(ز) هل يجوز عطف الزمان على المكان وعكسه ؟ سيجىء الجواب فى مكانه الأنسب ، من باب العطف آخر الجزء الثالث^(٣) .

(ح) الظروف الزمانية والمكانية متعددة الأنواع ، والأحكام ، جديرة أن تستقل برسالة توفىها حقها من البسط، والإيضاح، والتهذيب، وجمع شتاتها المتناثر فى المطولات ، والمراجع الكبيرة، واستصفاء ما يجدر الأخذ به، واستبعاد ما يغشيه مما لا يناسب . وتحقيق هذا كله غرض جليل هام يقتضى بحثاً مستقلاً ؛ لا تزججه البحوث الأخرى ؛ فتضغطة ، أو تطغى عليه .

على أن هذا لا يحول دون استخلاص موجز ، مركز ، دقيق ؛ قد يفيد القانع ؛ أو يسعف المضطر ، ولكنه لا يغنى المستقصى ، الذى لن يرضى بغير التوفية بديلاً . ومثل هذا لا يجد طلبته إلا فى بطون المراجع الواسعة ؛ كالمغنى ، وشرح

(١) ظروف المكان القياسية مدونة فى ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٢) راجع الصبان والخضرى عند شرح البيت . ويحيى الإيضاح فى هامش ص ٣٥٧ وانظر الكلام على الظرف « بين » فى ص ٢٨٦ وما يليها من رقم ٤ هامش ص ٢٨٧) وهامشها ؛ لصلته بالموضوع .

(٣) ج ٣ م ١٢٢ ص ٥٢٤ وقد عرض الصبان لهذا البحث فى آخر باب الظرف من الجزء الثانى من حاشيته على الأشموني .

المفصل ، والجزء الأول^(١) من همع الهوامع : للسيوطي ؛ فقد حوى — أو كاد — من شأن « الظرف » بنوعيه ، ولا سيما الظرف المبني ، ما لم يهيا لسواه ، وجمع في فصل : « الظروف المبنية » ما وصفه صادقاً بقوله^(٢) : « إنى أوردت في هذا الفصل ما لم أسبق إلى جمعه واستيفائه من مبنى ظروف الزمان والمكان ، مرتباً على حروف المعجم . . . » .

وفما يلي الموجز : الذى استخلصناه من تلك المراجع ، ورتبناه على حسب الحروف الهجائية ، مع ترك ما سبق الكلام عليه^(٣) .

١ — إذ^(٤) — ظرف للزمن الماضى فى أكثر استعمالاتها ، وقد تكون للمستقبل بقرينة^(٥) ، وهى مبنية على السكون ، غير متصرفه^(٦) فى الأغلب — وتكون أحياناً

(١ و ١) فى ص ٢٠٤ . (٢) ما يمكن الاكتفاء به .

(٣) سبق كلام موجز عن « إذ » لمناسبة فى (ج ١ م ٣) .

وسيجىء الكلام على « إذ » و « إذا » بمناسبة أخرى فى ج ٣ باب « . . . الإضافة » (ص ٧٧ و ٧٩ و ٨٤ و ٩٢ م ٩٤) وفى ذلك الكلام بعض المسائل والأحكام الهامة ومن دواعى الاستفادة الكاملة الرجوع إليها ، وربط المشترك منها بين هذا الباب . وذلك وسيجىء كلام آخر مفيد على « إذا » فى ج ٤ باب :- « عوامل الجزم » ، ص ٣٣٣ م ٥٦ .

(٤) بيان هذا فى رقم ٥ الآتى .

(٥) جاء فى المعنى — ١ — عند الكلام عليها ما يفيد أنها : متصرفه ؛ حيث يقول فى الوجه الثانى من أوجه استعمالها ما نصه :- (أن تكون مفعولاً به ، نحو قوله تعالى « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم » . والغالب على المذكورة فى أوائل القصص فى التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير : « اذكر » ؛ نحو قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة ... » — وقوله : « وإذ قلنا للملائكة ... » — وقوله : « وإذ فرقنا بكم البحر ... » — وبعض العربيين يقول فى ذلك إنه ظرف للفعل : « اذكر » محذوفاً — وليس مفعولاً به — وهذا وهم فاحش ؛ لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر فى ذلك الوقت ، مع أن الأمر للاستقبال ، وذلك الوقت قد مضى قبل تعلق الخطاب بالمكلفين منا ، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه — أى : تذكره — لا الذكر فيه) ١ هـ . كلام المعنى .

وقال صاحب الجمع (ج ١ ص ٢٠٤) فى دلالتها الزمنية ، وفى تصرفها . ما نصه :

(أصل « وضعها أن تكون ظرفاً للوقت الماضى . وهل تقع للاستقبال ؟ قال الجمهور : لا . وقال جماعة منهم ابن « مالك : نعم . واستدلوا بقوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها » والجمهور جعلوا الآية ونحوها من باب « قوله تعالى : « وضح فى الصور » ... أى : من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد =

مضافاً إليه ، والمضاف اسم زمان ؛ نحو : حينئذ - يومئذ . . . فتتحرك « الذال » بالكسر عند التنوين .

وإذا كانت ظرفاً التزمت الإضافة إلى جملة^(١) ؛ إمّا اسمية ليس عجزها فعلاً ماضياً^(٢) ، نحو قوله تعالى : (واذكروا إذ أنتم قليل . . .) وإما فعلية نحو : جئتُك إذ دعوتني . ويشترط في الجملة الفعلية أن تكون ماضوية لفظاً ومعنى أو معنى فقط - كأن يكون فعلها مضارعاً قصد به حكاية الحال الماضية^(٣) - وألا تكون شرطية ، ولا مشتملة على ضمير يعود على المضاف ؛ فلا

= وقع . قال ابن هشام : ويحتاج لغیرهم - أى : لغير الجمهور - بقوله تعالى : « فسوف يعلمون » إذ الأغلال في « أعناهم ... » ؛ فإن : « يعلمون » مستقبل لفظاً ومعنى : لدخول حرف « التنفيس » عليه ، وقد عمل في « إذ » فيلزم أن يكون بمنزلة « إذا » لأن « إذا » للمستقبل .

« وتلزم « إذ » الظرفية ؛ فلا تنصرف بأن تكون فاعلة أو مبتدأة ، أو غيرهما ... إلا أن يضاف اسم الزمان إليها ؛ نحو : « حينئذ » - « يومئذ » . . . وجوز الأخفش ، والزجاج ، وابن مالك وقوعها مفهولة به ، « نحو قوله تعالى : « واذكروا إذ كنتم قليلاً ... » وبدلاً منه ؛ نحو : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ... » . والجمهور لا يشيئون ذلك ، ووافقهم أبو حيان ، قال :

« لأنه لا يوجد في كلام العرب : « أحببت إذ قدم زيد ، ولا كرهت إذ قدم » . وإنما ذكروا ذلك مع الفعل : « اذكر » لما اعتاص - أى : التوى ، وصعب - عليهم ما ورد من ذلك في القرآن وتخبرجه سهل ، وهو أن تكون « إذ » معمولة لمخزوف يدل عليه المعنى . أى : اذكروا حالتكم ، أو : قضيتكم « أو أمركم ... وقد جاء بعض ذلك مصرحاً به ؛ قال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم . . . » « فإذ » ظرف معمول لقوله : « نعمة الله » . وهذا أولى من إثبات حكم كلى بمحمثل ، بل بمرجوح . ا هـ . كلام أبو حيان) ا هـ . مادونه الجمع .

(١) وفي هذه الحالة يشترط في « إذ » الظرفية المحضة ألا تكون محتومة بما الزائدة - نص على هذا الميرد في كتابه المفتضب ، ج ٢ ص ٥٤ - .

(٢) والسبب - كما يقولون - أن « إذ » للزمان الماضي في أغلب استعمالاتها ، والفعل الماضي مناسب لها في الزمان ، فلا يسوغ الفصل بينهما بالمبتدأ - أو غيره - وهما في جملة واحدة . أما إذا كان الفعل بعدها مضارعاً - ولا بد أن يكون بمعنى الماضي ولو تأويلاً - ففصله وعدم فصله سواء ؛ كلاهما حسن . . . وسيجيء البيان مفصلاً في موضعه الأنسب . (ج ٣ م ٩٤ ص ٧٩ و ٨٤ باب : الإضافة . . .)

(٣) وقد اجتمع أنواع الجمل الثلاث في قوله تعالى عن رسوله الكريم : « (إلا تنصروه فقد نصره الله ؛ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في النار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن . . .) فقد أضيفت « إذ » لجملة ماضوية ، ثم لجملة اسمية ، ثم لجملة مضارعية .

يصح : أتذكر إذ إن* تأتانا نكرمك . . . وقد يحذف شطر الجملة الاسمية أحياناً مع ملاحظة وجوده ؛ كقول الشاعر :

هل ترجعن* ليال قد مضين* لنا والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا
والتقدير عندهم : العيش منقلب أفناناً إذ ذاك كذلك ، لأنها لا تضاف — في الأغلب^(١) — إلى مفرد^(٢) . ومثله قول الآخر :

كانت منازل ألاف عهدتهمو إذ نحن إذ ذاك دون الناس إخوانا
أى : إذ ذاك كذلك .

وقد تحذف الجملة التي تضاف إليها ، ويعوص عنها التنوين^(٣) ؛ نحو :
أقبل الغائب وكنتم حينئذ مجتمعين ، أى : حين إذ أقبل . . .

وقد تتراد للتعليل ؛ كقوله تعالى : (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) ؛ أى : لأجل ظلمكم في الدنيا . . . ولا تصلح للظرفية هنا ؛ لأن الظلم لا يقع يوم القيامة وإنما يقع قبله في الدنيا . . . وهى حرف بمنزلة لام التعليل ، — وهذا أسهل — وقيل : ظرف ، والتعليل مستفاد من قوة الكلام ، لا من اللفظ ؛

وقد تكون حرفاً للمفاجأة ، أو زائدة لتأكيد معنى الجملة كلها ؛ وذلك بعد كلمة : « بين »^(٤) المختومة « بالالف » الزائدة ، أو « ما » الزائدة ؛ نحو : بينا نحن جلوس إذ أقبل صديق . . . ومثل : « فبينما العسر إذ دارت مياسير^(٥) . »

(١) راجع الخضرى والصبان (باب : « إن » — مواضع كسر الهزة وجوباً ، وهل منها : « حيث » ؟) .

(٢) قد يبدو هذا التقدير غريباً ، ولكن نزول غرابته — كما يجيء في ج ٣ ص ٦٥ م ٩٤ — بأمثلة أخرى توضحه وتؤيده . كأن نقول : المنافق منقلب أحوالا إذ هذا — المنافقان منقلبان أحوالا إذ هذان — المنافقون منقلبون أحوالا إذ هؤلاء . ففى كل هذه التراكيب وأشباهاها — وما أكثرها — لا يتم المعنى إلا بالتقدير السالف . (٣) كما سبق في ج ١ ص ٢٦ م ٣ .

(٤) لها بيان في ص ٢٨٦ وما يليها . ومنه يعلم أنها واجبة الصدارة والإضافة للجملة إذا كانت مختومة بالالف الزائدة ، أو « ما » الزائدة .

(٥) ولا يشترط فيها غير هذا ، بخلاف « إذا » الفجائية التي سيجىء الكلام عليها في ص ٢٨٠ .

.
.

هذا ، واستعمال « إذا » قياسي في جميع الصور ، والحالات المختلفة التي سردناها في الكلام عليها .

٢ - إذا ^(١) - الصحيح أنها اسم ؛ بدليل وقوعها خبراً مع مباشرتها الفعل ؛ نحو : الهناء إذا تسود الحجة الأهل ، ووقوعها بدلا من الاسم الصريح ، نحو : المقابلة غداً إذا تطلع الشمس .

(أ) وهي ظرف للمستقبل في أكثر استعمالاتها ، وتكون للماضي بقرينة ؛ نحو قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها . .) لأن الآية نزلت بعد انفضاضهم .

وقد تكون ظرفاً للحال بعد القسم ؛ نحو قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) لأن الليل والغشيان مقترنان . - وهل « إذا » في الآية متعلقة بفعل القسم وفعل القسم للحال ^(٢) ؟ - ومثل قوله تعالى : (والنجم إذا هوى ؛ ما ضل صاحبكم وما غوى . . .) .

(ب) والغالب في استعمالها أن تتضمن مع الظرفية معنى الشرط بغير أن تجزم إلا في ضرورة الشعر ، وتحتاج بعدها إلى جملتين ، الأولى تحتوى على فعل الشرط ، والثانية هي الجواب . نحو قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا - فسبح بحمد ربك واستغفره . . .) .

وقد تتجرد للظرفية المحضة الحالية من الشرط ^(٣) ؛ كقوله تعالى : « والليل -

(١) لبعض أنواعها بيان يجيء (في ج ٣ م ٩٤ ص ٩٢ باب : « الإضافة » وكذا في ج ٤ ص ٤٠٥ م ١٥٥ ، الأمور التي تختلف فيها الأدوات الشرطية . . وص ٤١٣ م ١٥٦ : النوع الثالث) .

(٢) هذا رأى فريق من النحاة . ولم يوافق عليه آخرون ؛ لما يلزم عليه من أن يكون القسم في وقت غشيان الليل ، وأنهما يحصلان معاً في زمن واحد . وارتضى هؤلاء أن تكون « إذا » ظرفاً متعلقاً بمضاف يدل عليه القسم ؛ إذ لا يقسم بشيء إلا لعظمته . والتقدير : وعظمة الليل إذا يغشى .

(راجع الصبان ، ج ٢ باب الإضافة عند الكلام على « إذا ») .

(٣) جمهرة النحاة في هذه الحالة توجب نصبها على الظرفية دون غيرها ، فلا تكون فاعلاً ولا مفعولاً به ، ولا غيرهما . أما قوله عليه السلام لعائشة : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية . . . » فيؤولونه بأن المراد : إني لأعلم شأنك إذا كنت عني راضية ، ولا يوافقون على أن تكون مفعولاً به ، لثلا يفسد =

إذا يَغْشَى ، والنهار إذا تَجَلَّى (. . .) ، وقوله تعالى : (والضُّحَى واللَّيْل إذا سَجَا . . .) ، وقوله تعالى : (وإذا ما غضبوا هم يغفرون)^(١) . وقد اجتمع النوعان - الظرفية المحضة ، والظرفية الشرطية ، مع حذف فعل الشرط - في قول الشاعر :

إذا أنت لم تترك أخاك وزلةً^(٢) - إذا زلَّها - أو شكتما^(٣) أن تفرِّقا^(٤)
وإذا كانت للشرط فإنها لا تذلل على التكرار ؛ ففي مثل : إذا خرجت أخرجُ معك . يتحقق المراد بالخروج مرة واحدة . وهي أيضاً لا تفيد الشمول والتعميم - في الرأي الشائع - فلو حلف رجل على أن يتصدق بمائة - مثلاً - إذا رجع ابن من أبنائه الغائبين ؛ فرجع ثلاثة ، لم يجب عليه إلا مائة ، وتسقط عنه اليمين بعدها . وتستعمل « إذا » الظرفية الشرطية في التعليق إذا كان الشرط محقق الوقوع^(٥) ، نحو : إذا أقبل الشتاء أقيم عندكم ، أو مرجح الوقوع ، نحو : إذا دعوتوني أيها الإخوان أحضر .

(ح) « وإذا » الظرفية الشرطية تضاف دائماً إلى جملة فعلية خبرية ، غير مشتملة على ضمير يعود على المضاف ، والأكثر أن تكون ماضوية . وقد اجتمع

= المعنى ؛ إذ المراد ليس العلم بالزمن ، وإنما المراد العلم بالحال والشأن . وهذا صحيح في الحديث السالف أما في غيره فقد يكون المراد وقوع الأثر على الزمن نفسه وعندئذ لا يمنع مانع من أن تكون « إذا » مفعولاً به ، نزولاً على ما يقتضيه المعنى .

(١) لو كانت « إذا » في الآية شرطية لا شتمل جوابها (هم يغفرون) على الفاء الرابطة أو ما ينوب عنها في الربط ، لأن هذا الجواب جملة اسمية تحتاج للربط ، ولا داعي للتمحل بأن الرباط قد يحذف أحياناً . (انظر ح ٤ ص ٤١٣ م ١٥٦ لأهميته ، واشتماله على بعض أوجه مفيدة) .

(٢) هفوة . (٣) اقترَبَما . (٤) الأصل : تفرَّقا . حذف إحدى التاءين تخفيفاً .

(٥) وهي بهذا تختلف عن « إن » الشرطية وأخواتها ؛ مما يكثر في الأمر المحتمل ، أو المشكوك

في تحقيقه . وقد تدخل على المستحيل ، كقوله تعالى : (قل إن كان للرحمن ولد ...)
رقد تدخل على الأمر المحقق إن كان غير متيقن الزمان : كقوله تعالى : (أفإن مت فهم الخالدون) ؟ فالموت محقق ، ولكن زمنه مبهم .

(وفي الجزء الرابع ص ٣٢٧ م ١٥٥ و ص ٣٣٣ م ١٥٦ . - باب الجوازم - البيان الشامل لهذه الأدوات كلها) .

التوعان في قول الشاعر :

والنفس راغبة إذا رغبتُها وإذا تُردُّ إلى قليل تَقْنَعُ

والماضي في شرطها أو جوابها مستقبل الزمن^(١)؛ فإن وليها اسم مرفوع بعده فعل فالاسم - في الغالب - فاعل لفعل محذوف^(٢) مثل : (إذا السماء انشقت . . .) وحين تقع شرطية ظرفية تكون مضافة إلى الجملة الشرطية المكونة من فعل الشرط ومرفوعه ، ومنصوبة بما يكون في جملة الجواب من فعل أو شبهه^(٣).

(د) وقد تكون « إذا » للمفاجأة^(٤) - والأحسن في هذه الحالة اعتبارها حرفاً^(٥) - ؛ فتدخل وجوباً ؛ إما على الجمل الاسمية ، نحو : اشتدت الريح ، فإذا البحر هائج ، وإما على الجمل الفعلية المقرونة بقد ، لأن « قد » تقرب زمن الفعل من الحال - نحو : اشتدت الرياح ؛ فإذا قد لجأت السفن إلى الموانئ - يضطرب البحر فإذا قد يتألم ركاب البواخر . كما يجب في كل حالاتها أن يسبقها

(١) سواء أكان ماضى اللفظ والمعنى معاً ، (وهو الماضى الحقيقى بصيغته وزمنه) أم كان ماضياً معنى وحكماً دون لفظ ، وهو المضارع المسبوق بحرف الجزم : « لم » ، فإن هذا الجازم يقلب في الغالب - زمنه للمضى - كما هو موضح في باب « الجوازم » ، ج ٤ - فإذا وقع الماضى الحقيقى ، أو المعنوى (وهو المضارع المسبوق بالحرف « لم ») فعل شرط للأداة : « إذا » الشرطية - أولداة شرطية جازمة أخرى - تخلص زمنه للمستقبل المخض ؛ كقول الشاعر :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتُهُ لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ دَانٍ مِنَ الشَّعْرِ

(٢) أو نائب فاعل أحياناً - ولهذا رأى توضيح واف سبق في باب : « الاشتغال » من هذا الجزء

رقم ١ هامش ص ١٣٣ وفي ص ١٤٢ -

(٣) ولا يمنع من هذا العمل أن يكون الجواب مشتملاً - أحياناً - على الفاء الرابطة ، أو ما ينوب عنها ، لأن هذه الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها في غير هذا الموضع الذى يكون فيه العامل واقعاً في جواب الشرط .

(٤) أى : مفاجأة ما بعدها ، بمعنى : هجومه .

(٥) ويجوز اعتبارها ظرف زمان أو مكان أيضاً ، بمعنى : (فى الوقت أو فى المكان) - راجع

كلام قبلها تقع عليه المفاجأة ، وأن تكون المفاجأة في الزمن الحالي^(١) حتمًا — لا المستقبل ، ولا الماضي — وأن تقرن بها الفاء الزائدة للتوكيد^(٢) . وأن تخلو من جواب بعدها . وقد تليها الباء الزائدة التي تدخل سماعًا في مواضع ؛ ومنها بعض أنواع معينة من المبتدأ ، كالمبتدأ الذي بعدها ، نحو نظرت فإذا بالطيور مهاجرة^(٣) .

٣- الآن — وهو اسم للوقت الحاضر جميعه — وهو الوقت الذي يستغرقه نطق الإنسان بهذه الكلمة — نحو : أنارت الشمس الآن ، أو الحاضر بعضه فقط ، مثل : الملاح يحرك سفينته الآن . فإن تحريكه السفينة لا يعُم ولا يشمل كل وقته الحاضر عند النطق . وقد يقع على الماضي القريب من زمن النطق ، أو على المستقبل القريب منه : تنزيلا للقريب في الحالتين منزلة الحاضر .

وهو ظرف ، مبني على الفتح تلازمه « أل » ، وظرفيته غالبية ، لازمة ، — أى : لا يخرج عنها إلا في القليل المسموع الذي لا يقاس عليه — . ويرى بعض النحاة أنه معرب منصوب على الظرفية ، وليس مبنياً . وله أدلة تدعو إلى الاطمئنان والاستراحة لرأيه الأسهل^(٤) .

(١) المقصود بالزمن الحالي : الزمن الذي يتحقق فيه المعنيان في وقت واحد ؛ المعنى الذي بعدها والمعنى الذي قبلها ؛ بحيث يقرنان معاً في زمن تحقيقها ، ولو كان الزمن ماضياً ؛ كالذي في نحو : خرجت أمس فإذا المطر فياض .

(٢) وقد سبقت الإشارة لهذا في ج ١ ص ٤٩٢ .

(٣) راجع المعنى ج ١ عند الكلام على « الباء » ، و ص ٤٩٣ الآتية و ٤٩٥ حيث الكلام على حرف الجر الباء ، والبيان الأنسب من حيث الأصالة والزيادة .

(٤) في الجزء الأول من : « مع الهوامع » (باب : الظرف ص ٢٠٧) عرض واف للآراء المختلفة المتعددة التي تدور حول الظرف : « الآن » من ناحية الحكم عليه بالبناء ، أو بالإعراب ، وأدلة كل رأى . وجميعها أدلة جدلية محضة لا قيمة لها في إثباتات المراد ، لأن إثباته القاطع إنما يكون بعرض الأمثلة الصحيحة الواردة عن العرب التي تكفي في تأييد هذا أو ذاك ، لا في مجرد الجدال المحض الذي لا تسايره الشواهد الكثيرة .

على أن صاحب الجمع بعد فراغه من عرض الآراء أدلى برأيه . فقال ما نصه : « المختار عندي القول بإعرابه ؛ لأنه لم يثبت لبنائه علة معتبرة ؛ فهو منصوب على الظرفية ، وإن دخلته « من » جر . =

٤ - أمس - اسم ، معرفة ، متصرف ، وهو اسم زمان لليوم الذى قبل يومك مباشرة ، أو ما فى حكمه عند إرادة القرب . ويستعمل مقرونًا بأل لزيادة التعريف ، أو غير مقترن بها فلا يفقد التعريف .

وللعرب فيه لهجات ولغات مختلفة ، تعددت بسببها آراء النحاة فى استنباط حكمه . وخير ما يستصنى منها أنه :

إذا كان مقرونًا بأل فأعرابه وتصرفه هو الغالب ، ولا يكون ظرفًا ؛ نحو كان أمس طيبًا - إن أمس طيب ، أسفت على انقضاء أمس . وإذا لم يكن مقترنًا بأل فالأحسن عند استعماله ظرفًا أن يكون مبنياً على الكسر دائماً فى محل نصب ، نحو : أتممت الكتابة أمس ... وإن لم يستعمل ظرفًا فالأحسن بناؤه على الكسر أيضاً فى جميع أحواله . نحو : انقضى أمس بخير - إن أمس كان حسناً - لم أشعر بانقضاء أمس .

ومما يتصل باستعمال « أمس » ما جاء فى كتاب : « لسان العرب » وغيره وهو أنك تقول : ما رأيت الصديق منذ أمس ؛ إذا كان ابتداء عدم الرؤية هو

= وخروجه عن الظرفية غير ثابت ، ولا يصلح الاستدلال له بالحديث السابق لما تقرر غير مرة (ا هـ . ثم قال بعد ذلك ما نصه :

(وفى شرح الألفية لابن الصائغ : إن الذى قال بأن أصله « أوان » يقول بإعرابه ، كما أن « أوانا » مرعب) ا هـ .

أما الحديث المشار إليه فقد ذكره قبل رأيه هذا قائلا ما نصه : (وقال ابن مالك : ظرفيته « أى : الآن » غالبية لازمة ؛ فقد يخرج عنها إلى الاسمية ، كحديث « فهو يهوى فى النار ، الآن » حين انتهى إلى قعرها . . . « فت « الآن » فى موضع رفع بالابتداء ، « وحين انتهى » خبره . و « حين » مبنى لإضافته إلى جملة صدرها ماض) ا هـ .

ولئنما كان الحديث السالف غير صالح عنده للاستدلال به لأن صاحب المعجم من طائفة ترى أن الحديث النبوى لا يستشهد به فى اللغويات ، لاحتمال أن يكون مروياً بالمعنى دون حرص على النص اللفظى الذى نطق به الرسول عليه السلام ، ولأن بعض رواة الحديث أجنبى لا يحسن النطق بالكلام العربى الصحيح .

وهذا رأى له معارضون لا يوافقون عليه . وللفريقين أدلة وبحوث طويلة فى هذا الشأن عرضها مختصرة صاحب : « خزانة الأدب » فى أولها ، وكذلك عرض لها بشئ من البسط صاحب كتاب : « المواهب الفتحية » فى الجزء الثانى .

اليوم الذي قبل يومك الحالي مباشرة . فإن لم تره يوماً قبل أمس قلت : ما رأيته منذ أول من أمس^(١) . فإن لم تره منذ يومين قبل أمس قلت : ما رأيته منذ أول من أول من أمس^(٢) . ولا يقال إلا ليومين قبل أمس . أى : لا يصح ذكر « أمس » لما قبلهما^(٣) .

٥ - بعد - أول - قبل - أمام - قُدّام - وراء - خلف - أسفل -
- يمين - شمال - فوق - تحت - على^(٣) - دون - . . .^(٤) .

من الظروف المبنية حيناً : والمعربة حيناً آخر : « بَعْدُ » وهو ظرف^(٥) زمان أو مكان^(٦) ، ملازم للإضافة في الحالتين .

(١) هذا التركيب مثل قَوْضٍ : ما رأيته أول من أمس . (راجع ما يتصل به في ص ٢٨٥) .

(٢) راجع الكلام على كلمة « أول » في ص ٢٨٥ ، ثم إيضاح آخر عنها في ص ٦٢٣ ، ١٢٥ م ٩٤ - باب : الإضافة .

(٣) في الظرف « على » لغات مختلفة ، أوضحناها في باب الإضافة ج ٣ ، منها : « عَلَاً » (على وزن : عصاً) وبعض العرب يجوز إضافته ولكنه يوجب قلب ألفه ياء عند إضافته لياء المتكلم طبقاً للبيان الخاص به في باب : الإضافة .

(٤) في باب الإضافة من ج ٣ ص ١١٥ م ٩٥ تفصيل الكلام على هذه الظروف ، وعرض أحكامها مستوفاة .

(٥) معناه الغالب : الدلالة على تأخير شيء عن شيء في زمانه ، أو مكانه . ومن أمثلة دلالاته على التأخر في الزمان ما قيل في رثاء زعيم من سادات العرب :

كَأَنَّ النَّاسَ بَعْدَكَ نَظْمٌ سَلَكَ : تَقَطَّعَ : لا يقوم له نظام
وقد يكون معناه : « مع » ؛ كقوله تعالى : « عَتَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ » أى : مع ذلك . (العَتَلَّ : جافى الطبع : فحشاً - الزنيم : الشرير ، ذوق الأصل . .)

(٦) صرح صاحب « الخمع » - ج ١ ص ٢٠٩ باب : الظروف - بما نصّه : (« بعد » ظرف زمان لازم الإضافة) اهـ . ولم يذكر شيئاً يدل على أنه يكون للمكان . وكذلك صاحب « المصباح المنير » حيث قال في مادة : « بعد » ما نصّه : (« بعد » ظرف مبهم لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره وهو زمان متراخ عن السابق ، فإن قُرْبُ منه قيل : « بُعِيْدُهُ » بالتصغير كما يقال : « قَبْلُ العصر » ؛ فإذا قُرْبُ قيل : « قُبَيْلُ العصر » ، بالتصغير ، أى : قريباً منه ، ويسمى هذا : « تصغير التقريب ») اهـ .

غير أن صاحب التصريح (ج ١ ص ٥٠ - باب : « الإضافة ») نصّ في وضوح وجلاء على أنه يكون للزمان والمكان ؛ فقد قال في معرض الكلام عن الظرفين : « قبل وبعده » ما يلي : =

.

(ا) غير أن المضاف إليه قد يذكر ، نحو : صفا الجو بعد المطر ، وفي هذه الحالة يتعين أن يكون الظرف معرباً منصوباً بغير تنوين ؛ لأنه مضاف ، ويجوز جره بالحرف : « من » .

(ب) وقد يحذف المضاف إليه وينوى وجود لفظه بنصّه الحرفي ؛ فيبقى المضاف على حاله معرباً منصوباً غير مننون ؛ كما كان قبل حذف المضاف إليه ؛ نحو : لما انقطع المطر صفا الجو بعد ، أى : بعد المطر . وحكم الظرف هنا كسابقه .

(ح) وقد يحذف المضاف إليه ، ويستغنى عنه نهائياً كأن لم يكن ؛ مثل : صفا الجو بعداً . . . والظرف في هذه الحالة معرب ، منصوب ، مننون . . .

د - وقد يحذف المضاف إليه وينوى معناه . (أى : ينوى وجود كلمة أخرى تؤدي معنى المحذوف من غير أن تشاركه في نصّه وحروفه) وفي هذه الصورة يلتزم الظرف المضاف : البناء على الضم ؛ مثل : لما انقطع المطر صفا الجو بعد ، أى : بعد انقطاعه ، أو : بعد ذلك^(١) . . .

= (لا يختصان بالزمان فقد يكونان للمكان كقولك . دارى قبّل دارك أو بعدها . .) ١٥١ .
 بل بالغ بعضهم فجعل الأولي في استعمال : « بعد » أن يكون ظرف مكان ، يدل على هذا ما سجله ياسين في تعليقه على ما جاء بالتصريح (ج ٢ باب : « حروف الجر » ، عند الكلام على الحرف من ، ص ٨)
 والحق أن « بعد » تكون للزمان سارة وللمكان أخرى ولا داعي للتأويل الذي يراد منه قصرها على أحدهما .
 ثم انظر - في رقم ١ التالي - بعض الاستعمالات الأدبية -

(١) يكثر وقوع الظرف : « بعد » تالياً « أمّا الشرطية » التي ستجى أحكامها مفصلة في باب خاص بها - (ج ٤ م ١٦١ ص ٤٧٠) كقولهم : (. . . أمّا بعد ، فإن شرّ الكلام الكذب . . .)
 وقد تحمل « الواو » محلّ « أمّا الشرطية » ، فيقال : (وبعد ، فإن . . .) فن أى الصور والحالات السالفة ما يكثر في بدء الخطب والرسائل الأدبية ، ونحوها من مثل : (تحية الله وسلامه عليكم . وبعد) .
 فأدراك الغايات رهن باتخاذ الوسائل الناجمة . . . وقول صاحب : « القاموس المحيط » في ديباجة قاموسه ما نصّه : « الحمد لله منطلق البلغاء . . . وبعد فإن للعلم رياضاً . . . » (١٥١ هـ)
 قال شارح الديباجة حين عرض لهذه العبارة قبل ذلك في تقييده الأولى التي سماها : شرح ديباجة =

فالأحوال أربعة^(١) تعرب في ثلاثة منها، وتبنى في حالة واحدة هي : التي يحذف فيها المضاف وينوى معناه .

وتلك الأحوال الأربعة تنطبق على باقى الظروف التي وليست : « بعد » .
غير أن هناك بعض الأمور تتصل بلفظ : « أول » الذى ليس ظرفاً^(٢) .
منها : اعتباره اسماً مصروباً معناه ابتداء الشيء المقابل لنهايته ، ولا يستلزم أن يكون له ثان ؛ فقد يكون له ثان ، وربما لا يكون ؛ تقول : هذا أول ما اكتسبته ، فقد تكتسب بعده شيئاً ، أولاً تكتسب . وقيل : يستلزم كما أن الآخر يستلزم أولاً . والحق الرأى الأول . والقرائن دخل كبير في توجيه المعنى إلى أحد الرأين . ومنه قولهم : ماله أول ولا آخر^(٣) .

ومنها : أن يكون وصفاً مؤولاً ، أى : أفعل تفضيل بمعنى : « أسبق » ، فيجرى عليه حكمه ؛ من منع الصرف وعدم التأنيث بالثناء . ووجوب إدخال « من » على المنفصل عليه ؛ . . . نحو : هذا أول من هذين ، ولقيته عام أول من عامنا^(٤) .

=القاموس ، للهورينى - قال ما نصه : (« بعد ، كلمة يفصل بها بين الكلامين عند إرادة الانتقال من كلام إلى غيره وحى من الظروف ، قيل زمانية ، وقيل مكانية وعامله محذوف . قاله الدمامنى . والتقدير : أقول بعد ما تقدم من الحمد ، والصلاة والتسليم على نبيه العظيم . (فإن) بالفاء ، إمّا على توهم « أمّا » أو على تقديرها في نظم الكلام ، وقيل : إمّا لإجراء الظرف مجرى الشرط ، وقيل : (لأنها عاطفة وقيل زائدة . . .) « ١ هـ . والذى يعيننا هو فهم هذا الأسلوب . وأنه فصيح - بالفاء .

- لاحظ البيان الذى في رقم ٦ من هامش ص ٢٨٣ ؛ لأهميته -

(١) تفصيل أحكامها وأحوالها في ج ٣ ص ٥٣ م ٥٩ باب الإضافة .

(٢) تقدم له بيان آخر في ص ٢٨٣ . وكذلك في ج ١ ص ١٩٤ م ١٧ باب النكرة والمعروفة .
وستجىء إشارة مهمة إليه في ج ٣ باب الإضافة .

(٣) راجع الكلام عليه مع الظرف « أمس » في ص ٢٨٣ وله بيان آخر في ج ٣ باب الإضافة ص ١٢٥ .

(٤) ويصح لقيته عاماً أولاً من عامنا . جاء في الجمع (ج ١ ص ٥٤ باب : « النكرة والمعروفة ») ما نصه : (من الأسماء ما هو معرفة معنى ، نكرة لفظاً ، نحو : كان عاماً أولاً - وأولاً من أمس ؛ فدلوطهما معين لا شوبع فيه بوجه ، ولم يستعملا إلا نكرتين . . .) ١ هـ

وقد سبق بيان هذا - في ج ١ م .

ومنها : أن يكون اسمًا معناه : « السابق » ؛ فيكون مصروفًا ؛ نحو لقيته
عامًّا أولاً ، أى : سابقًا .

أما « أول » الظرف الزماني فعناه : « قَبْلَ » نحو : رأيت الهلال أولَ الناس .
هذا ، وأصل أول — فى الأرجح ، بنوعيه : الظرف ، والاسم — ، هو :
« أوَّلُ » بوزن : أفْعَلْ ؛ قلبت الهمزة الثانية واوًّا ، ثم أدغمت الواو فى الواو ، بدليل
جمعه على أوائل^(١) .

٦ — يَبَيِّنُ^(٢) — بَدَلْ — فأما : « بين » فأصله ظرف للمكان ، وقد يكون
للزمان أيضًا . والكلمة فى الحالتين مضافة إلا عند التركيب — كما سبق^(٣) —
وتتَخَلَّلُ شيئين^(٤) ، أو ما فى تقدير شيئين^(٥) ، أو أشياء^(٥) ، وتصرفها متوسط ،
وكذلك وقوعها معربة ، مثل قوله تعالى فى الزوجين : (فإن خفتم شقاق بينهما
فابعثوا حكمًا من أهله ، وحكمًا من أهلها . . .) ، فقد وقعت اسمًا معربًا
مضافًا إليه ، مجرورًا بالكسرة الظاهرة ؛ كشأنها فى قوله تعالى : (هذا فراق بيني
وبينك) ، وقوله : (لقد تقَطَّعَ بينكُم) فى قراءة مَنْ رَفَعَ الظرف ، وقوله :
(ومن بيننا وبينك حِجَاب) .

(١) انظر ما يتعلق به فى ص ٥٦٣ وفى ج ٣ — باب الإضافة —

(٢ و ٣) سبقت الإشارة إلى بعض أحكامها (وهو : التركيب المزجى) ، فى ص ٢٧١ ولها
إشارة أخرى فى ص ٢٧٧ . بمناسبة الكلام على : « لُذ » .

(٣) كقوله تعالى : (. . . وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم
يعقلون) .

(٤) كقوله تعالى : (ولا تجهرُ بصلاتك ولا تُخافت بها ، وابتغِ بين ذلك سبيلا) ، أى : بين
الجر والمخافة .

(٥) كقول امرئ القيس : .

قِفَا نَبْكَ من ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسِطْهُ اللّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوِّمِلِ
أى : بين مواضع الدخول . وما يصلح لتقدير شيئين ، أو أشياء قول الشاعر :

قَدَّرَ الهَجْرُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا وَطَوَى البَيْنَ عَنْ جَفَوْنِي غَمْضِي

ولا تضاف إلاّ إلى متعدد؛ كقولهم: مَقْتَلُ المرءِ بين فكَيْهِ ، وقول الشاعر:

شوق إليك نبي لذيد هجوعى فارقتنى فأقسام بين ضلوعى

فإن أضيفت لمفرد وكان ضميراً لا يدل على تعدد ، وجب تكرارها مع عطف المكررة بالواو ، كالأية السابقة ؛ وهى : (هذا فراق بينى وبينك . . .) وإن كان اسماً ظاهراً فالكثير أنها لا تتكرر ؛ إذ يُكتفى بالعطف بالواو على الاسم الظاهر المضاف إليه ؛ مع جواز التكرار ، وإن كان الأول هو الأكثر^(١) ؛ مثل : تضيع الغاية بين التردد واليأس . وقولهم : شتان بين روية وتسرع .

وقد يتصل بآخرها « الألف » الزائدة أو « ما »^(٢) الزائدة ، فتصير فى الحالتين زمانية غير متصرفة ، واجبة^(٣) الصدارة والإضافة إلى جملة (اسمية) ، أو فعلية) ، وبعدها كلام مرتب على هذه الجملة ، يُعْتَبَرُ بمنزلة الجواب^(٤)

(١) تكرارها بين المتعاطفين الضميرين واجب . أما بين المتعاطفين الظاهرين فجائز للتوكيد ؛ فيصح أن يقال : المال بين محمود وبين على ، بزيادة : « بين » الثانية ، للتأكيد ؛ كما قاله ابن بَرِّي وغيره ، وبذلك يردّ على منع الحريرى تكرارها . (راجع حاشية ياسين على شرح التصريح ج ٢ وكذا « الصبان » أول باب : « عطف النسق » فيها عند الكلام على واو العطف) .

ويؤيد ما سبق ورودها مكررة فى بعض الأحاديث الشريفة ، التى نقلها وشرحها صاحب المواهب الفتحية (ج ٢) وفى كلام آخر لعل بن أبى طالب نقلناه فى - ج ٣ م ١١٨ باب : عطف النسق ، عند الكلام على « الواو » وما تنفرد به ص ٥٤٤ - وفى كلام لعمر بن عبد العزيز وهو ممن يحتج بكلامهم . وكذلك وردت فى شعر يحتج به نقله « الطبرسى » (فى كتابه مجمع البيان ج ١ ص ٤٥) ونصه : قال على بن زيد :

وجاعل الشمس مصراً لاختفاء به بين النهار ، وبين الليل قد فصّلا

- المصر : الحاجز - وقول أعشى همدان :

بين الأمشج وبين قيس باذخٌ بَخْ بَخْ لوالده وللمولود

(٢) وقوع « ما » الزائدة بعد الظرف : « بين » يوجب وصلهما فى الكتابة ، وتصديرهما فى الجملة - وكذلك مع الألف الزائدة - كما تقدم فى ص ٢٦٨ و ٢٧٩ -

(٣) كما فى القاموس - وغيره -

(٤) يكون الظرف مضافاً للجملة التى بعده مباشرة ، ومنصوباً لمعامل فى الكلام المتأخر عنها ، المترتب =

== عليها ، كأنه جواب لها ، معلق عليها كتعليق الجواب على الشرط. وقد يقرن هذا الجواب بالفاء . . .
 (على الوجه الذى سبق فى « و » ص ٢٧٦ وكما يحىء فى هامش ص ٣٥٩). وما سبق هو رأى الجمهور .
 وهناك آراء أخرى أيسرها أنها - بعد اتصال « ما » الزائدة ، أو : الألف الزائدة بها ، تصير ظرف زمان
 غير مضاف ، لأن الحرف الزائد قد كفتها عن العمل . ويصير الظرف « بين » منصوباً بالذم الذى
 فى الجملة التى تليه مباشرة ، والجملة التى تليها بمنزلة الجواب . وهذا رأى حسن ، وفيه تيسير .
 ومن المفيد الذى يوضح ما سبق أن نسجل هنا ما جاء فى حاشية الأمير على المعنى ، وما جاء فى الصبان
 عن هذه المسألة . - بالرغم مما فى كلاهما من تحليل لا يعرفه العربى القديم :
 « ا » جاء فى المعنى ؛ - ج - فى الكلام على « إذ » وأنواعها ، ما نصه : (تكون للمفاجأة ،
 نص على ذلك سيبويه ، وهى الواقعة بعد « بينا » ، أو « بينا » . . . و . . .) وقد علق على هذا :
 الأمير فى حاشيته ، قائلًا ما نصه :

(أصل : « بين » مصدر « بان » ، إذا تفرق ، ثم استعملت استعمال الظروف ؛ زمانية ومكانية .
 ولا تضاف إلا لتعدد ؛ فأصل قولك : جلست بين زيد وعمرو ، وأتيت بين الظهر والعصر ، جلست مكان
 تفرق زيد وعمرو ، أى : المكان الواقع بينهما ، وأتيت زمن تفرق الظهر والعصر ، أى : الزمن الذى
 يفصل بينهما ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه . ثم لما أرادوا أن يضيفوا إلى الجملة مع كونها
 لازمة للإضافة للمفرد - أى : لغير الجملة - وكانت الإضافة إلى الجملة كلا إضافة ؛ لعدم تأثيرها فى
 لفظ المضاف إليه - وصلوها - بأحد الأمرين ؛ « ما » التى شأنها الكف ؛ فكأنها كفتها عن الإضافة ،
 أو « الألف » مشبعة عن الفتحة ؛ لأنها أيضاً تفيد قطع ما قبلها فى الوقف ، مبدلة عن تنوين إثر فتح ؛
 كالظنون - فى قوله تعالى : (وتظنون بالله الظنونا) - . ثم هى بعد ظرف زمان فقط ؛ لأنه ليس لنا مكان
 يضاف للجملة غير « حيث » . وإن تأملت ما سبق أغناك عن إضمار « أزمان » بعدها إذا أضيفت
 للجملة كما قيل « ا هـ . وهذا رأى أحسن من التالى .

« ب » وقال الصبان فى الجزء الثانى - باب الإضافة عند الكلام على قول ابن مالك :

وَالزَّمُوا إِضَافَةً إِلَى الْجُمْلِ حَيْثُ وَإِذْ

ما نصه :

(اعلم أن أصل : « بين » أن تكون مصدراً بمعنى : الفراق ، فعنى جلست بينكما : جلست مكان
 فراقكما . ومعنى أقبلت بين خروجك ودخولك : أقبلت زمان فراق خروجك ودخولك ؛ فحذف المضاف ،
 وأقيم المضاف إليه مقامه . فتبين أن : « بين » المضافة إلى المفرد - أى : الذى ليس جملة - تستعمل
 فى الزمان والمكان . فلما قصدوا إضافة إلى الجملة ، اسمية أو فعلية - والإضافة إلى الجملة كلا إضافة -
 زادوا عليها تارة : « ما » الكافة ؛ لأنها تكفى المقتضى عن اقتضائه ، وأشبعوا تارة أخرى الفتحة ؛
 فتولدت « ألف » لتكون الألف دليل عدم اقتضائه للمضاف إليه ، لأنه حينئذ كالوقوف عليه ، لأن =

للظرف^(١) فمثال الفعلية : بينا أنصفتني بالودّ ظلمتني بالسمنّ ، وقول الشاعر :

فبيننا نسوس الناس — والأمر أمرنا — إذا نحن فيهم سوقة نتصّف^(٢)

ومثال الاسمية :

استقدير الله خيراً^(٣) ، وارضينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الرّمس^(٤) تعفوه الأعاصير

وقد ورد في السماع الذي لا يقاس عليه إضافة « بينا » للمصدر دون : « بينا »

— على الصحيح — . . .

وقد تركب تركيب مزج « كخمسة عشر » فتبنى مثلها على فتح الجزأين كقول الشاعر :

= الألف قد يؤتى بها للوقوف ؛ كما في : « أنا » والظنوننا — يشير إلى أن الأصل في « أنا » خلوها من الألف ، وإلى قوله تعالى : [وتظنون بالله الظنونا] وتعين حينئذ ألا تكون إلا لازمان ؛ لما تقرر أنه لا يضاف إلى الجمل من المكان إلا حيث . وإضافة : « بينا » أو « بينا » في الحقيقة إلى زمان مضاف إلى الجملة ؛ فحذف الزمان المضاف ، والتقدير : بين أوقات زيد قائم ، أى بين أوقات قيام زيد — كذا قرره الرضى .
(وقد يضاف « بينا » إلى مفرد مصدر دون « بينا » على الصحيح ، كذا في الدمامي والهمع ، وتقدير : « أوقات » ؛ لأن « بين » إنما تضاف لمتعدد . وناقش أبو حيان بأن : « بين » قد تضاف للمصدر المتعجز ؛ كالقيام ، مع أنهم لا يحذفون المضاف إلى الجملة في مثل هذا .
(قال في الهمع : وما ذكر من أن الجملة بعد : « بينا » و « بينا » مضاف إليها هو قول الجمهور .
وقيل : « ما » و « الألف » كافتان ؛ فلا محل للجملة بعدها . وقيل « ما » كافة دون الألف بل هي مجرد إشباع .

وعلى عدم إضافتهما يكون عاملهما ما في الجملة التي تليهما كما في المعنى (١) . هـ . كلام الصبان .

(١) ومن النادر المسموع أن يتحقق لها هذا دون أن يتصل بآخرها « الألف الزائدة » ، أو : « ما الزائدة » كالوارد في كلام الحارث بن حزملة الشكري حيث يقول :

بين الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج .

الخاليج : الذي يقتلع الشيء . ويستزعه .

(٢) فطلب الإنصاف .

(٣) أسأله أن يقدره ويهيمه لك .

(٤) القبر .

.....

نحمي. حقيقتنا. وبعد. ضُ القوم يسقط بينَ بينَ
الأصل : بيننا وبين الأعداء ، أى : بين المقاتلين . فأزيلت الإضافة من
الطرفين ، وركب الاسمان تركيب خمسة عشر .
فإن أضيف صدر : « بين إلى عجزها جاز بقاء الظرفية في الصدر ، وجاز
زوالها . فن الأول قولهم : المناقُ بينَ بينَ ، بنصب الأولى على الظرفية مباشرة .
ومن الثانية قولهم : المناق بينَ بينَ . أما إذا وقعت مضافاً إليه فيتعين زوال الظرفية .

* * *

وأما : « بذل » فقد سبق الكلام عليه في ص ٢٦١ .

٧ - حيث - من الظروف المكانية الملازمة للبناء ، برغم أنها مضافة^(١) .
والأكثر أن تبني على الضم ، وتضاف للجملة^(٢) الاسمية والفعلية ، وإضافتها
للفعلية أكثر نحو : قعدت حيث الجو معتدل^٣ ، وبقيت حيث طاب المقام ؛
وقول الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه في صالح الأخلاق نفسك فاجعل
ومن القليل إضافتها للمفرد ، ومع قلته جائز ، ولكن لا داعي لترك الكثير إلى
القليل . ومثله دلالتها على الزمان^(٣) .

- (١) سيحىء الكلام عليها من ناحية إضافتها للجملة أو المفرد (في باب : الإضافة ، ج ٣ م ٩٣ ص ٧٧) وبناء الظروف مع إضافتها شائع ، كما ترى في هذا الباب .
(٢) بشرط أن تكون « حيث » غير محتومة بما الزائدة عند إضافتها إلى الجملة . وقد نص على
هذا الشرط فيها وفي « إذ » الظرفية المحضة المبرد في كتابه : « المقتضب » ج ٢ ص ٥٤ .
(٣) فقد قالوا إن الأصل فيها أن تكون للمكان ، وقد تكون للزمان ؛ كقول الشاعر :

للفتي عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

(أى : حين تهدي ...) كما قالوا : إنها لا تستعمل في الغالب إلا ظرفاً ، ونذر جرّها بالباء ، نحو :
تلاقينا بحيث صافح أحدنا الآخر . وكذلك جرّها بالحرف « إلى » ، كقول الشاعر :
« إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم » . و « في » نحو : أصبحنا في حيث التقينا . ونص
ابن مالك على أن تصرفها نادر . وقال ابن هشام في المعنى : الغالب كونها في محل نصب على الظرفية ، أو
خفض بمن . وقد تخفض بغيرها ، كقول الشاعر : إلى حيث ... إلخ . والأحسن الأخذ برأى ابن هشام ؛
لما فيه من تيسير وإن كان الجر قليلاً .

٨ - حول - . . . سبق عنه بيان مناسب^(١).

٩ - رَيْثَ - أصله : مصدر راثَ ، يرث ؛ إذا أَبْطَأ . ويجوز أن يترك المصدرية ويستعمل في معنى ظرف الزمان فيكون مبنياً على الفتح ، ومضافاً إلى جملة فعلية ؛ نحو : بقيت معك رَيْثَ حضر زميلك ، أى : قدرَ بقاء حضور زميلك . وقد تقع بعدها « ما » الزائدة أو المصدرية فاصلة بينها وبين الجملة الفعلية ، نحو : فلان يمنح المحتاج ريث ما^(٢) يسمع .

١٠ - عند - ظرف يبين أن مظهره إما حاضرٌ حسّاً ، أو ؛ : معنى ، وإما قريب حسّاً ، أو : معنى ، فالأول ، نحو : قوله تعالى : (فلما رآه مستقراً عنده . . .)^(٣) والثاني : نحو قوله : (قال الذى عنده علمٌ من الكتاب . . .) والثالث : نحو قوله تعالى : (عند سِدْرَةِ المنتهى ، عندها جنة المأوى) ، والرابع : نحو قوله تعالى : (ربِّ ابنِ لى عِنْدَكَ بيتا فى الجنة) ، وقوله : (عند مليك مقتدرٍ) .

وهى ظرف مكان مغرب ، لا يكاد يستعمل إلا منصوباً على الظرفية المكانية ، كالأمثلة السابقة ، أو مجروراً بالحرف : « من » - دون غيره من حروف الجر - مثل : (وآتيناه أهلَه ومثلهم معهم ؛ رحمةً من عندنا) وقد وردت للزمان قليلاً فى مثل : أزورك عند شروق الشمس وقولهم : الصبر عند الصدمة الأولى . ويجوز محاكاته عند قيام قرينة ، بشرط إضافة « عند » للزمان^(٤).

(١) فى رقم ١ من هامش ص ٢٦٢ وفى ص ٢٧٢

(٢) إن كانت « ما » زائدة فالأحسن فى الكتابة وصلها بالظرف : « ريث » وإن كانت مصدرية فالأحسن فصلها . وبالصورتين تصلح فى البيت الثانى من قول الشاعر :

ولولا اجتناب الدَّامِ لَمْ يُلَفَّ مشربٌ يعاش به إلّا لَدَى ، ومأكل .
ولكنَّ نفساً حرة لا تقيم فى على الضيم . إلّا ريثما أتحوّل
(٣) ومثل قول الشاعر :

إذا الشعر لم يطربك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

(٤) جاء فى المصباح المنير فى مادة : « عند » ما نصه :

وتشترك : «عند»^(١) مع «لدى» - و «لدى»^(٢) في أمور ، أهمها : الدلالة على ابتداء غاية مكانية أو زمانية^(٣) . وتخالفهما في أمور أخرى يجيء الكلام عليها مع الكلام عليهما :

= (والأصل في استعمال هذا الظرف أن يكون فيما حضرك من أى قطر « ناحية » كان من أقطارك ، أو دنا منك . وقد استعمل في غيره ؛ فتقول : عندى مال ؛ لما هو بحضرتك ، ولما غاب عنك ؛ فقد ضُمن معنى الملك والسلطان على الشيء ، ومن هنا استعمل في المعاني فيقال : عنده خير ، وما عنده شر ، لأن المعاني ليس لها جهات . . .) ٥١ .

ويقول أيضاً : («عند» ظرف مكان . ويكون ظرف زمان إذا ضيف إلى الزمان ؛ نحو : عند الصباح ، وعند طلوع الشمس ، ويدخل عليه من حروف الجر «من» لا غير ؛ تقول : جئت من عنده . وكسر العين هو اللغة الفصحى وتكلم بها أهل الفصحاة . . . وحكى الفتح والضم) ٥١ .
(١٠١) سيجيء الكلام على : (لدى) في ص ٢٩٤ و ٢٩٥) وأيضاً على (عند ، ولدى) في باب الإضافة ، ج ٣ ص ١٠١ م ٩٥ .

(:) قال صاحب المفصل - ج ٤ ص ٨٥ - ما نصه في معنى ظروف الغايات : (قيل لهذا الضرب من الظروف غايات لأن غاية كل شيء ما ينتهى به ذلك الشيء ، وهذه الظروف إذا أضيفت كانت غايتها آخر المضاف إليه ؛ لأن به يتم الكلام ، وهو نهايته . فإذا قطعت عن الإضافة وأريد معنى الإضافة صارت هى غايات ذلك الكلام ؛ فلذلك من المعنى ، قيل لها : غايات) . ٥١

وهذا يوافق ما يقوله بعض الشراح في تعريف ظروف الغايات ، ونصّه : (هى الظروف المبنية على الضم لحذف المضاف إليه ؛ فتصير غاية وظرفاً بعد حذفه) . ٥١ -
راجع حاشية المغنى للعلامة الأمير أول ج ٢ فصل الكلام على «ما» .

وتوضيحاً لما سلف نسوق بعض الأمثلة التى تجل المراد ، منبهين إلى أن الغاية لها معان أخرى تختلف باختلاف الموضوعات والمناسبات - (منها : ما سيجيء في رقم ٤ من هامش ص ٥٩٤ ورقم ٢ من هامش ص ٤٦٨) (ومنها ما سيجيء كاملاً في ص ١٠١ و ١٢١ م ٩٥ من الجزء الثالث وفيه الأمثلة التى نسوقها لمناسبة دعت إليها هناك) : .

(١) في مثل : سافرت من لدن بيتنا إلى الضاحية - تشتمل هذه الجملة على الفعل : «سافر» ، والسفر يقتضى الانتقال من مكان إلى آخر . فلا بد لتحقيقه من نقطة معينة يبتدى منها ، وأخرى ينتهى إليها . أى : لا بد له من مكان ابتداء ، ومكان انتهاء ، محددين ، مضبوطين ؛ كاللذين هنا ، وهما : البيت والضاحية . وبين فقطى الابتداء والانتهاء مسافة محصورة بينهما ، لا محالة . ويطلق على مجموع الثلاثة اسم اصطلاحى ، هو : « الغاية المكانية » أى : « المسافة المكانية » أو : المقدار المكانى ، وهى تشمل كما نرى مكاناً محدوداً ، محصوراً ، له بداية ونهاية معينتان ، ومسافة تصل هذه بتلك . وقد دخل =

.

١١ ، ١٢ - عوض - قط - سبق الكلام عليهما في ص ١١٦ و ٢٦١

= لفظ «لدى» على كلمة هي بداية الغاية ؛ فدخله على هذه الكلمة - وعلى نظائرها - يرشد إلى أنها أول جزء من أجزاء الغاية المكانية ، أو أنها نقطة البداية .

ولو قلت : سافرت من لدى الصبح إلى العصر ، لدلّ الفعل : «سافر» على أنه استغرق زمناً محدداً معيناً ، له بداية زمنية معروفة ، ونهاية زمنية معروفة كذلك ؛ فله نقطتان ابتداء وانتهاء ، زمينتان ، مضبوطتان ، ويختصر بينهما مقدار زمني يصلهما . ويتكون من مجموع الثلاثة (أى : من نقطة البداية ، ونقطة النهاية ، وما بينهما) ما يسمى في الاصطلاح : « الغاية الزمانية » بمعنى : « المقدار الزماني » ودخول لفظ « لدى » على الكلمة التي بعده يرشد إلى أن هذه الكلمة نفسها هي نقطة البداية ، أى أول : جزء من أجزاء الغاية الزمانية .

ويفهم مما سبق أن « لدى » ، و « عند » اسمان يدلان على ما يهدما من بدء الغاية ... فسمى كل منهما « نقطة البداية » نفسها ، وليس الابتداء الذي هو أمر معنوي . ولهذا كانا اسمين - عند النحاة - دون « من » ، و « ومنذ » الحرفين اللذين معناهما الابتداء المعنوي . فإضافة « لدى » ، و « عند » إنما هي من إضافة الاسم إلى مسماه .

(هذا وقد أطلنا الكلام - في ج ١ ص ٥٦ م ٦ - عن سبب تفريقهم بين كلمة : « ابتداء » واعتبارها اسماً ، وكلمة : « من » الحارة المفيدة للابتداء ، واعتبارها حرفاً) .

لكن قد يخطر على البال السؤال الآتي : إذا كان لفظ « لدى » للدلالة على بداية الغاية فالداعي لحذف الحرف « من » قبله ، ومعناه الابتداء أيضاً ؟

أجاب النحاة عن هذا إجابة غير مقنعة ؛ فقالوا : إن دلالة « لدى » على بداية الغاية ليست مألوفة في الأسماء ؛ فجاء الحرف « من » ليكون بمنزلة الدال على ذلك ، ولهذا يكون في الأعم الأغلب موجوداً . (راجع حاشية ياسين على شرح التصريح في هذا الموضع) .

والسبب الحق هو استعمال العرب القدامى لهما مجتمعين ، دون تحليل آخر .
 (ب) ما سبق يقال في الظرف : « عند » ؛ فلو وضعناه مكان « لدى » في الأمثلة السالفة - وأشباهاها - لم يتغير الأمر ؛ ففي مثل : قرأت الكتاب من عند المقدمة إلى الخاتمة ، نجد الفعل : « قرأ » لا يتحقق كاملاً إلا بنقطة مكانية معينة تبتدئ منها القراءة ؛ هي : « المقدمة » ، ونقطة أخرى محددة تنتهي إليها ؛ هي : « الخاتمة » ، وبين النقطتين المكانيتين مسافة مكانية تصل بينهما هي المسافة الأخرى المكتوبة ، ومن اجتماع الثلاثة : (أى من نقطة البداية المكانية ، ونقطة النهاية المكانية ، وما بينهما) يتكون ما يسمونه : « الغاية المكانية » التي يحى الظرف « عند » ليدل على أن المضاف إليه هو نقطة البداية فيها : وإذا قلت : قرأت الكتاب من عند العصر إلى المغرب نشأت : « الغاية الزمانية » التي تتكون من اجتماع تلك الثلاثة ، والتي يدخل الظرف « عند » على أول جزء منها ؛ فيكون وجوده دليلاً على أن ما بعده (وهو المضاف إليه) نقطة البداية الزمانية . . .

ما تقدم يتضح الفرق بين «غاية» ، ومبدأ الغاية الذي يدل عليه «لدى» أو «عند» ؛ فالغاية =

١٣ - كُلمًا - ظرف مركب من كلمتين هما : « كل » و « ما » . وهو بهذا التركيب اللفظي يفيد تكرار المعنى ؛ نحو : كلما رأى الناس المصلح أكبروه . ويقول النحاة : إن كلمة « كل » فيه منصوبة باتفاق ، وأنها مضافة إلى كلمة « ما » المصدرية ، أو التي تعتبر نكرة بمعنى : « شيء » ، وهذا الشيء « وقت » فكلمة : « ما » هنا محتملة لوجهين ؛

أحدهما : أن تكون حرفا مصدريا والجملة بعد هذا الحرف المصدرى صلة له ؛ لا محل لها من الإعراب . والأصل : كل رؤية الناس ... ، ثم عبرنا عن معنى المصدر بكلمتي : « ما والفعل » ثم أنبأنا عن الزمان ، أى : كل وقت رؤية ... كما أنيب عنه المصدر الصريح في مثل : جئتك خفوق النجم .

والآخر : أن تكون « ما » اسماً نكرة بمعنى : « وقت » فلا تحتاج على هذا إلى تقدير : « وقت » والجملة بعده في محل جر صفة ؛ فتحتاج إلى تقدير ضمير عائدها ، أى : كل وقت رأى الناس فيه ...

وقد سبق أن هذا الظرف مركب من كلمتين ، وأن كلمة : « كل » منصوبة حتمًا . وبقي أنه يحتاج إلى جملتين ماضيتين بعده ، والثانية منهما بمنزلة الجواب له - مع أنه ليس أداة شرط - والماضى فيها هو عامل نصبه ويجب تأخيرها . (راجع المعنى والجمع) .

١٤ - لدن - يكون ظرفًا دالا على مبدأ الغايات ، (أى : أنه لا ابتداء غاية زمان أو مكان بالمعنى الذى سبق ^(١) شرحه فى « عند ») ، ويلازم البناء ، وبناءه

= تشمل الأجزاء الثلاثة ، أما مبدأ الغاية فهو الجزء الأول منها ، دون الجزأين الآخرين . وكذلك يتضح المراد من قولهم : (إن معنى : « لدن » ، و « عند » هو الدلالة على مبدأ الغايات الزمانية أو المكانية) . وأنه يصح وضع أحدهما مكان الآخر ؛ فيقال : جئت من عند الصديق ، أو : من لدن الصديق . وفى القرآن الكريم : (آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً) ؛ فلو وضع أحد الظرفين مكان الآخر لحاز ، ولم يمنع منه مانع إلا كره التكرار اللفظي بغير داع بلاغى .

(ج) إذا دخل « لدن » ، أو « عند » على بداية الغاية فليس من اللازم أن يذكر معها اللفظ الدال على النهاية ، إذ يكفي أن يشتمل الكلام على البداية وحدها ما دام المقام يكتفى به .

(د) ليس الأمر فى كل ما سبق مقصوراً على الأفعال التى تعمل فى الظرف ، وتحتاج فى تحقيق معناها إلى غاية زمانية أو مكانية ، وإنما الأمر يشمل كل عامل آخر لا يتحقق معناه كاملاً إلا بذكر الغاية ؛ يتساوى فى هذا أن يكون العامل فعلاً ، أو شبه فعل ، أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو غير ذلك مما يعمل ... (١) فى رقم ٢ من هامش ص ٢٩٢ .

على السكون مو الأغلب ، مثل : تذكر فضل والديك لدن أنت صغير .
والكثير في استعماله أن يكون مسبوقاً « بمن الجارة »^(١) مثل : هذا فضل من
لدن الله الكريم . ومثل : بقيت هنا من لدن الظهر إلى الغروب . وأن يكون
مضافاً لمفرد كهذين المثالين^(٢) ، أو مضافاً للجملة ؛ نحو : فلان مولع بالعلم
لدن شَبَّ إلى أن شاب — أو ؛ مولع بالعلم لدن هو يافع . وقد يستغنى عن
الإضافة في حالة ستجىء .

ويكون بمعنى : « عند » كثيراً . ولكن يخالفها في أمور ؛ منها :
أن « لدن » ظرف ملازم للإضافة للمفرد ، أو للجملة ، ويجوز استغناؤه عن
الإضافة إذا وقعت بعده كلمة : « غُدوة » ؛ منصوبة^(٣) مثل قضيت الوقت لدن
غدوة حتى غروب الشمس . أما « عند » فيصح أن تترك الإضافة . وتصير اسماً
مجرداً ؛ كأن يقول شخص : عندي مال ؛ فيجواب : وهل لك عند ؟ « فعند »
هنا مبتدأ . أو يقال : الكتاب عندي . فيجواب : أين عندك :

ومنها : أنه لا يكون إلا فضلة ولو ترك الظرفية ؛ ففي مثل السفر من عند البيت
لا يصح : السفر من لدن البيت . فكلمة : « عند » مجرورة ، والجار والمجرور
خبر ، والخبر عمدة . وقد اشتركت « عند » في تكوينه ؛ فهي عمدة بسبب
اشتراكها ، ولهذا لا يصح : « السفر من لدن البيت » لكيلا تشترك : « لدن » في
تكوين العمدة ، وهي لا تكون إلا فضلة خالصة دائماً .

١٥ — لدن — ظرف معرب ملازم للنصب على الظرفية . ومعناه : « عند »
ويخالفها في أمور :

منها : أن « لدن » لا تُجر أصلاً ، أما « عند » فتجر بالحرف « من » .

(١) وفي حالة جرّه لا يكون ظرفاً . وكذلك كل حالة أخرى لا يكون فيها منصوباً على الظرفية .
(٢) ومثل قوله تعالى : (ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة) ؛
إنك أنت الوهاب .

(٣) على اعتبار : « غدوة » تمييزاً ، أو : اعتبارها خبراً لكان المحذوفة ، والتقدير : لدن
كانت الساعة غدوة ، ويجوز في « غدوة » الرفع عند الكوفيين ، على اعتبارها فاعلاً لكان التامة المحذوفة ،
والتقدير : لدن كانت غدوة ، أى : ظهرت ووجدت غدوة ، ويجوز في « غدوة » الجر بالإضافة ؛
وهو القياس .

.

ومنها: أن « عند » تكون ظرفاً للأعيان (أى : للأشياء المحسمة) وللمعاني ،
 أما « لدى » فلا تكون إلا للأعيان في الصحيح ؛ تقول : هذا الرأي عندى صائب ،
 ولا تقول : لدى .

ومنها : أنك تقول : عندى مال ، وإن كان غائباً ، ولا تقول : لدى مال ،
 إلا إذا كان حاضراً .

هذا ، وبإضافة «لدى» للضمير تنقلب ألفها ياء ، نحو : لديك — لديه ... (١)
 أما حين إضافتها للاسم الظاهر فلا تنقلب .

١٦ — لَمَّا^(٢) تكون ظرف زمان^(٣) ، بمعنى : حين . فتفيد وجود شيء لوجود
 آخر . والثاني منهما مترتب على الأول ؛ فهو بمنزلة الجواب المعلق وقوعه على
 وقوع شيء آخر . نحو : لما جرى الماء شرب الزرع . ولهذا لا بد لها من
 جملتين ، بعدها ، تضاف وجوباً إلى الأولى منهما — ؛ لأنها من الأسماء
 الواجبة الإضافة للجملة — وتكون ثانيتهما متوقفة التحقق على الأولى . وعامل النصب
 في : « لَمَّا » هو الفعل أو ما يشبهه في الجملة الثانية .

والأغلب الأكثر شيوعاً في الجملتين — ولا سيما^(٤) الثانية — أن تكونا معاً

(١) ويراعى في الإعراب ما سبق تفصيله في ج ١ م ١٦ ص ١٧٨ . (آخر الكلام على الاسم
 المعتل الآخر) .

(٢) «لما» أنواع متعددة ، منها : «لما ، الظرفية» ، والكلام عليها هنا ، (ولها إشارة في
 ج ٣ ص ٩٢ م ٩٤ ، من باب : «الإضافة») .
 ومنها : التي بمعنى «إلا» الاستثنائية (وستجىء في «د» من ص ٣٦١) ومنها : «لما» الجازمة
 (وستجىء في ج ٤ م ١٥٣ ص ٣٨٨) .

(٣) على المشهور ؛ (لأن بعض النحاة يمتزجها حرفاً بمعنى : حين)
 وتسمى : «لما الحينية» ويسمونها بمض النحاة : «لما الوجودية» ، لأنها الرابطة لوجود شيء
 بوجود غيره ؛ أو : «لما التوقيفية» ، لأنها بمعنى وقت .

(٤) قال الأشموني في الجزء الثالث ، أول باب : «إعراب الفعل» عند الكلام على أنواع : «أن»
 ومنها الزائدة ، ما نصه : (الزائدة هي التالية «لما» ؛ نحو قوله تعالى : «فلما أن جاء للبشير» ...)
 كلام الأشموني . وهنا قال الصبان : (قوله : «نحو : فلما أن جاء البشير» ... وتقول : «أكرمك لما» =

.

ماضيتين لفظاً ومعنى ؛ نحو : قوله تعالى : (فلما نجاًكم إلى البرّ أعرضتُمْ) .
أو معنى فقط ^(١) كقول المعري يصف خيلاً سريعة :

ولمّا لم يسابقهن شيء من الحيوان سابقن الظلالا
وقول المتنبي :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهنتي لم تزدني بها علما
وقد ورد في القرآن الكريم وقوع الحملة الثانية مضارعية في قوله تعالى : (فلما
ذهب عن إبراهيم الرّوعُ وجاءته البشّرى — يُجَادِلُنَا . . .) كما ورد فيه
وقوعها جملة اسمية مقترنة بالفاء ، أو إذا ، حيث يقول : (فلما نَجَّاهُمْ إلى البر

= أن يقومُ زيد ، يرفع المضارع . فارضى) . ا هـ . كلام الصبان نقلاً عن الفارضى .
وهذا النص صريح في أنها قد تدخل على المضارع قياساً إذا كان مسبوقاً بأن الزائدة . والعجيب أن
الصبان يأتي به هنا جلياً واضحاً ، ليكمل ما فات الأشموني ثم يشي هذا في الجزء الرابع — أول باب الجواز —
عند الكلام على : « لما » الحازمة حيث يصرح « الأشموني » بأنه استغنى — كبعض من سبقوه — بقوله :
« لما » أخت « لم » عن أن يقول : « لما » الحازمة ، وأنه احتز بكلمة : « أختها » من « لما » الحينية ،
ومن « لما » الاستثنائية ؛ لأن هاتين لا يلهمهما المضارع ، فيقول « الصبان » تعليقاً على هذا ، وتأييداً له
ما نصه : « أى : كلامه فيما يليه المضارع ، فلا حاجة إلى الاحتراز منهما » . ا هـ . فهو يكتفى بهذا
ساكناً عما قيل من أن المضارع لا يجرى بعد « لما » الحينية ، و « لما » الاستثنائية . وكما نسي هذا في
« باب الجواز » نسيه أيضاً في باب « جمع التكسير » — ج ٤ — عند الكلام على صيغة : « فُعلول »
وأطرادها ، حيث قال الأشموني عنها في ذلك الباب (ظاهر كلام المصنف هنا موافقة التسهيل فإنه لا
يذكر في هذا النظم غالباً إلا المطرود ، ولما يذكر غيره يشير إلى عدم اطراده غالباً بقده ، أو نحو : قل ،
أو ندر . . .) ا هـ وهنا قال الصبان ما نصه :

(قوله : ولما يذكر غيره . . . إلخ) تركيب فاسد لأن « لما » الحينية لا تدخل إلا على ماضٍ . . . ا هـ
كلام الصبان .

فما المراد — في كل ماسبق — من أن المضارع لا يجرى بعد « لما » ؟ أيكون المراد أنه لا يجرى بعدها مباشرة
بغير فاصل بينهما ؟ لا دليل يوضح المراد .
فبأى الرأيين نأخذ ؟

بالأول ؛ لأنه نص صريح ، فيه تيسير . ولكن حظه من القوة والسمو البلاغى أقل كثيراً من الآخر
الذى منعه أكثر النحاة — حتى الصبان في بعض تصريحاته —

(وستأتى إشارة أخرى للظرف « لما » في ج ٤ ص ٣١٤ م ٥٣ . ونص للكلام السالف في ج ٤ ،
في النواصب م ١٤٨ ص ١٢٢) . ومن الخير ترك الأول الضعيف .

(١) بأن يكون الفعل مضارعاً مجزوماً بالحرف « لم » الذى يخلصه للماضى .

فمنهم مقتصد . . . (٣) ، ويقول : (فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يشركون) (١) . وقد تأول النحاة هذه الآيات ؛ بتقدير حذف الجواب أو بغير هذا . ولا داعي للتأول في القرآن بغير حاجة شديدة ، وإذا كنا نقبل التأول في القرآن فلم لا نقبله في كلام من يحاكي القرآن ؟ نعم نقبل محاكاته ، وتدع التأول لمن يتخذ شرطاً للقبول ؛ فالنتيجة الأخرى واحدة ، هي صحة الاستعمال ، وصحة تأليف الأسلوب على نسق القرآن . وقد جاء في كتاب : « مجمع البيان لعلوم القرآن » للطبرسي - ج ٣ ص ١٥٥ - في إعرابه قوله تعالى : (فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله . . .) ما نصّه : (إذا ، بمنزلة « الفاء » في تعليقه الحملة بالشرط) (٢) ، يريد : ربط جملة جواب « لما » بشرطها . وهذا يؤيد ما قلناه . وقد رأيت الجواب ماضياً مقترناً بالفاء أو أنه محذوف إن أخذنا بالرأى السالف في خطبة عائشة رضي الله عنها تدافع عن أبيها ، وتذكر مناقبه بعد موته وهي الخطبة الرائعة التي نقلها وشرحها العلامة اللغوي محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) ، وقد جاء فيها قولها : (. . . أبي ، والله لا تعطوه (٤) الأيدي ، ذاك طود منيف (٣) ، وظل مديد . . . فقي قريش ناشئاً ، وكهفها كهلاً . . . فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم اضطرب جبل الدين ، ومرج (٤) عهده ، وماج أهله . . . وأنتي والصديق بين أظهرهم ؛ فقام حاسراً مشمراً . . . فلما انتاش (٥) الدين ، فنعشه ، وأراح الحق على أهله ، وقرّر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهبها . فلما حضرته منيته فسدت ثلثته بنظيره في المعدلة ، وشقيقه في السيرة والمرحمة ؛ ذاك ابن الخطاب . . .) « في المنقول هنا من الخطبة وقوع جواب « لما » ماضياً مقرونًا بالفاء في موضعين هما : (فنعشه) و (فسدت) . . . إلا على الرأى القائل إنه محذوف .

والخطبة كاملة مشروحة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - عدد تموز (يوليو) سنة ١٩٦٢ م المحرم سنة ١٣٨٢ هـ ص ٤١٤ . هذا « ولا مانع أن يتقدم جواب لما » عليها كما ورد في بعض المراجع اللغوية (٦) .

(١) وكذلك قوله تعالى في قوم موسى عليه السلام : « فلما جامهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون » .
(٢) لا تعطوه . لا تصل إليه (٣) مرتفع . (٤) اضطرب . (٥) انتشل وانتزع .
(٦) فقد جاء في : « تاج العروس ، شرح القاموس » عند الكلام عليها ما نصه : =

١٧ - مُذْ وَمُنْذُ^(١) - قد يكونان ظرفين للزمان^(٢) متصرفين ، مبنيين ، وقد

= « (قد يتقدم الجواب عليها فيقال : استعد القوم للقاء العدو لما أحسوا بهم . أى : حين أحسوا بهم) » ١ هـ ومن هذا قول حافظ إبراهيم في قصيدته العُمرية :

أَمَنْتَ لَمَّا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا
والتقدير : لما أقمت العدل بينهم أمنت . . . وكذلك قول ذى الرمة :

تعرفته لما وقفت بربيعه كَمَاَنْ بِقَايَاهُ تَمَائِيلُ أَعْجَمَا
أى : لما وقفت بربيعه تعرفته . . .

لكن إذا تقدم جوابها عليها أَيْضَلْ مُحْتَفِظًا بِاسْمِهِ وَبِعَمَلِهِ ، فيسمى جوابها ، ويعمل فيها النصب ، مع مخالفة هذا للحكم العام الذى يمنع تقدم الجواب على كل أداة من أدوات التعليق . . . ، أم هى مستثناة من هذا الحكم العام ؟

المفهوم من كلام « تاج العروس » هو احتفاظ جوابها باسمه وبعمله بالرغم من تقدمه عليها مع أنها أداة تعليق . غير أن المفهوم من كلام للصبيان فى مسألة أخرى كهذه يخالف ما هنا ؛ فقال فى « لما » التى تقدم عليها عاملها إنها ظرف بمعنى « حين » متعلقة بالعامل الملفوظ المتقدم عليها ، ثم قال ما نصه :
(وأظاهر أنها على هذا القول خالية من معنى الشرط) . ١ هـ - راجع الصبيان ج ٢ باب الإضافة عند بيت ابن مالك :

وَأَلْزَمُوا « إِذَا » إِضَافَةً إِلَى جَمَلِ الْأَفْعَالِ إلخ

وهو يريد بخلوها من معنى الشرط أنها ظرف محض لا يفيد تعليقاً ؛ فلا يصح تسمية عامله جواباً إذا تقدم عليه ، وعلى هذا لا يكون فى الكلام أداة شرط .

سواء أبقيت « لما » مفيدة للتعليق مع تقدم الجواب أم غير مفيدة ، وسواء أكان هذا الرأى هو الأوضح أم ذاك ، فالخلاف لفظى شكلى ؛ لا يعنيننا منه إلا أن الاستعمال صحيح على الرايين ، وأن الأسلوب خال من العيب اللفظى والمعنوى .

(١) سبق الكلام عليهما فى ج ١ ص ٢٦٦ م ٣٧ و ص ٣٧٠ م ٣٨ . وسيجيء فى حروف الجر ص ٥١٨ م ٩٠٠ مناسبة أخرى لها . والكلام عليهما متشعب التواحي ، متعدد الأحكام . ولقد خصهما ببحث وافٍ مستقل أحد أعضاء مجمع اللغة العربية القاهرى ، ودون بحثه المستفيض بمجلة المجمع (ج ٣ ص ٢٥٤) واستطاع أن يعرض فيه كل ما يختص بهما عرضاً مفيداً كاملاً . (وقد أنبئناه آخر الكتاب ص ٥٤٤) .

(٢) معناهما : زمن ، أو : أمد .

ومن الظروف الزمانية : « متى » وهو اسم استفهام عن الزمان وقد سبق الكلام على حكمه فى رقم ٢ من هامش ص ٢٦٣ .

.....
.....

يكونان اسمين مجردين من الظرفية ، وقد يكونان حرفي جر .
فيصلحان للظرفية إذا وقع بعدهما جملة اسمية ، أو فعلية ماضوية ؛ فيعربان
ظرفين مبنيين في محل نصب ، مع إضافة كل منهما إلى الجملة التي بعده . وعامل
النصب فيهما لا بد أن يكون فعلاً ماضياً ؛ وكذلك الفعل في الجملة الفعلية التي
يضافان إليها لا بد أن يكون ماضياً . نحو : جئت مذ أو منذ الوالد حاضر -
جئت مذ أو منذ حضر الوالد .

ويتجردان للاسمية الخاصة^(١) إذا لم تقع بعدهما جملة ، ووقع بعدهما اسم
مرفوع^(٢) نحو : غادرت البلد مذ ، أو : منذ يومان . « فمذ » أو « منذ » مبتدأ
و « يومان » خبره . أو العكس^(٣) . ولا بد من تقدمهما في الحالتين (أى : عند
إعرابهما مبتدأ وخيراً) . والمعنى : غادرت البلد ، أمد المغادرة يومان .
ويكونان حرفي جر إذا وقع الاسم بعدهما مجروراً .

١٨ - مع - ظرف لا يتصرف . وهو معرب منصوب على الظرفية - في الرأي
الشائع - ويدل على زمان اجتماع اثنين - غالباً - أو مكانهما^(٤) . وإضافته هي
الكثيرة . فإن انقطع عن الإضافة نوّن ، وصار حالا . وقد يصير خبراً (طبقاً
لما سيجيء^(٥)) من كلام وتفصيل هام عليه - وعلى ظروف تقدمت - في المكان
المناسب من باب : « الإضافة » .

* * *

بناء أسماء الزمان المبهمة ، وشبيهتها الأسماء الأخرى المبهمة التي ليست بزمان .
تُبنى على الفتح أسماء الزمان المبهمة كلها^(٦) ، ظرفاً وغير ظروف ، جوازاً
- لا وجوباً - في حالتين :

- (١) أى : بغير ظرفية .
- (٢) فإن كان مجروراً فيها حرفا جر ، كما سيجيء هنا . أما التفصيل ففي ص ٢٩٩ م ٩٠ ،
مبحث حرف الجر ، وفي البحث المستقل الخاص بهما ص ٥٤٤ .
- (٣) فيكون « مذ ومنذ » ظرفين متعلقين بمحذوف هو الخبر . (انظر رقم ٣ من هامش ص ٥٢٠) .
- (٤) كالذي في قول الشاعر :

من جاور الشرّ لا يأمنُ بوائفه كيف الحياة مع الحيات في سَفَطِ

- (٥) ج ٣ ص ١٢٦ م ٩٥ . (٦) سبقت الإشارة إليها في ص ٢٥٢ وما بعدها ،
ويجىء تفصيل الكلام على أحكامها في ج ٣ باب الإضافة ص ٢١ و ٥٤ و ٧٠ و ٧٣ .

.
.

الأولى إذا أضيفت إلى الجمل جوازاً لا وجوباً^(١). والمراد بالمبهمة هنا :
النكرة التي تدل على الزمان دلالة غير محدودة بمبدأ ولا نهاية ، مثل : حين -
زمان - وقت ، أو تدل على وجه من الزمان دون وجه ، مثل : نهار - صباح -
عشية - غداة . بخلاف أسماء الزمان المختصة بتعريف أو غيره - مما سبق بيانه
في رقم ٢ من هامش ص ٢٥٢ - ، فإن المختصة لا تضاف إلى الجمل ، ومثلها :
الزمان المحدود ، كأمس ، وغد ، والمعدودة كيومين - ليلتين - أسبوع - شهر -
سنة ؛ فكل هذه الأزمنة^(٢) لا يضاف منها شيء للجمل .

فإذا أضيفت تلك الأسماء الزمانية المبهمة إلى الجمل فإنها تبني جوازاً - كما
أسلفنا - ويكون بناؤها على الفتح^(٣). ويجوز فيها الإعراب ؛ ولكن البناء على الفتح
أفضل إذا أضيفت بجملة فعلية ، فعلها مبني - ولو كان مضارعاً مبنياً - ، مثل :
عاد المسرف فقيراً كيوم جاء إلى الدنيا ، ومثل : أشرف أيام الأمهات حين
يحرصن على تربية أولادهن^(٤) . . . والإعراب أفضل إذا أضيفت بجملة مضارعية
مضارعها معرب ، أو بجملة اسمية^(٥) ؛ مثل قوله تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم^(٦)) . . . ومثل : أن تسمع من يقول : « الشجاعة مطلوبة » فتقول :
هذا يوم الشجاعة مطلوبة .

(١) لأن الإضافة الواجبة إلى الجمل تحتم البناء - كما سيجيء في ج ٣ ص ٦٣ ، ٦٥ و ٦٧ م ٩٤ - وإذا أضيفت أسماء الزمان إلى جملة وجب أن تكون جملة خبرية ، ولا تصلح الجملة الشرطية
المقتربة « إن » أو بغيرها من أدوات التعليق ، ولا الجملة الإنشائية على اختلاف أنواعها . . . إلى
غير هذا من بقية الشروط التي ستذكر في الموضع السالف .

(٢) سبق الكلام عليها أيضاً في ص ٢٥٢ م ٧٨ .

(٣) راجع الخصرى - وغيره - في باب : « الإضافة » حيث عقد « تنبيهها » مستقلاً للنص على البناء على
الفتح فقط .

(٤) ومن أمثلة المضاف لجملة ما ضوية قول الشاعر :

إن شر الناس من يبسم لى حين ألقاه ، وإن غبت شتم

فالأحسن في الإعراب أن تكون « حين » هنا مبنية على الفتح .

(٥) سواء أكانت الجملة الاسمية مصدرية بما الحجازية ، أو : « لا » أختها ، أو : « لا » العاملة
عمل : « إن » - أم غير مصبورة .

(٦) ومثل قول الشاعر :

.
.

الثانية : إذا أضيفت لمبنى مفرد (أى : غير جملة) ، نحو : يومئذ - حينئذ ...
والحقّ النحاة بأسماء الزمان المبهمة ، ما ليس زماناً من كل اسم معرب ناقص
الدلالة بسبب توغله ^(١) في الإبهام ؛ مثل : غير - دون - بين - مثل . . . ونحوها
مما يسمونه : « المتوغل في الإبهام » ^(٢) ، ومن الأمثلة : (ما قام أحدٌ غيرك) -
والآيات الكريمة : (إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ، في قراءة من قرأ : مثل -
بفتح اللام - (ومنا دون ذلك) - (لقد تقطع بينكم) . . .) بالبناء على الفتح

ولا خير فيمن لا يُوطّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

فالأحسن في الإعراب أن تكون « حين » هنا معربة (منصوبة مباشرة) وليست بهنية على الفتح) .
(١) أى : تعمقه وتغلغله في داخله .

(٢) المراد به : اللفظ الذى لا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه . وتستجىء إشارة له (في الجزء الثالث
باب : الإضافة ص ٢١ وص ٩٣م ٤٥) ومنها نعلم : أن اللفظ المتوغل في الإبهام قد يكتسب البناء من
المضاف إليه - مع إيضاح هذا مفصلاً - وأنه في أكثر أحواله لا يقع نعتاً ، ولا منوعاً ، إلا « غير ،
وسوى » ، فيصلحان للنعت . ومن ألفاظه : قبل وبعد كما سيجىء في باب النعت
ص ٣٤٦ م ١١٤ من الجزء الثالث -

وأنه في أكثر أحواله لا يستفيد التعريف من المضاف إليه المعرفة إلا بأمر خارج عن الإضافة ؛
كوقوع كلمة : « غير » بين ضدّين معرفتين - (كما نص على هذا « العكبرى » في صدر كتابه المسمى :
« إملأ ما من به الرحمن . . . » أول سورة البقرة -) في مثل : رأيت : العلم غير الجهل ، وعرفت
العالم غير الجاهل ، وكقوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) فوقوع كلمة :
« غير » بين ضدّين معرفتين أزال إبهامها ؛ لأن جهة المغايرة تتعين . بخلاف خلوها من ذلك في مثل :
أبصرت رجلاً غيرك . وكذلك الشأن في كلمة : « مثل » إذا أضيفت إلى معرفة بغير وجود قرينة
تشعر بمائلة خاصة ، فإن الإضافة لا تعرفها ، ولا تزيل إبهامها . أما إن أضيفت لمعرفة وقارئها
ما يشعر بمائلة خاصة فإنها تعرف ؛ نحو : راقني هذا الخط ، سأكتب مثله ؛ وهذا معنى قولهم ؛ إذا
أريد بكلمة : « غير » و « مثل » مغايرة خاصة ومائلة خاصة حكمٌم بتعريفهما . وأكثر ما يكون
ذلك في « غير » إذا وقعت بين متضادين ؛ أما قوله تعالى : (أرجعنا لنعمل صالحاً غير الذى كنّا نعمل)
حيث وقعت كلمة : « غير » المضافة للمعرفة صفة للنكرة فالحقيقة أنها لا تعرب هنا صفة ولكن تعرب
بدلاً ؛ لعدم مطابقتها .

(ثم انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٤٦ ففيه تكملة للموضوع مفيدة) أما تفصيله على وجه مناسب
ففي ج ٣ باب الإضافة م ٩٣ ص ٢٥ عند الكلام على الحكم السادس من أحكام الإضافة .

جوازاً في هذه الأمثلة ، وأشباهاها . فالإضافة تُجوز البناء على الفتح - وحده - في الأنواع الثلاثة السالفة .

وذهب ابن مالك إلى أنه لا يبنى مضاف بسبب إضافته إلى مبنى أصلاً ، لا ظرفاً ولا غيره ؛ وأن الفتحة في الأمثلة السابقة حركة إعراب لا بناء ؛ إما على الحالية ، أو على المصدرية ، أو . . . أو (١) . . .

وهذا الرأي قد يكون أنسب للأخذ به اليوم والاقتصار عليه ، بالرغم من صحة الأول وقوته ، وشيوعه قديماً - ، منعاً للاضطراب ، وتحديد الغرض .

(١) راجع في كل ما سبق المصع (ج ١ ص ٢١٨) والأشمونى والصبان أول باب : «الإضافة» ؛ عند الكلام على الإضافة غير المحضة ؛ وبیت ابن مالك :

وذى الإضافة اسمها لفظية

بق أن نذكر ما قرره النحاة بشأن تلك الألفاظ إذا لم تستفد التعريف من المضاف إليه . فسيبويه والمبرد يقولان : إن الإضافة غير محضة : فائدتها التخفيف ، وما يتبعه من مزايا تلك الإضافة .
وغيرهما يقول : إنها محضة ومعنوية تفيد «التخصيص» ، وإن كانت لا تفيد «التعيين» - كما سيحىء في باب الإضافة ، ج ٣ - .

المسألة ٨٠ :

المفعول معه^(١)

(١) إذا سأل مسترشد : أين دار الآثار القديمة ؟ فقد يكون الجواب :
تسير مع طريقك هذا ؛ فينتهى بك إليها .
ليس المراد أنه يسير ، والطريق يسير معه حقيقة ، وإلا كان المعنى فاسداً ،
لأن الطريق لا يمشى ، وإنما المراد أن يباشر السير في هذا الطريق ، ويقرن المشى
به حتى يصل .

ولو كان الجواب : تسير وطريقك هذا . . . لكان التعبير سليماً ، والمراد
واحدًا في الجوابين .

فإن كان السؤال : أين محطة^(٢) القُطُر ؟ فالجواب قد يكون : تمشى مع
الأبنية التى أمامك ؛ فتنتهى بك إلى ميدان فسيح ، فيه المحطة^(٢) . ليس المراد أن
يمشى ، وتمشى معه الأبنية فعلاً : وإلا فسد المعنى ؛ إذ الأبنية لا تمشى . وإنما
المراد أن يلتزم المشى الذى يقارنها ويلابسها حتى يصل إلى غايته .

ولو كان الجواب تمشى والأبنية التى أمامك . . . لصحّ الأسلوب ، وما تغير المراد .
(ب) وإذا قلنا : أكل الوالد مع الأبناء . . . فإن الجملة تفيد أن الأبناء
شاركوا والدهم — فعلاً فى الأكل حين كان يأكل ؛ بسبب وجود كلمة تفيد المشاركة
الحقيقية فى معنى الفعل ، وهى كلمة : « مع » ولا يفسد المعنى بهذا الاشتراك الحقيقى .
وكذلك لو قلنا أكل الوالد والأبناء ؛ فإن المعنى يبقى على حاله ، ولا فساد فى
التركيب .

ومثل هذا : جلس الأب مع الأسرة ، فإن هذه الجملة تفيد اشتراك الأسرة
فى الجلوس اشتراكاً واقعياً فى زمن واحد ؛ بسبب وجود كلمة تفيد هذا ؛ وهى :
« مع » ، ولا شىء يحول دون هذا المعنى ، أو يؤدى إلى فساد الصياغة لو قلنا : جلس
الأب والأسرة .

(١) أى : المفعول الذى وقع معه فعل الفاعل .

(٢ و ٢) كلمة : « محطة » عربية صحيحة .

نعود إلى الجُمْل التي فيها : « الواو » بدلا من كلمة : « مع » وهي :
 تسير وطريقك - تمشي والأبنية - أكل الوالد والأبناء - جلس الأب
 والأسرة - . . . فنلاحظ أن كل كلمة وقعت بعد الواو مباشرة هي : اسم ، مسبوق
 بواو بمعنى : « مع » ، وهذه الواو تدل على أن ما بعدها قد لازم اسمًا قبلها ، وصاحبه
 زمن وقوع الحدث^(١) ، وقد يشاركه ، في الحدث - كالمثالين الأخيرين في « ب » -
 أولا يشاركه ؛ كالمثالين الأولين . وهذا الاسم الذي بعدها هو ما يسمى : « المفعول
 معه » . ويقولون في تعريفه :

إنه : اسم مفرد^(٢) ، فضلة ، قبله واو بمعنى : « مع » ، مسبوقة بجمله فيها فعل
 أو ما يشبهه في العمل - ، وتلك الواو تدل نصًّا^(٣) على اقتران الاسم الذي بعدها باسم
 آخر قبلها^(٤) في زمن حصول الحدث ، مع مشاركة الثاني للأول في الحدث ، أو عدم
 مشاركته^(٥) .

(١) معنى الفعل ، أو ما يشبهه .

(٢) المراد بالمفرد هنا : ما ليس جملة ، ولا شبهها .

(٣) إن لم يمكن التنضيص بها على المصاحبة - بسبب أن الاسم السابق منصوب ، وأن العامل
 يصبح أن يتسلط على الاسم الذي بعدها مباشرة - فهي المطف وحده قطعاً ؛ نحو : قرأت المجلة والصحيفة .
 (كما سيبيء في رقم ٢ من هامش ص ٣١٠) .

أما إذا كان الاسم السابق مرفوعاً أو مجروراً والاسم بعد الواو منصوباً منطبقاً عليه تعريف المفعول
 معه فإن نصبه يقطع بأن المراد هو المعية نصًّا ، إذ لو كان المراد المطف لوجب جر المطفوف أو رفعه
 تبعاً للمطفوف عليه .

(٤) قد يكون الاسم السابق ظاهراً أو ضميراً .

(٥) أى : أن المشاركة في الزمن محتوية ، أما المشاركة في المعنى فقد تتحقق أولاً تتحقق ،

ولنما هي متوقفة على القرائن التي تدل على هذا أو ذاك - . انظر « ا » من ص ٣١٤ .

.....

زيادة وتفصيل :

من التعريف السابق نعلم أن كل جملة مما يأتي لا تشتمل على المفعول معه :
أقبل القطارُ والناسُ منتظرون ؛ لأن الذى وقع بعد الواو^(١) جملة ، وليس اسماً مفرداً .

اشترك محمود وحامد ؛ لأن الذى بعد الواو عمدة ، لا فضلة ، إذ الفعل :
« اشترك » يقتضى أن يكون فاعله متعدداً ، أى : مثنى أو جمعاً ؛ لأنه فعل لا يقع إلا
من اثنين أو أكثر ؛ فلا بدّ من التعدد ، ولو بطريق العطف كالمثال المذكور ؛
« فحامد » معطوف على الفاعل : « محمود » فهو فى حكم الفاعل ، وعمدة مثله .

خلطت القمح والشعير ؛ لأن الواو لم تُفد : « معية » وإنما فُهِمَت المعية من
الفعل : « خلط » .

نظرت علياً وحليماً قبله ، أو بعده — شاهدت الليل والنهار ، لأن الواو فيهما
ليست للمعية ، وإلا فسد المعنى .

شاهدت الرجل مع زميله — اشترت الحقيبة بكتبها ؛ فالمعية هنا مفهومة
واضحة ، ولكن لا توجد الواو .

كل زارع وحقله ، بشرط أن يكون خبر المبتدأ : « كل » محذوفاً فى آخر
الجملة ؛ والتقدير : كل زارع وحقله مقترنان ؛ فلا تكون الواو للمعية ؛ لعدم
وقوعها بعد جملة . أما إذا كان الخبر مقدراً قبل الواو (أى : كل زارع موجود
وحقله) فالواو للمعية .

لا تتناول الطعام وتقرأ ؛ لأن الذى وقع بعد الواو فعل^(٢) .

(١) هذه الواو تسمى : « واو الحال » ، وهى فى الوقت نفسه للاستئناف ؛ لجوب دخولها على
جملة . وهى من جهة المعنى تفيد المعية ، لأنها تفيد فى الغالب المقارنة — الاقتران — والمقارنة نوع من
المعية ، لكن لا تسمى اصطلاحاً « واو المعية » . (انظر رقم ٥ من هامش ص ٣٩٥) .

(٢) يصح فى هذا الفعل أن يكون مجزوماً بالعطف ، أو مرفوعاً على الاستئناف فلا تكون الواو
للمعية . ويجوز أن يكون منصوباً بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية ؛ فيكون المصدر المؤول مفعولاً معه
(فى رأى راجح) كما صرح بهذا الخضرى وغيره فى هذا الباب . ولهذا رأى ما يعارضه .

(وتفصيلهما فى مكانهما من الجزء الرابع فى باب : « التواصب » ، عند الكلام على نصب المضارع
بعد واو المعية) .

.

هذا المال لك وأباك - ما الرجل فرح والشريك ، لعدم وجود ناصب يعمل
 النصب فيهما^(١) ؛ فلا يصح النصب ؛ إذ لا مفعول معه .

(١) مع ملاحظة أن « الصفة المشبهة » - مثل : فرح ، السالفة - لا تصلح عاملا . وسيجيء
 النص على هذا ، وسببه في رقم ١ من هامش الصفحة التالية .
 وفيها عند الكلام على الحكم الأول من أحكام « المفعول معه » ، بمض أمثلة مسموعة ، خالية من
 عامل ظاهر ؛ فيقدر لها عامل مناسب .

أحكامه :

له عدة أحكام ، منها :

١ - النصب . والنائب له : إما الفعل الذى قبله كالأمثلة السالفة - أول الباب - ، وإما ما يشبه الفعل فى العمل ^(١) ، كاسم الفاعل ، فى نحو : الرجل سائر والحدائق - وكاسم المفعول ؛ فى نحو : السيارة متروكة والسائق ، وكالمصدر ؛ فى نحو : يعجبني سيرك والطوار ^(٢) ، واسم الفعل فى مثل : رويدك والغاضب ^(٣) بمعنى : أمهل نفسك مع الغاضب .

وقد وردت أمثلة مسموعة - لا يصح القياس عليها لقلتها - وقع فيها المفعول معه منصوباً بعد : « ما » ، أو : « كيف » الاستفهاميتين ، ولم يسبقه فعل أو ما يشبهه فى العمل . مثل : ما أنت والبحر ؟ كيف أنت والبرد ؟ فالبحر والبرد - وأشباههما - مفعولان معه ، منصوبان بأداة الاستفهام . وقد تأول النحاة هذه الأمثلة . وقدروا لها أفعالا مشتقة من الكون وغيره ^(٤) ، مثل : ما تكون والبحر ؟ كيف تكون والبرد ؟ فالكلمتان مفعولان معه ، منصوبان بالفعل المقدر ^(٥) عندهم .

(١) إن كان الشبيه من المشتقات وجب أن يكون ما ينصب المفعول به ، ولهذا لا تصلح الصفة المشبهة ، ولا أفعل التفضيل ؛ ولا ما لا ينصب المفعول به من سائر المشتقات .

(٢) الرصيف . « والرصيف » : كلمة صحيحة .

(٣) بشرط أن تكون الواو للمعية ، وبعدها المفعول معه ، وليست للعطف وبعدها معطوف ؛ (لأن هناك حالات تصاح فيها للمعية والعطف كما سيحىء فى ص ٣١٠) .

(٤) مثل : تصنع - تفعل ... وكل ما يصلح له الكلام - كالمثاليين - لبيان مضمون المعنى ...

(٥) والحق : أنه لا داعى لهذا التقدير ؛ فقد كان بعض العرب ينصب المفعول معه بعد الأدوات السالفتين ، ولن نقيس عليهما أدوات استفهام أخرى ؛ إذ التقدير فى مثل هذه الحالات معناه إخضاع لنة وطجة ، للغة ولجة أخرى ، من غير علم أصحابها . وليس هذا من حقنا - (كما يرى بعض المحققين ، ومنهم « ابن جنى » فى بحثه الذى عنوانه : « باب ، اختلاف اللهجات » بكتابه : « الخصائص » وكذلك غيره من نقل عنهم صاحب الزهر ، ج ١ ص ١٥٣) - وبعض النحاة يميز أن يقيس عليهما الأدوات الاستفهامية الأخرى .

(١) وإذا كان أصل الكلام : ما تكون والبحر ؟ وكيف تكون والبرد ؟ فإن « تكون » المحذوفة فى المثاليين ناقصة ، وأداة الاستفهام خبرها متقدماً . أما اسمها - أنت - فضمير المخاطب ، كان مستراً فيها . فلما حذفت برز ، وصار منفصلاً .

(ب) ويجوز اعتبار « تكون » تامة ، وفاعلها الضمير المستتر ، ويصير بعد حذفها بارزاً منفصلاً ، =

٢- لا يجوز أن يتقدم على عامله مطلقاً ، ولا أن يتوسط بينه وبين الاسم

= و « كيف » الاستفهامية حال مقدم و « ما » الاستفهامية مفعول مطلق متقدم ، بمعنى : أى وجود توجد مع البحر . . . وهذا أسهل كسهولة : تصنع ، أو تعمل ، بدلاً من « كان » الناقصة . (ج) للمبرد رأى آخر - لا بأس به - في إعراب تلك الأمثلة ، وما شابهها ، فقد جاء في كتابه : « الكامل » ج ١ ص ٢٣٥ عند ذكره لكتاب على بن أبي طالب إلى معاوية المطالب بدم عثمان رضى الله عنه ، يقول على : (وبعد ، فإنت وعثمان ؟) قال المبرد ما نصه : (ما أنت وعثمان ؟ فالرفع فيه الوجه ، لأنه عطف اسماً ظاهراً على اسم مفسر منفصل ، وأجراء مجراه ، وليس هنا فعل ، فيحمل على المفعول (أى : فلا يحمل ...) ؛ فكأنه قال : فإنت ؟ وما عثمان ؟ هذا تقديره في العربية .

» ومعناه : لست منه فى شيء . وقد ذكر سيبويه - رحمه الله - أنصب ، وجوزه جوازاً حسناً ، وجعله مفعولاً معه ، وأضمر : « كان » من أجل الاستفهام ؛ فتقديره عنده « ما كنت وفلاناً ؟ » (١) هـ . ثم سرد المبرد أمثلة أخرى قال بعدها ما نصه : (فإن كان الأول مضمراً متصلاً كان النصب . . . و . . . تقول ما لك وزيداً ؛ فكأنه فى التقدير : وملابستك زيداً ، وفى النحو تقديره : مع زيد) (١) هـ كلام المبرد .

* * *

وإلى ما سبق يشير ابن مالك بقوله :

يُنْصَبُ تَالِي الْوَاوِ مَفْعُولًا مَعَهُ فِي نَحْوِ : سِيرِي وَالطَّرِيقَ مُسْرِعَةً (أى : سىرى مع الطريق) يقول : ما يجرى بعد الواو فى مثل : سىرى والطريق مسرعة - ينصب على اعتباره مفعولاً معه . ولم يوضح هذا المفعول ، ببيان أوصافه ، وشروطه ؛ مكتفياً بالمثال ، والتعريف بالمثال نوع من أنواع التعريف المنطوق ، ولكنه لا يناسب ما نحن فيه مما يحتاج إلى شروط وقيود . . . ثم قال :

بِمَا مِنَ الْفِعْلِ وَشَبَّهَ سَبَقَ ذَا النَّصْبِ لَا بِالْوَاوِ فِي الْقَوْلِ الْأَحَقِّ

يريد : هذا النصب للمفعول معه يكون بشئ سبق ؛ كالفعل وشبهه ، ولا يكون بالواو فى رأى الأحق بالمتابعة (فكلية : « ما » بمعنى : شئ . والجار والمجرور - بما - خبر متقدم للمبتدأ المتأخر : « ذا » . والجملة من الفعل : « سبق » وفاعله فى محل نصب حال من كلمة « الفعل ») . . . والتقدير : هذا النصب بشئ من الفعل وشبهه حالة كون الشئ سبق ، وتقدم على المفعول معه وعلى الواو ، ويصح أن تكون « ما » موصولة ، والجملة الفعلية صلة . . .

ثم أشار بعد ذلك إلى المفعول معه المنصوب بعد « ما » و « كيف » الاستفهاميتين ، فقال :

وبعد « ما » اسْتِفْهَامٍ أَوْ « كَيْفَ » نَصْبٌ بِفِعْلِ كَوْنٍ مُضْمَرٍ بَعْضُ الْعَرَبِ

وقد نسب النصب بعد الأداتين السالفتين لبعض العرب للدلالة على أنه سماعى فقط وهذا صحيح . ولكن العرب لا دخل لها بفعل الكون المقدر وغيره من المصطلحات النحوية المحضة .

المشارك له والمقارن . . . ففي مثل : مشى الرجل والحديقة ؛ لا يصح أن يقال :
والحديقة مشى الرجل ، ولا : مشى والحديقة الرجل .

٣- لا يجوز أن يفصل بينه وبين واو المعية فاصل ، ولو كان الفاصل شبه جملة^(١) .

٤- لا يجوز حذف هذه الواو مطلقاً^(٢) .

٥- إذا جاء بعده تابع أو ضمير أو ما يحتاج إلى المطابقة وجب أن يراعى عند المطابقة الاسم الذى قبل الواو وحده ؛ نحو : كنت أنا وزميلا كالأخ ؛ أحبه وأعطف عليه . ولا يصح كالأخوين . . .

* * *

حالات الاسم الذى بعد الواو :

له حالات أربع :

أولها : جواز عطفه على الاسم السابق ، أو نصبه مفعولاً معه^(٣) . والعطف أحسن ، مثل : بالغ الرجل والابن في الخفاوة بالضيف . فكلمة : « الابن » ، يجوز رفعها بالعطف على الرجل ، أو نصبها مفعولاً معه ، ولكن العطف أحسن من النصب على المعية ؛ لأنه أقوى في الدلالة المعنوية على المشاركة والاقتران^(٤) ولا شيء يعيبه هنا . ومثله : أشفق الأب والجد على الوليد - أضاء القمر والنجوم . . .

ثانيها : جواز الأمرين ، والنصب على المعية أحسن ؛ للفرار من عيب لفظي أو معنوي . فثال اللفظي : أسرع والضيف ؛ فكلمة : « الصديق » يجوز فيها الرفع عطفاً على الضمير المرفوع المتصل^(٥) ، ويجوز فيها النصب على المعية ، وهذا أحسن ؛ لأن العطف على الضمير المرفوع المتصل يشوبه بعض الضعف إذا كان

(١ و ٢) راجع حاشية الصبان في هذا الموضع .

(٢) إلا في الحالة المشار إليها في رقم ٣ من هامش ص ٣٠٥ وهي للعطف فقط .

(٣) لأن العطف يقتضى إعادة العامل تقديراً قبل المعطوف ، فكان الدامل مكرر . فيقع به

التأكيد اللفظي الذى يقوى المعنى . (انظر ما يتصل بهذا في « ١ » من ص ٣١٤) .

(٤) وهو : التاء .

بغير فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ كهذا المثال ^(١) والفرار من الضعف أفضل من الإقبال عليه بغير داع ^(٢).

ومثال العيب المعنوي قولهم : « لو تركت الناقة وفَصَّيْلَهما ^(٣) لَرَضَعها » . فلو عطفنا كلمة : « فَصَّيْل » على كلمة : « الناقة » لكان المعنى : لو تركت الناقة وترك ^(٤) فصيلها - لرضعها ، وهذا معنى غير دقيق ، يحتاج تصحيحه إلى تأويل وتقدير لا داعي لهما .

وعيُّه آت من أن تركهما لا يستلزم تلاقيهما المؤدى إلى حصول الرضاعة . وقد تركهما ؛ لا نحول بينهما ، ولكن الأم تنفر منه ، ولا تمكنه من الرضاعة ، أو ينفر منها . . .

ثالثها : وجوب العطف ، وامتناع المعية ^(٥) : وذلك حين يكون الفعل أو ما يشبهه مستلزماً تعدد الأفراد التي تشترك في معناه اشتراكاً حقيقياً . وكذلك حين يوجد ما يفسد المعنى مع المعية . فنال الأول : تقاتل النمر والفيل - اختصم العادل والظالم - اتفق التاجر والصانع . . . فكل فعل من هذه الأفعال : (تقاتل - اختصم - اتفق ^(٦) - وأشباهها ^(٧) . . .) لا يتحقق معناه إلا بالفاعل المتعدد فيشارك الأفراد في معنى العامل ؛ فلا بد من وجود اثنين أو أكثر يشتركان حقيقة

(١) كما هو موضح في مكانه من باب العطف - ج ٣ - عند الكلام على العطف على الضمير المرفوع المتصل .

(٢) وفي الحالتين السابقتين يقول ابن مالك :

وَالْعُطْفُ إِن يُمَكِّنْ بِالَا ضَعْفٍ أَحَقُّ وَالنَّصَبُ مُخْتَارٌ لَدَى ضَعْفِ النَّسَقِ

النسق هو العطف بالحرف ؛ كالعطف بالواو ، أو الفاء ، أو ثم . .

(٣) الفصيل : ابن الناقة الذي يفصل عنها .

(٤) لأن العطف على نية تكرار العامل . - انظر رقم ٣ من هامش الصفحة السالفة -

(٥) من هذا القسم المسألة المشار إليها في رقم ٣ من هامش ص ٣٠٥ .

(٦) إذا كان الفعل وشبهه يقتضى التعدد - مثل : اتفق الوالد والابن ، و . . . - ، فهل

يصح مجيء كلمة : « مع » بدلا من واو المعية ؛ فيقال : اتفق الوالد مع الابن ؟ الجواب نعم ، طبقاً للبيان السابق في الملاحظة ص ١٦٨ .

(٧) كالفعل : « استوى » في قول الشاعر :

ولا يستوى عند كشف الأمو ر باذل معروفه والبخيل

في التقاتل ، والاختصاص ، والاتفاق . . . وهذا يتحقق بالعطف دائماً ؛ لأنه يقتضى الاشتراك المعنوي الحقيقي^(١) . بخلاف المعية ؛ فإنها تقتضى الاشتراك الزمني ؛ أما المعنوي فقد تقتضيه حيناً ، ولا تقتضيه أحياناً ؛ كما عرفنا^(٢) .

ومثال الثاني : أشرف القمر وسُهِيلٌ قبله أو بعده . . . فتفسد المعية بسبب وجود : « قبل » ، أو « بعد » .

رابعها : امتناع العطف ووجوب النصب - في الأصح - ، إمّا على المعية ، إن استقام المعنى عليها . وإما على غيرها إن لم يستقيم ؛ (كنصب الكلمة مفعولاً به لفعل محذوف) ؛ وذلك منعاً لفساد لفظي أو معنوي . فمثال وجوب النصب على المعية لما منع لفظي يمنع العطف : نظرت لك وطائراً ؛ لأن الأصل - الغالب - في العطف على الضمير المحرور أن يعاد حرف الجر مع المعطوف ؛ كما في قول الشاعر : فإلى وللأيّام - لا درّ درّها تشرّق بي طوراً ، وطوراً تغربُّ

فقد أعاد اللام مع المعطوف^(٣) ،

ومثال النصب لما منع معنوي يمنع العطف : مشى المسافرُ والصحراءُ . بنصب كلمة : « الصحراء » على المعية ؛ إذ لو رفعت بالعطف على كلمة : « المسافر » لكان المعنى : مشى الصحراءُ . وهذا فاسد^(٤) .

ومثال النصب على غير المعية بتقدير فعل محذوف ينصب الكلمة مفعولاً به : دُعِينَا لحفل ساهر فأكلنا لحمًا ، وفاكهة ، ونخضراً ، وماءً عذبًا ، وغِنَاءً ساحراً - فيجب نصب كلمة : « ماء » وكلمة : « غِنَاء » بفعل محذوف يناسب كلا منهما . والتقدير : وشربنا ماء عذبًا ، وسمعنا غِنَاءً ساحراً . . . ولا يصح النصب على المعية ، ولا على العطف^(٥) وإلا فسد المعنى . ومثله قول الشاعر :

(١) أما الاشتراك في الزمن فقد يقتضيه أو لا يقتضيه ؛ فثل : أكلت خالدة وأختها ، قد يقع أكلهما في زمن واحد أو مختلف (كما يتضح في « ١ » من ص ٣١٤) .

(٢) في ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ . وكما يجيء البيان الموضح في « ١ » من ص ٣١٤ .

(٣) سيذكر هذا البيت لمناسبة أخرى في باب العطف ص ٣ - م ١١٦ .

(٤) كما سيجئ في ص ٣١٤ -

(٥) لأن الماء لا يؤكل ، وكذا الغناء ، ولأن سماع الغناء في الحفل الساهر يكون بعد الأكل

تراه كأنَّ الله يجدع أنفه وعينه إن مولاہ كان له وفرٌّ^(١)

يريد : ويفقأ عينيه ؛ لأن الجدع في اللغة - خاص بالأنف ، فلا يكون للعينين^(٢) . . .

= وعند تقدير فعل محذوف مناسب . تنشأ جملة فعلية تكون معطوفة بالواو على الجملة الفعلية الأولى ؛ فالعطف - على الأصح - عطف جمل . والمنوع عطف المفردات ، إذ لا يجوز عطف « ماء » ولا غناء على : لحماً . لكن يصح عطف جملة : « شربنا » وجملة : « سمعنا » على الجملة الأولى ؛ وهي : « أكلنا » . (يستجىء مناسبة أخرى لهذا في ج ٣ باب العطف عند الكلام على العطف بالواو) .
(١) الوفرة الزيادة . والبيت يذم حقوداً بأنه يحزن لنعمة تبدو على جاره أو صاحبه ، ويتألم كن جدع أنفه ، أو فقتت عيناه .

(٢) وإلى شطر من هذه الحالة يشير ابن مالك قال :

وَالنَّصْبُ - إِنْ لَمْ يَجْزُ الْعَطْفُ - يَجِبُ أَوْ أَعْتَقِدُ إِضْمَارَ عَامِلٍ تُصِيبُ

.

زيادة وتفصيل :

(ا) في كل حالة يجوز فيها الأمران ؛ (العطف والمعية) ، لا بد أن يختلف المعنى في كل أمر منهما ؛ ذلك أن العطف يقتضى المشاركة الحتمية بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل ، من غير أن يقتضى المشاركة الزمنية الحتمية ؛ فقد يقتضيها أو لا يقتضيها ، ففي مثل : « آنسى محمود وصالح في السفر » لا بد أن يشترك الاثنان في معنى الفعل ، وهو مؤانسة المتكلم ، وأن تتناولهما المؤانسة ؛ لأن العطف على نية تكرار العامل ؛ فكأنك قلت : آنسى محمود ، وآنسى صالح . لكن ليس من اللازم أن تكون هذه المؤانسة قد شملتتهما ، وشملت معهما المتكلم في زمن واحد ؛ فقد تكون في وقت واحد أو لا تكون ^(١) . والأمر في هذه المشاركة الزمنية وعدمها ، متروك للقرائن والدلائل .

أما المفعول معه فلا بد فيه من المشاركة الزمنية الحتمية . أما المشاركة في معنى الفعل فقد يقتضيها أو لا يقتضيها ^(٢) ؛ ففي مثل : سافر الرحالة والصحراء ، تتعين المشاركة الزمنية وحدها دون المعنوية ؛ فإنها تفسد المعنى ؛ لأن الصحراء لا تُسافر . . . — كما سبق ^(٣) — وفي مثل : سار القائد والجنود ، تصح المشاركة المعنوية مع المشاركة الزمنية المحتومة فجاز الأمرين في كل حالة يجوز فيها أمران ليس معناه أن المراد منهما واحد . وإنما معناه أن هذا الضبط صحيح إن أردت المعنى المعين المختص به ، وأن ذلك الضبط صحيح أيضاً إن أردت المعنى المختص به كذلك . وإن شئت فقل : إن كل ضبط صحيح منهما لا بد أن يؤدي إلى معنى يخالف ما يؤديه الضبط الآخر .

(ب) قد يقتضى المقام ذكر أنواع مختلفة من المفاعيل . وفي هذه الحالة يحسن ترتيبها بتقديم المفعول المطلق ، فالمفعول به الذى تعدى إليه العامل مباشرة . فالمفعول به الذى تعدى إليه العامل بمعونة حرف جرّ ، فالظرف الزماني ، فالمكانى ، فالمفعول له ، فالمفعول معه . وهذا الترتيب هو ما ارتضاه كثير من النحاة . والحق أن الذى يجب مراعاته عند الترتيب هو تقديم ما له الأهمية .

(١) كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٣١٢ .

(٢) كما سبق في ص ٣٠٥ .

(٣) في ص ٣١٢ .

المسألة ٨١ :

الاستثناء^(١)

تمهيد : يتردد في هذا الباب كثير من المصطلحات الخاصة به ، والتي لا بد من معرفة مدلولاتها — قبل الدخول في مسائله وأحكامه ؛ ليتمكن فهم المراد ، ومن تلك المصطلحات :

المستثنى منه — المستثنى — أداة الاستثناء — التأم — الموجب — المفرغ — المتصل — المنقطع — . . . وفيما يلي بيانها .

(١) (المستثنى منه — المستثنى — أداة الاستثناء) .

هذه الثلاثة تنكشف مدلولاتها على أكمل وجه إذا عرفنا أن أسلوب الاستثناء في أكثر حالاته ، هو أسلوب أهل الحساب في عملية : « الطرح » . فالذى يقول : أنفقت من المال مائة إلا عشرة ، إنما يعبر عما يقوله أهل الحساب : أنفقت (١٠٠ - ١٠) والذى يقول : اشتريت تسعة كتب إلا اثنين ؛ إنما يعبر عن قولهم : اشتريت (٩ - ٢) ... وهكذا ...

والتعبير الحسابي السالف — وأمثاله — يشتمل على ثلاثة أركان مهمة ؛ هي : « المطروح منه » ؛ (مثل ١٠٠ ومثل ٩ ... وأشباههما ...) و « المطروح » ؛ (مثل ١٠ ومثل ٢ ...) و « علامة الطرح » ويرمزون لها بشرطة أفقية قصيرة : (-) . ولهذا المصطلحات الحسابية الثلاثة ما يقابلها تماماً في الأسلوب الاستثنائي ؛ ولكن بأسماء أخرى اصطلاحية ، فالمطروح منه يقابله : « المستثنى منه » . والمطروح يقابله : « المستثنى » . وعلامة الطرح يقابلها أداة الاستثناء — وهى : « إلا » ، أو إحدى أخواتها — ، أى : ثلاثة إزاء ثلاثة .

ولما كانت عملية الطرح بمصطلحاتها شائعة واضحة ، بل أولية — كان ربط

(١) المراد به هنا الاستثناء في اصطلاح النحاة ؛ فله تعريف خاص عندهم ، وأدوات وأحكام نحوية يتميز بها . ومن الممكن تأدية المعنى الاستثنائي بوسائل متنوعة ، تخالف الاستثناء النحوي — الاصطلاحي — ، ولكنها لا تسمى : « استثناء » في اصطلاحهم ؛ لعدم انطباق تعريفه وأحكامه عليها .

أسلوب الاستثناء بها — عند شرحه وتبيينه — كفيلاً بإيضاح مصطلحاته الثلاثة السالفة ، ومعرفة مدلولاتها في سهولة ، واستقرار^(١) ، معرفة توصلنا إلى المعنى المقصود من الجملة كلها .

وفي ضوء هذا نستطيع أن نفهم قول النحاة في تعريف الاستثناء الاصطلاحي :
(إنه الإخراج « بإلا » أو إحدى أخواتها لِمَا كان داخلاً في الحكم السابق عليها)^(٢)
فليس هذا الإخراج إلا « الطرح » ؛ بإسقاط ما بعدها من المعنى الذي قبلها ، ومخالفته للمتقدم عليها فيما تقرر من أمر مثبت أو منفي . . .

(ب) الاستثناء التام :

ما كان فيه المستثنى منه مذكوراً ؛ كالأمثلة السالفة ، ومثل : ركبت الطائرة عشرين ساعة إلا خمسة . وكان معي زملائي إلا ثلاثة . فكلمة « عشرين » هي المستثنى منه . وكذا كلمة : « زملاء » . وبسبب وجود كل منهما في الكلام سمى الاستثناء : « تاماً » .

(ح) الاستثناء الموجب ، وغير الموجب :

فالأول : ما كانت جملته خالية من النفي^(٣) ؛ وشبهه — (وشبه النفي هنا : النهي ؛ والاستفهام الذي يتضمن معنى النفي^(٤)) — كالأمثلة السابقة ، وكقول الشاعر :

(١) أى : بقاءه مفهوماً .

(٢) وهذا يشمل « الدخول الحقيقي » ؛ كالأمثلة السالفة ، « والدخول التقديرى » الملاحظ في النفس كالمفترغ ؛ والمستثنى المنقطع — وسيجيء إيضاحهما في ص ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٢ و ٣٣٤ — فإنهما لا يدخلان في الحكم السابق حقيقة ، وإنما يندرجان فيه تقديرًا .

(٣) النفي الصريح : ما كان بإحدى الكلمات الخاصة بالموضوعة له (مثل : ما — لا — ليس ..) وإلا فهو غير صريح ، كالأنواع التالية :

(٤) وهذا يشمل أنواعاً ؛ منها الاستفهام الإنكارى : (ويسمى أيضاً : الإبطال) ويعرفونه بأنه الذى يُسأل به عن شيء غير واقع ، ولا يمكن أن يحصل . فدعاه كاذب . وهذا النوع يتضمن معنى النفي ؛ لأن أداة الاستفهام فيه بمنزلة أداة النفي في أن الكلام الذى تدخل عليه منى المعنى ؛ نحو قوله تعالى : (ومن أصدق من الله حديثاً) ؟ .

(راجع المعنى ١٦ عند الكلام على الهمة . وكذلك حاشية الأمير عليه عند الكلام على : « أم ») .
ومنها : الاستفهام التوبيخى ؛ وهو : ما يسأل به عن أمر حاصل واقع ، ومن يدعى وجوده يكون صادقاً في إخباره عن أمر موجود ذم . وفاعله ملوم يستحق التوبيخ بسببه ؛ مثل قولنا للأوصياء :
أتأكلون أموال اليتامى بالباطل ؟

وفي الجزء الثانى من « المعنى » عند الكلام على : « هل » أن أنواع الإنكار ثلاثة ؛ منها النوعان =

قد يهون العمرُ إلا ساعةً وتهون الأرض إلا موضعا
والثاني : ما كانت جملته مشتملة على نفي أو شبهه ؛ نحو : ما تأخر
المدعوون للحفل إلا واحداً — هل تأخر المدعوون إلا واحداً^(١) ؟.

ومن النفي ما هو معنوي (يفهم من المعنى اللغوي للكلمة ، دون وجود لفظ
من ألفاظ النفي) . مثل : (يأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره) ، فمعنى « يأبى » : لا يريد .
ومثل : (قلَّ رجلٌ يقول ذلك) ، لأن معنى : « قلَّ » في هذا الأسلوب المسموع ،
هو : النفي ؛ أى : لا رجلٌ يقول ذلك .

أما « لو » في مثل : لو حضر الضيوفُ إلا واحداً ، لأكرمهم — فإنه نفي
ضمني غير مقصود ، فلا ينظر إليه من هذه الناحية ، فكأنه غير موجود .

(د) الاستثناء المفرغ^(٢) ، هو : ما حذف من جملته المستثنى منه ،
والكلام غير موجب ؛ (فلا بد من الأمرين معاً)^(٣) نحو : ما تكلم . . . إلا واحداً
— ما شاهدتُ . . . إلا واحداً — ما ذهبت . . . إلا لواحد . والأصل — مثلاً —
قبل الحذف : ما تكلم الناس إلا واحداً — ما شاهدت الناس إلا واحداً — ما ذهبت
لناس إلا واحداً^(٤) . ثم حذف المستثنى منه ؛ فوقع التغيير بسبب حذفه كالذى
في قول الشاعر :

لا يكتم السرَّ إلا كلُّ ذى شرف والسرَّ عند كرام الناس مكتوم

والأصل : لا يكتم الناس السرَّ إلا كلُّ ذى شرف . . . و . . .

= السالفان ، أما الثالث فعناه النفي المجرد ، والسلب المحض . بحيث يمكن وضع أداة النفي مكان أداة
الاستفهام فلا يتغير المعنى . والأكثر أن تكون أداة الاستفهام هي : « هل » نحو : هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان ، أى : ما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

(١) من النحاة من يرى أن هذا النوع لا تستخدم فيه أدوات الاستثناء الفعلية ، إذا كان تاماً ،
متفصلاً ، ورأيه ضعيف يجب إهماله ؛ أخذاً بصريح ما جاء في المفضل — ص ٧٧ و ٧٨ —
وفي الخضرى والصبان — وسيجيء هذا في رقم ١ من هامش ص ٣٥٣ .

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ٣١٦ أما سبب التسمية ففي ص ٣٢٢ .

(٣ و ٤) ومن القليل الذى لا يلتفت إليه وقوع التفريغ في الإيجاب ، إذا كان المحذوف فضلة حصلت
مع حذفه فائدة . لكن هذه القلة لا اعتبار لها ، ويجب إهمالها — كما نصوا على ذلك — راجع الصبان —

(٤) يوضح هذا المثال ما يجيء في رقم ٤ من هامش ص ٣٢٢ .

فلاستثناء المفرغ يقتضى أمرين مجتمعين حتماً : أن يكون الكلام غير تام ، وغير موجب . وهذا أمر يجب التنبه له . وإلى أن أداة الاستثناء الفعلية لا يصح استخدامها فيه . — لأنها لا تستخدم إلا فى الاستثناء التام المتصل ^(١) . —

(هـ) الاستثناء المتصل والمنقطع :

فالأول : ما كان فيه المستثنى بعضاً ^(٢) من المستثنى منه ؛ نحو : سقيت الأشجار إلا شجرة — فحص الطبيب الجسم إلا اليد .

والثانى : ما لم يكن فيه المستثنى بعضاً من المستثنى منه ؛ نحو : حضر الضيوف إلا سياراتهم — اكتمل الطلاب إلا الكتب . ومثل قوله تعالى عن أهل الجنة : (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) ، فاللغو هو : ردىء الكلام وقبيحه ، والسلام ليس بعضاً منه . وكذلك قوله تعالى : (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا قبيلاً سلاماً سلاماً) .

وليس معنى انقطاعه أنه لا صلة له بالمستثنى منه ، ولا علاقة تربطهما ارتباطاً معنوياً ؛ فهذا خطأ بالغ — لا يكون فى أساليب الاستثناء مطلقاً — ؛ وإنما معناه انقطاع صلة « البعضية » بينهما ؛ ألا يكون « المستثنى » جزءاً حقيقياً من « المستثنى منه » ، ولا فرداً من أفرادهِ . ومع انقطاع هذه الصلة على الوجه السالف لا بد أن يكون هناك نوع اتصال معنوى يربط بينهما . ولهذا تؤدي أداة الاستثناء فيه معنى الحرف : « لكن * » ، (ساكن النون ، أو مشددها) الذى يفيد الابتداء والاستدراك معاً ^(٣) ؛ وبالرغم من إفادته الابتداء والاستدراك معاً لا يقطع الصلة

(١) انظر ص ٣٥٣ ورقم ١ من هامشها — وقد ورد النص الخاص بمنع استخدام أداة الاستثناء الفعلية فى غير التام المتصل فى حاشية الخضرى ، وبالجزء الثانى من الصبان عند الكلام على الأدوات الفعلية ، وكذا الفصل ج ٢ ص ٧٧ —

(٢) لهذا صورتان ؛ الأولى : أن يكون المستثنى منه متعدد الأفراد ، والمستثنى أحد تلك الأفراد المتماثلة ؛ نحو : تناولت الكتب إلا كتاباً . فالمستثنى منه — وهو الكتب — متعدد الأفراد ، والمستثنى واحد منها . الثانية : أن يكون المستثنى منه فرداً واحداً ولكنه ذو أجزاء ، والمستثنى جزء من تلك الأجزاء ؛ مثل : غطيت الجسم إلا الوجه . وفى الحالتين يكون ما بعد « إلا » مخالفاً فى المعنى لما قبلها .

ولا مانع فى رأى الأحسن أن يكون المستثنى المتصل جملة — وسيجىء البيان فى رقم ٢ من هامش

ص ٣٣٠ ورقم ٣ من هامش ص ٣٣٢ —

(٣) راجع « و » من ص ٣٣٢ — الزيادة والتفصيل —

المعنوية بين ما بعده وما قبله ، ومن ثمّ كان من المحتوم في كل « استثناء منقطع » صحة وقوع الحرف : « لكن » — الساكن النون ، أو مشددها — موقع أداة الاستثناء فيه مع استقامة المعنى ^(١).

ولا يجوز في الاستثناء المنقطع أن تكون أدواته فعلاً ؛ لأن هذه الأداة الفعلية لا تستخدم إلا في التام المتصل ، — كما تقدم في الصفحة السالفة .

والآن نبدأ الكلام في أحوال الاستثناء ، وأحكامه ، وهي متعددة ^(٢) بتعدد أنواعه ، وأدواته الثمانية التي منها الحرف المحض ، والاسم المحض ، والفعل المحض ، وما يصلح فعلاً وحرفاً .

* * *

الكلام على أحكام المستثنى الذي أدواته حرف خالص ، وهي : « إلا » ^(٣) :

(١) إذا كانت أداة الاستثناء هي « إلا » ، ولم تكرر ^(٤) فللمستثنى بها ثلاثة أحكام :

الأول : وجوب النصب — في الأغلب ^(٥) — ، بشرط أن يكون الكلام تاماً موجباً ^(٦) ؛ سواء أكان « المستثنى » متأخراً بعد « المستثنى منه » ، أم متقدماً ^(٧) عليه ، وسواء أكان « متصلاً » ، أم « منقطعاً » فتنى تحقق الشرط كان النصب واجباً — في الأغلب ^(٥) — ، وعاماً يشمل كل الأحوال . وعند الإعراب يقال : « إلا » حرف

(١) طبقاً للبيان الآتي في : « و » من ص ٣٣٢

(٢) هذا الباب من أكثر الأبواب تعدداً في الأحكام ، واختلافاً فيها . ومنها المردود والضعيف . وقد حاولنا جاهدين تصفيته بما يشوه الحقائق الناصعة .

(٣) ومثلها : « لما » التي تشبهها في الحرفية ، وفي الدلالة على الاستثناء . وإفادته ؛ (طبقاً للبيان الخاص بها في « ١ » من « الزيادة » ص ٣٢٧ وفي « د » من ص ٣٦١ —) وهي غير « لما » الظرفية التي سبق الكلام عليها في ص ٢٩٦ وتجيء لها إشارة في باب الإضافة ، ج ٣ م ٩٤ ص ٨١ ، وهما كذلك غير لما الجازمة التي سيجيء الكلام عليها في ح ٤ م ١٥٤ ص ٣١٤

و « إلا » التي للاستثناء كلمة واحدة ، وليست مركبة ، وهي حرف ، وقد ترك الحرفية والاستثناء وتصريراً اسماً محضاً (كما سيجيء البيان في « ج » من ص ٣٥٠) بخلاف : « إلا » التي في مثل : إلا تجامل زملاءك يكرهوك ، فإنها مركبة من « إن » الشرطية المدغمة في : « لا » النافية .

(٤) أما المكررة فيجىء حكمها في ص ٣٣٨ .

(٥) وهذا هو الشائع ، وهناك رأى آخر لا يوجب النصب ، سيجيء بيانه في « د » من ص ٣٢٩

(٦) سيجيء شرط آخر في « هـ » من ص ٣٣١ هو ألا يكون المستثنى نكرة محضة ... و ...

(٧) في ص ٣٢٧ و ٣٢٨ أحكام خاصة بتقديم المستثنى وبيان العامل الذي يعمل فيه النصب ...

استثناء . والمستثنى : منصوب على الاستثناء كالأمثلة الآتية . ولا بد أن تتقدم «إلا» على المستثنى في كل الحالات^(١) ، سواء أكان متقدماً على المستثنى منه أم متأخراً عنه :

- | | |
|---|---|
| (امتلاتُ الجداولُ إلا جدولاً كبيراً) . (امتلاتُ - إلا جدولاً كبيراً - الجداولُ) . | } |
| (كتبتُ الرسائلَ إلا رسالةً واحدة) . (كتبتُ - إلا رسالةً واحدة - الرسائلَ) . | |
| (تمتعتُ بالصحفِ إلا صحيفةً تافهةً) . (تمتعتُ - إلا صحيفةً تافهةً - بالصحفِ) | |
| (أعدتُ ملابسَ الرحلةِ إلا الحَقائبَ) . (أعدتُ - إلا الحَقائبَ - ملابسَ الرحلة) . | } |
| (تناولتُ الطعامَ إلا الماءَ) . (تناولتُ - إلا الماءَ - الطعامَ) . | |
| (أضأتُ المصاييحَ إلا غرفةً) . (أضأتُ - إلا غرفةً - المصاييحَ) . | |

الثاني : إما نصب «المستثنى» (والإعراب كالحالة السابقة) . وإما ضبطه على حسب حركة «المستثنى منه» ، (فيكون مثله ؛ مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً) ويعرب : «بدلاً»^(٢) . ولا بد في الحالتين أن يكون الكلام تاماً غير موجب^(٣) . ولا فرق بين المتصل والمنقطع^(٤) . ومن الأمثلة :

- ما تخلف السِّباقون إلا واحداً — أو : واحدٌ .
 ما جهلتُ السباقين إلا واحداً — أو : واحداً^(٥) .
 هل تأخرتُ عن السباقين إلا واحداً — أو : واحدٌ .

(١) انظر ما يختص بهذا في «ب» من ص ٣٢٧ .

(٢) بدله بعض من كل ، والمبدل منه هو المستثنى منه . والبديل هنا لا يحتاج لرباط ؛ لأن وجود «إلا» يغني عنه ؛ لدالتها على أن ما بعدها بعض مما قبلها .

— كما صرح الصبان وغيره ؛ واستجى إشارة لهذا في البديل ج ٣ ص ٦٤٤ —

(٣) إذا انتقص التثنية بسبب وجود «إلا» المكررة لم يجوز البديل ، واقتصر الأمر على النصب وحده ؛ نحو : ما شرب أحد شيئاً إلا الماء إلا محموداً ؛ لأن الكلام هنا بمنزلة المثبت ؛ إذ معناه . شربوا الماء إلا محموداً .

وفي «د» من ص ٣٢٩ أمثلة مسموعة للبديل في كلام تام موجب . وفي «ز» من ص ٣٣٤ الرأي في تفريعات البديل التي يعرضها النحاة .

(٤) في «و» من ص ٣٣٢ أحوال وأحكام هامة تختص بالمنقطع .

(٥) في هذا المثال نصبت كلمة : «واحداً» في الصورتين ، ولكن النصب في إحداها على البدلية ،

وفي الأخرى على الاستثناء .

ويجوز أن يتقدم « المستثنى ^(١) » وهو منصوب ، على المستثنى منه مباشرة
ويبقى كل شيء كما كان ، فلا يتغير الإعراب كالأمثلة الآتية :

ما تخلف — إلا واحداً — السباقون .

ما جهلتُ إلا واحداً — السباقين ^(٢) .

هل تأخرتُ إلا واحداً — عن السباقين .

أما لو تقدم وهو بدل في الأصل ؛ فإن الأمر يتغير تغيراً كلياً ^(٣) فيعرب
« المستثنى » المتقدم على حسب حاجة الكلام قبله ، ويزول عنه اسم المستثنى ، كما يزول
عن « المستثنى منه » المتأخر ، اسمه ، ويعرب بدلا من الاسم الذي تقدم ، وتابعا
له في حركة إعرابه ، وتصير « إلا » ملغاة ^(٤) . ومن الأمثلة :

ما تخلف إلا واحداً — السباقون .

ما جهلتُ إلا واحداً — السباقين ^(٥) .

هل تأخرتُ إلا عن واحد ^(٦) — السباقين .

ففي مثل : ما تخلف — إلا واحد — السباقون . . . تعرب كلمة « إلا »
ملغاة . وتعرب كلمة : « واحد » فاعلا للفاعل : « تخلف » وتعرب كلمة :
« السباقون » بدلا منها ^(٧) ، بدل كل من كل ، وهذا إعرابها في باقي الأمثلة
المعروضة ^(٨) .

(١) بشرط أن تتقدم معه « إلا » وتسبقه ، لأن تقدمها عليه شرط عام في كل الحالات التي يتقدم
فيها على المستثنى منه أو يتأخر عنه ، كما أسلفنا ، وكما يجيء في « ب » من الزيادة والتفصيل ص ٣٢٧ .

(٢) سيذكر هذا المثال في الحالة التالية التي يتقدم فيها البدل ؛ لأنه — وأشباهه — صالح للحالتين

(٣) في هذه الحالة سيعتبر من القسم الثالث الآتي ، وهو قسم : « المفرغ » .

(٤) لأن ما بعدها يكون خاضعا في إعرابه لحاجة ما قبلها ؛ فكأنها غير موجودة لكنها من
ناحية المعنى تفيد استثناء ما بعدها من حكم ما قبلها .

(٥) هذا المثال لا يتعين فيه التفريغ عند تقديم البدل المنصوب ؛ إذ يصح — كما قلنا في رقم ٢ من
من هذا الهامش — اعتبار الكلام تاما غير موجب تقدم فيه المستثنى المنصوب الذي ليس بدلا ؛
ويكون حكمه حكم الأمثلة التي قبل هذا مباشرة .

(٦) ما يأتي في رقم ٤ من هامش ص ٣٢٢ يوضح أصل هذا المثال ، وما جرى فيه .

(٧) البدل هنا : بدل كل من كل ؛ لأن المتأخر عام أريد به خاص ؛ فصح لذلك إبداله من
المستثنى الذي تقدم ، وكان قبل تقدمه بدل بعض — كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٢٠ — فانقلب
المتبوع تابعا ، كما في قوله : ما مررت بمثلك أحد .

(٨) إلا المثال الثاني فلا يتعين فيه التفريغ لما سبق في رقم ٥ .

الثالث : أن يعرب ما بعد « إلا » على حسب العوامل قبلها ؛ بشرط أن يكون الكلام « مُفَرَّغًا »^(١) . وهذه الصورة لا تعدّ من صور الاستثناء ؛ لعدم وجود « المستثنى منه »^(٢) . لهذا تعرب « إلا » ملغاة . ويعرب ما بعدها فاعلا ، أو مبتدأ ، أو مفعولا ، أو خبراً ، أو غير ذلك على حسب السياق . . . فكأن كلمة : « إلا » غير موجودة من هذه الناحية الإعرابية^(٣) فقط ، دون المعنوية . ويسمّون الكلام : « مُفَرَّغًا » . لأن ما قبل « إلا » تفرغ للعمل الإعرابي فيها بعدها . ولم يشغل بالعمل في غيره . ومن الأمثلة :

ما أخطأ إلا واحد متسرع
— ما العدل إلا دِعامَةُ الحكم الصالح
ما سمعت إلا بلبلا صدّاحا
— ليس العمل إلا سلاح الشريف .
ما ذهبت إلا للنايغ^(٤)
— ما سعت إلا في الخير .
ونحو :
يأبى الحر إلا العزة
— يأبى الله إلا أن يسمّ نوره^(٥) .

(١) من التفريغ النوع الآتي في ص ٣٢٦ : وهو نوع دقيق يشيع في الأساليب العالية .
(٢) انظر البيان في رقم ٢ من هامش ص ٣١٦ .
(٣) لأن ما بعدها يكون خاضعاً في إعرابه لحاجة ما قبلها ؛ فكأنها غير موجودة . لكنها من ناحية المعنى تفيد استثناء ما بعدها من حكم ما قبلها .
(٤) أصل الكلام : ما ذهبت لأحد إلا النايغ . فلما حذف المستثنى منه — وهو : أحد — بقيت لام الجر منفردة تحتاج لشيء بعدها تتصل به ، وتجره ؛ إذ لا يمكن أن تستقل بنفسها ؛ فتأخرت إلى ما بعد « إلا » ؛ ولتجره ؛ لأنه خاضع في إعرابه لما قبلها ، ولا يمكن تقديم وحده دون « إلا » . (وهذا التفسير هو الذي أحلنا عليه في رقم ٦ من هامش الصفحة السابقة رقم ٢ من هامش ص ٢١٧) .
ومثل هذا في التفريغ قول الشاعر :

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء ، أو من قلة الأدب

يريد : لا يكذب المرء من شيء إلا من مهانته . . .
(٥) الكلام هنا مفرغ ؛ لأن المستثنى منه محذوف ، ولوجود نفي معنوي في كلمة « يأبى » ؛ لأن معناها دائماً هو : لا يريد — كما سبق ، في ص ٣١٧ — (هذا تأويلهم ، وفيه مجال للتوقف والرفض) .
وجاء في المعنى — ج ٢ الباب الثامن — ما نصّه في القاعدة السادسة :
(« وقع الاستثناء المفرغ في الإيجاب في نحو قوله تعالى : « ولإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » . وقوله تعالى : « ويأبى الله إلا أن يسمّ نوره » . . . لما كان المعنى : وأنها لا تسهل إلا على الخاشعين — . ولا يريد الله إلا أن يسمّ نوره » . ١ هـ

وأصل الكلام - مثلاً - قبل حذف المستثنى منه :

- ما أخطأ المتكلمون إلا واحداً متسرعا - أو : واحدٌ متسرعٌ }
 ما العدل دِ عامةٌ إلا دِ عامةُ الحكم الصالح - أو : دِ عامةُ الحكم الصالح . }
 ما سمعتُ طيوراً مغردةً إلا بلبلا صدّاحاً - أو : بلبلا صدّاحاً . }
 ليس العمل سلاحاً إلا سلاحُ الشريف - أو : سلاحُ الشريف . }
 ما ذهبت لأحد إلا النابغ - أو : النابغ . }
 ما سعت في أمرٍ إلا الخير - أو : الخير . }
 يأبى الحرّ كلَّ شيءٍ ، إلاّ العزة - أو : العزة . }
 يأبى الله كلَّ شيءٍ إلاّ إتمامَ نوره - أو : إتمامَ . . . }

فالكلام في أصله كلام تام غير موجب ، يجوز فيه الأمران السالفان ؛ إما النصب على الاستثناء ، وإما الإتيان على البدلية ، فلما حذف المستثنى منه صار الكلام نوعاً جديداً ؛ هو : المفرغ^(١) ، وصار له حكم جديد خاص ، تبعاً لذلك . . .

* * *

(١) يجوز التفريغ لجميع الممولات ، إلا المفعول معه ، والمصدر المؤكّد لعامله ، وكذا الحال المؤكّد لعامله ؛ فلا يقال : ما سرت إلا والأشجار - ما زرعت إلا زرعاً - لاتعمل إلا عاملاً - وسبب المنع وقوع التناقض بذكر المعنى مثبتاً أو منقياً قبل : «إلا» ثم مخالفته بعد : «إلا» . وأما قوله تعالى : (إنّ نظنّ إلا ظناً) فالقرائن تدل على أن المراد : إن نظن إلا ظناً عظيماً ، فهو - بسبب القرينة - مصدر مبین للنوع ، وليس مؤكّداً . ويجوز أن يقع «التفريغ» في غير ما سبق منعه ؛ فن التفريغ للمبتدأ قوله تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ومن التفريغ للفاعل قول الشاعر :

ما المجدُّ زخرفُ أقوالٍ تطالعه لا يدرك المجدَّ إلا كلُّ فعال
وللظرف قول الشاعر :

لم يضحك الورد إلا حين أعجبه حسن الرياض، وصوت الطائر الغرّد
وللجار مع مجروره قول الشاعر يمدح الخليفة باحتمال التعب لراحة الرعية :

بصُرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب
وقول الآخر :

ما القرب إلا لمن صحّت مودته ولم يخُنك ، وليس القرب للنسب =

ويمكن تلخيص كل ما تقدم من أحكام المستثنى بـ «إلا» الواحدة^(١) فيما يأتي :

(أ) النصب صحيح في جميع أحوال المستثنى «إلا» التي لم تتكرر ، ما عدا حالة : «التفريغ» ؛ فإن المستثنى يعرب فيها على حسب حاجة الجملة ، وتعرب «إلا» ملغاة .

(ب) يزداد على النصب «البديلة» حين يكون الكلام «تاماً» غير موجب ، بشرط ألا يتقدم المستثنى على المستثنى منه مباشرة ؛ فإن تقدم وهو منصوب بقى على حاله منصوباً على الاستثناء ، وإن تقدم وهو «بدل» تغير الأمر ؛ فزال اسم المستثنى عنه ، وصار معرباً على حسب حاجة الجملة ، لأن الكلام يصير : «مفرغاً» . أما المستثنى منه الذي تأخر فيزول عنه اسمه أيضاً ، ويعرب «بدل كلّ من كلّ» من المستثنى الذي تقدم وتغير حاله^(٢) .

= واللغت بالجملة - قول الشاعر :

وافيت منزله : فلم أرَ صاحباً إلا تلقاني بوجه ضاحك

ثم انظر «أ» الآتية في «الزيادة والتفصيل» - ص ٣٢٦ - حيث النوع من التفريغ المشتمل على جملة فعلية قسمية . . . ويشيع في الأساليب الأدبية المسموعة ، وهو نوع يخالف ما سبق .
(١) أى : التي لم تتكرر .

(٢) وفيما سبق من الأحوال الثلاثة وأحكامها يقول ابن مالك :

ما اسْتَثْنَيْتَ «ألا» مَعَ تَمَامٍ يَنْتَصِبُ وَبَعْدَ نَفْيٍ أَوْ كَنَفْيٍ انْتَحَبَ :
إِتْبَاعُ مَا اتَّصَلَ ، وَانْصَبَ مَا انْقَطَعَ وَعَنْ تَمِيمٍ فِيهِ إِبْدَالٌ وَقَعَ

يريد : ما استثنته «إلا» (أى : كانت أداة استثنائه) وكان تاماً ، فإنه ينصب . ولم يذكر الإيجاب مع شرط التمام ؛ لأنه مفهوم من المقابلة الواردة في الشطر الثاني من البيت ، حيث نص على أنه بعد النفي وشبه النفي يكون المختار هو الإتيان مع المستثنى المتصل ، والنصب وحده مع المنقطع . إلا عند تميم فإنهم يجوزون في المنقطع الإبدال أيضاً . ففهم من هذا أن الأول لا بد أن يكون موجباً . وهذه تفريعات لا داعي لها ؛ والحكم المستصنى يتلخص فيما قلناه من أن المستثنى التام في الكلام الموجب ينصب في جميع صورته ، وأن المستثنى في الكلام التام غير الموجب يجوز فيه أمران : النصب ، والإبدال . ولا أهمية لكثرة أحد الأمرين على الآخر كثرة نسبية (أى : بالنسبة لذلك الآخر ، بحيث لا تنزل القلة إلى حد القلة الذاتية) أو لاستعمال قبيلة دون الأخرى ، ما دام الضبط صحيحاً وكثيراً في نفسه ، دون أن تكون قلته ذاتية .

== ثم عرض بعد ذلك لحالة المستثنى المتقدم حين يكون الكلام تاماً غير موجب فبين أن غير النصب - وهو : « البدل » - قد يجوز ، ولكن النصب هو المختار . فالأمران جائزان ، قياسان ، ولكن أحدهما أكثر في الاستعمال من الآخر كثرة نسبة ؛ يقول :

وَعَيَّرَ نَصْبِ سَابِقٍ فِي النَّفْيِ قَدْ يَأْتِي . وَلَكِنْ نَصْبُهُ اخْتَرُ إِنْ وَرَدَ
ثم انتقل للكلام على الاستثناء المفرغ فقال :

وَإِنْ يُفْرَغُ سَابِقٌ « إِلَّا » لِمَا بَعْدُ يَكُنْ كَمَا لَوْ إِلَّا عُدْمًا
أى : إذا كان الكلام قبل إلا مفرغاً (متجهاً للعمل فيما بعدها) فإن تأثيره فيما بعدها يقوم على افتراض أنها غير موجودة . وعلى هذا الغرض نضبط ما بعدها ؛ فقد يكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مبتدأ ، أو خبراً أو غيره . . . على حسب حاجة ما قبلها .

لكن ما إعراب عراب : (كما لو إلا ...) في البيت الأخير ؟ وكذا في البيت الآتى في ص ٣٤٢ حيث يقول هناك : (كما لو كان دون زائد) ؟

قال الصبان في الموضعين ، وكذا الخضرى فيهما : (إن : « ما » مصدرية ، و « لو » زائدة ، أو العكس) ا هـ .

وهذا يؤيد المذهب الكوفى الذى لا يرى في زيادة الأسماء حرَجاً . وجاء في الصبان - ج ٣ ، باب : « الترخيم » عند بيت ابن مالك : -

واجعله إن لم تنو محذوفاً كما لو كان بالآخر وضعاً تَمَّما ...

مانصه : (الظاهر أن : « ما » في قوله : « كما » زائدة ، و « لو » مصدرية ، والتقدير : ككونه متمماً بالآخر في الوضع . وإما كان هذا هو الظاهر مع أن التحقيق يحمله مزيداً هو الثانى دون الأول ؛ لوقوعه في مركزه ، لكثرة زيادة « ما » . بخلاف : « لو ») ا هـ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) يتردد في فصيح الأساليب الواردة أسلوب مطَّرد^(١) ، يحوى نوعاً آخر من التفرغ ، يخالف ما سبق . وضابط هذا النوع : أن يكون الكلام مشتملاً على جملة قَسَمِيَّة ، ظاهرها مثبت ، ولكن معناها منفي ، وجواب القسم جملة فعلية ماضوية لفظاً ، مستقبلة معنى ، مصدرة « بإلا » ؛ نحو : سألتك بالله إلا نصرتَ المظلوم — ناشدتك الله إلا تركتَ الإساءة . — حلفت بربي إلا عاوت الضعيف — وقول الشاعر :

بالله ربك إلا قلت صادقة . هل في لقائك للمشغوف من طمع
فلاستثناء في الأمثلة السابقة — ونظائرها — مفرغ يقتضى أن يكون الكلام في معناه غير تام ، وغير موجب ، فالمراد : (ما سألتك بالله ... إلا نصرك المظلوم) — (ما ناشدتك الله ... إلا تركك الإساءة ...) — (ما حلفت بربي ... إلا على معاونتك الضعيف) . — (ما حلفت بالله ربك ... إلا على قولك صادقة ...) . فقد اجتمع في الكلام الأمران معاً تقديرأ ؛ (وهما عدم التام ، وعدم الإيجاب) واجتمع معهما أمر ثالث ؛ هو : أن الفعل — مع فاعله — بعد « إلا » مؤول بمصدر منسبك بغير سابق ، ليتمكن إعراب هذا المصدر على حسب ما تحتاج إليه الجملة قبل « إلا » ، أى : على حسب ما يقتضيه « التفرغ » ؛ تطبيقاً لحكم « الاستثناء المفرغ » . فيكون مفعولاً به في المثال الأول ، (وهو : سألتك بالله إلا نصرت المظلوم) ، أى : ما سألتك بالله إلا نصرك المظلوم ، ويكون شيئاً آخر غير مفعول به — إذا اقتضى الكلام غيره ؛ لعدم صلاحية المفعول به . ويجرى هذا التأويل والسبك في بقية الأمثلة ، وأشابها مما يطرد صوغه على النمط الوارد الموافق للمأثور^(٢) .

(١) وهو الذى أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ٣٢٢ ، وانظر ما هو وثيق الصلة بهذا في : « د » من ص ٣٦١ .

(٢) جاء في الدرر اللوامع ، شرح مع الهوامع — ج ٢ ص ٤٦ — بمناسبة البيت السالف ، وهو : (بالله ربك إلا قلت صادقة ... إلخ) ما ملخصه :

أن البيت المذكور يذكر شاهداً على تصدير جواب القسم بالحرف « إلا » ، وأن التقدير فيه : أسألك بالله إلا قلت ، والاستثناء مفرغ . والمعنى : ما أسألك إلا قولك ، فالمثبت لفظاً ، منفي ، معنى ، =

وبهذه المناسبة نذكر « لَمَّا » - التي سبقت الإشارة إليها^(١) - وهي التي تماثل « إَلَّا » في الحرفية ، وفي الدلالة على الاستثناء ، ولكنها لا تدخل إلا على جملة اسمية ؛ كقوله تعالى : « إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ » - ، في قراءة من شدد الميم ، واعتبر « إِنْ » التي في صدر الجملة ، نافية - أو على جملة فعلية ماضوية لفظاً لا معنى ؛ (بأن يكون الفعل ماضياً في لفظه ، مستقبلاً في معناه) ، نحو : أنشدك الله لَمَّا فعلت ؛ أى : أنشدك بالله ، وأستحلفك به إلا فعلت . والمعنى : ما أسألك إلا فعلك ؛ على تقدير : إلا أن تفعل كذا . . . ؛ ليكون الفعل الماضي مستقبل الزمن ؛ تطبيقاً لما تقرر من أن الماضي الذي يليها يكون ماضياً في لفظه ، مستقبلاً في معناه^(٢) وسيجيء^(٣) تفصيل الكلام على جواب القسم ، وأنواعه ، وأحكامه .

(ب) نعود لذكر ما قرره النحاة خاصاً بتقديم المستثنى بالإلا . قالوا : لا يصح - مطلقاً - تقديمه وحده عليها^(٤) ولا يجوز أن يتقدم على المستثنى منه ، وعلى عامله

= ليتأتى التفرغ . والفعل - مع فاعله - مؤول بالمصدر لياتى فيه المفعولية ... فإن قام الاعتراض بأن تأويل الفعل - مع فاعله - بالمصدر من غير سابق هو تأويل شاذ غير قياسى ، وأنه مقصور على ماورد السماع به من مثل : « تسمع بالسمع يلى خير من أن تراه » ... ، كان دفع الاعتراض بأن تأويل الفعل بالمصدر من غير سابق أمر قياسى في بعض الحالات ؛ كالتى نحن فيها ، دون بعض ؛ فيحكم عليه بالشذوذ في كل باب لم يطرد فيه السبك عن العرب . أما إذا طرد السبك في باب واستمر فيه ؛ فإنه لا يكون شاذاً ؛ كالأساليب التى نحن بصدددها حيث التزمنا فيها العرب ذلك النسق ، وكإضافة بعض أسماء الزمان إلى الجملة في مثل : جئت حين ركب الأمير ، أى : في حين ركوب الأمير . وفى مثل قوله تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) ، أى : يوم نفع الصادقين . . . فهذا وأمثاله مطرد . ومثل : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، فإنك إذا نصبت « تشرب » فإنما تنصبه بأن مضمره ؛ فيصير اسماً معطوفاً في الظاهر على فعل ، وهذا العطف ممتنع إلا عند التأويل ؛ فيحتاج إلى أن تنصيد من الفعل « يأكل » مصدراً من غير سابق - كأن تقول مثلاً : لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن - ، ولا يمد هذا شاذاً ، لا طرده في بابه . وكذلك مثل : سواء على أقيمت أم قعدت . أى : قيامك وقعودك ، فهذا مؤول بالمصدر بدون أداة سبك ؛ لا طرده في باب التسوية ... اهـ الملخص .

(١) في رقم ٣ من هامش ص ٣١٩ ونجى لها إشارة أيضاً في : « د » من ص ٣٦١ .

(٢) راجع الأشموني والصبيان - ج ٤ - أول باب : « الجواز » عند الكلام على : « لما » الحازمة .

(٣) في ص ٤٩٨ . (٤) كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٣٢١ .

.

معاً ؛ فلا يصح : إلا التفاحَ أكلت الفواكهَ . أما تقدمه على أحدهما وحده فحائز ؛ وقد تقدمت ^(١) الأمثلة لتقدمه على المستثنى منه دون العامل . وأما تقدمه على العامل وحده فنحو : الفواكهَ إلا التفاحَ أكلت . حيث تقدم المستثنى على عامله بعد أن سبقهما معاً المستثنى منه .

وإذا كان المستثنى منه اسم موصول لم يجوز تقديم المستثنى على الصلة ، لأنه لا يصح الفصل بين الموصول وصلته بالمستثنى .

وإذا كان للاسم الواقع بعد إلا - مباشرة - أو لغيره مما بعدها في جملتها معمول ؛ فإنه لا يجوز تقديمه عليها ؛ ففي مثل : ما أنا إلا طالبٌ علماً - لا يصح : ما أنا علماً إلا طالب .

وإذا كان قبلها عامل له معمول ، فإنه لا يجوز تأخير هذا المعمول عنها ؛ ففي مثل ما يجيد الناشئون الخطابة إلا الأديبُ - أو مثل : ما يحرص على الأدب إلا الأديبُ . . . لا يصح أن يقال : ما يجيدُ الناشئون إلا الأديبُ الخطابة - ولا ما يحرص إلا الأديبُ على الأدب . وبعض النحاة يجوز تأخير هذا المعمول إذا كان شبه جملة ، أو حالا ، ويؤيد رأيه بأمثلة كثيرة فصيحة تجعله مقبولا ؛ فيصح أن يقال : (يتكلم الخطباء - إلا المريض - واقفين . . .) (يعترف الأجانب - إلا بعضهم - بعظمة العرب . . .) (تتصافى النفوس - إلا الخبيثة - أمام الخطر) .

ويصح تقديم المستثنى على صفة المستثنى منه ؛ ففي مثل : ما كَرَّمتِ الأمةُ المتحضرةُ إلا النابغين . . . يصح أن يقال : ما كَرَّمتِ الأمةُ إلا النابغين المتحضرةُ .

(ح) تعددت الآراء في الناصب للمستثنى ؛ فقليل : « إلا » ، وقيل : العامل الذي قبلها بمساعدتها . وقيل فعل محذوف تقديره : أسْئِئنى . . . و . . . ولا أثر لهذا الخلاف ، النظرى في أحكام المستثنى ، وضبطه ؛ فالخير في إغفاله ؛ اكتفاء بأن نقول في الإعراب : المستثنى منصوب على الاستثناء . ولعل أقوى الآراء أنه منصوب بالفعل قبلها ، أو بغيره مما يعمل عمل الفعل ^(٢) . إلا المستثنى المنقطع

(١) في ص ٣٢٠ و ٣٢١ .

(٢) فإن لم يوجد قبلها فعل أو غيره مما يعمل - نحو : الزملاء أخوة إلا الغادر - أمكن تأويله بما يعمل ، أى : الزملاء منتسبون للأخوة إلا الغادر .

فعامله هو : « إلا » . ونحن في غنى عن التعرض لأقواها وغيره إلا حين يعرض أمر يختص بالعامل — وهذا قليل — وعندئذ يرجح الفعل أو ما يعمل عمله كالحالات السالفة التي يجوز فيها تقدم المستثنى على عامله أو عدم تقدمه .

(د) وردت أمثلة مسموعة وقع فيها المستثنى غير منصوب ، مع أن الكلام تام موجب ؛ ومنها قوله تعالى : « فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ » في قراءة كلمة : « قليل » بالرفع . ومنها : تغير المنزل إلا باب^(١) ومنها قوله عليه السلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة ، إلا امرأة^(٢) ، أو مسافر^(٣) ، أو مريض^(٤)) . وقوله أيضاً : (فتفرقوا كلهم إلا قتادة^(٥)) و

وقد كلف النحاة أنفسهم عناء التأويل والتقدير ؛ ليجعلوا الكلام تاماً غير موجب ؛ فيصلوا من هذا إلى جواز البدل ، وإلى أن الأمثلة مسايرة للقاعدة عندهم . فما قالوه في الآية : إن نصها — على لسان طالوت — هو : (إن الله مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي) . . . (فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) فمعنى : « شربوا منه » : لم يكونوا مني ولا من أنصاري . فهي في تأويل كلام مني في تقديرهم .

وقالوا : في المثال الثاني وأشباهه : إن : « تَغَيَّرَ » معناها لم يبق على حاله . فالكلام يتضمن نفياً في المعنى . . . كما عرضوا تأويلات أخرى لبقية الأمثلة الواردة .

ولا شك أن كلامهم مردود ، وتأويلهم بعيد ، لسببين :

أولهما : أن كل كلام مثبت لا بد له من نقيض غير مثبت ، ويستحيل الحكم على شيء بالإثبات دون أن يتصور العقل له ضدًا منفيًا ؛ فعني « سكت الفتى » : لم يتكلم . ومعنى لم يتكلم : سكت ، ومعنى : « نام الرجل » : لم يتيقظ . ومعنى « تيقظ » : ليس بنائم . ومعنى « تحرك الطفل » : لم يسكن . ومعنى « سكن » : لم يتحرك ومعنى « شرب » : لم يفقد الماء ويظماً . ومعنى « فقد الماء » : ما شرب

(١) نص المثال المسوع ، الوارد في « التصريح » هو :

وبالصَّريحَةِ منهم منزل خلَقَ عَافٍ تَغَيَّرَ إِلَّا النَّوْىُ وَالْوَدَّ
— وفي حاشية ياسين أمثلة متنوعة أخرى —

و . . . و . . . ، وهكذا ، فلو أخذنا برأيهم ، وفتحنا باب التأويل على هذا النمط لم يبق في الكلام العربى أسلوب مقصور على « التام مع الإيجاب » دون أن يصلح للنوع الثانى (وهو : التام غير الموجب) وهذا غير مقبول .

وثانيهما : وهو الأهم — أن الآية والمثال وغيرهما مما وقع فيه المستثنى غير منصوب في الكلام التام الموجب — إنما ورد صحيحاً مطابقاً للغة بعض القبائل العربية ، التى تجعل — السلقية — الكلام « التام » الموجب ، والتام غير الموجب « متماثلين في الحكم »^(١) ؛ يجوز فيهما : إما النصب على الاستثناء ، وإما البذل من المستثنى منه ، وإما الرفع على الابتداء^(٢) . . . و . . . ؛ فلا معنى للتأويل بقصد إخضاع لغة قبيلة للغة نظيرتها^(٣) .

(١) وقد ورد النص على هذا في كثير من المراجع النحوية ، ومنها : حاشية ياسين على « التصريح ، شرح التوضيح » ، فيها البيان والأمثلة من القرآن والحديث وغيرهما مما سرده في أول « الاستثناء » . — وكذا الصبان .

(٢) من يرفع الاسم بعد : « إلا » في الكلام التام الموجب فعل اعتبار ذلك الاسم عنده مبتدأ ، خبره مذكور أو محذوف ، ويجعل المستثنى حيثئذ هو الجملة في محل نصب على الاستثناء . ويجرى هذا في المتصل والمنقطع

(راجع الصبان ، أول باب الاستثناء ، وكذلك حاشية « الأمير » على المغنى ج ٢ ، بعد الجملة السابعة من باب الجمل التى لها محل من الإعراب ؛ حيث الأمثلة المتعددة الواردة برفع المستثنى في الكلام التام الموجب والتى لا تحتمل تأويلاً ، وحيث النص الصريح من كلام ابن مالك وغيره بأن النصب جائز لا واجب ، مؤيداً رأيه بالشواهد الفصيحة المتنوعة التى سردها ...) (وانظر رقم ٣ من هامش ص ٣٣٢) . والخير في ترك هذه اللغات القليلة ؛ بالرغم من أنها صحيحة قياسية .

(٣) وما يتصل بهذا ويفيد عرضه هنا ما جاء في تفسير البحر المحيط » (ج ٢ ص ٢٦٦ — لأبي حيان) للآية الكريمة : « فشرّبوا منه إلا قليل منهم » . . . ونص كلامه :

« . . . وقرأ عبد الله ، وأبى ، والأعمش ، « إلا قليل » بالرفع . قال « الزخشرى : » وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً ، وهو باب جليل من علم العربية . فلما كان معنى : فشرّبوا منه « في معنى : فلم يطعموه ، حمل عليه ؛ كأنه قيل : فلم يطعموه إلا قليل » . ونحو قول الفرزدق : « وعصّ زمانُ يابن مروان لم يدعُ من المال إلا مُسحَحاتاً أو مُجَلَّفاتٍ — المُسحَحات : القليل ، والمجَلَّفات : من ذهب الشدائد والسنون بماله ، أو من تركت له بقية

وإذا كان التأويل على هذا النمط معيياً ، وواجبنا الفرار منه جهد استطاعتنا ، فإن الأنسب لنا اليوم أن نتخير — عند الضبط — اللغة الضاربة في الفصاحة ، الشائعة بين اللغات المتعددة ؛ لنقتصر عليها في استعمالنا تاركين غيرها من اللغات واللهجات القليلة ، توحيداً للتفاهم ، وفراراً من البلبلة الناشئة من تعدد اللهجات واللغات بغير حاجة ماسة ؛ فعلينا أن نعرف تلك اللغات في مناسباتها ، ويستعين بها المتخصصون على فهم النصوص الواردة بها ، دون محاكاتها في الضبط ، أو القياس عليها — كما أشرنا لهذا كثيراً — على الرغم من أنها صحيحة يجوز محاكاتها^(١) .

(هـ) إذا كان الكلام تاماً موجباً^(٢) فلا يكون المستثنى منه — في الفصح —

= « كأنه قال : لم يَبْقَ من المال إلا مُسَحَّتٌ أو مُجَلَّفٌ » . ا هـ كلام الزمخشري .
« والمعنى : أن هذا الموجب الذي هو « فُشِرُوا منه » هو في معنى النفي ؛ كأنه « قيل : فلم يطيعوه ؛ إلا قليلٌ » فارتفع « قليل » على هذا المعنى ، ولو لم يلحظ فيه معنى النفي لم يكن ليرتفع ما بعد إلا .
فيظهر أن ارتفاعه هو على أنه بدل من جهة « المعنى ؛ فالموجب فيه كالنفي .
« وما ذهب إليه الزمخشري من أنه ارتفع ما بعد « إلا » على التأويل هنا دليل على أنه لم يحفظ الإتياع بعد الموجب ؛ فلذلك تأوله .
« ونقول : إذا تقدم موجب جاز في الذي بعد إلا وجهان ، أحدهما : النصب على الاستثناء ، وهو الأفضح . والثاني : أن يكون ما بعد إلا تابعاً لإعراب المستثنى منه ؛ إن رفعاً فرغ ، أو نصباً فنصب ، أو جرّاً فجر ؛ فنقول : قام القوم إلا زيدٌ ، ورأيت القوم إلا زيداً ، ومررت بالقوم إلا زيد ، وسواء أكان ما قبل إلا مظهر أو مضمراً . واختلفوا في إعرابه ؛ (فقيل هو كذا . . . أو كذا . . . وسرد آراء مختلفة . . .) ثم قال بعدها :
« ومن الإتياع بعد الموجب قوله :

« وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

(. . .) « ا هـ النص المنقول حرفياً من تفسير أبي حيان .
(١) لأن كل قراءة صحيحة قرئ بها القرآن يصح محاكاتها فيه غيره ، والقياس عليها ، وكذلك كل لغة سليمة لإحدى القبائل ؛ كما نص على هذا الأئمة ، وعرضنا له بأدلته وتفصيله في بحث مستفيض ؛ عنوانه « القياس » . بكتابتنا المسمى : « (اللغة والنحو بين القديم والحديث) .
(٢) راجع في الحكم الآتي كتاب : همع الهوامع ج ١ ص ٢٢٣ أول باب الاستثناء ، (وفي رقم ٦ من هامش ص ٣٢١ ، إشارة لما يأتي .)

.
.

نكرة ، إلا إن أفادت ^(١) . فلا يقال جاء قوم إلا رجلا ، ولا قام رجال إلا محمداً ، لعدم الفائدة ، بسبب أن النكرة محضة . فإن أفادت جاز ؛ نحو قوله تعالى : (فَلَتَبَيِّثْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) — وقام رجال كانوا في بيتك إلا واحداً منهم . أما الكلام التام غير الموجب فالفائدة تحقق فيه بالنفي وشبهه ؛ لدلالة النكرة معه — غالباً — على العموم نحو : ما بجاءنا أحد إلا رجلا ، أو إلا علياً . . .

كذلك لا يكون المستثنى منه معرفة ، والمستثنى نكرة لم تخصص ؛ فلا يقال : قام القوم إلا رجلا ، فإن تخصصت جاز ؛ نحو : خرج القوم إلا رجلا منهم . أو : إلا رجلا حارسا . . .

(و) عرفنا ^(٢) أن المستثنى المنقطع ليس بعضاً من المستثنى منه ، فليس فرداً من أفراد نوعه ، وليس جزءاً من أجزاء الفرد ؛ — كما سبق ^(٢) — فكيف يكون مستثنى وبينه وبين المستثنى منه هذا التخالف والتباين ؟ كيف يكون المطروح مبايناً جنس المطروح منه ؟ .

قال النحاة :

١ — إن كان المستثنى المنقطع جملة ^(٣) ؛ مثل قوله تعالى : « (فَتَدَكَّرْ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُدَكَّرٌ ، لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيَعِذُّهُ »

(١) إفادتها تكون بزيادة تظراً عليها ؛ كوصف ، أو إضافة ، أو غيرها مما يفيد تخصيصاً ، ولا يتركها على حالها محضة التذكير . (٢٢ و) في « ه » من ص ٣١٨ ، ورقم ٢ من هامشها .

(٣) يجوز وقوع المستثنى المنقطع جملة بنوعها ، ويكون لها محل من الإعراب — كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٣٠ — ، ولا داعي لاشتراط : (أن يكون الاستثناء مفرغاً ، وأن يكون الفعل إما مضارعاً ، وإما ماضياً مسبوفاً بقد ، أو بماض قبل « إلا ») . فهذا الذي نص عليه « ياسين » في حاشيته على « التصريح » عند الكلام على : « غير » التي للاستثناء — خالفه فيه الأكثرون ، ولعله غالب ، لا شرط لازم ؛ (كما سيجيء في « ب » من ص ٣٤٩) . فإن كان المستثنى متصلاً جاز — في القول الصحيح — وقوعه جملة ، برغم ما في حاشية ياسين ج ١ ، الباب الخامس من أبواب النياحة ، عند الكلام على جر الممنوع من الصرف بالكسرة لإضافته — .

الله العذاب الأكبر . . .) أعربت هذه الجملة ^(١) ، في موضع نصب على الاستثناء ، و «إلا» أداة استثناء حرف ؛ بمعنى : «لكن» (الساكنة النون ، التي تفيد الاستدراك والابتداء ^(٢)) معاً ، وتقتضى أن تسبقها جملة ، وتدخل على جملة جديدة - اسمية أو فعلية - ^(٣) ، فهي متوسطة بين جملتين ؛ فكأن التقدير ؛ لست عليهم بمسيطر ، لكن من تولى وكفر فيعذبه الله . . .

٢ - إن كان المستثنى المنقطع مفرداً منصوباً فأداة الاستثناء : «إلا» تكون - عند أكثر النحاة - بمعنى : لكن (المشددة النون) التي تفيد الابتداء ^(٢) ، والاستدراك ، وتعمل عمل : «إن» ، نحو : نام أصحاب البيت إلا عصفوراً مغرداً . فكلمة ؛ «إلا» بمعنى : «لكن» المذكورة ، التي تقتضى بعدها جملة اسمية الأصل تنصب فيها المبتدأ وترفع الخبر ؛ سواء أكان خبرها مذكوراً أم محذوفاً . ولا بد - على هذا الرأي - من جملة اسمية بعدها ، ولا بد من ذكر جملة أخرى قبلها ؛ فكأن التقدير : نام أصحاب البيت لكن عصفوراً مغرداً يَقِطُ ، أو : لم يَنَمْ . . .

ويرى سيبويه أن المستثنى المنقطع المنصوب بعد «إلا» إنما هو منصوب بعامل قبلها ؛ شأنه في هذا شأن المستثنى المتصل . فما بعد «إلا» عند سيبويه - مفرد سواء أكان متصلاً أم منقطعاً . وهي بمعنى : «لكن» العاطفة التي لا يقع المعطوف بها إلا مفرداً ، غير أن «إلا» ليست حرف عطف .

والأخذ برأى سيبويه هنا في اعتبار عامل المستثنى المنقطع ، أسهل وأيسر .

٣ - وإن كان المستثنى المنقطع مفرداً مرفوعاً - ؛ كما في حالة البدلية . . .

(١) هي جملة اسمية ، المبتدأ «من» اسم موصول بمعنى الذي ، مبنى على السكون في محل رفع - «تولى» ، فعل ماض ، الفاعل ، ضمير مستتر تقديره : هو . والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول . . . «فيعذبه» ؛ الفاء ، زائدة ، داخلية على جملة الخبر . «يعذبه الله» جملة من مضارع وفاعله ومفعوله في محل رفع ؛ خبر المبتدأ ، والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب على الاستثناء - وقد سبق بيان المواضع التي تزداد فيها الفاء في الخبر ، ج ١ ص ٤٨٧ آخر باب المبتدأ والخبر . (٢ و٣) أي : الصدارة في الجملة التي تدخل عليها .

(٢) فهي تقتضى - بعد الجملة السابقة عليها - الدخول على جملة جديدة ، زيادة على ما تفيد من الاستدراك (وقد مر شرح الاستدراك وتفصيل أحكامه في ج ١ ص ٤٧٢ م ٥١) .

عند من يجيزها ، والابتداء عند من لا يجيزها^(١) — في نحو ؛ ما سهر أصحاب البيت إلا عصفورٌ مغردٌ — كانت أداة الاستثناء «إلا» بمعنى : لكن (ساكنة النون) فأصل التقدير ، ما سهر أصحاب البيت لكن عصفور مغرد سهر .

والسبب في تعدّد هذه التقديرات — كما يبدو — هو إدخال كل ضبط من تلك الضبوط تحت قاعدة نحوية عامة ، أما المعنى فلن يتغير في المستثنى ، ولا المستثنى منه ، ولا غيرهما ، وسيظل المستثنى منصوباً على الاستثناء إن كان جملة أو مفرداً منصوباً ، فإن كان مفرداً غير منصوب فهو بدل . ويجوز في الاسم المرفوع اعتباره مبتدأ خبره مذكور أو محذوف ، كما تقدم — والجملة منصوبة على الاستثناء .

بالرغم من أن المنقطع ليس بعضاً من المستثنى منه فإنه لا يجوز أن يكون منقطع المناسبة والعلاقة بينه وبين المستثنى منه انقطاعاً كلياً في المعتاد — كما سبق^(٢) — فلا يصح : أقبل الضيوف إلا ثعباناً . كذلك لا يصح أن يسبقه ما هو نص صريح في خروجه وفقد تلك العلاقة ، فلا يجوز : صهلت الخيل إلا الإبل ، لأن الصهيل نص قاطع في صوت الخيل وحدها ؛ فلا صلة بين المستثنى والمستثنى منه مطلقاً ؛ فيصير الكلام خلطاً وبتراً . بخلاف صوتت الخيل إلا الإبل . (ز) تقدم — في الحكم الثاني^(٣) — أن المستثنى في الكلام التام غير الموجب يجوز فيه النصب والبدل . ويقول النحاة في تفريع هذا البدل كلاماً مرهقاً غير مقبول ، والخير في إهماله ؛ ومنه :

إذا تعذر البدل على اللفظ أبدل على الموضع . فمثل : ما جاءني من أحد إلا البائع . . . لا يجوز إعراب «البائع» بدلاً مجروراً من لفظ : «أحد» ، لزعهم أن كلمة : «أحد» مجرورة اللفظ بالحرف الزائد : «من» وهو حرف لا يزداد — غالباً — إلا في كلام منفي ؛ كالمثال السالف ، وأن كلمة : «البائع» معناها مثبت ؛ (لأن الكلام الذي بعد «إلا» مناقض لما قبلها في النفي والإثبات ، كما هو معروف) فإذا كان معناها مثبتاً فكيف تكون بدلاً من كلمة : «أحد» المنفية ،

(١) راجع رقم ٢ من هامش ص ٣٣٠ .

(٢) في ص ٣١٨ «هـ» .

(٣) ص ٣٢٠ .

المجرورة لفظاً بالحرف الزائد، والبدل على نية تكرار العامل الذى يعمل فى المبدل منه ؟ فكأنهم يقولون :

(إن كلمة : «البائع» المجرورة ملحوظ قبلها فى التقدير الحرف «من» الزائد الذى عمل الجحر فى المبدل منه «أحد» . ويترتب على هذا - عندهم - دخول «من» الزائدة الجحارة فى كلام مثبت بعد «إلا» ، وهى - فى الغالب - لا تكون إلا فى كلام منى ، كما سبق . وفراراً من هذا الذى يرونه محظوراً منعوا البدل بالجحر من لفظة : «أحد» وأجازوا البدل بالرفع من محلها : لأنها مجرورة بمن لفظاً وفى محل رفع فاعل للفعول : جاء ، فالتقدير : جاء البائع .

ومثل : ليس اللص بشيء إلا رجلاً تافهاً ، فقالوا لا يجوز ضبط كلمة : «رجلاً» بالجحر على اعتبارها بدلاً من كلمة : «شئ» الجرور لفظها ؛ وإنما يجوز النصب على اعتبارها بدلاً من محل كلمة : «شئ» ، وذلك للوهم السالف أيضاً ؛ وهو أن المبدل منه (وهو كلمة : شئ) مجرور بالباء الزائدة ، وهذه الباء لا تزداد إلا فى جملة منفية ، والمستثنى «إلا» مثبت بعد الكلام المنفى ، فلو أبدلنا كلمة : «رجلاً» من كلمة : «شئ» المجرورة لكان هذا البدل مستلزماً فى التقدير وقوع الباء - وهى العامل فى المبدل منه - قبل البدل أيضاً ؛ لأن البدل على نية تكرار العامل ؛ فيترتب على هذا دخول «باء» الجحر الزائدة على مثبت ؛ وهو عندهم ممنوع . فللفرار من هذا أبدلوا كلمة : «رجلاً» من كلمة : «شئ» مع مراعاة محلها ، لا لفظها ، لأن محلها النصب ؛ فهى مجرورة لفظاً ، منصوبة محلاً ، باعتبارها خبر : «ليس» !! .

ومثل : لا ساهر هنا إلا حارس . لا يجوز عندهم أن تكون كلمة : «حارس» بدلاً منصوباً من محل كلمة : «ساهر» المبنية على الفتح لفظاً فى محل نصب . وحجتهم أن كلمة : «ساهر» . . . اسم «لا» واسم «لا» منى ، أما المستثنى هنا فوجِب ، لوقوعه بعد «إلا» . (وما بعدها مخالف لما قبلها نفيًا وإثباتًا ، كما تقدم) - ولما كان العامل فى المستثنى منه : هو : «لا» النافية للجنس وجب عندهم أن تكون عاملة أيضاً فى المستثنى ؛ لأن العامل فى الاثنين لا بد - فى رأى المشهور - أن يكون واحداً ، ثم يقولون : كيف تعمل «لا» فى المستثنى الموجب وهى لا تعمل إلا فى منى ؟ وللفرار من هذا قالوا : إن البدل هو من محل اسم «لا»

قبل دخولها ، وليس من محل اسمها بعد دخولها ، فاسمها قبل دخولها كان مبتدأ^(١) ، فالبدل مرفوع مثله ، ولا عمل للناسخ فيه إذ ذاك .

ومثل : ما الخائن شيئاً إلا رجلٌ حقيرٌ ؛ فقد منعوا أن تكون كلمة : « رجل » بدلا منصوباً من كلمة : « شيئاً » المنصوبة . وحتموا أن تكون بدلا مرفوعاً من كلمة : « شيئاً » باعتبار أصلها ؛ فقد كانت خبراً مرفوعاً للمبتدأ قبل مجيء « ما » الحجازية التي تعمل عمل : « ليس » . وسبب المنع أن المستثنى منه منفي ، والمستثنى موجب ، والعامل في الاثنين واحد ؛ هو : « ما » الحجازية ، فتكون « ما » الحجازية قد عملت في الموجب ، وهي لا تعمل إلا في المنفي .

ذلك رأيهم ودليلهم^(٢) في كل ما سبق من الأمثلة الممنوعة ، وهو رأى غريب (إذ ما الحكمة - كما قال بعض آخر من النحاة - في ارتكاب هذا التكلف^(٣) ؟ مع أن القاعدة : (أنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع^(٤)) .

(١) يجوز في هذا المثل من الأوجه الإعرابية ما يجوز في أشباهه التي عرضوها في باب « لا » النافية للجنس - آخر الجزء الأول - ؛ ومنها : « لا إله إلا الله » . فقد جوزوا في كلمة : « الله » ما يأتي : (أ) الرفع على البدلية ؛ مراعاة لمحل « لا مع اسمها ؛ لأن محلها رفع على الابتداء عند سيبويه . (ب) أو : الرفع على البدلية مراعاة لمحل اسم « لا » باعتباره في الأصل مبتدأ مرفوعاً قبل دخول الناسخ . (ح) أو : الرفع على البدلية من الضمير المستتر في خبر « لا » المحذوف ؛ فأصل الكلام لا إله موجود ؛ أي : هو .

(د) أو : النصب على الاستثناء من هذا الضمير المستتر ؛ لأن الجملة تامة غير موجبة ؛ فيجوز في المستثنى أمران كما عرفنا : البدلية ، أو : النصب على الاستثناء .

(٢ و ٣) راجع الأشموني ، وحاشية الصبان ج ٢ أول باب : « الاستثناء » ، عند الكلام على البدل ، في الكلام التام غير الموجب .

(٣) عرضنا صوراً من تطبيقاته في آخر الجزء الثالث عند الموازنة بين عطف البيان وبدل الكل .

(٤) وقد يعبرون عن هذه القاعدة بتعابير مختلفة الألفاظ متحدة المعاني ؛ منها : (يغتفر كثيراً في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل) - كما جاء في الصبان ج ٢ - في باب الإضافة ، عند الكلام على : « أي » . ومنها : (يغتفر في الثواني ما لا يجوز في الأوائل) - كما جاء في الجمع ج ١ ص ٢١٥ عند الكلام على الظرف : « لدن » - . ومنها : (أنهم يتساهلون في الثواني ، ويغتفرون في التوابع) كما جاء في حاشية الأمير على المغني ، ج ١ عند الكلام على الحرف ، « رُبَّ » وتكثير مجروره

ومثلوا له بقوله تعالى : « اسكن أنت وزوجك الجنة » — حيث لا يمكن تسليط العامل على المعطوف^(١) — فهلا جاز هنا في البدل الجر أو النصب تبعاً للفظ المبدل منه بناءً على هذه القاعدة . .)^(٢) .

وشئ آخر له الأهمية الأولى ، ولا أعرف أنهم ذكروه ؛ هو كلام العرب في مثل ما سبق ، والمأثور من أساليبهم ، أ جاء خالياً من إتباع المستثنى للفظ المستثنى منه ، أم لم يجئ ؟ وفي الحالتين لا يقوم دليل على المنع ؛ لأن عدم المجيء ليس معناه التحريم ، فالأمر السلبي لا يكتفى في انتزاع حكم قاطع مخالف للمألوف في نظرائه التي يستتبع فيها البدل حركة المبدل منه اللفظية ، كما أن المجيء قاطع في الصحة .

الحق أن هذا كله — وأشباهه — هو الجانب المغيب في : « نظرية العامل » ، إذ يمنحه سلطاناً قوياً يتحكم به في صياغة الأسلوب ، أو ضبطه ، بغير سند يؤيده من فصيح الكلام . وقد سبق أن امتدحنا هذه النظرية البارعة التي لم تصدر إلا عن عبقرية ، وذكاء لسمّاح ، وقلنا^(٣) إنها لا عيب فيها إلا ما قد يشوبها في قليل من الأحيان من مثل هذه الهنات .

(ح) في مثل : ما أحدٌ يقول الباطل إلا الدنيءُ ، يجوز في كلمة : « الدنيء » أن يكون بدلاً مرفوعاً من كلمة : « أحد » أو : من ضميره المستتر الواقع فاعلاً للمضارع . ويجوز نصبه على الاستثناء . فللرفع ناحيتان ، وللنصب واحدة . أما في مثل : ما رأيت أحداً يقول الباطل إلا الدنيءُ ، فيجوز في كلمة : « الدنيء » النصب على الاستثناء ، أو : على البدلية من كلمة : « أحد » المنصوبة ويجوز فيها الرفع على البدلية من الفاعل المستتر في الفعل المضارع ؛ فللنصب ناحيتان وللرفع ناحية .

* * *

(١) لأن فعل الأمر لا يرفع اسماً ظاهراً . ومثل هذا ما يقال في الحرف : « رُبَّ » من صحة عطف المعرفة على الاسم المحرور به ، مع أن « رب » حرف لا يجر لإلا النكرة — كما سيجيء في حروف الجر ص ٥٢٣ —
(٢) وقد ردوا هذا الكلام بأن الأخذ بتلك القاعدة إنما يكون في بعض المواضع دون بعض وليست مطردة .
(٣) ج ١ ص ٤٥ م ٦ . وهذا غريب أيضاً .

(ب) الحكم إذا كانت أداة الاستثناء هي «إلا» المكررة^(١) :

(١) قد يكون تكرارها بقصد التوكيد اللفظي المحض ، وتقوية «إلا» الأولى

الاستثنائية ، غير إفادة استثناء جديد . وهذه الحالة صورتان :

الأولى : أن تقع «إلا» التي تكررت للتوكيد اللفظي المحض ، بعد «الواو» العاطفة — ولا يصح أن تقع بعد غيرها من حروف العطف — نحو : أحب ركوب السفن إلا الشراعية ، وإلا الصغيرة . فالواو حرف عطف . «إلا» الثانية : للتوكيد اللفظي ، ولا تفيد استثناء . و «الصغيرة» معطوفة على «الشراعية» ؛ فهي مستثنى ، بسبب العطف ، لا بسبب «إلا» المكررة^(٢) ؛ ولهذا يكون المستثنى المعطوف تابعاً للمعطوف عليه في ضبطه . ولا تأثير لوجود «إلا» المكررة في ضبطه . أو ضبط غيره ، وإنما تأثيرها مقصور على ما تتضمنه من فائدة معنوية يحققها التوكيد اللفظي بها .

الثانية : ألا تقع «إلا» التي جاءت للتكرار المحض بعد حرف عطف ، ولكن يكون اللفظ الواقع بعدها مباشرة متفقاً مع المستثنى الذي قبلها في المعنى والمدلول . برغم اختلاف اللفظين في الحروف الهجائية ، ويكون ضبط اللفظ بعد المكررة جارياً على افتراض أنها غير موجودة ؛ فوجودها وعدمها سواء من ناحية الحكم الإعرابي الذي يخصه . مثال ذلك رجل يقال له : هارون الرشيد ، أو : محمد الأمين ... أو ... — نحو : جاء القوم إلا هارون إلا الرشيد ، اشتهر الخلفاء إلا محمداً إلا الأمين . فكلمة : «إلا» الثانية في المثالين لا تفيد استثناء جديداً ، لأن «الرشيد» المقصود هو : «هارون» ، و «الأمين» المقصود هو : «محمد» . وإنما أفادت الثانية توكيداً لفظياً

(١) سبق الكلام على : «إلا» غير المكررة في ص ٣١٩ .

(٢) وهذا الحكم ينطبق على جميع أنواع المستثنى الثلاثة إذا تكررت «إلا» وقد سبق مثال «النام الموجب» أما مثال «النام غير الموجب» فنحو : لا أحب ركوب السفن إلا البواخر ، وإلا الكبيرة . وأما مثال «المفرغ» فقول الشاعر :

لا يَمْنَحُ النفس ما ترجوه من أرب إلا الطموح ، وإلا الجُدُّ ، والعملُ
وقول الآخر :

وما الفضل إلا أن تجود بنائل وإلا لِقَاءُ الخلِّ ذى الخلق العالى
فالمصدر المؤول بعد «إلا» ، الأول خبر . أما الثانية فلمجرد التوكيد اللفظي ، والمصدر الصريح بعدها معطوف بالواو على المصدر المؤول .

لكلمة : « إلا » الأولى ، ولا تأثير للثانية في ضبط كلمتي : « الرشيد ، والأمين » ، فكل واحدة منهما تعرب هنا بدل كل من كل^(١) ، أو : عطف بيان من المستثنى الأول . ولو حذفنا كلمة : « إلا » التي جاءت للتكرار ما تغير الضبط ولا الإعراب ، فوجودها لا أثر له من هذه الناحية الإعرابية ، على الرغم من أثرها المعنوي الذي يكون للتوكيد اللفظي المحض .

ولو قلنا : ما جاء القومُ إلا هارونُ إلا الرشيدُ لصَحَّ في كلمة : « الرشيد » الرفع أو النصب ، تبعاً لكلمة : « هارون » التي يجوز فيها الأمران ، بسبب أن الاستثناء تام غير موجب . وكذلك ما جاء القومُ إلا محمداً ، أو محمداً ، إلا الأمينُ ؛ فيجوز في كلمة : « الأمين » الأمران للسبب السابق . فكأن « إلا » المكررة غير موجودة : إذ لا أثر لها في الحكم الإعرابي .

ولو قلنا : ما اشتهر إلا هارونُ إلا الرشيدُ ، لوجب رفع كلمة « الرشيد » إبتاعاً لكلمة : « هارون » التي يجب رفعها ؛ بسبب أن الاستثناء مفرغ . وكذلك الحال في : ما جاء إلا محمدٌ إلا الأمينُ^(٢) .

* * *

(ب) وقد يكون تكرار « إلا » لغير التوكيد اللفظي المحض ، وإنما الغرض استثناء جديد : بحيث لو حذفت لم يفهم الاستثناء الجديد ، ولم يتحقق المراد منه ؛ فهي في هذا الغرض كالأولى تماماً ؛ كلتاها تفيد استثناء مستقلاً ؛ وفي هذه الحالة تتعدد الأحكام على الوجه الآتي :

(١) البدل في هذا المثال بدل كل من كل ، وفي غيره قد يكون بدل بعض ، أو : اشتغال ، أو : إضراب ؛ مثل : ما أعجبنى أحد ، إلا الطبيب الرحيم ، إلا وجهه ، أو : إلا عطفه ، أو : ما أعجبنى أحد ، إلا الطبيب الرحيم ، إلا المهندس مبتكر .

(٢) وفي « إلا » المكررة للتوكيد المحض يقول ابن مالك :

وَأَلْغِ إِلَّا ذَاتَ تَوْكِيدٍ : كَلَّا تَمَرُّزُ بِهِمْ ، إِلَّا الْفَتَى إِلَّا الْعَلَا

يريد : اعتبر « إلا » ملغاة ، أي : غير موجودة ، إذا كانت للتوكيد ، وأردت أن تضبط ما بعدها . ومثل لها بمثال هو : لا تمرز بهم إلا الفتى إلا العلا . والعلا أو العلاء ، هو اسم الفتى . فالفتى هو : العلاء ، والعلاء هو الفتى . وهو بدل كل ، أو عطف بيان من كلمة : « الفتى » . ولو حذفت « إلا » المكررة ما تنير الإعراب ؛ فوجودها وعدمها سيان من هذه الوجهة الإعرابية وحدها - كما شرحنا - .

١ - إن كان تكرارها لغير التوكيد في كلام تام موجب فالمستثنيات كلها منصوبة في كل الأحوال ؛ نحو : (ظهرت النجومُ إلا الشمسَ - إلا القمرَ - إلا المريخَ) .

٢ - إن كان الكلام تاماً غير موجب والمستثنيات متقدمة على المستثنى منه نُصِبَتْ جميعاً ؛ نحو : (ما غاب إلا الشمسَ - إلا القمرَ - إلا المريخَ - النجومُ) .

فإن تأخرت نصبت أيضاً . ما عدا واحداً منها - أيّ واحد - فيجوز فيه أمران ؛ إما النصب على الاستثناء كغيره ، وإما البدل من المستثنى منه ؛ مثل : ما غابت النجومُ ، إلا الشمسُ (بالرفع أو النصب) إلا القمرَ - إلا المريخَ .

٣ - إن كان الكلام مفرعاً وجب إخضاع أحد المستثنيات^(١) لحاجة العامل الذى قبل « إلا » ، « الأولى » ، ونصب باقى المستثنيات ، نحو : (ما نبت إلا قَمَحٌ جيد - إلا شعيراً غزيراً - إلا قصباً قوياً . . .) .

وإذا كانت « إلا » التى جاءت للتكرار تفيد استثناء جديداً - كما سبق - فلا بد أن يحىء بعدها مستثنى ، ولا بد أن يكون له مستثنى منه . فأين هذا المستثنى منه ؟ أهو المستثنى منه الأول السابق ، أم هو المستثنى الذى قبل « إلا » المكررة مباشرة ، فيكون المستثنى الذى بعدها خارجاً ومطروحاً من المستثنى الذى قبلها مباشرة ؟

وبعبارة أخرى : أين « المستثنى منه » بعد « إلا » المكررة لغير توكيد في مثل : بكرّ العاملون إلا صالحاً ، إلا محموداً ، إلا حسيناً ؟ فكلمة : « محموداً » مستثنى ثان ، فأين المستثنى منه ؟ أهو : « العاملون » منه الأول ، أم هو « صالحاً » المستثنى الذى قبله مباشرة ؟ .

وكذلك : « حسيناً » مستثنى ثالث . . . فأين المستثنى منه ؟ أهو العاملون أم (محموداً) ، أم ماذا ؟ .

إذا لم يمكن استثناء بعض المستثنيات من بعض - كهذا المثال - كان المستثنى منه هو الأول حتماً ، وهو هنا : العاملون . أما إذا أمكن استثناء كل واحد مما

(١) ليس من اللازم أن يكون الأول ، وإن كان هو المستحسن .

قبله مباشرة - كالأعداد - فيجوز الأمران ، أى : استثناء كل واحد مما قبله مباشرة ، أو استثناء المجموع من المستثنى منه الأول ؛ ففي مثل : أنفقت عشرة ، إلا أربعة ، إلا اثنين ، إلا واحداً ، يجوز إسقاط المستثنيات كلها من العشرة ، فنجمع أربعة ، واثنين ، وواحداً ، ونطرح المجموع من العشرة ؛ فيكون الباقي الذى أنفق هو ثلاثة . (أى : $10 - (1 + 2 + 4) = 3$) كما يجوز إسقاط المستثنى الأخير مما قبله مباشرة . ثم نسقط الباقي من المستثنى الذى قبله مباشرة ... ، وهكذا ، فما بقى آخر الأمر يكون هو المطلوب ، ففي المثال السابق : نطرح ١ من ٢ فيكون الباقي : ١ ثم نطرح ١ من ٤ فيكون الباقي : ٣ ثم نطرح ٣ من ١٠ فيكون الباقي : ٧ وهو المبلغ الذى أنفق .

والأحسن فى الطريقة الثانية جمع الأعداد التى فى المراتب الفردية ، ومنها المستثنى منه الأول ، ثم جمع الأعداد التى فى المراتب الزوجية ، وطرح مجموعها من مجموع الفردية ، فباق الطرح هو المطلوب .
ويلاحظ أن الطريقتين جائزتان ولكن نتيجهما مختلفة ، ولهذا كان اختيار إحداهما خاضعاً للقرائن ؛ فهى التى تُعين إحداهما فقط مراعاة للمعنى .
على الرغم من صحة استعمال الطريقتين - فالأنسب العدول عنهما فى كل مقام يقتضى وضوحاً فى الأداء ، وسموّاً فى التعبير .

* * *

ولو أردنا تلخيص كل ما تقدم من الأحكام الخاصة بكلمة : « إلا » المكررة (١)

(١) وفى أحكام « إلا » المكررة لغير التوكيد يقول ابن مالك :
وَإِنْ تَكَرَّرَ لَا لِتَوْكِيدٍ فَمَعَ تَفْرِيعٌ - التَّأْثِيرَ بِالْعَامِلِ دَعِ
فِي وَاحِدٍ مِمَّا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ وَلَيْسَ عَنْ نَصْبٍ سِوَاهُ مُعْنَى
(التقدير : إن تكررت « إلا » لا لتوكيد فدع التأثير بالعامل فى واحد مما استثنى بإلا - مع التفریع .
أى : فى حالة التفریع . . .)

يريد : إذا تكررت « إلا » لغير التوكيد فإن كان الكلام « مفرغاً » ، فأترك واحداً من المستثنيات ليخضع لتأثير العامل الذى فى الجملة السابقة ، وانصب باقى المستثنيات ، فليس عن نصبها غنى ، أى : مفر . ثم انتقل إلى الحالات الأخرى التى ليس فيها تفریع ؛ فقال :

وَدُونَ تَفْرِيعٍ مَعَ التَّقْدِمِ نَصْبُ الْجَمِيعِ اخْتِصَامٌ بِهِ وَالتَّزِمُ
يريد فى الحالات التى ليس فيها تفریع - وهى حالة التام الموجب ، وحالة التام غير الموجب - إن =

المفيدة لاستثناء جديد - أى : التى ليست للتوكيد المحض - لكان التلخيص الموجز هو :

- ١ - إذا تكررت « إلا » لغير التوكيد المحض نُصِبَتْ بعدها المستثنيات فى جميع الأحوال ، وفى مختلف الأساليب ، إلا فى حالة : « التفرغ » فيجب - حتماً - تخصيص مستثنى واحد يخضع فى إعرابه لحاجة العامل ، ونصب ما عداه .
- ٢ - ويجوز فى حالة الكلام التام غير الموجب إذا تأخرت المستثنيات اختيار واحد منها ليكون بدلاً من المستثنى منه الأول ، ويجوز نصبه مع باقىها .

= تقدمت المستثنيات وجب نصبها جميعاً فى مختلف أحوالها . أما إن تأخرت فقال فيها :

وَأَنْصَبْ لِتَأْخِيرٍ ، وَجِئْ بِوَاحِدٍ مِنْهَا ؛ كَمَا لَوْ كَانَ دُونَ زَائِدٍ
كَلِمَ يَقُولُوا إِلَّا أَمْرٌ إِلَّا عَلَى وَحْكُمِهَا فِي الْقَصْدِ حُكْمُ الْأَوَّلِ

أى : تنصب المستثنيات كلها فى حالة التأخير ؛ فإن كان الكلام تاماً غير موجب ، صح اختيار واحد منها ، وضبطه بما كان يستحقه من الضبط لو لم تتكرر إلا ، وهذا الضبط هو البدلية أو النصب كما وضعه مثاله ؛ وهو : (لم يقولوا إلا أمرؤ إلا على) فيجوز فى « على » الرفع على البدلية من « أمرؤ » ، أو النصب . ثم بين أن المستثنيات كلها مقصودة كالمستثنى الأول . فا تكرر من المستثنيات حكمه فى المعنى حكم الأول ؛ فيثبت له ما يثبت للأول من الخروج مما قبله إثباتاً أو نفياً .

بقى أن نعرب إعراب : (كما لو كان . . .) وقد سبق البيان فى آخر هامش ص ٣٢٥ .

المسألة ٨٢ :

أحكام المستثنى الذى أدواته أسماء^(١) :

(غير ، وسوى ، بلغاتها المختلفة)

من أدوات الاستثناء ما هو اسم صريح ؛ أشهره : غير ، وسوى (وفيها لغات مختلفة : سِوَى ، سَوَى ، سَوَاء ، سِوَاء) وهذه الأسماء الصريحة — عند استعمالها أداة استثناء — تشترك فى المعنى وفى الحكم .

فأما « غير » — ومثلها نظيراتها — فعنها إفادة المغايرة . . . أى : الدلالة على أن ما بعدها مغاير ومخالف لما قبلها فى المعنى الذى ثبت له ، إيجاباً أو نفيّاً ؛ فعنى : « أسرع المتسابقون غير سعيد » ، أنهم أسرعوا مغايرين ومخالفين فى هذا الأمر سعيداً ؛ فهو لم يسرع ، فكان مخالفاً ومغايراً لهم أيضاً . وكذلك : « ما ضحك الحاضرون غير صالح » . فالمعنى : أنهم لم يضحكوا ، مغايرين ومخالفين صالحاً فى هذا ، أى : فى عدم الضحك ؛ لأنه ضحك دونهم ، فكان مخالفاً ومغايراً أيضاً . ومثل هذا يقال فى بقية أسماء الاستثناء .

وأما حكم تلك الأسماء فينحصر فى أمرين^(٢) ؛ أولهما : ضبط المستثنى الواقع بعد كل اسم منها ، وطريقة إعرابه .

وثانيهما : ضبط أداة الاستثناء الاسمية ، وطريقة إعرابها ، (لأنها اسم لا بد له من موقع إعرابى ؛ فيكون مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً ، على حسب موقعه من الجملة ؛ كشأن جميع الأسماء) .

(١) من هذه الأسماء : بَينَد ، وسيجىء الكلام عليها وعلى الفرق بينها وبين « غير » وأخواتها فى :

« ١ » « من » الزيادة ، ص ٣٤٩ .

(٢) لا بد قبل النظر فى تحقق هذين الأمرين معاً ، من أن يكون الكلام جارياً على ما يقتضيه ويتطلبه أسلوب الاستثناء ؛ بحيث لا يستقيم المعنى إلا على أساس الاستثناء . والسبب فى هذا الشرط أن كل اسم من أدوات الاستثناء الاسمية يصلح فى ذاته لأشياء كثيرة ، منها الاستثناء ، وغيره ؛ فلا يتعين للاستثناء إلا إذا اقتضى السياق ذلك ، وتحققت أركان الاستثناء بوجود المستثنى منه أو بعدم وجوده إن كان الكلام « مفرغاً » فلا بد من النظر لحاجة السياق أولاً —

(١) فأما ضبط المستثنى وإعرابه فليس له إلا ضبط واحد ، وإعراب واحد ، هو : ضبطه بالجر ، ويعرب « مضافاً إليه » ، إليه دائماً ، — ولا بد أن يكون مفرداً^(١) — والأداة الاسمية هي المضاف . كما في الأمثلة الآتية :

أسرع	المتسابقون	غير	سعيد
فرح	الفائزون	غير	واحد
ظهرت	النجوم	غير	نجم

(ب) ما أسرع المتسابقون غير سعيد ، أو : غير سعيد .
ما رأيت الفائزين غير سعيد ، أو : غير سعيد .
ما نظرت للنجوم غير نجم ، أو : غير نجم .

(ح) ما أسرع . . . غير سعيد .
ما رأيت . . . غير سعيد .
ما نظرت . . . لغير سعيد .

ففي كل هذه الأمثلة — وأشابهاها — لا يكون المستثنى إلامضافاً إليه مجروراً ، مفرداً^(١) ، وأداة الاستثناء الاسمية هي : المضاف .

(ب) وأما ضبط أداة الاستثناء وإعرابها فيختلف باختلاف حالة الكلام ، فحين يكون الكلام تاماً موجباً ، تُنصب على الاستثناء^(٢) كما في « ا » من الأمثلة السالفة ، وكقول الشاعر :

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتي وتَهون ، غير شاة الحساد

وحين يكون الكلام تاماً غير موجب يجوز نصبها على « الاستثناء » ، ويجوز إتباعها للمستثنى منه ؛ كما في « ب » من الأمثلة السالفة ، وكما في قولهم : (أين الأقوال من الأفعال ، فلن نتحقق بالكلام الغايات الجليلة غير بعض منها ، وما أقلّه ؟)
وحين يكون الكلام مفرغاً تضبط وتعرب على حسب حاجة الجملة ؛ فقد

(١٩١) أى : ليس جملة ولا شبهها .

(٢) في الأخذ بهذا الرأي راحة وبسهولة ؛ لأنه يسائر في إعرابه إعراب المنصوب من المستثنيات الأخرى . ولأن الاعتراض عليه أخف من الاعتراض على الرأي القائل بإعرابها حالاً « مؤولة » ، بمعنى : « مغاير » ، وعلى الرأي القائل إنها منصوبة على التشبيه نظرف المكان في الإيهام (انظر الحالة الثانية التي تشمل على ما أُلحق باسماء الزمان المهمة — ص ٢٠٢) ، ولنا حاجة إلى الانتقال بعرض الأدلة ؛ لأنها جدلية محضة ؛ ولا أثر لها في الأسر الهام . وهو : ضبط الكلمة .

تكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو غيرهما ، كما في « ج » من الأمثلة السالفة ، وكقولهم : لا ينفع المرء غير عمله .

يفهم من كل ما تقدم : (أنه يطبق على كلمة : « غير » — عند ضبط صيغتها الخاصة — كل الأحكام التي تجرى على المستثنى بإلا عند إرادة ضبطه ^(١) بالتفصيلات المختلفة التي سبقت هناك . ولا فرق في هذا التطبيق بين : « غير » وباقي أخواتها الأسماء ^(٢)) . لكن بينها وبين أخواتها ^(٣) بعض فروق في نواح أخرى ؛ منها : أن المضاف إليه بعد الأداة « غير » ^(٤) قد يحذف إذا دلت عليه قرينة : مثل : (عرفت خمسين ليس غير ^(٥)) ، أي : ليس غير الخمسين . ولا يصح : عرفت خمسين ليس سوى . لأن « سوى » بلغاتها المختلفة واجبة الإضافة لفظاً ومعنى ، ولا يصح قطعها عن هذه الإضافة اللفظية ^(٦) .

(١) ويجوز بناؤها على الفتح في كل الحالات بشرط أن تكون مضافة إلى مبنى . شأنها في ذلك شأن الأسماء المتوصلة في الإبهام (وقد سبقت الإشارة إلى المراد منها في باب الظرف ص ٣٠٢) ومنها : غير ، ومثل ، وبعض الظروف التي عرضناها . . .) (٢) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَأَسْتَثْنِ مَجْرُورًا بِغَيْرٍ ، مُعْرَبًا بِمَا لَمْ تُسْتَثْنِ بِإِلَّا نُسْبًا
وَلَيْسَ سَوًى ، سَوًى ، سَوَاءً — اجْعَلًا عَلَى الْأَصَحِّ مَا لِغَيْرٍ جُعِلًا

(التقدير : استثنى بكلمة : غير ، مجروراً ، أي : مستثنى مجروراً . حالة كون لفظ : « غير » معرباً بمثل ما نسب للمستثنى بإلا . أي : معرباً مثل إعرابه في الحالات المختلفة) . يريد : أن المستثنى « بغير » مجرور دائماً . وأن كلمة « غير » نفسها تضبط بالضبط الذي يكون للمستثنى « بإلا » فيما لو حذفت « غير » ، وحلت محلها : « إلا » وجاء بعد « إلا » مستثناه — كما يشرحنا — .

ثم بين أن مثل « غير » في ذلك كلمات أخرى ؛ منها : سوى — سواء . وأن الأصح أنها تشبهها في الاستثناء . وليست ظرفاً إلا عند فريق .

(٣) أما الفرق بين « غير » و « إلا » و « بئذ » فيجىء في « ب » من ص ٣٤٩ .

(٤) وبعض أدوات سيجىء ذكرها في مكانها الخاص من باب الإضافة ج ٣ .

(٥) يصح ضبط « غير » هنا بأوجه متعددة ؛ منها : البناء على الضم ؛ باعتبارها اسم « ليس » والخبر محذوف ؛ ويكون المضاف إليه محذوفاً مع نية معناه ، والتقدير — مثلاً — : ليس غير الخمسين معروفاً . ويجوز في : « غير » أن تكون مبنية على الفتح لإضافتها إلى مبنى (وهو : الضمير) في محل رفع اسم « ليس » أيضاً والتقدير : ليس غيرها ، والخبر محذوف كالسابق . ويجوز أن تكون مرفوعة منوطة باعتبارها اسم « ليس » ، والمضاف إليه محذوف ، ولم ينول لفظه ولا معناه ، والخبر محذوف أيضاً ، أي : ليس غير . . . ، والتقدير : ليس غير الخمسين معروفاً . ويجوز تصبها مع تنوينها باعتبارها خبر « ليس » واسمها محذوف : والتقدير : عرفت خمسين ليس المعروف غيراً ، أي : غيرها — وسيجىء الكلام على : « غير » في باب الإضافة — ج ٣ م ٩٥ .

(٦) بيان هذا في مكانه المناسب من باب الإضافة (ج ٣) عند الكلام على : « غير » .

ومنها : أن « غير » لا تكون ظرفاً . أما « سوى » فتقع ظرف مكان في مثل : « جاء الذى سواك » . عند من يرى ذلك ، ويجعلها صلة الموصول ؛ (لأن الصلة لا تكون إلا جملة أو شبه جملة) ، والتقدير عنده : جاء الذى استقر فى مكانك عوضاً عنك ، ثم توسعوا فى استعمال « سواك » ومكانك ، فجعلوهلما - مجازاً - بمعنى : « عوضك » من غير ملاحظة حلول بالمكان .

ومنها : أن استعمال « غير » فى الاستثناء ليس هو الأكثر ، وإنما الأكثر أن تكون :

١ - نعتاً لنكرة ؛ فتفيد مغايرة مجرورها للمنعوت ، إما فى ذاته المادية ؛ نحو : (أقبلت على رجل غير^(١) على) ، وإما فى وصف طارئ على ذاته المادية ، نحو : (خرج البريء من المحكمة بوجه غير الذى دخل به) ، ذلك أن وصف الوجه مختلف فى الحالتين . . . ، أما ذات الوجه ، ومادته التى يتكون منها ، فلم تتغير . وكقول الشاعر :

تحاول منى شيمةً غيرَ شيمتى وتطلب منى مذهباً غير مذهبى
« فالشيمة ، أو المذهب » وصف طارئ على الذات ، وأمر عرضيٍّ لاحقٍ بها ، وليس جزءاً أساسياً فى تكوينها المادى الأصيل .

٢ - أو نعتاً لشبه النكرة : وهو المعرفة المراد منها الجنس^(٢) ، نحو قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) فكلمة « غير » مجرورة ، وهى لذلك نعت لكلمة : « الذين » المراد بها جنس لأقوام مُعَيَّنِينَ^(٣) ، وليست للاستثناء ؛ إذ لو كانت للاستثناء لوجب نصبها .

(١) ليست هنا أداة استثناء لما هو مقرر من وجوب أن يكون المستثنى منه - فى الأغلب - أعم من المستثنى ، بحيث يشمل .

(٢) كاسم الموصول ؛ فإنه مبهم باعتبار عينه ، من غير اعتبار صلته معه ؛ فإنها تزيل إبهامه ، وتجعله معيناً . (كما سيحى فى « ج » من ص ٣٥٠) .

(٣) كيف تقع « غير » نعتاً لاسم الموصول وأشباهه مع أنها نكرة وهو معرفة ؟ والجواب : أن منعوتها وحده - من غير الصلة - بمنزلة النكرة ؛ فهى مطابقة له فى التنكير ، أو : أن إبهامها وتنكيرها ضعيفان - بسبب وقوعها بين ضدين - فهى قريبة من المعرفة ؛ فتقع نعتاً للمعرفة بالإيضاح الوارد عنها فى ج ٣ باب الإضافة . والرأى الحق هو أن العرب استعملت فى كلامها « غير » نعتاً للنكرة أحياناً ، والمعرفة التى تشبهها حيناً ؛ كما فى الآية المعروضة . وتفصيل هذا كله على وجه =

وإذا وَقَعَتْ نَعْتًا — كما في الحالتين السالفتين — فإنها تكون مؤولة بالمشق ؛ بمعنى : مغاير (١) .

٣ — يلي هاتين في الكثرة أن تقع موقعًا إعرابيًا آخر مما تصلح له الأسماء الجامدة ؛ كالمبتدأ في قول الشاعر :

وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى طيب يداوى والطبيب مريض
وكالخبر — ومنه خبر النواسخ — في قول الشاعر :

وهل ينفع الفتیان حسنُ وجوههم إذا كانت الأعمالُ غيرَ حسان
وكالفاعل ونائبه ، والمفعول به . . . و . . . ، وكل هذا قياسى فصيح .

أما « سوى » فالأكثر فيها أن تكون للاستثناء ؛ كالأمثلة السالفة ؛ ولغير الاستثناء في نحو : سواك متسرع — رأيت سواك متسرعًا — القوة بسوى الحق مهزومة . . . — لا ينفع سوى الصبر عند معالجة المشكلات ، وكقول الشاعر :

وإذا تباع كريمة أو تُشتَرى فسواك بائعها ، وأنت المشتري وقول الآخر :

أترك ليلتي ليس بيني وبينها سوى ليلة ؟ إني إذاً لصبور .
وقد تكون نعتًا لنكرة ، أو لشبه نكرة كما تكون « غير » . . . وهكذا (٢) .

* * *

حكم تابع المستثنى « بغير » وأخواتها .

مما يلاحظ أن المستثنى « بغير وأخواتها الأسماء » مجرور دائماً ؛ لأنه « مضاف إليه » . لكن إذا جاء بعده تابع (٣) له جاز في التابع أمران :

= مناسب — ولا سيما ما يتعلق باكتسابها التعريف من المضاف إليه المعرفة ، أو عدم اكتسابها ، وكذلك صحة دخول « أل » عليها وعدم صحتها . . . — مُدَوَّن في المرجع السالف (ج ٣ باب الإضافة ، م ٩٣ ص ٢٥ عند الكلام على الحكم السادس من الأحكام المترتبة على الإضافة . . .)

(١) لأن النعت لا يكون — في الأغلب — إلا مشتقاً ، أو مؤولاً به .

(٢) سيبيء في : ٥ من ص ٣٦١ أن « سوى » قد تكون — أحياناً — بمعنى : (ولا سيما) ؛ طبقاً للبيان الشامل الذى سبق تفصيله في ج ١ م ٢٨ ص ٣٦٦ — باب : « الموصول » .

(٣) سبق أن التواضع أربعة : النعت — العطف — التوكيد — البدل . (وفي إلجز الثالث باب خاص بكل واحد) .

أحدهما : الجر مراعاة للفظ المستثنى المجرور ؛ نحو : قدمت المنح للفائزين غير محمود وحسن .

ثانيهما : ضبطه بمثل ضبط المستثنى « بإلا » ، لو حذفت « غير » وحل محلها : « إلا » . وذلك بأن نتخيل حذف كلمة : « غير » ، ووقوع « إلا » موقعها ، وضبط المستثنى بغير على حسب ما تقتضيه الحالة الجديدة بسبب مجيء « إلا » ، في مكان « غير » ، ثم نضبط تابعه بمثل حركته الجديدة ، ففي المثال السابق : (قدمت المنح للفائزين غير محمود) — يصير : قدمت المنح للفائزين إلا محموداً ، فصار المستثنى منصوباً مع « إلا » بعد أن كان مجروراً مع الأداة : « غير » ، فيصح في تابعه أن يكون منصوباً مع كلمة « غير » أيضاً ، على تخيل « إلا » المقدرة والملاحظة ، وأن المستثنى بها — على فرض وجودها في الكلام — منصوب ؛ فنقول : قدمت المنح للفائزين غير محمود ، وحسن أو : غير محمود وحسناً ؛ بافتراض أن كلمة : « محمود » مجرورة في ظاهرها ؛ لأنها مستثنى للأداة « غير » ، ومنصوبة في التقدير والتوهم ؛ لأنها مستثنى للأداة : « إلا » المقدرة ، ولهذا يصح النصب والجر في كلمة : « ضرب » من قول الشاعر :

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلبى ، وضرب الرقاب

ومثل : ما جاء الفائزون غير محمود وحسن ، أو : حسناً ، أو : حسن ؛ لأننا لو وضعنا الأداة : « إلا » مكان الأداة « غير » لجاز في المستثنى ، الذى كان مجروراً بعد « غير » أمران بعد مجيء « إلا » هما النصب على الاستثناء ، والرفع على البدلية ، هكذا : ما جاء الفائزون إلا محموداً — أو محمود ، فيجوز في تابعه الأمران : النصب والرفع ؛ وهذا يجرى أيضاً في تابع المستثنى بكلمة : « غير » التى تجيء في مكان : « إلا » فيجوز فيه الأمران زيادة على جره . ومعنى هذا أن كلمة « حسن » وهى المعطوفة في المثال السالف ، يجوز فيها الجر ، والنصب ، والرفع . والنحاة يسمون الضبط الناشئ من التخييل السالف : « الإعراب على التوهم »^(١) أو : « على المحل » وهو مقصور — في باب الاستثناء — على المستثنى « بغير » وأخواتها الأسماء . ولا يجوز في غيرها . ومع جوازه المشار إليه يحسن البعد عنه ، وعن التوهم عامة ؛ حرصاً على أهم خصائص اللغة ، وتمسكاً بسلامة البيان .

.
.

زيادة وتفصيل :

(١) من أخوات « غير » الاستثنائية كلمة بمعناها ، هي : « بَيْدَ »^(١)
(وقد يقال فيها : « مَيْد ») ، ولكنها تختلف عن « غير » في أمور :

منها : ملازمة « بيد » للنصب دائماً ، على اعتبارها حالا مؤولة ، بمعنى :
« مغاير » ، أو على اعتبارها منصوبة على الاستثناء ؛ فلا تكون صفة ، ولا تكون
مرفوعة ، ولا مجرورة ، ولا تكون منصوبة إلا على الاعتبار السابق .

ومنها : أنها لا تكون أداة استثناء إلا في الاستثناء المنقطع .

ومنها : أنها مضافة دائماً إلى مصدر مؤول من : « أن » ومعمولها « . ولا يجوز
قطعها عن الإضافة .

ومن الأمثلة : فلان غنيّ ، بَيْدَ أنه جشعٌ ، وأخوه فقير بَيْدَ أنه عزيز
النفس .

(ب) تختلف الأداتان « غير » و « إلا » في أمور^(٢) ؛ أهمها :

١ - أن كلمة : « غير » لا يقع بعدها الجمل ؛ لأنها اسم لا يضاف إلا
للمفرد .

أمّا « إلا » فيقع بعدها المفرد والجمل بنوعيهما الاسمية والفعلية ، (وقد سبق^(٣)
القول بأنه لا داعي للأخذ بما اشترطه بعض النحاة لوقوع الجمل بعدها ، وهو : (ألا
يكون الاستثناء متصلاً ، وأن يكون الكلام مفرغاً - وأن يكون الفعل في الجمل
الفعلية إما مضارعاً ، نحو : ما النبيل إلا يعمل الخير ، وإما ماضياً مقترناً بالحرف
« قد » نحو : ما النبيل إلا قد قام بالواجب ، وإما ماضياً مسبوقاً بماض آخر
قبل « إلا » ، نحو : ما أرسلت رسالة إلا تمنيت أن ترضى صاحبها . وقول
الشاعر :

(١) وهي التي سبقت لها الإشارة في رقم ١ من هامش ص ٣٤٣ .

(٢) سبق (في ص ٣٤٥) بيان الفوارق بين « غير » وأخواتها الأخرى .

(٣) في رقم ٣ من هامش ص ٣٣٢ البيان والإيضاح .

بطور سيناء - كرم ، ما مررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء
فالظاهر أن ماسبق ليس بالشروط المحتومة، وإنما هو البادى فى الصور الكثيرة^(١).

٢ - يجوز أن يقال : عندى درهم غير جيد ، على النعت ، ولا يجوز :
عندى درهم إلا جيد - لأن الكثير فى وقوع « إلا » نعتاً أن يكون ذلك فى أسلوب
يصح فيه الاستثناء . وهنا لا يصح الاستثناء ؛ لمخالفته الكثير^(٢) . . .

٣ - يجوز أن يقال : قام غير واحد . ولا يجوز : قام إلا واحد ؛ لأن حذف
المستثنى منه لا يكون فى الكلام الموجب .

٤ - يجوز أن يقال : أقبل الإخوان غير واحد وزميلة ، أو زميلة ، بجر
« زميلة » مراعاة للفظ المعطوف عليه ، أو نصبها حملاً على المعنى المتخيل - كما
شرحناه ، وأبدينا فيه رأينا من قبل^(٣) - ولا يجوز مع « إلا » تخيل سقوطها ،
ولإحلال « غير » محلها . . .

٥ - يجوز أن يقال : ما جئتكم إلا ابتغاء علمك ، ولا يجوز مع الأداة :
« غير » إلا الجر ، أى : ما جئتكم لغير ابتغاء معروف ؛ لأن المفعول لأجله يجب
أن يكون مصدراً . و « غير » ليست مصدراً .

(ح) قد يقتضى المعنى أن تخرج « إلا » عن الحرفية ، وعن أن تكون أداة
استثناء ، لتكون اسماً بمعنى : « غير » وتعرب صفة - بشرطين^(٤) .

أولهما : أن يكون الموصوف نكرة أو ما يشبهها من معرفة يراد بها الجنس
- كما سبق^(٥) - مثل المعرف بأل الجنسية . . .

(١) فى رقم ٣ من هامش ص ٣٣٢ البيان والايضاح .

(٢) يوضح هذا ما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٣٤٣ . وما سيحىء فى « ج » .

(٣) ص ٣٤٧ و ٣٤٨ - عند الكلام على تابع المستثنى بـ « غير » .

(٤) زاد بعض النحاة شرطاً ثالثاً ؛ هو : أن تكون فى الأسلوب الذى تقع فيه نعتاً صالحة لأن
تكون للاستثناء . والتحقيق أن هذا الشرط مردود بدليل أن سيبويه يمثل لها بقوله : (لو كان معنا رجل
إلا زيد لهلكنا) بل إن المبرد يصرح - فى أحد رأيه - بأن سيبويه يشترط ألا تكون صالحة للاستثناء ،
ويذكر مثاله السالف . فالصحيح أن هذا الشرط مرفوض - كما تقدم - .

(٥) انظر رقم ١ و ٢ من ص ٣٤٦ .

وثانيهما : أن يكون جمعاً أو شبه جمع ، والمراد بشبه الجمع : ما كان مفرداً في اللفظ ، دالاً على متعدد في المعنى ؛ مثل : كلمة : « غير » . . . في نحو : جاء غير الغريب . فغير الغريب - وأشباهه - متعدد حتماً^(١).

فمثال « إلا » الواقعة صفة لجمع حقيقى هو نكرة حقيقية : (سينهزم الأعداء ، فقد خرج لملاقاتهم جيش كبير ، إلا القواد والرماة) . فلا يصح أن تكون « إلا » هنا حرف استثناء ؛ خشية أن يفسد المعنى ؛ إذ الاستثناء - كما شرحنا أول الباب - يقتضى أن يكون المعنى هنا : خرج لملاقاتهم جيش كبير طرحنا ونقصنا منه القواد والرماة . ولا يُعقل أن يخرج جيش كبير دون قواده ورماته .

ومثل : (تتسع قاعة المحاضرة لجموع كثيرة إلا المحاضر) ، فهى هنا - كما في المثال السابق - بمعنى : غير ، ولا يصح أن تكون بمعنى « إلا » الاستثنائية ؛ لثلاث يترب على ذلك أن يكون المعنى : تتسع قاعة المحاضرة لجموع كثيرة طرحنا ونقصنا منهم المحاضر ، إذ لا يعقل أن تتسع قاعة المحاضرة للسامعين ، ولا تتسع للمحاضر ، فلا يمكن أن يجتمعوا لسماع محاضرة من ليس له مكان عندهم ، ومثل هذا قوله تعالى : (لو كان فيهما^(٢) آلهة إلا الله لفسدتا) ، فلو كانت « إلا » حرف استثناء لكان المعنى : لو كان فيهما آلهة ، ليس من ضمنها الله لفسدتا . (أى : لو كان فيهما آلهة أخرجنا وطرحنا منها الله ، لفسدتا) ، وهذا معنى باطل ؛ إذ يوحى بأنهما لا تفسدان إذا كان الله من ضمن الآلهة ولم يخرج ولم يُطرح . وهذا واضح البطالان . بخلاف ما لو كانت « إلا » اسماً بمعنى : « غير » ، نعتاً للنكرة قبلها ، فإن المعنى يصح ويستقيم .

ومثال : « إلا » الاسمية الواقعة نعتاً لشبه الجمع الذى هو نكرة حقيقية أن نقول للخائن : غيرك إلا الخائن يستحق الصفح ، فكلمة « إلا » اسم بمعنى : « غير » ولا تصلح أن تكون استثناء ؛ لثلاث يكون المعنى : غيرك من الخائنين يستحق

(١) ومن الشرطين السالفين تنشأ صور أربع : (أن يكون الموصوف جمعاً حقيقياً ونكرة حقيقية) - (وأن يكون شبيهاً بالجمع ونكرة حقيقية) - (وأن يكون جمعاً حقيقياً وشبيهاً بالنكرة الحقيقية) . وللصور الثلاث السالفة أمثلة معروضة . (أما الرابعة : فأن يكون شبيهاً بالجمع ، شبيهاً بالنكرة ، كالمفرد المعروف بأل الجنسية) .

(٢) في السماء والأرض .

.

الصفح إلا الخائن ، وفي هذا تناقض ظاهر . أو غيرك من الأمناء مطروحاً وخارجاً منهم الخائن يستحقون الصفح . والخائن ليس من الأمناء ، ولا علاقة له بهم حتى يُستثنى منهم^(١) . فإذا جعلنا : « إلا » بمعنى : « غير » صح المعنى واستقام وتعرب صفة لكلمة « غير » الأولى ، ولا يصح أن تكون حرف استثناء لفساد المعنى وتناقضه . . .

ومثالها نعتاً للجمع الحقيقي الشبيه بالنكرة : يخشى عقاب الله العصاة إلا الصالحون ، فالعصاة شبه نكرة لوجود « أل »^(٢) الجنسية . و « إلا » بمعنى « غير » صفة . ولو كان حرفاً لفسد المعنى ؛ إذ يكون : يخشى عقاب الله العصاة ، والصالحون لا يخشونه .

أما شبه الجمع الشبيه بالنكرة فكالمفرد المعرف « بأل الجنسية » نحو : الرجل إلا المريض يحتمل الأثقال .

وإذا كانت « إلا » الاسمية نعتاً فكيف نعربها ؟ أتكون هي — وحدها — النعت : مباشرة ؛ مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً ، بحركات مقدرة على آخره . على حسب المنعوت ، وبعدها ما أضيفت إليه مجروراً ؟ أم تكون هي النعت — أيضاً — ، مرفوعة ، أو منصوبة ، أو مجرورة ، على حسب المنعوت ، ولكن صورتها كصورة الحرف ، فالحركات لا تقدّر عليها ، وإنما تنتقل إلى المضاف إليه الذي بعدها مباشرة ؛ فتكون « إلا » نعتاً مضافاً ، واللفظ بعدها هو المضاف إليه ، وهو مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها الحركة المنقولة إليه من « إلا » ؟ .

رأيان ، كلاهما معيب ، معترّض عليه . ولكن أولهما : أقرب إلى القبول ، ومن الخير ألاّ نلجأ في أساليبنا إلى استعمال « إلا » الاسمية ما استطعنا لذلك سبيلاً .

(١) ولا يصح هنا جعل الاستثناء منقطعاً ؛ لعدم وجود نوع من العلاقة أو الارتباط بين المستثنى والمستثنى منه . (طبقاً لما يقتضيه الاستثناء المنقطع ، كما سبق في ص ٣١٨ و ٣٣٤) .

(٢) سبقت أحكامها مفصلة — ولا سيما من ناحية أثرها في التعريف والتشكيك — في ج ١

المسألة ٨٣ :

أحكام المستثنى الذى أدواته أفعال خالصة^(١) ،

والذى أدواته تصلح أن تكون أفعالا وحروفاً^(٢) . . .

(١) فأما الأدوات التى هى أفعال خالصة فتتخصص فى فعلين ناسخين^(٣) جامدين ؛ هما : « ليس » و « لا يكون » . (بشرط وجود « لا » النافية قبل هذا الفعل المضارع ، الذى للغائب ، دون غيرها من أدوات النفى . ولا يصلح من أفعال « الكون » أداة للاستثناء إلا هذا المضارع الجامد . الدال على الغائب المنفى بالأداة : « لا ») ؛ مثل : زرعت الحقول ليس حقلاً ، أو : زرعت الحقول لا يكون^(٣) حقلاً . ومثل : ما تركت الكتب ليس كتاباً ، أو لا يكون كتاباً . . .

وحكم المستثنى بهما وجوب النصب ، باعتباره خبراً لهما : لأنهما فعلا ناسخان جامدان ، من أخوات : « كان »^(٤) - كما سبق - . أما الاسم فضمير مستتر وجوباً

(١ و ١) المراد بالأفعال الخالصة هنا : الكلمات التى لا تستعمل إلا فعلا . وإذا كانت أداة الاستثناء فعلا - خالصاً ، أو غير خالص - وجب أن يكون جامداً ، وأن يكون الكلام تاماً متصلاً ؛ موجباً أو غير موجب ؛ فلا تصلح الفعلية للاستثناء المنقطع ، ولا المفرغ - كما سيحىء هنا - (وقد نص « الصبان ، والحضري » على هذا عند الكلام على الاستثناء بالأدوات الفعلية ، وكذلك صاحب « المفصل » ص ٧٧ ج ٢) وسبقت الإشارة له فى رقم ١ من هامش ص ٣١٧ .

(٢) أحكامها الخاصة بالنسخ مدونة فى باب « النواسخ » ج ١ م ٤٢ .

(٣) الفعل هنا مضارع زمنه للحال ، أو للاستقبال ؛ فيبدو غريباً متناقضاً مع الفعل الماضى قبله فى هذا المثال أو ما يشبهه . وقد قالوا إن المراد : لا تعد ولا تحسب حقلاً ؛ فلا منافاة بين زمن المضارع والماضى على هذا التفسير . ومثل هذا يقال فى الفعل : « ليس » إذا سبقه الماضى الصريح ، مع أن « ليس » لئى المعنى فى الزمن الحالى ، أو يقال : إنه لئى المعنى فى الزمن الحالى عند عدم قرينة تعينه للماضى الخالص - كالتى هنا - أو تعينه للمستقبل ؛ على الوجه المبين فى مكانه المناسب ج ١ ص ٤١١ م ٤٢ باب « كان » وأخواتها .

(٤) إذا كان المستثنى ضميراً منصوباً وجب فصله ؛ نحو : الرجل قام القوم ليس إياه ، أولاً يكون إياه ، لما تقدم (فى ج ١ م ٢٠ ص ٢٤٧ - باب : الضمير) من أن « ليس ولا يكون » فعلين للاستثناء ، ناسخين أيضاً ؛ فلا يجوز : « ليس ولا يكونه » كما لا يجوز : « إياه » ، فكما لا يقع الضمير المتصل بعد « إلا » - لا يقع بعد ما هو مجعناها . - لكن انظر رقم ٥ من هامش ص ٣٥٨ .

النحو الوافى - ثان

تقديره : هو ؛ يعود على « بعض » مفهوم من « كل » يرشد إليه السياق ، ويدل عليه المقام ضمناً^(١) ؛ فمعنى « زرعت الحقول ليس حقلاً » : ليس هو من المزروع ؛ أى : ليس بعض الحقول المزروعة حقلاً . فالمزروع « كل » استثنى^(٢) بعضه . وإذا كانت أداة الاستثناء فعلاً خالصاً وجب أن يكون الاستثناء تاماً متصلاً ، موجباً أو غير موجب ؛ فلا بد في هذا النوع من الاستثناء أن يجمع أمرين : وهما : « التام والاتصال » كما في الأمثلة المذكورة وتعرب الجملة المشتملة على الناسخ واسمه وخبره في محل نصب حالاً^(٣) ، أو تعتبر جملة استثنائية لا محل لها من الإعراب ، ولا علاقة لها بما قبلها من الناحية الإعرابية فقط ؛ أما من الناحية المعنوية فيبينهما ارتباط^(٤) .

(ب) وأما الأدوات التي تكون أفعالا تارة ، وحروفاً تارة أخرى - فهي ثلاثة : عدا - خلا - حاشا (وفي الأخيرة لغات^(٥) أشهرها : حاشاً - حاشاً - حاش . . .) . ومعنى كل أداة من هذه الأدوات الفعلية : « جاوز » . ويتعين عند استعمالها أفعالا أن يكون الاستثناء بها تاماً متصلاً ، موجباً أو غير موجب : كالشأن في جميع أدوات الاستثناء إذا كانت أفعالا ؛ فإنها لا تصلح للمفرغ ، ولا المنقطع .

١ - فإن تقدمت على كل منها « ما » المصدرية وجب اعتبارها أفعالا ماضية خالصة - ولا تكون هنا إلا ماضية جامدة ؛ (فهي جامدة في حالة استعمالها أدوات استثناء) ، مثل : أحب الأدباء ما عدا الخدّاع - وأقرأ الصحف ما خلا

(١) الكلام على مرجع الضمير في ج ١ ص ١٨١ م ١٩ .

(٢) إذا لم يكن في الكلام فعل ملفوظ أو مشتق يشهد في الإرشاد إلى ما يرجع إليه الضمير ، أمكن تصيده من فحوى العبارة ؛ ففي مثل : القوم إخوانك ليس علياً - يكون التقدير : ليس هو علياً ؛ أى : ليس المنتسب إليك بالإخوة عالياً .

(٣) ولا تجيء « قد » المشروطة - عند كثير من النحاة - في الجملة الماضوية المثبتة الواقعة حالاً ؛ لأن هذا الشرط في غير الجمل الماضوية التي أفعالها جامدة ، ومنها الأفعال الواقعة في الاستثناء ، مثل : ليس خلا - عدا - حاشا (كما سيجيء في آخر رقم ٢ من هامش ص ٣٩٩) لهذا لا يصح بجيء « قد » هنا .

(٤) يصح إعراب آخر على اعتبار مخالف لما سبق . والبيان يجيء في الزيادة والتفصيل ص ٣٥٨ .

(٥) ولها أنواع تجيء في ص ٣٦٠ .

التافهة ، وأشاهد تمثيل المسرحيات ما حاشا السوقية . غير - أن تقدّم « ما » المصدرية على « حاشا » قليل ؛ حتى قيل إنه ممنوع . ويحسن الأخذ بهذا الرأي .

وحكم المستثنى في الصور السالفة التي تتقدم فيها « ما » المصدرية وجوب النصب ، باعتباره مفعولاً به لفعل الاستثناء المذكور في الجملة ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره : « هو » ، يعود على « بعض » ، مفهوم من « كل » يدل عليه المقام - كما سبق - أمّا المصدر المؤول من « ما » المصدرية والجملة الفعلية التي بعدها ^(١) ، فهو في محل نصب حال ^(٢) مؤولة بالمشتق ، أو ظرف زمان . والتقدير على الأول : (أحب الأدباء مجاوزين الخداع . . . - مجاوزة التافهة . . . - مجاوزة السوقية) .

والتقدير على الثاني : (وقت مجاوزتهم الخداع . . . - وقت مجاوزتها التافهة . . . - وقت مجاوزتها السوقية ^(٣)) . . . وكلا التقديرين حسن ، ولا يكاد يختلف في الدلالة عن الآخر .

٢ - أما إذا لم تتقدم « ما » المصدرية على الكلمات الثلاث السابقة فيجوز اعتبارها أفعالا ماضية جامدة تنصب المستثنى ، مفعولاً لها ، وفاعلها ضمير مستتر وجوباً تقديره : « هو » - كما سلف - والجملة في محل نصب حال ، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

ويجوز اعتبار الكلمات الثلاث حروف جر أصلية ، والمستثنى مجرور بها ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما أو بما يشبهه . أو أنهما ليسا في حاجة - إلى تعلق . على اعتبار الثلاثة حروف جر شبيهة بالزائد ^(٤) ،

(١) فعل الاستثناء جامد لا يدخل بنفسه في صياغة المصدر المنبسك ؛ وإنما يدخل الفعل الذي بمعناه ؛ وهو جاوز . هذا ، والحرف المصدرى لا يدخل على فعل جامد إلا على هذه الأفعال ؛ لأنها مستثناة من القاعدة السالفة ، أو لأنها متصرفة في أصلها - وقد أشرنا لهذا في ج ١ م ٢٩ - .

(٢) الحال هنا جائزة ، بالرغم من أن الحال لا تكون مصدرأ مؤولا ؛ لاشتماله على ضمير يجعلها معرفة . ولكنها هنا معرفة مؤولة بالنكرة ، أى : مجاوزين - مثلاً - (كما سيجيى في : « ه » من ص ٣٧١ ورقم ٥ من هامشها)

(٣) طريقة صوغ المصدر المؤول من « ما » وصلتها وكل ما يتصل بها - مدونة في ج ١ ص ٢٩٦ م ٢٩ آخر باب الموصول .

(٤) - كما سيجيى في ص ٤٥٢ - ولا داعى للأخذ بهذا الرأي ، لأنه معقد ، وحجة صحابة واهية .

(وحرف الجر الشبيه بالزائد لا يحتاج إلى تعليق) ، ففي الأمثلة السابقة يجوز :
أحب الأدباء عدا الخداع ، أو : الخداع - وأقرأ الصحف خلا التافهة ، أو
التافهة - وأشهد تمثيل المسرحيات حاشا السوقية أو السوقية . فكللمات :
(الخداع ، التافهة ، السوقية) - يجوز في كل منها النصب ، فيكون مستثنى
مفعولا به ، والعامل فعلا ماضياً جامداً . ويجوز فيها الجر والعامل حرف جر^(١) ...

وقد وردت أمثلة مسموعة وقعت فيها « ما » قبل الكلمات الثلاث :
(خلا - عدا - حاشا) ووقع فيها المستثنى مجروراً ؛ وهي أمثلة شاذة لا يصح

(١) « ملاحظة - : قالوا إنما يجوز الأمران - النصب والجر - بعد تلك الأفعال الثلاثة في غير
الحالة التي يكون المستثنى بهيأه المتكلم . فإن كان المستثنى بها ضميراً للمتكلم (الياء) ولم توجد « ما »
المصدرية تَمَعِيْن اعتبار الأداة حرف جر إن لم يوجد قبل ياء المتكلم نون الوقاية ؛ نحو : أطال الخطباء
حاشاي ، أو : عداي ، أو خلاي . والمستثنى مبني على الفتح في محل جر . ولا يصح هنا اعتبار الأداة
فعلاً ينصب المستثنى (الياء) إذ لو كانت الأداة فعلاً لوجب - على المشهور - الإتيان بنون الوقاية قبل
ضمير المتكلم « الياء » (تطبيقاً لما سبق في باب الضمير ، ج ١ ص ١٩٢ م ٢١) ، بخلاف ما لو
قلنا : حاشاي ، أو عداي ، أو خلاي ؛ حيث يجب اعتبار الأداة فعلاً محضاً ، والياء مفعول به ، بسبب
وجود نون الوقاية التي تلزم آخر الفعل عند اتصاله بياء المتكلم ؛ طبقاً للرأى الغالب .

هذا كلامهم . وهو مدفوع بأن نون الوقاية إنما تجيء في آخر الفعل عند اتصاله بياء المتكلم لتقيه
وتحفظه من الكسر الذي يجيء في آخره لمناسبة الياء التي تلتحق بآخره . ولما كانت هذه الأدوات لا يلحقها
الكسر عند اتصالها بالياء امتنع الداعي لحجى نون الوقاية مجيئاً حتمياً ، وصار الاستغناء عنها جائزاً ؛
فيصح أن يقال : حاشاي ، أو : عداي ، أو خلاي . . . وفي هذه الصور يصح اعتبار الأداة فعلاً
أو حرفاً ، لعدم وجود ما يعينها لأحدهما دون الآخر .

نعم ، لو قلنا : حاشاي ، أو : عداي ، أو : خلاي . . . لكان وجود نون الوقاية - ووجودها هنا
جائز لا واجب ، كزألفنا - مرجحاً قوياً لا اعتبار الأداة فعلاً ، لكثرة هذه النون في الأفعال . . . وقلتها
في الحروف ؛ مثل : مَنَنْتِي وَعَيَنْتِي . . .

وفيما سبق من أدوات الاستثناء التي تكون أفعالا فقط ، أو : التي تصلح لأن تكون أفعالا
وحروراً يقول ابن مالك ، وقد خلطها :

وَأَسْتَشْنِ - نَاصِباً - « بَلَيْسَ وَخَلَا » « وَبَعْدَا » ، « وَبَيَكُونُ » بَعْدَ : « لَا »

أى : استثنى بالأدوات التي ذكرها ، (وهي : ليس - خلا - عدا - يكون ؛ بشرط وقوع « يكون »
بعد « لا » النافية) . ناصباً للمستثنى بها ، وفي هذه الحالة التي تنصب فيها المستثنى يتعين أن تكون أفعالا
خالصة . ثم أردف قائلا :

وَأَجْرُرْ بِسَابِقَتِي « يَكُونُ » إِنْ تُرِدْ وَبَعْدَ : « مَا » أَنْصِبْ ، وَأَنْجَرَّارٌ قَدْ يَرُدُّ =

القياس عليها . وقد أولها النحاة ليصححوها ؛ فقالوا : إن « ما » التي وقعت قبلها ليست مصدرية ، ولكنها زائدة .

ولا خير في هذا التأويل ، لأن العربي الذي نطق بتلك الأمثلة لا يعرف « ما » المصدرية ، ولا الزائدة . ولا شيئاً من هذه المصطلحات النحوية التي ظهرت أيام تدوين العلوم ، وجمعها ، وتأليفها ولا شأن له بها . هذا إلى أن التأويل السابق — كشأن كثير من نظائره — قد يُخضع لغة قبيلة ولمجتها لأخرى تخالفها من غير علم أصحابها . وهذا غير سائغ ؛ كما أشرنا مراراً .

= يقول : جر المستثنى بالأداتين السابقتين على « يكون » . إن شئت ؛ — وهما : « خلا وعدا » — وإن شئت فانصبه بعدهما ويكون النصب واجبا حين تسبقهما . « ما » ولم يذكر نوع « ما » وأنها المصدرية . ثم أشار إلى رأى ضعيف مردود ؛ هو أنهما قد يجزان المستثنى أحيانا مع وجود : « ما » قبلهما — على اعتبارها زائدة — وأوضح بعد ذلك أنهما في حالة جرهما المستثنى يعتبران حرفي جر ، وأنهما في حالة نصبه يعتبران فعلين :

وحيثُ جَرَّا فَهُمَا حَرْفَانِ كَمَا هُمَا إِنْ نَصَبَا فِعْلَانِ

(ويلاحظ أنه أدخل « الفاء » على جملة : « هما حرفان » تنزيلا للظرف : « حيث » منزلة الشرط على الوجه الذي شرحناه في موضعه المناسب ص ٢٧٤ و « و » ٢٨٧ وهامشها) . أو على اعتبار : « حيث » شرطية يغير اتصالها « بما » الزائدة ، تبعاً لرأى الكوفيين ،

أما الظرف : « حيث » فتتعلق بعامل معنوي ، هو : الإسناد (أى : بالنسبة الواقعة بين ركني جملة) تطبيقاً لما دونوه من أن شبه الجملة يتعاقب بما في الجملة من فعل أو غيره مما يصح التعلق به ، فإن لم يوجد ما يصلح فقد يتعلق بالنسبة (الإسناد) وذلك كالنسبة المأخوذة من قول ابن مالك « فهما حرفان » فالظرف « حيث » متعلق بالنسبة . أى تثبت حرفيتهما حيث جرا . . . — وسيجيء إشارة هذا في باب حروف الجر عند الكلام على التعلق في رقم ٢ من هامش ص ٤١ ؛ كما سيجيء في ج ٤ م ١٥٧ ص ٣٥١ إشارة لإجراء الظرف مجرى الشرط — .

ثم بين أن الأداة : « حاشا » شبيهة بالأداة : « خلا » في كل أحكامها . لكن لا تجيء : « ما » قبل : « حاشا » وأن فيها لغات أشهرها « حاش » ، « حَشَّأ » ، حيث يقول :

وَكَخَلَا : حَاشَا ، وَلَا تَصْحَبُ « ما » وقيل : « حَاش » ، « وَحَشَا » ؛ فاحفظْهُمَا

.....

زيادة وتفصيل :

(١) هل تقع الجملة المكونة من فعل الاستثناء وفاعله نعتاً ؟ .

ننقل هنا رأيين مفيدين ، وإن كان بينهما نوع تعارض . . .

أولهما : ما جاء في الجمع ^(١) ونصه ^(٢) :

(« من أدوات الاستثناء : « ليس » ، « ولا يكون » ، — وهذه هي الناقصة ، وليست أخرى ارتُجلت للاستثناء — وينصبان المستثنى على أنه خبر لهما ، والاسم ضمير مستتر ، لازم الاستتار — كما تقدم هنا ^(٣) ، وكذلك في مبحث الضمير ^(٤) — نحو : قام القوم ليس محمداً ، وخرج الناس لا يكون علياً . ولفظ : « لا » قيد في كلمة : « يكون » فلو نفيت بما ، أو : لم ، أو : لمّا ، أو : لن . . . لم تقع في الاستثناء . ومن شواهد « ليس » قول الشاعر :

عددت قومي كعديد الطيِّسِ إذ ذهب القوم الكرام ليسى ^(٥)

وقوله عليه السلام : يُطْبَعُ المؤمن على كل خلق ، ليس الخيانة والكذب .

« وقد يوصف بـ « ليس ، ولا يكون » ، حيث يصح الاستثناء ؛ بأن يكون — أى : المستثنى منه — نكرة منفية ^(٦) . قال ابن مالك : أو معرفاً بلام الجنس . نحو : ما جاءني أحد ليس محمداً ، وما جاءني رجل لا يكون بشراً . وجاءني القوم ليسوا إخوانك . قال أبو حيان : ولا أعلم في ذلك خلافاً ، إلا أن المنقول هو اختصاصه بالنكرة ، دون المعروف بلام الجنس .

« ولا يجوز في النكرة المؤنثة : نحو : أنتنى امرأة لا تكون فلانة ، إذ لا يصح الاستثناء منها ، ولا في المعرفة : نحو جاء القوم ليسوا إخوانك . بل يكونان في موضع نصب على الحال .

(١) ج ١ ص ٢٣٣ . (٢) مع بعض تيسير في بضع كلمات .

(٣) في ص ٣٥٣ . (٤) ج ١ م ١٨ ص ٢٠٧ .

(٥) قد وقع المستثنى هنا ضميراً متصلاً يخالف الأكثر الذي سبق حكه — في رقم ٤ من هامش ٣٥٣ —

(٦) ولا بد أن تكون أعم من المستثنى ؛ يمكن استثناءه منها — كما هو معلوم .

« وإذا وصف بهما رفعا ضمير الموصوف المطابق له ؛ فيبرز ^(١) ؛ نحو : ما جاءتنى امرأة ليست أو لا تكون فلانة ، وما جاءتنى رجال ليسوا زيدا ، أو نساء لسن الهندات .
 « قال السيرافي : أجازوا الوصف « بليس ، ولا يكون » لأنهما نص في نفي المعنى عن الثاني . وهذا معنى الاستثناء ، وليس ذلك في « عدا وخلا » ، إلا بالتضمن ، فلم يوصف بهما ؛ لأنهما ليسا موضعى جحد ؛ فلا يقال : ما أتتني امرأة عدت هنداً ، أو : خلت دعداً ^(٢) ا هـ . همع — بتيسير بعض الألفاظ .
 ثانيهما : ما جاء في الفصل ^(٣) ونصه :

(قد يكون : « ليس ، ولا يكون » وصفين لما قبلهما من النكرات ، تقول : أتتني امرأة لا تكون هنداً ، فوضع « لا تكون » رفع ؛ بأنه وصف لامرأة . وكذلك تقول في النصب والبحر : رأيت امرأة ليست هنداً ، ولا تكون هنداً ، ومرت بامرأة ليست هنداً ، ولا تكون هنداً .

« ولا يوصف « بخلا وعدا » كما وصف ؛ « ليس ، ولا يكون » فلا تقول : أتتني امرأة خلت هنداً ، وعدت جُملاً . وذلك أن : « ليس ولا يكون » لفظهما جحد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ؛ فجريا في ذلك مجرى « غير » ، فوصف بهما كما يوصف « بغير » . وأما « خلا وعدا » فليسا كذلك ، وإنما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جحد . ولما كان معناهما المجاوزة والخروج عن الشيء فهما منهنما مفارقة الأول ، فاستثنى بهما لهذا المعنى ، ولم يوصف بهما ؛ لأن لفظهما ليس أجحدا ؛ فليس جارياً مجرى « غير » ا هـ . هـ .

ويلاحظ : أن صاحب « المفصل » لم يحدد وقوعهما نعتاً بالموضع الذي يصلحان فيه للاستثناء ، كما قيده صاحب الهمع ، وأن الأمثلة التي ذكرها صاحب المفصل صالحة للنعت هي التي نص صاحب الهمع على عدم صلاحها نعتاً . فكيف ذلك ؟ .

لا مفر من إعراب الجملة الفعلية في هذه الأمثلة نعتاً خالصاً لا يصلح للاستثناء ؛ لأن النكرة التي قبل الفعلين ليست عامة ؛ فلا تصلح « مستثنى منه » يتسع لإخراج المستثنى فالجملة نعت محض — كالشأن في كل الجمل الواقعة بعد

النكرات المحضة — وبهذا يتلاقى الرأيان ويتفقان .

(ب) ليست : « حاشا » مقصورة على الاستثناء ؛ وإنما هي ثلاثة أنواع :

أولها : الاستثنائية ؛ وهي فعل ماض جامد ، وقد سبق ما يختص بها ^(١) .

وثانيها : أن تكون . فعلا ماضياً متعدياً متصرفاً ؛ بمعنى « استثنى » ، مثل : (حاشيت مال غيري أن تمتد له يدي — حين نتخير موضوعات الكلام نحاشي الموضوعات الضارة — إذا دعوت لحفل فحاش من لا يحسن أدب الاجتماع) ^(٢) .

ثالثها : أن تكون للتنزيه وحده ^(٣) أى : للدلالة على تنزيه ما بعدها من العيب ^(٤) وهي اسم مرادف لكلمة : « تنزيه » التي هي مصدر : نزه . وتُنصب « حاشاً » هنا على اعتبارها مصدرأ قائماً مقام فعل من معناه ، محذوف وجوباً ، ويعنى هذا المصدر عن النطق بفعله المحذوف ^(٥) ؛ نحو : حاشاً لله ، أى : تنزيهاً لله من أن يقرب منه السوء . فكلية : « حاشاً » — بالتونين — مفعول مطلق ، منصوب بالفعل المحذوف وجوباً ، الذى من معناه ، وتقديره : « أنزه » . والجار والمجرور متعلقان بها . ويصح أن يقال فيها : حاش لله ، بغير تنوين ؛ فتكون « حاشاً » مفعولاً مطلقاً ، ولكنه مضاف ، واللام بعده زائدة ^(٦) ، وكلمة « الله » مضاف

(١) فى ص ٣٥٤ .

(٢) إذا كانت فعلا ماضياً متصرفاً كهذا النوع ، فإن ألفها الأخيرة تكتب ياء ، هكذا : « حاشى » . بخلافها فى النوعين الآخرين ؛ فتكتب ألفا .

(٣) أى : التنزيه الخالص الذى لا يشوبه معنى آخر ؛ كالأستثناء أو غيره ، ذلك أن « حاشا » الاستثنائية والمتصرفة — لا تخلوان من تنزيه ؛ ولكنه مختلط بمعنى آخر .

(٤) وهذا يشمل ما يكثر الآن حين يريدون تنزيه شخص من العيب ، فيبتدون بتنزيه الله تعالى : ثم يزهون من أرادوا . يريدون أن الله منزّه عن ألا يظهر ذلك الشخص من العيب .

(٥) سبق فى باب المفعول المطلق تفصيل الكلام على المصدر القائم بدلا من التلغظ بفعله ص ٢١٩ ، وفى ص ٢٣٤ إشارة إليها .

(٦) كزيادتها فى قوله تعالى : (هيأت هيئات لما توعدون) . ولهذا قال بعض النحاة إن « حاش » اسم فعل بمعنى : برئ . أو تنزه . فتكون اسم فعل ماض مبنى على الفتح واللام بعدها زائدة و « الله » مجرور باللام الزائدة فى محل رفع ، فاعل اسم الفعل .

إليه مجرور ، كما يصح أن يقال فيها : حاش الله ، بغير اللام الزائدة بين المضاف والمضاف إليه .

(ح) هل يحذف المستثنى ؟ وهل تحذف أداة الاستثناء ؟ .

أما حذف الأداة فالأصح أنها لا تحذف . وأما حذف المستثنى فيجوز بشروط ثلاثة : فهم المعنى ، وأن تكون الأداة هي : « إلا » أو : « غير » وأن تسبقهما كلمة : « ليس »^(١) . نحو : قبضت عشرة ليس إلا ، أو : ليس غير . أى ليس المقبوض إلا العشرة . وليس المقبوض غير العشرة . . . ومن القليل أن يحذف المستثنى بعد : « لا يكون » . بشرط فهم المعنى أيضاً ، نحو : قبضت عشرة . لا يكون . . . أى لا يكون غيرها . لا يكون المقبوض غيرها .

(د) من أدوات الاستثناء « لَمَّا » بمعنى « إلا » وقد وردت في أمثلة مسموعة إما في كلام مني ؛ مثل قوله تعالى : (إن^(٢) كلُّ نفسٍ لَمَّا عليها حافظٌ) وإما في كلام مثبت ولكنه مقصور على بضعة أساليب سماعية ؛ أشهرها : نَشَدْتُكَ الله لما فعلت كذا . وعَمَّرَكَ الله لَمَّا فعلت كذا .

وإذا كانت للاستثناء وجب إدخالها على الجملة الاسمية أو على الماضي لفظاً لا معنى كالمثالين السالفين^(٣) إذا المعنى فيهما « إلا أن تفعل كذا » ويستحسن كثير من النحاة الاختصار على المسموع . . .

(هـ) يذكر بعض النحاة في آخر باب الاستثناء تفصيل الكلام على

(١) أجاز بعضهم أن يكون النافي هو : « لا » إذا كانت أداة الاستثناء هي : « غير » ؛ كما سيبيء في الجزء الثالث باب الإضافة عند الكلام على : « غير » .

(٢) « إن » حرف نفى . مثلها في قوله تعالى : (« ... وإنَّ كلَّ ذلك لَمَّا متاع الحياة الدنيا . والآخرة عند ربك للمتقين . ») ، أو غير هذا من أنواع الإعراب المختلفة في الآية ونظائرها مما سبق تفصيله في ج ١ ص ٥٥ ص ٦٧ في موضوع تخفيف « النون » من « إن » وأخواتها الختومة بالنون المشددة .

(٣) نص على هذا « الأشرف » في الجزء الرابع - باب الجوازم ؛ عند الكلام على « لما » الجازمة . انظر ما يتصل بالمسألة ويوضحها في : « ١ » من الزيادة ، ص ٣٢٧ .

.....
.....

« لا سيما » من ناحية تركيبها ، ومعناها ، وعلاقتها بالاستثناء ، وضبط الاسم الذى بعدها ، وإعرابهما ويذكرها فريق آخر فى باب الموصول ، بحجة أن « ما » المتصلة بها قد تكون موصولة وقد آثرنا ذكرها فى باب الموصول ^(١) ؛ لأنه أسبق ، وصلتها به أقوى .

ونزيد هنا أن بعض الرواة نقل لها أخوات مسموعة ، منها : « لا مثل ما » لا سوى ما ^(٢) فهذان يشاركان : « لا سيما » فى معناها وفى أحكامها الإعرابية التى فصلناها فيما سبق ^(٣) .

ومنها : « لا ترَ ما » ، و « لو ترَ ما » ^(٢) وهما بمعناها — كما قلنا فى اوضع المشار إليه — ولكنهما يخالفانها فى الإعراب ؛ فهذان فعلان لا بد من رفع الاسم بعدهما ؛ ولا يمكن اعتبار « ما » زائدة مع جر الاسم بعدها بالإضافة ، لأن الأفعال لا تضاف . والأحسن أن تكون « ما » موصولة وهى مفعول للفعل : « تر » وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره : أنت . والاسم بعدها مرفوع على اعتباره خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة .

وإنما كان الفعل مجزوماً بعد « لا » لأنها للنهى . والتقدير فى « قام القوم لا تر ما على » : لا تبصر (أيها المخاطب الشخص) الذى هو على ، فإنه فى القيام أولى منهم . أو تكون « لا » للنهى ، وحذفت الألف من آخر الفعل سماعاً ، وشذوذاً .

وكذلك بعد « لو » سماعاً . والتقدير : لو تبصر الذى هو على لرأيت أولى بالقيام .

والجدير بنا أن نقتصر فى استعمالنا ، على : « ولا سيما » لشيوعها ووضوحها قديماً وحديثاً .

(١) ج ١ ص ٣٦٦ م ٢٩ .

(٢ و ٢) آثرنا هذه فى ص ٦٢ و فى رقم ٢ من هامش ص ٣٤٧ ، أما البيان الكامل ففى

ج ١ م ٢٨ ص ٣٦٦

(٣) ج ١ ص ٣٦٦ م ٢٨ .

الحال (١)

ظهر البدْرُ كاملاً - نجا الغريقُ شاحباً
أبصرت النجومَ متوهجةً - أرسل التاجرُ البضاعةَ ملفوفةً
فحص الطبيبُ مريضه جالسينَ - صافحَ المُضيفُ ضيفه واقفينَ
البردُ - قارساً - ضاراً - الشمسُ - شديدةً - مؤذيةً
التزول من القطارِ - متحركاً - خطيرٌ - ركوبُ السيارةِ - ماشيةً - وخيمُ العاقبة ،
تعريفه :

(وصف (٢) ، منصوب (٣) ، فضلة (٤) . يبين هيئة ما قبله ؛ - من فاعل ، أو مفعول به ،

(١) أبيات ابن مالك - كما وردت في هذا الباب من «ألفيته» - لا تسير تسلسل المسائل ، ولا ترتيبها المنهجي على الوجه الذي ارضيناه . لهذه وضعنا كل بيت عقب القاعدة التي يناسبها ، ويتصل بها اتصالاً منطقياً . وفي الوقت نفسه وضعنا بجانب كل بيت رقماً يميزه ، ويدل على ترتيبه بين أبيات الباب كما رتبها ابن مالك .

وكلمة : الحال - بغير تاء التأنيث في آخرها - صالحة لأن تكون مذكرة أو مؤنثة ؛ نحو : الحال طيب ، أو : طيبة . إن هذا الحال حسن ، أو هذه الحال حسنة . أما إذا ختمت بتاء التأنيث فهي مؤنثة فقط ، نحو : الحالة طيبة ، وإن هذه الحالة حسنة . والكثير في اللفظ التذكير ؛ بخلو آخره من التاء ، والكثير في المعنى التأنيث .

(٢) اسم مشتق . وقد تكرر تعريف المشتق وأنواعه - ولكل منها باب خاص في الجزء الثالث - .

(٣) في بعض المراجع المطولة - كهامش التصريح - معركة جدلية بسبب أن «النصب» ليس جزءاً من التعريف ؛ وإنما هو حكم ، والدفاع عن هذا ، أو مقاومته . ولا يعنيننا مثل هذا الجدل الذي لا خير فيه .

والنصب قد يكون ظاهراً ، كما في الأمثلة المعروضة ، أو : ممتدراً مثل : تغدو الطيور شتى ، أو : محلياً ، كقولهم : جاءت الخيل بدادٍ ، فكلمة : «بدادٍ» علم جنس ، وهي حال ، مبنية على الكسر في محل نصب .

(٤) الفضلة : (ما يمكن أن يستغنى عنه - في الأغلب - المعنى الأساسي للجمله) . وهي خلاف العمدة .

أو منهما معاً^(١)، أو من غيرهما^(٢) - وقت وقوع الفعل^(٣) . كالكلمات التي تحتها
خط في الأمثلة المعروضة .

وتعرف دلالاته على الهيئة بوضع سؤال كهذا : كيف كان شكلُ البدر حين
ظهر ؟ أو : كيف كانت صورته ؟ فيكون الجواب : هو لفظ الحال السابقة ؛
أى : كاملاً ، أو : مستديراً وكذا الباقي .

وليس من اللازم أن تكون الحال في كل الاستعمالات وصفاً ، وإنما هذا
هو الغالب^(٤) ، ولا أن تكون فضلة ؛ فهذا غالب أيضاً ؛ فقد تكون بمنزلة العمدة

(١) مثل الكلمتين : جالسين - « واقفين » - في الأمثلة السابقة

(٢) أى : يبين هيئة صاحبه ، كالفاعل ، وكالمبتدأ ، أو الخبر ، أو اسم النواسخ . - وسيجيء
الكلام على صاحب الحال في ص ٤٠٢ - ولا قيمة للاعتراض على مجيء الحال من المبتدأ ، أو من اسم
الناسخ ، أو مما ليس فاعلاً ، أو مفعولاً به ، أو نحوهما ؛ ذلك لأن من يرفضونه لا يرفضونه للسبب القويم
الصحيح ، وهو : عدم الاستعمال العربي الأصل ، وإنما يرفضونه لأنه لا يتفق مع مظهر من مظاهر
السلطان الذي وهبوه للعامل ، كأن يقولوا في منع مجيء الحال من المبتدأ : إن العامل في المبتدأ معنوي ؛ هو :
« الابتداء » ، فلو جاءت الحال من المبتدأ لكان المبتدأ هو عاملها ؛ فينشأ من هذا عاملان مختلفان ،
أحدهما عامل في الحال ، والآخر عامل في صاحبها . مع أن العامل - عندهم - في الحال لا بد أن
يكون هو نفسه العامل في صاحبها أيضاً - طبقاً للبيان الآتي في رقم ٣ من هامش ص ٣٨٠ - والغريب أن
المأثور الكثير من كلام العرب الخالص لا يوافقهم ، ولا يؤيدهم ، مع كثرتهم - بدليل صحة قولهم : أعجبتني
عطاء المحسن مبتسماً ، وسرى صوت القارئ خاشعاً . ولهذا يخالفهم - بحق - « سيبويه » وفريق معه ،
للسبب المدون في رقم ٣ ص ٤٠٥

وإن ما يرفضونه ظاهراً صريحاً ، يقبلونه على نية التأويل ؛ فكأن مجرد النية يبيح الأمر المحظور
المخالف لها ، بالرغم من أن اللفظ الذي يؤولونه لن يتغير في ظاهره ، وصريح الأسلوب لن يطرأ عليه
تبديل . وهذا موضع من مواضع الشكوى . ولعله السبب الذي حمل بعض النحاة المحققين ؛ - كالرضي -
على رفض اعتراضهم ، ونبه رأيهم المخالف رأى سيبويه (كما جاء في الخضرى ج ١ والصبان وغيرهما - في
باب الحال عند بيت ابن مالك : « وعامل ضمن معنى الفعل ، لا . . . ») وعلى أن يقول : « إن رأى سيبويه
هو الحق ، ولا ضرورة تدعو للرأى المخالف » .

وإذا كان المحظور يباح بمثل هذه النية وجب ترك الناس أحراراً في محاكاة الكثير المأثور من الكلام
العربي الصحيح ، وفي القياس عليه . ومن شاء بعد ذلك أن يتأول فيلفعل . فالهمم هو ترك اللفظ على حاله
الظاهر الموافق للوارد . ومن حمل نفسه بعد ذلك مشقة التأويل فهو حر وإن كانت المشقة بغير فائدة .
(٣) هذا هو الغالب . وقد يكون زمن الحال مقدراً (أى : مستقبلاً ، وسيجيء البيان في ص ٣٩٠)

(٤) كما سيجيء في ص ٣٦٨ . عند تفصيل الكلام على اشتقاقها وجمودها .

أحياناً في إتمام المعنى الأساسى للجملة ، أو في منع فساده ؛ فالأولى كالحال التى تَسُدُّ مسد الخبر^(١) ، فى مثل : امتداحى الغلام مؤدِّباً ؛ فإن المعنى الأساسى — هنا لم يتم إلا بذكر الحال . وكالحال فى قوله تعالى : (. . . وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُساءً) وقوله تعالى : (وإذا بطشتمْ بطشتمْ جبارين) ، وقول الشاعر :

ولست ممن إذا يسعى لمكرُمة يسعى وأنفاسه بالخوف تضطرب

فالمعنى الأساسى لا يتم لو حُذفت الحال : « كساءً » أو : « جبارين » أو : « أنفاسه تضطرب » ؟

والثانية . (وهى الحال التى يفسد معنى الجملة بحذفها) ؛ مثل : ليس الميت من فارق الحياة ، إنما الميت من يحيا خاملاً لانفَع له ؛ فلو حذفنا الحال : (خاملاً) وقتلنا : الميت من يحيا — لوقع التناقض الذى يُفسد المعنى . ومثل كلمة : « لاعبين » فى قوله تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) . فلو حذفت الحال (لاعبين) لفسد المعنى أشد الفساد^(٢)

هذا ، وما يبين الحالُ هيئته من فاعل ، أو مفعول به ، أو منهما معاً ؛ أو من غيرهما ، يسمى : « صاحب الحال^(٣) » .

والتعريف السابق مقصورٌ على الحال « المؤسسة » دون « المؤكدة » ، لأن المؤسسة هى التى تبين هيئة صاحبها ، أما المؤكدة فلا تبين هيئة . ومثال الأولى : ارتمى السارق صارخاً . ومثال الثانية : ولَّى الحزين منصرفاً ، وسيجىء بيانهما وتفصيل الكلام عليهما قريباً^(٤) .

* * *

أقسام^(٥) الحال ، والكلام على كل قسم :

تعدد أقسام الحال بتعدد الاعتبارات المختلفة التى يبنى عليها التقسيم . وفيما يلى

(١) سبق شرحه فى ج ١ ص ٣٨٥ م ٣٩ باب : المبتدأ والخبر .

(٢) انظر رقم ٣ من ص ٤٠٨ .

(٣) يجىء الكلام عليه مفصلاً فى ص ٤٠٢ م ٨٥

(٤) فى ص ٣٩١

(٥) يسميها بعض النحاة أقساماً ، ويسميها آخرون أوصافاً ، ويسميها فريق ثالث : نواحي الحال . . . و . . . ولا أهمية لاختلاف التسمية ما دام المراد واحداً ؛ وهو الكلام على الحال بحسب الاعتبارات المتصلة بها .

أشهر هذه الاعتبارات ، وما تؤدي إليه .

الأول : انقسام الحال باعتبار ثبات معناها وملازمته ^(١) شيئاً ^(٢) آخر ، أو عدم ذلك - إلى « منتقلة » ، وهي الأكثر ، « وثابتة » ، وهي الأقل .
فالمنتقلة : هي التي تبين هيئة شئ ^(٣) مدة مؤقتة ، ثم تفارقه بعدها ، فليست دائمة الملازمة له : مثل : أقبل الراح ضاحكاً - أسرع البرق مشتعلًا - شاهدت كئائب النمل مهاجرة - . . . و . . . ، فكل حال من الثلاثة : (ضاحكاً - مشتعلًا - مهاجرة) يدل على معنى ينقطع . « فالضحك » لا يلزم صاحبه إلا مدة محددة يزول بعدها ، وكذلك : « الاشتعال » ، أو « المهاجرة » .

والثابتة : هي التي تبين هيئة شئ تلازمه - غالباً - ولا تكاد تفارقه .
وتتحقق الملازمة في إحدى صور ثلاث :

(١) أن يكون معناها التأكيد . وهذا يشمل :

١ - أن يكون معناها مؤكداً مضمون جملة قبلها ، بشرط أن يكون هذا المضمون أمراً ثابتاً ملازماً في الغالب ، فيتفق معنى الحال ومضمون الجملة ؛ ويترتب على هذا أن تكون الحال ثابتة ملازمة صاحبها تبعاً لذلك ؛ فنحو : خليل أبوك رحيماً ، « فرحيماً » حال من « أب » الذي هو صاحبها الملازمة له . ومعنى هذه الحال - وهو : « الرحمة » - يوافق المعنى الضمني للجملة التي قبلها . وهو : « أبوة خليل » ، لأن هذه الأبوة لا تتجرد من الرحمة ، كما أن المعنى الضمني للجملة هو معنى الحال ، إذ مضمون : « خليل أبوك » أنه رحيم ؛ بداعي الأبوة التي تقتضي الرحمة والشفقة - كما سلف - فلهذا كان معنى الحال مؤكداً مضمون الجملة التي قبلها . والحال فيها ملازمة صاحبها .

ويشترط في هذه الجملة التي قبلها أن تكون اسمية ، وأن يكون طرفاها (وهما : المبتدأ والخبر) معرفتين ، جامدتين ^(٤) . ولا بد أن تتأخر الحال عنهما معاً وعن

(١) وسبب هذه الملازمة وجود علاقة مبعثها العقل ، أو الطبع ، أو العادة - ، ولو لم تكن الملازمة

- كما جاء في حاشية ياسين في هذا الموضع - .

دائمة في بعض الأحيان

(٢ و ٣) وهو : صاحبها

(٣) اشترط بعض النحاة أن يكون هذا الجمود محضاً ، بحيث لا يتأول الجامد بالمشق ؛ احترازاً من =

عاملها ، وأن يحذف عاملها وصاحبها^(١) وجوباً ؛ طبقاً للتفصيل الذى سيأتى . . .
 ٢ - وكذلك يشمل أن تكون مؤكدة لعاملها ؛ إما فى اللفظ والمعنى معاً ،
 نحو ، قوله تعالى : (وأرسلناك للناس رسلاً) ، وإما فى المعنى فقط ، نحو ،
 قوله تعالى : (والسلام علىَّ يوم وُلدتُ ، ويوم أُموتُ ، ويوم أُبعثُ حياً) ،
 فكلّمة : « حياً » . حال من نائب فاعل المضارع : أبعثُ ، أى : من الضمير المستتر
 (أنا) . ومعناها : الحياة ، وهو معنى الفعل : أبعثُ ؛ لأن البعث هو الحياة بعد
 الموت . فمعناها مؤكّد لمعنى عاملها . والرسالة صفة ملازمة للرسول ، وكذا حياة
 المبعوث ؛ فكلاهما وصف حلّ بصاحبه لا يفارقه .

٣ - ويشمل أيضاً أن تكون مؤكدة بمعناها معنى صاحبها مع ملازمتها
 صاحبها ؛ نحو : اختلف كل الشعوب جميعاً . فكلّمة : « جميعاً » حال مؤكدة
 معنى صاحبها ، وهو : « ركل » ، لأن معنى الجمعية هو معنى الكلية ، لا يفرقان .
 وسنعود للكلام على أنواع من المؤكدة بمناسبة أخرى^(٢) .

(ب) أن يكون عاملها دالاً على تجدّد صاحبها ؛ بأن يكون صاحبها
 فرداً من نوع يستمر فيه خلق الأفراد وإيجادها على مر الأيام ، أى : أن لذلك
 الفرد أشباها ونظراء توجد وتُخلق بعد أن لم تكن . ويتكرر هذا الخلق والإيجاد
 طول الحياة ؛ نحو : (خلق الله جلد النمر منقطاً ، وجلد الحمار الوحشى منقطاً)
 فكلّمة « منقطاً » حال ، وكذا كلمة « منقطاً » ، وعاملهما : « خلق » وهو
 يدل على تجدّد هذا المخلوق ، أى : لإيجاد أمثاله ، واستمرار الإيجاد فى الأزمنة المقبلة .

= مثل : « على الأسد مقدماً » ؛ لأن « الأسد » مؤول بالشجاع ؛ فيكون الجامد المؤول بالمشتق هو العامل
 فى الحال ، وتصير الحال مؤكدة لعاملها ، لا للمضمون الجملة . أما الجامد الذى لا يتأول عندهم فقل :
 « على أخوك رحيماً » ، يزعم أن الأخوة لا تستلزم الرحمة ، بخلاف الأبوة . هذا رأيهم وتحقيقه عسير ؛
 لذا لا يكاد يوجد جامد لا يمكن تأويله — كما يقول كثير من النحاة — انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٧٣
 حتى المثال الذى عرضه ؛ ونظائره — ولعل هذا كان السبب فى أن شرطهم ورأيهم لم يذكره بل لم يوافق
 عليه — فريق آخر من النحاة ، كصاحب التوضيح « كما يدل عليه مثاله وهو : (زيد أبوك عطوفاً)
 وكما يصرح شارحه بأنه مخالف للرأى السالف . (راجع التوضيح وشرحه عند تقسيمه الحال إلى مؤسسة
 ومؤكدة) وقد ذكر الأشموني وغيره مثال التوضيح أيضاً فى أول باب الحال ، ثم فى الحال المؤكدة .

(١) وهذا على اعتبار أنها حال من الضمير المحذوف مع العامل كما سيجىء فى ص ٣٨٣ و ٣٩١ .

(٢) فى ص ٣٨٣ و ٣٩١ .

(ح) أحوال مرجعها السماع ، وتدل على الدوام بقرائن خارجية ؛ مثل : « قائماً » في قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم — قائماً بالقسط) ، فكلمة « قائماً » حال ، وعاملها الفعل : « شَهِدَ » ، وصاحبها : « الله » . ودوام القيام بالقسط معروف من أمر خارجي عن الجملة ؛ هو : صفات الخالق . ومثل : « مَفَصَّلاً » في قوله تعالى : (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مَفَصَّلاً ^(١)) .

* * *

الثاني : انقسامها بحسب الاشتقاق والجمود إلى : « مشتقة » — وهي الغالبة ؛ كالأمثلة السالفة — وإلى « جامدة » وهي القليلة ، ولكنها مع قلتها قياسية في عدة مواضع ^(٢) ؛ سواء أكانت جامدة مؤولة بالمشتق ، أم غير مؤولة ^(٣) .

وأشهر مواضع المؤولة بالمشتق أربعة :

(١) أن تقع الحال « مُشَبَّهًا به » في جملة تفيد التشبيه إفادة تبعية غير

(١) مبيناً فيه الحق والباطل بحيث لا يلتبس أحدهما بالآخر ، ولا يختلط به . وفيما سبق من تعريف الحال ، وبيان المتقل منها والثابت ، والجامد والمشتق ، وأن المتقل غالب ولكنه ليس مستحقاً ، أى : ليس واجباً — يقول ابن مالك :

الْحَالُ : وَصَفٌ ، فَضْلَةٌ ، مُنْتَصِبٌ مُفْهِمٌ فِي حَالٍ : (كَفَرَدًا أَذْهَبُ) — أراد : مفهم في حال كذا . . فكلمة : « حال » هنا لاتنونه ؛ لأنها مضاف ، والمضاف إليه محذوف على نية الثبوت ، أى : في حال كذا — كما سبق — . ذلك أن قولك : جاء محمود راكباً ، يفيد المعنى الذى في : جاء محمود في حال الركوب ، وهو بيان هيئة صاحبه . وهذا معنى قولهم : الحال على معنى : « في » . ثم قال بعد ذلك :

وَكُونُهُ مُنْتَقِلًا ، مُشْتَقًّا يَغْلِبُ ، لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَحَقًّا

أى : هذا الكون الذى سرده ووصفه بالانتقال والاشتقاق — ليس مستحقاً . فهو كثير لا واجب .

(٢) لأنها ليست قلة ذاتية مردها قلة استعمال العرب لها ، وإنما مردها أنها قلة بالنسبة للمشتقة . فهي كثيرة في ذاتها بغير نظر لتقسيمتها .

(انظر معنى « القلة » في الأشموني ج ٢ « باب الإضافة » عند بيت ابن مالك : « وربما أكسب ثان أولاً . . . » وستجى إشارة لها في ص ٤٥٦ ويحى الإيضاح في ج ٣ رقم ١ من هامش ص ٧٤ م ٩٤) . هذا ، وفي الجزء الرابع (باب جمع التكسير م ١٧٢ ص ١٨٥ معنى المطرد وغير المطرد ، والكثير ، والغالب ، والقياسى ، وغير القياسى ، وتحديد القلة والكثرة .

(٣) الأهمية الأولى إنما هي لصحة وقوع الحال جامدة في هذه المواضع ، أما التأويل وعدمه

فلا أهمية له .

مقصودة لذاتها . نحو : ترم المغنى بلبلًا — سارت الطيارة برقًا — هجم القط أسدًا . فالكلمات الثلاث : (بلبلًا — برقًا — أسدًا) أحوال منصوبة مؤولة بالمشق ، (أى : سارًا — سريعةً — جريئًا) . وكل حال من الثلاث يعدّ بمنزلة المشبه به . (أى : كالبلبل — كالبرق — كالأسد) ، ولا يعتبر مشبهًا به مقصوداً حقيقةً ، لأن التشبيه ليس المقصود الأول هنا ؛ إنما المقصود الأول هو المعنى الحادث عند التأويل بالمشق .

(ب) أن تكون الحال دالة على مفاعلة : (بأن يكون لفظها أو معناها جاريًا على صيغة « المفاعلة » ؛ وهى صيغة تقتضى — فى الأغلب — المشاركة من جانبين أو فريقين فى أمر) ، نحو ؛ سلمتُ البائعَ تقوده مقابضةً ؛ أو : سلمتُ البائعَ النقودَ يدًا بيد ؛ فكلمة : « مقابضة » . حال جامدة ، ولفظها على صيغة : « المفاعلة » مباشرة ، ومعناها : « مُقَابِضَتَيْنِ » وهذا يستلزم اشتراك البائع والمتكلم فى عملية القبض . ولهذا كانت الحال هنا مبينة هيئة الفاعل والمفعول به معًا ، أى : أن صاحب الحال هو الأمران .

ومثلها : يدًا بيد ^(١) ، إذ معنى الكلمتين — لا لفظهما — جاريًا على صيغة : « المفاعلة » غير المباشرة ؛ لأن معناهما : « مقابضة » . وتأويلها : « مقابضتين » أيضًا . والأسهل عند الإعراب أن نقول : « يدًا » حال من الفاعل والمفعول به معًا . و : « بيد » جار ومجرور متعلقان بمحذوف : صفة للحال . والتقدير : ملتصقة بيد — مثلاً — فن مجموع هذه الصفة والموصوف ينشأ معنى الحال ، وهو : « المفاعلة » المقتضية للمشاركة . فهذه المشاركة لا تتحقق إلا بإجماع الصفة والموصوف فى المعنى . أما فى الإعراب فكلمة : « يدًا » وحدها هى الحال . وهى أيضًا الموصوف ، و « بيد » ... صفة ..

ومثل هذا يقال فى : « كَلَّمْتُ الْمُنْكَرَ عَيْنَهُ إِلَى عَيْنِي ^(١) » — أى — : مواجهته أو مقابلةً ؛ بمعنى مواجهتين ... فكلمة « عين » حال ^(٢) من الفاعل والمفعول به

(١) من الحال الجامدة المسموعة بنصّها بعض أمثلة ، منها قولهم (... يدًا بيد) وقولهم (كلمته فاه إلى رفى) فهل يجوز القياس على تلك الأمثلة فنقول مثلاً : كلمت المنكر عينه إلى عيني ؟ قالوا لا يجوز القياس إلا عند بعض الكوفيين . وحجة المانعين جدلية لا تثبت على الفحص . والأنسب الرأى الكوفى .

(٢) يصح فيها وفى أمثالها الرفع ؛ فتكون مبتدأ . والجار مع مجروره خبرها ، والجملة فى محل =

معاً . وهي مضاف ، « والهاء » مضاف إليه . و « إلى عيني » جار ومجرور .
ومضاف إليه . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ؛ والتقدير ؛ عينه المتجهة إلى
عيني . . . ومجموع الصفة والموصوف هو الذى يوجد صيغة : « المفاعلة » برغم أن
الإعراب يقتضى التوزيع على الطريقة السالفة ؛ فتكون : « عين » الأولى وحدها
هى الحال والموصوف معاً ، وما بعدها صفة . . .

ومثل هذا أيضاً : كلمت الصديق فاه إلى فى (أى : فمه إلى فى) ، بمعنى
مُشافِهَةٌ ؛ المؤولة بكلمة : مُشَافِهَتَيْنِ .

ومثل : ساكنته غرَفَتَه إلى غرَفِي ؛ بمعنى : مِلًا صَقَةً ، التى تؤول بكلمة :
مِلَاصِقَتَيْنِ ، وجالسته جنبه إلى جنبى ، كذلك . . . ، وكل هذا قياسى فى رأى
الأحسن .

(ح) أن تكون دالة على سعر ؛ نحو : بيع القمح كيلةً بثلاثين ، أى :
مسعراً فكلمة « كيلة » حال منصوبة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف ،
هو صفتها . والتقدير : كائنة - مثلاً - ومن مجموع الصفة والموصوف يكون المشتق
المؤول .

(د) أن تكون الحال دالة على ترتيب : نحو : ادخلوا الغرفة واحداً واحداً^(١)
أو : اثنين اثنين ، أو : ثلاثاً ثلاثاً . . . والمعنى : ادخلوها : مترتبين .

وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولاً مجملاً ، مشتملاً - ضمناً -
على جزأيه المكررين ، ثم يأتى بعده تفصيله مشتملاً - صراحة - على بيان الجزأين
المكررين . ومن أمثلته : يمشى الجنودُ ثلاثةً ثلاثةً . أو أربعةً أربعةً . . . ، ينقضى

= نصب ، حال . ولا يحسن فى كلمة : « عين » أن تكون بدلاً ؛ لأن البديل - فى القول الشائع - يكون على
نية تكرار العامل . ولا يستقيم المعنى هنا على تكراره ، إذ لا يقال : كلمت عينه .

(١) يكثر اليوم أمثال هذه الأساليب المشتملة على التكرار العدى المفيد للترتيب ، وقد منعها
بعض النحاة ، تبعاً للحريزى فى كتابه : « درة الغواص » حيث صرح بأنه لا يجوز : جاءوا واحداً واحداً ،
ولا اثنين اثنين ، لأن العرب - فى رأيه - عدلوه عن ذلك إلى : « أُوَاحِدَ ، ومَشْتَرَيْنِ وأَخَوَاتِهِنَّ » ، وهجروا
المعدول عنه .

وقد تعقبه الشهاب الخفاجى ، وعلق على ذلك الرأى ، مشيراً بالأدلة والشواهد إبتعاده عن الصواب ،
وأن رأى الحريرى هو الخطأ الذى لا سند يؤيده ، وأن ذلك التكرير كثير فى كلام العرب ، فهو قياسى .
وكذلك صرح بعض شراح « الكافية » بأن أسماء العدد المستعملة للتكرير المعنوى بلفظها مطردة . =

الأسبوع يوماً يوماً ، وينقضى الشهر أسبوعاً أسبوعاً . وتنقضى السنة شهراً شهراً ، وهكذا^(١) . ومن مجموع الكلمتين المكررتين تنشأ الحال المؤولة ؛ الدالة على الترتيب ولا يحدث الترتيب من واحدة فقط . لكن الأمر عند الإعراب يختلف ؛ إذ يجب إعراب الكلمة الأولى وحدها هي الحال من الفاعل — كما في الأمثلة السالفة — أو من المفعول به ، أو من غيره على حسب الجمل الأخرى التي تكون فيها .

أما الكلمة الثانية المكررة فيجوز إعرابها توكيداً لفظياً للأولى ، كما يجوز — وهذا أحسن — أن تكون معطوفة على الأولى بحرف العطف المحذوف « الفاء » أو : « ثم » — دون غيرهما من حروف العطف^(٢) — ، فالأصل : ادخلوا الغرفة واحداً فواحداً ، أو : ثم واحداً — يمشى الجنود ثلاثة فثلاثة ، أو : ثم ثلاثة ... ،^(٣) ويصح أن يقال : ادخلوا الأول فالأول^(٤) فيكون حرف العطف ظاهراً ، وما بعده معطوف على الحال التي قبله . ولكن الحال هنا — مع صحتها — فقدت الاشتقاق والتذكير معاً .

(ه) أن تكون مصدرأً صريحاً^(٥) متضمناً معنى الوصف (أى : معنى المشتق) ؛

= مما سبق يتبين أنه لا داعي لمنع تلك الأساليب ، ولا للجدل حول قياستها . (كما ستجىء الإشارة في ج ٤ ص ١٧٢ م ١٤٦) .

(١) فالمجموع المجل هو : (واو الجماعة — الجنود — الأسبوع — الشهر — السنة . . .) وهذه الأساليب صلة بما يشبهها من نحو : ثُنَاءٌ ومَشْنَى ، وثُلَاثٌ ومَشْلُكٌ و ، مما سيجىء بيانه في ج ٤ ص ١٧١ م ١٤٦ عند الكلام على منع الصرف للوصفية والعدل .

(٢) لأن هذين الحرفين هما اللذان يدلان على الترتيب ، دون باقي حروف العطف .

(٣) وقد يكون الغرض من التكرار الاستيعاب لا الترتيب ؛ فقد جاء في كتاب الإقليد : (إن العرب تكرر الشيء مرتين فتستوعب جميع جنسه » ؛ مثل : ستمر بك أبواب الكتاب مفصلة باباً باباً . (راجع ص ٨٠ من حاشية الألويس على شرح القطر) .

(٤) « الأول » السابقة « حال » منصوبة ، والثانية معطوفة عليها بالفاء التي تفيد الترتيب . وزيدت — سماعاً — فيها « أل » شذوذاً . كما تزداد في النظم للضرورة . والأصل : ادخلوا أولَ أولَ ؛ أى : ادخلوا مرتين .

(وقد سبق هذا عند الكلام على « أل » الزائدة — ج ١ م ٣١ ص ٣٩٨ « ب » —) انظر ما يتصل بهذا في ص ٣٧٦ .

(ه) أما المصدر المؤول فلا يكون حالا ؛ لأنه يشتمل على ضمير يجعل الحال معرفة ، فتخالف الأغلب فيها : وهو ؛ التذكير . وبالرغم من هذا يصح وقوع الحال مصدرأً مؤولا بشرط أن تكون أداة السبك هي : « ما » المصدرية ، وي بعدها فعل من أفعال الاستثناء الثلاثة ، — « خلا » أو : « عدا » =

بحيث تقوم قرينة تدل على هذا؛ نحو: اذهب جرياً لإحضار البريد، أى: جارياً -
تكلم الخطيب ارتجالاً، أى: مُرتجلاً^(١) - حضر الوالد بَغْتَةً، أى: مفاجئاً -
لا تَثِقْ بالكذب، واعلم يقيناً أن شرَّ الرجال فينا الكذوبُ
أى: متيقناً.

وقد ورد - بكثرة - في الكلام الفصيح وقوع المصدر الصريح المنكَّر
حالا؛ ولكثرته كان القياس عليه مباحاً في رأى بعض المحققين^(٢)، وهو رأى
- فوق صحته - فيه تيسير، وتوسعة، وشمول لأنواع من المصادر أجازها
فريق، ومنعها فريق. ولا معنى لتأويل المصادر الكثيرة المسموعة تأويلاً يبعدها
عن المصدر، كما فعل بعض النحاة من ابتكار عدة أنواع من التأويل بغير داع^(٣)؛

= أو: «حاشا» لأن المصدر المؤول هنا يؤول بـنكرة. (انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٥٥ - وفى ج ١
ص ٢٩١ م ٢٩ إشارة لبعض ما تقدم).

(١) أى: من غير إعداد سابق للخطبة.

(٢) انظر البيان وقرار مؤتمر المجمع اللغوى، في هذا الشأن، - رقم ٢ التالى - .

(٣) غريب - كما يقول بعض النحاة - أن يكثر ورود الحال مصدراً منكراً، في فصيح الكلام
المأثور، بل في أفصحها؛ وهو: القرآن، ثم نسمع ونقرأ من يقول: إنه بالرغم من تلك الكثرة مقصور
على الصواع - راجع آخر صفحة من الحاشية على شرح «التصريح» باب «الإدغام» -
فما جاء في القرآن قوله تعالى: (ثم ادعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا) وقوله: (ينفقون أموالهم سرّاً
وعَلَانِيَةً) وقوله: (إني دعوتُهُم جَهَاراً) وقوله: (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطِعْماً) وقوله: (إن الذين
يأكلون أموال اليتامى ظُلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا، وَيَصِلُونَ سَعِيرًا) فالكلمات: سعيًا -
سرّاً - جَهَاراً - خَوْفاً - ظُلماً - هي مصادر لا شك فيها، وهي أيضاً بعض ما جاء في الكتاب
العزیز من الأحوال، وما أكثر ما جاء في غيره مما يستشهد به. وتأويلها بالمفعول المطلق الذى حذف
عامله ضعيف؛ لأن حذف عامل المؤكَّد في مثل هذا معيب - كما سبق في ص ٢١١ - وكذا كل تأويل
آخر يشبهه. فما الذى يقاس عليه إن لم تكن هذه الشواهد كلها داعية للقياس عليها؟ ولماذا يوافق بعضهم
على القياس في المصدر المنكر الصريح إذا كان نوعاً لمامله؛ نحو جاء السائق سرعة، أى: سريعاً؟
ولماذا يقصره كثير منهم على أنواع ثلاثة من المصدر الصريح النكرة؟ هى:

(أ) المصدر الدال على بلوغ نهاية الشيء؛ نحو: أنت الرجل شجاعة، وأخوك الرجل علماً.

وأمثال هذا المصدر الذى قبله خبر مقرون «بأل» الدالة على الوصول إلى نهاية الشيء؛ حسناً أو قبحاً.

(ب) والمصدر الذى قبله مبتدأ وخبر، والمبتدأ مشبه بالخبر، أنت عمر عدلاً - وهى الخنساء شعراً.

(ج) والمصدر الواقع بعد: «أما» فى نحو: أما بلاغة فبليغ، من كل مصدر وقع بعد «أما»

فى مقام قصد فيه الرد على من وصف شخصاً بوصفين، أو سلبه أحدهما، وأنت تعتقد اتصافه بواحد منهما. =

إذ لم يراعوا للكثرة حقها الذى يبيع القياس (١) .

* * *

وأشهر مواضع الحال الجامدة التى لا تتأول بالمشتق سبعة :

(١) أن تكون الحال الجامدة موصوفة بمشتق (٢) أو بشبه (٣) المشتق ؛ نحو :

(ارتفع السعر قدراً كبيراً — وقفت القلعة سداً حائلاً) — (تخيل العدو القلعة جبلاً فى طريقه — عرفت جبل المقطم حصناً حول القاهرة) .

والنحاة يُسمون هذه الحال الموصوفة : « بالحال الموصوطة » ، (أى : المُمَهَّدة)

لما بعدها ؛ لأنها تُمهّد الذهن ، وتهيئه لما ييجى بعدها من الصفة التى لها الأهمية الأولى دون الحال ، فإن الحال غير مقصودة ؛ وإنما هى مجرد وسيلة وطريق إلى النعت الذى بعدها ؛ ولهذا يقسم النحاة الحال قسمين :

أحدهما : « الموصوطة » ، وتُسمى أيضاً : « غير المقصودة » ، وهى التى

شرحناها .

وثانيهما : « المقصودة مباشرة » ؛ وهى المخالفة للسالفة .

= والحق أنه لا داعى لشيء من التقييد والحصرفى هذا كله . فالقياس مباح على كل ما سلف وبالقياس أخذ مؤتمر المجمع اللغوى الذى انعقد بالقاهرة خلال شهر فبراير سنة ١٩٧١ وسجله بين قراراته النهائية التى أصدرها بعد تمحيص « وطول بحث .

(١) يقول ابن مالك :

ومضدُّ مُنكَّرٍ حالاً يقعُ بكثرةٍ ؛ كبغته زَيْدٌ طلَعُ - ٦

- وسيعاد هذا البيت لمناسبة أخرى فى ص ٣٧٦ -

(٢) يرى كثير من النحاة أن هذه مؤولة بالمشتق أيضاً ، وأنه لا وجود لحال جامدة لا تتأول

بالمشتق . - كما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٣٦٦ - والخلاف شكلى لا أثر له .

(٣) شبه المشتق (أو : شبه الوصف) هو الظرف والجار مع مجروره ، وإنما كان شبه

الجملة شبيهاً بالمشتق لإمكان تعلق كل منهما بمحذوف مشتق ، تقديره : كائن ، أو : موجود ، أو : حاصل . . . ولأن الضمير قد انتقل من المشتق بعد حذفه إلى شبه الجملة (كما سيجىء البيان فى رقم ١

من هامش ص ٢٨٢ وفى هامش ص ٤٤٨ م ٨٩) .

ويلحق بشبه المشتق هنا ما يسمونه « المؤول بالمشتق » يريدون به : الاسم المختوم بياء النسب كعربى

ومصرى . . . إذ يؤولونه بالمشتوب إلى العرب ، وإلى مصر . . . ومن أمثلته هنا قوله تعالى عن القرآن

الكریم : « كتاب فصّلت آياته قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون » . . . فكلّمه : « قرآنًا » حال .

و « عربيًّا » صفة لها .

(ب) أن تكون دالة على شيء له سعر ؛ نحو : اشتريت الأرض قيراطاً بألف قرش ، وبعثتها قصبَةً بدينار - رَضِيت بالعسل رطلا بعشرة قروش ، وبعته أقةً بثلاثين . . . فالكلمات ؛ (قيراطاً - قصبه - رطلا - أقة -) حال جامدة . وهي من الأشياء التي تَسَعَّر ؛ كالمكيلات ، والموزونات ، والمساحات . . .

(ح) أن تكون دالة على عدد ؛ نحو : اكتمل العمل عشرين يوماً ، وتم عدد العاملين فيه ثلاثين عاملاً . فكلمة : « عشرين » و « ثلاثين » ، . . . حال .

(د) أن تكون إحدى حالين ينصبهما « أفعِل التفضيل » ، متحدتين في مدلولهما ، وتدل على أن صاحبها في طور من أطواره مفضل^(١) على نفسه أو على غيره ، في الحال الأخرى ، نحو : هذا الخادم شَبَاباً أنشطُ منه كُهُولَةً ، فللخادم أطوار مختلفة ؛ منها طور الشباب ، وطور الكهولة ، وهو في طور الشباب مفضل على نفسه في طور الكهولة ، وناحية التفضيل هي : النشاط .

ومثل : الشتاء برداً أشد منه دفئاً . فليشتاء أطوار ، منها طور البرودة ، وطور الدفء . وهو في ناحية البرد أشد منه في ناحية الدفء . ومثل : الحقلُ قصباً أنفع منه قمحاً .

ومن الأمثلة للمفضل على غيره : الولد غلاماً أقوى من الفتاة غلاماً^(٢) - المنزل سَكناً أحسن من الفندق إقامة . . .

وكلتا الحالين - في جميع ما تقدم - منصوبة بأفعال التفضيل . والأكثر أن تتقدم إحداهما عليه ، وهي المفضلة ، وتتأخر الثانية^(٣) .

(هـ) أن تكون نوعاً من أنواع صاحبها المتعددة ؛ نحو : هذه أموالك^(٤) بيتوتاً ؛ فكلمة : « بيتوتاً » حال ، وصاحبها - وهو : أموال - له أنواع متعددة

(١) ليس المراد بالتفضيل : الحسن ، أو عدم العيب ، أو قلته . . . وإنما المراد : الزيادة في الشيء مطلقاً ؛ حسناً ؛ وقبحاً .
(٢) مؤنث غلام .
(٣) كما يجيء في رقم ٢ من هامش ٣٨١ وفي « د » من ص ٣٨٤ ، ثم انظر الملاحظة التي في ص ٣٨٥ ؛ حيث يجوز تأخيرها .
(٤) المال : كل شيء يمكن امتلاكه ، من عقار ، ونقد ، وغيرها .

(منها : البيوت ، والزروع ، والمتاجر ، والثياب . .) ونحو : هذه ثروتك كتباً ، وهذه كتبك هندسة . . .

(و) أن يكون صاحبها نوعاً معيناً وهي فرع منه ؛ نحو : رغبت في الذهب خاتماً - انتفعت بالفضة سيّاراً - تمتعت بالحرير قميصاً . . . و . . . فكل من الذهب ؛ والفضة ، والحرير ، نوع ، والحال فرع منه ^(١) .

(ز) أن تكون هي النوع وصاحبها هو الفرع المعين ؛ نحو : رغبت في الخاتم ذهباً - انتفعت بالسوار فضةً - تمتعت بالقميص حريراً ^(٢) . . .

* * *

الثالث : انقسامها من ناحية التنكير والتعريف :

لا تكون الحال إلا نكرة ^(٣) ، كالأمثلة السالفة . وقد وردت معرفة في ألفاظ مسموعة لا يقاس عليها ، ولا يجوز الزيادة فيها . ومنها كلمة « وحد » في قولهم : جاء الضيف وحده - سايرت الزميل وحده . فكلمة : « وحد » حال ، معرفة ؛ بسبب إضافتها للضمير ؛ وهي جامدة مؤولة بمشتق من معناها ، أى : منفرداً ، أو متّوحداً ^(٤) .

(١) ضابط هذا القسم : أن يكون الفرع جزءاً من أصله ، وحين يتفرع منه يكتسب اسماً جديداً ، وهذا الاسم الجديد لا يمنع من إطلاق اسم الأصل عليه .
(٢) وفي الحال الجامدة يقول ابن مالك .

وَيَكْثُرُ الْجُمُودُ فِي سِعْرِ ، وَفِي مُبْدَى تَأَوَّلٍ بِلَا تَكْلُفٍ - ٣
أى : في الأشياء التي تسمر ، وفي كل ما يظهر قبول التأويل السهل :

كِبَعُهُ مُدًّا بَكْذَا ، يَدًّا بِيْذٌ وَكَرَّ زَيْدٌ أَسْمَدًا ، أَيْ : كَاسَدَ - ٤
المد : مكيال يختلف باختلاف الجهات : فهو في بعضها مقدار رطل وثلاث ، وفي بعض آخر مقدار رطلين . . . و . . . وقد يكون ملء الكفين المعتدلتين مع امتدادهما .

(٣) أو ما هو بمنزلة النكرة ، كالجملّة الواقعة حالا ؛ لما رددناه من أن الجملة نكرة أو بمنزلة النكرة (راجع رقم ٤ من هامش ص ٣٩٤) .

(٤) كلمة : « وحد » ملازمة للإضافة دائماً . ويدور الجدل حول إعرابها وإضافتها ؛ أهي ملازمة للنصب دائماً ، أم تتركه إلى غيره ؟ أهي مضافة للضمير وجوباً ، أم يجوز إضافتها إلى غيره ؟ بيان هذا كله مسجل في « باب الإضافة » ج ٣ م ٩٤ ص ٦٦

ومنها : (رجع المسافر عودَه على بدئه) ، فكلمة : « عودَ » حال ، وهي معرفة ، لإضافتها للضمير ، ومؤولة بالمشتق ، على إرادة : رجع عائداً ، أو راجعاً على بدئه . والمعنى : رجع عائداً فوراً ، أى : فى الحال : أو : رجع على الطريق نفسه .
ومنها : (ادخلوا الأول فالأول^(١)) ، أى : متربين ، ومنها : جاء الوافدون الجماء الغفير^(٢) ، أى : جميعاً .

ومنها : قولهم فى رجل أرسلَ إبلَه أو حُمُرَه الوحشية إلى الماء ، مزاحمةً غيرها ومعاركةً : (أرسلها العِراك) ، أى : معاركة ، مقاتلة^(٣) .

* * *

(١) انظر ما يوضح هذا فى رقم ٤ مزهاش ص ٣٧١ .
(٢) « الجماء » : مؤنث الأجم ، بمعنى : الكثير . و « الغفير » : الكثير الذى يغفر وجه الأرض ، أى : يغطيه بكثرتة . والغفير - فى المثال - صفة للجماء ، مع أن كلمة : « الغفير » هنا مذكرة ، والجماء مؤنثة فلم تطابق الصفة موصوفها الحقيقى . وقد تلمس النحاة لهذا تأويلات ؛ منها : أن « فتعـيـلا » هنا وإن كان بمعنى فاعل ، قد حُمِل على « فـعـيـل » بمعنى « مفعول » حيث تحذف التاء منه غالباً عند ذكر الموصوف . وهذا - وأشباهه - مردود . والسبب الذى لا يرد هو : أن العرب نطقوا بها هكذا من غير تحليل . .
(٣) يقول بعض النحاة إن الأحوال المذكورة ليست معارف : لأن « وحـد » و « عودَ » ألفاظ مبهمـة لا تكتسب التعريف ، ولأن « أل » زائدة فى الأحوال الباقية المبدوء بها - وهذا رأى فيه تكلفت رضعف .

يقول ابن مالك :

وَالْحَالُ إِنْ عُرِفَ لَفْظاً فَاعْتَقِدْ تَنْكِيرَهُ مَعْنَى ، كَوَحْدِكَ اجْتَهِدْ - ٥
وَمُضَدَّرٌ مُنْكَرٌ حَالًا يَقَعُ بِكَثْرَةٍ ، كَبَغْتَةٍ زَيْدٌ طَلَعَ - ٦

وقد سبق هذا البيت فى رقم ١ من هامش ص ٣٧٣ لمناسبة أخرى .

.

زيادة وتفصيل :

من الألفاظ التي وقعت حالا مع أنها معرفة بالإضافة ، قولهم : تفرق المهزومون أيادي سبياً . على تأويل : متبددين ، لا بقاء لهم . أو على تأويل « مثل أيادي سبياً »^(١) . وحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ؛ فأعرب حالا مثله^(٢) .

ومنها : طلبت الأمر جهدي ، أو : طاقتي . على تأويل ، جاهدأ ، ومُطيقاً^(٣) .

ومنها : العدد من ثلاثة إلى عشرة ، مضافاً إلى ضمير المعداد ؛ نحو : مررت بالإخوان ثلاثتهم . . . أو خمستهم . . . أو سبعتهم . . . على تأويل مثلثاً إياهم ، أو مُخَمَّساً ، أو مُسَبَّعاً . . .

ويجوز إتياعه لما قبله ؛ فلا يعرب حالا ، وإنما يعرب تأكيداً معنوياً : بمعنى جميعهم . ويضبط لفظ العدد بما يضبط به التوكيد .

والصحيح أن هذا ليس مقصوراً على العدد المفرد ؛ بل يسرى على المركب ؛ نحو : جاء القوم خمسة عشرهم ؛ بالبناء على الفتح^(٤) في محل نصب ، أو محل غيره على حسب حاجة الجملة .

* * *

(١) يلاحظ أن كلمة : « مثل » هي من الألفاظ المهمة في أغلب استعمالاتها - كما سبق في ص ٣٠٢ - ولهذا لا تكتسب التعريف إذا أضيفت لمعرفة .

(٢) سيجيء هذا في ج ٣ م ٩٦ ص ١٣٦ .

(٣) سيجيء الإشارة لهذه الألفاظ في باب الإضافة (ج ٣ ص ٢٤ م ٩٣) .

(٤) بالرغم من أن العدد المركب مبني هنا فهو مضاف للضمير - (وستجىء إشارة لهذا في باب « التوكيد » ج ٣ م ١١٦ ص ٤١٣ ، وكذلك في ج ٤ باب : « العدد » عند الكلام على تمييز العدد م ١٦٤ ص ٣٩٧ -) .

الرابع : انقسامها من ناحية أنها هي نفس صاحبها في المعنى أو ليست كذلك .

الغالب أنها هي نفسه ؛ كالحال المشتقة في نحو : صاح المتألم صارخاً .
— شاهدت الطيور مبكرة . . . فالصارخ في الجملة — هو المتألم ، والمتألم هو الصارخ ؛ والمبكرة هي الطيور ، والطيور هي المبكرة .

وغير الغالب أن تكون مخالفة له ، كالحال الواقعة مصدراً صريحاً في نحو :
خرج الولد جرياً ، وجاء القادم بغتة ، وأشباههما ؛ فإن الجرى ليس هو الولد ،
والولد ليس هو الجرى . والبعثة ليست هي القادم ، والقادم ليس هو البعثة . وقد
سبق^(١) الكلام على صحة وقوع المصدر حالاً ، وهذه المخالفة لصاحبها لا تؤثر في
المعنى مع القرينة .

* * *

الخامس : انقسامها بحسب تأخيرها عن صاحبها ، أو تقديمها عليه ، وبحسب
تأخيرها عن عاملها أو تقديمها عليه — إلى ثلاثة أقسام في كل^(٢) . هي : وجوب
تأخيرها ، ووجوب تقديمها ، وجواز الأمرين .
ترتيبها مع صاحبها :

(١) يجب تأخيرها عن صاحبها إذا كانت محصورة^(٣) ، نحو قوله تعالى :
(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) . فلا يصح تقديم الحال وحدها ،
لأن تقديمها يفسد سلامة التركيب ، ويزيل الحصر ، والغرض البلاغي منه .
ولو تقدمت معها « إلا » فالأحسن المنع أيضاً ، مجازة للنهج الصحيح الشائع :

وكذلك يجب تأخيرها إن كان صاحبها مجروراً بالإضافة (أى : أنه مضاف
إليه)^(٤) ، نحو : أعجبنى شكل النجوم واضحة ؛ فلا يجوز تقديم الحال :
(واضحة) على صاحبها المضاف : (النجوم) لثلاثكون فاصلة بين المضاف والمضاف

(١) في : « ٥ » من ص ٣٧١ .

(٢) أحكام التقديم والتأخير الآتية مقصورة على الحال المؤسّسة . أما المؤكّدة فالرأى الأنسب

عدم تقديمها .

(٣) سبقت الإشارة إلى الحصر ومعناه وطريقته في الجزء الأول ص ٣٦٤ م ٣٧ .

(٤) بشرط أن يصلح لجره الحال منه ، وسيحىء بيان ذلك في ص ٤٠٤ .

إليه . والفصل بها لا يصح . كما لا يصح - في الرأي الأنسب - تقديمها على المضاف (ولا فرق في الحالتين بين الإضافة المحضة وغيرها) .

أما إذا كان صاحبها مجروراً بحرف جر أصلي ؛ نحو : جلست في الحديقة ناضرة ، فالأحسن الأخذ بالرأي القائل بجواز تقديمها ؛ لورود أمثلة كثيرة منها - في القرآن وغيره - تؤيده ^(١) . ولا داعي لتكلف التأويل والتقدير ^(٢) والتقديم . فإن كانت مجرورة بحرف جر زائد جهاز التقديم ؛ نحو : ما جاء متأخراً من

(١) ومنها قوله تعالى : (وما أرسلناك - إلا كافتة - للناس) أي : ما أرسلناك إلا للناس كافة وقول الشاعر :

تسلّيت - طراً عنكمو - بعد بينكم بذكراكمو حتى كأنكمو عندي
البين : الفراق . طرا : جميعاً . أي : تسلّيت عنكم طرا .

وبمناسبة الكلام على : « كافتة » يذكر أكثر اللغويين والنحاة ألفاظاً لا تستعمل إلا منصوبة على « الحال » ، ومنها : « كافتة » و « قاطبة » . غير أن « الصبان » سجل في باب : « الحال » - ج ٢ - عند الكلام على الآية السابقة استعمال « كافتة » مجرورة ومضافة في كلام عمر بن الخطاب ونصه : « قد جعلت لآل بني كاكفة على كافتة المسلمين لكل عام مائتي مثقال ذهباً إبريزاً » .

وعرض الصبان بعد ذلك لتفصيلات أخرى تختص بهذه الكلمة ، وباستعمالها .

وعلى هامش القاموس المحيط - ج ٣ - مادة : « كف » نص منقول عن شرح القاموس يجيز استعمال هذه الكلمة مقرونة بآل ، أو مضافة ، وأن رفض هذين الاستعماليين لا مسوغ له . ونص كلامه : (ما رفضوه رده الشهاب في شرح الدرّة ، وصحح أنه يقال ، وإن كان قليلاً) . ١ هـ .

أما : « قاطبة » فقد استعملها « الجاحظ » غير حال في أول رسالته التي موضوعها : « تقضيل النطق على الصمت » حيث يقول : « وإن حجته قد لزمت جميع الأنعام ، ودحضت حجته قاطبة أهل الأديان » . وتردد الأدباء في محاكاته . ولكن هذا التردد يزول بما جاء في كتاب : « الأملال » للقالى - ج ١ ص ١٧٠ طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة - فقد قال مؤلفه عند الكلام على مادة : « قطب » ومعناها ما نصه :

(قال يعقوب بن السكيت : يقال : قطب ، يقطب ، قطوباً ، وهو قاطب . . إذا جمع ما بين عينيه ، واسم ذلك الموضع : « المَقْطُيب » ومنه قيل : الناس قاطبة ، أي : الناس جميع) ١ هـ . فقد استعملها خبيراً . ومن كل ما سبق يتبين أن الكلمتين ليستا ملازمتين للحال .

(٢) ولا شك أن محاكاة القرآن في هذه الصيغة وفي جميع الصيغ الواردة به جائزة بليغة ، ما دامت المحاكاة تامة فليس لأحد أن يرفضها . ومن شاء تأويلها كما أول الآية فليفعل ... وفي هذه الصورة يقول ابن مالك :

وسبَقَ حالَ ما بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أبوا . ولا أَمْنُهُ فَقَدْ وَرَدَ - ٩

أي : أن النحاة أبوا أن يوافقوا على تقديم حال صاحبها قد جر بحرف جر (أي : أصلي) . ثم أوضح رأيها الخاص قائلاً : إنه لا يوافقهم ، ولا يمنع تقديم الحال وسبقها على صاحبها المجرور بالحرف - - الأصلي - ؛ لأن هذا ورد في الكلام الفصيح . وإذا كان وارداً فيه بقدر كاف فكيف يمنع ؟ لكنه لم يذكر التفصيل .

أحد . وهذا بشرط أن يكون حرف الجر الزائد مما لا يمتنع حذفه ، أو مما لا يقل حذفه ؛ فالذى يمتنع كالباء الداخلة على صيغة : « أفعل » الخاصة بأسلوب التعجب ؛ نحو : أجمل بالنجوم ^(١) طالعة . والذى يقل كالباء فى فاعل : « كتفى » بمعنى : « يكنى » ، مثل : كفى بالزمان مرشداً . فإن كان حرف الجر الزائد مما يمتنع حذفه أو يقل لم يجوز تقديم الحال عليه .

وزاد بعض النحاة مواضع أخرى يمتنع فيها تقديم الحال على صاحبها ، منها : أن يكون صاحبها منصوباً بالحرف الناسخ : « كأن » أو : « ليت » ، أو : « لعل » أو بفعل تعجب ، أو بصلة الحرف المصدرى فى نحو : أعجبنى أن ساعدت الفقيرة عاجزةً — أو أن يكون ضميراً متصلاً بصلة « أل » ، نحو : الود أنت المستحقه صافياً ^(٢) .

(ب) ويجب تقديمها على صاحبها إذا كان محصوراً ؛ نحو : ما فاز خطيباً إلا البليغ ، ولا انتصر مدافعاً إلا الصادق .

أو كان صاحبها مضافاً إلى ضمير يعود على شيء له صلة وعلاقة بالحال ، نحو : جاء زائراً هنداً أخوها — جاء منقاداً للوالد ولده .

(ح) ويجوز التقديم والتأخير فى غير حالتى الوجوب السالفتين ، نحو دخل الصديق مبتسماً ، أو : دخل — مبتسماً — الصديق .

ترتيبها مع عاملها ^(٣) :

(١) يجب أن تتأخر عنه إن كان فعلاً جامداً كفعل التعجب ؛ نحو :

(١) تفصيل الكلام على هذه « الباء » . فى باب التعجب ، ج ٣ م ١٠٨ . ص ٢٧٩ .

(٢) على اعتبار أن صاحب الحال : « هاء » الضمير ، لا المبتدأ .

(٣) « ملاحظة هامة » تختص بالعامل فى الحال ، وفى صاحبها :

الحال منصوبة ، وعامل النصب إما لفظى ؛ كالمصدر ، وكالفعل المشتق ، وكالوصف الذى يعمل عمله ، وكاسم الفعل ... وإما معنوى ؛ كإسماء الإشارة ، وألفاظ الاستفهام ، وبعض الحروف والأدوات التى سيجىء ذكرها هنا ومنها شبه الجملة . والعامل فى الحال هو — فى أكثر الصور — العامل فى صاحبها فعاملهما واحد ولو اختلف نوع عمله فى كل منهما . وهناك صور أخرى يختلف فيها العاملان — عامل الحال ، وعامل صاحبها — كالحال التى صاحبها المبتدأ ، حيث يكون المبتدأ هو العامل فى الحال ، ويكون =

ما أحسن الصديق وفيًّا . أو كان مشتقًّا يشبه الجامد ، كأفعل التفضيل ^(١) ؛ نحو : أنت أفصح الناس متكلمًا ^(٢) .

أو كان عاملها مصدوًّا صريحًا يمكن تقديره بأن والفعل والفاعل ، نحو : من الخير إنجازك العمل سريعًا . فكلمة : « سريعًا » حال من الكاف ، والعامل هو المصدر الصريح ^(٣) : « إنجاز » ومن الممكن أن يحل محله مصدر مؤول من أن والفعل والفاعل فتكون الجملة : من الخير أن تنجز العمل سريعًا . ومثله أن تقول : يعجبني إنجازُ الصانعِ عمله سريعًا ؛ فكلمة : « سريعًا » حال من « الصانع » والعامل هو : « إنجاز » أيضًا .

فإن كان المصدر الصريح غير مقدر بهما جاز تقديم الحال وتأخيرها ؛ نحو : معتمدًا لك صفحًا عن المسىء . . . ، أو : صفحًا عن المسىء معتمدًا لك .

أو كان العامل اسم فعل ؛ نحو : نزالٍ مسرعًا ؛ أى : انزل مسرعًا ؛ لأن معمول اسم الفعل لا يتقدم عليه .

= الابتداء هو العامل في المبتدأ - وكالحال التي صاحبها اسم لناسخ . . وكثرة النحاة تشترط أن يكون العامل في الحال وفي صاحبها واحدًا في كل الصور ، إلا سيبويه وفريق معه فإنه يرفض هذا الشرط - كما سبق البيان المفيد في رقم ٢ من هامش ص ٣٦٤ ورأيه هو الحق ؛ لما سلف هناك مفصلاً . ولما يجىء في رقم ٣ من هامش ص ٤٠٥ حيث بيان السبب عند سيبويه -

(١) كان شبيهاً بالجامد ، لأنه في كثير من أحواله لا يقبل علامة التأنيث ، ولا علامة التنثية ، أو الجمع ؛ فخالف هذا المشتقات الأصلية ؛ كاسم الفاعل ، واسم المفعول . واقترب من الجامد الذي لا تتغير صورته .

(٢) يستثنى من أفعل التفضيل صورتان ؛ إحداهما : أن يكون عاملاً في حالين لاسمين ، متحدين في مساهما ، وإحداهما مفضلة على الأخرى ؛ فالأحسن تقديم المفضلة عليه ، وتأخير الأخرى عنه . نحو : هذا الأديب ناثراً أبرع منه شاعراً . فكلمة : « أبرع » أفعل تفضيل ، نصبت حالين ؛ هما : « ناثراً » و « شاعراً » والاسمان لمسى واحد ، وإحداهما مفضلة ، وهى : « ناثراً » فتقدمت على العامل ؛ وتأخرت الثانية . والصورة الثانية كالسابقة ؛ إلا أن الحالين لشيئين مختلفين في مساهما ؛ نحو ؛ المتعلم منفرداً أنفع من الجاهل مستعيناً بغيره .

(راجع د من ص ٣٧٤ و د من ص ٣٨٤ وانظر الملاحظة التي بعدها حيث يجوز تأخير الحالين معاً) .

(٣) إذا كان العامل مصدراً نائباً عن فعله المحذوف وجوباً جاز تقديم الحال ، نحو : إكراماً هنداً متعلمة . فيصح : متعلمة إكراماً هنداً (كما في ج من ص ٣٨٤) . وقد سبقت مواضع المصدر النائب عن فعله المحذوف وجوباً في ص ٢٢٠ م ٧٦ .

أو كان العامل معنوياً ؛ (وهو الذى يتضمن معنى الفعل دون حروف الفعل كالألفاظ الإشارة ، والاستفهام ، وأحرف التمنى والتشبيه ، وكشبه الجملة — الظرف ، أو الجار مع مجروره — الواقع خبراً ، أو نعتاً كذلك)^(١) ، نحو : هذا كتابك جميلاً ، فكلمة : « جميلاً » حال من الخبر : (كتاب) والعامل هو اسم الإشارة . ومعناه : أشير ؛ فهو يتضمن معنى الفعل ، دون أن يشمل على حروفه .

ومثل : ليت الصانع — متعلماً — حريصٌ على الإتيان . فكلمة : « متعلماً » حال من الصانع ، والعامل « هو : ليت » ، وهو حرف معناه : « أتمنى » فيتضمن معنى الفعل دون حروفه . . .

ومثل : كأن الباخرة — واسعةً — فُنْدُق كبير . ومثل : الزروع أمامك ناضرةً ، أو : الزروع فى حديقتك — ناضرةٌ . . .

والاستفهام المقصود به التعظيم ؛ نحو : يا جارتا ، ما أنتِ ، جارةٌ ؟ . . . وهكذا كل ما يتضمن معنى الفعل دون حروفه غير ما سبق ، كأدوات التنبية ، والترجى ، والنداء . . .

لكن بعض النحاة يستثنى من العامل الذى يتضمن معنى الفعل دون حروفه ، شبه الجملة بنوعيه (الظرف والجار مع مجروره) فيجيز أن يتقدم عليهما الحال أو يتأخر ، نحو : (الحارس عند الباب واقفاً ، و : الحارس — واقفاً — عند الباب) ، ونحو : (القِطْ فى الحديقة قابعاً ، أو : القِطْ — قابعاً — فى الحديقة) . وإنما يميز تقدم هذه الحال بشرط أن تتوسط بين مبتدأ متقدم وخبره شبه الجملة المتأخر عنه وعن الجال معاً . ولا يصح تقدم الحال عليهما معاً ، فلا يقال : (واقفاً — الحارس عند الباب ، ولا قابعاً القِطْ فى الحديقة) . فإن تقدمت الحال والخبر معاً ، وكانت الحال هى الأسبق جاز ؛ نحو : واقفاً عند الباب الحارس ، وهذا رأى مقبول^(٢) .

(١) لأن شبه الجملة قد يكون متعلقاً بفعل محذوف ، أو بوصف محذوف ، وينتقل إلى شبه الجملة الضمير الذى يكون فى التعلق بعد حذفه . وهذا يصير شبه الجملة متضمناً معنى الفعل ، لاشتراكه على التعلق المحذوف ، فوق اشتراكه على ضميره (عل الوجه المفصل فى ج ١ ص ٣٤٦ م ٣٥ ورقم ٣ من هامش ص ٣٧٣ فى هذا الباب وهامش من وص ٤٤٨ م ٨٩) .

(٢) برغم قلته بالنسبة إلى الأول (فالقلة نسبية لاتمتنع القياس) وحجة أصحابه ورود أمثلة فصيحة =

ويصح عند أكثر النحاة تقديم الحال على عاملها « شبه الجملة » إن كانت هي شبه جملة أيضاً ؛ نحو : الخير عندك أمامك — أو الخير في الدار أمامك . . . على اعتبار الظرف (عند) والجار مع مجروره (في الدار) حَالَيْن من الضمير المستكن في شبه الجملة بعدهما ^(١).

أو كانت الحال مؤكدة معنى الجملة ^(٢) ؛ نحو : على جدك شقيقاً ، وتقدير العامل : على جدك أعرفه ، (أو : أعلمه ، أو : أحقه . . .) شقيقاً . فعال الحال وصاحبها (باعتباره الضمير) محذوفان وجوباً قبل الحال .

أو كان العامل قد عرض له ما يمنع من تقدم معموله عليه ، كالماضي المبذوء بلام الابتداء ^(٣) أو بلام جواب القسم ^(٤) ، فإن المعمول لا يتقدم على هذه اللام نحو : إني لقد تحملت — صابراً — هفوة القريب . أو : والله لقد تحملت — صابراً — هفوة القريب .

وكالعامل الواقع في صلة حرف مصدرى مطلقاً ؛ نحو : لك أن تنتقل راكباً . أو الواقع صلة « أل » ^(٥) ، نحو : أنت السائق بارعاً ، لأن معمولهما لا يتقدم عليهما — في الرأي الراجح .

أو كانت الحال جملة مقترنة بالواو ؛ نحو : اقر الكتاب والنفس صافية ^(٦).

= تكني للحكم بقياسيته ؛ منها قراءة من قرأ قوله تعالى : (والسموات مطويات بيمينه) بنصب . « مطويات » — وقول الشاعر :

رهط. ابن كوزٍ مُحَقِّبٍ أَذْرَاعِهِمْ فِيهِمْ ، ورهط. ربيعة بن حُذَارٍ
فكلمة : « محقبي » حال ، تقدمت على عاملها شبه الجملة : (فيهم) . . . والمخالفون لهذا الرأي يؤولونه بغير داع مقبول .

(١) وما يصلح مثالا لهذا شبه الجملة « من الله » في قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء . . . » (راجع الصبان ، وكذا حاشية الأمير على « المغني » أول المقدمة) .

(٢) سبق الكلام عليها في ص ٣٦٦ وسيجيء بمناسبة أخرى في ص ٣٩١ و ٣٩٦ .

(٣) سبق الكلام عليها في ج ١ ص ٤٩٧ م ٥٣ .

(٤) الكلام عليها سيأتي — ٤١٩ — في حروف القسم ؛ باب : حروف الجر .

(٥) بخلاف صلة غيرها : فيجوز : من الذي راكباً جاء ، لجواز تقديم معمول الصلة عليها لا على

الموصول .

(٦) يحسن الاختصار على هذا الرأي ، دون الرأي الذي يميز التقديم والتأخير بتأول .

(ب) يجب أن تتقدم عليه إذا كان لها الصدارة ، نحو : كيف أنقذت الغريق ؟ فكلمة : « كيف » اسم - على الأرجح - مبنى على الفتح في محل نصب ، حال ^(١) .

(ح) يجوز الأمران في غير الحالتين السالفتين ، مثل : واقفًا أنشد الشاعر القصيدة . وأشبه هذا مما يكون فيه عامل الحال فعلاً متصرفاً ، أو مشتقاً يشبه الفعل المتصرف ، أو مصدرًا نائبًا عن فعله المحذوف وجوباً (كما سبقت الإشارة إليه) ^(٢) . والمراد بالذى يشبه الفعل ما يتضمن معنى الفعل وحروفه ، ويقبل علامات التأنيث ، والتثنية ، والجمع ^(٣) . فمثال الحال المتقدمة على عاملها الفعل المتصرف - غير ما سبق - راغباً أقبلت على زيارتك . ومثال المتقدمة على فاعل : مسرعةً الطائرة مسافرةً ، ومثال المتقدمة على صفة مشبهة : الإنسان - قانعاً - غنىً ، ومثال اسم المفعول : الحاكم - ظالماً - محطّم . . . ومثال المتقدمة على المصدر النائب عن فعله المحذوف وجوباً : متعلمةً إكراماً هنداً ^(٤) .

(د) إذا كان العامل هو أفعال التفضيل الذى يقتضى حالين ^(٥) إحداهما تدل على أن صاحبها في طور من أطواره أفضل من نفسه أو غيره في الحال الأخرى - فالأحسن أن تتقدم إحداهما على أفعال التفضيل ، وتتأخر الثانية - كما سبق ^(٦) - نحو : الحقل قطناً أنفع منه قمحاً - الفدان عنباً أحسن منه قطناً - المتعلم تاجرًا أقدر منه زارعًا . المصباح الكهربى منفرداً أقوى من عشرات الشموع

(١) تقدم في ج ١ ص ٤٦٢ م ٣٩ إعراب « كيف » في صورها المختلفة ،

وأشرنا لهذا في رقم ١ من هامش ص ٦١ وفي ١ من هامش ص ٦٧ و ٣ من هامش ص ١١٣

(٢) في رقم ٣ من هامش ص ٣٨١ .

(٣) خرج اسم الفعل ؛ فإنه قد يتضمن معنى الفعل وحروفه ولكنه غير مشتق ، ولا يقبل تلك العلامات ؛ كاسم الفعل : « نزل » بمعنى : انزل . وخرج أفعال التفضيل كذلك ، لأنه مشتق ، ولكن لا يقبل تلك العلامات في حالات كثيرة (كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٣٨١) .

(٤) كما سبقت الإشارة في رقم ٣ من هامش ص ٣٨١ .

(٥) ولا مانع أن تكون الحالان أو إحدهما جامدة ، غير مؤولة بالمشتق ؛ طبقاً لما سبق في : « د »

من ص ٣٧٤ عند سرد مواضع الحال الجامدة غير المؤولة بالمشتق .

(٦) في « د » من ص ٣٧٤ وكما في رقم ٢ من هامش ص ٣٨١ .

مجتمعة^(١) ، ومثل قول عليّ - رضي الله عنه - لأنصاره ، وهم يعرضون عليه الخلافة أول الأمر : (أنا لكم وزيراً ، خير لكم مني أميراً . . .) .
ملاحظة :

أجاز فريق من النحاة ما يشيع اليوم في بعض الأساليب ، من تأخير الحالين معاً عن أفعل التفضيل ، بشرط أن تقع بعده الحال الأولى مفصولة من الثانية بالمفضل عليه ؛ نحو : المتعلم أقدر تاجراً منه زارعاً - المصباح الكهربي أقوى منفرداً من عشرات الشموع مجتمعة - هذه الفاكهة أطيب ناضجة منها فيجة - .

* * *

السادس : انقسامها بحسب التعدد - الجائز والواجب - وعدمه ، إلى واحدة وإلى أكثر :

قد تكون الحال واحدة لواحد ؛ نحو : يقف الشرطي متيقظاً ، وهذه تطابق :

(١) وإلى مواضع تقديم الحال على عاملها وعلى صاحبها يشير ابن مالك بإيجاز ومزج بين مواضعهما فيقول :

وَالْحَالُ إِنْ يُنْصَبُ بِفِعْلِ ضَرْفٍ أَوْ صِفَةٍ أَشْبَهَتْ الْمَصْرَفَ - ١٢
فجائزٌ تَقْدِيمُهُ كَمُسْرَعًا ذَا رَاحِلٍ . وَمُخْلِصًا زَيْدٌ دَعَا - ١٣

يريد : أن الحال المنصوبة بفعل متصرف أو وصف يشبهه - يجوز تقديمها وتأخيرها عن عاملها ؛ وذكر مثالين : أحدهما حال تقدمت على عاملها الفعل المتصرف ، (وهو مخلصاً زيد دعا) ، والآخر حال تقدمت على عاملها الوصف الذي يشبه الفعل المتصرف ، (وهو : مسرعاً ذا راحل) . ثم انتقل إلى الكلام على الحال التي لا يجوز تقديمها على عاملها المعنوي فقال :

وَعَامِلٌ ضَمَّنَ مَعْنَى الْفِعْلِ لَا حُرُوفُهُ - مُؤَخَّرًا لَنْ يَعْمَلًا - ١٤
كَمَلَكْ ، لَيْتَ ، وَكَأَنَّ ، وَنَدَرَ نَحْوُ : سَعِيدٌ مُسْتَقَرًّا فِي هَجْرٍ - ١٥

أى : أن العامل المعنوي (وهو الذي يتضمن معنى الفعل دون حروفه) لا يعمل النصب إذا كان متأخراً عن الحال . وبين أمثلة من العامل المعنوي ، هي : تلك ؛ ليت ، كأن . . . وأوضح أن تقديم الحال على عاملها المعنوي شبه الجملة نادر عنده ، وضرب له مثلاً هو : سعيد مستقراً في هجر . (بلد بانين) ثم تكلم على جواز تقديم أحد الحالين المنصوبين بأفعل التفضيل :

وَنَحْوُ : زَيْدٌ مُفْرَدًا أَنْفَعُ مِنْ عَمْرٍو مُعَانًا ، مُسْتَجَازٌ ، لَنْ يَهِنَ - ١٦

مستجاز : أجازته النحاة . لن يهن : لن يضعف مثل هذا الأسلوب في نظر العارفين .

صاحبها الحقيقي في الأفراد وفروعه^(١)، وفي التأنيث والتذكير^(٢)، نحو : هبط
الطيار هادئاً — هبط الطياران هادئين — هبط الطيارون هادئين — هبطت
الطيارة هادئة . . . و . . .

وقد تكون الحال واحدة ولكن يتعدد ما تصلح له ، من غير أن توجد قرينة
تعين واحداً مما يصلح ؛ نحو : قابلت الأخ راكباً . والأنسب في هذا النوع
أن تكون للأقرب . ومنع بعض النحاة هذا الأسلوب ، لإيهامه ، وخفاء الصاحب
الحقيقي ، ورأيه شديد .

والمتعددة^(٣) قد تكون متعددة لواحد ، فتطابقه في الأمور السالفة ، نحو :
هبط الطيار هادئاً ، مبتسماً ، لابساً ثياب الطيران . ونزل مساعده نشيطاً
مبتهجاً حاملاً بعض معدّاته ، وخرجت المضيفة مُسرعةً قاصدةً حجرتها . . . ،
ولا يجوز وجود حرف عطف بين الأحوال المتعددة — ما دامت أحوالاً — فإن وجد
حرف العطف صحّ ، وكان ما بعده معطوفاً ، ولا يصح أن يعرب حالاً^(٤) .

وقد تكون متعددة لأكثر من واحد ؛ فإن كان معنى الأحوال ولفظها واحداً
وجب تثنيتهما أو جمعها على حسب أصحابها من غير نظر للعوامل ، أهى متحدة
في عملها وألفاظها ، ومعانيها ، أم غير متحدة في شيء من ذلك ؟ نحو :
عرفت النحل والنمل دائبين على العمل . والأصل : عرفت النحل دائباً . . .
والنمل دائباً . . . والحالان متفقان لفظاً ومعنى^(٥) ، وهما يُبَيِّنَان هيئة شيئين ؛
فوجب تثنيتهما تبعاً لذلك ، فراراً من التكرار . ونحو : أبصرتُ في الباخرة الرُّبَّانَ ،

(١) كل هذا بشرط أن تكون الحال حقيقية ، (وهي الدالة على هيئة صاحبها مباشرة ، لا هيئة
شيء آخر يتصل به . فالدالة على هيئة صاحبها الحقيقي نحو : يقف الشرطي متيقظاً ، والدالة على هيئة شيء
آخر يتصل به بسبب .) وتسمى : « الحال السببية » ، ولا تشترط فيها المطابقة التامة لصاحبها ،
وسيجيء حكمها في ص ٤٠٠) نحو : يقف الشرطي مفتحة عيناه طول الليل .

(٢) وتسمى : المترادفة . وقد تسمى : المتداخلة ، طبقاً للبيان الموضح في « ا » من ص ٣٨٩ .

(٣) كما في رقم ٤ من ص ٤٢٩ .

(٤) ولا يفرض الاختلاف تذكيراً ، وتأنيثاً ؛ نحو قوله تعالى : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)

: سخر لكم الشمس دائبة والقمر دائباً .

والبَحَّار والمهندس منمكينَ في إدارتها . والأصل : أبصرت الرُّبَّانَ منمكماً ،
والبَحَّار منمكماً ، والمهندس منمكماً . فالحال هنا متعددة . وهي متفقة الألفاظ
والمعاني ، وأصحابها ثلاثة ؛ فجمعت وجوباً تبعاً لذلك ، استغناء عن التكرار .
وفحو : بنيت البيت وأصلحت السور جميلين . ووقفتُ سعاد وشاهدتُ أمَّها
متكلمتين^(١) .

هذا ، والتكرار الممنوع في الثنية والجمع هو تعدد الأحوال متوالية ، كل واحدة
وراء الأخرى مباشرة^(٢) . أما وقوع كل واحدة بعد صاحبها مباشرة فليس بممنوع .
وإن تعددت لمتعدد وكانت مختلفة الألفاظ أو المعاني وجب التفريق بغير
عطف ؛ بحيث تكون كل حال بعد صاحبها مباشرة ، وهو الأحسن ؛ منعاً
للغموض . ويجوز تأخير الأحوال المتعددة كلها وتكون الأولى منها للاسم الأخير^(٣)
والحال الثانية للاسم الذي قبله^(٢) ، والحال الثالثة للاسم الذي قبل هذا^(٣) . . . وهكذا
ترتب الأحوال مع أصحابها ترتيباً عكسياً . فأول الأحوال لآخر الأصحاب ،
وثاني الأحوال للصاحب الذي قبل الأخير . . . ومراعاة هذا واجبة . إلا إن قامت
قرينة تدل على غيره . فمثال مراعاة الترتيب السابق : كنت أسوق السيارة فأبصرت
زميلي في سيارته قاصداً الريف ، مقبلاً من الريف . فكلمة : « قاصداً » حال
من « زميل » بإعطاء أول الحالين لآخر الاسمين . وكلمة : « مقبلاً » حال من التاء
في : « أبصرت » ؛ بإعطاء ثاني الحالين للاسم الذي قبل السابق . . . و . . .
ومثال مخالفة هذا الترتيب لقرينة تدعو للمخالفة : لقي التَّرجُمان جماعة السُّيَّاح
باحثاً عنهم ، سائلة عنه . فكلمة : « باحثاً » حال من : « التَّرجُمان » وكلمة :
« سائلة » حال من « جماعة » ولو روعي الترتيب هنا لاختلَّت المطابقة الواجبة بين
الحال وصاحبها في التذكير والتأنيث . فالذي ربط بين الحال وصاحبها ، وعيَّن
لكل حال صاحبها هو قرينة التذكير فيهما معاً ، أو التأنيث فيهما معاً . ومثل :
حدث المُحاضر طلابه واقفاً جالسين ؛ فكلمة : « واقفاً » حال من : « المحاضر »

(١) من الكلام النظري المحض ما يقوله النحاة : (إن العامل في الحال عند تعدد العامل هو مجموع
العوامل ، لا كل واحد مستقلاً . لتلاي مجتمع عاملان على معمول واحد ! وانظر « أ » من « ٣٨٩ » .
ولا فائدة من تناسي الأمر الواقع من غير داع ؛ فالواقع أن كل عامل قد اشترك في العمل برغم ما سبق .

(٢٠٢) فلا يصح : أبصرت المسافرة في الباخرة الرِّبان ، والبحار ، والمهندس منمكماً ، منمكماً ، منمكماً .

(٣ و ٢) وهو صاحبها .

و « جالسين » حال من : « الطلاب » . ولم يراعَ الترتيب ؛ لأن اللبس مأمون ؛ بسبب وجود المطابقة التي تقضى بأن يكون صاحب الحال المفردة مفرداً ، وصاحب الحال المجموعة جمعاً^(١) .

والجدير في هذه المسألة - وفي غيرها - الاعتماد على القرينة ؛ فلها الاعتبار الأول دائماً .

وإذا وقعت الحال بعد : « إمّا » التي للتفصيل ، أو بعد : « لا » النافية وجب تعدد الحال ، نحو قوله تعالى : (إنا هديناه السَّبِيلَ ؛ إمّا شاكراً وإما كفوراً) ونحو : يقفز الطيار ؛ لا خائفاً ، ولا متردداً . أما في غير هذين الموضعين فالتعدد جائز على حسب الدواعي المعنوية .

* * *

(١) اقتصر ابن مالك في الكلام في الحال المتعددة على البيت الآتي :

والجِالُ قَدْ يَجِيءُ ذَا تَعَدُّدٍ لِمُفْرَدٍ - فاعْلَمْ - وَغَيْرِ مُفْرَدٍ - ١٧

.

زيادة وتفصيل :

(١) إذا تعددت الحال لواحد سميت : « مترادفة » ؛ أى : متوالية ،
 (تتلو الواحدة الأخرى) . ويجوز أن تكون الحال الثانية حالاً من الضمير المستتر
 فى الأولى ؛ وعندئذ تسمى الثانية : « متداخلة » . وهذا يجرى فى كل حال متعددة ،
 فيجوز أن تكون حالاً من ضمير التى قبلها مباشرة .

ويمنع جماعة من النحاة ترادف الحالين ؛ بزعم أن العامل الواحد لا ينصب
 إلا حالاً واحدة . وله حجة جدلية مردودة ، لأنها من نوع الجدلليات التى تسمى
 إلى النحو من غير أن تفيده ^(١) .

(ب) عرفنا أنه يجوز أن تعدد الحال من غير أن يتعدد صاحبها ؛ نحو :
 مشيت بين الرياحين هائناً ، مستنشقاً أريجها ، متملياً جمالها ،
 ولكن لا يجوز أن تتعارض الأحوال ، فلا يقال : حضر القطار سريعاً
 بطيئاً ، ولا وقف الحارس متيقظاً غافلاً . نعم يجوز هذا عند إرادة الوصول إلى معنى
 واحد يؤخذ من الحالين معاً ، ولا يؤديه أحدهما دون الآخر ؛ نحو : أكلت الطعام
 ساخناً بارداً ، أى : معتدلاً فى حرارته ، ونحو : ركبت السيارة بسرعة بطيئة ؛ أى :
 متوسطة فى سرعتها ، ومثل : لا تأكل الفاكهة ناضجةً فجأةً ، أى : متوسطة
 النضج . ونحو : اترك الطعام ممتلئاً جائعاً ، أى : متوسطاً فى الشبع . ونحو :
 تخير ثيابك واسعة ضيقة ، أى : معتدلة السعة . وهكذا .

بالرغم من أن المعنى المقصود لا يتحقق إلا من اللفظين معاً فإن الإعراب يقتضى
 أن يكون كل لفظ منهما — حالاً .

* * *

السابع : انقسامها بحسب الزمان إلى : مقارنة ، ومقدرة^(١) (مستقبلية) . . .

فالمقارنة هي التي يتحقق معناها في زمن تحقق معنى عاملها ، وحصول مضمونها ؛ بحيث لا يتخلف وقوع معنى أحدهما عن الآخر ، نحو : (أقبل البريء فرحاً ، — هذا يسوق السيارة الآن محترساً) — . فزمن الفرح ، والاحتراس ، هو زمن وقوع معنى الفعلين : أقبل — يسوق . . . (٢)

والمقدرة ، أو المستقبلية^(٣) : هي التي يتحقق معناها بعد وقوع معنى عاملها ، أي : بعد تحقق معناه بزمن يطول أو يقصر ؛ فحصول معنى الحال هنا متأخر عن حصول مضمون عاملها ؛ نحو : سيسافر بعض الطلاب غداً إلى البلاد الغربية ؛ مؤزعين فيها ، متدربين في مصانعها . ثم يعودون عاملين في مصانعنا ؛ فزمن التوزيع والتدريب متأخر عن السفر ، الذي هو زمن حصول العامل ، ومستقبل بالنسبة له . وكذلك العمل متأخر عن العودة .

وكقوله تعالى في الإنسان : (إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً) ، فكلمة « شاكراً » حال ، وزمن وقوعه متأخر — حتماً — عن زمن عامله (وهو الفعل : هدى) ، وكلمة : « كفوراً » معطوف عليه ، وهو حال مثله . وكذلك قوله تعالى للصالحين أهل الجنة : (ادخلوها بسلام آمنين) ، وقوله تعالى : (فادخلوها خالدين) ، فكل من الأمن والخلود متأخر في زمنه عن زمن الدخول لا محالة . . . (٤)

(١) سيجىء — في رقم ٤ من هذا الهامش — نوع ثالث يذكره بعض النحاة ويعارض فيه آخرون .

(٢) ومن أمثلة الحال « المقارنة » ، والتي هي جملة ، قول الشاعر يصف من نال الولاية ثم تركته

تولايها وليس له عدو وغادرها وليس له صديق

فالزمن الذي خلا من الأعداء هو نفسه زمن التوكي . والذين الذي خلا من الأصدقاء هو نفسه زمن المغادرة

(٣) وهي التي أشرنا إليها في رقم ٣ من ص ٣٦٤ .

(٤) أما النوع الثالث الذي يسميه بعض النحاة : « الحال المحكية » فحال وقع معناها وتحقق قبل النطق

بها ؛ نحو : نزل المطر أمس فياضاً ، واندفق في طريقه جارفاً . وقد عارض — بحق — كثرة النحاة في

هذا القسم وفي أمثله بحجة قوية ؛ هي أن العبارة إنما تكون بمقارنة الحال وقت تحقق معناها وحين وقوعها

ووجودها — لزمن العامل وتحقق معناه ؛ كالتى هنا ، وليست لزمن المتكلم . هذا إلى أن الأمثلة

المروضة (وأشباهاها) وقد جاءت فيها « الأحوال » مشتقات نوعها اسم فاعل ، واسم الفاعل حقيقة

في الزمن الحالى ، عند عدم القرينة التي توجهه لزمن غير الحال . فالتعبير به عن الماضى ، يعتبر مجازاً =

والحال المقارنة أكثر استعمالاً ووروداً في الكلام ، ولا تحتاج إلى قرينة كالتى يحتاج إليها غيرها .

* * *

الثامن : انقسامها بحسب التأسيس والتأكيد إلى مؤسّسة ومؤكّدة . فالمؤسّسة ، وتسمى المَبْنِيَّة (١) : هى التى تفيد معنى جديداً لا يستفاد من الكلام إلا بذكرها ، نحو : (وقف الأسد في قفصه غاضباً ، ثم هدأ حين رأى حارسه مقبلاً) ، فكلمة : « غاضباً » حال مؤسّسة : لأنها أفادت الجملة معنى جديداً لا يفهم عند حذفها . وكذلك كلمة : « مقبلاً » وأشباههما من الأحوال التى لا يستفاد معناها من سياق الكلام بدون ذكرها .

والمؤكّدة : هى التى لا تفيد معنى جديداً ، وإنما تقوّى معنى تحتويه الجملة قبل مجيء الحال (٢) ، ولو حذفت الحال لفهم معناها مما بقى من الجملة . نحو : لا تظلم الناس باغياً ، ولا تتكبر عليهم مستعليّاً ، « فالبغى » هو الظلم ، و « الاستعلاء » هو الكبر . ولو حذف كل من الحالين في المثال (وهما يؤكّدان عاملهما) ما نقص المعنى ، ولا تغير ، ولتفهم معناه من بقية الكلام . ومثلهما باقى الأحوال التى يستفاد معناها بغير وجودها .

وقد سبق — فى مناسبة أخرى (٣) — الإشارة إلى المؤكّدة ، وأنها قد تكون مؤكّدة لمضمون الجملة ؛ نحو : خليل أبوك عطوفاً ، أو مؤكّدة لعاملها لفظاً ومعنى ؛ نحو : (وأرسلناك للناس رسولا) أو معنى فقط : نحو : (. . . ويوم أبعث حيّاً . . .) لأن البعث يقتضى الحياة ، أو مؤكّدة لصاحبها ؛ نحو قوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلّهم جميعاً) . فكلمة : « جميعاً » حال من الفاعل « من » وهذا الفاعل اسم موصول يفيد العموم ، والحال — هنا — تفيد العموم ، فهى مؤكّدة له .

== ويسمى : « حكاية حال ماضية » .

وهذه الحجة صحيحة ، ورغم صحّتها لا أهمية للخلاف . لأن الغرض المطلوب هو الحكم على مثل تلك « الأحوال » بالصحة والبعد عن الخطأ . وقد ثبت أن ذلك الاستعمال صحيح والأسلوب سليم ، فلا أهمية بعد ذلك لأن يكون الاستعمال الصحيح حقيقياً أو مجازياً وإن كانت قلة الأقسام — من غير ضرر — أمراً محمداً .

(١) لأنها تبين هيئة صاحبها — أما المؤكّدة فلا تبين هيئة — كما فى ص ٣٦٦ و ٣٦٧ .

(٢) سواء أكان المعنى الذى تؤكّده هو معنى عاملها أم معنى صاحبها ، أم معنى الجملة التى قبلها — كما سبق فى ص ٣٦٧ وما بعدها وله إشارة فى ص ٣٩٦ .

(٣) ص ٣٦٧ وما بعدها .

وأشرنا هناك إلى أن الجملة التي تُوكِّد الحال مضمونها لا بد أن تكون جملة اسمية ، طرفاها معرفتان ، جامدتان^(١)؛ ولا بد أن تتأخر الحال عنهما معا، وعن عاملها أيضاً . وأن العامل في هذه الحال محذوف وجوباً ، وكذلك صاحبها . ففي المثال السابق : « خليل أبوك عطوفاً » ، يكون التقدير : أحقه ، أو : أعرفه ، أو : أعلمه ، أو نحو ذلك . وهذا التقدير حين يكون المبتدأ كلمة غير ضمير المتكلم ، فإن كان ضميراً للمتكلم وجب اختيار الفعل أو العامل المقدر مناسباً له ، أى : أحقنى - أعرفنى - أعلم أنى . . . ولا بد أن تكون هذه الحال متأخرة عنه أيضاً .

أما الغرض^(٢) من التوكيد بالحال فقد يكون بيان اليقين ، نحو : أنت الرجل معلوماً ، أو الفخر ، نحو : أنا فلان بطلاً ، أو التعظيم ؛ نحو : أنت العالم مهيباً ، أو : التحقير : نحو : هو الجاني مقهوراً ؛ أو : التصاغر ، نحو : ربّ أنا عبدك فقيراً إليك ؛ أو التهديد والوعيد ، نحو : فلان قاهر للأبطال قادراً على الفتك بك^(٣) . . .

* * *

التاسع : انقسامها بحسب الأفراد وعدمه إلى : مفردة ، وجملة ، وشبه جملة . ثم الكلام على ما تحتاج إليه الجملة الحالية من رابط .

(١) إذا كان في الجملة فعل أو ما يعمل عمله كان عاملاً في الحال : فلا يعتبر العامل مضمراً ، ولا تكون الحال مؤكدة لمضمون الجملة . وقد قلنا في رقم ٣ من هامش ص ٣٦٦ إن بعض النحاة اشترط الجمود المحض ؛ ليخرج : هو الأسد مقداماً ؛ فإنها مؤكدة لعاملها ؛ وهو : « الأسد » ؛ لتأوله بالشجاع وليست مؤكدة لمضمون الجملة ، لأن هذه الحال ليست جامدة محضة ، كما يشترط . وقد آثرنا هناك إهمال رأيه ، والأخذ بالرأى الذى يكتفى بمجرد الجمود للأسباب التى أوضحناها .

(٢) يتبين هذا الغرض بالقرائن المنضمة للكلام

(٣) فيما سبق يقول ابن مالك :

وعاملُ الحالِ بِهَا قَدْ أُكِّدَا فِي نَحْوِ: لَا تَعَثْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِداً - ١٨

« بها » : أى : بالحال . ثم قال في الحال المؤكدة لمضمون الجملة :

وإنْ تُوكِّدْ جُمْلَةً فَمُضْمَرٌ عَامِلُهَا وَلَفْظُهَا يُوَخِّرُ - ١٩

أى : لأن العامل مضمّر (أى : محذوف) إذا كانت الحال مؤكدة للجملة ، وأن لفظ الحال يؤخر وجوباً عن الجملة ، وعن عاملها المحذوف ، وهو صاحبها .

١ - فالمفردة : ما ليست جملة ولا شبهها ، نحو : أشربُ الماءَ صافياً^(١) -
سِرِّ في الطريق حَذِراً^(٢) ، . . . ومثل كلمة : « جاهداً » في قول الشاعر :

ومن يَتَتَبَّعْ - جاهداً - كل عثرة يجدُها ، ولا يسلم له الدهرَ صاحب

ب - وشبه الجملة هو : « الظرف ، والجار مع مجروره » . نحو : كنت في الطائرة
فأبصرت البيوت الكبيرة فوق الأرض صغيرة . والسفن الضخمة بين الأمواج
محتجة - إن دار الآثار في القاهرة مليئة بالنفائس - تشكلت الثلوجُ على الغصون
أشكالاً بديعة

ولا بد في شبه الجملة أن يكون تاماً ؛ أى : مفيداً ، وإفادته قد تكون
بالإضافة ، أو بالنعت ، أو بالعدد ، أو بغير ذلك مما يكون مناسباً له ، ويجعله
مفيداً (على الوجه الذي تكرر شرحه من قبل)^(٣) فلا يصح : هذا إبراهيم عنك ،
ولا هذا إبراهيم اليوم . . .

(١) ومن الحال المفردة بعض ألفاظ مركبة تركيب مزج سماعاً (فلا يجوز القياس عليها) وهي
ألفاظ وردت عن العرب مركبة مزجا ، ومبنية : - على الأصح - على فتح الجزأين في محل نصب ،
باعتبارها حالا ، ومنها : هرب الأعداء شَفَرًا بِشَفَرٍ ، أى : متفرقين . وكذلك شَدَرًا مَدَرًا ، بمعنى : متفرقين
أيضاً . ومثل : تركتُ الصحراء حيث بيئتُ ، أى : مبحوثاً عن أهلها ، مطلوباً لإخراجهم منها - ومثل : فلان
جارى بيتَ بيتٍ ، أى : مقارباً ، أو ملاصقاً - ومثل : لاقيهم كَفِيَّةً كَفِيَّةً ، أى : مواجهها . . . وهكذا . . .
ويلاحظ أن الجزء الثانى . في كثير من تلك المركبات - ونظائرهما - (مثل : بِشَفَرٍ - مَدَرٍ - بَيْتٍ)
- إلخ - هو في الرأى الأقوى مجرد لفظ عرضى ، أى : صوت ليس له معنى مستقل ، ولا كيان ذاتى
يستقل به عن الكلمة التى يتبعها ، ولا يجلب زيادة معنى ، ولا يوصف وحده بإعراب ولا بناء . . . (كما سيجىء
بالتفصيل فى باب النعت - ص ٣ م ١١٤ ص ٤٥٢) وإنما يجىء عرضاً بعد الأول ، ولهذا يُذكر فى إعرابه
فى الصُور التى ليست حالا مركبة أنه « تَتَبَّعَ لِلأول » ؛ فهو مفرد وجمعه : « الأتباع » (بفتح الهمزة)
وليس من التوابع الأربعة المشهورة (النعت - التوكيد - العطف - النبدل) ولا يعرب إعرابها ما لم يؤد
معنى جديداً ، وإنما يكتفى فى إعرابه بأن يقال فى غير تلك الصور الحالية المركبة إنه : « تبع للأول » ،
أو إنه من : « الأتباع » ؛ فثله مثل الثانى من قولهم : (محمد حَسَنٌ بِسَنٍ) و « اللص شيطانٌ نَيْطَانٌ »
أو (عِفْرِيَّتٌ زَيْفَرِيَّتٌ) .. ولا شىء فى هذه الثوائى وأشباهاها داخل « فى التوابع الأربعة المذكورة .
لأنه لا يأتى بمعنى من معانيها . هذا ، وتفصيل الكلام على المركب المزجى فى ج ١ م ٢٣ باب أقسام العلم .
(٢) قد يجب اقتراح الحال المفردة « بالقاء » ، أو : « ثم » العاطفتين فى صورة واحدة هى الصورة
الثالثة التى تجىء فى ص ٤١٠ والكوفيون يميزون : « واو العطف » أيضاً - كما سيجىء - .

(٣) فى باب الموصول « ج ١ ص ٣٤٧ م ٢٧) والمبتدأ والخبر (ج ١ ص ٤٣١ م ٣٥ و ج ٢ ص ٦٨
١١٥ و ١١٧) . وفى المواضع السالفة بيان عن شبه الجملة من ناحية تعلقه .

وإذا كانت الحال جملة - وستأتى - أو شبه جملة فلا بد أن يكون صاحبها معرفة^(١) محضة ؛ (أى : معرفة لفظاً ومعنى) ؛ مثل : وقف جارى يكلمنى . فإن لم يكن معرفة خالصة ؛ (بأن كان معرفة فى اللفظ دون المعنى ؛ كالمبدوء « بأل الجنسية » أو كان نكرة مختصة ؛ بسبب نعت أو غيره . . .)^(٢) ، جاز فى الجملة وشبهها أن تكون حالا ، وأن تكون نعتاً ؛ نحو : أعرف الطائرات تفوق غيرها فى السرعة . وقد عرفنا طائرات سريعة تطوف بالكرة الأرضية فى دقائق^(٣) . . . ونحو : فى الجوت تهدير الطائرات كتصنف الرعد . . . وهذه طائرة كبيرة أمامنا تهدير كالرعد .

ح - والجملة^(٤) قد تكون اسمية أو فعلية ؛ نحو : لازمت البيت والمطر هاطل^(٥) - لازمت البيت وقد هطل المطر^(٦) . . . وقد اجتمعت الجملتان فى قول الشاعر :

(١) يصح أن يكون صاحب الحال نكرة فى يضة مواضع تجىء فى ص ٤٠٢ . عند الكلام عليه .
(٢) كما سيحى البيان فى رقم ١ من هامش ص ٤٠٣ وقد سبق بيان النكرة المحضة وغير المحضة بإسهاب ، وكذا المعرفة بنوعها - فى الجزء الأول ، باب النكرة والمعرفة ، ص ١٩٤ م ١٧ وبجىء فى الجزء الثالث (باب النعت . م ١١٤ ص ٤٦٠) إشارة له أيضاً .
(٣) ومثل قول الشاعر :

لنا فى الدهر آمال طوال نرجيها ، وأعمار قصار

(٤) إذا وقعت الجملة حالا فإنما تسمى جملة باعتبار أصلها السابق قبل الحالية حين كانت تؤدي فيه معنى مفيداً مستقلاً . أما بعد وقوعها حالا فإنها تؤدي معنى غير مستقل ، وهى لذلك لا تسمى جملة ولا كلاماً ، شأنها فى هذا كشأن الجملة الواقعة خبراً ونعتاً وغيرهما ؛ (طبقاً للبيان الشامل الذى سبق فى ج ١ هامش ص ١٥ م ١ وفى رقم ٣ من هامش ص ٣٧٧ م ٢٧) .

وإذا وقعت الجملة حالا أو نعتاً أو موقفاً إعرابياً آخر ، فهى نكرة ، وقيل : فى حكم النكرة ، - (كما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٣٧٥) . وقد تردد هذا فى كثير من المراجع النحوية ، ومنها حاشية يامين على شرح التوضيح (أول باب النكرة والمعرفة) حيث قال : « وأما الجمل والأفعال فليست نكرات ، وإن حكم لها بحكم النكرات . وما يوجد فى عبارة بعضهم أنها نكرات فهو تجاوز » . وهذا الخلاف لا أهمية له ؛ إذ الأهمية فى أنها تقع فى كل موقع لا يصلح فيه إلا النكرة ، كوقوعها خبر « لا » النافية للجنس ، ونعتاً للنكرة المحضة . (٥) ومن أمثلة الاسمية أيضاً قول الشاعر

عش عزيزاً - أو مت وأنت كريم بين طعن القنا ، وخفق البنود

وقوظم : من صحب الأشرار - وهو يعلم حاله - كان شقاؤه من نفسه .

(٦) ومن أمثلة الفعلية أيضاً ما تضمنه الشطر الثانى من قول شاعرهم :

العلم يدرك أقواماً فينقذهم كالغيث يدرك عيدانا فيحييها

كأن سواد الليل - والفجر ضاحك - (يلوح) ويخفى ، أسود يتبسم

ويشترط في الجملة الواقعة حالاً أن تكون خبرية ، غير تعجبية (على القول بأن الجملة التعجبية خبرية) فلا تصح الإنشائية بنوعها^(١) الطلبي ، وغير الطلبي . وأن تكون مجردة من علامة تدل على الاستقبال^(٢) كالسين وسوف ، ولن ، وأداة الشرط ... و ...) - وأن تكون مشتملة على رابط يربطها بصاحبها ليكون المعنى متصلاً بين الجملتين ؛ فيتحقق الغرض من مجيء الحال جملة ، ولولا الرابط^(٣) لكانت الجملتان منفصلتين لا صلة بينهما ، والكلام مفككاً^(٤) . . .

والرابط قد يكون واواً مجردة تسمى : واو^(٥) الحال ، نحو : احترست من الشمس والحرارة شديدة . وقد يكون الضمير^(٦) وحده ؛ نحو : تركت البحر أمواجه

(١) سبق توضيح المراد من الجملة الإنشائية ملخصاً في رقم ٤ من هامش ص ٢٢٠ وفي ج ١ ص ٢٦٨ م ٧٢ .

(٢) في هذا الشرط وفي تعليله خلاف ، وجدل كلامي ... ، أما مثل : لأمدحن المخلص ؛ إن حضر وإن غاب - حيث وقعت الجملة الشرطية حالاً مع أنها إنشائية ، ومشتملة على علامة استقبال ؛ وهي حرف الشرط : « إن » - فالمسوغ عندهم أنها شرطية لفظاً لا معنى : إذ التقدير : لأمدحنه على كل حال . ونشير إلى ما جاء في « المغنى » ، و « الجمع » خاصاً بأن : « لا » النافية تخلص المضارع للاستقبال إذا سبقته ، خلافاً لابن مالك - ومن معه - محتجاً بإجماع النحاة على صحة « جاء محمد لا يتكلم » مع الإجماع أيضاً على أن الجملة الحالية لا تصدر بعلامة استقبال . ونقول : الرأي الأنسب هو أن « لا » تخلصه للاستقبال عند عدم قرينة تمنع .

(وقد سجلنا كلام المغنى والجمع في ١ م ٤ ص ٥٦)

(٣) وقد يكون الرابط محذوفاً ، كما سيبيء في ص ٤١١ .

(٤) يقول ابن مالك في الحال التي تقع جملة من غير تفصيل لأنواعها ، ولا بيان لشروطها

الكاملة :

وَمَوْضِعُ الْحَالِ تَجِيءُ جُمْلَةً كَجَاءَ زَيْدٌ ، وَهُوَ نَاوٍ رِحْلَةً - ٢٠

أى : تجيء الجملة موضع الحال المفردة ؛ بمعنى أنها تكون حالاً بثلاث - مع اختلافها نوعاً - وعرض لها مثلاً جملة اسمية هي قوله : (وهو ناوٍ رحلة) .

(٥) وهي في الوقت نفسه للاستئناف ؛ لوجوب دخولها على جملة . كما أنها تفيد الاقتران والمعية ، ولكنها لا تسمى اصطلاحاً واو معية (انظر رقم ١ من هامش ص ٣٠٦) . ومن الأمثلة لذلك أيضاً البيت التالي الذي وصفه بأنه أبلغ بيت في الوفاء وكتان السر ، وهو :

لا أخرجن من الدنيا وسرّكمو بين الجوانح لم يعلم به أحد

(٦) إذا كان المبتدأ ضميراً للمتكلم ، والحال جملة فعلية رابطها الضمير - جاز في الضمير الرابط =

عنيفة^(٢) . وقد يكون الواو والضمير معاً ، نحو : لا آكلُ الطعام وأنا شعبانُ . ولا أشرب الماء وهو غيرُ نقي^(٣) . وكقول الشاعر :

إن الكريم ليخفى عنك عسره حتى تراه غنياً وهو مجهود
(١)

وقد يستغنى عن الرابط أحياناً - كما سيجيء^(٢) .

لكن هناك موضعان تجب فيهما الواو ، ومواضع أخرى تمتنع ؛ فتجب الواو في الجملة الحالية الحالية من الضمير لفظاً وتقديراً^(٣) ؛ نحو : تيقظت وما طلعت الشمس . وفي الجملة المضارعية المثبتة ، المسبوقة بالحرف : « قد ؛ نحو قوله تعالى : (لِمَ تَوَدُّونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) .

والمواضع التي تمتنع فيها الواو هي :

١ - أن تكون جملة الحال اسمية واقعة بعد عاطف يعطفها على حال قبلها ، نحو : سيجيء المتسابقون مشاةً ، أو هم راكبون^(٤) السيارات ؛ فلا يصح أن يكون الرابط هنا واو الحال ؛ لوجود حرف العطف : « أو » . وواو الحال لا تُلَاقِ حرف عطف .

٢ - أن تكون جملة الحال مؤكدة لمضمون جملة قبلها^(٥) ؛ كالقول عن القرآن (هو الحق لا شك فيه) ، وقوله تعالى عنه : (ذلك الكتابُ لا ريب فيه) ، وليس من اللازم أن تكون جملة الحال المؤكدة اسمية . فقد تكون فعلية أيضاً ؛ نحو : هو الحق لا يشك فيه أحد . . .

= أن يكون للمتكلم أو للغائب ؛ نحو : أنا الصادق أحب الحق ، أو يجب الحق ، وكذلك إن كان المبتدأ ضميراً للمخاطب جاز في الضمير الرابط أن يكون للمخاطب أو للغائب ؛ نحو : أنت الصادق تحب الحق ، أو يجب الحق . ومراعاة التكلم والخطاب أحسن في الصورتين ؟
(كما سبق في ج ١ ص ٣٥ م ٢٤٥ - هامشياً -) .

(١) وقول الآخر :

يخفى العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما أسمر يهوح

(٢) في ص ٤١١ .

(٣) ذلك أن الضمير قد يجوز حذفه لفظاً لا تقديراً - إذا عرف من السياق - كما سيجيء في « د » ص ٤١١ - نحو : ارفع سعر القمح ؛ كـ « كَيْلَة » بخمسين قرشاً . أى : كـ « كَيْلَة » منه .

(٤) الأحسن في إعراب مثل هذا المثال : أن تكون : « أو » حرف عطف ، والجملة بعدها في محل نصب حال ، وهذه الحال المنصوبة معطوفة على « مشاة » .

(٥) سبق تفصيل الكلام عليها في ص ٣٦٦ و ٣٨٣ و ٣٩١ و ٣٩٦ .

أما المؤكدة لعاملها فقد تَقَرَّن بالواو ؛ نحو : قوله تعالى : (ثم توليتم وأنتم معرضون) .

٣ - الجملة الفعلية الماضية بعد « إلا » التي تفيد الإيجاب (أى : المسبوبة بكلام غير موجب فيكون المعنى بعدها موجباً) ؛ نحو : ما تكلم العظيم إلا قال حقاً . ويرى بعض النحاة : أنه يجوز في هذا الموضع الربط بالواو ، محتجاً بأمثلة نصيحة متعددة ^(١) . وحجته مقبولة . ولكن من يريد الاقتصاد على الأعم الأفصح لا يسائر هذا رأى . ويجيز بعض آخر صحة الربط بالواو بشرط أن تقع بعدها « قد » مباشرة ^(٢) وهذا رأى حسن وفيه تيسير .

٤ - الجملة الماضية المعطوفة على حال ، بالحرف العاطف : « أو » ؛ نحو : أخلص للصديق ؛ حضر ^(٣) أو غاب .

(١) منها قول الشاعر :

نِعِمَّ امرأً هَرَمٌ ؛ لِمَ تَعَرَّ نائِبَةٌ إِلَّا وَكَانَ لِمُرْتَاعِهَا وَزَرَا

وهنا قال الخضرى ما نصه : (وشذ قول الشاعر : نِم امرأ هَرَم . إلخ . . . وقيل : غير شاذ)
 ا هـ كلام الخضرى .

وجاء أن الأشموني ما نصه : (« وذهب بعضهم إلى جواز اقترانه بالواو تسمكاً بقوله :

نِم امرأ هَرَم . إلخ . وحكم الأول (أى : الفريق صاحب رأى الأول) بشذوذه ا هـ .

وجاء في التصريح ما نصه عند الكلام على الصور التي تمتنع فيها « واو الحال » : (« الثالثة ؛ الماضى التالى « إلا » الإيجابية ؛ نحو : « ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » فجملة : « كانوا به يستهزئون » حال من الهاء والميم فى : « يأتهم » . ولا تقترن بالواو عند ابن مالك .

وصرح شارح « اللب » بجواز الواو وتركها فيما إذا كان الماضى تاليا « إلا كقول الشاعر :

نِم امرأ هَرَم . . .) ا هـ

وجاء في الحاشية ما نصه : (« قوله : بجواز الواو وتركها . . . - جوازها هو القياس على جوازها مع الاسمية الواقعة بعد « إلا » ؛ نحو : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » . ا هـ .

ملاحظة : الجملة الواقعة بعد « إلا » فى هذه الآية الكريمة « نعت » والواو التي فى صدرها هى واو زائدة تلتصق بأول الجملة النعتية لتقوى دلالتها على النعت ، وتزيد التصاقها بالمنعوت ، ويسمونها لذلك « واو اللصوق » طبقاً للبيان الخاص بها المعروف فى مكانه الأنسب (باب النعت ج ٣ م ١١٤ ص ٤٦٢ .

(٢) قال « الصبان » - قرب آخر الباب - ما نصه : (فى الرضى أنهما قد يجتمعان بعد « إلا »

نحو : ما لقيته إلا وقد أكرمتى) ا هـ .

(٣) الجملة من الفعل : « حضر » وفاعله فى محل نصب حال من الصديق ، وبعدها : « أو » فلا يجوز =

٥ - الجملة المضارعية المسبوقة بحرف النفي : « لا » ؛ نحو : ما أنتم ؟ لا تعملون^(١) . وقول الشاعر :

فلا مرحباً بالدار لا تسكنونها ولو أنها الفردوس أوجنة الجلد

ومن القليل الذى لا يقاس عليه أن تقع الواو رابطة فى الجملة الفعلية (مضارعية ، أو ماضوية) إذا كانت مسبوقة بالحرف النافى « لا » .

٦ - الجملة المضارعية المسبوقة بحرف النفي : « ما »^(٢) ؛ نحو : عرفتك ما تحب العيب ، وعهدتك ما تسعى للإيذاء .

٧ - الجملة المضارعية المثبتة المجردة من « قد » ؛ نحو : شهدت الطالب الحريص يسرع إلى المحاضرة ، يتفرغ لها . وقد وردت أمثلة مسموعة من هذا النوع ، وكان الرابط فيها الواو ، منها قولهم : قمت وأصكّ عين العدو ، ومنها : فلما خشيت أظافيرهم نجوت ، وأرهنهم مالكا

ومنها :

« عَلَّقْتُهَا^(٣) عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا » . . . وأمثلة أخرى .

وقد تأول النحاة هذه الأمثلة ليدخلوها فى نطاق القاعدة ، ويخرجوها من مجال الشذوذ . ولا داعى لهذا التأويل^(٤) الذى لم يعرفه ولم يقصد إليه الناطقون بتلك

= أن يكون الرابط فى الجملة السابقة الواو ، لأن الكلام العربى خال من الواو فى مثل هذا الأسلوب . أما التعليقات الأخرى للمنع فردودة .

(١) مثل هذا التركيب يتضح من شأنه ويزول ما قد يكون فيه من غموض إذا عرفنا أن « لا » النافية تقدر فيه بكلمة : « غير » المنصوبة على الحال ، المضافة ، وأن المضارع بعدها يقدر باسم فاعل ، هو : « المضاف إليه » ، أى : ما أنتم غير عاملين ؟ أى : ما أنتم وما أمركم فى الحالة التى لا تعملون فيها ؟ وهو مثل الآية الكريمة : (وما لنا لا نؤمن بالله . .) التقدير : ما لنا غير مؤمنين ؟ ما أمرنا ، وما شأننا فى الحالة التى نكون فيها غير مؤمنين ؟

(ثم راجع رقم ٢ من هامش ص ٣٩٥ خاصاً بالحرف : « لا » النافية) .

(٢) « إن » : النافية ، مثل : « ما » فيقال فى حرف النفي : « ما » وفى المضارع بعده ما قيل فى سابقه ما هو مدون قبل هذا مباشرة فى رقم ١ .

(٣) أحببها .

(٤) قالوا فى التأويل : إن الواو واو الحال حقيقة . ولكنها لم تدخل على الجملة المضارعية مباشرة ، =

الأمثلة . والخير أن نحكم عليها بما تستحقه من القلة والندرة التي لا تُحاكى ، ولا يقاس عليها .

في غير هذه المواضع التي تمتنع فيها الواو يكون الربط بالواو وحدها ، أو بالضمير وحده ، أو بهما معاً . وقد سبقت الأمثلة لكل هذا ^(١) .

وإذا كانت جملة الحال ماضوية مثبتة وفعلها متصرف وربطها الواو وحدها وجب مجيء « قد » بعد الواو مباشرة ^(٢) ؛ نحو : انصرفت وقد انتهى ميعاد العمل ،

= وإنما دخلت على مبتدأ محذوف ؛ خبره الجملة المضارعية المذكورة بعده ، والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب حال . فالحال هو الجملة الاسمية لا الفعلية . والواو داخل على جملة اسمية عندهم .

فالداعي لهذا ؟ إن كان دخول الواو على الجملة المضارعية المثبتة المجردة من « قد » غير مقبول وغير صحيح وجب التصريح بهذا ، والحكم على ما يخالفه بأنه سماعي ؛ يحفظ ولا يقاس عليه . وإن كان دخول الواو صحيحاً وجب التصريح بهذا أيضاً من غير تأويل . وإن كان التأويل يبيح المنوع وجب السماح بالواو لكل من شاء . ومن أراد بعد ذلك أن يحمل نفسه مشقة التأويل فهو حرٌّ فيما يرضيه لها .

ولا شك أن التأويل على هذه الصورة لا خير فيه . وأن الخبر في منع الواو في مثل هذه المواضع . (١) اقتصر ابن مالك على حالة واحدة من الحالات التي تمتنع فيها الواو ، سجلها بقوله :

وَذَاتُ بَدْءٍ بِمُضَارِعٍ ثَبَتَ حَوَتْ ضَمِيرًا ، وَمِنْ الْوَاوِ خَلَّتْ - ٢١

يريد : أن الجملة المضارعية المثبتة الواقعة حالاً تحوى الضمير الرابط ، وتخلو من الواو المستعملة في الربط ؛ لأن هذه الواو لا تصلح للربط هنا . ثم بين أن الجملة المضارعية الحالية المسبوقة بالواو ينوئ ويقدّر لها بعد هذه الواو مبتدأ محذوف ، خبره الجملة المضارعية ؛ فتكون مسندة له . يقول :

وَذَاتُ وَاوٍ بَعْدَهَا اِنْوٍ مُبْتَدَأٌ لَهُ الْمُضَارِعُ اجْعَلَنَّ مُسْنَدًا - ٢٢

وما عدا هذه الحالة التي اقتصر عليها يجوز فيه الربط بالواو فقط ، أو بالضمير فقط ، أو بهما معاً ؛ فيقول :

وَجُمْلَةُ الْحَالِ سِوَى مَا قَدْ بَوَاوٍ ، أَوْ بِمُضْمِرٍ ، أَوْ بِهِمَا - ٢٣

(٢) لتقريب زمنها من الحال ، وهذا هو الرأي المختار . ويرى فريق آخر من النحاة لزوم : « قد » مع الماضي المثبت سواء أكان الرابط هو الواو ، أم الضمير ، أم هما معاً .

لكن يقول « أبو حيان » ما نصه :

(الصحيح جواز وقوع الماضي حالاً بدون « قد » ولا يحتاج لتقديرها ؛ للكثرة . ورد ذلك ، وتأويل الكثير ، ضعيف جداً ، لأننا إنما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة) ١ - هـ - راجع « الجمع » - ١

ص ٢٤٧ آخر باب الحال -

وهذا الرأي حسن ، وفي الأخذ به نيسير تؤيده النصوص الكثيرة الممنوعة كما يقول أبو حيان - ومن =

كان الرابط هو الضمير وحده ، أو الواو والضمير معاً فالأحسن مجيء « قد »

وتمتنع « قد » مع الماضي الممتنع ربطه بالواو — وقد سبق بيانه — كالماضى
التالى « إلا » الاستثنائية التى تفيد الإيجاب عند من يمنع ربطه بالواو^(١) ، أو الذى
بعده : « أو » .

* * *

العاشر : انقسامها باعتبار جريانها على صاحبها أو عدم جريانها إلى قسمين ؛
حقيقية وسببية^(٢) .

فالحقيقية : هى التى تبين هيئة صاحبها مباشرة ؛ كالأمثلة التى مرت فى أكثر
الموضوعات السالفة ، ومثل : فزع العصفور من المطر مبتلاً . فكلمة « مبتلاً »
حال . تبين هيئة صاحبها نفسه ؛ وهو : « العصفور » وقت فزعه . ولا تبين هيئة
شئ آخر غير العصفور نفسه ، — كعشه ، أو شجرته ، أو صاحبه ، أو طيور
أخرى — ومثل : وقف المصلى خاشعاً . فكلمة : « خاشعاً » حال تبين هيئة
صاحبها مباشرة ؛ وهو : المصلى . ولا شأن لها بغيره . . .

ولا بد أن تطابق الحال الحقيقية^(٣) صاحبها فى التذكير ، والتأنيث والإفراد ،
والتثنية والجمع .

والسببية : هى التى تبين هيئة شئ له اتصال وعلاقة بصاحبها الحقيقى ،
أى علاقة ، دون أن تبين هيئة صاحبها الحقيقى مباشرة ؛ مثل : فزع العصفور من

= وافقه — ومن تلك النصوص قوله تعالى : (هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا) وقوله تعالى : (. . . أوجاهوكم
حصرت صدورهم . . .) وآخر الشطر الثانى من قول الشاعر :

وإننى لتعرفنى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

هذا ، ولا تدخل « قد » على الجملة الماضوية التى فعلها جامد ؛ كأفعال الاستثناء (ليس . — خلا —

عدا — حاشا) — كما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٣٥٤ .

(١) انظر ما يختص بهذا فى رقم ٢٣ من هامش ص ٣٩٧ .

(٢) وهذا الموضوع هو الذى سبقت له الإشارة العابرة فى رقم ١ من هامش ص ٣٨٦ وتفصيل الكلام

على صاحب الحال يجرى فى ص ٤٠٢ .

(٣) ما لم يمنع من وجوب المطابقة مانع لفوى ، مما سيجرى فى موضعه ص ٤٠٦ ؛ (ولمطابقة الحال

لصاحبها موضوع مستقل ؛ فى ص ٤٠٦) .

المطر مبتلاً عُسُهُ ، ومثل : وقف المصلى خاشعاً قلبه . فكلمة : « مبتلاً » حال ، كما كانت ، وصاحبها هو : « العصفور » كما كان ، أيضاً . ولكن الحال هنا لا تبين هيئة صاحبها الحقيقي : « العصفور » ، وإنما تبين هيئة : « العش » وللش صلة وعلاقة بصاحبها ؛ فهو مسكن العصفور ومأواه .

كذلك المثال الثاني ، فكلمة : « خاشعاً » حال ، وصاحبها الحقيقي هو : المصلى . ولكنها لا تبين هيئته ، وإنما تبين شيئاً له صلة وعلاقة به ؛ هو قلبه ؛ فإن قلبه جزء منه .

ومن أمثلة السببة : كتبتُ الصفحة مستقيمةً خطوطُها ، سمعت المغنية عذباً صوتُها ، وسمعت القارئ واضحةً نبراته .

ولا بد في الحال السببية أن ترفع اسماً ظاهراً مضافاً لضمير يعود على صاحب الحال كالأمثلة السابقة ، وأن تكون مطابقة لهذا الاسم المرفوع بها ، في التذكير والتأنيث ، والإفراد ، دون التثنية والجمع ، إذ الأحسن أن تلتزم معهما الإفراد ؛ نحو : سكنت البيت جيداً هواؤه ، واسعةً غرفه ، جميلاً مدخله ، نظيفةً مسالكه . . (١) .

المسألة ٨٥ :

صاحب الحال

عرفنا^(١) أن الحال قد تُبين هيئة الفاعل في مثل : ينفع الصانع مُتَقِينًا ، أو هيئة المفعول به في مثل : يحترم الناس العاملَ مَخْلَصًا^(٢) . . . ، أو هيئة الفاعل والمفعول به معًا في نحو : استقبل الأخ أخاه مسرورين ، أو هيئة المبتدأ^(٣) في نحو : (الصحفُ - ماجنةٌ - ضارةٌ) . . . أو غير ذلك مما تبين الحال هيئته ؛ كالمضاف والمضاف إليه^(٤) . . . وهذا الذي تُبين الحال هيئته يسمى : صاحب الحال ؛ كالذى في الأمثلة السالفة : (الصانع - العامل - الأخ - أخاه - الصحف . . .) .

والأكثر في صاحب الحال أن يكون معرفة . وقد يكون نكرة بمسوّغ من المسوغات الآتية :

١ - أن تكون النكرة متأخرة والحال متقدمة عليها ، نحو :

(يمشى - حزينًا - مدّينٌ) . (يدعو - متألّمًا - مظلومٌ)^(٥) . . .

(١) في ص ٣٦٣ م ٨٤ .

(٢) وفي مثل قول الشاعر - حيث المفعول به ضميراً لجماعة الذكور ، والحال جملة اسمية - :

وتفقدهم عيني ، وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

(٣) يحىء الحال من المبتدأ صحيح ، (طبقاً للبيان المدون في رقم ٢ من هامش ص ٣٦٤ ورقم ٣

من هامش ص ٣٨٠

(٤) لحىء الحال من المضاف إليه شروط ذكرناها في ص ٤٠٤ .

(٥) من الجائز أن يكون أصل الجملتين السالفتين هو : يمشى مدين حزين - يدعو مظلوم متألم . . . ومن المقرر أن نعت النكرة إذا تقدم عليها أعرب حالا ؛ كالمثالين المذكورين ، ما لم يمنع مانع من إعرابه حالا ؛ ذلك أن المنعوت النكرة قد يكون - أحياناً - كالمنعوت المعرفة ، من جهة أن النعت المتقدم عليه يعرب على حسب العوامل ، والمنعوت المتأخر يعرب بدلا منه أو عطف بيان ، نحو : مررت بقائم رجل ، واستمعت إلى خطيب غلام (وأصلهما قبل التقديم : مررت برجل قائم - استمعت إلى غلام خطيب) وما تقدم نعلم أن نصب نعت النكرة المتقدم عليها باعتباره حالا هو أمر غالب ، لا واجب على الأصح ؛ لتخرج الصور السالفة ، ويخرج النعت في مثل : جاءني رجلٌ أحمرٌ ، ونحوه مما ليس منتقلا ؛ لأنه =

٢ - أن تكون النكرة متخصصة^(١) ؛ إما بنعت بعدها ؛ نحو : أشفقت على طفلة صغيرة تائهة ، وإما بإضافة ؛ نحو : حافظت على أثاث الغرفة منسقة ، وإما بعمل ؛ نحو : أفرحُ بناظمٍ شعراً مبتدئاً ، وإما بعطف معرفة عليها ، نحو : ذهب فريق ومحمود مسرعين .

٣ - أن تكون النكرة مسبوقة بنى ، أو شبهه (وهو هنا : النهى والاستفهام) ؛ نحو : ما خاب عامل مخلصاً - لا تشرب في كوب مكسوراً - هل ترضى عن أم قاسياً قلبها ؟ .

٤ - أن تكون الحال جملة مقرونة بالواو ؛ نحو : استقبلت صديقاً وهو راجع من سفر . (٢) .

٥ - أن تكون الحال جامدة ، نحو : هذا خاتمٌ ذهبياً^(٣) .

وقد وردت أمثلة مسموعة من فصحاء العرب وقع فيها صاحب الحال نكرة بغير مسوغ ؛ منها : صلى رجالٌ قياماً . ومنها : فلان يستعين بمائة أبطالا ... وللنحاة في هذا المسموع كلام وجدل . والذي يعيننا أن فريقاً منهم يبيح مجيء صاحب الحال نكرة بغير مسوغ^(٤) وفريقاً آخر^(٥) يمنعه ، ويقتصره على السماع ، ويؤول الأمثلة القديمة ، أو يحكم عليها بالشذوذ الذى لا يصح القياس عليه . وفى الأخذ بالرأى الأول توسعة ومحاكاة نافعة ، ولكن يحسن أن تسارع إليه قدر الاستطاعة ، ذلك

= من الصفات الثابتة - (راجع ج ٣ من حاشية الصبان آخر باب النعت) . ولهذا إشارة فى ج ٣ م ١١٥ - باب النعت - عند الكلام على تقدم النعت على المنعوت ، ص ٤٨١ .

(١) ولهذا يصح أن تكون الجملة - وشبهها - بعد النكرة المتخصصة حالا إذا لاحظنا تخصصها - كما سبق فى ص ٣٩٤ عند الكلام على الحكم التاسع - . ويصح أن تكون نعتاً إذا لم نلاحظه . وقد أوضحنا هذا فى مواضع متعددة ؛ منها : باب النكرة والمعرفة فى الجزء الأول . م ١٧ ص ١٩٤ (٢) وقول الشاعر :

ولاخير فى عيش امرئ وهو خامل وذكر الفتى بالخير عمر مجدد

(٣) فى هذا المثال حين يكون صاحب الحال نكرة ، وفرعاً من الحال - يرتضى النحاة إعراب الأصل تمييزاً .

(٤) من هؤلاء سيوبه ، وحجته : أن الحال جاءت لتقييد العامل ؛ فلا معنى لاشتراط المسوغ ، وهذه الحجة يؤيدها ويقويها السماع الذى يكفى للقياس عليه . (٥) كانليل ويونس .

أن صاحب الحال النكرة بغير مسوغ - قليلٌ في فصيح الكلام المأثور . نعم هذه القلة ليست مطلقة ؛ وإنما هي نسبية (أى : بالنسبة لصاحب الحال المعرفة أو النكرة المختصة) ^(١) . لكن هذا لا يمنعنا أن نختار الأكثر استعمالاً في المأثور الفصيح ، وإن كان غيره مقبولاً ^(٢) .

صاحب الحال إذا كان مضافاً إليه :

يصح أن يكون صاحب الحال مضافاً إليه ، نحو : تمتعت بجمال الحديقة واسعة ، - ونعمتُ برائحة الزهر متفتحاً ناضراً - ، وأكلت نادر الفاكهة ناضجة . ويشترط أكثر النحاة ^(٣) في صاحب الحال إذا كان مضافاً إليه أن يكون المضاف :

(١) إما جزءاً حقيقياً من المضاف إليه ؛ نحو : أعجبتني أسنان الرجل نظيفاً ، وراقتني أظفاره باسطاً أنامله . « فالأسنان » مضاف وهى جزء حقيقى من المضاف إليه ؛ أى : من صاحب الحال ؛ (وهو : « الرجل ») و « الأظفار » مضاف ، وهى جزء حقيقى من المضاف إليه صاحب الحال ؛ (وهو : الضمير العائد على الرجل ، ويعتبر فى حكم الرجل) . ومن هذا قوله تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غِلٍّ إخواناً) ؛ فكلمة : « إخواناً » حال من الضمير : « هم » المضاف إليه . والمضاف بعض حقيقى منه .

ومن الأمثلة قوله تعالى : (أيجب أحلكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ...) ، فكلمة : « ميتاً » حال من المضاف إليه (وهو : « أخ ») والمضاف (وهو : « لحم ») بعض منه .

(١) فهى قلة نسبية (كالتى شرحناها فى رقم ٢ من هامش ص ٣٦٨ و ٤٥٦ والبيان فى ج ٣ رقم ١ من هامش ص ٧٤ م ٩٤) . (٢) وفى صاحب الحال النكرة يقول ابن مالك :

وَلَمْ يُنْكَرْ - غَالِباً - ذُو الْحَالِ إِنْ لَمْ يَتَأَخَّرْ ، أَوْ يُخَصَّصْ ، أَوْ يُبَيِّنْ : - ٧

مَنْ بَعْدَ نَفْيٍ ، أَوْ مَضَاهِيهِ : كَلَّا يَبْغِ امْرُؤٌ عَلَى امْرَأٍ مُسْتَسْهِلاً - ٨

يريد : أن الغالب على صاحب الحال ألا يكون نكرة ، إلا إذا تأخر عنها صاحب الحال ، أو : خصص أو : بان (أى : ظهر) بعد نفي أو ما يضاهى النفي (يشابهه ، وهو هنا : النهى والاستفهام) وساق مثالا هو : لا يبغي امرؤ على امرئ مستسهلاً ، والمسوغ فيه النهى .

(٣) ويخالفهم سيبويه بحق ، وإن كان رأيه - مع صحته - ليس الأفصح فيما اشترطوه كما ، سيحى البيان فى رقم ٣ من هامش الصفحة التالية : (٤٠٥) .

(ب) وإما بمتزلة الجزء الحقيقي ، (حيث يصح حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ؛ فلا يتغير المعنى العام) كما في الأمثلة الأولى : (تمتعت بجمال الحديقة واسعة ، ونعمتُ بِرائحة الزهر ، متفتحاً ناضراً . . . و . . .) فيصح أن يقال : تمتعت بالحديقة واسعة ، ونعمت بالزهر متفتحاً . . . و . . . ومن هذا قوله تعالى : (ثم أوحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) ؛ حيث يصح : 'أَنْ اتَّبِعْ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً' . . .

(ح) وإما عاملاً في المضاف إليه ، كأن يكون المضاف مصدراً عاملاً فيه ؛ نحو : عند الله تقدير العاملين مسرورين ، ونحو : (إليه مرجعكم^(١) جميعاً) أو أن يكون وصفاً عاملاً فيه^(٢) ، نحو : هذا رافع الرايةِ عاليةً في الغد^(٣) . . . (٤) .

* * *

(١) « مرجع » ، مصدر ميمي ، أى : رجوعكم .
(٢) كاسمى الفاعل والمفعول بالشروط الواجبة لإعمالهما ، ومنها : أن يكونا بمعنى الحال أو الاستقبال . . . و . . .

(٣) جاء في « الخضرى » في هذا الموضوع خاصاً بالأمور الثلاثة ما نصه :
(وإنما اشترط أحد الأمور الثلاثة - أ ، ب ، ج - لوجوب اتحاد عاملي الحال وصاحبها عند الجمهور : كالنعت والمنعوت ، وصاحبها إذا كان مضافاً إليه هو معمول للمضاف . وهو - أى : المضاف - لا يعمل في الحال إلا إذا أشبه الفعل : بأن كان مصدراً ، أو صفة « أى : وصفاً مشتقاً » حيثئذ فالقاعدة موفاة . فإن كان المضاف جزءاً أو كالجزء من المضاف إليه ، صار هو كأنه صاحب الحال ؛ لشدة اتصال الجزء بكلمة ؛ فيصح توجه عامله للحال . بخلاف غير ذلك . وذهب سيبويه إلى جواز اختلاف الحال وصاحبها في العامل ؛ لأنه أشبه بالخبر من النعت ، وعامل الخبر غير عامل صاحبه ، وهو : المبتدأ على الصحيح . ومقتضى ذلك صحة مجيئه من المضاف إليه مطلقاً ، فليحذر . ثم رأيت في الصبان التصريح به) ا هـ .
انظر البيان المفيد المتصل بهذا في رقم ٢ من هامش ص ٣٦٤ .

(٤) وفي مجيئ الحال من المضاف إليه يقول ابن مالك :
وَلَا تُعْزِ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهُ إِلَّا إِذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهُ - ١٠ -
أى : إلا إذا استوفى المضاف عمله في الحال ، وهذا يدل على اشتراط أن يكون المضاف مما يعمل .

أَوْ كَانَ جُزْءَ مَا لَهُ أَضْيَفًا أَوْ مِثْلَ جُزْئِهِ ؛ فَلَا تَحِيْفًا - ١١ -
يريد : أن الحال يجيء من المضاف إليه إذا كان المضاف جزءاً مما أضيف إليه ، (أى : إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه) ، أو مثل الجزء كما شرحناه . أما قوله : « فلا تحيفاً » ، فأصله : =

مطابقة الحال — بنوعها^(١) — لصاحبها :

(١) الأصل أن تطابق الحال « الحقيقية » صاحبها — وجوباً — في التذكير والتأنيث ، وفي الأفراد وفروعه . كالأمثلة السالفة^(٢) . لكن يستثنى من هذا الأصل بعض حالات لها أحكام أخرى تتلخص فيما يلي :

١ — إذا كان صاحب الحال الحقيقية جمعاً مفردة مذكر لغير العاقل^(٣) ، جاز في الحال أن تكون مفردة مؤنثة ، وجمع مؤنث سالماً ، وجمع تكسير^(٤) ؛ نحو : سرتنى الكتب نافعةً ، أو : نافعات ، أو : نوافع .

٢ — إذا كان لفظ الحال الحقيقية من الألفاظ التي يغلب استعمالها بصورة واحدة للمذكر والمؤنث — ككلمة : صبور — بقى على صورته ؛ نحو : عرفت المؤمن صبوراً عند الشدائد ، وعرفت المؤمنة صبوراً كذلك^(٥) .

٣ — إذا كان لفظ الحال الحقيقية أفعال التفضيل المجرد من « أل » والإضافة ، أو المضاف إلى نكرة ، لزم الأفراد والتذكير — على الأرجح ، كما سيجيء في بابه^(٦) — ؛ نحو : عرفت العصامي أنشطاً وأنفعً ، أو : أنشطَ عاملٍ ، وأنفعَ رجلٍ .

= تحيفن ، يشون التوكيد الخفيفة التي تنقلب ألفاً عند الوقف . وإجملة معناها : لا تغلم نفسك ، أو اللغة بمخالفة هذا . وهو حشولم يذكر إلا لتكملة البيت .

(١) انظر ص ٤١٠ حيث الكلام : على الحال « الحقيقية » ، وعلى قسيميها : « السببية » .
(٢) ومن أمثلة المطابقة في الجمع مع التذكير كلمة : « سالمين » في قول الشاعر يدعو لمن يخاطبهم بـ « بَقِيمَ ، وعشتم سالمين من الأذى ومُنِيَّةَ قلبي أن تعيشوا وتسلموا » .
(٣) يدخل في هذا الجمع نوعان ، أحدهما : جمع التكسير الذي مفردة مذكر غير عاقل . والآخر : ما أحق بجمع المذكر السالم . وكان مفردة مذكراً غير عاقل أيضاً : مثل : « وابلون » ، جمع : وابل ؛ المطر الغزير ، « وعلَيَّون » ، جمع : علَيٌّ ؛ للمكان المرتفع . ولا يدخل جمع المذكر السالم الأصل ؛ لأن مفردة — في الأغلب — مذكر عاقل .

(٤) يصح في جمع التكسير هذا أن يكون للمؤنث ، وأن يكون للمذكر ، بملاحظة مفردة المذكر غير العاقل مثل قرأت الكتب نوافع ، سرتنى الكتب أحاسن (جمع : أحسن) — (راجع رقم ١ من هامش ص ٣٦٢ م ١١٤ - ٣ - ثم حاشية ياسين ج ٢ أول باب النعت حيث النص الشامل) .

(٥) لهذه الصورة فروع تتضح من نظائرها في النعت — ج ٣ ص ٣٢٧ .

(٦) ج ٣ م ١١٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٨ .

٤ - إذا كانت الحال الحقيقية مصدراً فإنه يلزم صورة واحدة ؛ نحو :
حضر القطار سرعةً . وإذا اشتهر المصدر صحت تثنيته وجمعه - كالنعت - ؛ نحو :
عرفت الوالى عدلاً ، والواليين عدلين ، والولاة عدولاً .

٥ - إذا كانت الحال كلمة : « أئى^(١) » فإنها - فى الغالب - تقع حالا من
معرفة مع إضافتها إلى نكرة ؛ نحو : استمعت إلى علىّ أئى خطيب .

(ب) أما الحال « السببية » فتطابق الاسم المرفوع بها - وجوباً - فى
التذكير والتأنيث والإفراد ، دون التثنية والجمع ، إذ الأحسن أن تلتزم معهما الإفراد
- كما سبق^(٢) - نحو : سكنت البيت جيداً هواؤهُ ، واسعةً غرفُهُ ، جميلاً
مدخله ، نظيفةً مسالكهُ .

* * *

(١) الكلام على : « أئى » وأنواعها ، وأحكامها المختلفة ، مفرق فى أجزاء الكتاب المختلفة على
حسب الأبواب التى تستعمل فيها ؛ كصفحة ٢١٦ السابقة ، والصفحة ٢٦٢ م ٢٦ - ١ - باب الموصول ،
وكبابي الإضافة والنعت فى ج ٣ .
(٢) انظر ص ٤٠١ .

المسألة ٨٦ :

حكم الحال ، وعاملها ، وصاحبها ، ورابطها ، من ناحية الذكر والحذف .
 (١) الأصل في الحال أن تكون مذكورة ؛ لتؤدى مهمتها المعنوية ؛ وهى بيان هيئة الفاعل ، أو المفعول به ، أو غيرهما ، مما سبق تفصيله ^(١) . لهذا يجب ذكرها في كثير من المواضع ، ويجوز حذفها في أخرى .
 فمن المواضع التى يجب أن تذكر فيها ما يأتى :

١ - أن تكون محصورة ؛ نحو : ما أحب العالم إلا نافعاً بعلمه .
 ٢ - أن تكون نائبة عن عاملها المحذوف سماعاً ؛ نحو : هنيئاً لك ^(٢) ، بمعنى : ثبت لك الخير هنيئاً ، أو : هنأك الأمر هنيئاً ^(٣) ، أو نحو هذا التقدير الدال على الدعاء بالهناء .

٣ - أن يتوقف على ذكرها المعنى المراد ، أو يفسد بحذفها . . . - كما أشرنا أول الباب ^(٤) - ؛ فالأول نحو قوله تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) ، والثانى نحو قوله تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعين) .
 ومن هذا الموضع أن تكون سادّة مسدّ الخبر ^(٥) فى مثل : سهرى على المزرعة نافعة .

٤ - أن تكون جواباً . مثل : كيف حضرت ؟ فيجواب : راكباً .

* * *

ويجوز حذف الحال إذا دل عليها دليل . وأكثر حذفها حين يكون لفظها مشتقاً من مادة « القول » ويكون الدليل عليها بعد الحذف هو : « المَقُول » ^(٦) ؛

(١) فى ص ٣٦٣ . (٢) ونحو قولهم : « هنيئاً لأرباب البيان بيانهم . . . »

(٣) ستجىء إشارة لهذا فى ص ٤١١ والحال فى هذا المثال مؤكدة لعاملها كتنظّرها التى سبقت : فى ص ٣٦٧ و . . . ومنها : ولا تمت فى الأرض مفسداً - (وأرسلناك للناس رسولا) - (ويوم أبعث حيا) . (٤) ص ٣٦٤ .

(٥) فى ج ١ ص ٣٨٥ م ٣٩ تفصيل الكلام على الحال التى تسد مسد الخبر .

(٦) الشيء الذى قيل .

نحو: جلست في حجرتي ؛ فإذا صديق الغائب يدخل: « السلام عليكم » ، أى: يدخل قائلاً: السلام عليكم . فكلمة: « قائلاً » هي الحال المحذوفة ، وهي مشتقة من مادة: « القول » . وقد دل عليها الكلام الذى قيل ؛ وهو: « السلام عليكم » .

ومثل: هل دار بينك وبين المسافر كلام ؟ نعم . لما قابلنى في الصباح حينأتى: « صباح الخير » ، وحدثنى عن رحلته المنتظرة: ثم أسرع إلى القطار بعد أن صافحنى ومد يده: « الوداع » . أى: قائلاً صباح الخير؛ قائلاً: الوداع .

ومن هذا قوله تعالى في أهل الجنة: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلامٌ عليكم) ، أى: قائلين: سلام عليكم . وقوله تعالى: (وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا) ، أى: قائلين ربنا تقبل منا .

* * *

(ب) والأصل في عامل الحال — وغيرها — أن يكون مذكوراً ؛ ليحقق غرضاً معيناً ، هو: إيجاد معنى جديد ، أو تقوية معنى موجود . وقد يحذف جوازاً أو وجوباً ؛ للدواعى تقتضى الحذف ، أى: أن عامل الحال قد يذكر وجوباً ، وقد يحذف وجوباً ، وقد يجوز ذكره وحذفه .

فيجب ذكره إن كان عاملاً معنوياً (وقد سبق شرحه)^(١) كأسماء الإشارة ؛ وحروف التنبيه ؛ والتمنى ؛ وكشبه الجملة

ويجوز حذفه إذا كان عاملاً غير معنوى ، ودل عليه دليل مقالى^(٢) ، أو حالى^٣ فمثال المقالى: أن يقال: أتستطيع الصعود إلى قمة الجبل ؟ فيجب المسئول: مسرعاً . أى: أضعده مسرعاً — أتعنى بخط رسائلك ؟ فيجاب: واضحاً جميلاً . أى: أعتنى به واضحاً جميلاً .

ومثال الحالى: أن ترى مسافراً فتقول له: « سالمًا » . أى: تسافر سالمًا ،

(١) ص ٣٨٢ .

(٢) سبق — في رقم ١ من هامش ص ٥٦ م ٦٣ وفى ج ١ ص ٣٦٢ م ٤٧ — أن الدليل المقالى هو: ما يكون قائماً على كلام مذكور صريح ، وأن الدليل الحالى ، هو: ما يكون أساسه القرائن والمناسبات المحيطة بالتكلم من غير استعانة بكلام أو ألفاظ . . .

وأن ترى من يشرب الدواء فتقول : « شافياً » ، أى : تشرب الدواء شافياً . وأن تقول لمن يبنى بيتاً : « معموراً » ، أى : تبنى البيت معموراً ، أو تسكن البيت معموراً .

ويجب حذفه في مواضع ، أهمها :

١ — أن تكون الحال سادة مسدّ الخبر^(١) ، نحو : إنشادى القصيدة محفوظةً ، فكلمة : « محفوظة» حال ؛ سدّت مسدّ خبر المبتدأ المحذوف وجوباً ؛ والأصل : إنشادى القصيدة إذ كانت ، أو : إذا كانت محفوظة .

٢ — أن تكون الحال مفردة مؤكدة مضمون جملة^(٢) قبلها . — نحو : الجَدَّ أبٌ راحماً .

٣ — أن تكون الحال مفردة دالة بلفظها على زيادة تدريجية ، أو نقص تدريجي نحو : تَصَدَّقْ على المحتاج بدرهم ؛ فصاعداً — لا تتعرض للشمس عند شروقها إلا عشرين دقيقة ؛ فنازلاً . . . فكلمة : «صاعداً» حال . وعاملها وصاحبها محذوفان . والتقدير : فاذهب بالعدد صاعداً . والجملة المحذوفة هنا إنشائية ، معطوفة بالفاء على نظيرتها الفعلية الإنشائية^(٣) . وكلمة : «نازلاً» حال . وعاملها وصاحبها محذوفان : والجملة منهما إنشائية معطوفة بالفاء على نظيرتها . ولا بد من اقتران هذه الحال المفردة «بالفاء» العاطفة ، أو «ثم» العاطفة^(٤) ؛ ومن الأمثلة التي تحوى الحالين : «صاعداً ونازلاً» : تدربْ على الحفظ خمسة أسطر ، فستةً ، فسبعةً ، فصاعداً . لا تتناول في اليوم أكثر من ثلاث وجبات ؛ فنازلاً . . .

٤ — أن تكون الحال مسبوقة باستفهام يراد به التوبيخ ؛ نحو : أناثماً وقد أشرقت الشمس ؟ أعاطلاً والعمل يطلبك ؟ أسفيهاً وهو كريم النشأة ؟ أى :

(١) سبق إيضاحها وتفصيل الكلام عليها في ج ١ ص ٣٨٥ م ٣٩ آخر باب المبتدأ والخبر .

(٢) ورد ذكرها في مواضع ، منها : (ص ٣٩١ ٣٦٦ و ٣٩٦) .

(٣) ليس من اللازم أن تكون الجملة إنشائيتين ، إنما الأحسن — في رأى جمهرة النحاة —

اتحادهما خبراً أو إنشاء .

(٤) كما أشرنا في رقم ٢ من هامش ص ٣٩٣ . والكوفيون يميزون واو العطف أيضاً ، كما

جاء في مجالس ثعلب ، ج ٤ ص ٢١٥ من القسم الأول) .

أتوجد نائماً؟ — أتوجد عاطلاً؟ — أ يوجد سفيهاً؟ . . .

٥ — عوامل حذف سَمَاعاً . من ذلك قولهم لمن ظفر بشيء ؛ هنيئاً لك ما أدركت . أى : ثبت هنيئاً^(١) .

والحذف فى المواضع الأربعة الأولى قياسى^(٢) .

* * *

(ح) والأصل فى صاحب الحال أن يكون مذكوراً فى الكلام : لتحقيق الفائدة من ذكره . وقد يحذف جوازاً فى مثل قوله تعالى : (أهذا الذى بعث الله رسولا) ، أى : بعثه الله .

ويجب حذفه فى الصورة التى يحذف فيها عامله وجوباً حين تؤكد الحال مضمون جملة قبلها ، على الوجه الذى سبق^(٣) شرحه . وكذلك يجب حذفه مع عامله حين تدل الحال على زيادة تدريجية ، أو نقص تدريجى — وهى الصورة الثالثة من الصور التى فى الصفحة المتقدمة . —

* * *

(د) والأصل فى الرابط أن يكون مذكوراً ؛ ليعقد الصلة المعنوية بين جملة الحال والجملة التى قبلها المشتملة على صاحب الحال ، فيمنع التفكك . لكن يجوز حذف الرابط لفظاً ، لا تقديرأ^(٤) ، إذا كان ضميراً مفهوماً من السياق . نحو : ارتفع سعر القمح ، كيله^٥ بخمسين قرشاً ، أى ؛ كيله^٦ منه . . .

وكذلك يصح حذفه إن كان الحال جملة خالية من الرابط لكن عطف عليها

(١) سائناً مقبولا . والفعل هنى^٧ . (وقد سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٢ ص ٤٠٨) .

(٢) وفى حذف العامل يقول ابن مالك :

وَالْحَالُ قَدْ يُحْذَفُ مَا فِيهَا عَمَلٌ وَبَعْضُ مَا يُحْذَفُ، ذِكْرُهُ حُظِلٌ — ٢٤

يريد : أن الحال قد يحذف ما يعمل فيها النصب (أى : يحذف عاملها) وأن بعض ما يحذف من هذه العوامل محظول ذكره ، أى : ممنوع (حُظِل : مُنْع) لأنه واجب الحذف .

(٣) ص ٣٦٦ و ٣٨٣ و ٣٩١ و ٣٩٦ .

(٤) كما سبق فى ٣٦٦ و ٣٨٨ و ٣٩١ و ٣٩٦ .

« بالفاء » ، أو : « الواو » ، أو : « ثم » جملة تصلح أن تكون حالا مع اشتغالها على الرابط ، نحو : عرفت الوالى العادل تشكو الرعية ، فيزيل أسباب الشكوى^(١) — أقبل الفائز ، يصفق الناس ، ويشرق وجهه — تداوى المريض يشير الأطباء ثم يستجيب للمشورة .

* * *

« ملاحظة » :

يتفق الحال والتمييز^(٢) فى أمور ، ويختلفان فى أخرى .

وسيجىء البيان فى : « هـ » ص ٤٢٩ .

(١) راجع الصبان ، ج ١ باب المبتدأ ، عند الكلام على الخبر الجملة ، ورابطه . وكذا التصريح ج ٢ باب المطف عند الكلام على الفاء الماطفة . وقد اقتصر فى الرابط عليها لأنها الأصل . وخالفه الصبان وغيره

(٢) سيجىء باب : « التمييز » بعد هذا مباشرة .

التمييز

عندى إردب . . .	— عندى إردب شعيراً ، أو : إردب شعير ، أو : إردب من شعير .
وهبت كيلة . . .	— وهبت كيلة قمحاً ، أو : كيلة قمح ، أو : كيلة من قمح .
	خلطت غذاء الفرس بقدح . . . — خلطت غذاء الفرس بقدح فولاً ، أو : بقدح فول ، أو : بقدح من فول .

(ا)
كيل

اشترت أوقية . . .	— اشترت أوقية ذهباً . أو : أوقية ذهب ، أو : أوقية من ذهب .
وزن الإناء رطل . . .	— وزن الإناء رطل نحاساً ، أو : رطل نحاس ، أو : رطل من نحاس .
دفعت ثمن أقة . . .	— دفعت ثمن أقة تفاحاً . أو : أقة تفاح . . . أو أقة من تفاح .

(ب)
وزن

جنت محصول فدان . . .	— جنت محصول فدان قطناً ، أو : فدان قطن ، أو : فداناً من قطن .
حرثت قيراطاً . . .	— حرثت قيراطاً برسيماً . أو : قيراط برسيم ، أو : قيراطاً من برسيم .
سقيت قصبة . . .	— سقيت قصبة خضراً ، أو : قصبة خضر ، أو : قصبة من خضر .

(ح)
مساحة

عندى خمسة . . .	— عندى خمسة أقلام .
رأيت عشرين . . .	— رأيت عشرين سائحاً .
أخذت مائة . . .	— أخذت مائة جنيه مكافأة .

(د)
عدد

(هـ)	ازداد المتعلم . . .	— ازداد المتعلم أدباً .
نسبة ، أو :	أعجبني الخطيب . . .	— أعجبني الخطيب كلاماً .
جملة (١)	فاضت البئر . . .	— فاضت البئر نِفْطاً (٢) .

(ا) في جملة مثل : « عندى إردب » من أمثلة « ا » نجد كلمة غامضة مبهمة هي : « إردب » ، لأن مدلولها يحتمل عدة أنواع مختلفة ، لا نستطيع تخصيص واحد منها بالقصد دون غيره ، فقد يكون هذا الإردب : قمحاً ، أو : شعيراً ، أو : فولاً ، أو : غيرها ، ولا ندرى النوع المراد من تلك الأشياء الكثيرة ، إذ لا دليل يدل عليه وحده ، لهذا كانت كلمة : « إردب » مبهمة ، أى : غامضة المدلول ؛ لعدم تحديد المراد منها وتعيينه .
لكن إذا قلنا : عندى إردب شعيراً — زال الغموض والإبهام ، وتعين المراد بسبب اللفظ الذى جاء ؛ وهو : « شعيراً » .

كذلك الشأن في كلمة : « كيلة » ، فإنها غامضة المدلول ، مبهمة ؛ لا تعيين فيها ؛ لاحتمال أن تكون الكيلة : قمحاً ، أو : ذرة ، أو : فولاً ، أو : عَدَساً ... ، فإذا قلنا : كيلة قمحاً ، تعين المراد ، وزال الاحتمال . ومثل هذا يقال في كلمة : « قَدَح » في المثال الأخير من قسم « ا » ، وفي غيرها من كل كلمة عربية تدل في العرف الشائع على شيء يقع به الكيل ؛ مثل : وَيَبَّة ، رُبْع ، مَلَوَة (٣) . . .

(ب) وفي جملة مثل : اشترت أوقية (من أمثلة القسم : « ب ») ، نصادف هذا الإبهام والغموض في كلمة : « أوقية » ؛ لاحتمالها عدة أنواع ، لا نستطيع تخصيص واحد منها بالمراد دون غيره ، فقد تكون الأوقية ذهباً ، أو : فضة ، أو عنصراً آخر من العناصر التى توزن . . .
لكن إذا قلنا : أوقية ذهباً — اختفى الإبهام ، وحل محله التعيين الموضح

(١) لهذا النوع أمثلة أخرى في « ب » من ص ٤٢٢ .

(٢) هو المسمى : « زيت البترول »

(٣) من المكاييل الشائعة في مصر : الإردب ؛ وهو يساوى اثنتى عشرة كيلة ، ومقدار الكيلة :

ربعان ، والربع : أربعة أقداح — والوَيْبَة كيلتان . والكيلة أيضاً أربع ملوات .

للمطلوب . ومثل هذا يقال في كلمة : رِطْل ، وأَقَّة ، في المثال الثاني والثالث (من أمثلة : قسم ب) وفي نظائرها من الكلمات العربية التي يجري في العرف اعتبارها من الموازين ، ومنها : قنطار ، ودِرهم ، وحبّة . . .

(ح) وفي جملة مثل : جنيت محصول فدان (من أمثلة : « ج ») نجد الكلمة الغامضة المبهمة هي كلمة : « فدان » فإنها تحتل أن يكون مدلولها فدان- قصب ، أو فدان- عنب ، أو قمح ، أو غيره . فإذا قلنا : . . . « فدان- قطن » — انقطع الاحتمال ، وزال الغموض والإبهام ، وتحدد القصد .

ومثل هذا يقال في كلمة : « قيراط » ، وقصبة (من أمثلة القسم : « ج ») ، وغيرها من الألفاظ العربية التي تستعمل في المساحات ^(١) ، (ومنها : السَّهم ^(٢) ، والذراع ، والباع والشبر ، والفِتر ^(٣) . . .)

(د) ومثل هذا يقال في كل عدد من جمل القِسْم : « د » أو ما شابهها مما يشتمل على أحد الأعداد ؛ نحو : عندى خمسة ، فإن كلمة : « خمسة » — وهى عدد حسابي — غامضة ، مبهمة ؛ لا يزول غموضها وإبهامها إلا بلفظ آخر يحدد المراد منها ؛ مثل : أقلام ، أو غيرها مما ورد في هذا القسم وفي نظائره .

(هـ) ننتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من الغموض والإبهام يختلف عما سبق ؛ ففي مثل : « ازداد المتعلم » ، لا يقع الغموض على كلمة واحدة كالتى سلفت ، وإنما ينصبّ على الجملة كلها ؛ أى : على معنى جزأيها الأساسيين معاً . فقد نسبنا الازدياد للمتعلم . فأى ازدياد هذا الذى نسبناه له ، أهو في علمه ؟ أم في أدبه ، أم في ماله ؟ أم في جسمه ، أم في حسن معاملته . . . ؟

فالأمر المنسوب للمتعلم غامض مبهم ، وهذا الأمر الغامض ليس منصباً على كلمة واحدة كما قلنا ؛ وإنما يشمل معنى جملة كاملة ؛ لأن الجملة هى التى تحوى في طرفيها نسبة شىء ^(٣) لشيء آخر . فإذا قلنا : ازداد المتعلم أدباً — ارتفع

(١) هى الأشياء التى يجرى تقديرها بالقياس ويدخلها العرف الشائع في المقاييس .

(٢) فى مصر ينقسم الفدان إلى أربعة وعشرين قيراطاً . والقيراط أربعة وعشرون سهماً .

(٣) فى هامش الصفحة الأولى من صفحات الجزء الثالث ، بيان مستفيض عن معنى : « النسبة »

الغموض عن النسبة ؛ بسبب الكلمة التي جاءت لإزالته ، واتضح المراد من الجملة بعد مجيء هذه الكلمة.

ومثل هذا يقال في المثالين الآخرين من أمثلة القسم : هـ « وفي غيرهما من كل جملة يقع فيها الغموض على النسبة الناشئة من طرفيها .

ومن كل ما تقدم يتضح ما يأتي :

(أ) أن في اللغة ألفاظاً مبهمة ، غامضة ، تحتاج إلى تبين وتوضيح .

(ب) وأن هذه الألفاظ قد تكون كلمات منفردة ، كالكلمات المستعملة في العدد ، أو في المقادير الثلاثة الشائعة ، — وهى : الكيل ، والوزن^(١) ، والمساحة — وقد تكون جملاً كاملة تقع النسبة في كل واحدة منها موقع الغموض والإبهام المحتاج إلى تفسير وإيضاح^(٢).

(ح) وإذا تأملنا الكلمات التي أزال الغموض والإبهام في الأمثلة السالفة — وأشباهاها — وجدنا كل كلمة منها : نكرة^(٣) ، منصوبة — في الأكثر^(٤) — ، فضلة ، تبين جنس ما قبلها أو نوعه ، أو : توضح النسبة فيه ، فهى — كما يقولون — بمعنى : « من »^(٥) البيانية — غالباً — والكلمة التي تجتمع فيها هذه الأوصاف

(١) وكذلك بعض الضمائر (كما سيبيء في « ح » من الزيادة ص ٤٢٧) ثم انظر المراد من « المقادير » في رقم ٤ من هامش الصفحة الآتية .

(٢) وقد يكون تمييز النسبة لمجرد التوكيد ؛ كقول أبي طالب عم النبي عليه السلام :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

(راجع الصبان والخضرى في باب : « نعم ، وبئس » عند الكلام على اجتماع فاعلهما ، وتميزهما) وهذا يختلف عما في رقم ٤ من هامش ص ٤٣٠ .

(٣) النكرة هنا : لا بد أن تكون اسماً صريحاً ، لأن التمييز لا يكون جملة ولا لفظاً مؤولاً .

(٤) إذا كانت الكلمة التي تزيل الإبهام مجرورة بالإضافة أو بالحرف — كما في بعض الأمثلة المروضة هنا — فإنها لا تسمى في « الاصطلاح » : تمييزاً إلا مع التقييد بأنه مجرور ، لأن كلمة : « تمييز » عند إطلاقها بغير تقييد لا تنصرف إلا للنوع المنصوب ، أما غيره مما يفيد فائدته في هذا الباب فلا يسمى تمييزاً « اصطلاحاً » . وقد يسمى تمييزاً ولكن مع تقييده بأنه مجرور : لكيلا ينصرف الذهن إلى النوع المنصوب والأحسن مراعاة الاصطلاح (كما في رقم ٢ من هامش ص ٤٢٠) .

(٥) أى : « من » التي تبين جنس ما قبلها ، أو نوعه ، والمجرور بها هو عين الشيء الذي تبيته =

تسمى : « التمييز »^(١) ، كما يسمى ما تفسره وتزيل الإبهام عنه : « المُمَيِّز » ،
أى : أن التمييز : (نكرة ، منصوبة - فى الأغلب - فضلة ، بمعنى « من »
التى للبيان^(٢)) .

أقسام التمييز :

ينقسم التمييز بحسب المُمَيِّز إلى قسمين :

أولهما : تمييز المفرد ، أو : الذات^(٣) وهو الذى يكون مُمَيِّزه لفظاً دالاً على
العدد ، أو على شئ من المقادير^(٤) الثلاثة : (الكيل - الوزن - المساحة) . أى :

= - وستجىء معانيها فى ص ٤٥٨ - وليس المراد فى الكامة التى تعرب تمييزاً أنه يمكن دائماً تقدير « من »
قبلها . فإن هذا لا يمكن فى بعض الأساليب .
(وانظر رقم ٢ من ص ٤٥٩)
(١) ويسمى أحياناً : التبيين ، أو : التفسير ، أو : المفسر ، أو : المميز ، أو : المبيِّن .
(٢) غالباً - كما سبق - . ويقول ابن مالك فى تعريف التمييز ، وبيان عامله ، والتمثيل لبعض
أقسامه ما يأتى :

اسْمٌ بِمَعْنَى : « مِنْ » ، مُبِينٌ ، نَكِرَةٌ يُنْصَبُ تَمْيِيزًا يِنَمَا قَدْ فَسَّرَهُ
كَثِيرٌ أَرْضًا ، وَقَفِيزٌ بُرًّا ، وَمَنْوِيْنٌ عَسَلًا وَتَمَرًا

يريد بالمبين : أن التمييز يبين إبهام ما قبله ، أى : يوضحه ويزيل غموضه . ثم يقول : إن التمييز
منصوب ، وناصبه هو الشئ المجهول الذى جاء التمييز لتفسيره وإيضاحه . ومعنى هذا عنده أن تمييز النسبة
منصوب - فى رأيه - بالجملة التى يوضح النسبة فيها . وسيجىء الرأى فى كل ذلك . (رقم ٢ من ص ٤٢٢
و ٣ من ص ٤٢٤) .

« البر » : القمح . « القفيز » إذا كان مكيلاً فإنه يختلف باختلاف الأقطار ؛ فهو فى بعضها
نحو : ١٨ ٣/٤ قدحاً ، وفى بعض آخر نحو : ثمان وأربعين قدحاً - « منوين » ثنية : « متناً » وهو
فى بعض الأقطار من مقادير الوزن المقدرة برطابن .

(٣) سمى تمييز مفرد : لأنه يزيل الإبهام عن كلمة واحدة ، أو ما هو بمنزلتها ، ويسمى أيضاً :
تمييز « ذات » لأن الغالب فى تلك الكلمة التى يزيل إبهامها أن تكون شيئاً محسوساً بجسماً . فعنى ذات :
أنها جسم . وليس فى هذا النوع من التمييز تحويل - كما سيجىء فى الصفحة التالية عند الكلام على تمييز
الجملة . -

هذا ، والكثير فى تمييز المفرد أن يكون جامداً . وقد يكون مشتقاً على الصورة الموضحة فى : « ج »
من ص ٤٢٧ - ولها إشارة فى رقم ٦ من ص ٤٣٠ -

(٤) المقادير هنا : جمع مقدار ، وهو : ما يُقَدَّر به غيره ، ويشمل كل شئ يستعمل فى تقدير
الكيل ، أو الوزن ، أو المساحة ، من غير تقييد بلفظ خاص ، أو زمن معين . وبهذا يدخل كل لفظ =
النحو الوافى - ثان

(أنه الذى يزيل إبهام لفظ من ألفاظ الكيل ، أو : الوزن ، أو : المساحة ، أو . العدد^(١).) فتمييز المفرد أو الذات أربعة أنواع — غالباً^(٢) — .

ثانيهما : تمييز الجملة ، وهو الذى يزيل الغموض والإبهام عن المعنى العام بين طرفيها ، وهو المعنى المنسوب فيها لشيء من الأشياء ، ولذلك يسمى أيضاً : « تمييز النسبة » ، وقد سبقت الأمثلة للنوعين .

تقسيم تمييز الجملة (أى : النسبة) بحسب أصله :

ينقسم تمييز الجملة (دون تمييز المفرد) إلى ما أصله فاعل فى الصناعة^(٣) وإلى

= عربى عرف العمل به فى تقدير واحد من الثلاثة المذكورة . ولا يدخل العدد فى التقدير — على المشهور — لأن العدد فى المعنى هو المعدود ؛ كما فى مثل : هنا خمسة رجال ؛ فالخمس التى هنا هى الرجال ، والرجال هى الخمسة ، بخلاف المقادير .

(١) العدد المقصود فى هذا الباب هو العدد الصريح ؛ أى : العدد الحسابى : مثل ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ أما العدد المبهم (أى : الكنائى) مثل : « كم » ، فله — فى الجزء الرابع — باب خاص بأحكامه المختلفة ، هو : باب : كنيات العدد .

(٢) قلنا : غالباً ؛ لأن هناك نوعاً خامساً — كما أشرنا فى رقم ١ من هامش ص ١٦٤ — هو تمييز الضمير « المبهم » ، وسيجىء تفصيل الكلام عليه فى « ج » من الزيادة ، ص ٢٧٤ .

(٣) أى : فاعل لفعل ، أو ما يشبه الفعل مما يحتاج لفاعل بمقتضى الأصول النحوية وصناعتها . والتقييد بأن الفاعل المعنوى أصله فاعل فى الصناعة تقييد ضرورى ؛ لإبعاد ما هو فاعل فى المعنى دون الصناعة ؛ نحو : لله درك فارساً ، وأبرحت جاراً (أى : أعجبت ؛ يقال : أبرح الرجل ، إذا جاء بالبرح — بسكون الراء — أى : بالمعجب) . فإن معناها : عظمت فارساً ، وعظمت جاراً ، ولكنهما غير محولين أصلاً عن الفاعل الصناعى ، ولهذا يجوز جرهما بالحرف : « من » ؛ نحو : لله درك من فارس . ونحو : أبرحت من جار ، فى حين التمييز المحول عن الفاعل الصناعى يجب نصبه ، ولا يجوز جره بمن . — انظر « ج » من ص ٢٧٤ — وكذلك : ما أحسن المذهب رجلاً ، فإنه مفعول فى المعنى . لكنه غير محول ؛ لأنه عين ما قبله ، ولهذا يصح جره أيضاً بمن —

انظر ما يتصل بفعل التعجب فى رقم ٤ من هامش ص ٢٣٤ . وكذلك البيان المفيد الخاص بمثل : (له دره فارساً) . . . فى « ح » ، من ص ٢٧٤ —

أما نحو : نيم رجلا الزراع ، فقد رأى بعض النحاة فى التمييز أنه محول عن الفاعل الصناعى ؛ فيجب نصبه . ورأى آخرون أنه غير محول فيجوز فيه النصب أو الجر بمن ، والرأى الأول أقوى . وكما يكون الفاعل محولاً عن الفاعل الصناعى فى الأصل ، يكون محولاً — أحياناً — عما أصله نائب فاعل ؛ ككلمة : « شكلا » فى قول الشاعر :

ما أصله مفعول به كذلك . ويرى أكثر النحاة أن تمييز الجملة لا يخرج - في الغالب - عن واحد من هذين ، (ولو تأويلاً)^(١) ؛ مثل : زادت البلاد سكاناً - اختلف الناس طباعاً - قوى الرجل احتمالاً ، ومثل : أعددت الطعام ألواناً - وفيت العمال أجوراً - نسقت الحديقة أزهاراً ...

فالأصل : (زاد سكانُ البلاد - اختلفت طباعُ الناس - قوى احتمالُ الرجل) . فتغير الأسلوب ؛ بتحويل الفاعل تمييزاً . وقد كان الفاعل مضافاً ؛ فأتينا بالمضاف إليه ، وجعلناه فاعلاً ، بعد أن صار الفاعل تمييزاً بالصورة السالفة^(٢) . . .

والأصل في الأمثلة الباقية : (أعددت ألوانَ الطعام - وفيت أجورَ العمال - نسقت أزهارَ الحديقة) ؛ فتغيرا لأسلوب ؛ بتحويل المفعول به تمييزاً ، وقد كان هذا المفعول مضافاً ، فأتينا بالمضاف إليه ، وجعلناه مفعولاً به ، بعد أن صار المفعول به السابق تمييزاً .

أما تمييز المفرد فلا تحويل فيه مطلقاً .

= يصنع الصانعون وردا ، ولكن وردة الروض لا تضارع شكلا
والأصل : لا يضارع شكلها .

(١) راجع « ١ » ، و : « ب » من الزيادة والتفصيل (ص ٤٢٦) حيث الكلام على التأويل ونوع من التفصيل .

(٢) ومن هذا النوع كلمة « مقتاً » وهي تمييز في قوله تعالى : (« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . ») (كبر عظم - المقت : أشد الكراهة : والبغض - والأصل : كبر مقت قولكم ما لا تفعلون ، . . أى : المقت المترتب على قولكم . . .

المسألة ٨٨ :

أحكام التمييز

(١) يختص تمييز المفرد (أو : الذات) بالأحكام التالية :

١ - إن كان تمييزاً للكيل ، أو : الوزن ، أو : المساحة ، جاز فيه ثلاثة أشياء ، إما نصبه على أنه التمييز مباشرة - وهذا هو الأحسن ^(١) - وإما جره ^(٢) على أنه مضاف إليه ، والمميز هو المضاف ، وإما جره بالحرف « من » ، ومن الأمثلة - غير ما سبق - : (اشترت كيلاً أرزاً - اشترت كيلاً أرز - اشترت كيلاً من أرز) . (اشترت درهماً ذهباً - اشترت درهماً ذهب - اشترت درهماً من ذهب) . (بعث محصول فدانٍ قصباً - بعث محصول فدانٍ قصب - بعث محصول فدانٍ من قصب) .

وإنما يجب جر التمييز على اعتباره مضافاً إليه بشرط ألا يكون المقدار - وهو المُمَيِّز - قد أضيف لغيره ؛ فإن أضيف المقدار لغير التمييز وجب نصب التمييز ، أو : جره « بمن » ، نحو : ما في الإناء قدرٌ راحةٍ دقيقةً ^(٣) ، أو : من دقيقٍ .

(١) لأنه يدل على المقصود نصاً من غير احتمال شيء آخر معه ؛ ففي مثل : « اشترت رطلاً عسلاً » . يدل النصب على أن المتكلم يريد أن الإناء المسمى بالرطل مملوء بالعسل ، أو أن عنده ما يملأ الإناء المذكور من هذا الصنف المذكور ، ولا يريد في هذا المثال الوعاء نفسه . أما الجر فيؤدي إلى احتمال أن يكون المراد ذلك ، وأن يكون المراد بيان أن عنده الوعاء الصالح - في هذا المثال - أو الصنعة الموزون بها ، أو المكيال الذي يكال به ، أو المقياس الذي يسمح به (أى : يقاس به) راجع الأشمونى و . الصبان .

(٢) ومع جره يسمى : « تمييزاً » مجروراً ، أيضاً : فالجر لا يمنع من هذه التسمية المقيدة (انظر رقم ٤ من هامش ص ٤١٦) . والإضافة هنا على معنى « من » البيانية التي سبق الكلام عليها (في رقم ٥ من هامش ص ٤١٦) وهذا هو الشأن في إضافة المقادير إلى الأشياء المقدرة ، نحو : بعث فدانٍ قصب ، وفي إضافة الأعداد إلى معدوداتها ؛ نحو : خمسة أقدام ، وفي إضافة العدد إلى عدد آخر ، نحو عندي من الكتب أربعمائة - (وسيجيء البيان في ج ٣ م ٩٣ ص ١٨ حيث الأوجه الإعرابية المختلفة فيما سبق) .

(٣) في هذا يقول ابن مالك :

وبعد ذى وشبهها أجره إذا أَصَفَتْهَا كَمْدٌ حِنْطَةٌ ، غِذَا =

وإن كان تمييز المفرد خاصاً بالعدد الصريح ، والعدد ثلاثة ، أو عشرة ، أو ما بينهما . . . ، وجب جرّ التمييز ؛ بإعرابه مضافاً إليه ، والمضاف هو العدد (أى : المميّز) ، والغالب في هذا التمييز المجرور أن يكون جمع تكسير للقيلة .

فإن كان العدد لفظاً دالاً على المائة أو المئات ، أو الألف أو الألوف — وجب أن يكون التمييز مفرداً مجروراً ، لأنه يعرب مضافاً إليه ، والمضاف هو العدد^(١) .

وإن كان العدد غير ما سبق وجب نصب التمييز مباشرة ، وأن يكون مفرداً ، وفيما يلي أمثلة لكل ما سبق :

(قرأت في العطلة ثلاثة كتب ، كل كتاب مائة صفحة ، وعدد السطور ألف سطر) .

= يريد : « بنى » . . الأشياء التي سبق أن عرض لها أمثلة في البيت السابق (وهي ثلاثة : المساحة ، الكيل ، الوزن) فإن التمييز بعدها مجرور بالإضافة ، أما « شهباً » فهو : كل لفظ عربي جرى العرف على استعماله في واحد من الثلاثة . و « المذّب » : يقدر في بعض الأقاليم بنحو $\frac{7}{14}$ من القمح ، وفي بعض آخر بنحو : رطل وثلاث رطل . « حنطة » : قمح . غدا : غداء .

ثم قال إن الجر بالإضافة إنما يكون حين إضافة المميّز للتمييز مباشرة . أما إذا أضيف المميز لغير التمييز فيجب نصب التمييز :

وَالنَّصَبُ بَعْدَ مَا أُضِيفَ وَجَبَا إِنْ كَانَ مَثَلُ : « مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا »

وسيدكر بعد بيتين أنه يجوز جر التمييز بالحرف « من » بشرط ألا يكون التمييز للعدد ولا للنسبة فيقول البيت التالي :

وَأَجْرُ « بِرْمَنِ » إِنْ شِئْتَ غَيْرَ ذِي الْعَدَدِ وَالْفَاعِلُ الْمَعْنَى ؛ كَطَبِ نَفْسًا تُفَدَّ

« ذي العدد » أى : صاحب العدد ، يريد التمييز الذي للعدد الصريح ، فإنه لا يجوز جره بالحرف « من » أما العدد غير الصريح ؛ مثل : « كم » فيجوز جر تمييزه — بالتفصيل الوارد في بابيه ، ج ٤ — نحو : كم من كتاب عندك ، كما أن التمييز الذي كان أصله فاعلاً ، لا يجوز جره بمن ، ومثل له بمثال هو : طب نفسك تفد ، أى : تستفد . وإنما كان أصل التمييز هنا فاعلاً لأن أساس الكلام : ليطب نفسك ؛ ثم حول الكلام فصار الفاعل تمييزاً . ومثله : طاب الورع نفساً ؛ أصله : طابت نفس الورع ؛ ثم حول الكلام على الوجه السالف . (وقد وفيينا الكلام على أصل التمييز ، وستجىء الإشارة للبيت السالف لمناسبة أخرى في ص ٤٢٤) .

(١) والإضافة على معنى : « من » طبقاً للبيان الذي سلف في رقم ٢ من هامش ص ٤٢٠ .

ورقم ٥ من هامش ص ٤١٦

(قضينا في الرحلة خمسة أيام ، قطعنا فيها مائة ميل مشياً ، وأنفق كل منا ألف قرش) . (الأسبوع سبعة أيام بلياليها ، كل منها أربع وعشرون ساعة ، والساعة ستون دقيقة) . (السنة اثنا عشر شهراً ، الشهر ثلاثون يوماً — غالباً — السنة ثلاثمائة يوم وأربعة وستون يوماً ، في الغالب) ^(١) .

٢ — وعامل النصب أو الجر بالإضافة في « التمييز المفرد » ، هو اللفظ المبهم ، أى : المُمَيِّز . أما عند الجرِّ بالحرف : « مِن » فإن هذا الحرف يكون هو العامل .

٣ — ولا بد من تقدم العامل على التمييز في جميع الأنواع الخاصة بتمييز الذات (المفرد) ^(١) .

٤ — وإذا تعدد تمييز المفرد فالأحسن العطف بين المتعدد ^(٢) . وإذا كان التمييز مغلوطاً من شيئين جاز تعدده بعطف وغير عطف ، نحو : عندي رطل سمناً عسلاً ، أو : سمناً وعسلاً .

* * *

(ب) يختص تمييز « الجملة » — أى : تمييز « النسبة » — بالأحكام الآتية :

١ — يجب نصبه إن كان مُحَوَّلًا عن الفاعل أو المفعول الصناعيين ^(٣) ؛ نحو : ارتفع المخلصُ درجةً ، وعلا الأمينُ منزلةً) ، ومثل : (رتبتُ الحجرةَ أثاثاً — نظمتُ الكتبَ صفوفًا) . والأصل : ارتفعتُ درجةُ المخلصِ — علتُ منزلةُ الأمينِ — رتبتُ أثاثَ الحجرةِ — نظمتُ صفوفَ الكتبِ .

ومن تمييز الجملة الواجب النصب ما يكون واقعاً بعد أفعال التفضيل ، نحو : المتعلم أكثرُ إجادةً . وإنما يجب نصبه بشرط أن يكون سببياً ^(٤) ؛ أى : فاعلاً

(١ ١) تمييز العدد أحكام كثيرة ، متشعبة ، وتفصيلات متعددة — ولا سيما تقدمه — ؛ مكانها : « باب العدد » في الجزء الرابع . (م ٩٤ ص ٣٩٤) وقد اقتصرنا هنا على ما يناسب موضوعنا . (٢) والذي بعد الماطف لا يسمى تمييزاً — وإنما يعرب معطوفاً ، رغم أنه يؤدي معنى التمييز .

— كما سيجيء في رقم ٥ من هامش ص ٤٢٤ —

(٣) انظر رقم (٣) من هامش ص ٤١٨ . و « ب » من ص ٤٢٦ .

(٤) ممناه الأصل في رقم ٢ من هامش ص ٤٢٦ .

في المعنى ، كالمثال المذكور ، وإلا وجب جره بالإضافة . وعلامة التمييز الذي هو فاعل في المعنى ألا يكون من جنس المفضل الذي قبله ، وأن يستقيم المعنى بعد جعله فاعلاً مع جعله أفعلاً التفضيل فعلاً^(١) ؛ ففي المثال السابق نقول : المتعلم كثرت إجادته . وفي مثل : أنت أحسن خلقاً ، نقول : أنت حسن خلقك ... وهكذا . ومثال التمييز الذي ليس بفاعل في المعنى : (على أفضل جندي ، وميئة أفضل شاعرة .) وضابط هذا النوع أن يكون أفعلاً التفضيل بعضاً من جنس التمييز ؛ فيصح أن يوضع مكان أفعلاً التفضيل كلمة : « بعض » مضافة ، والمضاف إليه جمع يقوم مقام التمييز ويحل في مكانه ؛ فلا يفسد المعنى ، ففي المثال السابق نقول : على بعض الجنود ، وميئة بعض الشعراء . وإذا لم يصح أن يكون فاعلاً في المعنى وجب جره بالإضافة — كما قلنا — ، لوجوب إضافة أفعلاً التفضيل إلى ما هو بعضه^(٢) (متابعة للرأى الأشهر) .

وإنما يجب الجر بالإضافة هنا بشرط أن يكون أفعلاً التفضيل غير مضاف لشيء آخر غير التمييز . فإن كان مضافاً وجب نصب التمييز ؛ نحو : على أفضل الناس إخوة — وميئة أفضل النساء أشعاراً .

وما تقدم نعلم أن تمييز أفعلاً التفضيل يجب نصبه في حالتين وجره في واحدة . ومن تمييز الجملة الذي يجب نصبه ، ولا تصح إضافته^(٣) : ما يقع بعد التعجب القياسي ، أو السماعي^(٤) ؛ فالأول ، نحو : ما أحسن الغنى مشاركة في الخير —

(١) لهذا إيضاح يجيء في « ب » من الزيادة والتفصيل ص ٤٢٦ ، وبيان مفيد آخر في باب : « أفعلاً التفضيل » — ج ٣ م ١١٢ ص ٣٣٨ —

(٢) كما سيجيء في بابيه بالجزء الثالث م ١١٢ ص ٣٣٨ . وفي هذه الصورة يقول ابن مالك :

والفاعل المعنى انصبين بأفعلاً مفضلاً : كائنات أعلى منزلاً

(٣) فيمتنع جره بالإضافة حتماً ، دون جره في بعض الصور — كما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٤٢٤ .

(٤) القياسي يكون بإحدى الصيغتين المخصصتين له ، وهما : ما أفعَلَه ، وأفعل به . (وسيجيء الكلام المفصل عليهما في مكانه من الجزء الثالث ، باب : « التعجب ») . أما التعجب بغيرهما فقصور على السماع ، ويقال له : التعجب المرصني . وفي هذه الصورة يقول ابن مالك :

وبعد كل ما اقتضى تعجباً مبرز ، كأكرم بآبي بكر أباً =

أَحْسَنُ بِالْغَنَى مِشَارَكَةً فِي الْخَيْرِ - والثاني نحو : لَلَّهِ دَرُّ الْعَالَمِ مُخْتَرَعًا ^(١) - حَسْبُكَ
به رجلاً - كُنِيَ بِهِ نَافِعًا - يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَةٌ ^(٢) حَسْبُكَ بِالْمُصَادِقِ رَجُلًا ،
وقول الشاعر :

وحسبك داءٌ أن تبيت ببيطنة ^(٣) وحولك أكبادٌ تحينٌ إلى القيد ^(٤)

٢ - لا يجوز تعدده بغير عطف ؛ نحو : نما الغلام جسمًا وعقلًا ^(٥) . . .

٣ - عامل النصب في هذا التمييز هو ما في الجملة من فعل ، أو : شبهه ^(٦) .

٤ - لا يجوز تقديم هذا التمييز على عامله إذا كان العامل جامدًا . كأفعل في
التعجب ؛ وَكُنِعْمْ وَبِشْ ^(٧) - وأخواتهما - من أفعال المدح والذم ، نحو : (ما أنفع

= وذكر بعد هذا البيت بيتاً سبق أن نقلناه وشرحناه بمناسبة أخرى في هامش ص ٤٢١ ، هو :

وَأَجْرُ «بِشٍ» إِنْ شِئْتَ غَيْرَ ذِي الْعَدَدِ وَالْفَاعِلُ الْمَعْنَى : كَطِبُ نَفْسًا تُفَدُ

(١) يجوز فيا وفيما بعده جره بمن بملاحظة ما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٤١٨ وما سيجيء في
«ح» من الزيادة ص ٤٢٧ - والدر : اللبن ، أى : أن اللبن الذى ارتضعه هذا الرجل ونشأ عليه ، لبن
غير معتاد ولا مألوف ، إنما هو لبن موضع العجب ، إذ أنشأ هذا الرجل الذى لا مثيل له ؛ فهو لبن خاص
من عند منشيء العجائب . ومبدعها الأول ؛ وهو : الله . (راجع رقم ٢ من هامش ص ٢٢ و «ح» من ص ٤٢٧
من هذا الجزء ، ثم الجزء الأول ص ٥٠٤ م ٣٨ . من الطبعة الرابعة) .

(٢) «يا جارتا» : أصلها : يا جارتى ، منادى منصوب ، لأنه مضاف لياء المتكلم ، المنقابلة
ألفاً . وهذا الأسلوب تتعدد فيه الصور الإعرابية بتعدد المعانى ، فقد تكون «ما» حرف نفي خرج عن
معناه للتعجب ، والجملة بعدها اسمية ؛ (مبتدأ وخبر) خالية من التمييز ، و يكون المعنى : لست جارة ،
وإنما أنت شيء أكثر منها : فأنت أم ، أو أخت ، أو إحدى القريبات الحميات ، أى : بمنزلة واحدة
من هؤلاء ؛ إعلاناً للتعجب من عملها الذى لا يصدر من جارة ، وإنما يصدر من واحدة من سبقن .
وقد تكون «ما» استفهامية ، خبر مقدماً ، و «والضمير» مبتدأ مؤخر ، و «جارة» : تمييز ،
والجملة تفيد التعجب بسبب أداة الاستفهام الدالة على الاستعظام ؛ فقد خرج عن معناه الحقيقى إلى
التعجب . ويصح في هذه الصورة أيضاً أن تكون : «جارة» حال مؤولة ، بمعنى : ملاصقة . . .

ويصح أن تكون «ما» نافية ، والجملة بعدها منفية ، أى : أنت لست أهلاً أن تكونى جارة . . .

(٣) شدة امتلاء المعدة بالطعام . (٤) القطعة من الجلد الجاف غير المدبوغ .

(٥) وما بعد العاطف يعرب معطوفاً ، ولا يسمى فى الاصطلاح تمييزاً ؛ مع أنه يؤدى معنى التمييز

- كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٤٢٢ - .

(٦) وهذا عند غير ابن ملك ، وقد سجلنا رأيه في رقم ٢ من هامش ص ٤١٧ .

(٧) انظر رقم ١ من هامش ص ٣٠١ م ١١٠ ج ٣ - باب «نعم وبش» - ففيه أحكام خاصة

بتمييزها ، ومنها : أنه لا يصح تأخيرها عن المخصوص بالمدح أو الذم .

الطبيب إنساناً ، ونعم الأمين رفيقاً ، وبش القاسى رجلاً) ، أو كان فعلاً متصرفاً يؤدي معنى الجامد ؛ نحو : كَفَى بالطبيب إنساناً ، فإن الفعل : « كفى » متصرف ولكنه بمعنى فعل غير متصرف ، وهو فعل التعجب ، فعنى قوانا : كفى بالطبيب إنساناً : ما أكفاه إنساناً :

أما في غير هاتين الصورتين الممنوعتين فالأحسن عدم تقديم التمييز ^(١) على عامله .

وأما توسط هذا التمييز بين عامله ومعموله فجائز بشرط أن يكون العامل فعلاً أو وصفاً يشبهه ؛ نحو : صَفَا نفساً الورع ، وقول المتنبي :

فَهِنْ أَسْلَكْنِ — دَمًا — مَقْلَى وَعَذَبْنِ قَلْبِي بَطُولِ الصَّدُودِ

(١) في حكم تقديم التمييز على عامله وعدم تقديمه يقول ابن مالك :

وَعَامِلَ التَّمْيِيزِ قَدَّمَ مُطْلَقًا وَالْفِعْلُ ذُو التَّصْرِيفِ نَزْرًا سُبِقًا

يريد : أن عامل التمييز يجب تقديمه ؛ سواء أكان التمييز تمييز مفرد أم تمييز نسبة . ثم بين أن التمييز إن كان عامله فعلاً متصرفاً — وهذا لا يكون إلا في تمييز الجملة — فقد يتأخر هذا العامل ويتقدم التمييز عليه في حالات نادرة . والأحسن عدم القياس هنا .

.

زيادة وتفصيل :

(١) تمييز النسبة قد يكون غير مُحَوَّلٍ إلا بتأويل لا داعى له ، نحو :
 امتلاً الإناء ماءً ؛ إذ لا يقال امتلاً الماء .

(ب) عرفنا ^(١) أن التمييز الواجب النصب بعد «أفعل التفضيل» هو السببي ^(٢) ، وأنه نوع من تمييز الجملة ؛ إذ أصله : «فاعل» ، وأصل «أفعل» هو : الفعل ، ومن الممكن إرجاعهما إلى أصلهما ؛ فتعود الجملة الفعلية للظهور ، وترجع لأصلها الذى تركته ، وتحولت عنه إلى أسلوب آخر . . .

لكن كيف يتحقق هذا ؟ ففي مثل : أنت أكثر مالاً ، وأعلى منزلاً ،
 — ونظائرها — لا يمكن تحويل أفعل إلى فعل يؤدي المعنى الأصلي الأساسى لصيغة التفضيل (وهو الكثرة ، والعلو — مثلاً .) مزيداً عليه الدلالة على التفضيل .

يرى بعض النحاة فى هذا النوع التفضيل أنه مُحَوَّلٌ عن مبتدأ مضاف ، والأصل ، مالك أكثر ؛ ومثل ذلك أعلى . . . فصار المبتدأ تمييزاً ، وصار الضمير المتصل المضاف إليه مبتدأ مرفوعاً منفصلاً . وفى هذه الحالة وأمثالها يحىء التمييز محولاً عن المبتدأ ،

ويرى آخرون ؛ أن المراد معروف من السياق ، وهو : أنه كثر كثرة زائدة ، وملاً علواً زائداً ، فلا يفوت التفضيل بتحويله عن الفاعل ، أو : أن فوات معنى التفضيل غير ضار ؛ إذ لا يجب بقاءه فى الفعل الموضوع مكان أفعل التفضيل فى هذا الباب ، قياساً على عدم بقاءه فى بعض أبواب أخرى .

وكلا الرأيين حسن . ولعل رأى الثانى — بوجهته — أحسن ؛ لأن فيه تخفيفاً من غير ضرر ، وتقليلاً للأقسام بحصرها فى الفاعل والمفعول به .

(١) فى آخر ص ٤٢٢ .

(٢) هو المتصف فى المعنى بالثبوت الجارى فى اللفظ على غير هذا المتصف به ؛ فإن المنزل — فى مثل : أنت أعلى منزلاً — هو المتصف فى المعنى بالعلو ، مع أن العلو جار فى اللفظ على المخاطب .

(ح) من الأساليب المسموعة في التمييز : لله در خالد فارساً^(١) . فكلبة : « فارساً » وأشباهها (مما يحل محلها في هذا التركيب ويكون مشتقاً^(٢)) يصح إعرابها حالاً ؛ لاشتقاقها ، ولأن المعنى يتحمل الحالية ، ويصح إعرابها تمييزاً للنسبة ؛ والمعنى على هذا التمييز أوضح ، وبه أكمل .

ولما يكون التمييز في مثل : « لله در خالد فارساً » من تمييز النسبة إذا كان المتعجب منه (وهو المميز) اسماً ظاهراً مذكوراً في الكلام كهذا المثال ، أو كان ضميراً مرجعه معلوم ؛ نحو : سجل التاريخ أبدع صور البطولة لخالد بن الوليد ؛ لله درّه بطلاً أو : يا له رجلاً ، أو : حسبك به فارساً . . . فالضمير هنا - وهو الهاء - معروف المرجع : فإن جهل المرجع وجب اعتبار التمييز من تمييز المفرد^(٣) ، لأن الضمير مبهم ، فافتقاره إلى التمييز ليكون مرجعاً يبين ذات صاحبه ؛ ويوضح حقيقته - أشد من افتقاره إلى بيان نسبة التعجب إليه (أى : إلى صاحب الضمير) . أما الضمير المعلوم فبالعكس كما ذكرنا^(٤) . ومثل هذا يقال في الضمير المتصل بالصيغتين القياسيتين في التعجب ، وهما « ما أفعلته ، وأفعل به .

أما تمييز الضمير المستتر في : « نعم » و « يش » في مثل : الفارس نعم رجلاً - الجبان بش جندياً - فالأحسن اعتباره من تمييز المفرد ، برغم أن مرجعه مذكور دائماً : وهو : التمييز . ومثله : ربه رجلاً ،

أما تمييز « كم » في مثل : كم رجلاً شاركهم ؛ فإنه مفرد من نوع تمييز العدد ، لأن « كم » كناية عنه .

(١) سبق شرحها مع غيرها وبيان حكمها في رقم ٣ من هامش ص ٤١٨ ولها شرح مع غيرها في رقم ٤ من هامش ص ٤٢٦ . وكذا في رقم ٢ من هامش ص ٢٢ - وكذا في ص ٥٠٤ ج ١ م ٣٨ من الطبعة الرابعة .

(٢) ومثلها كلمة : « منظر » في قول الشاعر :

حسن الأزاهر سحرٌ ، جلّ مبدعه فاسعدُ بها منظرًا ، وانعمَ بها طيباً

(٣) كأن ينظر شخص قاندين . أحدهما راكب ، والآخر راجل ، ثم يقول عن غير إعلان ولا تصريح باسم أحدهما : لله دره فارساً . أو : يقرأ نصين ؛ أحدهما نثر ، والآخر شعر ، وهما لأديب واحد ثم يقتصر على أن يقول : لله دره شاعراً

(٤) هذا النوع هو الذي أشرنا إليه في رقم ٢ من هامش ص ٤١٨ .

(د) تجب مطابقة تمييز الجملة للاسم السابق^(١) في مواضع ، ويجب ترك المطابقة في أخرى . وقد ترجح المطابقة أو عدمها في الثالثة . وفيما يلي البيان :

فتجب المطابقة في الحالات التالية :

١ - إن كان كل من التمييز والاسم السابق عليه في الجملة لشيء واحد ، أى أن مدلول كل منهما هو مدلول الآخر ؛ نحو : كَرُمَ عَلَى رَجُلًا ، (فالرجل هو : عَلَى ، وَعَلَى هو : الرجل) . وكرم العليان رجلين ، وكرُمَ العليون رجلاً ، وكرمت عبلة فتاة ، وكرمت العبلتان فتاتين ، وكرمت العبلات فتيات

٢ - إن كان مدلول التمييز غير مدلول الاسم السابق^(١) ، ولكن هذا الاسم السابق جمع ، والتمييز مصدر فإنه يجمع إذا اختلفت أنواعه باختلاف الأفراد التي يدل عليها الاسم السابق ، وتنطبق عليها تلك الأنواع ، وتنصب عليها ، نحو : خسر الأشقياء أعمالاً ، فقد جُمع التمييز « أعمالاً » بقصد معين : هو بيان أن هذه الأعمال مختلفة الأنواع ، وأن كل نوع منها يصيب شقياً ، وهو فرد من أفراد الاسم السابق المجموع : (الأشقياء) .

٣ - إن كان التمييز غير الاسم السابق ، ولكن الاسم السابق جمع ، والتمييز جمع متعدد ، غير مصدر ، فيجمع لإزالة لبس محتمل ؛ نحو : كَرُمَ الأولاد آباءً ، فقد جُمع التمييز : « آباء » لبذل جمعه على أن لكل ولد أباً ، وليسوا إخوة . ولو لم نجمله وقلنا : كَرُمَ الأولادُ آباً ، لقوى احتمال أنهم إخوة من أب واحد .

ويجب ترك المطابقة فيما يأتي :

١ - إن كان معنى التمييز واحداً ليس له أفراد متعددة ، ومعنى الاسم السابق متعدداً ؛ نحو : كَرُمَ الأولادُ آباً (إذا كانوا إخوة لأب) .

٢ - أو كان التمييز غير الاسم السابق ، ولكن الاسم السابق مفرد ، والتمييز جمع متعدد غير مصدر ، وقصد بجمعه إزالة لبس محتمل ؛ نحو : نظف المعلم أثواباً ، وكرُمَ الشريفُ آباءً ، فلو طابق التمييز الاسم السابق لوقع في الوهم

.....

أن المقصود ثوب واحد ، وأب واحد . وإزالة هذا الاحتمال والوهم جُمع التمييز .

٣- أو كان التمييز مصدراً لا يقصد أن تختلف أنواعه ، نحو : أحسن الجنودُ عملاً .

وترجع المطابقة في مثل ؛ حسُنَت الفتاة عيناً ؛ لأن احتمال اللبس يكاد يكون معدوماً ؛ إذ لا يكاد يخطر على البال أن الحسن مقصور على عين واحدة . ويترجح تركها في : حَسُنَ الفتيانُ ، أو الفتيةُ وجهاً ، للسبب السالف .

(هـ) يتفق الحال والتمييز في أمور ، ويفترقان في أخرى . وأهم ما يتفقان فيه خمسة أمور :

كلاهما : اسم ، نكرة ، منصوب ، فضلة ، رافع للإبهام .

وأهم ما يختلفان فيه سبعة :

١- التمييز لا يكون إلا مفرداً^(١) ، أما الحال فقد تكون جملة ، أو شبه جملة .

٢- التمييز لا يكون إلا فضلة ، أما الحال فقد يتوقف عليها المعنى الأساسي - كما سبق في بابها^(٢) - .

٣- التمييز مبين للذوات أو للنسبة ، والحال لا تكون إلا مبينة للهيئات .

٤- تمييز الجملة لا يتعدد إلا بالعطف ؛ نحو : ارتفع النيل خلقاً ، وعلماً ، وجاهاً . والأحسن في التمييز المتعدد للمفرد أن يكون تعدده بالعطف . إلا إن كان المراد من التمييز المتعدد المفرد معنى واحداً كالاختلاط في مثل عندى رطل عسلاً سمناً ؛ فيجوز التعدد مع العطف ، وبدونه^(٣) - أما الحال فتتعدد بعطف وبغير

(١) ليس جملة ، ولا شبهها .

(٢) في ص ٣٦٤ ، وفي رقم ٣ من ص ٤٠٨ .

(٣) انظر رقم ٤ من ص ٤٢٢

.

عطف ؛ نحو أقبل المنتصر ، فرحاً ، مسرعاً ، مصافحاً رفاقه ، أو فرحاً
ومسرعاً ، ومصافحاً وعند وجود العاطف لا تسمى في الاصطلاح
« حالاً » ، وإنما تعربُ معطوفاً ، برغم أنها تؤدي معنى الحال^(١) ، وكذلك
التمييز بعد العاطف لا يسمى - في الاصطلاح - تمييزاً ، وإنما يعرب معطوفاً .

٥ - لا يصح تقديم تمييز المفرد على عامله . والأحسن عدم تقديم تمييز الجملة
على عامله ، إذا كان فعلاً مشتقاً ، أو وصفاً يشبهه . أما الحال فيجوز .

٦ - التمييز في الغالب يكون جامداً^(٢) ، أما الحال فتكون مشتقة وجامدة^(٣) .

٧ - التمييز لا يكون مؤكداً لعامله - في الصحيح^(٤) - والحال قد تكون
مؤكدّة .

(١) راجع ما يختص بهذا في ص ٣٨٦ من باب الحال . حيث التفصيل .

(٢) من أمثلة مجيئه مشتقاً قولهم : لله دره فارساً - انظر البيان الذي في : « ح » ص ٤٢٧ .

(٣) تقدم في ص ٣٦٨ مواضع اشتقاقها وجمودها .

(٤) يلاحظ الفرق الكبير بين هذا الحكم والذي سبق في رقم ٢ من هامش ص ٤١٦ .

حروف الجر^(١)

يتناول الكلامُ عليها الأمور الآتية : (وأكثرها دقيق هام) .
 (عددها ، وبيانها) - (عملها) - (تقسيمها من ناحية هذا العمل ، والأصالة فيه ، أو عدمها) وما يترتب على ذلك من التعلق بالعامل ، وآثار التعلق . . .)
 - (معاني كل حرف ، ووجوه استعماله) - (حذف حرف الجر وحده مع إبقاء عمله ، وحذفه مع مجروره) - (نيابة حرف جر عن آخر) .

* * *

(أ) فأما عددها وبيانها فالمشهور منها عشرون^(٢) ؛ هي :
 مِنْ - إِلَى - حَتَّى - خِلَالاً - عِندَ - حَاشَا - فِي - عَنْ - عَلَى - مُذْ -
 مُنْذُ - رَبُّ - اللام - كَيْ - الواو - التاء - الكاف - الباء - لعل - متى .
 (ب) وأما عملها فهو جر آخر الاسم^(٣) الذي يليها في الاختيار

(١) يسميها بعض القدماء « حروف » الإضافة . (لما يأتي في رقم ٢ من هامش ص ٤٣٧) وقد يطلقون عليها أحياناً : « الظرف » لأن « الظرف » يشمل « شبه الجملة » بنوعيه المعروفين ؛ وهما : الظرف والجار مع مجروره . (انظر رقم ١ من هامش ص ٢٤٣ حيث بيان المراجع) وقد يطلق على كل واحد منهما : « شبه الوصف ، أو شبه المشتق » ؛ للسبب المبين في رقم ٣ من هامش ص ٣٧٣ ولما في هامش ص ٤٤٩ .

(٢) لم ندخل في عدادها الحرف : « لولا » الداخر على ضمير غير مرفوع (عند من يقول بأنه حرف جر شبيه بالزائد - كما سيجيء في ص ٤٥٢ - ، فابعد مجرور لفظاً مرفوع محلاً ، على أنه مبتدأ) لأن في هذا تعقيداً .

(٣) ليست حروف الجر وحدها هي السبب أو العامل في جر الاسم ؛ فأسباب جره أو عوامله الأصلية ثلاثة .

« أولاً » : حروف الجر ؛ فكل حرف منها لا بد له من اسم بعده يحجره على الوجه المبين في هذا الباب .
 « ثانياً » : أن يكون الاسم مضافاً إليه . « ثالثاً » : أن يكون الاسم تابعاً لمتبوع مجرور ؛ فالنبت ، والمطف ، والتوكيد ، والبدل - مجرورة حتماً إذا كان المتبوع مجروراً .

بقى سببان آخران للجر ؛ « أحدهما » : الجر على « التوهم » ، ومن صواب الرأي إهماله ، وعدم الاعتداد به (كما قلنا في ص ٣٤٨ و ٥٣٥ - وفي ج ١ ص ٥٥٢ م ٤٩ بعد أن أوضحناه وتناولناه بالبيان في الموضعين . وفي ج ٣ م ٩٣ ص ٨) .

والآخر الجر على : « المجاورة » والواجب التشدد في إغفاله وعدم الأخذ به مطلقاً . أما الداعي لا تحاذه =

مباشرة^(١)، جراً محتوماً^(٢)؛ ظاهراً، أو مقدرأ، أو محلياً^(٣). فالظاهر كالذى

= سبباً للجر عند القائلين به فوروده فى أمثلة قليلة - وبعضها خطأ ، أو مشكوك فى صحة نقله عن العرب - قد اشتملت على جر الاسم من غير سبب ظاهر لجره ، إلا مجاورته لاسم مجرور قبله مباشرة ؛ منها : هذا (جَحْرُ ضَبَّ خَرِبٍ) ؛ بجر كلمة : «خرب» مع أنها صفة لكلمة : « جحر » ولا تصلح صفة لكلمة : « ضب » ؛ لأن الضب لا يوصف بأنه خرب .

ومنها قول الشاعر القديم : « يا صاح بَلِّغْ ذِىَ الزَّوْجَاتِ كَلَهُمْ . . . » ؛ بجر كلمة : « كل » مع أنها توكيد لكلمة : « ذوى » المنصوبة ؛ إذ لو كانت توكيداً لكلمة : « الزوجات » لقال : كلهن . وقد تأول النحاة المثال الأول بأن أصله : هذا جحرٌ ضَبَّ خَرِبٍ الجحرُ منه ، أو خربٍ جحرُهُ ، ثم حذف ما حذف ؛ وبقى ما بقى . واشتد الجدل فى نوع المحذوف وصحته وعدم صحته ، على الوجه المبين فى المطولات (ومنها المجمع ج ٢ ص ٥٥) .

وقالوا فى المثال الثانى ؛ إنه خطأ أو ضرورة .

واتفق كثير من الأئمة على أن الجر بالمجاورة ضعيف ، أو ضعيف جداً . وعلى هذا لا يصح القياس عليه وإنما يقتصر على الوارد فيه ، المسموع عن العرب ، - كما جاء فى خزائن الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٣٢٤ - بل جاء فى كتاب : « مجمع البيان ، لملوم القرآن » (ج ٣ ص ٣٣٥) ما نصه : (إن المحققين من النحويين نَفَقُوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً فى كلام العرب) ١ . وكما فى « المحتسب » لابن جنى ج ٢ ص ٢٩٧ - ونصه : « إن الحفّض بالحوار - أى المجاورة - فى غاية الشذوذ » ١ . (وقد أعددنا ما سبق - لاهيته - فى أول الجزء الثالث ص ٨) .

(١) مباشرة : أى : بغير أن يفصل بينهما فاصل فى الاختيار ، لكن يجوز الفصل أحياناً بكلمة « كان » الزائدة التى سبق الكلام عليها - فى باب : « كان » ج ١ م ٤٤ - . كما يجوز الفصل بين الجار ومجروره بلا النافية ، مثل : حضرت بلا تأخر ، وسررت من لا إهمال . والكوفيون يعتبرون « لا » فى هذه الحالة اسماً - ، بمعنى : « غير » - مجزواً بحرف الجر الذى قبله وأن « لا » ، مضاف ، والكلمة التى تليه هى المضاف إليه . أما غير الكوفيين فيعتبره حرفاً باقياً على حرفيته لا يتأثر بالعوامل ، وإنما هو زائد معتزى بين الجار والمجرور ، وأنه مع زيادته يؤدى معنى النفى ، وتظهر آثار الحرف الجار على ما بعده ؛ فيكون الاسم بعده مجزواً بحرف الجر الزائد . (راجع ، ج ١ - مبحث « لا »)

أما فى حالة الضرورة الشعرية فقد يجوز - مع القبح - الفصل بينهما بالظرف ، أو بالجار مع مجروره ، أو بالمفعول به ، كقول الشاعر :

إِنْ عَمَرًا لَا خَيْرَ فِي - الْيَوْمَ - عَمَرُو إِنَّ عَمَرًا مُكَثَّرُ الْأَحْزَانِ
وقول الآخر :

وَإِنِّي لَأَطْوِي الْكَشْحَ مِنْ دُونِ مَا انْطَوَى وَأَقْطَعُ بِالْخَرْقِ الْهَبُوعَ الْمُرَاجِمَ .
والأصل : وأقطع بالهبوع المراجم الخرق ، (الهبوع : الجمل الذى يمشى مشية حمار الوحش . والمراجم : الذى يرمى الأرض بأخفافه . - ويرى : المزاحم بالزأى . والخرق : المكان الواسع الذى تصفر فيه الريح) . (٢) لا يجوز إلغاء عمله الجر .

(٣) الجر المحلى فرع من الإعراب المحلى المختص بالكلمات المبنية كالضماير ، وكأكثر أسماء =

في الأسماء المحرورة في قول الشاعر :

إني نظرتُ إلى الشعوبِ فلمْ أجدُ كالجَهلِ داءً للشعوبِ ، مُبيداً
والمقدّر كالذى في كلمة : « فتى » في قولهم : ما مِن فتى يستجيب لدواعي
الغضب إلا كانت استجابته بلاء وخسراناً .

والحلى كالذى في قولهم : لا أتألم ممن يسعى بالوقعة بين الناس قدّر تألمى من الذين
يعرفونه ، وهم — إلى ذلك — يستجيبون لما يقول . . .

هذا ، ومن آثار حرف الجر أنه إذا دخل على « ما » الاستفهامية أوجب حذف
ألفها في غير الوقف ^(١) ؟ نحو قوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ؟) ونحو : لمَ التواني ؟
وفيم الرضا بالهوان ؟ . . .

أمّا في الوقف فيجب حذف الألف ، والإتيان بهاء السكت — وهى من الحروف
الساکنة التى تزداد فى آخر الكلمة — ، نحو : عمّه ؟ — له ؟ — فيمه ؟ . . .

(ح) وتنقسم هذه الحروف من ناحية الاسم الذى تجرّه إلى قسمين ، قسم
لا يجر إلا الأسماء الظاهرة ، وهو : عشرة .

مُذْ — مُنْذُ — حتى — الكاف — الواو — رَبٌّ ^(٢) — التاء — كى — لعل — متى .

= الإشارة والموصول . . . فيكون لفظ الكلمة مبنياً ؛ لكنه في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب
ما يقتضيه العامل . ويختص كذلك بالحمل المحكية ، وغيرها من الحمل الأخرى التى لها موقع إعرابى ؛
كجملة النعت ، أو الحال . . . ، كما يكون في المصادر المنسبكية ، وفي آخر الكلمة المحرورة بحرف جر
زائد ، أو شبيه بالزائد — كما سيأتى في هذا الباب —

وما سبق مبنى على رأى القائل : إن الإعراب المحلى نوع يختلف عن الإعراب التقديرى (وقد عرض
لها الصبان في الجزء الثانى من حاشيته ، أول باب الفاعل ، عند الكلام على حكمه : « الرفع »
وأوضحنا هذا مفصلاً في المكان المناسب من الجزء الأول ؛ باب : « المغرب والمبنى » . . . ص ٨٠ م ٦
و ٢٨٢ م ٢٣) .

(١) ويقول ابن جنى في كتابه : « المحتسب » — ج ٢ ص ٣٤٧ — في قراءة من قرأ قوله تعالى :
(عما يتساءلون) بإثبات الألف في غير الوقف أو الضرورة — ما نصّه : « (هذا أضعف اللتين ؛ أعنى
إثبات الألف في (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر . » وروينا عن قطرب لسان :
علّى ما قام يشحنى لثيم كخنزير تمرغ في رماد) » هـ .

(٢) ومن القليل الذى لا يقاس عليه جره الضمير — وسيجيء البيان في ص ٥٢٣ . —

وقسم يجر الأسماء الظاهرة والمضمرة ؛ وهو : العشرة الأخرى ^(١) . وسيأتى الكلام على معنى كل حرف من القسمين ، وعمله .

وتنقسم من ناحية الأصالة وعدمها إلى ثلاثة أقسام ، حروف أصلية — وما قد يشبهها ^(٢) ويلحق بها أحياناً — وحروف زائدة ^(٣) ، وحروف شبيهة بالزائدة .

* * *

القسم الأول : الحرف الأصلي — وشبهه ^(٢) — ، وهو الذى يؤدي معنى فرعياً جديداً فى الجملة ، ويوصل بين العامل والاسم المحرور ^(٤) ؛ فله مهمتان يؤديهما معاً ، وفيما يلى إيضاحهما :

(١) فأما من ناحية إفادته معنى فرعياً جديداً لا يوجد إلا بوجوده فيتجلى فى مثل : « حضر المسافر » ؛ فإن هذه الجملة مفيدة ، ولكنها — بالرغم من إفادتها —

(١) فى بيان حروف الجر ، والمختص منها بالظاهر دون غيره ، يقول ابن مالك :

هَآكْ حُرُوفَ الْجَرِّ ، وَهِيَ : مِنْ ، إِلَى حَتَّى ، خَلَا ، حَاشَا ، عَدَا ، فِى . عَزَّ عَلَى
مُدَّ ، مُنْذُ ، رَبِّ ، اللَّامُ ، كَى ، وَأَوْ ، وَتَا وَالْكَافُ ، وَالْبَا ، وَلَعَلَّ . وَمَتَى
بِالظَّاهِرِ اخْصُصْ مُنْذُ ، مُدَّ ، وَحَتَّى وَالْكَافُ ، وَالْوَاوُ ، وَرُبَّ . وَالتَّاءُ
وَقَدْ اقْتَصَرَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ تَجْرُ الظَّاهِرَ ، وَتَرَكَ ثَلَاثَةً ؛ هِىَ : كَى ، لَلْ ، مَتَى . وَيَقُولُ أَيْضاً :
وَاخْصُصْ بِمُدَّ ، وَمُنْذُ وَقْتًا ، وَبِرُبِّ مُنْكَرًا . وَالتَّاءُ لِلَّهِ : وَرَبِّ
وَمَا رَوَوْا مِنْ نَحْوِ : رَبُّهُ فَتَى نَزَرَ ، كَذَا كَمَا ، وَنَحْوُهُ أَتَى
أَي : أَنَّ الْكَافَ قَدْ تَجْرُ الْمَضْمَرِ شَدُودًا

(٢ ٢) بيان « الشبيه » موضح فى رقم ٢ من هامش الصفحة التالية :

(٣) فى الجزء الأول (م ٥ ص ٦٦ و ٧٠) بيان مفيد عن المراد من اللفظ الزائد ، سواء أكان حرفاً أم غير حرف . وأنه لا يصح اعتبار اللفظ (سواء أكان حرفاً أم غير حرف) زائداً إن أمكن اعتباره أصلياً ؛ لأن اعتبار الأصالة . مقدم على اعتبار الزيادة .

(٤) وهذا التوصل هو ما يسمى : « التعلق » إلا الحرف : « على » إذا كان معناه الإضراب ؛ فإنه يصح ألا يتعلق بمامل ؛ كما سيجىء فى ص ٥١٢ .

تبعث في النفس عدة أسئلة ، قد يكون منها : أحَضَرَ المسافر من القرية أم من المدينة ؟ أحَضَرَ من بلد أجنبي ، أم غير أجنبي ؟ أحضر في سيارة ، أم في طائرة ، أم في باخرة ، أم في قطار ؟ أحضر إلى بيته ، أم إلى مقر عمله ؟ . . . و . . . وفي هذه الجملة المفيدة نقص معنوى فرعى فإذا قلنا : « حضر المسافر من القرية » وأتبنا بحرف الجر الأصلي « مِنْ » ، وبعده مجروره — فإن بعض النقص يزول ، ويحل محله معنى فرعى جديد ، بسبب وجود « من » ، فإنها بَيَّنَّتْ أن ابتداء الحبيء هو : « القرية » . ولم يوجد هذا المعنى إلا بوجود « مِنْ » ؛ فهي لبيان : « الابتداء » ، وقد ظهر هذا المعنى الفرعى الجديد على المجرور بها^(١) .

وإذا قلنا : « حضر المسافر من القرية إلى مقر عمله » ، فإن نقصاً آخر معنوياً يزول ، ويحل محله معنى فرعى جديد ، هو : « الانتهاء » ؛ بسبب وجود « إلى » ، فقد دلت على أن نهاية السفر هي مقر العمل ، ولولا وجود : « إلى » ما فَهِمَ هذا المعنى الفرعى الجديد ، فهي لبيان الانتهاء ، وقد ظهر على المجرور بها .

ولو قلنا : « حضر المسافر من القرية إلى مقر عمله في سيارة » — لزال نقص معنوى آخر ، وحل محله معنى فرعى جديد ؛ هو : « الظرفية » بسبب وجود حرف الجر الأصلي « في » الذي يدل على أن المسافر كان خلال حضوره — في سيارة تحويه كما يحوى الظرف المظروف ، أى : كما يحوى الوعاء الشيء الذى يوضع فيه وهكذا بقية حروف الجر الأصلية كلها — وكذا الشبيهة بالأصلية^(٢) — ؛ فإن كل حرف من النوعين لا بد أن يحمل معه للجملة المفيدة معنى فرعياً جديداً من المعاني^(٣)

(١) طبقاً للبيان الخاص بمعنى الحرف ، والغرض منه . (وقد تقدم في ج ١ م ٥ ص ٦٢) .
 (٢) حرف الجر الشبيه بالأصل هو : « لام الجر الزائدة » زيادة غير محضة : لأنها تحيى لتقوية عاملها الضعيف ، ومن الممكن الاستغناء عنها : فإذا لوحظ أنها تفيد عاملها « التقوية » كان هذا معنى جديداً جلبته معها ، وأفادته عاملها ؛ فيجب تعلّقها مع مجرورها به . وإن لوحظ أنه يجوز حذفها فلا تتأثر الجملة بحذفها كانت زائدة زيادة غير محضة ، لأن الحرف الزائد زيادة محضة لا يفيد شيئاً إلا توكيد معنى الجملة كلها ، لا بعضها — وسيجيء البيان عند الكلام على لام الجر الزائدة المحضة التى للتقوية ص ٤٧٥ — وفيها المناقشة المفيدة التى قد انتهت بالقارئ إلى رفض هذه التسمية المقصورة على نوع معين من أنواع اللام .

(٣) لكل حرف من حروف الجر الأصلية أو الشبيهة بالأصلية ، عدة معان ، ولكل معنى مقام =

التي يختص بتأديتها ، ولا يتكشف هذا المعنى الجديد إلا بعد وضع الحرف مع مجروره في الجملة المفيدة . وعندئذ يتكشف ويتحقق مدلوله على الاسم المجرور به — كما سبق (١) — .

أما وجود الحرف وحده أو مع مجروره بغير وضعهما في جملة ، فلا يفيد شيئاً . هذا من ناحية إفادته معنى فرعياً جديداً لم يكن له وجود قبل مجيئه .

(ب) وأما من ناحية وصله بين عامله والاسم المجرور — وهو ما يسمى : « التعلق بالعامل » (٢) — فالنحاة يقولون : إن الداعى القوى لاستخدام حرف الجر الأصلي مع مجروره ، هو الاستفادة بما يجلبه للجملة من معنى فرعى جديد — وهذا المعنى الفرعى الجديد ليس مستقلاً بنفسه ، وإنما هو تكملة فرعية لمعنى فعل أو شبهه في تلك الجملة . ويوضحون هذا بما يشبه الكلام السابق . ففى مثل : حضر المسافر من القرية — نجد البحار مع مجروره قد أكمل بعض النقص البادى في معنى الفعل : « حضر » ؛ فلولاهما لتواردت علينا الأسئلة السالفة : لكن بمجيئهما انحسم الأمر . فلهذا يقال : البحار والمجرور متعلق بالفعل : « حضر » ، أى : مستمسك ومرتبطة به ارتباطاً معنوياً كما يرتبط الجزء ب كله ، أو الفرع بأصله ؛ لأن المجرور يكمل معنى هذا الفعل ، بشرط أن يوصله به حرف الجر الأصلي (٣) — ، أو ما ألحق به — .

= يناسبه ، وسياق يقتضيه . (وسيجيء فى ص ٤٥٥ تفصيل هذا) . لكن أليكون للحرف الواحد معنى واحداً أم يكون له معان متعددة ؟ وهل ينوب بعض حروف الجر عن بعض ؟ الإجابة عن هذا فى ص ٤٥٥ .
(١) وقد أسهبنا القول فى إيضاح معنى الحرف مطلقاً ، وأن معناه لا يعرف من لفظه فقط ؛ وإنما يعرف بعد وضعه فى جملة . وأن هذا المعنى يظهر على ما بعده كل هذا فى ج ١ ص ٥٦٢ .
(٢) وهذا التعلق مقصور على حرف الجر الأصلى وشبهه ، دون الزائد وشبهه — كما أسلفنا ، وكما يجيىء فى ص ٤٥٣ .

(٣) إلا الحرف « على » الذى للإضراب فى مثل قول الشاعر :
فتى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء
— كما سيجيىء فى ص ٥١٢ و ١ من هامش ص ٤٥١ — أما التفصيل والأمثلة فى رقم ٨ ص ٥١٠ .
وهناك « اللام » الجارة الأصلية والزائدة فى النوعين من ناحية تعلق كل منهما وعدم تعلقه تفصيلات تترتب عليها أحكام اكتفينا بالإشارة إليها فى رقم ١ من هامش ص ٤٧٢ و رقم ٤ من هامش ص ٤٣٩ — اعتماداً على بسطها فى بابها الأنسب ، وهو باب : « الاستغاثة » ، (ج ٤ م ١٣٣ ص ٧٨) .

والنحاة يسمون هذا الفعل ^(١) « عاملاً » .

ويقولون أيضاً : إن حرف الجر الأصلي - وما ألحق به - بمثابة قنطرة تُوصَل المعنى من العامل إلى الاسم المجرور ، أو بمثابة رابطة تربط بينهما ؛ ولا يستطيع العامل أن يوصل أثره إلى ذلك الاسم إلا بمعونة حرف الجر الأصلي - أو ما ألحق به - ؛ فهو وسيط ، أو وسيلة للاتصال بينهما ^(٢) . ومن أجل هذا كان حرف الجر الأصلي - وملحقه - مؤدياً معنى فرعياً ، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات تعدية الفعل اللازم لمفعول به معنى (أى : حكماً) . وهذه الأداة تتغير وتتغير طبقاً للمعنى الذى يراد منها أن تؤديه .

مثال آخر : « قعد الرجل » . . . فهذه جملة مفيدة ؛ لكن أقعد في البيت ، أم في السفينة ، أم في الحقل . . . ؟ فعنى الفعل : « قعد » في الجملة السالفة محتاج إلى تكملة فرعية تدعو للإتيان بالجار الأصلي مع مجروره ؛ فإذا قلنا : قعد الرجل في السفينة . . . انكشف المعنى الكامل للفعل : « قعد » بسبب اتصاله بالسفينة ، وكان هذا الاتصال بمساعدة حرف الجر الأصلي ، إذ ليس من الممكن أن نقول : قعد الرجل السفينة ؛ بإيقاع المعنى على السفينة مباشرة بغير حرف الجر ؛ لأن الاستعمال العربى الصحيح بأبى ذلك ؛ برغم شدة احتياج العامل - وهو هنا الفعل : « قعد » - إلى كلمة : « السفينة » ليوقع عليها أثره المعنوى . لكنه عاجز عن أن يوصله إليها بنفسه ؛ فجاء حرف الجر الأصلي وسيطاً للجمع بينهما ، ومُعِيناً على تذليل تلك الصعوبة ، ووصل بين معنى الفعل

(١) وكذا ما يشبهه من العوامل الأخرى الآتية في ص ٤٣٩

(٢) ولهذا يسميها بعض النحاة : « حروف الإضافة » - كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٤٣١ - لأنها إذا كانت أصلية (كما جاء في بعض المطولات ، ومنها « المفصل » ج ٢ ص ١١٧) تضيف - أى تحمل وتنقل - إلى الأسماء المجرورة بها معانى الأفعال وشبهها ، من كل ما يقع عليه التعلق بشبه الجملة . ولو لم يوجد الحرف الأصلي ما تحققت الفائدة الفرعية التكميلية ولا صح الأسلوب بعد حذف الجار وحده وإبقاء مجروره السابق - وهذا في غير المواضع القليلة التى يصح فيها حذفه ، ويظل ملحوظاً بالرغم من حذفه ، ومعتبراً كالمذكور - بخلاف غير الأصلي ، فإن حذفه وحده لا يفسد الأسلوب ، وفائدته إما جديدة مستقلة - ، لا يُقصد منها أن تنتم نقصاً في غيرها ؛ وهذا هو : « الشبيه بالزائد » ، وإما مؤكدة لمعناه ؛ وهذا هو « الزائد » - كما سيجىء في ص ٤٥٠ و ٤٥٢ .

هذا كان ما يسمونه « التعلق بالعامل » مقصوراً على حرف الجر الأصلي مع مجروره ، وكذلك ما ألحق به .

والاسم المجرور بعده . فهو — بحق — أداة اتصال بينهما ؛ ولذا يُعدّ وسيلة من وسائل تعدية الفعل اللازم إلى مفعول به تقديرًا ، زيادة على ما يجلبه معه من معنى فرعى .

وكما سبق لا بد أن يتنوع هذا الحرف ويتغير على حسب الغرض المعنوي المقصود^(١) .

مثال ثالث : نام الوليد . فعنى الفعل : « نام » معروف ، ولكنه معنى يشوبه بعض النقص الفرعى ؛ إذ لا يدل — مثلاً — على المكان الذى وقع فيه النوم . فالعامل ؛ (وهو هنا الفعل : نام) بحاجة إلى إتمام المعنى بذكر المكان الذى وقع فيه أثره . فهل نقول : نام الوليدُ السريرَ ؟ لا نستطيع ذلك ؛ لأن الأساليب العربية السليمة تأباه ، فالفعل عاجز عن إيصال معناه المباشر إلى تلك الكلمة ، فنلجأ إلى الوسيط المساعد ؛ وهو حرف الجر الأصيل ، — وشبهه — ليوصل بين الاثنين ؛ ويُعدّى الفعل اللازم إلى مفعول به معنى ، (حُكْمًا) ؛ فنقول : نام الوليد فى السرير . ومثل هذا يقال فى الفعلين : « دعا » ، و « ذم » من قول الشاعر :

ومن دعا الناس إلى ذمّه^(٢) ذمّوه بالحق وبالباطل . . . وهكذا . . .

من كل ما سبق نفهم أن حرف الجر الأصيل^(٣) مع مجروره إنما يقومان بمهمة مشتركة ومزدوجة ، كانت السبب القويّ فى مجيئهما ؛ وهى : إتمام معنى عاملهما ، واستكمال بعض نقصه^(٤) بما يجلبانه معهما من معنى فرعى جديد ؛ وأحدهما — وهو حرف الجر الأصيل^(٣) — يقوم بمنزلة الوسيط الذى يصل بين العامل والاسم المجرور ،

(١) فيجب اختيار حرف الجر الذى يؤدى المعنى المراد ، ولا يصح اختيار حرف لا يؤديه (راجع البيان الهام فى ص ١٦١ وفى رقم ٤ من هامشها ثم ما يتصل بهذا فى ص ٥٣٧) ومن ثم تنوعت حروف الجر بتنوع المعانى فى قول الشاعر :

انتخبُ للقرىض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض فى الأسفارِ
فإذا اللفظ رقّ شفّ عن المم فى فأبداه مثل ضوء النهارِ .
مثل ما شفت الزجاجة جسماً فاخفى لونها بلون العُسقارِ

(٢) بأن يفعل ما يستدعى أن يذمّه بسببه . (٣ ، ٣) وكذا ما ألحق به

(٤) لتحلية هذه المسألة أيضاً والسبب فى وجوب التعلق — ولو بالمخذوف — تراجع ص ٢٤٥ وما بعدها ففهما ما يتصل بموضوعنا ويفيد .

فيحمل معنى الأول إلى الثاني ويجعل عامله اللازم متعدياً حكماً وتقديراً . ويعبر
النحاة عن كل هذا تعبيراً اصطلاحياً ؛ هو : « أن الجار الأصلي » - وشبهه -
مع مجروره متعلقان بالعامل ، حتماً^(١) . فالمراد من تعلقهما - حتماً - به هو :
وجوب اتصالهما وارتباطهما به ؛ لتكملة معناه الفرعى على الوجه الذى سلف .

كما نفهم أيضاً ما يقولونه من : أن الاسم المجرور بالحرف الأصلي - وشبهه -
هو بمنزلة « المفعول به » لذلك العامل ؛ لوقوع معنى العامل عليه ؛ كما يقع على
« المفعول به » الحقيقى ؛ فكلا الاسمين يقع عليه معنى عامله ، وكلاهما يتم معنى
العامل ، (المتعلق به) . إلا أن المفعول به الحقيقى منصوب ، ويصل إليه معنى ذلك
العامل مباشرة ، - أى : بغير وسيط - أما الاسم الآخر فمجرور بحرف الجر
الأصلى ، ولا يصل إليه معنى عامله « وهو المتعلق به » إلا بوسيط ، ولا يصح
تسميته مفعولاً به حقيقياً ، بالرغم من أنه بمنزلة^(٢) ، كما لا يصح إعرابه فاعلاً ،
ولا مفعولاً به ، ولا مبتدأ ، ولا بدلاً^(٣) ولا غير ذلك . . . ، وإنما يقتصر فى إعرابه
على أنه « اسم مجرور بالحرف » ، وكفى^(٤) . . .

أنواع العامل (أى : المتعلق به) ومواقع ذكره وحذفه :

ليس من اللازم أن يكون العامل (أى : المتعلق به) فعلاً ؛ فقد يكون فعلاً
- مطلقاً^(٥) - وقد يكون شيئاً آخر يشبهه ؛ كاسم الفعل فى مثل : نَزَّال فى

(١) إلا الحرف الأصلى : « على » إذا كان معناه الإضراب فإنه يصح ألا يتعلق ، وكذلك اللام
الجاراة الأصلية فى بعض الآراء - كما أشرنا فى رقم ٣ من هامش ص ٤٣٦ و ٢ من هامش ص ٤٤٤
ويجىء البيان والتفصيل والأمثلة فى رقم ٨ من ص ٥١٠ .

(٢) إذا كان بمنزلة المفعول به حكماً ومعنى ، فهل يجوز فى توابعه النصب ؟

الإجابة الصحيحة : لا . (راجع « ب » من ص ١٢٥ ثم رقم ٣ من هامش ص ١٥١ ثم ص ١٦١)

(٣) يستثنى من هذا الحكم صورة خاصة يصح فيها عند فريق من النحاة إعراب الاسم المجرور
بالحرف « بدلاً » ؛ طبقاً للبيان التفصيلى فى باب « البدل » - ج ٣ ص ٥٣٨ م ١٢٣ .

(٤) « ملاحظة » : ما المراد الدقيق مما نقرؤه فى بعض المراجع اللغوية ، وغيرها ، أن فعلاً معيناً

لازماً ، يردفونه تصريحاً أو تمثيلاً ؛ بأنه يتعدى بحرف جر معين ؟ الجواب فى رقم ٤ من هامش ص ١٦١ .

(٥) أى : بغير تقييد بنوع الفعل ، فيشمل الفعل الجاهد ، والمتصرف ، والتام ، والناقص ،

وغير ذلك . . . إلا الفعل : « ليس » فى التعلق به بخلاف

الباخرة ، بمعنى : انزل في الباخرة ، وحَيَّهَلْ على داعي المروءة ، بمعنى : أقبل على داعي المروءة ، وكالمصدر الصريح^(١) في قولهم : السكوت عن السفه جواب ، والإعراض عنه عقاب . . . ومثل : الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر دِعامَةٌ من أقوى الدعائم لإصلاح المجتمع ، وكالمشتق الذي يعمل عمل الفعل ؛ نحو : أنا حَبَّ لعملي ، فَرِحْتُ به ، مرتاح لرفاقى فيه . وقول الشاعر :

يموت المداوى للنفوس ولا يَرَى لما فيه من داء النفوس مداويا

.

وكذلك^(٢) المشتق الذي لا يعمل^(٣) ؛ كاسم الزمان ، واسم المكان
نحو : انقضى مسعاك لتأييد الحق ، وعرفنا مدخلك إلى أعوانه .

وقد يكون العامل لفظاً غير مشتق ، ولكنه في حكم المؤول به (أى : يؤدي معنى المشتق) ؛ مثل : (أنت عمرٌ في قضائك) ، فالجار مع مجروره متعلقان بكلمة : «عمر» الجامدة ؛ لأنها مؤولة بالمشتق ؛ فهي هنا بمعنى : عادل . ومثل قولهم : (قراءة كلام السفهاء علقم على ألسنتنا) . فالجار والمجرور متعلقان « بعلقم » الجامدة ؛ لأنها هنا بمعنى : صعب ، أو شاق ، أو مؤلم ، أو مُرٌّ

والمشهور : أن حرف الجر الأصلي مع مجروره لا يتعلقان بأحرف المعاني ، ولكن

(١) وهو يشمل المصدر الدال على المرة ، أو الهيئة ، كما يشمل المصدر الميمي ، والصناعي .

(٢) ومن أمثلة الفعل والمشتق الذي يشبه قول الشاعر :

انظر إلى ورق الغصون فإنها مشحونة بأدلة التوحيد
وقول الآخر :

ترفّق - أيها المولى - عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب

(٣) هذا هو الراجح ؛ لأن المشتق غير العامل لا يخلو من رائحة الفعل .

راجع حاشيتي : الحصري والصبان ، أول باب : « إعمال اسم الفاعل » عند قول ابن مالك :

..... إن كانَ عَنْ مُضِيٍّ بِمَعزِلٍ

حيث علق الجار والمجرور : « عن مضيه » بكلمة : « معزل » التي هي اسم مكان . (وستجى الإشارة لهذا في ج ٣ ص ٢٤٣ م ٢ - ١ باب : اسم الفاعل ، وفي ص ٣٢١ م ١٠٧ .

هذا المشهور مخالف لما نقلناه عن بعض المحققين^(١).

وقد يخلو الكلام من ذكر العامل^(٢)؛ لأنه :

(أ) إما محذوف جوازاً لوضوحه ؛ بسبب اشتهاؤه في الاستعمال قبل الحذف وأمن اللبس بعد الحذف ، أو بسبب وجود دليل يدل عليه ؛ فمثال الأول : « بأبى » في قول المتنبي :

بأبى من ودِدته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وقول الآخر :

بنفسى تلك الأرض ؛ ما أطيب الربأ !! وما أحسن المصْطاف^(٣) والمتربعا^(٤) !!

يريد : أفدى بأبى ، — أفدى بنفسى . ومثال الثانى : أزورك فى مساء الخميس أما أخوك فى مساء الجمعة ، أى : فأزوره فى مساء الجمعة .

(ب) وإما محذوف وجوباً إذا كان هذا العامل^(٢) دالا على مجرد الكون العام ، أى : الوجود المطلق ؛ وذلك فى مسائل ؛ أشهرها سبعة :

١ — أن يقع صفة ، نحو ؛ هذه رسالة فى يد صديق عزيز .

٢ — أو : حالا ؛ نحو : نظرات الرسالة فى يد صديق عزيز .

٣ — أو : صلة ، نحو : استمتعت بالأزهار التى فى الحديقة .

٤ — أو : خبراً لمبتدأ أو لناسخ ، كقول الشاعر :

جسمى معى ، غير أن الروح عندكمو فالجسم فى غربه ، والروح فى وطن
فليعجب الناس منى ؛ أن لى بدنًا لا روح فيه ، ولى روح بلا بدن

(١) راجع إيضاح هذا وتفصيله الكامل فى باب : « الظرف » — رقم ٤ من هامش ص ٢٤٥

٧٨٢ - .

(٢٢) وهو : المتعلق به . وقد يكون تعلق شبه الجملة بالإسناد (أى : بالنسبة الواقعة بين ركني الجملة ، وهذا إذا لم نتوصل إلى فعل أو شبهه مما يصح التعلق به ؛ كقول ابن مالك فى باب الاستثناء خاصاً بالأداتين « خلا وعدا » : « وحيث جرا فهما حرفان . . . » فالظرف « حيث » متعلق بالنسبة المأخوذة من قوله : « فهما حرفان » أى : تثبت حرفيهما حيث جرا . (وقد سبق تفصيل وإيضاح لهذا فى هامش ص ٣٥٧ ، وتسمية الإسناد بالعامل المعنوى ص ٢٤٥) .

(٣) المكان المختار لقضاء فصل الصيف فيه .

(٤) المكان المختار لقضاء فصل الربيع فيه .

٥ - أو : أن يلتزم العرب حذفه في أسلوب معين ؛ كقولهم لمن تزوج : « بالرفاء^(١) والبنين » ، أى : تزوجت . . . فلا يجوز في مثل هذا الأسلوب ذكر العامل ؛ لأنه أسلوب جرى مجرى الأمثال ، والأمثال لا تغير .

٦ - أو يكون حرف الجر هو « الواو » أو « التاء » المستعملتين في القسم ، نحو : والله لا أبتدىء بالأذى ، وقول الشاعر :

فوالله لا يبدى لسانى حاجةً إلى أحد حتى أغيب في القبر

تالله لأصنع المعروف . التقدير : أقسم والله ، أقسم بالله .

٧ - أو : أن يرفع الجار مع مجروره الاسم الظاهر عند من يقول بذلك^(٢) ؛ بشرط اعتمادهما على استفهام ، أو نفي ؛ نحو : أفى الله شك ؟ . : ما فى الله شك .

وإذا كان العامل محذوفاً جاز تقديره فعلاً ، (مثل : استقر - حصل - وُجد - كان بمعنى : وُجد . . . - و . . .) وجاز تقديره وصفاً يشبهه ؛ (مثل : مستقر - حاصل - كائن . . .) . إلا فى القسم والصلة لغير « أل » الموصولة ؛ فيجب تقديره فيهما فعلاً ، لأن جملتى القسم والصلة لغير « أل » ، لا تكونان هنا إلا جملتين فعليتين^(٣) ، ولن يتحقق هذا إلا بتعلق شبه الجملة بفعل محذوف ، لا بغيره .

وقد سبق أن أوضحنا جواز القول - تيسيراً - بأن الجار والمجرور إذا وقعا صفة ، أو صلة ، أو خبراً ، أو حالاً ؛ هما الصفة ، أو الصلة ، أو الخبر ، أو الحال ، من غير نظر للعامل ، ولا اعتباره واحداً من تلك الأشياء^(٤) .

ولما كانت العلاقة بين العامل (المتعلق به) ، والجار مع مجروره على ما ذكرنا من الارتباط المعنوى الوثيق - وجب أن ننبه عند التعليق ؛ فنميز العامل الذى يحتاج إلى الجار مع المجرور لتكملة معناه ، من غيره الذى لا يحتاج ؛ فنخص الأول بتعلقهما به ، ونعطيه ما يناسبه ، دون سواه من العوامل التى لا يصح التعلق بها ؛ إما

(١) الرفاء (بكسر الراء المشددة) هو : التوافق ، والالتئام ، وعدم الشقاق .

(٢) وهو رأى يحسن اليوم إغفاله قدر الاستطاعة . لما يقع فيه من بلبلة .

(٣) كما فى هامش ص ٤٤٧ وما بعدها .

(٤) سبق هذا فى ص ٢٤٨ وفى ج ١ ص ٢٧٢ ، ٣٤٦ وسيجيء فى رقم ٣ من هامش ص ٤٤٥

و ٤٤٧ كلام هام فى هذا .

بسبب الاكتفاء بمعنى العامل دون احتياج إلى الجار مع مجروره ، وإما بسبب فساد المعنى المراد من العامل إذا تعلقا به .

بيان ذلك : أن الكلام قد يشتمل على عدة أفعال أو غيرها مما يشبهها ؛ فيتوهم من لا فطنة له أن التعلق بكل واحد منها جائز ؛ فيسارع إلى التعليق غير مثبت من حاجة العامل لهذا التعليق ، في استكمال المعنى أو عدم حاجته ، وغير ملتفت إلى ما يترتب عليه من فساد المعنى أو عدم فساده ؛ كما يتضح من الأمثلة التالية :

« جلست أقرأ في كتاب تاريخي » . . . فلو تعلق الجار والمجرور : « في

كتاب » بالفعل : « جلس » لكان المعنى : جلست في كتاب . . . ، وهذا واضح الفساد . لكن يستقيم المعنى لو تعلقا بالفعل : « أقرأ » . فيكون : أقرأ في كتاب تاريخي ..

« قاس الطبيب حرارة المريض ، وكتبها ، بمقياس الحرارة » . فلو تعلق الجار

والمجرور بالفعل : « كتب » لكان المعنى : كتب الطبيب حرارة المريض بمقياس

الحرارة . وهذا غير صحيح ؛ لأنه لا يحصل ، وإنما يصح المعنى بتعلقهما

بالفعل : « قاس » ؛ إذ يكون الأصل : قاس الطبيب بمقياس الحرارة — حرارة

المريض . وهذا معنى سليم .

ويقول الرصافي :

جهلتُ كجهلِ الناسِ حكمةَ خالقِ على الخلقِ طُرّاً بالتعاسةِ حاكمِ
وغايةَ جهدى أنى قد عليمْتُه حكيماً ، تعالى عن ركوبِ المظالمِ

فلو تعلق الجار والمجرور : (على الخلق) بالفعل : « جهل » لأدى هذا

التعلق إلى فساد شنيع في المعنى ؛ إذ يكون التركيب : جهلت على الخلق جميعاً

أى : تكبرت عليهم ، وأسأت إليهم . وهذا غير المراد ، وكذلك لو تعلقا بالمصدر :

« جهل » أو : « حكمة » . . . ، أما لو تعلقا بالوصف المشتق : « حاكم » فإن

المعنى يستقيم ، ويتحقق به المراد ، إذ يكون التركيب . . . حاكم على الخلق طرّاً

بالتعاسة . . . ، ومثل هذا يقال في الجار والمجرور : « بالتعاسة » .

ويقول الشاعر :

عُداتك منك في وجلٍ وخوفٍ يريدون المعامل والحصونا . . .

فلو تعلق الجار ومجروره (منك) بكلمة : « عُداة » ^(١) لفسد المعنى ، بخلاف

(١) جمع : عادٍ ، بمعنى ظالم . (فهو عامل مشتق) .

تعلقهما بكلمة : « وجَلَّ » فإن المعنى معه يكون : عداتك في وجل منك . . . وهو معنى مستقيم .

ومن الأمثلة السالفة يتبين أن متعلقهما قد يكون متأخراً عنهما ، أو متقدماً عليهما ؛ فليس من اللازم أن يتقدم عليهما العامل الذى يتعلقان به . وقد اجتمع الأمران في قول الشاعر :

بالعلم والمال بينى الناسُ ملكهُمُ لم يُبْنِ مُلك على جهل وإقلال
وفي قول الآخر :

لئن لم أقمُ فيكم خطيباً فإننى بسبق إذا جدَّ الوغى لخطيب . . .
فالمراد : بينى الناس ملكهم بالعلم والمال . . . لم يبن الناس ملكهم على جهل وإقلال - لئن لم أقم فيكم خطيباً فإننى لخطيب بسبق^(١) . . .

فالواجب يقتضى - فى كل الأحوال - أن نبحت لحرف الجر الأصلى^(٢) مع مجروره عن « العامل » المناسب لهما - ولا سيما إذا تعددت حروف الجر ومجرواتها ، وتعددت معها الأفعال وأشباهها^(٣) - وأن نميزه ونستخلصه من غير المناسب ؛ ولا نتأثر فى اختياره بقربه من الجار والمجرور ، أو بعده عنهما ، أو تقدمه عليهما أو تأخره ، أو ذكره ، أو حذفه^(٤) . وإنما نتأثر بشيء واحد ؛ هو

(١) وكذلك فى قول الشاعر :

الغنى فى يد اللئيم قبيح مثل قُبْح الكريم فى الإملاق

وقوله الآخر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(٢) وشبهه ، إلا الحرف الأصلى اللام ، وكذا : « على » الذى للإضراب فكلاهما يصح ألا يتعلق ،

(كما سبق فى رقم ٣ من هامش ٤٣٦ ، ورقم ١ من هامش ٣٣٩ طبقاً للبيان الآتى فى رقم ٨ من ص ٥١٠) .

(٣) الكثير ألا يتعلق حرفان للجر بعامل واحد إذا كانا بمعنى واحد كالى فى مثل : مرت

بالوالد بالإخ ؛ حتى لقد منع بعض النحاة هذا التعليق : منعاً باتاً .

أما عند اختلاف معنى الحرفين فيجوز تعلقهما بعامل واحد ؛ نحو : كتبت بالقلم بالصحيفة .

والحق أن المنع القاطع المطلق مخالف لظاهر كلام الزمخشري فى قوله تعالى : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » فإنه يفيد الجواز مع كون معنى الحرفين : (من « الأولى والثانية » واحداً ؛

ذلك لأن الحرف الثانى إنما يتعلق بالفعل بعد تقييده بالأول ، والأول إنما تعلق به فى حال الإطلاق

(راجع شرح التصريح وحاشية ياسين ج ١ باب الحال عند الكلام على الحال مع صاحبها) .

(٤) وقد اجتمع الذكر والحذف فى قولهم : « من أشار على أخيه بشيء يعلم أن الرشد فى غيره

فقد خانته » أى : موجودة فى غيره .

ما يكون بين العامل وبينهما من ارتباط معنوي يحتم اتصاليهما به بطريقة تعلقهما به مع ملاحظة الرأي المشهور ؛ وهو : أن شبه الجملة بنوعيه لا يتقدم على عامله المؤكد بالنون^(١).

وفي هذه الحالة التي يتم فيها الجار والمجرور المعنى مع عاملهما يسميان « شبه الجملة^(٢) التام » فإن لم يكتمل بهما المعنى (وقد يكون ذلك لعدم اختيار « المتعلق به » المناسب) سُمِّيَا : « شبه الجملة الناقص » ، نحو : محمد عنك - الشمس حتى اليوم - النهر يك فهذه تراكيب فاسدة ، بخلاف : محمد في البيت - الشمس على خط الاستواء - النهر لنا^(٣).

(١) انظر البيان في ٣ من هامش ص ١٠١ .

(٢) شبه الجملة قسمان : الظرف ، والجار مع مجروره . وفي باب الصلة . خاصة - يعتبر الوصف الواقع صلة « أل » بمنزلة شبه الجملة . (وقد تقدم إيضاح هذا في الجزء الأول عند الكلام على أنواع الصلة . وسيجيء في الهامش بعد هذا مباشرة بيان العلامة التي تميز شبه الجملة التام المفيد عما ليس تاماً ولا مفيداً) . (٣) من المستحسن أن نلخص ما سبق متناثراً (هنا في ص ٢٤٥ وما بعدها ، و ١٦ في باب « الموصول » ، و « المبتدأ والخبر ») خاصاً بشبه الجملة ؛ من ناحية التعلق ، وجوب حذف العامل أو جوازه ، وشبه الجملة التلقو والمستقَر وما يصحب كل هذا من أحكام هامة . ولئما نعيد بمناسبة الكلام على حروف الجر ، لأن الجار مع مجروره أحد الشطرين اللذين يسميان : « شبه الجملة » ، والشطر الآخر هو : « الظرف » - ويطلقه بعض القدماء على الشطرين - ويزاد عليهما صلة « أل » خاصة (كما سبق في رقم ٢) فأنسب مكان لتسجيل كل ما يختص بشبه الجملة هو : « باب الظرف » ، و « باب حروف الجر » . وإلى هذين البابين - قبل غيرهما - يتجه نظر الباحث في « شبه الجملة » : حيث يجب أن يتجمع ويتركز في كل باب ما يناسبه من أحوال شبه الجملة ، وأحكامه ، دون الاعتماد على المتفرق في الأبواب الأخرى ، لمناسبات ظاهرة .

الأصل المتفق عليه بين النحاة أن العامل في الظرف ، وفي الجار مع مجروره يقع بنفسه في مواقع إعرابية مختلفة ؛ منها : الصلة ، والصفة ، والخبر ، والحال فهل يقع شبه الجملة نفسه في تلك المواقع الإعرابية بدلا من عامله ، ويحل محله ؟

لا مانع من هذا في رأي حسن لفريق من قدامى النحاة ، بشرط أن يكون العامل في شبه الجملة بنوعيه محذوفاً ، وبشرط أن يكون كل منهما مفيداً بعد حذف العامل الذي يتعلّق به - مع ملاحظة أن الذي يتعلّق من أنواع الجار مع مجروره هو حرف الجر الأصلي مع مجروره وشبه الأصلي ، دون حرف الجر الزائد وشبهه مع مجرورها ، وأوضح علامة تدل على وجود الفائدة المطلوبة من الظرف ومن الجار مع مجروره هو أن يُفهم متعلقهما المحذوف بمجرد ذكرهما ، ويتحقق هذا في صورتين :

الأولى : أن يكون هذا المتعلق المحذوف شيئاً يدل على مجرد الوجود العام ، أي : الوجود المطلق دون زيادة معنى آخر . وهذا يسمى : « الاستقرار العام » أو : « الكون العام » ومعناها : مجرد الوجود ؛ =

ملاحظة :

المشهور أن شبه الجملة التام بنوعيه (الظرف ، والجار مع مجروره) إذا وقع

= ففى نحو : (تكلم الذى عندك) - أى : الموجود عندك - لا يفيد الظرف : « عند » شيئاً أكثر من الدلالة على وجود الشخص وجوداً مطلقاً من غير زيادة شئ آخر على هذا الوجود ؛ كالأكل ، أو الشرب ، أو القراءة ، أو سواها . . وهذا هو « الوجود العام » ، أو : « الاستقرار العام » أو : « الكون العام » كما قلنا ، ولا يحتاج فى فهمه إلى قرينة ، أو غيرها . وكذلك نحو : (سكت الذى فى الحجرة) أى : الموجود فى الحجرة وجوداً مطلقاً غير مقيد بزيادة شئ آخر ؛ كالنوم ، أو الضحك ، أو المشى . وكذلك غيرهما من الأمثلة .

ولأن هذا الكون العام واضح « ومفهوم » يدها - طبقاً للبيان الهام الذى سبق فى ص ٢٤٦ - وجب حذفه فى مسائل ؛ منها ما ذكرناه ، وهو : أن يقع صلة ، أو صفة ، أو خبراً ، أو حالاً . . ؛ إذ لا داعى للإطالة بذكره من غير حاجة إليه .

الثانية : أن يكون متعلقهما أمراً خاصاً محذوفاً جوازاً لوجود ما يدل عليه . ويظهر المتعلق الخاص فى المثالين السابقين بأن نقول : تكلم الذى وقف عندك ، وسكت الذى نام فى الحجرة . فكلمة : « وقف » أو : « نام » تؤدى معنى خاصاً هو : الوقوف ، أو : النوم . ولا يمكن فهمه إلا بذكر كلمته فى الجملة ، والتصريح بها . فليس هو مجرد حضور الشخص ، ووجود المطلقين ؛ وإنما هو الوجود والحضور المقيدان بالوقوف أو بالنوم . ولهذا لا يصح حذف المتعلق الخاص إلا بدليل يدل عليه وعندئذ يجوز حذفه ؛ مثل : قعد صالح فى البيت ومحمود فى الحديقة ؛ فتقول : بل صالح الذى فى الحديقة . تريد : بل صالح الذى قعد فى الحديقة ؛ فإن حذف المتعلق الخاص بغير دليل كان الظرف والجار مع مجروره غير تامين ؛ فلا يصلحان للصلة ، ولا لغيرها مما سبق ؛ مثل : هذا الذى أمامك ، أو : منك . تريد هذا الذى غضب أمامك ، أو : غضب منك . ومثل : غاب الذى اليوم . . . أو : الذى بك . تريد : غاب الذى حضر اليوم ، والذى استعان بك . فالمتعلق العام المطلق قد زيد عليه هنا ما جعله خاصاً مقيداً ، فلا يصح حذفه إلا بقرينة .

وظرف المكان هو الذى يكون متعلقه فى الصلة كوناً عاماً واجب الحذف ، أو كوناً خاصاً واجب الذكر إلا عند وجود قرينة ؛ فيجوز معها حذفه أو ذكره . أما ظرف الزمان فلا يكون متعلقه إلا خاصاً ؛ فلا يجوز حذفه إلا بقرينة ، وبشرط أن يكون الزمن قريباً من زمن الكلام ، نحو : نزلنا المنزل الذى البارحة ، أو : أمس ، أو آنفاً ، (أى : فى أقرب ساعة ووقت منا) . تريد : الذى نزلناه البارحة ، أو أمس ، أو آنفاً . فإن كان زمن الظرف بعيداً من زمن الإخبار بمقدار أسبوع مثلاً ، لم يحذف العامل ؛ فلا تقول يوم الأربعاء : نزلنا المنزل الذى يوم الخميس أو يوم الجمعة .

ولم أطلع على تحديد النحاة للزمن القريب أو البعيد ؛ ولكن قد يفهم من أمثلتهم أن القريب هو ما يتجاوز يومين ، وأن البعيد ما زاد عليهما . وربما كان عدم التحديد مقصوداً منه ترك الأمر للمتكلم والسامع .

وشبه الجملة بنوعيه يسمى : « مستقراً » (بفتح القاف ، والمراد : مستقر فيه) حين يقع متعلقه « كوناً عاماً » يفهم بدون ذكره . ويسمى : « لغواً » حين يقع متعلقه « كوناً » مذكوراً أو محذوفاً لقرينة تدل عليه . وإنما سمي « مستقراً » لأمرين - سبقت الإشارة إليهما فى ص ٢٤٦ و ٢٥٠ ؛ لاستقرار معنى عامله فيه ؛ أى : فهمه منه ، ولأن حين يصير خبراً - مثلاً - ينتقل إليه الضمير من عامله المحذوف ، ويستقر فيه ، وبسبب هذين الأمرين استحق عامله الحذف وجوباً . وسمى « لغواً » لأن وجوده ضئيل =

بعد نكرة محضة وجب إعراب متعلقه (عامله) نعتاً . وإذا وقع بعد معرفة محضة

= الأثر مع وجود عامله : إذ لا يستقر فيه معنى عامله ، ولا يتحمل ضميره . وفي هذه الحالة يكون العامل الملفوظ به في الجملة هو الخبر ، أو الصفة ، أو الصلة ، أو الحال . . . أو . . . ، ويجب ذكره ، ولا يجوز حذفه إلا لقريئة . ولو حذف لوجودها لكان - مع حذفه أيضاً - هو الخبر أو الصفة ، أو الصلة ، أو الحال . . . فلا يصح - في رأى الكثرة - في حالى ذكر الكون الخاص أو حذفه أن يكون الظرف أو الجار مع مجروره خبراً ، أو نعتاً ، أو واحداً مما سبق . وهذا نوع من التشدد لا داعى له ؛ إذ لا مانع هنا أن نعرب شبه الجملة بنوعيه هو الخبر ، أو الصفة ، أو الصلة ، أو الحال ، أو غيرها . وذلك عندما يحذف جوازاً عامله المعروف ، لأن هذا الإعراب جائز في شبه الجملة الذى حذف عامله العام وجوباً - كما سيجى - فلم لا يجوز هنا ؟

ويتضح مما سبق أن شبه الجملة بنوعيه لا بد أن يدل في أصله على : « الوجود المطلق » ، ثم يمتاز القلوب بدلالته - فوق هذا - على معنى خاص ؛ كالشئ ، أو الحركة . . . وغيرها مما يزداد عليه فيجعله خاصاً مقيداً ، بعد أن كان عاماً مطلقاً . ويتضح أيضاً أن الكون العام واجب الحذف مع شبه الجملة ؛ إذ لا فائدة من ذكره ؛ ولا خفاء ، ولا لبس بحذفه ، ولائتنقال الضمير منه إلى شبه الجملة . وأن الكون الخاص يجب ذكره حتماً ؛ لعدم وجود ما يدل عليه عند حذفه - فإن وجدت قريئة تدل عليه وتبينه صرح بحذفه - مثل : الفارس فوق الحصان ، أى : راكب فوق الحصان ، ومن لى بفلان ؟ أى : من يتكفل لى بفلان ؟ والبحترى من الشعراء ؛ أى : معدود منهم . ومثل قوله تعالى فى القصص : (الحرّ بالحرّ) على تقدير : الحرّ مقتول بالحرّ ؛ لأن تقدير الكون العام فى الأمثلة السابقة لا يؤدى المعنى المراد . والمتعلق الخاص المحذوف لوجود قريئة تدل عليه هو الذى يعرب عندهم - كما سبق - خبراً ، أو صفة ، أو صلة ، أو حالاً . . . لا شبه الجملة . وبالرغم من حذفه فإنه لا يخرج شبه الجملة - فى رأيهم - عن اعتباره : « لغواً » . ولا يتناقض مع ما هو ثابت له من أنه : « كون خاص » . فالعمل عليه عندهم فى الحكم باللغو راجع إلى خصوص الكون ، وأنه ليس بمعام ؛ سواء أذكر الكون الخاص أم حذف لقريئة ، وفى الحكم بالاستقرار إلى عموم الكون ، وأنه ليس بخاص .

وينتقلون بعد هذا إلى تقسيمات وتفرعات شاقة ، وأدلة جدلية مرهقة فى إثبات تلك الأقسام والتفروع وفى المفاضلة بين أن يكون المتعلق المحذوف فعلاً أو اسماً ؛ وغير هذا مما لا حاجة إليه اليوم ، ولا ضرر من إهماله ، بل الخير فى إهماله ، وفى الاقتصاد - عند حذف العامل - على إعراب الظرف ، والجار مع مجروره هو : الخبر ، أو الصفة ، أو الصلة ، أو الحال . . . وهو رأى لبعض السابقين ، ولا داعى للتشدد فى البحث عن نوع العامل المحذوف مع عدم الحاجة إليه ، ولا للتمسك بأنه هو الخبر ، أو الصفة . . . أو . . . ، ولا خير فى ركوب الشطط لإظهار آثاره ، لأن المعنى جلى كامل بنونه . إن ذلك التشدد هو صورة من الجانِب المغيِب فى نظرية العامل النافعة الجميلة . ولم الإعانت وفى استطاعتنا التخفيف والتيسير بتبير إفساد ؟

وقد دعا لهذا بعض القدامى - كما أشرنا - ، وكما ورد فى كثير من المراجع الكبيرة ، كالمفصل وغيره . يقول صاحب المفصل (١٦ ص ٩٠) عند الكلام على أقسام الخبر ما نصه :
(اعلم أنك لما حذف الخبر الذى هو : « استقر » أو : « مستقر » ، وأقمت الظرف مقامه =

وجب إعرابه حالا . أما إذا وقع بعد نكرة غير محضة ، أو معرفة غير محضة فيجوز

= على ما ذكرنا - صار الظرف هو الخبر ، والمعاملة معه [يريد أن الآثار اللفظية والمعنوية في الجملة قد انتقلت إليه) وهو مغاير المبتدأ في المعنى . ونقلت الضمير الذي كان في الاستقرار إلى الظرف ، وصار مرتفعاً به ؛ كما كان مرتفعاً بالاستقرار ؛ ثم حذفت الاستقرار ، وصار أصلاً مرفوضاً لا يجوز إظهاره ؛ للاستغناء عنه بالظرف . وقد صرح ابن جني بجواز إظهاره . والقول عندي أنه بعد حذف الخبر الذي هو الاستقرار ، ونقل الضمير إلى الظرف - لا يجوز إظهار ذلك المحذوف لأنه قد صار أصلاً مرفوضاً فإن ذكرته أولاً وقلت زيد استقر عندك - لم يمنع منه مانع .

واعلم أنك إذا قلت : « زيد عندك » . فعندك ظرف منصوب بالاستقرار المحذوف ؛ سواء أكان فعلاً : أم اسماً ، وفيه ضمير مرفوع ، والظرف وذلك الضمير في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ . وإذا قلت : زيد في الدار ، أو : من الكرام ، فالجار والمجرور في موضع نصب بالاستقرار على حد انتصاب . « عندك » إذا قلت : زيد عندك . ثم الجار والمجرور والضمير المنتقل في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ . . .) ١ هـ .

وهو يشير بقوله : « الجار والمجرور في موضع نصب بالاستقرار . . . » إلى ما هو معروف في الاصطلاح النحوي من أن المجرور بحرف جر أصلي وشبهه هو « مفعول به » في المعنى ، وحرف الجر أداة لتوصيل أثر الفعل إليه - (كما شرحنا أول الباب ، ص ٤٣٩ وفيما سبقه من ص ١٥١ و ١٥٩ و ٠٠٠) .

وعلى هذا يكون ما يدور على الألسنة اليوم عند الإعراب من أن الظرف ، أو الجار مع مجروره هو الصلة ، أو الصفة ، أو الخبر ، أو الحال . . . أمراً سائفاً مقبولاً ، ورأياً لبعض القدائى يحمل طابع التيسير والاختصار .

فإن وقع أحدهما في تلك المواضع فقد يتعلق بشئ مذكور يصلح للتعلق ، كالفعل ونحوه . . . وقد يتعلق بفعل محذوف أو بمشتق ، أو غيره مما يصح التعلق به . ولا يتحتم أن يكون المحذوف فعلاً إلا حين يقع صلة ، - لغير « أل » - لأن الصلة لا تكون إلا جملة (والوصف المشتق مع مرفوعه ليس جملة ، ولا يكون صلة لغير « أل » ، كما عرفنا في باب الموصول) ، وكذلك يتحتم أن يكون فعلاً في حالة القسم الذي حذف عامله ؛ لأن جملة القسم أيضاً لا بد أن تكون فعلية - كما سبق في ص ٤٤٢ - .

وما تجر ملاحظته أن شبه الجملة بشويعه (الظرف ، والجار الأصلي مع مجروره) إذا تعلق بفعل مؤكد بالنون لم يجوز أن يتقدم على هذا الفعل في الرأي المشهور دون الرأي الآخر - طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ٣ هامش ص ١٠١ ، وأشرنا إليه في أول ص ٤٤٥ - .

وإذا أخذنا بهذا الرأي السهل اليسير كانت تسمية الظرف والجار مع مجروره « شبه جملة » إنما هي من قبيل الإبقاء على التسمية القديمة ، ومراعاة أصلها السابق ، أو : لأن كلا من الظرف والجار مع مجروره ليس مفرداً في الحقيقة ، بل هو مركب ؛ إذ يحمل معه الضمير المستتر الذي انتقل إليه من العامل المحذوف على الوجه الذي بسطناه .

أما التسمية القديمة وأصلها السابق فقد أوضحناهما من قبل بما ملخصه :

أن الظرف أو الجار مع المجرور ليس هو الخبر ، ولا الصفة ، ولا الصلة ، ولا الحال ، و . . . =

إعرابه في كل صورة من الصورتين ، حالا ، أو نعتاً . لكن يقول بعض المحققين إن متعلق شبه الجملة يصلح أن يكون حالا أو نعتاً في جميع الصور ؛ سواء أكانت النكرة والمعرفة محضتين أم غير محضتين ، ما عدا صورة واحدة يتعين أن يكون شبه الجملة فيها نعتاً ، هي : أن تكون النكرة محضة . ورأيه حسن . وقد سبق إيضاحه التام وتفصيله^(١) .

وحروف الجر السابقة كلها أصلية خالصة ، إلا أربعة ؛ هي : « من » ، و « الباء » و « اللام » و « الكاف » فهذه الأربعة تستعمل أصلية حيناً ، وزائدة حيناً آخر ، وإلا « لعل » و « رُبَّ » ؛ فإنهما حرفاً جرّاً شبيهان بالزائد ، وكذا : « لولا » في رأى أشرنا إليه من قبل^(٢) . ومن النحاة من يجعل : خلا ، وعدا ،

= و . . . في رأى جمهورهم . وإنما الخبر وغيره في الحقيقة لفظ آخر محذوف يتعلق به الظرف والجار الأصلي مع مجروره ؛ إذ لا مهمة لشبه الجملة إلا إتمام المعنى في غيره ، لهذا لا بد لنوعيه أن يتعلقا بفعل أو بما يشبهه ؛ ليتم بهما المعنى — للأسباب الموضحة في أول هذا الباب ، وفي باب الظرف — ، والمحذوف قد يكون فعلاً فقط (أما فاعله الضمير فقد تركه واستقر في شبه الجملة) وقد يكون — في غير الصلة والقسم — شيئاً آخر ، فإن لم يوجد في الكلام ما يصلح أن يقع عاملاً يتعلق به الظرف أو الجار الأصلي مع مجروره كما في مثل : الفزال في الحقيقة ، فأين العامل ؟ فلما كان يتعلق واجباً وكان شبه الجملة غير صالح لأن يكون هو المبتدأ في المعنى — كالشأن في الخبر — ، وكان العامل غير موجود ؛ وجب تقديره محذوفاً ؛ إما فعلاً مع فاعله (أى : جملة فعلية ، مثل : استقر ، أو : ثبت ، أو : حصل ، أو كان ، بمعنى : وُجد ، وهى التامة) . . . وإما اسماً مشتقاً ؛ مثل : « مستقر » ، أو : « كائن » المشتقة من « كان » التامة ، وطوا اسماً آخر يصلح عاملاً . وإما النسبة (أى : الإسناد طبقاً لما هو مشروح في رقم ٢ من هامش ص ٤٤١) . فليس الخبر — أو غيره . . . — عندهم هو الظرف نفسه ، أو الجار مع مجروره مباشرة ؛ وإنما الخبر هو المحذوف ، ويتعلق به كل واحد من هذين . ولما كان كل منهما صالحاً لأن يتعلّق بالفعل المحذوف ، ويدل عليه وعلى فاعله بغير خفاء ولا لبس — كان شبه الجملة بمنزلة النائب عنهما ، والقائم مقامهما ، والفعل مع فاعله جملة ، فما ناب عنها وقام مقامها — شبه بها ، لذلك أسموه : « شبه الجملة » .

وأصحاب هذا رأى يقولون إن الضمير الذى كان فاعلاً للعامل المحذوف قد انتقل بعد ذلك كله إلى شبه الجملة ، أى : بعد أن تمت المشابهة . وبسبب انتقال الضمير إلى شبه الجملة ، وصحة تعلقه بالمشتق سموه : « شبه الوصف » أيضاً — كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٣٧٣ وفي رقم ١ من هامش ص ٣٨٢ — وقد أوضحنا سبب تعلق الظرف ، وطريقته وما يتصل بهذا في باب من هذا الجزء — ص ٢٤٥ وما بعدها وكذا في ج ١ ص ٣٥ و ٤٣١ — كما أوضحنا هنا في هذا الباب أمرهما مع الجار والمجرور .

(١) في ج ١ ص ١٩٢ و ١٩٤ حيث البيان الكامل .

(٢) رقم ٢ من هامش ص ٤٣١ م ٨٩ وتفصيل هذا في الجزء الأول عند الكلام على : « الحرف » ص ٤٣ وما بعدها م ٥ .

وحاشا ، من حروف الجر الشبيهة بالزائدة . لكن لا داعى للعدول عن اعتبارها حروفاً أصلية ؛ - كما سبق^(١) في باب الاستثناء - . وسيجىء تفصيل الكلام عن معانى حروف الجر وعملها في الموضوع الخاص بهذا من الباب^(٢) .

* * *

القسم الثانى : حرف الجر الزائد^(٣) زيادة محضة^(٤) وهو الذى لا يجلب معنى جديداً ، وإنما يؤكد ويثبى المعنى العام فى الجملة كلها ، فشأنه شأن كل الحروف الزائدة ؛ يفيد الواحد منها تأكيد المعنى العام للجملة كالذى يفيد تكرار تلك الجملة كلها . سواء أكان المعنى العام إيجابياً أم سلبياً ، ولهذا لا يحتاج إلى شىء يتعلق به ، ولا يتأثر المعنى الأصلى بحذفه ، نحو : كفى بالله شهيداً ، بمعنى : يكفى الله شهيداً ؛ فقد جاءت « الباء » الزائدة لتفيد تقوية المعنى الموجب وتأكيد به ؛ فكأنما تكررت الجملة كلها لتوكيد إثباته وإيجابه . ومثل : ليس من خالق إلا الله أى : ليس خالق إلا الله ، فأتينا بالحرف الزائد : « من » : لتأكيد ما تدل عليه الجملة كلها من المعنى المنفى ، وتقوية ما تتضمنه من السلب . ولو حذفنا الحرف الزائد فى المثالين ما تأثر المعنى بحذفه^(٥) .

ولا فرق فى إفادة التأكيد بين أن يكون الحرف الزائد فى أول الجملة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها ؛ نحو : بحسبك الأدب - كفى بالله شهيداً - الأدب بحسبك . . .

وقد تكون زيادة الحرف واجبة لا غنى عنها كزيادة « باء الجر » بعد صيغة « أفعل » للتعجب القياسى ؛ نحو : أكرم بالعرب^(٦) .

(١) فى رقم ٤ من هامش ص ٣٥٥ . (٢) ص ٤٥٥ وما بعدها .

(٣) أشرنا فى رقم ٣ من هامش ص ٤٣٤ إلى الموضوع الذى يشتمل على بيان المراد من « اللفظ الزائد » - سواء أكان اللفظ حرفاً أم غير حرف - وأن ذلك الموضوع هو : ج ١ م ٥ ص ٦٦ و ٧٠ . (٤) هناك « اللام الجارة » قد تكون زيادتها لتقوية عاملها فتكون زيادتها شبيهة بالمحضة - (كما

سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٤٣٥ ، ويحىء البيان فى ص ٤٧٥)

(٥) ومن أمثلة زيادتها لتقوية المعنى المنفى قول الشاعر :

ولست براض عن حياة ذليلة ولا بدّ للأحرار من موطن حرّ

(٦) بشرط دخولها على اسم صريح ، لا مؤول من أن وأن وصلت - كما سيجىء عند الكلام على « الباء » فى حروف الجر - رقم ١٤ من ص ٤٩٤ - . وانظر رقم ١ هامش ص ١٦٣ ، ثم رقم ٤ من هامش ص ٥٣٢ للأهمية .

وإنما لم يتعلق الجار الزائد مع مجروره بعامل لأن التعلّق والزيادة متعارضان ؛ إذ الداعي للتعلق هو الارتباط المعنوي بين عامل عاجز ، ناقص المعنى ، واسم يكمل هذا النقص ، ولا يصل إليه أثر ذلك العامل إلا بمساعدة حرف جرّ أصلي . - وشبهه - ، أما الزائد فلا يدخل الكلام ليعين على الإكمال ، وإيصال الأثر من العامل العاجز إلى الاسم المجرور ، وإنما يدخل الكلام لتأكيد معناه القائم ، وتقويته كله ، لا للربط .

طريقة إعراب المجرور بالحرف الزائد :

لا بد من أمرين معاً في الاسم المجرور بالحرف الزائد ؛ أن يكون مجروراً في اللفظ ، وأن يكون - مع ذلك - في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ؛ على حسب مقتضيات العوامل . فله إعراب لفظي ، معه آخر محلي . ففي مثل . « كفى بالله شهيداً » تعرب « الباء » حرف جر زائد - « الله » مجرور بها ، في محل رفع ، لأنه فاعل ، إذ الأصل : كفى الله . . .

وفي مثل : « بحسبك الأدب » . « الباء » : حرف جرّ زائد ، « حسب » مجرورة بها ، في محل رفع ؛ لأنها تصلح مبتدأ ؛ إذ الأصل : حسبك الأدب ... وهكذا . فحرف الجر الأصلي والزائد يشتركان في أمر واحد ، هو : أن كل منهما لا بد أن يجر الاسم بعده . ويختلفان في ثلاثة أمور :

١ - في أن الحرف الأصلي لا بد أن يأتي بمعنى فرعيّ جديد لم يكن في الجملة قبل مجيئه ، أما الحرف الزائد فلا يأتي بمعنى جديد ، وإنما يؤكد ويقوى المعنى العام الذي تتضمنه الجملة كلها قبل مجيئه .

٢ - والحرف الأصلي مع مجروره لا بد أن يتعلّق^(١) بعامل محتاج إليهما في تكملة معناه وإيصال أثره إلى الاسم المجرور . أما الحرف الزائد ومجروره فلا يتعلقان .

٣ - والحرف الأصلي يجر الاسم بعده لفظاً دون أن يكون لهذا الاسم محل آخر من الإعراب^(٢) ، وتوابعه مجرورة اللفظ مثله ، ولا محل لها . أما الزائد فلا بد

(١) إلا الحرف : « على » الذي للإضراب . وكذا اللام الأصلية في بعض الآراء (انظر البيان

في ص ٤٣٦ ورقم ٣ من هامشها) .

(٢) أى : أنه ليس له إعراب محلي .

أن يحرك الاسم لفظاً ، وأن يكون له مع ذلك محل من الإعراب . وإذا جاء تابع لهذا الاسم المجرور جاز فيه أمران ؛ إما الجر مراعاة للفظ المتبوع ، وإما حركة أخرى يراعى فيها محل المتبوع لا لفظه ؛ ففي مثل : (كفى بالله القادرُ شهيداً) . يصح في كلمة : « القادر » الجر تبعاً للفظ « الله » المجرور لفظاً ، ويجوز الرفع تبعاً لمحلّه باعتباره فاعلاً . ومثل هذا يجري في سائر التوابع ؛ حيث يجتمع في التابع الإعراب اللفظي مع الإعراب المحلى .

وأشهر حروف الجر الزائدة هو الأربعة السالفة (مِنْ - الباء - اللام - الكاف . . .) وسيأتى معنى كل وعمله في المكان الخاص بذلك^(١) .

* * *

القسم الثالث : حرف الجر الشبيه بالزائد ، وهو الذى يحرك الاسم بعده لفظاً فقط ، ويكون له مع ذلك محل من الإعراب^(٢) - فهو كالزائد في هذا - ويفيد الحملة معنى جديداً مستقلاً ، لا معنى فرعياً مكملًا لمعنى موجود ، ولهذا لا يصح حذفه ؛ إذ لو حذفناه لفقدت الحملة المعنى الجديد المستقل الذى جلبه معه . لكنه لا يحتاج - مع مجروره - لشيء يتعلق به ، لأنّ هذا الحرف الشبيه بالزائد لا يُستخدم وسيلة للربط بين عامل عاجز ناقص المعنى ، واسم آخر يتمم معناه . ومن أمثلته : رَبٌّ - لعلَّ - (وكذا « لولاً » ، عند فريق من النحاة) . نحو : رَبٌّ غريبٌ شهمٌ كان أنفعَ من قريب - رب صديقٌ أمينٌ كان أوفى من شقيق . فقد جر الحرف : رَبٌّ ، الاسم بعده في اللفظ . وأفاد الحملة معنى جديداً مستقلاً هو : التقليل . ولم يكن هذا المعنى موجوداً .

(وسيجيء تفصيل الكلام على هذا الحرف من ناحية معناه وعمله وكل ما يتصل به في موضعه الخاص^(٣)) .

(١) ص ٤٥٥ وما بعدها .

(٢) سبقت الإشارة (في هامش ص ٣٥٥ و ٤٥٢) إلى أن الأفضل إهمال الرأى الذى يدخل : «خلا وعدا وحاشا» في حروف الجر الشبيهة بالزائدة ، لما فيه من تضيق وتعقيد لا داعى لهما . فاعتبارها حروف جر أصلية أيسر وأوضح .

(٣) انظر الكلام على : « رب » ص ٥٢٢ وما بعدها . وفي ص ٥٢٤ رأى آخر يجعل الحرف « رب » من حروف الجر التى تتعلق بعامل .

طريقة إعراب الاسم المجرور بحرف الجر الشبيه بالزائد :

حرف الجر الشبيه بالزائد يجر الاسم بعده لفظاً فقط ، ويكون لهذا الاسم محل من الإعراب ؛ فهو في هذا شبيه بالحرف الزائد — كما أسلفنا — في المثالين السابقين : تُعرب « رُبَّ » حرف جر شبيه بالزائد . وكلمة : « غريب » أو : « صديق » — مجرورة بها في محل رفع ، لأنها مبتدأ . وإذا جاء تابع لهذا الاسم المجرور جاز الجرّ مراعاة للفظ المتبوع . وجاز ضبطه بحركة تناسب محله . ففي المثالين السابقين نقول : رُبَّ غريبٍ شهمٌ كان أنفعَ من قريبٍ — رُبَّ صديقٍ مهذبٌ كان أوفى من شقيقٍ ؛ بجر كلمتي : « شهمٌ » و « مهذبٌ » مراعاة للفظ المنعوت ، أو رفعهما مراعاة لمحله .

مما سبق نعلم أن الشبيه بالزائد يشبه الأصلي في أمرين ؛ هما : جر الاسم بعده ، وإفادة الجملة معنى جديداً مستقلاً ؛ فلم يجز ليتم معنى عامله . ويخالفه في أمرين ؛ هما : عدم تعلقه هو ومجروره بعامل ، وأن لمجروره محلاً من الإعراب فوق إعرابه اللفظي بالجر .

وأن الشبيه بالزائد يشارك الزائد في أمور ثلاثة : هي ، جر الاسم لفظاً واستحقاق هذا الاسم للإعراب المحلى فوق إعرابه اللفظي بالجر ، وعدم حاجة الجار مع مجروره إلى متعلّق .

ويخالفه في أمر واحد ؛ هو : إتيانه بمعنى جديد مستقل — كما أسلفنا — أما الزائد فلا جديد في المعنى معه ، وإنما يستخدم لتأكيد معنى الجملة كلها .

تلك هي الأنواع الثلاثة من حروف الجر . وتتلخص أوجه المشابهة والمخالفة بين هذه الأنواع الثلاثة فيما يأتي :

الأحكام الخاصة بكل نوع				نوع الحرف
يحتاج مع مجروره لمتعلق . (أى : لعامل يتعلق به)	لا يكون للمجرور محل إعرابي آخر	يجر الاسم بعده لفظاً فقط	يأتى بمعنى جديد يكمل معنى عامله .	حرف الجر الأصلي وشبهه .
لا يحتاج مع مجروره لمتعلق .	يكون للمجرور محل إعرابي آخر مع ذلك الجر اللفظي .	يجر الاسم بعده لفظاً .	لا يأتى بمعنى جديد ، إنما يؤكد معنى الجملة .	حرف الجر الزائد زيادة محضة ^(١) .
لا يحتاج مع مجروره لمتعلق .	يكون للمجرور محل إعرابي آخر مع ذلك الجر اللفظي .	يجر الاسم بعده لفظاً .	يأتى بمعنى جديد مستقل .	حرف الجر الشبيه بالزائد .

(١) أما الذى زيادته غير محضة فايفساحه فى رقم ٢ من هامش ص ٤٣٥ ، وكذلك فى رقم ١٠ من ص ٤٧٥ حيث الكلام على « لام الجر » الزائدة للتوكيد ، أى : للتقوية .

المسألة ٩٠ :

د - معاني^(١) حروف الجر ، ووجوه استعمالها

المشهور من حروف الجر - عشرون ، سردنا ألفاظها^(٢) ، وأنواعها الثلاثة .
ونشير إلى أمرين :

أولهما : أن كل حرف من هذه العشرين ، قد يتعدد معناه ، وقد يشاركه غيره في بعض هذه المعاني ، أى : أن المعنى الواحد قد يؤديه حرفان أو أكثر . وللمتكلم أن يختار من الحروف المشتركة في تأدية المعنى الواحد أو غير المشتركة ، ما يشاء مما يناسب السياق . غير أن الحروف المشتركة في تأدية المعنى الواحد قد تتفاوت في هذه المهمة ، فبعضها أقوى على إظهاره من غيرها ، لكثرة استعمالها فيه ، وشهرتها به . وهذه الكثرة والشهرة ، تختلف باختلاف العصور والطبقات ومن ثمَّ كان من المستحسن - بلاغةً - اختيار الحرف الأوضح والأشهر وقت الاستعمال ، دون الحرف الغريب ، أو غير المألوف ، برغم صحة استعمال كل منهما استعمالاً قياسياً في المعنى الواحد . أما إذا اختلفت الحروف في أداء المعاني فيجب الاقتصاد على ما يؤدي المعنى المراد ، واختياره وحده ؛ ولهذا يجب تنويع حروف الجر وتغييرها على حسب المعاني المقصودة .

ثانيهما : أن بعض حروف الجر يكثر استعماله في الجر حتى يكاد يقتصر عليه ؛ مثل : من ، إلى ، عن ، على ، رُبَّ ، في ، . وبعضاً آخر يقل استعماله فيه ، وهذا ستة أحرف^(٣) هي : خلا - عدا - حاشا - كي - لعل - متى .

غير أن الذى يكثر استعماله في الجر والذى لا يكثر - سيان ، من ناحية أن

(١) سبقت إشارة إلى معنى الحرف ، (في رقم ٣ من هامش ص ٤٣٥ ورقم ١ من هامش ص ٤٣٦)
وسألنا هناك ؛ أليكون لجر معنى واحد يقتصر عليه ، أم له أكثر ؟

وهل ينوب بعض حروف الجر عن بعض ؟ وقلنا إن الإجابة عن هذا في ص ٤٥٥ .

(٢) في ص ٤٣١ م ٨٩ .

(٣) ولا يصح قصر عامل على حرف منها ، ولا حبس حرف منها على عامل - انظر البيان الخاص

في رقم ٤ من هامش ص ١٦١ -

استخدامهما قياسىً فى الموطن المناسب للمعنى، لا يمنع منه مانع ؛ حتى القلة المشار إليها ؛ فإنها ليست من النوع الذى يمنع القياس والمحاكاة ، إذ هى قلة نسبية لا ذاتية^(١) (أى : أنها تعتبر قليلة إذا قيس بالآخر الكثير ، وليست قليلة فى ذاتها ، بل كثيرة بغير تلك الموازنة) .

فأما الثلاثة الأولى من القسم القليل القياسى فقد سبق إيفائها حقها من الإبانة والتفصيل فى باب الاستثناء^(٢) .

وأما « كى » فحرف جر أصلى للتعليل لا يجر إلا أحد ثلاثة أشياء :

الأول : « ما » الاستفهامية التى يُسأل بها عن سبب الشئ وعلة ؛ كأن يقول شخص : قد لازمت البيت أسبوعاً . فيسأله آخر : كيّمه ؟^(٣) بمعنى : لِمَه ؟ أى : لماذا ؟ . ومثل : أقصدُ الريف كل أسبوع . فيقال : كيّمه ؟ أى : لِمَه ؟ .

و « كى » هذه تسمى : « كى التعليلية » ، لأنها تدخل على استفهام يُسأل به عن العلة والسبب — كما سبق — فهى بمنزلة اللام البخارة التى تسمى : « لام التعليل » فى معناها وعملها .

الثانى : « ما » المصدرية مع صلتها^(٤) ؛ فتجر المصدر المنسبك منها معاً ؛ مثل : أحسنُ معاملة الناس كى ما تسلمُ من أذاهم ، أى : لسلامتك من أذاهم . وتسمى : « كى المصدرية » : لجرها المصدر المنسبك من الحرف المصدرى مع صلتها ؛ فهى مثل « لام التعليل » معنى وعملًا .

الثالث : « أن » المصدرية مع صلتها^(٤) ؛ فتجر المصدر المنسبك منها

(١) انظر الأشمونى ج ٣ أول باب الإضافة عند بيت ابن مالك : « وربما أكسب ثان أولاً . . » وقد أشرنا إلى هذا المعنى فى مواضع مختلفة من أجزاء الكتاب ، (ومنها رقم ٢ من هامش ص ٣٨٦ ، ومنها مع الإيضاح ج ٣ رقم ١ من هامش ص ٦٤ م ٩٣ ورقم ٤ من هامش ص ٧٨ م ٩٤) .
(٢) ص ٣٥٧ م ٨٣ وأن الأفضل اعتبارها حروف جر أصلية ، لاشبيهة بالزائدة (كما أشرنا قريباً فى رقم ٢ من هامش ص ٤٥٢) .

(٣) أصل الكلام : كيّما ؟ أى : لما ؟ . ومن المعروف أن « ما » الاستفهامية إذا جرت تحذف ألفها ويحل محل الألف « هاء السكت » الساكنة ، بشرط أن تكون هذه الزيادة فى جالة الوقف على « ما » دون حالة اتصالها بما بعدها من الكلام .

(٤ و ٤) سبق تفصيل الكلام على « ما المصدرية بشوعها ، ومعناها ، وطريقة استعمالها ، وصوغ المصدر منها ، وكذا أن ، فى ج ١ باب الموصول ص ٢٦٩ م ٢٧ .

معاً ؛ والغالب في هذه الصورة إضمار « أن » بعد « كى » ؛ مثل : أحسن السكوت كى تحسن الفهم ، والأصل : كى أن تحسن الفهم ، فالمصدر المنسبك من « أن » المضمر وصلتها في محل جر بالحرف : « كى »^(١) ، وهى أيضاً مثل « لام التعليل » ، معنى وعملاً .

أى : أنها في المواضع الثلاثة السابقة تؤدي معنى واحداً وعملاً واحداً^(٢) . . .

وما تقدم نعلم أن : « كى » الجارة لا تجر اسماً معرباً ، ولا اسماً صريحاً .

وأما لعل^(٣) . فحرف جر شبيه بالزائد ، ومعناه الكثير هو : الترجى والتوقع^(٤) ؛

(١) هناك مذهب ؛ يجعل « كى » هى الناصبة المصدرية ، وقبلها لام التعليل مقدرة في هذا المثال وغيره مما لا يظهر فيه « أن » الناصبة ، (كما سيحىء في رقم ٢ هنا) ولا مانع من الأخذ به . وهو ملخص لما في ج ٤ باب إعراب الفعل : (قسم النواصب) .

(٢) يكثر في الأساليب الفصيحة القياسية إما وقوع لام الجر قبل : « كى » مباشرة ؛ مثل : تنقلت في البلاد ؛ لكى أستفيد خبرة . وإما وقوع « أن » المصدرية بعدها ، دون أن تسبقها لام الجر ، مثل : أتجنب السهر الطويل ؛ كى أن أحتفظ بقوى ونشاطي ، وإما أن تقع قبلها لام الجر وبعدها « أن » المصدرية (وهذه الصورة قليلة بالنسبة للسابقتين) مثل : أواظب على نوع من الرياضة البدنية ؛ لكى أن أفيد جسمي . فإن وجدت « لام » الجر وحدها قبل : « كى » وجب اعتبار « كى » حرفاً مصدرياً ناصباً بنفسه : فيكون مثل « أن » المصدرية ؛ معنى وعملاً ؛ لأن حرف الجر لا يدخل - في الغالب - على مثله إلا لتوكيد لفظي . وإن وقعت بعدها : « أن » المصدرية ولم تسبقها « لام » الجر وجب اعتبارها حرف جر كـ « لام » التعليل معنى وعملاً - لأن الحرف المصدرى - لا يدخل على نظيره إلا لتوكيد لفظي - في الغالب - وإن توسطت بينهما - وهذا قليل قياسي كما سبق - فالأحسن اعتبارها جارة للمصدر المنسبك بعدها مع تأكيدها للام الجر قبلها . ويجوز أن تكون مصدرية مؤكدة « بأن » بعدها ، والمصدر المنسبك مجرور باللام التى قبلها .

فإن لم توجد « لام » الجر قبلها ، ولا « أن » بعدها جاز اعتبارها مصدرية بتقدير « اللام » قبلها ، أو حرف جر بتقدير : « أن » بعدها . - راجع أحكامها في ج ٤ باب النواصب - .

(٣) تكثر فيها لغات أربع : إثبات اللام الأولى مفتوحة ، مع تشديد الثانية مفتوحة أو مكسورة ، وحذف الأولى مع تشديد الثانية مفتوحة أو مكسورة ؛ فهذه اللغات الأربع هى التى تستعمل بكثرة في الجر دون غيرها من باقى اللهجات . واستعمالها حرف جر مقصور على قليل من العرب . وهو - مع جوازه وقياسته - غير خفيف على الأسماع ، ولا سائغ اليوم ، لغرابته .

(٤) سبق (في الجزء الأول ، باب : « إن » - أن الترجى أو التوقع ، هو : انتظار حصول شيء مرغوب فيه ، ميسور التحقق ، ولا يكون إلا في الأمر الممكن . « ولعل » قد تكون أحياناً للتعليل ، أو : الظن . . .

نحو : لعل الغائبِ قادمٌ غدا ، فكلمة : « لعل » حرف جر شبيه بالزائد « الغائب » مجرور بها لفظاً في محل رفع مبتدأ ، « قادم » خبره . غداً ظرف زمان منصوب على الظرفية .

وأما « متى » فحرف جرّ أصلي^(١) ومعناه : الابتداء - غالباً - نحو : قرأت الكتاب متى الصفحة الأولى حتى نهاية العشرين . أى : من ابتداء الصفحة الأولى . . . فهي في تأدية هذا المعنى مثل « من الابتدائية » .
إلى هنا انتهى الكلام على الحروف التي تستعمل قليلا في الجر ، مع قياس استعمالها .

* * *

وننتقل إلى الكلام على الحروف الكثيرة الاستعمال فيه فنوضح المعاني القياسية لكل واحد ، وما قد يتصل بعمله .

ويلاحظُ ما سبق^(٢) ، وهو أن حرف الجر الأصلي حين يؤدي معنى فرعياً من المعاني التي ستذكر لا بد أن يقوم في الوقت نفسه بتعدية عامله اللازم إلى مفعول به معنى^(٣) . وهذا المفعول المعنوي هو الاسم المجرور بالحرف الأصلي .

من : حرف يجر الظاهر والمضمر ، ويقع أصلياً وزائداً ويتردد بين أحد عشر معنى :

١ - التبعض ، أى : الدلالة على البعضية ، وعلامتها : أن يكون ما قبلها

(١) يستعمله قليل من العرب دون كثيرهم ومن هذا القليل قبيلة : « هذيل » . ومن كلامهم : « أخرجها متى كمه : أى : من كمه » . وقول شاعرهم أبي ذؤيب الهذلي في وصف السحب المتركة فوق لجج البحر

شربن بماء البحر ثم ترفعَتْ متى لجج خضِرَ لهن نَشِيجٌ

- يريد : من لجج ... النشيج : الصوت العالي - وجاء في المصحح ج ٢ ص ٣٤ - ما نصه : (إنها تأتي بمعنى : « وسط » حكى : « وسطها متى كمه » أى : وسطه . وإذا كانت بمعنى « وسط » فهي اسم أو « من » فحرف ، جزم به ابن هشام وغيره) هـ .

ويرى بعض النحاة - كالفرّاء - أنها عند « هذيل » مقصورة على الإسمية الخالصة ، بمعنى : « وسط » . فإذا اقتصرنا على هذا الرأي فهي معربة ، وإن جرينا على الرأي الذي يجعلها صالحة للإسمية والحرفية فهي مبنية . ومع جواز استعماله اسماً أو حرفاً وقياسيته فيها ، لا تترجح له الأذن اليوم ، لغرابته

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ٤٧٣ .

(٢) في ص ٤٣٨ .

— في الغالب — جزءاً من المجرور بها ، مع صحة حذفها ووضع كلمة : « بعض » مكانها ؛ نحو : خذ من الدراهم . وكقولهم : ادّخِرْ من غناك لفقرك ، ومن قوتك لضعفك ؛ فالأخوذ بعض الدراهم ، والمدّخر بعض الغنى والقوة . ويصح وضع كلمة : « بعض » مكان كلمة : « من » . ومثل هذا قول الشاعر :

وإنك ممن زين الله وجهه وليس لوجه زانه الله شائنٌ

فالمخاطب جزء من الاسم المجرور بها ؛ وهو : « مَن » الموصولة التي بمعنى « الذين » ، وقد يكون ذلك الجزء متأخراً عنها وعن الاسم المجرور بها ، في اللفظ دون الرتبة ؛ كقولهم : « إنَّ من آفة المنطق الكذب » ، ومن لؤم الأخلاق الملقَّ « فالكذب والملق متأخران في الترتيب اللفظي وحده ، ولكنهما متقدمان في درجتهما ؛ لأن كلا منهما هو : « اسم إنَّ » ، والأصل في « اسم إنَّ » تقدمه في الرتبة على خبرها ^(١) . . .

٢ — بيان الجنس ^(٢) ، وعلامتها : أن يصح الإخبار بما بعدها عما ^(٣) قبلها ؛ كقولهم ؛ اجتنب المستهترين من الزملاء . فالزملاء فئة من جنس عام هو : المستهترون ؛ فهي نوع يدخل تحت جنس « المستهترين » الشامل للزملاء وغير الزملاء . وكقولهم ؛ تخير الأصدقاء من الأوفياء . . . أى : الأصدقاء الذين هم جنس ينطبق على فئة منهم لفظ : « الأوفياء » . وهذا الجنس عام ، يشمل بعمومه الأوفياء وغيرهم .

٣ — ابتداء الغاية ^(٤) في الأمكنة كثيراً ، وفي الأزمنة أحياناً — وهي في الحالتين

(١) ومثل هذا المتأخر في اللفظ ما ورد في الأثر : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء والأصل : إنما يرحم الله الرحماء من عباده)

(٢) أى : بيان أن ما قبلها — في الغالب — جنس عام يشمل ما بعدها . فاقبلها أكثر وأكبر ؛ كالمثال الأول الآتي ، وقد يكون العكس ، نحو : هذا السوار من ذهب ، وهذا الباب من خشب . (وانظر رقم ٥ من هامش ص ٤١٦)

(٣) له علامة أخرى : أن يصح حذف « من » ووضع اسم موصول مكانها مع ضمير يعود على ما قبلها . هذا إن كان ما قبلها معرفة ، فإن كان نكرة فعلايتها أن يخلفها الضمير وحده ؛ نحو : أساور من ذهب ، أى : هي ذهب .

(٤) معنى الغاية هنا — رقم كما سيجيء في ٢ من هامش ص ٤٦٨ — : المسافة المكانية حيناً ، =

قياسية - وهذا المعنى أكثر معانيها استعمالاً^(١)؛ فمثال الأولى قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . . .) ؛ فابتداء مكان الإسراء هو المسجد الحرام ، ونحو : جاءتنى رسالة من فلان . فابتداء مكان المجيء هو فلان .

ومثال الثانية قولهم : فلان ميمون الطالع من يوم ولادته ، راجع العقل من أول نشأته . . . فابتداء زمان اليُمن هو يوم ولادته ، وابتداء زمان رجاحة العقل هو أول نشأته .

٤ - التوكيد ، (ولا تكون معه إلا زائدة) وزيادتها إما للنص على عموم المعنى وشموله كل فرد من أفراد الجنس ، وإما لتأكيد ذلك العموم والشمول إذا كانا مفهوميّن من الكلام قبل دخولها . فالأول مثل : « ما غاب من رجل » . وأصل الجملة : ما غاب رجلٌ . وهى جملة قد يفهم منها أن نفي المعنى منصّبٌ على رجل واحد دون ما زاد عليه . أى : أن رجلاً واحداً هو الذى لم يَغِبْ ، وأن من الجائز غياب رجلين أو رجال .

والسبب فى اختلاف الفهم أن كلمة : « رجل » النكرة ، ليست من النكرات الملازمة للوقوع بعد النفي ، (وهى النكرات القاطعة فى الدلالة على العموم والشمول بعد ذلك النفي ، ويتحتم أن ينصبّ النفي الذى قبلها على كل فرد من أفراد مدلولها ؛ وأن يمتنع معه الخلاف فى الفهم ؛ مثل : كلمة : أحد ، وديّار ، وعريب) . وإنما كلمة « رجل » من النكرات التى قد تقع بعد النفي ، أو لا تقع ، وإذا وقعت بعده لم تفد العموم والشمول الإفادة القاطعة التى تشمل كل فرد من الرجال - إلا بقرينة . وإنما تفيدهما مع احتمال خروج بعض الأفراد من دائرة المعنى المنفى كما

= والمقدار الزمنى حينئذ آخر ، على حسب السياق . يبان هذا : أن الفعل - وشبهه - المتعدى بمن الجارة له معنى يستمر قليلاً أو طويلاً ، وابتداء هذا المعنى هو الاسم المجرور بمن ، وهذا الاسم هو الدال على زمان أو مكان كما فى الأمثلة التالية . (وليس المراد معناها الحقيقى الذى هو آخر الشيء ، فالتسمية هنا من تسمية الكل باسم الجزء .

ومعناها هنا قد يختلف عنه فى الظروف على حسب ما هو مبين فى رقم ٢ من هامش ص ٢٩٢ م ٧٩ .

(١) ما معنى الحرف : « من » الداخلة على المفضل عليه بعد أفضل التفضل ؟ أمعناه : الابتداء

أم المجاوزة ؟ الجواب فى رقم ١ من هامش ص ٤٦٤ .

أوضحنا . فإذا أردنا إزالة هذا الاحتمال ، وجعل المعنى نصاً في العموم والشمول على سبيل اليقين — أتينا بالحرف الزائد : « مِنْ » ووضعناه قبل هذه النكرة مباشرة ، وقلنا : « ما غاب من رجل » ؛ وعندئذ لا يصح أن يختلف الفهم ، ولا أن يتنوع ؛ إذ يتعين أن يكون المراد النص على عدم غياب فرد واحد ، وما زاد عليه من أفراد الرجال ، ومن ثم لا يصح أن يقال : (ما غاب من رجل ، وإنما غاب رجالان أو أكثر) ، منعاً للتناقض والتخالف ، في حين يصح هذا قبل مجيء « من » الزائدة ، لأن الأسلوب قبل مجيئها قد يحتمل أمرين ؛ نفي الواحد دون ما زاد عليه ؛ ونفيه مع ما زاد عليه معاً — كما أسلفنا — وهذا معنى قوطم : (« من » الزائدة) تفيد النص على عموم الحكم وشموله كل فرد من أفراد الجنس إذا دخلت على نكرة منفية لا تقتضى وجود النفي الدائم الشامل قبلها اقتضاء محتوماً .

وعلى ضوء ما سبق تتبين فائدة « مِنْ » في قول الشاعر :

ما من غريب وإن أبدى تجلده إلا تذكر عند الغربة الوطن

وأما الثانى وهو : « تأكيد معنى العموم » ... فقل : (ما غاب من ديّار) ؛ من كل كلام مشتمل على نكرة لا تستعمل — غالباً — إلا بعد النفي أو شبهه (مثل : أحد — غريب — ديّار ... و ...) ، فإنها بعده تدل دلالة قاطعة على العموم والشمول ، أى : أن كل نكرة من هذه النكرات ونظائرها لا يراد منها فرد واحد من أفراد الجنس ينتفى عنه المعنى ، وإنما يراد أن ينتفى المعنى عن الواحد وما زاد عليه . ففي المثال السابق قَطْعٌ ويقين بأمر واحد ؛ هو : عدم غياب فرد أو أكثر من الأفراد ؛ فكل الأفراد حاضر لم يغيب أحد ، ولا مجال لاحتمال معنى آخر ، فإذا أتينا بحرف الجر الزائد « مِنْ » وقلنا : ما غاب من ديّار — لم يفد الحرف الزائد معنى جديداً ، ولم يُحدث دلالة طارئة لم تكن قبل مجيئه ، وإنما أفاد تقوية المعنى القائم وتأكيده ، وهو النص على شمول المعنى المنفى وتعميمه ؛ بحيث ينطبق على الأفراد كلها فرداً فرداً .

والفصيح الذى لا يحسن مخالفته عند استعمال « مِنْ » الزائدة أن يتحقق شرطان ^(١) :

(١) هذا رأى البصريين ومن سارهم من كثرة النحاة التى اقتصرّت فى الحكم على أغلب الوارد وخالفهم الكوفيون ومن سارهم فلم يشترطوا الشرطين .

وقوعها بعد نفي^(١) أو شبهه (وهو هنا : النهي^(٢) وبعض أدوات الاستفهام) ،
 وأن يكون الاسم المجرور بها نكرة . وهذا الاسم يكون مجروراً في اللفظ
 لكنه مرفوع المحل - إما لأنه مبتدأ ، أو أصله مبتدأ ؛ في مثل قولهم : هل
 من صديق للواشي ؟ وما من صاحب للنمائم^(٣) ، وإما لأنه فاعل ؛ في مثل قولهم :
 ما سعى من أحد في الشر إلا ارتد إليه سعيه - وقد يكون مجروراً في اللفظ منصوب
 المحل (إما لأنه مفعول به ، كقولهم : تأمل هذا الكون العجيب هل ترى من نقص
 أو قصور ؟ وهل تظن من أحد يقدر على هذا الإبداع إلا الله ؟ وإما لأنه
 مفعول مطلق ، نحو قوله تعالى : [ما فَرَّطْنَا في الكتاب من شيء] ، أى :
 من تفريط) .

ومن النادر الذي لا يقاس عليه ، زيادتها في غير هذه المواضع الأربعة التي
 يكون الاسم فيها مجروراً لفظاً كما سبق ، لكنه في محل رفع مبتدأ ، (الآن أو
 بحسب أصله) ، أو : فاعل ، أو في محل نصب ؛ لأنه مفعول به ، أو مفعول
 مطلق و

وإذا جاء تابع لهذا الاسم المجرور جاز في التابع أمران^(٤) ؛ الجر مراعاة للفظ

(١) فلا تزداد في الإثبات إلا في تمييز « كم » الخبرية إذا كان مفصلاً منها بفعل متعد لم يستوف
 مفعوله ، فنجى « من » وجوباً ؛ لكيلا يلتبس التمييز بمفعول الفعل المتعدى . وهي في هذه الصورة الواجبة
 زائدة . (كما يقول الصبان في هذا الموضع ، أخذاً برأى فريق من النحاة - وكما سيجىء في ج ٤ م ١٦٤
 ص ٥٢٨ ، باب : كنايةات العدد . . « كم » وأخواتها) نحو قوله تعالى : (وكم قصصنا من قرية
 كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ، ...) ونحو قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون) .
 وقد وردت زيادتها في قول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ - تُعَلِّمُ

فقد أجاز النحاة أن تكون : « من » زائدة بعد : « مهما » - (وسيجىء هذا في ج ٤ ص ٣٢٦
 م ١٥٥ باب الجوازم وص ٣٨١ ل م ١٦١ باب « أما ») .

وما تصلح فيه للزيادة مع وقوعها في الإثبات قوله عليه السلام : (رحم الله امرأً أصلح من لسانه) .
 (٢) مثال النهي : لا تقظ من أحد . ومثال الاستفهام (ولا يكون هنا إلا « بالهمزة » أو :

هل) هل جاءك . . . ، أو : أجاءك ، . . من بشير ؟
 (٣) ومثل قوله تعالى : (وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه ، إلا أم أمثالكم) .

(٤) في هذا الحكم تفصيل هام سبق بيانه في رقم ١ من هامش ص ٦٩ . واستيفاء الحكم يقتضى

الرجوع إليه .

المتبوع ، والرفع أو النصب مراعاة لمحلّه ؛ نحو : ما للواشى من صديقٍ مخلصٍ ،
يجر كلمة : « مخلص » ، أو برفعها ؛ باعتبارها نعتاً لكلمة : « صديق » ، وكذا
بقية التوابع ، وباقي الأمثلة المختلفة ، وأشباهها .

٥ - أن تكون بمعنى كلمة : « بدل » بحيث يصح أن تحل هذه الكلمة
محلها . كقوله تعالى : (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) ، أى : بدل
الآخرة .

٦ - أن تكون دالة على الظرفية^(١) . (أى : على أن شيئاً يحويه آخر ، كما
يحوى الإناء ما فى داخله ، أو : كما يحوى الظرف - وهو الغلاف - المظروف ،
وهو الشيء الذى يوضع فيه) ، نحو : ماذا أصلحت من حقلك ، وغرست من
جوانبه ؟ أى : فى حقلك . . . فى جوانبه .

٧ - إفادة التعليل . فتدخل على اسم يكون سبباً وعلة فى إيجاد شيء
آخر ، نحو : لا تقوى العين على مواجهة قرص الشمس ، من شدة ضوئها ،
ونحو : من كدك ودأبك أدركت غايتك . أى : بسبب شدة ضوئها . . .
وبسبب كدك^(٢) . . .

٨ - إفادة المجاوزة^(٣) ، فتدخل على الاسم للدلالة على البعد الحسى أو المعنوى

(١) فتكون : « من » بمعنى : « فى » التى للظرفية . ويدخل فى هذا النوع « من » الداخلة على :
« قبل وبعد . . . » والغالب فى الداخلة على الظروف غير المتصرفة أن تكون للسببية ، أى : بمعنى : « فى »
الدالة على السببية . أما مجيئها لابتداء الغاية فقليل ؛ نحو : جثت من عندك - هب لى من لذلك وليا -
(راجع حاشية الألبوسى على القطر ص ٣٤) وقد شرحنا معنى الغاية فى رقم ٢٩٢ وفى رقم ٤ من هامش ص ٥٩
(٢) ومثل قول الشاعر :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
أعنى : بسبب عثرة . . .

(٣) المجاوزة - كما قالوا - ابتعاد شيء مذكور ، أو غير مذكور ، عما بعد حرف الجر ؛
بسبب شيء قبله ؛ فالأول ، نحو : رميت السهم عن القوس . أى : جاوز السهم القوس بسبب الرمي .
والثانى نحو : رضى الله عنك : جاوزتك المأخضة ؛ بسبب الرضا . ثم المجاوزة قد تكون حقيقية كهذين
المثالين ، وقد تكون مجازية ؛ نحو أخذت العلم عن العالم . كأنه - لما علمت ما يعلمه - قد جاوزه العلم
بسبب الأخذ . (الصبان فى باب حروف الجر - عند الكلام على الحرف : « عن » وهو الحرف الذى =

بينه وبين ما قبله . . . نحو قوله تعالى : (قد كُنَّا في غفلة من هذا) ، أى : عن هذا ، بمعنى بعيدين عنه ، وقوله تعالى : (فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهُم من ذِكْرِ الله) . . . أى : عن ذكر الله .

ومثل : كلام الحمقى بمعزل من الصواب ، أى : عن الصواب^(١) . . .

٩ - إفادة الاستعانة^(٢) فتدخل على الاسم الدلالة على أنه الأداة التي استُخدمت في تنفيذ أمر من الأمور ؛ نحو : ينظر العدو إلى عدوه من عين ترى بالشر ، أى : بعين . . .

١٠ - إفادة الاستعلاء . فتدخل على الاسم للدلالة على أن شيئاً حسياً أو معنوياً وقع فوقه ؛ نحو : قوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) . أى : على القوم^(٣) . . .

= يكثر استعماله في المجاوزة . وأما غيره فلا يبلغ درجته (وقد يراد بالمجاوزة الابتعاد عن الشيء بسبب العجز عن الوصول إليه كقول أحد الشعراء .

هديتي تقصّر عن همتي وهمتي تقصّر عن حالي
وخالص الود ولمحض الثنا أحسن ما يُهديه أمثالي

(راجع معجم الشعراء ، للمرزباني - حرف الميم - ص ٣٧٢) .

(١) سبق سؤال (في رقم ١ من هامش ص ٤٦٠) عن معنى الحرف : « من » الداخل على المفضل عليه بعد أفعل التفضيل ، أهو لابتداء أم للمجازة ؟ والجواب : أنه صالح لكل منهما - كما سيبيء - في ج ٣ باب : أفعل التفضيل - م ١١٢ ص ٣٨٨ عند الكلام على أقسامه - فإذا كان لابتداء فهو لابتداء الارتفاع إذا كان السياق للمدح نحو : النشيط أفضل من الخامل ، ولابتداء الانحطاط إذا كان السياق للذم ، نحو : المنافق أضر من العدو . وإذا كان للمجازة فعناه أن المفضل جاوز المفضل في الأمر المحمود أو المذموم .

(٢) فتشبه « الباء » في هذا .

(٣) وقد اقتصر ابن مالك على خمسة من المعاني السابقة : حيث يقول :

بَعْضٌ ، وَبَيْنٌ ، وَابْتِدَئِي فِي الْأَمْكَنَةِ بَيْنٌ ، وَقَدْ تَأْتِي لِبَدْنِهِ الْأَزْمَنَةُ...
وَزَيْدٌ فِي نَفْيٍ وَشَبَّهَهُ ؛ فَجَرَّ نَكْرَةً كَمَا لِبَاغٍ مِنْ مَفْرُ

فقد ضمن البيتين : البعضية ، وبينان الجنس ، وابتداء الغاية الزمانية أو المكانية ، والزيادة بعد نفي أو شبه مع جر النكرة . وهذه المعاني أربعة . أما الخامس - وهو البدلية - فإنه سيذكره (في هامش ص ٤٨٧)

بقوله : « وَمِنْ » و « بَاءٌ » يفهمان بَدَلًا .

١١ - إفادة معنى القسم . ذلك أن بعض العرب يستعملها (مضمومة الميم أو مكسورتها) حرف قسم ، ولا يكاد يجرّ إلا كلمة : « الله » ؛ نحو ؛ مِّنَ الله لَأَقَاوِمَنَّ الباطل^(١) ، ويجب معه حذف الجملة القسمية ، (فعلها وفاعلها) .
(وسيجيء^(٢) الكلام على بقية أدوات القسم بنوعيه وأحكامه) .

* * *

هذا ، وقد تتصل « ما » الزائدة بالحرف : « مِّنْ » فلا تخرجه عن معناه ولا عن عمله ، بل يبقى له كل اختصاصه كما كان قبل مجيء هذا الحرف الزائد^(٣) ؛
نحو : مما أعمالِ المسىء يلاقى جزاءه . أى : من أعمال المسىء ؛ وبسببها^(٤) . . .

(١) ويجوز حذفها مع بقاء الاسم المحرور بها على حاله من الجر ، كالشأن في جميع حروف القسم حين تجر لفظ الجلالة - انظر رقم ٤ من ص ٥٣٢ . -
(٢) في رقم ١ من هامش ص ٤٧٧ و ٤٩٧ وما بعدها :
(٣) انظر « أ » من الزيادة الآتية وقواعد رسم الحروف تقتضى وصلها كتابة .
(٤) وسيشير ابن مالك إلى زيادة « ما » بعد « من » و « عن » و « الباء » ببيت سيجىء آخر الباب نصه : في هامش ص ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٩ .

وَبَعْدَ « مِّنْ » و « عَنْ » و « بَاءٍ » زَيْدَ « مَا » فَلَمْ يَعْقُ عَنْ عَمَلٍ قَدْ عُلِمَا
أى : لم يمنع .

.
.

زيادة وتفصيل :

(١) من الأساليب الواردة المأثورة : « مِمَّا » كالتى فى حديث لابن عباس نصح :

« كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة إذا نزل عليه الوحى ، وكان مما يُحرّك لسانه وشفّتيه » .

وكقول الشاعر :

وإنّا لمِمّا يضربُ الكِبشَ ضربةً على رأسه تُلقِي اللسانَ من الفم

و و

وقد قيل إن معنى « ممّا » هنا هو : « ربما » ، طبقاً لما بينه سيبويه فى كتابه (ج١ ص ٤٧٦) ، وملخصه : أن « مِـنْ » الجارة المكفوفة بالحرف « ما » ^(١) — قد تكون بمعنى « ربما » ، واستشهد بالبيت السالف .

وقال ابن هشام فى « المغنى » عند الكلام على : « مِـنْ » وعلى معناها العاشر : إنها تكون بمعنى « ربما » وذلك إذا اتصلت بما ؛ كالبيت السالف . ثم أردف هذا بقوله (: والظاهر : أن « من » فى البيت ابتدائية و « ما » مصدرية ، وأنهم جعلوا كأنهم خلقوا من الضرب ^(٢) . . .)

(ب) إذا كان الاسم المجرور بالحرف : « مِـنْ » مبدوءاً بالأداة : « ألْ » التى ليست معدودة فى حروفه الأصلية ، فالأشهر فتح النون ؛ مثل : قد نَعْرِفُ

(١) الفرق كبير فى المعنى والعمل أو عدمه بين « ما » هذه والتى فى الصفحة السابقة .

(٢) تفصيل هذا البحث مدون فى المجلد التاسع من مجلة المجمع اللغوى القاهرى ص ١١٦ وهو بحث مفيد . وقد اكتفيناه بتقديم ملخص مهم له فى الجزء الأول م ٤٢ ص ٥٥١ عند الكلام على : « كان » ومن تمام الاستفادة الرجوع إلى ذلك البحث المفيد ، أو إلى ملخصه ، وما فيها من أمثلة وأساليب تتصل بما نحن فيه . وكذلك ما نقلناه عن « القاموس » من آخر جزئه الرابع — باب : الألف اللينة ، عند الكلام على أنواع « ما » ، واستعمالاتها — حيث يقول ما نصح : (« إذا أرادوا والمبالغة فى الإخبار عن أحد بالإكثار من فعل كالكتابة ، قالوا : إن زيدا ما أنْ يكتب . أى : أنه مخلوق من أمر ؛ ذلك الأمر هو الكتابة .) » اهـ .

ولهذا البحث إشارة موجزة فى ص ١ بمناسبة الكلام على الحرف : « رُبَّ » .

.....

من الإذاعة ما لا نعرفه من الصحف ، وغيرها^(١).

والأحسن ألا تحذف النون إن وقع حرف مشدد بعد « أل » السالفة ؛ نحو :
لا تعجب من الشعوب إذا انتقمت من الظالم .

وإن وقع بعيد : « من » حرف ساكن آخر تحركت النون بالكسر — غالباً —
نحو : عجبت من استهانة الإنسان بحقوق أخيه ومن استبداده به .

* * *

(١) بعض القبائل يحذف الذون في هذه الصورة ، وبها جاء قول النابغة الجعدي :

ولقد شهدتُ عكاظَ قَبْلَ مَحَلِّهَا فِيهَا وَكنتُ أَعَدُّ مِلْفِيتَيَانِ

أى : من الفتيان . وقول عبد الرحمن بن حسان في مدح آل سعيد بن العاص :

أَعَفَّاءُ تحسبهم مِلْحِيَا مَرَضَى تطاولَ أَسْقَامَهَا

أى : من الحياء . وكذلك المتنبي حيث يقول :

نحنُ ركبٌ مِلْجَنٌ في زىِّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ

أى : من الجن ، وقول أبي القاسم بن هاني :

إذا لم تنل بالعلم مالاَ ولا علأ ولا جانبأ مِلْأَجْرَ فالعلم كالجهل

يريد : من الأجر

إلى : حرف جرّ أصلي^(١) يجر الظاهر والمضمر ، ويتنقل بين معان أشهرها ستة :

١ - انتهاء الغاية^(٢) مطلقاً ؛ (أى : سواء أكانت نهاية الغاية فى زمان أم مكان ؛ وسواء أكانت « هى الآخر الحقيقية » لما قبل « إلى » أم ليست الآخر الحقيقى ، ولكنها متصلة به اتصالاً قريباً أو بعيداً) . وهذا المعنى أكثر استعمالاً .
الحرف إلى ؛ فمثال انتهاء الغاية الحقيقية الزمانية : نمت الليلة إلى طلوع النهار .
ومثال انتهاء الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالاً قريباً : نمت الليلة إلى سحرها^(٣) ومثال انتهاء الغاية الزمانية البعيدة من الآخر نمت الليلة إلى نصفها أو ثلثها و . . . و . . .

ومثال انتهاء الغاية المكانية الحقيقية : عبرت الطريق إلى الجانب الآخر محترساً . ومثال انتهاء الغاية المكانية المتصلة بالآخر : قرأت الكتاب إلى خاتمه .
ومثال انتهاء الغاية المكانية البعيدة من الآخر : قرأت الكتاب إلى ثلثه .

والغالب أن نهاية الغاية نفسها لا تدخل فى الحكم الذى قبل « إلى » ما لم توجد قرينة تدل على دخوله . فإذا قلت : قرأت الكتاب إلى الصفحة العاشرة ، فالمقصود - غالباً - فى مثل هذا الاستعمال أن الصفحة العاشرة لم تُقرأ ، فهى خارجة من الحكم الذى ثبت لما قبل « إلى » . وكذلك لو قلت : صمت الأسبوع الماضى إلى يوم الخميس ؛ فإن يوم الخميس لا يدخل - غالباً - فى أيام الصيام . فإذا وجدت قرينة تدل على دخولها كانت داخلة ؛ مثل : صمت الشهر المفروض من أوله إلى اليوم الأخير ، ومثل : أكملت قراءة الكتاب كله من أوله إلى الصفحة الأخيرة . . . لأن صيام الشهر المفروض يقتضى صوم اليوم الأخير منه ، وإكمال الكتاب كله

(١) سيجىء فى الزيادة - ص ٤٧١ - أن بعض النحاة يجيز زيادته ، وأن رأيه مردود .

(٢) سبق فى رقم ٤ من هامش ص ٤٥٩ - أن الغاية فى هذا الباب ، هى : المسافة المكانية حيناً والمقدار الزمنى حيناً آخر - على حسب السياق - وأنها تختلف عن الغاية فى الظروف (وقد سبق بيانها فى رقم ٢ من هامش ص ٢٩٢) . والمراد بانتهاء الغاية هنا أن المعنى قبل : « إلى » يتقطع بوصوله إلى الاسم المجرور بعدها ، واتصاله به .

وبين حروف الجر ثلاثة تشترك فى انتهاء الغاية ؛ (هى : إلى - اللام فى ص ٤٧٢ - حتى ، فى من ص ٤٨٢) وسيجىء البيان الخاص بكل حرف .

(٣) السحر : الثلث الأخير من الليل .

يقتضى قراءة الصفحة الأخيرة منه^(١) . . .

٢ - المصاحبة^(٢) ، كقولهم : من قعد عن طلب الرزق أساء أهله إلى نفسه ، وعذبهم إلى عذابه ، أى : مع نفسه . . . ومع عذابه . . . وكقوله تعالى : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ، أى : مع الله .

٣ - التبيين ، (فنبين أن الاسم المجرور بها فاعل فى المعنى لا فى الصناعة النحوية ، وما قبلها مفعول به فى المعنى لا فى الصناعة كذلك . وذلك بشرط أن تقع بعد اسم التفضيل ، أو : فعل التعجب ، المشتقين من لفظ يدل على الحب أو : البغض ، وما بمعناهما ، كالود والكُره . . .) ، كقولهم : « احتمال المشقة أحب إلى النفس الكريمة من الاستعانة بثلثم الطبع . فما أبغض الاستعانة به إلى نفوس الأحرار !! » . فكلمة : « نفس » ، هى الفاعل المعنوى - لا النحوى - لاسم التفضيل (أحب) لأنها - فى الواقع - هى فاعلة الحب ، أو : هى التى قام بها الحب . وكذلك كلمة « نفوس » . فإنها الفاعل المعنوى (لا النحوى) لفعل التعجب : (أبغض) ؛ إذ هى فاعلة البغض حقيقة ، أو : هى التى قام بها البغض ، والذي قطع فى الحكم بفاعليتهما المعنوية ومنع كل احتمال آخر هو وقوعهما بعد حرف الجر : « إلى » الذى من وظيفته القطع فى مثل هذا الأسلوب الذى يحتاج إلى تيقظ ، لدقته^(٣) ، ولأنه قد يلتبس بما يقع فيه حرف « اللام »

(١) انظر الفرق بين « إلى » و « حتى » فى هذا وفى غيره (رقم ٤ من هامش ص ٤٨٢) .
(٢) انضمام شئ لآخر انضماماً يقتضى تلازمها فى أمر يقع عليهما معاً ، أو يقع منهما معاً على غيرها ، أو يتصل بهما بنوع من أنواع الاتصال . وعلامة المصاحبة : أن يصح حذف حرف الجر ووضع كلمة : « مع » مكانه ؛ فلا يتغير المعنى . وقد يعبر عن « المصاحبة » بكلمة : « المعية » كما ورد فى الخضرى - ج ١ باب : المفعول معه - حيث قال : « المعية » ومثل لها بقوله : « بعث العبد بشيابه ، أى . مع ثيابه .

(٣) ضابط ذلك : أن نجعل مكان اسم التفضيل أو فعل التعجب فعلاً من مادتهما ومعناهما ، يكون فاعله النحوى هو الاسم المجرور بالحرف « إلى » ، ومفعوله هو الكلام السابق على التفضيل أو اللاحق لفعل التعجب . فإن صح المعنى واستقام كان مجبىء « إلى » ملائماً ، وإلا وجب الدول عنها . فى المثال المذكور نقول : تحب النفس الكريمة احتمال المشقة . . . تبغض نفوس الأحرار الاستعانة . . . وما سبق من معنى « التبيين » فى « إلى » يختلف عن معناه فى « اللام » الجارة - وسيجيء فى رقم ١٥ من ص ٤٧٨ - وكلاهما يوضح المراد من الآخر .

مكان « إلى » ، (وسأأتى الكلام عليه فى اللام)^(١) .

٤ - الاختصاص (أى : قصر شئ على آخر ، وتخصيصه به) كقولهم :
الأب راعى الأسرة ؛ وأمرها إليه ، والحاكم راعى المحكومين ؛ وأمرهم إليه . . .
فلينق الله كل راع فى رعيته .

٥ - الظرفية^(٢) : كقولهم : سيجمع الله الولاة إلى يوم تشيب من هوله
الولدان . . . أى : فى يوم .

٦ - البعضية ، (وهذا قليل فى المسموع)^(٣) ، نحو : شرب العاطش فلم
يرتو إلى الماء ، أى : من الماء .

(١) ص ٤٧٨ .

(٢) سبق شرحها فى رقم ٦ من ص ٤٦٥ وهى من المعانى الدقيقة التى يؤدىها الحرف « إلى » .
ومما يحتمل هذا المعنى قول النابغة الذبياني .

فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلى به القار ، أجرب
وقول طرفة :

وإن يلتق الحى الجميع تلاقى إلى ذروة البيت الكريم المصمّد

يريد : فى الناس - - فى ذروة . . .

(٣) فلا يحسن القياس عليه .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) جعل بعض النحاة من معانى : « إلى » أن تكون بمعنى : « عند ^(١) » مستدلاً بمثل قول القائل :

أم لا سبيلَ إلى الشباب ، وذكره أشهى إلى من الرقيق السلسل

وأن تكون زائدة ؛ مستدلاً بقراءة من قرأ قوله تعالى : (فاجعلْ أفئدةً من الناس تَهْوَى إليهم) ، - بفتح الواو - ، أى : تهوهم . . .

وقد دُفع ذلك الرأى بأن الشاهد الأول وقعت فيه « إلى » للتبيين ؛ لأن ما بعدها - وهو ياء المتكلم - فاعل معنوى على الوجه المشروح فى الحالة الثالثة السالفة ، وأن الشاهد الثانى : (الآية) وقع فيه الفعل ، « تَهْوَى » مضمناً ، معنى : « تميل » فلا تكون « إلى » زائدة . وهذا رأى حسن يقتضينا أن نأخذ به ؛ فراراً من الحكم بالزيادة من غير ضرورة .

(ب) « يجب قلب ألفها ^(٢) ياء إذا كان المجرور بها ضميراً . نحو : تقصد الوفود إلينا من بلاد بعيدة ، فنقدم إليهم ضروب المجاملة الكريمة .

فإن كان الضمير ياء المتكلم أدغمت الياءان ؛ نحو : إلى يتجه الخائف .

* * *

(١) سبق الكلام على « عند » فى باب الظرف مع نظائرها من الظروف - ص ٢٩١ من هذا الجزء .

(٢) وهى المكتوبة ياء ؛ تبعاً لقواعد رسم الحروف .

اللام : حرف يجر الظاهر والمضمر ، ويقع أصلياً وزائداً^(١) . . . ، ويؤدي عدة معانٍ قد تُجاوز العشرين .

١ - انتهاء الغاية^(٢) (أى : الدلالة على أن المعنى قبل اللام ينتهى وينقطع بوصله إلى الاسم المجرور بها ، الداخِل في ذلك المعنى) . نحو : صمّت شهر رمضان لآخره ، وقرأت الكتاب لخاتمته . . .
واستعمالها في هذا المعنى قليل بالنسبة لباقي معانيها ، ولكنه - مثل كل معانيها المختلفة - قياسيٌّ (كما سبق)^(٣) .

٢ - المِلْك ؛ وتقع بين ذاتين ، الثانية منهما هي التي تملك حقيقة ، نحو : المنزل لمحمود ، وهذا المعنى أكثر استعمالاتها .

٣ - شبه الملك ؛ وتقع : إما بين ذاتين ، الثانية منهما لا تملك ملكاً حقيقياً ، وإنما تختص بالأولى ، وتقتصر الأولى عليها ، دون تملك حقيقى من إحداهما للآخرى ؛ نحو : (السرج للحصان - المفتاح للباب - الباب للبيت) ، وإما قبلهما نحو : للصديق ولد نبيه ، حيث تقدمت « اللام » على الذاتين . . . ، وإما بين معنى وذات ؛ نحو الحمد للأمهات ، والشكر للوالدين . . .
وتسمى هذه اللام بصورها الثلاثة : لام الاستحقاق ، أو : لام الاختصاص .

٤ - الدلالة على التملك ؛ نحو : جعلت للمحتاج عطاءً ثابتاً . فالعطاء الذى يأخذه المحتاج يصير ملكاً له ، يتصرف فيه تصرف المالك الحر كما يشاء .

٥ - الدلالة على شبه التملك ؛ نحو : جعلت لك أعواناً من أبنائك البررة ، فالأعوان هنا بمنزلة الشيء المملوك ، ولكنه ليس ملكاً حقيقياً تقع عليه التصرفات

(١) من أى النوعين لام الاستغاثة - (الداخلة على المستغاث) ؟ وهل تحتاج مع مجرورها إلى تعليق؟
الإجابة تحتاج إلى تفصيل ، وسرد بعض أحكام مختلفة وقد عرضنا لكلّ هذا في الباب المناسب ، وهو : باب : « الاستغاثة » . (ج ٤ م ١٣٣ ص ٨٧)

(٢) فهذا الحرف مثل : « إلى » في هذا المعنى الذى سبق إيضاحه في رقم ٤ من هامش ص ٤٥٩ وفي رقم ٢ من هامش ص ٤٦٨ ، ومثل « حتى فيه » وسيجيء الكلام عليها . في ص ٤٨٢ والثلاثة مشتركة في هذا المعنى دون بقية حروف الجر ، - كما قلنا - .

(٣) في ص ٤٥٥ .

المختلفة ، وإنما يشبهه من بعض الوجوه دون بعض ^(١) .

٦ - الدلالة على النسب ؛ نحو : لفلان أب يقول الحق ، ويفعل الخير .
أى : ينتسب فلان لأب ^(١) . . .

٧ - التعدية ^(٢) المجردة ؛ نحو : ما أَحَبَّ العقلاء للصمت المحمود ،
وما أَبْغَضَهُم للثرثرة .

٨ - التعليل ؛ بأن يكون ما بعدها علة وسبباً فيما قبلها . نحو : الاكتساب
ضرورى ، لدفع الفاقة وذلك الحاجة ^(٣) .

٩ - التوكيد المحض ، وتكون فى هذه الحالة زائدة زيادة محضة لتأكيد معنى
الجملة كلها ، لا معنى العامل وحده - كما شرحنا ^(٤) - ، ويجرى عليها ما يجرى على
حرف الجر الزائد ^(٤) . وأكثر ما تكون زيادتها بين الفعل ومفعوله ؛ نحو قول الشاعر :

وملكت ما بين العراق ويشرب ^(٥) ملكاً أجار ^(٦) لمسلم ومُعاهد

أى : أجار مسلماً ومُعاهداً ^(٧) . وقول الشاعر فى الغزل :

(١٠١) الحق أن المعانى الثلاثة (التمليك - شبه - النسب) متقاربة ، ويمكن الاستغناء عنها
بعد إلحاقها بحروف أخرى . ولكنها مع اللام أوضح ؛ فنسبت إليها . ولقد قيل : إن كل معنى من
المعانى الثلاثة يستفاد من الجملة كلها ، لا من اللام وحدها وهذا صحيح . وقد أجابوا بأن فهم هذا المعنى
من التركيب متوقف على « اللام » فنسب إليها .

(٢) إذا كانت المجردة التعدية فما بعدها فى حكم المفعول به معنى ، وإن كان مجزئاً - كما سبق فى
أول هذا الباب ، ص ٤٣٧ و ٤٣٩ ، وفى باب : « التعليل وال لزوم » ، ص ١٥١ -
وكونها هنا للتعدية المجردة لا ينافى أنها فى بقية مواضعها للتعدية أيضاً مع إفادتها شيئاً آخر فى الوقت
نفسه ، - كما جاء فى حاشية الصبان - .

(٣) ما بعدها هو السبب هنا ؛ لأن السبب لا بد أن يظهر فى الوجود قبل المسبب . والرغبة فى دفع
الفاقة سابقة على وجود الاكتساب .

(٤، ٤) فى ص ٤٥٠ ، ومنه يعلم : أن حرف الجر الزائد زيادة محضة لا يفيد إلا توكيد المعنى العام
فى الجملة كلها ، وأنه لا يتعلق بعامل ، وأنه يمكن الاستغناء عنه ، دون أن يتأثر الكلام بمحذوف

(٥) اسم للمدينة المنورة .

(٦) أجاره : نصره وحماه .

(٧) يستدل النحاة بالبيت السالف على زيادة « اللام » - كما قلنا - لكن البيت للشاعر « ابن

مَيْيَّادَة » من أبيات يمدح بها أمير المدينة ، وبعده :

مالئهما ودمئهما من بعدما غشى الضعيف شعاعاً المارد =

أريد لأنسى ذِكْرَهَا فكأنما تَمَثَّلُ لى ليلَى بكل سبيل...^(١)

فالفعل : « أريد » متعد يحتاج للمفعول به ، ومفعوله الذى يكمل المعنى هو المصدر المؤول بعد « لام التعليل » الجارة . والأصل : أريد أن أنسى . واللام زائدة بينهما . أو بين المتضايقين ؛ كقولهم : لا أبأ لفلان ، على الرأى الذى يعتبرها زائدة^(٢) .

وقد أجازوا زيادتها^(٣) للضرورة الشعرية بين المنادى المضاف والمضاف إليه ، كقول الشاعر^(٤) فى فتاة :

لو تموت لراعتنى ، وقلت ألاّ يا بُؤس للموت . ليت الموت أبقاها
وقول الآخر^(٥) :

يا بؤس للجهلِ ضرّاراً لأقوام . . .

ومن المستحسن اليوم الاقتصار فى الزائدة على المسموع^(٦) ؛ مبالغة فى الاختياط .

= وهذا يجعل الحكم بزيادة اللام غير مقطوع به ، إذ يصح أن يكون « المفعول به » هو « ماليهما » . . . إلا إن أعربنا هذه الكلمة « بدلا » من « مسلم » . . . فالاستشهاد بالبيت السالف استشهاد بما يقبل الاحتمال من غير داع ، ولا يصلح للقطع .

(١) سيذكر البيت لمناسبة أخرى فى هامش ص ٤٧٦

(٢) وهو أحد الأوجه التى أوضحناها ، وشرحنّا معها الأسلوب ، والمراد منه ، فى ج ١ باب :

« الأسماء الستة » م ٨ ص ٩٩ .

(٣) كما سيحىء فى ج ٣ باب : « الإضافة » وفى ج ٤ باب : « النداء » .

(٤) هو أبو جنادة العذرى من الشعراء الذين أدركوا الدولة الأموية .

(٥) هو النابغة الذبياني ، وصدر البيت :

قالت بثو عامر خالوا بنى أسد . . إلخ : خالى فلان قبيلته : تركها ، والمراد : أتركوا بنى أسد ...

(٦) ومن المسموع زيادتها بعد الفعل : « أعطى » وهو من الأفعال التى تنصب مفعولين فى الأصل ،

قالت ليلى الأخيلية تمنح الحجاج :

أَحْجَّاجَ لَا تُعْطِ الْعَصَا مِنْهُمْ . وَلَا اللَّهُ يُعْطِ لِلْعَصَا مِنْهَا

وقال آخر من أصحاب المبرد :

ولكننى أعطى صفاء مودتى لمن لا يرى يوماً علىّ له فضلاً

وانظر ما يتصل بهذا - فى آخر رقم ٤ من هامش ص ٢٠ - حيث المنقول عن : « المنفى »

و « الصبان » . . .

١٠ - التقوية . وهى التى تجيء لتقوية عامل ضعيف ؛ إما بسبب تأخره عن معموله . نحو ، قوله تعالى : (. . . إن كنتم للرؤيا تعبرون)^(١) وقوله تعالى : (. . . للذين هم لربهم يرهبون) ، وإما بسبب أنه فرع مأخوذ من غيره ؛ كالفرع المشتقة ؛ مثل قوله تعالى : (فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ) . وقوله : (. . . مَصَدَقًا لِّمَآ مَعَهُمْ) وقول على رضى الله عنه : « لعن الله الأمرين بالمعروف الناركين له ، والناهين عن المنكر العاملين به » ، فأصل الكلام فى الآيتين الأوليتين : إن كنتم تعبرون الرؤيا - يرهبون ربهم . . . فلما تقدم كل من المفعولين على فعله ضعف الفعل بسبب تأخيره عن معموله (مفعوله) ؛ فجاءت اللام لتقويته^(٢) . وأصل الكلام فى الآيتين الأخيرتين وفى كلام على : فَعَالٌ

(١) الرؤيا هنا : الحلم المنامى . وتعبيره : تفسيره .

(٢) تخصيص اللام بمعنى « التقوية » على الوجه الذى يقوله كثير من النحاة ، تخصيص لا مسوغ له ، فليست « لام التقوية » نوعاً مستقلاً يخالف « اللام الزائدة » فى قليل أو كثير كما سبب ما يلى هنا وفى هامش الصفحة الآتية مباشرة . وقد سبق أن أشرنا باختصار - فى رقم ٢ من هامش ص ٤٣٥ - إلى أن اللام التى تفيد التقوية زائدة زيادة غير محضة ، (أى : أنها زائدة شبيهة بالأصلية) لأنها تفيد عاملها - لا الجملة - معنى جديداً : هو : « التقوية » ومن أجل هذا المعنى تتعلق بعاملها فأشبهت حرف الجر الأصلى فى جلب معنى جديد يكمل العامل ، وفى التعاقب بهذا العامل . ولكنها من ناحية أخرى يمكن حذفها فلا يتأثر المعنى بحذفها . لكل ما سبق لم تكن زيادتها محضة (راجع الصبان والتصريح عند كلامهما على « لام الجر » ثم « المغنى ») .

ومما تجب ملاحظته أن لام التقوية لا تدخل على مفعولى عامل ينصب مفعولين مذكورين بشرط أن يتقدما عليه معاً ، أو يتأخرا عنه معاً ، ففى وجد المفعولان كذلك فلن يصح دخولها عليهما معاً ، ولا على أحدهما ، وإذا حذف أحدهما أو تقدم ، صح دخولها على الذى لم يحذف ، وكذا على المتقدم منهما ، كما فى الصبان ، ومقدمة الجزء الأول من « المغنى » التى جاء فيها على لسان ابن هشام ما نصه :

(وهما أنا بائح - بما أسررت ، مفيد لما قررت وحررت .) فقال العلامة الأمير تعقيباً عليه ما نصه :

(اللام فى قوله : « لما » مقوية ؛ إذ مادة الإفادة تعدى بنفسها . لا يقال : إنها تتعدى لمفعولين ؛ تقول أفدت محتاجاً مالا ؛ وما يتعدى لمفعولين لا يقوى باللام . . . لأننا نقول محل ذلك إذا كان المفعولان مذكورين ، مقدمين ، أو مؤخرين عن العامل ، كما يفيد كلام ابن مالك فى تعليل منع ذلك ؛ لأن اللام إما أن تزداد فيهما ؛ فيلزم تعدى عامل واحد بحرفى جر متحدين - وهذا ممنوع فى الأغلب - وإما أن تزداد فى أحدهما ؛ فيلزم الترجيح بلا مرجح . فإن كان أحدهما محذوفاً كما هنا .. (فإنه حذوف من يعاد - وهو الشخص المستفيد ، لعدم تعلق غرض به وذكر ما يفاد - وهو الشئ المفيد . . .) فإن « اللام » تدخل على المذكور ، لأن المحذوف حينئذ قطع النظر عنه ، سواء نزلت العامل بالنظر للمحذوف منزلة اللازم أو لا . وكذلك إذا تقدم أحدهما دخلت عليه اللام ؛ لأن العامل عن المقدم أضعف . أو ناب أحدهما =

ما يريد — مصدقاً ما معهم ، التاركينه . . . فكلمة : « فعّال » صيغة مبالغة متعدية ، تعمل عمل فعلها ، ولكنها أضعف منه ، فجاءت اللام لتقويتها .

وكذلك كلمة : « مصدقاً » ، وكلمة « التاركين » وكلاهما اسم فاعل^(١) . . .

= عن الفاعل ، نحو : محمود مفاد مالا ، دخلت على المنصوب . لأن طلبه المرفوع أقوى^(٢) .
هذا ، وما يصلح — عندهم — أن تكون اللام فيه للتقوية قوْلهم في الدعاء :

« سقيا للمحسن ، ورعياً له » ، وفي هذا الأسلوب — وأمثاله ، تفصيلات معنوية ، وأحكام إعرابية مختلفة ، أوضحناها كاملة في ج ١ م ٣٩ ص ٤٦٨ .

(١) هذا كلام كثير من النحاة . ويزيدون أن حرف الجر أصل هنا ؛ فهو مع مجروره متعلقان بالعامل الضعيف . . .

وكلامهم مردود بما سردناه في رقم ٢ من هامش ص ١٨٤ وبما نسرده هنا : فاما معنى التقوية إذا كان من الممكن الصحيح حذف هذه اللام ، وتعدية الفعل أو المشتق إلى المفعول به مباشرة من غير حاجة إليها ، ما دام العامل معدوداً في اللغة من العوامل المتعدية بنفسها ؛ فنقول ؛ (إن كنتم الرؤيا تمبرون — ربهم يرهبون — مصدقاً ما معهم — فعال ما يريد) . . . فيصل بنفسه الفعل أو المشتق إلى المفعول به بغير حاجة إلى هذه الوسطة ؛ سواء أكان هذا العامل متقدماً أم متأخراً ؟ وكيف تكون اللام للتقوية مع أن الاسم قبل مجيئها كان مفعولاً به منصوباً . فلما جاءت جرتة ؛ فصار مفعولاً به في المعنى دون اللفظ . ولا شك أن العامل الذي يؤثر في مفعوله لفظاً ومعنى أقوى من العامل الذي يؤثر فيه معنى فقط . . . ، وكان الأولى بالنحاة أن يقولوا إن هذه اللام تزداد جوازاً في المفعول به إذا تقدم على عامله الفعل ، كما تزداد في المفعول به إذا كان عاملاً وصفاً ينصب المفعول به متقدماً أو متأخراً . وأن الجار والمجرور لا يتعلقان — لأن حرف الجر زائد وأن المجرور لفظاً منصوب محلاً .

على أن الرأي الأقرب للسداد هو ما سجله « المبرد » في كتابه : « الكامل » (ج ٣ ص ٣٦ الطبعة القديمة بمطبعة الفتوح) ونصه عند شرحه لقول أبي النجم الشاعر : (سبيّ الحماة وإهتي عليها . . .) أن الأصل هو : « وإهتيها » . فوضع « إهتي » في موضع : « أكنبي » ، فن ثم وصلها بعل ، والذي يستعمل في صلة الفعل « اللام » ؛ لأنها لام الإضافة ؛ تقول : لزيد ضربت ، ولعمرو أكرمت . والمعنى : عمراً أكرمت ، وزيدا ضربت . فإنما تقديره : إكراي لعمرو ، وضربي لزيد : فأجرى الفعل مجرى المصدر . وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدم المفعول ، لأن الفعل إنما يجيء وقد عملت اللام : كما قال الله عز وجل : « إن كنتم للرؤيا تمبرون » . وإن آخر المفعول فعربى حسن ، والقرآن يحيط بكل اللغات الفصيحة . قال الله عز وجل : « وأمرت لأن أكون أول المسلمين » . والنحويون يقولون في قوله تعالى : « وأن عسى أن يكون ردف لكم » . . . إنما هو : ردفكم . وقال كثير : عزة :

أريد لأنسى ذكرها ، فكأنما تمثل لي ليل بكل سبيل . . .

١ ه كلام المبرد في الكامل ، وسيذكر البيت : « سبي الحماة . . . » لمناسبة أخرى في هامش ص ٥٤٠ .
وشيء آخر : جاء في جملة المجمع اللغوي بدمشق (ج ٤ ص ١٨٢) بقلم الأب أنستاس الكرمل ، المصنوع السابق بجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والعراق ، وغيرهما ، ما نصّه : (« زعموا أنه لا يقال : يمكن لأحدكم . . . » وعنى أنه يجوز . والنحاة تسمى هذه اللام : « اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله ، وهي كثيرة الورد في كلامهم ، وإن أنكرها المرحوم إبراهيم اليازجي » ١ ه .

١١ - الدلالة على القسم^(١) والتعجب معاً ، بشرط أن تكون جملة القسم محذوفة ، وأن يكون المقسم به هو لفظ الجلالة ؛ كقولهم : « الله !! لا ينجو من الزمان حذرٌ » . يقال هذا في معرض الحديث عن رجل حريص يتوق أسباب الضرر جهد استطاعته ، ولكنه بالرغم من ذلك يصاب .

وقولهم : « الله !! انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بحقها على الفئة الكبيرة المختلفة » . وهذا يقال في معرض الكلام عن قلة متوحدة ، مؤتلفة ، لم يكن أحد ينتظر لها الفوز والغلبة ، على كثرة تفوقها عدّة وعديداً . فلا بد من قرينة تدل على معنى القسم والتعجب المجتمعين في « اللام » . وبغير القرينة لا يتضح هذا المدلول . ومن الجائز أن تحذف هذه اللام ويبقى المقسم به على حاله من الجر بشرط أن يكون لفظ الجلالة .

١٢ - الدلالة على التعجب بغير قسم ، بشرط القرينة أيضاً ؛ ويكون بعد النداء كثيراً ؛ نحو : يا لَأَصِيل^(٢) وما به من روعة - يا لَلْكَشَفِ العلمي وما انتهى إليه . ويكون بعد غيره ، نحو : لله دَرُّ فلان شجاعاً في الحق - لله أنت مِعْوَانًا في الخير^(٣) . . .

(١) حروف القسم المشهورة هي : (الباء - التاء - الواو - اللام) . إلا أن اللام تنفرد بأنها تدل على التعجب مع القسم . أما غيرها فعناء مقصور على القسم وحده . وسيأتى تفصيل الكلام على كل واحد من الأربع ، وأوجه الشبه والخالفة بينه وبين إخوته . وهناك حرف خامس سبقت الإشارة إليه في ص ٤٦٥ هو : « من » ، فقليل من العرب يستخدم هذا الحرف (بكسر ميمه أو ضمها) أداة قسم ، قد حذف فعل القسم وفاعله وجوباً ، فيقول : من الله لأناصرن النزيه . أى : والله . ولا يكاد يكون القسم معه بغير الله .

وأندر من هذا الحرف استعمال القدماء الحرف « ها » للقسم بعد « إى » التى بمعنى : « نعم » ويدونها . . . جاء في الأماي (ج ١ ص ١٧٢) أن أعرابياً قال لآخر : أنشدنا - رحمك الله ، وتصدق على هذا الغريب بأبيات . . . فقال : إى : ها الله إذا . . . (انظر البيان الخاص بها في ص ٥٠٦ رقم ٣ من هامشها) .

(٢) الوقت بعد العصر إلى المغرب . ويجوز في اللام هنا الفتح أو الكسر إذا كان المنادى مقصوداً به التعجب (انظر ج ٤ ص ٦٦ م ١٣٤) .

(٣) ويصح أن يكون من هذا ما يرد في بعض النصوص القديمة ، من مثل قول الشاعر :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَحْزُونِي
والأصل : الله ابن عمك ، بحذف لام الجر قبل لفظ الجلالة .

١٣ — الدلالة على العاقبة المنتظرة ، (أى : على النتيجة المرتقبة . او : الصيرورة) . نحو : (سأتعلم للحياة السعيدة ، وأتنقلُ في جنسيات المعمورة لتخصيل أنفع التجارب) . ونحو : (رببت النمر للهجوم على) . يقول هذا من صادف نمرًا صغيراً فأشفق عليه وتعهده ، وخدع فيه ، ثم غدر به النمر ، فكأنه يقول ساخطاً متألماً متهمكاً : ربيته ، فكانت عاقبة التربية ونتيجتها الهجوم على . ونحو : (أربى هذا الولد الضال ليسرقني ، ويفر كأخيه) . يقول هذا من يؤوى إليه شريداً ، ويحسن إليه ، وهو يتوقع أن يغافله ، ويسرقه ، ويهرب ، كما فعل أخوه من قبل . وتسمى اللام في الأمثلة السابقة وأشباهها : لام « الصيرورة » أو : « العاقبة » لأنها تبين ما صار إليه الأمر ، وتوضح عاقبته ^(١) . . .

١٤ — الدلالة على التبليغ ؛ وهى الدالة على إيصال المعنى إلى الاسم المحرور بها ؛ نحو : قابلت صديقك ، ونقلت له ما تريد أن أنقله ^(٢) . . . (وقد يسميها لذلك بعض النحاة « لام التعدية » يريد : إيصال المعنى وتبليغه) .

١٥ — الدلالة على التبيين ؛ أى : إظهار أن الاسم المحرور بها هو في حكم المفعول به معنى ، وما قبلها هو الفاعل في المعنى كذلك ، بشرط أن تقع بعد اسم تفضيل أو فعل تعجب ، مشتقين من لفظ يدل على الحب ، أو البغض ، وما بمعناهما ؛ كالود ، والكره ، ونظائرها . . . ، نحو : (السكون في المستشفى أحب للمرضى ، وإطالة زمن الزيارة أبغض لنفوسهم) . فالحرور باللام في المثالين — وأشباههما — في حكم المفعول به من جهة المعنى (لوقوع أثر الكلام السابق عليه) لا من جهة الإعراب . فكلمة « السكون » هى الفاعل المعنوى — لا النحوى — الذى أوجد الحب ، وكان سبباً فيه . وكلمة : « المرضى » هى المفعول به المعنوى — لا النحوى — الذى وقع عليه الحب ، وانصب عليه أثره . ومثل هذا يقال في

(١) ومنها قوله تعالى في موبى : (فاتخذ آل فِرْعَوْنَ ؛ ليكون لهم عدواً وحزناً) .

(٢) ومثلها التى في صدر البيت الآتى لشوقي :

« قل للمشير إلى أبيه وجدّه أعلمت للقمرين من أسلاف » ؟

والتي في صدر البيت الآخر :

« وليس عتاب المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه »

كلمتى : « إطالة ، ونفوس » فالأولى هى الفاعل المعنوى — لا النحوى ، والأخرى هى المفعول به المعنوى كذلك .

ومثل : البدوى الصميم أحسب للصحراء ، وأبغض للحضر ، وما أكرهه للاستقرار ، ودوام الإقامة فى مكان واحد^(١) .

ومن هنا يتبين الفرق الدقيق بين : « إلى » التى تفيد التبيين ، و « اللام » التى تفيده أيضاً^(٢) . ويتركز فى أن ما بعد « إلى » التبيينية « فاعل » فى المعنى لا فى اللفظ ؛ وما قبلها مفعول به فى المعنى كذلك . أما « اللام التبيينية » فبعكسها ؛ فما بعدها مفعول به معنوى لا لفظى ؛ وما قبلها فاعل معنوى كذلك ، فإذا قلت : الوالد أحب إلى ابنه . كان الابن هو المحب ، والوالد هو المحبوب ، أى : أن الابن هو فاعل الحب معنى ، والوالد هو الذى وقع عليه الحب ؛ فهو بمنزلة المفعول به معنى . أما إذا قلت : الوالد أحب لابنه ، فإن المعنى ينعكس ؛ فيصير الابن هو المحبوب ؛ فهو بمنزلة المفعول به معنى ، والأب هو المحب ، فهو بمنزلة الفاعل معنى . وقد سبق^(٢) القول بأن مثل هذا الأسلوب دقيق يتطلب يقظة فى استعماله وفهمه^(٣) .

١٦ — أن تكون بمعنى : بَعْدُ^(٤) ، كقولهم : (كان الخليفة يقصد المسجد لأذان الفجر مباشرة ، ويصلى الصبح بالناس إماماً ، ثم ينظر قضاياهم ، ولا يغادر المسجد إلا للعصر ، وقد فرغ من صلاته ، ونظر شئون رعيته) . أى : بعد أذان الفجر مباشرة ، وبعد العصر . ومن هذا النوع ما كان يؤرخ به الأدباء رسائلهم ؛ فيقولون : (كتبت هذه الرسالة لخمس خلوّن من «شوّال» يريدون : بعد خمس ليال مررن

(١) فالمراد : يحب البدوى الصحراء . . . يُبغض البدوى الحضر — يكره البدوى الاستقرار .

(٢٠٢) راجع ماسبق فى ص ٤٦٩ . حيث الإيضاح والضابط الذى يبين الفاعل والمفعول به المعنويين .

(٣) من أمثلة اللام التبيينية : سقيا لك — رعيًا لك — تبيّنًا للغانث — . . وفى هذه الأمثلة وأشباهها

تفصيلات لغوية دقيقة ، لها آثار معنوية هامة تتصل باعتبارها جملة واحدة حيناً ، وجملتين حيناً آخر .

وقد وثقتها حقها من الإبانة ، والإيضاح ، وعرض أقوم الطرائق لاستعمالها الصحيح — فى الجزء الأول

ص ٣٨٠ ، م ٣٩ فى قسم الزيادة والتفصيل الخاص بمواضع حذف المبتدأ ، ولا مناص للباحث المستقصى

من الرجوع إليها .

(٤) . بعد ، من الظروف التى سبق الكلام عليها فى باب : الظروف بهذا الجزء ص ٢٨٣ .

من شوال . ومثل قول الشاعر^(١) :

توهمتُ آيات لها فعرفتُها ستة أعوام ، وذا العامُ سابع

أى : بعد ستة أعوام . . . ، وقول الآخر :

فلما تفرقنا كَأَنى ومالكا لَطول^(٢) اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معاً

١٧ - أن تكون بمعنى : « قَبْلُ » ، كقولهم فى التاريخ : كتبتُ رسالتى لليلة

بقيت من رمضان . أى : قبل ليلة .

١٨ - أن تفيد الظرفية^(٣) نحو : قوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ

الْقِيَامَةِ) . وقوله تعالى فى أمر الساعة : (لَا يُجَلِّئُهَا لَوَاقِعُهَا إِلَّا هُوَ)^(٤) . وقولهم فى

التاريخ : كتبت هذه الرسالة لغرة شهر رجب ، وقولهم : مضى فلان لسييله . . . ،

(أى : فى يوم القيامة - فى وقتها - فى غرة شهر رجب - فى سييله -) .

١٩ - أن تكون بمعنى : « مِـنَ البَيَانَةِ »^(٥) كقول الشاعر يخاطب عدوه :

لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغمٌ ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

أى : : نحن أفضل منكم يوم القيامة .

٢٠ - أن تكون للمجازاة^(٦) . (مثل : عن) كقول الشاعر :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبُغضاً إنه للذميمُ

أى : عن وجهها . . . ويرى بعض النحاة أنها هنا بمعنى الظرفية (أى مثل :

« فى » . وأنها لا تكون بمعنى : « عَنْ » ولا بمعنى : « عَلَى » ، المفيدة للاستعلاء)^(٧) .

(١) النابتة الذبياني .

(٢) جعلها بعضهم هنا بمعنى : مع - كما أشرنا فى ج ٣ - باب الإضافة م ٩٥ ص ١٠٩ -

والأول أنسب .

(٣) الظرفية - احتواء الشيء فى داخله شيئاً آخر ، كما يحتوى الظرف المظروف ، و . . . و .

فتكون بمعنى : « فى » . (انظرا ما يتصل بهذا فى رقم ٦ ص ٦٣ وهامشه .

(٤) وقيل : إن اللام فى الآية الكريمة بمعنى : « عند » ، أى عند وقتها - (كما جاء فى « المختضب »

لابن جنى ، ج ٢ ص ٣٢٣ (٥) سبق الكلام عليها (فى ص ٤٥٨) .

(٦) سبق فى رقم ٣ من هامش ٤٦٣ تعريفها وبيان أقسامها .

(٧) جعلها بعضهم للاستعلاء الحسى فى مثل قوله تعالى : « ويخرون للأذقان . . . » وقول الشاعر : =

والرأى الشديد أنها إن دلت في السياق على المجاوزة ، أو : الاستعلاء دلالة واضحة كالتى في الأمثلة الواردة — جاز أن تكون من حروفهما ، وإلا طلبنا لها معنى آخر يظهر فيه الوضوح والإبانة .

٢١ — أن تكون لتوكيد النفي ، وهى الداخلة فى ظاهر الأمر — دون حقيقته —

على المضارع المسبوق بكون منفيّ ؛ وتسمى : « لام الجحود »^(١) ؛ لسبقها بالنفي دائماً . نحو : ما كان الحق لينهزم ، ولم يكن الباطل لينتصر .

٢٢ — أن تكون بمعنى : « مع » كقوله تعالى فى التباى : (ولا تأكلوا أموالهم

إلى أموالكم) ، أى : مع أموالكم . (هفجرة إيمانى الكاتب أ والمؤلف)

٢٣ — أن تكون بمعنى « عند » المفيدة للتوقيت ؛ كقوله تعالى : (هو الذى

أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر . . .) ، أى : عند أول الحشر^(٢) . . .

حركة لام الجر :

تتحرك لام الجر بالكسرة إن دخلت على اسم ظاهر غير المستغاث^(٣) فى نحو : يا لثقلادار للضعيف ؛ وتتحرك بالفتحة إن دخلت على ضمير ، إلا على ياء المتكلم ؛ فتكسر فى نحو : رب اغفر لى ، و . . .

* * *

= (فخر صريعاً للدين واللفم) . . . وللاستعلاء المعنوى (وهو المجازى) فى مثل قوله تعالى : (إن أحسنتم لأخسرن ، وإن أسأتم فلها) أى : إن أسأتم فعليها ، والأمر متوقف على موضوع معناها فى السياق .

(١) تفصيل الكلام عليها فى باب : « النواصب » من الجزء الرابع .

(٢) جاء فى تفسير : « صفوة البيان ، لمعانى القرآن » ما نصه : (المعنى : عند أول الحشر .

واللام للتوقيت : كالتى فى قوله تعالى : « أقم الصلاة لذالك الشمس ») ١ هـ .

أى : لتحولها وميلها عن وسط السماء إلى ما يليه .

ويقول المفسرون فى قوله تعالى : (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . .) إن لام الجر هنا

للتوقيت . أى : لوقت وقوعها ، كالتوقيت الذى فى قويم كتب الرسالة لسبع خلون من رمضان مثلاً . . .

(٣) وغير المنادى المقصود به التعجب ؛ كالذى سبق فى رقم ١٢ من ص ٤٧٧ فإن اللام فيه

صالحة للفتح والكسر .

النحو الواقى — ثانى

حتى^(١): حرف جرّ أصلى ، وهو نوعان :

(١) نوع لا يجر إلا الاسم الظاهر الصريح^(٢). ومعنى : « حتى » فى هذا النوع الدلالة على انتهاء الغاية^(٣)؛ ولهذا تسمى فيه : « حتى الغائية » ، نحو : تمتع بأيام الراحة حتى آخرها . والأكثر أن يكون الوصول إلى نهاية الغاية تدرجاً وتمهلاً ، أى : دفعات لا دفعة واحدة . والغالب كذلك أن يسجّر الأخير من الأشياء ، أو ما يتصل بالآخر مما يكون قبله مباشرة . نحو : (شربت الكوب كله حتى الصبابة ، وأتممت الصفحة حتى السطر الأخير) .

ونحو : (سهرت الليلة حتى السحر ، وتنقلت فى الحديقة حتى الباب الخارجى) . والغالب أيضاً أن تدخل نهاية الغاية فى الحكم^(٤) الذى قبل « حتى » . إلا إذا قامت قرينة تدل على عدم الدخول ؛ نحو : قرأت الكتاب كله حتى الفصل الأخير ؛ فنهاية الغاية داخلة بقرينة تدل على الشمول والعموم ؛ هى كلمة : « كل » ، بخلاف : كدت أفرغ من الكتاب ؛ فقد قرأته حتى الفصل الأخير ؛ لأن كلمة : « كدت » التى معناها : « قاربت » تدل على أن بعضه الأخير لم يُقرأ . . . وعلى هذا لا يستحسن الإتيان « بجحتى » فى مثل : قرأت الكتاب حتى ثلثه أو نصفه ، وإنما يجيء مكانها « إلى » .

(ب) نوع لا يجر إلا المصدر المنسبك من « أن » المضمرة وجوباً وما دخلت عليه من الجملة المضارعية . وأشهر معانى هذا النوع ثلاثة : الدلالة على انتهاء

(١) سيجىء فى ج ٤ م ١٤٩ ص ٣١٤ تلخيص مفيد لجميع أنواع « حتى » وتفصيل هام عن نوعها الجار .

(٢) المراد بالظاهر ما ليس ضميراً ، وبالصريح ما ليس مصدراً مؤولاً من « أن المصدرية » والجملة المضارعية بعدها .

(٣) أى : على أن المعنى قبله ينتهى وينقطع بوصوله إلى الاسم المجرور به - كما سبق - وعلامته . صحة وقوع : « إلى » الدالة على انتهاء الغاية مكانه .

« وحتى » أحد حروف ثلاثة تدل على انتهاء الغاية - وقد سبق الحرفان الآخران : « إلى » فى ص ٤٦٨ و « اللام » فى ص ٤٧٢ - وإذا كانت « حتى » لانتهاء الغاية اقتضت أن ينقضى ما قبلها شيئاً فشيئاً ، لا دفعة واحدة ، ولا سريعاً ؛ فلا بد فى انقضائه من التدرج والتمهل - كما سيجىء - .

(٤) وهذا أحد الأوجه التى تخالف فيها : « إلى » . ومنها أيضاً ؛ أنه يجوز أن نقول : كتبت إلى الأخ رسالة ، ولا يصح : كتبت حتى الأخ رسالة ، لأن « حتى » الغائية تتطلب - كما سبق - أن =

الغاية ، كالتنوع السابق ، أو الدلالة على التعليل^(١) أو الدلالة على الاستثناء^(٢) إن لم يصلح أحد المعنيين السابقين .

وهذا النوع — كما قلنا — لا يجر إلا المصدر المنسبك من « أن » الناصبة للمضارع ، المقدرة وجوباً ، ومن صلتها الفعلية المضارعية^(٣) ؛ نحو : أتقنْ عملك حتى تشتهر — اجتنب الكسب الخبيث حتى تسلمَ ثروتك — التاجر الحصيف يحرص على الأمانة حتى يزدادَ ربحه . . . ، ولا يصح أن تكون في هذه الأمثلة لانتهااء الغاية ؛ لأن انتهاء الغاية يقتضى انقطاع ما قبل : « حتى » وانتهاءه بمجرد وقوع ما بعدها وحصوله ، ولا يتحقق هذا في الأمثلة السالفة إلا بفساد المعنى ؛ إذ ليس المراد أن يتقن المرء عمله حتى يشتهر ؛ فإذا اشتهر ترك الإتقان . . . — ولا أن

= ينقضى المعنى قبلها شيئاً فشيئاً ، وعلى عدة دفعات حتى يصل إلى نهاية الغاية ؛ بخلاف « إلى » والكتابة لا تحتاج إلى هذا ، فناسبا « إلى » — كما يجوز أن تقول : انتقلت من البداية إلى الحاضرة ، ولا يحسن أن تقول : « حتى » الحاضرة ؛ لأن الأساليب الصحيحة الماثورة التزمت — أو كادت — بحىء : « إلى » الدالة على النهاية بعد : « من » الدالة على البداية .

ومنها : أن « حتى » قد تجر المصدر المنسبك من : (أن المضمره وجوباً ، والفعل المضارع وقاعله) ، نحو : أسرع حتى أدرك القطار ، أى : أن أدرك ، ولا يصح أسرع إلى أدرك القطار ؛ إذ لا تدخل « إلى » على الفعل مطلقاً إلا مع « أن » الظاهرة .

فملخص الفروق خمسة :

أن : « إلى » تجر الظاهر والمضمر ، أما : « حتى » فلا تجر إلا الظاهر في أصح الآراء ، ويجب الاقتصاد عليه .

وأن : « نهاية الغاية » لا تدخل مع « إلى » إلا بقرينة ، والأمر بالعكس مع « حتى » فالغاية النهائية معها داخلة ، ولا تخرج إلا بقرينة .

وأن « إلى » تقتضى انقضاء ما قبلها — غالباً — بغير تمهل أو انقطاع . بخلاف « حتى » . ولهذا آثار في التعبير .

وأن « إلى » لا تدخل على المضارع بدون « أن » الظاهرة التى تنصبه ، بخلاف « حتى » فإنها تدخل عليه إذا كان منصوباً بأن المقدرة بعدها فتجر المصدر المنسبك .

وأن : « إلى » تجيء للدلالة على النهاية حين توجد : « من » الدالة على البداية ولا يصح بحىء : « حتى » .
(١) الدلالة على أن ما قبلها علة وسبب فيما بعدها . فهي مخالفة للام التعليل وأمثالها مما يكون ما بعده هو العلة

(٢) يحىء ببيان هذه الدلالة على الاستثناء — فى ص ٨٥ —

(٣) للأداة : « حتى » الجارة للمصدر المنسبك من « أن » الناصبة للمضارع وصلتها ، عدة أحكام أخرى مكانها المناسب الذى ستذكر فيه تفصيلاً هو الجزء الرابع ، باب : « إعراب الفعل » حيث الكلام على : « النواصب » . . .

يحتجب الكسب الحبيث حتى تسلم ثروته ، فإذا سلمت لا يجتنبه . . . — ، ولا أن
يحرص على الأمانة حتى يزداد ربحه ، فإذا ازداد تركها ، ليس المقصود شيئاً من هذا
لفساده ؛ فهي في تلك الأمثلة للتعليل .

ومثال الدلالة على انتهاء الغاية : أقرأ الكتاب النافع حتى تنتهي صفحاته —
يمتدّ الليل حتى يطلع الفجر . . .

أما دلالتها على الاستثناء فقليلة ^(١) .

(١) تفصيل الكلام عليها في الصفحة التالية مباشرة — كما أشرنا في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة —

.

زيادة وتفصيل :

(١) قلنا فيما سبق^(١) : إن «حتى» الجارة نوعان : نوع : يجر الاسم الصريح ، ومعنى هذا النوع الدلالة على الغائية ، أى : على نهاية الغاية ، فيجر الآخر ، أو ما يتصل بالآخر . ونوع يجر المصدر المنسبك من «أن» المضمرة وجوباً وما دخلت عليه من الجملة المضارعية . ومعنى هذا النوع ، إما نهاية الغاية^(٢) وإما التعليل ، وإما الاستثناء .

فمن معانى «حتى» : الدلالة على الاستثناء وهذا أقل — استعمالاً لها ، ولا يلجأ إليه إلا بعد القطع بعدم صحة واحد من المعنيين السابقين — ولا تجر فيه إلا المصدر المنسبك من «أن» الناصبة المستترة وجوباً ومن صلتها الفعلية المضارعية . وتكون «حتى»^(٣) فى هذه الحالة بمعنى «إلا» الاستثنائية . والغالب أن يكون الاستثناء منقطعاً ، فتكون «إلا» فيه بمعنى «لكن» أى : يصح أن يحل محلها : «لكن»

(١) فى ص ٤٨٢ .

(٢) يفهم من هذا أن «حتى» لا بد أن تكون لنهاية الغاية إذا كان المجرور بها اسماً صريحاً ، ولا عكس ؛ فلا يلزم من كونها للغاية أن يكون المجرور بها اسماً صريحاً . لا يلزم هذا ؛ لجواز أن يكون مصدراً مؤولاً من أن المصدرية وصلتها الجملة المضارعية .

(٣) قد تكون : «حتى» مع «أن» المستترة بمعنى : (إلا أن) ؛ فيكون الاستثناء منقطعاً ، مع ملاحظة أن أداة الاستثناء ، هنا مقصورة على : «إلا» وحدها . أما الحرف : «أن» الذى يليها فلا شأن له بالاستثناء ، وإنما جىء به لمجرد التفسير والإيضاح .

وقد يكون الاستثناء — أحياناً — متصلاً كما فى بعض الأمثلة التى عرضت ، وكما فى نحو : لا أجيب الصديق حتى يدعنى لمزاملته ؛ أى : لا أجيبه وقتاً إلا وقت دعوى . ببقاء النفى الذى قبل «حتى» على حاله بعد تأويلها — كما هو الأغلب — فالاستثناء متصل مفرغ للظرف ، ولا تصاح «حتى» غائية ، لأن عدم الإجابة لا يقع تدريجاً على دفعات ؛ إذ الإجابة لا تمتد ولا تتطاول إلى زمن الدعوة ، بل إنها لا تكون قبل الدعوة ، ولا تصلح أن تكون «تعليلية» ؛ لأن عدم الإجابة ليس سبب الدعوة . فلم يبق إلا أن تكون بمعنى الاستثناء ، وهو صالح هنا أن يكون متصلاً ؛ فلا يعدل إلى الانقطاع . وبشله قوله تعالى : (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه . . .) ، أى : ما يعلمان من أحد وقتاً (أى : فى وقت) إلا وقت أن يقولوا . . . ولهذا المسألة بيان أشمل ، يستوعب جوانبها الهامة المختلفة ، وهو فى ج ٤ م ١٤٩ باب : «النواصب» ص ٣١٤ وما بعدها : حيث الكلام المفصل عن «حتى» وأنواعها ، وكثير من الأمثلة الأخرى .

التي تفيد الابتداء والاستدراك معاً ؛ (فيكون الاستثناء منقطعاً) ؛ نحو :
لا يذهب دم القتيل هدرًا حتى تَشَارُ^(١) له الحكومة . أى : إلا أن تثار له
الحكومة ، بمعنى : لكن تثار له الحكومة ؛ فلا يذهب هدرًا . والغالب في هذا
المثال — وأشباهه — أن يبقى النفي الذي قبل « حتى » على حاله بعد تأويلها بالحرف
« إلا » .

ولا يصح في المثال السالف أن تكون : « حتى » للغاية ؛ لأن « حتى » الغائية
— كما عرفنا — إذا وقع ما بعدها وتحقق معناه توقف المعنى الذي قبلها ، وانقطع .
يترتب على هذا أن الحكومة حين تثار للقتيل ، ينقطع عدم ذهاب دمه هدرًا ؛
وانقطاعه وتوقفه يؤدي — حتمًا — إلى وقوع ضده وحصوله ؛ أى : إلى أن دمه يذهب
هدرًا . وهذا فاسد .

وشيء آخر يمنع أن تكون « حتى » غائية في المثال ؛ هو : أن ما قبلها لا ينقضى
شيئًا فشيئًا .

وكذلك لا تصح أن تكون : « حتى » « تَعْلِيلِيَّة » ، لأن ما قبلها — هنا —
ليس علة وسببًا فيما بعدها ؛ إذ عدم ذهاب دمه هدرًا بالفعل ليس هو السبب في
انتقام الحكومة له ؛ لأنّ هذا يناقض المراد ، وإنما الانتقام له فعلاً وواقعاً هو
السبب في عدم ذهاب دمه هدرًا ، إذ السبب لا بد أن يسبق المسبب ، ويوجد
قبله ؛ ليحجب بعده ما ينشأ عنه ، ويترتب عليه ، وهو : المسبب ، فأخذ الثأر لا بد
أن يتحقق بطريقة عملية توجد أولاً . ليوحد بعدها عدم ذهاب الدم هدرًا ، لا العكس .
وإذا كانت « حتى » في المثال السابق وأشباهه لا تصلح أن تكون غائية ولا
تعليلية فلا مفرّ بعدهما من أن تكون بمعنى : « إلا » الاستثنائية ، في استثناء منقطع ؛
أى : أنها بمعنى : « لكن » التي تفيد الابتداء والاستدراك معاً — كما أسلفنا —
ومن الأمثلة :

١ — كل مولود يولد جاهلاً بالشرّ حتى يتعلّمه من أسرته وبيئته . بمعنى

(١) تثار ؛ أى : تأخذ بثأره ، وتقتص له من الجاني .

.

إلا أن يتعلمه . أى : لكن يتعلمه . فلا تصلح أن تكون « غائية » ؛ لأن ما قبلها هنا لا يقع متدرجاً متطاولاً بحيث يمتد إلى ما بعدها . بل يقع دفعة واحدة . ولا تصلح أن تكون « تعليلية » ، لأن ولادة الجاهل بالشر ليست هى العلة المؤثرة فى أمر التعلم ، ولا السبب المباشر فيه ؛ إذ العلة لا يتخلف أثرها ؛ فلا بد أن يتحقق بتحقيقها المعلول ، ويوجد بوجودها : لأن العلة لا يتأخر عنها المعلول ، فلم يبق إلا أن تكون « حتى » ، بمعنى : « إلا » فى استثناء منقطع ، أى : بمعنى : « لكن » المشار إليها .

٢ - ناديتك حتى نحصد القمح بعد ساعات ؛ فالنداء ليس فيه تمهل وتدرج يمتدان إلى وقت الحصد ، وليس سبباً مباشراً فى الحصد .

٣ - افح نوافذ الحجرة حتى يشتد البرد ليلاً ويقال فيه ما سبق^(١) . . .

(ب) من الأمثال : « ما سَلَّمَ القادِمُ العَزيزُ حَتَّى ^(٢) ودَّع » . (وهو مثل "

(١) وفى معانى الحروف الثلاثة : (حتى - اللام - إلى) يقول ابن مالك :

لِلْإِنْتِهَاءِ : « حَتَّى » ، وَ « لَامٌ » ، وَ « إِلَى » وَ « مِنْ » ، وَ « بَاءٌ » يُفْهَمَانِ بَدَلًا
 وَاللَّامُ لِلْمِلْكِ وَشَبْهِهِ ، وَفِي تَعْدِيَةٍ أَيْضًا ، وَتَعْلِيلٍ ، قُفِي
 [وَزَيْدٌ]

(قفى ، أى : 'نسب وعرف') .

سرد ابن مالك فى هذين البيتين وكلمة من أول الثالث - عدة معان لعدد من الحروف ؛ فبين أن : « حتى » و « اللام » و « إلى » تشترك فى تأدية معنى واحد ؛ هو : الانتهاء . وأن « من » و « الباء » يشتركان فى معنى واحد ؛ هو : البدلية . وأن اللام - بعد ذلك - تفيد معنى الملك وشبهه ، والتعدية ، والتعليل ، وقد تقع زائدة . واكتفى بهذه المعانى القليلة التى سردها لعدد من حروف الجر سرداً مختلطاً مبتوراً ومن أسبابه ضيق الأوزان الشعرية وقيودها التى لا تتسع لما يتسع له النثر . وقد تداركنا الأمر بالشرح والترتيب المناسبين .

(٢) ويلاحظ أن « حتى » فى هذا المثال حرف ابتداء : لوقوع الماضى بعدها ؛ فليست حرف جر ؛ إذ الجارة لا بد من دخولها - كما عرفنا - على اسم صريح أو على مصدر منسبك من « أن » وصلتها الجملة المضارعية .

.....

 يقال فيمن قصرت مدة زيارته . أى : ما سلم في زمن ؛ لكن ودّع فيه ، أو :
 ما سلم في زمن إلاّ زمنًا ودّع فيه^(١).

ومن المستحسن التخفف من استعمال « حتى » التي بمعنى « إلاّ » قدر
 الاستطاعة ؛ لأن فهم المراد منها ، والتمييز بينها وبين نوعيها الآخرين — لا يخلو
 من صعوبة ، ولأن كثيراً من النحاة لا يوافق على أنها تكون بمعنى « إلا » ويتأول
 الوارد منها .

(ح) وضح مما تقدم أن « حتى » الجارة بنوعيها لا تدخل على جملة ، لأن التي
 تدخل على الجملة (الاسمية أو الفعلية) نوع آخر ، يسمى : « حتى الابتدائية »^(٢)
 وسيجىء تفصيل الكلام عليها في موضعها المناسب^(٣) . . .

* * *

(١) ففيه نوع شبه بما مر في رقم ٣ من هامش ص ٤٨٥ برغم الاختلاف في نوع : « حتى » .

(٢) وهي الداخلة على جملة مضمونها غاية (أى : نهاية) لشيء قبلها (كما جاء في الخضرى -

ج ٢ باب « العطف » عند الكلام على « حتى ») .

(٣) باب التواصب ، ج ٤ ص ٢٥٢ م ١٤٩ .

الواو ، والتاء : حرفان أصليان للجر ، ومعناها القسم^(١) - غير الاستعطاف^(٢) -
ولا يصح أن يذكر معهما جملة القسم ، وهما لا يجزان إلا الاسم الظاهر . والتاء
تفيد مع القسم التعجب^(٣) . ولا تجر من الأسماء الظاهرة إلا ثلاثة : (الله - رب -
الرحمن) ومن الشذوذ أن تجر غير هذه الثلاثة .

فمن أمثلة واو القسم قول الشاعر :

فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ومن أمثلة تاء القسم قوله تعالى : (وتالله لأكيدنّ أصنامكم . . .)^(٣) .

ويجرى على الحرفين السابقين ما يجرى على كل حروف القسم من جواز الحذف^(٤)
مع بقاء المقسم به مجروراً بشرط أن يكون هو لفظ الجلالة (أى : الله) .

* * *

(١) أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٧٧ إلى أن أحرف القسم المشهورة أربعة : « اللام » وقد
سبق الكلام عليها هناك ، وكذلك « الواو والتاء والباء » ، وسيجيء الكلام على الثلاثة هنا ، والصحيح أن
« الواو » و « التاء » أصليان في القسم ، وليسّا نائبين فيه عن « الباء » وليست الباء بعدها مقدرة تجر
الاسم ؛ لأن هذا تعقيد لا داعي له . وقد أشرنا أيضاً في تلك الصفحة إلى أن بعض العرب يستعمل الحرف
« من » (بكسر الميم أو ضمها) حرف قسم ، ولا يكاد يجر به إلا كلمة : « الله » . نحو : من
الله لأصاحبك . وأندر من هذا استعمال كلمة : « ها » حرف قسم بعد كلمة : « إى » : ، بمعنى :
نعم أو بدونها . ولا داعي اليوم لاستعمال هذه اللغات النادرة ، بالرغم من جواز استعمالها .
(٢) إيضاحه في ص ٩٧ و ٩٨ .

(٣ و ٣) جاء في « المغنى » ج ١ حرف التاء المفردة ما نصه : (« التاء حرف جرّ ، معناه : « القسم »
ويختص بالتعجب ، وباسم الله تعالى ، وربما قالوا : تَرَبَّى وتَرَبَّ الكعبة ، وتالرحمن . قال الزمخشري
في قوله تعالى : « وتالله لأكيدنّ أصنامكم » . . - الباء أصل حروف القسم ، والواو بدل منها - يريد
أنها تحل محلها - والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجب ؛ كأنه تعجب من تسهيل الكيد على
يده وتأتيه ، مع عتوّ تمرؤذ وقهره . » ا هـ

وجاء في حاشية الامير التي على هامشه ما نصه : (« قوله : ويختص بالتعجب » أى : أن المقسم
عليه بها لا بدّ أن يكون غريباً) ا هـ كلام المغنى .

وجاء في القاموس المحيط (آخر الجزء الرابع ، باب الألف اللينة) ما نصّه تحت عنوان « التاء » :
(. . . حرف جر للقسم ، ويختص بالتعجب ، وباسم الله تعالى ، وربما قالوا : تَرَبَّى - وتربّ الكعبة -
وتالرحمن) ا هـ

(٤) لحذف حروف الجر - ومنها حروف القسم - موضوع مستل للبحث في ص ٢٢٢

ملاحظة :

حرف « الواو » أنواع متعددة ، لكل نوع استعمال خاص يؤدي إلى معنى معين . ومن أنواعه « واو : رب » حيث ينوب عن « رب » جوازاً بعد حذفها في مواضع محددة يأتي بيانها^(١) — ولا يتحتم أن تكون هذه الواو نائبة عن « رب المحذوفة — كما سنعرف — .

* * *

الباء : حرف يجر الظاهر والمضمر ، ويقع أصلياً وزائداً^(٢) ، ويؤدي عدة معان ، أشهرها خمسة عشر :

١ — الإلصاق حقيقة أو مجازاً ؛ نحو : أمسكت باللص ، ومررت بالشرطي .
فغنى أمسكت به : قبضت على شيء من جسمه ، أو مما يتصل به اتصالاً مباشراً ؛ كالثوب ونحوه . وهو — عند كثير من النحاة — أبلغ من : أمسكت اللص ؛ لأن معناه مع « الباء » ، المنع من الانصراف منعاً تاماً .

ومن الإلصاق الحقيقي قول الشاعر :

سقى الله أرضاً لو ظفرتُ بتربها كحاتُ بها من شدة الشوق أجفاني
ومعنى مررت بالشرطي : ألصقت مروري بمكان يتصل به . . .

٢ — السببية أو التعليل (بأن يكون ما بعدها سبباً وعلّة فيما قبلها) . نحو :
كل امرئ يكافأ بعمله ، ويعاقب بتقصيره . أى : بسبب عمله ، وبسبب
تقصيره^(٣) . . . وقول الشاعر :

إنما ينكر الديانات قوم^٤ هم — بما^(٤) ينكرونه — أشقياء
وقول الآخر :

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديق . . .
والمراد : هم أشقياء بسبب ما ينكرونه — وعرفت بسببها^(٥) . . .

٣ — الاستعانة ، (بأن يكون ما بعد الباء هو الآلة للحصول المعنى الذي قبلها)^(٥)

(١) في ص ٥٢٨ .

(٢) وأحسن لغاته أن يتحرك بالكسر في جميع أحواله .

(٣) وقوله تعالى في بعض الأمم البائدة : (فأخذهم الله بذنوبهم . . .) أى : أهلكتهم بسبب ذنوبهم .

(٤) الجار والمجرور متقدم لفظاً فقط ولكنه متأخر في إعرابه .

(٥) (هـ ، هـ) الفرق بين باء الاستعانة وباء السبب ، أن « با السببية » داخلة على السبب الذي أدى إلى =

نحو : سافرت بالطيارة - رصدت الكوكب بالمنظار ، وهذا المعنى هو والإلصاق أكثر معانيها استعمالاً .

٤ - الظرفية ؛ نحو قوله تعالى : (ولقد نصبركم الله بيدر . . .) . أى : فى بذر .

٥ - التعدية ، أو : النقل (وهى التى يستعان بها - غالباً - فى تعدية الفعل اللازم إلى مفعول به ، كما تُعديه همزة النقل) ، نحو : ذهبت بالمريض إلى الطبيب ، بمعنى : أذهبتُهُ . وقعدتُ بفلان همته عن الطموح ، بمعنى : أقعدتُهُ . . .

٦ - أن تكون بمعنى كلمة : « بدل » ^(١) ، (بحيث يصح إحلال هذه الكلمة محلَّ « الباء » من غير أن يتغير المعنى) ، مثل : ما يرضينى بعملى عملٌ آخر - أرتضى بالملاكمة رياضة أخرى . أى : ما يرضينى بدل عملى عملٌ آخر ، - أرتضى بدل الملاكمة ^(٢) رياضة أخرى .

= حصول المعنى الذى قبلها ، وتحقيقه سلباً ، وإيجاباً ؛ نحو : مات الرجل بالمرض ، أى : بسبب المرض ، وأن « باء الاستعانة » داخلة على أداة الفعل وآلته التى هى الواسطة بين الفاعل ومفعوله ؛ نحو : فتحت الباب بالمفتاح - قطعت اللحم بالسكين - كتبت الرسالة بالقلم .
(١) هل هناك فرق بين : « البذل ، والعوض » ؟ الجواب فى هامش الصفحة الآتية .

(٢) إذا كانت الباء بمعنى : « بدل » فالأكثر دخولها على المتروك ؛ (أى : على الشيء الذى لم يؤخذ للاستغناء عنه بأخذ غيره ، بدلا منه) كالأمثلة المعروضة ، وكقوله تعالى فى الكفار : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى . فا ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين) ويصح دخول « الباء » على المأخوذ لا المتروك ، فقد جاء فى المصباح مادة : « بدل » ما نصه : « (أبدلته بكذا إبدالاً ، بحيث الأول ، وجعلت الثانى مكانه) » . اهـ

وفى مختار الصحاح ، مادة : « بدل » ما نصه : « (الأبدال قوم من الصالحين لا تدخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه بآخر) » . اهـ

وجاء فى تاج العروس - مادة : « بدل » - ما نصه :

(« قال ثعلب ، يقال : أبدلت الخاتم بالخلقة ، إذا نحتت هذا وجعلت هذه مكانه ، وبدلت الخاتم بالخلقة إذا أذبتة ، وسويته حلقة . وبدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتا وجعلتها خاتماً . قال : وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهره بعينها . والإبدال : تنحية الجوهره واستئناف جوهره أخرى . وقال أبو عمرو : فعرضت هذا على المبرد فاستحسنه ، وزاد فيه فقال : وقد جعلتُ العرب أبدلتُ مكان بدلتُ . . . ») . اهـ

وجاء فى تفسير الألوسى لقوله تعالى : « ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » مثل ما سبق من كلام ثعلب ، =

ومنه قول الشاعر :

إن الذين اشتروا دنياً بآخرةٍ وشِقْوَةً بنعيمٍ ، ساء ما فعلوا
٧ - العيوض^(١) (أو : المقابلة) ؛ نحو : اشتريت الكتاب بعشرة دراهم
واشتراه أخى بأحدٍ عَشَرَ . . .

٨ - المصاحبة^(٢) ؛ نحو قوله تعالى : (اهْبِطْ بِسَلَامٍ) ، ونحو : سافر
برعاية الله ، وأرجع بعنائه . أى : مع سلام - مع رعاية الله - مع عنايته .

٩ - التبعض ، أو : البعضية ، (بأن يكون الاسم المجرور بالباء بعضاً من
شيء قبلها) . نحو قوله تعالى : (عِينًا يشرب بها المقربون) ، أى : منها ،
وقولهم : حفلت المائدة ؛ فتناولت بها شهى الطعام ، ولذيذ الفواكه . أى :
تناولت منها^(٣) . . .

= وزاد شاهداً آخر لدخول الباء على المأخوذ ، هو قول الطفيل لما أسلم :

«وبدل طالعى نحسى بسعد» اهـ

ولا فرق في هذا بين أن يكون ما تعلق به الجار والمجرور هو الفعل : « بدل » وفروعه ، وما تصرف
منه ، أم غيره - بقرينة - كبعض الأمثلة التى عرضناها . ومن الأمثلة الأخرى قول عُروة بن الورد :

فلو أنى شهدت أبا سعادٍ غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى ولا آلوك إلا ما أطيع

(يفوق : يجود بها ويلفظها ساعة الاحتضار) ، يريد : فديت بنفسى ومالى نفسه . أى : قدسهما
فداء له ، وبدلاً منه .

(١) المراد بالعيوض : دفع شيء من جانب ، في نظير أخذ شيء يقابله من جانب آخر . والفرق
بين العوض والبدل ، أن العوض هو دفع شيء في مقابلة آخر . أما البدل فهو اختيار أحد الشيئين وتفضيله
على الآخر من غير مقابلة من الجانبين كأن يكون أمامك شيئان لتختار أحدهما ؛ فتقول أخذ هذا بدل
الآخر من غير أن يكون هناك تعويض . وهذا هو الشائع ، وقيل : البدل أعم مطلقاً ؛ فهو الدال على
اختيار شيء وتفضيله على آخر ؛ سواء أكان هناك مقابلة وعوض أم لا . والحكم في هذا للقرينة ؛ فهى
التى تعين المراد وتوجه ذهن إليه .

(٢) سبق توضيحها في رقم ٢ من هاشم ص ٦٩ ؟ عند الكلام على : « إلى » . وقد يعبر عنها

أحياناً ، « بالمعية » -

(٣) ومثل قول المتنبي يمدح :

فإن نلت ما أملت منك فربما شربت بماءٍ يُعجزُ الطيرَ وردهُ

١١ - المجاوزة^(١) ؛ نحو قوله تعالى : (فاسأل به خبيراً) . أى : عنه . وقوله تعالى فى وصف المؤمنين يوم القيامة : (يسعى نورهم بين أيديهم ؛ وبأيمانهم) ، أى : عن إيمانهم ، وقوله تعالى : (ويومَ تَشَقَّقُ السماءُ بالغمام) ، أى : عن الغمام . . .

١٢ - الاستعلاء - فترادف : على - ؛ كقولهم : من الناس من تأمَّنهُ بدينار فيخون الأمانة ، ومنهم من تأمَّنه بقطار من الذهب فيصونه ويؤديه كاملاً ، أى : على دينار ، وعلى قطار .

١٣ - أن تكون بمعنى : « إلى » ، نحو قوله تعالى : (وقد أحسنَ بى إذ أخرجنى من السجن . . .) . بمعنى أحسنَ إلىَّ .

١٤ - التوكيد^(٢) ؛ (وهى الزائدة) جوازاً فى مواضع معينة ؛ منها : الفاعل ؛ نحو قوله تعالى : (وكفى بالله شهيداً) والمفعول به نحو قوله تعالى : (ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَةِ . . .) والمبتدأ نحو : بحسبك البراعة الفنية ، وخبر الناسخ ؛ مثل : ليس المال بمغنٍ عن التعلِّم^(٣) والتقدير : كفى الله - ولا تلقوا أيديكم - حسبك البراعة - ليس المال مغنيا . . . - كما يجوز زيادتها فى المبتدأ الواقع بعد « إذا الفجائية » ؛ نحو : نزلت البحر فإذا بالماء بارد^(٤) . وكذلك يجوز زيادتها فى لفظين من ألفاظ التوكيد المعنوى ، هما : « نفس ، وعين » ؛ مثل : خرج الوالى نفسه ، أو بنفسه - يتفقد أحوال الناس - كلمت الوالى نفسه ، أو بنفسه وهو يراقب عماله - سلَّمت على الوالى

(١) سبق إيضاح معناها وأقسامها فى رقم ٣ من هامش ص ٤٦٣ .

(٢) سبق معنى التوكيد المستفاد من الحرف الزائد ، فى أول هذا الباب ص ٤٥٠ ، وكذلك فى الجزء الأول (م ٥ ص ٦٥) . أما مواضع زيادة الباء . فتوضحها الأمثلة الآتية هنا ، وفى ص ٤٩٥ حيث بيان الحكم على زيادتها من ناحية القياس والسمع

(٣) ومثل قوله تعالى : (« أليس الله بأحكم الحاكمين ») وفى قول الشاعر :

ليس التدينُّ بالكلام ، وإنما صدقَ الفعالُ أَمارةَ المتدينِّ
ومثل آخر البيت الآتى :

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من حسنٍ ليس الكريم - إذا أعطى - بمنانٍ
(٤) سبقت الإشارة لهذا فى ص ٢٨١ .

نفسه ، أو بنفسه وهو مقبل — ومن الممكن وضع كلمة : « عين » مكان كلمة : « نفس » في الأمثلة السَّالفة ونظائرها ، حيث تعرب « الباء » زائدة ، وما بعدها مجرور اللفظ في محل رفع أو نصب ، أوجر — على حسب حاجة الجملة في تلك الاستعمالات الصحيحة الفصيحة ^(١) .

وتزاد وجوباً في الاسم بعد صيغة : « أَفْعِلْ » المستعملة في التعجب القياسي ؛ نحو : أعْظِمِ بِالْحَسَنِ ^(٢) — بشرط ألا يكون الاسم مصدرأ مؤولا من « أَنْ أو أَنْ » والصلة ^(٣) — فإن كان المصدر مؤولا من إحداهما ومعها صلتها جاز حذف « الباء » وذكرها ، إلا في الرأى الذى يوجب هنا ذكرها قبل « أَنْ » المشددة ومعمولها ، وهو رأى يُفْرَق بينهما في هذه الصورة وحدها من غير داع — كما أشرنا ^(٤) .

وكذلك تزداد وجوباً في مثل : « جاء القوم بأجنهُمهم » — بفتح الميم أو ضمها — فكلمة : « أجمع » هذه من ألفاظ التوكيد القليلة ، ولا بد أن تضاف إلى ضمير المؤكّد ، وأن تسبقها « الباء » الزائدة الجارة . وهى زائدة لازمة لا تفارقها . وتعرب كلمة : « أجمع » توكيداً مجرور اللفظ وله محل إعرابى على حسب الجملة .

* * *

اتصال ما « الزائدة بالباء » :

يصح زيادة الحرف : « ما » بعد « باء » الجر ؛ فلا يؤثر هذا الحرف الزائد في معناها ، ولا في عملها ؛ بل يبقى لها كل اختصاصها الذى كان قبل اتصالها بالحرف الزائد ؛ نحو قوله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ) ، أى : من الله ، وبسببها ^(٥) . . .

(١) كما سيحىء في ص ٤٩٦ — أما البيان ففى الجزء الثالث ، باب : التوكيد ، م ١١٦

ص ٤٩٠ و ٥٠٤

(٢ ، ٢) لهذا إشارة فى ص ٥٣٢ ؛ وانظر — للأهمية — رقم ٤ من هامش ص ٥٣٢ و ج ٣

ص ٢٧٩ م ١٠٨ باب : « التعجب » . (٣) فى رقم ٤ من هامش ص ٥٣٢ .

(٤) وسيشير إلى هذا ابن مالك — آخر الباب — فى هامش ص ٥١٥ حيث يقول :

وَبَعْدَ « مِنْ » و « عَنْ » ، و « بَاءِ » زِيدَ « مَا » فَلَمْ يَعْقُ عَنْ عَمَلٍ قَدْ عَلِمَا
أى : زِيدَتْ « مَا » بَعْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَلَمْ تَعْقُ (لَمْ تَمْنَعْ) عَنِ الْعَمَلِ الَّذِى عَرَفْنَاهُ لَهُ .

زيادة وتفصيل :

تعددت هنا الأمثلة للباء الزائدة كى تدل على أنها تزداد فى الفاعل ، والمفعول به ، والمبتدأ ، وخبره ، وخبر الناسخ . وقد تزداد فى غير ذلك قليلا .

بقى أن نسأل : أزيادتها قياسية أم سماعية ^(١) ؟ الأحسن الأخذ بالرأى القائل : إن الزائدة فى الفاعل تكون واجبة فى فاعل فعل التعجب الذى صيغته القياسية : « أفعل » ، مثل : أصلح بنفسك ، وأحسن بعمالك ؛ بمعنى : ما أصلح نفسك !! وما أحسن عملك !!

وتكون جائزة ، فى فاعل : « كَفَيْ » . مثل : كفى بالله شهيداً .

أما الزائدة فى المفعول به فغير مقيسة . ولو كان مفعولاً به للفعل : « كفى » نحو : كفى بالمرء عيباً أن يكون نمأماً .

وقول الشاعر :

كفى بالمرء عيباً أن تـَـرَـاه له وجه وليس له لسان

ويستثنى من هذا زيادتها فى مفعول الأفعال الآتية : (عرف - علم بمعنى : عرف - جهد - سمع - أحسن) . فإن هذه الزيادة جائزة .

والزائدة فى المبتدأ والخبر غير قياسية ؛ إلا فى مثل الأنواع المسموعة ^(٢) كثيراً منها

(١) راجع فيما يأتى : المعنى ، حرف الباء ، وحاشية الصبان - ج ٢ - باب : « حروف الجر » عند الكلام على : « الباء الجارة » .

(٢) ما المراد هنا من المسموع ؟ أهو عام بعد كلمة : « كيف » يشمل إدخال الباء على المبتدأ الاسم الظاهر ، وعلى الضمير مطلقاً ؛ (لتكلم أو لمخاطب ، أو لغائب ، من غير تقييد بنوع الضمير المسموع ولا بلفظه) ، وكذلك إدخالها على المبتدأ الذى يلى « إذا » الفجائية بغير تقييد ؟ - أم أن المراد هو الاقتصار على نص الضمير المسموع لفظاً ونوعاً بعد « كيف » وعلى الاسم الظاهر ، وكذلك على نص المبتدأ المسموع لفظاً ونوعاً بعد « إذا » الفجائية ؟

الأحسن الأخذ بالرأى الأول الذى يفيد العموم فى هذين الموضعين ؛ فيبيح زيادة الباء فى صدر المبتدأ التالى : « كيف » و « إذا » الفجائية مطلقاً من غير تقييد باسم ظاهر ، ولا ضمير ، ولا نوع من =

.....

 — كالتى بعد : « كَيْفَ » و « إِذَا » وقبل كلمة : « حَسَبَ » — كقول الشاعر :

وقفنا ، فقلنا إليه عن أمّ سالمٍ وكيف بتكليم الديار البلاقع ؟

ونحو : كيف ^(١) بك إذا اشتد الأمر — أصغيت فإذا بالطيور ^(٢) مغردة — بحسبك علم نافع ،

أما زيادتها فى خبر : (« ليس » ، وخبر : « ما » النافية ، وخبر : « كان » المنفية) ، فقياسية فى الثلاثة — بالشروط الهامة ، والتفصيلات المعروضة فى مكانها الأنسب ^(٣) —

وزيادتها جائزة ^(٤) — فى كلمتى : النفس ، والعين ، عند استعمال لفظهما فى ^(٥) التوكيد ؛ مثل : اخترقت الطائرات السحاب نفسه أو بنفسه ، واجتازت الغلاف الهوائى عينه أو بعينه . قطعت السيارات نفسها أو بنفسها ، الصحراء . وقول على — رضى الله عنه — : « من نظر فى عيوب الناس فأنكرها ، ثم رضىها لنفسه ؛ فذاك الأحمق بعينه » .

= أحدهما . وهذا رأى هو الأقوى الذى تؤيده الشواهد الكثيرة الفصيحة . أما زيادتها قبل « حسب » فقصور على لفظها ذاته .

(١) وكذلك قول النابغة — كما نقله الأساس ، ج ١ ص ١٣٧ مادة : « جنح » — ونصّه :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم فكيف بحصن والجبال جنوح .

وأصل الجملة فى : « كيف بك » — كما سبقت الإشارة لهذا ج ١ — هامش رقم ٢ من ص ٣٠٥ م ٣٣ . هو : — كيف أنت ؟ فلما زيدت الباء الجارة وجب تغيير الضمير : « أنت » ؛ لأنه ضمير المخاطب مقصور على الرفع ؛ فأتينا بضمير يؤدى معناه ، ويصلح لدخول حرف الجر وهو « كاف الخطاب » فالكاف مجرورة لفظاً فى محل رفع مبتدأ . ومثلها : « الباء » فى نحو : خرجت فإذا بالشمس طالعة . وكذلك فى بيت النابغة — زائدة فى المبتدأ المحرور لفظاً المرفوع محلاً ، (كما سيأتى فى رقم ٢) .

(٢) مثال للمبتدأ الواقع بعد « إذا » الفجائية وقد دخلته الباء الزائدة . ومثله ما سبق فى رقم ١

(٣) ج ١ م ٤٧ ص ٥٨٩ موضوع : « نفى الأخبار فى باب : « كان » مع زيادة باء الجر . »

(٤) كما سبق فى ص ٤٩٣

(٥) إيضاح هذا فى باب التوكيد ج ٣ ص ٤٩ م ١١٦ .

١٥ - الدلالة على القسم ؛ وهذا من أكثر استعمالاتها ، وهى الأصلة فيه دون حروفه السابقة (اللام ، الواو ، التاء ، مِّن . . .) وتشاركها فى جواز حذفها مع بقاء الاسم المحرور بها على حاله ؛ بشرط أن يكون هذا الاسم هو لفظ الجلالة (الله) ولكنها تخالف تلك الحروف فى ثلاثة أمور تنفرد بها ، ولا يوجد واحد منها فى حرف آخر من حروف القسم ، غير الباء ؛ هى :

١ - جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أو حذفهما ؛ نحو : أقسم بالله لأعاونن الضعيف ، أو بالله لأعاوننن الضعيف . أما مع غير الباء فيجب حذف فعل القسم وفاعله .

ب - وجواز أن يكون المقسم بالباء اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً ؛ نحو : بربّ الكون لأعملنّ على نشر السلام - بك لأنزلن عند رغبتك الكريمة . أما غير الباء فلا يجر إلا الظاهر .

ج - وجواز أن يكون القسم بالباء « استعطافياً » ^(١) (وهو الذى يكون جوابه إنشائياً) ؛ نحو : بالله ، هل ترحم الطائر الضعيف ، والحيوان الأعجم ؟ بربك ، أموافق أنت على تأييد الضعفاء ؟ وقول الشاعر ^(٢) :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرًا — على ما رأيت عيناك من هرقمى مصر ؟

أما القسم بغير الباء فقصور - فى رأى الغالب - على القسم غير الاستعطافى .

* * *

(١) سيجىء فى : « الزيادة والتفصيل » أن القسم نوعان : « استعطافى » ، و « غير استعطافى » ، أو خبرى . وإيضاح كل . وما يطلبه . . . مع بسط الكلام على جواب القسم . ولهذا البحث مناسبة أخرى هامة فى ج ٤ م ١٥٨ ص ٤٧٢ ؛ وبن المفيد الاطلاع عليه ، توفية الموضوع .

(٢) سيماد هذا البيت فى ص ٥١٠ لمناشبة أخرى .

زيادة وتفصيل :

(١) كل حرف من أحرف القسم الأربعة ^(١) هو ومجروره يتعلقان معاً بالعامل : « أحلف » ، أو : « أقسم » ، أو : نحوهما من كل فعل يستعمل في القسم ، ومن فعل القسم وفاعله تتكون الجملة الفعلية الإنشائية : التي هي : « جملة القسم » . ولا بد أن تكون فعلية ؛ سواء أذكر الفعل أم حذف . لكن ليس من اللازم أن يكون الفعل « صريحاً » في دلالة على القسم كالأفعال السابقة ؛ فهناك ألفاظ أخرى يسمونها : « ألفاظ القسم غير الصريح » وهو الذي لا يُعرف منه بمجرد سماعه أن الناطق به حالف ؛ بل لا بد معه من قرينة ؛ ومن أمثلته الأفعال : شهد - عليم ^(٢) - آلى . . . ؛ نحو : أشهد لقد رأيت الغلبة للحق آخر الأمر - علمت لقد فاز بالسبق من أحسن الوسيلة إليه - والقرينة هنا : « اللام » ، وقد « الداخلان على الجواب - غير أن » الجملة القسمية التي من هذا النوع خبرية لفظاً .

ولا بد لجملة القسم من جملة بعدها تسمى : « جواب القسم » ^(٣) . بيان ذلك : أن الغرض من « جملة القسم » إما تأكيد المراد من جملة تجيء بعدها ، وإزالة الشك عن معناها ؛ بشرط أن تكون هذه الجملة الثانية خبرية ^(٤) ، وغير تعجبية ^(٥) ، نحو : أقسم بالله (لا أنقاد لرأى يُجاني العدالة) . فهذه الجملة الثانية هي « جواب القسم » ولا محل لها من الإعراب في الأغلب ^(٦) . ويسمى القسم في هذه الحالة :

(١) سبق في ص ٤٧٧ وفي رقم ١ من هامش ص ٤٨٩ - الإشارة إلى حرف خامس هو : « من » ومن المستحسن اليوم عدم استعماله لغرابته . وأغرب منه وأندر استعمال : « ها » حرف قسم ، بعد كلمة : « إي » - في الغالب - التي معناها : نعم (طبقاً لما سبق في ص ٤٧٧ ...)

(٢) انظر ما يتصل بهذا الفعل في رقم ٨٧ من هامش ص ٥

(٣) هل يكون جواب القسم غير جملة ؟ الإجابة في « ح » من ص ٥٠٥ .

(٤) فلا تصلح الجملة الشرطية ، ولا أنواع الإنشائية ، ومنها القسمية - كما سيجيء في : « و »

من ص ٥٠٣ .

(٥) يرى كثير من النحاة أن جملة التعجب خبرية ، ولكنهم يوافقون غيرهم في أنها لا تصلح جواباً للقسم .

(٦) الأغلب أن الجملة الواقعة جواباً للقسم لا محل لها ، وقد يكون لها محل - (كما سبق بيانه في

رقم ١ من هامش ص ٣١ وكما يأتي في رقم ٢ من ص ٥٠٤) .

« قسمًا خبريًا » أو : « غير استعطافي » . وإما تحريك النفس ، وإثارة شعورها
بجملة إنشائية تجيء بعد جملة القسم . والفصيح أن تكون الأداة هي الباء ؛ نحو :
ربك ، هل رحمت الشكلى ؟ . بحياتك ، أعطفْت على البائس ؟ . وقول الشاعر :
بعينك ياسلْمى ارحمى ذا صباية أبى غير ما يرضيك فى السرّ والجهر

فالجمله الثانية هى جواب القسم ، ولا محل لها من الإعراب هنا ، ويسمى
القسم فى هذه الحالة : « استعطافياً » ، أو : « غير إنشائى » . ولا بد أن يكون
جوابه جملة إنشائية ، (كما أوضحنا)^(١) وهى لا تحتاج لزيادة شىء عليها .
بخلاف : القسم « غير الاستعطافى » ، فإن جوابه يتطلب إدخال بعض الزيادة
على جملته ، بالتفصيل الآتى^(٢) :

١ - إن كان الجواب جملة فعلية . . . فعلها ماضى ، متصرف ، مثبت -
فالكثير الفصيح اقترانها « باللام » و « قد » ، معاً ، نحو : (والله لقد أفاد الاعتدال
فى ممارسة الأمور) . ويجوز - بقلة - الاقتصار على أحدهما ، أو التجرد منهما ،
مع ما فى الأمرين من ترك الكثير الفصيح . وتسمى هذه اللام المفتوحة : « لام
جواب القسم » ، أو : الداخلة على جوابه .

وإن كان الماضى غير متصرف فالكثير الفصيح اقترانه باللام فقط ؛ نحو :
(والله لننعم المرء يبتعد عن الشبهات) . إلا الفعل « ليس » فلا يقترن بشىء ؛ مثل :
(والله ليست قيمة المرء بالأقوال ، ولكن بالأفعال) .

وإن كان الماضى غير مثبت لم يزد عليه شىء إلا حرف من حروف النفي
الثلاثة التى يكثر دخولها على الجواب المنفى ؛ وهى : ما - لا - إن - ؛ نحو :
(والله ما مدحت أئيماً) - (بالله لا رفصت عتاب الصديق ، ولا غضبت منه) . (والله
إن امتنعت عن مزاملتك فيما يرفع الشأن ، أى : بالله ما امتنعت) . وغير هذا شاذ .

٢ - إن كان الجواب جملة مضارعية مثبتة فالأغلب الأقوى اقتران مضارعها

(١) ما سبق نفهم قول النحاة : القسم جملة إنشائية جاءت لتأكيد جملة خبرية بمعناها . وهذا
هو القسم غير الاستعطافى . فإن كانت الثانية إنشائية أيضاً فالقسم استعطافى .

(٢) سيذكر هذا البيان فى ج ٤ م ١٥٨ ص ٣٦٢ عند اجتماع الشرط والقسم ، ومن المفيد الرجوع
إليه أيضاً .

باللام ونون التوكيد معاً^(١)؛ نحو ؛ والله لأحبس يدي ولساني عن الأذى . ومن القليل الجائز الاختصار على أحدهما .

فإن كانت الحملة مضارعية منفية . . . لم يزد عليها شيء إلا أحد حروف النفي الثلاثة^(٢) التي يكثر دخولها على الجواب المنفي^(٣) (وقد سبقت لها الإشارة) مثل : والله ما أحبس يدي ولساني عن محاربة المنكر - والله إن أحبس يدي ولساني . . . - والله لا أحبس يدي ولساني . ومن هذا قول الشاعر :

رُفِي^(٤) ، بَعَمْرُكُم لَا تَهْجِرِينَا وَمَنِينَا الْمُنَنَى ، ثُمَّ امْطَلِينَا

٣ - إن كان الجواب جملة اسمية مثبتة فالأحسن اقترانه بحرفين معاً ، هما : « إن » ولام الابتداء في خبرها^(٥) ، نحو : والله إن الغدر لأقبح الطباع .

(١) راجع ماله صلة بهذا في ص ٣١ و ٣٢ وهامشها .

(٢) ويزاد عليها هنا : « لن » في رأي مقبول من آراء تعارضه - رله إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٥٠١ ومن أمثلته قول أبي طالب يعلن حمايته للرسول عليه السلام من أعدائه المشركين القرشيين :

وَاللَّهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَهْمٍ حَتَّى أُوسِدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

(٣) قد يكون وجود حرف النفي قبل هذه الحملة المضارعية مقدراً غير ظاهر اللفظ : (بأن يكون ملحوظاً غير ملفوظ) ومن أمثلته قوله تعالى : (تالله تفتأ تذكر يوسف ...) وقول ليل الأخيلى في رثاء توبة :

فَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكًا وَأَحْفِلُ مِنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
أى : لا أبكى ولا أحفل . ومثل قول الآخر :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِدَا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أى : لا أبرح . جاء في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ . ما معناه : أن العرب تحذف النفي من جواب القسم في مثل الصور السالفة لأمن اللبس فيها ، حيث لا يلتبس الجواب المنفي بالمشبث لوضوح المعنى ، ولأن الجواب لو كان مثبتاً لوجب تأكيده باللام والنون معاً . أو بأحدهما ، طبقاً للقاعدة السالفة . فعدم اقترانه دليل على أنه منفي بأداة مقدرة . (٤) منادى . والأصل : يارقى . يريد : يارقة

(٥) اللام الداخلة على جواب القسم لا تدخل على « إن » المشددة ولا على شيء من أخواتها ، إلا : « كأن » . نحو : والله لكأن صدقة البخيل اقتطاع من جسده . أما اللام الداخلة على خبر « إن » فهي لام ابتداء سواء أكانت « إن » مسبقة بقسم هي في صدر جوابه ، أم غير مسبقة به .

(وقد تقدم في الجزء الأول في ش ٥٣٥٩٧ تفصيل الكلام على لام الابتداء ، وفائدتها ، ومواضعها ...) .

ويجوز الاقتصار على أحدهما ؛ نحو : والله إن عنوانَ المرء عمله ، أو : والله لعنوان المرء عمله . ولا يستحسن التجرد من أحدهما إلا إذا طال القسم ، بأن ذُكر معه تابع له ، أو : شيء آخر يتصل به ؛ نحو : بالله الذي لا إله سواه ، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل . وقول الشاعر :

وربَّ السموات العلا وبروجها والأرض وما فيها - المقدرُ كائنٌ

ولا يصح اقتران الجملة الاسمية الجوابية بالحرف : « إنَّ » إذا كانت هذه الجملة مصدرة بحرف ناسخ من أخوات « إن » : كقولهم في وجه جميل : والله لكأن جماله يقتاد العين قسراً إليه ؛ فما تستطيع عنه تحولا .

فإن كان الجواب جملة اسمية منفية لم يزد عليه إلا أداة النفي في أوله وهي إحدى الحروف الثلاثة السالفة (ما - لا - إن) ، نحو : والله ما هذه الدنيا بدار قرار^(١) - بالله لا المال ولا الجاه بنافع إلا بسياج من الفضيلة . . . - والله إن هذه الدنيا بدار قرار . . .

مما سبق يتبين أن الجواب المنفي ، في جميع أحواله لا يتطلب زيادة شيء إلا أداة النفي قبله ، مع اشتراط أن تكون إحدى الأدوات الثلاث^(٢) ، سواء أكان الجواب جملة فعلية ماضوية ، أم مضارعية ، أم جملة اسمية .

« ملاحظة » :

قد يكون الكلام مشتملاً على جملة قسمية ، ظاهرها مثبت ، ولكن معناها منفيّ ، وجواب القسم جملة فعلية ماضوية لفظاً ، مستقبلية معنى ، مصدرة « بإلا » أو : « لَمَّا » التي بمعناها ، نحو : سألتك بالله إلا نصرتَ المظلوم - بالله ربك لما قلت الحق . . . وأمثال هذا مما يُعَدُّ نوعاً خاصاً من « الاستثناء المفرغ . . . » (وقد سبق بيان هذا النوع ، وتفصيل الكلام - بإسهاب - على معناه ، وحكمه ، وطريقة إعرابه)^(٣) .

(١) وقول الشاعر :

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(٢) ويزاد عليها : « لن » في الجملة المضارعية في رأى أشرنا إليه في رقم ٢ من هامش ص ٥٠٠ .

(٣) له إشارة في أول هامش ص ٣٢٤ وبيان في : « ١ » من الزيادة والتفصيل ، ص ٣٢٦ .

(ب) قد يقع القسم بين أداتى نفى . بقصد تأكيد النفى فى المحلوف عليه ؛ كقول الشاعر :

أَخْلَايَ ، لَا تَنْسَوَا مَوَاقِيَّ بَيْنَنَا فإِنِّي لَا — والله — مَا زِلْتُ ذَاكِرَا
(ح) قد تتكرر أداة القسم — ومعها مجرورها — ، مبالغة فى التأكيد . غير أن المستحسن ألاّ يتكرر حرف من حروف القسم إلا بعد استيفاء الأول جملة جوابه .
نحو : بالله لأطيعن الوالدين ، بالله لأطيعنهما ، والله لأطيعنهما^(١) . . .

(د) تحذف جملة القسم وجوباً إن كان حرف القسم « الواو » ، أو : « التاء » ، أو : « اللام »^(٢) . وجوازاً إن كان حرف القسم الباء — كما سبق عند الكلام على الحروف الأربعة^(٣) — ومن أوضح الدلائل المرشدة إلى جملة قسمية محذوفة ، (ومعها أداة القسم) وجود واحد من الألفاظ الآتية بعدها ؛ وهى : (لقد — لئن^(٤)) — المضارع المبدوء باللام المفتوحة المحتوم بنون التوكيد . فإن وجد أحد هذه الألفاظ الثلاثة بغير أن يسبقه جملة قسم فهى — مع القسم وأداته — مقدرة قبله ، ومن الأمثلة قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ...) ، أى : أقسم بالله لقد صدقكم الله وعده^(٥) . ومثله قوله تعالى : (لئن أَخْرَجْنَا لَآيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) وقوله تعالى : (لَأَعَذَّبَنَّاهُ عَذَابًا شَدِيدًا ...) . وهذه اللام المفتوحة فى المواضع السالفة هى الداخلة على الجواب بعد حذف جملة القسم ، وأداته ولا يصح فيها ، وفى أمثالها أن تكون لام ابتداء أو غيره ؛ لأن أنواع اللام الأخرى لها مواضع محدودة معينة ، ليس منها هذه .

(هـ) يجوز أن تحذف أداة القسم وحدها مع بقاء الاسم المحرور بها على حاله ، بشرط أن يكون الاسم لفظ الجلالة : (الله) طبقاً للرأى الأرجح^(٦) ؛ مثل الله

(١) يصح ذكر الجملة الواقعة بعد القسم المقصود به التوكيد اللفظى . على اعتبارها توكيداً أيضاً للجملة الجوابية الأولى ، ويصح حذفها لعدم الحاجة إلى استخدامها توكيداً لفظياً ؛ فهى مختلفة عن الجملة الجوابية الأخرى التى يجب حذفها . — وستأتى —

(٢) وكذا : « من » عند من يعتبرونها أداة قسم ، كما فى ص ٤٦٥ .

(٣) فى ص ٤٦٥ و ٤٧٧ و ٤٨٩ (٤) انظر « و » الآتية .

(٥) ومن هذا قول الشاعر :

إِذَا اغْرورَقْتَ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي لَقَدْ أُولَعْتُ عَيْنَاهُ بِالْهَمَلَانِ

(٦) وهو رأى سيبويه ومن وافقه . (وسيأتى فى رقم ٣ من ص ٥٣٣ وهامشه) .

لأساعدنّ الضعيف ، أى : والله . ويجوز حذف أداة القسم والمقسم به معاً لوضوحهما بكثرة الاستعمال ؛ نحو أقسمُ إن الحرية لغالية - أشهدُ إن الوطن لغزيز . أى : أقسم بالله - أشهد بالله - ومنه قول الشاعر :

فأقسمُ ما تركي عتابك عن قلبي ولكن لعلمي أنه غير نافع

(و) ما نوع « اللام » فى مثل : والله لئن أخلصت لى لأخلصنّ لك ؟ وهى « اللام » التى قبلها قسم ، وبعدها أداة شرط ؛ كالمثال السابق وأشباهه ، والتى سبقت فى : « د » ؟ .

يسمى بعض النحاة « لام الشرط » ، ويسمىها آخرون : « اللام الموطئة » للقسم ؛ أى : الممهدة له ، لأنها التى تهىّ الذهن لمعرفة . وتدل على أن الجملة المتأخرة المصدرة بلام أخرى ، هى جواب للقسم وليست جواباً للشرط . فاللام الأولى « الموطئة » هى التى أعلمت بذلك ، وبينت أن اللام الثانية هى « اللام » الداخلة على جواب القسم ، وأن الجملة بعد هذه اللام الثانية هى جملة جواب القسم . ولا يصح أن تكون « اللام » الأولى وما دخلت عليه جواباً للقسم ؛ لأن القسم - كما أسلفنا ^(١) - لا يكون جوابه جملة شرطية ، ولا جملة قسمية . ويجب التنبيه إلى الفرق بين « لام القسم » ، و « لام الابتداء » ، وقد أوضحناه فى مكانه المناسب من الجزء الأول عند الكلام على : « لام الابتداء » ^(٢) .

وحين يجتمع أداتا قسم وشرط فالجواب يكون - فى الأغلب - للمتقدم منهما ^(٣) . أما المتأخر فيحذف جوابه ؛ لوجود الجواب السابق الذى يدل عليه . وبسبب أن الجواب - فى الأغلب - للمتقدم لم تحذف التوزان فى المضارع من قوله تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) . وهو السبب - أيضاً - فى عدم مجيء الفاء قبل « إن » فى قول الشاعر :

لئن كنت محتاجاً إلى الحليم لئننى إلى الجهل ^(٤) فى بعض الأحايين أحوج

(١) فى رقم ٤ من هامش ص ٤٩٨ . (٢) ص ٥٩٨ وهامشها م ٥٣ .

(٣) هذا هو الأغلب . والتفصيل المناسب لهذه المسألة مدون فى البحث الخاص بها ؛ وهو : بحث

اجتماع الشرط والقسم - ج ٤ باب الجوازم - ص ٣٦٢ م ١٥٨ .

(٤) الغضب والانتقام . وسيعاد البيت فى الجزء الرابع فى الموضوع السالف من الجوازم .

.....

(ز) تحذف جملة جواب القسم وجوباً في إحدى حالات ثلاث :

١ - أن يتأخر القسم ويتقدم عليه جملة تُغنى عن جوابه - لدالتها عليه - نحو: (تسعد الأمة وتشقى بأبنائها ، والله) . ويلاحظ أن جملة الجواب نفسها لا يصح تقديمها على القسم .

٢ - أو أن يحيط بالقسم جملة تغنى عن الجواب كذلك ؛ نحو : (سعادة الأمة - والله - رهن بعمل أبنائها) . فجواب القسم في هذه الحالة - كالتى قبلها - جملة محذوفة لا يصح ذكرها ؛ لوجود ما يغنى عنها ؛ فلا داعى للتكرار فيهما بقولنا : « تسعد الأمة وتشقى بأبنائها ، والله تسعد الأمة وتشقى بأبنائها » وقولنا : « سعادة الأمة رهن بعمل أبنائها ، والله سعادة الأمة رهن بعمل أبنائها » .

أما في مثل : (الغَضَبَ والله إنه وخيم) - أو : (الغَضَبَ والله إنه لسَوَاحِم) - حيث يكون المتأخر عن القسم جملة فيصح في هذه الجملة - المتأخرة أن تكون جواباً للقسم ، وجملة القسم جوابه في محل رفع خبر السابق ^(١) (وهذا من المواضع التى يكون فيها لجملة القسم مع جملة جوابه محل من الإعراب) ^(٢) كما يصح أن تكون الجملة المتأخرة خبراً للمتقدم في محل رفع وجواب القسم محذوف لوجود ما يغنى عنه ويدل عليه .

٣ - أو أن يجتمع أداتا شرط وقسم ويتأخر القسم عن الشرط والحكم في هذه الحالة هو الأغلب كما سبق في : « و » .

وتحذف جملة الجواب جوازاً في غير الحالات السالفة ، لدليل أيضاً ؛ نحو قوله تعالى : (ق ، والقرآن المجيد) ، فجواب القسم محذوف تقديره : « إنك لَمُنْذِرٌ » ، أو : نحو : هذا ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : (بل عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) . ومثله قوله تعالى : (ص ، والقرآن ذى الذِّكْرِ) .

(١) يراجع الجزء الثانى من « المغنى » فى موضوع حذف جواب القسم ، وفى موضوع الحمل التى لا محل لها من الإعراب . والمخلص : أن جملة القسم مع جملة جوابه قد يكون لهما - أحياناً - معاً موضع من الإعراب ؛ لأنهما متماكستان بمنزلة جملة واحدة ولا محل لإحداها بدون الأخرى - فى الرأى المشهور - . وقد سبق لمناسبة أخرى بيان هام يختص بهذا الحكم (فى رقم ١ من هامش ص ٣١) .

(٢) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ١ هامش ص ٣١ - كما قلنا - وفى رقم ٦ من هامش ص ٤٩٨ .

فجملته الجواب محذوفة، تقديرها كالسابقة : « إِنَّكَ لَمُنْذِرٌ » ؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك : (وَعَسَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ...) ، أو : نحو هذا مما يكون فيه دلالة على المحذوف .

ومن الأمثلة أن يقال : أَتُقْسِمُ عَلَى أَنَّكَ أَدَيْتَ الشَّهَادَةَ الصَّادِقَةَ ؟ فتقول : أَقْسَمُ وَاللَّهِ .

ومن مواضع الحذف الجائز للدليل أن يكون القسم مسبوقاً بحرف جواب عن سؤال سابق ؛ كقوله تعالى : (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) . فالأصل : بَلَى وَرَبِّنَا ؛ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ، ومثله أن يسألك سائل : أتعاهد على تأييد الملهوف ؟ فتقول : إِي ، وَاللَّهِ ، أو : نَعَمْ ، وَاللَّهِ ، أو : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ . . . أو غير هذا من أحرف الجواب التي تسبق القسم مباشرة .

(ح) جواب القسم لا يكون إلا جملة ؛ فلا يكون مفرداً ، ولا شبه جملة ، غير أن النحاة عرضوا حالة وقع فيها الجار والمجرور ساداً مسدّ جواب القسم ، ومغنياً عنه — وليس جواباً أصيلاً — ، وهي التي سبقت ^(١) عند الكلام على جواز فتح همزة « إن » وكسرها ؛ حيث قالوا يجوز فتح همزة « إن » وكسرها إذا وقعت في صدر جواب القسم ، وفعلُ القسم مذکور قبلها ، وليس في خبرها اللام ؛ نحو : أَقْسِمُ بِاللَّهِ أَنْ الْإِحْسَانَ نَافِعٌ ، فقد جوزوا عند فتح الهمزة أن يكون التقدير ؛ أَقْسِمُ بِاللَّهِ نَفْعَ الْإِحْسَانِ ، أى : أَقْسِمُ بِاللَّهِ عَلَى نَفْعِ الْإِحْسَانِ ؛ فيصح في المصدر المؤول الجر بحرف الجر المحذوف مع بقاء جره ^(٢) ، والجار مع مجروره يسدّ مسدّ الجواب مباشرة . أو : أن المصدر المؤول منصوب على نزع الخافض ^(٣) ؛ فهو مفعول به تأويلاً . وهذا المفعول به سادّ مسدّ الجواب ^(٤) .

وهناك إعرابات أخرى لا تتصل بموضوعنا الحالي .

(ط) من الألفاظ التي قد تستعمل — أحياناً — في القسم — : « جَيْسِرٌ » ، كقول الشاعر :

(١) في ج ١ م ٥٢ ص ٥٩٢ من الطبعة الثالثة .

(٢) فن المواضع التي يحذف فيها الجار ويبقى الجر أن يكون الجار داخلاً على أن ومعمولها (انظر ص ٥٣٢ م ٨٩١) .

(٣) سبق إيضاح معنى « النصب » على نزع الخافض في ج ١ م ٥٢ ص ٥٩٢ .

(٤) راجع الأشموني والصبان في الموضوع السالف من باب « إن وأخواتها » عند بيت ابن مالك :

« بعد إذا فجأة أو قسم . . . »

قالوا قُهِرَتْ. فقلت: جَيِّرٌ؛ لَيَعْلَمَنَّ عَمَّا قَلِيلٍ أَيْنَا المَقْهُورُ
والأَحْسَنُ في إعرابها: أن تكون حرف قسم مَبْنِيًّا على الكسر لا محل له من
الإعراب^(١).

ومنها: «لا جَرَمَ» في مثل: لا جَرَمَ إن الله يُمَهِّلُ الظالم، حتى إذا أخذه
لم يتركه بعد ذلك. وقد سبق أن قلنا^(٢): إذا كسرت همزة «إن» فالسبب لإجراء:
«لا جرم» مجرى اليمين عند بعض العرب؛ بدليل وجود اللام بعدها في مثل:
لا جرم لأنا مكرمك. فالحرف «لا». ناف للجنس - «جَرَمَ» اسمه مع تضمنه
القسم، والجملة بعده من «إن ومعموليهما» جواب القسم، أغنت عن خبر «لا». أما
مع فتح همزة «أن» فكلمة: «جَرَمَ» فعل ماض. بمعنى: «وَجَبَّ»
و «لا» زائدة، والمصدر المؤول فاعل.

ومنها: «ها» التي للتنبيه في مثل: ها الله ما فعلت كذا... أى: والله
ما فعلت كذا... وقد سبقت الإشارة إليها^(٣)...

* * *

(١) وتصلح في بعض الأساليب الأخرى أن تكون حرف جواب فقط.

(٢) ١ - ص ٥٩٥، م ٥١ مواضع فتح همزة «إن» وكسرها.

(٣) في رقم ١ من هامش ص ٤٧٧ - وقد ورد في الأحاديث النبوية، وفي نصوص فصيحة أخرى
استعمال هذا الحرف. في القسم؛ قال الجوهري: «ها» للتنبيه، وقد يقيم بها؛ يقال: لا ها الله ما
فعلت كذا. قال ابن مالك: في هذا شاهد على جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه، ولا يكون
ذلك إلا مع كلمة: «الله»، أى لم يسمع لا ها الرحمن، كما سمع والرحمن - ثم قال: وفي النطق بها
أربعة أوجه (كما جاء في ص ٢٦٣ من كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، في الحديث - ج ٧ -
باب السلب، تأليف الشوكاني).

أولها: ها الله، باللام بعد الهاء في النطق من غير إظهار شيء من الألفين.

ثانيها: ظهور الألفين نطقاً وكتابة مع قطع الهمزة، فيقال: ها الله.

ثالثها: إظهار ألف واحدة من غير همزة، فيقال: ها لله.

رابعها: حذف ألف «ها» وإظهار همزة القطع في أول كلمة: «الله» فيقال: ها لله. والمشهور

من هذه الآراء هو الأول والثاني. اهـ. وقد تسبقها كلمة: «إي» التي بمعنى: نعم.

في : حرف يجر الظاهر والمضمر ، والغالب فيه ان يكون أصلياً ، وأشهر معانيه تسعة :

١ - الظرفية^(١) حقيقة أو مجازاً ؛ نحو : (المعادن متراكمة في جوف الأرض ، والنَّفْط حبيس في طبقاتها) . ونحو : (السعادة في راحة النفس ، والغنى في التعفف عما لا يملكه المرء^(٢)) ، وهذا المعنى أكثر استعمالاته .

٢ - السببية ؛ نحو : كان المحامي الشاب مغموراً ؛ فاشتهر في قضية خطيرة تجرد لها ، وذاع اسمه فيها ، أى : اشتهر بسبب قضية . . . وذاع اسمه بسببها^(٣) . . .

٣ - المصاحبة ؛ كقول أحد المؤرخين : « كان الخليفة العباسي يتخير يوماً للراحة ، ولقاء بطانته ، ويدعو فيهم الشاعر الذي يؤنسهم ، فيستجيب فرحاً ، ويسرع في الداخلين ، فيستقبله الخليفة ، قائلاً إلى في بطانتي ؛ فلن يتم سرورنا إلا بك » . . . أى : يدعو معهم - يسرع مع الداخلين - مع بطانتي . . . ومن هذا قوله تعالى : (قال ادخلوا في أمم . . .) أى : مع أمم .

٤ - الاستعلاء ؛ نحو : (غرد الطائر في الغصن ، أى : على الغصن) - (يصبح الغراب في المئذنة ، أى : عليها) . وقولهم : (بطل كَأَن ثيابه في سَرَحَةٍ^(٤)) أى : على سرحة ، لأنه ضخم طويل) .

٥ - المقايسة ، أو : الموازنة^(٥) ؛ نحو : قوله تعالى : (فما متاع الحياة الدنيا في

(١) سبق إيضاح معنى « الظرفية » في رقمي ١ و ٣ من هامشي ص ٤٦٣ و ٤٨٠

(٢) وكقول الشاعر :

ولا خير في فرع إذا طاب أصله ولم يك ذا طيب يدل على الأصل
(٣) وما تصلح فيه السببية ، ولأن تكون بمعنى « إلى » الغائية قوله عليه السلام : (من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار ، قضاهما أو لم يقضها ، كان خيراً له من اعتكاف شهرين) .
أى : بسبب حاجة أخيه . . . ، أو إلى حاجة أخيه .
(٤) شجرة عظيمة .

(٥) معناها : ملاحظة شيء بالقياس إلى شيء آخر ، والحكم عليه بعد هذا القياس بأمر ما ، كالحسن ، أو القبح ، والزيادة ، أو النقص
ويغلب هنا أن تكون الموازنة بين شيء سابق على الحرف : « في » وشيء لاحق بعده . وهذا اللاحق أفضل أو أكثر من السابق . ولا مانع من العكس أحياناً .

الآخرة إلا قليل) . أى : بالنسبة للآخرة ، وموازنته بمتناعها .

٦ - أن تكون بمعنى : « إلى » الغائية ؛ نحو : دعوت الأحمق للسداد ؛ فرد يده في أذنيه ، - أى : إلى أذنيه ، كى لا يسمع النصح - . ومنه قوله تعالى : (فردوا أيديهم في أفواههم) ، كناية عن عدم الرد ، وعن ترك الكلام . وقوله تعالى : (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) .

٧ - أن تكون بمعنى « من » التبعيضية - غالباً - ؛ نحو : أخذت في الأكل قدر ما أشار الطبيب ، أى : من الأكل . (بعض الأكل) .

٨ - أن تكون بمعنى « الباء » التى للإلصاق^(١) ؛ نحو : وقف الحارس في الباب ، أى : ملاصقاً له .

ومثل قولهم : من لم يكن بصيراً في ضرب المقاتل لم يكن آمناً على حياته .
أى : بضرب المقاتل .

٩ - التوكيد (بسبب زيادتها) ، والرأى الراجح أن زيادتها غير قياسية ، فيقتصر فيها على المسموع ؛ مثل قول الشاعر :

أنا أبو سعد إذا الليلُ دَجَا يُخَالُ في سوادهِ يَرْتَدِّجَا^(٢)
أى : يُظَنُّ سوادهِ يَرْتَدِّجَا^(٣)

* * *

(١) حقيقة أو مجازاً . (ويوضح معنى الإلصاق ما سبق في « الباء » ، رقم ١ ص ٤٩٠) .

(٢) اليرندج : الجلد الأسود ، أو الطلاء الأسود .

(٣) فيما سبق من معاني « الباء » و « في » يقول ابن مالك مقتصرأ على بعض المعاني :

... والظَرْفِيَّةُ اسْتَبَيْنَ « بِبَا » و « فِي » . وقد بُيِّنَ السَّبَبُ
أول البيت كلمة لم نذكرها ، هى : « وزيدة » ؛ لأنها مختصة بمعنى حرف سبق ؛ هو اللام التى من معانيها التوكيد ؛ فتكون معه زائدة . ومعنى استبن : « بيا » الظرفية ، أى : صير الظرفية واضحة بها ؛ لأنها معنى من معانيها ، ومعاني « في » . فكلا الحرفين يدل على الظرفية ، كما يدل على السببية . ثم بين معاني الباء فقال :

« بِالْبَاءِ » اسْتَعِنَ ، عَدَّ . عَوَّضَ ، أَلْصَقَ وَمِثْلَ مَعٍ ، وَمِنْ ، وَعَنْ ، بِهَا انْطَقَ
أى : أنها تكون للاستعانة ؛ وللتعدي . وللعوض ، ولالإلصاق ، وبمعنى « مع » (أى : للمصاحبة) ، وبمعنى : « من » (أى : التبعيض) وبمعنى : « عن » (أى : للمجاوزة) وقد شرحنا هذا كله فيما سبق .

على : حرف جرّ أصلى يجر الظاهر والمضمر ، وأشهر معانيه ثمانية^(١) :

١ - الاستعلاء ؛ وهو أكثر معانيه استعمالاً . ويدل على أن الاسم المجرور به قد وقع فوقه المعنى الذى قبل «على» وقوعاً حقيقياً مباشراً^(٢) أو مجازياً . فالحقيقى نحو : يعود السائحون إما على القطر ، وإما على السيارات ، أو على الطائرات ، أو على البواخر . والمجازى ، نحو قوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) . وقولهم : إن الدموع على الأحزان أعوان^١ .

وليس من الاستعلاء المجازى قولهم : توكلت على الله ، واعتمدت عليه ؛ لأن الله لا يعلو عليه شيء حقيقة أو مجازاً ، وإنما هي بمعنى الاستناد له ، والإضافة إليه (أى : النسبة إليه) ؛ تريد : أسندت توكلى واعتمادى إلى الله ، وأضفتها (أى : نسبتها) إليه .

٢ - الظرفية ؛ نحو قوله تعالى : (ودخل المدينة على حين^(٣) غفلة من أهلها) ، أى : فى حين غفلة . وقول الشاعر :

يا حبّذا النيل على ضوء القمر
يا حبّذا المساء فيه والسّحر^٢

أى : فى ضوء القمر . . .

(١) زاد بعضهم معنى تاسماً ، هو : أن تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة وساق مثلاً لها قول الشاعر :

إن الكريم وأبيك يعتمل^١ إن لم يجد يوماً على من يتكل^٢
(يعتمل : يعمل بالأجرة) جاء فى « القاموس المحيط » مادة : « على » ما نصه : (أى : من يتكل عليه ، فحذف « عليه » وزاد « على » قبل الموصول ؛ عوضاً) . ١ هـ
وفى هذا زيادة لا داعى لها وتكلف بغيض ؛ إذ يستقيم المعنى بدونها ، على الوجه التالى الذى سجله الصبان هنا ، - ونسبه المغنى لابن جنى - ونصّه : (« قيل : إن مفعول يجد محذوف ، أى : إن لم يجد شيئاً . ثم استأنف مستهتماً استفهماً إنكارياً ، فقال : على من يتكل ؟) ١ هـ كلام الصبان .
فالكلام على زيادتها عوضاً ، مردود وكذلك القول بزيادتها وهى غير عوض

(٢) وقد يكون الوقوع غير مباشر بأن يقع فوق شيء قريب منه كقوله تعالى : (أو أجد على النار هدى) أى فوق مكان قريب من النار .

(٣) إذا سبّحت : « على » الظرف كانت بمعنى : « فى » وقد نص « الخضرى » على هذا فى باب الإضافة عند بيت ابن مالك :

وابنِ أو أعرب ما كاذ قد أجرياً

(حبذا : جملة فعلية للمدح العام وقبلها الحرف : « يا »)^(١) . . .

٣ - المجاوزة^(٢) ؛ نحو : إذا رضى على الأبرار غضب الأشرار ، أى :

رضى عني .

٤ - التعايل ؛ نحو : اشكر المحسن على إحسانه ، وكافئه على صنيعه ، أى :

لإحسانه ، ولصنيعه^(٣) . . .

٥ - المصاحبة ؛ نحو : البرّ الحق أن تبذل المال على حبك له ، وحاجتك

إليه ، أى : مع حبك له^(٤) . . . ومثل قوله تعالى : (وإن ربك لذو مغفرة للناس

على ظلمهم) . أى : مع ظلمهم^(٥) . . . وقول الشاعر^(٦) :

بعيشك ، هل أبصرت أحسن منظرا — على ما رأيت عينك — من هَرَمَى مصر .

أى : مع ما رأيت . . .

٦ - أن تكون بمعنى من° ، نحو قوله تعالى : (وَيَلْ لِلْمُطَفِّفِينَ ؛ الذين إذا

اكتألوا على الناس يَسْتَوْفُونَ) . أى : من الناس . ونحو قوله عليه السلام :

(بنى الإسلام على خَمْس) . . . أى : من خمس مواد° .

٧ - أن تكون بمعنى « الباء » ؛ نحو : سمعت من الوالد نصحا ، وتحقيق

عليه أن يقول ما ينفع ، أى : تحقيق به ، بمعنى جدير به .

٨ - الإضراب . والمراد به هنا : إبعاد المعاني الفرعية التي تخطر على البال من

(١) تفصيل الكلام على حبذا في الباب الأنسب ، وهو باب : « ألفاظ المدح والذم » - ٣ م ٩١ .

٣٦٦ أما الكلام على الحرف : « يا » ففي باب « النداء » - ج ٤ م ١٢٧ ص ٥ -

(٢) سبق في رقم ٣ من هامش ص ٦٣ تعريفها ، وبيان أقسامها .

(٣) وما يصلح للتعليل (أى : بيان العلة والسبب) قول شوقي في الشرق العربى :

إنما الشرق منزل لم يُفَرِّق أهله إن تفرقت أصقاعه

وطن واحد على الشمس والفصحى ، وفي الدمع والجراح اجتماعه

(٤) ومن أمثال العرب : « لا قرار على زار من الأسد » - أى : مع زار - يريدون : لا أمان

ولا استقرار في مكان يسمع فيه زئير الأسد .

(٥) وما تصلح فيه المصاحبة قول الشاعر :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

(٦) سبق البيت التالى لمناسبة أخرى في ص ٤٩٧ .

كلام سابق ، وإبطال ما يزد على النفس منها ؛ (فهو كالاستدراك المستفاد من كلمة : « لكن ») . ومن أمثلته قولهم : « هَفَمَ الصديقُ فاحتملت هَفَوَتَهُ ؛ على أنَّ احتمالها مرُّ أليم ، وَجَعَمَا ؛ فقبلتُ جَفَوَتَهُ . حتى أن الرضا بها كالرضا بالطعنة المسددة ؛ كل نفس لها كارهة . . . » فقد بين المتكلم أنه احتمال الهفوة ، وقد يوحى هذا إلى النفس أن احتمالها سهل ، وأنه راض به الاحتمال ، فأزال هذا الاحتمال بما ذكره من أن احتمالها مرٌّ وأليم ، كذلك بيَّن أنه قبيل جفوة صديقه . وهذا قد يُشعر بأن قبولها كان عن رضا وارتياح ؛ فأزال هذا الوهم ، نافيةً له ، مبيِّناً أن الرضا به بغض إلى النفس بغض الطعنة القاتلة . . . وكانت وسيلته للإبانة هي كلمة : « على » التي بمنزلة : « لكن » .

ومن ذلك قولهم : « الإسراف كالشَّحِّ ؛ كلاهما داءٌ وبَّيل ، يَخْبِثُ عواقبُهُ اللَّيْبُ ، على أن داءَ الشَّحِّ أخفُّ ضرراً ، وأهونُ خطراً من داء الإسراف . . . » فقد بين أن كلاهما داء سيئ العاقبة ، وهذا يوحى إلى النفس أنهما في الشر سواء ، ومترئيهما من الضرر واحدة ، فأزال هذا المعنى الفرعى المتوهم بكلمة : « على » ، وما بعدها ؛ فهي بمنزلة : « لكن » ، التي تجيء أول الجملة لإبطال المعاني الفرعية الناشئة مما قبلها .

ومن الأمثلة أيضاً ما قاله الشاعر في أمر قربه أو بُعده عن ديار أخلائه ، وأنه يفيد أو لا يفيد :

بكلِّ تَدَاوَيْنَا ؛ فلم يَشْفِ ما بنا على أن قرب الدار خيرٌ من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان مَن تَهَوَّاهُ ليس يَذِي دُ

فقد بيَّن أولاً أنه تَدَاوَى بالقرب وبالبعد فلم يفده واحد منهما . وعدم الإفادة بعد التجربة يوقع في الوهم أنهما سيان من كل الوجوه : لكنه أبطل هذا التوهم بتصريحه بعد ذلك حيث يقول : « على أن قرب الدار خير من البعد » . فهذه الجملة تبطل ما سبق ، وتوحى بمعنى جديد ؛ هو : أن القرب مطلقاً خير من البعد . ثم عاد فأبطل هذا المعنى الذي أوحى به الوهم بجملة جديدة ؛ هي : قرب الدار ليس بنافع . . . وكانت أداة الإضراب والإبطال هي كلمة : « على » .

والأحسن في كلمة : « على » الجارة الأصلية إذا كانت للإضراب^(١) والإبطال عدم تعلقها هي ومجروها بشيء ؛ (لأنها في هذا الاستعمال بمنزلة : « لكن » التي تفيد الاستدراك) مع اعتبارها كحرف ابتداء لوقوعها في أول الجملة . وعلى هذا تكون « على » التي للإضراب والإبطال حرف جر واستدراك معاً^(٢) . . .

وقد تستعمل : « على » اسماً بمعنى : « فوق » ويكثر هذا بعد وقوعها مجرورة بالحرف « مِنْ » فإنه لا يدخل إلا على الأسماء ، نحو : تمر من على بلدنا الطائرات . أي : من فوق بلدنا^(٣) ، فقد خرجت من حرفيتها ، وصارت اسماً بمعنى « فوق » ، كما نرى . وهذا قياسي كباقي استعمالاتها .

ولذا كان المجرور بها ضميراً وجب قلب ألفها ياء^(٤) ؛ نحو : تقبل علينا وفود السائحين شتاء . وقول الشاعر :

إذا طلعت شمس النهار فإنها أمانة تسليمي عليك ، فسلكمي
فإن كان الضمير ياء المتكلم ، وجب إدغام الياءين ؛ نحو : عي أن أسعي
للخير جاهد^(٥) . . .

* * *

(١) انظر ما يتصل بمعنى التعلق وبالإضراب في ص ٤٣٧ و ٤٣٩ وهامشها .
(٢) ولا داعي للأخذ بالرأى الذي يقول : إنهما متعلقان بمحذوف هو خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : (التحقيق كائن على أن كذا وكذا . . .) ؛ لأن هذا الرأى - مع صحته - يحوى التعقيد ، والتكلف ، وكثرة المحذوف من غير داع . وقد كررنا - وأوضحنا الأسباب - أنه لا يصح الالتجاء إلى الحذف والتقدير والتعسير بغير ضرورة قاسية . لا سبيل للتغلب عليها إلا من هذه الناحية . والرأى في حاشية الأمير على الشذور ص ١٥ عند الكلام على « ذى » إحدى الأسماء الستة . وكذلك في « المغنى » - ج ١ عند الكلام على الحرف : « على . ونص كلام المغنى : (« وتعاق . على » هذه بما قبلها عند من قال به كتعلق « حاشا » بما قبلها عند من قال به ، لأنها أوصلت معناه إلى ما بعدها على وجه الإضراب والإخراج . أو : هي خبر لمبتدأ محذوف : أي : « والتحقيق على كذا » . وهذا الوجه اختاره ابن الحاجب ، قال : ودل على ذلك أن الجملة الأولى وقعت على غير التحقيق ، ثم جىء بما هو التحقيق فيها .) . ١ ه كلام المغنى

(٣) وقد أشار إلى هذا ابن مالك في بيت سيجىء في هامش ص ٥١٧ عند كلامه على « الكاف » التي قد تقع اسماً .

(٤) وهي المكتوبة ياء ، تبعاً لقواعد رسم الحروف .
(٥) « ملاحظة » : جاء في « الكامل » للمبرد - ج ١ ص ٢٧٠ - أن بعض العرب يحذف من =

عن^(١) : حرف جر أصلي ؛ يجر الظاهر والمضمر . وأشهر معانيه تسعة :

١ - المجاوزة^(٢) ، وهي أظهر معانيه ، وأكثرها استعمالاً ؛ نحو : جلوت عن بلد المظالم ، ورغبت عن الإقامة فيه . أي : ابتعدت وتركت .

٢ - أن تكون بمعنى : « بَعْدَ »^(٣) ، كقولهم : دَع المتكبر ؛ فعن قليل يؤديه زمانه ، والمغرور ؛ فعن قريب تكشفه أيامه . أي : بعد قليل . وبعد- قريب . . .

٣ - الاستعلاء (فتكون بمعنى : « على ») . نحو : من يبخل بخدمة وطنه فإنما يسيء لنفسه بما يبخل عنها ، ويمنع من إفادتها . . . أي : بما يبخل عليها^(٤) وكقولهم : العظيم من زادت خيراته عن المحتاج لها . وفضلت عنه . . . أي : على المحتاج لها - وفضلت عليه ، وقول الشاعر :

إذا رضى عني كرام عشيرتي فما زال غضباناً عليّ لثامها

٤ - التعليل . (أن يكون ما بعدها علة وسبباً فيما قبلها) ، نحو : لم أحضر إليك إلا عن طلب منك ، ولم أفارقك إلا عن ميعاد ينتظرني ، أي : بسبب طلب ، وبسبب ميعاد .

٥ - الظرفية ؛ كقولهم : الزعيم لا يكون عن حمل الأعباء الثقالة وانيئاً ، ولا عن

= آخرها اللام والياء إذا كان المجرور بها مبدوءاً « بَأَل » ، ويحذف منهما همزة « أَل » كقول قطري بن الفجاءة :

غَدَاة طَفَتْ عَلَمَاءُ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ وَعُجْبْنَا صَدُورَ الْخَيْلِ نَحْوُ تَمِيمٍ
يريد طفت على الماء القتلى من بكر . . وجاء على هاشم الموضع السالف أن أولئك العرب تفعل ذلك كثيراً في النثر والشعر . . . لكن الأنسب اليوم عدم مجاراتهم ، لما فيه من ليس .
(١) الغالب أن تتحرك الذنوب بالكسر إذا وقع بعدها ساكن مطلقاً : (أَل ، أو غيرها) ، نحو : انصرف عن الأذى انصرافك عن استقبال البلايا .

(٢) سبق معناها - في رقم ٣ من هامش ص ٢٣٠ عند الكلام عن : « من » تعريفها ، وبيان أقسامها ، مع التمثيل والإيضاح .

(٣) « بعد » ظرف سبق الكلام عليه تفصيلاً في باب الطرف ، ص ٢٨٣ .

(٤) ومن هذا قوله تعالى : (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه)

بذل التضحيات متردداً . أى : فى حمل . . . وفى بذل .

٦ - الاستعانة^(١) ؛ نحو : رميت عن القوس ، أى : بالقوس ، إذا كانت القوس أداة الرى^(٢) . . .

٧ - أن تكون بمعنى : بَدَل ، نحو قوله تعالى : (واتقوا يوماً لا تَجْزَى نفسٌ عن نفس شيئاً) . ومثل : أدت العمل عن صديق المريض ، أى : بَدَل نفس ، وبذل صديق . وقول الشاعر يمدح محسناً :

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم حتى ودِدْنَا أَننا أيتام

٨ - أن تكون بمعنى : « من » نحو قوله تعالى : (وهو الذى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ...) ، أى : من عباده^(٣) . (وهذا أوضح من اعتبارها للمجازة ؛ - على معنى : الصادرة عن عباده - ولا تقدير فيه) . . .

٩ - أن تكون بمعنى الباء ، نحو قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى) ، أى : بالهوى .

وقد ذُكر لها بعض معانٍ أخرى ، تركناها متابعة للمعترضين - بحق - عليها^(٤) .

(١) سبق فى ص ٩٠ ؛ شرح معناها وما يتصل بها .

(٢) ومثل : ضربت الخائن عن السيف . أى : بالسيف إذا كان السيف أداة الضرب

(٣) وكقولهم تعالى : (أولئك الذين يَتَقَبَّلُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)

(٤) منها أن تكون زائدة سماعاً - ويجب الاختصار فى زيادتها على المسموع وحده - ؛ نحو : (يسألونك عن الأنفال) . . وهذه تصلح أصلية إذا كان السؤال لمعرفة شأن الأنفال ، وطلب الاستخبار عنها ، لا لطلب الاستعطاء وأخذ شيء منها . ومن زيادتها المسموعة ما نص عليه ابن هشام فى المغنى - ج ١ عند الكلام عليها - قائلا : (إنها تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة بـ كقول الشاعر :

أَتَجَزَّعُ إِنْ نَفْسُ أَتَاها حِمَامُها فَهَلَّا التى عن بين جنبيك تدفع
قال ابن جنى : أراد ؛ فهلا تدفع عن التى بين جنبيك ، فعلفت « عن » من : أول الموصول ، وزيدت بعده) . . . ١ هـ .

وفىما سبق من معانى « على » ، و « عن » يقول ابن مالك باختصار :

« عَلَى » لِلِاسْتِعْلَاءِ ، وَمَعْنَى : « فِى » وَ « عَنْ »
يَعْنُ تَجَاوُزًا ، عَنِ مَنْ قَدْ فَطَنَ
وَقَدْ تَجَيَّءُ مَوْضِعَ « بَعْدَ » وَ « عَلَى »
كَمَا « عَلَى » ، مَوْضِعَ « عَنْ » قَدْ جُعِلَا =

وتستعمل « عن » اسماً بمعنى : « جانب » . ويغلب أن يكون هذا بعد وقوعها مجرورة بالحرف : « مِنْ » ، نحو : يجلس القاضي : ومن عن يمينه مساعدُهُ ، ومن عن يساره كاتبه . أى : من جانب يمينه ، ومن جانب يساره^(١) وهذا الاستعمال قياسى كباقي استعمالها السابقة .

اتصال « ما » الزائدة بالحرف : عن

إذا كانت « عن » جارة جازٍ وقوع « ما » الزائدة بعدها ، فلا تغير شيئاً من عملها أو معناها ؛ وإنما يبقى لها كل اختصاصها السابق قبل مجيء الحرف الزائد ، نحو : عما قريب يتحقق المأمول^(٢) .

* * *

الكاف : حرف يجر الظاهر ، ويقع أصلياً وزائداً . وأظهر معانيه أربعة :
١ - التشبيه : وهو - بنوعيه الحسى والمعنوى - أكثر معانيه تداولاً ، والأغلب دخول « الكاف » على المشبّه به ؛ نحو : الأرض كرة كالكواكب الأخرى . تستمد ضوءها من الشمس كبقية المجموعة الشمسية . ونحو : الذكاء كالكهربا ، كلاهما لا يُدْرَك إلا بآثاره . ويقولون فى المدح : فلان كهربيّ الذكاء . يريدون : أنه فى سرعة فهمه واستنباطه كالكهربا ؛ فى سرعة تأثيرها وتأثيرها^(٣)

= يريد : أن « على » تكون للاستعلاء وتكون للظرفية ؛ مثل : « فى » ، والمجاورة مثل : « عن » التى تؤدى هذا المعنى إذا قصد من فطن ؛ لأنها تؤديه . ثم بين أن : « عن » قد تكون بمعنى : « بعد » ، وبمعنى : « على » المفيدة للاستعلاء . كما أن : « على » تكون بمعنى : « عن » المفيدة للمجاورة .
(١) ويشير إلى هذا ابن مالك فى بيت يجرى - رقم ٤ من هامش ص ٥١٧ - عند الكلام على : « الكاف » .

(٢) ومثل قول الشاعر - فى الحث على الإجابة والإتيان عند ممارسة الأمور والأعمال ؛ حرصاً على الذكرى الطيبة بعد الممات :

إذا كنت فى أمر فكن فيه محسناً فعماً قليل أنت ماض وتاركه
وتقضى قواعد الكتابة باتصال الحرفين خطأً . ويشير ابن مالك آخر الباب - ص ٥٢٩ - إلى مسألة زيادة الحرف : « ما » بعد : « من » و « عن » و « الباء » ، وأن هذه الزيادة لا تعمق تلك الحروف عن عملها ؛ فيقول :

وبعدَ « مِنْ » و « عَنْ » و « بَاءً » ، زيدَ « ما » فلمَ يَعْقُ عَنْ عَمَلٍ قَدْ عُلِمَا

(٣) ونن الأمثلة قول الشاعر :

٢ - التعليل والسببية ؛ كقوله تعالى : (واذكروهُ كما هداكم) . أى : بسبب هدايته لكم . وقوله تعالى عن الوالدين : (وقل ربّ ارحمهما كما ربّيتاني صغيراً . . .) . أى : بسبب تربيتهما إياى فى صغرى .

٣ - التوكيد^(١) ويختص بالزائدة ؛ نحو قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) . أى : ليس شيءٌ مثله . . . (وهذا فى رأى من يرون زيادة الكاف هنا)^(٢) .

٤ - الاستعلاء ؛ كقولهم : كن كما أنت . أى : على الحال التى أنت عليها . واستعمالها فى هذا المعنى ، والذي قبله قليل ، ولكنه قياسى .

ومن الاستعمالات القياسية أن تخرج « الكاف » عن الحرفية - لداع يوجب ذلك - فتصير اسماً مَبْنِيّاً بمعنى : « مثل » ، يجرى عليه ما يجرى على نظائره من الأسماء المبنية^(٣) ؛ كقولهم :

لن ينفع فى منع الإجمام كالعقوبات الرادعة . وقولهم :

= ابنوا كما بَنَتِ الأجيال قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخرّاً لأنسان
أى : كبنائية الأجيال .

(١) سبق فى أول هذا الباب ص ٥٠ ؛ إيضاح للتوكيد الذى ينشأ من الحرف الزائد . كما سبق فى الجزء الأول ص ٧٠ م ٥ .

(٢) وحجتهم أنها لو لم تكن زائدة لتوتب على أصلتها الاعتراف بوجود مثل للمول تعالى ؛ وهذا محال . والأسهل الموافقة على زيادتها فى هذا الموضع ونظائره - ومنها قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً . .) ؛ لتجنب التأويلات الأخرى ، والآراء التى يشوبها التعقيد ،

أما من يمتنعون زيادتها فحجتهم : أن « مثل » بمعنى : ذات ، وأن القرآن ليس فيه زائدٌ مِثْلٌ لكن فاتهم أن الزائد هنا وفى فصيح الكلام العربى يؤدى توكيد معنى الجملة (طبقاً لما فصلناه عند الكلام على الحرف و ج ١ م ٥ ص ٧٠) فلا عيب فى زيادته مع أدائه هذا الغرض ، إنما المغييب المنزه عنه القرآن ، هو الزائد الذى لا فائدة منه ، فيكون وجوده كعدمه . ومن أمثلة زيادتها ما نقلوه عن أعرابىٍّ مثل : كيف تصنعون الأقباط ؟ فأجاب : كَهَيْئَةٍ . يريد ؛ هو هين . فالكاف زائدة - كما قالوا - على أنى لا أرى مانعاً أن تكون اسماً مَبْنِيّاً بمعنى : « مثل » ؛ فكأنه يقول : « مثل هين » أى : مثل شيءٍ هين . . .

(٣) فيكون اسماً مَبْنِيّاً فى محل رفع ، أو : نصب « أو : جر ، على حسب موقعه من الجملة التى لا تستغنى فى تركيبها عنه اسماً ، لا حرفاً .

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كَنَفْسِهِ^(١) . . . وقولهم :

وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهمو ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟
أى : مثلُ العقوبات — مثلُ نفسه — مثلُ العفو ؛ فالكاف في الأمثلة
السالفة اسم ، لحاجة الجملة إلى فاعل ، فالكاف فاعل^(١) ، مبنى على الفتح في
محل رفع .

وقد تكون — أحياناً — خبراً لمبتدأ^(٢) ؛ كقولهم : من حدَّركَ كمن بشَّركَ . . .
وقد تكون مفعولاً به في نحو قول الشاعر :

ولم أرَ كال معروفٍ ؛ أمّا مذاقُه فحلُّوْ ، وأما وجهُه فجَمِيلٌ^(٣) . . .^(٤)
وقد تكون في محل جر في نحو : يتنسم فلان عن كاللؤلؤ المكنون . وهكذا . . .
فهى بمعنى : « مثل » في كل ذلك ، وفي كل موضع آخر يستوجب المعنى
والإعراب أن تكون فيه اسماً مبنياً^(٥)

(١ ، ١) في قول الشاعر :

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كَنَفْسِهِ والمرء يصلحه القرين الصالح
(٢) أو لما أصله المبتدأ ، كوقوعها خبراً للناسخ (ليس) في قول الشاعر

ليس من قال بالصواب كمن قما ل بجهل ؛ والجهل داء عياء
(٣) وبعد هذا البيت :

ولا خيرَ في حُسْنِ الجسوم وطولها إذا لم يَزِنِ حُسْنَ الجسوم عقول
(٤) وفي الكلام على معاني « الكاف » ، وعلى أنها تستعمل اسماً بمعنى : « مثل » ، وكذلك : « عن »
و « على » بدليل دخول « من » عليها . وهى لا تدخل إلا على الأسماء — يقول ابن مالك أولاً :

« شَبَّهَ » بكافٍ ، وَبِهَا « التَّعْلِيلُ » قَدْ يُعْنَى : وزائداً لتوكيد وَرَدَ
يريد : أن كلمة : « الكاف » تستعمل في التشبيه ، وأن « التعليل » بها قد يعنى (أى : يُقصد)
وورد هذا الحرف زائداً للتوكيد . ثم قال :

وَاسْتُعْمِلَ اسْمًا ، وَكَذَا : « عَنْ » و « عَلَى » مِنْ أَجْلِ ذَا عَلَيْهِمَا مِنْ « دَخَلَا
يريد : أن حرف « الكاف » استعمال اسماً ، وكذلك « عن » و « على » . ومن أجل استعمالهما
اسمين دخل عليهما الحرف الجار : « من » وهو لا يدخل إلا على الأسماء — كما سبق . في ص ٥١٥ — .
(٥) انظر هامش رقم ٣ في الصفحة السابقة .

وإذا كانت «الكاف» أداة جر فقد تتصل بها «ما» الزائدة فتكفها عن العمل - غالباً - وتزيل اختصاصها (وهو: الدخول على الاسم لجره). فتدخل على الحمل الاسمية والفعلية ، نحو : (الصحة خيرُ النعم ؛ كما المرضُ شرُّ المصائب). ونحو : (الفقرُ يخني مزايا المرء، كما يُزيل ثقة الناس بصاحبه^(١)...) وهذه هي «ما» الزائدة الكافة عن العمل ، ومن القليل ؛ الذي لا يقاس عليه أن يبقى لها اختصاصها الأول ، فتدخل على الاسم فتجره بالرغم من اقترانها بكلمة «ما» الزائدة ؛ نحو : قول القائل .

وَنَنْصُرُ مولانا ونَعْلَمُ أنهُ كما الناسِ مظلومٌ عليه وظالمٌ

أى : كالناس ، وهذه هي «ما» الزائدة فقط ، وليست بكافة .

* * *

مُذٌ وَمُنْذٌ^(٢) : يكثر استعمالهما اسمين ظرفين ، أو اسمين غير ظرفين ، كما يكثر استعمالهما حرفين أصليين للجر .

(١) فيصلحان للاسمية المجردة من الظرفية إذا لم تقع بعدهما جملة ، وإنما وقع بعدهما اسم مرفوع ؛ نحو : ما سافرت مذ الشهرُ الماضي ، أو منذ فذ ومنذ مبتدأ خبره الاسم المرفوع بعده^(٣) .

(١) وسيشير إلى هذا ابن مالك آخر الباب - ص ٥٢٩ - حيث يعيد البيت التالى في زيادتها بعد «الكاف» و «رب» ، وأنها تكفهما عن العمل أو لا تكفهما :

وَزَيْدٌ بَعْدَ «رَبٍّ» وَالْكَافِ فَكَفَّ وَقَدْ يَلِيهِمَا وَجَرٌّ لَمْ يُكْفَ
أى : لم يمنع . يريد بقوله : «وزيد» الحرف : «ما» وأن هذا الحرف كفهما عن العمل ، وقد يليهما فلا يكفهما .

(٢) سبق كلام عليهما - فى باب الظرف - ص ٢٩٩ - ولأهيمتهما وتشعب أحكامهما سيجيء
لهما بحث شامل مستقل ، آخر هذا الجزء - ص ٥٤٤ - «وكذلك سبق الكلام عليهما فى ج ١ للمناسبات مختلفة فى ص ٣٥٧ م ٣٦٠ و ٣٦٦ م ٣٧٠ و ٣٨٠» .

(٣) هذا هو الأحسن . . . ويجوز إعراب كل منهما ظرفاً مقدماً (أى : لتعلقه بالخبر المحذوف - كما فى رقم ٣ من هامش ص ٣٠٠) بمعنى : «بين ، وبين» مضافين فعلى ما سافرت مذ أو منذ الشهر الماضى : الشهر الماضى بينى وبين عدم السفر - راجع الصبان - و «الشهر» هو المبتدأ المؤخر .
ولا بد من تقدم «مذ ومنذ» عند إعرابهما مبتدأ أو خبراً . وشروط أخرى هى المشار لها فى رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية .

ويصلحان للظرفية إذا وقع بعدهما جملة اسمية ، أو فعلية ماضوية ، ولا يصح أن تقع بعدهما المضارعية المستقبلية^(١) ؛ فمثال الجملة الاسمية : ما سافرت منذُ الجوء مضطربٌ ، أو منذُ . . . فكلاهما ظرف زمان للفعل « سافر » ، مبنى على السكون والضم ، في محل نصب ، وهو مضاف ، والجملة الاسمية بعدهما في محل جر مضاف إليه . ومثال الجملة الفعلية الماضوية : أسرعَ إليك مذ أو منذ دعوتني ، وكلاهما ظرف زمان للفعل : « أسرع » مبنى على السكون والضم في محل نصب . والظرف مضاف والجملة الماضوية بعده مضاف إليه في محل جر . ومن هذا قول الشاعر :

بَدَا الصبح فيها^(٢) منذُ فارقت مظلماً فإنْ أبْتَ صار الليل أبيض ناصعاً
« فَمِنْذُ » ظرف زمان للفعل : « بَدَا » .

(ب) ويكونان حرفين أصليين للجر ، وهذا يوجب شروطاً ؛ أهمها^(٣) : أن يكون المحرور اسماً ظاهراً ، لا ضميراً ، وأن يكون وقتاً^(٤) ، وأن يكون هذا الوقت متصرفاً ، معيناً لا مبهماً ، ماضياً أو حاضراً لا مستقبلاً . نحو : ما رأيته مذ يوم السبت الأخير ، أو مذ ساعتنا ، فلا يصح : مذهُ ، ولا مذ البيت ، ولا : مذ سَحَرٍ ، (تريد : سحر يوم معين) ولا مذ زمن ، ولا مذ غد ، وكذلك « منذُ » في كل ما سبق .

(١) فلا يصح : « مذ ، أو منذ » يفهم ؛ لأن عاملهما لا يكون إلا ماضياً ، فلا يجتمع مع المستقبل - كما سيجىء في البحث الآتي (ص ٥٥٥) منقولاً عن الصبان .

(٢) في الدار ، أو البلدة .

(٣) والراجع أن هذه الشروط تجري على الاسم المنفرد المرفوع بعدهما أيضاً إذا لم يكونا حرفي جر .

(٤) ومثل الوقت ما يسأل به عن الوقت ، بشرط أن يكون ظرف زمان ؛ نحو : منذ كم يوماً سافرت ؟ أو منذ متى سافرت ؟ أو منذ أي وقت سافرت ؟ ومثلها : مذ .

ويقول النحاة - كما جاء في الهمع - (« يجوز وقوع المصدر بعدهما ، نحو : ما رأيته مذ قدومٍ على » ، بالرفع والجر ، وهو على تقدير حذف زمان ؛ أي : مذ زمن قدوم على . ويجوز وقوع « أن وصلتها » ، بعدهما ؛ نحو : ما رأيته مذ أن الله خلقني ، فيحكم على موضعها بما حكم به اللفظ المصدر من رفع أو جر وهو على تقدير زمان أيضاً) ١ هـ .

ويشترط في عاملهما أن يكون ماضياً ، إما منفياً يصح أن يتكرر معناه ؛
نحو : ما رأيته مذ أو منذ يوم الجمعة ، وإمّا مثبتاً ، معناه ممتدّ متطاول^(١) ؛
نحو : سرت مذ ، أو منذ يوم الخميس .

فإن كان الاسم المجرور بهما معرفة ومدلول زمنه ماضياً ، كان معناهما
الابتداء مثل : « من » الابتدائية ، نحو : ما رأيته مذ ، أو : منذ يوم الجمعة
الماضي ، أى : من يوم الجمعة ؛ فابتداء عدم الرؤية هو يوم الجمعة . وإن
كان معرفة ومدلول زمنه حاضراً كان معناهما — لا إعرابهما — الظرفية ، مثل « في » .
نحو : ما رأيته مذ ساعتنا ، أو منذ يومنا . أى : في ساعتنا وفي يومنا .

أما إن كان المجرور بهما نكرة معدودة^(٢) فعناهما الابتداء والانتهاء معاً ؛
فهما مثل « من » و « إلى » مجتمعين ؛ نحو : ما رأيته مذ أو منذ يومين . أى :
ما رأيته من ابتداء هذه المدة إلى نهايتها .

ومما يجب التنويه به أن الاسم بعد « مذ » ، و « منذ » مع جواز جره على
اعتبارهما حرفي جر ، وجواز رفعه على اعتبارهما اسمين محضين — قد يترجح فيه
أحد الضبطين على الآخر ، وقد يقوى حتى يقرب من الوجوب كما يتبين مما يأتي :
✧ إذا كان الزمن بعدهما للحاضر فالراجح أن يكونا حرفي جر ، والاسم بعدهما
مجزوراً بهما ، نحو : ما تركت الكتابة مذ أو منذ ساعتنا . وعلى هذا تجرى أكثر
القبائل العربية ، وتكاد تلتزمه وتوجهه .

✧ وإذا كان الزمن بعدهما للماضي فالأرجح اعتبار « منذ » حرف جر ، والاسم
بعدها مجرور ، نحو : ما زرت الصديق منذ يومين . والعكس في « مذ » ، نحو
ما زرت الصديق مذ يومان^(٣) .

(١) في ص ٤٩٥ بيان « المتطاول » وما يتصل بهذا .

(٢) لتكون معينة ؛ لان المهمة — أى : غير المحدودة ، مثل : برهة ، وحين . . . لا تصلح
بعدها ، كما سبق . ولا فرق في المحدود بين أن يكون معدوداً لفظاً ومعنى ؛ نحو : يومين ، أو معنى فقط :
نحو : شهر .

(٣) وفي الكلام على مذ ومنذ اسميتهما وحرفيتهما وأحكامهما يقول ابن مالك :

و « مذ » و « منذ » ، اسمان حيث رَفَعَا أو أوليا الفعل ، كَجِئْتُ مُذْ دَعَا
يريد : أنهما يكونان اسمين حين يرفعان اسماً بعدهما ؛ باعتبارهما مبتدأين ، وهو الخبر المرفوع بالمبتدأ ، =

.

زيادة وتفصيل :

في مثل : « ما رأيته مذ أو منذ أن الله خلقه » - بفتح همزة أنّ ، (أى : من زمن أن الله خلقه) يجوز اعتبارهما اسمين ، مبتدأين ، والمصدر المؤول خبرهما ، كما يجوز اعتبارهما حرفي جر والمصدر المؤول هو المحرور بهما . أما عند كسر همزة « إن » فيتعين اعتبارهما اسمين مبتدأين لوقوع جملة اسمية بعدهما هي الخبر^(١) .

* * *

= أوحين يليها ويجيء بعدهما الفعل وفاعله ؛ مثل : جئت مذ دعا . واكتفى بأن ذكر الجملة الفعلية وترك الاسمية لفهم القارئ ، أو لأنها ستعرب خبراً والخبر مرفوع - عندهم - بالمبتدأ فتدخل في ضمن الحالة الأولى . ثم قال في معناها :

وإنَّ يَجْرُأَ فِي مُضِيٍّ « فَكَمِينٌ » هما ، وَفِي الْحُضُورِ مَعْنَى : « فِي » ، اسْتَبْنُ

أى : اطلب . ببيان معنى « في » وهو : الظرفية .

(١) لهذا إشارة في رقم ٤ من هامش ص ٥١٩ وبيان في رقم ٣ من هامش ص ٥٤٦ .

«رُبَّ» : ليس بين حروف الجر ما يشبه هذا الحرف في تعدد الآراء فيه ، واضطراب المذاهب النحوية واللغوية في أحكامه ونواحيه المختلفة . (التي منها ناحية معناه ، وناحية حرفيته ، وناحية زيادته أو شبهها ، وتعلقه بعامل أو عدم تعلقه ، ونوع الفعل الذى يقع بعده ، والجملة التى يوصف بها مجروره . . . و . . .) ، وكان من أثر هذا الاضطراب قديماً وحديثاً الحكم على بعض الأساليب بالخطأ عند فريق ، وبالصححة عند آخر ، وبالقبول بعد التأول والتقدير عند ثالث . وكل هذا يقتضي أن نستخلص أفضل الآراء ، بأناة ، وحسن تقدير .

وخير ما نستصفيه من معناه ، ومن أحكامه النحوية هو ما يأتى :

(أ) أن معناه قد يكون التكثر وقد يكون التقليل ، وكلاهما لا بد فيه من القرينة التى توجه الذهن إليه . ولهذا كان الاستعمال الصحيح للحرف «رُبَّ» وما دخل عليه أن يجىء بعد حالة خالية من اليقين^(١) تقتضى النص على الكثرة أو القلة ، (كأن يقول قائل^(٢) : أظنك لم تمارس الصناعة . فتجيب : رب صناعة نافعة مارستها . فقد جاءت الأداة «رُبَّ» وجملتها لإزالة أمر مظنون قبل مجيئها) . فنال دلالتها على الكثرة : رُبَّ محسود على جاهه احتمل البلاء بسببه ، ورُبَّ مغموور فى قومه ساعد بغفلة العيون عنه . . . وقولهم : رُبَّ أمل فى صفاء الزمان قد خاب ، ورُبَّ أمنية فى مسالة الليالى قد بددتها المفاجئات .

ومثال القلة قولهم : رُبَّ مَنيّة فى أمنيّة تحققت . . . ؛ ورُبَّ غُصّة فى انتهاز فرصة تهيأت . وقولهم : رُبَّ غاية مأمولة دنت بغير سعى ، وربّ حظ سعيد أقبل بغير انتظار . . . والقرينة على القلة والكثرة فى الأمثلة السالفة هى : التجارب الشائعة التى يعرفها السامع ، ويسلم بها .

(ب) وأن أحكامه النحوية أهمها :

١ - أنه حرف جر شبيه^(٣) بالزائد . وله الصدارة فى جملته ؛ فلا يجوز

(١) كحالة الظن ، أو الشك . . .

(٢) ومن هو فى حكم القائل ؛ بأن تدل هيئته على أنه فى حالة ظن أو شك ، فليس من اللازم

(شرح المفصل ج ٨ ص ٢٧) .

أن ينطق فعلا ، وإنما يكفى أن يقدر فيه ذلك

(٣) سبق الكلام فى ص ٥٢ ؛ على حرف الجر الشبيه بالزائد ، وأوجه الاتفاق والمخالفة بيته وبين

الأصل والزائد .

أن يتقدم عليه شيء منها^(١). لكن يجوز أن يسبقه الواو ، أو أحد الحرفين : « ألّا » الذى للاستفتاح^(٢) و « يا » ، نحو : ألّا ربّ مظهر جميل حجب وراءه متخبراً مردولاً . — يا ربّ عظيم متواضع زاده تواضعه عظمة وإكباراً . وقول الشاعر :

فياربّ وجه كصافى النمير تشابه حامله والنمير

٢ — وأنه لا يجر — غالباً — إلا الاسم الظاهر النكرة^(٣). وقد وردت أمثلة قليلة — لا يحسن القياس عليها — كان مجروره فيها ضميراً للغائب ، يفسره اسم منصوب ، متأخر عنه وجوباً ، يعرب تمييزاً ، نحو : ربّه شاباً نبيلاً صادفته ، وفى تلك الأمثلة القليلة كان الضمير مفرداً غائباً فى جميع أحواله ، يعود على التمييز الواجب التأخير . ويجب مطابقة هذا التمييز للدلول هذا الضمير المسمى : « الضمير المجهول^(٤) » ، لعدم عودته على متقدم . نحو : ربه شابين نبيلين صادفتهما — ربه شاباً نبلاً صادفتهم — ربه فتاةً نبيلة صادفتها وهكذا .

٣ — وأن النكرة التى يجرها تحتاج فى أشهر الآراء — لنعت مفرد ، أو جملة ، أو شبه جملة . غير أن الأكثر الأفصح حين يكون النعت جملة أن تكون فعلية ، ماضوية لفظاً ومعنى ، أو : معنى فقط — كالمضارع المسبوق بالحرف « لم » —

(١) ومن المسموع الذى لا يقاس عليه — لندرته — قول الشاعر :

وقبلك ربّ خصم قد تمالأ على فما هليعت ولا دُعرتُ

— تمالأ : أى : تمالأوا ، بمعنى : اجتمعوا واتفقوا . — الخصم : الخصام . وقد يكون للثنين ، والجمع . وللمؤنث

(٢) ويجوز مثله — مع قلته — الحرف : « لكن » — يسكون النون — الذى يفيد الاستفتاح والاستدراك معاً ، كقول أحد الشعراء — من أهل القرن الثالث الهجرى كما سجله صاحب كتاب : « الهفوات النادرة » لغرس النعمة الصابى ص ٢٧٢

نعمة الله لا تعاب ، ولكن ربما استتقبححت على أقوام

وسيد كرابيت لمناسبة أخرى فى ص ٥٢٦

(٣) سيبنى إعراب هذا الاسم تفصيلاً فى ص ٥٣٢ .

(٤) وله أسماء متعددة ، منها : ضمير الشأن ، وضمير القصة . . . (وقد سبق شرحه وتفصيل

الكلام عليه فى باب « الضمير » — ج ١ م ١٩ ص ٢٢٦) .

(نحو : رب صديق وفيّ عرفته — رب صديق لازمك عرفته — رب صديق عندك عرفته — رب صديق في الشدة عرفته — رب صديق لم يتغير عرفته) . ومثال النعت بجملة اسمية ، ربّ ملوم لا ذنب له ، وقول الشاعر :

ذكَّ من يَغْبِطُ الدليلَ بعيش ربّ عيش أخفّ منه الحيمام^(١)

٤ — وأن « رب » مع مجرورها لا بد أن يكون لها في أغلب الأحوال اتصال معنويّ بفعل ماض يقع بعدها ، أو : بما يعمل عمله ويدل دلالاته الزمنية ، (وهذا الفعل مع فاعله غير الجملة الماضية التي قد تقع — أحياناً — صفة لمجرورها) ، ويكون الفعل — أو ما يعمل عمله — بمنزلة العامل الذي تتعلق به « رب » ومجرورها^(٢) بالرغم مما هو مقرر من أن حرف الجر الزائد وشبه الزائد لا يتعلق مع مجروره بعامل — كما سبق — نحو : رب كلمة طيبة جلبت خيراً ، ودفعت شراً . وقول الشاعر :

فيا ربّ وجهه كصافي النмир تشابهَ حامله والنمير . . .^(٣)

والأغلب في هذا الفعل وما في معناه أن يكون محذوفاً مع فاعله ؛ لأنهما معلومان تدلّ عليهما قرينة لفظية أو معنوية ، (لما قدمنا من أن الاستعمال الصحيح للحرف « ربّ » وما دخل عليه أن يكون بعد حالة ظن أو شك تستدعي النص على القلة أو الكثرة ، فيكون جواباً عن قول لقائل ، أو : من هو في حكمه) ؛ فاللفظية نحو : ما أطيب العمل ، وما أبغض البطالة : فرُبّ عمل نافع ، ورُبّ بطالة

(١) الموت .

(٢) راجع شرح المفصل (ج ٨ ص ٢٧ و ٢٩ ثم الصبان في أول باب الإضافة عند الكلام على

الإضافة اللفظية ، ومناقشته مثال ابن مالك : (ربّ راجينا عظيم الأمل . . .)

ونص ما نقله الصبان : (إن الأكثرين يقولون بوجوب مضي ما تتعلق به « رب » ، بناءً على أنها تتعلق ، لأنهم يقولون بوجوب مضي مجرورها ؛ وأن ابن السراج يجوز كونه حالاً — أي : في الزمن الحال — ، وابن مالك يجوز كونه حالاً أو مستقبلاً . وقد قال في التسهيل « ولا يلزم وصف مجرورها خلافاً للمبرد ومن وافقه ، ولا مضي ما تتعلق به » (١ هـ ،

هذا ، ولا يحسن الأخذ بالأراء الضعيفة إلا في فهم ما ورد بها . أما المحاكاة والقياس فيجريان على الأعم الأشهر الذي لمصناه .

(٣) ومثل هذا قول الآخر :

رب ليل كأنه الدهر طولا قد تناهى فليس فيه مزيد

ضارة . التقدير : فرب عمل نافع أحببته ، وربّ بَطالة ضارة كرهتها . والمعنوية كأنّ تمرّ على قوم منهمكين في العمل ، مشغولين به ، فتبتسم ابتسامة الرضا والانشرح ؛ ثم تنصرف عنهم قائلاً : رب عمل نافع ، ورب بطالة ضارة ، فالتقدير رب عمل نافع أحببته ، أو احترمت صاحبه ، أو أكبرته . . . أو . . . ، ورب بطالة ضارة كرهتها ، أو أنكرت أمرها . . . أو . . . ومن الجائز ذكر هذا الفعل وفاعله .

ويقول النحاة إن «رُبّ» تُوصَل معنى هذا الفعل وما في حكمه إلى الاسم المجرور بها . ففي مثل : «رب رجل عالم أدركت» أوصلت معنى الإدراك إلى الرجل^(١) ، وكذلك في الأمثلة السابقة . ومن ثمّ كان الأحسن عندهم في مثل : «رُبّ عالم لقيته» ، وقول الشاعر :

رُبّ حليم^(٢) أضاعه عدم الما لـ ، وجهل غطّى عليه النعيم

أن تكون الجملة الفعلية الماضوية المذكورة هي صفة للنكرة المجرورة بالحرف : «رُبّ» . وأن تكون هناك جملة أخرى ماضوية محذوفة ، تتصل بها «رُبّ» ومجرورها اتصالاً معنوياً . ولا يرتاحون أن تكون الجملة الماضوية المذكورة هي المرتبطة ارتباطاً معنوياً بهما ؛ لأنها صفة للنكرة المجرورة «رُبّ» وهذه النكرة قد تستغنى عن كل شيء أساسي أو غير أساسي بعدها إلا عن الصفة . ومثل هذا الفعل الداخل في جملة الصفة — لا يصلح أن يكون هو الذي بمنزلة العامل في : «رُبّ» ومجرورها ؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف : منعاً للفساد المعنوي .

٥ — وأنه يجوز أن يتصل بآخرها «ما» الزائدة . والشائع في هذه الحالة

(١) هذا المثال ينصه وبالكلام الخاص به ، منقول من الجزء الثامن ص ٢٧ من كتاب : «المفصل» عند البحث الخاص بالحرف : «رب» وهو كلام يجعل حرف الجر الزائد والشبيه بالزائد مُعَدِّياً للعامل . مع أن كثرة النحاة تجعل التعدية مقصورة على حرف الجر الأصل ، دون الزائد وشبهه — كما سبق في ص ٤٥١ و ٤٥٢ ويحيى في رقم ١ من هامش ص ٥٣٠ — إلا أن كان المقصود الاتصال المعنوي المجرد — كما قلنا — وليس في كلامه دليل عليه .

(٢) عقل . وفي بعض الروايات : رب علم

أن تمنعها من الدخول على الأسماء المفردة ، ومن الجرّ ، فتجعلها مختصة بالدخول على الجمل الفعلية والاسمية^(١) ، ولذا تسمى : « ما » الزائدة الكافة ؛ (لأنها كَفَّتْها - أى : منعتها - من عملها ؛ وهو : الجر ؛ ومن اختصاصها ؛ وهو : الدخول على الاسم وحده ؛ لجره) ؛ نحو : ربما رأيت في الطريق مستجدياً وهو من الأغنياء . ونحو : ربما كان السائل أغنى من المسئول ، أو ربما السائل أغنى من المسئول . ولكن دخولها على الماضي^(٢) هو الكثير . أما دخولها على المضارع الصريح^(٣) وعلى الجملة الاسمية فنادر لا يقاس عليه ، إلا إن كان معنى المضارع : محقق الوقوع قطعاً - كما سيجىء - ومن العرب من يبقّيها على حالها من الدخول على الأسماء المفردة . وجرها مع وجود « ما » الزائدة ؛ فيقول : ربّ مسائل في الطريق أرعجني ، ولا تسمى « ما » في هذه الحالة « كافة » ؛ وإنما تسمى : « زائدة » فقط . والأفضل الاقتصار على الرأى الأول الشائع^(٤) .

٦ - والشائع أيضاً أن « ربّ » بحالتيها العاملة والمكفوفة عن العمل ، لا تدخل إلا على كلام يدل على الزمن الماضي ، سواء أكان مشتملاً على فعل ماض أم على غيره مما يدل على الزمن الماضي ، كالمضارع المقرون بالحرف : « لم » ، أو : الوصف الدال على الماضي . . . أو . . . نحو : رب معروف قدمته سعدت بفعله - رب علم لم ينفع صاحبه أحزنه - رب بئر متفجرة أمس نفعت بما في داخلها .

وقد أشرنا إلى أنها تدخل على المضارع الصريح إذا كان معناه محقق الوقوع لا شك في حصوله ؛ فكأنه من حيث التحقق بمنزلة الماضي الذي وقع معناه^(٥) ،

(١) أما معناها فيبقى على الوجه الذى سيجىء - مشروحاً في الزيادة والتفصيل (ب - ص ٥٣١) .

(٢) ولو كان مبنياً للمجهول ؛ كقول الشاعر : - وقد سبق لمناسبة أخرى فى هامش ص ٥٢٣ - :

نعمة الله لا تعاب ، ولكن ربّما استقبحت على أقوام

(٣) وهو الذى يكون لفظه مضارعاً وزمته مستقبلاً خالصاً .

(٤) وإذا كانت « ما » كافة ، و « رب » غير عاملة ، فالواجب وصلهما كتابة . أما إذا كانت

« رب » عاملة فالواجب فصلهما .

(٥) وقد تدخل على مضارع فى لفظه ، ولكنه ماض فى زمته ، بقرينه تدل على المضى الزمنى ،

كقول الشاعر لهارب من حاكم توعده بالقتل فجاءه الخبر بموت ذلك الحاكم :

ربما تعجزع النفوس من الأمّ . . . له فرجة كحلّ العقال =

وصار أمراً مقطوعاً به ، كقوله تعالى ، في وصف الكفار يوم القيامة ، — ووصفهُ صِدْقٌ لا شك فيه — : (رَبَّمَا ^(١) يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كَانُوا مُسْلِمِينَ) ، أما في غير ذلك فشاذا لا يقاس عليه ^(٢) .

ولإنما كان الأكثر دخولها على الزمن الماضي لأن معناها التأكيد والتقليل ، ولا يمكن الحكم بأحدهما إلا على شيء قد عُرِفَ ^(٣) . . .

٧ — أنه يجوز في ضبطها لغات تقارب العشرين ، أشهرها ضم الراء أو فتحها مع تشديد الباء في الحالتين ، أو مع تخفيفها بالفتح بغير تشديد . كما يجوز أن تلحقها تاء التأنيث المتسعة — في المشهور — لتدل على تأنيث مجرورها ؛ نحو : رَبَّتْ

= فهو يريد : ربما جزعت . . . ولا يصلح زين المضارع هنا إلا للمضي ، لأن الجزع لن يقع في المستقبل بعد موت الحاكم الظالم ، وزوال سبب الخوف . ومثل هذا قول الشاعر :

وحديثُ اللَّهِ هو مما يشتهي السامعون يوزن وزنا
منطقُ صائب ؛ وتَلَحَّنُ أحياء نأ وخير الكلام ما كان لحنا

أى : رب حديث الله ، فقد دخلت « رب » المحذوفة ، والتي تدل عليها الواو ، على أمر حصل بحقق عند المتكلم ، ولا شك في وقوع زمنه وانتهائه قبل الكلام ؛ فالمضارع ماضى الزمن . (تلحن : تشير إلى ما تريد بغير كلام) .

(١) « رَبَّمَا » (بتخفيف الباء) ، مثل : « رَبِّمَا » بتشديدها . كما سيحى .

(٢) ومن أمثلة الشاذ ما جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ، وهو قول بعض السلف : لا تكرهوا الملمات الواقعة : فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر تحبه فيه عطبك ، قال الشاعر :

رب أمر تتقيه جرراً أمراً ترتضيه
خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

والدليل على أن المضارع بعد « رب » في المثال المشور مستقبل الزمن وجود « لا » الناهية في المضارع الذى قبله ؛ وهى تجعل زمنه مستقبلاً خالصاً .

وهناك قرينة أخرى عقلية في المثال المشور ، وفي البيتين — تدل على استقبال المضارع ؛ هى الحث والحض والترغيب ، وهذه الأمور لا تكون إلا فى شيء لم يقع .

(٣) من كل ما تقدم يتبين نوع المضارع الذى يقصده النحاة بقولهم : إن المضارع يكون ماضى الزمن إذا وقع بعد « رب » (كما جاء فى الطبع ج ١ ص ٨) .

عبارة موجزة أغنت عن كلام كثير . وتكون التاء إما ساكنة ويوقف عليها بالسكون ، وإما مفتوحة ويوقف عليها بالهاء .

حذف رُبّ :

يجوز حذف « رُبّ » لفظاً . مع إبقاء عملها ومعناها كما كانت . وهذا الحذف قياسى بعد « الواو » ، و « الفاء » ، و « بل » . ولكنه بعد الأول أكثر ، وبعد الثانى كثير . وبعد الثالث قليل بالنسبة للحرفين الآخرَين . نحو :

وجانب^(١) من الشرى يُدعى الوطنُ ملءِ العيونِ ، والقلوبِ ، والفِطِنِ^(٢)

ونحو : أن تسمع من يقول : (ما أعجبَ ما قرأته على صفحات الوجوه اليوم !)
فتقول : (فحزّين قَضَى الليلَ هَمّاً طلع النهار عليه بما بدّدَ أحزانه ، ومتهجّج نام ليله قريراً . ثم أفاق على هَمٍّ وبلاء) . ونحو : (بل حزين قد تأسى^(٣) بحزّين)

(١) « ملاحظة » : هذا البيت أول قصيدة لشوقي ، موضوعها : الوطن . والشائع في مثل هذه الصورة إعراب « الواو » نائيةً عن « رب » ، أو يقال : « واورب » ويفرّ العربون من اعتبارها : « عاطفة » . أو شيئاً آخر . لكن جاء في كتاب : (تفسير أرجوزة أبي نواس) في تقرّظ الفضل بن الربيع ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جنى اللغوى المشهور ، وإخراج الأستاذ بهجة الأثرى : ص ٩ - عند بيت أبي نواس :

وبلدة فيها زورُ صغرة تُخطى في صعر

ما نصه الحرفيّ قوله : (« وبلدة » قيل في هذه الواو قولان . أحدهما : أنها للمطف ، والآخر : أنها عوض من « رُبّ » . فكأنهم إنما شربوا من أن يجعلوها عاطفة لأنها في أول القصيدة وأول الكلام لا يُعطف . ولا يمتنع العطف على ما تقدم من الحديث والقصص ؛ فكأنه كان في حديث ثم قال : وبلدة ؛ « فكأنه وكل الكلام إلى الدلالة في الحال . ونظير هذا قوله تعالى : « (إنا أنزلناه في ليلة القدر) » وإن لم يجر للقرآن ذكر ، وكذلك قوله تعالى : « حتى توارت بالحجاب » يعنى : الشمس . - فأصمرها وإن لم يجر لها ذكر . وهذا في كلام العرب واسع فاش) . اهـ كلام ابن جنى

ويوضحه بل يؤيده ويقويه ما جاء في « المغنى ج - ٢ » عند كلامه على « الواو المفردة » الحارة . - وقد أشرنا لكل ما سبق في ج ٣ باب : المطف (م ١٢٠) عند الكلام على حذف المعطوف عليه - بقى السؤال : هل هناك مانع أن تكون الواو في مثل ما سبق للاستئناف ؟ لا أرى مانعاً .

(٢) ومن هذا قول الشاعر :

ومستعبد إخسوانه بثرائه لبست له كِبَرًا أبرّ على الكبير

(أبر = زاد وتغلب) .

(٣) تسلى .

أى : رب جانب . . . - رب حزين قضى الليل . . . - رب مبتهج . . .
- رُبّ حزين قد تأسى . . .

وكل حرف من هذه الثلاثة يسمى : « العوض » عن : « رب »^(١) ؛ أو : « النائب عنها » ؛ لأنه يدل عليها ، وهو مبنى لا محل له من الإعراب ؛ والاسم المجرور بعده ، مجرور برُبّ المحذوفة^(٢) . وليس مجروراً فى الصحيح بالعوض عنها أو النائب^(٣)

* * *

(١) فعند الإعراب يقال : (الواو : واو رب) - (الفاء : فاء رب) - (بل : بل رب) .
أو يقال فى كل واحد إنه : نائب عن : رب .

(٢) ويقول ابن مالك فى زيادة كلمة : « ما » بعد : « من » ، و « عن » ، و « الباء » ، وأن هذه الزيادة لا تعوق الأحرف السالفة عن العمل - كما شرحنا عند الكلام على كل :

وبَعْدَ « مِنْ » ، وَ « عَنْ » ، وَ « بَاءٍ » زَيْدٌ : « مَا » فَلَمْ يَعْوَ عَنْ عَمَلٍ قَدْ عَلِمَا
وقد تقدم هذا البيت - فى ص ٥١٥ عند الكلام على « مِنْ » و « عَنْ » و « الباء » للمناسبة الخاصة بكل . ويقول فى زيادتها بعد « رب » و « الكاف » ؛ وأنها قد تكفيهما أو لا تكفيهما :

وَزَيْدٌ بَعْدَ « رُبِّ » وَ « الْكَافِ » فَكَفَّ وَقَدْ يَلِيهِمَا ، وَجَرُّ لَمْ يُكْفِ
- وقد سبق البيت فى هامش ص ٥١٨ - ثم يقول فى حذف : « رب » بعد الحروف الثلاثة :

وَحُذِفَتْ « رُبِّ » ، فَجَرَّتْ بَعْدَ : « بَلْ » وَ « أَلْفَا » وَبَعْدَ : « الْوَائِ » شَاعَ ذَا الْعَمَلِ

(٣) يرى سيبويه أن الجر هو بكلمة : « رب » المحذوفة . أما الواو ، والفاء ، وبل ، فحروف عطف مهملة هنا لا تعمل شيئاً ، مع أنها نائبة عن : « رب » ودالة عليها . وكثير من النحاة يقول : إن العمل هو للحرف النائب وليس للمحذوف (راجع المفضل ج ٢ ص ١١٧ باب الإضافة) وهذا الخلاف شكلى محض لا أثر له .

زيادة وتفصيل :

(١) إذا كان الحرف : « رُبَّ » شبيهاً بالزائد^(١) فمن الواجب أن يكون للاسم النكرة المجرور به ناحيتان ، ناحية الجر لفظاً ، وناحية الإعراب محلاً ؛ فيكون مجروراً في محل رفع ، أو محل نصب على حسب حاجة الجملة ، ويعامل بما يعامل به عند عدم وجودها . ففي مثل : ربّ زائر كريم أقبلَ - تعرب كلمة : « زائر » مجرورة برُبّ لفظاً ، في محل رفع : لأنها مبتدأ . وفي مثل : رب زميل وديع صاحبت ، تعرب كلمة : « زميل » مجرورة لفظاً في محل نصب ، لأنها مفعول به للفعل : « صاحبت » . وفي مثل : رب مساعدة خفية ساعدت ، تعرب كلمة : « مساعدة » مجرورة لفظاً في محل نصب ؛ لأنها مفعول مطلق . وفي مثل : رب ليلة مقمرة سهرت مع رفاقي ، تعرب كلمة : « ليلة » مجرورة لفظاً في محل نصب ؛ لأنها ظرف زمان وهكذا

وخير مرشد لمعرفة المحل الإعرابي للاسم المجرور بها هو ما قلناه من تخيل عدم وجود « رُبَّ » ، وإعراب المجرور بها بما يستحقه عند فقدانها

ويترب على ما سبق من جر النكرة لفظاً بها واعتبارها في محل رفع أو نصب أن التابع لهذه النكرة (من نعت ، أو : عطف ، أو : تأكيد ، أو : بدل) يجوز فيه الأمران ، مراعاة لفظ النكرة ، أو مراعاة المحل ، ففي مثل : رب زائر كريم أقبلَ ، يجوز في كلمة : « كريم الجر والرفع . وفي مثل : رب زميل وديع صاحبت ،

(١) هذا رأى أكثرية النحاة من أهل التحقيق . وخالف فيه غيرهم - كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٥٢٥ - ومن هذه الأكثرية المحققة « الخضرى » أحد نحاة القرن الثاني عشر الهجرى ، وصاحب الحاشية المشهورة على ابن عقيل ، وآخر أصحاب الحواشى على شرح : « ألفية ابن مالك » وغيرها حتى عصرنا هذا . وقد اطلع - بلا شك - على الآراء المخالفة ، ولم يعتمد بها حين رأى شرح ابن عقيل في أول باب حروف الجر ينص على أن الحرف : « لعل » حرف جر زائد : فاستدركه الخضرى مصححاً ومصرحاً بما نصه :

(صوابه : شبيه بالزائد . ومثلها « لولا » و « رب » ؛ لأن الزائد لا يفيد شيئاً غير التوكيد ؛ وهذه - الحروف - تنفيذ الترجى ، والامتناع ، والتقليل . وإنما أشبهت الزائد في أنها لا تتعلق بشئ . . . اهـ) وهذا نص واضح المرمى . وله صلة أيضاً بما سيبنى في هذه الزيادة والتفصيل

.....
.....

يجوز في كلمة : « وديع » الجر والنصب . . . وهكذا .

ولا يتغير الحكم لو جاء تابع آخر - كالعطف - فقلنا : رب زائر كريم وسائح هنا ، فيجوز في كلمة : « سائح » المعطوفة ، الأمران الجائزان في المعطوف عليه . . . ويجوز أن يكون المعطوف هنا معرفة ، نحو : رب زائر كريم وأخيه أقبلا ، مع أن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فهو بمنزلة الاسم الذي دخلت عليه « رب » فحقه أن يكون نكرة كمجرورها ، إلا أن الأساليب العربية الفصحى تدل على أنه قد يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع ، وهذا معنى قول النحاة : قد يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل^(١) .

(ب) إذا دخل الحرف : « رب » على الجمل بنوعيهما^(٢) ، وهو مكفوف - بسبب اتصاله « بما » الكافة - فإن معناه يبقى على حاله من إفادة التكرير أو التقليل على حسب القرائن . (كما أشرنا من قبل)^(٣) ، ولكن التكرير أو التقليل في هذه الحالة يكون منصباً على النسبة التي في الجملة ، وهي النسبة الدائرة بين طرفيها ؛ ففي مثل : ربما أتى الغائب ، أو ربما الغائب آت . . . ، يكون التقليل والتكرير واقعاً على نسبة الإتيان للغائب . وقيل : إن معنى « رب » المكفوفة ، هو : التحقيق .

(ح) قد تحل : « مِمَّا » . . . ، محل : « رَبِّمَا » فتؤدى معناها ؛ طبقاً للبيان الموجز الذي سبق في ص ٤٦٦ وللتفصيل الشامل الذي تقدم في ج ١ م ٤٢ ، ص ٥٤٩ عند الكلام على النواسخ ، و« كان » الناسخة .

* * *

(١) تكررت الإشارة لهذا المعنى في أبواب مختلفة ، ولا سيما باب الاستثناء ، عند الكلام على حكم المستثنى الذي أدانته : « إلا » إذا كان تاماً غير موجب - ص ٣٣٦ وله إشارة في رقم ١ من هامش ص ٦٩ .
(٢) انظر حكم دخولها على الجملة الاسمية والمضارعية في رقم ٥ من ص ٥٢٥ .
(٣) في رقم ١ من هامش ص ٥٢٦ .

المسألة ٩١ :

هـ - حذف حرف الجر وحده ، مع إبقاء عمله ^(١) ، وحذفه مع مجروره

يجوز أن يحذف حرف الجر ، ويبقى عمله كما كان قبل الحذف . ويطرد هذا في مواضع قياسية ، أشهرها أربعة عشر نذكرها كاملة هنا - وقد مرّ بعضها في مواضع متفرقة ^(٢) - .

١ - أن يكون حرف الجر هو : « رُبَّ » بشرط أن تكون مسبوقة « بالواو » ، أو : « الفاء » ، أو « بَلِ » - كما سبق قريباً عند الكلام عليها ^(٣) - نحو :

وعاملٍ بالحرام ، يأمرُ بالـ بـيرٍ ؛ كهادٍ يخوض في الظلمِ .

٢ - أن يكون الاسم المجرور بالحرف مصدراً مؤولاً من « أن » مع معموليها ، أو من « أن » والفعل والفاعل ؛ نحو : فرحت أن الصانع بارعٌ ، أو : أفرحُ أن يبرع الصانع . والأصل : فرحت بأن الصانع بارع - أو : أفرحُ بأن يبرع الصانع . والتقدير فيهما : فرحت ببراعة الصانع ، أو : أفرح . . .
ولا بد من أمن اللبس قبل حذف حرف الجر على الوجه الذي شرحناه في مكانه من باب : « تعدية الفعل ولزومه » ^(٤) .

(١) أما حذفه ونصب ما بعده على ما يسمى : « النصب على نزاع الخافض » - وهو نوع مما يسمى « الحذف والإيصال » - فقصور على المصاح في غير الضرورة الشعرية ؛ طبقاً للبيان الذي سلف في رقم ٥ من ص ١٥٩ ورقم ٨ من ص ١٧١ وهامشها .

(٢) بعضها في ص ١٦١ وفي هامش تلك الصفحة تفصيلات هامة . أما الداعي إلى ملاحظة حرف الجر المحذوف ، واعتباره كالموجود فهو المحافظة على سلامة المعنى ، أو على صحة التركيب .

(٣) ص ٥٢٨ .

(٤) ص ١٦٣ . وقدنا هناك إن الباء الجارة التي بعد صيغة « أفعل » في التعجب يجوز حذفها إن كان المجرور بها مصدراً مؤولاً من « أن » والجملة الفعلية بعدها .

لكن النحاة لا يجيزون حذفها بعد تلك الصيغة إن كان المصدر مؤولاً من « أن » ومعموليها . ولا داعي لهذه التفرقة في مسألة التعجب لأن حذف الجار مطرد قبل « أن » وأن .
وإذا حذفت الباء في التعجب أتقدّر أم لا تقدّر ؟ رأيان كما أشرنا في ج ٣ باب التعجب م ١٠٩

٣- أن يكون حرف الجر حرفاً من حروف القسم ، والاسم المجرور به هو لفظ الجلالة (الله) ؛ نحو : الله لأكثرن من العمل النافع ، أى : بالله^(١) . . .

٤- أن يكون حرف الجر داخلاً على تمييز « كم » الاستفهامية ، بشرط أن تكون مجرورة بحرف جر مذكور قبلها ؛ نحو : بكم درهم اشتريت كتابك ؟ أى : بكم من درهم^(٢) ؟ . . .

٥- أن يكون حرف الجر مع مجروره واقعين في جواب سؤال ، وهذا السؤال مشتمل على نظير لحرف الجر المحذوف ؛ كأن يقال : في أى بلد قضيت الأمس ؟ فيجواب : القاهرة . أى : في القاهرة .

٦- أن يكون حرف الجر واقعاً هو والاسم المجرور به بعد حرف عطف ، بغير فاصل بين الحرفين ، والمعطوف عليه مشتمل على حرف جر مماثل للمحذوف ؛ كقولهم : (ألا تفكر في تركيب جسمك لترى قدرة الله العجيبة ، والسموات ؛ لترى ما يُحير العقول ، وخواص المادة ؛ لترى الإبداع والإعجاز . . .) أى : في السموات - وفي خواص المادة ؛ . . . وقد حذف الحرف : « في » ؛ لأنه مع مجروره معطوف بالواو بغير فاصل بينهما . والمعطوف عليه وهو : « تركيب » مشتمل على حرف جر قبله ؛ مماثل للمحذوف^(٣) .

(١) طبقاً للرأى الأرجح ، وهو رأى سيبويه ، ومن معه ، (كما سبقت الإشارة لهذا في رقم ١٥ من ص ١٩٧) وفى : « ٥ » من ص ٥٠٢ .

(٢) هذا هو الأرجح ، وهناك رأى آخر يقول إن « كم » الاستفهامية مضافة إلى تمييزها . أما تمييز « كم » الخبرية فالشهور أنه المضاف إليه وهى المضاف ، وقيل إنه مجرور بـ « من » محذوفة كما سيأتى في ج ٤ باب : « كم » .

(٣) وليس من هذا النوع بيت ابن مالك في باب : « المُعَرَّب والمبني » وهو ؛

فارفع بضم ، وانصبين فتحاً ، وجراً كسراً : كذكر الله عبده يسر
فأصل الكلام : ارفع بضم ، وانصبين بفتح ، وجر بكسر ؛ فحذف حرف الجر وهو الباء ونصب الاسم المجرور به على ما يسمى : « نزع الخافض - وقد أوضحناه ، لوجود فاصل ممنوع (وقد سبق الكلام عليه في هذا الجزء ، في باب : تعدية الفعل ولزومه ، ص ١٥٩ وهامش ص ١٧١ ، كما سبق الكلام على البيت السابق ، وفي ج ١ ص ٦٨ م ٧) . وليس من الجائز في البيت أن يبقى الاسمان - فتح ، وكسر - مجرورين بعد حذف حرف الجر كما كانا قبل حذفه .

٧- أن يكون حرف الجر واقعاً هو والاسم المجرور به بعد حرف عطف ، والمعطوف عليه مشتمل على حرف جر مماثل للمحذوف مع وجود « لا » فاصلة بين حرف العطف وحرف الجر المحذوف ؛ نحو : ما للفتى سلاح إلا علمه النافع ، ولا الفتاة إلا فنّها العمليّ الملائم . أى : ولا للفتاة .

٨- أن يكون حرف الجر كالسابق ولكن الحرف الفاصل هو : « لو » ؛ كقولهم : من تعود الاعتماد على غيره ، ولو أهله ؛ فقد استحق الحية والإخفاق . أى : ولو على أهله ^(١) . . .

٩- أن يكون حرف الجر واقعاً هو ومجروره في سؤال بالهزمة ، وهذا السؤال ناشئ من كلام مشتمل على نظير للحرف المحذوف ؛ كأن يقال : أعجبت بمحمود . فيسأل القائل : محمود النجار ؟ أى : أم محمود النجار ؟ .

١٠- أن يكون حرف الجر ومجروره واقعين بعد « هلا » التى للتحضيض بشرط أن يكون التحضيض وارداً بعد كلام مشتمل على مثل لحرف الجر المحذوف ؛ كأن يقال : سأصدق بدينارهم ، فيقال : هلا دينار ، أى : بدينار ، والمراد : هلا تتصدق بدينار .

١١- أن يكون حرف الجر هو : « لام التعليل » الداخلة على : « كى » المصدرية ؛ نحو : يجيد الصانع صناعته كى يقبل الناس عليه . أى : لكى يقبل الناس عليه ، بمعنى : لإقبالهم عليه .

١٢- أن يكون حرف الجر داخلاً على المعطوف على خبر « ليس » أو خبر « ما » الحجازية ، بشرط أن يكون كل منهما صالحاً لدخول حرف الجر عليه ^(٢) ؛ نحو : لست مُرجعاً فرصة ضاعت ، ولا قادر على ردّها . فكلمة « قادر » مجرورة لأنها معطوفة على خبر ليس : (مُرجعاً) وهذا الخبر يجوز جره بالباء فيقال : لست بمرجع . فكأنها موجودة توهمًا وتخيلًا . وعلى أساس هذا الجواز الموهوم عطفنا عليه بالجر ؛ وهذا هو العطف الذى يسميه النحاة ؛ « العطف على

(١) والذى يوجب تقدير حرف الجر هنا اختصاص « لو » بالدخول على الجمل ، لا على المفردات . والأصل : ولو كان الاعتماد على أهله .

(٢) بأن يكون خبرها اسماً ، وأن يكون النفى المنصب عليه باقياً ، لم ينتقص بإلا . . . على الوجه الذى سبق فى بابها ، ج ١ ص ٥٢ المسألة : ٤٩ وما بعدها .

التوهم . وقد سبق^(١) إبداء الرأي فيه تفصيلاً ، وأنه لا يصح الالتجاء إليه ، ولا القياس على ما ورد منه .

١٣ — أن يكون حرف الجر مسبوقةً « بإن » الشرطية ، وقبلهما كلام يشتمل على مثيل للحرف المحذوف : نحو : سلم على من تختاره : إن محمد ، وإن على ؛ وإن حامد . التقدير : إن شئت فسلم على محمد ، وإن شئت فسلم على على ، وإن شئت فسلم على حامد . وبالرغم من جواز هذا فالمحذوف فيه كثير ، والمراد قد يخفى . فمن المستحسن عدم محاكاته قدر الاستطاعة .

١٤ — أن يكون حرف الجر مسبوقةً بفاء الجزاء الواقعة في جواب شرط . قبله نظير لحرف الجر المحذوف : نحو : اعتزمت على رحلة طويلة ؛ إن لم تكن طويلة فقصيرة . أى : فعلى رحلة قصيرة . ويقال في هذا الموضع ما قيل في سابقه من ترك القياس عليه قدر الاستطاعة . — بالرغم من صحة القياس . —

هذا ، وجميع التأويلات والتفديرات السابقة جائزة وليست محتومة ؛ بل إن الكثير منها يجوز فيه أوجه إعرابية أخرى : قد تكون أيسر . والمعنى عليها أوضح . واختيار هذه أو تلك متروك لمقدرة المتكلم والسامع . وخبرتهما بدرجات الكلام قوة ، وضعفًا ، وحسنًا ، وقبحًا . مع التزام الصحة التزامًا دقيقًا ، والبعد عن الخطأ في كل حالة . ومن الخير أن نترك ما فيه غموض وإلباس إلى ما لا خفاء فيه ولا إبهام ، لأن اللغة ليست تعمية وإلغازًا ، وإلا فقدت خاصتها ، وعجزت عن أداء مهمتها . وهذا أساس يتحتم مراعاته عند استخدامها ، وفي كل شأن من شئونها .

تلك مواضع حذف حرف الجر حذفًا قياسيًا مطردًا مع إبقاء عمله . وهناك أمثلة مسموعة وقع الحذف فيها مخالفًا ما سبق ، ولا شأن لنا بها : فهي مقصورة على السماع ؛ لا يجوز محاكاتها ؛ لعدم اطرادها^(٢) .

(١) في ص ٣٤٨ عند الكلام على « غير » الاستثنائية ، وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٣٦ ج ١ ص ٤٥٤ م ٤٩ .

(٢) وفيما سبق من حذف الجار ، وإبقاء عمله ومشابهته « رب » في هذا ، وفي أن حذفه قد يكون مطردًا أو غير مطرد — يقول ابن مالك .

أما حذف الجار والمجرور معاً^(١) فجائز إذا لم يتعلق الغرض بذكرهما ، بشرط وجود قرينة تعينهما ، وتعين مكانهما ، وتمنع اللبس . ومن الأمثلة قوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) ، أى : لا تجزى فيه^(٢) . . .

* * *

= « وَقَدْ يُجَرُّ بِسَوَى : « رَبُّ » لَدَى حَذَف ، وَبَعَّضُهُ يُرَى مُطَرِّدًا »
أى : أن حروفاً غير « رب » قد تجر الاسم بعدها مع حذفها . وأن بمض حالات الحذف والجر قد يكون مطرداً .

(١) أما حذف الجار وحده وإبقاء مجروره وما يترتب على ذلك من أحكام فقد سبق تفصيل الكلام

عليه فى ص ١٥٩

(٢) وفى المصباح المنير ، مادة : « حَجَر » ما نصّه .

(« حَجَرٌ عَلَيْهِ حَجَرًا - من باب : قتل - منعه التصرف ؛ فهو محجور عليه . والفقهاء « يحذفون

الصلة » أى : الجار مع مجروره) تخفيفاً ؛ لكثرة الاستعمال ، ويقولون : « محجور » وهو سائق (ا.هـ . ويقول فى مادة : « نَدَب » ما نصه :

(« ندبته إلى الأمر ندباً - من باب : قتل - دعوته . والفاعل : نادب ، والمفعول : مندوب ،

و- « الأمر » مندوب إليه ، والاسم : الندبة ، مثل غرفة ، ومنه : « المندوب » فى الشرع ، والأصل :

المنسوب إليه . لكن حذفت الصلة منه (يريد الجار مع مجروره) لفهم المعنى ا هـ . ومثل ما سبق قول

النحاة « الجملة المعترضة » - حين يفتحون الراء - يريدون كما نصوا على هذا : « المعترض بها » .

المسألة ٩٢ :

و- نيابة حرف جر عن آخر..^(١)

يتردد بين النحاة : « أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ^(١) . . . » فيتوهم من لا دراية له أن المراد هو : (جواز وضع حرف جرّ مكان آخر بغير ضابط ، ولا توقّف على اشتراك بينهما في تأدية معنى معين ، ولا تشابه مقيّد في الدلالة) . وهذا ضرب من الفهم المتغلغل في الخطأ ^(٢) ؛ إذ يؤدي إلى إفساد المعاني ، والقضاء على الغرض من اللغة .

أما حقيقة الأمر في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض فتتلخص في مذهبين : الأول ^(٣) : أنه ليس لحرف الجر إلا معنى واحدٌ أصليٌّ يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز ؛ فالحرف : « في » يؤدي معنى واحداً حقيقياً هو : « الظرفية » . والحرف : « على » يؤدي معنى واحداً حقيقياً هو : « الاستعلاء » . والحرف : « من » يؤدي : « الابتداء » ، والحرف : « إلى » يؤدي : « الانتهاء » وهكذا ^(٣) . . . فإن أدّى الحرف معنى آخر غير المعنى الواحد الأصليّ الخاص به

(١ و ١) وقد يعبرون عنها أحياناً بقولهم : « بدل حرف جر من آخر » كما في عبارة « المبرد » التي في رقم ١ من هامش ص ٤٠ . والمراد من العبارتين وأشباههما هو : وضع حرف جرّ مكان آخر . أي : استبدال واحد بغيره من تلك الحروف .

(٢) جاء في « المغني » - ج ٢ الباب : السادس ، في التحذير من أمور اشتهرت بين العربيين ، والصواب خلافها - ما نصّه في الأمر الثالث عشر :

(« قولهم : ينوب بعض حروف الجر عن بعض ، وهذا أيضاً مما يتداولونه ويستدلون به . . . ، وقصحيحه يكون بإدخال : « قد » على قولهم : « ينوب » ؛ وحيثنذ يتعنذر استدلالهم به ؛ إذ كل موضع ادّعوا فيه ذلك يقال لهم فيه : « لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة » . ولو صح قولهم لجاز أن يقال : مررت في زيد ، ودخلت من عمرو ، وكتبت إلى القلم . على أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادّعت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه ، وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف : لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف ») اهـ وسيجيء الرأي البصري كاملاً مع غيره هنا . (٣ ، ٣) وهو مذهب البصريين . وفيه يقول المصنف - ج ٢ الكتاب الثالث ؛ باب حروف الجر ، عند الكلام على الحرف « من » - ما نصّه : (تنبيه . علم ما حكى عن البصريين في هذه الأحرف من الاختصار على معنى واحد لكل حرف أن مذهبهم أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ؛ كما أن أحرف الجزم كذلك .. و ..) اهـ وأما الثاني فذهب الكوفيون ، والكلام عليه في ص ٤٠ و ٤١ .

وجب القول : بأنه يؤدي المعنى الآخر الجديد إما تأدية « مجازية » (أى : من طريق المجاز^(١)) ، لا الحقيقة) ، وإما تأدية « تضمينية »^(٢) (أى : بتضمين الفعل ، أو : العامل الذى يتعلق به حرف الجر الأصل^(٣)) ومجروره ، معنى فعل أو عامل آخر يتعدى بهذا الحرف) فحرف الجر مقصور على تأدية معنى حقيقى واحد يختص به ، ولا يؤدي غيره إلا من طريق « المجاز » فى هذا الحرف ، أو من طريق « التضمين » فى العامل الذى يتعلق به الجار الأصل^(٣) مع مجروره .

فمن الأمثلة للمجاز : الحرف الأصل « فى » ؛ فعناه الحقيقى : « الظرفية » (أى : الدلالة على أن شيئاً يحوى بين جوانبه شيئاً آخر ... و ... كما سبق^(٤)) ، فإذا قلنا : « الماء فى الكوب » ، فهمنا أن الكوب يحوى بين جوانبه الماء ؛ فيكون الحرف « فى » مستعلاً فى تأدية معناه الحقيقى الأصل . ولكن إذا قلنا : (غرد الطائر فى الغصن ...) ، لم نفهم أن الغصن يحوى فى داخله وبين جوانبه الطائر المغرد ؛ لاستحالة هذا . وإنما نفهم أنه كان على الغصن وفوقه ، لا بين ثناياه . فالحرف : « فى » قد أدى معنى ليس بمعناه الحقيقى الأصل ، فالمعنى الجديد ؛ وهو : « الفوقية » ، أو « الاستعلاء » إنما يؤديه حرف آخر مختص بتأديته ؛ هو : « على » فلو راعينا الاختصاص وحده لقلنا : غرد الطائر على الغصن ، فالحرف : « فى » قد أدى معنى ليس من اختصاصه ، بل هو من اختصاص غيره . وهذه التأدية ليست على سبيل الحقيقة ، وإنما هى على سبيل المجاز . واجتمع للحرف : « فى » الشرطان اللذان لا بدّ من تحققهما لصحة استعمال المجاز^(٥) ، فالظرفية بما تقتضيه من تمكن وثبات شبيهة بالاستعلاء الذى يقتضى التمكن والثبات أيضاً ؛ فاستعملنا « الظرفية » ؛ مكان « الاستعلاء » ؛ بسبب التشابه المعنوى الذى بينهما ، واستعملنا الحرف الدال على « الظرفية » مكان الحرف الدال على « الاستعلاء » ؛

(١) وفى هذه الحالة يجب أن يتحقق للمجاز ركنائهما الأساسيان ؛ وهما ؛ العلاقة ، والقربنة . - انظر معناهما فى رقم ٥ من هذا الهامش -

(٢) سبق شرح « التضمن » فى هذا الجزء ص ١٦٨ من باب : تعدية الفعل ولزومه . ولأهميته سجلنا له بحثاً خاصاً مستقلاً آخر هذا الجزء - ص ٥٦٤ ، وبمدهما رأينى الخاص فى : « التضمن »

(٣ ، ٣) وملحقه .

(٤) الكلام عليه فى ص ٥٠٧

(٥) هما : (العلاقة - أى : الصلة - بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه) ، (والقربنة

التي تصرف الذهن عن المعنى الأصل إلى المعنى المجازى الجديد) .

تَبَعًا لذلك . وكل هذا على سبيل « الاستعارة » ؛ وهى نوع من المجاز . والقرينة الدالة على أنه مجاز (أى : على أن الحرف : « فى » مستعمل فى غير معناه الأصلي) وجود الفعل : « غرّد » ؛ إذ لا يقع التغريد فى داخل الغصن ؛ وإنما يكون فوقه ، فهذه القرينة هى المانعة من إرادة المعنى الأصلي .

ومن الأمثلة : للمجاز أيضًا : « علكى » : فهو حرف جريقتصر عند أصحاب هذا الرأى على معنى حقيقى واحد ؛ هو : « الاستعلاء » . فإذا قلنا : (الكتاب على المكتب) ، فهمنا هذا المعنى الحقيقى الدال على أن شيئًا مُعَيَّنًا فوق آخر . فالحرف مستعمل فى معناه الأصيل . لكن إذا قلنا : (اشكر المحسن على إحسانه) ، لم نفهم الاستعلاء الحقيقى ، ولم يترد على خاطرنا أن الشكر قد حلّ واستقرّ فوق الإحسان ؛ لاستحالة هذا ، وإنما الذى يخطر ببالنا هو أن المراد : « اشكر المحسن لإحسانه » ؛ فالحرف : « علكى » قد جاء فى مكان : « اللام » التى معناها : « السببية » ، أو « التعليل » . فأفاد ما تفيدته اللام ، ولكن إفادته على سبيل « الاستعارة » وهى نوع من المجاز ؛ ذلك أن لام التعليل تفيد التمكن والاتصال القوى بين السبب والمسبب ، أو بين العلة والمعلول ؛ والاستعلاء يشبهها فى أنه يفيد التمكن والاتصال بين الشئين ؛ فلهذا التشابه صح استعمال الاستعلاء مجازًا ، مكان السببية والتعليل . وتَبَسَّع ذلك استعمال الحرف الدال على الاستعلاء مكان الحرف الدال على السببية . والقرينة الدالة على أن الحرف : « على » مستعمل فى غير حقيقته وجود الفعل : « اشكر » ؛ إذ لا يستقر الشكر فوق الإحسان ، ولا يوضع فوقه وضعًا حقيقياً — لاستحالة هذا ، كما سبق — .

ومثل ما سبق يقال فى بقية حروف الجر حين يؤدى الواحد منها معنيين أو أكثر .

أما أمثلة التضمين^(١) فى العامل ففنها قول بعض الأدباء : « نأيت من صحبة فلان بعد أن سقانى بمرّ فعالة » . والأصل : (نأيت عن صحبة فلان ، بعد أن

(١) بعض الأمثلة السابقة صالح « للتضمين فى الفعل مع بقاء حرف الجر على معناه الحقيقى » وكذا نظائرها .

سقاني من مرّ فعالة) . ولكنه ضمّن الفعل : « نأى » الذى لا يتعدى هنا بالحرف « من » معنى فعل آخر يتعدى بها ؛ هو : « بَعُدَ ، أو : ضَجِرَ » ؛ فالمراد : بَعُدْتُ ، أو : ضَجِرْتُ من صحبة فلان . كما ضمّن الفعل : « سَقَى » الذى لا يتعدى هنا « بالباء » معنى فعل آخر يتعدى بها ؛ هو : « آذَى » ، أو « تناول » فالمراد : « آذانى » أو : « تناولنى » بِمِمرِّ فعالة ، وكذلك : (شربتُ بماء عذب) ؛ فإن الفعل « شرب » قد ضمّن معنى الفعل : « رَوَى » فالأصل : رَوَيْتُ . وهكذا بقية حروف الجر .

* * *

والمذهب الثانى^(١) : أن قصر حرف الجر على معنى حقيقى واحد ، تعسّف وتحكّم لا مسوّغ له ، فما الحرف إلا كلمة ، كسائر الكلمات الاسمية والفعلية ، وهذه الكلمات الاسمية والفعلية تؤدى الواحدة منها عدة معان حقيقية^(٢) ، لا مجازية ، ولا يتوقف العقل فى فهم دلالتها الحقيقية فهماً سريعاً . فما الداعى لإخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى ، ولإبعاده عما يجرى على نظائره من باقى الأقسام ؟

إنه نظيرها ؛ فإذا اشتهر معناه اللغوى الحقيقى ، وشاعت دلالاته ، بحيث يفهمها السامع بغير غموض ، كان المعنى حقيقياً لا مجازياً ، وكانت هذه الدلالة أصيلة لا علاقة لها بالمجاز ، ولا بالتضمنين ولا بغيرهما . فالأساس الذى يعتمد عليه هذا المذهب فى الحكم على معنى الحرف بالحقيقة هو شهرة المعنى اللغوى الأصلى المراد وشيوعه ،

(١) وهو مذهب الكوفيين ، كما يصرح كثير من النحاة والحق أنه ليس مقصوداً عليهم ؛ بل يشاركونهم فيه بعض أئمة النحاة من غيرهم ؛ كالمبرد - وهو بصرى - فقد جاء فى كتابه الكامل (ج ٣ ص ٤٦ طبعة مطبعة الفتوح ، عند شرحه لبيت أبى النجم الذى صدره : « سبى الخواة ، وإهتى عليها ») وقد سبق البيت لمناسبة أخرى فى هامش ص ٤٧٦) ما نصّه :

(حروف الخفيض - يريد : حروف الجر - يُبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان فى معنى ، فى بعض المواضع ؛ قال الله عز وجل : « ولأصلبنيكم فى جذوع النخل » أى : على . وقال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه ، يحفظونه من أمر الله » أى : بأمر الله وقال العاصمى : « إذا رضيت علىّ بمنوؤ قشّير . . . » أى : غنى . وهذا كثير جداً) (١ هـ)

ففى تلك الأمثلة ونظائرها أبدل حرف جر من آخر بمعناه ، أى حلّ فى مكانه .

(٢) والمراد هنا ما يشمل : « الحقيقة . اللغوية الأصلية ، والحقيقة العرفية » .

بحيث يتبادر ويتضح سريعاً عند السامع ؛ لأن هذه المبادرة علامة الحقيقة . وإن من يسمع قول القائل : (كنت في الصحراء ، ونَقِدَ ما معي من الماء ، وكدت أموت من الظمأ ، حتى صادفت بئراً شربت من مائه العذب ما حفظ حياتي التي تعرضت للخطر من يومين . . .) ، سيدرك سريعاً معنى الحرف : « مِن » وقد تكرر في هذا الكلام بمعان لغوية مختلفة : أولها : بيان الجنس . وثانيها : السببية ، وثالثها : البعضية . ورابعها : الابتداء

كذلك من يسمع قول القائل : (إني بصير في الغناء : يستهويني ، ويملك مشاعري إذا كان لحنه شجيئاً ، وعبارته رصينة ؛ كالأبيات التي مطلعها :

رُبَّ ورقاءَ هَتُوفٍ في الضحَا ذاتِ شجْوٍ صدَحَتْ في فَنَنٍ

فإن المعاني اللغوية المقصودة من الحرف : « في » ستبتدر إلى ذهنه . فالأول : للإصاق . والثاني : للظرفية . والثالث : للاستعلاء . وكل واحد من المعاني السالفة يقفز إلى الذهن سريعاً بمجرد سماع حرف الجر خلال جملته . وهذا علامة الحقيقة^(١) — كما سبق — . فإذا كان المعنى المراد هو من الشبوع ، والوضوح وسرعة الورد على الخاطر — بالصورة التي ذكرناها ، فقيم المجاز أو التضمين أو غيرها ؟ إن المجاز أو التضمين أو نحوهما يُقْبَلان ، بل يتحتمان حين لا يبتدر المعنى المراد إلى الذهن ، ولا يسارع الذهن إلى التقاطه ؛ بسبب عدم شيوعه شيوعاً يجعله واضحاً جلياً ، وبسبب عدم اشتهاره شهرة تكفي لكشف دلالة في يسر وجلاء . أما إذا شاع واشتهر وتكشف للذهن سريعاً فإن هذا يكون علامة الحقيقة^(١) — كما قلنا — فلا داعي للعدول عنها ، ولا عن قبولها براحة واطمئنان^(٢) .

وهذا رأى نفيس أشار بالأخذ به والاقتصار عليه كثير من المحققين^(٣) .

* * *

(١ و ١) سواء أكانت حقيقة لغوية أصيلة أم عرفية — كما سبق — في رقم ٢ من هامش الصفحة المتقدمة .

(٢) انظر الزيادة والتفصيل في الصفحة التالية .

(٣) كصاحبي : المغني ، والتصريح ، وكالصبيان ، والخضري في باب : « حروف الجر » عند الكلام على الحرف : « من » وشرح بيت ابن مالك الذي أوله :

« بَعْضٌ ، وَبَيْنٌ ، ، وَابْتَدَى فِي الْأَمْكِنَةِ . . . » —

.

زيادة وتفصيل :

لاشك أن المذهب الثاني^(١) نفيس كما سبق؛ فمن الأنسب الاكتفاء به؛ لأنه عملي سهل، بغير إساءة لغوية، وبعيد من الالتجاء إلى المجاز، والتأويل، ونحوهما من غير داع؛ فلا غرابة في أن يؤدي الحرف الواحد عدة معان مختلفة. وكلها حقيقي^(٢) — كما قلنا — ولا غرابة أيضاً في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد، لأن هذا كثير في اللغة، ويسمى: المشترك اللفظي^(٣).

= فقد وصفوا المذهب الثاني وهو المذهب (الكوفي) بأنه أقل تكلفاً وتعسفاً. — ويشاركهم فيه صاحب «المعجم طبقاً للبيان» الذي سبق في رقم ٣ من هامش ص ٥٣٧ — وكما في ص ٥٤٠.

وفي الأخذ به تيسير، ووضوح، وإبتعاد عما يكون في المجاز — ومنه الاستمارة — أحياناً من تعقيد والتواء. (١) وهو الذي اشتهر بنسبته للكوفيين مع أن لهم فيه شركاء آخرين — كما أسلفنا — في رقم ١ من هامش ص ٥٤٠.

(٢) سواء أكانت الحقيقة لغوية أم عرفية — كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٥٤٠.

(٣) الحق أنه لا سبيل للحكم على معنى من معاني المشترك اللفظي بأنه «مجازي» أو أن في عامله «تضميناً»؛ لأن هذا يقتضينا أن نعرف المعنى الأصل الذي وضع له اللفظ أولاً، واستعمل فيه، ثم انتقل منه بعد ذلك إلى غيره من طريق «المجاز أو التضمين»، أي: أنه لا بد من معرفة أقدم المعنيين في الاستعمال؛ ليكون هذا الأقدم هو الأصل، ويكون المتأخر عنه — وهو الحادث — مجازاً أو تضميناً. وهذا أمر لم يتحقق حتى اليوم في أكثر المعاني التي يؤديها كل حرف من حروف الجر، وهي معان مرددة في أفصح الكلام العربي — قرأنا وغير قرأنا — ولا سبيل للحكم القاطع بأن معنى معيناً منها سبق في الاستعمال من معنى آخر، وإذا لا سبيل للحكم الوثيق بأن واحداً من تلك المعاني هو وحده الحقيقي، وأن ما عداه هو «المجازي أو التضميني». بل إن هذا يلاحظ في كل معنى مجازي آخر يجري في غير الحرف. ولا يقال إن المعنى الحسي أسبق — في الغالب — وجوداً من المعنى المحض؛ لا يقال هذا؛ لأنه لا يصدق على حالات متعددة. وفوق هذا أيضاً يكاد يكون الحكم بالأسبقية مستحيلاً إذا كان المدلولان عقليين معاً (أي: غير حسيين).

وقد رأى أحد المستشرقين ضرورة وضع معجم خاص يوضح أقدمية الكلمات في استعمالها، وتاريخ ميلادها؛ ليتمكن القاطع بعد هذا بالمعاني الحقيقية والمجازية وتجرد هذه المهمة، ولكن منيته عاجلته في أول مراحل العمل.

وهناك سبب آخر يؤيد أصحاب هذا المذهب الثاني ؛ هو أن الباحثين متفقون على أن المجاز إذا اشتهر معناه في زمن مّا ، وشاع بين الناطقين به ، انتقل هذا المجاز إلى نوع جديد آخر يسمى : « الحقيقة العرفية » (ولها بحث مستفيض في مكانها بين أبواب علم البلاغة) ومن أشهر أحكامها : أنها في أصلها مجاز قائم على ركنين أساسيين : علاقة بين « التشبه والمشبه به » ، و « قرينة » ، تمنع من إزادة المعنى الأصلي . فإذا اشتهر المجاز في عصرٍ أيّ عصر^(١) ، وشاع استعماله مع وضوح المراد منه ، تناسى الناس أصله ، واختفى ركناه ، واستغنى عنهما وعن اسمه ، ودخل في عداد نوع جديد يخالفه ، يسمى : « الحقيقة العرفية » فلو سلمنا أن حرف الجر لا يؤدي إلا معنى واحداً أصلياً ، وأن ما زاد عليه ليس بأصلي ، لكان بعد اشتهاره وشيوعه في المعنى الجديد داخلاً في الحقيقة العرفية ، وهي ليست بمجاز في صورتها الحالية الواقعة ، لا في الصورة السابقة ، المتركة نهائياً ، المنسية كأن لم تكن .

(١) ولو كان من غير عصور الاحتجاج .

بحث مستقل

في :

(مذ) و (مند) من الوجهتين اللفظية ، والمضوية ^(١)

قال الباحث :

طالما أنعمت النظر في هاتين الكلمتين ، ورجعت إلى ما دونه فيهما النحاة واللغويون . فكنت أجد أحياناً عنتاً ومشقة في استخلاص حكم ، أو تلخيص خلاف ، أو دفع إشكال . ذلك بأن هذه المادة مبعثرة في الكتب قديمها وحديثها ؛ فما في هذا ليس في ذاك ، مع كثرة الآراء ، واشتداد الخلاف ، وتباين التفسيرات والشروح .

فمازالت في مراجعة وبحث ، حتى اجتمع لي من ذلك فصل صالح ، حاولت أن أذلل فيه ما استصعب ، وأن أشرح ما خفى ، بالموازنة والترجيح .

ولا أدعى أني أحطت بالموضوع جميعه ؛ فهذا ما لا سبيل إليه في وجيز كهذا . ولكنني أرجو أن أكون قد عبّدت الطريق ، ومهدت السبيل للباحثين والمستفيدين . فأقول :

(٢) يقع مذ ومنذ ^(٢) اسمين :

(١) هذا بحث واف ، سبق - في ص ٢٩٩ و ٥٢٠ - أن وعدنا بتسجيله آخر هذا الجزء ؛ لعظيم أثره لدى المتخصصين ، وليكون لكبارالطلاب تدريباً على البحث، والتحقيق، والتمحيص . وقد جمع أكثر المفرق من مسائل «مذ ومنذ» ، وأحكامهما ، وتميز بآراء صائبة استقل بها صاحبه ، وإن كان بعضها مختلطاً ، أو مفتقراً لمزيد تحقيق ، أو قوة استدلال تحمل على الإقناع . وقد نقلناه كاملاً بشروحه وهوامشه - وربما أبدينا تعليقاً على بعضها - عن الجزء الثالث من مجلة المجمع اللغوي القاهري ، (ص ٣٥٤ وما بعدها) حيث سجلته لعضو جليل من أعضاء المجمع السابقين ، هو : الأستاذ أحمد العوامري ، رحمة الله عليه .

(٢) قال في المجمع : وكمر ميمهما لفه ا ه ، وفي الخصري ؛ والراجع أن أصل (مذ) : (مند) ، حذفت النون تخفيفاً ؛ بدليل ضمها للملاقاة ساكن ، كذُ اليوم . ولولا هذا لكسرت في أصل التخلص . وبعضهم يضمها بلا ساكن أصلاً . ا ه .

١- إن كان ما بعدهما اسمًا مرفوعًا ، معرفة ، أو نكرة معدودة لفظًا أو معنى كما سيأتى .

٢- أو كان ما بعدهما فعلا ماضيًا^(١) .

٣- أو كان ما بعدهما جملة اسمية .

فالحالة الأولى (وفيها الأسماء المرفوعة نكرة معدودة) ، نحو : ما رأيته مذ^٢ أو منذ يومان ، أو عشرة أيام ، أو خمسة عشر يومًا ، أو عشرون يومًا ، أو مائة يوم ، أو ألف يوم ، أو ألفا يوم ، أو سنة^٣ ، أو شهر^٤ أو يوم^(٢) .
ومثال المعرفة ما رأيته مذ أو منذ يوم الجمعة .

فقد أو منذ اسم مبتدأ^(٣) . والخبر واجب التأخير معهما . وجوز بعضهم أن يكونا خبرين لما بعدهما .

(١) فلا يجوز : مذ يقوم ، لأن عاملهما لا يكون إلا ماضيًا ، فلا يجتمع مع المستقبل هـ ، صبان .
(٢) على أن يكون اليوم هو الفلكي المقسم ساعات ، لا الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها ، كما سنفصله .

(٣) قال الخضرى عند قول ابن عقيل : (قد اسم مبتدأ إلخ) ما يأتى : وسوغه كونها معرفة فى المعنى . لأنها إن كان الزمان ماضيًا ، كما فى المثال الأول (وهو قول ابن عقيل : ما رأيته مذ يوم الجمعة) ، فعنائه : أول مدة عدم الرؤية كذا . وإن كان حاضرًا ، كما فى المثال الثانى (وهو قول ابن عقيل : ما رأيته مذ شهرنا « وهو ما خالف فيه أكثر العرب ، كما سيمر بك ») ، أو كان معدودًا كما رأيته : « مذ يومان » ، فعنائه نفي المدة ، أى : مدة عدم الرؤية شهرنا ، أو يومان هـ ،

وفى تأويل خبريهما كلام كثير وتكلف لا يعنينى - وفى الصحاح : ويصلح أن يكونا اسمين ، فترفع ما بعدهما على التاريخ ، أو على التوقيت . فتقول فى التاريخ : ما رأيته مذ يوم الجمعة . أى : أول انقطاع الرؤية يوم الجمعة . وتقول فى التوقيت : ما رأيته مذ سنة^٤ . أى : أمد ذلك سنة . ولا تقع ها هنا إلا نكرة ، لأنك لا تقول : مذ سنة^٥ كذا . هـ .

وقوله : « ولا تقع ها هنا إلا نكرة » ، يريد بقوله : (ها هنا) حالة إرادة التوقيت ، لأنك لو قلت مثلاً : « مذ أو منذ عشرين للهجرة » فعنائه على ما قرر الجوهري : أمد ذلك سنة عشرين للهجرة ، وهو لغو .

أقول : ولا أرى ما يمنع أن ندخل نحو هذا المثال فى باب (التاريخ) . فيكون معنى (ما حصل كذا مذ أو منذ سنة عشرين للهجرة ، مثلاً) : أول انقطاع الحصول سنة عشرين للهجرة . ولم يفرق (القاموس) بين التاريخ والتوقيت ، فقال : أرخ الكتاب ، وأرخه ، وآرخه : وقته هـ . وفى شرحه للزبيدي : وقال الصولي : تاريخ كل شىء غايته توقته الذى ينتهى إليه . ومنه قيل . فلان تاريخ = النحو الواقى - ثان

والحالة الثانية ، نحو : ركب أخى مذ أو منذ حضرت السيارة . فذ أو منذ اسم منصوب المحل على الظرفية . والعامل فيه (ركب) . وهو مضاف إلى الجملة بعده . وهذا هو المشهور . وقيل : هما مبتدآن^(١) .

والحالة الثالثة نحو :

فما زلت أبغى الخير مذ أنا يافعٌ وليدًا وكهلاً حيث شئتُ ، وأمرداً فذ هنا ظرف لمضمون ما قبله ، ومضاف إلى الجملة بعده ، على المشهور .
(ب) وتمعان حرفين^(٢) .

١ - بمعنى : (مين) الابتدائية ، إن كان المجرور ماضياً معرفة : نحو : ما قابلت صديقي مذ أو منذ يوم الأربعاء ، أى : من يوم الأربعاء^(٣) .

٢ - بمعنى : (فى) ، إن كان المجرور حاضراً معرفة ، نحو ما قرأت مذ أو منذ اليوم ، أو عامين ، أو شهرين ، أو أسبوعين - أو منذ هذا الأسبوع - أو هذا الشهر ، أو هذه السنة ، مثلاً . ولا يجوز فى الحاضر بعدهما إلا الجر عند أكثر العرب .

= قومه ، أى : إليه ينتهى شرفهم ، ورياستهم . اهـ .
وقال فى المصباح : (الوقت مقدار من الزمان مفروض لأمر ما . وكل شيء قدرت له حيناً فقد وقته توقيتاً . اهـ .

فعل تعريف الصول للتاريخ ، وتعريف المصباح للتوقيت يتضح المقام فى التفرقة بينهما .
(١) وكذا قيل فى الحالة الثالثة الآتية أيضاً : قال الخضرى : والجملة بعدهما خبر ، بتقدير زمن مضاف إليها (أى : إلى الجملة) . والتقدير فى : (جئت مذ دعا) وقت المجيء هو زمن دعائه . وفى البيت المار ، (فما زلت أبغى الخير إلخ) : أول وقت طلبى الخير هو وقت كوفى يافعاً : فجملة مذ إلخ مستأنفة كما مر . اهـ .

(٢) قال فى الجمع : ومذ ومنذ لا يجران إلا الظاهر من اسم الزمان أو المصدر . . . وأجاز المبرد أن يجرا مضمير الزمان ؛ نحو : يوم الخميس ما رأيته منذُ ، أو مذهُ . ورد بأن العرب لم تقله . اهـ .
وكونهما حرفين فى هذه الأحوال الثلاثة هو مذهب الجمهور . وقيل : هما ظرفان فى موضع نصب بالفعل - قبلهما - ورد هذا المذهب بما لا محل له هنا .

(٣) قال فى الجمع : ويجوز وقوع المصدر بعدهما ، نحو : ما رأيته مذ قدومُ زيد ، بالرفع والبحر ، وهو على تقدير حذف زمان ، أى : مذ زمن قدوم زيد . ويجوز وقوع (أن) وصلتها بعدهما ، نحو : ما رأيته مذ أن الله خلقنى . فيحكم على موضعها بما حكم به للفظ المصدر ، من رفع أو جر . وهو على تقدير زمان أيضاً . اهـ ، قال الشاطبى : أما إن كسرت (أى : إن) فالاسمية متعينة . اهـ .
(وقد سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٤ من هامش ص ٥١٩ وفى ص ٥٢١) .

٣ - بمعنى : (من وإلى) معاً ، فيدخلان على الزمان الذى وقع فيه ابتداء الفعل وانتهاه . ويشترط حينئذ .

أولاً : أن يكون الزمان نكرة ، معدوداً لفظاً ؛ كذ يومين .

ثانياً : أو أن يكون معدوداً معنى ، كمُدَّ شهر .

لأنهما لا يجران المبهم . أى : ما عملتُ كذا من ابتداء هذه المدة إلى انتهائها ، وما عملت كذا من ابتداء شهر إلى انتهائه .

والمراد بالمبهم هنا : الوقت النكرة غير المعدودة لفظاً أو معنى ، نحو : (برهة) ولا ينافيه قول زهير بن أبى سلمى :

لمن الديار بقُتْمَةَ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مَذَ حِجَجٍ وَمَذَ دَهْرٍ^(١)
لأن الدهر متعدد فى المعنى^(٢) .

ويأتون بهذا البيت أيضاً شاهداً على قلة الجر بعد (مذ) فى الماضى . أما (منذ) فما بعده يرجع جره فى الماضى^(٣) .

(١) المراد بالحجر : حجر ثمود ، وقوله : أقوين ، أى : خلون .

(٢) نقلنا هذا التعليل عن الصبان ؛ وهو أيضاً فى غيره من كتب المتقدمين .

(٣) ما قاله الباحث هنا فى تعريف : «الظرف المبهم» لا يشمل أنواعاً كثيرة نص عليها النحاة

فى تعريفهم الدقيق ، الذى عرضناه فى رقم ٢ من هامش ص ٢٥٢ ، وبه تزول بعض الشبهات التى اعترضت الباحث .

تنبيهات وإيضاحات

(أ) قد رأيت في الأحوال الثلاث التي يقع فيها مذ ومنذ حرفين .

١ - أن الحُرور وقت ^(١) .

٢ - وأن هذا الوقت متصرف ^(٢) .

(١) ما يسأل به عن الوقت كالوقت ، بشرط أن يكون مما يستعمل ظرفاً . فتقول : مذ كم ؟ ومنذ متى ؟ ومنذ أى وقت ؟ ولا تقول : منذ ما ، لأن (ما) لا تكون ظرفاً . ا هـ ، صبان -

أى : فتقول مثلاً [١] منذ كم يوماً ركبت البحر ؟ كما يجوز أن تقول : منذ كم ركبت البحر ، بحذف التمييز للعلم به . وفي حالة ذكر التمييز هنا يجوز نصبه وجره بمن مضمة - وقال في الجمع عند الكلام على وقوع الاسم مجروراً بعدهما ما يلي : « والجمهور على أنهما حينئذ حرفا جر ، لإيصالهما الفعل إلى (كم) كما يوصل حرف الجر . تقول : منذ كم سرت ، كما تقول : بكم اشترت » . ا هـ .

وتقول : [٢] منذ متى نمت ؟ - [٣] وتقول : منذ أى وقت طار أخوك ؟

وتقول في الإجابة عن [١] : ركبت منذ أو مذ ليلتين - وعن [٢] : نمت منذ أو مذ مساء اليوم الماضي - وعن [٣] : طار أخى منذ أو مذ طلوع الفجر ، مثلاً .

ومعنى الإجابة الأولى : ركبت من ابتداء الليلتين إلى انتهائهما - ومعنى الإجابة الثانية : نمت من مساء اليوم الماضي ، بوضع (من) الابتدائية في مكان مذ أو منذ - ومعنى الإجابة الثالثة : طار أخى منذ زمن طلوع الفجر ، على تقدير (زمن) مضاف إلى المصدر . فنذ أو مذ ، بمعنى (من) الابتدائية هنا أيضاً - ويجوز في هذا المثال رفع (طلوع) ، ويكون المعنى حينئذ : أول طيرانه وقت طلوع الفجر . وقد جازت هذه الإجابات الثلاث في الإثبات ، لأن العامل متطاول فيها جميعاً ، وسيمر بك معنى (التطاول) والتثليل له .

(٢) فلا تقول : ما رأيته منذ سَحَرَ ، تريد سَحَرَ يوم بعينه . وقال ابن عقيل . . . نحو : سَحَرَ إذا أردته من يوم بعينه . فإن لم ترده من يوم بعينه فهو متصرف ، كقوله تعالى : (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) . ا هـ ، فقال الخضرى : « قوله نحو سحر » : ، مثال لما لزم الظرفية فقط فلا يخرج عنها أصلاً ، إذا كان معيناً . واعتراضه (يقصد العلامة الصبان) بأنه متصرف ، بدليل : « نجيناهم بسحر » فيه نظر ظاهر ؛ لأن هذا غير معين ، كما هو صريح الشرح ، والكلام في المعين . ا هـ .

وفي اللسان . . . ولقيته سَحَرًا ، وسَحَرَ ، بلا تنوين . ولقيته بالسحر الأعلى (أى : في أعلى السحارين ، وهما سحر مع الصبح وسحر قبله . ا هـ ، من الأساس) . . . ولقيته سَحَرَ يا هذا ، إذا أردت به سحر ليلتك لم تصرفه ، لأنه معدول عن الألف واللام ، وهو معرفة . وقد غلب عليه التعريف بغير إضافة ولا ألف ولام . . . وإذا نكر « سحر » صرفته كما قال تعالى : (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) . أجراء ، (أى : صرفه) لأنه نكرة ، كقولك : نجيناهم بليل . قال فإذا ألقت العرب منه الباء لم يحروه ، فقالوا : فعلت هذا سَحَرَ يا فتى . . . وقال الزجاج ، وهو قول سيبويه : سحر : إذا كان نكرة ؛ يراد =

٣ - وأنه معين لا مُبهم . وقد فسرنا معنى الإيهام آنفاً .

٤ - وأنه ماضٍ أو حاضر ، لا مستقبل ، لما تقدم .

(ب) وقد رأيت في عاملهما في هذه الأحوال الثلاث :

١ - أنه فعل ماضٍ . ٢ - وأنه منى يصح تكرره .

وقد يأتي مثبتاً بشرط أن يكون متطاولاً ، نحو : سرت منذ يوم الخميس . والمراد بالتطاول : أن يكون في طبيعة الحدث معنى الاستمرار كالسير ، فإن من شأنه التطاول . وكانوم ، والمشى ، والكلام ؛ وهكذا . . . وتوفية للمقام ، نذكر عبارة الحضري في هذا الموضوع ، قال :

« شرط عاملهما كونه ماضياً ، إما منفياً يصح تكرره ، كما رأيت منذ يوم الجمعة ، أو مثبتاً متطاولاً ، كسرت منذ يوم الخميس . بخلاف : قتلته ، أو ما قتلته منذ كذا ، فإن قلت : ما قتلته منذ كذا ، بلا هاء ، صح . لأن القتل المتعلق بمعين لا يكرر ، بخلاف غيره . ما لم يتجاوز بالقتل عن الضرب . فتدبر » . ١ هـ .

فقلوه : (بخلاف : قتلته . . . إلخ) ، كأن تقول مثلاً : قتلته ، أو ما قتلته مذ أو منذ يوم الجمعة ، مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى (من) الابتدائية — وكأن تقول : مثلاً : قتلته ، أو ما قتلته مذ أو منذ سنتين ، مثلاً . مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى من وإلى معاً . فكل هذا غير جائز .

أقول : فهبنا قلنا مثلاً : قتلته مذ أو منذ يومنا ، مما تكون فيه مذ أو منذ بمعنى (في) — فعلى مقتضى إطلاق كلامهم لا يجوز مثل هذا ، لبقاء السبب ، وهو : عدم تطاول العامل في حالات الإثبات . ولكني أرى أنه سائق . إذ ما الذي يمنعنا أن نقول مثلاً : قتلته اليوم ، أو في هذا اليوم الحاضر ؟

وواضح أنه يجوز لك أن تقول أيضاً : ما قتلته مذ أو منذ يومنا ، وما قتلته

= سحر من الأسفار ، انصرف . تقول ... أتيت زيدا سحراً من الأسفار . فإذا أردت سحر يومك قلت : أتيت سحراً يا هذا . . . وتقول : سر على فرسك سحراً يا فتى . ١ هـ .

بقى (سحر) المنصرف . فهل يجوز أن تقول : ما رأيت مذ أو منذ سحر ؟ والجواب : لا . لأنها لا يجزان المبهم ، كما مر بك .

مذ أو منذ يومنا - فكلامهم في (التناول) و (صحة التكرار) مجمل يفتر إلى تفصيل وتوضيح^(١).

هذا ، ولم أجد فيما لدى من المراجع مثلاً للحدث غير المتناول إلا (القتل) .

وإني مورد أمثلة له فيما يلي للإيضاح ، لا للحصر فأقول :

أولاً : أومض ، أو - ومض - وفسر الزنجشري الإيماض بأنه لمع خفي ، قال : وشِمتْ ومُضّة برق كتبضة عِرْق . ١ هـ .

فالإيماض غير متناول كالقتل ، لأنه عبارة عن لمع خاطف كرجع البصر ، أو نبضة العرق - فلا يصح أن نقول مثلاً : ومض البرق مذ أو منذ يوم الخميس ، أى : من يوم الخميس . كما لا يجوز أن نقول مثلاً : أومض البرق مذ أو منذ ليلتين : من ابتدائهما إلى انتهائهما^(٢) .

ولكن يصح أن نقول مثلاً : أومض البرق مذ أو منذ ليلتين ، أى : في ليلتين - كما صح أن نقول مثلاً : قتلته مذ أو منذ يومنا ، كما قررته آنفاً - كما يصح أن نقول مثلاً : ما أومض البرق مذ أو منذ يوم الجمعة ، أى : من يوم الجمعة ، وما أومض البرق منذ أو مذ ليلتين ، أى : في ليلتين ، وما أومض البرق مذ أو منذ ليلتين ، لأن الحدث هنا يصح تكرّره .

ثانياً : شرّق ، أى : بدا وظهر ، فيقال : شرقت الشمس ، إذا بدت من المشرق . وكذا القمر ، أو النجم . فالشروق غير متناول ، لأنه مجرد الظهور ، وهو ملامسة الأفق . وهو لا يستغرق من الوقت إلا ما لا يكاد يذكر . فلا يقال مثلاً في الإثبات : شرقت الشمس مذ أو منذ ساعتين ، أى : من ابتدائهما إلى انتهائهما . كما أوضحنا مثل هذا من قبل . كما لا يصح أن يقال في النفي مثلاً :

(١) ردأ على الباحث أقول : إن تناول متحقق في المثال الأخير المنفي ؛ فكلامهم واضح ، وهو الصحيح ، وتؤيده النصوص المسبوبة الدالة على أنهما بمعنى : « في » . بشرط التكرار ، أو تناول ، لا مجرد « في » .

(٢) قد فسر ابن الأعرابي الوميض بأن يومض إيماضة ضعيفة ، ثم يخفى ، ثم يومض . . فهذا التكرار المتعاقب قد ينزل منزلة الفعل المتناول فيما يظهر لى . فيصح أن نقول مثلاً : أومض البرق مذ أو منذ يوم الخميس ، أى استمر هذا منه ، على هذا التفسير .

ما شرت الشمس مذ أو منذ دقيقتين^(١)، لأن شروق الشمس لا يمكن تكرره في أثناء دقيقتين بالنسبة لأفق واحد . وكذا يقال في سائر الكواكب ؛ لأنها كلها بحسبان . فهب نجماً بعينه يَستمر دورته في ثلاث سنين مثلاً ، فإنه لا يجوز أن يقال : ما شرت هذا النجم منذ أو منذ ثلاث سنين . لأنه لا يمكن أن يتكرر شروقه في هذه المدة — ويجوز أن يقال : ما شرت نجم مذ أو منذ ساعتنا . وذلك لأنه شروق متعلق بغير معين ، فيجوز تكرره .

ولا تقول : شرت هذا النجم ، أو نجم مذ أو منذ السبت — ولكنك تقول في الإثبات ، على ما استظهرت آنفاً : شرت هذا النجم ، أو نجم ، مذ أو منذ ساعتنا أو ليلتنا ، مثلاً .

ثالثاً: سننَح — قال في الأساس: من المجاز: سنح له رأى، أى عرض له . اهـ ، وفي المصباح: وسنح لى رأى فى كذا: ظهر . وسنح الخاطر به: جاد . اهـ .

فأنت ترى أن عروض الرأى حَدَثٌ غير متناول ، لأنه طرؤ فاجئٌ . فإذا حصلت الفكرة فقد انقطع السنوح . وذلك لا يستغرق إلا وقتاً يسيراً ؛ لا يمكن أن يوصف بالتناول . فلا تقول مثلاً : سنحت لى فكرة كذا مذ أو منذ يوم الخميس ، أى : من يوم الخميس ، ولا : سنحت لى فكرة كذا منذ ساعتين . ولكنك تقول ، على ما استظهرت آنفاً : سنحت لى فكرة كذا منذ يومنا ، أو مذ هذه الساعة ، أو الدقيقة ، مثلاً .

وتقول أيضاً ، مثلاً : ما سنحت لى هذه الفكرة مذ أو منذ ساعتين لأن سنوح فكرة بعينها يمكن تكرره فى أثناء ساعتين — ولكن لا يمكن أن تقول : ما سنحت لى فكرة مذ أو منذ ساعتين ، مثلاً : أو مذ أو منذ يومنا . لا ستحالة مثل هذا عادة ، فى حال الإنسان الطبيعية .

فقد رأيت فى الأفعال الثلاثة المتقدمة ، وما فرعنا عليها من الأمثلة أنها ليست كلها سواء^(٢) . فقد يجوز فى استعمال أحدها مع مذ أو منذ ما لا يجوز فى الآخر . فالمسألة إذاً راجعة لمعنى الفعل الخاص عند استعماله مع مذ أو منذ ، فى الإثبات

(١) هذا وما حمل عليه — ما ينفرد به الباحث — ، مفتقر لتأييد .

(٢) فى كلام الباحث ما يحتاج إلى التمهيص .

أو النوى ، وما قد يلابسه من تطاول أو تكرر أو عدمهما .

(ج) ما اشترط في مجرور مذ ومنذ وفي عاملهما ، يشترط في حالة رفع ما بعدهما .

(د) لا تدخل (من) على مذ أو منذ ، ولا يصح العكس أيضاً .

وقد وقعت (إلى) بعدهما ، حيث لا مانع من وقوعها^(١) . فقد جاء في اللسان : (قال سيبويه : أما (مذ) فيكون ابتداء غاية الأيام والأحيان . كما كانت (من) فيما ذكرت لك . ولا تدخل واحدة منهما على صاحبها . وذلك قولك : ما لقيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم ، ومذ غدوة إلى الساعة . وما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه . فجعلت اليوم أول غايته ، وأجريت في بابها كما جرت (من) حيث قلت : من مكان كذا إلى مكان كذا — وتقول : ما رأيته مذ يومين ، فجعلته^(٢) غاية ، كما قلت أخذته من ذلك المكان ، فجعلته^(٢) غاية : ولم ترد منتهى . هذا كله كلام سيبويه .) ا هـ . عبارة اللسان .

فقد وضع سيبويه (إلى) بعد (مذ) . ولم أر ذلك في أمثلة غيره من النحويين فيما بين يدي من المراجع . أما في كلام البلغاء فكثير . ففي كتاب « الأوراق » للصولي ، في أخبار الراضي بالله : وكان (الراضي) يقول : أنا مذ^(٣) حبسني القاهر عليل إلى وقتي هذا . ا هـ ، وفي البخلاء للجاحظ : أعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها . . . ا هـ ، إلى غير ذلك .

وقول سيبويه : (ما رأيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم) مذ فيه بمعنى (من) . وقوله : (ما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه) ، مذ فيه بمعنى (من) الابتدائية أيضاً . لأن عدم اللقاء وقع في الماضي واتصل بالحال . كما يجوز أن تقول ، فيما أرى :

(١) احترازاً من نحو : ما عملت كذا مذ أو منذ لحظتنا ، فإنه لا يجوز أن تقع (إلى) هنا بعدها ، كما هو ظاهر . (٢) انظر المراد من الغاية في ص ٥٥٣ وأنه ابتداء الغاية . . .

(٣) يلاحظ أن « مذ » في هذا المثال الذي أورده الباحث . ليست حرف جر ، أى : ليست مما نحن فيه . ولم يوضح الباحث المراد الدقيق من « الغاية » وقد سبق أن عرضنا لمعناها وأنه يختلف — كما في رقم ١ من هامش ص ٤٦٠ وفي رقم ٢ من هامش ص ٤٦٨ . . . و . . . —

ما حدث كذا من اليوم إلى هذه الساعة^(١) .

وقوله : (وتقول : ما رأيته مذ يومين . . . إلخ) ، يريد قوله : (فجعلته غاية) ، أى جعلت معنى : (مذ يومين) ابتداء الغاية لانقطاع الرؤية . وقوله : (ولم ترد منتهى) ، يريد أنك أردت ابتداء الغاية وحدها ، ولم تتعرض للمنتهى — ولكننا رأينا فيما سقناه آنفاً لمعنى هذا المثال أنه يتضمن ابتداء الغاية ومنتهىها .

وقوله : (ومذ غدوة إلى الساعة) ، « مذ » فيه بمعنى (من) ، فيجب أن يكون ما بعدها معرفة . فيتعين أن تكون « غدوة » هنا من يوم بعينه . ولإيضاح المقام نورد ما جاء في اللسان ، قال :

الغدوة: — بالضم — البُكرة، ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. و«غدوة» من يوم بعينه غير مُجَرَّاة^(٢) ، علم للوقت . . . وفي التهذيب : و«غدوة» — معرفة — لا تصرف . قال النحويون : إنها لا تنون ، ولا يدخل فيها الألف واللام . . . ويقال : أتيت غدوةً ، غير مصروفة ، لأنها معرفة ؛ مثل : سَحَرَ . إلا أنها من الظروف المتمكنة . تقول : سير على فرسك غدوةً وغدوةً وغدوةً وغدوةً ، فما نُون من هذه فهو نكرة ، وما لم يُنَوَّن فهو معرفة . والجمع غُدَا^(٣) . ١٥٠ . ونحوه في الصحاح .

وإذا رجعنا إلى عبارة اللسان هذه نجده يقول : (. . . لأنها « أى : غدوة » معرفة ، مثل سَحَرَ ، إلا أنها من الظروف المتمكنة)^(٤) . . .

(١) سبق أن (مذ ومنذ) يقعان حرفين بمعنى (في) إن كان المجرور (معرفة) حاضراً . وقد مثل النحاة بنحو : ما رأيته مذ أو منذ يومنا ، أو اليوم . فقد يتوهم من مثال سيبويه هذا أن (منذ) فيه بمعنى : (في) لأن (أل) فيه تفيد الحضور . ولكن سيبويه لما أتى (بإلى) بعد (مذ) صار المعنى عليه : انقطع لقائى له من ابتداء هذا اليوم ، واستمر هذا الانقطاع إلى وقت التكلم . فالضى في المثال واقع — أما إذا قلت : ما لقيته مذ اليوم ، أو يومنا ، أو هذا اليوم ، مثلاً ، ولم تزد ، فقد اعتبرت اليوم بأجمعه وقتاً حاضراً . فتكون (مذ) بمعنى (في) . هذا ما ظهر لى . ١٥٠ ، تعليق الباحث .

(٢) يعنى أنها ممنوعة من الصرف ، وهو تعبير قديم للنحويين . ولهذا الكلام صلة وثيقة بما قيل عنها في ص ٢٦٠ .

(٣) قال في اللسان . والغداة كالغدوة . وجمعها غَدَوَات . . . ويقال : آتيك غداة غد . والجمع الغدَوَات ، مثل قطة وقَطَوَات . ١٥٠ .

(٤) راجع ما يتصل بالكلام على : « سحر » في ص ٢٦٢ .

فيلخص مما مر من الكلام على « غدوة وسحر » أنهما يجتمعان في الامتناع من الصرف ، إذا أريدا من يوم بعينه . فأما (سحر) فلا أنه معدول عن الألف واللام . وأما غدوة فللعلمية والتأنيث . كما يجتمعان في أنهما كليهما من الظروف المتصرفة إذا لم يرادا من يوم بعينه .

ويفترقان في أن (سحر) غير متصرف إذا أريد من يوم بعينه . فلا يرفع على الابتداء أو الخبر مثلا ، كأن تقول : سَحَرُ جميلٌ ، أو هذا سَحَرٌ — ولكنك تقول مثلا : بين أسحار الأسبوع الماضي سحرٌ جميلٌ . بخلاف : غدوة ، فإنها متصرفة ، ولو أريدت من يوم بعينه . فتقول مثلا : غدوةٌ جميلةٌ . كما تقول : كان بين غداً هذا الأسبوع غدوةٌ جميلةٌ .

وقال الأشموني : (الظرف المتصرف منه منصرف نحو . . . ومنه غير منصرف ، وهو غدوةٌ وبُكرَة ، علمين لهذين الوقتين) فقال الصبان : « قوله علمين لهذين الوقتين » ، أى : علمين جنسيين ، بمعنى أن الواضع وضعهما علمين جنسيين لهذين الوقتين ، أعم من أن يكونا من يوم بعينه أولا . اهـ .

وإنما أطلنا القول في (غدوة) و (سحر) ، وأكثرنا من الأمثلة فيهما ، لما يغشاهما من الإجمال والإبهام في كلام اللغويين والنحويين ، حتى إن العلامة الصبان على جلال قدره أشكل عليه الأمر في (سحر) . وإليك البيان .

فقد قال الأشموني : والظرف غير المتصرف ، منه منصرف وغير منصرف . فالمنصرف نحو : سحر ، وليل ، و . . . غير مقصود بها كلها التعيين . اهـ

فقال الصبان : فيه أن سحراً . . . متصرفة ، ومن خروج سحر عن الظرفية وشبهها قوله تعالى : (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) . فكيف جعلها من غير المتصرف . اهـ . وقد مر بك ردّ العلامة الخضرى عليه ، (فراجع في رقم ٢ من هامش ص ٥٤٨) .

(هـ) قد تقدم^(١) أنهم جوزوا أن يقال مثلا : ما قابلته مذ أو منذ دهر ، أو شهر ، على أن يكون مذ أو منذ بمعنى من وإلى معاً . لأن الدهر والشهر في حكم المعداد .

فيظهر على هذا أنه يجوز أن يقال أيضاً : ما قابلته مذ أو منذ زمن ، لأن الدهر من معانيه الزمن ، فقد جاء في المصباح : الدهر يطلق على الأبد . وقيل : هو الزمان قل أو أكثر . وقال الأزهري : والدهر عند العرب يطلق على الزمان ، وعلى الفصل من فصول السنة ، وأقل من ذلك . ١ هـ .

ولكن بعض العلماء يعدون (الزمن) أو (الزمان) من المبهم . فقد جاء في حاشية العلامة الخضرى على ابن عقيل ما يأتى ؛ وشرط الزمان المجرور بهما كونه متعيناً لا مبهماً ، كمنذ زمن . ١ هـ . ولكن جاء فى الأشمونى أن (بعضهم يقول : مُذٌ^(١) زمن طويل) ، فلعله يعتبر الوصف نوعاً من التعيين .

وكما يقال : مذ أو منذ دهر ، يقال أيضاً : مذ أو منذ أدهر ، أو دهور^(٢) ، ومذ أو منذ أزمن ، أو أزمان ، أو أزمنة — قال : (ورَبَعَ عَفَتَ آياته منذ أزمان)^(٣) . وكذا يقال : مذ أو منذ حِقَب ، أو حُقوب ، أو حُقَب ، أو حُقَب^(٤) أو حِقَاب ، أو أحقاب — إلى غير ذلك من كل متعدد لفظاً ، أو ما هو فى حكم المتعدد .

وليت شعرى هل قال العرب مثلاً : مذ أو منذ دهرين ، أو زمنين ، أو حقبين كما جمعوا ، فقالوا : أحقاب وأزمان ، مثلاً ؟ الظاهر أنهم لم يقولوا ذلك ، اكتفاء بالجمع عند المبالغة . على أن تثنيته لا مانع منها صناعة .

(و) يظهر أن ابن هشام لا يشترط التعريف فى مجرور (مذ) و (منذ) ، إذا كانا بمعنى (من) . فيقول فى التوضيح : (ومعنى مذ ومنذ ابتداء الغاية ، إن كان الزمان ماضياً ، كقوله : « أقوينَ مذ حِجَج ومذ دهر » ، وقوله : « ورَبَعَ عَفَتَ آياته منذ أزمان » . فأقره شارحه الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري . فقال بعد « أقوين إلخ » : من حِجَج . وقال بعد : « ورَبَعَ إلخ » : أى : من أزمان) .

(١) بضم « مُذٌ » فى بعض اللغات ، وإن لم يقع ساكن بعدها .

(٢) قال فى اللسان : وجمع الدهر أدهر ، ودهور .

(٣) قال الصبان : وقوله (منذ أزمان) . قال قاسم : لعل هذا من العدد فيكون بمعنى (من)

و (إلى) معاً . ١ هـ .

(٤) قال فى اللسان : والحُقَب الدهر . والأحقاب الدهور .. وقوله تعالى : (أو أمضى حُقَباً) :

معناه سنة . وقيل : معناه سنين ١ هـ .

وقد رأيت فيما ذكرناه آنفاً أن مذ ومنذ ، إذا كانا بمعنى (من) ، كان مجرورهما معرفة . فقد قال ابن عقيل : (وإن وقع ما بعدهما مجروراً فهما حرفا جرٍّ بمعنى « من » ، إن كان المجرور ماضياً) ، فقال العلامة الخضرى : « قوله بمعنى من » ، أى : البيانية^(١) هذا إذا كان المجرور معرفة كمثاله ، فإن كان نكرة فهما بمعنى (من) و(إلى) معاً . ولا تكون النكرة إلا معدودة لفظاً ، كـمذ يومين ، أو معنى ، كـمذ شهر ، لما مر من أنهما لا يجران المبهم . ا هـ - ونحو ذلك فى الأشمونى ، قال : . . . ثم إن كان ذلك (فى مُضَيٍّ فكَمَيْنَ هما) فى المعنى ، نحو : ما رأيتَه مذ يوم الجمعة . ا هـ .

ويتضح من ذلك أن فى الموضوع مذهبين : أحدهما يشترط تعريف مجرور مذ ومنذ إذا كانا بمعنى (من) ، مع مضى الزمن . والثانى لا يشترط غير مضى الزمن^(٢) .

(ز) قال العلامة الشيخ ياسين بن زين الدين العليمى الحمصى فى حاشيته على شرح التوضيح ، عند قول المتن : (أحدهما أن يدخل على اسم مرفوع ، نحو : ما رأيتَه مذ يومان) ، ما يأتى :

« قوله مذ يومان » ، قال الزرقانى : قال الرضى : قال الأخفش : لا تقول : ما رأيتَه مذ يومان وقد رأيتَه أمس - ويجوز أن يقال : ما رأيتَه مذ يومان ، وقد رأيتَه أول من أمس - أما إذا كان وقت التكلم آخر اليوم فلا شك فيه ، لأنه يكون قد تكَمَّلَ لانتفاء الرؤية يومان . . . قال : ويجوز أن يقال فى يوم الاثنين مثلاً : ما رأيتَه منذ يومان : وقد رأيتَه يوم الجمعة ولا تَعْتَدَ بيوم الإخبار ولا يوم الانقطاع . قال : ويجوز أن تقول : ما رأيتَه منذ يومان ، وأنت لم تره منذ عشرة أيام . قال : لأنك تكون قد أخبرت عن بعض ما مضى - أقول : وعلى ما بينا ، وهو أن منذ لا بد فيه من معنى الابتداء فى جميع مواقعه ، لا يجوز ذلك^(٣) .

(١) قال العلامة الصبان عند قول ابن مالك : (وإن جراً فى مضى فكُن) ما يأتى : « قوله فكُن » ، أى : الابتدائية ا هـ ، وهو أول وأظهر من تسمية الخضرى إياها بالبيانية .

(٢) اللهم إلا إذا كان ابن هشام يريد النص على ابتداء الغاية عند مضى الزمن ، فسكت عن (إلى) فلا منافاة على هذا بين قوله هذا وقول سائر النحاة .

(٣) يظهر أن اسم الإشارة راجع إلى ما مثل به ، ابتداء من قوله : (ويجوز أن تقول فى يوم =

وقال : « إنهم يقولون : منذ اليوم ولا يقولون : منذ الشهر ؛ ولا : منذ السنة . ويقولون : منذ العام . قال : وهو على غير القياس — قال : ولا يقال : منذ يوم ، استغناء بقولهم : منذ أمس — ولا يقولون : منذ الساعة ، لقصرها — فإن كان جميع ما قاله مستنداً إلى السماع فيها ونعمت . وإلا فالقياس جواز الجميع . والقِصَر ليس بمانع . لأنه جوز : (منذ أقل من ساعة) » . ١ هـ . المراد من كلام الشيخ ياسين .

أقول : قد أسلفنا القول في امتناع أن يقال مثلاً : ما رأيته مذ أو منذ يوم ، لا لتلك العلة التي نقلها ياسين عن الأخفش ، بل لأن منذ ومذ لا يجران إلا النكرة المعدودة ، أو التي في حكم المعدودة ، إذا كانا بمعنى من وإلى معاً .

وقوله : (ولا يقولون : منذ الساعة ، لقصرها) ، هذا هو أحد معانيها ، وهو الوقت القليل . فقد جاء في اللسان : والساعة الوقت الحاضر . . . والساعة في الأصل تطلق بمعنيين : أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً ، هي مجموع اليوم واللييلة . والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل . يقال : جلست عندك ساعة من النهار ، أى وقتاً قليلاً منه . ١ هـ .

فإذا قلت مثلاً ، على القول بالحواز : طار العصفور مذ أو منذ الساعة ، فعنى مذ أو منذ هنا : (في) ، أى : طار في هذا الوقت الحاضر . وهذا واضح ، كما قال يس . والقصر ليس بمانع .

وأما ما قاله ياسين من أنه جوز أن يقال : منذ أقل من ساعة ، فعناه : منذ وقت أقل من ساعة . فنذ فيه بمعنى (من) (على رأى ابن هشام ومن تابعه ، كما قررنا في « و ») . فتقول مثلاً : حضر فلان مذ أو منذ أقل من ساعة ، أى : من زمن وجيز .

بقي المعنى الثاني للساعة ، وهي أنها جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم واللييلة . فهذه الساعة محدودة ، لأنها مقسمة أيضاً أقساماً متساوية ؛ هي الدقائق الفلكية . والقِصَر الذي هو علة المنع فيما قال الأخفش ، منتف فيها :

(= الاثنين مثلاً...) إلى قوله : (ما مضى) . وذلك لأن عدم الاعتداد بيوم الانقطاع ، ينافي معنى الابتداء الذي يفيد مذ ومند . وكذا يقال في المثال الثاني .

فتقول مثلاً : ما كتبت مذ أو منذ الساعة ، أى : فى هذا الوقت المقدّر بستين دقيقة . كما تقول مثلاً : كتبت مذ أو منذ الساعة ، فى الإثبات لأن الفعل متطاول — هذا ما نستظهره .

(ح) وهناك موضوع له شبه واتصال بما قررنا فى الفقرة السابقة . ذلك أنا قلنا آنفاً : إن (يوماً) من المبهم ؛ فلا يجوز : مذ أو منذ يوم . فهذا ما مثل به النحاة . فى الصبان عند قول الأشمونى : (فإن كان الجرور بهما نكرة . . . إلخ ما يأتى : « قوله نكرة » ، أى معدودة ، إذ لا يجوز : منذ يوم) . اهـ . والظاهر أن النحاة لم يدخلوا (اليوم) فى باب ما هو فى حكم المعدود ، وألحقوه بالمبهم ، لاختلاف اللغويين فى معناه . فنحن أنه من طلوع الشمس إلى غروبها ، ومنها أنه مطلق الزمان ، إلى غير ذلك .

وأما المعنى الآخر الذى نقلناه عن اللسان فيما تقدم ، فقد حدث فى الحضارة الإسلامية . وهو فى حكم المعدود . ذلك أن تقول مثلاً : ما كلمته مذ أو منذ يوم ، كما لك أن تقول : مذ أو منذ ليلة ، لهذا الاعتبار ، كما قالوا : مذ أو منذ شهر ، أو سنة .

وكذلك يقال فى الساعة والدقيقة الفلكيتين . فنقول مثلاً : قرأ القارئ مذ أو منذ ساعة ، ما قرأ منذ أو منذ ساعة . وكلمنى صديقى مذ أو منذ دقيقة ، قياساً سائغاً لا غبار عليه .

وقد خطر لى وأنا أكتب هذا ، لفظٌ : هُنَيْهَةٌ أو هُنَيْيَّةٌ . فى المصباح : الهَنْ — خفيف النون — كناية عن كل اسم جنس . والأثنى : هَنْةٌ ؛ ولامها محذوفة . فى لغة هى هاء ؛ فيصغر على : هُنَيْهَةٌ . ومنه يقال : سكت هُنَيْهَةٌ أى : ساعة لطيفة . وفى لغة هى : واو ، فيصغر فى المؤنث على : هُنَيْيَّةٌ . وجمعها [أى : هَنْةٌ] هَنْوَات . وربما جمعت على هَنْات ، على لفظها ، مثل : عِدَات — وفى المذكر : هُنَى . اهـ .

ولنما تعرضت لهذه الكلمة ، لكثرة دورانها على الألسن والأقلام فى مختلف شئون الحياة . فهى ليست من المعدود لفظاً أو حكماً . ولا يمكن ضبطها بقياس .

ومثل هُنَيْهَة أو هُنَيْة : « لَحْظَة » ، للزمان اليسير — فى الأساس : وفَعَلَ ذلك فى لَحْظَة . ١ هـ . وفى شرح القاموس : وما يستدرك عليه : اللَّحْظَة المرة من اللَّحْظَ ويقولون : جلست عنده لَحْظَة ، أى : كَلَحْظَة العين ^(١) ، ويصغرونه لُحَيْظَة . والجمع لَحْظَات . ١ هـ .

وهذه الكلمة أيضاً شائعة جداً . وحكمها حكم الهُنَيْهَة أو الهُنَيْة ، لما قررنا من انبهاهما ، وأنها ليست من المعداد ولا ما هو فى حكمه . وهل تُسَوِّى هُنَيْهَة أو هُنَيْة (لوقت اليسير) ، ولحظة ، فقالوا مثلاً : جلس هنيهتين أو هنتين ؟ لعلهم لم يفعلوا . لأنه لا معنى لقولك مثلاً : جلست وقتين لطيفين ^(٢) . ولو أنهم فعلوا لحاز ؛ نحو قولك : جلست مذ أو منذ لحظتين أو هنيهتين ، كما تقرر آنفاً .

وهل جمعوا هُنَيْهَة أو هُنَيْة (لوقت اليسير) ، فقالوا مثلاً : جلس هُنَيْهَات ، أو هُنَيَْات ؟ الغالب أنهم لم يفعلوا ، على ما وصل إليه اطلاعى . ولو أنهم فعلوا لحاز أن تقول مثلاً : جلست أو ما جلست عنده مذ أو منذ هُنَيْهَات . أما اللحظة فلعلهم لم يثنوها . والغالب أنهم جمعوها .

على أن تشية كل أولئك وجمعه جائز صناعة فلا كلام فى هذا ^(٣) .

(ط) وقد كنت أرجع فى أثناء كتابة هذه العُجالة إلى شرح الإمام موفق الدين أبى البقاء يعىش بن على بن يعىش النحوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، لمفصل الزخشرى — ورجعت أيضاً إلى شرح كتاب سيبويه للإمام أبى سعيد الحسن

(١) أى : فهو من باب نياية المصدر عن الزمن . والأصل : جلست عنده مقدار لحظة عين .

(٢) إلا إذا قلت مثلاً : جلست هنيهتين ، عند محمد هنية ، وعند على هنية — وكذا يقال فى الجمع ، وفى لحظة إذا استملنا مشاها وجمعها هذا الاستعمال .

(٣) هناك أسماء أخرى كثيرة مبهمة تدل على الزمان بذاتها ، أو بالنيابة عن المصدر : فحكمها ما قررنا .

ومن ذلك — وهو شائع — وقت ، وبرهة ، وعهد ، فيخلط الناس ويقولون : مذ أو منذ برهة ، أو عهد أو وقت . اللهم إلا إذا قالوا : مذ أو منذ عهد طويل . أو برهة طويلة مثلاً . فقد يجوز أن يلحق ذلك بما هو فى حكم المعداد . (راجع تعليقنا على كلام الأشموفى فى ص ٥٥٥ آخر « هـ ») وليس لى فى ذلك جزم . فليحذر .

ابن عبد الله بن المرزبان السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، فوجدت فيهما تعليقات طريفة تتصل بموضوع هذا البحث . آثرت أن أتحف القارى بنتف منهما ، ليرى كيف كان يكتب هذا الإمامان ، ولتكمل بها الفائدة .

قال الإمام ابن يعيش :

(١)

وأما الفرق بينهما (أى : « مذ ومنذ » الحرفيتين والاسميتين) من جهة المعنى ، فإن « مذ » إذا كانت حرفاً دلّت على أن المعنى – الكائن فيما دخلت عليه ، لا فيها نفسها ، نحو قولك : زيد عندنا مذ شهر ؛ على اعتقاد أنها حرف ، وخفض ما بعدها . فالشهر هو الذى حصل فيه الاستقرار فى ذلك المكان ، بدلالة مذ على ذلك .

وأما إذا كانت اسماً ورفعت ما بعدها ، دلت على المعنى الكائن فى نفسها . نحو قولك : ما رأيت مذ يوم الجمعة . فالرؤية متضمنة « مذ » وهو الوقت الذى حصلت فيه الرؤية ، وهو يوم الجمعة . كأنك قلت : الوقت الذى حصلت^(١) فيه الرؤية يوم الجمعة . ا هـ .

وقال :

(٢)

والصواب ما ذهب إليه البصريون من أن ارتفاعه بأنه خبر . والمبتدأ منذ ومنذ . فإذا قلت : ما رأيت منذ يومان ، كأنك قلت : ما رأيت مذ ذلك يومان . فهما جملتان ، على ما تقدم . وإنما قلنا : إن « مذ » فى موضع مرفوع بالابتداء ، لأنه مقدّر بالأمد . والأمد لو ظهر لم يكن إلا مرفوعاً بالابتداء . فكذلك ما كان فى معناه . ا هـ .

وقال :

(٣)

وله [أى : مذ أو منذ] فى الرفع معنيان : تعريف ابتداء المدة ، من غير تعرض إلى الانتهاء . والآخر تعريف المدة كلها .

(١) هذا نقل الباحث . فهل حصلت الرؤية ؟

فإذا وقع الاسم بعدهما معرفة ، نحو قولك ، ما رأيته منذ يوم الجمعة . . . ونحوه ، كان المقصود به ابتداء غاية الزمان الذى انقطعت فيه الرؤية وتعريفه . والانتهاء مسكوت عنه . كأنك قلت : وإلى الآن . ويكون فى تقدير جواب (متى) .

وإذا وقع بعده نكرة ، نحو : ما رأيته منذ يومان ، ونحو ذلك ، كان المراد منه انتظام المدة كلها ، من أولها إلى آخرها ، وانقطاع الرؤية فيها كلها .

فإن خفضت ما بعدهما ، معرفة كان أو نكرة ، كان المراد الزمان الحاضر ، ولم تكن الرؤية قد وقعت فى شىء منه . اهـ .

ويظهر أن أبا البقاء أراد بالمعرفة فى قوله : (فإن خفضت ما بعدها . . . إلخ) نحو يومنا أو اليوم ، فى قولك مثلاً : ما رأيته مذ أو منذ يومنا ، أو اليوم .

ولم يرد نحو قولك : ما رأيته مذ أو منذ يوم الأربعاء^(١) ، أى : من يوم الأربعاء ، كما تقدم . وذلك لأن أبا البقاء يرفع (يوم) فيه وجوباً . بدليل قوله آنفاً فى فقرة (٣) : (فإذا وقع الاسم بعدهما معرفة ، نحو قولك : ما رأيته مذ يوم الجمعة . . . إلخ) .

أما الدلالة على الزمن الحاضر فى حال جر مذ ومنذ للنكرة ، فقد سلف لك أنك إذا قلت مثلاً : ما كلمته مذ أو منذ شهرين (مما هو معدود) ، أو شهر (مما هو فى حكم المعدود) ، كان المعنى أن الحدث انتهى من ابتداء هذه المدة إلى انتهائها . فأنت إذ تقول مثلاً : ما كلمته مذ أو منذ شهر ، تتكلم فى نهاية الشهر . أى : ما وقع الكلام فى هذا الشهر الحاضر ، من أوله إلى آخره .

هذا شرح الفقرة الأخيرة من كلام أبى البقاء ، كما قدرت أن أوجهها . وقال الإمام السيرافى :

(١)

اعلم أن منذ ومذ جميعاً فى معنى واحد . وهما يكونان اسمين وحرفين ، غير أن الغالب على منذ أن تكون حرفاً ، وعلى مذ أن تكون اسماً . اهـ .

(١) قد سبق أن نحو هذا المثال يجوز فيما بعد مذ أو منذ فيه الرفع أو الجر .

(٢)

... تقول : ما رأيته منذ يوم الجمعة ، وما رأيته منذ اليوم . وإذا قلت : ما رأيته منذ يوم الجمعة : كان معناه : انقطعت رؤيتي له من يوم الجمعة . فكان يوم الجمعة لابتداء غاية انقطاع الرؤية . فحل ذلك من الزمان كمحل (من) في المكان ، إذا قلت : ما سرت من بغداد ، أى : ما ابتدأت السير من هذا المكان . فكذاك : ما وقعت رؤيتي عليه من هذا الزمان . ا هـ .

(٣)

... وتقول : ما رأيته مذ يوم الجمعة ، وما رأيته مذ السبت . . . فإن قال قائل : فما حكم « مذ » في هذا الوجه ، وتقديرها ؟ قيل له : حكمها أن تكون امماً ، وتقديرها أن تكون مبتدأة ، ويكون ما بعدها خبرها . كأنك قلت : ما رأيته ، مدة ذلك يوم السبت . فيكون على كلامين . . . وذلك أنك إذا قلت : ما رأيته مذ يوم الجمعة فلنما معناه : انقطاع رؤيتي له ابتداءه يوم الجمعة ، وانتهاءه الساعة . فتضمنت (من) معنى الابتداء والانتهاء .

وإذا قلت ما رأيته مذ اليوم ، فليس فيه إلا معنى ابتداء الغاية وانقطاعها . وهو (في) معنى ، وانخفاض ما بعدها . ا هـ .

(٤)

... وذلك أنك إذا قلت : لم أره مذ يومان ، أو مذ شهران ، أو نحو ذلك ، مما يكون جواباً لـ كَمْ ، فتقديره : لم أره وقتاً مآً . ثم فسرت ذلك فقلت : أمد ذلك شهران ، أو مدة ذلك شهران . فقولك مذ شهران جملة ثانية هي تفسير للوقت المبهم في الجملة الأولى . فهذا أحد تقديري مذ إذا رفعت ما بعدها .

والتقدير الآخر أن تقول : ما رأيته مذ يوم الجمعة فيكون تقديره : فقدت رؤيته وقتاً ما ، أوله يوم الجمعة فذ في هذين الوجهين بمنزلة اسم مضاف : إما على تقدير : أمد ذلك ، أو أول ذلك . ا هـ .

(٥)

تكميل

وفي المخصص : قال سيبويه : سألت الخليل رحمه الله عن قولهم ؛ مذ عامٌ أولٌ^(١) ، ومذ عامٌ أولٌ . فقال : أولٌ : ها هنا صفة . وهو أول من عامك . ولكن ألزموه ها هنا الحذف استخفافاً . فجعلوا هذا الحرف بمنزلة (أفضل منك) قال : وسألته رحمه الله عن قول العرب ، وهو قليل : مذ عامٌ أولٌ . فقال : جعلوه ظرفاً في هذا الموضع ، وكأنه قال : مذ عامٌ قبل عامك . ا هـ .

* * *

قال الباحث :

إلى هنا وقف القلم ، وفي النفس شوق إلى المزيد ، وتطلع إلى الاستيفاء . ولعلني أكون قد وفقت إلى ما أردت من توضيح وتسهيل . والله تعالى المستعان .

(١) انظر ما يتصل بكلمة : « أول » في ص ٢٨٦ وكذا في ج ٣ م ٩٥ ص ١٣٠ حيث الإيضاح المفيد .

بحث التضمين^(١)

أقوال العلماء فى التضمين

قال أبو البقاء فى كتابه «الكليات» : التضمين : هو إشراب معنى فعل لفعل ، ليعامل معاملته . وبعبارة أخرى : هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذى يستحقه بغير آلة ظاهرة .

ثم قال : قال بعضهم : التضمين هو أن يستعمل اللفظ فى معناه الأصلي ، وهو المقصود أصالة ، لكن قصد تبعية معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ ، أو يقدر له لفظ آخر ، فلا يكون التضمين من باب الكناية ، ولا من باب الإضمار ، بل من قبيل الحقيقة التى [فيها] قصد بمعناه الحقيقى معنى آخر يناسبه ويتبعه فى الإرادة .

وقال بعضهم : التضمين إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه لمعناه ، وهو نوع من المجاز . ولا اختصاص للتضمين بالفعل ، بل يجرى فى الاسم أيضاً . قال التفتازانى فى تفسير قوله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الأرض) : لا يجوز تعلقه بلفظة : الله ، لكونه اسماً لا صفة . بل هو متعلق بالمعنى الوصفى الذى

(١) هذا هو البحث الثانى الذى سبق أن وعدنا - فى رقم ١ من هامش ص ١٧٠ - بتسجيله هنا ، لعظيم أثره عند المتخصصين ، وليكون صورة مرشدة من مسالك البحث العقلى الدقيق أمام كبار الطلاب ، بالرغم من تشعبه الخيالى بغير سداد ، وكثرة الخلاف الجامح فيه والوهم ، كثرة معيبة تكشف عن نوع عنيف مرهق من البحوث الجدلية القديمة العقيمة . وقد نقلناه كاملاً من محاضرات جلسات الجمع اللغوى القاهرى فى دور انعقاده الأول (ص ٢٠٩ ، وما بعدها) حيث سجلته تلك المحاضر . بقلم عضو جليل من أعضاء الجمع ، هو الأستاذ حسين والى ، رحمة الله عليه . وقد ألقاه على الأعضاء قبل تسجيله ، ونقلنا معه بعض مناقشات قصيرة دارت بشأنه بين الأعضاء ساعة عرضه على الجمع اللغوى ؛ لأهمية ذلك كله . وأردفناه ببحث لمصومجى آخر ، ألقاه فى الجلسة نفسها ثم ختمنا برأى لنا خاص موجز - فى هامش الصفحة الأخيرة ص ٥٩٤ - يتضمن التعليق على البحثين .

ويلاحظ ما سبقت الإشارة إليه - (فى رقم ١ من هامش ص ١٧٠ - باختصار فى باب : « تعدى الفعل ، ولزومه ») وهو أن « الصبان » عرض للتضمين - ج ٢ - كما عرض له « ياسين » فى الجزء الثانى من حاشيته على التصريح ، باب : « حروف الجر » عرضاً محموداً ، فى نحو : أربع صفحات .

ضمينه اسم الله ، كما في قولك : هو حاتم من طيبي ، على تضمين معنى : الجواد .
 ويجريانه في الحرف ظاهر في قوله تعالى : (ما ننسخ من آية) ، فإن « ما »
 تتضمن معنى « إن » الشرطية . ولذلك جزم الفعل .

وكل من المعنيين مقصود لذاته في التضمين ، إلا أن القصد إلى أحدهما
 — وهو المذكور بذكر متعلقه — يكون تبعاً للآخر وهو المذكور بلفظه ، وهذه
 التبعية في الإرادة من الكلام ، فلا ينافي كونه مقصوداً لذاته في المقام . وبه
 يفارق التضمين الجمع بين الحقيقة والحجاز ، فإن كلاً من المعنيين في صورة الجمع
 مراد من الكلام لذاته ، مقصود في المقام أصالة ، ولذلك اختلف في صحته مع
 الاتفاق في صحة التضمين .

والتضمين سماعي لا قياسي^(١) ، وإنما يذهب إليه عند الضرورة . أما إذا أمكن
 إجراء اللفظ على مدلوله فإنه يكون أولى . وكذا الحذف والإيصال ، لكنهما
 لشيوعهما صاراً كالقياس ، حتى كثر للعلماء التصرف والقول بهما فيما لا سماع فيه .
 ونظيره ما ذكره الفقهاء من أن ما ثبت على خلاف القياس إذا ما كان مشهوراً
 يكون كالثابت بالقياس في جواز القياس عليه .

وجاز تضمين اللازم المتعدى ؛ مثل : « سَفِهَ نَفْسَهُ » فإنه متضمن
 لأهْلَكَ .

وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان مقصودتان
 معاً قصداً وتبعاً ، فتارة يجعل المذكور أصلاً والحذوف حالا ، كما قيل في قوله
 تعالى : (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) كأنه قيل : ولتكبروا الله حامدين على
 ما هداكم ، وتارة بالعكس ، كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) ،
 أي : يعترفون به مؤمنين .

ومن تضمين لفظ معنى آخر قوله تعالى : (وَلَا تَعْدُوا عَيْنَاكُمْ عَنْهُمْ) ، أي :
 لَا تَفْتُتْهُمْ عَيْنَاكُمْ مجاوزتين إلى غيرهم . (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) ، أي :

(١) هذا رأى من عدة آراء متعارضة يجيء تفصيلها ، واستخلاص حكم نهائي بعدها .

لا تَضْمُوهَا أَكْلِينَ . (مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ، أَى : من ينضاف في نصرك إلى الله . (هل لك إلى أن تزكى) ، أَى : أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى : (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) ، أَى : فلن تحرموه ، فعدّتى إلى اثنين . (ولا تعزموا عقدة النكاح) ، أَى : لا تنووه ، فعدّتى بنفسه لا بعلى . (لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) ، أَى : لا يُصْغُونَ ، فعدى بإلى ، وأصله يتعدى بنفسه . ونحو : « سمع الله لمن حمده » ، أَى : استجاب ، فعدى باللام . (والله يعلم المفسد من المصلح) أَى : يميز .

ومن هذا الفن في اللغة شيء كثير لا يكاد يحاط به .

ومن تضمين لفظ لفظاً آخر قوله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين) إذ الأصل : أمّن ؟ حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما في « هل » فإن الأصل أهل ^(١) ؟ فإذا أدخلت حرف الجر فقد رُهمزة قبل حرف الجر في ضميرك ، كأنك تقول : أعلى من تنزل الشياطين ؟ كقولك : أعلى زيد مررت . وهذا تضمين لفظ لفظاً آخر ^(٢) .

لقد ذكر أبو البقاء عن بعض العلماء أن التضمين ليس من باب الكناية ، ولا من باب الإضمار ، بل من باب الحقيقة ، إذ قصد بمعناه الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة .

ويؤخذ من هذا أنه لا بد من المناسبة ، وإنما يعرف المناسبة أهل العربية الذين لهم دراية بالعربية وأسرارها .

وذكر عن بعضهم أن التضمين لإيقاع لفظ موقع غيره . لتضمنه معناه . وهو نوع من المجاز .

وقال : التضمين سماعي لا قياسي ، وإنما يذهب إليه عند الضرورة . أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله ، فإنه يكون أول .

وذكر أمثلة لتضمين لفظ معنى لفظ آخر . ثم قال : « ومن هذا الفن في اللغة شيء كثير لا يكاد يحاط به » .

ويؤخذ من هذا أن التضمين قياسي .

* * *

وقال ابن هشام في المغنى : قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك : « تضميناً » . وفائدته : أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين . قال الزخشرى ألا ترى كيف رجع معنى (ولا تعد عيناك عنهم) إلى قولك : ولا تفتحهم عيناك ، مجاوزتين إلى غيرهم . و (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) ، أى : ولا تضموها آكلين لها ؟

قال الدسوقي : قوله يشربون لفظاً معنى لفظ ، هذا ظاهر في تباير المعنيين ، فلا يشمل نحو : (وقد أحسن بي) ، أى : لطف ، فإن اللطف والإحسان واحد .

فالأولى أن التضمين إلحاق مادة بأخرى لتضمنها معناها ولو في الجملة ، أعنى باتحاد أو تناسب ، قوله : « أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين » : ظاهر في أن الكلمة تستعمل في حقيقتها ومجازها . ألا ترى أن الفعل من قوله تعالى : (للذين يؤولون من نسائهم) ضمن معنى : يمتنعون من نسائهم بالحلف ، وليس حقيقة الإيلاء إلا الحلف ، فاستعماله في الامتناع من وطء المرأة إنما هو بطريق المجاز ، من باب إطلاق السبب على المسبب ؛ فقد أطلق فعل الإيلاء مراداً به ذانك المعنيان جميعاً ، وذلك جمع بين الحقيقة والمجاز بلا شك . وهو ، أى : الجمع المذكور إنما يتأتى على قول الأصوليين : إن قرينة المجاز لا يشترط أن تكون مانعة . أما على طريقة البيانين من اشتراط كونها مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، فقليل إن التضمين حقيقة ملوحة لغيرها .

وقدر (السعد) العامل مع بقاء الفعل مستعملاً في معناه الحقيقي ، فالفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي ، مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية . فقولنا أحمد إليك فلانا ، معناه : أحمدته منهياً إليك حمده . ويقلب كفيه على كذا : أى نادماً على كذا . فعنى الفعل المتروك — وهو المضمن — معتبر على أنه قيد لمعنى الفعل المذكور .

وزعم بعضهم أن التضمن بالمعنى الذى ذكره (السعد) — وهو جعل وصف الفعل المتروك حالا من فاعل المذكور — يسمى تضميناً بيانياً ، وأنه مقابل للنحو^(١) .

وقيل إن التضمن من باب المجاز ، ويعتبر المعنى الحقيقى قيداً ، وهذا هو الذى اعتبره الزمخشري . فعلى مذهب السعد يقال : ولا تأكلوا أموالهم ضامئها إلى أموالكم . وعلى مذهب الزمخشري نقول ولا تضموها إليها آكلين .

وقيل التضمن من الكناية ، أى لفظ أريد به لازم معناه .
فالأقوال خمسة ، وانظر ما بيان صحة الأخير منها . تأمل . ا هـ . تقرير الدردير .

وقال الأمير : قوله : « وفائدته إلخ » ظاهر فى الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وقيل مجاز فقط ، وقيل حقيقة ملوحة بغيرها .

وقدر « السعد » العامل ، فزعم بعضهم أنه تضمن بيانى مقابل للنحو .
قول ابن هشام « قد يشربون لفظاً معنى لفظ » لا يخفى أن « قد » فى عرف المصنفين للتقليل كما سيأتى . وعلى ذلك يكون التضمن قليلا . ولكنه سيذكر فى آخر الموضوع عن ابن جنى أنه كثير ، حتى قال الدسوقي : هذا ربما يؤيد القول بأن التضمن قياسى :

وقد أشار الدسوقي إلى أن قول ابن هشام : « وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين » ظاهر فى أن الكلمة تستعمل فى حقيقتها ومجازها . والجمع بين الحقيقة والمجاز إنما يتأتى على قول الأصوليين إن قرينة المجاز لا يشترط أن تكون مانعة ، أما على قول البيانين يشترط أن تكون القرينة مانعة ، فقل التضمن حقيقة ملوحة لغيرها . وقدر السعد العامل مع بقاء الفعل مستعملا فى معناه الحقيقى إلخ ما تقدم .

وقيل : التضمن من باب المجاز ، وقيل من باب الكناية ، وسيأتى شرح المذاهب فى ذلك .

وذكر ياسين على التصريح أن التضمين سماعي كما هو المختار^(١).

ثم قال : وأعلم أن كلام المصنف في المغنى في تقريره التضمين في مواضع يقتضى أن أحد اللفظين مستعمل في معنى الآخر ؛ لأنه قال في (وما تفعلوا من خير فلن تكفروا) ، أى : فلن تحرموه . وفي (ولا تعزموا عقدة النكاح) أى : لا تنوا . وحينئذ فعنى قوله : « إنه إشراب لفظ معنى آخر » ... ، أن اللفظ مستعمل في معنى الآخر فقط . فإن هذا هو الموافق لذلك التقرير ، وإن احتمل أنه مستعمل في معناه ومعنى الآخر .

وقول ابن جني في الخصائص : (إن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين^(٢) موقع الآخر ، إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد ، مع ما هو بمعناه) — صريح في أنه مستعمل في معنى الآخر فقط .

وعلى هذا فالتضمين مجاز مرسل ، لأنه استعمال اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما قرينة ، كما سيتضح ذلك . وهذا أحد أقوال فيه .

وقيل إن فيه جمعاً بين الحقيقة والمجاز ، لدلالة المذكور على معناه بنفسه ، وعلى معنى المحذوف بالقرينة .

وهذا إنما يقول به من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز . وهو ظاهر قول المغنى « إن فائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين » . فظاهر تعريفه مخالف لما ذكره من فائدته . فلينبه لذلك .

وعلى هذا القول جرى سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، فقال في كتاب « مجاز القرآن » :

« الفصل الثاني والأربعون في مجاز التضمين ، وهو أن يضمن اسم معنى اسم لإفادة معنى اسمين ، فتعديده تعديته في بعض المواضع ، كقوله : (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) فيضمن : « حقيق » معنى : « حريص » ، ليفيد أنه محقوق

(١) ورد هذا النص في أول الجزء الثاني ، باب « حروف الجر » في الفصل الذي عنوانه : ذكر معاني الحروف الجارة .

(٢) المراد : اللفظين مطلقاً ، وليس المراد الحرف المقابل للاسم والفعل .

بقول الحق ، وحريص عليه . ويضمن فعل معنى فعل ، فتعديه أيضاً تعديته في بعض المواضع كقول الشاعر : " قد قتل الله زياداً عني " ، ضمن : قتل ، معنى : صرف ، لإفادة أنه صرفه حكماً بالقتل ، دون ما عداه من الأسباب ، فأفاد معنى القتل والصرف جميعاً » . ١ هـ ، المقصود منه .

وفيه تصريح بأن التضمنين يجري في الأسماء بل صدر به .
وقول المغني « إشراب لفظ » يشملها .

فاقتصار (السعد) و (السيد) على بيانه في الأفعال ، جار مجرى التمثيل لا التقيد . ودعوى أصالته في الأفعال مجردة عن الدليل .

وقيل إن المذكور مستعمل في حقيقته ، لم يشرب معنى غيره ، وعليه جرى صاحب الكشف . وعجيب للمصنف في المغني حيث نقل كلامه بعد تعريف التضمنين بما مر ، فأوهم أنه يرى بما يقتضيه ذلك التعريف فتفطن له . وقال السعد في تقرير كلام الكشف ، وبيان أنه لا يرى أن في التضمنين مجازاً ، ولا الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وأنه مع استعماله في المذكور يدل على المحذوف ما نصه :

حقيقة التضمنين أن يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه . ثم قال : إن الفعل المذكور مستعمل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ، نحو : أحمد إليك فلاناً ، معناه أحمدته منهياً إليك حمده .

وقد يعكس ، كما يقال في (يؤمنون بالغيب) يعترفون به مؤمنين .

وفي قوله « مع فعل آخر » حذف مضاف أى مع حذف فعل .

فإن قلت : المناسبة إنما هي بين الفعل المحذوف ومتعلقه المذكور لا بين الفعلين ، قلت : لا بد من المناسبة بينهما ، فلا يقال : ضربت إليك زياداً ، أى : منهياً إليك ضربه ؛ ولا تكفي القرينة .

واعترض عليه بأن في كلامه تناقضاً ، لأن قوله : « مع فعل آخر يناسبه » غير ملائم لقوله : « مع حذف حال » ، فإن الثاني يدل على أن المحذوف اسم هو حال ، لا فعل ، بخلاف الأول .

وأجيب بأن في كلامه تغليباً وإطلاقاً للفعل عليه وعلى الاسم ، أو أراد بالفعل معناه اللغوي ، وكذا في قوله ؛ « أن يقصد بالفعل » ولا يخفى سقوطه على هذا الكلام وبعده عن المرام .

وذلك أن الداعى للسعد على ما قاله ، الفرار من الجمع بين الحقيقة والمجاز . والأصل تضمين الفعل لمثله ، فالملاحظة في تضمين المذكور مثله ، وأشير بالحال عند بيان المعنى إلى ذلك التضمن ولو قدر نفس الفعل ، كان من الحذف المجرد ، ولم يكن المحذوف في تضمن المذكور . وأيضاً في تقديره تكثير للحذف .

وبهذا يظهر أن من قال لا تنحصر طرق التضمن فيما قال ، وأن منها العطف ، نحو : (الرَفَثُ إلى نسائكُم) ، أى : الرفث والإفضاء إلى نسائكُم ، فقد غفل عن الباعث على هذا القول ، على أنه لم يدع أحد الحصر . وقال السيد : ذهب بعضهم إلى أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط ، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته ، فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام والمحذوف قيداً فيه ، على أنه حال ، كما في قوله : (ولتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم) كأنه قال : « لتكبروا الله حامدين على ما هداكم » . وتارة يعكس ، فيجعل المحذوف أصلاً والمذكور مفعولاً ، كقوله : « أحمد إليك فلاناً » كأنك قلت أنهى إليك حمده ، أو حالاً كما يدل عليه قوله ، (يعنى الكشف) ، عند الكلام على قوله تعالى : (يؤمنون بالغيب) ، أى : يعترفون به ، فإنه لا بد من تقدير الحال ، أى : يعترفون به مؤمنين ، إذ لو لم يقدر لكان مجازاً عن الاعتراف لا تضميناً ، وقوله على « أنه حال » ، وقوله : « والمذكور مفعولاً » بمعنى أن المذكور يدل على ذلك كما يفيد قول السعد مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر .

والظاهر أن السيد يوافقه على ذلك ، لأنه لم يشر للرد عليه ، كما هو دأبه عند مخالفته .

فاندفع قول بعضهم : إن في جعله المذكور مفعولاً للمحذوف نظراً ظاهراً ، لأن الفعل والجملة لا يقع واحد منهما مفعولاً لغير القول والفعل المعلق .

فالصواب كون جملة : « أحمد » حالاً من فاعل : أنهى ، والمعنى أنهى حمده إليك حال كونى حامداً له . ويرد عليه أنه إن أراد أن جملة : « أحمد »

حال في التركيب ففساد أوفى المعنى ، فالذى وقع فيه حالاً إنما هو اسم الفاعل المحذوف بدلالة الفعل المذكور عليه ، كما يشهد به قوله حال كوني حامداً . وقد ذكر السعد أن هذا التركيب مما حذف فيه الحال ، والظاهر أن السيد لم يقصد الرد عليه ، وإنما أراد بيان وجه آخر ، ليفيد أن ذلك أمر اعتبارى لا ينحصر فيما قاله السعد .

ومن العجيب أن بعضهم بعد ذكر كلام السعد والسيد قال إنه لا ينحصر فيما قال السيد بل له طرق أخرى ، منها : أن يكون مفعولاً ، كما في قولهم : أحمد إليك الله ، أى : أنهى حمده إليك .

ومن العجب أيضاً قوله في الجواب عن كلام البعض المتقدم ، إن هذا من السبك بلا سابك كباب التسوية ، وأنت قد عرفت أن هذا حذف كما نص عليه السعد لا سبك .

هذا ، وقد اتفق هذان المحققان السعد والسيد ، على أن في « أحمد إليك زيداً » تضميناً .

ووقع للمولى أبى السعود في أول تفسيره الفرق بين الحمد والمدح ، بأن الحمد يشعر بتوجيه النعت بالجميل إلى المنعوت بخلاف المدح ، وأنه يرشد إلى ذلك اختلافهما في كيفية التعلق بالمفعول في حمدته ومدحته فإن تعلق الثانى تعلق عامة الأفعال بمفعولاتها ، والأول مبنى على معنى الإنهاء كما في قولك كلمته ، فإنه معرب عما تفيده لام التبليغ في قولك قلت له .

ولا يخفى أن هذا مخالف لكلام القوم ، ولم يثبت بشهادة من معقول أو منقول .

فمن العجائب نقل شيخنا الدنوشى له في رسالة التضمين ، وقوله : وهو كلام حسن ربما يؤخذ منه أن الإنهاء من مفهوم الحمد فتعلق إلى به بالنظر لذلك ، فلا حاجة إلى ادعاء التضمين فيه ، فليتأمل ذلك . اهـ .

فإن أراد بكونه حسناً حسن تراكيبه ، فلا شك في ذلك ، وإن أراد حسنه من جهة المعنى فلم يظهر ، فإنه وإن أطال الكلام كما يعلم بالوقوف عليه ، لم يأت فيه ببيان المرام .

بقي هنا أمران ؛ الأول : ما أشار إليه السعد والسيد من أخذ الحال من المحذوف أو المذكور ، لا شك أنهما وجهان متغايران عند من له في التحقيق يدان ، وإنما الكلام في أنهما : هل يستويان دائماً أو يترجح أحدهما في بعض الأحيان ؟

والذي يقتضيه النظر وإليه يشير كلامهم ، رجحان أحدهما على الآخر بحسب المقام . بل تعيينه كما لا يخفى على من له بالقواعد إلمام . فيترجح أخذها من المحذوف في : (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ) ، وإن جرى السيد على خلافه كما مر ، فقد قال صاحب الكشف : المعنى لتكبروا الله حامدين ، ولم يقل لتحمداً الله مكبرين . قال بعضهم : لأن الحمد إنما يستحق ويطلب لما فيه من التعظيم . وكما في حديث : (أن تؤمن بالقضاء . . .) ، فالمعنى : أن تؤمن معترضاً بالقضاء ؛ لا أن تعترف بالقضاء مؤمناً ، لأن « أن » والفعل يسبك بمصدر معرف ، وهو لا يقع حالا كما قاله الرضى في الكلام على أن (إن) تكسر وجوباً إذا وقعت حالاً ، وإن كان لا يخلو عن نظر ؛ لعدم وجوب كون المصدر المسبوك معرفة كما يأتي ، ولما يدلان عليه من اسم الفاعل حكمهما . وفي بعضها يترجح أخذها من المذكور كما إذا ضمن العلم معنى القسم ، نحو : عليم الله لأفعلن ، فالمعنى : أقسم بالله عالمياً لأفعلن لا عكسه ، لأن « أقسم » جملة لإنشائية لا تقع حالا إلا بتأويل . واسم الفاعل الواقع حالاً قائم مقامها فيعطى حكمها ، ونحو : (فأما الله مائة عام) ، لأن التقدير : ألبثه الله مائة عام مماثلاً ، لا أماته الله مائة عام ملبثاً ، لأنه يلزم منه ألا تكون الحال مقارنة بل مقدرة ، والأصل كونها مقارنة .

وأما ما توهمه بعضهم من أن صلة المتروك تدل على أنه المقصود أصالة ، فردود بأنها إنما تدل على كونه مراداً في الجملة ؛ إذ لولاها لم يكن مراداً أصلاً . بل إن الصلة لا يلزم أن تكون للمتروك كما دل عليه كلام البيضاوي في تفسير : (إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) فإنه فسر « انتبذت » باعتزلت . وذكر أنه متضمن معنى : أنت ، و « مكاناً » ظرف أو مفعول . ولا شك أن قوله « من أهلها » ، حينئذ متعلق « بانتبذت » الذي بمعنى : اعتزلت ، لا بأنت .

ومما يتفطن له أن المراد بالصلة ما له دلالة على التضمن ؛ لارتباطه بالمحذوف

الذى فى ضمن المذكور ، فىشمل ما إذا ضمن اللازم معنى المتعدى ، فإن التعدية حينئذ قرينة التضمن لا ذكر الصلة .

وأما إذا ضمن فعل متعدد لواحد معنى متعدد لاثنتين وبالعكس ، كتضمن العلم معنى القسم كما مر ، فإن القرينة إنما هو الجواب .

الثانى : هل الخلاف فى كون التضمن سماعياً أو قياسياً ، مبنى على الخلاف فى أنه حقيقة أو مجاز إلى غير ذلك مما فيه من المذاهب ؟ وهل ذلك فى المجاز مبنى على كون المجاز سماعياً أولاً ؟

والذى يخطر بالبال أنه على القول بأنه حقيقة لا تتوقف على سماع . واشترط المناسبة بين اللفظين لا يقتضى ذلك كما لا يخفى . وأنه يلزم من كون مطلق المجاز قياسياً قياساً هذا المجاز الخاص ، خلافاً لبعضهم .

قال فى التلويح : المعتبر فى المجاز وجود العلاقة المعلوم اعتبار نوعها فى استعمال العرب ، فلا يشترط اعتبارها بشخصها ، حتى يلزم فى آحاد المجاز أن ينقل بأعيانها عن أهل اللغة . وذلك لإجماعهم على اختراع الاستعارات العربية البديعة التى لم تسمع بأعيانها من أهل اللغة ، وهى من طرق البلاغة وشعبيها التى بها ترتفع طبقة الكلام . فلو لم يصح لما كان كذلك ، ولهذا لم يدونوا المجاز تدوينهم الحقائق . وتمسك المخالف بأنه لو جاز التجوز بمجرد وجود العلاقة لجاز : « نخلة » لطويل ، غير إنسان ، للمشابهة . و « شبكة » للصيد ، للمجاورة ، و « أب » ، لابن ، للسببية ، واللازم باطل اتفاقاً .

وأجيب بمنع الملازمة ، فإن العلاقة مقتضية للصحة ، والتخلف عن المقتضى ليس بقادح ، لجواز أن يكون مانع مخصوص ، فإن عدم المانع ليس جزءاً من المقتضى .

وذهب المصنف — رحمه الله — إلى أنه لم يجوز نحو « نخلة » لطويل غير إنسان ، لانقضاء شرط الاستعارة . وهو المشابهة فى أخص الأوصاف ، أى : فيما له مزيد اختصاص بالمشبه به ، كالشجاعة للأسد .

فإن قيل : الطول للنخلة كذلك ، قلنا : لعل الجامع ليس مجرد الطول ، بل مع فروع وأغصان فى أعاليها ، وطراوة وتمایل فيها .

ولا شك أنه على القول بأن التضمين مجاز فهو لغوى علاقته تدور على المناسبة ، وهى — مع أنها ليست مما نصوا عليه فى العلاقات — أمر مشترك بين أفرادها ، لكن الذكى يرجعها فى كل موضع إلى ما يليق به ، مما هو من العلاقات المعتبرة ، وبذلك يمتاز بعض الأفراد عن بعض آخر ، والتخلف فى بعض الأفراد — إن فرض — لا يضر ، كما علمت .

هكذا ينبغى أن يحقق المقام ، وقل من حققه مع إطالته الكلام .
فنتم الكلام على بقية الأقوال . تقدم ثلاثة .

والرابع : وهو الذى ارتضاه السيد ، أن اللفظ مستعمل فى معناه الأسمى ، فيكون هو المقصود أصالة ، لكن قصد بتبعيته معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ ويقدر له لفظ آخر . فلا يكون من الكناية ولا الإضمار ، بل من الحقيقة التى قصد منها معنى آخر يناسبها ويتبعها فى الإرادة ، وحينئذ يكون واضحاً بلا تكلف .

وهذا مبنى على أن اللفظ يدل على المعنى ، ولا يكون حقيقة ، ولا مجازاً ، ولا كناية . والسيد جوزه ومثله بمستتبعات التراكيب ، وذلك أن الكلام قد يستفاد من عرضه معنى ليس دالا عليه بأحد الوجوه الثلاثة المذكورة ، كما يفيد قولك « آذيتنى فستعرف » التهديد ، « وإن زيدا قائم » إنكار المخاطب .
و (السعد) وغيره جعلوا ذلك كناية .

والمراد من التبعية فى قوله : (لكن قصد بتبعيته) التبعية فى اللفظ ، كما يصرح به قوله فى حواشى المطول فى بحث الاستعارة عند الكلام فى قوله :

« أسدٌ على » وفى الحروب نعمة » — لا ينافى تعلق الجار به إذا لوحظ مع ذلك المعنى ما هو لازم له ، ومفهوم منه ؛ من الجراءة والصلوة .

والفرق بين هذا الوجه والتضمين ، أن فى التضمين لا بد أن يكون المعنى المقصود من اللفظ تبعاً مقصوداً فى المقام أصالة . وبه يفارق التضمين الكناية ، وفى هذا الوجه لا يكون المعنى الملحوظ تبعاً مقصوداً فى المقام أصلاً . كيف والمقام مقام التشبيه بالأسد على وجه المبالغة . وذلك يغنى عن القصد إلى وصف الجراءة والصلوة مرة أخرى :

وبذلك يندفع قول ابن كمال باشا في رسالة التضمين : إن قيد : « يتبعه في الإرادة » يخرج المعنى الآخر عن حد الأصالة في القصد ، والأمر في التضمين ليس كذلك ، بل قد تكون العناية إليه أوفر ، ومن العجب أنه نقل كلام حاشية المطول في تلك الرسالة .

وأما الاعتراض على ما قاله (السيد) بأنه : كيف يعمل اللفظ باعتبار معنى لا يدل عليه ، فلا يرد ؛ لأن اللفظ دال عليه ، لكنه لم يستعمل فيه .

والخامس : أن المعنيين مرادان على طريق الكناية ، فيراد المعنى الأصلي توصلًا إلى المقصود ، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى .

قال السيد : وفيه ضعف ، لأن المعنى المكنى به قد لا يقصد ، وفي التضمين يجب القصد إلى كل من المضمَّن والمضمن فيه . ا هـ .

ولا يخفى أن « قد » علم القلة في عرف المصنفين . وجعلها المناطقة سُور الجزئية : فمن الغريب قول بعضهم : إن أراد أنه لا يقصد أصلاً فممنوع ؛ لتصريحهم بخلافه ، وإن أراد التقليل أو التكاثر لم يثبت المطلوب ، لأن عدم إرادته في بعض المواضع لا ينافي إرادته في بعض آخر .

وحاصل ما أشار إليه السيد : أن الكناية في بعض الأحيان لا يقصد منها المعنى الأصلي . ولو كان التضمين منها لا ستعمل استعمالها في وقت ما .

ويجاب — كما قال العصام — : بأنه قد يجب في بعض الكناية شيء لا يجب في جنسها ، ولذلك سمي باسم خاص . ا هـ .

فإن قيل : إذا شرط في التضمين وجوب إرادة المعنيين ، نافي الكناية ، لأن المشروط فيها جواز إرادته .

أجيب : بأن المراد بالجواز الإمكان العام المقيد بجانب الوجود ، لإخراج الحجاز ، لا الجواز بمعنى الإمكان الخاص ؛ لظهور أن عدم إرادة الموضوع له لا مدخل له في خروج الحجاز ، حتى لو وجب إرادته خرج أيضاً . وأورد بعضهم على قول السيد : إن التضمين يجب فيه القصد إلى المعنيين ، أنه ممنوع ، وادعى أنه وارد على طريق الكناية . قال : ألا ترى أن معنى الإيمان جعلته في الأمان ، وبعد

تضمينه بمعنى التصديق لا يقصد معناه الأصلي . وأرأيتك بمعنى أخبرنى . (١٠ هـ) وهو باطل ، لما أنه مفوت فائدة التضمين من أداء كلمة مؤدى كلمتين ، وجعل : « أرأيتك » بمعنى : أخبرنى من التضمين : غير ظاهر .

والسادس : أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز كما بيناه فى رسالتنا .

وذكر بعضهم فى التضمين قولاً آخر لو صح كان (سابعاً) وهو : أن دلالة غير حقيقية ؛ ولا تسجوز فى اللفظ ، وإنما التجوز فى إفضائه إلى المعمول ، وفى النسبة غير التامة . ونقل ذلك عن ابن جنى وقال ألا ترى أنهم حملوا : النقيض على نقيضه ، فعذوه بما يتعدى به ، كما عدوا : « أسر » بالباء ، حملاً : على « جهر » و « فضل » بعن حملاً على « نقص » ، ولا مجاز فيه قطعاً بمجرد تغيير صلتها ، وإنما هو تصرف فى النسبة الناقصة . ١١ هـ .

وهذا القول مخالف لما نص عليه ابن جنى فى الخصائص ، وقد تقدم كلامه فيها . ومن العجب أن هذا الناقل نقل كلامه فى الخصائص ، واستدل به المذهب فى التضمين جعله مغايراً لهذا ، وحمل النقيض على النقيض ليس من التضمين ولا قريب منه ليقرب به ، ولهذا قابله بعضهم به ، فإنه قال فى المغنى فى بحث « على » وقد تكلم على قوله : « إذا رضيت على بنو قشير » يحتمل أن يكون « رضى » ضمن معنى : « عطف » . وقال الكسائى : حمل على نقيضه وهو سخط . ١١ هـ . نسأل الله تعالى الرضا بغير سخط ، بفضله وكرمه .

وبقى قول آخر ، إن ثبت كان (ثامناً) واختاره المولى ابن كمال باشا حيث قال : وبالحملة لا بد فى التضمين من إرادة معنيين من لفظ واحد على وجه يكون كل منهما بعض المراد ، وبه يفارق الكناية ، فإن أحد المعنيين تمام المراد ، والآخر وسيلة إليه ، لا يكون مقصوداً أصالة . وبما قرناه اندفع ما قيل . والفعل المذكور إن كان فى معناه الحقيقى ، فلا دلالة له على الفعل الآخر ، وإن كان فى معنى الفعل الآخر ، فلا دلالة له على المعنى الحقيقى . وإن كان فيهما لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، ولا يمكن أن يقال ها هنا ما يقال فى الجمع بين المعنيين فى صورة التغليب ، لأن كلا من المعنيين ها هنا مراد بخصوصه . ١١ هـ . المقصود منه .

ولا يخفى أنه لم يظهر الدفاع الجمع بين الحقيقة والمجاز فى التضمين ، لما النحر الوافى - ثان

اعترف به من أن كلا من المعنيين مراد بخصوصه . ثم قال : إن التضمين على المعنى الذى قررناه ، لا اشتباه بينه وبين المجاز المرسل ، لأنه مشروط بتعذر المعنى الحقيقى ، وهو فيه متعذر ، نعم يلزم اندراجه تحت مطلق المجاز ، وبين أن الحق أنه ركن مستقل من أركان البيان . كالكناية والمجاز المرسل . وأنه فيه مندوحة عن تكلف الجمع بين الحقيقة والمجاز . وفى قوله : « إن المعنى الحقيقى فى التضمين غير متعذر » ، نظر ؛ لأنه متعذر بواسطة القرينة كما عرف مما مر ، ولا بد من المصير إلى المجاز ، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ لأن القرينة فى المجاز إنما تمنع من إرادة الحقيقة فقط ، فاحفظه فإنه مما يقع فيه الغلط .

ثم إنه علم من كلامه أن فى المذهب الذى اختاره السلامة من الجمع بين الحقيقة والمجاز اللزوم على بعض الأقوال . وهو القول الثانى المتقدم ، كما عرفت بتحقيقه مما مر . فدعوى أن شبهة الجمع فى التضمين مطلقاً واهية ؛ دعوى باطلة ، ولم يرد بذلك على السيد . كما لا يخفى على من راجع كلامه . وإن كلام السيد لا يتوهم فيه ذلك الجمع . فمن قال إنه اعترض عليه بذلك فقد افترى .

فى كلام ياسين ثمانية أقوال فى التضمين :

الأول : أنه مجاز مرسل . لأن اللفظ استعمل فى غير معناه لعلاقة وقرينة .
 الثانى : أن فيه جمعاً بين الحقيقة والمجاز للدلالة المذكور على معناه بنفسه ، وعلى معنى المحذوف بالقرينة .

الثالث : أن الفعل المذكور مستعمل فى حقيقته لم يشرب معنى غيره . « كما جرى عليه صاحب الكشف » ، ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب ، بمعونة القرينة اللفظية . كما ذكر السعد .

وقال السيد : « ذهب بعضهم إلى أن اللفظ مستعمل فى معناه الحقيقى . فقط ، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته » . وفيما مثل به جعل المحذوف أصلاً ، والمذكور مفعولاً « كأحمد إليك فلاناً » . أى : أنهى إليك حمده . يعنى أن المذكور يدل على ذلك كما يدل على الحال . وقد أراد السيد بيان وجه آخر ، ليفيد أن ذلك أمر اعتبارى لا يتحصر فيما قاله السعد .

الرابع : أن اللفظ مستعمل في معناه الأصلي ، فيكون هو المقصود أصالة ، ولكن قصد بتبعيته معنى آخر . فلا يكون من الكناية ولا الإضمار .

الخامس : أن المعنيين مرادان على طريق الكناية ، فيراد المعنى الأصلي ، توصلاً إلى المقصود ، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى .

السادس : أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز .

السابع : أن دلالة غير حقيقية ، ولا تَجَوِّزُ في اللفظ ، وإنما التجوز في إفضائه إلى المعمول ، وفي النسبة غير التامة . ونقل ذلك عن ابن جني . وقال : ألا ترى أنهم حملوا النقيض على نقيضه ، فعدوه بما يتعدى به ، كما عدوا : « أسر » بالباء حملاً على : « جهر » . « وفضل » بعن حملاً على : « نقص » . وقد علق هذا القول على الصحة .

الثامن : أنه لا بد في التضمنين من إرادة معنيين في لفظ واحد على وجه يكون كل منهما بعض المراد . وبذلك يفارق الكناية ، فإن أحد المعنيين تمام المراد ، والآخر وسيلة إليه لا يكون مقصوداً أصالة » وهذا اختيار ابن كمال باشا « وقد علق هذا القول على الثبوت .

وقال السيوطي في الأشباه والنظائر : قال الزحشري في شأنهم : يضمنون الفعل معنى فعل آخر ؛ فيجرونه مجراه ، ويستعملونه استعماله ، مع إرادة معنى المتضمن . قال : والغرض في التضمنين إعطاء مجموع معنيين . وذلك أقوى من إعطاء معنى . ألا ترى كيف رجع معنى (ولا تَعُدُّ عيناك عنهم) ، إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين - إلى غيرهم - (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) ، أي : ولا تضموها إليها آكلين . اهـ .

قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في حاشية الكشف : فإن قيل الفعل المذكور ، إن كان مستعملاً في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر ، وإن كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي . وإن كان فيهما جميعاً لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز :

قلنا : هو في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر بمعونة

القريئة اللفظية ؛ فعنى يقلب كفيه على كذا : نادماً على كذا ، ولا بد من اعتبار الحال ، وإلا كان مجازاً لا تضميناً . وكذا قوله (يؤمنون بالغيب) تقديره : معترفين بالغيب (انتهى) .

وقال ابن يعيش : الظرف منتصب على تقدير « في » وليس متضمناً معناها حتى يجب بناؤه لذلك ، كما وجب بناء نحو : « مَن وَكَمَ » في الاستفهام . وإنما « في » محذوفة من اللفظ لضرب من التخفيف ، فهي في حكم المنطوق به . ألا ترى أنه يجوز ظهور « في » معه . نحو قمت اليوم وقمت في اليوم . ولا يجوز ظهور الهمزة مع « مَن وَكَمَ » في الاستفهام ، فلا يقال أَمَن ؟ ولا أَكَم ؟ وذلك من قبل أن « مَن وَكَمَ » لما تضمننا معنى الهمزة صاراً كالمتشملين عليها . فظهور الهمزة حينئذ كالتكرار . وليس كذلك الظرف ، فإن الظرفية فيه مفهومة من تقدير « في » ولذلك يصح ظهورها .

ثم ذكر أن ابن جني قال في التضمين : « وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً . وقد عرفت طريقه ، فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنتس به ، فإنه فصل من العربية لطيف حسن » .

وقال ابن هشام في تذكرته : زعم قوم من المتأخرين — منهم خطاب الماردي — أنه قد يجوز تضمين الفعل المتعدى لواحد معنى : « صير » ويكون من باب : « ظن » فأجاز : حفرت وسط الدار بئراً ؛ أى : صيرت ، قال : وليس « بئراً » تمييزاً ، إذ لا يصلح لِمَنْ . وكذا أجاز : بنيت الدار مسجداً . وقطعت الثوب قميصاً . وقطعت الجلد نعلاً — . وصبغت الثوب أبيض إلخ . . .

قال : والحق أن التضمين لا ينقاس . وقال ابن هشام في المغنى : قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك : تضميناً . وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، ثم ذكر لذلك عدة أمثلة منها قوله تعالى : (وما فعلوا من خير فلن نُكْفِّرَنَّهُ) ضُمن معنى تُحَرِّمُوهُ . فعُدَى إلى اثنين لا إلى واحد ، ومنها : (ولا تعزموا عقدة النكاح) ضُمن معنى : تنووه . فعُدَى بنفسه لا بعلى . وقوله : (لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) ضُمن معنى « يُصْغَوْنَ » . فعُدَى بإلى ، وأصله أن

يتعدى بنفسه . ومثل : سمع الله لمن حمده . ضمن معنى : استجاب ، فعُدِّي باللام ، ومثل : « والله يعلم المفسد من المصلح » . ضمن معنى : يميز ، فجيء بمن . وذكر ابن هشام في موضع آخر : من المغنى : أن التضمن لا يتقاس . وكذا ذكر أبو حيان . ثم قال السيوطي :

« قاعدة » : المتضمن معنى شيء لا يلزم أن يجرى مجراه في كل شيء . ومن ثم جاز دخول الفاء في خبر المبتدأ المتضمن معنى الشرط ، نحو الذى يأتينى فله درهم . وكل رجل يأتينى فله درهم . وامتنع في الاختيار جزمه عند البصريين . ولم يجيزوا : الذى يأتينى أحسن إليه ، أو : كل من يأتينى أحسن إليه ، بالجزم ، إلا في الضرورة . وأجاز الكوفيون جزمه في الكلام تشبيها بجواب الشرط ، ووافقهم ابن مالك . قال أبو حيان : ولم يسمع من كلام العرب الجزم في ذلك إلا في الشعر . ١ هـ .

قال ابن هشام في المغنى : وهو كثير . قال أبو الفتح في كتاب التمام : أحسب لو جمع ما جاء منه ، لجاء منه كتاب . يكون مئين أوراقاً . ١ هـ .

قال الدبسوقي : قوله : وهو — أى التضمن — كثير ، وقوله : قال أبو الفتح ، دليل لقوله وهو كثير . « قوله قال أبو الفتح إلخ » هذا ربما يؤيد القول بأن التضمن قياسى ، وقيل البياني فقط . وظاهر أنه ليس كل حذف مقيساً ، وكذا المجاز إذا ترتب عليه حكم زائد . ١ هـ .

وقال ابن هشام في أوائل الباب الخامس من المغنى : وفائدة التضمن أن يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين ، يدل ذلك على أسماء الشروط والاستفهام .

قال الأمير : قوله « على معنى كلمتين » ظاهره الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وسبق الخلاف في ذلك . قال ابن جنى : لو جمعت تضمينات العرب ملأت مجلدات ، فظاهره القول بأنه قياسى . قوله أسماء الشروط مثلاً « مَنْ » معناها العاقل ، وتدل مع ذلك على معنى إن ، والهمزة . ١ هـ .

وقال ابن هشام في معاني الباء من المغنى : (الثالث عشر) الغاية ، نحو : (وقد أحسن بي) ، أى : إلى . وقيل ضمن أحسن معنى : لطف . ١ هـ .

قال الأمير : ظاهره كقولهم التضمن إشراب الكلمة معنى آخر ، وأنه مجاز ،

أو حقيقة ملوحة ، أو جمع بينهما ؛ يقتضى مغايرة المعنيين ، ولا يظهر في الإنسان واللاطف . فالأولى أن التضمين إلحاق كلمة بأخرى لاتحاد المعنى أو تناسبه ، ويأتى الكلام فيه ، وهل هو قياسى أو البيانى ^(١) لأنه مجرد حذف لدليل إن قلنا بمغايرته للنحوى . ا هـ .

وقال الملوى على السلم : « وذلت فيه صعاب المشكلات على طرف الثام » . فقال : الصبان : « الثام » بضم المثلثة : نبت ضعيف يشد به فرج السقوف ، والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف : أى : ووضعتها ، فهو من باب حذف الواو مع ما عطنته لعدم اللبس ، أو : « بذلت » ، على تضمينه معنى « وضعت » تضميناً نحويّاً . وقد نقل أبو حيان فى ارتشافه عن الأكثرين أنه ينقاس ، فهو من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز .

أو بحال محذوفة من فاعل ذلت ، أى : واضعاً لها ، أو من مفعوله : أى : موضوعة ، فعلى هذين التضمين بيانى ، وهو مقيس . ا هـ .

وقال الصبان على الأشمونى : إن التضمين النحرى إشراب كلمة معنى أخرى ، بحيث تؤدى المعنيين ، والتضمين البيانى تقدير حال تناسب الحرف . وتمنع كون التضمين النحرى ظاهراً عن البيانى ، للخلاف فى كون النحوى قياسياً ؛ وإن كان الأكثرون على أنه قياسى ، — كما فى ارتشاف أبى حيان — دون البيانى فاعرفه . ا هـ . أى : فلا خلاف فى كونه قياسياً ، كما أشار إليه قبل بقوله : « وهو مقيس » .

وقال صاحب التصريح فى آخر الكلام فى المفعول معه : « واختلف فى التضمين : أهو قياسى أم سماعى ، والأكثر على أنه قياسى . وضابطه أن يكون الأول والثانى يجمستان فى معنى عام . قاله المرادى فى تايخيصه . ا هـ . » وكلامه فى النحوى . وقال ياسين على القطر فى أن « التضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر » هو أحد أقوال خمسة فى التضمين . والمختار منها عند المحققين أن اللفظ مستعمل فى معناه الحقيقى ، مع حذف حال مأخوذ من اللفظ الآخر ، بمعونة القرينة اللفظية . فعنى « يقاب كفيه على كذا » : أى : نادماً على كذا . وقد

يعكس كما في (يؤمنون بالغيب) ، أى : يعترفون به مؤمنين ، وبهذا يتوقع أن اللفظ المذكور إن كان في معناه الحقيقي فلا دلالة على الآخر ، وإن كان في معنى الآخر فلا دلالة على المعنى الحقيقي ، وإن كان فيهما لزم الجمع بين الحقيقة والحجاز .

* * *

لقد ذكرنا طائفة من أقوال العلماء في التضمين ، وذكرنا القول بأنه سماعي ، والقول بأنه قياسي ، ورأيناه قوة في القول بأنه قياسي . ونقلنا فيما تقدم أن التضمين ركن من أركان البيان . فإن ذهبنا إلى القول بأنه قياسي ، قلنا إنما يستعمله العارف بدقائق العربية وأسرارها على نحو ما ورد . وإنك لتجد كثيراً في عبارات المؤلفين فيها التضمين . فمن ذلك عبارة المازي السابقة ، ومن ذلك قول ابن مالك « وأستعين الله في ألفية » : فقد جوز الأشموني أنه ضمن أستعين معنى : أستخير ، ونحوه مما يتعدى نبي .

ذكرنا القول بأن التضمين سماعي . ومعناه أنه يحفظ ولا يقاس عليه . وذكرنا قول القائلين إن التضمين النحوي قياسي عند الأكثرين . وأن التضمين البياني قياسي بإجماع النحويين . وقد ذكر ابن جني في الخصائص أنه لو نقل ما جمع من التضمين عن العرب لبلغ مئين أوراقاً .

والتضمين مبحث ذو شأن في اللغة العربية . وللعلماء في تخريجه طرق مختلفة فقال بعضهم : إنه حقيقة . قال بعضهم : إنه مجاز . وقال آخرون : إنه كناية ، وقال بعضهم : إنه جمع بين الحقيقة والحجاز على طريقة الأصوليين ، لأن العلاقة عندهم لا يشترط فيها أن تمنع من إرادة المعنى الأصلي . . .

فإذا قررنا التضمين قياسي ، فقد جرينا على قول له قوة . وإذا قلنا إنه سماعي ، فقد يعترض علينا من يقول إن من علماء اللغة من يرى أنه قياسي . فلماذا تضيقون على الناس . وما جئتم إلا لتسهلوا اللغة عليهم ؟

فنحن نثبت القولين بالقياس وبالسمع . ولكننا نرجح قياسيته ، والقول بجواز استعماله للعارفين بدقائق العربية وأسرارها . ولا يصح أن نحظره عليهم . لأنه داخل في الحقيقة ، أو : الحجاز ، أو : الكناية . والبلغاء يستعملونه في كلامهم بلا حرج ،

فكيف نسد باب التضمين في اللغة ، وهو يرجع إلى أصول ثابتة فيها ؟

وأقول بعد هذا : لا بد من قيود تضبط بها استعمال التضمين . وقد رأى بعض الزملاء أن يقصر التضمين على الشعر . وفي هذا قصر للحقيقة ، أو للمجاز ، أو للكناية ؛ — وهى الأصول التى يخرج عليها التضمين — على فن من الكلام دون آخر . وهذه الأمور الثلاثة تقع في الشعر والنثر بلا قيد ولا شرط .

على أن الشعر من أكثر فنون القول ذيوغاً . والناس يحفظون الشعر ويجرون على أساليبه في الكتابة والخطابة . فإذا أجزنا التضمين في الشعر وحده ، وقعنا في الأمر الذى نفر منه . ونحن هنا نقرر الحقائق العلمية . ونرجح منها ما يستحق الترجيح تحقيقاً لأغراضنا .

انتهى البحث

* * *

حضرة رئيس الجلسة : يتفضل الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين بتلاوة بحثه في التضمين^(١) .

حضر العضو المحترم الأستاذ الخضر حسين : للتضمين غرض هو الإيجاز . وللتضمين قرينة ، هى تعدية الفعل بالحرف وهو يتعدى بنفسه ، أو تعديته بنفسه وهو يتعدى بالحرف . وللتضمين شرط هو وجود مناسبة بين الفعلين . وكثرة وروده في الكلام المنشور والمنظوم تدل على أنه أصبح من الطرق المفتوحة في وجه كل ناطق بالعربية ، متى حافظ على شرطه ؛ وهو ؛ مراعاة المناسبة .

فإذا لم توجد بين الفعلين العلاقة المعتبرة في صحة المجاز كان التضمين باطلا . فإذا وجدت العلاقة بين الفعلين ولم يلاحظها المتكلم ، بل استعمل فعل : « أذاع » مثلاً — متعدياً بحرف الباء على ظن أنه يتعدى بهذا الحرف لم يكن كلامه من قبيل التضمين ، بل كان كلامه غير صحيح عربية .

فالكلام الذى يشتمل على فعل عدى بحرف وهو يتعدى بنفسه ، أو عدى بحرف وهو يتعدى بغيره ، يأتى على وجهين :

(١) وهو البحث الثانى في الموضوع نفسه قد استمع له الأعضاء في الجلسة ذاتها بعد الأول — كما أشرنا في هامش ص ٥٦٤ — .

الوجه الأول : ألا يكون هناك فعل يناسب الفعل المنطوق به ، حتى تخرج الجملة على طريقة التضمين . ومثل هذا نَصِفُهُ بالخطأ ، والخروج عن العربية ، ولو صدر من العارف بفنون البيان .

الوجه الثاني : أن يكون هناك فعل يصح أن يقصد المتكلم لمعناه مع معنى الفعل الملفوظ ، وبه يستقيم النظم ، وهذا إن صدر ممن شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية ومعرفة طرق استعمالها حمل على وجه التضمين الصحيح ، كما قال سعد الدين التفتازاني . « فشمرت عن ساق الجلد إلى اقتناء ذخائر العلوم » والتشهير لا يتعدى إلى ، فيحمل على أنه قد ضمن شمر معنى : « الميل » الذي هو سبب التشهير عن ساق الجلد .

فإن صدر مثل هذا من عامي أو شبيه بعامي^(١) ، أي : ممن يدلك حاله على أنه لم يبن كلامه على مراعاة فعل آخر مناسب للفعل الملفوظ ، كان لك أن تحكم عليه بالخطأ . فلا جناح عليك أن تحكم على قول العامة مثلاً — أرجو الله قضاء حاجتي ، باللحن والخروج عن قانون اللغة الفصحى . لأن فعل الرجاء لا يتعدى إلى مفعولين . وليس لك أن تخرجه على باب التضمين . كأن تجعل « أرجو » مشرباً بمعنى « أسأل » بناء على أن بين الرجاء والسؤال علاقة السببية والمسببية ، فإن هذا الوجه لم ينظر إليه أولئك الذين استعملوا فعل « أرجو » متعدياً إلى المفعولين .

ومن هنا نعلم أن من يخطئ العامة في أفعال متعدية بنفسها ، وهم يُعَدُّونها بالحروف ، مصيب في تخطئته ، إذ لم يقصدوا لإشراب هذه الأفعال معاني أفعال أخرى تناسبها ، حتى يخرج كلامهم على باب التضمين .

وليس معنى هذا أن التضمين سائغ للعارف بطرق البيان دون غيره ، وإنما أريد أن العارف بوجوه استعمال الألفاظ ، لا نبادر إلى تخطئته ، متى وجدنا لكلامه مخرجاً من التضمين الصحيح . أما غيره كالتلاميذ ، ومن يتعاطى الكتابة من غير

(١) تكرر هذا الكلام من الباحث وغيره . والنفس لا ترتاح إليه : لجواز أن يكون العامي — بل غير اللغوي ، مطلقاً — مقلداً للغوي ، بقصد ، أو بغير قصد في هذا الاستعمال ، كالشأن في كثير من أمور اللغة . وإنما الذي ترتاح له النفس ويجب أن يتجه إليه الحكم ويقتصر عليه دائماً هو أن هذا التعبير أو ذاك صحيح لغوياً أو غير صحيح .

أن يستوفى وسائلها ، فإن قام الشاهد على أنه نحا نحو التضمين ، كما إذا اعترضت عليه في استعمال الفعل المتعدى بنفسه متعدياً بحرف ، فأجاب بأنه قصد التضمين وبين الوجه ، فوجدته قد أصاب الرمية ؛ فقد اعتصم منك بهذا الجواب المقبول ، ولم يبق لاعتراضك عليه من سبيل .

وإن قام شاهد على أن المتكلم لم يقصد التضمين ، وإنما تكلم على جهالة بوجه استعمال الفعل ، كان قضاؤك عليه بالخطأ قضاء لا مرد له . فصحيح ما يكتبه التلاميذ ونحوهم ، يجب عليه أن يرد الأفعال إلى أصولها ، ولا يتخذ من التضمين وجهاً لترك العبارة بجالها ، والكاتب لا يعرف هذا الوجه ، أو لم يلاحظه عند الاستعمال^(١) .

فالتضمين صلة بقواعد الإعراب من جهة تعدى الفعل بنفسه أو تعديه بالحرف ، وصلة بعلم البيان من جهة التصريف في معنى الفعل ، وعدم الوقوف به عند حد ما وضع له ، ومن هذه الناحية لم يكن كبقية قواعد علم النحو ، قد يستوى في العمل بها خاصة الناس وعامتهم .

حضرة العضو المحترم الأستاذ الشيخ أحمد على الإسكندري : رجعت إلى أقوال العلماء بعد المناقشة التي دارت أمس ، فوجدت أن القائلين بسماعية التضمين إنما يخشون أن يحدث في اللغة فساد واضطراب في معاني الأفعال إذا أباحوه للناس ، مع أنهم يسلمون أن ما ورد من التضمين كثير يجمع في مثنى أوراقاً .

وقد شرط القائلون بقياسية التضمين شرطين وهما :

- ١ - وجود المناسبة .
- ٢ - وجود القرينة .

ثم تأملت في وظيفة علوم البلاغة وخاصة علم المعاني ، فوجدت أن موضوعه إن هو إلا بيان الذوق المعبر عنه عندهم « بمقتضى الحال » . وكذلك رأيت الشرطين اللذين اشترطهما العلماء قديماً للتضمين غير كافيين . فرأيت أن نضيف إليهما قيداً ثالثاً ، هو « موافقة العبارة التي فيها التضمين للذوق العربي » وذلك ما تنشده علوم البلاغة .

(١) هذا الرأي يحتاج إلى قوة تأييد وإقناع ، فهو على حاله غير مقبول - انظر هامش الصفحة

ثم قلت : هل للذوق حد ؟ ففطنت إلى وجوب تقييد الذوق بالبلاغي ، وهو الذى وضعت علوم البلاغة العربية لتحديد ضوابطه .

وبعد ذلك رأيت أن أُلخص مناقشات اللجنة والمجمع ومذكرتي^(١) التى قدمتها فى القرار الآتى :

« التضمين : أن يؤدى فعل أو ما فى معناه فى التعبير ، مؤدى فعل آخر أو ما فى منعه ، فيعطى حكمه فى التعدية واللزوم . ومجمع اللغة العربية يرى أنه قياسى لا سماعى بشروط ثلاثة .

الأول : تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثانى : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .

الثالث : ملائمة التضمين للذوق البلاغى العربى » .

حضرة العضو المحترم الشيخ حسين والى : التضمين سواء أخرج على الحقيقة أم على المجاز أم على الجمع بين الحقيقة والمجاز ، لا يستعمله إلا البلغاء العارفون بأسرار اللغة ، وإذا لا يستعمله العامة إلا إذا جارينا من يقول إن العامة لا يزال عندهم بقية من الذوق العربى والبلاغة .

وأرى أن نأخذ رأى أولاً على أن التضمين قياسى ، ثم نأخذ رأى على الشروط التى نشترطها لإباحته .

حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى : أريد أن أعرف ما فائدة « التضمين » الذى نبحث فيه هذا البحث الطويل . إن كل ما فهمته من كلام فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين أن فائدته الإيجاز ، أى : أن تؤدى الكلمة معنى كلمتين . وفى اللائحة التى وضعناها نص يوجهنا إلى العمل لتيسير اللغة على الناس . والذى يريد أن ييسر اللغة على الناس لا يكلفهم العمل الشاق الطويل لمعرفة كلمات تؤدى الواحدة منها معنى كلمتين . ولعل هذه الكلمات لا تزيد على مائتى كلمة ، فلا أجدُ الفائدة كبيرة بتقسيم الناس إلى خاصة وعامة ، وطفل وبالغ ، وبلغ له

(١) طبعت مذكرة حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد الإسكندرى فى التضمين ملحقة بمحضر هذه الجلسة .

ذوق العرب البلاغى ، وآخر ليس له هذا الذوق ، لأنه لم يدرس العربية العلوم التى تفيد الذوق على رأى الأستاذ الإسكندرى . قالوا إن القانون الرياضى والقانون الطبيعى أولى القوانين بالاحترام ، لأنه لا يتخلف . والعلوم المختلفة الآن تتجه اتجاه الرياضيات والطبيعات ، فيحاول أصحابها أن يجعلوا قوانينها كقوانين الرياضيات فى الدقة والضبط وعدم الاستثناء .

وأريد أن نرقى باللغة العربية إلى مصاف العلوم ذات القوانين الثابتة التى يقل فيها الشذوذ والاستثناء .

الغرض من عملنا المحافظة على اللغة وتيسيرها . فهل نتحكم فى « تطور » اللغة وذوقها من أجل مائتى كلمة لطبقة خاصة . هذا عمل — على ما أرى — ليس من خدمة اللغة التى نسعى لخدمتها . نحن الآن نقرر الواقع الذى تقرر منذ أزمان طويلة . فنقول : إن التضمين قياسى أو سماعى . وكنت أظن أن المجمع يدرس الواقع ، ويسمو فوقه ، فيقرر ما من شأنه أن يحقق حاجات الرقى الحاضر .

قد يكون المثل الأعلى للبلاغة العربية ما يراه بعض الأعضاء فى علوم البلاغة وبعض نماذج معروفة ، والذى يخيل إلى أن التقدم لا ينبغى أن يقيد بمثل أعلى واحد . فإذا كان تقدم اللغة ينتهى عند معرفة ما قررته علوم البلاغة ، فليس هذا عندى تقدماً . واللغة تتطور مع العصور . وكل هذا يبيح لى ألا ألتزم أمراً إلا بمقدار ، وأرى أن هذا القرار لا يوصلنى إلى غايتى .

كل اللغات « تتطور » . فلماذا نريد أن نقف بلغتنا ؟ ولو أن كاتباً فرنسياً أو إيطالياً اليوم أراد أن يرجع إلى أساليب القرن الخامس عشر مثلاً ، تشبهاً بكاتب قديم ، لقليل إنه متحذلق . ونحن كأولئك . فلماذا نتعمل ونجهد أنفسنا ونقول بالتضمين ؟

والذى أراه أن نقر الماضى على أنه تاريخ ، ونتقدم نحن خطوة أخرى ، فنقرر أشياء جديدة لا تنافى تاريخ اللغة ، وهى مع ذلك تفى بحاجات العصر الحاضر .

وأنا لا أزال على رأيى . فلا أقبل التضمين إلا إذا اضطررت إليه الشعر أو السجع ، وفى غير ذلك نجرى الأفعال فى معانيها الأصلية .

حضرة العضو المحترم الدكتور فارس نمر : أرى أن كل واحد منا ينظر إلى المسألة من « زاوية » غير التي ينظر منها الآخر ، على حد تعبير الرياضيين ، وأرجو أن تسمحوا لي أن أورد بعض أمثلة خبرتها بنفسى .

فعند ما كنت أدرس الحروف واستعمالها ، عرفت أن « متى » تكون بمعنى « من » كما فى قول الشاعر :

شربن بماء البحر ثم تَرَفَّعتْ متى للبحرِ خُضْرُ لهن نَشِيج

فأردت أن أبين لأستاذى أنى حفظت هذا الشاهد وأريد القياس عليه فى كتابتى ، فكتبت له هذه العبارة : « إن صديقى ينتظرنى فخرجت متى منزلى إلى السوق » فأكرر على قولى . فقلت : إنه على حد قول القائل : أخرجها متى كُـمَّه ، أى : من كمه ، فحار أستاذى ، ولم يدر أيمعنى من استعمال الحرف أم يوافقنى عليه ؟

والذى أريده من الأستاذ الشيخ الخضر حسين أن يجيبنى : هل يوافق على أن نستعمل مثل هذه العبارات فى العصر الحاضر ؟ .

أنا أجل علماء اللغة ، وأحترم ما قالوه ، ولا أنازع فى قياسية التضمين أو سماعيته ، وإنما أريد أن نسهل اللغة على الناس عامة ، فتتخير اللغة السهلة الصريحة ، ونضع أساساً ، ونحكم حكماً يلائم هذا العصر ، ونسهل على علمائنا وكتابنا الكتابة والتأليف ، ليكون المجمع ثقة ومرجعاً للناس .

حضرة العضو المحترم الأب أنستاس الكرملى : أوافق على ما قال الدكتور منصور فهمى ، والدكتور نمر ، وفى ذكر الشواهد وغيرها تطويل ، وقد اختصرت قرار المجمع ووضعت فى الصيغة الآتية :

« يعمل بالتضمين بنوع عام لوروده فى كثير من الآيات القرآنية ، وفى الشعر القديم والمخضرم والإسلامى ، بشرط ألا يقع فى التضمين لبس فى التعبير ، ولا إخلال بالمعنى » .

حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد على الإسكندرى : كلام الأب المحترم يفيد قياسية التضمين ، وشرط عدم اللبس هو ما ذكرناه ، ونحن ما اخترنا البحث فى التضمين إلا لنسهل على الناس الكتابة والكلام ، لأنه إذا اتسع مجال القول ،

كان في ذلك رخصة وتيسير . وما قصدنا إلى هذا البحث إلا لأن بعض المتحذلقين من النقاد يأخذون على بعض الشعراء والكتاب مآخذ ترجع إلى تعدية الأفعال بحروف لا تتعدى بها . ويردون استدلالهم إلى المعاجم دون القواعد اللغوية والنحوية . فإذا قلنا بترجيح قياسية التضمين ، فإنما نقصد بهذا توجيه مثل هؤلاء النقاد إلى أشياء غابت عنهم ، ونيسر في الوقت ذاته على الكتاب والشعراء مجال القول والكتابة ، فنزيد الثروة اللغوية بتعدد أساليب التعبير وصوره . وإني أقرر أن عمل المجمع لا يقف عند ذكر الآراء المختلفة ونصوص العلماء ، وإنما يذكرها ليوازن بينها ويرجح رأياً على رأي ، إذا رأى أن في هذا الترجيح فائدة . والمجمع يقرر الجديد ، متى كان موافقاً للذوق البلاغي والقواعد الصحيحة . ولا ينبغي أن يكون ذوق العامة حجة على أهل اللغة ، وقياس لغتنا على اللغات الأوروبية قياس مع الفارق ، وفائدة التضمين لا تقتصر على مائة كلمة أو مائتين ، وإنما هو باب واسع يتعلق بجميع الأفعال في اللغة العربية ، ولكننا لا نبیح التضمين على إطلاقه ، لأن هذا يجر إلى الفوضى والفساد في اللغة . ولهذا نشترط له شروطاً خاصة .

* * *

حضر العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش : إذا قلنا إن التضمين قياسي ، فقد وافقنا القدماء . وإذا قلنا إنه سماعي فقد وافقناهم في ذلك أيضاً . أما إذا قلنا إنه قياسي بشرط أن يسيغه الذوق ، فهذا تلفيق بين المذهبين . ونحن كمجمع ينبغي ألا نرجع المسألة إلى الذوق ، لأن ذلك رد إلى مجهول ، فلا بد إذاً أن نضع ضوابط وأمثلة نقدمها للجمهور ليحتذيها .

حضرة العضو المحترم الأستاذ نلينو : استفدت كثيراً من المناقشة في هذا الباب . وعلى الرغم من أني أستحسن قرار الإسكندري بقيوده التي وضعها ، فإني أرى أن فتح باب التضمين في عصرنا يجر إلى كثير من الخطأ ، لأننا لا نستطيع أن نميز الخاصة من العامة .

حضرة العضو المحترم الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف : (قدم اقتراحاً مكتوباً طلب فيه أن توضع أمثلة للتضمين ليحتذيها الناس) .

حضرة العضو المحترم الشيخ حسين والي : قال بعض حضرات الأعضاء :

ما أتت به اللجنة من الكلام في التضمين معروف . والمجمع ألف لجنته للبحث في التضمين ، وكتابة تقرير فيه . فبحثت اللجنة ، وكتبت التقرير ، وذكرت آراء العلماء ؛ ووجدت أن القول بقياسيته أقوى من القول بسماعيته ، ثم رفعت عملها إلى المجمع وهو صاحب رأى فيه . فلا لوم علينا في نقل كلام القدماء .

أما ما قاله حضرة الدكتور منصور فهمى من أن فائدة التضمين الإيجاز . وهو فائدة يسيرة . فلا نقره عليه ، لأن الإيجاز مقصد من مقاصد البلغاء : وأصل من أصول الأساليب اللغوية .

وأما القول بأن التضمين يفتح باب الخطأ والفساد في اللغة ، فهذا صحيح ، ولكن علاج هذا أن يتعلم الناس قواعد لغتهم التي تعصمهم من الوقوع في الخطأ . فكما أن إغفال الاشتقاق والتصريف يجر إلى الخطأ فيهما ، كذلك يجر إهمال قواعد التضمين وضوابطه إلى الخطأ في الأسلوب . فإذا ثابروا على تعليم قواعد اللغة في المدارس مثلاً ، انتشرت الأساليب الصحيحة وذاعت ، وفتح باب التضمين يسهل اللغة على الناس . أما القول بسماعيته فهو التضييق والحجر . وإذا قلنا بهذا فربما جاء زمان يقول فيه الناس كان باب التضمين مفتوحاً بالقياس ، فسده مجمع اللغة العربية ، وأنه لا بد من سبب اضطره إلى هذا . فإذا قرأ الناس ما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية من التضمين ، توهّموا أو ظنوا أن فيها شيئاً حمل المجمع على حظر التضمين على الناس .

وأما قول حضرة الدكتور منصور إن فائدة التضمين محصورة في مائتي كلمة ، فهذه مبالغة ، لأننا على أى وجه خرجناه فقد خرجنا على ما هو قياسى : من حقيقة أو مجاز ، أو كناية ، وهذه أمور مقيسة لا تحصر .

والقول بقصره على الشعر والسجع — مع أن شأنهما الشيوع — يوقعنا فيما نريد الفرار منه .

واللجنة قد أدت عملها ، وهو البحث في مسألة التضمين ، وبقى الكلام في اتقاء الخطأ الذى يقع فيه العامة ، فإذا رأى المجمع أن اتقاء ذلك يكون بقصر استعمال التضمين على العارفين باللغة ودقائقها ، فإلى أوافق عليه . وإذا رأى المجمع أن يرحى بت الكلام في التضمين ، فله ما يرى .

حضرة رئيس الجلسة : لا بد أن نقر فيه اليوم قراراً .

حضرة العضو المحترم الأستاذ فيشر : أنا موافق على ما قال الدكتور منصور فهمى والأب الكرمل . وقولهما بالتقريب هو قول فقهاء اللغة الأوربيين العصريين في حياة اللسان وتقدمه وتبريقه . حسن عندهم ما يرد في الأشعار المشهورة وفي كتب الأدب الحسنة وما يسمع من ناس كثيرين . والسماع عندهم أولى من القياس .

حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد على الإسكندري : أرى أن أضيف في آخر القرار الذي اقترحه العبارة الآتية : « ويوصى المجمع ألا تستعمل هذه الرخصة في كتابة المبتدئين ، ولا في الكتابة العلمية » .

حضرة العضو المحترم محمد كرد علي (بك) : لا أرى ، وقد ضبطت اللغة وقررت قواعدها وأصول بلاغتها ، أن نقر شيئاً جديداً في التضمين ، لأنني أخشى أن يفتح الباب لكل كاتب أو شاعر أن يخترع أموراً وتعابير تزيدنا اضطراباً ولا يقرها القدماء الذين عرفوا ضوابط اللغة برومتها ، وعللوا في هذه المسألة مسألة التضمين التي نحن بصدددها ، فقال قوم بقياسيتها وآخرون بسماعيتها إلخ . وإذا كان لا بد من التعرض لهذه المسألة التي قتلها زملائي بحثاً كاد يخرجنا عن الغرض الذي نتوخاه — إذا كان لا بد من التعرض لهذه المسألة ، فأرى إجراء تعديل خفيف في صورة القرار الذي اقترحه الأستاذ الإسكندري ، أونسكت الآن عن هذه المسألة وهو الأولى ، ونصرف جهدها إلى العمليات لنخرج أولاً للأمة ألفاظاً وتعابير تشتد الحاجة إليها من ألفاظ العلوم والفنون ، وبذلك نكون قد قمنا بالجزء العملي من واجب المجمع .

حضرة العضو المحترم الشيخ حسين والي : قال بعض حضرات الأعضاء إن التضمين لا يقبل منه إلا ما يستسيغه الذوق البلاغي ، فماذا تحدون الذوق البلاغي ؟

حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد على الإسكندري : وضعت كلمة الذوق البلاغي العربي ، اتقاء لحذقة بعض الناس ، مثل كتاب : « البرازيل » وغيرها ممن خرجوا على قواعد اللغة وأساليبها ، حتى صار كلامهم يشبه الرطانة ، فإذا جاءنا واحد من هؤلاء وقال إن هذا ذوقي الخاص ، قلنا له إنك تخالف الذوق العربي الذي لا يزال ثابتاً بحكم الفطرة والسليقة في البلاد العربية ، والذي يجري على قواعد اللغة والبلاغة ولا ينفر منها .

حضرة العضو المحترم الشيخ حسين والى : أنكتفى بعبارة الذوق البلاغى ، ويكون هذا مرجعنا عند الاختلاف ، أم نأتى بأمثلة ضوابط ؟

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش : نريد ألا يرد الأمر إلى الذوق ، بل نستخرج ضوابط بعد درس أمثلة ؟

حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد على الإسكندرى : المتقدمون لم يدونوا قواعدهم إلا بعد الاستقصاء ، ولا نريد أن نبحت فى أصول القواعد من جديد ، فكل هذا قد فرغ منه العلماء قبلنا بأكثر من ألف سنة .

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش : المجمع مكلف تقديم تراكيب صحيحة لتتبع ، وتراكيب فاسدة لتجنب ، ورجع الناس إلى الذوق لا معنى له وكأننا لم نعمل شيئاً ، وابن جنى وغيره لم يكلفوا تقديم تراكيب للأمة .

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم : هل ترى أن يقال ؛ الذوق العربى .

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش : الذوق العربى يختلف .

حضرة رئيس الجلسة : أتريد أن نحذف كلمة « الذوق » ؟

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش : لا ، ولكننى أريد أن نضع ضوابط لنحدد ما الذوق ؟ .

حضرة العضو المحترم الدكتور فارس نمر : التضمين صحيح ، وموضوعه عربى ، ولكن المجمع يجب أن يقدم الحقيقة على اتباع التضمين إلا حيث تكون ضرورة : حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى : نقول : « ويوصى المجمع ألا يستعمل التضمين فى الكتابة العامة » .

حضرة العضو المحترم الشيخ أحمد على الإسكندرى : أوافق على هذا ، والأصل ألا تخرج عن الحقيقة إلا لنكتة بلاغية .

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى (بك) أقترح أن يقال : « ويوصى المجمع ألا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغى » .

فوافق أكثر الأعضاء على هذا .

وأمر رئيس الجلسة أن يقرأ نص القرار النهائى ، وهو :

القرار

« التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم » .

ومجمع اللغة العربية يرى أنه قياسى لا سماعى ، بشروط ثلاثة .

الأول^١ : تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثانى : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .

الثالث : ملائمة التضمين للذوق العربى .

ويوصى المجمع ألا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغى .

فوافق أكثر حضرات الأعضاء على هذا النص^(١) .

(١) الذى ألاحظه فى هذا القرار أن شروط « التضمين » المذكورة هى الشروط البلاغية المعروفة فى المجاز ، حتى الشرط الثالث ، فقد نص عليه القدامى لإبعاد المجاز عن القبح . وإلى المجاز ترتاح النفس أكثر من غيره ، وهو رأى كثير من أئمة القدماء ، فلم العناية ، والكد ، والجدل العنيف بين المذاهب المتعددة التى تضمنها البحاثان المجمعان ؟

وشئ آخر أهم من اعتباره مجازاً ، هو أن تلك المذاهب - على تشعبها وعنفها - لم تستطع أن تثبت فى جلاء و يقين ، أن اللفظ الوارد قديماً الذى جرى فيه « التضمين » ليس حقيقة لغوية أصيلة ، وأنه تضمن حقاً معنى لفظ آخر ، فأدى « التضمين » إلى تعدية الأول أو لزومه من طريق العدوى الناشئة من الاتصال والمناسبة بينهما ، نعم لم تستطع نفي الحقيقة الأصلية عنه ، وإثبات ما يسمونه : « التضمين » لأن تلك التعدية أو ذاك اللزوم الحادثين من العدوى لا يصلحان دليلاً مقنعاً على وقوع « التضمين » : لأنها عدوى وهمية ، إذ قد يكون اللفظ الذى دخله التضمين فى وهمهم - هو فى أصله لازم أو متعد من غير علاقة له بلفظ آخر تؤثر فيه .

لقد ورد إلينا اللفظ لازماً أو متعدياً فى كلام قديم كثير يحتج به ، فالدليل القوي على أن تعديته أو لزومه ليست أصيلة من أول أمرها ، وليست مجازاً ، وإنما جاءت من الطريق الذى يسمونه : « التضمين » ؟ ليس فى كلامهم مقنع فيما أبى . بل إن اللفظ اللازم أو المتعدى إذا ورد مسموعاً بإحدى هاتين الحالتين فى كلام قليل ولكنه صحيح فصحى كان ورود هذا أصيلاً فى الحقيقة اللغوية ، ولا يخرج عن أنه معنى حقيقى كثرة وروده فى كلام آخر مسموع يشيع فيه معنى مغاير ؛ لأن الحكم على اللفظ بالخروج عن معناه الحقيقى ليس راجعاً إلى قلة استعماله فى صورة ، وكثرة استعماله فى صورة أخرى ، وإنما يرجع إلى وجود دليل على أن أحد الاستعمالاتين سبق وجوداً عند العرب وأقدم ميلاداً ، فالأسبق - وحده - هو الحقيقى ، وأنهم يريدون منه معنى محدوداً دون غيره . ولا اعتبار لغير « الأسبقية » هنا .

= ثم ما هذا الذوق العربي الذي يريده المجمع ؟ وكيف يحدد ؟ ولم يقتصر « التضمين » على الفعل دون ما يشبهه ، كما جاء في الشرط الأول الذي أقره المجمع وارتضاه ؟ اللهم إلا إذا كان يريد الفعل وما يشبهه ، كما يفهم من سياق البحث .

وبعد : فما زالت أدلة « التضمين » واهية . منهارة - إن صح تسميتها أدلة ! ! - ولم أجد في الآراء السالفة كلها ، ولا في أمهات المراجع التي صادفتها ما يزيل الضعف . والرأي الأقوى في جانب الذين يمنعون من عرضنا أسماءهم فيما سبق ، أو لم نعرض . ومن هؤلاء الشهاب الخفاجي في « طراز المجالس » - ص ٢١٩ - حيث يصرح بأنه سماعي . وكالدماميني في كتابه : « نزول الغيث » - ص ٥٦ - حيث يقرر أن تضمين فعل معنى آخر يأباه كثير من النحاة . وكأبي حيان فيما نقله السيوطي في « المعجم » - ج ١ ص ١٤٩ - مصرحاً بقوله : « التضمين لا ينقاس » وغير هؤلاء كثير . بل إن الذين يقصرونه على السماع لم يستطيعوا إثبات أنه ليس بحقيقة ، وليس بمجاز ، ولا بشيء مركب منها ، وإنما هو نوع جديد اسمه : « التضمين » لم يستطيعوا ذلك ، لأن العرب الفصحاء نطقتوا بالفعل - أو بما يشبهه - متعدياً بنفسه مباشرة ، أو غير متعد إلا بمعونة حرف جر معين ، فكيف يسوغ لقائل بعد هذا أن يقول : إن هذا الفعل لم يتعد إلى معموله إلا من طريق التضمين ، بحجة أن هذا الفعل لا يُعرف فيه التعدى إلا بهذه الوسيلة ؟! كيف يقول هذا محتجاً به مع أن الناطق بالفعل المتعدى - وشبهه - هو القرآن الكريم أو العربي الفصيح الذي يحتاج بكلامه من غير خلاف في الاحتجاج ؟

ما الدليل على أن الفعل وشبهه متعد أو غير متعد من طريق « التضمين » وحده ، ونحن نراه متعدياً بواسطة حرف الجر ، أو بغير واسطة ، ولا دليل معنا على أسبقية أحد الفعلين في الوجود والتعدى وعدمه ؟ الحق أن إثبات التضمين أمر لا تطمئن له نفس المتحرى المتحرر ، ولا سيما إذا عرفنا أن كل فعل - أو شبهه - لا يكاد يؤدي معناه مع « التعدية » دون أن يكون هناك فعل آخر أو شبهه - له معنى يؤديه مع « اللزوم » وبين هذين المعنيين ما يسمونه « المناسبة » أو « الإشراب » والعكس صحيح كذلك ؛ إذ لا يكاد فعل - أو شبهه - يؤدي معناه مع « اللزوم » دون أن يكون هناك فعل آخر - أو شبهه - له معنى يؤديه مع « التعدية » ، وبين المعنيين « المناسبة » أو « الإشراب » . والنتيجة الحتمية لكل ذلك أنه لا يوجد فعل - أو شبهه - مقصور على « التعدية » ، ولا آخر مقصور على « اللزوم » ، وهذه غاية القوض والإساءة اللغوية التي تحمل في ثناياها فساد المعاني .

وبالرغم من تلك المعارك الجدلية لا أرى الأمر في التضمين يخرج عن إحدى حالتين ، وفي غيرها الفساد اللغوي ، والاضطراب الهدام :

الأولى : أن الألفاظ التي وصفت بالتضمين إن كانت قديمة في استعمالها منذ عصور الاستشهاد والاحتجاج اللغوي فإن استعمالها دليل على أصالة معناها الحقيقي ، ما دمت لم تعرف - يقيناً - لها معنى سابقاً تركته إلى المعنى الجديد .

الثانية : أن العصور المتأخرة عن عصور الاستشهاد والاحتجاج غير محتاجة إلى « التضمين » لاستغنائها عنه بالمجاز والكناية ، ويبرهن من أنواع البيان المختلفة التي تتسع لكثير من الأغراض والمعاني الدقيقة البليغة .

بحث نفيس لابن جني^(١)، عنوانه :

« باب في اللغة المأخوذة قياساً »

هذا موضع كأن في ظاهره تعجرفاً ، وهو مع ذلك تحت أرجل الأحداث ممن تعلق بهذه الصناعة فضلاً عن صدور الأشياخ ، وهو أكثر من أن أحصيه في هذا الموضع لك ، لكنني أنبهك على كثير من ذلك ، لتكثر التعجب ممن تعجب منه ، أو يستبعد الأخذ به .

وذلك أنك لا تجد مختصراً من العربية إلا وهذا المعنى منه في عدة مواضع ، ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع : إن ما كان من الكلام على فَعَلْ فتكسيه على : أَفْعَلْ ؛ ككَلَبْ وأَكْلَبْ ، وَكَعْبْ وأَكْعَبْ ، وَفَرَخْ وأَفْرُخْ . . . ، وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثي فتكسيه في القلة على أفعال : نحو جبل وأجبال ، وعنق وأعناق ، وإبل وآبال ، وعَجَزْ وأعجاز ، ورُبْعْ وأرباع ، وَضِلْعْ وأضلاع ، وكبد وأكباد ، وقفل وأقفال ، وحَمَلْ وأحمال و . . . ؛ فليت شعري هل قالوا هذا ليعرف وحده ، أو ليعرف هو ويقاس عليه غيره ؟ ألا تراك لو لم تسمع تكسير واحد من هذه الأمثلة ، بل سمعته منفرداً أكنت تحتشم من تكسيه على ما كُسِرَ عليه نظيره ؟ لا . بل كنت تحمله عليه للوصية التي تقدمت لك في بابه ، وذلك كأن يُحْتَاج إلى تكسير : « الرِّجْز » الذي هو العذاب ، فكنت قائلاً — لا محالة — « أرجاز » ؛ قياساً على : « أحمال » . وإن لم تسمع « أرجازا » في هذا المعنى . وكذلك لو احتجت إلى تكسير عَجَرٌ ، من قولهم : « وظيف عَجَرٌ »^(٢) لقلت : « أعجار » ؛ قياساً على يَقْطُ^(٣) وأيقاظ ، وإن لم تسمع « أعجاراً » . وكذلك لو احتجت إلى تكسير : « شَيْع » ، بأن توقعه على

(١) من كتابه : « الخصائص » - ج ١ ص ٤٣٩ .

(٢) الوظيف : الجزء الدقيق من ساق الإبل والخيل ، وغيرها . والعجر هنا : الصلب .

(٣) جاء في القاموس : اليقظة - محركة - نقيض النوم . وقد يَقْطُ - مثل : كَرُم ، وفَرِح - يقاظة ، وَيَقْطُ محركة . وقد استيقظ . . . ورجل يَقْطُ - على وزن : نَدَسْ ، وَكَتِف - والنَدَسْ : يفتح الذون ، مع سكون الدال ، أو ضمها ، أو كسرهما - الرجل السريع الاستماع للصوت الخلق .

النوع ، لقلت « أشباع » ، وإن لم تسمع ذلك ، لكنك سمعت : « نَطَعَ وأنطاع »
و « ضِلَعَ وأضلاع » ، وكذلك لو احتجت إلى تكسير : « دِمَشَّرٌ »^(١) لقلت :
« دماثر » ؛ قياساً على : « سَبَطَرٌ وسباطر » .

وكذلك قولهم : إن كان الماضي على « فَعَلٌ » فالمضارع منه على يفعل :
فلو أنك على هذا سمعت ماضياً على فعل ، لقلت في مضارعه يفعل ، وإن لم
تسمع ذلك ، كأن يسمع سامع ضَعُولٌ ، ولا يسمع مضارعه ؛ فإنه يقول فيه
يضعُولٌ ، وإن لم يسمع ذلك ، ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه ، لأنه لو كان
محتاجاً إلى ذلك لما كان لهذه الحدود والقوانين التي وضعها المتقدمون وعمل بها
المتأخرون معنى يفاد ، ولا غرض ينتحيه الاعتماد ، ولكان القوم قد جاءوا بجميع
المواضي والمضارعات ، وأسماء الفاعلين ، والمفعولين ، والمصادر ، وأسماء الأزمنة ،
والأمكنة ، والأحادى والثنائى ، والجموع والتكابير ، والتصاغير^(٢) ، ولما أقنعهم
أن يقولوا : إذا كان الماضي كذا وجب أن يكون المضارع كذا ، واسم فاعله كذا ،
واسم مفعوله كذا ، واسم مكانه كذا ، واسم زمانه كذا ؛ ولا قالوا : إذا كان المكبر
كذا فتصغيره كذا ، وإذا كان الواحد كذا فتكسيه كذا — دون أن يستوفوا كل شيء
من ذلك ، فيوردوه لفظاً منصوباً معيناً ، لا مقيساً ولا مستنبطاً كغيره من
اللغة ؛ التي لا تؤخذ قياساً ولا تنبيهاً ؛ نحو : دار ، وباب ، وبستان ، وحجر ،
وضبَّع ، وثعلب ، وخُرْز ، لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه ضربين :
أحدهما : ما لا بد من تقبله كهيئته لا بوصية فيه ، ولا تنبيه عليه ؛ نحو : حجر ،
ودار ، وما تقدم .

ومنه : ما وجدوه يُتدارك بالقياس ، ونخف الكلفة في علمه على الناس ،
فقتنوه وفصلوه ، إذ قدروا على تداركه من هذا الوجه القريب ، المغنى عن
المذهب الحزَن^(٣) البعيد . وعلى ذلك قدم الناس في أول المقصور والممدود ما يُتدارك
بالقياس والأمارات ، ثم أتبعوه ما لا بد له من السماع والروايات ، فقالوا : المقصور
من حاله كذا ، ومن صفته كذا ؛ والممدود من أمره كذا ، ومن سببه كذا . وقالوا :

(١) الجمل الكثير اللحم .

(٢) أى . كان واجباً عليهم أن ينصوا على كل كلمة من هذه الجزئيات إذا كانت القواعد لا تنفى —

كما قد يتوهم بعض الغافلين — . (٣) الصلب الصلب من الأرض ؛ كالجارية والصخور .

ومن المؤنث الذى فيه علامات التأنيث كذا ، وأوصافه كذا ، ثم لما أنجزوا ذلك قالوا : ومن المؤنث الذى روى رواية كذا وكذا ، فهذا من الوضوح على ما لا خفاء به .

فلما رأى القوم كثيراً من اللغة مقيساً منقاداً وسَمَوْه بمواسمه ، وغَنَوْا بذلك عن الإطالة والإسهاب فيما ينوب عنه الاختصار والإيجاز ، ثم لما تجاوزوا ذلك إلى ما لا بد من إبراده ، ونص ألفاظه التزموا وألزموا كلفته ؛ إذ لم يجدوا منها بديلاً ، ولا عنها مصرفاً .

ومعاذ الله أن ندعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة وقياساً ، لكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ، ونبهنا عليه ، كما فعله من قبلنا ، ممن نحن له متبعون ، وعلى مثله وأوضاعه حاذون . فأما هُجْنة الطبع ، وكُدُورة الفكر ، وجمود النفس وخيَّس^(١) الخاطر ، وضيق المضطرب ، فنحمد الله على أن حماناه ، ونسأله سبحانه أن يبارك لنا فيما آتانا ، ويستعملنا به فيما يدنى منه ، ويوجب الزلفه لديه ، بمنه . ا هـ .

* * *

هذا البحث النفيس لابن جنى يذكرنا بماله من آراء جلييلة أخرى ، تتصل منها بموضوعنا قوله^(٢) :

(حكى لنا أبو على عن ابن الأعرابي ، أظنه قال : يقال : دَرَهَمَتْ الخُبَّازَى ، أى : صارت كالدرهم ، فاشتق من الدرهم ، وهو اسم أعجمى .
وحكى أبو زيد : رجل مُدَرَهَمٌ ، ولم يقولوا منه « دَرَهَمٌ » إلا أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل فى الكف^(٣) ، ولهذا أشباه ا هـ .

(١) الخيس : الخطأ ، أو الضلال .

(٢) فى كتابته : « الخصائص » - ج ١ ص ٣٦٢ - باب : « أن ما قيس على كلام العرب فهو بن كلام العرب » .

(٣) يريد : أنه ميسور ، كأنه فى يد من يريده ، لا يتعب فى البحث عنه ، ولا فى معرفة أنه مسموع ، أو غير مسموع ، بل يستعمله من غير تردد ولا رجوع إلى مراجع لغوية .

ثم قال بعد ذلك ^(١) :

« ليس كل ما يجوز في القياس يخرج به سماع ؛ فإذا حذا إنسان على مثلهم ، وأممّ مذهبهم ، لم يجب أن يورد في ذلك سماعا ، ولأن يرويه رواية . . . » .

وكذلك قوله ^(٢) : « إذا ثبت أمر المصدر الذي هو الأصل لم يتخالف شك في الفعل الذي هو الفرع . قال لى أبو على بالشام : إذا صحت الصفة فالفعل في الكف . وإذا كان هذا حكم الصفة كان في المصدر أجدر ؛ لأن المصدر أشد ملابسة للفعل من الصفة ؛ ألا ترى أن في الصفة نحو : مرت بإبل مائة ، وبرجل أبي عشرة أهلة . . . » . اهـ .

* * *

صحة الاشتقاق من الجامد .

جاء في ص ٦٩ من الكتاب الجمعي الصادر في سنة ١٩٦٩ مشتبلا على القرارات الجمعية الصادرة من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين ، ما نصه تحت عنوان : (الاشتقاق من أسماء الأعيان ، دون تقييد بالضرورة) بناء على رأى لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية — وهو :

(قرر المجمع من قبل إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلوم كما أقر قواعد الاشتقاق من الجامد .

واللجنة تأسيسا على أن ما اشتقه العرب من أسماء الأعيان كثير كثرة ظاهرة ، وأن ماورد من أمثلته في البحث الذي احتج به المجمع لإجازة الاشتقاق يربى على المائتين — ترى التوسع في هذه الإجازة ؛ يجعل الاشتقاق من أسماء الأعيان جائزا من غير تقييد بالضرورة .) اهـ .

وقد وافق المجمع ومؤتمره العام على رأى اللجنة ، وصدر قرار موافقتهما في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٦٨

أما قواعد الاشتقاق المشار إليها ، في القرار السالف فقد ورد بيانها في الكتاب الجمعي الذي تقدم ذكره . ففي ص ٦٤ النص الآتي تحت عنوان :

(١) في ص ٣٦٧ من الفصل نفسه .

(٢) ج ١ - ص ١٢٧ باب : « تعارض السماع والقياس » . . .

(١) إذا أريد اشتقاق فعل لازم من الاسم العربي الجامد ، الثلاثي مجردة ومزيدة ، فالباب فيه : « نصر » ويُعَدَّى إذا أريد تعديته بإحدى وسائل التعدية ؛ كالهزمة ، والتضعيف . (مثل : قَطَنْتُ الأرضُ تَقْطُنْ ، كثر قطنها ، وقَطْنَهَا : زرعها قطنا) .

(٢) أما إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي متعدٍّ فالباب فيه : « ضَرَبَ » : (مثل قَطَنْتُ الأرضَ ، أَقْطِنَهَا ، زرعها قطنا) .

(٣) وفي كلتا الحالتين يُستأنس بما ورد في المعجمات من مشتقات للأسماء العربية الجامدة ؛ لتحديد صيغة الفعل

(٤) ويشق الفعل من الاسم العربي الجامد غير الثلاثي على وزن : « فَعْلَل » متعديا ، وعلى وزن « تَفْعَلَل » لازما .

(٥) وإذا كان الاسم رباعيا الأصول أو رباعيا مزيدا فيه ؛ مثل : درهم وكِبريت — اشتق منه على وزن : « فَعْلَل » بعد حذف الزائد من المزيد ؛ فيقال : درهم الزهرُ وكِبِرَتْ ، أى صار كالدَّهْم والكِبريت .

(٦) وإذا كان الاسم خماسياً مثل : « سفرجل » اشتق منه على وزن « فَعْلَل » بعد حذف خامسه ، فيقال : « سَفْرَجَ النبت » بمعنى : صار كالسفرجل .

(٧) تؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي

* * *

ثانياً — في الاسم الجامد المُعَرَّب :

(٨) يشتق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي على وزن : « فَعْلَل » بالتشديد متعديا . ولازمه : « تَفْعَلَل » .

(٩) ويشق الفعل من الاسم الجامد المُعَرَّب غير الثلاثي على وزن : « فَعْلَل » ولازمه : « تَفْعَلَل .. »

النَّحْوُ الوَافِي

مع رَبطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة

الجزء الثالث

القسم الموجز لطلبة الدراسات النحوية والصرفية بالجامعات
والمفصل للأساتذة والمتخصصين
مشتقاً على الضوابط والأحكام التي قررتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية

تأليف
عباس حسن

الأستاذ السابق بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
ورئيس قسم النحو والصرف والعروض

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الطبعة الرابعة



دار المغارف بمصر

الإضافة^(١)

تقسيمها :

تنقسم قسمين ؛ محضة ، (وتسمى : معنوية ، أو حقيقية) وغير محضة ،

(١) فيما يلي إيضاح لدلولها النحوي الدقيق ، ولبعض المصطلحات الهامة التي تتصل بها :

أ - في جملة مثل : « الوالد مُنصف » ، أو : « أنصفَ الوالد » يكون المراد هو : الحكم على الوالد بالإنصاف . أى : إسناد الإنصاف إليه . وإن شئت فقل : نسبة الإنصاف إليه .

وفي جملة أخرى مثل : « الصنفُ حَسَنٌ » أو : « يحسُنُ الصنف » يكون المراد أيضاً هو : الحكم على الصنف بالحسن ، أى : إسناد الحسن إليه ، أو : نسبته له . وكذلك لو قلنا : « الحقود غير مستريح » أو : « الحقود لا يستريح » ، فإن المراد هو : الحكم بعدم الراحة على الحقود ، أى : إسناد عدم الراحة إليه ، أو : نسبة عدم الراحة له ، ونفياً عنه . وهكذا الشأن في كل جملة اسمية أو فعلية ، مثبتة ، أو منفية ؛ فالمراد من الجملة لا بد أن يكون هو : « الحكم » ، أى : « الإسناد » ، أى : « النسبة » .

وهذه الألفاظ الثلاثة متحدة في مدلولها الذي هو : (المعنى المفهوم من الجملة ؛ إثباتاً أو نفياً) . ويعبر عنه النحاة بأنه : (الربط المعنوي بين طرفي الجملة ربطاً يقتضى أن يقع على أحدهما معنى الآخر ، أو ينفى عنه) .

ويجوز على ألسنتهم كثيراً ذكر : « النسبة الأساسية » أو : « النسبة الكلية » ؛ يريدون بها ذلك المعنى ، أو : الربط المعنوي الذي لا يمكن أن تخلو منه جملة مستقلة بمعناها - كالجملة غير الشرطية - ، ولا أن تسمى جملة إلا به . وقد يختصرون فيقولون : « النسبة » . دون وصفها بصفة « الأساسية » أو بـ « الكلية » ؛ لاصطلاحهم على أنها المقصودة عند الإطلاق ؛ أى : عند حذف الوصف والتحديد .

ب - على ضوء ما سبق نفهم أن المراد الأصيل من الجملة الحقيقية المستقلة هو : « النسبة الأساسية » أو : « الكلية » .

لكن الملحوظ عند سماع جملة مثل : « أقبل ضيف » أن تعدد الاحتمالات الذهنية في أمر هذا الضيف : ما اسمه ؟ ما بلده ؟ ما صلته بنا ؟ ما غرضه ؟ ما شأنه ؟ وكل هذا وأكثر منه لا يفهم من هذه الجملة وحدها ، ولا تدل عليه النسبة الأصلية فيها . ومن ثم كانت الجملة في حاجة إلى زيادة لفظية تؤدي إلى زيادة معنوية ؛ كأن نقول : أقبل ضيف عظيم ؛ فنسب العظمة للضيف . فهذه نسبة أيضاً ، ولكنها نسبة جزئية أو فرعية ، ليست أصيلة كالسابقة ؛ إذ لا يتوقف - في الغالب - =

= على هذه النسبة الجزئية أو : الفرعية ، المعنى الأساسى للجملة ، ولا يختل بحذفها ؛ فن الممكن - غالباً - الاستغناء عنها بالاستغناء عن الزيادة اللفظية التى جلبتها .

وكذلك لو قلنا : أقبل الضيف مبتسماً ، أو فرحت بالضيف يوماً ... أو غير هذا من الزيادات اللفظية الفرعية التى منها : الحال ، والتمييز ، والمفعولات ، والتوابع ، وغيرها من سائر « المُكَمَلات » التى تزداد على طرفى الجملة الأصلية ؛ فتكسبها معنى جزئياً جديداً ، قد يمكن الاستغناء عنه .

والنحاة يسمون هذه النسبة الجزئية ، أو الفرعية : « القيد » ، أو : « النسبة التقييدية » يريدون بها : « النسبة التى جاءت لإفادة التقييد » ، أى : لإفادة نوع من الحصر ، والتحديد ، ذلك أن اللفظ قبل مجيئها كان عاماً مطلقاً يحتمل أنواعاً وأفراداً كثيرة ؛ فجاءت التكلة (أى : القيد) فنعت التعميم والإطلاق الشاملين ، وجعلت المراد محدداً محصوراً فى مجال أضيق من الأول ، ولم تترك المجال يتسع لكثرة الاحتمالات الذهنية التى كانت تتوارد من قبل .

ج - من أمثلة التكلات كلمة : « الغرفة » فى نحو : « أضاء مصباح الغرفة » فلو لم نذكر هذه الكلمة لكانت الجملة فى حاجة إلى زيادة لفظية تتبعها زيادة معنوية جزئية ، تزيل التعميم والإطلاق عن المراد من كلمة : « مصباح » ؛ إذ لا ندري : أهو مصباح للغرفة ، أم للطريق ، أم للمصنع ، أم للنادى ... ؟ فلما جاء القيد - وهو كلمة : « الغرفة » - أزال تلك الاحتمالات ، وقصر الفهم على واحد منها ؛ فأفاد التقييد ؛ بأن جعل العام المطلق محدوداً محصوراً . ومثل هذا : قرأت أدب العرب - تختمت بأدب العرب فقد تبع الزيادة اللفظية الجزئية زيادة معنوية جزئية .

وما يلاحظ أن التكلة (أى : القيد) مجرورة فى أمثلة هذا القسم : « ج » لا تفارق الجر مطلقاً . أما فى غيرها فقد تكون التكلة مرفوعة ، أو منصوبة ، أو مجرورة ، أو مجزومة ... على حسب حاجة الجملة . وتسمى التكلة الجزئية التى تلازم الجر دائماً : « المضاف إليه » ويسمى اللفظ الذى قبلها ، والذى جاءت لتقييده ، وتحديد مدلوله : « المضاف » ويطلق عليها معاً : « المتضايغان » ، و « الإضافة » هى : الصلة المعنوية الجزئية التى بين المتضايغين ، (وهما : المضاف ، والمضاف إليه) ؛ ويقول النحاة فى تعريفها :

« إنها نسبة تقييدية بين اسمين ، تقتضى أن يكون ثانيهما مجروراً دائماً » . نعم ، قد يكون المضاف إليه جملة - كما سيحىى البيان فى ص ٢٨ وله إشارة فى ص ٧٨ و ٨٣ و ٨٤ - ولكن الجملة فى هذه الحالة بمنزلة المفرد ، أى : الاسم الواحد ؛ فحلها الجر ، أما المضاف فلا بد أن يكون فى جميع حالاته اسماً يعرب على حسب الحاجة ، ولا يصح أن يكون فعلاً ، أو حرفاً ، أو جملة . (انظر ص ٧ ج) .

بما تقدم نعلم ؛ أن التكلة تسمى : « القيد » ، أو : النسبة « التقييدية » وليست مقصورة على الإضافة ، بل تشمل جميع المُكَمَلات . وأن التكلة فى الإضافة تسمى : « المضاف إليه » ولا بد أن يسبقه : « المضاف » وكلاهما لا بد أن يكون اسماً واحداً ، وقد يكون « المضاف إليه » جملة بمنزلة -

(وتسمى :لفظية ، أو : مجازية ^(١)) — ولها ملحقات ^(٢) — .
 فالأولى : ما كان فيها الاتصال بين الطرفين قوياً ، وليست على نية الانفصال ^(٣) ؛ لأصالتها ، ولأنّ المضاف — فى الغالب — خال من ضمير مستتر يفصل بينهما .

والأكثر أن يكون المضاف فى الإضافة المحضة واحداً مما يأتى :
 ١ — اسم من الأسماء الجامدة الباقية على جمودها ^(٤) ، كالمصادر ^(٥) ، وأسماء
 = الاسم الواحد أى : المفرد — كما سبق — وكذلك نعلم أن المضاف إليه مجرور دائماً ، أما المضاف فلا يلزم حالة إعرابية واحدة ؛ بل يعرب على حسب حالة الجملة التى يكون فيها .
 والأغلب فى المضاف أن يكون مربكاً . وقد يكون اسماً مبنياً ؛ مثل : « حيث » ، و « إذا » الشرطية ، و « كم » الخبرية ، (كما سنعرف فى هذا الباب) . ومثل بعض أنواع مبنية على فتح الجزأين من المركب المزجى العددي فى نحو : هذه خمسة عشر محمد —

طبقاً لما هو مذكور فى باب العدد — ج ٤ م ١٦٤ ص ٤٠٠ .
 « ملاحظة » : يتردد فى النحو اسم : « الشبيه بالمضاف » وهو يختلف اختلافاً واسعاً عن « المضاف » .
 وتفصيل الكلام على هذا الشبيه ، وعلى أحكامه ، مدون فى ج ١ م ٥٦ باب : « لا » النافية للجنس ، عند الكلام على حكم اسمها ، ص ٦٩١ .

(١) يريدون « بالمحضة » : التى بين طرفيها قوة اتصال وارتباط ، وليست على نية الانفصال ؛ لأصالتها ، ولأنها لا يفصل بين طرفيها (وهما : المضاف والمضاف إليه) ضمير مستتر كالضمير الذى يفصل فى الإضافة غير المحضة ؛ فيجعلها كأنها غير موجودة ؛ بسبب وجود هذا الفاصل الملحوظ ، وإن كان مستتراً — كما سيجىء — فى ص ٣٤ — عند الكلام عليها

ويريدون « بالمعنوية » : أنها تحقق الفرض المعنوى الذى يراد منها تحقيقه ؛ وهو استفادة المضاف من المضاف إليه التعريف ، أو التخصيص — كما سيأتى فى ص ٢٣ — ، ولأنها تتضمن معنى حرف من حروف الجر سنعرفه بعد فى ص ١٦ .

ويريدون بالحقيقية : أنها تؤدى الفرض المعنوى السابق حقيقة ، لا مجازاً — والمجاز المنوع هنا هو الآتى فى ص ٢٣ وليس هو المعروف فى البلاغة — ، ولا حكماً أو تقديرأ . (وهذا خير ما يفسر به وصفها بالحقيقية) . . .

وستجىء إشارة لكل هذا بمناسبة أخرى فى (ص ٢٣ و ٣٣) .

(٢) ستجىء الملحقات فى ص ٤٠ — د —

(٣) يتضح المراد من « نية الانفصال » ومن خلو الكلام من الضمير المستتر بما يجىء فى ص ٣٤ .

(٤) أى : غير المؤولة بالمشقت .

(٥) وسيجىء فى باب النعت عند الكلام على وقوع المصدر نعتاً ، أن هناك مصادر مسموعة أضيفت إلى معرفة ، فلم تكتسب منها التعريف بسبب أنها مصادر مؤولة بالمشقت ؛ فأضافتها غير محضة . (انظر ص ٤٦٤) .

المصادر^(١)، وكثير من الظروف، والجوامد الأخرى، نحو: لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل - لو استعان الناس كعون النمل ما وُجِدَ بينهم شقي، ولا محروم - عند الشدائد تُعرَف الإخوان - لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحق وراء لسانه -

ومن الأمثلة للجوامد المضافة، الباقية على جمودها، الكلمات: أرض - بعض - جسم - فؤاد - في قول الشاعر:

أيها الراكب الميتمم^(٢) أرضي اقر^(٣) من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي - كما علمت - بأرضي وفؤادي ومالكه بأرضي

ب - المشتقات الشبيهة بالجوامد؛ (وهي المشتقات التي لا تعمل مطلقاً^(٤))، ولا تدل على زمن معين (كصبيغ أسماء الزمان، والمكان، والآلة؛ مثل الكلمات: مسكن، مزرعة، مبحر، منجل، مذرارة، مغرب... في نحو: (الفلاح كالنحلة الدءوب النافعة؛ يغادر مسكنه قبل الشروق، قاصداً مزرعته؛ يعمل فيها ويكد؛ فلا تراه إلا قابضاً على محراثه، أو منحنيًا على فأسه، أو حاصداً بمنجله، أو مذرّياً بمذرّاته، أو متعهداً زروعه... ويظل على هذا الحال حتى المغرب؛ فيرجع من حيث أتى، دون أن يُعَرِّج على مسكنه، أو منتهى، أو مُنْقَهَى يسهر فيه، ثم يقضى الليل هادئاً نائماً حتى يوافيه الصباح الجديد).

ويدخل في هذا النوع: المشتقات التي صارت أعلاماً؛ وفقدت خواص الاشتقاق، بسبب استعمالها الجديد في التسمية^(٥)؛ مثل الأعلام: محمود - حامد - حسن...

(١) سبق الكلام على اسم المصدر وإيضاح خصائصه في ج ٢ ص ١٧٤ م ٧٥. وسيجيء الكلام عليه وعلى المصدر في باب خاص بهما. (ص ١٨١ و ٢٠٧).

(٢) القاصد.

(٣) المراد: اقرأ، سهلت الهنزة - بأن صارت ألفاً؛ أي: اقرأ. - ثم بنى فعل الأمر على حذف هذه الألف، كالشأن في كل فعل أمر معتل الآخر، فإنه يبنى على حذف حرف العلة.

(٤) سيجيء لها إشارة أخرى في ص ٣٠ من هذا الجزء عند الكلام على المشتقات (اسم الفاعل و... و...).

(٥) كما سيجيء في هامش ص ١٨٢.

ح - المشتقات التي لا دليل معها على نوع الزمن الذي تحقّق فيه معناها^(١) ؛ نحو : قائدُ الطائرة مأمونُ القيادة ؛ فإن كلمة : « قائد » اسم فاعل مضاف ، وليس في الجملة دليل على نوع زمن القيادة ؛ أهو الماضي ، أم الحال ، أم الاستقبال ؟ وكذلك كلمة : « مأمون » التي هي اسم مفعول . . . (وتسمى هذه المشتقات الخالية من الدلالة الزمنية : « المشتقات المطلقة الزمن »^(٢)) .

د - المشتقات الدالة على زمن ماضٍ^(٣) فقط ؛ نحو : عابر الصحراء أمس - كان مملوء النفسِ أمناً واطمئناناً .

ه - أفعال التفضيل - على الرأي المشهور^(٤) - وهو من المشتقات التي لها بعض^(٥) عمل - مثل : أُعجبت بشوقٍ ؛ أشهر الشعراء في عصره ، وقولهم : أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً .

و - إضافة الوصف إلى الظرف مع وجود القرينة الدالة على المضى أو على الدوام ؛ مثل : أزال ساطع الصباح البهيج حالك الليل البهيم ، وكقوله تعالى عن نفسه : (مالك يوم الدين) .

* * *

(١) كما سيجيء في « ب » من ص ٤٠ .

(٢) سيجيء الكلام عليها في أبوابها الخاصة ، من هذا الجزء ، ولها إشارة في ص ٣٠ .

(٣) لا يكتفى دلالتها على الزمن الماضي وحده ، بل لا بد مع ذلك أن تفقد العمل ؛ فقد يفقد بعض شروطه . (وستجىء في ص ٢٣٨) .

(٤) راجع الصبان والتصريح - وغيرها - في هذا الموضوع . ثم حاشية ياسين على التصريح ج ٢ باب : « أفعال التفضيل » ، عند الكلام على إضافته للنكرة . ويرى شارح المفصل (ج ٣ ص ٤) ومن معه أن إضافته غير محضة ، ويطيل الإيضاح لهذا ، ويؤكد .

(٥) كمله الجرفي المضاف إليه ، والنصب في تمييزه ، ولأنه يرفع الفاعل ، ولا ينصب المفعول به ؛ ففي مثل : « مررت برجل أفضل القوم » مما سمع فيه أفعال التفضيل مضافاً إلى المعرفة مع أن المفضل فكرة - يعرب أفعال التفضيل بدلاً من المفضل ، لا صفة له ، بناء على الرأي الأشهر السالف ؛ لكيلا تقع المعرفة نعمتاً للنكرة . نعم إن البدل المشتق قليل ؛ كما يقول الصبان عند كلامه على الإضافة غير المحضة - ، ولكنه جائز مع قلته ومخالفته للأكثر ، (كما في ص ٣٨) ويعرب نعمتاً بناء على الرأي الآخر . لأنه لم يكتب التعريف من المضاف إليه ... وإذا أضيف : « أفعال » المراد به التفضيل ، وجب أن يكون بعضاً من المضاف إليه وفرداً من جنسه ؛ نحو : محمد أفضل الناس ، أو : أفضل القوم ، فلا يصح : الحصان أفضل الطيور ، ولا الطائر أفضل الخيول ، - كما سيجيء تفصيل هذا في ص ٤٠٢ من باب - .

والثانية : ما يغلب أن يكون فيها المضاف وصفاً^(١) ، عاملاً ، دالاً على الحال ، أو الاستقبال ، أو الدوام . (ويسمى هذا الوصف : « المشبه للفعل المضارع في العمل والدلالة الزمنية ») ، وينحصر في اسم الفاعل ، واسم المفعول ، بشرط أن يكونا عاملين ، دالّين على الحال ، أو الاستقبال . وفي الصفة المشبهة - في الرأي الراجح بين آراء أخرى قوية^(٢) - ولا تكون إلا للدوام غالباً ؛ نحو : (استجب لطالب الحق اليوم ، قبل أن ينتزعه بعامل القوة غدآ) - (إذا شاهدت غلاماً مشرد النظرات ، موزع الفِكَر ، مسلوب الهدوء ، فاعلم أنه بائس يستحق العطف ، أو جان يستحق الزرابة) - (عظيم القوم من يهوى عظيماً الأمور) . ويلحق بالإضافة غير المحضة بعض إضافات أخرى سيجيء الكلام عنها في موضعه المناسب^(٣) عند تناول ما سبق بالإيضاح .

ولا بد في جميع حالات الإضافة المحضة وغير المحضة من أن يكون المضاف اسماً^(٤) وكذا المضاف إليه . وقد يقع المضاف إليه - أحياناً - جملة ؛ فيكون في حكم المفرد - كما سنعرف -^(٥) :

الأحكام المترتبة على الإضافة^(٦) :

يترتب على الإضافة بنوعيتها أحكام ؛ بعضها واجب ، وبعضها جائز . وأشهر الأحكام الواجبة أحد عشر^(٧) :

(١) ومن غير الغالب أن يكون المضاف غير وصف ؛ كبعض الصور المتعددة الآتية في : « د » ص ٤٠ وما بعدها ، ومنها الصورة التي تستعمل في مدح شخص ، أو : ذم ، أو : الدعاء عليه وهي (في ص ٤٦) : « لا أبا لفلان » - على اعتبار زيادة اللام بين المتضامين - وتفصيل الكلام عليها في ج ١ م ٨ في الأسماء الستة .

(٢) انظر ص ٣٧ و ٢٩ و ٣٠٧ .

(٣) في « د » من ص ٤٠ . مما يسمى بالأنواع الشبيهة بالإضافة غير المحضة .

(٤) كما أشرنا في هامش ص ٢ ويحيى في ص ٧ .

(٥) في ص ٢٨ و ٨٤ .

(٦) للأحكام التفصيلية الآتية منخص مناسب في ص ٧٠ .

(٧) هذه الأحكام حتمية (أى : واجبة للمراعاة والتطبيق) أما الأحكام الأخرى الجائزة فأشهرها

أربعة ، ستذكر بعدها مباه .

الأول : أن يكون « المضاف إليه » مجروراً دائماً^(١) ، لا فرق بين أن يكون مجروراً في اللفظ ؛ (نحو قول الشاعر :

على قَدَرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتى على قدرِ الكرامِ المكارمُ
ونحو : من وثق بأعوانِ سوءٍ لقيَ منهم شرَّ المصائبِ . . .) ، ومجرور المحل^(٢) ؛ نحو : مَنْ التَّمَسَّسَ تقويمَ ما لا يستقيمَ كان عابثاً ، وإخفاقه مُحققاً .
ونحو : نِعِمَّ العربيُّ ؛ يُسرِّعُ للنجدة حين يدعو الداعي . . . و . . .
فكلمة : « ما » مضاف إليه مبنية على السكون في محل جر . والضمير « الهاء » - في إخفاقه - مضاف إليه مبنى على الضم في محل جر . والجملة المضارعية : « يدعو » مضاف إليه في محل جر .

وإذا كان المضاف إليه هو : « ياء المتكلم »^(٣) فإنه يستوجب أحكاماً أخرى غير الكسر ، ستجىء في باب خاص به^(٤) .

أما المضاف فلا بد أن يكون اسماً - كما سبق - ويعرب على حسب حالة الجملة ؛ فيكون مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو غير ذلك . . . والكثير أن يكون معرباً . ومنه ما يكون مبنياً ، ولا يمنع البناء من أن يكون مضافاً ؛ مثل : حين - حيث - إذ - إذا - لَدُنْ . . . و . . .^(٥) وغيرها مما سينمر بعضه في هذا الباب . . .

والمضاف هو عامل الجر في المضاف إليه^(٦) - تبعاً للرأى المشهور - . . .

(١) ومعناه يخالف معنى المضاف ؛ لأن الإضافة - ولا سيما المحضة - تقتضى مغايرة المتضاميين في مدلولهما ؛ (كما سيجىء ، في رقم ٦ من هامش ص ٤٠) إلا بعض حالات هناك ، ولا بد أن يكون المضاف إليه اسماً ، ولو تأويلاً ؛ كما في هامش ص ٢ وفي ص ٦ .

(٢) يكون مجروراً في اللفظ إذا كان معرباً ، ويكون مجرور المحل إذا كان مبنياً ؛ كالفائز ، والموصلات و . . . أو كان جملة ، فالمبنى والجملة كلاهما في محل جر .

(٣) الإضافة لياء المتكلم المحذوفة أو المنقلبة ألفاً تسمى : « الإضافة المقدرة » .

أما الإضافة لياء المذكورة فنوع من « الإضافة الظاهرة » . - كما سيجىء في « ب » من ص ١٧٣ - . وهذا تقسيم آخر للإضافة . . . (٤) ص ١٦٩ .

(٥) لما تقدم إشارة في آخر : « ج » من هامش ص ٢ .

(٦) قلنا في الجزء الثاني (باب حروف الجر ، هامش ص ٣٣٨ م ٨٩) إن جر الاسم بالإضافة هو سبب من أسباب ثلاثة أصيلة ، كل واحد منها يوجب جره ، أولها : جره بحرف الجر ، =

الثاني: وجوب حذف نون المثني، ونون جمع المذكر السالم، وملحقتهما - إن وقع أحدهما مضافاً مختوماً بتلك النون. فمثال حذفها من آخر المثني المضاف* قول الشاعر:

العينُ تعرفُ منَ عَيْنَيْ مُحَدَّثِيهَا إن كان من حزبها أو من أعاديها

ومثال حذفها من آخر الملحق بالمثني^(١) قول الشاعر:

بَدَتِ الحَقِيقَةُ غَيْرَ خَافٍ أَمْرُهَا وَائْتَنَّا^(٢) عَلَى يَشْهَدَانِ بِمَا بَدَا

ومثال حذفها من جمع المذكر: الجنود حارسو الوطن، باذلو أرواحهم

= وثانيها: جره بالإضافة، وثالثها: جره بالتبعية لمتبوع مجرور، كأن يكون التابع نعتاً، أو: معطوفاً، أو: توكيداً، أو بدلاً، والمتبوع في كل تلك الحالات مجرور؛ فيجب جر التابع محاكاة له.

وهناك سببان آخران للجر؛ أحدهما الجر على: « التوهم »؛ ومن صواب الرأي إهماله، وعدم الاعتداد به (كما قلنا في ج ١ ص ٦٠٩ م ٤٩ حيث توضيحه، وتفصيل الكلام عليه).

والآخر الجر على: « المجاورة »؛ والواجب التشدد في إغفاله، وعدم الأخذ به مطلقاً. (كما أشرنا في الموضع السابق وفي ج ٢ م ٨٢ ص ٣٢٣ وص ٤٠١ م ٨٩). أما الداعي لاتخاذ سبباً للجر فورود أمثلة قليلة جداً، وبعضها مشكوك فيه -، قد اشتملت على جر الاسم من غير سبب ظاهر لجره، إلا مجاورته لاسم مجرور قبله مباشرة؛ منها: (هذا جحرٌ ضبٌ خرب)، بجر كلمة: « خرب »، مع أنها صفة « لبحر » ولا تصلح صفة « لضب »؛ لأن الضب لا يوصف بأنه خرب، ومنها:

« يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهن... » بجر كلمة: « كل »، مع أنها توكيد لكلمة: « ذوى » المنصوبة؛ إذ لو كانت توكيداً لكلمة: « الزوجات » لقال كلهن. وقد تأول النحاة المثال الأول بأن أصله: هذا جحرٌ ضبٌ خربٌ الجحرُ منه، أو خرب جحره، ثم حذف ما حذف، وبقى ما بقى، واشتد الجدل في نوع المحذوف وصحة الحذف وعدم صحته، على الوجه المبين في المطولات (ومنها مع الهوامع ج ٢ ص ٥٥) وقالوا في المثال الثاني إنه خطأ أو ضرورة.

واتفق كثير من أئمة النحاة على أن الجر بالمجاورة ضعيف، أو ضعيف جداً. وجاء في « المحتسب » لابن جني - ج ٢ ص ٢٩٧ - ما نصه: (إن الخفض بالمجاورة - أى: بالمجاورة - في غاية الشذوذ) اه بل جاء في كتاب « مجمع البيان »، لعلوم القرآن - ج ٣ ص ٣٣٥ - ما نصه: (إن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً في كلامهم...) اه، أى: في كلام العرب؛ وعلى هذا لا يصح القياس عليه، ولا يستعمل إلا في المسموع (كما جاء في خزانة الأدب، للبغدادى، ج ٢ ص ٣٢٤).

(١) من الملحق بالمثني: « اثنان » و « اثنتان » وقد سبق تفصيل الكلام على المثني وملحقاته في ج ١ ص ٧٦ م ٩.

(٢) أى: عيناه، أو: صاحباه.

في حمايته . ومثال حذفها من الملحق^(١) به قولهم : أَحَبُّ الناس للمرء أهله ؛ فلا يَقْضِ سِنِي حَيَاتِهِ في معادتهم ، أو مقاطعتهم . وقول بعضهم يصف شهراً من شهور الصيف : لقد اشتدت وَقْدَتُهُ ، وتَأَجَّجَ سَعِيرُهُ ، وأحرقتنا ثَلَاثُوهُ . وكان الأصل^(٢) قبل الإضافة : عَيْنِينَ - اثْنَانِ - حَارِسُونَ - بَاذِلُونَ - أَهْلُونَ - سَنِينَ - ثَلَاثُونَ .

فإن كانت النون الأخيرة ليست للتثنية ولا لجمع المذكر السالم ، ولا للمحققاتهما لم يَجْزِ حذفها من المضاف ؛ كالنون التي في آخر المفرد ، مثل : سلطان - حنان - ، وكالتي في آخر جمع التذكير ، مثل : بساتين - رياحين ؛ تقول : سلطان الضمير أقوى من سلطان القانون - حنان الآباء والأمهات لا يسمو إليه حنان أحد - كان العرب القُدَامَى مفتونين ببساتين الشام ورياحينها ، يكثرُونَ القول في وصفها ، والتغنى بمباهجها .

(١) ومن الملحق بجمع المذكر السالم : أرضون - سينون - عالمون - أهلون (وقد سبق الكلام على هذا الجمع وملحقاته في ج ١ ص ٨١ م ١١) .
(٢) يجب أن يحذف مع نون المنى وجمع المذكر حرف اللام الذي يقع فاصلاً بينها وبين ياء المتكلم الواقعة مضافاً إليه ، في مثل : هذان أستاذاي ، وهؤلاء أستاذي .
ومثل قول الشاعر :

خَلِيلِي إِنْ الْمَالِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلُ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقٌ

وقولهم : إِنْ مَكْرِيَّيَّ أَحَدٌ تَنْضَلُ لَا أَنْسَاءُ .
والأصل : أَسْتَاذَانِ لِي ، أَسْتَاذُونَ لِي ، خَلِيلَيْنِ لِي ، مَكْرِيَيْنِ لِي ، ثم حذفت اللام مع النون . وقيل إنها حذفت للتخفيف . وسواء أكان هذا أم ذاك فلا بد من حذف اللام مع النون ، فلا قيمة للخلاف
كما سيأتي في باب : « المضاف للياء » . (رقم ١ من هامش ص ١٧٨) .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

١ - هناك حالة يجوز فيها حذف النون وعدم حذفها من آخر المثني وجمع المذكر السالم ، مع عدم إضافة كل منهما . وتحقق هذه الحالة في الإضافة غير المحضة حين يكون المضاف وصفاً عاملاً بعده معموله . والغالب^(١) في هذا الوصف أن يكون صلة « أل » ؛ نحو : اشتهر المتقن العمل - اشتهر المتقنون العمل . . . فعند إثبات النون في الوصف - كما في المثال - يتحتم إعراب كلمة : « العمل » مفعولاً به للوصف : وعند حذفها - مثل : اشتهر المتقن العمل ، اشتهر المتقنو العمل - يجوز في كلمة : « العمل » أمران ؛ أحدهما : الجرّ على اعتبارها مضافاً إليه ، والوصف قبلها هو المضاف ، حذفت من آخره نون التثنية ، أو الجمع ؛ بسبب إضافته .

والثاني : النصب على اعتبارها مفعولاً به للوصف ، حذفت النون من آخره للتخفيف ، لا للإضافة ؛ إذ الوصف في هذه الصورة ليس مضافاً ، وإنما حذفت من آخره « النون » - بالرغم من عدم إضافته - ؛ متابعة لبعض القبائل التي تجيز حذفها من آخر المثني ، وجمع المذكر السالم ، بشرط أن يكون كل منهما وصفاً عاملاً - يغلب^(١) أن يكون صلة « أل » وبعدة مفعوله غير مجرور ؛ كما شرحنا .

(١ و ١) لأنها قد تحذف في حالات أخرى (سبق بيانها في ج ١ م ٥٦ ص ٦٩١ باب : لا النافية للجنس) .

وإنما قلنا : الغالب في الوصف أن يكون صلة « أل » اعتماداً على ما قاله الصبان هنا وفي الجزء الأول (في باب : الإعراب ؛ عند الكلام على حركة نون المثني والجمع) حيث صرح فيها بأن الوصف صلة . ومعلوم أن الوصف لا يكون صلة إلا لآل . أما غير الغالب فعدم وقوعه صلة لها ، وهذا يفهم من كلامه في باب الإعراب السالف في الموضع المشار له ، كما يفهم من ج ٢ آخر باب الإضافة عند كلامه على مواضع الفصل بين المتضايين بشبه الجملة .

.....

لكن من الخير إهمال هذه الصورة اليوم ، وعدم محاكاتها — وإن كانت
 محاكاتها جائزة — لما قد تحدثه من لبس وإبهام ينافيان الغرض الصحيح من
 اللغة ، وما يجب أن توصف به . وإنما عرضناها ، كما نعرض نظائر لها في بعض
 الأحيان ؛ للسبب الذي نردده كثيراً ، وهو : الاستعانة بها على فهم الوارد منها .
 في النصوص القديمة ، دون الموافقة على محاكاتها .

* * *

الثالث : وجوب حذف التنوين إن وجد في آخر المضاف قبل إضافته ؛ كقولهم : بناءُ الظلمِ إلى خرابٍ عاجلٍ ، وكلُّ بنيانٍ عدلٍ فغيرُ منهدمٍ . فقد حذف التنوين من الكلمات المعربة : (بناء - كل - بنيان - غير . . .) ، بسبب الإضافة . ولو زالت الإضافة لعاد التنوين .

الرابع : وجوب حذف « أل » من صدر المضاف ، بشرط أن تكون زائدة ^(١) في أوله للتعريف ، أو لغيره ، وأن تكون الإضافة محضة ، نحو : بلادنا تاجُ الفخارِ للشرق ، وهي درةٌ عقيده . والأصل : البلاد - التاج - الدرة - العقد . فحذفت « أل » من أول كل مضاف .

فإن كانت « أل » غير زائدة ؛ (نحو : ألف ، وألْبَاب) ^(٢) لم تحذف .

أما إن كانت الإضافة غير محضة فيجب حذف « أل » أيضاً - إلا في الحالات الأربع التالية ^(٣) .

أ - أن توجد في المتضايفين معاً (أى : في المضاف والمضاف إليه ، معاً) ؛ نحو : الوالدان هما الرحيمان القلب - العلماء هم المؤسسون الحضارة .

ب - أن توجد في المضاف دون المضاف إليه ، ويكون المضاف إليه مضافاً إلى اسم مبدوء بها ؛ نحو : أعاونُ المؤسسى نهضة البلاد ، وأعتقد أنهم الرائدو خير الوطن .

ج - أن توجد في المضاف دون المضاف إليه ويكون المضاف إليه مضافاً

(١) أى : بشرط أن تكون غير لازمة ، واللازمة - هنا - هي المدودة من بنية اللفظ ، أى : من حروفه التي لا بد من وجودها ليؤدى المراد الأصيل منه ، كالتى لا تفارق الأعلام مطلقاً ، مثل : (لكن ، أَلْسِي - وألطف - ، وإلهام ، وألوان ، وألحان) - أعلاما . . .

(٢) جمع : لُب ، بمعنى : عقل .

(٣) مما تجب ملاحظته : أن « الإضافة » تعتبر محضة لا يجوز فيها وجود « أل » في « المضاف » إذا كان هذا المضاف « المشتق » دالاً على الزمن الماضي فقط مع عدم استيفائه لبقية الشروط اللازمة للإعمال ، (والتي يجىء بيانها في ص ٢٤٦ ؛ - كما سبق في ص ٥ و ٦) - فلا يصح : جاء العابر النهر أمس . فلا بد لصحة الجمع بين « أل » و « الإضافة » في المشتق العامل (كاسم الفاعل . . .) أن يكون عاملاً زمنه للحال أو الاستقبال أو الاستمرار الذى يشمل الأزمنة الثلاثة ؛ نحو : انظر العابرَ النهر الآن - انظر العابرَ النهر غداً ، إن الله المدبر الأمور .

إلى ضمير يعود على لفظ مشتمل عليها ، نحو : المجد أنتم المتركو قيمته ،
والفضل أنتم الباذلو غايته .

د - أن توجد في المضاف دون المضاف إليه بشرط أن يكون المضاف مثنى
أو جمع مذكر سالماً ؛ نحو : أنتم الصانعا معروف - أنتم الصانعو معروف .
ومنه قول الشاعر :

وما لي كلام الناس فيما يرييني أصول ، ولا للقائليه أصول
وفي غير هذه الحالات الأربع الخاصة بالإضافة غير المحضة يجب حذف « أل »
كما قلنا . ففى كلمات مثل : العزيز - الشاهد - السارق - الأفضل . . . و . . .
وأشباهها نقول فيها عند إضافتها : عزيز قوميه مطاع فيهم - شاهد زور أكبر
ضرراً من سارق مال - أفضل مواهب المرء عقله . . . و . . .

زيادة وتفصيل :

١ - الكوفيون يجيزون في الإضافة المحضة دخول « أل » على المضاف ، بشرط أن يكون اسم عدد ، وأن يكون المضاف إليه هو المعداد ، وفي أوله « أل » أيضاً ؛ فلا بد من وجودها فيهما معاً ، نحو : قرأت الثلاثة الكتب في السبعة الأيام . وحجتهم في هذه الإجازة السماع عن العرب ، وورود عدة أمثلة صحيحة تكفي عندهم للقياس عليها . والبصريون لا يجيزون هذا ، مستندين في المنع إلى أن العدد مع المعداد هو ضرب من المقادير ، والمقادير لا يجوز فيها ما سبق ؛ فكما لا يصح أن يقال : اشترت الرطل الفضة ، — بالإضافة — لا يصح كذلك أن يقال : الثلاثة الكتب ، بالإضافة ؛ حملاً للتنظير على نظيره ، وقياساً للشيء على ما هو من بابهِ . فعلة المنع عندهم : « التنظير » .

والحق أن حجة الكوفيين هي الأقوى ؛ لاعتمادها على السماع الثابت ، وهو الأصل والأساس الذي له الأولوية والتفضيل ؛ فلا مانع من الأخذ به لمن شاء غير أن المذهب البصري أكثر شهرة ، وأوسع شيوعاً ؛ فمن الخير الاكتفاء بمحركاته ؛ لتماثل أساليب البيان اللغوي ، وتوحد ، حيث يحسن التماثل والتوحد^(١) .

ب — في مثل : « جاء المكرومك » . — من كل وصف عامل مبدوء : « بأل » ومفعوله ضمير بعده^(٢) — يعرب هذا الضمير (وهو هنا : الكاف)

(١) وهذا ما دعانا إلى استحسان الرأي البصري ، والاقتصار عليه عند الكلام على المعرف « بأل » إذا أريد إضافته .
(البيان ، والصور المتعددة ، ج ١ ص ٣٢٠ م ٣٢) .

(٢) ومنه قول الشاعر :

ألا أي هذا الزاجري احضّر الوغى وأن أشهد اللذات، هل أنت مغلدى؟

ومثل البيت الأخير من أبيات « شوق » التالية ، يخاطب أبا البنات ، الذي لم يرزق بنين :

إن البنات ذخائرٌ من رحمة وكنوزٌ حبٍّ صادق ، ووفاء
السّاهرات لعلّة ، أو كبريّة والصابرات لشدة وبلاء . . . —
والباكياتك حين ينقطع البكاء والزائرأتك في العراء النائي

(الكبريّة : الشيخوخة — العراء النائي : الخلاء والفضاء البعيان . والمراد بهما : المقابر) .

مفعولاً به في محل نصب ، ولا تصح الإضافة ؛ لوجود : « أل » في صدر المضاف ؛ إذ هذه الصورة ليست من الصور السالفة ^(١) التي تباح فيها الإضافة مع وجود : « أل » في المضاف .

ويتعين في الضمير (الكاف) الجر المحلى بالإضافة إن كان الوصف مجرداً من : « أل » في مثل : « جاء مكرمك » ، لفقد التنوين ؛ إذ لم تقل : جاء مكرمٌ مِيَّالْك . أما إن كان مفعول الوصف ظاهراً بعده فإن آثار الإضافة ستظهر عليه جليّةً ؛ وتبين بجرّه ، مع حذف التنوين من الوصف المضاف ، وإلا فلا إضافة ، فينصب المفعول به بعد الوصف . . .

ومثل الضمير (الكاف) في وجوب النصب : الضمير « الهاء » في : « أَوْضَعَهُ » من قولهم المأثور : « لا عهد لي بالألمَ قفّاً منه ، ولا أَوْضَعَهُ » . بفتح العين - كما وردت سماعاً - فـ « الهاء » هنا مثل « الكاف » في المثال السابق . إلا أن « الكاف » مفعول به ، و « الهاء » مشبه بالمفعول به هنا ، لأن اسم التفضيل لا ينصب مفعولاً به . وليست كلمة « أَوْضَعَ » مضافة ، و « اذْء » مضافة إليها ؛ لأنها لو كانت مضافة لوجب جرّها بالكسرة لا بالفتحة التي سُمِعَتْ بها . على أنه لا مانع من جرّها في استعمالنا الآن على الإضافة ^(٢) .

وفي مثل : « مررت برجل أبيض الوجه لا أحمره » ، يجوز جر : « أحمر » بالفتحة ؛ على اعتباره معطوفاً على كلمة « أبيض » ، و « الهاء » بعده في محل نصب ؛ على التشبيه بالمفعول به « للصفة المشبهة : (وهي أحمر) ويجوز جر : « أحمر » بالكسرة : على اعتباره معطوفاً على أبيض أيضاً ، مضافاً ، و « الهاء » مضاف إليه ، مبنية على الضم في محل جر ^(٣) .

• • •

(١) في ص ١٢ وما بعدها .

(٢) هذه المسألة اتصال وثيق بالحكم الهام الذي يحى في ص ٢٢ ، باب : « أفعل التفضيل » خاصاً به إذا كان معطوفاً على « أفعل » آخر .

(٣) وقد نص على هذا صاحب المحقق ونقله عنه الصبان في هذا الموضع من الباب .

الخامس : وجوب اشتمال الإضافة المحضة على حرف جر أصلي^(١) ، مناسب ،
اشتمالا أساسه التخيل والاقتراض ، لا الحقيقة والواقع ؛ فيلاحظ وجوده ،
مع أنه غير موجود إلا في التخيل ، أو : في النية^(٢) — كما يقولون — .

والغرض من هذا التخيل : الاستعانة بحرف الجر على توصيل معنى ما قبله إلى
ما بعده ؛ كالشأن في حرف الجر الأصلي^(٣) ، وأيضاً الاستعانة على كشف الصلة
المعنوية بين المتضايين ، (وهما : المضاف والمضاف إليه) ، وإبانة ما بينهما
من ارتباط مُحْكَم ، وملازمة (أى : مناسبة) قوية لا تتكشف ولا تَسْبِيح
إلا من معنى حرف الجر المشار إليه^(٤) . بشرط أن يكون هذا الحرف خفياً
متخياً ، مكانه بين المضاف والمضاف إليه ، وأن يكون أحد ثلاثة أحرف
أصلية ؛ هي : « من » — « في » — « اللام »^(٥) .

(١) أما غير المحضة فالصحيح أنها لا تشتمل على حرف جر (خفى ملحوظ) . وقيل : إنها
تشتمل على « اللام » والأول هو الأرجح الذى يجب الاقتصار عليه .

(٢) هذا تعبير النحاة .

(٣) أوضحنا هذا في باب حروف الجر ، ج ٢ م ٨٩ ص ٣٤٠ .

(٤) يرى بعض النحاة أن الإضافة المحضة ليست على تقدير حرف خفى ، ولا على ملاحظة وجوده
مع اختفائه . وحجته : أنه لو كان هناك حرف خفى ملحوظ ما وقع فرق في المعنى بين : كتاب محمد ،
وكتاب لمحمد ؛ فيتساوى المعنيان ، مع أنهما غير متساويين في الواقع ، لأن كلمة : « كتاب » الأولى
معرفة ، والثانية نكرة ؛ وفرق كبير في المعنى بين المعرفة والنكرة .

وقد دفعوا حجته بمنع المساواة ؛ قائلين : إن المراد من كون الإضافة على معنى حرف — كاللام ،
مثلاً — مجرد ملاحظة معنى : « اللام » . وهذه الملاحظة المجردة لا تمنع من تعريف المضاف ، ولا من
تخصيصه ، على الوجه الآتى في الحكم السادس — ص ٢٣ — ما دام حرف الجر مخفياً لا يظهر في الجملة
بين المتضايين . أما إذا ظهر بينهما فإن الأمر يتغير ؛ فتخلو الجملة عندهن من اسم المضاف والمضاف إليه ؛
لأن كلا منهما يفقد اسمه هذا بسبب ظهور حرف الجر ، ويزول ما كان يكتبه المضاف من المضاف
إليه من تعريف أو تخصيص ؛ حيث لا يوجد الآن إضافة مطلقاً .

فجرد الملاحظة لا يستلزم المساواة التامة بين « كتاب محمد » و « كتاب لمحمد » من كل وجه
إذ المراد من « كتاب محمد » ، بمعنى : « كتاب لمحمد » ملاحظة معنى « اللام » فقط دون التصريح بها ،
ودون منع تعريف أو غيره مما يستفيده المضاف من المضاف إليه . فالأمر مقصور على مجرد تفسير جهة
الإضافة في المثال المذكور وأشباهه ؛ من ناحية الملك ، أو : الاختصاص ، ونحوه ، ليس غير .

(٥) وبسبب هذا الأثر المعنوي ، مزيداً عليه الأثر الموضح في الحكم السادس التالى — ص ٢٣ —

سميت « إضافة معنوية » — كما سبق في رقم ١ من هامش صفحة ٣ ، وكما يبيح في صفحة ٢٤ .

ولإنما انحصر الاختيار في هذه الثلاثة لأنها — دون غيرها — أقدر على تحقيق الغاية المعنوية؛ فالحرف: « من » يدل على أن المضاف بعض المضاف إليه . . . ، والحرف: « في » يدل على أن المضاف إليه يحوى المضاف كما يحوى الظرفُ المظروف والحرف: « اللام » يدل على ملكية المضاف إليه للمضاف، أو اختصاصه به بنوع من الاختصاص فمثال: « من » قول أعرابية لابنها الخارج إلى القتال ، وقد رأته متزينًا :

حرامٌ على من يرومُ انتصاراً ثيابُ الحرير ، وحلّى الذهبُ
أى : ثيابٌ من الحرير ، وحلّى من الذهب . ومثال « في » قول الشاعر :

ولقد ظفرتُ بما أردت من الغنى بكفاحِ صبحٍ ، واجتهادِ مساءٍ
أى : بكفاح في صبح ، واجتهاد في مساء . ومثال « اللام » قول الشاعر في وصف الصحف :

لسانُ البلادِ ، ونَبْضُ العبادِ وكهفُ الحقوقِ ، وحربُ الجَنَفِ^(١)
أى : للبلاد — للعباد — للحقوق — للجنف .

ومن الواجب التنبيه لما قلناه من أن الحرف الجار — في الأمثلة السالفة وأشباهها — لا وجود له في الحقيقة الواقعة ، ولا في التقدير الذى يقوم مقامها ، وإنما وجوده مقصور على التخيل ، ومجرد النية . ولهذا لم يعمل الجار في المضاف إليه ، — في رأى المشهور — ولم يحتاجا معاً إلى عامل يتعلقان به ؛ إذ التعلق لا يكون إلا للجار والمجرور الحقيقيين الأصليين . وبالرغم من أن هذا الحرف خيالى محض فإن التصريح به جائز في أكثر الإضافات المحضة^(٢)

لكن أياصلح كل حرف من تلك الأحرف الثلاثة لكل إضافة محضة ؛ بحيث يصح أن يحل هذا الحرف محل ذاك ، والعكس ، بغير ضابط ولا اشتراط شيء ، أم أن الأمر في الاختيار مقيد بشرط خاص ، وخاضع لضابط معين ؟ .

وبعبارة أخرى : أيباح استعمال كل واحد من الأحرف الثلاثة في كل إضافة

(١) الميل عن الحق — الظلم .

(٢) سيجىء في قسم « ا » ص ٢١ بعض الصور التى لا يصح فيها التصريح بجر الجار .

محضة ، أم أن لكل إضافة محضة حرفاً واحداً يناسبها ، ولا يصلح لها سواه ؟ .

نعم لكل واحدة منها حرف يناسبها ، ولا يجوز اختيار غيره ، وإلا فسد المعنى المراد . ولهذا قالوا إذا صلح لواحدة أكثر من حرف جر وجب أن يختلف المعنى باختلاف الأحرف الجارة الصالحة ؛ لأن لكل حرف من الثلاثة معنى خاصاً به ، لا يؤديه غيره ، فلا يمكن أن تتفق المعاني في إضافة واحدة مع اختلاف هذه الأحرف .

وفيما يلي بيان الضابط الذي يراعى عند اختيار أحد الأحرف الثلاثة :
(وقد جرى الاصطلاح النحوى عند اختيار حرف منها أن يذكر اسم الحرف ؛ فيقال : الإضافة على معنى « من » ^(١) - أو : الإضافة على معنى « في » - أو الإضافة على معنى « اللام ») .

١ - تكون الإضافة على معنى : « من » ، إن كان المضاف إليه جنساً عاماً يشمل المضاف ، ويصح إطلاق اسمه على المضاف . وإن شئت فقل : أن يكون المضاف بعض المضاف إليه ، مع صلاحية المضاف لأن يكون مبتدأ خبره المضاف إليه ^(٢) ، من غير فساد للمعنى ، مثل : ثياب حرير ، حلّى ذهب . . . فالحرير : مضاف إليه ، وهو جنس عام ، يشمل أشياء كثيرة ؛ منها الثياب ، وغيرها . والذهب جنس عام يشمل أشياء متعددة ، منها الحلّى وغيره ، فالمضاف فى الحالتين - ونظائرهما - بعض مما يشمل المضاف إليه ، ولو سمي باسم المضاف إليه لكانت التسمية صحيحة ، ولو وقع المضاف مبتدأ خبره المضاف إليه ما فسد المعنى ، فيصح ؛ الثيابُ حريرٌ - الحلّى ذهبٌ . . .

(١) هى « من البيانية » التى سبق بيانها وبيان أحكامها الأخرى فى باب حروف الجر ص ٢

ص ٢٣٨ م ٩٠ .

(٢) إلا فى المسألة التى فى هامش الصفحة الآتية .

زيادة وتفصيل :

من الإضافة التي على معنى : « من » إضافة الأعداد إلى المعدودات ؛ نحو : اشتريت أربعة كتب . ويدخل في هذا النوع إضافة العدد إلى عدد آخر ؛ نحو : عندي من الكتب ثلاثمائة ^(١) .
ومنها : إضافة المقادير إلى الأشياء المقدرة ؛ نحو : بعت فدان قطن .

وإذا كانت الإضافة على معنى : « من » جاز في المضاف إليه أوجه إعرابية أخرى ، فيجوز أن يعرب بدلا ، أو عطف بيان ، وتزول بوجودهما الإضافة وتكون حركة آخره تابعة لحركة المتبوع الذي كان مضافاً في الأصل . كما يجوز أيضاً — إن كان نكرة — نصبه على الحال أو التمييز بعد الاستغناء عن الإضافة ؛ ففي مثل : هذه ساعة فضة ، يصح إعراب : « فضة » مضافاً إليه مجروراً ، والمضاف هو كلمة : « ساعة » — خبر مرفوع ، مجرد من التنوين . ويصح في كلمة : « فضة » إعرابها بدلا ، أو عطف بيان ، فتكون مرفوعة ، تبعاً لكلمة « ساعة » المرفوعة ، والتي يجب أن يرجع إليها التنوين في هذه الصورة بعد زوال الإضافة . ويصح أيضاً إعراب كلمة : « فضة » حالاً أو تمييزاً ؛ فيجب نصبها كما يجب تنوين كلمة : « ساعة » ، في هذه الصورة أيضاً ، بعد زوال الإضافة .

ولكل صورة إعرابية من الصور الصحيحة السالفة معنى يختلف عن الآخر ؛ لأن المعنى الذي يؤديه البدل أو عطف البيان يغير ما يؤديه الحال أو التمييز ، وكذا ما يؤديه هذان . . .

* * *

(١) عرفنا أنهم اشتروا في الإضافة التي على معنى : « من » أن يكون المضاف إليه جنساً المضاف . . . ، وأن يصح وقوع المضاف إليه خبراً عن المضاف . لكن هذا لا يتحقق في إضافة العدد للعدد ؛ إذ لا يصح أن يقال : « الثلاث مائة » . . . غير أنهم قالوا إن إضافة العدد للعدد هي على معنى « من » ولا يضر عدم صحة الإخبار في الظاهر ؛ لأن المراد بالمضاف إليه هنا الجمع فيشمل المضاف . فالمقصود من المائة (وهي المفرد المضاف إليه) المئات ؛ فكأنك تقول : الثلاث مئات . . . وهذا التأويل يتحقق الشرط السالف .

وقد يقال : لا داعي للتأويل والتقدير ما دامت العرب قد نطقت بهذا . . .

ب - تكون الإضافة على معنى : « في » إن كان المضاف إليه ظرف زمان أو مكان واقعاً فيه المضاف ^(١) : نحو : يحرص كثير من الناس على رحلة الشتاء إلى المشاتي ، ورحلة الصيف إلى السواحل البحرية . أى : رحلة في الشتاء ، ورحلة في الصيف . ونحو : قول شوقي في وصف الظبي :

« عروسُ البِيدِ ، الفاتن كالغيد . . . إذا شرع في السماء رَوْقِيَّهٍ ^(٢) ، خلَّتْهُ دُمَيْةٌ محرابٍ ، أو شجيرةٌ عليها ترابٌ » . يريد : عروس في البید - دمية في محراب . . .

ح - تكون الإضافة على معنى « اللام » إن كان معناها هو الذى يحقق القصد، دون معنى : « من » أو « في » ؛ كالإضافة التى يراد منها بيان الملك ، أو الاختصاص ، فى مثل : يضع العربى يده فى يد أخيه ، ويعاهده على النصر والتأييد والفداء . أى : يد له فى يد أخيه . وقول شوقي يخاطب أبا الهول ^(٣) :

أبا الهول ، أنت نديم الزمانِ نَجِىُّ الأوانِ ^(٤) ، سمير العصر ^(٥)

أى : نديم للزمان - نجى للأوان - سمير للعصر ، فالإضافة فى هذه الصور وأشباهاها على معنى : « اللام » ولا تصلح أن تكون على معنى « من » أو : « فى » .

والغالب فى اللام الملحوظة أن تكون لبيان الملك أو الاختصاص ^(٦) . فإن صلح فى مكانها ملاحظة حرف آخر وجب أن يقوم المعنى على ملاحظة الحرف الذى يحقق القصد ؛ لأن لكل حرف - كما أشرنا ^(٧) - معنى يؤديه ؛ فالحرف الذى يؤدى المعنى الذى يريده المتكلم يكون هو الحرف المطلوب .

(١) ليس من اللازم أن يكون المضاف إليه ظرفاً حقيقياً للزمان أو المكان تنطبق عليه شروطهما ، وإنما الغرض أن يكون وعاء للمضاف ، وغلافاً محتويه . ويمكن أن تكون الظرفية مجازية .

(٢) قرنيه . - تشنية : قرن -

(٣) تمثال فرعونى من أقدم آثار الفراعين ، وأروعها سورة ، وأكملها إتقاناً ، رأسه رأس إنسان

وجسمه جسم أسد . (٤) الزمن الحديث .

(٥) بمعنى : الدهر . أو : جمع عصر .

(٦) انظر رقم (١) فى الصفحة التالية - وقد سبق شرح هذا فى الجزء الثانى ، باب : « حرف

الجر » - ص ٣٦٤ م ٩٠ .

(٧) فى ص ١٨ .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) قد تكون الإضافة على معنى : « اللام » ولكن لا يصح التصريح^(١) بهذا الحرف ، مثل : يوم السبت - يوم الأحد ومثل : علم الحساب - علم الهندسة وفي هذه الحالة يكتب من اللام بتحقيق الغرض من مجيئها ، وهو : إفادة الاختصاص .

وهناك صور أخرى لا يصح التصريح فيها باللام إلا إذا تغير لفظ المضاف وحل محله لفظ آخر يرادفه أو يقاربه ؛ ومن هذه الصور : ذو مال - عند علي - مع الوالد - كل رجل . . . فتصير بعد التغير الذي لا يفسد المعنى : صاحب مال - مكان علي - مصاحب الوالد - أفراد الرجل .

(٢) الأصل أن تكون النسبة الإضافية قوية ، أى : أن تكون الصلة المعنوية بين المضاف والمضاف إليه وثيقة ، والربط بينهما محكمًا بحيث يظهر ويتحقق جليًا معنى الحرف : « من » أو : « فى » أو : « اللام » على حسب القصد . وهذه الإضافة تسمى : « الإضافة قوية الملابس » (أى : قوية المناسبة) .

وقد تقوم دواع بلاغية تقتضى أن تكون الصلة بين المضاف والمضاف إليه ضعيفة ، لكنها واضحة مفهومة ، ويعبرون عنها بأنها « الإضافة لأدنى ملابس »^(٢) ومن أمثلتها : « قمر القاهرة ساحر ، وشمس حُلوان^(٣) رائعة » . فقد أضيف القمر إلى القاهرة ، ونسب إليها ؛ إضافة على معنى « اللام » . فأين ما تفيدته الإضافة التى على معنى « اللام » من المِلْك أو الاختصاص ؟ . . . إن صلة القمر بمدينة القاهرة ضعيفة لا تستحق تلك الإضافة ، ولا هذه النسبة ؛ إذ يشاركها فيها آلاف من البلاد الأخرى ؛ فلا داعى لاستثارتها بالقمر . غير أن

(١) أشرنا لما يأتى فى رقم ٢ من هامش ص ١٧ .

(٢) وهى جائزة فى السمة والضرورة . (أى : فى النثر والشعر ، وملحقاته . . .) .

(٣) إحدى ضواحي القاهرة ، جنوباً .

هناك داعياً بلاغياً اقتضى هذه النسبة وتخصيص القمر بالقاهرة ؛ هو : إفادة أنه يمنحها مالا يمنح سواها ، ويضفى عليها جمالا قَلَّ أن تفوز به مدينة أخرى . فكأنه خاص بها ، مقصور عليها . ومثل هذا يقال في المثال الثانى وأشباهه ^(١) . . .

* * *

(١) كقولہ تعالى : « كَانَهُمْ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » . فقد أضيف الضحا إلى : « ها » التى هى ضمير العشية ، فالتقدير : كأنهم لم يلبسوا إلا عشية ، أو ضحا العشية . ولا صلة هنا تربط المضاف بالمضاف إليه ربطاً معنوياً قوياً يحقق معنى الحرف إلا صلة واهية ؛ هى : أن الضحا أول النهار والعشية آخره ؛ فبينهما أزمنة أخرى ، لكل زمان منها اسمها الخاص . ولكن البلاغة اقتضت إغفال هذه الأزمنة ، وإجراء إضافة لأدنى ملازمة بين المضاف والمضاف إليه . وكقولهم : (نعيم الأحق) ؛ وهو نعيم كان إذا أشرق ورآه بعض الحمقى ، هذا واستراح ، وخفت حدة حمقه . وكذلك ما جاء فى « الكامل » للمبرد (ج ١ ص ٢٤٣) ، من قول الشاعر :

أَهَابُوا بِهِ ؛ فَازْدَادَ بُعْدًا ، وَصَدَّهِ عَنْ الْقُرْبِ مِنْهُمْ ضَوْءُ بَرْقٍ وَوَابِلُهُ
فقد أضاف الشاعر كلمة : « وابل » إلى ضمير « البرق » ؛ فكأنه أضافها إلى البرق نفسه ؛ قائلا « وابل البرق » مع أن « الوابل » ليس للبرق . قال المبرد : قد يضاف ما كان كذلك على السعة كقول الشاعر :

حَتَّى أَنْخَتَ قَلْوَصِي فِي دِيَارِكُمُو بِخَيْرٍ مِنْ يَحْتَدِي نَعْلًا وَحَافِيهَا
فأضاف « الحافى » إلى « النعل » وهو يريد : حاف منها

السادس : استفادة المضاف من المضاف إليه تعريفاً أو تخصيصاً ؛ بشرط أن تكون الإضافة محضة ؛ فيستفيد الأول من الثاني ، ويبقى الثاني على حاله ^(١) لم يفقد شيئاً بسبب الاستفادة منه .

وإيضاح هذا : أنه — في الإضافة المحضة — إذا كان المضاف نكرة : وأضيف إلى معرفة — فإنه يكتسب منها التعريف مع بقائها معرفة ؛ كقولهم : كلامُ المرءِ عنوان لعقله ، وعقله ثمرةٌ لتجاربه . فالكلمات : (كلام — عقل — تجارب) — هي في أصلها نكرات ، لا تدل كلمة منها على معين ، ثم صارت معرفة بعد إضافتها إلى المعرفة ، واكتسبت منها التعيين الذي يزيل عن كل واحدة منها إبهامها وشيوعها . ومثل كلمة : « يد » المضانة للمعرفة في قول الشاعر :

الغِنَى في يد اللِّيمِ قَبِيحٌ قَدَرَ قبح الكريم في الإملاقِ

فإن كان المضاف معرفة باقية على التعريف لم يصح — في الأغلب — إضافته إلى المعرفة ^(٢) ؛ لأنه لا يستفيد منها شيئاً ، ولهذا السبب لا يصح — أيضاً — إضافة المعرفة الباقية على تعريفها إلى النكرة .

أما إذا كان المضاف نكرة وأضيف إلى نكرة فإنه يكتسب منها — مع بقائها على حالها — « تخصيصاً » يجعله من ناحية التعيين والتحديد في درجة بين المعرفة والنكرة ؛ فلا يَسْرِقُ في تعيين مدلوله إلى درجة المعرفة الخالصة الحالية من الإبهام والشيوع ، ولا ينزل في الإبهام والشيوع إلى درجة النكرة المحضة الحالية من كل تعيين وتحديد . ومن أمثلته قولهم : (فلانٌ رجلٌ مرءوٌّ ، وكعبةٌ أملٌ ، وغايةٌ فضلٍ) . . . فالكلمات : (رجل — كعبة — غاية) . . . نكرات محضة قبل إضافتها . فلما أضيفت إلى النكرة قلَّتْ أفراد كل مضاف بعد الإضافة ؛

(١) إذا توالى الإضافات — نحو : هذا بيت والدٍ محمودٍ ، وقرأت أكثر قصائدِ ديوانِ شعيرِ المتنبي . . . — انتقل التعريف أو التخصيص من المضاف إليه الأخير إلى الذي قبله ، فالذي قبله حتى يصل إلى المضاف الأول .

(راجع الصبان ج ١ آخر باب أداة التعريف . وكذا المفصل ج ٦ ص ٣٤) .

(٢) قد يصح إضافة الملم بعد تنكيره ، وإزالة علميته ، لداع من الدواعي التي تقتضي إضافته .

وفي ج ١ ص ٢٠٤ م ٢٣ بيان هذا وتفصيله .

فكلمة : « رجل » تدل على أفراد لا حصر لها ؛ منها رجل مرءوة ، رجل علم ، رجل حرب . . . إلى غير هذا من رجال لا عِدَاد لهم ، فإذا قلنا : « رجل مرءوة » انحصر الأمر في نوع معين من أفراد الرجل ، ولم يبق مجال لدخول أفراد أخرى ؛ كرجل علم ، أو حرب ، أو زراعة ، أو . . . وكذا كلمة : « كعبة » و « غاية » وأشبادها ؛ فكل كلمة من هذه الكلمات قد اكتسبت نوعاً من « التخصيص » أفادها بعض التجديد الذي خفف من درجة إبهامها وشيوعها ، وإن كانت لم تستفد التعريف الكامل ، ولم تبلغ في التعيين درجة المعرفة الأصلية . . .

واستفادة المضاف من المضاف إليه التعريف ^(١) أو التخصيص على الوجه المشروح - هي الأثر المعنوي الثاني الذي ينضم إلى الأثر المعنوي الناشئ من الحكم الخامس ^(٢) ، فيحدث من انضمامهما معاً إدراك السبب الحقيقي في تسمية هذا النوع من الإضافة المحضة : « بالإضافة المعنوية » كما أشرنا من قبل ^(٣) .

وهناك ألفاظ مسموعة ملازمة للتذكير في الأغلب ؛ لا تفيدها الإضافة المحضة تعريفاً ، ولا تخصيصاً - في أكثر الاستعمالات - ؛ ولذا تسمى : « بالألفاظ المتوغلة » ^(٤) في الإبهام ؛ ومنها : (غير - حسب - مثل -

(١) سبق شرح النكرة والمعرفة في ج ١ ص ١٤٤ م ١٧ ومن ذلك الشرح السابق نعلم أن المعارف مختلفة في درجة التعريف وقوتها ، متفاوتة من هذه الناحية ، وأن المضاف إلى معرفة هو في درجة المضاف إليه ؛ إلا المضاف للضمير ؛ فإنه في درجة العكس على الصحيح . . .

(٢) انظر ص ١٦ .

(٣) في رقم ١ من هامش ص ٣ وفي رقم ٥ من هامش ص ١٦ .

(٤) سبقت الإشارة للألفاظ المتوغلة في الإبهام (أي : المتعمقة المتغلغلة في داخله) في رقم ٣ من هامش ص ١٩٠ من الجزء الأول (م ١٧) ثم الجزء الثاني في بابي : « الظرف والاستثناء م ٧٩ و ٨٢ ص ٢٨٠ و ٣٢١ » . وقلنا في باب الظرف ، ص ٢٣٨ م ٧٩ ما ملخصه : (إن اللفظ المتوغل في الإبهام هو : الذي لا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه ، وإنه في أكثر أحواله لا يستفيد من المضاف إليه تعريفاً ، إلا بامر خارج عن الإضافة ؛ كوقوع كلمة : « غير » بين ضدين معرفتين (كما نص على هذا « العكبري » في أول كتابه : (إملأ ما من به الرحمن . . . - أول سورة الفاتحة - ج ١ ص ٥) في مثل : رأيت العلم غير الجهل ، وعرفت العالم غير الجاهل ، وقوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ») فوقوع كلمة « غير » بين ضدين معرفتين أزال إبهامها ؛ لأن جهة المغايرة تتعين بخلاف خلوها من ذلك في مثل : أبصرت رجلاً غيرك . فكل رجل سواك هو غيرك ؛ فلا تعين ولا تخصيص . . . وهذه المناسبة نعرض للكلمة « غير » من ناحية دخول « أل » عليها أو عدم دخولها فننقل ما جاء في المصباح المنير ، في مادة « غير » ، ونفصه : (تكون وصفاً للنكرة ، تقول : جامف رجل غيرك . وقوله تعالى : « غير المغضوب عليهم » إنما وصف بها المعرفة لأنها أشبهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة -

= فعمومات معاملتها ، ووصف بها المعرفة . ومن هنا اجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام ، لأنها لما شابهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة جاز أن يدخلها ما يعاقب الإضافة وهو الألف واللام . ولك أن تمنع الاستدلال ، وتقول : الإضافة هنا ليست للتعريف ، بل للتخصيص . والألف واللام لا تفيد تخصيصاً فلا تعاقب إضافة للتخصيص ولا تدخله الألف واللام (. . .) . ١٠٠ هـ .

وجاء في الصبان - عند الكلام على ما يسميه بعض النحاة : « الإضافة شبه المحضة » ، وما كان منها شديد الإبهام لا يقبل التعريف ، كثير ، ومثل ، وشبه . . . - ما نصه وقد نقله عن غيره : « ينبغي أن هذه الكلمات كما لا تتعرف بالإضافة إلا فيما استثنى لا تتعرف » بآل » أيضاً ؛ لأن المانع من تعريفها بالإضافة مانع من تعريفها » بآل » . ونقل الشنوافي عن السيد أنه صرح في حواشي الكشف بأن « غير » لا تدخل عليها « آل » (إلا في كلام المولدين) « ١٠٠ هـ . وسيجيء الكلام عليها بمناسبة أخرى في ص ١٣١ .

وكذلك الشأن في كلمة : « مثل » إذا أضيفت لمعرفة بغير وجود قرينة تشعر بمائلة خاصة ؛ فإن قولنا : « مثل محمد » يشمل أفراداً لا عداد لها ؛ منها واحد في طوله ، وآخر في عمله ، وثالث في علمه ، ورابع في حسنه ، و وهكذا بما لا آخر له . فالإضافة للمعرفة لا تعرفها ، ولا تزيل إبهامها ؛ ولهذا وقعت نعنا للنكرة في قوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها ؛ فنعنا وأصلح فأجره على الله ؛ إن الله لا يحب الظالمين . . .) أما إن أضيفت إلى معرفة ، وقارنها ما يشعر بمائلة خاصة فإنها تتعرف ، نحو : رافعي هذا الخط ، وأسكتب مثله . وهذا معنى قولهم : إذا أريد بكلمة « غير » و « مثل » مغايرة خاصة ، ومائلة خاصة - حكم بتعريفهما ، وأكثر ما يكون ذلك في كلمة : « غير » إذا وقعت بين متضادين . وأما قوله تعالى : « . . . صالحاً غير الذي كنا نعمل » حيث وقعت كلمة . « غير المتوسطة بين المتضادين » المضافة للمعرفة صفة لنكرة - فتعرب هنا بدلا ، وإن كانت جامدة ، ولا داعي لإعرابها صفة (راجع الكبير) ، في أول الفاتحة ، ثم الأشوفي والصبان ، أول باب الإضافة ، عند الكلام على الإضافة غير المحضة .

« ملاحظة » : تصدى لبحث هذه المسألة مؤتمر الجمع اللغوي المنعقد بالقاهرة في دورته الخامسة والثلاثين (شهر فبراير سنة ١٩٦٩) وارتضى الرأي القائل : إن كلمة « غير » للواقعة بين متضادين تكتسب التعريف من المضاف إليه المعرفة . ويصح في هذه الصورة التي تقع فيها بين متضادين وليست مضافة أن تقرن بآل فتستفيد التعريف . وفيما يلي النص الحرفي لقرار الجمع منقولاً من مجلته (الجزء الخامس والعشرين الصادر في نوفمبر سنة ١٩٦٩ ص ٢٠٢) بناء على اقتراح لجنة الأصول بالمجلس التي تقول : « (تختار اللجنة - وفاقا لجماعة من العلماء - أن كلمة : « غير » إذا وقعت بين ضدين لا قسم لهما ، تتعرف بإضافتها إلى الثاني منهما إذا كان معرفة . وإذا كانت « آل » تقع في الكلام معاقبة للإضافة فإنه يجوز دخول « آل » على « غير » فتفيد التعريف في مثل الحالة التي تعرفت فيها بالإضافة إذا قامت قرينة على التعمين . . .) » . ١٠١ هـ .

واللفظ المتوغل في الإبهام لا يصلح - في أكثر حالاته - لأن يكون نعناً ، أو منعوتاً ، ومنه : « قبل » و « بعد » ، ما عدا بعض ألفاظ منها « غير » و « سوى » فيصلحان للنعت - كما سيجيء في باب : النعت ، ص ٤٦٦ .

بقى أن نذكر ما قرره النحاة بشأن الألفاظ المبهمة التي لم تستفد التعريف من المضاف إليه المعرفة . فسيبويه والمبرد يقولان إن الإضافة في هذه الحالة غير محضة ، فائتها للتخفيف ، وما يتصل به مما عرفناه ، وما يجيء مفصلاً في ص ٣٠ . وغيرهما يقول : إنها محضة ومعنوية تفيد التخصيص ، وإن كانت لا تفيد التعمين .

ناهيك^(١) . . . فإنها نكرات (في أغلب حالاتها) وإن أضيف لمعرفة ؛ نحو :
غيرك - حسبك - مثلك . . .

ومنها : المعطوف على مجرور « رُبَّ » ، والمعطوف على التمييز المجرور بعد « كَمْ » ، نحو : رُبَّ ضيف وأخيه هنا - كم رجل وكُتِبَ رأيت - . وسبب ذلك أن المجرور بعد « رُبَّ » و « كَمْ » ، لا يكون إلا نكرة ؛ فما عطف عليها فهو نكرة كذلك ؛ لأنه في حكم « المعطوف عليه » من ناحية أن عامل الجرفيه هو العامل في المعطوف عليه ؛ فكلا « المعطوف والمعطوف عليه » لا بد أن يكون نكرة ، أو في حكم النكرة ليصلح معمولا للعامل المشترك .

وقيل إن المعطوف في الحالتين السالفتين يكتسب التعريف من المضاف إليه المعرفة ، ولاداعي للتمسك بتنكيره بسبب العامل : « رُبَّ » أو « كَمْ » ؛ لما تقرر^(٢) من أن التابع قد يُغْتَفَر فيه ما لا يغتفر في المتبوع . وسبق^(٣) أن الأخذ بهذا الرأي أولى .

ومنها : كلمة : « وَحَدَّ » و « جَهَدَ » ، و « طاقَ » ، في مثل قولهم :
(يحترق الحاسد وحده ، ويتمنى جهده أن تزول نعمة المحسود ، ويجتهد طاقته أن يلحق به النقائص والعيوب) . وهي - في أكثر استعمالاتها - أحوال مؤولة . والحال في أصله لا يكون إلا نكرة ، وتأويل تلك الكلمات : « منفرداً » - « جاهدأ » - « مُطِيقاً »^(٤) .

وإلى هنا انتهى الكلام على « الإضافة المحضة » ، من ناحية ما يكتسبه المضاف

= هذا ، ومن الألفاظ السماعية المتوغلّة في الإبهام : شهبك (بكسر فسكون أو بفتح الأول والثاني) - ضربك - تربك - نحرولك - نذلك ؛ وكلها بمعنى : نظيرك في علم أو سن ، أو نحوها - خدتك ، بمعنى : صاحبك - (شربك سقودك سقذك) - والثلاثة ، بمعنى حسبك . ولا يقاس على هذه الألفاظ غيرها ما لم يرد به السماع . وهناك أمور خاصة تتعلق بالظروف المبهمة وأحكامها سبقت في ج ٢ ص ٢٠٣ و ٧٨ ص ٢٣٨ م ٧٩ وسيجيء هنا بعض أحكام مناسبة تختص بالابهام ص ٦٦ و ٨٠ و ٨٧ .
(١) معناها في مثل : ناهيك السفر . . . - ، السفر ناهيك عن التطلع لغيره ؛ لكفايته . وقد سبق بيان معناها وإعرابها في ج ١ ص ٣٢٦ م ٣٣ .

(٢) انظر ج ١ ص ٤٤٤ م ٤٨ و ج ٢ ص ٢٦٢ م ٨١ .

(٣) هنا وفي ج ١ م ٩٠ ص ٤٠٥ .

(٤) سبقت لها الإشارة في ج ٢ ص ٢٩٧ م ٨٤ .

من التعريف أو التخصيص ، وننتقل إلى « غير المحضة » للكلام عليها من هذه الناحية ^(١) :

(١) فيما سبق يقول ابن مالك مختصراً :

نُونًا تَلِي الإِعْرَابَ ، أَوْ تَنْوِينًا مِمَّا تُضَيِّفُ ، اِخْدَفُ ، كَطَوْرِ سِينَا
أى : اِخْدَفْ مِمَّا تُضَيِّفُهُ : « نُونًا » تَلِي الإِعْرَابَ (وهى نون المثني ، ونون جمع المذكر السالم ، وملحقاتها .
وتقع بعد علامة الإعراب ؛ لأنها تقع بعد ألف المثني ، ويائه ، وبعد واو جمع المذكر السالم ، ويائه .
وهذه الحروف هى علامة إعرابهما) .

وكذلك اِخْدَفُ : « التَّنْوِين » الذى فى آخر الاسم الذى تريد إضافته . ومثَّلْ لِحْدَفِ التَّنْوِينِ من
المضاف بكلمة : « طور » عند إضافتها إلى كلمة : « سينا » . و « الطور » اسم جبل فى صحراء
« سينا » أو : « سيناء » وهى من الحدود المصرية فى الشمال الشرقى ، ثم قال :

وَالثَّانِي أَجْزُرُ ، وَأَنْوِ : « مِنْ » ، أَوْ : « فِى » إِذَا
لَمْ يَصْلُحْ إِلَّا ذَاكَ . وَ : « اللَّام » خُذَا :
لِمَا سِوَى ذَيْنِكَ . وَأَخْصُصْ أَوَّلًا

أَوْ أَعْطِهِ التَّعْرِيفَ بِالَّذِى تَلَا

يريد : اجرر الثانى دائماً ، وهو المضاف إليه . وعند جره وإتمام الإضافة انو وتخيّل وجود الحرف :
« من » أو « فى » إذا لم يتحقق المعنى المراد إلا على نية أحدهما . فإن لم يصلح أحدهما فخذ - بعد ذلك -
اللام ، وانوها فى كل موضع سوى الموضع الصالح لأحد ذينك الحرفين . أى : أن اللام لا تنوئى فى الموضع
الذى يصلح له الحرف « من » أو « فى » . وقد عرفنا أن هذه الحروف لا تجر المضاف إليه ، ولا تحتاج معه
إلى عامل يتعلّقان به . وإنما الذى يجره هو المضاف .

ثم قال : اِخْصُصْ الْأَوَّلَ (وهو المضاف) أو : عرّفه بالذى تلاه ، (وهو المضاف إليه) . يريد :
أن المضاف يتخصّص أو يتمرّف بالمضاف إليه . وهذا كله فى الإضافة المحضة ؛ فيتخصّص المضاف
للتكرة بالمضاف إليه التكرة ، ويتمرّف المضاف بالتكرة بالمضاف إليه المعرفة . أما المعرفة الباقية على
تعريفها فلا تضاف لمعرفة ولا لتكرة . وقد سبق شرح هذا مفصلاً .

زيادة وتفصيل :

إذا كانت الإضافة « محضة » والمضاف إليه جملة ، فإن هذه الجملة في حكم المفرد المضاف إليه ؛ لأنها تُؤَوَّل بمصدر لفعلها ، مضاف إلى فاعله إن كانت الجملة فعلية ، وبمصدر خبرها مع إضافته إلى مبتدئه إن كانت اسمية . ولا يحتاج هذا المصدر المؤول إلى أداة سبك ، فالأولى : مثل : أزورك حين يوافق الوالد . وتأويلها : أزورك حين موافقة الوالد . والثانية : أزورك حين الوالد موافق* ، وتأويلها : أزورك حين موافقة الوالد .

ويترتب على ما سبق أن المصدر الناشئ من التأويل يكون معرفة إن أضيف لمعرفة ، ونكرة متخصصة إن أضيف لنكرة^(١) . نعم إن الجمل نكرات في حكمها^(٢) ولكن لا ينظر لهذا هنا . ووقوع الجملة صفة للنكرة المحضة في كل الأحوال لا يقدر في هذا ؛ لأنها تكون صفة باعتبار ظاهرها ، وقطع النظر عن تأويلها بمصدر مضاف لمعرفة أو نكرة .

* * *

(١) وستجىء إشارة لهذا ولغاثة الإضافة للجملة - وشروط هذه الجملة - في ص ٨٤ وفي رقم ٢ من هامش ص ٧٨ وقد سبق أيضاً في آخر باب الموصول ج ١ ص ٢٩٥ م ٢٩ .

(٢) إيضاح هذا في باب النعت عند الكلام على وقوع الجملة نعتاً (في ص ٤٨٠) أما الحكم على الجملة نفسها بأنها نكرة أو معرفة ففي « و » من ص ٤٨٠ - ولهذا إشارة في ج ٢ هامش ص ٣١١ م ٨٤ ، وفي باب : « النكرة والمعرفة » ج ١ ص ١٤٢ م ١٧ .

عودة إلى الإضافة غير المحضة :

عرفنا^(١) أن الإضافة غير المحضة : هي التي يتغلب أن يكون المضاف فيها (وصفاً^(٢) عاملاً) ، (وزمنه للحال ، أو : الاستقبال ، أو : الدوام) . ومتى اجتمع الأمران — الوصفية العاملة ، والزمنية المعيّنة — كان المضاف مشتقاً يشبه مضارعه في نوع الحروف الأصلية التي تتكون منها صيغتهما ، وفي المعنى ، والعمل ، وكذلك في نوع الزمن — غالباً — وهذا كله يتحقق في المضاف إذا كان اسم فاعل يعمل عمل فعله ، أو اسم مفعول كذلك ، فكلاهما وصف عامل ، زمنه للحال أو للاستقبال على حسب المناسبات . كما يتحقق في الصفة المشبهة^(٣) الأصلية أيضاً ؛ لأنها تعمل عمل فعلها اللازم ، وتنفيد في أكثر حالاتها الدوام والاستمرار ، وهذان يقتضيان أن تشتمل دلالتها على الأزمنة الثلاثة : (الماضي ، والحال ، والمستقبل) ، إذ لا يتحقق معنى الدوام والاستمرار بغير عناصره الأساسية الثلاثة . فلا يمكن أن تكون للماضي وحده — وإلا كانت إضافتها محضة — ولا للمستقبل وحده . وكذلك لا يمكن أن تخلو من الدلالة على زمن الحال ؛ فلا بد أن تشتمل الدلالة على الثلاثة ؛ الماضي والحال والاستقبال ، إلا أن دلالتها على الحال أقوى تحقّقاً ووجوداً من دلالتها على غيره ، وبسبب هذا كانت إضافتها غير محضة في رأى كثير من النحاة^(٤) . . .

أما باقى المشتقات غير ما ذكرناه هنا بقيوده ؛ من اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة — فإنضافته محضة ، لانطباق شروطها عليه ، دون شروط الأخرى . فمثال اسم الفاعل : يشكو راكب الباخرة اليومَ بطئها بالنسبة للطائرة . وغداً يشكو راكب الطائرة بطئها بالنسبة « للصاروخ » ؛ فكلمة : « راكب » في الجملتين مضافة . وهى في الأولى اسم فاعل للزمن الحالى ، وفى الثانية اسم

(١) فى ص ٦ .

(٢) أى : اسماً مشتقاً . . .

(٣) فى هذا الجزء — ص ٢٨١ — باب خاس بها ؛ يبين خصائصها وأحكامها التى منها : أنها لازمة كفعالها ، وأنها تدل على الحال دائماً وتدل معه على غيره — كما سيجىء — لأنها تفيد الدوام فى أكثر أحوالها ، والدوام يستلزم الحال ، مزيداً عليه زمن آخر .

(٤) بيان الرأى الحق فى هذه المسألة فى ص ٣٧ .

فاعل للزمن المستقبل . وكقولهم : من تراه جاحداً النعمة الساعة تراه فاقداً هماً غداً .
ويدخل في اسم الفاعل صيغ^(١) المبالغة العاملة أيضاً ؛ كقولهم : في هذا الشهر
يتفرغ فلان للعبادة ؛ فتراه صَوَّامَ الفمِ نهاراً عن الطعام ، حذِرَ اللسانِ من اللغو ،
حبيس النفسِ عن الهوى . ومثال اسم المفعول : مجهول القَدَرِ اليومَ قد يصير
معروف المكانة غداً . . ومثال الصفة المشبهة قولهم :

— عزيز النفسِ من يأبى الدنيا —

فإن فَقَدَ المضاف أحد الشرطين كانت الإضافة محضة ؛ كأن يفقد
الوصفية لكونه اسماً جامداً ، غير مؤول بالمشتق ؛ كالمصدر في نحو : بذلُ الودِ
والنصيحة لمن لا يستحقهما كبذر الحبِّ في الصخر الأَصم . أو يفقد العمل دون
الوصفية بسبب أنه من المشتقات التي لا تعمل مطلقاً ؛ (كأسماء الزمان . والمكان
والآلة) . أو يكون في أصله من المشتقات العاملة ، ولكنه فقد شرطاً من شروط
العمل ؛ فلا يعمل ؛ كاسم الفاعل ، واسم المفعول إذا كانا للماضي^(٢) الخالص
دون دلالة على الحال أو الاستقبال ؛ نحو : باذل الخيرِ أمسِ يسعد اليوم بما قدم
وماضى أعماله عنوان صفحته التي كان بها مسروراً أو محزوناً .

• • •

أثر الإضافة غير المحضة :

لا تأثير لها في المعنى — في أغلب الحالات — لأنها ليست على نية حرف من
حروف الجر الثلاثة التي يفيد كل منها الفائدة التي أوضحناها فيما سلف ،^(٣)
ولأنها لا تكسب المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً ، والتعريف والتخصيص

(١) لها بحث خاص يجيء . في ص ٢٥٧ .

(٢) وكذلك إن لم يدل على زمن مطلقاً . فعند عدم دلالتها على الزمن وخلو الأسلوب مما يدل عليه
تكون إضافتها محضة ، كما تقدم في ص ٥ .

(٣) في ص ١٦ ، والذي يدل على أنها ليست على نية حرف الجر إمكان الاستغناء عنها في كل
أسلوب من أساليبها من غير أن يتأثر معناه ، — في الأغلب — ومن غير أن تزداد عليه كلمة ، أو تنقص
منه ، أو يتغير ترتيب كلماته . ويتلخص هذا الاستغناء . بالأنا نطلق على الوصف اسم : « المضاف »
ولا نطلق على مفعوله اسم المضاف إليه ؛ وإنما نعرب الوصف على حسب حاجة الجملة ، من غير
نسبته مضافاً ، ونجعل المضاف إليه المجرور مفعولاً للوصف ؛ إما فاعلاً للمفعول ، وإما مفعولاً به ؛
على حسب حاجة الوصف ، ويزول الجر السابق . فهذه الإضافة غير لازمة ، ولا دائمة ، ولا يتأثر
— في الأغلب — المعنى المعين بوجودها أو بالعاوِل عنها ؛ بل إن المفعول عنها هو الأصل (كما في ص ٣٤) —

أثران معنويان لا صلة للإضافة غير المحضة بجلبيهما للمضاف ، وعلى هذا لا نصيب لها من التأثير المعنوي الذي « للمحضة » .

والدليل على أنها لا تفيد « المضاف » تعريفاً - دخول « رُبَّ » عليه مع إضافته للمعرفة ^(١) . مثل : (رُبَّ مخرج الزكاة ، مسرورٍ بإخراجها - قد أبطل ثوابها بالمن والأذى) . فلو أن المضاف - وهو : مخرج - اكتسب التعريف من المضاف إليه ما دخلت عليه « رُبَّ » ؛ لأنها لا تدخل إلا على التكرات ^(٢) .
وشيء آخر ، هو أن هذا المضاف إلى المعرفة يصح أن يقع نعتاً للنكرة ، فكيف يقع نعتاً للنكرة إذا صحَّ أنه يكتسب من المضاف إليه التعريف ويصير معرفة ، والمعرفة لا تكون نعتاً للنكرة ^(٣) ؟ ومن الأمثلة لوقوعه نعتاً للنكرة : أتخير للصدقة زميلاً مخلص المودة ، مأمون العثرات . باذل الجهد في الإخاء ^(٤) .

كما أن الدليل على أنها لا تفيد المضاف تخصيصاً هو أن الأصل قبل

= لأن الوصف شبيه بالفعل ؛ يعمل عمله ، من الرفع أو النصب ، والفعل لا يعمل الجر . فكذا ما يشبهه ؛ بخلاف المحضة فهي لازمة لأداء المعنى المراد ، ولا سبيل للمحافظة عليه إلا بتغيير يتناول الأسلوب في كلماته ، أو في ترتيبها ، أو فيها معاً .

(١) ومن الأدلة أيضاً وقوع المضاف لمعرفة حالا في الإضافة غير المحضة - مع أن الحال المطردة لا تكون إلا نكرة - كقول المتنبي بلسان عجوز وقبي :
خُلقت ألوفاً ؛ لو رجعت إلى الصبا لفارقت شبيبي موجع القلب باكيا

(٢) سبق تفصيل الكلام عليها في ج ٢ ص ٣٨١ م ٩٠ . وبعض الأمثلة الماثورة يجيء هنا في هامش ص ٣٥ .

(٣) ومثلها الاسم النكرة الذي دخله التخصيص فإنه لا يقع نعتاً للمعرفة في الصحيح .
إلا مسألة يصح أن يقع فيها المشتق الذي إضافته غير محضة ، وكذلك غيره من التكرات ، نعتاً للمعرفة ، هي أن يكون المنعوت منادى ، نكرة مقصودة ، ونبتاً نكرة (كالوصف المضاف إضافة غير محضة . . .) نحو : يا ساكت مستمع الخطيب الآن ، أو المستمع الخطيب الآن . فالمشتق نعت ونكرة ، مع أن المنعوت نكرة مقصودة معرفة بالقصد والتداء . فاختلف النعت والمنعوت تعريفاً وتذكيراً ، وقد قالوا : إن هذا الاختلاف في المسألة السالفة مقبول ، لأن تعريف النكرة المقصودة تعريف غير أصيل ، فهو طارئ ، والتعريف الطارئ الذي كتبريفها يتسامح فيه ، فتوصف بالمعرفة أو بالنكرة ، ولا يصح هذا في غيرها من المعارف - (راجع التصريح ج ٢ باب التداء عند الكلام على القسم الثاني ، وكذا المحضى والصبان ، باب : تابع المنادى . ويتجىء لهذا إشارة في باب النعت هذا . - ص ٥٥٠ - وفي ج ٤ باب حكم تابع المنادى م ١٣٠ رقم ٨ من هامش ص ٤٢)

(٤) في باب النعت - أمثلة ماثورة . عند الكلام على التثنية بالمشتق - ب ص ٤٦٥ -

الإضافة في مثل : (أتخير زميلاً مخلصاً المودة ، باذل الجهد ، . . .) هو : مخلصاً المودة - . . . باذلاً الجهد . . . بنصب كلمتي « المودة » و « الجهد » مفعولين لاوصف ، والمفعول به يخصص الوصف ؛ فتخصيص الوصف ثابت ومتحقق قبل أن يصير مضافاً ويصير معموله مضافاً إليه مجروراً .

١ - وإنما فائدتها : « التخفيف اللفظي » ؛ بحذف نون المثني ، وجمع المذكر السالم وملحقتهما من آخر المضاف إذا كان وصفاً عاملاً . وكذلك حذف التنوين من آخره ؛ فكل من النون والتنوين يُحذف ثقلًا على اللسان عند النطق بالوصف مع معموله من غير إضافتهما . فإذا جاءت الإضافة زال الثقل ، ونُفِصَ النطق . يتضح هذا الثقل في مثل : (أنتما خطيبانِ الحفلِ غداً ، وساحرانِ الأبوابِ فيه . ولا أشك أن سامعينِ الخطابِ ، وعارفينِ الفضلِ - سيُعجبون بكم أشد الإعجاب) وفي مثل : (تخيرت زميلاً ، مخلصاً المودة ، باذلاً الجهد . . .) .

ويختفي الثقل حين نضيف الوصف إلى معموله ، ونحذف النون والتنوين من آخر الوصف المضاف ؛ فنقول : (أنتما خطيباً الحفلِ غداً ، وساحراً الأبوابِ فيه ، ولا أشك أن سامعينِ الخطابِ ، وعارفينِ الفضلِ - سيُعجبون بكم أشد الإعجاب) . كما نقول : (تخيرت زميلاً مخلصاً المودة ، باذل الجهد . . .)

ب - وقد تكون فائدتها الفرار من القبح الذي يلزم بعض الصور الإعرابية الجائزة مع قلتها وضعفها . فمن الجائز الضعيف في أساليب الصفة المشبهة أن نقول : الصديق سمحٌ الطبعُ ، عَفٌّ اللسانُ ، مخلصٌ المودةُ ، بإعراب كلمة : « الطبع » المرفوعة فاعلاً للصفة المشبهة قبلها . وكلمة : « اللسان » فاعلاً مرفوعاً للصفة المشبهة قبلها . وكذلك كلمة : « المودة » وأشباهها . ففي هذا الإعراب الجائز نوع من القبح جعله ضعيفاً ؛ هو : خلو أسلوب الصفة المشبهة من ضمير يعود على الاسم الذي يقع عليه معناها ومدلولها^(١) . ومن الجائز نصب تلك الكلمات الثلاث المرفوعة ، وإعرابها : « شبيهة بالمفعول به » وليست مفعولاً به ؛

(١) لأن أسلوب الصفة المشبهة في أكثر الاستعمالات الفصيحة لا يكاد يخلو من هذا الضمير للذي يمد بمنزلة الرابط بين الصفة المشبهة وما تجرى عليه . (أي بين الصفة المشبهة وما ينطبق عليه مدلولها ومعناها) . كما سيجيء في بابها - ص ٣٠٩ و ٣١٠ - م ١٠٥ .

لأن الصفة المشبهة تصاغ من الفعل اللازم ؛ فهي كفعلها لا تنصب المفعول به .
 فإذا وقع بعدها معمولها وكان نكرة منصوباً أعرب « تمييزاً » ، أو : « شبيهاً
 بالمفعول به » ، وإن كان معرفة أعرب شبيهاً بالمفعول به ؛ كالكلمات الثلاث
 السالفة ؛ فإنها لا تصلح تمييزاً ؛ لعدم تنكيرها . فضبطها بالنصب - مع
 جوازه - يؤدي إلى ما يسمى : « الشبيه بالمفعول به » . وهذا النوع قد يختلط أمره
 على كثير ؛ فيقع في وهمهم أنه مفعول به ، مع أنه ليس بالمفعول به الصريح .

وإذا كان الرفع والنصب قبيحين في تلك الكلمات - ونظائرها - فإن الجر
 بالإضافة خال من ذلك القبح ، وفيه ابتعاد عما يُستكره^(١) كقول الشاعر :

وإذا جميلُ الوجهِ لم يأت الجميلُ فما جماله ؟

ولا كانت فائدة هذه الإضافة مقصورة على التخفيف بحذف التنوين ونون
 المثني ، وجمع المذكر السالم ، من آخر المضاف ، وعلى التحسين المترتب على
 إزالة القبح ، وهما أمران لفظيان - سميت : « إضافة لفظية » ؛ لوقوع أثرها
 المباشر على الألفاظ دون المعاني ؛ إذ أنها - في الأغلب - لا تؤثر في المعاني ؛
 كما سبق (فلا تفيد المضاف تعريفاً ، ولا تخصيصاً ، ولا تتضمن معنى
 حرف من حروف الجر الثلاثة المعروفة . . .) وقد يسمونها - لهذا - : « الإضافة
 المجازية »^(٢) ؛ لأنها لغير الغرض الحقيقي من الإضافة ، وهو الغرض المعنوي الذي
 أوضحناه .

أما تسميتها : « بغير المحضة » فلأن المضاف فيها لا بد أن يكون في

(١) هذا تعليل نحوي . وهو - على حسنه المصنوع - ليس مقنعاً . والتعليل الحق هو الاستعمال
 العربي المأثور ، الذي يتغلب فيه الجر على الرفع والنصب في تلك الأمثلة ونظائرها . أما العرب أهل اللغة
 الأصلية فلا علم لهم بشيء مما نحن بصدده ، (من مفعول ، وشبهه ، وعائد ، ورابط ، وصفة مشبهة ، ..
 و . . .) ولو أنهم نطقوا بالمعمول مرفوعاً أو منصوباً أكثر من نقطتهم به مجروراً لكان التعليل الحق
 - لاستحسان الرفع والنصب - هو محاكاة العرب ، ليس غير .

(٢) كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٣ وفي ص ٢٣ - ويقولون : ليس المراد « بالمجازية » أنها
 بمعنى « المجاز » المعروف في البلاغة ، الذي يحتاج إلى علاقة وقرينة ... وإنما المراد أنها إضافة في الظاهر
 والصورة ، لا في الحقيقة والمعنى .

الأغلب^(١) وصفتاً عاملاً — كما سبق — وأكثر الأوصاف العاملة يرفع ضميراً مستتراً عند الإضافة . وهذا الضمير المستتر — برغم استتاره — يفصل بين الوصف المضاف ، ومعموله المضاف إليه ، ويجعل الإضافة غير خالصة الاتصال ، وغير متمكنة من أداء مهمتها بسبب الفاصل ؛ إذ الأصل الغالب في الإضافة الأصلية ألا يقع بين طرفيها فاصل يضعف قوة الارتباط والاتصال بينهما .

وشيء آخر ؛ هو أنه يمكن العدول عن الإضافة اللفظية ، بالرجوع إلى الأصل الذي كان قبلها من غير أن يتأثر المعنى — في الأكثر — ؛ وذلك يجعل المضاف إليه معمولاً مرفوعاً ، أو منصوباً ، على حسب حاجة الوصف بعد إزالة تلك الإضافة ؛ ولهذا يصفونها بأنها على : « نية الانفصال » ، يريدون : أنها في النية والتقدير ليست موجودة ، وليست ملحوظة ؛ لأن الذي يُلحَظ ويُعتبر موجوداً تنتجه إليه النفس هو الأصل الأصيل ؛ ففي مثل : (الصديق خالصُ النصيح) — بالإضافة — يكون التقدير الملحوظ في النفس هو : (الصديق خالصُ النصيح) ، والمعنيان متَّحدان . ولكن الأسلوب الثاني الخالي من الإضافة هو الأصل الذي يُنَوَّى ويلاحظ ؛ بسبب اعتبار الوصف شبيهاً بالفعل في بعض نواحيه التي منها العمل . والفعل يرفع دائماً ، وقد يرفع وينصب ، وهو في كل حالاته لا يعمل الجرّ ، فالأنسب فيما يشبهه أن يكون كذلك ، والمخالفة — لداع أقوى — هي مخالفة للأصل ، والداعي لها أمر طارئ له اعتباره ، ولكنه لا ينسبنا الأصل الأول المكين ، ومن ثمّ كان هو الملحوظ مع وجود الإضافة غير المحضة ، وكانت معه على نية الانفصال^(٢) .

مما تقدم يتَّضح — مرة أخرى — السبب في تسمية النوع الأول : « بالإضافة المحضة » ، أو : « المعنوية » ، أو : « الحقيقية »^(٣) وما يترتب على هذا من آثار مختلفة ، منها : عدم زيادة « أل » في أول المضاف ، في حين يجوز — أحياناً —

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ٦ .

(٢) ينطبق على هذا التعليل ما سبق في رقم ١ من هامش الصفحة الماضية .

(٣) سبق إيضاح آخر لهذا في رقم ١ من هامش ص ٣ وفي ص ٢٤ . وص ٣٠ .

زيادتها في المضاف إذا كانت الإضافة غير محضة ؛ كما شرحنا^(١) .

(١) في ص ١٢ . وفيما سبق من الأحكام يشير ابن مالك إلى بعضها تاركاً بعضاً آخر ؛ فيقول :

وَلَا يُشَابِهُ الْمُضَافُ « يَفْعَلُ » وَصَفًا - فَعَنْ تَنْكِيرِهِ لَا يُعْزَلُ

كَرَبٌ رَاجِيْنَا عَظِيمِ الْأَمَلِ مُرَوِّعِ الْقَلْبِ ، قَلِيلِ الْحِيلِ

يريد : أن المضاف إذا كان وصفاً مشبهاً : « يفعل » (أى : مشبهاً الفعل المضارع في العمل والدلالة على الحال والاستقبال ...) ، فإنه لا يعزل عن التنكير ؛ أى : لا يفارق التنكير مطلقاً ؛ سواء أكان مضافاً إلى معرفة أم إلى نكرة ؛ لأن هذه الإضافة لا تفيد تعريف ولا تخصيصاً . وضرب لهذا أمثلة تؤيد ما يقول : هى : « رب راجينا » فالمضاف - وهو كلمة « راج » - اسم فاعل لم يكتسب التعريف بإضافته إلى الضمير : « نا » بدليل ، دخول « رب » على هذا المضاف ؛ وهى لا تدخل إلا على التكرات . ومن الأمثلة الواردة قول شاعرهم :

يَا رَبِّ غَابِطِنَا لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُم لَأَقَى مِبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحَرَمَانَا

وكذلك المضاف : « عظيم » ؛ فإنه صفة مشبهة ، أضيفت إلى المعرفة بعدها ؛ فلم تكتسب منها التعريف ، بدليل أن كلمة : « عظيم » هذه تعرب نعتاً لكلمة : « راج » النكرة ، ولا يمكن أن تكون المعرفة نعتاً للنكرة - إلا في مسألة سبقت في رقم ٣ من هامش ص ٣١ - ، وكذلك : « مروّع » فإنها اسم مفعول مضاف للمعرفة بعده ، ولم يكتسب منها التعريف ؛ بدليل إعرابه صفة لكلمة : « راج » النكرة ، كما سبق . ومثله كلمة : « قليل » فإنها صفة مشبهة مضافة للمعرفة بعدها ، ولم تكتسب منها التعريف ؛ بدليل إعرابه نعتاً لكلمة : « راج » . ومثلها : « هدياً » في قوله تعالى : (هَدِيَاً بِالْعِ كْبَرِ) . ثم بين أن الإضافة التى من هذا النوع تسمى : « لفظية » وأما التى من النوع الآخر فتسمى : « محضة » و « معنوية » فاللفظية : لا تفيد تعريفاً ولا تخصيصاً ، بخلاف الأولى حيث يقول :

وَذِي الْإِضَافَةِ أَشْمُهُا : « لَفْظِيَّةٌ » وَتِلْكَ « مَحْضَةٌ » وَمَعْنَوِيَّةٌ

وأوضح بعد هذا أن زيادة : « أل » جائزة في أول المضاف الذى إضافته لفظية - ، بشرط أن تزداد أيضاً في الثانى (أى : في المضاف إليه) أو في الذى أضيف إليه الثانى . . . يقول :

وَوَصَّلُ « أَل » بِذَا الْمُضَافِ مُعْتَظَرُ إِنَّ وَصَلْتَ بِالثَّانِ كَالْجَعْدِ الشَّعَرُ

أَوْ بِالَّذِى لَهُ أُضِيفَ الثَّانِى كَزَيْدِ الضَّارِبِ رَأْسِ الْجَانِى

ساق مثالين ؛ أحدهما مثل : (: راقنى عناية الجعد الشعر يتصفه) ، للمضاف المبدوء « بأل » (وهو : الجعد) ؛ وللمضاف إليه : المبدوء بها أيضاً (وهو : الشعر) ؛ فهى داخلية عليهما معاً .

والآخر ؛ وهو : « زيد الضارب رأس الجانى » للمضاف المبدوء « بأل » (وهو : الضارب) ، وللمضاف إليه ، الخالى منها مباشرة (وهو : رأس) ولكنه مضاف ، وبعده المضاف إليه : (الجانى)

المبدوء بها . . .

= ثم ذكر بعد هذا حالة أخرى يصح أن يكون فيها المضاف وحده مبدوءاً بـ «أل» ؛ وهي الحالة التي يكون فيها المضاف وصفاً مثنى ، أو جمعاً اتبع - بمثل المثنى (أى : تحققت فيه الشروط الواجبة في المثنى) ؛ وهو جمع المذكر السالم ؛ يقول :

وَكُونُهُمَا فِي الْوُصْفِ كَافٍ إِنْ وَقَعَ مُثْنًى أَوْ جَمْعاً ، سَبِيلُهُ اتَّبَعَ

يريد : يكفي وقوع «أل» في صدر المضاف الذي إضافته غير محضة بدون اشتراط شيء آخر سوى اشتراط أن يكون ذلك المضاف وصفاً مثنى ، أو جمعاً تحققت فيه شروط التثنية (وهو جمع المذكر السالم) . وقد ترك بقية الحالات الأخرى التي تدخل فيها «أل» على المضاف إذا كانت الإضافة غير محضة وما يتبع هذا من شروط وتفصيلات أوضحناها في الصفحات السابقة .

زيادة وتفصيلان :

١ - في هذا الجزء أبواب خاصة بالمشتقات ، لكل منها باب مستقل شامل ، وسنكتفي هنا بلمحة موجزة تناسب ما نحن فيه ، ولا تغني عن الرجوع إلى تلك الأبواب .

اسم الفاعل : اسم مشتق ، يدل على أمرين معاً : (معنى مجرد ، وصاحب هذا المعنى) . ولا بد في اسم الفاعل أن يشتمل على حروف مضارعه الأصلية ، وأن يماثله في ترتيب حركاتها ، وترتيب حركاتها ، وسكناتها ؛ مثل : قاعد - ويقعد - ذاهب - ويريد - منصت - وأنصت - متعلم - ويتعلم . . . وهو يفيد حدوث معناه ، ولا يفيد الدوام أو الثبوت ، إلا إذا تخلى عن دلالة الخاصة ، وانتقل إلى اختصاص آخر ؛ هو : اختصاص « الصفة المشبهة » . وهي : اسم مشتق ؛ يدل على أمرين معاً : (معنى مجرد ، ولكنه ثابت دائم ، أو كالدائم ، وصاحب هذا المعنى) . فدلالته على الزمن شاملة أنواعه الثلاثة ، بسبب ذلك الدوام ^(١) ، ولا بد أن تشتمل على الحروف الأصلية لمضارعها ، ولكنها - في الغالب - لا تماثله في ترتيب الحركات والسكنات إلا إذا كانت في الأصل اسم فاعل أريد به الدوام ^(٢) . فمثال الصفة المشبهة الأصلية : فرح ويفرح - حسن ويحسن - بليغ ويبليغ . . . ومثال الصفة المشبهة التي كانت في أصلها اسم فاعل يفيد الحدث ، ثم أريد بها الدوام والثبوت بعد ذلك ، كلمة : باسم - مشرق - محارب ؛ في مثل : فلان باسم الثغر - مشرق الوجه - محارب الطغيان .

وإذا كانت الصفة المشبهة دالة على ثبوت معناها ودوامه ، - غالباً - ، فإن زمنها بمقتضى هذه الدلالة لا بد أن يشمل - كما سبق ^(٣) - الماضي ، والحال ، والمستقبل . فكيف تكون إضافتها « غير محضة » ، مع أننا اشتربنا في « غير المحضة » : أن يكون الزمن فيها الحال ، أو الاستقبال ؟
الحق : أن إضافتها قد تكون محضة في بعض الصور ، وغير محضة في

(١) كما سبق ، في ص ٢٩ .

(٢) كما سبق ، في هامش ص ٢٣٨ وفي ص ٢٤٢ و ٣٠٨ .

(٣) في هذه الصفحة مكاناً .

أخرى^(١) ؛ فقد قالوا : إن الاستمرار (أو : الدوام) يحتوى على الأزمنة الثلاثة دائماً . لكن قد توجد قرينة تُفَوِّى جانب الزمن الماضى على غيره — وللقرينة المقام والاعتبار الأول دائماً — فتضاف الصفة وتعمل الجر مع تلك القرينة ؛ إذ تغلب الإضافة ؛ وتكتسب الصفة التعريف من المضاف إليه ؛ ككلمة : « مالك » فى قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » . . . فكلمة : « مالك » وصف مشتق ؛ زمنه يشمل الماضى ، والحال ، والمستقبل ؛ لأن الله متصف بصفة التملك فى جميع الأزمان . وقد وجدت قرينة تدل على تغليب الزمن الماضى ؛ فصارت الإضافة بسببها محضة^(٢) ؛ وهذه القرينة هى : أن كلمة : « مالك » نعت للفظ الجلالة : (الله) وهو أعرف المعارف ، فلا يمكن أن يكون نعته نكرة ؛ فلا بد أن تكون كلمة : « مالك » ، معرفة . فمن أين جاءها التعريف ؟ لا سبيل لاكتسابها التعريف إلا من المضاف إليه ، وقد اكتسبه أيضاً من الإضافة إلى ما بعده . وكل هذا يقتضى أن تكون إضافة الصفة هنا محضة .

ولو أعربنا كلمة : « مالك » بدلا ، أو : عطف بيان ؛ لكان فى هذا الإعراب — مع جوازه — عدول عن الظاهر الشائع ؛ وهو : إعراب المشتق نعتاً ، لا بدلا ، ولا عطف بيان ، إذ يغلب على الأول الاشتقاق ، وعلى الأخيرين الحمد — كما تقدم^(٣) — هذا إلى أن إضافة الوصف إلى الظرف الدال بالقرينة على المضى أو على الدوام محضة^(٤) ، عند جمهور النحاة .

أما إذا تغلب جانب الحال أو الاستقبال ، بأن قامت قرينة تؤيد أحدهما — فالإضافة غير محضة ؛ فلا يتعرف بها الوصف ، ولا يتخصص . ويجوز إزالتها ، وإعمال الوصف فى معموله عملاً آخر غير الجر ؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى :

(١) انظر ص ٦ و ٣٠٧ .

(٢) لما سبق فى : « د » من ص ٥ من أن إضافة المشتق الماضى الزمن محضة .

(٣) فى رقم ٥ من هامش ص ٥ ويحيى فى ص ٦٦٥ .

(٤) وقد سبقت الإشارة لهذا فى « و » ص ٥ .

« فائقُ الإصباح ، وجاعلُ الليلِ سَكْنًا^(١) » ؛ فجعلُ الليلِ سَكْنًا أمرٌ لا يقتصر على زمان دون آخر ؛ فقد وقع في الماضي ، وهو يقع الآن ، وسيقع بعد ذلك . غير أن الكلام فيه ما يقوى جانب الحال والمستقبل على الماضي ، ويجعل الإضافة غير محضة ؛ هو أن المحضة تقتضى — غالباً — أن يكون المضاف اسماً جامداً ، أو في حكم الجامد ، فلا يعمل ؛ وهذا يؤدي إلى اعتبار كلمة : « جاعل » في حكم الجامد ؛ فلا تنصب مفعولاً به ، ولا مفعولين ، وإلى إعراب كلمة : « سَكْنًا » المنصوبة ، مفعولاً به لعامل محذوف ، تقديره « يجعل » ، أو ما يمثله ، وكأن الأصل : جاعلُ الليلِ يجعله سَكْنًا . وفي كل هذا عدول عن النسق الظاهر ، والإعراب الواضح الذى يدخل الوصف « جاعل » هو وفعله في سلك الألفاظ العاملة التى تنصب مفعولين . وقد أضيف الوصف إلى أحدهما ، ونصب الثانى مباشرة ، فلا حاجة إلى تأول وتقدير يبعدان عن هذا السنن الواضح .

وشئى آخر ؛ هو : أن زمن الوصف في الآية دائم مستمر ؛ يشمل الماضي والحال ، والمستقبل . ولكن هذا الدوام الزمنى ليس متصل الأجزاء بغير انقطاع ، وإنما يتخلله انقطاع يزول ، ثم يعود مرة ، فأخرى ؛ فحين يجعل الله الليل سَكْنًا يكون الليل موجوداً ، وحين لا يجعله سَكْنًا يختفى . ثم يجعله مرة أخرى ؛ ثم يزيله ، ثم يعيده ؛ وهكذا ، دَوَّالَيْكُ ؛ . . . فالاستمرار موجود حقاً ؛ ولكنه على ما وصفنا ؛ من توالى الإيجاد والإزالة بغير توقف ، ومن تجدد الظهور والاختفاء بغير انقطاع^(٢) أما الدوام المتصل على حالة واحدة ، — هى : جعل الليل سَكْنًا في جميع لحظات الزمان وأوقاته — فلا وجود له .

ولما كان الانقطاع والتجدد هما من خصائص الفعل المضارع ، وزمن المضارع هو الحال أو الاستقبال — كان الوصف (المشتق) الذى يشاركه فيهما شبيهاً به من الناحية المعنوية ، ومحمولاً عليه في ناحية أخرى ، هى

(١) شيئاً يستريح إليه المتعب بالهار ، ويسكن للراحة والاطمئنان فيه . (انظر ج « ص » ٤٠)

(٢) وهذا يسمى : الاستمرار المتجدد ، أو الاستمرار التجددى . وله إشارة أخرى في رقم ٤ من

.

الدلالة الزمنية أيضًا . أى : أنه شبيه به فى الدلالة على التجدد والحدوث ، وفى الدلالة الزمنية المعينة . وإذا كانت دلالة الوصف الزمنية على هذه الشاكلة فإن إضافته غير محضة ^(١) .

ب - إذا كان الوصف المضاف مطلق الزمن ؛ أى : لا دليل معه يبين نوعاً من أنواع الزمن الثلاثة - كانت إضافته محضة ؛ نحو : « صاحب السلطان كراكب السفينة » ^(٢) . . . ؛ فلا قرينة فى المثال تدل على ربط المعنى المقصود بزمن معين ؛ ماض ، أحوال ، أو مستقبل ؛ أو ما يشمل الثلاثة . . . (وقد سبقت الإشارة لهذا) ^(٣) .

ج - أشرنا ^(٤) إلى أن إضافة الوصف إلى الظرف نوع من الإضافة المحضة وأوضحنا شرط ذلك ؛ كالمثال السابق : « مالك يوم الدين » أى : مالك الأمر والنهى فى يوم الدين . بخلاف : « جاعل الليل سكناً » لأن الليل مفعول به ، فى الأصل قبل الإضافة ، وليس ظرفاً ، وإلا فسد المعنى ^(٥) .

* * *

د - من الإضافة غير المحضة ما يأتى من الأنواع الملحققة بها ^(٦) ، وهى :

(١) إضافة الاسم إلى اسم آخر كان قبل الإضافة نعتاً للمضاف ؛

(١) كل ما سبق تعليل خيالى - مقبول هنا - للأمر الواقع المستمد من الكلام العربى . والعملة الأولى هى الكلام العربى نفسه ، وأنه يسير على النظام الذى سبق تعليله ، برغم أن العرب لا تعرف اصطلاح الإضافة المحضة ، ولا غير المحضة .

(٢) يريدون بذلك : أن ركبها لو سلم من الفرق لم يسلم من الفرق . أى : من الخوف .

(٣) فى « ج » من ص ٥ .

(٤) فى « و » ص ٥ . وفى ص ٣٨ .

(٥) إذ المراد - عند أصحاب هذا رأى - : جعل الليل نفسه بظلامه وانقطاع الحركة والعمل فيه ، وبخصائصه الأخرى - هو للسكن ، لا أن السكن واقع فيه . (وسبقت إشارة للآية فى آخر ص ٣٨) .

(٦) وبعض صورته لا يختلف فيه معنى المتضايين ، مع أن الأصل فى الإضافة بنوعيتها ، ولا سيما المحضة . - كما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٧ - أن يختلف فيها معنى المتضايين ، ومدلولهما . ويدور الجدل فى الأنواع التى سذكرها - وهى التى أشرنا إليها إشارة عابرة فى تلك الصفحة وستفصلها هنا ، وبعد الفراغ من تفصيلها نمرض - فى ص ٤٧ وما بعدها - للجدل وموضوعه ، ونهى رأى فيه ، وفى كل ما تناوله .

(وهذا ما يعبرون عنه بأنه إضافة الاسم المنعوت إلى نعته) . كقولهم : « صلاة الأولى » تُذهب الحسول — كان الخلفاء السابقون يقصدون « مسجد الجامع » ليذيعوا على الناس ما يريدون إذاعته — إنني أحرص على « ديانة القيمة » ، لأسعد .

والأصل : الصلاة الأولى ، أو : صلاة الساعة الأولى — المسجد الجامع أو : مسجد الوقت الجامع — الديانة القيمة ، أو : ديانة الملة القيمة ^(١) .
(٢) إضافة الاسم إلى اسم آخر كان قبل الإضافة منعوتاً للمضاف . فصار بعدها هو : المضاف إليه . (أى : إضافة النعت إلى منعوته) كقوله تعالى : « إن هذا لَـهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » . وقوله تعالى : « وإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ » والأصل في الآيتين : اليقين الحق ، فتقدمت الصفة على الموصوف . وصارت مضافاً ، وصار الموصوف مضافاً إليه مجروراً . ومثله ما جاء في خطبة قائد جيش جنوده : « إن العدو لن يعبأ بكم إلا إذا أحسن مدكم صادق الجهاد ، وعظيم البلاء ، وملائم قلبه فزعاً ، وضربتموه كما تضرب عوادي الوحوش ، وطردتموه كما تطرد غرائب الإبل ، وتركتم جنوده بين صريع وأسير . . . » أى : الجهاد الصادق — البلاء العظيم — الوحوش العوادي — الإبل الغرائب . . .
(٣) إضافة المسمى إلى الاسم ^(٢) ، نحو : شهر ^(٣) رَجَبٍ معظم في

(١) في الأمثلة السالفة حذف المضاف إليه المنعوت ، وأقيم النعت مقامه ، فصار مضافاً إليه .

(انظر ما يتصل بهذا في ص ٥٠) .

(٢) وعكسه (وهو إضافة الاسم إلى المسمى) مثل إضافة : « لسان وعند » طبقاً لما سيجيء في

ص ١١٩ .

(٣) جاء في التصريح — ج ٢ باب التوكيد عند الشاهد : « يا ليت عدة حول كله رجب . » ما نصه : (قال الدنوشري : هل « رجب » منصرف ، وكذلك « صفر » أو لا ؟ قال سعد الدين في حاشيته على الكشف : إن أريد بهما معين فهما غير منصرفين وإلا فنصرقان . قال ناصر الدين اللقاني : وكان وجه ذلك أن المعين معدول عن الرجب وعن الصفر ، كما قالوا في « سحر » إنه معدول عن السحر فيما أريد به « سحر » بعينه ؛ ففيهما العلمية والعدل . وقد يقال إن المانع هو العلمية والتأنيث بإعتبار المدة .) . ا هـ ، وستجىء إشارة لهذا في باب المنعوج من الصرف ج ٤

ص ١٩٦ م ١٤٧ .

الجاهلية والإسلام - شجر التفاح كثير في الشام. وهذه هي إضافة : « البيان
أو : « الإضافة البيانية » التي يقصد منها إيضاح الأول وبيانه بالثاني^(١) وهي
كثيرة في استعمالنا ؛ كإضافة الأيام والعلوم إلى أسمائها ؛ مثل : يوم الخميس -
يوم الجمعة - علم الحساب - علم الهندسة . . . ولها أمثلة أخرى وردت
في المطولات ، منها قولهم : لقيته ذات مرة ، أو ذات ليلة - مررت به ذات
يوم - داره ذات اليمين ، أو ؛ ذات الشمال - مشيناً ذا
صباح^(٢) . . .

ومن المفيد المهم أن ننقل هنا ما دونه ابن يعيش شارح المفصل^(٣) خاصاً
بهذا . قال ما نصه (مع حذف بعض الأمثلة ، اكتفاء ببعض) :

« اعلم أنهم قد أضافوا المسمى إلى الاسم مبالغة في البيان ؛ لأن الجمع
بينهما أكد (أقوى) من إفراد أحدهما بالذكر . وفي ذلك دليل من جهة
الذخوعلى أن الاسم عندهم غير المسمى ، إذ لو كان إياه لما جاز لإضافته إليه ،
وكان من إضافة الشيء إلى نفسه . فالاسم هو اللفظ المعلق على الحقيقة ؛
عيناً كانت تلك الحقيقة ، أو معنى ؛ تمييزاً لها باللقب ميماً يشاركها في النوع ،

(١) فرق بعض النحاة بين الإضافة التي « للبيان » ، والإضافة البيانية ؛ بأن التي للبيان يكون
بين جزأها عموم وخصوص مطلق ، وأن « البيانية » يكون بين جزأها عموم وخصوص من وجه . وهذا
الخلاف شكلي ؛ لا أثر له ؛ لأنه محصور في المراد من اصطلاح معين عند كل فريق . هذا وقد سبق
(في ج ١ ص ١٩ م ٢) معنى العموم والخصوص المطلق والوجهي .

(٢) « ذا » و « ذات » - ولها بيان آخر خاص بإضافتهما ، في ص ٧٤ - من الظروف غير
المتصرفة بشرط إضافتهما للزمان ، دون غيره ؛ فيلتزمان النصب على الظرفية الزمانية إلا على لغة ضعيفة
رفضها جمهور النحاة . ومن الأمثلة التالية ما يساير هذه اللغة . كما أن « ذات » قد تضاف إلى كلمة :
« اليمين » أو « الشمال » وهما من الظروف المكانية ، فتصير ظرفاً مكانياً متصرفاً ومتصرفاً . وقد تكون
اسماً محضاً مستقلاً ، معناه حقيقة الشيء وماهيته والنسب إليها : « ذَوِّي » باعتبار أصلها ، أو :
« ذاتي » باعتبار لفظها الحالي . - (طبقاً لما سبق في ج ١ م ٢٦ ص ٣٥٨ ، أما البيان التفصيلي
ففي باب النسب ج ٤ م ١٧٨ ص ٥٥٤) .

(٣) في ج ٣ ص ١٢ .

والمسمى تلك الحقيقة ؛ وهى ذات ذلك اللقب : أى : صاحبه ^(١) . فمن ذلك قوطم : « لقيته ذات مرة » والمراد : الزمن المسمى بهذا الاسم الذى هو : مرة . ومثله : (ذات ليلة - ومررت به ذات يوم - وداره ذات الشمال - وسرنا ذات صباح) كل هذا معناه وتقديره : داره شمالاً ، وسرنا صباحاً . ، بالطريق التى ذكرناها . إلا أن فى قولنا : ذا صباح ، وذات مرة - تفخيماً للأمر . « ومن ذلك قول الشاعر :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمر ما يسودُّ من يسودُّ

المراد : على إقامة صاحب هذا الاسم ، وصاحبه هو : صباح ؛ فكأنه قال : على إقامة : صباح
« ومثله قول الكميت :

إليكم ذوى آلِ النبيّ تطلعتْ نوازعُ من قلبي ظِماءٌ وألْبُبُ ^(٢)

فالمراد : يا آل النبي ، أى : يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبي ، ولو قال : « آل النبي » لم يكن فيه ما فى قوله : « يا ذوى آل النبي » من المدح والتعظيم . - ثمة هذا الأسلوب ظاهرة ؛ لأنه لما قال يا ذوى آل النبي - جعلهم أصحاب هذا الاسم ؛ وهو آل النبي . ومن كان صاحب هذا الاسم كان ممدوحاً معظماً ، محالة . . .
() مثله قول الأعشى :

فكذبَ برهما بما قالت : فصَبَّحَهُمْ ذوآلِ حَسَّانَ يَزْجِي الموتَ والشَّرَّعَا ^(٣)
أى : صبحهم الجيش الذى يقال له : آل حسان .
« ومثله قول الآخر :

(١) بمعنى أنها الذات المختصة به ، المرادة منه .

(٢) الألبب جمع : لُبٌّ ، والقياس : أَلْبَبٌ بالإدغام الذى منع منه ضرورة الشعر) .

(٣) (يزجى = يسوق . الشرع : كمين ، جمع شِرْع ؛ بكسر فسكون - وهو الثأر والوتر) .

إذا ما كنتُ مِثْلَ ذَوَيْ عَدِيٍّ وديناري ، فقامَ عليّ ناعي
 أى : مثل كل واحد من الرجلين المسميين « عدياً » و « ديناراً » . . .
 « وحكى عن العرب : هذا ذو زيد ، ومعناه : هذا صاحب هذا الاسم ،
 وقد كثر ذلك عندهم . وربما لَطُفُفَ^(١) هذا المعنى على قوم ؛ فحملوه على
 زيادة . « ذى » ، و « ذات » . والصواب ما ذكرناه (ا هـ) .

وهذا كلام جليل فى إيضاح تلك الأساليب التى أضيف فيها المسمى إلى
 الاسم ؛ لتحقيق غرض بلاغى هام ، كالإيضاح مع التوكيد . . .
 ومن أمثلتها الواردة أيضاً قولهم : « اذهب بنى تسلم » — اذهبوا بنى تسلمان —
 اذهبوا بنى تسلمون . . . » . أى : اذهب بسلامتك التى تلازمك ولا تفارقت
 اذهبوا بسلامتكم — اذهبوا بسلامتكم^(٢) . . .

(٤) إضافة الموصوف إلى اسم قائم مقام الصفة ؛ كقول الشاعر :
 علا زَيْدٌ نَاصِرُ رَأْسِ زَيْدٍ كُفْمٌ بِأَبْيَضٍ ، ماضٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَاسٍ نِى . . .^(٣)
 أى : علا زيدٌ صاحبنا رأس زيد صاحبكُم ؛ فحذف الصفتين ،
 وجعل الموصوف خلفاً عنهما فى الإضافة . ويرى بعض النحاة أن البيت ونحوه
 هو من إضافة الشيء إلى ملابسه^(٤) بعد تنكير العلم ، وإضافته إضافة محضة من
 غير حاجة لتأويل بما ذكر^(٥) . والرأيان صحيحان .

(١) خَفِيَّ ودَقَّ .

(٢) وسيجى الإيضاح الأوفى لهذا ، والإعراب ، فى المكان المناسب ، ص ٩٥ .
 وكذلك سبقت الإشارة لكلمة : « ذا » و « ذات » وما يتصل بهما لمناسبة فى باب الظرف
 (ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ م ٧٩) ومناسبة أخرى فى ج ١ (بابى الأسماء الستة ، والموصول)
 وفى باب الموصول الكلام على جمع « ذو » وإفرادها وعلى « ذو » الطائفة التى بمعنى « الذى » وفروعه ،
 وحكمها .

(٣) سبق هذا البيت فى الجزء الأول (م ٢٣ ص ٢٦٥) لمناسبة أخرى هناك ؛ هى بيان السبب
 فى إضافة العلم أحياناً ، أو فى تعريفه بإحدى وسائل التعريف ، مع أن الأصل فى العلم أن يكون معرفة .

(٤) أى : ما له به نوع اتصال لأدنى ملابسه . وقد سبق بيان هذا النوع فى رقم ٢ من ص ٢١ .

(٥) إيضاح هذا فى باب العلم ج ١ ص ٢٠٧ م ٢٢ .

(٥) إضافة المؤكّد إلى المؤكّد ، وأكثر ما يكون ذلك في أسماء الزمان المبهمة (أى : التى لا تُحدّد ببداية وانتهاء معروفين ؛ مثل كلمة : حين - وقت ... - زمن - أيام ... ونحوها مما سبق الكلام عليه في الجزء الثانى ، باب : « الظروف ») ، نحو : إذا اشتدت وقدة الصيف أسرع الناس إلى سواحل البحار ؛ ليقيموا بها ما وسعهم الأمر ، وحينئذ ينعمون بجو معتدل ، وهواء رطب منعش ... أى : حين إذ يقيمون ... ينعمون ؛ فحذفت الجملة المضارعية الأولى ، وهى المضاف إليه ، وعوّض عنها التنوين . فالمؤكّد هو : « الحين » وهو زمن مبهم . والمؤكّد هو : « إذ » الظرفية المضافة إلى الجملة المضارعية المحذوفة ^(١) . والمراد من لفظ : « الحين » المبهم هو المراد من لفظ : « إذ » المخصصة بالجملة التى أضيفت إليها ، فالظرف الزمنى الثانى مؤكّد للأول ؛ لاتفاق معناهما ، والمراد منهما ، مع مجيئه بعده ^(٢) .

ويرى بعض النحاة - بحق - أن مثل هذا يُعدّ من إضافة العام إلى الخاص ، لا المؤكّد إلى المؤكّد ، لتخصيص الظرف الثانى - كما قلنا - بالجملة التى أعربت مضافاً إليه ، وهى الجملة المضارعية التى حذفت وقام مقامها التنوين عوضاً عنها ...

ومن النادر أن تكون إضافة المؤكّد إلى المؤكّد في غير أسماء الزمان المبهمة ؛ كقول الشاعر :

فقلتُ انْجُومًا عنها نَجَاجًا الجِلْدِ ، إنّه سيرضيكما منها سَسَامٌ و غاربه ^(٣)

(١) مع ملاحظه أن الظرف لا يسمى ظرفاً - اصطلاحاً - إلا إذا كان منصوباً (لفظاً أو محلاً) على الظرفية . فإذا صار مضافاً إليه ، أو مبتدأ ، أو شيئاً آخر غير النصب على الظرفية ، فإنه لا يسمى في الاصطلاح ولا يعرب ظرفاً .

(٢) ومن الأمثلة أيضاً البيت الآتى في صفحة ٥٦ وهو :

أَنْجَبَ أَيَّامَ الْبَدَاهِ بِهِ إِذْ نَجَّاهُ ؛ فَنَعْمَ مَا نَجَّلَا

وشرح البيت وموضع الشاهد فيه موضعان هناك ...

(٣) قاله أعرابى نزل عنده ضيفان ، فذبح لهما ناقة . فقالا : إنها مهزولة . فقال لهما البيت ... ومعنى : انجوا : اسلخوا . . . يقال : نجوت الجلد ، بمعنى : سلخته و « السنام » : الجزء المنحنى المرتفع في ظهر البعير والناقة ، وهو مقر الدهن ، و « الغارب » أعلى الظهر بين السنام والعتق .

يريد : اسلُخنا عن الناقة نَسَجًا الجلد — والنجا ، بالقصر — هو : الجلد .
 (٦) إضافة الاسم المُلغى^(١) إلى الاسم المُعْتَبَر^(٢) ؛ كقوله تعالى :
 « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ .. فِيهَا أَنْهَارٌ ... » ، ومثل : مررت بكم
 فَأَلْقَيْتُ اسْمَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ . والأصل : الجنة الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ... — أَلْقَيْتُ
 السلام عليكم^(٣) ...

(٧) إضافة الاسم المُعْتَبَر إلى الاسم المُلغى كقول الشاعر :
 أَقَامَ بِيغْدَادِ الْعِرَاقِ وَشَوْقُهُ لِأَهْلِ دِمَشْقِ الشَّامِ شَوْقٌ مُبَرَّحٌ^(٤)
 (٨) ومن الإضافة غير المحضة قولهم : « لَا أَبَا لِفُلَانٍ » ؛ لوجود الفاصل بين
 المتضايقين . وقد سبق^(٥) — في مناسبة أخرى — الكلام على هذا الأسلوب من
 ناحية الإضافة ، ومن ناحية إعرابه ومعناه .

(٩) ومن الإضافة غير المحضة إضافة صدر المركب المزجي إلى عجزه —
 مسايرة لبعض اللغات الجائزة فيه — نحو : قامت الطائرة من « أَفْغَانِ سِتَّانٍ »
 فوصلت إلى « بُورِ سَعِيدٍ » في بضع ساعات .

(١) الزائد الذي يمكن حذفه فلا يتأثر المعنى الأصل بحذفه .

(٢) الأصل الذي لا يمكن حذفه إلا بفساد المعنى .

(٣) ومن هذا قول لُبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ لِنِسْتِهِ ، حين حضرته الوفاة ، ينصح لهما بعدم اللطم ، إن هو
 مات ، وبترك الجزع . وحسبهما البكاء المجرد حولا كاملا . ثم هو يسلم عليهما ... ؛ يقول :

إِلَى الْحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

وكذلك : « فنن الغصون » في شعر نقله القرطبي في مقدمة تفسيره (ج ١ ص ٢١) جاء فيه :

مَا هَاجَ شَوْقُكَ مِنْ هَدِيلِ حَمَامَةٍ تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامَا

(٤) وهذه الزيادة على اعتبار ألا توجد بلدة اسمها : « بَغْدَاد » ؛ ولا أخرى اسمها : « دِمَشْق » ،
 غير هاتين . أما عند علم المتكلم بوجود غيرها فالإضافة محضة ، من ذوع إضافة العلم إلى ما يخصه بعد
 أن فقد علميته ؛ بسبب اشتراكه بين أفراد متعددة —

(كما سبق في باب العلم ج ١ م ٢٣ رقم ٢ من هامش ص ٢٦٤ . —)

(٥) في ج ١ ص ٧٥ م ٨ عند الكلام على الأسماء الستة وفي ج ١ ص ٥٢٨ م ٥٦ باب « لا » .

وإنما كانت الإضافة هنا لفظية لأن كلاً من الجزأين يكمل الآخر كما يكمل الحرف الواحد في الكلمة الواحدة نظائره فيها ، كالحاء ، أو الشين ، أو الباء . . . في كلمة : « خشب » - مثلاً - .

وفائدة هذه الإضافة التخفيف الناشئ من التركيب ، مع التنبيه إلى شدة الامتزاج ^(١) .

(١٠) ومن الإضافة غير المحضة : « الكسنية » على الوجه الذي سبق تفصيله وإيضاحه في الجزء الأول ^(٢) . . .

* * *

إلى هنا انتهت تلك الإضافات الملحقمة « بغير المحضة » . ونعود إلى ما أشرنا إليه ^(٣) من الجدل الدائر حولها . ويتركز فيما يأتي :

أحضة هي أم غير محضة ؟ أم هي نوع ثالث مستقل بنفسه ، ولكن إضافته « شبيهة بالمحضة » ؟ ويجب أن يسمى بهذا الاسم ؟ .

ثم لهذا النوع - عندهم - اعتباران ؛ أحدهما الاتصال ؛ لأن المضاف غير مفصول من المضاف إليه بالضمير الذي يلاحظ ويُنَوَى في الإضافة غير المحضة ، كما سلف بيانه . والآخر : الانفصال ، لأن المعنى لا يصح إلا بتأول

(١) كما يجب في ج ٤ باب الممنوع من الصرف . . - م ١٤٨ ص ٢١٧ .

(٢) في الجزء الأول (م ٢٣ ص ٢٧٧ عند الكلام على « العلم » ونقلنا بعضه في « ا » من ص ٤٢٩ نقلنا ما نصه في الجزء الأول : « أما الكنية فهي علم مركب تركيباً إضافياً بشرط أن يكون صدره (وهو المضاف) كلمة من الكلمات الآتية : (أب ، أم) ، (ابن ، بنت) ، (أخ ، أخت) ، (عم ، عمة) ، (خال ، خالة) . . . وليس منه أب محمد ، وأم هند ، وغيرها من كل ما لا إضافة فيه على الوجه السابق . . . » .

ثم قلنا في رقم « ا » من ص ٤٢٩ ما نصه : (والكنية - مع تركيبها الإضافي - معدودة من قسم العلم الذي معناه إفرادي ؛ فكل واحد من جزأها لا يدل بمفرده على معنى يتصل بالعلمية ؛ فإذا وقع بعدها تابع - كالنعت مثلاً في قولنا : جاء أبو علي الشجاع - فإن النعت (وهو هنا كلمة : « الشجاع ») يعتبر في المعنى نعتاً للاثنتين معا ، أي : للمضاف والمضاف إليه ، ولا يصح أن يكون نعتاً لأحدهما فقط ، وإلا فسد المعنى ، لكنه يتبع في الإعراب المضاف وحده . . .) ا راجع النص كاملاً .

(٣) في رقم ٦ من هامش ص ٤٠ .

وتكلف يخرجان الإضافة عن ظاهرهما ^(١). فأيهما الصحيح ؟. وبعد كل ما سبق
أقياسية هي أم سماعية ؟ .

لكل رأى أدلته التي يقويها أصحابه بتأويل الأسلوب تأويلاً يبعده عن ظاهره ،
وبتمخيره إلى حيث يريدون من إثبات رأيهم ودعمه . . .

والأمر لا يحتاج إلى هذا العناء الجدلي الذي له أسبابه التاريخية النحوية التي
لا تعنينا اليوم ؛ فحسبنا أن نترك فضول التأويل والتخريج ، ونعول على ظاهر
الأسلوب الإضافي تعويلاً لا يعارض المراد منه — فنجد تلك الإضافات المتعددة
قد انحصرت في قسمين :

أولهما : يكون فيه المضاف والمضاف إليه بمعنى واحد ، مع اختلاف
لفظهما . أى : أن اللفظين مختلفان ، ولكن مدلولهما متحد ، كإضافة المسمى
إلى الاسم (فى مثل : شهر رمضان — شجر البرتقال — علم الهندسة . . .) ، ومثل
هذه الإضافة لا تفيد المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً ، لأن المضاف من حيث
المعنى هو نفس المضاف إليه ، أو بمنزلة ، والشئ لا يتعرف ولا يتخصص
بنفسه ، أو بما هو بمنزلة نفسه ؛ فلا يمكن أن تكون الإضافة فى هذا القسم
« محضة » ؛ إذ « المحضة » لا بد أن تفيد المضاف تعريفاً أو تخصيصاً إذا كان
غير متوغل فى الإبهام ، وأن تتضمن معنى حرف من أحرف الجر الثلاثة
المعروفة ^(٢) ، و « الإفادة والتضمين » ، يقتضيان أن يكون معنى المضاف غير معنى
المضاف إليه .

ثانيهما : يكون فيه أحد الاسمين المتضامين أصلياً والآخر زائداً (يمكن
الاستغناء عنه من غير أن يتأثر المعنى المراد بحذفه) نحو : مررت بكم فألقيت اسم
السلام عليكم . . . فكلمة : « اسم » زائدة ؛ لا فائدة منها مستجلة ، وإذا كانت
كذلك فكيف تعتبر إضافتها محضة ؟ .

إن الإضافة المحضة تؤثر فى الأسلوب تأثيراً معنوياً ؛ لا غنى عنه — كما
قلنا — فحيث يمكن الاستغناء عن أحد طرفي الإضافة لا تكون الإضافة محضة .

(١) راجع المصباح والصبان .

(٢) بيانها فى : (ا و ب و ج) ص ١٨ و ١٩ و ٢٠ .

أما قياسية تلك الإضافات الملحقة بغير المحضة ، أو عدم قياسيتها ، فكثره النحاة تنقصها على المسموع ، ولا تبيح فيها القياس . إلا الكوفيين فيبيحون القياس على المسموع ، بشرط اختلاف لفظي المضاف والمضاف إليه ، بحجة أن الوارد من تلك الإضافات كثير كثيرة تكفي للقياس عليه ، وأن الحاجة قد تدعو لاستخدام القياس ؛ للانتفاع بفائدة تلك الإضافات المتعددة الأنواع ، فإنها لا تخلو من فائدة معنوية — كإيضاح مع التوكيد — ، برغم أن هذه الفائدة المعنوية تختلف نوعاً ومقداراً — عن الفائدة المعنوية التي للإضافة المحضة ^(١) . . .

ورأى الكوفيين سديد مفيد . وفي الأخذ به هنا تيسير محمود تتطلبه حياة الناس كما طلبته قديماً . لكن من المستحسن — وبخاصة القسم الثاني — أن نأخذ به في أضيق الحدود ؛ حين تشتد إليه الحاجة ، وتقوم قرينة على بيان المراد منه ، بحيث لا يشوبه لبس أو غموض .

وقد صرح بعض كبار النحاة باستحسان الرأي الكوفي ، ففي شرح شواهد العيني للبيت المرقوم (٤٤٨) وهو الذي سبق هنا في الإضافة الخامسة (ص ٤٥) وصدره (فقلت : انجوا عنها نَجْماً الجلد إنه . . .) ما نصه :

(الشاهد في : « نجا الجلد » حيث أضاف المؤكِّد إلى المؤكِّد ؛ لأن « النجا » — بالقصر — هو الجلد . والأحسن ما قاله الفراء : إن العرب تضيف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله تعالى . . . « حق اليقين » ^(٢) . . .) اهـ وقال الأشموني عند الكلام على بيت ابن مالك ^(٣) :

وَلَا يُضَافُ اسْمٌ لِمَا بِهِ اتَّحَدَ مَعْنَى ، وَأَوَّلُ مُوْهِمًا إِذَا وَرَدَ مَا نَصَّهُ : « لَا يُضَافُ اسْمٌ لِمَا اتَّحَدَ بِهِ مَعْنَى ، كالمُرَادِفِ مع مرادفه ؛

(١) ومع أن السماع يؤيدهم يزيدون فيستخدمون « قياس التنظير » فيقولون : إن العرب أجازت عطف الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان : كقول قائلهم : « وألفي قولها كذباً وميئاً » . . . والمين هو الكذب . والأصل في عطف التنسيق المنافية . والمضاف والمضاف إليه كالمعطوف والمعطوف عليه ؛ لهذا قال « ياسين » في هذا الموضع من حاشيته على « التصريح » : (إنهم استدلووا بالسماع والقياس ، ووافقهم في التسهيل) . اهـ .

ولما تقدم إشارة في رقم ٨ من ص ٦٦٠ .

(٢) انظر رقم ٤ من هامش ص ٥١ :

(٣) استجىء له إشارة أخرى في هامش ص ٦٥ .

والموصوف مع صفته ؛ لأن المضاف يتخصص أو يتعرف بالمضاف إليه ؛ فلا بد أن يكون غيره في المعنى ؛ فلا يقال ، قمحٌ بُرٌّ ، ولا رجلٌ فاضلٌ ، ولا فاضلٌ رجلٌ . وإذا جاء من كلام العرب ما يوهم جواز ذلك وجب تأويله ؛ فما أوهم إضافة الشيء إلى مرادفه قولهم : « جاءني سعيدٌ كُرُزٌ » . وتأويله : أن يراد بالأول المسمى ، وبالثاني الاسم ؛ أى : جاءني مسمى هذا الاسم ^(١) . ومما أوهم

(١) للاسم مع المسمى حالات مختلفة ؛ فقد يكون الاسم هو المسمى نفسه وذاته ، وقد يكون غير المسمى ، و ... ، عرض لتفصيل الكلام على هذا الموضوع تفصيلاً وافياً ابن السيد البساطلي ومضى الأندلسي في رسالة خاصة نقلتها : « مجلة المجمع اللغوي بدمشق » ، في الجزء الثاني من مجلدها السابع والأربعين ص ٣٣٣ . وعنها نقلنا النص التالي : « (الباب الأول : في تبين كيف يكون الاسم غير المسمى . . . ، إن الاسم الذي يقال إنه غير المسمى هو الاسم الذي يراد به التسمية ، والعبارة عن المعنى الذي يروم المتكلم تقريره في نفس من يخاطبه . وهذا الاسم هو المراد بقولهم للرجل : « ما اسمك ؟ وعرفى باسمك . » ؛ لأنه ليس يسأله أن يعلمه بذاته ما هي ؟ وإنما يسأله أن يعلمه بالعبارة المعبّر بها عنه ، المشار بها إلى ذاته . وكذلك قولهم . « محوت اسم علي من الكتاب » ، وأثبت اسمه في الديوان » فالاسم في هذا كله غير المسمى اضطراراً ؛ لأن اللفظة ليست الشخص الواقع تحتها . والاسم والتسمية في هذا الباب لفظان مترادفان على معنى واحد ؛ كما يقال : سيف ، وصمصام ، وحسام . والاسم ها هنا وإن كان يفيد ما تفيدته التسمية فينبهنا فرق ؛ وذلك أن التسمية مصدر ، من قولك : سميت الشيء اسميه تسمية ، فأنا : مسم ، وهو : مسمي ، كقولك : سويته ، أسويه ، تسوية ؛ فأنا : مسو ، وهو : مسوي . والاسم ليس بمصدر ؛ إنما يراد به الألفاظ المعبّر بها عن الأشياء ، كحمد ، وعلى ، وجوهر ، وعرض . ويدل على الفرق بينهما أن التسمية تعمل عمل الفعل ، والاسم لا يعمل عمل الفعل ؛ ألا ترى أنك تقول : عجبت من تسمية زيد ابنه كلباً ؛ كما تقول عجبت من تسوية زيد الثوب . ولا تقول : عجبت من اسم زيد ابنه كلباً . وهذا كما تقول : « عجبت من قوت زيد عياله » - بفتح القاف - فإن ضمنت القاف لم يحز ؛ لأن « القوت - بفتح القاف - مصدر قاته ، يقوته ، قوتاً . و « القوت » - بضم القاف - الطعام نفسه ؛ فجري مجرى الاسم في الامتناع من العمل ، لأنه نوع من أنواع الاسم .

ومما جاء من هذا الباب قوله تبارك وتعالى : (والله الأسماء الحسنی ، فادعوه بها) يريد : التسميات . ومن ذلك قوله عليه السلام : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . ولو كان الاسم هنا هو المسمى بعينه لكان الله تسعة وتسعين شيئاً . وهذا كفر بإجماع ... و ... و ... ومن ذلك قول الشاعر :

وسميته يحیی ليحييا ، ولم يكن لرد قضاء الله فيه سبيل

ولو كان الاسم هنا هو المسمى لوجب أن يموت من سمي : « يموت » . ويحيى من سمي « يحيى » . . . وهذا النوع كثير في القرآن والحديث وكلام العرب يفنى ما ذكرناه منه عن الإكثار منه) اهـ . ثم عرض بعد ذلك لأنواع أخرى ؛ منها ما يكون فيه الاسم هو المسمى ، كلاهما ملازم الآخر لا يفارقه مطلقاً ، مثل كلمة : « حي ، أو « متحرك » . فمن المستحيل أن توجد الحياة بغير الجسد الذي تحمل فيه ، ومن المستحيل أن توجد الحركة مستقلة بنفسها بغير جسم تظهر فيه . إلى غير ذلك مما عرضه .

إضافة الموصوف إلى صفته قولهم : « حبةُ الحمقاء » ، و « صلاةُ الأولى » ،
و « مسجدُ الجامع » ، وتأويله أن يقدر موصوف ، أى : حبة البقلة الحمقاء ،
وصلاة الساعة الأولى ، ومسجد المكان الجامع^(١) . ومما أوهم إضافة الصفة إلى
الموصوف قولهم : جَرَدُ قطيفة^(٢) « وسَحَقَ عمامة^(٣) » ، وتأويله : أن يُقَدَّر موصوف
أيضاً ، وإضافة الصفة إلى جنسها ؛ أى : شئٌ جَرَدٌ من جنس القطيفة ، وشئٌ
سَحَقٌ من جنس العمامة . اهـ كلام الأشموني .
ثم قال ما نصه :

« أجاز الفراء إضافة الشيء إلى ما بمعناه لاختلاف اللفظين . ووافقهُ
ابن الطَّرَاوَةَ ، وغيره ، ونقله في « النهاية » عن الكوفيين ، وجعلوا من ذلك ما ورد في
الآيات القرآنية من نحو : « وَلَدَارُ الْآخِرَةِ » - « حَقُّ الْيَقِينِ » - « حَبْلُ
الْوَرِيدِ » - « جَنَاتُ حَبِّ الْحَصِيدِ » وظاهر التسهيل وشرحه موافقته^(٤) (اهـ الأشموني .
ويقول الرضی فی شرح الکافیة^(٥) - بعد أن شرح مذهب الكوفيين وغيرهم
وعرض أمثلة مما سبق - ما نصه : « والإنصاف أن مثله كثير لا يمكن دفعه »^(٦) .

(١) انظر ما سبق متصلاً بهذا في رقم ١ من ص ٤٠ .

(٢) بمعنى : قطيفة مجردة .

(٣) بمعنى : عمامة مجردة .

(٤) ومن الأمثلة القرآنية أيضاً قوله تعالى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ... » قال « المصباح
المنير » في مادة : « عرم » ما نصه « (العرم قيل : جمع « عَرْمَة » مثل : كليم وكلمة ، وهو : السد ، وقيل :
السيل الذي لا يطاق دفعه . وعلى هذا فبقوله تعالى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » بإضافة الشيء إلى
نفسه ؛ لاختلاف اللفظين) ، اهـ وجاء في المصباح المنير أيضاً ما نصه في مادة : « ظهر »

« (أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى . المراد : نفس الغنى . ولكن أضيف للإيضاح والبيان ؛
كما قيل : ظهر الغيب ، وظهر القلب . والمراد : نفس الغيب ، ونفس القلب . ومثله : « نسيم الصَّبَا » ،
وهي نفس الصَّبَا . قاله الأخفش ، وحكاها الجوهري عن الفراء أيضاً . والعرب تضيف الشيء إلى نفسه ،
لاختلاف اللفظين ؛ طلباً للتأكيد . قال بعضهم : ومن هذا الباب : حقُّ اليقين ، ولدار الآخرة ... » اهـ

(٥) ج ١ ص ٢٨٨ .

(٦) وزاد على هذا قوله : « ولو قلنا إن بين الاسمين في كل موضع فرقاً لاحتجنا إلى تعسفات
كثيرة ... »

وقد أطلنا الكلام في أمر الإضافات السالفة لنفصل في أمرها بحكم قاطع
 - وهو إباحتها - فيُحَسَمَ النزاع ، ويوقف الجدل الذي امتد حتى وصل إلينا
 عنيفاً ، واستخدمه اليوم - بغير حق - بعض الباحثين في إصدار أحكام بالفساد
 والخطأ على بعض الإضافات الشائعة ، مثل : « استرحنا من عناء التعب » ، -
 و « نعيمنا برغد الرخاء » .

* * *

السابع : عدم الفصل بين المضاف والمضاف إليه باسم ظاهر ، أو بضمير بارز^(١) ، أو بغيرهما ، لأن المتضايين بمنزلة الكلمة الواحدة ذات الجزأين ، لا يصح أن يتوسط بينهما فاصل . غير أن هناك مواضع يجوز فيها الفصل في السعة^(٢) — فإباحتها في الشعر ، وملحقاته ، أقوى — . ومواضع أخرى يجوز فيها الفصل للضرورة^(٣) .

أ — فأما مواضع الفصل في السعة فمنها :

(١) أن يكون المضاف مصدراً والمضاف إليه هو فاعله في الأصل قبل الإضافة ، والفاصل بينهما إما مفعول به للمصدر^(٤) ؛ كقول الشاعر :

حملتُ إليه من ثنائي حديقة سقاها الحيجا سقى الرياض السحائب والأصل : سقى السحائب الرياض . وقول الآخر :

عَتَوْا إِذْ أَجْبَنَاهُمْ إِلَى السَّلْمِ رَافَةً فَسُقْنَاهُمْ سُوقَ الْبُغَاثِ - الْأَجَادِلِ^(٥)

يريد : سوق الأجادل البغاث ، فوقع الفصل في المثالين بين المصدر وفاعله بمفعوله المنصوب .

وإما ظرف للمصدر ؛ كقولهم : تركتُ يوماً نفسك وهواها ، سعى لها في

(١) أما المستتر فقد يفصل في الإضافة غير المحضة — كما عرفنا في ص ٣٤ .

(٢) أى : في النثر المرسل ؛ حيث يجد النثر من فسحة القول ، وحرية التعبير ، والتصرف — ما لا يجده الشاعر — ونحوه — المقيد بقيود الشعر ، وضوابطه ؛ من وزن ، وقافية ، وخصائص شعرية ترهقه ، وتضيق بها حرية التعبير ، ولهذا منحوه أنواعاً من التيسير لم يمنحوها النثر ، وأباحوا أن يقع في الشعر — وملحقاته — بعض أمور معينة لا تباح في النثر المرسل ؛ تخفيفاً على الشاعر ، ونزولاً على حكم الضرورة . وبما تلك الأمور المحددة : « الضرورات الشعرية ، ونظائرها » . ولا شك أن ما يباح في النثر مباح في النظم بالأولوية . هذا ، وفريق من البصريين يمنع الفصل بين المتضايين في السعة ، وسيجيء في ص ٥٨ .

(٣) أى : الضرورة الشعرية ، وما يلحق بها ، مما أوضحناه في ج ٤ م ١٤٨ ص ٢٠٦ باب : « لا ينصرف » . حيث البيان الكامل للضرورة ، وملحقاتها .

(٤) بشرط أن يكون المفعول غير جملة ؛ فلا يجوز : سرق قولٌ — الدين حقٌ — الملمد ، أى : قول الملمد — الدين حقٌ .

(٥) معنى البيت : إن الأعداء عتوا ، (أى : أفسدوا) بعد أن رحمتهم ، وأجبناهم إلى السلم رافة بهم . فلم نجد بداً أن نظاردهم ونسوقهم أمامنا كما تسوق الأجادل البغاث . (الأجادل . جمع أجندل ، ويسمى : الصقر ؛ وهو من جوارح الطيور القوية التي تحسن اصطيد الطيور الضعيفة . والبغاث : طائر ضعيف ، يصاد ، ولا يصيد ، ولا ينتفع صائده بشيء منه) .

رَدَّاهَا . فقد فصل الظرف : (يوماً) بين المصدر وفاعله ، وهما : تَرَكَ نفسك . . . (١)

(٢) أن يكون المضاف اسم فاعل للحال أو الاستقبال ، والمضاف إليه هو مفعوله ، والفاصل بينهما ؛ إما : مفعوله الثاني ، وإما الظرف ، وإما الجار والمجرور المتعلقان بهذا المضاف ، فمثال الفصل بالمفعول الثاني قول الشاعر :

ما زالَ يوقنُ من يَؤُمُّكَ بالغنى وسواك مانعٌ - فَضْلَهُ - المحتاجُ
أى : مانعُ المحتاجِ فضْلَهُ . والأصل قبل الإضافة مانعُ المحتاجِ فضْلَهُ ؛ فاسم الفاعل هنا ناصب مفعولين ، ثم أضيف إلى أولهما ، وبقي الثاني منصوباً ، ولكنه تقدم وفصل بين المتضايقين . ومثال الظرف قول الشاعر :

وداعٍ إلى الهيجا وليس كفاءها كجالبٍ - يوماً - حتمه بسلاحه
والأصل : كجالبٍ حتمه يوماً . . . ، ومثال الجار والمجرور المتعلقين به قوله عليه السلام : هل أنتم تاركو - لى - صاحبي . والأصل : تاركو صاحبي لى .

(٣) الفصل بالقسم ، أو : بإمّا ، أو : بالجملة الشرطية ؛ سواء أكان المضاف شبه فعل (٢) أم غيره ؛ فمثال القسم : شرٌّ - والله - البلادِ بلادٌ لا عدل فيها ولا أمن . ومثال « إما » قول الشاعر :

هُمَّا خُطَّتَا (٣) - إِمَّا إِسَارٌ (٤) وَمِثَّةٌ (٥) وإِمَّادَمَ ، والقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ
أى : هما خُطَّتَا إِسَارٌ . . . وقد حذف نون المثني المضاف وفصلت بينه وبين المضاف إليه كلمة : « إما » . ومثال الشرط ما نقل من نحو : هذا غلامٌ - إن شاء الله - أخيك . . والأصل : هذا غلامٌ أخيك إن شاء الله .

(٤) الفصل بـ « ما » الزائدة حين يكون المضاف منادى ، وحرف النداء هو : « يا » ؛ كقول الشاعر :

(١) والأصل : تَرَكَ نفسك شأنهما ، وحذف المفعول أو : مضاف لمفعوله وفاعله محذوف ، أى : تَرَكَكَ نفسك .
(٢) المراد به هنا : نوعان - فقط - من الأسماء التى تشبه الفعل فى معناه وعمله ، هما : المصدر ، واسم الفاعل للحال أو الاستقبال .

(٣) أصل الكلام : خطتان ؛ تشبیه خطة ، بمعنى : حالة وطريقة .

(٤) أى : أسر ، وهو : وقوع المحارب مغلولاً فى يد عدوه المنتصر .

(٥) امتنان بإطلاق السراح ، ومنح الحرية .

ياشاةَ - مَا - قَسَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمَتٌ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمَ

(٥) الفصل بالتوكيد اللفظي بشرط أن يكون المضاف منادى قد تكرر لفظه للتوكيد اللفظي ، من غير أن يضاف اللفظ الذي جاء للتوكيد ، نحو : (يا صلاح - صلاح - للدين الأيوبي ، ما أطيب سيرتك) ؛ على اعتبار أن كلمة : « صلاح » ، الأولى منادى ، منصوب ، مضاف ، وكلمة : « الدين » مضاف إليه ، وكلمة : « صلاح » الثانية هي التوكيد اللفظي للأولى ، وقد فصّلت بين المتضايقين ^(١) .

* * *

ب - وأما مواضع الفصل المباح في الضرورة فنحن :

(١) وقوع المضاف اسما - مُشَبَّهًا بالفعل في العمل ، رافعاً بعده فاعله الذي يفصل بينه وبين المضاف إليه ؛ كقول الشاعر :

نَرَى أَسْهُمًا لِلْمَوْتِ تُصْنِي ^(٢) وَلَا تُنْمِي ^(٣)

وَلَا نَرْعَوِي ^(٤) زَعْنُ نَقْضُ - أَهْوَؤُنَا الْعَزْمُ
فقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بكلمة : « أهواؤنا » وهي فاعل المصدر المضاف . والأصل : عن نقض العزم أهواؤنا . أى : عن أن تنقض أهواؤنا العزم .

(٢) أن يكون الفاصل بين المضاف والمضاف إليه أجنبيًا من المضاف ، (أى : أن يكون الفاصل معمولًا لعامل آخر غير هذا المضاف) ؛ كالفصل بالفاعل الأجنبي في قول الشاعر :

(١) وكان من الجائز أن تنون ، ولكن حذف تنوينها بقصد المشاكلة بين الاسمين . ولهذا المثال ، وأشباهه - طرق مختلفة في ضبطه وإعرابه . وبيانها المفصل في موضعها الأنسب من باب المنادى (ج ٤ ص ٤٠ و ٤١ م ١٣٠) ، ومن تلك الطرق اعتبار الاسم المكرر زائدًا زيادة محضة بين المتضايقين لا يوصف فيها بإعراب ولا بناء . عند من يميز زيادة الأسماء .

(٢) تصيب فتقتل الصيد ، والصائد يراه .

(٣) أُنْمِيَ الصيادُ الصيد ، رماه فأصابه ، فذهب الصيد بعيداً عنه ومات . فنى لا تنمى ، لا تخطئ الإصابة القاتلة .

(٤) لا نرعى : لا نرجع عن النى ، ولا نرتدع .

أُنْجَبَ^(١) أَيَّامَ - وَالِدَاهُ بِهِ - إِذْ نَسَجَلَاهُ^(٢) ؛ فَتَنْصَحُهُمَا نَسَجَلَاهُ
والأصل : أنجب والداه به أيام إذ^(٣) نجلاه . . . فقد فصل الفاعل^(٤) وهو
(والداه) بين المضاف : - أيام - وبين المضاف إليه وهو : « إذ نجلاه » ،
والفاصل هنا ليس معمولاً للمضاف .

(٣) الفصل بالمفعول الأجنبي ؛ كالذى فى قول الشاعر يصف فتاة :

تَسْقَى امْتِيحًا^(٥) نَدَى - الْمَسْوَاكَ - رِيْقَتِهَا
كَمَمَا تَضْمَنَ مَاءَ الْمَرْؤَةِ الرَّصَفِ^(٦)
يريد : أنها تسقى المسواك ندى ريقتها . فقد توسط المفعول به الأجنبي ،
(وهو : المسواك) بين المضاف والمضاف إليه ، وفصل بينهما ، مع أنه معمول
للفعل : « تسقى » وليس معمولاً للمضاف .

(٤) الفصل بالظرف الأجنبي^(٧) ؛ كالذى فى قول الشاعر يصف رسوم
الدار بأنها :

كَمَمَا خُطَّ^(٨) الْكِتَابُ بِكَفِّ - يَوْمًا
يَهْجُودِي يَهْجَارِبُ^(٩) أَوْ يَزِيلُ^(١٠)

(١) أنجب الرجل : ولد له ولد نجيب .

(٢) ولداه ، ورزقا به .

(٣) « أيام » ، مضاف ، و « إذ » مضاف إليه ، من إضافة العام للخاص ، أو المؤكّد
للمؤكد . (وقد سبق الكلام عليها مع الإشارة لهذا البيت فى النوع الخامس ص ٤٥) و « إذ » مضاف ،
والجملة بعدها مضاف إليه .

(٤) الفاصل فى البيت هو الفاعل ومعه الجار والمجرور ، فيؤخذ من هذا البيت الذى استشهد به
النحاة على الفصل بالفاعل ، جواز الفصل بالفاعل فقط ، أو به ومعه الجار والمجرور .

(٥) الامتياح : استخدام السواك لتنظيف الأسنان ، ويعرب هنا : حالاً مؤولة ، أى : متاحة .
وهذا الإعراب أحسن من غيره .

(٦) الحجارة المتراسة المتلاصق بعضها إلى بعض . والماء المتراكم فوقها ، أو النافذ منها . ، يكون
أبقى وأصنى من غيره ، المفرد : رَصَقَة .

(٧) أى : الذى ليس معمولاً للمضاف .

(٨) كُتِبَ .

(٩) أى : يقرب الكلمات والحروف بعضها من بعض .

(١٠) يَزِيلُ (بفتح الياء) يباعد ويفرق .

والأصل : كما خُطَّ الكتاب يوماً بكفّ يهوديّ ؛ فوقع الظرف الأجنبي فاصلاً بين المضاف وهو : « كف » ، والمضاف إليه ، وهو : « يهودى » .

(٥) الفصل بالجار مع مجروره الأجنبيين ، كما فى قول الشاعرة ^(١) :

هما أخوا- فى الحرب - من لا أخالَه إِذا خاف يوماً نِسْوةً ، ودعاهما .
تريد : هما أخوَا من لا أخالَه فى الحرب . وقول الآخر ^(٢) :

كَأَن أَصْوَاتَ- من إِيغالهن ^(٣) ، بنا- أواخرِ المَيْسِ ^(٤) أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ ^(٥)
يريد : كأَن أَصْوَاتِ أواخرِ المَيْسِ . . .

(٦) الفصل بنعت المضاف ؛ مثل :

وَلَكِنَّ حَلَفْتُ عَلَى يَدَيْكَ لِأَحْلِفَنَّ بِيَمِينِ أَصْدَقَ مِنْ يَمِينِكَ- مُقْسِمِ
أى : بِيَمِينِ مُقْسِمِ ، أَصْدَقَ مِنْ يَمِينِكَ .

(٧) الفصل بالنداء ، كالذى فى قول الشاعر :

وِفَاقُ ^(٦) - كَعَبُ ^(٧) - بُجَيْرٍ مُنْقَذٍ لَكَ مِنْ
تَعْجِيلِ تَهْلُكَةٍ ^(٨) ، وَالْخُلْدِ فِي سَقَرَا ^(٩)
أى : وَفَاقِ بُجَيْرٍ ياكعب . . .

* * *

(١) هو لامرأة من بنى قيس . كما جاء فى الجزء الأول من كتاب : « الموشح » للمرزبانى ، عند الكلام على الشاعر : أبو حية النميرى .

(٢) هو : ذو الرُمة . (٣) مبالغة فى السير .

(٤) الميس : شجر تصنع منه الرجال . والمراد هنا : الرجال .

(٥) جمع فَرَّوْج ، وهو فرخ الدجاج . والشاعر يشبه أصوات الرجال وقت سير الإبل المسرعة بأصوات الفراريح -

(راجع مجمع البيان ، لعلوم القرآن ، = ٣ ص ٤) .

(٦) موافقة . (٧) ياكعب .

(٨) هلاك . (٩) سقر : جهنم .

وأصل القصة : أن « كعباً » و « بجيراً » أخوان ، أبوهما : « زهير بن أبى سلمى » الشاعر الجاهلى المشهور . وقد أسلم « بجير » قبل أخيه ، فأراد أن يسلم أخوه ، فقال شعراً يجب إليه الإسلام ، ويحذره سوء العاقبة إن خالف ، ومنه هذا البيت . ومعناه : موافقة بجير - ياكعب - تنقذك من الهلاك ، ومن الخلود فى سقر .

تلك أشهر مواضع : « الفصل » - بنوعيه - بين المضاف والمضاف إليه كما رأها كثرة النحاة .

لكن فريقاً من نحاة البصرة لا يبيحون الفصل في السَّعة ، ويَقْصُرُونَهُ على الضرورات . والأخذ برأيهم أفضل ؛ حرصاً على وضوح المعاني ، وجرياً على مراعاة النسق الأصيل في تركيب الأساليب . فما لا شك فيه أن الفصل بين المتضايقين لا يخلو من إسدال ستارٍ مّا على المعنى لا يرتفع ولا يزول إلا بعد عناء فكريّ يقصرُ أو يطول ، وأن الأسلوب المشتمل على : « الفصل » غريب على اللسان والآذان ، ولا سيما اليوم .

سواء أخذنا بهذا الرأي الأفضل أم بذاك - وكلاهما جائز - فلا مناص لمن يبيح الفصل أن يبيحه حين تقوم القرينة عليه ، ويتضح المعنى معه ، في غير إنباهم ولا غموض^(١) .

(١) وفي الفصل ومواضعه يقول ابن مالك في آخر باب : « الإضافة » أبياته التالية . المختصرة الملتوية (وقد منها من موضعها الذي في ص ؟ لتساير الترتيب المعنوي الأنسب للسائل المترابطة التي يتمم بعضها بعضاً ، على أنا وضعنا هنا على يسار كل بيت رقمه الذي يدل على ترتيبه في الباب ؛ كما رتبته الناظم) .

فَصْلٌ مُضَافٍ ، شَبَهُ فِعْلٍ مَا نَصَبَ
مَفْعُولًا ، أَوْ : ظَرْفًا : أَجْزُ . وَلَمْ يَعْصِبْ : ٣٤
فَصْلٌ يَمِينٍ . وَأَضْطَرَّارًا وَجَدًا
بِأَجْنَبيٍّ ، أَوْ : بِنَشْعَتٍ ، أَوْ : نِدَا - ٣٥

التقدير : أجز فصل ما نصبه المضاف الذي يشبه الفعل ، حالة كون المنصوب مفعولاً به ، أو ظرفاً . (يريد : إذا كان ذلك المنصوب مفعولاً به ، أو ظرفاً) فكلية : « فصل » مفعول للفعل : « أجز » . و « فصل » مضاف ، وكلية : « مضاف » ، التي بعدها هي المضاف إليه . « شبه » نعت لكلمة : مضاف . و « فعل » مضاف إليه مجرور . « ما » اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للمصدر الذي هو كلمة : « فصل » . و « نصب » جملة فعلية ، لا محل لها ، صلة الموصول . والمفعول ضمير محذوف ، والتقدير : نصبه . و « مفعولاً » ، حال من الضمير المحذوف ، و « أو » حرف عطف . « ظرفاً » معطوف على « مفعولاً » .

ثم يقول : واضطراً وجد الفصل بأجنبي . والمعنى : يجوز الفصل بين المضاف والمضاف المشبه للفعل ، =

.....
.....

زيادة وتفصيل :

من مواضع الفصل للضرورة : الفصل بين المتضايقين بالفعل الزائد (أى :
الذى يمكن حذفه مع فاعله ^(١) بغير أن يفسد المعنى) ومنه قول العربى يسأل
عن أهله :

بأى - تراهم - الأَرْضِين حَلُّوا ؟ أبا الدَّبرَان ، أم عَسَفُوا الكِفَّارَا
يريد : بأى الأَرْضِين ؟ فجملة : « تراهم » ^(٢) زائدة ، فاصلة بين المتضايقين ، ثم
يسأل : أحلوا المكان الذى يسمى : الدَّبرَان - بفتح الباء - أم قصدوا المكان
الآخر المسمى : الكِفَّارَا ؟ .

وأيضاً الفصل بالمفعول لأجله ؛ كقول الشاعر :
أشَمَّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ عِبَّوسٌ معاودٌ - جرأةٌ - وقت الهوادر
والأصل : مُعَاوِدٌ وقت الهوادر ؛ جرأةٌ . أى : يعاود الحرب وقتَ ظهور
أعناق الخيل ، لجرأته فى الحرب ^(٣) .

وكذلك الفصل بلام الجر الزائدة بين المضاف المنادى والمضاف إليه ^(٤) كقول

الشاعر :

* يا بؤس للحرب ضَرَّاراً لأَقْوَامٍ *

* * *

= والمضاف إليه بشئ نصبه ذلك المضاف ، لكن بشرط أن يكون هذا الفاصل المنصوب مفعولاً به ،
أو ظرفاً . وقد أوضحنا هذه القاعدة بالشرح والتفصيل ، وبالتفصيل المناسب
ثم بين بعد ذلك أن الفصل بين المتضايقين جائز باليمين . أما فى حالة الضرورة فقد وجد الفصل
بالأجنى (وهو الذى ليس معمولاً للمضاف) أو بالثمت ، أو بالندا . هذا والثمت والنداء يدخلان فى
الفصل بالأجنى ؛ ولكنه خصهما بالذكر مبالغة فى إيضاحهما . ثم إن تخصيص هذه المسائل بحالة الضرورة
يدل على أن ما برده قبلها يكون فى السعة .
(١) إن كان له فاعل ، لأن بعض الأفعال الزائدة لا فاعل له ، وإذا حذف الفعل مع فاعله كان
المحذوف جملة .

(٢) ليس من اللازم ما يقولونه من أنها زائدة هنا .

(٣) أشار الصبان إلى أن صدر البيت ورد مكان المعجز فى بعض المراجع

(٤) سبقت إشارة لهذا عند الكلام على لام الجر ج ٢ م ٩٠ ص ٣٦٧ وهناك تكملة هذا الشطر ،

وتفصيل الكلام على البيت ، وعلى لام الجر .

الثامن : استفادة المضاف من المضاف إليه وجوب التصدير^(١) ، وانتقال هذا الوجوب من الثاني للأول . فإذا كان المضاف إليه لفظاً من الألفاظ التي يجب تصديرها في جملتها - كألفاظ الاستفهام . . . و . . . - فإنه يفقد التصدير حين يصير مضافاً إليه ، وينتقل وجوب التصدير إلى المضاف الذي ليس من ألفاظ الصدارة الحتمية ؛ ولهذا وجب تقديم المبتدأ في مثل : كتاب مَنْ معك ؟ والخبر في مثل : صباحَ أيَّ يومٍ السفرُ ؟ والمفعول به في مثل : دعوةَ أيَّهم تُجيب ؟ والجار والمجرور في مثل : مِنْ بلادِ أيِّ الأنصار أقبلت ؟ وهكذا . . . وأصل الكلام : معك كتاب مَنْ ؟ - السفرُ صباحَ أيَّ يوم ؟ - تجيب دعوةَ أيَّهم ؟ - أقبلت من بلادِ أيِّ الأنصار ؟ . ففي الأمثلة السابقة تتقدّم وجوباً كل من المبتدأ ، والخبر ، والمفعول به ، والجار مع مجروره . . . و . . . مع أن كل واحد من هذه الألفاظ ليس من الألفاظ الواجبة التصدير لذاتها ؛ ولكنه استفاد حق التصدير الواجب من المضاف إليه ، وسلبه هذا الحق ، إذ المضاف إليه هنا أداة استفهام ، وأدوات الاستفهام واجبة التصدير بنفسها قبل أن تصير : « مضافاً إليه » فحين صارت مضافاً إليه فقدت هذا التصدير الواجب ، وانتقل منها إلى المضاف .

التاسع : وجوب تقديم المضاف ، على المضاف إليه ، وكذلك على معمولات المضاف إليه^(٢) ، إن وجدت . فلا يجوز أن يتقدم المضاف إليه ، ولا شيء من معمولاته (سواء أكانت هذه المعمولات مفردة ، أم جملة ، أم شبه جملة) ، إلا حالة واحدة يجوز فيها تقديم المفعول ؛ هي : أن يكون المضاف كلمة : « غير » التي يقصد بها النفي^(٣) ؛ ففي نحو : (أنا مرشدُ الغرباء . . .) لا يصح : (أنا الغرباء مرشدُ . . .) وفي نحو : « أنا مثلُ كاتبِ سطوراً » ، لا يصح أن يقال : (أنا - سطوراً - مثلُ كاتبٍ) أما في نحو : (أنا غيرُ منكّرٍ فضلاً -) فيجوز : (أنا - فضلاً - غيرُ منكّرٍ) ؛ لأنه يجوز : (أنا فضلاً لا أنكر) . ومنه قول الشاعر :

(١) بشرط أن يكون المضاف إليه واجب الصدارة .

(٢) علامتها : أن يصح إحلال حرف نفي وفعل مضارع محل كلمة : « غير » والمضاف إليها ، مع استقامة المعنى .

إنَّ امرأً خَصَّتْني عَمَدًا مَوَدَّةُ

على التَّنَائِي لعندي غيرُ مكفور

والأصل : لغير مكفور عندى ؛ فقدّم : « عندى » وهو معمول المضاف إليه ، على المضاف وهو : « مكفور » ، لِيَتَحَقَّقَ الشرط ؛ فكأنه قال : لعندى لا يكفر . فإن لم يقصد بكلمة : « غير » النفي لم يتقدم عليها معمول المضاف إليه . كما فى مثل : « فاز المتسابقون غير راكب فرساً » فلا يصح : فاز المتسابقون فرساً غير راكب ؛ لعدم قصد النفي بكلمة : « غير » ، لأنه لا يصلح وضع حرف النفي والمضارع موضعها مع مجرورها ؛ فلا يقال : فاز المتسابقون لا يركب فرساً ، لعدم الرابط المناسب فى الجملة الحالية .

ومما تقدم نفهم المراد من قول النحاة : « إن المضاف إليه لا يعمل شيئاً فى المضاف ، ولا فيما قبل المضاف ، إلا فى صورة واحدة ^(١) » .

العاشر : وجوب استفادة المضاف الذى ليس مصدرًا ، من المضاف إليه المصدرية ، فى بعض الصور ؛ (كأن يكون المضاف فى أصله اسم استفهام ، أو صفة لمصدر محذوف) ^(٢) ، مثل قوله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أىّ مُنْقَلَبٍ ^(٣) يَنْقَلِبُونَ » ، والأصل : وسيعلم الذين ظلموا ينقلبون أىّ منقلب ؟ أو : سيعلم الذين ظلموا ينقلبون مُنْقَلَبًا أىّ منقلب . فكلمة : « أى » مفعول مطلق ^(٤) فهو — هنا — نائب عن المصدر ، وقد اكتسب المصدرية من المضاف إليه .

الحادى عشر : وجوب استفادة المضاف من المضاف إليه الظرفية بشرط أن يكون المضاف هو لفظ : « كل » ، أو : « بعض » أو ما يدل على الكلية أو الجزئية ؛ وأن يكون المضاف إليه ظرفًا فى أصله ^(٥) ؛ كقوله : قد تخفى خديعة

(١) أما تقديم معمول المضاف إليه على عامله فقط ؛ (أى : على هذا « المضاف إليه » وحده) فنوع من الفصل بين المتضامين ، سبق حكمه فى ص ٥٣ .

(٢) وقد تقدمت فى باب : « المفعول المطلق » — ج ٢ م ؟

(٣) منقلب : مصدر ميمي ، بمعنى : انقلاب .

(٤) ناصبه هو الفعل المضارع : « ينقلبون » .

(٥) إذا خرج الظرف عن نصبه على الظرفية إلى غيرها ولو إلى جره بالإضافة أو بغيرها ، لم يصح

تسميته ظرفًا فى حالته الجديدة — كما فصلناه فى باب الظرف ، ج ٢ —

اللّهم بعض الأحيان ، ولكنها لا تخفى كلَّ الأحيان^(١) .

* * *

إلى هنا انتهت الأحكام الحتمية المطردة . وبقيت الأحكام الأربعة الأخرى التي أشرنا إليها من قبل^(٢) ، وهي التي يجوز مراعاتها وعدم مراعاتها ؛ وتدخل تحت العنوان الآتي مباشرة^(٣) .

(١) (وقد تقدم هذا الحكم مفصلاً في باب الظرف من ج ٢ ٢٠٨ م ٧٩) .

(٢) في رقم ٧ من هامش ص ٦ .

(٣) وهو عنوان : « زيادة وتفصيل » ص ٦٣ - . وترتيب تلك الأحكام . : الثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر .

زيادة وتفصيل :

الثاني عشر : جواز استفادة المضاف المذكور من المضاف إليه التأنيث وذلك بشرطين :

أولهما : أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه ، أو مثل جزئيه ^(١) ، أو كلاً له .

وثانيهما : أن يكون المضاف صالحاً للحذف ، وإقامة المضاف إليه مقامه من غير أن يتغير المعنى . فتمت تحقيق الشرطان كان اكتساب المضاف التأنيث قياسياً ، مع قلته وضعف درجته البلاغية بالنسبة لعدم التأنيث ، ولكنها « قلة نسبية » ^(٢) لا تمنع القياس ، فمثال المضاف الذى هو جزء من المضاف إليه : « أسرع » : « أسرع » و « ساق » ؛ لتدل على تأنيث فاعلهما ؛ وهو كلمة ؛ « بعض » مع أن كلمة : « بعض » مذكّرة فى ذاتها ، لكنها اكتسبت التأنيث من المضاف إليه بعدها ؛ وهو كلمة : « السحاب » و « الرياح » فصحّ تأنيث الفعل مراعاة لتأنيث فاعله المضاف المستوفى الشرطين ؛ لأنّ الفاعل المضاف هنا بعض من المضاف إليه ، ومن الممكن حذف المضاف ، والاستغناء عنه بالمضاف إليه من غير أن يفسد المعنى ؛ فيقال : « أسرع السحاب حين ساقته الرياح . ومثل هذا قول الشاعر :

وتَسْرُقُ بالقول الذى قدْ أذعَتْهُ
كما سَرِقَتْ صدرُ القناة من الدم

(١) جزء الشيء هو ما يدخل فى تركيب ذلك الشيء ، بحيث لا يتم التركيب الكامل إلا به ؛ كالرأس ، أو : الرجل ، أو اليد ؛ بالنسبة للإنسان . أى : أن « الكل » لا يتحقق وجوده كاملاً إلا بذلك الجزء . وقد يراد به : الفرد الداخلى فى تكوين الجماعة . أما الشبيه بالجزء فهو ما تعجمه « بالكل » صلة قوية بـ « عارضة » - غير صلة الجزئية - من كل ما يدل على الاتصال العرضى ، والارتباط السببى الطارئ (أى : على الارتباط غير الأصيل) مثل اللون ، أو : الخلق ، أو : الحب ، أو : الثياب ، أو نحوها ، مما له صلة بالكل من غير أن يدخل فى تركيبه الأساسى .

(٢) شرحنا القلة بنوعها فى رقم ٣ من هامش ص ٧٩ .

فقد أنث الفعل الماضي : « شَرِق » لتأنيث فاعله المضاف المستوفى الشرطين - وهو : « صدر » - تأنيثاً مكتسباً من المضاف إليه الذى هو كلٌّ للمضاف .

ومثال المضاف الذى يشبه جزء المضاف إليه قول الشاعر :
وما حُبَّ الديار شَغَفَنُ^(١) قلبي ولكن حُبُّ من سكن الديارا
فكلمة : « حُب » --- الأولى - مبتدأ مذكر ، خبره الجملة الفعلية :
« شغفن » والرباط بين المبتدأ وخبره : ضمير النسوة : « النون » وصح أن يكون
العائد على المبتدأ المذكر ضميراً مؤنثاً لأن المبتدأ المذكر مضاف ، وكلمة :
« الديار » مضاف إليه مؤنثة ؛ فاكتسب منها التأنيث . والمضاف هنا وهو
كلمة : « حُب » ليس جزءاً من المضاف إليه ، ولكنه يشبهه في أن له اتصالاً
عرضياً ، وارتباطاً سببياً به ؛ فالصلة بين الحب وديار الأهل والأصدقاء معروفة ،
والشرط الثانى متحقق هنا ؛ فمن الممكن حذف المضاف ، والاكتفاء بالمضاف إليه
من غير فساد للمعنى ؛ فيقال : الديار شغفن قلبي .

ومثال المضاف الذى هو « كُلُّ » للمضاف إليه قول الشاعر يصف نباتاً
ناضراً :

جاءت عليه كلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٌ^(٢) فتَرَكن كلَّ حديقة كالدَّهرمِ

فقد لحقت تاء التأنيث آخر الفعل : « جَادَ » للدلالة على تأنيث فاعله ؛
وهو : « كل » ، مع ان هذا الفاعل مذكر في ذاته . ولكنه مضاف ، اكتسب
تأنيثه من المضاف إليه . أى : من : كلمة « عين » المؤنثة . فصح لذلك تأنيث
فعله . وقد تحقق الشرطان ، لأن المضاف كلٌّ عامٌ يشمل المضاف إليه ، ولا يفسد
المعنى بحذف المضاف هنا وإقامة المضاف إليه ؛ فيقال : جاءت عليه عين ثرة^(٣)
ومثل هذا قوله تعالى : « يوم تجردُ كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ مُحَضَّراً » ...

(١) أصبَن شَغَافَ قلبي . (والشَّاف بفتح الشين المشددة ، وفتح الغين) غشاء يلف القلب .

(٢) عين ثرة ؛ أى : بئر منهرة ؛ فياضة الماء .

(٣) يتصل بهذا الحكم شيء آخر ؛ هو وقوع لفظ « كل » مضافاً ، يليه « المضاف إليه » ،

ثم « نعت » بعدها . فلائيهما يكون هذا النعت ؟

الجواب في « ج » من ص ١٦٧ .

فَقَدْ أَنتَ الْمَضَارِعُ : (تجد) لتأنيث فاعله المضاف - المستوفى الشرطين - تأنيثاً مكتسباً من المضاف إليه ؛ لا تأنيثاً ذاتياً ^(١) .

فإن فَقَدْ المضاف أحد الشرطين لم يكتسب التأنيث من المضاف إليه ، فمثال ما فقد الشرط الأول : قولهم : « أعجبتني يوم العروبة » ، فلا يصح : أعجبتني يوم العروبة ، لأن المضاف ليس كلا ، ولا بعضاً ، ولا كالبعض ، مع أنه صالح للحذف ، فيقال : أعجبتني العروبة ^(٢) . ومثال ما فقد الشرط الثاني : سرتني ربان الباخرة ، فلا يصح سرتني ربان الباخرة ، إذ لا يمكن حذف المضاف وإقامة

(١) وفي هذا التأنيث المكتسب يقول ابن مالك :

وَرُبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوَّلًا تَأْنِيثًا إِنْ كَانَ لِحَذْفٍ مُوَهَّلًا
(موهل - بفتح الهاء - بمعنى : مؤهل ، أى : صالح . أوهلت الرجل للعمل ؛ جعلته صالحاً له ، وأهلاً لمزاولته) . يريد : أن الثاني - وهو المضاف إليه - قد يفيد الأول التأنيث ؛ إن كان الأول صالحاً للحذف والاستغناء عنه بالثاني ؛ كما شرحنا . وقد أهمل الشرط الأول .

وكلمة : « ربما » قد تفيد التكثير فالقياس عليه صحيح . وقد يكون معناها التقليل ، وأن استفادة للتأنيث السالفة قليلة . وهذا صحيح ، ولكنها قليلة لا تمنع القياس عليها ؛ إذ هي « قليلة نسبية » ، لا ذاتية (وقد شرحناها في رقم ٣ من هامش ص ٧٩ وأشرنا هناك إلى المرجع ، وإلى ص ٥٨٥ من الجزء الرابع ، باب جميع التكسير) م ١٧٢ حيث البيان المقيد عن المطرد ، والقياس ، والأكثر ، و...و. وما يصح أن يقاس عليه وما لا يصح . - فليست قليلة في ذاتها لا يصح القياس عليها ، ولكنها قليلة بالنسبة للكثرة التي لا يكتسب فيها المضاف التأنيث من المضاف إليه ، ومع أنها قليلة نسبية تكفى للقياس عليها ، نرى الأحسن المفعول عن محاسنها قدر الاستطاعة .

وبلى هذا البيت في الترتيب بيت سبق شرحه في المكان الأنسب من ص ٤٩ . . . - وهو :

وَلَا يُضَافُ اسْمٌ لِمَا بِهِ اتَّحَدَ مَعْنَى ، وَأَوَّلُ مُوَهَّلًا إِذَا وَرَدَ

(٢) هذا نص كلام « الخفري » والمثال منقول عنه . وهو مثال لا يخلو من « شبه الجزء » ولكن هذه المشابهة ضئيلة لا يلتفت إليها ؛ إذ تعذر الوصول إلى إضافة خالية من تلك المشابهة خلواً تاماً ، لا ارتباط فيه بين المتضايقين ولو كانت الإضافة غير محضة : فالمقصود : المشابهة القوية كما أشرنا قبل .

للتحذو الوافي - ثالث

.....
.....

المضاف إليه مكانه مع المحافظة على المعنى الأول^(١) . . .

الثالث عشر : استفادة المضاف المؤنث من المضاف إليه التذكير بالشرطين المذكورين في الحكم الثاني عشر . ولكن هذه الاستفادة قليلة في النصوص الماثورة قلة لا تبيح القياس عليها ؛ فمثال المضاف المؤنث الذي هو جزء من المضاف إليه المذكور قوهم : مُضْعَمَةُ اللسان جالبٌ للبلاء ؛ ودافعٌ للنقَم ، ومثال المضاف الذي يشبه جزء المضاف إليه المذكور قول الشاعر :

رُؤْيَا الفِكْرِ مَا يَسْئُلُ لَهُ الْأَمْرُ رُْمُعِينَ عَلَى اجْتِنَابِ التَّوَانِي

وقول الآخر :

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوَعِ هَوَى وَعَقْلٌ عَاصِي هَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا

ومثال المضاف الذي هو « كل » للمضاف إليه : عامة الإقليم منصرف إلى الإصلاح والتعمير ، فكلمة : « عامة » مبتدأ مؤنث ، لكنه اكتسب التذكير من المضاف إليه ، فجاء الخبر (وهو : منصرف) مذكراً لذلك^(٢) . .

الرابع عشر : جواز استفادة المضاف المعرب من المضاف إليه البناء ، وذلك في ثلاثة مواضع :

أولها : أن يكون المضاف اسماً معرباً متوغلاً في الإبهام^(٣) غير زمان ؛ (ككلمة : غير - شبه - مثل . . .) والمضاف إليه مبنياً ، كالضمير -

(١) بمناسبة الحكم « الثاني عشر » والحكم « الثالث عشر » الذي يليه مباشرة ذشير إلى « الملاحظة » المدونة في رقم ٢ التالي -تضمنة حكم كلمتي : « أحد ، وإحدى » المضافتين من جواز تذكيرهما وتأنيسهما في بعض استعمالاتها . . .

(٢) « ملاحظة » : أشرنا في الجزء الأول (م ٣٤ ص ٤٥٨ موضوع . « المطابقة بين المبتدأ والخبر » إلى تأنيث كلمتي : « أحد ، وإحدى » المضافتين ، وتذكيرهما . وقلنا ما نصه بين الأحكام الهامة المعروضة هناك : « من الخبر الذي يجوز فيه التذكير والتأنيث كلمتا : « أحد وإحدى » المضافتين إذا كان المضاف إليه لفظاً يخالف المبتدأ في التذكير أو التأنيث ؛ فيجوز في الكلمتين موافقة المبتدأ أو الخبر ؛ مثل : المال أحد السعادتين ، أو إحدى السعادتين ؛ بتذكير : « أحد » مراعاة للمبتدأ : « المال » وهو مذكر ، وبالتأنيث مراعاة للمضاف إليه المؤنث ، وهو كلمة : « السعادتين » ومثل : الكتابة أحد اللسانين ، أو إحدى اللسانين ؛ بالتأنيث أو بالتذكير ، طبقاً لما سلف هناك . اهـ

(٣) تقدم الكلام في هذا الباب - ص ٢٤ - على الأسماء المتوغلة في الإبهام ، وسنعود لها بمناسبة أخرى تأتي في ص ٨٠ - و « هـ » من ٨٧ - و ٩١ - و ١٣١ - و ١٤١ وما بينها .

واسم الإشارة ، و . . . و . . . (١) فيجوز في المضاف إبقاؤه على إعرابه كما كان ، أو بناؤه على الفتح ؛ نحو : أجيبُ داعيَ المروءة ، ولو دعاني غيرُهُ ما أجبت . فكلمة « غير » فاعل ؛ إما معرب مرفوع مباشرة ، وإما مبني على الفتح - لإضافته إلى المبني وهو الضمير - في محل رفع ، فالأمران جائزان - (عند غير ابن مالك فإنه لا يبيح بناء المضاف بسبب إضافته لمبني ، كما سبق في باب : « الظرف ») . ونحو ؛ مثلكَ لا ينال على ضم يراد به . فكلمة : « مثل » مبتدأ ، إما معرب مرفوع مباشرة ، وإما مبني على الفتح في محل رفع ؛ فالأمران جائزان ، (عند غير ابن مالك) ، ومثل هذا قول الشاعر :

وما لامَ نفسى مثْلُها لى لائم ولا سدَ فقرى مثْلُ ما ملكتْ يدى

فكلمة : « مثل » في الشطرين فاعل ، وهى إما معربة مرفوعة بالضممة مباشرة ، وإما مبنية على الفتح في محل رفع . وسبب بنائها على الفتح لإضافتها للمبني ، وهو الضمير « ها » في الشطر الأول ، واسم الموصول « ما » في الشطر الثانى .

ثانيها : أن يكون المضاف زماناً مبهماً (٢) معرباً في أصله ، والمضاف إليه مفرداً (٣) مبنيّاً ؛ مثل : « إذ » ؛ كقوله تعالى : « فلما جاء أمرنا نجسنا صالحاً والذين آمنوا معه برجمة منا ، ومن خزي يومئذ . . . » وقوله تعالى عن هول يوم القيامة : « يَوَدُّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . . . » . فكلمة : « يوم » في الآيتين ؛ يجوز فيها الأمران ؛ الجر مباشرة مع الإعراب ، أو البناء على الفتح في محل جر . وهى في الحالتين اسم زمان مبهم مضاف (٤) وبعدها المضاف إليه : « إذ » . وإنما كان « اليوم » هنا مبهماً لأن المراد منه

(١) ويشترط بعض النحاة ، لانتقال البناء من المضاف إليه المضاف أن يكون المضاف إليه مذكوراً - لاحظوا . والصحيح أن هذا الشرط مرفوض ؛ (طبقاً للبيان الآتى في رقم ٢ - هامش ص ١٣٢)

(٢) المراد بالزمان هنا : ما يشمل ظرف الزمان ، وما يدل على الزمان من غير ظرفية . - كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٨٦ -

(٣) أى : غير ضمير وإشارة ، وغير جملة ، وهما الموضعان : السابق والآتى . ويشترط في اسم الزمان ألا يكون مثنى ؛ وإلا وجب إعرابه - (كما في رقم ٤ من هامش ص ٨٩) .

(٤) وهو في الوقت نفسه مضاف إليه أيضاً ، وقبله المضاف : (خزى - عذاب) .

مجرد الزمن من غير تعيين « يوم خاص » ، ولا تحديده بعدد محدود من الساعات .
ثالثها : أن يكون المضاف زماناً مبهمًا معرباً في أصله ، والمضاف
إليه جملة فعلية فعلها مبني ؛ بناءً أصلياً ^(١) ، أو عارضاً ^(٢) ؛ فمثال الأصلي
قول الشاعر :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصَّبَا وقلتُ : أَلَمَّا أَصْنَحُ ^(٣) والشيبُ وازعُ ؟
ومثال العارض قول الشاعر :

لَأَجْسَدَ بَنَ مِنْهُنَّ قَلْبِي تَحْلَمًا على حينَ يَسْتَصِينُ كُلَّ حَلِيمٍ
فيجوز في كلمة : « حين » في البيتين إما الإعراب والجر المباشر « بعَلَى »
ولما البناء على الفتح في محل جر . والبناء أحسن .

فإن كان المضاف المعرب زماناً مبهمًا والمضاف إليه جملة اسمية ، أو جملة
مضارعية ، مضارعها معرب — جاز في المضاف الأمران أيضًا : (الإعراب أو
البناء على الفتح) . ولكن الإعراب أفضل ^(٤) . فمثال الجملة الاسمية قول الشاعر :
أَلَمْ تَعْلَمْ — يَا عَمْرُكَ اللهُ ^(٥) — أني كريمٌ على حينِ الكرامِ قليلُ
وقول الآخر :

تذكرَ ما تذكرُ ، من سُلَيْمَى على حينِ التواصلِ غيرُ دانٍ
ومثال الجملة المضارعية التي مضارعها معرب قوله تعالى : « هذا يومٌ ينفع
الصادقين صدقُهم » فيجوز في كلمة « حين » الإعراب والبناء لوقوع المضاف
إليه جملة اسمية ، وكذلك يجوز في كلمة : « يوم » الأمران : لوقوع المضاف

(١) هو بناء الماضي .

(٢) هو البناء الطارئ على المضارع ؛ بسبب اتصاله بنون التوكيد ، أو نون النسوة .

(٣) بمعنى : ألم أتيقظ من الغفلة ؟

(٤) انظر ما يختص بهذا الحكم في : « أ » من ص ٨٧ .

(٥) « يا » حرف تنبيه . أو حرف نداء ، والمنادى محذوف . و « عرك الله » تحتل أمورا كثيرة
في معناها وإعرابها . من أوضحها : إعراب كلمة « عمر » مفعولا مطلقا لفعل محذوف ، والتقدير أعمر
عمره بالله ؛ أي : أعمر قلبك بتذكير الله ، والله « منصوب على نزع الخافض » .

إليه جملة مضارعية مضارعها معرب . والإعراب في الحالين أعلى - كما سبق ،
وكما سيبيء في مكان آخر من هذا الباب ^(١) .

الخامس عشر : جواز حذف تاء التأنيث من آخر المضاف ، بشرط أمن
اللبس عند حذفها ، وعدم خفاء المعنى . ومن هذا قوله تعالى : « . . . وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ . . . » . وقول الشاعر :
إِن الْخَلِيطَ ^(٢) أَجَدُّ وَأَ ^(٣) الْبَيْتِ إِذْ رَحَلُوا وَأَخْلَفُوكَ « عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا
والأصل : إقامة الصلاة - وعدة ^(٤) الأمر ؛ فحذفت تاء التأنيث ، من
المضاف ؛ تخفيفاً في النطق ، ولم يترتب عليه لبس ولا خفاء في المعنى . أما إذا
ترتب على الحذف شيء من هذا فإنه يمتنع ؛ فلا يجوز الحذف في مثل : ثمرة
- خمسة ، ونحوهما .

والأفضل الأخذ بالرأى السديد الذي يمنع القياس على هذا الحذف ، منعاً
باتاً ، ويحصره في دائرة السماع وحدها .

* * *

(١) ص ٧٨ وفي رقم ٤ من ص ٨٩ .

(٢) الأسرة ، أو الشركاء ، أو : الرفاق ، أو : غيرهم من كل جماعة متشابهة في أمرها .
(٣) جددوا .

(٤) مصدر : « وعد - يعد » وسيبيء في الجزء الرابع (م ١٨٤ - باب . الإعلال بالحذف)
وجوب حذف « الواو » التي هي فاء الفعل الثلاثي ، المفتوح العين في الماضي ، مكسورها في المضارع
فيجب حذف هذه الواو من المضارع والأمر ؛ مثل : وعد يعد - وصف يصف . . . وكذلك يجب حذفها
من مصدره بشرط أن يكون هذا المصدر على وزن «فَعْلَلَة» (بكسر أوله وسكون ثانيه) وأن تكون التاء
التي في آخره هي تاء الموض عن الواو المحذوفة ، فيقال : عِدَّة - صِفَة . . . في : وعد - وصف . . .

الملخص

ما تقدم هو أشهر أحكام الإضافة ، جمعنا شتاتيه ^(١) في مكان واحد ، ليسهل الرجوع إليه ، والانتفاع به ^(٢) .
فإن أردنا تركيزه في خمسة عشر حكماً - منها أحد عشر حتمية ، وأربعة جائزة - وهي كما يلي مرتبة ترتيبها في الشرح السالف :

- (١) وجوب جر المضاف إليه في جميع أحواله .
- (٢) وجوب حذف نون المثني وجمع المذكر السالم إن وقع أحدهما مضافاً . ويسرى هذا الحكم على ملحقاتهما .
- (٣) وجوب حذف التنوين من آخر المضاف .
- (٤) وجوب حذف « أل » الزائدة من صدر المضاف ، إلا في بعض حالات معدودة .
- (٥) وجوب اشتغال الإضافة المحضة على حرف جر أصلي متخيل .
- (٦) وجوب استفادة المضاف من المضاف إليه تعريفاً أو تخصيصاً ، بشرط أن تكون الإضافة محضة .
- (٧) وجوب الاتصال وعدم الفصل بين المتضايين إلا في حالات معينة . . .
- (٨) وجوب استفادة المضاف من المضاف إليه التصدير الحتمى .
- (٩) وجوب تقديم المضاف على المضاف إليه ؛ وعلى معمولاته ، إلا في حالة واحدة .
- (١٠) وجوب استفادة المضاف الذى ليس مصدراً من المضاف إليه المصدرية
- (١١) وجوب استفادة المضاف من المضاف إليه الظرفية بشرطين .

* * *

- (١٢) جواز استفادة المضاف المذكور من المضاف إليه التأنيث ، بشرطين .
- (١٣) جواز استفادة المضاف المؤنث من المضاف إليه التذكير بالشرطين
- (١٤) جواز استفادة المضاف المعرب من المضاف إليه البناء .
- (١٥) جواز حذف تاء التأنيث من آخر المضاف بشرط أمن اللبس .

(١) ما تفرق منه .

(٢) وقد جمع أكثرها من غير إيضاح واف صاحب « المنى » في الباب الرابع من الجزء الثانى .

المسألة ٩٤ :

تقسيم الاسم من ناحية وقوعه مضافاً ، وعدم وقوعه .

الاسم نوعان : نوع يمتنع أن يكون مضافاً ، ومنه أغلب المبنيات ، كالمضمرات ، وأسماء الإشارة ، وأسماء الموصول . وأسماء الشرط . وأسماء الاستفهام ، . . . ويستثنى من الثلاثة الأخيرة : « أى » الموصولة ، والشرطية ، والاستفهامية ؛ فإنها تقع مضافاً - كما سيحىء في حكمها^(١) - :

ونوع آخر لا تمتنع إضافته ؛ فيضاف جوازاً ، أو وجوباً . ومن المضاف جوازاً أكثر الأسماء المضافة إلى المفرد^(٢) الظاهر ، أو إلى الضمير ؛ كالتى فى قولهم : من خير ضروب الشجاعة كلمة حق^٣ يقال فى مجلس حاكم جائز ، هواه متسلط ، وسيفه طائش . . . و . . .

أما الذى يضاف وجوباً فأقسام أربعة ؛ ملخصها : (ما تجب إضافته لمفرد^(٢) مع جواز قطعه عن الإضافة لفظاً^(٣) دون معنى ؛ سواء أكان المفرد اسماً ظاهراً أم ضميراً) . (وما تجب إضافته للمفرد أيضاً ، ولكن مع امتناع قطعه عن الإضافة اللفظية) . (وما تجب إضافته للجملة - الاسمية أو : الفعلية - وبعضه قد يصح قطعه فى اللفظ عن الإضافة) - . (وما تجب إضافته للفعلية وحدها مع جواز قطعه عن الإضافة) . . . - وفيما يلى التفصيل :

فأولها : ما يضاف وجوباً إلى الاسم المفرد الظاهر أو إلى الضمير ، مع جواز قطع المضاف عن الإضافة لفظاً - فقط - دون معنى^(٣)) وذلك

(١) فى ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢٢) المفرد هنا ؛ ما ليس جملة .

(٢٣) المضاف لفظاً ومعنى هو : ماله « مضاف إليه » مذكور صراحة فى الكلام ، متم للمعنى المقصود من المضاف . أما المضاف معنى فقط فهو : ماله مضاف إليه ، ولكنه محذوف لداع ، مع قيام قرينة تدل عليه . وهو مع حذفه ملاحظ فى إتمام معنى المضاف وإكاله له كما يلاحظ وهو موجود ، - وتتأق إشارة لهذا فى رقم ٤ من هامش ص ١٠٤ - .

يجذب المضاف إليه ، والاستغناء عنه بالتونين الذى يجيء عوضاً عنه ، ودَلاًً عليه ، مع إرادة ذلك المحذوف وتقديره ، الحاجة المعنى إليه ؛ فيكون المضاف فى هذه الحالة مضافاً فى المعنى دون اللفظ ، ويبقى له حكمه فى التعريف أو التنكير كما كان^(١) . مثل الكلمات : (كل^(٢)) - بعض -

(١) وقد ارتضى بعض النحاة أن يسمى هذا النوع من التونين فى آخر الأسماء المعربة : « تونين للمعوض والأمكنية معاً » لأنه عوض عن المحذوف ، ولأن الاسم الذى يحويه اسم معرب منصرف - راجع حاشية الحضرى ، أول باب المنوع من الصرف - .

وهذا رأى أوضح وأدق من رأى الآخر القائل : إنه للأمكنية فقط ؛ بحجة وقوعه فى اسم معرب منصرف لا بد من وجوده فى آخره ، إلا إذا جاء بعده مضاف إليه ؛ فيحذف التونين لوجوب حذفه عند وجود المضاف إليه ؛ فإذا حذف المضاف إليه عاد ذلك التونين للظهور مرة أخرى بعد اختفائه ؛ فهو ليس تونيناً جديداً النوع ، وإنما هو تونين الأمكنية الذى يلحق آخر الأسماء المعربة المنصرفة كالتى هنا ؛ اختفى بسبب الإضافة ، فلما زال السبب رجع إلى مكانه ظاهراً كما كان -

وقد سبق فى ج ١ ص ٣٢ م ٣ . الكلام على أنواع التونين المختلفة ، وأشرنا إلى هذا النوع من التونين وأبيناه رأى فيه .

(٢) بشرط ألا تكون كلمة : « كُلّ » ، للتوكيد ؛ مثل : أجمال الأصدقاء كلهم ، ولا ألزمت . مثل : شجاع رأى هو الرجل كل الرجل . فإن كانت للتوكيد أو النعت وجب إضافتها لفظاً ومعنى - (كما سيجىء هنا ، وفى بابهما ص ٤٦٦ و ٥٠٠) ولا يجوز قطعها عن الإضافة

هذا ، وكلمة : « كُلّ » فى لفظها مفردة دائماً ومذكورة . وقد يطارقها ما ياء فى هذين الأورين أولاً يطابق ، على حسب البيان الذى فى رقم ١ من هامش ص ٤٥١ و ٤٩٦ ولأنى يتممه ما فى ص ٦٢ وما فى « ج » من ص ١٦٧ .

أما حكم « كُلّ » و « بعض » من ناحية تعريفهما أو تنكيرهما إذا انقطعاً عن الإضافة بأن حذف المضاف إليهما - فقد سبق له بيان مفيد ، فى ج ١ م ٣ ص ٣٨ عند الكلام على تونين المعوض ، وفى التصريح كلام عن ذلك (وقد نقله الصبان) ونصه : « ذهب سيويو والجمهور إلى أنهما معرفتان بنية الإضافة ؛ ولذلك يأتى الحال منهما ؛ فتقول : مررت بكل قائماً ، وبعض جالس . والأصل فى صاحب الحال التعريف . وذهب الفارسي إلى أنهما نكرتان ، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول : إن نصفاً ، وسدساً ، وثلاثاً ، وربعاً ، ونحوها معارف ؛ لأنها فى المعنى مضافات ، وهى إذ تعرب حالا - نكرات بالإجماع ؛ لوقوعها أحوالاً . ورد بأن العرب تحذف المضاف إليه وتبريده ، وأحياناً لاتبريده . ودل بجىء الحال بعد : « كل وبعض » على إرادته » . ا هـ .

والمفهوم أن هذا الخلاف حين يكون المضاف إليه معرفة - كما صرح بعضهم - فإن كان نكرة (وهذا جائز ، كما سيجىء فى « ب » ص ١٦٥) - فلا خلاف ؛ فى تنكيرهما ؛ إذ المضاف إليه حين يكون نكرة لا يفيد المضاف تعريفاً .

وبناء على رأى سيويو والجمهور لا يصح إدخال : « أل » التى للتعريف على « كل ، وبعض » المعروفتين فى تلك الصورة ، ويصح عند الفارسي ، ومن معه . وفى رأيه تيسير ، وله أنصار من قدامى النحاة واللغويين . يقول الحضرى - ٢ أول باب « البدل » : (جوزه بعضهم ؛ لعدم ملاحظة إضافة) . ا هـ .

- راجع ماله صلة بهذا الحكم فى البيان السابق بالجزء الأول فى الموضوع المشار إليه -

أَيَّ^(١) . ومثل ؛ (غير - مع - الجملات الست) ، ونحوها . لكن لكلمة : « غير » وأشباهاها أحكام خاصة تختلف عما سبق ، وسيجيء ذكرها^(٢) .

نقول مع الإضافة : كلُّ امرئٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ . ومثل :

قد كنتُ أشفقُ من دَمْعِي على بصرى فالיוםَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا
بعضُ العتابِ دواءٌ ، وبعضُهُ بلاءٌ - أَيْ نَبِيلٌ تُصَاحِبُهُ يُخَلِّصُ لَكَ -
الأعمالَ قِيَمُ الرجالِ ؛ فَأَيَّتُهَا تُمارِسُهُ يَبْنِي عَنْكَ

ويجوز في الكلمات المضافة السابقة - وأشباهاها - القطع عن الإضافة ؛ نحو :
(قلُّ كلُّ يَعْمَلُ على شاكلته) - (حَسَنَاتِيكَ ! ! بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ)
(أَيْتًا تعملُ تلقَى الجزاءَ) والأصل : (كلُّ إنسانٍ . . .) (مِنِ بعضِهِ) . . . (أَيْ عملٌ يعمل . . .) فحذف المضاف إليه مع إرادته ، وجيء بالتثوين عوضاً عنه .

ويشترط في قطع كلمة : « كلُّ » عن الإضافة ألا تكون توكيداً ، ولا نعتاً ، فإن كانت كذلك وجب إضافتها لفظاً ، وعدم قطعها ؛ نحو : فاز المخلصون كلُّهم - أنت الأمين كلُّ^(٣) الأمين^(٤) .

(وهناك شروط وأحكام خاصة لإضافة « أَيْ » ، وكذا : « غير » ، ومع ، والجهات الست) - كما قلنا - سيجيء إيضاحها ، وبسط الكلام عليها في الموضع المناسب من هذا الباب^(٥) .

وثانيها : ما يضاف وجوباً للمفرد أيضاً - دون الجملة - ولكن لا يجوز

(١) الشرطية ، أو : الموصولة ، أو الاستفهامية . أما التي تكون نعتاً أو حالا فواجبة الإضافة لفظاً ومعنى ، - كما يجيء ، في ص ١٠٤ - .

(٢) في ص ١٢٤ و ١٣١ وما بعدها .

(٣) « كلُّ » هنا ، نعت للأمين قبلها . وسيجيء تفصيل الكلام عليها في النعت (ص ٤٥١ وفي التوكيد (ص ٤٩٢) وفي هذه الصفحة بيان كثير من واقعها الإعرابية ومطابقة الضمير المائد عليها .

(٤) لهذا إشارة في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة .

(٥) ص ١٠٤ و ١٣٠ وما بعدها ؟ وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَبَعْضُ الْأَسْمَاءِ يُضَافُ أَبَدًا وَبَعْضُ ذَا قَدْ يَأْتُ لَفْظًا مُفْرَدًا ،
أَيْ : بعضُ الأسماء لا بد من إضافته حتماً . ومع أن إضافته حتمية قد يكون منه ما يتع لفظاً =

قطعه عن الإضافة لفظاً ؛ فيجب أن يظل مضافاً في اللفظ ، وله أربع صور :

١ - أن يضاف إلى اسم ظاهر مفرد^(١) ، مع امتناع القطع ؛ مثل الكلمات :
(أولو^(٢) - أولات^(٣)) . - (ذو^(٤) - ذات^(٥)) . . . ، وفروع هــدَين ؛
وهي : ذَوَا - ذَوُو - ذَوَاتَا - ذَوَاتِ . . . نحو : الآباء أولو فضل -
الأمهات أولات نعمة - ذو النصيحة أخ بار - العروبة رابطة ذات
قوة . . . و . . . و . . .

ب - أن يضاف إلى ضمير المخاطب - في الغالب - دون غيره من الضمائر ،
مع امتناع القطع ، كالمصادر المثناة في لفظها ، دون مفعناها ؛ وهي المصادر
التي يراد منها التكرار الذي يزيد على اثنين^(٦) . مثل : لَسْبَيْكَ^(٧) ، وسعدت بك

= مفرداً ؛ لانقطاعه عن الإضافة ، لفظاً ، لا معنى ؛ فهو في أصله واجب الإضافة لفظاً ومعنى ، ولكنه
قد ينقطع عن الإضافة لفظاً دون معنى ؛ بأن يحذف المضاف إليه مع إرادته في المعنى . مثل كلمة ؛
كل - بعض - أي . . . إلى غير هذا مما شرحناه .

(١) أي : ليس جملة . كما أشرنا في رقم ٢ من هامش ص ٧١ .

(٢) بمعنى : أصحاب . . . (٣) بمعنى : صاحبات . . .

(٤) بمعنى : صاحب كذا . . . ولما إيضاح سيجي في ص ٩٥ وآخر سبق في ص ٤٢ وفي
الجزء الأول في باب الأسماء الستة .

(٥) بمعنى صاحبة . . . ولهذا إيضاح سبق في ص ٤٢ ، وفي ج ١ في باب : الموصول .

(٦) جاء في الصبان - ونقله عنه الخضرى باختصار قليل - ما نصه الحرف عن المصدر « لبك » :

(أصله : أَلْبُ لك إلباين . أي : أقيم لطاعتك إلباها كثيراً ؛ لأن التثنية للتكرير - نحو قوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين » ، أي : كررات - فحذف الفعل « ألب » وأقيم المصدر مقامه ، .
وحذفت زوائده ، وحذف الجار من المفعول « الكاف » وأضيف المصدر إليه ، كل ذلك ليسرح الحبيب
إلى التفرغ لاستماع الأمر والنهي . ويجوز أن يكون من « لَبَّ » بمعنى : « أَلْب » فلا يكون محذوف
الزوائد . قاله الرضى . ومثله في حذف الزوائد الباقي) . إله كلام الصبان .

وإذا كان من الصحيح اعتباره - مباشرة - مصدراً للفعل : « لَبَّ » أي : لبّ لباً ، بمعنى :
« ألب إلباً » ، كمدل عليه الكلام ، وكما صرحت به كتب اللغة ، فالداعي للعدول عن هذا الرأي
الصحيح الذي لا يستدعى حذفاً ولا بعداً ؟ لا داعي . . .

(٧) سبق بيان آخر لهذه المصادر - وغيرها - في ج ٢ م ٧٦ ص ١٩١ في آخر باب :

« المفعول المطلق » .

وَحَسَنَانِيكَ ، وَدَوَالِيكَ ، وَهَذَا ذِيكَ نحو : (لَبَّيْكَ أَيُّهَا الداعي للخير ؛ بمعنى : أقيمُ على إجابتك إقامة بعد إقامة) - (سَعْدَ يَكْ أَيُّهَا المستعين ؛ بمعنى : أَسْعِدْ إِسْعَاداً^(١) لك بعد إسعاد . . . والأكثر في استعمال ؛ : « سَعْدَ يَكْ » أن تكون بعد « لَبَّيْكَ ») - (حَسَنَانِيكَ أَيُّهَا الحزين بمعنى : أَنَحْنُ تَحْنُنًا عَلَيْكَ بعد تحنن) ، ومثل :

حَسَنَانِيكَ^(٢) مشولاً ، وَلَبَّيْكَ داعياً وحسبى موهوباً ، وحسبُكَ واهباً ومثل :

تَأْكُلُ الْأَرْضَ ثُمَّ تَأْكُلُنَا الْأَرْضُ ضُ ، دَوَالِيكَ ، أَفْرَعَا وَأَصُولَا بمعنى تداولاً بعد تداول ؛ أى : تواليًا بعد توال ، - (وَهَذَا ذِيكَ أَيُّهَا الصارخ ، بمعنى : أَسْرِعْ إِسْرَاعًا بعد إسراع)^(٣)

ولما كانت هذه الألفاظ مثناة في ظاهرها دون معناها - إذ المراد منها الكثرة والتكرار الذى يزيد على اثنين ، كما قلنا - اعتبروها ملحقة بالثنى في إعرابه ، مراعاة لمظهرها وأصلها ، وليست مثنى حقيقياً من ناحية معناها . ويُعربونها مفعولاً مطلقاً^(٤) لفعل من لفظها ، إلا : « هَذَا ذِيكَ » فإنه من معناه وهو : أَسْرِعْ ؛ إذ لا فعل له من لفظه^(٥)

ومن الشاذ الذى لا يقاس عليه إضافة إحدى الكلمات السالفة - وأشباهاها -

(١) أى ، أساعد مساعدة

(٢) هى فى البيت كلمة : استعطاف للمخاطب ، بمعنى : تحننْ حناناً بعد حنان . وكقولهم : حنانيك ، بعض الشر أهون من بعض .

(٣) ومن الأمثلة : حَسْبُكَ أَيْ : محاجة بعد محاجة . وحَسْبُكَ أَيْ : حذراً بعد حذر .

(٤) وهذا الإعراب أفضل من إعرابها حالا مؤولة ؛ لأن هذه الألفاظ معارف ؛ بسبب إضافتها للضمير ، والأصل فى الحال أن تكون نكرة بغير تأويل ، لا معرفة ، قدر الاستطاعة . وتفضيل إعرابها مفعولاً مطلقاً إنما يكون حيث يقتضيه المعنى ، فإذا اقتضى المعنى بيان الهيئة - وهذا من خصائص الحال - وجب النزول على ما يقتضيه .

(٥) نقل بعضهم - والأخذ بهذا أحسن - أن لها فعلاً من لفظها هو : هَنَى ، يَهْنُدُ - هَذَا - بمعنى - : أَسْرِعْ ، يسرع - إِسْرَاعًا . ومن معانيها : كف - يكف .

إلى ضمير غير ضمير المخاطب ، أو إلى اسم ظاهر ، كالقليل الوارد في « لبيك » ، فقد سمع فيها : « لَبَيْهِ لِمَنْ يَدْعُونِي » بالإضافة لضمير الغائب . كما سمع فيها بالإضافة إلى اسم ظاهر في قول أعرابي استعان بآخر اسمه : « مِسُور » في دفع غرامة مالية فادحة ، فأعانه ، فأراد الأعرابي المستعين أن يتجزئه خيراً على صنيعة ؛ فوعده بتلبية يَدْعَى مِسُور إذا دعاه لأمر هام :

دَعُوْتُ - لِمَا نَابَنِي - مِسُورًا فَلَبَّيْ . ^(١) فَلَبَّيْ يَدْعَى مِسُورٌ ^(٢)
فالمضاف هنا هو كلمة : « لَبَّيْ » ، والمضاف إليه اسم ظاهر ، هو كلمة : « يَدْعَى » المنشأة . (وأصلها : « يَدْعَيْن ») ، حذفت النون للإضافة . وخص « اليدين » بالذكر لأنهما اللتان قدَّمتا المال والمعونة للمستعين ، وبهما يكون إنجاز الأمور) .

وقول الآخر :

لَبَّيْ نَدَاكَ . لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي يَقْدِيكَ - سَن رَجُل - صَحْبِي وَأَفْدِيكَ
ح - أن يضاف إلى الضمير مطلقاً : (سواء أكان للمتكلم أم لغيره ، وللمفرد أم لغيره ، وللمذكر أم لغيره . . .) مع امتناع القطع أيضاً ؛ مثل كلمة « وحْد » ^(٣) وكلمة : « كل » المستعملة في التوكيد ؛ كدعاء بعضهم : (رَبَّنَا .

(١) مفعول هذا الفعل محذوف ، والتقدير : فلباني ، أو : فلبى ندائى .

(٢) فتلبية بعد تلبية ليدى مسور ، أبادر إليه إذا نادانى كما بادر إلى . فكلمة : « لَبَّيْ » مفعول مطلق ، مضاف لاسم ظاهر .

(٣) ما إعراب كلمة : « وحْد » ؟ وما نوع المضاف إليه بعدها ؟ جواب هذا في « الجمع » - ج ٢ ص ٥٠ باب : « الإضافة » - حيث يفهم منه أن : « وحْد » منصوب لزوماً . . . ، إما لأنه مفعول مطلق لفعل من لفظه ، يقال : وحَّد الرجل - بفتح الحاء - يَحْد - بتكررها - إذا انفرد ، وإما لأنه حال ، وإما على نزع الخافض . . . وقيل غير هذا . ولكن الآراء كلها تتفق على النصب ، مع اختلافها في سببه ، وفي عامله . ثم جاء في « الجمع » بعد ذلك مباشرة ما نصه - مع زيادة بضع كلمات للإيضاح - : (هو لازم الأفراد والتذكير ؛ لأنه مصدر ، وقد يثنى شذوذاً ، أو يجر بعل ، فقد سمع : جلسا على وحْدٍ يههما ، وقلنا ذلك وحْدَيْنَا ، واقتضيت كل درهم على وحده ، وجلس على وحده . وقد يجر بإضافة ، والمضاف هو كلمة : نَسِيج ، أو قَرِيع - بوزن « كَرِيم » فيها - أو جَحِيش ، أو عَصِير ، مصغرين ، مع إلحاق علامات التثنية ، والجمع بهذه الكلمات على الأصح ، يقال : هو نَسِيج وحده ، وقريع وحده ، إذا قصد قلة نظيره في الخبر - وأصله في الثوب ، لأنه إذا كان رفيعاً لم ينسج على منواله غيره . و « القريع » السيد .)

(وهو جَحِيش وحده ، وعَصِير وحده إذا قصد قلة نظيره في الثر ، وهما مصغر «عَصِير» بمعنى : =

عليك وحدك أعتمد ، ومن اعتمد عليك فلن يكون وحدَه في معركة الحياة الطاحنة ؛ فلا تتركني وحدي يا خير ناصر ومجيب) . . . ومثل قوله تعالى : « قل إن الأمر كله لله » ، وقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها . . . » ، وقوله : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون . . . » ^(١) و . . .

د - أن يضاف إلى اسم ظاهر ، أو ضمير ، مع امتناع القطع فيهما أيضاً ؛ كالكلمات : كِلَا - كِلْمَا - عند - لدى - سيوى - قُصَارَى الشيء - حُمَادَى الشيء ؛ (ومعنى كل من هذين : غايته) . . . نحو : قول الشاعر :

كَلَا أَخِي وَخَلِيلِي وَاجِدِي عَضْدًا ^(٢) فِي النَّائِبَاتِ ، وَإِلَام ^(٣) الْمَلَمَّاتِ ^(٤)
وقول الآخر :

كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ - إِذَا مَتْنَا - أَشَدُّ تَغَانِيًا وَنَحْوُ : (كِلْمَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكُلَهُمَا . . . - كِلْمَا هُمَا نَاضِرَةٌ يَانِعَةٌ . . .) - (عند الشدائد تُعرَف الإخوان . وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) - (لدى الأمين تُصان الودائع ، ولديه تُحفظ الأسرار) - (قُصَارَى جهنم المنافق)

= حِمَار ، و « جحش » وهو ولده ، (يذم بهما المنفرد باتباع رأيهِ) ويقال : هما نسيجا وحدهما ، وهم نسجاء وحدهم ، وهى نسيجة وحدها ، وهكذا . . . وقيل ، لا يتصل بكلمة « نسيج » . وأخواتها العلامات الدالة على التثنية والجمع ؛ فيقال : هما نسيج وحدهما . وهكذا .

وكلمة : « قَرِيع » لم يذكرها في التسهيل ، وذكرها أبو حيان ، وشيخه الشاطبي ، وزاد الشاطبي : رَجِيمٌ وحده) « أه كلام الجمع ، ونقله عنه الصبان مختصراً .

(١) يقول ابن مالك فيما سبق خاصاً بإضافة بعض الأسماء إلى ضمير المخاطب وحده ، أو إليه وإلى غيره من الضمائر :

وَبَعْضُ مَا يُضَافُ حَتْمًا امْتِنَعْ إِيْلَاؤُهُ اسْمًا ظَاهِرًا حَيْثُ وَقَعَ كَوَحْدَ لَبِيٍّ .. وَدَوَاكِيٍّ .. سَعْدِيٍّ .. وَشَدَّ إِيْلَاءَهُ « يَدِي » . لِ « لَبِيٍّ »

أى : أن بعض الأسماء التي يتحتم إضافتها حيث وقعت من الأسلوب قد يمتنع أن يليه الاسم الظاهر . يريد : أن المضاف إليه بعد تلك الأسماء لا يكون اسماً ظاهراً ، وإنما يجب أن يكون ضميراً . وسرد بعض تلك الأسماء التي لا تضاف لاسم ظاهر ؛ ومنها : « وحد - لى » ، وحكم بالشذوذ على وقوع المضاف إليه اسماً ظاهراً ، وهو : « يد » بعد كلمة : « لى » .

(٢) مُمِينًا ، وسنداً ناصراً . (٣) نزول . (٤) الشدائد .

كسب مؤقت ، وخسارة دائمة . وقصارك ألا تنخدع بظاهره) - (حمادى المناق كسب سريع ، وبلاء مقيم . وإن شئت فقل : حماداه ربح عاجل ، وضباع آجل) - (لا أبتغى سوى مرضاة الله ؛ فكل شيء سواها تافه رخيص) .

مما تقدم يتضح أن كل حالات القسم الثانى الأربعة ، لا يجوز فيها قطع المضاف عن الإضافة مطلقاً .

(هذا ، وسيجيء ^(١) إيضاح الكلام على إضافة : « كلا ، وكلتا » وما يتصل بموضوعهما . ثم على كلمات أخرى ملازمة للإضافة) .

• • •

وثالثها : ما يضاف وجوباً إلى جملة ^(٢) اسمية ، أو فعلية ، ومنه « حيث » و « إذ » ^(٣) . « و » ^(٤)

١ - فأما : « حيث » فأشهر استعمالاتها أن تكون ظرف مكان ^(٥) ... يضاف للجملة ^(٦) الاسمية ، أو الفعلية ، - والفعلية أكثر - سواء أكانت مثبتة أم منفية ؛

(١) فى ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) سيجيى فى « ب » من الزيادة (ص ٨٤) فائدة الإضافة للجملة دون المفرد ، وأن المضاف فى هذه الحالة واجب البناء إن كانت إضافته للجملة واجبة . ويشترط فى الجملة الواقعة مضافاً إليه أن تكون خبرية ؛ فلا تصح أن تكون إنشائية ، ولا أن تكون شرطية بدوئة بإن الشرطية ، أو ما يشبه « إن » فى التعاليق - طبقاً لما جاء فى « الجمع » و « الصبيان » فى باب الجواز ، عند الكلام على ما يحزم فعلين - ، كما يشترط أن تكون غير مشتملة على ضمير يعود على المضاف ؛ لأن المضاف إلى الجملة مضاف فى التقدير إلى مفرد هو مصدر منها (على الوجه المبين فى ص ٨٤) فكما لا يعود ضمير من المصدر المضاف إليه ، إلى المضاف كذلك لا يعود منها إليه .

هذا إلى أن اشتغالها على ضمير يعود على المضاف قد يؤم - فى بعض الحالات - أنها نعت أو شيء آخر غير المضاف إليه ؛ فيتغير المعنى المقصود تبعاً لذلك ؛ لأن معنى المضاف إليه يختلف عن معنى الثمت وغيره .

(٣) فى اللغة أسماء تشبه « إذ » فى دلالتها ، وبعض أحكامها ، سيجيى الكلام عليها فى « ٥ » من ص ٨٧ .

(٤) من النادر الذى لا يحسن القياس عليه أن تقع شيئاً آخر ؛ كظرف زمان ، أو غيره . وليس بين الظروف مكانية - على الأرجح - ما يضاف للجملة إلا « حيث » (كما سيجيى فى صفحة ١٢٢) وإذا أضيفت إلى جملة اسمية وجب - وقيل : لا يجب ، وإنما يستحسن - ألا يكون الخبر فيها جملة فعلية . والأشهر بناؤها على الضم .

وقد سبق الكلام عليها من ناحية الظرفية فى ج ٢ ص ٢٣١ باب الظروف .

(٥) مع ملاحظة الشروط التى تقدمت فى رقم ٢ و ٤ من هذا الهامش ، وملاحظة شرط آخر نض عليه المبرد فى كتابه : « المقنضب » - ج ٢ ص ٥٤ - هو ألا تكون مختومة بما الزائدة .

ومن الأمثلة قوله تعالى لأهل الجنة : « فكلوا منها - حيث شئتم - رغداً » :
وقول الشاعر :

وقد يسهلِكَ الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر^(١)
وقول بعض الأدباء : « هنا تطيب الحياة ، حيثُ الشملُ ملتئمٌ » ، وفيضُ
الود غامرٌ ، وحيثُ الجمعُ مؤتلفٌ ، وإخوان الصفاء كثيرٌ .

وهي في كل أحوالها مبنية على الضم ؛ لما تنقَرَّر من أن الاسم الذي يُضاف
للجملة وجوباً بيّني وجوباً كذلك^(٢) ، ولا يجوز قطعها عن الإضافة لفظاً .

ويبيح فريق من النحاة إضافتها للمفرد مع بقائها مبنية على الضم ؛ نحو : أنا
مقيم حيثُ الهدوء ، وحيثُ الاطمئنان . وحجته أن الأمثلة المسموعة الدالة على
إضافتها للمفرد أمثلة فصيحة ، وأنها على قلتها كافية للقياس عليها لأنها قلة
نسبية ، وليست قلة ذاتية .^(٣) ولا داعي عنده لتأويل تلك الأمثلة^(٤) ، أو الحكم

(١) ومثل هذا قول الآخر يصف حبه ووفاءه :

تَغْلَخَلْ حيثُ لم يبلغ شرابٌ ولا حزن ، ولم يبلغ سرور
(٢) لهذا الحكم بيان خاص بالظرف : « إذ » يجيء في ص ٨٣ .

(٣) أشرنا (في رقم ١ من الهامش ص ٦٥) وفي ص ٥٨٥ ج ٤ م ١٧٢ إلى : « القلة النسبية
والقلة الذاتية » ، - (وكذا في مواطن متفرقة من أجزاء الكتاب وفيها ص ٤٢٢ م ٩٠ ج ٢) . -- وقلنا
عن الأولى : إنها قلة من الأساليب الصحيحة تواجه كثرة من تلك الأساليب تخالفها في حكم . وكلا
النوعين في ذاته كثير العدد ، يصح محكاته والقياس عليه ، ولكن أحدهما أكثر عدداً من الآخر ؛
فالآخر قليل بالنسبة للأكثر . فالموازنة العددية بينهما تدل على زيادة أحدهما ونقص الآخر عنه .
ولكنه نقص لا يمنع من القياس عليه أو محاكاته ؛ وهذا هو المراد من قولهم : « (إن التخرّج على القليل
إذا كان قياسياً فصيحاً ، سائق) » اهـ - راجع حاشية الصبان ، ج ٢ باب : « الحال » عند انكلام
على تقدم الحال على صاحبها المجرور . . .

أما « القلة الذاتية » فقلة عديدة أيضاً ؛ ولكنها بارزة واضحة في ذاتها ، لا تحتاج إلى موازنة بينها
وبين غيرها ؛ لضعفها العددية ؛ بحيث يمكن الحكم سريعاً بعدم صلاحيتها للقياس عليها أو لمحاكاتها .
- انظر ص ٣٢٥ - والحق أن تحديد هذه القلة الذاتية موضع خلاف شديد حتى اليوم . - وسيجيء في
ج ٤ ص ٥٨٥ باب جمع التكسير ، م ١٧٢ بيان مفيد عن معنى المطرد ، والكثير ، والأكثر ،
والقياس ، والقليل ، والنادر ، والشاذ ، وما يقاس عليه وما لا يقاس .

(٤) ومن الأمثلة المسموعة . قول الشاعر :

أما ترى حيثُ سهيلٌ طالعاً نجم يضيء كالشهاب لامعاً

وقول الآخر :

ويطعنهم تحت الحبّ بعد ضربهم بببيض المواضي حيثُ لى العمائم

عليها بالشنوذ ، ويؤيده أن بعض النحاة - بناء على هذا المسموع - يميز فتح همزة « أن » بعدها ، فتكون « حيث » في هذه الحالة مضافة ، داخلة على المفرد ؛ وهو : « المصدر المنسبك من « أن » مع معموليها » . كما يميز كسر همزة « إن » ؛ فتكون داخلة على جملة ؛ هي : « المضاف إليه » .
وهذا رأى سديد ، فيه تسمح وتيسير ؛ إذ يجرى اليوم على مقتضاه كثرة المثقفين ، وإن كان الأولى والأفضل محاكاة الأسلوب الأفصح والأقوى .

* * *

ب - وأما : « إذ » ^(١) فهي في أكثر أحوالها ظرف للزمان الماضي المبهم ^(٢) ، ومعناها : زمن ، أو : وقت ، أو : حين ؛ وتضاف للجملة بنوعيها ^(٣) وجوباً كقول المادح :

فرحنا إذ قدِمَ قدوم سعدٍ وإذ رؤياك ^(٤) في الأيام عيدُ
فقد أضيفت في أول البيت للجملة فعلية ماضوية ، وأضيفت في آخره للجملة اسمية . وإذا أضيفت للجملة فعلية وجب أن يكون الفعل ماضياً لفظاً ومعنى معاً ؛ كالمثال السابق ، أو معنى فقط (بأن يكون الفعل مضارعاً في لفظه دون زمنه ؛ فيصح أن يوضع مكانه ماضيه الحقيقي الزمن فلا يتغير المعنى ^(٥)) ؛

(١) سبق الكلام عليها بمناسبات أخرى في ج ١ ص ٢٦ م ٣ - وفي ج ٢ ص ٢٥٨ م ٧٩ باب : « الظرف » ، وفيه أحكام هامة لم تذكر هنا . ومن تمام الاستفادة الرجوع إليه ، وربط المسائل المشتركة المعروضة هنا وهنالك . . .

(٢) سبق الكلام عليه - في ج ٢ ص ٢٠٣ م ٧٨ وص ٢٢٥ م ٧٩ - بما ملخصه : أنه نكرة لا تدل على عدد محصور ، ولا على زمن محدود بأول معين ، وآخر مضبوط ؛ كالمثثلة المعروضة هنا (وقت - زمن - حين . . .) . ويدخل في المبهم ما يدل على وجه من الزمان دون وجهه ، مثل : عشية - صبح - غداة - .

وايضاً سبقت الإشارة إليهم في هذا الجزء ص ٢٤ و ٦٦ وله إشارة في ص ٩١ وهامش ص ١٣٢ .
(٣) مع ملاحظة ما تقدم من الشروط والإيضاحات في رقم ٢ من هامش ص ٧٨ وملاحظة شرط آخر - نص عليه المبرد في كتابه المختضب ، ج ٢ ص ٥٤ - هو : ألا يتصل بآخرها « ما » الزائدة . فهي في هذا مثل : « حيث » - كما تقدم في رقم ٥ من هامش ص ٧٨ .

(٤) الرؤيا هنا ، بمعنى : الرؤية الحسية التي هي المشاهدة البصرية في اللحظة ، فليست الرؤيا مقصورة على المنام ، كما يتوهم بعض الأدباء ، وقد نص بعض اللغويين على صحة استعمالها حسياً ومناماً ، (أي : في الحالتين .)

(٥) وقد اجتمعت الحالات الثلاث السالفة في قوله تعالى عن رسوله الكريم : « (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ؛ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ، إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ؛ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ..) » . فقد أضيفت للجملة ماضوية ، ثم للجملة اسمية ، ثم للجملة مضارعية في اللفظ دون المعنى . - وستأتي الآية المناسبة أخرى في رقم ٣ من هامش ص ٨٦ -

كالذى فى قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » ، لأن الزمن الذى رُفعت فيه القواعد كان سابقاً على نزول الآية بما اشتملت عليه من مضارع وغيره . فلو وضع الماضى الحقيقى الزمن هنا مكان المضارع ما تغير المعنى ^(١) . . .

وسبب هذا الوجوب أن « إذ » - فى الأغلب - ظرف للزمن الماضى المبهم ، فيجب أن يماثلها المضاف إليه فى نوع الزمن : كى لا يقع بينهما تعارض ، وأن يماثلها عاملها أيضاً ؛ ولهذا قالوا : (إن الحملة المضارعية لا تقع « مضافاً إليه » بعدها ، إلا حين يكون المضارع ماضى المعنى ، فيكون فى ظاهره مضارعاً وفى معناه ماضياً ^(٢)) . . . كالأية ، وأن عاملها لا بد أن يكون دالاً على الماضى ؛ إذ لا يعمل فيما يدل على الماضى إلا مثله) .

هذا إن أضيفت لجملة فعلية ، أما إن أضيفت لجملة اسمية فيجب - وقيل : لا يجب ، وإنما يستحسن - أن يكون معنى هذه الجملة الاسمية قد تحقق قبل النطق بها ، أو أنه سيتحقق فى المستقبل على وجه لا شك فيه ^(٣) . ومن المستتبع - وقيل : من الممنوع - أن يكون خبر المبتدأ فى هذه الجملة الاسمية -

(١ و ١) الأغلب أن « إذ » ظرف للماضى المبهم ، وقد تكون - على الأصح - هى ونظيراتها ، ظرفاً للزمن المستقبل بمعنى : « إذا » حين تقوم القرينة الدالة عليه ؛ كالتى فى قوله تعالى : « الذين كذبوا بالكتاب ، وبما أرسلنا به رُسُلنا ، فسوف يعملون ؛ إذِ الأغلالُ فى أعناقهم والسلاسلُ ، يُسْحَبُونَ فى الحميمِ ثم فى النارِ . . . » فكلمة « إذ » فى الآية ظرف للمستقبل بمعنى : « إذا » التى للظرف المستقبل ، بقرينة أن الوصف ليوم القيامة ، وبقرينة المضارع قبلها . أو يقال فى الآية ونظائرها : لما كان المعنى بعدها محقق الوقوع - اعتبروا زمنه بمنزلة الماضى تأويلاً ، فهو من تنزيل المستقبل المضمون تحققه منزلة الماضى ، ويلجئون إليه لسبب بلاغى ؛ هو : القطع بأنه آت لا محالة . وغاية الرايين واحدة . وعلى هذا تكون « إذ » الظرفية لازمن الماضى إما حقيقة لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط ، وإما تأويلاً حين يكون المضاف إليه جملة مضارعية زمنها مستقبل ، ومعناها مضمون الوقوع ، أو جملة اسمية مضمونة التحقق . أو نقول : إنها بمعنى : « إذا » فى هاتين الحالتين . (انظر « ج » ص ٨٥ و « هـ » من ص ٨٧) .

(٢) ولو تأويلاً ، بأن يكون مغناه محقق الوقوع ، لا شك فى أنه سيتحقق حتماً - طبقاً لما سبق فى رقم ١ - كآية الروم ، (وهى مذكورة بتمامها فى رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية) وتتضمن أنهم غلبوا ، ولكنهم سيغلبون بعد ذلك فى بضع سنين . ثم قال : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ، أى : ويوم إذ يغلبون . والمضارع هنا سيتحقق معناه فى المستقبل ، لأن خبر الله عن شيء مستقبل لا بد أن يتحقق .

جملة ماضوية ؛ كالتى فى قولنا : حضرت إذا الجو اعتدل - كما سنعرف - ^(١) .
 ويجوز قطعها عن الإضافة لفظاً لا معنى ؛ فيحذف المضاف إليه (وهو ؛
 الجملة ، ويجىء التنوين عوضاً عن هذه الجملة المحذوفة ، كقوله تعالى : « ويومئذ
 يفرح المؤمنون بنصر الله ... » ^(٢) والأصل قبل الحذف : ويومَ إذْ يَغْلِبُونَ ^(٣)
 يفرح المؤمنون بنصر الله ^(٤) . . .

وقطع « إذ » عن الإضافة لفظاً إنما يقع - فى الغالب - حين تقع « مضافاً
 إليه » والمضاف اسم زمان ؛ نحو : يومئذٍ ... - حيثئذٍ ... - ساعتئذٍ ... ومن النادر
 الذى لا يقاس عليه غير هذا ؛ كما فى قول الشاعر :
 نهيتك عن طلابيك أم عمرو بعافية وأنت إذ ^(٥) . . . صحيح
 والأشهر فى « الذال » عند التنوين تحريكها بالكسر للتخلص من التقاء
 الساكنين .

(١) فى « ج » ص ٨٥ . حيث بيان السبب .

(٢) وقد يحذف شطر الجملة الواقعة مضافاً إليه ، مع ملاحظة هذا المحذوف ، وتحليل وجوده ،
 إذ لا يتم المعنى إلا به ؛ كقول الشاعر :

كَانَتْ مَنَازِلَ أَلْفٍ عَمِيدَتْهُمْ
 إِذْ نَحْنُ - إِذْ ذَاكَ - دُونَ النَّاسِ إِخْوَانًا
 فالتقدير : عهدتهم إخواناً دون الناس إذ نحن إذ ذاك متحابون . فكلمة : « إذ » الأولى ظرف للفعل :
 « عهد » ، و « إخواناً » : مفعوله . و « نحن » مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره : متآلفون . والجملة
 من المبتدأ والخبر فى محل جر هى المضاف إليه . أما المضاف فكلمة : « إذ » الأولى أما كلمة : « إذ »
 الثانية فظرف للخبر المحذوف ، وهى مضاف ، و « ذا » مبتدأ ، خبره محذوف ، والتقدير : « كذلك » ،
 والجملة من المبتدأ وخبره المحذوف هى المضاف إليه ؛ فالأصل ؛ إذ ذاك واقع ، أو : كائن . . . ومثله :
 « والعيش منقلب إذ ذاك أفناناً » ، أى : إذ ذاك كذلك ؛ فليست مضافة لمفرد وإلا لم يتم
 المعنى الأساسى .

(٣) راجع الآية كاملة أول سورة الروم ونصها :

(أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ،
 فِي بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
 بِنَصْرِ اللَّهِ) .

(٤) انظر رقم ١ و ٢ من هامش ص ٨١ .

(٥) التقدير : وأنت إذ نهيتك . . .

ولما كانت «إذ» واجبة الإضافة للجملة ، كانت واجبة البناء ؛ تبعاً لذلك^(١) ،
لما تقدم^(٢) من أن كل اسم واجب الإضافة للجملة ؛ يجب بناؤه ؛ سواء أكان
المضاف إليه (وهو : الجملة) مذكوراً ، أم محذوفاً قد عوض عنه التنوين^(٣) . ولا شأن
لهذا التنوين بالإعراب أو البناء : فقد يوجد في آخر الأسماء المعربة وفي آخر المبنية ،
لأن أمره مقصور على التعويض ؛ كما عرفنا^(٤) .

* * *

(١) - والبيان في ص ٧٨ ، وهو مع الشروط في رقم ٢ من هامش ص ٧٨ وفي «ب» من ص ٨٤ -
ويقولون إن السبب في بنائها هو مشابهتها للحرف في الافتقار اللازم . وقد ناقشنا موضوع المشابهة (في ج ١
ص ٥٥ م ٦٠) ، انتهينا فيه إلى أن السبب الحق هو استعمال للعرب ؛ ليس غير .

(٢) في رقم ٢ من هامش ص ٧٨ وفي ص ٧٩ .

(٣) وفيها يضاف وجوباً إلى الجملة الاسمية والفعلية يقول ابن مالك :

وَأَلْزَمُوا إِضَافَةً إِلَى الْجُمْلِ : «حَيْثُ» وَ «إِذُ» . وَإِنْ يُنَوَّنُ يُحْتَمَلُ
إِفْرَادُ «إِذُ»

والمنى : ألزم النحاة : «حيث» - و «إذ» الإضافة إلى الجمل ؛ محاكاة للكلام العربي
الصحيح - بالشروط التي سبق إيضاحها في رقم ٢ و ٤ و ٥ من هامش ص ٧٨ .

ثم قال : وإن يذون «إذ» (وذلك بعد حذف المضاف إليه ، وبجاء التنوين عوضاً عن المحذوف)
كان من المحتمل الجائز إفرادها ، أى : قطعها عن الإضافة لفظاً ، لا معنى - كما شرحنا - وقد أكل
البيت الثاني بأحكام سنعرّفها فيما يأتي مباشرة .

(٤) سبق إيضاحه - ص ١٢٧ م ٣ .

زيادة وتفصيل :

١ - إذا أضيفت أسماء الزمان إلى جملة وجب أن تكون هذه الجملة غير شرطية^(١) ، وأن تكون مستوفية ببقية الشروط التي سلفت^(٢) .

ب - قلنا^(٣) إن الجملة الواقعة : « مضافاً إليه » هي في حكم « المضاف إليه » المفرد ؛ (أى : الذى ليس جملة) وأنها في تأويله من غير وجود أداة سابكة ، وذكروا شروطها . ومن الممكن الوصول إلى هذا المضاف إليه الحكمى أو المؤول بغير حرف مصدرى سابك ، إما بالإتيان بمصدر الفعل في الجملة الفعلية مضافاً إلى فاعله ، وإما بمصدر الخبر مضافاً إلى المبتدأ في الجملة الاسمية ، ففي مثل : (وقفت حين أقبلَ الوالدُ - أسارع وقت يدعو الداعي للخير - أتكلم زمن الكلامُ مطلوبٌ ، وأستمع زمن الاستماعُ محمودٌ) . . . - يكون التقدير : (وقفت حين إقبال الوالد - أسارع وقت دعاء الداعي - أتكلم زمن طلب الكلام ، وأستمع زمن حمْد الاستماع) . وقد تقدّم^(٤) أن الذى يضاف للجملة وجوباً - لا جوازاً - يبنى وجوباً أيضاً .

وإذا كان الشأن في الجملة الواقعة « مضافاً إليه » ما عرفنا ، فهل تفيد المضاف تعريفاً أو تخصيصاً ؟ .

الأحسن الأخذ بالرأى القائل^(٥) إن الحكم في هذا متوقف على حالة المصدر الناشئ من التأويل (أى : على حالة المضاف إليه الحكمى ، أو : المؤول) فإن أضيف هذا المصادر إلى (فاعل أو مبتدأ) معرف اكتسب من المضاف إليه التعريف ، وانتقل منه للمضاف ، وإن أضيف إلى واحد منهما منكر ، اكتسب منه التخصيص وانتقل منه أيضاً للمضاف ؛ فشأنه شأن كل مصدر مضاف إلى المعرفة أو النكرة . .

(١) راجع التمع والصبان في باب « الجوازم » عند الكلام على الأدوات التي تجزم فعلين

(٢ و ٢) في رقم ٢ من هامش ص ٧٨ وفى ص ٧٩ .

(٣) في « ج » من ص ٢ - وفى ص ٢٨ -

(٤) قد سبق في ص ٢٨ .

بقى سؤال هام : لمّ الالتجاء إلى « المضاف إليه » الجملة ، دون الالتجاء المباشر إلى « المضاف إليه » المفرد الذى تؤول به ، ومعلوم أن الجملة إذا وقعت « مضافاً إليه » صارت فى حكم المفرد وتأويله — كما تقدم ؟ — .

السبب : أن الجملة حين تقع « مضافاً إليه » — مباشرة — تفيد ما يفيد المفرد الذى تكون فى حكمه ، تقديرأ ، ويحل محلها بعد أن تؤول به ، ولكنها تزيد فائدة أخرى لا يؤديها هذا المفرد ؛ هى : أنها تدل على مضى الزمن إن كانت ماضوية ، وعلى حاليتته أو استقباله وتجدده أو عدم تجددته إن كانت مضارعية ، وتدل على مجرد الثبوت وما يتصل به إن كانت اسمية ، فالمضاف إليه — وهو هنا المفرد الناشئ عن الجملة بعد تأويلها — مصدر يفيد مجرد الحدث ؛ (أى : المعنى الخالى من الدلالة على الزمن وما يلابسه ، ومن الدلالة على الثبوت وما يلازمه) ، بخلاف المضاف إليه إذا كان جملة فعلية ؛ فإنها تدل على الحدث مزيداً عليه الزمن بملاساته ، وإذا كان جملة اسمية ؛ فإنها تدل على المعنى مع إفادة الثبوت

ح — عند إضافة « إذ » لجملة اسمية ، الخبر فيها جملة فعلية ، يجب — وقيل : لا يجب ، وإنما يستحسن — ألا يكون الفعل ماضياً ؛ وعلى هذا يمتنع عندهم — أو يقبح — : جئت إذ الغائب جاء ، كما سبقت الإشارة ^(١) ؛ وحجتهم : أن « إذ » للزمان الماضى فى أغلب استعمالاتها ، والفعل الماضى مناسب لها فى الزمان ، فلا يسوغ الفصل بينهما وهما فى جملة واحدة . أما إذا كان الفعل بعدها مضارعاً (ولا بد أن يكون بمعنى الماضى ، ولو تأويلاً — كما سلف ^(١) —) ففصله عنها وعدم فصله سواء ؛ كلاهما حسن ، نحو : سعدنا بتزده الأمس بين الجداول والبساتين ؛ إذ المياه تنعشنا بتدفقها وجريانها ، والأزاهر بطيبتها وأريجها . وإذ تداعبنا النسمات بلمساتها الندية المرفقة

د — « إذ » ظرف ملازم للبناء ، فى محل نصب على الظرفية ، ولا يخرج عن النصب المحلى على الظرفية إلا حين يقع « مضافاً إليه » والمضاف لفظ دال

على الزمان^(١)، كحينئذ، ويومئذ... ففى هذه الحالة لا يكون ظرفاً^(٢)، ولا يكون فى محل نصب؛ وإنما يكون مبنياً فى محل جرٍّ؛ مضافاً إليه. فأمره مقصور إما على البناء فى محل نصب على الظرفية، وإما على البناء فى محل جرٍ بالإضافة، ولا محل له - عند كثرة النحاة - إلا أحد هذين؛ فلا يكون مفعولاً به، ولا بدلاً، ولا غيرهما. وأما قوله تعالى: «واذكروا إذ أنتم قليل...» وقوله تعالى: «واذكروا فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» فإن «إذ» ظرف لمفعول به، محذوف، وليست مفعولاً به فى الآية الأولى ولا بدلاً فى الآية الثانية. فالتقدير: واذكروا نعمة الله عليكم إذ أنتم قليل... - واذكر قصة مريم إذ انتبذت... (أى: ابتعدت واعتزلت الناس...) لأن المعنى على ظرفية المفعول به المحذوف، لا على مجرد المفعولية الأخرى؛ أو: البدلية... فالمراد: اذكروا النعمة التى نالتكم فى زمن معين، هو زمن قلستكم - واذكروا قصة مريم فى زمن انتبازها، وليس المراد هنا اذكروا مجرد زمن القلة، أو: مجرد زمن الانتباز؛ لأن تذكر الزمن المجرد لا يفيد فى تحقيق الغرض المعنوى المراد هنا^(٣).

(١) أوضحنا - فى رقم ٢ من هامش ص ٦٧ - أن الاسم الدال على الزمان يشمل ظرف الزمان، وهذا ينصب على الظرفية، ولا يخرج عنها إلا إلى شبه الظرفية، وهو - فى الغالب - الجر بالحرف «من» (كما يشمل كل: اسم آخر يدل على الزمان من غير ظرفية، مثل: حين، ولحظة...).

(٢) السبب الذى تقدم فى رقم ٥ من هامش ص ٦١.

(٣) لا يوافق على هذا صاحب: «المغنى»، وآخرون. فضربوا مثلاً لكلمة «إذ» الظرفية بقوله تعالى عن النبي عليه السلام: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا...» - وقد سبقت هذه الآية لمناسبة هامة أخرى فى رقم ٥ من هامش ص ٨٠ - ول «إذ» الواقعة مفعولاً به بقوله تعالى: «واذكروا إذ كنتم قليلاً فكشركم...» ومثل هذا يقع كثيراً فى أوائل القصص فى القرآن؛ فتكون - فى رأيهم - مفعولاً به لفعل محذوف تقديره: «اذكر»، أو نحوه... كقوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة...» «وإذ قلنا للملائكة...» - «وإذ فرقنا بين البحر...» ول «إذ» الواقعة «بدلاً» بقوله تعالى «واذكروا فى الكتاب مريم. إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً» وحجتهم فى عدم إعرابها ظرفاً فى الآيات السالفة أن إعرابها يقتضى الأمر بالتذكر فى ذلك الزمن الماضى، مع أن الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل توجيه الخطاب للمكلفين منا؛ فيتعارضان؛ وإنما المراد: تذكروا الوقت نفسه، لا التذكرفيه. وخالفهم الكثرة بأن وقوع «إذ» الزمانية «مفعولاً» أو «بدلاً» أو شيئاً آخر غير الظرف والمضاف إليه - ليس مسموعاً عن العرب. وطال الجدل بين الفريقين.

والحق أن «إذ» قد تكون «مفعولاً به» إذا كان المراد وقوع أثر العامل عليها، لا فيها. وقد يكون =

وقد تجيء : « إذ » لإفادة التعليل ؛ كقوله تعالى : « وإن ينفعكم اليوم - إذ ظلمتم - أنكم في العذاب مشتركون » ، أى : لأجل ظلمكم ، وبسببه . ولا تصلح هنا للظرفية ، لأن الظلم لا يكون يوم القيامة ، وإنما كان في الدنيا . وتعتبر في هذا الحالة : إمّا حرفاً زائداً للتعليل - وهو الأيسر - ، وإما ظرف زمان ، والتعليل مستفاد من قوة الكلام ، لا من اللفظ ^(١) .

وقد تجيء لإفادة المفاجأة ^(٢) ، بعد : « بينمّا » ^(٣) ، أو : « بينمّا » ^(٣) ، نحو قول الشاعر :

استَقْدِرَ اللهُ خَيْرًا ، وارْضَيْنَ به فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياء مغتبطُ . إذ صار في الرَّمْس ، تَعَفَّوه الأعاصيرُ
ونحو : بينا نحن جلوس إذ أقبل غريب فأكرمناه . .
والأحسن في هذا - وأشابهه - اعتبارها حرفاً معناه المفاجأة ، أو : حرفاً زائداً لتأكيد معنى الجملة كلها ؛ لا ظرف زمان ولا مكان .

ه - سبق ^(٥) أن : « إذ » تكون في أغلب استعمالاتها - ظرفاً للزمان الماضي المبهم ^(٦) ، ومعناها : وقت ، أو : زمن ، أو : حين . . . أو . . . وأنها في هذه

= « بدلا » أو غيره إذا اقتضى المعنى خروجها عن الظرفية لشيء آخر . فلا داعى للتأويل من غير حاجة .

(١) يتضح هذا في مثل قولنا : « عوقب اللص إذ سرق » . باعتبار « إذ » للزمان ، فيؤدى ظاهر العبارة - إلى أن السرقة هي سبب العقاب ، وعلته .

(٢) أى : مفاجأة ما بعدها لما قبلها وقت تحقق معنى السابق . بمعنى : هجموه عليه بفتنة عند وقوع معنى المتقدم .

(٣ و ٣) إذا اتصلت « ما » الزائدة ، أو « الألف » الزائدة بآخر الظرف : « بين » وجب أن يكون له الصدارة في جملة مع إضافته لهذه الجملة : (راجع الأحكام المتعددة في البيان الخاص . بهذا في ج ٢ باب : « الظرف » م ٧٩ ص ٢٦٨) ومنه قولهم في وصف أحد العظماء : « بينا هو حلیم أواب ، إذا هو أسد وثاب » . وجاء في القاموس ما نصه : (وبيننا وبيننا من حروف الابتداء) ه أى من كلمات الصدارة .

(٤) أسأله أن يقدره لك .

(٥) في ص ٨٠ .

(٦) وردت إشارة للزمان المبهم وبعض أحكامه ، في رقم ٤ من هامش ص ٢٤ وفي ص ٦٦ و ٦٧

الحالة تضاف وجوباً للجملة بنوعيتها ، ولا بد في هذه الجملة أن يكون معناها ماضياً^(١) ولو تأويلاً ، أى : أنه قد تحقق فعلاً ، أو بمنزلة المتحقق ويتساوى في هذا الجملة الاسمية والفعلية

ونذكر هنا أن في اللغة كثيراً من الأسماء التي قد تشابه « إذ » في دلالتها السابقة ؛ (وهي : الدلالة على الزمن الماضي المبهم بصوره التي شرحناها) وقد تخالفها ، ومن هذه الأسماء التي قد تشابه حيناً وقد تخالف حيناً آخر : وقت - زمن - عصر - لحظة - برهة - حين . . . وكذلك : يوم ، وساعة ، بشرط ألا يراد بواحد منهما مدة زمنية محدودة بساعات محصورة ودقائق معدودة ؛ وإنما يراد بكل واحد منهما وما سبق ، مدة زمنية محضة ، لا تنقيد بعدد مضبوط من الساعات والدقائق ونحوها مما يفيد الحصر والتحديد .

وحكم هذه الأسماء - ونظائرها - أنها حين تكون بمعنى : « إذ » يجوز^(٢) أن تضاف إلى ما تضاف إليه « إذ » من الجملة بنوعيتها ، كما يجوز أن تضاف للمفرد ، أو لا تضاف مطلقاً . ولكنها إن أضيفت إلى الجملة يجب أن يتحقق في هذه الجملة بنوعيتها كل ما يجب تحققه حين يكون المضاف هو « إذ » وذلك بأن يكون معنى الجملة قد وقع فعلاً أو سيقع حتماً^(٣) و - كما شرحنا - وأن تكون الجملة مستوفية الشروط التي تجعلها صالحة للوقوع مضافاً إليه^(٣) .

وما تقدم فاعلم أن بعض أسماء الزمان قد يشبه « إذ » في الدلالة المعنوية وفي الإضافة ، وأثارها ، مع مراعاة الفروق الأربعة الآتية :

(١) أن « إذ » لا تكون إلا في محل نصب على الظرفية ، أو في محل جر على الإضافة (تبعاً لرأى الكثرة ، وقد أبدينا ما فيه)^(٤) . أما « شبيهاتها » فتصلح للأمرين السالفين ، ولغيرهما مما يقتضيه الأسلوب ، فتقع مبتدأ ، وخبراً وفاعلاً ومفعولاً به وهذا شأن كل اسم من أسماء الزمان المختلفة ، ليس ظرفاً .

(١ و ٢) طبقاً للبيان الذي سبق في ص ٨٠ ، وللتفصيل الذي في هامش ص ٨١ .

(٢) فليس بالواجب .

(٣) وقد سبقت الشروط في رقم ٢ من هامش ص ٧٨ .

(٤) في ص ٨٦ وفي رقم ٣ من هامشها .

(٢) أن إضافة : « إذ » الظرفية للجملة واجبة محتومة ، لفظاً ومعنى معاً ، أو معنى فقط — كما سبق^(١) — . . . أما إضافة « شبيهاتها » فمجازية للجملة ، وللمفرد ، ويجوز عدم إضافتها مطلقاً . . .

(٣) أن إضافة « إذ » للجملة الفعلية ، توجب أن تكون هذه الجملة الفعلية إما ماضوية لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط (بأن تكون الجملة الفعلية فعلها مضارع في الظاهر ، ولكن معناه ماض ، ومن الممكن أن يحل الماضي محله ، كآلية السالفة ، وهي « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ») — وإما ماضوية تأويلاً ، بأن يكون معنى المضارع مضمون التحقق في المستقبل .

وأما إضافتها للجملة الاسمية فلا تصح إلا حين يكون مدلولها قد وقع في الزمن الماضي وتحقق ؛ فإن كان سيقع في المستقبل وجب أن يكون وقوعه محققاً قاطعاً ؛ ليكون بمنزلة ما وقع في الماضي من ناحية التحقق واليقين ؛ وبهذا تكون « إذ » الأصلية في الظرفية هي للماضي حقيقة أو تأويلاً ، كما أشرنا^(٢) .

أما « شبيهاتها » فقد تكون للزمن الماضي وقد تكون لغيره . وقد تضاف للجملة جوازاً ، لا وجوباً . فإذا كانت « الشبهات » للزمن الماضي وأضيفت للجملة فعلية أو اسمية كان حكم الجملة هنا كحكمها هناك من الناحية الزمنية ، أى : أن شأن الجملة (وهي : المضاف إليه) واحد مع « إذ » ومع الشبهات بها الدالة على الزمن الماضي ؛ فإذا كانت الجملة فعلية وجب أن تكون ماضوية ، ولو تأويلاً وإن كانت اسمية وجب أن يكون مدلولها قد وقع فعلاً ، أو تأويلاً بأنه سيقع على وجه محتوم : كشأنها مع « إذ » .

(٤) بناء « إذ » واجب في جميع أحوالها بسبب إضافتها إلى الجملة^(٣) . . . أما شبيهاتها فيجوز فيها — عند إضافتها للجملة — البناء على الفتح^(٤) ، أو

(١) في ص ٨٠ و ٨١ وهامشها .

(٢) في رقى ١ و ٢ من هامش ص ٨١ .

(٣) طبقاً لما سلف في ص ٨٣ .

(٤) انظر الحكم الرابع عشر في ص ٦٦ . ولا يصح البناء على غير الفتح . ويشترط لبنائها أن

تكون غير مشناة ، فإن كانت مشناة وجب إعرابها ، — طبقاً للبين هنالك — .

الإعراب على حسب ما يقتضيه الأسلوب . غير أن البناء على الفتح أحسن عند إضافتها إلى جملة فعلية ، فعلها مبنى أصالة ، كالماضى ، أو مبنى عرضاً ؛ كالمضارع المبني لاتصاله بإحدى النونين ، والإعراب أحسن عندما يكون المضاف إليه جملة مضارعية مضارعها معرب ، أو جملة اسمية ^(١) . . .

ويلاحظ أن جواز البناء والإعراب ليس مقصوراً في الشبهات على الحالة التي تكون فيها دالة على الزمن الماضى . وإنما هو عام ينطبق عليها في حالتى دلالتها على الماضى أو غيره . إلا أنها في حالة الدلالة على الماضى الحقيقى ، أو التأويل - وقد شرحناهما ^(٢) - تكون بمعنى : « إذ » وفي حالة الدلالة على المستقبل تكون بمعنى : « إذا » الخاصة به . ومن الأمثلة :

١ - انقضى حينٌ عجيبٌ على الإنسانية ؛ حينٌ ساد الجهل ، وشاع الظلم ، وانتشرت الأوهام . وقد اختفى اليوم كثير من تلك البلايا ، « وسيقبل حينٌ آخر ؛ يكون الناس فيه أقرب إلى السعادة ، وأدنى إلى الاطمئنان ، حينٌ تخضع الأمم والأفراد لدواعى المساواة ، وأحكام العدالة ، حينٌ لا قوىٌ مُسيطرٌ ، ولا ضعيفٌ مستذلٌ . ومثل قول الشاعر :

ألم تعلمى - يا عمر كـ (٣) الله - أنى كريم على حينِ الكرام قليلٌ
وقول الآخر :

ولستُ أبالى حينَ أقتلُ مسلماً على أى حال كان فى الله مَصْرَعِي
ب - مضى وقتٌ وجاء آخر ؛ وقتٌ أكرمَ الناسَ فلاناً لماله ، ووقتٌ أكرمَ الناسَ فلاناً لأعماله - سيُقبل الوقتُ المأمولُ بعجائبه ؛ وقتٌ يصلُ الناسَ إلى كشفِ القضاءِ المجهولِ ، وغزو الكواكب ، وقتٌ لا أرضٌ مَهْدةٌ وحدها ، ولا أجرام سماوية محتفظة بأسرارها

ج - أين نحن من الأمس ؛ زمنَ كان العلمُ أملاً بعيداً ، وغاية لا تدرك ؟ وما شأنه فى حاضرنا ، زمنَ يناله من يريده ، ويدركه من يرغب فيه ، زمنَ الأسبابِ ميسرةً ، والوسائلِ مبدولة . . . و . . . وهكذا

(١) سبقت الإشارة المفيدة لهذا فى ص ٦٨ .

(٢) فى ص ٨١ وهامشها .

(٣) سبق إعراب هذا الأسلوب فى رقم ٥ من هامش ص ٦٨ ، حيث ذكر البيت لمناسبة هناك .

فإن فقدت هذه الأسماء دلالتها على الماضي - ولو تأويلاً - أو لبهامها ، لم تكن محتومة الشبه « بإذ » ، في الإضافة التي أوضحناها ونوعها ، ولم تجر مجراها وجوباً . فعند فقدها الدلالة على المضي تضاف - جوازاً - إلى الجملة الفعلية فقط ، وتكون بمعنى : « إذا » - كما تقدم - ؛ نحو : أجيئك حين يجيء الصديق الغائب ، وأزورك زمن يزورنا . ويجرى عليها في هذه الحالة من ناحية إعرابها وبنائها ما كان يجري عليها من قبل مما شرحناه . ولا يصح - عند الأكثرين أن تضاف في هذه الحالة إلى الجملة الاسمية ؛ لأنها تكون بمعنى : « إذا » الدالة على المستقبل الخالص ، والتي لا تضاف للاسمية ^(١) - .

وعند فقدها الإبهام يصح أن تضاف للمفرد ، أو لا تضاف إليه ، على حسب المعنى ؛ ولا يصح أن تضاف لجملة ، مثل شهر - حول - سنة - عام وغيرها من المعهديات المحددة ، نحو : شهر رمضان مبارك ، وحولنا الحال طيب .

وهذه المناسبة تذكرنا بالمسائل الثلاث التي سبقت قريباً ^(٢) ، والتي يجوز أن يستفيد فيها المضاف المعرب من المضاف إليه البناء (بالشروط وانتقاصات الخاصة بكل مسألة) ، وهي إضافة اسم الزمان المبهم ، المعرب في أصله . . . إلى جملة

(١) - كما سيجيء في ص ٩٣ - وهذا رأى جمهرة النحاة . لكن وردت أمثلة مسموعة وقع فيها المضاف إليه جملة اسمية ؛ منها قوله تعالى : (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) .
وقول الشاعر المسمى بسواد .

فَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا دُوَّ شَفَاعَةَ بِمُعْنٍ فَتَيْلاً عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ
ولا مانع من الأخذ بالرأى الذى يبيح القياس على هذا ؛ بشرط أن يكون في الكلام ما يدل على أن معناه سيقع في المستقبل ، وأنه محقق الوقوع ؛ فيكون المستقبل فيه بمنزلة الماضي ، لتحقيق وقوعه ؛ كما في الآية والبيت ؛ فإن فتنة النار مستقبلية محققة ، وكذلك الشفاعة يوم القيامة ؛ سواء أكانت تنقذ أم لا تنقذ ، ولا داعي للتأويل . (وانظر رقم ١ و ٢ من هامش ص ٨١) .

(٢) في ص ٦٦ ،

وهناك أحكام خاصة بالهم في رقم ٤ من هامش ص ٢٤ وفي ص ٦٦ و ٦٧ و ٩٠ و ١٣٠ و ١٣٩ .

فعلية، وإضافته إلى مفرد مبني، مثل : حينئذ ويومئذ ، وإضافة الاسم المعرب المتوغل في الإبهام والذي لا يدل على زمان — إلى مفرد مبني ، كإضافة : غير — مثل — شبه ، إلى الضمائر أو غيرها من المبنيات ^(١) .

* * *

(١) يقول ابن مالك في أسماء الزمان الشبهات بكلمة : « إذ » .

... وما « كَإِذْ » مَعْنَى ، كَإِذْ أَضِيفَ جَوَازًا ، نَحْوُ : حِينَ جَاءَ ، نُبِذَ يريد : ما كان مثل « إذ » في كونه اسم زمان ماضٍ مبهم ، فإنه يضاف جوازاً — لا وجوباً — إلى مثل ما تضاف إليه « إذ » من الحمل الفعلية والاسمية ؛ مع ملاحظة ما قد يكون بين الإضافتين من فوارق أوضحناها في ص ٨٨ وما بعدها . وضرب مثلاً لما يشبه « إذ » هو : حين جاء الخائن نبذ شأنه . . . أى : ما كان مثل « إذ » في المعنى فإنه يضاف مثلها للجميل ، ولكن إضافته جائزة ، لا واجبة .

وَأَبْنَى ، أَوْ أَعْرَبَ مَا كَإِذْ قَدْ أُجْرِيَا وَأَخْتَرُ بَيْنَا مَتَلَوْ فِعْلٍ بُنْيَا وَقَبْلَ فِعْلٍ مُعْرَبٍ أَوْ مُبْتَدَأٍ أَعْرَبَ . وَمَنْ بَنَى فَلَنْ يُفْسَدَا (يفسد = يفسد) أى : ابن أو أعرب ما جرى عليه شبه « إذ » ولكن المختار بناء ما يتلوه فعل مبني ، وإعراب ما بعده مبتدأ أو فعل معرب . ومن بنى في جميع الحالات فلن يفسد .

ورابعها - ما يضاف وجوباً إلى الجملة الفعلية دون غيرها . ومنه : « إذا » ^(١)
 الشرطية الدالة على الزمان المستقبل ، نحو قول الشاعر :
 وإذا تباعُ كريمةٌ أو تُشتَرَى فسِوَاكَ بائعها وأنت المشتري
 ووقوع الماضي في جملة شرطية أو جزائها لا يخرجها عن الدلالة على الزمن
 المستقبل ؛ (لأنها تجعل زمن الماضي للمستقبل ، شأنها في هذا شأن جميع
 أدوات الشرط غير الامتناعي) ، نحو : إذا غدر المرء بصاحبه كان بسواه أغدر .
 وقولهم : إذا عَشَرَ الكريم أخذ بيده الكرام ^(٢)
 ومنه : « لَمَّا » ^(٣) الظرفية ؛ كقوله تعالى : « فلمَّا جاء أمرُنا نجَّيْنَا صَالِحًا
 والذين آمَنُوا معه برحمة منَّا » ، وقول الشاعر :
 عتبتُ على عمرو ، فلما فقدتُهُ وجرتُ أقواماً بكيتُ على عمرو
 ومنه ألفاظ أخرى منثورة في المراجع اللغوية والأدبية ^(٤) .

(١) وهي مبنية دائماً - .

وقد سبق الكلام على : « إذا » بتفصيل مناسب (في ج ٢ ص ٢٦٠ م ٧٩ باب : الظرف) يشمل
 مرد معانيها ، وأحوالها ، وأحكامها المختلفة . وسيجيء الكلام عليها بمناسبة أخرى ، ولغرض آخر ؛ هو :
 « الشرطية » في ج ٤ ص ٣٣٣ م ١٥٦ باب : « الجوازم » - .
 واكتفى ابن مالك ببیت واحد سجل فيه أنها من الأسماء التي تضاف إلى الأفعال لزوماً ، ولم يزد شيئاً ؛
 حيث يقول :

وَالزَّمُوا « إِذَا » إِضَافَةً إِلَى جُمْلَةِ الْأَفْعَالِ ؛ كَهُنْ إِذَا اغْتَلَى

(هن إذا اعتلى : تواضع وتساهل إذا أظهر رفيقك أو غيره الاعتلاء ؛ أي : التكبر) .
 (٢) ويجوز أن يحذف المضاف إليه (أي : الجملة) ويحيى التنوين عوضاً عنه ؛ كقولهم :
 - ن يحمّد الفضل فليس إذا يُعَدُّ من أهله . التقدير : فليس إذا (يحمّده) يمدُّ من أهله . فحذفت
 الجملة الواقعة مضافاً إليه ، وجاء التنوين عوضاً عنها .

(راجع ج ١ من التصريح والصبيان في مبحث تنوين العوض) .

(٣) تسمى : « لما الحينية » ؛ لأنها بمعنى كلمة : « حين » عند من يجعلون « لما » ، اسماً .
 وقد سبق - في ج ٢ ص ٢٧٥ م ٧٩ باب . « الظرف » - إيضاح الكلام عليها بتفصيل لاغنى عنه ،
 ولا سيما البيان الخاص بشرطها ، وجوابها ، ونوعهما ، وتقدم هذا الجواب . وسيجيء لها إشارة مفيدة -
 بمناسبة الكلام على أنواع « أن » ج ٤ ص ٢٢١ م ١٤٨ باب : لإعراب الفعل .

وهي غير « لَمَّا » الحرفية الهازمة التي سيجيء الكلام عليها في ج ٤ م ١٥٣ ص ٣٠٥ - وغير « لما »
 الحرفية التي بمعنى « إلا » المفيدة للاستثناء والتي سبق إيضاحها في بابها (ج ٢ م ٨١ ص ٢٥٤) .
 (٤) سنذكر بعضها في « ب » من الزيادة والتفصيل .

زيادة وتفصيل :

١ - أشرنا ^(١) إلى أسماء الزمان التي تشبه « إذ » في الدلالة على الزمان ، الماضي ، المبهم ، ومنها : حين - وقت - زمن - لحظة - ... ، ونعيد ما قلناه هناك من أنها تضاف جوازاً إلى ما تضاف إليه : « إذ » ، من الجمل الاسمية ، والفعلية ، بشرط دلالة هذه الجمل على الماضي والإبهام معاً ، بالتفصيل والإيضاح السالفين . فإن فقدت المضي المقصود لم تكن بمعنى « إذ » وإنما تصير بمعنى « إذا » الدالة على الزمن المستقبل الخالص ، فعند إضافتها تضاف - مثلها - إلى الجمل الفعلية ، دون الاسمية ^(٢) . نحو : أسافر غداً حين تبدأ العطلة ، وسأركب الطائرة زمن أجدّها مهياًة . . .

وتحتفظ هذه الأسماء الزمانية لنفسها بجواز البناء والإعراب عند إضافتها للجملة ؛ سواء أكانت بمعنى : « إذ » أم بمعنى « إذا » ؛ فهي جائزة البناء والإعراب في حالتها دلالتها على الماضي ، أو على الاستقبال ، إلا أن البناء أحسن حين يكون المضاف إليه جملة فعلية فعلها مبنى . والإعراب أحسن حين يكون فعلها معرباً ، وحين يكون المضاف إليه جملة اسمية - كما سبق تفصيله هناك - . أما إذا فقدت الإبهام فيجوز إضافتها للمفرد ، أو عدم إضافتها إليه على حسب المعنى ، ولا يصح إضافتها للجملة ^(٣) . . .

ب - قد أضيف إلى الجملة الفعلية جوازاً ألفاظ مسموعة غير زمانية ، ولكنها تشبه الزمانية في أنها بمنزلة الزمن والوقت لارتباطها به . ومنها كلمة : « آية » ، بمعنى : « علامة » . والوقت علامة لمعرفة الحوادث وترتيبها ، كما أن العلامة تتصل بالوقت ، فصحّ إضافة : « آية » إلى الجملة الفعلية كما يضاف الوقت إليها : لأنهما في النتيجة ينتهيان إلى شيء واحد ^(٣) . . . قال قائلهم :

(١) في « ٨ » من ص ٨٧ .

(٢ و ٣) يلاحظ التفصيل الذي في ص ٨٠ وهامش ص ٨١ .

(٣) هذا تعليلهم الصناعي . والتعليل الحق هو استعمال العرب .

.....

ألا من مبلغ غنى تميمًا بآية ما يُحبون^(١) الطعام
 بآية يُقدِّمون^(١) الخيل شعُثًا كأنَّ على سَنَابِكها مُداما

وكلمة : « آية » المسموعة بهذا القصد لا تُضاف جوازاً إلا للجملة الفعلية ، بشرط أن يكون فعلها متصرفاً ، سواء أكان مقروناً « بما » النافية^(٢) ، أو المصدرية ، أم غير مقرون . إلا أن أن بعض النحاة يوجب تقدير « ما » المصدرية الظرفية عند عدم وجودها ، أو تقدير كلمة : « وقت » قبل الجملة الفعلية ؛ لتكون الإضافة من نوع إضافة أسماء الزمان التي شرحناها . وهذا خلاف شكل ؛ لا أثر له .

لكن كلمة : « آية » لا يسرى عليها ما يسرى على أسماء الزمان السالفة من جواز الإعراب والبناء عند إضافتها للجملة ، وإنما يبقى لها حكمها الذي كانت تستحقه قبل إضافتها . وعلى هذا تكون كلمة : « آية » في البيت الثاني معربة مضافة إلى الجملة المضارعية ، والمراد : أبلغهم كذا ، بعلامة إقدامهم الخيل شعُثًا متغيرة من التعب وهي معربة مضافة في البيت الأول إلى المصدر المؤول من « ما » المصدرية^(٣) والجملة المضارعية . والمراد ؛ إذا رأيت تميمًا فبلغهم عنى الرسالة . فكأن قائلًا قال : بأى علامة تُعرَّف تميم ؟ فأجاب : بعلامة ما يحبون الطعام .

ومن تلك الألفاظ السماعية كلمة : « ذى » في قولهم : (اذهب بذى تسلم^(٤)) واذهبًا بذى تسلمان ، واذهبوا بذى تسلمون) ، والمسموع في كلمة : « ذى » الجهر « بالباء » في هذا الأسلوب . والمعنى : اذهب بأمر هو سلامتك التي تلازمك ،

(١) ورواية أخرى يبتدى المضارع فيها بقاء الخطاب ، بدلا من ياء الغائب .

(٢) مثل قولهم : بآية ما كانوا ضعافاً ولا عزلاً .

(٣) يصح أن تكون « ما » زائدة . والجملة المضارعية بعدها هي المضاف إليه . ويجرى تأويل

المضاف إليه على الطريقة التي سبق شرحها في تأويل الجملة الواقعة مضافاً إليه ، ص ٨٤ .

(٤) هذا الأسلوب هو الذي وعدنا (في رقم ٢ من هامش ص ٤٤) أن يكون إيضاحه هنا .

ولا تفارقك ؛ فكأن القائل يريد : اذهب ومعك أمر ؛ وهذا الأمر هو ؛ سلامتك الملازمة لك . ولما كانت الإضافة للجملة الفعلية هي في تقدير الإضافة للمفرد (وذلك بالإتيان بمصدر الفعل مضافاً إلى فاعله ؛ - كما سبق^(١) -) كان التأويل : اذهب بأمر سلامتك ، أى : اذهب ومعك أمر هو سلامتك المصاحبة لك - اذهباً بأمر سلامتكما - اذهبوا بأمر سلامتكم . . .

ويرى بعض اللغويين أن « ذى » في الأساليب المسموعة السابقة معناها : « الذى » فالمراد : اذهب بالذى تسلم به ، أى : بسلامتك ؛ مصحوباً بها ، أو أن معناها : الوقت .

والمعاني الثلاثة متقاربة ، وفيها تكون الإضافة من نوع إضافة « المسمى إلى الاسم » سماعاً^(٢) . فالمسمى هو : « ذى » ، بمعنى : الأمر ، وهذا الأمر المعين وذاته ... اسمه : « السلامة »^(٣) ، أو : بمعنى « الذى » أو الوقت . والمراد منهما : السلامة أيضاً^(٤) .

* * *

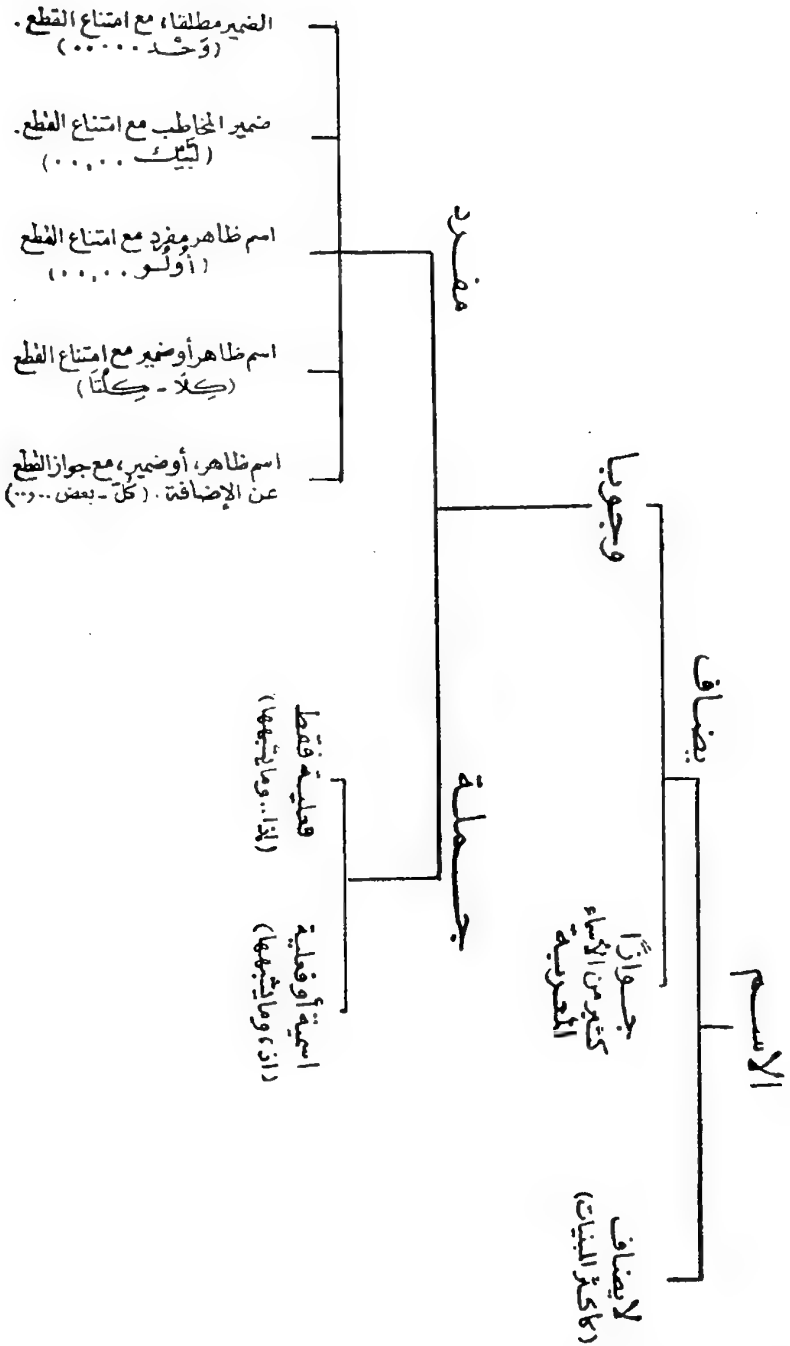
(١) في آخر هامش ص ٢ - والبيان في : ص ٢٨ وفي « ب » من ص ٨٤ ...

(٢) سبق لها الإشارة بمناسبة أخرى في ص ٤٢ .

(٣) راجع فيما سبق ج ٣ ص ١٨ من شرح المفصل ، والجمع ج ٢ ص ٥١ (باب الإضافة) .

(٤) فالبناء للمصاحبة ، أو : بمعنى « فى ... »

وفيا إلى حصص مرسكو^(١) لكل ما تقدم من أقسام المضاف ، وأنواع المضاف إليه .



(١) وفي ص ١٣٤ تلخيص آخر لبعض النحاة .

المسألة ٩٥ :

أسماء أخرى واجبة الإضافة :

(كَلَا ، وَكَلَيْتَا^(١) - أَيْ - لَدُنْ ، وعند - غَيْرَ ، ونظائرها - . . .) .

« كَلَا » : اسم مفرد في اللفظ ، مثنى في المعنى ؛ لأنه يدل بصيغته على

اثنين مذكرين ؛ نحو : كَلَا طَرَفَيْ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ ، ونحو :

إِنَّ الْمَعْلَمَ وَالطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ ؛ إذا هما لم يُكْرَمَا

و « كَلْتَا » : اسم مفرد في اللفظ ، مثنى في المعنى ؛ لأنه يدل بصيغته على

اثنين مؤنثين ؛ نحو : كَلْتَا الْخَصْلَتَيْنِ رَذِيلَةٌ ؛ الضَّمْعَةُ والكِبَرُ . ونحو :

الثروة والشهرة ، كَلْتَاهُمَا من أسباب الجاه .

ولأن « كَلَا وَكَلْتَا » مفردين لفظاً ، مُثْنَيْنِ معنى^(٢) ، جاز في خبرهما ،

- وفي كل ما يحتاج إلى المطابقة بينه وبينهما - مراعاة لفظهما ، وهو الأفصح ،

ومراعاة معناهما وهو فصيح ؛ كقولهم : (كَلَا الرَّجُلَيْنِ عَظِيمٌ ؛ من دعا للخير ،

ومن استجاب له) - (كَلَا الْقَائِدَيْنِ بَطْلَانٌ ؛ هذا يقود جيوشه في غمرات الحروب

وهذا يقود أعوانه في ميادين الإصلاح) - (كَلْتَا الزَّعِيمَتَيْنِ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِأَعْمَالِ

البر ، ولم تدخر وسعاً) - (كَلْتَا الْمَدِينَتَيْنِ وَقَفَتَا فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ الْمُغِيرِ حَتَّى ارْتَدَّ

خَاسِراً . . .) .

و « كَلَا » و « كَلْتَا » من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً ومعنى معاً ،

ولا بد في المضاف إليه بعدهما أن يجمع ثلاثة شروط .

(١) سبق الكلام عليهما بمناسبة أخرى (هي : بيان حكمهما الإعرابي . . .) في ج ١ ص

١١١ م ٩ - المثنى وملحقاته . وهما في لفظهما المفرد مع إفادتهما معنى : التثنية « شبيهتان بلفظة :

« كل » ؛ في أن لفظها مفرد ، لكنها تدل على معنى غير مفرد ، هو ؛ معنى الجمع .

(٢) تتضح هذه الدلالة في مثل : الرجلان كلاهما مسافران . فالمعنى الرجلان الاثنان

مسافران . وفي مثل : الرجلان كلاهما مسافر ، يكون المعنى : الرجلان كل واحد منهما مسافر ،

أى : أنه يصح أن يحل محلهما إما كلمة : (الاثنان) ، وإما : (كل واحد منهما) . وهذا

على حسب الأساليب ؛ كما في المثاليين السالفين . والنتيجة في الحالتين واحدة ؛ وهي دلالتها على

اثنين - ومثلها : « كَلْتَا » .

الأول : أن يكون دالاً على اثنين أو اثنتين ؛ سواء أكان اسماً ظاهراً ، أم ضميراً^(١) بارزاً ، كقوله تعالى : « كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا . . . » . وقوله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ . . . » . وإنما كانت دلالة على الثنية شرطاً لأن الغرض من « كلا » و « كلتا » هو تقوية الثنية في هذا المضاف إليه ، وتأكيدها ، فإذا لم يكن مثـّـل وقع التعارض بين المضاف والمضاف إليه .

الثاني : أن يكون كلمة واحدة . (وهذه الكلمة الواحدة هي التي تقوم بالدلالة على المثني ؛ من غير سرد أفراده متعددة ، ولا ذكرها متفرقة) فلا يجوز قرأت كلتا الحجة والرسالة ، ولا عاوت كلا الأخ والصدیق . وقد وردت أمثلة قليلة مسموعة لم يتحقق فيها هذا الشرط ، فلم توافق كثرة النحاة على القياس عليها ، منها :

كَلَا أَخِي وَخَلِيلِي وَاجِدِي عَصْدًا [١] في النابات ، وإمام الملمات والثالث : أن يكون معرفة كالأمثلة السالفة ، فلا يجوز أن يكون نكرة عامة ؛ كالتى في مثل : حضر كلا رجلين ، وانصرفت كلتا امرأتين ؛ فإن كانت النكرة مختصة فالأحسن الأخذ برأى من يميز وقوعها مضافاً إليه بعد « كلا وكلتا » ؛ فيصح المثالان السابقان — وأشباههما — بعد التخصيص ؛ فيقال : حضر كلا رجلين عالمين ، وانصرفت كلتا امرأتين أديبتين^(٢) .

(١) إذا كان المضاف إليه اسماً ظاهراً دالاً على اثنين سمى : « مثني لفظاً ومعنى » أما إن كان ضميراً بارزاً دالاً على اثنين ، أو : اسم إشارة للمفرد ولكنه يدل على اثنين بقرينة خارجة عن لفظه : فإنه يسمى : « مثني معنى » فقط . ومثى كانت دلالة على الثنية بقرينة خارجية ؛ كاسم الإشارة — سميت « دلالة مجازية » (كما سيأتى في الزيادة . وكما سبق البيان في ج ٩١ ص ١٠٨ وهاشها رقم ١ وفي ص ١١١)

(٢) وإلى الشروط الثلاثة أشار ابن مالك باختصار حيث يقول :

لِمَفْهُمِ اثْنَيْنِ مُعَرَّفِ بِلَا تَفَرُّقٍ أَضِيفَ « كِلْتَا » وَ « كِلَا »
يريد : أضيفت « كلتا وكلا » لفهم اثنين (أى : لما يدل على اثنين) مع تعريفه ، وعدم تفرق أفراده .

زيادة وتفصيل :

١ - اشترطنا هنا ^(١) أن يكون « المضاف إليه » دالاً على اثنين ، أو اثنتين ، سواء أكان اسماً ظاهراً أم ضميراً بارزاً . هذه الدلالة قد تكون بلفظه الصريح في الثنية ، الحقيقي فيها (لا المجازي) نحو قوله تعالى : « كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا » ، وقوله : « إِمَامًا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَّ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا » . فالمضاف إليه وهو كلمة : « الجننتين » ، وكلمة : « هما » — من الألفاظ الصريحة في الثنية ، التي تؤدي معناها على وجه الحقيقة لا المجاز . وقد تكون الدلالة بلفظه الحقيقي ، ولكنه مشترك اشتراكاً معنوياً بين المثني والجمع ، كالضمير : « نا » فإنه صالح من جهة المعنى للأمرين ؛ كقول الشاعر :

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيًا

وقول الآخر :

كُونُوا كَمَنْ وَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ نَعِيشُ جَمِيعًا ، أَوْ نَمُوتُ كَلَانَا
وقد تكون بلفظه الذي دخله التوسع والمجاز ؛ فصار يدل على اثنين دلالة أساسها التوسع والمجاز ، لا الحقيقة اللغوية ، كقول الشاعر :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالْشَّرِّ مَدًى ^(٢) وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ ^(٣) وَقَبِيلٌ ^(٤)

فكلمة : « ذا » تدلّ في حقيقتها اللغوية على المفرد المذكر ، ولكنها تدل هنا بمعناها على المثني ؛ لأنها إشارة إلى ما ذكر ؛ وهو : الخير والشر ؛ فالمراد : « كلا » ما ذكر من الخير والشر . . . وهذه الدلالة مجازية ^(٥) ؛ لأن دلالة « ذا » على غير الواحد مجازية ؛ كالثنية ؛ في هذا البيت ، وكالجمع في قول لبيد :

(١) في ص ٩٩ . (٢) غاية ينتهي عندها . (٣) ما يستقبلك من الشيء .

(٤) طريق واضح . أو : جهة . والمعنى : إن كلا من الخير والشر له نهاية ، وكلاهما أمر واضح يستقبل الناس ، وهو معروف لهم ؛ كالطريق الواضح المطروق . أو : كلا الخير والشر ذو نهاية ، وله وجهة ينصرف إليها .

(٥) انظر رقم ١ من هامش الصفحة السابقة .

ولقد سُمْتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لسيّد ؟
 ب — لا تضاف « كلا وكلتا » لشيء من الضمائر إلا لواحد من ثلاثة ؛
 هي : « نا » ، و « الكاف » المتصلة بالميم والألف ، و « الهاء » المتصلة بالميم
 والألف . (أى : كلانا — كلاهما — كلتا — كلتا كما — كلتاها) .
 ح — حكم « كلا » و « كلتا » من الناحية الإعرابية موضع فى مكانه
 المناسب من الجزء الأول^(١) عند الكلام على المثنى ، وملحقاته . ومضمونه : أن لهما
 حالتين ؛ إحداهما : إعرابهما إعراب المثنى ، والأخرى إعرابهما إعراب الاسم
 المقصور :

(١) فيعرaban إعراب المثنى بشرط إضافتهما إلى ضمير دالّ على التثنية ؛
 سواء أكانتا للتوكيد أم لغيره . فتى أضيفت إحداهما للضمير الدال على التثنية
 وجب إعرابهما إعراب المثنى . فن أمثلة استعمالهما للتوكيد : (أعجبنى النابغان
 كلاهما — أكرمت النابغتين كليهما — أثبتت على النابغتين كليهما) —
 (فازت الطبيبتان كلتاها — مدحت الطبيبتين كليهما — أصغيت إلى الطبيبتين
 كليهما) . ومن أمثلة استعمالهما فى غير التوكيد مع إعرابهما كالمثنى : جاء كلاهما
 أو كلتاها — رأيت كليهما ، أو : كليهما ، استمعت إلى كليهما ، أو : كليهما .
 ولا بد عند استعمالهما للتوكيد أن يكون الضمير المضاف إليه مطابقاً للاسم
 المؤكّد قبلهما^(٢) (أى : أنه لا بد من وجود الضمير المضاف إليه ، ومن وجود
 المؤكّد قبلهما ، وتطابق المؤكّد والمؤكّد فى التثنية ، والإعراب ، والتذكير ، والتأنيث) ؛
 كقولهم فى الدعاء ؛ « لا زمتك الحسنيتان^(٣) كلتاها ، . . . وأمنت
 البليتين^(٤) كليهما » . . . وقولهم فى الدعاء للمسافر : صاحبك الأحمد أن^(٥)

(١) ص ١١٢ م ٩ . وهناك تفصيلات هامة تقتضى الرجوع إليها .

(٢) كما سيجىء فى باب التوكيد (ص ٥٠٨) عند الكلام على استعمالهما .

(٣) الصحة والثروة . (٤) المرض والفقر .

(٥) الأمن والسلامة .

كتلاهما - وسلمت من الأرذليين كليهما^(١).

ومما تجب ملاحظته أن استعمالهما في التوكيد يوجب إضافتهما إلى الضمير المطابق للمؤكد السابق ، لكن لا يلزم من إضافتهما للضمير المطابق أن يكونا للتوكيد ؛ فقد يتعيّنان للتوكيد كما في الأمثلة السابقة ، وقد يتعين إعرابهما شيئاً آخر غير التوكيد ؛ كما في قولنا : الوالدان كلاهما نافع ، والأختان كلاهما مثقفة ؛ فيتعين إعرابهما في هذين المثالين - وأشباههما - مبتدأ ، ولا يصح التوكيد ، كى لا يترتب عليه إهمال المطابقة بين المبتدأ والخبر ، بقولنا : (الوالدان نافع - الأختان مثقفة) ؛ فيقع الخبر مفرداً مع أن مبتدأه مثنى ، وهذا غير جائز في مثل ما نحن فيه .

وقد يجوز إعرابهما توكيداً أو غير توكيد في مثل : الوالدان كلاهما نافعان - الأختان كلاهما مثقفتان ؛ فيصح إعرابهما توكيداً ؛ لإضافتهما للضمير المطابق للمؤكد السابق ، والاسم الظاهر بعدهما خبر للمبتدأ ، مطابق له . كما يصح إعراب « كلا وكلتا » في المثالين مبتدأً ثانياً ، مضافاً للضمير ، والاسم الظاهر بعدهما هو الخبر لهما . والجملة الاسمية منهما ومن خبرهما خبر المبتدأ الأول . فالإعرابان جائزان ، وتفضيل أحدهما متوقف على وجود قرينة ترجحه على الآخر .

فالأحوال ثلاثة عند إضافتهما للضمير مع وجود لفظ سابق يصلح أن يكون مؤكداً يرجع إليه الضمير عند إضافتهما ويطابقه ؛ هى : وجوب إعرابهما توكيداً فقط ؛ وامتناع إعرابهما توكيداً ، وجواز الأمرين .

(٢) فإن لم يضافا للضمير مطلقاً (بأن أضيفا إلى اسم ظاهر) - لم يكونا للتوكيد ، ولم يصح إعرابهما كالمثنى ، بل يجب إعرابهما إعراب المقصور (وهو الإعراب بحركات مقدرة على الألف الثابتة ، الملازمة لآخرهما في جميع الحالات) ؛ نحو : كلا القطبين ثلجى مقفر - إن كلا القطبين ثلجى مقفر - ذاع عن كلا القطبين أنه ثلجى مقفر - كلتا المنطقتين القطبيتين غير مأهولة - إن كلتا المنطقتين غير مأهولة - سمعت عن كلتا المنطقتين . . .

.....

كل ما سبق هو الأشهر الذى يحسن الاختصار عليه . وهناك آراء أخرى فى
 إعرابيهما ؛ فبعض العرب يعربهما إعراب المثنى فى كل الحالات من غير
 تفرقة بين تأكيد وغيره . وبعضهم يعربهما إعراب المقصور فى كل الحالات من
 غير تفرقة كذلك ... و ...

* * *

أى — أنواعها الملازمة للإضافة خمسة^(١) ؛ كل نوع منها مبهم ؛ (لأنه صالح لكل شيء من الأمور الحسية والمعنوية . ولا تعيين له إلا بالمضاف إليه) ؛ وهى : « أى » الاستفهامية ؛ مثل : أى عمل تختاره ؟ — أى الرجال المهذب ؟ — أى الناس تصفو مشاربه ؟ .

و « أى » الشرطية ؛ مثل : أى نفع يلمسه المرء بضرر غيره ينقلب وبالأعلى عليه .

و « أى » الموصولة ، مثل : يعجبني السباقون ، وسأصافح أيهم هو أسبق (بمعنى : الذى هو أسبق) .

و « أى » التى للتعنت^(٢) ؛ مثل إن الصادق عظيم أى عظيم .
و « أى » التى للحال ، مثل : قبلت كلام الناصح الأمين : أى ناصح أمين .
ومن الخمسة السابقة نوعان ملازمان للإضافة ؛ لفظاً ومعنى معاً ؛ هما :
النعية والحالية^(٣) ، أما الثلاثة الأخرى فلأزمة للإضافة إماً لفظاً ومعنى معاً
كأمثلتها السابقة ، وإماً : معنى^(٤) فقط ؛ مثل (الأعمال كثيرة ؛ فأى تختاره ؟) —
(من ألوان النفع ما يؤذى ؛ فأى يلمسه المرء بضرر غيره ينقلب وبالأعلى عليه) —
(يعجبني السباقون ، وسأصافح أيّاً هو أسبق) وفيما يلى بيان أوفى :

* * *

١ — « أى » الاستفهامية^(٥) : وهى معربة ، واجبة للإضافة لفظاً ومعنى ،

(١) هناك نوع سادس لا يضاف أبداً ؛ هو : « أى » : التى تكون وصلة لنداء ، فيه : « أل » (وتفصيل الكلام عليها فى باب « النداء » ، أول الجزء الرابع) . وقد سبق الكلام على الستة ملخصاً لمناسبة أخرى فى باب الموصول ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦٢ م ٢٦ .

(٢) تفصيل الكلام عليها فى ص ١١١ ، ولها إشارة فى باب التعنت ص ٤٦٨ .

(٣) كما سبقت الإشارة فى رقم ١ من هامش ص ٧٣ وفى الجزء الأول ص ٢٦٠ م ٢٦ .

(٤) تقدم (فى رقم ٣ من هامش ص ٧١) أن « المضاف لفظاً ومعنى » هو : ماله مضاف إليه مذكور سراحة فى الكلام ، متمم للمعنى المقصود من المضاف . وأن « المضاف معنى » فقط هو : ماله مضاف إليه ، ولكنه محذوف لداع مع قيام قرينة تدل عليه ، وهو مع حذفه ملاحظ فى إتمام معنى المضاف وإكماله ، كما يلاحظ عند وجوده . وقد يحىء التنوين عوضاً عن المحذوف .

(٥) « ملاحظة » : الأحكام الآتية مقصورة على « أى الاستفهامية » غير المستعملة فى : « الحكاية » أما المستعملة فى « الحكاية » فقد تخالف هذه فى بعض الأحكام ، طبقاً للمذكور فى باب : « الحكاية » .

أو معنى فقط . وتضاف إلى ما يأتي ليزيل إبهامها :

(١) النكرة مطلقاً (أى : لمتعدد أو غير متعدد) ؛ فتشمل النكرة الدالة على الأفراد ، والدالة على الثنية ، أو على الجمع ، بنوعيهما ؛ نحو : أى رجل فاز بالسبق ؟ أى رجلين فازا بالسبق ؟ أى رجال فازوا بالسبق ؟ أى فتاة فازت ؟ . . . أى فتاتين ؟ . . . أى فتيات ؟ . . . ومن المفرد قول الشاعر :

أُنْجِزُ عُمًّا مَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ لِلْفَتَى ؟ وأى كريمٍ لَمْ تُصِبهُ القَوَارِعُ ؟

وقد اجتمعت إضافتها للنكرة المفردة والنكرة المجموعة في قول الشاعر يتحنن لبعض ليااليه الخالية :

أهّا لها من ليال !! هل تعود كما كانت ؟ وأى ليال عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عنى ببهجتها وأى أنسٍ من الأيام ينسيها ؟

فهى في الأساليب السابقة — ونظائرها — اسم استفهام يُسأل به عن المضاف إليه النكرة كله ^(١) . وهى في الوقت نفسه مطابقة لمعناه تمام المطابقة . ولهذا كانت بمعنى : « كُـلٌّ » الذى يقصد به المضاف إليه جميعه ، على حسب المراد من العموم فى المفرد ، أو : المفنى ، أو : الجمع . فالمراد من « أى » هنا هو المراد من المضاف إليه النكرة كاملاً ، ومدلولهما واحد ^(٢) . والمعنى فى الأمثلة السابقة : أى واحد من الرجال فاز ؟ أى اثنين منهم فازا ؟ أى جماعة منهم فازوا . . . وهكذا ^(٣) .

(٢) المعرفة ^(٢) بشرط أن تكون دالة على متعدد ، ولا فرق فى التعدد بين أن يكون حقيقياً ، أو : تقديرياً ، أو : بالعطف بالواو .

١ — فالمتعدد الحقيقى ما يدل بلفظه الصريح المذكور فى الجملة ، على ثنية ،

(١ و ١) المراد : إن كان « المضاف إليه » النكرة واحداً فالمراد منها عموم ذلك الواحد ؛ لا بعضه ، ولا جزء منه . وإن كان « المضاف إليه » مثنى فالمراد منها الاثنان كاملين ؛ لا بعضهما ولا فرد منهما ، وكذلك إن كان جمعاً ؛ فإن المراد منها الجمع كله . . . وسبب ذلك ما عرفناه من إبهام « أى » والذى يزيل إبهامها هو « المضاف إليه » فلا بد أن يتساويا فى المعنى ؛ لكىلا تختلف الدلالة نوعاً ، أو مقداراً بين المفسر والمفسر ، والمبين والمبين .

(٢ و ٢) يترقب على إضافتها للنكرة أو للمعرفة أحكام تختلف فى الحالتين . وسيجىء البيان

أو : جمع ؛ نحو : أى الفريقين أحق بالإعجاب ؟ ... و ... أىكم أحسنُ عملاً ؟ أى الرجال المهذب ؟ .

ب — والمتعدد التقديرى : هو ما يدل بلفظه على مفرد له أجزاء متعددة ^(١) ، بعضها هو المقصود بالاستفهام عنه عند الإضافة ؛ فيكون « المضاف إليه » مفرداً فى ظاهره ؛ ولكنه متعدد فى التقدير ؛ بسبب تلك الأجزاء التى يتكون منها ؛ ويقوم المعنى على أساس ملاحظتها وتقدير وجودها ، برغم أنها غير موجودة فى الكلام ؛ فكأن : « أى » ليست مضافة إلى معرفة مفردة ، وإنما هى مضافة — تقديرًا — إلى معرفة متعددة . وإن شئت فقل : إنها ليست مضافة إلى المعرفة المفردة مباشرة ، وإنما هى مضافة إلى كلمة محذوفة ، هى كلمة : « أجزاء » ، أو ما يشابهها ؛ مثل : أى الشجرة أنفع ؟ أى الوجه أجمل ؟ أى التمثال أدق ؟ تريد : أى أجزاء الشجرة أنفع ؟ أى أجزاء الوجه أجمل ؟ أى أجزاء التمثال أدق ؟ فكلمة : « أى » فى الأمثلة السابقة — ونظائرها — مضافة إلى معرفة مفردة ، لها أجزاء هى الملحوظة عند الإضافة ، وعند السؤال بكلمة : « أى » التى معناها والمراد منها هو معنى المضاف إليه ؛ لما سبق من أنها مبهمة ، والذى يزيل إبهامها هو المضاف إليه ، فلا بد أن يتساويا معنى ؛ إذ لا يصح أن يختلف الموضح والموضح فى المعنى أو فى مقداره .

ولما كان المراد من المضاف إليه — فى الاستفهام — هو جزؤه ^(٢) لأكثله ، وجب أن يكون المراد منها هو ذلك الجزء أيضاً . ولهذا يقال عنها إنها بمعنى : « بعض من كل » ، (يريدون : بعض المضاف إليه ...) ويجيبون عنها بالأجزاء أيضاً ؛ فيجيب عما سبق بأنه : (جذعها ، أو : ثمرها ...) — أو : (العين ، أو : الأنف ...) — أو : (الرأس ، أو : الظهر ...) فكأن المضاف إليه متعدد ، أو أن « أى » مضافة ، والمضاف إليه كلمة محذوفة ملحوظة فى النية ، تدل على متعدد ، والتقدير : أى أجزاء كذا . والأمران سيان .

(١) قد يدل المتعدد التقديرى على أنه مفرد له أنواع متعددة ، لأجزاء متعددة ؛ فتكون الأنواع هى المقصودة عند الإضافة ، ويجرى عليها حكم الأجزاء ؛ نحو : أى الدينار دينارك ؟ أى الكسب أطيب ؟ (٢) أو نوعه ، طبقاً للمبين هنا ، وفى هامش الصفحة الآتية .

ح - والتعدد بالعطف يتحقق هنا بأن يُعطف على المعرفة المفردة معرفة مفردة أخرى بحرف العطف « الواو » دون غيره من حروف العطف - فينشأ من العطف التعدد المطلوب (أى : الذى يجعل المضاف إليه فى حكم المتعدد) ، مثل : أىّ زراعة الفاكهة وزراعة القطن أربح ؟ تريد : أيُّهُما . ؟ بمعنى : أىّ واحدة من زراعة الفاكهة والقطن أربح ؟ ومثل قول الشاعر :

أَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ ؛ أَيُّ وَأَيُّكُمْ
غَدَاةَ التَّقْسِيَنَاتِ - كَانَ خَيْرًا وَأَكْرَمًا ؟
فإنه يريد : أيُّنا ^(١)

و « أى » فى جميع هذه الصور التى تضاف فيها لمعرفة ، هى اسم استفهام ، يُسأل به عن المضاف إليه المراد منه بعضه - كما تقدم - ، ومعناها فى الوقت نفسه ينصبّ على بعضه هذا ، أى : جزئه ، لا على كله ؛ فليس يراد منها معناه كاملاً .

* * *

(١) ليس من اللازم فى حالة التعدد بالعطف . تكرار : « أى » بإعادتها بعد الواو ؛ فيصح تكرارها وعدمه فى مثل : أى زراعة الفاكهة والقطن أربح ؟ أو : أى زراعة الفاكهة وأى زراعة القطن أربح . وإنما يجب تكرار « أى » وإعادتها بعد الواو إذا كان المعطوف عليه الأول ضميراً للمتكلم نحو :

فَلْيَنْ لَقِيَتِكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنَّ أَيُّ وَأَيْكَ فَارِسُ الْأَحْرَابِ ؟

وقال بعض المحققين : لا داعى للتقييد بهذا الشرط ، ورأيه حسن .

زيادة وتفصيل :

« أى الاستفهامية » لفظها مفرد مذكر دائماً ، أما معناها فيختلف بحسب ما تضاف إليه ^(١) .

١ - فإن أضيفت إلى مُنْكَر كانت بمعنى المضاف إليه كاملاً ، ولذا تعتبر بمعنى : « كُلٌّ » - كما سبق ^(٢) - وفي هذه الحالة يجوز في خبر : « أى » وفي الضمير العائد إليها ، وفي كل ما يحتاج للمطابقة معها : إما مراعاة لفظها في الإفراد والتذكير في كل الحالات ، وإما مراعاة معناها الذى يوافق المضاف إليه في إفراده ، وتثنيته ، وجمعه ، وتذكيره ، وتأنيته ، وهذا هو الأكثر والأفصح ؛ نحو : أى زميل أقبل ؟ أى زميلين أقبل ، أو : أقبلا ؟ - أى زملاء أقبل ، أو : أقبلوا ؟ - أى زميلة أقبل أو أقبلت ؟ . . . - أى زميلتين أقبل ، أو أقبلتا . . . ؟ أى زميلات أقبل ، أو : أقبلن ، أو : . . . وهكذا . . .

ب - وإن أضيفت إلى مُعْرِف كان المراد منها بعضه ، ولذا تعتبر بمنزلة كلمة : « بعض » ، أو تعتبر كأنها مضافة لكلمة محذوفة ، تقديرها : « أجزاء » ، مثلاً . كما شرحنا ^(٣) ، فيجب - فى الأفصح الأغلب - مراعاة لفظ : « أى » فى إفراده وتذكيره عند الإخبار عنها ، وعود الضمير إليها ، وكل ما يحتاج للمطابقة . ولا عبرة بتثنية المضاف إليه أو جمعه أو تأنيته ^(٣) .

* * *

(١) ومثلها الشرطية . - كما سيحىء عند الكلام عليها فى ص ١٠٩ .

(٢ و ٣) فى ص ١٠٥ - حيث بيان المراد من كلمة : « كُلٌّ »

(٣) المناسبة أخرى ذكرنا ما سبق فى ج ١ ص ٢٦٣ م ٢٦ باب الموصول .

ب - أى الشرطية : اسم شرط جازم ، معرب ، يجزم فعل الشرط والجواب معاً ؛ كقولهم : (أى صاحب يصحبك لغاية يرجوها ، يهجرُك بعد إدراكها) . وهو يفيد تعليق الجواب على الشرط ؛ فإذا وقع الشرط وتحقق ، وقع الجواب - غالباً - وتحقق تبعاً لذلك ؛ وإلا فلا يقع ^(١)

وهذا الاسم فى دلالة عام مبهم ؛ فهو صالح لأن يراد منه كل أمر من الأمور الحسية والمعنوية . ولكن هذا التعميم والإبهام يزول بالمضاف إليه ؛ فإنه يحدد المراد ويعينه ؛ (كالشأن فى جميع أنواع « أى » المضافة) .

ومن الواجب إضافة « أى » لفظاً ومعنى معاً ، كالمثال السابق ، أو معنى فقط ؛ نحو : (أى . . . يصحبك لغاية يهجرُك بعد إدراكها) .

(١) ويجوز إضافتها لنكرة مطلقاً (دالة على أفراد ، أو : على ثنية ، أو : جمع) ؛ نحو : أى ضعيف يستعين بى أعاونهُ - أى ضعيفين يستعينا بى أعاونهُما - أى ضعاف يستعينا بى أعاونهُم - أى ضعيفة تستعين بى أعاونهُا - أى ضعيفتين تستعينا بى أعاونهُما - أى ضعيفات يستعين بى أعاونهُن و

وإذا أضيفت « أى » إلى النكرة كان معناها ، ومدلولها المراد هو : المضاف إليه جميعه ، وهو النكرة كاملة ، ولهذا تكون « أى » بمنزلة كلمة : « كُلّ » ، مثل قول الشاعر :

أى حين تُلِمَّ بى تُلِقَ ما شئت من الخير ؛ فاتخذنى خليلاً

(٢) وكذلك يجوز إضافتها إلى معرفة بشرط أن تكون هذه المعرفة دالة على متعدد حقيقى ، أو : « تقديرى » ، أو « بالعطف بالواو » ، (والمراد به : عطف معرفة مفردة ^(٢) على الأولى بالواو خاصة . . .) ، وقد شرحنا أنواع التعدد الثلاثة ، ومعنى كل ^(٣) . فن أمثلة المتعدد الحقيقى : أى الرجال يكثُرُ مزحه تَضِعُ هيبته . ومن أمثلة التعدد التقديرى : أى الوجه يعجبُك يعجبُننى ؛ بمعنى :

(١) كما سيجىء للبيان فى الباب الخاص : (عوامل الجزم : ج ٤) .

(٢) وهى التى لا تدل على متعدد .

(٣) فى رقم ٢ من ص ١٠٥ .

أى أجزاء الوجه . ومن أمثلة العطف — ولا يكون ، إلا بالواو خاصة — ، أبى وأبك يتكلم يحسن اختيار كلامه ؛ بمعنى : أينما . . . ، ونحو : أى الزراعة وأى الصناعة يخلص له صاحبه يدرك أبعد الغايات ، بمعنى : أيهما . . .

وإذا أضيفت إلى معرفة كان معناها والمراد منها هو بعض المضاف إليه لا كله ، ولذا تكون « أى » ، بمعنى : بعض .

« فأى » الشرطية كالاستفهامية فى وجوب الإضافة لفظاً ومعنى معاً ، أو معنى فقط ، وفى إضافتها إلى النكرة مطلقاً وإلى المعرفة بشرط التعدد ، وفى أنها فى الحالة الأولى تكون بمعنى : « كل » ، وفى الثانية بمعنى : « بعض » .

والشرطية — كالاستفهامية — لفظها مفرد مذكر دائماً . ومعناها يختلف بحسب ما تضاف إليه ؛ فإن أضيفت لنكرة جاز فى خبرها ، وفى الضمير العائد إليها ، وفى كل ما يحتاج إلى المطابقة معها — مراعاة لفظها ، أو : مراعاة المضاف إليه (وهو الأحسن) على الوجه الذى وفيناه من قبل فى « أى الاستفهامية » ^(١) وإن أضيفت لمعرفة وجب (فى رأى الأحسن) مراعاة لفظها دون المضاف إليه .

هذا ، ومراعاة اللفظ أو المعنى . مقصور على الاستفهامية والشرطية . كما أسلفنا .

* * *

ح — « أى » الموصولة : اسم مبهم ، بمعنى : « الذى » : نحو : أصحاب من الإخوان أيهم هو أكرمُ خلقاً ؛ بمعنى : الذى هو أكرم خلقاً فيهم ، وهى معربة فى كل حالاتها ، إلا فى حالة واحدة ^(٢) . ولا بد من إضافتها لفظاً ومعنى معاً — كالمثال السابق — أو معنى فقط ؛ نحو : أحمد من الرجال أيأ هو أشدُ عزماً . وأصدقُ قبلاً . والأصل : أيهم هو أشد . . . ويزيل لبهامها المضاف إليه والصلة معاً ، وأحدهما لا يكتفى . ولا تضاف إلى النكرة — فى

(١) فى ص ١٠٨ .

(٢) هى التى تكون فيها مضافة وصدر صلتها ضمير محذوف — وتفصيل للكلام على إعرابها وبنائها مدون فى ج ١ باب الموصول م ٢٦ .

الرأى المعمول عليه ^(١) - وإنما تضاف إلى المعرفة ، بشرط أن تدل المعرفة على متعدد حقيقي ، أو تقديرى ، أو بالعطف بالواو - على الوجه المشروح فيما سلف ^(٢) - ؛ فمثال التعدد الحقيقى ؛ يعجبني أيكم هو حريص على رفعة وطنه - ومثال التعدد التقديرى : أصلح أى التمثال هو معيب ، بمعنى : أى أجزاء التمثال . . . ومثال التعدد بالعطف بالواو : اقتن أى القاسم وأى الثوب هو أبداع . ولا بد فى المطابقة من مراعاة لفظها .

* * *

د - « أى » التى تقع نعتاً للنكرة : اسم معرب ، مبهم ، يزيل « المضاف إليه » إبهامه . والغرض منها : الدلالة على بلوغ المنعوت الغاية الكبرى ؛ مدحاً أو ذمماً ؛ نحو : أعجبت برجلين من أعظم رجالات التاريخ ؛ هما العادلان : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وأولهما صحابى جليل أى صحابى ، والآخر خليفة أموى أى خليفة ، وكقول الشاعر :

دعوتُ امرأً أى امرئ فأجانبى وكنت وإياه ملاً ذاً وموئلاً

ونحو قولهم : أودى الظلم بكثير من الدول ، وقضى على أهلها ما انغمسوا فيه من ترف ، وما انتشر بينهم من فساد . فلقد كان ظلماً أى ظلم ، وترفاً أى ترف ، وفساداً أى فساد .

وتختص « أى » النعتية بأحكام ثلاثة مجتمعة هى : وجوب إضافتها لفظاً ومعنى معاً ، وأن يكون المضاف إليه نكرة - فى الأغاب - ؛ مفردة أو غير مفردة ، وأن تكون هذه النكرة مماثلة للمنعوت فى التنكير ^(٣) ، وفى اللفظ والمعنى

(١) لأن معنى « أى » هو معنى « الذى » المراد منها واحد معين ؛ فلا بد أن يكون المضاف إليه واحداً معيناً : (معرفة) ذلك أن « أى » مبهم ، يزيل لإبهامها المضاف إليه مع صلتها ، كما عرفنا . . . فهو مع الصلة المفسر والموضح لها . ولما كان معناها معنى « الذى » المعرفة وجب أن يكون المضاف إليه معرفة أيضاً ؛ لكيلا تختلف الدلالة بين المفسر والمفسر ، وهذا لا يجوز . ويجب عند المطابقة مراعاة لفظها فقط .

(٢) فى رقم ٢ من ص ١٠٥ .

(٣) هذا يقتضى أن يكون المنعوت نكرة كذلك . وسيأتى فى « الزيادة » ص ١١٥ وما بعدها رأى آخر هام ، حاسم ؛ لا يشترط التنكير فيه ، ولا فى المضاف إليه - ولهذا رأى إشارة فى باب النعت ، ص ٤٥٢ - ثم انظر « ب » ص ١١٥ .

معاً ، أو فى المعنى فقط ، نحو : استمعت إلى شاعرة أى شاعرة ، وإلى فتاة أى شابة . ونحو : مررت بشاب أى فتى ، وطبيب أى نيطاسى . ولا يجوز استمعت إلى شاعرة أى مهندسة ، ولا إلى فتاة أى عانة ، ولا إلى رجل أى طبيب

* * *

.....

زيادة وتفصيل :

١ - سبق القول ^(١) أن كلمة : « أئى » هذه ، إن أضيفت إلى نكرة ، وكانت النكرة اسماً مشتقاً - كان المقصود من المدح أو الذم أمراً واحداً ، هو المعنى المجرد المفهوم من الاسم المشتق . (أى الأمر المعنوى الذى يدل عليه هذا المشتق ، بغير نظر إلى ذات أو غيرها) ، فإذا قلنا : رأينا فارساً أئى فارس . . . فالمقصود هو المدح بالفروسية وحدها ، المفهومة من المشتق : « فارس » . وإذا قلنا : احترسنا من خائن أئى خائن ، فالمعنى المراد من الذم هو مجرد الوصف بالخيانة المفهومة من المشتق : خائن .

أما إذا أضيفت « أئى » إلى نكرة غير مشتقة فإن المدح أو الذم يشمل جميع الأوصاف التى يصح أن توصف بها هذه النكرة ؛ فمن يقول لآخر : « إنى مسرور بك ؛ فقد رأيتك رجلاً أئى رجل . . . » فكأنما يقول : رأيتك رجلاً جمع كل الصفات الطيبة التى يمدح بها الرجل . ومن يقول عن امرأة بغیضة : « إنها امرأة أئى امرأة . . . » فإنما يقصد أنها جمعت كل الصفات الرديئة التى تدم بها المرأة .
 والأغلب فى هذه النكرة (التى هى الموصوف ^(٢)) أن تكون مذكورة فى الكلام ، ومن الشاذ الذى لا يقاس عليه - فى رأى كثير من النحاة - ورود السماع بها محذوفة فى قول الشاعر :

إذا حارب الحجاج أئى منافق علاه بسيف كلما هُزَّ يقطع

ويقول السيوطى : « إن هذا فى غاية الندور » ^(٣) فلا يصح - عندهم -

(١) فى ج ١ باب الموصول ، م ٢٦ ص ٣٣٠ .

(٢) والتى ليست مصدراً ؛ لأن المصدر قد يحذف ، وتنبو عنه صفته .

(٣) عبارة السيوطى فى شرحه الجمع (ج ١ ص ٩٣ - باب : الموصول عند الكلام على

النكرة الموصوفة « بأى ») هى :

(الغالب ذكر هذه النكرة ، وقد تحذف ؛ كقوله : « إذا حارب الحجاج أئى منافق . . . »
 أئى : منافقاً أى منافق ، وهذا فى غاية الندور) ١ هـ . مع أنه قال فى المتن قبل ذلك مباشرة فى حذف هذه النكرة الموصوفة بكلمة : « أئى » النعتية التى نحن بصدها ما نصه : (حذفها نادر ، وقيل : سائغ) ١ هـ . ثم انظر ص ١١٥ وهامشها حيث رأى الحاسم .

محاكاته . ثم يزيدون التعليل بما نصه ^(١) : (فارقت «أى» سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها وإقامتها مقامه ؛ لا تقول : مررت بأى رجل ؛ لأن المقصود بالوصف بأى هو المبالغة وتقوية المدح أو الذم . والحذف يناقض هذا) اهـ .

فن الحتم عندهم إضافتها لفظاً ومعنى ، وأن يكون الموصوف بها مذكوراً . لكننا رأينا موصوفها محذوفاً سماعاً في البيت السالف ، ورأيناه محذوفاً كذلك في كلام لعل بن أبى طالب ، نصه ^(٢) . —

(« اصحب الناس بأى خلق شئت يصحبوك بمثله . ») اهـ . يريد : بخلق أى خلق . وهى لا تصلح هنا أن تكون موصولة . لأن الموصولة لا تضاف عند الجمهور إلى نكرة . كما لا تصلح نوعاً آخر . فورد موصوفها محذوفاً في الشعر وفي نثر الإمام على أفصح البلغاء ، يبيح استعمالها مع حذفه ولو كان هذا الاستعمال قليلاً بالنسبة للرأى الآخر . وفوق هذا كله نجد الضوابط النحوية العامة لا تمنع حذفه ؛ فن الجائز — طبقاً لتلك الضوابط — اعتبار «أى» في مثل الأساليب السالفة صفة لموصوف محذوف ، ولا ضعف في هذا مطلقاً ، ولا شيء يمنع من الأخذ به ؛ قياساً على ما جاء في «أى» من قوله تعالى في سورة الانفطار : (يأبى الإنسان ما غرَّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّك فعدّ لك فى أى صورة ما شاء ركبك . . .) ، فقد قال المنسرون في إعرابها أقوالاً مختلفة ، ومنها ما جاء في تفسير الألوسى لتلك الآية ، ونصّه :

(« فى أى صورة ما شاء ركبك » — أى : ركبك ، ووضعك فى أى صورة اقتضتها مشيئته تعالى وحكمته جلّ وعلا من الصور المختلفة ؛ فى الطول ، والقصر ، ومراتب الحسن ، ونحوها . فالجار والجرور متعلق : « برّكيبك » . و «أى» للصفة ، مثلها فى قوله :

أرأيت أى سوائفٍ ونجادٍ برزت لنا بين اليتوى وزرودٍ

ولما أريد التعميم لم يذكروا موصوفها . وجملة : « ما شاء » صفة لها ، والعائد

(١) كما جاء فى : « الدرر اللوامع » ، ج ١ ص ٧١ .

(٢) نقلنا عن ص ٧٨ من كتاب : « مجمع الحمام فى حكم الإمام » لإخراج وتحقيق على

الجندي ، وزميليه .

.....
.....

محذوف . . . و « ما » مزيدة . . . و جاز . . . و جاز . . .
وقيل : « أي » موصولة صلتها : « ما شاء » كأنه قيل : « ركبك في الصورة
التي شاءها ». وفيه : أنه صرح أبو علي في التذكرة بأن « أيًا » الموصولة لا تضاف
إلى نكرة ، وقال ابن مالك في باب الإضافة ، من الألفية :

.....
واخصُصْنَ بالمعرفة موصولة . وبالعكس الصفه
ثم . . . ثم . . . إلى أن قال الألوسي :

« ويجوز أن يكون الجار متعلقًا « بعدلك » وحينئذ يتعين في « أي » الصفه ؛
كأنه قيل : فعذلك في صورة أي صورة ، أي : في صورة عجيبة ، ثم
حذف الموصوف ؛ زيادة للتفخيم . و « أي » هذه منقولة من الاستفهامية ،
لكنها لانسلاخ معناها عنها بالكلية عمل فيها ما قبلها . ويكون « ما شاء ركبك »
كلامًا مستأنفًا ، و « ما » موصولة ، أو موصوفة ، مبتدأ ، أو مفعولا مطلقًا
« لركبك » . أي : ما شاء من التركيب ركبك فيه ، أو : تركيبًا شاء ركبك » اهـ .
كلام الألوسي .

وحسبنا أن ينطبق على كلامنا ما ينطبق على القرآن الكريم أفصح كلام
عربي ، وأن نجد بين النحاة من يقول إن حذف الموصوف « بأي الوصفية »
سائغ^(١) . . .

ب — اشترطت كثرة النحاة في « أي » النعتية تنكير المضاف إليه والمنعوت .
ولكن آخرين لم يشترطوه فيهما ؛ كما في بعض المطولات ، ومنها : « شرح

(١) انظر رقم (٣) من هامش ص ١١٣ . وقد أخذ بهذا الرأي مؤتمر « مجمع اللغة العربية »
في دورته الخامسة والثلاثين بالقاهرة (في شهر فبراير سنة ١٩٦٩) . وفيما يلي النص الحرفي لرايه
منقولاً من مجلته (العدد الخامس والعشرين الصادر في فبراير سنة ١٩٦٩ ص ١٩٦) :
(شاع بين الكتاب مثل قوطم : « اشتر أي كتاب » باستعمال « أي » مضافة إلى اسم نكرة .
ومثل قوطم : « اشتر أي الكتب » بإضافتها إلى معرفة . ومثل قوطم : « لا تبال أي تهديد » بإضافتها
إلى مصدر . والمقصود في كل هذه الاستعمالات هو : الإبهام ، والتعميم ، والإطلاق . ولا بأس
بتجاوز ذلك كله : استناداً إلى أن « أي » تحمل في مختلف دلالاتها — ومنها الوصفية — معنى
« الإبهام » ، وأن حذف موصوفها مما قيل بجوازه . ويجوز أن تضاف إلى معرفة ، وحينئذ يكون
موصوفها معرفة ، ذكر أو حذف ، وأنها تدل على التبعيض في استعمالها نائبة عن المصدر ، ويمكن
أن يقاس عليه أحوالها الأخرى » اهـ .

التصريح « ، فقد جاء في الجزء الثاني منه في : باب — الإضافة عند الكلام على «أى»
 النعتية — ما نصه : (قال المصنف في الحواشي : لا أجد مانعاً أن يقال مررت بالرجل
 أى الرجل ، وبالغلام أى الغلام ، كما جاز أطعمنا شاة كل شاة ، وهم القوم كل
 القوم ، فأضيفت — كل — إلى النكرة والمعرفة) ٥١ .

يريد أن كلمة : « كل » هنا للدلالة على الغاية الكبرى في المنعوت ، وقد
 أضيفت للنكرة والمعرفة ؛ فهي في تأدية المعنى مثل : « أى » ؛ فحق « أى » أن
 تكون مثلها في الإضافة للنكرة والمعرفة ^(١) . وهو رأى حسن فيه تيسير . ولكن
 الأول أحسن وأعلى ؛ لأنه المسابير للمسموع الأفصح . فليست إجازته قائمة
 على مجرد حمله على نوع آخر جائز ، كالذى اعتمد عليه الرأى الآخر ، ولم يؤيده
 بأمثلة مسموعة .

ومن أمثلة وقوعها نعتاً : أن يكون المنعوت مصدراً مبيناً قد حذف ونابت
 عنه صفته ^(٢) نحو : — تعلمت أى تعلم ^(٣) . والأصل : تعلمت : تعلمت أى
 تعلم .

* * *

(١) سبق الكلام — في ص ٧٢ — على إضافة « كل » و « بعض » ، ونوع هذه الإضافة ،
 وما يترتب عليها من صحة دخول « أل » عليهما أو عدم صحتهما . . .

(٢) لأنها من الأشياء التي تصلح للنيابة عنه . وقد سبق في الجزء الثاني ص ١٧٣ م ٧٥ من باب
 المفعول المطلق — سرد تلك الأشياء ، ونجى في ص ٦٨ و ٩٤ إشارة لهذا .

(٣) هذا التعبير صحيح فصيح ، وبيان الكلام عليه وعلى ما يصلح للنيابة عن المصدر المؤكد
 والمبين — مدون في موضعه من الجزء الثاني ص ١٧٢ م ٧٥ .

هـ - «أى» التى تقع حالا : اسم معرب ، مبهم ، يدل على ما تدلّ عليه الحال من بيان هيئة صاحبها المعرفة فى الغالب .

ويزول الإبهام عن «أى» بالمضاف إليه - كباقي أنواع «أى» المضافة - ويشترط فى هذا «المضاف إليه» أن يكون نكرة مذكورة فى الكلام - فلا يجوز فى «أى» الحالية قطعها عن الإضافة - ؛ نحو : لله أبو بكر أى خليفة ، وخالد بن الوليد أى قائد (١) .

وفما يتلى تلخيص ما سبق (٢) من أنواع : «أى» المضافة ، وحكم إضافة كل ، والغرض منه ، وبيان المضاف إليه :

(١) لم أصادف نصاً يعرض للفظ : «أى» الحالية من ناحية تذكيره ، ولا للضمير العائد عليه ، وقد يكون السبب أن للضمير يعود على صاحب الحال ، فلا حاجة لمودته إلى «أى» .

(٢) وقد أشار إليه ابن مالك إشارة بمجملته موجزة ، حيث يقول :

وَلَا تُضِفْ لِمُفْرَدٍ مُعْرِفٍ أَيًّا . وَإِنْ كَرَّرْتَهَا فَأُضِفْ
أَوْ تَنَوَّ الْأَجْزَاءَ ، وَاخْصُصْ بِالْمَعْرِفَةِ مَوْصُولَةً أَيًّا . وَبِالْعَكْسِ الصِّفَةَ

يريد : لا يجوز إضافة «أى» للمفرد المعرفة إلا مع تكرارها ، أو مع نية الأجزاء (بتقدير مضاف إليه محذوف ، يدل على الأجزاء ، أو : مع ملاحظة ما فى المضاف إليه من أجزاء ، إن كان ذا أجزاء) وهو يقصد بالحكم السالف «أى» الاستفهامية ، والشرطية ، والموصولة ، لأن هذه الثلاثة هى التى تضاف لمعرفة . أما «أى» التى تقع وصفاً (ويريد بها : التى تقع حالا ، أو نعمتا) فلا تضاف إلا للنكرة ، - فى الأغلب - «فهى عكس الموصولة كما يقول . وكما يفهم من كلامه أن الثلاثة الأولى تضاف للمعرفة ، وأن الأخيرتين لا يضافان إليها - يفهم كذلك أن الاستفهامية والشرطية يضافان للنكرة أيضاً ، بدليل أنه صرح بعد ذلك بتخصيص الموصولة بالمعرفة ؛ والموصوفة (بنوعها النعتية ، والحالية) بالنكرة . فهذا التخصيص يدل على أن الاثنتين الأوليين غير مخصصتين بمعرفة ولا بنكرة . ويؤيد هذا بيته التالى :

وَلِمَنْ تَكُنْ شَرْطًا أَوْ اسْتِفْهَامًا فَمُطْلَقًا كَمَلَّ بِهَا الْكَلَامَا

يريد : كمل الكلام بها وهما أضيفت إليه مطلقاً ، سواء أكان المضاف إليه نكرة أم معرفة . وقد شرحنا المعرفة التى تقع مضافاً إليه للثلاثة الأولى ، وشرطها .

أما قوله : «موصولة» «أيا» فكلمة «موصولة» حال مقدمة من كلمة «أيا» والأصل . واخصص بالمعرفة «أيا» - موصولة .

نوع « أئ »	حكم إضافتها	الغرض من « أئ »	بيان المضاف إليه
الاستفهامية	واجبة الإضافة لفظاً ومعنى معاً ، أو : معنى فقط ؛ ليزيل المضاف إليه في الحاليتين إبهامهما	السؤال عن المضاف إليه ، مع تضمينها معناه كاملاً أو مجزأ ، على حسب حاله من التأكيد أو التعريف ، — طبقاً للتفصيل الذي عرضناه —	النكرة مطلقاً ، والمعرفة بشرط تعددها . وتكون أئ مع النكرة بمعنى : « كل » ومع المعرفة بمعنى : « بعض » . وللمعنى المراد أثره المختلف في المطابقة كالسابقة .
الشرطية	كالسابقة .	تعليق جوابها على شرطها . مع أدائها معنى المضاف إليه ضمناً	كالسابقة .
الموصولة	كالسابقة . ولكن إبهام الموصولة لا يزول إلا بالمضاف إليه وبالصلة معاً ؛ وأحدهما لا يكفي .	بمعنى « الذي » الدالة على واحد معين .	المعرفة — في الرأي المعتمد — بشرط تعددها . ويجب عند المطابقة مراعاة لفظها .
النعنية	واجبة الإضافة لفظاً ومعنى معاً ؛ ليزيل المضاف إليه في الحاليتين إبهامهما .	وصف منعتها النكرة — وهذا هو الأكثر — بالغاية الكبرى ، مدحاً أو ذمماً .	النكرة ، بشرط مماثلتها المنعوت في لفظه ، ومعناه ، (وتنكيره) في الأكثر — وهناك رأى آخر . .
الحالية	كالنعنية .	بيان هيئة صاحب الحال المعرفة .	النكرة .

«ملاحظة» : من هذا الجدول ومما سبقه من شرح ، يتبين أن : لكلمة « أئ »

المضافة ثلاث حالات — في أشهر اللغات ، وأفصحها — هي الإضافة للنكرة والمعرفة ؛ وذلك في الشرطية والاستفهامية ، والإضافة للمعرفة فقط — تبعاً للرأي الأقوى — ؛ وذلك في الموصولة ، والإضافة للنكرة فقط ؛ وذلك في التي تقع

نعتاً^(١)، أو حالاً^(٢).

* * *

لَسَدُنْ^(٣)، وعِنْدَ^(٤) - ظرفان مبهمان، ملازمان في أكثر حالاتهما للإضافة لفظاً ومعنى معاً.

وفائدتهما : الدلالة على مبدأ الغاية^(٥) الزمانية أو المكانية ؛ نحو :

(١) في الرأي الشائع فيه ، دون رأى آخر.

(٢) فيه لغات كثيرة، فيكون على وزن : عَصْد - جَيْدَر - وَيَيْد - وقالت وقد تحذف نونه ويصير على وزن : هَلْ - أو قل - أو : هَلْ ويحسن - اليوم - الاقتصار على الأكثر شيوعاً ؛ كالأولى ، وما عداها نستعين به على فهم ما ورد منه في النصوص العربية القديمة .

وإذا أضيف بعد حذف نونه وجب إرجاع النون .

(٣) سبقت الإشارة لذين الظرفين بمناسبة أخرى في باب الظروف (ج ٢ ص ٢٣١ م ٨٩) وتركنا هنا بعض ما سجلناه هناك ؛ اكتفاء بما سبق .

(٤) لإيضاح معنى « الغاية الزمانية والمكانية » نسوق بعض الأمثلة التي توضحها ، منبهين إلى أن الغاية لها معان أخرى تختلف باختلاف الموضوعات ، وتذكر في مناسباتها (كما سجلنا هذا في ج ٢ ص ٢٣١ م ٧٩ من الطبعة الأخيرة ، وكما سيجيء في هامش ص ١٤١ حيث أوضحنا معنى « الغاية » هناك بما يناسب الموضوع) .

١ - في مثل : سافرت من لندن بيتنا إلى الضاحية ، تشمل الحملة على الفعل : « سافر » ، والسفر يقتضى الانتقال من مكان إلى آخر . فلا بد لتحقيقه من نقطة مكانية معينة يبتدئ منها السفر ، وأخرى ينتهى إليها . أى : لا بد له من مكان ابتداء ، ومكان انتهاء ، محددين ، مضبوطين كالمدكورين هنا ، وهما : البيت والضاحية ، وبين نقطتي الابتداء والانتهاء مسافة محصورة بينهما ، لا محالة . ويطلق على مجموع الثلاثة اسم اصطلاحى ، هو : « الغاية المكانية » أى : « المسافة المكانية » أو « المقدار المكاني » ، وهى تشمل كما نرى مكاناً محدوداً ، محصوراً ، له بداية ونهاية معينتان ، ومسافة تصل هذه بتلك . وقد دخل لفظ « لندن » على كلمة هى بداية الغاية ؛ قدخوله على هذه الكلمة - وعلى نظائرها - يرشد إلى أنها أول جزء من أجزاء الغاية ، أو أنها نقطة البداية .

ولو قلت : سافرت من لندن الصبح إلى العصر ، لدل الفعل : « سافر » على أن السفر استغرق زمناً محدداً معيناً ، له بداية معروفة ، ونهاية زمنية معروفة كذلك ؛ فله نقطتان - إحداهما للابتداء ، والأخرى للانتهاء - زنيتان مضبوطتان ، وينحصر بينهما مقدار زمنى يصلهما . ويتكون من مجموع الثلاثة (أى : من نقطة البداية ، ونقطة النهاية ، وما بينهما) ما يسمى فى الاصطلاح : « الغاية الزمانية » بمعنى : « المقدار الزمانى » . ودخول لفظ : « لندن » على الكلمة التى بعده يرشد إلى أن هذه الكلمة نفسها هى نقطة البداية ؛ أى : أول جزء من أجزاء الغاية .

لكن قد يخطر على البال السؤال الآتى : إذا كان لفظ « لندن » للدلالة على بداية الغاية فما الداعي =

مشيت من لَدُن الجبل إلى النهر، وقضيت في المشي من لَدُن صَبَاحنا إلى

المحجىء الحرف . « من » قبله ومعناه الابتداء أيضاً ؟ أجاب النحاة عن هذا إجابة غير مقنعة ؛ فقالوا : إن دلالة : « لَدُن » على بداية الغاية ليست مألوفة في الأسماء ؛ فجاء الحرف « من » ليكون بمنزلة الدال على ذلك ، ولهذا يكون في الأعم الأغلب مذكوراً (راجع حاشية ياسين على شرح التصريح في هذا الموضوع) .

والسبب الحق هو استعمال العرب القدامى ، دون تعليل آخر .

(ب) ما سبق يقال في الظرف : « عند » ؛ فلو وُضعناه مكان « لَدُن » في الأمثلة السالفة - وأشباهاها - لم يتغير الأمر ؛ وفي مثل : « قرأت الكتاب من عند المقدمة إلى الخاتمة » ، نجد الفعل : « قرأ » لا يتحقق معناه كاملاً إلا بنقطة مكافئة معينة تبتدىئ منها القراءة ؛ هي المقدمة ، ونقطة أخرى تنتهى إليها ؛ هي الخاتمة ، وبين النقطتين المكافئتين مسافة مكانية تصل بينهما هي المسافة الأخرى المحددة المكتوبة ، ومن اجتماع الثلاثة : (أى من نقطة البداية المكافئة ، ونقطة النهاية المكافئة ، وما بينهما) يتكون ما يسمونه : « الغاية المكافئة » التى يحجىء الظرف « عند » ليدل على أن المضاف إليه هو نقطة البداية فيها .

وإذا قلنا : « قرأت الكتاب من عند العصر إلى المغرب » نشأت الغاية الزمانية التى تتكون من اجتماع تلك الثلاثة ، ويدخل الظرف « عند » على أول جزء منها فيكون وجوده دليلاً على أن ما بعده (وهو المضاف إليه) نقطة البداية الزمانية . . .

ويفهم مما سبق أن « لَدُن » ، و « عند » اسمان يدلان على ما بعدهما . . . فسمى كل منهما : نقطة البداية نفسها ، وليس « الابتداء » الذى هو أمر معنوى . ولهذا كانا اسمين - عند النحاة - دون « من » و « منذ » الحرفين اللذين معناهما الابتداء المعنوى . فإضافة « لَدُن » ، وعند « إنما هى من إضافة الاسم إلى مسماه .

(هذا ، وقد أطلنا الكلام - في ج ١ ص ٦٥٦ - عن سبب تفرقهم بين كلمة : « ابتداء » واعتبارها اسماً ، وكلمة : « من » الجارة المفيدة للابتداء واعتبارها حرفاً) .

كذلك يتضح الفرق بين « الغاية » ومبدأ الغاية ، الذى يدل عليه « لَدُن » أو « عند » ؛ فالغاية تشمل الأجزاء الثلاثة ، أما مبدأ الغاية فهو الجزء الأول منها دون الجزأين الآخرين . وكذلك يتضح المراد من قولهم : (إن : معنى « لَدُن » و « عند » هو الدلالة على مبدأ الغايات الزمانية أو المكافئة) . ويصح وضع أحدهما مكان الآخر ؛ فيقال : جئت من عند الصديق ، أو : من لدن الصديق . وفى القرآن الكريم : « آتيناه رحمةً من عندنا ، وعلمناه من لَدُنَّا عِناً » فلو وضع أحد الظرفين مكان الآخر بلجاز ، ولم يمنع منه مانع إلا كره التكرار اللفظى بغير داع بلاغى .

(ح) إذا دخل « لَدُن » ، أو : « عند » على بداية الغاية فليس من اللازم أن يذكر معها اللفظ الدال على النهاية ، إذ يمكن أن يشتمل الكلام على البداية وحدها ما دام المقام يكتفى به .

(د) ليس الأمر في كل ما سبق مقصوراً على الأفعال التى تعمل في الظرف وتحتاج في تحقيق معناها إلى غاية زمانية أو مكانية ، وإنما الأمر يشمل كل عامل آخر لا يتحقق معناه كاملاً إلا بملاحظة الغاية ، يتساوى في هذا أن يكون العامل فعلاً ، أو شبه فعل ، أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو غير ذلك مما يعمل . . .

الصَّحَا . ويصح في المثالين وضع الظرف : « عند » مكان « لَدُنْ » . ولكن استعمال « عند » في بدء الغاية الزمنية قليل ، وهو - مع قلته - قياسي ؛ كالحديث الشريف : الصبر عند الصدمة الأولى . وقولنا : السفر عند الساعة الثامنة .

و « لَدُنْ » ، و « عند » يختلفان - بعد هذا - في أمور ، أشهرها ستة : الأول : أن « لدن » ظرف يكاد يلزم الدلالة على بدء الغايات . وقد يستعمل أحياناً للدلالة على مجرد الحضور . أما « عند » فيستعمل كثيراً في الدلالة على بدء الغايات ، وفي الدلالة على الحضور المجرد ، مثل : جلست عندك . فإنَّ تحقق معنى الجلوس لا يقتضى ابتداء مكانياً معيناً ، أى : لا يستلزم تعيين نقطة البدء المكاني ؛ إذ لو كان له ابتداء مكاني لوجب أن يكون له انتهاء مكاني أيضاً ؛ لعدم وجود ابتداء بغير انتهاء . فأين مكان انتهاء الجلوس في المثال السابق وأشباهه ؟ لا وجود له . وعلى هذا لا ابتداء له أيضاً . فن القليل أن يقال : جلست من لدنك . وتشدّد بعض النحاة فتحه ، وليس بممنوع ؛ ولكنه قليل جائز .

الثاني : أن « لَدُنْ » مبنى على السكون في أكثر لغات العرب . أما « عند » فعرب عندهم .

الثالث : أن « لدن » قد يتجرّد للظرفية المباشرة^(١) ، ولكن الأغلب أن يخرج منها إلى « شبه الظرفية » ؛ بالجر « بمن » (فيكون ، مبنياً على السكون في محل جر « بمن »)^(٢) . أمّا « عند » فينصب كثيراً على الظرفية المباشرة ، أو يجر « بمن » . والغالب أنه لا يدل على بدء الغايات إلا إذا كان مسبوقاً بهذا الحرف الجار ، فإن لم يكن مسبوقاً به كان - في الغالب - للدلالة على مجرد الحضور ، لا لبدء الغاية . وجره « بمن » على كثرته قليل بالنسبة لجر « لَدُنْ » به .

الرابع : أن « لدن » يضاف^(٣) للمفرد - كالأمثلة السالفة - ويضاف

(١) فيكون مبنياً على السكون في محل نصب .

(٢) ومن الأمثلة لهذا قوله تعالى : (إن الله لا يظلم شيئاً ذرّةً ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) .

(٣) وهو مضاف مع بنائه .

للجملة بنوعها أيضاً . وإذا أضيف للجملة كان مقصوداً على بداية الغاية الزمانية دون المكانية ؛ إذ الأرجح أن الظروف المكانية لا يضاف منها شيء للجملة إلا : « حيث » — كما سبق ^(١) . فن أمثلة إضافته للجملة الفعلية قول الشاعر :

صريعُ غَوَّانٍ راقِصُهُنَّ ورُقْنَهْ لَدُنْ ^(٢) شَبَّ ، حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَوَائِبِ
ومثال الاسمية : وَتَدَّ كُرُّ نَعْمَاهُ لَدُنْ أَنْتَ يَنَافِعُ . . .

وعلى هذا يكون المضاف إليه بعد « لَدُنْ » مجروراً لفظاً إن كان اسماً معرباً ، ومجروراً محلاً إن كان اسماً مبنياً أو جملة .

أما « عند » فلا يضاف للجملة ، فالمضاف إليه بعده مجرور لفظاً إن كان اسماً معرباً ، ومحلاً إن كان مبنياً .

الخامس : أن « لدن » قد يستعمل مفرداً ^(٣) مع ظرفيته ؛ بشرط أن يقع بعده كلمة ؛ « غُدْوَة » — من غير فاصل بينهما — منصوبة ، أو مرفوعة نحو : مكثت هنا لدن غدوة حتى الغروب . فالنصب على اعتبارها خبراً لكان المحذوفة مع اسمها ، والتقدير : لدن كان الوقتُ غدوةً . . . والرفع على أنها فاعل لكان التامة المحذوفة التي معناها : ظهرَ « ووجد » ؛ والتقدير : لَدُنْ كانت غُدْوَةٌ ، أى : ظهرت غدوةٌ ووجدت . وعلى هذين الإعرابين يكون الظرف « لَدُنْ » مضافاً للجملة تقديراً . وليس مفرداً . أما على إعراب : « غُدْوَةٌ » المنصوبة تمييزاً ، سماعياً ، صاحبُه « لَدُنْ » المفرد ، أو منصوبة على « التشبيه بالمفعول به » ^(٤) فلا يكون « لَدُنْ » مضافاً على الصحيح . والأخذ

(١) في رقم ٤ من هامش ص ٧٨ .

(٢) الظرف « لدن » تنازعه ثلاثة عوامل : هى : صريع - الفعل : « راق » الأول - الفعل : راق ، الثانى .

(٣) أى : غير مضاف لفظاً ولا معنى .

(٤) يقولون فى هذا الإعراب كلاماً يجدر بنا إهماله ، وعدم التعميل عليه ، هو : أن « لدن » فى آخرها نون ساكنة ، قبلها دال تفتح ، أو تضم ، أو تكسر ، وقد تحذف نونها ؛ فحرف الدال فى ضبطه المتعدد شابه الحركات الإعرابية فى التبدل . وكذلك شابهت النون التنوين ؛ من جهة جواز حذفها ؛ فصارت : « لدن غدوة » فى اللفظ مثل : راقود خلا ؛ فنصب « غدوة » على التمييز للمفرد ؛ « لدن » مثل نصب كلمة : « خلا » براقود . أما نصبه على التشبيه بالمفعول به فلائنه عندهم مثل : أنا =

بالإعرابين الأولَينِ ، أفضل ، لبعدهما عن التكلف ، والتعقيد ، والضعف .
ويصح في كلمة : « غُدْوَة » الجر على اعتبار « لدن » مضافاً أيضاً و « غُدْوَة »
هى المضاف إليه المجرور .

أما « عند » فلا ينقطع عن الإضافة إلا إذا ترك الظرفية وصار اسماً محضاً ؛
كأن يقول شخص : « عندى مال » . فيقول له آخر : « وهل لك عند » ؟ فكلمة
« عند » هنا مبتدأ مرفوع . ومثل : « الكتابُ عندى » . فيقال : « هل يصونه
عندك » ؟ فكلمة : « عند » فاعل مرفوع . وهى فى المثالين — وأشباههما —
اسم خالص الاسمية ، لا علاقة له بالظرفية .

السادس : أن « لدن » لا يكون إلا فضلة ؛ لأنه ظرف غير متصرف (فهو
مقصود على النَّصب على الظرفية ، أو الخروج منها إلى الجر بمن) بخلاف
« عند » فإنه قد يكون عمدة فى مثل : « السفر من عند البيت » . فالجار والمجرور
هما — أو متعلقهما — الخبر . ولما كان الخبر عمدة ، وكلمة : « عند » جزء منه
وقد اشتركت فى تكوينه ، صارت مشتركة — تبعاً لذلك — فى وصفه بأنه عمدة .
ولا يصح أن يقال : « السفر من لدن البيت » ، لأن هذا يخرج « لدن » من نوع
الفضلة إلى العمدة ^(١) .

* * *

— مكرم عليها . فإن « فون لدن » تثبت تارة وتحذف أخرى ، كنون التنوين فى اسم الفاعل فعلت عمله . . .
و . . . (راجع المطولات ومنها شرح التصريح فى هذا الباب والموضع .) وهو كلام جدلى محض ، بعيد عن
الواقع الحق . وقد ذكرناه ليطلع عليه المتخصصون ، ثم يملؤوا إن شاءوا . لأن السبب الحق هو كلام الدرب .
(١) وفى « لدن » يقول ابن مالك :

وَأَلْزَمُوا إِضَافَةَ «لَدُنْ» فَجَرَّ وَنَصَبُ «غُدْوَة» بِهَا عَنْهُمْ نَدَرُ
يريد : أن العرب ألزموا اللفظ « لدن » الإضافة ، فجر المضاف إليه . (يشير بهذا إلى أن عامل
الجر فى الإضافة هو المضاف نفسه) ثم استدركه فقال : إنه قد يتجرد من الإضافة وينصب فى النادر كلمة
مهيئة ، هى : « غُدْوَة » دون غيرها .

زيادة وتفصيل :

يقول بعض النحاة : لو عطف على : « غُدُوَّةٌ » المنصوبة - (نحو :
أختار السباحة لدنْ غُدُوَّةٍ وعُشِيَّةٍ) - أو جاء لها تابع آخر ، جاز نصب التابع
مطلقاً^(١) ، مراعاة للفظ المتبوع الآن ؛ وجاز جره مراعاة لأصل المتبوع ؛ إذ الأصل
في كلمة : « غُدُوَّةٌ » أن تكون « مضافاً » إليه مجروراً . فلا مانع عندهم من
جرّ التابع على « تَوَهَّم » أن المتبوع مجرور ، ولم يوافق على هذا الرأي آخرون
بحجة جدلية .

والحق أن الالتجاء إلى الإعراب « التوهمي » كالالتجاء إلى الإعراب
« للمجاورة » كلاهما التجاء إلى ما لا يصح الاستناد إليه . (وقد كررنا هذا في
مواضع مختلفة ، ومنها رقم ٦ من هامش ص ٧ السابقة^(٢) ، وص ٦٠٩ ج ١
م ٤٩) وبخاصة إذا عرفنا أن أصحابه لا يؤيدونه بالأمثلة الواردة التي تكفي
للإقناع بقياسيته .

* * *

(١) معطوفاً أو نوعاً آخر من التوابع .

(٢) وفيها بيان مناسب عنه ، ورأى بعض الأقدمين فيه .

مع^(١) - لهذه الكلمة أحوال ثلاثة ؛ تضاف في اثنتين ، وتفرد في واحدة ، الأولى : الظرفية ؛ بأن تكون ظرف مكان يدل على اجتماع اثنين واصطحابهما ، أو ظرف زمان يدل على ذلك ، أو ظرفاً محتملاً للأمرين ، عند عدم القرينة التي تُعَيِّنُهُ لأحدهما^(٢) فقط . فنال دلالة على المكان وحده قولهم ؟ (التواضع مع التَّكَلُّفِ زهر مُصْطَنَعٌ ؛ لا في العيون نَضِيرٌ ، ولا في الأنوف عَطِيرٌ) وقولهم : (لا راحة لراضٍ مع ساخط ، ولا لكريم مع دنيء) . ومثال دلالة على الزمان وحده : يغادر الطير عشه مع الصباح الباكر ، ويعود إليه مع إقبال الليل^(٣) . . .

وليس من من اللازم عند استعماله في الزمان أن يكون الاجتماع والتلاقى متصلين فعلاً ؛ وإنما يكفي أن يكونا متقاربين غاية التقارب ، حتى كأنهما متصلان من

(١) سبقت لها إشارة موجزة لمناسبة أخرى في باب : « الظرف » ج ٢ م ٧٩ ص ٢٧٨ .

(٢ و ٣) لبيان ما سبق نقول : إن كل اجتماع والتقاء بين اثنين لا بد أن يكون في زمان واحد ، ومكان واحد ؛ ومحال أن يتم الاجتماع والتلاقى بغير الأمرين مقترنين حتماً . ففي مثل : قدم الزميل مع زميله في الغرفة - لا يمكن أن يتحقق قعودهما مجتمعين إلا في زمان واحد يطويهما ، ومكان واحد يحويهما . ومن المستحيل أن يوجد الزمان بغير المكان ، أو العكس .

فإذا أردنا أن ندل على وقوع اصطحاب واجتماع بين اثنين في أمر - كالجُلوس ، مثلاً - كان أمامنا أساليب متعددة لأداء هذا المعنى . ولكن أبلفها وأدقها هو اختيار اللفظة الواحدة المختصة بتأدية هذه الدلالة ؛ وهي لفظة : « مع » فنقول : جلس الأخ مع أخيه في بيتهما ؛ بدلاً من أن نقول : ظهر الأخ وأخوه في مكان واحد هو البيت ، جلسا فيه في وقت واحد . . . أو : نحو هذا ، من الأساليب التي قد يصيبها التفكك والضعف ؛ بسبب إهمال الكلمات الخاصة التي هي نص في معان معينة . ونقول : أكل الصديق مع صديقه ، بدلاً من أكل الصديقان في مكان واحد ، وزمان واحد . . . أو : مصطحبين زماناً ومكاناً في أثنائه . فالاجتماع - كما أسلفنا - لا بد أن يشمل الأمرين ؛ الزمان والمكان حتماً . غير أن المقام يقتضى - أحياناً - الاهتمام بأحدهما وتوجيه المعنى إليه دون الآخر ؛ لوجود قرينة لفظية أو غير لفظية توجب الاختصار على واحد ، كما في المثالين السالفين ؛ فالفعل في كل منهما قرينة تدل في السياق الخاص على أن المقصد متجه للمكان ، مقصور عليه وحده ، من غير اعتبار الزمان الملازم للمكان . أما في مثل استيقظت من النوم مع الفجر ، وقصدت لعمل مع الشروق - فإن القرينة اللفظية في السياق تدل على أن الغرض المقصود هو الزمان وحده ؛ إذ لا أهمية للسكان هنا كعدم أهمية الزمان هناك ، فالقارئ اللفظي أو غير اللفظية هي وحدها - كشأنها دائماً - التي تتحكم في تخصيص كلمة : « مع » بالمكان أو الزمان . وهذا هو المراد من قولهم : « إنها ظرف زمان أو مكان » . ولكنه قول مختصر يراد منه ما شرحناه . فإن لم توجد تلك القرينة كانت « مع » محتملة للأمرين ، صالحة لكل منهما من غير ترجيح .

شدة التقارب الزمني ، مع أنهما غير متقاربين في الواقع ؛ كقولهم في وصف حركات الحصان السريع : (لإنها كثرَ مع فترَ ، وإقبال مع إدبار^(١) . . .) فاجتماع الكر والفر في زمان واحد محال ، وكذلك اجتماع الإقبال والإدبار ؛ فالمراد من الاجتماع الزمني في مثل هذا هو : شدة التقارب . وكقولهم للحزين الضائق : « لا تحزن ؛ فإن مع العسر يسراً ، وإن مع اليوم أخاه الغد ، يقبل بالخير والإسعاد » . فالعسر واليسر لا يجتمعان في زمان واحد لإنسان . وكذلك اليوم والغد وإذا المراد من الاصطحاب الزمني والاجتماع قد يكون حقيقياً ، وقد يكون بمعنى التقارب الشديد .

ومثال صلاحه للأمرين قولهم : (احتفينا بالعلماء الأجانب مع علمائنا ، وكرّمناهم مع النابغين من رجالاتنا) .

وكلمة : « مع » بدالاتها السالفة ، ظرف غير متصرف ، ملازم - في الأغلب - للإضافة لفظاً ومعنى ؛ ولإعراب ؛ فهو منصوب على الظرفية بالفتحة . وقليل منهم يبنيه على السكون في كل حالاته ، إلا إذا وقع بعده حرف ساكن فيبنيه على الكسر ؛ للتخلص من التقاء الساكنين ، أو على الفتح للخفض^(٢) فيقول مع البناء على السكون : (لا آمن مع ظلم الوالى ، ولا عُمُران مع طغيانه) . ويقول عند التقاء الساكنين :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

بناء كلمة : « مع » على الفتح أو الكسر .

الثانية : أن تكون ظرفاً بمعنى : « عند »^(٣) ، ومرادفة لها ، في إفادة معنى الحضور المجرد ، فتكون ظرفاً لا دلالة فيه على اجتماع ومصاحبة ، وتكون مغربة ، مضافة ، واجبة الجر « بمن » الابتدائية ؛ نحو : (الكفيل على اليتيم يرعاه ،

(١) الكر : الهجوم ، والفر : الفرار . ومنها قول امرئ القيس يصف حصانه : - وله إشارة في ص ١٢٩ -

مِكرٌ ، مِفرٌ ، مقبل - مُدبر ، معا كجُلُود صخرٍ حطَّه السيلُ من على

(٢) إذا بنى على الفتح عند هؤلاء وهو مضاف ، فكيف نعلم أن الفتحة في آخره فتحة لإعراب أو فتحة بناء ؟ يكون التمييز بالقرائن ؛ كأن نعلم أن الناطق به فرد من تلك القبائل القليلة التي تبنيه ، أو عن يحاكمهم .

(٣) سبق الكلام عليها في ص ١٢١ وفي ج ١ ص ٢٢٢ م ٨٩ .

ويصون ماله. وإذا أراد البذل والعطاء فلينفق من مَعِهِ ، لا من مَعِ الْيَتِيمِ) :
 الثالثة : أن تكون اسماً لا ظرفية معه ، ومعناها : « جميع » أى : « كل »
 وتدل على مجرد اصطحاب اثنين — أو أكثر — واجتماعهما فى وقت واحد ، أو
 وقت متعدد ، وفى هذه الحالة تكون معربة ، منصوبة ، منونة على أنها حال ،
 أو : خبر ، وهى فى صورتين مؤولة بالمشتق ، ومفردة : (أى : لاحظتَ لها من
 الإضافة مطلقاً^(١)) وكذلك لاحظتَ لها من الدلالة على اتحاد فى الزمان أو
 المكان بعد أن تجردت للاسمية المحضة ، إلا بقرينة^(٢) ؛ فثالها حالاً لاحقى : أقبل
 الزعمان معاً ؛ وقول الشاعر :

فلمبما تفرقننا كَأَنى ومالكنا — لطول اجتماع^(٣) — لم نَبَيْتْ ليلةً معاً
 ومثالها حالاً لجماعة المذكور :

وأفْنَيْتِ رجالى فبادوا معاً فأصبح قلبى بهم مُسْتَقَرٌّ^(٤)
 ومثالها حالاً لجماعة الإناث : إذا حَسَّتِ^(٥) الأولى سَجَعُنْ^(٦) لها معاً^(٧) ...

(١) تلزم إضافة الظرف : (مع) حين يذكر قبله أحد المصطحبين ، نحو : كنت مع الأخ
 أقرأ . فإن سبقه المصطحبان لم يبق ما يضاف إليه ؛ فينصب منوناً . نحو : سار القائد والجيش معاً .

(٢) انظر « ١ » من الزيادة .

(٣) اللام هنا بمعنى : « مع » أو : « بعد » . — كما سبقت الإشارة فى ج ٢ باب : « حروف
 الجر » ، م ٩٠ ص ٣٧١ —

(٤) استفزه الأمر : أزعه .

(٥) الكلام عن الحمام . حنت الحمامة ، أى : ترنمت بصوت فيه رقة وحنان .

(٦) اشتركن فى الترنيمة بقوة وقوال .

(٧) ومن أمثلتها حالاً لجماعة الإناث قول الشاعر فى وصف إبل :

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا أسبعةً لاقت معاً ، أم واحداً

فكلمة : « معاً » حال من فاعل الفعل « لاقى » وهو ضمير مستتر تقديره : « هى » يعود على « الإبل »
 التى تدل على جماعة . فالضمير عائد على جماعة مؤنثة . ومعنى « لا ترتجى » : لا تحاف . فالرجاء معناه
 الخوف بشرط أن يسبقه نفي ، كما جاء فى كتاب معانى القرآن للفراء ص ٢٨ .

ومثالها خبراً : المجاهدان ، أو : المجاهدون معاً ، أى : موجودان معاً^(١) .
 أو : موجودون معاً . والمراد : مجتمعان ، ومجتمعون . . . ونحو قول القائل :
 أفيقوا بنى حرب ، وأهواؤنا معاً وأرحامنا موصولة لم تنقضب
 أى : وأهواؤنا مجتمعة ، وأرحامنا لم تنقطع .
 وقوله : أوفى صبحى حين حاجتنا معاً . . .^(٢)

(١) وما يصلح الحال والخبر - ولكنه أوضح في الحال - قول الأودرى من شعراء الجاهلية ،
 يصف أهل الفساد من قومه :

فينا معاشر لم يبنوا لِقَوْمِهِمْ
 وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
 لا يرشدون ، ولن يرعوا لمرشدهم
 فالجهل منهم معاً والغى معتاد
 - انظر الإعراب في : « ب » من الزيادة والتفصيل . -

(٢) يقول ابن مالك في الكلام على « مع » :

و« مع » : « مع » فيها قليل ، ونقل فتح وكسر لسكون يتصل
 يريد : أن كلمة « مع » فيها لغة أخرى قليلة هي : « مع » - بسكون العين ، بدلاً من فتحها - ،
 وأنه نقل عن العرب في هذه الساكنة العين ، فتحها وكسرها إذا جاء بعدها ساكن متصل بها ، أى : غير
 مفصول منها بفواصل بينهما .

(وتقدير الشطر الأول : « مع » - قليل فيها : مع) .

زيادة وتفصيل :

١ - قد تكون « مع » بمعنى : « جميع ، أى : (كل) » - كما عرفنا - فهل يتساويان فى المعنى تماماً ؟ .

قال اللغويون : إن الأساس فى كلمة : « مع » هو أن تدل على اتحاد الوقت بين الشيئين ، أو الأشياء ، ما لم تقم قرينة على عدم الاتحاد ؛ كالقرينة التى فى قول امرئ القيس يصف حصانه :

« ميكّر ، ميفّر ، مُقبّل ، مُدبر ، معاً » . . . ، لاستحالة للكرّ والفرّ ، والإقبال والإدبار فى وقت واحد^(١) . أما كلمة « جميع » فقد تقوم معها القرينة التى توجب الاتحاد الزمنى ، أو تمنعه ، أو تجيزه . فى مثل : (تتحرك كواكب المجموعة الشمسية جميعاً) . . . يكونُ التحرك واقعاً لا محالة فى وقت واحد ؛ بخلاف : تزور الشمس والقمر جميعاً غرقتي ظهراً ، فإن اتحاد الوقت محال . أما فى مثل : زرتي عمى وخالى جميعاً ؛ فيجوز الاتحاد وعدمه . فالفرق بين أكلنا معاً وأكلنا جميعاً . . . ، أن : « معاً » يفيد الاجتماع فى حال الفعل وزمنه . وأن « جميعاً » هو بمعنى : « كلنا » سواء اجتمعنا فى زمن الفعل أم لا .

ب - لا طائل فيما يدور بين النحاة من جدل حول الأصل الأول لكلمة : « مع » الباقية على ظرفيتها ؛ أمى ثنائية الوضع منذ جرت على ألسنة العرب الأوائل ؟ أم ثلاثية الوضع ، قد حذف حرفها الأخير « الثالث » ، وأن أصلها : مَعَى ، فلما نقصت بحذف حرفها الأخير (الياء) سميت منقوصة^(٢) لذلك ؟ أم أن بعض أنواعها ثنائى ، وبعضاً ثلاثى ؟ .

آراء متعددة خیرها رأى القائل : إن الباقية على ظرفيتها ثنائية الأصل ، معربة ، منونة ، ويحذف التنوين عند الإضافة ، فإذا لم تضاف - أحياناً - وكانت منونة منصوبة فهى ظرف باق على ظرفيته - فى بعض الآراء - ، متعلق

(١) انظر ما يتصل بهذا معنى وضبطاً ، فى ص ١٢٦ وهامشها .

(٢) المراد بالمنقوص هنا ما حذف منه الحرف الأخير ، لمة صرفية أو لنبر علة وهو غير

المنقوص الذى مر فى باب الإعراب والبناء ج ١ ص ١٢٤ م ١٥ .

بمحذوف ، إما حال ، وإمّا خبر على حسب السياق . . . ، ولن يترتب على
الاقتصار على هذا الرأى وإهمال غيره إساءة تلحق الأسلوب فى معناه ، أو فى
ضبط كلماته ، بل يترتب عليه راحة من تعليقات شاقة مصنوعة ، لا تقوم
على أساس قوى ، أو دليل يساير العقل والواقع . فوق ما فيه من تيسير
وراحة ^(١) .

هذا ، إن بقيت على ظرفيتها - تبعاً لذلك الرأى . أما إن خرجت عنها ،
وتجردت للاسمية المحضة وظلت منونة منصوبة - كما هو المسموع فيها - فقد
تعرب حالا ، أو خبراً على حسب مقتضى السياق ، فإن كانت « حالا » فهي
معربة . إما بالفتحة الظاهرة فى آخرها ، على اعتبارها اسماً ثنائياً ليس محذوف
الآخر ، وإما بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاءها ساكنة مع التنوين ،
على اعتبارها اسماً ثلاثياً آخره ياء ، وأصمه « مَعْي » : فهي مثل : فتى ؛
أصلها : « فَتَى » . تقلب الياء ألفاً وتحذف هذه الألف فى النطق لا فى الكتابة
عند تنوين الكلمة ؛ تقول : هذا فتى - رأيت فتى - أصغيت إلى فتى .

هذا إن كانت « حالا » . أما إن كانت خبراً فلا بدّ من اعتبارها ثلاثية
الأصل مرفوعة بضمّة مقدرة على الألف المحذوفة لفظاً ، لا خطأً ^(٢) ولا يمكن
إعرابها خبراً وفى آخرها الفتحة والتنوين إلا على تقديرها ثلاثية الحروف . أما من
يعربونها خبراً مع ثنائيتها فيحتمون بقاءها على الظرفية ، وتعليقها بمحذوف هو الخبر ،
ويمنعون خروجها عن الظرفية إلى الاسمية .

• • •

(١) لم نذكر هذه الآراء - كما نفعل أحياناً - لأن هذه واضحة الضعف ، ليس لها أثر على
فذكرها والرد عليها يخلق رأياً جديداً يزيد عددها ، ويوسع الجدل فيها . وهذا أحد الأسباب التى تثير
الشكوى - بحق - من المطولات القديمة . أما تعدد الآراء واتساع الجدل فيما يجدى ؛ (كتيسير ، أو تحديد
حكم ، أو استنباط آخر . . . أو . . .) فرغوب فيه ؛ - بل هو هدف أساسى من أهداف المتخصص
المتجرد لمهمته ، يصل منه إلى كشف غايات حميدة ، واستنباط نتائج نافعة .

(٢) لأنها مذكورة خطأ ، مكتوبة ياء ؛ طبقاً لقواعد رسم الحروف .

غير - اسم محض^(١)، يدل على مخالفة ما قبله لما بعده في ذاته، وحقيقة تكوينه،
أوفى وصف من الأوصاف العَرَضِيَّة التي تطرأ على الذات . فمثال الأول : (الحيوان
غير النبات) ، أى : ذات الحيوان وحقيقته الأصلية مخالفة لذات النبات ولحقيقته
الأصلية . ومثال الثانى ؛ (خرج الفائز بوجه غير الذى دخل به) ، ونظر للأمر
بعين غير التي كان ينظر بها .) فليس المراد أن ذات الوجه وحقيقته قد تغيرت ،
ولا أن ذات العين وحقيقتها استحالت فصارت شيئاً مغايراً للأولى مغايرة تامة ،
وإنما المراد أن الوجه طرأ على ظاهره أمر عَرَضِيٌّ ؛ كالسرور ، والانشراح
والإشراق وأن العين طرأ عليها صفة جديدة عَرَضِيَّة ؛ كالثبات ،
والصفاء ، وعدم الحركة الزائفة المضطربة

و « غير » فى أكثر أحوالها^(٢) - ملازمة للإضافة ؛ إما لفظاً ومعنى معاً ؛
كالأمثلة السابقة ، وكقول القائل : (غيرى على السلطان قادر . . .) وإما معنى
فقط ؛ ولهذا الحالة صورتان :

الأولى : أن يحذف المضاف إليه بشرط أن يكون معلوماً ، ملحوظاً لفظه فى
النية والتقدير ، كأنه مذكور ، وأن تكون كلمة : « غير » مسبوقة بإحدى أداتى
النفي : « ليس » أو : « لا »^(٣) دون غيرهما من أنفاظ النفي ؛ نحو : (شبح الفقر
غادٍ ورائح على ثلاثة ليس غير ؛ مسرف ، ومقامر ، وعاطل) ، أى : ليس غير
الثلاثة . ونحو : (الصبر صبران لا غير ؛ صبرٌ تَجَلَّدٌ يكون من القوى المرهوب ،

(١) اسم محض ، أى : لا ظرفيه فيه . وتدخل فى عداد الأسماء غير التامة (وهى : الأسماء الدالة
على الغايات بالمعنى المشروح فى هامش ص ١٤١ ؛ مثل : قبل ، وبعد ، وأشباههما - ولتلك الأسماء غير
التامة إشارة عابرة فى رقم ٢ من هامش ص ١٤٢ ورقم ٤ من هامش ص ١٦٥ وقد سبقت الإشارة إلى :
« غير » وإلى أحكام أخرى تختص بالأسماء المبهمة ؛ كتعرفها بالإضافة وعدم تعرفها وعدم دخول « أل »
عليها مع تفصيل الكلام على « غير » من هذه الناحية . (فى ص ٢٤ و ٦٦ و ٨٠ و ١٣٢ . وإلى أشهر وجوه
استعمالها بمناسبة أخرى فى ج ٢ باب الاستثناء ص ٢٦٨ م ٨٢ ، وص ٢٧٣ ، وما بعدها) .

(٢) لأنها قد تنقطع عن الإضافة لفظاً ومعنى فى إحدى حالاتها ، كما سيبنىء فى الصورة
الثالثة ص ١٣٣ .

(٣) يعارض بعض النعاة فى : « لا » النافية ، ويرى الاتصاف على : « ليس » دون سواها من
أدوات النفي . ولكن الثقات يبيحون تقديم « لا » النافية ، ويدفعون معارضته بالمنقول الصحيح من كلام
العرب . ويجيزون القياس عليه ؛ سواء أكانت : « لا » نافية للجنس أم نافية لغيره ؛ فالشرط أن تكون
نافية مطلقاً .

وصبرٌ تَبَسَّلُد يكون من العاجز المغلوب) ؛ أى : لا غير الصبرين .

الثانية : أن يحذف المضاف إليه المعلوم ، مع ملاحظة معناه دون لفظه .
وفيما يلي إيضاح وتفصيل للصورتين :

لكلمة : « غير » من ناحية الإعراب والبناء أربع ^(١) حالات : تعرب في ثلاث منها ، وتبنى في واحدة .

(١) فتعرب عند إضافتها لفظاً ومعنى معاً ، كما في الصورة الأولى ، وأمثلتها . وتضبط في حالة إعرابها بالرفع ، أو بالنصب ، أو بالجر على حسب حالة الجملة ، ولا يدخلها التنوين .

(٢) وتعرب كذلك إذا حذف المضاف إليه للدليل يدل عليه ، ونسوى لفظه ^(٢) للحاجة إليه ، أى : لوحظ نصّ لفظه حرفاً حرفاً ، دون غيره من الألفاظ ؛ فكأنه مذكور ^(٣) ، مع أنه غير مذكور في الكلام . ولا يجوز حذفه في هذه الحالة إلا بعد تحقق الشرطين السالفين ؛ (وهما : ملاحظته في التقدير ، ووقوع كلمة : « غير » بعد : « ليس » أو بعد : « لا » النافيتين ، كما سبق إيضاح هذا والتمثيل له) . وملاحظته هنا لا بدّ أن تتجه إلى لفظه نصّاً ؛ فيكون هذا اللفظ نفسه ، وبحروفه معاً ، وهو الذى تتجه إليه التية والتقدير .

وتضبط « غير » هنا بالرفع أو النصب أو الجر على حسب جملتها . ولا يدخلها التنوين ؛ لأنها كالمضافة لفظاً لا يطرأ عليها تغير مطلقاً بعد حذفه ، وإنما تظل على حالتها الأولى قبل حذفه .

(١) بل الأنسب أن تكون ثلاثة ؛ لما سيجىء في الزيادة والتفصيل « ب » ص ١٣٥ .

(٢) كل هذا بشرط ألا يكون « المضاف إليه » مبنياً ، وإلا جاز بنائها على الفتح ؛ تطبيقاً لما شرحناه في مواضع مختلفة ، (منها : الحكم الرابع عشر ص ٦٦) إذ لو كان مبنياً لحاز أن ينتقل منه البناء إلى : « غير » فيجوز فيها بعد هذا السريان الإعراب أو البناء ، ولا يكون الإعراب واجباً (كما سذكروه في « ١ » من ص ١٣٥) . ولا التفات هنا - وفيما يأتي - للرأى القائل : « البناء لا يسرى للمضاف المبهم - وشبهه - من المضاف إليه المبنى المحذوف ، بحجة أن الحذف يضعفه ، فلا يقوى على التأثير في المضاف » . . . فإن هذا رأى تخيلى محض ؛ مخالف لقاعدة عامة مستمدة من نصوص كثيرة واردة . ولذا أهمله كثير من النحاة .

(٣) وتبقى أحكام الإضافة بعد حذفه على حالها ، ومنها : عدم تنوين المضاف .

(٣) وتعرب أيضاً على حسب حاجة الجملة إذا قُطعت عن الإضافة نهائياً ؛ (بأن حذف المضاف إليه ، ولم يُنَوَ لفظه ولا معناه^(١)) ؛ فكأنه غير موجود من الأصل ، وهذا حين يستغنى عنه المعنى المطاوب ، ولا يتجه الغرض إلى ذكره ؛ (لأنه معلوم ، أو لسبب بلاغى آخر) ، نحو : من زرع الإساءة حصّد الشقاء ليس غيراً . أى : ليس الحصّد مغايراً^(٢) . وفي هذه الحالة تكون معربة ، منونة ، نكرة .

(١) لم ينو لفظه ولا معناه ، أى : لم يلاحظ وجوده مطلقاً من هاتين الناحيتين . فتحكه كحكم الذى لم يوجد من الأصل .

(٢) إذا لم يلاحظ لفظاً ولا معنى كان بمنزلة الذى لم يوجد من الأصل - كما سبق في رقم (١) - . ويكون المراد من كلمة « غير » هو : المعنى الاشتقاقى العام ، أى : مجرد المغايرة المطلقة التى لا تنتجها إلى شيء معين ، ولا تقع على أمر محدد غير مختلط بغيره ، ولا مبهم ، وتكون « غير » في هذه الحالة متضمنة معنى المشتق . يوضح هذا ما يأتى من الأمثلة التى لا بد منها لبيان ما فيه من دقة وخفاء .

١- إذا قلت : (اقتصرت اليوم على أكل الفاكهة ، ليس غير الفاكهة) - كان النفي واقعاً على غير الفاكهة ، أى : واقعاً على كل شيء مغاير للفاكهة . فالفاكهة لا تدخل في نطاق الأشياء المنفية ؛ فكأنك تقول : ليس المأكول شيئاً مغايراً أو مخالفاً للفاكهة ؛ فهى المأكولة وحدها .

ب- أما إذا قلت : اقتصرت اليوم على أكل الفاكهة ، ليس غير ، أو : ليس غيراً . بالتنوين فهما ، مع حذف المضاف إليه ، واعتباره كأن لم يوجد من الأصل ، فيكون المراد من كلمة : « غير » المعنى الاشتقاقى العام الذى تتضمنه ، وهو : « المغاير والمخالف » ؛ فكأنك تقول : ليس المأكول مغايراً . هذا المغاير « عام مبهم » يشمل المغاير للفاكهة ، والمغاير للأكل ، والمغاير لأصول الصحة ، والمغاير للزمن ... والمغاير للقدرة المالية فليس في الجملة ما يقيد النص على مغايرة معينة محددة ؛ وإنما فيها عموم وإبهام يريد بها المتكلم الحكمة بلاغية يرمى إلى تحقيقها .

ج- يشابه ما سبق ويزيده وضوحاً قولنا : حضر القطار قبل الميعاد ، وسافر بعد الميعاد ، بإضافة « قبل » و « بعد » إلى مضاف إليه مذكور ؛ فالقبليّة والبعديّة إنما هما بالنسبة للمضاف إليه ، فهما مقيدان به حتماً ، وليسا بمطلقين ولا مبهمين لكن إذا قلنا : حضر القطار قبلاً وبعداً بالتنوين والتشكيك ، فإن الأمر يتغير ؛ فتزول تلك « النسبة الجزئية » أو « الفرعية » الناشئة من الإضافة ، ويرتفع القيد الذى يقيد المضاف ؛ فيصير عاماً مبهماً ، بعد أن كان خاصاً بقيداً ؛ ويكون اسماً متضمناً معنى المشتق ؛ في أصنى الآراء - فمعنى قولنا « حضر القطار قبلاً » ، هو : « حضر القطار متقدماً » فهذا التقدم عام مبهم يشمل أن يكون متقدماً على ميعاده . أو : على نظيره من القِطَرِ الأخرى ، أو : على مكان وقوفه ، أو . . . أو . . . وكذلك يكون معنى قولنا : « حضر القطار بعداً » هو « حضر القطار متأخراً » . وهذا التأخر عام مبهم ؛ يشمل التأخر عن ميعاده ، أو عن نظيره ، أو : عن مكان وقوفه . . . فالقبليّة والبعديّة إنما يراد بهما معناهما الاشتقاقى المجرد الذى يتضمنه الاسم . فالأمر فيهما وفي « غير » سواء من هذه

(٤) أما الحالة الواحدة التي تُبْنَى فيها وجوباً فحين تكون مضافة ، والمضاف إليه محذوف قد لُحِظَ ونُؤَى معناه ^(١) دون لفظه ، وفي هذه الحالة تبنى على الضم ، نحو : (شرُّ الأصدقاءِ المعتدي ليس غيرُ) ؛ أى : ليس غير المعتدى ، أو ليس غير الآثم ، أو : ليس غير الجاني ^(٢)

وما سبق ندرك الفرق بين المحذوف الذي يُنَوَّى لفظه ، والمحذوف الذي يُنَوَّى معناه ؛ فالأول : لا بد فيه من ملاحظة لفظ المحذوف ، ونصه الحرفى . والثانى : لا بد فيه من ملاحظة معناه فقط ؛ بتخير كلمة أخرى تؤدى معناه ، وتخالف لفظه . فالغرض من أنها بمعناه : أن تتمم مثله المعنى الجزئى الذى كان يتممه مع المضاف الموجود ؛ وأن يحقق النسبة الجزئية ^(٣) التى كان يحققها من غير اختلاف بينهما فى الأداء المعنوى . أما اللفظ فيجب أن يكون مختلفاً .

هذا ، ومن الممكن إدماج الحالات الأربع السابقة فى حالتين :

الأولى : البناء إذا حذف المضاف إليه ونوى معناه . دون لفظه .

والأخرى : الإعراب فيما عداها .

* * *

= الناحية التى لا وجود فيها للمضاف إليه لا لفظاً ولا معنى ، بالرغم من أن كلمة : « غير » ليست ظرفاً ، وهما فى أصلهما من الظروف التى تسمى : « ظروف الغاية » وتحمل عليها : « غير » فى هذه الغاية ، كما تحمل هذه الظروف على « غير » فتشابهها فى حالات الإعراب والبناء .. وسيجىء الكلام عليها فى ص ١٤١ .

(١) أى : نوى ولو حظ وجود لفظ آخر ، أى لفظ ، يؤدى معناه - (كما سنذكره ، وكما سيجىء الكلام عنه فى الزيادة والتفصيل ص ١٣٥) - وإنما ينوى معناه إذا دعت إليه الحاجة .

(٢) سبق فى رقم ٢ من هامش ص ١٣٢ بيان حالة أخرى تبنى فيها جوازاً - لا وجوباً - ويكون بناؤها على الفتحة .

(٣) سبق - فى ص ١ - إيضاح معنى النسبة الجزئية . . .

زيادة وتفصيل :

١ - يترتب على التفرقة بين ملاحظة المحذوف بلفظه السابق نصاً ، أو عدم ملاحظة ذلك - آثار متعددة ، منها : أن ملاحظة لفظه السابق تقتضى التمسك بمعناه . إذ لو وضع فى مكانه لفظ آخر لجاز أن يكون اللفظ الآخر مخالفاً له فى المعنى - ولو قليلاً - ؛ فيفسد الغرض المقصود من الأداء .

ومنها : أن المحذوف قد يكون معرفة أو نكرة ؛ فينتقل أثر هذا إلى المضاف قطعاً ما دام لفظ المضاف إليه معيناً ملحوظاً ؛ والإضافة محضة . فلو لم يلاحظ لجاز أن يحل محله ما يخالفه فى التعريف والتذكير ؛ فيتأثر المعنى بنتيجة هذه المخالفة .

ومنها : أن المضاف إليه المحذوف قد يكون مبنياً ؛ فيجوز - عند ملاحظة لفظه نصاً أن ينتقل منه البناء إلى المضاف المبهم ، - ونحوه . - وقد أشرنا (١) قريباً إلى وجوب إهمال رأى الذى يمنع انتقال البناء إلى المضاف من المضاف إليه المبنى المحذوف ؛ بزعم أنه ضعيف ؛ بسبب حذفه ؛ فلا ينتقل منه البناء للمضاف . . . وهو زعم مردود .

ب - أوضحنا المراد من « المضاف إليه » المحذوف الذى نُوى لفظه نصاً ؛ والذى نُوى معناه دون لفظه . وما قلناه هو ما ارتضاه « الصبان » و « الخضرى » - وغيرهما - ، وانتهينا إلى استخلاصه من الجدل الكثير الذى يغشيه . والحق أن النفس غير مطمئنة لما ارتضياه ، بل إن « الخضرى » - وغيره - لا يزال قلق النفس ؛ فقد فرغ من الكلام عن « المضاف إليه » الذى ذكر ولم يحذف . . . وعن « المضاف إليه » الذى حذف ولم يُنَوَ لفظه ولا معناه ، . . . ثم انتقل إلى الكلام عن المضاف إليه « الذى حذف لفظه » وهذا المحذوف قد يُنَوَ لفظه نصاً ، وقد يُنَوَى معناه فقط ، فإحكام المضاف - من ناحية إعرابه وبنائه - مع هذا « المضاف إليه » المحذوف . . . ، الذى يُنَوَى لفظه نصاً ، أو يُنَوَى معناه فقط ؟ أليكون من هذا المضاف نوع معرب فقط ، ونوع

مبنى فقط ، أم الإعراب والبناء جائزان عند حذف المضاف إليه وفيه لفظه نصّاً ،
أو معناه دون لفظه ؟ يجيب بما نصه :

(الاقتصار على حالة واحدة يجوز فيها الإعراب والبناء هو - وإن كان
خالياً من التكلف - مخالف لإجماعهم « فيما نعلم » على تعدد الحالتين ، وأن
حالة البناء لا يجوز فيها الإعراب وبالعكس^(١) . ١٥ .

وهذه حجة بادية للوهن ، إن صح أن تسمى هذه حجة . لعدم اعتمادها
على الدليل الحاسم ، وهو المسموع الكثير من كلام العرب . ولا شك أن الرأى
الذى يميز إعراب المضاف وبناءه عند حذف المضاف إليه مطلقاً (أى : سواء
نوى لفظه ، أم نوى معناه) رأى سديد ، فوق أنه خال من التكلف والتعقيد ،
وقاض على القسم الغامض الملتوى ؛ قسم المضاف إليه الذى حذف ونوى معناه
فقط ، وبذا تكون الأقسام ثلاثة ، لا أربعة ، وهذا أحسن ، ولا سيما إذا عرفنا
أن بعض أئمة النحاة قد صرح بأن المعنى لا يختلف فى حالتى بناء المضاف ،
وإعرابه ، ووصف الرضى هذا التصريح بأنه : « هو الحق^(٢) » .

ح - تطبيقاً على ما سلف فى : « ١ » وما قبلها من أحوال : « غير » -
يجوز فى مثل : قرأت من الكتب سبعة ليس غير - اتباع ما يأتى فى ضبط
كلمة : « غير » ، وفى إعرابها :

(١) أن نقول : « ليس غير » على اعتبارها اسم : « ليس » مرفوعة بالضممة
من غير تنوين ، لأنها مضافة معربة ، والمضاف إليه محذوف ، قد نوى لفظه
نصّاً ، والخبر محذوف ؛ فالتقدير : ليس غير السبعة مقروءاً .

(٢) أن نقول : « ليس غير » ، على اعتبارها خبر : « ليس » منصوباً

(١) راجع الخضرى فى هذا الموضع من باب « الإضافة » عند بيت ابن مالك :

واضمم بناء غير . . . إلخ .

(٢) راجع حاشية « ياسين » على شرح « التصريح » ، فى هذا الموضع .

(٣) بشرط ألا يكون لفظه مبنياً ؛ إذ لو كان مبنياً لحاز أن يسرى منه البناء للمضاف المبهم
- ونحوه - كما عرفنا فى رقم ٢ هامش ص ١٣٢ - تطبيقاً للحكم الرابع عشر الذى سبق فى ص ٦٥ .

مضافاً والاسم محذوف ، وكذلك المضاف إليه مع نيّة اللفظ ، فيكون التقدير :
ليس المقروءُ غير السبعة .

(٣) أن نقول : « ليس غيراً » ، بالتنوين ، على اعتبارها : نكرة معربة ،
خبر : « ليس » . فالاسم محذوف ، وكذلك المضاف إليه مع عدم ملاحظة لفظه
ولا معناه . والتقدير : ليس المقروءُ غيراً .

(٤) « ليس غيرٌ » بالتنوين أيضاً على اعتبارها اسمها معرباً ، والخبر
محذوف ، والمضاف إليه محذوف كذلك ، لم ينو لفظه ولا معناه . والتقدير :
ليس غيرٌ مقروءاً .

(٥) « ليس غيرٌ » بلا تنوين باعتبارها اسم : « ليس » ، مبني على الضم
في محل رفع ، والمضاف إليه محذوف ، قد نوى معناه فقط . والخبر محذوف أيضاً .
والتقدير : ليس غيرٌ المذكور مقروءاً .

(٦) « ليس غيرَ » ، باعتبارها اسم « ليس » ، مبني على الفتح في محل
رفع ، بشرط أن يكون المضاف إليه محذوفاً مع ملاحظة لفظه نصاً ، ومبنيّاً
(لينتقل منه البناء إلى كلمة : « غير » — كما عرفنا —) والخبر محذوف أيضاً .
والتقدير : ليس غيرَها مقروءاً .

(٧) « ليس غيرَ » ، باعتبارها خبر « ليس » مبنية على الفتح في محل
نصب ، والمضاف إليه محذوف ، مبني حتماً ، قد لوحظ لفظه السالف نصاً ،
والاسم محذوف ، والتقدير : ليس المقروءُ غيرَها . . .
وفي الجدول الآتي تركيز — بشكل آخر — للصور السالفة .

الصورة	حكم : « غير »
ليس غير ...	اسم « ليس » معرباً ، مرفوعاً بالضممة من غير تنوين ، والمضاف إليه محذوف نوى لفظه فقط . والخبر محذوف .
ليس غير ...	اسم « ليس » مبنياً على الضم في محل رفع ، والمضاف إليه محذوف نوى معناه فقط . والخبر محذوف .
ليس غير ...	اسم « ليس » معرباً ، مرفوعاً ، مع التنوين ، والمضاف إليه محذوف ، ولم ينو لفظه ولا معناه . والخبر محذوف
ليس غير ...	خبر « ليس » ، مضافاً معرباً ، منصوباً بغير تنوين ، والمضاف إليه محذوف قد نوى لفظه . والاسم محذوف .
ليس غير ...	خبر « ليس » مبنياً على الفتح في محل نصب ، والمضاف إليه محذوف مبنى حتماً ، وقد نوى لفظه المبني . والاسم محذوف .
ليس غير ...	اسم « ليس » مبنياً على الفتح في محل رفع ، والمضاف إليه محذوف مبنى ، وقد نوى لفظه المبني . والخبر محذوف .
ليس غيراً ...	خبر « ليس » معرباً منصوباً منوناً ، والمضاف إليه محذوف ، ولم ينو لفظه ولا معناه . والاسم محذوف .

د - إذا حذت : « لا » النافية للجنس محل : « ليس » جاز في « غير » البناء على الضم في محل نصب على اعتبارها مضافة ، اسم « لا » والمضاف إليه محذوف قد نوى معناه ، والخبر محذوف أيضاً . ويجوز بناؤها على الفتح في محل نصب على اعتبارها اسم : « لا » والمضاف إليه محذوف ، ولم ينو لفظه ولا معناه ؛ فكأنها غير مضافة ، ففتحتها في هذه الحالة ^(١) كفتحة اسم : « لا » في قولنا : لا مطر . والخبر محذوف فيهما .

ويجوز نصبها مباشرة إن كانت مضافة لغير مبنى والمضاف إليه مذكور ،

(١) وتبنى أيضاً على الفتح جوازاً إذا كانت مضافة لمبنى ؛ تطبيقاً للقاعدة التي تميز بناء الأسماء المبهمة . ومنها : « غير » ، وأسماء الزمان المبهمة إذا أضيفت لمبنى . وقد سبق الكلام عليها في هذا الباب ص ٦٦ . وأشرنا إليها ، في ص ١٣٢ و ١٣٥ و ١٣٦ و ...

أو محذوف نوى لفظه نصّاً . وهى فى الحالتين معربة منصوبة . ونكتفى بالحالات السالفة . . .

هـ - إذا كانت « لا » لنفى الواحدة (وهى التى تعمل عمل « ليس » بشروط خاصة سبق الكلام عليها فى بابها)^(١) جاز فى « غير » البناء على الضم فى محل رفع على اعتبارها اسم « لا » . والمضاف إليه محذوف قد نوى معناه ، والخبر محذوف وجاز أن تكون معربة مرفوعة بغير تنوين باعتبارها اسم « لا » إن كان المضاف إليه مذكوراً ، أو محذوفاً قد نوى لفظه . ويجوز تنوينها إذا حذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه .

وفى الصور السالفة ما يغنى عما لم نذكره ، أو يصلح أن يكون مرشداً إليه . « ملاحظة » : الصور السالفة كلها فى : « ح » - ص ١٣٦ - والآية بعدها فى : « د ، هـ » إنما تتحقق على أساس التقسيم الشائع الرباعى . أما على أساس التقسيم الثلاثى - وهو الأحسن - حيث يصير المحذوف الذى نوى قسمًا واحدًا فإن الإعراب والبناء يصلحان له .

و - إذا كانت « لا » للنفى المطلق^(٢) أفادت هنا مع النفي العطف ، فكلمة : « غير » بعدها منفية ومعطوفة تسرى عليها جميع الأحكام التى تسرى على المعطوف ؛ ففى مثل : « أنفقت عشرةً لا غير » : يجوز اعتبار « غير » معربة منصوبة بغير تنوين ؛ لأنها معطوفة على عشرة ، ومضافة . والمضاف إليه محذوف قد نوى لفظه ؛ ويجوز اعتبارها معطوفة مبنية على الفتح فى محل نصب لأنها مضافة والمضاف إليه محذوف مبنى ، أو غير مبنى لكن نوى معناه . ويجوز إعرابها ونصبها منونة والمضاف إليه محذوف لم ينو لفظه ولا معناه .

وفى نحو : زارنى ثلاثة لا غير ، يجوز فى كلمة « غير » أن تكون معربة مرفوعة بغير تنوين ، على اعتبارها معطوفة مضافة . والمضاف إليه محذوف نوى لفظه . ويجوز أن تكون مبنية على الضم فى محل رفع على اعتبارها معطوفة مضافة ، والمضاف إليه محذوف نوى معناه .

(١) ج ١ ص ٤٤٠ م ٤٨ .

(٢) وهى التى تنفى ولكن لا تعمل شيئاً .

ويجوز أن تكون معربة مرفوعة منونة على اعتبارها معطوفة مضافة ، والمضافُ إليه محذوف لم ينو لفظه ولا معناه .

ويجوز أن تكون مبنية على الفتح في محل رفع مضافة ، والمضاف إليه محذوف مبنى .

ز - إذا كانت : « غير » ليست مسبقة بكلمة : « ليس » ، أو : « لا » النافيتين ؛ فأشهر وجوه استعمالها أن تكون للنعت ، أو الاستثناء ؛ على التفصيل المبين في ج ٢ ص ٣١٨ م ٨٢ .

ح - إذا كانت كلمة : « غير » مسبقة « بليس » أو « لا » النافيتين على الوجه السابق ؛ فإنها تصير من الأسماء الدالة على « الغاية » وتدخل في عدادها ، فتشبه الظروف الخاصة « بالغاية » ^(١) والتي سنوضحها فيما يلي .

* * *

(١) سبقت الإشارة إلى « غير » وبعض الأمور الخاصة بالأسماء المبهمة ، في صفحة ٢٤ و ٦٦

« نظائر غير »

يراد بهذه النظائر : الأسماء الملازمة - في أكثر حالاتها - للإضافة ، وتنطبق عليها أحكام الإعراب والبناء التي تنطبق على كلمة : « غير » وقد شرحناها .

وهذه الأسماء نوعان ، نوع خالص الاسمية : فلا يفيد معها ظرفية زمانية ولا مكانية ، شأنه في هذا شأن : « غير » فإنها متجردة للاسمية المحضة ، وهذا النوع قليل ، مثل كلمة : « حسب » .

ونوع آخر يفيد مع الاسمية ظرفية زمانية أو مكانية ويدل على ما يسمى : « الغاية »^(١) ، ومنه الظروف التي تسمى : « ظروف الغايات »^(٢) مثل : قبل -

(١) الغاية هنا معنى غير الذي سبق في مواضع أخرى (كما أشرنا في هذا الباب في رقم ٤ من هامش ص ١١٩) قال شارح المفصل ج ٤ ص ٨٥ في معناها ما نصه - وقد نقلناه في ج ٢ ص ٢٣١ م ٧٩ المناسبة هنالك - : « (قيل لهذا الضرب من الظروف : " غايات " ؛ لأن غاية كل شيء ما ينتهي به ذلك الشيء . وهذه الظروف إذا أضيفت كانت غايتها " أى : نهايتها " آخر المضاف إليه ؛ لأنه الذي يتم به الكلام ، وهو نهايته . فإذا قطعت عن الإضافة وأريد معنى الإضافة صارت هي غايات ذلك الكلام ، - أى : نهايته - فلذلك من المعنى قيل لها : " غايات ") . . . ثم قال : (وحكم : أول - وحسب - وليس غير - ولا غير - . . . حكم قبل وبعد . . .) هـ ١ .

وقد سبق هذا الكلام شرحاً لكلام الزنجشیری في المرجع السالف ، ونصه الحرفي :

(الظروف منها : « الغايات » ، وهي : قبل ، وبعد ، وفوق ، وتحت ، وأمام ، وقدّم ، ووراء ، وخلف ، وأسفل ، ودون ، وأول ، وعل - ومن النادر ألا تكون مجرورة بالحرف : « من » - وقد جاء ما ليس بظرف غاية ؛ نحو : حسب - ولا غير - وليس غير . . . والذي هو حد الكلام وأصله أن ينطق بهن مضافات . فلما اقتطع عنهن ما يضمن إليه وسكت عليهن - صرن حدوداً ينتهي عندها . فلذلك سمين غايات) . . . هـ ١ .

وملخص ما يريد المتن وشرحه هو :

١ - أن غاية الشيء هي آخره ونهايته :

ب - وأن غاية الظروف المضاف ليست هي المقصودة ، إنما الغاية المقصودة هي آخر المضاف إليه ؛ إذ به يتم المعنى الفرعي ، وتحقق « النسبة الجزئية » المرادة من الإضافة .

ج - وقد يحذف المضاف إليه ، ولكنه يظل ملاحظاً في النية والتقدير ، بالرغم من حذفه ، وفي هذه الحالة يصير آخر الظروف المضاف هو النهاية التي تغنى عن نهاية المضاف إليه المحذوف . أى : أن الظروف المضاف يصير هو الغاية والخاتمة والنهاية بدلاً من ذلك المحذوف الماحوظ . .

(ومثل هذا في التصريح أيضاً .) وما تقدم يوضح تعريفاً آخر لظروف الغايات ، نصه : (هي الظروف المبنية على الضم لحذف المضاف إليه ؛ فتصير غاية وظرفاً بعد حذفه) هـ ١ .

- وقد ورد هذا التعريف في « المعنى » أول الجزء الثاني في الفصل المعقود للتدريب على « ما » حيث جاء بالهامش النص السابق للعلامة الأمير .

(٢) ويكثر من ظروف الغايات (مثل : قبل وبعد) يدخل في عداد الأسماء المبينة التي لا تقع -

بعد - دون - الجهات الست (وهي : فوق - تحت - يمين - شمال - أمام - خلف . . .) وما بمعنى هذه الجهات ؛ مما هو وارد مسموع ^(١) ، (مثل : قدّام - وراء - أسفل - علّ ؛ بمعنى : فوق) .

فهذه الأسماء بتويعيها ^(٢) - المحض وغير المحض - يجوز في كل منها في أغلب استعمالاته ، ما يجوز في كلمة : « غير » من الإعراب في حالات ثلاث ، والبناء في واحدة ^(٣) ، أخرى . وإن شئت فقل : من البناء في حالة واحدة ، والإعراب فيما عداها . فهي شبيهة بكلمة : « غير » في تلك الحالات ، كما أن كلمة : « غير » شبيهة بها في الغاية ^(٤) - .

ومن هذه الظروف التي مردناها : المتصرف (أى : الذى يكون ظرفاً وغير ظرف ؛ كبتدأ ، وخبر ، وفاعل . . . و . . .) . ومنها غير المتصرف ^(٥) (الذى لا يترك النصب على الظرفية إلا إلى الجر « يمين ») ^(٦) .

= نعمتاً ولا منعمتاً ، (كما أشرنا في هامش ص ٢٥ ، وكما سأتى في النعت ص ٤٦٦ رقم ٢ وسبق إيضاح آخر لها في باب الظرف ج ٢ ص ٢٢٠ م ٧٩) .

(١) قال الرضى : (المسموع من الظروف المقطوعة عن الإضافة هو : قبل - بعد - تحت - فوق - أمام - قدام - وراء - خلف - أسفل - دون - أول - علّ - علّو . ولا يقاس عليها ما هو بمعناها ؛ نحو : يمين - شمال - آخر ، ونحو ذلك) فقول ابن مالك : يمين - شمال - . . . هو عند بعضهم غير مقبول ، لأنه غير مسموع . وقد دافع عن ابن مالك آخرون ، ووصفوه بأنه الإمام النحوى الثقة (راجع حاشية « ياسين » على التصريح في هذا الموضع) .
والذى تترشح له النفس هو رأى ابن مالك .

(٢) وتسمى أيضاً : « الأسماء غير التامة » وهى هنا التى لا تدخل في عداد الأسماء الدالة على الغاية (انظر رقم ١ من هامش ص ١٣١ ورقم ٤ من هامش ص ١٦٥) .

(٣) راجع « ب » من ص ١٣٥ حيث الاعتراض على بعض هذه الحالات .

(٤) سبقت الإشارة لهذا في هامش ص ١٣٣ .

(٥) فوق وتحت ، لا يتصرفان فى رأى كثير من النحاة . وأرى أنهما يتصرفان أحياناً إذا صار كل منهما اسماً متجرداً عن الظرفية . ومن هذا فى « تحت » قوله عليه السلام : (لا تقوم الساعة حتى يهلك الأوعول وتظهر التحوت) . الأوعول : السادة الأشراف ، المفرد : وعّل . قال فى كتاب : « الغريبين - للهرى » ما نصه فى مادة : « تَحَتَّ » (أراد بالتحوت : أزال الناس ، ومن كانوا تحت أقدامهم .) وجاء فى هامشه : (قال ابن الأثير فى النهاية ص ١٨٢ ، جعل « تحت » الذى هو ظرف نقبض « فوق » اسماً فأدخل عليه لام التمرير ، وجمعه أهـ . . . ويعرب هنا فاعلاً . . . - (يمين وشمال) كثيرا التصرف - (قبل ، وبعد ، وباقي الظروف) ، متوسطة التصرف .

(٦) الغالب فى : « من » الداخلة على « قبل » ، و « بعد » وعلى أكثر الظروف غير المتصرفة ، أن تكون « للظرفية » (أى : بمعنى : فى) كقوله تعالى : ومن بيننا وبينك حجاب . . . ويجئها لابتداء الغاية قليل ، كجئت من عندك - وهب لى من لذك - وهو مع قلته قياسى .

وقد سبق هذا فى ج ٢ باب حروف الجر عند الكلام على : « من » . (راجع الألويس على القطر ص ٣٤) .

والظرف بنوعيه - المتصرف وغير المتصرف - حين يكون ظرفاً معرباً ،
يكون منصوباً على الظرفية ، أو مجروراً « بِمِنْ » إن وجدت قبله ، وحين
يكون مبنيّاً على الضم يكون في محل نصب ، أو في محل جرّ « بِسَمِنْ » إن
وجدت قبله ^(١) .

خذ مثلاً الظرف : « قبل » ، فعنايه الدلالة على سبق شيء على آخر ،
وتقدمه عليه في الزمان ، أو المكان الحسى ، أو المعنوى ؛ فهو من الظروف
الزمانية أو المكانية الملازمة - في أغلب استعمالاتها - للإضافة ؛ نحو قوله
تعالى : « وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا » ،
ونحو : قَدْ رَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا ، ونحو : بَيْتِي قَبْلَ
النَّهْرِ بخطوات . ونحو : الْخَلْقُ الْكَرِيمُ قَبْلَ الْمَالِ . . . وتنطبق عليه تلك الأحوال
الخاصة بالإعراب والبناء ، وهي التي تقدمت في « غير » .

(١) فيكون معرباً منصوباً على الظرفية أو مجروراً « بِمِنْ » إذا أضيف في
الصورتين وذكر المضاف إليه ؛ كالأمثلة السابقة .

(٢) وكذلك يكون منصوباً على الظرفية أو مجروراً « بِمِنْ » إن حذف
المضاف إليه ، ونُوي لفظه نصّاً لحاجة تدعو إليه ؛ نحو : أَهْدَى إِلَى
كِتَابِ أَدَبٍ ، وكتاب تاريخ ؛ فبدأت القراءة بكتاب الأدب قَبْلَ ، . . . أو :
من قَبْلَ . . . ، أى : قَبْلَ كتاب التاريخ . . . أو من قَبْلَ . . . ، كتاب
التاريخ . وفي هاتين الصورتين لا يُنَوّن المضاف ، ولا يتغير منه شيء ، لأنه
لا يزال مضافاً كما كان ، والمضاف إليه محذوف بمنزلة الموجود .

(٣) ويكون معرباً منصوباً على الظرفية أو مجروراً بِمِنْ ، ومنوناً
في الصورتين - ، إذا حذف المضاف إليه ، ولم يُنَوّن لفظه ولا معناه ؛ لحكمة
بلاغية يريد بها المتكلم ؛ فهو بمنزلة الذى لم يوجد من الأصل ؛ نحو : (داويت
الملل بنزّه بحرية في ليلة قمرية فاتنة ؛ وكنت قَبْلًا هامد الجسم ، قليل

(٤) الأسماء المجردة (التي لا تدل على ظرفية) ، لا تنصب على الظرفية مباشرة . وإنما تقع مواقع
إعرابية أخرى . كما سيتضح عند الكلام عليها قريباً . ويلاحظ أيضاً ما رأيناه (في ب ص ١٣٥)
من اعتبار الحالات ثلاثاً ، بدلا من أربع ؛ للأسباب الموضحة هناك .

(الذهن . . .) وفي هذه الحالة يكون معنى : « قبل » هو معنى المشتق ؛ فيفيد سبباً مطلقاً ، وتقدماً عاماً غير مقيد بشيء ، ولا منسوباً لآخر ؛ ذلك أن من يقول : حضرت قبل مجيء القطار يريد : كان حضورى سابقاً على مجيء القطار ، متقدماً بالنسبة لهذا المجيء المعين ؛ فسببُ الحضور هنا ليس سبباً مطلقاً عاماً يشمل كل الأحوال ، ولكنه سببٌ مقيد مقصور على حالة واحدة ؛ هي حالة مجيء القطار ؛ فالحضور سابق بالنسبة لهذه الحالة وحدها دون غيرها . أما حين يقول : حضرت « قبلاً » فإن الظرف يفيد السبق المطلق ، والتقدم العام ؛ فكأنه يقول : « حضرت متقدماً » ؛ أو : « سابقاً » ، وهذا يشمل السبق والتقدم على مجيء القطار ، وعلى مجيء المسافرين ، وعلى مجيء الوقت المناسب ، وعلى كل مجيء آخر من غير قيد بحالة خاصة معينة كالحالة الأولى التي توجب التقييد بالمضاف إليه ^(١) . (ومثل هذا يقال في باقي الأسماء

(١) إذا كان معنى « قبل » هو معنى المشتق فهل تكون متخلية عن الظرفية نهائياً ، وتصير اسماً محضاً يفيد السبق والتقدم ؛ فعناها هو : « سابق » ؛ أو : « متقدم » ؟ أتكون كذلك أم تظل باقية على ظرفيتها مع تضمينها معنى المشتق ؛ فتتصب على الظرفية ، أو تجر بمن إن وجدت ؟ .

يرى بعض المحققين الرأي الأول ، ويرى غيرهم أنها تتضمن معنى المشتق مع بقائها على ظرفيتها . والرأى الأول أدنى وأحكم ، والاعتصار عليه أفضل ، لأنه يسائر القواعد العامة في تنوين هذه الظروف (أى : عند تنكيرها) ولا تنجس إليه الاعتراضات التي تنتج للثاني . وعلى هذا إذا نصب : « قبل » فلن يكون منصوباً على الظرفية ، وإنما يكون منصوب اللفظ على الحال المؤولة ، أو على غيرها مما يقتضى الت نصب ، إلا إن سبقته « من » الجارة فإنها تعرب حرف جر زائد ، وتعرب كلمة : « قبل » مجرورة اللفظ بها ، منصوبة المحل ، باعتبارها حالا مؤولة ، أو شيئاً آخر - غير الظرفية - يحتاج إليه الكلام منصوباً ؛ فتكون « قبل » منصوبة محلاً . ومثلها بقية الظروف الدالة على الغاية ، وستجىء . ومن الخير أن ننقل ما سجله الرضى في هذا ، ونصه :

(قال بعضهم : إنما أعربت - يريد : « قبل » وأخواتها - إذا حذف المضاف إليه ، ولم ينولفظه ولا معناه - لعدم تضمن معنى الإضافة ؛ فعنى : كنت قبلاً ، أى : قديماً ، ومعنى : أبداً به أولاً ، أى : متقدماً ، ومعنى : من قبل ومن بعد ، أى : متقدماً ومتأخراً ؛ لأن من زائدة) .

وجاء في تقرير ياسين تعليقاً على هذا ما نصه : « يعنى أن القائل بالتذكير لعدم تضمن الإضافة يرى أنهما غير واقعين على الزمان بل معناهما اسم مشتق نكرة واقع على ذات أو معنى - غير زمان - منصوب على الحال أو غيرها » .

وقد أشرنا إلى أن هذا - وكل ما سبق - يقال في أخوات : « قبل » من سائر الظروف الآتية .

والظروف التي تناظر : « غير » ^(١) .

(٤) أما الحالة التي يُسْتَسْتَمْتَعُ فيها على الضم فحين يضاف ، ويحذف المضاف إليه ويُنْتَوَى معناه ، لحاجة تدعو إليه ؛ فيكون الظرف مبنياً على الضم في محل نصب على الظرفية ، أو محل جرّ إن سبقته « من » ^(٢) . . .

* * *

للأسماء المحضة (التي لا تدل على ظرفية ؛ مثل : « حسب » وشبهاتها من الأسماء الخالصة من الظرفية ، الملازمة للإضافة - في الأغلب - . . .) أحكام خاصة سيجيء بيانها . وما عدا تلك الأسماء فجميع الأحكام التي تنطبق على الظرف : « قبل » ، تنطبق أيضاً - كما قلنا - على باقي الظروف التي يقول عنها النحاة حينئذ إنها نظائر : « قبل » ، وحينئذ إنها نظائر : « غير » وقد سردناها ^(٣) ، ولا خلاف بين أكثرها - في شيء من تلك الأحكام الإعرابية ، والأحوال الأربعة التي شرحناها : وإنما تختلف في معانيها فلكل واحد منها معنى يؤديه ، ودلالة معينة يحققها على الوجه الذي سنوضحه .

فأما « غير » و « قبل » فقد عرفنا معناهما .

* * *

وأما : « بعد » فظرف معناه - الغالب - الدلالة على تأخر شيء عن آخر في زمانه أو مكانه ^(٤) ؛ . . . سواء أكان التأخر حسيّاً أم معنويّاً ؛ فهو من

(١) فالمراد من الظرف : « قبل » في هذه الحالة - كما يقول النحاة - هو : « المعنى الاشتقاق العام » أى : مجرد التقدم والسبق المبهين العامين على الوجه الذي أوضحناه هنا وفي (رقم ٢) من هامش ص ١٣٣ لمناسبة أخرى هي : أن الظرف في هذه الحالة يتضمن معنى المشتق .

(٢) هنالك حالة أخرى تبين فيها جميع الأسماء المهمة وأسماء الزمان المهمة على الفتح فقط ، قد ترددت كثيراً في هذا الباب (كما في ص ٢٤ و ٦٦) وغيره . وهي الحالة التي تضاف فيها تلك الأسماء والظروف إلى مبنى ، فيجوز عندئذ أن يتسرب البناء من المضاف إليه إلى المضاف فيبنى جوازاً على الفتح .

(٣) في آخر ص ١٤١ وأول ص ١٤٢ .

(٤) تكلّمنا في الجزء الثاني - باب : الظرف - عن « بعد » وقلنا إن اعتباره للزمان أو المكان هو للرأى السديد الذي يجب الاقتصار عليه دون الرأى الذي يحمله مقصوراً على أحدها وحده فقد جاء في الهامش - (ج ١ ص ٢٠٩ ، باب : الظرف) ما نصه : (« بعد » ظرف زمان ، لازم الإضافة . . .) =

ظروف الزمان أو المكان الملازمة في أغلب أحوالها — للإضافة ، ومن أمثلته قوله تعالى : « اعلموا أن الله يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » . وقوله تعالى : « سيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا » وتطبق عليه الحالات الأربع السالفة (١) . . .

وأما « فوق » فعناه : الدلالة على أن شيئاً أعلى من الآخر حساً أو معنى : فهو ظرف مكان ملازم للإضافة في أكثر الحالات ، ومن أمثلته قوله : تعالى : « أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا . . . » ، وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . . . » ، وقوله تعالى : « وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » (٢) . . . وتنطبق عليه الحالات الأربع السالفة . . .

• • •

= ولم يذكر شيئاً يدل على أنه قد يكون المكان . وكذلك صاحب « المصباح المنير » يقول في مادة : « بعد » ما نصه : (بعد : ظرف مبهم ، لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره . وهو زمان متراخ عن السابق فإن قرب منه قيل : « بُعِيدَ » بالتصغير ، كما يقال قبل العصر ؛ فإذا قرب منه قيل : « قُبِيلَ العصر » بالتصغير ، أى : قريباً منه . ويسمى هذا : « تصغير التقريب ») ا هـ وجاء في حاشية ياسين على التصريح - ٢٨ ص ٨ ، باب : حروف الجر - عند الكلام على الحرف « من » منقولاً عن بعضهم : أن الأولى في استعماله أن يكون للمكان . وبعد كل ما تقدم من الآراء يبدو الحق في جانب الرأي الذي يراه صالحاً للحالتين ، ولا داعي لتكلف التأويل الذي يجعله مقصوراً على أحدهما .

(١) تكلمنا على الظرف « بعد » وحكمه وبعض استعمالاته الأدبية بإيضاح مناسب في الجزء الثاني م ٧٩ ص ٢٦٥ باب الظرف ، وكان مما ذكرناه : من أى الصور والحالات ما يكثر في افتتاح الخطب والرسائل الأدبية ونحوها ؛ من مثل : تحية الله وسلامه عليكم . وبعد ، فإن إدراك الغايات رهن باتخاذ الوسائل الناجمة . . . ، وقول صاحب القاموس في ديباجة قاموسه ما نصه : (الحمد لله منطلق البلاء . . . وبعد ، فإن للعلم رياضاً . . .) ا هـ . قال شارح الديباجة حين عرض لهذه العبارة قبل ذلك في تقييده الأولى التي سماها « شرح ديباجة القاموس » الهوربى - قال ما نصه : « (بعد ، كلمة يفصل بها بين الكلامين عند إرادة الانتقال من كلام إلى غيره ، وهى من الظروف ؛ قيل زمانية ، وقيل مكانية ، وعامله محذوف . قاله الدمامى . والتقدير : أقول بعد ما تقدم من الحمد والصلاة والتسليم على نبيه العظيم (فإن) بالفاء ، إما على قومه : « أمّا » أو على تقديرها في نظم الكلام ، وقيل : إنها لإجراء الظرف مجرى الشرط ، وقيل إنها عاطفة . وقيل زائدة . . .) » ا هـ .

(٢) وقوله عليه السلام : غصلتان ليس فوقهما شيء من الشر ؛ الشرك بالله ، والإضرار لعباد الله . وغصلتان ليس فوقهما شيء من البر ؛ الإيمان بالله ، والنفع لعباد الله .

وأما : « دون » فظرف مكان ملازم للإضافة في أكثر حالاته . ومعناه الغالب
الدلالة على المكان الأقرب إلى مكان المضاف إليه ؛ نحو : جلست دون
الضيف : أى : في أقرب مكان إليه . وقد يستعمل في المكان المعنوي المفضول^(١)
نحو : الحسن دون الأحسن ، واللاحق دون السابق . . . وقد يستعمل في عدم
مجاورة الشيء السابق عليه في الكلام ، وعدم تركه إلى غيره ؛ نحو : قدمت للتقريب
كامل العون دون تقصير ، وأوليسه صادق الرعاية دون إهمال . . . وينطبق
عليه ما سبق على نظائره .

* * *

وأما الجهات الست فعناها معروف ، هى والألفاظ الأخرى التى تشاركها
في المعنى والدلالة ، وفى ملازمة الإضافة في أكثر حالاتها ، وفى الأحكام . إلا أن :
« علّ »^(٢) يحتاج لمزيد بيان .

* * *

علّ : ظرف مكان يفيد الدلالة على العلو ، أى : الدلالة على أن شيئاً
أعلى من آخر . فهو يوافق الظرف « فوق » فى معناه ؛ وهو : « العلو » كما
يوافقه فى البناء على الضم حيناً ، وفى الإعراب حيناً آخر ، ولكن بالتفصيل التالى :
الذى يوضح أوجه التخالف بينهما .

١ - يبنى « علّ » على الضم إذا كان معرفة ، (أى : دالا على علو خاص
معين) . وحذف المضاف إليه ، ونُوى معناه ؛ فلا بد للبناء على الضم من
اجتماع الشرطين ؛ نحو : تمتعت بالأزهار من أسفل دازى ومن علّ . (أى :
ومن فوق) . فكلية : « علّ » مبنية على الضم فى محل جر ، لأنها معرفة ،
بسبب دلالتها على شيء محدد ، جاء تحديده وتخصيصه من قرينة كلامية ؛ هى :
أ أسفل الدار ، ولأن المضاف إليه محذوف قد نُوى معناه : والأصل : من علّ الدار

(١) أى : الذى يوجد مكان آخر يفوقه ويفضله فى الدرجة والمزلة .

(٢) فيه لغات ؛ أشهرها : علّ - عال - علا - كمصا - وسيجى . لهذا إشارة فى رقم ٢ من
هامش الصفحة التالية وفى رقم ٤ من هامش ص ١٧٧ وفيها بيان لنوع من التغير يلحقه عند إضافته
لياء المتكلم .

المعينة ، ولا يشترط التعيين في بناء « فوق » على الضم .

ويُعرب : « عَلُّ » وينون إذا كان نكرة ؛ (أى : إذا كان دالا على علو مجهول ، غير معين ، وليس مضافاً لفظاً ولا معنى . . .) ، نحو ، سقط الطائر من علٍ ، وقول امرئ القيس يصف حصانه :

مِكْرَ مِفْرَ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ^(١)

فكلمة : علٍ ، معربة منونة مجرورة « بمن » . ومعناها في المثالين - وأشباههما - شيء عال مرتفع بالنسبة لآخر ، ولا تخصيص ولا تعيين في هذا الشيء المرتفع ؛ فقد يكون المراد : من فوق جبل ، أو من فوق بيت . أو شجرة . . .

ب - أن « عل » لا يستعمل في حالتي بنائه وإعرابه إلا مجروراً « بمن » دائماً ؛ كالأمثلة السالفة . وأنه لا يستعمل مضافاً^(٢) لفظاً في أفصح الأساليب شيوعاً . وليس الشأن كذلك في « فوق » فإنه يستعمل كثيراً مضافاً وغير مضاف ، مجروراً « بمن » وغير مجرور بها .

• • •

(١) أصلها : « علٍ » - بالتنوين - وحذف من البيت مراعاة للشعر .

(٢) وعمل هذا لا داعي لوضعه في الظروف الملازمة للإضافة في أكثر الحالات . إلا على الرأي الذي يميز إضافته أحياناً ؛ كقولهم أخذت الكرسي من عل الدار ، وهو رأى يرفضه جمهور النحويين ؛ بحجة أن المسموع من الكلام الفصيح لا يؤيد استعماله . فالأولى هنا : اتباع الجمهور .

وفي لفظه لغات مختلفة ، أشرنا إليها في رقم ٢ من هامش الصفحة السالفة ، منها علّا - عل وزان ؛ عصا - والذين يميزون إضافته يوجبون في هذه اللفّة قلب ألفه ياء عند إضافته لياء المتكلم ، فيقولون : « علكي » .

طبقاً للبيان والإعراب المذكورين في رقم ٤ من هامش ص ١٧٧ .

ومثله في وجوب قلب ألفه ياء للظرف : « لدى » عند إضافته لياء المتكلم ، أو لغيرها من الضمائر طبقاً للبيان الذي سيجيء في رقم ٣ و ٤ من هامش ص ١٧٧ . أما طريقة إعرابه فقد سبقتم مقصلة في ج ١ م ١٦ « ب » من ص ١٧٨ آخر الكلام على الامم المعتل الآخر .

وأما : « حسب » فاسم لا يدل على ظرفية زمانية ولا مكانية^(١) . وأصح استعمالاته استعمالان :

أولهما : أن يكون مضافاً لفظاً ومعنى ؛ نحو : أعرفُ كتاباً حسبَ القارئ . وفي هذا الاستعمال يكون لفظه جامداً مؤولاً بالمشتق ، بمعنى : « كاف » (اسم فاعل من الفعل : كَفَيْ) . فالمراد من المثال السابق : أعرفُ كتاباً كافٍ القارئ ، أى : يكفيه ويغنيه عن غيره . وفي هذه الصورة يكون معرباً ، مفرداً نكرة ، ولا يفارق التنكير ، ولو أضيف إلى معرفة كالمثال السابق ، وكقول الشاعر :

وما أبغى سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطن شريف

لأنه بمنزلة اسم الفاعل العامل : « كاف » وسم الفاعل العامل^(٢) لا يكتسب التعريف بالإضافة لاسمته . كما أوضحنا من قبل^(٣) .

ولما كان لفظ : « حسب » جامداً ، ولكنه هنا مؤول بالمشتق من ناحية المعنى - جاز عند استعماله مراعاة لفظه ، ومراعاة معناه .

فأمّا مراعاة لفظه فتجيز معاماته معاملة الأسماء الجامدة ؛ فيقع في كثير من مواقعها الإعرابية المختلفة . والصحيح الفصيح أن يقتصر من تلك المواقع الإعرابية على المبتدأ . أو : الخبر ، أو : اسم الناسخ ، أو : الجر بحرف الجر الزائد : « الباء » . ومن أمثله مبتدأ البيت السالف ، وكذلك قوله تعالى في المنافق الذي يضمّر الكفر ويظهر الإيمان : « وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم ؛ فحسبه جهنم » ، ومن أمثله خبراً قوله تعالى : « ومن يتّق الله فهو حسن »^(٤) . . . ومن أمثله اسماً للناسخ قوله تعالى : « وإن يُريدوا أن يخذعوك فإن حسبك الله » ومن أمثله مجروراً بحرف جر زائد :

(١) ولكنه ذكر هنا مع ظروف الغايات لأنه يشبهها (طبقاً لما أوردنا في هامش ص ١٤١ وفي غيرها وفي بعض حالات إعرابية أخرى تجيء) .

(٢) إذا كان لتغير الماضي - كما عرفنا في ص ٦ .

(٣) في ص ٦ و ٢٣ .

(٤) وقد يصلح مبتدأ أو خبراً عند عدم المانع ؛ كقول الشاعر :

فلا تحسدنّ قوماً على فضل نعمة فحسبك حاراً أن يقال حسود

بِحَسَبِكَ^(١) العلمُ ؛ فإنه قوةٌ من لا قوة له . ولا يحسن وقوع « حسب » في موقع إعرابى غير ما سبق ، حتى لقد منعه بعض النحاة منعاً باتاً ، مجازة للكثير المسموع .

وأما مراعاة معناه فتجيز معاملته معاملة اسم الفاعل العامل النكرة الذى بمعناه (وهو : كاف^(٢)) ، مع الاختصار من مواقعه الإعرابية على وقوعه نعتاً لنكرة ، أو حالاً من معرفة ، نحو : استمعت إلى خطيب حسبك من خطيب ؛ وإلى « شوقى » حسبك من شاعر .

وموجز القول : أن « حسب » إذا أضيف لفظاً ومعنى جاز وقوعه مبتدأ ، وخبراً ، واسماً للناسخ ، ومجروراً بالباء الزائدة ، وصفة للنكرة ، وحالاً من المعرفة . . .

ثانيهما : أن يكون : « حَسَبَ » مضافاً معنى لا لفظاً (وذلك بأن يحذف المضاف إليه وَيُسَوَّى معناه فقط) . وفى هذا الاستعمال يكون لفظه جامداً مؤولاً بالمشتق ، ومفرداً مُنْكَرّاً مَبْنِياً على الضم ، ويتضمن النفي فيصير المراد منه : « ليس غيرُ » أو : « لا غير » ، ويقع صفة لنكرة ، أو : حالاً من معرفة أو : مبتدأ بشرط اقترانه بالفاء ، أو : خبراً . وليس له - فى الفصيح - موقع آخر ؛ نحو : إن لكل إقليم حاضرةً حسبُ ، بمعنى : لا غير^(٣) . وهى صفة « لحاضرة » . مبنية على الضم فى محل نصب . ونحو : اتسعت لحديقة حسبُ^(٤) أى : لا غير . وهى حال مبنية على الضم فى محل نصب . . . ونحو : قرأت ثلاثة كتب ، فحسبُ . أى : ليس غير . ويقولون فى هذه « الفاء » إنها زائدة :

(١) انظر ما يتصل بهذا من ناحية التعريف والتخصيص فى رقم ٤ من هامش ص ٢٤ عند الكلام على « غير » .

(٢) دخول « إن » وغيرها من العوامل اللفظية ؛ كالباء فى مثل : « بحسبك » العافية ، دليل استند إليه القائلون بأن « حسب » ليس اسم فعل بمعنى : يكنى ؛ لأن العوامل اللفظية لا تدخل على اسم الفعل . والحق أن هذه حجة تصلح للترجيح لا للتحتميم ؛ لأن العرب الأوائل حين يتكلمون لا يعرفون هذه الحجج ، فلا يخضع كلامهم لها .

(٣) والأصل : حسبه ، أى : كافيته .

(٤) والأصل : حسب الغرض ، أى : كافية الغرض .

لتزيين اللفظ^(١) و «حسب» مبتدأ مبني على الضم في محل رفع ، حذف خبره .
والأصل : فحسب الثلاثة مقروءٌ ؛ بمعنى : لا غير الثلاثة مقروء . ويجوز
العكس بشرط حذف الفاء فيكون المبتدأ هو المحذوف ، والتقدير : المقروءُ
حسبٌ . . . ، أى : المقروء حسبي مثلاً .

وبسبب الاستعمال الأول دخل : « حسب » في عداد الأسماء الملازمة للإضافة
في أغلب استعمالاتها . وبسبب الاستعمال الثاني - وهو : البناء - دخل في عداد
النظائر التي تشبه « غير » و « قبل » ، لأنه قطع عن الإضافة لفظاً لا معنى .

* * *

وأما : « أول » - فله استعمالات أشهرها ثلاثة :

(١) أن يكون اسماً لا ظرفية فيه ، معناه : إماماً مبداً الشيء الذي يقابل
آخره ، نحو : أول الغيث قطرٌ ثم يستهَمِر ، أى : بدايته التي هي ضد
نهايته . ومن هذا قول الشاعر :

عرف الناس أن حاتمَ طيٍّ أولٌ في الندى ، وأنت الثاني

ولإما معنى كلمة : « قديم » الذي يقابل معنى حديث ؛ نحو : بيت
المقامر خِلُو^(٢) ؛ ليس فيه أول ولا آخر . أى : ليس فيه قديم ولا حديث .
ولإما متضمناً معنى كلمة : « سابق » أى : « متقدم » الدالة على الوصف ،
نحو : تنقلت في البلاد عاماً أولاً^(٣) ، أى : عاماً سابقاً أو متقدماً من غير

(١) وزيادتها لازمة بنص صريح في ص ٢١ من حاشية الألبوني على : « القطر » . وقد نقلنا
النص في ج ١ ص ٣٠٥ م ٣٠ باب : « المعروف بأل » . عند قول ابن مالك
(« أل » حرف تعريف أو اللام فقط ...) ، وأيضاً قد يفهم هذا اللزوم من حاشية الأمير على :
« المعنى » ج ١ عند الكلام على : « قط » في باب : « القاف » . ولكنه ليس في ضراحة النص السابق .
(٢) خال .

(٣) بالتونين ، وبه يتحقق أحد الفروق بين هذه الصورة والأخرى الآتية في رقم ٢ من الصفحة
التالية . ويقولون في سبب تنوينه ، إنه قد يؤنث بالهاء ، فيقال : سنة أوله ، وسنوات أولات ، ووزن
« أفعل » لا يمنع من الصرف إلا بشرط ألا تلحقه تاء التأنيث إذا أريد به مؤنث . كما سيجيء في
باب : « الممنوع من الصرف » : ج ٤ .

وقد سبقت الإشارة لبعض استعمالاته في ج ٢ ص ٢٢٥ ÷ ٢٢٧ م ٧٩ .

تعيين ولا تخصيص للعام السابق . وفي هذه الصورة يكون مؤولا بالمشتق ، وهو اسم الفاعل هنا .

ولفظ « أول » في كل ما سبق معرب منصرف .

(٢) أن يكون اسماً جامداً لا ظرفية فيه ، ولكنه مؤول بالمشتق ^(١) ، يتضمن معنى كلمة : « أَسْبَقَ » الدالة على التفضيل . وهو في هذا الاستعمال مُعْرَبٌ ، تطبَّقَ عليه أحكام « أفعل التفضيل » ؛ كمنع الصرف للوصفية ووزن الفعل . وكدُخول « مِن » جارة للمفضَّل عليه ، وكعدم تأنيثه بالتاء . . . و . . . وغير هذا مما يجيء في باب « التفضيل » ^(٢) ؛ نحو : أنت في الإحسان أولٌ من هذين الزميلين ، أى : أَسْبَقَ منهما .

(٣) أن يكون ظرفاً للزمان بمعنى : « قَبْلَ » الزمانية ؛ كقولك لمن يدعى أنه رأى النجم قبل غيره : أنا رأيت النجم أولَ الراصدين ، ثم رأوه بعدى . أى : قبلهم . وفي هذا الاستعمال يجرى على لفظ « أول » الأحكام الأربعة السابقة التي تجرى على « غير » و « قبل » ونظائرها .

١ - فيعرب : « أول » إذا كان مضافاً لفظاً ومعنى ؛ نحو أسرع للصارخ أول المستمعين ، ثم توالوا بعدى .

ب - ويعرب أيضاً إذا كان مضافاً ، وحذف المضاف إليه ، ونوى لفظه فصلاً ، نحو : أسرع للصارخ أول . . .

ح - ويعرب أيضاً إذا حذف المضاف ولم ينو لفظه ولا معناه ؛ نحو : أسرع للصارخ أولاً . (ويكون المراد هنا : المعنى الاشتقاقى المجرد ، على الوجه الذى أوسعنا الكلام فيه ^(٣) . أى : سابقاً ، متقدماً) .

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ١٤١ مع ملاحظة الفرق بين هذه الصورة والى سبقتها في رقم ١ .

(٢) وهل هو في هذه الحالة « أفعل للتفضيل » لا فعل له من لفظه ؟

قيل : نعم ، وقيل : إنه جار مجزأ في الوزن ، وفي تجرده من التاء ، ودخول « من » على المفضل عليه . هذا خلاف شكل لا أثر له في صحة الاستعمال .

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ١٣٣ ورقم ١ من هامش ص ١٤٤ .

د - وينبى على الضم إذا حذف المضاف ونوى معناه ، نحو : أسرعت
للمصارخ أول^(١) . . .

* * *

(١) وفيما سبق من الأحكام الخاصة بكلمة : « غير » ونظائرها يقول ابن مالك باختصار :

واضْمُمْ بِنَاءً : «غَيْرًا» أَنْ عَدِمْتَ مَا لَهُ أَضْيِف ، نَاوِيًا مَا عَدِمَا

يقول : اضمم لفظ « غير » ضمة بناء إن فقدت ما أضيف له « غير » . أى : إن فقدت المضاف إليه ، بمعنى : لم تجده فى الكلام ، لأنه محذوف ، وقد نويت معنى هذا المحذوف ، - بالرغم من أنه لم يصرح بأن الذى تذويه هو معنى المحذوف ، لا لفظه . - يريد : ابن « غير » على للضم إن حذف المضاف إليه ونوى معناه .

أما الحالات الأخرى غير الضم فيفهم بعضها من البيتين اللذين بعده ، وهما :

قَبْلُ ، كَغَيْرُ ، بَعْدُ ، حَسْبُ ، أَوَّلُ ، وَدُونُ ، وَالْجِهَاتُ أَيْضًا ، وَعَلَّ
وَأَعْرَبُوا نَصْبًا ، إِذَا مَا نُكِّرَا قَبْلًا ، وَمَا مِنْ بَعْدِهِ قَدْ ذُكِرَا

يريد : أن اللفظ : « قبل » يشبه : « غير » فى الحكم السابق وهو البناء إذا حذف المضاف إليه ونوى معناه . وهناك ألفاظ تشترك مع « قبل » فى هذا أيضًا . وقد عطفها عليه بالواو المحذوفة أو المذكورة ، والأصل : قبل ، وبعد ، وحسب ، وأول ، ودون ، والجهاات ، وعلى - كغير ، فكلمة : قبل مبتدأ ، والجار والمجرور : « كغير » خبره . وباقى الألفاظ معطوفة على : « قبل » بالواو المحذوفة أو المذكورة .

ثم بين فى البيت الأخير أن النعاة أعربوا لفظ « قبل » وبقية الأسماء التى بعده بالنصب مع التنكير . وهذا لا يكون إلا إن حذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه ، فهذا حكم ثان جعله عامًا على كل تلك الألفاظ ، مع أنه ينطبق على بعضها مثل « قبل » و « غير » ولا ينطبق على بعض آخر ؛ مثل : حسب - على - كما أنه ذكر بعض الأحكام ، وترك بعضاً آخر هاماً ، وتفصيلات ضرورية . وقد تداركنا ذلك كله .

زيادة وتفصيل :

— تتصدى المراجع اللغوية والنحوية لبعض الأساليب المشتملة على لفظ « أول » وتوضح معناه ، وموقعه الإعرابي في كل أسلوب . ومع تنوع تلك الصور ، وكثرة الآراء والاضطراب فيها ، نستصنى منها ما يأتي ، ليكون معيناً على فهم غيره في ضوء القواعد النحوية العامة ، والأصول اللغوية المختلفة ، ومن الجائز توجيه الصور الآتية توجيهات معنوية وإعرابية أخرى .

(١) « ودعت الغائب منذ عامٌ أولٌ » ، يجوز في كلمة : « عام » أن تكون خبراً مرفوعاً عن « منذ » — وكلمة : « أول » صفة لها ، فكأن الكلام : ودعت الغائب منذ عامٌ أولٌ من عامنا الحاضر ، أى : منذ عام سابق على عامنا الحالى .

(٢) ودعت الغائب منذ عامٌ أولٌ فكلمة : « أول » ظرف زمان بمعنى : « قبل » . والمراد : ودعت الغائب منذ عامٌ قبل العام الحالى ، فحذف المضاف إليه ، ونوى لفظه ، فبقى المضاف ؛ وهو كلمة : « أول » على حاله من الضبط الذى كان عليه قبل الحذف . (تطبيقاً لما مر من أحكام « قبل » ، وبعد » ونظائرها . . .) ، فهو ظرف زمان منصوب على الظرفية مباشرة .

(٣) ابدأ يومك بالصلاة أولٌ . فكلمة : « أول » ظرف زمان بمعنى : « قبل » مبنية على الضم في محل نصب على الظرفية . والأصل : ابدأ يومك بالصلاة أولَ الأعمال ، أى : قبلَ الأعمال الأخرى ، فحذف المضاف إليه ، ونوى معناه ، فبنى على الضم وجوباً ؛ تطبيقاً لأحكام « قبل وبعد » المشار إليها . . . فإن ظهر المحذوف وجب النصب على الظرفية الزمانية ، نحو : ابدأ يومك بالصلاة أولَ الأعمال ، أى : قبلَ الأعمال . . . كما سبق . . .

(٤) ما رأيت الأخ منذ أمس^(١) . أى : منذ ابتداء اليوم الذى قبل يومنا الحاضر ، فإن لم أره يوماً آخر قبل أمس قلت : ما رأيت الأخ منذ أولٌ من أمس . فكلمة : « أول » خبر المبتدأ « مذ » والمعنى : ما رأيت الأخ منذ الأول من أمس ،

(١) في ج ٢ م ٧٩ ص ٢٦٤ الكلام على : « أمس » والإشارة لبعض الاستعمالات التالية ، ومنها استعمالات أخرى هامة .

أى : مذ اليوم الأسبق من أمس ، وهو اليوم المعين المعروف ، الذى يسبق أمس مباشرة .
 فإن لم أره يومين قبل أمس قلت : لم أره مذ أول من أول من أمس . (ولا يصح
 أن أزيد على اليومين قبل أمس) . فكلمة : « أول » الأولى خبر ومعناها :
 الأسبق أيضاً . وكلمة : « أول » الثانية مجرورة بالفتحة ، ممنوعة من الصرف ؛
 ومعناها : أسبق . والمراد : لم أره منذ يوم أسبق من يوم آخر أسبق من أمس ^(١) .
 ونعود فنشير مرة أخرى إلى جواز أوجه معنوية وإعرابية غير ما عرضناه .

* * *

ب — أشرنا من قبل (فى ج ٢ م ٧٩ ص ٢٦٧ — باب الظرف) إلى ما تسجله
 المراجع النحوية من الكلام على أصل لفظ « أول » وأن أصله : « أوّل » بهمزة بعد
 الواو ، بدليل جمعه على « أوائل » . فقلبت الهمزة الثانية واواً ، وأدغمت هذه الواو فى
 الأولى . وقيل : أصله : « وائل » ، قلبت الهمزة واواً ، وأدغمت فى الواو قبلها .
 وقلبت الواو الأولى همزة ، ولم يجمع على « وائل » فراراً من ثقل اجتماع الواوين فى
 أول اللفظ .

ولا شك أن هذه كلها فروض خيالية ، لا يعرفها العرب . ولكن النحاة
 ابتكروها للوصول إلى أغراض نافعة ؛ كمعرفة أصول الكلمة وزوائدها ، وتطبيق
 أحكام الإعلال والإبدال عليها ، والاهتداء إلى الكشف عن معناها فى المراجع
 اللغوية ... وهذا حسن .

* * *

ح — وهل يستلزم ذكر الأول وجود ثان ؟ الصحيح أنه لا يستلزم . إلا إن
 وجدت قرينة تدل على وجود ثان بعد الأول ^(٢) . . .

* * *

(١) راجع لسان العرب فى مادة « أمس » ومادة : « وأل » وكذلك : « التاج » ثم حاشية :
 « ياسين » على التصريح « طبعة الحلبي » بعد تدارك ما فيها من خطأ مطبعي .

(٢) مما يتصل بكلمة : « أول » ما جاء فى ج ٢ م ٧٩ ص ٢٢٨ وكذا فى ص ٤٣٣ مبحث

د - « ملاحظة » : رأى بعض النحاة^(١) تقسيم الاسم من ناحية إضافته وعدم إضافته ، تقسيماً موجزاً ، ولكنه شامل ، وملخصه :

(١) ما تجب إضافته للمفرد الظاهر أو المضمّر إضافة لفظية ، ويصح قطعه عن الإضافة لفظاً ، وهو : غير ، ومع ، والجهات ، ونحوها ؛ كلفظة « كل » التي ليست للتوكيد ولا للنعت .

(٢) ما تجب إضافته للمفرد الظاهر أو المضمّر إضافة لفظية ، ولا يصح قطعه ؛ مثل : كلا ، وكأنا ، عند .

(٣) ما تجب إضافته للمفرد الظاهر ولا يصح قطعه ؛ وهو : أوّل - أوّلات - ذو ، ذات وفروعهما ؛ كذوّا ، وذوات... - « كل » التي تعرب نعتاً .

(٤) ما تجب إضافته لفظاً للمضمير مطلقاً - مخاطباً أو غير مخاطب - مثل : وحّد ، وكلّ ، التي للتوكيد .

(٥) ما يجب إضافته للمضمير المخاطب ؛ مثل : لبيك ، وأخواتها ... ولا يجوز القطع .

(٦) ما تجب إضافته للجملة مطلقاً (أى : اسمية أو فعلية) ولا يقطع عنها ، وهو : حيث . فإنها لا تضاف في الأعم الأغلب إلا للجملة ، ولا يصح قطعها عن الإضافة .

(٧) ما تجب إضافته للجملة مطلقاً مع صحة جواز قطعه عن الإضافة لفظاً ؛ وهو « إذ » .

(٨) ما تجب إضافته لفظاً للجملة الفعلية - دون غيرها - وهو : « إذا » وأيضاً « لَمَّا » الحينية عند من يقول باسميتها .

(٩) ما تمتنع إضافته ، كالضمائر ، وأسماء الإشارة ، وكذلك غير « أى » من أسماء الشرط ، والاستفهام ، والموصول .

(١٠) ما يجوز إضافته وعدم إضافته ، وهو بقية الأسماء الأخرى التي لا تدخل تحت قسم مما سلف ، وهي الأكثر .

(١) هو الخضرى - ج ٢ عند بيت ابن مالك :

المسألة ٩٦ :

حذف المضاف . حذف المضاف إليه .

نعت أحدهما .

١ - يجوز حذف المضاف حذفاً قياسيًّا ، بثلاثة شروط :

أولها : وجود قرينة تدل على لفظه نصًّا ، أو لفظ آخر بمعناه ، بحيث لا يؤدي حذفه إلى لبس أو تغيير في المعنى ؛ نحو : حدثني التجارب أن من يَسْبَغِي بِسِلَاحِ الْبَاطِلِ يُقْتَلْ بِسِلَاحِ الْحَقِّ . والأصل : حدثني أهل التجارب والقرينة الدالة على المضاف المحذوف قرينة عقلية ، هي أن التجارب لا تتحدث ، وإنما الذي يتحدث : أصحابُها والمتصاؤون بها فلا بد لصحة المعنى الحقيقي - لا المجازي - من تقدير مضاف محذوف ، وهو مع حذفه ملحوظ . ومن الأمثلة قوله تعالى : (وجاء ربك . . .) ، وقوله : (وأسأل القرية . . .) ، وقوله : (ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله . . .) ، والأصل : وجاء رسول ربك - وأسأل أهل القرية - ولكن البر بر من آمن بالله ^(١) - . . .

فإن أوقع حذفه في لبس أو تغيير في المعنى لم يجز . كقول شوقي : « ذكروا للبخل مائة علة ، لا أعرف منها غير الجبيلة . . . » فلا يجوز حذف المضاف ؛ وهو كلمة : « مائة » ، أو كلمة : « غير » ؛ لأن حذف الأولى يقع في لبس وغموض ؛ إذ لا دليل على المحذوف بنصه أو بمعناه . فلا ندرى أهو كلمة : مائة ، أم ألف ، . . . ، أم غير ذلك ؟ وحذف الثانية يفسد المعنى فساداً كاملاً ، لأنه يؤدي إلى تقيض المطلوب ، فنل هذا الحذف لا يجوز قياساً ، ويجب الاقتصاد فيه على المسموع من العرب الأوائل وحدهم . ومنه

(١) والقرينة العقلية الحاسمة في هذه الأمثلة هي أنا لا نرى الله يحى أمامنا ، وأن القرية من حيث هي طوبى وحبارة ؛ ومواد بناء ، لا يتجه إليها سؤال حقيق ، لا مجازي - ويستحيل أن يكون منها جواب ، وأن البر أمر معنوي لا يكون الخبر عنه هنا أمراً حسياً مجسماً (أى : ذاتاً ، وبجثة) .

حذف كلمة « ابن » في قول الشاعر :

لا تَلْمُني - عتيق - حَسْبِي الَّذِي بِي
إِنْ بِي - يا عتيق - مَا قَدْ كَفَّانِي

يريد : يا بن أبي عتيق ^(١) .

ثانيها : أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف المحذوف ، ويحل محله في الإعراب - وهذا هو الغالب ^(٢) - فيكون فاعلا مكانه في مثل قوله تعالى : « وجاء ربك » . والأصل كما قلنا : وجاء رسول ربك ؛ فحذف الفاعل المضاف ، وحل في مكانه المضاف إليه ، وصار فاعلامرفوعاً .

وقد يكون مفعولاً به ، كقوله تعالى : « وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ » ، والأصل : حبَّ العجل ، فحذف المضاف المفعول به ، وحل محله المضاف إليه ، وصار مفعولاً به منصوباً ، وقد يكون مفعولاً مطلقاً ؛ نحو قول الشاعر :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ^(٣) وَبَتَّ كَسَمَابَاتِ السَّلِيمِ ^(٤) مُسَهَّدَا
والأصل : أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ اغْتِمَاضَ لَيْلَةَ أَرْمَدَ ، فحذف المضاف وهو المفعول المطلق ، وحل محله المضاف إليه ؛ وهو كلمة : « ليلة » ؛ فصارت مفعولاً مطلقاً ^(٥) بدله .

وقد يكون مبتدأ ، نحو قوله تعالى : « الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ » . . . أى : زمن الحج ، أو موسم الحج . . .

وقد يكون خبراً للمبتدأ ؛ كقولهم : شرَّ المنايا مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ ، أى : مَنِيَّةٌ مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ ^(٦) .

- (١) وهذا ثابت من التاريخ ، فقد أخبرنا أن القائل هو : عمر بن أبي ربيعة ، وأن المخاطب هو : ابن أبي عتيق . وكلمة : « ابنة » مثل كلمة : « ابن » لا يصح حذفها وهي مضافة لإسماعا .
(٢) كان هذا غالباً فقط للسبب الذي في رقم ٥ من هامش الصفحة التالية .
(٣) الأرمَد : المريض مطلقاً . أو : المريض بمرض في عينيه .
(٤) من لدغته أفعى . وهي من تسمية الأضداد ، رجاء أن ينجو ويسلم من عاقبة ما أصابه .
(٥) تتوقف صحة المعنى على هذا التقدير ، ولا يستقيم المعنى بجعل « ليلة » ظرف زمان ؛ فليس المراد : أَلَمْ تَغْمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ الأرمَد . أى : في ليلة الأرمَد ؟
(٦) يريدون : من لم يشترك في الحرب ، وقتال الأعداء .

وقولهم في وصف الدنيا : « هي إقبال وإدبار » . والأصل : هي ذات إقبال . . . ، أو خيراً للناسخ ، كقوله تعالى في الآية السالفة : (ولكن البر من آمن بالله . . .) .

وقد يكون ظرفاً ؛ نحو : وصلت إلى عملى طلوع الشمس . أى : وقت طلوع الشمس . أو مفعولاً لأجله ؛ نحو : أطعتُ الوالدَ إرضاءً ، أى : قصدَ إرضاءه . أو : مفعولاً معه ، نحو : رجعتُ للبيت والليل ، أى : وبجىء الليل . أو حالا ، نحو : تفرق الأعداءُ أيادى سبأ ، والأصل : مثلَ أيادى^(١) سبأ . . . أو : صفة ؛ نحو : سخرت من قومٍ أيادى سبأ . أى : مثلَ أيادى . . . أو مجروراً ؛ كقوله تعالى : (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أى : من مرضاة الله . . . وقول الشاعر^(٢) :

وكيف تواصل من أصبحت خلالته^(٣) كأبى مَرَحَبٍ^(٤)
أى : كخلالة أبى مرحَب . . . ، فحذف المضاف في كل هذا - وأشباهه - وحل المضاف إليه محله في اسمه الإعرابى ، وحركته الإعرابية . . .

ومن الجائز أن يحذف المضاف ، ويبقى المضاف إليه على حاله من الجر من غير أن يقوم مقام المحذوف في موقعه الإعرابى وحركته . ولكن هذا قليل بالنسبة للأول^(٥) . ويشترط لصحته ، والقياس عليه شرطان :

(١) لا تعرب كلمة : « أيادى » هي الحال مباشرة ؛ لأنها معرفة بالإضافة للمعرفة ، والغالب في الحال الأصلية أن تكون نكرة ، لذا كانت حالا مؤولة ؛ بمعنى : متبددين . أو : حالا من طريق قيامها مقام المضاف . المحذوف الذى هو كلمة : « مثل » المتوغلة في أغلب حالاتها في الإيهام ؛ كما عرفنا في باب الحال ، ج ٢ م ٨٤ ص ٢٩٧ - وكذلك حين تكون نعتاً لنكرة .

(٢) هو النابغة الجعلى .

(٣) الخلالة - مثلثة الحاء - الصداقة .

(٤) أبو مرحب : كناية عربية قديمة عن الظل ؛ ومن شأن الظل التثقل وعدم الثبات .

(٥) كيف يجوز أن يبقى المضاف إليه على حاله من الجر مع أننا اشتطنا - في الصفحة السالفة -

لحذف المضاف إقامة المضاف إليه مقامه في إعرابه ؟

أجابوا : إن هذا الشرط مستمد من الأعم الأغلب الوارد في الكلام الفصيح ؛ فاشتراطه إنما هو لتحقيق الأعم الأغلب ، لا لتحقيق جميع الحالات التى يجوز فيها حذف المضاف . ونتيجة هذا أنه يجوز حذف المضاف مع بقاء المضاف إليه مجروراً بالشرطين المذكورين بعدُ لقياسيته - مع اعتبار هذا مخالفاً للأعم الأغلب ، برغم صحته ، وقياسيته .

أحدهما : أن يكون المضاف المحذوف معطوفاً على كلمة مضافة مذكورة ،
تُمائله (لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط) ، أو تقابله ^(١) ، لتكون دليلاً عليه بعد حذفه ،
والآخر : أن يكون حرف العطف متصلاً بالمضاف إليه ، - الذى حذف قبله
المضاف - أو منفصلاً منه « بلا » النافية ؛ إن اقتضاها المعنى ؛ نحو : كل فتى
محاسبٌ على عمله ، وفتاةٌ على عملها . والأصل : وكل فتاة . فحذفت كلمة :
« كل » الثانية : وهى المضاف ؛ بعد أن تحقق شرطاً ^(٢) الحذف (وهما :
الاتصال ، وعطفها على نظيرتها فى اللفظ والمعنى) ؛ وهى : « كل » الأولى ^(٣) .
ونحو قول الشاعر :

أكلَ امرئٌ تحسبين امرأً ؟ ونارٌ ^(٤) توقدُ ^(٥) بالليلِ نارا ؟
أى : وكلَّ نارٍ . . . ومثال الفصل بينهما « بلا » النافية قول الشاعر :
لَمْ أَرْ مِثْلَ الْخَيْرِ يتركه الفتي ولا الشرَّ يأتيهِ امرؤٌ وهوَ طائعُ

(١) المراد بالمقابلة ما يشمل الضدين والتقيضين .

(٢) هذان هما الشرطان لقياسية الجر بعد حذف المضاف ، ولا داعى لاشتراط تقدم النفى أو
الاستفهام أو غيرهما ما زاده بعض النحاة .

(٣) فالعطف عطف جملة على جملة ، ولا يصح أن يكون عطف مفردات ؛ باعتبار أن : « فتاة »
مطووفة ، مباشرة ، على « فتى » لأنه يؤدى إلى فساد التركيب ؛ إذ يصير : كل فتى وفتاة محاسب على
عمله . . . و . . . فتختل المطابقة بين المبتدأ والخبر

(٤) قالوا فى إعراب كلمة : « نار » الأولى : إنها مضاف إليه مجرور بالمضاف المحذوف ؛
وهو : « كل » . ولم تكن مجرورة بالعطف على كلمة : « امرئ » المجرورة بالمضاف لئلا يلزم العطف
على معمولي عاملين مختلفين ، لأن كلمة : « امرئ » المجرورة ، معمولة للفظ : « كل » المضاف
المذكور ، وكلمة : « امرأ » المنصوبة مفعول ثان : « لتحسين » فهى معمولة للفعل ، ومفعوله الأول هو :
« كل » امرئ المقدم عليه ، فلو عطفنا بالواو كلمة : « نار » المجرورة على « امرئ » المجرورة بالمضاف :
« كل » ، وعطفنا بهذه الواو أيضاً « ناراً » المنصوبة على : « امرأ » المنصوبة - لترتب على هذا أن نعطف
بجوف واحد شيئين على معمولين مختلفين ضبطاً وهما لعاملين مختلفين ، وهذا ممتنع عند كثرة النحاة : لأن
العاطف عندهم نائب عن العامل ، والعامل الواحد لا يعمل جراً ونصباً معاً ، ولا ينوب عن عاملين .
فالالتجاء إلى تقدير مضاف محذوف أولى ؛ إذ لا خلاف بينهم على صحته . أما الالتجاء إلى العطف على
معمول عاملين مختلفين ففيه خلاف ، والكثرة لا ترضاه ، وما لا خلاف فيه أحق بالاتباع مما فيه خلاف . . .
(راجع التصريح - وغيره - فى هذا الموضع) .

(٥) أصلها : تتوقد : رحلت لإحدى التآوين : للتخفيف .

أى : ولا مثل الشر . وقولهم : ما كلُّ سوداءَ فحمةٌ ، ولا بيضاءَ شحمةٌ .
 أى : ولا كل بيضاءَ شحمةٌ^(١) ، ويرى بعض النحاة عدم اشتراط الاتصال .
 وهو رأى فيه تيسير وتوسعة ، لا مانع من الأخذ به ، برغم أنه ليس الأفصح
 الأعلى .

ومثال المحذوف المعطوف على مذكور لا يماثله وإنما يقابله . قراءة من قرأ
 قوله تعالى : (تريدونَ عرضَ الدنيا ، والله يريدُ الآخرةَ)^(٢) .

ثالثها : أن يكون المضاف إليه من الأشياء التي تصلح لأن تحل محل
 المضاف المحذوف في إعرابه ؛ كالأمثلة السالفة ، فلا يصح حذف المضاف إذا
 كان المضاف إليه جملة ؛ (لأنها لا تصلح فاعلا ، ولا مفعولا . ولا مبتدأ . . .
 و . . . و . . .) كالتى فى قوله تعالى : (فسبحان الله حين تَسْجُدُونَ وحين
 تُصْبِحُونَ . . .) ، فالمضاف إليه هو الجملة الفعلية . والمضاف هو : كلمة
 « حين » ولا يجوز الحذف^(٣) .

فإذا لم يتحقق شرط أو أكثر ، من الشروط الثلاثة لم يصح الحذف
 القياسى^(٤) .

• • •

(١) متجنىء مناسبة لهذا المثال فى ص ٥٦٥ وله إيضاح فى ٦٣٨ .

(٢) الآخرة ، - بالجذر ، فى قراءة من قرأها كذلك - مضاف إليه . والتقدير : تريدون عرض
 الدنيا ؛ (أى : الطارئ عليها ، الذى لا يدوم ، ولا يَبْقَى) . والله يريد دائما الآخرة ، أو خالده
 الآخرة ، فالمضاف إليه المحذوف ، وهو : دائم ، أو : خالد - مقابل للمذكور ، وهو : « عرض » ،
 وليس مماثلا له .

(٣) كذلك لا يجوز الحذف إذا كان المضاف إليه مبدوءاً « بآل » والمضاف منادى . فلا يصح :
 يا العالم . تريد : يا مثل العالم .

(٤) فيما سبق يقول ابن مالك :

وَمَا يَلِي الْمَصَافَ يَأْتِي خَلْفًا عَنْهُ فِي الإِعْرَابِ إِذَا مَا حُذِفَا
 ما يلى المضاف ، (أى : ما يأتى بعد المضاف ، والمراد به : المضاف إليه) يكون خلفاً عنه
 فى الإعراب ، وقائماً مقامه عند حذفه ؛ فيعرب بما كان يعرب به المضاف المحذوف ؛ فيصير فاعلا بدله ،
 أو : مفعولا ، أو : مبتدأ ، أو خبراً . . . و . . . واكتفى بهذا ، دون أن يذكر شيئاً من الشروط .
 =
 وقد أوضحناها : ثم قال :

النحو الوافى - ثالث

زيادة وتفصيل :

١ - إذا حذف المضاف ، بعد تحقق الشروط الثلاثة المطلوبة جاز - وهو الأكثر - عدم الالتفات عليه عند عودة الضمائر ، ونحوها مما يقتضى المطابقة ؛ (كالتعريف والتنكير ، والإفراد ، وغيره . . .) فكأنه لم يوجد ، ويجرى الكلام على هذا الاعتبار . وجاز مراعاته كأنه موجود مع حذفه . وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا ^(١) بَسِيَّاتَا ^(٢)) ، أَوْ هُمْ قَتَائِلُونَ ^(٣) . والأصل : وَكَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ . . . فرجع الضمير : « ها » : مؤنثاً إلى القرية . ورجع الضمير : « هم » مذكراً لاعتبار المحذوف وملاحظته . ولا تناقض بين الاثنين لاختلاف الوقت .

ومن ملاحظة المحذوف قول حسنّان في مدح الغسانيين :

يَسْقُونُ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ ^(٤) عَلَيْهِمْ

بَرَدَى ^(٥) يُصَفِّقُ ^(٦) بِالرَّحِيقِ ^(٧) السَّلْسَلِ ^(٨)

= وَرُبَّمَا جَرُّوا الَّذِي أَبْقَوْا كَمَا قَدْ كَانَ قَبْلَ حَذْفِ مَا تَقَدَّمَ

(الذى أبقوا) أى : الذى أبقوه بعد حذف المضاف . والمراد : المضاف إليه . (قبل حذف ما تقدم) أى : قبل حذف المتقدم ، وهو : المضاف .

يريد : أن العرب قد يحذفون المضاف ويتركون المضاف إليه على حاله من الجر كما كان قبل حذف المضاف .

لَكِنْ بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ مَا حُذِفَ مُعَاثِلًا لِمَا عَلَيْهِ قَدْ عُطِفَ
أى : بشرط أن يكون المضاف المحذوف معطوفاً على كلمة مذكورة ماثلة في لفظها ومعناها للمعطوف
المضاف ، وقد شرحنا هذا ، وفصلناه .

(١) عذابنا . (٢) ليلا .

(٣) نائمون في القيلولة ، وهى وسط النهار . (٤) واد قرب دمشق .

(٥) نهر يجترق دمشق . ولفظه مؤنث ؛ لوجوه ألف التأنيث في آخره .

(٦) يُمَزَّج . (٧) الأحمر . (٨) العذب .

يريد : ماء بردى . والضمير في : « يُصَفَّقُ » مذكر ، إذ لوحظ في مرجعه المحذوف أنه مذكر .

ومن ملاحظة المحذوف المؤنث وعود الضمير عليه مؤنثاً دون إعتبار للمذكور قول الشاعر :

مَرَّتْ بِنَا فِي نَسْوَةِ حَقِّصَصَةٍ وَالْمِسْكُ مِنْ أَرْدَانِهَا ^(١) نَافِيحَةٍ

أى : رائحة المسك فائحة من أكمامها ^(٢)

(٢) قد يحذف مضافان أو أكثر فيقوم الأخير مقام الأول . فمثال حذف مضافين قوله تعالى : (. . . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْفَكُمْ تُكْسِدُونَ . . .) الأصل : وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم ؛ فحذف كسمتي : « بدل - وشكر » ، وكلاهما مضاف ، وأقام المضاف إليه الأخير وهو « رزق » - مقام الأول ؛ وهو : « بدل » .

ومثال حذف ثلاثة قوله تعالى عن الرسول الكريم وأن جبريل اقترب منه : « ثُمَّ دَنَا ^(٣) فَتَدَلَّى ^(٤) ؛ فَكَانَ قَابَ ^(٥) قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ^(٦) » ،

(١) جمع : رُذْن ، بمعنى : كم .

(٢) ما سبق هو حكم الضمير العائد على المضاف المحذوف ، المستوف لشروط الحذف . أما حكم عودة الضمير على المضاف المذكور فهو حكم هام سبق تفصيله ، وبياناه ؛ سواء أكان المضاف هو لفظ « كل » و « بعض » أم غيرهما من صوره المختلفة التي في مكانه الأنسب ، (وهو : « هـ » - مبحث : مرجع الضمير) في الجزء الأول ، (في آخر المسألة ١٩ ص ٢٣٠ - و « ز » من ص ٢٣٦ ، مبحث تعدد المرجع) .

(٣) أى : اقترب جبريل من النبي .

(٤) فزاد من القرب .

(٥) قدر . والمراد : قدر مسافة قوسين متلاصقين ، فقد كان من عادة أهل الجاهلية عند تحالفهم أن يحضروا قوسين ، ويلصقوا إحداها بالأخرى ؛ حتى كأنهما قوس واحد ؛ رمزاً للاتفاق والاتحاد . الكلمة ، وتقارب النفوس والقلوب .

(٦) أقرب .

.....

 والأصل : فكان الرسول قدرَ مسافةٍ قُرْبِ قابِ قوسين . فكلمة : « الرسول »
 المحذوفة اسم كان ، والضمير حلَّ محلِّها ، وصار هو الاسم . وحذفت المضافات
 الثلاثة : (قدر - مسافة - قرب -) وحلَّ المضاف إليه الأخير :
 (وهو كلمة : قاب) ، محلَّ المضاف إليه الأول : (وهو : قدر) وصار
 خبراً مكانه .

ب - يجوز حذف المضاف إليه ، ولهذا صور ثلاث^(١) :

الأولى : أن يحذف المضاف إليه ، ويُنَوَى معناه ؛ فيُسَبَّنَى المضاف على الضم (ولا يصح أن يكون معرباً ، و منوناً) .. وهذه الصورة تتحقق حين يكون المضاف كلمة : « غير » أو ظرفاً من الظروف الدالة على الغاية مثل : قبل - بعد ، . . . أو اسماً آخر يشبهها : مثل : حسب . . . وسواها مما مردناه وشرحناه قريباً^(٢) : نحو : استشار المريض الطبيب ليس غير ، ولم يستمع لأحد قبل . والأصل - مثلاً - : ليس أحدٌ غير الطبيب ، ولم يستمع لأحد قبل الطبيب . فلما حُذِفَ المضاف إليه ونوى معناه بُنِيَتْ « غير » ، و « قبل » على الضم . . .

الثانية : أن يحذف المضاف إليه ولا يُنَوَى لفظه ولا معناه ، فيرجع المضاف إلى حالته الإعرابية قبل الإضافة ، ويرد إليه ما حذف للإضافة ؛ كالثنوين . . . و . . . فكأن الكلام في أصله خال من الإضافة ؛ نحو قوله تعالى : (وكلاً وعد الله الحُسْنَى) ، أى : وكلّ فريق . وقوله تعالى : (أيّاً مآ تَدْعُوا^(٣) فله الأسماءُ الحسنَى) ، ونحو : تشعبت فروع التخصص فبعض زراعى ، وبعض طبي ، وبعض هندسى . . . أى : فبعض الفروع . . .

ويتحقق هذا في الأسماء بنوعها : التامة^(٤) وغير التامة (ولا سيما ما كان منها دالاً على الإحاطة والشمول ، أو البعضية ؛ كما في الأمثلة) .

الثالثة : أن يحذف المضاف إليه ويُنَوَى ثبوت لفظه ؛ فيبقى المضاف على حاله التى كان عليها قبل الحذف ؛ فلا يتغير إعرابه ، ولا يرد إليه ما حذف

(١) إذا كان المضاف إليه هو « ياء المتكلم » تميز بأحكام خاصة ، هامة تجمي في ص ١٦٩ وما بعدها - م ٩٧ -

(٢) في ص ١٣١ و ١٤١ وما بعدها .

(٣) « أيّاً » أداة شرط ؛ للعموم والإبهام . « تدعوا » فعل شرط ، مضارع ، مجزوم بحذف النون ، وواو الجماعة فاعل « وما » زائدة .

(٤) في رقم ١ من هامش ص ١٣١ أن المراد بالأسماء التامة هنا ما لا تدل على النيات ، المشروحة في هامش ص ١٤١ .

أما غير التامة فهي قبل وبعد وأشباههما و . . . مما شرحناه في هذا الباب في ص ١٣١ وما يليها .

للإغفاءة - كالتنوين . . . وإنما تظل أحكام الإضافة سارية بعد الحذف كما كانت قبله .

ويشترط في المضاف المذكور إن كان اسماً تاماً^(١) أن يُعْطَفَ عليه اسم عامل في لفظ مشابه للمضاف إليه المحذوف في صيغته ومعناه ؛ لبدل على المحذوف نصاً ؛ فيكون في قوة المذكور ، نحو : أنفقت ربعَ ونصفَ المال ، أى : أنفقت ربع المال ونصف المال . فحذف المضاف إليه الأول بعد تحقق الشرط المطلوب ، وهو وجود اسم معطوف : (نصف) وهذا المعطوف عامل في لفظ آخر (نعى به : المال) وهو مشابه للمحذوف في صيغته ومعناه ؛ فاستغنيا بالمذكور عن المحذوف ؛ أى : أن المضاف إليه الثانى دل على الأول المحذوف^(٢) ، ومثل قول الشاعر :

سَقَى الْأَرْضَيْنِ الْغَيْثُ سَهْلَ وَحَزْنَئَهَا^(٣)
فَنِيَّطُ^(٤) عُرَى^(٥) الْأَمَالِ بِالزَّرْعِ وَالضَّرْعِ^(٦)
أى : سهلها وحزنها . وقول الفَرَزْدَقِ :
يا من رأى عارضاً يُسَرِّ به بين ذراعَيْ وَجْهَةِ الْأَسَدِ

(١) أما ظروف الغايات ؛ (مثل : قبل ، بعد ، ونظائرها) فلا يشترط فيها هذا ، كما تقدم عند الكلام عليها . (وقد سبق شرح الأسماء التامة ، والغايات في هوامش ص ١٣١ و ١٤١ و ١٦٥ . . .) .

(٢) هناك تقدير آخر فيه تكلف . . . ومأخذه ، أن الأصل : أنفقت ربعَ المال ونصف . ثم تأخر المضاف إليه ، فصارت الجملة : أنفقت ربع - ونصف - المال - ثم حذفت الهاء تحسیناً للفظ . ولا داعي لهذا التكلف والالتواء الذى لا فائدة منه .

ويقول القراء : إذا كان الاسمان المضافان متصاحبين في الاستعمال الكلامي الكثير كاليد والرجل ، و « قبل وبعد » أضيفا معاً للمضاف إليه المذكور ، ولا شيء محذوف ، ولا متقدم أو متأخر عن مكانه . وفي هذا راحة وتيسير ، ولكن الأول أدق . برغم أن نتيجة الآراء الثلاثة واحدة .

(٣) الحزن : الأرض الغليظة ، الصلبة . (ضد السهلة) .

(٤) فتملقت .

(٥) جمع : عُرْوَة ، وهى الجزء البارز من الإناء وغيره ، كى يمكن إمساكه الإناء منه ، وكأنه حلقة مستديرة - أو نحوها - مما يكون متصلاً بظاهر الإناء ، كى تمسكه اليد فى سهولة .

(٦) الضرع : المكان الذى يتجمع به لبن الحيوانات اللبنة فى آخر بطنها ، والمراد ، هنا تلك الحيوانات نفسها .

أى : بين ذراعى الأسد ، وجهة الأسد . ولا فرق فى المعطوف العامل بين أن يكون مضافاً يعمل الجرح فى المضاف إليه - كالمثالين السالفين ، - وأن يكون عاملاً آخر غير مضاف ؛ نحو ، قول الشاعر

عَلَّقْتُ أَمَالِي فَعَمَسَتِ النِّعَمُ بمثل أو أنفعَ من وَبَلٍ ^(١) الدِّيسَمِ ^(٢)
أى : بمثل ، أو : بأنفع ^(٣) . . .

وقد يحذف المضاف إليه ^(٤) ويبقى المضاف على حاله إذا كان هذا المضاف معطوفاً على مضاف إلى مثل المحذوف ، - وهذه الصورة عكس السابقة - ومنها الحديث الذى رواه البخارى عن أحد الصحابة ونصه : غرونا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع غزوات وثمانى ، بفتح الياء بغير تنوين . والأحسن الاقتصار فى هذ النوع على المسموع .

* * *

ح - إذا وقع بعد المركب الإضافى (كعبد العزيز - وشمس الدين - وسيف الله . . . وأنواع العلم الكنية . . .) نعت ^(٥) ، فهو للمضاف ؛ لأن المضاف

(١) الويل : المطر الشديد .

(٢) جمع : دريمة ، وهى المطر الذى يطول زمنه بغير رعد ولا برق .

(٣) اكتفى ابن مالك فى الإشارة إلى الأحوال السابقة بقوله الموجز :

وَيُحَذَفُ الثَّانِي فَيَبْقَى الْأَوَّلُ كَحَالِهِ إِذَا بِهِ يَتَّصِلُ

بشَرْطٍ . عَطْفٌ وَإِضَافَةٌ إِلَى مِثْلِ الَّذِي لَهُ أَضْفَتِ الْأَوَّلُ

يقول : إن الثانى ، (وهو : المضاف إليه) يحذف ولا يتأثر الأول (وهو المضاف) بالحذف ، بل يبقى على حاله الأول حين اتصاله بالمضاف إليه المحذوف . وهذا بشرط أن يكون المضاف الباقى على حاله معطوفاً عليه ، والمعطوف مضاف إلى لفظ مثل المحذوف الذى أضيف إليه الأول الباقى بعد الحذف .

ثم انتقل بعد هذا إلى الكلام على الفصل بين المتضايفين فقال بيتين سبق شرحهما فى موضعهما الأنسب من ص ٥٨ وهما :

فَضْلُ مِضَافٍ شَبِيهُ فِعْلٍ مَا نَصَبْ مَفْعُولًا أَوْ ظَرْفًا أَجَزْ ، وَلَكِنْ يُعَبِّ :

فَضْلُ يَمِينٍ . وَاضْطِرَارًا وَجِداً . بِأَجَنَّبِيٍّ ، أَوْ : بِشَغْتِ ، أَوْ : نَدَا

(٤) إذا كان غير ياء المتكلم . فإن كان ياء المتكلم فله الأحكام الخاصة الآتية فى ص ١٦٩ و ١٧٢ .

(٥) انظر فى ص ٤٤٤ ما يتصل بحكم النعت وغيره من التوابع إذا كان المتبوع كنية .

هو المقصود الأساسي بالحكم ، أما المضاف إليه فهو قيد له — كما تقدم ^(١) — ويستثنى من هذا الحكم حالتان :

الأولى : أن يقوم دليل على أن المقصود بالنعته هو المضاف إليه ؛ نحو :
أسرع إلى معاونة الصارخ الملهوف ، ولا تتوان في بذل الجهود الصادقة لإنقاذه .

الثانية : أن يكون المضاف هو لفظة : « كل » ^(٢) ، فالأحسن في هذه الحالة مراعاة المضاف إليه ؛ لأنه المقصود الأساسي . أما المضاف : « كل » فجيء به لإفادة الشمول والتعميم ؛ نحو : كل فتاة مهذبة هي دِ عامة لرقى وطنها ، وإسعاد أهلها . . . ومراعاة المضاف : « كل » ضعيفة هنا .

وتطبيقاً على ما سلف يعرض النحاة ^(٣) لإعراب بعض النعوت ؛ فيجيزون في كلمة : « الأعلى » من قوله تعالى : (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) أن تكون نعتاً لكلمة : « اسم » ، أو لكلمة : « رب » لأن الغرض هو تنزيه المسمى (أى : المولى جل شأنه) . ولا مانع أن يكون الغرض تنزيه اسمه عن الأوصاف والتأويلات التي لا تليق بهذا الاسم المعظم ، وعن إطلاقه على غيره سبحانه . . .

وأما نحو : جاءني رسولٌ على الظريف . . . فالنعت للمضاف ، ولا يكون للمضاف إليه . إلا بدليل ؛ لأن المضاف إليه جاء لغرض التخصيص . ولم يجيء لذاته . بخلاف النعت في مثل : و « كلُّ فتى يستقي فائزٌ » . . . فإن النعت للمضاف إليه ؛ لأن المضاف جاء لإفادة التعميم ، لا للحكم عليه . وغير هذا ضعيف ، ما لم تقم قرينة توجهه إليه بغير لبس ولا خفاء — كما أسلفنا — . « ملاحظة » — إذا كان العلم كُنيةً — والكنية لا تكون إلا مركباً إضافياً — وجاء تابع له من نعت ، أو غيره ، وجب مراعاة ما يأتي في « ا » من ص ٤٤٤ .

(١) في الصفحة الثانية من هذا الجزء .

(٢) للكلام على إضافة « كل » إشارة في ص ٦٣ و ٧٢ و ١١٦ و ٥١٣ ولوقوعها نعتاً في

ص ٤٦٣ و ٤٦٧ و ٥١٣ .

(٣) راجع فيما يأتي الجزء الثاني من « المغنى » باب : « التواضع » .

المسألة ٩٧ :

المضاف إلى ياء المتكلم^(١) .

تقتضى الإضافة أحكاماً عامة عرفناها في بابها^(٢) . وفي مقدمة تلك الأحكام : إعراب المضاف على حسب حاجة الجملة التي يكون فيها ، وجرّ المضاف إليه دائماً

لكن الإضافة لياء المتكلم تستلزم أحكاماً أخرى في ضبط ياء المتكلم ، وضبط الحرف الذي قبلها من آخر المضاف^(٣) . وفيما يلي البيان :

أولاً^(٤) - : يجب كسر آخر المضاف ، وبناء ياء المتكلم على السكون أو الفتح في محل جرّ ، في أربع حالات :

- (١) أن يكون المضاف اسماً مفرداً صحيح^(٥) الآخر ؛ ككلمة : « نفس » ، و« وطن » و« روح » ، و« مال » في نحو : وقفت نفسي على خدمة وطني ، وسأبذل روحي ومالي في حمايته ، وقول الشاعر :
- أَكْذِبُ عَامِداً مِنْ أَجْلِ مَالٍ ؟ فليس بنافعي - ماعشت - مالى^(٦)
- وإعراب المضاف في هذا النوع كالذي يليه ؛ وسيأتى البيان .

(١) لهذا الباب صلة وثيقة بباب : « المنادى المضاف لياء المتكلم » ج ٤ ص ٤٣ م ١٣١ - ويعتبر كل منهما متصلاً الآخر .

(٢) في ص ٦ وما بعدها .

(٣) سبق تلخيص مفيد لها في ج ١ رقم ٨ من ص ١٨١ م ١٦ .

(٤) سيجيء الحكم الثاني في أول ص ١٧٧ .

(٥) وكذلك ما يدخل في حكمه . وسيأتى في « ح » ص ١٧٣ - وصحيح الآخر هو : ما ليس

في آخره حرف من أحرف اللملة الثلاثة ؛ (وهي : الألف - والواو - والياء) ، وبمثل الآخر ؛ هو :

ما في آخره حرف من أحرف اللملة الثلاثة . - كما في ج ٤ هامش ص ٤٣ و ٧٩ - .

(٦) وزن الشعر يمنع تحريك الياء هنا . - أى : أن الحركة متنوعة للضرورة - .

(٢) أن يكون المضاف اسماً مفرداً معتلاً شبيهاً بالصحيح^(١) ككلمة «صفو» و«بغى» في مثل: لا يؤلنى ويكدّر صفوى كبغى على الناس ، ولاسيا الضعفاء .

ونقول في إعراب المضاف في هذا النوع وما قبله في حالة الرفع : إنه مرفوع بضمه مقدرة^(٢) ، منع ظهورها الكسرة العارضة لمناسبة الياء ، نحو : علمى وحده أنفع لى من مالى وحده - صفوى يكدره بغى . .

ونقول في حالة النصب : إنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الكسرة العارضة لمناسبة الياء ؛ نحو : إن أخى الحق من يزيد صفوى ! ويمنع بغى .

أما في حالة الجر - نحو : (أتعلم من تجارى ما لا أعلمه من كتبى - الصوت العذب يخفف من شجوى . .) فقد نقول : إنه مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع ظهورها الكسرة العارضة لمناسبة الياء ، أو نقول : إنه مجرور بالكسرة الظاهرة

(١) المعتل الشبيه بالصحيح ما في آخره حرف متحرك من حروف العلة : (الواو أو الياء) مع سكون ما قبله ؛ نحو : (سقى - ظبى) - (شجى - صفو) - ونحو : (حوارى - عشى - خفى) - وكل ما هو مخنوم بياء مشددة للنسب ؛ كعبرى ، أو غير النسب ؛ مثل : كبرى ، ونحوها من كل مخنوم بياء مشددة ، ليس تشديدها نتيجة إدغام ياءين .

ولهذا المعتل الشبيه بالصحيح المشتمل على ياء مشددة : وتشديدها ليس نتيجة إدغام ياءين . حكم يتملخص فيما يأتى :

إذا كان المضاف - مخنوماً قبل إضافته بياء مشددة ، مثل : كبرى - حوارى - . . . فإنه بعد إضافته تتجمع في آخره ياءات ثلاث متوالية وهذا ممنوع - غالباً - وللقرار منه يجب الالتجاء إلى واحدة مما يأتى :

إما حذف ياء المتكلم (وهى المضاف إليه) مع بقاء ما قبلها مكسوراً في كل الحالات ؛ لتكون الكسرة دليلاً على الياء المخدوفة ، نحو جلست على كبرى . . . بغير تنوين ، والأصل كرسى . . . وإما قلب ياء المتكلم ألفاً ، وحذف الألف مع فتح ما قبلها ؛ لتكون الفتحة دليلاً على الألف المخدوفة المنقلبة عن ياء المتكلم ؛ نحو ؛ جلست على كبرى . . . والأصل : على كرسياً . . . وإما حذف إحدى الياءين الأوليين وإدغام الثانية في ياء المتكلم فتشأ ياء مشددة مكونة ز ياء جز ، السابقة منهما ساكنة ، والمتأخرة (وهى ياء المتكلم) مفتوحة . ولا فرق في الصورة الظاهرة - لا في الحقيقة - بين هذه الحالة والتي قبلها . والأفضل الاختصار على الحالة الأولى . مع صحة استعمال الآخرين .

(٢) للإعراب المقدّر (أى : التقديرى) وكذا الإعراب المحلى ، مواضع خاصة بكل منهما ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما في موضعه الخاص ، وقد سبق بيان تلك المواضع تفصيلاً ، وتوضيح أثرهما في الباب الخاص بهما ، (وهو : باب «المغرب والمبنى» ج ١ ص ٥٢ م ٦ وفى ص ١٢٩ م ١٦) .

مباشرة ، ولا داعى لتقدير كسرة مع وجود أخرى ظاهرة . وهذا أنسب ^(١) ، لبعده من التكلف والتعقيد . والأخذ به أولى فى هذه الصورة وأشباهها ؛ لأنه يغنيننا عن التقدير قدر الاستطاعة .

(٣) أن يكون المضاف جمع تكسير صحيح الآخر ؛ مثل كلمة : « رِفَاق » فى نحو : تخيرت رِفَاقى ممن طابت سريرتهم ، وحسنت سيرتهم . وإعرابه - رفعاً ، ونصباً ، وجراً - كسابقه .

(٤) أن يكون المضاف جمع مؤنث سالمًا ؛ نحو : تسابقتُ زميلاتى فى ميادين العمل النافع - أكثرتُ زميلاتى - أعرف لزميلاتى حقهن فى الإكبار . . .
وحكمه : الرفع بضممة مقدرة منع من ظهورها الكسرة العارضة . والنصب والجر بالكسرة الظاهرة ؛ طبقاً للرأى الأسهل ، أو بالكسرة المقدرة التى منع من ظهورها الكسرة العارضة ، طبقاً للرأى الآخر .

زيادة وتفصيل :

١ - إذا كانت الإضافة محضة جاز في الحالات السابقة واحد من أمور أربعة أخرى :

إما حذف ياء المتكلم ، مع بقاء الكسرة التي قبلها لتدل عليها ، وإما قلب الكسرة التي قبل الياء فتحة ، وقلب ياء المتكلم ألفاً ؛ ففي نحو : « نفسي ووطنى » من المثال السابق ^(١) نقول : وقفتُ نفسٍ على خدمة وطنٍ ، ^(٢) أو : وقفتُ نفساً على خدمة وطننا ...

وإما حذف هذه الألف مع بقاء الفتحة التي قبلها دليلاً عليها ؛ نحو وقفتُ نفساً على خدمة وطنٍ .

وإما حذفها ومجيء تاء التأنيث ^(٣) عوضاً عنها ؛ بشرط أن يكون المضاف منادى ، ولفظه : « أب » ، أو : « أم » - نحو : يا أبت ، يا أمّت ^(٤) . . . ولا يجوز الجمع بين التاء والياء .

وكل ما تقدم بشرط أن يكون أمر الياء المنقلبة ألفاً أو المحذوفة - واضحاً ؛ فلا يحدث لبس أو فساد للمعنى بسببه . وبالرغم من جواز هذه الأمور الأربعة وصحتها عند تحقق هذا الشرط فالأفضل - اليوم - التخفيف منها ومن محركاتها ؛ لأنها - مع صحتها وجوازها - لا تخلو من غموض وخفاء يتنافيان مع الغرض الصحيح من اللغة ، واستخدامها أداة بيان وإيضاح . وحسبنا فهم ماورد بها من الكلام القديم ؛ ولهذا نعرضها .

(١) في ص ١٦٩ وهو : وقفت نفسي على خدمة وطني .

(٢) وكذا قوله تعالى : « (ذلك لمن خاف مستأسي : وخاف وعيد .) » أي : وعيدى . ولولا أن ياء المتكلم محذوفة لوجب نصب كلمة : « وعيد » كما يقضى سياق الآية في سورة « إبراهيم » . وفي هذه السورة تكرر حذف ياء المتكلم مع بقاء الكسرة قبلها .

(٣) مبنية على الفتح ، أو على الكسر ، وكلاهما قوى كثير . أو على الضم ، وهو قليل ، (كما سيجيء في ج ٤ ، باب « النداء » م ١٣١ ص ٤٦ ، حيث الكلام على طريقة كتابتها .)

(٤) المنادى في هاتين الصورتين منصوب بفتحة ظاهرة دائماً - على الرغم من أن تاء التأنيث توجب فتح ما قبلها حتماً - ؛ إذ لا داعي للإطالة بأنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الفتحة التي جاءت لمناسبة التاء . وهذا المنادى مضاف ، وياء المتكلم المحذوفة مضاف إليه وجاءت تاء التأنيث - وهي حرف - عوضاً عنها ، مع بقائها حرفاً للتأنيث كما كانت ، وليست بالمضاف إليه -

كما سيجيء في ج ٤ في باب المنادى المضاف لياء المتكلم م ١٣١ ص ٤٦ .

فإن كانت الإضافة غير محضة مثل : « مصاحب » ؛ في نحو : الوالد مصاحبى
غداً فى الرحلة ، — لم يعجز شئ من هذه الأمور الأربعة . ووجب إثبات ياء المتكلم
مع بنائها على السكون — وهو الأكثر — أو على الفتح ، وكسر ما قبلها فى الحالتين ؛
لأن الكسرة هى التى تناسبها .

* * *

ب — النحاة يعتبرون الإضافة لياء المتكلم المذكورة فى الجملة نصّاً ، نوعاً من
« الإضافة الظاهرة » . ويسمون الإضافة إلى ياء المتكلم المنقبة ألفاً ؛ أو المحذوفة بعوض
أو بغير عوض — « الإضافة المقدرة » ^(١) .

* * *

ح — يدخل فى حكم الصحيح عند إضافته لياء المتكلم الأسماء الخمسة الآتية :
(أب — أخ — حم — فم — هن) ، ودخولها قائم على رأى الشائع الذى يحسن
الاقتصار عليه عند إضافتها ، وهو يقضى بعدم إرجاع الحرف الأخير المحذوف من
تلك الأسماء ، وباعتباره عند إضافتها كأن لم يكن ؛ فهى أسماء معربة بحركات مقدرة
على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها كسرة المناسبة . فبالرغم من أن أصلها :
(أبو — أخو — حمو — هنو — فوة . . .) بالرغم من ذلك الأصل نقول —
فى رأى الشائع — عند إضافتها : أبى — أخى — حمى — هنى — فى . . . بزيادة
ياء المتكلم ، مبنية على السكون ، مع كسر ما قبلها .

أما « ذو » التى تعرب إعراب الأسماء الخمسة السابقة فلا يصح إضافتها لياء
المتكلم — كما سبق فى بابها ، ج ١ ص ٧٠ م ٨ —

وهناك رأى آخر ؛ لا يحسن الأخذ به ، وإنما نذكره — كالمعتاد فى أمثاله —
لنفهم به ما ورد مما ينطبق عليه فى الكلام المأثور ، دون محاكاة ، وهو رأى مستنبط
من بضعة أمثلة قليلة مسموعة عن بعض قبائل . ومقتضاه : وجوب إرجاع الحرف
المحذوف من تلك الأسماء الخمسة عند إضافتها ، وتسكينه ، واعتبار الاسم المضاف
بعد إرجاع المحذوف وتسكينه ، نوعاً من المعتل الآخر يجب معه بناء ياء المتكلم على

(١) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٣ من هامش ص ٧ .

الفتح ، وقلب حرف العلة الذى قبلها ياء ساكنة تدغم فى ياء المتكلم المبنية على الفتح ^(١) وعلى هذا تكون الأسماء السالفة المضافة معربة بمحركات مقدرة ، منع من ظهورها السكون الذى فوق الياء الأولى ، وهو السكون الآتى للإدغام ، ولا يصح أن تكون فى حالة الرفع مرفوعة بالواو - كالشأن فى الأسماء الخمسة ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالحروف ألا تكون مضافة لياء المتكلم . والذين يقولون إن المحذوف من كلمة : « فم » ياء ، لاواو ، يرجعون هذه الياء ويدغمونها فى ياء المتكلم ^(٢) ، ولا يختلف الإعراب هنا عن سابقه .

(وستجىء إشارة لبعض ما سبق فى باب المنادى المضاف لياء المتكلم - ج ٤ ص ٤٣ م ١٣١) .

د - بمناسبة ما سبق من الكلام على إضافة الاسم المعتل الآخر بالواو المحذوفة ... لم أرفقها بين يدى من المراجع حكماً للاسم العربى المعتل الآخر بالواو الثابتة عند إضافته لياء المتكلم ^(٣) . ولعل السبب أن هذا النوع من الأسماء المعتلة لا يعرفه العرب الأقدمون ؛ إذ لم يرد منه إلا بضع كلمات معربة ؛ تكاد لا تزيد على ثلاثة ، لهذا لم يدخله النحاة فى اعتبارهم عند تقسيم الاسم المعتل الآخر وأحكامه ؛ فقسموه إلى المعتل بالألف ، وإلى المعتل بالياء ، وتركوا الاسم المعتل الآخر بالواو ^(٤) . لكننا اليوم لانستطيع إهماله ؛ لشيوعه بيننا ، وكثرة التسمية به ، فنأسماء الناس المتداولة : حميدو - زندو - زوغو - روميو - غالييليو - كاسترو - ...

(١) وهل يكسر ما قبل هذه الياء المشددة تشديد إدغام ؟ لعل الأنسب هو الكسر ، مراعاة للقوابط العامة ، وإن كنت لا أعرف فيه نصاً خاصاً بهذه المسألة .

(٢) راجع الصبيان ج ٢ عند الكلام على الأسماء الخمسة ، وبیت ابن مالك : « وشرط ذاك الإعراب أن يضمن لا . . . » و ج ٢ فى آخر باب « المضاف إلى ياء المتكلم » . ويكملها ما جاء فى الجمع ج ٢ ص ٥٤ .

(٣) أما معتل الآخر بالألف أو بالياء فيجىء حكمه فى ص ١٧٧ .

(٤) لتنا فى هذا رأى (سجلناه فى ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٥ م ١٥) مقتضاه أنه لا يمكننا إغفال هذا القسم اليوم . ووضعنا له الحكم المناسب . وأوضحنا هناك ما يؤيد هذا الحكم ، كما تكللنا على حكم تثنيته وجمعه فى الجزء الرابع (م ١٧١ بهامش ص ٤٥٧) .

ومن أسماء البلاد المشهورة : أُدْكو - أُدْفو - وهما بلدان مصريان - أركنو (اسم واحة مصرية) - كزمو - طوكيو - بُرْنِيو - كِنغُو - إكوادورو . . . ولأشك أن الحاجة . قد تدعو إلى إضافة اسم من هذه الأسماء وأشباهاها - إلى ياء المتكلم ، فما الحكم الذى يختار للتطبيق هنا ؟

قد يكون بإضافة ياء المتكلم إلى آخر الاسم مباشرة مع إبقاء الواو ساكنة ، مراعاة لأصلها ، ودلالة عليه ؛ (لأن تحريكها بالكسر يبعد الذهن عن إدراك هذا الأصل ، ويوقع فى اللبس) ؛ فنقول حميدوى - زندوى . . . و . . . ولكن فى هذا رأى - مع توضيحه المراد - مخالفة لقاعدة الإعلال التالية هنا .

وقد يكون بقلب الواو ياء ساكنة ، وإدغامها فى ياء المتكلم المبنية على الفتح فتشأ ياء مشددة مفتوحة (تتكون من الياء الأولى الساكنة ، والثانية المبنية على الفتح) مع كسر ما قبل الياء المشددة . وإن يقع لتبس بين هذه الياء وياء النسب ، لأن الأولى لازمة التشديد مع الفتح دائماً ، أما ياء النسب ، فلازمة التشديد أيضاً ، ولكنها ترفع أو تنصب أو تجر على حسب الجملة . . .

ولعل الأخذ بهذا أولى ؛ لما فيه من مراعاة الأصول العربية الوثيقة ، وانقواء العامة فى « الإعلال » ، وتطبيقها على الكلمات الدخيلة التى تقضى الضرورة باستعمالها . ومن تلك الأصول : (أنه إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء ، وكسر ما قبلهما ، إلا لما منع - كما سنعرف قريباً ^(١)) . على أن الأخذ بهذا رأى أو بسابقه - أو بغيرهما - يحتاج إلى إقرار وشيوع بين المتخصصين فى شئون اللغة .

هـ - من الألفاظ المستعملة : « ابنُـم » المبدوء بهمزة وصل ، والمختوم بالميم الزائدة ؛ فيجوز عند إضافته لياء المتكلم إبقاء الميم الزائدة ، وحذفها ، مع إسكان الياء ، وكسر ما قبلها فى الحالتين ؛ فنقول : ابنمى ، أو : ابنبى .

و - عند الوقوف على ياء المتكلم يجوز زيادة هاء السكت ^(٢) بعدها مع بناء الياء على الفتح ؛ كقوله تعالى : « وأما من أتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى

(١) فى رقم ٢ من هامش ص ١٧٨ . أما التفصيل فى باب : « الإعلال والإبدال » من الجزء الرابع .
(٢) وهى ساكنة فى الأغلب .

.

 لم أوتَ كتابيَّةٌ ، ولم أدُرَ ما حسَابيَّةٌ ، يا ليتها كانتَ القاضيةَ ، ما أغْنَى
 عني ما ليَّ ، هَلَكَ عني سُلْطَانِيَّةٌ ، ومنه قول عائشة في وصف أبيها :
 « أبيَّةٌ ، وما أبيَّةٌ . . . » .

ثانياً^(١) : يجب تسكين آخر المضاف ، وبناء المضاف إليه (وهو : ياء المتكلم) على الفتح - فقط - في محل جر في الأحوال الأربعة الآتية^(٢) :

(١) أن يكون المضاف اسماً مقصوراً^(٣) ؛ مثل كلمة : « هُدًى » في نحو : هُدًى خير الوسائل للسعادة . ومن العرب من يقلب ألف المقصور ياء ، ويدغمها في ياء المتكلم ؛ فيقول : هُدًى خير الوسائل للسعادة . ولكن هذا الرأي - مع جواز محاكاته - لا يحسن اليوم الأخذ به ؛ منعاً لفوضى التعبير^(٤) . . .

(٢) أن يكون المضاف اسماً منقوصاً^(٥) ؛ مثل كلمة : « هاد » ؛ في نحو : العقل هادى إلى الرشاد . . . (والمنقوص : اسم معرب ، آخره ياء لازمة ، مكسور ما قبلها ، غير مشددة ؛ مثل : الهادى - الداعى - الوالى . . .^(٦)) فهذه الياء عند الإضافة وحذف « أل » تسكن ، وتُدغم في ياء المتكلم التى يجب بناؤها على الفتح في محل جر : فيحدث من إدغامهما ياء مشددة) .

(٣) أن يكون المضاف مثنى - أو شبهه ؛ كائنين - مرفوعاً أو غير

(١) أما الحكم الأول فقد سبق في ص ١٦٩ .

(٢) مع ملاحظة ما سبق في « ب » من الزيادة والتفصيل ص ١٧٣ .

(٣) هو الاسم العرب الذى آخره ألف لازمة ، مثل : الهدى : الرضا . . . وتفصيل الكلام عليه في ج ١ ص ١٢٢ م ١٥ .

(٤) وفي هذه الحالة يكون معرباً بالياء التى أصلها الألف ، بدل حركات الإعراب التى كانت مقدرة على الألف . فهو مما ناب فيه حرف عن حركة - طبقاً للبيان السابق في موضعه الأنسب - ج ١ ص ١٠٦ م ٧ « ب » - لكن يكاد يقع الاتفاق على قلب الألف ياء في الظرف . « علّا » (كمصا) (وهو لغة في : « علّ » بمعنى : « فوق ») وقد سبق الكلام عليه في الظروف ص ١٤٧ - كما سبق بيان إعرابه مفصلاً في ج ١ م ١٦ ص ١٧٨ في آخر الكلام على الاسم العرب المعتل الآخر) . عند إضافته لياء المتكلم في لغة من يميز إضافته ؛ نحو : أحجب الشمس من على . وكذلك الظرف « لَدَى » ، ومن الواجب أن تقلب ألف « لَدَى » ياء عند إضافته لياء المتكلم ، أو لغيرها من الضائرن : نحو : لَدَى العون لمن يستعينى ، ولديك الإكرام لمن يقصدك كما سبقت الإشارة . أما « على » و « إلى » . الحرفان الجاران فيجب قلب ألفهما ياء عند جرهما الضمير مطلقاً .

(٥) من الحالتين الأولى والثانية يتضح حكم الاسم العرب المعتل الآخر بالألف أو بالياء عند إضافته لياء المتكلم . أما حكم الاسم العرب المعتل الآخر بالواو فقد سبق في « د » من ص ١٧٤ .

(٦) تفصيل الكلام عليه في ج ١ ص ١٢٤ م ١٥ .

مرفوع^(١) مثل كلمة : « يدان » في نحو : لا أتطلع إلا لما كسبت يدائى . ولا أعتد
في رزقى إلا على يدائى . وكقول الشاعر :

أَيَا أَخَوَيَّ الْمُلْزِمِيَّ مَلَامَةً أَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِ مَا بَيَا
(وبلاحظ أن ياء المثني - وشبهه - في حالة نصبه وجره تدغم في الياء
الواقعة مضافاً إليه ، فتظل الأولى ساكنة ؛ وتبنى الثانية على الفتح في محل جر .
ومن إدغامهما تنشأ الياء المشددة - كالتى في البيت السالف - أما في حالة رفع
المثني - وشبهه - فتبقى ألفه على حالها ، وبعدها ياء المتكلم - وهى المضاف
إليه - مبنية على الفتح في محل جر ، ولا بد من حذف نون المثني المضاف مهما
اختلفت استعمالاته .

(٤) أن يكون المضاف جمع مذكر سالماً - أو شبهه ؛ كعشرين -
مرفوعاً أو غير مرفوع ؛ مثل كلمتى : « مشاركون » و « معاونين » في
خطبة قائد في جنوده وقد انتصر : « أنتم اليوم مشاركيّ في لذة الانتصار
وفخره ، كما كنتم معاونيّ في صد العدو ، والفتك به ، فرحى بمشاركيّ ،
ومرحبا بهم) .

والأصل : أنتم مشاركون لى ؛ ثم حذفت النون - وجوباً للإضافة ، وكذا
اللام^(١) . فصارت : مشاركوّ ، ثم قلبت الواو ياء^(٢) ، ساكنة وأدغمت هذه
الياء الساكنة في الياء المفتوحة (المضاف إليه) وكُسِر ما قبلها ؛ لأن الكسرة
هى التى تناسب الياء ، فصارت مشاركيّ . . .

(١ و ١) تحذف مع النون اللام التى تفصل بينهما وبين ياء المتكلم التى تليها ، طبقاً للبيان الذى
سبق (فى رقم ٢ من هامش ص ٩) ويرى بعض النحاة أن اللام محذوفة هنا للتخفيف . وهذا خلاف
لا قيمة له . والأفضل والأيسر أن يقال : إنها حذفت للإضافة ؛ لأنها لا تحذف إلا عنه
وجود الإضافة .

(٢) تطبيقاً لقاعدة صرفية لها شروط وتفصيلات موضحة فى مكانها من باب : « الإعلال
والإبدال » - ج ٤ - وموجز القاعدة :

أنه : إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء ،
وكسر ما قبلهما ، إن لم يوجد مانع آخر . يمنع من الكسر . كيمض أمثلة هنا ؛ وهى الآتية مباشرة :
(مرتجى - مرتضى - مصطفى . . .) .

أما « معاوئي » ، المنصوبة في المثال ، فأصلها : « معاوئينَ لى » ؛ حذفت النون واللام للإضافة ، ثم أدغمت هذه الياء الساكنة في الياء المفتوحة ، التى هى المضاف إليه : فصارت معاوئى ... ومثل هذا يقال فى « مشارِكي » المحرورة ، حيث الحذف والإدغام كذلك .

وما سبق نعلم أيضاً أن « الياء » المشددة التى تنشأ من إضافة جمع المذكر السالم - وشبهه - يجب كسر ما قبلها إن كان مضموماً قبل الإضافة لياء المتكلم .. وإن شئت فقل : يجب كسر ما قبلها إن كان جمع المذكر السالم - وشبهه - مرفوعاً بالواو ، وقبل هذه الواو ضمة .

فإن لم يكن قبل الياء المشددة ضمة ، بل قبلها كسرة بقی اللفظ على حاله ، كما فى كلمتى : « معاوئى » ومشارِكي » السالفتين . وإن كان فتحة ، بقی على فتحه ؛ أيضاً ؛ منعاً للإلباس ^(١) ؛ مثل الكلمات : (المرتضون - المرتجعون - المصطفون - المستقون ...) تقول ^(١) عند إضافتها : هؤلاء مرتضى - كان مرتجى من خياركم - وإن السابقين فى الحلبة مصطفى ومُنْتَقَى ^(٢) .

(١ و ٢) فألف المقصور الزائدة على ثلاثة تحذف وتبقى الفتحة ؛ قبلها دليلاً عليها . ثم تقلب واو جمع المذكر السالم ياء ساكنة ، وتدغم الياء فى الياء .

(٢) يقول ابن مالك فى باب : « المضاف لياء المتكلم » ما نفعه :

آخِرَ مَا أُضِيفَ لِلْيَا أَكْسِرْ ، إِذَا لَمْ يَكْ مُعْتَلًّا ، كَرَامٍ وَقَذَى
أَوْ يَكْ كَابَنَيْنِ وَزَيْدَيْنِ ، فَذَى جَمِيعُهَا إِلَيَّا بَعْدُ فَتَحُّهَا احْتِذَى

(« القذى » : الأجسام الصغيرة التى تقع فى العين فتؤلها . « ذى » : فهذه . « احتذى » : اتبع .) يريد : اكسر آخر الاسم الذى أضيف لياء - وهى ياء المتكلم - بشرط ألا يكون هذا الاسم معتل الآخر ؛ كرام (اسم فاعل من : رى) وقذى . والنمثيل « برام » فيه إشارة للمنقوص ، والنمثيل « بقذى » فيه إشارة للمقصور . فالمراد بالمعتل هنا : المقصور والمنقوص . وكذلك لا يكون كابنين ، وزيدين - يشير إلى المثنى ، وجمع المذكر ، وشبههما . فهذه الأربعة جميعها تكون بعدها « ياء المتكلم » - وهى المضاف إليه - مفتوحة - كما شرحنا - ثم قال :

وَتَدْغَمُ إِلَيَّا فِيهِ وَالْوَاوُ ، وَإِنْ مَا قَبْلَ وَاوٍ ضُمَّ فَأكْسِرُهُ يَهْنُ -
أى : الياء التى فى آخر المضاف . فتدغم فى ياء المتكلم فى جميع ما سبق . وكذلك تدغم الواو أيضاً . والمراد أن ياء المتكلم تدغم فى ياء المثنى المنصوب ، وفى ياء جمع المذكر المنصوب ، وكذلك تدغم فى واو -

.....

= جمع المذكور المرفوع بعد انقلاب واوه ياء . فإن وجدت ضمة بعد انقلاب واو الجمع ياء وإدغامها في ياء المتكلم - وجب قلب هذه للضمة كسرة ، ليهون النطق ؛ (أى : يسهل) بالكسرة قبل الياء المشددة ، بدلا من الضمة .

ويلاحظ أن مراده من « الياء » في قوله : « تدغم الياء » الياء التى فى المضاف ، وأن مراده من للتصغير فى كلمة « فيه » عائد على الياء التى هى مضاف إليه

المسألة ٩٨ :

أبنية المصادر (١)

المصادر الصريحة ثلاثة أنواع قياسية :

أولها : « المصدر الأصلي » ، وهو ما يدل على معنى مجرد ، وليس مبدوءاً « بـ » زائدة ، ولا مختوماً بياء مشددة زائدة ، بعدها ناء تأنيث مربوطة ؛ ومن

(١) إذا أطلق المصدر كان المراد النوع الأول من الثلاثة الآتية ، وهو : « الصريح الأصلي » دون المؤول ، ودون النوعين الآخرين . - كما سيحىء في ص ١٨٥ و ١٨٨ و ٢٠٧ -

وهنا موضع الكلام على المصادر الثلاثة الصريحة ، وكل واحد منها يصح أن يتعلق به شبه الجملة . مع ملاحظة ما سبق في باب : « المفعول المطلق » (ج ٢ م ٧٤ ص ١٦٦) من أمور هامة تختص بالمصدر من ناحية تقسيمه إلى : مؤكّد لعامله ، ومبين للنوع ، ومبين للعدد ... ، ومن ناحية ذكر عامله أو حذفه ... إلخ . . .

أما المصدر المؤول فقد سبق تفصيل الكلام عليه (في ج ١ م ٢٩ ص ٢٩٥ آخر باب : الموصول) حيث سردنا الحروف المصدرية ، ومهمة كل منها ؛ وصلته ، وطريقة السبك ، وما يمتاز به المصدر المؤول دون الصريح ، وسائر أحكامه المختلفة . . .

وقد وضع ابن مالك في « ألفيته » هذا الباب بعد بابي « إعمال المصدر » و « إعمال اسم الفاعل » واسم المفعول ، ولعل حاجته ما رده بعض النحاة من أن الإعمال أمر نحوي وثيق الصلة بالأبواب التي سبقت ، وأن الأبنية والصيغ أمر صرفي يحىء في المنزلة التالية لمسائل للنحو وأبوابه . وهذه حجة واهية - فيما نرى - إذ الترتيب المنطقي يقتضى تقديم الأبنية والصيغ ليكون إعمالها وأحكامها وكل ما يختص بها منصّباً على شيء معلوم مفهوم . ولا يقلل سرد الأحكام الخاصة بتىء دون أن يكون معلوماً من قبل . لهذا لم نأخذ بترتيب ابن مالك هنا ، وقدما باب أبنية المصادر . . .

كلمة عن الجمود والاشتقاق ، ومكان المصدر منها :

الاسم قسيان : (١) جامد ؛ وهو : ما لم يؤخذ من غيره . (أى : أنه وضع على صورته الحالية ابتداء . فليس له أصل يرجع إليه ، ويُنسب له .) مثل : شجرة - قلم - أسد - حجر - . . . ومثل : فهم - نبوغ - ذكاء - سمحة . . . والجامد قسيان : « اسم ذات » ؛ وهو : ما يدل على شيء مجسم محسوس ، كالأشئلة الأربعة الأولى ، وما شابهها من أسماء الأجناس الحسية (وهى التى لها كيان مجسم يُدخلها في دائرة الحس) ، « واسم تىء » ؛ وهو : ما يدل على شيء عقل محض (أى : شيء معنوي يدرك بالعقل ، ولا يقع في دائرة الحس) كالأشئلة الأربعة الأخيرة وأشباهاها مما ليس مجسماً ولا مشخصاً ؛ كسائر أسماء الأجناس المعنوية .

أمثله : عِلْم - فَهْم - تقدّم - استضاءة - إبانة . ومثل : بَلَاء - فضال -

(ب) مشتق : وهو ما أخذ من غيره ؛ بأن يكون له أصل ينسب له ، ويتفرع منه ، ويتردد ذكر المشتق أحياناً باسم : « الوصف أو الصفة » وهذان غير الوصف أو الصفة المراد منهما النعت الآتي في ص ٤٣٤ - ولا بد في المشتق أن يقارب أصله في المعنى ، وأن يشاركه في الحروف الأصلية . وأن يدل - مع المعنى - على ذات أو على شيء آخر يتصل به ذلك المعنى بوجه من الوجوه ، كأن تكون الذات هي التي فعلته (كما في اسم الفاعل) أو هي التي وقع عليها ؛ (كاسم المفعول) أو غير ذلك من رمان ، أو مكان ، أو آلة . . . مما سيبيح تفصيله في أبواب المشتقات . . .

والمشتقات الأصلية التي تدل على معنى وذات أو شيء آخر ، سبعة ؛ هي : اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة - أفعل التفضيل - اسم الزمان - اسم المكان - اسم الآلة . أما المصدر الميمي فالصحيح أنه ليس من المشتقات - كما سيبيح في ص ١٨٦ وفي الباب الخاص به ص ٢٣١ - وأما المصدر الصناعي فجاءه مؤول بالمشتق - كما سيأتي في ص ١٨٧ - ويتوسع كثيراً في المراد من المشتق حتى يشمل ثلاثة أشياء أخرى تدل على معنى وزمن مجريدين من الذات وغيرها ، وهي : الفعل الماضي ، والمضارع ، والأمر ، والقرائن هي التي تحدد المراد من نوع المشتق ، أهو مما يدل على المعنى والذات معاً ؟ أم على المعنى والزمان معاً ؟ أم المعنى وشيء آخر ؟

وإذا استعمل المشتق علماً فإنه يصير بمنزلة الجاهل ، فيفقد خواص المشتق وأحكامه : وتطبق عليه أحكام الجاهل التي منها : أنه إذا أضيف كانت إضافته محضة ، بالتفصيل والشروط السابقة في ص ٤ (راجع هامش ص ٨٨ ج ١٠ م ١) .

وهناك بعض أسماء جامدة قد تلحق - أحياناً - بالمشتق الدال على الذات والمعنى ؛ وتسمى : « الأسماء الجامدة الملحقة بالمشتق » ، أو : « الأسماء المشتقة تأويلاً » ، ومنها : اسم الإشارة ، ومنها : الاسم الجامد المنسوب ، والاسم الجامد المصدر ، وأكثر ألفاظ « الموصول » ؛ كالموصولات المبدوءة بهمز وصل . وسيبيح البيان في باب النعت - ص ٥٨ - فكل هذه أسماء جامدة ، ملحقة بالمشتق . ويلاحظ أن هذه الأسماء : « الملحقة بالمشتق » ، أو « المشتقة تأويلاً » إنما تكون كذلك في بعض الحالات دون بعض ؛ فليست ملحقة بالمشتق في جميع حالاتها ؛ وإنما تلحق به حيث تكون في موضع لا يصلح فيه إلا المشتق ، كالنعت مثلاً ؛ إذ الأصل في النعت أن يكون مشتقاً ، ولا مانع أن يكون لفظاً ملحقاً بالمشتق كالألفاظ السابقة . . .

(وفي مجلة المجمع اللغوي ج ١ ص ٣٨١ بحث مستقل في الاشتقاق . وفي الجزء الثاني منها بحث آخر ، في ص ١٩٥ ، ٢٤٥) .

أصل المشتقات :

١ - المصدر الصريح - في الرأي للشائع المختار - هو أصل المشتقات العشرة ، ومنه تتفرع . ولا يعيننا اليوم سرد كل الأداة التي قام عليها اختياره وتفصيله وهو قولهم : إنه « بسيط » ؛ لدلالته على المعنى المهد ، « والبسيط » أصل المركب « الفعل الماضي » الذي يعده آخرون - كالكوفين - الأصل ؛ بحجة أنه يدل على المعنى فهو يدل على ما يدل عليه المصدر =

فضل - صلاح . . . في قول شوقي يخاطب رجال الصحف الوطنية :

=زيادة ، وبتغيير يسير يدخل على بنيته يحى المضارع أو الأمر . . . ؛ فالمصدر لهذا أحق عندهم بأن يكون الأصل . . . ، ولا يعني هذا ولا غيره بعد اشتبار الرأى الأول وشيوعه من غير ضرر لغوى فى الأخذ به . فالخلاف لا قيمة له ؛ - كما سيجىء البيان فى هامش ص ٢١٠ . - ولا سيما أن المشتقات الواردة عن العرب - وهى كثيرة - لا دليل معها ، على الأصل الذى تفرعت منه .

ب - وإذا كان المصدر الصريح هو أصل المشتقات العشرة ، فهل الاشتقاق من غيره ممنوع ؟
بعبارة أخرى : هذا المصدر يدل على المعنى المجرد ؛ فلا دلالة له على ذات ، أو زمان ، أو مكان ، أو تذكير ، أو تأنيث ، أو عدد . . . - وهذا هو الغالب : لأنه قد يدل على المرة أو الهيئة ، كما سيجىء فى ص ٢٢٥ - أما المصدر المؤول فيدل على زمن ، وغيره (كما سبق فى ج ١ ص ٣٠٢ م ٢٩٠ و . . .)
فهل يترقب على هذا أن يكون الاشتقاق مأخوذاً من أسماء المعانى المصدرية وحدها دون الاشتقاق من أسماء « النوات » التى يسمونها أسماء : « الأعيان » (يريدون : الأشياء المحسوسة) ودون الاشتقاق من أسماء المعانى التى ليست بمصادر ، كالاشتقاق من أسماء الأعداد وغيرها مما سياتى ؟ . (مع ملاحظة أن بعض القدماء كان يطلق كلمة : « الأخذ » على الاشتقاق من غير المصادر الصريحة . - كما فى كتاب « أصول اللغة » الذى أصدره المجمع فى القاهرة سنة ١٩٦٩ ص ٢٢) .

الجواب عن هذا : أن الاشتقاق من أسماء الأجناس الخاصة بالمعانى المصدرية جائز لا يكاد يمنع مانع . أما الاشتقاق من أسماء الأجناس الحسية ؛ فنوعان :

١ - نوع جرى الترجيح قديماً وحديثاً - على قبوله ، وهو اشتقاق صيغة « مفعلة » - بفتح الميم والعين - من الجامد الثلاثى الحسى للدلالة على مكان يكثر فيه ذلك الشيء الحسى المجمع ؛ « كمهنية » ؛ المكان يكثر فيه العنب ، و « مخشبة » لمكان يكثر فيه الخشب . . . (وهكذا عما سيجىء تفصيله وإيضاح حكمه فى مكانه المناسب من باب : « اسم الزمان والمكان » ص ٣١٨ و « ح » ص ٣٢٦) ولا بد فى هذا النوع من أن تكون الصيغة مقصورة على « مفعلة » ؛ دون غيرها . وأن تكون من ثلاثى حسى جامد ؛ لتحقيق الدلالة على المكان والشيء الحسى الذى يكثر به ، كما سنبينه فى الموضوع المشار إليه .

ب - ونوع يخالف ما سبق . واتجه رأى الأغلبية من القدماء إلى منعه ، والتشدد فى حظر القياس عليه . وقد عرض المجمع اللغوى القاهرى لهذا النوع ، وأطال البحث فيه ، وعقد بشأنه فصلاً طويلاً تربي صفحاته على ست وثلاثين (فى الجزء الأول من مجلته ، فى ص ٢٣٢ وما بعدها) بعنوان : « الاشتقاق من أسماء الأعيان » وقد وثق البحث حقه ، وأولاه من العناية ما هو به جدير ، وعرض ثمرات من الكلمات المسومة عن العرب الفصحاء ، مشتقة من أسماء الأجناس الجامدة العينية ، غير الثلاثية واستخلص منها قراراً نصه الحرفى - كما جاء فى المرجع السابق - : (اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان ، والمجمع يميز هذا الاشتقاق للضرورة فى لغة العلوم) . ا هـ .

ومن هذا النص يتبين أنه غير مقصور على صيغة معينة ، ولا نوع خاص من المشتقات العينية بالبرغم من مخالفته لنص آخر سذكروه بعد ، وبالبرغم من أنه مقصور على لغة العلوم . وقد سجل المجمع فى بحثه عدم حاجة الفن والأدب إلى استخدامه ؛ لكثرة الوسائل اللغوية الأخرى التى تفى عنه . وكان =

حَمِدْنَا بِإِلَهِكُمْ فِي النِّضَالِ وَأَمْسِ حَمِدْنَا بِإِلَهِ السَّلَفِ
وَمَنْ نَسِيَ الْفَضْلَ لِلْسَّابِقِينَ فَمَا عَرَفَ الْفَضْلَ فِيمَا عَرَفَ
أَلَيْسَ إِلَيْهِمْ صِلَاحُ الْبِنَاءِ إِذَا مَا الْأَسَاسُ سَمَا بِالْعُرْفِ ؟

الاولى أن يجعله عاماً بعد أن عرض مئات من الكلمات المنقولة عن العرب ، والتي استند إليها في قراره . . . وكثير منها ليس مقصوداً على ما يستخدم في لغة العلوم وحدها ؛ فالاستناد إلى تلك الكثرة الوافرة يجعل القياس عليها صحيحاً قوياً ، ويتقضي أن يكون ذلك القياس عاماً شاملاً لغة العلم وغيره . هذا إلى أن قصره على لغة العلم وحده وفصلها من لغة الأدب عسير أشد العسر في معاهد التعليم ، وفي الخطابة ، وفي غيرها من كل ما يقوم على اللغة الصحيحة ، وتشابك فيه لغة العلم ولغة الأدب . وهاتين أولاه نرى الاشتقاق من أسماء الأعيان قد شاع بين طوائف المثقفين في الشؤون المختلفة ، غير مقصور على نوع معين ، واشتهر حتى صار بمنزلة : « الاصطلاح » ومن الخير قبوله ما دام لا يؤدي إلى خفاء أو لبس .

وقد أصلح المجمع قراره السابق وجعله مطلقاً غير مقيد بشيء مما سبق ؛ فقد جاء في ص ٦٩ من كتابه المجمع الصادر في سنة ١٩٦٩ مشتملاً على القرارات الجمعية الصادرة من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين ما نصه تحت عنوان : (الاشتقاق من أسماء الأعيان دون قيد الضرورة) بناء على رأى لجنة الأصول ، وهو :

(قرر المجمع من قبل إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلوم ، كما أقر قواعد الاشتقاق من الجاهل . واللجنة تأسيساً على أن ما اشتقه العرب من أسماء الأعيان كثير كثرة ظاهرة ، وأن ما ورد من أمثله في البحث الذي احتج به المجمع لإجازة الاشتقاق ، يربط على المائتين - ترى التوسع في هذه الإجازة بمجموع الاشتقاق من أسماء الأعيان جائزاً من غير تقييد بالضرورة) « اهـ .

وقد وافق المجمع ومؤتمره على رأى اللجنة ، وصدر قرارها في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٦٨ . أما قواعد الاشتقاق المشار إليها في القرار السالف فقد ورد بيانها في الكتاب المجمع الذي تقدم ذكره ؛ ففي ص ٦٢ منه النص الآتي تحت عنوان : « قواعد الاشتقاق من الجاهل العربي والمغرب » ومعهما البحوث الخاصة بها .

أولاً - في الاسم الجاهل العربي :

(١) إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي لازم من الاسم العربي الجاهل الثلاثي مجرد ومزيده فالباب فيه « نَصَرَ » ويمدى إذا أريدت تعديته بإحدى وسائل التعدية ، كالمضرة والتضعيف . . . ؛ مثل : قَطَنْتُ الأرضُ تَقْطُنُ ، كثر قطنها . وقَطَنْتُها زرعها قطناً) .

(٢) أما إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي متعد فالباب فيه « ضرب » مثل : قَطَنْتُ الأرضَ أَقْطِنُها زرعها قطناً .

(٣) وفي كلتا الحالتين يستأنس بما ورد في المعجمات من مشتقات للأسماء العربية الجاهلة ؛ لتحديد صيغة الفعل ؛ تبعاً لما ورد من هذه المشتقات .

(٤) ويشق الفعل من الاسم العربي الجاهل غير الثلاثي على وزن « فَعْلَلٌ » متعدياً ، وعلى وزن « تَفَعَّلٌ » لازماً . وإذا كان الاسم رباعياً الأصول ، أو رباعياً مزيدياً ، مثل : درهم وكبريت ، اشتق منه على وزن « فَعْلَلٌ » بعد حذف الزائد من المزيدي ؛ فيقال : درهم الزهر وكَبُرَتْ ، أى : صار كالدرهم والكبريت =

... ومثالث أخرى . وهذا النوع - وحده - هو المقصود من كلمة : « مصدر » حين تذكر مطلقة بغير قيد يبين نوعاً معيناً . أما غيره فلا بد أن يذكر معه ما يبين نوعه .

= وإذا كان خاسياً ؛ مثل سَفَرَجَل ، اشتق منه على وزن « فَعْلَل » بعد حذف خامسه ، فيقال سَفَرَج الثبت ، بمعنى : صار كالسفرجل . (٥) وتؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي .

ثانياً - في الاسم الجامد المعرب : (٦) ويشق الفعل من الاسم الجامد المعرب الثلاثي على وزن « فَعْلَل » بالتشديد متعدياً ، ولازمه « تَفَعَّل » .

(٧) ويشق الفعل من الاسم الجامد المعرب غير الثلاثي على وزن « فَعْلَل » ولازمه « تَفَعَّل » (...)

١٥ المنقول من كتاب الجمع هذا ، ولعل قرار الجمع يشمل - فيما يشمل - الاشتقاق من أسماء المعاني التي ليست بمصادر ؛ كالاشتقاق من أسماء العدد ؛ فإن هذه أسماء معان جامدة وليست بحسية ، ولا بمصادر ، وكالاشتقاق من أسماء الأزمنة وأسماء الصوت ، وهما من أسماء المعاني الجامدة أيضاً . وفي مجلة الجمع (ج ١ ص ٣٨١) بحث مفيد في هذا ، وفي الاشتقاق وأنواعه عامة . وقد سبقت الإشارة إليه وإلى أن بعض اللقمة كان يسمى الاشتقاق من غير المصادر الصريحة : « الأخذ » .

بناء على ما سبق من جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان يقال (كما جاء في مجلة الجمع القوي القاهري ، ص ٨ من العدد الخاص بالبحوث والمحاضرات التي أقيمت في مؤتمر الدورة الثلاثين لسنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤) « مغنط من المغناطيس ، وقصّر من القصدير ، كما قيل قديماً ذَهَب من الذهب ، وكبرت من الكبريت ... » .

وجاء في العدد الخاص بمؤتمر الدورة التاسعة والعشرين - ص ٥ - ما نصه في الاشتقاق السالف من الاسم الجامد : (أن يكون الثلاثي اللازم من باب : « نصر » والمتعدى من باب : « ضرب » وغير الثلاثي من باب : « فَعْلَل » في المتعدى : و « تَفَعَّل » في اللازم) . ١٥ . وقد سبقت الأمثلة .

« ملاحظة » : يتصل اتصالاً وثيقاً بما سبق ما قرره الجمع من صحة اشتقاق « فَعْلَل » من المعضو للدلالة على إصابته . ونص القرار - (كما جاء في ص ٣٩ من كتابه الذي أخرجه سنة ١٩٦٩ بأمم : « كتاب في أصول اللغة » مشتملاً على مجموعة القرارات التي أصدرها الجمع من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين) بعنوان : (اشتقاق « فَعْلَل » من المعضو للدلالة على إصابته) قال بعد العنوان : « (كثير) ما اشتق العرب من اسم المعضو « فعلا » للدلالة على إصابته . وقد نص أبو عبيد على أن ذلك عام في كل ما يشكى منه في الجسد ، وكذلك نص ابن مالك في التسهيل على أنه مطرد » ١٥ . لهذا ترى لجنة الأصول بالجمع قياسته . ووافقها المجلس والمؤتمر على رأيها ، وصدر قرارها بالموافقة في جلسة المؤتمر الثامنة من دورة ٢٩ سنة ١٩٦٣ هذا وفي الكتاب المجع السالف البحوث المفيدة التي اعتمد عليها الجمع ومؤتمره في إصدار القرار السالف ، مدعومة بعشرات من الكلمات المسبوعة التي تؤيده ، من مثل : جكّله - رآه - بطنه . . . ، أي : أصاب جلده - ورأسه - وبطنه . . . و . . .

ويدخل في نوع المصدر الأصلي المصدر الدال على « المرة ^(١) والهيئة » فوق دلالاته على المعنى المجرد ، ولكنه لا يذكر إلا مقيداً بذكر المرة أو الهيئة ^(٢) .

ثانيها : المصدر الميمي ^(٣) ، وهو : (ما يدل على معنى مجرد ، وفي أوله « ميم » زائدة ، وليس في آخره ياء مشددة زائدة بعدها تاء تأنيث مربوطة ^(٤)) ، ومن أمثله : مَطْلَب - مَضْيَعَة - مَسْجَلَة - مَعْدَل . . (بمعنى : طلب - ضياع - جلب - عدول) في قول بعض الحكماء : « ينبغي للعاقل إذا عجز عن إدراك مَطْلَبِهِ ألاَّ يسرف في الهم » ؛ فإن الإسراف فيه مَضْيَعَة للحزم ؛ مَسْجَلَة لليأس ، مَعْدَل عن السداد . وإذا ضاع الحزم ، وأقبل اليأس ، واختفى السداد - فرت فرص النجاح ، وساءت الحياة » .

وهو قياسي ، ويلزم الأفراد ، والراجع أنه لا يُعَدّ من المشتقات ^(٥) . وسيجيئ تفصيل الكلام على طريقة صياغته ، وفائدته ، وبقية أحكامه الأخرى ^(٦) :

ثالثها : المصدر الصناعي ؛ - وهو قياسي - ويطلق على : كل انفظ (جامد أو مشتق ، اسم أو غير اسم) زيد في آخره حرفان ، هما : ياء مشددة ، بعدها تاء تأنيث مربوطة ؛ ليصير بعد زيادة الحرفين اسماً دالاً على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة . وهذا المعنى المجرد الحديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ ، مثل كلمة : إنسان ، فإنها اسم ، معناه الأصلي : « الحيوان الناطق »

(١) سيجيء الكلام عليه في ص ٢٢٥ .

(٢) في ص ٢٠٧ تعريف مفيد آخر للمصدر .

(٣) انظر بحث مستقل في ص ٢٣١ .

(٤) يسميها بعضهم : « تاء التأنيث » ، ويسميها غيرهم : « تاء النقل » من حالة إلى أخرى ؛ كالنقل من المذكر للمؤنث ، أو من الوصفية (الاشتقاق) إلى الاسمية المحضة ... (كما في مجلة المجمع اللغوي ، ج١ ص ١٤ ، وانظر رقم (١) من هامش الصفحة الآتية) والأمران سيان . ولكن التسمية الأولى أشهر وأوضح . وهي بكل أسمائها علامة قاطعة على التأنيث اللفظي (وقد فصلنا هذا في ج ٤ ص ١٦٩ ص ٥٤٢ باب : التأنيث ، وفي هامش ص ٥٤٦ و ٥٤٧) .

(٥) كما سبق في « ب » هامش ص ١٨٢ ، وكما سيجيء في ص ٢٣٤ و ٢٣٥ لكن يصح أن يتعلق به شبه الجملة ؛ كالتأنيث في المصادر الأصلية الصريحة .

(٦) في ص ٢٣١ .

فإذا زيد في آخره الياء المشددة ، وبعدها تاء التأنيث المربوطة ^(١) ، صارت الكلمة : « إنسانية » وتغيرت دلالتها تغيراً كبيراً ؛ إذ يراد منها في وضعها بالجلديد معنى مجرد ، يشمل مجموعة الصفات المختلفة التي يختص بها الإنسان ؛ كالشفقة ، والحلم ، والرحمة ، والمعاونة ، والعمل النافع . . . ولا يراد الاقتصار على معناها الأول وحده ، ومثلها : الاشتراك والاشتراكية — الأمد والأسدية — الوطن والوطنية — التقدم والتقدمية — الحزب والحزبية — الوحش والوحشية — الرجوع والرجعية — . . . وهكذا

وليس لهذا النوع من المصدر القياسي صيغ أخرى ، ولا دلالة غير التي شرحناها . ولا أحكام نحوية تخالف الأحكام العامة التي لكل اسم من سائر الأسماء ، إلا أنه اسم جامد ، مؤول بالمشق ، يصح أن يتعلق به شبه الجملة ، — كما سبق ^(٢) — ويصح أن يكون نعتاً ، وحالاً . . . و . . . ^(٣) بخلاف النوعين السابقين ، فهما اسمان جامدان ، ولكل منهما أحكام خاصة به ، وأوزان وطرق لصياغته ^(٤) على حسب البيان التالي :

(١) وتسمى « تاء النقل » ؛ لأن الاسم قبل مجيئها كان مخنوعاً بياء النسب التي تجعله في حكم المشتق . فلما جاءت هذه التاء نقلته إلى الاسمية المحضة ، وخلصته للدلالة على الحدث ، أي : على المعنى المجرد .

(٢) في « ب » من هامش ص ١٨٢ . . .

(٣) عرضت المراجع القديمة لهذا المصدر الصناعي القياسي بما لا يخرج عما قدمناه . وكذلك عرض له مجمع اللغة القاهري عرضاً موجزاً في دور انعقاده الأول ، وفيما يلي النص الحرفي — كما ورد في محضر الجلسة الثانية والثلاثين من محاضر جلسات دور الانعقاد الأول ص ٤٢٦ — على لسان أحد الأعضاء قال :

(حاجتنا إلى المصدر الصناعي ماسة في علم الكيمياء وغيره من العلوم . وقد فائق العلماء إنه من المولد المقيس على كلام العرب . وتخريجه سهل ، لأن هذا المصدر مكون من اللفظ المزيد عليه ياء النسب ، وتاء النقل ، على رأى أبي البقاء في : « الكليات ») . اهـ . — وتقدم المراد من تاء النقل في رقم ٤ من هامش الصفحة السالفة — .

ثم جاء في المحضر بعد ذلك ما نصه : (أن عضواً آخر قرأ نصوصاً من شرح القاموس في مادة : « كيف » ونصوصاً أخرى من « كليات أبي البقاء » وأن مناقشة الأعضاء في هذه للنصوص انتهت إلى القرار الآتي وهو : « إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزداد عليها ياء النسب والتاء ») اهـ . وقد وافق عليه المجلس نهائياً طبقاً لذلك ، ولما في ص ٢١ من كتاب المجمع المشتغل على القرارات العلمية من للدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين .

(٤) الأصل في المصدر الصريح بأنواعه الثلاثة السالفة الحالية من الدلالة على المرة أو الهيئة أن يدل على المعنى المجرد . . . (وهو — كما في ص ١٨١ وب من ص ١٨٣ — المعنى العقل المحض الذي لا وجود له في غير اللحن) ، فلا يدل — بصيغته — على ذات ، ولا على زمن ، ولا أفراد ، ولا تشبة ، ولا جمع —

=خاصة. فليس بد من الأخذ الحري بما استنبطه ثقات العلماء الحاذقين، والاستناد إلى ما قالوه؛ فإذا قرروا - مثلاً - أن مصدر الفعل الماضي الرباعي الذي على وزن : «فَعَّلَ» هو : «التفعيل» وجب الإيمان بما قرروا؛ فنقول في مصادر : قَوِّمَ - عَظَّمَ - كَسَّرَ - كَرَّمَ - . . . وأمثالها : تقويم - تعليم - تكسير - تكريم . . . وهكذا من غير بحث عنه في كلام عربي قديم . أو في مرجع لغوي ، أو غيره . . . فلا داعي لهذا البحث مع وجود القاعدة وانطباقها . وإذا قالوا : إن مصدر الفعل الثلاثي المتعدي هو : «فَعَّلَ» وجب الاطمئنان لقولهم ، والأخذ به ، وتطبيقه - في غير تردد - على كل فعل ثلاثي متعدي ، نريد الوصول إلى مصدره ، نحو : سمع سمعاً - فهم فهماً - كتب كتباً - ونظائر هذا من مثات - بغير رجوع إلى مرجع لغوي أو غير لغوي ، ولو كان الرجوع إليه لا يكلفنا جهداً ، أو وقتاً ، أو مالا . وبهذه الطريقة المشكلى نجنب أنفسنا الشطط، ونوقها مساءة العاقبة التي تترتب على إهمال رأى للثقات البارعين من العلماء المتخصصين المتفرغين إهمالاً يستحيل معه أن تستقيم أمور اللغة ، أو يستقر لها وضع صالح ، وخياة قوية ناهضة . فالواجب أن نعتمد على القاعدة في الوصول إلى المصدر القياسي ، للفعل ، ولا نبالي بعد ذلك أله مصدر سماعي آخر أم لا ؟

وما سبق مستمد من أقوال أئمة كبار يقررون : « أن استعمال المصدر القياسي جائز وإن سمع غيره » وفي مقدمتهم : « الفراء » الذي وصفه الإمام اللغوي النحوي : « ثعلب » - كما جاء في مقدمة كتاب معاني القرآن ، للفراء - أحد أئمة الكوفة - بقوله : (لولا الفراء لما كانت عربية : لأنه خلصها وضبطها . ولولا الفراء ما كانت عربية ؛ لأنها كانت تتنازع ، ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس فيها على قدر عقولهم وقرائحهم فتذهب . . .) والذي وصفه عالم آخر (كما جاء في معجم الأدياب - ج ٢٠ ص ١١٠) بقوله : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان بهما الافتخار على جميع الناس » . ١٠١ . وقيل عنه أيضاً - كما جاء في تهذيب التهذيب ، ج ١١ ص ٢١٢ - « الفراء أمير المؤمنين في النحو » . ١٠١ هـ ، وفي تاريخ بغداد : « (كان يقال : النحو الفراء ، والفراء أمير المؤمنين في النحو) » . وقد وصفه بحق أحد أعضاء المجمع اللغوي القاهري . بأنه « إمام الكوفيين ، ووارث علم الكسائي ، ولا تريب علينا إذا أخذنا بمذهبه » - راجع ص ١٠٨ من محاضر جلسات الدور الرابع - .

ومهم العبقري : « ابن جني » . في كتابه الخصائص (ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٧ و ٤٣٩) ، ومن أوضح النصوص في هذه الصفحات ما جاء في ص ٣٦٧ من الباب الذي عنوانه : (باب في اللغة تؤخذ قياساً) « وقد سجلته مجلة المجمع اللغوي في أحد أعدادها وسجلته محاضر جلساته في دور الانعقاد الرابع ص ٤٥ . وسجلناه في آخر الجزء الثاني من كتابنا . ثم هو صاحب المذهب الذي أخذ عن المازني ، وبصه - كما ورد في ص ٤٤ من تلك المحاضر ، وفي ج ١ ص ٣٦٧ من كتابه - : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » . وهو القائل : « (ليس كل ما يجوز في القياس يخرج به سماع ، فإذا حذا إنسان على مثله ، وأم مذهبه ، لم يجب عليه أن يورد في ذلك سماعاً ، ولا أن يرويه رواية) » . ومثل هذا ما جاء =

« في » المصباح المنير ، مادة : « خلف » - ونصه : « (عدم السماع لا يقتضى عدم الاطراد مع وجود القياس .) » ا هـ . وأقوى من هذا كله ما دونه أبو البركات بن الأنباري - المتوفى سنة ٥٧٧ هـ - في كتابه : « لمع الأدلة » ، في أصول النحو « (الفصل الحادى عشر ص ٩٥) » وفى مظهره يقول ما نصه : « (اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس ؛ ولهذا قيل في حده : « النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ؛ فن أنكر القياس فقد أنكر النحو . ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره ؛ لثبوته بالادلة القاطعة ، والبراهين الساطعة . . .) » ا هـ . وقد رأى الجميع الثبوت الاعتماد على ما قاله ابن جنى وعلى أدلته في كثير من المسائل الأخرى - كما في (ج ١ ص ٢٢٦) - من مجملته . ومن للقائلين بقياسية المصدر : الزنجشري ، ومكانته في العلوم العربية والشرعية معروفة (راجع كلامه ص ١٣ من كتاب « القياس والسماع ، لأحمد تيمور) .

لكل هذا لم يكن مقبولا رأى « سيبويه » ومن انضم إليه قديماً وحديثاً ، مخالفين رأى « الفراء » ومن وقف إلى جانبه ؛ إذ يرى سيبويه أن الضوابط التي تحدد وتضبط مصادر الفعل الثلاثى لا يصح استخدامها قياساً مطرداً قبل الرجوع إلى السماع ، ويجب الاقتصاد على المسموع وحده بعد البحث عنه والعثور عليه . وإنما تستخدم الضوابط والأقيسة للوصول إلى المصدر حين لا يكون للفعل مصدر مسموع من العرب ، فإذا ورد فعل لم يعرف عن العرب كيف نطقوا بمصدره جاز استخدام القياس بتطبيق الضابط والقاعدة . أما مع ورود المصدر المسموع المعروف فلا يجوز ؛ لأننا مقيدون « بالمصدر » الذي نطق به العرب الخُلص ، وعرفناه عنهم ، ولا داعى معه لخلق مصدر جديد لم ينطقوا به نصاً .

وهذا رأى غريب يعوق الانتفاع باللغة ، ويسلمها إلى الجمود والتخلف . وأعجب من هذا ، وأوغل في الغرابة أن يكون هنالك رأى آخر يحرم استخدام الصيغ القياسية مطلقاً (أى مع وجود أخرى سماعية أو عدم وجودها ، وسيجىء في ص ٢٩١) . والفراء وأنصار رأيه يخالفون . ولعل أظهر حججهم أن فى رأى سيبويه إعنائاً من غير داع ؛ لأن القاعدة - أى قاعدة - إنما هى حكم عام مستنبط ، كما شرحنا - من الكثير الوارد عن فصحاء العرب ، وضابط منتزع من الغالب الذى استعملوه . فكيف يراد منا أن نمتنع عن القياس على ذلك الكثير حين يوجد ما يخالفه ولو كان شاذاً ، وأن تقتصر على هذا المخالف وحده ، دون استخدام القياس الذى يجرى على نهج الكثير الفصيح المخالف له ؟ كيف يتحتم علينا استعماله ولو كان شاذاً ، ويحرم علينا صوغ ألفاظنا وعبارتنا على النهج الغالب فى كلام العرب الخُلص مع علمنا أن الشاذ هو القليل النادر فى كلامهم ؟ ومع علمنا - كما تقدم - أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ؛ كما سجاه ابن جنى فى المراجع السابقة ، وكما يقرره جمهرة النحاة فى مراجعهم ، ومنه ما نقله الجمع - فى باب الحال ج ١ ص ٢٤٧ - عن أبي حيان ونصه : « (إنما نبى المقاييس العربية على وجود الكثرة .) - كما سيأتى هنا - وما نقله أيضاً - فى باب التصريف ج ٢ ص ٢١٧ - من مذاهب القياس وفيها يقول ما نصه : (المذهب الثالث : التفصيل بين ما تكون العرب قد فعلت مثله فى كلامها كثيراً وأطرده فيجوز لنا إحداث نظيره ، وإلا فلا . . .) » ا هـ .

فليس استخدامنا المصدر القياسي مع وجود السماعي إلا كأستخدامنا الألفاظ والكلمات التي نجرى عليها الرفع ، أو النصب ، أو الجر ، أو الجزم في أساليبنا الخاصة التي ننشئها إنشاء يختار كل منا على حسب هواه ، ونؤلفها تأليفاً مبتكراً لم تنطق به العرب نصاً ، ولم تعلم عنه شيئاً ، وإن كان لا يخرج في هيئة تكوينه ، ومادة كلماته ، وترتيبها ، وضبط حروفها - على النسق الوارد عنهم ، ولا يتعدى حدودهم العامة ، فهي أساليبنا ، ومن صنعنا ، وهي في الوقت نفسه أساليب عربية صحيحة ، وتسمى بهذا الاسم ؛ لجريانها على النظام العربي الأصيل في مفرداتها ، وطرائق تركيبها ، وضبط حروفها ؛ فلا مسوغ عند هؤلاء لمنع استخدام المصدر القياسي مع وجود السماعي المعروف .

وشيء آخر : هو أن قصر القياس في هذا الباب على الأفعال التي لم يرد لها مصادر مسموعة ، يقتضيها أن نرجع لكل المظان المختلفة ، ونطيل البحث ؛ حتى نطمئن إلى عدم وجود مصدر سماعي للفعل ؛ كي نستطيع استعمال المصدر القياسي . وفي هذا من الجهد المضي والوقت مالا يقدر عليه خاصة الناس ، بله عامتهم . ولو أخذنا به قبل استعمال كل مصدر لحملنا أنفسنا مالا تطيق ، ودفعناها إلى اليأس ، والانصراف عن لغتنا ، وأنكرنا واقع الحياة الذي قضى باستقلال العلوم والفنون ، وتفرغ طوائف العلماء للفروع المستقلة ، والاعتماد على رأيهم الخاص فيما تفرغوا له ، واستحالة أن يتخصصوا معه في « اللغويات » .

ثم ما هو المراد الدقيق من عدم معرفة المصدر الوارد للفعل ؟ ما حدود هذا ؟ وما ضبطه ؟ وكيف يتحقق مع تفاوت الناس علماً ، وعملاً ، واقتداراً على استحضار المراجع وغيرها ؟ . . .
إن رأى الفراء وأنصاره رأى سديد ؛ فيه رفق ، وحكمة ، ومسيرة واضحة لطبائع الأشياء . وليس فيه ما يسيء إلى اللغة ، أو يسد المسالك أمام الراغبين فيها ، المقبلين على اصطلاحها وإعلاء شأنها . ولهذا يجب الأخذ به وحده ، والاقتصار عليه ، حفاظاً على حياة اللغة ، وإبقائها - على الأيام - فتية متجددة الشباب والنفع . وقد يكون المصدر الذي نصنعه ولم ينطق بلفظه العرب نصاً - غريباً على الأسماع ، ولكن هذه القرابة والوحشة يزولان بالاستعمال .

ثانيهما : أن الرجوع إلى الكلام العربي الأصيل ، أو المطولات اللغوية . قد يجد مصادر أخرى مسموعة لا تسائر تلك الضوابط والقواعد برغم دقتها وإحكامها . وهذه المصادر الأخرى هي التي يسمونها : « مصادر سماعية » ، أو : « مصادر شاذة » أو : « مصادر قليلة الاستعمال » ؛ أو ما شاكل هذا من الأسماء الدالة على قلتها وعدم صحة القياس عليها . . .

والحكم الصحيح على مثل هذه المصادر السماعية أنه يجوز استعمال كل واحد منها - بذاته - - مصدرأ سماعياً مقصوداً على فعله الخاص ؛ فلا يجوز استخدام وزنه في إيجاد صيغة كصينته لفعل آخر غير فاء المين ، ويجوز - أيضاً - استعمال المصدر القياسي لفعله ، فاستعمال المصدر السماعي لفعل معين لا يمنع استعمال المصدر القياسي لهذا الفعل ؛ فمن شاء أن يصطنع المسموع أو القياسي فله ما شاء ، ويجرى هذا على كل فعل له مصدران مقيس ومسموع ، فإن استعمال أحدهما مباح . وإلا كلفنا جمهرة الناس مالا تطيق - كما تقدم - ؛ إذ نطالبها بمعرفة المسموع لكل قياسي ، والاقتصار على هذا المسموع وحده . وفي هذا من التعجيز وتعطيل القياس أفدح الضرر .

وما يؤيد استعمال القياس مع ورود السباع - وما أكثر ما يؤيده - ما جاء في « القاموس المحيط » ،
- للفيروزابادى - ج ١ مادة : « سجد » من كلمات وردت في صيغة اسم الزمان أو المكان بالكسر ،
وكان قياسها الفتح ، ومنها : مسجِد - مشرِق - مفرِق و... مَطْلِع - مَسْقِط - مجزِر - مسكِن -
منبِت - منسِك - مرفق ... (ولهذا الحكم الخاص بالكلمات السالفة بيان وتحقيق مفيدان - في
ص -) .

وبعد أن سردها قال ما نصه : « (ألزوها كسر العين ، والفتح جائز ، وإن لم نسمعه .) » ا هـ . .
وكذلك ما جاء في « تاج العروس » شرح القاموس ، مادة : « حج » حيث نقل عن السابقة أن المصدر
السباعي الدال على المرة للفعل : « حَجَّ » هو : « حِجَّة » - على وزن : « فَعْلَة » . ، بكسر ، فسكون ،
فتفتح - بالرغم من أن هذه الصيغة خاصة بالمصدر الدال على « الهَيْئَة » فقط في غير هذا . ولكنها استعملت
مصدراً لهذا الفعل يدل على « المرة » فقط ، ولا يدل على الهيئة مطلقاً . ثم قال بعد ذلك ما نصه الحرف خاصاً
بصيغة « المرة » : قال الكسائى : كلام العرب كله على فملت فَعْلَة - بفتح ، فسكون ، فتفتح - في
المرة ، إلا حججت حِجَّةً ، ورأيت رِثْيَةً . ا هـ ثم أورد صاحب التاج هذا بقوله مباشرة ما نصه : « (فتبين
أن « الفعلة » للمرة تقال بالوجهين ؛ الكسر على الشذوذ ، ولا نظير له في كلامهم ، والفتح على
القياس) » . ا هـ فهو يبيح القياس وتطبيق القاعدة مع وجود السباع المخالف لها ، الوارد عن العرب . ومعنى
هذا أن ورود السباع لا يلغى القياس ، ولا يمنع استخدام القاعدة المخالفة .

وكذلك جاء في القاموس مادة : « فسد » ما نصه : (لم يسمع انفسد) ا هـ ، فقال شارحه : (والقياس
لا ياباه) .

هذا ، وكما ينطبق حكم السباع والقياس على المصادر المختلفة ينطبق على غيرها مما له سماع وقياس ...
كجموع التكسير ، وسيجيء في بابها بالجزء الرابع - وكالمشتقات ، وسواها . . . ولا معنى لقصر هذا
الحكم على نوع دون نوع يماثله ، أو مسألة دون أخرى تشابهها . قال الصبان (ج ٤) في باب « جمع
التكسير » تعليقاً على بيت ابن مالك الذى صدره : « ر والزمره في نحو طويل . . . » وعلى كلام
أبي حيان ، ... ، ما نصه : « (إذا سمع في جمع التكسير غير قياسه امتنع التعلق بقياسه ، وهذا أحد
قولين في المصدر الوارد على خلاف قياسه ، وهو نظير ما نحن فيه .) » ا هـ . . . وية ول صاحب كتاب
« القياس في اللغة العربية للخضر » ص ٤١ - ما نصه : « (أما الألفاظ التي لم ترد إلا على الوجه المخالف
للقياس ؛ نحو : « عَيْيْد » - تصغير عيد - فيقتصر فيها على ما ورد عن العرب ، إلا أن يبدو لك أن
تتعلق بمذهب من يميز إجراء الألفاظ على مقتضى القياس زيادة على الوجه الثابت من طريق السباع .) » ا هـ .

وسيجيء - في ج ٤ أول باب : « جمع التكسير » - أن فريقاً من أئمة النحاة - في مقدمتهم الكسائى
زعيم المدرسة الكوفية - الذى أوضحن منزلته في هامش ص ١٨٩ - ، يميز استعمال السباع والقياس
في الجموع ، والمصادر ، وغيرها . فقد جاء في مقدمة : « القاموس المحيط » ، في الأمر الخامس

١ - أوزان المصدر الأصلي ؛ (وهو المصدر الحقيقي الذى يراد عند الإطلاق ؛
أى : عند عدم التقييد ببيان نوع معين من أنواعه ^(١)) :

المصدر الأصلي إما أن يكون لفعل ماض ثلاثى ، أو غير ثلاثى ؛ علمًا
بأن الفعل - ماضيًا وغير ماض - لا تتجاوز صيغته ستة أحرف . وأن الثلاثى
لا بد أن يكون مفتوح الأول ^(٢) . أما ثانية فقد يكون مفتوحًا ، أو مضمومًا ،
أو مكسورًا ؛ فأوزانه ثلاثة ^(٣) فقط ؛ هى : فَعَعِلَ - فَعِلَ - فَعُلَ .

والأساس الأول فى معرفة مصادر الثلاثى ، وإدراك صيغها المختلفة إنما
هو الاطلاع على النصوص اللغوية الفصيحة ، وكثرة قراءتها ، حتى يستطيع القارئ
بالدربة والمرانة أن يهتدى إلى المصدر السماعى الصحيح الذى يريد الاهتمام
إليه . أما الأوزان والصيغ القياسية الآتية فضوابط أغلبية صحيحة تنفيذ كثيرًا
فى الوصول إلى المصدر القياسى ؛ فيكتفى به من شاء ، ولكن الاطلاع والقراءة أقوى
إفادة ، وأهدى سبيلًا . وفيما يلى أوزان المصادر القياسية للفعل الثلاثى المتعدى
واللازم :

(١) إن كان الماضى ثلاثيًا متعديًا غير دال على صناعة ؛ فمصدره

= من الأمور التى اختص بها « القاموس » ما نصه عند الكلام على ضبط المضارع : « (السماع مقدم على
القياس عند غير الكسائى . وأجاز الكسائى القياس مع السماع أيضاً - على ما قرر فى الدواوين
الصرفية .) » ١٠٥ .

ويجب التنبيه إلى ما أوضحناه ؛ وهوان استعمال المصدر « المسموع » مقصور على فعله ، دون باقى
الأفعال ؛ فلا يجوز صوغ مصدر قياسي لفعل آخر على وزن هذا المصدر المسموع ، بخلاف المصدر
للقياسي فإن صياغته غير مقصورة على فعل واحد ، بل هى عامة شاملة لكل فعل توافرت فيه الشروط ، وأدخلته
تحت الوزن العام الذى ينطبق عليه وعلى نظائره المصدر القياسي ، وهذا الحكم عام فى كل مسموع مخالف
للقياس وليس مقصوراً على المصادر المسموعة . فيجب قصر المسموع على نفسه وحده دون استنباط حكم
عام منه يمتد إلى غيره .

« ملاحظة » : من الألفاظ التى تتردد فى النحو : المطرد ، القياس ، الأغلب ، الكثير ، القليل ،
النادر ... وبعض ألفاظ اصطلاحية أخرى ؛ منها ما يفيد القياس ، ومنها ما يمنعه . وتوضيح هذا كله مدون
فى الجزء الرابع ، باب « جمع التكسير » ص ٨٥ م ١٧٢ .

(١) ليوضح هذا فى ص ١٨١ وما بعدها .

(٢٢) من للنادر أن يكون غير ذلك ؛ ومنه ساكن الوسط فى مثل : نَعِمٌ ، يَشْنُ . . .
التحوالوق - ثالث

القياسي : « فَعَلَّ » ، نحو : أَخَذَ أَخْذًا - فَتَحَ فَتْحًا - حَمَدَ حَمْدًا
سمع سَمْعًا^(١)

فإن دل على صناعة فصدره الغالب : « فِعَالَةٌ » ، نحو : صاغ الحبير
المعادن صِيَاغَةً دقيقة - حاك العامل الثوب حِيَاكَةً مُتَقَنَةً ، ثم خاطه الصانع
خِيَاطَةً جميلة^(٢) .

ويلاحظ أن الثلاثي المتعدى لا يكون إلا مفتوح العين أو مكسورها . أما
مضمومها فلا يكون إلا لازماً ، نحو : حَسَّنَ - ظَرَّفَ - شَرَّفَ . . .

* * *

(٢) وإن كان الماضي ثلاثياً ، لازماً ، مكسور العين ، غير دال على
لون ، أو على معالجة^(٣) ، أو على معنى ثابت ، فصدره القياسي : « فَعَلَّ » .
نحو : تَعِبَ تَعَبًا - جَزَعَ جَزَعًا - وَجِعَ وَجَعًا - أَسِفَ أَسْفًا .

فإن دل على لون ، فالغالب في مصدره : « فُعْلَةٌ » ؛ نحو : سَمِرَ
الفتى سُمُورَةً - خَضِرَ الزرع خُضْرَةً .

(١) سيجىء (في ج ٤ م ١٨٤ ص ٦٠٧) أن الواو التي هي « فاء » الفعل الثلاثي ، مفتوح العيز
في الماضي ، مكسورها في المضارع ؛ (مثل : وعد - يعد) يجب حذفها في المضارع والأمر ، وكذا في
المصدر ، بشرط أن يصير هذا المصدر على وزن : « فِعْلَمَةٌ » (بكسر ، فسكون ، ففتح) لغير الهيئة ،
ومختوماً بالتاء في آخره عوضاً عن هذه الواو المحذوفة ؛ فيقال : وعد - يعد - وعدة - وعدة . . . ولا تحذف
الواو من المضارع إلا بشرط أن يكون حرف المضارعة (وهو الجوف الذي يبتدئ به المضارع) مفتوحاً ،
وأن تكون عين المضارع مكسورة . ومن الأمثلة قول الشاعر :

متى وعدتك في ترك الهوى عِدَّةً فاشهد على عِدَّتِي بالزور والكذب
وقول الناصح : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يفرنك المرتضى - وإن كان سهلاً - إذا
كان المنعذر وعراً . وهذه المسألة تفصيلات وأحكام موضحة هناك .

(٢) وفيما سبق يقول ابن مالك :

« فَعَلَّ » قِيَّاسُ مَصْدَرِ الْمُعْدَى مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ ؛ كَرَدَّ رَدًّا
(٣) وهي المحاولة الحسية ، وبذل الجهد العمل الجسدي للوصول إلى غاية ما ، واتخاذ الوسيلة
للتغلب على صعوبتها .

وإن دلّ على معالجة فصدره : « فَعُول » ؛ نحو : قدِمَ قُدُومًا - صَعِدَ صُعُودًا - لصِقَ لُصُوقًا - .

وإن دلّ على معنى ثابت فقياسه : « فُعُولَة » ؛ نحو : يَبْسُ يَبْسُوسَة ^(١) . . .

* * *

(٣) وإن كان الماضي الثلاثي لازماً ، مفتوح العين ، صحيحها ، غير دال على إباء وامتناع ، ولا على اهتزاز وتنقل وحركة متقلبة ، ولا على مرض ، ولا سير ، أو صوت ، ولا على حرفة أو ولاية - فإن مصدره القياسي : « فَعُول » نحو : قَعَدَ قَعُودًا - سَجَدَ سَجُودًا - رَكَعَ رُكُوعًا - خَضَعَ خَضُوعًا
فإن كان معتل العين فالغالب في مصدره أن يكون على : « فَعَلَّ » ، مثل : نام نومًا - صام صومًا . أو على « فِعْعَال » ، نحو : صام صيامًا قام قيامًا و . . . فإن دلّ على إباء وامتناع فصدره : « فِعْعَال » نحو : أبى إباء - نفّر نِفَارًا - شرّد شِرَادًا - جمّح جِمَاحًا - .

وإن دلّ على تنقل وحركة متقلبة فيها اهتزاز فصدره : « فَعَعْلَان » ؛ نحو : طاف طَوَافًا - جال جَوَلَانًا ^(٢) - غلّى غَلَيَانًا .

وإن دلّ على مرض فصدره : « فُعْعَال » ، نحو : سعل سُعَالًا - رَعَفَ ^(٣) الأتف رُعَافًا .

وإن دلّ على نوع من السير فصدره : « فَعِيل » ، نحو : رحل رحلًا - ذمل ^(٤) ذَمِيلًا .

(١) وفي هذا النوع يقول ابن مالك :

و « فَعِلَ اللّازِمُ بَابُهُ : « فَعَلْ » كَفَرَحَ ، وَكَجَوَى ، وَكَشَلَّلَ تقول : فرح المنتصر فرحاً عظيماً - وجوى الحب جوىً ، بمعنى اشتدت به حرقه الحب (وأصل جوى : « جوى » ، على وزن : فَعَمَلٌ ... تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها . قلبت ألفا ، فالتقى ساكنان ؛ الألف والتنوين ؛ حذف الألف لالتقاء الساكنين ؛ فصارت : جَوَى ...) وشَلَّلَ المريض شَلَلًا ، أصابه مرض الشلل . وهو المرض الذي يمنع الأعضاء عن الحركة .

(٢) أما المصدر « تَجَوَّلَ » - يفتح التاء - فيجىء الكلام عليه في رقم ١ من هامش ص ٢٠٠ وبيان أن فعله هو : « جال » أو « تجوّل » ...

(٣) سال منه الدم . (٤) مشى مشياً فيه رفق ولين .

وإن دل على نوع من الصوت فصدره : « فَعِيل » و « فُعَال » ؛ نحو :
صرخ الطفلُ صرِيحًا وصرَّ آخًا ، ونَعَبَ ^(١) الغرابُ نعيًّا ونُعَابًا . وقد اشتهر
« فَعِيل » مصدرًا لبعض الأفعال أكثر من « فُعَال » ؛ مثل صهِلَت الخيل
صهيلاً - أَرَزَتْ ^(٢) القُدورُ أريزا .

(ويؤخذ مما سبق أن وزن : « فُعَال » يكون مصدرًا لما يدل على مرض أو
صوت ، وأن وزن « فَعِيل » يكون مصدرًا لما دل على سير أو صوت أيضًا) .
وإن كان دالًّا على حرفة أو ولاية فصدره : « فِعَالَة » ؛ نحو : تَجَرَّزَ
تجارة - سَفَرَ سِفَارَة - أَمَرَ إمارة - نَقَبَ نِقَابَة ^(٣) .

* * *

(٤) إن كان الماضي ثلاثيًا ، لازميًا ، مضموم العين ^(٤) فصدره :
إما : « فَعَالَة » ، وإما : « فُعُولَة » . فيكون « فَعَالَة » إذا جاءت الصفة
المشبهة منه على وزن « فَعِيل » ؛ نحو : مَلَحٌ فهو مَلِيحٌ - ظَرُفٌ فهو
ظَرِيفٌ - شَجَعٌ فهو شَجِيعٌ . . . فالمصدر : مَلَاحَة - ظَرَافَة - شَجَاعَة .
ويكون : « فُعُولَة » إذا جاءت الصفة المشبهة منه على : « فَعَلٌ » ، نحو :
سَهْلٌ فهو سَهْلٌ - عَذْبٌ فهو عَذْبٌ - صَعْبٌ فهو صَعْبٌ . . . فالمصدر :
سَهْلَة - عَذْوَة ^(٥) - صُعُوبَة . . . وهذا الضابط في الحالتين أغلبيٌّ
منقوضٌ بأمثلة أخرى ، مثل : ضَخْمٌ فهو ضَخْمٌ ، مع أن المصدر الشائع
هو ضَخَامَة . وملحُ الطعام - أَى : صار مِلَحًا - ، ومصدره : المِلُوحَة . مع أن
الصفة المشبهة منه ليست على فَعَلٌ ولا فَعِيل ^(٥)

تلك هى الأوزان القياسية للفاعل الثلاثى بنوعيه ؛ المتعدي واللازم ؛ وهى
أوزان أغلبية . وقد يرد فى الكلام المأثور ما يخالفها ، فيجب قبوله على اعتباره
مسموعًا يصح استعماله - بنصه - مصدرًا لفعله الخاص به ، دون استخدام

(١) صاح .

(٢) ارتفع لها صوت من شدة الغليان .

(٣) بمعنى : رأس رياسة ، أَى : صار رئيسًا .

(٤) أشرنا فى ص ١٩٤ إلى أن الثلاثى ، مضموم العين ، لا بد أن يكون لازميًا .

(٥ ٥) راجع الخضرى فى هذا الموضع .

صيفته ووزنها في أفعال أخرى ، أو القياس عليها في فعل غير فعله . وهذا الوزن السماعي لا يمنع استعمال الصيغة القياسية ؛ كما أوضحنا أول الباب (١) ومن أمثلة السماعي : سَخِطَ سَخْطًا ، ذَهَبَ ذَهَابًا - شكر شُكْرًا - عَظُمَ عَظْمَةً . . . وغير هذا كثير ؛ جعل النحاة يقررون ما سبق من أن أوزان المصادر القياسية للماضى الثلاثي ؛ أوزان جارية على الأغلب ، ولا تفيد الحصر ؛ لوجود كثير سماعي غيرها (٢) ؛ حتى قيل إنها لا تكاد تنضبط (٣) ، واقتصر بعض النحاة على سرد تسع وتسعين صيغة تخالف كل واحدة منها القياس

(١) في ص ١٩١ عند الكلام على : « ثانيهما » .

(٢) انظر « الملاحضة » التي في هاش ص ١٩٣ .

(٣) وفي مصادر الثلاثي اللازم مفتوح العين يقول ابن مالك :

و «فَعَلَّ» اللازِمُ مِثْلُ : فَعَعَدَا لَهُ «فُعُولُ» باطرادٍ كَعَدَا مَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَوْجِبًا «فِعَالًا» أَوْ : «فَعَلَّانَ» فَادَّرَ ، أَوْ «فُعَالًا» أَيْ : أَنْ مَصْدَرُ «فَعَلَ» اللازِم ، مفتوح العين ، هو : «فُعُولُ» باطراد ؛ كَعَدَا غَدُوًّا ؛ (بمعنى ذهب في وقت الغدوة ، وهي أول النهار) وهذا يكون في الحالة التي لا يستوجب فيها الفعل مصدرًا آخر على وزن : «فِعْمَال» أَوْ : «فِعْمَلَّانَ» أَوْ «فُعْمَال» وقد بين في البيتين التاليين هذه الحالة بقوله :

فَأَوَّلُ لِذِي امْتِنَاعٍ كَأَبَى وَالثَّانِ لِلَّذِي اقْتَضَى تَقَلُّبًا
يريد : أن الوزن الأول وهو «فِعْمَال» يكون مصدرًا لكل فعل دل على امتناع ، نحو : أبى إباء ، وأن الوزن الثاني ؛ «فِعْمَلَّانَ» يكون مصدرًا لكل فعل دل على حركة وتقلب واضطراب . مثل جالَ جَوْلَانًا - طافَ طَوَافَانًا - أما الوزن الثالث وهو : «فُعْمَال» فقد بين فعله بقوله :

لِلدَّاءِ «فُعَالٌ» ، أَوْ : لِصَوْتٍ وَشَمِلٍ صَوْتًا وَسَيَّرًا : «الْفَعِيلُ» ، كَصَهَلَ (لادا : أَيْ : لَدَاءُ والمرض) ففعله يدل على داء ومرض ؛ نحو : سعل سَعْلًا ، أو يدل على صوت ، نحو : نعب ، نَعْبًا ، وقد يستعمل «الفعل» مصدرًا للفعل الدال على الصوت أو على السير ، نحو صهل الحصان صَهِيلًا - رحلَ الرحيل رحيلًا . ثم بين أن ما جاء مخالفًا لأنواع المصادر القياسية فأمره مقصور على النقل ، أَيْ : على السماع . يقول :

وَمَا أَتَى مُخَالَفًا لِمَا مَضَى فَبَابُهُ النَّقْلُ ؛ كَسَخِطَ ، وَرَضَا

لأن فعلهما ثلاثي مكسور العين ، فإن كان متعديًا بقياس مصدره : «فَعَمِلَ» كما عرفنا . فيقال فيها سَخِطَ - وَرَضَى ، وإن كان لازمًا بقياس مصدره ، فَعَمِلَ - كَدَرَ ، وَغَضَبَ . . . فجاء السماع فيها مخالفًا للقياس في الحالتين . ثم أشار إلى مصدر الثلاثي مضموم العين (وهو لازم حتمًا ، كما سبق ، في =

الخاص بمصدر فعلها» . . . (١) أما المصادر القياسية لغير الثلاثي فضبوبة محصورة - غالباً - وقل أن تخرج على الضوابط والحدود الموضوع لها . كما سنرى .

« ملاحظة » : وردت ألفاظ سماعية ، كل واحد منها يؤدي معنى المصدر ولكن بصيغة اسم المفعول من الثلاثي ، فهي في حقيقة أمرها مصادر سماعية من جهة المعنى ، جاءت ألفاظها على وزن : « مفعول » ؛ منها : معقول - مسجلود (في قولهم : فلان لا معقول له ولا مجلود له ؛ أى : لا عقل له ولا جلد ..) مفتون (٢) - ميسور (٣) - معسور (٤) . وكل ما سبق مقصور على السماع . ويرى سيبويه : أن تلك الألفاظ - ونظائرها - ليست مصادر في المعنى ، وأن كل واحد منها هو اسم مفعول في صيغته وفي معناه ؛ فيجب عنده تأويل الكلام الذي يحويه تأويلاً يساير اسم المفعول في المبنى والمعنى ، دون التفات إلى المصدر (٥) .

* * *

مصادر الماضي غير الثلاثي :

(١) إن كان رباعياً على وزن : « فَعَّلَ » (٦) مضاعف العين ، صحيح اللام (أى : صحيح الآخر) غير مهموزها - ، فمصدره القياسي : « تفعيل » مثل : قوم تقويمًا ، وقصّر تقصيراً ؛ في قولهم : من قوم نفسه أدرك بالتقويم ما يبتغى ، ومن قصّر في إصلاح عيبه قعد به تقصيره عن بلوغ الغاية . وقد يكون على وزن : « فَعَّال » كقوله تعالى : « وكذبوا بآياتنا كذباً أباً » ،

= ص ١٩٤ وفي رقم ٤ من هامش ص ١٩٦ (

« فُعُولَةٌ » « فَعَالَةٌ » لِفَعْلًا كَسَهْلَ الْأَمْرُ وَزَيْدٌ جَزُلًا

يريد : أن لهذا الفعل اللازم ، مضموم العين ، مصدران ، هما « فُعُولَةٌ » ؛ مثل : سهّل الأمر سهولة . . . و « فَعَالَةٌ » نحو : جزّل جزالة ؛ بمعنى جاد وأعطى ، أو بمعنى : عظم . . .

(١) راجع شرح التصريح في هذا المكان .

(٢) فتنة ، (خيرة) . (٣) يُسَهِّل (سهل) . (٤) عُسِّر .

(٥) لما سبق إشارة في « ص ٢٧٢ من باب : اسم المفعول .

(٦) الأكثر في هذه الصيغة أن تكون للتكثير والمبالغة - قياساً - كما يجيء في الصفحة التالية ،

وكما سجله المحقق القاهري فيها - وفي « التفعّل » القياسية أيضاً على الوجه المبين بعد .

وقد يكون على «فِعْعَال» بتخفيف العين؛ كـتَقْدِرَاعة من قرأ: «وكذَّبوا بآياتنا كِذَابًا» فإن كان معتل اللام فصدره «التنْغِيل» أيضًا، ويجب حذف ياء «التفعيل» والاستغناء عنها بزيادة تاء التأنيث في آخر المصدر - وزيادتها في هذه الصورة لازمة - فيصير: «تَفْعَلِة»؛ نحو: رَضِيَ تَرْضِيَّة، وَزَكَّى تَزْكِيَّة، وَوَرَّى تَوْرِيَّة؛ مثل: (رَضَى الأخ البار أخاه تَرْضِيَّة كريمة، وَزَكَّاه تَزْكِيَّة صادقة، وَحِينَ رَأَى مِنْهُ بَادِرَةً إِسَاءَةً، وَرَّى ^(١) تَوْرِيَّةَ تَمْنَعُهُ مِنَ التَّمَادِي).

وأصل الأفعال: من غير التضعيف: رَضِيَ - زَكَّى - وَرَّى - فهي معتلة اللام ومصادرهما مع التضعيف من غير حذف وتعويض هي: تَرْضِيًّا - تَزْكِيًّا - تَوْرِيًّا. . . حذف الياء الأولى التي هي «ياء التفعيل» وعُوِّضَ عنها - وجوبا - تاء التأنيث في آخر المصدر؛ فصار: تَرْضِيَّة - تَزْكِيَّة - تَوْرِيَّة. . . كما عرفنا. ومن الشاذ عدم الحذف. أو عدم التعويض.

وإن كان مهموز اللام ^(٢) فصدره «التفعيل»، أو: «التفعلة» - وهذه هي الأكثر - نحو: بَرَأَ تبريًّا وتبريَّة، وَجَزَأَ تجزيًّا وتجزئة، وَهَنَأَ تهنيئًا وتهنيئة، وَخَطَأَ تخطيئًا وتخطئة ^(٣).

«ملاحظة»: مذهب البصريين أن «التَفْعَال» - بفتح التاء وإسكان الفاء - مثل ^(٤): ، تَذَكَّرَ، بمعنى: التذكَّر، هو مصدر: «فَعْعَل» (المفتوح

(١) دفع، أو أشار.

(٢) أى: أن الحرف الأخير من أصول الكلمة همزة؛ نحو: برأ - خبا - هنى.

(٣) يجوز في الكلمات: تبريًّا - تجزيًّا - تهنيئًا - تخطيئًا - وما شابهها - أن يقال فيها تبريًّا - تجزيًّا - تهنيئًا - تخطيئًا. . . فقد جاء على هامش القاموس في مادة: «خطأ» عند الكلام على «خطيئة» ما نصه الحرفي.

(«عبرة الجوهرى»: «خطيئة» هي «فعلية»، ولك أن تشدد الياء، - يريد أنك تقول: «خطيئة» بقلب الهمزة ياء ثم تدغم اليامين -؛ لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة، أو واو ساكنة قبلها ضمة، وهما زائدتان للمد لا للإلحاق، ولا هما من نفس الكلمة - فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوًا، وبعد الياء ياء، وتدغم. فتقول في مقروه: مَتَدَرَوُ، وفي خبي: خَبِيَّ. . .» اهـ.

(٤) ومن الأمثلة أيضًا: «تَطْيَار» مصدر بمعنى: «طيران» في قول عمرو السدوسي:

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاحُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَعْرٌ
و «تَعْقَاد» مصدر بمعنى: «العقد» في قول المرتضى السدوسي:

الأول والثاني بغير تشديد الثاني) - وجيء بالمصدر على ذلك الوزن للتكثير .
وقال الفراء وجماعة من الكوفيين : إنه مصدر : « فعَّل » - مفتوح العين
المشددة - ورجحه ابن مالك وغيره ؛ لكون هذا المصدر للتكثير ، و « فعَّل »
المضعف العين للتكثير أيضاً ، ولكونه نظير « التفعيل » في الحركات ، والسكنات ،
والزوائد ؛ ومواقعها ^(١) . . .

وأسماعى هو أم قياسي ؟ قولان ، أظهم - رُهما أنه قياسي ^(٢) . أما « التفعُّل »
بكسر التاء ، كالتَّبيان والتَّلَقاء فليس بمصدر ، بل بمنزلة اسم المصدر ^(٣) .
وإن كان الماضى رباعياً على وزن : : « أفعلَّ » صحيح العين فصدره على :
« إفعال » نحو : أجمل الخطيب القول إجمالاً محموداً ، وأحسن الإلقاء إحساناً
بارعاً . فإن كان معتل العين نقلت في المصدر حركة عينه إلى فاء الكلمة ، وحذفت
العين ، و عوض عنها - غالباً - تاء التأنيث في آخره ، نحو : أقام إقامة -
أبان إبانة - أعان إعانة . . . والأصل : إقوام - إبيان - إعوان . فتعني
المصدر حرف علة متحرك بالفتح وقبله حرف صحيح ساكن ؛ فنقلت حركة
حرف العلة - العين - إلى الساكن الصحيح قبله ؛ (تطبيقاً للأساليب العربية
وضوابطها) . وحذِف حرف العلة الأول للتخلص من التقاء الساكنين ؛ فصار

لا يمنعنك من بُعَا ۚ الخير تعقاد التائم

جاء في كتاب الامتناع والمؤانسة (لأبي حيان التوحيدي - ج ٢ ص ٢ الليلة السابعة عشرة) بيان لكلمة
« تذكر » وأنها مصدر له نظائر على وزنه .

(١) من الأمثلة أيضاً : تَجَرُّوَال وتَطَوَّف - بفتح التاء فيها - وقد عرض لها الصبان (ج ٣
باب : « ما لا ينصرف » في آخر الكلام على صيغة منتهى الجموع) وسجل ما نصه « (إنهما مصدران
لحال وطاف . وقيل : لتجَوَّل وتطَوَّف .) » ا هـ .

(٢) أخذ بجمع اللغة العربية القاهري بهذا الأظهر بعد دراسة وافية ، ورجوع لآراء المتقدمين
ومنها : « (ما قاله صاحب التسهيل ، ونصه : « قد يغنى في التكثير عن « التفعيل » ، « تفعُّل » فقال
شارحه ابن أم قاسم ما نصه : (ظاهر كلام النحويين أنه مقيس ، وقد نص بعضهم على أنه مقيس) » ا هـ .
راجع ص ٢٥٧ الجلسة السابعة من محاضر الدورة العاشرة .

(٣) ما سبق منقول عن الصبان في هذا الوضع . لكن المراد ما هو بمنزلة اسم المصدر ؟
لعله يريد : أنه اسم مصدر (وسيجيء الكلام عليه في ص ٢٠٧) والمراجع اللغوية - كالقاموس وشرحه
- مختلفة في الحكم على هاتين الكلمتين ؛ فقيل : إنهما مصدران على الشذوذ - بسبب كسر التاء - وقيل :
اسما مصدر ، وقيل . . . غير ذلك . . .

اللفظ إقام - إبان - إعان ، ثم زيدت تاء التأنيث في آخره ؛ عوضاً عن المحذوف ؛ فصار المصدر : إقامة - إبانة - إعانة . . . ومن الجائز ألاّ تزداد هذه التاء . ولكن الغالب زيادتها ، كما سبق .

وإن كان رباعياً مجرداً على وزن « فَعْلَل » فصدره الغالب : « فَعْلَلَة » . وقد يكون على « فِعْلَال » ^(١) مع قلته ، نحو : دحرجت الكرة دحرجة ودحرجاً - سَرَهَفْت ^(٢) الصبى ، سَرَهَفَة وسَرَهَافًا - بهرج ^(٣) المنافق حديثه بهرجة ، وبهراجاً ^(٤) .

ومثله الماضى الرباعى الذى على وزن : « فَوَعَلَ » و « فَيَعْلَل » فإن مصدرهما القياسى الغالب : « فَعْلَلَة » - وهذه أكثر - ، و « فِعْلَال » ؛ نحو : حوَقَلَ ^(٥) حوقلة وحيقالا - وبيطر ^(٥) بَيْطَرَة وبيطاراً .

وإن كان رباعياً على وزن : « فاعَلَ » غير معتل الفاء بالياء - فصدره « فِعْمَال » و « مُفْعَاعِلَة » ، نحو : خاصمت الباغى مخاصمة ، أو : خصاصما . صارعت الطاغية مصارعة ، أو : صيراعا . . . فارقت أهل السوء مفارقة ، أو : فِراقا . . . و « المفاعلة » أكثر وأعم اطراداً ^(٦) .

فإن كان رباعياً معتل الفاء بالياء فصدره « المفاعلة » ، نحو : يامست ميامنة ، وياسرت مياسرة ، (أى : ذهب جهة اليمين ، وجهة اليسار) .

* * *

(١ و ١) إذا كان « فِعْمَال » مصدراً مضاعفاً ؛ كالززال ، والوسوس ، ونحوهما - جاز فتح أوله وكسره . وقد يراد - كثيراً - بالمفتوح اسم الفاعل فى المعنى ؛ نحو : أعوذ بالله من شر الوسواس . يكره الناس الصلصال المزجج برنينه ، والوعواع الصاخب بنبحه . . والمراد : الموسوس - المصليل ؛ بمعنى : للزنان - الموعوع ، بمعنى النابج . (وعوع الكلب ، نبج) . وكل هذا قياسى .

(٢) أحسنت غذاءه . (٣) أتى فيه بالزائف والباطل .

(٤) قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥) عالج الخيل والدواب ، وما ليس بإنسان من أنواع الحيوان .

(٦) ومن أمثلتها المسموعة أيضاً : « متاركة » فى قول شاعرهم :

متاركة اللثيم بلا جواب أشد على اللثيم من الجواب

(٢) وإن كان خماسياً ، على وزن : « تَفَعَّلَ » فصدره « تَفَعَّلَ » نحو : تعلَّم الراغب تعلُّماً - ثم تخرَّج تخرُّجاً - وتدرَّب تدرُّباً . . .
وإن كان خماسياً مبدوءاً بهمزة وصل على وزن : « انْفَعَلَ » فصدره « انْفَعَلَ » (والوصول إليه يكون بكسر ثالث الفعل ، وزيادة « ألف » قبل الحرف الأخير) نحو : انشرح صدرى انشراحاً عظيماً حين رأيت عدونا ينهزم انهزاماً ساحقاً .

وإن كان خماسياً مبدوءاً بهمزة وصل ، على وزن : « افْتَعَلَ » فصدره : افتعال ؛ (والوصول إليه يكون بكسر الثالث من الفعل ، وزيادة « ألف » قبل حرفه الأخير) نحو : إذا اقتصد الفقير بلغ باقتصاده الغنى - من اعتمد على نفسه كان خليقاً أن يدرك باعتماده ما يريد .

وإن كان خماسياً على وزن « تَفَعَّلَلْ » فإن مصدره يكون على وزن : « تَفَعَّلَلْ » ، بضم الحرف الرابع ؛ نحو : تدرَّج الحجر تدرُّجاً .

* * *

(٣) وإن كان سداسياً مبدوءاً بهمزة وصل ، على وزن : « اسْتَفَعَلَ » وليس معتل العين - فصدره : « اسْتَفَعَلَ » (والوصول إليه يكون بكسر الحرف الثالث من الفعل ، وزيادة « ألف » قبل حرفه الأخير) ؛ نحو : استحسن واستقبح - وأشباههما - مثل : إني أستحسن قراءة الأدب الرفيع استحساناً لا يعادله إلا سماع الأغاني العالية الشجيّة ، وأستقبح تافه الكتب استقباحاً لا يعادله إلا الأغاني الماجنة الخليعة . . .

فإن كان على وزن « اسْتَفْعَلَ » مع اعتلال عينه ، نقلت في المصدر حركة عينه إلى الساكن الصحيح قبلها ، وحذفت العين ، وجاءت تاء التانيث في آخره عوضاً عنها ، وهو عوض لازم ، نحو : استعاد المريض قوته استعادة ، والأصل : استعواداً ، جرى فيها ما أسلفنا .

زيادة وتفصيل :

ضم الحرف الرابع في الفعل الخماسي المبدوء بتاء زائدة للوصول إلى مصدره ، ليس مقصوراً على « تَفَعَّلَ » وإنما يجري عليه وعلى ما يماثله ، من كل فعل مبدوء بتاء زائدة ، وعدد حروفه ، وحركاتها ، وسكناتها - يماثل « تَفَعَّلَ » من غير تقييد بنوع الحركات والسكنات ؛ فليس من اللازم أن يكونا على وزن صرفٍ واحد ؛ إنما اللازم أن يقابل المتحرك متحركاً ، والساكن ساكناً ، وهذا الضابط يشمل عشرة أوزان غالبية :

- (١) تَفَعَّلَ ؛ مثل : تَجَمَّلَ تَجَمُّلاً .
- (٢) تَفَاعَلَ ؛ مثل : تَغَافَلَ تَغَافُلاً .
- (٣) تَفَعَّلَ ؛ مثل : تَلَمَّعَ تَلْمَعاً .
- (٤) تَفِيَّعَلَ ؛ مثل : تَبَيَّنَ تَبَيُّناً .
- (٥) تَمَفَّعَلَ ؛ مثل : تَمَسَّكَ تَمَسُّكاً .
- (٦) تَفَوَّعَلَ ؛ مثل : تَجَوَّزَ تَجَوُّزاً .
- (٧) تَفَعَّنَلَ ؛ مثل : تَقَلَّبَ تَقَلُّباً .
- (٨) تَفَعَّوَلَ ؛ مثل : تَرَهَّوْكَ تَرَهُّوكاً^(١) .
- (٩) تَفَعَّلَتْ ؛ مثل : تَعَفَّرَتْ تَعَفُّراً .
- (١٠) تَفَعَّلَى ؛ مثل : تَسَلَّقَى تَسَلُّقاً^(٢) . لكن تقلب
الضمة هنا قبل الياء كسرة .

* * *

(١) ماج واضطراب في مشيه .

(٢) أى : استلقى على ظهره .

تلك هي أشهر المصادر القياسية للفعل الماضي الرباعي ، والخماسي ، والسداسي ^(١) . وهي على ضبطها واطرادها لم تتسلسل من مصادر مسموعة تخالفها ؛ نحو :

(١) لبعض المعاصرين تلخيص موجز للمصادر المختلفة ، سلك فيه مسلكاً غير الذي جرت عليه المطولات . ومسلكه حميد ، وتلخيصه - على إيجازه - نافع مفيد ؛ قال ما نصه في مصادر الثلاثي الكثيرة ، إن الغالب :

- ا - فيما دل على حرفة أن يكون على وزن « فَعَالَة » ؛ كزراعة ، وتجارة ، وحياكة .
- ب - وفيما دل على امتناع أن يكون على وزن : « فَعَال » ؛ كإباء ، وشراء ، وجماع .
- ج - وفيما دل على اضطراب أن يكون على وزن : « فَعْلَان » ؛ كغليمان ، وجولان .
- د - وفيما دل على داء أن يكون على وزن : « فُعَال » ؛ كصداع ، وزكام - ودوار .
- هـ - وفيما دل على سير أن يكون على وزن : « فَعِيل » ، كرحيل ، وذميل ، ورسيم (والأخيران نوعان من السير) .

- و - وفيما دل على صوت أن يكون على وزن : « فُعَال » أو : « فَعِيل » ؛ كصراخ ، وزئير .
 - ز - وفيما دل على لون أن يكون على وزن « فَعْلَة » ؛ كحُمْرَة ، وزُرْقَة ، وخضرة .
- فإن لم يدل على شيء مما سبق فالغالب :

- ا - في : « فَعْل » أن يكون مصدره على : « فَعُولَة » أو « فَعَالَة » ؛ كسَهْوَة ؛ وتَبَاهَة .
 - ب - وفي : فَعْل لازم أن يكون مصدره على : « فَعْل » كفَرَح - وعَطَش .
 - ج - وفي فَعْل لازم أن يكون مصدره على : « فَعُول » كقعود ، وخروج ، ونهوض .
 - د - وفي المتمدى من « فَعْل » و « فَعْل » أن يكون مصدره على : « فَعْل » ؛ كفهم ، ونصر .
- وأما الفعل الرباعي :

- ا - فإن كان على وزن : « أَفْعَل » فصدره على « إِفْعَال » ، كأكرم إكراماً .
- ب - وإن كان على وزن : « فَعْل » فصدره على « تَفْعِيل » ؛ كقدّم تقدماً .
- ج - وإن كان على وزن « فاعِل » فصدره على « فِعَال » أو : « مُفَاعَلَة » ، كفأئل قتالاً ، وفأئاة .
- د - وإن كان على وزن « فَعْلَل » فصدره على « فَعْلَلَة » كدحرج دحرجة . ويبيء على وزن « فَعْلَل » أيضاً إن كان مضاعفاً ؛ كوسوس وسوسة ، ووسواساً .

وأما الخماسي والسداسي فالمصدر منهما يكون على وزن ماضيه ، مع كسر ثالثه ، وزيادة ألف قبل آخره إن كان مبدوءاً بهزة وصل ؛ كأنطلق انطلاقاً ، واستخرج استخراجاً . ومع ضم ما قبل آخره فقط إن كان مبدوءاً بتياء زائدة ؛ كسَقَدَّم تقدماً - وتدحرج تدحرجاً . ثم قال :

« تنبيه » الفعل إذا كانت عينه ألفاً تحذف منه ألف الإفعال والاستفعال ، ويعوض عنها تاء في الآخر ؛ كأقام إقامة ، واستقام استقامة . وإذا كانت لامه « ألفاً » في : « فَعْل » تحذف ياء التفعيل ، ويعوّض عنها تاء أيضاً ؛ كزكّى تزكّية . وفي « تفعل » ، و « تفاعل » تقلب الألف ياء ، ويكرر ما قبلها ؛ كثنّى تأنيباً ، وتغاضى تغاضياً . وفي غير ذلك تقلب هزة إن سبقها « ألف » ، كأتقى إلقاء ، ووالى ولاء ، وانطوى انطواء ، واقتدى اقتداء ، وارعوى ارعواء ، واستولى استيلاء ، واحلولى احليلاء . هـ .

حَوَقَلَ الطَّائِعَ حَيْقَالاً^(١) - تَنْزَى^(٢) سُرِيرَ الطِّفْلِ تَنْزِيّاً - تَمَلَّقَ الْمَنَافِقَ تِمْلِيقاً والقياس : حَوْقَلَة - تَنْزِيَّة - تَمَلَّقاً^(٣) . . .

* * *

(١) سبق في ص ٢٠١ الحكم بقلة المصدر : « حَيْقَال » : دون المصدر : « حَوْقَلَة » - وكلاهما قياسي - (٢) تحركه .

(٣) رَفَى بَيَانُ الْمَصَادِرِ التَّيَاسِيَةِ لِنُحْزِ الثَّلَاثِ يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ فِي مَصْدَرِ الرُّبَاعِ الَّذِي عَلَى وَزْنِ « فَعَلَّ » ، وَالرُّبَاعِ الَّذِي عَلَى وَزْنِ : « أَفَعَّلَ » وَالْخَمَاسِ الَّذِي عَلَى وَزْنِ : « تَفَعَّلَ » .

وغيرُ ذِي ثَلَاثَةٍ مَقْيِيسُ مَصْدَرِهِ كَقُدُّسِ التَّقْدِيسِ
وزَكِّهِ تَزْكِيَةً ، وَأَجْمَلًا إِجْمَالٍ مِنْ تَجْمُلًا تَجْمُلًا

يريد : أن « فَعَّلَ » صحيح اللام مصدره « التفعيل » ، مثل : قُدُّسِ التَّقْدِيسِ . ومعتل اللام مصدره : « تَمَلَّقَ » ، نحو : زَكَّى تَزْكِيَةً ، أما : « أَفَعَّلَ » فصدره : « إفْعَال » ؛ نحو : أَجْمَلُ إِجْمَالًا . وأما « تَفَعَّلَ » فصدره : « التفعّل » نحو : التَّجْمُلُ . وإليها أشار بقوله : إِجْمَالٍ مِنْ تَجْمُلًا تَجْمُلًا « أَيْ : أَجْمَلًا إِجْمَالٍ مِنْ تَجْمُلٍ تَجْمُلًا . ثم أشار إلى الرُّبَاعِ المَعْتَلِّ العَيْنِ والسَّدَاسِيِّ المَعْتَلِّ العَيْنِ كذلك فَبَيَّنَ أَنَّ عَيْنَهُمَا تَحْذَفُ ، وَيَعْوِضُ عَنْهَا - غَالِبًا - التَّاءُ ، قَالَ :

وَأَسْتَعِذُّ اسْتِعَاذَةً ، ثُمَّ أَقِمُّ إِقَامَةً ، وَغَالِبًا - ذَا - التَّاءُ لَزِمَ :
أَيْ : وَغَالِبًا أَنَّ هَذَا النُّوعَ يَكُونُ مَحْتَوًى بِالتَّاءِ . والمراد من « استعاذ » السَّدَاسِيُّ مَعْتَلِّ العَيْنِ ، ومن « أقام » : الرُّبَاعِيُّ كذلك . وذكر مصدر الخِمَاسِيِّ والسَّدَاسِيِّ المَبْدُوءَ بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ ، وَأَنَّهُ يَكُونُ يَفْتَحُ الْحَرْفَ الَّذِي قَبْلَ آخِرِهِ وَمَدَّهُ ، فَيَنْشَأُ مِنْ مَدِّهِ أَلْفٌ زَائِدَةٌ مَعَ كَسْرِ الْحَرْفِ الَّذِي يَلِي الْحَرْفَ الثَّانِي . يريد : مَعَ كَسْرِ الْحَرْفِ الثَّالِثِ :

وَمَا يَلِي الْآخِرُ مُدٌّ وَافْتَحَا مَعَ كَسْرِ تِلْوِ الثَّانِي مِمَّا افْتَتَحَا :
بِهَمْزٍ وَصَلٍ ، كَاضْطَفَى . وَضُمَّ مَا يَرْبَعُ فِي أَمْثَالٍ قَدْ تَلَمَّمَا
أَيْ : مَا يَلِيهِ الْآخِرُ (وَيَقَعُ بَعْدَهُ الْحَرْفُ الْآخِرُ) مَدَّهُ ، وَافْتَحَهُ ، وَكَسَرَ الْحَرْفَ الَّذِي يَتْلُو الثَّانِي مِنْ فَعْلٍ خَمَاسِيٍّ أَوْ سَدَاسِيٍّ ، مَبْدُوءَ بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ ، فَيَنْشَأُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ الْمَصْدَرُ الْقِيَاسِيُّ ، نَحْوُ اصْطَفَى الْعَاقِلُ إِخْوَانَهُ اصْطِفَاءً ، وَاسْتَهْوَى أَفْتَدَتْهُمْ بِكَرِيمٍ خَلَقَهُ اسْتِهْوَاءً .

وأشار إلى أن مصدر الخَمَاسِيِّ الَّذِي عَلَى وَزْنِ : « تَفَعَّلَ كُلٌّ » مثل : « تَلَمَّمْتُ » يكون بضم ما يربيع فعله ، أَيْ : بضم ما يكون رابعاً ، فَيَنْشَأُ الْمَصْدَرُ الْمَطْلُوبُ وَهُوَ : « تَلَمَّسْتُ » . ثم بين أن « فَعْلَمَكَة » هِيَ الْمَصْدَرُ الْقِيَاسِيُّ لِلْفِعْلِ : « فَعَّلَ كُلٌّ » ، وَقَدْ يَكُونُ مَصْدَرُهُ قَلِيلًا « فَعْلَلًا » : يَقُولُ :

« فِعْلَلًا » أَوْ « فَعْلَلَةً » لِـ « فَعْلَلًا » وَاجْعَلْ مَقْيِيسًا ثَانِيًا ، لَا أَوَّلًا
ثم عرض لمصدر « فاعل » فقال إنه : « الفِيعَال » و « المفاعلة » ، وصرح بأن ما جاء محاذياً للمقيس =

.....

= من المصادر السالفة كلها ، مقصور على السماع ، لا يقاس عليه ، ونصُّ تصرُّيحه :
لِفَاعِلِ الْفِعَالِ وَالْمُفَاعَلَةِ وَغَيْرُ مَا مَرَّ السَّمَاعُ عَادَلَهُ
أَي : ساواه .

ثم ختم ابن مالك الباب ببيتين في بيان الوزن الذي يصاغ عليه المصدر الدال على « المرة والهيئة »
- وسيجيء شرحهما في مكانهما المناسب من ص ٢٣٠ - هما :

وَ « فَعْلَةٌ » لِمَرَّةٍ كَجَلَسَتْ وَ « فِعْلَةٌ » لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَتْ
فِي غَيْرِ ذِي الثَّلَاثِ بِ « التَّاء » الْمَرَّةِ وَشَذَّ فِيهِ هَيْئَةٌ ؛ كَالْخِمْرَةِ

المسألة ٩٩ :

إعمال المصدر ، واسمه ^(١) .

(١) عرفنا - في ص ١٨١ و ١٩٣ - أن المصدر إذا أطلق كان المراد المصدر الصريح الأصلي دون المؤول وغيره من المصادر الميمية والصناعية ، وأوجزنا القول عن المصدر واسمه في (ج ٢ ص ١٧٤ م ٧٥) لمناسبة هنالك تتصل بالمفعول المطلق ؛ ووعدنا أن نوفيها في هذا الجزء .
فأما صيغ المصدر القياسية والسماعية ، وطريقة صياغة القياسية منها ، وأوزانها وكل ما يتصل بذلك - فله باب خاص أعده النحاة لذلك ، بعنوان : « باب أبشية المصادر » - وقد سبق في ص ١٨١ م ٩٨ - وأما تعريفه وإعماله وأحكامه فنعود الآن لبسط الكلام عليها . (و يلاحظ أن « اسم المصدر » مقصور على السماع) .

١ - فالمصدر الصريح الأصلي : (أى : غير المؤول ، وغير الميمي ، والصناعي ، كما قدمنا في ص ١٨١ ، وأشرنا إليه هنا) هو : (الاسم الذي يدل - في الغالب - على الحدث المجرد ، ويشتمل على كل الحروف الأصلية والزائدة التي يشتمل عليها الفعل الماضي المأخوذ منه . وقد يشتمل هذا المصدر على أكثر منها دون أن يشتمل على الميم الزائدة في أوله ، وهي التي يبتدئ بها « المصدر الميمي » ، ودون أن يتختم بالياء المشددة تليها تاء التأنيث ، وهما اللذان يختم بهما المصدر الصناعي » .

وهذا التعريف - وهو بمعنى التعريف الذي سبق في ص ١٨١ - يتضمن أمرين معاً ؛ أحدهما : يتعلق بدلالته المعنوية ، والآخر : يتعلق بصيغته اللفظية . فأما من ناحية دلالاته المعنوية فإنه يدل في الغالب على مجرد الحدث . أى : يدل على أمر معنوي محض ، لا صلة له بزمان ، ولا بمكان ، ولا بذات ، ولا بعلمية ، ولا بتذكير ، أو تأنيث ، ولا بإفراد ، أو ثنائية ، أو جمع أو غيره - إلا إن كان دالاً على « مرة » ، أو هيئة ، كما سيظهر في ص ٢٢٥ - .

وأما من ناحية تكوينه اللفظي فلا بد أن يكون جامداً مشتملاً على جميع حروف فعله الماضي ، أو على أكثر منها - كما سبق ، وكما تجيء أمثلته - ولا يمكن أن ينقص عنه في الحروف . خذ مثلاً المصدر : « تحسّن » فإنه يدل على أمر عقل محض ، نذكره بمقولنا ، ولا نستطيع أن نحسه بحاسة من حواسنا ؛ إذ لا وجود لشيء في خارج عقولنا يقال له : « تحسّن » يمكننا أن نراه ، أو نلمسه ، أو نسمعه ، أو نذوقه ، أو نشمه . فليس له وجود مادي تقع عليه إحدى الحواس ؛ وإنما وجوده محصور في الذهن وحده ، وهذا معنى كونه حدثاً مجرداً ، أو أمراً معنوياً محضاً ، أو نحو هذا من الأسماء . ثم إن هذا اللفظ الجامد (وهو : تحسّن) لا يدل على زمن مطلقاً (ماض ، أو حال ، أو مستقبل) ، ولا يدل كذلك على مكان ، ولا ذات (وهي : الجسم ، أو : المادة المجسدة) . وليس علماً على شيء خاص معين ، يدل عليه كما يدل العلم على صاحبه . فكل أمره مقصور على الدلالة المعنوية السابقة . وهو إلى ذلك مشتمل على جميع حروف فعله الماضي : تحسّسن ومن أجل هذا كله يسمى : « مصدرًا » لانطباق التعريف عليه . -

بخلاف المصدر المأول فإنه يدل على زمن ، وغيره - كما سبق في ج ١ ص ٣٠٢ م ٢٩ - وما يزيد الأمر وضوحاً : ما يأتي :

(١) حين نقول : « تَحَسَّنَ » أو : « يَتَحَسَّنُ » أو : « تَحَسَّنَ » نجد كل كلمة مستقلة من هذه الكلمات لا بد أن تدل على أمرين معاً ؛ هما : المعنى المحض السالف (أى : الحدث المجرد) والزمان (ماضياً - أو حالاً - أو مستقبلاً . . .) ولا يمكن أن تؤدي أحداً دون الآخر ؛ ولذلك لا تسمى : « مصدرأ » ، وإنما تسمى : « فعلا » . فالمصدر الصريح - غير الدال على المرة أو الهيئة - يؤدي شيئاً واحداً من شيئين يؤديهما الفعل ، وهذا الشيء الواحد هو ما سوى الزمان . وفيه يقول ابن مالك في بيت سبق شرحه (في باب المفعول المطلق ج ٢ ص ١٥٥ م ٧٤) .

المصدرُ اسْمٌ ما سِوَى الزَّمانِ مِنْ مَدْلُولِ الْفِعْلِ ؛ كَأَمِنْ مِنْ أَمِنْ (٢) وأذا حين نقول : « متحسناً » نفهم من هذه الكلمة - دون الاستعانة بغيرها - أمرين معاً ؛ وهما : المعنى المحض (أى : الحدث المجرد) الذى أوضحناه ، و « الذات » أى : المادة المجسدة المجردة ، أو : « الجسم » الذى يتصف بالتحسن ، فلا بد من المعنى والذات معاً . ولهذا لا تصلح كلمة « متحسن » لأن تسمى : « مصدرأ » ولا فعلا ، وإنما تسمى : اسم فاعل . . . - وسيجيء الكلام عليه في ص ٢٣٨ - .

(٣) وفي مثل : أعطيت المحتاج عطاء . يكفيه ، نجد كلمة : « عطاء » تدل على معنى مجرد محض ، ولا تدل معه على شيء آخر . ولكنها لا تشتمل على جميع الحروف التى فى فعلها المذكور فى جملة ؛ إذ الهمزة الأولى غير موجودة لفظاً ولا تقديراً . ومن هنا لا نستطيع أن نسمى كلمة : « عطاء » مصدرأ للفعل الماضى : « أعطى » وإنما نسميها : « اسم مصدر » ؛ وسنعرّف هنا . ومثلها : كلمة « سلام » و « عون » فى نحو : سلمت على اللاجئ سلام الأخ ، وعاونته عون الشقيق ؛ فإن كل واحدة منهما لا تصلح مصدرأ للفعل المذكور معها (برغم أنها تصلح لغيره) لأن حروفها خالية لفظاً وتقديراً من بعض حروف فعلها ، فكلمة : « سلام » تشتمل على « لام » واحدة مع أن فعلها المذكور فى جملة مشتمل على لام مشددة تعد لامين . وكلمة : « عون » خالية من الألف التى فى فعلها المذكور معها ، فكلاهما ليس مصدرأ ، وإنما يسمى : « اسم مصدر » - وسيجيء فى الصفحة الآتية إيضاحه ، وأنه سماعى - .

(٤) وفى مثل : دُهِنَ وكُمِّلَ - بضم أولهما - من كل ما يشتمل على حروف فعله ولكنه ذات لا نسميه مصدرأ .

(٥) وفى مثل : بَرَّةٌ ؛ بمعنى : البِرّ ، وسُبْحانَ بمعنى : التسبيح ، وحَمَّادٌ ، بمعنى : الحمد - نجد هذه الكلمات وأشباهاها ، تدل على الحدث المجرد ، ولا تدل معه على ذات ، ولا زمان ، ولا غيره ولكننا لا نستطيع أن نسميها « مصادر » ؛ لأن كل واحدة منها صارت علم جنس « يدل على المعنى الخاص به ؛ فكلمة : « برة » علم جنس على « البرة » بمعنى : البر ، و « سبحان » علم جنس على : التسبيح ، و « حمّاد » علم جنس على : الحمد ؛ فهى ونظائرها أسماء مصادر (سبق الكلام عليها =

= في الجزء الأول ص ٢٠٩ م ٢٢ في علم الجنس . . . ،

وقد قلنا إن المصدر لا بد أن يشتمل على كل حروف فعله الماضي ، أو على أكثر منها . والمراد اشتماله عليها لفظاً أو تقديرًا . فاللفظي أن تكون جميع الحروف موجودة منطوقاً بها ؛ نحو : أخذت أخذًا - تعلم الصبي تعلمًا - والتقديرى : أن يكون الحرف محذوفاً قد عوض عنه حرف آخر ، كجنى : جاء التأنيث في آخر المصدر عوضاً عن واو الفعل ، في مثل وعد ، عدة ، وكالتاء أيضاً حين تكون في أوله عوضاً ، مثل سلم تسليمًا ، وعلم تعليمًا ؛ فإن إحدى اللامين حذفت من المصدر وجاءت في أوله التاء عوضاً . أو يكون الحرف محذوفاً للتخفيف وكثرة الاستعمال ، مع ظهوره أحياناً في بعض اللهجات واللغات ؛ مثل : ضارب ضراباً - قاتل قتالاً . . . والأصل : ضيراباً وقيتالاً ؛ فقلبت الألف ياء لوفودها بعد الكسرة ، ثم حذفت تخفيفاً ، ومن العرب من كان يظهرها .

ومثال اشتمال المصدر على حروف أكثر من حروف فعله الماضي : إكرام ، وإجمال - وأشابهما فإنهما مصدران للفعلين : « أكرم وأجل » وقد زيد في وسط كل مصدر منهما الألف . ومثل : « فَرَقان » مصدر « فَرَّق » فقد زيد في وسطه الألف . ومثل الألف التاء في كلمة : « معاونة » مصدر : عاون .

ب - وأما اسم المصدر (وهو مقصور على السماع) فقالوا في تعريفه : « إنه ما ساءى المصدر في الدلالة على معناه ، وخالفه بخلو لفظاً وتقديراً من بعض حروف عامله - الفعل ، أو غيره - دون تعويض . وذلك كعطاء ؛ فإنه مساو لإعطاء في المعنى ، ومخالف له بنقص الهمزة الأولى لفظاً وتقديراً من غير أن يعوض عنها شيء . فإن خلا منه لفظاً ولم يخل تقديراً فليس اسم مصدر ؛ وإنما هو مصدر - كما تقدم - مثل كلمة قتال ؛ فإن أصلها : قيتال ، على الوجه الذى شرحناه في هذه الصفحة ، وإن خلا منه لفظاً ولكن مع تعويض عنه فليس باسم مصدر ، وإنما هو مصدر أصيل ؛ نحو : عدة ، مصدر الفعل « وعد » فقد حذفت الواو ، وجاءت التاء في آخر الاسم عوضاً عنها ؛ كما قلنا آنفاً . فلا بد في اسم المصدر من نقص بعض حروفه الأصلية أو الزائدة . وأن يكون النقص بغير تعويض عنه ، وبغير وجود المحذوف مقدراً . إن الفرق اللفظي بين المصدر الأصل واسم المصدر واضح مما سبق (ولا سيما قصر « اسم المصدر » على السماع ، أما المصدر الأصلي فنه القياسى ومنه السماعى .) ولكن الفرق المعنوى بينهما في حاجة إلى تجلية وإبانة . فاما معنى : « أن اسم المصدر يساوى المصدر في الدلالة على معناه ؟ »

ذهب النحاة في الإيضاح مذاهب لا تخلو من غموض أو نقص . ولعل خيرها ما جاء في كتاب : « الأشباه والنظائر » للسيوطي ، منسوباً لابن النحاس : قال ما نصه : (الفرق بينهما أن المصدر في الحقيقة هو الفعل الصادر عن الإنسان وغيره ؛ كقولنا : إن كلمة : « ضَرَب » هي مصدر في قولنا : يعجبني ضرب زيد عمراً . فيكون مدلوله : « معنى » (يقصد : أن مدلول كلمة « المصدر » ومفهومها وسماها ، هو أمر معنوي محض ، وأنه هو المصدر حقيقة ، لا مجازاً . أما اللفظ المذكور في الجملة ، المركب من حروف هجائية معينة ، فليس بالمصدر الحقيقي) وسَمَّوْا ما يعبر به عنه مصدرًا ، « مجازاً » ، (أى : تسمية مجازية ، لا حقيقية) - نحو : « ضَرَب » في قولنا : إن : « ضَرَباً » مصدر منصوب ، إذا قلت : ضربت ضرباً ؛ فيكون سماها لفظاً) . ا هـ .

= فهو يريد : أن كلمة « ضرباً » هي المسمى اللفظي المجازي لكلمة : « مصدر . ومتفقى هذا أن كلمة . « مصدر » اسم له مدلولان أو مفهومان ، وإن شئت فقل : له مسميان ، أحدهما : معنى محض ؛ هو الحدث المجرد ، وهذا الحدث هو المسمى الحقيقي - لا المجازي - لكلمة : مصدر . والمسمى الآخر لفظي ؛ هو اللفظ الذي ننطق به ، أو نكتبه ، والذي نقول في إعرابه : إنه مصدر منصوب ، وهو المصدر المجازي المراد منه المصدر الحقيقي المعنوي - ثم قال بعد ذلك :

(واسم المصدر اسم للمعنى الصادر عن الإنسان وغيره ؛ كسببْحان ؛ المسمى به : « التسبيح » الصادر عن الشخص المسبَّح - مثلاً - لا لفظ التاء ، والسين ، والباء ، والياء ، والحاء ، بل المعنى المعبر عنه بهذه الحروف ، ومعناه البراءة والتزكية) ا هـ - راجع ياسين على التصريح -

ويفهم مما سبق أن اسم المصدر كالمصدر المجازي السالف ؛ كلاهما يدل مباشرة على الحدث المجرد من غير واسطة . ولكن كثيراً من المحققين يقولون إن اسم المصدر يدل مباشرة على لفظ المصدر لا على الحدث المجرد ، وأن دلالاته على لفظ المصدر تؤدي - تبعاً - إلى الدلالة على معنى المصدر ، وبذا تكون دلالاته على الحدث المجرد دلالة غير مباشرة ، وإنما هي بالواسطة ؛ إذ هي من طريق المصدر . (راجع الخضري والصبان في هذا الموضع من الباب) .

ومن أوضح أسماء المصادر كل اسم يدل على معنى مجرد ، وليس له فعل من لفظه يجري عليه ؛ كالتفكير ؛ فإنه لنوع من الرجوع ، ولا فعل له - في المشهور - يجري عليه من لفظه . وكذلك كل اسم يدل على معنى مجرد ، ويجري على وزن مصدر الثلاثي ، مع أن الفعل المذكور معه في الجملة غير ثلاثي ؛ مثل : توضأ وضوءاً ، وأغان عوفاً ، وما شابههما من الوارد المسموع - كالشأن في جميع أسماء المصادر فإنها مقيدة بالسماع - .

بقيت مسألة هامة ، تتلخص في : أن بعض الباحثين المحققين ينكر وجود قسم مستقل يطلق عليه : « اسم المصدر » . وحجته : ما سبق هنا ، وأن تعريف المصدر الأصيل ينطبق عليه . وهذا رأي قوى ودفعه عسير . ومسألة أخيرة : (أشرنا إليها في ص ١٨٣) ، نوردها بمناسبة دلالة المصدر - في الغالب - على شيء واحد من شيئين يدل عليهما الفعل ؛ فإن هذه الدلالة تثير سؤالاً : أيهما أصل للآخر ؟ فالبرزيون يقولون : المصدر . ويحتجون بأدلة ، أقواها : أنه يدل على شيء واحد ؛ هو : المعنى المجرد ؛ فهو « بسيط » .. والفعل الماضي يدل على شيئين ؛ المعنى والزمن ؛ فهو مركب . و « البسيط » أصل المركب . والكوفيون يقولون : الفعل الماضي هو الأصل الذي يدخله بعض التغيير . فتتفرع منه المشتقات ؛ لأنه يدل على ما يدل عليه المصدر كزيادة ؛ والذي يتضمن غيره والزيادة عليه يعد أصلاً له .

وهذا - وغيره ما ذكره الفريقان - لا يعلو أن يكون أدلة جدلية دفاعية ، لها طلاوة الجدل القوي ، وليس لها قوة الحجة المنطقية ، ولا صحة البرهان . إذ ليس لدينا في المشتقات الكثيرة المسموعة عن العرب ما يدل من قرب أو بعد على الأصل الذي تفرع منه هذا المشتق . أما المسألة في واقعها فلم تست إلا مجرد اصطلاح محض . غير أن كلمة : « المصدر » في أصحها اللغوي معناها : « الأصل » وقد شاعت بهذا المعنى بين أكثر النحاة . وأطلقوها اصطلاحاً على أنها أصل للفعل والمشتقات كلها . فلا ضرر من الأخذ بهذا . والاقتصار عليه .

يعمل المصدر عمل الفعل ^(١) في حالتين :

الأولى : أن يُحذف الفعل ، وينوب عنه مصدره في تأدية معناه ، وفي التعدى وال لزوم ، وكثير من أنواع العمل ، نحو قول الشاعر :

يَا قَابِلَ التَّوْبِ . غُفِرَانًا مَا نَمَّ ، قَدْ أَسْلَفْتُهَا ، أَنَا مِنْهَا خَائِفٌ وَجِلٌ

وقول الآخر :

شكراً لربك يوم الحرب نعمته فقد حمأك بعز النصر والظفر
ونحو : تعظيماً والديك ، وتكريماً أهلك ، وإشفاقاً على ضعيفهم
الحجاج . والأصل : اغفر ما نَمَّ ^(٢) . . . -- اشكر لربك -- عظم والديك --
كـرِّم أهلك ، وأشفق على ضعيفهم . فحذف فعل الأمر وجوباً ، وناب
عنه مصدره ، فعمل عمله في رفع الفاعل المستتر هنا ، وفي نصب المفعول به ،
إن كان الفعل المحذوف ينصب مفعولاً به ؛ كالفعلين : عَظَّمْ ، وكـرِّمْ ، وفي
أكبر الأعمال الأخرى التي يعملها الفعل ؛ كالعمل في النعت ، وكتعلق الجار
والجور به في المثال الأخير ، وكغيرهما من باقى المعمولات ؛ فكل هذا يعمل
المصدر النائب عن فعله المحذوف وجوباً . (وقد سبق ^(٣) تفصيل الكلام على هذا
الموضع ، وبيان الحذف الجائز فيه والواجب ، والقياسى وغير القياسى ، وكيفية
إعراب هذا المصدر وباقى معمولاته ، وكل ما يتصل به من هذه النواحي المختلفة ..)

(١) يخالف المصدر فعله في أمور ؛ أهمها : أن المصدر لا يعمل إلا بالشروط التى سنذكرها ،
وأن فاعله يكثر حذفه جوازاً ، وإذا حذف لا يتحمل المصدر ضمير المحذوف ؛ إلا إذا كان المصدر نائباً
عن فعله (على الوجه المشروح في باب المفعول المطلق ج ٢ ص ١٧٨ م ٧٦) .

أما رفع المصدر لنائب الفاعل فاختار جوازه عند أمن اللبس ، نحو : عجبت من قياس بالطيارة
الصحراء ، ومن إقامة فيها معامل النقط . أى : من أن تقاس الصحراء بالطيارة ، وأن تقام معامل النقط
فيها . بخلاف الفعل ، فإنه يعمل وجوباً بغير شرط ، ويتحمل وجوباً ضمير مرفوعه المحذوف ؛ فاعلاً
كان أو نائب فاعل .

(٢) أى : ذنباً (المفرد : ما نَمَّ ؛ بمعنى : إثم ؛ وهو : الذنب) .

(٣) في ج ٢ ص ١٧٨ م ٧٦ موضوع : « حذف عامل المصدر ، وإقامة المصدر نائباً

الثانية :

أن يكون المصدر صالحاً - في الغالب ^(١) - للاستغناء عنه ، بأن يحل محله فعل من معناه ، مسبق « بأن » المصدرية ^(٢) ، أو : « ما » المصدرية ، فيسبق الفعل « بأن » المصدرية حين يكون الزمن ماضياً . أو مستقبلاً . ويسبق « بما » المصدرية حين يكون ماضياً ، أو حالاً . أو مستقبلاً ، ولكنها أوضح وأقوى في الزمن الحالى ، حيث لا تصلح له « أن » ، (لأنها لا تصلح إلا للماضى والمستقبل ^(٣)) ؛ بخلاف « ما » فإنها صالحة للثلاثة . فن أمثلة الماضى : ساءنا بالأمس مدح المتكلم نفسه . التقدير : ساءنا بالأمس أن مدح المتكلم نفسه . أو : ما مدح . . . ومن أمثلة المستقبل : سنسر غداً باجتياز الاختراع مرحلة الاختبار . وقولهم :

تَأَنَّ ، وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْؤِكَ صَاحِبًا لَعَلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ ^(٤)

والتقدير : (. . . بأن يجتاز الاختراع مرحلة الاختبار ، أو : بما يجتاز . . . بأن تلوم صاحباً أو : بما تلوم صاحباً . . .) ومثل : لا شيء أنقص للأحرار من إفشائهم الأسرار ، أى : من أن ينفشوا الأسرار ، أو : مما ينفشون ، ومن أمثلة الزمن الحالى : نعنشنا الآن إشاعة الشمسِ الدفء . والتقدير : نعنشنا الآن ما تشيع الشمسِ الدفء .

ومن هنا يتبين أن المصدر يصلح للعمل في الأزمنة الثلاثة بالطريقة المفصلة السالفة ؛ دون غيرها . والذي يعينه لنوع خاص منها هو : القرينة .

* * *

(١) انظر « ١ » في الزيادة الآتية .

(٢) « أن » المصدرية تشمل الناصبة للمضارع ، والخففة من الثقيلة . مع ملاحظة أن الناصبة لا تقع في مواضع ، منها : عدم وقوعها بعد ما يدل على اليقين . أما الناصبة فتقع . (وقد سبقت الإشارة في الجزء الأول ص ٤٨٤ م ٥٣ إلى علامة كل واحدة ، وموضع استعمالها ، وسيجىء في الجزء الرابع في باب : « إعراب الفعل . . . ونواصبه ») .

(٣) وهي تدخل على الماضى فيبقى زمنه على حاله . وعلى المضارع فيصير خالصاً للاستقبال .

(٤) الذى يعين المصدر للمستقبل هنا ما فى البيت من صيغة الأمر والنهى ، وهما للمستقبل المحض فيجب مسايرة المصدر لهما فى نوع الزمن .

زيادة وتفصيل :

١ - قلنا : إن الحالة الثانية هي التي يصلح فيها المصدر للاستغناء عنه « بأن والفعل » الذي بمعناه ، أو : « ما والفعل » . . . هذا الاستغناء أمر غالبي - فقط - كما نصوبوا على ذلك . وذكرنا أمثلة لغير الغالب ؛ منها قول بعض العرب : « سَمِعُ أذنى أخاك يقول ذلك » فكلمة : « سَمِعُ » مصدر ، مبتدأ مضاف إلى فاعله : « أذُن » - وكلمة « أخا » مفعول للمصدر . . . والجملة المضارعية من الفعل : « يقول » وفاعله في محل نصب « حال » سدت مسد الخبر ^(١) وأغنت عنه . ومثل قولنا : (كان استقبالك الضيوف حسناً - إن إكرامك الوفود حميداً لا إعراض عن أحد) . . فهذه المصادر - وأشباهاها - عاملة في بعض كلام العرب ، مع أنه يمتنع تأويلها بالفعل الذي قبله الحرف المصدرى « أن » ، أو « ما » ، لا لتزام أغلب العرب عدم وقوع الفعل المسبوق بأحد الحرفين في هذه المواضع ؛ فلم يعرف عنهم وقوعه مبتدأ خبره حال سدت مسد الخبر ، مثل : أن تسمع أذنى أخاك يقول ذلك ، ولم يعرف عنهم أيضاً وقوع « أن » المصدرية - بنوعيتها الخفيفة من الثقيلة ، والناصفة للمضارع - مع صلتها بعد « كان » و « إن » ، إلا مفصولة بالخبر ، كقوله تعالى : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعمرى » ، ولا وقوع الحرف المصدرى وصلته بعد « لا » ، غير المكررة . أى : أنه لا يتحقق في هذه المواضع الاستغناء عن المصدر بالفعل المسبوق « بأن ، أو ما » المصدريتين ^(٢) . . . وليس من اللازم كذلك أن يتحقق هذا لعمل المصدر في شبه الجملة بنوعيه ، فقد يعمل فيهما من غير إحلال ما ذكر محله . أما عمله القياسى في غير شبه الجملة فيستلزم صحة الإحلال بالتفصيل السالف .

ب - من المصادر التي لا تعمل مطلقاً المصدر المؤكّد لعامله المذكور

(١) سبق بيان الحال التي تسد مسد الخبر ، بأنواعها ، وإعرابها ، وشرح أحكامها في ج ١ ص ٥٢٢ م ٣٩ - مواضع حثفت الخبر وجوباً .

(٢) سبق هذا الحكم في ج ١ م ٢٩ - باب الموصولات الحرفية رقم ٤ من هامش ص ٤١٠ بعنوان : « ملاحظة » .

في الجملة ؛ مثل : (خرج الإنسان من نطاق الكرة الأرضية خروجاً) ؛ لأن
إعماله يقتضي - مراعاة للغالب - أن يصلح في مكانه إحلال الفعل مع « أن »
المصدرية ، أو « ما » المصدرية ؛ فيكون التقدير ؛ خرج الإنسان أنْ خرج ،
أى : خروجه ، فيصير المصدر المنسبك مضافاً إلى ضمير كان في الأصل فاعلاً
له . وهذه الإضافة تخرجه من المصدر المؤكد : - وهو مصدر مبهم - ، إلى
مصدر مضاف لفاعله ، والمصدر المضاف نوعي ، لا توكيدي ؛ كما عرفنا
في باب : « المفعول المطلق » . . .

ولكن هناك نوعاً من المصدر يؤكد عامله المحذوف وجوباً ، ويعمل
عمله - . وقد سبق إيضاح هذا النوع ، وسرد فروعه وأحكامه ^(١) - .
كذلك المصدر العددي ؛ فإنه لا يعمل - في الغالب الراجح - ؛ لأن
مجيء « أن » أو « ما » وصلتهما يزيل العدد حتماً ^(٢) ، ويضعفه ؛ ليحلاً
محله ، فلا يوجد في التركيب الجدي ما يدل على العدد .
أما المصدر النوعي فيعمل في بعض حالات قليلة - ولكنها قياسية - منها :
أن يكون مضافاً لفاعله ^(٣) ولو كان هذا المصدر مفعولاً مطلقاً - نحو :
زرعت الحقل زراعةً الفلاح حقله . . . أى : مثل زراعة الفلاح حقله ، فقد عمل في
فاعله المضاف إليه ، وعمل أنصب في مفعوله . وقد تكللنا ، بمناسبة أخرى ^(٤) -
على أقسام المصدر ما يعمل منها ، وما لا يعمل .

(١) في ج ٢ ص ١٧٨ م ٧٦ .

(٢) أكثر هذه التعليقات مصنوع ، ومن السهل نقضه . والتعليل الحق هو : استعمال العرب .

(٣) وقد ينصب المفعول به أولاً ينصبه ، كما سبقت الإشارة لهذا (في ج ٢ - رقم ٤ من هامش

ص ١٧٢ م ٧٤ باب : المفعول المطلق) .

(٤) ج ٢ ص ١٧١ م ٧٤ باب : المفعول المطلق .

.
.

ح - شروط أخرى :

الشرط السابق لإعمال المصدر هو شرط « وجودي » ، أو « إيجابي » كما نقول اليوم ، (أى : لا بد من تحققه ووجوده) وهناك شروط أخرى يسميها النحاة شروطاً عَدَمِيَّة (أو : سلبية ، بمعنى : أنه لا بد من عدم وجودها) ، وأهمها :

(١) ألا يكون مصغراً ؛ فلا يجوز : فُتَيْحَكَ الباب بعنف أمر لا يَسُوغ .
تريد : فتَحِكَ الباب ^(١) .

(٢) ألا يكون ضميراً ، فلا يجوز : حي الأوطانَ عظيمٌ ، وهو بلاداً أجنبيةً أقلُّ . تريد : وحى بلاداً أجنبيةً أقل ؛ فتاب الضمير عن المصدر المحذوف . وهذا غير جائز إلا عند الكوفيين ، ورأيهم - هنا - ضعيف ؛ لأن الضمير النائب عن المصدر المحذوف لا ينوب عنه في العمل - ، طبقاً للرأى الأصح ، الأغلب الذى يؤيده الوارد الكثير .

(٣) ألا يكون مختوماً بالتاء الدالة على الوحدة ^(٢) ؛ فلا يصح : ابتهجت بضربتك العدو الغادر ، لأن ضَرْبَةً ، مصدر مختوم بالتاء الزائدة الدالة على المرة الواحدة ^(٣) . فإن كانت التاء من صيغة الكلمة وليست للوحدة ، نحو : « رحمة » و « رهبة » - جاز أن يعمل ؛ نحو : رحمتُك الضعفاء دكيل نبلك . . .

(٤) ألا يتأخر عن معموله الذى ليس شبه جملة ؛ فلا يصح : أعجبتنى

(١) ورد في السماع إعماله مصغراً في مثل : رُوِيْدَ المستفهم ، بمعنى : أبهلُ المستفهم . « فرويد » . اسم فعل أمر . ويصح اعتباره مصدر نائباً عن فعل الأمر ، وأصله « إرواد » وفعله : « أرود » ثم صغر المصدر : « إرواد » تصغير ترخيم بحذف زوائده فأنتهى إلى : « رويد » .

- كما سيحىء في باب اسم الفعل ، ج ٤ ص ١٠٨ م ١٤١ - .

(٢) أى : على المرة الواحدة - وسيحىء الكلام عليه في ص ٢٢٥ م ١٠٠ - .

(٣) لأن الدلالة على العدد تعارض الدلالة الأصلية للمصدر ؛ وهى الحدث المجرد من كل شيء .

آخر ؛ كعدد ، ونحوه - كد سبق عند الكلام عليه في « ب » من هامش ص ١٨٣ - .

.....
.....

— المريض — مساعدتُك . والأصل : أعجبتني مساعدتُك المريض .
أما المعمول شبه الجملة فالأحسن الأخذ بالرأى الذى يبيح تقديمه ؛ لوروده فى القرآن الكريم^(١) ، فى قوله تعالى : (فلما بلغ — معه — السعى ...) وقوله تعالى : (لا يَسْبِغُونَ — عنها — حِوَلًا) ، وقوله تعالى : (ولا تأخذُكُمُ بهما — رَافَةٌ فى دين الله) ، وقولهم : « اللهم اجعل — لنا من أمرنا — فَرَجًا » وقول الشاعر :

وبعض الحِلم عند الجِهل للذلة إِذعان

والأصل : السعى معه — حِوَلًا عنها — رَافَةٌ بهما — فَرَجًا لنا من أمرنا — إِذعان للذلة ... و ... ولا داعى للتكلف والتأويل للمنع ، من غير داع ، وبخاصة فى القرآن .

(٥) ألا يكون مفصولاً من معْموله — المفعول ، وغير المفعول — بفواصل أجنبي^(٢) ، ولا بتابع^(٣) ، ولو كان هذا التابع نعتاً أو غيره من التوابع الأربعة ، فلا بد أن تقع بعده — مباشرة — كل معمولاته من غير فاصل أجنبي بينها ؛ لأن الفصل بالأجنبي ممنوع مطلقاً . . . فلا يجوز : إني أقوى على تأدية فى الصباح أعمالاً مختلفة ؛ أى : على تأدية أعمالاً مختلفة فى الصباح . كما^(٥) لا يجوز : إني أبادر إلى تلبية صارخاً المستغيث . أى : إلى تلبية المستغيث صارخاً . . . و . . .

(١) ولأن شبه الجملة يقع فيه التوسع والتساهل فى كلام العرب ؛ هذا إلى وروده متقدماً فى الآيات والأمثلة التالية — ولهذا إشارة فى رقم ١ من هامش ص ٢٦٣ — .

(٢) أى : بفواصل ليس معمولاً لهذا المصدر .

(٣) وإذا كان للمصدر معمولات لم يجز العطف عليه إلا بعد استيفائه جميع معمولاته .

وفى رقم ١ من هامش ص ٤٣٦ حكم الفصل بين التابع ومتبوعه ، ثم (انظر الحالة الثانية التى فى ص ٦١٠) .

(٤) لهذا تأخر النعت عن المعمول شبه الجملة فى قول الشاعر :

إنَّ وجدى بكِ الشديد أَرانى عاذراً من عهدتِ فيكِ عذولاً

(٥) وهذا يستلزم عدم الفصل بالأجنبي بين المعمولات .

(٦) ألا يكون مثني أو جمعاً (فيجب أن يكون مفرداً) ومن الشاذ
إعمال غير المفرد ؛ كقول الشاعر :

قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَّامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَنَاءَ^(١)

فكلمة : « أبا » (من أبا قدامة) مفعول به للمصدر المجموع جمع تكسير ،
وهو : « تجارب »^(٢) . وأجاز بعض النحاة إعمال الجمع . ورأيه حسن ، لورود
السماع به في بضعة أمثلة ، ولما فيه من تيسير يفيد ولا يضر .

(٧) ألا يكون محذوفاً والمعمول غير شبه جملة ؛ فإن كان شبه جملة جاز
إعمال المصدر المحذوف ؛ ولهذا أجازوا أن يكون الجار والمجرور في :
(بسم الله الرحمن الرحيم) . متعلقاً بمصدر محذوف ، والتقدير : ابتدأني
باسم الله .

* * *

(١) الفنع : للكرم والخير .

(٢) راجع المعنى .

أقسام المصدر العامل المقدّر بالحرف المصدرى وصلته :

ثلاثة أقسام قياسية :

(١) مضاف ، وهو أكثرها عملاً ، وأعلاها فصاحة ؛ نحو قوله تعالى :
(فإذا قضيتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْركُمْ آبَاءَكُمْ ، أو أَشَدَّ ذِكْرًا) ،
المصدر الأول : « ذِكْر » مضاف للضمير : « الكاف » ، ومعها الميم ^(١) .
وإذ أضيف المصدر فقد يضاف لفاعله وينصب المفعول به ^(٢) إن وُجد ؛
فيكون الفاعل محموراً في اللفظ ، مرفوعاً في المحل ، كقولهم : (مصاحبةُ المرءِ
العقلاء أَلَزَمُ ، ومجانبةُ المرءِ السفهاء أَسْلَمُ .) فقد أضيف كل من المصدرين :
« مصاحبة » ، و « مجانبية » لفاعله : « المرء » وجره لفظاً فقط ؛ لأنه مرفوع
مَحْتَلًا ، ونَصَبَ المفعول بعد ذلك ؛ وهو : « العقلاء » و « السفهاء » ، ومثل
قول الشاعر :

وأَقْتُلْ داءَ رُؤْيَى العَيْنِ ظالماً يَسِيءُ ، وَيُتَمَلَّى في المحافل حَمْدُهُ
فالمصدر — وهو ؛ رؤْيَى — أضيف لفاعله — « العين » المحرور لفظاً ،
المرفوع محلاً ، ونصب المفعول به (ظالماً) . ومثل :
يا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
فالمصدر : « وجدان » أضيف لفاعله : « نا » — على الوجه السالف — ونصب
المفعول به : « كل » .

فإذا جاء تابعٌ للفاعل — كالنعت ، أو : التوكيد ، أو : العطف ، أو :
البدل — جاز في التابع الجرح ؛ مراعاة للفظ الفاعل المتبوع ، وجاز الرفع
مراعاة لمحل هذا الفاعل ؛ ففي المثال الأول : نقول : مصاحبة المرءِ العاقلِ
العقلاء أَلَزَمُ ، ومجانبة المرءِ المهذبِ السفهاء أَسْلَمُ ، بجر كلمتي : « العاقل »

(١) ومن الأمثلة : « رعاية » — توتى . . . — منة ، في قول شاعرهم :

رعاية الله خير من توقينا ومنة الله بالإحسان تغنيننا .

(٢) وهذا إن كان فعله متعدياً لواحد ، أو كان متعدياً لأكثر على الوجه المبين في رقم ٣ من هامش
الصفحة الآتية . فإن كان الفعل لازماً جاز إضافته لفاعله ، أو للظرف .

والمهذَّب ؛ أو برفعهما ، على الاعتبارين السالفين ^(١) .

وقد يضاف المصدر للظرف ^(٢) ؛ فيجره ، ويرفع الفاعل وينصب المفعول به إن وُجِدَ ؛ نحو : إهمال اليوم المريض الدواء معوّق للشفاء .

وقد يضاف المصدر لمفعوله ؛ فيصير المفعول به مجروراً في اللفظ منصوباً في المحل ^(٣) ، ويحيى الفاعل بعدهما مرفوعاً إن وُجِدَ ؛ كقولهم : (صيانة ^(٤) الحواس الشاب ، وديعة تنفعه في شيخوخته ^(٥)) . والأصل : صيانة الشاب الحواس - ؛ فأضيف المصدر : « صيانة » إلى مفعوله : « الحواس » فصار المفعول به مجروراً لفظاً ، منصوباً محلاً . وتلاهما الفاعل مرفوعاً ^(٦) . فإذا جاء للمفعول به تابع - من التوابع الأربعة - جاز في التابع الجرّ مراعاة للفظ المفعول به ، أو النصب مراعاة لمحلّه . فنقول في المثال السالف : صيانة الحواس الخمس الشاب ، دين عليها يجر كلمة : « الخمس » أو نصبها « ملاحظة » : إنما يضاف المصدر لفاعله وينصب المفعول به ، أو : العكس ، حين يقتضى المقام ذكرهما ، وإلاّ فقد يحذف أحدهما ، أو :

(١) ومن ذلك قول العرب - كما جاء في كتاب : « معاني القرآن » للفراء ج ١ ص ١٦ - : عجبت من تساقط البيوت بعضها على بعض ، (بالرفع) ، أو بعضها على بعض (بالكسر) . فرفع كلمة : « بعض » على اعتبارها بدلا من البيوت المرفوعة المحل . لأنها مجرورة لفظاً في محل رفع فاعل المصدر . و . . . (٢) إذا صار الظرف « مضافاً إليه » ، زال عنه اسم الظرف ؛ إذ لا يصح تسميته ظرفاً - كما كررنا في مناسبات مختلفة - إلا في حالة واحدة ؛ هي نصبه على الظرفية .

(٣) فإن كان المصدر متعدياً لمفعولين أو ثلاثة جاز إضافته لأحدها ونصب ما عداه ، ثم يرفع الفاعل ، ويجوز إضافته للفاعل ، ونصب المفعول به الواحد أو الأكثر ، كما يجوز إضافته للظرف ، مع بقاء الفاعل مرفوعاً - إن وجد - وترك ما يوجد من مفعول به أو أكثر منصوباً (إن وجد) .

(٤) أى : محافظته على سلامتها .

(٥) المراد : أن من صان حواسه في شباهه تصونه في شبيهه وكهولته ؛ فلا يشكو الأمراض وضعف هذه الحواس ؛ لأنه لم يسلها ، ولم يسرف في الانتفاع بها زمن شبابه ؛ فظلت سليمة حتى وصل إلى زمن الهرم والكبر .

(٦) ومن الأمثلة الواردة التي أضيف فيها للمفعول به ، ورفع الفاعل قول الشاعر :

نَجِدُ رِقَابَ الْأَوْسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَجَدِّ عَقَاقِيلِ الْكُرُومِ خَبِيرُهَا

فقد أضيف المصدر : « جدّ » إلى مفعوله : « عقاقيل » ، وجاء فاعله - وهو : خبير - مرفوعاً بعدهما . (عقاقيل للكروم : ما زرع من فروع اللنب) .

يُحذفان معاً . فمن إضافة المصدر لفاعله مع حذف المفعول به الذى لا يتعلق
الغرض بذكره ؛ قوله تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه . . .) والأصل :
استغفار إبراهيم ربّه لأبيه . كما يجوز العكس بحذف الفاعل مع ذكر المفعول
به : كقوله تعالى : « لا يسأّم الإنسان من دعاء الخير » ، أى : من دعائه الخير .

(٢) مُنَوّن ، ويلى السابق فى كثرته وفصاحته ، نحو قوله تعالى :
(. . .) أو إطعام فى يوم ذى مسغبة^(١) ، يتيماً . . .) ، فكلمة :
« يتيماً » ، مفعول به للمصدر : « إطعام » ومنه قول الشاعر :

بِضْرَبِ السَّيْفِ رُمُوسَ قَوْمٍ أَزَلْنَا هَامَهُنَّ^(٢) عَنْ الْمَقِيلِ^(٣)
فكلمة : رموس^(٤) ، مفعول به للمصدر : « ضرب » .

(٣) مبدوء « بأل » وهو — مع قياسيته كسابقتيه — أقل منهما استعمالاً
وبلاغة . ومن أمثله قول الشاعر يندم :

ضَعِيفُ النَّكَايَةِ^(٥) أَعْدَاءَهُ يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاحِي الْأَجَلَ^(٥)
فكلمة : « أعداء » مفعول به للمصدر : « النكايه » .

* * *

إعمال اسم المصدر^(٦) :

اسم المصدر نوعان : ؛ علم ، وغير علم ، فالأول لا يعمل^(٧) ؛ ومن أمثله :
« برّة » علم جنس على : « البير » ، و « فجّار » علم جنس على : « الفجّرة »
بمعنى : « الفجور » ، بشرط أن يكون فعلهما : « أفجّر » و « أبرّر » فى

(١) ذى مسغبة : صاحب مجاعة . (أى : أنه جائع) .

(٢) الهام : الروس . المفرد : هامة .

(٣) المقييل : مكان الاستقرار والثبات . والمراد هنا : المنق ، إذ يستقر الرأس فوقه .

(٤) التنكيل والتعذيب .

(٥) معنى البيت : هذا الشخص قليل التنكيل والتعذيب لأعدائه ؛ خوفاً على حياته منهم ، لظنه أن
الفرار من ميدان القتال يطيل الأجل ويؤخر الموت .

(٦) سبق تعريفه مفصلاً ، وبيان الفرق بينه وبين المصدر فى هامش ص ٢٠٧ و ٢٠٨ .

(٧) لأن العلم — فى جميع صورته ورواقعه الإعرابية المختلفة — لا يعمل مطلقاً ، ولو كان فى
أصله مشتقاً .

مثل : أفجرَ فلان فلاناً ، وأبره ؛ بمعنى : صيَّره ذا فجور ، وبرَّ . فإن كان فعلهما « فَجَرَ » و « بَرَّ » فهما مصدران مباشرة ^(١) .

أما غير العَلَمَ فيعمل بالشرط الذى يعمل به المصدر الذى ليس نائباً عن فعله ؛ (وهو : إحلال الحرف المصدرى « أن » أو : « ما » وصلتتهما محله ^(٢)) .

ولإعمال اسم المصدر - مع قياسيته - قليل . والأفضل العدول عنه إلى المصدر قلدر الاستطاعة ، ومن أمثلة إعماله قول الشاعر :

بِعِشْرَتِكَ الْكَرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ فَلَا تُرَيْنَ لِغَيْرِهِمُ الْوُفَا
وقول الآخر :

إِذَا صَبَحَ عَوْنُ الْخَالِقِ الْمَرْءَ لَمْ يَجِدْ عَسِيرًا مِنَ الْأَمَالِ إِلَّا مُيَسَّرًا
فكلمة : « الكرام » مفعول به لاسم المصدر : « عِشْرَةٌ » ، وفعله هنا : « عاشَر » . وكلمة : « المرء » مفعول به لاسم المصدر : « عَوْنٌ » وفعله هنا : عَاوَنَ . . . ^(٣) .

(١) انظر رقم ٣ و ٥ من هامش ص ٢٠٨ .

(٢) وبيان هذا فى ص ٢١٢ .

(٣) اقتصر ابن مالك على أربعة أبيات فى تدوين كل الأحكام السالفة ؛ أولها :

بِفِعْلِهِ الْمَصْدَرُ الْحَقُّ فِي الْعَمَلِ مضافاً ، أو مُجَرِّداً ، أو مَعَ « أَل »
إِنْ كَانَ فِعْلٌ مَعَ « أَنْ » أو : « ما » يحل محلُّه ، ولا سَمَ مصدرٍ عملٍ

يريد : الحق المصدر بفعله فى العمل ، فاجعله مثله فى التعدى واللزوم وغيرهما مما أوضحناه . وهذا الإلحاق بفعله يشمل الأحوال الثلاثة للمصدر ؛ إذ يكون مضافاً ، أو مبدوءاً بأل ، أو مجرداً من أل والإضافة ؛ فيكون متوناً .

ثم بين أنه يعمل عمل فعله بشرط أن يمكن إحلال فعل مسبق « بأن » أو « ما » المصدريتين محله . فإن لم يمكن إحلال أحد الحرفين المذكورين مع صلته محل المصدر لم يعمل شيئاً . وهذا كلام مبهم مجمل أوضحناه وفصلناه فى الشرح . ثم قال :

وَبَعْدَ جَرِّهِ الَّذِى أَضِيفَ لَهُ كَمَلُ يَنْصَبُ أَوْ يَرْفَعُ عَمَلَهُ

عرفنا أن المصدر العامل يجوز أن يضاف إلى فاعله وينصب المفعول ، أو العكس ، وهو هنا يقول =

.....

==بعد إضافة المصدر إلى ما أضيف له ، وبعد جره للمضاف إليه - كل عمله بعد ذلك بالنصب أو بالرفع ، وذلك بأن تأتى باللفظ منصوباً مفعولاً به إن كان المصدر قبله مضافاً للفاعل المجرور في اللفظ ، المرفوع في المحل . أو أن تأتى بكلمة مرفوعة فاعلاً ، إن كان المصدر قبلها مضافاً للمفعول به وصير هذا المفعول مجروراً في اللفظ منصوباً للمحل . وختم الباب بقوله :

وَجُرَّ مَا يَتَّبَعُ مَا جُرَّ ، وَمَنْ رَاعَى فِي الْإِتِّبَاعِ الْمَحَلَّ فَحَسَنَ

يريد : إن جاء تابع للمضاف إليه المجرور فجرَّ (فاجرَّ . . .) هذا التابع ؛ مراعيًا لفظ المجرور ، سواء أكان مرفوعاً محلاً ؛ لأنه فاعل ، أو منصوباً محلاً ؛ لأنه مفعول به . وبين أن هذا الجر مراعاة اللفظ ليس محتوماً ؛ فمن يراعى المحل المرفوع أو المنصوب فعمله حسن ، ورأيه سيئ .

زيادة وتفصيل :

١ - بعض النحاة يجعل لاسم المصدر قسمًا ثالثًا يسميه : « المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة » . ومن أمثلته : الحمدّة ، أى : الحمد ، والمضرب ، أى : الضرب ، ومُصَاب ، (بمعنى : إصابة) فى قول الشاعر :

أظْلُومُ ^(١) إِنْ مُصَابِكُمْ رَجَلَا أَهْدَى السَّلَامَ ، تحيةً - ظلمُ

لكن يرى المحققون أن المبدوء بالميم كالأثلة السابقة - ونظائرها - هو نوع من المصدر يسمى : « المصدر الميمي » (وله أحكام خاصة ستجىء فى بابهِ) ^(٢) وأيسر باسم مصدر . وهذا الرأى هو الشائع اليوم ، والأخذ به واجب ، وإعماله عمل فعله كثير بالطريقة التى سنشرحها هناك ^(٣) . . .

أما المبدوء بميم زائدة للمفاعلة فمصدر أصيل نحو : قاومت الباطل مقاومة عنيفة ، وناصرت أهل الحق مناصرة لا توائى فيها ولا قصور .

ب - اسم المصدر العامل ثلاثة أقسام ، كالمصدر العامل :

(١) مضاف ، وهو الأكثر ؛ نحو : ناصرت الوطن نصراً حرّاً وطنه - وهتدّت الباطل هدم الحيمة صاحبها .

وإضافته - كما رأينا - قد تكون لفاعل مع نصب المفعول به ، وقد تكون للمفعول به مع رفع الفاعل . ويجوز فى تابع المضاف إليه الجر مراعاة للفظه ، كما

(١) المعنى : يا ظلوم . إن إصابتكم رجلا أهدى إليكم السلام للتحية ، ظلم دنكم . فكلمة « رجلا » مفعول به للمصدر الميمي : « مصاب » على الرأى الأحسن . وكلمة : « ظلم » خبر « إن » . - وسيعاد ذكر البيت فى هامش ص ٢٣٦ بمناسبة هنالك .

و « ظلوم » اسم امرأة . قال الشنقيطى - صاحب الدرر اللوامع على همع الهوامع - ج ٢ ص ١٩٦ مانصه : (أكثر الرواة على أن الرواية : « أظْلُوم » كما جاء فى الأصل ، وبعضهم قال : إن الصحيح « أَظْلُمَ » بالياء المثناة التحتية) ثم نقل الخلاف فى قائل البيت وارتضى أن الصحيح نسبته إلى الحارث بن خالد ابن العاص من قصيدة مطلعها :

أَفْوَى مِنْ آلِ ظَلِيمَةِ الْحَرَمِ فَالْعَيْرَانِ ، فَأَوْحَشَ الْحَطْمُ

.....

يجوز مراعاة محله في الرفع والت نصب على الوجه الذي سبق في المصدر^(١) .

(٢) منون ؛ نحو : طربت لنصير حرّ وطنه انتصاراً باهراً .

(٣) ومحملى بال ؛ مثل : عاونت الصديق كالعون الأهل ..

ح - من أحكام اسم المصدر العلم أنه لا يضاف ، ولا تدخل عليه « أل »

التي للتعريف ، ولا يقع موقع الفعل ، ولا يوصف ، ولا يقصد به الشيوع ...^(٢)

(١) في ص ٢١٨ .

(٢) راجع ما نقله الصبان في هذا الموضع عن « الجمع » .

المسألة ١٠٠ :

المصدر الدال على المَرَّة ، والدال على الهيئَة

عرفنا^(١) أن المصدر الأصلي لا يدل بذاته إلا على : « المعنى المجرد » فلا علاقة له - في الغالب - بزمان ، ولا مكان ، ولا تأنيث ، ولا تذكير ، ولا علمية ولا عدد ، ولا هيئة ، ولا شيء آخر غير ذلك المعنى المجرد .

لكن من الممكن تناوله ببعض التغيير اليسير والزيادة اللفظية القليلة ، فلا يقتصر - بعدهما - على المعنى المجرد ، وإنما يدل عليه وعلى شيء آخر معه هو : « المَرَّة الواحدة » ، أو : « الهيئة »^(٢) ، بمعنى : أن المصدر الأصلي يدل بعد هذا التغيير ، والزيادة اللفظية - إمّا على المعنى المجرد مزيداً عليه الدلالة العددية التي تبين الوَحْدَة ، (أى : أنه واحد ، لا اثنان ، ولا أكثر . .) . وإمّا على المعنى المجرد مزيداً عليه وصفه بصفة من الصفات ؛ كالحسن ، أو : القبح ؛ أو : الطول ، أو : القِصَر . . . أو غير ذلك مما يتصل بهيئته ، وشكله ، وأوصافه ، لا بعدد مراته^(٣) .

فالمصدر الأصلي في دلالاته الأساسية الأولى خال من التقييد ، بخلافه إذا دل على المرة أو الهيئة فإنه يكون في « المَرَّة » مقيداً - مع الحدث - بالدلالة على أن هذا الحدث مرة واحدة ، وفي « الهيئة » يكون مع الحدث مقيداً بوصف خاص^(٤)

(١) في رقم ٤ من هامش ص ١٨٧ - أما الكلام المفصل عن أصل المشتقات ففي ص ١٨٢ -

(٢) أى : هيئة الحدث وكيفيته وشكله . وفسر بعضهم الهيئة بأنها : « النوع » .

(٣) فائدة المصدر الدال على « المرة » ، أو على « الهيئة » أنه يدل على شيئين ممّا بأوجز لفظ ، وأقل كلمات . ومن الممكن الوصول إلى هذه الدلالة بتمبير آخر ، ولكنه سيكون تمبيراً أكثر ألفاظاً وكلمات . أما المصدر الأصلي فلا يدل إلا على شيء واحد - في الغالب - هو المعنى المجرد الخالي من كل تقييد وتعميد .

(٤) ومتى دل المصدر الأصل على المرة بالطريقة التي شرحناها - فإنه يصير من قسم المصدر الأصل الذي يدل معناه على المرة ، مع توكيد معنى عامله أيضاً ؛ أى : أنه يدل على الأمرين معاً . - النحو اللوحي -

وإذا دل المصدر الأصلي - بعد التغيير - على المعنى المجرد مزيداً عليه الدلالة على الوحدّة - وهى « المرة » - أو على « الهيئة » فإنه يظل محتفظاً باسمه كما كان . ولكنه يشتهر باسم : المصدر الدال على « المرة » ، أو على « الهيئة » فهو فى الحالتين مصدر أصلى^(١) له اسمه ، وكل أحكام المصدر الأصلى^(٢) . إلا أن الدال على « المرة » لا يعمل - كما سبق^(٣) - .

١ - فإذا أردنا الدلالة على « المَرَّة » الواحدة من المصدر الأصلى لفعل ثلاثى فوق دلالاته على المعنى المجرد : (أتينا بمصدره المشهور ، مهما كانت صيغته ، ومهما كان وزنه) - (وجعلناه على وزن : « فَعْلٌ » ، ولو بحذف أحرفه الزائدة إن اقتضى الأمر هذا) - (وزدنا فى آخره تاء التأنيث) : فيصير الوزن : « فَعْلَةٌ » ، وهى صيغة المصدر المطلوب الدال على « المرة » فوق دلالاته على المعنى المجرد ؛ ولا تتحقق هذا الصيغة إلا بتحقيق الأمور الثلاثة السالفة . فالوصول إلى الصيغة الدالة على « المرة » من المصادر : أخذ - قعود - فَرَح - جَوَلان وأشباهها . . . ، يجب : (تجريد كل مصدر أصلى من حروفه الزائدة ، إن وُجدت) ، ثم (تحويل صيغته بعد ذلك إلى : « فَعْلٌ ») ، ثم (زيادة تاء التأنيث فى آخرها) ؛ فتصير : أخذة - قَعْدَةٌ - فَرَحَةٌ - جَوَلَةٌ ؛ وهذه المصادر الأصلية تدل هنا على

= ويكون بيان المرة هو الأهم - طبقاً لما سبق فى باب : « المفعول المطلق » ، ج ٢ م ٧٤ ص ١٦٩ - وكذلك حين يدل على الهيئة ، فإنه يصير من قسم المصدر الذى يدل معناه على الهيئة مع توكيده من عامله ، ويكون بيان الهيئة هو الأهم ؛ طبقاً للبيان المشار إليه آنفاً .

(١) كما سقت الإشارة لهذا (فى رقم ٤ من الهامش السابق وفى رقم ٤ من هامش ص ١٨٧) قال الصبان فى هذا الموضوع ما نصه : (مقتضى ما سبق أن « فَعْلَةٌ » التى للمرة كجَلَسَةٌ ، هى من المصادر ؛ فيكون للفعل : جلس - مثلاً - مصدران ؛ أحدهما دال على « المرة » ؛ وهو « جَلَسَةٌ » ؛ والثانى لا دلالة عليها وهو : « جَلُوسٌ ») اهـ .

وأيّن المصدر الميى ؟ الحق أن لكل فعل ثلاثة أنواع من المصادر - (كما أوضحنا فى ص ١٨١) - أولها : المصدر الأصل الصريح الذى لا يدل إلا على المعنى المجرد . وثانيتها : المصدر الأصلى الذى يدل على المعنى المجرد مزيداً عليه « المرة » أو « الهيئة » . وثالثها المصدر الميى . أما المصدر الصناعى فليس مصدراً للفعل ، ودلالتة تختلف عن دلالة غيره . ولا يكون هو ، ولا الميى دالين على المرة أو الهيئة . (٢) ومنها : أن يتعلق به شبه الجملة .

(٣) فى رقم ٣ من ص ٢١٥ . حيث بيان السبب (وسيجيء - فى رقم ٢ من هامش ص ٢٣٠ - أن المصدر الميى للنوع قد يعمل . . .) .

المعنى المجرد ، وعلى المرة معاً ؛ نحو : أخذت من المال أخْذَةً - قعدت على الأريكة قَعْدَةً - تجددت لنا فَرَحَةٌ بالنصر ، قمت بجَوَلَةٍ حول المدينة . والمعنى : أخْذَةً واحدة - قَعْدَةً واحدة - فَرَحَةً واحدة - جَوَلَةً واحدة^(١) .

فإن كانت صيغة المصدر الأصل موزوعة في أصلها على وزن : « فَعْلَةٌ » : نحو : نَظَرَةٌ - هَفَوَةٌ - رَأْفَةٌ - صِيْحَةٌ ... لم تدلّ بنفسها في هذه الصورة على المرة ، ووجب زيادة لفظ آخر معها ليدل على « المرة » أو قيام قرينة أخرى تدل عليها . والغالب في اللفظ الآخر أن يكون نعتاً . فنقول مثلاً : ربما تنفع النظرة الواحدة في ردع المسيء - قد تعقب الهفوة الواحدة عواقب خطيرة - إن رأفة واحدة بضعيف قد تضمه إلى أعوانك المخلصين - أهلك الله بعض الغابرين بصيْحَةٍ لم تتكرر^(٢)

ولا بد في صياغة « فَعْلَةٌ » الدالة على « المرة » من تحقق شرطين : أن تكون لشيء حسيّ ، صادر من الجوارح الظاهرة والأعضاء الجسمية ، وأن يكون ذلك الشيء المحسوس غير ثابت ؛ فلا تصح صياغة « فَعْلَةٌ » للدلالة على أمر معنوي عقليّ محض ، كالذكاء ، أو : العلم ، أو : الجهل ، أو : النبوغ ولا تصح صياغتها من الأوصاف الثابتة ، كالظرف ، والحسن . والملاحة ، والقبج ، والطول ، والقصر

وإن كان الفعل الماضي غير ثلاثي فالوسيلة للدلالة على المرة من مصدره الأصل هي : زيادة تاء التأنيث في آخر هذا المصدر مباشرة ، دون زيادة ، أو حذف ، أو تغيير آخر . مثل : « إنعام » مصدر الفعل الرباعي : « أنعم »

(١) ومن الشاذ المسجوع قول العرب : حَجَّ فلان حِجَّةً (بكسر الحاء) - ومنه . شهر ذى الحِجَّة فجهاء بالمصدر الدال على المرة مصوغاً على وزن : « فَعْلَةٌ » (بكسر ، فسكون) وهذه الصيغة هي الخاصة بالهجنة . وبالرغم من هذا السماع الوارد عنهم لا مانع أن نقول في المرة : « حَجَّجَةٌ » بفتح أول الكلمة تطبيقاً لصيغة : « فَعْلَةٌ » الخاصة بالمارة ؛ عملاً بما يبين المفيد الذي عرضناه في ص ١٩١ .

ومن المسجوع أيضاً رأيته رؤيَةً (بوزن فَعْلَةٍ) مراداً بها المرة ، ولا مانع من استعمال القياس فيهما أيضاً - راجع « تاج العروس » ، مادة : « حج » . هذا ، وقد نقل ابن خالويه في كتابه المسعى : « ليس في كلام العرب » أن فتح الراء مسجوع أيضاً .

(٢) انظر آخر الملاحظة الآتية في ص ٢٢٩ .

و « تَبَيَّنَ » مصدر الفعل الحماسي : « تَبَيَّنَ » ، و « استفهام » مصدر الفعل السداسي : « استفهم » فإن صيغها الدالة على « المرة » هي : « إنعامه » — تَبَيَّنَتْهُ^(١) — استفهامه . . . نحو ، إن إنعامه الله تعالى النفس انشراحاً — تَبَيَّنَتْهُ الحق جلبت الخير ، ودفعت البلاء — استفهامه وهداية^(٢) ، خير من صمت وضلالة .

فإن كان مصدر الفعل غير الثلاثي مشتملاً في أصله على تاء التأنيث فإنه لا يصلح للدلالة المباشرة على المرة ، ويجب زيادة لفظ آخر معه ، أو قيام قرينة تدل عليها . نحو : « استعانة » تقول : استعانة واحدة بأريحي قد تمنع خطراً داهماً . والغالب في اللفظ الآخر أن يكون نعتاً ؛ كالمثال السالف .

* * *

ب — وإذ أردنا أن ندل على « الهيئة » بمصدر الثلاثي — فوق دلالته على المعنى المجرد — صغناه بالطريقة السالفة على وزن : « فِعْلَةٌ » ، (بأن نجئ بمصدر الفعل الثلاثي ، دون غيره من الأفعال التي ليست ثلاثية ونحذف ما فيه من الحروف الزائدة إن وجدت ،) ثم (نزيد في آخره تاء التأنيث) ، ثم (نجعله على صورة : « فِعْلَةٌ ») فهذه أمور ثلاثة لا بد من تحققها ؛ فنقول في مصادر الثلاثي السالفة : إخذة — قِعْدَةٌ — فِرْحَةٌ — جِيلَةٌ^(٣) . . . ؛ نحو : إخذة القطر — فريسته مزعجة — قِعْدَةُ الوقور جميلة — فِرْحَةُ العاقل يزينها الاعتدال — جِيلَةٌ^(٤) الرحالة شاهدة برغبته في كشف المجهول . والمعنى : هيئة أخذ القطر ، وطريقته في الأخذ . . . — هيئة قعود الوقور ، وطريقته ، وشكل قعوده . . . — هيئة فرح العاقل وصورته في أثناء فرجه . . . — هيئة جولان الرحالة ، وشكل جولانه ، ومنظره . . .

فإن كانت صيغة المصدر الأصلي موضوعة في أصلها على وزن : « فِعْلَةٌ » الخاص « بالهيئة » ؛ نحو : عِزَّةٌ — نِشْدَةٌ^(٥) — رِخْوَةٌ^(٥) . . . وجب

(١) يجب فتح ما قبل تاء التأنيث هنا وفي كل موضع آخر .

(٢) أي : مع هداية : بمعنى أنها تؤدي إليها .

(٣ و ٤) أصلها : « جَوْلَةٌ » ، (قلبت الواو الساكنة ياء بعد الكسرة . . .) .

(٤) نشد الرجل مآربه نَشْدًا ، ونَشْدَةٌ : طلبه وسعى وراءه .

(٥) استرخاء .

التصرف بإيجاد ما يضمن الدلالة على « الهيئة » ؛ كزيادة بعض الألفاظ للدلالة عليها ؛ أو إقامة قرينة ، — أى قرينة — ترشد إليها ، وإلى ما يراد منها من حسن ، أو قبح ، أو زيادة ، أو نقص . . . أو غير هذا من الأوصاف التى يراد وصف المصدر بها ، مثل : العِزَّة الجاهلية تحمل صاحبها على الطغيان — نِسْدة المآرب بالحكمة كفيلة بإدراكها .

ويلاحظ أن الدلالة على « الهيئة » بالصيغة المباشرة السالفة ، إنما تقتصر على مصدر الفعل الثلاثي ؛ مع زيادة التاء فى آخر هذا المصدر إن لم تكن موجودة ؛ فنهما تتكون الصيغة الدالة بنفسها على المعنى المجرد وعلى « الهيئة » معاً . أما الأفعال التى ليست ثلاثية فلا تصاغ — قياساً — من مصادرهما الأصلية صيغة تدل على « الهيئة » ، وإنما يزداد على المصدر الأصلي قرينة ، أو لفظ يدل على الوصف المراد ، من غير التزام قرينة معينة ، أو لفظ معين . فعند إرادة الدلالة على الهيئة من المصادر : تكلم — استمع — اندفاع — وأشباهها . . . نقول : التكلم الكثير مدعاةً للملل — الاستماع الحسن أمانة العقل الراجح — الاندفاع الطائش مقدمة البلاء العاجل .

وجمل القول : إذا كان المصدر الأصلي موضوعاً فى أصله على وزن : « فَعْلَة » كعِزَّة — وأردنا أن يدل على « المرة » وجب تحويله إلى صيغة « فَعْلَة » فنقول : ثارت فى رأس الجاهل عِزَّة أبعدته عما يحسن بالعقل . وكذلك إن كان موضوعاً فى أصله على وزن : « فَعْلَة » ؛ كرحمة ، وأردنا أن يدل على « الهيئة » فإننا نحوله إلى صيغة : « فَعْلَة » ؛ فنقول : رَحْمَة ، مثل : (رَحْمَة تداوى ، ورحمة تسجرح ^(١)) .

* * *

وخلاصة ما سبق :

(١) أن الفعل الثلاثي يصاغ — بشرطين — مصدره الأصلي الشائع على وزن : « فَعْلَة » للدلالة على أمرين معاً ؛ هما : المعنى المجرد ، و« الممرّة » .

(١) هذه حكمة قديمة ، معناها أن هيئة الرحمة ، والطريقة التى تظهر بها ، وتقدم لمستحقها — قد تكون طريقة كريمة تقيده ، وتزيل أو تخفف آلامه ومتاعبه . وقد تكون طريقة جافة خشنة تؤله ، وتجرح شعوره .

- ويتوصل إليهما من مصدر غير الثلاثي بزيادة تاء التأنيث على هذا المصدر .
 (٢) ويصاغ مصدر الثلاثي على وزن « فِعْلَةٌ » للدلالة على أمرين معاً ؛
 هما : المعنى المجرد ، والهيئة . ولا يصاغ المصدر للهيئة مباشرة من غير الثلاثي .
 (٣) مصدر المرة والهيئة هو مصدر أصليّ يحتفظ باسمه ، وبخصائصه ^(١)
 التي عرفناها ، وبعمله . إلا أن المصدر الدال على المرة لا يعمل ^(٢) .
 (٤) إذا كانت صيغة المصدر الأصلية موضوعة في أصلها على صورة
 المصدر الذي نريد أن يدل على المرة أو على الهيئة ، وجب إدخال تغيير
 أو زيادة عليها أو المحييء بقرينة تدل على المراد ، وتُرشد إلى المرة أو الهيئة ،
 طبقاً للتفصيل الذي سبق . . . ^(٣)

(١) ومنها أن يتعلق به شبه الجملة ، وأنه مع دلالاته على المرة أو الهيئة هو مؤكد لعامله أيضاً -
 طبقاً لما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٢٢٥ - والتفصيل في باب : (المفعول المطلق) ج ٢ م ٧٤
 ص ١٩٩ •

(٢) راجع إيضاح هذا في رقم ٣ من هامش ص ٢١٥ ، وفي ص ٢٢٦ . . . من هذا الجزء .
 وكذلك في ص ٢٠٠ م ٧٤ ج ٢ (باب المفعول المطلق) حيث قلنا هناك مانعه : (قد يعمل المبين للنوع
 أحياناً ، كأن يكون مضافاً لفاعل ، ناصباً مفعوله أو غير ناصب ؛ نحوه : تأملت من إيذاء القوى الضعيف -
 حزنن حزن المريض . وهذا العمل على قلمته قياسي) .
 (٣) وفي اسم المرة واسم الهيئة وصياغتهما من مصدر الثلاثي يقول ابن مالك في ختام باب :
 « أبنية المصادر » ييتين سجلناهما هناك في ص ٢٠٠ .

وَ «فَعْلَةٌ» لِمَرَّةٍ كَجَلَسَتْ وَ «فِعْلَةٌ» لِهَيْئَةٍ كَجَلَسَتْ
 ويقول في صياغتهما من مصدر غير الثلاثي :

فِي غَيْرِ ذِي الثَّلَاثِ بِ «الْمَرَّةِ» وَشَدَّ فِيهِ هَيْئَةً ؛ كَالْحِمْرَةِ

أي : الدلالة على «المرة» من مصدر غير الثلاثي - تكون بزيادة التاء في آخر المصدر . أما «الهيئة»
 فلا تجيء منه مباشرة ، وشد مجيئها منه ، كقولهم فلان حسن الخِمْرَةِ ، وهي حسنة التَّعْقِبَةِ ؛ والفعل مجيء
 خماسي ، هو : اختمر ، بمعنى : لف الرأس بثوب ونحوه . وانتقِبَ بمعنى لبس النقاب ، وهو البرقع .

ب^(١) - المصدر الميمي

يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي صيغة قياسية ، تلازم الأفراد^(٢) والتذكير^(٣) ، وتؤدى ما يؤديه هذا المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد ومن العمل - كما سيأتى - لكنها تفوقه فى قوة الدلالة وتأكيدها^(٤) .

(١) سبق الكلام على : « ا » فى ص ١٩٣ ، وهو وزن المصدر الأصلي ، كما سبق الكلام على النوع الثالث ؛ وهو : « المصدر الصناعى » فى ص ١٨٦ .

(٢) يدل على هذا ما سجله النحاة فى باب البدل - كما سيجىء فى رقم ٢ من ص ٦٧٦ - .

(٣ و ٤) وقد وردت هذه الصيغة لبيان السبب ، وقال الرضى فى شرح الشافية ، آخر باب المصدر ما نصه : (يجرى « المفعلة » ، لسبب الفعل ؛ كقولهم عليه السلام : « الولد مَجْبُوعٌ ، مَجْبُوعَةٌ ، مَحْزَنَةٌ ») . اهـ . وقول عنتره العبسى :

نُبِئتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَعَمَتِ والفكر مَحْبُوعَةٌ لِنَفْسِ الْمَنَعِمِ

وقولهم أيضاً : الشكر مَجْبُوعَةٌ لِنَفْسِ الْمُفْضِلِ

والمفهوم أن هذا المعنى مقصور على السماع . وكذلك صيغته المحذومة بالهاء ؛ حيث يتشدد غالب النحاة (بغير داع قوى) فيجعلها سماعية ، على الرغم من الأمثلة الكثيرة الواردة بالهاء - وأتى رآها مؤتمراً للمجمع اللغوى كافية للقياس عليها ، كما سيجىء فى ٣ ص ٢٣٥ - مثل : مقالة - مسرة - مهلكة - منصبة - مخافة - و . . . كقول الشاعر :

مقالة السَّوءِ إلى أهلها أسرع من منحلِّدٍ سائلٍ

وقول الآخر :

لا تنم واغتنم مَسَرَّةَ يومٍ إن تحت التراب يوماً طويلاً

وقول درّ عنبيل :

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : إن البغى مهلكةٌ والبغى والعُجْبُ إفسادٌ لأَقْوَامٍ ؟

وقول على رضى الله عنه فيما ورد منسوباً له : ايسر لواضع المعروف فى غير حقه ، وعند غير أهله ، من الحظ إلا مَحْصَمَةً الثَّامِ ، وثناء الأشرار ، ومقال الجهال .

وقوله أيضاً : الحمد لله المعروف من غير رؤية ، الخالق من غير مَنَصَّبَةٍ . وقول الأحنف بن قيس : وب حلم قد تجرعت ؛ مخافة ما هو أشد منه .

وتسمى هذه الصيغة : المصدر الميمي ^(١) . وتعرب - في الأغلب ^(٢) - على حسب حاجة الجملة .

(١) والوصول إليها من الفعل الثلاثي غير المضعف ^(٣) نأتى بمصدره القياسى المشهور - مهما كانت صيغته - وندخل عليه من التغيير اللفظى ما يجعله على وزن « مَفْعَل » - بفتح الميم والعين - وهذه هى الصيغة القياسية للمصدر الميمي في جميع حالات ^(٤) الفعل الماضى الثلاثى غير المضعف . ما عدا حالة واحدة ^(٥) ؛ وهى التى يكون فيها الفعل الماضى الثلاثى صحيح الآخر ، معتل الفاء ^(٦) بالواو التى تحذف ^(٧) فى مضارعه ؛ (لوقوعها بين الفتحة والكسرة ؛ مثل : وصل - وصف - وعد - وثب - وجد - . . . فإنها أفعال واوية الفاء ، ومضارعها مكسور العين ، محذوف الواو ، وهو : يصل - يصف - يعد - يثب - يحيد . . .) - وفى هذه الحالة الواحدة تكون على وزن : « مَفْعَل » بكسر العين ^(٨)

(١) انظر ما يتصل بهذه التسمية فى « ١ » من ص ٢٢٣ - وسبق فى ص ١٨١ - الكلام المفصل عن المصدر الأصيل ، وعن أصل المشتقات .

(٢) البيان فى رقم ٦ من هامش ص ٢٣٥ .

(٣) مضغف الثلاثى : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، مثل الفعل : مدّ - فرّ - سرّ . . .

(٤) أى : سواء أكان الفعل الثلاثى غير المضعف متعدياً ، أم لازماً - صحيحاً ، أم معتلاً -

مضموم العين أم مفتوحها أم مكسورها . (إلا حالة واحدة ستذكر) .

(٥) وهناك حالة أخرى يجوز فيها فتح العين وكسرها ، وسيجىء الكلام عليها فى ملاحظة خاصة

- ص ٢٣٦

(٦) هو : معتل الأول ، ويسمى : « مثالا » . وسيجىء فى رقم ٤ من هامش الصفحة الآتية أن

بعض القبايل يجعل المثال هنا كغيره .

(٧) بأن يكون مضارعه مكسور العين ؛ فتفتح الواو فيه بين الفتحة والكسرة ، وهذا يؤدى - فى

الغالب - إلى حذفها كالأمثلة المعروضة . فلا بد فى صيغة : « مَفْعَل » - بكسر العين - من تحقق -

ثلاثة شروط ، أن يكون الثلاثى معتل « الفاء » بالواو - وأن يكون مضارعه مكسور العين - وأن يكون

حرف العلة (الواو) محذوفاً فيه . فإن خلا شرط من الثلاثة فالقياس : « مَفْعَل » ؛ كأن يكون صحيح

« الفاء » ، مثل : كتب ، أو يكون معتل الفاء بالياء ؛ مثل : ييس - يقين - يقظ - . . أو يكون

معتل الفاء بالواو ولكن مضارعه غير مكسور العين ؛ فلا تحذف فيه الواو ، قياساً ؛ مثل : وجيع

يوجعُ - وحيل يوحل - وله - يولسه ، بمعنى : فقد عقله لحزن أو فرح أو نحوهما . . .

وإن كان معتل الفاء واللام فصيغته : « مَفْعَل » بفتح العين .

(٨) مع ملاحظة حالة المضغف التى يجوز فيها فتح العين وكسرها وستأتى .

فمن أمثلة « مَفْعَل » - بفتح الميم والعين - : مَلْعَب ، بمعنى ؛ لعب - مَسْقَط ، بمعنى ؛ سقوط - مَصْعَد ، بمعنى ؛ صعود - مَأْكَل ، بمعنى ؛ أكل - مَغْنَم ، بمعنى ؛ غَنَم - مَأْتَم ، بمعنى ؛ إثم - مَخْبِثَة ، بمعنى ؛ خُبْث - منطوق ، بمعنى ؛ نطق - مَقْدَم ، بمعنى ؛ قدم - مَعَاب ^(١) ؛ بمعنى ؛ عيب . وأفعالها الماضية : لعب - سقط - صعد - أكل - غنم - أثم - خبث - قدم - عاب . يقال : : فلان رياضي يحسن مَلْعَب الكرة - سقط البرد ، وكان مَسْقَطه عَتِيفًا - صعدت إلى قمة الجبل مسترشدًا في مَصْعَدِي بخير - أهلك فلانا مأْكَله الحرام . . . ومثل قولهم : ليس في الشر مَغْنَم ، ولا لوم على امرئ إلا في مأْتَم ، والكفر مخْبِثَة لنفس المُنْعَم . وقول الشاعر :

لا يملأ الهول صدرى قبل مَقْدَمه ولا أضيق به ذرعًا ^(٢) إذا وقعا .

وقول الآخر :

أنا الرجل الذي قد عبتموه وما فيه لَعِيَاب مَعَاب ^(٣)

ومن أمثلة : « مَفْعِل » - بكسر العين - مَوْصِل ؛ بمعنى ؛ وصول - مَوْصِف ، بمعنى ؛ وصف - مَوْعِد ، بمعنى ؛ وعد و و . . . فيقال : كان مَوْصِلِي للصديق تنفيذًا للموعد الذي بيننا ، وكان مَوْصِفَه لمكان التلاقي واضحًا ؛ فلم أخطئه . . . أى : كان وصولي للصديق تنفيذًا للوعد الذي بيننا ، وكان وصفه ^(٤) . . .

فإن كان الثلاثي مضعف العين جاز في مصدره الميمي أن يكون مفتوح العين

(١) أصلها : « مَعْتَسِب » - على وزن : مَفْعَل - ثم تناولها التغير الصرفي الذي انتهى بها إلى : « معاب » . (بأن نقلت فتحة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ، فهي متحركة بحسب الأصل ، وما قبلها متحرك أخيرًا ؛ فنقلب الياء ألفًا .) .

(٢) الذرع : الطاقة والاحتمال . وضاق . بالأمر ذرعًا : ضعفت طاقته عن احتماله ، ولم يجد منه خلاصًا .

(٣) سيعاد البيت لمناسبة أخرى في ص ٢٣٦ .

(٤) بعض القبائل العربية الفصيحة لا يفرق بين معتل الفاء وصحيحها وإنما يجعل صيغة المصدر الميمي واحدة لجميع أنواع الثلاثي ، هي : « مَفْعَل » بفتح الميم والعين . ورأيه - على صحة محاكاته - مخالف لأكثر القبائل التي يشيع العمل برأيها اليوم وقبل اليوم . ومن المستحسن الاكتفاء بمتابعة الأكثرية .

أو مكسورها^(١) كالمفتير - بفتح الفاء وكسرهما - في قولهم : لا ينفع الجاني المفتير من قصاص الدنيا ، فتصاوص الآخرة أشد . . .
أما ما ورد من الألفاظ المسموعة خارجاً في صياغته على الضابط الموضح في الحالتين السابقتين ؛ مخالفاً له - فحكمه : جواز استعماله بالصيغة الواردة ، أو إخضاعه للضابط ، وتطبيق القاعدة عليه ؛ فيصاغ صياغة جديدة على حسب مقتضاها . . .

(٢) وإن كان الماضي غير ثلاثي فصدره الميمى يصاغ على صورة مضارعه ، مع إبدال أول المضارع ميماً مضمومة ، وفتح الحرف الذى قبل آخره إن لم يكن مفتوحاً^(٢) فى مثل الأفعال : عَرَفَ ، تَعَاوَنَ - استفهم يكون المضارع : يُعَرَفُ - يتعاون - يستفهم . وتكون صيغة المصدر الميمى : مُعَرَفٌ - مُتَعَاوَنٌ - مُسْتَفْهَمٌ يقال : (كان مُعَرَفُكَ للنظرية العلمية واضحاً ، والمتعاون بيننا فى فهمها خير وسيلة لتحقيق الغرض ، والإجابة على كل مستفهم أنارت غوامض البحث) . تريد : (كان تعرفك - والتعاون بيننا - والإجابة عن كل استفهام) . ومثل قول الشاعر :

أَلَا إِنَّمَا النِّعْمَى تَجَازَى بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مُسْدَاها إِلَى مَا جِدَّ حُرُّ
أى : إسداؤها .

* * *

وملخص ما سبق من حيث : الصياغة القياسية ، والحكم ، والدلالة :
(١) أن المصدر الميمى للماضى الثلاثى غير المضعف يصاغ دائماً على وزن « مَفْعَلٌ » - بفتح الميم والعين - إلا إن كان الماضى صحيح الآخر معتل

(١) صرح بجواز الأمرين صاحب « المصباح المثير » فى فصول آخر كتابه - ص ٩٦٢ : عند الكلام على صوغ المصدر الميمى واسم الزمان والمكان - وساق مثالا نصه : (فَرَمَفَرًا وَمَفْعَرًا) .
(٢) وقد يستتبع هذا تغييراً صرفياً فى بعض الحالات ؛ كالذى فى كلمة : مَقَامٌ - بضم الميم - فى قول الشاعر :

وإن مَقَامَ الحرِّ فى دار ذلة لِيَدْفَعِ عَنْهُ الفقرُ شرَّ من الفقر
فعلها : « أقام » ، والمصدر الميمى منه هو : « مُقَيَّمٌ » على وزن : مَفْعَلٌ . ثم ينقلب حرف العلة - الواو - أيضاً . . . (انظر رقم ١ من الهامش السابق) .

الأول بالواو التي تحذف عند كسر عين مضارعه ، فيجىء مصدره الميمى على « مَفْعِيل » بكسر العين ^(١) .

أما المصدر الميمى للثلاثى المضعف فيجوز فيه فتح العين وكسرها .

(٢) وأن المصدر الميمى لغير الثلاثى يصاغ على صورة مضارعه ، مع إبدال الحرف الأول ميماً مضمومة ، مع فتح الحرف الذى قبل آخره ^(٢) .

(٣) وأن المصدر الميمى يلزم الأفراد ^(٣) والتذكير ، ولا تلحقه تاء التأنيث إلا سماعاً فى رأى كثير من النحاة . ويخالفهم — بحق — آخرون ^(٤) . والراجع أنه لا يعد من المشتقات ، ولكن يصح أن يتعلق به شبه الجملة — كما سبق ^(٥) — .

(٤) أنه يعرب على حسب حاجة الجملة إليه إلا ما كان منه مسموعاً بالنصب ^(٦) .

(١) هذا هو القياس فى الحالتين. أما السماع فقد يجىء بغيرهما ؛ كصيغة : « مَفْعَلَة » فى الحديث الذى سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٢٣١ ونصه : (الولد مَبْخَلَة ، مَجْبُونَة ، مَحْمُوزَة) وفى غيره مما ذكرناه .

(٢) فهو من مصدر غير الثلاثى كاسم المفعول من غير الثلاثى ، وكاسم الزمان والمكان كذلك . والتمييز بينها يكون بالقرائن التى تعين أحدها .

(٣) كاسمى فى رقم ٢ من ص ٦٧٦ ، لمناسبة هنالك .

(٤) فى الاقتصاد على السماع تشدد بغير حجة قوية ؛ إذ الأمثلة الفصيحة الواردة بالثناء كثيرة كثرة تبيح القياس عليها . وقد عرض مؤتمر المجمع اللغوى (المنعقد بالقاهرة فى فبراير سنة ١٩٧١) لهذه المسألة واطلع على عشرات من الكلمات المسموعة بالثناء ، سجلها فى محاضراته ، وأصدر قراراً خاصاً فى جواز إلحاق تاء التأنيث بالمصدر الميمى عامة . انظر ما يتصل بهذا فى « ا » من ص ٢٢٣ . وفى رقم (٣ و ٤) من هامش ص ٢٣١ بعض الأمثلة المحتمومة بالثناء .

(٥) فى رقم « ب » من هامش ص ١٨٢ . ومع أنه لا يعد من المشتقات يجوز أن يتعلق به شبه الجملة : لما فى المصدر الميمى من رابحة الفعل التى تكفى مسوغاً للتعلق . (راجع رقم ١ و ٢ من هامش ص ٢٥١ و ٣٢١) .

(٦) يقع المصدر الميمى فى جميع المواقع الإعرابية المختلفة (فيكون مبتدأ ، ونعتراً ، وفاعلاً ، والمفعول) .

وهناك ألفاظ مسموعة بالنصب فى أكثر أحوالها باعتبارها مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أو مفعولاً به لفعل محذوف كذلك . ومن الأول قولهم لمن يريد أن يؤدى عملاً : « افعل ، وكرامة » ، وسرة ، أى : —

(٥) ومن حيث العمل فإنه يعمل عمل مصدره ^(١) .

(٦) أما من حيث الدلالة فيدل على المعنى المجرد - كالمصدر الأصلي - ويمتاز الميمى بقوة دلالة وتأكيدها . ولا يدل على بيان السبب إلا سماعا .

* * *

« ملاحظة » : جاء فى بعض المراجع اللغوية ما نصه ^(٢) :

(إن كان الماضى الثلاثى معتل العين بالياء فالمصدر الميمى مفتوح العين ، واسم الزمان والمكان مكسور كالصحيح ؛ نحو : مال مَمَّالاً ، وهذا مَمِّيلُهُ . . هذا هو الأكثر . وقد يوضع كل واحد موضع الآخر ؛ نحو المَعَّاش والمَعَّيش ، والمسَّار والمسَّير . قال ابن السَّكَّيت : لو فُتِّحَا جميعاً فى اسم الزمان والمكان ، وفى المصدر الميمى ، أو كسرا معاً فيهما - أى : فى الاسم والمصدر - بلحاز ؛ لقول العرب : المَعَّاش والمَعَّيش ؛ يريدون بكل واحد : المصدر واسم الزمان والمكان ، وكذا المَتَّعَاب والمَتَّعِيب ، قال الشاعر :

أنا الرجل الذى قد عبتموه وما فيه لعيَّاب معاب ... ^(٣)

= وأكرمك كرامة وأسرَّك . مسرة ... ومن الثانى كلمة : « مرجباً » يقال لترحيب بالثوب ، أى : أنه صادف مكاناً رجباً ، ولقى موطناً واسعاً . ومنه قول القائل :

مرجباً بالخطب يبْلُونى إذا كانت العلياك فيه السببا

- وقد سبق تفصيل هذا النوع فى ج ٢ باب المفعول المطلق « م ٧٦ ص ١٩٢ -

(١) ومن أمثلة إعماله قول الشاعر يخاطب امرأة اسمها : « ظلوم » :

أظْلُومُ ، إن مُصَابِكُم رجلا أهْدَى السَّلام تحية - ظُلُمُ

يريد : إن إصابتكم رجلا أهْدَى السَّلام تحية - ظلم . وكلمة : « ظلم » خبر « إن » وقد سبق - فى ص ٢٢٣ - رواية أخرى فى البيت ، هو بيان قائله ، وشرحه .
وقول الآخر :

وأمر تشتتْهِهِ النفس حُلُو تركت مخافةً سوء السَّماع

أى : خوفاً سوء السَّماع .

(٢) المصباح المنير - ص ٩٦٢ - من الفصول الأخيرة .

(٣) سبق هذا البيت لمناسبة أخرى فى ص ٢٣٣ .

وقول الآخر :

أزمان قوْى والجماعة كالذى منع الرُّحالة أن تَميل مَميلا
 أى : أن تَميل ميلا . والرُّحالة : الرحل ، والسرج أيضا . وقال ابن القوطية
 أيضا : من العلماء من يجيز الفتح والكسر فيهما ؛ مصادر كنّ أو أسماء
 زمان ومكان ؛ نحو : المسمّال والمسميل ، والمتمّبات والمتمبيت . (« ١٥ .

المسألة ١٠٢ :

اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة .

تعريف كل ، وصوغه ، وإعماله .

اسم الفاعل . تعريفه :

(اسم مشتق ، يدل على معنى مجرد ، حادث ^(١) ، وعلى فاعله) . فلا بد أن يشتمل على أمرين معاً ؛ هما : المعنى المجرد الحادث ، وفاعله ، مثل كلمة : « زاهد » ، وكلمة : « عادل » في قول القائل : (جئني بالنسيم الزاهد ، أجنثك

(١) أى : حارص ، يطرأ ويزول ؛ فليس له صفة الثبوت والدوام ، ولا ما يشابههما . ويسمى بعض النحاة في التعريف عن كلمتي : « اسم ، مشتق » بحجة أنه لا يوجد : (انظر يدل على معنى مجرد غير دائم ، وعلى فاعله) إلا وهو اسم مشتق . وهذا صحيح . ولكننا ذكرناهما مبالغة في الإيضاح . أما المعنى المجرد ، أو الحدث المحض . . . فقد بسطنا الكلام فيه في هامشي ص ١٨١ و ٢٠٧ - ودلالة اسم الفاعل على هذا المعنى المجرد هي دلالة مطلقة ؛ أى : صالحة للقلة والكثرة ، إلا إذا وجدت قرينة توجه المعنى لأحدهما وحده - كما سيبيء في الصفحة الآتية - .

وأما المقصود من المشتق فهو : المأخوذ من كلمة أخرى مع تقاربهما لفظاً ومعنى . كما سبق . - وفي ص ١٨٢ بيان مفصل عن أصل المشتقات وعددها . . . و . . . - وأما المعنى الحادث ، (أو : غير الدائم ، وغير الشبيه بالدائم) فهو الأمر الطارئ الذي يحدث ويزول من غير أن يدوم ، أو يطول ثباته وبقاؤه حتى يقارب الدائم ، ومن غير أن يشمل الماضي .

وقد ارتضى صاحب « التسهيل » تعريفاً آخر لاسم الفاعل لا يخرج - مع طوله - عن التعريف السابق ، ولكنه يزيده أيضاً . فن زيادة الفائدة أن تذكره . نقلاً عن حاشية الخضرى - قال :

« إنه الصفة الدالة على فاعل الحدث ، الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها في حالتى التذكير والتأنيث - كما سيبيء في ص ٣٠٨ - المفيدة لمعنى المضارع أو الماضى . فخرج بالدالة على الفاعل ، اسم المفعول ، وما بمعناه ؛ كحمود ، وقتيل . وبالجارية على المضارع الجارية على الماضى ؛ كفتح ، وغير الجارية على فيعمل ؛ ككريم ، وبالتأنيث نحو : « أهيبف » ؛ فإنه لا يجرى على المضارع إلا في التذكير ؛ لأن مؤنثه هيفاء . ولعنائه أو معنى الماضى لإخراج نحو : ضامر الكشح ، مما يدل على الاستمرار . ويخرج به أيضاً : أفعل التفضيل ؛ لأنه للدوام ، كما خرج بما قبله . » فهذه المخرجات ، ما عدا الأول والأخير - وهما اسم المفعول ، واسم التفضيل - صفات مشبهة ، =

بالمستبد العادل .) فكلمة : « زاهد » تدل على أمرين معاً ؛ هما : الزهد مطلقاً ،
والذات التي فعلته أو ينسب إليها ، وكذا كلمة : « عادل » تدل على أمرين معاً ؛
هما العدل مطلقاً والذات ، التي فعلته أو ينسب إليها ، ومثلهما كلمتي : « واش »
وسائل » في قول المعسري :

أعندي وقد مارست كل خفية يُصدق واش^(١) ، أو يُخيبُ سائلٌ
ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث ، أغلبية ؛ لأنه قد يدل^(٢) .
— قليلاً — عن المعنى الدائم . أو شبه الدائم ، نحو : دائم — خالد — مستمر —
مستديم ... و...^(٣)

ودلالته على ذلك المعنى المجرد مطلقة (أى : لا تفيد النص على أن المعنى قليل
أو كثير . .) فصيحته الأساسية محتملة لكل واحد منهما^(٤) ، إلا إن وجدت
قرينة تُعين أحدهما دون الآخر .

= لا اسم فاعل . هذا هو الاصطلاح المشهور . وأما ما يأتي في : « أبتية أسماء الفاعلين » من أنه يطلق
عليها اسم الفاعل فباعتبار اصطلاح آخر ، وهو مجاز — كما سيأتي —

« وإن شئت فقل : اسم الفاعل ما دل على فاعل الحدث ، وجرى مجرى الفعل في إفادة الحدث .
فخرج بالأول اسم المفعول ، وبالثاني الصفة بجميع أوزانها ، وأفضل التفضيل » اهـ .

واستعمال ذلك الاصطلاح شائع قبل « ابن مالك » ، ومنه ما جاء في « أمالي القالي » — ج ٢
ص ١٨٤ : نصه : (قال أبو علي ؛ غمضَ وغمضَ — بفتح الميم وضمها — فن قال غمضَ ؛ بضم الميم ، قال في
الفاعل : غميض . ومن قال : غمضَ . بفتح الميم ، قال في الفاعل غامض) اهـ فالمراد بالفاعل في الأول :
الصفة المشبهة ، وفي الثاني : اسم الفاعل .

(١) أصلها : واشيٌ ، على وزن : فاعل ، حذفت الضمة لثقلها على الياء . ثم حذفت الياء لالتقاء
الساكنين ، طبقاً للبيان الذي سبق عند الكلام على المقصور ج ١ ص ١٦ ص ١٧٣ .

(٢) شرط هذه الدلالة أن تكون هي المعنى الصريح لصيحته اللفظية ، أو أن توجد قرينة أخرى
توجه المعنى إلى الدوام وشبهه ، مع بقاء اسم الفاعل في الحالتين على صيغته وصورته الخاصة به ، وأحكامه
النحوية التي تفرّد بها (انظر الزيادة الآتية في ص ٢٤٢) .

(٣) وكذلك في الحالة التي يصير فيها : « صفة مشبهة » وستأتي في الزيادة — ص ٢٤٢ .

(٤) جاء في ص ١٣٠ من شرح ذرة النواص ، ما نصه : « (قال ابن بري : . . . إن باب
« فاعل » كضارب ، وقائل . . . ، عام لكل من صدر منه الفعل ، قليلاً كان أو كثيراً ؛ فلا يمنع
أن يقع « فاعل » موقع « فَعَّال » ، المختص بالكثير ؛ لعمومه . ألا ترى أن قوله تعالى : (والذين في أمواتهم
حق معلوم للسائل والمحروم . .) لا يقتضي أن يكون السائل هنا من قل سؤاله ؟ — ومثله في صفات الباري :
الخالق والخالق ، والرازق والرازق . . والمراد بأحدهما ما يراد بالآخر .) » اهـ وفي حاشية ياسين على شرح
الفاكمي لقطر الندى (ج ٢ ص ٢١٧ ما نصه : « (قال الشاطبي في شرح الألفية : اسم الفاعل دال =

صوغه^(١) :

١ - يصاغ من مصدر الماضي الثلاثي ، المتصرف ، على وزن : « فاعِل » ؛
بأن تأتى بهذا المصدر - مهما كان وزنه - وندخل عليه من التغير ما يجعله
على وزن : « فاعِل » . ولا فرق في الماضي بين المتعدى واللازم ، ولا بين
مفتوح العين ، ومكسورها ، ومضمومها^(٢) ؛ نحو : (فتح ، يفتح ، فتحاً ؛
فهو : : فاتح - قعد ، يقعد ، قعوداً ؛ فهو : قاعد) - (حسب ،
يحسب ، حسباً ؛ فهو : حاسب - نعيم ، ينعيم ، نعيماً ؛ فهو : ناعم)
- (كرم ، يكرم ، كرمًا ؛ فهو : كارم - حسن ، يحسن ، حسناً ؛
فهو : حاسن) ؛ بشرط أن يكون الكرم والحسن أمرين طارئين ، لا دائمين^(٣)

- على الفعل ، كثيراً كان أو قليلاً : فيقال « فاعِل » لمن تكرر منه الفعل وكثر ، ولمن وقع منه فعل ما ...
فإذا أرادوا أن يشعروا بالكثرة وضعوا لها مثلاً دالاً عليها ؛ مثل : (فَعُول) « ا ه ولهذا إشارة
في ص ٢٥٧ وهامشها .

(١) عقد ابن مالك باباً مستقلاً لإعمال اسم الفاعل ، وضمنه إعمال اسم المفعول (وسيجيء شرحه
في هامش ص ٢٥٠) . ثم عقد باباً آخر (سيجيء شرحه أيضاً في هامش ص ٢٨٩) لأبنيتهما وصيغتهما ،
وأبنية الصفة المشبهة ، فاصلاً بينهما بباب آخر ؛ هو : « باب أبنية المصادر » . وهذا ترتيب ارتضاه
لسبب ذكرناه في أول باب « أبنية المصادر » ص ١٨١ ولم نقبله هناك ، ولا نستحسنة هنا ؛ إذ الكلام
على أحكام الشيء وإعماله لا بد أن يجيء بعد معرفة ذلك الشيء وإدراك كنهه ، وهذا يقتضى تقديم الكلام
على صيغته وأبنيته أولاً . كذلك لا نستحسن عقد بابين مستقلين ، أحدهما للصيغ والأبنية . والآخر للإعمال
والأحكام : لما في هذا من التشعب والتشتيت من غير مسوغ

(٢) مضموم العين لا يكون إلا لازماً . (انظر البيان الخاص باللازم في هامش ص ٢٨٩) .

(٣) نص على هذا كثيرون - في باب « أبنية أسماء الفاعلين . . . - منهم « الخفري »
و « الصبان » ، وصاحب حاشية « التصريح » ؛ ومنهم : « صاحب المصباح المنير » في فصل الفعل
ودلالته ، ودلالة المشتقات ، بآخر كتابه ، ص ٩٤٧ وما بعدها ، وكذلك محمد الرازي في كتابه :
« غرائب آي التنزيل » المطبوع على هامش كتاب : « إملأوا من به الرحمن . . . » للكبرى ، ص ١٣٣
حيث عرض للآية الكريمة : (وضائق به صدرك) وأوضح السبب في التعبير بكلمة : « ضائق »
دون « ضيق » بما نصه :

(إن ضيق صدر الرسول عارض غير ثابت ، لأن النبي عليه السلام كان أفسح الناس صدرًا . ونظيره
قولك : فلان سائد وجائد . فإذا أردت وصفه بالسيادة والجد الثابتين المستقرين ، قلت : سيد وجواد .
كذا قال الزحشرى .) ا ه .

ويقول ابن يعيش في الآية السالفة : (ضائق به صدرك) إنه عدل عن « ضيق » إلى : « ضائق » =

وكذلك بقية المعاني السابقة ، حين يكون المراد النص "على حدوث المعنى" .

ويجب أن يستحتمل في صيغة : « فاعل ، المذكورة أمران ، أن يكون ماضية الثلاثي متصرفاً ، وأن يكون معنى مصدره غير دائم . لأن الماضي الجاهل (مثل : نعيم ، وعسى ، وليس . . .) لا يكون له مصدر ، ولا اسم فاعل ، ولا شيء من المشتقات الأخرى . ولأن المصدر الدال على معنى دائم ، أو شبه دائم — لا يشتق منه ما يدل نصاً على الحدوث ، وعدم الدوام ، وهو : اسم الفاعل . إنما يشتق من ذلك المصدر شيء آخر يدل على الدوام أو شبهه ؛ كالصفة المشبهة ^(١) ، ولما صيغ متعددة بتعدد الاعتبارات المختلفة ، وأحكام خاصة بها ، سنعرفها في بابها ^(٢) .

= ليدل على أن هذا الضيق عارض في الحال ، غير ثابت ... ؛ ومثل هذا يقال في كلمة : « فارح » من قول أشجع السلمي يرث عمرو بن سعيد الباهلي :

(وما أنا من رزه - وإن جل - جازع ولا بسرور بعد موتك فارح

وراجع ما يأتي في ص ٢٩٢ حيث البيان والإيضاح .

(١) لها باب خاص يجيء في ص ٢٨١ .

ومثلها اسم التفضيل ، فإنه يدل على الدوام ، طبقاً للبيان الذي في رقم ١ من هامش ص ٢٨٢ ، ولا سيغىء في بابها ص ٣٩٤ .

(٢) ص ٢٨١ .

زيادة وتفصيل :

١ - قلنا : إن صيغة « فاعل » المراد بها : « اسم الفاعل » لا تُشتق إلا من مصدر فعل ماضٍ . ثلاثي . متصرف . ويتساوى في هذا كل أنواع الماضي (الثلاثي المتصرف . المتعدى واللازم . مفتوح العين . ومضمومها ، ومكسورها) . فلا مكان للتوهم بأن بعض أنواع الماضي الثلاثي المتصرف اللازم لا يصاغ من مصدره اسم الفاعل على صيغة « فاعل » للدلالة على الحدوث نصّاً . إذ من أين يجيء التوهم بعد أن قطع الأئمة بالحكم العام السابق . وبقياسية : كرم الرجل : فهو : كارم - بخيل فهو : باخل - شرف فهو : شارف ، (أى : صار صاحب شرف) - وحسن فهو : حاسن - وغنى فهو : غان وأمثال هذا مما فعله ثلاثي متصرف . لازم . يدل على معنى طارئ غير ثابت . ولا شبهه بالثابت . أمّا إن كان المعنى ليس طارئاً حادثاً وإنما هو دائم أو شبه دائم - فيجب للتصرف : إمّا بتغيير صيغة « فاعل » الدالة على الحدوث إلى أخرى دالة على الثبوت أو شبهه : كأن نقول : كريم - بخيل - شريف - حسن - غنى - (كما سيجيء في باب الصفة المشبهة) وإما بإيجاد قرينة - لغوية أو معنوية - تدل على أن صيغة : « فاعل » لا يراد منها الحدوث : وإنما يراد منها الثبوت . ومن القرائن اللغوية : إضافة اسم الفاعل من الثلاثي اللازم إلى فاعله ^(١) : نحو : لي صديق ، راجع العقل ، رابط الجأش . حاضِر البدِيهة . . . والأصل : راجع عقله .

(١) إضافة اسم الفاعل إلى فاعله تخرجه - حتماً - من بابهِ من غير تغيير في صيغته التي هو عليها عند إضافته لفاعله ، وتدخله في باب : « الصفة المشبهة » ؛ فتسرى عليه كل أحكامها المعروضة في بابها (وستجىء الإشارة لهذا في ص ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٩٢ والبيان الوافي في « د » ص ٢٦٥) نلخصه فيما يأتي :

١ - إن كان فعله لازماً ثلاثياً أو غير ثلاثي فلا يكاد يوجد خلاف في جواز إضافته إلى فاعله عند الرغبة في إبعاده عن باب اسم الفاعل وإدخاله في باب الصفة المشبهة على الوجه السابق لتحقيق الغرض المعنوي الذي تحقّقه تلك الصفة : متى تم إدخاله في باب الصفة المشبهة زال عنه اسمه القديم ، وصار اسمه عند فريق من النحاة « الصفة المشبهة » وعند فريق آخر « الملحق بها » وهذا الخلاف في التسمية لا أثر له في المعنى ولا في الإعراب .

ورابط^(١) جأشهُ ، حاضرة^(٢) بديهته. ومنها: أن تكون صيغته اللفظية صريحة الدلالة على الدوام أو شبهه^(٣).

ومثال القرينة المعنوية قوله تعالى: «مالك يوم الدين»، وقول المؤمن: رباه، آمنت بك، خالق الأكوان، لا شريك لك، وخفكتك قاهر الطغاة لا يعجزك شيء... وقول شوقي:

= والفريقان متفقان على أن صورته الأولى لا تتغير، بالرغم من تغير اسمه.

ب - وإن كان فعله متعدداً لأكثر من مفعول به لم يجوز إضافته لفاعله. (راجع ما يتمم هذا في رقم ٣ من هامش ص ٢٥٦).

ج - وإن كان فعله متعدداً لمفعول به واحد فالصحيح جواز إضافة اسم الفاعل إلى فاعله للفرض السالف، وهو إدخاله في باب: «الصفة المشبهة» ليؤدى ما تؤديه، مع بقاءه على صورته الأولى. أما المفعول به الذى ينصبه هذا الفعل فالغالب الفصيح حذفه والاستغناء عنه متى وجد اسم الفاعل المضاف لفاعله، والذى انتقل نهائياً إلى باب: «الصفة المشبهة». ويجوز على قلة يباح الأخذ بها أن ينصبه اسم الفاعل الذى صار صفة مشبهة. وإنما ينصبه بشرط: أمن اللبس عند ذكره فلا يختلط بغيره، وبشرط تغير اسمه فلا يسمى «مفعولاً به»، وإنما يسمى: «الشبيه بالمفعول به» كما يقال في إعرابه إنه منصوب لاعتباره «شبيهاً بالمفعول به»؛ كالشأن في إعرابه مع الصفة المشبهة الأصلية. وسبب الاشتراط أن اسم الفاعل في هذه الصورة الجديدة ليس اسم فاعل إلا في الصورة الشكلية والصفة الظاهرة دون الحقيقة الواقعة، وهى المعنى الذى انتهى إليه، وصار بسببه صفة مشبهة أو ملحقة بها، والصفة المشبهة وما ألحق بها - كاسم الفاعل في حالته التى نتكلم عنها - لا تنصب المفعول به الأصل.

ولما كان كثير من لأساليب الفصيحة المأثورة، قد ظهر فيها بعد هذه الصفة وملحقاتها مفعول فعلها منصوباً وهو لا يصلح أن يكون حالاً، ولا تمييزاً. ولا شيئاً آخر من المنصوبات غير المفعول به - لما النحاة إلى التوفيق بين الدواعى المختلفة، لمنع التعارض بينها؛ فأجازوا وقوع المفعول به بعد هذه الصفة المشبهة، بشرط أن يتغير اسمه؛ فيسمى: «الشبيه بالمفعول به» لا «مفعولاً به» واشتراط وقوعه بعد ملحقاتها أن يسمى أيضاً: «الشبيه بالمفعول به» لا مفعولاً به، وألا يؤدى إلى لبس في الحالتين. وقالوا: إن الأفصح بعد ملحقات الصفة المشبهة حذفه؛ مبالغة في أمن اللبس، بالرغم من صحة ذكره - وسيجيء إيضاح آخر لهذا في هامش ص ٢٦٤ و ٢٦٥ -.

(١) ربط جأشهُ - رباطة - بالكسر - اشتد قلبه - كما في القاموس - اهـ فالفعل هنا لازم.

(٢) طبقاً للبيان السابق في ص ٢٣٩.

قف «بروما»^(١) وشاهد الأمر، واشهد أن للملك مالكا، سبحانه

فهذه الأوصاف المتصلة بالله ، من الملك^(٢) والخلق ، والقهر — ليست طارئة ، ولا عارضة ، ولا مؤقتة بزمن محدود تنقضي بانقضائه ؛ لأن هذا لا يناسب المولى جل شأنه . ومن ثم كانت تلك الصيغ في معناها ودلالاتها : « صفات مشبهة » وليست « اسم فاعل » ، إلا في الصورة اللفظية ، والأحكام النحوية الخاصة به برغم أنهما على صيغة : « فاعل » ؛ فهذا الوزن وحده ليس كافياً في الدلالة على الحدوث أو على الثبوت والدوام ؛ فلا بد معه من القرينة التي تعين أحدهما ، وتزيل عنه اللبس والاحتمال ؛ كى يمكن القطع بعد ذلك بأنه في دلالاته المعنوية — لا الشكلية — اسم فاعل ، أو صفة مشبهة .

* * *

(١) يسميها العرب القدماء : رومية .

(٢) بمعنى الملك .

ب- ويصاغ اسم الفاعل من مصدر الماضي غير الثلاثي بالإتيان بمضارعه ،
 وقلب أول هذا المضارع ميما مضمومة ، مع كسر الحرف الذي قبل آخره ،
 إن لم يكن مكسوراً من الأصل . فإذا أردنا الوصول إلى اسم الفاعل من الفعل :
 « قاوم » أتينا بمضارعه ، وهو : « يقاوم » ، وأجربنا عليه ما سبق ؛ فيكون
 اسم الفاعل هو : « مُقاوم » ، وفي مثل : يَتَبَيَّن - وهو مضارع للماضي :
 « تَبَيَّن » - نقول : مُتَبَيِّن نحو : الفريسة مقاومة المفترس ،
 والغالب مُتَبَيِّنٌ للقوى . وفي مثل : أذلَّ وأعزَّ ؛ ومضارعهما يذلُّ
 ويعزُّ نقول : « مُذل » و « مُعز » كقول عائشة - رضي الله عنها -
 في رثاء أبيها : « نضر الله وجهك يا أبت ؛ فقد كنت للدنيا مُذِلاًَّ بإدبارك
 عنها ، وللآخرة مُعِزّاً بإقبالك عليها »

ج- متجىء الصيغة من مصدر الفعل غير الثلاثي بالطريقة السالفة
 لا يكفي - من غير قرينة - للقطع بأنها صيغة « اسم فاعل » ؛ فقد يوهما مظهرها
 أنها كذلك ، مع أنها في حقيقتها « صفة مشبهة » ، بسبب دلالتها على معنى ثابت .
 ومن هذا : الصيغة المضافة إلى فاعلها ^(١) في مثل : (النجم مستدير الشكل ، متوقدٌ
 الجرم ؛ مستضىء الوجه . والكوكب مستدير الشكل ، منطفيء الجسم ، مظلم
 السطح) . والأصل : مستدير شكله ، متوقد جرمه ، مستضىء وجهه ، منطفيء
 جسمه ، مظلم سطحه . وأفعالها هي : (استدار - توقد - استضاء - انطفأ -
 أظلم) . فقد قامت في الأمثلة السابقة قرينة لفظية ، (هي إضافة
 الصيغة إلى فاعلها على الوجه المشروح) وقرينة معنوية ، (هي اليقين الشائع
 بدوام تلك الأوصاف) وتدل كل منهما وحدها على أن الصيغة ليست اسم فاعل ؛
 بالرغم من صورتها الظاهرة . وإذا لا بد من قرينة تقوم بجانب الصيغة هنا -
 كما قامت في صيغة « فاعل » المشتق من مصدر الثلاثي - ؛ لتبعد الوهم ،
 وتحدد النوع ؛ أهو اسم فاعل نصاً ، أم صفة مشبهة قطعاً .

د- لا بد من زيادة تاء التأنيث في آخر « اسم الفاعل » للدلالة على

(١) إيضاح هذا في هامش ص ٢٤٢ وما تشير إليه من صفحات أخرى ، ولا سيما ص ٢٦٥ .

تأنيثه ، سواء أكان فعله ثلاثياً أم غير ثلاثي ؛ إلا في المواضع التي يحسن ويكثر ألا تزداد فيها ^(١) ، ومنها : اسم الفاعل الخاص بالمؤنث ؛ كالمرأة مثلاً - أى : الخاص بأمر مقصور عليها ، يناسب طبيعتها وتكوينها الجسمي ؛ - فلا يحتاج لعلامة تدل على التأنيث ، وتنع اللبس ؛ مثل : الحامل ، والمرضع ، في نحو : « ولدت الحامل ، وصارت مرضعاً » ^(٢) .

هـ - كسر الحرف الذي قبل الآخر في اسم الفاعل من مصدر الفعل غير الثلاثي - قد يكون كسراً ظاهراً كما في مثل : (متوقِّد - منطقيّ - مظلم ...) وقد يكون مقدرراً كما في مثل : (مستضيء ، - مستدير - مختار ؛ .) فأصلها : مستضيئ ، مُستمدِّور - مُختَسِر ... و... فقلبت الواو في الكلمتين الأولىين ياء بعد نقل كسرتها إلى الساكن الصحيح قبلها ؛ تطبيقاً لقواعد صرفية في « الإعلال » . وكذلك قلبت الياء في « مختير » ألفاً : لوقوعها متحركة بعد فتحة ...

* * *

إعماله :

يجرى اسم الفاعل مجرى فعله في العمل ، وفي التعدى واللزم ، ولحق بتفصيلات وشروط تختلف باختلاف حالتي تجرده من : « أل » الموصولة ^(٣) أو اقترانه بها ^(٤) .

(١) هي مدونة في باب : « التأنيث » ج ٤ ص ٥٤٢ م ١٦٩ .

(٢) إنما يكون الأحسن والأبلغ حذف تاء التأنيث من كلمة : حامل إذا كانت بمعنى : « حَبْلِي » فيكون الشأن في « حامل » كالشأن في « لابن ، وتامر » أى : صاحب لبن وتمر . أى : منسوب لهما . أما إن كانت بمعنى التي تحمل شيئاً فوق رأسها أو ظهرها أو نحوهما فلا تحذف التاء .

وكذلك تحذف استحساناً من كلمة : « مرضع » إن أريد بها التي من شأنها ومقتضى طبيعتها الجسمية أن تكون صالحة للإرضاع ، ولو لم تزاوله فعلاً ، وكذا المرأة المنسوبة للإرضاع ؛ كالتى تتخذة حرفة ، أو تشتهر به . أما التي ترضع الطفل فعلاً ، بأن تلمقه ثديها فيتناوله بقمه ، فهي مرضعة .

وسيجيء الإيضاح الكامل لهذا في موضعه المشار إليه من الجزء الرابع .

(٣) لأن « أل » الداخلة على المشتقات العاملة هي : الموصولة - غالباً - كما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٣٥٤ ، وكما سبق عند الكلام على « أل » في باب « الموصول » ج ١ . وهل هي في الوقت نفسه تفيد التعريف ؟ رأيان .

(٤) في الصفحة التالية تفصيل الكلام على حالة التجرد « ا » أما حالة الاقتران ففي : « ب »

١- فإن كان مجرداً منها رفع فاعله بغير شرط إن كان الفاعل ضميراً مستتراً^(١) أو ضميراً بارزاً^(٢) ، وعمل كذلك في باقي المعاملات التي ليست فاعلاً ظاهراً ، ولا مفعولاً به .

أما الفاعل الظاهر فلا يرفعه إلا إذا كان اسم الفاعل مستوفياً للشرط الآتية^(٣) ، وفي مقدمتها اعتماده على أحد الأشياء المذكورة هناك . نحو : أقدم صديقنا الآن ؟

وأما نصبه المفعول به فلا يجوز إلا بعد استيفائه تلك الشروط ، ومنها الاعتماد أيضاً ، وأن يكون : بمعنى الحال أو الاستقبال ، أو الاستمرار المتجدد^(٤) الذى يشمل الأزمنة الثلاثة ، مثل : (من يكن اليوم مهملاً عمله يجد نفسه غداً فاقد رزقه) . ومثل : (ما أعجب الصانع الماهر ، مديراً مصنعه في حزم ، مُدبراً أمره في يقظة) .

ويقولون في سبب إعماله : إنه جريانه - غالباً - على مضارعه الذى بمعناه^(٥) ، وإن هذه الشروط تُقَرِّبه من الفعل ، وتُبَعِّده من الاسمى المحضة . . .

(١) إذا كان فاعله ضميراً مستتراً وجب أن يكون ضمير غائب ، طبقاً للبيان الذى في « - » من الزيادة ص ٢٥٢ .

(٢) إلا إن كان اسم الفاعل مبتدأ مستغنياً بمرفوعه عن الخبر فالأكثر اعتماده على نفي أو استفهام كالشأن في جميع المشتقات العاملة (وسيجىء هذا في « أ » من ص ٢٥٢) .

(٣) في ص ٢٤٩ . والاعتماد هنا يختلف عنه في باب : « المبتدأ والخبر » - طبقاً للبيان الآتى في « أ » ص ٢٥٢ - .

(٤) الاستمرار التجددى معناه : أن الأمر يحدث ثم ينقطع ، ثم يعود ثم ينقطع ، وهكذا دواليك ، كاستمرار الليل والنهار . وهناك الاستمرار الدوامى ؛ وهو الذى لا انقطاع فيه ؛ نحو : مرتفع القامة ، واسع الفم (وقد سبقت الإشارة الموضحة لهذا في ص ٣٩ ، وله إشارة أخرى في رقم ٢ من هامش ص ٢٨٢) .

(٥) يريدون : أن اسم الفاعل في هذه الصورة يوافق مضارعه في المعنى ، وفي الحدث - والتجدد ، وفي عدد الحروف ، وفي هيئتها (بأن يكون الساكن في أحدهما مقابلاً في ترتيبه لساكن في الآخر ، وكذلك المتحرك فيها) هذا إلى الاشتراك في الحروف الأصلية . خذ مثلاً لذلك اسم الفاعل : « مُخْبِر » فإنه موافق لمضارعه : « يُخْبِر » في كل ما سبق ؛ فمعناها واحد ، وكلاهما أربعة أحرف ، ثانيها ساكن وثالثها متحرك ؛ فكل حرف ساكن أو متحرك يماثل في الحركة والساكن نظيره في الترتيب . وكلاهما يشابه الآخر في الحروف الأصلية . ومثله اسم الفاعل : « فاقِد » فإنه جار على مضارعه فيها سبق . وهكذا . مسافر ويسافر - وتندرج وتندرج - ومتعلم ويتعلم ، والسبب اسألف مستقبط من الاستعمال العربى الذى هو السبب الأول الأسيل .

ولهذا يمكن أن يحل محله المضارع الذى بمعناه .

فإن لم يكن اسم الفاعل المجرد من « أل » الموصولة مستوفياً الشروط الآتية — ومنها الاعتماد — لم يرفع فاعلاً ظاهراً ولم ينصب مفعولاً به . وإن لم يكن بمعنى الحال ، أو الاستقبال ، أو الاستمرار المتجدد ؛ بأن كان بمعنى الماضى المحض ، لم ينصب المفعول به إلا بشرطين :

أولهما : تحقق الشروط الآتية ، ولا سيما الاعتماد .

وثانيهما : صحة وقوع مضارعه موقعه من غير فساد المعنى . نحو : (كانت الأمطار أمس غاسلة الأشجار ، منقية مياهاها الهواء) ، إذ يصح : كانت الأمطار أمس تغسل الأشجار وتنقى مياهاها الهواء . ولا يصح : هذا حاصد قمحاً أمس ؛ إذ لا يقال : هذا يحصد قمحاً أمس .

وأما عمله فى شبه الجملة بنوعيه وفى باقى المعمولات الأخرى التى ليست بفاعل ظاهر ، ولا بمفعول به منصوب — فلا يشترط فيها شيء ، لأن الشروط مطلوبة لإعماله فى الفاعل الظاهر ، والمفعول به المنصوب ، — كما أسلفنا — وهذا أمر يجب التنبيه له .

ولإنما أهمل اسم الفاعل الذى بمعنى الماضى ، فلم ينصب المفعول به مباشرة من غير اشتراط شيء — كما نصّب فعله المتعدى — لأنه لا يجزى على لفظ الفعل الماضى الذى بمعناه ، فهو يشبهه معنى ، لا لفظاً ؛ ولهذا لا يجوز أن ينصب المفعول به مباشرة عند عدم تحقق الشروط ؛ فيجب فى هذه الصورة الإضافة ، بأن يكون اسم الفاعل مضافاً ، ومعموله مضافاً إليه مجروراً^(١) ، ولا يصح تسمية هذا المعمول مفعولاً به ، ولا إعرابه كذلك . . والإضافة فى

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٥٥ .

وملخص ما تقدم : أن اسم الفاعل المجرد من « أل » الموصولة فى حالتى مضيه وعدم مضيه يرفع الفاعل الضمير ؛ مستتراً وبارزاً . لكنه لا يرفع الفاعل الظاهر فى الحالتين إلا بتحقيق الشروط ؛ ومنها : الاعتماد ، ولا ينصب المفعول به مباشرة — كما ينصبه فعله — إلا إذا كان لغير الماضى ، مع استيفائه بقية الشروط الأخرى التالية . فإن كان بمعنى الماضى لم ينصب المفعول به إلا بعد استيفاء تلك الشروط مزيداً عليها صحة وقوع مضارعه موقعه . أما العمل فى بقية المعمولات الأخرى فلا يحتاج لافتراط شيء ، فهو كالفاعل الضمير ، سواء أكان اسم الفاعل بمعنى الماضى أم غيره .

هذه الصورة إضافة محضة ، لا يجوز فيها وجود « أل » في اسم الفاعل ما دام بمعنى الماضي فقط - كما تقدم في باب الإضافة^(١) -

وفيما يلي تلك الشروط التي أشرنا إليها :

(١) أن يسبقه شيء يعتمد عليه ؛ كإستفهام المذكور نصاً ، مثل قول

الشاعر :

أمنجز أُنتمو وعداً وثقتُ به أم اقتفيتُم جميعاً نهجَ عُرُوبٍ ؟
أو الإستفهام المقدر في مثل : غافر أخوك الإساءة أم مُحاسِبٌ عليها ؟
فإن الأصل : أغافر أخوك . . . ؟ بدليل وجود « أم » المعادلة^(٢) . . .
أو النداء في مثل : يا بانيئاً^(٣) مستقبلَك يمينك ستدرك غايتك . أو النفي^(٤)
في مثل : ما تخلف عهدَه شريف ، وقول الشاعر :

سليم دواعي الصدر^(٥) ، لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ، ولا قاتلاً هُجْراً^(٦)
أو : أن يقع نعتاً لمنعوت مذكور ؛ في مثل : الحسد نارٌ قاتلةٌ صاحبَها . أو لمنعوت
محذوف لقرينة ؛ مثل : كم معذب نفسه في طلب الحرية لبلاده يرى العذاب
من أجلها نعيمًا ، وكَم مُبَدَّد ثروته في سبيلها يرى التبدد ذُخْراً . أو يقع
حالاً في مثل : سُحِقًا وبُعْدًا للمال جالبًا الذلَّ والشقاء لصاحبه . أو يقع خبراً
لمبتدأ ، أو لناسخ ، أو مفعولاً لناسخ ؛ مثل : هذا منفقٌ مالا في وجوه
البر - اشتهر العربيُّ بأنه حَتَامٌ عشيرته ، أحسب الحرَّ موطننا نفسه على
احتمال المشقات في سبيل حرّيته ، وكنت أزعم المشقةَ مؤهنةً عزيزته ؛ فإذا هي

(١) راجع « د » من ص ٥ ورقم ٣ من هامش ص ١٢ .

(٢) في ص ٥٨٥ - باب المطف - إيضاح الكلام على : « أم » وبيان أحكامها .

(٣) يرى النحاة في مثل هذه الصورة أن اسم الفاعل المنادى بمنزلة نعت لمنعوت محذوف ؛
والقدير : يا شخصاً بانيئاً . فالمسوغ عندهم هو وقوعه نعتاً لا منادى . والخلاف شكل لا يلتفت إليه ؛
لأنه لا يغير الحكم ، ولا أثر له مطلقاً .

(٤) ويشمل النفي التقديرى الذى فى مثل : إنما محسن على صنيعه ؛ لأن مناه : ما محسن حل

إلا صنيعه ، وفى مثل : غير مهمل واجبه عاقل .

(٥) دواعى الصدر : الأمور والدوافع التى تحرك القلب .

(٦) قولاً رديئاً سيئاً .

أكبر حافز - أعلمتُ الجنودَ القائدَ مضاعفًا الثناءَ عليهم . . .

(٢) ألا يكون مُصَغَّرًا ، فلا يصح : يقف حوَيَّرِسٌ زرعًا ؛ أى : يقف حارس زرعًا .

(٣) ألا يكون له نعت يفصل بينه وبين مفعوله ؛ فلا يصح : يُقبل راكبٌ مسرعٌ سيارَةً . فإن تأخر النعت عن مفعول اسم الفاعل جاز ؛ نحو ؛ يُقبل راكبٌ سيارَةً مسرعٌ . ويجوز الفصل بالنعت إن كان معمول اسم الفاعل شبه جملة ، لا مفعولاً به ؛ نحو : (لا تستشر إلا قادراً - ناصحاً - على حلّ المشكلات ، ولا تركزن إلى صداقة ساعٍ - طامعٍ - وراء مآربه) . والأصل : قادراً على حل المشكلات ، ناصحاً - ساعٍ وراء مآربه ، طامع .

(٤) ألا يفصل بينه وبين مفعوله فاصل أجنبي (وهو الذى ليس معمولاً لاسم الفاعل ، وإنما يكون معمولاً لغيره) ؛ فلا يجوز ؛ هذا مكترَّمٌ - واجبهَا - مؤديةٌ . والأصل : هذا مكترَّمٌ مؤديةٌ واجبهَا ؛ ففصلت كلمة : « واجب » بين اسم الفاعل ومفعوله ، مع أنها ليست معمولاً لاسم الفاعل : « مكترَّم » ؛ وهذا لا يصح .

وهناك حالة يصح فيها الفصل بالأجنبي ؛ هى : أن يكون الفاصل الأجنبي شبه جملة ، أو أن يكون معمول اسم الفاعل شبه جملة ، لا مفعولاً به ؛ نحو : الرحيم مساعدٌ - عن النهوض - عاجزاً . ونحو : إن هذا الشاهد ناطقٌ - نافعٌ - بالحق - والأصل : الرحيم مساعدٌ عاجزاً عن النهوض - إن هذا الشاهد ناطقٌ بالحق نافعٌ ^(١) .

* * *

(١) فيما سبق يقول ابن مالك فى الباب الذى عنوانه : « إعمال اسم الفاعل » ؛ . وضمنه إعمال اسم المفعول أيضاً :

كَفَعْلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ فِي الْعَمَلِ إِنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعْزِلٍ
وَوَلَّى اسْتِفْهَامًا ، أَوْ : حَرْفِ نِدَا أَوْ : نَفْيًا ، أَوْ : جَا صِفَةً ، أَوْ : مُسْنَدًا

يقول : اسم الفاعل فى العمل - من ناحية التمدى واللزوم - كفعله ، بشرط أن يكون بمعزل عن الزمن الماضى ، أى : بمكان بعيد عنه . والمراد : أنه لا يكون للزمن الماضى . ويشترط أن يلى =

.....

= استفهاماً (أى : يقع بعد استفهام) أو : بعد حرف نداء ، أو : بعد نفي ، أو : أن يكون اسم
 الفاعل صفة. (والمراد بها هنا : النعت ، والحال) . أو مسنداً . والإستناد المقصود يتحقق بكونه خبراً للبتداء
 أو للناسخ ، كما يتحقق بكونه مفعولاً لناسخ من النواسخ التى تنصب مفعولين أو أكثر . (والجار
 والمجرور : « عن مضيه » متعلقان بكلمة : « معزل » : فإن اسم المكان فيه رائحة الفعل ، برغم أنه
 مشتق لا يعمل ؛ فيجوز أن يتعلق به شبه الجملة ، كما فى رقم ٥ من هامش ص ٢٣٥ وفى رقم ٢ من
 هامش ص ٣٢١ ، وكما سبق فى ج ٢ ص ٣٤٣ م ٨٩ عند الكلام على تعلق شبه الجملة ، - وراجع
 النخصرى عند كلامه على البيت السالف -) . هذا ما تضمنه البيتان . وفيهما قصور واضح تداركناه
 فى الشرح .

أو يقع نعتاً فى المعنى لمنعوت محذوف معروف . وهذا الذى يشير إليه ابن مالك بقوله بعد البيتين
 السابقين :

وَقَدْ يَكُونُ نَعْتٌ مَحْذُوفٌ عُرِفَ فَيَسْتَحِقُّ الْعَمَلَ الَّذِي وُصِفَ

.....
.....

زيادة وتفصيل :

١ - يختلف الاعتماد هنا عنه في باب : المبتدأ والخبر ؛ فهو هناك مقصور على النفي والاستفهام دون غيرهما - كما أشرنا^(١) - ؛ فوجود أحدهما شرط « أغلبي » لكى يرفع الوصف فاعلا يغنى عن الخبر . وقد يمكن الاستغناء عن هذا الشرط هناك . فيرفع الوصف فاعله الذى يستغنى به عن الخبر بدون اعتماد على نفي أو استفهام ، كما أوضحنا الحكم وتفصيله في موضعه المناسب من باب : المبتدأ والخبر^(٢) .

ب - إذا وقع الوصف (ومنه اسم الفاعل . . .) مبتدأ مستغنياً بمرفوعه عن الخبر فإنه يحتاج إلى شروط أغلبية^(٣) أخرى ؛ أهمها : ألا يكون مُعَرِّفاً ، ولا مثنى ، ولا مجموعاً ؛ لأن الوصف - فيما يقولون - بمنزلة الفعل ، والفعل لا يُعَرِّف ، ولا يثنى ، ولا يجمع . وتفصيل هذا في مكانه من الباب المشار إليه . . .^(٤)

ج - إذا رفع اسم الفاعل ضميراً مستتراً وجب أن يكون مرجع هذا الضمير غائباً^(٥) ؛ لأن اسم الفاعل لا يعود ضميره إلا على الغائب ؛ ففى مثل : أنا ظان محمداً قائماً - يكون التقدير : أنا رجل ظان . . . ؛ فالضمير فى : « ظان » تقديره : « هو » ، يعود على ذلك المحذوف ، ولا يصح تقديره : أنا^(٦) . . . فقد قال النحاة إن الضمير قد يختلف مع مرجعه فى مثل : أنا عالم فائدة التعاون ، وأنا مؤمن بمحمد آثاره ، فالضمير فى كلمتى : « عالم ومؤمن » مستتر يتحتم أن يكون تقديره : « هو » كما عرفنا . لكن ما مرجعه ؟

يجيبون : إن أصل الجملة : أنا رجل عالم فائدة التعاون ، وأنا رجل مؤمن بمحمد آثاره . فالضمير للغائب ، تقديره ؛ « هو » عائد هنا على محذوف حتماً ،

(١) فى رقم ٢ من هامش ص ٢٤٧ .

(٢) ج ١ ص ٣٢٤ م ٢٣ .

(٣) أى : مراعى فيها أنها الأغلب .

(٤) باب : المبتدأ والخبر - ج ١ م ٣٤ .

(٥) أى : يجب أن يكون ما يعود عليه هذا الضمير غائباً .

(٦) راجع الحضرى ج ١ باب « ظن » عند بيت ابن مالك : ونصن بالتليق والإلقاء ما . . .

.....

ولا يصح عودته على الضمير : « أنا » المتقدم ، كما لا يصح أن يكون الضمير
 المستتر تقديره : « أنا » ، بدلا من : « هو » لأن اسم الفاعل لا يعود ضميره
 إلا على الغائب ، وهذا يقتضى أن يكون الضمير المستتر للغائب أيضاً .

الظاهر أن هذا الحكم ليس مقصوداً على اسم الفاعل ، بل يسرى على غيره
 من المشتقات المحتملة ضميراً مستتراً ؛ فيجب إرجاعه للغائب كذلك .

• • •

ب - وإن كان اسم الفاعل مقترناً « بأل » الموصولة^(١) فإنه يعمل مطلقاً بغير تقييد بزمن معين^(٢) ، ولا بشرط من الشروط السالفة التي منها : الإعتدال ، وعدم التصغير ونحو : ما أعجب رائدنا هذا ، فهو النَّاطِمُ أَمْسَ قصيدة رائعة ، وهو الناطق - الآن - الحكمة والبيان ، وهو المواجه خصمه - غداً - بالحجة والبرهان^(٣) . . . وكقول المتنبي :

القاتل السيف في جسم القتيل به وللسيوف - كما للناس - آجال

* * *

بعض أحكام اسم الفاعل العامل :

(١) إذا كان اسم الفاعل مستوفياً شروط إعماله لنصب المفعول به جاز نصب هذا المفعول مباشرة - بشرط أن يكون اسماً ظاهراً - وجاز جرّه باعتباره « مضافاً إليه » واسم الفاعل هو « المضاف » ؛ ففي نحو : ما أنت اليوم مصاحب الغادر - يصح نصب كلمة : « الغادر » باعتبارها مفعولاً به لاسم الفاعل ، ويجوز جرّها باعتبارها مضافاً إليه . فإذا جاء تابع للمفعول به المنصوب مباشرة وجب في هذا التابع النصب ، مراعاةً للفظ المتبوع المنصوب ، ولا يصح إلا النصب . أما عند جر المتبوع بالإضافة فيجوز في تابعه الأمران ، إما مراعاة الأصل السابق وهو النصب ، لأن المضاف إليه كان مفعولاً به في أصله - وإما مراعاة الأمر الواقع الآن ، وهو : البحر . ففي مثل : ما أنت مصاحب الغادر

(١) لأن : « أل » الداخلة على المشتقات العاملة هي الموصولة ، غالباً ، - (كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ٢٤٦) - وهل هي في الوقت نفسه معروفة ؟ رأيان .

(راجع الكلام عليها في ج ١ باب الموصول ص ٣٢٠ م ٢٦) .

(٢) لأنه مع فاعله سيكون صلة « لأل » الموصولة ، فهو بمنزلة الفعل ، والفعل ، يعمل ماضياً وغير ماض ، وكذلك ما كان بمنزلة ، وحل محله . والتعليل الصحيح هو : استعمال العرب .

(٣) وفي المقترن « بأل » يقول ابن مالك :

وإن يكن صلة « أل » ففي المضي وغيره إعماله قد ارضى

يريد : أن اسم الفاعل إذا كان مبدوءاً « بأل » الموصولة فإنه يعمل في حالتي التعليل والالزوم عمل فعله ، من غير تقييد بنوع زمن أو بغيره ، فيعمل بغير شرط سواء أكان الزمن ماضياً أم غير ماض .

والمناقق — يتعين نصب المعطوف ، وهو كلمة : « المناقق » تبعاً للمعطوف عليه المنصوب ؛ وهو كلمة : « الغادر » . وفي مثل : ما أنت مصاحبُ الغادرِ والمناققِ ، يجوز في المعطوف عليه — يجوز في المعطوف النصب ، ويذكر في إعرابه : أنه منصوب ، تبعاً لأصل المعطوف عليه ، كما يجوز فيه الجر تبعاً لحالة المعطوف اللفظية .

ويجوز في مفعول اسم الفاعل أن تدخل عليه لام التقوية ^(١) ، فتحذره ؛ نحو : أنت متقنٌ « العمل » ، أو للعمل . . . ، ونحو قوله تعالى : (فَعَمَّالٌ ^(٢) لِمَا يُرِيدُ) ، والأصل : فَعَمَّالٌ ^(٣) ما يريد .

فإن كان لاسم الفاعل المستوفى الشروط مفعولان أو ثلاثة ، وأضيف إلى واحد منها — وجب ترك الباقي مفعولاً به منصوباً كما كان . نحو : أنا ظانُّ الحوِّ معتدلاً — أأنت مُخْبِرُ الصَّدِيقِ الزَّيْرَةَ قَرِيبَةً ؟ وفعلهما : « ظَنَّ » الناصب لمفعولين ، و « أخبر » الناصب لثلاثة ؛ فاسم الفاعل المستوفى لشروط نصب المفعول به مماثل لفعله في نصب المفعول به ، أو : المفعولين ، أو : الثلاثة وعند إضافته لمفعول به منها يظل الباقي على حاله منصوباً ^(٣) .

وقد يضاف اسم الفاعل للخبر ؛ لشبهه بالمفعول به ؛ مثل : أنا كائنٌ

(١) سبق لإيضاحها في ج ٢ ص ٣٤٨ م ٩٠ باب : حروف الجر .

(٢ و ٣) صيغة : « فَعَمَّالٌ » هذه إحدى صيغ المبالغة التي هي نوع من اسم الفاعل . وستأتي في

ص ٢٥٧ .

(٣) وإذا كان اسم الأفعال غير مستوفٍ لشروط نصب المفعول به — كأن يكون بمعنى الماضي مع خلو من : « أل » — وكان فعله ناصباً مفعولين أو ثلاثة وجب في هذه الحالة أن يضاف اسم الفاعل إلى ما يليه مما هو في أصله مفعول به للفعل ، ويترك الباقي منصوباً على حاله . وإن وجد فاعل ظاهر وجب تركه مرفوعاً (ولا يجوز إضافة اسم الفاعل إلى فاعله إذا بقى اسم الفاعل محتفظاً باسمه وبمعناه سواء أكان فعله لازماً أم متعدباً ؛ (كما سيبيء في الحكم الثاني بالصفحة التالية ، والبيان في ص ٢٦٥) نحو : هذا مُعْطَى محتاجٌ أمس درهماً — ومُعْطَى حامدٍ أمس محموداً قادماً . والناصب لهذه المفعولات الباقية على حالها من النصب فعل محذوف يرشد إليه اسم الفاعل الخالي الذي لا يعمل . وأجاز بمض النحاة أن يكون الناصب هو اسم الفاعل المذكور ؛ لأنه اكتسب بالإضافة شبهاً بالمقرون « بآل » الموصولة ، والمقرون « بآل » هذه يعمل ، ولو لم يستوف الشروط — طبقاً لما تقدم — ؛ كما إذا كان بمعنى الماضي . وهذا رأى فيه تيسير ، يحسن الاقتصاد عليه ؛ لبعده من التكلف . (والحكم السابق تكلمة هامة في هامش ص ٢٤٣) .

أخيك . فإن كان مفعول اسم الفاعل ضميراً متصلاً ، وجب جره بالإضافة^(١) نحو ؛ والدك مكرمك ، ولا يجوز إعرابه مفعولاً به إلا في رأى مرجوح .

(٢) عرفنا^(٢) أنه : لا يجوز إضافة اسم الفاعل إلى مرفوعه مع احتفاظه باسمه وبقائه اسم فاعل . لكن إن دل على الثبوت وقامت قرينة تدل على هذا من غير أن تتغير صيغته وصورته اللفظية الظاهرة ، صار صفة مشبهة يجرى عليه كل أحكامها - ومنها : أن يكون لازماً لا ينصب مفعولاً به أصيلاً ، وأن تجوز إضافته إلى فاعله^(٣) ، وهذا أحد الأحكام التي يختلف فيها اسم الفاعل العامل ، والمصدر العامل^(٤) .

(١) تعايقاً لقاعدة وصل الضمير التي مرت تفصيلاتها في (ج ١ ص ١٨١ م ٢٠) . فإن كان الضمير معمولاً لوصف يعرب - غالباً - صلة «أل» وهذا الوصف للشئ أو لجمع المذكر السالم ولمحقاتها ؛ نحو : والدك المكرمك - أهلك المكرمك فالأحسن - عند حذف نون التثنية والجمع - اعتبار الضمير « مضافاً إليه » (كما سبق البيان في باب الإضافة ، ص ١٠) ونقلنا : أن بعض النحاة يميز اعتبار الضمير مفعولاً به لوصف ، (وهو هناك اسم فاعل) ، والذين يحدوثة للتخفيف لا للإضافة . ونقلنا إن الخير في الاختصار على الإعراب الأول ؛ منعاً للإلباس والغموض المتأفان للغرض الأصيل من اللغة . كما قلنا إن هذه النون قد تحذف في حالات أخرى ، (عرضناها في ج ١ م ١١ ص ١٤٢ وتشمل حالة في باب « لا » النافية للجنس - ج ١ م ٥٦ هامش ص ٦٢٩ -) .

(٢) في هامش ص ٢٤٢ . والتفصيل في « د » من ص ٢٦٥ .

(٣) لهذا إيضاح وتفصيل هامان ، سجلناهما في هامش ص ٢٤٢ وفي ص ٢٦٥ .

(٤) قال شارح المفصل (ج ٦ ص ٦١) - بتصرف - الفرق بين المصدر العامل واسم الفاعل العامل من وجوه أشهرها خمسة :

« أولها » : أن « أل » في المصدر مقصورة على التعريف غالباً ، ولكنها في اسم الفاعل للتعريف ، وهي اسم وصول في الوقت نفسه . - وهذا رأى شارح المفصل ويخالفه آخرون (راجع ج ١ ص ٢٥١ م ٢٦ باب الموصول) .

« ثانياً » : أن المصدر العامل يضاف إلى فاعله حيناً ، وإلى مفعوله حيناً آخر ، ولكن اسم للفاعل لا يضاف لفاعله ، إلا إذا ترك اسمه ، وصار نوعاً من الصفة المشبهة - كما سبق ، في هامش ص ٢٤٢ .

« ثالثاً » : أن المصدر يعمل في الأزمنة الثلاثة . أما اسم الفاعل فلا يعمل إلا في الحال أو في المستقبل بشرط ، وقد يعمل في غيرهما ، ولكن بشرط أيضاً .

- طبقاً للتفصيل الذي سبق في إعماله ، ص ٢٤٦

« رابعها » : أن المصدر لا يتقدم عليه شيء من معمولاته . . . (إلا شبه الجملة ، بالإيضاح الذي -

(٣) جميع ما تقدم من الأحكام ، والشروط ، والتفصيلات الخاصة باسم للفاعل المفرد تسرى باطراد عليه إذا صار مثنى ^(١) لمذكر أو مؤنث ، أو جمعاً لمذكر أو مؤنث سالمين ، أو جمع تكسير . فلا فرق بين مفردة ومثناه وجمعه في شئ مما سبق ^(١) خاصاً بإعماله ، أو عدم إعماله ، مقترناً « بآل » أو غير مقترن بها .

* * *

صيغة المبالغة : (تكوينها ، والغرض منها) .

(٤) يجوز تحويل صيغة : « فاعل » — وهي صيغة : « اسم الفاعل » الأصلية من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف — إلى صيغة أخرى تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي ما لا تفيدُه إفادة صريحة صيغة : « فاعل » ^(٢) السالفة ، مثال هذا أن نتحدث عن شخص يزرع الفاكهة ، فنقول : فلان زارعٌ فاكهةً . فإذا أردنا أن نبين في صراحة لاحتمال معها ، كثرة زراعته الفاكهة ، ونبالغ في وصفه بهذا المعنى — نقول : فلان زَرَّاعٌ فاكهةً — مثلاً . فكلمة : « زَرَّاعٌ » تفيد من كثرة زراعته ، ومن المبالغة في مزاوله الزراعة ما لا تفيدُه كلمة : « زارع » مع أن الكلمتين من فعل ثلاثي واحد ؛ هو : « زَرَعَ » وكلتاها تدلّ على أمرين ؛ معنى مجرد ؛ هو : « الزرع » وذات فعلته . ولكنهما تختلفان بعد ذلك في درجة الدلالة على المعنى المجرد ، (أى : في

= تقدم في رقم ٤ من ص ٢١٥) أما اسم الفاعل المقرون « بآل » فلا يتقدم عليه إلا شبه الجملة وأما غير المقرون بها فيجوز أن يتقدم عليه الجملة وغيره . (إلا في بعض حالات تجيء في ص ٢٦٣ — ١) . « خامساً » : أن اسم الفاعل يتحمل الضمير ؛ لأنه جار على فعله ، والفعل يتحمل الضمير ، أما المصدر الذي لا ينوب عن فعله فلا يتحمل الضمير ، والفاعل معه يكون ملاحظاً في النية ، مقدراً غير مستتر فيه . . . (ويرى بعض النحاة أنه مستتر فيه) .

هذا ملخص ما جاء في المرجع السالف يتصرف قليل يفتضيه التحقيق .

(١ و ١) وهذا إذا صح تشنيته وجمعه ؛ فهناك حالات يفلب عليه أن يلتزم الأفراد والتذكير ، وقد أشرنا إلى بعضها في : « ب » من ص ٢٥٢ . (ومنها : أن يكون مبتدأ مستغنياً بمرفوعة عن الخبر ، على الوجه المشروح في ج ١ ص ٣٢٤ م ٢٣) .

(٢) لأن صيغة اسم الفاعل الأساسية مطلقة . (أى : لا تدل بذاتها على قلة أو كثرة) فهي صالحة للأمرين ، ما لم تقم قرينة تعين أحدهما دون الآخر — وقد سبق البيان الكامل في ص ٢٣٩ وفي هامشها — رقم ٤ — .

النحو الوافي به ثالث

مقدار قوّته ، وكثرتة ، وضعفه ، وقوته) ؛ فصيغة : « فاعل » التي هي وزن « اسم الفاعل » من الثلاثي ، لا تدل وحدها على شيء من ذلك إلا من طريق الاحتمال ، ولا تدل دلالة صريحة خالية من هذا الاحتمال ، على قوة ، ولا ضعف ، ولا كثرة ، ولا قلّة في المعنى المجرد ؛ فكلمة « زارع » لا تدل بلفظها — بغير قرينة أخرى — على أكثر من ذات متصفة بأنها تفعل الزراعة . وليس في صيغة الكلمة دليل صريح على أن تلك الذات تفعل الزراعة قليلاً أو كثيراً ، بخلاف صيغة « فَعَال » — مثلاً — فإنها تدل بنصها وصيغتها الصريحة على الكثرة والمبالغة في ذلك الفعل : أي : في المعنى المجرد . ولهذا تسمى : « صيغة مبالغة » ومن ثمّ كان الذي يستخدم صيغة « فاعل » يرى إلى بيان أمرين : « المعنى المجرد مطلقاً ، وصاحبه » ، دون اهتمام ببيان درجة المعنى ؛ قوة وضعفاً ، وكثرة وقلة . بخلاف الذي يستخدم « صيغة المبالغة » . فإنه يقصد إلى الأمرين مزيداً عليهما بيان الدرجة ^(١) ، كثرة وقوة .

وما قيل في : « زارعٌ فاكهةٌ وزراعٌ فاكهةٌ » يقال في : ناظمٌ شعراً ، ونظامٌ شعراً — صانعٌ خيراً ، وصنّاعٌ خيراً — قائلٌ الصديق ، وقوّالٌ الصديق ، وهكذا يمكن تحويل صيغة « فاعل » الدالة على اسم الفاعل من الثلاثي المتصرف إلى صيغة : « فَعَال » أو غيرها من الصيغ المعروفة باسم : « صيغ المبالغة »

وأشهر أوزانها خمسة قياسيةّة ؛ هي :

✓ « فَعَال ^(٢) » ؛ نحو : ما أعظم الصديق إذا كان غير قوّالٍ سوءاً ، ولا فَعَالٍ إساءةً ، وقول الشاعر :

وإني لقوّالٌ لذي البَثِّ ^(٣) مرحباً وأهلاً إذا ماجاء من غير مرّصد ^(٤)

✓ و « مِفعال ^(٥) » ؛ نحو : الطائر مِحْذَرٌ صائِدُه ، مِخْوَافٌ أعداءُه .

(١) ولهذا لا تصاغ من مصدر فعل لا يقبل الزيادة والتفاوت ، طبقاً للبيان الذي في : « هـ » من ص ٢٦٩ وانظر الملاحظة الآتية في ص ٢٦٢ .

(٢) قد تكون صيغة : « فَعَال » للنسب أحياناً ، طبقاً للبيان الآتي في « و » من ص ٢٦٩ .

(٣) الحزن . (٤) ميماد .

(٥) هذه الصيغة مشتركة بين صيغ المبالغة واسم الآلة الذي سيجيء الكلام عليه في باب خاص

ص ٣٣٢ م ١٠٧ فهي صيغة مشتركة في البابين . والتفريق بينهما يكون خاصاً للقرائن .

و « فَعُول » ؛ نحو: البارُّ وَصُولُ أَهْلِهِ . وقول الشاعر يخاطب سيداً كريماً:
 ضَرْوبُ بَنْضَلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا^(١) إِذَا عَدِمُوا زَادًا فَإِنَّكَ عَاقِرُ
 وقول الآخر يفتخر :
 إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ قَوْلُ^(٢) بَمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ^(٣)
 ومثل :

ذَرِينِي ؛ فَإِنَّ الْبَخْلَ - يَا أَمَّ مَالِكٍ - لَصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
 و « فَعِيل » ؛ نحو : أَقْدَرُ^(٤) من يكون سميعاً خيراً ، نصيراً عدلاً^(٥)
 وقول الشاعر :

فَتَاتَانِ : أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةٌ هَلَالٌ ، وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشَبِّهُ الْبَدْرَا
 و « فَعِيل » ؛ نحو : يَسُوءُنَا أَنْ نَسْرَى جَاهِلًا مَرْقَاً أَوْرَاقَتَهُ ، رَامِيًّا بِهَا فِي
 الطريق . وقول الشاعر :

حَذِرْ أُمُورًا لَا تَضِيرُ ، وَأَمِنْ مَا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ
 هذه هي الصيغة الخمس القياسية . وهناك بعض صيغ قليلة مقصورة على
 السماع عند أكثر القدماء ؛ أشهرها من الفعل الماضي الثلاثي : « فَعِيل »^(٦) ،

(١) الضمير عائد على الإبل ونحوها بما يعمه ليشوى ، أو يطبخ فيؤكل .
 (٢) كثير القول . (٣) كثير الفعل . (٤) أعظم .
 (٥) متى تزداد التأنيث على صيغة « فعيل » متى لا تزداد ؟ لهذا بيان مفيد يجيء في ج ٤ - باب
 « التأنيث » م ١٦٩ .

(٦) يخالف هذه الأكثرية في رأيها فريق آخر ، منهم : « ابن قتيبة » في كتابه : (أدب الكاتب ،
 باب : اختلاف الأبنية في الحرف الواحد ؛ لاختلاف المعاني) حيث يقول ما نصه : « (ما كان على
 « فعيل » فهو مكسور الأول ، لا يفتح منه شيء ، وهو لمن دأب منه الفعل ؛ نحو : رجل سيكبر ، كثير
 السكر - وخمير ، كثير الشرب للخمر ، وفخيز كثير الفخر - وعشيق ، كثير العشق - وسكيت ، دائم
 السكر - وضليل وصريع وضالم ، ومثل ذلك كثير . ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر
 منه ، ويكون له عادة ...) » فهو يقرر أن صيغة : « فَعِيل » كثيرة في المبالغة ، وإذا ثبتت
 كثرتها كان القياس عليها جائزاً . وقد جعل المحقق اللغوي القاهري هذه الصيغة قياسية ، وليست مقصورة على
 السماع ، كما يرى النحاة الأقدمون . ونص قراره (كما جاء في الصفحة التاسعة ، من تقرير لجنة الأصول
 المرفوع إلى المؤتمر اللغوي الذي انعقد في آخريناير سنة ١٩٦٧ فوافق عليه) هو : « (في اللغة أنماط على
 صيغة « فعيل » من مصدر الفعل الثلاثي والمتعدي للدلالة على المبالغة . وكثرتها تسمح بالقول
 بقياسيتها ، ومن ثم يجوز أن يصاغ من مصدر الفعل الثلاثي - لازماً أو متعدياً - لفظ على صيغة « فعيل »
 - بكسر الفاء وتشديد المعين - لإفادة المبالغة) » . ١ هـ . وقد ذكر هذا القرار مرة أخرى زمعة بعض
 للبحوث والمذكرات العلمية التي اعتمد عليها المجمع ومؤتمره في ص ٣٤ من الكتاب الذي أصدره المجمع
 سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب في أصول اللغة » مشتملاً على القرارات من دورة ٢٩ إلى ٣٤ .

و «مِفْعَل» ؛ نحو : إنه شَرِيب أهوال ، ومِسْعَر^(١) حروب . وفعلهما
الثلاثي ؛ شَرِب ، وسَعَرَ . ومن غير الثلاثي : دَرَاكَ - سَارَّ - مِعْوَان^(٢) -
مِهْوَان - نَذِير - سَمِيع - زَهْوُوق . وأفعالها الشائعة : أَدْرَكَ - أَسَارَ (بمعنى :
ترك في الكأس بقية) أَعَانَ - أَهَانَ - أُنْذَرَ - أَسْمَعَ - أَزْهَقَ .

* * *

أحكامها : لصيغ المبالغة القياسية أحكام ، أهَمَّتْهَا :

١ - أنها لا تصاغ إلا من مصدر فعل ثلاثي ، متصرف ، متعد ، ما عدا
صيغة : « فَعْعَال » فإنها تصاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم^(٣) والمتعدي ؛
كقوله تعالى : (وَلَا تَطْغِ كُلَّ جَلَّافٍ^(٤) مَهِينٍ^(٥)) ، هَمَّاز^(٦) ،
مَشَاء^(٧) بِنَمِيمٍ^(٨) ، مَسْنَاعٍ^(٩) لِلْخَيْرِ ، مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . . .) وقولهم :
فلان بِسَاءَمِ الثَّغْرِ ، ضَحَّكَ السَّنْ ، وقول الشاعر :

(١) مسعر الحرب : من يكثر إشعلها ، وإيقاد نيرانها .

(٢) ومنه قول شاعرهم :

وكنْ على الخير مِعْوَانًا لذي أَمَلٍ يرجو نذاك ؛ فإن الحرَّ مِعْوَانٌ
ومثله « مِتْلَف » (من أَلَف) في قول أبي فِرَاسِ الحَمْدَانِي :

وللوفور مِتْلَفٌ ، وللحمد جامع وللشر تَرَاكَ . وللخير فاعل

(٣) يرى بعض اللغويين أن المسموع كثير من صيغة « فَعْعَال » المشتقة من مصدر الفعل الثلاثي
اللازم للدلالة على المبالغة ؛ ولذا يجيز - لشدة الحاجة إليها - اشتقاقها من مصدر الثلاثي اللازم
أيضاً ، ومنه الآية التالية . وهو رأى حسن ارتضاءه المجمع اللغوي ، وسجله في مجلته ج ٣
ص ١٤ ، ١٥ .

وفي المراجع اللغوية صيغ متنوعة مسموعة - غير صيغة « فَعْعَال » - لم تستوف شروط الصياغة ،
فيجب الوقوف فيها عند حد السماع . ومن أمثلتها « ضَحَّوكْ وَعَبُوس » في قول شاعرهم :

ضَحَّوكْ السَّنْ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وعند الشَّرِّ مِطْرَاقٍ عُبُوسٍ

فقد صاغ من الثلاثي اللازم كلمتي : « ضَحَّوكْ وَعَبُوس » مع أن فعلهما لازم ، كما صاغ كلمة
« مطراق » مع أن فعلها الشائع رباعي ؛ هو : أَطْرَقَ ، بمعنى : سكت ، ونظر إلى الأرض .
- وسيماد البيت في ص ٢٦٦ مناسبة هناك - . ومثل : « بَشُوش » في قول عنتره :

أَلْقَى صَدُورَ الْخَيْلِ وَهِيَ عَوَابِسُ وَأَنَا ضَحَّوكْ نَحْوَهَا وَبَشُوشُ

(٤) كثير الحلف . (٥) حَقِير دَفِء .

(٦) كثير الهمز (أى : كثير الطعن والضرب ، والإيذاء . . .)

(٧ و ٨) كثير المشي بالهزيمة (وهى : السعى بين الناس بالإفساد) .

(٩) كثير المنع . . .

وإني لَصَبَّارٌ على ما ينوبني وحسبك أن الله أثني على الصبر
ولست بنظَّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر

ب - وأنها لا تجرى على حركات متصارعة وسكناته ، بالرغم من اشتغالها على حروفه الأصلية ، ولهذا كانت محمولة ، في عملها على اسم الفاعل لا على فعله . . .

ح - وأنها - في غير الأمرين السالفين - خاضعة لجميع الأحكام التي يخضع لها اسم الفاعل بنوعيه المجرد من : « أل » ، والمقرون بها ، فلا اختلاف بينهما إلا في الأمرين المتقدمين ، وكذلك في شكل الصيغة ، وفي أن صيغة المبالغة بنصها الصريح أكثر مبالغة ، وأقوى دلالة في معنى الفعل ^(١) من صيغة اسم الفاعل المطلقة ، وما عدا هذا فلا اختلاف بينهما في سريان الأحكام والشروط وسائر التفصيلات التي سبق الكلام عليها في اسم الفاعل ^(٢) . . .

(١) وهو المعنى المجرد .

(٢) في الأحكام المتعددة السابقة يقول ابن مالك أبياتاً نذكرها بترتيبها في « ألفيته » ، وإن لم نلتزم ترتيبه في عرض مسائلها ، وشرحها ؛ إذ اخترنا ترتيباً آخر يصل المسائل المرتبطة بعضها ببعض . قال في صيغ المبالغة :

فَعَالٌ ، أَوْ مِفْعَالٌ ، أَوْ فَعُولٌ في كثرة عن « فَاعِلٍ » بديل
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وفي « فَعِيلٍ » قَلَّ ذَا ، و « فَعِلٍ »

يريد : أن . صيغة فَعَالٌ ، ومِفْعَالٌ ، وفَعُولٌ ، تنفي - عند إرادة الكثرة - عن صيغة « فاعل » وأنها تذكر من أجل ذلك بدلا من صيغة فاعل ، وكل واحد من هذه الألفاظ يستحق ما يستحقه « فاعل » من العمل عند استيفاء الشروط . ثم بين أن استعمال صيغتي : « فَعِيلٍ » و « فَعِلٍ » قليل في المبالغة .

ثم انتقل إلى تسجيل قاعدة أخرى ؛ هي : أن اسم الفاعل - ومثله صيغ المبالغة - لا تتغير أحكامه إن كان غير مفرد ؛ فالأحكام السابقة كلها مطردة في المفرد وغير المفرد ، إلا بعض حالات وكلاهما سواء في الخضوع لتلك الأحكام والتفصيلات التي سبق بيانها عند الكلام على اسم الفاعل المفرد ، وشروط لإعماله مقترناً وغير مقترن . . . إلى غير ذلك من سائر القواعد التي سلفت . قال في هذا :

وما سوى المفرد مثله جُعِلَ في الحُكْمِ والشروط . حيثما عَمِلَ
ثم ترمض لاسم الفاعل العامل النصب مضرعاً بجواز نصب مفعوله ، أو جره مضافاً إليه . فإن -

ملاحظة : ورد في المسموع الذي لا يقاس عليه بعض صيغ المبالغة خالياً من معنى : « المبالغة » ، مقتصرًا في دلالة المعنوية على المعنى المجرد الذي لا مبالغة فيه ؛ فهو يدل على ما يدل عليه اسم فاعله الخالي من تلك المبالغة المعنوية : مثل كلمة : « ظلوم » في قول الشاعر :

وكل جمال للزوال مآله وكل ظلوم سوف يُبلى بظالم

فإنها ليست للمبالغة ؛ إذ المقام هنا يقتضي أن يكون المراد من لفظ : « ظلوم » هو : « ظالم » ؛ وليس كثير الظلم ؛ لأن كلا من الاثنين سياقي ظاناً . من غير أن يتوقف هذا اللقاء إلا على مجرد وقوع الظلم من أحدهما ، دون نظر لقلّة الظلم أو كثرتة ^(١) .

=نصب أكثر من مفعول جاز جر واحد ووجب نصب الباقي . قال :

وانصب بذى الأعمال تَلَوْا ، واخفِضْ وهو لِنَصْبِ ما سِوَاهُ مُقْتَضَى
(« ذى الأعمال » : صاحب الأعمال ، أى : المستوفى شروط العمل ، وهو اسم الفاعل . « تَلَوْا »
تالياً - أى : المفعول به الذى يتلوه) .

وبين بعد ذلك أن تابع الاسم المجرور على الوجه السالف يجوز فيه الجر ، ويجوز فيه النصب :
واجرر أو انصب تابع الذى انخفض كمبتغى جاء ومالا من نهض
والأصل : من نهض مبتغى جاء ومالا . فمطف كلمة : « مالا » على كلمة : « جاء » المجرورة
بالإضافة ، ولكنها منصوبة باعتبارها مفعولا به لاسم الفاعل فى الأصل قبل الإضافة .

(١) ينطبق هذا على كلمة : « فخور » فى قوله تعالى : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً .) « فليس المراد هنا كثرة الفخر لأن الله يكره صاحب الفخر مطلقاً ؛ بغير نظر إلى كثرة فخره أو قلته .

زيادة وتفصيل :

١- إذا كان اسم الفاعل - ومثله صيغ المبالغة - مقروناً « بأل » لم يجوز تقديم شيء من معمولاته عليه ، إلا شبه الجملة . لأن « أل » الداخلة عليه موصولة ، واسم الفاعل مع فاعله بمنزلة الصلة لها ؛ والصلة لا تتقدم هي ولا شيء منها ولا من معمولاتها على الموصول . إلا شبه الجملة^(١) ؛ لأنه محل التساهل ؛ فيصح أن يقال : أنا لك المرافق ، ومعك الدائب ، أى : أنا المرافق لك - الدائب معك . . .

أما إن كان مجرداً منها فيجوز تقديم الم معمول : مفعولاً كان أو غير مفعول^(٢) إلا في بعض حالات ، فمثال التقديم الحائز : الحديقة - عطراً - فة آحة . والأصل : الحديقة فواحة عطراً .

ومن الحالات التي لا يجوز فيها التقديم أن يكون اسم الفاعل مجروراً بالإضافة ، أو بحرف جر أصلي ، نحو : يروقي رسم مصور طيوراً - ألا تغضب من معذب الحيوان ؟ فلا يجوز : يروقي - طيوراً - رسم مصور . ألا تغضب - الحيوان - من معذب ، بخلاف المجرور بحرف جر زائد . فيجوز أن يتقدم عليه معموله ؛ نحو : ما العزيز - الهوان - بقابل . والأصل : ما العزيز بقابل الهوان .

وأجاز قوم تقديم الم معمول إن كان اسم الفاعل : « مضافاً إليه » ، و « المضاف » كلمة : غَيْر « أو : « حق » ، أو : « جيد » ، أو : مثل ، أو : أول ، نحو : (المنافق - الوعد - غير مستجز) . (هذا - الأعداء - حق قاهر ، أو : جيد قاهر) ، والأصل : المنافق غير منجز الوعد . هذا حق قاهر الأعداء ، أو : جيد قاهر الأعداء . (شاعرنا دراً مثل ناظم) ، (العرب ضيفاً أول ناصر) . وهذا الرأي حسن ؛ لما فيه من تيسير وأحسن منه براءة استخدامه في أنسب الأساليب له ، وألتيق المواقف .

(١) راجع ج ١ ص ٢٧٦ م ٢٧ وسبقت الإشارة للسبب في رقم ١ من هامش ٢١٦ .

(٢) راجع هامش ص ٢٥٦ الوجه الرابع .

ويجوز أيضاً تقديم معموله على مبتدأ يكون اسم الفاعل خبراً له ، نحو :
الضيوف أنت مصافح . والأصل : أنت مصافح الضيوف .

ب- يجوز إعمال اسم الفاعل - أحياناً - وهو محذوف ، مثل : أعلياً أنت مساعدُه ؟ فقد اشغل اسم الفاعل المذكور بضمير الاسم السابق ، واستغنى بنصبه عن نصب الاسم السابق : فلم يبق إلا أن يكون الناصب للاسم السابق عاملاً آخر ، محذوفاً ، يفسره المذكور على الوجه المعروف في باب : « الاشتغال » ^(١) والتقدير : أمساعدٌ علياً أنت مساعدُه ؟ . ومثله أيضاً : أعلياً أنت مساعدٌ أخاه ، والتقدير : أمساعدٌ علياً أنت مساعد أخاه . ومثله في كل ما سبق صيغ المبالغة .

ح- عرفنا أن اسم الفاعل يدل - غالباً - هو وصيغ المبالغة ، على الحدوث وعدم الدوام ، وعرفنا طريقة صوغه . . .

لكن قد يراد منه النص على الثبوت والدوام مع قيام قرينة تدل على هذا ، فيصير صفة مشبهة ^(٢) ؛ ويسمى باسمها - بالرغم من بقاءه على صورته الأصلية ^(٣) ؛ ويجرى عليه أحكام الصفة المشبهة ؛ فيجوز في السبى ^(٤) بعده إن كان معرفة :

(١) في هذا المثال - وأشباهه - نجد الاسم السابق منصوباً مع أن الضمير الراجع إليه مجرور . لكنه مجرور في حكم المنصوب . لأن كلمة : « مساعد » في حكم الفعل ، وتنوينها ملحوظ وإن لم يكن ملفوظاً ؛ فالضمير هنا كالضمير في مثل : أعلياً مررت به - مجرور وهو في الحكم منصوب . كما سبق في باب الاشتغال ج ١ . (راجع شرح المفصل ج ٦ ص ٦٩) .

(٢) سيجى في ص ٢٨١ م ١٠٤ باب خاص بها يتضمن تعريفها ، وتفصيل أحكامها ، والتقدير في دلالة اسم الفاعل والصفة المشبهة .

(٣) كما سبق في ص ٢٤٣ و ٢٥٦ ويجى في ص ٢٩٢ .

(٤) لا بد لكل اسم مشتق عامل ، من صاحب يقوم به معنى المشتق ، مثل : محمد عالم - على محسن ، الجو معتدل - فالكلمات : محمد - على - الجو - هي الصاحب الأصل الذي قام به معنى المشتق قياماً مباشراً . اتصالاً بذاته ، وقد يقوم المعنى بشيء آخر يتصل بالصاحب الأصل بنوع اتصال ، ويرتبط به من بعض النواحي ، كأن نقول : محمد عالم أبوه - على محسن أخوه - الجو معتدل حرارته ، فالأب والأخ والحرارة . . . و . . . ليست الصاحب الأصل للوصف المشتق ؛ وإنما ترتبط معه برابط يجمع بينها ؛ كالأبوة ، والأخوة ، والتبعية في أم ما . هذا الرابط يسمى : « للسبى » . ولا بد فيه من ضمير يعود على الأصل . وقد تقوم « أل » خلفاً عن الضمير في مذهب =

الرفع والنصب والجر ، نحو : هذا عابد طائع ، مرتفع الجبهة ، طاهر القلب ، ناصع صمحة ؛ فيجوز في السببي هنا ، (وهو : الجبهة - القلب - صفحة) الرفع على أنه فاعل للصفة المشبهة . والجر على اعتباره مضافاً إليه ، والنصب على أنه شبيه بالمفعول به وليس مفعولاً به ^(١) . . .

فإن كان السببي نكرة - جاز نصبه على أنه تمييز ، أو على أنه شبيه بالمفعول به . ومقتضى ما سبق أن السببي المعرفة والنكرة يجوز فيه دائماً الرفع على الفاعلية ، والجر على الإضافة ^(٢) ؛ كما يجوز فيه النصب أيضاً ؛ ولكن المنصوب في حالة التعريف يعرب شبيهاً بالمفعول به ، وفي حالة التنكير يعرب شبيهاً بالمفعول به ، أو : تمييزاً .

د - لا يجوز إضافة اسم الفاعل إلى مرفوعه (سواء أكان فعله ثلاثياً أم غير ثلاثي ، لازماً أم متعدباً) . إلا إذا أريد منه الثبوت والدوام ، وقامت القرينة على هذا ؛ فيصير صفة مشبهة ، تجرى عليه كل أحكامها ، ومنها : أن يحكم عليه باللزوم فلا ينصب المفعول به الأصيل ولو كان فعله متعدباً ، وهذا على حسب البيان المشروح فيما سبق ^(٣) وفيما يلي :

= الكوفيين - كما سيجيء في ص ٢٦٨ وفي رقم ٤ من هامش ص ٢٧٧ وفي رقم ٢ من هامش ص ٣١٠ - وقد اشترطوا وجوب السببية في مرفوع اسم الفاعل إذا جرى اسم للفاعل على موصوف ؛ نحو : الرجل صادق أبوه ، - كما سيجيء في هامش ص ٣١٠ -

(١) لأن «الصفة المشبهة» الأصلية - كما سبق البيان في هامش ص ٢٤٢ - كفعلها لا تنصب المفعول به ، لأنها تصاغ من مصدر فعل ثلاثي لازم . فلما كان السببي بعدها منصوباً ، ولا يصلح لإدخاله تحت ذوع آخر من المنصوبات - أعربوه «شبيهاً بالمفعول به» إن كان معرفة ، ولم يعربوه مفعولاً به ؛ لأن المفعول به لا بد أن يقع عليه أثر فعل الفاعل ، وهذا لا يقع عليه أثر الصفة المشبهة ، وهي بمنزلة الفعل في هذه الحالة . ومن ثم لم يحملوه في التسمية على المفعول به الذي ينصبه اسم الفاعل مع أن الصفة المشبهة إنما سميت باسمها لشبهها اسم الفاعل في كثير من الأمور ، (وسيجيء بيان واف عن هذا كله في بابها) . أما إن كان نكرة فيجوز نصبه على التشبيه بالمفعول به ، أو على التمييز .

(٢) بشرط خلو المضاف مما يعارض الإضافة ؛ كالتنوين . . ؟ .

(٣) في هامش ص ٢٤٢ .

.
.

اسم الفاعل المضاف لفاعله بقصد النص على الثبوت والدوام بقرينة ،
فيترك الحدوث ، وينتقل إلى معنى الصفة المشبهة - ثلاثة أنواع (وكذا صيغة
المبالغة ، وهذه لا تصاغ إلا من الثلاثي) .

أولها : نوع مأخوذ من الفعل اللازم - الثلاثي وغير الثلاثي - مثل :
عال وشامخ . . في نحو : هذا على القامة ، شامخ الأنف (وفعلهما :
عَلَا - شَمَخَ) . ومثل « تائب » في قول الشاعر :

تباركتَ ؛ إني من عذابك خائفٌ وإني إليكم تائبُ النفسِ باخعٌ^(١)
(والفعل : تاب) وقول الآخر يمدح :

ضحك السِّنِّ إن نطقوا بخير وعند الشرِّ مطراق عبوس ...^(٢)
ولا يكاد يوجد خلاف في جواز انتقال هذا النوع من حالة الحدوث إلى معنى
الصفة المشبهة .

ثانيها : نوع مأخوذ من فعل متعدّد لمفعول به واحد : والراجع في هذا
النوع جواز انتقاله إلى معنى الصفة المشبهة ، بشرط أن يكون اللبس مأموناً ؛
(وهو : التباس الإضافة للفاعل بالإضافة للمفعول به) . فإذا لم يؤمن اللبس
لم تجز الإضافة ؛ كقولهم : فلانٌ راحمُ الأبناء ، نافع الأعوان ، يريدون :
أن أبنائه راحمون وأعوانه نافعون . فإذا كان المقام مقام مدح الأبناء والأعوان -
جاز ؛ لدلالة المقام على أن الإضافة للفاعل ؛ كصدورها ممن يردّ على قول
القائل : (ليس أبناء فلان بمفطورين على الرحمة ، ولا أعوانه بمطبوعين على النفع) ،
أو ممن يردّ على قول القائل : (أبناء فلان قساة ، وأعوانه ضارون ، بسجيّتهم ...)
ففي هذا المثال وأشباهه مما يحذف فيه المفعول به ويؤمن فيه اللبس لقريضة لفظية ،
أو : معنوية ، يجوز في السببي - ككلمة : « الأبناء » وكلمة : « الأعوان » -
إما الرفع ؛ على أنه فاعل للصفة المشبهة (وهى : راحم - نافع) ، وإما النصب

(١) قاتل لها حزناً .

(٢) والفعل : (أطرق - عَبَسَ) وقد سبق هذا البيت في رقم ٣ من هامش ص ٢٦٠ لمناسبة

على أنه شبيه بالمفعول به ، ولا يصلح تمييزاً إن كان معرفة ، كما في المثال . وإما
الجر ، على أنه مضاف إليه . وهذه الأوجه الإعرابية الثلاثة هي التي تجرى على
معمول الصفة المشبهة الأصلية^(١) ، كالتى في مثل : (فلان جميل الوجه ، حسن
الهيئة ، حلوا الحديث) ومن أمثلة هذا النوع :

ما الراحم القلب ظلاماً وإن ظلماً ولا الكريم بمناع وإن حُرماً

وفى هذا النوع من الإضافة إلى المرفوع يكثر حذف المفعول به ، الذى
كان معمولاً لاسم الفاعل قبل إضافته لفاعله ، وقبل أن يصير بهذه الإضافة
صفة مشبهة . ويصح ذكر هذا المفعول به فى رأى الراجح - مع إعرابه « شبيهاً
بالمفعول به » ، لا مفعولاً به أصيلاً ، مثل : « (فلان راحم الأبناء الناس ، ونافع
الأعوان أفراد كثيرة) . فكلمتا : « الناس » و « أفراداً » شبيهتان بالمفعول به .
ولاداعى لمنع هذا الشبيه المنصوب من ذكره وظهوره فى الجملة ، بزعم أن
منصوب الصفة المشبهة - إذا كان شبيهاً بالمفعول به - لا يزيد على واحد كما
قرره النحاة . وقرارهم حق ؛ فنصوبها الشبيه بالمفعول به لا يزيد على واحد .
والذى فى المثال السابق - ونظائره - لم يزد على واحد . ولكن المانع يتوهمون أن
الواحد يشمل « المضاف إليه » بعد الصفة المشبهة ؛ لأن هذا « المضاف إليه » يجوز
نصبه على التشبيه بالمفعول به قبل إضافته^(٢) ، فاعتبروه بمنزلة « الشبيه بالمفعول به » .
برغم أنه : « مضاف إليه » مجرور ، وبسّوا على هذا عدم صحة المنصوب

(١) لا يقال فى هذا النوع : إن فعله متعد فى أصله ؛ فكيف يصح تحويله إلى صفة مشبهة ،
وهى لا تصاغ إلا من الثلاثى اللازم كما سبق ؟

فقد أجابوا أن المراد بالزوم إما الزوم : « الأصل » (بأن يكون الفعل موضوعاً فى أصله لازماً)
وإما اللزوم : « التزيل ، أو : الحكى » (بأن يحذف مفعول الفعل المتعدى حذفاً غالباً فى بعض
حالاته كالتى هنا) وإما اللزوم : « التحويل » (بأن يكون الفعل متعدياً ولكنه يحول إلى صيغة
« فَعَلَّ » - بضم العين ، وهى صيغة لازمة - ؛ لفرض معين ، كالمسح ، أو الذم) ونتيجة الثلاثة واحدة ؛
هى أن التعدى غير معتبر هنا . فلا تنصب الصفة المشبهة بالمفعول به الأصل كما ينصبه فعلها حين
تكون منقولة عن اسم الفاعل ، ولكنها قد تنصب على « أنه شبيه بالمفعول به » ، وليس مفعولاً به -

(كما سبق الإيضاح فى هامش ص ٢٤٢ ، وستجىء إشارة هنا ، وفى رقم ٤ من هامش ص ٣٠٦)

(٢) انظر رقم ٣ و ٤ من ص ٣١٤ .

.

الآخَر معه ؛ لئلا يزيد منصوب الصفة المشبهة على واحد إذا كان شبيهاً بالمفعول به .

قال « الصبيان » في هذا الموضع^(١) : لا داعي للأخذ بالوهم السابق ، ولا بما يترتب عليه ، فالصحيح عنده في هذه الصورة وأشباهاها جواز الإضافة إلى المرفوع مع ذكر المنصوب الواحد بعده ، والذي يعرّب « شبيهاً بالمفعول به » وفي رأيه تيسير ، واستبعاد لشرط أن يكون الفعل محذوف المفعول به — كما اشترطه بعضهم — .

ثالثها : نوع مأخوذ من فعل متعدّد لمفعولين ، أو ثلاثة : نحو : (أنا ظانٌ رفيقاً قادماً ، ومُخبِّراً الأصدقاء السرورَ شاملاً بقدمه) . ولا يكاد يوجد كبير خلاف في منع انتقال هذا النوع إلى معنى الصفة المشبهة من طريق إضافته لفاعله ؛ لأن الوصف ينصب مفعولين أو أكثر كفعله ، ومنصوب الصفة المشبهة لا يزيد على واحد على الوجه الذي أوضحناه في النوع السالف . . . هذا ، ولأكثر النحاة فلسفة خيالية فيما تقدم ؛ فهم يقولون^(٢) : إن إضافة اسم الفاعل إلى مرفوعه تتم على الصورة السابقة في ثلاث مراحل مرتبة^(٣) :

أولها : تحويل الإسناد عن المرفوع إلى ضمير الموصوف .

وثانيها : نصب المرفوع بعد ذلك على التشبيه بالمفعول به .

وثالثها : جره على الإضافة .

ففي مثل : الطبيب رائف القلب ، يكون الأصل : الطبيب رائف قلبه ؛ — برفع كلمة : « قلب » — ثم يتحول الإسناد عن المرفوع السببي ، وينتقل إلى الضمير المضاف إليه ؛ وهو : « الهاء » ويستتر هذا الضمير في الوصف : « رائف » ، ويعوّض منه « أل » في رأى الكوفيين^(٤) ، وينصب المرفوع الذي تحول عنه الإسناد ؛ لأنه صار بعد تحويل الإسناد عنه أشبه بالفضلة ؛

(١) آخر باب : إعمال اسم الفاعل .

(٢) كما سيجيء في « ب » ص ٣١٥ في الصفة المشبهة .

(٣) والضمير في هذه المراحل قد يشابه الصورة الآتية في ص ٣١٠ ، وقد يمتنع بفعل هذه المراحل ، طبقاً لما سيجيء في ص ٣٠٥ .

(٤) كما سلف في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ وكما يجيء ، في رقم ٤ من هامش ص ٢٧٧ .

بسبب استغناء الوصف عنه بضمير الموصوف ؛ فينصب مثلها ، ويصير : « الطبيب رائف القلب » . ثم يجر بالإضافة ؛ فراراً من القبح البادى فى إجراء الوصف اللازم أو ما يشبهه مجرى المتعدى . (والمراد بما يشبهه ^(١)) : الوصف المتعدى للمفعول واحد ، ومفعوله محذوف) . فيصير : « الطبيب رائف القلب » .

ويقولون فى تعليل هذه المراحل الثلاث ^(٢) المستخيلة : إنه لا يصح إضافة الوصف لمرفوعه مباشرة ؛ لأنه عينه فى المعنى ؛ فيلزم إضافة الشيء إلى نفسه ^(٣) ، ولا يصح حذفه لعدم الاستغناء عنه ، فلم يبق طريق إلى إضافته لمرفوعه إلا ذلك الطريق الذى وضحنه مراحلنا . ويستدلون على الإضافة بكثير من الأمثلة المأثورة تؤيد ^(٤) رأيهم .

وكل هذا كلام افتراضى ؛ لا تعرفه طوائف العرب ؛ أصحاب اللغة ، وورجعها الأول الصحيح . فإغفاله خير . ولن يترتب عليه ضرر .

هـ - لا تجيء « صيغ المبالغة » إلا من مصدر فعل قابل لازيادة ، فلا يقال : مَوَات ولا قَتَالَ ؛ فى شخص مات أو قُتِل ، إذ لا تفاوت فى الموت والقتل .

و - سيجىء ^(٥) أنه كثُر فى الأساليب الفصيحة المسموعة استعمال صيغة : « فَعَال » للدلالة على « النسب » - بدلاً من يائه - وكثر هذا فى الحرف ؛ فقالوا : حدّاد لمن حرفته « الحدادة » ، ونجّار لمن حرفته « النجارة » . . وكذا : لبّان ، وبقال ، وعطّار . ونحوها من كل منسوب إلى صناعة . والأحسن الأخذ بالرأى القائل بقياس هذا فى النسب إلى الحرف ، لأن الكثرة الواردة منه تكفى للقياس عليه .

(١) انظر هامش ص ٢٦٧ .

(٢) أشرنا فى آخر الهامش السالف إلى أن بعض هذه المراحل قد يتمتع ؛ طبقاً لما سيجىء . ص ٣٠٥ .

(٣) وهذه حجة ضعيفة بعد ما تقدم فى ص ٤٠ وما بعدها من جواز هذه الإضافة .

(٤) سنعرض بعضها فى ص ٢٨٥ ونزيد الأمر وضوحاً عند الكلام عليه فى الصفة المشبهة ص ٢٩٤ .

(٥) فى ج ٤ باب : « النسب » م ١٧٩ « هـ » من ص ٦٨٤ .

.....

 وجعلوا من استعمالها في النسب قوله تعالى : (وَمَارِبُّكَ بِظُلَمٍ لِّلْعَبِيدِ) أى : بمنسوب
 إلى الظلم ، وحجتهم أن صيغة « فعَال » هنا لو كانت للمبالغة وليست للنسب لكان
 النفي منصّباً على المبالغة وحدها ؛ فيكون المعنى : وما ربك بكثير الظلم ؛ فالنفي
 هو الكثرة وحدها دون الظلم الذي ليس كثيراً . وهذا معنى فاسد ؛ لأن الله
 لا يظلم مطلقاً ، لا كثيراً ولا قليلاً .

المسألة ١٠٣ :

اسم المفعول .

تعريفه :

اسم مشتق^(١) ، يدل على معنى مجرد ، غير دائم^(٢) ، وعلى الذى وقع عليه هذا المعنى . فلا بد أن يدل على الأمرين معاً^(٣) ، (وهما : المعنى المجرد ، وصاحبه الذى وقع عليه) . مثل كلمة : « محفوظ » ، و : « مصروع » فى قولهم : العادل محفوظ برعاية ربه ، والباغى مصروع بجناية بغيه . « فمحفوظ » تدل على الأمرين ؛ المعنى المجرد ، (أى : الحفظ) والذات التى وقع عليها الحفظ وكذلك « مصروع » تدل على الأمرين أيضاً ؛ المعنى المجرد ؛ (أى : الصرع) ، والذات التى وقع عليها . ومثل هذا يقال فى كلمة : « منسوب » من قول الشاعر :

لا تَلْمُ المرءَ على فعلِهِ وَأَنْتَ منسوبٌ إلى مثله^(٤) . . .
وهكذا . . .

وذلاته على الأمرين السالفين مقصورة على الحدوث - أى على : الحال - فهى لا تمتد إلى الماضى ، ولا إلى المستقبل ، ولا تفيد الدوام إلا بقريئة فى كل صورة .
صوغه^(٥) :

١ - يصاغ قياساً على وزن : « مفعول » من مصدر الماضى الثلاثى

(١) فى ص ١٨٢ بيان مفصل عن أصل المشتقات .

(٢) أى : لا يلزم صاحبه . وسيجى أيضاً أن هذا المعنى المجرد يفيد الحدوث ، فلا يمتد إلى الماضى ولا إلى المستقبل إلا بقريئة .

(٣) يمكن استجلاء المراد من بعض ألفاظ التعريف على ضوء ما سبق فى تعريف اسم الفاعل ص ٢٣٨ .

(٤) وبعد هذا البيت :

من ذمَّ شيئاً وأتى مثلهُ فإنما يُزرى على عقلِهِ

(٥) أشرنا فى رقم ٣ من هامش ص ٢٣٩ إلى أن ابن مالك وضع فى « ألفيته » بابين ؛ أحدهما =

المتصرف^(١)؛ مثل : « محفوظ » من « حَفِظَ » و « مصروع » من « صَرَعَ »
و « منسوب » من « نَسَبَ » ، و « معلوم » من « عَلِمَ » ، و « مجهول » من « جَهِلَ »
و « معروف » ، من « عَرَفَ » . ومثل « محمود » ، من حميد في قول الشاعر :

لعلَّ عَتَبَكَ محمودٌ عواقبُهُ وربما صَحَّتْ الأجسامُ بالعللِ
ب - ويصاغ قياساً من مصدر الماضي غير الثلاثي بالإتيان بمضارعه
وقلب أوله ميماً مضمومة مع فتح ما قبل الآخر .

للوصول إلى اسم المفعول من : « سَارَعَ » نجى بمضارعه : « يسارع » ،
ثم ندخل عليه التغيير السالف ، فيكون اسم المفعول : « مُسَارِع » ، نحو :
لتخير مسارعٌ إليك . واسم المفعول من : « هَدَمَ » هو : مهْدَمٌ ، نحو :
عرخُ البغي مهْدَمٌ ، واسم المفعول من : « أَوْجَعَ » هو : مُوجَعٌ ، كما في قول
الشاعر^(٢) الكهل الوفي :

خُلِقْتُ أُلُوفًا ، لو رجعتَ إلى الصُّبا لفارقتُ شيبى موجع القلب ، باكيا
وهكذا : استخرج - يستخرج - مستخرج ، نحو : المستخرج من
النَّفْط في بلادنا يكفي حاجتنا . ومثل : « مِنْزَهَةٌ ، و « كَرَمَةٌ » في قول أبي تمام
في وصف قصائده :

مِنْزَهَةٌ عَنِ السَّرِقِ المُوَرَّى^(٣) مُكْرَمَةٌ عَنِ المعْنَى المَعَادِ

* * *

= عنوانه : « إعمال اسم الفاعل » ولكنه ضمنه إعمال اسم الفاعل واسم المفعول معاً ، فهو باب يتناول
على إعمالهما . وقد مر شرح أبياته في مناسباتها الخاصة ابتداء من ص ٢٤٩ ، وثانيتها عنوانه :
« أبنية أسماء الفاعلين ، والمفعولين ، والصفات المشبهة بها » وسيجيء شرح أبياته في مناسباتها ابتداء من
هامش ص ٢٨٩ . وفصل بين البابين بآخر عنوانه : « أبنية المصادر » وقد ارتضى هذا الترتيب لحكمة
وأما ، قد تكون - كما يقول بعض النحاة - الرغبة في مولاة مواضع الإعمال للمصدر والمشتقات ،
حتى إذا فرغ من الكلام على شؤون الإعمال لهذه العوامل الاسمية التي بينها كثير من الترابط والتشابه -
انتقل إلى الكلام على أبنيتها وصيغها . وقد سبق أن أشرنا أننا لا نرتضى هذا الترتيب ؛ لما فيه من توزيع
الأحكام والصيغ على بابين مستقلين ومتفصلين عن الإعمال ؛ إذ الأنسب تعريف كل عامل مع ذكر
صيغته وأحكامه في باب واحد .

(١) أما الماضي الجامد فليس له مصدر ، ولا اسم مفعول ، ولا اسم فاعل ، ولا صفة مشبهة ،
ولا غيرها من المشتقات . . . (٢) هو : المتنبي .

(٣) السرق المورى : السرقه التي يخفيها السارق .

زيادة وتفصيل :

١- فتح الحرف الذى قبل الآخر قد يكون ظاهراً كالأمثلة السالفة ، وقد يكون مقدراً؛ مثل : مُسْتَعَانَ- مُنْقَاد . أصلهما : مُسْتَعَوْنَ - مُنْقَوَد .. قلبت الواو ألفاً بعد فتح ما قبلها بنقل حركتها إليه ؛ تطبيقاً لقاعدة صرفية^(١) .
ب - إذا كان اسم المفعول مؤنثاً وجب زيادة تاء التأنيث فى آخره ؛ كما فى آخر : (مُنْزَهَةٌ ، ومُكْرَمَةٌ) من بيت أبى تمام السابق .

ح - قد وردت صيغ سماعية تؤدى ما يؤديه اسم المفعول المصنوع من مصدر الثلاثى وليست على وزنه ؛ فهى نائية عن صيغة « مفعول » فى الدلالة على الذات والمعنى . ومن تلك الصيغ : « فَعِيل » ، بمعنى : مفعول ؛ نحو : كَحِيل : بمعنى : مكحول . و « فِعْل » ، كذَبَح ؛ بمعنى مذبح . و « فَعَلَّ » كَفَتَنَص ، بمعنى : مقنوص . و « فُعِلَ » ؛ كغُرِفَ ، ومُضْعِفَ ، وأَكَلَ ، بمعنى : مغروقة ، ومضوغة ومأكولة . . . وهذه الصيغ وأمثالها غير مقبسة . لكن هل تعمل عمل اسم المفعول كما تؤدى معناه ؟ الأحسن الأخذ بالرأى القائل : إنها تعمل عمله - بشروطه - فترفع نائب فاعل حتماً ، وقد تنصب مفعولاً به - أو أكثر - إن كان فعلها المبني للمجهول كذلك ؛ فحكمها حكم المبني للمجهول . وفى هذا الرأى توسعة لمن شاء اتباعه^(٢) .

غير أن حكمًا سيجيء^(٣) لا يسرى عليها ؛ هو أن اسم المفعول يجوز أن يضاف لمرفوعه بشرط أن تكون صيغته أصلية^(٤) ، فإن كانت نائية عن

(١) فى باب : « الإعلال والإبدال » - ج ٤ - .

(٢) سيجيء كلام ابن مالك على صياغة : « اسم المفعول » ، وعلى صيغة : « فَعِيل » فى الباب الذى خصه بأبنية المشتقات - هامش ص ٢٨٩ وما بعدها - .

(٣) فى ص ٢٧٥ .

(٤) هى التى تكون من الثلاثى على وزن : « مفعول » ، ومن غير الثلاثى على وزن المضارع بعد إبدال أوله ميماً مضمومة مع فتح الحرف الذى قبل الآخر . أما غير الأصلية . فقد أوضحناها فى « ج » هنا .

.

الأصلية - كفَعِيل ؛ بمعنى : مفعول ، وغيرها مما سبق - فلا تضاف
 لمرفوعها .

د - سبقت الإشارة^(١) إلى أنه وردت صيغ مسموعة على وزن :
 « مفعول » ، ولكن معناها هو معنى المصدر ؛ فهي في حقيقة أمرها مصادر
 سماعية على وزن المفعول ، منها : معقول - مجلود - مفتون - ميسور - معسور .
 أى : عقل - جلد - فتنة ؛ بمعنى : خبيرة - يُسر (سهل) - عُسُر
 (ضد : سهل) ومن كلامهم « فلان لا معقول له ولا مجلود » . وقد سبق شرح هذا
 وشرح بقية الكلمات الأخرى في ص ١٩٨ وأوضحنا رأى سيبويه هناك .

(١) في ص ١٩٨ تحت عنوان : ملاحظة .

إعماله :

يجرى على اسم المفعول كل ما يجرى على اسم الفاعل من الاقتران « بآل » وعدم الاقتران بها ، ومن الشروط اللازمة لعمله

فإن كان مقرونًا « بآل » عمِلَ مطلقًا ، (بغير اشتراط شيء) . وإن لم يكن مقترنًا بها وجب تحقق كل الشروط التي سبقت لإعمال اسم الفاعل^(١) ، وفي مقدمتها : الاعتماد ، وعدم التصغير ، وأن يكون بمعنى الحال ، أو الاستقبال أو الاستمرار التجددى فإذا استوفى شروط الإعمال كلها عمِلَ مايعمله مضارعه المبني للمجهول ؛ فيحتاج - وجوبًا - لنائب فاعل مثله : ويكتفى بنائب فاعله إن كان مضارعه مكتملًا بنائب الفاعل^(٢) . نحو : يُسَاعِدُ القوى زميله - يُسَاعِدُ الزميلُ - هل القوىُ مساعِدُ زميله ؟ ولما سبق يمكن أن يحلَّ محلَّ اسم المفعول مضارع بمعناه مبني للمجهول .

وإذا كان مضارعه ناصبًا مفعولين ثم حذف فاعله فإن أحد المفعولين ينوب عنه ، ويصير مرفوعًا مثله ، ويبقى المفعول الآخر على حاله منصوبًا ، وكذلك اسم المفعول ؛ نحو : يَظُنُّ الرجلُ العومَ نافعًا - يَظُنُّ العومُ نافعًا - هل المظنونُ العومُ نافعًا ؟ . . .

وإن كان فعله متعديًا لثلاثة ثم حذف فاعله وناب أحد المفعولات عنه صار مرفوعًا مثله . ووجب نصب ما عداه ؛ وكذلك الشأن في اسم المفعول ؛ نحو : تُخَبِّرُ المُرَاصِدُ الطيَّارينَ الجوَّ هادئًا - يُخَبِّرُ الطيَّارونَ الجوَّ هادئًا - هل المخبِّرُ الطيَّارونَ الجوَّ هادئًا ؟ .

ويجوز - بقليل - في الأحوال السابقة كلها أن يضاف اسم المفعول إلى نائب فاعله الظاهر ؛ بشرط أن تكون صيغة اسم المفعول أصلية^(٣) فيصير نائب الفاعل مضافًا إليه ، مجرور اللفظ ، ولكنه مرفوع الحل ؛ مراعاة

(١) ص ٢٤٦ وما بعدها ، وفي « ب » من ص ٢٥٤ .

(٢) وهذا يتحقق حين يكون المضارع من الأفعال التي تنصب مفعولاً به واحداً قبل بنائه للمجهول ، وقد حذف فاعله ، وقام المفعول به الواحد مقامه ، وناب عنه ؛ وصار مرفوعاً ، ولم يبق ، في الكلام مفعول به آخر .

(٣) شرحنا الأصلية في رقم ٤ من هامش ص ٢٧٣ ، وغير الأصلية في « ح » من تلك للصفحة .

لأصله^(١) ؛ نحو : إن القوى مُسَاعِدُ الزميل ، هل يَشِيعُ مَظْنُونُ العومِ نافعاً ؟
 أمْخَبِرُ الطيارين الجوَّ هادئاً ؟ . فإن لم تكن صيغته أصلية امتنع أن يضاف
 لمرفوعه . وإذا جاء تابع لهذا المضاف إليه جاز جره مراعاة للفظ المضاف
 إليه ، أو رفعه ؛ مراعاة لأصله ؛ نحو : إن القوى مُسَاعِدُ الزميلِ والزميعةُ - هل
 يشيعُ مَظْنُونُ العومِ البارِعُ نافعاً ؟ - أسْخَبِرُ الطيارين المسافرين - أو المسافرون -
 الجوَّ هادئاً ؟ يجر التابع أو رفعه في كل ذلك وأشباهه .

ما سبق حين يكون مضارعه متعدياً . فإن كان لازماً قد حذف فاعله وثاب
 عنه شيء آخر غير المفعول به ؛ كالظرف ، أو الجار مع مجروره أو المصدر ...
 فإن اسم المفعول يكون لازماً أيضاً ، ويحتاج لنائب فاعل من هذه الأشياء
 الصالحة للنياحة عند عدم وجود المفعول به ، نحو : (اعتكف المريض في الغرفة ،
 يُعْتَكِفُ في الغرفة ، هل الغرفة مُعْتَكَفٌ فيها ؟) - (اتسع المجالُ أمام
 المخلص - يُتَسَّعُ أمامَ المخلص - هل المُتَسَّعُ أمامَ المخلص)^(٢)
 هذا ، واسم المفعول حين يضاف بقله إلى مرفوعه - نحو : الغرفة مفتوحةُ
 النوافذِ ، وقول المتنبي - وقد سبق - :

خُلِيتْ أَلُوفاً ، لو رجعت إلى الصُّبا لفارقت شيبى مُوجِعَ القلبِ ، باكيا
 والأصل : مفتوحةُ نوافذُها - موجِعُ قلبي) - يظل مع إضافته لمرفوعه دالاً

(١) هذا الحكم مأخوذ من كلام ابن مالك الآتي : حيث يقول :

وكلُّ ما قُرِّرَ لِاسْمٍ فاعِلٍ يُعْطَى اسْمَ مَفْعُولٍ بِلا تَفاضُلٍ

(٢) فيما سبق من الكلام على اسم المفعول ، وأنه يجري عليه ما يجري على اسم الفاعل ، وأنه
 كالمضارع المبني للمجهول في أنه يرفع نائب فاعل ، لا فاعلاً - يقول ابن مالك في الباب الذي عنوانه :
 « إعمال اسم الفاعل » وضمنه إعمال اسم المفعول -

وكلُّ ما قُرِّرَ لِاسْمٍ فاعِلٍ يُعْطَى اسمَ مَفْعُولٍ بِلا تَفاضُلٍ
 فهو كَفِعَلٍ صِيغَ لِلْمَفْعُولِ فِي معناه ؛ كَالْمُعْطَى كَفافاً يَكْتَفَى
 (بلا تفاضل ، أى : بلا زيادة في أحدهما على الآخر) . وإعراب المعطى كفافاً يكتفى :

« المعطى » : مبتدأ ، « أل » فيه موصولة يعود عليها الضمير الذي في كلمة : « معطى » ، وهذا
 للضمير نائب الفاعل ، وأصله المفعول الأول لكلمة : « معطى » ، « كفافاً » : المفعول الثاني .
 « يكتفى » هذه الجملة المضارعية خبر المبتدأ .

على الحدوث ، كما كان قبل الإضافة إليه ^(١) . إلا إن قامت قرينة تدل على أن المراد منه الثبوت والملازمة الدائمة ، فيصير صفة مشبهة ؛ لما أوضحناه ^(٢) من أن الأصل في اسم المفعول أن يدل على معنى حادث غير دائم الملازمة لصاحبه (فهو - عند عدم القرينة - يدل على مجرد الحدوث الذي لا يشمل الماضي ولا المستقبل ولا يفيد الاستمرار .) فإن قُصِدَ به النَّص على الثبوت والدوام - وقامت قرينة تدل على هذا - صار صفة مشبهة ^(٣) ؛ فيسمى باسمها ، ويخضع لأحكامها ؛ بالرغم من بقاءه على صورته الأصلية ؛ إذ لا يصح تغيير صورته بسبب انتقال معناه من الحدوث إلى الدوام والاستمرار .

والكثير الغالب في اسم المفعول عدم إضافته إلى مرفوعه إلا إذا أريد تحويله إلى الصفة المشبهة ، ليدل مثلها على معنى ثابت دائم ، لاحادث ؛ وبشرط وجود القرينة التي تدل على ثبوته ودوامه . وإذا صار صفة مشبهة جاز في السببي ^(٤) الواقع بعده الرفع ، على اعتباره « فاعلاً » ولا يصح اعتباره نائب فاعل للصفة المشبهة ^(٥) التي جاءت على صورة اسم المفعول . ويجوز فيه النصب على اعتباره « شبيهاً بالمفعول به » إن كان معرفة ، و« تمييزاً » أو : « شبيهاً بالمفعول به » إن كان نكرة ، ويجوز فيه الجر على اعتباره مضافاً إليه ، ففي مثل : أنت مرموق المكانة دائماً ، مسموع الكلمة ؛ مُحَصَّنٌ خَلَقًا ، مكْمَلٌ علمًا - يجوز في الكلمات : ^(٥) (المكانة - الكلمة - خَلَقًا - علمًا) الرفع على اعتبارها فاعلاً

(١) وهذه الإضافة مع الدلالة على الحدوث قليلة - كما سيجيء - وهي مع قلتها جائزة . لكنها لا تسائر الكثير من الأساليب الفصيحة المأثورة .

(٢) في ص ٢٧١ .

(٣) يحسن الاستئناس فيما يأتي بنظيره السابق في اسم الفاعل في « ج » من ص ٢٦٤ فكلاهما موضح للاختلاف .

(٤) أوضحنا السببي تفصيلاً في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ ثم في ص ٣١٠ وملخصه : أنه الذي ليس أجنبياً من الموصوف : فيشمل ما يحوى ضمير الموصوف لفظاً ؛ نحو : الولد مسموعة كلمته . أو تقديره ، نحو : الولد مسموع الكلمة ، أى : مسموع للكلمة منه . وقيل إن « أل » خلف من الضمير ؛ تبعاً لرأى الكوئين الذي سبقت الإشارة إليه في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ وفي ص ٢٦٨ .

(٥) لأن الصفة المشبهة لا ترفع نائب فاعل مطلقاً .

للصفة المشبهة ، ويجوز فيها الجر ؛ لاعتبارها مضافاً إليه ، ويجوز فيها النصب ؛ إما على التشبيه بالمفعول به إن كانت معرفة ، وإما على التمييز أو على التشبيه بالمفعول به إن كانت نكرة . ولا مناص من قيام قرينة تدل على أن المراد من الصيغة هو الصفة المشبهة ، وليس اسم المفعول .

أما إذا أضيف اسم المفعول لمرفوعه بغير إرادة تحوياله إلى الصفة المشبهة وبغير القرينة الدالة على إفادة الدوام - وهذه الإضافة قليلة جائزة ، كما سبق - فإنه يظل محتفظاً باسمه وبكل الأحكام الخاصة به ، وقد عرفناها .

ولابد في اسم المفعول الذي يصير صفة مشبهة من أن يظل على صيغته الأصلية التي أوضحناها ، لا الصيغة التي تنوب عنها ، وأن يكون فعله - في أصله - متعدياً لمفعول واحد ؛ ليكون هذا المفعول الواحد هو السببي الذي يصح في إعرابه الأوجه الثلاثة السالفة ؛ كالمثال السابق ؛ وكنقولهم : لا ينقضى يوم لا أراك فيه إلا علمت أنه مبتورُ القدر ، منحوسُ الحظ ^(١) .

فإن كان فعله لازماً لم يصلح أن يصاغ منه اسم المفعول الصالح للانتقال إلى الصفة المشبهة . وكذلك إن كان فعله متعدياً لأكثر من واحد ؛ فإنه - في الرأي الشائع - لا يصلح ^(٢) ؛ سواء أذكر مع السببي مفعول آخر أم لم يذكر .

ومن الأمثلة لاسم المفعول المراد منه الصفة المشبهة ^(٣) ماورد عنهم في رفع السببي على الفاعلية ، وهو :

بشوبٍ ، ودينارٍ ، وشاةٍ ، ودرهمٍ فهل أنت مرفوعٌ بما هاهنا رأسٌ ^(٤) ؟

(١) نَحَسَّ السعد الحظ . جفاه وتركه .

(٢) حجة المانعين هو ما سبق مفصلاً في ص ٢٦٧ وفيها الرد عليهم ، ومنه يفهم أنه لا مانع أن يكون الفعل متعدياً لاثنتين فقط ، يكون أحدهما السببي المجرور ، ويبقى الآخر منصوباً ؛ على اعتباره شبيهاً بالمفعول به ، لا مفعولاً به أصيلاً .

(٣) إذ المقصود إفادة الثبوت .

(٤) ورد البيت بهذا النص في بابي صوغ : « اسم المفعول » والصفة المشبهة « ببعض المراجع النحوية » (كالصريح والمجمع . . .) ولكنه ورد بنص آخر في الجزء الأول من كتاب : « معاني القرآن » للفراء - سورة البقرة ص ٥٢ ، قال :

فكلمة : « رأس » فاعل للصفة المشبهة التي هي كلمة : مرفوع .
وفى نصبه على التشبيه بالمفعول به :

لو صُنْتَ طَرْفَكَ لَمْ تُرَعْ بِصَفَاتِهَا بَدَتْ مَجْلُوءَةً وَجَنَاتِهَا^(١)
وفى جرة :

تَمَنَّى لِقَائِي الْجَوْنَ^(٢) مغرورٌ نفسه فلما رَأَى ارْتَاعَ ثُمَّتْ^(٣) عَرَدًا^(٤)
وهكذا^(٥) .

* * *

= فَأَبْلَغُ أَبَا يَحْيَى إِذَا مَا لَقِيْتَهُ على العيس في آباطها عَرَقَ يَبْسُ
بِأَنَّ السَّلَامِيَّ الَّذِي بَضْرِيَّةً أمير الحمى قد باع حتى بنى عيس
بشوب ، ودينار ، وشاة ، ودرهم فهل هو مرفوع بما ها هنا رأس ؟
العرق العيس : البغاف - السلمي : رجل منسوب إلى موضع بنجد ، يقال له : سلام - ضرية :
قرية نجدية في طريق القادمين من البصرة إلى مكة . - وكلمة : « عيس » مجرورة ، مع أن السين في
آخر أبيات القصيدة كلها مرفوعة . وهذه المخالفة في الشعر تسمى - الإقواء .
(١) الدليل على النصب أن الأنصب أن تكون منصوبة بالكسرة لتساير آخر الشطر الأول الذي
وقعت فيه كلمة : « صفاتها » مجرورة بالكسرة .

(٢) من معاني « الجون » في اللغة : الأبيض أو الأسود ، وهو هنا : اسم رجل .

(٣) بمعنى : « ثم » حرف عطف ، والتاء للتأنيث .

(٤) فر هربا .

(٥) فيما سبق من إضافة اسم المفعول لمرفوعه يقول ابن مالك من غير تفصيل :

وقد يضافُ ذَا إِلَى اسْمٍ مُرْتَفِعٍ مَعْنَى : كَمَحْمُودِ الْمَقَاصِدِ الْوَرَعِ
يشير بكلمة « ذَا » إلى اسم المفعول لاتجاه الكلام السابق إليه . وأصل مثال الناظم الورع
محمود مقاصد ، لحقه ما ذكرناه في الزيادة التالية .

زيادة وتفصيل :

يضاف اسم المفعول إلى مرفوعه بالشروط والتفصيلات التي سلفت^(١) ولكن بالطريقة التي ارتضوها ، وقد شرحناها^(٢) وافية في إضافة اسم الفاعل لمرفوعه ؛ أى : بعد تحويل الإسناد عن السببي إلى ضمير الموصوف ، ثم نصب السببي على التشبيه بالمفعول به ، ثم جره على الإضافة بعد ذلك ، كمثال الناظم ، وهو : محمود المقاصد الورع . فأصله : الورعُ محمودة مقاصده . فكلمة : « مقاصده » مرفوعة على النيابة « لمحمودة » ثم صار : الورعُ محمودٌ « المقاصد » بالنصب ؛ ثم صار : . . . محمود المقاصد ، بالجر .

والسبب عندهم : ما تقدم^(٣) من أن الوصف هو عين مرفوعه في المعنى ؛ فلو أضيف إليه من غير تحويل للزم إضافة الشيء إلى نفسه من غير مسوغ — وهى — فى الأغلب — غير صحيحة . ولا يصح حذفه ؛ لعدم الاستغناء عنه . فلا طريق إلى إضافته إلا بتحويل الإسناد عنه إلى ضمير يعود إلى الموصوف ثم يُنصب السببي لصيرورته فضلة حينئذ ، بسبب استغناء الوصف بالضمير ، ثم يجر السببي ، فراراً من قبح لإجراء وصف المتعدى لواحد مجرى وصف المتعدى لاثنتين^(٤) . . .

وقد قلنا^(٥) إن هذه الأمور الثلاثة بترتيبها السابق فلسفة خيالية يرددها كثير من النحاة ؛ (كصاحب التصريح ، وعنه أخذ الصبان) . ولا شيء منها يعرفه العربى الأصيل ، فليس فى إهمالها إساءة .

* * *

(١) فى ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٢ ، ٢) ص ٢٦٨ وما يليها .

(٣) من المفرد الرجوع إلى ص ٢٦٧ وما يليها .

(٤) فى ص ٢٦٩ .

المسألة ١٠٤ :

للصفة المشبهة باسم الفاعل المتعدّي لواحد^(١)

تعريفها :

نسوق الأمثلة التالية لكشف دلالتها ، وإيضاح مافى معناها من دِقَّة :
سئل أحد الأدباء القُدَامَى أن يصف : « أبا نُؤَاس » ؛ فكان مما قال :
« عرفته جميلَ الصورةِ ، أبيضَ اللونِ ، حسنَ العينينِ والمُضْحَكِ ،
حلَّوَ الابتسامةِ ، مَسْنُونُ الوجهِ^(٢) ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير ،
جيدَ البيان ، عذبَ الألفاظ » .

[في هذا الوصف كثير مما يسمى : « صفة مشبهة » ؛ مثل : جميل -
أبيض - حسن - حلو فما الذى تدل عليه كل كلمة من هذه
الكلمات ، ونظائرها ؟

لنأخذ مثلا كلمة : « جميل » فإنها اسم مشتق ، يدُل على أربعة أمور
مجتمعة :

أولها - المعنى المجرد الذى يَسَمَّى : « الوصف » ، أو : « الصفة » . وهو
هنا : الجمال :

ثانيها - الشخص ، أو غيره من الأشياء التى لا يقوم المعنى المجرد إلا بها ،
ولا يتحقق وجوده إلا فيها . وإن شئت فقل : هو الموصوف الذى يتصف بهذا
الوصف ، (الصفة) . . . ، ولا يمكن أن يوجد الوصف مستقلا بنفسه بغير
موصوفه :

والمراد به فى المثال : الشخص الذى ننسب له الجمال ، ونصفه به .

(١) فى ص ٢٩٤ و ٣٠٠ وهما شهما ، سبب هذه التسمية . - وفى ص ١٨٢ بيان مفصل
عن أصل المشتقات - .

(٢) وجه مسنون : أملس جميل .

ثالثها - ثبوت هذا المعنى المجرد (الوصف ، أو : الصفة) لصاحبه في كل الأزمنة ثبوتاً عاماً ؛ أى : الاعتراف بتحقيقه ووقوعه شاملاً الأزمنة الثلاثة المختلفة ؛ فلا يختص ببعض منها دون آخر ، بمعنى أنه لا يقتصر على الماضي وحده ، ولا على الحال وحده ، ولا على المستقبل كذلك ، ولا يقتصر على زمَـنَين دون انضمام الثالث إليهما ؛ فلا بد أن يشمل الأزمنة الثلاثة ؛ بأن يصاحب موصوفه فيها . فوصف شخص بالجمال ، على الوجه الوارد في العبارة السابقة ، معناه الاعتراف بالجمال له ، وأن هذا الجمال ثابت متحقق في ماضيه ، وفي حاضره ، وفي مستقبله ، غير مقتصر على بعض منها (ولهذا نتيجة حتمية تجيء في الأمر الرابع التالى :) .

رابعها - ملازمة ذلك الثبوت المعنوى العام ، للموصوف ودوامه ؛ لأنه - كما أوضحناه - يقتضى أن يكون المعنى المجرد ، الثابت وقوعه وتحققه ، ليس أمراً حادثاً الآن ، ولا طارئاً ينقضى بعد زمن قصير . وإنما هو أمر دائم مُلَازِمٌ صاحبه (الموصوف) طول حياته ، أو أطول مدة فيها حتى يكاد يكون بمنزلة الدائم^(١) ، إذ ليس بمعتقول أن يصحبه في ماضيه وحاضره ومستقبله من غير أن يكون ملازماً له ، أو كالمُلازم^(٢) ؛ فالجمال - مثلاً - لا يفارق صاحبه ، وإن فارق^(٣) فزمن المفارقة أقصر من زمن الملازمة الطويلة التي هي بالدوام أشبه . ومن ثمّ كان هذا الأمر الرابع نتيجة للثالث^(٤) .

(١) ويشبهها في هذا الدوام والاستمرار « أفعل التفضيل » - كما في رقم ٢ من هامش ص ٢٥١ وكما سيبيء في بابه . ص ٣٩٥ - .

(٢) يدخل في حكم الملازمة بعض الأوصاف التي لا تفارق صاحبها ، ولكن آثارها لا تظهر إلا في مناسبات خاصة بها ؛ ففلها يطرأ ، ويزول ، ثم يتجدد . . . وهكذا ، مما يسمى : « الاستمرار المتجدد ، أو : الاستمرار التجديدي » . ومن هذا النوع كثير من العادات والسجايا ؛ كالفرح ، والغضب ، والشع ، نحو : فلان فرح ، أو : غضوب ، أو شعبان . . . فهذه صفات تظهر في مناسباتها - كما سيبيء في الأمر الأول من ص ٢٨٥ وفي الثالث من ص ٣٠٧ .

(٣) تكون هذه المفارقة لسبب طارئ . وقت - في الغالب - كمرض ، أو خوف ، أو شيخوخة . . .

(٤) ولا بد من النص على هذا الأمر الرابع ؛ إذ لا يلزم من حصول الأمر الثالث وتحققه أنه يلزم صاحبه ملازمة دائمة ؛ فن الممكن حصول الأمر في الماضي وفي الحال وفي المستقبل من غير أن يلزم صاحبه الملازمة المستمرة - أو شبهها - في كل حالة ؛ ومن الممكن أن يقع فيها كلها مجتمعة من غير أن يستمر في المستقبل كذلك .

فكلمة : « جميل » ، في الكلام السالف - وأشباهه - تدلّ على :
 (١) معنى مجرد (أى : على وصف ، أو : صفة) ؛ هو : الجمال
 (٢) وعلى صاحبه الموصوف به .
 (٣) وعلى ثبوت ذلك المعنى له وتحققه ثبوتاً زمنياً عاماً . (يشمل الماضي والحاضر ، والمستقبل) .

(٤) وعلى دوام الملازمة ، أو ما يشبه الدوام^(١) .
 والناطق بتلك الكلمة إنما يريد الأمور الأربعة مجتمعة ، إن كان خبيراً باللغة ،
 وبدلالة الألفاظ فيها .

ومثل هذا يقال في كلمة : « أبيض » ؛ فهي اسم مشتق يدلّ على ما يأتي :
 (١) معنى مجرد (أى : وصف ، أو : صفة) ، هو : البياض .
 (٢) الشيء الذى لا يقوم ولا يتحقق المعنى المجرد لإبوجه فيه (أى : الموصوف
 الذى يراد وصفه بصفة : « البياض ») وهو هنا الشخص الذى نريد أن ننسب
 له تلك الصفة ؛ ونصفه بها .

(٣) أن ذلك المعنى المجرد (الوصف ، أو : الصفة) ، ثابت له متحقق
 في كل الأزمنة ثبوتاً عاماً ؛ فليس خاصاً بزمن من الثلاثة دون غيره ، أو بزمنين
 فالبياض ، يصاحب المتصف به في ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله .
 (٤) أن هذا الثبوت العام يلزم صاحبه ، ولا يكاد يفارقه ، لأن مصاحبته
 إياه في الأزمنة الثلاثة تقتضى أن يكون ملازماً له أو في حكم الملازم ، برغم أنه
 قد يفارقه حيناً .

فالناطق بكلمة : « أبيض » في التركيب السابق - ونظائره - إنما يريد
 بها الدلالة على تلك الأمور الأربعة مجتمعة ، إن كان يفهم أسرار العربية ،
 ويجيد اختيار الألفاظ التى توضح تلك الأسرار .

وما يقال في كلمتي : « جميل » ، و « أبيض » - يقال في : « حسن »
 و « حلّو » ، . . . و . . . وأمثالهما . . .

من كل ما تقدم يتبين المراد من قول النحاة في تعريف الصفة المشبهة

(١) إلا إن وجدت قرينة تمنع الدوام وشبهه ، كما سيجيء في ص ٣٠٧ . - وانظر رقم ١

الأصيلة إنها : (اسم مشتق ؛ يدل على ثبوت صفة لصاحبها ^(١) ثبوتاً عاماً) ^(٢)

أنواعها ، وطريقة صوغ كل نوع :

الصفة المشبهة ثلاثة أنواع قياسية ^(٣) ؛

أولها وأكثرها : « الأصيل » ، وهو المشتق الذى يصاغ أول أمره من مصدر الفعل الثلاثى ، اللازم ، المتصرف ؛ ليدل على ثبوت صفة لصاحبها ثبوتاً عاماً - وقد شرحناه بالأمثلة - ولهذا النوع أوزان وصيغ كثيرة خاصة به ، وسنذكر أشهر القياسى منها

ثانيها : الملحق بالأصيل من غير تأويل ، - ويلى الأول فى الكثرة - وهو : « المشتق الذى يكون على الوزن الخاص باسم الفاعل أو باسم المفعول ^(٤) » ، من غير أن يدل دلالتهما على المعنى الحادث وصاحبه ، وإنما يدل - بقرينة - على أن المعنى ثابت لصاحبه ثبوتاً عاماً . وقد عرفنا طريقة صياغته فى الباب الخاص بكل منهما ^(٥) .

وحكم هذا النوع أنه قياسى ، وأنه بمنزلة الصفة المشبهة ؛ فله اسمها ، ودلالاتها ، وأحكامها المختلفة ، دون أوزانها ؛ لأنه يظل على صيغته الخاصة باسم الفاعل أو اسم المفعول ، ويلزم وزنه السابق ، على الوجه الذى شرحناه فى باب كل منهما ^(٥) .

ثالثها وأقلها : الجامد المؤول بالمشتق ، وهو : « الاسم الجامد الذى يدل دلالة الصفة المشبهة مع قبوله التأويل بالمشتق ^(٦) » .

وحكمه : أنه قياسى يظل على لفظه الجامد القابل للتأويل ، ويؤدى معناها ، ويعمل عملها دون أن تتغير صيغته .

(١) وقد يقتضون فى التعريف على : أنها اسم مشتق يدل على ثبوت صفة لصاحبها . أو : اسم مشتق يدل على الثبوت . ولا بآن بالإيجاز إن كان المراد معه واضحاً - موافقاً ما شرحناه - .

(٢) أى : شاملاً الأزمنة الثلاثة شمولاً مستمراً ثابتاً - كما شرحناه - .

(٣) بيان قياسييتها فى رقم ٢ من هامش ص ٢٩١ .

(٤) سواء أكان فعلهما ثلاثياً أم غير ثلاثى .

(٥ و ٥) فى هامش ص ٢٤٢ وفى « د » من ص ٢٦٤ وفى « د » من ص ٢٦٥ ، ثم فى

ص ٢٧٧ .

(٦) ولذا يصح وقوعه نعتاً كما سيجىء فى ص ٤٦٣ « باب النعت » .

وبالرغم من قياسيته يحسن الإقلال منه قدر الاستطاعة ، وقد يزداد على آخره
ياء مشددة للنسب ، افتقر به . من المشتقات ؛ نحو : تناولنا شرباً عسلاً
طعمه ، أو : تناولنا شرباً عسلياً طعمه . ويجوز في معموله (وهو هنا كلمة :
طعم) ما يجوز في معمول الصفة المشبهة من الرفع ، أو : النصب ، أو : الجر ،
على التفصيل المذكور في إعمالها - وسيأتي (١) - ، فنقول : تناولنا شرباً عسلاً
طعمه ؛ بالرفع - عسلاً طعماً ، بالنصب - عسل طعم ، بالجر بالإضافة .
مع جواز زيادة الياء المشددة في كل حالة ، وعليها تقع علامات الإعراب .
ومن أمثله قول الشاعر يهجو :

فَرَّاشَةُ الْحِلْمِ ، فرعونُ العذاب ، وإن تطلبُ نداه فكلبُ دونه كلبُ
والمراد بفراشة طائش ، وبفرعون أليم ، أو : شديد .
والمعاني الثلاثة على التأويل بالمشتق ، وقول الآخر :

فلولا الله والمهرُ الفسدى لأبْتَ وأنت غريبال الإهاب
والمراد : مُشَقَّب الجلد . وهذا على التأويل بالمشتق أيضاً .

* * *

والآن نعود إلى صياغة النوع الأول الأصيل ، وأوزانه :
لما كانت الصفة المشبهة الأصلية لا تصاغ قياساً إلا من مصدر الفعل
الماضي الثلاثي ، اللازم ، المتصرف تَحَتَّم أن يكون فعلها كسائر
الأفعال الثلاثية . إما مكسور العين (أى : على وزن : « فَعِيل ») ، وهو أكثر
أفعالها المتصرفة التي يقع الاشتقاق من مصدرها ، وإما مضموم العين ، (أى :
على وزن « فَعَّل ») ويلى الأول في كثرة الصياغة من مصدره ، وإما مفتوح
العين ، (أى : على وزن : « فَعَّل ») ، وهو أقل أفعالها ، بل أندرها .
وأوزانها القياسية من هذه الأنواع الثلاثة كثيرة نعرض أشهرها ، وضوابطه فيما يلي :
(١) فإن كان الماضي الثلاثي اللازم على وزن « فَعِيل » - بكسر العين -
وكان دالا على فرح ، أو حزن ، أو أمر من الأمور التي تطرأ وتزول سريعاً ،

ولكنها تتجدد^(١) ، وتتردد على صاحبها كثيراً ، لأنه اعتادها — فالصفة المشبهة على وزن : « فَعَلِلَ » للمذكر ، و« فَعَلِلَ » للمؤنث — ويلاحظ أن هذين الوزنين ليسا مقصورين على الصفة المشبهة من مصدر الفعل « فَعَلِلَ » فقد يكونان من مصدر « فَعَلِلَ » أيضاً ، كما سنعرف — نحو : فَرِحَ فهو فَرِحٌ — طَرِبَ فهو طَرِبٌ — بَطِرَ فهو بَطِرٌ — حَذِرَ فهو حَذِرٌ — تَعِبَ فهو تَعِبٌ . ومن هذا قولهم : الحَذِرُ آمِنٌ ، والضَّجِيرُ مكروبٌ ، والبَطِرُ مهَّدٌ بزوال النعم . وقول الشاعر :

وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ^(٢) مِنَ الْخَلِي^(٣) فَإِنَّهُ نَصِبُ الْفَوَادِ ، بحزنه مهموم

وإن كان دالاً على خلو ، أو امتلاء ، ونحو هذا مما يطرأ ويتكرر ولكنه يزول ببطء — فالصفة المشبهة على وزن : « فَعَلَّلَانِ » ، ومؤنثها — في الغالب — على وزن : « فَعَلَّلَتِي » — نحو : عطِشَ فهو عطشانٌ — ظَمِئَ فهو ظَمَّانٌ — صَدِىَ فهو صَدَيَانِ — شَبِعَ فهو شَبَعَانِ — رَوَى فهو رَيَّانٌ — يَقِظَ فهو يَقِظَانٌ — عَرِقَ فهو عَرِقَانٌ — ومن هذا قولهم في الهجاء : فلان شبعانُ البطن ، صديانُ الروح ، نائمُ العقل ، يقظانُ الهوى . . .

(١) ويسمى استمرارها : متجدداً ، أو : تجديداً — كما أوضحنا في ص ٣٩ وفي رقم ٤ من هامش ص ٢٤٧ وفي رقم ٢ من هامش ص ٢٨٢ .
(٢) الحزين المهموم .

« ملاحظة » : في كلمة : « شَجِيٌّ » ونظائرها بيان لغوى مفيد ، نعرضه فيما يأتي :
جاء في القاموس المحيط (ج ٤ مادة : شجاء) ما نصه : « (شجاء : حَزَنُهُ وَطَرَبُهُ ؛ كَأَشْجَاءَ فَيْهْمَا . ضد ... وشَجِيٌّ به ، كَرَضِيٌّ شَجِيٌّ . والشَجِيٌّ المشغول . وشد يد يَأْوُهُ في الشعر ...) » اهـ كلام القاموس .

لكن قوله : « شد يد يَأْوُهُ في الشعر » تقييد غير صحيح ؛ فقد جاء في : « الاقتضاب » ، في شرح أدب الكتاب تأليف ابن السيد البطائني ، في باب : ما يشدد ، والعامية تخففه — ص ١٩٧ — ما نصه :

« (أكثر اللغويين من إنكار التشديد في لفظة : « الشَّجِيٌّ » وذلك عجيب منهم ؛ لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال : شجوت الرجل أشجوه إذا أحرزته ، وشجيت يشجى شجياً إذا حزن . فإذا قيل : « شجى » بالتحفيف كان اسم الفاعل من « شجى » يشجى ؛ فهو شجى » ؛ كقولك : « (عمى يعمى فهو عمى » . وإذا قيل : « شجى » بالتشديد ، كان اسم المفعول من : « شجوته » أشجوه ؛ فهو مشجٍ وشجيتي » . كذلك مقتول وقتيل ، ومجروح وجريح . . .

ثم انبرى بعد ذلك يسرد أمثلة مسموعة للشدد تؤيد رأيه . () اهـ .
وقريب من هذا المثل في معناه قولهم أيضاً : « ما أهونَ على النائمِ القِريرِ سهرِ المسهَدِ المكروبِ » .
(٣) الخلال من الهم والحزن .

فإن كان دالا على أمر خِلْقِي يَبْقَى ويدوم ، (مثل : لون ، أو عيب ، أو حلية ، وكل هذا خِلْقِي يَبْقَى ويثبت) فالصفة في الغالب - على وزن : « أفْعَل » للمذكر ، و « فَعْلَاء » للمؤنث ؛ نحو : حمير فهو أحمر - خضير فهو أخضر - عرج فهو أعرج - عور فهو أعور - حور^(١) فهو أحور - كحل فهو أكحل . . . ومنه قولهم : اشتهرت الحيلول العربية برشاقة الجسم ، وضمور البطن ، وأنها دَعَجَاء^(٢) المقلّة ، كحلاء العين ، وطفاء الأهداب^(٣) . . .

فالصفات المشبهة التي ماضيها مكسور العين - تدور معانيها الغالبة حول ثلاثة أشياء ، أمور تطرأ وتزول سريعاً ولكنها تتردد كثيراً ، أو أمور تطرأ وتكرر ، وتزول ببطء . أو : أمور تثبت وتبقى - في الغالب - .

(٢) إن كان الثلاثي اللازم على وزن : « فَعْل » - بضم العين - فالصفة المشبهة كثيرة الأوزان ؛ فقد تكون على وزن : « فَعِيل » ؛ مثل : شرف فهو شريف - نبيل فهو نبيل - قبّح فهو قبيح .
أو : على وزن : « فَعْل » ؛ مثل : ضخم فهو ضخم - شهم فهو شهم - صعب ؛ فهو صعب .
أو على وزن : « فَعْل » ، مثل : حسن فهو حسن - بطل^(٤) فهو - بطل - .

أو على وزن : « فَعَال » ؛ مثل : جبن فهو جبّان - رزنت المرأة فهي رزان^(٥) - حصنت فهي حصّان ، أى : عفيفة .
أو على وزن : « فَعَال » ؛ مثل شجع فهو شجاع - فرت الماء (بمعنى : عذّب) ، فهو فترات .

(١) الحور : شدة بياض العين مع شدة سوادها .

(٢) الدّعج : سعة العين مع شدة سوادها . (دَعَجَ ، دَعَجاً ؛ فهو أدعج ، وهى : دعجاء) .

(٣) غزيرة شعر الجفون (وطف وطفاً ؛ فهو : أوطف ؛ وهى : وطفاء) .

(٤) صار بطلا .

(٥) بمعنى : متوقرة ، غير طائشة . والكثير قصر هذا الوزن على المؤنث .

أو على وزن : « فَعْلٌ » : مثل : صَلَّبَ فهو صَلْبٌ - أو على وزن : « فِعْلٌ » ؛ نحو مَلَحَ الماء فهو مِلْحٌ .

أو على وزن : فَعِلَ ، مثل : نَجَسَ الصديد فهو نَجَسٌ .

أو على وزن : « فاعِلٌ » ؛ مثل : طَهَّرَ فهو طَاهِرٌ .

وليست الأوزان السابقة مقصورة على الصفة المشبهة المصوغة من مصدر :

« فَعْلٌ » بضم العين ، بل بعضها مقصور عليها ؛ وهو : « فَعَلٌ »

كحَسَنَ ، و« فَعَالٌ » : كجَبَّانَ ، و« فَعَالٌ » : كشجاع . . . وبعضها غير

مقصور ولا مختص ؛ لأنه مشترك بين فَعْلٌ - بضم العين - وفَعِلَ ، بكسرها :

ومن هذا :

« فَعِيلٌ » ، مثل : بَخِلَ الوضيع فهو بَخِيلٌ . كَرُمَ الماجد فهو

كَرِيمٌ - .

ومنه : « فَعْلٌ » ، مثل : سَبَطَ فهو سَبِطٌ ^(١) ، ضَخَمَ فهو ضَخْمٌ ،

ومنه : « فِعْلٌ » مثل ؛ صَفَرِ جِيبُ المسرف ؛ فهو صَفْرٌ ، - مَلَحَ ماء

البحر فهو مِلْحٌ .

ومنه : « فَعْلٌ » ؛ مثل : حَرَّ القويُّ فهو حُرٌّ ، (والأصل : حَرَرٌ) -

صَلَّبَ الحديد ، فهو صَلْبٌ .

ومنه : « فَعِلٌ » ، كفرح المنتصر فهو فَرِحٌ - نجس الطعام الحرام فهو

نَجَسٌ .

ومنه : « فاعِلٌ » ، مثل : صَحِبَ الضوء الشمس فهو صاحب - طَهَّرَ

ثوب المصلح فهو طَاهِرٌ .

(٣) وإن كان الثلاثي اللازم على وزن « فَعْلٌ » بفتح العين وهو أندر

أفعالها - كما أسلفنا - فالصفة المشبهة على وزن فيْعِلٌ ؛ نحو : مات يموت

فهو ميت ^(٢) .

(١) طویل .

(٢) ومثله : ساد يسود ؛ فهو : سَيِّدٌ . وإنما كان ساد ومات على وزن «فعل» بفتح

العين ، لأن مضارعهما بضم العين ، وهذا لا يجيء إلا من ما مضى مفتوح العين أو مضموم العين ، ومضمومها لا يصلح هنا ، لأنه - في الغالب - للمدح أو الذم ، على غير ما هنا .

تلك أشهر الصيغ والأوزان القياسية للصفة المشبهة ^(١).

وهناك صيغ أخرى سماعية ، متناثرة في الكلام العربي الفصيح ومراجعته ؛

(١) وقد عرض ابن مالك - كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ٢٣٩ ورقم ٥ من هامش ص ٢٧١ - لصياغة الصفة المشبهة في باب مختلط ، عقده لصياغتها وصياغة اسم الفاعل واسم المفعول ، عنوانه :

« أَبْنِيَةُ أَسمَاءِ الْفَاعِلِينَ ، وَالْمَفْعُولِينَ ، وَالصِّفَاتِ الْمَشْبَهَةِ بِهَا » .

ونص ما جاء على حسب ترتيب أبياته :

كَفَاعِلٍ صُغِ اسْمٌ فَاعِلٍ إِذَا مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ يَكُونُ ؛ كَعَذَا
(عذًا الماء : سأل - غذوت الوليد أطعمته ، أو رببته . فالفعل لازم ، ومتعد) .

يقول : صيغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المتصرف على مثال « فَاعِلٍ » أى : على وزن فاعل . وضرب مثلاً للفعل الثلاثي هو : « عذَا » ويصلح مثلاً للثلاثي المتعدي واللازم ، إشارة إلى أن اسم الفاعل لا يختلف وزنه باختلاف تعدى الثلاثي أو لزمه . فالهم أن يكون ثلاثياً ، أو على وزن « فَعَلَّ » - بفتح العين - كما يفهم من المثال ، ومن الكلام الآتي بعد . ثم قال :

وَهُوَ قَلِيلٌ فِي : « فَعْمَلْتُ » ، و « فَعِلْتُ » غير معدى ، بل قِيَاسُهُ « فَعِلْتُ »
أى : أن صيغة « فَاعِلٍ » قليلة إذا جاءت من مصدر الفعل « فَعِلْتُ » أو « فَعَمَلْتُ » اللذين ؛ نحو : حمض فهو حامض ، وطمع فهو طامع . وبين أن اسم الفاعل من مصدرها يجرى على وزن « فَعَمِلْتُ » ؛ نحو : نجس فهو نجس ، - فترجح فهو فرجح ، وبطير فهو بطير . والحق أن هذه للصيغة ليست باسم فاعل حقيقى ، وإنما هي صفة مشبهة - وقد سبق البيان في هامش ص ٢٣٨ - وكذلك الصيغ الآتية التي عرضها في البيت التالى وفيها هو « فَعَمِلْتُ » مكسور العين أيضاً . يقول :

« وَأَفْعَلٌ » « فَعْمَلَانٌ » نحو : أَشِيرَ وَنَحْوُ : صَدَّيَانِ ، وَنَحْوُ : الْأَجْهَرِ

يريد : أن « أَفْعَلٌ » و « فَعْمَلَانٌ » شأنهما كشأن : « فَعَمِلْتُ » فكل من الثلاثه عنده هو اسم الفاعل من مصدر « فَعَمِلْتُ » الثلاثي اللازم مكسور العين ، وضرب لها أمثلة هي أَشِيرَ الإحقيق فهو أَشِيرٌ ، وصَدَّرَى الضال في الصحراء فهو صَدَّيَانِ ، (كعطش فهو عطشان ؛ وزناً ، ومعنى ، وحكماً) . وجهه الرجل (لم يقدر على الإبصار في الشمس) فهو أَجْهَرُ . وكل هذه صفات مشبهة ، وليست باسم فاعل حقيقى ، كما قد يفهم من ظاهر كلام ابن مالك (انظر هامش ص ٢٣٨) ، ولعل قصده - كما قال بعض الشراح - أن تلك الأفعال تدل في الغالب على معان لازمة أو ما يشبهها ، فيناسبها أن يصاغ منها صفات مشبهة بتلك الأوزان ، لا أسماء فاعلين . ثم قال :

« وَفَعْلٌ » أَوَّلَى وَ « فَعَمِلٌ » بِفَعْمَلٍ كَالضَّخْمِ ، وَالْجَمِيلِ ، وَالْفِعْلِ جَمُلٌ

أى : أن الماضى الثلاثي إذا كان على « فَعَمِلْتُ » - بضم العين - فالأولى أن يكون اسم فاعله على وزن « فَعَمِلْتُ » أو « فَعَمِلٌ » ؛ مثل : ضَخُمُ الْفِيلِ فهو ضَخْمٌ ، وَجَمُلُ الْفَرَالِ فهو جَمِيلٌ . . . =
النحو الوافى - ثالث

فإذا عرف المتكلم صيغة مسموعة مخالفة للصيغة القياسية جاز له استعمال ما يشاء منهما ، ولكن الأفضل الاختصار على المسموعة ، ولا سيما الصيغة المشهورة .

= ثم بين في البيت الآتي أن مجيء اسم الفاعل من مصدر ذلك الفعل على وزن : « أفعل » ، أو : « فَعْل » قليل ، نحو : خضب فهو أخضب . وبطل العربي فهو بطل ، وكذلك بين أن اسم الفاعل - أحياناً قليلة - لا يجيء من مصدر : « فَعْل » على صيغة « فاعل » التي هي الغالبة فيه ؛ نحو ، شاب الرجل فهو أشيب ، وشاخ الشاب فهو شَيخ ، فقد استغنى عن صيغة فاعل بأخرى . وفي هذا كله يقول :

« وَأَفْعَلٌ » فِيهِ قَلِيلٌ ، وَ « فَعْلٌ » وَيَسُوَّى الْفَاعِلُ قَدْ يَغْنَى « فَعْلٌ »

(غْنَى يَغْنَى ؛ بمعنى : استغنى .) ونكرر ما سبق أن كل الصيغ التي من مصدر الثلاثي وليست على وزن : « فاعل » ، هي - على غير ما يفهم من ظاهر كلام ابن مالك - « صفات مشبهة » ، وليست « اسم فاعل » إلا من طريق التسمية المجازية التي شاعت قديماً حتى صارت اصطلاحاً عندهم - طبقاً للبيان السالف في هامش ص ٢٣٨ .

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي ، فقال إنها : على وزن مضارعه ، مع كسر متلو الأخير (أى : كسر الحرف الذي يتلوه الأخير ، ويجيء بعده) وضم ميم زائدة تجيء أول المضارع بدلاً من حرف المضارعة ، نحو : (ساعد ، يساعد ، مُساعد) - (تكرم ، يتكرم ، مُتكرم) - (واصل ، يواصل ، مواصل . . .) يقول :

وَزِنَةُ الْمُضَارِعِ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ غَيْرِ ذِي الثَّلَاثِ ؛ كَالْمُوَاصِلِ
مَعَ كَسْرِ مَتْلُو الْأَخِيرِ مُطْلَقًا وَضَمِّ مِيمٍ زَائِدٍ قَدْ سَبَقَا

يريد : زنة اسم الفاعل من مصدر الفعل غير الثلاثي هي زنة مضارعه ، بشرط كسر الحرف الذي قبل الأخير في المضارع ، وضم حرف الميم الزائد الذي يسبق بقية حروف المضارع ؛ (لأنه يتصدر الفعل ، ويحل محل حرف المضارعة) . نحو : المُواصل ، والفعل رباعى ؛ هو ؛ واصل ، ومضارعه يواصل ، واسم الفاعل : مواصل . وقد تحقق المطلوب ؛ بكسر الحرف الذي قبل الأخير ، وحذف حرف المضارعة من الأول ، وإحلال الميم المضمومة الزائدة محله (وقد تكلمنا على كل ما سبق في ص ٢٣٦) .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام على صيغة « اسم المفعول » من مصدر الفعل غير الثلاثي ؛ فأوضح أنها هي صيغة اسم الفاعل من مصدر غير الثلاثي ، ولكن بعد أن يفتح الحرف الذي قبل الآخر . فلا فرق بين صيغتهما ، وطريقة الوصول إليهما إلا في أمر واحد : هو أن الحرف الذي قبل الآخر مكسور في صيغة اسم الفاعل ، مفتوح في صيغة اسم المفعول ، نحو : مُساعد ، ومُساعد - مُتكرم ، ومتكرم - ومواصل - منتظر . ومنتظر . . . أما صيغة اسم المفعول من مصدر الفعل الثلاثي فهي على وزن : « مفعول » باطراد ؛ كالوزن الذي نأتى به من : « قصد » فنقول : مقصود . أو من « كتب » فنقول : مكتوب . وفيما سبق يقول :

أما إذا لم توجد صيغة مسموعة ، أو وُجدت ولكنه لا يعرفها ^(١) فليس أمامه إلا استخدام الصيغة القياسية ^(٢) .

* * *

وَأِنْ فَتَحْتَ مِنْهُ مَا كَانَ انْكَسَرَ صَارَ اسْمَ مَفْعُولٍ : كَمَثَلِ : الْمُنْتَظَرُ
وَفِي اسْمِ مَفْعُولِ الثَّلَاثِيَّ اطَّرَدَ زَنَةُ مَفْعُولٌ ، كَأَتْ مِنْ : قَصَدَ
أَي : كَالْوِزْنِ الْآتِي مِنَ الْفِعْلِ : قَصَدَ ، وَأَشَارَ بَعْدَ هَذَا إِلَى أَنَّ اسْمَ الْمَفْعُولِ مِنَ الثَّلَاثِيَّ قَدْ يَكُونُ
عَلَى وَزْنِ « فَعِيلٍ » ، لَا مَفْعُولٍ ؛ فَيَعْمَلُ عَمَلَهُ - بِشَرْطِهِ - وَأَنَّ هَذَا نُقِلَ عَنِ الْعَرَبِ ، وَبِمَعْنَى مِنْهُمْ ؛
فَهُوَ مَقْصُورٌ عَلَى الثَّقَلِ وَالسَّهْلِ ، وَلَا يَجُوزُ الْقِيَاسُ عَلَيْهِ ، بَلْ يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَ مَا وَرَدَ مِنْهُ ، لَا نَزِيدُ
عَلَيْهِ شَيْئاً . وَقَدْ مَثَلَ لَهُ : بِفَتْةٍ كَحِيلٍ ؛ بِمَعْنَى مَكْحُولَةِ الْعَيْنَيْنِ ، وَفَتْى كَحِيلٍ ؛ بِمَعْنَى : مَكْحُولُهَا .
(وَيَلَاظُ أَنْ صِيغَةَ : « فَعِيلٍ » الَّتِي بِمَعْنَى : « مَفْعُولٍ » يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ - غَالِباً - ،
فَنَسْتَعْمَلُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِكِلَا مَنِغْرَ زِيَادَةِ تَاءٍ تَدُلُّ عَلَى التَّأْنِيثِ ، بِشُرُوطٍ وَتَفْصِيْلَاتٍ يَجِبُ الْكَلَامُ عَلَيْهَا
فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ ، « الْبَابِ الْخَاصِّ بِالتَّأْنِيثِ » وَأَهْمُ هَذِهِ الشُّرُوطُ الْأَيُّ يَذْكُرُ قَبْلَهَا الشَّيْءَ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ
أَوْ نَصْفَهُ ، أَي : الْمَوْصُوفُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ مَعْنَاهَا وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مَدْلُوحُهَا) يَقُولُ :

وَتَأْبَ نَقْلًا عَنْهُ ذُو الْفَعِيلِ نَحْوُ : فَتَاةٌ أَوْ فَتَى كَحِيلٍ

وقد تكلمنا على كل ما سبق خاصاً باسم المفعول في ص ٢٧١ . ذو فعيل : أى صاحب هذا الوزن . موازنه -)

(١) نخفائها عن العلماء ، لا لقصور وجهل من المتكلم .

(٢) الصفة المشبهة قياسية (كما صرح بهذا في أول بابها الأسموف - وغيره - كالانصريح في أول باب : « كيفية أبنية أسماء الفاعلين ، . . . وفي أول باب : الصفة المشبهة - ») فيجوز صياغتها على وزن إحدى الصيغ التي عرضناها ، بشرط أن تتحقق الشروط والأوصاف الخاصة بهذه الصيغة . ولا التفتات إلى الرأي القائل بوجوب الاقتصاد على الصيغ السماعية إن وجدت ؛ لأن الأخذ بهذا الرأي معطل للقياس ؛ مناف لمعناه الحقيقي ، وللغرض منه . فوق ما فيه من إعنات ومشقة لا يحتملها جمهور الخاصة ، بله العامة ؛ إذ يطالب بالرجوع إلى المراجع اللغوية ، وجميع المظان الحاوية لمفرداتها ، للبحث عن الصيغة السماعية قبل استعمال القياسية . فإذا ثبت عدم وجود صيغة سماعية جاز استعمال القياسية . . . وليس هذا بمعقول ولا سائق ، بل ليس من صالح اللغة تضييقها على هذا الوجه المعوق لها ، الخائل دون استعمالها ، من غير فائدة مرجوة في هذا التحجير والإرهاق .

وأعجب من هذا رأى آخر يحرم استخدام الصيغ القياسية ، مطلقاً (مع وجود أخرى سماعية أو عدم وجودها ، كالذي قيل في صوغ المصدر ص ١٨٨ وما بعدها) . زاعماً أن إيجاد الصيغة القياسية ، إنما هو إيجاد وخلق للفظ لم ينطق به العرب أصحاب هذه اللغة ، المستأثرون بخلق مفرداتها وكلماتها . وهو زعم خاطئ دفعناه مراراً في أجزاء هذا الكتاب ، وأوضحنا أسباب خطئه ، قاصدين أن نكشف خطره وضرره ، كي لا يجد له في أيامنا وأهمل يأخذ به .

وهذه المناسبة تحملنا إلى أن نعود فنردد هنا أيضاً ما سبق أن عرضناه - في رقم ٣ من هامش ص ١٨٨ - من إباحة استخدام المصدر - وغيره - استخداماً قياسياً مطرداً . ونشير بوجه خاص إلى كلام ابن جني المدون هناك ، وهو كلام هام مفيد .

زيادة وتفصيل :

وبهذه المناسبة نشير إلى حكم سبق^(١) فنردده لأهميته ؛ وهو : أن الصفة المشبهة قد يراد منها النص على الحدوث ، - لحكمة بلاغية ، مع قيام قرينة تدل على هذا المراد - فتصير اسم فاعل ؛ لها اسم ، ومعناه ، وحكمه ، وتنتقل إلى صيغته الخاصة به ، (وهي صيغة « فاعل » من مصدر الثلاثي) ، فلا بد أن تترك اسمها ، وصيغتها ، ومعناها ، وحكمها ، وتصير إليه في كل شأن من شئونه بغير إبقاء على حكاها السابق . فإذا أردنا النص على وصف رجل بالفصاحة ، وبيان أنها صفة ثابتة ملازمة له ، رداً على من قال إنها طارئة عليه ، مؤقتة - أثبتنا بالصفة المشبهة ، (دون اسم الفاعل الحادث) ؛ لأنها المختصة بهذه الدلالة ، وتخيرنا من صيغها وأوزانها الصيغة الملائمة للمراد . فقلنا : « فصيح » وأجرينا على هذه الصيغة اسم « الصفة المشبهة وكل أحكامها ، بشرط إرادة النص ، ووجود القرينة الدالة عليه .

لكن إذا أردنا الدلالة على الحدوث نصاً ، وأن الفصاحة طارئة غير ملازمة - أثبتنا باسم الفاعل الحادث ، دون الصفة المشبهة ؛ لأنه المختص بهذه الدلالة نصاً . وجئنا بصيغته الخاصة من مصدر الثلاثي ، وهي صيغة « فاعل » ، فقلنا : « فاضح » غداً ، مثلاً ، وأجرينا عليها اسمه ، وكل أحكامه وحده - كما أسلفنا^(١) - . وربما تترك الصفة المشبهة دلالتها على الدوام ، وتدل على المضي وحده - وهذا نادر^(٢) - . أو تدل على الحال وحده ، أو المستقبل كذلك ، من غير أن تترك صيغتها ، وإنما تظل عليها مع تغيير الدلالة ، وكل هذا حين توجد قرينة تدل على

(١ و ١) في ص ٢٤١ و ٢٤٢ حيث البيان والدليل .

(٢) لتحقيق هذه المسألة يمكن الرجوع إلى : « الخضرى » في أول باب : « الإضافة » عند قول ابن مالك : (وإن يشابه المضاف يفعل . . .) حيث صرح أنها لا تكون للماضي وحده مطلقاً . . . كما يمكن الرجوع للبيان أول باب : « الصفة المشبهة » حيث صرح بأنها مع القرينة قد تكون للماضي وحده ، أو للحال وحده ، أو للمستقبل كذلك . وساق مثلاً هو « كان زيد حسنًا فقُصِح ، أو سيصير حسنًا ، أو هو الآن فقط حسن » في الحكم خلاف ، والمختار ما قرناه من النردة . - ثم انظر رقم ١ في هامش الصفحة التالية ؛ لأهميته .

أن المراد هو الاختصار على : المضي ، أو على الحال ، أو على الاستقبال ، وليس المراد الدوام^(١) ؛ بالرغم من بقاء الصيغة على صورتها ؛ نحو : (هذا المتسابق سريع العدو في الساعة الماضية ، بطيء الحركة الآن ، وسيبدو بعد قليل فسيح الخطو ، بعيد القفز ، عظيم الأمل في الفوز) . ولكن بقاءها على صيغتها مع تغير دلالتها بسبب اقتصارها على زمن معين خاص ، — ولا سيما الماضي — رأى ضعيف^(٢) ؛ لا يحسن اتباعه ولا القياس عليه ؛ بالرغم من وجود القرينة الدالة على تغير الدلالة . أما إذا لم توجد القرينة فيجب تغيير الصيغة بتحويلها إلى صيغة : « فاعِل »^(٣) .

واسم الفاعل من الثلاثي إذا أريد به — الدلالة على الثبوت — بشرط وجود قرينة — ، فإنه يصير صفة مشبهة يحمل اسمها دون اسمه ، ويدل دلالتها ، وبخضع لأحكامها وحدها . وتتغير صياغته ؛ فتصير من الثلاثي على وزن من أوزانها القياسية ، وقد يظل محتفظاً بصيغته التي كان عليها قبل الانتقال^(٤) ، إلى الدلالة الجديدة ، بشرط وجود القرينة ؛ كما في مثل : أهذا الطبيب رحيب الصدر ؟ فيجواب : نعم ، راحب^(٥) الصدر . وقد بسطنا القول في كل هذا في موضعه من البابين .

* * *

(١) جاء في « التصريح ، شرح التوضيح » — ج ٢ باب : « أبنية أسماء الفاعلين .. » أمثلة متعددة لها ، قال بعد سردها ما نصه : « (جميع هذه الصفات المتقدمة الدالة على الثبوت ، صفات مشبهة باسم الفاعل إلا إذا قصد بها الحدوث ؛ فهي أسماء فاعلين .) » اهـ .
وجاء في الحاشية تعليقا على هذا نصه : « (— قوله : إلا إذا قصد بها الحدوث — قضيته : إن تلك الصيغ تستعمل للحدوث ، وإن لم تحول إلى فاعل . فقولهم : « إذا قصدوا الحدوث حوت إلى فاعل » . . . ليس بواجب إلا إن أريد النص على الحدوث كما يدل عليه قول الرضي ؛ استدلالا لشيء ذكره . ولهذا اطرء تحويل الصفة المشبهة إلى : « فاعل » كحاشن وضائق عند قصد النص على الحدوث) » اهـ .

(٢) وسيجيء في ص ٣٠٧ .

(٣) كما سيجيء في رقم ٣ من ص ٣٠٧ . وانظر رقم ١ هنا .

(٤) كما سبق في هامش ص ٢٤٢ و « ج » من صفحتي ٢٤٥ و ٢٦٤ .

(٥) بإضافة اسم التفاعل إلى فاعله لتكوين هذه الإضافة هي القرينة المطلوبة .

إعمالها :

الصفة المُنشِبة الأصلية^(١) مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم ؛ فحقها أن تكون كفعالها ؛ ترفع فاعلاً حتماً ، ولا تنصب مفعولاً به . لكنها خالفت هذا الأصل ، وشابهت اسم الفاعل المتعدى لواحد ؛ (فإنه - كفعله المتعدى - يرفع فاعلاً حتماً ؛ وقد ينصب مفعولاً به) ، وصارت مثله ترفع فاعلاً حتماً ، وقد تنصب معمولاً^(٢) لا يصلح إلا مفعولاً به ، ولكن هذا المعمول حين تنصبه لا يسمى مفعولاً به ، وإنما يسمى : « الشبيه بالمفعول به »^(٣) ؛ إذ كيف يعتبر مفعولاً به وفعالها لازم ، لا ينصب المفعول به ؟ لهذا يقولون في إعرابه حين يكون منصوباً ، إنه : « منصوب على التشبيه^(٤) بالمفعول به » .

ولا تنصب هذا الشبيه إلا بشرط : « اعتمادها »^(٥) ؛ سواء أكانت مقترونة ؛ « بأل » أم غير مقترونة . مثل الكلمات : القول - الطبع - القلب . . . في قولهم : (إنما يفوز برضا الناس الخلو القول ، الكريم الطبع ، الشجاع القلب .) . . . ولا يشترط هذا الشرط لعملها في معمول آخر (غير الشبيه بالمفعول به) : كالحال ، والتمييز ، وشبه الجملة . . .

(١) سبق في ص ٢٨٤ أن الصفة المشبهة ثلاثة أنواع : أصيل ، وملحق به ، ومؤول .

(٢) وهذا ن أسباب تسميتها بالصفة المشبهة باسم الفاعل المتعدى لواحد . وسيجيء التفصيل في ص ٢٨٨ وما بعدها وفيها أنواع المعمولات التي تنصبها .

(٣) كما سيجيء في رقم ٣ ص ٣٠٠ .

(٤) أشرنا إلى هذا في مناسبة سابقة (هامش ص ٢٤٢ و ٢٦٥) فقلنا إن السبب هو : صوغ الصفة المشبهة من مصدر فعل ثلاثي لازم ، وقد ورد السبب بعدها منصوباً لا يصلح أن يعرب نوعاً آخر من المنصوبات غير المفعول به ، فأعربوه « شبيهاً بالمفعول به » ولم يعربوه مفعولاً به ؛ لثلا تخالف فعلها . وأيضاً فالمفعول به يقع عليه أثر فعل الفاعل . أما معمول الصفة المشبهة هذا فلا يقع عليه الأثر ، فلم يحملوا اسمه « مفعولاً به » كاسم المنصوب الذي نصبه اسم الفاعل ، مع أن الصفة المشبهة سميت باسمها لشبهها باسم الفاعل في كثير من أحواله ، ومنها عمل النصب . ففي مثل : الحاكم ضارب المذنب ، يعرب « المذنب » مفعولاً به مباشرة ؛ لأنه وقع عليه الضرب . لكن إذا قلنا : الحاكم مبيع الطبع ، لا يعرب « الطبع » إلا شبيهاً بالمفعول به ؛ لأن الساحة لم تقع عليه وإنما قامت به ، وفرق كبير بين الاثنين أوضحناه من قبل (في ج ٢ ص ٥٣ م ٦٥) . ومثل هذا حسن الرأي ، جميل المظهر . . . (راجع شرح الفصل ٦ ص ٨١) .

(٥) سبق بيان الاعتماد في ص ٢٤٩ .

لأن كلمة « معمول » ليست مقصورة الدلالة على هذا الشبيه ، ولا على النوع المنصوب منه . بل إن معمولها الشبيه البارز — ويسمى أيضاً ، السببي^(١) — يجوز فيه ثلاثة أوجه^(٢) ؛ أن يكون مرفوعاً على اعتباره فاعلاً لها ، ويجوز أن يكون منصوباً على التشبيه بالمفعول به إن كان هذا المعمول (أى : السببي) نكرة ، أو معرفة : كالأمثلة السابقة ، أو منصوباً على التمييز بشرط أن يكون نكرة^(٣) ؛ (نحو : . . . الحلو قولاً — الكريم طبعاً — الشجاع قلباً) . ويجوز أن يكون مجروراً بالإضافة : (نحو : . . . الحلو القول — الكريم الطبع — الشجاع القلب) ، أى : أن هذا المعمول السببي يجوز فيه — دائماً — ثلاثة أوجه إعرابية ؛ (إمّا الرفع على الفاعلية^(٤)) ، (وإما النصب على التشبيه بالمفعول به ، إن كان المعمول — أى : السببي — معرفة أو نكرة ، ويصح في المعمول النكرة دون المعرفة ، نصبه تمييزاً) (وإما الجر على الإضافة) ولا فرق في هذه الأوجه الثلاثة بين أن تكون الصفة المشبهة مقرونة « بأل » أو مجردة منها ، كما تقدم ، ولا بين أن يكون هذا المعمول مقروناً بها أو مجرداً منها . إلا أن المعمول المقرون بها لا يعرب تمييزاً — كما عرفنا —

وفي جميع حالاتها لا يشترط لإعمالها : « الاعتماد » ، إلا في الحالة الواحدة التي سبقت ، وهي التي تنصب فيها « الشبيه بالمفعول به »^(٥) .

(١) تكرر في مناسبات مختلفة إيضاح معنى « السببي » والمراد منه ؛ كالذي في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ .

(٢) هناك معمولات يمتنع فيها الرفع ، وأخرى يجب . وسيجىء ذكرها في ص ٣٠٤ وما بعدها . وهناك معمولات مجرورة وأخرى منصوبة ، غير الشبيه بالمفعول به ، منها : الحال ، والتمييز ، والذروف وغيرها مما سيجىء في ص ٣٠٩ والمعمولات كلها بحالاتها الإعرابية المختلفة لا تقتضى اعتداد الصفة المشبهة إلا الشبيه بالمفعول به — كما سبق ، وكما سيجىء في رقم ٣ من ص ٣٠٠ .

(٣) لأن التمييز في الأغلب لا يكون إلا نكرة .

(٤) في حاشية ياسين أول هذا الباب عند تعريف الصفة المشبهة : « أن نحو : زيد حسن » ليس صفة مشبهة ، ثم جاء بعد ذلك مباشرة ما نصه : (إن النحاة لا يسمونها صفة مشبهة إلا إذا خفضت أو نصبت .) « ٥ » .

ويفهم من هذا أنها لا تسمى صفة مشبهة في مثل : « فلان حسن وجهه » ونحوه من كل ما وقع فيه فاعلها اسماً ظاهراً أو مستتراً . وهذا رأى . رفوض — بحق — إلا عند ابن هشام .

(٥) راجع ص ٢٩٤ ورقم ٣ من ص ٣٠٠ .

وينشأ من هذا التفريع صور متعددة أكثرها صحيح ، وأقلها غير صحيح .
ومن المشقة والإرهاق أن نتصدى لخصر صورهما ، ونحدد عددهما على الوجه
الذى فعله بعض الخياليين ؛ فأوصلهما إلى مثات ، بل ألوف ^(١) ، وانتهى به
التحديد إلى ما لاخير فيه .

وإذا كان التحديد على الوجه السالف خيالياً مرهقاً ، فإن الحرص على
سلامة الأداء ، وصحة التعبير - يقتضينا أن نعرف الصور الممنوعة ؛ كى
نتجنبها ، ونفصون أنفسنا من الخطأ . وقد وضع لها النحاة ضابطاً نافعاً ، يسهل
فهمه واستيعابه ، فقالوا ^(٢) :

يُمتنع جر المعمول فى كل صورة جمعت ما يأتى كاملاً ؛ حيث لا يصح
إضافة الصفة المشبهة إلى معمولها :

(١) أفراد الصفة المشبهة (بأن تكون غير مثناة ، وغير جمع مذكر
سالم) .

(٢) اقترانها « بأل » .

(٣) تجرد معمولها من « أل » ، ومن الإضافة إلى ما فيه أل ، ومن
الإضافة إلى المختوم بضمير يعود على ما فيه « أل » .

(٤) تجرد الموصوف من « أل » .

فيمتنع الجر فى : غرد محمود الرخيم ^(٣) صوتيه ، ولا يمتنع فى : غرد الطائر
الرخيم صوتيه . فإذا كانت الصفة « بأل » ، وكذلك معمولها صح الجر بالإضافة
مثل : لا تجادل إلا السمح الخلق ، العفّ القول ، الأمين الزّلال .

ويجوز الجر بالإضافة أيضاً إذا كانت الصفة مقرونة « بأل » والمعمول
مجرداً ، لكنه مضاف إلى المقترن بها : مثل : هذا الحكيم إعداد الخطط ،
الحسن تدبير الأمور . كما يجوز الجر إن كانت الصفة مقرونة بأل ومعمولها
مجرد من : « أل » ، ولكنه مضاف لمضاف إلى ضمير يعود على المقرون بها ،

(١) كما جاء فى حاشية الصبان وغيره من المطاولات .

(٢) راجع حاشية الحضرى .

(٣) الضمير عائد على « محمود » : وهو خال من : « أل » .

مثل : راقنى الطاووس البديعُ لونَ ريشه ؛ فإن الضمير الذى فى آخر كلمة : « ريش » عائد على الطاووس وفيه « أل » . وهكذا . .

هذا هو الضابط العام الذى يرشدنا إلى المعمول الذى يمتنع جره بالإضافة ، ويوضح الصور الكثيرة التى لا يجوز فيها إضافة الصفة المشبهة إلى معمولها . وأقرب هذه الصور للخاطر : الأربعة الآتية ^(١) ، وهى حالات جرٍّ ممنوع حين يكون فيها الموصوف مجرداً من : « أل » .

(١) أن تكون الصفة مقرونة « بأل » والمعمول مجرد منها ، مضاف إلى ضمير الموصوف الخالى منها ؛ نحو : إبراهيم النبيلُ خالقِهِ .

(٢) أن تكون الصفة مقرونة « بأل » والمعمول مجرد منها ، مضاف إلى مضاف لضمير الموصوف الخالى منها ؛ نحو : إبراهيم النبيلُ خالقِ والدِهِ .

(٣) أن تكون الصفة مقرونة « بأل » والمعمول مجرد منها ، مضاف إلى الخالى من « أل » والإضافة ؛ نحو : هذا النبيلُ خالقِ والدِهِ .

(٤) أن تكون الصفة مقرونة « بأل » والمعمول مجرد منها ، خال من « أل » والإضافة ؛ نحو : هذا النبيلُ خلقِ .

* * *

(١) عدها الأشموني تسمياً نكتفى بالإشارة إليها . وفى الصفحة التالية تقسيم آخر حسن .

زيادة وتفصيل :

١- سأل بعض النحاة مسلماً حسناً آخر ، لبيان أكثر الصور الصحيحة والمنوعة التي تتردد على الخواطر ؛ فقال :

الصفة المشبهة إما أن تكون مقرونة « بأل » ، وإما أن تكون مجردة منها . فإذا كانت مقرونة « بأل » فلمعمولها ستة أحوال يمتنع الجر في بعضها :

(١) أن يكون مقروناً « بأل » أيضاً مثل : أحبُّ الكتابَ العظيمَ الفائدة .

(٢) أن يكون مجرداً من « أل » ولكنه مضاف للمقرون بها : مثل : أحب الكتابَ العظيمَ فائدةَ البحوث .

(٣) أن يكون مجرداً من « أل » ولكنه مضاف لضمير يعود على الموصوف مثل : أحب الكتابَ العظيمَ فائدته .

(٤) أن يكون مجرداً من « أل » ولكنه مضاف لمضاف للمقرون بضمير يعود على الموصوف ؛ مثل : أحب الكتابَ العظيمَ فائدةَ بحثه .

(٥) أن يكون مجرداً من « أل » ولكنه مضاف إلى الخالي من « أل » والإضافة ؛ مثل : أحب الكتابَ العظيمَ فائدةَ بحث .

(٦) أن يكون مجرداً من « أل » ومن الإضافة معاً ؛ نحو : أحب الكتابَ العظيمَ فائدةً .

وهذه الحالات الست قد يكون المعمول في كل واحدة منها مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً ، فمجموع الصور ثمانية عشرة صورة . وبعضها يمتنع فيه جر المعمول .

هذه أحوال المعمول وصوره حين تكون الصفة مقرونة « بأل » . فإن كانت مجردة منها فله ست حالات هي الحالات السالفة نفسها مع تجريد الصفة من « أل » وبعد هذا التجريد يكون المعمول في كل حالة مرفوعاً أو منصوباً ، أو مجروراً ، فله ثمانية عشرة صورة أيضاً ، بعضها يمتنع جره كذلك . فمجموع صور

في حالتى اقتران الصفة « بآل » وعدم اقترانها هو : ست وثلاثون صورة بعضها

يُمتنع جره .
وأظهر الممنوع منها هو الأربعة التى سبق لإيضاحها قبل هذه الزيادة مباشرة^(١) . (وهناك غيرها ممنوع ولكن لا حاجة للإتقال بسرده ، لقلة وروده على الأذهان ، ونذكره فى الأساليب الناصعة) .

ب - ما ليس ممنوعاً من الصور يجوز استعماله . ولكنه - مع جواز استعماله - متفاوت فى درجته ، حسناً وقبحاً ، وقوة وضعفاً :

(١) فمن التبيح أن ترفع الصفة المقرونة « بآل » أو المجردة منها ، فاعلا نكرة ؛ نحو : صلاح الحسن وجه " ، أو الحسن وجه أب . . . أو : صلاح حسن وجه " ، و . . .

ومن التبيح أيضاً أن تكون الصفة مقترنة بآل ، أو مجردة ، ومرفوعها مقروناً « بآل » ، أو مجرداً منها . ولهذا صور أربع .

(٢) ومن الضميف : أن تكون الصفة المشبهة نكرة ومعمولها معرفة منصوبة أو مجرورة ، إلا إذا كان المعمول « بآل » ، أو مضافاً لما فيه « آل » .

ومن الضميف أيضاً : أن تكون الصفة « بآل » مضافة إلى معمولها الخالى منها . ولكنه مضاف لضمير يعود على المقرون بها .

وما عدا حالتى التبيح والضعف . - مما ليس ممنوعاً - حسن قوى .

• • •

المسألة ١٠٥ :

أوجه التشابه والتخالف بينها وبين اسم الفاعل المتعدى لواحد^(١)

يجدر بنا الآن — وقد عرفنا أحوال كل منهما ، وقياسيته ، وفرغنا من شرح أحكامهما — أن نعرض لموازنة نافعة بينهما .
١ — إنها تشبهه في أمور ، ومن أجل هذه الأمور مجتمعة^(٢) سميت :
« الصفة المشبهة باسم الفاعل المتعدى لواحد » . وأهم هذه الأمور المشتركة بينهما :

(١) الاشتقاق . فإن لم تكن مشتقة — كما في بعض أنواعها^(٣) القليلة — فليست بصفة أصيلة مُشَبَّهة باسم الفاعل ، وإنما هي صفة مشبهة على وجه من التأويل ، نحو : عرفت رجلاً أسداً أبوه ، أو نَحَرَ أَخادِمْه ، أو ثَعْلَباً حارسه ... ونحو : هذه قمرٌ وجهُها ، حُريرٌ شعرها ، (ويجوز في كل هذا النوع زيادة ياء النسب في آخره) والمعنى التأويلي شجاع أبوه — غادر خادِمْه — مَكرٌ حارسُه — مضى أو جميل وجهُها ، ناعمٌ شعرها ... و
وهذا النوع المؤول^(٣) قياسيٌّ — على قاتنه — ولكن يحسن التخفيف منه قدر الاستطاعة ..

(٢) الدلالة على المعنى وصاحبه . .

(٣) عملها النصب في « الشبيه بالمفعول به » بشرط اعتمادها . ولكن هذا الاعتماد عامٌ في المقرونة « بأل » والمجردة منها . (وقد سبق بيان هذا عند الكلام

(١) أما غير المتعدى فلا تشبه ؛ لأنها تعمل النصب فيما يسمى : الشبيه بالمفعول به . وأما الفعل اللازم فلا ينصب المفعول به ، ولا ما يشبهه . أما المتعدى لأكثر من واحد فلا تشبه ؛ لأن الصفة المشبهة الأصلية مشتقة من فعل لازم .

(٢) مجموعها كاملاً هو السبب في التسمية ؛ لا بعضها .

(٣ و ٣) راجع الكلام عليه في ص ٢٨٤ .

على إعمالها ، كما سبق ^(١) تفصيل الاعتماد وما يتصل به في موضعه المناسب من باب اسم الفاعل ^(٢) ، ومنه يعلم أن الاعتماد ضرورى لعمل اسم الفاعل النصب إذا كان غير مقترن « بأل » . . . أما هى فالاعتماد ضرورى لها في الحالتين ^(٣) ، إذا أريد أن تنصب الشبيه

ومما تجب ملاحظته أن الاعتماد شرط في نصب الصفة المشبهة لما يسمى : « الشبيه بالمفعول به » ، أما غيره فتعمل عملها فيه بدون شرط ؛ كالرفع في فاعلها ، والجر فيما أضيف إليها ، والنصب في كل المنصوبات الأخرى ؛ ومنها : الحال ، والتمييز ، والمفعول لأجاء ، والظرف ، والمفعول المطلق ^(٤) ، وكل معمول مرفوع ، أو مجرور ، أو منصوب . إلا المنصوب على « التشبيه بالمفعول به » فلا بد فيه من الاعتماد .

(٤) قبول التثنية . والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، مثل : (جميل ، جميلة - (جميلان ، جميلاتان) - (جميلاون ، جميلات) ، ومثل : (حسن ، حسنة) - (حسنان ، حسنتان) - (حسنون - حسنات) ، وهكذا

فإن لم تصلح للتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث - فليست صالحة لأن تكون صفة مشبهة ؛ مثل كلمتى : « قُنُتَعَان ^(٥) » ، و « دِلَاص ^(٦) » فكلتاهاما تستعمل بلفظ واحد للمفرد وفروعه ، وللمذكر والمؤنث ، نقول : (رجل . . . ، أو رجلان . . . ، أو رجال . . . ، أو امرأة . . . ، أو امرأتان ، أو نسوة) - قُنُتَعَان ، في كل حالة مما سبق . (وهذه درع . . . أو هاتان درعان

(١) في ص ٢٩٤ و ٢٩٥ .

(٢) في ص ٢٩٤ .

(٣) فاقترانها بأل - أيضاً - يقتضى الاعتماد ؛ بناء على الرأى القسوى الذى يحمل « أل » فيها

للتعريف . (انظر رقم ٢ ص ٣١٣) .

(٤) تنصب المفعول المطلق في مذهب يحسن الأخذ به .

(٥) القُنُتَعَان (بضم القاف ، وسكون النون) . من يستطيع إقناع غيره بكلامه ، ويحمّله على

الرضا برأيه .

(٦) درع دِلَاص : براءة لينة .

..... أو هؤلاء دروع ...) - دلاص ، في كل حالة أيضًا . ومثل كلمة :
 « مَرُضِع » في نحو : ما أعظم حنان ، مرضع الأولاد . فإن هذه الكلمة
 لا تلحقها علامة التأنيث - غالباً - ^(١) ، لأنها خاصة بالمؤنث ، ولا تستعمل
 بهذا المعنى في المذكر .

* * *

(١) لإلحاق لثاء بهذه الكلمة أو عدم إلحاقها بيان جليل في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٦ .

زيادة وتفصيل :

بمناسبة الإشارة إلى تأنيث « الصفة المشبهة » وتذكيرها فعرض للحالات التي يجب أن تطابق فيها الموصوف وحده ، أو السببي وحده ، والحالات التي يجوز فيها مطابقة هذا ، أو ذاك . ويشترط أن تكون الحالات السالفة وأحكامها متعمدة على تأنيث الصفة المشبهة وتذكيرها حين ترفع السببي للمنعوت :

(١) إذا رفعت الصفة المشبهة سببياً للمنعوت ، وكانت صالحة ^(١) في لفظها ومعناها للمذكر والمؤنث جاز أن تطابق هذا أو ذاك ، سواء أكانا مذكرين معاً . أم مؤنثين معاً ، أم مختلفين تذكيراً وتأنيثاً ، فمثال المذكرين معاً . هذا عالم عظيم نفعة . ومثال المؤنثين معاً : هذه عالمة عظيمة والدتها . ومثال المنعوت المذكر والسببي المؤنث : هذا عالم عظيم تلميذاته ، أو عظيم تلميذاته . ومثال المنعوت المؤنث والسببي المذكر : هذه عالمة عظيم اختراعها ، أو عظمة اختراعها .

وسبب الإباحة في هذه الحالة أن الكلمة صالحة ^(١) للأمرين — مع زيادة تاء التأنيث في المؤنث — وانتماء القبح اللفظي والمعنوي ^(٢) منها . بخلاف الصور الآتية ، فإن فيها قبحاً ؛ ولذا تمتنع المطابقة .

(٢) إذا كان لفظها — دون معناها — مختصاً بأحدهما وجب — في الأغلب — أن يكون المنعوت مثلها في التذكير ، أو في التأنيث ، ولا يصح — في الرأي الأغلب — أن تمتع نعتاً لما يخالف لفظها في التذكير ، أو التأنيث ؛ مثل كلمة :

(١) صلاحها بأن تكون صيغتها مما يستعمل لنعت المذكر حينئذ ، ولنعت المؤنث حينئذ آخر ؛ فلا يكون وزنها أو معناها مختصاً بأحدهما . لا يستعمل في الآخر .

(٢) « ملاحظة » : بالرغم من جواز الأمرين في الصور السالفة يحسن مراعاة السببي تذكيراً وتأنيثاً . وذلك بوضع فعل مكان الصفة المشبهة وتطبيق ما يجري على هذا الفعل من ناحية التذكير والتأنيث على الصفة المشبهة ؛ فإذا وجب تأنيث الفعل أو جاز أو امتنع كان الشأن في حكم الصفة المشبهة مثله . وبهذا يتوحد الحكم هنا وفي باقي أنواع النعت السببي الذي يجيء في ص ٤٥٢ .

عجزاء^(١) و ، نحو ، تلك فتاة عجزاء أختها . فلا يصح : ذلك فتى عجزاء أخته .

(٣) وكذلك إن كان معناها - دون لفظها - مختصاً بأحدهما ، فلا يصح - في الأغلب - أن تقع نعتاً لما يخالف معناها في التذكير أو التأنيث ، مثل : كلمتي : خـمـي ، ومـرضـع^(٢) في قول بعض المؤرخين : يصف بيت أحد المماليك وشاهدت مملوكاً ختصياً خادمه ، وأميرة مرضعاً جاريتها فلا يصح : مملوكة ختصياً خادمها ، ولا أميراً مرضعاً جاريتها .

(٤) وكذلك إن كان لفظها ومعناها مختصين بأحدهما ؛ كأكرمـر (وهو خاص بالذكور) ، ورتقاء (وهو خاص بالنساء) ؛ نحو : انصرف رجل أكرمـر وليده - وعجبت أم رتقاء وليدتها . فلا يصح - في الأغلب - انصرفت امرأة أكرمـر ابنها - ولا : عجب والد رتقاء بنته . .

ومن الناحية من يجعل الحالات الثلاث الأخيرة كالحالة الأولى ، فيجيز أن تقع الصفة بعد موصوف يخالفها لفظاً فقط ، أو معنى فقط ، أو لفظاً ومعنى معاً ، فلا فرق عنده في جميع الأحوال الأربعة السابقة من حيث التذكير والتأنيث ، فيجيز أن تكون الصفة مطابقة فيهما للموصوف أو للسببي . وهذا الرأي - على قلة أنصاره - سائغ لما فيه من التيسير ، ومنع التشعيب ، مع موافقته لبعض النصوص العربية الفصيحة . ولكن الرأي الأول أكثر شيوعاً في النصوص العالية المأثورة التي تمتاز بسمو عبارتها ، وقوة بلاغتها ، وبعدها من القبح اللفظي . كل ما سبق مقصور على الحالات التي ترفع فيها الصفة المشبهة سببي المنعوت . لكن هناك بعض حالات خاصة تحتاج إلى إيضاح^(٣) ؛ ففي مثل : « مررت

(١) امرأة عجزاء : أي : كبيرة العجيزة ؛ (وهي : المتقدمة .) ولا يقال في الفصح رجل : أعجز .

(٢) لكلمة « مرضع » بيان خاص بمعناها وبالحاق تاء التأنيث بآخرها ، أو عدم إلحاقها -

في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٦ .

(٣) ما يأتي هو ما أشرنا إليه في رقم ١ من هامش ص ٢٦٨ .

بفتاة حسن الوجه^١ « يكون السببي (وهو : الوجه) واجب الرفع - ، لا يجوز فيه الجر بالإضافة ؛ لأن الجر بالإضافة يقتضى إزالة الإسناد عنه (بالطريقة التى سبق شرحها فى ص ٢٦٨ ،) ، التى ستأتى فى « ب » ص ٣١٠ ، وتحويله إلى ضمير الموصوف وهو الضمير المستتر فى الصفة ، ومتى تحملت الصفة المشبهة هذا الضمير المستتر وجب - فى المثال السالف وأشباهه - تأنيثها بالتاء ؛ مراعاة للمنعوت ؛ فعلم التأنيث فى المثال السابق وأشباهه دليل على أن المعمول ليس « مضافاً إليه » مجروراً ؛ وإنما هو فاعل واجب الرفع .

وقد يتعين عدم الرفع ؛ كما فى : « امرأة حسنة الوجه » ؛ لأن « الوجه » لو كان فاعلاً لوجب تذكر الوصف للسبب السالف . وقد يجوز الأمران - الرفع والجر - كما فى : « مررت برجل حسن الوجه^٢ » .

فالصفة المشبهة إذا تحملت ضميراً مستتراً للموصوف وجب مطابقتها فى التأنيث والتذكير لذلك الموصوف ، ووجب أن يكون معمولها غير فاعل^(١)

* * *

(١) - ملاحظة - : راجع كل الحالات السابقة وتوابعها فى حاشية الصبان ، آخر الباب عند قول ابن مالك : « فارفع بها »

ب - وتخالفه في أمور وأحكام هامة ؛ توضح حقيقة كل منهما ، وتميزه من الآخر . منها :

(١) اشتقاقها من الفعل اللازم حقيقة ، أو من المتعدى الذى هو في حكم اللازم وفي منزلته - فمثال الأول : حَسَّنْ ، وجميل ؛ في نحو : « الغزال حَسَّنَ الصورة » ، جميل العينين » ، وفعلهما : حَسَّنْ وجمُلْ (بضم عينهما) وهما فعلاّن لازمان . وكذلك سَمَحَ ، وجامد ، في قول الشاعر :

السَّمَحُ في الناس محبوب خلائقه والجامد^(١) الكفُّ ما ينفك ممقوتا وفعلهما : « سَمَحَ ، وجَمَمَدَ » وهما لازمان .

ومثال الثاني : « هذا فارع^(٢) القامة » ، على الرأس ؛ إذا أريد بكل من : « فارع » و « عال » الثبوت والدوام^(٣) ، لا التجدد والحدوث . وفعلهما : « فرَع » و « عَمَلَا » وكلاهما متعد . ولكن مجيء الصفة المشبهة من مصدره - عند إرادة الثبوت نصاً - جعله بمنزلة اللازم ، إذ أنها لا تصاغ أصالة إلا منه ، ولا تصاغ من المتعدى إلا على هذا الاعتبار الذى يجعله بمنزلة اللازم^(٤) . أما اسم الفاعل فيصاغ من اللازم والمتعدى بغير تقييد بأحدهما .

(٢) تعدد صيغها القياسية وكثرة الأوزان المسموعة ؛ بخلاف اسم الفاعل فإن له صيغة قياسية واحدة إذا كان فعله ثلاثياً ؛ هى صيغة : « فاعل » . وأخرى على وزن مضارعه مع إبدال أوله ميماً مضمومة وكسر الحرف الذى قبل الآخر - كما عرفنا - إن كان فعله غير ثلاثى . والصيغتان محدودتان مضبوطتان .

(١) جامد الكف هو : البخيل . وكلمة : « جامد » فى أصلها اسم فاعل ، ولكنها هنا صفة مشبهة ، بقرينة لفظية ؛ هى إضافتها إلى الفاعل ، (واسم الفاعل إذا أضيف لرفوعه صار صفة مشبهة ؛ طبقاً لما تقرّر فى بابهِ . .) وأخرى معنوية ، هى : أن الحمود - بمعنى : البخل - صفة من الصفات الثابتة التى تلازم صاحبها غالباً .

(٢) طويل مرتفع . . .

(٣) يدل على هذا هنا إضافة اسم الفاعل إلى فاعله ؛ لأن إضافته لمرفوعه تصيره صفة مشبهة .

(٤) راجع إيضاح هذا وبيان أنواع اللزوم فى هامش ص ٢٦٧ . ومن تلك الأنواع : أن يحول الثلاثى المتعدى ، إلى صيغة « فَعَلَ » (بضم العين) بقصد المدح أو الذم أو غيرها ، فيصير لازماً بالتحويل (لأن هذه الصيغة لا تكون إلا لازمة) . وعندئذ تجيء الصفة المشبهة من مصدره قياساً ، ومن ثم كان « الرحمن » ، و « الرحيم » ، و « العليم » . . . و - ونظائرها من صفات المولى - معدوداً - من الصفات المشبهة ، . . . مع أن فعلها الأصل : هو : « رحِمَ » ، « علِمَ » وهما فعلاّن متعديان .

(٣) دلالتها على معنى دائم الملازمة لصاحبه ، أو كالدائم ؛ فلا يقتصر على ماض وحده ، أو حال وحده ، أو مستقبل كذلك ، أو على اثنين دون الثالث ، فلا بد أن يشمل معناها الأزمنة الثلاثة مجتمعة مع دوامه أو ما يشبه الدوام - ، كما شرحنا - . وهذا يعبر عنه بعض النحاة بأنه : « دلالتها على معنى فى الزمن الماضى المتصل بالحاضر^(١) الممتد ، مع الدوام » ، لأن اتصال الماضى بالحاضر ، ودوام هذا الحاضر ، وامتداده - يستلزم اتصال الأزمنة الثلاثة حتماً . فغاية المبارزين واحدة . وعلى هذا لا يصح أن يقال فى رأى الأقوى الذى يجب الاقتصار عليه : الوجه حسن "أمس - أو الآن - أو غداً . أما على رأى الضعيف الذى سبق أن أشرنا بإهماله^(٢) ، فيجوز (بشرط وجود قرينة) بقاء الصفة المشبهة على صيغتها مع تغير دلالتها إلى الماضى ، أو الحال ، أو المستقبل . وأما على رأى القوى فنقول فى هذه الصور وأمثالها مما يقتصر فيه المعنى على نوع من الزمن دون اكتمال الأنواع كلها : الوجه حاسن "أمس - أو : الوجه حاسن "الآن - أو : الوجه حاسن "غداً : وذلك بتحويل صيغة الصفة المشبهة إلى صيغة اسم الفاعل ، وإخضاعها لأحكامه كلها . وهذا رأى وحده أحقّ بالأخذ . وقد سبق أن أوضحنا^(٣) أن من يريد الدلالة على ثبوت الوصف ودوامه نصاً فعلياً أن يجيء بالصفة المشبهة ، ومن يريد الدلالة نصاً على حدوثه وتقييده بزمن معين دون باقى الأزمنة فعلياً أن يجيء باسم الفاعل . وأنه لا بد مع الإرادة من قرينة تبين نوع الدلالة ؛ أهى الثبوت والدوام ، أم الحدث . ولا فرق فى دلالتها على دوام الملازمة بين أن يكون الدوام مستمراً لا يتخلله انقطاع ؛ (كطويل القامة - حاو العينين) ، وأن يتخلله انقطاع أحياناً ، (نحو : سريع الحركة ، بطيء الغضب ،) فيمن طبعه هذا ، فإن الانقطاع الطارئ - ولو تكرر - لا يخرج الصفة عن أنها فى حكم الملازمة لصاحبها ، إذ أنها من عاداته الغالبة عليه^(٤) .

(١) أى : بالزمن الحال .

(٢) فى ص ٢٩٣ . مع الرجوع إلى رقم ١ من هامش ص ٢٩٣ .

(٣) فى ص ٢٤٢ عند الكلام على اسم الفاعل ، وأحكامه . ثم فى ص ٢٩٣ .

(٤) على الوجه الذى سبق فى هامش ص ٢٨٢ .

(٤) مجاراتها لمضارعها في حركاته وسكناته حيناً، وعدم مجاراته أحياناً إن كان فعلها في الحاليتين ثلاثياً . (والمراد بالمجارة أمران : أن يتساوى عدد الحروف المتحركة والساكنة في كل منهما ، وأن يكون ترتيب المتحرك والساكن فيهما متماثلاً ، فإن كان الثاني ، أو الثالث أو : الرابع — أو غيره — في أحدهما متحركاً كان في الآخر كذلك . أو كان ساكناً فهو ساكن في الآخر . وليس من اللازم أن يتفق نوع الحركة في كل منهما ؛ فقد يكون الأول منتهوياً في أحدهما ، مضموماً في الآخر — مثلاً —)

فمن أمثلة المجارة بينهما قولهم في الظم : فلان ساكن الريح ^(١) ، أشأم الطالع ، والمضارع من الثلاثي هو : يَسْكُنُ — يَشْؤُم . ومن الأمثلة المخالفة — رخيص — ثمين — نجيب — هجين — لطيف ، وغيرها مما في قول شوقي : « الوطن كالبنيان ؛ فقير إلى الرأس العاقل ، والساعد العامل ، وإلى العتب الوضيعة ، والسقموف الرفيعة . وكالروض محتاج إلى رخيص الشجر وشميه ، ونجيب النبات وهجينه ؛ إذ كان ائتلافها في اختلاف رباحيته ؛ فكل ما كان منها لطيفاً موقعه ، غير ناب موضعه — فهو من نوابغ الزهر قريب ، وإن لم يكن في البديع ولا الغريب . . . » . وأفعالها المضارعة التي لا تجاريها (وهي من الثلاثي) : يَرْخُصُ — يَثْمُنُ — يَسْنَجُبُ — يَهْجُنُ — يَلْطُفُ

أما الصفة المشبهة من مصدر غير الثلاثي ^(٢) فلا بد من مجاراتها لمضارعها ؛ إذ هي في الأصل اسم فاعل أو اسم مفعول من غير الثلاثي وهما من غير الثلاثي يجاريان المضارع حتماً ، ثم أريد من كل منهما الثبوت ؛ فصار صفة مشبهة على هذا الاعتبار — كما عرفنا — لأن الصفة المشبهة لا تصاغ أصالة إلا من ثلاثي ؛ فوجب أن تكون من غير الثلاثي مجارية لمضارعها . ومن الأمثلة : فلان مستقيم الخطّة — معتدل النهج — مسدد الرأي . ومضارعها : يستقيم — يعتدل — يسدد

(١) أى : ثقيل الظل .

(٢) وهذا إن كانت في أصلها اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، وقد تحول كل منهما إليها في الدلالة .

أما اسم الفاعل فلا بد أن يجارى مضارعه دائماً^(١) - نحو : ذاهب ،
ويذهب - فاهم ويفهم - سامع ويسمع . ونحو : مكافح ويكافح - مرتفع
ويرتفع - متمهل ويتمهل .

(٥) امتناع تقديم معمولها عليها إن كان « شبيها بالمفعول به »^(٢) ، أما
غيره فيصح ؛ كشبه الجملة ، والمنصوبات الأخرى التي ينصبها الفعل القاصر
والمتعدي والتي يجوز تقديمها ؛ كالمفعول لأجله ، والحال ، و . . . و . . . فلا
يصح الغزالُ العينَ جميلٌ ؛ بنصب كلمة : « العين » على التشبيه بالمفعول به
للصفة المشبهة بعدها .

أما اسم الفاعل فيجوز تقديم معموله عليه في حالات كثيرة إذا كان^(٣)
غير متروك « بأل » مثل : العواصفُ شجراً مقتلعةً ، والسحب الكثيفة نورَ
الشمس حاجبةً . والأصل : مقتلعةً شجراً - حاجبةً نور الشمس .

وكذلك يجوز في الصفة المشبهة تقديم معمولها عليها إن كان شبه جملة أو
فضلة ينصبها العامل المتعدي واللازم ولا يمنع من تقديمها مانع آخر كما قلنا .
ومن أمثلة هذا قوله تعالى : « . . . وإن يمسسك بخبر فهو على كل شيء قدير »
فشبه الجملة : « على كل شيء » متعلق بالصفة المشبهة : « قدير » وكذلك
ما ورد في وصفهم عمرَ رضى الله عنه : « كان بالضعفاء رحيم القلب ، لين
الجانب ، وعنى الطغاة شديد البأس ، قاسى الفؤاد . وأمام الشدائد - ثقةً
بالله - ثبتت الجنان ، قوى الإيمان . . . » ، والأصل : كان رحيم القلب
بالضعفاء - شديد البأس على الطغاة - ثبت الجنان أمام الشدائد ، ثقةً بالله .

(٦) وجوب سببية معمولها المجرور ، أو المنصوب على التشبيه بالمفعول
به . فلا بد أن يكون معمولها سببياً في الحالتين ، وكذلك إذا كان معمولها

(١) كما أشرنا في ص ٣٧ وفي هامش ص ٢٣٨ .

(٢) وبمقتضى القواعد العامة لا يجوز تقديم معمولها المرفوع ، ولا المضاف إليه .

(٣) وقد عرضنا لتلك الحالات في باب ص ٢٦٣ .

مرفوعاً ، والصفة جارية على موصوف . والمراد بالسبي^(١) : الاسم الظاهر المتصل بضمير يعود على صاحبها^(٢) ، اتصالاً لفظياً أو معنوياً . فثال اللفظي : لنا صاحب سمحٌ خليقته ، حلوٌ شمائله ، كريم طبعه ، تهفو القلوب إليه كأنما بينه وبينها نسب ، وقول الشاعر :

لقد كنتُ جلدًا قبل أن تُوقد النوى على كبدي ناراً بطيئاً خمودها
فكل كلمة من الكلمات : خليقة ، شمائل ، طبع ، خمود - . . . معمول للصفة المشبهة التي قبله ، وهو معمول سبي ، لأنه اسم ظاهر ، متصل بضمير يعود - مباشرة - على المتصف بمعنى تلك الصفة .

ومثال المعنوي قول الفَرَزْدَق في مدح زين العابدين بن الحسين :

سهلُ الخليقة - لا تُخشي بوادره تزيينه الخصلتان : الحلم ، والكرم
لا يُخلف الوعد ، ميمونٌ بغرته رجبُ الفناء ، أريبٌ حين يعترم
والأصل : سهلُ الخليقة منه - رجبُ الفناء منه ، أى : من زين العابدين في المثالين . فالضمير محذوف مع حرف الجر ، وهو مع حذفه ملحوظ كأنه موجود^(٤) . أو أنه لا حذف في الكلام . وأن « أل » الداخلة على السبي تغني عن الضمير^(٥) .
أما اسم الفاعل فيعمل في السبي والأجنبي ، مثل : مُكْرَم - مكْرمة - مُنْكَرَة - عاطفة . . . في قولهم : (تكريم العظيم ثأبيد له ، ونصر للفضيلة ، وتكريم الحقير لغراء له ، ومشاركة في جرائمه ، فشتانَ بين مُكْرَم عظيمًا

(١) سبق إيضاح السبي مرة أخرى بتمثيل جلي في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ . واشتراط سبية المفعول مقصور على حالتي نصبه على التشبيه بالمفعول به ، أو جره بالإضافة . أما المفعول المرفوع أو المنصوب على اعتبار وجه آخر ؛ كباقى المكلمات المنصوبة - فلا يشترط فيه السبية ؛ فيجوز أن يكون أجنبياً في الحالتين ؛ نحو : أجميل النجمان ؟ وما مظلم الفرقدان : (وهما ، نجمان متقاربان) والوالد بك فرح . ولكن تجب السبية في مرفوعها - كما قلنا - إذا جرت الصفة على موصوف أى على شيء يجري عليه معناها ؛ نحو : البابل جميل تغريده ، وكذلك اسم الفاعل ؛ نحو : الرجل قادم أبوه .
(٢) هو الموصوف ، أى الذى يتصف بمعناها . وقد يغنى عن الضمير « أل » على الوجه الكوفي المبين في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ . وفي رقم ٤ التالى .

(٣) واسع العقل .

(٤) لاحظ الشبه بين الضمير في هذه الصورة وبينه في المراحل الثلاث التي سلفت في ص ٢٦٨ .

(٥) كما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٢٦٤ وص ٢٦٩ ورقم ٤ من هامش ص ٢٧٧ - وهذا -

يَسْتَحِقُّ التَّكْرِيمَ وَتُكْرِمُ صَغِيرًا هُوَ أَوْلَى بِالزَّرَايَةِ وَالتَّحْقِيرِ . وما الجماعة الناهضة
إلا المَكْرُمَةُ عِظَمَاءُهَا ، الْمُنْكَرَةُ أَرَادَاسُهَا ، الْعَاطِفَةُ أَقْوَايُهَا عَلَى ضَعْفَانِهَا) .
(٧) استحسان إضافتها إلى فاعلها المعنوي ^(١) وَجَرَّهَ بِالإِضَافَةِ ^(٢) ؛ سواء
أكانت الصفة المشبهة من الصفات التي تلازم صاحبها ولا تفارقه ، مثل :
البدوي طويلُ التامة ، عريضُ الجبهة ، أَسْمَرُ اللَّوْنِ - أم كانت من الصفات
التي تلازمه طويلا وقد تفارقه نحو : العربي قوئُ السمع . حديدُ ^(٣) البصر
خفيفُ الحركة . . . والأصل : البدوي طويلا قامته ، عريضةُ جبهته ،
أَسْمَرُ لَوْنُهُ ، قوئُ سَمْعُهُ ، حديدُ بَصَرُهُ

أما اسم الفاعل فإضافته إلى مرفوعه ممنوعة في أكثر أحواله التي يدل فيها
على الحدوث ، لا على الدوام . وقد سبق تفصيل هذا ^(٤) حيث أوضحنا أن اسم
الفاعل الدال على الحدوث . وفعله لازم أو متعد لأكثر من مفعول ، لا يجوز
إضافته لفاعل إلا إذا أريد منه الدلالة على الثبوت . كدلالة الصفة المشبهة ، وأن الذي
فعله متعد لمفعول واحد - قد يجوز إضافته لفاعله عند أمن اللبس للدلالة على
الثبوت إلى آخر ما سردناه هناك ، وأن اسم الفاعل إذا ترك الدلالة على
الحدوث إلى الدلالة على الثبوت والدوام لا يبقى له اسمه ، ولا أحكامه ، وإنما ينتقل
إلى الصفة المشبهة ؛ فيسمى باسمها ، ويخضع لأحكامها دون أن تتغير صيغته .

* * *

= الرأى الكوفي أحسن ؛ لخلوه من الحذف والتقدير . وكل ما يقال للنفس منه مردود ، إذ ليس فيه
ضعف . وعلى هذا يكون السبى هو الاسم الظاهر المتصل بضمير صاحب الصفة ، أو بما يفنى عن
الضمير . وقد اجتمع الأمران في قول الشاعر (سويد بن أبي كاهل) يصف ثغرفاة :

أَبْيَضُ اللَّوْنِ ، لَذِيذُ طَعْمُهُ طَيِّبُ الرِّيْقِ إِذَا الرِّيْقُ خَدَعُ
(خدع : فسَدَ) .

(١) المراد بالفاعل المعنوي الاسم الواقع بعدها ، المتصف بمعنائها ، الذي يعرب فاعلا حقيقةً
لها لو جعلناها فعلا .

(٢) سيجىء سبب الاستحسان في ص ٣١٦ .

(٤) في ص ٢٤٢ و ٢٦٥ .

(٣) قوئُ .

زيادة وتفصيل :

١ - بقيت - أمور وأحكام أخرى تنفرد بها الصفة المشبهة ^(١) ، ولا يشاركها فيها اسم الفاعل ، منها :

(١) فيما سبق من الأحكام الخاصة بإعمال الصفة المشبهة يقول ابن مالك في باب عقده لها ؛ عنوانه : « الصفة المشبهة باسم الفاعل » . ولكنه باب مختصر ؛ لم يستوف تلك الأحكام . قال في تعريفها .

صِفَةُ اسْتُخْسِنَ جَرُّ فَاعِلٍ مَعْنَى بِهَا الْمُشَبَّهَةُ اسْمُ الْفَاعِلِ
يريد : الصفة التي يستحسن أن يجز بها فاعلها في المعنى ، هي : « الصفة المشبهة باسم الفاعل » ، وهي تجر باعتبارها مضافاً . وفاعلها المعنوي هو المضاف إليه . وقد شرحنا هذا الاستحسان (في رقم ٧ من ص ٣١١ وفي « ب » من ص ٣١٥ الآتية) وقال بعد ذلك :

وصَوْغُهَا مِنْ لَازِمٍ لِحَاضِرٍ كظَاهِرِ الْقَلْبِ جَمِيلِ الظَّاهِرِ

أى : أنها تصاغ من مصدر الثلاثي اللازم للدلالة على معنى متصل بالزمن الحاضر ، (أى - الحال) اتصال دوام وملازمة ؛ فيشمل الأزمنة الثلاثة (على الوجه المشروح في : « ثالثاً ، ورابعاً » من ص ٢٨٢) ومثل لها بمثاليين ؛ أحدهما : صفة مشبهة ، كانت في أصلها اسم فاعل ، ثم أريد منه الثبوت والدوام ؛ فعصار صفة مشبهة ، في معناه وأحكامه . ويبقى على وزنه وصيغته الأولى الخاصة باسم الفاعل ؛ هو : ظاهر القلب ، والثاني : صفة مشبهة أصيلة في صيغتها ، وفي معناها ؛ هو : جميل الظاهر . ثم قال :

وعملُ اسم فاعل المُعْدَى لها على الحد الذي قد حداً

(قد حداً : أصله : قد حد ، زيدت ألف في آخر الفعل لأجل الوزن الشعري . والمراد : على الرسم والقبض والتحديد الذي قد حدد لكل منهما ، ووضعت له الشروط الخاصة به) .

يقول : ما ثبت لاسم الفاعل المتعدي - والمراد : المتعدي لواحد فقط - يثبت لها ؛ بشرط مراعاة الحدود والضوابط التي وضعت لكلهما ، والتي منها : أن منصوبها لا يسمى مفعولاً به . وإنما يسمى : « المنصوب على التشبيه بالمفعول به » . وهذا إن كان المنصوب معرفة ؛ فإن كان نكرة ، فهو تمييز =

(١) عدم تعرفها بالإضافة (في رأى الراجح بين آراء قوية أيضاً أشرنا إليها من قبل^(١)) أما هو فيتعرف بها إذا كان بمعنى الماضي فقط ، أو أريد به الاستمرار فيلاحظ في هذا الاستمرار جانب المضى وحده .

(٢) « أل » الداخلة عليها قد تعتبر للتعريف وموصولة معاً - في رأى - وأداة تعريف فتعطف في رأى أقوى .

أما الداخلة عليه فمعرفة واسم موصول معاً (كما سبق في بابه . وفي ج ١ ص ٢٧٨ م ٢٧) .

= أو منصوب على التشبيه أيضاً ، ومنصوب اسم الفاعل المتعدي لواحد يسمى : « مفذولا به » وكذا بقية الفوارق بينهما ، فيجب مراعاتها . ثم بين شرطين من شروط إعمالها ؛ هما عدم سبق معدولها عليها . وكونه سببياً ؛ يقول :

وَسَبَقُ مَا تَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَنَبٌ وَكَوْنُهُ ذَا سَبَبِيَّةٍ وَجِبْ

(أى : مجتنب أن يسبق ما تعمل فيه ، ووجب كون معدولها ذا سببية) . ولم يذكر التفصيلات اللازمة . وانتقل بعد ذلك إلى كيفية ضبط هذا المعمول . فأدخله في ثلاثة أبيات حرمت كثيراً من الوضوح والتوفية ؛ هي :

فَارْفَعْ بِهَا ، وَانْصِبْ ، وَجُرِّمْ « أل » ودُونَ « أل » - مصحوب « أل » وما اتصل :
يعنى : ارفع بالصفة المشبهة ، أو : انصب ، أو جر . . . ، وكل هذا جائز مع وجود « أل » في
الصفة المشبهة ، ودون وجودها . لكن ما الذى سترفعه الصفة أو تنصبه أو تجره ؟ بينه بأنه المعمول المصحوب
« أل » (أى : المقترن بها) ، وأنه أيضاً هو المعمول الذى اتصل

بها ، مُضَافاً ، أو مُجَرِّداً ، ولا تَجُرُّ بِهَا مَع « أل » سَمَان « أل » خلا :

ومن إضافة لتأليها ، وما لم يخلُ فهو بالجواز وسما
يريد : أنه المعمول الذى اتصل بالصفة مع إضافته ، أو مع تجريده من « أل » والإضافة - كما
أوضحنا كل هذا بالأمثلة الكثيرة (في ص ٢٩٤) - وانتقل بعد ذلك إلى بيان حالات لا يجوز فيها
الجر . فقال : لا تجر بالصفة المشبهة المقرونة « بأل » سما (اسما) خلا من « أل » أو خلا من الإضافة
إلى تألى « أل » فمئذ أن معمول الصفة المشبهة لا يصح أن يكون مجروراً بها وهى مقترنة « بأل » مع خلوه
من « أل » ، أو عدم إضافته لما فيه « أل » . فإن لم يخل جاز الجر . وفي هذا الكلام نقص كبير .

(١) انظر ص ٦ و ٢٩ .

(٣) مخالفتها فعلها اللازم أصالة ، فتنصب معمولها على التشبيه بالمفعول به دون فعلها ؛ فإنه قاصراً لا ينصب المفعول به ^(١) ، ولا شبهه . أما اسم الفاعل فلا يخالف فعله في التعدى واللزوم .

(٤) إعراب معمولها المنصوب مُشَبَّهًا بالمفعول به - وليس مفعولاً به - سواء أكان المفعول معرفة أم نكرة ، وتمييزاً فقط إن كان نكرة ^(١) . . .

أما معموله فمفعول به مباشرة ، ما دام منصوباً قد وقع عليه فعل الفاعل .
(٥) تأنيثها يكون أحياناً بألف التأنيث ؛ نحو : هذه بيضاء الصفحة .
أما هو فلا تدخله ألف التأنيث .

(٦) عدم مراعاة محل معمولها المجرور بإضافته إليها ، المتبوع بعطف ؛ أو بغيره من التوابع . بخلاف اسم الفاعل .

(٧) عدم إعمالها محذوفة ؛ فلا يصبح هذا حسن القول والفعل ، بنصب « الفعل » ، على تقدير : وحسن الفعل ؛ أما هو فيجوز : أدت ضارب اللص والخائن ، بنصب الخائن . كما يجوز في باب : « الاشتغال » أن يقال : أضعيفاً أدت مساعده ، أى : أ مساعداً ضعيفاً . . . ؟ بتقدير اسم فاعل محذوف بعد الهمزة ، ولا يصبح : أو جهتها هذه المرأة جميلته ^(٢) .

(٨) عدم الفصل بينها وبين معمولها المرفوع أو المنصوب ^(٣) بظرف أو جار ومجرور - في الرأي الأرجح - إلا عند الضرورة ، بخلافه .

(٩) وجوب تغيير صيغتها إلى صيغة اسم الفاعل إن تركت الدلالة على الثبوت - بقرينة - إلى الدلالة على الحدث . أما هو فقد يبقى على صيغته إن ترك الدلالة على الحدث - بقرينة - إلى الدلالة على الثبوت .

(١٠) جواز إتياع معموله بالنعته أو غيره من باقى التوابع . أما معمولها فلا يتنصب بنعت ، أى : لا يصبح نعته .

* * *

(١ و ١) انظر ما يتصل بهذا في ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وفي رقم ٢٠٤ هامش ص ٢٩٤ .

(٢) يوضح هذا ما سبق في : « ب » ٢٦٤ .

(٣) أما الفصل بينها وبين معمولها المجرور فتحكم حكم الفصل بين المتضايفين ، وقد سبق في

ب - يذكر النحاة تعليلاً جلدلياً^(١) لاستحسان إضافة الصفة المشبهة لفاعلها دون إضافة اسم الفاعل لفاعله ، ولخصه هنا (بالرغم من أنه جلد منقوض بجدل مثله ، ومعارض بأمثلة كثيرة ، أوردتها المعترضون ، وضمنوها بطون المطولات ، وأن التعليل الحق هو استعمال العرب ليس غير) :

إن إضافة اسم الفاعل إلى فاعله ممنوعة - على وجه يكاد يقع عليه الاتفاق - إذا بقي على دلالة الحدث نصاً ، وكان فاعله لازماً ، أو متعدباً لأكثر من مفعول به ؛ لأن إضافته في هاتين الصورتين توقع في اللبس . فتوهم أنه أضيف ليجارى الصفة المشبهة - حيث تضاف لفاعلها كثيراً - وأنه ترك دلالته على الحدث والتجدد ليصير دالاً على الثبوت والدوام مثلها ؛ فأضيف إضافتها ليؤدى دلالتها .

أما إن كان فعله متعدباً لواحد ؛ فقد يمتنع إضافته إذا أوقعت في لبس . كما في مثل : البارّ مكرمٌ أبوه فاو قلنا : البارّ مكرمٌ الأب - لحاز أن يقع في الوهم أن الإضافة هي للمفعول ، لا للفاعل ، وأن الأصل : البارّ مكرمٌ أباه ، بل إن إضافته قليلة حين يكون فعله متعدباً لواحد ، ومعناه من المعاني التي لا تقع على الذوات ، (أى : على الأجسام) ؛ حيث اللبس مأمون ، والإبهام غير راقع . مثل : محمد كاتبٌ أبوه ، فلا يصح : محمد كاتبٌ الأب - إلا على قلة كما سبق - مع أنه لا لبس ولا إبهام في الإضافة ؛ إذ الكتابة لا تقع على الذوات .

أما السبب في عدم صحة هذا - إلا على قلة - فلأن الصفة الدالة على الثبوت لا تضاف إلى فاعلها إلا بعد تحويل إسنادها عنه إلى ضمير موصوفها ، واستتار الضمير فيها (كما أشرنا في ص ٢٦٨) ، إذ لو لم يتحول الإسناد بالطريقة السالفة للزم إضافة الشيء إلى نفسه ، لأن الصفة هي نفس مرفوعها في المعنى ، وهو أمر غير جائز ، إلا في مواضع^(٢) ليس منها الموضع الحالي . ويؤيد هذا - عندهم - تأنيث الصفة المشبهة بالتاء في مثل : مررت بالفتاة

(١) أشرنا إليه في ص ٢٦٨ .

(٢) سبقت في باب الإضافة « د » ص ٤٠ .

الحسنة الوجه^(١)؛ فلو لم تكن الصفة مسندة إلى ضمير الفتاة لوجب تذكرها كما تذكر مع فاعلها المرفوع؛ لهذا كان من المستحسن - وقيل: من الواجب - في مثل: أقبلت الفتاة الجميلة وجهها - أن تضاف الصفة إلى فاعلها؛ فيقال: أقبلت الفتاة الجميلة الوجه، لأن في الإضافة تخفيفاً وتقليلاً من عدة أمور تتشابه في أن كل اثنين منها بمنزلة شيء واحد، ففي المثال السابق قبل الإضافة (وهو: مررت بالفتاة الحسن وجهها) - الجار والمجرور بمنزلة الشيء الواحد، وكذلك الصفة مع الموصوف، والفعل مع فاعله، والمضاف مع المضاف إليه. وكل هذه الأمور المتشابهة المجتمعة تقتضي التخفيف ولم يمكنهم أن يزيلوا منها شيئاً إلا الضمير حيث تصرفوا في شأنه؛ فنقلوه، وجعلوه فاعلاً بالصفة، فاستتر فيها: لأن الصفة في هذه الصورة تعد بمنزلة الجارية على من هي له^(٢)، حيث رفعت ضميره، ومن ثم استحسننا الإضافة في المثال السالف، وفي نحو: أقبلت الفتاة الجميلة وجهها، فيصير: أقبلت الفتاة الجميلة الوجه، ولم تستحسن، أو لم تصح في: محمد كاتب الأب (وأصله قبل الإضافة: محمد كاتب أبوه). لقلة الأشياء المتشابهة التي تقتضي التخفيف.

وسبب آخر - عندهم - هو: أن الإسناد في مثل: الفتاة الجميلة الوجه - بإضافة الصفة إلى فاعلها - قد تغير؛ فصار الجمل مسنداً إلى الضمير العائد إلى الفتاة كلها بعد أن كان الإسناد متجهاً إلى وجهها فقط، وهو جزء منها، أي: أن الإسناد في ظاهره هو للكل، ولكن المراد منه الجزء على سبيل المجاز؛ لأن من جمل وحسن بعضه ساغ أن يسند الجمل والحسن إلى كله، مجازاً؛ لحكمة بلاغية؛ قد تكون المبالغة أو نحوها... وهذا لا يستساغ في مثل: محمد كاتب الأب (والأصل: محمد كاتب أبوه): لأن من كتب أبوه لا يحسن أن تسند الكتابة إليه إلا بمجاز بعيد غير مقبول، سرى من المضاف؛ وهو «الأب» إلى المضاف إليه؛ وهو: «الهاء». فهو

(١) إيضاح هذا في ص ٣٠٣.

(٢) سبق إيضاح الكلام على الضمير العائد على من هو له أو غير من هو له في ج ١ ص ٣٥٣٣.

من الإسناد إلى المضاف إليه ، مع إرادة المضاف . وشتان بين الإسنادَيْن
 والمجازين ؛ فالإسناد في الأول واقع بين الكل والجزء الذي هو بعضه ، فيصح
 إطلاق كل منهما وإرادة الآخر ، بخلاف الثاني فهو بين الأبوة والنبوة .
 هكذا يقولون ^(١) ، وهو تعليل جدلي محض كما قلنا . وفيه مخالفة لما أجازوه
 من قبل ، من إضافة الشيء إلى نفسه أحياناً . . . (٢)

(١) راجع حاشية التصريح في هذا المكان .

(٢) كالذي في ص ٤١ و ٥١ وما بينهما .

المسألة ١٠٦ :

اسم الزمان ، واسم المكان^(١)

تعريفهما :

اسمان يصاغان من المصدر الأصلي^(١) للفعل بقصد الدلالة على أمرين معاً ، هما : المعنى المجرد الذى يدل عليه ذلك المصدر ، مزيداً عليه الدلالة على زمان وقوعه ، أو مكان وقوعه .

أوبال : اسم الزمان ما يدل — بكلمة واحدة — على المعنى المجرد وزمانه^(٢) ، واسم المكان ما يدل — بكلمة واحدة — على المعنى المجرد ومكانه^(٣) . ومن الميسور الوصول إلى هذه الدلالة بتعبيرات أخرى خالية من الاسمين السالفين . ولكنها تعبيرات لن تبلغ فى الإيجاز مبلغ اسم الزمان واسم المكان ، ففزية كل منهما أنه يؤدي بكلمة واحدة مالا يؤديه غيره إلا بكلمات متعددة .

صوغهما :

١ — طريقة صياغتهما ، والوصول إليهما من الماضى الثلاثى ، غير معتل العين بالياء^(٤) ، تتحقق بالإتيان بمصدره القياسى — مهما كانت صيغته — ثم

(١ و ٢) لم يعرض لهما ابن مالك فى : « ألفيته » . وعرضنا لهما هنا استيفاء للمشتقات . وقد سبق فى ص ١٨٢ بيان مفصل عن المشتقات ، وعن أصلها ؛ أهو المصدر الصريح ، أم الفعل الماضى ؟ وأن بعض القدامى يطلق كلمة : « الأخذ » على الاشتقاق من غير المصدر الصريح .

(٢) وفى حالة نصبه التى يكون مشتركاً فيها مع حروف عامله يعرب ظرف زمان ؛ كقولهم : قعدت مقعد الضيف ، أى : زن قعوده . فكلمة : « مقعد » ظرف زمان منصوب . (راجع الخضرى والصبان ج ١ أول باب الظرف) .

(٣) وإذا كان منصوباً مشتركاً مع عامله فى حروفه فإنه يعرب ظرف مكان — كما تقدم فى باب الظرف فى الجزء الثانى — ؛ نحو : قعدت مقعد الغائب ، أى : مكان قعوده .

(٤) أما صوغهما من الثلاثى معتل العين بالياء فقد سبق حكمه فى ص ٢٢٩ تحت عنوان :

« ملاحظة » — كما أشرنا فى ص ٣٠٨ — .

جعلها على وزن : « مَفْعَل » ^(١) - بفتح الميم والعين - في جميع الحالات ،
 ما عدا حالتين ، تكون الصيغة فيهما على وزن « مَفْعَل » ^(١) - بكسر العين - :
 الأولى : الماضي الثلاثي صحيح الأحرف الثلاثة ، مكسور العين في
 المضارع ؛ مثل : جلس يجلس - رجَعَ يرجع - قَصَدَ يقصد - حسب
 يحسب... و... .

الثانية : الماضي معتل الفاء بالواو ^(٢) ، صحيح اللام ^(٣) ، بشرط أن يكون
 مضارعه مكسور العين ^(٤) ، تحذف فيه الواو لوقوعها بين الفتحة والكسرة ، مثل :
 وألَّ يَلِّل ^(٥) - وثيق يثق - وجَمَّ يَجِمُّ ^(٦) - وخَزَّ يَخِزُّ ^(٧) - وَعَدَّ
 يَعِدُّ -

فإن أمثلة « مَفْعَل » - بفتح العين - للزمان : مطلع الفجر خير وقت
 للقراءة والاطلاع النافع - لكثير من الطيور هجرة سنوية ؛ فراراً من البرد .
 فإذا أقبل المشتى ، وحلَّ المهجر ، رحلت إلى بلد أكثر دفئاً ، وأنسب

(١ و ٢) سيجيء في « ب » من ص ٣٢٥ حكم زيادة تاء التأنيث في آخر هذه الصيغة .

(٢) بعض النحاة قد صرح بأن يكون حرف العلة الذي في أول الفعل الثلاثي هو « الواو » وبعضهم
 أطلق ولم يعين نوع الحرف ، مكتفياً بأن يذكر أن الفعل معتل الأول . لكن السيوطي قد نص على أن
 الماضي المعتل الفاء بالياء ، الصحيح اللام - مثل : يَقِظَ - يَمِينُ - يَسِيرُ ، تكون الصيغة منه
 على وزن : « مَفْعَل » بفتح العين . (المعج ٢ ص ١٦٨) .

(٣) لأن معتل الفاء واللام معاً يجب فيه فتح « العين » تطابقاً للقاعدة العامة ؛ وهي : أن الثلاثي
 معتل اللام يجب أن تكون صيغة مصدره الميمي واسم زمانه واسم مكانه على وزن « مَفْعَل » - بفتح العين -
 دائماً ؛ سواء أكان بعض أصوله الأخرى حرف علة أم حرفاً صحيحاً : فاعتلال « لاو » - ولو انفردت
 بالاعتلال - كاف لتطبيق القاعدة السائدة وجوباً .

(٤) بعض النحاة لا يشترط في معتل الفاء بالواو أن يكون مضارعه مكسور العين ، ولا ما يترتب
 على كسرها من حذف الواو في المضارع أحياناً كثيرة . فيقولون « الموجل والموحل » . بالكسر فيهما ،
 على اعتبار أن عين الفعل المضارع فيهما مفتوحة (أي : وَجِلَّ يُوَجِّلُ وَحِلَّ يَوْحِلُّ) وأمثالهما . وبناء
 على هذا يجوز في اسم الزمان واسم المكان من الثلاثي المعتل الأول بالواو أن تكون صيغته على وزن
 « مَفْعَل » - بفتح العين وكسرها - . (وقد قال شارح المفصل - ج ٦ ص ١٠٨ - إن الفتح
 أقيس ، والكسر أفصح) . فالأمران صحيحان قويان .

(٥) وألَّ يَلِّل ، بمعنى : اتعأ يلتجئ .

(٦) وجَمَّ من الأمر وجوباً ، كرهه ، أو : تركه مضطراً . أو : سكت على غيظ .

(٧) طعن بربح ونحوه .

جَوْاً . والمراد : زمن طلوع الفجر - زمن الشّتو (بمعنى : الشتاء) ، زمن
المُجَرّ ؛ (بمعنى الهجرة) . وأفعالها الثلاثية هي : طَلَعَ - شتا - هجر .

ومن أمثلة « مَفْعِل » - بكسر العين - للزمان : كلمتا مغرِس ، وموعِد في
قولهم : لِعِرْس الشجر مواسم معينة ؛ فإذا حان المغرِس ، وحلّ موعِدُه ،
أسرع الزرّاع إلى غرس ما يريدون .

ومن أمثلة « مَفْعِل » - بفتح العين - للمكان : (مَدْخَل - مطعَم -
مطبخ - مكتَب - ملعَب - مشرَب - منأى - مسرَح - مأوى . . .) في
قول القائل : « زرت بيتاً لأحد الرفاق ؛ فراقني جماله ؛ وتعام نظافته ، وبراعة
تنسيقه ، ووفاءه بمطالب الحياة السعيدة ؛ فهذا مَدْخَل الأضياف ، يُسَلِّمهم
إلى غرفة استقبال أنيقة . وهذا مَطْعَم واسع ، حسن الترتيب ، يُحْمِل إليه
شهى الطعام من مَطْبَخ آية فى النظافة . وفى جانب هادئ غرفة واسعة جعلها رب
البيت مَكْتَباً له ، تُطَل على حديقة عامرة بعيون الأزاهير . وفى أحد الأطراف
مَلْعَبٌ فسيح ، مُهْدَت طرُقُه ، وفرشت أرضه بالكأ الناعم الأخضر .
وفى ركن منه مَشْرَبٌ للدافئ والبارد . وفى مَنَآئى عنه مَسْرَحٌ ومأوى للطيور
الأيفة ، وبعض الحيزانات المستأنسة . . . »

والمراد ؛ مكان الدخول - مكان الطعام - مكان الطبخ - مكان الكتابة -
- مكان اللعب - مكان الشرب - مكان النَّأى ، أى : البعد - مكان السَّرَح
أى : الرعى - مكان الإيواء . . .

ومن أمثلة « مَفْعِل » - بكسر العين - للمكان ؛ مجلس - مرجع -
مقصد - موثق - موثّل - مَوْرِث ؛ كقولهم ، فى وصف أمير المؤمنين
على بن أبى طالب : كان واضح الجلال ، عظيم الهيبة . مجلسه مجلس علم
وقار ؛ لا تسمع فيه لغواً ، ولا تأثيماً ، والإمام فيه مرجعُ الفتوى ، ومَقْصِد
المستفهم ، ومَوْثِقُ الشاكِّ ، ومَوْثِلُ اللائد . . .

أى : مكان الجلوس - مكان الرجوع - مكان القصد - مكان الوثوق - مكان
الوأل ، (أى : الالتجاء) .

أما صيغتهما والوصول إليهما من الماضي الثلاثي المعتل العين بالياء فقد سبق بيانها^(١).

ب - فإن كان الماضي غير ثلاثي فطريقة صوغهما تتحقق بالإتيان بمضارعه ؛ ثم قلب أوله ميماً مضمومة ، وفتح الحرف الذى قبل الآخر ، فتنشأ صيغة صالحة لأن تكون اسم زمان واسم مكان^(٢) ، ويكون توجيهها لأحدهما خاضعاً للقرائن اللفظية أو غير اللفظية ، فالقرينة وحدها هى التى تتحكم فى هذه الصيغة ؛ فتجعلها لأحدهما دون الآخر .

فن الأمثلة : مُسْمَسًى وَمُصْبَح - (أَمْسَى ، يُمَسى ، مُمَسًى - أصبح ، يصبح ، مُصْبِحاً) ، نحو : الحمد لله مُسْمَسَانَا وَمُصْبَحُنَا ، ونحو قول التاجر : مَتَجَرى مُصْبَحى وَمُمسَاى . والمراد : الحمد لله فى وقت إمساتنا وإصباحنا - متجرى مكان إصباحى وإمساى .

ونحو : الفلك دَوَّار فى حركة دائبة ، فليس له مُنْقَطَع يتوقف عنده إذا حان ، ولا مُتَوَقَّف يستريح ساعته إذا حلت . والمراد ؛ : ليس له زمان انقطاع ، ولا زمان توقف .

ومن الأمثلة : كوخ تملؤه السكينة والطمأنينة والوثام ، خيرٌ مُسْتَقَرّاً وأعظم مُقَاماً من قصر فحْم يسوده القاق ، والفرع ، ودواعى الشقاق . والمراد : خير مكان للاستقرار ، وأعظم مكان للإقامة .

حكمهما :

اسم الزمان والمكان مشتقان يصح أن يتعاقى بهما شبه الجملة^(٣) .

(١) فى ص ٢٣٦ بعنوان : « ملاحظة » .

(٢) وصالحة أيضاً لأن تكون مصدرًا . ويبدأ ، وأن تكون اسم مفعول - لأن هذه المشتقات الأربعة مشتركة فى صيغتها التى تصاغ من مصدر غير الثلاثى ، متحدة فى طريقة الوصول إلى إيجاد هذه الصيغة . وعلى هذا يكون التفریق والتمييز المعنوى بينهما موكولا للقرائن ، خاضعاً لوجها .

(٣) يجوز أن يتعلق بهما شبه الجملة ؛ لأن فيهما رائحة الفعل ، وهى تكفى موسوغاً للتعليل ؛ (كما سبق فى هامش ص ٢٥١) .

ولكنهما لا يعملان شيئاً من عمل فعلهما ؛ فلا يرفعان الفاعل - أونائبه ،
ولا ينصبان المفعول به ، ولا غيره .

ويصح - عند الحاجة - زيادة تاء التأنيث في آخر صيغة « مَفْعِل » - بفتح
العين ، وكسرها - بشرط أن تكون الصيغة للمكان ، مراداً تأنيث معناه ؛ وسيجيء
البيان الخاص بهذا ^(١) .

(١) في « ب » من ص ٣٢٥ مشتملا على قرار المجمع القوي في ذلك .

زيادة وتفصيل :

١ - يقول فريق من النحاة : إن في اللغة أسماء للزمان أو للمكان على وزن « مفعِل » - بكسر العين - سماعاً عن العرب . وكان القياس الفتح ؛ ومنها : المشرق - المغرب - المطلع - المسجد - الممرْفَق (١) - المنسِك (٢) - المفرق (٣) - الحجزِر (٤) - المسقط (٥) - المنبت - المسكن - المحشر - الموضع - جميع الناس - المخزن - المركز - المرسين (٦) - المنفذ (٧) المعدن - المأوى ، إذا كان خاصاً بالإبل تتأوى إليه

والملاحظ أن النحاة كثير من مراجعهم حين يسرّوب الكلمات السلفه بصرفونها بأنها وردت عن العرب بالكسر ، وأن قياسها الفتح ، ويكتفون بهذا ، دون أن يعرضوا ببيان شاف لأمرين هامين .

أولهما : ما تنص عليه المراجع اللغوية من ورود السماع الصحيح بالكسر وبالفتح في أغلب تلك الكلمات (دون الاقتصار على أحد الضبطين) (٨) مثل : مسجد - موضع - منبت - مطلع - مسقط - مظنة ، مشرق ، مغرب ، مسكن مجمع الناس - مغرب - مرفق - منسك (٩) - محشر ... فورود السماع بالفتح أيضاً أدخل تلك الكلمات في مجال الضابط العام ، وجعله منطبقاً عليها . وإذا لا معنى لإبرازها ووصفها بأنها : « وردت مكسورة » ، وكان قياسها الفتح . فقد ثبت أنها وردت بالفتح أيضاً ؛ فاجتمع في الفتح السماع وانطبق الضابط

(١) مكان الرق (والرق : ضد العنف والقسوة) . ويطلق اليوم على المكان الذي يكون مقر المنفعة العامة ، كمرق الكهرباء ، أو مرفق السكك الحديدية .

(٢) المعبد .

(٣) مكان الفرق في وسط الرأس . . .

(٤) مكان الذبح .

(٥) مكان السقوط .

(٦) موضع الرسن ، وهو الجبل الذي تقاد به الدابة . . . (٧) موضع النفوذ .

(٨) ومن هذه المراجع التي نصت على مجيئها بالفتح والكسر نصاً صريحاً : « المصباح المنير »

آخر ج ٢ ص ٩٦٤ الفصل الخاص بصيغة مفعل للزمان والمكان والمصدر الميمي .

(٩) ومن الكلمات الواردة بالفتح والكسر غير ما سبق ، ما سجله السيوطي في كتابه : المزه

- - ٢ ص ٦٣ في باب : ضوابط واستثناءات في الأبنية وغيرها - وهي : (المطلع ، المرفق ، المحشر ، المنبت ، المذمة ، المحل . . .) .

العام عليه ، (أى : اجتمع فيه السماع والقياس) كما أن ورود السماع بالكسر يجيز فيها استخدام الكسر أيضاً ؛ مراعاة للمسموع ، دون أن يوجب الاقتصار عليه . بل إن ورود السماع بالكسر وحده لا يوجب الاقتصار عليه وإهمال القياس ^(١) . فكيف وقد اجتمع لها السماع والقياس معاً ؟

ثانيهما : أن كثيراً من أفعال تلك الألفاظ يصح في مضارعه كسر العين طبقاً للوارد عن العرب ؛ كمضارع الأفعال الصحيحة : (رفّق - فرّق - جزّر - حشّر . . .) . فليست عين المضارع فيها مقصورة في اللغة على الفتح أو على الضم ؛ بل يجوز فيها الكسر أيضاً ، طبقاً للوارد . وإذا جاز فيها الكسر كانت صيغة الزمان والمكان بكسر العين قياسية مطّردة ؛ وتكون كنظائرها الكثيرة المكسورة التي تخضع للضابط العام ، وتنطبق عليها القاعدة الخاصة بطريقة الصوغ المطرد ، ولا يكون ثمة معنى لإبرازها من بين نظائرها ، وتخصيصها بأنها : « وردت مسموعة بالكسر ، وكان قياسها الفتح » . فلك أن الفتح والكسر سماعيان وقياسيان معاً فيها ..

وخلاصة ما تقدم أن تلك الكلمات التي تماثلاً فريق من النحاة على أنها مسموعة بالكسر ، وأن قياسها الفتح ، ليست مخالفة للقياس الأصيل ، ولا خارجة عن نطاق القاعدة العامة المتعلقة بالصياغة المطردة ، إما لأنها مسموعة بالفتح أيضاً كورودها مسموعة بالكسر ، وإما لأن عين مضارعها مسموعة بالكسر وغير الكسر ، ومتى ورد فيها الكسر صح مجيء الصيغة مكسورة العين ، وفاقاً للقاعدة العامة ، والتمياس المطرد . . . ^(٢)

(١) طبقة البيان الشامل الذى سبق - فى هامش ص ١٩١ وما بعدها - وهو عام فى كل ما ينطبق عليه سماع وقياس من المصادر ، والجموع ، وغيرها . . . وفيه نص خاص بالكلمات التى وردت هنا ؛ والتى وصفوها بأنها : « وردت مسموعة بالكسر ، وكان قياسها الفتح . . . » ، فقد قال عنها « القاموس المحيط » فى مادة : « سجد » ما نصه : (ألزوها كسر العين والفتح جائز ، وإن لم نسمعه) ، أما بقية الأدلة على الموضوع العام فهناك بيانها الأكل .

(٢) هذا إلى ما نقلناه عن القاموس - فى رقم ١ السابق من الحكم عليها . بحكم عام شامل ؛ هو قوله : « الفتح جائز ، وإن لم نسمعه » .

ب - وردت صيغ - كثيرة لاسم المكان ، قليلة لاسم الزمان ، - من مصدر الثلاثي على وفاء القاعدة ، ولكنها مختومة بتاء التأنيث للدلالة على تأنيث المعنى المراد من الكلمة .. (إذ يقصد منها : البقعة ، بمعنى المكان) . فما ورد في الكلام العربي الفصيح : المَزَلَّة (بكسر الزاي) لموضع الزَّالِ - المَظَنَّة وفتح الظاء ^(١)) لمكان الظن - المَشْرِقَة (بفتح القاف) ، للمكان الذي يقع فيه - المَشْرِبة للغُرْفَة - المَدْبَغَة - المَزْرَعَة - المَزْلَقَة - المَنَامَة . . . وكثير مثل هذا يزيد على المائة ولكنه يكاد يفتقر على المكان . فهل يجوز القياس على هذا الوارد من المكان ، مراداً منه : « البقعة » ، بزيادة تاء التأنيث على صيغة « مَفْعَلَة » التي هي بفتح العين أو التي بكسرها ، لتَصِير « مَفْعَلَة » - بفتح العين أو كسرها ^(٢) - مع بقاء الدلالة على ما كانت عليه ؟

اختلف قدماء النحاة في الرأي ؛ فختلilhهم يميز القياس ، وأكثرهم يميل - بغير داع قوي - إلى المنع ؛ لادهم أن هذا الكثير - المسموع المختوم بالتاء في صيغة اسم المكان - قليل لا يكفي للقياس عليه .

والحق أن الرأي الذي يبيح القياس عليه سديد موفّق ، إذ كيف يوصف الوارد من تلك الأمثلة المكانية بالقلّة مع أنه يبلغ العشرات ^(٣) ؟ نعم إنها قلّة ، ولكنها : « نسبية » ، (أي : بالنسبة للصيغ الواردة من غير تاء التأنيث) ، والقلّة النسبية « على هذا الوجه تبيح القياس العام ، وتميز المحاكاة من غير تقييد ^(٤) ، وإن كانت لا تبلغ في درجة القوة والفصاحة مبلغ الأولى ^(٥) ، فاختلاف الدرجة في القوة والفصاحة لا يمنع من صحة القياس والمحاكاة . ولا داعي للتضييق الذي لا يدفع عن اللغة أذى ؛ ولا يجلب لها نفعاً . فالأنسب إباحة القياس في صيغة « مَفْعَلَة »

(١) وقد سمع فيها الكسر أيضاً .

(٢) دالة على المؤنث ، المراد به البقعة ، بمعنى المكان .

(٣) قال شارح « القاموس المحيط » في مادة « أسد » : إن بعضهم جعله مقيساً ؛ لكثرة أمثاله .

(٤) انظر البيان الخاص بهذا في رقم ٤ من هامش ص ٧٩ .

(٥) هذا رأى بعض أئمة العربية من يفسرون القياس (كما جاء في مجلة المجمع اللغوي ج ١

ص ٢٣٢) بأنه جرى على مقتضى الكثرة في جنسها ، لا الأغلبية العامة . وبه أخذ المجمع اللغوي في كثير من أحكامه وقراراته ، بعد أن بين قوته ، ورجاحة أدلته ، وشدة الحاجة للأخذ به .

— بفتح العين أو كسرهما — تبعاً للقواعد السابقة الخاصة بصياغتها ، مع الاختصار في القياس على اسم المكان ، لأن أمثله الواردة هي التي بلغت في الكثرة حداً يبيح القياس عليها ، دون اسم الزمان ، حتى لقد علل النحاة واللغويون التأنيث بأنه إرادة البقعة لا المكان^(١) — وهى غير « مفعلة » الآتية هنا في « ح » . وأهم مما سبق وأقوى في إباحة القياس أن النحاة يقررون أن إلحاق تاء التأنيث بالمشتقات قياسى : لتأنيث معناها ، وأن هذا الإلحاق قياسى مطرد في جميع أنواعها ، إلا بعض صيغ معينة ، ليس منها صيغة اسم الزمان والمكان — كما سيجىء في باب التأنيث ، ح ٤٤ م ١٦٩ ص ٤٤٠ .

هذا ، وقد أباح مؤتمر المجمع اللغوى القاهرى (في دورته الثالثة والثلاثين التى بدأت في آخر يناير سنة ١٩٦٧ زيادة التاء للتأنيث في « مفعلة » (صيغة اسم المكان) مطلقاً ، (أى : سواء كثر في المكان الشيء أو لم يكثر) وعرض عليه من المسموع الصحيح الوارد لها نحو : ستة وعشرين ومائة (١٢٦) كلمة ختمت فيها صيغة المكان بتاء التأنيث^(٢) . . .

ح — قد يصاغ من الاسم الجاهل الثلاثى^(٣) الحسى^(٤) صيغة على وزن :

(١) جاء هذا التعليل في بعض المراجع الكبيرة ، (ومنها : شرح المفصل ج ٦ ص ١٠٩ موضوع : اسم الزمان والمكان) . وسيبويه أحد الأئمة الذين يميزون في الكلمة ملاحظة لفظها أو ملاحظة معناها ؛ فيعود عليها الضمير ، وأسماء الإشارة ، ونحوها مما تقع فيه المطابقة — بالتذكير أو التأنيث ؛ مراعاة لأحد الاعتبارين السابقين مع وجود قرينة تمنع اللبس والاشتباه . نحو : (أتتني كلام أسر بها) ، مراعيًا المعنى ، أى : أتتني رسالة ، أو عبارة . أو مقالة . ويصح : أتاني كلام أسر به ، مراعيًا اللفظ ؛ وهو : الكلام . وشل : (« حاشا » يكون حرف جر ، ويكون فعلاً ماضياً . وإذا كانت فعلاً ماضياً فالكثير الفصحى لا تقع بعد « ما » المصدرية . . .) فالتأنيث ملحوظ فيه : الكلمة ، والتذكير ملحوظ فيه اللفظ ، أو الحرف . والأفضل اليوم — بل الواجب — عدم الأخذ برأى سيبويه هنا إلا في « مفعلة » التى نحن بصدها . أما غيرها فيقتصر فيه على ما سمع أو ورد فيه نص خاص باستعماله ، دون إطلاق هذا الحكم وتعميمه . فالواجب تقييده بما سلف ، منعاً لإفساد البيان اللغوى ، وحرساً على سلامة اللغة .

(٢) راجع القرار وما يتصل به في ص ٤٣ من الكتاب الذى أخرجه المجمع سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب في أصول اللغة ، مشتملا على مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع — ومؤتمره من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين . » .

(٣) الثلاث أصالة أو تحويلاً — بالتفصيل المبين في الصفحة الآتية —

(٤) — سواء أكان حيواناً ، أم نباتاً ، أم جماداً — وقد أشرنا لهذا في « ب » من هامش =

« مَفْعَلَةٌ » - بفتح الميم والعين دائماً - بقصد الدلالة على مكان يكثر فيه ذلك الشيء^(١) الحسى المجسم ، (أى : الذى ليس معنويًا)^(٢) . فإذا وُجد مكان يكثر فيه : « وَرَقٌ » - مثلاً - صُعْنَا « مَفْعَلَةٌ » من : « وَرَقٌ » فقلنا : « مَوْرَقَةٌ » ؛ للدلالة على مكان يكثر فيه ذلك الشيء الحسى المسمى : « بالورق » . وإذا وجد مكان يكثر فيه : « عَنَبٌ » ، صغنا من كلمة : « عنب » « مَعْنَبَةٌ » ، للدلالة على مكان يكثر فيه ذلك الشيء المجسم المسمى : « بالعنب » . وإذا وجد مكان يكثر فيه : « بَلَحٌ » ، صغنا من كلمة : « بلح » ؛ « مَبْلَحَةٌ » للدلالة على المكان الذى يكثر به البلح . وهكذا تصاغ « مَفْعَلَةٌ » - من الاسم الثلاثي الجامد للدلالة على أمرين معاً ، هما : المكان وما يكثر فيه من شيء حسى مُمَيَّن ، (كما سبقت الإشارة لهذا^(٣)) .

فالمراد : هو وصف بَقْعَةٍ ، أو قطعة من الأرض بكثرة ما فيها من شيء خاص مجسم . ومن الأمثلة أيضاً : مَأْسَدَةٌ ، لأرض يكثر فيها الأسد - مَسْدَأَةٌ ؛ لأرض يكثر فيها الذئب - مَسْدَهَةٌ ؛ لأرض يكثر فيها الذهب - مَقْمَحَةٌ ؛ لأرض يكثر فيها القمح - مَرْمَلَةٌ ؛ لأرض يكثر فيها الرمل . إلى غير ذلك من الأسماء الثلاثية الجامدة الحسية . ويسمى الاشتقاق بالطريقة السالفة : الاشتقاق من أسماء الأعيان^(٤) الثلاثية . أما غير الثلاثية فلا يصاغ منها « مَفْعَلَةٌ » لهذا القصد . إلا إن كان الاسم مشتملاً على بعض الحروف الزائدة التي يمكن حذفها ، وتجريده منها ، وإبقاؤه على ثلاثة أحرف أصلية تُشْتَقُّ منها تلك الصيغة بغير لبس ؛ مثل : « مَبْطِخَةٌ » لأرض يكثر فيها : « البطيخ » و « مَبْغَزْلَةٌ » لأرض يكثر فيها الغزال ، و « مَحْصَنَةٌ » لأرض يكثر فيها الحصان . فالأمر في هذه الصيغة مقصور على الثلاثي ؛ إما أصالة ، وإما

= ص ١٨٠ . حيث الكلام على أصل « المشتقات » بتفصيل مفيد، وأن بعض القدماء كان يعاطف كلمة : « الأخذ » على الاشتقاق من غير المصدر الصريح كالجامد الحسى و . . . و . . .

(١) هذه الكثرة شرط لا بد من تحققه قبل الصياغة المطلوبة .

(٢) أما المعنوى (كالمصدر) فهو أصل الاشتقاق .

(٣) سبقت الإشارة لهذا في « ب » من هامش ص ١٨٣ .

(٤) الأعيان ، أو : الذات : جمع عين وذات ، وهى الشيء المجسم المشخص . وهذا النوع من الاشتقاق مخالف للنوع الآخر المأخوذ من المصادر ؛ إذ المصدر أمر معنوى محض .

تحويلاً ؛ بأن يتجرد المزيد من أحرف زيادته ويصير ثلاثياً ؛ اتباعاً للمأثور
الغالب عن العرب .

أما المجرد من غير الثلاثي فيُسلَك معه مسالك أخرى في التعبير عن هذه
الدلالة على حسب اختيار المتكلم وقدرته البلاغية ؛ دون استخدام لتلك
الصيغة ، إذ لا يكاد يوجد خلاف في منع صياغة : « مَفْعَلَةٌ » من المجرد الذي
تزيد حروفه الأصلية على ثلاثة ^(١) .

بقي أن نشير إلى مسألتين هامتين :

الأولى : أقياسية تلك الصيغة أم مقصورة على السماع ؟ لقد ارتضى المجمع
اللغوي التماهي قياسيها ، ونص قراره ^(٢) :

” (جاءت أمثلة من تلك الصيغة عن العرب : ولنا أن نتكلم بما جاء عنهم .
وهل لنا أن نفيس عليه ؛ فنقول مثلاً : « مَسْغُزْلَةٌ » للأرض التي يكثر فيها
الغزال ، وقد جرد لفظ : « الغزال » من زيادته ، ومَسْخَسَةٌ للأرض التي يكثر
فيها : الخس ، و « مَتَبَرَةٌ » للأرض التي يكثر فيها : التبر - إذا كان
العرب لم يقولوا هذا ؟

(١) قال الرضى في شرحه للكافية في الباب الذي عنوانه : (ما كثر بالمكان يبنى على مَفْعَلَةٍ) .
ما نصه : « لم يأتوا بمثل هذا - يقصد أنهم لم يأتوا بمَفْعَلَةٍ - في الرباعي فافوته ؛ نحو :
للصفدع ، والشعلب ، بل استغنوا بقولهم : كثير الثعالب . أو تقول : مكان مُشْعَلِبٍ ومُعْقِرِبٍ
ومُضْفَدَعٍ ومُطْحَلِبٍ بكسر اللام الأولى - (يريد : اللام الأولى في الوزن الصرفي للكلمات الرباعية)
- على أنها اسم فاعل - قال لبيد :

يَمْنُنْ أَعْدَادًا « بَلْبُنِي » أَوْ « أَجَا » مَضْفِدَاتٍ كُلِّهَا مَطْحَلِبَةٍ

٥١ . ص ١٨٨ من الطبعة التي أخرجها : الزفزاف وزميله .

وقد جاء في شرحها للبيت السالف أن معنى : « يَمْنُنْ » هو : قصدن - ومعنى الأعداد : (بفتح
الهمزة) هو : الماء الذي لا ينفذ . المفرد : عدد ؛ بكسر أوله - ولُبْنِي وَأَجَا : جبلان - مَضْفِدَاتٍ :
كثيرة الضفادع - مَطْحَلِبِيَّة : كثيرة الطحالب . . .

(٢) ورد قراره مسجلاً في ص ١٢ من محاضر جلسات الدورة الثالثة المطبوعة بالمطبعة الأثرية
سنة ١٩٣٨ . وله إشارة عابرة في ص ٤٣ من الكتاب الذي أخرجه المجمع سنة ١٩٦٩ مشتملاً على القرارات
المجمعة من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين .

« في المسألة رأيان مبنيان على الاختلاف في التقدير :

« أحدهما : أن هذا البناء - مع كثرته - من قبيل المسموع . ومعنى هذا أن الكثرة لم تصل إلى حد أن يقاس عليها .
« والآخر : أن الكثرة وصلت إلى حد أن يقاس عليها . وله من كلام بعض^(١) الأئمة الكبار ما يعضده .

« وقد أخذ المجمع بالرأي الثاني ؛ لأنه قوى ، والحاجة داعية إلى القياس على ما قال العرب) » اهـ^(٢) .

(١) ومن هؤلاء صاحب : « المكل ، شرح المفصل » حيث يقول ما نصه : (« اعلم أنهم إذا أرادوا أن يذكروا كثرة حصول شيء بمكان وضعوها « مفعلة » وهذا قياس مطرد في كل اسم ثلاثي ، كقولك أرض مفعلة ، أى : يكثر فيها . . .) اهـ . وسرد بعد هذا أمثلة كثيرة .

(٢) للقرار المجمعى السابق ما يشبه التهمة المستقلة ، صدرت بعده بأمد طويل ؛ ففي الجلسة التالية للمؤتمر المجمعى بتاريخ ١٧/١٢/١٩٥٩ عرض استفسار لأحد الأعضاء ، نصه :

« (كان المجمع الموقر قد اتخذ القرار الآتي : (تصاغ : « مفعلة » - بفتح العين - قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذى تكثر فيه الأعيان ؛ سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد . . .) . وقد يسر هذا القرار لوضعي المصطلحات العلمية وضع كثير من الألفاظ العربية على هذا الوزن أمام أشباهها من الألفاظ الأعجمية ؛ مثال ذلك : مفعلة - مفعلة - مقطعة - موزدة - مفعلة . . . »

« وفي أثناء معالجتى لهذه الألفاظ - وما يشابهها - برزت عقبة لم أستطع تذليلها ، ولذلك رأيت عرضها على مؤتمر المجمع الموقر ؛ وهى تلخص بالسؤال الآتي :

إذا لم يكن لاسم العين الثلاثى فعل وكانت عين الاسم حرف علة ، (كما فى كلمات : توت - خوخ ، جوز ، وأشابهها) فما هو حرف العلة فى اسم المكان الذى يصاغ من اسم العين على وزن مفعلة ؟

« وبعد . أرجو المذاكرة فى هذا الموضوع ، أو إحاطته على اللجنة المختصة ؛ بغية اتخاذ قرارينى السبيل أمام الباحثين فى المصطلحات العلمية .) اهـ .

وقد أحيل الاستفسار إلى لجنة الأصول ؛ فدرسته واتخذت فيه قراراً قدمته للمؤتمر فوافق عليه ، ونص القرار : (القاعدة فى صوغ : « مفعلة » مما وسطه حرف علة هى : « الإعلال » فيقال فى مثل : « توت ، و « خوخ » ، و « تين » : متانة ، ومخاخة ، ومتانة . لكن وردت فى اللغة ألفاظ كثيرة بالتصحيح لا الإعلال ؛ مثل : مشوبة - مشورة - مصيدة - مفعودة - مفعولة . ويرى النحاة أن الاحتفاظ بالأصل يلجأ إليه أحياناً . ولا شك أن بقاء الكلمة من غير إعلال أبين فى الدلالة على المعنى . وإعلال فى هذا الباب غير مستحكم . وقد نقل عن أبى زيد النحوى إجازة التصحيح فى « أفعل » ، و « استفعل » ؛ كأغيم ، وأغيل ، واستحوذ ، واستقوم ، واستجوب ، =

الثانية : أن هذه الصيغة تختلف في مدلولها وفي المراد منها عن صيغتي :

= واستصوب وإذا أجزى التصحيح في الأفعال فالإجازة في الأسماء مقبولة ؛ لأن الأسماء في هذا الباب محمولة على الأفعال ، في الإعلال) ٥١ .

هذا نص الاستفسار ، وقرار اللجنة والمؤتمر بشأنه ، (كما وردت نصوصها الحرفية في ص ٥٠ من مجموعة البحوث ، والمحاضرات لمؤتمر المحجج ، في دورته السادسة والعشرين ، سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠) .

وإني ألحظ في هذا القرار غموضاً وتعارضاً يتطلبان التجلية والتوفيق . فالقرار ينص على أن القاعدة هي : الإعلال . وهذا حكم يقتضينا التمسك بالقاعدة ، وعدم الخروج عليها ، ما دامت قد استحققت اسمها : وما خالفها فشاذ يحفظ ولا يقاس عليه - كما يقولون - .

لكن للقرار يعود بعد ذلك فيقول : وردت ألفاظ كثيرة في اللغة بالتصحيح لا بالإعلال . . . فما مراده بالكثرة ؟ إن كانت قد بلغت الحد الذي يصح القياس عليه لم تكن القاعدة السالفة (وهي قاعدة : « الإعلال ») فريدة يجب الاقتصاد عليها ؛ وإنما تكون إحدى قاعدتين ، يجوز القياس على كل منهما ؛ هما : « التصحيح والإعلال » . وإن كانت لم تبلغ حد الكثرة المطلوبة وجب الاقتصاد على الأولى عند التطبيق ، واعتبار ما ورد من الثانية شاذاً .

ثم ما المراد من أن الأصل يلجأ إليه أحياناً ؟ أهذا الاتجاه واجب أم جائز ؟ وما تحديد هذه الأحيان ؟ ومن الذي له الحق في تحديدها ؟

وإذا كان بقاء الكلمة من غير إعلال أبين من غير شك (كما يقول القرار) في الدلالة على المعنى من الإعلال - فلماذا نترك الأبين إلى غيره ؟ وكيف يختار أئمة النحو ضابطاً عاماً يؤدي إلى غير الأبين مع ترك ما يؤدي إلى الأبين ؟ وإذا كان الإعلال في هذا الباب غير مستحكم (كما يقول القرار) فلم التمسك به ، وبناء القاعدة عليه ؟ وإذا كان المنقول عن أبي زيد - كما يشير القرار - جواز التصحيح في « أفتمل » و « استفعل » ، فهل يجوز التعميم بحيث يشمل التصحيح غيرها أيضاً ، بالرغم من أن أبا زيد قصر الأمر عليهما دون غيرها ؟ وبالرغم أيضاً مما قاله ابن جني في كتابه الخصائص (ج ١ ص ٩٩) ونقله السيوطي - وغيره - في كتابه : « الأشباه والنظائر » وفي كتابه المزهر (ج ١ ص ١٣٦) عند الكلام على المطرد في الاستعمال مع شذوذه في القياس ؛ مثل : استحوذ واستصوب ؟ فقد دل ما نصه : (اعلم أن الشيء إذا طرد في الاستعمال وشذ عن القياس فلا بد من اتباع الجماع الوارد فيه نفسه ، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره ، ألا ترى أنك إذا سمعت استحوذ ، واستصوب . . . أدبتهما بحالهما ، ولم تتجاوز ما ورد به السماع فهما إلى غيرها ؛ ألا تترك لا تقول في استقام استقوم ، ولا في استساغ استسوغ ، ولا في استباع استبيع ، ولا في أعاد أعوّد . . . لو لم نسمع شيئاً من ذلك . قياساً على قولهم أخوهم الرمث . . . - (الرمث : نبت حامض . وأخوص : صار كالخوص) - . . . فهل يجوز التعميم برغم كل ما سبق مما نقلناه . ؟

وما المراد من قول التقرير : . إذا أجزى التصحيح في الأفعال فالإجازة في الأسماء مقبولة . . . ؟ فهل طرد التصحيح في الأفعال حتى تحمل عليه الأسماء فيه ؟ وإذا كان مطرداً أو كثيراً إلى الحد الذي يبيح قياس الأسماء عليه فلم منعه القديما إلا في المسائل المحدودة التي نصوا عليها ؟ . . . تلك هي بعض =

« مَفْعَل » ، و « مَفْعَلَة » الخاصتين « باسم المكان » فهاتان الصيغتان مشتقتان من المصدر ، وتدلان على المكان وعلى المعنى المجرد الذى يحدث به . أما تلك فتصاغ من الثلاثى المحسوس للدلالة على المكان وعلى شيء حسى معين يكثر به ، لا على شيء معنوى ، فالفرق كبير بين الدالتين . والفرق أكبر إذا أُوسِعَ فى الأصل الذى يشتقان منه ، وفى طريقة الصياغة ، ووزن الصيغة ، كما يتبين هذا جلياً فى الشرح الخاص بكل .

* * *

د - ملخص ما سبق من أوزان المصدر الميمى ^(١) واسمى الزمان والمكان إذا كانت أفعالها الماضية ثلاثية ، وماضى المصدر الميمى غير مضعف - هو : (١) إذا كان الماضى الثلاثى معتل اللام ، (مثل : دعا - سعى . . .) فالصيغة للمشتقات الثلاث هى وزن : « مَفْعَل » - بفتح ، فسكون ، ففتح - تقول : مَدَعَى - مَسَعَى . . .

(٢) إذا كان الماضى الثلاثى صحيح الأحرف ومضارعه مضموم العين أو مفتوحها : (مثل : نظر ينظر - فتح يفتح . . .) فالصيغة للثلاثة على وزن : « مَفْعَل » أيضاً ، كالسابقة .

(٣) إذا كان الماضى الثلاثى صحيح الأحرف ، ومضارعه مكسور العين ؛ (مثل : جلس يجلس - عرف يعرف . . .) فالميمى على وزن : « مَفْعَل » أيضاً ، واسما الزمان والمكان على وزن : « مَفْعَل » بكسر العين .

= الجوانب التى تحتاج إلى التجلية والبيان ، مع ترك جوانب أخرى من ذلك القرار يقشها النموض أيضاً . ولا سيما إذا عرضنا لراى سيبويه فى مثل تلك الكلمات التى لم يجر عليها الإعلال بالنقل من مثل : استحوذ - استصوب . . . فهو يقول ما ملخصه : سمعنا جميع الشواذ المذكورة معلقة أيضاً على القياس إلا استحوذ ، واستروح الريح ، وأغيلت . . . ثم قال : ولا مانع من إعلالها وإن لم يسمع ؛ لأن الإعلال هو الكثير المطرد - راجع ص ٤٧ من كتاب : ليس من كلام العرب لابن خالويه .

ويدور بخلى أن القرار لو اقتصر على سرد القاعدة التى جاءت فى صدره ، وزاد عليها إباحة التصحيح فى حالة واحدة هى : أن يخفى معنى الكلمة بالإعلال أو ياتمس بغيره ، ولا منجاة من الخفاء واللبس إلا بالتصحيح - لو فعل هذا - لكان سليماً من النموض ، بعيداً من التعارض ، مسائراً بعض المذاهب اللغوية العامة .

(٤) إذا كان الماضي الثلاثي معتل الفاء بالواو . صحيح اللام ، ووضارعه مكسور العين تحذف فيه الواو ؛ (مثل : وعَدَ يَعد . .) فالصيغة للثلاثة هي : «مفعِل» بكسر العين .

ويتبين مما سبق أن صيغة الثلاثة لا تختلف إلا في صورة واحدة هي التي يكون فيها الماضي الثلاثي صحيح الأحرف مكسور العين في المضارع ، فيصاغ المصدر الميمي على وزن «مفعَل» - بفتح العين - ويصاغ اسما الزمان والمكان على وزن «مفعِل» . بكسر العين . ويجوز في المصدر الميمي أيضاً أن يكون على وزن : «مفعَل» - بفتح العين أو كسرهما - إن كان ماضيه مضعفاً^(١) .

كل ما سبق حين يكون الماضي ثلاثياً فإن كان غير ثلاثي فيصاغ الثلاثة - وكذا اسم المفعول - على وزن المضارع مع إبدال أوله ميماً مضمومة وفتح الحرف الذي قبل آخره ، وتكون القرائن هي المُميزة بين الأنواع الثلاثة والدالة على النوع المناسب للسياق دون غيره من الثلاثة الأخرى .

المسألة ١٠٧ :

اسم الآلة

تعريفه :

اسم يصاغ - قياساً - من المصدر الأصلي^(١) للفعل الثلاثي المتصرف - لازماً ، أو متعدباً - بقصد الدلالة على الأداة التي تستخدم في إيجاد معنى ذلك المصدر ، وتحقيق مدلوله .

وليس الوصول إلى تلك الدلالة المعنوية مقصوراً على صيغة اسم الآلة القياسي ، فمن الممكن الوصول إلى تلك الدلالة بأساليب مختلفة ، ليس في واحد منها الصيغة القياسية التي تخص « اسم الآلة » ولكن هذا الوصول يتطلب ألفاظاً ، وكلمات متعددة لا يتطلبها صوغ اسم الآلة القياسي ؛ فإنه يقوم بهذه الدلالة المعنوية بكلمة واحدة ، فزيته أنه يؤدي باللفظة المنفردة ما لا يؤديه غيره إلا بالكلمات المتعددة .

صوغه :

صياغته القياسية لا تكون إلا من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف - مطلقاً^(٢) - يصاغ من غيره .

وأوزان اسم الآلة ثلاثة قياسية ؛ هي : مِفْعَل - مِفْعَال - مِفْعَلَة . وطريقة صوغها أن نجيء بذلك المصدر مهما كان وزنه - وندخل عليه من التغير ما يجعله على وزن إحدى الصيغ الثلاث^(٣) . مثال ذلك :

(١) نَشَرَ النَّجَارُ الخشبَ نشرًا ، فآلة النشر هي : مِشْشَر . أو : مِشْشَار ، أو : مِشْشَرَة .

(١) في ص ١٨٢ تفصيل الكلام على أصل المشتقات ؛ مصدرًا وغير مصدر . . . ولم يعرض ابن مالك في « ألفيته » ، لاسم الآلة . وقد عرضنا له استيفاء للمشتقات .

(٢) أى : سواء أكان الفعل متعدباً أم لازماً ، كما تقدم . وانظر : « ب » - ص ٢٢٦ - حيث البيان الخاص بصوغه من اللازم .

(٣) زاد عليها مجمع اللغة العربية أوزاناً أخرى نجىء في ص ٣٣٧ .

(٢) بَرَد الصانع الحديد بَرْدًا ، قَالَة البرْد هي : مِبْرَد ، أو : مِبْرَاد ،
أو : مِبْرَدَة .

(٣) ثَقِبَتْ سِدَاد القارورة ثَقْبًا — قَالَة الثقب هي : مِثْقَب ، أو :
مِثْقَاب ، أو مِثْقَبَة .

(٤) سَخُنَ الماء سَخَانَة وَسُخُونَة — قَالَة التي تتحقق بها السخونة ،
هي : مِسْخَن ، أو : مِسْخَان ، أو : مِسْخَنَة .

(٥) سَلَكَت الطريق سلوكًا ، أَى : ذَهَبَتْ فِيهِ وَنَفَذَتْ مِنْهُ . قَالَة
التي يتحقق بها الذهاب والنفاذ ، هي : مِسْلَك ، أو : مِسْلَاك ، أو :
مِسْلَكَة .

(٦) سَمَحَتْ للمحتاج ببعض الغلة سُمُوحًا ، وَسَمَّاحًا ، وَسَمَّاحَة ،
قَالَة التي يتحقق بها السَّمَاح وتستخدم فى الإعطاء والتناول ، هي : مِسْمَح
أو : مِسْمَاح ، أو : مِسْمَحَة وهكذا .

حكمه :

اسم الآلة لا يعمل عمل فعله ؛ فلا يرفع فاعلا أو فائب فاعل ، ولا ينصب
مفعولا به ، ولا غيره ؛ فهو واسم المكان واسم الزمان المشتقات الثلاث التي لا تعمل
عمل فعلها^(١) .

ويلاحظ أن صيغة « مِفْعَال » مشتركة بين « اسم الآلة » ، و « صيغة
المبالغة » ؛ فهي من الأوزان الصالحة لهذه ولتلك — كما سبق^(٢) — والتفرقة بينهما
فى الدلالة تكون بإحدى القرائن اللفظية أو المعنوية ؛ كالأشأن فى كل صيغة مشتركة ،
أو لفظ يصلح لأمينين أو أكثر ؛ فالقرينة وحدها هي التي تتحكم فى التوجيه
هنا أو هناك ، فى مثل : (تخيرت للخشب الجزل منشاراً قوياً يمزقه) — تكون
صيغة « مِفْعَال » اسم آلة : بخلافها فى مثل : (ما أعجب فلاناً فى التحدث عن

(١) وكذلك المصدر المصوغ للدلالة على المرة — كما سبق فى رقم ١ من هامش ٢٢٤ — ومع أن هذه
الأربعة لا تعمل ، يجوز أن يتعلق بها شبه الجملة لما فيها من رائحة الفعل (راجع هامش ص ٢٢١) .

(٢) فى رقم ٤ من هامش ص ٢٥٨ .

نفسه ، ونشر أخباره ، وانتهاز الفرص للإعلان عن شؤنه !! إنه جدير بأن يسمى :
 مِشَاراً) — فإنها صيغة مبالغة في النشر . ومثل : كلمة : « مِذْياع » ؛ فقد
 يراد منها الآلة الصمّاء التي تستخدم في نقل الأخبار المذاعة . وقد يُراد
 منها الشخص المتكلم في تلك الآلة^(١) . فمثال الحالة الأولى تدل عليها القرينة :
 توقف المِذْياع للحلل في أسلاكه . ومثال الثانية التي تدل عليها القرينة أيضاً :
 ما أفصح المِذْياع ، وما أعذب صوته ، لم يتأجلج ، ولم يتردد ، ولم يشوه كلامه
 بلحن أو خطأ ، مع أنه كان يرتجل بغير إعداد .

(١) هذا من الوجهة اللغوية . وقد جرى العرف اليوم على تسمية الآلة « بالمِذْياع » وتسمية
 الشخص : بالمُذيع .

زيادة وتفصيل :

١ - وردت ألفاظٌ مسموعةٌ شذت صيغتها عن القياس ؛ منها : « المُنْخَل » ؛ للأداة التي يُنْخَل بها الدقيق . « والمُدْق » ؛ للأداة التي تدق بها الأشياء الصلبة « والمُدْهَن » ؛ للأداة التي تستخدم في الدهان . « والمُكْحَلَة » ؛ للأداة التي تستخدم في الكحل ، أو للوعاء الذي يوضع فيه . و « المُسْعَط » ؛ للأداة التي يُسْعَط بها العليل ، أو الصبي ، أى : يوضع بها الدواء في أنفه (وكل ما سبق بضم أوله وثالثه إلا « المُدْق » فبضم أوله وثانيه) ، « وإِرَاث » للأداة التي تُوقِد النار . . .

ولما كانت تلك الأوزان - وأشباهها - خارجة عن الصيغ القياسية ، جاز استعمالها كما وردت مسموعة عن العرب ، وجاز - كما سيتبين بعد ^(١) - اشتقاق صيغة قياسية من مصدر أفعالها الثلاثية المتصرفة تؤدي معناها ومهمتها ، بحيث تجيء الصيغة الجديدة على وزن « مَفْعَل » أو : « مِفْعَلَة » ، أو : مِفْعَال » وهى الأوزان الثلاثة القياسية لاسم الآلة .

ب - فى محاضر جلسات الجمع اللغوى القاهرى ، فى دور انعقاده الأول (ص ٣٧١) ، بحث واف على اسم الآلة ، ونصوص متعددة من المراجع المطولة الأصلية التى تصدت لبيان أحكامه . ومن ذلك البحث وما تبعه من بحوث فرعية ، وما أثاره من جدل عنيف . ومناقشات مستفيضة مسجلة هناك - يتبين أن بين العلماء خلافاً شديداً يكاد يتركز فى ثلاث مسائل :

أولها : أياكون اشتقاق اسم الآلة من مصدر الثلاثى المتصرف ، المتعدى واللازم ، أم من مصدر المتعدى فقط ، كما يميل إليه أكثر السابقين ؟ وهل يشتق من أسماء الأعيان ؟

ثانيها : أيجوز اشتقاق من مصدر الأفعال غير الثلاثية ، أم أمره مقصور على الثلاثية وحدها ؟

ثالثها : أيجوز التماس مع وجود صيغة مسموعة تخالفه ، أم يجب الاقتصار عليها ؟

وخير إجابة عن تلك الأسئلة - وهي إجابة مُستمدة في أكثرها من البحوث والمناقشات التي دارت بالمجمع ، ثم من مراجع واعتبارات أخرى - هي :
(١) جواز الاشتقاق من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف اللازم والمتعدي ، دون مصدر الأفعال غير الثلاثية ، ودون أسماء الأعيان . فيجب الاقتصار في هذين على المسموع وحده .

(٢) ويجوز التّياس بصوغ اسم الآلة من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف مع ورود صيغة مسموعة تخالفه . لكن الأحسن الاقتصار على هذه الصيغة المسموعة ، وبخاصة إذا كانت شائعة .

* * *

« ملاحظة » : جاء في مجلة المجمع اللغوي ، القرار الآتي نصه (١) :
” (يضاف إلى الصيغ الثلاث المشهورة في اسم الآلة ، (وهي . مفعّل - مفعّلة - مفعّال ، وكذا : « فَعَّالَة » التي أقر مجلس المجمع قياسيتهما من قبل) ... صيغ أخرى ؛ هي :

أ - فَعَّال ؛ مثل : إرَاث (لما تُورَثَ به النار ، أى : توقّد) .

ب - فَعَّالَة ؛ مثل : ساقِيَة .

ج - فاعول ؛ مثل : ساطور .

وبهذا تصح الصيغ القياسية لاسم الآلة سبع) “ اهـ .

وفي الصيغ الأربع الجديدة التي اشتمل عليها هذا القرار ما يقتضي التأمل والتلبث . فصيغة : « فَعَّالَة » المقترحة ؛ (اعتماداً على كثرتها في الاستعمال القديم والحديث ؛ ومن الحديث : ثَلَاجَة - خَرَامَة - خِرَاطَة - كَسَاة : آلة الثلج ، والخرم ، والحرط ، والكسر ، إنما تصاغ على أصل عربي فصيح ؛ هو صيغة : « فَعَّال » المؤنثة ، المشتقة للدلالة على المبالغة ، أو على النسب لأمر من

(١) راجع ص ٢٥٠ من مجلة المجمع اللغوي ، العدد الخاص بالبحوث والمحاضرات التي أقيمت في مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين ، سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ . وكذلك ص ١٩ من كتابه الذي أخرجه سنة ١٩٦٩ باسم « كتاب في أصول اللغة » مشتملا على مجموعة القرارات التي أصدرها من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين وفي هذا المرجع القرار متبوعاً بالأدلة والبحوث العديدة التي تؤيده .

الأمور - طبقاً لما سيحىء في باب : « النسب ^(١) » - ثم تستعمل بعد ذلك مجازاً (لغرض بلاغى) في الدلالة على الآلية أو السببية . وهذا الاستعمال المجازى مباح فصيح في كل عصر ، بشرط توافر ركنى المجاز (وهما : العلاقة ، والقرينة) ومن المعروف بلاغة أن المجاز إذا اشتهر صار حقيقة عرفية فصيحة ؛ يُنسَى معها « العلاقة والقرينة » ، طبقاً لما قرره البلاغيون ، فلا حاجة - إذاً - لقرار بزيادة تلك الصيغة على صيغ اسم الآلة . هذا إلى أنها لا تكون نصاً في دلالتها على الآلية - أحياناً - وبذا تختلف عن الصيغ المسموعة .

أما الصيغ الثلاث الجديدة التى زيدت أيضاً (ا - ب - ج) فأمر قياسيتها غير واضح ؛ فهل المراد أن يصاغ على وزنها أسماء آلات من كل ما يصاغ منه اسم الآلة ؟

إن كان هذا هو المراد - وهو ما يمتنع فيه حكم القياس - كان غريباً ؛ لأن الاستعمال العربى القديم لتلك الكلمات كان متجهاً فى بعضها إما للمجاز على الوجه الذى شرحناه ؛ كاستعمالهم كلمة : « الساقية » ، وإما للأداة الخاصة فى بعض كلمات أخرى معينة دون غيرها كما فى كلمة « إرآث » و « ساطور » ، ونحوهما من عشرات الكلمات المتباينة التى استعمالوا - بقلة - كل واحدة منها أداة دون أن تخضع تلك الكلمات كلها لكثرة استعمالهم أو لصيغة واحدة تجمعها ، أو وزن واحد تدرج تحته ؛ فالحكم بالقياس على تلك الصيغ الثلاث واستعمالها من غير طريق المجاز مخالف للمراد من القياس اللغوى ، ومؤدًى للاضطراب . هذا إلى أنه يمكن الاستغناء عن الصور الجديدة كلها باختيار صيغة من الصيغ القديمة تستعمل أداة موصلة للمعنى المراد من كل صيغة من هذه الصيغ المستحدثة .

المسألة ١٠٨ :

التعجب

معناه :

إذا رأينا في أحد الكواكب أشباحاً تحاول الاتصال بنا ، أو : شاهدنا بئراً
تَغِيضُ^(١) فجأة ، أو : مطراً ينهمر في يوم صحو^(٢) ، أو : سيارة جديدة
تتوقف عن المسير بغير سبب معروف - كان هذا أمراً باعثاً للدَّهَشِ ، وانفعال^(٣)
النفس به ، واستعظامها إياه ؛ لخفاء سرّه عليها ، وعدم وجود نظير له ، أو قلة
نظائره . وقد يعبر عنه الناس بأنه ؛ أمر عجيب ، أو : غريب ، أو : مُثِير . . . ،
أو نحو هذا من العبارات التي يريدون منها ما يسميه اللغويون : « التعجب » ،
ويعرفونه بأنه :

« شعور داخلي^(٤) تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادراً ، أو لا مثيل له ؛
مجهول الحقيقة^(٥) ، أو خفي السبب^(٦) . ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه
الأمور كلها .

أسلوبه :

له أساليب كثيرة^(٧) تنحصر في نوعين :

- (١) يحف ماؤها .
- (٢) لا غم فيه ، ولا مطر ، ولا برد .
- (٣) تأثر .
- (٤) وقد يترتب عليه ظهور آثار خارجية ؛ كالتى تبدو على الوجه ، أو غيره .
- (٥) أي : الذات . بأجزائها التي تتركب منها .
- (٦) لهذا يقال : إذا ظهر السبب بطل العجب ؛ ولهذا أيضاً لا يوصف المولى جل شأنه بأنه
متعجب ؛ إذ لا يخفى عليه شيء ، وإذا ورد في كلامه ، أو في الحديث الشريف ، أو غيرها ما يدل
على أنه يتعجب ، فالمراد : إما توجيه السامعين إلى إظهار العجب والدهشة ، وإما المراد : اللازم ؛
وهو الرضا والتعظيم ، أو : نحو ذلك من الأغراض البلاغية .
- (٧) والفرض الأساسى من كل منها هو : « التعجب » . لكن بعضها قد يتضمن أحياناً كثيرة
للتعجب وغرضاً آخر معه ؛ هو : « المدح ، أو الذم » : كما سيتبين في هذا الباب ، وفى باب « نعم
وبس » عند الكلام على الأفعال التي تجرى مجراها - ص ٣٧٠ - .

أحدهما : مطابق ؛ لا تحديد له ولا ضابط ؛ وإنما يُشْرِك لمقدرة المتكلم ، ومنزلته البلاغية ، ويُفْهَم بالقرينة .

والآخر : « اصطلاحى » ، أو : « قياسى » مضبوط بضوابط وقواعد محددة ، ولا تكاد تختلف فى استعماله أقدار المتكلمين .

ومن أمثلة الأول : « لله دَرَّ ^(١) فلان » ، فى قول القائل :

للهِ ذَرْكَ ! ! أَيْ جُنَّةٍ ^(٢) خَائِفٍ ومتباعِ دنيا . أَنْتَ لِلْحِدْثَانِ ^(٣)
ومنها : « يا لك ، أو ياله ، أو : يالى » . . . كقول الشاعر :

فيا لكَ بحرًا لم أجدُ فيه مَشْرِبًا وإن كان غيرى واجداً فيه مَسْبَحًا
ومنها : « شَدَّ ^(٤) » فى نحو : شَدَّ ما يفخر اللئيم بأصوله إن كانت له
أصول ، ويتمدح بفعاله إن كان له فعل محمود .

ومنها كلمة : « عَجِبَ » ، مصدرًا ، ومشتقاته ، مثل : عَجِيبَ ، و :
« عَجِيب » فى نحو : قوْطُم : عَجِبْتُ لمن يشتري الممالك بماله ، ولا يشتري
الأحرار بكرم فعاله . وقول الشاعر :

أَفَاطِنُ ^(٥) قَوْمُ سَلَمَى أَمْ نَوَوَا ظَعْنَا ^(٦) ؟

إِنْ يَظْعُنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَنْ قَطَّنَا
ومنها : الاستفهام المقصود منه التعجب ؛ كقوله تعالى : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ
بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ؟ » ؛ وكقول شوقي يخاطب تمثال أبى الهول ^(٧) :
إِلَامَ رَكُوبِكَ مَتَنَ الرِّمَالِ . لَطَى الْأَصِيلِ ، وَجَوَّبَ السَّحَرِ ؟

(١) أصل هذا الأسلوب ومعناه مدون فى ج ٢ م ٦٠ ص ٢١ .

(٢) وقاية .

(٣) حوادث الدهر ومصائبه .

(٤) فعل ماض . يفيد التعجب من شدة الأمر وكثرته .

(٥) أمقيم ؟

(٦) ارتحالا وسفرًا .

(٧) تمثال رأسه كراس إنسان ، وجسمه على هيئة جرم الأسد . أقامه أحد الفراعين فى صحرا

الأهرام ، بالجيزة . (قرب القاهرة) .

ومنها : « سبحان الله » التي تصاحبها قرينة تدل على أن المقصود منها التعجب ؛
 كقول رجل سئل عن اسمه : (سبحان الله ! تجهلني ، والخيل والليل والبيداء
 تعرفني . . .)

إلى غير ذلك من كل لفظ يدل على التعجب ^(١) وتُفهّم منه هذه الدلالة
 بقرينة ، من غير أن يكون من النوع « الاصطلاحي » . (القياسي)

أما النوع « الاصطلاحي » ، أو القياسي ، فصيفيتان ^(٢) . « ما أفعله »
 و « أفعل به » . وهذان وزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شيء تفعل
 به النفس على الوجه الذي شرحناه ؛ فعند التعجب من الجمال الباهر — مثلا — ،
 أو الضخامة البالغة ، أو : القِصَر المتناهي . . . أو غيره . . . تأتي بأحد أساويين
 قياسيين .

أولهما ^(٣) : فعل ماض ، ثلاثي ^(٤) ، يشتمل على المعنى الذي يراد التعجب
 منه ، ثم نجعل هذا الماضي على وزن : « أفعل » . وقبله : « ما » الاسمية
 التي هي مبتدأ ، وعلامة التعجب ؛ ولذا تسمى : « ما التعجبية » — وتقديهما
 على هذا الماضي واجب — ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً ، تقديره : « هو » يعود
 على : « ما » ، وبعده اسم منصوب هو في ظاهره وفي إعرابه مفعول به ^(٥) . ولكنه في
 المعنى فاعل ^(٦) ؛ إذ كان في الجملة — وفي الحقيقة — قبل التعجب فاعلاً ؛
 نحو : ما أجمل الوردة الناضرة ! — ما أضخم هرم الخيزرة ! ما أقصر

(١) مثل كلمة : « واهأ » في نحو : واهأ لسلمي ثم واهأ واهأ ! ! ومثل حرف النداء في :
 يا جارتنا ما أنت جارة ! !

(٢) هناك صيغة ثالثة قياسية يأتي الكلام عليها في (ج) من ص ٣٤٧ .

(٣) الثاني في ص ٣٤٤ . وكلاهما يجب تصحيح عينه المتعلقة إن كانت مستحقة للإعلال
 بالنقل — طبقاً للبيان الآتي في : « ١ » ص ٣٤٧ .

(٤) وقد يصاغ من الرباعي الذي على وزن : « أفعل » ، على الوجه الآتي في ص ٣٤٨ .

(٥ و ٦) لهذا لا يصلح التعجب إن كان المفعول به حقيقة في أصله (قد وقع عليه فعل الفاعل)
 ففي مثل : سقى المطر الزرع ؛ لا يصح أن يقال : ما أسقى الزرع ؛ بقصد التعجب الواقع على الزرع .
 لأن المفعول به هنا حقيق ، وليس فاعلاً في المعنى — انظر « ١ » من ص ٣٤٧ .

سكان المناطق القطبية ! فكلمة : « ما » في هذه الأمثلة وأشباهاها - مبتدأ^(١) ،
والجملة الفعلية بعدها خبرها ، ثم المفعول به الذى هو فاعل في المعنى : فالأصل
جَمَعَتُ الوردَةَ - ضَخَّمُ الحرم - قَصُرُ سكانُ المناطق القطبية -
وعند إرادة التعجب من كِبَرِ قارة آسيا ، وسَعَتِها ، وغزارة سكانها ،
وعلو جبالها . . . و . . . نقول ما أكبرها !! وما أوسع رُقعتها !! وما أغزر
سكانها !! وما أعلى جبالها !! . . . والإعراب كما سبق تماماً ، وكذلك
المفعول به .

و « ما » التعجبية في هذه التراكيب - ونظائرها - هي نوع من « النكرة
التامة »^(٢) ، وتتضمن - بذاتها^(٣) - معنيين معاً ، أو : أنها ترمز إليهما معاً ؛
هما : (توجيه الذهن إلى أن ما بعدها عجيب ، وأن الذى أوجده أمر عظيم)
ويصنفها النحاة بأنها « نكرة تامة » . والماضى بعدها جامد لا محالة^(٤) ، مع أنه في
أصله ثلاثى متصرف ، ولكنه يفقد التصرف باستعماله في التعجب رباعياً على
وزن « أفعلل » كما يفقد - فى الأرجح - الدلالة على الزمن إن لم توجد قرينة
تدل على الزمن^(٥)

(١) انظر « ١ » من الزيادة التالية - فى ص ٣٤٣ - .

(٢) يريدون بالتكثير ، أنها بمعنى : « شئ » أى شئ . وبالنظام : أنها لا تحتاج إلا للخبر ،
فلا تحتاج بعدها إلى نعت أو غيره من القيود . وتنكيرها أفادها إليها ما جعلها فى أسلوب التعجب بمعنى :
« شئ عظيم » . وعلى هذا تكون « النكرة التامة » هي النكرة المحضة الخالصة من كل قيد ، أما المقيدة
بنعت أو غيره من القيود فتسمى : « نكرة ناقصة » - وبيان هذا فى ج ١ ص ١٧ - .

(٣) أى : بلفظها وتكوينها ، لا بلفظ أو شئ آخر غيرها .

(٤) ولا يدل - عند المحققين - على زمن ؛ لأن الجملة التعجبية متجردة لمحض « الإنشاء »
المقصود منه « التعجب » ، فلا دلالة فيها على زمن عندهم (كما سيجىء فى رقم ٢ من هامش ص ٣٤٤
وفى رقم ١ من هامش ص ٣٤٩ وفى رقم ٤ من هامش ص ٣٦١) - وعدم دلالتها على الزمن مشروط
بأن لا تشتمل على لفظة : « كان » أو « يكون » أو غيرها من الألفاظ أو القرائن التى أتيد منها أن تدل
على زمن محدد معين ، طبقاً للبيان الخاص بهذا فى الصفحات السالفة ، وفى صدر الجزء الأول عند
الكلام على الأفعال - م - ٤ - .

(٥) كما سيجىء فى ص ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٣٥٧ .

زيادة وتفصيل :

١ - لسنا بحاجة إلى الأخذ برأى من يقول : إن « ما » التعجبية اسم موصول ، مبتدأ ، والجملة بعدها صلتها ، والخبر محذوف . ولا برأى آخر يقول : إنها نكرة ناقصة (تحتاج إلى نعت بعدها) والجملة بعدها نعت لها ، والخبر محذوف ، ولا استفهامية ... ولا ... ولا ... ، فكل هذه الآراء تحمل في طياتها كثيراً من التعسف ، وتقوم على الحذف والتأويل من غير داع ، ومن غير أن تمتاز بمنزلة تصرفنا عن الإعراب الأول الذي يتضمن كل مزاياها ، ويخلو من عيوبها . فعلينا التمسك به وحده ، وأن نختصر في الإعراب ، فنقول : « ما » تعجبية ، قاصدين مع هذا الاختصار أنها نكرة تامة مبتدأ - من غير حاجة للتصريح بما اصطللنا عليه ...

ب - ورد عن العرب قولهم : (ما أميلح فلاناً وما أحيسسه) بـ تصغير الفعلين الماضيين : « أمْلَحَ وأحْسَنَ » عند استخدامهما في التعجب ، مع أن الأفعال لا تُصَغَّرُ . . . فهل يصبح تصغير غيرهما من الأفعال الماضية المستخدمة في التعجب ، والتي على وزن « أفعل » ، قياساً على هذين الفعلين الماضيين ؟ الرأي الشائع عدم الجواز ، ولكن سيويه وبعض البصريين وفريق من غيرهم يبيحه . وفي الأخذ بهذا الرأي - أحياناً - تفسير وتوسعة لا ضرر منهما ^(١) . . .

• • •

ثانيهما^(١) : فعل ثلاثي لازم مشتمل على المعنى الذى يراد التعجب منه ،
 ويجعل هذا الفعل على وزن : « أَفْعِلْ » ، وبعده باء الجر ، نجر اسمًا ظاهرًا ،
 أو : ضميرًا متصلًا فيها ، وكلاهما هو الذى يختص بمعنى الفعل . ففى
 الأمثلة السابقة يقال : أَجْمِلْ بالوردة النّاضرة ! أَضْخِمْ بهرم الجيزة !
 أَقْصِرْ بسكان المناطق القطبية ! . أَكْبِرْ بقارة آسيا ! وَأَوْسِعْ برقعتهما!
 وَأَغْزِرْ بسكانها ! وَأَعْلِ بجبالها ! أو : أَكْبِرْ بقارة آسيا ! وَأَوْسِعْ بها !
 وَأَغْزِرْ بسكانها ! وأكثر بهم !

أما إعراب : « أَجْمِلْ بالوردة النّاضرة » ففيه وفى نظائره إعرابان :

١ - أن نقول « أَجْمِلْ » ، فعل ماض على صورة الأمر ، (أى على شكله
 الظاهر فقط ^(٢) ، دون الحقيقة المعنوية) . . « بالوردة » الباء ، حرف جر زائد ^(٣) .
 « الورد » فاعل مجرور بالباء لفظًا ، ولكنه فى محل رفع على الفاعلية . « النّاضرة »
 نعت ، إمّا مجرور بالكسرة تبعًا للفظ الفاعل المنعوت ، وإما مرفوع بالضمّة تبعًا
 لمحل المنعوت ، ويكون المراد هو : جَمَلَت الوردة ، أى : صارت ذات جمال
 عجيب ، وضخم الهرم ، أى : صار ذا ضخامة عجيبة . وقَصُرَ سكان المناطق
 القطبية . أيضًا . . . ؛ وهكذا باقى صيغ « أَفْعِلْ » التى جاءت فى ظاهرها
 على صورة الأمر ، وهى فى الحقيقة فعل ماض ؛ يراد منه فى ظاهره وفى حقيقته
 التعجب . ومثّل النعت هنا غيره من التوابع ؛ فكل منها يجوز فيه الجر والرفع .
 هذا إعراب الفاعل المجرور بالباء حين يكون اسمًا ظاهرًا معربًا ، أما
 حين يكون اسمًا مبنياً ؛ كالضمير البارز ، أو غيره من المبنيات (ومن الأمثلة

(١) أما أولهما فى ص ٣٤١ وكلاهما يجب توضيح عينه المتعلقة كما أشرنا هناك - طبقًا للبيان
 الآتى فى : « ١ » ص ٣٤٧ .

(٢) جاء على صورة الأمر لإنشاء « التعجب » ؛ فالجملة كلها إنشائية محضة ، ولا دلالة فيها
 - عند المحققين - على زمن ، إلا أن وجد تقييد يدل على الزمن (كما أشرنا فى رقم ٤ من هامش ص ٣٤٢
 وكما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٩ و ٣٥٣ و ٣٦٢) - وهو مبنى على السكون حينًا ، وعلى
 حذف آخره حينًا آخر على حسب أحكام بناء الأمر . . .

(٣) وزيادته فى هذا الموضع لازمة ؛ فلا يمكن الاستغناء عنه بشرط أن يكون المجرور به اسمًا
 صريحًا ، لا مصدرًا . ولا من « أن أو أنْ » وصلتهما ؛ إذ فى هذه الصورة المصدرية يجوز - لإلاع
 « أنْ » الناصخة فى رأى - حذف حرف الجر - انظر رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية - .

كما سبق عند الكلام على « باء الجر » ج ٢ هامش رقم ١ من ص ١٥٣ م ٧١ و ٣٥١ م ٨٩ -
 وكما سيجىء البيان فى رقم ١ من هامش ص ٣٦٢ .

الآية الكريمة : « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ » . . . وبعض الأمثلة التي سلفت فإنه يكون مبنياً ويذكر في إعرابه : « أَنَّهُ مجرور بكسرة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها علامة البناء الأصلي في محل رفع » ^(١) فهو - كسابقه - في أنه مجرور اللفظ ، مرفوع المحل ، وفي أنه يجوز في تابعه الأمران : الرفع والجرح .

ب - أو نقول : « أَجْمِلْ » فعل أمر حقيقي ، وفاعله ضمير مستتر تقديره : أنت ، يعود على مصدر الفعل المذكور (وهو : الجمال) و « بالوردة » الباء حرف جر أصلي ، وهي ومجرورها أصليان متعلقان ^(٢) بالفعل . والمراد بالمحوظ : يا جمال أجمِلْ بالوردة ؛ أي : لا زمنها ، ولا تفارقها . فالخطاب الملحوظ مَوْجَّهٌ لمصدر الفعل المذكور ، بقصد طلب استمراره ، ودوام بقاءه معه ^(٣) . ومثل هذا يقال في الأمثلة الأخرى ، والفاعل مفرد مذكر للمخاطب دائماً لأنه ضمير مستتر للمصدر المخاطب في كل الأحوال .

والإعرابان صحيحان ^(٤) . والمعنى عليهما صحيح أيضاً ؛ فلا خلاف بينهما

(١) يلاحظ أن الضمير الواقع فاعلاً في آية : (أسمع بهم وأبصر) إنما جاء خلفاً عن « واو الجماعة » للغائبين ؛ إذ الأصل بناء على التقدير السالف : « سمعوا » ولما كانت واو الجماعة لا تكون في محل جر امتنع وقوعها بعد « باء الجر » الزائدة لزوماً . ولم يكن بد من التوفيق بين الأمرين بالاستغناء عن واو الجماعة والإتيان بالضمير « هم » مكانه ؛ لأنه الضمير الذي يصلح للرفع والجر مع دلالة على جماعة الغائبين .

(٢) لازمان لا يمكن الاستغناء عنهما ، إلا في حالة واحدة يمكن فيها حذف الباء « في الرأي الأغلب - حين تجر مصدراً ، وثلاً . . . (وسيجيء تفصيل الكلام عليها عند بيان الحكم التاسع من أحكام التعجب ص ٣٦٢ م ١٠٩ . وسبقت الإشارة لهذا في رقم ٢٠ هامش الصفحة للسابقة ، وفي ج ٢ ص ١٣٥ م ٧١) .

(٣) ويصح أن يكون موجهاً للمخاطب الذي يراد منه أن يتعجب . مع وجوب إبقاء للضمير على حاله من الإفراد والتذكير . وهذا الوجه هو الذي ينطبق في يسر وغير تكلف على مثل قول الشاعر :

إِذَا عُمِّرَ الْإِنْسَانُ تَسْعِينَ حِجَّةً فَأَبْلِغْ بِهَا عُمْراً ، وَأَجْدِرْ بِهَا شُكْرًا

(٤) وهما قال القدمون ، ولكل رأى أنصاره وأدلتها المقبولة ؛ فلا معنى لتجريح أحدهما كما يفعل بعض المتسرعين . ومن الإنصاف القول بأن المذهبين مقبولان ولكن كثيراً من أدلتهم وتعليقاتهم مصنوع ، لا يثبت على التحصيل ؛ ولا يعرفه العربي صاحب هذه اللغة ولا يدور بخلد ، فوق أنه لا يسائر القواعد النحوية الأصلية المنتزعة من كلامه . فن التميز إهمال الجدلليات والتعليقات للزائفة التي ترد في نواح كثيرة من هذا الباب وغيره .

في تأدية الغرض . إلا أن الإعراب الثاني أيسر ، وأوضح ، وهو إلى عقول
ناشئة المتعلمين أقرب . ويزداد يسراً ووضوحاً حين يكون الفاعل المجرور بالباء
اسماً مبنياً كالضمير ، وغيره من المبنيات التي تحتاج في إعرابها إلى تطويل .

ويلاحظ أن صيغة : « أَفْعِلْ » هذه جامدة - كأختها الأولى - مع أن
فعلها الأصلي ثلاثي متصرف ، ولكنه يفقد التصرف بسبب استعماله في
التعجب - كما أوضحنا (١) - .

(١) في ص ٣٤٢ ، وما يجرى في ص ٣٤٩ ، ٣٥٧ وفي الأحكام السابقة يقول ابن مالك
في باب عنوانه : « التعجب » .

بـ « أَفْعِلْ » انطِقْ بعد : « ما » ؛ تعجباً . أو جِيْ بِـ « أَفْعِلْ » قَبْلَ مَجْرُورٍ بِبَاءٍ
أى : انطق بصيغة : « أَفْعِلْ » لأجل التعجب ، بشرط أن تكون هذه الصيغة واقعة بعد كلمة
« ما » (وهى : « ما » التعجبية) وإن شئت فجيء بصيغة أخرى هى : « أَفْعِلْ » وبعدها المتعجب
منه (أى من شيء فيه) . مجرور بالباء . ثم قال :

وَتِلْوَ « أَفْعِلْ » انْصَبْنُهُ ؛ كَمَا أَوْفَى خَلِيلَيْنَا ! وَأَصْدِقْ بِهِمَا !
أى : (انصب ما يجيى بعد « أَفْعِلْ » . والذي يجيى بعد « أَفْعِلْ » هو المفعول به المتعجب منه ،
(أى : من شيء فيه) ثم ساق في آخر البيت مثالين ؛ أحدهما : للتعجب منه (أى : من شيء فيه)
المنسوب بعد « أَفْعِلْ » ؛ وهو : « خَلِيلَيْنَا » . والثاني المتعجب منه المجرور بالباء بعد « أَفْعِلْ »
وهو « أَصْدِقْ بِهِمَا » . ثم ساق بيتاً ثالثاً ضمنه حكماً سنذكره في مكانه من الأحكام بصفحة ٣٦٠ ؛
هو جواز حذف المتعجب منه إذا دل عليه دليل ، ولم يتأثر المعنى بحذفه ؛ يقول :

وَحَذَفَ مَا مِنْهُ تَعَجَّبْتَ اسْتَبْرَحَ إِنْ كَانَ عِنْدَ الْحَذْفِ مَعْنَاهُ يَضْحَكُ

يضحك . أى : يتضح . والفعل : « وَضَحَ يَضْحَكُ » ، والأصل : يَتَوَضَّحُ ، ثم حذفت الواو خضوعاً
لقاعدة صرفية تقضى بحذفها إذا وقعت ساكنة في المضارع وقبلها فتحة وبعدها كسرة - وسيذكر البيت
لناسبة أخرى في ص ٣٦٠ .

ثم ذكر بعد هذا بيتاً يقرر فيه أن هذين الفعلين ممنوعان من التصرف ؛ فهما جامدان بحكم قديم
محموم قرره النحاة : ونص البيت :

وَفِي كِلَا الْفِعْلَيْنِ قَدْماً لَزِمَا مَنَعُ تَصَرُّفٍ بِحُكْمٍ حَتَمَا

(في ترتيب البيت القواء ، والأصل : ولزم منع تصرف في كلا الفعلين بحكم حتم قدماً ؛ أى :
قديماً . وسيجىء إيضاح لهذا البيت في مكانه الأنسب عند الكلام على أحكام التعجب (ص ٣٥٧) .

زيادة وتفصيل :

١ - همزة الماضي : « أَفْعَلْ » في التعجب هي لتعدي الصيغة التي يكون فعلها الثلاثي إما لازماً في الأصل ، وإما متعدياً ، ولكنه يفقد التعدي عند أخذ الصيغة منه ؛ فتحل محلها تعدي جديدة تغايرها . مثال الأول : ما أظرف الأديب !! فإن الفعل : « ظَرَفَ » لازم أصالة ؛ فصار متعدياً . ومثال الثاني : ما أنفع الحذر !! فإن الفعل : « نفع » متعد في أصله . وتزول عند أخذ الصيغة منه ، فتتصب مفعولاً به جديداً كان في الأصل فاعلاً ، إذ الأصل : نفع الحذر . فكلمة « الحذر » فاعل يصير مفعولاً به بعد التعجب ^(١) .

أما همزة « أَفْعِلْ » ، فالصيرورة على اعتباره ماضياً على صورة الأمر ...

ويجب تصحيح العين في الصيغتين إن كانت في غير التعجب تستحق الإعلال بالنقل ؛ مثل : ما أطول النخلة ، وأطول بها ^(٢) . ومن هذا قولهم : « ما أحوَجَ الجبانَ إلى أن يرى ويسمع عجائب الشجعان » وكذلك يجب فك « أَفْعِلْ » المضعف ، نحو : أشدِّ بحمرة الورد . وقول الشاعر :

أعزِّزْ عنيَّ بأن تكون عليّ لا أو أن يكون لك السقام نزلاً

ب - يشيع في هذا الباب ذكر : « المتعجب منه » (وهو المعمول المنصوب أو المحرور بالباء) والتعبير الأنسب : هو : « المعمول المتعجب من شيء يتصل به » لأن التعجب في مثل : ما أنفع العلم !! ، إنما هو من نفع العلم ، لا من العلم ذاته . ولا بأس بالتعبير الشائع على اختصاره المقبول ؛ لأن المراد منه مفهوم .

ج - هناك صيغ أخرى للتعجب ^(٣) ، وأشهرها : « فَعْلٌ » ^(٤) - بضم

(١) كما سبق في ص ٣٤١ .

(٢) عملاً بالضابط العام في الإعلال بالنقل - وسيجيء تفصيل الكلام على هذا الضابط في موضعه المناسب (ج ٤ م ١٨٣ - ص ٧٣٣) .

(٣) سيجيء تفصيل الكلام عليها في ص ٣٨٤ م ١١١ من باب : « نعم وبش » .

(٤) جاء في الأشموني - ج ٢ آخر باب « تعدى الفعل ولزومه » - ما نصه عند الكلام على -

العين - وهو فعل لازم ؛ نحو : كَسَبَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ فَمِ الْجَاهِدِ ،
وَنَحَبْتُ لَفْظًا يَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ .

ومنها : « أَفْعَلَّ » بغير « ما » التعجبية ، وأصله فعل ثلاثى زيد فى أوله
همزة التصيير ؛ نحو : أَحْسَنْتَ قَوْلًا ، وَأَبْرَعْتَ عَمَلًا . أى : ما أحسن قولك ،
وما أبرع عملك . . . وفعلها الثلاثى حَسَّنَ وَبَرَّعَ .

والمشهور أن الصيغة الأولى قياسية ، والثانية سماعية ذكرناها لندرك أمثلتها
المسموعة .

* * *

= السبب الثانى الذى يجعل الفعل المتعدي لازماً :

(التحويل إلى « فَعَّلَ » - بضم العين - لقصد المبالغة والتعجب ، نحو : ضَرَبَ الرجل ،
وفُهِمَ ... بمعنى : ما أَضْرَبَهُ وَأَفْهَمَهُ !) . ١٠٨ ، فلم يأت فى كلامه ولا فى حاشية الصبان ما يدل
صراحة على أن المبالغة والتعجب يلازمان مدحاً أو ذمّاً ، مع أن النحاة صرحوا بأن تحويل الفعل الثلاثى
إلى « فَعَّلَ » - بضم العين ... بقصد المدح أو الذم يستلزم التعجب حقاً - كما سيحىء فى ص ٣٨٤ .

شروط الفعل الذى يبنى منه الصيغتان القياسيتان بناء مباشراً :

يشترط فيه ثمانية شروط :

(١) أن يكون ماضياً^(١) .

(٢) ثلاثياً ؛ فلا يصاغان من فعل زادت حروفه على ثلاثة ؛ مثل :
 دحرج - تعاون - استفهم . . - إلا إن كان الرباعى قبل التعجب على وزن :
 « أفعلل » فيجوز - فى رأى الأنسب^(٢) - صياغتهما منه بشرط أمن اللبس ؛
 كالأفعال (أعطى - أفقر - أظلم - أولى . . .) . فيقال : ما أعطى التقي
 - ما أفقر الصحرأ - ما أظلم عقول الجهلاء - ما أولى الناصح بردع نفسه .
 ومن الشاذ قولهم : ما أحصر كلام الحكماء ، فبنوه من « اختصر » الخماسى
 المبنى للمجهول أيضاً^(٣) .

(٣) متصرفاً فى الأصل تصرفاً كاملاً ، قبل أن يدخل فى الجملة
 التعجبية . (أما بعد دخوله فيها فيصير جامداً^(٤)) . فلا يصاغان من : ليس
 - عسى - نعم - بشئ . . . ونحوها من الأفعال الجامدة تماماً ، ولا من نحو :
 « كاد » التى هى من أفعال المقاربة ؛ لأن « كاد » هذه ناقصة التصرف ليس لها
 إلا المضارع - فى الأغلب - .

(٤) أن يكون معناه قابلاً للتفاضل والزيادة ؛ ليمتحنق معنى « التعجب » ؛
 فلا يصاغان مما لا تفاوت فيه ، نحو : فنى - مات - غرق - عسى ؛ إذ
 لا تفاوت فى الفناء ، ولا فى الموت ، ولا الغرق ، ولا العمى ، وحيث يمتنع
 التفاوت والزيادة فى معنى الفعل يمتنع الداعى للعجب ، إذ يكون المعنى مألوفاً .

(١) مع ملاحظة أن الفعل الذى يدخل فى صيغة التعجب يفقد - غالباً - الدلالة على الزمن
 عند عدم القرينة - فى رأى المحققين - ويتجرد منها إلا فى صورة واحدة تقدمت .

(طبقاً لما أشرنا إليه فى هامش ص ٣٤٢ ، نقلاً عن الجزء الأول حيث البيان وذكر المراجع
 فى صدره عند الكلام على الأفعال . وسيجىء الإيضاح فى هامش ص ٣٥٣ وص ٣٦١) .

(٢) وبه أخذ المجمع اللغوى - طبقاً لما جاء فى ص ١٢١ من كتابه الذى أخرجه سنة ١٩٦٩ -
 باسم : « كتاب فى أصول اللغة » . . .

(٣) فقيه شذوذان ؛ أنه غير ثلاثى ، وأنه مبنى للمجهول . وسيجىء أنهما لا يصاغان من المبنى
 للمجهول .
 (٤) كما سبق فى هامش ص ٣٤٢ ويجىء فى ص ٣٥٧ .

(٥) ألا يكون عند الصياغة مبنياً للمجهول بناء يطرأ ويزول ، كالأفعال : عُرِفَ - عَلِمَ - فَهِمَ . . . وغيرها مما يبنى للمجهول حيناً ، وللمعلوم حيناً آخر ، دون أن يلزم البناء للمجهول في كل الأحوال .

أما الأفعال المسموعة التي يقال إنها تلازم البناء للمجهول . (مثل : زُمِيَ - هُزِلَ . . .) ^(١) فالأنسب الأخذ بالرأى الذى يجوز الصياغة منها بشرط أمن اللبس ^(٢) ؛ فيقال : ما أزهى الطاووس ! وما أهنزل المريض ! . . .

(٦) أن يكون تاماً ، (أى : ليس ناسخاً) ؛ فلا يصاغان - فى الرأى الأقوى - من « كان ، وكاد » ، وأخواتهما . . .

(٧) أن يكون مثبتاً ، فلا يصاغان من فعل منقى ؛ سواء أكان النقي ملازماً له ، أم غير ملازم ؛ مثل : ما عاج الدواء ، بمعنى : ما نفع ، ومثل ما حضر الغائب ، فالفعل الأول ، وهو : « عاج » الذى مضارعه : « يععيج » - ملازم للنقي فى أغلب أحواله ، لا يفارقه إلا نادراً ، والفعل : « حضر » فى هذا التركيب وأشباهه مسبوق بالنقي ، ويستعمل بغير النقي كثيراً ، وكذلك أفعال أخرى متعددة .

(١) تقدم بيانها ، وحكمها ، وتحقيق هام خاص بها ، (فى ج ٢ ص ١٠٢ م ٦٧ باب : للنائب عن الفاعل) ومن هذا التحقيق الخاص يتبين خطأ القول بوجود أفعال ملازمة للبناء للمجهول دائماً (بعدها مرفوعها فاعل بها ؛ كما يزعمون) ، وأن الأفعال المعروفة ببنائها للمجهول دائماً ليست إلا كثيراً من سائر الأفعال الأخرى ؛ تبين حيناً للمعلوم ، وحيناً للمجهول ، على حسب مقتضيات المعنى ، ودواعى الاستعمال الصحيح . أما قصر عدد معين من الأفعال على البناء للمجهول دائماً دون استعماله للمعلوم فغلط شائع . وبناء على هذا التحقيق الهام والتصحيح المفيد يجوز أن يصاغ من مصادر تلك الأفعال مباشرة - من غير وسيط . - « صيفتا التعجب » القياسى ، وأن يصاغ من مصدرها مباشرة : « أفلل التفضيل » . وفوق هذا يؤيد فريق من النحاة - ومنهم ابن مالك - صياغة التعجب من مصدر تلك الأفعال بفرض أنها ملازمة للبناء للمجهول . أما الأفعال الأخرى التى ليست ملازمة للمجهول فلا يصح التعجب المباشر منها - اتفاقاً - إذا كانت مبنية للمجهول عند الصياغة لتعجب بناء عارضاً ، لا ملازماً فى رأى من يقول بهذه الملازمة التى قرر المحققون خطأها .

(٢) وهذا رأى المجمع الأقوى أيضاً - كما جاء فى ص ١٢١ من كتابه المسمى الذى أصدره

سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب فى أصول اللغة » .

(٨) ألا تكون الصفة المشبهة^(١) منه على وزن : « أفْعَل » الذى مؤنثه : « فَعْلَاء » ، نحو (عَرَج ، فهو : أعرج ، وهى : عَرَجاء) — (خَضِر ، فهو : أخضر ، والحديقة خضراء) . (حَمَرِ الجلد ؛ فهو : أحمر ، والوردة حمراء) — (حَوَرٌ فهو : أحور ، وهى : حوراء) . . . وهكذا من كل صفة مشبهة تدل على لون ، أو : عيب ، أو : حلية ، أو : شئ فيطرى^(٢) ...

* * *

(١) سبق الكلام عليها وعلى أوزانها فى ص ٢٨١ م ١٠٤ .
 (٢) لا ترتاح النفس للتعميلات التى ذكروها لمنع الصياغة من هذا القمم بأنواعه المختلفة ، التى لا ينطبق عليها الشرط الثامن ، ولا سيما التمليل بخوف اللبس بين صيغتي : « أفْعَل » التى تستعمل إحداها فى التعجب ، والأخرى فى الصفة المشبهة فإن هذا اللبس وهما لا يتحقق ؛ إذ كيف يتحقق وإحداهما فيُعَمَل ، والأخرى اسم ، ولكل منهما أحكام تغاير الأخرى . فالقارئ قوية تمنعه . ولا علة إلا علة الاستعمال العربى المجرد . وهو — فيما يبدو لنا — لا يمنع من صياغة التعجب من تلك الأشياء ، وكذا « التفضيل » — كما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٣٩٨ — وذلك لسببين :
 أولهما : ورود السماع بقدر من تلك الأشياء يكفى للقياس عليه .
 وثانيهما : شدة الحاجة إلى التعجب منها فى عصرنا ؛ بسبب ما كشفه العلم الحديث من التفاوت الواسع فى معنى كل منها ، والاختلاف البعيد بين أنواعه ودرجاته . وليس من الممكن إغفال هذا التفاوت والاختلاف فى استعمالنا التى تساير الحياة . ومثل هذا يقال فى صوغ « التفضيل » من الأفعال الدالة على تلك المعانى ، بالرغم من أن للشعاع ما يشبه العذر فى بعض أنواع « التفضيل » ، ولكنه عذر يمكن دفعه — كما سيجىء البيان المفيد فى رقم ١ من هامش ص ٣٩٨ .
 ويصرح بعض أئمة الكوفيين : كالكسائى ، وهشام الضرير وغيرهما ، برأى حسن يوافق ما سبق ؛ هو صحة مجيء التعجب بما يدل على الألوان والمعاهات ، ووافقهم الأخفش من البصريين فى المعاهات ، دون الألوان . ويرأى الكوفيين أخذ المجمع اللغوى — كما جاء فى ص ١٢١ من كتابه السالف — .
 وفى الشروط السابقة يقول ابن مالك (ساردا سبعة ، أما الثامن وهو : « الفعل الماضى » فمفهوم من السياق) :

وَصُغْنُهُمَا مِنْ ذِي ثَلَاثٍ ، صُرْفًا قَابِلَ فَضْلٍ ، تَمَّ ، غَيْرِ ذِي انْتِفَا
 وَغَيْرِ ذِي وَصْفٍ يُضَاهِي أَشْهَلًا وَغَيْرِ سَالِكِ سَبِيلٍ فُعِلًا
 يريد : صنفهما من صاحب الحروف الثلاثة (وهو الماضى الثلاثى) — المتصرف — القابل

للتفاوت — التام — غير المثنى — والذى صفته المشبهة ليست مثل : « أشهل » (شبهيل الرجل ، فهو : أشهل ، الأذن شَهْلَاء ، أى : قل سواد عينه ، وخالطتها حمرة) ، وغير مبنى على صيغة : « فُعِل » ؛ وهى صيغة بناء الماضى الثلاثى للمجهول ، فهذه سبعة شروط لم يذكر بينها أنها يصاغان من فعل ، لا من اسم ولا من حرف ؛ لأن هذا الذى تركه مفهوم ما سرد ، كما قلنا .

زيادة وتفصيل :

زاد بعض النحاة شرطاً آخر خالف به الأكثرين ؛ هو : ألا يُستغنى
عن الصياغة منه بصيغة أخرى مسموعة ؛ فلا يصح : ما أقبله ! ! في التعجب
من قيلولته^(١) لأنهم استغنوا عنها بقولهم : ما أكثر قائلته . ولا يصح ما أسكره ،
ولا ما أقعده ، ولا ما أجلسه ، لأنهم استغنوا عنها بقولهم : ما أشد سكره —
ما أكثر قعوده — ما أحسن جلوسه .

والحق أن هذا شرط غير مقبول^(٢) ؛ إذ يقتضينا أن نزهق أنفسنا بالبحث
المضني في جميع المظان لمعرفة ما استغنوا به عن الصيغة القياسية ؛ وهذا تكايف
لا يطاق ، ولا يمكن تحقيقه ، وفيه تعويق للتعبير ، وتعطيل للقاعدة ، وتحويل
للقياس عن معناه السديد .

• • •

(١) وهي وقت اشتداد الحر ظهراً . والفعل الماضي : قال .

(٢) ولم يأخذ المجمع القوي بهذا الشرط .

كيفية التعجب إذا كان الفعل غير مُستوفٍ للشروط الثمانية :

(١) إن كان الفعل جامداً ؛ مثل : نِعم ، وبش ... ، أو غير قابل للفتاوت ؛ مثل : مات - فَتَيَّ ... و... ، فلا يصاغ منه صيغة تعجب .

(٢) إن كان الفعل زائداً على ثلاثة (مثل : انتصرَ وتغلبَ) أو : كان الوصف منه على « أَفْعَلْ فَعْلَاء » (مثل : حَوَرَ وخَضِرَ) لم تجب منه الصيغة مباشرة. وإنما تجب من فعل آخر مستوفٍ للشروط ؛ صالح لما نريده ؛ (نحو : قَوِيَ - ضَعُفَ - حَسُنَ - قَبِيحٌ - عَظُمَ - حَقُرَ ...) فنقول : (ما أقوى - ما أضعفَ - ما أحسنَ - ما أقبحَ - ما أعظمَ - ما أحقرَ - ما أشدَ - ما أكبرَ - ما أصغرَ) ... ونحو ذلك مما يناسب ؛ أو نقول : (أقو - أضعِفُ - أحسنُ - أقبيحُ - أعظمُ - أحقرُ ...)

ثم نجيء بعد هذه الصيغة بمصدر الفعل الذي لم يستوفِ الشروط بسبب زيادته على ثلاثة أحرف ، أو بسبب أن الوصف منه على : « أَفْعَلْ فَعْلَاء » ونضعه بعد صياغة الفعل الجديد المناسب ، المستوفى . وننصب هذا المصدر بعد « ما أَفْعَلْ » ونجرحه بالباء بعد « أَفْعَلْ » ؛ نحو : ما أقوى انتصارَ الحق ! وما أضعِفُ تغلبَ الباطل ! - أقوٍ بانتصارِ الحق ! ، وأضعِفُ بتغلبِ الباطل ! ... ونحو : ما أجملُ حَوَرَ العيون ! ، أجملُ بِحَوَرَ العيون ! - ما أنضِرُ خضرةَ الزرع ! . أنضِرُ بخضرةِ الزرع ! . والأفعال غير المستوفية هي : (انتصرَ - تغلبَ - حَوَرَ - خضِرَ) . أما الأفعال التي تخيرناها للصياغة مكانها فهي : (قَوِيَ ، ضَعُفَ ، جَمَلُ ، نضِرَ ...)

(٣) إن كان الفعل منفياً أخذنا الصيغة من الفعل المناسب الذي نختاره بالطريقة السالفة ، ووضعنا بعدها مضارع الفعل المنفي مسبقاً « بأن » المصدرية ، والنفي ؛ فني نحو : ما فاز الرأي الضعيف ، نقول : ما أجمل ألا يفوز الرأي للضعيف^(١) ! . وفي نحو : ما حضر خطيب الحفل ، نقول مثلاً : ما أقبح ألا

(١) كان الفعل ماضياً منفياً قبل التعجب ، فصار بعده مضارعاً ، مسبوقاً « بأن المصدرية » ؛ وهي تخلصه للاستقبال . فهل بين الصورتين اختلاف في الزمن ؟ أجابوا : إن الصيغة مع التعجب = النحو الراقى - ثالث

يخضر خطيبُ الحفل . والمصدر المؤول من « أنْ والفعل » في هذه الأمثلة وأشباهاها في موضع نصب مفعول به .

وإنما أتينا « بأنْ والفعل » لنستطيع المحافظة على بقاء الفعل الأصلي منفياً ، إذ لو أخذنا منه صيغة التعجب مباشرة لزال نفيه ، ولم يظهر الشأن في التعجب أهو مني أم غير مني ؟

ويجوز أن نقول في الصور السابقة : أَجْمِلْ بِالْأَلْفِ يفوز الرأي الضعيف ! — أَقْبِحْ بِالْأَلْفِ يخضر خطيب الحفل ! ؛ فيكون المصدر المؤول مجروراً بالباء . فالمصدر المؤول من : « أنْ والفعل » المنفى وفاعله إما أن يكون في محل نصب بعد : « ما أفعل » وإما أن يكون في محل جر بالباء بعد : « أفعل » .

ويجوز في الفعل المنفى أن نجيء بمصدره الصريح — بدلا من المصدر المؤول — مسبقاً بكلمة : « عَدَم » الصريحة في معنى النفي (أو بما يشبهها) ومجروراً بالإضافة إليها ؛ ففي مثل : ما صرخ المتكلم وما همس ، نقول : ما أحسنَ عَدَمَ صراخِ المتكلم ، وما أجملَ عَدَمَ همسه — أحسنَ بعدم صراخِ المتكلم ! ، وأجملَ بعدم همسه ! .

(٤) إن كان الفعل مبنياً للمجهول بناءً عارضاً يطرأ ويزول أخذنا الصيغة من الفعل الذي نختاره بالطريقة التي شرحناها ، ووضعنا بعدها الفعل المبني للمجهول ، مسبقاً « بما المصدرية » ^(١) ، ففي نحو : عُرِفَ الحقُّ ، وهُدِيَ إليه الضالُّ : نقول : ما أحسن ما عُرِفَ الحق ! وما أنفع ما هُدِيَ إليه الضالُّ — أو : أحسنَ بما عُرِفَ الحق ! — وأنفعَ بما هُدِيَ إليه الضالُّ ! ، فالمصدر المؤول من « ما » وصلتها مفعول به بعد الصيغة الأولى ، ومجرور بالباء بعد الصيغة الثانية .

صارَتْ خالصة لإنشاء التعجب المحض إنشاءً غير طلبي ، وتركزت للدلالة على الزمان : كالثأن الغالب في التعجب عند عدم وجود ما يدل على تقييد زمني مقصود — .

(وقد أشرنا لهذا في هامش ص ٣٤٢ ، ويحيى إيضاح لها في رقم ٤ من هامش ص ٣٦١ وفي هذا الهامش صورة مستثناة لا تتجدد من الزمن) .

(١) وهي الغالبة في هذا الموضوع دون غيرها .

ولأنما أتينا « بما » المصدرية محافظة على بقاء الفعل مبنياً للمجهول ، وأولاهما نزال بناؤه للمجهول فلا يتبين أسلوب التعجب للمجهول هو أم للمعوم ؟ أما الفعل الملازم للبناء للمجهول سماعاً عند من يقول بهذه الملازمة^(١) فقد سبق^(٢) أن الأنسب الأخذ بالرأى الذى يميز الصياغة من مصدره مباشرة .

(٥) وإن كان الفعل ناسخاً ، (أى : غير تام) فإن كان له مصدر وجب أن نضع مصدره بعد صيغة التعجب التى نأخذها من الفعل الآخر الذى نختاره على الوجه المشروح فيما سلف ، ففى مثل : كان العربى رحّالاً بطبعه ، نقول : ما أكثر كون العربى رحّالاً بطبعه ! — أو : أكثر بكون العربى رحّالاً بطبعه ! . . . وإن لم يكن له مصدر أخذنا الصيغة من الفعل الآخر الذى نختاره ، ووضعنا بعدها الفعل الأصلى الذى ليس له مصدر ، وقبله « ما » المصدرية فينشأ منها ومن الفعل والفاعل بعدها مصدر مؤول هو مفعول به منصوب بعد : « ما أفعل » ومجرور بـ « الباء » بعد : « أفعل » . ففى مثل : كاد الكذب يهلك صاحبه ، نقول : ما أسرع ما كاد الكذب يهلك صاحبه . . . وهكذا . . .

هذه هى الطرائق الموصلة للتعجب إذا كان الفعل غير مستوف للشروط . أما إذا كان مستوفياً للشروط كلها فإن الصيغتين القياسيتين^(٣) تؤخذان منه مباشرة . ولا مانع من التعجب منه بالطريق غير المباشر أيضاً ، وذلك بالإتيان بفعل آخر مناسب . (نحو : حسن — قبض — قوى — وغيرها من الأفعال الثلاثية التى تناسب المراد) ، ثم نأخذ منه الصيغة التعجبية ، ونجعل بعدها مصدر الفعل المستوفى للشروط ، إمّا منصوباً بعد « ما أفعل » وإمّا مجروراً بالباء بعد « أفعل » ، ففى مثل : برع الذكى ، وسبق أنداده ، نقول : ما أعظم براعة الذكى ! ، وما أوضح سبقه أنداده ! أو أعظم براعة الذكى ! وأوضح سبقه أنداده . . . فليس من اللازم — والفعل مستوف للشروط — أن نأخذ

(١) انظر تخطيط هذا الرأى فى رقم ١ من هامش ص ٣٥٠ .

(٢) فى ص ٣٥٠ .

(٣) وهناك الصيغ المشار إليها فى « ج » من ص ٣٤٧ .

منه صيغة التعجب مباشرة ، وإنما يجوز أن نأخذها منه أو من طريق فعل مختار آخر كما أوضحنا^(١)

(١) وفي طريقة التعجب إذا كان الفعل غير مستوف للشروط يقول ابن مالك :

وَأَشْدِدْ أَوْ أَشَدَّ أَوْ شَبِّهْهُمَا يَخْلُفُ مَا - بَعْضُ - الشُّرُوطِ - عَدِمَا

يريد : أن صيغة : « أَشْدِدْ » (على وزن : أَفْعِلْ) وصيغة : « أَشَدَّ » (على وزن : أَفْعَلْ) ؛ لأن أصلها قبل الإدغام : « أَشْدَد » أو شبه هاتين الصيغتين مما يؤخذ من فعل آخر مستوف للشروط ، تخلف الصيغة التي لا يمكن صوغها مباشرة من الفعل الذي عدم بعض الشروط ، أي : فقد بعض الشروط ؛ فهي تحمل محلها . (وكلمة : « أَوْ » في البيت : حذفت همزتها ونقلت حركتها لاواو الساكنة قبلها ؛ محافظة على وزن الشعر) .

ثم بين أن مصدر الفعل العادم للشروط ينصب بعد الصيغة الجديدة التي جئنا بها إن كانت على وزن : « أَفْعَلْ » ، ويجز هذا المصدر بالباء إن كانت على وزن : « أَفْعِلْ » يقول :

وَمَصْدَرُ الْعَادِمِ بَعْدُ ، يَنْتَصِبُ وَبَعْدُ : « أَفْعِلْ » جَرَّهُ بـ « الْبَاءِ » يَجِبُ

بعد ، أي : بعد الصيغة الجديدة ... ثم قرر أن ما جاء مخالفا لما سبق فهو محكوم عليه بالندور (القلة القليلة جداً) ، وأنه لا يقاس على المأثور منه (أي : المسموع منه عن العرب) :

وَبِالنَّدُورِ أَحْكَمَ لِغَيْرِ مَا ذُكِرَ وَلَا تَقِسْ عَلَى الَّذِي مِنْهُ أَثَرٌ

الأحكام الخاصة بالتعجب .

أشهر أحكامه ما يأتي :

(١) وجوب اعتبار فعليه جامدين بعد صياغتهما للتعجب^(١) . (مع أنهما في أصلهما الثلاثي قبل التعجب مشتقان حتمًا) ولهذا لا يجوز أن يتقدم عليهما « المتعجب منه »^(٢) ، فلا يصح : العلم ما أنفع !! والجهالة ما أضر !! بتقديم المعمولين : « العلم والجهالة » . كما لا يصح بالعلم أنفسع !! وبالجهالة أضرر !! ولا يصح أن تلحقهما علامة تذكير ، أو تأنيث ، أو إفراد ، أو ثنية ، أو جمع ؛ فلا بد من بقائهما على صيغتهما في كل الأحوال من غير زيادة . ولا نقص ، ولا تغيير في ضبط الحروف : ولكن إذا اتصل بآخرهما ضمير بارز يعود على المتعجب منه وجب أن يكون هذا الضمير مطابقًا لمرجعه ، نحو : الزارع ما أنفعه ! ، والزارعة ما أنفعها ! والجنديان ما أشجعهما ! والوالدات ما أشفقهن ! .. و ..

(٢) وجوب إفراد فاعلهما المستتر^(٣) ، وتذكيره ، فلا يكون لغير المفرد المذكور . وإذا كان ضميرًا مستترًا فهو واجب الاستتار .

(٣) امتناع الفصل بين فعل التعجب ومعموله إلا بشبه الجملة ، أو

(١) كما سبق في ص ٣٤٢ و ٣٤٦ و ٣٤٩ وفي عدم تصرفهما يقول ابن مالك :

وَفِي كِلَا الْفِعْلَيْنِ قَدَمًا لَزِمًا مَنَعَ تَصَرُّفٍ بِحُكْمِ حُتْمًا
وقد سبقت الإشارة لهذا البيت بمناسبة أخرى في ص ٣٤٦ .

(٢) لأن الجماد لا يتقدم عليه معموله ، في الأغلب - كما سيبيء البيان في رقم ١٠٢ من هامش ص ٤٠٠ .

(٣) أما غير المستتر فلا يسرى عليه هذا الحكم كالذي في قوله تعالى (اسمع بهم وأبصر) - وقد سبق إعراب هذه الآية في ص ٣٤٤ وستذكر لمناسبة أخرى في ص ٣٦٠ وفي رقم ٤ من هامش ص ٣٦١ -

بالنداء ؛ - أو « كان » الزائدة بالإيضاح الآتى بعد ^(١) . فلا يجوز : (ما أضيع
- حتماً - المودة عند من لا وفاء له ، وما أبعد - يقيناً - الجمالة من لحياء
عنده) . ويجوز : (ما أضيع - فى بلدنا - المودة عند من لا وفاء له ! وما أبعد
- بيننا - الجمالة من لحياء له !) . كما يجوز : السماحة تدفع إلى أداء الحقوق ،
والشج يصد عنها ؛ فأكرم - يا أخى - بها ! وأقبح يا زميل به !) . . .
ومن أمثلتهم فى الفصل بالجار والمجرور قولهم : (ما أهون على النائم القرير سهر
المستهذم المكروب . . .) ^(٢) وقول الشاعر :

بنى تغلب ، أغرز على بآن أرى دياركمو أمست وليس بها أهل
وبالظرف قول الشاعر :

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها وأخر - إذا حالت - بآن أتحولا
ويشترط فى شبه الجملة الذى يجوز الفصل به أن يكون متعلقاً بفعل التعجب ^(٣) -
كالأمثلة السالفة - ، فلو كان متعلقاً بمعمول فعل التعجب أو بغير فعل التعجب
لم يصح الفصل به - ففى مثل : (ما أحسن الحليم عند دواعى الغضب ! -
وما أشجع الصابر على الكفاح !) - لا يجوز : (ما أحسن عند دواعى الغضب
الحليم ، ولا : ما أشجع على الكفاح الصابر .) لأن الظرف متعلق بكلمة :
« الحليم » ، والجار والمجرور متعلقان بكلمة : « الصابر » .

وقد يجب الفصل بالجار ومجروره المتعلقين بفعل التعجب ، إذا كان
معمول فعل التعجب مشتملاً على ضمير يعود على المجرور ، نحو : ما أليق
بالطبيب أن يترفق ! ، وما أحق بالمريض أن يصبر ! . . . فالمصدر المؤول من
« أن » والفعل « هو معمول لفعل التعجب ، ومشتمل على ضمير يعود على
المجرور . . . » ^(٤) ومنه قول الشاعر :

(١) فى الحكم الثامن ، ص ٣٦١ .

(٢) سبق هذا المثل فى آخر رقم ٢٠٢ من هامش ص ٢٨٦ .

(٣) قد يتعدى فعل التعجب إلى مفعوله بحرف جر معين تبعاً لفعله الأصل قبل التعجب .

وسيقان بيان هذا فى الزيادة ص ٣٦٣ .

(٤) فى الحكين السابقين يقول ابن مالك باختصار فى ختام الباب :

خَلِيلِيَّ مَا أُخْرَى بَذَى اللَّبَّ أَنْ يُرَى صَبُورًا . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ

(٤) عدم جواز العطف - مطلقاً - على فاعل « أَفْعَلْ » في التعجب وكذلك لا يجوز إتباعه ، فالتوابع كلها ممنوعة إذا كان هو المتبوع وحده . أما إن كان المتبوع هو الجملة التعجبية كلها (فعلها وفاعلها) فلا يمتنع ؛ فيصح عطف جملة جديدة على الجملة التعجبية ؛ كقول الشاعر :

أَوْلَاكَ قَوِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْو عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعْفَ وَأَكْرَمَا...
فقد عطف الجملة الثانية (المكونة من الفعل الماضي : « أَكْرَمَ » وفاعله) على الجملة التعجبية التي تسبقها (والتي تتكون من الماضي « أَعْفَ » وفاعله) . وكما يجوز الإتيان بالعطف بجملة يجوز الإتيان بالتوكيد اللفظي بجملة تؤكد الجملة التعجبية كلها توكيداً لفظياً . ويجوز الإبدال منها كذلك (بدل جملة من جملة) . أما الإتيان بالنعته فلا يصح ؛ لأن المتبوع (وهو : المنعوت) لا يكون جملة .

(٥) وجوب أن يكون المعمول (أى : المتعجب منه) معرفة ، أو نكرة مختصة ، فمثال المعرفة ما تقدم من الأمثلة الكثيرة ، وقول الشاعر :
مَا أَصْعَبَ الْفَعْلَ لِمَنْ رَامَهُ ! وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ !
ومثال النكرة المختصة بوصف أو إضافة أو غيرهما مما يفيد الاختصاص :
مَا أَسْعَدَ رَجُلًا عَرَفَ طَرِيقَ الْهُدَى فَسَارَ فِيهِ ! وَمَا أَشْقَى إِنْسَانًا تَبَيَّنَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَىِّ ، فَانصَرَفَ عَنِ الرُّشْدِ ، وَاتَّبَعَ الضَّلَالِ !

وَفِعْلٌ هَذَا الْبَابِ لَنْ يُقَدَّمَ مَعْمُولُهُ ، وَوَصْلُهُ بِهِ الزَّمَا
أى : معمول الفعل في هذا الباب لا يتقدم على فعله . والزم وصل المعمول بفعله ، بحيث لا يفصل بينهما فاصل إلا ما أشار إليه في البيت الأخير التالي :

وَفَصْلُهُ بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرُّ مُسْتَعْمَلٌ ، وَالْخُلْفُ فِي ذَلِكَ اسْتَقَرَّ
أى : أن الفصل بشبه الجملة مستعمل في الكلام المأثور ، والخلاف بين النحاة ثابت في أمر القياس عليه . ولكن الرأي الرشيد جواز القياس عليه . وكذا الفصل بالنداء فيه خلاف ، والصواب جوازه . وهل يجوز الفصل بالظرف معه المار والمجرور ؟ في هذا خلاف ؛ والأرجح المنع .

ولولا هذا الشرط لكان التعجب لغوًّا ؛ إذ لا فائدة من قولنا : ما أسعد رجلاً . . . ما أشقى إنساناً . . . ويتساوى في هذا الحكمُ معمول « أَفْعِلْ » وأَفْعِلْ » .

(٦) جواز حذف المعمول المتعجب^(١) منه في إحدى حالتين ؛ (سواء أكان منصوباً بأَفْعِلْ ، أم مجروراً بالباء بعد أَفْعِلْ » .

أولاهما : أن يكون ضميراً يدل عليه دليل بعد الحذف ؛ كقول الشاعر :
جزى الله عني - والجزاء بفضله - ربيعة ، خيراً . ما أعفَّ ! وأكرمًا !
أى : ما أعفَّها وأكرمها . وقول الآخر :

أرى أمَّ عمرو دمعها قدَّ تَحَدَّرَا بكاءً على عمرو . وما كان أصبرًا !
أى : أصبرها .

ثانيتهما : أن تكون صيغة التعجب هي : « أَفْعِلْ » وقد حذف معمولها المجرور وحذف معه حرف الجر ، وقبلها صيغة للتعجب على وزن : « أَفْعِلْ » . أيضاً ، ولهذا الصيغة الأولى معمول مذكور ، مماثل للمعمول المحذوف مع حرف الجر . . . وقد عطفت الصيغة الثانية مع فاعلها على الأولى مع فاعلها ؛ عطف جملة على جملة^(٢) ؛ كقوله تعالى : « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ »^(٣) ، أى : وأبْصِرْ بِهِمْ . ونحو : أحسنْ بصاحب المروءة وأكرمْ ! ؛ أى : وأكرمْ بصاحب المروءة ، وقول الشاعر :

أَعَزَّزْ بِنَا ! ، وَأَكْفِ ! إِنَّ دُعَيْنَا يَوْمًا إِلَى نَصْرَةٍ مَنْ يَلِينَا^(٤) . . .

(١) سبق الإشارة - في « ب » من ص ٣٤٧ - إلى ما يتردد في هذا الباب من قولهم : « المتعجب منه » وأنهم يريدون : المعمول الذى له صلة بالأمر الذى يدعو للتعجب .

(٢) لم يشترط بعض النحاة شيئاً من هذا كله ، واكتفى باشتراط وجود قرينة تدل على المحذوف ، وقالوا هذا الرأى أحسن وأوجه .

(٣) سبق هذا المثال لمناسبة أخرى في ص ٣٤٤ وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٥٧ .

(٤) وإلى هذا أشار ابن مالك ببيت سبق شرحه في ص ٣٤٦ ، هو :

وحذف ما منه تعجبت استبحح إن كان عند الحذف معناه يَضِحُ

(٧) تجرد فعل التعجب - في الأغلب^(١) - من الدلالة على زمن ؛ لأن الجملة التعجبية كلّها إنشائية محضة ، الغرض منها إنشاء التعجب ، فركت الدلالة الزمنية ، وانسلخت منها ، واقتصرت على تحقيق الغرض الذي أُنشئت من أجله ، وهو « الإنشاء غير الطلبي » ، المقصود منه إعلان التعجب ، كما أسلفنا^(٢) .

(٨) جواز الفصل بين « ما » التعجبية وفعل التعجب « بكان » الزائدة^(٣) كقول الشاعر يحنّ إلى أهله ورفاقه :

ما كان أجملَ عهدهم وفعالهم ! من لى بعهد في الهناء تَصَرَّما ؟
وقول الآخر :

ما كان أخرجَ ذا الجمالِ إلى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
وقد تقع « كان » التامة المسبوقة بما المصدرية بعد صيغة التعجب ؛ نحو :
ما أحسن ما كان الإنصاف^(٤) .

(١) قلنا : « في الأغلب » لوجود حالة قد يدل فيها على الزمن هي المشار إليها في رقم ٣ من هامش ص ٣٤٢ . . .

(٢) انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٤٢ حيث الحالة التي يدل فيها على الزمن - وهامش ص ٣٥٣ ، ورقم ٤ الآتي هنا .

(٣) سبق تفصيل الكلام على زيادتها ، وما يستتبعه من أحكام في ص ١ ص ٤١٨ م ٤٤ وفي هامش ص ٣٩ منه .

(٤) « ما » مصدرية ، « كان » فعل ماض تام ، بمعنى : وُجد وظهر ، « الإنصاف » فاعلها . والمصدر المؤول وفعل فعل التعجب . والتقدير : ما أحسن وجود الإنصاف في الماضي : فإن قصد الاستقبال جىء بالفعل التام : « يكون » بدلا من الفعل : « كان » . ووجود الفعل الماضى « كان » . والمضارع : « يكون » يقيد التعجب بزمن معين ، وهذا - وإن كان قليلا - جائز ؛ فن الجائز تقييد فعل التعجب بزمن ماض والنجى بالفعل « كان » ، أو : « أمسى » للنص على هذا التقييد بالماضى ، وبكلمة : « الآن » ، أو ما بمعناها للنص على التقييد بالزمن الحالى ، وبالفعل : « يكون » ونحوه - كاللروف المستقبلية للدلالة - على الاستقبال ، ومنه قوله تعالى « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » والمهم وجود قرينة تدل على التقييد المقصود . وبغير التقييد تتجرد الجملة التعجبية من الدلالة الزمنية (كما رددنا في هامش ص ٣٤٢ و ٣٤٩ و ٣٥٣ . . .

- (راجع الأشرفي والصبان آخر هذا الباب) .

(٩) جواز حذف الباء الداخلة على معمول « أَفْعِلْ » بشرط أن يكون ما تجرّه مصدرًا مؤولا من : « أنْ المصدرية » . و « الفعل » ، أو : « أنْ » مع معموليها^(١) ، نحو : أحب أن تكون المقدم ! ، وقول الشاعر :

أَهْوَنُ عَلَى إِذَا امْتَلَأَتْ مِنَ الْكَرَى أَنَّى أَبَيْتُ بَلِيلَةَ الْمَلْسُوعِ
والأصل : بأن تكون . . . وبأنى . . .

• • •

= وقد تقع « كان » بلفظ الماضي زائدة بين « ما » التعجبية وفعل التعجب . والأحسن في هذه الصورة أن تكون مهمله لا عمل لها مطلقاً ، ولا فائدة منها إلا الدلالة على أن زمن التعجب ماضٍ (طبقاً للبيان والتفصيل السابقين في ج ١ م ٤٤ « زيادة كان » وكذلك م ٤ عند الكلام على الأفعال .

(١) يرى بعض النحاة (كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ٣٤٤ وكما سبق في ج ٢ ص ١٣٥ م ٧١) أن حذف « الباء » ممنوع هنا قبل المصدر المؤول من « أنْ » ومعموليها ؛ بحجة أنه غير مسموع بخلاف حذفها قبل المصدر المؤول من « أن والفعل والفاعل » فهو مسموع إلى الحد الذي يبيح القياس عليه . وهذا رأى رفضه آخرون - ورأيهم حق - لأن حذف حرف الجر . طرد قبل : « أنْ وأنْ » المصدريتين ؛ فلا معنى لإخراج « أنْ » هنا ، وبخاصة مع وجود أمثلة مسبوقة ، ولو قليلة ، لأن قلتها في موضع بعينه لا تقدر في الاطراد المستند من أغلب الحالات .

لكن إذا حذف « باء الجر » أتلاحظ وتُقدّر بعد الحذف ، فيعرب ما بعدها على اعتبارها كالمذكورة ، أم لا تلاحظ ولا تقدر ؟ فيعرب ما بعدها على اعتبار عدم وجودها وعدم ملاحظتها ؟ قولان . ولعل الأول هو الأنسب ، لمسارته الحالات الأخرى التي ليست للتعجب ، فيكون الأمر . طرداً في التعجب وغيره .

ومن الضرورات الشعرية المستفحمة التي لا يرتضيها كثير من النحاة - حذف « باء الجر » من المتعجب منه إذا لم يقع بعدها « أنْ » ، أو « أنْ » وإذا حذف - مع الاستقباح - فالحكم الاسم الظاهر بعدها ؟ قيل يرفع ؛ لأنه في الأصل بمنزلة الفاعل ، وقيل ينصب ؛ لأنه بمنزلة المفعول به .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

١ - عرفنا^(١) أن صيغة : « أَفْعَلْ » تحتاج إلى معمول بعدها منصوب ، يعرب مفعولاً به ، وأن صيغة : « أَفْعِلْ » تحتاج إلى معمول بعدها مجرور بالباء ، وأنهما يحتاجان - أحياناً - إلى شبه جملة بعدهما ، وقد يفصل شبه الجملة بينهما وبين معمولهما و

وقد تحتاج صيغة التعجب إلى معمولات أخرى غير التي سبقت ؛ كالحال والتمييز ، والاستثناء

وقد تحتاج إلى معمول مجرور بحرف جر معين^(٢) ، مجارة لفعالها الأصلي قبل التعجب ؛ ويصير الجار والمجرور متعلقين بها . (أى : بصيغة فِعْل التعجب)^(٣) . لكن ما هو هذا الحرف المعين من حروف الجر ؟^(٤) .

إن كان فعل التعجب دالاً على حب ، أو كره ، أو ما بمعناها ؛ - كالود ، والبغض - فحرف الجر المناسب : هو : « إلى » بشرط أن يكون ما بعد « إلى » فاعلاً في المعنى لا في اللفظ ، وما قبلها مفعولاً في المعنى لا في اللفظ ؛ نحو : ما أحبّ العلم إلى النابغين !! ، وما أبغض النقص إلى القادرين !! . ففعل التعجب : « أحبّ » قد نصب مفعوله . واحتاج إلى جار ومجرور تبعاً لأصله ، فجاء بهما . وحرف الجر هو : « إلى » لأن فعل التعجب دال على « الحب » ، وما بعد « إلى » مجرور بها . لكنه فاعل معنوي ، لا نحوي ، لأن النابغين -

(١) في ص ٣٤١ .

(٢) كما أشرنا في رقم ٣ من هامش ص ٣٥٨ .

(٣) إذا كان المفعول به لصيغة الماضي « أَفْعَلْ » ضميراً بعده تمييز ، فأنوع هذا التمييز ؟ تمييز مفرد أم تمييز جملة ؟ وكذلك ما نوع التمييز بعد الضمير المجرور بالباء في صيغة : « أَفْعِلْ » به ؟

الإجابة في : « باب التمييز » - ج ٢ م ٨٨ ص ٣٤٣ .

(٤) انظر - أ - من ص ٤٣٢ حيث الكلام على تعدية « أفعل التفضيل » بحرف الجر ، فيتين التشابه والتخالف بين « التعجب والتفضيل » في هذه التعدية .

والقادريين هم الفاعلون لحب العلم ؛ وبغض النقص . وما قَبِّلَ إلى : (العلم -
النقص) هو المفعول المعنوي - لا النحوي ؛ لأنه الذي وقع عليه الحب - والبغض .

ولهذا ضابط سبق بيانه ^(١) ؛ هو : أن يُحذف فعل التعجب ومعه « ما
التعجبية » إن وجدت ، وبوضع مكانهما فعل آخر من مادته ومعناه ، يكون
فاعله النحوي هو الاسم المحرور بإلى ، ومفعوله هو الاسم الواقع بينها وبين فعل
التعجب . فإن استقام المعنى على هذا صح مجيء « إلى » ، وإلا وجب تغييرها .
ففي المثال السابق نقول : أَحَبَّ ، أو : يحب النابغون العلم ، ويكره القادرون
النقص . وقد استقام المعنى فدلّت استقامته على صحة مجيء « إلى » .

فإن كان ما بعدها ليس فاعلا في المعنى ، وإنما هو مفعول معنوي وما قبلها
هو الفاعل المعنوي وجب الإتيان « بلام الجر » ، بدلا من : « إلى » ؛ نحو :
ما أَحَبَّ الوالدة لمولودها ! ، فالوالدة هي الفاعل المعنوي - لا النحوي - الذي
فَعَلَ الحب أو قام به الحب . والمولود هو المفعول المعنوي -- لا النحوي - الذي
وقع عليه الحب ؛ لصحة قولنا : أَحَبْتُ ، أو تحب الوالدة مولودها ... فمعنى :
« إلى » ، و « اللام » ، في مثل هذا الموضع هو : « التبيين » ، أى : بيانُ الفاعل
المعنوي والمفعول المعنوي ، وتمييز كل منهما من الآخر .

ب - إن كان أصل فعل التعجب فعلا متعديا بنفسه لواحد فإنه يصير لازما
يتعدى بحرف جر خاص هو : « اللام » كذلك ، مثل : ما أَضْرَبَ الناسَ للجاسوس !!
وإن كان أصل فعل التعجب فعلا لازما يتعدى إلى معموله بحرف جر
معين وجب أن يجارى أصله في التعدى بهذا الحرف إلى معموله ؛ نحو : ما أَغْضَبَ
الناسَ على الخائن . وقول شوقي :

ما أجمل الهجرة بالأحرار إن ضنّت الأوطان بالقرار

لأنه يقال : غضب الله على الكافر ... - جَمَلُ المرأة بمخلقه ...

ج - قد يصاغ فعل التعجب من فعل ينصب بنفسه مفعولين ^(١) مثل
« كَسَسَا » ، و « ظَن » في نحو : كَسَسَا الْغَنَى فَقِيراً ثِيَاباً - ظَنَّ الْبَخِيلُ
الْجُودَ تَبْذِيراً .

ولفعل التعجب الذى يصاغ من المتعدى لمفعولين أربع حالات ^(٢) .

الأولى : أن يكتفى بفاعل المتعدى فينصبه مفعولاً به ؛ نحو : ما أكسى
الْغَنَى !! ، ما أَظَنَّ الْبَخِيلُ !! فكلمتا : « الْغَنَى وَالْبَخِيلُ » كانتا في الأصل
قبل التعجب فاعلاً ؛ فصارتا بعده مفعولاً به لفعل التعجب الذى اكتفى بهذا
المفعول به ، واقتصر عليه .

الثانية : أن يزيد على الفاعل السابق الذى صار مفعولاً به - أحد المفعولين
الأصليين مجروراً باللام ؛ فنقول : ما أكسى الْغَنَى لِلْفَقِيرِ !! - ما أَظَنَّ
الْبَخِيلُ لِلْجُودِ !! فكلمتا : « الْبَخِيلُ » ، و « الْجُودُ » كانتا قبل التعجب
مفعولين للفعل المتعدى لاثنتين ، ثم صارتا بعد التعجب مجرورين باللام ،
ومتعلقين مع مجرورهما بفعل التعجب .

الثالثة : أن يزيد على الحالة السابقة المفعول الأصلى الثانى ؛ فنقول ما أكسى
الْغَنَى لِلْفَقِيرِ ثِيَاباً ! - ما أَظَنَّ الْبَخِيلُ لِلْجُودِ تَبْذِيراً ! .

الرابعة : حذف لام الجر السابقة ونصب الثلاثة مباشرة بشرط أمن اللبس ،
نحو : ما أكسى الْغَنَى الْفَقِيرَ الثِّيَابَ !! وما أَظَنَّ الْبَخِيلُ الْجُودَ تَبْذِيراً .
فإن خيف اللبس أدخلت لام الجر على المفعولين الأصليين ؛ نحو : ما أَظَنَّ
الرَّجُلَ لِأَخِيكَ ، لِأَبِيكَ ، وَالْأَصَلَ : ظَنَّ الرَّجُلَ أَخَاكَ أَبَاكَ . . .

لكن « أَفْعَلَّ » فى التعجب لا ينصب إلا مفعولاً به واحداً ، وفى الأمثلة
السابقة استوفى حقه بنصبه المفعول به الذى كان فى الأصل فاعلاً . فها الذى

(١) . سواء أكان أصلهما المبتدأ والخبر كالفعل : « ظَن » أم لم يكن أصلهما ذلك ، كالفعل :
« كَسَسَا » .

(٢) كثر الخلاف والاضطراب بين المراجع المطولة بشأن هذه الحالات . وأصفاها - مع
إيجازه - ما جاء فى شرح : « التصريح » . وقد نقلنا هنا صفوة ما تضمنته المطولات .

نصب المفعول الثاني ، إن وجد ، وكذلك الثالث ؟

إن البصريين يقدرون فعلاً — — أو ما يشبهه — ينصب المفعول الثاني إن وجد ، وكذلك الثالث ؛ ويسترشدون في تقديره بفعل التعجب المذكور قبله ؛ فيقولون في تأويلهم : (ما أكسى الغنى يكسو الفقير !! — أو : ما أكسى الغنى يكسو الفقير ثياباً !!) — (ما أظن الغنى ! . . يظن الجود . . . — أو ما أظن الغنى يظن الجود تبذيراً !!) . . .

والكوفيون لا يقدرون محذوفاً ولا يتأولون ، ويقولون : حقاً أن « أفعل » في التعجب لا ينصب إلا مفعولاً به واحداً ، لكنه في هذه الصور وأمثالها ينصب أكثر من مفعول به واحد .

ولا أثر للخلاف في المعنى ، ولكن في رأى الكوفيين يسر وقبول — لبعده من التكلف ، والحذف ، والتقدير .

ألفاظ المدح والذم . . .

(ومنها : « نِعَم » ، و « بَيْشَس » ^(١) ، وما جرى مجراهما) .

في اللغة ألفاظ وأساليب كثيرة ؛ تدل على المدح ، أو الذم . بعضها يؤدي هذه الدلالة صريحة ؛ لأنه وُضِعَ لها من أول الأمر ذَصًّا ، وبعضها لا يؤديها إلا بقرينة ^(٢) . فمن الأول الذي يؤديها صريحة قولك : (أمدحُ - أثني - أستحسن . . . - أذم ، أهجو ، أستقبح) . . . وأشباهاها ، وما يشاركها في الاشتقاق ، نحو : أمدح في الرجل تجلده ، وحسن بلائه ، وأذم فيه يأسه ، وفتور عزيمته - أثني عليك بما أحسنت ، وأهجو من قبض يده عن الإحسان . . .
ومنها : الحميل - العظيم - الفاضل - الماجد - البخيل - الحقود - الخائن . . . وغيرها من ألفاظ المدح والذم الصريحين .

ومن الثاني الذي يحتاج لقرينة : وفرة لا تكاد تعدّ ؛ في مقدمتها : أساليب النفي ، والاستفهام ، والتعجب ^(٣) ، والتفضيل ، ونحوها ؛ فإنها أساليب قد تضم - أحياناً - إلى معناها الخاص دلالتها على المدح أو الذم ، بقرينة ؛ كقولك في إنسان يتحدث الناس بفضائله ومزاياه ، أو : بنقائصه وعيوبه : « ما هذا بشراً » . تريد في حالة المدح : أنه مملوك ، مثلاً ، وفي حالة الذم : أنه شيطان . ومثل قول شوقي :

هل المُلْكُ إلا الجيشُ شأنًا ومظهرًا ؟ ولا الجيشُ إلا ربُّه حين يُنسَبُ ؟

(١) فيها لغات ؛ أشهرها : (كسر الأول مع سكون الثاني) ، (وفتح الأول مع كسر الثاني) ، (وفتح الأول مع سكون الثاني) ، (وكسر الأول والثاني معاً) .

والأفصح والأشهر عند استعمالها في المدح والذم الاقتصار على اللغة الأولى .

(٢) حالية ، أو كلامية .

(٣) انظر رقم ٦ من هامش ص ٣٣٩ .

وقوله :

إِلَامٌ^(١) الْخُلْفُ بَيْنَكُمْ ؟ إِلَامًا ؟ وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامًا^(٢) ؟
وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ؟ وَتُبْسِدُونَ الْعَدَاوَةَ وَالْخِصَامَا ؟
وَقَوْلُ الْمُتَنَبِّئِ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرِّ فِي ! ! » *

وقوله في ذم قائد الجيش الرومى :

فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَهْرُهُمْ ! ! وَأَخْبِثْ بِهِ تَارِكًا مَا طَلَبَ !
وقول أعرابي سئل عن حاكمين : أَمَّا هَذَا فَأَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى الْمَوْتِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَمَّا ذَاكَ فَأَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ ...

ومن النوع الأول الصريح : « نِعْمٌ » ، و « بئس » وما جرى مجراها من
الألفاظ التى تدلّ نصّاً على المدح العام^(٣) أو : الذمّ العام^(٣) ، وتمتاز
« نِعْمٌ وبئس » من باقى نوعيهما الصريح بأحوال وأحكام خاصة بهما ، دون نظائرها
من النوع الصريح ، وأشهر هذه الأحوال والأحكام ما يأتى :

(١) دلالة « نِعْمٌ » على المدح العامّ ، و « بئس » على الذم العام . . . (٣)

(١) إلى أى شئ ؟ فكلمة : « م » أصلها : « ما » الاستفهامية التى تحذف ألفها عند الجر وعدم
الوقف عليها . أما عند الوقف فتحذف الألف ، وتحل محلها « هاء » السكت . ولكنها لم تحذف فى آخر
الشرطتين ؛ مراعاة لقواعد القافية ، كى تماثل آخر الأبيات التالية لها . والخطاب موجه للمصريين .

(٢) على أى شئ ؟ ويقصد بالضجة الخلاف المزبى الطاغى فى عصره ، والخصومات العنيفة
بين الأحزاب المصرية بسبب بعض المشروعات السياسية ، ومنها : المشروع الذى كان سبباً فى احتدام
النزاع ؛ وهو : للذى اشتهر باسم : « تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ » . اعترفت فيه إنجلترا - وكانت
تحتل مصر إذ ذاك - باستقلال البلاد المصرية ولكن بقيود وشروط .

(٣) (٣ و ٣) المراد بالعموم هنا فى المدح وفى الذم أنه ليس مقصوراً على شئ معين ، ولا على صفة
خاصة ، ولا يتجه إلى أمر ، دون آخر ، ولا يتضمن معنى التعجب - كما نص على هذا « النضرى » فى
آخر الباب - ؛ بل يتجه بغير تعجب إلى كل أمور المدح أو المذموم ؛ فالمدح العام يشمل الفضائل
كلها ؛ مبالغة ، ولا يقتصر على بعض منها ؛ كالعلم ، أو الكرم ، أو الشجاعة . . . والذم العام
يشمل العيوب كلها مبالغة ، ولا يقتصر على بعض منها ؛ كالكذب ، أو الجهل ، أو السفه . . . ومن
الأمثلة قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى ، وَنِعْمَ النَّصِير) وقوله تعالى : (أَتَمَنَّى
اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللهِ كَنْ بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ، وَبئس المصير) فالمدح والذم هنا مختلفان بسبب =

واعتبار كل لفظ منهما في هذه الحالة وحدها فعلاً ماضياً ، لازماً^(١) جامداً ، لا بد له من فاعل . ومع أن كلاً منهما يعرب فعلاً ماضياً فإنه متجرد من دلالة الزمنية ، ومنسلخ عنها بعد أن تكونت منه ومن فاعله جملة « لإنشائية غير طلبية » ، يقصد منها إنشاء المدح العام ، أو الذم العام ، من غير إرادة زمن ماض أو غير ماض ... فكلاهما انتقل إلى نوع خاص من « الإنشاء المحض غير الطائي » لا دلالة فيه على زمن^(٢) مطلقاً ، نحو : نعم أجز الخالصين — بنس مصير المتجبرين .

ولحمودهما في هذه الحالة وحدها لا يكون لهما مضارع ، ولا أمر ، ولا شيء من المشتقات . . . وتلحقهما تاء التأنيث — جوازاً — إذا كان فاعلهما اسماً ظاهراً مؤنثاً^(٣) ، ويصح حذفها بكثرة ، ولو كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً ؛ نحو : نِعْم . أو : نِعِمْتَ فتاة العجل والنشاط ، وبنس . . . ، أو : بنست فتاة البطالة والحمول . أما في غير هذه الحالة الخاصة بالمدح والذم فهما فعلان ماضيان ، متصرفان ، دالان على زمن مضى : نحو : نَعِمَ العيش ينعم ، فهو ناعم ؛ أى : لأن واتسع . وبنس المريض يبأس ؛ فهو : بائس . . .

(٢) قد صمّر فاعلهما على أنواع مميّنة ، أشهرها ما يأتي :

١ — المءرّف « بأل » الجنسية^(٤) ، أو : « العهدية »^(٥) ، نحو : نِعِمَ الوالد

= « العموم » عنهما في الأفعال الأخرى التي تجري مجرى « نعم وبنس » حيث يكون المدح والذم في تلك الأفعال الأخرى خاصين ومتضمنين التعجب ، (طبقاً لما سيجيء في ص ٣٨٤) .

ولما يستفاد العموم مع « نعم ، وبنس » عند الإطلاق وعدم التقييد ؛ فإن وجد تقييد زال التعميم ؛ نحو : ذم الغنى محسناً . (١) انظر ما يختص بهذا في رقم ٣ من ص ٣٧٣ .

(٢) انظر الصبيان في هذا الموضع ، أما البيان الكامل وذكر المراجع الأخرى في صدر الجزء الأول — م ٤ — عند الكلام على أقسام الفعل .

(٣) وكذلك إذا كان « المخصوص » مؤنثاً فإنه يجوز تذكير الفعل وتأنيثه وإن كان الفاعل مذكراً ؛ طبقاً لما سيجيء بيانه في ص ٣٧٨ . وقد سبق في باب الفاعل (م ٢ ص ٦٦ و ٦٧ و ٧٠) بيان الحالتين السالفتين ، وحكم تاء التأنيث من جهة ذكرها وحذفها .

(٤) هي الداخلة على نكرة لإفادة العموم والشمول مع التعريف ، ويغلب أن يصح في مكانها كلمة : « كل » فلا تدخل على ما لا يقبل التعريف في أغلب استعمالاته ؛ مثل « غير » — مع ملاحظة ما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٢٤ — ، ولا على المعرفة مثل : « الله » .

(٥) (وانظر المراد من الجنس والعهد في هذا الباب في « ١ » من ص ٣٧٤ ، ثم ما يتصل بالمسألة في ص ٣٧٥ و ٣٧٦) .

وقد سبق تفصيل الكلام على أنواع « أل » وأحكامها في باب المعارف بالجزء الأول ، م ٣١ .

الشفيق ، وبئس الولد العاق . وقول الشاعر :

حياةٌ على الضميرِ بئس الحياةُ ونعم المماتُ إذا لم نَعِزْ^(١)

ب - المضاف إلى المَعْرِف « بأل » السابقة ، نحو : نِعِم رجلُ الحربِ خالدٌ ، وبئس رجلُ الجبنِ والكذبِ مُسَيِّلِمَةٌ . . .

ح - المضاف إلى المضاف إلى المَعْرِف بها ؛ نحو : نِعِم قارئُ كتبِ الأدبِ ، وبئس مهملُ أمرِ اللغةِ .

د - الضمير المستتر وجوباً بشرط أن يكون ملتزماً بالإفراد والتذكير^(٢) ، وعائداً على تمييز بعده^(٣) ، يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإبهام ؛ نحو : نِعِم قومًا العربُ ، وبئس قومًا أعداؤُهُم . ففي كل من : « نِعِم » و « بئس » ضمير مستتر وجوباً^(٤) تقديره : « هو » مراداً منه الممدوح ، أو المذموم ، ويعود على التمييز (قومًا) أى : نِعِم القومُ قومًا . . . - وبئس القومُ قومًا . . .

ولا بد من مطابقة هذا التمييز لمعناها ، (أى : لا بد من مطابقتها لما يسمى : « المخصوص » بالمدح أو الذم ، بحيث يتطابقان تذكيراً ، وتأنيساً ، وإفراداً ، وغير إفراد) ، نحو : نِعِم رجلين : القائدُ والجنديُّ - نِعِم رجالاً : الحليمُ ، والصبورُ ، والمتواضعُ - نِعِم ، أو : نِعِمْتُ ، فتاةٌ : المجاهدةُ - نِعِم ، أو : نِعِمْتُ ، فتاتين : المجاهدتان - نِعِم ، أو : نِعِمْتُ فتياتِ المجاهداتِ .

(١) إذا لم نَعِزْ (مع تخفيف الزاي ، للقافية - والأصل : التشديد -) إذا لم نكن أصحاب عزة ، أى : قوة ، وكرامة ، وهيبة .

(٢) اشتراط التذكير ليس متفقاً عليه ؛ وإنما هو رأى الأكثرية القائلة بأن الفاعل الاسم الظاهر يراد به الجنس في ضمن جميع الأفراد ، وكذلك الفاعل الضمير يراد به الجنس في ضمن جميع الأفراد ؛ بأن يجعل راجعاً إلى التمييز المراد به الجنس ؛ لكونه دل نية « أل الجنسية » ؛ إذاً الأصل - مثلاً - نِعِم الرجل .

(٣) فلا يصح تقديم التمييز هنا على الفعل . وهذا أحد المواضع التي يجوز أن يعود الضمير فيها على متأخر لفظاً ورتبة . (وقد تقدم تفصيل الكلام عليها في الجزء الأول ص ١٨٤ م ٢٠) ثم انظر رقم ٤ من هامش هذه الصفحة .

(٤) ومن النادر الذي لا يقاس عليه إبرازه مجروراً بالباء الزائدة في مثل قولهم : نِعِم بهم قومًا . وقد ذكرنا هذا الرأى للاستعانة به على فهم الوارد المسموع دون محاكاته .

ولا بد أن يكون التمييز صالحاً لقبول «أل» المعرفة^(١)، فلا يصلح أن يكون من الكلمات المتوغلة - غالباً - في الإبهام ؛ ككامة : غير ، ومثل : وشبه^(٢) ... ويجوز - في الرأي الراجح - أن يجتمع في أساوب المدح أو الذم الفاعل الظاهر والتمييز^(٣) ؛ نحو : نِعَم الشجاعُ رجلاً يقول الحقَّ غيرَ هَيَّابٍ ، وقول الشاعر :

(١) والأحسن اعتبار هذا التمييز من نوع : تمييز «الذات» ؛ (أى : تمييز «المفرد» ، لتمييز «النسبة» ، (طبقاً للبيان التفصيلي الذي سبق في باب : «التمييز» ، ج ٢ م ٨٨ عند الكلام على أقسام التمييز ص ٣٨٩ و ٣٩١ وما بعدهما) .

ومن أحكام هذا التمييز أنه - على الصحيح - لا يجوز حذفه مع استتار الضمير الفاعل المائد عليه ؛ لكيلا يبقى الفاعل الضمير مبهماً ، ليس له ما يفسره ؛ فالتمييز يفسر الفاعل المستتر . فإن وجدت قرينة تدل على التمييز بعد حذفه ، وتكون عوضاً عنه صح الحذف ؛ كالتاء في قولهم : إن زرت الصديق فيها ونعمت ؛ أى : نعمت زيارة زيارتك ، ومنه قوله عليه السلام : (من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل) أى : فبالرخصة أخذ ، ونعمت رخصة الوضوء .

ولا يصح تقديمه على «نعم وبش» - كما أسلفنا - ، ولا تأخيره عن «المخصوص» بالمدح والذم ؛ ولهذا حكموا بالشذوذ على مثل : نعم محمد رجلاً ، باعتبار «محمد» هو «المخصوص» . أما باعتباره فاعلاً فلا يصح ؛ لأنه ليس من الأنواع السالفة التي تصلح فاعلاً في هذا الباب .

ويصح أن يكون لهذا التمييز نعت أو غيره من التوابع ، ومن أمثلة النعت قولهم :

«إن الكذوب لبشٌ خلاً يُصحب»

كما يصح أن يفصل بينه وبين الفاعل فاصل ، كقوله تعالى : (بش للظالمين بدلاً) ، ويجوز تشنيته وجمعه - كما أشرنا - وبسبب هذا الجواز امتنع إبراز الفاعل المستتر ، وتشنيته وجمعه ، اكتفاءً بتشنية التمييز وجمعه ؛ فلا يصح : نِعَمًا - ونِعْمُوا .. - في الرأي الراجح .

(٢) فيما سبق يقول ابن مالك بإيجاز :

فَعْلَانِ غَيْرُ مُتَصَرِّفَيْنِ «نِعْم» و «بَشْ» رَافِعَانِ اسْمَيْنِ
مُقَارِنِي «أَل» أَوْ مُضَافَيْنِ لِمَا قَارَنَتْهَا : كَنِعْمَ عُقْبَى الْكُرْمَا
وَيَرْفَعَانِ مُضَمًّا يُفْسَرُهُ مُمَيِّزٌ ، كَنِعْمَ قَوْمًا مَعَشَرُهُ

تضمنت الأبيات الثلاثة أن «نعم وبش» فعلان جامدان ، وأنها يرفعان فاعلين مقترنين بـ «أل» أو مضافين للمقترن بـ «أل» أو ضميراً يفسره بـ (تمييز ، كنعم قوماً معشره) ، وترك النظم بقية أنواع الفاعل التي في الصفحات التالية .

(٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَجَمَعَ تَمْيِيزٍ وَفَاعِلٍ ظَهَرَ فِيهِ خِلَافٌ عَنْهُمْ قَدْ اشتهَر

نعم الفتاة فتاة هند لو بدلت رد التحية نظفاً أو بإيماء^(١)...

هـ - كلمة : « ما »^(٢) أو : « مَنْ »^(٣) ، نحو : (نعيم ما يقول الحكيم المجرب ، وبش ما يقول الغرّ الأحمق) ، ونحو : (نعم من تصحبه عزيزاً . وبش من ترافقه منافقاً) . . . وقيل : إن « ما » تميز ، والفاعل ضمير مستتر تفسره « ما » وكذلك : « مَنْ » .

(١) عند الجمع بينهما قد يكون التمييز غير دال على معنى زائد على الفاعل ؛ نحو : نعم الرجل رجلاً عمر ؛ فيكون من نوع التمييز الذي يفيد مجرد التوكيد ؛ كالذى فى قول أبى طالب عم الرسول عليه السلام .

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً . . .
(كما سبق فى باب التمييز ج ٢ م ٨٧ ص ٣٢٧) . ويجوز أن يكون دالاً بنفسه على معنى زائد على معنى الفاعل ؛ نحو : « نعم الفتى فتى صلاح » ، إذا كان المراد أنه فتى حقاً ، أى من ناحية الفتوة ، يظهر عليه أماراتها . ويجوز أن تكون زيادة المعنى ليست ناشئة منه مباشرة ، وإنما هى من أحد توابعه أو معمولاته ، نحو نعم الرجل رجلاً مجاهداً صلاح
(٢) وفيها يقول ابن مالك :

وَ « مَا » مُمَيِّزٌ ، وَقِيلَ : فَاعِلٌ فِي نَحْوِ : نَعِمَ مَا يَقُولُ الْفَاضِلُ

فى « ب » من ص ٣٧٤ أشهر إعرابات « ما » بعد نعم وبش . .
ويقول علماء رسم الحروف إن « ما » إذا كانت معرفة تامة فقد تكون : « تامة عامة » ومعناها : « الشيء » ، ولفظ : « الشيء » يلاحظ عند التقدير . وعلامتها ألا يكون قبلها اسم تكون هى وعاملها صفة له فى المعنى ، كقوله تعالى : (إِنَّ تَبِيدُوا الصِّدْقَاتِ فَسَيَمَيَّا هِى) التقدير : نعم الشيء هى . . . وقد تكون معرفة « تامة خاصة » ، وعلامتها : أن يسبقها اسم تكون هى وعاملها صفة له فى المعنى ، وتقدر من لفظ ذلك الاسم ؛ نحو : أصلحت الخط إصلاحاً نعيماً ، التقدير : نعم الإصلاح . هذا كلامهم . ويقول أكثرهم إن : « ما » فى الصورتين توصل خطأً بآخر الفعل : « نعم وبش » وتدغم هى « وبش » نعم ، وتكسر عندئذ « العين » لتخلص من السكون الناشئ من الإدغام .
غير أن الحكمة فى هذا الاتصال الكتابى غير سائغة عند فريق آخر ؛ إذ هى : مجرد المحاكاة للمسايق من كتبها فى الطور الأول وقت استحداث الخط . فالخير فى فصلها ، (بالرغم من أننا فصلناها مرة فى أعلى هذه الصفحة ، ووصلناها فى هامشها) إلى أن يستقر الإصلاح على وضع جديد موحد .
ومثلها عندهم فى الاتصال « بنعم » كلمة « ما » النكرة الناقصة وهى النكرة الموصوفة التى معناها الذى تقدر به : « شيء » ؛ مثل : إن قراءة الكتب الأدبية نعماً يقوم الألسنة . . . والحكمة والرأى هنا مثابهما فيما سبق .
(٣) وتكون : « من » موصولة ، أو نكرة تامة ، أو نكرة موصوفة ، ولا تكون معرفة تامة .

و سـ « الذى » (اسم موصول) ؛ نحو : نعم الذى يصون لسانه عما لا يحسن ،
وبئس الذى يغتاب الناس .

ز - النكرة المضافة لنكرة ، أو غير المضافة ؛ كقول الشاعر :

فَنِعِمَّ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ وَصَاحِبُ الرِّكْبِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَا
ومثل : نعم قائد أنت . . .

والنوعان الأخيران (وهما : الذى • والنكرة) ، أقل الأنواع استعمالاً ، وسُمِّوا
بلاغياً ، مع جوازهما .

(٣) عدم نصبهما المفعول به ؛ لأن كلاّ منهما فى هذا الاستعمال فعل
ماض - جامد - لازم - كما تقدم ^(١) - ... ولكن يصح زيادة « كاف الخطاب »
الحرفية فى آخرهما ، نحو : نِعِمَّكَ الرجل عثمان ، وبئسك الرجل زياد . وهذه
الكاف حرف محض لجرد الخطاب ؛ فلا يعرب شيئاً ، ولكنه يتصرف على حسب
نوع المخاطب ^(٢) . وزيادته - مع جوازها - قليلة فى الأساليب البليغة ^(٣) .

(١) فى رقم ١ من ص ٣٦٨ .

(٢) تذكيراً ، وتأنياً ، وإفراداً ، وتثنية ، وجمعاً . . .

(٣) سبق بيان هذا مفصلاً فى ج ١ ص ٢٣٨ م ١٩ - باب : التفسير ، بمناسبة للكلام على :
« كاف الخطاب » الحرفية .

زيادة وتفصيل :

١ - إذا كانت : « أل » جنسية في مثل : (نعم الوالد على) - ونظائره طبقاً لما أوضحناه^(١) ، فقد يراد منها الدلالة على الجنس حقيقة ؛ فكأنك تمدح كل والد . ويدخل في هذا التعميم على ، ثم تذكره بعد ذلك خاصة ؛ فكأنك مدحته مرتين ؛ إحداهما مع غيره ، والأخرى وحده .

وقد يكون المراد الجنس مجازاً ؛ فكأنك جعلت الممدوح بمنزلة الجنس كله للمبالغة في المدح .

أمّا إذا كانت « أل » للعهد^(٢) ، فقد تكون لشيء معهود في الذهن لم يذكر خلال الكلام ؛ فتكون للعهد الذهني . فإن ورد في الكلام فهي للعهد الذكري . كالذي في قولهم : خير أيام الفتى يومٌ نفعَ فاتبعَ الحقَّ ، فنعم المستبغ و « أل » الجنسية أقوى وأبلغ في تأدية الغرض ، والعهدية أوضح وأظهر .

ب - إذا وقعت كلمة : « ما »^(٣) بعد : « نعم وبش » جاز فيها إعرابات كثيرة ؛ وأشهرها ما يأتي :

(١) إعرابها حين يليها اسم منفرد (مثل : الزراعة نعم ما الحرفة) - إما نكرة تامة فاعلا ، وإما نكرة تامة : تمييزاً ، وفاعل « نعم » ، و « بش » في هذه الصورة ضمير مستتر يعود على هذا التمييز ، وتعرب الكلمة المنفردة التي بعدها (وهي : الاسم المنفرد) خبراً لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ والجملة قبلها خبر عنها - كما سنعرف في إعراب الخصوص .

(٢) إعرابها حين يليها جملة فعلية ، (مثل : نعم ما يقول العقلاء ، وبش ما يقول السفهاء ...) ، إما نكرة ناقصة ، تمييزاً ، والفاعل ضمير مستتر يعود عايتها . والجملة بعدها صفة لها . وإما معرفة^(٣) ناقصة ، فاعلا ، والجملة بعدها صلتها .

(١) راجع : « أ » ص ٣٦٩ .

(٢) انظر بعض أنواع « ما » في رقم ١ من هامش ص ٣٧٢ ثم ما يحىء في الصفحة التالية .

(٣) اسم موصول .

(٣) إعرابها حين تنفرد فلا يليها شيء ؛ (نحو : الرياضة نعماً ، والإسراف فيها بشماً) إماً أن تكون نكرة تامة فاعلاً ، وإماً تمييزاً ، والفاعل ضمير مستتر يعود عليها .

ففي كل الأحوال السابقة يجوز أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود على « ما » . لا فرق بين أن تكون نكرة تامة ، وناقصة ، ومعرفة تامة . كما يجوز أن تكون « ما » باعتباراتها المختلفة فاعلاً .

فإذا اعتبرناها نكرة ناقصة فالجملة بعدها صفتها ، وإذا اعتبرناها معرفة ناقصة فالجملة بعدها صلتها ، وإذا وقع بعدها كلمة منفردة ، أو لم يقع بعدها شيء ، فهي تامة ، تعرب فاعلاً ، أو تعرب تمييزاً والفاعل ضمير .

ولما كان كل نوع من أنواع « ما » مختلفاً في دلالاته اللغوية عن النوع الآخر ، كان تعدد هذه الأوجه الإعرابية جائزاً حين لا توجد قرينة توجه المعنى إلى أحدها دون الآخر ؛ فإذا وجدت القرينة وجب الاختصار على ما تقتضيه ، فليس الأمر على إطلاقه — كما قد يتوهم بعض المتسرعين — ؛ ففي مثل : (لا أجده ما أتصدق به إلا اليسير ؛ فيجيب السامع : نعم ما تجود به) . تكون « ما » هنا نكرة موصوفة ؛ فكأنه يقول : نعم شيئاً أى شيء تجود به ، وفي مثل ؛ أعطيتك الكتاب الذى طلبته ؛ فتقول : نعم ما أعطيتنى ، فكلمة « ما » موصولة ، وهكذا وإلا كانت الألفاظ ودلالاتها فوضى . والقرائن والأسرار اللغوية لا قيمة لها ، ومثل هذا يقال فى « أل » السابقة ، — من ناحية أنها للعهد أو الجنس . . . — وفى غيرها من كل ما يجوز فيه أمران ، أو أكثر وتقوم بجانبه قرينة توجه إلى واحد دون غيره .

(٤) امتناع توكيد فاعلهما المفرد الظاهر توكيداً معنوياً ، فلا يصح نعم الرجل كلهم^(١) محمد ، ولا بشس الرجل أنفسهم على . كما لا يصح : نعم الرجل كله محمد ، ولا بشس الرجل نفسه على^(٢) . . . فإن كان فاعلهما مثني أو جمعاً جاز ، نحو : نعم الصديتان كلاهما ، محمد وعلى — نعم الأصدقاء كلهم محمد وعلى وحامد . . . ومثلهما المثني والجمع للمؤنث . . .

أما التوكيد اللفظي فلا يمتنع ، وكذلك : (البذل ، والعطف^(٣)) . وأما النعت فيجوز إذا أريد به الإيضاح والكشف ، لا التخصيص^(٤) ، كقول الشاعر :
لَعَمْرِي — وما عَمْرِي عَلَى بِهِيْنٍ لِبِئْسَ الْفَتَى الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ

(١) «كلهم» بالجمع — مراعاة لمعنى الفاعل — لالفظه — لأنه بمعنى الجنس المشتمل على أفراد كثيرة ، كما سبق في «١» من ص ٣٦٩ . (انظر رقم ٢ التالي) .

(٢) لا يصح التوكيد المعنوي إذا كان لفظه للجمع كالمثاليين الأولين لأن فيه تناقضاً بين ظاهره اللفظي الدال على الجمع ، وظاهره الفاعل الدال لفظه على الأفراد . كما لا يصح أيضاً إذا كان لفظه للمفرد ، متناً لمتناقض بين ظاهره اللفظي ومعنى الفاعل الملحوظ فيه الجنس كله ، وأنه بمنزلة الجنس كله .

هذا على اعتبار «أل» جنسية ؛ أما على اعتبارها للعهد فلم يقطعوا فيه برأى ، وإنما قالوا لا يستبعد جوازها (راجع الصبان — وغيره — في هذا الموضع) ، وهذه فتوى مضطربة . والأحسن الأخذ بالرأى الذى لا يبيح التوكيد المعنوي مطلقاً ؛ لأن الغرض منه لا يتحقق هنا مع «أل» ؛ الهدية ؛ إذ مقام المدح والذم لا يتطلب الإحاطة والشمول فنأتى له بلفظ : « كل أو جميع ، أو عامة » . . . أو نحوها من ألفاظ التوكيد الدالة على الشمول ، وليس المقام بمقام رفع احتمال الشك عن ذات الفاعل فنأتى له بلفظ التوكيد الذى يزيل الشك عنها ؛ مثل كلمة : « نفس » ، أو ما يشبهها . . .

(٣) اشترط بعض النحاة فى (البذل والعطف) أن يكون كل منهما صالحاً لمباشرة «نعم» (بأن يكون معرفاً «بأل» . أو مضافاً إلى المرفوع بها ، ولو بواسطة .. و .) وبعض آخر لم يشترط هذا ؛ محتجاً بأنه يغتفر فى التابع مالا يغتفر فى المتبوع . ولم يوضح لنا أحد الفريقين موقفه من السماع الكثير الوارد عن العرب ؛ لتكون الحجة قاطعة . لهذا كان من التيسير المقبول الأخذ برأى من لا يشترط ماسبق .

(٤) لأن تخصيصه مناف للشمول والتعميم عند من يجعل «أل» جنسية ، فإذا أريد به الكشف والإيضاح على تأويل أنه الجامع لكل الصفات ، صح النعت به . وأما القائلون بأنها للعهد فلا يشترطون هذا ، ويبيحون النعت . فهنا صورتان ؛ يجوز النعت مع التأول فى إحداها ، وعدم التأول فى الأخرى . ومن الخير ترك هذا الغناء كله ، والاقتصار على النتيجة النافعة التى ينتهى إليها الرأىان وهى : النعت ، وإهمال ما يحف به من جدل .

وقال الآخر :

نعمَ الفتى المُرئى^(١) أنتَ ، إذا همو حضروا لدى الحَجَرَاتِ^(٢) نارا الموقد
فإن كان الفاعل ضميراً مستتراً فلا يجوز أن يكون له تابع من نعت ، أو
عطف ، أو توكيد ، أو بدل .

(٥) حاجتهما - في الغالب - إلى اسم مرفوع بعدهما هو المقصود بالمدح
أو الذم ، ويسمى : «المختص بالمدح والذم» . وعلامته : أن يصلح وقوعه مبتدأ ،
خبره الجملة الفعلية التي قبله مع استقامة المعنى ، نحو : (نِعَمَ المغرد البابلُ -
بشئ الناعب الغرابُ) ؛ فالببل هو : المختص بالمدح ، والغراب هو : المختص
بالذم ، وكلاهما يصلح أن يكون مبتدأ ، والجملة الفعلية قبله خبره ؛ فنقول :
الببلُ نِعَمَ المغرد - الغرابُ بشئ الناعب .

ويشترط في هذا المختص أن يكون معرفة ، أو نكرة مختصة بوصف ، أو
إضافة ، أو غيرهما من وسائل التخصيص^(٣) . . . وأن يكون أخص من الفاعل^(٤) ،
لا مساوياً له ، ولا أعم منه^(٥) ؛ وأن يكون مطابقاً له في المعنى ، (فيكون مثله
في مدلوله تذكيراً ، تأنيساً ، وإفراداً ، وثنية ، وجمعاً) . . . وأن يكون متأخراً
عن الفاعل ؛ فلا يتوسط بينه وبين فاعله^(٦) ، - ويجوز تقدمه على الفعل
والفاعل معاً - كما يجب تأخره عن التمييز إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً له تمييز ؛

(١) المنسوب لقبيلة مُرَّة - . والمقصود به : سَيِّدَانِ بن أبي حازمة المرى .

(٢) الحجرات ، جمع : حَجْرَة (بفتح الحاء والجيم) وهى شدة برد الشتاء . وقد تقرأ : حَجُرَات
جمع : حَجُرَة : بضم فسكون .

(٣) أو يصلح أن يكون خبراً إذا جعلنا الفاعل مبتدأ موصوفاً بكلمة : « الممدوح » أو كلمة :
« المذموم » على حسب المعنى ؛ (لأن مفسر الفاعل كالفاعل) ، نحو : نعم الصانع خليل ، وبشئ
المصنوع النسيج ، أى : (الصانع ، الممدوح خليل) (المصنوع ، المذموم النسيج) وسيجى الكلام ،
على إعراب المختص في ص ٣٧٨ .

(٤) لأن المراد من الفاعل هو الجنس كله - طبقاً للرأى الأغلب - .

(٥) حجتهم في أن يكون أخص : أن يحصل التفصيل بعد الإجمال ؛ ليكون أوقع في النفس . . .
والحجة الحقيقية وحدها هى استعمال العرب ، كالشأن في باقى الحجج التالية .

(٦) بزعم أن هذا أدعى للتشويق ، لكن يجوز أن يتقدم على الفعل والفاعل وفى هذه الصورة
لا يسمى : مخصوصاً . والسبب في المنع هو استعمال العرب - ليس غير - ويجب إهمال مثل هذه التعليلات .

نحو : نعم رجالا المخترع .

أما إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً فيجوز تقديم « المخصوص » على التمييز وتأخيرها ، فنقول : نِعِمَّ العالمُ رجلاً إبراهيم ، أو : نِعِمَّ العالمُ إبراهيمُ رجلاً .
ولإذا كان المخصوص مؤنثاً جاز تذكر الفعل وتأنيثه ، وإن كان الفاعل مذكراً ؛ نحو : نعم الجزء الهدية ، ونعم الشريك الزوجة ، أو نعمتُ ، فيهما والتذكير في هذه الحالة أحسن ليطابق الفاعل ^(١) .

* * *

حذف المخصوص :

يجوز حذف : « المخصوص » ، إن تقدم على جملته لفظ يدل عليه بعد حذفه ، ويغنى عن ذكره متأخراً ، ويمنع اللبس والخفاء في المعنى ؛ ويسمى هذا اللفظ ؛ بـ « المُشعرِ بالمخصوص » ؛ سواء أكان صالحاً لأن يكون هو « المخصوص » أم غير صالح ^(٢) ؛ ويعرب على حسب الحالة ؛ مثل : سمعت شعراً عذبا لم أتعرف صاحبه ، ثم تبين أنهُ السُّحُرى ؛ فنعم الشاعر . أى : فنعم الشاعر البُحُرى . وقوله تعالى في نبيّه أيوب : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً ، نعم العبد ... » ، أى : نعم العبد الصابرُ ، ويصح : نعم العبد أيوب . وعلى التقدير الأول يكون « المشعر » - وهو كلمة : « صابراً » - من النوع الذى لا يصلح أن يكون « مخصصاً » : لأنه نكرة غير مختصة ، بخلافه على « التقدير الثانى » .

* * *

إعراب المخصوص :

المشهور لإعرابان ؛ أحدهما : أن يكون مبتدأ مؤخراً ، والجملة الفعلية التى قبله خبر عنه ، كما فى المثالين السالفين ^(٣) . . .

وثانيهما : اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً ، تقديره : « هو » ، أو : هـى أو غيرهما مما يناسب المعنى ، ويقتضيه السياق ، فيكون فى المثالين السابقين ^(٣)

(١) لهذا إشارة فى رقم ٣ من هامش ص ٣٦٩ .

(٢) وهذه الصورة قليلة .

(٣) (٣ و ٢) فى رقم ٥ من ص ٣٧٧ .

مثلاً : نعم المغرد هو البلبل ، وبئس الناعب هو الغراب . أى : الممدوح البلبل ، والمذموم الغراب . فالمراد من الضمير هنا : « الممدوح » أو : « المذموم » .
وهناك إعراب ثالث ؛ هو : أن يكون مبتدأ وخبره محذوف ؛ تقديره :
« الممدوح » أو : « المذموم » .

تلك هى الأوجه الثلاثة المشهورة ، ويلاحظ أن كلاً منها قائم على الحذف والتقدير ، أو التقديم والتأخير ، مع الركاقة والضعف ، مع أن هناك رأياً قديماً آخر ، أولى بالاعتبار ؛ لخاوه من تلك العيوب وغيرها ؛ هو : إعراب المخصوص « بدلاً »^(١) من الفاعل ؛ فيكون : « البلبل » بدلاً من : « المغرد » ، ويكون : « الغراب » بدلاً من : « الناعب » هكذا

وحبنا الأخذ بهذا رأى السهل الواضح فى تقديرنا .
يجوز فى هذا المخصوص أن تعمل فيه النواسخ ؛ نحو ؛ نعم مداوياً كان الطبيب ؛ فهو اسم « كان » والجملة قبها خبرها^(٢)

* * *

(١) الأحسن أن يكون بدل كل من كل على جميع الاعتبارات ، لأن المراد من البدل هو المراد من المبدل منه . ومن العجيب أن يكون هذا رأى قلة من النحاة ، مع وضوحه ، وقوة انطباق قواعد البديل عليه ، وعدم تناقضه مع قاعدة أخرى . وأما ماوجه إليه من عيب فقد دفعه العايدون أنفسهم ، وانتهوا إلى خلوه من العيوب (كما يدل على هذا ماورد فى المطولات ، ومنها حاشية الصبان فى هذا الموضع ، وقد نقل عن بعض المحققين جواز البدلية ، وسجله فى آخر باب عطف البيان) فلماذا لم يعملوه فى قوة غيره ؟ بل لماذا لم يقدموه على غيره ؟ ولانريد أن نسجل هنا تلك العيوب وطرق دفعها ؛ كى لانسجل مالا طائل وراءه . ومن شاء أن يطلع عليها فليرجع إليها فى مظانها التى ذكرناها واتى لم نذكرها .

(٢) وفى المخصوص وإعرابه يقول ابن مالك :

وَيُذَكَّرُ « الْمَخْصُوصُ » بَعْدُ مَبْتَدَأً أَوْ خَبَرَ اسْمٍ لَيْسَ يَبْدُو أَبَدًا
أى : يذكر المخصوص بـمد الفاعل ، ويعرب مبتدأ ، أو خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً ، لا يجوز أن يظهر . ويقول فى حذفه :

وَأِنْ يُقَدَّمُ مُشْعِرٌ بِهِ كَفَى كَالْعِلْمِ نِعَمَ الْمُقْتَنَى وَالْمُقْتَفَى

يريد : إن تقدم على المخصوص مايشعر بمعناه ويدل عليه من غير لبس ، أو فساد - كنى وأغنى عنه وجاز حذفه ، كالأمثلة التى سبقت فى الشرح . أما مثال : العلم نعم المقتنى والمقتنى فالمخصوص قد تقدم فصار فى الظاهر هو المشر ، والأصل : « نعم المقتنى والمقتنى العلم » ، فأغنى عن المخصوص ، منماً للتكرار الذى لا فائدة منه هنا ، و « المقتنى » : الشيء الذى يُتَّخَذُ قَسْبَةً ، أى : الشيء الغالى ، الذى يحرص الناس على ادخاره والاحتفاظ به . و « المقتنى » الذى يُقْتَنَى ؛ أى : يتبع وتراعى أحكامه

ومن النوع الأول الصريح^(١) : الفعل : « حَبَّ » يكون للمدح العام مع الإشعار بالحُبِّ ، ويكثر أن يكون فاعله كلمة : « ذا » التي هي اسم إشارة^(٢) نحو : حبذا الموسيقى إسحاق ، وقول الشاعر :

يا حبذا النيل على ضوء القمر وحبذا المساء فيه والسحر

فإن جاء بعده التفاعل « ذا » ، وقبله : « لا » النافية كان للذم العام ، نحو : لا حبذا البخيل^(٣) مادر^(٤) .

ولأنما كان معنى الفعل : « حَبَّ » هو : المدح مع الإشعار بالحب والقرب من القلب ، لأنه فعل مشتق من مادة : « الحب » وفاعله اسم إشارة للقريب . وهو ينفرد بهذه المزية دون « نِعِم » .

ومما يدل على الذم العام الصريح أيضاً الفعل : « ساء » تقول : ساء البخيل مادر^(٥) . كما تقول : بش للبخيل مادر^(٦) وقول الشاعر :

أألوم من بخلت يده وأعتدى للبخل تريراً^(٧) ؟ ساء ذاك صنيعا !
فمعناها واحد ، هو : الذم العام^(٨) ، وكذلك أحكامهما

ومما تقدم فاعلم أن « حبذا » جملة فعلية - على الرأى الأرجح - الفعل : فيها : « حَبَّ » ، وهو هنا ماض جامد^(٩) ، وفاعله هو كلمة : « ذا » اسم الإشارة ، مبنية

(١) أى : الذى يدل على المدح أو الذم دلالة صريحة بغير قرينة . . . (انظر ص ٣٦٧) .

(٢) وعندئذ تتصل بآخره فى الكتابة وجوباً ؛ طبقاً لقواعد رسم الحروف . ومن الأمثلة أيضاً قول

الشاعر :

حبذا ليلة تغفلت عنها زمنى فانتزعتهما من يديه

تغفلته : خدعته وهو غافل . أما الحرف « يا » فيجىء تفضيل الكلام عليه فى مكانه الأنسب ، وهو باب : « النداء » - ص ١٢٧م ٥ - ومنه يتبين أن الحرف : « يا » هنا : حرف تنبيه ، أو حرف نداء . . .

(٣) اسم رجل يضرب به المثل قديماً فى البخل .

(٤) صديقاً وصاحباً .

(٥) إلا إن لوحظ فى الفعل « ساء » أنه محول من أصله إلى صيغة « فسدل » بقصد الذم الخاص

مع التعجب ، كما سيجىء الكلام على تحويل الأفعال الثلاثة إلى هذه الصيغة ص ٣٨٤ و ٣٨٥ .

(٦) هو فى الأصل مشتق . ولكنه صار جامداً ، كامل المجرى بعد انتقاله إلى حالته الجديدة التى

قصد بها إنشاء المدح فصار مع فاعله جملة إنشائية خالية من الدلالة الزمنية على الوجه الذى شرحناه

فى رقم ١ من ص ٣٦٨ .

على السكون في محل رفع . « الموسيقى » هو المخصوص بالمدح ، ويعرب مبتدأ خبره الجملة التي قبله ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أو غير هذا مما فصلناه ^(١) في إعراب « مخصوص : نعم وبئس » إلا البدل فلا يصح هنا .

ومن أحكام هذا المخصوص أيضاً أنه لا يصح تقدمه على الفاعل وحده ، دون الفعل ، ولا على الفعل والفاعل معاً ، فلا يصح : حَسَبَ عَلَى ذَا ، ولا عَلَى حَسْبًا ، لأن تقدمه غير مسموع في الكثير الفصيح من كلام العرب ؛ فصارت : « حبذا » معه ثابتة الموضع والصورة كالمثمل ؛ والأمثال لا تتغير مطلقاً . هذا إلى أن تقدمه قد يوهم (في مثل الصورة الثانية التي يكون فيها المخصوص مفرداً مذكراً) — أن الفاعل ضمير مستتر ، وأن « ذا » مفعول لا فاعل . وفي هذا إفساد للمعنى . لكن يصح أن يتقدم على التمييز أو يتأخر عنه ؛ نحو : حبذا رجلاً العصامي ، أو : حبذا العصامي رجلاً . ويصح الفصل بالنداء بينه وبين « حبذا » كما يصح حذفه إن دلّت عليه قرينة لفظية أو حالية . ^(٢) كقول الشاعر :

ألا — حبذا . لولا الحياء ، وربما مَنَحْتُ الهوى ما ليس بالمتقارب

(١) في آخر ص ٣٧٨ .

(٢) كثير من النحاة يمنع أن يكون للفاعل « ذا » تابع من التوابع الأربعة شأنه في هذا شأن فاعل « نعم » وبئس ، إذا كان ضميراً مستتراً . فإذا وقع بعد « ذا » اسم فهو « المخصوص » وهذا الرأي سديدهنا ؛ لأن حاجة اسم الإشارة للمخصوص الذي يوضحه ويزيده جلاء أشد من حاجته إلى البدل ؛ أو غيره من التوابع . ويجب الأخذ بهذا الرأي في صورتى « حب » ؛ المنفية وغير المنفية ، ما دام الأسلوب لإنشاء المدح أو الذم . لهذا يقولون في كلمة : « المجاهد » في مثل : حبذا المجاهد — إنها المخصوص ، ويعربونها إعرابه ، ولا يعربونها بدلاً . لكن يجوز توكيد جملة : حبذا توكيداً لفظياً ، ومنه قول الشاعر :

ألا حبذا ، حبذا ، حبذا حبيبٌ تحملتُ منه الأذى

وعما يقوى منع إعرابه عطف بيان أن عطف البيان لا بد أن يكون متبوعه — في الرأي الأصح — تعريفاً وتنكيراً — كما سيجيء في ص ٥٥٠ — وقد وردت أمثلة كثيرة فصيحة وقع فيها مخصوص حبذا تنكرة ، منها قول جرير :

وحبذا نفحات من يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ من قَبْلِ الرِّيانِ أحياناً

فلو أعربنا كلمة : « نفحات » عطف بيان لخالفت متبوعها — وهو اسم الإشارة — في تعريفه .

والأصل مثلاً : ألا حبذا أخبار الحُبِّ ، أو النساء . . . لولا الحياء ، ولا يصح أن تعمل فيه النواسخ ، بخلاف مخصوص « نعم » — كما سبق ^(١) . —

ومثل الإعراب السابق يقال في : لا حبذا البخيلُ مَادِرٌ ، مع إعراب « لا » حرف نفي ، فليس تسمّة خلاف بين الصيغتين في شيء إلا في وجود « لا » انافية قبل : « حبذا » مباشرة (أى بغير فاصل مطلقاً) ^(٢) . . . وبسببها تصوير الجملة لإنشاء الذم لا المدح . ولا يصح أن يحل حرف نفي آخر محل : « لا » في هذا الموضع . ومن الأمثلة الجامعة للصورتين قول الشاعر :

ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا الجاهلُ العاذلُ

وقول الآخر :

ألا حبذا أهلُ المَلَا ، غيرَ أَنَّهُ إذا ذُكِرَتْ مِى فلا حبذا هِيا
وإذا كان فاعل ؛ « حَبَّ » — في حالتى النفي وعدمه — هو كلمة :
« ذا » وجب أمران ؛ فتح الحاء في « حَبَّ » ^(٣) . . . وأن يبقى الفاعل : « ذا »
على صورة واحدة لا تتغير في الحالتين ؛ هى صورة الإفراد والتذكير مهما كان
أمر المخصوص من الإفراد ، أو : التثنية ، أو : الجمع ، أو : التذكير ،
أو : التأنيث . . . نحو : حبذا الطيبة فاطمة — حبذا الطبيبتان الفاطمتان —
حبذا الطبيبات الفاطمات — حبذا الطبيب محمد — حبذا الطبيبان المحمدان —
حبذا الطبيبون — أو الأطباء — المحمدون ، فلا يصح إخراج « ذا » عن الإفراد

(١) في ص ٣٧٩ .

(٢) ويصح وقوع الحرف « يا » قبل « حبذا » المثبتة . وفيما سق خاصاً بالفعلين : « ساء وحب » يقول ابن مالك :

وَأَجْعَلْ كَيْشَسَ سَاءً . وَاجْعَلْ : « فَعَلًا » مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ - كَنِعْمَ ، مُسْجَلًا

وسيجى شرح هذا البيت في هامش ص ٣٩١ ، ثم يقول بعده :

وَمِثْلُ « نِعْمَ » ، « حَبَّذَا » ، « الْفَاعِلُ » « ذَا » وَإِنْ تُرِدْ ذِمًّا فَقُلْ : « لَا حَبَّذَا »

أى : مثل : « نعم » مع فاعلها في إنشاء المدح ، جملة ، « حبذا » : وهى جملة فعلية ، للفاعل فيها هو كلمة : « ذا » . أما عند إرادة الذم فقل : « لا حبذا » بزيادة « لا » النافية .

(٣) يشترط وصلها : بـ « ذا » كتابة — كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٨٠ .

والتذكير ؛ لأنها دخلت في أسلوب يشبه المثل ، والأمثال لا تتغير مطلقاً ، ولا تخالف الصورة الأولى التي وردت بها عن العرب ^(١) . . .

فإن كان فاعل : « حَبَّ » اسماً آخر غير كلمة : « ذا » فإنه لا ياتزم صورة واحدة ، وإنما يساير المعنى ، فيكون مفرداً أو غير مفرد ، مذكراً ، أو غير مذكر ، كل هذا على حسب ما يقتضيه المعنى . وعندئذ يجوز رفعه أو جره بباء زائدة في محل رفع ، كما يجوز في « حاء » الفعل : « حبَّ » أن تضبط بالفتحة أو الضمة ، مثل : « حَبَّ المضيءُ القمرُ » - « حَبَّ المضيئان القمران » - « حَبَّتْ المضيئات الأقمار . . . » وهكذا ^(٢) . . . ؛ (لأنه يجري على « حبَّ » من ناحية ضبط فائنها وعينها ما يجري على مثلها من الفعل الذي يُحوّل إلى « فَعَلَّ » وسيجيء الكلام عليه ^(٣)) .

(١) يقول ابن مالك :

وأول : « ذا » المخصوص ، أيّا كان ، لا تعدل ب « ذا » فهو يضاهي المثال (أول ذا . . . : أتبع كلمة « ذا » . . . وجيء بعدها بالمخصوص ، أيّا كان . في أي مكان وصورة وجد من الأسلوب الخاص بالمدح والذم ، أي : سواء أوجد للمفرد وفروعه أم للمذكر وفروعه - لا تعدل بهذا : لا تمل بلفظ « ذا » إلى غيره ، ولا تنصرف عنه إلى سواء . والمراد لا تدخل عليه تغييراً مطلقاً - يضاهي : يشابه) .

(٢) يقول ابن مالك في الفاعل إذا كان غير كلمة « ذا » ؛ وفي رفعه أو جره بالباء الزائدة ،

وفي ضبط « حاء » الفعل معه ومع « ذا » :

وما سوى « ذا » ارفع بحَبَّ ، أو : فجُرَّ بإلِبا ، ودون « ذا » انضمام الحاكث (الفاء في : « فجر » زائدة ، أو في جواب شرط مقدر ، أي إن شئت فجر ، لأن حرف العطف لا يدخل على مثله) : يقول : ارفع الفاعل إذا كان اسماً غير كلمة « ذا » ، أو : جره بالباء الزائدة . ودون « ذا » أي : في غير الفاعل : « ذا » ، كتر انضمام الحاء في فعله « حب » ويفهم من هذا أن ضم الحاء لا يصح إذا كان الفاعل هو كلمة : « ذا » كما شرحنا .

(٣) في ص ٣٩٠ .

المسألة ١١١ :

الأفعال^(١) التي تَجْرَى مَجْرَى : « نِعم » وبشئ

الأصل العام : أن يقتصر كل فعل تحتويه الجملة المفيدة على تأدية معنى واحد مناسب ؛ يُكتفى به ، ولا ينضم إليه معنى آخر . وينطبق هذا الأصل العام على أكثر الأفعال الثلاثية ، حيث يقتصر كل فعل منها على تأدية معناه الخاص الواحد من غير دلالة معه على مدح ، أو : ذم . أو : تعجب . . . كالأفعال : فرح - قعد - فهم . . . ومثات غيرها - فإن كل فعل منها يؤدي معناه المعين ؛ (وهو : الفرح ، القعود ، الفهم . . .) تأدية مجردة من الإشعار بمدح ، أو ذم ، أو تعجب ؛ فلا صلة لها بشئ من هذه المعاني الثلاثة .

لكن من الممكن أن يدخل شئ من التغيير على صيغة كل فعل من الأفعال السابقة - ونظائرها - ليصير على وزن معين ، فيؤدي معناه الأصلي الخاص مع زيادة في الدلالة ؛ تتضمن المدح بهذا المعنى اللغوي الخاص ، أو الذم به ، كما تتضمن - في الوقت نفسه - الإشعار بالتعجب في الحالتين . فالزيادة الطارئة على المعنى اللغوي الأصلي للفعل بعد تغيير صيغته - تتضمن الأمرين معاً . وإن شئت فقل : إن الفعل الثلاثي في صيغته الجديدة ، الناشئة من التغيير يؤدي ثلاثة أمور مجتمعة ؛ هي : معناه اللغوي الخاص ، مزيداً غايه المدح بهذا المعنى الخاص ، أو الذم به على حسب دلالاته الأصلية ، وأيضاً إفادة التعجب في حالتي المدح والذم^(٢) .

والمدح والذم هنا خاصان ؛ لأنهما يقتصران على المعنى اللغوي للفعل ، وهذا المعنى معين محلود ، ولهذا يكون المدح به أو الذم خاصاً ، مع إفادة التعجب

(١) قد نضيق بهذه الأفعال وأحكامها ، وننشر - أحياناً - من جرمها بعد تحويلها للمدح أو للذم وما يصحهما ، بالرغم من أن هذا التحويل قياسي . فبهذا الاختصار على فهم الوارد منها ، والاستغناء عن محاكاته - مع صحة محاكاته - نزولاً على الدواعي البلاغية العالية - كما سنشير في رقم ١ من هامش ص ٣٨٧ وكذلك في ص ٣٩٣ .

(٢) سبقت الإشارة لهذا .

« ملاحظة » : انظر حكماً آخر يتصل بهذا التحويل - سيجيء في « ج » ص ٣٨٩ - .

في كل حالة ، فلا إهمال للمعنى الخاص الأساسي للفعل ، ولا تعميم فيه ولا شمول ، ولا خلط من التعجب ، فالأسلوب هنا باشتماله على الأمور الثلاثة الساقفة مختلف عنه مع « نعم وبش » ؛ لأن معناه : المدح والذم العاميين الشاملين ، الحالين من إفادة التعجب ^(١)

ولنما يقوم الفعل الثلاثي ^(٢) بتأدية معناه الخاص مع تلك الزيادة في الدلالة إذا تحقق في صوغه أمران :

أولهما : أن يكون مستوفياً كل الشروط التي يجب اجتماعها في الفعل الذي يصلح أن تصاغ منه — مباشرة — صيغة التعجب ^(٣) ، وفي مقدمتها : أن يكون ثلاثياً .

ثانيهما : أن يكون على وزن : « فَعَلَّ » — بضم العين — ؛ سواء أكان مَصْغُوعاً على هذا الوزن من أول الأمر نقلاً عن العرب ؛ مثل : شَرَّفَ ، وَكَّرَمَ ، وَحَسَّنَ و . . . ، أم لم يكن ؛ كفهيم ^(٤) ، وَجْهَلٍ ، وَبَرَّعَ . . . ؛ فيصير : فَهَمٌ — جَهْلٌ ^(٤) — بَرُّعٌ . . .

(ومعلوم أن الفعل الثلاثي لا يخرج — في الأغلب ^(٥) — عن ثلاثة أوزان ؛ تنشأ من تحريك عينه بالفتح ؛ (نحو : ذَهَبَ) ؛ أو بالكسر ؛ (نحو : عَلِمَ) أو بالضم ؛ (نحو : ظَرَّفَ) . أمّا أوله ففتوح في أغلب الحالات ^(٦) والأوزان التي

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٦٨ فيها إشارة وافية ، موضحة لهذا . أما بيان الفروق المختلفة كلها فتأتي في : « ا و ب » من ص ٣٨٨ .

(٢) إلا الفعل : « ساء » فحكمه في ص ٣٩٢ .

(٣) سبق بيانها وشرحها في ص ٣٤٩ و ٣٨٥ من باب : التعجب ؛ — وليس من اللازم لتحقيق الشرط الأول (وهو أن يكون الفعل ماضياً) أن يكون هذا الماضي المراد تحويله حالي الفاء ؛ — كما يرى بعض النحاة — فقد يكون ، أو : لا يكون (وحروف الحلق ستة ؛ هي : الهمزة — العين — الفين — الحاء — الخاء — الهاء) .

(٤ ٤) يرى بعض النحاة : أنه لا يجوز تحويل (عَلِمَ ، وَجْهَلٍ ، وَبَرَّعَ) إلى : « فَعَلَّ » وحجته : أن هذا التحويل غير مسموع . وفي رأيه تفسير لا داعي له ، لمعارضته حكمة القياس ، والفرض منه ، ولأنه سمع تحويلها — كغيرها — عن بعض القبائل العربية .

(٥) هناك أفعال صحيحة العين ، ساكتها أصالة وهي قليلة العدد ، ومنها : « نَعِمَ وبش » وليس منها الأفعال المعتلة العين ؛ مثل : غاب — قام — نام . . . ؛ فإن سكونها طارئ لأن عينها في الأصل متحركة .

(٦) قلنا : « في أغلب الحالات » لأن قليلا من الأفعال الماضية . مكسور الأول ؛ مثل : نَعِمَ — بِشْشَ . . .

يكون فيها مبنياً للمعلوم . والثلاثي مضموم العين لا يكون إلا لازماً ؛ ولهذا يصير الفعل المتعدى لازماً إذا تحول من صيغته الأصلية إلى صيغة : **فَعْلَل** .

وصوغه على وزن : **« فَعْلَل »** - (يقصد تأديته لمعناه اللغوي المعين ؛ مع المدح الخاص به ، أو الذم الخاص ، ومع الإشعار بالتعجب ^(١) فيهما) - يقتضى الأحكام والتفصيلات الآتية :

١ - اعتبار الفعل بعد تلك الصياغة لازماً ؛ مجرداً من الدلالة الزمنية ، وجامداً كامل الحمد (فلا مضارع له ؛ ولا أمر ، ولا غيرهما من بقية المشتقات) .

ب - صحة تحويل الفعل الثلاثي الصحيح ^(٢) ، غير المضعف ^(٣) ، تحويلاً مباشراً - إلى صيغة : **« فَعْلَل »** بضم العين ؛ فيفيد بعد التحويل معناه اللغوي مقروناً بالمدح أو الذم الخاصين بمعناه ، مع التعجب في كل حالة ؛ تبعاً لمعناه اللغوي الأصلي قبل التحويل ؛ ففي مثل : (فَتَهَمَّ المتعلم - عدل الحاكم ، نقول : فَتَهَمَّ المتعلم - عدل الحاكم ؛ فيفيد التركيب الجديد معنى الفعل في اللغة ، مزيداً عليه مدح المتعلم بالفهم فقط ، ومدح الحاكم بالعدل فقط ، مع التعجب في الحالتين) . وفي مثل : (جَهَّل ^(٤) المهمِّل - حَسَدَ الأحمق . . . نقول جَهَّلَ المهمِّل ؛ حَسَدَ الأحمق ؛ فيفيد الأساوب معنى الفعل ، مزيداً عليه ذم المهمِّل بسبب جهله فقط ، وذم الأحمق بسبب حسده فقط . مع التعجب في الصورتين) . . . ولا فرق في هذا التحويل وآثاره بين الثلاثي مفتوح العين ، أو مكسورها ، أو : مضمومها .

ويجوز في الفعل بعد تحويله إمّا إبقاؤه على صورته الجديدة ، وإمّا تسكين

(١) وهو بدلالته على معناه مزيداً عليه التعجب مع المدح أو الذم الخاصين ، يختلف عن : « نعم وبئس » - كما شرحنا - .

(٢) ما ليس في أصوله حرف علة . أما المعتل فتجيء أحكامه في ص ٣٩٢ .

(٣) مضعف الثلاثي ما كانت عينه ولامه من جنس واحد . (وسيجيء الكلام على تحويل المضعف في ص ٣٩٠) .

(٤) انظر ما يختص بتحويل الأفعال : (عِلِم - جَهَّل - سَمِع) إلى : **« فَعْلَل »** - في رقم ٤ من هاشم الصفحة السالفة .

عينه المضمومة ، كما يجوز تسكين عينه بعد نقل حركتها (وهي الضمة) ، إلى أوله ؛ فنقول في الصورتين الأخيرتين : (فَهْنَمَ الْمُتَعَلِّمُ - عُدُلَ الْحَاكِمُ - جُهْلَ الْمَهْمَلُ - حُسْنَدَ الْأَحْمَقُ) ... أو : (فَهْنَمَ ... - عُدُلَ ... - جُهْلَ ... - حُسْنَدَ ^(١)) .

وإذا تَمَّ تحويل الفعل على الوجه السالف صار بمنزلة : « نِعِمَّ ، وبش » في الجُمُود ، وفي أصل دلالتهما وهي مجرد المدح أو الذم - مع مراعاة الفوارق بينهما ^(٢) - ، ويجرى عليه من الأحكام النحوية المخلفة ما يجرى عليهما ، فيحتاج إلى فاعل من نوع فاعلهما الذي سبق بيانه ، وقد يحتاج إلى تمييز ، وإلى « مخصوص » كما يحتاجان . ويسرى على ما عله وتمييزه ومخصوصه كل الأحكام التي تسرى حين يكون الفعل : « نِعِمَّ أو وبش » . فإذا قلت في المدح : فَهْنَمَ الْمُتَعَلِّمُ حَامِدٌ ، وفي الذم : خَبِثَ الْمَاكِرُ سَعِيدٌ ، فكأنك قلت : نعم الفاهم حامد ، وبش الماكر سعيد - مع ملاحظة الفرق المعنوي الذي أوضحناه - . وهكذا يُطَبَّقُ على الفعل الصحيح الثلاثي غير المضعف ^(٣) ، بعد تحويله إلى : « فَعْلٌ » جميع ما يطبَّقُ على : « نِعِمَّ وبش » ، وينخضع النوعان لأحكام واحدة ما عدا بعض الفروق المعنوية السالفة وبعض فوارق في فاعله ^(٤) ستأتى .

* * *

(١) بالرغم من جواز الأمرين - تسكين العين على الوجه السالف ، أو نقل حركتها إلى أول الفعلين - يحسن تركهما اليوم في استمالاتنا ، وعدم الالتجاء إلى استخدامهما قدر الاستطاعة ، وحسبنا الاستعانة بهما على فهم الوارد المسموع ، دون محاكاته ؛ فراراً من الغموض الشديد ، واللبس القوي كما سبقت الإشارة في رقم ١ من هامش ص ٣٨٤ -

(٢) من الفوارق ما يأتي في الزيادة ص ٣٨٨ وهي مختصة بالفاعل ، وأن المدح والذم بصيغة الفعل الذي تم تحويله خاصان ، وليسا عامين ، وأنها يتضمنان التعجب ، بخلافهما مع : « نعم وبش » . حيث يقتصر معناهما على المدح العام ، والذم العام ، فلا يتضمنان تعجباً .

(٣) سيجيء الكلام على المضعف في ص ٣٩٠ .

(٤) في الزيادة ص ٣٨٨ .

زيادة وتفصيل :

١ - تبين مما تقدم^(١) أن الفعل الذى يتم تحويله إلى « فَعَلَ » على الوجه المشروح إنما يدل - فوق معناه اللغوى الأصيل - على مدح خاص أو ذم خاص ، وأنه لا بد من إشرابه معنى « التعجب » فى الحالتين . وبالتخصيص فيهما والتعجب يخالف « نعم وبش » ، لأن معناه المدح العام والذم العام ولا يتضمنان تعجباً .
ب - وينفرد « فاعل » الفعل الذى تم تحويله بأمور لا تكون فى فاعل : « نعم وبش » .

منها : صحة وقوعه اسماً ظاهراً خائياً من « أَل » وما يشترط فى فاعل نعم ، ...^(٢) نحو : قوله تعالى : « وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا » ، ومثل عَدَدُ عُمَرَ . ومنها : كثرة جره بالباء الزائدة إن كان اسماً ظاهراً ، فيُسَجَر لفظاً ويرُفَع مَحَلّاً ، نحو : حَمَمَدٌ بِالْجَارِ مَعَاشِرَةً ، وسَعْدُ بِالرَفِيقِ مَزَامَلَةً . أى : حَمَمَدُ الْجَارِ مَعَاشِرَةً ، وسَعْدُ الرَفِيقِ مَزَامَلَةً .

ومنها : صحة رجوعه - إن كان ضميراً - إلى شئ سابق عليه ؛ فيطابقه حمًا ، أو إلى التمييز المتأخر عنه فلا يطابقه . تقول : الأَمِينُ وَثِقٌ رَجُلًا ؛ ففى الفعل : « وَثِقٌ » ضمير يجوز عودته على : « الأَمِينُ » المتقدم ، أو : على التمييز : « رَجُلًا » المتأخر عنه ، ولهذا الرجوع إلى أحدهما أثره فى المطابقة بين الفاعل الضمير ومرجعه ؛ إذ عند رجوعه للسابق تجب مطابقته فنقول : الأَمِينَانِ وَثِقَانِ رَجُلَيْنِ - الأَمْنَاءُ وَثِقُوا رَجَالًا - الأَمِينَةُ وَثِقَتْ فَتاةٌ - الأَمِينَتَانِ وَثِقَتَا فَتَاتَيْنِ - الأَمِينَاتِ وَثِقْنَ فَتَاتٍ . أما عند عودته إلى التمييز المتأخر فلا تصح المطابقة ؛ بل يلتزم الإفراد والتذكير ؛ شأنه فى هذا شأن فاعل « نعم وبش » إذا كان ضميراً مستتراً ، فنقول فى كل الصور السَّالفة : « وَثِقٌ » ، بغير إدخال تغيير عليه يدل على تأنيث ، أو تثنية ، أو جمع .

وفىما سبق يقول : « ابن عقيل والأشمونى » وحاشيتاهما ، عند شرحهما لكلمة : « مسجلا » فى آخر بيت ابن مالك الذى نصه : - كما سبق فى ص ٣٨٢ - .

(واجعل كبش ساء . واجعل «فعلًا» من ذى ثلاثة كنعم مسجلاً)
إن معناها هو: مطلقاً عن التقييد بحكم دون آخر . . . ثم قال الخضرى مانصه^(١) :
(« لكنَّ » فَعْلٌ) يخالف « نعم وبش » فى ستة أمور :

اثنان فى معناه : إشارته التعجب ، وكونه للمدح الخاص — أو للذم الخاص^(٢) —
« واثنان فى فاعله الظاهر ؛ جواز خلوه من « أل » نحو : وحسن أولئك رفيقاً ،
وكثرة جره بالباء الزائدة ، تشبيهاً بأسماع بهم ؛ كقولهم :

حبَّ بالزور^(٣) الذى لا يرى منه إلا صفحة أو لِمَام^(٤)
« واثنان فى فاعله المضمر ؛ جواز عوده ومطابقته لما قبله ؛ ففى : « محمد كرمُ
رجلا » يحتمل عود الضمير إلى : « رجلا » كما فى نعش ، . . . وإلى « محمد » كما فى
فعل التعجب ، لتضمنه معناه . وتقول : المحمدون كرمُ رجلا — . . . على الأول^(٥)
وكرموا رجلاً على الثانى^(٥) فقول المصنف : « كنعم مسجلاً » ليس على سبيل الوجوب
فى كل الأحكام . والكلام فى غير « ساء » . أما « ساء » فيلزم أحكام « بش »
(. . .) » اه كلام الخضرى .

ح — بمناسبة ما تقدم يقول الصرفيون إن أبواب الفعل الثلاثى المستعملة أصالة
— بحسب حركة العين فى الماضى والمضارع — ستة ، الخامس منها هو باب :
« فَعْلٌ يَفْعُلُ » بضم العين فيهما معاً ؛ كحسُن يحسُن ، وشرف يشرف أو كرمُ
يكرم . . . و . . . ويردفون كلامهم بتقرير أمرين^(٦) :
أولهما : أن هذا الباب « الخامس » مقصور فى أصله على الأوصاف الفطرية
والسجيا الخلقية الدائمة ، أو التى تلازم صاحبها زمناً طويلاً .
ثانيهما : صحة تحويل كل فعل ثلاثى من الأبواب الأخرى إلى هذا الباب
ليدل الفعل بعد هذا التحويل على أن معناه صار كالغريزة والسجية فى صاحبه .

* * *

- (١) وهو المفهوم أيضاً من كلام الأشموى والصبيان . (٢) انظر الصبيان فى هذا أيضاً .
(٣ ، ٤) سيمعاد البيت مشروحاً فى ص ٣٩١ لمناسبة هنالك .
(٤) أى : على التقدير الأول الذى يعود فيه الضمير المستتر على التمييز بعده بغير أن يطابقه ؛
فيظل الضمير مفرداً ، مذكراً .
(٥) أى : على التقدير الثانى الذى يرجع فيه الضمير المستتر إلى مرجع قبله فيطابقه .
(٦) سجلهما صاحب هذا العرف فى أول كتابه ص ١٨ عند كلامه على : الباب الخامس من
التقسيم الثالث للفعل بحسب التجرد والزيادة . . . »

ج - فك الإدغام إن كان الفعل : « مضَعَفًا » ، مثل : فَرَّ - لَسَجَ . . .
ويرد إلى أصله قبل الإدغام ، فيصير : فَرَّرَ^(١) - لَسَجِجَ^(٢) ، ثم يُحَوَّلُ إلى :
« فَعْعِل » : فيصير : فَرَّرَ - لَسَجِجَ . . . ثم يعود إلى الإدغام ، فيصير كما
كان^(٣) : « فَرَّ » - لَسَجَ ، تقول في الذم - مثلاً - فَرَّ الرجلُ جبانًا - لَسَجَ
القطُّ مُوَاءً ، أو : فَرَّ بالرجل جبانًا - لَسَجَ بالقط مُوَاءً .

ويجوز حذف الفتححة من أول الفعل لتحل مكانها الضمة التي في عين
الفعل عند تحويله إلى : « فَعْعِل » ، وتسكن عين الفعل^(٤) ؛ فتصير الجملة :
فَرَّ الرجلُ جبانًا ، لَسَجَ القطُّ مُوَاءً - أو : فَرَّ بالرجل جبانًا ، لَسَجَ بالقط
مُوَاءً .

ومن المضعف الذى تجرى عليه هذه القواعد - الفعل : « حَبَّ »^(٥) عند
تحويله إلى : « فَعْعِل » بقصد المدح ، بشرط ألا يكون فاعله كامة : « ذا »
في مثل : « حَبَّذا » لأن « حَبَّ » في هذه الصورة المركبة مع « ذا » يجب فتح
الحاء فيها ، وبقاء « ذا » على حالها من الأفراد والتذكير في كل الأساليب ، مهما
كان حال الممدوح من ناحية إفراده ، وعدم إفراده ، وتذكيره أو تأنيته ، كما يجب
في هذه الصورة أيضًا وصل الفعل : « حَب » بفاعله : « ذا » كتابة ، وتركيبهما
معًا تركيبًا خطيًا كما سبق^(٦) .

أما إن كان الفاعل اسمًا ظاهرًا غير كلمة « ذا » فإن الفعل « حَبَّ » يخضع
لما أشرنا إليه ؛ من فتح الحاء أو ضمها ، كما يجرى على فاعله الأحكام الخاصة
بالحوّل ، والتي أوضحناها . تقول حَبَّ الجندى رجلاً ، أو : حُبَّ بالجندى
رجلاً . ومنه قول الشاعر :

(١) من باب : ضرب .

(٢) من باب : تعيب .

(٣) ويكون التمييز بين دلالتى الفعل بالقرائن الأخرى ؛ فهى التى تدل على أنه باقٍ يؤدى معناه
الأصل ، أو أنه انتقل إلى « فَعْعِل » ليؤدى معنى المدح أو الذم .

(٤) كما سبق في ص ٣٨٧ .

(٥) تفصيل الكلام عليها في ص ٣٨٠ .

(٦) في رقم ٢ من هامش ص ٣٨٠ وفي رقم ٣ من هامش ص ٣٨٢ .

حب^(١) بالزَّور^(٢) الذي لا يُرى منه إلا صفحة^(٣) أوليَمَام^(٤) وهكذا^(٥) . . .

* * *

- (١) بضم الحاء أو فتحها ؛ طبقاً لما شرحناه . - وقد سبق البيت لمناسبة أخرى في ص ٣٨٩ -
 (٢) الزَّور : (يستوى فيه المفرد وغيره) ، ومعناه الزائر .
 (٣) صفحة الشيء : جانبه .
 (٤) جمع ليمّة (بكسر اللام وتشديد الميم) ، وهي شعر الرأس الذي يصل إلى شحمة الأذن .
 (٥) وإلى ما سبق من الكلام على تحويل الفعل إلى «فَعَلْ» على الوجه الذي شرحناه يقول ابن مالك بيتاً مختصراً - سبقت الإشارة إليه (في هامش ص ٣٨٢) ؛ هو :
- وَجْعَلْ كِبَشْسَ «مَاء» وَاجْعَلْ «فَعْلًا» مِنْ ذِي ثَلَاثَةِ كَنِعَمَ ، مُسْجَلًا
 (مسجلا : حراً لا يعوقه ولا يقيدّه قيد) .

يطلب أن تكون : « ساء » مثل : « بشس » في معناها وأحكامها . وأن يكون « فَعْلٌ » (وقد زاد في آخره ألفاً لوزن الشعر ،) من كل فعل ثلاثي ، مثل : « نعم » في معناها ، وفي أحكامها ، من غير تقييد يجعل بينهما فرقاً فيما سبق . هذا رأيه وليس غرضه « نعم » وحدها ، وإنما مثلها : « بشس » أيضاً . والحق أن هناك فرقاً ، بين « نعم » وهذا الفعل المحول وقد سردناها في ص ٣٨٩ .
 أما « ساء » فالخلاف شديد فيه ؛ أهو مثل : « بشس » تماماً في المعنى والأحكام ، أم هو مثلها في المعنى ، ولكنه في الأحكام كالأفعال المحولة ؟
 وقد أوضحنا كل ذلك في الشرح .

زيادة وتفصيل :

إن كان الفعل المراد تحويله معتل « الفاء » مثل : وثَّق - وفَد . . .
 فحكمه حكم الصحيح . وإن كان معتل العين بالألف ، مثل صام - هام -
 نام - بَقِيَ على حاله ، وقدَّر فيه التحويل تقديرًا عقليًّا محضًا عند وجود قرينة تدل
 على قصد المدح أو الذم ؛ ليكون لهذا التقدير أثره الواقعي في الفاعل ، وفي
 الخصوص . . . ، وإن شئت فقل : إن حكمه هو حكم الصحيح أيضًا مع نية
 التحويل الذي ترشد إليه القرينة . ويدخل في هذا النوع الفعل : « ساء » فيصح أن
 يلاحظ فيه التحويل عند قيام قرينة ؛ فيستعمل استعمال الأفعال التي تحولت ،
 ويصح ألا يلاحظ فيه ذلك ؛ لأنه موضوع في أصله للذم العام الصريح ^(١) مثل :
 « بشس » ؛ فتجرى عليه أحكام « بشس » من نواحيها المختلفة .

وإن كان الفعل معتل اللام - فقط - بالواو ، أو بالألف التي أصلها الواو :
 مثل : سَرَوَ ^(٢) - غَزَوَ . . . ظهرت الواو في الكلام مفتوحة وقبلها الضمة ، ولو لم
 تكن الواو موجودة من الأصل - ويجوز تسكين ما قبل الواو مباشرة ^(٣) ؛ فنقول :
 سَرَوَ - غَزَوَ ، أو : سَرَوُ - غَزَوُ .

وإن كان الفعل معتل اللام بالياء ؛ نحو : خَشِيَ ، ورَمَى ^(٤) ، قابت الياء
 وَاوًّا قبلها ضمة ، ويجوز تسكين ما قبلها ^(٣) ؛ فتصير : خَشَوُ ، أو خَشَوُ ،
 رَمَوُ ، أو رَمَى .

وإن كان الفعل معتل العين واللام معًا ، وحرف العلة فيهما هو « الواو » ؛
 مثل : قَوَى (من القوة ، أصله : قَوَوَ) ، فإن الواو الأولى تتحرك بالكسرة ؛
 لتقلب بعدها الواو الثانية ياء ؛ فتصير : « قَوَى » فكأن الفعل بَقِيَ على حاله .
 وإن كان معتل العين واللام معًا بالواو فالياء ، نحو : شَوَى : قلبت الياء

(١) كما سبق في ص ٣٨٠ .

(٢) سَرَوَ الرجل : صار سريرًا ، أى : غنيًا شريفًا .

(٣ و ٣) راجع التصريح (عند الكلام على : « حبذا » آخر هذا الباب) وكذا الخضرى .

(٤) لأن الألف التي في آخر الفعل أصلها ياء .

عند التحويل واواً ، لوقوعها متطرفة بعد ضمة ، ثم أدغمت الواو في الواو ، فتصير : « شَوَّ » . ويجوز عدم القلب واواً فتبقى الياء مع تسكين ما قبلها فتقول : شَوَّيَ . وكذلك نتمول في قَوَّيَ : قَوَّيَ ، ولا يجوز القلب والإدغام في هذه الحالة لأن السكون ليس أصلياً .

وإن كان معتل العين واللام معاً بالياء ؛ نحو : حَيَّ ، وعَيَّ . . . لم يصح تحويله ^(١) . . .

هذا ملخص ما جاء في المطولات المتداولة خاصاً بتحويل الفعل المعتل مع تعدد الآراء ، وشدة الخلاف فيه . ولا أعرف أن النحاة نقلوا لأكثر هذه الصور أمثلة مسموعة تؤيد كلامهم . فهل هي صور خيالية تدريبية . ؟ لا يحسن اليوم استعمال شيء منها ؛ سواء أكانت خيالية محضة أم لها مسموع يؤيدها ؛ لأنها ثقيلة ، مجافية للأسلوب الأدبي الرفيع ، والذوق البلاغي السائع . وفي الميادين اللغوية الأخرى ما يغني عنها تماماً — كما أشرنا من قبل ^(٢) — .

* * *

(١) راجع المصحح ، وشرح التصريح في باب : « نعم وبئس » عند الكلام على تحويل الثلاث إلى : « فَعْلَل » . وكذلك الصبيان في هذا الموضع ، ثم حاشية ياسين على شرح التصريح في أول باب التعجب .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٣٨٤ وفي رقم ١ من هامش ص ٣٨٧ .

المسألة ١١٢ :

أَفْعَلُ التفضيل^(١) .

يتضح معناه من الأمثلة الآتية :

<p>في هذه الأمثلة كلمات مشتقة على وزن : « أَفْعَل » ؛ (هي : أَكْبَر - أَقْدَم - أَوْسَع - أَسْرَعَ - أخطر . . .) فما المعنى الذى تؤديه كل واحدة فى جملتها ؟</p>	<p>الشمس أَكْبَرُ من الأرض . أهرام^(٢) الجيزة أَقْدَمُ من مدينة القاهرة . الحيطات أَوْسَعُ من اليابسة . الطائرات أَسْرَعُ^(٣) وسائل الانتقال . المنافق أخطر من العدو الظاهر .</p>
---	---

إن كلمة : « أكبر » - فى المثال الأول - تدل على أمرين مَعًا ؛ هما : اشتراك الشمس والأرض فى معنى مُعَيَّن ؛ هو : « الكِبَر » ، وأن الشمس تزيد على الأرض فى هذا المعنى .

وكلمة : « أقدم » - فى المثال الثانى - تدل على أمرين مَعًا ؛ هما : اشتراك الأهرام والقاهرة فى معنى معين ؛ هو : « اَلْقِدَمُ » وأن الأهرام تزيد عليها فى هذا المعنى .

وكلمة : « أوسع » - فى المثال الثالث - تدل على اشتراك المحيطات واليابسة فى معنى معين ؛ هو : السَّعة ، والمحيطات تزيد عليها فيه . . . ومثل هذا يقال فى الباقي . . . وفى نظائره .

فكل كلمة من هذه الكلمات المشتقة - ونظائرها - تسمى : « أَفْعَلُ

(١) ربما كان الأنسب أن يذكر مع المشتقات . ولكننا وضعناه هنا اتباعاً لترتيب ابن مالك فى : « ألفيته » .

(٢) جمع : هَرَم ؛ بناء فرعونى قديم ، له شكل هندسى ؛ خاص .

(٣) الماضى : سَرَّعَ ، مثل : صَفَّرَ .

التفضيل^(١) « وتعريفه : (أنه اسم ، مشتق ، على وزن : « أفعل » يدل — في الأغلب^(٢) — على أن شيئين اشتركا في معنى ، وزاد أحدهما على الآخر فيه) . فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي — في أغلب حالاته — ثلاثة :

(١) صيغة : « أفعل » ، وهى اسم ، مشتق .

(٢) شيئان يشتركان في معنى خاص .

(٣) زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص .

والذى زاد يسمى : « المُفَضَّل » ، والآخر يُسمَّى : « المُفَضَّل عليه » ،

أو : « المفضل » . ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمراً حميداً ، أو ذمياً^(٣) .

ويدل أفعل التفضيل — في أغلب صوره — على الاستمرار والدوام^(٤) ،

مالم توجد قرينة تعارض هذا ، فشأنه في الدوام والاستمرار شأن الصفة المشبهة على الوجه المشروح في بابها^(٥) .

* * *

طريقة صياغته :

يُصاغ « أفعل التفضيل » من مصدر الفعل الذى يراد التفضيل فى معناه ، بشرط أن يكون هذا الفعل مستوفياً كل شروط « التعجب » التى عرفناها^(٥) فى

(١) هذه التسمية اصطلاحية ، أى : الصيغة التى على وزن : « أفعل » ؛ لتدل على التفضيل أو المفاضلة ؛ (وهى : الزيادة فى أمر حسن أو قبيح ؛ كما سيبنى عند تعريفه) . أما « التفضيل » غير الاصطلاحي فليس له ضوابط معينة ، وإنما هو متروك لبراعة المتكلم ، ومقدرته البلاغية التى تمكنه من اختيار الألفاظ والأساليب الدالة على المفاضلة بين شيئين فى أمر ، وزيادة أحدهما على الآخر فى هذا الأمر ، من غير استخدام للطريقة الاصطلاحية .

(٢) (٢) فى الزيادة والتفضيل — ص ٤٠٦ — بيان مفيد عن المقصود بالامتراك ، وعن الزيادة ، وأن « أفعل » التفضيل قد يفيد البعد لا الاشتراك ، ثم أمور أخرى هامة .

(٣) نص على هذا صاحب التسهيل (راجع هامش ص ٢٣٨) .

(٤) فى ص ٢٨١ م ١٠٤ .

(٥) ص ٣٤٩ .

بابه . . . (بأن يكون فعلاً ثلاثياً^(١) ، متصرفاً ، تاماً ، مبنياً للمعلوم^(٢) . . .
و . . . و . . . و . . .) . فالشروط التي يجب توافرها لصياغة « أفعَل التفضيل »
هي - نفسها - الشروط التي لا بد من توافرها لصوغ « فعلتَي التعجب » ؛
مثل الأفعال : سمع - عدل - فهم - بعد - بقي - خبث . . . و . . .
ومن الأخيرين جاء : « أبقَى - وأخْبَث » في قول الشاعر :

الخيرُ أبقَى^(٣) ، وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخْبَثُ ما أوعيتَ من زادِ
فإن كان الفعل غير مستكمل الشروط ، وكان السبب هو جموده أو عدم
قبول معناه للمفاضلة (كالفعل : مات - فتنى - عَدِم . . .) لم يجوز التفضيل
منه مطلقاً ؛ (بطريق مباشر ، أو غير مباشر) ؛ لأنه يجموده لا مصدر له^(٤) ،
ولأنه بعدم قبوله للمفاضلة يفقد الأساس الذي يقوم عليه التفضيل في أغلب
حالاته .

أما إن كان السبب فقد شرط آخر غير الشرطين السابقين فإن^(٥) صياغة
« أفعَل » تمتنع من مصدره مباشرة^(٥) ، وتضاع - كالتعجب - من مصدر

(١) إن كان الفعل رباعياً على وزن : « أفعَل » ففيه الخلاف السابق في التعجب ص ٣٤٩ .
ومن المسموع الذي فعله رباعي قولهم : « هو أعطاهم الدراهم ، وأولاهم بالمعروف » . وهذان شاذان
عند من يمنع ذلك مطلقاً ، وعند من يمنعه إذا كانت الهدزة للنقل . أما قولهم : هذا المكان أفقر من غيره
فشاذ عند من يمنعه مطلقاً ، لأن هزته ليست للنقل .

(٢) مع ملاحظة الخلاف في أمر المبني للمجهول ، ونتيجته ، وأثر ذلك في الحكم ؛ على الوجه
الذي سبق تحميصه في ص ٣٥٠ - مع الرجوع إلى البحث الهام الذي يعارض أن يكون في اللغة العربية
أفعال ملازمة للبناء للمجهول دائماً (وقد تقدم في ج ٢ م ٦٧ ص ١٠٢ -) .

(٣) أصل الكلام : أبقَى من غيره ، فالمفضل عليه محذوف ؛ طبقة لما سيجيء ، في ص ٤٣٠ .
(٤ و ٤) يرى بعض النحاة أن الفعل المنق كالجاء لا يجيء منه التفضيل مطلقاً - بطريقة
مباشرة أو غير مباشرة - لأن المصدر المؤول يكون في حالة النفي معرفة ؛ فلا يصح أن يكون تمييزاً .
لكن التحقيق صحة مجيء التفضيل فيه بالطريقة غير المباشرة ؛ إما لصحة مجيء كلمة : « عدم » قبله
وإما لصحة تنكيره ، فليس من اللازم أن يكون معرفة في كل الأحوال .

(٥) ومن الشاذ استعمال كلمتي : « خير » و « شر » - في التفضيل ؛ لأن صيغتهما الحالية الظاهرة
تخالف صيغته ، نحو : الكسب القليل خير من البطالة ، والبطالة شر من المرض . وقولهم : (خير الناس
أدفعهم للناس ، وشرهم أقر بهم إلى الإساءة والعدوان) وقول الشاعر :

إذا كان وجهه العذر ليس بيبين فإن اطراح العذر خير من العذر

فعل آخر مناسب للمعنى ، مستوف للشروط ، ويوضع بعد صيغة « أفعل » مصدر الفعل الأول - الذى لم يكن مستوفياً للشروط ، - منصوباً على التمييز .
 فمثلا الفعل : تعاونَ ، لا . . يُصاغ من مصدره « أفعل » التفضيل مباشرة ؛
 لأنه فعل خماسى ؛ فنصوغه بطريقة غير مباشرة « بأن نأخذه من مصدر فعل آخر مناسب (مثل : كَبِير - كَثُر - نَقَعَ . .) ونجعل بعده مصدر الفعل

= وشر العالمين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديداً

أى : أخير وأشر ؛ حذف هزئهما لكثرة الاستعمال حذفاً شاذاً . ومن الجائز إرجاعها عند استعمالها ، فقد ورد الكلام الفصحى مشتملاً عليها . وفعلها المسدوع « خاويَ خَيْر ، وشرَّ يَشِر » ويرى بعض اللغويين أنها اسمان جامدان لا فعل لواحد منهما فجاء التفضيل منهما شاذ عنده . ففهما على هذا الرأى شذوذان ؛ صدوغهما من الجامد ، وسقوط هزئهما . أما على الرأى الأول - وهو الصحيح - ففهما شذوذ واحد ؛ هو سقوط هزئهما ، لأن لكل منهما فعلاً وقد اجتمع فى آية قرآنية استعمال كلمة « خير » لغير التفضيل ، ثم للتفضيل ، فى قوله تعالى : (. . . إنَّ يَعْزِمُ اللَّهُ فى قُلُوبِكُمْ خيراً يُؤْتِيكُمْ خيراً مما آخِذْتُمْ بِهِ . .) .

ومثلها فى حذف الهزمة شذوذاً : « حَبَّ » فى قول القائل : (وحَبَّ شئ إلى الإنسان ما مُنْعَم) ، أى : أحب شئ . . وجاء فى ص ٦٠ من مجلة المجمع اللغوى القاهرى : (عدد البحوث والمحاضرات التى أُلقيت فى مؤتمر الدورة الثلاثين ، لسنة ١٩٦٣-١٩٦٤) ما نصه على لسان أحد الأعضاء : (قالوا إن الهزمة حذفت فى التفضيل من كلمتى : « خير وشر » لكثرة الاستعمال ، وذلك ادعاء لا دليل عليه ، ولا يتناسب مع معانى لفظى : « خير وشر » لأنهما يفيدان التفضيل أو الزيادة بمادتهما ، كما تفيد ذلك ألفاظ كثيرة بوضعها اللغوى : مثل زائد ، وناقص ، وعال ، وسافل . . . وإن استعمال هاتين الكلمتين فى معنى « أفعل » إنما كان على معنى الاستغناء بهما عن بناء وزن « أفعل » من مادتهما ؛ لأن قصد المفاضلة الذى يصاغ له « أفعل » قد حصل من أصل المادة بحيث لو بنى منها وزن « أفعل » لكان تحصيلاً للحاصل ، أو تفضيلاً على تفضيل ، وهذا هو ظاهر كلام ابن مالك فى الكافية) . اهـ .

ولا أثر لهذا الرأى يرتب عليه حكماً خاصاً . سوى الحكم بمنع استعمال : « أَخْيَر ، وأَشَر » بغير حجة قوية ؛ إذ كيف يمنع استعمالها ولكل منهما فعل ثلاثى يصح صوغ التفضيل من مصدره قياساً كسائر الأفعال الثلاثية الصالحة لذلك ؟ وأيضاً فاللفظان مسموعان بصيغة التفضيل ولا اعتراض على استعمال الكلمة المسموعة بنصها الوارد . وفوق هذا فالكلمات التى سبقت هنا لتأييد المنع (ومنها : زائد ناقص - عال - سافل . . .) كلمات يصح صوغ التفضيل من مصادرها قطعاً . فلا دليل فيها على المنع . . .

وشذ ذلك صوغ « أفعل » من اسم العين ، (أى : من الاسم الدال على ذات ، وشئ مجسم) فقد ورد : « هو أحذكُ البعيرين » أى : أكثرهما أكلاً ؛ فبنوا « أفعل » من شئ مجسم : هو ، الحنك . كما شذ وطعم : هذا الكلام أقصر من ذاك فبنوه من الفعل : « اختصر » المبنى للمجهول ، الزائد على ثلاثة ؛ فاجتمع فيه شذوذان . . . وهكذا . . . وكل ما جاء مخالفاً للشروط فإنه يحكم عليه بالشذوذ ؛ فيستعمل كما ورد من غير أن يقاس عليه غيره .

الأول (وهو التعاون) تمييزاً منصوباً ؛ فنقول : فلان أكبر تعاوناً من أخيه ، أو : أكثر تعاوناً ، أو : أنفع تعاوناً ، أو : أقل . أو : أضعف ، . . . أو ما شاكل هذا مما يسائر المعنى .

والفعل : « خَصِرَ » لا يصاغ مع مصدره مباشرة « أفعَلْ » للتفضيل ؛ لأنه يدل على اَوْن ظاهر ؛ فنصوغه — بالطريقة السالفة ، « غير المباشرة » — من مصدر فعل آخر مناسب ، ونجعل بعد « أفعَلْ » مصدر الفعل الأول ، وهو : « الخُضْرَة » منصوباً على التمييز . فنقول : ورقُ الليمونِ أشد خُضْرَةً من ورق القصب . . . (١)

(١) ومن المسموع في الألوان : « أسودُّ من حَمَلِك الغراب » — « أبيضُّ من اللبن » ، وكل هذا من الشاذ عندهم ؛ يحفظ ولا يقاس عليه . وحكم الشذوذ هنا غير مفهوم ما دامت الكلمة نفسها قد استعملت صيغتها نصّاً في المفاضلة اللونية ؛ فهل يراد عدم التوسع في استعمالها في سواد شيء أو بياض شيء غير الشيء الذي وردت فيه نصّاً ؟ نعم ، وهذا توضيح لا داعي له . بل إن منع التفضيل من كل ما يدل على لون توضيح لا داعي له أيضاً ، ولا سيما بعد ورود المنع به واشتداد الحاجة إلى القياس على ذلك الوارد ، بسبب ما كشف عنه العلم في عصرنا ، ودلت عليه التجربة الصادقة من تعدد الدرجات في اللون الواحد ، وفي العادة الواحدة ، وتفاوتها تفاوتاً واسع المدى كالمعروف اليوم في البياض ، والحمرة ، والخضرة ، والسواد . . . وسائر الألوان . وكذلك المعروف عند الأطباء في العاهات ، كعاهة العمى — مثلاً — فنه عمى الألوان ، وعمى الضوء . . . وكذا أكثر العاهات . وكل ما سبق يقتضى التفضيل بين درجات اللون الواحد — أحياناً — والعاهة الواحدة أو للعيب الواحد أيضاً . ومثل هذا يقال في للتعجب — كما سبق في بابهِ —

والحجة التي يحتجون بها لمنعه — (وهي : أن صيغة «أفعلل» هي أيضاً صيغة الصفة المشبهة القياسية للألوان ؛ فيلتبس الأمر بين المعنيين) — حجة واهية يمكن دفعها بالقرائن ، ومنها : «من» الداخلة على المفضل عليه في مثل : فلان أبيض من فلان ، وهذا الزرع أخضر من ذلك ؛ فيكاد يمتنع اللبس في هذا النوع من التفضيل الذي يشتمل أسلوبيه على كلمة : « مِنْ » هذه . نعم قد تشبه أحياناً بكلمة : « من البيانية » ، ولكن هذا الاشتباه يمكن دفعه أيضاً ، والتغلب عليه بالقرينة التي تزيله . وكذلك الشأن في النوعين الآخرين من أنواع « أفعل التفضيل » وهما : « المقرون بأل » ، و « المضاف » فإن احتمال اللبس فيهما قليل ، وهو على قلته مما يمكن دفعه بالقرينة التي تحدد الغرض ، وتوجه — في كل ما سبق — إلى أحد المعنيين دون الآخر ؛ كما يحصل في غير هذا الباب ، وبخاصة بعد موافقتهم على قياسية المعنوى (الذي سيبيء الكلام عليه بعد هذا مباشرة) ، ومن ثمَّ كان المذهب الكوفي الذي يبيح الصياغة من الألوان والعيوب والعاهات أقرب للسداد واليسر . وعليه قول المتنبي : — وهو كوفي — في الشيب :

إِبْعَدْ ، بَعْدَتْ بِيَاضًا لَا بِيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلُمِ =

والفعل : عَرَجَ ، لا يصاغ — مباشرة — من مصدره « أفعل » ، لأنه فيجعل يدل على عيب ظاهر ، وإنما نصوغ « أفعل » بالطريقة السالفة « غير المباشرة » ؛ فنقول : هذا الفتى أوضَحَ عَرَجًا من غيره .

وبهذه المناسبة نذكر أن الأفعال الدالة على الألوان والعيوب لا يصاغ من مصدرها « أفعل التفضيل » مباشرة إذا كانت الألوان والعيوب حسية ظاهرة . أما إن كانت معنوية داخلية فيصح أن يصاغ منها مباشرة ؛ مثل : فلان أبْلَسَ من فلان ، أو : أحق من فلان ، أو : أرعن منه ، أو : أهوج منه ، أو : أخرق منه ، أو : أعجم منه ، أو : أبيض سريرة منه ، أو : أسود ضميراً منه (١)

يتبين من كل ما تقدم أننا نتوصل بالطريقة « غير المباشرة » ، إلى التفضيل إذا فُتِمَ الفعلُ المتصرف القابل للمفاضلة ، بعض الشروط الأخرى . — ولا مانع من استخدام هذه الطريقة أيضاً مع الفعل المستوفى — ودَى نفسها التى أوصاتنا إلى التعجب مما لم يستوف فعله بعض الشروط . وقد سبق شرحها فى بابها — فنستعين بها هنا على الوجه السالف لتوصلنا إلى التفضيل كذلك .

== جاء فى شرح السكبرى لديوان المتنبى (ج ٤ ص ٣٥) عند شرح البيت السالف ما نصه : « وأما قول أصحابنا الكوفيين فى جواز « ما أفعله » ، فى التعجب من البياض والسواد خاصة من دون سائر الألوان فالجدة لهم فى مجيئه ؛ نقلاً وقياساً . فأما النقل فقول طرفة ، وهو إمام يستشهد بقوله :

إذا الرجال شَتَوْا واشتدَّ أكْلهُمُ فأنَّت أبيضهم سربال طباح

فإذا كان يرتضى قوله فالأولى أن يرتضى قوله فى كل ما يصدر منه ، ولا ينسب هذا إلى شذوذ وقول الآخر :

جارية فى درعها الفضفاض أبيض من أخت بنى إباح

وأما القياس فإنما يجوزناه فى السواد والبياض لكونهما أصل الألوان ومنهما يتركب سائر الألوان . إذا كانا هما الأصلين للألوان كلها جاز أن يثبت لهما ما لم يثبت لسائر الألوان (١٠١ . هـ .

والحق أن الاختصار على هذين اللونين لا معنى له بعد ما قدمنا . (انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٥١) .

(١) راجع حاشية « ياسين » على شرح التصريح ، أول باب : « أفعل التفضيل » .

ومما تجب ملاحظته: أن صيغة «أَفْعَلْ التفضيل» ، ومعناها ، وأحكامها ، تختلف اختلافاً كثيراً عن صيغتي «التعجب» ومعناها ، وأحكامهما في أمور عرضنا لها هنا وهناك . ومنها : أن المصدر هنا ينصب على اعتباره ، تمييزاً ، وَيُنْصَبُ هناك على اعتباره مفعولاً به ^(١) . . .

ومتى تمت صيغة ؛ «أَفْعَلْ» على الوجه السالف صارت اسماً جامداً ؛ ويترتب على جموده أمران :

أولهما : ألاّ توجد له صيغة أخرى تدل على التفضيل الاصطلاحي ؛ فليس له بعد هذه الصياغة — ماض ، ولا مضارع ، ولا مصدر ، ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول . . . ولا شيء آخر من المشتقات أو غير المشتقات ؛ لأن التفضيل الاصطلاحي مقصورٌ على صيغة : «أَفْعَلْ» وحدها ، وهي جامدة ؛ كما أوضحنا ، ولا يتقدم عليها شيء من معمولاتها — طبقاً لما يلي ^(٢) —

(١) وفي صياغة «أَفْعَلْ» يقول ابن مالك في باب خاص عقده باسمه :

صُغِّ مِنْ مَصْوَغٍ مِنْهُ لِلتَّعْجُبِ : «أَفْعَلْ» لِلتَّفْضِيلِ ، وَأَبَ اللَّذْ أَيْ

أى : صغ «أَفْعَلْ» للدلالة على التفضيل — من مصدر الفعل الذى يصاغ منه التعجب . وامنع هنا الصياغة من مصدر الفعل الذى منع الصوغ منه هناك (فعنى : ائب اللذأبى : امنع الذى منع) ثم قال :

وَمَا بِهِ إِلَى تَعْجُبٍ وَصِلَ لِمَانَعٍ بِهِ إِلَى التَّفْضِيلِ صِلَ

يريد : ما يتوصل به — من طريق غير مباشر بسبب مانع يمنع التعجب المباشر — صِلَ به إلى التفضيل عند وجود مانع .

(٢) وهذا حكم عام في كل العوامل الجامدة — كما سبق في ص ٣٥٧ ، وفي رقم ٢ من هامشها — إلا بعض حالات معدودة — نصوا عليها في مواضعها الخاصة بمناسباتها ، ومنها الحالة الآتية في ص ٤٠١ وأخرى في هامش ص ٤٠٤ .

ومنها : جواز التقديم على «أَفْعَلْ التفضيل» للضرورات الشعرية — ونحوها مما يدخل في حكم الضرورة — إذا كان معموله شبه جملة ، كالذى في قول اللقائل :

وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب

والأصل : أقرب إلى الحلم . . . (والجهل هنا : الغضب والانتقام) .

ثانيهما : ألا يتقدم عليه - في حالة الاختيار - شيء من معمولاته ، إلا حالة واحدة ^(١) سيجيء الكلام عليها في القسم الأول الآتي .

* * *

أقسامه ، وحكم كل قسم :

هو ثلاثة أقسام :

(١) مجرد من « أل » والإضافة . (٢) مقترن « بأل » .

(٣) مضاف .

فأما القسم الأول المجرد من « أل والإضافة » فمثل : « أفضل » ، و « أنفع » في قول بعضهم لطريف : لا أدرى ! أجِدُّكَ أَفْضَلُ من مزحك ، أم مزحك أنفعُ من جدك . ومثل : « أَحْسَنَ » في قول الشاعر :

وإني رأيت الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا من مرأى صغيرٍ به كِبَرُ
(٢)

وحكم هذا القسم أمران :

(١) وجوب إفراده وتذكيره في جميع حالاته .

(٢) وجوب دخول « من » جارة للمفَضَّل عليه (أى : للمفضول) .

١ - فأما الأمر الأول (وهو : وجوب إفراده وتذكيره) ، فيقتضى أن تكون صيغته واحدة في كل استعمالاته ولو كان مسنداً لمؤنث ، أو لمثنى ، أو لجمع ، فلا بد أن تلازم هذه الحالة دائماً ؛ نحو : الجَمَلُ أَصْبَرُ من غيره على العطش - الجَمَلانُ أَصْبَرُ من غيرهما - . . . الجِمالُ أَصْبَرُ من غيرها . . .

(١) في ص ٤٠٣ - رقم ٢ - وهناك حالة أخرى سبق عرضها موضحة مفصلة (في باب « الحال » ج ٢ م ٢ ص ٣٠٣ « د » . وكذلك في رقم ٣ من هامش ص ٣٠٠ من ذلك الجزء والباب) وملخصها : - وهذا الملخص لا يغنى عن الأصل السابق - أن أفعل التفضيل قد يقضى حالين ؛ إحداهما تدل على أن صاحبها في طور من أطواره أفضل من نفسه أو غيره في الحال الأخرى . فالأحسن أن تتقدم إحداهما على عاملها (وهو أفعل التفضيل) وتأخر الثانية عنه ؛ نحو : الحقل قُطْنَا أنفعُ منه قمحا - الفدان عبأ أحسنُ منه قطناً - المتعلم تاجراً أقدَرُ منه زارعاً . وأجاز بعض النحاة تأخير الحالين معا عن أفعل التفضيل بشرط أن تقع بعده الأولى مفصلة من الثانية بالمفضل عليه . . . راجع ج ٢) (٢) ومثل قول الشاعر :

الموت أحسن بالنفس التي ألفتَ عزَّ القناعة ، من أن تسأل القوتاً

— الناقاة أصبر من غيرها . . . — الناقتان أصبر من غيرهما . . . — النوق أصبر من غيرهن . . .

ب — وأما الأمر الثاني وهو : دخول : « مِنْ » ^(١) جارة للمفضل عليه (أى : للمفضل) فأمر واجب أيضاً ، بشرط أن يكون قصد التفضيل باقياً . ولها كان وجودها دليلاً على إرادة التفضيل ، وعدم انسلاخ « أفْعَلْ » عنه . وهى مختصة بهذا القسم وحده ، وبدخولها على المفضل دون غيره ، ولا وجود لها فى القسمين الآخرين . — كما سيجىء عند الكلام عليهما — ولا يجر المفضل غيرها من حروف الجر . ون الأثلة — غير ماسبق — قول المتنبي :

وما ليلٌ بأطولَ من نهاري يَظَلُّ بلحظِ حُسّادى مَشُوباً
وما موتٌ بأبغضَ من حياةٍ أرى لهمو معى فيها نصيباً

ودخول « مِنْ » جارة للمفضل عليه يستلزم أحكاماً لهما ؛ منها :

١ — جواز حذفهما معاً ، بشرط وجود دليل يدل عليهما ؛ كقوله تعالى : (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ، أى : والآخرة خير من الدنيا ، وأبقى منها . وقد اجتمع الحذف والإثبات فى قوله تعالى : (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً ، وَأَعَزُّ نَفَرًا) ، أى : أعز نفراً منك . وقول الشاعر :

ومن يصبرُ يجدُ غِبَّ صبره أَلَذُّ وَأَحْلَى من جَنَى النحل فى الفم

أى : أَلَذُّ من جنى النحل . . .

وإذا حذفنا من اللفظ كانا ملحوظين فى النية والتقدير ؛ وصاروا بمنزلة المذكورين ^(٢) .

(١) ومعناها هنا : الابتداء أو المجاوزة ، فإذا كانت للابتداء فهى لا ابتداء الارتفاع إذا كان السياق للمدح ؛ نحو : النشيط أفضل من الخامل ، ولا ابتداء الانحطاط إذا كان السياق للذم ؛ نحو : المنافق أضر من العدو . وإذا كانت للمجاوزة فعناها أن المفضل جاوز المفضل فى الأمر الحمود أو المذموم . . . و « مِنْ » ههنا غير « مِنْ » التى تجيء للتعدية المجردة (أى : التعدية التى لا دلالة معها على التفضيل مطلقاً ؛ لأنه غير مراد) ومن صورها ما يجىء فى « الملاحظة » الخاصة : ص ٤٠٥ . (٢) يقول ابن مالك فى (أفعل التفضيل المجرد ، ووصله بالحرف : « من » لفظاً أو : تقديرًا) :

وأكثر مواضع حذفهما حين يكون « أفعل » خبر مبتدأ ، أو خبر ناسخ ، أو مفعولا ثانياً لفعل ناسخ (مثل ظن وأخواتها . . .) أو مفعولاً ثالثاً لفعل ينصب ثلاثة (كالفعل : وأرى . . .) ؛ نحو : قرّع الحجة بالحجة أنفع . . . وهو بالعالم أليق . . . - ربّما كان ازدراء السفیه أنجع في إصلاحه . . . -

فلو طالعت أحداث الليالي وجدت الفقر أقربها انتياباً^(١)

وأن البر خير في حياة وأبقى بعد صاحبه ثوابا

- أعلمت الجازع احتمال المشقة أجدر بأصحاب العزائم والمهم . . .

ويقل حذفهما إذا كان « أفعل » حالا . نحو : توات النغمات أنعش للقلب وأندى للفراد ، وأذهب للأسى . . . ومثل قول الشاعر :

دَنَوْتُ وَقَدْ خَلْنَاكَ كَالْبَدْرِ - أَجْمَلًا فَظَلَّ فَوَادِي فِي هَوَاكَ مَضَلَّلًا

يريد : دَنَوْتُ أَجْمَلًا من البدر ، وقد خَلْنَاكَ كَالْبَدْرِ ، فكلمة « أَجْمَل » حال من الفاعل : « التاء » . وهذا النوع من الحذف - على قلته - قياسي تجوز محاكاته . وكذلك يقل حذفهما إن كان « أفعل » نعتاً لمنعوت محذوف مع عامله لقريظة ، نحو : اتجه . . . أوسع مساحةً ، وأكثر خصباً ، وأرحب للغريب صدراً . والأصل : اتجه ، واقصد بلداً أوسع مساحة . . . و . . . والأحسن عدم جواز القياس على هذا النوع ؛ لكثرة الحذف فيه ، وتوقع اللبس في فهمه . . .

(٢) ومن الأحكام : وجوب تقديمهما أحياناً على عاملهما وحده ، وهو :

« أفعل » دون تقديمهما على الجملة كاهما . وإنما يجب التقديم على عاملهما إذا كان المجرور اسم استفهام ؛ كهذا السؤال : فلان ممن أفضل ؟ والأصل : فلان أفضل ممن ؟ أو كان المجرور مضافاً إلى اسم استفهام ، نحو : فلان من ابن من أفضل ؟

= وَأَفْعَلُ التفضيل صلته أَبَدًا تَقْدِيرًا ، أَوْ لَفْظًا بِ « مِنْ » إِنْ جُرِّدَا

ثم يقول في بيت سيماد ذكره لمناسبة أخرى في ص ٤١٦ :

وَلِإِنْ لَمْ تُكْوَرِ يُضَفْ أَوْ جُرِّدَا أَلْزِمَ تَذْكِيراً وَأَنْ يُوَحَّدَا

(١) تردد على الناس ، ذهاباً ومجيئاً إليهم .

والأصل فلان أفضل من ابن من ؟ ولا يجوز التقديم في غير حالتي الاستفهام السالفتين ^(١) إلا للضرورة الشعرية كقول القائل :

وإنَّ عناءَ أَنْ تُناظرَ جاهلاً فيحسب - جهلاً - أنه منك أعلم
وقول الآخر :

إذا سائرت أسماءُ يوماً ظعينةً ^(٢) فأسماءُ - من تلك الظعينة أملحُ
والأصل : (أعلم منك) - وأيضاً (فأسماءُ أملح من تلك الظعينة) . فقد تقدم الحرف « من » مع مجروره ، مع أن الكلام خبري ، وليس إنشائياً استقهاً ^(٣) . . .

٣ - ومنها : امتناع الفصل بينهما وبين « أفعل » إلا بمعموله ، أو : « لو » وما يتبعها ، أو : النداء - فثال الفصل بالمعمول قوله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ، وقول الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند
وقول الآخر :

لولا العقول لكان أدنى ^(٤) ضيغ ^(٥) أدنى ^(٦) إلى شرف من الإنسان

(١) هناك حالة أخرى يتقدم فيها معمول « أفعل التفضيل » على عامله أفعل التفضيل . وقد سردنا ملخصها في رقم ١ من هامش ص ٤٠١ ، وقلنا إن هذا الماخص لا يفنى عن البيان والتفصيل المذكورين في باب الحال ، (ج ٢ م ٨٤ ص ٣٠٣ « د » ورقم ٣ من هامش ص ٣٠٠ هناك) .
(٢) المرأة في هودجها ، (تكريماً وصيانة لها)

(٣) وفي تقديم « من » مع مجرورها في حالتي الاستفهام يقول ابن مالك في بيتيه السابع والثامن - وسيدكران لمناسبة أخرى في ص ٤١٩ - :

وإنْ تَكُنْ يَتَلَوُ « مِنْ » مُسْتَفْهِمًا فَلَهُمَا كُنْ أَبَدًا مُقَدِّمًا - ٧
كَيْثَلٍ : مِمَّنْ أَنْتَ خَيْرٌ ؟ وَلَكِنِّي إِنْخَبَارُ التَّقْدِيمِ نَزْراً وَرَدًا - ٨
أى : إن تكن مستفهماً بالاسم التالى : « مِنْ » ، وهو مجرورها ، فقدمها وجوباً في كل الحالات . ثم قال : ورد التقديم نزراً (أى نادراً) في حالة الإخبار . أى في حالة الكلام الخبري ، لا الإنشائي الذى شرحناه .

وما يلاحظ أن المثال الذى في البيت الثانى معيب ؛ للسبب الموضح في الصفحة الآتية :
(٤) أقل . (٥) أقرب .

(٦) سيدكر هذا البيت لمناسبة أخرى في ص ٤٣٣ .

ومثال الفصل بكلمة : « لو » وما يتبعها قول الشاعر :

ولفوكِ أطيبُ - لو بذلتِ لنا - من ماءٍ مَوْهِيَةٍ ^(١) على خَمَرٍ
ومثال النداء : أنت على أداء المَهْطَامِ الجِسَامِ أَفْدَرُ - يا صديقي - من
صفوة الأخلاء .

وقول الشاعر :

لم أَلْقَا أَحَبَّ - يا فرزدقُ - منكمو ليلا ، وأخْبِثَ بالنهار نهارا
فلا يحوز الفصل بينهما بأجنبي (وهو الذى ليس معمولاً لأفْعَل) ولا بشيء
غير ما سبق ؛ ولهذا حكموا بالخطأ أو الشذوذ على مثل : ممن أنت أفضل ؛ لأن
الجار والمجرور : (مَمَّن) متعلقان « بأفضل » ^(٢) ، و « أنت » مبتدأ خبره :
« أفضل » وقد فَصَّلَ المبتدأ بين « أفضل » والجار مع مجروره ، مع أن المبتدأ أجنبي
من أفضل ، (أى : ليس معمولاً له) .

« ملاحظة » : قد يصاغ « أفعال التفضيل » من مصدر فعل يتعدى بحرف
الجرّ « مِن » ؛ كالفعل : قَرُبَ ، بَعُدَ . . فعند التفضيل يجرى هذا الحرف
مع مجروره ، إمّا متقدمين على « مِن » الجارة للمفضول ومتوسطين بينها وبين
« أفعال » ؛ نحو : المجَرَّبُ أقرب من الصواب من الناشئ ، وإمّا متأخرين
عنهما ؛ نحو : المجرب أقرب من الناشئ من الصواب ^(٣) . . .

* * *

(١) نقرة في جوف الصخر يخزن فيها الماء ليبرد .

(٢) ويجب تقديمها عليه وحده في هذه الصورة .

(٣) وهذا النوع الخاص بالتعدي يخالف النوع الذى سبق في ص ٤٠٢ وهو الخاص بدخول

« من » على المفضل عليه - كما ستجىء الإشارة لهذا في ص ٤١٢ .

زيادة وتفصيل :

١ - عرفنا ^(١) أن : « أفعل التفضيل » يدل - في الأغلب - على اشتراك شيئين في معنى خاص ، وزيادة أحدهما على الآخر فيه ، فما ضابط الاشتراك ؟ ! .

ليس للاشتراك ضابط معين يحدد أنواعه ، وإنما يكفي أن يتم على وجه من الوجوه يكون به واضحاً ومفهوماً للمتخاطبين ، ولو كان اشتراكاً ضدياً ، أو تقديرياً ، كقول إنسان في عدوين له : هذا أحسب إلى من ذلك . وفي نوعين من الشر : هذا أحسن من هذا . يريد في المثال الأول : هذا أقل بغضاً عندى ، ويريد في المثال الثانى : هذا أقل شراً من الآخر ؛ فليس في نفس المتكلم قدر مشترك من الحب والحسن لهذا ، أو لذلك . وإنما القدر المشترك هو الكره والقبح اللذان يضادان الحب والحسن . فالاشتراك إنما هو في أمر مضاد في معناه لمعنى : « أفعل » المذكور في الجملة ، مع تفاوت النصيب بينهما ، ووجود الزيادة في أحدهما وحده ؛ فأحدهما عدو خفيف العداوة أو القبح ، والآخر : شديدهما ، فالزيادة موجودة ولكنها في أحد الأمرين المشتركين في معنى مضاد لمعنى : أفعل .

ومن غير الغالب ألا يكون بينهما اشتراك مطلقاً إلا على نوع جائز من التأويل توضحه القرائن ؛ كقولهم : - الثلج أشد بياضاً من المسك - الصيف أحر من الشتاء - السكر أحلى من الملح - العسل أحلى من الخل . يريدون : أن بياض الثلج أشد في ذاته من سواد المسك في ذاته - والصيف في حرارته أشد من الشتاء في برده - والسكر في حلاوته أقوى من الملح في ملوحته - والعسل في حلاوته أشد من الخل في حموضته ، وهكذا . . . ؛ فليس بين كل اثنين مما سبق اشتراك في المعنى إلا في مطلق الزيادة المجردة ، ودرجتها الذاتية المقصورة على صاحبها . . . ؛ فالصلة بين كل اثنين مقصورة على هذه الزيادة المجردة ، وبينهما بعد ذلك تباين تام يختلف عن التضاد السابق الذى يقوم بجانبه

(١) في ص ٣٩٥ وشرنا في رقم ٢ من هامشها إلى أهمية ما يأتي هنا في الزيادة والتفصيل .

نوع من الاشتراك في أمر يتصف به الاثنان ، وإن كان هذا الأمر مخالفاً
معنى « أفعل » .

ب - من الأساليب الصحيحة : فلان أعقل من أن يكذب - وأمثال هذا -
فهل معناه تفضيل فلان في العقل على الكذب ؟ وهذا معنى فاسد .

خير ما يقال في هذا وأمثاله : أن « أفعل التفضيل » يفيد هنا أمرين معاً ؛
هما إفادة البُعد عما بعده ، وأن سبب هذه الإفادة هو المعنى اللغوي الأساسي المفهوم
من مادة « أفعل » المعروف في الجملة الأصلية ، فالمراد : فلان أبعد الناس من
الكذب ؛ بسبب عقله . وفي مثل : فلان أجل من الرياء ، وأعظم من الخيانة . .
يكون المقصود : فلان أبعد الناس من الرياء ؛ بسبب جلاله ، وأبعد من الخيانة
بسبب عظمته . . . ومثل هذا يقال في بيت الشاعر :

الحق أكبر من أن تستبِدَّ به يد ، وإن طال في ظلم تماديهما

فالغرض لإعلان البعد عن تلك الأشياء مع بيان سبب البعد . وأفعل التفضيل
في تلك الأساليب ونظائرها يفيد ابتعاد الفاضل من المفضل ، ولا تكون « مِن »
تفضيلية جارة للمفضل ، وإنما هي مع مجرورها متعلقان « بأفعل » الذي هو
بمعنى : متباعد ؛ لأنها حرف الجر الذي يتعدى به الفعل « بعُد » وبأى المشتقات
التي من مادته ، ومنها هنا : « أفعل » لتضمنه معنى « أبعد » بمعنى : « بعُد »
فهي متعلقة به من غير أن يدل على تفضيل ؛ كمنظيرتها في قولنا : أنا بعيد من
الظالمين ، بمعنى : متباعد .

وقيل إنه مستعمل في بعض مدلوله دون بعض ؛ فهو يدل على زيادة البعد ،
دون أن يكون هناك مفضل حقيقى ، ولا « مِن » الداخلة عليه . . .
ومضمون الرأين واحد ^(١) . . .

ح - يجب تصحيح عين أفعل التفضيل إذا كانت قبل التفضيل مستحقة
للإعلال ، ونحو : الأديب أقومُ لساناً ، وأبينُ قولاً من غيره ، فيجب أن
تسلّم الواو والياء .

(١) وهناك بعض آراء أخرى عرض لها « المغنى » في « الباب الخامس » من الجزء الثانى ، عند
كلامه على الجهة الرابعة من جهات الاعتراض . . .

د - إذا كان أفعل التفضيل المجرد^(١) واجب الأفراد والتذكير فما بالُ العرب تقول : مرّ بنا سِرْبٌ من الظباء ، بعده أسرابٌ أُخَرٌ ؛ فيأتون بكلمة : « أُخَرٌ » مجموعة ومؤنثة ؛ (إذ هي جمعٌ ، مفردة : « أُخْرَى » ، « وأُخْرَى » مؤنث لكلمة « آخَرٌ » الذى أصله « أُخَرٌ » على وزن : « أفْعَلٌ » المذكور الدال على التفضيل ؛ فهو من القسم المجرد). فلم كانت « أُخَرٌ » مجموعة ومؤنثة في المثال السالف - وأشباهه - مع أن القاعدة تقتضى الأفراد والتذكير ، وأن يقال : أسرابٌ « آخَرٌ » (التى أصلها : « أُأَخَرٌ » كما أسلفنا)^(٢) أجب النحاة : إن كلمة : « أُخَرٌ » ليست مما نحن فيه ؛ لأسباب ثلاثة مجتمعة :

أولها : أنها في استعمالاتها الصحيحة المختلفة - ومنها المثال السالف وأشباهه - لا تدل على التفضيل ؛ (أى : لا تدل على المشاركة والزيادة) وإنما تدل على المغايرة المحضة ، والمخالفة المجردة من كل معنى زائد عليها ، فالكلام الذى تكون فيه يقتضى معنى المغايرة وحدها ، لا معنى المقاضاة ، أو نحوها . وهذا شأنها في الاستعمالات الواردة ، فعنى سرب آخَرٌ وأسراب أُخَرٌ هو : سرب مغايرٌ ، وأسراب مغايرات ، بدون تفضيل فيهما .

وثانيها : أنها - فى كلام العرب - لا يقع بعدها : « مِنْ » الجارة للمفضول ، لا لفظاً ولا تقديراً .

وثالثها : أنها - فى كلامهم الفصيح تطابق وهى نكرة^(٣) ٥

(١) سبق الكلام عليه ، فى ص ٤٠١ .
(٢) أى : أن الأصل أن يقال مثلاً : هذا ظي آخَرٌ (وأصلها : آأُخَر) وهذه ظبية آخَرٌ (أُأُخَر) لكنهم تركوا الأصل ، وقالوا : ظبية أُخْرَى ؛ فأتوا بكلمة : « أُخْرَى » التى هى المفردة المؤنثة لكلمة : آخَرٌ .

والأصل أيضاً أن يقال : هذان ظبيان آخَرٌ (وأصلها : آأُخَر ، وهاتان ظبيتان آخَر) ولكنهم تركوا الأصل ، وقالوا : آخَران ، فى تشنية المذكر ، وآخَرَتان فى تشنية المؤنث . وكذلك الأصل أن يقال : هؤلاء ظباء آخَرٌ (أُأُخَر) وهؤلاء ظبيات آخَرٌ (أُأُخَر) . لكنهم تركوا الأصل أيضاً ، وقالوا : أُخَرٌ ، التى هى جمع مؤنث ، مفردة : أُخْرَى .

(٣) أى : أنها لو كانت للتفضيل وهى نكرة ، لوجب عدم مطابقتها ؛ كى تسير المسموع

الكثير .

فلهذه الأمور الثلاثة لا تكون من القسم الأول الذى يدور فيه الكلام ؛ بل إنها ليست للتفضيل مطلقاً^(١) — كما تقدم — ؛ وإنما هى كلمة معدولة ، (أى : محوولة) عن كلمة : « آخَر » التى أصلها « أَّخَر » جاءت لتؤدى معنى ليس فيه تفضيل ، ذلك أن العرب حين أرادوا استخدام كلمة : « آخَر » فى معناها الأصلى — وهو المغايرة المحضة الحالية من معنى التفضيل — عَدَلُوا بها عن وزنها الأول ؛ بأن أدخلوا عليها شيئاً من التغيير ، وحوأوها إلى هذا الوزن الجديد ؛ وهو : « أَّخَر » ، لتؤدى معنى خالياً من التفضيل لا يمكن أن تؤديه إذا بقيت على الصيغة الأولى . ويقول السيوطى^(٢) ، قولاً أشبه بهذا ؛ نصه :

(كان مقتضى جعل « آخَر » من باب « أفعَل التفضيل » أن يلزمه فى التنكير لفظ الإفراد والتذكير ، وألا يؤنث ، ولا يثنى ، ولا يجمع ، إلا معرفاً ، كما كان أفعَل التفضيل ؛ فمُسْنَع هذا المقتضى ، وكان بذلك معدولاً عما هو به أولى ؛ فإذ ذلك منع من الصرف)^(٣)

فالذى دعا النحاة لهذا التحليل والتعليل هو ما رأوه من جمعها وتأنيتها مع انطباق أوصاف القسم الأول عليها — فى الظاهر — فليجئوا إلى مسألة العدول والتحويل ليتغلبوا على هذه العقبة ويجعلوا قاعدة : « أفعَل التفضيل المجرد » مطردة .

قد يكون كلامهم سائغاً من الوجهة الجدلية المحضة ، لكنه من الوجهة الحقيقية مردود ، ذلك أن العرب لا تعرف شيئاً مما قالوه ، ولم يدُرْ بخلفها قليل أو كثير منه حين نطقوا بالتعبير السابق وأشباهه . فإبعاداً لهذا التكلف ومسايرة للأمر الواقع ، يحسن الأخذ ببعض مما قاله النحاة — بحق — وهو : أنها ليست للتفضيل فلا تنطبق عليها أحكامه ، أو أنها خالفت القاعدة ؛ فهى من الشاذ

(١٤١) الجمع ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) يقول العكبرى — فى كتابه : « إملأ ما من به الرحمن » ج ١ ص ٤٥٦ ، سورة البقرة — ما نصه فى كلمة : « آخر » (لا تنصرف للوصف والمعدل عن الألف واللام ؛ لأن الأصل فى « فعل » صفة أن تستعمل فى الجمع بالألف واللام ؛ كالكُبرى والكُبَرى ، والصغرى والصُغَرَى) . ٥١ . وهذا التعليل مردود كثيره بما ذكرناه هنا .

الذى يحفظ ، ولا يقاس عليه . ولا عبرة بما عرضه من أسباب أخرى ؛ فهى أسباب ضعيفة لا تثبت على التمييز ، ومن السهل دفعها ؛ وقد دفعها بعض النحاة فعلا بما يرهق سرده من غير نفع عملي ، فخير لنا أن نقر الواقع ، من غير تكلف ولا جدل زائف .

هـ - ونزولاً على قاعدة الإفراد والتذكير السالفة عاب بعض النحاة على أبى نُوَاس ذكر كلمتى : « صُغْرَى » و « كُبْرَى » مؤنيتين للتفصيل ، مع أنهما مجردتان فى قوله ^(١) :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْقِيَاسُ : أَصْغَرُ وَأَكْبَرُ . . . لِأَنَّهُمَا صِغَتَانِ لِلتَّفْصِيلِ ، مُجْرَدَتَانِ . وَالْقَاعِدَةُ تَقْضَى بِالتَّزَامِ التَّذْكِيرِ وَالْإِفْرَادِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . . .

ومما قيل فى دفع هذا العيب : إن الشاعر لم يقصد التفصيل مطلقاً ، ولا الحديث عن شىء أصغر من شىء آخر ، أو أكبر منه ؛ وإنما قصد صُغْرَى أو كُبْرَى من حيث هى : لا باعتبار موازنتها بغيرها ؛ كمن يشاهد طفلة تحاول الركوب فيساعدها ويقول : ساعدتها لأنها : « صُغْرَى » ، أى صغيرة ، وكمن يشاهد سيدة عجوزاً ؛ فيعاونها على النزول من السيارة ، ويقول : عاونتها لأنها كُبْرَى ؛ أى : كبيرة السن ؛ فليس فى كلامه هذا ، ولا فى المقام ما يدل على تفصيل أو موازنة بين اثنتين يزيد أحدهما على الآخر فى هذا المعنى .

وإذا كان الأمر على ما وصفنا فليس التأنيث لحناً ، لأن « أفعل » إذا كان مجرداً غير مقصود منه التفصيل (« فالأكثر فيه عدم المطابقة ؛ حملاً على أغلب أحواله ، وقد يطابق ، لعدم مجئ « من » لفظاً ومعنى . واعتماداً على هذا السبب فى المطابقة يُخْرِجُ بيت أبى نُوَاس السالف ، ومثاله قول العلماء العَرُوضِيِّين : « فاصلة صُغْرَى وَكُبْرَى » ، خلافاً لمن جعله لحناً ^(٢) ») .

(١) يصف كأساً مملوءة بشراب ذهبي اللون ، تملؤه الفقاقيع .

(٢) حاشية الخضرى مع توضيح بعض كلماتها - (فى هذا الباب عند الكلام على أفعل التفصيل المضاف والمقرون بال) . ومثل هذا فى شرح التوضيح . وقال الأشمونى فى هذا الموضع ما نفسه : « . . . وإذا صح جمع « أفعل التفصيل » ؛ لتجرده من معنى التفصيل جاز أن يؤنث ؛ فيكون قول ابن هانئ : « كان صغرى وكبرى من فقاقعها . . . » صحيحاً . هـ .

وهذا دفع حق ، وهو خير من القول بأن في الكلام حذفاً وزيادة يؤديان إلى إخراج الكلمتين من هذا القسم ، وإدخالهما في قسم آخر من أقسام « أفعل » التفضيل ؛ كتقسم المضاف ^(١) إلى المعرفة ؛ بحيث يؤدي إلى الحكم بصحةهما ، وأن الأصل : « كأن » صغرى فقاقتها وكبرى من فقاقتها . . فكامة : « من » زائدة (مع أنها - في الغالب - لا تزداد إلا بعد نفي بشرط أن يكون مجرورها نكرة) ، و « فقاقتها » الأولى محذوفة للدلالة الثانية عليها ، ففي الكلام حذف من جهة ، وزيادة من جهة أخرى . . . وما أشد حاجتنا إلى إهمال مثل هذا مما لا داعي له .

وأعجب منه قولهم في الدفاع عن الشاعر : « إن أفعل التفضيل المجرد يصح تأويله بما لا تفضيل فيه ؛ فيطابق حينئذ كما في المضاف إلى المعرفة » ، وقد جاء هذا الكلام في التسهيل ^(٢) . ولا أدري : أيغيب عن أحد وجه ضرره وأثره السيئ في اللغة ؟ إذ كيف تؤدي اللغة مهامها - وما أجملها - إذا كان من الجائز دون قيد ولا شرط . تأويل اللفظ الذي يشوبه خطأ لغوي تأويلاً يُصالح عيبه من غير داع معنوي لذلك ؟ .

* * *

(١) سيجيء الكلام على المضاف بنوعيه في ص ٤١٦ و ٤١٨ .

(٢) ونقله : الجمع ، وياسين في حاشيته على التصريح ، وكذا الصبان .

القسم الثاني :

أن يكون أفعَل التفضيل مقرونًا « بأل » . وهذا يوجب أمرين :

أحدهما : أن يكون مطابقًا لصاحبه في التذكير ، ولاتانيث ، والإفراد ، وفروعه ؛ نحو : قوله تعالى : « سَبِّحْ اسمَ رَبِّكَ الأعلى » - اليد العُلَيَّيَا خير من اليد السفلى ^(١) . الشقيقتان هما الأفضلان - الشقيقتان هما المُضَلَّيَّان ^(٢) - الأشقاء هم الأفضلون ، أو الأفاضل ^(٣) - الشقيقات هن المُضَلَّيَّات . . .

والآخر : عدم مجيء « مِن » الجارة « للمفضل عليه » ؛ لأن « المفضل عليه » لا يُدْكَرُ في هذا القسم ^(٤) . أما الجارة لغيره فتجىء ؛ كالتى فى قول الشاعر :

فهمُ الأقربون من كل خيرٍ وهمُ الأبعدون من كل ذمٍّ

فالجار والمجرور - فى الشطرين - لا شأن له بالتفضيل : لأنّ : « مِن » المذكورة هى التى تدخل على المجرور للتعدية ^(٥) ، إذ : « الأقرب » و « الأبعد » يحتاجان إلى معمول مجرور « بِمِنْ » كفعلهما : « قَرُبَ وَبَعُدَ » فليست : « مِن » بعدهما هى التى تدخل على المفضل ، وتجره ؛ إنما هى ويجرورها نوع آخر .

* * *

(١) العليا : مؤنث الأعلى ، والسفل : مؤنث الأسفل . والألفاظ الأربعة صنيغ تفضيل .

(٢) تنثية : مُضَلَّى ، مؤنث : أفضّل .

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ٤١٤ ؛ ففيه البيان .

(٤) إذ تغنى عنه « أل » ؛ لأنها للمهد (وليست موصولة كالدخلة على اسم الفاعل ، واسم المفعول) والى للمهد تشير إلى شيء معين تقدم ذكره لفظاً أو حكماً . وتعيينه يشعر بالمفضل ؛ ولهذا قالوا : (لا تكون « أل » فى « أفعَل التفضيل » إلا للمهد ؛ لئلا يعرى عن المفضل) - راجع الصبان ، ج ٣ أول باب أفعَل التفضيل - وإذا لا يصلح أن يقال : علىّ الأفضل من أمين . وأما قول الأعشى :

ولستَ بالأكثرَ منهم حصًى وإنما العزّة للكثيرِ

فقول عندهم بتأويلات مختلفة ؛ منها : زيادة « أل » فى لفظ : « الأكثر » ، ومنها : أن الجار والمجرور متملّق بكلمة محذوفة تماثل المذكورة ، والأصل : « بالأكثر أكثر منهم » ... ومنها أن « من » بمعنى « فى » وكل هذه التأويلات مرفوضة لا يعرف عنها الشاعر (الأعشى) شيئاً ؛ فهى إما لغة ، وإما شاذة . . .

(٥) وهى التى سبقت الإشارة إليها فى ص ٤٠٧ ، وتخالّف الدخلة على المفضل عليه ، والتى

سبق بيّانها فى ص ٤٠٢ .

زيادة وتفصيل :

قال صاحب التصريح ^(١) : إن « أفعل التفضيل » المقترن بأل يطابق موصوفه لزوماً . . . ومع ذلك لا بد من ملاحظة السماع ، وأردف هذا بالنص الآتي :
 (« قال أبو سعيد علي بن سعيد في : كفاية المستوفى ، ما ملخصه : ولا يستغنى في الجمع ^(٢) ») ولتأنيث عن السماع ؛ فإن الأشرف والأظرف لم يُقَسَل فيهما : الأُشَافُ والشُرَفَتَي ، والأُظَافُ ، والظُرَفَتَي ، كما قيل ذلك في الأفضل والأطول . وكذلك الأكرم والأجمد ، قيل فيهما : الأكارم والأماجد ، ولم يسمع فيهما : الكرُمَي والمُجَدَي . (. ١ هـ .

هذا ما قاله وما نقله صاحب « التصريح » وقد يكون من السداد إهماله ، وترك الأخذ به ؛ لما فيه من تضيق وتعسير بغير حق ؛ إذ يفرض على المتكلم أن يبحث جهد طاقته عن الصيغة المسموعة ؛ فإن اهتدى إليها بعد العناء استعملها ، وإن لم يجدها لم يستعمل القياس مع شدة حاجته إلى استخدامه للوصول إليها .

على أن بذل الطاقة واحتمال العناء لا يوصلان أحياناً إلى الصيغة المسموعة ، لا لعدم وجودها ، ولكن لتعذر الاهتداء إلى مكانها ، برغم العناء المرهق المبذول في سبيلها . وهل أدل على هذا من أن صاحب الرأي السالف يقرر عدم ورود السماع بكلمات معينة منها : « الكرُمَي » ، مؤنث : « أكرم » ، وأن غيره يقرر عدم ورود كلمات أخرى ، منها : « الرُذَلَي » ، والجمُلسَي » ، (مؤنث : الأرذل والأجمل) على حين يسجل أبو علي القالي في الجزء الأول من كتابه : « الأمل » ^(٣) ما نصّه : (« قال بعض بني عُقَيْل وبني كلاب : هو الأكرم ، والأفضل ، والأحسن ، والأرذل ، والأنذل ، والأسفل ، والألام . وهي : الكرُمَي والفضَلَي ، والحسنَي ،

(١) ج ٢ - باب : « أفعل التفضيل » عند الكلام على النوع المقرون بأل .

(٢) المفهوم من سياق الكلام في : « التصريح » أن مراده بالجمع السماعي مقصور على « جمع التكسير » دون غيره ؛ إذ لا خلاف في قياسية جمع التصحيح بالشروط الخاصة بكل منهما . - وقد سبق عند الكلام عليهما في الجزء الأول . - هذا ، ولم يتعرض النص السالف للمثنى . فهل يريد بالجمع ما يشمل المثنى أيضاً كالشأن في عبارات بعض اللغويين ؟

(٣) ص ١٥٢ .

والرُّذَلَى ، واللُّؤْمَى ، وهنَّ الرُّذَلُ ، والنُّذَلُ واللُّؤْمُ . . . » ١ هـ . فقد سجل
أنها مسموعة هي ونظائرها . ومن تلك النظائر الأخرى المسموعة : العُظْمَى -
الصغرى - الكبرى - الوُثْقَى - الفضلى - القُصْوَى - الأولى - الجُلَى -
الدنيا - الوسطى - الأخرى - العليا - السفلى - الكُوسَى (كثيرة الكياسة)
الطَوَاى (أنثى الأطول) - الضَّيْقَى (شديدة الضيق) . . . و . . . ولكل صيغة
مما سبق مقابل على وزن « أفعل » لمذكرها . ولو حصرنا ما نقاه صاحب الأمالي ،
وما نقله غيره في مواطن مختلفة ، وما رأيناه بأنفسنا في المراجع اللغوية . . . لكان
من هذه الكلمات المبعثرة مجموعة كثيرة العدد ، تبيح القياس عليها ؛ لكثرتها التي
تجاوز المائة . ولا حاجة بنا إلى تأويلها ، أو التمثل لإبعادها عن « التفضيل »
وعن نوعه الذى نحن فيه ؛ فإن تأويل النحاة - كما بسطه هنا - يقوم على الجدل
المحض الذى لا يعضده الحق .

وشئى آخر : أنه لو صح الأخذ برأى المانعين وحدهم ما دان للقياس حكمه
ولا فائدة ؛ لأن القياس مستمد من الكثير المسموع ، وقد تحقق هذا الكثير
هنا . فكيف نمنع القياس في بعض الصور التى ينطبق عليها ؟ وكيف نحرم تطبيقه
والانتفاع به ، زاعمين واهمين أن صيغة الكلمة ذاتها - بحروفها وتكوينها المادى -
غير مسموعة ؟ فلم الاستنباط ، ووضع القواعد والضوابط العامة ؟ . وكيف
يتحقق القياس ؟ . . . (١)

لهذا كان مجمع اللغة العربية « شديد الرأى حين قرر قياسية جمع « الأفعل »
الذى للتفضيل المقرون بأل على « الأفعال » ، كما قرر صياغة مؤنثه على « الفُعْلَى »
قياساً كذلك (٢) . . .

(١) يؤيد هذا ما سبق أن قلناه في قياسية مصدر الفعل الثلاثى ص ١٨٤ وما بسطه ابن جنى -
وغيره - في الجزء الأول من كتابه : « الخصائص » في الفصل الرشيد الحكم الذى نشير إليه كثيراً ،
وعنوانه : « اللغة تؤخذ قياساً » وقد نشرناه كاملاً في آخر الجزء الثانى .

(٢) طبقاً لما في ص ١٥١ من الكتاب الذى أصدره المجمع سنة ١٩٦٩ ؛ فى تلك الصفحة تحت
عنوان : (فى أفعل للتفضيل - جمع : « الأفعل » على الأفعال ، وصوغ مؤنثه على : « الفُعْلَى »)
ما نصه منسوباً إلى لجنة الأصول بالمجمع ، ومصحوباً بالأسانيد والبحوث المؤيدة له :
(« يختلف النحاة فى جمع التفضيل المقترن بالألف واللام على : « الأفعال » ، وفى تأنيثه على
« الفُعْلَى » . فمنهم من ذهب إلى أن جمعه على « الأفعال » وتأنيثه على « الفُعْلَى » مقصوران على =

طالما رددنا - في هذا الكتاب - أن الحرص على سلامة اللغة أمر محمود ، بل مفروض ، ولكن بشرط ألا يكون بوسائل تعوق الانتفاع بها ، وتزهد فيها ، من غير فائدة ترجى ، ولا ضرر يدفع .

نعم قد يقع جرس هذه الصيغ الجديدة القياسية غريباً أول الأمر على الأسماع ؛ كتلك الصيغ التي نقلها صاحب الأملأى عن بنى عَقِيل ، وبنى كلاب ولكن لا يصح أن تحول غرابة الجرس بين الكلمة والانتفاع الضروري بها ، فما أكثر الكلمات اللغوية الغربية فى جرسها على الأسماع ، وقد تكون غريبة عند قوم مقبولة عند آخرين . على أن تداول الكلمة الغربية كفيلاً بصقلها وإزالة غرابتها ، ولكن يطول الزمن على تداولها ، فما أسرع دورانها وشهرتها ، بسبب الحاجة إلى استخدامها ، وترديد الألسنة لها . . .

* * *

= السماع . ومنهم من ذهب إلى أن ذلك قياسى ؛ مستندين إلى أن اقترانه «بأل» يبعده عن الفعلية من حيث إن الأفعال لا تدخلها الألف واللام ، وذلك يدنيه من الاسمية . ولما كان هذا الرأى أقرب إلى التيسير قررت اللجنة أنه يجوز جمع «أفعل التفضيل» المقترن بالألف واللام على «الأفاعِل» ، ويلحق به فى ذلك المضاف إلى المعرفة ، وأنه يجوز تأنيثها على «الفعلَى» . () « ا هـ .

وقد وافق الجميع ومؤتمره على قرار اللجنة فى الجلسة السادسة من المؤتمر الثالث والثلاثين بدورة

القسم الثالث :

أن يكون مضافاً^(١) ، ويشترط في هذا القسم شرطان عامتان لا بد منهما في « أفعل التفضيل » المضاف مطلقاً (أى : سواء أكانت إضافته للمعرفة أم للنكرة) .

أحدهما : ألا يقع بعد أفعل التفضيل « مِن » الجارة للمفضول ، فلا بد أن يخلو الكلام منها ومن مجرورها ؛ فلا يصح : محمود أفضل الطيارين من حامد . أما الجارة لغيره فتوجد : نحو : أبى أقرب الناس منى .

ثانيهما : أن يكون المضاف بعضاً^(٢) من المضاف إليه ، بشرط إرادة التفضيل وبقاء معناه^(٣) وجوده ؛ فلا يصح : الطيار أفضل امرأة .

ففى تحقق الشرطان العامتان ، وكانت إضافته لنكرة ، وجب حكمان : أولهما : إفرادة وتذكيره — كالمجرد^(٤) — .

والآخر : مطابقة المضاف إليه لصاحب^(٥) أفعل التفضيل ، (أى : للموصوف^(٦)) الذى يتجه إليه معنى : « أفعل » ويتصف به) ؛ فى التذكير والتأنيث ، وفى الإفراد وفروعه ، وفى جنسه أيضاً . .

(١) إذا أضيف كانت إضافته غير محضة ، وقيل : محضة على الوجه المبين فى ص ٥ . وقد سبق بيانها وتفصيل أحكامها أول هذا الجزء .

(٢) وسيجىء فى الزيادة (ص ٤٢١) اشترط أن يكون « أفعل » بعض المضاف إليه ، مع بيان المراد من هذه البعضية .

(وقد سبق لهذه المسألة المهمة توضيح آخر يتممها فى ج٢ باب : التمييز ص ٣٣٢ « ب » م ٨٨ .)

(٣) وهو المفاضلة الدالة على زيادة شيء على آخر ؛ وهذا تكون المفاضلة قائمة وموجودة .

(٤) وفى حكم أفعل التفضيل المجرد من « أل » والإضافة ، أو المضاف إلى نكرة — وأن هذا الحكم هو الإفراد والتذكير — يقول ابن مالك فى بيت سبق ذكره فى هامش ص ٤٠٣ :

وَأِنْ لِّمَسْكُورٍ يُضَفُّ أَوْ جُرْدًا أُلْزِمَ تَذْكِيراً ، وَأَنْ يُوحِّدًا

(٥) المضاف هو : « أفعل » والذى يتجه إليه معناه هو صاحبه الذى يتصف به ؛ فكلاهما واحد من جهة المدلول والمعنى .

(٦) أى للشيء الذى يقوم به معنى « أفعل » ، فليس المراد بالموصوف والصفة هنا المنعوت والنعت الاصطلاحيين .

ومن أمثلته قول المتنبي :

وأحسن وجه في الورى وجهه مُحسنٍ وأيمن كف فيهمو كف منعم .
وتقول : هذان الوجهان أحسن وجهين . . وهاتان الكفان أيمن كفَّين -
وجوه الشرفاء أحسن وجوه ، وأكفَّهم أيمن أكف^(١) .

فالأمور التي يجب اجتماعها كاماة عند إضافته للنكرة^(٢) - أربعة ؛ هي :

(١) امتناع « مِن » الجارة للمفضول .

(٢) كون المضاف بعض المضاف إليه عند إرادة التفضيل .

(٣) إفراد « أفعل » وتذكيره .

(٤) مطابقة المضاف إليه لصاحب « أفعل » في الجنس ، وفي الإفراد .

والتذكير ، وفروعهما .

(١) جاءت المطابقة السابقة - في أغلب صورها التي منها التذكير والتأنيث - نتيجة لاشتراط أن يكون المضاف بعض المضاف إليه ، (فلا يقال : سعيد أفضل امرأة) ؛ لما تقرر : أن أفعل التفضيل المضاف لنكرة لا بد أن يكون بعضاً من المضاف إليه - في الأصح - بشرط أن يكون معنى المفاضلة قائماً . وقد اشترط بعضهم لوجوب هذه المطابقة أن يكون المضاف إليه جامداً ؛ ليخرج مثل قوله تعالى : « أسفل سافلين » ، لعدم وجود صاحب « أفعل » والأحسن إهمال هذا الشرط أما كلمة « أسفل » في الآية فصفة للجمع محذوف .

هذا ، ومن المهم فهم الأساليب التي يكون فيها « أفعل التفضيل » مضافاً لنكرة مطابقة للموصوف الذي يتصف بمعنى أفعل التفضيل ، (أى : مطابقة لصاحب أفعل التفضيل) ؛ فإن المراد يكون إثبات المزية للمفضل على جنس المضاف إليه واحداً واحداً إن كان المضاف إليه مفرداً ، واثنين اثنين إن كان المضاف إليه مثنى ، وجماعة جماعة إن كان جمعاً . وما يزيد الأمر وضوحاً الأمثلة الآتية :

المصلح أفضل رجل - المصلحان أفضل رجلين - المصلحون أفضل رجال - المصاحبة أفضل امرأة - المصلحتان أفضل امرأتين - المصلحات أفضل نساء . . . فالمراد : المصلح أفضل من جميع الرجال إذا فُضِّلوا رجلاً رجلاً - والمصلحان أفضل من جميع الرجال إذا فضلوا رجائين رجائين - والمصلحون أفضل من جميع الرجال إذا فضلوا رجلاً رجلاً - والمصلحة أفضل من جميع النساء إذا فضلن امرأة امرأة ، والمصلحتان أفضل من جميع النساء إذا فضلن امرأتين امرأتين ، والمصلحات أفضل من جميع النساء إذا فضلن نساء ، نساء ، مجتمعات . . . وهكذا الأمثلة الأخرى ونظائرها . (انظر ص ٤٢١ الآية لإدراك الفرق بين ما هنا ، وما هناك) .

(٢) انظر حكم العطف على هذه النكرة في ص ٤٢٢ .

وإن كانت لإضافته لمعرفة وجب تحقيق الشرطين العاملين المشار إليهما آنفاً .
وتجوز فيه بعد ذلك من ناحية التذكير والإفراد وفروعهما - المطابقة وعدمها ،
بشرط أن يكون الغرض من « أفعل التفضيل » باقياً - وقد شرحنا هذا الغرض - ولكن
ترك المطابقة في التثنية والجمع هو الأكثر ، إذ الأفصح أن يكون مفرداً مذكراً في
جميع استعمالاته . فثال المطابقة : عمر أعدلُ الأمراء - العمران ^(١) أعدلا الأمراء -
الخلفاء الراشدون أعدلُ الأمراء - فاطمة فضلى الزميلات - الفاطمتان فضلياً
الزميلات - الفاطمات فضليات الزميلات . . .

ومثال عدم المطابقة : عمر أعدل الأمراء - العمران أعدل الأمراء - الخلفاء
الراشدون أعدل الأمراء . . . فاطمة فضلى الزميلات - الفاطمتان فضلى
الزميلات - الفاطمات فضلى الزميلات . . .

أما إن كان الغرض الأصلي هو عدم المفاضلة مطلقاً ^(٢) أو : كان الغرض هو
بيان المفاضلة المجردة ^(٣) فتجب المطابقة للموصوف في الصورتين ^(٤) في الإفراد والتذكير
وفروعهما ، مع جواز أن يكون أفعل التفضيل المضاف بعضاً من المضاف إليه ، أو
غير بعض . فثال مالا يراد منه المفاضلة مطلقاً قول أحد الرحالين يصف الأقزام في
المناطق الشمالية :

(... رأيت أهلها صغار الأجسام ، قصاراً ، لا يكاد أحدهم يزيد
على خمسة أشبار ، وليس لهم حكومة ، ولكن عندهم قاض واحد يرجعون إليه ،
ويحترمون رأيه . وقد قابلته مرة فقال لى المترجم : هذا أفضل القضاة عندنا ، وأوسع الرجال
خبرة قضائية في بلدنا ، وأرجحهم عقلاً ...) . فالمراد : فاضل - واسع - راجح ...

(١) عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز .

(٢) أى : عدم إرادة الزيادة ، وأن « أفعل » بمعنى الفاعل ، أو الصفة المشبهة . وهذا يقتضى
ألا يوجد المفضل ، ولا « من » الجارة له . فقد سبق - في « ب » من ص ٤٠٢ - أن « أفعل »
لا يمكن تجريده من معنى المفاضلة مع وجود « من » الجارة للمفضل .

(٣) أى : إثبات الزيادة المحضة التى لا يقصد منها زيادة شئ على المضاف إليه وحده ،
وإنما يقصد منها مجرد الزيادة عليه وعلى غيره .

(٤) والأحسن الأخذ بالرأى القائل بقياسيتهما (بشرط وجود القرينة الموضحة المراد منهما ؛
لكثرة مجيئهما ، في أفصح الكلام ، وأخذاً بالأيسر الذى لا ضرر فيه) .

ولا يراد التفضيل : إذ لا وجود لقاض آخر يكون هو المفضل . . .

وفى غير المفرد نقول : هذان أفضلا القضاة — هؤلاء أفضلو القضاة . أو :
أفاضلهم . . . هذه فضلى القاضيات — هاتان فضلى القاضيات — هؤلاء
فضليات القاضيات — . . . بالمطابقة فى كل ذلك . ومثلها عند إرادة المفاضلة
المطلقة ؛ نحو : الحق أحق الأقوال بالاتباع . والدين أولى الأصول بالتمسك به .
فليس المراد فى هذا المثال وأشباهه المفاضلة بين الأقوال بعضها وبعض ، أو بينهما
وبين الأفعال ، ولا بين الحق والباطل ، وأن كلا منهما جدير بالاتباع ، ولكن الحق
أجدر ، ولا بين أصول الدين والكفر وفروعهما ، وأن كلا منها يستحق التمسك به
ولكن الدين أولى . . . ليس هذا هو المراد ، وإلا فسد الغرض ، وإنما المراد أن
الحق فى ذاته ، والدين فى ذاته ، من غير نظر لشيء آخر غيرهما — هما الأحقَّان
والأولىَّان .

ومثل هذا يقال : الولد أحسن الناس منزلة — الوالدان أحسن الناس منزلة —
الوالدون أحسن الناس منزلة ، أو : أحسنو الناس منزلة — والوالدة حسنى النساء
منزلة — والولدتان حسنيتا النساء منزلة — والولدات حسنيات النساء منزلة ^(١) . . .

(١) يقول ابن مالك فى بيان أن المقرون « بأل » يطابق وجوباً ، وأن ما أضيف إلى معرفة
يجوز فيه وجهان ؛ هما المطابقة وعدمها بشرط أن تنوى من ، أى : بشرط إرادة التفضيل ، (أما عند
عدم إرادة التفضيل فالواجب المطابقة — كما شرحنا —) :

وتَلَوْ « أَل » طَبِقَ ، وَمَا لِمَعْرِفَةِ أَضِيفَ — ذُو وَجْهَيْنِ عَنْ ذِي مَعْرِفَةٍ

أى : أن « أفعل » الذى يتلو « أَل » ويقع بعدها تجب مطابقتها لصاحبه ، وأن ما أضيف لمعرفة
فيه وجهان منقولان عن صاحب رأى ومعرفة بلفظ العرب وأحكامها . ثم قال :

هَذَا إِذَا نَوَيْتَ مَعْنَى : « مِنْ » ، وَإِنْ لَمْ تَنْوِ فَهُوَ طَبِقَ مَا بِهِ قُرِنَ

(فهو طبق : مطابق للذى قرن التفضيل به ، أى : للموصوف الذى يقصد به التفضيل ، وبعد ذلك
ذكر بيتين سبق شرحهما والإشارة لهما (فى ص ٤٠٤) ؛ وهما :

وإِنْ تَكُنْ يَتَلَوْ « مِنْ » مُسْتَفْهِمَا فَلَهُمَا كُنْ أَبَدًا مُقَدِّمًا

كَمِثْلٍ : مِمَّنْ أَنْتَ خَيْرٌ ؟ وَلَكِنِ إِنْ خَبَرَ التَّقْدِيمُ نَزَرًا وَرَدًا

وفي الصورتين المذكورتين لا يلزم — كما سبق — أن يكون المضاف بعض
المضاف إليه^(١) .

* * *

(١) لهذه المسألة إيضاح واف سيجيء في الزيادة والتفصيل (آخر ص ٤٢٣) ، فمثال دخوله في جنس المضاف إليه وأنه بعضه : محمد عليه السلام أفضل قریش : تريد أفضل رجالهم واحداً واحداً ، وأفضل الناس من بينهم . ومثال عدم دخوله في المضاف إليه ، وأنه ليس بعضاً منه : يوسف أفضل إخوته (بوجود الضمير في إخوته ، يعود عليه) ، أى : أنه أفضلهم واحداً واحداً ، لأننا إذا قلنا : من أخوة يوسف ؟ لا يدخل فيهم يوسف ، ولا يعد من بينهم ؛ فلا يكون أفضلهم ؛ لأن إضافة الإخوة للضمير تمنع أن يراد بهم ما يشمل يوسف . بخلاف ما لو قلنا : يوسف أفضل الأخوة ، أو أفضل أبناء يعقوب (راجع ص ٤٢٣ من الزيادة والتفصيل) .

زيادة وتفصيل :

لا يضاف « أفعل » الدال على التفضيل إلا إذا كان بعضاً من المضاف إليه المفضل (كما سبق)^(١) . وهذه « البعضية » تتحقق بإحدى صورتين :

(١) أن يكون « أفعل » جزءاً^(٢) والمضاف إليه كلاً ، نحو : الرأس أنفعُ الجسم — والمخ أعظم الرأس ...

(٢) أن يكون « أفعل » فرداً من بين أفراد كثيرة يشملها المضاف إليه . ولا بد في هذه الصورة أن يكون المضاف إليه جنساً يندرج تحته أفراد متعددة ، منها المضاف ؛ نحو : الهرم المدرج أقدم الأهرام^(٣) — أبو الهول أجمل التماثيل . يكاد النيل يكون أكبر الأنهار العالمية — أضرت التريكات ما كان مالا لا علم معه ، ولا خلُق .

وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرض ينال بها كريم المطلب

فكل من : (الأهرام — التماثيل — الأنهار — التريكات — أوطان البلاد . .) جنس يشمل أفراداً كثيرة .

وليس من اللازم لتحقيق « البعضية » أن يكون المضاف إليه معرفة ؛ فقد يكون نكرة ، نحو : الهرم المدرج أقدم هرم — أبو الهول أجمل تماثيل — القلب أعظم عضو . وإذا كان المضاف إليه مفرداً نكرة — كهذه الأمثلة — كان معناه معنى الجمع ، ومنزلة منزلة الجنس متعدد الأفراد ، فيتحقق الشرط الأساسي السالف الذي يقتضى أن يكون « أفعل » بعضاً من المضاف إليه ، أى : أنه بمنزلة قولك : الهرم المدرج أقدم الأهرام هروماً هروماً — أبو الهول أجمل التماثيل واحداً واحداً — القلب أعظم الأعضاء عضواً عضواً . فالمراد بالمضاف إليه المفرد النكرة إنما هو جنسها ؛ ولهذا قطعوا بأن المراد من : فلان أفضل رجل هو أنه أفضل الناس إذا عُدوا رجلاً رجلاً . أى : أفضل من كل رجل^(٤) ...

(١) في ص ٤١٦ وما بعدها .

(٢) الجزء ما يتركب منه ومن أمثاله « كُـلٌّ » ولا وجود للكل الحقيقي إلا بجميع أجزائه .

(٣) جمع : هَرَم . (٤) راجع ص ٤١٧ وهامشها رقم ١ لإدراك الفرق بين الحالتين .

ويقول الصبان عند الكلام على إضافة « أفعل » للنكرة ما نصه :

(زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، أصله : زيدٌ أفضل من كل رجلٍ ؛ فحذف : « من كل » اختصاراً ، وأضيف : « أفعل » إلى : « رجل » . وجاز كونه مفرداً مع كون « أفعل » بعض ما يضاف إليه - فالأصل أن يكون جمعاً - لفهم المعنى ، وعدم التباس المراد . ووجب تنكيره ؛ لأن القاعدة أن كل مفرد وقع موقع الجمع لا يكون إلا نكرة ؛ فإن جئت بأل رجعت إلى الجمع ، وإن جمعت أدخلت « أل ») . . . اهـ .

ثم انتقل إلى مسألة هامة ؛ هي العطف على « أفعل » فقال ما نصه :

« إن عطفت على المضاف إلى النكرة مضافاً آخر إلى ضميرها قلت : هذا أفضل رجل وأعقله ، وهذه أكرم امرأة وأعقله ، بتذكير الضمير وإفراده في المفرد وضده ، والمذكروضده ؛ على التوهم ؛ كأنك قلته من أول الكلام ^(١) . فإن أضفت « أفعل » إلى معرفة ثنيت ، وجمعت ، وأنثت ؛ وهو القياس . وأجاز سيبويه الإفراد تمسكاً بقوله :

ومِيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جَيِّدًا وَسَالِفَةٌ وَأَحْسَنُهُ قَدْالَا ^(٢)

أى : أحسن مَنْ ذُكِرَ ^(٣) . . . وظاهره وجوب تذكير الضمير وإفراده في نحو : هذه أكرم امرأة وأعقله ، وهذان أكرم رجلين وأعقله .. وهكذا . . . اهـ . ثم قال بعد هذا مباشرة : « والوجه عندى جواز المطابقة إن لم تكن واجبة ، أو أولى » اهـ . قال ياسين في حاشيته على التصريح تعليقاً على رأى سيبويه : « وحاصله : أن إفراد الضمير مع عوده على غير مفرد إنما هو على تأويله باسم الموصول . وعليه يتخرج ما يقع في عبارات المصنفين » اهـ .

ورأى الصبان أقرب إلى السداد ؛ لموافقته القواعد العامة الخاصة بالمطابقة ،

(١) يريد : كأن المعطوف ليس معطوفاً ، وكأنك نطقت به ابتداء كما تنطق بأفعل المضاف للنكرة .

(٢) مؤخر الرأس .

(٣) وما قاله « الصبان » نقل مثله « ياسين » . وعلى هذا يكون الضمير المفرد العائد على غير المفرد هو بمعنى اسم الموصول - كما سيحىء - .

وبُعده عن اللبس ، ولأن الآراء الأخرى لم تدعمها النصوص المتعددة التي تكفي لتأييدها فيما اطلعنا عليه من مراجع .

ويتصل بتلك المسألة الهامة أمر آخر هو حكم أفعال التفضيل المعطوف في الصورة السالفة — من ناحية ضبطه ، والأوجه الإعرابية الجائرة فيه ، وقد سبق بيان بعض الصور^(١) .

ومما يجب التنبيه له أن هذه البعضية لا تكون حتمية إلا إذا كان « أفعَل » باقياً على دلالة التفضيل الخاص — كما قدمنا^(٢) — وعندئذ يكون المضاف إليه هو : « المفضول » ويتعين أن يكون « أفعَل » . بعضاً منه . أما إذا لم تكن الدلالة على التفضيل باقية ، أو كانت عامة يقصد منها الزيادة على المضاف إليه وعلى غيره فإن المضاف إليه لا يكون مفضولاً ، ولا يشترط في المضاف حينئذ أن يكون بعضاً منه ؛ فقد يكون بعضاً أو لا يكون ؛ ومثال ما ليس بعضاً : « يوسف أفضل لإخوته » . تريد : أنه فاضل فيهم ، ولا تريد التفضيل ، ولأنه يزيد عليهم في الفضل^(٣) . قال شارح المفصل ما نصه^(٤) :

(« . . . قد علم أن « أفعَل » إنما يضاف إلى ما هو بعضه ، فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : « يوسف أحسن لإخوته » ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجاً منهم صار غيرهم ، وإذا صار غيرهم لم يجوز أن تقول : « يوسف أحسن لإخوته » كما لا يجوز أن تقول : « الياقوت أفضل الزجاج » ؛ لأنه ليس من الزجاج . فحينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين كل واحد منهما ممتنع ؛ أحدهما : ما ذكرناه من إضافة « أفعَل » إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ؛ وذلك أننا إذا قلنا إن زيداً من جملة الإخوة — نظراً إلى مقتضى إضافة « أفعَل » — ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ؛ بإضافتك إياه ؛ إلى ضميره

(١) في : « ب » ص ١٤ — باب الإضافة .

(٢) في ص ٤١٦ ، الشرط الثاني .

(٣) سبقت إشارة لهذا في ص ٤١٩ .

(٤) ج ٣ ص ٨ لابن يعيش .

.

وذلك فاسد^(١) ، فأما على النوع الثاني^(٢) وهو أن يكون « أفعل » فيه للذات بمعنى :
 « فاعل » فإنه يجوز أن تقول : « يوسف أحسن إخوته » ولا يمتنع فيه كامتناعه من القسم
 الأول ؛ إذ المراد أنه فاضل فيهم ؛ لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون « أفعل »
 بعض ما أضيف إليه . وعليه جاء قولهم لَنُصِيبَ الشاعر : « أنت أشعر أهل
 جلدتك » لأن أهل جلدته غيره ، وإذا كانوا غيره لم تَسْغُ إضافة « أفعل » -
 إليهم ؛ لما ذكرته ، ويجوز على الوجه الثاني ؛ لأنه بمعنى الشاعر فيهم ، أو :
 شاعرهم . . . » اهـ .

* * *

(١) لإضافة الشيء إلى نفسه حكم آخر سبق بيانه وتوضيحه في « د » ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) « أفعل » على قسمين :

أولهما : ما يدل على التفضيل . والثاني ما لا دلالة فيه على تفضيل ، وإنما يدل على وصف قائم بالذات ،
 خال من المفاضلة خاوّاً تامّاً . كالذي سبقت الإشارة إليه في : « هـ » من ص ٤١٠ وفي ص ٤١٨ .

وفيا يلي بيان الأقسام السالفة ، وملخص أحكامها :

القسم	حكم : « أفعل » وما يتصل به .
الأول : المجرد من «أل» والإضافة	(١) إفراده وتذكيره . (٢) وجوب دخول « من » جارة للمفضول . (٣) جواز حذف « من » مع مجرورها ، بشرط وجود دليل يدل عليهما بعد الحذف . (٤) وجوب تقديمهما في صورتين . (٥) عدم الفصل بينهما وبين « أفعل » إلا ببعض أشياء معدودة ؛ هي : (معمول « أفعل ») ، أو : (« لو ») مع ما دخلت عليه ، أو : (النداء) .
الثاني : المقترن «بأل»	(١) وجوب مطابقتها . (٢) عدم مجيء « من » والمفضول معاً . ولا مانع من مجيء « من » التي للتعدية .
الثالث : المضاف	(١) عدم إدخال « من » على المفضول . (٢) أن يكون المضاف بعض المضاف إليه إن كانت المفاضلة باقية على حقيقتها . (٣) وجوب إفراد « أفعل » وتذكيره إن كان مضافاً لنكرة ،
وأن تكون هذه النكرة من جنس ^(١) موصوفه - (أى : من جنس صاحب أفعل التفضيل) - ، بشرط وجود المفاضلة . وأن تكون مطابقة لموصوفه (وهو : صاحب أفعل التفضيل) . في الإفراد والتذكير ، وفروعهما . فإن كانت إضافته لمعرفة مع دلالة على التفضيل كان الحكم كما يأتي : (١) وجوب تحقق الشرطين السالفين (١ و ٢) . (٢) جواز المطابقة وعدمها في التذكير والإفراد ، وفروعهما . لكن الأفصح التزام الإفراد والتذكير في كل حالته . (٣) وجوب المطابقة في الإفراد والتذكير وفروعهما إن كانت المفاضلة مجردة ^(٢) ، أو لم تقصد المفاضلة مطلقاً . وجواز تطابق المضاف إليهِ والموصوف في الجنس وعدم تطابقهما .	

(١) انظر المراد من الموصوف هنا في رقم ٦ من هامش ص ٤١٦ .

(٢) سبق شرحها في رقم ٣ من هامش ص ٤١٨ .

من هذا الملخص وما سبقه يتبين ما يأتي فيما يختص « بأفعل » .

(١) وجوب إفراده وتذكيره إن كان مجرداً ، أو مضافاً لنكرة .

(٢) جواز مُطابقتها وعدمها في الأفراد وفروعه والتذكير والتأنيث إن

كان مضافاً لمعرفة ، والمفاضلة باقية . لكن التزام الأفراد والتذكير أفصح . وتجب البعضية في هذه الصورة .

(٣) وجوب مطابقتها في باقي الأحوال . أى : حين يقترن « بأل » ،

أو يضاف لمعرفة والمفاضلة الحقيقية الخاصة غير قائمة . وفي هذه

الإضافة الحالية من المفاضلة يجوز أن يكون بعضاً من المضاف إليه ، وغير بعض .

• • •

عَمَل « أَفْعَل » التفضيل .

« أَفْعَل » التفضيل أحد المشتقات التي يصح أن يتعلق بها شبه الجملة ، والتي يصح أن تعمل ؛ فيكون معمولها مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً .

فمثال يتعلق شبه الجملة به ما قاله أحد الوصافين في الإمام عليّ : « سمعته قُبِيلَ المعركة يخطب في جنوده ، فكان أفصح في القول لساناً ، وأعلى في الكلام بياناً ، ورأيتُه يخوض الوغى ؛ فكان أجراً عند الإقدام قلباً ، وأقوى لدى شداتها عزماً » ... ؛ فالجار والمجرور : (في القول) ، متعلقان بأفصح . والجار والمجرور : (في الكلام) ، متعلقان بأعلى . والظرف : « عند » متعلق : « بأجراً » . والظرف : « لدى » متعلق : « بأقوى » .

أما عمله الرفع أو النصب أو الجرّ ، ففيه البيان التالي :

أولاً : عمله الرفع :

(١) يرفع الضمير المستتر باتفاق ، نحو : العظيم أنبل نفساً ، وأشرف قصداً ، وأكثر تعلقاً بجلائل الأمور ، ففي كل من « أنبل » و « أشرف » ، و « أكثر » ضمير مستتر وجوباً تقديره : « هو » ، يعود على : العظيم .

(٢) ويرفع الضمير البارز أحياناً - وهذا قياسي - نحو : مررت بزميل أفضل منه أنت ، بجر كلمة : « أفضل »^(١) ، على اعتبارها نعتاً لزميل ، و « منه » : جار ومجرور متعلق بأفضل . و « أنت » : فاعل^(٢) أفعل التفضيل .

(٣) وقد يرفع الاسم الظاهر - قياساً - إذا صح أن يحل محل « أفعل » التفضيل فعلاً بمعناه من غير فساد في المعنى أو في تركيب الأسلوب . فإن لم يصح كان رفعه الظاهر نادراً لا يحسن القياس عليه .

(١٠١) ويجوز رفع « أفضل » على اعتباره خبراً مقدماً ، و « أنت » مبتدؤه . والجملة من المبتدأ والخبر في محل جر صفة لزميل . وعلى هذا الإعراب لا يكون « أفعل » قد رفع ضميراً باً ، لأن

وقد وضعوا للحالة الأولى ضابطاً مُطَرِّدًا ، هو : أن يكون « أفعل التفضيل » - في الأغلب - نعتاً والمنعوت اسم جنس ، قبله نفي أو شبهه^(١) . وأن يكون الاسم الظاهر المرفوع بأفعل التفضيل أجنيباً^(٢) منه ، ومفضلاً على نفسه ومفضولاً أيضاً - باعتبارين مختلفين - نحو : ما رأيت رجلاً أكملَ في وجهه الإشراقُ منه^(٣) في وجه العابد الصادق . فكلمة : « أكمل » أفعل تفضيل ، نعت . والمنعوت قبلها اسم جنس مني في جملته ، وهو : « رجل » - و « الإشراقُ » فاعل لأفعل التفضيل ، وهذا الفاعل مفضَّل ومفضول معاً ؛ فهو مفضَّل باعتباره في وجه العابد ، ومفضول باعتباره في وجه غير وجه العابد . وهذا معنى قوِّم : مفضل على نفسه ومفضول باعتبارين . وقد تحقق الضابط في المثال السالف ؛ ومن ثمَّ رفع أفعل التفضيل الاسم الظاهر . ومن الأمثلة : ما شاهدت عيوناً أجملَ فيها الحَوَرُ منه في عيون الظباء ... فأفعل التفضيل هو : « أجمل » ، ومنعوته : « عيوناً » اسم جنس مني في جملته ، وفاعله الظاهر هو : « الحَوَرُ » ، ولهذا الفاعل اعتباران ، فهو مفضَّل إن كان في عيون الظباء ، ومفضول إن كان في عيون غيرها . فقد تحقق في هذه الصورة الضابط الخاص كما تحقق في سالفتهما .

وفي الصورتين يمكن أن يحل محل « أفعل » فعلٌ بمعناه من غير أن يترتب على هذا فساد ، نحو : ما رأيت رجلاً يكمل في وجهه الإشراق ... وما شاهدت عيوناً يحمل فيها الحَوَرُ ...

فإن لم يصلح أن يحل هذا الفعل محله لم يرفع اسماً ظاهراً ، إلا نادراً لا يقاس عليه ، - كما سبق - وإنما يرفع ضميراً مستتراً وجوباً ؛ نحو : المشي أنفع من السباحة ، ففي « أنفع » ضمير مستتر وجوباً يعود على المشي ، ولا يجوز في الرأي الراجح أن يرفع اسماً ظاهراً ؛ لأنه لا يصح أن يحل محله فعل بمعناه ؛ كما لا يصح أن يقال - في الرأي الراجح أيضاً - استمعت إلى فتى أعلمُ منه أبوه برفع كلمة « أبوه » على أنها فاعل لأفعل التفضيل^(٤) : « أعلمُ » إلا على لغة ضعيفة مرجوحة .

(١) كالنهي ، والاستفهام الذي بمعنى النفي ، وسيجيء التمثيل لهما في « ١ » ص ٤٣٠ .

(٢) بأن يكون خالياً من الضمير الذي يعود على الموصوف ويدل على صلة بين « أفعل » ، ومنعوته .

(٣) أى : من الإشراق (انظر « ب » في الزيادة ، ص ٤٣٠) .

(٤) لا يصح هذا : لأن أفعل التفضيل - في المثال وأشباهه - ليس مفضلاً على نفسه ، وإنما هو مفضل على غيره .

ومن الأمثلة التي يرفع فيها الظاهر وينطبق عليها الضابط : (ما سمعت
ببلاد أكثر فيها الثراء المدفون منه في البلاد العربية) . ومنها مثالهم المردّد منذ عهد
بعيدة حتى سمّوا مسألة الرفع باسمه ، وهو : (ما رأيت رجلاً أحسنَ في عينه
الكُحلُ منه في عين فلان) . . . ويرمزون لكل ما سبق بقولهم : (إن أفعَلَ التفضيل
لا يرفع الظاهر إلا في مسألة : « الكُحل ») . يريدون المثال السالف المشتمل على
كلمة : « الكُحل » وغيره مما يشابهه من الأمثلة التي ينطبق عليها الضابط العام كما
ينطبق على مثال الكحل ^(١) . . .

* * *

(١) يقول ابن مالك فيما سبق من رفع أفعَلَ التفضيل للظاهر كثيراً إذا صح أن يحل محله فعل
معناه ، وقليل لا يقاس عليه إذا لم يصح :

وَرَفَعَهُ الظَّاهِرَ نَزَرٌ . وَمَتَى عَاقَبَ فَعَلًا فَكَثِيرًا ثَبَتَا

يريد : أن رفع « أفعَلَ » التفضيل للاسم الظاهر نزر (قليل) فلا يصح القياس عليه . لكن متى
عاقب أفعَلَ التفضيل فعلاً ، (أى : وليه « أفعَلَ » وأتى بعده فعل مكان الفعل) ، فإن رفعه الظاهر في
هذه الصورة قد ثبت نقله كثيراً عن العرب . وضرب لهذا الكثير مثلاً :

كَلَنْ تَرَى فِي النَّاسِ مِنْ رَفِيقٍ أَوْلَى بِهِ الْفَضْلُ مِنَ الصَّدِيقِ

والأصل : لن ترى في الناس من رفيق أولى به الفضل من الفضل بالصدق ، ثم دخله الحذف الذي
شرحناه والذي سيجيء في الزيادة . ومن الممكن أن يحل محله فعل معناه هو : يحق .

.....

زيادة وتفصيل :

١ - من أمثلة النهي : لا تخالف شريفاً أحبَّ إليه الخير منه إليك . ومن الاستفهام الذى بمعنى النفي : هل امرأة أحقُّ بها الحمدُ منه بالأم ؟ .

ب - من كل الأمثلة السالفة يتبين أيضاً أن الاسم الظاهر الذى هو فاعل لأفعل التفضيل يقع بين ضميرين ؛ أولهما : يعود للمنعوت . وثانيهما : يعود للفاعل الظاهر .

ويجوز حذف أولهما فقط ، أو ثانيهما فقط ، أو هما معاً . فيجوز حذف الأول العائد على الموصوف - إن دل دليل على حذفه^(١) ؛ مثل ما رأيت رجلاً أكملَ - ... الإشراقُ منه في وجه العابد - ما شاهدت عيوناً أجملَ ... الحورُ منه في عيون الظباء . والتقدير : أكملَ في وجهه الإشراق ... - وعيوناً أجملَ فيها الحورُ ... والمخضوف هنا ملحوظ كأنه مذكور^(٢) .

ومن الأمثلة الدقيقة الواردة عن القدماء : ما رأيت قوماً أشبهَ بعضُ ببعضٍ منه في قومك . التقدير : ما رأيت قوماً أبينَ فيهم شبه بعضٍ ببعضٍ منه في قومك .

ويجوز حذف الضمير الثانى العائد على فاعل اسم التفضيل بشرط أن تدخل « مِنْ » الجارة على واحد مما يأتى :

(١) إما على اسم ظاهر مماثل للفاعل في لفظه ومعناه ، فنقول : ما رأيت رجلاً أكملَ في وجهه الإشراق من إشراق وجه العابد - ما شاهدت عيوناً أجملَ فيها الحورُ من حورِ عيون الظباء . والأصل ؛ ما رأيت رجلاً أكملَ في وجهه الإشراق منه في وجه العابد وما شاهدت عيوناً أجملَ فيها الحور منه في عيون الظباء .

(٢) وإما على المحل - أى : المكان - الذى يقوم به الفاعل ؛ ويحل فيه ، كالوجه في المثال السابق ؛ فإنه المحل الذى يقوم به الإشراق ، ويحل فيه . وكالعيون ؛ فإنها محل الحور ومكانه ... و ... تقول ما رأيت رجلاً أكملَ في وجهه الإشراق

(١ و ٢) لأن المخضوف لدليل يدل عليه يُعمد بمنزلة المقدر ، (المحذوف) ، والمقدر كالمفوظ .

من وجه العابد — ما شاهدت عيوناً أجمل فيها الحورُ من عيون الأطباء و
ففي هذه الصورة حُذِفَ مضاف واحد ؛ إذ الأصل : من إشراق وجه العابد — ومن
حور عيون الأطباء .

(٣) وإما : على صاحب ذلك المحل الذى يقوم به الفاعل ، ويحل فيه .
(أى : على شيء كلى له أجزاء متعددة ، منها المحل الذى يحل فيه الفاعل) كالوجه
فى المثال الأول ، والأطباء فى المثال الثانى و تقول ما رأيت رجلاً أكمل فى
وجهه الإشراق من العابد — ما شاهدت عيوناً أجمل فيها الحور من الأطباء . وفى
هذه الصورة حذف مضافان ؛ إذ الأصل ؛ من إشراق وجه العابد — ومن
حور عيون الأطباء .

ويجوز حذف الضميرين معاً إذا حذف من الجملة كل ما يجيء بعد الفاعل
الظاهر ؛ فلا يذكر بعده شيء منها . وهذا بشرط أن يتقدم المفضل نفسه على
« أفعل » التفضيل ؛ فيستغنى « أفعل » بفاعله عما يكون بعده ؛ نحو : ما شيء
كالغزال أحسن به الحور^(١) . أو يتقدم محل المفضل على « أفعل » ؛ نحو :
ما شيء كعين الغزال أحسن بها الحور .

وربما دخلت « من » فى اللفظ على المفضل (لا المفضول) ، نحو : ما أحد
أحسن به الصبر من المتعلم .

وحبذا التخفيف من استعمال هذه الأساليب الأخيرة ، بل تركها قدر
الاستطاعة .

* * *

(١) ويقولون إن الأصل : ما شيء أحسن به الحور من حسن حور الغزال ، حذف المضاف
وهو : « حسن » ، وحل المضاف إليه : (حور) محله ، فصار الكلام : من حور الغزال . ولما كان
الحور منسوباً للغزال ، ومتصلاً به ملائماً له صح حذفه استغناء عنه بالمضاف إليه الذى سيحل محله أيضاً ؛
فصار الكلام : ما شيء أحسن به الحور من الغزال .

ثانياً : عمله النصب :

ينصب أفعل التفضيل المفعول لأجله ، والظرف ، والحال ^(١) ، . . . وبقية المنصوبات ؛ فتكون معمولة له ، إلا المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول معه . أما التمييز الذى هو فاعل فى المعنى فيصح أن يكون منصوباً بأفعل التفضيل نحو : المتعلم أكثر إفادةً وأعظم نفعاً . فإن لم يكن فاعلاً فى المعنى وكان « أفعل » التفضيل مضافاً صح أن ينصبه ، نحو : المتنبى أوفر الشعراء حكمةً (وقد سبق ضابط كل ^(٢)) .

* * *

ثالثاً : عمله الجر :

يعمل الجر فى المفضول إذا كان مضافاً إليه ، نكرة كان أم معرفة . نحو : الجندى أسرعُ رجلٍ للدفاع عن وطنه — القائد أقدرُ الجنودِ على إدارة رحى الحرب ...

* * *

تعدية أفعل التفضيل بحروف الجر :

١ — إذا كان أفعل التفضيل ^(٣) من مصدر فعل متعد بنفسه ، دال على الحب أو البغض أو ما بمعناها . كانت تعديته باللام بشرط أن يكون مجرورها مفعولاً به فى المعنى ^(٤) ، وما قبل : « أفعل » هو الفاعل المعنوى ؛ نحو : الشرق أحبُّ للدين من الغربى ، وأبغضُ للخروج على أحكامه . إذ التقدير : يحب الشرق الدين ، ويبغض الخروج على أحكامه .

ونتيجة « إلى » بدل اللام إن كان المجرور هو الفاعل المعنوى وما قبل « أفعل »

(١) وقد ينصب حالين معاً ؛ (طبقاً للبيان السابق فى رقم ١ من هامش ص ٤٠١) ولا مانع من وقوع الحال — هنا — جامدة غير مؤولة بالمشتق ، كما هو مدون بباب الحال ، ص ٢ — .

(٢) ج ٢ م ٨٨ باب التمييز .

(٣) التعميم والتفضيل سيان فى أكثر ما يأتى . (راجع ص ٤٠٦) .

(٤) وذلك بإحلال فعل مناسب مكان أفعل التفضيل ، يكون بمعناه .

وقد سبق شرح هذا ، وما يجرى بعده فى ج ٢ باب حروف الجر ، عند الكلام على معنى :

اللام وإلى . ص ٣٤٤ وما بعدها ، و ٣٤٧ م ٩٠ .

هو المفعول المعنوي ؛ نحو : المال أحب إلى الشحيح من مُتَع الحياة . والتقدير :
يجب الشحيحُ المال أكثر من متع الحياة ^(١) . . .

ب — وإن كان فعله متعدياً بنفسه ، دالاً على : « علم » كانت تعديته
بالباء ؛ نحو : صديق أعلم بي ، وأنا أعرف به وأدرى بأحواله . فإن كان دالا على
معنى آخر كانت تعديته باللام ، نحو : الحرُّ أطلبُ للثأر وأدفعُ للإهانة ، إلا
إن كان الفعل يتعدى بحرف جر معين فإن « أفعل » يتعدى به كذلك ، نحو :
كان أبو بكر أزهد الناس في الدنيا ، وأبعدهم من التعلق بها : وأشفقهم على الرعية ،
وأنحاهم عن الظلم ، وأذلهم لنفسه في طاعة ربه . وقول الشاعر :

أَجْدَرُ الناس بحُبِّ صادقٍ باذِلُ المعروف من غير ثمنٍ

ومثل البيت الذي سبق لمناسبة أخرى ^(٢) وهو :

لولا العقول لكان أدنى ^(٣) ضيغمٍ أدنى ^(٤) إلى شرف من الإنسان

وإن كان فعله متعدياً لاثنتين عُدِّي لأحدهما باللام ونصب الآخر مفعولاً به ؛
لعامل محذوف يفسره المذكور ؛ (لأن « أفعل » التفضيل لا ينصب المفعول به كما سبق) .
نحو : فلان أكَسَى للفقراء الثياب . التقدير : أكَسَى للفقراء بكسوهم الثياب ^(٥) .

(١) ومن هذا قول الشاعر :

وَأَحَبُّ أَقْطَارِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ يَنَالِ بِهَا كَرِيمُ الْمَطْلَبِ

(٢) في آخر ص ٤٠٤ . (٣) أقل . (٤) أقرب .

(٥) لم لا يكون منصوباً هنا « بأفعل » استثناء من عدم نصبه المفعول به مباشرة ، قياساً على الرأي
لكوفي الذي سبق في ص ٣٦٦ في صيغة : أفعل « التي للتعجب ، وهي صيغة لازمة أيضاً . ونستريح
من التقدير ؟

الحق أن كلا الإعرابين معيب ؛ إما لتعدية « أفعل » وهو لازم ، وإما لتقدير شيء محذوف . ولكن
الأول أخف نوعاً ؛ لسرعة اتجاه الخاطر إلى العامل الظاهر ، وأنه صاحب العمل لا المقدر .

المسألة ١١٤ :

التوابع الأربعة الأصلية^(١).

١ - النعت . (ويسمى أيضاً : الصفة ، أو : الوصف)

(١) « التابع » الأصل هنا : لفظ متأخر دائماً ، يتقيد في نوع إعرابه ، بنوع الإعراب في لفظ معين متقدم عليه ، يسمى : « المتبوع » - كما سيأتى - بحيث لا يختلف اللاحق عن السابق في ذلك النوع . فإذا كان النوع الإعرابي في اللفظ المعين السابق ، هو : الرفع ، أو النصب ، أو الجر ، أو الجزم ، وجب أن يكون الثاني مسابراً له في هذا ؛ سواء أكان النوع الإعرابي في الأول لفظياً ، نحو : أقبل الأخ^٢ الوفي^٣ . أم : تقديرية ، نحو : أقبل الفتى الوفي^٤ ، أم محلياً ؛ نحو : أقبل سيوي^٥ الوفي^٦ . فلفظ : « الوفي » متقيد بالرفع (في الأمثلة الثلاثة) بحالة لفظ خاص قبله . ونقول : أكبرت الأخ^٧ الوفي^٨ - أكبرت الفتى الوفي^٩ - أكبرت سيوي^{١٠} الوفي^{١١} بنصب : « الوفي » في الأمثلة الثلاثة ؛ مسابرة لذلك اللفظ الخاص . كما نقول قدرت في الآخر الوفي^{١٢} مروته - قدرت في الفتى الوفي^{١٣} مروته - قدرت في سيوي^{١٤} الوفي^{١٥} مروته بجر : « الوفي » في الأمثلة الثلاثة أيضاً ؛ مجازاة لذلك اللفظ السابق .

ونقول : أفرح^{١٦} وأطرب^{١٧} برؤية الأضياء^{١٨} ، ولن أفرح^{١٩} وأطرب^{٢٠} برؤية الأعداء^{٢١} ، ولم أفرح^{٢٢} وأطرب^{٢٣} بسماع السوء^{٢٤} ؛ فالفعل : « أطرب » ، قد رفع مرة ، ونصب أخرى ، وجزم ثالثة ؛ تبعاً لفعل سابق ، وتقيداً به

وهكذا يتقيد اللاحق بالسابق في نوع الإعراب ، فيكونان معاً مرفوعين ، أو : منصوبين ، أو : مجرورين ، أو مجزومين . ثم هنا بعد ذلك يشتركان في الاسمية ، أو الفعلية ، أو الحرفية (كما اتوكيد اللفظي للحرف) . وقد يختلفان أحياناً ، (كما في بعض حالات العطف وستجىء في ص ٦٤٢) . وما يجب الالتفات إليه أن التابع لا يتقيد بالمتبوع في : « البناء » ، ولا في ضده : « الإعراب » ولا يسايره فيهما ؛ ذلك لأن « البناء » ، أو : الإعراب لا ينتقل مطلقاً من المتبوع إلى التابع ؛ فلكل واحد من هذه الناحية استقلاله التام عن الآخر ، بحيث لا يحكم على أحدهما بأنه « مبنى أو : معرب » إلا لوجود سبب خاص به ؛ قائم بذاته يقضى بهذا أو بذلك ، دون نظر للآخر . وقد أسلفنا أن المتقدم يسمى : « المتبوع » ، والمتأخر يسمى : « التابع » . ولا بد من تأخره عن متبوعه دائماً .

والتوابع الأصلية أربعة ؛ « النعت » ، - (ويسمى أيضاً : « الوصف » ، أو : الصفة » ، فغنى الكلمتين هنا غير معناهما السابق في « ب » ، من هامش ص ١٨٢ ، مراداً منه هناك : المشتق) - « والتوكيد » ، « والعطف بقسميه » ، و « البدل » . (وسيجىء هنا تفصيل الكلام على كل واحد منها في باب خاص) .

ويلاحظ أن كل تابع من هذه التوابع الأربعة الأصلية يختلف اختلافاً كلياً عن التابع العارض الذي سيجىء في ص ٤٦٩ . كما يختلف عن التابع العارض الذي سبق (في الجزء الأول م ١٦ ص ١٨١ رقم ٦ موضوع : « الاسم المعرب ، المعتل الآخر ») بإهمال حركة الحرف الأخير من الكلمة وجعلها ماثلة لحركة الحرف الذي يجىء بعده كقراءة من قرأ : الحمد لله رب العالمين ، بكسر الدال تبعاً لحركة اللام . =

= بعض أحكام التوابع :

إذا كان من الواجب اتفاق التابع والمتبوع في نوع الإعراب فن الواجب اختلافهما - حتماً - . في سببه ؛ فسيب في المتبوع قد يكون الفاعلية ؛ أو : الابتدائية ؛ أو : الخبرية ؛ أو : المفعولية أو : الجر بالإضافة ، أو : بالجر ، أو : الجزم بالحرف . . أو غير ذلك من الأسباب المؤدية إلى الرفع ، أو النصب ، أو الجر ، أو الجزم ، أما في التابع فسيب واحد ، هو : « التبعية » (لأنه نعت ، أو عطف ، أو تأكيد ، أو بدل) ، ويتبين مما سبق أن التابع لا يجوز تقديمه على المتبوع مطلقاً . لكن قد يجوز تقدم معمول التابع في بعض الحالات التي ستجىء في أبوابها ، بالرغم من أن البصريين يمنعون تقدم هذا المعمول ، دون الكوفيين - كما سيجيء في ص ٤٣٦ - .

ومن أحكام التوابع : صحة القطع في ثلاثة منها ، هي : « النعت » - (إلا كلمة : « كُـلٌ » - انظر ص ٤٦٧ و ٥١٣ -) ، « وعطف البيان » ، وكذا : « البدل » (على الوجه الموضح في « هـ » من ص ٦٧٧) . والصحيح أن القطع يدخل كذلك « عطف النسق » ؛ طبقاً للرأى الآتي في رقم ١٠ من ص ٦٦١ ، هذا ، وفي ص ٤٨٦ وهاشما أيضاً : « عطف النسق » ، وبيان المراد منه .

ومن أحكامها أيضاً : أنها إذا اجتمعت ، أو اجتمع عدد منها ، وجب مراعاة الوجه الأفضل في ترتيبها ؛ وذلك بتقديم النعت ، يليه عطف البيان ، فالتوكيد ، فالبدل ، فمعطف النسق ؛ كما في البيت التالي :

قَدِمَ النِّعَتُ ، فَالْبَيَانُ ، فَأَكْذُ ثُمَّ أَبْدَلُ ، وَاخْتَمَ بِعُطْفِ الْحُرُوفِ

ومن أحكامها أيضاً : ما نصوا عليه من أن التابع لا يفصل بين الموصول وصلته - طبقاً لما تقدم في ج ٢٧ م ١٣٥١ - وأنه يصح الفصل بين التابع والمتبوع بفواصل غير أجنبي مخض ؛ كمعمول الوصف في قوله تعالى : (ذَلِكَ حَشْرٌ - عَلِيًّا - سِيرٌ) ومعمول الموصوف في نحو : تعجبتني معاودتك ضعيفاً لكبيرة . وعامله ؛ نحو : المريض أكرمت الجريح . ومفسر عامله ؛ كقوله تعالى : (إِنَّ أَمْرٌ هَلَكَ لِيَسْ لَه وَلَد ...) والتقدير : إِنَّ هَلَكَ أَمْرٌ هَلَكَ ، ومعمول عامل الموصوف ؛ كقوله تعالى : (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عالم الغيب) ، والمبتدأ الذي يشتمل خبره على الموصوف ؛ كقوله تعالى : (أَفَى اللَّهِ شَكُّ فَاظِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، والخبر ؛ نحو : الصانع ناجح المخلص . والقسم ؛ نحو : الولد - والله - البارح محبوب ، وجواب القسم ؛ كقوله تعالى : (بَلَى ، وَرَبِّي لَتَأْتِيََنَّكُمْ ، عالم الغيب والشهادة) ، والاعتراض كقوله تعالى : (وَإِنَّ لِقَسَمٍ - لو تعلمون - عظيم) والاستثناء ؛ نحو : ما عرفت أحداً إلا الولالدين كامل الشفقة . والمضاف إليه ؛ نحو : أبو بكر الصديق أول الخلفاء (ويلاحظ أن المنعوت المضاف - ومنه « الكنية » - له حكم خاص لفظي ومعنوي ، يجيء في ص ٤٤٤) .

ولا يجوز فصل المنعوت المهيم - كاسم الإشارة ونحوه - من نعمته الذي لا يستغنى عنه ؛ فلا يقال : أكرمت هذا علياً التابع . والأصل : أكرمت هذا التابع علياً ، ومثله : الشَّهْرُ رَمَى الْعَبُورَ . . . ؛ فلا يصح الفصل بين « العبور » ومنعوتها . واسم الموصول - وهو من الأسماء المهيمة - لا يصح الفصل بالنعت بينه وبين صلته ، (كما سبق هنا وفي باب : « الموصول » ، ج ١ م ٢٧) فيصح : أبصرت الذي في الحديقة المسرور ، ولا يصح : أبصرت الذي المسرور في الحديقة .

= وكذلك لا يجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه إذا كان المعطوف متمماً للمعطوف عليه التثنت ، ولا يستغنى المنعوت عنهما معاً ، (أى : عن التثنت ومعها ما يكمله) ؛ ففى مثل : « إن امرأ يتعلم ولا يعمل بعمله خاسر . . . لا يصح أن يقال : إن امرأ يتعلم خاسر ولا يعمل بعمله ، لأن المعطوف والمعطوف عليه هما جزءان لتثنت واحد فى المعنى .

وكذلك لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله بتابع مطلقاً ؛ نعمتاً أو غير نعمت - (طبقاً لما سبق فى رقم ٥ من ص ٢١٦) - وكذلك لا يجوز الفصل بين التثنت ومنعوتها إذا كان التثنت له معنى ، ويلزم التثنية فى الأغلب ، فلا يستقل بنفسه فى الاستعمال بغير منعوتها : مثل كلمة : « يَقْتَقُ » فى مثل : « هذا الورق أبيض يَقْتَقُ » أى : خالص البياض ، وكذا غيره مما يلزم التثنية . . . ، وليس من اللازم فى التابع ولا فى المتبوع أن يكون لفظاً مفرداً ؛ فقد يكون مفرداً ؛ وقد يكون جملة ، أو شبه جملة ، على حسب التقييد والتفصيل الموضح فى أبواب التوابع الأربعة .

ويصح الفصل بين التثنت ومنعوتها بكلمة : « كان » الزائدة بلفظ الماضى ؛ مثل : سميت لزيارة صديق كان مريضاً - كما سبق فى باب كان ، ج ١ - . ومن أمثلة الفصل بين التوكيد والمؤكد (بفتح اللكاف المشددة) قوله تعالى : (. . . ولا يحزننَّ وَيَرْضَيْنَّ بما آتَيْنَهُنَّ كلَّهنَّ) ، فكلمة : « كل » مرفوعة ؛ لأنها توكيد لنون النسوة (الفاعل) وليست توكيداً للضمير المنصوب المتصل بالفعل : « آتيت » والصحيح عدم جواز الفصل بين التوكيد والمؤكد إذا كان لفظ التوكيد هو كلمة : « كل » التى تليها كلمة : « أجمع » لتقويتها فى التوكيد ، وما يقع بعد « أجمع » من ألفاظ التوكيد الملحقة التى تساق لتقوية التأكيد - وستجىء فى ص ٥١٧ - .

كذلك يصح الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بكلمة : « كان » الزائدة بلفظ الماضى ، مثل : الصديق الحق مخلص فى الشدة كان والرخاء . ويصح الفصل بينهما بالنداء ؛ كما فى قوله تعالى : « (وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ . ربنا تقبلُ منا ؛ إنك أنت السميعُ العليمُ) - ربنا - واجعلنا مسلمين لك ، ومن دُريتنا أمةً مسلمةً لك ، وأرنا مننا سيكنا ، وتسب علينا ؛ إنك أنت التواب الرحيم - ربنا - وابعث فيهم رسولا منهم . . . » (إنك أنت السميع العليم ، واجعلنا مسلمين لك . . .) - (إنك أنت التواب الرحيم ، وابعث فيهم رسولا منهم) فناء النداء - وهو « ربنا » - وفصل بين المتعاطفين مرتين فى آخر الآيات . ومن أمثلة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه قوله تعالى : (يأياها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين . . .) بنصب كلمة : « أرجل » ؛ عطفاً على : « وجوه » .

وهناك حالتان يجب فيهما - طبقاً للأرجح - الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، متذكراً فى ص ٦٣١ وما بعدها (من باب العطف) ومعهما حالتان أخريان يستحسن فيهما الفصل . وأن ما عدا الحالات السالفة يجوز فيه الفصل بشرط ألا يكون الفاصل طويلاً - وفى ص ٦٣١ البيان - .

ومن أمثلة الفصل بين البدل والمبدل منه قوله تعالى : (قم الليل إلا قليلاً ، نصفه . . .) . وقد أشرنا - فى ص ٤٣٥ - إلى أن البصريين لا يميزون أن يتقدم معمول التابع على المتبوع ، وخالفهم الكوفيون ؛ فيجيزون أن يقال : حضر طعامك رجل يأكل ؛ بنصب كلمة : « طعام » المعمولة =

تعريفه :

تابع يكمل متبوعه^(١) ، أو سببي^(٢) المتبوع ، بمعنى جديد يناسب السياق ، ويحقق الغرض . وأشهر الأغراض الأساسية التي يفيدها النعت ما يأتي^(٣) .

(١) الإيضاح^(٤) إن كان المتبوع معرفة ، كقول شوقي في الرسول عليه السلام :

= لفعل : « يأكل » وقد وافقهم الزمخشري في قوله تعالى : (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) فجعل الجار ومجروره متعلقين بكلمة « بليغاً » . وهذا رأى حسن ، لما فيه من تيسير .

من كل ما تقدم يتضح جواز الفصل بين التابع ومتبوعه بغير الأجنبي المحض . أما الأجنبي المحض فلا يصح الفصل به ؛ ففي مثل : مررت برجل عاقلٍ على فرس أبلقٍ ... لا يصح أن يقال : مررت برجل على فرس عاقلٍ أبلقٍ . . . وهكذا :

والصحيح أن الدال في التابع هو العامل في المتبوع ، ولا تختلف التوابع في هذا . . .

ويستحسن أن يكون المتبوع اسماً إذا كان التابع نعتاً ، أو توكيداً معنوياً ، أو عطف بيان . أما إن كان التابع توكيداً لفظياً ، أو عطف نعت ، أو بدلا ، فقد يكون المتبوع اسماً أو غير اسم .

وكل ما تقدم إنما هو خاص بالتابع والمتبوع من ناحيتهما اللفظية . أما حكمهما من ناحيتهما المعنوية فقد يتفقان تماماً في معناهما ؛ كبذل الكل من الكل ، وقد يختلفان تماماً ، كما في حالة العطف بالحرف : « لا » وقد يتفقان مع تفاوت كبير ؛ كالنعت الذي للتوضيح . . . وفيما سبق يقول ابن مالك :

يَتَّبِعُ فِي الْأَعْرَابِ الْأَسْمَاءُ الْأَوَّلُ نَعْتٌ ، وَتَوَكِيدٌ ، وَعَطْفٌ ، وَبَدَلٌ

يريد : أن هذه الأربعة تتبع في إعرابها الأسماء الأولى ، أي : الأسماء التي سبقتها وتقدمت عليها ، وهي الأسماء المتبوعة . واقتصر على الأسماء دون غيرها لأن هذه هي الأكثر .

والتوابع الأربعة فضلات يصح الاستغناء عنها ؛ إذ ليس واحد منها يؤدي في جملة معنى أساسياً فتوقف عليه فائدتها الأصلية ، إلا النعت ؛ فإنه قد يتم - أحياناً - الفائدة الأساسية على الوجه الذي سيجيء في ص ٤٤٠ .

ونكرر ما سبقت الإشارة إليه (في آخر هامش ص ٤٣٤ وتفصيله في ص ٤٦٩) وهو أن كل تابع من هذه التوابع الأربعة مغاير كل المغايرة لنوع التابع الآتي في ص ٤٦٩ .

(١) لا بد في المتبوع هنا - وهو المنة - أن يكون اسماً ، كما أشرنا . وقد يكون هذا الاسم مضافاً ؛ كالكنية ولها حكمها الخاص الذي يجيء بيانه في ص ٤٤٤ .

(٢) السببي هو : الاسم الظاهر المتأخر عن النعت ، المشتمل على ضمير يعود على المتبوع المتقدم ، ويدل على ارتباطه به بنوع من الارتباط ؛ كالبنوة ، أو الأخوة ، أو الصداقة (انظر ص ٤٥٢) .

(٣) وما عداها من الأغراض الأخرى - كالتفصيل ، والإيهام . . . قليل لا أهمية له ؛ بل إنه داخل فيما سيأتي .

(٤) الإيضاح : إزالة الاشتراك اللفظي الذي يكون في المعرفة ، ورفع الاحتمال الذي يتجه إلى مدلولها ومعناها ؛ فكلمة مثل : « أحمد أو محمود » أو : غيرها من المعارف . . . قد يشترك في =

أَشْرَقَ النُّورُ فِي الْعَوَالِمِ لَمَّا بَشَّرَتْهَا بِأَحْمَدَ الْأَنْبَاءِ
 الْيَتِيمِ ، الْأُمِّيِّ ، وَالبَشَرِ الْمَوْحَى إِلَيْهِ الْعُلُومُ وَالْأَسْمَاءُ
 أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ ، آيَتُهُ النَّظْقُ قُ مَبِينًا ، وَقَوْمُهُ الْفَصَحَاءُ
 وَنَحْوُ : فَتَحَ مَصْرَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، الصَّائِبُ رَأْيُهُ ، الْمُحْكَمُ تَدْبِيرُهُ
 فَالْكَلِمَاتُ الَّتِي تَحْتَهَا خَطٌ (فِيمَا سَبَقَ) نَعَوْتُ تَوْضِيحَ مَنَعُوتِهَا الْمَعْرُوفَةِ .

(٢) التَّخْصِيسُ ^(١) إِنْ كَانَ الْمَتَّبِعُ نَكْرَةً ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

بُنِيَ ، إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيْنٌ وَجْهٌ طَلِيقٌ ، وَكَلَامٌ لَيْنٌ
 وَنَحْوُ : كَمَ مِنْ كَلِمَةٍ خَفِيفٍ وَزْنُهَا ، أَوْدَتْ بِجَمَاعَةٍ وَفِرَّ عَدْدُهَا !! .

= التَّسْمِيَةُ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ شَخْصٍ ، فَهِيَ - مَعَ أَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ تَدُلُّ عَلَى مُعَيَّنٍ - قَدْ تَحْمِلُ أحيانًا نَوْعًا مِنَ الْإِبْهَامِ ،
 أَوْ الْإِجْمَالَ ، يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ بَيَانٍ وَإِضْاحٍ ؛ فَيَجِبُ . التَّمَتُّ لِحَقِيقِ هَذَا الْفَرَضِ ؛ فَنَقُولُ : أَحْمَدُ الْعَالَمِ
 مُحْتَرَمٌ ، وَمُحَمَّدُ الْحَسَنُ مُحَبَّبٌ .

مِلَاحِظَةٌ هَامَةٌ : التَّمَتُّ إِنَّمَا يَوْضَحُ مَتَّبِعُهُ - وَيُخَصِّصُهُ كَذَلِكَ - بِأُمُورٍ عَرَضِيَّةٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا مَعْنَى التَّمَتِّ ،
 وَتَكُونُ مَا يَطْرَأُ عَلَى الذَّاتِ ، كَالْعِلْمِ ، وَالْفَهْمِ ، وَالذِّكَا . . . أَمَّا تَوْضِيحُ الذَّاتِ فَتَحْمِلُ نَفْسَهَا بِلَفْظٍ يَدُلُّ عَلَيْهَا
 وَتَكُونُ هِيَ الْمُرَادَةُ مِنْهُ مُبَاشَرَةً ، لَا أَنَّ الْمُرَادَ أَمْرَ عَرَضِيٍّ يَطْرَأُ عَلَيْهَا - فَنَ اخْتِصَاصَ عَطْفِ الْبَيَانِ ، وَالتَّوَكِيدِ
 اللَّفْظِيِّ ، وَكَذَا التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ ، فَإِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ التَّوَابِعِ الثَّلَاثَةِ هُوَ عَيْنُ الْأَوَّلِ « الْمَتَّبِعِ »
 - كَمَا سَبَقَ - فِي أَبْوَابِهَا ص ٥٢٥ وَ ٥٣٨ وَ ٥٤٢ وَ ٥٥١ وَ ٥٥٣ - أَمَّا التَّوَكِيدُ الْمَعْنَوِيُّ بِلَفْظٍ :
 « كُلٌّ » أَوْ : « جَمِيعٌ » أَوْ : « عَامَةٌ » فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ هُوَ : « إِفَادَةُ الشُّمُولِ » ، وَلَيْسَ الدَّلَالَةُ عَلَى الذَّاتِ
 نَفْسَهَا - وَالبَيَانُ فِي ص ٥٥٩ .

- رَاجِعِ الصَّبَانَ أَوَّلَ بَابِ التَّمَتِّ . -

(١) مَدْلُولُ الْفَكْرَةِ (كَرَجُلٍ ، وَشَجَرَةٍ ، وَكَوَكَبٍ . . .) يَشْمَلُ أَفْرَادًا كَثِيرَةً قَدْ يَصْعَبُ حَصْرُهَا ؛
 فَإِذَا وَصَفْتَ أَمَّا تَقْلِيلُ أَفْرَادِهَا ، وَتَضْيِيقُ عَدَدِ مَا تَشْمَلُ عَلَيْهِ تَضْيِيقًا نَسْبِيًّا ، (أَيْ : بِالنَّسْبَةِ لِحَالِهَا
 قَبْلَ التَّمَتِّ) ؛ فَكَلِمَةٌ : رَجُلٌ ، تَشْمَلُ مَا لَا يَعُدُّ مِنَ الرِّجَالِ ، عَالِمُهُمْ ، وَجَاهِلُهُمْ ، غَنِيَّهُمْ ،
 وَفَقِيرُهُمْ ، صَحِيحُهُمْ وَمَرِيضُهُمْ . . . وَ . . . لَكِنْ إِذَا قُلْنَا هَذَا رَجُلٌ عَالِمٌ ، تَخَصَّصْتَ الْكَلِمَةَ
 بِنَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الرِّجَالِ دُونَ غَيْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَشْمَلُهُ ، وَتَشْمَلُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مَعَهُ . (رَاجِعِ ص ٢٣)
 وَالتَّمَتُّ يَخْصُصُ مَتَّبِعَهُ - كَمَا يَوْضَحُهُ - بِأُمُورٍ عَرَضِيَّةٍ مَا يَطْرَأُ عَلَى الذَّاتِ ، طَبَقًا لِلْمِلَاحِظَةِ السَّابِقَةِ فِي
 آخِرِ رَقْمٍ ٤ مِنْ هَاشِ الصَّفْحَةِ السَّالِفَةِ .

(٣) مجرد المدح^(١) ؛ كقولهم : من أراد من الملوك والولاة ، أن يسعد أمته ،
ويُقوى دولته - فليسلك مسالك الخليفة العادل عمر بن الخطاب .

ونحو : رضى الله عن هذا الخليفة الشامل عدله ، الرحيم قلبه ...

(٤) مجرد الذم^(١) ؛ كقولهم : من أراد من الولاة أن يملأ النفوس حنقاً ،
والقلوب بغضاً - فليسنهج نهج والى الأمويين الحجاج بن يوسف ، الطاغية .

ونحو : كان الحجاج والى القاسى قلبه ، الطائش سيفه ، الجامح هواه ...

(٥) الترحم^(٢) ؛ نحو : ما ذنب البائس الجريح قلبه يقسو عليه الزعيم^(٣) ،
والطائر المهيض^(٤) جناحه يعذبه الشرير ؟ ...

(٦) التوكيد ؛ نحو : كان خالد بن الوليد يضرب خصمه الضربة^(٥)
الواحدة^(٥) فتقتضى عليه .

ونحو : أعجبت بخالد الواحدة^(٥) ضربته ، الفريدة^(٦) طعنته^(٧) ...

(١ و ١) يتجرد النعت للمدح الخالص أو الذم الخالص ، حين يكون معناه اللغوى أو المراد الأصل
منه غير مقصود ، وتقوم القرينة الدالة على أن المقصود أمر آخر ؛ هو : المدح أو الذم ؛ فشهرة عمر
بالمعدل ، والحجاج بالظفيان ؛ شهرة لا تكاد تخفى على أحد ، جعلت المقصد من كلمتي : « العادل »
و « الطاغية » في المثالين ، إنما هو أمر آخر غير معناها اللغوى الأصيل ؛ ذلك الأمر هو : المدح في
الأول ، والذم في الثانى ، ولولا هذا لكان مشتغلاً على لفظ لا يفيد معنى جديداً ، وهذا ممحوب بلاغة .
(٢) إظهار الرحمة والحنان لغيرك .

(٣) اللئيم المعروف بلؤمه وشره .

(٤) المكسور .

(٥ و ٥ و ٥) إنما كان النعت في هذا المثال - وأشباهه - للتوكيد ، لأن صيغة « فَعْلَةٌ » التي فيه تدل
على المرة الواحدة من غير حاجة إلى كلمة أخرى . فإذا جاء بعدها كلمة : « الواحدة » لم تفد معنى جديداً ،
وإنما تؤكد المعنى القائم . ومثلها كلمة : الفريدة ؛ لأنها بمعنى : المنفردة ، أى : الواحدة . وكذلك
ما أشبهها من الكلمات الأخرى .

ومن أمثلة النعت الدال على التوكيد قولهم : أسعد الدابر لا يعود ، وغد القادم لن يتوقف . « فالدابر »
وه « القادم » نعتان للتوكيد ؛ لأن « أس » لا بد أن يكون دابرأ ، (أى : منقضيأ) ، والغد لا بد أن
يكون قادماً ...

(٦) الوحيدة .

(٧) وفي تعريف النعت بنوعيه يقول ابن مالك :

(٧) وقد يتمم النعتُ الفائدةَ الأساسيةَ بالاشتراك مع الخبر . مع أن الأصل في الخبر^(١) أن يتمم هذه الفائدة وحده . لكنه في بعض الأحيان لا يتممها إلا بمساعدة لفظ آخر كالنعت ؛ كقوله تعالى يخاطب المعارضين : (بل أنتم قومٌ عادُونَ . . .) ، أى : ظالمون . وقوله تعالى : (بل أنتم قوم تجهلون . . .)^(٢) وقول الشاعر :

ونحن أناسٌ لا ترسَطَ عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وقول الآخر :

ونحن أناسٌ نحبُّ الحديث ونكرُهُ ما يوجب المأثما

إذ لا تتحقق الفائدة بأن يقال : أنتم قوم — نحن أناس . . . ؛ لأن هذا معلوم

= فالنعتُ تابعٌ مُتِمٌّ مَا سَبَقَ بِوَسْمِهِ ، أَوْ وَسَمٍ مَا بِهِ اعْتَلَقَ

(بوسمه : أى : بزيادة سمة عليه ، وهى الزيادة المعنوية الناشئة من النعت ، والمنصبة على المنعوت . « اعتلق » : بمعنى اتصل به بعلاقة ، والذي يتصل بالنعت بعلاقة هو : سببيه . فالمراد : أن النعت تابع يتمم المنعوت الذى سبقه ، أو : يتمم ما اتصل بالمنعوت .

(١) سواء أكان خبر مبتدأ أم خبر فاسخ .

(٢) إيضاح هذا في باب المبتدأ والخبر (ج ١ ص ٣١٩ م ٣٢) . وقلنا هناك لا فرق في الخبر بين خبر المبتدأ ؛ كالأمثلة المذكورة ، وخبر الناسخ كقول الشاعر :

ولا خير في رأيٍ بغير رَوِيَّةٍ ولا خير في رأىٍ تعاب به غدا

إذ لا فائدة من قولنا : لا خير في رأى . . . بل لا يصح أن يقال هذا إلا مع التكلفة ، وهى هنا النعت ؛ (وهو : شبه الجملة في الشطر الأول ، والجملة الفعلية في الشطر الثانى) .

ومن شبه الجملة الواقع خبراً مفتقراً إلى النعت بعده ليتمم به المعنى الأساسى قوله تعالى : (فويل للمُصَلِّينَ ؛ الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يُسْرَءُونَ ، ويمنعون الماعون . . .) فلا يمكن أن يصح المعنى الأساسى هنا بغير النعت وما يتصل به .

بداهة من القرائن العامة المحيطة بالمتكلم^(١) . . .

تقسيم النعت ، وحكم كل قسم :

(١) ينقسم النعت باعتبار معناه إلى : نعت حقيقى ، وإلى نعت سبى^(٢) .

١ - فالحقيقى هو : ما يدل على المعنى فى نفس منعوته الأصيلى^(٣) ، أو فيما هو بمنزلة وحكمه المعنوى .

وعلامته : أن يشتمل على ضمير مستتر - أصالة ، أو تحويلا - يعود على ذلك المنعوت .

وليبيان هذا نسوق الأمثلة التالية :

يقول بعض الشعراء فى وصف نوع من حكم الملوك إنه :

نكدٌ خالدٌ ، وبؤسٌ مقيمٌ وشقاءٌ يجِدُ منه شقاءٌ

فكلمة : « خالد » نعت حقيقى ، منعوته الأصيلى هو : « نكد » . وهذا النعت يؤدى معناه فى نفس منعوته الأصيلى مباشرة ، ويشتمل على ضمير مستتر يعود إليه .

وكلمة : « مقيم » نعت حقيقى ، ومنعوته الأصيلى هو : « بؤس » وهذا النعت يؤدى معناه فى نفس منعوته الأصيلى مباشرة ، ويشتمل على ضمير مستتر يعود إليه . . .

(١) ومثل كلمة : « خُلِباً » فى قول الشاعر :

لا يكنْ وعدك برقاً خُلِباً إن خير القول ما الفعلُ مَعَهُ

والبرق الخلب : الذى لا مطر معه . ومثل جملتى : « يفاد » و « يضان » فى قول الشاعر :

ليس الغنى مالاً يفاد ويُقْتَنَى إن الغنى خلقٌ يضان عن الدُّنْسِ

(٢) تفصيل الكلام على السبى فى ص ٤٥٢ - وسيجىء فى الزيادة ص ٤٥٦ تقسيم معنوى آخر .

(٣) المراد بنفس المنعوت ما ليس سببياً له . ويلاحظ ما سبق (فى رقم ١ من هامش ص ٤٣٨) من أن النعت لا يتعرض للذات فى صميمها ، وكيانها الأساسى ، وإنما يختص بالأمور العرضية التى تطرأ عليها .

وتقول : استمعت إلى خطيب فصيحٍ اللسانِ ، عذبٍ البيانِ ، قوى الحجة .
أو : استمعت إلى خطيب فصيحٍ لساناً ، عذبٍ بياناً ، قوى حجةً .

فكلمة : « فصيح » نعت حقيقي ، والمنعوت هو : خطيب ، وليس منعوتاً أصلياً ؛ ولكنه بمنزلة الأصل في حكمه ، لأن الجملة كانت في أساسها الأول : استمعت إلى خطيب فصيحٍ لسانه^(١) . . . فالفصيح هو اللسانُ لا الخطيب . لكن جرى على الجملة تغيير اقتضى أن يترك الضمير البارز مكانه ، وينتقل إلى النعت ، ويستتر فيه ، ويصير مستنداً إليه^(٢) ، فاعلا ، ويعرب الاسم الظاهر بعد النعت مضافاً إليه مجروراً ، ويصح أن يعرب تمييزاً منصوباً ، إن كان نكرة . أو منصوباً على التشبيه بالمفعول به إن كان نكرة أو معرفة . وصارت كلمة : « فصيح » - وهى النعت - مشتملة على ضمير مستتر محوّل^(٣) ، إليها من مكان آخر ، وبسبب انتقال هذا الضمير إلى مكانه الجديد صار النعت يدل على معنى في المنعوت بعد أن كان يدل على معنى فى شيء آخر له صلة بالمنعوت . فالمنعوت فى الحالة الجديدة صار منعوتاً بعد تحويل وإسناد جديدين ، حين تَمَّ اتجه المعنى إليه ، مع أنه ليس المقصود فى الحقيقة بالنعت . لكن الصلة بين هذا النعت والاسم الظاهر بعده قوية ، ومن أجلها كان النعت بمنزلة الاسم الظاهر ، وفى حكمه المعنوى . ومثل هذا يقال : فى عذب البيان ، وقوى الحجة . . .

* * *

(١) لأن الأصل أن ترفع الصفة المشبهة فاعلها . . . فهى محتاجة إليه كالفعل أشد من احتياجها إلى غيره .

(٢) مجازاً ؛ وذلك للسبب الذى تكرر إيضاحه فى إضافة اسم الفاعل لفاعله (ص ٢٤٢ و ٢٦٧ و ٢٩٢ وفى إضافة اسم المفعول ص ٢٧٥ و ٢٨٠ والصفة المشبهة ص ٣١٢) ومن ثم كانت تسمية النعت فى هذه الحالة نعتاً حقيقياً هى تسمية « مجازية » للسبب الذى شرحناه فى الأبواب المذكورة ، وهو جريانه على غير من هو له ؛ إذ حول فيه الإسناد عن الظاهر إلى ضمير الموصوف ، وصار الظاهر مجروراً بالإضافة . ويجوز نصبه تمييزاً إن كان نكرة . كما يجوز نصبه على التشبيه بالمفعول به إن كان نكرة أو معرفة . أما للنعت الحقيقى الأصل فيجرى فيه الضمير على الموصوف الذى هو له مباشرة ، فليس فيه رائحة مجاز ، أى : أن النعت يرفعه أصالة . أما فى الأخرى فيرفعه بعد التحويل . (٣) أى : منقول . . .

حكم النعت الحقيقي :

الأغلب مطابقتها للمنعوت^(١) وجوباً في : التذكير والتأنيث ، وفي التعريف والتذكير ، وفي الأفراد وفروعه ، وفي حركات الإعراب الثلاث . نحو : هذا خطيبٌ فصيحٌ — هذان خطيبان فصيحان — هؤلاء خطباء فصحاء — هذه خطيبة فصيحة — هاتان خطيبتان فصيحتان . . . هؤلاء خطيبات فصيحات . . . وكذا الباقي .

وبناء على هذا الأغلب لا بد أن يطابق النعت الحقيقي منعوته في أربعة^(٢) أمور تجتمع فيه من العشرة السالفة^(٣) ، وأن يكون رافعاً ضمير الموصوف ، أصالة أو تحويلاً . بالطريقة التي شرحناها

• • •

(١) إلا في المسائل الآتية في الزيادة والتفصيل . (ب - ص ٤٤٤ و ج - ص ٤٤٥) .

(٢) واحد من حركات الإعراب الثلاث ، وواحد من التعريف والتذكير ، وواحد من التذكير والتأنيث ، وواحد من الأفراد وفروعه .

(٣) ما عدا المسائل الآتية في « ب » و « ج » من الزيادة والتفصيل .

زيادة وتفصيل :

١ - قد يكون المنعوت كُنْية . وقد أوضحنا - فيما تقدم^(١) - أن تركيبها إضافي ولكنها معدودة من قسم العلم الذي معناه إفرادي ؛ فكل واحد من جزأها لا يدل بمفرده على معنى يتصل بالعلمية . فإذا وقع بعدها تابع - كالنعت في قولنا : جاء أبو علي الشجاع - فإن النعت وهو هنا كلمة : « الشجاع » يعتبر في المعنى نعتاً للآخرين معاً ؛ (أى : للمضاف والمضاف إليه) . ولا يصح أن يكون نعتاً لأحدهما دون الثاني ، وإلا فسد المعنى . لكنه يتبع في الإعراب المضاف وحده ؛ فلفظه تابع في حركة إعرابه للمضاف ، وأما معناه فواقع على المضاف والمضاف إليه^(٢) معاً . وهذا الحكم يسرى على النعت بنوعيه ؛ الحقيقي والسببي - وستجىء له إشارة في السببي . ، في رقم ٢ من هامش ص ٤٥٢ .

وكذلك يسرى على العطف ؛ (طبقاً لما سيجىء في بابه ، رقم ٩ من ص ٦٦١) . وعلى التوكيد (كما في ب ص ٥٠٧) .

وعلى البدل (كما في رقم ٣ من هامش ص ٦٦٦) ..

ب - هناك منوعات معارف تقتضى أن يكون نعتها معرفة أيضاً ، ولكن من نوع معين من المعارف لا يصلح لها غيره ، مثل كلمة : « أئى ، وأئىة » عند نداءئها ؛ فإنهما يتعرفان بالنداء ، ولا يوصفان إلا باسم معرف « بأل » أو باسم موصول ، أو باسم إشارة مجرد من كاف الخطاب ؛ نحو : يأئها الوفى ما أنبلك - يأئتها التي أحسنت ... - يأئهذا الوفى ... ومثل اسم الإشارة ، فإنه لا يوصف مطلقاً - منادى وغير منادى - إلا بمعرفة ، مبدوءة « بأل » ؛ نحو : يا هذا الناقد تَلَطَّفْ .

- وسيجىء تفصيل الحكم في باب النداء ج ٤ ص ٣٦ و ٣٧ م ١٣١^(٢) ... -

(١ و ١) انظر الكلام على الكنية ونمته - ج ١ م ٢٣ ص ٢٧٧ باب : « العلم » . وقد سلف

هنا في « ج » من ص ١٦٧ حكم النعت بعد المركب الإضافي ، ومنه العلم الكنية .

(٢) بهذه المناسبة ننقل بعض ما جاء في الموضع المذكور خاصاً بكلمة : « أئى وأئىة » عند نداءئها

من وجوب إفرادها ؛ سواء أكانت صفتها مفردة أم غير مفردة ؛ نحو : يأئها الناصح اعمل بتصحك أولاً - يأئها المتنافسان ترفعاً عن الحقد - يأئها الطلاب أنتم ذخيرة البلاد ... و ... و ... =

.

ح - يستثنى من المطابقة الحتمية أمور :

منها : بعض ألفاظ مسموعة^(١) لا مطابقة فيها في الجمع ؛ فالنعت جمع ، والمنعوت مفرد ؛ منها قولهم : هذا ثوبٌ أخلاقٌ - وبرمةٌ أعشارٌ - ونظفةٌ أمشاجٌ^(٢) ... و... ومنها : الألفاظ التي تلزم - في الأغلب - صيغة واحدة في التذكير والتأنيث ،

= «أما من جهة التأنيث والتذكير فالأفضل الذي يحسن الاختصار عليه عند النداء - وإن كان ليس بواجب - هو أن تماثل كل منهما صفتها . فقال التذكير ما سبق . ومثال التأنيث : يأيها الفتاة أنت عنوان الأسرة - يأيها الفتاتان أنتما عنوان الأسرة - يأيها الفتيات أنتن عنوان الأسرة . ويجوز في «أى» عدم المماثلة لنعمتها المؤنث ؛ فيصح أن تستعمل معه ومع نعمتها المذكر بصورة واحدة خالية من قاء التأنيث ، ولا يصح هذا في «أية» المحتوية بالهاء ؛ فلا بد من تأنيث صفتها المؤنثة .

« ولا بد من وصف «أى وأية» عند نداءهما ، إما باسم تابع في ضبطه لحركتها اللفظية الظاهرة وحدها ، - ويجيز بعض النحاة النصب مراعاة للمحل . ورأيه مردود) - معرف «بأل» الجنسية في أصلها ، وتصير بعد النداء للعهد الحضورى . وإما باسم موصول مبدوء بـ «أل» . وإما باسم إشارة مجرد من كاف الخطاب . ويتعمق في الرأي الأشهر والأولى أن يكون اسم الموصول واسم الإشارة تابعين في حركتهما لحركة المنادى الشكلية الظاهرة ، (أو المحلية ؛ طبقاً للرأى السالف المردود) ؛ فيكون كل منهما في محل رفع فقط ؛ تبعاً لصورة المنعوت المنادى ؛ نحو : يأيها العلمُ الخفاقُ تحيةٌ ، ويأيها الراية العزيزة سلمت على الأيام ، أو : يأيها الذى يخفق فوق الرووس تحية ، ويأيها التى ترفرفين سلمت . . . ونحو :

أيها ذا الشاكى وما بك دائك كن جميلاً تر الوجود جميلاً

« فإن كانت : «أل» غير جنسية ؛ بأن كانت زائدة في أصلها ولكنها صارت بعد النداء للعهد ، أو للمح الأصلى ، أو للقلبة ، أو ... ، لم يصح النعت بما دخلت عليه ، فلا يقال : يأيها السيف ، ولا يأيها الحرب . . . لرجلين اسمهما سيف ، وحرب . ولا : يأيها المحمدان . . . أو المحمدون . . . وكذلك لا يقال : يأيها ذاك العالم ؛ لاشتغال الإشارة على كاف الخطاب ؛ إذ لا يصح اشتغال الجملة الواحدة - في غير الندبة - على خطابين لشخصين مختلفين (طبقاً لما في ح ٤ رقم ٦ من هامش ص ٣١ عند الكلام على القسم الرابع : «المضاف») .

« وإذا وصفت «أى وأية» باسم الإشارة السالف فالأغلب وصفه أيضاً باسم مقرون «بأل» كالبيت المتقدم . . . » ١ هـ ، المنقول الموجز . (١) أى : مقصورة على السماع ؛ فلا يزداد عليها .

(٢) الأخلاق : جمع خَلَقَ ، وهو : البالى . والأعشار جمع : عَشْر - بضم فسكون - والأمشاج : جمع : مشيج ، أو : مشج - بفتح الأول والثاني - . . . ، وهو المختلط .

كصيغة : « فَعُول » بمعنى : « فاعل » ؛ مثل صَبَّور ؛ بمعنى : صابر : فهذه الصيغة — في الأغلب — لا تلحقها علامة تأنيث، وإنما تلازم التذكير ؛ إفراداً ، وتثنية ، وجمعاً — بالشروط والتفصيلات الآتية في باب «التأنيث»^(١) — تقول : هذا رجل صبور — هذه فتاة صبور — هذان رجلان صبوران — هاتان فتاتان صبوران ، هؤلاء رجال صَبْرٌ — وفتيات صَبْرٌ .

ومن تلك الألفاظ : المصادرُ التي تقع نعتاً ، ويغلب عليها الإفراد والتذكير ؛ طبقاً للبيان الخاص بها ، وسيجيء^(٢) . . .
ومنها : أن يكون المنعوت جمع مذكر غير عاقل^(٣) ؛ فيجوز في نعته

(١) ج ٤ ص ٤٤١ م ١٦٩ . وفي ذلك الموضع نص قرار أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة يبيح زيادة تاء التأنيث في آخر صيغة « فَعُول » بمعنى « فاعل » . وقد سجلناه هناك .

(٢) في رقم ٧ من ص ٤٦٠ و « أ » من ص ٤٦٤ .

(٣) المراد هنا بجمع المذكر لغير العاقل ما يشمل : « جمع التكسير للمذكر غير العاقل » ، « أى : جمع التكسير الذى يكون مفردة مذكراً غير عاقل ؛ مثل : كُتُب — أقلام — مياه . . . » وما يشمل أيضاً : « الملحق بجمع المذكر السالم » ما يكون مفردة مذكراً غير عاقل أيضاً . . . مثل : أَرْضُون جمع أرض ، ووايلون ، جمع وابل ؛ بمعنى : مطر غزير ، وعلَّيُون ، جمع : عَلِيٌّ للمكان العالى . . . فلا يدخل فيما سبق جمع المذكر السالم الأصيل ؛ لأن مفردة عاقل — في الأغلب — وقد اشترطنا أن يكون المنعوت جمع مذكر غير عاقل ، لأن هذا هو المفهوم من النص الصريح الوارد في حاشية ياسين أول باب : « النعت » — ج ٢ — وهو أيضاً المفهوم من أمثلته ، حيث قال ما نصه :

(بقي أشياء مستثناة من المطابقة — أى : من مطابقة النعت وجوباً للمنعوت في الجمع — كما بيناه في حواشى الألفية . ومن ذلك صفة مذكر ما لا يعقل ؛ قال ابن الحاجب في أمالى القرآن : « أنت فيها بالخيار ؛ إن شئت عاملتها معاملة الجمع المؤنث ؛ وإن شئت عاملتها معاملة المفرد المؤنث ؛ فنقول : هذه الكتب الأفاضل ، والفُضُليَّات ، والفُضُلى ، والفُضْلى . فالأفاضل على لفظه في التذكير . » والفُضْليَّات والفُضْلى : لإجراء له مجرى جمع المؤنث ؛ لكونه لا يعقل . و « الفُضْلى » لإجراء له مجرى الجماعه . وهذا جار في الصفات والأخبار ، والأحوال ؛ ولذلك جاء : « آخر » نعتاً للأيام — يعنى في قوله تعالى : (فَعَمِيدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) جمع : أخرى — ولولا ذلك لم يستقم . ولذلك لو قلت : « جاءني رجال ورجال أُخَرَ » لم يجوز حتى تقول : أوأخَر ، أوأخَرُونَ ؛ لأنه ممن يعقل . — يريد : أن مفردة هو « أُخَرَ » للعاقل . . .) اه كلام ابن الحاجب .

الحقيقي أن يكون مفرداً مؤنثاً ، وجمع مؤنث سالماً ، وجمع تكسير للمؤنث ، كما يجوز أن يكون جمع تكسير للمذكر ، إن لاحظنا في المنعوت مفردة المذكر

= ومن معاملة جمع مالا يعقل من المذكر معاملة المفرد المؤنث قوله تعالى : (وَلَا تَمْنُوا الصَّفَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ...) في قراءة الجمهور ، وقراءة : « اللواتي » شذوذاً هي من معاملته معاملة جمع المؤنث ... هـ كلام ياسين .

ذلك هو نص كلامه ، ومفهومه واضح . لكن المفهوم الواضح - من بعض المراجع الأخرى أن الحكم السالف يسرى كذلك على المجموع الدالة على المؤنث إذا كان مفرداً مؤنثاً لا يعقل ؛ سواء أكانت تلك المجموع للتكسير أم كانت محتومة بالألف والتاء المزيديتين ؛ نحو : السفن جارية ، أو : جاريات ، أو : جوارٍ . والسفينات جارية ، أو جاريات ، أو جوار . وهكذا ورد الحكم السالف في تلك المراجع خالياً من التقييد بالمذكر ، مقتصرأ على أنه جمع لما لا يعقل ؛ فيشمل المجموع المختلفة لغير العاقل ؛ تكسيراً كانت أم غير تكسير .

وما تقدم يتبين خطأ الرأي الذي يوجب الجمع في « فعلاء » مؤنث « أفعل » إذا كانت نعتاً لجمع مالا يعقل في مثل : عندي ثلاثة أثواب بيض ، وأربعة حمراء ، فن الخطأ - طبقاً لذلك الرأي - أن يقال : بيضاء ، حمراء . وقد تصدى لهذه المسألة بعض المحققين القدامى وانتهى في تحقيقه إلى أن الأفراد ليس خطأ ، وأيد رأيه بالأمثلة الواردة المسموعة ، وبكلام فريق آخر من النحاة السابقين . وإن كان الأنصح عند هؤلاء المحققين هو الجمع كقوله تعالى : (وَعَرَّابِيْبُ سُودٍ) ولكن الأنصح لا يمنع استعمال الفصيح وغيره مما هو جائز . وقد بحث الجمع اللغوي القاهري هذه المسألة ، وأبدى فيها رأياً حاسماً ؛ هو الأخذ بما قاله المحققون من الجواز ، وتصحيح النعت بصيغة « فعلاء » مؤنث « أفعل » إذا كان منعوتهما جمعاً لما لا يعقل . (وقراره هذا مسجل في ص ٥٣٧ من مجموعة محاضر جلساته في الدورة الرابعة عشرة - ومثل هذا يقال في وقوع تلك الصيغة خبراً وحالاً ، ونحوها ...)

أما المجموع التي يكون مفرداً مذكراً عاقلاً فحكمها ما يأتي :

١ - إن كانت جموع تكسير لمذكر عاقل جاز في نعتها أمران ؛ أحدهما : أن يكون النعت جمع تكسير مناسباً ، أو جمع مذكر سالماً ، نحو : ما أنفع العلماء الأعلام ، أو : ما أنفع العلماء العالمين . والآخر : أن يكون مفرداً مؤنثاً مناسباً ؛ نحو : ما أعظم الرجال المكافحة في ميادين الإصلاح .

ب - إن كانت جمع مذكر سالماً أصلياً فنعته جمع مذكر سالم ، أو جمع تكسير للمذكر ؛ نحو إن المصلحين الجديرين بالإكبار هم الذين يرفعون شأن بلادهم ، ويبتغون بالإصلاح رضا الله . أو إن المصلحين العظام هم الذين ...

ج - إن كانت جمع مؤنث سالماً - وسيجيء المراد من هذا المجموع المؤنث - للعلاء فالتحقيق أنه =

غير العاقل ، نحو : اقتنيت الكتب الغالية ، أو : اقتنيت الكتب الغاليات ،
أو الغوالى . ومثل : اقتنيت الكتب الأحاسن ، جمع الأحسن ^(١) . . .

ومنها : أن يكون المنعوت « اسم جنس جمعياً » يفرق بينه وبين واحدته
بالتاء المربوطة الدالة على الوحدة ؛ مثل : تَفَاح وتَفَاحَة ؛ فيجوز فى صفته
— كما سبق عند تفصيل الكلام عليه ^(٢) — إما الإفراد مع التذكير على اعتبار

«يجوز فى نعمته — وكذا فى خبره وحاله و — أن يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمعاً للتكسیر
مؤنثاً ، أو جمعاً مخنوعاً بالألف والتاء المزيدين للتأنيث ؛ فقد جاء فى تفسير البيضاوى لقوله تعالى :

(لم فيها أزواج مطهرة) ما نصه :

«مطهرة» ، وقرئ : «مطهرات» وهما لغتان ، فصيحتان ، ويقال : النساء فعلت ، وفعلن ،
وهن فاعلة ، وفواعل ، قال الشاعر :

ولإذا العذارى بالدخان تافعت واستعجلت نصب القدور فثلّت . . .) اهـ البيضاوى

وتعليقاً على هذا جاء فى حاشية الشهاب على البيضاوى ما نصه : (« قوله : هما لغتان فصيحتان » ، يعنى
أن صفة جمع المؤنث السالم والضمير العائد إليه مع الفعل يجوز أن يكون مفرداً مؤنثاً ، وجمعاً مؤنثاً ؛
فتقول : النساء فعلت والنساء فعلن ، ونساء قانتات ، ونساء قانطة) . اهـ الشهاب على البيضاوى .

وجاء فى تفسير النسب بعد تلك الآية ما نصه : (لم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان) اهـ النسب .
والمجموع المؤنث يشمل جمع التكسير للمؤنث ، كما يشمل المجموع بالألف والتاء المزيدين . والبيت
السابق منسوب فى ديوان الحماسة (ج ١ ص ٢١٣) للشاعر : سلمى بن ربيعة . وجاء فى تفسير «أبو السعود»
للآية مثل ما فى البيضاوى ، وزاد عليه بعد قوله : « وهما لغتان فصيحتان » ما نصه : « الجمع على اللفظ ،
والإفراد على تأويل الجماعة . . » اهـ

هذا حكم نمت الجمع المؤنث للمفرد ، وينطبق على غيرهم انطباقاً أتم وأقوى . أى : أن هذا الحكم
ينطبق على الجمع الذى مفرده مؤنث مطلقاً ، — عاقلاً وغير عاقل — بالرغم من أن الشائع بين كثير من
النحاة أن المطابقة واجبة بين النعت ومنبوءته ، إذا كان جمعاً مفرده مؤنث عاقل ، ولا قوة لرأيهم أمام النص
الصريح السالف . وأمام نص قوى آخر ؛ فقد قرأ بعض القراء آية سورة « النساء » وهى قوله تعالى :
« وأما أنكم التى أرضعنكم » . . . مكان : « اللاتى » . (راجع التفصيل فى ج ١ ص ٢٦ م ٣٤٣
باب : الموصول) .

(١) وهذا الحكم — بصوره المختلفة السالفة — ليس مقصوداً على النعت وإنما يشاركه فيه الخبر
والحال — كما سلف — ؛ بشرط أن يكون المبتدأ وصاحب الحال جميعين لذكر غير عاقل كما فى المنعوت .
(راجع حاشية ياسين فى هذا الموضوع) . (٢) ج ١ ص ٢١ .

اللفظ ؛ لأنه جنس ، أو الأفراد مع التأنيث على تأويل معنى الجماعة ؛ نحو قوله تعالى : (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ...) ، وقوله تعالى : (أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) وإما جمع الصفة جمع تكسير ، أو جمع مؤنث سالمًا ؛ نحو قوله تعالى : (السَّحَابُ الثَّقَالُ ..) ، وقوله تعالى : (والنَّخْلَ بِأَسْقَاتِهَا إِطْلَعُ نَضِيدٌ) ... ومثل النعت فيما تقدم : الخبر ، والإشارة إليه ، والضمير العائد عليه ...

هذا ، ولا يصح أن يفرق بين مذكوره ومؤنثه بالتاء المربوطة للتأنيث ؛ فلا يقال - في الغالب - للمفردة المؤنثة : حمامة - بطة - شاة ... ولا يقال للمفرد المذكر : حمام - بط - شاة ... منعًا للالتباس في كل ذلك ، وإنما يلزم مفردة صورة واحدة في التأنيث والتذكير يحىء بعدها النعت الدال على النوع ؛ فيقال : حمامة أنثى وحمامة ذكر ... و ...

ومنها : أن يكون المنعوت معرفًا بأل « الجنسية »^(١) ؛ فيجوز نعته بالنكرة المختصة^(٢) ؛ (لتقارب درجتهما) أو بما يقوم مقامها ؛ وهو الجملة^(٣) . . . ومن الأمثلة قولهم : ما ينبغي للرجل مثلك أن يفعل كذا ؛ . . . لأن كلمة : « مثل » لا تتعرف إلا بالطريقة الموضحة فيما سلف^(٤) . وكقوله تعالى : (وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) ، فجملة : نسلخ المكونة من المضارع وفاعله - تصلح صفة^(٥) والموصوف هو : « الليل » المعروف « بأل » الجنسية . ومثل جملة « سبب »^(٥) في قول الشاعر :

ولقد أمرُّ على اللّثيم يسبني فأعيف ، ثم أقول لا يعنيني

ومنها : النعت إذا كان اسم عدد ، وكان منعوته في الأصل^(٦) معدوداً محذوفاً

(١) في ص ٣٠٨ ج ١ م ٣٠ تفصيل الكلام عليها .

(٢) هي التي قل شيوعها وإبهامها ؛ بسبب إضافتها ، أو : إعماها ، أو : نعتها ، أو : شئ آخر يقلل لإبهامها وعمومها .

(٣) السبب في ص ٢٨ و ٤٧٩ . (٤) في رقم ٤ من هامش ص ٢٤ .

(٥ و ٥) وكذلك تصلح حالا - طبقاً لما مر في باب : « أل » - ١ وفي باب الحال وصاحبه .

(٦) انظر الكلام على حذف المنعوت في ص ٤٩٣ .

أو مذكوراً ؛ فالخذف نحو : اشترت عدة كتب ، قرأت منها في هذا الأسبوع ثلاثاً أو ثلاثة ؛ فيجوز في النعت أن تلحقه تاء تأنيث وأن يتجرد منها ؛ أى : كتباً ثلاثاً ، أو ثلاثة ^(١) ، ومثال المذكور : قرأت كتباً ثلاثاً أو ثلاثة .

ومنها : النعت إذا كان منعوته تمييزاً منصوباً مفرداً لأحد الأعداد المركبة ، أو : العقود ، أو : المعطوفة ؛ فيجوز في النعت الإفراد ، مراعاة للفظ المنعوت (التمييز) كما يجوز فيه الجمع ؛ مراعاة لمعنى المنعوت فإنه يتضمن اسم العدد ؛ تقول : هنا خمسة عشر رجلاً عالماً ، أو علماء ، وعشرون طالباً ذكياً ، أو أذكياً ، وثلاثة وعشرون كاتباً ، أو كتبة ^(٢) .

ومنها : أفعال التفضيل إذا كان مجرداً من « أل » والإضافة ، أو كان مضافاً لنكرة ؛ فإنه في هاتين الصورتين يلتزم الإفراد والتذكير — بالإيضاح الذى سبق فى بابه ^(٣) — : تقول : استمعت لخطيب أفصح من غيره — لخطيبين أفصح من غيرهما — لخطباء أفصح من غيرهم — لخطيبة أفصح من غيرها . لخطيبتين أفصح من غيرهما — لخطيبات أفصح من غيرهن ؛ كما تقول : استمعت لخطيب أفصح خطيب — لخطيبة أفصح خطيبة وكذلك باقى الصور من غير تغيير فى كلمة « أفصح » التى هى نعت واجب الإفراد والتذكير مهما كان المنعوت ، بشرط مراعاة الإيضاح المشار إليه ^(٤)

ومنها : أن يكون المنعوت منادى نكرة مقصودة ؛ فيجوز فى نعته أن يكون معرفة أو نكرة ؛ بالتفصيل الذى سبق فى مكانه ^(٥) .

د — قد يكون النعت مجروراً لجأورته لفظاً مجروراً ، لا لمتابعة المنعوت . ويذكرون لهذا مثالا كثر ترديده حتى ابتدل ، وهو : (هذا جحر ضب)

(١) انظر رقم ٩ من ص ٤٦٢ .

(٢) راجع باب العدد ج ٤ ص ٣٩٧ م ١٦٤ وص ٤٠٥ م ١٦٥ . حيث البيان والتفصيل .

(٣) ص ٤٠١ .

(٤) وما يستثنى من وجوب المطابقة أيضاً بعض صور للصفة المشبهة سبقت الإشارة إليها فى ص ٣٠٣ .

(٥) سبق بيان هذا وإيضاحه فى رقم ٣ من هامش ص ٣١ . ويحى . فى ج ٤ باب حكم تابع المنادى

رقم ٢ من هامش ص ٣٣ م ١٣٠ .

خَرِبَ). يعربون كلمة : « خَرِب » صفة « لَجَجُر » ، لا لضب ؛ كي لا يفسد المعنى ، ويجرون النعت تبعاً للفظ : « ضَبَّ » الذي يجاوره . وقد أولوه تأويلات أشهرها : أن الأصل : هذا جحرٌ ضَبَّ خَرِبٍ جحرُهُ ، ثم طرأ حذف وغير حذف . . . ، ويطولون الكلام والجدل .

والحق أن هذا النوع الغريب من الضبط بسبب « المجاورة » والنوع الآخر الذي سببه : « التوهم » جديران بالإهمال ، وعدم القياس عليهما ، بل عدم الالتفات إليهما مطلقاً — كما قال بعض المحققين ممن سجلنا رأيهم — . وقد أشرنا إلى هذا مواضع مختلفة من أجزاء الكتاب ^(١) .

هـ — تقدم أن المطابقة الواجبة بين « النعت الحقيقي » ومنعوته تشمل الأفراد وفروعه التي هي : « التثنية والجمع » . والمراد هنا : التثنية والجمع الاصطلاحيان عند النحاة ؛ بأن يكون المثنى مخمّوماً « بالآلف والنون » ؛ أو : بالياء والنون ، ويسمى « المثنى غير المفرّق » . وأن يكون جمع المذكر السالم — مثلاً — مخمّوماً « بالواو والنون » ، أو الياء والنون ، ويسمى « جمع المذكر غير المفرّق » أيضاً . أما المثنى المفرّق ، مثل : محمد ومحمد — العاقل والعاقل ، وجمع المذكر المفرّق ؛ مثل : محمد ومحمد ومحمد ، العاقل والعاقل والعاقل — فلهما حكم آخر ؛ يحىء الكلام عليه عند تعدد النعت ^(٢) . . .

ويدخل في حكم المفرد كل اسم دالّ على مفرد حقيقة ، ولفظه على صورة المثنى ، أو الجمع ، مثل الأعلام : حمدان — محمدَيْن — خلدون — سعادات — مكارم . . . فيجب في النعت أن يطابقه في الأفراد . أى : أنه إذا سمى بالمثنى أو بالجمع فالمسمى مفرد في معناه ، ويجب أن يكون نعته الحقيقي مفرداً مثله .

* * *

(١) منها : (ج ١ ص ٤٥٤ م ٤٩) (وج ٢ ص ٣٢٠ م ٨٩) (وج ٣ باب الإضافة ص ٨) .

(٢) ص ٤٨١ .

ب - والنعت السببي :

هو الذى يدل على معنى فى شىء بعده ، له صلة وارتباط بالمنعوت ؛ نحو :
هذا بيت متسع أرجأؤه ، نظيفة غرفه ، بديعة فرشته . *

وعلامته : أن يذكر بعده اسم ظاهر - غالباً^(١) - مرفوع به ، مشتمل على ضمير يعود على المنعوت مباشرة ، ويربط بينه وبين هذا الاسم الظاهر الذى ينصب عليه معنى النعت . كما فى الأمثلة السالفة ... (متسع .. - نظيفة .. - بديعة .. -) .

وحكمه : أنه يطابق المنعوت فى أمرين معاً :

(١) حركة الإعراب ، - وما ينوب عنها - .

(٢) التعريف والتنكير .

ويطابق سببياً فى أمر واحد ؛ هو : التذكير ؛ والتأنيث . وحكم النعت فى هذا التذكير والتأنيث حكم الفعل الذى يصح أن يحل محله ويكون بمعناه ؛ فإذا أمكن أن يوضع مكان النعت فعل بمعناه مسند للسببي ، وصح فى هذا الفعل التأنيث والتذكير ، أو وجب أحدهما - كان حكم النعت كذلك^(٢) .

أما من جهة أفراد النعت السببي ، وتثنيته ، وجمعه :

١ - فيجب إفراده إن كان السببي غير جمع ، بأن كان مفرداً ، أو مثنى ؛ إذ لا تتصل بالنعت السببي علامة تثنية ؛ فحكمه فى هذا أيضاً كحكم الفعل الذى يصلح لأن يحل محله .

ففى مثل : (يعجبني الحقل الناضر زرعه) ؛ ... يجب فى كلمة « الناضر »

(١) والاسم الظاهر هو : « السببي » . ومن غير الغالب أن يرفع ضميراً بارزاً ؛ نحو : جاءنى خدام امرأة مكروته هى - جاءتنى خادمة رجل مكرها هو - فكرمة - فى المثال الأول - بالرفع صفة للمضاف (خدام) وقد جرى الضمير المنفصل المرفوع على غير من هو له ؛ لأن الخادم ليس هو المكرم فى الحقيقة ، وإنما المكرم هو : المرأة . لذلك وجب إبراز الضمير المرفوع ؛ لمدته على غير من هو له : إذ لو لم يبرز لحصل البس فى صور كثيرة بسبب أن الوصف فى ظاهره للمضاف إليه ، والفرض كونه للمضاف . (وقد سبق إيضاح الكلام على الضمير الجارى على غير صاحبه فى ج ١ ص ٣٣٥ م ٣٥ عند الكلام على أقسام الخبر) . ومثل هذا يقال فى المثال الثانى .

(٢) يجب عند تطبيق هذه القاعدة ملاحظة أمرين ؛ أولهما : الحكم الخاص بالنعت الذى منهوقه كنية . وقد أوضحنا هذا الحكم فى : « ١ » من ص ٤٤٤ ، وثانيهما : الحكم الخاص بالنعت . إذا كان صفة مشبهة . وقد سبق إيضاحه فى ص ٣٠٣ .

الرفع ؛ تبعاً للمنعوت^(١) وهو : (الحقل) ؛ كما يجب فيها التعريف تبعاً له أيضاً .
ولو كان المثال : (يعجبني حقلٌ ...) ؛ لوجب أن يقال في النعت : ناضرٌ
زرعُهُ ؛ بالرفع ، وبالتذكير ؛ تبعاً للمنعوت .

وفي مثل : (هذا رجل عاقلة أخته ، وهذه فتاة محسنة أختها) — يجب^(١) الأفراد
والتأنيث فيهما ؛ مراعاة للسببي^(٢) ؛ بالرغم من أن كلمة : « عاقلة » هي نعت لرجل ؛
المذكر . إذ لو حل مكان النعت فعل لوجب تأنيثه^(٣) ؛ فنقول : هذا رجل عقلتْ
أخته — هذه فتاة أحسنت أختها .

ويجب التذكير والأفراد في مثل : هذا رجلٌ محسن أخوه — وهذه فتاة
محسنة أخوها ، بالرغم من أن كلمة : « محسن » الثانية . هي نعت ، للفتاة —
لأنه لو حل الفعل محل النعت لوجب تذكيره ، فنقول : هذا رجل أحسن أخوه —
هذه فتاة أحسن أخوها .

أمّا في مثل : هذا حقل ناضر زروعه ... ، فيصح ناضر ، أو ناضرة ؛
لأنه لو حل مكان النعت فعلٌ لقلنا : هذا حقل نَضَرْتُ زروعه ، أو نَضَرَ
زروعه ؛ بوجود علامة التأنيث أو بعدمها .

وتقول عند أفراد السببي وتثنيته : هذا زميل مجاهد أبوه — هذان زميلان
مجاهدٌ أبواهما — هذه زميلة مجاهدٌ أبوها — هاتان زميلتان مجاهدٌ أبواهما ...
فلا يتصل بالنعت علامة تثنية ؛ إذ الفعل الصالح لأن يحل محله لا يصح أن
يتصل به — في الأغلب — علامة تثنية .

وهكذا يكون إحلال الفعل محل النعت السببي ، وإسناده للسببي — مرشداً إلى
الطريقة التي تراعى في النعت من جهة تذكيره ، وتأنيثه ، وإفراده ؛ تبعاً للسببي
المذكر أو المؤنث ، المفرد أو المثنى .

ب — فإن كان السببي مجموعاً جمع تكسير جاز في النعت أمران ؛ إما
إفراده ، وإمّا مطابقتها للسببي ، نحو : هؤلاء زملاءُ كرامٍ أبائهم ، أو : هؤلاء

(١ و ١) في الرأي الأحسن .

(٢) مع وجوب مطابقة النعت للمنعوت في الأمرين الآخرين الذين فيهما المطابقة المحتملة .

(٣) المراد : لوجب أن يتصل بالفعل علامة التأنيث ؛ لأن فاعله سيكون هو « السببي » ، المؤنث
تأنيثاً حقيقياً يوجب تأنيث فعله .

زملاءُ كريمٌ آباؤهم . فإن كان مجموعاً جمع مذكر سالماً ، أو : جمع مؤنث سالماً فالأفصح إفراد النعت وعدم جمعه ^(١) ، نحو : هؤلاء زملاءُ كريمٍ والدوهم - هؤلاء زميلات كريمه والداتهن . . .

أما تعريف النعت أو تنكيره ، وحركة إعرابه وما ينوب عنها - فيتبع في هذا كله المنعوت من غير تردد ، - كما أسلفنا - .

* * *

وملخص ما سبق :

١ - انقسام النعت باعتبار معناه إلى قسمين : حقيقي وسببي .

ب - النعت الحقيقي هو : ما يدل على معنى في نفس متبوعه الأصلي ، أو فيما هو في حكمه . وإن شئت فقل : هو ما أسند إلى ضمير مستتر أصالة أو تحويلاً ، يعود إلى المنعوت .

وحكمه : أن يتبع المنعوت في أربعة أشياء :

(١) حركات الإعراب ، - وما ينوب عنها - .

(٢) الإفراد وفروعه .

(٣) التعريف والتنكير .

(٤) التذكير والتأنيث . . .

ح - النعت السببي : ما رفع اسماً ظاهراً - في الغالب - يقع عليه معنى النعت ، وبه ضمير يعود على المنعوت مباشرة .

وحكمه : أن يتبع المنعوت في أمرين محتومين ؛ هما :

حركات الإعراب - وما ينوب عنها - ، والتعريف والتنكير . . .

أما التذكير والتأنيث فيتبع فيهما السببي ؛ وجوباً في بعض حالات ، وجوازاً في غيرها ^(١) .

وأما التثنية فلا يثنى .

وأما الجمع فيجوز جمعه وإفراده في كل الحالات تبعاً للسببي ، ومطابقة له .

(١ و ١) إلا إذا راعينا اللغة التي تميز أن يتصل بالفعل علامة تثنية أو جمع ، تبعاً للفاعل . المسند إليه أو لنائب الفاعل . فبمقتضى هذه اللغة يجوز أن يكون النعت مثنى ، أو مجموعاً ؛ مطابقاً سببيه فيهما . ومن الخير العدول عن هذه اللغة ؛ لما أبديناه عند الكلام عليها (في باب الفاعل ج ٢ ص ٦٦) .

إلا أن الإفراد أفصح وأقوى^(١) حين يكون السببي جمع مؤنث سالماً ، أو جمع مذكر سالماً .

د - فحكم النعت بنوعيه من جهة المطابقة وعدمها هو : المطابقة الحتمية في أمرين :

أحدهما : حركات الإعراب - وما ينوب عنها - ، والآخر : التعريف والتنكير .
أما التذكير والتأنيث فحكمهما فيهما حكم الفعل الذى يصلح أن يحل محله . وأما الإفراد وفروعه ، فالحقيقى يطابق فيها جميعاً . والسببى يطابق - حتماً - فى الإفراد ، ولا يصح أن يطابق فى التثنية . ويجوز فى جمع التكسير المطابقة وعدمها ، وأما فى غيره فالأحسن الإفراد^(٢)

(١) والاقتصار عليه أفضل .

(٢) وهذا ما يريده ابن مالك بقوله :

وَلْيُعْطَ فِي التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ مَا لِمَا تَلَا : كَأَمْرُزْ بِقَوْمٍ كَرَمًا
وَهُوَ لَدَى التَّوْحِيدِ وَالتَّذْكِيرِ أَوْ سِوَاهُمَا كَالْفِعْلِ : فَاقْفُ مَا قَفَوْا

(ما لما تلا ؛ أى : ما ثبت للذى تلاه النعت . والذى تلاه النعت هو المنعوت . « اقْفُ » : اتبع . « ما قفوا » : ما اتبعوه . أى : اتبع ما اتبعه العرب فى ذلك) .

يريد : أن النعت يعطى فى التعريف والتنكير حكم ما تلاه : فهو فىهما كالمنعوت ، وضرب لهذا مثلاً : هو امرر بقوم كرماء ، فكرماء نعتاً ؛ لأن المنعوت وهو « قوم » ، نكرة أيضاً .

أما حكم النعت لدى التوحيد ، (أى : عند الإفراد) . وعند التذكير وسواهما من فروعهما - فهو حكم الفعل ؛ فاتبع فى ذلك ما اتبعه العرب فى أمر النعت المذكور ، أو فى أمر الفعل مع تطبيقه على النعت . وكلامه هذا يحتاج لتفصيل ضرورى . . . وقد عرضناه فى الشرح .

زيادة وتفصيل :

ينقسم النعت باعتبار معناه أيضاً إلى ما يأتي :

(١) نعت تأسيسى ، (أو : مؤسس) وهو الذى يدل على معنى جديد لا يفهم من الجملة بغير وجوده ، نحو : راقى الخطيب الشاعر . فكلمة : «الشاعر» نعت أفاد معنى جديداً لا يستفاد إلا من ذكرها .

(٢) نعت تأكيد : (أو : مؤكّد) ؛ وهو الذى يدل على معنى يفهم من الجملة بدون وجوده ، نحو : تخيرت من الأطباء النطاسى البارِع . فالبارِع نعت مفهوم المعنى من كلمة : «النطاسى» التى بمعناه ، ومن الجملة قبله أيضاً ؛ لأن التخير ، لا يكون - فى الأغلب - إلا للبارِع .

(٣) نعت التوطئة ، أو التمهيد ؛ بأن يكون النعت جامداً ، وغير مقصود لذاته ، والمقصود هو ما بعده ، وإنما ذكر السابق ليكون توطئة وتمهيداً لنعت مشتق بعده يتجه القصد له ، نحو : استعنت بأخٍ مخلص . فكلمة : «أخ» الثانية نعت غير مقصود لذاته ، وإنما المقصود هو المشتق الذى يليه ، ولذا يسمى النعت الجامد هذا بالنعت الموطئ^(١) - كما سلف هنا . وسبقت له الإشارة

(١) فى مثل هذا التركيب يختلف النحاة فى إعراب الكلمة الثانية (وهى : «أخ» ونظائرها الواقعة موقعها من مثل هذا الأسلوب) . فكثرت لا تميز إعرابها توكيداً لفظياً ، ولا بدلاً مطابقاً ، بحجة أن إعرابها توكيداً لفظياً سيجعلها مقيدة بالنعت ، مع أن الكلمة الأولى المتبوعة مطلقة خالية من التقيد ، وإذا لا تصلح الثانية توكيداً لفظياً للأولى ، لأنها ليست مرادفة لها ، وكذلك لا تصلح بدلاً مطابقاً ، لأنها ليست مساوية للأولى ، ولأن النعت - لأهميته - مقدم فى الترتيب على البديل - كما سبق فى ص ٤٣٥ - وصحح فريق آخر أن تكون بدلاً مطابقاً ، مستدلاً بقوله تعالى : (لَنَسْفَعْنَ بالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةً كاذبة خاطئة) ، فالثانية عنده بديل كل

وصحح آخرون أن تكون توكيداً لفظياً (طبقاً للبيان الذى فى رقم ٢ من هامش ص ٥٢٥) أو : عطف بيان ، أو بديل بمض ولكل أدلته الجدلية العنيفة ، وردوده القوية التى

.....

في ح ١ باب : « لا » وستجىء في رقم ٦ من ص ٤٤٥ .

* * *

= يحتج بها على غيره . . . نشهد هذه الجدلليات ملخصة في آخر باب : « لا » النافية للجنس (ج ١ من كتابي : التصريح ، والبيان ، ومختصرة في حاشية : الخضرى) .

وصفوة ما نستخلصه من تلك المناقشات الدقيقة : جواز تلك الإعرابات كلها ، وأن الأحسن إعراب النافية نعماً موطئاً ؛ فحلوه . من شوائب الضعف التي تشوب سواء ... (انظر ما يتصل اتصالاً قوياً بهذا في رقم ٢ و ٤ و ٥٠٠ من هامش ص ٦٤٣ - حيث الكلام على عطف البيان . . .) .

(٢) تقسيم النعت باعتبار لفظه :

ينقسم النعت باعتبار لفظه إلى مفرد ، وجملة ، وشبه جملة .

١ - الأشياء القياسية التي تصلح أن تكون نعتاً مفرداً^(١) هي :

الأسماء المشتقة^(١) العاملة ، أو ما في معناها^(٢) . (والمقصود بالعاملة : اسم الفاعل - صيغ المبالغة - الصفة المشبهة - اسم المفعول^(٣) - أفعل التفضيل . أما غير العاملة - كاسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة - فلا تقع نعتاً) .

والمقصود بما في معناها : كل الأسماء الجامدة التي تشبه المشتق في دلالتها على معناه ، والتي تسمى : الأسماء المشتقة تأويلاً . فإنَّها تقع نعتاً أيضاً . وأشهرها :

(١) أسماء الإشارة غير المكانية ؛ مثل : « هذا » وفروعه ، وهي معارف فلا تقع نعتاً إلا للمعرفة ؛ نحو : استمعت إلى الناصح هذا . أى : إلى الناصح المشار إليه ؛ فهي تؤدي المعنى الذي يؤديه المشتق^(٤) .

أما أسماء الإشارة المكانية (مثل : هنا - ثمّ) . . . فظروف مكان ، لا تقع بنفسها نعتاً ؛ لأن مهمتها تختلف عن مهمة النعت ؛ ولكنها تتعلق بمحذوف يكون هو النعت : مثل : أسرع العطاش إلى ماء هنا ، أى : موجود هنا - أو نحو هذا التقدير - ومن التيسير المقبول أن يقال للاختصار : « الظرف نعت » ... كما سبق إيضاح هذا في مواضع مختلفة^(٥) . . .

(٢) ذو ، المضافة^(٦) ، بمعنى : صاحب كذا - فهي تؤدي ما يؤديه المشتق

(١ و ٢) أما النعت بغير المفرد فيأتى في : « ب و ج » ص ٤٧٢ و ٤٧٦ - هذا والمشتقات هي : ما أخذت من المصدر للدلالة على معنى وصاحبه . وقد سبق تفصيل الكلام عليها وعلى أنواعها وأحكامها ... في هذا الجزء ص ٣٧ و ١٨٢ وما بعدها .

(٢) قال الدمامي : (المتبادر من هذا أنه يشترط في النعت كونه مشتقاً ، أو مؤولاً به ، وهو رأى الأكثرين . وذهب جمع محققين - كابن الحاجب - إلى عدم الاشتراط ، وأن الضابط هو دلالة على معنى في تنبوعه ؛ كالرجل الدال على الرجولية ...) هـ . راجع حاشيتي الصبان والخضري ، لكن المثال المعروف بالدلالة التي ذكرها هو نوع من المؤول بالمشتق ؛ فلا جديد في رأيهم .

(٣) وما بمعناه ؛ كفعل في مثل : أمين ؛ بمعنى : مأمون ، وجريح « مجروح » .

(٤) انظر « ج » من ص ٤٦٥ - وانظر ص ٤٤٩ ج ١ .

(٥) في ج ١ ص ٣٤٦ م ٣٥ وفي ج ٢ ص ٢٠١ م ٧٨ وص ٣٢٨ م ٨٩ .

(٦) والأغلب أن تكون إضافتها لاسم جنس ظاهر غير مشتق . أما إضافتها لغيره فشاذة (مقصورة =

من المعنى . « وتكون نعتاً للنكرة »^(١) ؛ نحو : أنست بصحبة عالم ذى خلق كريم ،
ومثل « ذو » فروعها : (ذوّا . . . ذوّى . . . ذوّو . . . ذوى . . . ذوى . . . ذوات . . .) .

(٣) الموصولات الاسمية المبدوءة بهمزة وصل ؛ مثل : الذى - التى - اللاتى . . . و . . . ، بخلاف : « أى » الموصولة^(٢) .

أما « مَنْ » ، و « ما » فى النعت بهما خلاف ، والصحيح جوازه - كما سيجىء^(٣) -
ولما كانت الموصولات معروفة وجب أن يكون منعوتها معرفة . ومن الأمثلة :
الضعيف الذى يحترس من عدوه ، أقرب إلى السلامة من القوى الذى ينخدع ، أو
يستهن . والتأويل : الضعيف المحترس من عدوه ، أقرب إلى السلامة من القوى
المنخدع . . . فعناها معنى المشتق . . .

(٤) الاسم الجامد الدال على النسب . قصداً^(٤) . وأشهر صورته أن
يكون فى آخره ياء النسب ، أو : أن يكون على صيغة : « فعّال » ، أو غيرها
من الصيغ^(٥) الدالة على الانتساب قصداً كما تدل ياء النسب ، فهو يؤدى المعنى
الذى يؤدیه لفظ : « المنسوب لكذا » ، نحو : أُلْمَحُ فى وجه الرجل العربى كثيراً من
أمارات الصراحة ، والشجاعة ، والكفاح . أى : المنسوب إلى العرب . ومثل :
اشتهر الرجل اليونانى بالنشاط والهجرة إلى حيث يتسع الرزق أمامه ، وفى بلادنا

= على السماع) كأن تضاف للعلم أو للضمير المائد على اسم الجنس ، أو للجملة . . . (راجع الصبان عند
الكلام عليها فى الأسماء الستة - ج ١) .

(١) هذه عبارة التصريح على التوضيح ، ولم أرها لغيره . لكن فى بعض المراجع الأخرى ما يفيد
وقوعها نعتاً للمعرفة أيضاً .

(٢) « أى » : الموصولة معرفة ، وهى لا تقع نعتاً ، أما « أى » التى تقع نعتاً فهى نكرة ، ومنعوتها
نكرة بالتفصيل الذى سبق عند الكلام عليها فى باب الإضافة ص ١١١ و ١١٣ وما بعدهما ، والذى يحىء
أيضاً فى ص ٤٦٨ . (٣) فى ص ٤٦٦ .

(٤) إذا لم يكن النسب مقصوداً لم يكن الاسم بمعنى المشتق ، ويظل على جموده الكامل ، فلا يصلح
نعتاً ، كن اسمه ؛ بدوى ، أو مكى . . .

(٥) ومنها صيغة : « فاعل » للمنسوب إلى شيء معين . مثل : « سائس » ، الذى ينسب اليوم لمن
يسوس الخيل ، ويتولى شؤنها . ومثل : لابن ، وتامر ، لمن يشتغل اللبن والتمر ، ويتولى شؤنها . . .
- كما سيجىء فى باب النسب - ج ٤ -

جماعة منهم تمارس الحِرَف والصناعات المختلفة . فتجد بينهم التاجر ، والبقال ،
والمبَّان ، والتجار ، والحداد ... و ... أى : المنسوب للتجارة ، والبقل ، واللبن ،
والتَّجَر (النِّجَارَة) ، والحديد ... وإنما ينسب إليها لأنه يلزم العمل فيها
والتفرغ لها ^(١) . . .

وهذا النوع من الأسماء الجامدة يصلح نعتاً للنكرة والمعرفة ؛ ولا بد أن يطابقهما
تنكيراً ، وتعريفاً . تقول : ألمحُ في وجه الرجلِ العربيِّ النبلَ ... أو : ألمح في وجه
رجلِ عربيِّ النبلِ - .

(٥) المصغر : لأنه يتضمن وصفاً في المعنى ؛ فهو في هذا كالنسب ،
ومن ثمَّ يلحقان بالمشتق ، نحو : هذا طفلٌ "رُجَيْلٌ" ، في المدح ، وهذا رَجُلٌ
طُفَيْلٌ" ، في الذم .

(٦) الاسم الجامد المنعوت بالمشتق : نحو : اقتديت برجلٍ رجلٍ شريفٍ
وهذا النوع من النعت هو المسمى « بالنعت الموطئ » - ، وقد سبق إيضاحه ^(٢) - ومنه
قولهم الوارد عنهم : ألا ماءً بارداً ...

(٧) المصدر : بشرط أن يكون منكرأ ^(٣) ، صريحاً ^(٤) ، غير ميمى ، وغير
دال على الطلب ^(٥) ، وأن يكون فعله ثلاثياً ، وأن يلتزم صيغته الأصلية من ناحية

(١) وفي النعت بالمشتق وشبهه يقول ابن مالك :

وَانْعَتَ بِمِشْتَقٍّ كَصَعْبٍ وَذَرَبٍ .. وَشَبَّهَ : كَذَا ، وَذَى ، وَالْمُنْتَسِبُ
(رجل ذرب : لحاد اللسان في الخير والشر . أو الحاد مطلقاً فيما يتناوله من الأمور . « المنتسب »
هنا : المنسوب الذي يفيد النسبة إلى غيره) .

(٢) في رقم ٣ من ص ٤٥٦ وفى ج ١ باب « لا » النافية للجنس .

(٣) انظر « ا » من الزيادة الآتية فى ص ٤٦٤ لأهميتها ، ولم يذكر كثرة النحاة هذا النص الذى
صرح به بعضهم « كالحضري » . والأمثلة الكثيرة المسموعة عن العرب تؤيد أصحاب النص .

(٤) أى : غير مؤول . وقد يمكن الاستغناء عن هذا الشرط وعن الذى يليه (وهو : كونه : غير
ميمى) ، بذكر كلمة : « المصدر » مطلقة من كل قيد ، والاكتفاء بها ؛ اعتماداً على ما سبق (فى هامش
ص ١٨١) وهو أن المصدر إذا أطلق لفظه (أى خلا من التقييد) كان المراد منه « المصدر الأصل
الصريح » وحده ، دون الميّن للنوع ، أو للعدد ، ودون المؤول ، والميمى . لكن التقييد هنا أدق وأنفع .
(٥) إذا كان دالا على الطلب (نحو : قياماً للضيف ؛ بمعنى : قم للضيف) لم يصح النعت به

كما سيجى فى رقم ٢ من ص ٤٦٦ - .

الإفراد والتذكير وفروعهما ؛ (والأغلب أن تكون صيغته ملازمة الإفراد والتذكير ؛ فإن كانت كذلك في أصلها لم يجز تثنيتهما ، ولا جمعها ، ولا تأنيثها ، ولا إخراجها عن وزنها الأول) ^(١) . . . يقول : رأيت في المحكمة قاضياً عدلاً ، وشهوداً صدقاً ، ونظاماً رِضاً ، وجموعاً زوراً ^(٢) بين المتقاضين . . . تريد : قاضياً عادلاً - وشهوداً صادقين ، ونظاماً مرضياً ، وجموعاً زائرة بين المتقاضين . . .

فالمعنى على تأويل المصدر باسم مشتق كالسابق ، ويصح أن يكون على تقدير مضاف محذوف هو النعت ، ثم حُذِفَ وحلَّ المصدر محله ، وأُعْرِبَ نعتاً مكانه . والأصل : قاضياً صاحبَ عدل - شهوداً أصحابَ صدق - نظاماً داعياً رضا - جموعاً أصحابَ زور ، (أى : أصحابَ زيارة) ، والداعى للنعت بالمصدر مباشرة وترك المشتق ، أو المضاف المحذوف على الوجه السالف - أن النعت بالمصدر أبلغ وأقوى ؛ لما فيه من جعل المنعوت هو النعت . أى : هو نفس المعنى ؛ مبالغة .

وقد اختلف رأى النحاة في وقوع المصدر نعتاً ؛ أقباسى هو أم مقصور على السماع ؟ وأكثرهم يميل إلى قصره على السماع ، مع اعترافهم بكثرته في الكلام العربى الفصيح ^(٣) ، وأنه أبلغ في أداء الغرض من المشتق ^(٤) . وهذا الاعتراف

(١) إلا في حالات أشهرها أن يكون المصدر مسموعاً بالتأنيث أصلاً ؛ نحو : رحمة - شفقة - فإن تاء التأنيث ملازمة لهما . أو أن يشيع الوصف بالمصدر ، ويشتهر استعماله نعتاً ، فيجوز تثنيته وجمعه قياساً ؛ لغلبة الوصف عليه كقول الشاعر :

وبايعتُ ليلِي في الخلاء ولم يكن شهودٌ على ليلِي : عدولٌ مَقَانِعُ
المفرد : عَدْلٌ ، بمعنى : عادل . (٢) الزور هنا : الزيارة .

(٣) وفي مقدمته القرآن الكريم - ولا سيما سورة الجن - وما ورد في غيرها كلمة : « بُور » ، بمعنى « هلاك » في قوله تعالى : (وكنتم قوماً بوراً) أى : هلاكاً ، بمعنى : هالكين وهو في أصله مصدر يوصف به المفرد ، والمثنى والجمع ، والمؤنث ، والمذكر مع تأويله في كل ذلك بالمشتق (اسم الفاعل . . .) وقيل إنه جمع : « بائر » ؛ مثل : « حائل وحول » فيكون على هذا مشتقاً لا مصدرأ مؤولاً بالمشتق . أما في سورة الجن فقد جاء النعت بالمصدر في قوله تعالى : (إنا سمعنا قرأناً عجيباً . . .) أى عجبياً - وكلمة ؛ « عجب » مصدر - وفي قوله تعالى : (ماء غدقاً ..) أى كثيراً وفي كلمة : « صُعْدُ » بمعنى صعود في قوله تعالى : (ومن يُعْرِضْ عن ذكرِ ربِّه يسألكم عذاباً صُعْدُ .) والصُّعْدُ : هو الصعود بمعنى : المشقة ، وجاء كذلك في قوله تعالى : في إخوة يوسف : « وجاءوا على قميصه بدم كَذِبٍ . . . » .

(٤) فقد قرر علماء البلاغة أن النعت بالمصدر يكون من باب : المبالغة ، أو : من مجاز =

بالكثرة^(١) يناقض أنه مقصور على السماع . فالأحسن الأخذ بالرأى الصائب الذى يجعله قياسياً^(٢) - بشروطه - ولا خوف من اللبس المعنوى أو خفاء المراد؛ لأن القرائن والسياق يزيلان هذا كله ، ويبقى النعت بالمصدر مزيتة السالفة التى انفرد بها دون المشتق .

(٨) اسم المصدر إذا كان على وزن من أوزان مصدر الثلاثى ؛ ككلامه «فِطِر» اسم مصدر للفعل : «أفطر» ، وهى بمعنى : مُفْطِر ، أو صاحب إفطار : تقول : هذا رجلٌ فِطِرٌ ، ورجلان فِطِرٌ ، ورجال فِطِرٌ . . .

(٩) العدد ، نحو : قرأت كتباً سبعةً ، وكتبت صحفاً خمسة^(٣) .

(١٠) بعض ألفاظ أخرى جامدة مؤولة بالمشتق ، معناها بلوغ الغاية فى

= الحذف ، أو المجاز المرسل ، وأن الثلاثة قياسية . فهل يتناقض علماء لغة واحدة ؟ وهل يقول البلاغيون إن النعت بالمصدر أبلغ من النعت بالمشتق فى الوقت الذى يقول فيه بعض النحاة إن النعت بالمصدر - مع كثرته لا يصح قياساً ؟ وكيف يقولون ذلك والقرآن الكريم أفصح الكلام مشتمل عليه عدة مرات ؟ . . . إنه تناقض لا يدفعه إلا القول بقياسية النعت بالمصدر بشروطه السالفة . ويقول ابن جنى - فى كتابه المحتسب ، ج ٢ ، ص ٤٦ - إن النعت بالمصدر مباشرة من غير تقدير شيء محذوف أبلغ وألطف من النعت بغير المصدر ، ويؤيد كلامه بالأدلة ، ويعرض الشواهد الكثيرة عليه ؛ ولأنك تجعل المنعوت هو المصدر نفسه مبالغة - وأطال الكلام فى هذا .

وفى النعت بالمصدر يقول ابن مالك بيتاً سعيده فى ص ٤٧٥ (بعد أن تكلم ، على النعت بالجملة ، وسيأتى النعت بها فى ص ٤٧٢) .

وَنَعْتُوا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا فَاتْلَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَ

أى : نعت العرب بالمصدر كثيراً فى أساليبهم ، ولم يخرجوا المصدر عن صيغته الملازمة للإفراد والتذكير ، فهو يلزمها دائماً ، ولو كان المنعوت غير مفرد وغير مذكر ، تقول : هذا أمر رِضاً - هذان أمران رِضاً - هذه أمور رِضا - هذه حالة رِضا ، هاتان حالتان رِضا - أولئك حالات رِضا . . .

(١) ولا سيما التى تؤيدها البلاغة . . .

(٢) وهذا الرأى أخذ مؤتمر الجمع اللغوى الذى انعقد بالقاهرة فى فبراير سنة ١٩٧١ ، وسجل قراره بين ما اتخذته من قرارات حاسمة محجرة .

(٣) يكون العدد هنا صفة إذا أريد تحقيق غرض من أغراض النعت . ويصح أن يكون بدلا إذا أريد به تحقيق غرض من أغراض البدل المذكورة فى بابہ الآتى - ص ٦٦٦ وص ٦٦٧ وإذا ذكر المنعوت المحدود جاز فى النعت مطابقتها فى التأنيث والتذكير وعدم مطابقتها . وكذلك لو حذف المحدود المنعوت - كما أشرنا فى ص ٤٤٩ ، وكما يجىء فى ج ٤ باب العدد - م ١٦٥ ص ٥٠١ .

ملاحظة : - بمناسبة إعراب العدد - أحياناً - نعتاً كالوارد هنا فذكر بعض مواقع الإعرابية الأخرى =

الكمال أو النقص ، كلفظة : «كُلٌّ»^(١) مثل : عرفت العالمَ كُلَّ العالمِ .
و . . .

(١١) الجامد الذى يدل دلالة الصفة المشبهة مع قبوله التأويل بالمشتق.^(٢)
ومن أمثلته : فلانٌ رجلٌ فَرَّاشَةٌ الحليم ، فِرْعَوْنُ العذاب ، غِرْبَالُ الإِهَاب .
فكلمة : فَرَّاشَةٌ ، وفِرْعَوْن ، وغِرْبَال ... تعرب نعتاً بالمشتق ، لأنها بمعنى : أحقق ،
وقاس ، وحقير .

* * *

= فقد ذكرنا في الجزء الثاني - باب : الحال ، آخر المسألة ٨٤ - الحكم الثالث ، ونصه : من الألفاظ التى
= وقعت حالا : « (العدد من ثلاثة إلى عشرة ، مضافاً إلى ضمير المعداد ، نحو : مررت بالإخوان
ثلاثتهم أو : خمسهم ، أو : سبعتهم ... ، على تأويل : مُثَلَّثًا إِيَّاهُمْ ، أو : مُحْتَمَسًا ، أو :
مسيباً . . . ، ويجوز إتياعه لما قبله فلا يعرب حالا ، وإنما يعرب توكيداً معنوياً بمعنى : جميعهم ،
ويضبط لفظ العدد بما يضبط به لفظ التوكيد . والصحيح أن هذا ليس مقصوداً على العدد المفرد ، بل
يسرى على المركب نحو : جاء القوم خمسة عشرهم ، بالبناء على الفتح فى محل نصب ، أو محل غيره على حسب
حالة الجملة - وبالرغم من أن العدد المركب مبنى هنا فهو مضاف إلى الضمير « ا هـ . وجاء فى حاشية
« ياسين » على التصريح ، أول باب : التوكيد خاصاً بهذه المسألة ما نصه : « (إذا قيل : جاء القوم
ثلاثتهم بنصب « ثلاثهم » فهو حال ، وإن رفع فهو توكيد ، قاله الرضى . ولا يؤكد بثلاثة وأخواتها
إلا بعد أن يعرف المخاطب كمية العدد قبل ذكر لفظ التوكيد وإلا كان مبتدأ) ا هـ وانظر البيان الذى فى
ص ٥١١ .

(١) سبق الكلام فى ص ٧٢ على حكمها إذا أضيفت : ويجئ تفصيل الكلام على حكمها فى النعت
ص ٤٦٧ و ٥١٣ وفى التوكيد ص ٥٠٩ ولا يجوز فيها القطع إذا كانت نعتاً أو توكيداً .

(٢) سبق بيان هذا فى مكانه ص ٢٨٤ .

زيادة وتفصيل :

١ - سبق^(١) أن المصدر يقع نعتاً بشرط أن يكون منكراً ... و ... و ...

لكن ورد في الأساليب المسموعة وقوع المصدر نعتاً مع أنه مبدوء بـ «أل» المعرفة ،
أو مضاف لمعرفة . ومن الأول كلمة : « الحق »^(٢) في مثل قول الشاعر :

إِنْ أَخَاكَ الْحَقُّ مِنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضِرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

ومن الثاني قولهم : مررت برجل حسيك^(٣) من رجل ، أو شرّعتك من رجل ،
(وهما مصدران بمعنى : كافيك ...) أو : همك من رجل ، (بمعنى : مُهمك) ،
أو : نحوك من رجل (بمعنى : مماثلك ومُشابهك) فهذه المصادر كان حقها أن
تتعرف بـ «أل» ، وأن تكتسب التعريف من المضاف إليه ، ولكنها لم تعرف^(٤) ؛
بسبب أنها بمعنى المشتق الذي لا يستفيد التعريف - وقد سبق التفصيل في أول
باب الإضافة^(٥) - .

ومن الأمثلة لهذا المشتق الذي لا يكتسب التعريف قوله تعالى : (هذا عارضٌ
مُطِيرٌنا) ، فقد وصف « عارض » ، بكلمة : « مطر » المضافة إلى الضمير ؛
فلم تكتسب منه التعريف ؛ إذ لو اكتسبت منه التعريف لم يصح وقوعها نعتاً للنكرة :
(عارض) وكقول الشاعر :

يَا رَبُّ غَابَطْنَا لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُمْ لَأَقَى مَبَاغِدَةً مِنْكُمْ وَحَرَمَانَا

فقد دخلت « رب » على اسم الفاعل المضاف إلى الضمير ، ودخلها عليه دليل
على أنه لم يكتسب التعريف من المضاف إليه ؛ لأن « رب » لا تدخل - في الأغلب -

(١) في ص ٤٦٠ .

(٢) انظر ما يتصل بوقوع هذه الكلمة نعتاً - في رقم ١ من هامش ص ٤٦٨ .

(٣) سبق الكلام مفصلاً على « محسب » في ص ١٤٩ .

(٤) بدليل أن منعتها نكرة ، فلو كانت معرفة ما صح وقوعها نعتاً للنكرة .

(٥) ص ٢٤ .

.....

إلا على النكرات ، ومثل قول امرئ القيس في وصف حصانه :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بِمُنْجَرِدٍ ، قَيْدِ الأوابِدِ ، هَيْكَلِ
 « فقيّد » مضاف لمعرفة ، ولم يكتسب منها التعريف ؛ بدليل وصف النكرة
 (منجرد) به (١)

ب - كذلك ورد في الأساليب المسموعة بعض أمثلة وقع النعت فيها من
 أنواع غير التي سلفت ، كأن يكون مصدرًا لغير الثلاثي ؛ نحو : الحازم لا يعالج
 الأمر علاجًا ارتجالًا ، أو دالًّا على المقدار ، نحو : اشترت من الفاكهة الخمس
 الأثقال ، أو دالًّا على جنس الشيء المصنوع ، نحو : لبست الثوب الحرير ،
 أو دالًّا على بعض الأعيان التي يمكن تأويلها ، نحو : حصدت الحقل القمح ، أى :
 المزروع قمحًا ، والأحسن الأخذ بالرأى السديد الذي يمنع القياس على هذه
 الأشياء ؛ ضبطًا للأمر ؛ ومنعًا للخلط بينها وبين غيرها مما ليس نعتًا .

ج - (١) من الأسماء ما يصلح أن يكون : « نعتًا » في بعض الأساليب ؛
 لاستيفائه شروط النعت ، و « منعوتًا » في أخرى ؛ لاستيفائه شروط المنعوت كذلك ،
 فحكمه يختلف على حسب الدواعي الإعرابية : كأسماء الإشارة ؛ نحو : احتفيت
 بالمصلح هذا ، أو : بهذا المصلح . غير أن اسم الإشارة ... - المنادى أو غير المنادى -
 لا يصح وصفه باسم إشارة (٢) .

واسم الإشارة معرفة ؛ فلا يكون نعتًا إلا للمعرفة ؛ وإذا وقع منعوتًا وجب أن
 يكون نعته مقرونًا بأل ، (والأحسن أن يكون هذا المقرون مشتقًا ؛ فإن كان جامدًا
 فالأفضل اعتباره بدلًا (٣) أو عطف بيان) . ووجب أيضًا أن يطابق منعوته في
 الأفراد والتذكير وفروعهما مع عدم تفريق النعوت (٤) ، وألا يفصل منه

(١) راجع شرح المفصل ج ٣ ص ٥٠ .

(٢) انظر ما يتصل بهذا ويوضحه في ص ٤٨٣ .

(٣) لهذا صلة بما في ص ٦٦٥ .

(٤) لهذا تفصيل مناسب مكافئ ج ٤ م ١٣٠ ص ٣٦ حيث الكلام على أحكام : « تابع المنادى »
 والشروط الخاصة بكل حالة وحكم .

مطلقاً^(١) ، وألا يُقْطَع^(٢) منه في إعرابه^(٣) .

ومن هذه الأسماء الصالحة للأمرين أسماء الموصولات ... حتى (« مَنْ »
و « ما ») في الرأي الصحيح^(٤) ، نحو : وقف مَنْ خَطَبَ الفصيحُ ، واستمع
الحاضرون إلى ما قيل الرائع . أو : وقف الفصيح من خطب ، واستمع الحاضرون
إلى الرائع ما قيل .

(٢) ومن الأسماء ما لا يصلح أن يكون نعتاً ، ولا منعوياً ؛ كالضمير ،
والمصدر الدال على الطلب^(٥) ؛ (نحو : سعيّاً في الخير ، بمعنى : اسع في الخير) ،
وكثير من الأسماء المتوغلة في الإبهام^(٦) ، كأسماء الشرط ، وأسماء الاستفهام ،
و « كم » الخبرية ، و « ما » التعجبية ، وكلمة : الآن الظرفية ، وكثير من الظروف
المبهمة ، مثل : قبل ، وبعد . . . ، ويستثنى من الأسماء المتوغلة في الإبهام
بعض ألفاظ تقع نعتاً ؛ منها : غير ، وسوى ... و « من » و « ما » النكرتان التامتان .

(٣) ومنها : ما يصلح أن يكون منعوياً ، ولا يصلح أن يكون نعتاً ، كالعَلَم ،
مثل : إبراهيم ، على ، فاطمة ... وكالأجناس الباقية على دلالتها الأصلية ،
كرجل^(٧) ، ونمر ، وفيل .

(١) كما سبق في ص ٤٣٥ وكما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٤٨٧ .

(٢) سيجيء القطع وبيان أحكامه في ص ٤٨٦ و ٤٨٨ .

(٣) أما كونه جنساً لا وصفاً فأمر غالب لا لازم .

(٤) كما سبق في رقم ٣ ص ٤٥٩ (راجع المجمع ج ٢ ص ١١٨ . باب النعت .) وفي هذا الرأي

بعض تيسير . (٥) لهذا إشارة في رقم ٥ من هامش ص ٤٦٠ .

(٦) سبق شرحها في هذا الجزء ص ٢٤ و ٦٦ ، وفي ج ٢ ص ٢٢٤ م ٧٩ .

(٧) يجوز أن يكون العَلَم نعتاً وكذلك اسم الجنس إذا خرجا عن دلالتها الأصلية ، وأريد
بهما معنى اشتها به ؛ كدلالة حاتم على : الكرم ، والرجل على : الكامل ، والنمر على : الغادر ... و...
فعلى هذا القصد مع ما يؤيده من قرينة يصح تأويلهما بالمشتق ، ووقوعهما نعتين .

وقد تضاف كلمة : « رجل » إلى كلمة : « صدق » . أو : « وه » ؛ فتكون بمعنى : المشتق ؛
مثل : إني أحرس أن أعرف رجلاً رجلاً صدق ، (أى : صالحاً) ، وأتخاى رجلاً رجلاً سوء ، (أى :
فاسداً) ، وليس المراد بالصدق هنا : صدق اللسان ، ولا بالسوء الشر ، إنما المراد بالأول : الكمال والصلاح
وبالثاني : الفساد ، ويكون النعت هنا من نوع نعت : « التوطئة » (انظر رقم ٣ من ص ٤٥٦) .

.....
.....

(٤) ومنها ما يصلح أن يكون نعتاً ، ولا يصلح أن يكون منوعاً ؛ وهي ألفاظ مضافة ، معناها الدلالة على بلوغ الغاية في معنى المضاف إليه . ومن أشهرها : «كُلٌّ»^(١) ، نجو : أنت الأمين كلُّ الأمين ، وذلك هو الخائن كل الخائن ، بمعنى : المتناهي في الأمانة ، أو الخيانة ، ومثل قول الشاعر :

ليس الفتى كلُّ الفتى إلا الفتى في أدبه
وقول الآخر :

إن ابتداء العُرف^(٢) مجد سابق والمجد كلُّ المجد في استتمامه

والفصيح الذي يحسن الاختصار ، عليه أن يكون المضاف إليه اسماً ظاهراً ، نكرة أو معرفة ، على حسب المنعوت ، وأن يكون هذا الاسم الظاهر مماثلاً للمنعوت في لفظه ومعناه معاً — وهذا هو الأغلب — أو مماثلاً لشيء له صلة معنوية قوية به ، فثال الأول قول الشاعر :

كم قد ذكرت لك لو أجزى بذكركمو يا أشبه الناس كلَّ الناس بالقمر
فكلمة : « كل » نعت للناس . ومثال الثاني قول الآخر :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه معاً الذنب كلَّ المحو من جاء تائباً
فكلمة « كل » الثانية نعت للذنب .

وإذا وقعت كلمة : « كل » نعتاً صارت من الجامد المؤول بالمشتق ، وصار معناها : « الكامل » في كذا ، وهو معنى يختلف عن معناها الآتي في التوكيد^(٣) .

(١) سبقت الإشارة إلى إضافتها في ص ٧٢ و ١١٦ ولوقوعها نعتاً في ص ٤٦٣ ، وأيضاً : سيغى بيان عن وقوعها نعتاً ومنعوتة في ص ٥١٣ ، ومنه يعلم أنه لا يجوز فيها القطع ؛ سواء أكانت نعتاً أم توكيداً .

هذا ، ولفظ « كل » مفرد مذكر دائماً — كما قلنا في رقم ٢ من هامش ص ٧٢ — ولكن ما بعده من خبر ، أو ضمير ، أو غيرها مما يحتاج إلى مطابقة أحياناً — قد يطابق لفظه ، أو لا يطابقه ، تبعاً للبيان الآتي في ص ٥١٣ والذي يتضمنه ما في ص ٦٣ وما في « ج » من ص ١٦٧ .

(٢) المعروف والجمل . (٣) ص ٥٠٩ و ٥١٢ .

ومنها : جدّ ، وحقّ ؛ نحو : سمعنا من الخطباء كلاماً بليغاً جدّ بليغ ، وأصغينا لهم إصغاءً حقّ إصغاءً^(١) .

ومنها : « أئى »^(٢) بشرط أن يكون المنعوت بها نكرة ، وكذلك المضاف إليه ، نحو : الذى بنى الهرم الأكبر عظيم أئى عظيم . وقد سبق^(٣) بيان رأى آخر حاسم لا يشترط هذا ، وأوضحنا هناك بإسهاب ما يشترط لوقوعها نعتاً ، وما تؤديه حينئذ من المعنى الدقيق ، ورأى النحاة فى عدم حذف منعوتها ، أو فى صحة حذفه . وما يصلح نعتاً ولا يصلح منعوتاً الاسم المعرّف « بأل العهدية »^(٤) لأنه يشبه الضمير ، ويقع موقعه ؛ نحو : أكرمت عالماً تقيّاً فنفعنى العالم . التقدير : فنفعنى ... ، والفاعل ضمير مستتر ، فكلّمة « العالم » الثانية حلّت محل الضمير الفاعل المستتر^(٥)

* * *

(١) سبق أن قلنا - فى : « ا » من ص ٤٦٤ - أن كلمة : « الحق » من المصادر المسموعة التى وقعت نعتاً وهى معرفة ؛ فلم يتحقق التذكير الذى هو شرط النعت بالمصدر (طبقاً لما تقدم فى رقم ٣ من هامش ص ٤٦٠) وعلى هذا يجوز النعت بها وهى معرفة أو نكرة .

(٢) انظر ص ١١١ و ١١٢ وما بعدها ، خاصّاً بكلمة : « أئى النعتية » ؛ لأهميتها من ناحية الاستيفاء ، وقوة الاستدلال الحاسم . وقد سبق الكلام عليها أيضاً فى ج ١ م ٢٦ ص ٢٦٣ باب : « الموصول » عند الكلام على : « أى الموصولة » ؛ كما سبق فى ج ٢ م ٧٥ ص ١٧٣ عند الكلام على : « حذف المصدر الصريح » .

(٣) فى ص ١١١ وما يليها .

(٤) فى ج ١ م ٣٠ ص ٣٠٤ تفصيل الكلام على : « أل » وأنواعها التى منها : « أل العهدية » . والمعروف بالمهدية لا ينعت . (طبقاً لما جاء فى التصريح وحاشيته عند الكلام عليها - ج ١ باب : المعروف بالأداة - بحجة أنه يشبه الضمير ويقع موقعه .) كما يعللون .

(٥) وما يصلح نعتاً ولا يصلح منعوتاً : « المشتق العامل » ؛ فيمنع (على الصحيح) أن يتقدم نعتة على المفعول ؛ أى : لا يصح أن يفصل النعت - باعتباره نعتاً - بين العامل المشتق ومفعوله . أما باعتباره شيئاً آخر - كالحال ، مثلاً - فلا مانع . وكذلك لا مانع من اعتباره نعتاً للمشتق إذا تقدم هذا المفعول فاصلاً بين المشتق ونعته - راجع التصريح ، باب : الحال - وبحجىء الكلام من النكرة - .

« ملاحظة » : الأتباع — بفتح الهمزة — (١) :

نرى في بعض الأساليب الواردة عن العرب كلمة زائدة ، لا تنفرد بنفسها في جملة ، دون أن تسبقها — مباشرة — في هذه الجملة كلمة أخرى مسموعة (٢) تماثلها في وزنها ، وفي أكثر حروفها الهجائية (أى : أنه ليس لهذه الكلمة المتأخرة الزائدة ، المسموعة في الأسلوب الوارد استقلالاً بنفسها في جملة ما ، ولا استغناءً عن كلمة سابقة توافقها في وزنها وفي أكثر حروفها) . وأيضاً ليس لهذه الكلمة الزائدة المسموعة (٣) معنى تجلبه ، ولا حكم إعرابى خاص بها (٤) توصف معه بأنها مبتدأ ، أو فاعل ، أو نعت ، أو مفعول ، أو غير ذلك . . . ، أو أنها معربة أو مبنية ؛ فهى — لكل ما تقدم — خارجة عن نطاق الاستقلال بنفسها ، وصوغها ، خالية من معنى لغوى تؤديه ، وبعيدة من الانتصاف بالإعراب أو البناء ، أو التأثير بالعوامل . وإنما تزداد لمجرد التمليح ، أو السخرية ، أو المدح ، أو محض التصويت والتنعيم . وتسمى هذه الكلمة الزائدة الواردة في الأسلوب السماعى هى ونظائرها : « الأتباع » — بفتح الهمزة — جمع : « تَبَعَ » — بمعنى التابع (٥) — ويراد به : كل لفظ مسموع ، لا يستقل بنفسه في جملة ، وإنما يجئ بعد كلمة تسبقه مباشرة (بغير فاصل) فيسايرها في وزنها ، وفي ضبط آخرها ، ويمثلها في أكثر حروفها ، دون أن يكون له معنى خاص ينفرد به في هذه الجملة ، ولا نصيب في الإعراب أو البناء ؛ مثل « بَسَنَ » في قولهم : « محمد

(١) ولا مانع من كسرها ، فتكون الكلمة مصدراً ، لا جمعاً (وانظر رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية) .

(٢٠٢) يشترط — في رأى الصحيح — أن تكون هذه الكلمة الزائدة مسموعة في أسلوب وارد عن العرب ؛ فليست زيادتها مباحة في غيره . كما أن زيادة غيرها من الكلمات الأخرى غير الواردة عن العرب ممنوعة . فالأمر مقصور على زيادة كلمة معينة مسموعة في تركيب معين مسموع كذلك . ولا يباح القياس هنا ؛ متعاً لخلق كلمات لم يعرفها العرب ، وإبعاداً للكتائر اللغوية السيئة المترتبة على وضع ألفاظ جديدة من غير الطريق السديد المعد لذلك الوضع الجديد كطريق التمرير ، ونحوه . . .

(٣) إلا في بعض المركبات التى تعرب حالاً مبنية ؛ كقولهم : تفرق الأعداء « شَتَرَ بَشَرَةً » . . . وطبقاً للبيان المفصل الذى سبق في ج ٢ باب : الحال ، م ٨٤ ص ٣٦٦) .

(٤) التَّبَع — محركة — : (التابع) — والتَّبَع — يكون واحداً أو جمعاً . ويجمع على أتباع . اهـ قاموس . ثم قال : « (والإتباع في الكلام مثل : حَسَنَ بَسَنَ) » . اهـ ؛ فلا مانع من كسر الهمزة ؛ فتكون الكلمة مصدراً في حالة الكسر ، لا جمعاً .

.....
.....

حَسَنٌ بَسَنٌ». ومثل : «نَيْطَان ، وَنِفْرِيْت» في قولهم : اللصّ شَيْطَانٌ نَيْطَانٌ ، أو : اللصّ عَفْرِيْتٌ نَفْرِيْتٌ وعند إعراب هذا اللفظ الزائد نقول : إنه تابع للكلمة التي قبله مباشرة ، أى : من أتباعها في الوزن ، وضبط الآخر ، والمشاركة في معظم الحروف الهجائية ، دون أن يكون لهذه التبعية العارضة بوصفها السالف علاقة بالتتابع الأصلية الأربعة المعروفة (وهي : النعت - التوكيد - العطف بنوعيه - البديل) كما سبقت الإشارة^(١) ؛ إذ لا يجرى شيء من أوصاف هذه التتابع الأربعة الأصلية وأحكامها على التابع العارض المذكور فيما سبق ؛ حيث يقتصر حكمه على أمر واحد ، هو : أنه مثل الكلمة التي قبله مباشرة في وزنها ، وأكثر حروفها ، وضبط آخرها ، دون بقية أحكامها النحوية ، أو غير النحوية^(٢)

* * *

(١) في آخر هامش ص ٤٣٤ .

(٢) ما تقدم في تعريف هذا «التابع» وحكمه هو ما تخيرناه من عدة آراء مضطربة في تعريفه وأحكامه . فلقد كثُر الكلام في كل ذلك قديماً ، ووضعت كتب خاصة في «الإتباع» تقتارب أحياناً وتتباعد أخرى . ومن أشهر الكتب المؤلفة فيه وأحسنها : كتاب : «الإتباع» للإمام أبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ هـ وعليه اعتمدنا في أكثر ما نقلناه .

وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٦١ مطبوعاً ، وحققه وشرحه الأستاذ عز الدين التنوخى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق . وكتب في صدره مقدمة نافعة تتضمن أظهار آراء المؤلف ، يعيننا منها ، ويتصل بموضوعنا قوله حرفياً - في ص ٧ - :

” (الظاهر من بحث المصنف فيما بقى من خطبة كتابه ، وفيما جرى عليه في الأبواب ، أن الممول عنده في التفريق بين «الإتباع والتوكيد» إنما هو على معنى التابع مع إمكان إفراده في الكلام ؛ ذلك أن التابع - أو اللفظة الثانية - إن لم يكن له معنى في نفسه ، أو كان له معنى المتبوع ، ولم يحى إلا لِيَسْتَد (أى : يقوى) ما قبله ويقويه ، ثم لا يتكلم به منفرداً - كان «إتباعاً» . وإن كان يشارك اللفظة الأولى - أو المتبوع - في المعنى فأفاد في تقويتها ، وأمكن إفراد التابع في الكلام كان : «توكيداً» . وبذلك يتبين لنا أن الممول عليه عند المصنف إنما هو التابع من حيث المعنى أو عدمه مع إمكان إفراده ، وليس الممول على الواو ، كما ذهب إليه الكسائي . وأبو عريبي في غريب الحديث . فإن قولهم مثلاً « قسيم وسيم » ليس من «الإتباع» عند أبي الطيب ، بل هو في باب «التوكيد» ؛ فإن التابع : «سيم» يمكن إفراده . ويجيء على حدة ؛ لقولهم رجل وسيم . وقولهم : « شَرَّ بَرٍّ » من التوكيد عند أبي الطيب مع أنه بلا واو . و«حظيت المرأة

.....

وبَطَّيْتُ* من « الإِتِّبَاع » عند المصنف مع وجود الواو ؛ لأن « بَطَّيْتُ* » لا معنى لها وسدها ، ولا تجيء في الكلام وحدها وإنما تجيء أبداً تابعة لفعل : « حَضَّيْتُ* » ؛ ولاتباعها كانت من « الإِتِّبَاع ». ومنه : « أقبل الحاج* والداج* » فهو من الإِتِّبَاع عند شيخنا الحلبي - المصنف - مع وجود الواو : لأن « الداج » مع وجود الواو من الإِتِّبَاع ؛ إذ لا صلة بين الحج والدَّج* ، ولا يفرد عند التكلم فلا يقال : « أقبل الداج* » وإنما يقال : « أقبل الحاج* والداج* » فهي تابعة أبداً .
 ”(ومن أقوال المصنف تعليقاً على أمثلة « الإِتِّبَاع والتوكيد » ونذكره للاستدلال ، وعلى سبيل المثال ، قولهم : « لا بَارَكَ الله فيه ولا تَارَكَ* » - في باب الإِتِّبَاع الذي أوله التاء ، وعلق عليه بقوله : فهو وإن كان (تارك) مأخوذاً من التَّركَ* ، لا معنى له في هذا الموضع إلا الإِتِّبَاع ... أى : لا صلة في المعنى بين بَارَكَ* وتَارَكَ* ، ولا يجيء (لا تَارَكَ* الله فيه) ولو أمكن إفراد هذا التابع لكان من باب التوكيد ...)“ . ١٠٠ هـ .
 من المقدمة .

وكل ما سبق حسن ، لكن كيف يكون للكلمة التابعة معنى المتبوعة - كما جاء في أول هذا الكلام - وتسمى تابعة على الوجه المراد من التابع هنا لا التابع الأصل الذي يدخل في التوابع الأربعة الأصلية التي سبقت في ص ٤٣٤ ؟ هذا غير مفهوم ولا مقبول بناءً على الضوابط العامة .

ب^(١) - النعت بالجملة :

الجملة التي تصلح نعتاً^(١) لا بد أن تجمع الشروط الأربعة الآتية :

(١) أن يكون منعوها نكرة محضة ، مثل كلمتي « فارس وشجاع » في قولهم : « أقبل فارس يتسم ، وانتصر شجاع لا يخاف ، ويتحقق هذا بخلوها من « أل الجنسية » ، ومن كل شيء آخر يُخَصَّص ويُقَلَّل الشيوع ؛ كالإضافة ، والنعت ، وسائر القيود التي تفيد التخصيص^(٢) .

والنكرة غير المحضة : هي التي لم تتخلص مما سبق ؛ بأن يكون المنعوت إمّا : مشتملاً على « أل الجنسية » التي تجعل لفظه معرفة ، ومعناه نكرة ، كقول الشاعر :

ولقد أمرُّ على اللثيم يسبني فاعفُ ، ثم أقول : لا يعنيني

فجملة : « يسب » ، يصح إعرابها نعتاً في محل جر ؛ مراعاة للناحية المعنوية ، والمنعوت هو كلمة : « اللثيم » ، ويصح أن يكون حالاً في محل نصب ؛ مراعاة لوجود « أل الجنسية »^(٣) . وإما : مقيداً بقيد يفيد التخصيص ؛ نحو : استمعت لمحاضرة نفيسة ألقتها عالم كبير زار بلادنا . فالنكرة هنا : (محاضرة - عالم) غير محضة ؛ لأنها مقيدة بالنعت بعدها (وهو : نفيسة - كبير) ولذلك يصح إعراب الجملة الفعلية : (ألقى X) (زار X) نعتاً بعد كل واحدة منهما^(٤)

وما يلاحظ أن المنعوت إذا كان نكرة غير محضة ، فإن الجملة بعده - وكذا

(١٠١) سبقت « أ » في ص ٤٥٨ حيث الكلام على النعت المفرد ، ويجيء النعت شبه الجملة في « ج » ص ٤٧٦ - وفي ص ٤٨٠ « و » الرأي في الجملة من ناحية أنها نكرة ، أو معرفة . وقد سبق (في ج ١ - م ١٥ هامش ص ١٥ هامش ص ٣٣٨ م ٢٧) أن الجملة الواقعة نعتاً ، أو صلة أو خبراً ، أو غير ذلك . . . تسمى جملة باعتبار أصلها الأول حين كانت تؤدي معنى مقيداً مستقلاً . أما بعد أن صار لها محل فلا تؤدي معنى مستقلاً ، ولا تسمى جملة . . . (٢٠ ٢) في هامش الصفحة الأولى بيان واف للمراد من القيد .

(٣) للحكم السابق بيان في ج ١ ص ١٩٥ م ١٤ وفي ج ٢ باب الحال م ٨٤ ص ٣١١ .

(٤) وينطبق هذا على قوله تعالى لنبيه في شأن الكافرين : (وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً ...) فكلمة : « أحد » نكرة غير محضة ؛ لأنها موصوفة بالجار مع مجروره بعدها . وليهما جملة فعلية تصلح أن تكون نعتاً أيضاً .

شبهها^(١) — لا تتعين نعتاً . وإنما يجوز أن تكون نعتاً ، وأن تكون حالا والمنعوت يصير صاحب الحال ، (وقد سبق^(٢) بيان هذا بإسهاب . . .) .

(٢) أن يكون المنعوت مذكوراً ؛ نحو : إن رجلاً يصاحب الأشرار لا بد أن يحترق بأذاهم ، وقول الشاعر :

إن في أضلاعنا أفئدةً تعشق المجد ، وتبأن أن تضاماً
ويجوز حذف المنعوت بشرط أن يكون مرفوعاً ، وبعض اسم متقدم عليه مجرور بالحرف : « من » ، أو : « في » ، والنعت جملة أو شبهها ؛ مثل :
(نحن — الشرقيين — أصحاب مجدٍ تليدٍ ؛ منّا^(٣) سبقَ إلى كشف نظريات العلوم الكونية ، ومنّا استخلمها في الاختراع والابتكار ، ومنّا اهتدى قبل غيره إلى مجاهل كوكبه ، ومنّا هدى البشرية إلى أقوم السبل لإسعادها ؛ فليس فينا إلا كشف ، أو : اختراع ، أو : اهتدى ، أو : هدى ...) تريد : منّا فريق سبق ، — منّا فريق استخدم ، — منّا فريق اهتدى — منّا فريق هدى ، — ليس فينا إلا فريق كشف ... (وسيجيء الكلام مفصلاً على مواضع حذفه ، قريباً^(٤)).

(٣) أن تكون الجملة النعتية خبرية ؛ كبعض ما سبق ، وكالتى في قول الشاعر :

ولا خيرَ في قوم تُذلُّ كرائمهم ويعظمُ فيهم نذلُّهم ، ويسود
فلا تصلح الإنشائية (بنوعيهما الطلبي وغير الطلبي) ، فلا يصح : رأيت مسكيناً عاونه ، وشاهدت محتاجاً هل تساعدُه ؟ أو : لا تهنه ... ، ولا يصح هذا كتاب بيعتهُ ، تريد : إنشاء البيع الآن (وقت النطق) ، والموافقة عليه ، لا أنك تخبر بأن البيع حصل قبل النطق^(٥) .

(١) كما سيجيء في ص ٤٧٦ — وانظر « أ » في ص ٤٧٧ . حيث البيان الخاص بهذا .

(٢) في مواطن متفرقة ، والأصيل منها في باب المعارف (ج ١ ص ١٤٥ م ١٧) .

(٣) مع إعراب الجار والمجرور في هذه الأمثلة وأشباهاها — هو الخبر ؛ لتكون الجملة الفعلية نعتاً — وكذا شبهها . (٤) ص ٤٩٣ .

(٥) هذا الشرط هام ، لأن النعت يفيد منوته إيضاحاً ، أو تخصيصاً ، أو . . . أو . . .
— كما سبق أول الباب — فلا بد أن يكون حاصلًا من قبل . والمعنى الإنشائي غير حاصل ، ولا معلوم من قبل ، إذ لا وجود له في الخارج الواقعي قبل النطق . فكيف يفيد الإيضاح ، أو التخصيص ، أو غيرها ؟ وما ورد مخالفاً لهذا الشرط فهو سماعي لا يقاس عليه . وبعضهم يؤوله بحذف مشتق من القول ؛ مثل كلمة : « مقول » تكون الجملة الإنشائية مفعولاً له . وسيجيء بيان هذا في هامش ص ٤٧٥ .

(٤) اشتمال الجملة الخبرية على ضمير يربطها بالمنعوت^(١) ، ويطابقه في الأفراد والتذكير وفروعهما^(٢) ، ويجعل الكلام والمعنى متماسكين متصلين ؛ ولذا يسمّى : « الرابط » ، والأغلب أن يكون مذكوراً - سواء أكان بارزاً ؛ أم مستتراً^(٣) - فالمذكور البارز كالأمثلة السالفة ؛ وقوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) ، ومثل : نصيحة يتبعها عاقل قد تجلب خيراً غامراً ، وتدفع بلاءً قاتلاً . وقول الشاعر :

كُلُّ بَيْتٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْحِ^(٤)
والمستتر كقول الشاعر :

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يَنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ
وقول الآخر :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ : فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ^(٥) أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
وقد يكون محذوفاً^(٦) إذا كان معروفاً بقرينة من السياق ، أو غيره ، ولا لبس في حذفه ، كقول القائل :

وَمَا أَدْرَى أَغْيَرَهُمْ • تَنَاءٍ وَطُولُ الدَّهْرِ ، أَمْ مَالٌ أَصَابُوا

(١) سواء أكان اشتمالها عليه مباشراً أم كان في شيء من مكملاتها وتوابعها ؛ كالذي في قول الشاعر :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ جَنَيْتَ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ
وفي الأمثلة الآتية صور للنوعين .

(٢) إذا كان المبتدأ ضميراً للتمكلم والخبر منعوتاً بجملة فعلية ، جاز في التفسير الرابط أن يكون للتمكلم أو للغائب ؛ نحو : أنا صادق أحب الإنصاف ، أو يحب الإنصاف . وكذلك إن كان المبتدأ ضميراً للمخاطب ؛ نحو : أنت صادق تحب الإنصاف ، أو يحب الإنصاف . ومراعاة التكم أو الخطاب أحسن - كما سبقت الإشارة في ج ١ م ٣٥ ص ٤٢٥ باب المبتدأ والخبر - .

(٣) لأن المستتر مذكور ، ولكنه غير ظاهر في الكلام . بخلاف المحذوف ؛ فإنه غير موجود مطلقاً . وبين المستتر والمحذوف جملة فوارق وآثار أوضحناها في باب : التفسير - ج ١ م ١٨ ص ١٤٦ .

(٤) جمع : سراج ، وهو المصباح المضيء .

(٥) الرابط ضمير مستتر تقديره : هي ، نائب الفاعل .

(٦) سيجيء تفصيل لحذفه في « ج » من ص ٤٧٨ .

التقدير : أصابوه . ومثل : « وما شئٌ حميتَ بمسْتَباح »^(١) . أى : حميته .
وقول الآخر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلٌ (سهرٌ دائمٌ) (وليلٌ طويلٌ)
أى : أنا عليلٌ ؛ سهره دائمٌ ، وليله طويلٌ^(٢) . . .

(١) صدر هذا البيت المنسوب لجرير : * حَمَيْتَ حِمَى تِهَامَةٍ بَعْدَ نَجْدٍ *

(٢) وفي النعت بالجملة يقول ابن مالك :

وَنَعْتُوا بِجُمْلَةٍ مُنْكَرًا فَأُعْطِيَتْ مَا أُعْطِيَتْهُ خَبْرًا

يريد : أن العرب نطقوا بالجملة نعتاً للسُّنْكَر ، (أى : أن المنعوت بها منكر ، لا بد من تنكيره) ،
وإذا وقعت نعتاً فإنها تعطى من الحكم ما أعطيته وهى خبر . يشير إلى ضرورة الرابط الذى يربطها بالمنعوت .
وليس المقصود أنها تأخذ ، وهى نعت - جميع الأحكام التى تستحقها إذا وقعت خبراً . ذلك أن الجملة
التي تعرب خبراً تصلح أن تكون إنشاءً طلبياً وغير طلبى ، (على الصحيح فيها) ، مع أن جملة النعت
لا تصلح أن تكون إنشاءً طلبياً أو غير طلبى ، ولذا تدارك الأمر فقال :

وَأَمْنَعُ هُنَا إِيقَاعَ ذَاتِ الطَّلَبِ وَإِنْ أَتَتْ فَالْقَوْلَ أَضْمِرُ تَصْبِيحِ

أى : أمتنع هنا (فى باب النعت ، لا فى باب الخبر) ، وقوع الجملة الطلبية ، وهذا تقييد قد يؤدى
إلى غير المراد ؛ إذ قد يفهم منه أن الجملة الإنشائية غير الطلبية تقع نعتاً ، مع أنها كالطلبية لا تصلح
نعتاً ؛ إذ الجملة الإنشائية بنوعها الطلبى وغير الطلبى لا تصلح هنا - كما أشرنا - أما الذى يصاح فهو
ما عداها . ولم يبق من الجمل بعدها إلا الجمل الخبرية . ثم هو يقول : إن ورد فى الكلام القديم جمل
إنشائية وقعت نعتاً - وهذه لا يصح محاكاتها ، ولا القياس عليها ؛ لندورها ، ومخالفتها الغرض من النعت -
فأولئها . والتأويلات مختلفة ، أشهرها إضمار « قول » محذوف هو النعت ، تكون الجملة الإنشائية مَقْذُولاً له .
فى مثل : أكلت فاكهة ؛ هل ذقت السكر ؟ (وليس هذا من الكلام القديم المسموع) يقدرون أن
الأصل : أكلت فاكهة مَقْذُولاً فيها : هل ذقت السكر ؟ فكلمة : « مَقْذُولاً » المحذوفة هى النعت . والجملة
الإنشائية بعدها فى محل نصب مفعول به للقول . ومثل : لمست ماء هل لمست الثلج ؟ أى : لمست ماء مقولاً
فيه : هل لمست الثلج ؟ . . . أما الأمثلة المسموعة فبها البيت الذى يرددونه ؛ وهو :

حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختلطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ . هَلْ رَأَيْتَ الْمَذْئَبَ قَطُّ؟

(قاله رجل استضافه قوم ، وطال انتظاره للطعام حتى دخل الليل ؛ فقدموا له المذق « وهو اللبن
المختلط بالمياه التى تغير لونه » . وهو يصف هذا التغير فى اللون بأنه صار فى لون الذئب) .

ثم قال ابن مالك بعد ذلك بيتاً سبق شرحه فى مكانه المناسب (ص ٤٦٢) هو :

وَنَعْتُوا بِمَضْمَرٍ كَثِيرًا فَالْتَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَ

وقد يغنى عنه وجوده في جملة معطوفة^(١) بالفاء ، أو : بالواو ، أو : ثم - على
الجملة النعتية الخالية منه ؛ نحو : مررت برجل تقصف الرعود ، فيرتجف ؛ أو :
ويرتجف - أو : ثم يرتجف . التقدير : « هو » في كل ذلك .

* * *

ج - النعت بشبه الجملة^(٢) :

وشبه الجملة (الظرف ، الجار مع مجروره) ، يصلح أن يكون نعتاً بشرطين :
أولهما : أن يكون تاماً ، أى : مفيداً . وإفادته^(٣) تكون بالإضافة ، أو
بتقييده بعدد ، أو غيره من القيود التي تجعله يحقق غرضاً معنوياً جديداً ؛ فلا يصح
أقبل رجل عنك - ولا أقبل رجل عوضاً . . .

ثانيها : أن يكون المنعوت نكرة محضة^(٤) ، مثل : أقبل رجل في سارة - أقبل
رجل فوق الجبل . وقول الشاعر :

وإذا امرؤ أهدى^(٥) إليك صنيعةً من جاهه^(٦) فكأنها من ماله
فإن كانت النكرة غير محضة ؛ (بسبب اختصاصها بالإضافة ، أو غيرها مما يخصها) ؛
فشبه الجملة يصلح نعتاً وحالاً^(٧) . نحو : هذا رجل وقور في سيارة - أو : هذا رجل
وقور أمامك . . . فهو كالجملة في هذا الحكم^(٨) .

(١) راجع الصبيان ج ١ باب المبتدأ عند الكلام على الخبر الجملة ، ورابطه .

(٢) سبقت : « ١ » في ص ٤٥٨ حيث الكلام على النعت المفرد . وكذلك سبقت : « ب » في
ص ٤٧٢ حيث الكلام على النعت بالجملة .

(٣) تكرر معنى الإفادة في عدة مواضع من الكتاب (في ج ١ باب الموصول ص ٢٧٢ م ٢٧ ،
باب المبتدأ والخبر ص ٣٤٦ م ٣٥ ج ٢ ، باب الحال ص ٢٩٤) .

(٤) انظر « ١ » من الزيادة والتفصيل ، حيث البيان الخاص بعدم اشتراط المحضة .

(٥) الجملة الفعلية نعت ، ومنعوتها نكرة .

(٦) الجار ومجروره نعت ، والمنعوت : صنيعة .

(٧) كما سبق في ص ٤٧٣ .

(٨) تكرر بيان هذا ، أما تفصيله في مكانه المناسب ج ١ ص ١٤٥ م ١٧ .

زيادة وتفصيل :

(١) يجوز - عند عدم المانع - اعتبار شبه الجملة بنوعيه (الظرف ، والجار مع مجروره) صفة بعد المعرفة المحضة ؛ على تقدير متعلقه معرفة . وقد نص « الصبان » على هذا في - ج ١ أول باب : « النكرة والمعرفة » حيث قال : ” (أسلفنا عن الدماميني جواز كون الظرف - ويراد به هنا شبه الجملة بنوعيه - بعد المعرفة المحضة صفة ، بتقدير متعلقه معرفة) “ ١ هـ .

أي : أن المتعلق المعرفة سيكون هو الصفة لمطابقته الموصوف في التعريف . هذا ولا مانع أن يكون شبه الجملة نفسه - بنوعيه - هو الصفة إذا استغنيينا عن ذكر المتعلق اختصاراً وتيسيراً أو تسهيلاً ، (طبقاً لما سبق^(١)) بالإيضاح والشرط المسجلين هناك .

وإذا كان شبه الجملة - بنوعيه - بعد المعرفة المحضة صالحاً لأن يُعَرَّب صفة على الوجه السالف ، وهو صالح أيضاً لأن يكون حالاً بعدها ؛ كصلاحه للحالية والوصفية بعد النكرة غير المحضة ، - أمكن وضع قاعدة عامة أساسية هي : « شبه الجملة - بنوعيه - يصلح دائماً أن يكون حالاً أو صفة بعد المعرفة المحضة وغير المحضة^(٢) ، وكذلك بعد النكرة ، بشرط أن تكون غير محضة^(٣) » ؛ أو يقال :

« إذا وقع شبه الجملة بعد معرفة أو نكرة ، فإنه يصلح أن يكون حالاً أو صفة إلا في صورة واحدة ، هي : أن تكون النكرة محضة فيتعين أن يكون صفة ، ليس غير » .

وجدير بالملاحظة أن جواز الأمرين فيما سبق مشروط بعدم وجود قرينة توجب أحدهما دون الآخر أو توجب غيرهما ، حرصاً على سلامة المعنى ، فإن وجدت القرينة وجب الخضوع لما تقتضيه ، كالشأن معها في سائر المسائل الأخرى .

(١) في ج ١ (ص ١٩٤ م ١٧ ، وفي رقم ١ من هامش ص ٣٤٧ م ٢٧ ، وهامش ص ٤٣١ م ٣٥٢) وفي ج ٢ (٨٩٢ رقم ٥ من هامش ص ٣٥٦) .

(٢) كالمعروف بالإنشائية .

(٣) فإن كانت محضة تعين أن يكون نعتاً - كما سيبي - هنا - .

(ب) من أدوات الاستثناء ما يكون فعلاً فقط ؛ وهو : « ليس ، ولا يكون » ومنها ما يصلح ^(١) أن يكون فعلاً تارة ، وحرف جر تارة أخرى ؛ وهو « خلا ، وعدا ، وحاشا » . والنوع الأول - وهو الذى يكون فعلاً فقط - يصح وقوع جملة الفعلية نعتاً ؛ بالتفصيل الذى سبق بيانه (فى ج م ٨٣ ص ٣٣٣ باب : الاستثناء) أما النوع الثانى الذى يصلح للفعلية والحرفية فلا يكون نعتاً .

(ح) يحذف الرابط فى الجملة النعتية بشرط أمن اللبس - كما سبق - والمحذوف قد يكون مرفوعاً مثل : بسم الله الرحمن الرحيم ، أى : هو الرحمن هو الرحيم ... ^(٣) أو منصوباً كالأمثلة السالفة ^(١) . وقد يكون مجروراً « بنى » إذا كان المنعوت بالجملة اسم زمان ؛ كقوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » ، أى لا تجزى فيه ... فلا يصح الحذف فى مثل : زرت حديقة رغبت فيها ؛ إذ المنعوت ليس اسم زمان ؛ فلا يتضح المحذوف ؛ أهو : رغبت فى هوائها - أم فى رياحينها - أم فى فواكهها ، أم فى جدائها ؟ ولا يتضح أهو : رغبت فيها ، أم رغبت عنها ؟ .

وقد يكون مجروراً « بمن » بشرط أن يكون فى أسلوب تتعين فيه ؛ سواء أكان الضمير عائداً على ظرف زمان أم على غيره ؛ نحو : مرّ صيف قضيت شهراً على السواحل ، وشهراً فى الريف . أى : قضيت شهراً منه على السواحل ، وشهراً منه فى الريف ... ومثل : اشتريت فاكهة ، نوع بعشرين ، ونوع بثلاثين ، أى : نوع بعشرين منها ، ونوع بثلاثين منها ...

فإن لم يكن الحرف « من » متعيناً فى الأسلوب لم يجوز حذفه ؛ مثلاً يحدث لابس ؛ نحو : نفغنى شهر صمت منه ، فلو حذف الجار والمجرور لورد على الذهن احتمالات متعددة ؛ منها : صمته ، وهو معنى غير المقصود .

(د) يرى بعض النحاة أن : « أل » قد تغنى عن الضمير الرابط إذا دخلت

(١ ١) بشرط ألا تسبقه « ما » المصدرية . وفى ص ٤٧٤ بعض أمثلة المحذوف المنصوب .

(٢) فى ص ٤٧٤ .

(٣) على اعتبار النعت مقطوعاً . وسيجىء بيان القطع فى ص ٤٨٦ .

على الجملة الاسمية الواقعة نعتاً ؛ نحو : رأيت كتاباً ؛ الورقُ ناعمٌ مصقول ، والطباعة جيدة نظيفة^(١) ؛ والغلاف متين جذاب ، فكأنك قلت : رأيت كتاباً ورقه ناعم مصقول ، وطباعته . . . وغلافه . . . وهذا رأى حسن ، مستمد من أمثلة كثيرة مسموعة تبيح القياس عليها بشرط أمن اللبس .

(هـ) لا تُربط الجملة الواقعة نعتاً إلا بالضمير أو بما يقوم مقامه في الربط ، ويغنى عنه ، وهو «أل» كما مرّ في : «د» ولا تصلح الواو التي تسبق — أحياناً — الجملة الواقعة نعتاً أن تكون للربط ، فإنها واو زائدة تلتصق بهذه الجملة ؛ لتُفَرِّقَ دلالتها على النعت ، وتزيد التصاقها بالمنعوت دون أن تصلح وحدها للربط ، ويسمونها لذلك : «واو اللصوق» ، ومن أمثلتها ، في القرآن الكريم قوله تعالى : «وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلومٌ» ، والأصل : «إلا لها كتابٌ معلومٌ» زيدت الواو للغرض السالف ، ولا تفيد شيئاً أكثر منه^(٢) . وكذلك قوله تعالى : «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» . فقد زيدت الواو قبل الجملة الاسمية الواقعة نعتاً . ومن الأمثلة قولُ عروة بن الرّزْد :

فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيءٍ ويكرهه ضميرى

فالواو زائدة قبل الجملة المضارعية التّعينية . وهى فى كل صورها التى تتعين فيها للإلصاق لا تصلح وحدها أن تكون رابطاً — كما أسلفنا — .

وقد اختلف النحاة : أزيادتها قياسية^(٣) أم سماعية ؟ والأرجح عندهم — برغم مجيئها فى القرآن — أنها سماعية ، وهذا عجيب منهم ؛ لأن معناه أن بعض التراكيب القرآنية لا يصح محاكاته ، ولا صوغ أساليبنا على نهجه ، مع اعترافهم جميعاً بأن القرآن أشهى لغة بياينة ، وأعلى كلام بليغ . نعم قد يكون الأنسب اليوم الوقوف بزيادة هذه الواو عند حدّ السماع ؛ تجنباً لإساءة فهمها ، والخلط بينها وبين الأنواع الأخرى ، ولا ضرر ولا تضيق فى الأخذ بهذا الرأى^(٣) . ولكن الأنسب لا يحرم غيره مما هو صحيح مباح .

(١) هذه الجملة الاسمية — والى تليها — معطوفة على الأولى ، فهى فى حكم النعت ، كالمطوف عليه . إلا إن قامت قرينة تقضى بأنها ليست معطوفة ، وأنها شيء آخر : كأن تكون حالية ، أو مستأنفة .

(٢) راجع التصريح وحاشية ياسين ج ١ باب الحال — عند الكلام على صاحب الحال النكرة .

(٣) ومن القائلين بقياسيتها : «الزمخشري» .

.

وقد يكون الأنسب في عصر ليس بالأنسب في آخر ؛ وكلاهما صحيح مباح .

(و) الجملة لا تقع نعتاً إلا للنكرة . فما حكم الجملة نفسها من حيث التعريف والتنكير ؟ .

أجابوا : « يجرى على الألسنة كثيراً أنها نكرة . ولكنها تؤول بالنكرة ، قال الرضى ؛ لأن التعريف والتنكير من خواص الأسماء . والجملة من حيث هي جملة ليست اسماً ، وإن كانت تؤول به ، فنحو : جاء رجل قام أبوه ، أو أبوه قائم ... — في تأويل : جاء رجل قائم أبوه . ونحو : جاء رجل أبوه محمد ، في تأويل : كائن ذات أبيه ذات محمد ^(١) .

ويقول شارح المفصل ^(٢) ما ملخصه : (إن وقوع الجملة نعتاً للنكرة دليل على أن الجملة نفسها نكرة ، إذ لا يصح أن توصف النكرة بالمعرفة ^(٣)) هـ .
 سواء أكانت نكرة أم مؤولة بالنكرة وفي حكمها ، فالخلاف شكلي لا أثر له .
 والمهم المتفق عليه أنها لا تكون نعتاً إلا للنكرة .

(ز) يقول الكوفيون : إذا وقع بعد الجملة الواقعة نعتاً لنكرة ، جملة أخرى مضارعية ، مرتبة على الجملة النعتية كترتب جواب الشرط على الجملة الشرطية — إذا وقع هذا صح في المضارع الجزم جواباً للنعت مع جملته ؛ حملاً له على المضارع المجزوم في الجملة الواقعة جواباً للشرط . ففي مثل : كل رجل يعمل الخير يرتفع شأنه يميزون جزم المضارع : « يرتفع ^(٤) » .

لكن رأيهم في هذا الجزم ضعيف ؛ إذ لا تؤيده الشواهد القوية الكثيرة ، التي تسوغ القياس عليه . فالأحسن إهماله والاقتصار فيه على المسموع ^(٥) .

(١) راجع الصبان . (٢) ج ٣ ص ١٤١ .

(٣) سبقت لإشارة لبعض ما ذكر (في رقم ٢ من هامش ص ٢٨ وفي رقم ١ من هامش ٤٧٢) وأيضاً (في ج ٢ ص ٢٩٤ م ؟ باب النكرة والمعرفة) وكذا (في ج ١ ص ١٤٢ م ١٧) .

(٤) وفاعله ضمير مستتر تقديره : هو . والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ : (كل) .

(٥) سبقت الإشارة لهذا في باب : « الموصول » (ج ١ م ٢٧ ص ٣٨٣ عند الكلام على صلة

الموصول والرباط) وله هناك قصة طريقة تأييده . وسيجيء البيان في ج ٤ ص ٤٣٧ م ١٥٧ عند الكلام على جواب الشرط) .

المسألة ١١٥ :

تعدد النعت ، وقطعه .

١ - تَعَدُّدُ النعت في الحالات التي يكون فيها عامله واحداً :

(١) إذا تعدد النعت ، والمنعوت غير متعدد - لأنه واحد - وجب تفريق النعوت^(١) ، مسبقة بواو العطف^(٢) أو غير مسبقة ، إلا الأول ، فلا يُسَبِّقُ بها . نحو : لا شيء يقبَحُ في العين كروية عالم مختال ، مغرور ، أو : عالم زَرِيٍّ وضعيع ، ويصح : كروية عالم مختال ومغرور ، أو : عالم زَرِيٍّ وضعيع^(٣) . . .

ومتنع واو العطف إذا كان المعنى المراد لا يتحقق بنعت واحد ، ولا يستفاد إلا من انضمام نعت إلى آخر فينشأ من مجموعهما المعنى المقصود ؛ نحو : الفصول أربعة : أطيبها الربيع البارد الحار ، أى : المعتدل في درجة حرارته وبرودته ، ولا يجوز البارد والحار ؛ لأن المعنى المراد - وهو : الاعتدال - لا يؤخذ إلا من اشتراك الاثنين في تأديته ، وانضمام كل منهما إلى الآخر ؛ فكلاهما جزء يتم نظيره ،

(١) أى : ذكرها واحداً واحداً ؛ على غير صورة المثني والجمع ؛ إذ يمتنع أن يكون النعت مثني ، أو جمعاً ، والمنعوت واحداً . وسيكرر هنا لفظ « المفرق » ، و « التفريق » مراداً به هذا التعدد على صورة فردية ، ليس فيها علامة التثنية أو الجمع الاصطلاحيين . فإن كانت الكلمة دالة على التثنية أو على الجمع بدون تفريق الأفراد أو بتفريق فهي المتعددة . فعندنا كلمتان اصطلاحيتان هما : « تفريق » ، وقعد . فالتفريق خاص بذكر الأفراد واحداً فواحداً ، والتعدد يكون مثله أو بذكرها على هيئة التثنية أو الجمع . (وانظر ما يختص بالنعت المتعدد لواحد لأهميته ، ص ٤٨٨) .

(٢) ويجوز اختيار حرف عطف غير « الواو » ، يناسب السياق ، إلا : « حتى » ، و « أم » . - كما سيجيء في ص ٤٩٧ وفيها بيان مفيد يختص بعطف النعوت ،

وإذا وقع النعت بعد الواو أو غيرها من حروف العطف المناسبة ، فإنه يترك اسم النعت وأحكامه ويصير مطوياً يجرى عليه اسم المعطوف وكل أحكامه - كما سيجيء في ص ٤٩٨ - .

(٣) ومن التعدد بغير عطف ، النعت بكلمتي : « فطن » و « فطن » في قول المتنبي :

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات ، فعال

ويلازمه في تكوين المعنى الكامل المقصود منهما معاً . والكلمتان هنا بمنزلة كلمة واحدة ذات شطرين ؛ لا يصح أن يَفْصِلَ بين شطريها حرف عطف أو غيره . ومثل : شرب المريض الدواء الحلو المرّ ، أى : المتوسط في حلاوته ومرارته . ومثل : اشترت خُصُوفًا ناعماً خشناً ، ومثل : هذا زجاج صُلب هَشّ ...

(٢) وإذا تعدد النعت والمنعوت متعددٌ بغير تفريق ، وبغير أن يكون اسم إشارة ، فإن كانت النعوت متحدة في لفظها ومعناها معاً وجب عدم تفريقها ، وأن تكون مثناة أو جمعاً على حسب منعوتها . نحو : ما أعجب الهرمين القديمين ! . ولا يصح : ما أعجب الهرمين القديم والقديم . ونحو : ما أجمل الزهرات الياനعات ، ولا يصح : الياينة ، واليانعة ، واليانعة ...

فإن كانت النعوت مختلفة في لفظها ومعناها معاً أو في أحدهما وجب التفريق بالواو العاطفة ؛ فمثال الاختلاف في اللفظ والمعنى قول الشاعر :

بَكَيْتُ ، وما بُكَاً رجلٍ حزينٍ على رُبَّعينٍ ؛ مساوبٍ^(١) ، وبإلٍ
وقول أحد المؤرخين ... ولما انتهت الموقعة بهزيمة الأعداء بجثنا عن قادة جيشهم ، فعرفنا القادة ؛ القتيلى ، والجريح ، والأسير ، والمذهول من هول ما رأى وسمع ...

ومثال الاختلاف في اللفظ دون المعنى : أبصرت سيارتين : ذاهبةً ومنطلقةً - قاومت طوائفَ ؛ باغيةً ، ومعنديةً ، وظالمةً .

ومثال المختلفة في المعنى دون اللفظ : نصحت رجلين هاوياً وهاوياً^(٢)

(١) مسلوب : مأخوذ من صاحبه . والكلمة نعت . وتصلح أن تكون عطف بيان ، لكن الأفضل في المشتق أن يكون نعتاً ، وفي الجامد أن يكون عطف بيان - .

كما في صفحة ٤٦٥ ، وفي رقم ١ من هامش ص ٤٨٣ ، وكما سيأتى في بابهِ - ص ٥٥١ و ٥٥٢ .

(٢) وفي هذا النعت المتعدد المختلف وفي منعوته المتعدد يقول ابن مالك :

وَنَعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ إِذَا اخْتَلَفَ فِعَاطِفًا فَرَّقُهُ لَا إِذَا ائْتَلَفَ

أى : أن النعت المتعدد المختلف في لفظه ومعناه مما ، أو : في أحدهما ، يجب أن تفرقه بالعطف إذا كان المنعوت متعددًا . أما إذا ائتلف النعت (اتفق معناه ولفظه) فلا تفرقه . (فرقه عاطفًا : أى : -

فلأحدى الكلمتين فعلها : « هَوَى » بمعنى : « أَحَبَّ » والأخرى فعلها : « هَوَى » بمعنى سقط على الأرض . ولا بد من قرينة تدل على هذا الاختلاف المعنى .
ومثل : عرفت رجالا ؛ كاسية ، وكاسية ، وكاسية ، ومعنى : كاسية غير ١٠ .
وبمعنى : مكسوة ، وبمعنى : غنية .

وإذا كان المنعوت المتعدد اسم إشارة لم يجز في نعته المتعدد التفريق لأن نعت أسماء الإشارة لا يكون مختلفاً عنها في المطابقة اللفظية ؛ فلا يصح مررت بهذين الطويل والقصير على اعتبارهما نعتين^(١) .

(٣) إذا تعدد النعت والمنعوت متعدد متفرق فإن كانت النعوت متحدة في ألفاظها ومعانيها وجب عدم تفريقها ؛ مثل : سافد محمود ، وعلى ، وحامد ، المهندسون . وإن كانت مختلفة ، وجب أحد أمرين :

إمّا تقديم المنعوتات المتفرقة كلها متوالية ، يليها النعوت كلها متوالية متفرقة أيضاً ومرتبّة ؛ بحيث يكون النعت الأول للمنعوت الأخير ، والنعت الثانى للمنعوت الذى قبل الأخير ، وهكذا ، حتى ينتهى الترتيب بأن يكون النعت الأخير للمنعوت الأول ، فملخص هذه الطريقة : أن يكون كل نعت مقصوراً على أقرب منعوت إليه .

وإما : وضع كل نعت عقب منعوته مباشرة :

فنعلى الطريقة الأولى نقول : ما أعظم الثمار التى نجبها من الكتب ، والصحف ، والمجلات ، والإذاعة ، والمؤلفين . . . « البارعين ، المختارة ، الرفيعة ، الصادقة ، النافعة ، . . . فكلية « البارعين » نعت للمؤلفين ، وكلية « المختارة » : نعت للإذاعة . و « الرفيعة » . نعت للمجلات ، و « الصادقة » : نعت للصحف ، و « النافعة » : نعت للكتب .

= حالة كونك عاطفاً ، مستعملاً في التفريق - عرف اللفظ ، ودو هذا : اوار ، ليس غير - كما شرحنا ، وكما يأتي في ص ٤٩٧ .

(١) أما على اعتبارهما بدلا ، أو عطف بيان فقد يصح ، لما أشرنا إليه - في رقم ١ من هامش ص ٤٨٢ - من أن الأفضل في النعت الاشتقاق ، بخلاف البذل والبيان . مع ملاحظة أن المعنى يختلف في كل اعتبار ، إذ فائدة النعت غير فائدة البذل ، أو العطف . . .

وعلى الطريقة الثانية نقول : ما أعظم الثمار التي نجنيتها من الكتب النافعة .
والصحف الصادقة ، والمجلات الرفيعة ، والإذاعة المختارة ، والمؤلفين البارعين .
وللمتكلم أن يختار من الطريقتين ما يراه أنسب للمقام بشرط أمن اللبس ، بحيث
يتعين كل نعت لمنعوته ، دون اشتباه .

• • •

.

زيادة وتفصيل :

مما يتصل بهذه الحالة : نعت معمولين، عاملهما واحد ... والحكم - كما سطره - هو :
 أنه إذا اتحد عمله ونسبته، المعنوية إليهما في المعنى جاز الإتيان والقطع بشرطه^(١) ؛
 كقام محمود وعلى العاقلان ، أو العاقلين . وإن اختلف العمل والنسبة ؛ - كأكرم
 محمود علياً العاقلين - وجب القطع . وكذا إن اختلفت النسبة المعنوية دون العمل ؛
 كأعطيت الولد أباه العاقلان^(٢) .

وإن اختلف العمل دون النسبة ؛ - نحو : مخاصمة الأخ أخاه النبلان مؤلة -
 وجب القطع على الرأي الأغلب .

فلخص الرأي أنه يجب القطع في جميع الصور إلا واحدة يجوز فيها القطع وعدمه ؛
 هي : التي يتحد فيها عمل العامل ، ونسبته المعنوية إليها .

ومن أمثلة القطع الجائز ما ورد في كلام فصحاء العرب^(٣) ، ومنه قول حاتم الطائي :

إِنْ كُنْتُ كَارِهَةً مَعِيشَتِنَا هَاتَا^(٤) فَحَلَى فِي بَنِي بَدْرِ
 الضَّارِبُونَ لَدَى أَعْنَتِهِمْ وَالطَّاعِنُونَ وَخَيْلُهُمْ تَجْرَى
 وَقَوْلُ الْخَرِثِقِ الْقَيْسِيَّةِ :

لَا يَبْعَدَنَّ^(٥) قَوَى الَّذِينَ هُمُو سَمَّ لِلْعُدَاةِ ، وَآفَةُ الْجُزُرِ
 النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ وَالطَّيْبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزُرِ

* * *

(١) شرط القطع (وتفصيل الكلام على : « القطع » معروض في الصفحة التالية ، وبابها) هو أن يكون المنعوت متعيناً بدون النعت ، كما سيبيء في ص ٤٨٨ .

(٢) إن معمولين مفعولان ، ولكن أحدهما بمنزلة الفاعل في المعنى لأنه الآخذ ، والآخر بمنزلة المفعول ؛ لأنه المأخوذ . (٣) راجع الكامل للمبرد (ج ٣ ص ٨) .

(٤) هذه . (٥) لا يبعدن : لا يهلكن . وهذا دعاء لهم بالسلاطة وطول العمر .

ب - تعدد النعت ، والمنعوت ، والعالم ، وما يترتب على هذا من الإلتباع^(١) والقطع :

(١) المراد بالإلتباع هنا : أن يكون النعت مماثلاً للمنعوت في رفعه ، ونصبه ، وجره . أما القطع فمفهوم لتوضيحه بالأمثلة الآتية - وأما أحكامه الخاصة بالنعت فستجىء في ص ٤٨٨ :

١ - في مثل : جاء محمد العالم^٢ ، - بالرفع - يصح إعراب كلمة : « العالم » نعتاً مرفوعاً ؛ كالمنعوت ، وعلامة رفعه الضمة . ويصح لسبب بلاغى (سنعرفه في آخر هذا الهامش ، وفي ص ٤٩٢) - أن يقال : جاء محمد العالم^٣ . بالنصب - ولا يجوز الجر - وفي هذه الحالة تعرب كلمة : « العالم » : مفعولاً به لفعل محذوف تقديره : أمدح ، أو : أخص ، أو ما شاكل ذلك مما يناسب الغرض . وبهذا الإعراب الجديد تنتقل الكلمة من حالة النعت التى كانت عليها إلى حالة أخرى مخالفة لها ، ولا تسمى فيها نعتاً ، فقد انقطعت صلتها بالنعت ؛ ولهذا يسمونها « نعتاً مقطوعاً » أو « منقطعاً » : يريدون أنها كانت فى أصلها الأول نعتاً ، ثم انقطعت منه ، وانصرفت عنه إلى شيء آخر ؛ فتسميتها الآن : « نعتاً » فقط تسمية غير حقيقية . وكذلك المنعوت . وإنما يصح تسميتها : « نعتاً منقطعاً » باعتبار الماضى ؛ إذ كانت نعتاً فى أول أمرها ، ثم انقطعت عنه الآن . وضبطها الجديد وتغيير إعرابها السابق هما دليلان على القطع الذى قصد منه تحقيق الغرض البلاغى المشار إليه - فلا بد فى القطع من ضبط جديد ، وإعراب جديد كذلك ، بحيث يختلفان عن الضبط والإعراب السابقين قبل إحداثه .

ب - وفي مثل : رأيت محمداً العالم^٤ - بالنصب - ، تعرب كلمة : « العالم » نعتاً منصوباً ؛ تبعاً لنصب المنعوت ، ويجوز : رأيت محمداً العالم^٥ - بالرفع ، وفي هذه الصورة الجديدة التى يدعو لها داع بلاغى ، تعرب كلمة : « العالم » خبراً ، لمبتدأ محذوف ، والتقدير - مثلاً - : هو العالم . ولا يصح إعراب « للعالم » المرفوعة نعتاً مطلقاً . لكن يصح تسميتها : « نعتاً مقطوعاً » ، أو : « منقطعاً » ، لما بيناه ، ولا يصح للقطع إلى الجر .

ج - وفي مثل : انتفعت من محمد العالم^٦ ، - بالجر - تعرب « العالم » نعتاً مجروراً . ولكن يجوز - لسبب بلاغى - إيماده عن النعت ؛ بأن نرفعه ، أو ننصبه - ؛ فنقول : انتفعت من محمد العالم^٧ ، أو : العالم^٨ ، على اعتباره فى حالة رفعه خبراً لمبتدأ محذوف ، وفى حالة نصبه مفعولاً به لفعل محذوف ؛ فيكون الضبط والإعراب الجديدين دليلين على القطع - كما تقدم - ولا يجوز انقطع إلى الجر مطاقاً .

فوجز القول :

١ - أن النعت يتبع منعوته فى نوع إعرابه .

٢ - ويجوز - لسبب بلاغى - أن يتخلى النعت عن مهمته ليعرب شيئاً آخر تشتد الحاجة إليه ، ويخالف نوع إعراب المنعوت .

٣ - فى هذه الحالة التى يتخلى فيها ينصب باعتباره مفعولاً به لفعل محذوف ، بشرط أن يكون المنعوت السابق مرفوعاً ، أو مجروراً . وقد يرفع باعتباره خبراً لمبتدأ محذوف ، بشرط أن يكون المنعوت السابق منصوباً أو مجروراً ، أى : أن المنعوت السابق إن كان مرفوعاً فالواجب نصب النعت المقطوع ، وإن كان منصوباً فالواجب رفع النعت المقطوع ، وإن كان مجروراً جاز فى النعت المقطوع الرفع أو النصب . فلا بد عند القطع من اختلاف نوع حركة النعت المنقطع عن نوع حركة المنعوت السابق ؛ =

(١) إذا تعدد النعت بغير تفريق ، وتعدد المنعوت ، والعامل ، وكانت المنعوتات المتعددة ، متفرقة ، متحدة في تعريفها وتنكيرها^(١) والعوامل المتعددة متحدة في معناها ، وعملها ، — جاز في النعوت الإتيان والقطع ؛ نحو حضر الصديق ، وحضر الضيف الطيبان . أو : الطيبين . ونحو : نظرتُ القمرَ وأبصرتُ المَريخَ المستديرين ، أو المستديران . ولا فرق في هذه العوامل بين المتحدة في ألفاظها والمختلفة — كما في المثالين — لأن المهم أن يتفقا معنى وعملا .

ويجب القطع إن اختلفت العوامل معنى ، أو عملا ، أو هما معاً . فمثال الاختلاف المعنوي فقط : أقبل الضيفُ ، وانصرف الزائرُ السائحين ، ونحو : جمَدت عينُ الحزين وجمدت عينُ القاسي المشاهدين المأساة . (إذا كانت «جمدت» الأولى بمعنى : جفت دموعها بسبب البكاء الكثير . والثانية بمعنى : لم تبك ؛ من القسوة) .

ومثال اختلافهما في العمل فقط : مررت بالضيف ولاقيت الزائر الغريبان .

= منما لبس بين الغرض القديم والجديد ، واسترشاداً بالضبط والإعراب الجديدين على القطع .

أما السبب البلاغي للقطع فيكاد ينحصر في توجيه الذهن إلى النعت المنقطع ، وتركيزه فيه ؛ وإبراز معناه لأهمية خاصة تستدعي هذا التوجيه . ولا سيما إذا تعددت النعوت وطالت الجملة . (راجع مجمع البيان لعلوم القرآن ، ج ١ ص ٦) . بل إن القطع بحكه وحكته يظل باقياً إذا تعددت النعوت وفصل بينها بحرف عطف فصارت بعد هذا الفصل بالمعطف معطوفات لا نعوتاً — كما سيجيء في رقم ١٠ من ص ٦٦١ —

وإذا كان النعت المنقطع في أصله مسوقاً لغرض المدح ، أو الذم ، أو الترحم ، فإن عامله المخنوف بعد القطع لا يصح ذكره ؛ لأنه من العوامل الواجبة الحذف ، سواء أكان مبتدأ ، أم فعلاً — كما سيجيء في ص ٤٩٠ — أما إن كان النعت المنقطع مسوقاً لغرض آخر غير ما سبق فإن عامله يجوز حذفه وذكره . ومن الأغراض الأخرى : أن يكون القصد من القطع تقوية التخصيص إذا كان وقوعه بعد نكرة ؛ نحو : مررت بمصفور في عشه مفرداً ، أو مفرداً . أو تقوية الإيضاح إذا كان وقوعه بعد معرفة ؛ نحو : طربت للبحترى الشاعرُ أو الشاعرَ . . .

وقد تقدم في ص ٣٧ بيان الغرض الأساسي الأصيل من النعت . وكذلك سبق بيان لكل هذا بمناسبة أخرى في باب المبتدأ والخبر ج ١ ص ٣٧٥ وسيجيء له مناسبة أخرى في هذا الباب) .

(١) لامتناع أن تكون النكرة نعتاً للمعرفة أو المعرفة نعتاً للنكرة . ويشترط كذلك ألا يكون أول المنعوتات اسم إشارة ، نحو : جاء هذا وجاء علي . فلا يصح الماقلان : لأن ، نعت اسم الإشارة لا يفصل منه — كما سبق في هامش ص ٤٣ وفي «ج» من ص ٤٦٥ — .

ومثال اختلافهما في المعنى والعمل ؛ قابلت الرسول وسلمت على الزميل
الظريفان^(١) .

أحكام خاصة بالقطع في هذا الباب :

لا يصح القطع مطلقاً ، إلا بعد تحقق شرط أساسي ؛ هو : أن يكون المنعوت متعيناً بدون النعت ؛ سواء أكان النعت واحداً أم أكثر . وعلى هذا الأساس تقوم الأحكام الآتية :

(١) لا يجوز القطع^(٢) إذا كان النعت وحيداً^(٣) . والمنعوت نكرة محضة ؛ لشدة حاجتها إليه ، لتخصص به . نحو : كَرَّمَتْ جنوداً أباطالا .

(٢) إذا تعدَّدَ النعت لواحد ، وكان المنعوت نكرة محضة وجب إتباع النعت الأول لها ؛ لتستفيد به تخصيصاً هي في شدة الحاجة إليه ، ولا يجوز قطعه . أما ما عداه فيجوز فيه الإتباع والقطع ؛ نحو : أقبل رجلٌ شجاعٌ ، أمينٌ تقيٌّ ؛ فيجب رفع كلمة : « شجاع » إتباعاً للمنعوت : (رجل) لأنه نكرة محضة . ويجوز في كلمتي : « أمين » و « تقي » الرفع إتباعاً للمنعوت ، أو : النصب على القطع باعتبار كل منصوب منهما مفعولاً به لفعل محذوف .

والإتباع هنا واجب في النعت الأول وحده ؛ ليقع به التخصيص — كما قلنا — ويجوز في الباقي الأمران ، سواء أكان المنعوت قد تعين مسماه أم لم يتعين ؛ لأن المقصود من نعت النكرة هو تخصيصها ، — لا تعيينها — وقد تحقق التخصيص بإتباع النعت الأول لها .

(١) وفي نعت معمولين لعاملين متحدين في المعنى والعمل يقول ابن مالك مشيراً بالإتباع ، تاركاً الحكم الثاني وهو القطع :

وَنَعَتَ مَعْمُولَيَّ وَحِيدَيَّ مَعْنَى وَعَمَلٍ - أَتَبِعَ بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ

يريد : أتبع بغير استثناء نعت معمول واحدتين وحيدتين في معنى وفي عمل معاً ، أي : متحدين فيهما .

(٢) إلا في ضرورة الشعر .

(٣) أي : منفرداً غير متعدد .

(٣) إذا تعددت النعوت لواحد معرّف فإن تعين مسماه بدونها كلها جاز لإتباعها جميعاً ، وقطعها جميعاً ، وإتباع بعضها وقطع بعض آخر^(١) ، بشرط تقديم النعت التابع على النعت المقطوع ؛ نحو : عرفت الإمام أبا حنيفة ، المجتهد ؛ الذكي ، العبقري . . . فيصح في النعوت الثلاثة النصب على الإتيان ، والرفع على القطع ، ويجوز النصب على الإتيان في بعض منها ، والرفع على القطع في غيره ، وفي هذه الحالة الأخيرة يجب تقديم النعت التابع على المقطوع .

وإن لم يتعين مسماه إلا بالنعوت كلها مجتمعة وجب إتباعها ، وامتنع القطع ؛ نحو : غاب المصريّ حافظ ، الضابط ، الشاعر ، النائر ، بالرفع ؛ تبعاً للمنعوت : « حافظ » إذا كان هناك ثلاثة^(٢) غيره كل منهم اسمه : « حافظ » ، وأحدهم ضابط فقط ، والآخر شاعر فقط ، والثالث نائر فقط ، فلا يتعين الأول تعييناً يميزه من هؤلاء الثلاثة إلا بالنعوت المتعددة مجتمعة ، وإتباعها له .

وإن تعين ببعضها دون بعض وجب إتباع الذى يتعين به ، وجاز في غيره الإتيان والقطع ، مع وجوب تقديم التابع على المقطوع^(٣) . . .

(١) يجوز في بعضها المقطوع أن يكون منه ما ينقطع إلى الرفع ، ومنه ما ينقطع إلى النصب ؛ طبقاً للبيان الآتى في رقم ٥ من ص ٤٩٠ . (٢) أو أكثر .

(٣) وفي النعوت المتعددة التى تتلو منعوتاً يفتقر إلى ذكرهن في تعيين مسماه فيجب إتباعها له ، يقول ابن مالك :

وَإِنْ نُعُوتٌ كَثُرَتْ وَقَدْ تَلَتْ مُفْتَقِرًا لِذِكْرِ هُنَّ أَتْبَعَتْ

أى : إن كثرت وتعددت النعوت التى تليها بعد منعوت - غير معين ، لأنه غير معرفة - محتاج إلهن في تعيين مسماه ، أتبت له ، أى : وجب إتباعها في ذوع حركته الإعرابية : ثم قال :

وَاقْطَعْ أَوْ اتَّبِعْ إِنْ يَكُنْ مَعِينًا بِدُونِهَا - أَوْ بَعْضُهَا ، اقْطَعْ مُعْلِنًا

أى : إن كان المنعوت معيناً بدونها كلها فاقطع أو اتبع النعوت كلها . وكذلك إن كان معيناً ببعضها فقط أتبع أو اقطع هذا الجزء فقط ، وأتبع ما عداه . ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان حركة النعت المقطوع وعامله فقال :

وَارْفَعْ أَوْ انْصِبْ إِنْ قَطَعْتَ ، مُضْمِرًا مُبْتَدَأً أَوْ نَاصِبًا لَنْ يَظْهَرَا

يعنى أن المقطوع يرفع أو ينصب ؛ فالرفع ، على إضمار مبتدأ ، خبره المقطوع . والأكثر أن يكون =

(٤) إذا لم يتعدد النعت وكان المنعوت معرّفًا معلومًا بدونه جاز في النعت الإنباع والقطع ، نحو : أنت الشريك الوديع ، برفع كلمة : « الوديع » ؛ إنباعًا ، أو نصبها على القطع . — والمنعوت هنا متعين ؛ بسبب الخطاب —

ولا يجوز القطع إن كان النعت للتوكيد ^(١) ، أو : كان من الألفاظ التي أكثر العرب من استعمالها نعتًا بعد كلمات معينة ^(٢) أو كان نعتًا لاسم إشارة ؛ نحو : أهلك الله بعض الأمم بالرجفة الواحدة — جاء القوم الجماء الغفير ^(٣) — امتدحت هذا الوقي .

ومن الأمثلة لهذه الثلاثة أيضًا : « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين » ^(٤) — يسرني رؤية الشعري العبيور ^(٥) — ما أكبر تقديرنا لهذا النابغ .

(٥) قلنا ^(٦) إن النعت المقطوع لا بد أن يخالف في حركته حركة المنعوت السابق ؛ فإن كان المنعوت مرفوعًا وأردنا قطع النعت لداع بلاغى قطعناه إلى النصب

= هذا المبتدأ المحذوف ضميرًا ، والنصب على تقدير عامل محذوف ينصبه (كالفعل مثلا) والنعت المقطوع يُعرَّب مفعولا به لهذا العامل . والعامل في الحالتين (مبتدأ كان أو فعلا) إن يظهر ، لأنه محذوف وجوباً ، واقتصر على هذا . ن غير أن يذكر التفصيل الذى سردناه .

(١) وقد شرحناه - في رقم ٦ من ص ٤٣٩ - ؛ لأن القطع ينافى التوكيد .

(٢) المراد : أن هناك كلمات يشيع استعمالها نعتاً لمعنوتات خاصة معينة في الغالب ؛ ككلمتي « العبيور » و « الغفير » في الأساليب الفصيحة الشائعة ؛ حيث يقول العرب : « جاء القوم الجماء الغفير » ، و « رأيت الشعري العبيور » فقد وقعت الكلمتان - وما أكثر وقوعهما - نعتين لمعنوتين معينتين ، قل أن يستعملتا نعتاً لغيرهما . فليس المراد أن تلك المعنوتات لا تستعمل إلا لمنعوتة ، ولا أن نعتها لا يكون إلا من بين تلك الكلمات ، وإنما المراد أن تلك الألفاظ إذا وقع بعدها وصف أو ما يشبهه فهو نعت لها ، لا أنها يلزم لها النعت دائماً .

(٣) الجماء ، مؤنث الأجم ، بمعنى الكثير . الغفير : الذى يستر الأرض ويغطي وجهها بكثرتة . وهذا تعبير قديم سبق أن شرحناه . وتناولنا ذواحى التأنيث والتذكير والإعراب وغيره في ج ٢ ص ٢٧٨ م ٨٤٨ (باب الحال) .

(٤) النعت هنا للتوكيد ؛ لأنه يدل على التشية ، وهى مفهومة من المنعوت ، فهو يؤكدها .

(٥) لأن العرب تكاد تقتصر في استعمال « العبيور » نعتاً للحالة التى يكون المنعوت فيها هو كلمة : الشعري .

(٦) ص ٤٨٦ و ٤٨٨ وفيهما الشروط والتفاصيل لذلك .

مفعولاً به لفعل محذوف ، تقديره : أمدح أو أذم ، أو . . . على حسب السياق ، وإن كان المنعوت منصوباً وأردنا قطع النعت قطعناه إلى الرفع على اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف ، تقديره - مثلاً - : هو . ولا يجوز القطع إلى الجر مطلقاً فيهما . وإذا كان المنعوت مجزوراً واقتضى المقام القطع قطعناه إلى الرفع أو النصب على الإعرابين السابقين . ولا بد في جميع حالات القطع أن يكون المنعوت متعيناً . - كما قلنا - .

وإذا تعددت النعوت ، وكان المنعوت المتعين مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجزوراً - جاز فيها عند قطعها أن يكون بعضها منقطعاً إلى الرفع ، وبعض آخر إلى النصب ، إذ ليس من اللازم أن تنقطع النعوت كلها إلى الرفع فقط ، أو إلى النصب فقط ؛ وإنما اللازم ألا تنقطع إلى الجر ، وألا يتفق نوع حركتها مع نوع حركة المنعوت^(١) السابق ، نحو : ما أسمنت لشيء قدر أسنى للزميل المتعلم ، المتكاسل ، الحامل ، المستهين . . . فيجوز في هذه النعوت قطعها إما إلى الرفع فقط ، وإما إلى النصب فقط . وإما توزيعها بين هذا وذاك .

وإذا كان النعت المقطوع مرفوعاً لأنه خبر مبتدأ ، أو منصوباً لأنه مفعول به لفعل محذوف - فإن هذا المحذوف واجب الحذف لا يصح ذكره بشرط أن يكون النعت في أصله لإفادة المدح ، أو : الذم ، أو : الترحم ، فإن كان في أصله لغرض آخر جاز حذف العامل وذكره^(٢) . وقد سردنا أول الباب^(٣) الأغراض المختلفة التي يؤديها النعت .

(٦) مما تجب ملاحظته أن جملة النعت المقطوع (وهي : الجملة المكونة من المبتدأ المحذوف وخبره الذي كان في أصله نعتاً ، أو من الفعل المحذوف وفاعله) - جملة مستقلة مستأنفة . وقد تسبقها «الواو» أحياناً ، وهذه «الواو» زائدة للاعتراض قبل النعت المقطوع ؛ سواء أكان مقطوعاً إلى الرفع ، أم إلى النصب .

(١) إن تغيير النعوت وما يؤدي إليه من تغيير الإعراب هو الدال على القطع - كما عرفنا - فيمتنع اللبس بين الغرض السابق ، والغرض البلاغي الجديد - والبيان في هامش ص ٤٨٦ وما بعدها .

(٢) كما أشرنا لكل ما ذكر في رقم ٣ من هامش ص ٤٨٦ وعرضنا هناك الأمثلة الموضحة .

(٣) ص ٤٣٨ .

ويرى بعض النحاة أن هذه الجملة المشتملة على النعت المقطوع ليست مستقلة ولا مستأنفة ، وإنما هي « حال » إذا وقعت بعد معرفة محضة ، و « نعت » إذا وقعت بعد نكرة محضة ، وتصلح للأمرين إذا وقعت بعد نكرة مختصة ، فشأنها كغيرها من الجمل التي تعرب « حالا » بعد المعارف المحضة ، و « نعتاً » بعد النكرات المحضة ، وتصلح للأمرين بعد النكرة المختصة . والرأى الأول ^(١) أقوم وأحسن .

(٧) سبب القطع بلاغى محض - كما قلنا ^(٢) - هو التشويق ، وتوجيه الأذهان بدفع قوى إلى النعت المقطوع ؛ لأهمية فيه تستدعى مزيداً من الانتباه إليه ، وتعلق الفكر به ، وأنه حقيق بالتنويه وإبراز مكانته . وجعلوا الأمانة على هذا كله إضمار العامل ، وتكوين جملة جديدة ، الغرض منها : إنشاء المدح أو الذم أو الترحم ، . . . أو . . . فهي جملة إنشائية من نوع الجمل الإنشائية غير الطلبية ^(٣) .

وإذا كان سبب القطع بلاغياً - ولا بد من قيام هذا السبب - فن البلاغة أيضاً ألا نلجأ إلى استخدام القطع مع من يحمله ؛ فيحكم بالخطأ على الضبط الحادث بسببه .

* * *

حذف النعت ، أو المنعوت ، أو هما معاً :

٢ - قد يحذف النعت - أحياناً حذفاً قياسيًّا - إن كان معلوماً بقرينة تدل عليه بعد حذفه ؛ كقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ؛ فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ، والأصل : « كل سفينة صالحة » ؛ بقرينة قوله : (أن أعيبها ؛ فهي تدل على أنها قبل هذا خالية من العيب ، أى : صالحة للانتفاع بها ، وبقرينة أخرى ؛ هي : أن الملك الغاصب لا يغتصب ما لا نفع فيه .

(١) لأن هذه الجملة الجديدة لإنشائية المدح أو الذم أو غيرها - كما سيجيء بعد هذا مباشرة - والجملة الإنشائية لا تكون نعتاً - إلا مع التأويل الذي سبق في هامش ص ٤٧٤ - ولا تكون حالا .

(٢) تقدم البيان في رقم ٣ من هامش ص ٤٨٧ .

(٣) وقد سبق الإشارة لهذا في ج ١ ص ٤٦٤ م ٣٩ .

ومثل قول شاعر أخذ نصيبه من غنائم الحرب فلم يرض به :

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرِكُ^(١) فلم أعط شيئا ولم أُمْنَعْ

والتقدير : فلم أعط شيئا نافعاً ؛ بدليل قوله : ولم أُمْنَعْ ، وبدليل الأمر التاريخي المعروف ، وهو أنه أخذ - فعلاً - نصيباً ، ولكنه لم يقنع به .
ومثل قول الشاعر يصف فتاة بالجمال :

وربَّ أسيلة^(٢) الخدين بَكْرٍ مهْفَهْفَه^(٣) ، لها فرعٌ ، وجيدٌ
المراد : لها فرع فاحم^(٤) ، وجيد طويل ، والقرينة : أن مدح الفتاة بالجمال لا يكون بأمر عام يشاركها في مثله آلاف من نظيراتها ، فليس من المدح وصفها بمجرد فرع لها ، وجيد ، فهذان أمران ملازمان كل فتاة ، وإنما يكون المدح بأوصاف وبمزايا خاصة تتحقق في كل منهما ؛ كشدة سواد الشعر ، أو نعومته ، أو طوله . . . أو . . . وكطول الجيد باعتدال ، أو استدارته ، وعدم غلظه كذلك^(٥) . . .

* * *

ب - حذف المنعوت^(٦) :

يجب حذف المنعوت في كل موضع اشتهر فيه النعت اشتهاً يغني عن المنعوت غنًاء تاماً ؛ بحيث لا يتجه الذهن إليه ؛ نحو : جاء الفارس . والأصل : جاء الرجل الفارس ؛ أي : راكب الفرس . ومثل : جاء الصاحب ، أي : الرجل الصاحب . فلا يجوز فيهما وفي أشباههما أن يقال : جاء الرجل الفارس ، ولا جاء الرجل الصاحب . والنعت في الحالة السالفة لا يسمّى نعتاً ، وإنما يحل محل المحذوف في إعرابه فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو غيرهما . . . مما كان عليه المحذوف قبل حذفه .

(١) قوة ، وعدة حربية .

(٢) مصقولة ناعمة . . .

(٣) رشيق ، ضامرة البطن ، دقيقة الحصر . (٤) أي : شديد السواد ، كلون الفحم .

(٥) ومن أمثلة حذف النعت قوله عليه السلام : « (لا صلاة لحار المسجد إلا في المسجد) . »

أي : لا صلاة كاملة ، وقول بعض العرب عن عمر : (كان والله رجلاً . . .) يريد : رجلاً عظيماً . . .

وعن علي : (سمعته يخطب فكان الخطيب . . .) يريد : الخطيب البارز . . . أو ما شاكل هذا .

(٦) أشرنا في ص ٤٧٣ إلى حذف المنعوت ، وقلنا إن بسط الكلام عليه هنا .

ويجوز حذفه أيضاً — كما أوضحنا^(١) — إن كان مصدرًا مبنيًا نابت عنه صفته ؛ نحو : جلست أحسن الجلوس ، وأصغيت أَى^(٢) إصغاء ؛ بمعنى : جلست جلوساً أحسن الجلوس ، وأصغيت إصغاء أَى إصغاء ، والأكثر أن تضاف هذه الصفة لمصدر كالمصدر المنعوت المحذوف .

ويجوز بكثرة حذف المنعوت — (سواء أكان النعت مفرداً ، أم جملة ، أم شبه جملة) — بشرط أن يصلح النعت لأن يحل محل المنعوت المحذوف ؛ فيعرب إعرابه ؛ فلا يصح حذف المنعوت إن كان فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مجروراً ، أو مبتدأ . — وكان النعت جملة أو شبهها ؛ لأن الجملة وشبهها لا تقع شيئاً مما سبق ، فلو حذف المنعوت وهو أحد الأشياء السالفة لم يوجد في الكلام ما يصلح أن يحل محله في إعرابه ، ولهذا لا يصح حذفه إذا كان الأمر على ما وصفنا^(٣) .

أمّا إن كان المنعوت واحداً مما سبق والنعت مفرداً ، فيجوز حذف المنعوت ، لوجود ما يصلح أن يحل محله في إعرابه ، وهو : المفرد . ويشترط لحذفه أيضاً أن يكون معلوماً . ومن وسائل العلم به اختصاص معنى النعت به وقصره عليه ، مثل : أعجبتُ براكب صاهلاً ، أى : براكب فرساً صاهلاً ؛ لأن الصهيل مختص — في اللغة — بالخيول . وبسبب هذا الاختصاص الصريح يكون الحذف واجباً عند بعض النحاة — لا جائزاً ، ورأيهم سديد .

ومن وسائل العلم به أيضاً أن يتقدم على النعت ما يدل على المنعوت المحذوف

(١) في ص (١١٠ و ١١١ حيث البيان والتفصيل المفيد) و ٤٦٨ .

(٢) هذا التعبير صحيح حيث وقعت فيه « أَى » نعتاً مضافاً لمصدر . فيجوز حذف المنعوت . وقد سبق الكلام عليه وعلى ما يصلح للنيابة عند حذف المصدر المؤكد والمبين (وهو مسجل في موضعه من الجزء الثاني ص ١٧٣ م ٧٥ عند الكلام على حذف المصدر الصريح . وفي ج ١ ص ٢٦٢ م ٢٦ باب الموصول ، عند الكلام على : « أَى » .) أما إن كان المضاف إليه غير مصدر فقد سبق حكمه في ص ١١١ وما بعدها .

(٣) يعبرون عن هذا : بأن النعت يكون صالحاً لمباشرة العامل ، فيكون مفرداً إن كان المنعوت خافعاً ، أو مفعولاً به ، مثلاً . . . ، وجملة مشتملة على الرابط إن كان المنعوت خبراً .

الذى يحقق المعنى المراد ؛ نحو : «ألا ماء ، ألا بارد»^(١) ؟ .

أو : وجود عامل نحوى يحتاج إلى المنعوت المحذوف ليكون معموله الذى يسم به المعنى الأنسب ، حيث لا يستطيع العمل المباشر فى النعت ، ولا يجد النعت عاملاً آخر ؛ كقوله تعالى : (فليضحكوا قليلاً ، وليبكموا كثيراً ؛ جزاءً بما كانوا يكسبون) ، والتقدير : فليضحكوا ضحكاً قليلاً ، وليبكوا بكاءً كثيراً . . .
فالفاعلان فى جملة : (يضحكوا - يبكوا) محتاجان لمعمولين يتممان هذا المعنى الأنسب ، ولا يستطيع فعل منهما أن يؤثر فى النعت الذى بعده مباشرة إلا من طريق منعوت محذوف يستقيم به المعنى . ولا يجد كل من النعتين (قليلاً - كثيراً) عاملاً له إلا الفعل اللازم قبله ، ولكن اتصاله به مباشرة غير سائغ لغوياً ؛ فلم يكن بد من تقدير المنعوت المحذوف على الوجه السالف . . .

وأيضاً : يحذف جوازاً إن كان النعت جملة أو شبهها وكان المنعوت مرفوعاً وبعضاً من اسم متقدم عليه ، وهذا الاسم المتقدم مجرور « بمن » أو « فى » نحو : الأحرار الوطنيون لا ينكر فضلهم أحداً ؛ فمنهم أنفق ماله فى سبيل وطنه ، ومنهم أفنى عمره مناضلاً فى الحفاظ على حريته ، ومنهم قضى تحببه دفاعاً عنه . والأصل ؛ فمنهم فريق أنفق . . . ومنهم فريق أفنى عمره . . . ومنهم فريق قضى نجه . . .
ومثل قولهم : لما مات عمر بن عبد العزيز لم يكن فى الناس إلا بكى أو صرخ ، أو صرع حزناً ، أو انعقد لسانه ، أو زاغ بصره . . . والتقدير : لم يك فى الناس إلا إنسان بكى ، أو إنسان صرخ ، أو إنسان صرع ، أو إنسان انعقد لسانه ، أو إنسان زاغ بصره . . .

فالمنعوت فى الأمثلة السابقة كلها محذوف ، وهو مرفوع ، وبعض من كل مجرور بالحرف « من » أو « فى » ؛ ذلك لأن الضمير : « هم » المجرور بمن

(١) من هذا النوع قوله تعالى فى نبيه داود : (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتِ)

أى : دروعاً وأساعات طويلات تصل إلى الأرض . فالسباغات فى أصلها ليست نعتاً مختصاً بشئ معين دون غيره ، وإنما تصلح لوصف كل واسع طويل . غير أن تقدم كلمة : « الحديد » قبلها جعل المراد منها فى هذا السياق مختصاً بموصوف معين هو : الدروع .

في الأمثلة الأولى «كُلَّ» والمنعوت (فريق) بعض منه ، والناس المحجور «بني» في الأمثلة الأخيرة «كل» والمنعوت المحذوف «إنسان» ، بعض منه ^(١) . . .

* * *

ج - حذف النعت والمنعوت معاً :

قد يحذفان معاً - وهذا قليل ^(٢) - إذا قامت القرينة الدالة عليهما ؛ كقوله تعالى : في الأشقي الذي يدخل النار : (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) ، أى : لا يحيا حياة نافعة ^(٣) . وكقولك للمتعلم الذي لا يستفيع بعلمه : هذا غير متعلم ، أى : غير متعلم تعلماً مشمراً . . .

* * *

الترتيب بين النعوت المتعددة :

إن كانت النعوت المتعددة مفردة جاز تقديم بعضها على بعض من غير ترتيب محتوم ، فالأمر فيها للمتكلم ؛ يقدم ما يشاء ويؤخر ، على حسب ما يرى من أهمية . وكذلك إن كانت جُمُلاً ، أو أشباه جُمُل ؛ نحو : (راقى الورد النَّاصِرُ ، العطرُ ، البهى - أقبل رجل (وجهه متهلل) (ثغره باسم) . - أبصرت رجلاً في سيارة ، على أريكة - .

أما إذا اختلف أنواعها فالأغلب تقديم المفرد على شبه الجملة ، وشبه الجملة على الجملة ؛ نحو : هذا عصفور حزين ، على شجرة ، يشكو ما أصابه . . . وقوله تعالى : (وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يكتمُ إيمانهُ . . .) ،

(١) سبقت الإشارة لهذا في ٤٧٣ ؛ وفي حذف النعت والمنعوت يقول ابن مالك مصرحاً بقلة حذف النعت :

وما - من المنعوتِ والنَّعتِ - عُقِلَ يَجُوزُ حَذْفُهُ ، وفي النَّعْتِ يَقِلُّ

يريد : ما عقل (أى : عُلِمَ بدليل) ، من النعت أو المنعوت يجوز حذفه . وليست درجة حذفها . تساوية في الكثرة ، فإن حذف المنعوت أكثر من حذف النعت .

(٢) وهذه القلة نسبية ، لا تمنع من القياس عليها .

(٣) لأنه لا واسطة بين الحياة والموت . ويصح أن يكون المراد : لا يموت فيها موتاً دائماً ، ولا يحيا حياة نافعة .

وقد تتقدم الجملة أيضاً على غيرها كقوله تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك ..)^(١) وهذا النوع من التقدم فصيح يجوز القياس عليه ؛ لوروده في أبلغ الكلام - وهو القرآن - ولكن الأول أكثر .

* * *

عطف النعوت المختلفة المعاني بعضها على بعض :

يجوز عطف النعوت بعضها على بعض مع ملاحظة ما يأتي :

(١) أن تكون النعوت المتعددة مختلفة المعاني وليست جُملاً^(٢) ؛ فلا يصح العطف في مثل : هذا رجل غني ثري ؛ لأن الثرى بمعنى الغنى ، ولو عطف عليه لَعُطِفَ الشيء على آخر بمعناه ، والعطف يقتضى المغايرة المعنوية ، غالباً^(٣) . ولا فرق في منع العطف في النعوت المتفقة المعاني بين أن تكون كلها تابعة في إعرابها للمنعوت ، وأن تكون مقطوعة ، وأن يكون بعضها تابعاً وبعضها مقطوعاً .

أما إذا كانت النعوت المتعددة جُملاً^(٢) فالأفضل عطفها ؛ ولا يشترط اتفاقها في المعنى أو اختلافها ؛ نحو : أحترم رجلاً يرفع عن الصغائر ، ويتوق مواطن السوء ، ويُجَسَّب نفسه الهوان .

(٢) ألا يكون حرف العطف هو : « أم » ، أو : « حتى » ؛ إذ لا تُعْطَف النعوت بواحد منهما^(٤) .

(٣) وإذا كانت النعوت مختلفة المعاني والمنعوت مُثنى أو جمعاً ، وجب - في الأكثر - العطف بحرف الواو دون غيره - كما سبق^(٥) - نحو : تحدث الفائزان ؛

(١) يقول الشاعر في ظالم :

بقي والبي سبامٌ تَنْتَظِرُ أَنْفَعْدُ في الأكباد من وخز الإبر

(٢ و ٢) أما شبه الجملة ففي حكم المفرد إذا كان متعلقه مفرداً .

(٣) إلا إذا كان المطف للتفسير الذي يراد به إيضاح الغامض ، أو المجهول ، كما قد يحصل - أحياناً - ولا غامض ولا مجهول هنا .

ويحسن المطف عند تباعد المعاني المختلفة ، كقوله تعالى : (هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن) بخلافها إذا تقاربت ؛ كقوله تعالى : (هو الله ، الخالق ، البارئ ، المصور) .

(٤) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٢ من هامش ص ٤٨١ .

(٥) في ص ٤٨٢ .

العالم والمخترع — احترمت المتعلمات ، النائرة ، والشاعرة ، والخطيبة ، والماهرة في عملها ، والمتفنتة في نظامها . فإن كان المنعوت واحداً لم تجب « الواو » وصح أن يجيء الحرف المناسب أو لا يجيء .

وحرف العطف الذى يستخدم هنا يؤدى — مع العطف — معنى من المعانى التى اختص بتأديتها على الوجه المشروح فى باب : « العطف » من أن الواو تفيد كذا ، والفاء كذا ، وثم و

وعندما يتم عطف النعوت تصير « معطوفات » ، يسجى عليها اسم « المعطوف » وأحكامه الآتية فى بابه ، وتتخلى عن اسم : « النعت » وأحكامه الخاصة به ^(١) .

• • •

تقدم النعت على المنعوت :

لا يجوز تقدم النعت على المنعوت مع بقاء إعرابه نعتاً كما كان قبل التقدم ^(٢) . فإذا تقدم زال عن كل منهما اسمه ؛ فإن كانا معرفتين ، وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل وجب عند تقدمه إعرابه على حسب حاجة الجملة ، ويصير — فى الغالب — : « مُبدلاً منه » ، ويعرب المنعوت بدلاً . ففى مثل : (استعنت بمحمد الماهر فى تذليل العقبات ؛ فأعانى ، وشاركه فى هذا على الصديق) — نجد كلمتى : « الماهر » و « الصديق » نعتين ، وهما متأخرتان ، فإذا تقدمتا وقتلنا : بالماهر محمد ، والصديق على — صارنا بذكرين ، وصار المنعوتان السابقان مُبدلاً منهما .

فإذا كانا نكرتين فالغالب — إن لم يوجد مانع آخر — نصب النعت على الحال عند تقدمه ، ويزول عنه اسم النعت ؛ كما يزول عن المنعوت اسمه ، ويصير

(١) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٢ من هامش ص ٤٨١ .

(٢) بل لا يجوز — فى الصحيح — تقدم النعت — معمول المنعوت إذا كان المنعوت وصفاً عاملاً ؛ نحو : ظهر بيننا مبتكر نظرية علمية عبقرى . (راجع حاشية ياسين فى باب الحال عند الكلام على صاحبها) .

اسمه الجديد : « صاحب الحال » ؛ ففي مثل : (أينع زهرٌ رائعٌ . وفاح عطرٌ جميل . . .) نقول : أينع رائعاً زهر ، وفاح جميلاً عطر^(١) . . .

(١) سبقت الإشارة (في ج ٢ م ٨٥ - هامش ص ٣٧٤ - باب : « الحال ») إلى أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا - في الغالب - أى : ما لم يمنع مانع ؛ ذلك أن المنعوت النكرة قد يكون - أحياناً - كالمنعوت المعرفة في إعراب نعت المتقدم بحسب العوامل مع إعراب المنعوت بدلاً أو عطف بيان ؛ نحو : مررت بصارخٍ طفلٍ ، واستمعت إلى خطيبٍ غلامٍ . . . والأصل قبل تقديم النعت : مررت بطفل صارخ ، واستمعت إلى غلام خطيب . فنعت النكرة المتقدم عليها إنما يعرب حالا في الغالب وليس بالواجب المطرد في جميع الاستعمالات - على الأصح - وبهذا تخرج بعض الصور الممنوعة ؛ كالتي ذكرناها . وكالتي في قولنا : جاء رجلٌ أحمرٌ ، ونحوه مما ليس منتقلاً ؛ لأنه من الصفات الثابتة . . . - راجع الصبان آخر باب النعت - .

.

زيادة وتفصيل :

متفرقات :

٢ - قد يقتضى المعنى أن يقع قبل النعت المفرد : « لا » النافية ، أو : « إماً » .
 وعندئذ يجب تكرار هذين الحرفين ، مع اقترانهما بالواو العاطفة التى تعطف ما بعدهما على
 النعت الذى قبلهما ؛ نحو : زاملت أخاً لا غادراً ، ولا خائناً . . . - تخير
 مَصِيفاً ؛ إماً ساحلياً ، وإماً جبلياً^(١) . . .

ب - يجوز نعت النعت عند سيبويه ، وبمنعه آخرون . والحق أن النعت قد
 يحتاج إلى نعت أحياناً ؛ مثل : هذا ورقٌ أبيضٌ ناصعٌ ، (أى : شديد البياض) ،
 فالورق يشتمل مدلوله على جسم ولون مطلق ، والنصاعة إنما هى تحديد للونه . . .
 ونحو : هذا وجه مُشرقٌ أى إشراف ! ناضرة وجنتاهُ كاملة النَّضرة .

بل إن من النعت ما لا يسمى نعتاً إلا إذا كان موصوفاً ؛ وهذا هو :
 النعتُ « المَوْطئُ » - وقد سبق الكلام عليه^(٢) - ومن أمثلته الواردة : ألا ماءٌ
 ماءٌ بارداً .

ح - إذا وقع النعت بعد المركب الإضافى (نحو : أقبل رسول الصديق
 العالم - هذا نجم الدين المضىء . . .) ، فأين المنعوت ؟ أهو المضاف إليه ،
 أم المضاف ؟ .

سبقت الإجابة منفصلة فى مكانها الأنسب ، (وهو « ج » ص ١٦٧ من باب :
 « الإضافة ») .

د - سبق الكلام^(٣) على أحكام جليلة خاصة بالتوابع ، ومنها : حكم الفصل
 بين التوابع ومتبوعاتها ، كالفصل بين النعت والمنعوت .

* * *

(١) سبق تفصيل الكلام على مواضع تكرار : « لا » فى بابها الخاص ، آخر الجزء الأول .

(٢) ص ٤٥٦ رقم ٣ .

(٣) فى هامش ص ٤٣٥ .

ب - التوكيد ^(١)

التوكيد قسيان : معنوى ، ولفظى ^(٢) .

القسم الأول : المعنوى ^(٣) :

إذا سمعنا من يقول : « وصل أحد العلماء إلى القمر » ، خطر بالبال عدة احتمالات ؛ منها : أنه وصل إلى قرب القمر ، دون الوصول إلى جِرمه وذاته الحقيقية ، أو : أنه وصل إلى مداره ، أو إلى أسواره العلمية والفلكية . . . ونتوهم أن المتكلم أراد أن يقول : — مثلاً — وصل أحد العلماء إلى قرب القمر ، أو إلى مدار القمر . أو إلى أسرار القمر . . . فحذف المضاف سهواً ، أو خطأً ، أو لأن حذفه هنا يؤدي إلى المبالغة أو المجاز ^(٤) ، وكلاهما أبلغ وأقوى في تأدية المعنى من الحقيقة . هذا بعض ما يخطر بالبال عند سماع تلك العبارة . . .

فلو أنه قال : وصل أحد العلماء إلى القمر نفسه ، لزال — في الأغلب ^(٥) — تلك الاحتمالات وغيرها ، ولم يبق مجال لتوهم المبالغة ، أو المجاز بالحذف ، أو السهو

(١) ويسمى أيضاً : التأكيد . والأول أشهر في استعمال النحاة . (كما سيجيء في ص ٥٠٤) .
وسنعرض هنا للتوكيد « الاصطلاحي » الذي يقتصر عليه النحاة ، دون الأنواع الأخرى التي قد تفيد التوكيد ؛
(مثل إن ، وأن ، والحرف الزائد ، وكالقسم وغيره .) ولكنها لا تسمى توكيداً نحوياً اصطلاحياً .

(٢) مدلول التوكيد اللفظي ، وكذا مدلول التوكيد المعنوي بالنفس والعين ، هو ذات المؤكد .
أي : أن التابع هو عين المتبوع وذاته ، وليس أمراً عرضياً مما يطرأ على المتبوع . أما التوكيد المعنوي بلفظ :
« كل وجميع » فإن المراد منهما هو إفادة الشمول (راجع الإشارة الخاصة بهذا في هامش
ص ٤٣٨ ، بعنوان : « ملاحظة هامة ») .

(٣) سيجيء القسم الثاني اللفظي في ص ٥٢٥ .

(٤) مجاز بالحذف ، أو : مجاز مرسل .

(٥) قلنا : في « الأغلب » . . . لأن الأمر قد يحتاج في إزالة كل الاحتمال إلى تعدد التوكيد المعنوي .

أو غيره ؛ ولتركَزَ الفهم في معنى حقيقى واحد : هو الوصول إلى جِرمِ القمر ذاته ، بسبب كلمة : « نفس » التى منعت أن يكون هناك لفظ محذوف كالمضاف — مثلاً — تنشأ عن ملاحظته وتخيُّله احتمالات مختلفة .

كذلك إذا سمعنا من يقول : « حَفِظْتُ ديوانَ المتنَّبى » فقد يخطر على البال سريعاً أنه حَفِظَ أكثرَهُ ، أو أحسنَهُ ، أو حِكَمَهُ . . . وأنه لم يقصد الشمول الحقيقى حين قال : « حَفِظْتُ ديوانَ المتنَّبى » ؛ وإنما قصد : حفظ أكثر ديوان المتنَّبى ، أو أحسن ديوان المتنَّبى ، أو أحكم ديوان المتنَّبى . . . فحذف المضاف سهواً ، أو : خطأ ، أولاً في حذفه هنا من مبالغة ، أو مجاز ، وكل منهما في تأدية المعنى أبلغُ وأقدرُ . فلو أنه قال : « حَفِظْتُ ديوانَ المتنَّبى كُلَّهُ » ما ترك — فى الأغلب — حول الشمول الكامل مجالاً لشيء من تلك الاحتمالات ، ولا لِسَخِيطِلِ شيء محذوف ؛ كالمضاف ، ولا لمبالغة ، أو مجاز ، أو نسيان ، ونحوه ؛ بل يَسَّجِه الفهم إلى معنى واحد ؛ هو : حفظ الديوان كاملاً غير منقوص . وقد نشأ هذا التركيز والاقتصار فى الفهم على المعنى الواحد من كلمة : « كل » .

فكلمة : « نفس » فى المثال الأول وما شابهه ، وكلمة : « كل » فى الثانى وما شابهه ، — تسمى : « توكيداً معنوياً » ؛ فهو :

« تابع ^(١) يزيل عن متبوعه ما لا يراد من احتمالات معنوية تتجه إلى ذاته ^(٢) »

(١) سبق — فى ص ٤٢٤ — بيان معنى التابع . وأحكامه العامة ، وترتيبه مع نظرائه ، وكل ما يتصل به . رين أهم أحكامه : أنه مثل متبوعه فى حركات الإعراب ، وجواز الفصل بينه وبين المتبوع على الوجه المشروح هناك ، بشرط ألا يكون المتبوع موصولاً ؛ فإنه لا يصح الفصل بتابع بين الموصول وصلته مطلقاً . . . (طبقاً لبيان التفصيل . فى ج ١ م ٢٧ ص ٣٤٢ باب : الموصول) وأن النعت يجوز قطعه (كما تقدم فى باب — ص ٤٨٦ —) كذا عطف البيان ؛ كما سيجىء عند الكلام عليه فى باب ص ٥٤٢ وكذلك عطف النسب فى رأى الصحيح — وسيجىء فى ص ٥٥٥ — أما التوكيد بنوعيه فلا يجوز القطع فيه مطلقاً ؛ حتى كلمة : « كل » حين تصير نعتاً فى بعض حالاتها التى تجىء فى ص ٥١٤ وقد أشار الصبان فى آخر « باب البدل » إلى رأى يجوز فى التوكيد القطع وهو رأى جدير بالإهمال . وأما البدل فيصح فيه القطع على الوجه الذى يأتى فى باب (ص ٦٧٧ « ه ») .

(٢) المراد بالذات هنا : حقيقة الشيء الأصلية ، وجملته كاملة ؛ فتشمل الذات الحسية ؛ —

مباشرة ، أو إلى إفادته العموم والشمول المناسبين للدلوله ^(١) . . .
 وإن شئت فقل : تابع يدلّ على أن معنى متبوعه حقيقى ؛ لا دخل للمبالغة فيه ، ولا للمجاز ، ولا للسّهو ، أو النسيان ، ونحوهما . . .
 فالغرض من التوكيد المعنوى هو إبعاد ذلك الاحتمال وإزالته ؛ إما عن ذات المتبوع ، وإما عن إفادته التعميم الشامل المناسب ^(١) للدلوله ، فإن لم يوجد الاحتمال لم يكن من البلاغة التوكيد .

* * *

ألفاظ التوكيد المعنوى :

ألفاظه الأصلية سبعة ، وقد تلحق بها - أحياناً - ألفاظ فرعية أخرى سنعرفها ^(٢) .
 والسبعة الأصلية ثلاثة أنواع :

الأول :

نوع يراد منه إزالة الاحتمال عن الذات في صميمها ^(٣) ، وإبعاد الشك المعنوى عنها . وأشهر ألفاظه الأصلية : نفس ^(٤) ، وعين ^(٥) . ومن الأمثلة قول أحد الرّحّالين : (. . . رأيت الساحر الهنديّ نفسه - وهو المعروف بألأعيه وحيله - يقبض على الجمرة عينها بأصابعه العارية ، ويظل كذلك دقائق كثيرة . . .) ، فكلّمة : « نفس » أزلت - فى الأغلب - الشك والمجاز عن ذات الساحر ، فلم

= كالجسم ، وباقى المحسوسات ، كما تشمل الحقائق المعنوية المحضة ؛ كذات العلم ، وذات الفهم ، وذات الأدب . . . - انظر ما يتصل بهذا فى رقم ٤ من هذا الهامش - .

(١ و ١) المراد من العموم المناسب للدلوله هنا : يشمل إزالة الاحتمال عن التثنية المقصودة حقيقة ، لا مجازاً ، كما يشمل إزالة الاحتمال عن الجمع المقصود حقيقة ، لا مجازاً . (ثم انظر « ب » من ص ٥٠٧) .

(٢) فى ص ٥١٧ .

(٣) أى : فى حقيقتها المادية (وهى المحسوسة - غالباً -) لا فى أمر عرضى مما يطرأ عليها .

(٤ و ٥) ليس المقصود هنا من « نفس » الشئ أو : « عين » الشئ مقصوداً على حقيقته المادية المحسوسة (أى : التى ندرکہا بإحدى الحواس) وإنما المقصود عام يشمل تكوينه المادى المحسوس كما يشمل تكوينه الذاتى الأصيل غير المحسوس بإحدى الحواس ، مثل : العلم - الفهم - الصدق .

ويزيد بعض النحاة توضيح هذا - كما جاء فى الحضرى عند الكلام على التوكيد بالنفس أو العين - بقوله : « (مراداً بهما جملة الشئ وحقيقته ، وإن لم يكن له نفس ولا عين حقيقة . فإن أريد بالنفس : « الدم » ، وبالعين : « الجارحة » ، كسفكت زيداً نفسه ، وفقتاً زيداً عينه ، لم يكونا توكيداً ؛ فهما فى المثال بدل بعض . . ») » ٥١٨ .

- انظر ما يتصل بهذا فى رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة - .

ترك مجالاً لتوهم أن المقصود شيء آخر غيرها ؛ كخادمه ، أو صبيه ، أو : أداته .
 أو شبيهه ... وإنما المقصود هو ذاته ، دون مبالغة ، أو مجاز ، ودون إرادة شيء سواها .
 وكذلك كلمة : « عين » فإنها أفادت النص على الذات ، وأبعدت عنها - في
 الأغلب - كل احتمال يقوم على تلك المبالغة ، أو المجاز ، أو إرادة معنى لا يتصل
 بصميمها مباشرة . وهذا معنى قولهم : إن التوكيد بالنفس أو بالعين يتقصر المعنى الحقيقي
 على الذات وحدها ، ويُركزه فيها ، ويزيل - في الأغلب - كل احتمال عنها آخر .
 وإذا وقعت كلمة : « عين ، أو نفس » ، تابعة على هذا الوجه ، سميت في
 اصطلاح النحاة « توكيداً » . أو : تأكيداً : أو « مؤكدة » - بكسر الكاف -
 والأول هو الأشهر ، وسمى متبوعها : مؤكّداً - بفتح الكاف - وهذا هو الشأن في
 جميع ألفاظ التوكيد .

حكمهما :

إذا كانتا للتوكيد وجب أن يسبقهما المؤكّد ، وأن تكونا مثله في الضبط الإعرابي ،
 وأن تضاف كل واحدة منهما إلى ضمير مذكور - حتماً - يطابق هذا المؤكّد
 في التذكير والإفراد وفروعهما ؛ ليربط بين التابع والمتبوع . تقول : صافحت والى
 نفسه - صافحت والى الذين أنفسهما - صافحت الولاة أنفسهم - صافحت والية
 عينها - صافحت واليتين أعينهما - صافحت واليات أعينهن . وهذا الضمير
 لا يجوز حذفه ولا تقديره^(١) . . .

فإن لم يتقدم المتبوع ، أو لم يوجد الضمير المضاف إليه ، المطابق - لم
 يصح إعرابهما توكيداً ، بل يجب إعرابهما شيئاً آخر على حسب الجملة ،
 (مبتدأ ، أو خبراً ، أو بدلاً ، أو عطف بيان ، أو مفعولاً به ، أو غيره^(٢)) . . .
 ومن أمثلة المفعول به :

من عاتبَ الجهالَ أتعَبَ نفسه ومن لام من لا يعرفُ اللومَ أفسدَا

(١) في توكيد الاسم بالنفس أو بالعين مع اشتباههما على ضمير مطابق للمؤكّد - يقول ابن مالك :

بِالنَّفْسِ ، أَوْ بِالْعَيْنِ الْأَسْمُ أَكَّدَا مَعَ ضَمِيرٍ طَابَقَ الْمُؤَكَّدَا
 وهذا الضمير لا بد من ذكره هنا وفي كل نوع من أنواع التوكيد المعنوي الآتية . ولا يصح حذفه مطلقاً
 في حالة هذا التوكيد .

(٢) انظر ما يتصل بحكم « النفس والعين » عند فقد المؤكّد - في ص ٥١٥ - .

ومما يلاحظ أن المطابقة ، حين يكونُ المؤكَّد بهما جمعاً تقتضى أن يُجمع جمع تكسير للقلة على وزن : « أَفْعُل » ، فقط ، ومنع أكثر النحاة الجموع الأخرى التي للقلة والكثرة ، فلا يصح : جاء الولاة نفوسهم ، ولا عيونهم وبناء على هذا الرأي لا بد أن تكون صيغتهما على وزن « أَفْعُل » مع إضافتهما ضمير الجمع ^(١) .

أما إذا كان المؤكَّد مثنى فالأفصح جمعهما على وزن القلة السابق وهو : « أَفْعُل » فيقال أنفُسُهُما - أعْيُنُهُما . لكن يصح إفرادهما وتثنيتهما ؛ فيقال : نفْسُهُما - عَيْنُهُما - أو : نفْسَاهما - عَيْنَاهما ^(٢) . ومهما كان وزن الصيغة في التثنية فلا بد من إضافتهما إلى ضمير المثنى ؛ ليطابق المؤكَّد ^(٣) . . .

(١) وفريق من النحاة يميز في كلمة : « عين » المستعملة في التوكيد جمعها للقلة على « أعيان » لكن الكثير الفصح هو وزن : « أنْعُل » ويحسن الاقتصار عليه ؛ متابعة للمطرد في كلام العرب .
(٢) يفهم مما سبق صحة الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، في كلمتي : « النفس والعين » إذا وقعت إحداهما توكيداً للمثنى . ولا بد من إضافتهما للضمير . . .

وبهذه المناسبة نذكر ضابطاً لغوياً مفيداً - (سبق تسجيله في ج ١ م ٩ بهامش ص ١١٠) - مضمونه : أن كل مثنى في المعنى ، مضاف إلى مُتَضَمِّنَتِهِ (بكسر الميم الثانية المشددة ، وصيغة اسم الفاعل ، أى : إلى ما اشتمل على المضاف) يجوز فيه الإفراد ، والتثنية ، والجمع ؛ نحو : قوله تعالى : (إِنْ تَسْتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) . ونقول : تصدقت برأس الكباشين - أو : رأسى الكباشين - أو رءوسهما . وإنما فضل الجمع على التثنية لأن المتضامفين كالأشياء الواحد ؛ فكهروا الجمع بين تثنيتهما ، ولأن المثنى جمع في المعنى . وفضل الجمع على الإفراد لأن المثنى جمع في المعنى ، والإفراد ليس كذلك ، فهو أقل منه دلالة على المثنى .

هذا ما نقله بعض النحاة - كالصبيان ، ج ٣ والخضرى ج ٣ ، في أول باب التوكيد منهما - وينطبق ما تقدم على : « النفس والعين » المستعملتين في التوكيد ؛ خضوعاً للسماع الوارد فيهما ، لا تطبيقاً للضابط السالف ؛ فقد قال الصبيان في الموضع المشار إليه : إن إضافتهما ليست لمتضمّنتهما ، بل إلى ما هو بهما ؛ لأن المراد منهما « الذات » . وفي ص ١٤٥ م ١١ من الجزء الأول أيضاً ضابط آخر لشارح المفصل فيه بعض المخالفة لما هنا .

(٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَأَجْمَعُهُمَا « بِأَفْعُلْ » إِنْ تَبِعَا مَا لَيْسَ وَاحِدًا تَكُنْ مُتَّبِعًا

أى : إن كانا تابعين (مؤكّدين) لغير الواحد ؛ وهو المثنى والجمع - فجىء بهما بمجموعين على صيغة : « أفعل » لتكون متبعا للنهج الصحيح .

هذا ، ويصح التوكيد بالنفس والعين معاً ، ولكن بغير حرف عطف ^(١) ،
ويجرى عليهما مجتمعين من حكم الإضافة للضمير المطابق ، وتقدم المتبوع ،
ومسايرته في الضبط الإعرابي ، وباقي أحكام التابع - ما يجرى على إحداهما
منفردة ؛ نحو : قابلت والى نفسه عينه - قبض الساحر على الجمرة نفسها
عينها . ويجب - في الرأي الأقوى - عند اجتماعهما تقديم النفس على
العين ^(٢) . . .

* * *

(١) لا يصح وجود حرف عطف قبل التوكيد المنوى . لأن وجوده يستلزم معنى غير المقصود
من التوكيد ، ويزيل عما بعده اسم التوكيد . (كما سيجيء في رقم ٣ من ص ٥٢٠) .
(٢) وقيل إن تقديم النفس على العين ليس بلام ولازم ولكنه حسن .

.

زيادة وتفصيل :

١ - تنفرد كلمتا : « نفس » ، و « عين » دون بقية ألفاظ التوكيد المعنوي^(١) ،
 بجواز جرهما بالباء الزائدة ؛ تقول : (ذهب الوالى نفسه ، أو بنفسه ، لمحاربة
 الخوارج) - (أبصرت الوالى نفسه ، أو بنفسه ، يحارب الخوارج) -
 (نظرت إلى الوالى نفسه ، أو بنفسه ، وهو في الميدان) . . . فكلمة « نفس »
 توكيد مجرور بالباء الزائدة في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة
 المتبوع . ويصح في الأمثلة السالفة - وضع كلمة : « عين » مكان : « نفس » فلا
 يتغير الحكم ، وتعرب مع حرف الجر مثلها ؛ توكيداً مجروراً في لفظه ، ولكنه في المحل
 تابع للمؤكد (أى : للمتبوع)^(٢) .

ب - إذا كان المتبوع (المؤكّد) كنية لوحظ في معنى التوكيد وإعرابه
 ما سبقت الإشارة إليه (فى : « ١ » من ص ٤٤) سواء أكان بلفظ : « نفس » ، أو عين
 أو غيرهما ، مما يصلح من ألفاظ التوكيد المعنوى .

* * *

(١) سبقت الإشارة لهذا - فى ج ٢ م ٩٠ ص ٤٥٦ ، باب : « حروف الجر » - وسيجيء
 (فى ص ٥٢١) عند الكلام على ألفاظ الشمول دخول هذه الباء على « أجمع » ولكنها هناك الباء الزائدة
 وجوباً ، اللازمة ؛ كالدخول على « أفعل » فى التعجب من جهة وجوب زيادتها ، وعدم مفارقتها . أما
 « الباء » الزائدة هنا فدخولها جائز ، وبقاؤها غير لازم .
 وفى ص ٥١٢ بعض أحكام عامة تنطبق على النفس والعين .

(٢) سبقت الإشارة لهذا عند الكلام على زيادة « الباء » الجارة (ج ٢ ص ٤٥٨ م ٩٠ باب
 حروف الجر) . كما سبق بيان بعض المراجع لهذا ، ومنها : « المنفى » (- ج ١ عند الكلام على « الباء »
 المفردة) و « الصبان » عند الكلام عليها فى باب : « حروف الجر » .

الثاني :

نوع يراد به إزالة الاحتمال والحجاز عن التثنية ، وإثبات أنها هي — وحدها — المقصودة حقيقة . وله لفظان : « كِلَا » للمثنى المذكور ، و « كلتا » للمثنى المؤنث ، نحو : أفاد الخبيران كلاهما ، ونفعت الخبيرتان كلتاهما . فلو لم تُذكر « كلا » و « كلتا » لكان من المحتمل اعتبار التثنية غير حقيقية ، وأن المقصود بالخبيرين أحدهما ، وبالخبيرتين إحداهما . . . فجيء « كِلَا » بعد المثنى المذكور ، و « كلتا » بعد المثنى المؤنث — يكاد يقطع في أصالة التثنية بفهم لا شك فيه ولا احتمال ، ويدل — في الأغلب — على أن المراد هو الدلالة على التثنية الحقيقية التي تنصب على اثنين معاً ، أو اثنتين معاً^(١) .

حكمهما :

لا بد عند استعمالهما في التوكيد أن يسبقهما « المؤكّد » ، وأن يكون ضبطهما كضبطه ، وأن تُضاف كل واحدة منهما إلى ضمير مذكور يطابقه في التثنية — ليربط بينهما — كما في الأمثلة السالفة . وهذا الضمير لا يصح حذفه ولا تقديره . فإذا تحققت الشروط ، وصارتا للتوكيد وجب إعرابهما إعراب المثنى^(٢) ، فيرفعان بالألف ، ويُنصبان ويجران بالياء المفتوح ما قبلها ، المكسور ما بعدها ؛ نحو : أفادني الوالدان كلاهما — أحببت الوالدين كليهما — دعوت الله للوالدين كليهما . نفعني الجدّتان كلتاهما — أطعت الجدّتين كلتيهما — استمعت إلى نصيح الجدّتين كلتيهما .

ولما كان الغرض من التوكيد بكلا وكلتا هو ما سلف ، كان من المستقيم بلاغة^(٣) أن يقال : تخاصم الرجلان كلاهما ، والمرأتان كلتاهما ، حيث لا مجال

(١) ولا فرق بين أن تكون التثنية على سبيل التفريق — وهذه لا تسمى تثنية اصطلاحاً — أو على غير سبيله ؛ نحو : فاز الأول والثاني كلاهما ، وفازت الأولى والثانية كلتاهما — وفاز السابقان كلاهما وفازت السابقتان كلتاهما .

(٢) هما من الألفاظ الملازمة للإضافة ، الملحقة في إعرابها بالمثنى . وقد سبق تفصيل شامل في إعرابهما . ومن المفيد الرجوع إليه (في ص ٩٨ وما بعدها ، وفي الجزء الأول ص ٧٩ م ٩ عند الكلام على المثنى وملحقاته) . من ذلك التفصيل تبين أمور هامة ؛ في مقدمتها : أنه لا يصح إعرابهما توكيداً إلا بعد تحقق الشروط الخاصة بهذا . لكن لا يلزم من تحقق الشروط إعرابهما توكيداً ؛ فقد يعربان توكيداً أو لا يعربان على حسب ما تقتضيه الدواعي الأخرى .

(٣) يغالي بعض النحاة فلا يميزه مطلقاً .

لاحتمال التخاصم من أحدهما دون الآخر ؛ لأن التخاصم لا يتحقق معناه إلا بوقوعه من اثنين حتماً ؛ فلا فائدة من صيغة التوكيد هنا ، ومثله : تَقَاتِلِ اللِّصَانَ ، وتحاربِ العدوان ، وأشباه هذا من كل ما يخلو من الاحتمال ، ويدل على « المفاعلة » الحقيقية ، أى : المشاركة الحتمية بين شيئين . . .

* * *

الثالث :

نوع يراد منه إفادة التعميم الحقيقى المناسب لدلوله المقصود ، وإزالة الاحتمال عن الشمول الكامل . وأشهر ألفاظه ثلاثة : (كُلٌّ - جميع - عامة) . وأقواها فى التوكيد ، وأكثرها أصالة ، هو : كُلٌّ ، ثم جميع ، ثم عامة - نحو : قرأت ديوانَ المتنبي كله ، واستوعبت قصائده كلها . فلو لم نأت بكلمة : « كُلٌّ » لكان من المحتمل أن المراد من المقروء ومن المستوعب ، هو : الأكثر ، أو الأقل ، أو النصف ، أو غير ذلك ؛ إذ ليس فى الكلام ما يدل على الإحاطة الكاملة ، والشمول الوافى . فنجيء لفظ : « كُلٌّ » ^(١) منع - فى الأغلب - الاحتمالات ، وأفاد الإحاطة والشمول بغير مبالغة ولا مجاز ^(٢) . . .

ومثل هذا : غردت العصافير جميعها لاستقبال الصبح . فلو لم تُذكر كلمة : « جميع » لكان من المحتمل أن المراد هو تغريد أكثرها ، أو بعض منها . . . إذ ليس فى الكلام ما يقطع بالدلالة على الإحاطة والشمول ، فلما جاءت كلمة : « جميع » أزيلت - فى الأغلب - الاحتمال ، وأفادت العموم القاطع . ومثلها كلمة : « عامة » (والتاء فى آخرها زائدة لازمة لا تفارقها فى إفراد ، ولا فى تذكير . ولا فى فروعهما . وهى للمبالغة ، وليست للتأنيث) ، تقول : حضر الجيش عامته - حضر الجيشان عامتهما - حضر الجيوش عامتهن - حضرت الفرقة عامتهن - حضرت الفرقتان عامتهما - حضرت الفرق عامتهن . . . حكمها :

لا بد فى استعمال كل لفظ من هذه الثلاثة فى التوكيد أن يسبقه المؤكّد ، وأن

(١) « كل » المستعملة فى التوكيد قد تفيد الدلالة على « الكل المجموعى » أو : « الكل الجمعى » طبقاً للبيان الآتى فى رقم ٦ من هامش ص ٥١٢ وهى فى الحالتين تختلف فى معناها وحكمها عن كلمة : « كل » المستعملة نعمتاً . وإلى سبق الكلام عليها فى رقم ٤ من ص ٤٦٦ .
(٢) انظر « الملاحظة » التى فى ص ١٥٥ بشأن المراد من « الشمول » وأحواله فى الألفاظ الدالة عليه ؛ مثل : كل - جميع - عامة . . .

يكون المؤكّد مماثلاً له في ضبطه ، ومضافاً إلى ضمير مذكور حتماً ، يطابقه في الإفراد والتذكير وفروعهما ؛ ليربط بينهما ، وأن يكون المؤكّد ، إما جمعاً له أفراد^(١) ، وإما مفرداً يتجزأ بنفسه ، أو بعامله^(٢) . فثال الجمع المؤكّد : حضر الزملاء كلهم ، أو : جميعهم ، أو عامتهم — كرّمت الزميلات كلّهن — أه جميعتهن ، أو عامتهن ، ومنه قول الشاعر :

لولا المشقة سادّ الناس كلّهم الجود يُفقر ، والإقدام قتال
ومثال المفرد الذي يتجزأ بنفسه : قرأت الكتاب كله ، أو : جميعه ، أو : عامته . ومثال المفرد الذي يتجزأ بعامله اشترت الحصان كله ، أو : جميعه ، أو : عامته .

لما سبق كان من المستقيم أن يقال : جاء الأرخ كله — مثلاً — لعدم الفائدة من التوكيد ؛ إذ يستحيل نسبة المحيىء إلى جزء منه دون آخر^(٣) . . . ومال أكثر النحاة إلى منع هذا وأمثاله ، ولم يكتفوا باستقبحه .

(١) ما الحكم في فاعل « نعم وبش » ونظائرها إذا كان مقترناً بالأداة التي تفيد « العموم » ، وهي : « آل الجنسية ، أو المهدية » ؟ أمجوز توكيده بأحد تلك الألفاظ الدالة على الشمول الكامل والعموم الحقيقي ؟ الإجابة عن هذا السؤال الهام مفصلة في « ١ » ص ٣٦٩ ثم ص ٣٧٤ وهما مشيما .

(٢) المراد بما يتجزأ بنفسه : ما يتكون من جملة أجزاء يمكن أن يستقل كل جزء منها وحده بتحقيق الفائدة منه من غير توقف على انضمامه إلى المجموع ؛ كالفضة — مثلاً — فإنها تتكون من أجزاء كل جزء منها ينفع — بنفسه — في شيء مطلوب ، وكذلك المال ، فإنه يتكون من دراهم ودنانير ، كل درهم أو دينار يؤدي منفعة من غير حاجة إلى انضمامه لنظيره . أما الذي يتجزأ بعامله فهو الذي له أجزاء لا ينفع الواحد في أداء مهمته الأساسية إلا باتصاله بجزء آخر ؛ لأن أجزاءه متأسكة متصلة ، لا يصلح واحد منها لتحقيق الفائدة الأصلية إلا حين يكون متصلاً بباقي نظرائه . لكنه يتجزأ باعتبار آخر خارج عن ذاته الأصلية ، وذلك الاعتبار حين يقع عليه أثر عامل نحوي ومعناه ، ويكون هذا المعنى ما يتجزأ . خذ — مثلاً — الحصان ؛ فإنه لا يمكن أن يتجزأ أجزاء يؤدي كل منها عمله الأصلي بعد التجزئ ، فإذا قلت : اشترت الحصان ، أو بعت الحصان . . . فإن الحصان معمول للفعل : اشترى ، أو : باع ، وكل من الشراء والبيع يتجزأ ؛ إذ يمكن شراء نصف الحصان ، أو ربعه ، أو ثلثه وكذلك بيمة ، فالعامل — كما نرى — يتجزأ ؛ لهذا يصح أن يقال : اشترت الحصان كله ، واستأجرت الخادم كله . والساقية كلها ، والسيارة كلها . . .

(٣) وفي ألفاظ الشمول الخمسة الأصلية يقول ابن مالك :

و « كَلَّا » اذْكَرُ فِي الشُّمُولِ وَ « كِلَا » كِلْتَا ، « جَمِيعًا » بِالضَّمِيرِ مُوَصَّلاً
وَاسْتَعْمَلُوا أَيْضًا كَكُلٍّ : « فَاعِلَةٌ » مِنْ : « عَمٌّ » فِي التَّوَكِيدِ ، مَثَلُ : النَّافِلَةُ
يريد : اذْكَرْ عِنْدَ إِرَادَةِ الشُّمُولِ لَفْظَةً لِلتَّوَكِيدِ الدَّالَّةَ عَلَى الشُّمُولِ ، وَهِيَ « كُلٌّ » وَ « كِلَا » وَ « كِلْتَا » —

وكل واحد من الألفاظ الثلاثة لا يفيد اتحاد الوقت عند وقوع المعنى على أفراد^(١)؛ ففي مثل : حضرت الوفود كلها - يصح أن يكون حضورها في وقت واحد ، أو في أوقات متباعدة ، ومثل : غاب الجنود كلهم ... ، يصح أن يكون الغياب في وقت واحد ، أو في أوقات متعددة . وهكذا ، فهي في معناها تفيد العموم المطلق من غير زيادة محتومة عليه ، أما ما زاد عليه فلا يفهم إلا بقريضة أخرى .

ويلحق بهذا النوع : ألفاظ العدد التي تفيد العموم^(٢) تأويلا ، لا صراحة ؛ وهي الأعداد المفردة (وتتركز في ٣ و ١٠ وما بينهما) فهذه الأعداد قد تضاف أحيانا إلى ضمير المعداد ، نحو : مررت بالإخوان ثلاثتهم ، أو خمستهم أو سبتهم ، أو ... ، بالنصب في كل ذلك على الحال^(٣) ، بتأويل : مثلثا إياهم ، أو : مخمستسا ، أو مسبتسا ...

ويصح إتباع اسم العدد لما قبله فلا يعرب حالا ، وإنما يعرب تأكيداً معنوياً ؛ بمعنى : جميعهم ، ويضبط لفظ العدد بما يضبط به التوكيد المعنوي ، والصحيح أن هذا ليس مقصوداً على العدد المفرد (كما يقول كثير من النحاة) ، بل يسرى على العدد المركب أيضاً ؛ نحو : جاء القوم خمسة عشرهم^(٤) بالبناء على فتح الجزأين في محل نصب . على الحال ، أو في محل آخر يطابق فيه المتبوع^(٥) .

= (وهذا إن إفادة الشمول في المثنى) و « جميعاً » ، ولا بد من وصل لفظ التوكيد بالضمير المطابق . ثم قال بعد ذلك إن العرب استعملت في الدلالة على الشمول لفظاً آخر يفيد ما يفيد لفظ « كل » ؛ وهذا اللفظ الآخر على وزن : « فاعلة » من الفعل : عَمَّ ، وهو : عامة (لأنها من غير ملاحظة الإدغام - على وزن : فاعلة) ، وأراد بقوله : « مثل النافلة » ، أنها على مثال : « نافلة » في الوزن ، وفي ثبات التاء في جميع الأحوال ، تذكيراً ، وتأنيساً ، وإفراداً ، وغير أفراد . فهذه التاء لازمة لا تتغير بحال .

(١) وله في هذا نظائر مستجيبة في ص ٥١٧ .

(٢) ما سنذكره سبق تدوينه في باب الحال ج ٢ ص ٢٩٧ م ٨٤ - عند الكلام على الحال المعرفة -

ويجىء كذلك في ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٣ ، ٣) وهي من المواضع التي تقع فيها الحال معرفة .

(٤) انظر ما يتصل بهذا ويوضحه ويبين مواقفه في رقم ٦ من هامش ص ٥١٢ بعنوان « ملاحظة » .

زيادة وتفصيل :

١ - في مثل قوله تعالى : (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) ، تعرب كلمة : « جميعًا » حالا ، ولا يصح إعرابها تأكيداً ؛ لعدم وجود الضمير الرابط .

وفي قراءة من قرأ قوله تعالى : (إِنَّا كُلًّا فِيهَا) ، لا يصح إعراب : « كُلًّا » تأكيداً ، لعدم وجود الضمير ، وإنما تعرب بَدَلًا من الضمير « نا » اسم : « إِن » بدل كل من كل . وهذا هو الإعراب الأحسن ؛ إذ لا ضعف فيه ، ولا مانع يمنع من إبدال الاسم الظاهر من الضمير الحاضر^(١) بدل كل من كل . . . - (كما سيجيء في باب البذل^(٢)) ومنه : قمتُم ثلاثُكُم . وبدل الكل من الكل لا يحتاج لرابط من ضمير أو غيره .

ب - إذا اجتمع أكثر من مؤكد معنوي - بشرط وجود داع بلاغي^(٣) ، يقتضي هذا الاجتماع - تقدمت^(٤) النفس على العين ، ويستحسن تأخير كلمة : « كل » عنهما ، ويليهما كلمة : « جميع » ثم كلمة : « عامة » وإذا تعددت ألفاظ التوكيد فهي للمتبوع وحده^(٥) ، ولا يصح - في الرأي الأنسب - اعتبار واحد منها تأكيداً للتوكيد . وهذا حكم عام في جميع ألفاظ التوكيد الأصلية والملمحة بها .

ج - قد تقع ألفاظ التوكيد المعنوي السبعة (وهي : نفس - عين - كلاً - كلنا - كل^(٦) - جميع - عامة) معمولة لبعض العوامل ، ولا تعرب تأكيداً - لعدم وجود المؤكّد - ؛ فتعرب على حسب حاجة ذلك العامل ، فاعلا ، أو مفعولا ، أو مبتدأ ، أو خبراً . . . و . . . وبالرغم من امتناع إعرابها تأكيداً -

(١) أي : ضمير المتكلم أو المخاطب .

(٢) ص ٦٨٢ .

(٣) هذا الداعي هو إزالة الاحتمالات لإزالة لاتم إلا بهذه الكثرة . فإن كانت تم بغيرها فلا داعي لتعدد التوكيد .

(٤) وجوباً أو استحساناً : تبعاً للخلاف الذي سبق في رقم ٢ من هامش ص ٥٠٦ .

(٥) كما سيجيء في رقم ٤ من ص ٥٠٣ وما قبلها مباشرة . ومنها نعلم أيضاً عدم صحة مجيء حرف عطف قبل التوكيد مادام توكيداً ، وإلا صار معطوفاً .

(٦) « ملاحظة » : قد تكون كلمة « كل » للتوكيد من غير أن تفيد الشمول والعموم =

تظل في حالتها الجديدة تؤدي معنى التوكيد كما كانت تؤديه من قبل ، مع أنها في حالتها الجديدة لا تسمى في اصطلاح النحاة توكيداً ، ولا تعرب توكيداً . وهذا كثير في : « جميع » ، و « عامة » ؛ نحو : الزائرون انصرف جميعهم ، أو : عامتهم — الزائرون رأيت جميعهم ، أو : عامتهم — الزائرون مررت بجميعهم ، أو بعامتهم . . .

أما : « كُلّ » فيكثر وقوعها — عند فقد المؤكّد — بعد عامل الابتداء ، فتكون مبتدأ ، ويقل وقوعها بعد غيره ؛ فمثال الأول : الحاضرون كلُّهم نابه . ومثال الثاني قول الشاعر :

يَمِيدُ^(١) إذا والت عليه دلائهم فيصدُرُ عنه كلُّها ، وهو ناهلُ

وهذا من القليل الذي لا يحسن محاكاته ، لوقوعها فاعلا مع إضافتها للضمير^(٢) . ومن الأمثلة للثاني : الحاضرون تكلم كلُّهم — الحاضرون سمعت كلُّهم ، وأعجبت بكلهم . . .

وكلمة : « كُلّ » في لفظها مفردة مذكورة دائماً^(٣) ، وإذا وقعت مبتدأ ، وأضيفت إلى نكرة — وجب في الأغلب عند المطابقة مراعاة معنى النكرة في خبر : المبتدأ : « كُلّ » ؛ كقوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) ، وقوله تعالى : (كل حزب بما لديهم فرحون) وقول جرير :

وكل قوم لهم رأى ومختبرٌ وليس في تغلبِ رأى ولا خبرٌ

= الحقيقي ، كما في قوله تعالى (ولقد آتينا آياتنا كلَّها) ، فإن الله لم يطلعه على جميع آياته . وهذا لأن كلمة « كل » — كما يذكر — قد يراد منها الكل المجموع كالأية ، وقد يراد منها الكل الجمعي الذي يشمل الأفراد ، فرداً فرداً (كما سيجيء في رقم ٢ من هامش ٥١٧) .

(١) يميز ، أى يضطرب : والضمير عائد على ماء البئر .

(٢) وهناك سبب آخر ؛ هو أنه قد يحدث لبساً في بعض الصور التي يحذف فيها المؤكّد الضمير (وسيأتي في ص ٥٢٢) مثل : الأسرة أكرمت كلها : أى : أكرمتها .

(٣) ولهذا إشارة في رقم ٢ من هامش ص ٧١ حيث تفصيل الكلام على إضافة « كل وما يترتب

على هذا من تعريفها أو عدم تعريفها ، وحالة النعت بعد المضاف إليه ، أيكون للمضاف أم للمضاف إليه^٤ نحو الوافي — ثالث

فإن أضيفت لمعرفة لم يلزم اعتبار المعنى ، وإنما يصح اعتباره أو اعتبار لفظ « كل » المفرد المذكور ؛ كقوله تعالى : « وكلهم آتية يوم القيامة فرداً » . وقوله عليه السلام : « كللكم راع ، وكللكم مسئول عن رعيته » ونحو : كللكم هداة للخير ، وكللكم داعون إليه . وقول الشاعر :

كلّ العداوات قد تُرجى إزالتها
إلا عداوة من عاداك من حسدٍ .
وقول الآخر :

كل المصائب قد تمر على النقي وتهون غير شماتة الحساد
وقد تقع بدلا كالتى فى الآية السابقة — ، فى ص ٥١٢ — على قراءة من قرأها
(إنا كلاً فيها) . وقد سبق أن قلنا^(١) ما نصّه :

« إنها تقع نعتاً بشرط إضافتها إلى اسم ظاهر ، مماثل للمنعوت فى لفظه ، وفى معناه معاً — وهو الأغلب — أو مماثل لشيء له صلة معنوية قوية به ، فثال الأول قول الشاعر :

كم قد ذكرتكِ لو أجزى بذكرِكُمُ
يا أشبه الناس كل الناس بالقمر
فكلمة : « كل » نعت للناس . ومثال الثانى قول الآخر :

وإن كان ذنبى كلّ ذنب فإنه
محا الذنب كلّ المحو من جاء نائباً
فكلمة : « كل » — فى الشطر الثانى — نعت للذنب ، وهى مضافة إلى ما له صلة معنوية بالمنعوت .

« وإذا وقعت كلمة : « كل » نعتاً صارت من الجامدة المؤول بالمشتق ، وصار معناها : « الكامل » فى كذا^(٢) . . . وهو معنى يختلف عن معناها فى التوكيد » . ٥١ .

ولا يجوز فيها القطع فى جالٍ استعمالها نعتاً أو توكيداً — كما سبقت الإشارة

(١) فى ص ٤٦٧ .

(٢) راجع ما له صلة بهذا فى ص ٤٦٤ و ٤٦٧ .

لهذا^(١) — ولا داعي للأخذ بالرأى الذى يبيح استعمالها تأكيداً فى الصورة السالفة التى تضاف فيها لاسم ظاهر مماثل لما قبلها على الوجه الذى شرحناه^(٢) ، لأن فى الأخذ به خروجاً على الكثير الفصيح من كلام العرب الذى يضيفها عند التوكيد إلى ضمير مطابق للمؤكد (المتبوع) — أما المضافة للظاهر فلها معنى آخر ، وتأويل مغاير ، كما رأينا .

« ملاحظة » : يقول الصبان فى هذا الموضع من باب : « التوكيد » ما نصّه :
 (« اعلم أنّ « كُلاً » وشبهها فى إفادة شمول كل فرد ، إن كانت داخلة فى حيز الننى — بأن أُخْرِتْ عن أداته لفظاً ؛ (نحو : « ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه . . . » ، وما جاء كل القوم ، وما جاء القوم كلّهم ، ولم آخذ كلّ الدراهم ، ولم آخذ الدراهم كلّها . . .) أو رتبة ؛ (نحو : كلّ الدراهم لم آخذ ، والدراهم كلّها لم آخذ . . .) توجه الننى إلى الشمول خاصة ، وأفاد سلب العموم . وإلا بأن قدّمت على أداته لفظاً ورتبة توجه الننى إلى كل فرد ، وأفاد عموم السلب ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « . . . كل ذلك لم يكن . . . » . وكالنى النهى . قال التفتازانى : « والحق أن الشق الأول أكثرى لا كلى » ؛ بدليل قوله تعالى : « والله لا يحب كلّ مختال فخور » . وقوله : « والله لا يحب كلّ كفّار أثيم » . — وقوله : « ولا تطع كلّ حلاف مهين ») . ١ هـ . كلام الصبان .

وأما « كلا » و « كلتا » فيكثر — عند فقد المؤكّد — وقوعهما بعد عامل الابتداء ، ويقل بعد غيره (فهما من هذه الناحية مثل : « كلّ ») ؛ فنثال الأول : الحاضران كلاهما^(٣) نابه — الحاضرتان كلاهما نابهة . . . ومثال الثانى ما قاله بعض الأعراب وقد خير بين شيئين : « كائيهما وتمسرا » . يريد : أعطنى كليهما وتمرا^(٤) . وفى هذه الصور وأشباهاها يفيدان معنى التوكيد ، لكن لا يصح إعرابهما تأكيداً .

وأما « نفس » و « عين » فالصحيح — عند فقد المؤكّد وقوعهما معمولين

(١) فى رقم ١ من هامش ص ٦٣ وقد تقدم فى باب النعت (ص ٨٦ و ٨٧) شرح القطع بيان أحكامه .

(٢) فى هامش ص ٥٠٢ . (٣) كلا : مبتدا ، مضاف . . .

(٤) كما جاء فى معجم : « لسان العرب » .

. ؟ .

— أحياناً — لبعض العوامل^(١)، وإفادتهما التوكيد المعنوي مع امتناع إعرابهما توكيداً^(٢)، ومن الأمثلة قوله تعالى: (كتب ربكم على نفسه الرحمة)^(٣)، ونحو: جاءني عين الكتاب . . . والعرب تقول: نزلت بنفس الجبل، ونفس الجبل مقابلي^(٤).

د — في جميع أنواع التوكيد المعنوي لا يصح اتحاد توكيد المتعاطفين إلا إذا اتحد عاملاهما معنى، فلا يقال غاب المسافر، وحضر الغائب كلاهما. فإن اتحد معنى العاملين صح اتحاد توكيد المتعاطفين، ولو كان لفظ العاملين مختلفاً؛ نحو: ذهب المسافر، وانطلق الصانع كلاهما.

ه — يجوز الفصل بين المؤكّد والمؤكّد بغير أجنبي محض من العامل؛ طبقاً للبيان الشامل الذي سلف^(٥) — ومنه قوله تعالى: (ولا يحزنن، ويرضين بما آتيتهن، كلهن . . .)، وقد اختلفت النحاة في الفصل بالحرف: «إمّا»، والأحسن الأخذ بالرأى الذي يبيحه فيقول: سأسعد بالقوم إمّا كأهم، وإما بعضهم . . .

و — سبقت الإشارة^(٦) إلى أنه لا يجوز — في أصح الآراء — قطع التوكيد مطلقاً^(٧) حتى كلمة: «كل» إذا صارت نعتاً وجب إتباعها، وعدم قطعها.

* * *

-
- (١) كما جاء في معجم: «لسان العرب» .
 (٢) انظر ما سبق — في ص — ٥٠٤ — متصلاً بهذا الحكم الخاص بفقد المؤكّد .
 (٣) وكذلك باقي السبعة، كما أسلفنا في ص ٥١٢ .
 (٤) انظر الزيادة «أ» في ص ٥٠٧ — لنوع من المناسبة . . .
 (٥) في ص ٤٣٥ .
 (٦) في رقم ١ من هامش ص ٥٠٢ .
 (٧) المعنوي وغير المعنوي.

ألفاظ التوكيد الملحقة ^(١) بالثلاثة :

هناك ألفاظ ملحقة بالثلاثة السالفة الدالة على الإحاطة والشمول ، وهذه الملحقة هي : أجمع - جمعاء - أجمعون - جُمعَ .

ولإنما سميت ملحقة لأن الكثير الفصيح في استعمالها أن تقع مسبوقة بلفظة : « كُلُّ » التي للتوكيد أيضاً ، ومطابقة لها ، ومقوية لمعناها ^(٢) ؛ وذلك بأن تقع : « أجمع » بعد : « كُلُّ » ، و « جمعاء » بعد : « كلها » ، و « أجمعون » بعد : « كلهم » ، و « جُمعَ » بعد : « كلهن » ، مثل : حصدت الحقل كله أجمع - سافرت الأسرة كلها جمعاء - أقبل الضيوف كلهم أجمعون - أقبلت الفتيات كلهن جُمعَ ^(٣) . . .

ومن الجائز - مع قلته ^(٤) - وفصاحته - أن تستقل كل واحدة من هذه الألفاظ الملحقة ، فتقع توكيداً غير مسبوقة بكلمة : « كل » التي أوضحناها . نحو : استوعبت النصح أجمع - استظهرت القصيدة جمعاء - صافحت الزائرين أجمعين ^(٥) - أكرمت الزائرات جُمعَ .

ولاتدل كلمة : « أجمعين » وأخوانها على اتحاد الوقت عند وقوع

(١) وهي التي أشير لها في ص ٥٠٣ - والثلاثة السالفة موضحة في ص ٥٠٩ .

(٢) وقد تزيل عنها احتمال عدم الشمول الكامل ، لأن لفظة : « كل » قد يراد منها : « الكل المجموعى » وليس « الكل الجميى » على الوجه السابق الموضح لها ، في رقم ٦ من هامش ص ٥١٢ .

(٣) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَبَعْدَ كُلِّ أَكَلُوا بِأَجْمَعَا جَمْعَاءُ ، أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ جُمِعَا

أى : بعد لفظة : « كل » التي للتوكيد استعمل العرب الألفاظ التي تقيمه بعدها لتقوية التوكيد بها ، وسرد تلك الألفاظ . . . علماً بأن كل واحد منها يستعمل مع مؤكّد (متبوع) يخالف ما يستعمل مع الآخر . . .

(٤) قلة نسبية ، وليست قلة ذاتية تمنع القياس ، فهي قلة بالنسبة للصورة الأخرى التي لا استقلال فيها . (راجع رقم ٢ من هامش ص ٧٩ حيث إيضاح القلة بنوعها) .

(٥) من الجائز إعراب : « أجمعين » حالا ، ولكن المعنى يختلف عن إعرابها توكيداً ، فعل إعرابها حالا يكون المعنى « مجتمعين » أى : في حالة اجتماعهم ، وعدم تفرقهم . وعلى إعرابها توكيداً يكون المعنى على الشمول والإحاطة ، وأن الإكرام شملهم فرداً فرداً . فبين المعنيين فرق واضح ، ومن الواجب عند الإعراب ملاحظة المعنى المراد دائماً ، لأن الإعراب لا بد أن يجارى المعنى المقصود .

المعنى على الأفراد ؛ فهى مثل : « كل » وأخواتها ، فى إفادة العموم المطلق دون زيادة عليه ^(١) . فإذا قلنا : قابلت الزائرين أجمعين فقد تكون المقابلة فى وقت واحد أو فى أوقات مختلفة .

والفصيح الذى يحسن الاقتصار عليه عدم تثنية : « أجمع » و « جمعاء » ، فلا يقال : أفادنى الكتابان أجمعان ، ولا أنشدت القصيدتين جمعاوين ، لأن أكثر العرب استغنوا « بكلا » و « كلتا » عن تثنية أجمع وجمعاء ^(٢) . . .

وهناك ألفاظ أخرى للتوكيد ، تجىء — مجتمعة أو غير مجتمعة — مرتبة وجوباً بعد « أجمع » وفروعها ، وهى بمعناها ، وتُعد من الملحقات أيضاً مثلها ، وتفيد فائدتها فى تقوية معنى : « كل » — إن وُجد فى الكلام لفظ : « كل » ^(٣) — وإزالة الاحتمال عن شمولها ؛ فيجىء بعد « أجمع » لفظ بمعناه وفائدته ؛ هو : « أكتنع » ، وإن شئنا الزيادة جئنا بعد « أكتنع » ، بلفظ : « أبصع » ، ثم إن شئنا الزيادة جئنا بلفظ : « أبنع » أخيراً . ونأتى بعد : « جمعاء » ، بلفظ : كتعاء ، ثم بصعاء ، ثم بتعاء . ونأتى بعد : أجمعين ، بلفظ : (أكتنعين ، ثم أبصعين ، ثم أبتنعين) — مجموعة جمع مذكر سالماً . وبعد : « جُمع » بلفظ : (كُتّع — بُتّع — بُصّع . . .) مجموعة على وزن : « فَعْل » ^(٤) فالمثال الذى يجمع لفظ التوكيد الأصلى هو : « كُلّ » ويليه ملحقاته المختلفة — كاملة أو غير كاملة — مرتبة على الترتيب السالف وجوباً ، وهو : سافر الوفد كله ، أجمع ، أكتنع ، أبصع ، أبنع — سافرت

(١) على الوجه المشرح فى ص ٥١٠ .

(٢) وفى هذا يقول ابن مالك مبيناً أن ألفاظ التوكيد الفرعية قد تستقل بنفسها ، فلا تجىء بعد لفظة : « كل » :

وَدُونَ كُلِّ قَدْ يَجِئُ أَجْمَعُ جَمْعَاءُ أَجْمَعُونَ ، ثُمَّ جُمُعُ

ثم يذكّر — بعد بيت آخر — الحكم بمنع تثنية « أجمع » ، وجمعاء ، استثناء عن تثنيتهما بكلا وكلتا :

وَأَغْنِ بِكِلْتَا فِي مُشْنَى ، وَكِلَا عَنْ وَزْنٍ «فَعْلَاءَ» وَوَزْنٍ «أَفْعَلَا»

(اغن بمعنى : استغن) . وسيجىء هذا البيت لمناسبة أخرى فى ص ٥٢٢ .

(٣) لصحة التوكيد بهذه الألفاظ ، وإن لم توجد كلمة : « كل » ، طبقاً لما تقدم .

(٤) وهذا هو الحكم الغالب — كما سيجىء فى باب المنوع من الصرف ج ٤ ص ١٩٤ م ١٤٧ — .

الكتيبة كلها جمعاء ، كتعاء ، بصعاء ، بتعاء — حضر المدعون كلهم ، أجمعون ، أكتعون ، أبصعون ، أبتعون ، وحضرت المدعوات كلهن جمع — كتع — بضع — بشع . ويقاس على هذا غيرها من الصور التي تستعمل في الأفراد والتذكير وفروعهما .

ويجب ملاحظة ما يأتي :

(١) أن جميع ألفاظ التوكيد الملحقة بالثلاثة الأصلية لاتضاف مطلقاً (لضمير ولا لغير ضمير^(١)) بخلاف ألفاظ التوكيد المعنوية الأصلية مثل : « كل » وسواها ؛ فلا بد من إضافتها لضمير مطابق للمؤكد ، كما عرفنا .

(٢) أن جميع ألفاظ التوكيد المعنوية الأصلية والملحقة — معارف ، فأما الأصلية فإنها معارف بسبب إضافتهما إلى الضمير الرابط ؛ فهي تكتسب منه التعريف . وأما الملحقة فإنها معارف بالعلمية ، لأن كل لفظ منها هو « علم جنس » يدل على الإحاطة والشمول ؛ ولهذا لا يجوز نصبه على الحال — في الرأي الصحيح^(٢) — ويجب منع الصرف في : « أجمع » و « جمعاء » و « جمع » ، وكل ما كان من تلك الملحقات على وزن : فَعْل (٣) .

(٣) أن ألفاظ التوكيد الملحقة إذا اجتمعت وجب ترتيبها على الوجه السابق ، وقبلها — في الغالب — لفظة : « كل » ، ويجب إعراب لفظة : « كل » توكيداً للمؤكد الذي قبلها — وكذلك بقية ما بعدها من الملحقات التي تجيء لتقويتها ، وإزالة الاحتمال عن شمولها ؛ فتعرب كل واحدة منها توكيداً معنوياً للمؤكد (المتبوع) وليس التالي توكيداً للتوكيد الذي سبقه — في الرأي الأنسب^(٤) —

(١) إلا كلمة : « أجمع » المسبوقة بالباء الجارة الزائدة لزوماً (في مثل : حضر الضيوف بأجمعهم) كما سيجيء في ص ٥٢١ .

(٢) إلا على رأي يميز تأويله بالمشق ، وليس بين الأعلام الجنسية ما يصح جمعه جمع مذكر سالماً إلا ما كان منها دالاً على الشمول التوكيدي ، نحو : « أجمع » وملحقاته ، فيقال ؛ « أجمعون وأجمعين » . . . لأنه في أصله مشتق (صفة) فهو في أصله أفعّل تفضيل أصالة (كما جاء في الصبان ، ج ١ باب المعرب والمبني عند الكلام على جمع المذكور) .

(٣) كما سيجيء في باب المنوع من الصرف ج ٤ ص ١٩٤ م ١٤٧ .

(٤) راجع الأشموني ، وانظر ما يتصل بهذا في « ب » من ص ٥١٢ وهناك رأي يجعل لفظ التوكيد بعد كلمة : « كل » تأكيداً لها ، وتقوية لإفادتها الإحاطة والشمول . وقد أشار إليه بعض الباحثين (ومنهم صاحب مجمع البيان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٩٩) لكن الرأي الأول أحسن وأنسب .

ولا يصح عطف هذه الملحقات بعضها على بعض . أو على شيء قبلها مادامت مستعملة في التوكيد ؛ لأن جميع ألفاظ التوكيد المعنوية الأصلية والملحقة – لا يصح أن يسبقها عاطف ؛ – كما سلف ^(١) . –

وكذلك لا يصح – في الرأي الأصح – الفصل بين كلمة : « كل » وما يليها من هذه الألفاظ الملحقة المستعملة في التوكيد – كما تقدم ^(٢) . –

(٤) عرفنا ^(٣) أن جميع ألفاظ التوكيد الأصلية والملحقة إذا تعددت كانت توكيداً للمتبوع وحده ولا يصح أن يكون أحدها توكيداً للتوكيد . –

* * *

(١) في ص ٥٠٦ .

(٢) في هامش ص ٤٣٦ .

(٣) في « ب » من ص ٥١٢ وفي رقم ٣ من النسخة السابقة .

زيادة وتفصيل :

١- من الأساليب الصحيحة - كما سبقت الإشارة^(١) - جاء القوم بأجمعهم (بفتح الميم ، أو ضمها) . فكلمة : « أجمع » هذه من ألفاظ التوكيد القليلة ، ولا بد أن تضاف إلى ضمير المؤكد ، وأن تسبقها الباء الزائدة الجارة . وهي زائدة لازمة لاتفارقها . وتعرب كلمة : « أجمع » توكيداً مجرور اللفظ بالباء الزائدة اللازمة ، في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة المؤكد (المتبوع) . وهذا الإعراب أوضح وأيسر من إعرابها بدلاً من المتبوع ، مجرورة اللفظ بالباء في محل رفع ، أو : نصب ، أو : جر ؛ لأن صاحب هذا الإعراب لا يجعل « أجمع » هنا من ألفاظ التوكيد ، برغم أنها - عنده - تؤدي معناه وتضاف إلى ضمير مطابق للمؤكد .

* * *

ب - تلخص أهم الأحكام السابقة الخاصة بألفاظ التوكيد المعنوي فيما يأتي :

(١) وجوب تقدم المؤكد (المتبوع) . ومماثلة التوكيد له في الضبط
(٢) وجوب إضافة لفظ التوكيد إلى ضمير مطابق للمؤكد إذا كان لفظ التوكيد أساسياً ، لاملحقة . وهذا الضمير لا يصح حذفه ولا تقديره .

(٣) وجوب تطبيق أحكام التابع التي سبق بيانها ، (في ص ٤٣٥) . على ألفاظ التوكيد .

(٤) امتناع وجود عاطف يدخل على لفظ التوكيد إذا أريد بقاؤه للتوكيد .
(٥) عدم قطعه .

(٦) إذا تعددت ألفاظ التوكيد كانت لتوكيد المتبوع وحده وروعي في تقديم بعضها عن بعض ترتيب خاص .

(٧) جميع ألفاظ التوكيد الأصلية والملحقة معارف .

(١) في هامش ، ص ٥٠٧ ورقم ١ من هامش ص ٥١٩ وفي الجزء الثاني - باب «حروف

توكيد النكرة :

ألفاظ التوكيد المعنوي معارف^(١) بذاتها ، أو بإضافتها إلى الضمير المطابق للمؤكد . (المتبوع) . والنكرة تدل على الإبهام والشيوع ؛ فهما متعارضان تعريفاً وتكبيراً .

لكن يجوز - في الرأي الأصح - توكيد النكرة إذا أفادها التوكيد شيئاً من التحديد والتخصيص ؛ يقربها من التعريف نوعاً . وإلا لا يجوز ، لأنه لا فائدة منه .

وتتحقق استفادتها من التوكيد إذا اجتمع فيها أمران :

أولهما : دلالتها على زمن محدود بابتداء وانتهاء معينين . معروفين ، كيوم وأسبوع ، وشهر . . . ، أو على شيء معلوم المقدار ؛ كدرهم ، ودينار . . .
وثانيهما : أن يكون لفظ التوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول التي عرفناها ؛ تقول عملت يوماً كله - وسافرت أسبوعاً جميعه - وتنقلت شهراً عامته . . .
وتبرعت بدينار كله . . . وكقول الشاعر^(٢) :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجبُ يا ليت عِدَّةَ حَوَلٍ كُلِّهِ رَجَبُ
وعلى أساس ما تقدم لا يصح : عملت زمناً كله - ولا أنفقت مالا كله ؛ لأن النكرة غير محدودة الوقت ، ولا معلومة المقدار . كما لا يصح ؛ عملت يوماً نفسه ، أو عينه ؛ لأن لفظ التوكيد ليس من ألفاظ الإحاطة والشمول^(٣)

* * *

حذف المؤكّد (المتبوع) توكيداً معنوياً :

منعت جمهرة النحاة حذف المؤكّد (المتبوع) بحجة أن الحذف مناف

(١) سبق البيان في رقم ٢ من ص ٥١٩ .

(٢) في بعض الروايات .

(٣) وفي جواز توكيد النكرة التي يفيدها التوكيد يقول ابن مالك مبيناً أنه جائز إن أفاد ، وأن

البصريين لا يبيحونه مطلقاً .

وَأَنْ يُفِيدَ تَوْكِيدُ مَنْكُورٍ قَبْلَ وَعَنْ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ الْمَنْعُ شَمِلُ

ثم سرد بعد هذا بيتاً سبق تسجيله وشرحه في مكانه الأنسب (ص ٥١٨) هو :

وَاعْنِ بِكِلْتَا فِي مِثْنِي ، وَكِلَا عَنْ وَزْنٍ : «فَعْلَاءَ» وَوَزْنٍ : «أَفْعَلَاءَ»

لـلـغرض من توكيده توكيداً معنوياً . وأجاز آخرون الحذف ، بشرط أن يكون المؤكّد (المتبوع) ضميراً رابطاً في جملة الصلة ، أو : الصفة ، أو : الخبر ؛ نحو : جاء الذى أكرمت نفسه ، أى : أكرمته نفسه - جاء قوم أكرمت كلّهم ، أجمعين ، أى : أكرمتهم كلّهم أجمعين - الأسرةُ أكرمت^(١) كلّها أجمعين ، أى : أكرمتها كلها أجمعين ، وحذفه - عند هؤلاء - فى الصلة أكثر من الصفة ، وفى الصفة أكثر من الخبر .

والأحسن الاختصار على الرأى الذى يمنع الحذف جهد الاستطاعة ، لأن حجتهم أقرب إلى العقل والسماع ، ورأيهم أبعد من اللبس والشك ، ولم يستند الموافقون على الحذف - إلى الأدلة والأمثلة الماثورة التى تكفى لتأييد رأيهم .

* * *

توكيد الضمير المرفوع المتصل والمنفصل توكيداً معنوياً . . .

١- إذا أريد توكيد الضمير المتصل ، المرفوع ، (المستتر أو البارز) توكيداً معنوياً يزيل الاحتمال عن الذات ، جىء بلفظ التوكيد الذى يحقق هذا الغرض ؛ وهو : « نفس » أو « عين » ، بشرط أن يَفْصِلَ بينه وبين المؤكّد إما ضمير منفصل مرفوع يُعربُ توكيداً^(٢) لفظياً مناسباً للضمير السالف ، (أى : للمؤكّد) ، وإما فاصل آخر ليس ضميراً ، نحو : أسرع أنت نفسك للصارخ . ونحو : رغبت أنت نفسك فى الخير - رغبتاً أنما أنفسكما فى الخير - رغبت أنتم أنفسكم فى الخير - رغبت أنن أنفسكن فى الخير . ويجوز : (رغبت - حتماً - نفسك فى الخير) - (رغبت يوم الجمعة نفسك أن تسافر) - (رغبتاً - حتماً - أنفسكما فى الخير) . . . وهكذا . فالفصل واجب ، ولكن الفصل بالضمير المنفصل أحسن وأفصح^(٣) . . .

(١) راجع ماسبق خاصاً بهذا المثال فى رقم ٢ من هامش ص ٥١٣ ومن المراجعة يتبين أن هذا الأسلوب صحيح ، ولكن إعراب كلمة : « كل » يختلف باختلاف الرأى ؛ فهو هنا لا يحتمل إلا التوكيد المفيد للشمول ، بسبب وجود كلمة « أجمعين » بعده الدالة على الكل « الجمعى » لا الجموعى ، وقد أوضحنا نوعى « الكل » فى رقم ٦ من هامش ص ٥١٢ .

(٢) انظر إعرابه فى ص ٥٣٠ .

(٣) وقد يكون من فائدة الفصل على الوجه السالف منع احتمالات معنوية غير مقصودة =

وعلى أساس ما سبق لا يصح : " تكلم المحمدون هم أنفسهم " على اعتبار الضمير : (هم) توكيداً ، لأن المؤكّد (المحمدون) ليس ضميراً متصلاً مرفوعاً ، وإنما هو اسم ظاهر لا يؤكده الضمير توكيداً معنوياً^(١) والاسم الظاهر أقوى في الدلالة من الضمير ؛ إذ لا يحتاج إلى مرجع يفسره ، بخلاف الضمير .

أما في نحو : " المحمدون أكرمهم هم أنفسهم " فالفصل جائز لا واجب ؛ لأن المؤكّد ضمير متصل ، ولكنه ليس مرفوعاً ؛ فيؤكّد الضمير بالضمير ، ويجوز : المحمدون أكرمهم أنفسهم بغير توكيد بالضمير . وأما في نحو : المحمدون قاموا كلّهم ، فالفصل جائز أيضاً لا واجب ؛ لأن لفظ التوكيد وهو : « كل » ليس : « النفس » أو « العين »^(٢) . . .

ب- وإذا أريد توكيد الضمير المرفوع المنفصل ، بالنفس « أو : « بالعَيْن » ، فحكمه حكم توكيد الاسم الظاهر بهما ؛ كلاهما لا يحتاج إلى

= الصور ، في مثل : خرجت البقرة ، عنها ، أو نفسها - قد يخطر بالبال أن المراد هو روح عنها التي تبصرها ، وخرج نفسها التي بها حياتها ، وهي : الروح ، فإذا جاء الفاصل منع هذا الاحتمال ، أو أضعف شأنه - وهذا صحيح - ويقولون : حملت الصور الأخرى التي لا احتمال فيها - على هذه !! والحق أن السبب هو استعمال العرب ليس غير .

(١) في ص ٥٢٨ صورة تدل على صحة التوكيد اللفظي - لا المعنوي - بالضمير .

(٢) فيما سبق يقول ابن مالك .

وإن توكّد الضمير المتّصل بالنفس والعين فبعد المنفصل عنيّت ذا الرّفْع ، وأكّدوا بما سواهما ، والقيّد لن يُلْتَزَمَا

يقول : إذا أردت أن تؤكّد الضمير المتصل بواحد من لفظي التوكيد : « النفس » أو « العين » صح التوكيد بأحدهما بعد أن يسبقه التوكيد اللفظي بضمير منفصل يفصل بين التابع والمتبوع . ولما كان البيت السابق لا يبين نوع الضمير المتصل الذي يراد توكيده ، أهو مرفوع ، أم غير مرفوع - تدارك الأمر في البيت الذي يليه فقال : « عنيّت ذا الرّفْع » ، أي : قصدت بالضمير المتصل صاحب الرّفْع ، أي الضمير المتصل المرفوع .

وأوضح بعد ذلك جواز التوكيد المعنوي بلفظ آخر مناسب ، غير لفظي « نفس » و « عين » ، وبفاصل غير ذلك الضمير المنفصل أو بلا فاصل ، فالتقييد بالنفس والعين لازم عند توكيد الضمير ، وكذا التقييد بالفاصل غير لازم ما دام المتبوع ليس ضمير رفع متصل

فاصل ؛ تقول : أنت نفسك سافرت - أنتم أنفسكما سافرتما - أنتم أنفسكم سافرتم . . . وهكذا . . .

* * *

القسم الثاني التوكيد اللفظي^(١) :

هو تكرار اللفظ السابق بنصه^(٢) ، أو بلفظ آخر مرادف^(٣) له .

والمؤكد (المتبوع) ، قد يكون اسماً ، نحو : الشمسُ الشمسُ أم الأرض . وقد يكون فعلاً ؛ نحو : تتحرك تتحرك الأجرام السماوية ، وقد يكون حرفاً ؛ نحو : نَعَمْ نَعَمْ أيها الداعي إلى الهدى . وقد يكون جملة فعلية ، أو : اسمية ؛ نحو : (الخير محمودُ المغيبة - تواتيك عواقبه) . (الخير محمود المغيبة - تواتيك عواقبه) . وقد يكون اسم فعل ؛ نحو :

(١) تقدم القسم الأول (المعنوي) في ص ٥٠١ . وفي رقم ٢ من هامش تلك الصفحة بيان المدلول الحقيقي للتوكيد اللفظي .

(٢) ولا يضر أن يدخل على نصه بعض تغيير يسير ، كقوله تعالى : « فَمَهْلُ » الكافرين أمهلهم رويداً . فكلمة : « أمهل » توكيد لفظي للفعل السابق . والضمير : « هم » عائد على : « الكافرين » لا محل له من الإعراب (انظر ١) من الأحكام التي في ص ٥٢٧) ومن هذه الآية يفهم أيضاً أنه يجوز في التوكيد اللفظي الفصل بين المؤكد والمؤكد .

وشيء آخر قاله النحاة في ج ٤ : « باب تابع المنادى » عنديت ابن مالك :

في نحو : سعدُ سعدُ الأوسُ ينتصبُ ثانٍ وضمٌ وأفتح أولاً تُصبُ إن ضُمّت . كلمة : « سعد » الأولى كانت الثانية منصوبة ، على اعتبارها توكيداً لفظياً ، أو مفعولاً به لفعل محذوف ، أو بدلاً ، أو عطف بيان ، أو منادى . . .

ثم قالوا : كيف تعرب توكيداً لفظياً مع اتصالها بما لم يتصل به المتبوع (وتقدم مثل هذا الاعتراض في رقم ١ من هامش ص ٥٠٦) ومع اختلاف جهتي التعريف بينهما ؟ إذ تعريف المتبوع هنا بالعلمية ، أو بالنداء - على الخلاف في ذلك - وتعريف التابع بالإضافة ، لأنه لا يضاف حتى يجرّد من العلمية . . ؟ أجابو : قد يكتفى في التوكيد اللفظي بظاهر التعريف ، وإن اختلفت جهته ، وتباين المعرف ، أو اتصل به شيء (راجع حاشية الخضرى عند البيت السالف . وستجىء الإشارة لهذا أيضاً في ج ٤ رقم ٢ من هامش ص ٤٠) وللبحث صلة بما سيجىء في القسم الأول من أحكام البذل - ص ٦٧٦ وبالقاعدة الهامة التي في ص ٦٧٩ وتختص بعدم اتصال البذل بعامله .

(٣) المرادف هو : لفظ يؤدي معنى لفظ آخر تماماً ، ويخالفه في حروفه ، فن الأسماء الفضة واللجين - الذهب والتبر - . . . ومن الأفعال قعد وجلس . . . ومن الحروف : نعم وجير . . . ومن المرادف قولهم : أنت حقيق قَمِينٌ . . ومعنى كل من الكلمتين : جدير . ومن هذا النوع - عند الفراء - الحرفان : ما ، وأن المصدريتان ؛ في قوله تعالى : « وإنه لحقٌ مثلٌ ما أنكم تنطقون . . » .

هي الدنيا تقول يَمْلَأُ فيها حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَغَدْرِي
ومثال التوكيد اللفظي بالمرادف : الذهبُ التبرُّ نَحْتِيْ في صحارينا . . . هذا ،
وفي جميع صور التوكيد اللفظي وحالاته لا يصح تكرار اللفظ السابق (وهو : المؤكَّد) ،
أكثر من ثلاث مرات ؛ كقول الشاعر :

أَلَا حَبْدًا ، حَبْدًا ، حَبْدًا صديق تحملتُ منه الأذى
وقول الآخر :

أَلَا ، يَا اسْلَمِي ، ثُمَّ ^(١) اسْلَمِي ، ثُمَّ ^(٢) اسْلَمِي
ثلاثَ تَحِيَّاتٍ ، وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي ^(٣) . . .

الغرض منه : الغرض من التوكيد اللفظي ^(٤) ؛ أمور ؛ أهمها :
تمكين السامع من تدارك لفظ لم يسمعه ، أو سمعه ولكن لم يتبينه . وقد يكون الغرض
التهديد ؛ كقوله تعالى في خطاب المعاندين بالباطل : (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ،
ثُمَّ كَلَّا ، سَوْفَ تَعْلَمُونَ) .

وقد يكون التهويل : كقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ ^(٥) مَا يَوْمُ الدِّينِ ^(٦) ؟
ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ؟ » .
وقد يكون التلذذ بترديد لفظ مدلوله محبوب مرغوب فيه ، نحو : (الصحة ،
الصحة !! ، هي السعادة الحقَّة الحقَّة) — (اللجنة الجنة !! ما أسعدَ من يفوز بها) .
— (الأم ، الأم !! أعذب لفظ ينطق به القم ^(٧)) . .

(١ ، ١) إذا كان التوكيد اللفظي جملة مكررة جاز أن تكون مسبقة بحرف العطف « ثم » أو
« الفاء » وعندئذ لا يكونان حرفي عطف ، وإنما يخضعان للحكم الخاص بهذه الصورة ، وهو مدون في
« هـ » من ص ٥٣٦ وبها مشها هذا البيت لمناسبة هناك .

(٢) أي : وإن لم تتكلمي .

(٣) الفرق بينه وبين التثنية موضح في الملاحظة الهامة (رقم ٢ من هامش ص ٤٣٨) .

(٤) ما أعلمك ؟ ما أخبرك ؟ — أدري : فعل ماض ، في هذا البيت وهي في الآيتين بعده توكيد
لفظي لبعض الحروف والأسماء والأفعال والجمل ، فراجع الحكم في ص ٥٢٧ وص ٥٣٧ وما بعدها .

(٥) يوم الجزاء والحساب ، وهو يوم القيامة .

(٦) وقد اقتصر ابن مالك فيما سبق على تعريف التوكيد بقوله :

وَمَا مِنَ التَّوَكِيدِ لَفْظِيٍّ يَجِي مُكْرَرًا : كَقَوْلِكَ : اذْرُجِي اذْرُجِي
أي : والذي هو لفظي من التوكيد يجيء مكرراً . . . فالتوكيد اللفظي عنده هو ما يجيء مكرراً سواء
أكان تكراره باللفظ والمعنى معاً أم بالمعنى مع اختلاف اللفظ .

هذا ، والأغراض السالفة هي أهم ما يميز التوكيد اللفظي بالمرادف من عطف البيان — كما سيجيء في بابه ^(١) . . .

* * *

أحكامه :

للتوكيد اللفظي أحكام تختلف باختلاف نوع المؤكد (المتبوع) من ناحية أنه اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو جملة ، أو اسم فعل ، وتتلخص هذه الأحكام فيما يأتي ، (والأول منها عام ينطبق على جميع أنواع التوكيد اللفظي) ، ولا يختلف فيه نوع عن نوع :

١ — اللفظ الذي يقع توكيداً لفظياً ، ممنوع من التأثير والتأثير ، (أى : لا تؤثر فيه العوامل ؛ — فلا يكون مبتدأ ، ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً به ، ولا غيره . . . ؛ فليس له موضع ، ولا محل من الإعراب ، مطلقاً — وكذلك ليس له تأثير في غيره مطلقاً ؛ فلا يحتاج لفاعل ، أو مفعول ، أو مجرور ، أو غيره ^(٢) . . .) وإنما يقال في إعرابه : « إنه توكيد لفظي لكذا . » ؛ فهو تابع له في ضبطه الإعرابي ، من غير أن يكون كالمتبوع فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مبتدأ ، أو غير ذلك . . . ومن غير أن يكون له محل من الإعراب ، أو معمول . . . ولا فرق في هذا الحكم بين أن يكون لفظ التوكيد اسماً ، أو فعلاً ، أو حرفاً ، أو جملة ، أو اسم فعل ؛ ففي مثل : إن الشمس إن الشمس قاتلة للجرائم ، تُعرب : « إن » الثانية « توكيداً لفظياً » ، وليس لها عمل ولا محل . كما تعرب « الشمس » الثانية « توكيداً لفظياً » وليس لها عمل ولا محل ، وليست معمولة . و « قاتلة » خبر « إن » الأولى ، التي لها العمل وحدها ، وهي التي تحتاج إلى الاسم والخبر ، دون الثانية .

(١) إيضاح الفرق بينهما في ص ٥٤٢ . وسيجيء في رقم ١ ، ٢ من هامش ص ٦٦٧ ما يفيد التشابه الظاهري — أحياناً — بين ألقاظ بدل الكل ، وعطف البيان ، والتوكيد اللفظي ، وطريقة التفريق بين كل منها .

(٢) سبق هذا الحكم لمناسبة أخرى في باب : « التنازع » (ج ٢ ص ١٧٩ « د » م ٧٣) ويعارضه رأي آخر مدون هناك ، ثم بيان الفصيل في الأمر — وله إشارة أيضاً في ج ٢ م ٦٦ ص ٧٠ .

ويصح أن يقال — كما سيجيء^(١) — : إن الشمس إنها قاتلة للجراثيم .
فكلمة « إن » الثانية تأكيد لفظي لا عمل لها ولا محل ، و « ها » ضمير عائد
على الشمس ، مبنى على السكون ، لا محل له من الإعراب ؛ فليس اسماً لـ « إن » ،
ولا لغيرها ، ولا عاملاً ، ولا معمولاً لشيء مطلقاً ؛ وإنما هو مجرد رمز يحاكي^(٢)
اسم « إن » الأولى ، ويعرب تأكيداً لفظياً له^(٣) . . . وهكذا كل رمز آخر يشبهه .
ومن الواجب مراعاة ما سبقت^(٤) الإشارة إليه ، وهو : أن المؤكّد (المتبوع)
لا يصح تكراره أكثر من ثلاث مرات .

ب — إن كان المؤكّد (وهو : المتبوع) اسماً :

(١) فإن كان اسماً ظاهراً (ومثله : اسم الفعل) . فتوكيده اللفظي يكون
بمجرد التكرار ، نحو : النجومُ النجومُ معلقة في الفضاء ، والشمسُ واحدة
منها ، والأرضُ الأرضُ كالخصاة الصغيرة بين آلاف من الكواكب
الأخرى . فكلمة : « النجوم » الثانية ، وكذلك كلمة : « الأرض » الثانية —
توكيد لفظي ، وكتاهما تضبط كالأولى ، لأنها تابعة لها في الضبط فقط ، من غير أن
يقال عن الثانية إنها مبتدأ ، أو خبر ؛ أو فاعل ، أو غيره مما له موقع إعرابي . . .
ويستثنى من هذا الحكم الأسماء الموصولة ، فإنها لا تؤكّد توكيداً لفظياً
إلا بإعادة لفظها وصلته معه ، فلا يجوز تكرار اسم الموصول وحده دون تكرار
صلته . نحو : الذي سمك السماء . الذي سمك السماء — قادر على ذلك عروش
الظالمين . . .

هذا ، والأغلب أن الاسم الظاهر لا يكون توكيده اللفظي ضميراً — لما
سبق بيانه^(٥) — .

(١) في رقم ٣ من ص ٥٣٢ .

(٢) يقولون في إعراب هذا إنه جاء بقصد محاكاة الاسم السابق ، فإمراد بالمحاكاة من الناحية
الإعرابية ؟ أم التوكيد اللفظي أم شيء غيره ؟ فإن كانت هي التوكيد اللفظي فكيف نوفق بينها وبين
ما نصوا عليه (في هذا الباب — وغيره — ص ٥٢٤) من أن الضمير لا يؤكد الاسم الظاهر ، إذ
الاسم الظاهر أوضح منه ، لعدم حاجته إلى مرجع يفسره ؟ أهذه الحالة مستثناة ، والقاعدة السالفة . أغلبية ؟
نعم هذا الذي يفهم من كلام في حاشية ياسين على شرح التصريح في أول بحث : « التوكيد اللفظي » .
(٣) ومثله الضمير : « هم » في قوله تعالى : (فهل الكافرين أمهلهم رويداً) — انظر رقم ٢
من هامش ص ٥٢٥ — .

(٤) في ص ٥٢٦ .

(٥) في ص ٥٢٤ . وانظر رقم ٢ من هذا الهامش .

(٢) وإن كان المؤكّد (وهو المتبوع) ضميراً متصلاً - مرفوعاً ، أو غير مرفوع - فمن الممكن توكيده توكيداً لفظياً بضمير يماثله في معناه لافي لفظه ؛ فيكون توكيده بالضمير المنفصل المرفوع المناسب له في الأفراد والتذكير وفروعهما ؛ نحو : رأيت أنت^(١) الخير وافي خاملاً - يُفْرَحُك أنت وصول الحق إلى صاحبه - هل لك أنت في عمل الخير فتؤجّر ؟ . ونحو : رأيتما أنتم . . . رأيتم أنتم . . . رأيتم أنتم^(٢) ففي الأمثلة السالفة وقع الضمير المنفصل المرفوع (أنت وفروعه) ، توكيداً لفظياً لضمير قبله متصل ، مرفوع ، أو : منصوب ، أو مجرور ؛ وفي كل حالة من الثلاث يعرب الضمير « أنت » ، وفروعه - توكيداً لفظياً مبنياً على الفتح أو غيره ، ولا يقال فيه إنه مبنى في محل رفع ، أو : نصب ، أو : جر ، إذ ليس للتوكيد اللفظي محل إعرابي ، لأن المحل الإعرابي لا يكون إلا للمبتدأ ، أو الخبر ، أو الفاعل ، أو غيرها مما له موضع إعرابي لا يقوم على التوكيد اللفظي . ومن الضمير المرفوع المتصل ما هو بارز كالأمثلة السابقة ، وما هو مستتر كالفاعل لكل من الأفعال الآتية في قوله عليه السلام : « كُلْ واشرب » ، والنّيس في غير مَحْذِيَّة^(٣) ولا كِبَر . . . فكل فعل من هذه الأفعال له فاعل ضمير مستتر مرفوع ، تقديره : أنت . فإذا أريد توكيد هذا الفاعل المستتر توكيداً لفظياً فتوكيده بالضمير المرفوع البارز « أنت » ، وهو غير الفاعل المستتر . فنقول : كُلْ أنت ، واشرب أنت ، والبس أنت ، « فأنت » الضمير الظاهر هو توكيد لفظي للمستتر ، ومثله قول الشاعر :

إذا ما بدت من صاحب لك زلةً فكن أنت محتالاً لزلة عذراً

فالضمير : « أنت » البارز توكيد لاسم : « كان » المستتر ، وتقديره : أنت ، أيضاً . والضمير : « أنت » المؤكّد ، هو في أصله أحد ضمائر الرفع البارزة فحقه أن يؤكّد الضمير المرفوع فقط ، لكنه - على الرغم من هذا - يكون أحياناً

(١) وهذا كقوله تعالى (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) حيث وقع الضمير المنفصل المرفوع : « هو » توكيداً لفظياً للضمير المتصل المنصوب ، وهو الهاء في آخر الفعل « تجدوه »

(٢) ومثل « هم » المؤكدة لواء الجماعة في قوله تعالى : (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) .
(٣) اختيال - كبر .

كثيرة توكيداً لفظياً لضمير غير مرفوع كما علمنا ، فيخالف بهذا ما يناسب أصله الأول ، ولكن هذه المخالفة مقبولة ، وقياسية قوية .

(٣) وإن كان المؤكّد (وهو : المتبوع) ضميراً متصلاً - مرفوعاً ، أو غير مرفوع - وأريد توكيده بضمير يماثله في اللفظ والمعنى معاً ، وفي الاتصال ، وفي النوع الإعرابي^(١) - فلا بد أن يعاد مع التوكيد اللفظ الذي يتصل - مباشرة - بالمؤكّد (المتبوع) ، أى : أنه لا بد من تماثل الضميرين (التابع والمتبوع) في اللفظ ، وفي المعنى ، وفي الاتصال ، وفي أن يسبق كل ضمير منهما - مباشرة - لفظ يماثل الذى يسبق الآخر في نصّه ومعناه ، نحو : (انساب حولى صوت غنائى ساحر ؛ فجعلت جعلت ، أسمع أسمع ، وأصغى إليه إليه ؛ فامتألت النفس سروراً) . ولا يصح إعادة المؤكّد (المتبوع) وحده لأن هذا يخرجّه عن الاتصال .

ففي الأمثلة المذكورة أريد توكيد الضمير المتصل المرفوع ، وهو : « التاء » التى فى آخر الفعل الأول : « جعل » فأكدنا هذا الضمير بمثله فى كل ما أوضحناه ، وهو « التاء » . الثانية التى هى كالأولى فى لفظها ، وفى أنها ضمير متصل ، للرفع ، مسبوق بفعل كالفعل الذى سبق المؤكّد (المتبوع) . وكذلك أريد توكيد الضمير المتصل المنصوب ؛ وهو : « الهاء » فى آخر الفعل الأول : « أسمع » فأكدناه « بالهاء » الثانية التى تماثله فى لفظه ، ومعناه ، واتصاله ، ووقوعه بعد فعل كالفعل الذى سبق المؤكّد (المتبوع) . وكذلك أريد توكيد الضمير المجرور ، وهو : « الهاء » التى بعد « إلى » الأولى ، فأكدناه بالهاء الثانية التى تماثله فى لفظه ومعناه ، واتصاله ، ووقوعه بعد حرف جو يماثل الحرف الذى قبل المؤكّد (المتبوع) تمام المماثلة . . . (هذا ، وكل لفظ تكرر - بعد الأول - لا يكون له محل إعرابى كما سبق)^(٢)

(١) المراد : أن يكونا معاً من نوع واحد ، كأن يكونا من ضمائر الرفع التى للتكلم ، أو التثنية ، أو الغائب ، مع ملاحظة أن الضمير الذى للتوكيد اللفظى لا يعرب شيئاً ، ولا محل له ، - كما شرحنا - .

(٢) فى « ١ » ص ٥٢٧ وما بعدها ، وفى توكيد الضمير المتصل توكيداً لفظياً ، وجوب أن يعاد معه عند توكيده الاسم الظاهر المتصل به - يقول ابن مالك :

وَلَا تُعَدُّ لَفْظُ ضَمِيرٍ مُتَّصِلٍ إِلَّا مَعَ اللَّفْظِ الَّذِى بِهِ وَصِّلَ

ثم يقول فى آخر الباب :

= وَمُضَمَّرُ الرَّفْعِ الَّذِى قَدِ انْفَصَلَ أَكْذَبُ بِهِ كُلِّ ضَمِيرٍ اتَّصَلَ

ولم يذكر ابن مالك بقية للتفاصيل .

(٤) وإن كان المؤكّد (المتبوع) ضميراً منفصلاً مرفوعاً أو منصوباً^(١) فتوكيده اللفظي يكون بتكراره بغير شرط . (أى : أن توكيده يكون بضمير مماثله لفظاً ومعنى) فمثال المرفوع : أنت أنت مفطور على حب الخير . ومثال المنصوب : قول الشاعر :

وإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاء^(٢) ، فإنه إلى الشَّرِّ دَعَاءُ ، وللشَّرِّ جَالِبُ

ويتضح من هذا أن المنفصل المنصوب لا يصح توكيده بالمنفصل المرفوع ، فلا يقال إِيَّاكَ أنت أكرمت ، ولأما أكرمت إلا إِيَّاكَ أنت ، على اعتبار كلمة : « أنت » للتوكيد في الصورتين .

ح- إن كان المؤكّدُ فعلاً - ماضياً أو مضارعاً^(٣) - فإن توكيده اللفظي يكون بتكراره وحده دون تكرار فاعله^(٤) ولا يكون للفعل المؤكّد (التابع) فاعل ؛ إنما الفاعل للأول (المتبوع) كقول أعرابي ، وقد سئل : أتقول الحق ؟ فأجاب : (وهل يقول يقول غيري الحق ؟ وأنا من معشر أولد وألد الحق معهم ، ولم يفارقهم) . فلفظة : « يقول » الثانية ، ومثلها : « وألد » الثانية - لا محل لها من الإعراب .

د- وإن كان المؤكّد حرفاً :

(١) فإن كان حرف جواب^(٥) - يفيد الإثبات أو النفي - فتوكيده اللفظي يكون بتكراره فقط ؛ كقول أعرابي لأخيه الحزين : (فيم الأسف على ما فات

(١) ولا وجود لضمير منفصل مختص بالجر .

(٢) المجادلة بالباطل .

(٣) أما فعل الأمر فلا يمكن توكيده وحده بغير فاعله - في الأصح -

(٤) إذ لو تكرّر الفاعل مع فعله خرج الأمر من توكيد الفعل وحده توكيداً لفظياً إلى توكيده مع فاعله ، فتدخل المسألة في توكيد الجملة الفعلية كلها بجملة فعلية كاملة . ومن آثار هذا الفرق أن المضارع المنصوب أو المجزوم إذا أريد توكيده وحده توكيداً لفظياً وجب أن يكون المضارع الذي يؤكده منصوباً أو مجزوماً مثله ، ففي مثل : لم يتهاون الحازم ، ولن يهمل ... نقول : لم يتهاون يتهاون الحازم ، ولن يهمل يهمل ، يحزم المضارع : « يتهاون » الثاني ، تبعاً للأول ، وينصب المضارع الثاني : « يهمل » تبعاً للأول أيضاً . أما عند اعتبار الثاني مع فاعله هما جملة مؤكّدة فلا يصح متابعتها للأول في الجزم ولا النصب ، وما يوضح هذا ماسيجي^(٥) (في ص ٦٤٥) من بيان الفرق بين عطف الفعل على الفعل وعطف الجملة الفعلية على الفعلية .

(٥) سيجي في الزيادة والتفصيل (ص ٥٣٥) بيان يفيد أن هذا الحكم ليس مقصوراً على =

وليس على الأرض باق ؟ نَعَمْ نعم . ليس في طول الحزن إلا إطالة الشقاء ، واستدامة العذاب) . . . وقول آخر ، وقد سئل : لمَ تُحاذر فلاناً وهو يصادقك ؟ فأجاب : (لا . لا . لا ؛ فليس المنافق بالصادق . ورب احداقة ظاهرة ، باطنها عداوة كامنة ، وهي أشد ضرراً ، وأعمق خطراً من العداوة السافرة) . . .

(٢) وإن كان المؤكّد حرفاً غير جوابيّ وقد اتصل به ضمير — فتوكيد هذا الحرف لا يكون بتكراره وحده ، وإنما يكون بتكراره ومعه الضمير المتصل به . ويجب الفصل بين المؤكّد والمؤكّد بفاصل مّا ؛ نحو : لك^(١) لك منزلة الشقيق البار ؛ وبك بعد الله بك أستعين . . . وكقول الشاعر :

أَيَا مَنْ لَسْتُ أَقْلَاهُ^(٢) . ولا في البُعْد أنساه
لك الله على ذاكا لك الله لك الله

(٣) وإن كان المؤكّد حرفاً غير جوابيّ — أيضاً — وقد اتصل باسم ظاهر فتوكيده اللفظي يكون بتكراره ومعه الاسم الظاهر ، أو ضمير هذا الاسم الظاهر ، — وإعادة الضمير أفصح — ، وفي الحالتين يجب الفصل بين الحرفين ؛ المؤكّد والمؤكّد . ويصح في الفصل الاكتفاء بذلك الاسم الظاهر ، نحو : (إن العاقل الكريم ، إن العاقل الكريم ، أحرص على إمامة الحق من تنمية أسبابه) أو : (إن العاقل ، إن العاقل أحرص على إمامة الحق . . .) ، أو : (إن العاقل إنه أحرص على إمامة الحق . . .) ومثل : (آفة النصح أن يكون جِهَاراً ، فليت النصّاح الحكيم ليت النصّاح الحكيم لا يعلنه) ، أو : (ليت النصّاح لا يعلنه) ، أو : (ليت النصّاح ليت لا يعلنه) ومن أمثلة الفصل بالاسم الظاهر وحده قول الشاعر :

فتلك ولأهّ السوء قد طال ملكهم
فمحتام^(٣) حتّام العناء المطوّل ؟

= حروف الجواب وحدها ، وإنما يشمل بعض حروف أخرى .
وحروف الجواب نوعان : مايجاب به للموافقة على الشيء المستول عنه وأنه ثابت واقع وبحق ، مثل نعم — أجل — جيّر — إى . . . ، ومايجاب به لبيان عدم الموافقة عليه ، وأنه غير واقع ، مثل لا — بلى .

(١) قد فصلت الكاف الأولى بين اللامين . والأحسن أن يكون الفاصل لفظاً غير داخل فيما تكرر .
(٢) أكرهه وأبغضه (قَلَى ، يَقْلَى — كرى يرى — وقْلَى يَقْلَى كَتَمِبَ يَتَمَبُ ، لغة ، بمعنى : كره يكره) .

(٣) أى : إلى متى . . ؟ والفاصل هو : « ما » الاستفهامية المحرورة ، التي حذفت « ألفها » وصلا .

ولو كان الحرف المؤكّد داخلا على مضاف ، فالحكم السابق أيضاً فيتكرر المؤكّد (المتبوع) ومعه الاسم المضاف والمضاف إليه أو ضمير المضاف إليه : والأحسن إعادة الضمير مع الفصل بينهما في الحالتين . نحو : الكريم يود الكريم ، واللّيم يودّ الناس على رجاء الفائدة . على رجاء الفائدة ، أو : على رجاء الفائدة على رجائها^(١) . . .

(٤) وإن كان المؤكّد حرفاً غير جوابي - أيضاً - وقد دخل على حرف آخر فالتوكيد اللفظي يكون بتكرار الأول مع ما دخل^(٢) عليه . ومن أمثلة هذا دخول « يا » على « ليت » في قول الشاعر^(٣) :

ويا ليتني ثم^(٤) يا ليتني شهدت وإن كنت لم أشهد
هذا ، وتوكيد الحروف توكيداً لفظياً على غير الوجه السالف ضعيف ، بل شاذ ، لا يصح القياس عليه ، كقول القائل :

إنّ إنّ الكريم يحلّم ما لم يررّن من أجاره قد أضيماً
فقد تكرر الحرف : « إنّ » بغير فصل ولإعادة شيء . ومثل قول الآخر :
حتى تراها^(٥) وكانّ وكانّ^(٦) أعناقها مشدّات بقرن^(٧)

(١) في توكيد الحروف يقول ابن مالك :

كَذَا الْجُرُوفُ غَيْرَ مَا تَحَصَّلَا بِهِ جَوَابٌ ، كَنَعَمْ ، وَكَبَلَى
يشير بقوله : « كذا » إلى ما سبق في بيت قبل هذا من أن توكيد الضمير المتصل لا يكون إلا بإعادة وإعادة الاسم الذي اتصل به . وكذا الجروف لا يعاد لفظها - إن كانت لغير الجواب - إلا بإعادة الاسم الظاهر المتصل بها - أو الضمير - ، أما حروف الجواب فتعاد وحدها . ثم ختم الباب ببيت سبق تسجيله وشرحه في مكانه الأنسب (ص ٥٣٠) وهو قوله :

وَمُضْمَرُ الرَّفْعِ الَّذِي قَدْ انْفَصَلَ أَكْثَرُ بِهِ كُلِّ ضَمِيرٍ اتَّصَلَ
(٢) إلا في مسألة يجيء بيانها في باب « البدل » - ص ٦٧٩ - حيث يصح إعادة حرف الجر ، وعدم إعادته ؛ طبقاً للتفصيل المدون هناك .
(٣) هو مالك بن أعين الحجازي ، المتوفى سنة ٢٤٨ هـ - كما في معجم الشعراء للمرزباني حروف العين ، ص ٢٦٨ . -

(٤) انظر ما يختص بالعلطف في (هـ) ص ٥٣٦ .

(٥) الضمير : للمطايا .

(٦) أصلها : « كأن » المشددة الذون ، ثم خففت ذونها . (٧) بحبل .

فقد تكرر الحرف « كَأَنَّ » من غير إعادة شيء معه ، ولكن وجد فاصل بين الحرفين . وهو : « واو » العطف ، فكان الضعف هنا أخف منه في البيت السابق^(١) . ومثل قول الآخر يشكو حاله وحال أتباعه :

فلا والله لا يُلْفَى^(٢) لما بي ولا لَلِما بهم أبداً دواء
فقد تكرر الحرف اللام (لَلِما) بغير فصل ولا إعادة شيء . والتوكيد هنا واضح الثقل ؛ لأن الحرف فَرَدِيّ ؛ فتكراره مباشرة يزيد ثقله ويوضحه^(٣) . وأخف منه في الثقل لاختلاف الحرفين مع منعهم إياه إلا في المسموع ، قول الشاعر :

فأصبحنَ لا يسألُنهُ عن بِجَابِهِ أَصَعَدَ في عُلُوِّ الهوى أم تَصَوَّبَا
فقد أتى « بالباء » بعد « عَن » وهما يستعملان في معنى واحد ؛ إذ يقال سألت به ، وسألت عنه^(٤) .
والحق أن هذه الأمثلة ثقيلة ، فوق أن الدافع إلى أكثرها قد يكون الضرورة الشعرية . فاستبعادها أفضل .

(١) سيجيء في الزيادة - ص ٥٣٥ - أن حرف العطف يعتبر من الفواصل المبيحة للتكرار مباشرة . لكن حرف العطف الفردي - كالواو والفاء - يعتبر مسوغاً مشوباً بالضعف . وإذا وقع حرف العطف فاصلاً في التوكيد صار مهملًا لا يعطف ، ولا أثر لوجوده غير الفصل - طبقاً للبيان الآتي في « هـ » من ص ٥٣٦ .

(٢) لا يُلْفَى : لا يوجد .

(٣) في كتاب معاني القرآن للفراء أمثلة متعددة لتكرار الحرف الفردي وغير الفردي ج ١ ص ٦٧
(٤) ومن المسموع اجتماع : « كى » و « أن » المصدرية وقبلهما « اللام » في مثل : عاونت الضعيف لكى أن تشيع المودة بين الناس ، فقد أجازوا أن تكون اللام جارة و « كى » جارة ، توكيداً لها . كما أجازوا أن تكون « كى » مصدرية ، و « أن » مصدرية توكيداً لها . وماسبق بالرغم من إباحته - غير مستحسن . وسيجيء التفصيل في ج ٤ باب إعراب الفعل .

.

زيادة وتفصيل :

عرفنا أن توكيد الحروف الجوازية توكيداً لفظياً لا يتطلب أكثر من تكرار الحرف ، وأشرنا^(١) إلى أن هذا الحكم ينطبق على بعض حروف أخرى ؛ فقد قالوا^(٢) : لا يشترط شيء عند توكيد الحرف توكيداً لفظياً إن كان الحرف للجواب كقول الشاعر :

لا - لا - أبوح بحُبِّ بَثْنَةٍ إنها أخذت على موثقاً وعهودا
 وكذلك إن كان مفصّلاً من المؤكّد بسكتة^(٣) ؛ كقول الشاعر :

لَا يُنْسِيكَ الْأَسَى نَأْسِيًّا ؛ فَمَا مَا مِنْ حِمَامٍ أَحَدٌ مُعْتَصِمًا^(٤)
 أو : كان مفصّلاً بجملة اعتراضية ؛ نحو : إن - وأنت تعرف ما أقول -
 إن شر الإخوان من يخذل أخاه عند الشدائد .
 أو : كان مفصّلاً بعاطف^(٥) كقول الشاعر :

لَيْتَ شَعْرِي !! هَلْ ، ثُمَّ هَلْ آتَيْنَهُمْ أَمْ يَحُولُنَّ دُونَ ذَلِكَ حِمَامٌ ؟

(١) في رقم ٥ من هامش ص ٥٣١ .

(٢) راجع حاشية ياسين على شرح التصريح في هذا الموضع .

(٣) ترك الكلام .

(٤) تحققت السكتة في هذا البيت بالسكوت المؤقت الذي حصل بعد قراءة الشطر الأول ، وقبل البدء في قراءة الشطر الثاني .

(٥) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٣٤ .

هـ - وإن كان المؤكَّدُ جملة اسمية أو فعلية جاز تكرارها بعطف صُورِيٍّ أو بغير عطف . والأكثر أن يكون بالعطف الصُّورِيٍّ ، وأن يكون العاطف المهمل هو الحرف « ثم » ^(١) - غالباً - . ومن الأمثلة قوله تعالى : (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، وقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) ^(٢) . . . وقولهم للتَّيَّيِّ : (الثَّوَابُ عَظِيمٌ ، الثَّوَابُ عَظِيمٌ) . وللشَّيْ : (الحساب عسير ، الحساب عسير) .

ومما تجب ملاحظته أن العاطف هنا مهمل - لا يعطف مطلقاً ، فهو صُورِيٌّ ، أي : في صورة العاطف وشكله الظاهر ، دون حقيقته ^(٣) . .

ويجب ترك العطف بين الجملتين إذا أوقع في لبس ، نحو : عاقب الحاكم اللصوص ، عاقب الحاكم اللصوص ، فلو قلنا ؛ عاقب الحاكم اللصوص ثم عاقب الحاكم اللصوص - لوقع في الوهم أن العقاب تكرر ، وأنه مرتان ، إحداهما بعد الأخرى . مع أن المراد : مرة واحدة .

و - نعيد هنا ما قلناه في مناسبة سابقة ^(٤) ، وهو أن توكيد المصدر لعامله نوع من التوكيد اللفظي ، فيؤكد نفس عامله إن كان مصدراً مثله ، ويؤكد مصدر عامله الذي ليس بمصدر ، ليتحد المؤكَّد والمؤكَّد معاً في نوع الصيغة ؛ تطبيقاً لشرط التوكيد اللفظي - ومنه التوكيد بالمصدر الذي نحن فيه - فمعنى

(١) الأكثر أن العاطف هو « ثم » وليس بالواجب المتعين في رأى « الرضى » الذى يبيح مجيء « الفاء » مكان « ثم » ؛ مستدلاً بقوله تعالى : (أَوَّلَى لَكَ فَتَاوَلْتِى ...) إذ التقدير عنده : (أول لك فأول لك) ؛ فكلمة : « أول » الثانية مبتدأ حذف خبره ، والجملة الاسمية من هذا المبتدأ وخبره المحذوف توكيد لفظي للجملة الاسمية التى قبل الفاء المهمله . أما غير الرضى فيوجب الاقتصار على الحرف : « ثم » ويقول إن الآية السابقة كاملة هى : (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ، ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) فإبعد الفاء جملة اسمية معطوفة عطفاً حقيقياً على الجملة الاسمية قبلها ، والجملة بعد الحرف « ثم » المهمل توكيد لفظي للجملة قبلها . ورأى الرضى أحسن .

(٢) ومثل قول الشاعر - وقد سبق في ص ٥٢٦ - :

ألا يا اسلمى ، ثم اسلمى ، ثم اسلمى . . .

(٣) كما سيجىء في باب ، عند الكلام على : « الفاء » ، وكذا في ص ٥٧٨ و . . . عند الكلام

على : « ثم » .

(٤) في باب (المفعول المطلق ج ٢ ص ١٦٩ م ٧٤) عند الكلام على تقسيم المصدر بحسب

نائده المعنوية .

قولك : عبرت النهر عبراً . . . هو : عبرت النهر ، أوجدت عبراً عبراً .
وهذا رأى كثرة النحاة^(١) .

* * *

حذف المؤكّد (المتبوع) في التوكيد اللفظي^(٢) .
لا يكاد يوجد خلاف في منع حذف المؤكّد توكيداً لفظياً ، لأن حذفه
منافٍ - حقاً - لتكراره .

(١) لكن سيترتب على الأخذ بقولهم هذا صحةُ حذف المؤكّد في التوكيد اللفظي ، وهذا الحذف
ينافي الغرض من التوكيد اللفظي . وفوق هذا فعامله محذوف أيضاً ؛ ففي الكلام حذف كثير . فهل يجاب
بأنه مع حذفه ملاحظ يدل عليه العامل المذكور الذي يشاركه في الاشتقاق ، وهو : « عبرت » فهو محذوف
كالمذكور - كما قالوا - ؟

(٢) هناك مسائل يحذف فيها عامل المصدر الذي يجيء المصدر لتوكيده . وقد انعقد للحذف
بحث مستفيض ، عنوانه : حذف عامل المصدر . . في المكان المناسب له ، وهو باب : « المفعول
المطلق » ج ٢ ص ١٧٨ م ١٧٦ .

المسألة ١١٧ :

ج - العطف بنوعيه .

العطف نوعان : عطف بيان ، وعطف نسق^(١) ، وفيما يلي بيانهما :

(١) عطف البيان .

نسوق بعض الأمثلة لإيضاحه :

(١) قال أحد المؤرخين : (طَرَقَ الحَسِينُ بنُ عَلِيٍّ - رضى الله عنهما - باب سيد كريم في قومه ؛ هو : « امرؤ القيس الكلبى » ، وخطب بنته : « الرِّبَّاب » فرحب به أبوها ، وملاأت الفرحة جوانب نفسه ؛ لعلمه أن هذه المصاهرة ستربطه ببيت الرسول : « محمد » عليه السلام ، وتسجل له شرفاً خالداً على الأيام . . . وتمَّ الزواج ، وأنجبت الرِّبَّاب ، فكان من ذريتها : الأديبةُ المتفكِّهة « سَكِينَةُ » إحدى شهيرات النساء في الصدر الأول ، والتي قبل فيها^(٢) :

كانت « سَكِينَةُ » تملأُ الدُّنيا ، وتهزأُ بالسرواقِ
رَوَتْ الحديثَ ، وفَسَّرَتْ آيَ الكتابِ البيناتِ
(.)

فلو أن المؤرخ قال : طرق « الحسين » باب سيد كريم لتساءلنا : من هو « الحسين » ؟ ولشعرنا أن هذا الاسم - برغم أنه معرفة بالعلمية - يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتبيين يزيل عن حقيقة صاحبه ، وعن ذاته^(٣) شائبة الإبهام ،

(٢) القائل هو الشاعر : أحمد شوق .

(١) سيجىء في ص ٥٥٥ .

(٣) المقصود بصاحبه ، أو بذاته المستقلة ، أو بحقيقته ، شيء واحد ؛ هو : ذاته الأصلية بكيانها الحسى ، أو المعنوى ، لا الأوصاف العارضة التي تنظر على تلك الذات ، ولا يمكن أن تستقل بنفسها منفصلة عن تلك الذات . (راجع إيضاح هذا في ص ٥٤٢ و ٥٤٣ وهامشهما ، وكذلك رقم ٢ من هامش ص ٤٣٨) .

إذ لا ندرى أهو الحسين بن علي ، أم غيره ؛ لا شراك هذا الاسم بين أفراد متعددة ، كل منها يسمى : « الحسين » . لكن حين قيل : « الحسين بن علي » زالت تلك الشائبة بسبب كلمة : « ابن » الجامدة^(١) التي وضحت المقصود ، وعينت المراد ، والتي معناها هنا معنى : « الحسين » ؛ لأن « الحسين » المقصود هو « ابن علي » ، « وابن علي » المقصود هو : « الحسين » فالمراد من الكلمتين ذات واحدة ، ولكن الثانية أوضحت الأولى — كما قلنا — مع أنها تخالفها لفظاً ، لا معنى وذاتاً .

وكذلك خطب : « بنته » فإن كلمة : « بنت » هنا معرفة ؛ بإضافتها إلى الضمير ، لكنها — بالرغم من تعريفها — مُعْشَّاة بشيء من الشيوع والإيهام يجعلنا لاندري حين نسمعها : أي بنات الرجل هي ؟ أتكون ذات « الرِّبَاب » أم ذات غيرها ؟ . . . فلما قال : « الرباب » — تحدد الغرض ، وتعينت ذات واحدة دون غيرها ؛ بسبب كلمة : « الرباب » الجامدة التي أزال الإيهام ، وأوضح المراد ، وبينته بمعناها الذي هو معنى : « البنت » ؛ لأن حقيقة البنت المقصودة هنا في الكلام هي حقيقة « الرباب » وذات « الرباب » المقصودة هي ذات البنت التي يدور بشأنها الكلام . فهما مختلفتان لفظاً ، مع اتفاقهما معنى وذاتاً .

ومثل هذا يقال في كلمة « الرسول » السالفة . فها حقيقة الرسول المراد ؟ وماذاته ؟ إن كلمة : « الرسول » — برغم تعريفها هنا « بَالٌ » تحتاج إلى تعيين أكمل وإيضاح أشمل ؛ لانطباقها على عدد من الأفراد . فلما جاء اسم : « محمد »^(٢) تم به التعيين الذاتي ، وزال ما قد يحوم حول مدلول « الرسول » من شيوع وإيهام ؛ بفضل كلمة : « محمد » التي عينت ذاته ؛ لأنها بمعناها تماماً ، والمراد منهما ذات واحدة .

ومثل هذا كلمة : « الأدبية » . فهذه الكلمة — برغم تعريفها هنا « بَالٌ » — لا تدل دلالة دقيقة على ذات واحدة معينة دون غيرها ، وإنما تصدق على أدبيات متعددة ، فلما جاء بعدها كلمة بمعناها ، هي : « سَكِينَةٌ » الجامدة تركز المراد : في ذات أدبية واحدة معينة ، لا ينصرف الذهن إلى سواها ، وهي الذات

(١) غير المشتقة .

(٢) ردونا في مناسبات مختلفة أن المشتق إذا صار علماً دخل في عداد الأسماء الجامدة ، وخضع لأحكامها وحدها .

المقصودة التي تدل عليها كل واحدة من الكلمتين .

فلنلاحظ مما سبق أن كل كلمة من الكلمات التي عرضناها (وهي : « ابن » — الرباب — محمد — سَكِيَّة . . .) جامدة ، قد أزلت عن المعرفة التي قبلها ما يشوبها من غموض ، وشيوع ، وأوضحت المقصود منها إيضاحاً لا يكاد يترك أثراً لإبهام أو اشتراك ، وهي في الوقت نفسه بمعنى تلك المعرفة دون لفظها فدلوهما ذات واحدة ، بالرغم من اختلاف لفظهما .

(٢) كتب أحد الأدباء إلى خطيب :

(عرفتك قبل اليوم عذب الكلام ، حلّو الحديث ، وسمعتك الليلة خطيباً بارعاً عبقرياً . . . ولقد أصغيتُ إلى ما قلت ؛ فإذا كلمة ، « خطبة » استهوت الأفتدة ، وأداء ، « تمثيل » خلّب الألباب ، وجرّس ، « نغم » جسّم المعاني ، وكشف للعيون دلالات الألفاظ ؛ حتى كدنا نراها بيننا تروح وتغدو . .) .

فلو أن الكاتب كتب : « أصغيت إلى ما قلت فإذا « كلمة » . . . » لذهبت بنا الظنون ، مذاهب عدة في الذات المرادة من هذه الكلمة المصوغة بصيغة النكرة . أهى ذات كلمة واحدة ؟ أهى شعراً أم نثر ؟ أخطبة أم مقالة . . . ولكن الكاتب أزال كثيراً من الظنون حين قال بعد ذلك : « خطبة » ومعناها هنا ، والمراد من ذاتها هو معنى : « كلمة » وذاتها ؛ فتحدّد المراد من : كلمة « بعض التحديد ، وحُصِرَت النكرة في دائرة أضيق من الدائرة الأولى الواسعة الإبهام والشيوع ، وصارت النكرة مختصة بعد أن كانت مطلقة كاملة الإبهام والشيوع . وكذلك كلمة : « أداء » ؛ فإنها نكرة مطلقة ، قد يراد منها ذات الأداء البلاغي في تكوين الأسلوب ، أو : ذات الأداء في الثبات ، وعدم الاضطراب ، أو : ذات الأداء في استيفاء المعاني . . . أو . . . فجاءت بعدها كلمة : « تمثيل » التي هي بمعناها هنا ، فحددت — بعض التحديد — المراد من حقيقة الأداء وذاته ، وقللت الاحتمالات في فهم المراد من تلك النكرة ، أو : بعبارة أخرى : خصّصتها ، وقيدت شمولها بعض التقييد . ومثلها كلمة : « نغم » بعد النكرة : « جرّس » .

فكل كلمة من الثلاث : (خطبة — تمثيل — نغم) — وأمثالها — هي كلمة

جامدة ، وقد خَصَّصَتِ النكرة التي قبلها بعض التخصيص ، وحددت شيوعها وإبهامها بعض التحديد . وهي في الوقت نفسه بمعناها ، دون لفظها ؛ فالمراد منهما ذات واحدة . وكل واحدة من هذه الثلاث ، ومن الأربعة التي سبقتها في المثال الأول — ونظائرها — تسمى : عطف بيان ، ويقولون في تعريفه :

إنه تابع ^(١) بجامد — غالباً — يخالف متبوعه ^(٢) في لفظه ^(٣) ، ويوافقه في معناه المراد منه الذات ^(٤) ، مع توضيح الذات إن كان المتبوع معرفة ، وتخصيصها ^(٥) إن كان نكرة ^(٦) ...

* * *

(١) ولابد في هذا التابع : (عطف البيان) أن يكون اسماً ظاهراً ؛ — كما يأتي في رقم ٢ ، وطبقاً للبيان الآتي في ص ٥٥٠ . وقد سبق شرح معنى « التابع » وبيان أحكامه العامة وترتيبه مع نظرائه ... أول باب النعت ، (ص ٤٣٤) . ومن أحكامه المدونة هناك جواز الفصل بين التابع والمتبوع بشيء مما أوردناه مفصلاً ، بشرط — ألا يكون المتبوع أحد الموصولات ؛ إذ لا يجوز الفصل بين الموصول وصلته بتابع مطلقاً — كما أشرنا هناك ، وكما هو مبين تفصيلاً في موضعه الخاص ج ١ م ٢٧ ص ٣٤١ . —

(٢) والصحيح أن متبوعه لا يكون ضميراً ؛ فإن جاء ضميراً وجب إعراب التابع بدلاً . وليس عطف بيان — كما سبق في رقم ١ ، وكما سيجيء في رقم ٥ من هامش ص ٥٤٣ ، وفي ص ٥٥٠ . —

(٣) لابد من المخالفة اللفظية ؛ فاو اتحد اللفظ ومعنى لم يصلح أن يكون عطف بيان ؛ لأن الشيء لا يوضح نفسه ، ولا يبينها .

(٤) راجع حاشية الصبان ج ٣ عند آخرييت في باب : « تابع المنادى » . وستجيء إشارة لهذا في ج ٤ ص ٤١ م ١٣٠ .

(٥) لأن معناه ومدلوله هو الذات نفسها لا أمر عرضي طارئ عليها — كما أوضحنا في ص

٥٢١ و ٤٢٣ —

(٥) سبق في أول باب النعت — ص ٤٣٨ — وفي غيره معنى إيضاح المعرفة ، وتخصيص النكرة ، بما ملخصه أن المعرفة تدل على معين . ولكنها — بالرغم من ذلك — قد يصحبها شيء من الشيوع بسبب تعدد مدلولها . فأحمد ، ومحمد ، وعلى ، والنافذة ... معارف ، لكن مدلول كل منها متعدد يحتاج أحياناً — إلى ما يزيل عنه الإبهام والشيوع ، ويوضح المراد دون غيره . وهذا هو : « الإيضاح والموضح » . أما النكرة فمدلولها شائع كامل الشيوع . نحو رجل ، طائر ، حيوان ... فايحيى لتحديد شيوعها وتقليله يسمى : « المخصص » إلا أن الإيضاح والتخصيص يكونان في النعت بأمور معنوية عرضية طارئة على الذات ، دون الذات نفسها ، بخلافهما في عطف البيان ؛ فينصبان على الذات نفسها — كما شرحنا ، وكما سيجيء هنا ، ثم في رقم ٢ من هامش ص ٥٤٤ —

(٦) وقد يكون للمدح مثل : « البيت » في قوله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً

للناس ...) .

أوجه التشابه والتخالف بين عطف البيان^(١) والتوابع الأخرى :

من التعريف السابق يتبين أن عطف البيان يشبه بعض أنواع النعت الحقيقي في إيضاح المتبوع أو تخصيصه ، على الوجه المشروح في باب النعت (وقد يشبهه في القطع) — كما أسلفنا — والفارق بينهما أن النعت الحقيقي لا بد من اشتاله على ضمير مستتر يعود على المنعوت ، وأن الغالب على النعت الحقيقي : « الاشتقاق » وأنه لا يوضح ولا يخصص الذات الأصلية لمنعوته بلفظ يدل عليها مباشرة ، وتكون هي المرادة منه ، وإنما يوضح منعوته بصفة عرضية وأمر طارئ على الذات ، كالفهم ، والحسن ، والطول ، والقصر . . .

أما عطف البيان فإنه يوضح أو يخصص الذات نفسها ، لا بأمر عرضي طارئ عليها^(٢) : وإنما بلفظ يدل عليها مباشرة وهو عين معناها ، فهو بمنزلة التفسير للأول باسم آخر مرادف له يكون أشهر منه في العرف والاستعمال من غير أن يتضمن حالة من الحالات العرضية التي تطرأ على الذات وتوصف بها . ولهذا يغلب أن يكون عطف البيان جامداً — أى : غير مشتق — فيكون كالعلم المجرد ، والكنية . فلا ضمير فيه ؛ لأن الغالب عليه الحمد — كما سبق — ومن الجائز ألا يتحقق فيهما هذا الفارق الأغلب إذ يصح — بقلة — وقوع النعت جامداً مؤولا بالمشتق ، ووقوع عطف البيان مشتقاً ، ولكن الأولى مراعاة الأغلب الأفصح .

كما يتبين أن عطف البيان قد يشابه التوكيد اللفظي بالمرادف في بعض الصور مثل : (تَبْرُ ذَهَبٌ) في أن كلا منهما كتبوعه في معناه ، دون لفظه . إلا أن الغرض من عطف البيان هو : الإيضاح أو التخصيص^(٣) . أما الغرض من التوكيد اللفظي — بتكرار اللفظ أو مرادفه — فأمر آخر ، أوضحناه في باب^(٤) ، وعلى

(١) إذا كان المتبوع كنية لوحظ في عطف البيان ما سبقت الإشارة إليه في « أ » من ص ٤٢٩ .

(٢) سبقت الإشارة الموضحة لهذا في النعت في رقم ٢ من هامش ص ٤٣٨ — .

(٣) بمعناها السالف في رقم ٥ من هامش الصفحة الماضية ، والذي سيجيء أيضاً في رقم ٢

من هامش ص ٥٤٤ (وراجع ص ٧١ ج ٣ من شرح المفصل) .

(٤) ص ٥٢٥ ، وبينهما فروق أخرى سيجيء في ص ٥٥٠ منها أن عطف البيان لا يكون

فعلا ولا جملة . . . وغير هذين مما سذكروه . . .

ملاحظة هذا الغرض الذى تدل عليه القرائن يتعين أحدهما فى موضع لا يصلح له الآخر .
 أما المشابهة بين عطف البيان وبدل الكل من الكل ^(١) (من ناحية معناه، وإعرابهما ، وقطعهما ^(٢) وجمودهما ، دون لفظهما) . فغالبية ^(٣) ، ويصح فى أكثر حالاتهما أن يحل أحدهما محل الآخر من غير أن يتأثر الكلام بهذا التغيير - كما سيجىء فى باب البدل - نحو : ما أعجب ملكة النحل ؛ (العسوب) . تدير مملكتها بحزم ومهارة ، وتراقب رعيتهما بيقظة واهتمام ، ولا تستقر فى قصرها (خليليتها) ، إلا فترات قصيرة للراحة والهدوء .
 فكلمة : « العسوب » ، عطف بيان ، أو بدل كل من كل ، من النحلة ، وكلمة : « خلية » عطف بيان ، أو بدل كل من كل ، من : قصر ^(٤)

حكم عطف البيان :

عطف البيان تابع يطابق متبوعه ^(٥) فى أربعة أمور محتومة ^(٦) ، ولا بد أن يكون اسماً ظاهراً ^(٧) فى جميع أحواله :
 أولها : فى ضبطه الإعرابى (من ناحية الرفع ، والنصب ، والجر) . ويجوز فيه القطع ^(٨) ؛ كالنعت .
 وثانيها : فى تعريفه وتنكيره ^(٩) .

-
- (١) وهو الذى يكون فيه التابع مطابقاً فى المعنى لمتبوعه تمام المطابقة . . مع اختلافهما لفظاً - فى الغالب - كما سيجىء فى بابيه . وتفصيل الكلام عليه فى ص ٥٤٦ .
 (٢) مع مراعاة ما يختص بقطع البدل ، وسيجىء فى « ٥ » من ص ٦٧٧ .
 (٣) راجع التحقيق فى ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ .
 (٤) نعيد هنا ما سبقت الإشارة إليه (فى رقم ١ من هامش ص ٥٢٧) وهو أن التشابه الظاهرى قد يقع - أحيانا - بين ألفاظ بدل الكل ، وعطف البيان ، والتوكيد اللفظى طبقاً للبيان الآتى فى رقمى ٢ ، ١ من هامش ص ٦٤٣ وفيهما طريقة التفريق .
 (٥) ويلاحظ ما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٥٤١ وما سيجىء فى ص ٥٥٠ وهو أن متبوعه لا يكون ضميراً - فى رأى الأصح - فإن جاء ضميراً وجب إعراب التابع بدلا - وسيجىء هنا أيضاً - .
 (٦) وتجرى عليه فوق ذلك جميع الأحكام العامة المشتركة التى تجرى على التوابع الأربعة والى سبقت الإشارة لها فى هامش ص ٤٣٤ م ١١٤ .
 (٧) راجع الملاحظة الخاصة ببيان هذا فى ص ٥٥٠ .
 (٨) سبقت الإشارة لهذا فى هامش ص ٥٠٢ أما بيان القطع وأحكامه فى ص ٤٨٦ و ٤٨٨ .
 (٩) الصحيح أن هذا هو الأغلب ، إذ عطف البيان قد يكون نكرة كالمستوع ، ومن أمثلته قوله =

وثالثها : في تذكيره وتأنيثه .

ورابعها : في إفراده ، وتثنيته ، وجمعه .

أى : أنه لا بد أن يطابقه في أربعة أمور من عشرة^(١) . . . كما في الأمثلة التي سلفت^(٢) . . . وقد يقع عطف البيان بعد أى (بفتح الهمزة

= تعالى : (يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ زَيْتونةٌ ...) ؛ وقوله تعالى : (وَيُسْقَى من ماءٍ ، صديدٌ) ويصح تخالفهما تعريفاً وتذكيراً بشرط أن يكون التابع هو المعرفة ، ليحقق الغرض من « عطف البيان » وقد نص على صحة التخالف بعض النحاة - ومنهم الرضى ، كما جاء في « الصبان » آخر هذا الباب - ولكنهم لم يقيدوا المخالفة بتعريف التابع أو تخصيصه ، وهذا الإطلاق غير مفهوم ، إلا عند من يقول : « إن النكرة تخصص متبوعها » والتخصيص نوع من البيان والإيضاح - طبقاً للبيان الذى يجرى في رقم ٢ من هامش الصفحة التالية . غير أن تمثيل الرضى ، هناك (فيما نقله عنه الصبان لجواز وقوع عطف البيان نكرة) قد يدل على أنه يقصد النكرة المختصة . وهذا هو الأحسن . ويؤيده ماورد في حاشية « ياسين » في باب « البدل » عند الكلام على منع بدل الاسم الظاهر من الضمير بدل كل من كل ؛ بحجة نقصان الاسم الظاهر في تعريفه عن الأول (المتبوع) حيث قال مانصه : (أما نقصان تعريف الثانى عن تعريف الأول فلا يضر ؛ كما في إبدال النكرة الموصوفة من المعرفة ؛ نحو : مررت بمحمد رجل عاقل ، إذ رب نكرة تفيد مالا تفيد المعرفة ، وإن اشتملت المعرفة على فائدة التعريف التي خات عنها النكرة) ١ هـ . ويلاحظ أن التمثيل جاء بنكرة مختصة ، وأن الكلام خلا من النص على اشتراط اختصاصها ، كما يلاحظ أن الرأى السالف أحد آراء متعددة أشرنا إليها في هامش ص ٥٦ ؛ حيث يصح في المثال الذى عرضه « ياسين » أن يكون عطف بيان ، وأن يكون غير ذلك ؛ طبقاً لما هودون هناك .

(١) العشرة هي : علامات الإعراب الثلاث - التعريف والتذكير - والتأنيث - الإفراد والتثنية والجمع .

(٢) فيما سبق من تقسيم العطف إلى نوعين يقول ابن مالك في أول باب خاص عقده بعنوان : العطف .

العُطْفُ . إمَّا ذُو بَيَانٍ ، أَوْ نَسَقٌ وَالْغَرَضُ الْآنَ - بَيَانٌ مَا سَبَقَ

انظر الكلام على معنى « أو » المراد منها « إما » في ص ٦١٥ - .

والذى سبق في التقسيم هو « ذوالبيان » أى : صاحب البيان ويقول في تعريفه :

فَلْذُو الْبَيَانِ تَابِعٌ شَبْهُ الصِّفَةِ حَقِيقَةُ الْقَصْدِ بِهِ مُنْكَشِفَةٌ

يريد : أن عطف البيان تابع ، يشبه الصفة (النعت) فليس هو الصفة ؛ لأن بينهما فوارق متعددة ، منها : أن عطف البيان يبين حقيقة متبوعه ، ويكشف ذاته المقصودة . أما النعت فيبين معنى عارضاً في متبوعه ، أو في سببها ، ففى مثل « كلمت الرجل العالم » - تبين كلمة : « العالم » ، (وهى : النعت) معنى من المعانى العارضة التى تتصف بها ذات العالم ، فقد تتصف بالعالم ، أو : بالأدب ، أو : بالاختراع . . . أو . . . أما عطف البيان فلا يبين صفة من الصفات التى تطرأ على الذات ، وإنما يبين الذات نفسها . سواء أكانت ذاتاً حسية . أم معنوية ؛ أى : يبين مايسى =

وسكون الياء) ، التي هي حرف تفسير^(١) ، فلا يتغير من حكمه شيء ؛ نحو :
هذا الخاتم لُجَيْنٌ ، أى : فضة . وفي هذه الصورة يتعين عطف البيان
أو بدل الكل ؛ إذ لا يقع سواهما بعد : « أى » التفسيرية .

* * *

= حقيقة الشيء ، ومادته الأصلية - كما شرحناها من قبل - فى ص ٥٤٢ - فنقول كلمت الرجل ، إبراهيم
فكلمة : « إبراهيم » بينت ذات الرجل ، وحقيقته الأصيلة ، لا وصفاً طارئاً من أوصافه ، ولذا تسمى
« عطف بيان » ، لأنها بينت الحقيقة المقصودة ، أو ذات الحقيقة ، ثم قال فى حكمه :

فَأَوَّلِيْنَهُ مِنْ وَفَاقِ الْأَوَّلِ مَا مِنْ وَفَاقِ الْأَوَّلِ النَّعْمُ وَلِي

أى : أعطه من موافقة الأول (المتبوع) مثل ماتولاه النعت من موافقة منوعته ، وهو الأمور
السابقة . (فعنى : أولينه : أعطه ، ومعنى : ولي : تولى وأخذ) ، ثم نص على أن عطف البيان ومتبوعه
يتمانلان تعريفاً وتنكيراً ، وأنهما يكونان من هذا النوع ، أو ذاك ، ولا يقتصران على أحدهما :

فَقَدْ يَكُونَانِ مُنْكَرَيْنِ كَمَا يَكُونَانِ مُعَرَّفَيْنِ

وهو بهذا النص الصريح يرد على من يقول : إن عطف البيان لا يكون إلا معرفة ؛ بحجة أن الغرض
منه البيان والإيضاح ، وهما من شأن المعرفة لا النكرة ؛ إذ النكرة مجهولة ، والمجهول لا يبين المجهول
وأن ماتولهم من التكرات عطف بيان فليس به ؛ ولكنه بدل كل من كل والرأى الراجح
المقبول أنه يكون نكرة أيضاً ، لأن النكرة تخصص متبوعها ، والخصيص نوع من البيان والإيضاح .
كما سبق فى رقم ٤ من الهامش السابق ؛ فعندهم أن الأخص قد يبينه ويوضحه ما ليس بأخص . هكذا
يقولون . وهو مقبول أحياناً لانطباقه على بعض الصور الواردة والأساليب الصحيحة ؛ مثل :
« يا إحصانُ رجلٌ » إذا كان « إحصان » - أو ما مثله علم من الأعلام المشتركة بين الذكور والإناث ،
فلو لم يذكر بعده كلمة : « رجل » التى توضح ذاته لوقع لبس فى حقيقة ؛ أهو رجل أم امرأة . . . أو . . .

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٥٦ ورقم ٤ من هامش ص ٥٤٧ - ويصح إعراب ما يقع بعد
« أى » التفسيرية « بدل كل » إلا فى المسائل التى يفرقان فيها (وسيجىء فى باب البذل) .

وقد يتعين أن يكون ما بعد « أى » بدلا وليس عطف بيان ، ذلك أن عطف البيان لا يكون متبوعه
ضميراً - (كما سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٥٤٢ وفى رقم ١ من هامش ص ٥٤٣ وكما سيجىء فى
ص ٥٣٣ -) فإذا وقع المتبوع ضميراً وجب إعراب التابع بدلا ، لا عطف بيان . (راجع حاشية ياسين
فى باب النسب عند الكلام على النسب إلى ماحذفت فاؤه ، أو عينه . . .) .

« ويقول صاحب المغنى » عند الكلام عليها مانصه الذى نقلناه - فى رقم ١ من هامش ص ٥٥٦ -
وهو : (وتقع تفسيراً للجمال أيضاً ؛ كقول الشاعر :

وتربيتنى بالطرف ، أى : أنت مذنب .. اه : والجملة التفسيرية بعدها لا محل لها من الإعراب .
النحو الوائى - ثالث

الارتباط بين عطف البيان وبدل الكل من الكل^(١) :

أشرنا^(٢) إلى أن المشابهة غالبية بين عطف البيان وبدل الكل من الكل ، في ناحية معناهما ، وإعرابهما ، وقطعهما^(٣) ، وجمودهما ، دون حروفهما ، والأحسن القول بأن المشابهة بينهما كاملة فيما سبق ، لا غالبية ؛ إذ التفرقة بينهما قائمة على غير أساس سليم ، فن الحير توحيدهما ، لما في هذا من التيسير ، ومجازاة الأصول اللغوية العامة . أما الرأي الذي يفرق بينهما في بعض حالات فرأى قام على التخييل ، والحذف ، والتقدير ، من غير داع ، ومن غير فائدة ترتجى . ومن السداد إهماله وإغفاله^(٤) . . .

على أنا نشير هنا إلى بعض الصور التي يتحتم فيها العطف البياني بناء على ذلك الرأي ؛ ويمتنع بدل الكل ، ، مُرددين بعد ذلك عدم الالتفات إلى الرأي السالف . منها^(٥) :

(١) أن يكون التابع مفرداً ، معرفة ، منصوباً ، والمتبوع منادى ، مبنياً على الضم مثل : يا صديقُ علياً^(٦) . فيجب عندهم إعراب : « عليا » عطف بيان ، ولا يصح إعرابه بدل كل ؛ لأن البدل لا بد أن يلاحظ معه في التقدير تكرار العامل الذي عمل في المتبوع ، بحيث يصح أن يوجد هذا العامل قبل التابع وقبل المتبوع معاً ، من غير أن يترتب على هذا التكرار فساد في المعنى ، أو مخالفة لضابط نحوي . فإن ترتب عليه فساد لم يصح إعراب الكلمة « بدل

(١) قد يكون من المستحسن تأخير مبحث الارتباط بين عطف البيان وبدل الكل إلى ما بعد الانتهاء من البدل ، ولكننا في التقديم سايرنا ابن مالك حيث تعرض لهذا الارتباط وللموازنة في باب عطف البيان .

(٢) في ص ٥٤٣ . وانظر ص ٥٤٩ و ٥٥٠ .

(٣) انظر ما يختص بقطع البدل في « ه » ص ٦٧٧ .

(٤) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٣٣ حيث الرأي السديد لبعض الثقات .

(٥) انظر الزيادة والتنصيل - ص ٥٤٩ - حيث بيان الضابط العام الذي يشمل كل الصور

الممنوعة عندهم .

(٦) وهذا الإعراب بالنصب جائز في النداء - بشروط تذكر في بابه ، ج ٤ - على اعتبار

« علياً » - المنصوبة عند استيفاء الشروط - تصلح « بدلا » من كلمة « صديق » المبنية لفظاً ، المنصوبة

محلا ؛ لأنها منادى مبنى على الضم في محل نصب .

كل « ووجب الاختصار على إعرابها » عطف بيان « فقط . وهذا معنى قولهم : « إن البدل على نية تكرار العامل » . فتقدير الكلام في المثال السالف : يا صديق يا عليا ؛ بتكرار العامل ، وهو « يا » ووجوده قبل المتبوع حقيقة ، وقبل التابع تخيلا . وهذا التكرار يؤدي إلى خطأ النصب في كلمة « عليا » المذكورة ، لأنها في التخييل : منادى مفرد علم ؛ فيجب بناؤها على الضم ؛ طبقاً لأحكام المنادى ، ولا يجوز نصبها . إلا على اعتبارها عطف بيان ^(١) ؛ لأن عطف البيان لا يلاحظ فيه تكرار العامل ، ولأنه مقدّر قبل التابع ، وإنما يكتفى بوجوده قبل المتبوع فقط . فإعراب الكلمة المذكورة : (علياً) بدلا ، يؤدي عندهم إلى فساد نحويّ يجب توقيه ، بالعدول عن البدل إلى عطف البيان ، أو غيره إن أمكن .

(٢) أن يكون التابع خالياً من « أل » ، والمتبوع مقترناً بها مع إعرابه مضافاً إليه ، والمضاف اسم مشتق ، وإضافته غير محضة ^(٢) ؛ نحو : نحن المكرمو النابعة هند ؛ فيجب - عندهم - إعراب « هند » عطف بيان ، لا بدلا ؛ لأن البدل على نية تكرار العامل ، وملاحظة وجوده قبل التابع كوجوده قبل المتبوع ، - كما أسلفنا - وعلى هذا يكون الأصل المتخيّل للمثال هو : نحن المكرمو النابعة ، المكرمو هند ، فلو أعربنا كلمة : « هند » التي في المثال الأصلي بدلاً لأدى الإعراب إلى فساد ؛ هو : أن يكون المضاف مشتقاً مقترناً « بأل » ، والمضاف إليه غير مقرون بها ؛ لأن الإضافة غير محضة ؛ يمنع فيها مثل هذا ، إلا بوجود بعض المسوغات ^(٣) التي تصححها . والجملة هنا خالية من كل مسوغ - في رأيهم - .

ولاسيّل عندهم للفرار من الفساد إلا بإعراب « هند » عطف بيان ، لا بدلاً ؛ إذ عطف البيان لا يشترط فيه صحة تكرار العامل ^(٤) . . .

(١) وهو منصوب مراعاة لحل المنادى المتبوع ، لأن كلمة : « على » مبنية على الضم في محل نصب - كما قلنا .

(٢) سبق شرحها وتفصيل الكلام عليها في هذا الجزء (ص ١ و ٣ . وما بعدها) .

(٣) سبق بيان هذه المسوغات في ص ١٢ .

(٤) وفي صلاحية عطف البيان لأن يكون « بدل كل من كل » إلا في صورتين السالفتين - وأشباههما - يقول ابن مالك :

هذا رأى المانعين . وفيه ما فيه من إرهاب وتعسير بغير طائل ؛ لأن المعنى واضح على البدلية ؛ كوضوحه على عطف البيان ، وليس أحدهما أبلغ من الآخر ، ولا أكثر تداولاً واستعمالاً ، ولا مخالفاً لأصل لغزى واقعى . فقيم الحذف ، والتقدير ، والنية ، والملاحظة . . . ؟ وبخاصة مع ما سجله النحاة فى هذا الباب - وغيره - من أنه قد يغتفر فى الثانى ما لا يغتفر فى الأوائل ؛ أى : قد يغتفر فى التابع ما لا يغتفر فى المتبوع^(١) . وذكروا لتأييد هذا أمثلة كثيرة فصيحة . فليس من ضرر مطلقاً ألا يصلح العامل فى بعض المواضع لوقوعه قبل التابع ، كهذا الموضع . إنما الضرر فى عدم صحة وقوعه قبل المتبوع وحده . فلم العناء ؟ وفيما التعسير ؟

= وَصَالِحًا لِبَدَلِيَّةٍ يُرَى فِي غَيْرِ نَحْوٍ : يَا غُلَامُ يَغْمُرُ
وَنَحْوٍ : بَشَرٌ تَابِعِ الْبَكْرَى . وَلَيْسَ أَنْ يُبْدَلَ بِالْمَرْضَى

يريد : أن عطف البيان يصلح للبدلية فى غير الصورة التى تشبه فى تركيبها : يا غلامُ يعمر - علم شخص - والألف الأخيرة زائدة للشعر -) حيث وقعت « يعمر » منصوبة مراعاةً لمحل المنادى المبني على الضم فى محل نصب . فلو أعربت : « يعمر » بدلاً - لكان التقدير : يا غلام يا يعمر ؛ على نية تكرار العامل ؛ فتنصب الكلمة مع أن نصبها مع ندائها غير جائز ؛ فيتعين إعرابها عطف بيان ، فراراً من هذا الخطأ .
ويشير إلى المسألة الثانية بكلمة « بشر » التابعة لكلمة : « للبكرى » فى قول الشاعر « المرار الفقمى » :

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرَى بَشَرٌ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وَقُوعَا

فالتابع هو : « بشر » والمتبوع هو : « البكرى » المضاف إليه ، المقترن « بآل » والمضاف الذى إضافته غير محضة هو : التارك (من إضافة الوصف لمفعوله) فيتعين عندهم إعراب كلمة : « بشر » ، عطف بيان ، إذ لو أعربت « بدلاً » لكان التقدير على نية تكرار للعامل هو : « أنا ابن التارك للبكرى ، التارك بشر » ، فيضاف الوصف المقرون بآل إلى غير المقرون بها وغير للصالح هنا ، وأن يكون مضافاً إليه . وهذا غير جائز فى الإضافة غير المحضة . وللفرار من هذا تعرب عندهم : « بياناً » .

(١) راجع حاشية الأمير ج ١ فى الكلام على الحرف : « رب » ووجوب تنكير مجروره . وكذلك « المص » ج ١ ص ٢١٥ عند الكلام على : « لدن » ، والصبان : ج ٤ - باب عوامل الجزم - عند الكلام على نزع فعل الشرط والجواب ، بل إن الصبان (ج ٢ باب الإضافة ، عند الكلام على « أى ») ينقل النص التالى : « إنا نقول : يغتفر كثيراً فى الثانى ما لا يغتفر فى الأوائل » فيصرح بأن هذا الاعتذار كثير .

نعم قد تكون التفرقة بينهما سائغة في بعض صور ، ولكن من ناحية أخرى دقيقة غير تلك التي تصدى لها المانعون ؛ هي أن لعطف البيان غرضاً معنوياً هاماً ؛ هو : إيضاح الذات نفسها ، أو تخصيصها على الوجه الذي شرحناه^(١) أما بدل الكل فله غرض آخر يختلف عن هذا تماماً ؛ هو الدلالة على ذات المتبوع بلفظ آخر يساويه في المعنى ؛ بحيث يقع اللفظان على ذات واحدة ، وفرد معين واحد في حقيقته — كما سيجيء في باب — ولا يضر أن يختلفا في المفهوم بعض الاختلاف اليسير ما دامت حقيقة الذات المقصودة واحدة ؛ كالاختلاف الذي في نحو عرفت سعيداً أخاك^(٢) . ولا شأن لبذل الكل بالإيضاح والتخصيص ، فحيث اقتضى المقام إيضاح حقيقة الذات أو تخصيصها — والإيضاح والتخصيص هنا ذاتيان ، (أى : يقعان وينصبان على الذات) — فاللفظ عطف بيان ليس غير ، بشرط أن تجتمع فيه بقية الشروط الواجبة في عطف البيان ، ومنها : مطابقته للمتبوع في الأمور الأربعة السالفة ؛ ولهذا كانت كلمة : « سيد » الثانية عطف بيان في قول الشاعر :

إذا سيد منا مضى لسبيله أقام عمود الدين آخر سيد

وحيث اقتضى المقام الدلالة على ذات المتبوع نفسها بلفظ آخر يساويه تماماً في المدلول فاللفظ « بدل كل من كل » . وبخاصة إذا فقد اللفظ شرطاً من شروط عطف البيان .

هذه هي ناحية التفرقة الحقة التي يجب الاقتصاد عليها ؛ نزولاً على أحكام اللغة ، وتقديراً لخصائصها ، وكشفاً لأسرارها . بل إن هذه التفرقة نفسها قد يمكن رفضها^(٣) .

(١) في ص ٥٤٢ وفي رقم ٢ من هامش ص ٥٤٤ . وانظر البيان كاملاً في ص ٦٧٩ .

(٢) فذات « الأخ » هي ذات « سعيد » ؛ إلا أن كلمة « أخ » تشعر في الوقت نفسه بمعنى زائد ، هو : « الأخوة » التي لا تشمر بها كلمة « سعيد » ، ولكن هذا المعنى الزائد غير مقصود مطلقاً في عطف البيان ، إذ لو قصد لصارت الكلمة نعتاً مؤولاً بالمشتق . والفرق كبير في المعنى والحكم بين النعت وعطف البيان .

(٣) وهي تفرقة دقيقة لا تكاد تدرك ، وغير مقصودة — كما أوضحنا في هامش الصفحة السالفة . =

ملحوظة : مما يمتاز به عطف البيان من بدل الكل أن عطف البيان لا يكون ضميراً^(١) ، ولا تابعاً لضمير ، ولا مخالفاً لمتبوعه في تعريف وتنكير^(٢) — على الرأى الصحيح — ولا يقع جملة ، ولا تابعاً لجملة^(٣) ، ولا فعلاً ، ولا تابعاً لفعل ، ولا يكون ملحوظاً في النية لإحلاله محل الأول — كما شرحنا — ، ولا يُعَدّ متبوعه في حكم الطَّرَح . ولا يُعَدّ في جملة أخرى مستقلة عن جملة متبوعه^(٤) . بخلاف بدل الكل في جميع هذا .

= ومن الممكن الاكتفاء بجعل عطف البيان وبدل الكل قسماً واحداً . ويمكن أن علماً محققاً كالرأى يقول مانصه : « أنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل وعطف البيان ، بل ما أرى عطف البيان إلا البذل ؛ كما هو ظاهر كلام سيبويه . . . و . . . » .
(راجع الصبان آخر باب عطف البيان) .

- (١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٥ من هامش ص ٥٤١ وفي رقم ٥ من هامش ص ٥٤٣ .
(٢) ولما كان الأغلب في عطف البيان — كما في ص ٥٤٣ — موافقته لمتبوعه في التعريف والتنكير امتنع إعراب مخصوص « حبذا » عطف بيان ؛ لورود أمثلة كثيرة منه نكرة وقد ذكرنا بعضها في رقم ٢ من هامش ص ٣٨١ .
(٣) أى : لا يصح أن يكون متبوعه جملة مع أن البذل يصح أن يكون بدل جملة من جملة كما سيبنى في ص ٦٧٧ .
(٤) انظر أمثلة الحالة الأولى الآتية في الزيادة .

زيادة وتفصيل :

الذين يمنعون البديل في المسألتين السالفتين ، وفي بعض مسائل أخرى ، ويحتمون أن تكون عطف بيان — يضعون لهذه المسائل كلها ضابطاً عاماً ينطبق عليها جميعاً . وسنعرضه فيما يلي ؛ ليتبين ما فيه من إرهاق وإعنات لا داعي لهما . يقولون : يصح في عطف البيان — إذا قصد به ما يقصد ببديل الكل — أن يعرب « بدل كل » ، إلا في حالتين :

أولاهما : ألا يمكن الاستغناء عن عطف البيان لما منع يحول دون صحة بدل الكل .

وثانيتهما : ألا يمكن إحلال عطف البيان — لو صار بدلاً — محل متبوعه لما منع يحول دون البدلية ، ودون وضع البديل مكان المبدل منه . . .

(١) ومن أمثلة الحالة الأولى أن يكون الاسم (التابع) ؛ واقعاً بعد جملة تعرب خبراً ، أو : صلة ، أو : نعتاً ، وليس فيها رابط يربطها بالمبتدأ ، إنما الرابط ضمير — أو نحوه — في ذلك الاسم التابع ؛ فمثاله بعد الجملة الواقعة خبراً : هند حضر صالح ولدها . فلو أعربنا كاحه : « ولد » . بدلاً — والبديل عندهم على نية تكرار العامل — لكان التقدير : هند حضر صالح ، حضر ولدها ؛ فتخلو جملة الخبر من الرابط ؛ لأن الضمير المتصل بالاسم صار في جملة أخرى مستقلة عن الجملة الخبرية ؛ إذ الكلام جملتان : الأولى هي الخبر ، ولا رابط فيها ، والثانية مستقلة عن الأولى . استثنائية ، والضمير الذي بها لا يربط الأولى بمبتدئها .

ومثال الجملة الواقعة صلة : أجاد الذي تكلم على خاله . فلو أعربنا كلمة : خال « بدلاً » لكان التقدير : أجاد الذي تكلم على خاله ؛ فتكون الجملة الثانية مستقلة عن الجملة الأولى ، وتصير الصلة خالية من الرابط ؛ فلا تصلح أن تكون صلة .

ومثال الجملة الواقعة نعتاً : أجاد رجل تكلم على خاله ؛ فإعراب كلمة « خال » بدلاً يقتضي تكرار العامل ، وأن الأصل : أجاد رجل تكلم على

.
.

تكلم خاله ؛ فتكون الجملة الأولى الواقعة نعتاً (وهى تكلم على) خالية من الرابط الذى يربطها بالمنعوت ؛ وهذا غير جائز . أما الضمير المتأخر فإنه فى جملة مستقلة بنفسها لا يصلح رابطاً فى الأولى ... لاستقلال كل جملة بكيانها .

وفى الحق أن المعنى وسلامة الأسلوب لن يتغيرا بإعراب الاسم بدل كل أو عطف بيان فى صورة من الصور السابقة الممنوعة عندهم .

(٢) ومن أمثلة الحالة الثانية التى لا يصح فيها إحلال البدل محل المبدل منه ما تقدم من أن يكون التابع مفرداً معرفة منصوباً والمتبوع منادى ، مبنى على الضم . أو : أن يكون التابع خالياً من « أل » والمتبوع مقترناً بها . . . بالصورة التى شرحناها - وهذان هما الأمران المعروفان أولاً فى ص ٥٤٦ وما بعدها .

ومن أمثلة الأمر الثانى أيضاً : أن يكون المتبوع منادى والتابع اسم إشارة ، أو مقرونًا « بأل » : نحو : يا إبراهيم هذا ، أو يا إبراهيم الحسين ، إذ يترتب على إحلال البدل محل المبدل منه فى المثال الأول صحة : « يا إبراهيم يا هذا » ، مع أن الفصحح أن يكون لاسم الإشارة تابع مقرون « بأل » . ويترتب على إحلاله فى المثال الثانى صحة : « يا إبراهيم يا الحسين » ، مع أن دخول « أل » على المنادى ممنوع .

وكل هذا ، وكل ما يأتى مما هو ممنوع عندهم ، إنما يقوم على أساس توهمهم أن البدل لابد أن يكون على نية تكرار العامل . أى على أساس أن يصح وقوع البدل مكان المبدل منه .

ومنها : أن يكون التابع مثنى أو جمعاً ، مع التفريق فيهما بالعاطف ، والمتبوع غير مفروق ؛ كقول الشاعر :

أَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا أُعِيدُكُمَا بِاللَّهِ أَنْ تُحْدِثَا حَرْبًا

فيتعين كونهما عطف بيان ؛ لأن التقدير على البدلية : يا عبد شمس ونوفلا ، ينصب كلمة « نوفلا » مع أن المعطوف المفرد فى النداء لا يجوز نصبه ، وإنما يجرى عليه حكم المنادى المستقل ^(١) .

(١) لقد صرحوا أن كل عطف بيان يصلح « بدل كل من كل » ، واستثنوا من هذا الحكم مسائل ،

منها المسألة التى جاء هذا البيت شاهداً لها . لكنى ألاحظ أن كلمة : « عبد » من : « عبد شمس » =

ومنها : أن يكون المنادى « أئى » الموصوفة بما فيه « أل » بعدها ، وتابعه خال من « أل » ، نحو : يأبها القائد سعيد. فلو أعربت كلمة : « سعيد » بدلا لكان التقدير : يأبها القائد يأبها سعيد ، وهذا خطأ ؛ لأن تابع « أئى » فى النداء لابد أن يكون مقروناً « بأل » أو اسم إشارة له تابع مقرون بها

ومنها : أن يكون اسم الإشارة المنادى — أو غير المنادى — متبوعاً بما فيه « أل » والتابع خال منها ، ولا يوجد ما يغنى عنها ؛ نحو : يا ذا الرجل غلام حامد ، أو جاء هذا الرجل حامد . فلو أعرب : « غلام » أو « حامد » بدلا لكان التقدير : يا ذا الرجل يا ذا غلام حامد — وجاء هذا الرجل جاء هذا حامد ، وتابع اسم الإشارة لا يكون مجرداً من « أل » .

ومنها : أن يكون المتبوع مضافاً إليه والمضاف هو : « كلاً » أو « كلتنا » والتابع مثنى مفرق ؛ نحو : أسرع كلا المتنافسين محمود وحامد — أسرع كلتا المتنافستين فاطمة وزينب — فلو أعرب التابع : (وهو : محمود وفاطمة) بدلا لكان تقدير الكلام : (أسرع كلا المتنافسين ، أسرع كلا محمود وحامد) — (أسرع كلتا المتنافستين ، أسرع كلتا فاطمة وزينب) ، فيترتب على نية تكرار العامل إضافة كلا وكلتا للمثنى المفرق ؛ وهما لا يضافان إليه إلا شذوذاً .

ومنها : أن يكون التابع مثنى مفرقاً ، أو جمعاً مفرقاً كذلك ، والمتبوع مثنى أو جمعاً غير مفرق فى الصورتين ، وهو مضاف إليه والمضاف هو : « أئى » . نحو : (بأى الزميلين جعفر وحسن مرت) ، فلو أعرب « جعفر » وما عطف عليه بدلا من الزميلين لكان التقدير : بأى الزميلين ، بأى جعفر وحسن

=هى بدل بعض من : « أخويننا » فلا يقع فيها اللبس بين عطف البيان وبدل الكل ؛ لأنها لا تصلح بدل كل . فما المراد من بدل الكل ؟ أليكون اللفظ وحده هو البديل للكل أم هو مع ما عطف عليه ، ويؤيد هذا خلوه من الضمير ؛ كالأشأن فى بدل الكل ؟ لوضح هذا الاعتبار فلم يربوئه بدل بعض ، ويدخلونه فى حكمه ؟

لم أهتد إلى من تعرض لهذا . ويبدو أنهم يعتبرونه « كلاً » إذا نظروا له من جهة المعطوفات عليه التى تشمل كل أنواع المبدل منه كاملة . و « بعضا » إذا نظروا إليه من غير اعتبار المعطوفات التى تحصر تلك الأنواع . ومثل هذا يقال فى بعض الحالات الآتية المستثناة (انظر ص ٦٦٧ و ٦٧٧) . . .

مررت ؛ وهذا ممنوع ؛ لما فيه من إضافة : « أئ » للمفرد المعرفة ، وهي لاتضاف إليه إلا بالشروط التي عرفناها عند الكلام عليها في باب « الإضافة ^(١) » ، وهي غير متحققه هنا . ولا يتغير الحكم بإحلال الجمع محل المثنى في مواقع السالفة ... ومنها : أن يضاف « اسم التفضيل » إلى عام ، وبعده تابعه ذو قسمين ؛ أحدهما لا يكون المفضل بعضاً منه ؛ نحو : الرسل أفضل الناس الرجال والنساء ، فلو أعرب التابع بدله لكان التقدير : الرسل أفضل النساء ؛ لأن اسم التفضيل إذا بقي على دلالاته من التفضيل والزيادة على المضاف إليه وجب أن يكون بعضاً من هذا المضاف إليه — كما سبق في بابه — ولهذا أخطأ من قال : أنا أشعر الإنس والجن ، إذا أراد التفضيل على الوجه السالف .

إلى هنا انتهت صور من أشهر الأمثلة للنوع الثاني ، وهي — كنظيرتها من صور النوع الأول — خيالية ، مصنوعة ، أساسها توهم أن البدل لا بد أن يكون على نية تكرار العامل ، وهذه دعوى لا تستند إلى أساس قوى . والعرب — أصحاب اللغة — لا تدري من أمرها شيئاً ؛ ولن يترتب على إهمالها ، وعدم التمسك بها فساد في المعنى ولا في التركيب ^(٢) ؛ فالجهل فيها ضائع لا محالة .

(١) ص ١٠٥ .

(٢) بل إن كثيراً من النحاة يقول : (قد يفتقر في التابع ما لا يفتقر في المتبوع) كما سلف هنا —

ص ٥٤٨ — وفي نواح متعددة من أجزاء الكتاب .

وراجع ماسبق في ص ٥٤٦ ، ثم الرأي الحاسم الذي في رقم ٣ من هامش ص ٥٤٩ .

(٢) عطف النسق^(١)

هو : تابع^(٢) يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف

(١) النسق - يفتح السين وسكونها - مصدر نَسَبَتْ الكلام أنُسِقُهُ (يفتح السين في الماضي، وضمها في المضارع) بمعنى : واليت أجزائه ، وربطت بعضها ببعض ، ربطاً يجعل المتأخر متصلاً بالمتقدم . وكان الأفضل الاقتصار على كلمة : « النسق » بمعنى : « المنسوق » من إطلاق المصدر على المفعول . أى : الكلام المنسوق بعضه على بعض .

والنسق : اصطلاح كوفي ، وقد اشتهر حتى لا يكاد غيره يذكر . وسيبويه وكثير من البصريين يعبرون عنه في كلامهم : « بالشركة » ، وعلينا اليوم أن نساير المشهور ؛ توحيداً للاصطلاح ، وارتفاعاً بمزايا هذا التوحيد .

(٢) سبق - في أول باب : النعت ، م ١١٤ ص ٤٣٤ - معنى التابع ، وترتيبه مع تابع آخر ، وسرد أحكامه العامة الجلية - ومنها جواز الفصل أو امتناعه بينه وبين المتبوع ، وأن البناء لا ينتقل من المتبوع إلى التابع مطلقاً .

« ملاحظة » : التابع هنا - وهو المعطوف ، مفرداً أو غير مفرد - قد يتعدد ، ويعتمد معه حرف عطف لا يفيد الترتيب ، نحو : قرأت الكتاب ، والرسالة ، والمجلة ، والخطاب ، ... فيكون - (في غير الحالة التي يفيد فيها حرف العطف الترتيب ، وستأتى) - المعطوف عليه واحداً فقط ، هو الأول دائماً ؛ مهما تعددت المعطوفات وقبل كل منها حرف عطف غير مُركَّب ، كالمثال السالف ؛ فإن المعطوفات المتعددة هي : الرسالة - المجلة - الخطاب ... وقبل كل واحد حرف عطف لا يفيد الترتيب ، والمعطوف عليه واحد ، هو : الكتاب .

ومثل قول المتنبي يفتخر :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فالمعطوف عليه هو الأول (أى : الخيل) وما جاء بعده هو المعطوفات : (الليل - البيداء - السيف - الرمح - القرطاس - القلم) وقبل كل معطوف هنا حرف العطف : الواو - ومن الجائز أن يكون حرف العطف غير الواو أيضاً بالشروط الخاصة بكل حرف . ولا يجوز أن يتعدد حرف العطف لمعطوف واحد ، لأن حرف العطف لا يدخل مباشرة على حرف عطف آخر . ومن أمثلة المعطوفات المتعددة - وكل منها جملة - والمعطوف عليه هو الأول قوله تعالى (رَبِّ اشرحْ لى صدرى ، ويسرْ لى أمرى ، واحملْ عِقدَ من لسانى يسقُفهُوا قولى) .

عشرة^(١)، كل منها يسمى : « حرف العطف » ، ويؤدى معنى خاصاً .

= وهناك حالة لا يكون فيها عطف المعطوفات المتعددة على الأول ، وهى الحالة التى يقع فيها أحد هذه المعطوفات بعد حرف عطف يفيد الترتيب (مثل : الفاء ، وثم) فيكون المعطوف عليه هو الذى قبل العاطف مباشرة ؛ مثل : (أقبل صالح ، وحامد ، وخليل ، فحميد ، ثم إبراهيم .) فحامد و خليل معطوفان على الأول : « صالح » ، أما محمد فمعطوف على : « خليل » ، وأما إبراهيم فمعطوف على : « محمد » . ومن الأمثلة قول على رضى الله عنه : (من نظر فى عيوب الناس فأذكرها ، ثم رضىها لنفسه فذلك الأحق بعينه) . فالجملة من الفعل : « أنكر » وفاعله ، معطوفة على الجملة الفعلية قبلها . أما الجملة الفعلية الثانية - المكونة من الفعل : « رضى » ، وفاعله - فمعطوفة على الجملة الفعلية المكونة من الفعل : « أنكر » وفاعله . ومثل هذا يقال فى الجمل الفعلية المعطوفة بالفاء فى قوله تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مُتَرَفِّعِيهَا ففَسَّخُوهَا فيها ؛ فحقَّ عليها القولُ ، فَدَسَّرْنَاهَا تَدْسِيرًا) . وفى الشطر الأول من قول الشاعر :

نرى الشئ مما نتقى فنهابه وما لانرى - مما يقى الله - أكبر

وجدير بالملاحظة : أنه إذا جاء بعد العاطف المرتبب ومعطوفه عاطف آخر لا يفيد الترتيب - كالواو - فإن معطوفه يكون معطوفاً على المعطوف بحرف العطف المرتبب الذى قبله مباشرة . (وبعبارة أخرى : يجب أن يكون المعطوف بالعاطف المفيد للترتيب هو المعطوف عليه للمعطوف بعاطف يابيه مباشرة . ولا يصح العطف مطلقاً على معطوف عليه قبل العاطف المفيد للترتيب) ؛ فى مثل : أقبل سالم ، وصالح ، ومحمد ، وحامد ، ثم حسين ، وأمين . . . ، يتعين أن يكون « أمين » معطوفاً على « حسين » ولا يصح عطفه على غيره . أما « حسين » فمعطوف على « حامد » حتماً . وأما كل ما قبله فمعطوف بالواو على « سالم » . وماسبق هو المراد من قول الصبان فى آخر باب : العطف : (إن المعطوفات إذا تكررت تكون على الأول على الأصح ، وذلك مقيد بما إذا لم يكن العاطف مرتبباً ؛ فإن كان مرتبباً فالعطف على ما يليه ؛ كما نقل عن الكمال ابن الهمام : أنه إذا عطف جمربث أشياء ثم عطف بغير مرتبب شئ فهو على ما يليه ، كما يؤخذ من كلام المغنى فى أول الجملة الرابعة من الجمل التى لا محل لها ..) . اهـ كلام الصبان ، ومثله فى التصريح ، وغيره . ومن الأمثلة لهذا قول الشاعر القديم (عروة بن أذينة) :

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة ؛ فأدقها ، وأجلها

منعت تحيتها ؛ فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا ، وأقلها

(١) وبمضا قد يكون حرف عطف فى الصورة لا فى الحقيقة وهو الحرف : « الفاء » والحرف :

« ثم » طبقاً للبيان الآتى فى صفحتى (٥٧٦ و ٥٧٨) .

وليس من حروف عطف النسق - عند أكثر النحاة - الحرف : « أى » - بفتح الهمزة ، وسكون الياء - الذى هو حرف تفسير ، يعرب ما بعده بدل كل ، أو عطف بيان - كما سبق الإيضاح فى باب - وليس هناك حرف يدخل على عطف البيان - أو البدل ، ويتركه على اسمه وحكمه الإعرابى إلا « أى » ؛ فكلما يظل على اسمه وحكمه الإعرابى ، كما كان قبل دخول « أى » عليه . =

وفيا يلي هذه الحروف ، ومعانيها ، وأحكامها ^(١) :

١ - الواو :

معناها : إفادة « مطلق الاشتراك والجمع » في المعنى بين المتعاطفين ^(٢) إن كانا مفردين ^(٣) .

= والكوفيون يعدون هذا الحرف من حروف عطف النسق ، ومعناه : « التفسير » ؛ بمعنى واو العطف أحياناً ؛ فيزاد عددها واحداً . ورأيهم حسن وواضح ، لا ضرر في الأخذ به ، بل إنه يبعدنا أحياناً عن مشكلات نحوية لاسبيل للتغلب عليها إلا بالتأويل والتكلف ؛ منها : أن عطف البيان - كما سبق في رقم ١ من هامش ص ٥٤١ وفي ص ٥٥٠ - لا يكون متبوعه ضميراً ؛ فإذا جاءت أمثلة فيها المتبوع ضميراً وجب اعتبار التابع بعد « أي » بدلا وليس عطف بيان .

(راجع حاشية ياسين على التصريح في باب : « النسب » عند الكلام على النسب إلى ما حذف فإؤه أو عينه) .

وجاء في « المعنى » عند الكلام عليها ما نصه : « وتقع تفسيراً للجمل أيضاً ؛ كقول الشاعر : « وترميني بالطرف ، أي : أنت مذنب ... » ١ ه والجملة التفسيرية بعدها لا محل لها من الإعراب . (١) في ص ٦٥٦ بعض أحكام أخرى عامة ومهمة - غير التي سنبدأ بها هنا - ومنها الحكم الثالث ، حكم الضمير العائد على المتعاطفين معاً ، من ناحية مطابقتها لهما ، أو لأحدهما . وكذلك حكم القطع في « عطف النسق » .

(٢) هما المعطوف (وهو الذي يمد حرف العطف مباشرة) والمعطوف عايه ، وهو المتبوع ، ولا بد أن يسبق حرف العطف ؛ وقد يكون المعطوف عليه مخذوفاً - ولا سيما إذا كان العاطف هو : الواو - طبقاً لما يأتي في ص ٦٣٩ .

(٣) المفرد في باب المعطف هو : ما ليس جملة ولا شبه جملة ؛ فهو كالمفرد في باب الخبر والنعت ، والحال . . . ويدخل في عطف المفرد هنا عطف الفعل وحده بغير مرفوعه على فعل آخر وحده . . . بخلاف عطف الفعل مع مرفوعه على فعل آخر مع مرفوعه فهو عطف جمل . وسيجيء البيان الخاص بهذا في ص ٦٤٢ م ١٢١ .

والمعطف بالواو إذا كان المعطوف غير مفرد ، قد يفيد مطلق التشريك ، نحو : نبت الورد ونبت القصب . . . ، أو لا يفيد ؛ نحو : حضرت الطائرة ، ولم تحضر السيارة . أما نحو : ما قام على ولكن محمود . . . فليس من عطف المفردات ؛ وإنما هو من عطف الجمل ، وقد حذف الفعل ، - كما سيجيء في ص ٦١٦ - .

وقد تكون الواو والمعطف والمعية معاً فتفيد الأمرين مجتمعين ؛ وهي « الواو » التي ينصب المضارع بعدها بأن المصدرية المضرة وجوباً ؛ فإنها تجمع الأمرين : العطف والدلالة على المصاحبة والاجتماع ، أي : الدلالة على أن المعنى بعدها مصاحب في تحققه وحصوله للمعنى قبلها ؛ فزمن تحققهما واحد (وسيجيء بيان هذا في مكانه الأنسب ج ٤ باب النواصب -) .

والمراد من « الاشتراك المُطْلَق والجمع المطلق » أنها لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام ؛ فلا تفيد الدلالة على ترتيب زمني بين المتعاطفين ^(١) وقت وقوع المعنى ، ولا على مصاحبة ، ولا على تعقيب ^(٢) ، أو مهلة ، ولا على خسة ، أو شرف ^(٣) . . .

وهي إنما تتجرد للاشتراك المطلق حيث لا توجد قرينة تدل على غيره ، وحيث لا تقع بعدها « إمّا » الثانية . فإن وجدت قرينة وجب الأخذ بما تقتضيه ، وإن وقعت بعدها « إمّا » الثانية كانت الواو المعنى آخر غير التشريك والجمع - وسيجيء التفصيل ^(٣) - .

ففي مثل : وصل القطار والسيارة - تفيد الواو مجرد اشتراك المعطوف (وهو : السيارة) مع المعطوف عليه ؛ (وهو : القطار) في المعنى المراد ، وهو : « الوصول » من غير أن تزيد على هذا شيئاً آخر ؛ فلا تدل على : « ترتيب » زمني بينهما يفيد أن أحدهما سابق في وقته ، وأن الآخر لاحق به ، ولا على : « مصاحبة » تفيد اشتراكهما في الزمن الذي وقع فيه اشتراكهما في المعنى ^(٤) ، ولا على « تعقيب » يدل على أن المعنى تَحَقَّقَ في المعطوف بعد تحققه في المعطوف عليه مباشرة ، من غير انقضاء وقت طويل بينهما ، ولا على : « مهلة » تدل على أن تحققه كان بعد سعة من الوقت ، وفُسحة فيه ^(٥) . . .

(١ و ١) الترتيب الزمني : تقدّم أحدهما على الآخر وقت وقوع المعنى . والمصاحبة : تقتضي اشتراكهما في المعنى في وقت واحد . (أى : انطباق المعنى عليهما معاً في زمن واحد) . والتعقيب : وقوع المعنى على المعطوف بعد وقوعه على المعطوف عليه مباشرة ، (أى بغير مهلة ، ولا انقضاء وقت طويل عرفاً) . . .

(٢) فالمتأخر - وهو المعطوف - قد يكون أشرف أحياناً من المتقدم (وهو المعطوف عليه) كقوله تعالى : (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) .

(٣) في ص ٦١٢ .

(٤) أى : أنها لا تفيد اشتراكهما في الزمن والمعنى معاً ، وإنما تقتصر على الاشتراك في المعنى وحده .

(٥) ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

زادَ الوشاة ، ولا والله ما تركوا قولاً ، وفعلًا ، وبأساءً ، وتهجينًا

فلم نزيد نحن في سرّ وفي علن على مقالتنا : « الله يكفيننا » =

ففي المثال السابق قد يكون وصول القطار أولاً وبعده السيارة ، وقد يكون العكس ، وقد يكون الزمن بين وصول السابق واللاحق طويلاً أو قصيراً ، وقد يكون وصولهما اصطحاباً معاً (أى : في وقت واحد) ، فلا سبق لأحدهما ولا زمن بين وصولهما . فكل هذه احتمالات صحيحة ، لا يزيلها إلا وجود قرينة تدل على واحد منها دون غيره . كأن يقال : وصل القطار والسيارة قبل ، أو بعده ، أو معه . . .

فن أمثلة الترتيب والمهلة — بقرينة — قوله تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيمَ . . .) ، فقد أفادت الواو الاشتراك ، والترتيب الزمني ، والمهلة ؛ فعطفت المتأخر كثيراً في زمنه (وهو : إبراهيم) على المتقدم في زمنه ، (وهو : نوح) ، وكانت إفادتها الترتيب والإمهال مستفادة من قرينة خارجية يجب احترامها ، هي التاريخ الثابت الذي يقطع بأن زمن إبراهيم متأخر كثيراً عن زمن نوح ، ولولا هذه القرينة ما أفادت الواو الترتيب الزمني ، وفسحة الوقت . وهذه الفسحة — أو المهلة — يُقدّرُها العُرف بين الناس ، فهو — وحده — الذي يحكم على مدة زمنية بالطول ، وعلى أخرى بالقصر ، تبعاً لما يجري في العرف الشائع .

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى مخاطباً النبي محمداً عليه السلام : (كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) ، فالواو قد أفادت الاشتراك والجمع في المعنى المراد ؛ وهو : الإيحاء ، وأفادت — أيضاً — الترتيب الزمني والمهلة بعطف المتقدم في زمنه على المتأخر كثيراً في زمنه بقرينة خارجة عنهما ، هي : « من قبلك » فهذا النص صريح في أن « المعطوف » سابق في زمنه على « المعطوف عليه » ولولا هذه القرينة لاقتصرت الواو على إفادة الجمع المطلق في المعنى ، والاشتراك المجرد فيه ، دون إفادة ترتيب زمني ، وأما المهلة فقد دلّ عليها التاريخ .

وكقوله تعالى في نوح عليه السلام حين ركب السفينة هو وأصحابه المؤمنون ، فراراً من الغرق بالطوفان : (فأنجيناه وأصحاب السفينة . . .) فالواو تفيد الجمع

= ومن أوضح الأمثلة للدلالة على مجرد الاشتراك المطلق في معنى الواو قوله تعالى : (وسارعوا إلى سفينة ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكافرين الغيظ ، والعافين عن الناس . والله يحب المحسنين) .

والاشتراك في المعنى ؛ وتفيد معه الاتحاد في الزمن بين المعطوف ؛ (أصحاب . . .)
 والمعطوف عليه : (الماء) فقد نجا نوح وأصحابه في وقت واحد - معاً - - بدليل
 النصوص القرآنية الأخرى^(١) وروايات التاريخ القاطع ؛ فلا ترتيب ولا مهلة .
 ومن أمثلة الترتيب والتعقيب ؛ جرى الماء وأروى الزروع .

وإذا فُقِدَت القرينة الدالة على الترتيب الزمني أو على المصاحبة فالأكثر
 اعتبارها للمصاحبة ، ويلى هذا اعتبارها للترتيب ؛ فيكون المعطوف متأخراً في
 زمنه عن المعطوف عليه . ومن النادر العكس ، - ويراعى في هاتين الحالتين
 عدم التعقيب إلا بقرينة .

وإن وقعت « واو » العطف قبل : « إما » الثانية لم تفد معنى الجمع
 والتشريك ، وإنما تفيد معنى آخر يقتضيه المقام الذي لا يسايره معنى الجمع ؛
 كالتخيير^(٢) ؛ مثل : استَرْضُ إما مشياً وإما ركوباً . . . ، وقد تكون للتخيير
 مباشرة بغير « إما » ؛ نحو : سافر الآن بالقطار والطائرة . وقد يكون معناها التقسيم ؛
 نحو : الكلمة اسم ، وفعل ، وحرف .

أحكامها :

٢ - من أحكام « واو » العطف ، التي تشارك فيها بعض أخواتها^(٣) ، أنها
 تعطف المفردات - كبعض الأمثلة السابقة - والجمع^(٤) ،

(١) القصة كاملة في سورة هود ، وفيها النص على نجاة نوح ومعه ركاب السفينة ، حيث قال تعالى :

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ، وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ ،
 وَفُضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) .

أى : استقرت السفينة بمن فيها بعد كل ماسبق على جبل معروف ؛ يسمى : « الجودي » .

(٢) معناه في ص ٦٠٤ - وسيجيء الكلام على « إما » ومعانيها في ص ٦١٢ - .

(٣) أنها قد تتجرّد للاستئناف المحض ، ولا تصلح لغيره - وكذلك « الفاء » و« ثم » .

(٤) بنوعها . فقال الجملة الاسمية قولهم : (لا فقرَ أشدُّ من الجهل ، ولا مالَ أنفعُ من
 العقل ، ولا حسَبَ كحُسْنِ الخلق . . .) وقوله تعالى : (من عمِل صالحاً فلنفسه ، ومن
 أساء فعليها) ، وقول الشاعر المسد :

فلا الصبح يأتينا ، ولا الليل ينقضي
 ولا الريح مأذون لها بسكون =

وأشباهاها^(١) . وأنها يجوز حذفها مع معطوفها بشرط أمن اللبس^(٢) ، مثل قول الشاعر :

إِنِّي مُقَسِّمٌ مَا مَلَكَتُ ، فَجَاعِلٌ قِسْمًا لآخرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ
أَي : وَقَسَمَ دُنْيَا . يريد : وقسماً لدنيا . . ومن هذا قولهم : رَاكِبُ
النَّاقَةِ طَلِيحَانٍ^(٣) . والأصل : رَاكِبُ النَّاقَةِ وَالنَّاقَةُ طَلِيحَان . (أَي :

= ومثال الفعلية قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ...) . وقول الشاعر :

إِذَا صَارَ الْهَلَالُ إِلَى كِمَالٍ وَتَمَّ بِهَاوِهِ فَارْقُبْ مَحَاقَةَ
(١) فثال عطف الجار مع مجروره على مثلها قول الشاعر :

لَأَنْتَ أَحَلِّيَ مِنَ لَذِيذِ الْكَرَى وَمِنْ أَمَانٍ نَالِهِ خَائِفُ
ومثل الآية التي في ص ٥٥٩ ؛ وهي (كَذَلِكَ يُبَوِّحُ لِيَكِ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ...)

ومثال عطف الظرف على ظرف آخر قوله تعالى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْتَ
خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) .

(٢) كما سيجيء في ص ٦٣٦ . وكذلك يصح حذفها وحدها دون معطوفها طبقاً لما في ص ٦٤١ .
كما يصح حذف المعطوف عليه قبلها بالطريقة الموضحة في ص ٦٣٩ - والتي أشرنا إليها في رقم ٢
من هامش الصفحة الآتية -

(٣) ومثل هذا كل مبتدأ مضاف أخبر عنه بخبر مطابق في التثنية ، أو الجمع ، للمضاف
مع المضاف إليه من غير عطف . (وقد سبق إيضاح هذا المناسبة أخرى في الجزء الأول ص ٤٩٧ م ٣٧
باب المبتدأ والخبر) .

وحذف حرف العطف مع معطوفه ليس مقصوداً على الواو مع معطوفها ، وإنما يشاركها فيه « أم »
(كما سيجيء في « ب » ص ٥٩٦ ، وفي ص ٦٣٦) وكذا « الفاء » مع معطوفها كقوله تعالى في
أحكام الصوم :

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) .

الأصل : فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطرَ فعدة من أيام آخر - كما يجيء في رقم ٥ من
هامش ص ٥٧٥ -

وإلى هذا يشير ابن مالك في آخر الباب بقوله :

وَالْفَاءُ قَدْ تُحذفُ مَعَ مَا عطفَتْ
بِعطفِ عاملٍ مُزَالٍ قَدْ بَقِيَ مَعْمُولُهُ ؛ دَفْعًا لِيَوْهَمِ اتِّقِي
مزال : قد حذف من موضعه وأزيل منه . (راجع ص ٦٣٦) .

ب - وتفرد الواو بأحكام نحوية تكاد تستأثر بها^(٢) :

منها : أنها الحرف المختص بعطف اسم على آخر حين لا يكتفى العامل في أداء معناه بالمعطوف عليه ؛ نحو : تقاتلَ النمرُ والفيلُ ؛ فإن العامل : (تقاتلَ) لا يتحقق معناه المراد بالمعطوف وحده ؛ فلو قلنا : « تقاتل النمر » ، ما تمَّ المعنى ؛ لأن المقاتلة لا تكون من طرف واحد ؛ وإنما تقتضى معه وجود طرف آخر - حتماً - كى يتحقق معناها . وكذلك : تنازع الظالمُ والمظلوم ، فإن المنازعة لا تقع إلا من طرفين . . ، وكذلك تصالح الغالب والمغلوب .

= يقول : إن الفاء قد تحذف مع معطوفها ، وكذلك الواو مع معطوفها ، بشرط ألا يترتب على الحذف في الحالتين لبس . وتفرد الواو بأنها تعطف عاملاً محذوفاً قد بقى معموله على الوجه الذى سنشرحه في ص ٥٦٣ التالية . ويريد بقوله : « دفعوا لوهم . . . » بيان العلة في الحذف والتقدير ؛ وأنها دفع لوهم يقودنا للووقع في خطأ .

(١) ومن تلك الأحكام : أن الضمير - ونحوه مما يحتاج للمطابقة - بعدها يجب مطابقة - في الأصح - للمعطوف والمعطوف عليه معاً ؛ ولا يراعى فيه حالة المعطوف وحده ؛ يقال : جاء السائل والغريب فعاوناهما . وفازت فاطمة وسعاد وعائشة فهنأتهن . . . وهكذا . . . (انظر رقم ٤ من هامش ص ٦٠٥ حيث الإيضاح ، وبيان المرجع ، ثم رقم ٣ من ص ٦٥٧ .)
وليس مما نحن فيه مثل قوله تعالى : (واللهُ ورسولهُ أحقُّ أنْ يُرْضَوْهُ . . .) ، وقول حسان بن ثابت :

إِنَّ شُمْرَخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ود ما لم يعاصَ كان جنونا

لأن الكلام قائم هنا على حذف الخبر ، إذ المراد : والله أحق أن يرضوه ، ورسوله كذلك - إن شرح الشباب ما لم يعاص كان جنونا والشعر الأسود كذلك . فهو نظير قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ . والرأى مختلفٌ

أى : نحن راضون بما عندنا ، وأنت راض بما عندك . . . (راجع كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن ج ١ ص ١٧٥ و ١٩٧) .

(٢) ومنها : أنها يجوز حذفها وحدها ، كما يجوز حذف المعطوف عليه وحده دون حذفها فتصلح في هذه الصورة لأن تكون عاطفة أو غير عاطفة (بمعنى : رُبَّ) كما سبقت الإشارة في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة وسيأتى الإيضاح في مكانه المناسب ص ٦٣٩ و ٦٤١ . وله بيان في ج ٢ - باب حروف الجر عند الكلام على : رب «

ومثل : (سكنت بين النهر والحدائق^(١)) — ومثل : تضيع الكرامة بين الطمع والبخل ، لأن معنى « بين » لا يتحقق بفرد واحد تضاف إليه^(٢) ، وهكذا غيرها من الكلمات التي تؤدي معنى نسبياً^(٣) ؛ مثل : تشارك — تعاون — اختصم — اصطف —^(٤) . . .

ومنها : اختصاصها بعطف عامل قد حذف وبقي معموله . نحو :
(قضينا في الحديقة يوماً سعيداً ؛ أكلنا فيه أشهى الطعام ، وأطيب الفاكهة ،
وأعذب الماء) فكلمة : « أطيب » معطوفة على : « أشهى » ، أى : أكلنا أشهى

(١) يصح أن يقال : سكنت بين النهر وبين الحدائق ، بتكرار « بين » إذا كان المتعاطفان اسمين ظاهرين كما في المثال ، والفرض من التكرار هو تأكيد المعنى وتقويته . وهذا التكرار جائز مع العطف ، بشرط أن تكون الأولى مضافة لاسم ظاهر مفرد (أى : لا يدل على تعدد) فإن أضيفت لضمير دال على الإفراد وجب التكرار مع عطف المكررة بالواو ؛ طبقاً لما فصلناه في ج ٢ ص ٢٦٨ م ٧٩ حيث جاء فيه مانصه :

(يجوز أن يقال المال بين محمود وبين على ؛ بزيادة « بين » الثانية للتأكيد ، كما قاله ابن بري وغيره ، وبذلك يرد على منع الحريري تكرارها — راجع حاشية « ياسين » على التصريح ، ج ٢ أول باب العطف وكذلك حاشية الصبان ج ٢ في ذلك الباب عند الكلام على واو العطف —) .
ومن المسموع في هذا قول على بن أبي طالب — كما جاء في كتاب « سجع الحمام ، في حكم الإمام » ونصه : « للؤمن ثلاث ساعات . . . وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها) ا هـ . ويؤيد ماسبق أيضاً ، ماورد من نصوص فصيحة ، نثرية وشعرية ، وأدلة أخرى سجلناها هناك .

(٢) لهذا قالوا في بيت امرئ القيس :

قِفْنَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ

إن التقدير : بين أماكن الدخول وحومل (الدخول وحومل : موضعان) وقيل إن الرواية هي : بين الدخول وحومل . فلا تقدير .

(٣) هو المعنى الذي لا يتحقق إلا بنسبته إلى اثنين (أو أكثر) يشتركان فيه ؛ ويقع عليهما .

(٤) ومثل « استوى » في قول الشاعر يصف حاله مع أحد أقاربه :

صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنِهِ
وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَامُ

ومثلها : « تَسَاوَى » بشرط أن يكون معناها — كسابقها — إفادة التساوي بين شيء وآخر .

هذا ، وقد تقع الواو بعد كلمة : « سواء » التي تفيد التسوية ولكن بشرط أن تقع بين اسمين ، وألا توجد همزة التسوية ، نحو : سواء على الأخ والصديق الوفي . وهذا رأى سيبويه ، أما الكلام على التسوية والمراد منها في ص ٥٨٥ .

الطعام ، وأكلنا أطيبَ الفاكهة . أما كلمة : « أعذب » فلا يصح - في الرأى الأغلب - عطفها على أشهى ، إذ لا يصح أن يقال : أكلنا أعذب الماء ؛ لأن أعذب الماء لا يؤكل ، وإنما يُشرب ، ولهذا كانت كلمة : « أعذب » معمولة لعامل محذوف ، تقديره : شرب ، أى : وشربنا أعذب الماء ، والجملة بعد الواو معطوفة على الجملة التى قبلها وهى : أكلنا - ؛ فالعطف عطف جملة على جملة .

ومثل : (اشتد البرد القارس فى ليلة شاتية ، فأغلقتُ الأبوابَ والنوافذَ ، وأوقدتُ ناراً للدفء ، والملابسَ الصوفية) ؛ فلا يصح عطف كلمة : « الملابس » على « الأبواب » ولا على « ناراً » لفساد المعنى على هذا العطف ؛ إذ لا يقال : أغلقتُ الملابس الصوفية ، ولا أوقدتُ الملابس ، وإنما هى معمول لعامل محذوف تقديره : وليستُ الملابس الصوفية ، أو أكثرُ الملابس الصوفية ، أو نحو هذا مما يناسب الملابس ، والجملة بعد الواو معطوفة على جملة : أغلقتُ . فالعطف عطف جملة على جملة ، لا عطف مفرد على مفرد - كما سبقت الإشارة^(١) - .

ولافرق فى المعمول الباقي بين المرفوع ؛ نحو : قوله تعالى : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) ، والمنصوب ؛ نحو : قوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا^(٢) الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ . . .) ، والمجرور نحو قولهم : « ما كلُّ سُوداءَ فَحْمَةٌ ، ولا يبيضاءَ شَحْمَةٌ » ، والأصل فى المثال المرفوع : (اسْكُنْ أَنْتَ وَلَيْسَكُنْ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ) ؛ إذ لا يصح عطف « زوج » على الضمير المستتر الفاعل ؛ وإلا كان فاعلاً مثله حكماً ؛ فيتربط على هذا أن يقال : اسْكُنْ زَوْجُكَ ، بوقوع الاسم الظاهر فاعلاً للأمر ؛ وهذا لا يصح^(٣) . كما أن الأصل فى المنصوب : (تَبَوَّءُوا الدَّارَ ، وَأَلْفَوْا الْإِيمَانَ) ؛ لأن الإيمان لا يُسْكُن - والأصل فى المجرور : (ما كلُّ سُوداءَ فَحْمَةٌ ولا كلُّ^٤

(١) فى الجزء الثانى ، باب المفعول معه ص ٢٣٢ م ٨٠ .

(٢) سَكَنُوا .

(٣) يبيحه فريق من النحاة بحجة : (أنه قد يفتقر فى التابع ما لا يفتقر فى المتبوع) . وفيه تيسير .

ولا يجوز إعرابه بدلاً من الفاعل المستتر ؛ لأن للضمير لا يبدل من الضمير - كما فى « ب » ص ٦٨٣ .

بيضاء شحمةً) لثلاثا يترتب على العطف المباشر من غير تقدير المحذوف ، عطف شيئين على معمولي عاملين مختلفين بحرف عطف واحد ، وهذا ممنوع . والعاملان هما : (ما ^(١) - وكل) والمعمولان هما : (بيضاء ، وشحمة) ^(٢) .

هذا ما يقوله كثير من النحاة . ولكن الصحيح أن الواو العاطفة لا تختص بهذا الحكم وحدها ، وإنما تشاركها فيه «فاء» العطف - كما سيجيء عند الكلام عليها ^(٣) - مثل : أحسن بدينار فصاعداً . . . أى فاذهب صاعداً بالعدد ^(٤) . . . ومنها جواز حذفها عند أمن اللبس ^(٥) ؛ نحو : زرت أقاربي في الصعيد ، وقابلت منهم : العم ، العمة ، الخال ، الحالة ، أبناءهم . . . أى : العم والعمة ، والخال والحالة ، وأبناءهم . ومثل : قرأت اليوم : الصحف اليومية - المجلات - الرسائل - المحاضرات . . . أى : الصحف اليومية - والمجلات ، والرسائل ، والمحاضرات . . . ومثل هذا يقال في سرد الأعداد ، نحو : من الأعداد عشر ، - عشرون - ثلاثون - أربعون . . .

ومنها : عطف الشيء على مرادفه لتقوية معناه وتأكيده ^(٦) كقولهم : الصمت والسكوت عن غير السداد سداد . وقولهم : يعود البغي والطغيان وبالإلى على صاحبه ، فالمعطوف وهو : «السكوت» بمعنى المعطوف عليه : «الصمت» وكذلك الطغيان والبغي . . . ومن هذا قوله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) ، فكلمة «بث» معطوف عليه ؛ وكلمة : «حزن» معطوف مرادف له في المعنى .

(١) على اعتبار «ما» حجازية تعمل عمل : «ليس» .

(٢) سبق هذا المثال في آخر باب الإضافة ص ١٦١ لمناسبة هناك : وسيماد موضعاً في آخر هذا الباب ص ٦٣٨ .

(٣) في ص ٥٧٥ .

(٤) سبق إيضاح هذا في مكانه الأنسب ج ٢ ص ٣٠٤ م ٨٦ باب الحال وحذف عامله .

(٥) للصحيح أن «فاء» تشاركها في هذا الحكم . وكذا : «أو» ، (كما سيجيء في ص ٥٧٥ و ٦١١ و ٦٤١ . غير أن حذف الواو هو الأكثر .

(٦) قد تشاركها : «أو» في هذا أحياناً ؛ كقوله تعالى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا . . .) فالخطيئة هي الإثم - ولهذا إشارة تجيء في «د» من ص ٦١١ - .

ومثل النَّأى والبُعد^(١) في قول الخطيئة :

ألا حبذا هندُ وأرض بها هندُ وهندُ أتى من دونها النَّأى والبُعد^(٢)

(١) ومثل الجملتين الفعليتين : (أَقْوَى ×) و (أَقْفَر ×) في قول عنتره :

حُبَيْبَتٌ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدِهِ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ ...

(٢) فيما سبق من تعريف عطف النسق يقول ابن مالك :

تَالٌ بِحَرْفٍ مُتَّبِعٍ عَطْفُ النَّسَقِ كَاخْصُصُ بُودٌ وَثَنَاءٌ مِنْ صَدَقَ

يقول : إنه هو التالى لحرف مُتَّبِعٍ ما بعده لما قبله ، أى : مشرك للثانى مع الأول في الحكم الإعرابي . وساق مثلاً للتشريك في الحكم هو : اخصص من صدق بود وثناء ، فحرف العطف هو : الواو ، والتالى المشاركة في الحكم هو : «الثناء» . ومعنى : «تال بحرف مُتَّبِعٍ» : أنه تال (تابع) بسبب حرف يُتَّبِعُ ما بعده لما قبله : فليس منه «أى» المفسرة ، لأنها لا تتبع ما بعدها لما قبلها - إلا على الرأى الذى يعتبرها حرف عطف كالواو ، وهو الرأى الكوفي الحسن الذى أشرنا إليه (مفصلاً في رقم ١ من هامش ص ٥٥٦) . ثم ساق بيتين ضمنهما أكثر حروف العطف التى سنشرحها في المكان الأنسب ؛ هما :

فَالْعَطْفُ مُطْلَقاً بِوَائٍ - ثُمَّ - فَ - حَتَّى - أَمْ - أَوْ كَفَيْكَ صِدْقٌ وَوَفَاً
وَأَتَّبَعْتُ لَفْظاً فَحَسْبُ : بَلْ - وَلَا ... لَكِنْ ؛

ثم عاد للكلام على أحكام الواو فقال :

فَعَطْفُ وَائٍ سَابِقاً ، أَوْ لَاحِقاً فِي الْحُكْمِ ، أَوْ مُصَاحِباً مُوَافِقاً
وَإِخْصَاصُ بِهَا عَطْفُ الَّذِي لَا يُغْنِي مَتَّبِعُوهُ ، كَاخْصُصَ هَذَا وَإِبْنِي

واقصر على ماسبق ، ولم يذكر بقية أحكام الواو .

زيادة وتفصيل :

١- وما انتردت به الواو غير ما سبق :

(١) عطف العام على الخاص^(١) ؛ نحو : زرت القاهرة ، والخواضر الكبرى . وقوله تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَلِوَالِدَيَّ ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُؤْمِنَاتِ) .

(٢) وقوعها بعد كلام منفي ، عاطفة مفرداً . وبعدها « لا » النافية ؛ نحو : شجاع النفس لا يحب الجبن ، ولا الكذب ، ولا الرياء (أى : لا يحب كل واحدة من الصفات المذكورة) . فتكرار « لا » يفيد أن النفي واقع على كل واحدة وحدها من غير توقف على غيرها . ولو لم تتكرر^(٢) « لا » لتوهمنا أنه مقصور على حالة اجتماعها مع غيرها^(٣) . فإن لم يوجد نفي قبلها ، أو قصدت المعية لم يصح مجيء « لا »^(٣) .

(٣) وقوعها بعد نهى عاطفة لمفرد ، وبعدها « لا » النافية ؛ التي تؤكد الغرض السالف ؛ نحو : لا تصدق الحلاف ، ولا النمام ، ولا الحاسد .

(٤) جواز الفصل بينها وبين معطوفها بظرف ، أو جار مع مجروره^(٤) ، نحو : أينعت حديقتان ؛ حديقة أمام البيت ، وخلفه حديقة^(٥) ، ومثل قوله

(١) وأما عكسه وهو : « عطف الخاص على العام » فتشاركها فيه « حتى » - كما سيجيء في « ب » ص ٥٨٤ - ونحو قوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) . ونحو : لا يؤمن الناس الأيام حتى الملوكة . (والصلاة الوسطى : هى صلاة وسط النهار . والمراد بها : الظهر والعصر) . وكل ما سبق مشروط بالأى يتطلب المعنى حرفاً آخر يفيد الترتيب أو غيره . . . - انظر ما يتصل بهذا فى آخر رقم ٨ من ص ٦٦٠ .

(٢) راجع « التصريح » عند الكلام على : « لكن » العاطفة ، ثم « المغنى » عند الكلام على « الواو » .

(٣) لهذا بيان هام (فى ج ١ م ٥ هامش ص ٦٢ أول الكلام على موضوع : « الحرف ») . ويتضمن - فيما يتضمن - النص على زيادة « لا » النافية ، والغرض من زيادتها ، ومعناها ، وإعرابها ..

(٤) صرح بهذا « الصبيان » ولم يذكر خلافاً . لكن سيجيء فى رقم ٥ ما يعارضه .

(٥) والأخذ بهذا الرأى فى « الواو » أنسب من الأخذ برأى آخر يمنع الفصل مطلقاً فى غير =

.....
.....

تعالى : (وجعلنا من بين أيديهم سداً ، ومن خلفهم سداً) ...

(٥) عطف العقد^(١) على النيف ، نحو : واحد وعشرون ... - سبعة وثلاثون ... - خمسة وأربعون ... و ...

(٦) اقترانها بالحرف : « لكن » ؛ كقوله تعالى : (ما كان محمد أباً أحداً من رجالكم ، ولكن رسولاً^(٢) الله وخاتم النبیین) .

(٧) وقوعها قبل الحرف « إما » المسبوق بمثله في كلام قبله ؛ نحو : المن المعروف إما جهالةً ، وإما سوء أدب .

(٨) العطف بها في أسلوب الإغراء والتحذير ؛ نحو : الرفق والملاينة جهد طاعتك ، وإياك والعنف ما وجدت سبيلاً للفرار منه .

(٩) عطف النعوت المتعددة المفرقة التي منعوتها متعدد غير مفرق : نحو : تنقلت في بلاد زراعية وصناعية وتجارية ... والواقع بعد هذه « الواو » يسمى معطوفاً ، ولا يصح تسميته - الآن - نعتاً .

(١٠) عطف المفردات التي حقها التثنية أو الجمع ، نحو قول الحجاج وقد مات

= الضرورة الشعرية بين المعطوف وحرف العطف : « الواو » أو : « الفاء » ؛ أما غير هذين الحرفين من أدوات العطف فالرايان متفقان على جواز الفصل بالظرف أو بالخارج مع مجروره . (راجع الجمع ج ٢ آخر باب العطف ، ص ١٤١) .

(١) العقد هو : العدد الذي يحى ترتيبه عاشرأ بين الأرقام المتسلسلة المرتبة قبله . وتنحصر العقود في لفظ : عشرة - عشرين - ثلاثين - أربعين - خمسين - ستين - سبعين - ثمانين - تسعين - والصحيح تسمية : « مائة » و « ألف » ومركباتهما « عقداً » أيضاً ...

أما « النيف » فكل عدد يكون ترتيبه المتسلسل بين عقدين ؛ ومنه : أحد عشر - اثنان وعشرون - ثلاثة وثلاثون - ، خمسة وأربعون ... و ...

(٢) الواو هي العاطفة ، أما : « لكن » فحرف استدراك محض ، - ومعناه وأحكامه في صفحة ٦١٦ - وكلمة : « رسول » بالنصب ، خبر « كان » المحذوفة ، والجملة من « كان » ومعمولها معطوفة بالواو على الجملة الفعلية قبلها . وهذا على الرأي الأشهر القائل إن كلمة : « لكن » الاستدراكية المحضة ، المسبقة بالواو - لا يقع بعدها إلا الجملة دائماً ، ولا تكون عاطفة ؛ وإنما العاطف الواو . أما على رأي من يميز وقوع المفرد بعدها فالواو حرف عطف وكلمة : « رسول » معطوفة على كلمة : « أبا » (انظر ص ٦١٦) .

محمد ابنه ، ومحمد أخوه : « محمد ومحمد في يوم واحد » . وقول الشاعر الفرزدق :

إن الرزية لا رزية بعدها فقدانُ مثل محمد ومحمدٍ
وقول الآخر :

أقمنا بها يوماً ، ويوماً ، وثالثاً ويوماً له يوم الترحلِ خامسُ
يريد : أياماً ثمانية . . .

(١١) عطف السببي على الأجني في : « الاشتغال » ؛ نحو : محمداً
أكرمت عمرًا وأخاه^(١) . ومثل : محمد مررت بأخيك وأخيه^(٢) .

(١٢) عطف كلمة : « أي » على مثلها^(٣) ، كقول الشاعر :

فلئن لقيتُك خاليين لَتَعْلَمَنَّ أيُّ وأيك فارسُ الأحرابِ

(١٣) عطف الظرف : « بين » على نظيره ، مثل : المال بيني وبين أهلي^(٤) .

(١٤) عطف السابق في زمنه على اللاحق ، نحو قوله تعالى : (كذلك
يُوحى إليك ، وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) .

(١٦) المتعاطفان بالواو لا يختلفان بالسلب والإيجاب إذا كانا مفردين
فلا يصح : لا الشمس طالعة والقمر .

(١٧) وجوب الفصل بها مع إهمالها بين كلمتين مُعَبَّتين ينشأ منهما مسموع من
التركيب المزجي (من أمثلته : كَيْتٌ وكَيْتٌ - ذَيْتٌ وذَيْتٌ . .) بالتفصيل
والبيان الآتين في الموضع الأنسب - ج ٤ باب : « كم » م ١٦٨ ص ٥٤٠ -

(١٨) جواز عطفها عاملاً قد حذف وبقى معموله على الوجه المشروح في ص ٦١٥ .

ب - يرى الكوفيون من خصائص الواو وقوعها زائدة ؛ كالتى في قوله
تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ،

(١٠١) الضمير راجع إلى « محمد » في المثاليين .

(٢) بالتفصيل الذى سبق في « ج » من ص ١٠٧ .

(٣) راجع ما يختص بتكرار الظرف : « بين » في رقم ١ من هامش ص ٥٦٣ .

.....
.....

وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، ، وقال لهم خَزَنَتْنِهَا : سلامٌ عليكم ...) فالواو التي قبلَ : « فُتِحَتْ » زائدة عندهم ^(١) . ومثل قوله تعالى : فلما أَسْلَمَا وتَكَلَّه . لِلْجَبِينِ ...) . أى : تَكَلَّهُ لِلْجَبِينِ ^(٢) .

والبصريون يؤولون الآيتين وشبههما — بتأويلات منها : أن الواو عاطفة أصلية وجواب « إذا » و « لما » محذوف ... لكن التأويل عسير في قول الشاعر :

ولقد رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا وَأَنْتَ تَعِينُ مِنْ يَبْغِينِي
والمراد : فإذا أَنْتَ . وقول الآخر :

فما بالُ من أَسْهَى لِأَجْبَرٍ عَظْمُهُ حِفَاطًا ، وَيَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي
أى : ينوى من سفاهته .

وإنما كان التأويل هنا عسيراً لأن ما بعد إذا « الفجائية » لا يقترن بالواو . ولأن جملة (ينوى) على تأويلها بأنها حالية هي جملة مضارعية مثبتة ، وصاحب الحال هو « مَنْ » والجملة المضارعية المثبتة لا تقع حالا مقترنة بالواو إلا على تقديرها خبراً لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره هي الحال . . فهي محتاجة للتأويل والحذف . ولاداعى لهذا أو لغيره من التأويلات . فذهب الكوفيون أوضح وأقل تعسفاً ، والأخذ به هنا أيسر ^(٣) ، لكن الأفضل التخفيف من الزائدة قدر الاستطاعة ، والبعد عن استعمالها ؛ فراراً من اللبس ، ومن التأويل بغير داع .

ح — هل « الواو » الواقعة بعد « بل » نوع من الزائدة ؟ مثل : الصالح أمين ،

(١) مستدلين بالآية الأخرى الحالية من الواو — وكلتاها في سورة : « الزمر » — ، ونصها : (... وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ...) .

(٢) بمعنى صرعه وألقاه على الأرض حتى لمسها جبينه . والقصة عن إبراهيم حين أراد أن يحقق رؤيا منامية ؛ مضمونها أنه يذبح ابنه . ففهم منها أن هذا إجماع من الله يجب تنفيذه ؛ فهم به ، ورضى الولد بقضاء الله . ولكن الله أوحى إلى نبيه تركه ، والتضحية بدله بشيء آخر .

(٣) علماً بأن اللفظ الزائد (حرفاً أو غير حرف) إنما يزداد لفرض مقصود — طبقاً لما شرحناه في ج ١ م ٥ — الزيادة والتفصيل — عند الكلام على الحرف .

.....
.....

بل ومحسن .. الجواب في « ح » من ص ٦٢٨ .

د - تختص همزة الاستفهام دون باقي أخواتها بالدخول على أحد ثلاثة من حروف العطف ولا تدخل على غير هذه الثلاثة ، هي : (الواو - الفاء - ثم) فثالثها قبل الواو قوله تعالى : (أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ؟ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ... ؟) ، وقبل « الفاء » ^(١) قوله تعالى في المشركين : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ تَبْلِيهِمْ ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ...) ، وقبل « ثم » ^(٢) قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعَجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ؟ أَلَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ... ؟) ...
ولابد أن يكون المعطوف بعد الثلاثة جملة .

وقد اشتهر للنحاة في هذا رأيان ^(٣) .

أولهما : وهو رأى جمهورهم - أن همزة تركت مكانها بعد حرف العطف ، وتقدمت عليه ؛ تنبيهاً على أصالتها في التصدير - كما يقولون - فالجملة بعد العاطف معطوفة على الجملة التي قبله وقبل همزة . ما لم يمنع من هذا العطف مانع (كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية ؛ عند من يمنع العطف بين الجملتين المختلفتين خبراً وإنشاء ؛ مثل هذه الصورة . فتكون الجملة عنده بعد حرف العطف معطوفة على أخرى . محذوفة مماثلة لها في الخبرية أو الإنشائية ...) .

ثانيهما : وهو رأى الزمخشري - أن الجملة بعد العاطف معطوفة على جملة محذوفة موقعها بين همزة والعاطف . والأصل مثلاً ، أنسُوا ولم يَتَفَكَّرُوا ؟ - أغمضوا عيونهم ولم ينظروا ؟ - أقعدوا ولم يسيرا ... ؟ - أكفرتم ثم إذا وقع

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٥٧٥ .

(٢) انظر « ب » من ص ٥٧٩ .

(٣) كما ستجىء الإشارة في ص ٦٣٩ .

آمنتم به . . ؟ والرأى الأول أشهر . وبالرغم من ذلك فإن كلا الرأيين معيب ؛ لقيامه على الحذف والتقدير ، أو التقديم والتأخير ، ولعدم انطباق كل منهما على بعض المصور الأخرى التى يدور حولها وحول ما سبق جدل طويل واعتراضات مختلفة ^(١) .

فما السبب فى هذا التكلف ؛ والالتجاء إلى الحذف ، والتقدير ، والتقديم ، والتأخير . وعندنا ما هو أوضح وأيسر ، وأبعد من التأويل ؟ ؛ وذلك باعتبار الهمزة للاستفهام ، وبعدها « الواو » و « الفاء » ، و « ثم » حروف استئناف داخلة على جملة مستأنفة . وقد نص النحاة على أن كل واحد من هذه الثلاثة يصلح أن يكون حرف استئناف .

ولا مانع أيضاً أن تدخل الهمزة — هنا — على حرف العطف مباشرة ؛ مسaire للنصوص الكثيرة الواردة فى القرآن وغيره ، ولن يترتب على أحد هذين الرأيين إخلال بمعنى ، أو تعارض مع ضابط لغوى .

« ملاحظة » فى غير الهمزة من أدوات الاستفهام يجب تقديم حرف العطف وتأخير أداة الاستفهام عنه ، لأن هذا هو قياس جميع الأجزاء فى الجملة المعطوفة ، نحو : قوله تعالى : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) — وقوله تعالى : (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) . . .

• • •

(١) فراها فى بعض المراجع ، كالمفنى وحواشيه ، باب الهمزة .

معناها الغالب هو الترتيب بنوعيه " المعنوى " والذكري " مع التعقيب فيهما وإفادة التشريك . والمراد بالترتيب المعنوى : أن يكون زمن تحقق المعنى في المعطوف متأخراً عن زمن تحققه في المعطوف عليه ؛ نحو : (نفعنا بذر القمح للزراعة ، فإنباته ، فنضجُه ، فحصادُه) فزمن البذر سابق على زمن الإنبات ، والنضج ، وما بعده .

والمراد : بالترتيب الذكري : أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق ، وترتيبهما فيه ، لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما ، كأن يقال لمؤرخ : حدثنا عن بعض الأنبياء ؛ كآدم ، ومحمد ، وعيسى ، ونوح ، وموسى - عليهم السَّلام - فيقول : أكنفى اليوم بالحديث عن محمد ، فعيسى . فوقوع « عيسى » بعد الفاء لم يقصد به هنا الترتيب الزمني التاريخي ؛ لأن زمن عيسى أسبق في التاريخ الحقيقي من زمن محمد ، وإنما قصيد مراعاة الترتيب الذكري (أى : اللفظي) الذي ورد أولاً في كلام للسائل ، وتضمن ذكر « محمد » قبل « عيسى » (١) .

والمراد بالتعقيب : عدم المهلة - ويتحقق بقصر المدة الزمنية التي تنقضي بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف - ؛ نحو : وصلت الطائرة فخرج المسافرون . وأول من خرج النساء فالرجال . . فخرج المسافرون -

(١) ويدخل في الترتيب الذكري « عطف المفصل على المجرى » ؛ كقوله تعالى : (ونَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) . وقوله تعالى : (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً) . وقوله تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا : فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) .

ومن الترتيب الذكري : « الترتيب الإخباري » ؛ وهو الذي يقصد به مجرد الإخبار وسرد المعطوفات بغير ملاحظة ترتيب كلامي سابق ، ولا ترتيب زمني حقيقي ، وإنما يقصد منه - بشرط وجود قرينة - ذكر المعلومات واحدة بعد واحدة ، فالفاء - في هذا - كالواو التي لطلق الجمع ؛ نحو : تغير الجو ، واشتدت الرعود ، فالبرق ، فتراكم المياه في المنحنيات ، فالأمطار . . . ونحو : هذا عالم قابوه ، فجده . . .

— في المثال — يجيء سريعاً بعد وصول الطائرة ، وخروج الرجال يكون بعد خروج النساء مباشرة من غير انقضاء وقت طويل في الصورتين . . .

وقصّر الوقت متروك تقديره للعرف الشائع ؛ إذ لا يمكن تحديد الوقت القصير أو الطويل تحديداً عاماً يشمل كل الحالات . فقد يكون الوقت قصيراً في حالة معينة ، ولكنه يُعَدّ طويلاً في أخرى .

وبمناسبة إفادتها الترتيب نشير إلى قاعدة عامة سبقت^(١) ؛ هي : أن « المعطوفات » المتعددة تقتضى أن يكون لها جميعاً « معطوف عليه » واحد ، هو : الأول الذى يسبقها كلها ، وقبل كل معطوف حرف عطف خاص به . لكن إذا كان حرف العطف يفيد الترتيب ؛ (مثل : « الفاء » و « ثم ») وجب أن يكون المعطوف عليه هو السابق عليهما مباشرة ، ولو لم يكن هو الأول : نحو : تكلم فى النادى الرئيس والوكيل والمُحاضر ، فالناثر ثم الشاعر . فالوكيل والمحاضر معطوفان على الرئيس ، أمّا كلمة : « النائر » فعطوفة على : « المحاضر » وأمّا كلمة : « الشاعر » فعطوفة على « النائر »^(٢) . . .

وتفيد — كثيراً — مع الترتيب والتعقيب ، « التسبب » ؛ أى الدلالة على السببية^(٣) ؛ (بأن يكون المعطوف متسبباً عن المعطوف عليه) ويغلب هذا فى شيئين ؛ عطف الحمل ، نحو : رعى الصياد الطائر فقتله^(٤) ، وفى المعطوف المشتق ، نحو : أنتم — أيها الجنود — واثقون بأنفسكم ، فهاجمون على عدوكم ، ففاتكون به . فنتصرون عليه . . .
ومن أحكام الفاء^(٥) :

(١) فى أول الباب فى رقم ٢ من هامش ص ٥٥٥ حيث البيان المفيد .

(٢) فإن جاء بعد ذلك عاطف لا يفيد الترتيب كان ما بعده معطوفاً على الذى قبل العاطف مباشرة ، طبقاً للبيان الهام الذى فى هامش ص ٥٥٥ .

(٣) ولكنها لا تسمى اصطلاحاً فى هذه الحالة « فاء السببية » إلا إذا دخلت على مضارع منصوب « بأن المصدرية » المضمره التى تنصبه بشروط معينة مدونة فى موضعها الأنسب (وهو : باب : « إعراب الفعل » ، أول الجزء الرابع ، ص ٦٥ ، م ١٤٩) .

(٤) ومثل قول الشاعر :

ورُبَّما استبحال السَّعد نحساً فذاق المعتدى مما أذاقه

(٥) أنها قد تتجرد أحياناً للاستئناف المحض ولا تصلح لغيره — وكذلك : « الواو » ، و « ثم » —

أنها لا تنفصل من معطوفها بفواصل^(١) اختياراً ، فلا بد من اتصالهما في غير الضرورة الشعرية . وأنها تعطف المفردات^(٢) والجمل كما في الأمثلة السالفة^(٣) ، وأنه يجوز حذفها بقرينة - كما أن « الواو » و « أو »^(٤) كذلك - نحو : قطعت سنوات التعلم ؛ الأولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة . . . ونحو : أنفقت المال درهماً - درهمين - ثلاثة - وأنها قد تحذف مع معطوفها ؛ كآلية التي سلفت^(٥) .

وتختص الفاء^(٦) : بأنها تعطف جملة لا تصلح صلة ، ولا خبراً ، ولا نعتاً ؛ ولا حالاً - على جملة تصلح لذلك ، والعكس ، بأن تعطف جملة تصلح لتلك الأشياء على جملة لا تصلح . (وسبب عدم الصلاحية في الصور السالفة كلها : خلو الجملة من الرابط ، ووجوده في الجملة الصالحة)^(٧) . . فمثال عطفها . جملة لا تصلح صلة على جملة أخرى تصلح : (الذي عاونته ففرح الوالد - مريض) ومثال العكس : (التي وقف القطار فساعدتها على النزول - عجوز ضعيفة) .

(١) كما سيحییء فی رقم ٤ من ص ٦٥٨ . وقد سبق - فی رقم ٥ من هامش ص ٥٦٧ - رأى یجوز الفصل بالظرف أو الجار مع مجروره بین الفاء ومعطوفها . ولكن الرأى الذی یمنع الفصل - فی غیر الضرورة الشعرية - هو الصحیح إذا كانت أداة العطف هى « الفاء » ، والافتقار علیه واجب . (٢) المراد من المفرد فی باب العطف مدون فی رقم ٣ من هامش ص ٥٥٧ وله تکملة مفیده فی ص ٦٤٢ .

(٣) فی ص ٥٧٣ وهامشها . . . ويجوز عند عطفها الجمل أن تسبقها همزة الاستفهام - إن اقتضى المعنى ذلك - على الوجه المشرح فی « د » من ص ٥٧٠ فهی « كالواو » ، و « ثم » فی هذا ، ولا يقع من حروف العطف بعد همزة الاستفهام مباشرة غیر أحد هذه الثلاثة .

(٤) انظر « ج » من ص ٦١١ ثم ص ٦٤١ .

(٥) فی رقم ٣ من هامش ص ٥٦١ وهی قوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ ...) أى : فأفطر ، فعدة من أيام أخر ، وفى ص ٦٣٦ أمثلة أخرى . وكذلك یصح حذف المعطوف علیه قبلها ، طبقاً للبيان الذی فی ص ٦٣٩ .

(٦) وما تختص به الفاء : أنها حرف العطف الوحید الذی يصلح للدخول على الفعل المطاوع لأصله ؛ نحو : فتحت الباب - فافتتح - علمت الراغب فتعلم ، ولا یصح مجئ غیره من حروف العطف - طبقاً للبيان الهام الخاص بأحكام المطاوعة - ج ٢ م ٦٦ ص ٩٨ .

(٧) وقد سبق هذا فی مكانه من الأبواب الخاصة بتلك الجمل .

ومثال عطفها جملة لا تصلح خبراً على أخرى تصلح : (الحديقة يرعاها البستاني فيكثر الثمر) . ومثال (العكس : الحديقة أهمل البستاني فقل ثمرها) .

ومثال عطفها جملة لا تصلح نعتاً على أخرى تصلح : (هذا حاكم سهر على خدمة رعيته ؛ فسعدت الرعية) . ومثال العكس : (هذا حاكم شكا الناس فأزال أسباب الشكوى) .

ومثال عطفها جملة لا تصلح حالا على أخرى تصلح : (أقبل المنتصر يتהלل وجهه فتشرح القلوب) ومثال العكس : (أقبل المنتصر تنشرح القلوب فيتהלل وجهه) .

هذا ، والفاء كالواو في أنها تعطف عاملاً قد حذف ، وبقي معموله ؛ نحو : اشترت الكتاب بدينار فصاعداً^(١) ، والأصل — مثلاً — : فذهب الثمن صاعداً .

« ملاحظة » : من الفاء العاطفة للمفرد : « فاء السببية ، التي ينصب بعدها المضارع بأن المستتره وجوباً ، فالمصدر المؤول بعدها مفرد معطوف بها على مفرد قبلها — كما سيجيء في مكانه^(٢)

وهناك نوع من الفاء يسمى : « فاء الفصيحة » ، سيجيء الكلام عليه^(٣) . ونوع آخر تكون الفاء فيه — في بعض الآراء — حرف عطف صورة لا حقيقة ؛ فشكلها وظاهرها أنها عطف ، مع أنها في الحقيقة والواقع مهملة وليست عاطفة ، وقد سبق الكلام على هذا النوع^(٤) .

بقي حكم الضمير العائد على المتعاطفين بعد الفاء العاطفة من ناحية المطابقة وعدمها وسيجيء البيان^(٥)

٣ — ثم :

ومعناها الترتيب مع عدم التعقيب ، (أى : الترتيب مع التراخي) ؛ وهو : انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على

(١) انظر ص ٥٦٣ ورقم ١ من هامش ص ٦٣٦ .

(٢) وهو عمل « فاء السببية » باب : نواصب المضارع — ج ٤ م ١٤٩ ص ٣٣٣ .

(٣) في ص ٦٣٧ وهامشها .

(٥) في رقم ٣ من ص ٦٥٧ .

(٤) في ص ٥٣٦ .

المعطوف . وتقدير المدة الزمنية الطويلة متروك للعرف الشائع — كما رددنا^(١) — ؛ فهو وحده الذى يحكم عليها بالطول أو القصر ، ولا يمكن وضع ضابط آخر يحددها ؛ لأن ما يعتبر طويلا فى حادثة معينة قد يكون قصيرا فى غيرها ؛ فردّ الأمر للعرف . ومن الأمثلة : زرعت القطن ، ثم جنيته . . . دخل الطالب الجامعة ثم تخرج ناجحاً — كان الشاب طفلا ثم صبياً ، ثم غلاماً ؛ ثم شاباً فتياً .

ومن أحكامها :

أنها تعطف المفردات والجمل ، كما فى الأمثلة السالفة^(٢) . . . وقد تدخل عليها تاء التانيث^(٣) لتفيدها التانيث اللفظي ؛ فتختص بعطف الجمل ، نحو : مَنْ ظَفِرَ بِحاجته تُمَتَّ قَصْرٌ فى رعايتها كان حزنه طويلا ، وغصته شديدة .

ومنها : — وهذا قليل جائز — أنها قد تكون بمعنى واو العطف ، فتفيد مطلق الجمع والاشتراك من غير دلالة على ترتيب ، بشرط وجود قرينة ؛ نحو : لما انقضى الليل ، واستنار الكون ، ثم طلعت الشمس ، واقترب ظهور الفجر سارع الناس إلى أعمالهم^(٤) . .

(١) فى ص ٥٧٤ .

(٢) اقتصر ابن مالك فى الكلام على « الفاء » ، و« ثم » على ما يأتى :

و « الفاء » للترتيب بِاتِّصَالٍ وَ « ثم » للترتيب بِانْفِصَالٍ

« اتصال » : أى : بغير مهلة زمنية . « بانفصال » : بمهلة زمنية ، (والمهلة هى ما يعبرون عنها بالترخى . وعدم المهلة هو التعقيب) — وقد أوضحناهما فى ص ٥٧٣ و ٥٧٤ — ثم قال فى الفاء :

وَإِخْصَاصُ بِنَاءٍ عَظْفٍ مَا لَيْسَ صِلَةً عَلَى الَّذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَةُ

يريد : تختص الفاء بأنها تعطف جملة لا تصلح أن تكون صلة ؛ فحلواها من الرابط — على جملة أخرى تصلح صلة لاشتراكها على الرابط ، ولهذا الحكم أشباه وتفصيلات شرحناها (فى ص ٥٧٥) وسيذكر فى آخر الباب ص ٦٣٦ اختصاص آخر لها أشرنا إليه من قبل (فى رقم ٣ من هامش ص ٥٦١) هو أنها — كالأوا — يجوز حذفها مع معطوفها .

(٣) وهذه التاء الداخلة على الحروف يجوز تسكينها أو تحريكها بالفتحة . أما كتابتهما ففتوحة

(غير مربوطة) .

(٤) ومن هذا قول ابن مالك فى أول باب من ألفيته :

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ ؛ كَاسْتَقْمٌ وَاسْمٌ ، وَفَعْلٌ ، ثُمَّ حَرْفٌ ، الْكَلِمُ

قال الأشموني ما نصه :

ويدخل في هذا القليل الجائز أن تكون للترتيب الذكري الإخباري ، (وهو :
الذى سبق لإيضاحه ^(١) في « الفاء ») نحو : بلغني ما صنعت اليوم ، ثم ما صنعت
أمس أعجب . أي : ثم أخبرك أن الذي صنعته أمس أعجب .

ومنه قول الشاعر :

إِنْ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبَوْهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ ...

ومنها : أنها تكون بمعنى « الفاء » أحياناً فتفيد الترتيب مع التعقيب بقرينة ؛ نحو
شرب العاطش ثم ارتوى .

ومنها : أن إفادتها الترتيب توجب — عند تعدد المعطوف عليه قبلها بتفريق —
أن يكون معطوفها تابعاً لما قبلها مباشرة من المعطوفات ؛ طبقاً للبيان الذي تقدم ^(٢) ؛
ففي مثل : قرأت الآية ، والقصيدة ، والخطبة . والرسالة ثم النشيد . . . يتعين
أن يكون النشيد معطوفاً بها على الرسالة ، كما يتعين أن يكون كل واحد من
المعطوفات الأخرى التي قبلها معطوفاً على الآية .

ومنها : أنها قد تكون أحياناً حرف عطف في الصورة الظاهرة دون الحقيقة
الواقعة ؛ فشكلها الظاهر هو شكل العاطفة ، ولكنها لا تعطف مطلقاً ،
وقد سبق ^(٣) الكلام على هذا النوع .

= « ثم » في قوله : « ثم حرف ... ، بمعنى الواو ؛ إذ لا معنى للتراخي بين الأقسام . ويكنى
في الإشعار بانحطاط درجة الحرف عن قسومية ترتيب الناظم لما في الذكر على حسب ترتيبها في الشرف ،
ووقوعه طرفاً . ا هـ

(١) في هامش ص ٥٧٣ .

(٢) في ص ٥٧٤ والبيان المفيد الذي في رقم ٢ من هامش ص ٥٥٥ .

(٣) في ص ٥٣٦ .

زيادة وتفصيل :

١- أشار النحاة إلى وهم يقع فيه من يعرب : « ثم » حرف عطف في قوله تعالى : « أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده . . . » لأن « ثم » لا تصلح عاطفة هنا ؛ إذ إعادة الخلق لم تقع ، وإذا لم تقع فكيف يُقرون برؤيتها ؟ لهذا كانت « ثم » للاستئناف في الآية . ويؤيد كونها للاستئناف في الآية قوله تعالى بعد ذلك : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق . ثم الله ينشئ النشأة الآخرة » ؛ فمن المستحيل أن يسيرا فينظروا بدء الخلق ثم إنشاء النشأة الآخرة . والاستئناف أحد المعاني التي تؤديها ثلاثة من الأحرف ؛ هي : (الواو ، والفاء ، و « ثم ») ، وحين يكون الحرف للاستئناف لا يكون للعطف . قال الفيروزبادي صاحب « القاموس المحيط » في كتابه الآخر المسمى : « بصائر ذوي التمييز » عند الكلام على معنى « ثم » ^(١) - ما نصه : (تكون للابتداء كقوله تعالى في سورة فاطر : « والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ، إن الله بعباده خبير بصير . ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ») اهـ .

وسيجيء في الجزء الرابع - عند الكلام على « واو المعية » ، باب إعراب الفعل ، ^(٢) - ما يؤيد وقوع « ثم » للاستئناف ، ويزيد الحكم بيانا ووضوحا .

ب- « ثم » تصلح للوقوع بعد همزة الاستفهام مباشرة إذا كان المعطوف بها جملة ، واقتضى المعنى الاستفهام على الوجه المشروح في « س » من ص ٥٧٠ فهي كالواو والفاء ^(٣) في هذا . ولا يقع بعد الاستفهام مباشرة من حروف العطف غير هذه الثلاثة .

ج- ما حكم الضمير بعد « ثم » إذا كان عائداً على المتعاطفين « أيطابقهما أم لا يطابق ؟ الجواب في رقم ٣ من ص ٦٥٧ .

٤ - حتى :

معناها الدلالة على أن المعطوف بلغ الغاية في الزيادة أو النقص بالنسبة للمعطوف عليه^(١) ؛ سواء أكانت الغاية حسية أم معنوية ، محمودة أم مذمومة ؛ نحو : لم ييخل الغنى الزرعُ بالمال حتى الآلاف ، ولم يقصر في العبادة حتى التهجد^(٢) . ومثل : حبس البخيل أمواله حتى الدرهم ، وارتضى لنفسه المعايب حتى الاستجداء .

ولا تكون عاطفة إلا باجتماع شروط أربعة^(٣) :

١ - أن يكون المعطوف بها اسماً (فلا يصح أن يكون فعلاً ، ولا حرفاً^(٤) ، ولا جملة^(٥)) ، نحو : استخدمت وسائل الانتقال حتى الطائرة ، فلا يجوز

(١) بمعنى أن المعطوف عليه لو استمر متجهاً في صوده أو في انخفاضه لكان غاية ما يصل وينتهي إليه - من شرف أو خسة ، أوقوة أو ضعف ، . . . أو نحو هذا من كل ما يفيد زيادة ونقصاً - هي الدرجة التي وصل إليها المعطوف . (وكل هذا بحسب التخيل العقلي المخض ، لا الواقع ؛ لأن الواقع الخارجي قد يعارضه - انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٨٢ - .
(٢) الصلاة بالليل .

(٣) زاد بعضهم شرطاً آخر ؛ هو : أن يكون المعطوف بها مشتركاً مع المعطوف عليه في معنى عاملها ؛ فلا يصح : صمت الأيام حتى يوم عيد الفطر : لأن يوم عيد الفطر لا يباح صومه شرعاً .
(٤) لأن الحرف - في الغالب - لا يدخل على نظيره في اللفظ والعمل إلا في التوكيد اللفظي ، أو في الضرورة الشعرية .

(٥) إذا دخلت « حتى » على جملة فعلية فعلها ماض أو على جملة اسمية ، فهي حرف ابتداء ، وهي : - كما قال الخضرى ج ٢ باب العطف عند الكلام على : « حتى » - الداخلة على جملة مضمونها غاية (أى : نهاية) لشيء قبلها ؛ مثل قول الشاعر :

ملأنا البر حتى ضاق عنا وببحر الأرض نملؤه سفينا

- في بعض الروايات - ومثل : « المعروف يأسر القلوب ، حتى قلوب الأعداء مأسورة » به .
فإن دخلت على مضارع مرفوع فابتدائية ، أو منصوب فجارة . ولا بد في الابتدائية - ألا تنقطع الصلة المعنوية بين ما قبلها وما بعدها ، برغم أن ما بعدها لا بد أن يكون جملة مستقلة في إعرابها . أما قول الفرزدق يذم « كليمياً » قبيلة الشاعر جرير :

فواعجبا !! حتى كليب تسبني كأن أباهها نهشل أو مجاشع

وننهشل ومجاشع من آباء الفرزدق فيقول المعنى ، ج ١ عند الكلام على « حتى » مانصه : (لا بد من تقدير محذوف =

العطف في نحو : صفحت عن المسىء حتى خَجَل ، وتركته لنفسه حتى نَدِم .
ولا في قول المعري :

وهَوَّنتُ الخطوب علىّ ، حتى كَأَنِّي صرْتُ أَمْنَحُهَا الودادا

ب - أن يكون الاسم المعطوف بها اسماً ظاهراً لا ضميراً ، وصريحاً لا مؤولاً ؛ فلا يجوز اعتبارها حرف عطف في مثل : انصرف المدعوون حتى أنا . وقد ارتضى بعض المحققين الاستغناء عن هذا الشرط ، وأجاز المثال السالف ، وأشباهه . وفي الأخذ برأيه توسعة وتيسير . كما لا يجوز اعتبارها عاطفة في مثل : « أحب المقالات الأدبية حتى أن أقرأ الصحف » ؛ لما يترتب على هذا من وقوع معطوفها مصدراً مؤولاً . وهذا لا يصح .

ح - أن يكون المعطوف بعضاً حقيقياً^(١) من المعطوف عليه ، أو شبيهاً بالبعض^(٢) ، أو بعضاً بالتأويل^(٣) . فمثال البعض الحقيقي : بالرياضة تتقوى

= قبل « حتى » في هذا البيت يكون ما بعد حتى غاية له ، أي : فواعجبا « يسبى الناس حتى كليب تسبى .. » .
(كا سيجىء في باب إعراب الفعل . . . - ج ٤ ص ٣١٤ م ١٤٩ حيث تفصيل الكلام على « حتى » الابتدائية - و « حتى » التي ينصب بعدها المضارع بأن مضمرة وجوباً : أما (الجارة في ج ٢ م ٩٠ - ص ٥٤٥) .

(١) البعض الحقيقي - هنا - إما أن يكون جزءاً من الكل بحيث لا يوجد الكل الكامل بغيره ؛ نحو : أفاد الدواء الجسم حتى الإصبع ، وإما أن يكون فرداً في مجموع ؛ نحو : سهر الجيش حتى القائد ، وإما أن يكون نوعاً من جنس يشمل أنواعاً كثيرة ؛ نحو : النبات نافع حتى المتسلق .
(٢) هو العَرَضُ الملازم للكل من غير أن يدخل في تكوين ذاته الأصلية ؛ كالجمل والعلم ، واللون ، والخلق ، والصوت ، نحو : راقى الخليفة حتى ابتسامته . . .

(٣) أي : بتقدير أنه كالبعض ، وافترض ذلك . والمراد به : ما يصاحب « الكل » ويرافقه في أحيان كثيرة دون أن يكون جزءاً حقيقياً منه ، ولا ملازماً له ملازمة دائمة . . . نحو : حضر القطار فنزل المسافرون ، حتى الحفائب . وهذا يقتضى أن يكون البعض التأويل ملاحظاً في نفس المتكلم عند النطق بالكل ، وداخلاً في نيته وتقديره أنه بمنزلة البعض ؛ لأهميته وشدة اتصاله . ومن أمثلته التي عرضها للنحاة قول شاعر يصف هارباً من مملكته الذي أمر بقتله :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَى يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا

برواية من نصب كلمة : « نعل » على اعتبار أن ما قبلها وهو (ألقى الصحيفة . . . والزاد) في تأويل : ألقى عنه الحمل الثقيل . ونعله بعض ما يثقله ؛ فيكون معطوفاً على « الصحيفة » . وهناك روايات في ضبط تلك الكلمة لا تعنيها هنا .

الأعضاءُ حتى الرجلُ ، ومثال التشبيه بالبعض : أعجبني العصفور حتى لونه ^(١) .
ومثال البعض بالتأويل : تمتعت الأسرة بالعيد حتى طيورها .

د- أن تكون الغاية الحسية أو المعنوية محققة لفائدة جديدة ، فلا يصح :
قرأت الكتب حتى كتاباً ، ولا سافرت أياماً حتى يوماً . . .
أحكامها :

منها : أنها لمطلق الجمع - كواو العطف عند عدم القرينة ؛ فلا تفيد الترتيب الزمني
بين العاطف والمعطوف في الحكم - نحو : أدت الفرائض الخمس حتى المغرب ، ووفيت
أركان كل صلاة حتى الركوع ^(٢) ، وكقول الشاعر :

رجالي - حتى الأقدمون - تمالأوا على كل أمر يُورثُ المجدَ والحمدًا

ومنها : إعادة حرف الجر وجوباً بعد « حتى » إذا عطِفَ بها آخر شيء ،
والمعطوف عليه مجرور بمثل ذلك الحرف ، ويلتبس المعنى بعدم إعادته ؛ نحو : سافرت في
الأسبوع الماضي حتى في آخره ، إذا كان المراد السفر في أوقات متقطعة من الأسبوع ،
وبعضها في آخره . فلو لم تذكر كلمة : « في » مرة ثانية بعد : « حتى » لكان من المحتمل
فهم المراد بأنه السفر المتصل من أول الأسبوع إلى آخر لحظة فيه . وهذا غير المقصود ،
فمن الواجب أن يعاد بعدها حرف الجر إذا كان « المعطوف عليه » مجروراً بمثيله ؛ لكيلا
تلتبس بالجارحة . فإن تعيّن ^(٣) العطف بحيث يمتنع اللبس المعنوي كانت الإعادة جائزة
لا واجبة ، نحو : فرحت بالقادمين حتى أولادهم ، وقول الشاعر :

(١) ولا يصح : حتى : نظيره ، أو فرخه ، كما لا يصح أعجبتني الأخت حتى جاراها .

(٢) قالوا : لا يعتبر إلا الترتيب للذهني من الأضعف إلى الأقوى ، أو بالعكس ولا يعتبر الترتيب
الخارجي ؛ بل هو أن تكون ملابسة الفعل لما بعدها سابقة على ملابسته للأجزاء الأخرى ، أو في أثناءها ،
أو معها في زمان واحد ؛ نحو مات كل أب للناس حتى آدم - ومات الناس حتى الأنبياء - وجاءني القوم
حتى علي ، إذا جاءوا كلهم مجتمعين وعلى أقدامهم أو أضعفهم . ويؤيد ما سبق قوله عليه السلام : « كل
شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » . لأن تعلق القضاء والقدر بهذين لا يتأخر عن غيرها ، فالمراد من كل
ما سبق أنها تفيد ترتيب أجزاء ما قبلها في الذهن حتماً ، أي : تدريجياً من الأضعف إلى الأقوى وعكسه ،
ولو كان هذا محتملاً لما في خارج الذهن وللواقع (راجع الحضرة والصبان ، ورقم ١ من هامش ص ٥٨٠) .
(٣) ضابط تعين العطف وعدم تعينه هو : أنه متى صح إحلال الحرف « إلى » محلها كانت
محتملة للأمرين ، وإلا تعيشت للعطف .

جودٌ يُمكنك فاضَّ في الخلقِ حتَّى بائسٍ دانَ بالإساءةِ ديننا
ومنها : أن استعمالها عاطفة أقل من استعمالها جارة ، فيراعى هذا في كل
موضع يصلح فيه الأمران ؛ نحو : قرأت الكتابَ حتَّى الخاتمة ، فيجوز نصب
« الخاتمة » باعتبارها معطوفة « بحتى » على : « الكتاب » . ويجوز جرّها باعتبار
« حتّى » حرف جر ، والأحسن الجرّ ، لأن العطف بالحرف : « حتّى » أقل
في كلام العرب^(١) من استعمالها جارة^(٢) .

(١) وفيما سبق خاصاً بالحرف : « حتّى » يقول ابن مالك :

بعضاً بحتّى اعطفَ على كُلِّ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا غَايَةً الَّذِي تَلَا

أى : اعطف بحتّى بعضاً على كل (فالمعطوف جزء من المعطوف عليه) ولا يكون المعطوف إلا
غاية للذى تلاه . (والذى تلاه المعطوف أى : جاء بعده المعطوف هو : المعطوف عليه) . يريد ؛
أن المعطوف لا بد أن يكون غاية للمعطوف عليه في الزيادة أو النقص بحيث نتخيل المعطوف عليه يستمر
في زيادته أو نقصه حتّى يصل في درجته للمعطوف .

(كما أوضحنا في رقم ١ من هامش ص ٥٨٠) .

(٢) ويسبب هذه القلة لا يوافق الكوفيون على استعمالها حرف عطف مطلقاً . . . ويستثنى
من الحالة السابقة التي يكون فيها الجر أحسن ، صورة : « الاشتغال » في مثل : صافحت القوم حتّى
طفلاً صافحته ، من كل اسم وقع تالياً « حتّى » وبعده فعل مشغول ينصب ضمير ذلك الاسم ، كالمثال
السالف . فكلمة : « طفلاً » تعرب معطوفة بالحرف « حتّى » والمعطوف عليه هو : القوم . والفعل :
« صافح » الثانى ، توكيد للأول . فإن اشتغل برفع الضمير نحو : حضر القوم حتّى طفل حضر ، امتنع
النصب ، وصح الرفع في هذا المثال . وإنما كان النصب أحسن في الحالة الأولى لتكون بين الضمير ومرجعه
مشابهة في الإعراب .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

٢- ومن أحكامها أنها لا تعطف نعتاً على نعت كما تقدم^(١) . وأنها لا تقع في صدر جملة تعرب خبراً^(٢) .

ب- أشرنا^(٣) إلى أن « حتى » العاطفة - كالواو - لمطلق الجمع عند عدم القرينة ، لا للترتيب الزمني في الحكم ، نحو : مات كل الأنبياء حتى نوح . واستدلوا على هذا بأمثلة مختلفة ؛ منها قوله عليه السلام : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز ، والكيس » إذ لا يتأخر تعلق القضاء والقدر بهما عن غيرهما . لكنها - في مثل هذه الحالة - تفيد ترتيب أجزاء ما قبلها ذهنياً ؛ أى : تفيد تدرجها من الأضعف إلى الأقوى وعكسه طبقاً للبيان والتفصيل السالفين^(٤) .

وتكون كالواو أيضاً في عطفها الخاص على العام . وفي وجوب مطابقة الضمير العائد على المتعاطفين بعدها لهما^(٥) . . .

(١) في رقم ٢ من هامش ص ٤٨١ .

(٢) طبقاً لما سبق إيضاحه وتكراره بالجزء الأول م ٣٥ هامش ص ٤٢٨ .

(٣) في ص ٥٨٢ وهامشها .

(٤) كما في رقم ١ من هامش ص ٥٨٥ .

(٥) طبقاً للبيان الذي في رقم ٣ ص ٦٥٧ .

٥- أم : نوعان^(١) ؛ متصلة ، ومنقطعة ، (أو : منفصلة) .

النوع الأول : « المتصلة » ، هي المسبوقة بكلام مشتمل على همزة التسوية^(٢) ؛ أو على همزة استفهام يراد منها ومن « أم » التعيين (ويكون معناهما في هذه الحالة هو : « أى » الاستفهامية)^(٣) . فالمتصلة قسمان^(٤) ، ولكل منهما علامة تميزه من الآخر :

٢- علامة « أم » المتصلة بهمزة التسوية أن تكون متوسطة بين جملتين خبريتين ، قبلهما معاً همزة التسوية^(٥) ، وكلتا الجملتين صالحة لأن يحل محلها هى والأداة التى تسبقها^(٦) مصدر مؤول من هذه الجملة ؛ فهما جملتان فى تأويل مفردين - وبين هذين المفردين « واو » عاطفة تُغنى عن « أم » ؛ كقولهم : على

(١) وكلاهما لا يعطف نعمتاً على نعمت . (طبقاً لما تقدم فى رقم ٢ من هامش ص ٤٨١) .
(٢) سميت همزة التسوية لوقوعها بعد لفظ : « سواء » ، أو « لا أبالى » .. ، أو ما يشبههما فى دلالاته على أن الجملتين المذكورتين بعده متساويتان فى حكم المتكلم - أى : فى تقديره لأثرهما - لا فرق عنده بين أن يتحقق معنى هذه أو معنى تلك ؛ إذ لا تفضل لأحدهما على الآخر ؛ فالأمران سيان عنده ؛ نحو : لن أتخلف عن عمل : سواء على أن كان الجومعتدا أم منحرفاً ، ونحو : لن يتخلى الشريف عن حريته ؛ سواء عليه أيلقى الإعانت والشقاء أم يلقى الإكبار والتقدير . ومثل قول الشاعر :

أَكْرُهُ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَم سَواها

(وانظر رقم ٣ من هامش ص ٥٨٨ ورقم ٣ من هامش ص ٥٩٣) فكلمة : « أم » توسطت بين جملتين معناهما مختلف ، وقبلهما « همزة التسوية » التى تدل على أن المعنيين المختلفين منزلتهما واحدة عند المتكلم ، وفى تقديره ؛ فيتساوى عنده اعتدال الجو وانحرافه ، ويتساوى عنده الإعانت والشقاء ، والإكبار والتقدير . وكذلك الموت فى كتيبة يهجم عليها ، أو فى غيرها .

وبما تجب ملاحظته أنها لا تحتاج إلى جواب محتم ، ومن الجائز - لا الواجب - أن يكون لها جواب أحياناً - كما سيبنى فى ص ٥٩٤ - وأن التسوية مستفادة من كلمة « سواء » أو مما يدل دلالتها ؛ مثل : « لا أبالى » . وليست مستفادة من همزة ، وإنما فائدة همزة هى تقوية التسوية ، وتأكيدها . ويصح الاستغناء عن هذه الهمزة بقرينة تدل عليها -

كما سيبنى فى ص ٥٩٦ - .

(٣) طبقاً للإيضاح الآتى فى « ب » من ص ٥٨٩ .

(٤) يجوز حذف « أم المتصلة » مع معطوفها ؛ طبقاً للبيان الآتى فى ص ٦٣٦ ، كما يجوز حذف المعطوف عليه قبلها ، بالإيضاح الذى فى ص ٦٣٩ .

(٥) إذا كانت إحدى الجملتين منفية وجب تأخيرها عن « أم » كما سيبنى فى رقم ١ من هامش ص ٥٩١ وفى ص ٥٩٤ - .

(٦) الأداة هنا هى : « الهمزة » فى الجملة الأولى ، و « أم » فى الجملة الثانية .

العقلاء أن يعملوا برأى الخبير الأمين ، فإن العمل برأيه غُثم ؛ سواءً أوافق
الرأى هواهم أم يخالفه . والتقدير : موافقةُ الرأى هواهم ومخالفتهُ سواء . ومثل :
(سؤال الناس مذلة وهوان ؛ سواء أكان المسئول قريباً أم كان غريباً) . أى :
سواءً كونُ المسئول قريباً وكونه غريباً . فقد حل محل الجملة الفعلية الأولى في
المثالين ومعها همزة التسوية ، مصدر مؤول من الهمزة والجملة معاً ؛ هو مصدر
الفعل ^(١) المذكور فيها مع إضافته إلى مرفوعه (فاعلاً كان ، أو اسماً لناسخ ...)
وحل محل الجملة الفعلية الثانية في المثالين ومعها « أم » مصدر مؤول هو مصدر
الفعل المذكور فيها مع إضافته إلى مرفوعه كذلك ، وجاءت « الواو » بدلا من
« أم » في المثالين ؛ لتعطف المصدر الثانى المؤول على نظيره المصدر الأول .
ويعرب المصدر الأول على حسب حاجة الجملة . . . فيعرب في المثالين السالفين
خبراً ، مبتدؤه كلمة : « سواء » ، أو العكس . وقد يعرب في غيرهما مفعولاً
به ، أو ... أو ... على حسب الموقع . . . ويعرب المصدر المؤول الثانى
معطوفاً على الأول بالواو .

والجملتان إما فعليتان كما رأينا - وهو الأكثر ، ومنه قوله تعالى : « سواء
عليهم أنذرتهم أم لم تُنذرهم) ، والتقدير : إنذارك ^(٢) وعدمه سواء . وقوله
تعالى : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) ، والتقدير : جزعنا وصبرنا سواء ^(٣)
ولما اسميتان كقول الشاعر :

(١) فإن لم يكن فى الكلام فعل أغنى عنه مشتق آخر من المشتقات ؛ كاسم الفاعل ،
واسم المفعول . . . ؛ فيصاغ المصدر المؤول عندئذ من المشتق مع مرفوعه . ويوضح هذا النوع من
الإضافة والسبك ما سبق فى ص ٢٨ و ٨٤ وكذلك ما سبق فى ج ٢ ص ٥٥ م ٦٥ وفى ج ١ ص ٣٩٥
م ٢٩ آخر باب الموصول حيث الكلام فى كل ذلك على المصدر المؤول من غير سابق . (انظر رقم
٤ و ٣ التالين) .

(٢) من الممكن بعد همزة التسوية ببك المصدر المؤول بدون حرف سابق ؛ طبقاً للبيان الذى
تقدم فى موضعه المناسب . (وهو حرف السبك - ج ١ م ٢٩ ص ٤٧٣ و ج ٢ م ٩١ ص ٢٥٦) .
(٣) فى تأويل هذا المصدر وبقى الأمثلة المشابهة ، وإعراب الآية معه ، جدل طويل احتوته
المطولات . وقد تلخصه « الخضرى » فى حاشيته تلخيصاً نافعاً ، ولما نسوقه هنا لفائدته النحوية
واللغوية . قال :

(أعرب الجمهور لفظ « سواء » - فى الآية - خبراً مقدماً ، عن الجملة التى بعده لتأويلها بمصدر .
أى : جزعنا وصبرنا سواء علينا ، أو عكسه - وهو إعراب « سواء » مبتدأ والمصدر المؤول خبره ؛ =

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالَكَا أَمَوْتِي نَاءٌ أَمْ هُوَ الْآنَ وَاقِعُ

= لأن الجار والمجرور المتعلق بلفظ «سواء» يُستَوَغ الابتداء به - وجعلوه (أى : لفظ سواء) من مواضع سبك الجملة بلا سبب ؛ كهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، مما أضيف فيه الظرف إلى الجملة - وقد سبقت الإشارة إليه في باب الإضافة ص ٢٨ و ٨٣ - وكقولهم : تسمع بياثمة عيدي خير من أن تراه ، مما أخبر فيه عن الفعل بدون تقدير : «أن» . ولا يرد أن : «سواء» لاقتضاها التمهيد تنافى : «أم» التي لأحد الشيئين ؛ لانسلاخ «أم» عن ذلك ، وتجردها للعطف والتشريك كما انساخت الهزمة - في الآية ونظائرها - عن الاستفهام ، واستعيرت للإخبار باستواء الأمرين في الحكم ، بجامع استواء المستفهم عنهما في عدم التعيين ، فالكلام معها خبر لا يطلب جواباً ؛ ولذا لم يلزم تصدير ما بعدها . فجاز كونه مبتدأ مؤخرًا . وعلى هذا يمتنع بعدها العطف «بأو» لعدم انسلاخها عن : الأحد ، (أى : عن أحد الشيئين) كـ «أم» . التي انسلخت عنه - ولذا لن في المعنى قول الفقهاء : «سواء كان كذا أو كذا» . ، وصوابه : «أم» . لكن نقل الدماميني عن السيرافي ، أن «أو» لا يمتنع في ذلك إلا مع ذكر الهزمة لا مع حذفها . قال وهذا نص صريح يصحح كلام الفقهاء - راجع أيضاً رأى سيبويه في «ب» من ص ٦١١ ، في نهاية الكلام على : «أو» العاطفة - أما التنافى المذكور فيتخلص منه بما اختاره الرضى من أن «سواء» خبر مبتدأ محذوف : أى : الأمران سواء ، والهزمة . بمعنى : «إن» الشرطية . لدخولها على أمر غير متيقن ، وحذف جوابها لوجود ما يدل عليه ، وحيى بها لبيان الأمرين ؛ أى : إن قمت أو قعدت فالأمران سواء ؛ «فأم» للأحد ، مثل : «أو» في أن الأصل فيها أن تكون لأحد الشيئين ، أو الأشياء ، - كما سيذكر في «ا» ص ٦١١ وفيها بعض حالات مستثناة هناك - والجملة غير مسبوكة ونقل عن السيرافي مثله) «ا» .

وواصل الخضرى كلامه قائلا ؛ (وإذا تأملت ذلك علمت أنه على إعراب الجمهور لا تصح «أو» مطلقاً ، لما فاتها من التسوية إلا أن يدعى انسلاخها عن «الأحد» مثل «أم» . أما على إعراب «الرضى» فتصح مطلقاً ؛ فلا وجه لقصر جوازها على عدم الهزمة ؛ إذ المقدركا الثابت . على أن التسوية كما قاله المصنف مستفادة من «سواء» لا من الهزمة . وإنما سميت هزمة التسوية لوقوعها بعد ما يدل عليها ، وحيثئذ لا إشكال في اجتماع : «أو» مع «سواء» لا الهزمة .) «ا» . بتصريف يسير في بعض كلمات أزيل غموضها . . .

ومثل هذا في حاشية الصبان مع اختلاف يسير في القاعدة . والأفضل الأخذ بما جاء في الخضرى لأنه يسأى أكثر الكلام المأثور . ويدل دلالة واضحة على إباحة استعمال : «أو في كل» الحالات . وقد صحح اجتماع «أو» وهزمة التسوية بعض المحققين ، مخالفاً في هذا رأى سيبويه المشار إليه - الآتى في «ب» من ص ٦١١ - ومنهم صاحب حاشية الأمير على «المعنى» ج ١ عند الكلام على «أم» المتصلة ، والعطف بالخرف : «أو» بعد الهزمة . هذا إلى قراءة بعضهم قوله تعالى : «سواء عليهم أأنذرتهم أو لم تنذرهم» . بدلا من : «أم لم تنذرهم» .. ولا يقال إن هذه القراءة - عند بعضهم - هاذية ؛ لأن ما يجوز في القرآن الكريم يجوز في غيره من باب أولى ، كما نص عليه الثقات ، أما إعراب «الرضى» فعوضه ويسره حين تكون الجملتان فعليتين يحتاج إلى تأويل وتقدير محذوفات حين تكون الجملتان اسميتين أو مختلفتين .

والتقدير : لست أبالي نأى^(١) موتى ووقوعه الآن . وإما مختلفتان بأن تكون الأولى (وهى المعطوف عليها) فعلية : والثانية (وهى المعطوفة) اسمية كقوله تعالى عن الأصنام : (سواء عليكم ، أدعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) ، والتقدير : سواء عليكم دعاؤكم إياهم وصمتكم . أو العكس ، نحو : لا يبالي الحرّ فى إنجاز العمل أُرئيسه حاضر أم يغيب . والتقدير : لا يبالي الحرّ حضورَ رئيسه وغيباه^(٢) . والمصدر المؤول هنا مفعول به ... والجملة بمعنى : سواء على الحرّ أُرئيسه حاضر أم غائب .

وليس من اللازم أن تكون همزة التسوية مسبوقة بكلمة « سواء » فقد يغنى عنها ما يدل دلالتها فى التسوية ؛ نحو : « ما أبالي » . . . أو ما يشبهها من هذه الناحية^(٣) إنما اللازم أن تكون مسبوقة بكلمة : « سواء » أو بما يؤدى

= وهناك إعرابات أخرى ؛ منها : اعتبار كلمة : « سواء » متضمنة معنى المشتق ، فهى بمعنى : متساو - مثلاً - وأنها على حسب هذا تتضمن مبتدأ والمصدر المؤول بعدها فاعله ، أو أنها خبر مقدم . . . كما جاء فى كتاب : العكبرى ، المسمى « إملأ مامَنَ به الرحمن » . لكن فى كلام الخضرى السابق الكفاية .

وجاء مجمع اللغة العربية - بالقاهرة فأصدر قراراً حاسماً فى الاستعمالات السالفة ، وسجل قراره فى ص ٢٢٧ من كتابه الذى أخرجه سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب فى أصول اللغة » ونص قراره تحت عنوان (استعمال : « سواء » مع « أم » ومع « أو » بالهمزة وبغيرها ، - يجوز استعمال « أم » مع الهمزة وبغيرها وفاقاً لما قرره جمهرة النحاة ، واستعمال « أو » مع الهمزة وبغيرها كذلك على نحو التعبيرات الآتية : سواء على أحضرت أم غبت - سواء على أحضرت أم غبت - سواء على أحضرت أو غبت . والأكثر فى الفصح استعمال « الهمزة » و « أم » فى أسلوب « سواء » . ا . هـ .

(١) أى : بضمه مجيئه ، وتأخير زمنه .

(٢) العطف فى الآية يؤيد رأى الأربح الذى يبيح عطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس . بالطريقة الموضحة هناك (انظر ص ٦٥٥) .

(٣) يرى بعض النحاة أن الهمزة بعد : (ليت شمرى - لا أعلم - ما أدرى . . .) لطلب التمييز فقط ، لأن تلك الألفاظ ليست فى حكم : « لا أبالي » التى تكون بعدها الهمزة للتسوية ؛ فكان للقاتل يريد : لا أدرى جواب هذا الاستفهام . . . ويخالفهم آخرون ؛ فيرون الألفاظ السالفة كلها خاضعة لحكم واحد هو اعتبار الهمزة بعدها للتسوية . والحق أن المراد من هذه الألفاظ يتوقف على القرينة - وأهمها السياق - فهى التى تحدد الغرض ؛ فبتميز نوح الهمزة ، أهى للتسوية أم للتمييز . فإن لم توجد القرينة فالرأى الأول هو الأصح . هذا ، وسيبويه يميز العطف « بأم » و « بأو » -

معناها ؛ كما في بعض الأمثلة السابقة .

هذا ، ولا شأن لهزمة التسوية بالاستفهام فقد تركته نهائياً وتمحضت للتسوية .

حكم هذا القسم :

مما سبق يتبين أن « أم » المتصلة المسبوقة بهزمة التسوية لا تعطف إلا جملة على جملة وكلتا الجملتين خبرية بمنزلة الفرد ، لأنها صالحة مع الأداة لأن يحل محلها مصدر مؤول . ولا شأن لها بعطف المفردات إلا نادراً ؛ لا يقاس عليه ، ومن صور هذا النادر القليل الذي لا يقاس عليه أن تتوسط بين مفرد وجملة ^(١) ؛ كقول القائل :

سواءً عليك النفر ^(٢) أم بت ليلة بأهل القباب من عمير ^(٣) بن عامر

* * *

ب - وعلامة : « أم » المسبوقة بهزمة التّعين أن تكون متوسطة بين شيئين ، ينسب لواحد غير معين منهما أمر يعلمه المتكلم . ولكنه لا يعلم - على وجه التّعين - صاحبه منهما ، وقبلهما معاً همزة استفهام ، يراد منها ومن « أم » تعيين أحد هذين الشيئين ^(٤) ، وتحديد المختص منهما بالأمر الذي يعرفه المتكلم ، ويسأل

= بعد « ليت شعري ، وما أدري » إذا سبقتهما همزة . ولرأيه تكملة تجيء في « ج » من ٦٠٥ وفي « ب » من ص ٦١١ .

(١) راجع حكم عطف الجملة على المفرد في مكانه (ص ٦٥٩) ويضعف أن يكون العطف في البيت عطف ماض على مصدر (انظر ص ٦٥٠ وما بعدها) . وأحسن من هذين أن تكون الجملة بعد « أم » في تأويل مصدر معطوف على المصدر السابق عطف مفردات ، وأن تكون « أم » العاطفة بمعنى الواو ؛ طبقاً لما سبق في ص ٥٨٥ وما بعدها .

(٢) الرحيل .

(٣) في رواية أخرى : « عمير » - بالنون - طبقاً للوارد في كتاب : « معاني القرآن »

للفراء ، ج ١ ص ٤٠١ .

(٤) يكون المراد من التّعين إما طلب تعيين أحد شيئين محسمين ، وتخصيص الأمر بالمعالم المتكلم بأحد هذين الشيئين المحسمين ؛ كما في مثال : أعمك مسافراً أم أخوك ؟ فالحكم المعلوم هو : السفر ، والمجهول المراد تعيينه هو الشخص (أى : الذات) الذي ينسب له الحكم السالف . وإما طلب تعيين أحد أمرين معنويين وتخصيصه بذات معلومة ، نحو : أسفّر أخيك أم إقامته ، فالحكم - أى : السفر - والمجهول . والشخص (أى الذات) هو المعروف . هذا ، ويصح الاستغناء عن هذه الهمزة على الوجه المبين في ص ٥٩٦ .

عن صاحبه الحقيقى ؛ ليعرفه على وجه اليقين ، لا التردد والشك ؛ نحو : أعمتك مسافر أم أخوك ؟ فقد وقعت « أم » بين شيئين ، هما : « عم » و « أخ » وقبلهما همزة استفهام^(١) يريد المتكلم بها و « بأم » أن يعين له المخاطب أحد الشخصين تعييناً قاطعاً يدل على المسافر منهما دون الآخر . فالتكلم يعلم يقيناً أن أحدهما مسافر ؛ لكن من منهما ؟ هذا هو ما يجهله المتكلم ، ويريد أن يعرفه بغير تشكك فيه ؛ إذ لا يدري ؛ أهو : العم أم الأخ ؟ ؛ ومن أجله يطلب من المخاطب أن يعيّن له المسافر تعييناً مضبوطاً ، ويحدده تحديداً يؤدى إلى كشف حقيقته وذاته ، فيمكن بعد هذا إسناد السفر إليه وحده ، ونسبته إليه ، دون غيره . فالسفر المجرد — ليس موضع السؤال ، لأنه غير مجهول للمتكلم ، إنما المجهول الذى يسأل عنه ويريد أن يعرفه — هو تعيين أحدهما ، وتخصيص فرد منهما بالأمر دون الآخر .

ومن الأمثلة أيضاً : أعادل واليكم أم جائر ؟ فقد وقعت « أم » بين شيئين ؛ هما : عادل وجائر ، وقبلهما معاً همزة الاستفهام التى يريد المتكلم بها وبأم استبانة أحد هذين الشيئين ، وتحديدده ، وتعيينه ، ليقصر المعنى عليه ، وينسب إليه وحده . ذلك أن المتكلم يقطع بأن هناك والياً ، ولا يشاك فى وجوده ، ولكن الذى يجهله ويريد أن يعرفه من المخاطب هو : تعيين هذا الوالى ، وتحديد أمره ؛ بحيث يكون واحداً محدداً من هذين الاثنين لا يتجه الفهم إلى غيره مطلقاً . وتسمى هذه الهمزة : « بالمغنية عن كلمة : أى » — لأنها مع « أم » يغنيان عن كلمة : « أى » فى طلب التعيين ، وليست الهمزة وحدها — فعنى ؛ أعمك مسافر أم أخوك ؟ هو : أيتهما المسافر ؟ ومعنى أعادل واليكم أم جائر : أى الأمرين واقع وتحقيق ؟ .

حكم هذا القسم :

يشترط فى : « أم » هذه — كما سبق — أن تتوسط بين الشيئين اللذين يراد

(١) قال الصبان — فى باب العطف عند آخر الكلام على همزة التسوية وما يتصل بها مانصه : « وقد تكون « هل » بمعنى « الهمزة » فيعطف « بأم » بعدها ؛ كحديث : « هل تزوجت بكراً أم ثيباً ؟ » . ١ هـ كلام الصبان . هذا وفى شعر الحسن بن مطير (وهو أموى من شعراء الحماسة) يحجج بكلامه (قوله :

هل الله عافٍ عن ذنوب كثيرة أم الله — إن لم يعف عنها — يعيدها ؟

تعيين أحدهما ؛ فيقع قبلها واحد منهما ، ويقع بعدها الآخر ^(١) ؛ كما في الأمثلة ^(٢) .
ولما كان التعيين والتحديد هما الغرض من الإتيان « بأم » هذه ومعها همزة الاستفهام التي قبلها - وجب أن يجيء الجواب مشتملاً على ما يحقق الغرض ؛ فيتضمن النص الصريح بذكر أحد الشيئين وحده . فيقال في المثال الأول : (العم . . .) مع الاختصار على هذا . أو : (الأخ . . .) مع الاختصار عليه . ويقال في المثال الثاني : (عادل) كذلك ، أو : (جائر) .

ولا يصح أن يقال في الإجابة عن السؤالين وأشباههما : نعم ، أو : لا ، لأن الإجابة بأحد هذين الحرفين - أو بأخواتهما من أحرف الجواب - لا تفيد تعييناً ، ولا تحديداً ، وإنما تفيد الموافقة على الشيء المسئول عنه أو المخالفة . وهذه الموافقة أو المخالفة لا تحقق الغرض المقصود من استعمال « أم » المتصلة المسبوقة بهمزة الاستفهام على الوجه الذي شرحناه ^(٣) .

ولهذا القسم من قسمي « أم » المتصلة صور مختلفة ؛ منها :

(١) أن تقع بين مفردين متعاطفين بها ، وبينهما فاصل لا يسأل عنه المتكلم - وهذه الصورة هي الغالبة - كأن يقول قائل لآخر : شاهدت اليوم سباق السباحين ؛ أحمد هو الذي فاز أم محمود ؟ فالمراد من السؤال تعيين واحد من الاثنين ، وقد توسط بينهما أمر ليس بموضوع الاستفهام ، لأنه أمر معروف

(١) وإذا كان أحد الشيئين منفيين تأخير عن « أم » دون الآخر - كما سبق في رقم ٥ من هامش ٥٨٥ وسيجيء هذا في أول ص ٥٩٤ - .

(٢) وفي « أم » المتصلة بنوعها يقول ابن مالك :

و « أم » بِهَا اعْطِفْ لِأَثَرِ هَمْزِ التَّنْوِينِ أَوْ هَمْزَةٍ عَنْ لَفْظِ « أَيْ » مُغْنِيَةٍ
(لأثر : بعد) والهمزة المغنية عن لفظ : « أَيْ » هي الهمزة التي يقصد بها وبأم التعيين على الوجه الذي شرحناه . وهذه الهمزة لا تنفي وحدها عن « أَيْ » ، وإنما تنفي بشرط انضمام « أم » إليها ؛ فهما معاً يغنيان عن « أَيْ » التي تسد مسدهما .

(٣) قد يجاب بالحرف : « لا » - أو غيره مما يفيد جواباً منفيًا - إذا كان المقصود من « لا » نفي وقوع أحد الشيئين ، أو الأشياء . وإظهار خطأ السائل في اعتقاده ثبوت أحد الشيئين ، أو الأشياء . وقياساً على حالة النفي السابقة ، يرى بعض النحاة أن يجاب بالحرف : « نعم » - أو غيره مما يفيد جواباً مثبتاً - إذا كان المقصود إثبات وقوع كل من الشيئين أو الأشياء ، وإظهار خطأ السائل في اعتقاده ثبوت شيء واحد فقط .

للمتكلم ، وهو الفوز ، أما المجهول الذى يريد أن يعرفه فهو الفائز .
وقد تقع بين مفردين تعطفهما ، مع تأخر شيء عنهما لا يسأل عنه المتكلم ؛
تقول فى المثال السالف : أم محمد أم محمود هو الذى فاز ؟ وكأن يقول قائل : كتاب
« العقد الفريد » كتاب أدبى نفيس ، فتقول : نعم سمعت اسمه يتردد كثيراً .
ولكن أغال أم رخيص كتاب « العقد الفريد » ؟ فأنت تسأل عن غلوته ورخصه ،
وتطلب بسؤالك تعيين أحدهما ، ولست تسأل عن الكتاب ذاته ، فإنك تعرفه ...

ومن الأمثلة السالفة يتبين أن الذى يلى الهزمة مباشرة «و واحد مما يتجه إليه الاستفهام ،
يراد معرفته وتعيينه ، أمّا الذى لا يتجه إليه الاستفهام فيتوسط أو يتأخر^(١) . وهذا الحكم
هو الأكثر والأولى ، ولكنه ليس بالواجب ؛ فليس من الحتم أن يلى الهزمة أحد الأمرين
الذين يتجه إليهما الاستفهام لطلب التعيين . بل يصح - عند أمن اللبس - أن يقال :
أكتاب « العقد الفريد » غال أم رخيص ؟ وهذا - بالرغم من صحته - قليل ،
ودرجته البلاغية ضئيلة ومراعاة الأكثر هى الأحسن ...

(٢) ومنها : أن تقع بين جملتين ليستا فى تأويل مصدر^(٢) ، وتعطف ثانيتهما على
الأولى ، وهما ، إمّا فعليتان ، نحو : أزراعة مارست ، أم زاولت التجارة ؟ وإما اسميتان ،
نحو : أضيفك مقيم غداً أم ضيفك مسافر ؟ وإما مختلفتان ، نحو : أنت كتبت
رسالة لأخيك الغائب أم أبوك كاتبها ؟

(٣) ومنها : أن تقع بين مفرد وجملة ؛ كقوله تعالى : (وإن^(٣) أدري

(١) لزيادة الإيضاح قالوا : إن الشرط الذى يغلب تحققه فى الهزمة المعادلة « أم » - كما
سبق - هو أن يليها أحد الأمرين المطلوب تعيين واحد منهما ، وأن يلى الآخر « أم » ليفهم السامع
من أول الأمر نوع الشيء الذى يطلب المتكلم تعيينه . تقول إذا استفهمت بالهزمة عن تعيين المبتدأ دون
الخبر : أعلى قائم أم سعيد ، وإن شئت قلت : أعلى أم سعيد قائم . فقد توسط الخبر (وهو قائم)
أو تأخر ؛ بسبب أنه غير المسئول عنه بالهزمة . وتقول إذا استفهمت عن تعيين الخبر دون المبتدأ :
أقائم سعيد أم قاعد ، وإن شئت قلت : أقائم أم قاعد سعيد ؟ فقد توسط المبتدأ (وهو : سعيد) أو
تأخر بسبب أنه غير المسئول عنه . والحكم على المتقدم أو المتأخر بأنه المبتدأ وعلى الآخر بأنه الخبر
خاضع للقرينة ؛ كالتعريف أو التذكير هنا . فما كان منهما معرفة فالأحسن اعتباره هو المبتدأ ولو كان
متأخراً واعتبار النكرة هى الخبر ، فإن كانا معرفتين فأقواهما فى درجة التعريف هو المبتدأ وما سبق
هو الأغلب الأنصح . أما غيره - وهو جائز عند أمن اللبس . مع ضعف درجته البلاغية - فإن يقع بعد
الهزمة مباشرة ما ليس من الأمرين المراد تعيين أحدهما .

(٢) لعدم وجود ما يقتضى سبك الجملة ، وتأويلها بالمصدر .

(٣) إن حرف نون ، بمعنى : « ما » .

أقرب أم بعيد ما تُوعَلون ، أم يجعل^(١) له ربي أمدًا .

* * *

فلخص ما يقال في « أم المتصلة » أنها تنحصر في قسمين ؛ قسم مسبق بهمزة التسوية ، ولا تعطف فيه إلا الجمل التي هي في حكم المفرد ، (لأن كل جملة منها مؤولة بالمصدر المنسبك) ، وقسم مسبق بهمزة استفهام يُطلب بها وبأم التعيين ، وتعطف فيه المفردات حينًا والجمل حينًا آخر ، أو المفرد والفعل^(٢) .

وإنما سميت « أم » في القسمين : « متصلة » لوقوعها بين شيئين مرتبطين ارتباطًا كلاميًا وثيقًا ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، ولا يستقيم المعنى إلا بهما معًا . لأن التسوية في النوع الأول وطلب التعيين في النوع الثاني — لا يتحققان إلا بين متعدد ، وهذا التعدد لا يتحقق إلا بما قبلها وما بعدها مجتمعين .

وتسمى كذلك في هذين القسمين : « أم المعادلة » للهمزة ؛ لأنها في القسم الأول تدخل على الجملة الثانية المعادلة للجملة الأولى في إفادة التسوية ، وهذه الجملة الثانية هي التي تفيد المعادلة في التسوية^(٣) ، وليست « أم » . غير أن « أم » تعتبر معادلة للهمزة بسبب الدخول على الجملة المعادلة للأولى التي دخلت عليها الهمزة — ولا دخل للهمزة ولا « أم » في إفادة التسوية المباشرة . ولأنها في النوع الثاني تعادل الهمزة في إفادة الاستفهام .

(١) الفعل : « يجعل » معطوف على الاسم المشتق الذي يشبهه ، وهو : « قريب » وكلمة : « أم » متوسطة بينهما ، فليس في الكلام عطف جملة على مفرد — وسيجيء الكلام على مثل هذا العطف في ص ٦٤٩ — ولا يصح أن تكون الجملة (من المضارع « يجعل » وفاعله) هي المعطوفة على زعم أنه يمكن تأويلها بمفرد يعطف على مفرد — كالذي سيجيء في رقم ٦ من ص ٦٥٩ — لا يصح هذا ، لأن « أم » التي للتعين لا يصح تأويل إحدى جملتيها بمفرد ؛ إذ لا يوجد سابق ، أو نحوه ، كما تقدم في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة ، وكما سيجيء في ص ٥٩٥ .

(٢) نقول : « الفعل » . مراعاة لما سبق في رقم ١ من هذا الهامش .

(٣) أى : أن الكلام مشتمل على جملتين متعادلتي (متساويتي) من ناحية المراد من كل واحدة . فكأنهما كفتان متساويتان في ميزان واحد ، لا ترجح إحداها الأخرى . أو أنهما نصفان لشيء واحد ؛ فلا بد أن يكونا متساويين . — انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٨٥ .

ويجب في النوعين أن يتأخر عنها المنى ؛ - كما أشرنا^(١) - مثل : سواء على أغضب الظالم أم لم يغضب . ولا يصح : سواء على ألم يغضب الظالم أم غضب^(٢) . وفي مثل : أمطر نزل أم لم ينزل ؟ لا يصح : ألم ينزل مطر أم نزل ؟

* * *

الفرق بين قسمي « أم » المتصلة :

تختلف « أم » التي بعد همزة التسوية عن « أم » التي يراد بها وبهمزة الاستفهام التعيين في أربعة أمور :

أولها : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً حتمياً^(٣) ، لأن المعنى معها على الإخبار ؛ وليس على الاستفهام ؛ فقد تركت الاستفهام إلى الإخبار بالتسوية ؛ بخلاف الأخرى ، فإنها باقية على الاستفهام . فحتاج للجواب .

ثانيها : أن الكلام مع الواقعة بعد همزة التسوية قابل للتصديق والتكذيب^(٤) إذ هو خبر - كما أسلفنا - بخلاف الأخرى ؛ فإن الكلام معها إنشائي ؛ لا دخل للتصديق والتكذيب فيه ؛ لبقاء الاستفهام على حقيقته في الغالب .

ثالثها : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا بد أن تقع بين جملتين - ومن النادر الذي لا يقاس عليه ألا تكون كذلك ، كما سبق^(٥) - أما الأخرى فقد تكون بين

(١ و ١) في رقم ٥ من هامش ص ٥٨٥ وفي رقم ١ من هامش ص ٥٩١ .

(٢) المراد : أنها لا تستحق الجواب استحقاقاً لازماً ، ولا مانع أن يكون لها جواب ، لأن الخبر - وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ، بخلاف الإنشاء - يجوز أن يجاب ، « بنعم » تصديقاً له ، أو : « بلا » تكذيباً له ، لكن هذا جائز لا واجب - كما سبقت الإشارة في رقم ٢ من هامش ص ٥٨٥ .

(٣) ذلك أن جملة مثل ، سواء عسى أرضى أم سخط ، أو : لست أبالي أرضى الحقود أم سخط - وأشباهها - تقبل التصديق والتكذيب ؛ لأنها خبر بخلاف جملة مثل : أسمع مقبل أم على ؟ أو : ما أدري أشاعر خطيبنا أم ناثر ؟

وما يلاحظ : أن مجموع : « ما أدري أشاعر خطيبنا أم ناثر » ؟ هو كلام خبري محتمل للتصديق والتكذيب ، ولكنه من غير الجملة التي في صدره وهي : - « ما أدري » - يكون إنشائياً . لأنه استفهام .

(٤) في ص ٥٨٩ .

الحمل أو المفردات ، أو بين مفرد وجملة .

رابعها : أن الجملتين اللتين تتوسطهما « أم » الواقعة بعد همزة التسوية لا بد أن تكونا في تأويل مفردين ؛ لأن كلا منهما في تأويل مصدر منسبك . بخلاف اللتين تتوسطهما « أم » الأخرى ، فلا يصح تأويل واحدة منهما بمفرد ؛ لعدم وجود سبب ولا غيره مما يجعلها في حكم المفرد^(١) . . .

* * *

.
.

زيادة وتفصيل :

١- يصح في الأسلوب المشتمل على « أم » المتصلة الاستغناء عن الهمزة بنوعيتها إن علم أمرها ، ولم يقع حذفها في لبس . فمثال حذف همزة التسوية : (سواء على الشريف راقبه الناس أم لم يراقبوه ؛ فلن يرتكب لئماً ، ولن يقع في محذور) . والأصل : أراقبه الناس . . ، ومثال حذف الأخرى قول الشاعر :
لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى - وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا -
بَسْبَعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِشَمَانٍ ؟
يريد : أبسبع أم بئان ؟ وتظل حالات : « أم » وأحكامها بعد حذف الهمزة كما كانت قبل حذفها ^(١) .

ب- من النادر الذي لا يقاس عليه أن تحذف « أم » المتصلة مع معطوفها كقول الشاعر :

دعاني إليها القلب ، إني لأمره سميع ، فما أدرى أرشدٌ طلابُها ؟ ..
يريد : أم غي . وقول الآخر :

أراك فلا أدرى أهما هممته ؟ وذو الهم قدماً خاشع متضائل ...
يريد : أهما أم غيره ^(٢) . . . ؟

وقيل : إن الهمزة للتصديق فلا تحتاج لمعادل . - وستجىء إشارة للحذف في ص ٦٣٧ -

ويجوز حذف المعطوف عليه قبلها - كما سيجىء في موضعه المناسب ص ٦٣٩ -

ح- سبقت الإشارة (في ص ٥٨٨ ورقم ٣ من هامشها) إلى أن الهمزة الواقعة بعد : « لا أبالي » هي للتسوية بخلاف الواقعة بعد : (لا أدرى ، أو لا أعلم ، أو ليت شعري) فإنها للتعين على الأرجح ، وأن سبويه يحجز العطف بأو وأم بعد هذه الألفاظ إذا سبقتها الهمزة ^(٣) .

* * *

(١) وفي حذفها يقول ابن مالك :

وَرُبَّمَا أُسْقِطَتِ الْهَمْزَةُ إِنْ كَانَ خَفَا الْمَعْنَى بِحَذْفِهَا أَمِنْ

(أسقطت : حذفت .) يريد : قد تحذف الهمزة بشرط ألا يؤدي حذفها لخفاء المعنى ، والوقوع في اللبس .

(٢) لأن حالته في التغير تنبئ أن الهم أو غيره هو سبب تغيره (كما جاء في كتاب : مجمع البيان

لعلوم القرآن ، للطبرسي - ج ٢ ص ٤٤٤ -) .

(٣) ولرأيه تكملة تجي ، في « ب » ص ٥٩٢ .

النوع الثاني - « أم » المنقطعة ، (أو : المنفصلة) :

تعريفها : (هى التى تقع - فى الغالب - بين جملتين مستقلتين فى معناهما ، لكل منهما معنى خاص يخالف معنى الأخرى ، ولا يتوقف أداء أحدهما وتامه على الآخر ؛ فليس بين المعنيين ما يجعل أحدهما جزءاً من الثانى . وهذا هو السبب فى تسمية : « أم » بالمنقطعة ، أو : بالمنفصلة ، وفى أن يكون معناها - فى غير النادر - الإضراب دائماً^(١) فتكون فى هذا بمعنى : « بل »^(٢) . وقد تفيد معه معنى آخر أحياناً^(٣) .

علامتها :

ألا تقع - مطلقاً^(٤) - بعد همزة التسوية ، ولا بعد همزة الاستفهام التى يطلب بها ، و « بأم » التعيين - وقد شرحناهما^(٥) - وإنما تقع بعد نوع مما يأتى :

(١) الخبر المحض ؛ كقوله تعالى فى الكفار : ” (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ “ ، أم يقولون افتراه) ” « أى : بل يقولون افتراه ، فقد وقعت « أم » بين جملتين هما : (هذا سحر مبين) ، و (يقولون افتراه) وكل واحدة منهما مستقلة بمعناها عن الأخرى ، ومن الممكن عند الاكتفاء بها أن تؤدى معنى كاملاً . و « أم » هنا بمعنى : « بل » الدالة على الإضراب المحض الذى لا يشاركه معنى آخر .

(١) قد يكون المقصود به هنا : إبطال الحكم السابق ، ونفى مضمونه ، والقطع بأنه غير واقع ، والحكم على مدعيه بالكذب ، والانصراف عن ذلك الحكم إلى حكم آخر يجئ بعدها . وهذا هو : « الإضراب الإبطالى » ، نحو : سمعت ترجيع بلبل صداح ، أم أصغيت لإيقاع موسيقى بارع تبينت للناس حوله مجتمعين .

وقد يكون المراد به : الانتقال من غرض باق على حاله إلى آخر يخالفه . ويسمى : « الإضراب الانتقالى » ؛ نحو : فاز من حاسب نفسه ، وتدارك عيبه ، أم حسب المرء أن الخد سهل إداركه ، قريب مثاله . . . والأول هو الأكثر - ويتيجى تفصيل الكلام على الإضراب بنوعيه فى ص ٦٢٣ - .

(٢) « أم » مثل « بل » فى الإضراب المجرد . لكنهما يختلفان بعد ذلك فى أمور ؛ منها : أن الذى بعد « بل » يقين غالباً ، أما الذى بعد « أم » فظن وشك - على الوجه المشرح فى رقم ٣ من هامش ص ٦٢٩ - (وسيجىء الكلام على « بل » فى ص ٦٢٣) - وفى رقم ٢ من هامش ص ٦٢٤ .

(٣) كما سيجىء فى : « ب » ص ٦٠٠ .

(٤) أى : لا لفظاً ولا تقديراً . (٥) فى ص ٥٨٥ وما بعدها .

(٢) وقد تقع بعد أداة استفهام غير الهمزة ، كقوله تعالى : (هل يَسْتَوِي الأعمى والبصير ، أم هل تَسْتَوِي الظلمات والنور . . .)^(١) والشأن في هذه الآية كسالفاتها . في الدلالة على الإضراب المحض .

(٣) وقد تقع بعد همزة ليست للتسوية ولا لطلب التعيين ، وإنما هي لنوع من الاستفهام غير الحقيقي ، معناه : الإنكار والنفي ؛ كقوله تعالى في الأصنام ، (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْسُطُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا . . .) فالاستفهام هنا غير حقيقي^(٢) والمراد منه ما سبق .

(٤) وقد تقع بعد همزة استفهام غير حقيقي أيضاً ، ولكن يراد منه التقرير ، أى : الحكم على الشيء بأنه ثابت مقرر ، وأمر واقع ؛ كقوله تعالى في المنافقين : (أُنِى قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ ، أَمْ ارْتَابُوا ، أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِيَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ . . .)^(٣) .

فكلمة « أم » في جميع الأنواع السالفة منقطعة بمعنى : « بل » .

ومن الأمثلة للإضراب المحض^(٤) : (هذا صوت مغنية بارعة ، أم هذا صوت مغنٍّ مقتدر ، فقد تبينت لحيته وشاربه .) هنا وقعت « أم » بين جملتين تنفيذ الأولى منهما أن الصوت لمغنية ، وتدل الثانية على أن المتكلم أضرب ، — أى : عَدَلْ — عما قرره أولاً ، وتركه إلى معنى آخر ، هو أن الغناء للرجل ، لا لمغنية . والذي يدل على إضرابه وعدوله عن المعنى الأول إلى الثانى ، هو ذكر

(١) قلنا : إن المنقطعة لا يفارقها الإضراب إلا في النادر ، ولكنها قد تنفذ معه استفهاماً حقيقياً أو غير حقيقى ؛ (طبقاً لما سيحىء في : « ب » من ص ٦٠٠) و « أم » هنا في الآية لا تنفيذ استفهاماً حقيقياً أو غير حقيقى . لأن أداة الاستفهام لا تدخل على أداة استفهام . — كما سيحىء في ص ٦٠١ — .

(٢) الاستفهام الحقيقي : هو الذى يقصد به السؤال عن شيء مجهول للمتكلم حقيقة ، ويريد أن يعرفه .

(٣) وكقوله تعالى في المراضين : ” (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) “ .

(٤) في ص ٦٠٠ أمثلة أخرى غير الآتية .

اللحية والشارب ، فهما قرينة على الإضراب . وأداة الإضراب هي : « أم » .

ومن الأمثلة : (استيقظت في الصباح الباكر فرأيت ورق الشجر مُبتَلا
فقد سقط المطر ليلا ، أم تكاثَرَ الندى عليه ؛ فإني أجِد الطرق والمسالك جافة ؛
لا أثر فيها للمطر) . فهنا وقعت « أم » بين جملتين ؛ الأولى منهما تفيد أن بلل
الورق من سقوط المطر ، وتدل الثانية منهما على أن سبب البلل شيء آخر ؛
هو : الندى ، فعدل المتكلم على المعنى الأول ، وانصرف عنه إلى الثاني ؛
بدليل يؤيده ؛ هو : جفاف الطرق والمسالك . والأداة المستعملة في الإضراب
هي : « أم » ^(١)

حكمها :

الرأى الراجع أن « أم » المنقطعة ليست عاطفة ، وإنما هي حرف ابتداء
يفيد الإضراب ، فلا تدخل إلا على الجمل ، أما الرأى المرجوح فإنها حرف
عطف لا يعطف إلا الجمل . والأخذ بالرأى الأول أنسب وأيسر .

* * *

(١) وفي « أم » المنقطعة يقول ابن مالك :

وَبِإِنْقِطَاعٍ ، وَبِمَعْنَى : « بَلْ » وَفَتْ إِنْ تَكُ مِمَّا قُيِّدَتْ بِهِ خَلَتْ
يريد : أن « أم » تكون منقطعة إذا خلت مما قيدت به في النوع السابق ، إذ قيدت فيه بأن
يسبقها همزة للتسوية : أو همزة مغنية عن لفظ « آي » فإذا خلت من هذا التقييد وفَتْ بالانقطاع .
بمعنى وفَتْ به ، وكانت كافية فيه ، مغيدة له . وإذا أفادت الانقطاع كانت بمعنى « بل » ؛ أي :
لزم ، وترتب على ذلك أن تكون بمعنى : « بل » (وهذا معنى قولهم : العطف في قول ابن مالك :
« ومعنى بل » هو عطف شيء لازم على ملزومه) .

زيادة وتفصيل :

١- من نوع المنقطعة « أم » الواقعة بعد همزة الاستفهام الحقيقي ، بشرط أن يكون ما بعدها نقيض ما قبلها : نحو : أفأكهة عندك أم لا ؟ لأن المتكلم لو اقتصر على الجملة الأولى لكان المعنى المستقل كافياً مستغنياً عن معنى الجملة الثانية — كالشأن في : « أم » المنقطعة — ، ولكان الجواب : نعم ، أو : لا ، ونحوهما ، على حسب المراد من غير حاجة إلى المعنى الثاني . وإنما ذكر ما بعدها لبيان أن المتكلم عرض له ظن الانتفاء فاستفهم عنه ، ضارباً عن الثبوت ، ولولا ذلك لضاع قوله : « أم لا » بغير فائدة^(١) فإن لم يكن الثاني نقيض الأول ؛ نحو : أفأكهة أكلت أم خبزاً ، كانت « أم » محتملة للاتصال والانقطاع ، فإن كان السؤال عن تعيين المأكول مع تيقن وقوع الأكل على أحدهما فتصلة — طبقاً لما شرحناه^(٢) عند الكلام عليها — . وإن كان السائل قد عرض له الظن بأن المأكول هو الخبز بعد ظنه أن المأكول هو الفاكهة ، فاستفهم عن الثاني مُضرباً عن الأول فهي منقطعة . فالاحتمال إنما يقع عند عدم القرينة الدالة على أحدهما ، وهي القرينة التي تعين الاتصال وحده ، أو الإضراب وحده ، فإذا وجدت وجب الأخذ بها ، وامتنع الاحتمال^(٣) .

ب- قلنا^(٤) إن : « أم » المنقطعة لا يفارقها معنى الإضراب ، إلا نادراً . . . لكنها قد تفيد معه استفهاماً حقيقياً ، وفي هذه الصورة تفيد الإضراب والاستفهام الحقيقي معاً من غير وجود همزة استفهام معها . كأن ترى كوكباً يضطرب ويهتر فتقول : هذا كوكب المريخ . ثم تعدل عن هذا الرأي لسبب يداخلك ، فتقول : « هذا كوكب المريخ . أم هو كوكب سهيل » ؛ فإن هذه أمارات سهيل التي تعرفها أنت ؟ فقد قررت أولاً أن هذا هو المريخ ، ثم عدلت عنه إلى كوكب آخر أردت أن تستوثق من اسمه ؛ فكأنك قلت : بل أهو كوكب سهيل ؟ ومثل هذا قول العربي حين رأى أشباحاً بعيدة حسبها إبلا ، ثم عدل عن رأيه إلى رأى آخر :

(١) نص على هذا سيويو .

(٢) في ص ٥٨٥ .

(٣) راجع الحضري . ومثل هذه الأساليب لا يخلو من لبس أحياناً ، فالأحسن للدول معه

(٤) في ص ٥٩٧ .

قدر الاستطاعة .

هو : أنها شاء^(١) ، وأراد أن يستوثق من رأيه الجديد ، فقال : (إنها لإبل ، أم شاء) ؟ يريد : إنها لإبل ، بل أهي شاء ؟ والهمزة داخلة على مبتدأ محذوف ، لأن « أم » المنقطعة لا تدخل - في الغالب - إلا على جملة - كما أسلفنا^(٢) .

وقد تفيد مع الإضراب استفهاماً إنكارياً^(٣) بغير أن تسبقها أداة استفهام ؛ كقوله تعالى : (أم له البناتُ ولكم البنون) ، أى : بل أله البنات ولكم البنون ؟ لأنها لو كانت للإضراب المحض الذى لا يتضمن الاستفهام الإنكارى لكان المعنى محالاً ، إذ يترتب عليه الإخبار بنسبة البنات إلى المولى جل شأنه .

وقد تجرد للإضراب المحض الذى لا يتضمن استفهاماً مطلقاً ؛ لا حقيقياً ولا إنكارياً ؛ كالأمثلة الأولى^(٤) التى منها قوله تعالى : (هل يَسْتَوِى الأعمى والبصيرُ ؟ أم هل تَسْتَوِى الظلماتُ والنورُ) ، أى : بل هل تستوى الظلمات ؛ ولا يصح أن يكون التقدير : بل أهل تستوى الظلمات ، لأن أداة الاستفهام لا تدخل على أداة استفهام - كما أسلفنا^(٥) .

ومثل الآية في الإضراب المحض قول الشاعر :

فليت سُلَيْمَى في المَمَاتِ ضَجِيعَتِي هنالك أم في جنة^(٦) أم جهنم

- (١) جمع شاة ، وهى الواحدة من الغنم ، يقال للمذكر والمؤنث . ويرى بمض النحاة : أن كلمة : « شاء » جمع لا واحد له من لفظه . ولا داعى للدول عن الرأى الأول .
(٢) فى ص ٥٩٧ .
(٣) الاستفهام الإنكارى ويسمى : « الإبطالى » هو : ما كان مضمونه غير واقع ، ولا يمكن أن يحصل ، ومدعيه كاذب ، وهو معنى التثني ، فأداته بمنزلة أداة التثني ، والكلام الذى دخلت عليه . فنى ، كقوله تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) - وقد سبقت الإشارة إليه في ج ٢ ص ٢٣٤ م ٨١ .
(٤) وبعضها فى صفحتى ٥٩٨ و ٥٩٩ .

(٥) فى رقم ١ من هامش ص ٥٩٨ . . . ومثل هذا يقال فى بيت قُتَيْبَةَ بنت النضر تروى أباهما المقتول :

فَلَيْسَ سَمْعَنُ النَّضْرِ إِنْ نَادَيْتَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

- (٦) لما كانت « أم » المنقطعة غير عاطفة فى الرأى الأرجح ، وأنها حرف ابتداء للإضراب = لا يدخل إلا على جملة . وجب إعراب « فى جنة » متعلقة بمحذوف ، والتقدير : ليتها ضجيعتى فى جنة ، ووجب لهذا أيضاً تقدير الحرف : « فى » قبل « جهنم » . هذا ، وفى بعض الروايات : « فى المنام » بدلا « من الممات » التى هى أكثر مسايرة لمعنى البيت وما فى آخره من جنة وجهنم .

أى : بل فى جهنم ، ولا يصح التقدير : بل فى جهنم ، إذ لا معنى للاستفهام هنا ؛ لأن الغرض من الكلام التمنى .

وقد تتجرد — نادراً — للاستفهام الخالى من الإضراب كقول الشاعر :

كذبتك عينك ، أم رأيت بواسط^(١) غلَس الظلام من الرباب خيالاً ؟
إذ المراد : هل رأيت ؟ وهذا أقل استعمالاتها . ومن المستحسن عدم القياس عليه ، لغموض المراد معه .

ح — يجوز أن تجاب « أم » المنقطعة . وجوابها يكون بحرف من أحرف الجواب ؛ مثل : نعم ، أو : لا ، أو : أخواتهما ... فى نحو قوله تعالى فى الأصنام : « أَلْهَمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بها ، أم لهم أيدي يَبْطِشُونَ بها ...) يكون الجواب عند عدم الموافقة وعدم التصديق « لا » ، أو ما يدل دلالتها . وفى مثل : قوله تعالى : (أم له البنات ولكم البنون) يكون الجواب عند المخالفة : « لا » أو ما يدل دلالتها .

وإذا تكررت « أم » المنقطعة متضمنة فى كل مرة استفهاماً ، بحيث تتوالى بها الاستفهامات — كان الجواب للأخير ؛ مراعاة للانصراف إليه ، لأن المتكلم أضرب عما سبقه ، وانصرف إليه تاركاً ما قبله .

د — تقسيم « أم » إلى المتصلة والمنقطعة هو المشهور^(٢) . وزاد بعضهم نوعاً ثالثاً ، هو الزائدة ؛ كقول الشاعر :

يا ليت شعرى ولا منجى من الهرم — أم هل على العيش بعد الشيب من ندم —
وهذا نوع لا يقاس عليه .

ه — حكم الضمير الواقع بعد « أم » العائد على المتعاطفين — من ناحية المطابقة وعدمها — موضح فى رقم ٣ من ص ٦٥٦

* * *

(١) بلد فى العراق .

(٢) وكلاهما لا يصح أن يعطف نعتاً على نعت — كما أسلفنا فى رقم ٢ من ص ٤٩٧ و ١ من ص ٥٨٤ .

٦- أو :

حرف يكون في أغلب استعمالاته عاطفياً ؛ فيعطف المفردات والجمل .
فن عطفيه المفردات قول أحد الأدباء : طلع علينا فلان طلوع الصبح المنير ،
أو الشمس المشرقة ، وأقبل كالدينا المواتية ، أو السعادة المرتجاة .

فقد عطف الحرف « أو » كلمة : الشمس ، على كلمة : الصبح ، كما
عطف كلمة : السعادة ، على كلمة : الدنيا ، وكل هذه المعطوفات وما عطفت
عليه مفردات^(١) ، وأداة العطف هي : « أو » .

ومثال عطفه الجمل قول الشاعر :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرٍ يُزَيِّنُ لِي شَتَمَ الْعَشِيرَةِ . أَوْ يُدْنِي مِنْ الْعَارِ
فالجملة المضارعية المكونة من الفعل : « يُدْنِي » وفاعله ، معطوفة على
نظيرتها السابقة : (المكونة من المضارع : يُزَيِّنُ وفاعله) والعاطف هو : « أو »^(٢) ...
معناه :

لهذا الحرف معان واردة قياسية ، يحددها السياق وحده ، فيعين المعنى
المناسب لكل موضع ، ومن ثم اختلفت المعاني القياسية للحرف : « أو » باختلاف
التركيب والقرائن ، وبما يكون قبله من جملة طلبية أمرية^(٣) ، أو غير أمرية ،
أو جملة خبرية . على الوجه الذي يجيء^(٤) :

١- فن معانيه : « الإباحة » ، و « التخيير » ، بشرط أن يكون الأسلوب
قبلهما مشتملاً على صيغة دالة على الأمر^(٣) . فمثال الإباحة : تمتع بمشاهدة

(١) ومن عطف المفردات عطف الفعل وحده - دون فاعله - على الفعل وحده كذلك ؛ نحو : إن
تنصرو ضعيفاً فعمل مشكور ، أو تتركه فإساءة منكورة . فالمضارع « تترك » معطوف وحده على المضارع « تنصر » .
ولهذا جزم مثله . ولو كان العطف عطف جمل . أصبح جزم المعطوف - وسيجيء البيان في ص ٦٤٥ - .

ومن عطف المفردات دخول « أو » على المضارع المنصوب بأن مضمرة ، أو ظاهرة فيكون المصدر
المؤول من « أن وما دخلت عليه » معطوفاً على شيء قبلها .

(وسيجيء تفصيل الكلام على « أو » التي ينصب بعدها المضارع بأن في باب : « النواصب »
ج ٤ م ١٤٩ ص ٣٠٧) . (٢) ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :

لعل انخددار الدمع يعقب راحةً من الوجد ، أو يشفى نجيّ البلابل
(النجيّ : الحديث الخفّ سراً - البلابل : الهموم) .

(٣٣) سبب الاختصار على « الأمر » أن الإباحة والتخيير لا يتأتيان في الاستفهام ولا في
باق الأنواع الطلبية - على الرأي الراجح - وفي كثير من المراجع : « الطالب » . بدلا من « الأمر » ،
لكن في حاشية ياسين ما يمنع هذا . ولا فرق بين معنى الأمر الذي تدل عابه صيغة فعل الأمر ، والذي تدل عليه
أداة أخرى ؛ مثل : لام الأمر الداخلة على المضارع . ولا فرق كذلك بين الأمر الملفوظ والممحوظ - كما سيجيء -
في رقم ١ من هامش ص ٦٠٥ - (٤) ومنه ما في الزيادة ص ٦١١ .

آثار الفراعين في «الصعيد الأعلى»^(١) ، أو : «الجيزة»^(٢) ، وانعم بشتاء
«أسوان»^(٣) ، أو : «حُلوان»^(٤) .

ومعنى الإباحة : ترك المخاطب حرّاً في اختيار أحد المتعاطفين^(٥) فقط ،
أو اختيارهما معاً ، والجمع بينهما إذا أراد . . .

ففي المثال السالف يصح أن يختار زيارة آثار «الصعيد الأعلى» فقط ، أو
آثار «الجيزة» فقط ، أو يجمع بين زيارتهما من غير أن يقتصر على واحدة .
وكذلك أن ينعم بشتاء «أسوان» وحدها ، أو «حُلوان» وحدها ، أو ينعم بالشتاء
في هذه وفي تلك . فالإباحة تترك للمخاطب كامل الحرية في أن يختار أحد
المتعاطفين ، ويقتصر عليه ، وفي أن يجمع بينهما .

ومثال التخيير : من أتم دراسته الثانوية العلمية فليدخل كلية الطب أو
الهندسة ، لإتمام تعلمه بالجامعة .

ومعنى التخيير : ترك المخاطب حرّاً يختار أحد المتعاطفين^(٦) فقط ، ويقتصر
عليه ، دون أن يجمع بينهما ؛ لوجود سبب يمنع الجمع^(٧) ، ففي المثال السالف
يدخل الطالب ليتعلم في إحدى الكليتين المذكورتين دون الأخرى . وليس له أن
يدخلهما معا للتعليم ؛ لوجود ما يمنع الجمع ؛ وهو أن القوانين الجامعية الحالية تُحرّم
هذا ، وتُمنّعه .

ومن أمثلة التخيير أن يقول الوالد لابنه : هاتان أختان نيلتان ؛ فتزوج
هذه أو تلك . فعنى «أو» هنا : الترخيص له بزواج إحداهما فقط ، ولا يجوز
التزوج بالاثنتين ، لوجود سبب يمنع الجمع بينهما ؛ هو أن الدين يُحرّم الجمع
بين الأختين في الحياة الزوجية القائمة^(٨) .

وقد سبق أن الواو العاطفة تكون أحيانا مثل «أو» في إفادة التخيير؛
كالذي في قول الشاعر :

(١) الأقاليم الجنوبية من البلاد المصرية (٢٠٢) بلد من ضواحي القاهرة إلى الجنوب منها.

(٢) بلد مصري على الحدود المصرية الجنوبية. (٤٤٤) هما : المعطوف والمعطوف عليه .

(٣) لا فرق في هذا بين المانع اقل ، أو العرف المأخوذ به ، أو الشرعي . . .

(٤) بل لأنه يحرم - عند أبي حنيفة - مجرد العقد على الأخت الثانية إذا سبقها الأولى إلى

عقد الزواج مع هذا الرجل ولم يطلقها .

وقالوا: نَأَتْ؛ فاختَر لها الصبر والبكا فقلت: البكا أَشْفَى - إِذَا - لغليلى
والدليل على الاختيار المجرد، وعدم الجمع... هو إجابة السامع، وأن البكا
والصبر لا يجتمعان في وقت واحد، ولا يتلاقيان معاً.

ومما تقدم يتبين أن الإباحة والتخير لا يكونان إلا بعد صيغة دالة على
الأمر^(١) دون غيره، كما يتبين وجه الشبه والتخالف بين الإباحة والتخير؛
فهما يتشابهان في أن كلا منهما يميز للمخاطب أن يختار أحد المتعاطفين.
ويختلفان في أن التخير يمنع الجمع بين المتعاطفين، أما الإباحة فلا تمنع.

ب- ومن معانيه: الشك من المتكلم في الحكم، بشرط أن يكون قبل
«أو» جملة خبرية^(٢)؛ نحو: قضيت في السباحة ثلاثين دقيقة، أو أربعين.

ج- ومن معانيه: الإبهام^(٣) من المتكلم على المخاطب، بشرط أن يكون
قبله جملة خبرية أيضاً: كمن يسأل: متى تسافر لأشاركك؟ فإذا كنت
لا ترغب في مصاحبته أجبت: قد أسافر يوم الخميس أو الجمعة، أو
السبت...، وإذا سألك: أين كنت يوم الأحد - مثلاً -؟ أجبت: كنت
في البيت، أو المتجر، أو الضيعة، تقول هذا عند الرغبة في إخفاء المكان عنه.
فالشك والإبهام إنما يقعان لغرض مقصود، حيث تكون «أو» بعد جملة خبرية^(٤).

د- وهناك معان أخرى غير التي سبقت في: (أ، ب، ج) ولا يشترط

(١) قلنا في رقم ٣ من هامش ص ٦٠٣: إنه لا فرق بين الأمر بصيغته الخاصة بالصريحة، وهي
صيغة «فعل الأمر» وأداة أخرى تؤدي معناه؛ كلام الأمر الداخلة على المضارع. ولا فرق كذلك
في الأمرين أن يكون ملفوظاً، ومقدراً لمحوظاً. ومثال المقدّر قوله تعالى للحجاج: (فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ
مَرِيضٌ، أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٌ، أَوْ تَسْكِي) أي: فَلَمَّا تَقَدَّمَ
فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك...

(٢) الخبر: هو الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته - كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٥٩٤ -.

(٣) المراد به: أن يخفى المتكلم الحقيقة المعروفة له، ويكتتمها عن المخاطب بطريقة خاصة.

قد يكون القصد منها عدم إثارتها، أو إقلاقها، أو الكذب عليه... فالحكم عند الإبهام معلوم
للمتكلم دون المخاطب؛ بخلاف الشك؛ فإن المتكلم والمخاطب مستويان في شأن الأمر المشكوك فيه.
(والشك: هو ما ينشأ في النفس من تعارض دليلين في أمر واحد، بغير ترجيح لأحدهما. وقد سبق
إيضاحه في ج ٢ ص ٦٠٥).

(٤) ملاحظة: الغالب الفصحح - بل قيل: الواجب - في الضمير ونحوه ما يحتاج للمطابقة =

لتتحقق هذه المعاني الأخرى أن تكون : « أو » مسبقة بنوع معين من الجمل ، فقد يتحقق المعنى والجملة السابقة طلبية مطلقاً ، أو خبرية .

ومن هذه المعاني : التفصيل^(١) بعد الإجمال (أى : التقسيم ، وبيان الأنواع) ؛ نحو : الكلمة : اسم ، أو فعل ، أو حرف . والاسم : مشتق ، أو جامد . والفعل : ماض ، أو مضارع ، أو أمر . . . ؛ ومن هذا النوع قول القائل : اجتمع في النادي ثلاث طوائف ممن يمارسون أعمالاً حرة مختلفة يحبونها . فسألهم

= بعد « أو » التى للشك أو الإيهام ، أن يكون مفرداً ؛ مثل : أبصرت ثعلباً أو ذئباً يجرى ، ونحو : محمد أو على أو محمود لم أقابله . فإن كانت « أو » للتوزيع (أى : لبيان الأنواع والأقسام كالتى يتجىء فى : « د ») فالغالب - وقيل : الواجب - فى الضمير بعدها المطابقة ؛ كالضمير بعد « أو العطف » - وقد سبق فى رقم ١ من هامش ص ٥٦٢ - كقوله تعالى : (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) . (راجع : شرح التصريح ، وحاشية ياسين فى الجزء الأول ، « باب : ظن » عند الكلام على : « زعم » حيث نص على وجوب المطابقة وأن هذا الوجوب باق - وكذا فى حاشية ياسين فى « باب النسب » إلى ما حذفناه أو عينه ، والمعنى ج ٢ فى مبحث الجملة الثانية وهى المعترضة - إحدى الجمل التى لا محل لها من الإعراب - فى الموضع الرابع من مواضعها) .

لكن جاء فى الجزء الأول من كتاب : « معانى القرآن » للفراء - طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٥ م فى أول سورة النساء ، عند قوله تعالى : (وإن كان رجل يورث كلالة ، أو امرأة ، وله أخ أو أخت ، فاكل واحد منهما السدس . . .) مانعه :

(لم يقل : « ولهما » وهذا جائز إذا جاء الحرفان فى معنى (أى : حكمهم) واحد « بؤ » أسندت التفسير إلى أيهما شئت . وإن شئت ذكرتهما فيه جميعاً ، تقول فى الكلام : من كان له أخ أو أخت فليصله ، تذهب إلى : « الأخ » ، و« فليصلها » تذهب إلى : « الأخت » وإن قلت : « فليصلهما » فذلك جائز . وفى قراءة ثنى : « إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما » وفى إحدى القراءتين (فالله أولى بهما) ذهب إلى الجمع ؛ لأنهما اثنان غير موقتين . وفى قراءة عبد الله (والذين يفعلون منكم فأذوه . .) فذهب إلى الجمع لأنهما اثنان غير موقتين ، وكذلك فى قراءته (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمنهما) . ولعل الأخذ بهذا رأى أنسب لقوته وتيسيره . هذا ، والمسألة السالفة اتصال بما سيجىء فى رقم ٣ ص ٦٥٨ .

(١) وهى فى هذا المعنى مثل « إما » التى يأتى الكلام عليها فى ص ٦١٢ وقد طال الجدل بين بعض النحاة فى معنى : « التقسيم والتفصيل » ؛ أهيا مترادفان ، أم لهما معنى واحد ، أم لكل منهما معنى خاص ؟ وكذلك بين : « التقسيم والتفريق » . . . ولا داعى للرجوع إلى هذا الجدل ، ولا إلى ما ذكره من أن التفصيل تبين للأمور المجملة بلفظ واحد ؛ كقوله الجماعة فى المثال الثانى ، وفى قوله تعالى : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) أى : قالت اليهود : كونوا هوداً ، وقالت النصارى كونوا نصارى ، ولا ما يذكره من أن التقسيم تبين لما دخل تحت حقيقة واحدة ، فى الآية جمعت اليهود والنصارى فى لفظ واحد ؛ وهو الضمير (وارجع إلى « وفاعل الفعل » : « قال » وهو الفعل الذى جمع فى لفظه مانطق به اليهود والنصارى . . . إلى غير هذا مما أثاروه من جدل عنيف يغنيها عنه الرأى القوى الذى لا يفرق بينهما ، ويرى أن المسألة هنا اصطلاحية محضة ؛ فلا ضرر فى توحيد معناهما وجعلهما مترادفين .

ما أفضل الأعمال الحرة للشباب ؟ قالوا : أفضلها الزراعة ، أو التجارة ، أو الصيدلة ، فالجملة الفعلية : (قالوا) جملة خبرية ، مكونة من الفعل : « قال » الدال على القول ، من غير تفصيل للكلام الذى قيل ، ومن الضمير : (واو الجماعة) العائد على الطوائف المعدودة بالثلاث^(١) ، وهو ضمير مجمل يدل على مرجعه دلالة خالية من التفصيل . وبسبب الإجمال فى دلالة الفعل وفى الضمير جاء بعدهما التفصيل الذى يعدّ طوائفهم ، وأنهم زراعيون . وتجاريون ، وصيدلة ، كما يبين كلام كل طائفة ؛ أى : قال الزراعيون : أفضلها الزراعة ، وقال التجاريون : أفضلها التجارة ، وقال الصيادلة ؛ أفضلها الصيدلة .

ومن هذه المعانى أيضاً : الإضراب^(٢) ، ومن أمثلته : أن يتهياً المرء للخروج ، وتبدو عليه أماراته ، ثم يعدل عنه ، قائلاً : (أنا أخرج . أو أقيم) . فينطق بالجملة الأولى ، ولا يلبث أن يغيّر رأيه ، وينصرف عما قرره ، فيسارع إلى إردافها بقوله : أو : « أقيم » ويجلس جلسة المقيم ، فيكون جلوسه قرينة على أن معنى « أو » هو : الإضراب . فكأنه قال : (أخرج ، لا ، بل أقيم) . ومثله قول القائل : (أقيم فى البيت ، أو أخرج ؛ فإن ورأى عملاً لا مناص من إنجازه الآن فى الخارج) . فقد أخبر بالإقامة فى البيت ، ثم بدا له أن ينصرف عن هذا الرأى ويخرج ، فكأنه قال : « لا . بل أخرج الآن » ومثل قول الشاعر يتغزل :
بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصَوْرَتِهَا . أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
يريد : بل أنت أملح .

ويحسن فى الأسلوب المشتمل على : « أو » التى تفيد الإضراب أن يحتوى أمرين معاً ؛ أولهما : أن يسبقها نفي أو نهى^(٣) . وثانيهما : تكرار العامل ، نحو :

(١) يعود على الطوائف باعتبار المعنى ، إذ المراد من الطوائف هنا : أفرادها من الرجال .

(٢) سبق شرحه فى رقم ١ من هامش ص ٥٩٧ .

(٣) ويرتب على هذا ما يأتى فى : « ١ » من الزيادة والتفصيل ص ٦١١ . ويرى بعض النحاة

أن وجود النفي أو النهى قبلها شرط أساسى فى إفادتها للإضراب . ويرى آخرون أنه ليس بشرط . ومن هؤلاء : الفراء ، مؤيداً رأيه بقوله تعالى : « (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ») . أى : بل يزيدون ، لأن « أو » هنا للإضراب ، فلا تصلح لمعنى آخر كالشك . لأن الشك ونحوه محال على الله ، والحق : أن تقدم النفي والنهى مستحسن فقط .

(ما زارنى عمى ، أو : ما زارنى أخى) . (ولا يخرج حامد ، أو : لا يخرج إبراهيم) . والمراد : بل ما زارنى أخى — بل لا يخرج إبراهيم . ونحو : (لا ترجئ عملك الناجز ، أو : لا تهمل عملك) . ونحو : (ليس المنافق صاحباً ، أو : ليس مأموناً على شيء) . . . والمراد : بل لا تهمل — بل ليس مأموناً . . .

وإذا كانت «أو» للإضراب فالأحسن اتباع الرأى الذى يعتبرها حرفاً مجرد الإضراب لا للعطف ، فما بعدها جملة مستقلة عما قبلها . شأنها فى هذا شأن «أم» المتجردة للإضراب وحده ؛ فليست عاطفة — فى الرأى الراجح ، كما أسلفنا^(١) —

ويرى فريق آخر أنهما مع الإضراب يعربان حرفى عطف ، فما بعدهما معطوف على ما قبلهما . . . والخلاف شكلى ، ولكن الأول أوضح وأنسب .

وقد يكون معنى الحرف : «أو» الدلالة على الاشتراك ومطلق الجمع^(٢) بين المتعاطفين ؛ فكأنه الواو العاطفة فى هذا ، وبصح أن يحل محله الواو^(٣) ، كقول الشاعر :

وقالوا لنا : ثنتان لا بدّ منهما صدور رماحٍ أشرعت^(٤) ، أو سلاسل^(٥)

ونحو : جلس الضيف بين صاحب الدار أو ابنه . أى : جلس بين صاحب الدار وابنه : لأن كلمة : «يثن» إذا أضيفت لاسم ظاهر اقتضت — فى الغالب —

(١) فى ص ٥٩٩ .

(٢) سبق شرحه فى ص ٥٥٨ . وانظر رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية .

(٣) وما يصلح لهذا قول شوق فى قصيدة يخاطب ويصف فيها الرسول عليه السلام :

وإذا رحمتَ فأنت أمٌ أو أبٌ هذان فى الدنيا هما الرحماء

— راجع : «الملاحظة» التى فى رقم ٤ من هامش ص ٦٠٥ ؛ لصلتها القوية بما نحن فيه . . .

(٤) وجهت وصوّبت نحو العدو ، يقصد الطعن بها فى صدور الأعداء .

(٥) يريد السلاسل التى تقيد الأسرى . وهذا كناية عن هزيمة الأعداء ، ووقوعهم فى الأسر ،

وتقويدهم بهذه السلاسل .

ويرى المرزوقى (شارح ديوان الحماسة — ج ١ ص ٤٦ من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بالقاهرة) أن : «أو» هنا للتخيير ، وأن المراد من قول الشاعر فى صدر البيت :

«لا بدّ منهما» أنه لا بدّ منهما على طريق التعاقب ، لا على طريق الجمع بينهما . وهذا المعنى

مقبول ، ولكن الأول أقوى منه ، وأنسب ، إذ لا معنى للتخيير بين القتال والأسر ، لأن الأسر نتيجة من نتائج القتال ، ومسبب عنه . هذا إلى أن صدر البيت يؤيد هذا فى صراحة حيث يقول

«لا بدّ منهما» .

أن يكون ما بعدها متعدد الأفراد ، وهذا التعدد لا يتحقق « بأو » إلا إذا كانت بمعنى الواو الدالة على الجمع والمشاركة
ومثل قول الشاعر :

وقد زَعَمْتَ ليلي بَأَيِّ فاجرٍ لنفسي تُقاها . أو عليها فمجورُها
وقول الآخر يمدح أحد الخلفاء :

نال الخلافة أو كانت له قَدَرًا كما أتى ربّه موسى على قَدَرٍ
فلا بد من محاسبة النفس على التقى والفجور معاً ، دون الاختصار على أحدهما
ولا تتحقق الخلافة إلا مع قضاء الله وقدره ^(١) . . .

* * *

وملخص ما سبق ^(٢) من معاني « أو » ، أن هذه المعاني المتعددة القياسية خاضعة في إدراكها للسياق والقرائن خضوعاً تاماً ؛ كي يتميز ويتحدد كل نوع منها ؛ وأن التخيير والإباحة ^(٣) لا يكونان إلا بعد أمر ، وأن الشك والإبهام لا يكونان إلا بعد جملة خبريّة . أما المعاني الأخرى التي تخالف ما سبق (كالتفصيل ، والإضراب ، ومعنى الواو . . .) فتكون بعد الحمل الخبرية ، والطلبية والأفضل في الإضراب أن يسبقه نفي أو نهى . وأن يتكرر العامل معه ^(٤) . . .

(١) ورد « قليلاً في المسموع » وقوع « أو » بعد « هل » - ولقلته لا يقاس عليه - ومنه ما جاء في صحيح مسلم (ج ١٢ ص ١٠٦ كتاب : الجهاد .) وهو حديث يتضمن ما دار من كلام بين هزئ وأبي سفيان ، جاء فيه ما نصه عن المسلمين : « هل يزيدون أو ينقصون . . . » .

(٢) انظر ما يزيد عليه في ص ٦١١ وفيها إشارة إلى أن الصلة والارتباط بين حرق العطف . « أو - وأم » معروض في ص ٥٨٨ .

(٣) إذا كانت « أو » للإباحة جاز للمخاطب أن يختار أحد المتعاطفين ويقتصر عليه . وجاز له أن يجمع بينهما ، ويختارهما معاً - كما شرحنا في ص ٦٠٤ - وإذا جاز الجمع في حالة « أو » التي للإباحة فما الفرق بينه وبين الجمع في حالة « أو » التي بمعنى « أو » العطف ؟ .
الفرق أن « أو » التي بمعنى واو العطف لا بد فيها من الجمع كالواو ، ولا يصح الاختصار على واحد ، بخلاف الجمع في حالة الإباحة فإنه جائز .

(٤) وفي معاني : « أو » يقول ابن مالك :

خَيْرٌ ، أَيْحَ ، قَسَمَ بِأَوْ ، وَأَبْنِهِمْ .
وَأَشْكُكَ ، وَإِضْرَابُ بِهَا أَيْضًا نَسَبُ .
النحو الواو - . . .

.....

= (نعى ، أى : نسب إليها ، بمعنى أنها تؤديه) وقد تضمن البيت ستة معان ؛ هى : (التخيير - الإباحة - التقسيم - الإبهام - الشك - الإضراب) . وسيجىء فى البيت التالى معنى سابع ؛ هو : أنها تكون بمعنى الواو .

وَرُبَّمَا عَاقَبَتِ الْوَاوُ إِذَا لَمْ يُلَفْ ذُو النُّطْقِ لِلْبَيْسِ مَنفَذًا
(يلف : يجد . ذو النطق : المتكلم) . يقول : « أو » تعاقب الواو (أى : يصح أن تحمل عليها وتؤدى معناها - وهو مطلق الجمع والاشتراك) بشرط ألا يجد المتكلم منفذاً للالتباس ، أى : بشرط ألا يكون استعمالها موقعاً فى اللبس ؛ بسبب خفاء معناها المراد ، وعدم إدراك السامع أنها بمعنى الواو .

زيادة وتفصيل :

١ - الأصل في « أو » أن تكون لأحد الشيئين أو الأشياء ^(١) لكنها إذا وقعت بعد نفي أو نهى كانت للنفي العام الذي يشمل كل فرد مما في حيز النفي قبلها وبعدها ، وللنهي العام الذي ينصب على كل فرد كذلك : فثالثها بعد النفي : (لا أحب منافقاً أو كاذباً) . وثالثها بعد النهي قوله تعالى : (ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً) ^(٢) ...

ب - يقول سيبويه : إذا ذكرت همزة التسوية بعد كلمة : « سواء » فلا بد من مجيء « أم » العاطفة ، لا فرق في هذا الحكم بين أن يكون بعد الهمزة اسمان أو فعلاً ؛ نحو : (سواء عليّ أمقيم ضيق أم هو مرتحل - سواء عليّ أبقي الضيف أم ارتحل) ، فإن كان بعد : « سواء » فعلاً بغير همزة التسوية عطف الثاني منهما على الأول بالحرف : « أو » . نحو : (سواء علينا رضي العدو أو سخط) ورأيه هذا مخالف لما نقلناه - في رقم ٣ من هامش ص ٥٨٨ وما يتصل بها - عن بعض المحققين الذين يجزون مجيء « أم » والصواب معهم . وفي تلك الصفحة أيضاً بيان الصلة والارتباط بين الحرفين : « أو » و « أم » .

وإن كان بعدها اسمان بغير همزة التسوية عطف الثاني على الأول بالواو ، ولو كان الاسمان مصدرين ؛ نحو سواء عليّ حمزة وعامر ، ونحو : سواء علينا اعتدال الجو وانحرافه ^(٣)

ح - يصح حذف « أو » عند أمن اللبس ^(٤) ؛ نحو : وسائل السفر متنوعة ؛ يتخير منها كل امرئ ما يناسبه ؛ فسافر بالطيارة - القطار - الباخرة - السيارة ...

د - وقد تعطف الشيء على مرادفه ^(٥) كقوله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ...) فالإثم هو : الخطيئة

(١) سبقت الإشارة لهذا الرأي مع تفصيلات أخرى في رقم ٣ من هامش ص ٥٨٦ لمناسبة هناك .

(٢) ومن أمثلة وقوعها في حيز للنهي قول الشاعر - في البيت الأول - :

لا تُظهِرنَ لعاذلٍ أو عاذرٍ حاليكَ في السَّراءِ والضَّراءِ

فلرحمة المتوجعين حَزَارة في القلب مثل شِماتة الأعداءِ

(٣) راجع الجزء الثاني من المجمع باب العطف ؛ عند الكلام على « أو » . وقد سبقت الإشارة لرأيه في ج من ص ٥٩٦ .

(٤) كما سبقت الإشارة في ص ٥٧٥ وكما سيجيء في ص ٦٤١ .

(٥) وقد سبقت الإشارة لهذا في رقم ٦ من هامش ص ٥٦٥ .

٧ - إِمَاءٌ :

يرى بعض النحاة أن كلمة : « إِمَاءٌ » الثانية في مثل « امنح السائل إِمَاءً دِرْهَمًا وإِمَاءً دِرْهَمين » - حرف عطف بمعنى : « أو » ، وأنها تشارك « أو » في خمسة من معانيها^(١) . هي :

التخير والإباحة ، بشرط أن تكون « إِمَاءٌ » الثانية مسبوقة بكلام يشتمل على أمر .
« والشكُّ والإيهامُ » ، بشرط أن تكون مسبوقة بجملة خبرية .
« والتفصيل^(٢) » بعد الخبر أو الطلب .

ولا تكون « إِمَاءٌ الثانية » عند هؤلاء - للإضراب ، ولا بمعنى « واو » العطف ؛ فبهذين المعنيين تختص : « أو » دونها .

والمعاني الخمسة السابقة هي لكلمة : « إِمَاءٌ » الثانية ، وتشاركها الأولى فيها وتساورها ؛ لأنهما حرفان^(٣) متلازمان - في الأغلب - معنى واستعمالاً^(٤) ، غير أن الأولى لا تكون للعطف مطلقاً - كما سنعرف -

فمن أمثلة الشك : احتجبت الشمس وراء الغمام إِمَاءً ساعتين ، وإِمَاءً ثلاثاً .
ومن الإيهام قوله تعالى : (وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ . إِمَاءً يُعَذَّبُهُمْ وَإِمَاءً يَتُوبُ عَلَيْهِمْ)^(٥) . والتخير كقوله تعالى : (إِمَاءً أَنْ تُعَذَّبَ ، وإِمَاءً أَنْ تَتَّخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا) ؛ والإباحة ، نحو : إِمَاءً أَنْ تزرع فاكهةً وإِمَاءً قَصَبًا . والتفصيل ، كقوله تعالى في الإنسان : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ؛ إِمَاءً شَاكِرًا وإِمَاءً كَفُورًا) .

وإذا كانت « إِمَاءٌ » الثانية عندهم حرف عطف « فالواو » التي قبلها زائدة لازمة لها . والأولى لأعمل لها في عطف أو غيره .

ويرى آخرون : أن « إِمَاءٌ » الثانية والأولى متشابهتان في الحرفية ، وفي تأدية

(١) سبق شرح المراد من كل معنى من الخمسة عند الكلام على : « أو » ص ٦٠٣ - وما بعدها .

(٢) انظر معنى « التفصيل » في رقم ١ من هامش ص ٦٠٦ .

(٣) راجع حاشية الأمير على المغني - ج ١ - عند الكلام على الحرف : « إِمَاء » .

(٤) راجع البيان والتفصيل في « أ » من ص ٦١٤ .

(٥) يتعين الإيهام في الآية ؛ مراعاة لما سبق في تحديد معناه - رقم ٣ من هامش ص ٦٠٥ - .

معنى من تلك المعاني الخمسة ، وأن كلا منهما ليس حرف عطف ، لأن الأولى لا يسبقها معطوف مطلقاً ، ولأن الثانية تقع دائماً بعد الواو العاطفة بغير فاصل بينهما . ومن المقرر أن حرف العطف لا يدخل على حرف العطف مباشرة^(١) ، إذ لا يصح أن يتوالى حرفان للعطف من غير فاصل . والفريقان متفقان على أن الأولى ليست عاطفة^(٢) ، وأنها حرف — لا خلاف في حرفيته — يفصل بين عامل قبله ومعمول يليه^(٣) . ولكن الخلاف في الثانية .

والرأى الأرجح الذى يجدر الأخذ به هو : أن الثانية كالأولى في المعنى والحرفية ، وفي أنها ليست حرف عطف لأن العاطف هو الواو^(٤) .

* * *

(١) كما استجىء الإشارة في ص ٦٢٠

(٢) للسبب السالف ؛ وهو أنها لا يسبقها عاطف مطلقاً .

(٣) لهذا يعرب ما بعد « إما » ، الأولى على حسب حاجة العوامل التى قبلها ؛ فقد يكون فاعلاً في مثل : غاب إما حامد وإما محمود . وقد يكون مفعولاً به في مثل : يركب المسافر إما قطارا وإما سيارة ، وقد يكون حالا في مثل قوله تعالى : « إنا هديناه السبيلَ إما شاكرا وإما كفورا » . وقد يكون بدلا كما في قوله تعالى : « حتى إذا رأوا ما يُوعَدُونَ إما العذاب وإما الساعة » وهكذا .

(٤) انظر ما يتصل بهذه « الواو » التى قبل « إما » الثانية في ص ٥٦٠ .

.
.

زيادة وتفصيل :

١- ليس من اللازم أن تتكرر « إِمَّا » ، ولكن الأغلب تكرارها ، فقد تحذف الثانية ؛ لوجودها يغنى عنها . ويغلب أن يكون أحد شيئين : (وإلا) - (أو) .
فمثال الأول : إما أن يتكلم المرء ليُحْمَد وإلا فليسكت . ومنه قول الشاعر :

فإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصَدَقٍ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي
وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي
ومثال الثاني قول الشاعر :

وقد شَفَّنِي أَلَّا يَزَالُ يَرَوْعُنِي خَيَالُكَ إِمَّا طَارِقًا أَوْ^(١) مُعَادِيَا
وقد يستغنى عن الأولى اكفاء بالثانية كقول الشاعر :

تُلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا
أى : إِمَّا بِدَارٍ . . . والفراء يقيس هذا الاستغناء ، فيجيز : فيضَان النَّهْرُ
معتدل وإِمَّا خطير .

و « إِمَّا » السالفة تختلف عن « إِمَّا » المركبة من : « إن » الشرطية التي تجزم فعلين ، ومن : « ما » الزائدة ، في مثل : إِمَّا يَعْدِلُ الْوَالِيُ تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ الْقُلُوبُ . أى : إنْ يَعْدِلُ . . . كما تختلف اختلافًا واسعًا عن « أَمَّا » الشرطية التي سيجيء الكلام عليها^(٢) في باب خاص بها .

ب- من اللهجات النادرة أن يقال « أَيْمًا » بدلا من « أَمَّا » ، وكذلك

(١) ومن هذا جاء بيت ابن مالك في أول باب العطف من الألفية - رقم ٢ من هامش ص ٥٤٤ ونصه : « العطف إما ذو بيان أو نسق . . . » وكذلك وردت في كلام من يحتج بكلامهم ؛ ومنهم خالد بن صفوان (أموى) ، توفي حول سنة ١٣٣ هـ . فقد جاء على لسانه في قصة أحد الملوك مانصه : (إما أن تقم في الملك فتعمل بطاعة ربك . . . أو تضع تاجك وتلبس أمساك وتعيد ربك في هذا الجبل . .) والقصة كاملة في كتاب « الجمعان في تشبيهات القرآن » لابن ناصية البغدادى . - ص ٣٠٦ -

(٢) في ج ٤ ص ٤٧٠ م ١٦١ .

حذف واو العطف قبل «إمّا» الثانية^(١) ، وقد اجتمع النّادران في قول الشاعر :

يا ليتما أمّنا شالت^(٢) نعامتها أيّما إلى جَنَّة ، أيّما إلى نار
ومن المستحسن اليوم عدم محاكاة هذه اللغات القليلة ؛

ح- الفرق بين « إمّا » و « أو » في المعاني الخمسة السالفة أن « إمّا » مكررة ؛ فيدل الكلام معها من أول النطق بها على الغرض الذي جاءت من أجله ؛ أهو شك ، أم تخيير ، أم غيرهما . بخلاف « أو » فإن الكلام معها يدل أولا على الجزم واليقين ، ثم تجيء « أو » فتدل على المعنى الذي جاءت من أجله .

د- حكم الضمير بعدها إذا كان عائداً على المتعاطفين من ناحية المطابقة وعدمها مدون في رقم ٣ من ص ٦٥٧

(١) وفيما سبق يقول ابن مالك :

ومثّلُ «أو» في القَصْدِ «إمّا» الثّانِيَّةُ في نَحْوِ : إمّا ذى ، وإمّا الثّانِيَّةُ
أى : اقصد - مثلاً - إما هذه البلدة وإما الثّانِيَّةُ . أى . البعيدة .

(٢) شالت : بمعنى ارتفعت - النعامة : باطن القدم . وارتفاع النعامة كناية عن عدم الموت ؛ لأن من يموت ترتفع - في الغالب - قدماءه ، وينخفض رأسه ، فتظهر نعامته .

٨ - لكن :

حرف عطف معناه الاستدراك^(١) ؛ نحو : ما صاحبت الخائنَ لكنَّ
الأمينَ ؛ « فالأمين » معطوف على « الخائن » .
ولا يكون عاطفاً إلا باجتماع شروط ثلاثة :

أولها : أن يكون المعطوف به مفرداً^(٢) ، لا جملة ، مثل : ما قطفت الزهرَ
لكنَّ الثمرَ . فإن لم يكن مفرداً وجب اعتبار « لكن » حرف ابتداء واستدراك
معاً ، وليس عاطفاً ، ويجب أن تكون الجملة بعده مستقلة في إعرابها عن الجملة
التي قبله ، نحو : ما قطفت الزهر لكنَّ قطفت الثمر فكلمة : « لكن »
حرف ابتداء واستدراك معاً ، ولا يفيد عطفًا ، والجملة بعدها مستقلة في إعرابها ؛
لأن « لكن » الابتدائية لا تدخل إلا على جملة جديدة مستقلة من الناحية الإعرابية^(٣) .
ثانيها : ألا يكون مسبوقاً بالواو مباشرة ؛ نحو : ما صافحت المسىء
لكنَّ المحسنَ . فإن سبقته الواو مباشرة لم يكن حرف عطف واقتصر على أن يكون
حرف استدراك وابتداء كلام ، ويجب أن تقع بعده جملة (فعلية أو اسمية)
تُعطف بالواو على الجملة التي قبلها ؛ فمثال الفعلية : ما صافحت المسىء ولكنَّ
صافحت المحسن ، وقول الشاعر :

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن قضاءً ؛ ولكنَّ كان غُرمًا على غُرم...

(١) الاستدراك : « تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بحجبه .
وهو يقتضى أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفاً لما قبلها في الحكم المعنوي ؛ نحو : ما قطعت
الزهر . فعني هذه الجملة نفي القطف عن الزهر . فقد يتمرب إلى الذهن من هذا المعنى أن الثمر لم
يقطف أيضاً ، فلإزالة هذا الوهم واستبعاده تأتي بأداة تبعد ، مثل : « لكن » ؛ فنقول : ما قطعت
الزهر ، لكن الثمر . فكلمة : « لكن » أداة من أدوات الاستدراك . زالت ذلك الوهم ، وأثبتت أن الثمر
قُطِف (وقد سبق إيضاحه رتبة تحليل الكلام عليه في ج ١ ص ٤٧٢ م ٥١ . وفي رقم ٢ من هامش ص ٤٢٨
م ٣٥ -) كما سبق هناك أن الحرف الدال على « الاستدراك » (وهو : « لكن » بشويعها ، مشددة النون
وساكنتها) لا تقع في صدر جملة تمرب خبراً . . .

(٢) طبقاً للرأى الأقوى والأشهر .

(٣) ومن أمثلة الجملة الفعلية بعدها قول الشاعر :

وما نيل المطالب بالتدنى ولكنَّ تؤخِّد الدنيا غلابا

وقول الآخر يصف حياته :

حياة مشقات . ولكنَّ - لُبُّعُهَا - عن الذلِّ - تصفو للآبئ وتغذَّب

ومثال الاسمية :

وليس أخى من ودنى رأى عينه ولكن أخى من ودنى وهو غائب
 « فالواو » حرف عطف . « لكن » ، حرف استدراك وابتداء كلام . والجملة بعدها
 معطوفة بالواو على الجملة التى قبلها ^(١) .

ثالثها : أن تكون مسبوقه ^(٢) بنى ، أو نهى ؛ كما فى الأمثلة السابقة . ونحو : لا تأكل
 الفاكهة الفجة لكن الناضجة . فإن لم تسبق بذلك كانت حرف ابتداء واستدراك
 لا عاطفة ، ووجب أن يقع بعدها جملة مستقلة فى إعرابها ، نحو : تكثر الفواكه شتاء ،
 لكن يكثر العنب صيفاً .

ويؤخذ مما سبق أن الحرف « لكن » حرف استدراك دائماً ؛ سواء أكان عاطفاً أم غير
 عاطف . وأنه لا يعطف إلا بشروط ثلاثة مجتمعة ، فإن فُقد منها شرط أو أكثر لم
 يكن عاطفاً ، ووجب دخوله على الجمل ، واعتباره حرف استدراك وابتداء معاً .

والاستدراك يقتضى أن يكون ما بعد أداته مخالفاً لما قبلها فى حكمه المعنى ؛
 كما فى الأمثلة السالفة ، وكما فى نحو : (لأصحاب المنافق لكن الشهم . —
 لا تجالس الأشرار لكن الأخيار) . فعنى الجملة التى قبل « لكن » منى ، أو
 منهى عنه ، وهذا المعنى فى الجملة التى بعدها مثبت وغير منهى عنه ؛ فهما
 مختلفان فيه نفيّاً وإيجاباً ، ونهيّاً وغير نهى .

ولما كان الكلام قبل « لكن » العاطفة منفيّاً دائماً ، أو منهيّاً عنه ، وجب أن يكون
 ما بعدها مثبتاً دائماً ، وغير منهى عنه ^(٣) ، فالمعنى بعدها مناقض للمعنى قبلها ^(١) ...

(١) لهذا إشارة فى رقم ٢ من هامش ص ٥٦٨ .

(٢) وهذا الشرط هو الأرجح والأقوى .

(٣) أما غير العاطفة ، أو « لكن » المشددة فقد يكون الأول فيهما هو المثبت ، والمتأخر هو
 المنى ، أو العكس — كما سبق فى ج ١ من ص ٥٧١ — فالذى يجب مراعاته مع أداة الاستدراك (« لكن »
 — « ولكن ») هو مخالفة ما قبلها لما بعدها فى الحكم نفيّاً وإيجاباً ، وغيرها .

وفما سبق يقول ابن مالك بيتاً يشتمل بليغاً على حكم : « لكن » و « لا » العاطفتين (وسيجىء
 الكلام على « لا ») .

وأول « لكن » نفيّاً ، أو نهياً . « ولا » نداءً ، أو أمراً ، أو اثباتاً تلاً =

٩ - لا :

حرف عطف يفيد نفي الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه ؛
نحو : يفوز الشجاعُ لا الجبانُ . فكلمة : « لا » حرف عطف ونفي .
و « الجبان » معطوف على الشجاع ، والحكم الثابت للمعطوف عليه هو :
فوز الشجاع ، وقد نُفِيَ الفوز عن المعطوف (الجبان) بسبب أداة النفي :
« لا » . ومثل هذا يقال في « لا » التي في الشطر الثاني من قول الشاعر :

القلب يدرك ما لا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصرُ

فهى حرف عطف ونفي ، و « البصر » معطوف على النفس ، والحكم الثابت
للمعطوف عليه هو نسبة الاستحسان إلى النفس (أى : إسناده إليها) مع نفي
هذا الاستحسان عن البصر .

ولا يكون هذا الحرف عاطفياً إلا باجتماع خمسة شروط :

أولها : أن يكون المعطوف مفرداً — لا جملة^(١) — كالأمثلة السالفة ، وكقول
الشاعر :

قل لبانٍ بقولٍ رُكنَ مملكةٍ على الكتائبِ يُبنى المُلْكُ ، لا الكُتُبِ

« فالكتب » معطوفة على : « الكتائب » ، وهذا المعطوف ليس جملة . فإن لم

= « أول لكن نفياً » : اجعلها والية نفياً وواقعة بعده ، وذلك بأن يتقدم النفي وتليه لكن ، أى
تجىء بعده . هذا كل ما تعرض له البيت . وهو تعرض مبتور ، أما باقيه فليس خاصاً بلكن :

حكم الضمير بعدها إذا كان عائداً على المتعاطفين من ناحية المطابقة وعدمها ، موضح في رقم ٣
ص ٦٥٧ .

(١) الجملة المتنوعة هنا هى التى ليس لها محل من الإعراب . قال الصبان (يشترط في « لا »
الماطقة إفراد معطوفها ، ولوتأويلا ؛ فيجوز : قلت على قائم ، لا على « قاعد » ؛ أخذاً من قول
الهمع : ولا يعطف بها جملة لا محل لها على الأصح . . .) ١ هـ . يريد أن المعنى : على قائم لا قاعد ،
فالجملة المعطوفة بمنزلة خبر مفرد . وما يلحق بالمفرد : شبه الجملة إذا اعتبرنا متملقه مفرداً ، نحو : حساب
العمر بالأعمال لا بالأعوام ، وعند الله حسن الجزاء ، لا عند الناس . وقولهم : « سموُ المرء بالعمل
لا بمجرد الأمل » .

يكن المعطوف مفرداً لم يصح اعتبار « لا » عاطفة ؛ وعندئذ يجب اعتبارها حرف نفي فقط ، والجملة بعدها مستقلة في إعرابها ، ليست معطوفة ؛ نحو : تصان الممالك بالجيش والأعمال ، لا تصان بالخطب والآمال .

ثانيها : أن يكون الكلام قبله موجباً لا منفيّاً ويدخل في الموجب — هنا — الأمرُ والنداء ؛ كقول بعضهم : (الملقُ وصّاعة لا وداعة ، وخيسةٌ لا كياسة . فكُنْ أيباً لا ذليلاً ، مَصُونًا لا مُتَبَدِّلًا . يابن الغرّ البهاليل^(١) لا السفلة^(٢) الأوغاد^(٣) : إن الكرامة في الإباء ، والعزة في التّصون ، ولا سعادة بغير عِزة وكرامة . . .)

ثالثها : ألا يكون أحد المتعاطفين داخلاً في مدلول الآخر ، ومعدوداً من أفرادهِ التي يصدق عليها لفظه (اسمه) ؛ فلا يصح : مدحت رجلاً لا قائداً ؛ لأن الرجل (وهو المعطوف عليه) ينطبق على أفراد كثيرة تشمل المعطوف (وهو القائد) وتشمل غيره ، ولا يصح أكلت تفاحاً لا فاكهة ، لأن الفاكهة (وهي المعطوف) تشمل المعطوف عليه (وهو : التفاح) ويصدق اسمها عليه . . . وهكذا . لكن يصح : مدحت رجلاً لا فتاة وأكلت فاكهة لا خبزاً ؛ إذ لا يصدق أحد المتعاطفين على الآخر^(٤) . . .

(١) جمع : بُهَيْدُول ، وهو : السيد الجامع لكل خير .

(٢) أرادل الناس وأسافلهم .

(٣) جمع : وَغِيد ، وهو الرجل الدنيء الحقير .

(٤) وقد أشار ابن مالك إلى حكم « لا » في جزء من بيت سبق في هامش ص ٦١٧ ينظمين حكمها وحكم « لكن » ، هو :

وَأَوَّلِ «لَكِنْ» نَفْيًا ، أَوْ نَهْيًا . وَ «لَا» نِدَاءٌ ، أَوْ أَمْرًا أَوْ أَثْبَاتًا تَلَا

وقد سبق شرح الجزء الخاص بالحرف : « لكن » . أما الخاص بالحرف « لا » فتقدير كلامه : « لا » ، تلا نداء ، أو أمراً ، أو إثباتاً : فكلمة : « لا » مبتدأ — ولا يصح أن يكون معطوفاً عل : لكن ، منعاً لفساد المعنى — خبره الجملة الفعلية المكونة من الفعل « تلا » وفاعله . يريد : أن حرف « لا » العاطف يتلو النداء ، أو الأمر ، أو الإثبات . ويحىء بعد واحد من هذه الأشياء ، ولا يكون عاطفاً إلا إذا وقع بعد أحدها . وفي البيت قصور ونقص .

رابعها : ألا تقترن كلمة « لا » بعاطف — لأن حرف العطف لا يدخل على حرف العطف ^(١) مباشرة — فإن اقترنت به كان العطف به وحده وتمحضت هي للنفي الخالص ^(٢) ، نحو : أسابيع الشهر ثلاثة ، لا بل أربعة ، فالعاطف هو « بل » ^(٣) ، وقد عطف أربعة على ثلاثة . أما « لا » فليست هنا عاطفة ، وإنما هي مجرد حرف نفي لإبطال المعنى السابق وردّه . ومثل هذا : (سبقت السيارة لا بل القطار) فليست « لا » هنا بعاطفة وإنما هي حرف نفي يسابب الحكم السابق ويزيله ويرده ، و « بل » هي العاطفة ^(٤)

خامسها : ألا يكون ما يدخل عليه مفرداً صالحاً لأن يكون صفة لموصوف

(١) طبقاً لما تردد من قبل ، ومنه البيان الذى فى ص ٦١٣ .

(٢) ونفيها الخالص قد يكون تأسيساً ؛ كالذى فى نحو : جافى على ، لا بل محمود . وقد يكون تأكيداً كالذى فى نحو : ماجاء على ولا محمود . فالعاطف هو « بل » و « الواو » فى الصورتين ، والمعطوف فيهما هو محمود . والمعطوف عليه هو على . أما كلمة « لا » فيهما فلمجرد النفي المحض ، تأسيساً فى المثال الأول ، وتأكيداً فى الثانى .

« ملاحظة » : النفي التأسيسى هو الذى تجلبه الأداة الخاصة بالنفي ، ولا يكون فى الكلام ما يدل على هذا النفي ويشعر به سواها ؛ كالمثال الأول : جاء على لا محمود . فلو لا الحرف الثانى : « لا » ما وجد فى الجملة ما يدل على معنى النفي . أما النفي التأكيدى فلا تجلبه معها أداة النفي ؛ وإنما يكون موجوداً قبل مجيئها ؛ فتجئى هى لتوكيده وتقويته ؛ كالمثال الثانى : (ماجاء على ولا محمود) فتجئى عن محمود مفهوم بغير مجئى حرف النفي « لا » وبدون ذكره ، فلما جاء الحرف أكده وقواه .

(٣) فى مثل : سافر الأخ بل الوالد — ونحوه من كل كلام موجب ، والمعطوف مفرد
تفيد كلمة : « بل » الإضراب عن الحكم السابق ، كأنه لم يكن ، والسكرت من غير حكم على صاحبه مع إثبات هذا الحكم السابق لما بعدها ؛ فالذى سافر فى المثال السالف هو الوالد ، أما الأخ فسكوت عنه لا يتحدث عنه بشئ من سفر أو غيره — كما سيحى تفصيل هذا عند الكلام على « بل » (ص ٦٢٣ و . . .) — وقياساً على هذا يكون المراد فى المثال : أسابيع الشهر أربعة . . . إلا أن وجود : « لا » يجعل الحكم منفياً صراحة لا مسكوتاً عنه . وفى هذا يقول الصبان مانصه :

(اعلم أن « لا » بعد الإيجاب هى لنفي الإيجاب ، وصيرورته نصاً فى النفي ، بعد صيرورته بحرف الإضراب — لولاها — كالمسكوت عنه يحتمل النفي وغيره . . .) ٥١ .

(٤) ومن صور اقترانها بالعاطف : ماجافى محمد ولا على . وهى فى هذه الصورة زائدة ، توافق نوعاً من الزيادة الموضحة فى البيان الهام الذى سبق فى ج ١ م ٥ ص ٦٢ أول الكلام على الحرف ، وسبقت الإشارة إليه فى رقم ٣ من هامش ص ٥٦٧ ؛ متضمنة أنه يحوى الكلام على زيادة « لا » النافية ، والفرض من زيادتها ، ومعناها ، وإعرابها

مذكور ، أو لأن يكون خبراً^(١) ، أو حالا . فإن صلح لشيء من هذا كانت للنفي المحض ، وليست عاطفة ، ووجب تكرارها ؛ فمثال المفرد الصفة : هذا بيتٌ لا قديمٌ ولا جديدٌ . فكلمة : « لا » نافية — « وقديم » نعت لبيت . ومثال الخبر : الغلامُ لا صبيٌّ ولا شابٌّ ، والشابُّ لا غلامٌ ولا كهلاً^(١) . . . ومثال الحال . عرفت العاقل لا نافعاً ولا منتفعاً . . .

* * *

(١ و ١) لا فرق في الحكم بين خبر المبتدأ — كالأمثلة المعروضة هنا — وخبر غيره من النواسخ كالذى في قول الشاعر :

فإن أنتمو لم تحفظوا لمودتي ذِمّاماً فكونوا لا عليها ولا لها

.
.

زيادة وتفصيل :

١- اختلف النحاة في وقوع « لا » العاطفة بعد الدعاء والتحضيض ،
نحو : (أطال الله عمرك لا عُمُرُ الأعداء ، وحرستك عنايته لا عناية
الناس) . . . ونحو : (ألا تُكْرِمُ النَّابِيَّ لا الحامل ، وهلا تُقَدِّرَ الذَّكِيَّ
لا الغبي) . . والأحسن الأخذ بالرأى الذى يبيح هذا ؛ تيسيراً وموافقة للمأثور .

ويزيد بعضهم فيبدى اطمئنانه لصحة وقوع « لا » العاطفة بعد الاستفهام
أيضاً ، نحو : أفرغت من كتابة الرسالة لا الخطبة ؟ ولا بأس بهذا الاطمئنان .

ب- إذا كانت « لا » عاطفة فقد يجوز حذف المعطوف عليه ، نحو :
عودت نفسى أن أتكلم . . . لا شراً ، وأن أنفع . . . لا قليلاً^(١) . . .
والأصل : أن أتكلم خيراً لا شراً - وأن أنفع كثيراً لا قليلاً .

ج- لا يجوز تكرار « لا » العاطفة ؛ فلا يقال : حضر هاشم ، لا محمود
- لا أمين - لا حامد - ، بل يجب الإتيان بالواو العاطفة قبل المكرر ، ليكون
العطف بهذه الواو وحدها ، وتقتصر « لا » على توكيد النفي ، دون أن تكون عاطفة .

د- حكم الضمير بعدها إذا كان عائداً على المتعاطفين ، من ناحية المطابقة
وعدمها مدون فى رقم ٣ من ص ٦٥٧

* * *

حرف يختلف معناه وحكمه باختلاف ما يجيء بعده من جملة أو مفرد .
 ٢ - فإن دخل على جملة فهو حرف ابتداء فقط ، ومعناه إما : « الإضراب الإبطالى » ، وإما : « الإضراب الانتقالى » . فالإبطالى ^(١) : هو الذى يقتضى نفي الحكم السابق ، فى الكلام قبل « بل » ، والقطع بأنه غير واقع ، وقدعيه كاذب ، والانصراف عنه واجب إلى حكم آخر يجيء بعدها . نحو : الأجرام السماوية ثابتة ، بل الأجرام السماوية متحركة . فالحرف « بل » (بمعنى « لا » النافية) أفاد الإضراب الإبطالى الذى يقتضى نفي الثبات ونفى عدم الحركة عن الأجرام السماوية ؛ لأن هذا الثبات أمر غير حاصل ، ومن يدعيه كاذب ، فكأن المتكلم قال : (الأجرام السماوية ثابتة . لا ، فالأجرام السماوية متحركة وليست ثابتة) ؛ فأبطل الحكم الأول ونفاه ، وعرض بعده حكماً جديداً . ومن الأمثلة قوله تعالى فى المشركين : (وقالوا اتخذَ الرحمنُ ولداً - سُبْحَانَهُ - بل عبادٌ مُكْرَمُونَ) ، أى : بل هم ^(٢) عبادٌ مُكْرَمُونَ . فقد أبطل الحكم السابق ، ونفاه ، وأثبت حكماً آخر بعده ؛ فكأن الأصل : (وقالوا اتخذَ الرحمنُ ولداً . لا ؛ فإن الذين اتخذهم هم عباد مُكْرَمُونَ) . ومثل قوله أيضاً ترديداً لما يقوله الكفار عن الرسول عليه السلام : (أم يقولون به جِنَّةٌ ^(٣)) . بل جاءهم بالحق) .

والانتقالى هو : الذى يقتضى الانتقال من غرض قبل الحرف : « بل » إلى غرض جديد بعده ، مع إبقاء الحكم السابق على حاله ، وعدم إلغاء ما يقتضيه . كقوله تعالى : (قد أفلَحَ من تَزَكَّى ^(٤) وذكر اسمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بَلْ تُؤْثِرُونَ ^(٥) الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأُنْقِىَ ...)

فالغرض الذى يدور حوله الكلام قبل : « بل » هو : الطاعة ، (بالطهارة من الذنوب ، وبعبادة الله ، وبالصلاة ..) ، والغرض الجديد بعدها هو حب

(١) سبقت الإشارة إلى معناه فى رقم ١ من هامش ص ٥٩٧ .

(٢) الدليل على أن الحرف : « بل » داخل على جملة اسمية ، المبتدأ فيها محذوف - ١٠ : رفع كلمة : « عباد » إذ لا وجه لإعرابها وهى مرفوعة غير ماسلف ، وهو الذى يقتضيه المعنى أيضاً . ومثل هذا يقال فى كلمة : « أحياء » المرفوعة فى قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا . بل أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ، أى : بل هم أحياء .

(٣) جنون . (٤) تطهّر . (٥) تفضلون وتختارون .

الدنيا ، وتفضيل الآخرة عليها . . . وكلا الغرضين مقصود باق على حاله .
وكفوله تعالى : (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .
بل قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ^(١)) ...)

وكقولهم : (ليس من المروءة أن يتخلى الشريف عن أصدقائه ساعة الشدة :
بل يقيهم بماله ، ويدفع عنهم بنفسه) .

وحكم الحرف : « بل » الداخلة على الجملة أنه حرف ابتداء محض يفيد الإضراب ^(٢) -
كما أسلفنا - ولا يصح اعتباره حرف عطف ولا شيئاً آخر غير الابتداء ، فالجملة بعده
مستقلة في إعرابها عما قبلها ، ولا يصح إعرابها خبراً ولا غير خبر عن شيء سابق عليه ^(٣) . . .

(١) غفلة ، أو انهماك في الباطل ، ووُصِفَت القلوب بهذا مسايرة لاعتقاد العرب أن القلب هو
مقر العقل والغرائز ، ومصدر الخير والشر .

(٢) - بقيت إشارة - في رقم ٢ من هامش ص ٥٩٧ - إلى فروق بين « أم » المنقطعة حين تكون
للإضراب ، و « بل » - منها : أن الذي بعد « بل » يقين غالباً ، أما الذي بعد « أم » فظن . . . ،
جاء في كتاب : « المحتسب » لابن جني - ج ٢ ص ٢٩١ - في الآية الكريمة من سورة الطور : (أم هم
قوم طاغون .) وقراءة من قرأها : (بل هم قوم طاغون) مانصه : (« قال أبو الفتح : هذا هو الموضع
الذي يقول أصحابنا فيه : إن « أم » المنقطعة بمعنى : « بل » ، للترك والتحول ، إلا أن ما بعد « بل »
متيقن ، وما بعد « أم » مشكوك فيه ، مشكوك عنه ، كقول علي بن عبيدة :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ؟ أم جبلها إذ نأتك اليوم مصروم ؟
كأنه قال : بل أجيلها إذ نأتك اليوم مصروم ؟ ويؤكد قوله بعده :
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم
- مشكوم : مجازي ... -

ألا ترى إلى ظهور حرف الاستفهام وهو : « هل » في قوله : أم هل كبير بكى . . . حتى كأنه قال :
بل هو كبير ... ترك الكلام الأول وأخذ في استئناف مستأنف .

وقد توالفت « أم » هذه في هذا الموضع من هذه السورة ؛ وقال تعالى : (أم يقولون شاعرٌ نثر بَصْ به
رَيْبَ السَّمَوْنَ) أي : بل يقولون ذلك . وقوله تعالى : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا ، أم هم قوم طاغون ؟)
أي : بل أم هم قوم طاغون ؟ .. أخرجني مخرج الاستفهام ، وإن كانوا عنده تعالى قوماً طاغين ؛ تسلباً بهم
وتبكماً عليهم . وهذا كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشك في جهله : أجاهل أنت ؟ توبيخاً له ،
وتقبيحاً عليه . ومعناه : إني قد نهيتك على حالك فانتبه لها ، واحتط لنفسك منها ، قال صخر :

أرائح أنت يوم البين أم غادي ولم تُسَلِّمْ على ريحانة الوادي

ليس يستفهم نفسه عما هو أعلم به ؛ ولكنه يقيح هذا الرأي لها ، وينعاه عليها ، («) هـ .

(٣) يقول السيوطي في الهمع - ج ١ ص ٩٦ - مانصه خاصاً بالنثر : « لا يسوغ الإخبار
بجملة نائية ؛ نحو : زيد يا أخاه ، ولا مصدرة ولكن ، أو : بل ، أو : حتى .. - بالإجماع
في كل ذلك » .

ب- وإن دخل على مفرد فحكمه أنه : حرف عطف ؛ يختص بعطف المفردات وحدها . أما معناه هنا فيختلف باختلاف ما قبله من كلام مثبت ، أو مشتمل على صيغة أمر ، أو كلام منفي ، أو مشتمل على صيغة نهى .

(١) فإن تقدم على : « بل » كلام موجب أو صيغة أمر^(١) - نحو : « أعددتُ الرسالة بل القصيدة - لبست المعطف بل الثياب » - (عاون المحتاج بل الضعيف - ساعف الصديق بل الصارخ) . - كان معنى « بل » أمرين معاً ، أساسيين :

أولهما : الإضراب عن الحكم السابق ؛ بنى المراد منه نفيًا تاماً ، وإبطال أثره كأن لم يكن ، وسلبه عن صاحبه ، وترك صاحبه مسكوتاً عنه مهملاً ؛ أى غير محكوم عليه بشيء مطلقاً بمقتضى هذا الكلام الذى أزال عنه الحكم السالف ، وتركه بغير حكم جديد يقع عليه . وإن شئت فقل : إن الكلام السابق على « بل » صار كأنه لم يذكر^(٢) .

ثانيهما : نقل الحكم الذى قبل « بل » نقلاً تاماً إلى ما بعدها من غير تغيير شيء فى هذا الحكم الذى أزيل عما قبلها ، واستقر لما بعدها ، فى الأمثلة السابقة يقع الإضراب على إعداد الرسائل ، فيبنى الإعداد لها ، ولكنه يثبت للقصيدة بعدها . ويقع الإضراب على لبس المعطف ، فلا يلبس ، وإنما ينتقل اللبس إلى الثياب . وكذلك ينصب الإضراب على معاونة المحتاج ؛ فلا يحصل ؛ وإنما تنتقل المعاونة إلى الضعيف وتثبت له . وأيضاً تلغى المساعفة للصديق ولكنها تثبت للصارخ ، وهكذا .

(٢) وإن تقدم على « بل » كلام منفي ، أو مشتمل على صيغة نهى ، نحو :

(١) يراد بها ما يدل على الأمر صراحة ، كفعل الأمر ، ولام الأمر الداخلة على المضارع . لكن أيلحق بالأمر هنا النهى ، والترجى ، والعرض ، والتخفيض ، أم لا يلحق ؟
وأيان بينهما خلاف واسع . والأحسن التيسير بقبول الرأى الذى يلحقها - كما سيجرى فى هامش
ص ٦٢٧ - .

(٢) فى الأمثلة السابقة ماذا جرى للرسالة ، والمعطف ، والمحتاج ، والصديق ، بعد أن سلبنا الحكم الواقع على كل منها ؟
ليس فى الكلام ما يدل على حكم جديد بعد الحكم المسلوب الذى نفينا . فكل واحد منها بمنزلة كلمة مفردة نطقنا بها وحدها من غير أن نسد إليها شيئاً .

(ما زرعت القمح بل القطن — ما أسأت مظلوماً بل ظالماً) — (لا يتصدر مجلسنا جاهلٌ بل عالم — لا تصاحب الأحمق بل العاقل) — لم يكن معنى « بل » الإضراب ، وإنما المعنى أمران معاً .

أولهما : إقرار الحكم السابق ، وتركه على حاله من غير تغيير فيه .
ثانيهما : إثبات ضده لما بعد « بل » . .

ففي المثال الأول : حكم منفيّ ، قبل كلمة « بل » هو نفي زراعتي القمح ، وأقررنا هذا الحكم المنفيّ ، وتركناه على حاله ، وفي الوقت نفسه أثبتنا بعدها حكماً آخر ، هو ، زرع القطن . . . ، وأيضاً نفينا قبلها حكماً ؛ هو وقوع الإساءة على المظلوم ، وأثبتنا بعدها وقوعها على الظالم . وكذلك نهينا قبلها عن تصدر الجاهل لمجلسنا ، وأمرنا بعدها بهذا التصدر للعالم . ونهينا عن مصاحبة الأحمق ، وأمرنا بها للعاقل ، وهكذا . . .

فالحكم الأول في كل الأمثلة السالفة — ونظائرها — باقٍ على حاله ، لم يقع عليه إضراب ، أو تغيير ، والحكم بعد « بل » مضاد لما قبلها ، فالحكمان متضادان ؛ ما يُنفى أو يُنتهى عنه قبل « بل » يثبت أو يؤمر به بعدها ^(١) . . .

* * *

(١) في حكم « بل » يقول ابن مالك :

وَبَلٌّ كَـ « لَكِنْ » بَعْدَ مَصْحُوبَيْهَا كَلَّمْ أَكَنَّ فِي مَرْبَعٍ ، بَلٌّ تَيْهًا

(المراد بالمصحوبين : النفي والنهي ، « والمَرْبَع » : المكان الذي ينزل فيه القوم زمن الربيع . والتيه : هي التيهاء ؛ (أى : الصحراء) يقول : إن « بل » بعد النفي مثل « لكن » في أنها تقرّر ما قبلها ، وتركه على حاله ، وتثبت ضده لما بعده ، فلا تفيد معهما إضراباً . لكنها بعد الكلام الموجب وبعد صيغة الأمر تفيد الإضراب عن الأول ، وتنقل حكمه إلى الثاني ، حتى يصير الأول مسكوتاً عنه مهملاً . وفي حالتي الإيجاب والأمر يقول ابن مالك متمم كلامه السالف عن « بل » :

وَأَنْقُلُ بِهَا لِلثَّانِ حُكْمَ الْأَوَّلِ فِي الْخَبَرِ الْمُثَبَّتِ وَالْأَمْرِ الْجَلِيِّ

أى : الصريح في دلالة على الأمر ؛ كفعل الأمر ، والمضارع المسبوق بلام الأمر . وهذا عند ابن مالك ومن وافقه . وهناك من يلحق التثنية ، والتجسّي ، والعرض ، والتعريض .. — بالصريح كما قلنا في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٥ وقد سبق الكلام على « لكن » في ص ٦١٦ .

زيادة وتفصيل :

١- لا يجوز العطف بالحرف « بل » ، بعد كلام فيه استفهام ؛ فلا يصح
أَحْفِظْتَ قصيدة بل خطبة ؟

ب - تقع « لا » النافية قبل « بل » ^(١) بنوعيتها ؛ العاطفة (وهى المستوفية للشروط ^(٢)) ؛
وفى مقدمتها الدخول على المفرد (وغير العاطفة) وهى غير المستوفية للشروط ؛ كالدخلة
على الجملة (فإذا دخلت على العاطفة المسبوقة بكلام مثبت ، أو بصيغة أمر - كان
معنى « لا » النافية : تقوية الإضراب المستفاد من « بل » ، وتوكيده . وإن دخلت على
العاطفة المسبوقة بنهى أو نهى كان معنى « لا » تقوية النفى والنهى المستفادين من « بل » .
فمثالها بعد كلام مثبت قول الشاعر :

وجْهكَ البَدْرُ ، لا ، بل الشَّمْسُ لولم يُقْصَ للشمس كسفةً وأقولُ
ومثال وقوعها بعد النفى : ما عاقنى البرد ، لا بل المطر .

ومثالها بعد النهى : لا تُغْفِلِ الرياضة ، لا بل طول القعود .
وإن دخلت على غير العاطفة كان معناها تقوية الإضراب المستفاد من :
« بل » وتوكيده ؛ كقول الشاعر :

وما هجرْتُكَ ، لا ، بل زَادَنِي شَغْفًا هَجْرٌ ، وَبُعْدُ تَرَاحٍ لَا إِلَى أَجَلٍ

ج - ورد قليلا فى المسموع الفصيح ^(٣) زيادة « الواو » بعد « بل » كالتى
فى قول على رضى الله عنه : « إنما يحزن الحسدة أبداً ؛ لأنهم لا يحزنون لما ينزل
بهم من الشر فقط ، بل ولما ينال الناس من الخير » اه ^(٤) .
والأحسن عدم القياس على هذا ، لندرتة البالغة .

د - حكم الضمير بعدها إذا كان عائداً على المتعاطفين من ناحية المطابقة وعدمها
مدون فى رقم ٣ ص ٦٥٧ .

(١) كما أشرنا فى ص ٦٢٩ . (٢) بيان هذه الشروط فى ص ٦٢٥ .
(٣) أما فى غيره من كلام المولدين الذين يستأنس بكلامهم ولا يستشهد به ، فكثيرة الورد نيه
كثرة لا تغير الحكم السالف .
(٤) ورد هذا النص فى ص ١٢٨ من كتاب : « سجع الحمام » ، فى حكم الإمام - إخراج
وتحقيق على الجندى وزميله - .

ملخص حروف العطف ، وبيان ما يقتضى التشريك ،
وما لا يقتضيه .

من كل ما تقدم من الكلام على أدوات العطف يتبين :
(١) أنها حروف .

(٢) وأنها فى أغلب الحالات - تشرك المعطوف مع المعطوف عليه فى الضبط الإعرابى^(١) (رفعاً ، ونصباً ، وجراً ، وجزماً) وهذا هو التشريك اللفظى .

أما من جهة التشريك المعنوى فبعضها يشركه أيضاً فى معنى المعطوف عليه ؛ وينحصر هذا فى أربعة حروف : (الواو - الفاء - ثم - حتى) ؛ فهذه الأربعة تشرك المعطوف مع المعطوف عليه فى المعنى ، كما تشركه فى اللفظ إشراكاً إعرابياً - فى الغالب - كما أسلفنا .

وبعضها يشركه فى اللفظ دون المعنى ، فيثبت للمعطوف ما انتفى عن المعطوف عليه ، وهو : (بل - لكن) ، أو العكس ، فيثبت للمعطوف عليه ما انتفى عن المعطوف ، وهو : (لا) .

وبعض ثالث هو (أو^(٢) - أم) يشركان فى اللفظ كما يشركان فى المعنى ولكن بشرط ألا يقتضيا إضراباً^(٣) .

(١) وهناك حالات لا تشريك فيها فى الضبط الإعرابى ، كمطف الماضى على المضارع وعكسه . وعطف أحدهما على المشتق والعكس - كما سيحىء فى ص ٦٤٢ و ٦٤٩ و

(٢) وتشبهها « إما » من وجوه أوضحناها عند الكلام عليها - فى ص ٦١٢ - . لكن الصحيح اعتبارها غير عاطفة .

(٣) قالوا فى بيان هذا التشريك المعنوى . (إن القائل : أحمد فى الدار أم محمود - يعرف أن الذى فى الدار هو أحد المذكورين ، ولكنه لا يعلم - على وجه التعيين - من هو . فالذى بعد « أم » مساو للذى قبلها فى صلاحه لثبوت الاستقرار فى الدار وانتفائه . وحصول المساواة إنما هو بواسطة « أم » . فقد أشركتهما فى المعنى كما أشركتهما فى اللفظ . وكذلك : « أو » تشرك ما بعدنا لما قبلها فيما جاءت لأجله من شك ، أو تخيير ، أو غيرها . فإن اقتضيا إضراباً كانا مفيدين للتشريك فى اللفظ لا فى المعنى ...)
- راجع : « شرح التصريح » ، أول باب : « العطف » - .

(٣) وأن المتعاطفين إذا تكررا كان « المعطوف عليه » واحداً هو الأول :
إلا إذا كان حرف العطف يفيد الترتيب (مثل : الفاء ، وثم) ، فإن « المعطوف
عليه » واحد ، هو ما قبل حرف العطف مباشرة ^(١) .

(١) ويترتب على هذا أنه لوجاء بعد العاطف المفيد للترتيب وبعد معطوفه عاطف آخر
لا يفيد الترتيب - كالواو - لوجب أن يكون المعطوف عليه لهذا العاطف الذي لا يفيد الترتيب ، والمعطوف
الذي قبله مباشرة والذي أداة عطفه مفيدة للترتيب . (طبقاً للبيان الذي في رقم ٢ من هامش ص ٥٥٥
ورقم ٣ من هامش ص ٦٤٩ .

المسألة ١١٩ :

الفصل بين المتعاطفين

يجوز عطف الاسم الظاهر على مثله أو على الضمير ، ويجوز عطف الضمير على مثله أو على اسم ظاهر . لكن بعض هذه الصور يكون فيه الفصل بين المتعاطفين واجباً ، وبعض آخر يكون الفصل فيه مستحسنًا راجحاً ، وفي غير ما سبق يكون جائزاً^(١)

فأما الفصل الواجب في حالتين ، سبقت إحداهما^(٢) . وملخصها : أنه إذا عطف على المبتدأ الذى خبره نوع من الأنواع المقرونة بالفاء - وقد ذكرت هناك - أو على ما يتصل به من صلة ، أو صفة ، أو نحوهما وجب تأخير المعطوف عن الخبر ، إذ لا يجوز الفصل بين هذا الخبر ومبتدئه بالمعطوف ؛ ففي مثل : الذى عندك فتؤدب - لا يصح أن يقال : الذى عندك والخادم فتؤدب ، أو فتؤدبان ، وهكذا

٢ . والحالة الثانية التى يجب فيها الفصل - تبعاً لأرجح الآراء - هى التى يكون فيها المعطوف عليه مصدرّاً له معمولات ؛ فلا يجوز العطف عليه إلا بعد استيفائه كل معمولاته ، نحو : ما أحسن تقدير الأمة العاملين الخالصين لها ، وإكبارهم .

(١) ملاحظة : من الحالات الجائزة بعض صور بلينية تقدمت في ص ٤٣٥ ويشترط في الفصل الجائز ألا يكون بفواصل طويل ، ولم يحدد النحاة هذا الطول الذى يسترشد فيه بما جاء في كتاب : « المحتسب » ، لابن جنى - ج ٢ ص ٢٩٧ - حيث الكلام على معطوف مفصول من المعطوف عليه بثلاث جمل ، ونص كلامه في هذا العطف : (« قال أبو حيان : هذا بعيد ؛ لطول الفصل بجمل ثلاث ؛ وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب ، نحو : أكلت خبزاً ، وضربت فلاناً ، وإن يجيء فلان أكرمه ، ورحل إلى بني فلان - و « لحماً » ؛ . فيكون « ولحماً » معطوفاً على « خبزاً » ، بل لا يوجد مثله في كلام العرب » . ١ .

(٢) تفصيلها الذى لا غنى عن الرجوع إليه ، وبيان فروعها المختلفة - في ج ١ م ٤١ ص ٣٩١ (باب المبتدأ والخبر) .

وأما الحالتان اللتان يستحسن فيهما الفصل ويرجح^(١).

« فالأولى : أن يكون المعطوف عليه ضميراً مرفوعاً متصلاً ، سواء أكان مستتراً أم بارزاً ؛ فيستحسن عند العطف عليه فصله بالتوكيد^(٢) اللفظي أو المعنوي أو غيرهما أحياناً . فالفصل بالتوكيد اللفظي يتحقق بضمير مرفوع منفصل مناسب^(٣) نحو : (لقد كنت أنت ورفاقتك طلائع الإصلاح ، وكنتم أنتم والسباقون إليه موضع الإعجاب والتقدير) . فكلمة : « رفاق » معطوفة على : « التاء » وهي الضمير المتصل المرفوع البارز بعد توكيد لفظه بالضمير المرفوع المنفصل : « أنت » . وكذلك كلمة : « السباقون » معطوفة على الضمير البارز (التاء والميم) ، في « كنتم » بعد توكيده توكيداً لفظياً بالضمير المرفوع المنفصل : « أنتم » .

ومثال العطف على الضمير المتصل المرفوع المستتر مع الفصل : انتفع أنت وإخوانك^(٤) بتجارب السابقين .

والفصل بالتوكيد المعنوي يتحقق بوجود لفظ من ألفاظه بين المتعاطفين ؛ ومن الأمثلة قول الشاعر :

ذُعِرْتُمْ أَجْمَعُونَ وَمَنْ يَلِيكُمْ بَرُوْتِنَا ، وكنا الظافرينا
ويُعْنَى عن التوكيد بنوعيه — كما أسلفنا — وجود فاصل آخر أى فاصل بين المتعاطفين ؛ كالضمير « ها » في قوله تعالى في المؤمنين الصالحين : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ...) . ومثل « لا » النافية

(١) عند البصريين . أما الكوفيون . فلا يتمسكون بالفصل ولا يرون في خلأ الكلام منه عيباً ولا ضعفاً .

(٢) راجع حاشية التصريح ج ٣ باب : العطف ، عند الكلام على عود الحافض ...

(٣) لا فرق في هذا بين أن يكون المعطوف اسماً ظاهراً أو ضميراً .

(٤) كلمة : « إخوان » ، معطوفة على الفاعل المستتر وتقديره : « أنت » . أما كلمة « أنت » ضمير المخاطب المذكورة فتوكيد لفظي للفاعل المستتر ؛ ولا يصح إعرابها فاعلاً ؛ لأن فعل الأمر للواحد لا يرفع ضميراً بارزاً . ولا يصح إعرابها بدلاً عن الفاعل المستتر ؛ لأن الضمير لا يبدل من الضمير — كما في ب من ص ٦٨٣ —

وهناك إعراب آخر يفصله النحاة عن هذا ، وقد سبق في ص ٥٦٤ حيث البيان والإيضاح ، ونحن أيضاً في ص ٦٣٨ .

فى قوله تعالى : (سيقولُ الذينَ أشركوا لو شاءَ اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا » ،
وقد اجتمع الفصل بالتوكيد اللفظى وبحرف النى « لا » فى قوله تعالى : (وعُلِّمْتُمْ
ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ولا آباؤكم . . .) ،

ومن غير المستحسن فى النثر — مع جوازه — العطف على الضمير المستتر
المرفوع بغير فاصل على الوجه السالف ، نحو : (قَاوِمٌ ونظراًؤك أعوانَ السوء) ،
فقد عَطِفت كلمة : « نظراء » على الفاعل الضمير المستتر : (أَنْت) بغير فاصل ؛
ومنه العبارة المأثورة ^(١) : « مررت برجل سواء والعدم » . أى : متساو هو والعدم ،
فكلمة ، « سواء » اسم بمعنى المشتق ، وهى متحملة للضمير المرفوع . والعدم (بالرفع)
معطوفة على الضمير المستتر بغير فاصل بينهما ^(٢) . أما الشعر فقد يجوز
فيه عدم الفصل ، اضطراباً ؛ مراعاة لقبوده الكثيرة التى قد تفهّر الشاعر
على ترك الفصل . . ومن الأمثلة قول جرير يهجو الأخطل :

وَرَجَا الْأَخِيطْلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبْ لَهُ لَيْنَالَا

فقد عطف كلمة « أَب » على اسم « يكن » المرفوع المستتر بغير فاصل بينهما ^(٣) .
ومثله قول الآخر :

مَضَى وَبَنُوهُ ، وَانْفَرَدْتُ بِمَدْحِهِمْ وَأَلَفْتُ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدَ فَرْدُ

فقد عطف كلمة : « بنوه » على الضمير المرفوع المستتر فى : « مضى » بغير فاصل .

(١) وقد رواها سيبويه .

(٢) وهى مما استشهد به سيبويه على صحة ترك الفصل فى النثر .

(٣) وفيما سبق من العطف على الضمير المرفوع المتصل مع الفصل بين المتعاطفين يقول ابن مالك :

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرٍ رَفَعٍ مُتَّصِلٍ عَطِفتَ فَأَفْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُتَفَصِّلِ
أَوْ فَاصِلٍ مَّا . وَبِلَا فَصْلٍ يَرِدُ فِى النَّظْمِ فَاشْيَاءُ . وَضَعْفُهُ اعْتَقِدْ

وملخص البيتين : افصل بالضمير المتفصل بين المتعاطفين إذا كان المعطوف عليه ضميراً مرفوعاً
متصلاً . ولا يتعين أن يكون الفصل بالضمير وإنما يكفى الضمير أو غيره . ثم بين أن عدم الفصل فاش
(أى : كثير) فى الشعر ، وأنه مع كثرتة ضعيف لا يقاس عليه .

لكن كيف يكون كثيراً وفاشياً والقياس عليه ضعيف ؟ إن الكثرة تعارض الضعف ؛ ولذا كان
القياس هنا سائغاً فى الشعر بغير ضعف ، خلافاً لابن مالك .

والثانية : أن يكون المعطوف عليه ضميراً مجزوراً بحرف أو بإضافة ؛ فيستحسن عند أمن اللبس إعادة عامل الجر مع المعطوف ، ليفصل بين المتعاطفين ، فمثال المعطوف المجزور بحرف جر ^(١) «مُعَادَ : ما عليك وعلى أضرابك من سبيل إن أدتيم الواجب . فكلمة : « أضراب » معطوفة على الضمير الكاف المجزور بالحرف : « علكى » . وقد أعيد هذا الحرف مع المعطوف . والأصل ما عليك وأضرابك ، ومثل هذا قوله تعالى عن نفسه : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ^(١) اثْنِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً : قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . فكلمة : « الأرض » معطوفة على الضمير : « ها » المجزور باللام ، وقد أعيدت اللام مع المعطوف : والأصل : فقال لها والأرض . ومثله إعادة اللام في قول الشاعر :

فما لى وللأيام - لا درَّ درُّها - تشرق بي طوراً ، وطوراً ^(٢) تُغربُ

ومثال إعادة عامل الجر وهو اسم مضاف ^(٣) قوله تعالى : (قالوا نعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ...) . فكلمة : « آباء » معطوفة في الأصل على الضمير المضاف إليه ، وهو : « الكاف الأولى » ، فأعيد المضاف وهو : « إله » وذكر قبل المعطوف . وأصل الكلام : نعبُدُ إِلَهَكَ وَآبَائِكَ ...

هذا هو الكثير . وترك الفصل جائز أيضاً ، ولكنه لا يبلغ في قوته وحُسْنُه البلاغى درجة الكثير . ومن هذا قراءة قوله تعالى : (واتقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِِ الْأَرْحَامَ) . والتقدير : الذى تساءلون به وبالأرحام . أى : تستعطفون به وباسمه ، وبالأرحام ؛ بعطف كلمة : « الأرحام » على الضمير المجزور بالباء ؛ وكقول الشاعر :

(١١) الرأى المختار أنه إذا أعيد عامل الجر فالمعطوف هو الجار والمجرور معاً ، وليس المجزور على المجزور ، لتلا يلزم إلغاء عامل ، أى : تركه زائداً موهوماً ، لا أثر له إلا مجرد الفصل . ومن الأمثلة - أيضاً - لإعادة الجار في المعطوف ، اللام في قوله تعالى : (رب اغفر لى ولوالدى ، وإن دخل بى مؤمناً ، والمؤمنين والمؤمنات) .

(٢) سبق هذا البيت للمناسبة السالفة في ج ٢ م ٨٠ ص ٢٤٦ .

(٣) إنما يعاد العامل الاسمى (وهو المضاف) بشرط ألا توقع إعادته في لى ، فإن أوقعت في لى لم يجر إعادته ، نحو : جاءنى سيارتك وسيارة محمود ، وأنت تريد سيارة واحدة مشتركة بينهما . وهذا المنع إذا لم توجد قرينة تزيل اللبس .

اليوم قَدْ بَتَّ^(١) تهجونا وتشتئنا فاذهب، فمابك والأيام من عَجَبِ
 أى : وبالأيام . وقول بعض العرب : ما فى الدار غيره وفرسه ، يجر
 كلمة : « فرس » المعطوفة على الهاء من غير إعادة الجار وهو الاسم المضاف^(٢) .

(١) فى رواية أخرى : اليوم قربت . . .

(٢) يقول ابن مالك فى تكرار الخافض مع المعطوف إذا كان المعطوف عليه ضميراً مجروراً :

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفِضَ لَازِماً قَدْ جُعِلَا
 وَلَيْسَ عِنْدِي لَازِماً : إِذْ قَدْ أَتَى فِي النَّشْرِ وَالنَّظْمِ الصَّحِيحِ نُشْبَتَا

يقول : « جُعِلَ عود الخافض على المعطوف الذى وصفناه - أمراً لازماً عند النحاة ، ولكنه ليس بلازم فى رأى وحكمى ؛ لأن عدم إعادته أمر ثابت تحقق فى النظم والنثر للواردين عن العرب . أى : أمر تؤيده الأمثلة الصحيحة نظماً ونثراً ، وثبتت أن إعادته ليست باللازمة .

المسألة ١٢٠ :

صور من الحذف في أسلوب العطف .

حذف بعض حروف العطف مع معطوفها :

من حروف العطف ثلاثة يختص كل منها بجواز حذفه مع معطوفه بشرط أمن اللبس . — كما سبق عند الكلام عليها^(١) — وهذه الثلاثة هي : الواو ، والفاء ، وأم المتصلة . فمثال حذف الواو مع معطوفها للدليل : أنقذت الفريق ولم يكن بين الموت إلا لحظات . أى : لم يكن بين الموت وبينه

وقول الشاعر :

إني مقسمٌ ما ملكتُ ؛ فجاعلٌ قسماً لآخره ، ودنيا تنفع ...

يريد : وقسم — دنيا ، أى : وقسماً لدنيا . ومثل قول الآخر :

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حُجْر^(٢) إلا ليالٍ قلائلُ

أى : بين الخير وبينى . ومما يصلح لهذا أيضاً قول بعض العرب : (راكبُ الناقة طليحان^(٣)) ، والتقدير : راکبُ الناقة والنَّاقة طليحان .

ومثال حذف الفاء مع معطوفها للدليل قوله تعالى : (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه^(٤) — أن اضرب بعصاك الحجر فانحجست^(٥) منه اثنتا عشرة عيشة^(٦)) ، الأصل : فضرِب فأنحجست^(٦) . وقوله تعالى :

(١) ص ٥٥٧ و ٥٧٤ و ٥٨٦ — مع ملاحظة أن المحذوف قد يترك معمولا مذكوراً في الكلام أحياناً (كبعض الأمثلة التي في ص ٥٦٣ « أ » و ٥٧٦ وغيرها من الأمثلة المعروضة عند الكلام على أحكام تلك الأحرف) أو لا يترك معمولا له ؛ كالأمثلة المعروضة هنا .

(٢) كنية رجل اسمه : النعمان بن الحارث .

(٣) أصابهما التعب والإدْيَاء . (وقد سبقت الإشارة هذا في ص ٥٦٢) .

(٤) طليوا منه الماء السقي ؛ (٥) تفجرت .

(٦) هذه الجملة الفعلية المكونة من الفعل : « انجس » وفاعله ، معاودة على الجملة الفعلية المكونة من الفعل : « ضرب » المحذوف . وإنما لم يكن المطف على الأول (أوحينا) لما سبق —

(وإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ، فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ)
 مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا . . .) ، أَى : فَضْرِبْ فَانْفَجَرَتْ ، وتسمى هذه
 الفاء المذكورة فى الكلام ، والى تعطِيفُ ما بعدهما على الفاء المحذوفة مع معطوفها :
 « فاء الفصيحة ^(١) » .

ومثال حذف « أم » المتصلة ومعها معطوفها بدليل - وحذفهما ، قليل -
 قول الشاعر :

وقال ، صَحَابِي : قَدْ غُيِّنَتْ ، وَخِلَتْنِي
 غُيِّنَتْ . فما أَذْرَى أَشْكُلُكُمْ ^(٢) شَكْلِي ؟ ...
 والأصل : أَشْكُلُكُمْ شَكْلِي أمْ غَيْرُهُ ، ؟ وكقول الآخر :
 دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ ، إِنِّي لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ ، فما أَذْرَى : أَرشُدُ طِلَابُهَا ؟
 والتقدير : أَرشُدُ طِلَابُهَا أمْ غَيٌّ ^(٣) ؟

* * *

حذف المعطوف :

تنفرد الواو بجواز عطفها عاملاً قد حذف وبقى معموله المرفوع أو المنصرب
 أو المجرور ، فمثال المعمول المرفوع قوله تعالى لآدم : « اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
 الْجَنَّةَ » فلكمة : « زوج » فاعل بفعل محذوف ، والجملة من الفعل المحذوف
 وفاعله المذكور معطوفة على الجملة الأمرية المكونة من فعل الأمر : « اسكن »

= تقريره رقم ٢ من هامش ص ٥٥٥ وفى رقم ٣ من هامش ص ٦٤٩ من أن المعطوفات المتعددة يكون
 معطوفها واحداً هو الأول . إلا إذا كان حرف العطف يقتضى الترتيب ، فيكون المعطوف عليه هو
 ما قبله مباشرة .

(١) وهذا النوع هو الذى سبقت (فى ص ٥٧٦) الإشارة والإحالة على ما جاء خاصاً به هنا .
 وسميت « فاء الفصيحة » لأنها أفصح ، (أَى : بينت) وكشفت عن المحذوف ، ودلت عايه وعلى
 مانشأ عنه . ولأنها - أحياناً - تفصح عن جواب شرط مقدر ؛ فى الآية الأولى دلت الفاء على المحذوف
 وعلى أن الضرب كان سبباً فى الانجاس . أوىةال : إن كان موسى قد أطاع الأمر وضرب الحجر فعاداً تم
 بعد ذلك ؟ فالجواب : انبجست منه اثنتا عشرة عيناً .

(٢) طريقكم .

(٣) وقيل إن الهمزة للتصديق ، فلا تحتاج إلى معادل .

وفاعله . والتقدير : اسكنْ أنت ، وليَسْكُنْ زَوْجُكَ^(١) . والسبب في هذا أننا لو أعربنا كلمة : « زوج » معطوفة بالواو على الفاعل المستتر لفعل الأمر لكان العامل في المعطوف (زوج) هو العامل في المعطوف عليه ، أى : في الفاعل المستتر . فيكون الفعل : « اسكنْ » عاملاً في فاعله ، وفي كلمة : « زوج » ، فهو الذى رفع كلمة « زوج » وهى بمنزلة الفاعل بسبب عطفها على الفاعل ويترتب على هذا أن يكون فاعل الأمراسماً ظاهراً مع أن فعل الأمر لا يرفع الظاهر .

هذا تعليلهم . وهو تعليل مرفوض ، يعارضه ما يرددونه كثيراً من أنه : « قد يُغْتَفَرُ فى التابع مالا يُغْتَفَرُ فى المتبوع » ، أو : « قد يغتفر فى الثانى مالا يغتفر فى الأوائل » . فإذا امتنع أن يقع الاسم الظاهر فاعلاً لفعل الأمر مباشرة فلن يمتنع أن يكون المعطوف على هذا الفاعل اسماً ظاهراً ، لأنه تابع أو ثان ينطبق عليه ما سبق من التوسع والتيسير ؛ فلا داعى للتكلف والتقدير . . .

ومثال المعمول المنصوب قوله تعالى فى أنصار الدين (والذين تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ . . .) ، ومعنى تَبَوَّءُوا الدارَ أعدوها للسكنى . وهذا المعنى مناسب للدار ؛ لكنه غير مناسب للإيمان ، إذ لا يقال على سبيل الحقيقة : هينوا الإيمان للسكنى ؛ ومن ثم أعربت كلمة : « الإيمان » مفعول لفعل محذوف تقديره : « أَلِفُوا » وهذه الجملة الفعلية المحذوفة معطوفة بالواو على الجملة الفعلية التى قبلها . ومنه قول الشاعر :

إذا ما الغانياتُ برَزْنَ يوماً وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعيونا
أى : وكحلن العيون ؛ لأن التزجيج (وهو ترقيق الحاجب بأخذ بعض الشعر منه كى يصير منحنياً كالقوس) لا يصلح للعيون .

ومثال المعمول المحرور قولهم : ما كلُّ سُوداءَ فحمةً ، ولا بيضاءَ شحمةً . فكلمة : « بيضاء » مجرورة بمضاف محذوف معطوف على « كُلِّ » ، والأصل « ولا كلُّ بيضاء شحمة » . والداعى للتقدير هنا هو الفرار من العطف على معمولى عاملين مختلفين .

(١) قد سبق (فى رقم ٣ من هامش ص ٥٦٤) إعراب آخر لبعض النحاة ، بمقتضاء تكون . . . « زوجك » معطوفة على الضمير المستتر الفاعل . وأنه لا يصح إعرابه بدلا من الفاعل المستتر ، ونجى له مناسبة فى ص ٦٥٧ .

ولإيضاح^(١) هذا أن كلمة : « سوداء » مضاف إليه فهي معمول ، عامله هو المضاف ؛ (لفظة : « كُلّ » المذكورة) وأن « فحمة » خبر « ما » الحجازية فهي معمول ، عامله : « ما » ، فالعاملان مختلفان ، وكذلك معمولان . فلو عطفنا « بيضاء » على « سوداء » ، و « شحمة » على « فحمة » لزم العطف بعاطف واحد (هو : الواو) على معمولين مختلفين لعاملين مختلفين — كما يقولون — وهذا لا يبيحه كثرة النحاة ... إذ يجب أن يكون العامل في المتعاطفين واحداً ، لا أكثر . وهذا الرأي أحق بالاتباع^(٢) ...

ملاحظة : من موضوعات الحذف الهامة : « حذف الموصول » وقد سبق تفصيل الكلام عليه^(٣) .

* * *

حذف المعطوف عليه ، (أى : المتبوع) :

يصح عند أمن اللبس — حذف المعطوف عليه وحده إذا كانت أداة العطف هي : [الواو ، أو : الفاء ، أو : أم المتصلة ، أو : « لا » العاطفة^(٤)] . . .

فمثال حذفه مع بقاء الواو^(٥) أن يقول قائل : مرحباً بك . فتجيب : وبك وأهلاً وسهلاً ؛ أى : ومرحباً بك وأهلاً وسهلاً . فالحار والجرور : (بك) متعلقان بكلمة : مرحباً « المحذوفة » . « وأهلاً » : الواو حرف عطف ، « أهلاً » ، معطوفة على : « مرحباً » المحذوفة ، فالمعطوف عليه محذوف . و « سهلاً » « الواو » حرف عطف . « سهلاً » معطوفة على « مرحباً » المحذوفة فالمعطوف عليه هو المحذوف^(٦) .

(١) سبق — فى ص ١٥٩ — بيان شاف لهذا فى باب الإضافة ، عند الكلام على حذف المضاف ، وله مناسبة أخرى فى ص ٥٦٤ . (٢) وفى مواضع الحذف السالفة يقول ابن مالك مقتصراً على بعضها : « والفاء » قَدْ تُحْذَفُ مَعَ مَا عَطَفَتْ . « والواو » ، إِذْ لَا لَبْسَ . وَهِيَ انْفَرَدَتْ : بِعَظْفٍ عَامِلٍ مُزَالٍ قَدْ بَقِيَ مَعْمُولُهُ ؛ دَفْعاً لَوْ هُمُ اتَّقَى (عامل مزال ، أى : أزيل عن مكانه ، والمراد حُذِفَ) وقد بين فى البيت الثانى أن ادعائى لتقدير المحذوف دفع وهم لا يستقيم الأمر إلا بدفعه وإزالته .

(٣) فى الجزء الأول م ؟ بعنوان : حذف الموصول الأسمى (٤) انظر : « ب » من ص ٦٢٢ .

(٥) انظر « الملحوظة » التى فى الصفحة الآتية متعلقة بصورة من صور حذف المعطوف

« بالواو » ، مع بقاء واو .

(٦) ون الأشلة أيضاً لحذف المعطوف عليه مع بقاء حرف العطف (الواو) قوله تعالى :

« أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يَكُ شَيْئاً .. ؟ » أى أنسى ولا يذكر .. ؟

فالمعطوف عليه المحذوف هو القمل : نسي .

ومثال الحذف مع بقاء الفاء قوله تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...) . والتقدير: أمكثوا فلم يسيروا^(١)... ومثال الحذف مع بقاء « أم » المتصلة قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ...) . والتقدير : أعلِمْتُمْ أَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَسِيرُ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ .

ومثال الحذف قبل « لا » العاطفة : (عاهدت نفسي أَنْ أَعْمَلَ الْخَيْرَ... لَاقِيلًا ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ... لَابَعْضِ الْأَوْقَاتِ) والأصل : أَنْ أَعْمَلَ الْخَيْرَ كَثِيرًا لَاقِيلًا ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ كُلِّ الْأَوْقَاتِ لَابَعْضِ الْأَوْقَاتِ .

« ملحوظة » — من أمثلة حذف المعطوف عليه مع بقاء حرف العطف : « الواو » ، ما سجله ابن جني في كتابه المسمى : « تفسير أرجوزة أبي نُوَّاسٍ فِي تَقْرِيطِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ^(٢) » . قال عند شرحه بيت أبي نُوَّاسٍ :

(وبلدة فيها زورَ صَعْرَاءُ تحظى في صَعْرَ)

ما نصه الحرفي : « (قوله : وبلدة) .. قيل في هذه الواو قولان ، أحدهما : أنها للعطف ، والآخر : أنها عوض من « رَبِّ » ؛ فكأنهم إنما هربوا من أَنْ يجعلوها عاطفة لأنها في أول القصيدة ، وأولُ الكلام لا يُعْطَفُ . ولا يمتنع العطف على ما تقدم من الحديث والقصص ؛ فكأنه كان في حديث ، ثم قال : وبلدة . فكأنه وكلُ الكلام إلى الدلالة في الحال . ونظير هذا قوله تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر...) فالضمير (الهاء) يراد به القرآن ، وإن لم يجر للقرآن ذكر .

(١) قد سبق إيضاح الكلام على الحذف في هذه الآية وأشباهاها (من هامش ص ٥٧١) وأن فيها رأيين ؛ أحدهما : يرى الفاء قد عطفت جملة فعلية مذكورة على أخرى محذوفة بعد الهمة في مكانها الأصل . والثاني : يرى أن الهمة تقدمت من تأخير ؛ للتنبية على أصالتها في التصدير ، وبحلها الأصل بعد إفاء . والتقدير : فأنهم يسيروا... والجملة بعد العاطف محذوفة على أخرى مماثلة لها خبراً وإنشاء ، محذوفة ، ومكانها قبل الهمة والعاطف . وفي الحذف المذكور يقول ابن مالك بيتاً نصفه الأول هو الذي يتصل بالحذف ، ونصفه الثاني يتعلق بقاعدة أخرى سيذكر منها في ص ٦٤٤ .

وَحَذَفَ مَتَّبِعُ بَدَا هُنَا اسْتَبِيحَ وَعَطَفَكَ الْفِعْلُ عَلَى الْفِعْلِ يَصِحُّ

(٢) ص ٩ من الطبعة التي أعرجها وحققها الأستاذ بهجة الأثري .

وكذلك قوله تعالى : « (حتى توارت بالحجاب) » يعنى الشمس ؛ فأضمـرها وإن لم يجر لها ذكر . وهذا فى كلام العرب واسع فاش) « اه كلام ابن جنى ^(١) . . .

* * *

حذف حرف العطف وحده :

أشرنا من قبل ^(٢) إلى أنه يجوز حذف العاطف وحده ولا يكون هذا إلا فى الواو ، والفاء ، وأو . فمثال الواو قوله عليه السلام : « تصدقَ رجل ، من ديناره ، من درهمه ، من صاع بُرّة ، من صاع تَمْرِهِ . . . » ، وما نقل من قول بعض العرب : أكلتُ خبزاً ، لحماً ، تمرّاً ، وقول الشاعر :

كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ مِمَّا يَغْرِسُ الْوُدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ
ومثال الفاء : قرأت الكتاب باباً باباً ، وادخلوا الغرفة واحداً واحداً .
والتقدير باباً فباباً ، وواحداً فواحداً .

ومثال « أو » قولهم : أعطِ الرجلَ درهمًا ، درهمين ، ثلاثة . . .

* * *

تقديم المعطوف على المعطوف عليه :

ورد فى المسموع تقديم « المعطوف » بالواو — دون غيرها — على المعطوف عليه ، وهو تقديم شاذ — لا يجوز القياس عليه ^(٣) — ومنه قول الشاعر :

وأنت غريم لا أظن قضاءه (ولا العنزى القارظـ). الدهر—جائيا
أى : جائياً هو ، ولا العنزى . وقول الآخر ^(٤) :

أيا نخلةً من ذات عِرْقٍ عليك ورحمة الله السلام

(١) ويوضحه بل يؤيده ويقويه ما جاء فى « المغنى » — ج ٢ — عند كلامه فى الباب الأول على : « حرف الواو المفردة » ، ومنها : الواو الجارة .
بقى أن نسأل : هل هناك ما يمنع من صحة اعتبار « الواو » للاستئناف فى بيت أبى نواس ؟
لا أرى مانعاً .

(٢) فى ص ٥٧٥ .

(٣) لهذا إشارة فى رقم ٢ من هامش ص ٥٥٧ وفى رقم ٥ من ص ٦٥٨ .

(٤) هو : الأحوص .

المسألة ١٢١ :

عطف الفعل على الفعل أو على ما يشبهه ، والعكس ،
وعطف الجملة على الجملة ^(١) .

١ - عطف الفعل وحده على الفعل كذلك :

عرفنا فيما سبق أن عطف الاسم وحده على الاسم يُعَدّ من عطف المفردات ^(٢)
بعضها على بعض ، كقول الشاعر :

وكلُّ زَادٍ عُرْضَةٌ لِلنَّفْسَادِ غيرِ التَّقَى ، وَالْبِرِّ ، وَالرَّشَادِ

وكما يجوز عطف الاسم وحده على نظيره في الاسمية عطف مفردات - يجوز
عطف الفعل - وحده من غير مرفوعه ^(٣) - على الفعل وحده عطف مفردات أيضاً ؛
محو : « إذا تعرّضَ وتصدّى المرءُ لكشف معائب الناسِ مَزَقُوهُ بسهامِ
أقوالهم وأعمالهم . وهي سهام لن يستطيعَ أو يقدرَ أحد على احتمالها ^(٤) » . فالفعل :
« تصدّى » معطوف وحده على الفعل : « تعرّض » وكذا الفعل : « يقدر »
معطوف وحده على الفعل « يستطيع ^(٥) » وكل هذا من عطف المفردات ؛ إذ لم
يشترك الفاعل - هنا - مع فعله في العطف . فلو اشترك معه لكان العطف عطف
جملة فعلية على جملة فعلية ^(٦) . . .

ويشترط لعطف الفعل على الفعل أمران :

(١) أما عطف الاسم المفرد على الجملة والعكس ، فيجىء في رقم ٦ من ص ٦٥٩ .

(٢) سبقت (الإشارة في رقم ٣ من هامش ص ٥٥٧) إل أن المفرد هنا : ما ليس جملة ،

ولا شبه جملة .

(٣) لأن الفعل مع مرفوعه جملة ، سواء أكان مرفوعه فاعلاً أم نائب فاعل . . .

(٤) راجع ما يتصل بهذا في انزيادة ص ٦٤٥ . وبيان نوع العطف فيه .

(٥) بدليل نصب المضارع المعطوف (وهو : يقدر) إذ لو كان العطف جملة على أخرى لوجب رفع

هذا المضارع - وسيجيء الإيضاح في ص ٦٤٥ - .

(٦) والفرق كبير - لفظياً ومعنوياً - بين عطف الفعل وحده على الفعل وحده وعطف الجملة

على الفعلية - كما سيجيء هنا -

أولهما : اتحادهما في الزمن^(١) ؛ بأن يكون زمنهما معاً ماضياً ، أو حالاً ، أو مستقبلاً ؛ سواء أكانا متحدين في النوع (أى : ماضيين ، أو : مضارعين^(٢)) أم مختلفين ؛ فلا يمنع من عطف أحدهما على الآخر تخالفهما في النوع^(٣) . إذا اتحدا زماناً . فمثال اتحادهما زماناً ونوعاً ، قوله تعالى : (وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ...)^(٤) . وقول الشاعر في مدح عالم :

سَعَى وَجَرَى^(٥) لِلْعَلَمِ شَوْطًا يَرُوقُهُ فَادْرَكَ حَظًّا لَمْ يَنْلُهُ أَوَائِلُهُ

ومثال اتحادهما زماناً مع اختلافهما نوعاً : عطف الماضي على المضارع في قوله تعالى بشأن فرعون : (يَقْدُمُ^(٦) قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) ، فالفعل : « أوردَ » ماض ، معطوف بالفاء على الفعل المضارع : « يقدم » وهما مختلفان نوعاً ، لكنهما متحدان زماناً ؛ لأن مدلولهما لا يتحقق إلا في المستقبل (يوم القيامة)^(٧) ...

ومثال عطف المضارع على الماضي قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي إِنَّ

(١) كما سبق في الجزء الأول عند الكلام على زمن المضارع - أما اختلافهما في الزمن فقد يجعل العطف عطف جملة على جملة ، بشرط الاتحاد خبراً وإنشاء ، كما سيجيء في عطف الجملة الفعلية ص ٦٣٠ .
(٢) أما فعل الأمر بدون فاعله فلا يكون معطوفاً ، ولا معطوفاً عليه ؛ لأنه لا يفارق فاعله ، ولا يفصل أحدهما عن الآخر ، لا لفظاً ولا تقديراً ؛ كأفعال الأوامر التي فاعلها ضمير ظاهر أو مستتر في الآية الكريمة الآتية ، وهي : « (ربنا إنا سمعنا مُنادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتينا ما وعدتنا على رؤسنا ، ولا تُخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ») - كما سيجيء الإشارة في رقم ١ من هامش ص ٦٤٩ - ويفهم من كلام « الصبان » جواز عطف فعل الأمر وحده ، وهذا بعيد . والرأى الأول هو السديد .

(٣) راجع مايتصل بهذه المسألة الهامة في ج ١ ص ٣٩ م ٤ .

(٤) انظر الزيادة ص ٦٤٥ كى يتضح منها أن العطف هنا عطف فعل وحده على فعل وحده ، لا جملة فعلية على جملة فعلية .

(٥) يصلح العطف هنا أن يكون عطف فعل ماضٍ وحده على نظيره ، وأن يكون عطف جملة ماضوية على نظيرتها (انظر البيان في ص ٦٤٥) .

(٦) يتقدم .

(٧) ومثل هذا قوله تعالى : (« وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ») ...

شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،
وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا...) فالفعل : « يجعل » مضارع مجزوم ؛ لأنه
معطوف على الفعل الماضي : « جَعَلَ » المبني في محل جزم^(١) ؛ لأنه جواب
الشرط . وصحَّ العطف لاتحاد زمانيهما الذي يتحقق فيه المعنى^(٢) ، وهو الزمن
المستقبل ...

ثانيهما : اتحادهما إن كانا مضارعين في العلامة الدالة على الإعراب — (من
حركة أوسكون ، أو غيرهما) — ويتبع هذا اتحاد معنيهما في النفي والإثبات ؛ فإذا
كان « المعطوف عليه » مضارعاً مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجزوماً ، وجب
أن يكون المضارع « المعطوف » ، كذلك . وأن يكون معنى المعطوف كالمعطوف
عليه في النفي والإثبات ؛ فكما يتبعه في علامات الإعراب يتبعه فيهما معنى .
فمثال المرفوعين : يفيضُ فيغرقُ نهرُنَا الخيرُ على الوادى .

ومثال المنصوبين : لن يفيضَ النهر فيغرقَ الساحل . ومثال المجزومين :
لم يفيضَ نهرنا فيغرقَ ساحله^(٣)

(١) طبقاً للقاعدة الخاصة بهذا (في باب الجوازم — ج ٤ م ١٥٧ ص ٣٤٧) وتقضى بأن
الماضي الواقع في جواب الشرط يكون مبنياً في محل جزم ، وأنه وحده الجواب ، لا الجملة الفعلية المركبة منه
ومن فاعله معاً .

(٢) كان الزمن مستقبلاً مع أن المعطوف عليه فعل ماضٍ — وهو فعل الشرط — لأن أداة
الشرط الجازمة تقتضى حتماً أن يكون زمن فعل الشرط والجواب مستقبلاً ؛ فإذا كان أحدهما فعلاً ماضياً في
لفظه وجب أن يكون زمنه مستقبلاً .

(٣) وقد اكتفى ابن مالك في الكلام على عطف الفعل على الفعل بالشرط الثاني من البيت الذي
سبق عرضه في ص ٦٤٠ لمناسبة أخرى تضمنها صدره ؛ يقول :

وَحَذَفَ مَتَّبِعُوعٍ بَدَا هُنَا اسْتَبِيحَ وَعَظَفُكَ الْفِعْلُ عَلَى الْفِعْلِ يَصِحُّ

(بدا = ظهر ، والمراد أنه مذكور في الكلام) (استبح = اجعله مباحاً) . (يصحح : أصلها :

يصحح ، — بالتشديد مع التسكين — وخففت الحاء الساكنة لوزن الشعر) .

زيادة وتفصيل :

نصب المضارعين معاً ، أو جزمهما معاً بغير تكرار الناصب والجازم قبل الفعل المضارع المعطوف ، دليل قاطع على أن العطف عطف فعل وحده بغير مرفوعه على فعل وحده كذلك ، وليس عطف جملة على جملة ؛ لأن عطف الجملة الفعلية على الفعلية بغير تكرار أداة النصب أو الجزم يستلزم - حتماً - أن يكون المضارع المعطوف غير منصوب ولا مجزوم ؛ إذ نصبه أو جزمه يوجب أن يكون عطف فعل وحده على فعل كذلك .

أما رفع المضارعين معاً - في مثل : يشتدُّ البرد فتسُهاجرُ طيور كثيرة إلى بلاد دافئة - فلا دليل معه على أن العطف عطف مضارع مفرد على نظيره المفرد ، أو عطف جملة مضارعية على جملة مضارعية (أى : عطف مضارع مع فاعله ، على مضارع مع فاعله) ، فمثل هذا الكلام صالح للأمرين عند عدم القرينة التي تعينه لأحدهما ^(١) . . . وكذلك العطف في قول الشاعر :

قد يُنعم الله بالبلوى - وإن عظمت -
ويبتلى الله بعض القوم بالنعيم

فيصح أن يكون المعطوف هنا جملة مضارعية هي : « يبتلى الله » ، والمعطوف عليه جملة مضارعية كذلك ، هي : « ينعم الله » ؛ ويصح أن يكون المتعاطفان مفردين هما المضارعان ، ومثل هذا يقال في الماضي في نحو : (إذا تعرضَ وتصدَّى المرء لكشف معايب الناس مزقوه بسهام أقوالهم وأفعالهم . . .) ^(٢) . حيث يجوز الأمران ، لعدم وجود قرينة تعين نوع العطف ؛ أهو عطف فعل ماضٍ وحده على ماضٍ وحده أم عطف جملة

(١) ومنه قول الشاعر :

وإني لمشتاق إلى ظل صاحبٍ يرقّ ويصفو إن كدّرت عليه

(٢) وكذلك قول الشاعر :

قد هوّن الصبرُ عندى كلّ نازلةٍ ولين العزمُ حدَّ المركب الخشن

ماضوية على جملة مثلها ؟ بخلاف العطف في قوله تعالى عن الكافرين :
(وكذبوا واتبعوا أهواءهم ...) حيث يتعين أن يكون عطف جملة ماضوية على
جملة ماضوية ، لوجود فاعل غير مستقل هو الضمير المتصل - لكل فعل
ماض منهما ^(١) ...

ومما سبق يتبين الفرق اللفظي بين عطف الفعل على الفعل وعطف الجملة
الفعلية على الفعلية ^(٢) ، وهو فرق دقيق خفي على بعض العلماء المشتغلين بالنحو
قديمًا ، فقد نُقل عن أحدهم قوله : إني لا أتصور لعطف الفعل على الفعل مثالا ؛
لأن نحو : قام على وقعد حامد ^(٣) - يكون فيه المعطوف جملة لافعلا ، وكذا :
قام وقعد على ، لأن في أحد الفعلين ضميراً ؛ فيكون فاعلا له ، ويكون
الاسم الظاهر فاعلا للآخر ؛ ففي الكلام جملتان معطوفتان . فقبل له : ماذا
ترى في مثل : يعجبني أن تقوم وتخرج ؛ بنصب المضارعين ، وفي مثل :
لم تقم وتخرج ؛ بجزمهما . وفي مثل : يعجبني أن يقوم محمود ويخرج
حليم ، وفي مثل : لم يقم محمود ويخرج حليم ... ؟ فالفعل في الأمثلة

(١) ولهذا السبب نفسه يتعين أن يكون العطف عطف جملة مضارعية على جملة مضارعية في
قوله تعالى : (الذين يُنفقون أموالهم في سبيلِ الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى ؛ لم أجرهم
عند ربهم ، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ..) - لوجود فاعل غير مستقل هو ضمير متصل لكل من
المضارعين : يُنفقون ويتبعون . وفي الآية أنواع أخرى من العطف .

(٢) سيجي هذا إشارة في « البدل » أيضاً ، ص ٦٦١ .

(٣) وقد اجتمع عطف الفعل وحده على الفعل وحده ، وعطف الجملة المضارعية على المضارعية في قوله
تعالى مخاطب المؤمنين الأولين في أمر أهل النفاق والغدر ونقض المهود ؛ فيقول : « قاتلوهم يذهبهم الله
بأيديكم ، ويُخزهم ، وينصرهم كم عليهم ، ويشفر صدور قوم مؤمنين ، ويُذهب غيظ قلوبهم .
ويتوب الله على من يشاء ... ») فقد جازمت الأفعال : (يُخز - ينصر - يشفر - يذهب)
لأنها معروفة على المضارع « يذهب » المجزوم في جواب الأمر . أما المضارع « يذهب » فرفوع ؛ لأنه مع فاعله
معطوف على المضارع « يذهب » مع فاعله ، فهو عطف جملة مضارعية على مضارعية ، ولا يصح أن يكون
عطف مضارع وحده على مضارع وحده ؛ وإلا وجب أن يكون المعطوف مجزوم اللفظ كالمعطوف عليه .
هذا ، ويصح أن تكون الواو للاستئناف ، لا للعطف .

السالفة منصوب أو مجزوم ؛ فما الذى نصبه أو جزمه ؟ قلولا أن العطف للفعل وحده لم يمكن نصبه أو جزمه . . .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الفرق اللفظى فى عطف الفعل على الفعل ، يترتب عليه فرق معنوى كبير من ناحية النفى والإثبات . فالفعل إذا كان هو « المعطوف » وحده فإنه يتبع الفعل « المعطوف عليه » فيهما ؛ كما يتبعه فى الإعراب ؛ طبقاً لما سبق^(١) وهذه التبعية فى النفى قد تفسد المعنى المراد — أحياناً — لو جعلنا الكلام عطف جُمْلٍ ؛ فعطفنا كل فعل مع فاعله على الآخر مع فاعله ، أى : أن المعنى قد يختلف كثيراً باختلاف نوعى العطف ، أهو عطف فعل وحده على آخر ، أم جملة فعلية على مثلتها الجملة الفعلية ؟ يتضح هذا من المثال التالى : لم يحضر قطارٌ ويسافر يوسف . بعطف « يسافر » على « يحضر » عطف فعل مفرد على نظيره المفرد ، فيكون « يسافر » مجزوماً . والمعنى نفي حضور القطار ، ونفي سفر يوسف أيضاً ، فالحضور لم يتحقق ، وكذلك السفر ، فالأمران لم يتحققا قطعاً .

أما إن كان الفعل : « يسافر » مرفوعاً فيتعين أن يكون العطف عطف جملة فعلية على جملة فعلية ؛ تحقيقاً لنوع من الربط والاتصال بينهما . ويتعين أن يكون المعنى عدم حضور القطار . أما يوسف فسفره يحتمل أمرين باعتبارين مختلفين ، فعند اعتبار الجملة الثانية مثبتة لم يتسرب إليها النفي من الأولى يكون يوسف قد سافر . وعند اعتبارها منفية لتسرب النفي إليها من الأولى يكون يوسف قد والقرينة هى التى تعين سريان النفي من الأولى إلى الثانية ، أو عدم سريانه^(٢) . ومن أمثلة فساد المعنى الذى يترتب على عطف الفعل وحده على الفعل وحده

(١) فى ص ٦٤٢ .

(٢) ويصح أن تكون الواو للاستئناف ؛ فالجملة بعدها مستقلة ، لا علاقة لها بما قبلها فى الإعراب . . . ولا فى النفى والإثبات . ويصح أن تكون الواو للحال والمضارع بعدها مرفوع عند من يميز للربط بها وحدها — كما تقدم فى باب الحال ، ح ٢ — فالجملة بعدها فى محل نصب ، ولا يسرى إليها النفي من الأولى . ولا يصح الالتجاء إلى أحد هذه الأوجه — أو غيرها — إلا إذا وافق المعنى ، وسائر

— لا عطف جملة فعلية على جملة فعلية — قولك : (الطالب النابغة لا يتأخر مكانه عن المقام الأول ، أو يكونُ في المقام الثاني . . .) إذا كان المراد أنه في المقام الأول أو الثاني . فلو عطفنا المضارع « يكون » على المضارع « يتأخر » اُصَارَ منفيّاً حتماً مثل المعطوف عليه قطعاً ، ولصار المعنى : لا يتأخر عن المقام الأول ، أو لا يكون في المقام الثاني ، وهذا غير المراد ، أما عطف الجملة الثانية كاملة على الأولى كاملة فلا يستلزم نفي الثانية فيجوز أن تبقى مثبتة المعنى إن اقتضى الأمر الثبوت برغم أن الأولى منفية — كما في هذا المثال — .

ومما سبق يتبين أن عطف الفعل على الفعل يوجب سريان النفي من المتبوع إلى التابع ، فهما يشتركان في النفي كما يشتركان في الإثبات ؛ وفي علامات الإعراب . بخلاف عطف الجملة على الجملة ؛ فإن النفي فيه لا يسرى من المتبوع إلى التابع إلا بقرينة .

ب - عطف الفعل وحده^(١) على ما يشبهه ، والعكس :

يجوز عطف الفعل الماضي بغير مرفوعه ، وكذا المضارع بغير مرفوعه^(١) -
على اسم يشبههما في المعنى ، كما يجوز العكس . والاسم الذى يشبههما هو اسم
الفعل - فى بعض حالاته^(٢) - والمستقات العامة . (ومنها : اسم الفاعل ، واسم
المفعول . . .) وكذلك يجوز عطفهما على المصدر الصريح أيضاً : فمثال عطف
الماضى على اسم الفعل الماضى : هيهاتَ وابتعدتِ الغايةُ أمامَ العاجز . والعكس
نحو : افترق وشتان ما بين الكمال والنقص .

ومثال عطف الماضى على اسم الفاعل : هذا مصاحبنا بالأمس وأعاننا على
تحقيق بُغيتنا^(٣) . والعكس نحو : هذا أعاننا بالأمس ومصاحبنا فى احتمال
المشتقات . ومثال عطف المضارع على اسم الفاعل أنت مشاركننا فى الخير ،
وتستجيب لندائنا^(٤) ، والعكس : أنت تستجيب لندائنا ومشاركننا فى الخير ؟

(١ و ١) ولا يجوز عطف فعل الأمر وحده عطف مفردات - كما أوضحناه فى رقم ٢ من هامش
ص ٦٤٣ - ؛ إذ لا يترك أحدهما الآخر ، ولا ينفصل منه مطلقاً .

(٢) لأنه لا يشبههما فى بعض آخر من حالاته ؛ كجسوده الدائم الذى يعم جميع أنواعه ،
وكقبوله بعض علامات الأساء (مثل : التنوين) وكخالفته أحياناً - للفعل الذى يعمناه فى التعدى
واللزوم . . . إلى غير هذا مما هو مذكور فى الباب الخاص به بالجزء الرابع (باب أسماء الأفعال ١٤١
ص ١٠٨) .

(٣) ومنه قوله تعالى فى الخيل وعدوها : (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا)

فالفعل : « أثار » معطوف على : « المغيرات » وليس معطوفاً على كلمة : « العاديات » التى فى أول
الكلام - لما تقرر من أن المعطوفات المتعددة تكون على « المعطوف عليه » الأول ، ما لم تكن المعطوفات
المتعددة واقعة بعد حرف عطف يقتضى الترتيب ؛ فنحن إذ نذكر المعطوف على « المعطوف » الذى قبل هذا
الحرف مباشرة (كما سبق البيان فى رقم ٢ من هامش ص ٥٥٥ - والكلام الذى قبل الآية ، هو :

(وَالْعَادِيَاتِ صُبْحًا ، فَأَلْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . . .) .

وكقوله تعالى فى آية أخرى :

(إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا . . .) .

(٤) ومنه قوله تعالى :

ومنه قوله تعالى : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ...)^(١) .
ومثال عطف الماضي على المصدر الصريح : إني سعيد بإنقاذ الغريق ،
وقدّمت له الإسعاف المناسب .

= (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ، وَيَقْبِضْنَ ، مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ) .

فالفعل المضارع « يقبض » معطوف على اسم الفاعل : « صافات » . (ومعنى صافات : ناشرات
أجنحتهن في الجو - ومعنى يقبض : يجمعن الأجنحة إلى الأجسام ، ولا ينشرنها) .
فكانه قال : وقابضات ... ، وقول المرى :

كتابك جاء بالنعمى بشيراً ويعرض فيه عن خبرى سؤال ...

خالفعل : « يعرض » معطوف على « بشيراً » (بمعنى : مبشر) فكانه قال : جاء بشيراً وعارضاً ،
ومثله : عطف المضارع على الصفة المشبهة في قوله تعالى لمريم :

(إِنْ اللَّهَ يُبَشِّرُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِيهًا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَكَهْلًا ...) .

حيث عطف المضارع : « يكلم » على : « وجيها » ، فكانه قال : وجيهاً ، ومكلماً ...
(١) ومنه قول الشاعر :

بَاتَ يُعَشِّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرٍ

أى : بات يمشي إبله - لا زوجته ، كما قال الصبان والحضري - بضربها بالعضب (وهو : السيف البتار)
يوجهه إلى سيقانها ، لينحرهما للكلين ، بدلا من أن يمشيها بالعلف .

(والأسوق ، جمع : ساق - ويقصد أى : يعدل بينها بالضرب ، وهو من القصد ، بمعنى :
الاعتدال - وجائر ، أى : ظالم) .

وقد عطف كلمة : « جائر » على المضارع : « يقصد » وهو عطف الاسم المشتق على الفعل .
ويقول « الصبان والمعنى » : إن الذى سهل العطف كون « جائر » بمعنى : يجر . ويقول الحضري : إن
كلمة : « جائر » معطوفة على : « يقصد » الواقعة هنا في محل جر ، صفة ثانية لعضب ، في تأويل
« قاصد » ؛ لأن الأصل في الوصف الأفراد ، وليست حالا بدليل جر المعطوف عليه ...

هذا كلامه . وفيه بعض تساهل ؛ لأن التمت هنا هو جملة فعلية مركبة من المضارع : « يقصد »
وفاعله مآ . فكيف تكون كلمة : « جائر » معطوفة على الجملة الفعلية مع أن المطلوب هو عطف الاسم
المشتق وحده على الفعل وحده ؟ قلل غرضه أن المعطوف عليه هو الفعل « يقصد » وحده .

ومثال عطف المضارع على المصدر الصريح . الكدحُ وأُدركَ غابتي خير
من الراحة مع الإخفاق^(١) . . .

(١) عطف المضارع على المصدر الصريح يقتضى نصب هذا المضارع بأن مضمرة أو مظهرة
على التفصيل الذى سيجىء فى مكانه من آخر باب إعراب الفعل . ج ٤
وفى سابق يقول ابن مالك فى عطف الفعل على الفعل ، وعلى اسم يشبهه ، أو العكس :
وَأَعْطِفْ عَلَى اسْمٍ شَبَّهِ فِعْلًا فِعْلًا وَعَكْسًا اسْتَغْمِلْ تَجِدْهُ سَهْلًا

زيادة وتفصيل :

ما إعراب الفعل إذا عطف على اسم يشبهه ؟ كالفعل : « أثار » المعطوف على « المغيرات » في : الآية السابقة ، وهي قوله تعالى : (فالمغيرات صَبَحًا ، فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا) ، وكالفعل : أقرضَ في قوله تعالى في الآية الأخرى : (إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ ، وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ...) فإنه معطوف على المُصَدِّقِينَ .

وكذلك ما إعراب الاسم الذى يشبه الفعل إذا كان معطوفاً على الفعل كالأمثلة التى عرضناها هناك ^(١) ؟

لم أجد رأياً صريحاً شافياً فى هذا ، ورأيت اعتراضات كثيرة ، ودفاعاً لم تنته إلى حكم حاسم . ومن هذه الاعتراضات : كيف يُعطف الفعل « أثار » على : « المغيرات » والمعطوف عليه مجرور مع أن المعطوف فعل ، والفعل لا يدخله الجر ؟ وقد سبق ^(٢) أن أول الآيات هو : « (والعاديات صَبَحًا ، فالْمُورِيَاتِ قَدَحًا ، فالمغيرات صَبَحًا ...) » .

قال الفخر الرازى فى تفسيره : إن الفعل هنا معطوف على فعل محذوف حلَّ محله فى معناه الاسم المشتق من مصدره ، والأصل : فَأَغَرْنَ صَبَحًا فَأَثَرْنَ نَقْعًا

وهذه الإجابة تخرج المسألة من وضعها الأصلى وتنقلها إلى وضع آخر لا علاقة لنا به ، إذ تجعلها عطف فعل على فعل أو مشتق على مشتق . وهذا غير موضوع البحث ... ولو أخذنا به لكان حسناً ، وناجحاً فى التغلب على كل اعتراض ، ونحالياً من العيب . ورأيت مثله فى تفسير الزمخشري ، وفى بعض الحواشى الأخرى .

أما إذا لم نأخذ به ، وتمسكنا بذلك النوع من العطف الذى لم أجد لحكمه نصاً واضحاً صريحاً يتناول المتعاطفين تفصيلاً ... — فإن الغموض يظل باقياً والاعتراضات قائمة ، ما لم نجعل المعطوف غير تابع للمعطوف عليه فى الإعراب ، وتكون فائدة العطف هى الربط المجرد بين معنى الجمليتين ؛ كالذى سبق فى عطف الماضى على المضارع وعكسه — بالإيضاح الذى سلف ^(٣) .

(١) فى ص ٦٤٩ و ٦٥٠ وهماشهما .

(٢) فى رقم ٣ هامش ص ٦٤٩ وهناك بيان السبب فى العطف على : « المغيرات » .

(٣) فى ص ٦٤٢ و ٦٤٣ .

ح - عطف الجملة على الجملة .

يجوز عطف الجملة الاسمية على نظيرتها الاسمية ؛ نحو : الرياضة نافعة ،
والمداومة المحمودة عليها لازمة . وقولهم : « الرأى الصادق أمانة ، وكتباته عند الحاجة
إليه خيانة : » وقول الشاعر :

الصدق يألئنه الكريم المرتجى والكذب يألفه الدنى الأخبى^(١)
كما يجوز عطف الفعلية على الفعلية^(٢) - بشرط اتفاقهما خبراً أو إنشأ -
ولو اختلف زمان الفعلين فيهما^(٣) ؛ فنال اتحاد الزمن فيهما : وصالت الطائرة
وفرح المسافرون بالوصول سالين^(٤) - يفرح المنتصر ويفرح أهله وأعوانه^(٥)

(١) فالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ : (الكذب) ومن خبره الجملة المضارعية بعده ، معطوفة
على الجملة الاسمية التي في صدر البيت وقد تكون الجملة الاسمية مصدرة بحرف ناسخ في المتعاطفين ؛
أوفى أحدهما ؛ كقوله تعالى في المرسلين : (« إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون . . . »)
وقول قيس بن زهير :

وإن سبيل الحرب وعراً مضلة وإن سبيل السلم آمنة سهل

فالشطر الثاني من البيت معطوف على الشطر الأول ، والآية الثانية معطوفة على الأولى .

(٢) سبق في ص ٦٤٣ بيان الفرق الهام اللفظي والمعنوي بين عطف الفعل وحده على الفعل وحده
وعطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية - وكا في آخر رقم ٣ من هامش الصفحة التالية - وقد اجتمع
عطف الجملة الفعلية الماضية على نظيرتها الفعلية الماضية وكذلك الجملة الاسمية على نظيرتها الاسمية
في قول الشاعر يصف روضته :

رقت حواشيها ، ورق نسيماً وبدت محاسنها ، وطاب زمانها

وكان أيام الصبا أيامها وكان أزمان الهوى أزمانها

كما اجتمع عطف الماضية على الماضية ، والمضارعية على المضارعية في قوله تعالى : (إن الذين كذبوا
بآياتنا ، واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة)

(٣) ولا يمنع من عطفهما كذلك أن تكون إحداهما موجبة (مثبتة) ، والأخرى منفية ؛ كالتي
في رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية .

(٤) وقوله تعالى : (الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ،
أعظم درجة عند الله . وأولئك هم الفائزون) .

(٥) وقوله تعالى : (.... تؤمنون بالله ورسوله ، ويجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ؛
ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) .

كلٌ واشربٌ ، والبَسَ ، في غير مَخِيلَةٍ ^(١) ولا كِبَرٍ ^(٢) . . .

ومثال اختلاف الزمن : وصل اليوم الغائب ويسافر غداً - يحاسب المرء على عمله يوم الحساب ، ورأى المسىء عاقبة ما كان منه .

أما الجملة الفعلية الأمرية ^(٣) - أو غيرها من الجمل الإنشائية الأخرى - فلا تُعطف إلا على جملة فعلية متَّحدة معها في الزمن ، نحو قوله تعالى للصائمين : (وكلوا واشربوا حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) ، وقوله تعالى : (قلُ سِروا في الْأَرْضِ ثُمَّ انظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) . . .

وبهذه المناسبة نذكر أن النحاة اختلفوا في جواز عطف الجملتين المختلفتين إنشاءً وخبراً ، وعطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس .

فأما عطف المختلفتين إنشاءً وخبراً فالأحسن اتباع الرأي الذي يمنعه ^(٤) :
لوضوح هذا الرأي ، وبعده من التكلف ، وخلوه من الحذف والتقدير :

(١) اختيال ، وكبر .

(٢) وقول الشاعر :

إذا ما فعلتَ الخير فاجعله خالِصاً لربك ، وازجرُ عن مديحك ألسناً
وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .) ومثل قول الشاعر : - وهذا من عطف الجملة - الأمرية على المضارعية التي توافقها زمناً - :

لا تَنْظُرَنَّ لِلْبَيْسِ ، وانظر إلى ما تحته من فِطْنَةٍ وبيان

(٣) لا بد في فاعل فعل الأمر أن يكون ضميراً متصلاً - مستتراً ، أو بارزاً - ، فلا يمكن في الرأي الأصح - أن يستقل بنفسه عن فعله . لهذا لا يصح عطف فعل الأمر وحده بغير فاعله ، على فعل الأمر وحده بغير فاعله ؛ بل يتعين أن يكون العطف بينهما عطف جملة فعلية أمرية على جملة فعلية أمرية ؛ ومنه قوله تعالى : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) وقوله تعالى : (كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) . . . وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .. » طبقاً للبيان السابق في رقم ٢ من هامش ص ٦٤٣ ورقم ١ من هامش من ص ٦٤٩ -

(٤) وهو رأى البلاغيين وكثير من النحاة .

فلا يصح عطف الثانية على الأولى في مثل : دأومٌ على الطاعات ، ودأومٌ أهلك . ولا في مثل : هدأ البحر وانزلٌ للعوام فيه .

وأما عطف الاسمية على الفعلية والعكس فجائز^(١) - في أرجح الآراء - إن لم يختلفا خبراً وإنشاءً ؛ فيصح عطف الثانية على الأولى في مثل : أحب الزراعة ، والصناعةُ تفيدُنِي^(٢) . ومثل : الصناعة مفيدة لنا وأحبّ الزراعة . ومن الأمثال المأثورة : (للباطل جولة ، ثم يضمحل)^(٣) ؛ فالجملة المضارعية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها . . . و . . .

أما عطف الجملة على المفرد ، والعكس فسيجيء^(٤) . . .

(١) انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٨٦ .

(٢) ومن هذا قوله تعالى : (ويوم نبعثُ من كلِّ أمةٍ شهيداً ، ثم لا يُؤذَنُ للذين كفروا ولا هم يُسْتَعْتَبُونَ) حيث عطف الجملة الاسمية (لاهم يستعتبون) على الجملة الفعلية (لا يؤذن لهم) ولا يصح عطفها على الجملة الفعلية الأولى (وهى : نبعث من كل أمة . . .) مراعاة للقاعدة التى سبقت (فى ص ٥٥٥ و ٦٢٨ وفى رقم ٣ من هامش ص ٦٤٩) والى تقضى عند تعدد المعطوفات عليها . . . أن يكون المعطوف عليه هو الذى قبل العاطف مباشرة إذا كان العاطف بما يفيد الترتيب مثل : « ثم » . وفى الآية شاهد آخر هو عطف الجملة الفعلية المنفية (لا يُؤذَنُ لهم ...) على الجملة الفعلية الموجبة (نبعث X) كما سبقت الإشارة .

وما يصلح شاهداً لمطف الجملة الاسمية المنفية على الفعلية المنفية قوله تعالى فى سورة السجدة : (. . . قل يومَ الفتح لا يَنفَعُ الذين كفروا إيمانُهُم ، ولا هم يُنظَرُونَ . . .) فالجملة الاسمية المنفية : « لا هم يُنظَرُونَ » معطوفة على الفعلية المنفية : « لا يَنفَعُ » . . .

(٣) فى ص ٦٥٩ .

المسألة ١٢٢ :

بعض أحكام - فاع العطف - عامة متفرقة^(١).

(منها : - شرط صحة العطف - تقدير العامل بعد العاطف - الضمير العائد على المتعاطفين - الفصل بين الفاء والواو ومعطوفيهما - تقدم المعطوف - عطف الجملة على المفرد والعكس ، وقد سبق^(٢) بيان المراد من المفرد - العطف على التوهم - المغايرة بين المتعاطفين - معنى المعطوف وحكمه إذا كان المعطوف عليه كنية - جواز القطع في عطف النسق - عطف الزمان على المكان ، وعكسه) .

(١) يشترط لصحة العطف أن يكون المعطوف صالحاً بنفسه ، أو بما هو بمعناه لمباشرة العامل المذكور - أى : للوقوع بعده مباشرة ، من غير أن يمنع من ذلك مانع نحوي^(٣) - فمثال الأول : دخل سعيد وسليم ؛ إذ يصح دخل سليم . والثاني قام سعيد وأنا ، فالضمير « أنا » لا يصلح فاعلاً للفعل : « قام »^(٤) ولكن « تاء » المتكلم التي هي ضمير بمعناه تصلح ؛ فتقول : قمت .

فإن لم يصلح المعطوف ولا شيء بمعناه لمباشرة العامل المذكور أضمر له عامل مُقَدَّر يناسبه ، وصار مع عامله المقدر جملة معطوفة على الجملة السابقة ، (أى : صار الكلام عطف جمل .) وذلك كالمعطوف على الضمير المرفوع الذي يعرب فاعلاً لمضارع مبدوء بالهمزة أو بالنون أو بتاء المخاطب ، أو بتاء التانيث ، وكالمعطوف على الفاعل المستتر لفعل الأمر ، ومن الأمثلة لكل ما سبق : أتعاون أنا والجارُ - نتعاون نحن والجيرانُ - تتعاون أنت والجارُ - تتعاون فاطمةُ والجارُ - أسكنُ أنت وزوجك الجنةَ . فكل معطوف من هذه المعطوفات لا يصلح لمباشرة العامل (إذ لا يقال : أتعاون الجارُ - نتعاون الجيرانُ - تتعاون

(١) راجع الأشموني وحاشيته ج ٣ آخر باب العطف ، والصبان ج ٢ آخر باب الظرف .

(٢) في رقم ٤ من هامش ص ٥٥٦ وفي رقم ٢ من هامش ص ٦٤٢ .

(٣) بهذا التقييد تختلف هذه الحالة عن الآتية بعدها في رقم ٢ .

(٤) إذ لا يقال : قام أنا .

الجارُ - : تتعاون الجارُ - اسكنُ زوجك ...) فلما كان المعطوف غير صالح لمباشرة العامل المذكور في الكلام وجب أن يُقَدَّر له عامل آخر يناسبه ؛ كأن يقال : أتعاون أنا وتتعاون الجار اسكن أنت وليسكن زوجك اللجنة هذا كلام كثير من النحاة ، وفيه تعقيد وتكلف لا داعي له ، ولا يتفق مع قولهم : « قد يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل » ... (وردّوا هذه القاعدة هنا وفي أبواب أخرى) ^(١) فمن الخير الأخذ بها والعطف المباشر على الفاعل المستتر ، وعدم الالتفات هنا إلى التقدير ، والحذف والتضييق بغير فائدة أو دفع ضرر إلا مجازاة الخيال ^(٢) .

(٢) لا يشترط من الوجهة المعنوية ^(٣) صحة تقدير العامل بعد العاطف ، فمن الصحيح أن تقول : تخاصم المأمون والأمين ، مع أنه لا يصح من الوجهة ^(٣) المعنوية أن يقال تخاصم المأمون وتخاصم الأمين ، إذ الفعل : « تخاصم » لا يقع إلا من متعدد ؛ فلا يكتفى بأن يقع بعده واحد . ولا تعدد هنا بعد كل فعل من الفعلين .

(٣) كل ضمير يعود على المعطوف والمعطوف عليه معاً يجب مطابقتها : لهما ؛ بشرط أن تكون أداة العطف هي : « الواو » ، أو « حتى » ؛ نحو العم والأخ حضراً - الجسم حتى الأظافر اعتنيت بنظافتهما ^(٤) ...

فإن كان حرف العطف هو : « الفاء » ، أو « ثم » وكان الضمير في الخبر عائداً على المعطوف والمعطوف عليه جاز حذف الخبر من أحدهما ؛ نحو : محمود فحامد قام ، ويجوز تقديم الخبر على الحذف من الثاني ؛ نحو : محمود قام فحامد ، ويجوز مطابقة الضمير بغير حذف ، نحو : محمود فحامد قاما و « ثم » كالفاء فيما سبق .

(١) وكذلك لا يتفق مع قولهم الآتي - في رقم ٢ - إنه لا يشترط صحة تقدير العامل بعد العاطف ...

(٢) سبقت إشارة لهذا في ص ٦٣٨ .

(٣ و ٣) بهذا التقييد تختلف هذه الحالة عن سابقها التي في رقم ١ - كما أشرنا هناك - .

(٤) لما تقدم إشارة في « ب » ص ٥٨٤ .

فإن لم يكن الضمير في الخبر وجبت المطابقة ، نحو : جاءني الوالد والعم
فقمتم لهما ، وأقبل عليّ وسليم وهما صديقان

وأما : « لا » ، و « بل » ، و « أو »^(١) ، و « أم » ، و « لكن » ، و « إما »
(عند من يعتبرها عاطفة) ، فمطابقة الضمير معها وعدم المطابقة راجعة إلى قصد
المتكلم ، فإن قصد أحد المتعاطفين - وذلك واجب في الإخبار - وجب لإفراد الضمير ؛
نحو : الأخ لا الصديق جاءني - الأخ بل الصديق خرج - أمسعود أم
منصور زارك ؟ إسماعيل أو فاطمة حيّاني ، إذ المعنى : حيّاني أحدهما .
ويراعى تغليب المذكر . أما في غير الإخبار فتقول : زارني إما العم وإما الخال
فأكرمته - أصديقاً قابلت أم عدواً فتركته - ما جاءني أحمدٌ لكن سليمٌ
فاستقبلته خير استقبال .

وإن قصدتهما معاً وجبت المطابقة ؛ نحو : حسن لاحتسّين جاءني
مع أني دعوتهما - وعاصم أو سليم دعاني حين ذهبت إليهما . . . (وقد سبقت
الإشارة لهذا) .

(٤) لا يجوز الفصل بين الفاء ومعطوفها إلا في الضرورة الشعرية^(٢) ،
فلا يقال : فلان ورثه أبوه مالا في القوم جاهاً . وإنما يقال : فلان ورثه أبوه
مالاً فجاهاً في القوم . ويصح الفصل بين غيرها ومعطوفه بالظرف أو الجار والمجرور
(ويدخل القسم في هذا) ، نحو : تعبت ثم عندك جلست - نزل المطر ثم
والله طلعت الشمس - ما أهنت أحداً لكن في البيت السيء . . .

أما الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فقد سبق^(٣) بيانه .

(٥) لا يتقدم المعطوف على المعطوف عليه إلا شذوذاً فيقتصر فيه على
المسموع ، وقيل يجوز في الضرورة الشعرية . والأولى إهمال هذا الرأي ؛ ومنه
قول القائل :

أيا نخلةً من ذات عرقٍ عليك - ورحمةُ الله - السلامُ

(١) للحكم الخاص بها المعروض هنا ما يتمم في رقم ١ من هامش ص ٥٠٦ و ٥٠٠ .

(٢) كما سبق في ص ٥٧٤ .

(٣) في هامش ص ٤٣٥ .

يريد : عليك السلام ورحمة الله . . . وقد سبقت الإشارة لهذا^(١) .

(٦) قد تُعْطَفَ الجملة على المفرد - أحياناً - أو العكس ، إذا كانت الجملة في الحالتين بمنزلة المفرد ؛ لأنها مؤولة به ، كأن تكون : نعتاً ، أو : حالاً ، أو : خبراً ، أو : مفعولاً لظن وما في حكمها . . .

فن عطف المفرد على الجملة ما ورد من مثل : أَلْفَيْتَ الشُّجَاعَ يَهْزِمُ خَصْمَهُ وَفَاتِكًا بِهِ . فكلمة : « فَاتِكًا » منصوبة ؛ لأنها معطوفة على الجملة الفعلية (المركبة من المضارع « يَهْزِمُ » وفاعله) وهذه الجملة بمنزلة المفرد المنصوب ، لأنها المفعول الثاني للفعل : « أَلْفَيْتَ » . ومن هذا كلمة : « مُصَدِّقًا » الثانية في قوله تعالى : (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ . . .) فالجملة الاسمية : (فِيهِ هُدًى) في محل نصب ، حال من الإنجيل ، وكلمة : « مُصَدِّقًا » التي بعدها معطوفة عليها ، منصوبة ؛ مراعاة لحل المعطوف عليه . . .^(٢) ومثل هذا قول الشاعر :

وَجَدْنَا الصَّالِحِينَ لَهُمْ جَزَاءً وَجَنَاتٍ وَعَيْنًا سَاسِبِيلاً

فالجملة الاسمية (لهم جزاء) في محل نصب ، لأنها المفعول الثاني للفعل : « وَجَدَ » وقد روعي هذا الحل فجاء المعطوفان (جنات وعيناً) منصوبين تبعاً لذلك الحل^(٣) . ومن عطف الجملة على المفرد قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا^(٤)) أو هم قائلون) ، أي : قائلين^(٥) .

ومن عطف المفرد على شبه الجملة قوله تعالى (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا ، أَوْ قَائِمًا) فقاعداً عطف على « لِجَنبَيْهِ » ؛ لتأويل شبه الجملة بمفرد ، هو : مجنوب .

(١) في رقم ٣ من هامشي ص ٥٥٦ و ٦٤١

أما عطف الفعل على الفعل أو على ما يشبهه ، والعكس ، وعطف الجملة على الجملة - فقد تقدم في ص ٦٤٢

(٢ و ٣) راجع لمجمع البيان ، علوم القرآن (ج ٣ ص ٣٤٠ و ٤٠٢) . وقد عرض « المجمع » لبعض هذه الأحكام في آخر باب : عطف النسق (ج ٢ ص ١٤٠)

(٣) ليلا .

(٤) مستريحون وقت القيلولة : وهي وسط النهار عند اشتداد الحر .

ومن عطف شبه الجملة على المفرد قولهم : لا يصح مخالفة القاعدة المطردة إلا شذوذاً أو في ضرورة^(١) .

(٧) هناك نوع من العطف ، يرتضيه بعض النحاة ، ويسميه : « العطف على التوهم » . ومن أوضح أمثله عندهم - العطف « بفاء السببية » على معطوف مأخوذ من مضمون الجملة التي قبلها . ذلك أن « فاء السببية » تقتضى عطف المصدر المؤول بعدها على مصدر صريح قبلها ، وهذا المصدر الصريح قد يكون مذكوراً صراحة قبلها ؛ نحو : ما الشجاعة تهوراً فتهمل الحذر ، وقد يكون غير مذكور فيتصيد ؛ نحو : ما أنت مسيء فئسء إليك . أى : ما تكون منك إساءة يترتب عليها أن نسيء لك .

فإن لم يوجد قبل فاء السببية مصدر صريح ولا ما يصلح أن يتصيد منه المصدر - (كالجملة الاسمية التي يكون فيها الخبر جامداً ؛ نحو : ما أنت عُمَرُ فنهايك) - فبعض النحاة يمنع نصب المضارع ، وبعض آخر يجيز تصيد مصدر من مضمون الجملة السابقة التي فيها الخبر جامداً ؛ ويكون الكلام عطف جملة على جملة ، ومن لازم معناها ؛ كأن يقال في المثال السالف : ما يثبت كونك عُمَرُ ، فهييتنا إياك^(٢) . . .

(٨) يقول النحاة : إن « المغايرة » هي الأصل الغالب في عطف النسق بين المتعاطفين . يريدون : أن يكون المعطوف مغايراً للمعطوف عليه في لفظه وفي معناه معاً ؛ فلا يعطف الشيء على نفسه . هذا هو الأصل الغالب ، لكن العرب قد

(١) جاء في التوضيح (لابن هشام ، آخر باب : « الإدغام » ، نهاية الجزء الثاني) ما نصه : (قد ينفك الإدغام في ذلك شذوذاً . . . أو في ضرورة . .) اهـ وهنا جاء في الحاشية على التصريح ما نصه : (يمكن أن يكون قوله : « في ضرورة » معطوفاً على : « شذوذاً » على تقدير الحالية أيضاً ، والتقدير : وقد ينفك الإدغام في غير ذلك ، حالة كون ذلك شاذاً ، أو كائناً في ضرورة . وقال الدونشوى : (قوله : « في ضرورة » - معطوف على قوله : « شذوذاً » . وينظر لهذا العطف صحيح أولاً ؟ اهـ والظاهر الصحة وهو عطف على المعنى ؛ لأن قوله : « شذوذاً » في معنى : « في شذوذ » اهـ المنقول عن الحاشية

(٢) لهذا إشارة في ج ١ ص ٥٥٢ م ٤٩ أما الإيضاح الكامل ففي مكانه الأنسب وهو الكلام على : « فاء السببية » من باب : « إعراب الفعل » ونواصب المضارع - ج ٤ ص ٣٣٧ م ١٤٩ .

تعطف - لغرض بلاغى - الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان ؛ كقولهم . . .
 « وألفى قولها كذباً وميناً » فقد عطفوا المين على الكذب (ومعناهما واحد ،
 واللفظان مختلفان) لغرض بلاغى هو تقوية معنى المعطوف عليه وتأكيده . وهذا
 النوع من العطف - على قلته - قياسى ^(١)

وقد يعطفون الخاص على العام وعكسه لغرض بلاغى كذلك ؛ فن الأول
 قوله تعالى فى سورة البقرة : (« حافظوا على الصلوات ، والصلوة الوسطى . . . »)
 فقد عطف « الصلاة الوسطى » - ومن معانيها : صلاة العصر . . . - على « الصلوات » ،
 والمعطوف خاص ؛ لأنه نوع بعض المعطوف عليه العام الذى يشمل مع غيره من
 الأنواع الأخرى .

ومن الثانى قوله تعالى : (« والذين إذا فعّسوا فاحشة » ، أو ظلموا أنفسهم
 ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم . . . ») . فقد عطف الجملة الفعلية : « ظلموا »
 على الجملة الفعلية : « فعّسوا » والمعطوف هنا عام ، والمعطوف عليه خاص ؛
 لأنه داخل فى مضمون المعطوف الذى يشمل مع غيره ... ^(٢)

(٩) إذا كان المعطوف عليه كنية لوحظ فيه وفى المعطوف ما سبقت
 الإشارة إليه فى « ا » من ص ٤٤٤ .

(١٠) الصحيح جواز « القطع » ^(٣) فى المعطوف عطف نسق ؛ كما أشرنا
 من قبل ^(٤) - وهو كثير فى المعطوفات المتعددة التى كانت فى أصلها نعتاً ،
 ثم فصل بينها بحرف العطف ؛ فصارت معطوفات بعد أن كانت نعتاً . وحجة
 القائلين بصحته وقوعه فى أفصح الكلام . ومن الأمثلة كلمة : « الصابرين »
 من قوله تعالى فى سورة البقرة : (ليس البر أن تؤكؤوا وجوهكم قبل المشرق
 والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ،

(١) راجع حاشية ياسين على التصريح - ج ٢ باب الإضافة عند الكلام على « الإضافة غير
 المحضة » وإضافة الاسم إلى ما يتحد معه فى المعنى - وسبقت لهذا إشارة فى ص ٤٩ .

(٢) انظر ما يتصل بهذا فى رقم ١ من ص ٥٦٧ .

(٣) فى هامش ص ٤٨٦ تفصيل الكلام على القطع ، ومعناه ، وحكمه ، وكل ما يتصل به .

(٤) فى هامش ص ٤٣٥ .

وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ،
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ . . .) فقد نصبت كلمة :
« الصابرين » بسبب « القطع » ولو كانت معطوفة لرفعت كسائر المعطوفات
المرفوعة التي قبلها ، ومثل كلمة : « المقيمين » من قوله : في سورة النساء :
(لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون ، يؤمنون بما أنزل إليك ،
وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة ، والمؤتُونَ الزكاة ، والمؤمنون بالله ، واليوم
الآخر ، أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا) ، ومثل كلمة : « القائلون » فيما أنشده
الكَسَائِيُّ لبعض فصحاء العرب :

وكلُّ قومٍ أطاعوا أمرَ مرشدِهِمْ إلا نُمِيرًا أطاعت أمرَ غاويها
الظاعنين ، ولما يُظْعِنُوا أَحَدًا والقائلون لمن دارٌ نُخْلِيها ؟

ومثل : ما أنشده الفراء لبعضهم كذلك :

إلى الملكِ القَرَمِ^(١) وابنِ الهَمَامِ وليثَ الكَتِيبَةِ في المَزْدَحَمِ
وذا الرأى حينَ تَغْمُ الأُمُورُ بذاتِ الصَّلِيلِ^(٢) ، وذاتِ اللَّجْمِ^(٣)

فقد نصب كلمتي : « ليث » و « ذا » على الاعتبار السابق^(٤)

(١١) هل يصح عطف الزمان على المكان وعكسه ؟ الأحسن الأخذ
بالرأى الذي يميزه عند أمن اللبس ؛ نحو قابلتك أمام بيتك هذا ويوم الخميس
أو : قابلتك يوم الخميس وأمام بيتك^(٥) .

(١) السيد العظيم .

(٢) ذات الصليل : السيوف .

(٣) ذات اللجم : الخيول .

(٤) راجع تفسير القرطبي في آيتي « البقرة والنساء » ، وكتاب : « مجمع البيان لمعلوم القرآن »
للطبرسي - ج ١ ص ٦ - حيث الأمثلة السابقة وغيرها ، وإيضاح لحكم القطع في عطف النسق .

(٥) عرض لهذه المسألة « الصبان » في الجزء الثاني من حاشيته ، آخر باب : « الظرف » قائلًا
ما نصه المحرق :

= « (هل يجوز عطف الزمان على المكان وعكسه ؟ قال في المغنى : أجاز الفارسي في قوله تعالى : « وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً » ، ويوم القيامة » . - أن يكون « يوم القيامة » معطوفاً على محل هذه . اهـ . قال الدماميني : إن أريد بالدنيا الأزمنة السابقة ليوم القيامة فلا إشكال في عطفه عليها ؛ لأن كلا منهما زمان . وإن أريد بها هذه الدار من حيث هي مكان ، ففيه عطف زمان على مكان ، وفي الكشف ما يقتضى منعه ؛ فإنه لما تكلم في تفسير قوله تعالى : - (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين . . .) - قال : فإن قلت : كيف عطف الزمان على المكان ، وهو يوم حنين على المواطن ؟ قلت معناه : وموطن يوم حنين ، أو : في أيام كثيرة ، ويجوز أن يراد بالمواطن : « الوقت » ؛ كقتل الحسين ، اهـ . وجهه بعض الأفاضل بأن الفعل مقتضى لظرف الزمان اقتضاه لظرف المكان ؛ فلا يجوز جعل أحدهما تابعا للآخر ؛ فلا يعطف عليه كما لا يعطف المفعول فيه على المفعول به ، ولا المفعول على الفاعل ، ولا المصدر على شيء من ذلك ، وبأن ظرف الزمان ينتصب على الظرفية مطلقاً ، بخلاف ظرف المكان ؛ فإنه يشترط فيه الإبهام . فلما اختلفا من هذه الجهة لم يجوز عطف أحدهما على الآخر . ولعدم سماع عطف أحدهما على الآخر .

« لكن جوزه بعضهم ؛ لاشتراكهما في الظرفية ؛ تقول ضربت زيداً يوم الجمعة وفي المسجد ، أو : في المسجد ويوم الجمعة . . . وعليه جرى ابن المنير في الانتصاف مناقشاً به صاحب الكشف () » ، انتهى كل ما قاله الصبان فيما سبق حرفياً ، وأردفه بأنه نقله باختصار .

وهذا الرأي الأخير هو الأنسب . إلا أن المثال الذي ساقه خال من بيان الطريقة في إعرابه . ثم هو لا يخلو من لبس ؛ إذ لا دلالة معه على أن الضرب الذي وقع يوم الجمعة ، أهو الذي وقع في المسجد أم هو ضرب آخر . فلا بد من قرينة .

- وقد سبق للمسألة السالفة إشارة موجزة في باب : « الظرف » ، ج ٢ م ٧٨ في آخر الكلام على أحكام الظرف بنوعيه -

المسألة ١٢٣ :

د - المبدل^(١)

تعريفه : يتضح تعريفه مما يأتي :

لو سمعنا من يقول : « عدل الخليفة » - لفهمنا المراد ، وكادت الفائدة المعنوية تتم ، لولا ما يشوبها من بعض النقص الواضح ؛ إذ تتطلع النفس إلى معرفة هذا الخليفة ، واسمه ، وتعدد الخواطر بشأنه ؛ أبو بكر هو ، أم عمر ، أم عثمان ، أم علي ... و ... ؟ .

فلو أن المتكلم قال : عدل الخليفة « عمر » - مثلاً - ما شعرنا بذلك النقص المعنوي ؛ لأن « عمر » هو المقصود الأساسي بالحكم الذي في هذه الجملة ، (أى : هو الذي ينسب العدل إليه) ، فليس لفظ « الخليفة » هو المقصود الأصيل بهذا الحكم ، وبهذه النسبة .

وكذلك لو قلنا : اتسع مجال الحضارة في زمن : « ابن الرشيد » ، لكانت الجملة مفيدة . لكن السامع - بالرغم من هذه الإفادة - يشعر بنقص معنوي كبير تدور بسببه أسئلة متعددة : من ابن الرشيد هذا ؟ ما اسمه ؟ ما زمنه ؟
أهو الأمين ، أم المأمون ، أم غيرهما ؟ ... ؟

فإذا قلنا : اتسع مجال الحضارة في زمن ابن الرشيد المأمون - اكتملت الإفادة من هذه الناحية المعينة ، وزال النقص بسبب ذكر : « المأمون » ، الذي هو المقصود الأصيل من الحكم السابق ، ومن نسبة اتساع المجال إليه .

فكلمة : « عمر » تسمى : « بدلاً » ، وكذلك كلمة : « المأمون » ، وأشباههما من كل كلمة تكون هي المقصودة في الجملة بالحكم بعد كلمة سبقتها ؛ لتسهل ذهن المتأخر عنها ، وتوجه الخاطر إليها ، وليس بين الكلمتين

(١) هذا هو الاسم المشهور . ويرد - - أحياناً - في بعض المراجع القديمة ، وعلى لسان بعض النحاة الأوائل باسم : « الترجمة ، أو : التبيين ، أو : التكرير » . . ولا قيمة لهذا الاختلاف القائم على مجرد الاصطلاح المختلف - أحياناً - باختلاف العصور .

رابط لفظي يتوسط بالربط بينهما . ولهذا يقولون في تعريف البديل :
 « إنه التابع ^(١) المقصود وحده بالحكم المنسوب إلى تابعه ، من غير أن تتوسط
 — في الأغلب ^(٢) — واسطة لفظية بين التابع والمتبوع » .

ومن هذا التعريف يتضح الفرق بين البديل والتابع الأخرى : فالنعت والتوكيد وعطف ^(٣)
 البيان ، ليست مقصودة بالحكم ، وإنما هي مكملة له بوجه من الوجوه التي سبقت
 في أبوابها . وعطف النسق لا بد فيه من الواسطة ، وهي أداة العطف . هذا إلى أن
 ما بعد هذه الأداة قد يكون مخالفاً في الحكم لما قبلها فلا يكون مقصوداً به ، وقد يشاركه
 في الحكم ولكنه لا ينفرد به . فلا يكون هو المقصود وحده ^(٤) ...

والأغلب في « البديل » أن يكون جامداً ، ومن القليل الجائز أن يكون مشتقاً ^(٥) .
 فإذا أمكن إعراب المشتق شيئاً آخر يصلح له ، كان أولى ^(٦) .

* * *

(١) سبق في أول باب النعت ص ٤٣٤ بيان معنى التابع والمتبوع ، والأحكام المهمة الخاصة
 بالتابع ، ومنها : الفصل بينه وبين المتبوع إلا إن كان المتبوع أحد الموصولات ؛ إذ لا يفصل بين
 الموصول وصلته بتابع مطلقاً — طبقاً للبيان الذي سبق في ج ١ م ٢٧ ص ٣٤٨ باب الموصول —
 ومنها : عدم انتقال البناء من المتبوع إلى التابع مطلقاً .

(٢) يلاحظ أن عدم الواسطة اللفظية في البديل هو الأغلب ، لأن البديل من المحرور يجوز
 أن يكون بواسطة إعادة العامل وهو حرف الجر الداخل على البديل منه ، كاللام الجارة في قوله تعالى :
 (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ...) . وقوله تعالى

(ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ...) .

فقد أعيدت اللام مع كلمتي : « مَنَ وَأَوَّلِنَا » وهذه الإعادة في البديل أمر جائز ، لا واجب ، وهي مختصة
 بحروف الجر وحدها . وسيجيء لها بيان مناسب في ص ٦٥٥ .

(٣) الموازنة بين البديل وعطف البيان مدونة في ص ٥٤٦ .

(٤) ويتضح من التعريف السابق أيضاً : أن الحرف وحده لا يقع بدلاً ؛ لأنه لا يصلح
 للحكم . فالبديل والمبدل منه إما اسمان معاً ، وإما فعلان معاً ، وإما اسم وفعل ، وإما جملتان معاً ،
 وإما أحدهما جملة والآخر غير جملة . . . كل ذلك على حسب البيان الذي سيجيء ،

ويقول ابن مالك في تعريف البديل :

التَّابِعُ الْمَقْصُودُ بِإِلْحَاكِمْ بَدَلًا وَاسِطَةً هُوَ الْمُسَمَّى : « بَدَلًا »

(٥) راجع الصبان — ج ٢ أول باب : الإضافة ، عند الكلام على : « الإضافة غير المحضة » .

(٦) يتصل بهذا ويوضحه ماسبق في : « ج » من ص ٤٦٤ وما سيجيء في « م ٤٣٠ أحكام

تابع المنادى ، ووصف اسم الإشارة : .

الغرض من البذل :

الغرض الأصيل هو - في الغالب - تقرير الحكم السَّابق وتقويته بتعيين المراد ، وإيضاحه ، ورفع الاحتمال عنه . لأن هذا الحكم يُنسب أولاً للمتبوع فيكون ذكر المتبوع تمهيداً للتابع الذي سيجيء ، وتوجيهاً للنفس لاستقباله بشوق ولطفة . فإذا استقبلته وعرفته استقبلت معه الحكم وعرفته أيضاً ؛ فكأن الحكم قد ذكر مرتين ؛ وفي هذا تقوية للحكم وتوكيد^(١) . ولأجل تحقيق هذا الغرض لا يصح أن يتحد لفظ البذل والمبدل منه إلا إذا أفاد الثاني زيادة بيان وإيضاح ؛ فلا يصح في مثل : يا سعد سعد أنت زعيم موفق - إعراب : كلمة « سعد » الثانية بدلا^(٢) .

* * *

أقسام البذل الأربعة المشهورة - وكل منها هو المقصود وحده بالحكم - :

أولها : بذر كل من كل^(٣) ، ويسمى « بذر المطابقة » ، أو : « بذر المطابق من مطابقه » . وضابطه : أن يكون الثاني مطابقاً - أى : مساوياً -

(١) لهذا يقولون إن البذر في حكم تكرير العامل . أما قولهم : إن المبدل منه في حكم المطروح (أى : المهمل الذى يمكن الاستغناء عنه) فالمراد منه أن هذا شأنه - الغالب - من جهة المعنى لا من جهة اللفظ - بدليل صحة : ضربت الرجل يده ، إذ لو لم يعتد بالرجل أصلاً ما كان للضمير مرجع (راجع شرح التصريح) .

وقال الزمخشري في الفصل : « مرادهم بكون البذر في نية طرح الأول - أى : في نية طرح المبدل منه - هو أنه مستقل بنفسه ؛ لا متمم لمتبوعه ؛ (فليس كالتأكيد ، والصفة ، والبيان) . لا إهدار الأول . ألا ترى أنك لو أهدرت الأول في نحو : محمد رأيت غلامه رجلاً صالحاً - لم يستقم كلاماً » ١٠١ . كلام صاحب الفصل نقلاً عن حاشية الصبان آخر عطف البيان . - ثم قال الصبان بعد المثال السالف : بخلافه في البيان . ١٠١ .

ويؤيد هذا ما سيجيء في رقم « و » من ص ٦٧٨ .

(٢) (راجع حاشية الصبان في آخر باب تابع المناهى . وسيجىء إشارة لهذا في « ج » من ص ٦٧٧

وفي ج ٤ ص ٤١ م ١٣٠) وكذلك لا يصح أن يكون البذر أو المبدل منه حرفاً - كما تقدم - .

(٣) من بذر الكل نوع اسمه : « بذر التفصيل » سيجىء في ص ٦٨٤ وله بعض أحكام في

« هـ » من ص ٦٧٧ .

وإذا كان « المبدل منه » كنية لوحظ فيه وفي « البذر » ما سبق في « ا » من ص ٤٤٤ .

لأول في المعنى تمام المطابقة مع اختلاف لفظيهما في الأغلب^(١) فهما واقعان على ذات واحدة ؛ وأمر واحد - نحو : (أشرق الغزالة ، الشمس ؛ فأناارت الدنيا) ، فالشمس بدل كل من كل ، والمبدل منه : هو الغزالة ، ومعنى الثاني - هنا - معنى الأول تماماً . ومثله : (الدينار من تبر ؛ ذهب ، والدرهم من لجين فضة) ، فكلمة : « ذهب » بدل مطابق من « تبر » ، وكلمة : « فضة » بدل مطابق من : « لجين » . وهذا النوع من البديل لا يحتاج لربطه بالمتبوع^(٢) .. ومن الأمثلة أيضاً : قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...) ، فكلمة : « صِرَاط » الثانية بدل كل من كل من الأولى لأن صراط الذين أنعم الله عليهم هو عينه الصراط المستقيم ؛ فالكلمتان بمعنى واحد تماماً . وقول الشاعر :

(١) الأغلب اختلافهما في اللفظ . وقد يتفقان بشرط أن يفيد الثاني زيادة بيان وإيضاح - كما تقدم في الصفحة السالفة ، وكما يحكى في : « ج » ص ٦٧٧ - ومن أمثلة اتفاقهما قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) . وقوله تعالى : في سورة الشورى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...) وبسبب توافق اللفظين يتشابه بدل الكل والتوكيد اللفظي في الصورة اللفظية الظاهرة ، وقد يصعب التفريق بينهما أحياناً في الصورة اللفظية الظاهرة . غير أن الصعوبة تزول ويتيسر تمييز أحدهما من الآخر بأمرين مجتمعين معاً :

أولهما : الغرض المعنوي الذي ينفرد بتأديته كل منهما ، وهذا الغرض ترشد إليه وتعينه القرائن وتحدده . وثانيهما : الأحكام الأخرى التي يختص بها كل منهما دون صاحبه . . .

وقد يكون « البديل » عاماً في ظاهره ولكنه خاص في المراد منه ؛ كما في الاستثناء التام غير الموجب حيث يجوز في المستثنى النصب والبديل ، نحو : ما تخلف السباقون إلا واحداً ، أو واحداً . فإذا تقدم المستثنى « البديل » فإن الحكم يتغير ؛ فيزول عنه اسمه ، ويعرب على حسب حاجة الجملة ؛ ويفقد المستثنى منه الذي تأخر اسمه ، ويعرب « بدلاً » من الاسم السابق ، ويصير الكلام : ما تخلف إلا واحد - السباقون . فالسباقون : « بدل » من واحد ، وهو بدل « كل من كل » ؛ لأن المتأخر عام أريد به خاص - كما أسلفنا - وبيان هذه المسألة وتفصيل الكلام عليها مدون في مكانها المناسب ؛ وهو باب الاستثناء ج ٢

- رقم ٤ من هامش ص ٢٩٨ م ٨١ ، عند الكلام على المستثنى بإلا - .

(٢) الأمثلة الثلاثة السالفة صالحة لبديل الكل ، ولعطف البيان ، وللتوكيد اللفظي بالمرادف ، وإنما تكون التفرقة بينها بالغرض المراد تحقيقه من كل ، طبقاً لما سلف من الأغراض المدونة في أبوابها وبملاحظة الفوارق والأحكام التي تميز كل نوع ، وتختص به - كما سبقت الإشارة هنا في رقم ١ -

إن النجومَ نجومَ الأفقِ أصغرُها في العينِ أذهبُها في الجوِّ إصعادا
فكلمة : « نجوم » الثانية بدل كل من كل ؛ من الأولى ، لأن المراد من
نجوم الأفق هو عين المراد من كلمة : « نجوم » الأولى . ومثل هذا قول الآخر :
إن الأسود أسودَ الغابِ همَّتْها يومَ الكريمةِ في المسابِغِ لا المَلَبِ (١)
وقد تقدم الارتباط بين بدل الكل وعطف البيان (٢)

ثانيها : بدل بعض من كل ، (أو : بدل جزء من كل) . وضابطه : أن
يكون البديل جزءاً حقيقياً (٣) من المبدل منه (سواء أكان هذا الجزء أكبر من
باقى الأجزاء ، أم أصغر منها ، أم مساوياً) وأن يصح الاستغناء عنه بالمبدل منه ؛
فلا يفسد المعنى بحذفه (٤) نحو : أكلت البطيخة ثلثها ، والبرتقالة ثلثيها .
ونحو : اعتنيت بوجه الطامل ، عنيته . ونظمت فله ، أسنانه .

والأعمّ الأكثر أن يشتمل هذا البديل على رابط يربطه بالمتبوع ، وأهم
الروابط هو « الضمير » (٥) فإن كان الرابط الضميرَ وجب أن يطابق المتبوع
في الأفراد والتذكير وفروعهما (٦) ومن الجائز — مع قلته — الاستغناء عن
هذا الضمير في إحدى حالات ثلاث .

(١) الغنية التي يأخذها الغالب من المخلوب . (٢) في ص ٥٤٦ .
(٣) جزء الشيء هو الذي يدخل في تكوين هذا الشيء دخولا أساسياً ، لا عرضياً ، بحيث لا يوجد
الكل كاملاً بغير جزئه ، كالرأس ، أو العنق ، أو القلب ، ... بالنسبة للإنسان ، وكالعين ،
أو : الفم أو : الجهة . . . بالنسبة للوجه ، وكالشفيتين ، أو : الأسنان . . . بالنسبة للفم . . .
و . . . أما الأمور العرضية والأوصاف الطارئة . . . فكالعلم ، أو الفهم ، أو : البياض ، أو : الحمرة .
وبسبب الجزئية الأصلية اختلف بدل « البعض » عن « بديل » الاشتغال — كما سيجي في ص ٦٧٠ .
(٤) يشترط لصحة بدل البعض — كما يقول الصبان — صحة الاستغناء عنه بالمبدل منه فيصح
جذع السارق أنفه ، ولا يصح : قطع السارق أنفه ؛ لأنه لا يقال : قطع السارق . على معنى قطع أنفه ،
وإرادة هذا المعنى . فلا بد في البديل الجزئي من دلالة ما قبله دلالة إجمالية . يوضح هذا صاحب
« الجمع » بأنه لو حذف البديل لأمكن الاهتداء إليه مما قبله من غير أن يختل الكلام بحذفه — وقد أشرنا
لهذا في : « و » من ص ٦٧٨ — .

(٥) لأنه أقوى في الإيضاح ، وكشف المراد ، وإبعاد اللبس ، وهذه أسمى خصائص اللغة .
(٦) ولا فرق بين أن يتصل الضمير بالبديل مباشرة — كالأمثلة المتقدمة — وأن يتصل بلفظ
آخر له صلة بالبديل ؛ نحو : احتفت بالفائزين ؛ ثلاثة منهم .

١- وجود « أل » التي تغنى عنه في إفادة الربط ، وتقوم مقامه عند أمن اللبس ، نحو: إذا رأيت الوالد فقبّله ، اليد ، أى : فقبّله يده ، أو اليد منه ^(١) ...

ب- أن يكون البدل بعضاً والمبدل منه هو المستثنى منه في كلام تام غير موجب ، (حيث يصح في المستثنى : إمّا النصب على الاستثناء ، وإما الإتيان على البدلية من المستثنى منه - كما تقدم في باب المستثنى- ^(٢)) ؛ نحو : ما تعب السباحون إلا واحداً أو واحداً ؛ فوجود « إلا » يغنى عن الرابط ؛ لدلالاتها على أن المستثنى بعض من المستثنى منه ^(٣) .

ج- أن يجيء بعد البدل سرد بقية أجزاء المبدل منه ، بحيث يكون سردها وافيّاً يشملها جميعاً ، ويستوفى كل أجزاء المتبوع ؛ مثل : الكأمة أقسام ثلاثة ؛ اسم ، وفعل ، وحرف ، فلفظة : « اسم » بدل بعض من ثلاثة ، أو من أقسام . وهذا البدل خال من الرابط ؛ لأن البدل وما بعده قد جمع كل أجزاء المبدل منه ، وذكرت في الكلام مستوفاة ^(٤) . ومن الأمثلة قول الشاعر :

أداوى جحود القلب بالبر والتقى ولا يستوى القلبان : قاسٍ وراحمٍ

فكلمة : « قاس » بدل خال من الرابط ؛ لأنه مع ما بعده يشتمل على كل ما للمبدل منه . وليس للمبدل منه هنا سوى هذين النوعين .

ثالثها : بدل الاشتمال ، ولتوضيحه نسوق المثال التالى :

إذا قلتُ : أعجبتنى الوردة ، جاز للسامع أن ينسب الإعجاب إلى لونها أو رائحتها ، أو تنسيق أوراقها - أو ... لأن الإعجاب يحتمل هذه المعانى العرّضية مفردة ، ومجمّعة ، ويشتمل عليها ضمناً . فإذا قلت : أعجبتنى الوردة رائحتها . ، تعيّن معنى واحد من تلك المعانى العرّضية التى يتضمنها العامل :

(١) انظر ما يتصل بهذا في رقم ٢ من هامش ص ٦٧٦ . (٢) في ج ٢ م ٨١ ص ٢٩٧ .

(٣) راجع حاشية الصبان ، أول باب الاستثناء .

(٤) وقيل : إن الضمير مقدر ، والتقدير : اسم منها ، وفعل منها ، وحرف منها . ولا أثر للخلاف بين الرايين . لأن نتيجهما واحدة : هى خلو التابع من رابط ظاهر في الكلام .

« ملاحظة » إذا كان المبدل منه متعدداً والبدل غير واف بالعدد تعين قطع البدل بالتفصيل الذى سنذكره في « هـ » من ص ٦٧٧ . (راجع الصبان في أول باب عطف البيان) .

(أعْجَبَ) ، واتجه القصد إلى هذا المعنى دون باقى المعانى التى يشتمل عليها العامل إجمالاً ، والتى تنطبق على الوردة وتتصل بها ، من غير أن يدخل واحد منها فى ذات الوردة ، وفى تكوينها المادى (الجسمى) ، أى : من غير أن يكون واحد منها جزءاً حقيقياً أساسياً لا توجد الوردة إلا به ، فليست رائحة الوردة جزءاً أصيلاً فى تكوينها المادى يتوقف عليه وجود الوردة ، وليس لونها ، أو تنسيق ورقها جزءاً أساسياً كذلك ، وإنما هى أمور عَرَضية طارئة على ذاتها المادية ، قد تلازم الذات أولاً تلازمها . وبقاء الذات أو فناؤها ليس متوقفاً عليها ؛ فمن الممكن أن توجد الوردة وأن تبقى من غير أن يكون لها رائحتها ، أو لونها ، أو تنسيق ورقها ، أو غير هذا من المعانى والأوصاف الطارئة التى تندمج تحت لفظ العامل : « أعْجَبَ » .

فالرائحة فى الأسلوب السابق هى التى تسمى : « بدل اشتمال » و « المبدل منه » هو : « الوردة » ، والعامل هو : « أعْجَبَ » . ويقولون فى بدل الاشتمال :

« إنه تابع يُعَيِّنُ أمراً عَرَضيّاً ، ووصفاً طارئاً من الأمور والأوصاف المتعددة التى تتصل بالمتبوع ، ويشتمل عليها معنى عاملاً إجمالاً بغير تفصيل ^(١) » .

ومن هذا التعريف يتبين أن بدل الاشتمال مقصود لتعيين أمر فى متبوعه ، وأن هذا الأمر عَرَضى طارئ ، وليس جزءاً أصيلاً من المتبوع ^(٢) . وأن أساس الاشتمال وموضعه الحق هو « العامل » بمعناه ، لا التابع ولا المتبوع .

ومن الأمثلة لهذا البديل : بهرنى عمرُ عدله — راقى معاويةُ حلمه — سرتنى عائشةُ علمها ودينها . فالكلمات : عدل : حلم — علم . . . بدل اشتمال كل واحدة منها تُعَيِّنُ أمراً خاصاً فى المتبوع . وهو أمر عَرَضى لا يدخل فى تكوين الذات تكويناً مادياً أصيلاً . وهذا الأمر العَرَضى الطارئ يندرج

(١) وهذا الاشتمال قد يكون فى أمر مكتسب ؛ كالعلم ، أو غير مكتسب مع ملازمته لصاحبه زمناً ، كالحسن ، أو عدم ملازمته : كالكلام . وأيضاً قد يكون الاشتمال تارة اشتمال الطرف على المظروف ؛ كالشوب ، وتارة لا يكون ، كالفرس .

(٢) وبسبب هذا يختلف بدل الاشتمال عن بدل البعض اختلافاً واسعاً .

مع أمور عَرَضِيَّة أخرى تحت العامل ، ويشتمل عليها معنى هذا العامل إجمالاً .

ولا بد في بدل الاشتمال من ضمير يطابق المتبوع في الأفراد والتذكير وفروعهما ، وهذا الضمير قد يكون مذكوراً كما في الأمثلة السالفة ، وقد يكون مقدراً ؛ كقوله تعالى : (قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ^(١)) ، النار ذات الْوَقُودِ ، والتقدير : « النار فيه » . فحذف الجار والمجرور ، والمجرور هو الضمير الرابط ، ويصح أن يكون التقدير : ناره ذاتِ الوقود . ثم حذف الضمير ، ونابت عنه « أل » في الربط ^(٢) .

وبدل الاشتمال — كبديل البعض — لا بد لصحته من صحة الاستغناء عنه بالمبدل منه وعدم فساد المعنى بحذفه ^(٣) .

رابعها : البدل المبين للمبدل منه — ويسمى : « بدل المبينة » — وهو ثلاثة أنواع لا بد في كل منها أن يكون هو المقصود بالحكم ^(٤) ، وأن يقوم دليل (أى : قرينة) يوضح المراد منه ، ويمنع اللبس ^(٥) . وهذا القسم بأنواعه الثلاثة لا يحتاج إلى ضمير — أو غيره — يربطه بالمتبوع .

٢ — بدل الغلط : وهو الذى يذكر فيه المبدل منه غلطاً لِسَانِيّاً ، ويحىء البدل بعده لتصحيح الغلط . وذلك بأن يحرى اللسان بالمتبوع من غير قصد ،

(١) أصل الأخدود : الشق أو الحفرة فى الأرض . ويراد به هنا : شق أحدثه قبل الإسلام بعض الملوك الطغاة فى الفرس والعين والشام ليحرقوا فيه من يخالفهم ، ويخرج من دينهم إلى النصرانية ، أو غيرها من الأديان السماوية .

(٢) ما الداعى لأن يقال : حذف الضمير ، ونابت عنه « أل » فى الربط ؟ أليس الأفضل أن نتبع رأى الذى يجعل الرابط هو الضمير ؛ وأنه قد يصح الاستغناء « بأل » أو غيرها ، كما سبق البيان فى ص ٦٦٩ ؟ على أن هذا الاختلاف شكلى يسير .

(٣) لهذا بيان فى حاشية : « ياسين » على التصريح « ، مضمونه : أنه يشترط فى بدل الاشتمال تحقق أمرين ، أحدهما : إمكان فهم معناه عند حذفه ؛ ومن ثم كان « أعجبني على أخوه » ، بدل إضراب ، لا بدل اشتمال ، إذ لا يصح الاستغناء عنه بالأول .

وثانيهما : حسن الكلام واستقامته على تقدير حذفه ، وافترض أن البدل غير مذكور ، ولهذا امتنع : « أصرجت عليا فرسه » لأنه — بالرغم من فهم معناه فى الحذف — لا يستعمل مثله ، ولا يحسن . فلورود مثل هذا الكلام لكان بدل غلط ؛ فبدل الاشتمال كبديل الجزء فى هذا ، — كما أشرنا فى ص ٦٧٨ — .

(٤) وهذا هو الشأن فى كل نوع من أنواع البدل .

(٥) انظر ما يختص بمنع اللبس فى الصفحة الآتية .

ثم ينكشف هذا الغلط والخطأ للمتكلم سريعاً ؛ فيذكر البديل ، ليتدارك به الخطأ اللساني ويصححه . فالغلط إنما هو في ذكر المبدل منه ، لا في البديل ، نحو : (أعظم الخلفاء العباسيين : « المأمون » بن « المنصور » ، « الرشيد » .) فالحقيقة : أن « المأمون » هو ابن « الرشيد » ، ولكن المتكلم جرى لسانه بالخطأ ، فذكر أنه ابن المنصور ؛ فأسرع وأصلح الخطأ بذكر الصواب ، قائلاً : « الرشيد » . فالرشيد ؛ بديل من المتبوع ، الذي ذُكر خطأً لسانياً . وليس « الرشيد » هو : الغلط ؛ وإنما هو تصحيح للغلط الكلامي السالف الذي ذكر بغير قصد ولا تنبه . فكلمة : « الرشيد » بديل من « المنصور » بديل غلط ، أى : بدلاً مقصوداً من شيء غير مقصود ذُكرَ غلطاً — كما أوضحنا — ولا يحتاج هذا البديل إلى ضمير يربطه بالمتبوع^(١) ولا ورود لهذا النوع في القرآن الكريم منسوباً إلى الله^(٢)

ب- بديل النسيان : هو الذي يذكر فيه المبدل منه قصداً ، ويتبين للمتكلم فساد قصده : فيعدل عنه ، ويذكر البديل الذي هو الصواب ؛ نحو : (صليت أمس العصر ، الظهر ، في الحقل) ، فقد قصد المتكلم النص على صلاة العصر ، ثم تبين له أنه نسي حقيقة الوقت الذي صلاه ، وأنه ليس العصر ؛ فبادر إلى ذكر الحقيقة التي تذكرها ؛ وهى : « الظهر » فكلمة : « الظهر » بديل مقصود من كلمة : « العصر » بديل نسيان . والفرق بين هذا البديل وسابقه أن الغلط يكون من اللسان ، أما النسيان فمن العقل .

وهذا النوع كسابقه لا يحتاج إلى ضمير يعود على المتبوع ، ولا إلى رابط آخر^(٣) ولا ورود لهذا النوع في القرآن الكريم منسوباً إلى الله^(١)

ح- بديل الإضراب^(٣) : وهو الذي يذكر فيه المبدل منه قصداً ، ولكن

(١ و ١) انظر الملاحظة التي في ص ٦٧٢ .

(٢ و ٢) إذ يستحيل وقوع « الغلط والنسيان » من المولى — جل شأنه — ويستحيل نسبة أحدهما إليه ؛ لبطان هذه النسبة بدهاة .

(٣) يسمى أيضاً : بديل « البداء » — بفتح الباء والدال — أى : الظهور . لأن المتكلم بعد أن ذكره أولاً — بدا له (أى : ظهر له) أن يذكر الثانى . والإضراب المقصود هنا هو : الإضراب الانتقالى — وقد سبق شرحه في ص ٦٢٣ — .

يُضْرَبُ عَنْهُ الْمُتَكَلِّمُ (أَى : يَنْصَرَفُ عَنْهُ وَيَتْرَكُهُ مَسْكُوتًا عَنْهُ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بَنَى أَوْ إِثْبَاتٌ — كَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ — وَيَتَجَهَّزُ إِلَى الْبَدَلِ . نَحْوُ : سَافِرٌ فِي قِطَارٍ ، سَيَارَةٌ . فَقَدْ نَصَّ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى الْقِطَارِ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْهُ تَارِكًا أَمْرَهُ ، وَنَصَّ عَلَى السَّيَارَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَهِيَ بَدَلٌ مَقْصُودٌ مِنَ الْقِطَارِ . وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا الْبَدَلُ إِلَى ضَمِيرٍ يَعُودُ إِلَى الْمَتَّبِعِ ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الرُّوَاطِ ... (١)

(١) وَفِي الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ :

مُطَابِقًا ، أَوْ : بَعْضًا ، أَوْ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ يُقَالُ ، أَوْ : كَمُعْطُوفٍ بِبَلٍ

(تَقْدِيرُ الْبَيْتِ : يَلْنِي الْبَدَلُ مُطَابِقًا ، أَوْ بَعْضًا ، أَوْ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ، أَوْ كَمُعْطُوفٍ بِبَلٍ) وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْبَيْتُ بَدَلَ الْمِطَابَقَةِ بِالنَّصِّ الصَّرِيحِ وَهُوَ : « مُطَابِقًا » . وَبَدَلَ الْبَعْضِ بِالنَّصِّ الصَّرِيحِ ، وَهُوَ : « بَعْضًا » كَمَا تَضَمَّنَ بَدَلَ الْإِشْتِمَالِ بِقَوْلِهِ : « أَوْ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ » . (وَكَلِمَةٌ : مُطَابِقًا مَفْعُولٌ ثَانٍ لِيَلْنِي) .

يُرِيدُ : أَوْ : شَيْئًا يَشْتَمِلُ عَلَى الْبَدَلِ امْتِمَالًا مَعْنَوِيًّا (وَهُوَ يُرِيدُ : الْعَامِلُ وَالْمَتَّبِعُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ) . وَيُرِيدُ بِالْمُعْطُوفِ بِالْحَرْفِ الَّذِي يَشْبَهُ « بَلٍ » : بَدَلَ الْمُبَايَنَةِ ؛ لِأَنَّهُ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ لَا يَخْلُو مِنَ الْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِ لَا الْإِبْطَالِ . (وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُ الْاِثْنَيْنِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى « بَلٍ » الْعَاطِفَةِ — ص ٦٢٣ — وَأَوْضَحْنَا أَنَّ الْإِنْتِقَالَ هُوَ الَّذِي يَفِيدُ الْإِنْتِقَالَ مِنْ غَرَضٍ إِلَى غَرَضٍ آخَرَ) وَيَبِينُ ابْنُ مَالِكٍ الْمُرَادَ مِنْ شَبِيهِ « بَلٍ » فَيَقُولُ :

وَذَا لِلْإِضْرَابِ اعْزُزْ إِنْ قَصِدًا صَحِبَ وَدُونَ قَصْدٍ غَلَطَ بِهِ سُلِبَ
(ذَا ، أَى : هَذَا الَّذِي يَشْبَهُ : « بَلٍ » — اعز : انْسَبَ) .

يُرِيدُ : انْسَبَ الَّذِي يَشْبَهُ « بَلٍ » إِلَى الْإِضْرَابِ إِنْ صَحِبَهُ الْقَصْدُ ، وَكَانَ الْمُتَكَلِّمُ مُرِيدًا لَهُ ، (وَالْإِضْرَابُ هُنَا هُوَ : الْإِضْرَابُ الْإِنْتِقَالِي) . وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْهُ الْمُتَكَلِّمُ فَهُوَ « بَدَلُ غَلَطٍ » . وَقَدْ بَيَّنَّ بَعْدَ هَذَا أَنَّ الْبَدَلَ نَفْسُهُ لَيْسَ بِمَوْضِعِ الْغَلَطِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَسْلُبَ الْغَلَطَ وَيُزِيلَهُ . (وَالتَّقْدِيرُ : وَغَلَطَ دُونَ قَصْدٍ سُلِبَ بِالْبَدَلِ) . وَاقْتَصَرَ ابْنُ مَالِكٍ عَلَى تَوْعِينَ مِنَ الْبَدَلِ الْمُبَايَنِ : هُمَا : « الْغَلَطُ » ، وَالْإِضْرَابُ ، وَتَرَكَ « النَّسْيَانُ » وَلَكِنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي الْمَشْتَمِلَ عَلَى مِثَالٍ لِكُلِّ نَوْعٍ — قَدْ يَتَّعِشُ لِلنَّسْيَانِ ، قَالَ :

كَزَّرَهُ خَالِدًا ، وَقَبْلَهُ الْيَدَا وَأَعْرِفْهُ حَقَّهُ ، وَخُذْ نَبِيلًا مَدَى

(خَالِدٌ : اسْمُ رَجُلٍ — النَّبِيلُ ، جَمْعُ : نَبِيلَةٍ ، وَهِيَ : السَّهْمُ الَّذِي يَصَادُ بِهِ الطُّيُورُ وَغَيْرُهَا مِنَ النَّاسِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَ . الْمَدَى ، جَمْعُ مَدْيَةٍ ، وَهِيَ : السَّكِينُ .) « فَخَالِدٌ » بَدَلُ كُلِّ مَنْ أَلْهَاهُ الْفِعْلُ قَبْلَهُ مَبَاشَرَةً . وَ« الْيَدَا » : بَدَلُ جُزْءٍ مِنَ أَلْهَاءِ الْفِعْلِ قَبْلَهُ فِي الْفِعْلِ (أَى : يَدُهُ ، أَوْ أَلْيَدَاهُ) وَ« حَقٌّ » بَدَلُ إِشْتِمَالٍ مِنَ أَلْهَاءِ الْفِعْلِ قَبْلَهُ مَبَاشَرَةً ، وَمَدَى : بَدَلُ غَلَطٍ ، أَوْ نَسْيَانٍ ، أَوْ « نَيْلًا » . فَالْبَدَلُ هُنَا يَحْتَمِلُ الثَّلَاثَةَ .

والأحسن عدم الالتجاء إلى هذا النوع من البديل قدر الاستطاعة ؛ لأن احتمال اللبس فيه كبير ^(١)

« ملاحظة » : سبق أن أنواع البديل المبين الثلاثة تحتاج إلى قرينة توضح وتمنع اللبس . وأحسن منها أن يتقدم على كل نوع — مباشرة — حرف العطف « بل » المفيد للإضراب . لأن وجود هذا الحرف يؤدي إلى إعراب ما بعده معطوفاً لا بدلاً . وبهذا يمتنع احتمال أنه نعت ، ذلك الاحتمال الذي قد يتسرب إلى الوهم قبل مجيء الحرف : « بل » وبمجيئه تنتقل المسألة من البديل إلى العطف .

زيادة وتفصيل :

١- المشهور من أنواع البديل هو الأربعة التي شرحناها . وزاد بعض النحاة نوعاً خامساً سماه : « بديل الكل من البعض » ، واستدل له بأمثلة متعددة تؤيده ، منها قوله تعالى في التائبين الصالحين : « (...) فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ، جَنَّاتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ . .) » ، فجئات بديل كل من الجنة ، والأولى جمع ، والثانية مفرد ، ولهذا كان البديل كلاً والمبديل منه بعضاً . ومنه قول الشاعر :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانٍ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ

فكلمة : طلحة « بديل كل » من « أعظم » التي هي جزء من « طلحة » ، وكذلك قول الشاعر :

كَأَنِّي غَدَاةَ ^(١) الْبَيْنِ ^(٢) يَوْمَ تَحَمَّلُوا ^(٣) لَدَى سُمُرَاتٍ ^(٤) الْحَيَّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ ^(٥)
فكلمة « يوم » بديل كل من « غداة » مع أنه يشملها ، وهي جزء منه ^(٦) ...

ب- حكم البديل :

البديل أحد التوابع ؛ فلا بد أن يوافق متبوعه في حركات الإعراب ، وفي بعض الأشياء المشتركة التي سبق النص عليها ^(٧) . أما موافقته إياه في غير ذلك فيجوز فيها التفصيل الآتي :

(١) فمن جهة التنكير والتعريف لا يلزم أن يوافق متبوعه فيهما ؛ فقد يكونان

(١) أول النهار . (٢) الفراق . (٣) سافروا وارتحلوا .

(٤) جمع « سُمُرَة » - بفتح فضم ، ففتح - وهي شجرة الطلح (نوع من شجر الموز) .

(٥) أى : جامع حنظل . وجامعه تدمع عيناه .

(٦) قال صاحب اللمع - ج ٢ ص ١٢٧ - ما نصه : « والمختار - خلافاً للجمهور - إثبات

بديل الكل من البعض ؛ لوروده في الفصحى » ا هـ . وسرد لتأييد رأيه الأمثلة السالفة .

(٧) في ص ٤٣٤ .

— معاً — معرفتين ؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ؛ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...) بجزء كلمة . « الله » ؛ على اعتبارها بدلاً من كلمة : « العزيز » . وقد يكونان نكرتين ؛ كقوله تعالى : (إِنْ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ^(١) ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ...) . وقد تُبدل المعرفة من النكرة كقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ صِرَاطِ اللَّهِ ...) .

وقد تُبدل النكرة من المعرفة ، كقوله تعالى : (لَنَسْفَعَنَ بالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةً كَاذِبَةً ^(٢)) . والمفهوم من كلامهم أن تكون هذه النكرة مختصة — لا مَحْضَة — لأن النكرة المختصة الحالية من فائدة التعريف — نحو : مررت بمحمد رجل عاقل — قد تفيد ما لا تفيد المعرفة المشتملة على فائدة التعريف ^(٣) . وما يؤيد هذا أن الغرض من البدل — كما عرفناه فيما سبق — لا يتحقق بالذكرة المحضة .

(٢) ومن جهة الأفراد والتذكير وفروعهما ، فإن بدل الكل من الكل يطابق متبوعه فيها جميعاً ... ما لم يمنع مانع من التثنية أو الجمع ، كأن يكون أحدهما مصدراً لا يشئ ولا يجمع ؛ كالمصدر الميمي ^(٤) ؛ مثل : قوله تعالى في الآية السالفة : (مَفَازًا ، حَدَائِقَ ...) وكقصد التفصيل ، في قول الشاعر :

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَحَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ ^(٥)

وأما غيره من أنواع البدل فلا يلزم موافقته فيها ^(٦) .

والغالب أن البدل يرتبط به ما بعده ويعتمد عليه ؛ فيطابقه في حالتي التذكير

(١) فوزاً ، أو : مكان فوز .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٤٥٦ .

(٣) راجع حاشية ياسين في آخر باب البدل .

(٤) سبقت الإشارة لهذا في ٢٣١ .

(٥) بطلت حركتها ، ووقفت .

(٦) انظر ص ٥٤٦ وما بعدها ، وص ٦٦٨ ، عند الكلام على : « ثانيها » .

والتأنيث وغيرهما ؛ نحو : إن الغزال عينه جميلة ، وإن الفتاة جفنتها فاتر ، بتأنيث خبر « إن » في المثال الأول ، وتذكيره في الثاني ، ولولا أن الملاحظ هو البديل لوجب التذكير في الأول والتأنيث في الثاني . ولا بد في مراعاة ذلك الغالب من عدم وجود قرينة تمنع منه ، وتدل على غيره ^(١) . ومن غير الغالب قول الشاعر :

إن السيوف غدوها ورواحها تركت هوارن مثل قرن الأعضب ^(٢)

فقد جاء الفعل « ترك » مؤنثاً مراعاة للمبدل منه ، (وهو اسم « إن » لا للبديل .

ح - قلنا ^(٣) - إنه قد يتحد ^(٤) لفظ البديل والمبدل منه إذا كان في لفظ البديل زيادة بيان وإيضاح ؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى : (وترى كل أمة جاثية ^(٥) كل أمة تدعى إلى كتابها . . .) بنصب كلمة : « كل » الثانية ؛ فقد اتصل بها معنى زائد ، ليس في المبدل منه ؛ هو بيان سبب الجثو ، وهو استدعاء كل أمة لتقرأ كتابها . ومن الأمثلة : شاهدنا الجنود ، فرحة ، الجنود التي انتصرت على أعدائها ، وأينا الأمة تخرج لاستقبالهم ، الأمة التي أنجبتهم ...

د - قد يحذف المبدل منه ويستغنى عنه بالبديل بشرط أن يكون المبدل منه في جملة وقعت صلة موصول ؛ نحو : أحسن إلى الذي عرفت المحتاج ، أي : الذي عرفته المحتاج . فلكلمة : « المحتاج » يصح أن تكون بدلاً من الضمير المحذوف ^(٦)

هـ - يصح الإتيان والقطع في البديل إذا كان المبدل منه مذكوراً مجملاً ، مضمونه أفراد وأقسام متعددة ، تذكر بعده مفصلة - بأن يشتمل الكلام بعده على جميع أقسامه كاملة - نحو : مررت برجال ، طويل ، وقصير ،

(١) والأحسن التعبير عن هذا المعنى بأسلوب آخر لا يوم ولا يوقع في لبس .

(٢) الحيوان المكبور قرنه .

(٣) في ص ٦٦٧ وهامشها .

(٤) راجع في الحكم الثالث : « ج » وما بعده « الأشموني » . آخر باب : « البديل » .

(٥) قاعدة معتمدة في القعود على ركبتيها .

(٦) يصح في كلمة : « المحتاج » النصب على البدلية من الضمير المحذوف ، والجر على البدلية

من اسم الموصول ، والرفع على الخبرية لابتداء محذوف ، تقديره : هو .

وَرَبَّعَةً^(١) . . . بالرفع ، أو النصب ؛ أو الجر في هذا المثال .

فإن كان الكلام غير مستوف أقسام المبدل منه تعين في البذل القطع^(٢) نحو : مررت برجال طويلا وقصيرا ، أو : طويل وقصير ، بالرفع أو النصب في الكلمتين . إلا عند نية معطوف محذوف ، فلا يتعين القطع وإنما يصح الأمران — كما صح في الأول — وهما : البذل والقطع . ومن الأمثلة لهذا قوله عليه السلام : « اجتنبوا الموبقات ، الشرك والسحر » بنصبيهما . والتقدير : وأخواتيهما . . . بدليل ذكر هذا المعطوف في حديث آخر .

فإن كان البذل خالياً من التفصيل جازفيه الأمران أيضاً : الإنباع والقطع ؛ نحو : فرحت بعلی أخوك أو أخاك على القطع فيهما . أو : أخيك على البذل . . . وسيجيء — في ص ٦٨٤ وما بعدها — إيضاح آخر لبذل التفصيل ، وأنه نوع من بدل الكل .

أما تفصيل الكلام على القطع وطريقته فقد سبق في باب النعت . ومن المستحسن التخفيف من استعماله قدر الاستطاعة .

و — يشترط^(٣) في بدل البعض وبدل الاشتمال أن يصح في كل منهما الاستغناء بالمبدل منه ، وعدم فساد المعنى أو اختلال التركيب لو حذف البذل ، أو اتصل به عامله اتصالاً لفظياً ظاهراً ومباشراً ، فلا يجوز : (قطعت اللص أنفه ، ولا لقيت كل أصحابك أكثرهم ، ولا أسرجت القوم دابتهم) لعدم صحة الاستغناء بالمبدل منه عن البذل . وكذلك لا يصح مررت بمحمد أبيه ، إذ لا يصح أن يقال في هذا المثال — وأشباهه — عند إظهار عامل

(١) متوسط بين الطويل والقصير .

(٢) لكيلا يكون بدل بعض من كل مع خلوه من الرابط ، وما يغني عن الرابط — كما سبق في ص ٦٤٤ وفي رقم ٤ من هامشها .

(٣) الشرط الآتي هو ما سبقت الإشارة إليه في رقم ٤ من هامش ص ٦٦٨ عند الكلام على « بدل البعض » نقلاً عن اللصبان ، وكذا في ص ٦٦٩ عند الكلام على « بدل الاشتمال » نقلاً عن هاسين وقلنا في الموضعين السالفين إن مجال الكلام عليه سيكون هنا . ويتصل بهذا ما في رقم ١ من هامش ص ٦٦٦ .

.

البدل — وهو مررت ، أو الباء — وتسليطه على البدل مباشرة : مررت أبيه ،
 بتعدية الفعل اللازم ، كما لا يقال مررت بأبيه ، من غير مرجع للضمير .

ز — الأغلب أن البدل على نية تكرار العامل ^(١) ، وليس على تكراره حقيقة .
 بيان هذا : أن العامل في « البدل منه » هو العامل في « البدل » لكن هذا العامل المشترك
 بينهما واجب الإظهار والتلفظ به قبل المتبوع وحده . ولا يصح إعادته وتكراره ظاهراً
 صريحاً قبل التابع . وإنما يكفي تخيل وجوده قبل البدل مباشرة . وملاحظة أنه موجود
 قبله في النية والتقدير ؛ لا في الحقيقة والواقع . مع استقامة الأسلوب ، وسلامة المعنى
 بغير حاجة إلى إعادته وتكراره صريحاً ظاهراً في الكلام .

والسبب في منع التكرار الحقيقي — لا الخيالي — أنه يؤدي إلى تأثير العامل
 المتكرر في « البدل » تأثيراً جديداً يزعجه عن « البدلية » ويدخله في عداد
 معمولات أخرى لا تصلح « بدلاً » ؛ ففي مثل : نظف الرجلُ فنه أسنانهُ ،
 يكون المبدل منه هو « الفم » ، والبدل هو : « أسنان » وعاملهما هو :
 « نَظَفَ » المذكور صريحاً قبل المتبوع . وتخيلاً وتقديراً — دون تكراره —
 قبل التابع ، وعلى أساس هذا التخيل المجرد ، والتقدير المحض يصح أن نفترض
 أن أصل الكلام هو : نظف الرجلُ فنه — نظف الرجلُ أسنانه . وهذا الافتراض
 لم يفسد المعنى ولا التركيب ، وإنما أدّى إلى توضيح المراد : فلو اعتبرنا العامل
 الثاني ، الملاحظ تخيلاً وتقديراً — وهو هنا : « نَظَفَ » — عاملاً معاداً حقيقة ،
 وتكراراً للأول لأدى هذا إلى إيجاد تركيب جديد ، خال من البدل ، ولوجب إعراب
 كلمة : « أسنان » شيئاً آخر غير البدل ؛ فتكون هنا على الاعتبار الجديد « مفعولاً
 به » ، ولا تصلح بدلاً ، ويترتب على هذا التغيير الإعرابي تغيير معنوي معروف
 ينشأ من الفرق المعنوي بين البدل ، والمفعول به ، إذ لكل منهما مهمة تختلف عن
 مهمة الآخر .

ويستفي من الحكم السالف صورة يضح فيها الأمران ؛ إما تكرار العامل
 تكراراً لفظياً ، وإعادة التلفظ به مرة ثانية ، وإما الاكتفاء بتخيل وجوده قبل البدل

(١) سبق إيضاح المراد من أن البدل في حكم تكرار العامل ، وأن المبدل منه في حكم المطروح
 (في رقم ١ من هامش ص ٦٦٤ — وله إشارة موجزة في ص ٥٤٧) .

والاقتصار على ملاحظته في النية والتقدير^(١). وهذه الصورة الجائزة - لا الواجبة ، كما أسلفنا^(٢) - هي التي يكون فيها العامل حرفاً من حروف الجر ؛ كاللام الجارة في قوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . . .) ، وفي قوله تعالى : (ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً ، لأولنا وآخرنا . . .) ومثل : « من » في قوله تعالى : (ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . . .) ؛ فقد تكررت اللام وأعيدت صريحة في الآية الأولى (. . . لكم - لمن . . .) ، وكذلك في الآية الثانية (. . . لنا - لأولنا) كما تكررت « من » في الآية الثالثة (من المشركين - من الذين . . .) وهكذا . . .

لكن ما إعراب حرف الجر المكرر ؟ وما إعراب الاسم المجرور بعده ؟ قيل : إن حرف الجر المكرر أصلي ، باق على عمله ، وإنه هو الذي جر الاسم الواقع « بدلاً » بعده . دون الحرف الأول المتقدم ، ودون حرف آخر مقدر ، أو ملحوظ متخيل . بحجة أنه لا داعي للتقدير في هذه الصورة مع وجود عامل مذكور ، منطوق به صراحة ؛ فإن التخيل أو التقدير إنما يكون في غير هذه الصورة التي ظهر فيها العامل المتكرر ، ووقع تحت الحس ؛ فلا يمكن إغفاله ، ولا إنكار وجوده . ولا المطالبة بأن يكون العامل في المبدل منه هو العامل في البديل ، إذ لا داعي للتمسك بهذا الحكم حين يكون العامل المتكرر حرف جر ، بعده البديل مباشرة ..

بقي الاعتراض بشيء آخر ، هو أن حرف الجر الأصلي لا يجوز البديل ؛ لأن عمله مقصور على شيء واحد ؛ هو جر الاسم جرّاً مجرداً ، لا يصح معه اعتبار ذلك الاسم المجرور بدلاً أو غير بدل . قد يتدفع هذا الاعتراض بواحد من ثلاثة :

أولها : وهو أقواها وأحسنها - صحة اعتبار المجرور في هذه الصورة وحدها « بدلاً » ؛ بالرغم مما هو مقرر أن التوكيد اللفظي لا يؤثر في غيره ، ولا

(١) راجع حاشية ياسين على التصريح ، باب البديل . عند الكلام على بدل الاشتغال .

(٢) في رقم ٢ من هامش ص ٦٦٤ .

.....

يتأثر به ، فلا يصلح عاملاً ولا معمولاً^(١) .

ثانيها : اعتبار العامل المتكرر توكيداً لفظياً محضاً (أى : لا يؤثر ولا يتأثر ، طهقاً لما سبق تقريره) . وأن الاسم المجرور بعده مجرور بالعامل الأول الذى له التأثير فى المبدل منه ؛ فهو - أى : العامل الأول - وحده - مؤثر فى التابع والمتبوع معاً ، عملاً بالرأى الذى يقول : إن المبدل ليس على نية تكرار العامل ، وإنما العامل فى المبدل منه وفى المبدل واحد ، لا تكرار له ، ولا تخيل لإعادته .

ثالثها : اعتبار المبدل على نية تكرار العامل ، وأن حرف الجر المتكرر هو توكيد لفظى محض ؛ وليس تكراراً للعامل المتقدم . وبالرغم من وجوده مكرراً واعتباره توكيداً لفظياً خالصاً يكون الجر بعده بعامل آخر غير ظاهر ولكنه ملحوظ فى النية والتقدير .

ولاشك أن الآراء الثلاثة يشوبها الضعف ؛ لمخالفة كل منهما للضوابط العامة ، ولاعتمادها على النية ، والتقدير ، والتأويل ، ولكن الأول أخفها ضعفاً ، ولذا كان أنسبها قبولا .

(١) بيان هذا فى د ١ ، ص ٢٧ حيث الكلام على أحكام التوكيد الفعلى .

المسألة ١٢٤ :

إبدال الظاهر من الظاهر أو من المضممر ، والعكس في كل حالة...

١- يجوز إبدال الظاهر من الظاهر ؛ كالأمثلة السابقة بأحكامها المختلفة .
ويصح إبدال الظاهر من ضمير الغائب بدل كل ، أو بعض ، أو : اشتمال ،
أو مباينة^(١) . نحو : وقفت أمام الدار أترقب القادمين . فلما أقبلوا الضيوف
صافحتهم في بشر وابتهاج . فكلمة « الضيوف » بدل كل من كل : « هو
الفاعل^(٢) » ، واو الجماعة . ونحو : وقفت أترقب الأضياف الخمسة فأقبلوا أربعة^(٣)
منهم . . . فكلمة « أربعة » بدل بعض ، أى : من الفاعل^(٢) « واو الجماعة » .
أو : فأقبلوا حقائبهم . . « فحقائب » بدل اشتمال من الواو . . . أو : فأقبلوا
حقائبهم . على اعتبار أن « حقائب » بدل غلط ، أو نسيان ، أو إضراب -
فالبدل بأنواعه المختلفة يقع صحيحاً من ضمير الغائب ، ولا مانع يمنع منه .

فإن لم يكن الضمير لغائب بأن كان لحاضر (أى : لتكلم ، أو لمخاطب)
جاز مجيء البدل منه بشرط أن يكون الاسم الظاهر إماً بدل كل من كل يفيد
الإحاطة والشمول والبيان كقوله تعالى : (رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ...)^(٣) ، فكلمة « أول » بدل « كل » من
الضمير « نا » المحرور باللام ، ولذلك أعيد جوازاً مع البدل عامل الجر ، وهو
هنا : « اللام » ، مجازة للمبدل منه . ومثله : تسابقتم ثلاثكم . فكلمة : « ثلاثة »
بدل كل من كل ، من التاء^(٤)

(١) في ص ٦٧١ تفصيل الكلام على « البدل المباين » .

(٢٢) وهذا على اعتبار واو الجماعة ضميراً فاعلاً ، طبقاً للرأى الأغلب ، وليست مجرد حرف
يعتبر علامة للجمع .

(٣) لأن معنى : (لأولنا وآخرنا . . .) هو : لجميعنا ، على عادة العرب من ذكرهم طرف
الشيء ، يريدون بهما : جميعه كاملاً . ومن هذا قولهم : « سبحان الله بكرة وأصيلاً » . . . أى : كل
وقت : - وقد سبقت الآية للنسبة أخرى في هامش ص ٦٦٤ وفي ص ٦٨٠ .

(٤) سبقت الإشارة لهذا في ص ٥١١ و ٦٨٠ .

وإما بدل بعض من كل ؛ كقول المريض بأذنه مثلا : عالجنى الطبيب
أذنى . فكلمة « أذن » بدل بعض من كل ، (هو : ياء المتكلم) ونحو
أعجببتنى أسنانك . فكلمة : « أسنان » بدل بعض من ضمير المخاطب (التاء) .

وإما بدل اشتغال كقول الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وثناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرها

فكلمة : « مجدنا » بدل اشتغال من ضمير المتكلمين : « نا » ؛ ونحو :
أرضيتنى كلامك ، « فكلام » بدل اشتغال من ضمير المخاطب (التاء) .

ب- ولا يجوز إبدال ضمير من ضمير ، ولا ضمير من ظاهر^(١) ،
فالضمير : أنت في مثل « قمت » أنت ، ورأيتك أنت ، ومررت بك أنت -
يُعرب تأكيداً لفظياً ، وكذلك يعرب الضمير « إياك » في مثل : رأيتك إياك .
ولا يصح في مثل : رأيت محمداً إياه ، إعراب الضمير « إياه » بدلا من الاسم
الظاهر ؛ لأن هذا التركيب فاسد في رأى النحاة ؛ إذ لم يسمع له عن العرب
نظير^(٢)

(١) في بعض فروع هذه المسألة خلاف طويل ولا حاجة لنا به ؛ لأنه خلاف جدل ، لا يقوم
على الاستشهاد بالكلام العربى الفصيح .

(٢) هذا ما يقولون . وقد اقتصر ابن مالك فى الحالات السابقة (ا ، ب) على حالة إبدال
الاسم الظاهر من ضمير الحاضر . قال :

ومن ضمير الحاضر الظاهر لا تُبدله إلا ما إحاطة جلا

أو اقتضى بعضاً أو اشتمالاً كأنك أبنتهـ أجلك استمالاً

(إحاطة جلا : أى : جلا وأظهر إحاطة) .

يقول : لا تبدل الظاهر من ضمير الحاضر إلا إذا أظهر البديل إحاطة (أى : دل عليها بأن كان بدل
كل من كل) أو : اقتضى بعضاً . (أى : دل على البضية) أو : دل على اشتغال ، وساق مثالا لبذل
الاشتغال هو : إنك أبتهاجك استمال القلوب إليك ، وجذبها نحوك .

المسألة ١٢٥ :

البدل من المضمّن الاستفهام ، أو الشرط ،

وبيان : بدل التفصيل .

قد يكون « المبدل منه » اسم استفهام ، (ويسمى : « المضمّن معنى همزة الاستفهام »^(١)) وقد يكون اسم شرط (ويسمى : المضمّن معنى حرف الشرط . « إن ») فإذا اقتضى الأمر بدلا يُفصل ذلك المضمّن المعنوي المجمل ظهر في الحالة الأولى مع البدل حرف الاستفهام : « الهمزة » ، وفي الحالة الثانية حرف الشرط : « إن » ليوافق البدل المبدل منه في تأدية المعنى . وهذا بشرط ألا يظهر حرف الاستفهام ولا حرف الشرط مع المبدل منه . . .

والاستفهام الذى يتضمنه المتبوع قد يكون عن الكمية^(٢) ، أو عن الذات ، أو عن معنى من المعانى . فمثال الاستفهام عن الكمية : كم كُتُبُك ؟ أمّا « أم مائتان ؟ » فثالة « بدل من » كم « بدل تفصيل للمعنى العدديّ . ومثال الاستفهام عن الذات : مَن شاركت ؟ أكاملا أم منصورا ؟ « فكاملا » بدل تفصيل مَن كلمة : « مَن » .

(١) معنى تضمنه همزة الاستفهام : أنه اسم استفهام يؤدى معنى همزة الاستفهام ، وأنه - وهو لفظ واحد - يشمل كثيراً من الأنواع والأفراد غير المذكورة في الكلام صراحة ؛ فهو يحتويها إجمالاً من غير أن تذكر بعده مفصلة صريحة . فإذا أريد بعد الإجمال الذى ينطوى عليه المبدل منه ، النص الصريح على بعض أنواع أو أفراد ما يدخل في الإجمال ، جرى هذا المطلوب مذكوراً صريحاً في « البدل » بعد الهمزة مباشرة من غير فاصل بينهما (وهذا المذكور بعد الهمزة ليس إلا نوعاً أو فرداً يدخل ضمناً لا صراحة في اسم الاستفهام (المبدل منه) .

ومثل هذا يقال في الغرض من « إن » الشرطية التفصيلية . وليس لهذه علاقة بهمزة الاستفهام فلا تسبقها هذه الهمزة . وسيجىء في آخر ص ٦٨٥ أن البدل المضمّن (بدل التفصيل) نوع من بدل الكل .

(٢) أى : عن عدد . وكذا ما يتصل بالعدد من المقادير .

ومثال الاستفهام عن المعنى : ما تقرأ ؟ أجيداً أم رديئاً ؟ فجيداً بدل تفصيل من : « ما » .

ولإنما تضمنَ البدل همزة الاستفهام ليوافق متبوعه الذى هو اسم يتضمن معنى همزة الاستفهام من غير تصريح بأداة الاستفهام الحرفية — كما أسلفنا — ؛ فلا تجيء الهمزة فى مثل : هل أحد جاءك ؛ محمد أوعلى ، بسبب التصريح بحرف الاستفهام .

والشرط الذى يتضمنه المتبوع قد يكون للعاقل أو غيره ، ولزمان أو المكان . فمثال الشرط للعاقل : مَنْ يجاملنى — إنْ صديقٌ وإنْ عدوٌّ — أجاملُه . فكلمة : « صديق » بدل تفصيل من كلمة « مَنْ » الشرطية . وإن « الشرطية الظاهرة فى الكلام ليس لها من الشرط إلا اسمه ؛ فلا تجزم ، ولا تعمل شيئاً ، وإنما تفيد مجرد التفصيل ؛ ولذا تسمى : « إنْ التفصيلية » .

ومثال الشرط لغير العاقل : ما تقرأ ، إنْ جيتداً وإنْ رديئاً ، تتأثر به نفسك . فكلمة : « جيداً » بدل من كلمة : « ما » و « إنْ » المذكورة فى الجملة لا أثر لها إلا فى إفادة التفصيل ، كما سبق .

ومثال الشرط الدال على الزمان : متى تزرى — إنْ غداً وإنْ بعد غد — أسعدُ بلقائك . فكلمة « غداً » بدل من « متى » ، وكلمة : « إنْ » للتفصيل . ومثال الشرط الدال على المكان : حيثما تجلس — إنْ فوق الكرسي وإنْ فوق الأريكة — تجد راحة ... فكلمة : « فوق » بدل من : حيثما . وكلمة : « إنْ » للتفصيل .

ولإنما قرن البدل فى كل ما سبق بالحرف : « إنْ » ليكون موافقاً لاسم الشرط المتبوع الذى يتضمن معنى هذا الحرف من غير أن يذكر صريحاً ^(١) . فلا يصح مجيء « إنْ » فى مثل : إن تساعد أحداً محمداً أو علياً أساعده . هذا وبدل التفصيل ^(٢) نوع من بدل الكل من الكل لا يحتاج إلى رابط .

(١) سيجى إشارة إلى « إنْ » التفصيلية (فى باب الجوازم ج ٤ ص ٣٢٨ م ٥٥) تبين حكمها ، وطريقة إعرابها . وقد اقتصر ابن مالك على الكلام على البدل ما ضمن همزة الاستفهام ، قال :

وَبَدَلُ الْمُضْمَنِ الهمزة يلى همزاً كمن ذا . أسعيدُ لم على

أى : أن البدل من المضمن همزة الاستفهام لا بد أن تسبقه الهمزة ، كالمثال الذى ساقه .

(٢) فى « هـ » من ص ٦٧٨ بعض الأحكام الخاصة ببدل التفصيل .

بدل الفعل من الفعل ، والجمله من الجمله .

١- بدل الفعل من الفعل :

١- يُبْدَلُ الفعل من الفعل بدل كل من كل بشرط اتحادهما في الزمان ولو لم يتحدا في النوع^(١) ، وأن يستفيد المتبوع من ذلك زيادة بيان ؛ كقوله تعالى^(٢) : (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ) . فالفعل : « يضاعف » بدل كل من الفعل : « يلق » لأن مضاعفة العذاب هي البيان الذي يزيد معنى الفعل : « يلق » وضوحاً ، ويكشف المراد منه .

وجزم الفعل : « يُضَاعَفُ » دليل على أنه البديل وحده دون فاعله ، وأن البديل بدل مفردات ، لا جُمْل (٣) .

٢- ويُبْدَلُ الفعل من الفعل للدلالة على الجزئية : إن تُصَلِّ تَسْجُدُ لله يَرْحَمُكَ . فالفعل : « تسجد » بدل من تُصَلِّ ، والسجود جزء من الصلاة لا تتحقق إلا به .

٣- ويُبْدَلُ الفعل من الفعل بدل اشتغال ؛ مثل : إني لن أسئ إلى الحيوان

(١) فيصح : إن جئني تزرن أكرمك . ويجرى عليهما في البديل ما يجري عليهما في المطف مما سردناه في ص ٦٤٢ وما يليها .

(٢) في العاصي الذي أتى نوعاً من المحرمات والكبائر المذكورة قبل هذه الآية مباشرة .

(٣) لأن المضارع في الجملة الفعلية إذا كانت هي التابعة بجزئها معاً ، لا يصح نصبه ولا جزمه تبعاً لمضارع منصوب ، أو مجزوم في الجملة المتبوعة ؛ فإذا كانت الجملة المضارعية كلها هي التابعة (أى : هي البديل ، أو المعطوفة بالحرف ، أو) . وجب استقلال مضارعها بنفسه في إعرابه ، فلا يتبع إعراب المضارع في الجملة المتبوعة . ولا يصح نصبه أو جزمه تبعاً للمضارع الذي في الجملة المتبوعة إلا حين يكون البديل بدل فعل مضارع وحده من مضارع وحده أيضاً .

وكذلك حين يكون المطف عطف مضارع وحده على مضارع وحده حيث يكون المعطوف تابعاً للمعطوف عليه في رفعه ، ونصبه وجزمه . - كما سبق الإيضاح في ص ٦٤٢ وما يليها ، ولا سيما

الأليف ، أزعجه . فالفعل « أزعج » بدل اشتمال من « أسيء » . ومثله :

إِنَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ تُبَايِعَ^(١) تَوَخَّذَ كَرُّهَا أَوْ تَجَلَّى طَائِعَا

فالفعل : « تَوَخَّذَ » بدل اشتمال من : « تُبَايِعَ » ، لأن الأخذ كَرُّهَا هو صفة من صفات كثيرة تشملها المبايعة .

٤- ويبدل الفعل من الفعل للإضراب ، أو الغلط ، أو النسيان ، في مثل :
إِنْ تَطْعِمِ المحتاج ، تَكْسُهُ ثوبًا ، يَحْرُسُكَ .

والذى يدل في كل ما سبق - وأشباهه - على أن البدل بدل مفردات لا بدل جمل ، هو مشاركة الفعل التابع لمتبوعه في نصبه أو جزمه^(٢) .

ب- أما الجملة فتبدل من الجملة بدل كل من كل - على الصحيح - بشرط أن تكون الثانية أَوْفَى من الأولى في بيان المراد ، وتأديته ... نحو : اقطع قمح الحقل ، احصده .

وتُبدل بدل « جزء من كل » لإفادة البعضية ؛ كقوله تعالى : (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) ، فجملة : « أَمَدَّكُمْ » الثانية أخص من الأولى ؛ لأن « ما تعلمون » يشمل الأنعام ، والبني ، والجنات ، والعيون ، وغيرها .

وتبدل بدل اشتمال ؛ كقول الشاعر :

أَقُولُ لَهُ أَرْحَلُ . لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَإِلَّا فَكُنَّ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

فجملة : « لَا تُقِيمَنَّ » بدل اشتمال من جملة « أَرْحَلُ » ؛ لما بينهما من المناسبة ؛ إذ يلزم من الرحيل عدم الإقامة .

وتبدل بدل غلط ؛ مثل : اجلس ، قف

(١) أصل الفعل : تباع ، والألف زائدة للشعر .

(٢) من الممكن الاستعانة على إيضاح هذا بما سبق في العطف ص ٦٤٣ .

وفي بدل الفعل من الفعل يقول ابن مالك من غير تفصيل

وَيُبَدِّلُ الْفَعْلُ مِنَ الْفَعْلِ كَمَنْ يَصِلُ إِلَيْنَا يَسْتَعِينُ بِنَا يُعَنِّ

ولا يشترط في بدل الجملة بأنواعه المختلفة ولا في بدل الفعل من الفعل أن يشتمل على ضمير ؛ إذ من المتعذر أن يعود ضمير على جملة، كما يتعذر في بدل الفعل وحده من الفعل .

هذا وقد أشرنا إلى أن الفعل التابع يتبع المبدل منه في إعرابه لفظاً وتقديراً : أما الجملة فتتبع المتبوعة في محلها إن كان لها محل . فإن لم يكن للمتبوعة محل فتسمية الجملة الثانية بال تابعة هي تسمية مجازية ، أساسها التوسع فقط وقد تبدل الجملة من المفرد ، والعكس ، بدل كل من كل - وهذان النوعان نادران - كقول الشاعر :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشام أخرى كيف يلتقيان

فجملة : « كيف يلتقيان » بدل من : « حاجة » ؛ لأنّ كيفية الالتقاء هي الحاجة التي يشكو منها . وإنما صح البدل هنا لأن الجملة بمنزلة المفرد^(١) إذ التقدير : إلى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر اجتماعهما ؛ فلا بد من تأويل الجملة بالمفرد ليمكن إعرابها بدلا . ومثال العكس : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً قيماً » ، فكلمة : قيماً بدل من جملة : « لم يجعل عوجاً » ، لأنها في معنى المفرد ، أي : جعله مستقيماً .

(١) من الممكن فهم هذا على ضوء ما مر في ص ٦٣٥ .

زيادة وتفصيل :

- ا- يرى بعض النحاة أنه يجوز إبدال الفعل من اسم يشبهه ، والعكس ويمثل لهذا بنحو : "محمد" متقى ، يَخَافُ ربه . أو محمد يخاف ربه متقى ، لكن الأوضح اعتبار هذا خبراً بعد خبر^(١) . ما لم يمنع مانع آخر .
- ب- سبق الكلام على الفصل بين التوابع ومتبوعاتها - ومنها البديل والمبدل منه - في أول النعت^(٢) .

(١) لكني نفر من الحذف والتقدير ؛ إذ يجوز أن يكون الاسم المتبوع مجروراً فكيف يكون الفعل تابعاً والفعل لا يكون مجروراً ؟ ويحسن الاستئناس في هذا بما ورد في نظيره من عطف الفعل على ما يشبهه ، والعكس (ص ٦٢٦) فإي قال في تذليل الصعوبة هناك يقال هنا .

(٢) ص ٤٢٠ .

رقم الإيداع	١٩٧٦/٥١٦٥
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٦-٥٥٧-٤

النحو الوافى :

أربعة أجزاء ، تستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية . وفى صدر
الجزء الأول : « مقدمة الكتاب » ، ودستور تأليفه .

ومن مواد هذا الدستور : إعداد كل مسألة إعداداً محكماً ، مستقلاً ،
يناسب طلبه الدراسات النحوية والصرفية ، ومناهجها بالجامعات ، ثم تعقيب
كل مسألة بعد ذلك مباشرة - قبل الانتقال إلى مسألة جديدة - « بزيادة
وتفصيل » يناسبان الأساتذة والمتخصصين ، مع العناية فى أكثر المسائل ،
بتسجيل أرقام الصفحات التى تشتمل على ماله صلة بالمسألة المروضة ،
وتدوين تلك الأرقام فى الحوامش ؛ لىتمسك للراغب جمع ما تفرق من أحكامها
فى مواضع متعددة ، لدواعٍ ومناسبات مختلفة .

وكتبتين صفحات « الزيادة والتفصيل » برز فى أعلاها ؛ يدل عليها وحدها ،
ويميزها من غيرها ؛ هو : سطر ، أو : سطران ، من النقط الأفقية المتقاربة .

* * *

النَّحْوُ الوَافِي

مَعَ رَبِّطِهِ بِالْأَسَالِيبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْحَيَاةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُبْتَكَدَةِ

الجزء الرابع

القسم الموجز لطلبة الدراسات النحوية والصرفية بالجامعات
والمفصل للأساتذة والمتخصصين
مشتملاً على الضوابط والأحكام التي قررتها المجامع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية

تأليف

عباس حسن

الأستاذ السابق بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ورئيس قسم النحو ، والصرف ، والعروض

* * *

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الطبعة الثالثة



دار المعارف بمصر

المسألة ١٢٧ :

النداء^(١)

هو : توجيه الدعوة إلى المخاطب ، وتنبيهه للإصغاء ، وسماع ما يريد المتكلم^(٢) .
وأشهر حروفه ثمانية : الهمزة المفتوحة ، مقصورةً أو ممدودة - يا - أيّا - هيّا -
أيّ ، مفتوحة الهمزة المقصورة أو الممدودة ، مع سكون الياء في الحالتين - وا - ...^(٣)
ولكل حرف منها موضع يُستعمل فيه :

(أ) فالهمزة المفتوحة المقصورة لاستدعاء المخاطب القريب^(٤) في المكان الحسيّ
أو المعنوي ؛ كالتّي في قول الشاعر ينصّح ابنه أسيداً :
أأَسِيدُ ، إنْ مَلَأَ مَلَكُ مَتَ فَسِرْ بِهِ سَيْرًا جَمِيلًا
وكالتّي في قول الآخر : أَرَبَّ الكون : ما أعظمَ قُدْرَتِكَ ، وأَجَلُ شَأْنِكَ .

(ب) ستة أخرى ؛ (هي : آ - يا^(٥) - أيّا - هيّا - أيّ ، بسكون الياء مع

(١) في هذه الكلمة لغات ؛ أشهرها : المدّ مع كسر النون . وهي مصدر قياسي للفعل :
« نادى » ويجوز فيها القصر أيضاً . وقد ورد السماع بضم النون مع المد أو القصر . والهمزة التي في
آخر كلمة : « نداء » أصلها الواو ؛ فهي متقلبة عن أصل .

(٢) ويقولون في تعريفه أيضاً : « طلب الإقبال بالحرف : « يا » أو أحد إخوته » . والإقبال
قد يكون حقيقياً ، وقد يكون مجازياً يراد به الاستجابة ، كما في نحو : « يا الله » . وقد يكون الغرض
من النداء تقوية المعنى وتوكيده ، كقولك لمن هو مصغ إليك ، مقبل على حديثك : إن الأمر هو
ما فصلته لك يا علي - مثلاً -
(كما سيجيء في ص ١٢٢) .

والأصل في المندى أن يكون اسماً لعامل ، ولكن من الأسماء مالا يكون إلا منادى ، ومنها
لا يصلح منادى
- كما سيجيء في ص ٦٨ -

(٣) فالهمزة مقصورة وممدودة ؛ وكذا « أيّ » مقصورة الهمزة وممدودتها . وبقيّة الأحرف ممدودة ،
لأنها مختمومة بالألف . والبعيد يحتاج إلى مد الصوت لسمع ، ولهذا يرى بعض النحاة أن « أيّ »
المقصورة هي لنداء القريب

(٤ ، ٤) قد يقال : كيف تكون « يا » في أصل وضعها للقوى الحقيقي - لا المجازي - لنداء البعيد
مع أنها قد استعملت لنداء « الله » في أفصح الكلام ، والله أقرب شيء للمتكلم - وغيره - في كل حين ؟
أجابوا : إن المتكلم الذي ينادي ربه يستصغر نفسه أمام المولى ويرى البعد الواسع بين المنزلتين ؛ منزلة
الخالق ومنزلة المخلوق ، والتفاوت العظيم بين الدرجتين ، فلذلك يستخدم الحرف « يا » وأجاب آخرون :
إنها تستعمل في القريب والبعيد ، ودعوى المجاز في أحدهما والتأويل خلاف الأصل .

فتح الهمزة مقصورة وممدودة -) لاستدعاء المخاطب البعيد^(١) حساً أو معنى ، والذي في حكم البعيد ؛ كالتأثم ، والغافل . . .

فمثال « يا »^(١) قول الشاعر في مدح الرسول عليه السلام :

كيف تَرَقَى رُقَيْتُكَ الْأَنْبِيَاءُ ! يا سماءَ يا طاولتها سماءُ

ومثال « أَيْتَا » قول بعضهم بر « أَيْتَا متوانياً وأنت سليل العرب الأبطال ، لا تنس مجدهم على الأيام » . ومن الممكن وضع حرف آخر من الأحرف الباقية موضع « أَيْتَا » في هذا المثال .

أما تحديد القرب والبعد فتروك للعرف الشائع : سواء أكانا حسيين أم معنويين . . .

(ح) « وَا » ويُستعمل لنداء المندوب^(٢) ؛ كقول الشاعر في الرثاء :

وأمُحْسِنًا مَلَكَ الْنَفُوسَ بِبِرِّهِ وَجَرَى إِلَى الْخَيْرَاتِ سَبَّاقَ الْخُطَا

وقول الآخر : واحترَّ قلباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ^(٣)

(د) وقد تستعمل : « يا » للندبة^(٤) بشرط وضوح هذا المعنى في السياق ،

وغدم وفوق لبس فيه ؛ كالأية الكريمة التي تتحكى قول العاصي يوم القيامة :

« يَا حَسْرَتًا عَلَيَّ مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ » . وقول الشاعر في رثاء الخليفة الأموي

عمر بن عبد العزيز :

حُمِلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَاصْطَبْرْتَ لَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ

فإنشاء الشعر بعد موت « عُمَر » العادل دليل على أن « يا » للندبة .

فإن التمس الأمر بين أن تكون « يا » للندبة أو لا تكون ، وجب ترك « يا » ،

والاقتصار على : « وا » ؛ كأن تقول : في ندبة « عمر » : واعُمَرَ ، ولا يصح

مجيء « يا » إذا كان أحد الحاضرين يسمى : عُمَر^(٥) . . .

* * *

(١٤١) انظر « ب » من ص ٥ .

(٢) هو : المتفجع عليه ، أو المتوجع منه . فالأول هو الذي يصاب الناس بفجعة موته .

(حقيقه أو حكماً) والثاني : هو بلاء أو داء يكون سبباً في تألم المتكلم وتوجعه .

- انظر ص ٨٩ حيث الباب الخاص بالندبة -

(٣) بارد . . (٤) نداء المندوب - كما سيجيء في باب : « الندبة » ، ص ٨٩ -

(٥) فيما سبق من حصر أحرف النداء ومواضع استعمالها يقول ابن مالك في باب عنوانه : النداء :-

حذف حرف النداء :

(١) يصح حذف حرف النداء « يا » — دون غيره — حذفًا لفظيًا فقط ، مع ملاحظة تقديره ، كقول الشاعر في رثاء زعيم وطني شاب^(١) :
 زَيْنَ الشَّبابِ وَزَيْنَ طُلَّابِ الْعِلَّا هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْخَزِينَةِ دَارِي ؟
 وقول الآخر :

إنما الأرض والسماء كتاب فاقروه ، معاشر الأذكيا
 التقدير : يا زين الشباب — يا معاشر الأذكيا .

(ب) وهناك مواضع لا يصح فيها حذف الحرف « يا » ، أشهرها :
 ١ — المنادى المندوب^(٢) ؛ كالأمثلة السالفة .

٢ — نداء لفظ الجلالة غير المختوم بالميم المشددة ، نحو : يا الله .
 ٣ — المنادى البعيد ؛ كقول الشاعر :

يا صادقًا يَشْدُو عَلَى فَنَنِ رُحْمَاكَ ؛ قد هيئت لي شَجَنِي
 ٤ — المنادى النكرة غير المقصودة^(٣) ، نحو : يا محسنًا لا تكدر إحسانك بالمرن .
 ٥ — المنادى المستغاث^(٤) ؛ كقول الشاعر :

يا لَقَوِي لِعِزَّةٍ وَفَخَارٍ وَسِبَاقٍ إِلَى الْمَعَالِي وَسَبَقِ
 ٦ — المنادى المتعجب منه ؛ نحو : يا لَفْضَلِ الْوَالِدَيْنِ ؛ للتعجب من كثرة فضلهما .

= وَلِيْمُنَادَى النَّاءِ ، أَوْ كَالنَّاءِ : « يَا » و : أَيْ — و : آ — كَذَا : أَيَا — ثُمَّ : هَيَا
 وَالْهَمْزُ لِلدَّانِي . و : « وَا » لِمَنْ نَدِبَ أَوْ : « يَا » وَغَيْرُ « وَا » لَدَى اللَّبْسِ اجْتَنِبَ
 (الناء = انئى ، أى : البعيد . الدانى = القريب) سرد أحرف النداء ، وبين أن « يا » والأربعة التي بعدها تستعمل للبعد وما يشبهه ، وأن الهمزة لنداء القريب . وأن « وَا » للمندوب ، وكذا : « يا » بشرط أمن اللبس . أما عند اللبس فيجتنب استعمال « يا » في الندبة . وهذا هو المراد من قوله :
 (وغير « وَا » لدى اللبس اجتنب) أى : اجتنب عند اللبس استعمال حرف في الندبة غير « وَا » .
 (١) البيت من قصيدة الخافظ إبراهيم في رثاء مصطفى كامل . الزعيم المصرى الوطنى المتوفى سنة ١٩٠٨ .
 (٢) كما سيجىء في ص ٩١ .

(٣) سيجىء شرحها في ص ٣١ ومنه يعلم أن المنادى بها لا بد أن يكون غير معين ولا مقصود .
 (٤) من ينادى ليخلص من شدة ، أو يساعده في دفعها (وسيجىء للاستغاث باب خاص ، في ص ٧٧) .

٧- المنادى ضمير المخاطب ، عند من يجيز نداءه ؛ كقول الشاعر :
يا أنت يا خير الدعاة للهدى لَسَيِّئِكَ دَاعِيَا لَنَا ، وهاديا
أما ضمير غير المخاطب فلا ينادى مطلقاً^(١) . . .

(ح) ويقلّ الحذف - مع جوازه - إن كان المنادى اسم إشارة غير متصل
بكاف الخطاب^(٢) ، أو كان اسم جنس لمعين^(٣) ، فثال الأول قول أعرابي لابنه :
« هذا ، استمع لقول الناصح ولو أغضبك قوله ؛ فن أحبك نَهَاكَ ، ومن أبغضك
أغواك » . وقول آخر لأولاده : « هؤلاء ، اعلموا أن أقوى الناس من قاوم هواه ،
وأشجعهم من حارب الباطل . . . » . أى : يا هذا - يا هؤلاء . . .

ومثال الثانى قول بعض الأدباء وقد برّح به السّهر : « ليلٌ ، أمّا لَيْكَ آخرٌ
يدنو ؟ وهل للحزن آخر ؟ صبحٌ ، أمّا لَيْكَ مَقْدَمٌ يُرْجَى ؟ وهل فى الفجر
مَسْمَعٌ ؟ » . أى : يا ليل ، يا صبح ، ليلٍ وصبح مُعَيَّنِينَ . . .

ومن هذا قول العرب : أطريق كسراً^(٤) ؛ إن النعام فى القرى . أى : يا كروان .

(١) من الأسماء ما لا يكون منادى ، ومنها ما لا يكون إلا منادى . والبيان فى ص ٦٨ .

(٢) يصح نداء اسم الإشارة ، بشرط ألا يتصل بآخره كاف الخطاب (طبقاً لما نقله الصبان فى هذا
الموضع عن الشاطبى) إلا فى الندبة فيصح . (على حسب البيان الآتى فى رقم ٢ من هامش ص ٩١)
وهذا الشرط لازم أيضاً عند حذف : « يا » . لأن مدلول كاف الخطاب يخالف مدلول المنادى اسم
الإشارة ؛ إذ المنادى اسم الإشارة هو المقصود بتوجيه النداء ؛ لما هو مقرر أن المخاطب بالكاف غير المشار
إليه فى الرأى الراجح - راجع الصبان ، جزء ٣ آخر باب النداء - . وخير من هذا أن يقال فى التعليل :
هو استعمال العرب ، فحسب .

(٣) المراد باسم الجنس المعين النكرة المقصودة المبنية على الضم عند نداءها ؛ فيخرج اسم
الجنس غير المعين ، والمراد منه هنا : النكرة غير المقصودة . وسيجىء تفصيل الكلام على هاتين النكرتين ،
وحكمهما فى ص ٢٥ و ص ٣١ .

(٤) هذا مثل يضرب للمتكبر ، وقد تواضع من هو خير منه . وقد حذفت النون والألف من
كلمة : « كروان » لترخيم النداء ، وقلبت الواو ألفاً ، كما سيجىء بيانه فى باب الترخيم - ص ١٠٥ و ١١٤
وفى حذف حرف النداء لفظاً لا تقديرأ - ومواضع الحذف ، يقول ابن مالك : - مع اقتصاره
على بعض مواضع الحذف - :

وغير مَنْدُوبٍ ، وَمَضْمَرٍ ، وَمَا جَا مُسْتَعَاثًا - قَدْ يَعْرِى . فاعْلَمَا
(جَا = جاء . يعرى = يجرد من حرف النداء ، فاعلما = فاعلم . والألف إما زائدة للشعر ، وإما =

زيادة وتفصيل :

(أ) يمتاز الحرف : « يا » بأنه أكثر أحرف النداء استعمالاً ، وأعمّها ؛ لدخوله على أقسام المنادى الخمسة ^(١) ؛ ولهذا يتعين تقديره - دون غيره - عند الحذف كما يتعين في نداء لفظ الجلالة (الله) ^(٢) وفي المستغاث ، وفي نداء « أيّها ، وأيتها » ؛ إذ لم يشتهر عن العرب أنهم استعملوا في نداء هذه الأشياء حرفاً آخر .

(ب) يجوز مناداة القريب بما للبعيد ، والعكس ، وذلك لعلّة بلاغية ، كتنزيل أحدهما منزلة الآخر ، وكالتأكيد ^(٣) . . .

(ح) الأصل في النداء أن يكون حقيقياً ، أى : يكون فيه المنادى اسماً لعاقل ؛ كى يكون في استدعائه وإسماعه فائدة .

وقد ينادى اسم غير عاقل ، لداع بلاغى ؛ فيكون النداء مجازياً ؛ كقوله تعالى ^(٤) : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ، ويا سماء اقلعى) ^(٥) . .

= أصلها نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفاً عند الوقف .

يقول : قد يتجرّد المنادى من حرف النداء إذا كان المنادى غير مندوب ، وغير مضمر ، وغير مستغاث وهذا التجرد - أى : الحذف اللفظى - ، ليس قليلاً في الكلام الفصيح . ثم بين أن هناك مواضع غيرها يكون الحذف فيها قليلاً ، وهو مع قلته جائز ، ولا داعى لمنعه ، وطالب بتأييد مجوزيه ، ونصر من يلومهم على المنع ، وعلى إباحة القياس عليه . قال :

وذاك في اسم الجنّس والمشار له . قُلْ . وَمَنْ يَجْنَعُهُ فَانْصُرْ عَاذِلَهُ (المشار له : أى : اسم الإشارة ، وكان الأولى أن يقول : المشار به . عاذله = لامه) يريد : أن حذف حرف النداء قليل في اسم الجنس ، واسم الإشارة - وقد ترك شرط خلوّه من ضمير المخاطب - لضيق الشعر - وطالب بتأييد من يلوم المانع ؛ إذ لا حجة له في المنع ؛ لورود أمثلة تكفى لإباحة القياس عليه . (١) ستأني في ص ٩ .

(٢) في نداء لفظ الجلالة (الله) جملة لغات ، ستجىء في ص ٣٦ ورقم ٢ من هامشها (وانظر ما يتصل بهذا في رقم ٤ من هامش ص ١) .

(٣) انظر ما يوضحه في رقم ٢ من هامش ص ١ وفي ص ١٢٢ - الوجه الثالث -

(٤) في قصة طوفان نوح - عليه السلام - الواردة بسورة : هود .

(٥) امتنعى وكفى عن إنزال المطر .

.....

وقول الشاعر :

يا ليلِ طُلْ ، يا نومُ زُلْ يا صبحُ قَفْ ، لا تطلُعِ

وقد يقتضى السبب البلاغى دخول حرف النداء على غير الاسم ، كأن يدخل على حرف ، أو جملة فعلية ، أو اسمية . فثال دخوله على الحرف قوله تعالى : « يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لى ربى . . . » ، وقول الشاعر :

فياربما^(١) باتَ الفتى وهو آمنٌ وأصبحَ قد سُدَّتْ عليه المَطالعُ

ومثال دخوله على الجملة الفعلية :

قلْ لِمَنْ حَصَّلَ مالاً واقتسَى أقرض الله ، فيما نِعَمَ المدينُ

وقول الشاعر :

يا حبذا النيلُ على ضوء القمرُ وحبذا المساءُ فيه والسَّحرُ

وقول الآخر يخاطب ليلتى :

فيا حبذا^(٢) الأحياءُ ما دمت حيةً ويا حبذا الأمواتُ ما ضمكت القبرُ

ومثال دخوله على الجملة الاسمية قول شاعرهم^(٣) :

يا - لعنةُ الله والأقوامُ كلهم والصالحين على سِمعان من جارٍ

وفى هذه الحالات يكونُ حرف النداء إما داخلا على منادى محذوف ، مناسب للمعنى ؛ فيقال فى الآية : يارب ، أو يا أصحاب . . . أو نحوهما ، وهذا عند من يجيز حذف المنادى - وإما اعتباره حرف تنبيه عند من لا يجيز حذف المنادى . والرأيان مقبولان ؛ ولكن الثانى أولى ؛ لصلاحه لكل الحالات ، ولو لم تستوف الشرط الآتى الذى يتمسك به كثير من النحاة . وهو : عدم حذف المنادى قبل

(١) وكقولهم : يارب متعة ساعة ، أو رثتُ حزن أيام .

(٢) حبذا : جملة فعلية للمدح العام . وتفصيل الكلام عليها فى الباب المناسب ؛ وهو باب :

« ألفاظ المدح والذم - ج ٣ م ١١٠ .

(٣) كما جاء فى « المغنى » ج ٢ عند كلامه على الحرف : « يا » وهو داخل هنا على جملة اسمية

دعائية ، وكما جاء فى المصباح أيضاً .

الفعل الذى دخل عليه حرف النداء إلا إذا كان الفعل للأمر ، أو للدعاء ، أو صيغة « حبذا » . فمثاله قبل الأمر قراءة من قرأ قوله تعالى : (ألا يا... اسجدوا لله الذى يُخْرِجُ النَّخْبَءَ فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ...) ، وقبل الدعاء قول الشاعر^(١) :

ألا يا... اسلمى ياهندُ ، هند بنى بدرٍ إذا كانَ حَيٌّ قَاعِداً آخرَ الدهرِ
فإن لم يتحقق الشرط عند المتمسكين به فعلا منادى محذوف ، ولا نداء ، ويكون الحرف المذكور هو للتنبيه .

(د) يعتبر النحاة حرف النداء مع المنادى جملة فعلية إنشائية للطالب ؛ يرغم أنها قبل النداء خبرية ، فهي تتحول معه إلى إنشاء طابى جملمته فعلية . فالأصل فى مثل : يا صالح ، هو : أناذى أو أدعو صالحاً ... حذف الفعل مع فاعله الضمير المستتر ، ونابَ عنهما حرف النداء^(٢) ، وبقي المفعول به ، وصار منادى واجب الذكل - غالباً - وقيل : إن المحذوف هو الفعل وحده ، وناب عنه حرف النداء ، واستتر الفاعل فى حرف النداء . وقيل غير هذا ...

ولا قيمة للخلاف فى أصل الجملة الندائية ؛ فالذى يعيننا هو أنها صارت فعلية تفيد الإنشاء الطلبى ، وأنها تركت حالتها الأولى الخبرية^(٣) .

(١) ومثله البيت السالف : (يا - لعنةُ الله ...) .

(٢) ولهذا يعتبر حرف النداء من حروف المعاني التى يتوب كل منها عن جملة محذوفة ، يذكر بدلاً ... ، فحرف النداء يتوب عن جملة : (أناذى × أو : أدعو ×) وحرف الاستفهام يتوب عن جملة : (أستفهم ×) وحرف العطف يتوب عن جملة : (أعطف × ...) وهكذا . ثم انظر رقم ٤ من هامش ص ٩ وقد سبق إيضاح لحروف المعاني . فى صدر الجزء الأول (م ٥) وفى بابى : « الظرف وحروف الجر » من الجزء الثانى .

هذا ، ولا يصح فى الجملة الندائية أن تقع خبراً ، فقد قال السيوطى فى الهمع (ج ١ ص ٩٦) فى أقسام الخبر ما نصه : « لا يسوغ الإخبار بجملة ندائية ، نحو : زيد يا أخاه ، ولا مصدرة ولكن ، أو : بل ، أو : حتى . بالإجماع فى كل ذلك » اهـ .

(٣) ولهذا قيل إن السبب فى حذف الفعل مع فاعله على الوجه السالف هو قصد الإنشاء ؛ إذ ظهور الفعل قد يومم الإخبار ، وأيضاً كثرة الاستعمال ، والتعويض عن الفعل بحرف النداء ، وظهور المعنى المراد بعد حذفهما - راجع الهمع ج ١ ص ١٧١ فى المفعول به ونأصبه -

.....

(هـ) ولما كان حرف النداء نائباً عن العامل الأصلي المحذوف صح أن يكون لهذا الحرف بعض المعمولات الخاصة التي يؤثر فيها ؛ نيابةً عن ذلك العامل المحذوف . وأشهرها شبه الجملة ^(١) ، كقول الشاعر :

يادارُ بينَ النَّقا والحرّزِ ، ما صنعت يدُ النوى بالأُلى كانوا أهالك ؟
 وقول الآخر :

يا لئلاّ جالٍ ليقوم عزّ جانبهم واستلهموا المجد من أصلٍ وأعراقٍ

فليس في المثالين - وأشباههما - ما يصلح لتعلق شبه الجملة إلا : « يا » . وجعلوا من المعمولات المصدر ^(٢) في مثل قول القائل :

« يا هندُ ، دعوة صبّ دائمٍ دَنِفٍ » ^(٣) . . .

فالمصدر « دعوة » متعلق بالحرف : « يا » ، النائب : عن « أدعو » . والتقدير : أدعو هنداً دعوة صب .

(١) لهذا إشارة في باب : الطرف ، ج ٢ م ٧٨ .

(٢) سبقت الإشارة لهذا في ج ٢ باب المفعول المطلق م ٧٤ .

(٣) تكلمة البيت : * منى يوصل ، وإلا مات أو كترَبا *

(الدنف : شديد المرض - كرب : اقترَب من الموت) .

المسألة ١٢٨ :

أقسام المنادى الخمسة * ، وحكم كل

القسم الأول : المفرد العلم ، ويراد بالمفرد هنا : ما ليس مضافاً ، ولا شبيهاً بالمضاف ؛ فيشمل المفرد الحقيقي^(١) ؛ بنوعيه المذكر والمؤنث ، ويشمل مثناه ، وجمعه ، (نحو : فَضْلٌ ، عَلَمٌ رجل - الفضلان - الفضلون - الفضول - عائدة ، علم امرأة - العائدتان - العائدات - العوائد ...) ، ويشمل كذلك الأعلام المركبة قبل النداء ؛ سواء أكان تركيبها مرزجياً ؛ كسيبويه (علم إمام النخاعة المشهور) - أم إسنادياً ، كـنَصَرِ اللهُ ، أو : شاء اللهُ ، علمين ، أم عددياً كـخمسَ عَشَرَ^(٢) . . .

فكل هذه الأعلام - وأشباهها - تُسمَّى مفردة في هذا الباب ، وتعريفها بالعلمية قبل النداء يلزمها بعده - على الأصح - فلا يُزيله النداء ليفيدها تعريفاً جديداً أو تمييزاً . وإنما يُقَوَّى التعريف السابق ، ويزيد العلمية وضوحاً وبياناً . ويلاحظ حذف « أل » وجوباً من صدر المنادى ؛ - علمناً وغيره - إن لم يكن المنادى من المواضع المستثناة التي يصح تصديرها « بأل »^(٣) .

حكمه :

(١) الأكثر بناءؤه على الضمة - بغير تنوين - أو على ما ينوب عنها . ويكون في محل نصب دائماً ، لأن المنادى في أصله مفعول به^(٤) ؛ نحو : يا فَضْلُ ، كلُّ شَيْءٍ

* هي : المفرد العلم - النكرة المقصودة - النكرة غير المقصودة - المضاف - الشبيه بالمضاف .

(١) وهو الذي يدل على واحد . ويلحق به في حكمه هنا مثناه وجمعه . لكن أيعتبر هذان بمد النداء أعلاماً أم نكرات مقصودة ؟ الجواب في رقم ٣ من ص ١٦ .

(٢) عند غير الكوفيين الذين يجعلون صدر المركب العددي بمنزلة المضاف ، منصوباً ، (كما سيجيء في رقم ٤ من ص ١٦ وفي هامش ص ١٧ ورقم ١ من هامش ص ٣٢) . وأبهم ضعيف . وأثر الخلاف يظهر في توابع المنادى .

(٣) سيجيء في ص ٣٦ .

(٤) المنادى بمنزلة المفعول به لفعل محذوف مع فاعله - في أحد الآراء - ثابت عنها « يا » أو إحدى أخواتها . يقول النخاعة في مثل : يا على ... إن أصله - كما تقدم ، في « د » من ص ٧ - : أدعو ، أو : أنادي عليها . . . حذف الفعل ، مع فاعله وثابت عنها « يا » وصار المفعول به =

يحتاج إلى العقل ، والعقل يحتاج إلى التَّجَرِبَةِ — يا فضَّالان^(١) . . . يا فضَّلون . . .^(١)
يا فُضُولُ — يا أَفْاضِلُ^(٢) . . . — يا عائدةُ . . . — يا عائدتان . . . — يا عائدتُ
. . . — يا عوائدُ . . .

فالمفرد العلم في هذه الأمثلة — وما شابهها — مبني على الضمة في المفرد الحقيقي ،
وفي جمع التكسير ، وجمع المؤنث السالم ، ومبني على الألف في المثنى ، وعلى الواو
في جمع المذكر السالم . وهو في أكثر أحواله مبني^(٣) لفظاً على الضمة وفروعهما ، منصوب
مَحَلًّا^(٤) .

ولا فرق بين أن تكون الضمة ظاهرة ؛ كالتى في بعض الأعلام السَّالفة ، أو
مقدرة كالتى في آخر الأعلام المختومة بحرف علة ؛ كموسى في قوله تعالى : (يا موسى
لا تخَفْ . إني لا يخافُ لدىَّ المرسلون) . . . وكالتى في آخر الأعلام المركبة التى
ذكرناها ، ومنها : سيبويه . . . ، وكالتى في آخر الأعلام المنقولة ، المبنية أصالة
قبل علميتها وندائها ؛ مثل الكلمات : مُنْدُ^(٥) — كيف — قِطَام . . . وغيرها من
كل لفظ سُمِّي به ، وصار علماً ، وكان مبنياً أصالة قبل أن يصير علماً منادى —
فتبقى علامة البناء الأصلى السابق على حالها ، وتقدر على الآخر علامة البناء الجديدة
التي جلبها النداء ، ويكون المنادى في كل ذلك ، في محل نصب^(٥) . . .

ويُلمَحَقُ بالمفرد العلم المبنى أصالة قبل النداء — في حكم البناء على الضمة
المقدرة ، كلُّ ما ينادى من المعارف الأخرى المبنية أصالة قبل النداء ؛ وليست

= منادى ، مبنيا على الضم في محل نصب . ويستدلون على أنه في محل نصب بورود كثير من توابعه
منصوباً في الكلام الصحيح المأثور . وليس في الجملة ما يصلح سبباً لنصبه إلا مراعاة المحل .

(١٥١) راجع — رقم ٣ ص ١٦٠ في الزيادة والتفصيل — ما يختص بنداء العلم المثنى والجمع ؛ لأهميته .
(٢) جمع : أفضل .

(٣) إلا صورة يجوز في بنائها أمران ، تجيء في ص ١٨ وإلا ثلاث صور معربة (في ص ١٣ و ٢٠ و ٣٤)

(٤) راجع « د » من ص ٧ ، ورقم ٤ من هامش الصفحة السابقة . ولا فرق في هذا الحكم بين

العلم الموصوف وغير الموصوف — انظر « الملاحظة » التى في ص ٢٢ —

(٥ ٥) ويقال في كلمة مثل : « مندُ » — علماً — عند نداها ، إنها منادى ، مبني على ضم

مقدر على آخره منع من ظهوره علامة البناء الأصلى ، في محل نصب . وعلامة البناء الأصلى في هذه
الكلمة هي : الضمة . وهذه تختلف عن ضمة البناء التى يجلبها النداء .

(ثم انظر « ج » ص ٢٣ — و ص ١٢)

أعلاماً ؛ كأسماء الإشارة (نحو : هذا - هؤلاء . . .) وأسماء الموصولات غير المبدوءة بأل^(١) (نحو : مَنْ - ما . . .) وضمير المخاطب (نحو : أنت - إِيَّاكَ . . .) أما غير المخاطب فلا ينادى ، كما عرفنا^(٢).

(١) أما اسم الموصول المبدوء « بأل » فله حكم خاص يبيح في « الحالة الرابعة » من ص ٣٨ .
(٢) في ص ٤ - هذا ، وإلحاق الأشياء المذكورة بالمفرد العلم ، هو رأى كثير من النحاة شاع اتباعه والاعتصار عليه ؛ ويعارضه رأى آخر أنسب . (كما سيذكر في « الملاحظة التالية » ص ١٢) وقد يكون من السائغ أن نذكر - بإيجاز - للمتخصصين ما في المطولات النحوية من خلاف جدلى شكلى حول حكم المعارف المبنية قبل النداء وليست أعلاما . يدور الخلاف حول نوع تعريفها بعد النداء ؛ أهو الذى كان لها قبله ، أم هو تعريف جديد بدل السابق ، حل محله ؟ فشراح المفصل (ج ١ ص ١٢٩) يعرض الرأيين ، ويرجح - في وضوح وصراحة - الرأى القائل إن المعارف كلها - أعلاما وغير أعلام - تفقد تعريفها السابق ، وتصور نكرات ، ويجلب لها النداء بما فيه من القصد والإقبال على المخاطب تعريفاً جديداً يزيل تنكيرها الجديد . ويؤيد هذا بكلام طويل . أما غيره - كأبى بكر بن السراج ، ومن معه من القدامى ، وكالصبيان من المتأخرين - فيؤيد الرأى الآخر ؛ بحجة أن أكثر المعارف لا يمكن أن يزول عنه تعريفه القديم مطلقاً ، ولا يمكن أن يتجرد منه ، ويصير نكرة تقبل التعريف المحلول بالقصد والمخاطبة مع النداء ، (كلفظ الجلالة « الله » وأسماء الإشارة ...) وقد وردت إشارة موجزة هذه المسألة على هامش كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٠٣) اكتفى فيها المقرر بأن أحال إيضاحها وتفصيلها وتفرعها إلى ما جاء في شرح السيرافى لها . كذلك أشار صاحب شرح التصريح (في أول الفصل الثانى من أقسام انشادى) إلى المنادى المعروف ؛ ما كان منه مذكراً أو مؤنثاً ، علماً وغير علم ، معروفاً قبل النداء أو بعده . إلى غير هذا مما اشتملت عليه المطولات من تفرعات وتشعيبات لا خير في سردها الآن ، ومن الممكن أن نستخلص منها نتيجتين .

الأولى : أن العلم المفرد إذا نودى ، وجب بناؤه على الضمة ؛ وأنه - بعد النداء - معرفة لا شك في تعرفه ، علم لا خلاف في علميته . ولا يعيننا بعد هذا أن يكون تعرفه وعلميته هما السابقان على النداء ، أو مجلولبان بعد النداء ، مجددان بسببه ؛ لأنه في الحالتين علم ، بالرغم من وجود أعلام لا يفارقها التعريف مطلقاً ؛ كلفظ الجلالة « الله » .

وما سبق خاص بالعلم المفرد الذى ليس مثنى ولا مجموعاً . فإن كان مثنى أو مجموعاً فله حكم آخر يبيح - في رقم ٣ من ص ١٦ -

الثانية : أن المعارف الأخرى التى ليست أعلاماً ، والتى يغلب أن تكون قبل النداء مبنية أصالة (كالضمير ، والإشارة ...) لا شك في تعرفها ولا يعيننا أيضاً أن يكون هذا التعريف هو السابق على النداء ، وأنه استمر بعده ؛ (إذ لا يمكن تنكيرها - على الأصح) - أو هو تعريف جديد حل محل الأول الذى زال بالنداء ، وصارت المعرفة نكرة بعد زواله ، ثم زال تنكيرها بتعريف القصد والمخاطب مع النداء ... لا يعيننا ذلك ؛ لأن هذه المعارف التى ليست أعلاماً والتى هى مبنية أصالة قبل =

ملاحظة :

ما تقدم من حكم الضمة المقدرة في آخر الأعلام المبنية أصالة قبل النداء ، وفي آخر ما ألحق بها . . . هو الرأي الشائع عند أكثر النحاة — كما أشرنا^(١) — وفيه مع صحته وشيوعه — نوع من التضييق والتعقيد ؛ لأن بعض المحققين يتوسع فيقول : (إذا نقلت الكلمة المبنية وجعلتها علماً لغير ذلك اللفظ ، فالواجب الإعراب)^(٢) . يريد : فالواجب اعتبارها معربة بعد النقل ، وقبل مناداتها ، وتناسي البناء السابق ، ويراعى عند نداءها هذا الاعتبار الجديد ، الذي يجعلها في حكم الأسماء المعربة ، الأصلية الإعراب قبل مجيء النداء . —

وبناء على هذا الرأي — الشامل للضمير والإشارة ، وغيرهما صرح بعض النحاة بأنك (تقول في : كيف ، وهؤلاء ، وكم ، ومنذ . . . أعلاماً) — (يا كيف ، يا هؤلاء — يا كم — يا منذ . . . بضمه ظاهرة ؛ فهي متجددة للنداء هـ) .

= النداء — سببى بعده على الضمة المقدرة أو فروعها . وتعتبر ملحقة بقسم المفرد العلم السالف ؛ ولا تلحق بقسم النكرة المقصودة — كما يرى بعض النحاة — لأنها معارف قبل النداء ، وليست نكرة تامة التنكير تصوير بالنداء والخطاب نكرة مقصودة . لو فرضنا أن تعريفها السابق يزول بالنداء ، ويحل محله تعريف جديد — وهذا رأى — ^{سردو} — لوجب أن يكون التعريف المتجدد ماثلاً لتعريفها السابق نوعاً ودرجة ، كما عاد للعلم نوع تعريفه السابق ودرجته وهو العلمية ، (على رأى من يقول : إنه يفقد علميته بالنداء ، ثم تعود له بعده) فليس بمقبول أن يقال إنها معارف في أصلها ، زال تعريفها السابق ، فصارت نكرة ، ثم نوذبت فاكتسبت التعريف الجديد المخالف للسابق ، وصارت به نكرة مقصودة ، (مع أن أكثر تلك المعارف لا يفقد تعريفه مطلقاً في رأى الأقوى — كما سبق) . وإنما ألحقنا بالعلم لقرب درجة تعريفها منه ، ولم تدخل في عداده لأنها ليست علماً . . . وهذا الخلاف شكلي ؛ بالرغم مما يرتبون عليه من وضع المعارف في درجات متفاوتة القوة في التعريف تفاوتاً يؤدي إلى تقديم بعضها في ترتيب الكلام على بعض ، لكن لا أثر له في ضبط الكلمة ، ولا معناها ، ولا إعرابها ؛ فهي على الرأيين معرفة بعد النداء ، ومبنية على الضمة . سواء أكانت من قسم المفرد العلم أم من قسم النكرة المقصودة . . . (وقد سبق تفصيل الكلام على العلم في ج ١ ص ٢٠٠ م ٢٢) . (١) في رقم ٢ من هامش ص ١١ .

(٢) هذا كلام « الرضى » في باب : « العلم » نقله « خالده » وعلق عليه في شرحه : على « التصريح » (ج ٢ — أول الفصل الثاني ، في أقسام المنادى) . وقال الرضى أيضاً من نصه : (كل مفرد مبنى تسمى به شخصاً فالواجب فيه الإعراب مع الصرف — أى : مع التنوين — ...) هـ . راجع حاشية « خالده » على التصريح ، آخر باب : « مالا ينصرف » .

وفي هذا الرأي توسعة ، وتيسير محمودان ؛ لأنه يجعل حكم المنادى ^(١) « المفرد العلم » مُطَرَّدًا ؛ يعم ويشمل صوراً كثيرة بغير تفرقة ولا تشييت. ومن ثمَّ كان الأخذ به أفضل من الأخذ بالرأي الأول .

ولنما يبنى المفرد العلم - وملحقاته - إذا لم يكن معرباً مجروراً باللام في « الاستغاثة والتعجب » مع ذكر « يا » فيهما ؛ كما في نحو : « يا لَعَلِّي الضعيف » ؛ للاستغاثة بعلی في نصر الضعيف . و : « يا لَعَلِّي المحسن » ؛ للتعجب من كثرة إحسانه . فالمنادى فيهما ، معرب وجوباً ، كما كان قبل النداء ، مجرور باللام في محل نصب ، لأنه خرج بسبب الجار من قسم « المفرد العلم » ، ودخل في قسم المضاف - ^(٢) تأويلاً - .

وكذلك يجب إعرابه (ولا يصح بناؤه) إذا كان هذا العلم المفرد منقولاً من أحد الأعداد المتعاطفة ، بالتفصيل الموضح في مكانه ^(٣) .

وهناك صورة يجوز فيها الإعراب والبناء ، وستجىء ^(٤) .

(١) وهو البناء على الضمة أو ما ينوب عنها ، من غير تفرقة بين ما أصله علم قبل النداء أو غير علم ، مبنى أو غير مبنى . لأن إدراك هذه التفرقة ، والوصول إلى معرفتها اليوم عسير . كل السر على جمهرة الناس ، في الاستغاثة عنها راحة بغير ضرر . وهناك نص آخر يؤيد ما سبق ؛ ماخصه : وجوب الإعراب والتثنية معاً قبل النداء في كل لفظ أصله مفرد حقيقى (أى : ليس مثني ولا جمعاً ، ولا نوعاً من أنواع المركبات الثلاثة التى منها المركب الإضافى ، وشبه الملحق به) ومبنى ثم ترك أصله ، وصار علماً منقولاً من معناه وحكمه السابقين إلى معنى وحكم جديدين . مثل كلمة : « أمسى » وغانٍ « إذا صارتا علمين ؛ فعندئذ هما يجرى عليهما حكم الأسماء المعربة قبل النداء .

(راجع التصريح أول الفصل الثانى فى « أقسام المنادى » ج ٢ ص ١٦٦ - وحاشيته آخر باب « المنوع من الصرف » ص ٢٢٦) وسبق لهذا الحكم بيان مفيد فى ج ١ ، بابى المغرب - المبني - والعلم ، م ٦ و ٢٣ ص ٧٤ و ٢٧٨) .

(٢) كما سيجىء هذا فى ص ٧٩ من باب الاستغاثة .

(٣) ص ٣٣ و ص ٣٤ - ١ -

(٤) فى ص ٢٠ .

زيادة وتفصيل :

١ - ما كيفية بناء المفرد العلم الذي كان في أصله اسماً منقوصاً ، منوناً ، ثم نقل إلى العلمية ؛ مثل : هادٍ - راضٍ - مرتضى - مستكفٍ - وغيرها ؟ . . . :

الأصل في المنقوص أن يكون مخنوماً بالياء^(١) الظاهرة إلا في بضع حالات قليلة ؛ أهمها : أن يكون منوناً مرفوعاً أو مجروراً ؛ فيجب حذفها نطقاً وكتابة ؛ لأن الضمة والكسرة ثقيلتان على الياء ، فتحذفان ؛ طلباً للخفة . فإذا حذفنا تلاقت الياء ساكنة مع التنوين فيجب حذفها ؛ تخلصاً من التقاء الساكنين ؛ فتصير الكلمة إلى الصور السالفة . (فأصل : « هادٍ » - مثلاً - في : « أنت هادٍ للخير » هو : هادٍين ؛ بكتابة التنوين نوناً ساكنة تبعاً لأصله^(٢) . ثم حذفت الضمة ؛ منعاً للثقل ؛ فصارت الكلمة : « هادٍين » بياء وزون ساكنتين . ثم حذفت الياء^(٣) ؛ للتخلص من الساكنين ؛ فصارت الكلمة : « هادٍن » ؛ بإثبات التنوين على شكله الأول نوناً ساكنة . ثم جرى الاصطلاح على كتابة التنوين كسرة مكررة لكسرة الحرف الأخير الذي قبل الياء المحذوفة ، فصار للحرف الأخير كسرتان ؛ إحداهما حركة أصلية هجائية ، والأخرى بدل التنوين . وانتهت الكلمة إلى صورتها الأخيرة : « هادٍ » . ومثلها استمعت لهادٍ ، وأصلها : هادٍين ، حذفت كسرة الياء ، وجرى ما سبق . . .) .

فإذا نوديت وجب حذف التنوين ، لأن المنادى هنا علم مفرد ؛ فيجب بناؤه على الضم بغير تنوين . وهذا الضم مقدر على الياء ، لكن أتبقى الياء محذوفة كما كانت ، والضم مقدر عليها ، برغم حذفها - لأنها ملحوظة كالمذكورة - أم تعود بعد النداء إلى مكانها ؛ فتظهر نطقاً وكتابة ، ويكون الضم مقدرًا عليها كذلك ؟ رأيان ؛ أحدهما : يوجب حذف التنوين واستمرار حذف الياء ؛ لأن الكلمة المناداة كانت منونة ومحذوفة الياء قبل المناداة ، فوجب حذف التنوين ؛ لأنه معارض لبناء المنادى ، كما يوجب ألا ترجع الياء ؛ لعدم وجود ما يقتضى إثباتها وإرجاعها ؛ فقد

(١) يجوز حذفها بالتفصيل الخاص بحذف الياء - وقد سبق بيانه مفصلاً في ج ١ م ١٦ -

(٢ و٣) أوضحنا هذا وسببه في صدر الجزء الأول عند تفصيل الكلام على التنوين - م ٢ -

طراً عليها النداء وهي محذوفة ، فتبقى على حالها من الحذف .

والآخر : يوجب حذف التنوين للسبب السالف ، ويوجب إرجاع الياء وإثباتها لأن سبب حذفها — وهو تلاقيها ساكنة مع التنوين — قد زال بزوال التنوين . وإذا زال السبب لا تبقى بعده آثاره التي توجد بوجوده . فالرأيان متفقان على حذف التنوين وسببه ، مختلفان في إرجاع الياء وإثباتها ، أو عدم إرجاعها .

ويتفقان على إرجاعها إذا لم يكن في العَلَم المنقوص إلا حرف أصلي واحد ، مثل « مُرٍ » ، اسم فاعل من « أَرَى » ، فتقول في نداء المسمى به : يا مُرِي .

والحق أن هذه الأدلة جدلية محضة ليس فيها مقنع . والفصيل إنما هو السماع الوارد عن العرب ، ولم ينقل إلينا منه ما يكفي للترجيح ، فالرأيان متكافئان وقد يكون الأنسب هو الرأي الداعي إلى إثبات الياء ؛ لأنه أقرب إلى الوضوح ، وأبعد من اللبس والاختلاط .

وكل ما قيل في كلمة : « هاد » — مما أسلفناه — يقال في سائر الأعلام المنقوصة المنونة عند ندائها . . . — كما سيَجِيءُ البيان ^(١) .

٢ — إذا كان المفرد العَلَم في أصله منقولاً من اسم مقصور منون . (نحو : مرتضى — مُصْطَفَى — رضا . . . وأشباهاها) — وجب عند ندائه حذف تنوينه ، لأنه مبني على الضم ، وهذا البناء يقتضي حذف التنوين حتماً . لكن أتعود بعد ذلك ألف المقصور التي حذفت من آخره نطقاً ؛ بسبب تلاقيها ساكنة مع التنوين الساكن ، أم لا تعود ؟ .

(ذلك أن الأصل في كلمة مثل : مُرْتَضَى ، هو مُرْتَضَى ؛ أي : مُرْتَضِيسٌ رفِعاً — والنون الساكنة هي التنوين — تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها ؛ فقلبت ألفاً ، وصارت الكلمة : مُرْتَضَانٌ ، تلاقى ساكنان : الألف وهذه النون ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وصارت الكلمة : مُرْتَضِنٌ ، لكنها تكتب « مرتضى » طبقاً لقواعد رسم الحروف ؛ وهي تقضى بأن يوضع على الحرف الذي قبل النون حركة

(١) في باب : تثنية المقصور ، والممدود ، وجمعهما (. . هامش ص ٦١٣) .

ثانية مماثلة لحركته الهجائية ، تغنى عن النون بعد حذفها ، وتكون هذه الحركة الهجائية الثانية هي الرمز الدال على التنوين ، بدلا من التنوين .

ويجب النحاة : أن الظاهر في هذه المسألة هو تطبيق حكم المسألة السابقة فيجرب على ألف المقصور ما جرى على ياء المنقوص من وجود رأيين متفقين على حذف التنوين ، مختلفين في رجوع الألف نطقاً أو عدم رجوعها ، بالحجة التي تساق لكل . وقد يكون الأنسب إرجاع الألف . . .

٣- سبق في باب المثني^(١) أن العلم المفرد إذا تُسنى أو جُمع ، زالت علميته ، وصار نكرة ، ولا يُحكّم له بالتعريف إلا بوسائل جديدة تزداد منها : إدخال «أل» المعرفة عليه ، أو نداؤه . . . أو . . . فإذا نودي العلم بعد تثنيته وجمعه حكم له بالتعريف الناشئ من النداء ، لا من العلمية ؛ لأن النداء هنا دخل على منادى خال من العلمية ، فقد أزالها ما طرأ من التثنية أو الجمع ، مثل : يا محمدان - يا محمدون . . . وأشباههما ؛ فيصير بعد ندائه في حكم النكرة المقصودة - عند كثير من النحاة - تجرى عليه أحكامها التي منها : صحة نعتها - أحياناً - بالنكرة أو بالمعرفة ؛ فيراعى إما أصله الأول الذي زالت علميته قبل النداء ، وإما حالة تعريفه الطارئة بعد النداء -^(٢) . . . بخلاف العلم الذي ليس مثني ، ولا جمعاً ، فإن علميته تبقى بعد النداء ويتعرف بها ، أو لا تبقى ؛ فيتعرف بالنداء الطارئ لا بتلك العلمية السابقة - على حسب الخلاف الذي سبق^(٣) - .

٤- إذا نودي : «إثنا عشر» و «إثنتا عشرة» علمين ، جاز أن يقال : يا إثنا عشر ، ويا إثنتا عشرة ، فإثنا وإثنتا مبنيان على الألف ، لأن المثني وملحقاته في هذا الباب في حكم المفرد ؛ فيبنى على ما يرفع به . وكلمة : «عشر وعشرة» بعدهما مبنية على الفتح ، لا أهمية لها ، لأنها بمنزلة نون المثني . وهمزتهما للقطع^(٤) ما دام علمين .

(١) ج ١ ص ٨٣ م ٩ .

(٢) طبقاً لما سيجيء في «د» من ص ٣٠ .

(٣) في رقم ٢ من هامش ص ١١ .

(٤) انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٨ و ٢ من هامش ص ٢٤٧ .

.....

ويجوز أن يقال : يا إثني عشرَ ، ويا إثني عشرة . . . بالنصب بالياء على اعتبار المثني مع كلمة : «عشر» أو «عشرة» بمتزلة المضاف مع المضاف إليه في الصورة ، والمنادى المضاف واجب النصب^(١) .

(١) هذا رأي الكوفيين الذي أشرنا إليه (في رقم ٢ من هامش ص ٩ و ١ من هامش ص ٣٢) وبمقتضاه تكون الأعداد المركبة كلها داخلة في قسم المنادى المضاف ، فصدر كل واحد منها واجب النصب ، عند الكوفيين في النداء ، ويظل العجزُ مبنياً على الفتح ، بمتزلة النون .
 أما عند غيرهم فالأعداد المركبة كلها مبنية على فتح الجزأين - (ماعدا العلمين : إثني عشر وإثني عشرة - ؛ والمنادى هو العدد المركب بجزأيه معاً إلا هذين . فإذا كان المنادى العلم هو : إثنا عشر ، وإثنتا عشرة ، فصدرهما وحده ، في حكم العلم ، المثني ، المنادى ، المبنى .
 ويترتب على الخلاف بين الكوفيين وغيرهم الخلاف في ضبط تابع المنادى .

(ب) من المفرد العلم صورة يجوز فيها أمران^(١) : البناء على الضم في محل نصب ، أو البناء على الفتح في محل نصب . وهذه الصورة الجائزة بحكميها لا بد أن يكون فيها المنادى علماً مفرداً (أى : غير مثنى ، ولا مجموع) ، وأن يكون آخره مما يقبل الحركة (فلا يكون معتل الآخر : كعميسى ، ولا مبنيّاً على السكون لزوماً ، مثل : « مَن » إذا صارت علم شخص ...) وأن يوصف مباشرة - أى : بغير فاصل - بكلمة : « ابن » أو : « ابنة »^(٢) ، دون « بنت » ، وكليهما مفردة ، مضافة إلى علم آخر ، مفرد أو غير مفرد^(٣) . . . مثل : يا حسنُ بن علي ، مَن أثنى عليك بما فعلت فقد كافأك . ويا فاطمةُ بِنْتُ محمد ، أنت فخر النساء ، ببناء كلمتي :

(١) انظر الزيادة والتفصيل ص ٢٠ - ففيها أمر ثالث حكمه الإعراب ، وتعليل الأوجه الثلاثة .
(٢) قلوا كان لفظ : « ابن وابنة » غير نعت كأن يكون بدلا ، أو خبراً لمبتدأ أو لناسخ ، أو منصوباً بعامل محذوف - بمثل : أعني - لم يصح حذف التنوين وما يتبعه . - كما سيحىء هنا -
(٣) ولا يشترط في العلمين ولا في أحدهما التذكير - على الرأى الراجح - ولا مانع أن يكون العلم اسماً ، أو كنية ، أو لقباً . أو جنسياً للأعلام المجهولة ؛ نحو : يافلان بن فلان ، أو : يا حارث بن همام ،^١ للشخص الذى تخيله : « الحريرى » وجعله دعامة المحاورات في مقاماته ، وأدار الحديث لسانه في كثير منها) . وكذلك : يا سيد بن سيد ؛ لكثرة استعماله كالأعلام ، وبضع كلمات ساغت كهذه .

ومتى اجتمعت الشروط في نداء أو غيره وجب - في ذلك الرأى الراجح - حذف همزة الوصل وألفها كتابة ونطقاً من : « ابن » ، و « ابنة » إلا لضرورة الشعر ، أو لوقوع إحداها في أول السطر ، فتثبت الألف كتابة . وكذلك يجب - في غير الضرورة الشعرية - حذف التنوين كتابة ونطقاً من المستوفى للشروط ؛ ولو كان غير منادى . (وقد سبقت إشارة لهذا في ج ١ ص ٤٤) .

غير أن هنا مسألة وقع الخلاف فيها في حذف التنوين من آخر العلم الموصوف المنادى وغير المنادى . وفى حذف همزة الوصل مع ألفها من الصفة (ابن وابنة) هى : أن يكون العلم الأول (الموصوف) كنية أو مضافاً آخر ، أو يكون العلم الثانى (وهو المضاف إليه) كنية أو مضافاً آخر كذلك ؛ مثل : أول الخلفاء الراشدين أبو بكر بن قحافة . ومثل محمد بن أبي بكر من أشهر الزهاد ... فىرى كثير من النحاة وجوب إثبات التنوين وألف الوصل في الصورتين . ويرى آخرون جواز حذفهما ، وإثباتهما . وقد يكون الحذف - على قلته - هو الأنسب اليوم ؛ ليكون حكمه مطرداً شاملاً الصور المختلفة .

ومسألة أخرى ، هى التى تكون فيها الصفة كلمة : « بنت » ويكون موصوفها علماً لمؤنث يصح صرفه ، ومنعه من الصرف . فهل يجوز بقاء التنوين في موصوفها المنادى وغير المنادى ؟ روى سيبويه الحذف والإثبات عن العرب الذين يصرفون كلمة : « هند » وأشباهها ؛ مما يجيىء في ص ٢٣٨ فيقولون : هذه هند بنت عاصم ؛ بتنوين « هند » ، وتركه لكثرة الاستعمال .

وقد يكون الأحسن هنا أيضاً حذف التنوين ، ليكون الحذف مطرداً في كل المسائل ، وقاعدته عامة .

« حسن » ، و « فاطمة » ، على الضم أو على الفتح ، في محل نصب في الحالتين .
ولا بد أن تكون البنوة حقيقة .

فإذا فقد شرط وجب الاختصار على البناء على الضم ، كأن يكون المنادى غير
علم ، مثل : يا غلامُ ابنُ سعيد ، أو يكون علماً مفصلاً^(١) من المنادى ، مثل :
يا سليمانُ النبي ابنُ داود ، أو تكون كلمة : « ابن » و « ابنة » ليست نعتاً
وإنما هي بدل ، أو مفعول ، أو خبر : أو منادى جديد ، أو غير ذلك مما ليس
نعتاً^(٢)

(١) مع الخلاف في العلم إذا كان كنية ، على الوجه المبين في هامش الصفحة السالفة .
(٢) مع ملاحظة ما نردده كثيراً ، وهو أن اختلاف الإعراب لا بد أن يتبعه اختلاف المعنى ،
فالمراد من النعت مغاير كل المغايرة للمراد من البدل . . . وكذلك الشأن في غيرهما .

زيادة وتفصيل :

أولاً : إذا اجتمعت الشروط السابقة جاز الوجهان المذكوران ، ووجه ثالث ، هو أن يكون المنعوت معرباً منصوباً ، بغير تنوين .

والنحاة في تعليل الأوجه الثلاثة آراء قائمة على التكلف ، والتأويل ، والحذف أو الزيادة ، بغير حاجة ماسّة إلا رغبتهم في إلحاق كل وجه بحالة إعرابية ثابتة ، وإدخاله تحت قاعدة أخرى مطّردة ، ولا يعرف العرب شيئاً من هذه التعليلات ، ولا شأن لهم بها ، ولن يتأثر الأسلوب أو ضبط مفرداته بإغفالها ، وإهمال الوجه الثالث القائم على الإعراب مع النصب المباشر بغير تنوين .

وفما يلي بعض تلك الآراء بليّجاز يحتاج إليه الخاصة :

(١) في مثل : يا حسن بن عليّ - بضم المنادى - يكون بناؤه على الضمّ في محل نصب ؛ مراعاة للقاعدة العامة ، لأنه مفرد علم . وتعرب كلمة : « ابن » صفة ، منصوبة ، تبعاً لمحل الموصوف . لا لفظه المبني^(١) . وهذا إعراب حسن لا مأساً - ندد عليه .

(٢) وفي مثل : يا حسن بن عليّ . . . (٢) - بفتح المنادى - يكون مبنيّاً على الفتح في محل نصب ؛ (فهو مبني لفظاً ، منصوب محلاً) . ويقولون : إن حقه البناء على الضم ؛ لأنه مفرد علم ، ولكن آخره تحرك بحركة تماثل الحركة التي على آخر لصفة ، على توهم وتخيل أن الكلمتين بمنزلة كلمة واحدة ؛ إذ الفاصل بين آخر المنادى ، وآخر صفته حرف واحد ساكن ، فالفصل به كلاً فصل ؛ لأنه - جز غير حصين - كما يقولون -

وفي هذه الحالة يذكرون في إعراب المنادى : أنه مبني على ضم مقدر ، منع من ظهوره فتحة الإتياع^(٣) ، في محل نصب ، وكلمة : « ابن » صفة له ، منصوبة باعتبار محله .

(١) لأن البناء لا ينتقل من المتبوع إلى تابعه ، ولا من كلمة إلى أخرى ليست مبنية .

(٢) تجيء مناسبة أخرى لهذا النوع من المنادى ، في « ج » ، من ص ٥٣ .

(٣) أي : الفتحة التي جاءت في آخر المنادى متتابعة ومائلة للفتحة التي في آخر صفته .

فلم هذا التوهم ، واللف والالتواء في إعراب المنادى ، وإتباع حركته - وهو السابق - لحركة صفته اللاحقة ، مع ما في هذا من مخالفة المؤلف الذى يجرى على أن يكون المتأخر هو التابع في حركته للمتقدم ؟ .

لم لا نقول : إن المنادى إذا اجتمعت فيه الشروط السالفة جاز أن يكون مبنياً على الفتح مباشرة ، أو على الضم ، مراعاة للواقع المأثور من فصيح الكلام العربى ؟ ولا ضرر في هذا ولا إساءة ، بل إنه السائع المقبول ، وهو في الصورتين في محل نصب .

(٣) ويميزون في إعراب المنادى في الصورة السالفة أنه مبنى مع صفته على فتح الجزأين ، على توهم وتخييل تركيبه مع صفته تركيباً لفظياً ، كالتركيب اللفظي الذى في الأعداد : أحد عشر ، وثلاثة عشر ، وأربعة عشر ، وما بعد أربعة عشر إلى آخر تسعة عشر ، فإن هذه الأعداد مبنية على فتح الجزأين دائماً في جميع الحالات الإعرابية ، بسبب تركيب الكلمتين تركيباً يلزمهما ، ويقتضى أن يلزمهما فتح آخرهما .

فما الداعى لهذا التكلف أيضاً ، وحمل المنادى مع صفته في هذه الصورة على تلك الأعداد المركبة ، مع وجود الفارق الواضح بينهما ؟ ذلك أن العدد المركب لا يؤدي معناه الأساسى المطلوب إلا مع التركيب الختمى ، فكل جزء من الجزأين بنفسه ، وإنما هو بمثابة حرف من كلمة واحدة ، تؤدي معنى أصيلاً ، لا يؤدي أحد حروفها ، وليس هذا شأن النعت والمنعوت كما هو معروف . ومن ثم كانت المشابهة بين الأسلوبين ضعيفة ، وكان الاعتماد عليها هنا غير قوى ، وإنما القوى أن نقول في هذه الحالة ما قلناه في الحالة الثانية وهو أن المنادى مبنى على الفتح - مباشرة - في محل نصب ، نزولاً على حكم الواقع الذى لا ضرر في اتباعه . أما كلمة : « ابن » فإعرابها هنا كإعرابها هناك .

(٤) ويميزون أيضاً في المنادى السالف ألا يكون مبنياً على الفتح في محل نصب ؛ وإنما يكون معرباً منصوباً ، مباشرة ، بغير تنوين ، غير أنهم لاحظوا أن حالات المنادى المعرب المنصوب لا تنطبق عليه ؛ فتمسوا الوسيلة لإدخاله تحت واحدة

منها فارتضوا أن تكون الصفة (ابن) في حكم الزائدة التي لا وجود لها، وأن المنادى مضاف ، وأن المضاف إليه هو الكلمة التي بعد كلمة «ابن» وبذا يكون المنادى - في تقديرهم داخلياً في قسم المضاف الذي يجب إعرابه ونصبه!! ويترتب على هذا أن تكون كلمة : «ابن» مقحمة بين المضاف والمضاف إليه ، وأنها لا توصف بإعراب ولا بناء، وإنما هي موقوفة - كما يقولون - ولا محل لها من الإعراب فليست صفة ، ولا غيرها .

فما هذا ؟ وما الدافع له ؟ الخير في إهماله ، وإنما ذكرناه لنعرض شيئاً يستحق الإعراض عنه. ثم نواجه الواقع بحكم أصيل يناسبه، لا إقحام فيه ، ولا وقف ، ولا بناء ؛ فنعتبر المنادى معرباً بغير تنوين، وكلمة : «ابن» صفة له ، منصوبة .

« ملاحظة » :

كل ما تقدم خاصاً بكلمة : «ابن» يسرى على كلمة : «ابنة» الواقعة مثلها صفة لمنادى مؤنث ، مستوف للشروط ، ولا يسرى على غيرهما. فإذا وصف المفرد العلم بغيرهما بقي مفرداً علمياً^(١)، له ولتوابعه أحكامهما الخاصة ، ولا ينتقل بسبب الوصف إلى قسم التشبيه بالمضاف، إذ لو انتقل إليه لوجب نصبه في جميع الأحوال، كالتشبيه بالمضاف ، ويصير هذا النصب العام مخالفاً للحكم الصحيح .

ثانياً^(٢) - المنادى النكرة المقصور . يسرى بكلمة . «ابن» ، أو «ابنة» أو غيرهما ، له حكم خاص يختلف عن الحكم السابق ، فيتوقف على حال هذه النكرة ، أكانت موصوفة قبل النداء بإحدى الكلمتين السالفتين ، أو بغيرهما ، أم جاء الوصف بعد النداء ، وطراً بعد تحققه ؟ وسيجيء الحكم مفصلاً عند الكلام على النكرة المقصورة^(٣) .

(١) سيجيء هذا في أول ص ٣٠ .

(٢) سبق الكلام على : «أولاً» في ص ٢٠ .

(٣) ص ٢٨ .

(ح) وإذا كان المفرد العلم مبنياً قبل النداء بقى على بنائه القديم في اللفظ ، لكن يطرأ عليه بناء جديد ، مقدر يجلبه النداء معه — طبقاً للرأى الشائع من رأين كما أسلفنا^(١) — فكلمة مثل : « سيبويه » — وهى علمٌ على إمام النحاة المشهور — مبنية قبل النداء على الكسر لزومًا . فإذا نودى ، وقيل : يا سيبويه ، أحسن الله جزاءك . . . ، كانت كلمة « سيبويه » منادى مبنى على ضم مقدر على آخره منع من ظهوره البناء الأصلي على الكسر ، في محل نصب^(٢) . . .

ولهذا البناء الجديد المقدر أثره في التوابع ، كالنعت وغيره — وستجىء الأحكام المفصلة الخاصة بتوابع المنادى^(٣) . — فإذا جاء للمنادى تابع صح في هذا التابع أن يكون في مظهره الشكلى مرفوعاً^(٤) ؛ مراعاةً صوريتة — غير حقيقية — للضم المقدر في المنادى ، وجاز أن يكون منصوباً ؛ مراعاةً لمحل هذا المنادى ؛ لأنه مبنى في محل نصب — كما عرفنا — ولا يجوز مراعاة علامة البناء الأصلي التى ليست طارئة مع النداء . تقول : يا سيبويه النحوى ؛ ببناء كلمة « النحوى » على الضم — رفعاً صوريتاً غير^(٥) حقيقى — أو بنصبها مباشرة : باعتبارها معربة . ومثل هذا يقال في كل علم مفرد لازم البناء في أصله قبل مناداته ؛ سواء أكان بناؤه الأصلي اللازم على الكسر (ومنه : حَدَّامٍ ؛ رَقَّاشٍ . . . علمين على امرأتين عند من بينهما) أم على غير الكسر ؛ (مثل : حيثُ — كيفَ — أربعةَ عشرَ ، وأخواتها من الأعداد المركبة المبنية على فتح الجزأين ، — نَعَمٌ . . . أعلام أشخاص) فيقال في كل علمٍ من هذه الأعلام : إنه مبنى على الضم المقدر منع من ظهوره علامة البناء الأصلي (على الكسر ، أو على الضم ، أو على الفتح ، أو على فتح الجزأين ، أو على السكون) في محل نصب في كل ذلك . .

ومثل هذا يقال في العلم المعرب المنقول من جملة محكية ، مثل : « صنعتَ خيراً » علم على شخص ، فيقال : يا صنعتَ خيراً الشجاعُ فالمنادى — وهو :

(١ و ١) في رقم ٤ من هامش ص ١١ — وانظر « الملاحظة » التى في ص ١٢ حيث تعرض

الرأى الآخر المفيد . (٢) ص ٤٠ .

(٣ و ٣) هل يقال لهذا اللفظ إنه مرفوع ، مع أن رفعه صورى ، وغير حقيقى ؟ وما إغرابه ؟

الإجابة والبيان في ص ٥٢ .

« صنعت خيراً » - مبني على ضم مقدر على آخره منع من ظهوره حركة الحكاية ،
 في محل نصب . ويجوز في النعت : (الشجاع) الرفع الصوري^(١) تبعاً للفظ المنادى
 والنصب تبعاً لمحلّه .

(د) المنادى المفرد العلم مبني - في الأكثر كما عرفنا - فلا ينون إلا في
 الضرورة الشعرية ، فيباح تنوينه مع رفعه^(٢) ، أو نصبه^(٣) . فمثال الأول قول
 الشاعر يهدّد خصمه حميداً :

لا تهيجني - يا حميد - إن لي فتكة الليث ، إذا الليث غضب

ومثال الثاني قول المادح :

حسبنا منك - يا علياً^(٤) - أيادٍ يتغنّى بها الزمانُ نشيداً

وإذا كان المنادى المفرد العلم مبنيّاً على الضم ، لكنه منون للضرورة لزم
 التصريح بهذا عند إعرابه^(٢) ، وجاز في تابعه الرفع مراعاة للفظه - إن لم يوجد مانع
 آخر - والنصب مراعاة لمحلّه . أما إذا كان منصوباً منوّناً فيقال في إعرابه إنه
 منصوب منون للضرورة ، ولا يجوز في تابعه إلا النصب ، لأن النصب هو الأصل
 المحلى في المبني ، وقد ظهر النصب في اللفظ ، فلا داعي لإهماله ، ومراعاة
 غيره . . .

(١) يقال هنا ما سبق في رقم ٣ من هامش الصفحة السالفة .

(٢ ، ٣) ويقال عند إعرابه : إنه منادى مبني على الضم ، ولحقه التنوين للضرورة . وقد اجتمع
 التنوين وعدمه في العلم : « مطر » في بيت يستشهد به قدماء النحاة ؛ هو :

سلام الله يا « مطر » عليها وليس عليك يا « مطر » السلام

(٣) والنصب في الضرورة - بالرغم من إباحته - أقل وأضعف من الرفع . ويقال في إعرابه :
 إنه منصوب مراعاة لبعض اللهجات ، ومنون لضرورة الشعر .

(٤) الضرورة في هذا البيت مباحة للشاعر ، ولكن تركها أفضل ؛ إذ لا يختل الوزن بتركها .
 وبعض النحاة يستشهد ببيت مثله ؛ هو قول الشاعر :

ضربت صدرها إلى وقالت يا « عدياً » لقد وقتك الأواقي

وموضع الشاهد : هو : يا عديا .

القسم الثاني : النكرة^(١) المقصودة : ويراد بها :

”النكرة التي يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها، والاتجاه إليه وحده بالخطاب“ ؛ فتصير معرفة دالة على واحد معين^(٢) بعد أن كانت تدل على واحد غير معين ، ولولا هذا النداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف . فكلمة مثل : « رجل » هي نكرة ، مبهمة ، لا تدل على فرد واحد بذاته ، وإنما تصدق على محمود ، وحامد ، وصالح ، و... ، وكل رجل آخر . فإذا قلنا : يا رجلُ سأساعدك على احتمال المشقة ، تغير شأنها ، ودلت على فرد معروف الذات والصفات - دون غيره - هو الذي اتجه إليه النداء ، وخصه المتكلم بالاستدعاء ، وطلب الاستماع ؛ فصارت معرفة معينة بسبب الخطاب ، لا شيوع فيها ولا إبهام . والنكرة المقصودة هي - في الرأي الأنسب - القسم الوحيد الذي يستفيد التعريف من النداء ، دون بقية أقسام المنادى .

حكمها :

الأكثر البناء^(٣) على الضمّة ، أو ما ينوب عنها - في محل نصب ، فهي شبيهة بالمفرد العلام في هذا . ومن أمثلتها قول شوقي يخاطب بليلته الخبيس :
يا طيرُ - والأمثالُ تُضْ رَبُّ لِلَّيْلِبِ الْأَمْثَلِ - :
دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَا تَكُونُ لَأَعَزَّلِ

(١) وتسمى - كما في رقم ٣ من هامش ص ٤ - اسم الجنس المعين . وقد سبق الكلام على النكرة وتعريفها وما يتصل بها في ج ١ ص ١٣١ م ٧ .

(٢) الفرق بين التعيين والتعريف في النكرة المقصودة والمفرد العلم أن التعيين والتعريف في الأول عرضيان طارئان بسبب النداء ؛ فهما أثران من آثاره ؛ يجثمان معه ، ويزولان معه . ولكنهما أصيلان في العلم ملازمان له ، ولو لم يوجد النداء ، فلا أثر للنداء في إيجادها ، أو زوالهما ، أو بقاءهما - على الرأي الأرجح الذي سبق في رقم ٢ من هامش ص ١١ -

والمعارف متفاوتة في درجة التعريف ، وقوته ، طبقاً لما سبق تفصيله في الموضع الأنسب (وهو ج ١ - م ١٧ رقم ٣ من هامش ص ١٩١) ومنه يعرف أن النكرة المقصودة في درجة اسم الإشارة ؛ لأن التعريف بكل منهما يتم إما بالقصد الذي يعينه المشار إليه ، وإما بالتخاطب كما في الموضع السالف ، وكما في : « ب » من ج ١ م ٣٢ ، ص ٣٩٩ - وأن التعريف بالعلمية ذاتي ؛ فهو أقوى .

(٣) إلا في الضرورة الشعرية - كما سنعرف - ، وفي صورة أخرى معربة سجناء في الزيادة والتفصيل : ص ٢٨ - « أ » . وثالثة معربة تنجيء في ص ٣٤ .

ولا يصح تنوينها إلا في الضرورة الشعرية ، فتُنُون مرفوعةً أو منصوبة ،
كقول الشاعر وهو ينظر للقمر .

يا قمرًا ، لا تُفْشِ أسرارَ النُورِ وارحمْ فؤادَ السَّاهرِ الولَّهَانِ

ويصح : يا قمرٌ . وفي الحالتين يكون إعرابها كالمفرد^(١) العلمُ المُتَنُونُ فيهما .

هذا حكم النكرة بشرط أن تكون مقصودة ، ومفردة (أى : غير مضافة ،
ولا شبيهة بالمضاف) فإن كانت غير مقصودة فهي من القسم الثالث الآتي ، وإن
كانت غير مفردة فهي من أحد القسمين التاليين : الرابع ، والخامس .

وإنما تبني النكرة المقصودة المفردة على الوجه السالف بشرط ألا تكون موصوفة ،
وألا تكون من الأعداد المتعاطفة^(٢) ، ولا معربة مجرورة باللام في حالة الاستغاثة
أو التعجب ؛ مع وجود حرف النداء : « يا »^(٣) ؛ لأنَّ للأوليتين حكمًا سيجيء^(٤) ،
وأن الجار يجعلها من قسم المنادى المضاف — تأويلا — . دون غيره ، وهو معرب
واجب النصب ؛ نحو : يا لَقَسَوِيَّ لضعيف يستنصره : ويا لَلَمَطَرِ الهَتُونُ !!
في نداء منكَرَرَيْنِ معينين . فالمنادى مجرور باللام في محل نصب . وقد بقي معربًا
كشأنه السابق على النداء . وسيجيء البيان في باب الاستغاثة^(٤)

(١) سبق في « د » ص ٢٤ . ويجب التصريح باسمها عند الإعراب .

(٢ ، ٢) انظر « أ » ص ٢٨ و ص ٣٤ .

(٣) دون غيره ، ولا يصح حذفه في الحالتين ، — كما سبق في رقم ٦٥٥ من ص ٣ — .

(٤) ص ٧٧ — ويقول ابن مالك في أحكام المنادى المبني على الضم مطلقاً ؛ (أى : سواء
أكان مفرداً علماً ، أم نكرة مقصودة) :

وَابْنِ الْمَعْرِفِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدَا . عَلَى الَّذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عُمِدَا

فهو يطالب ببناء المنادى المفرد المعروف ، وأن يكون بناؤه على العلامة المعهودة فيه في حالة رفعه
قبل النداء ؛ لأنَّ الضم — لا الرفع — هو علامة البناء في الشائع ، فالذي علامته الضمة يبني عليها ، والذي
علامته الألف ؛ كالثنى ، أو الواو كجميع المذكر ، يبني عليهما . . . وهذا الحكم ينطبق على القسمين :
المفرد العلم والنكرة المقصودة ؛ فكلاهما مفرد ومعرف . غير أن تعريف المفرد العلم أصيل ، بسببه العلمية ؛
فهو سابق على النداء ، وبقا معها ولو زال النداء ؛ طبقاً لأحد الرايين المعروضين في ص ١١ . أما
تعريف النكرة المقصودة فطارئ ؛ بسبب النداء ، ملازم له مدة وجوده ، زائل بزواله — كما سبق في
هامش الصفحة الماضية — وبناء المفرد العلم على الضم إنما يكون واجباً في غير الضرورة وبعض الصور =

= التي أشرنا إليها في رقم ٣ من هامش ص ١٠. كما أن النكرة الموصوفة لا تبنى - في غير الضرورة - على الضم وجوباً إلا عند عدم وصفها وعدم طولها . فإن وصفت أو طالت جرت عليها الأحكام الآتية في ص ٢٨ و ٣٤ . ثم بين ابن مالك أن المنادى الذي يستحق البناء إذا كان مبنياً قبل مناداته ، يجب تقدير بنائه الجديد ، وملاحظته في النية ، وإجراؤه مجرى المعرب الذي زال إعرابه بسبب النداء ، وحل محله بناء جديد ، أو مجرى اسم مبنى في أصله ، زال في التقدير بناؤه القديم وحل محله بناء طارئ جديد بسبب النداء - مع ملاحظة أن الجديد هو الذي يراعى وحده في توابعه - يقول : - ورأيه مدفوع برأى آخر سبق في ص ١١ - :

وَأَنوْ أَنْضَمَّ مَا بَنَوْا قَبْلَ النَّدَا وَلِيُجَرَ مُجْرَى ذِي بِنَاءٍ جَدِّدًا
وقبل أن يتم الكلام على هذا القسم أقحم بيتا يتعلق بأقسام أخرى سيجيء شرحها وشرحه في ص ٣٣ هو :

وَالْمُفْرَدَ الْمُنْكَوَّرَ ، وَالْمُضَافَا وَشَبْهَهُ انْصَبَ ، عَادِمًا خِلَافَا

وعاد بعده إلى بيان حكم المنادى العلم المفرد الموصوف بكلمة « ابن » - أو ابنة - وأنه يجوز فيه البناء على الفتح أو الضم ، ولم يذكر الشروط ؛ وإنما اكتفى في البيت الأول بأن ساق مثالا مستكمل الشروط - وقد شرحناها مفصلة في ص ١٨ ، ٢٠ - واكتفى في البيت الذي يليه بالنصر على أن الصفة (وهي كلمة : ابن ، وابنة) إن لم تقع مباشرة بين علمين لم يصح البناء على الفتح ، ووجب الاختصار على البناء على الضم يقول في اختصار معيب :

وَنَحْوَ زَيْدٍ ضَمًّا ، وَافْتَحَنَ مِنْ نَحْوِ : أَزَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ لَا تَهْنُ
(- تهن : مضارع ، مجزوم ، معناه : تضعف . وناضيه : وهن ، بمعنى : تضعف) .

والضمُّ إِنْ لَمْ يَلِ الْإِبْنُ عِلْمًا أَوْ يَلِ الْإِبْنُ عِلْمٌ - قد حُتِمَا
(الألف التي في آخر كل شطرة زائدة لوزن الشعر)

يريد : أن البناء على الضم محتم إن لم يقع الابن بعد علم (بشرط ألا يكون المنادى نكرة تقتضى حكماً خاصاً) أو لم يقع علم بعد الابن . أى : إذا لم يتوسط « الابن » بين علمين مباشرة - كما قلنا - ؛ فثال الأول يا غلام ابن سعد - سليمان النبي ابن داود . ومثال الثاني : ياسليمان ابن النبي . ثم عرض لحكم آخر من أحكام المنادى المستحق للبناء ؛ فأوضح أنه يجوز فيه الرفع والنصب مع التنوين في الحالتين عند الاضطرار الشرعى :

وَأَضْمُ أَوْ انْصَبَ مَا اضْطَرَّارًا نُونًا مِمَّا لَهُ اسْتِحْقَاقُ ضَمٍّ بَيْنَنَا

أى : اضمم أو انصب مانون اضطراراً من كل ما له استحقاق ضم بيننا فيما سبق . والذي يستحق الضم فيما سبق هو المفرد العلم والنكرة المقصودة . . . والمنادى المبنى على الضم إذا نون يبق على بنائه ، وتنوينه طارئ للضرورة . أما في حالة تنوينه منصوباً فنقول - في الأحسن - إنه معرب منصوب ، تبعاً لبعض الجهات ، وأنه منون للضرورة ، - كما سبق في هامش ص ٢٤ -

زياد وتفصيل :

(١) تبنى النكرة المقصودة على الضمّ وجوباً إذا كانت غير موصوفة مطلقاً^(١) (أى : لا قبل النداء ، ولا بعده .) فإن دلت قرينة واضحة — أى قرينة ؛ لفظية ، أو غير لفظية — على أنها كانت قبّله موصوفة بنعت مفرد ، أو غير مفرد ؛ فالأغلب الحكم بوجوب نصبها مباشرة ؛ إذ قد اتصل بها شيء تتمم معناها ، ولم تقتصر على لفظها وحده ، فدخل عليها النداء وهى متصلة بما يتممها ؛ وبسببه تخرج من قسم النكرة المقصودة إلى قسم الشبيه بالمضاف ، وهو واجب النصب . . . مثال هذا أن تخاطب : (شاهدتك من بعيد قادماً علينا ، ويبدو أنك رجل غريب . فيا رجلاً غريباً ستكون بيننا عزيزاً) . فالنكرة المقصودة هنا منصوبة وجوباً ، على الرأى الأغلب ؛ لأنها كانت موصوفة قبل النداء ؛ بقرينة الكلام السابق عليها . ومن الأمثلة للنعت بالجملة أن تسمع : « سيزورنا اليوم وفدٌ نعزّه » فتقول : يا وفدٌ نعزّه نحن فى شوق لرؤيتك . ويصح : يا وفدٌ من بلاد عزيزة . . . أو يا وفدٌ أمّانا . — إذا كانت الصفة قبل النداء شبه جملة . ومن هذا أبيات الشاعر التى أنشأها حين قيل له : هذا شرع وراء دجلة تعبت به الرياح ؛ فقال أبياته التى مطلعها :

يا شرعاً وراء دجلة يجرى فى دموعى ، تجنبتك العوادى

ومن الأمثلة المسموعة التى لها قرائن معنوية تدل على أن النكرة وصفت قبل النداء ما حكاها الفراء عن العرب فى مشهور بالكرم : يا رجلاً كريماً أقبل . وقوله عليه السلام : يا عظيماً^(٢) .

(١) فى هذه الصورة يصح وصف المعرفة بالنكرة ، (طبقاً للبيان الآتى هنا وفى « د - ص ٣٠ » وكذلك فى رقم ٢ من هامش ص ٤٤) . ولا تبنى النكرة المقصودة التى من الأعداد المتعاطفة (انظر ص ٣٣)

(٢) فى هذا المثال - وأشباهه - مما يقع فيه المنادى نكرة مشتقة متحملة الضمير وبعدها جملة - يرى ابن هشام إعراب هذه الجملة حالاً من الضمير المستقر فى المنادى المشتق ، وليست نعتاً ؛ — لأن النعت لا يكون معمولاً للمنعوت المشتق — ويكون المشتق هو العامل الذى نصب جملة الحال ؛ فهى من معمولاته التى تتم معناه . ويترتب على هذا عنده أن يكون المنادى من نوع الشبيه بالمضاف ، وليس من قسم النكرة المقصودة التى تنصب . بشرط ألا يثبت أن الوصف متأخر عن النداء — كما سبق — .

ويخالفه ابن مالك فى تلك الصورة فيرى أن الجملة نعت — برغم تنكيرها حكماً — لا حال ، ولعل السبب عنده أن العامل فى النعت هو « يا » أو ما ناب عنه ، ولا شأن للمنادى بالعمل ؛ فليست الجملة من معمولاته ولا مما يقتضى أن يكون من قسم الشبيه بالمضاف . ورأى ابن مالك أوضح وأيسر ، ورأى ابن هشام أدق . =

.....

يَرْجِي لِكُلِّ عَظِيمٍ ، وَيَا حَلِيمًا لَا يَعْجَلُ . وقول الشاعر :
أَدَارًا بِحُزُونِي هَجَبْتُ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً فَاءُ الْهُوَى يَرْفَعُضُ أَوْ يَسْتَفْرِقُ
فالرجاء في الله وحلمه ثابتان قبل النداء ، وكذلك قيام الدار ووجودها قبل أن يناديها الشاعر . فالنكرات المقصودة في الأمثلة السالفة وأشباهاها منصوبة . وقيل اكتسبت هي وصفتها التعريف بسبب النداء ؛ لأن النداء حين جاء كانت الصفة والموصوف متلازمين مصطحبين ، فأفادهما التعريف معاً ، وإن شئت فقل : إنه أكسبَ المنادي التعريف ، وسرى هذا التعريف فوراً من المنادي الموصوف إلى صفته ، فالصفة هنا تنتمى للمنادي ؛ فهي بمنزلة المفعول من العامل . ومن أجلها انتقلت النكرة المقصودة^(١) إلى قسم الشبيه بالمضاف . وقيل إنها لا تنتقل للشبيه بالمضاف ، ولكن يحسن فيها النصب .

أما إذا دلت القرينة الواضحة على أن وصف النكرة المقصودة كان بعد النداء فإن المنادي يجب - في الأغلب - بناؤه على الضم ، ولا يصح نصبه ، بالرغم من وجود صفة له . ذلك أن النداء حين دخل على النكرة المقصودة لم تكن موصوفة ، فاستحقت البناء وجوباً . فإذا جاءت الصفة بعد ذلك فإنما تجيء بعد أن تسم البناء على الضم وتحقق ، فلا تكون مكملة للنكرة المقصودة التكميل الأصلي الذي يخرجها إلى قسم الشبيه بالمضاف ، الواجب النصب . والمنادي في هذه الصورة معرّف بسبب النداء والقصد مع أن صفته الطارئة بعد النداء قد تكون نكرة جوازاً ؛ إذ لا مانع في هذه الصورة من أن يوصف بالنكرة أو بما هو في حكمها - كالجمل - لأن تعريف الموصوف هنا طارئ غير أصيل^(٢) . والتعريف الطارئ على المنعوت لا يُوجب في النعت المطابقة فيه . وإنما يجيزه ، فخالفة المطابقة في التعريف مغتفرة في هذه الصورة ؛ (كما سيجيء)^(٣) .

= فإن كان المنادي نكرة جامدة فهي خالية من الضمير ، ولا مكان - في الغالب - لمحىء الجملة أو شبهها حالاً منه ، ويتعين إعرابها صفة .

(١) وفي ص ٣٤ صورة أخرى تنتقل فيها النكرة الموصوفة إلى قسم الشبيه بالمضاف .
(٢) راجع الخصري ، ثم التصريح وحاشيته - في هذا الباب عند الكلام على النكرة المقصودة غيرها . وسبق إيضاح هذا لمناسبة أخرى في باب « الإضافة » عند الكلام على أثر الإضافة غير المحضة (ج ٣ م ٩٣ ص ٢٩) ولها إشارة في باب النعت أيضاً (ج ٣ م ١١٤ ص ٤٣٥) .

(٣) في « د » . أما الصفة التي سبقت محي النداء فطابقة في التعريف والتذكير للموصوف .
حقاً ولا تغتفر المطابقة بعد النداء .

فإن لم توجد قرينة ، تدل بوضوح على أن وصف النكرة المقصودة كان قبل النداء أو بعده جاز الأمران : النصب ، والبناء على الضم .

ويرى بعض النحاة أن النصب جائز مطلقاً في النكرة الموصوفة ؛ سواء أكان وصفها قبل النداء أم بعده ، ولا يرى حاجة للتقييد ، بغير داع ، إذ يصعب في الأغلب — تحقيق القيد ؛ بمعرفة أن الوصف كان قبل النداء أو بعده ، ورأيه أيسر وأخف مؤنة ، نخلوه من العناء ، وإن كان أقل دقة في أداء المعنى من الأول ؛ فالرأيان محمودان .

ولا يسرى ما سبق على العلم الموصوف فإنه حين يُوصف يظل على حاله في قسم المفرد العلم^(١) ، ولا يتركه إلى قسم الشبيه بالمضاف ، لأن العلم ليس شديد الحاجة إلى الوصف شدة النكرة إليه .

(ب) إذا كانت النكرة المقصودة اسماً منقوصاً ، منوناً ، محذوف الباء للتونين ؛ (مثل : داع — مرتض — مستهذ) — أو اسماً مقصوراً منوناً محذوف الألف (مثل : فتى — علاً — غنى) — وبنيت على الضم ، كان الشأن في وجوب حذف تنوينها ، وإعادة حرف العلة المحذوف أو عدم إعادته ، هو ما تقدم^(٢) في المفرد العلم في تلك الصيغتين . فكل ما قيل فيه من الأسباب والنتائج يقال هنا :

(ح) هل يُعَدّ من النكرة المقصودة نداء المعارف المبنية أصالة قبل النداء وليست أعلاماً (كالإشارة ، وضمير المخاطب . . .) فتبنى على الضم المقدّر ؟ . . راجع الشرح والتفصيل الذي بسطناه^(٣) .

(د) تصير النكرة المقصودة التي لم توصف قبل النداء ، معرفة بسبب النداء — كما شرحنا — فتعريفه طارئ ؛ فتوصف بالمعرفة ؛ تبعاً لهذا التعريف الطارئ ؛ ويصح وصفها بالنكرة مراعاة لحالتها السابقة من التنكير ؛ فتقول لرجل معين : يا رجلاً المهذب ، أو مهذباً . والأول أحسن^(٤) .

أمّا النكرة التي توصف قبل أن تُنادى فإن صفتها واجبة المطابقة لها تعريفاً وتنكيراً ؛ فيجىء النداء وهي مطابقة قبل مجيئه فلا يغير المطابقة .

(١) راجع ما سبق في ص ٢١ خاصاً بهذا . (٢) في رقم ٢ ص ١٥ .

(٣) في رقم ٢ من هامش ص ٩١ . (٤) سبق بيان المراجع في هامش رقم ٢ من ص ٢٨ .

القسم الثالث : النكرة غير المقصودة^(١) ، وهي الباقية على إيهامها وشيوعها كما كانت قبل النداء ، ولا تدل معه على فرد معين مقصود بالمناداة ؛ ولهذا لا تستفيد منها تعريفاً .

حكمها :

وجوب نصبها مباشرة . نحو : يا عاقلاً تذكّر الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وقول الشاعر :

أيا راكباً إمّا^(٢) عرّضت^(٣) فسبّلغن^(٤) ندامى^(٥) من نجران^(٦) ألا تلاقيا

القسم الرابع : المضاف ، بشرط أن تكون إضافته لغير ضمير المخاطب^(٧) ،

سواء أكانت محضة ؛ كقول الشاعر :

فيا هجر ليلى قد بلغت بى المدى وزدت على ما ليس يسبّلغه هجر
ويا حبّها زدنى جيوى كلّ ليلة ويا سلوة الأيتام موعدك الحشر

ومثل قول القائل :

يا أخا البدر سناء^(٨) وسنّا^(٩) حفظ الله زماناً أطلعك

أم غير محضة كقول الآخر :

يا ناشِر العلم بهذى البلاد وفقت^(١٠) نشر العلم مثل الجهاد

حكمها :

وجوب النصب بالفتحة ، أو بما ينوب عنها .

(١) وتسمى اسم الجنس غير المعين - كما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٤ :

(٢) « إمّا » هذه مركبة من « إن » الشرطية المدغم فيها : « ما » الزائدة .

(٣) أتيت . . .

(٤) ندامى : جمع ، من مفرداته : نَدَمَان ، وهو : الموائس في مجلس الشراب .

(٥) بلد في اليمن .

(٦) مسامرة للأصاليب العربية الصحيحة ؛ فإنها لا تجمع في الجملة الواحدة الندائية التي ليست

للندبة ، خطابين لشخصين مختلفين . على حين يجب أن يكون المضاف غير المضاف إليه في المعنى ، وبخلافه

له في المدلول ؛ فينبى مطلوب النداء ومطلوب الإضافة تعارض - وهذا في غير الندبة - ، فلا يصح أن

يقال : يا خادمك ؛ لأن النداء خطاب للمضاف ؛ مع أن المضاف إليه هنا ضمير المخاطب آخر غير

المضاف . - ولهذا إشارة في ص ٥٠ - أما في الندبة فيجىء الكلام عليها في رقم ٢ من هامش ص ٩١ .

(٨) ضوءاً .

(٩) شرفاً ورفعة .

ويُلحق بهذا القسم نداء : « ائْتِيْ عَشَرَ » ، وائْتِيْ عَشْرَةَ » فينصب صدرهما بالياء في أحد الرأيين اللذين سبق شرحهما ^(١) - وهو الرأي المرجوح الذي يجعل الأعداد المركبة كلها من قسم المنادى المضاف -

وقد تفصل لام الجر الزائدة بين المنادى والمضاف إليه ، بشرط أن تكون زيادتها لضرورة شعرية ، كقول القائل ^(٢) في غادة :

لو تموت لراعتني ، وقلت : ألا يا بُؤْس للموت ، ليت الموت أبقاها
وقول الآخر ^(٣) :

* يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَامٍ * .

القسم الخامس : الشبيه بالمضاف : ويراد به كل مُنَادٍ جاء بعده معمول يتم معناه ، سواء أكان هذا المعمول مرفوعاً بالمنادى ، أم منصوباً به ، أم مجروراً بالحرف - لا بالإضافة ^(٤) - والجار والمجرور متعلقان بالمنادى ، أم معطوفاً على المنادى قبل النداء ، أم نعتاً له قبل النداء أيضاً . . . ^(٥) .
حكمه :

كسابقه - وجوب نصبه بالفتحة ، أو بما ينوب عنها . فثال المعمول المرفوع قولهم : يا واسعاً سلطانُهُ لا تظلمُ ، فإن الظلم بلاء على صاحبه ، ويا عظيمًا جاهُهُ لا تغتر ؛ فإن الغرور رائد الهلاك . ومثال المنصوب قولهم : يا غاصباً ما ليس لك كيف تسعد ؟ ويا آكلاً مالَ غيرك ، كيف تنعم ؟ وقول حافظ في عمر بن الخطاب :

يا رافعاً رايةَ الشورى ، وحارسها جزاك ربك خيراً عن مُحِبِّها

(١) في رقم ٢ من هامش ص ٩ وهامش ص ١٧ وهو الرأي الكوفي المرجوح ، الذي يحتاج بأن صورتها كالتضاييق . وكذلك صور بقية الأعداد المركبة ، ويوجب نصب صدرها .

(٢) هو جُنَادَةُ العذرى ، من أدركوا الدولة الأموية .

(٣) هو النابغة الذبياني . وصدر البيت : قالت بنو عامر : خالوا بني أسد . . . (يقال :

خالى فلان قبيلته ، أى : تركها .) والمعنى : اتركوا بني أسد ، ولا تجهلوا عليهم بالحرب - والبيت سبق في ج ٢ باب « حروف الجر » عند الكلام على اللام .

(٤) لأن المعمول إذا كان مجروراً بالإضافة كان المنادى هو المضاف ؛ فيدخل في قسم

المضاف ، لا الشبيه به . (٥) طبقاً للبيان الخاص بالنت في ص ٢٨ .

ومثال المجرور بالحرف وهما متعلقان بالمنادى قول شوقي :

يا طالباً لمعالى المسلكِ مُجْتَهِداً خُذْهَا من العلمِ ، أوْخُذْهَا من المالِ

وكذلك المستغاث المجرور باللام الأصلية (كما سبق ^(١)) ، وكما يجيء .

ومثال المنادى المعطوف عليه قبل النداء ما سُمى بمجموع المتعاطفين ^(٢) من

أسماء الأعداد المتعاطفة قبل مناداتها ، نحو : يا سبعةً وعشرين — يا تسعةً وأربعين . . . و . . . فى نداء المسَمَّى بهما معاً . وتظل الواو عاطفة ، ومنه

قول الشاعر فى نداء قصر يرثيه ، يسمى : خمساً وعشرين :

أخمساً وعشرين ^(٣) صِرت خراباً فكيف ؟ وأنت الحصينُ المنيعُ

وقد سبقت أمثلة النعت قبل النداء ^(٤) .

(ملاحظة عامة) من كل ما سبق يتبين أن قسمين من أقسام المنادى الخمسة

— هما : المفرد العلمى ، والنكرة المقصودة — يبنيان فى أكثر حالاتهما على الضمة أو فروعها ، وأن الثلاثة الباقية — وهى النكرة غير المقصودة ، والمضاف ، وشبهه — منصوبة دائماً .

(١) فى ص ١٣ و ٢٦ والبيان فى ص ٧٩ .

(٢) هما : المعطوف والمعطوف عليه .

(٣) علم على قصر فخم ، أشم ، أقامه أحد ملوك الطوائف الأندلسية ، واشتهر بهذا الرقم .

(٤) فى ص ٢٨ — وفى الأقسام الثلاثة الأخيرة يقول ابن مالك فى بيت سبقت الإشارة إليه

فى ص ٢٧ :

والمُفْرَدُ الْمُنْكَوَرُ ، والمُضَافَا ، وَشِبْهُهُ ، انْصَبَ . عَادَماً خِلَافَا

يقول : انصب المفرد المنكور (وهو النكرة الباقية على تنكيرها ، وليست مضافة ولا شبهة بالمضاف) وانصب كذلك المضاف ، وشبه المضاف ، بغير خلاف فى نصب الثلاثة ؛ إذ أنك لا تجد فى نصبها خلافاً ذا قيمة . ثم انتقل بعد ذلك مباشرة إلى أبيات ثلاثة سبق شرحها وتفصيل الكلام عليها فى مناسباتها الخاصة (ص ٢٧ وما بعدها) وهى :

وَنَحَوْ : زَيْدٌ ضُمٌّ وَافْتَحَنٌ مِنْ نَحَوْ : أَزِيدُ بْنُ سَعِيدٍ لَا تَهِنْ

وَالضَّمُّ إِنْ لَمْ يَلِ الْإِبْنُ عِلْمًا أَوْ يَلِ الْإِبْنُ عِلْمٌ ، قَدْ حُتِمَا

وَاضْمُ أَوْ انْصَبَ مَا اضْطَرَّارًا نَوْتَا مِمَّا لَهُ اسْتِحْقَاقُ ضَمٍّ بَيْنَا

النحوالوافية — رابع

زيادة وتفصيل :

(١) فى نداء الأعداد المتعاطفة^(١) المسمى بها قبل النداء — كالتى فى الصفحة السالفة — يلاحظ أن المعطوف والمعطوف عليه يجب نصبهما معاً عند النداء ، بشرط أن يكونا — معاً — علماً على فرد واحد ، سُمى بهما قبل النداء ؛ فنصب المعطوف عليه واجب ؛ لأنه شبيه بالمضاف فى الطول ، ونصب المعطوف واجب ؛ لأنه تابع للمعطوف عليه^(٢) . . . وفى هذه الصورة يمتنع إدخال حرف النداء على المعطوف ، لأنه جزء من العلم يشبه الجزء الأخير من العلم : « عبد شمس » أو « عبد قيس » ، أو غيرهما من الأعلام المضافة والمركبة ؛ حيث لا يصح تكرار حرف النداء بين جزأى العلم عند مناداته .

وكذلك لو ناديت جماعة واحدة ، معينة . مقصودة ، عديتها هذه ، وأردت المجموع فيجب نصب الجزأين ؛ لأن المنادى نكرة مقصودة ، لكنها طالت ، بسبب العطف عليها ، فصارت من قسم الشبيه بالمضاف ، منصوبة ، وما بعد الواو معطوف منصوب مثلها .

أما إذا كان المنادى أحد الأعداد المعطوفة ، كخمسة وعشرين ، ونظائرها ، ولكن أردت بالأول وحده — وهو المعطوف عليه المنادى — جماعة معينة عددها خمسة ، وأردت بالثانى — وهو المعطوف — جماعة معينة أخرى ، عددها عشرون ، وجب بناء الأول على الضم ، لأنه نكرة مقصودة ، ويجب نصب الثانى أو رفعه^(٣) ؛ مراعاة لمحل المتبوع ، أو لفظه ، من غير مراعاة لبنائه . والأرجح فى مثل هذه الصورة إدخال « أل » على الثانى ، لأنه اسم جنس أريد به معين ؛ فتدخل عليه « أل » لتفيده التعريف ، إذ لم يدخل عليه — مباشرة — حرف نداء يفيد ذلك ،

(١) أى : المشتعلة على معطوف عليه ومعطوف .

(٢) والإعراب السابق هو المختار عندهم . على الرغم من أن التسمية وقعت بكلمتين معاً بإعراب كل واحدة منهما على حدة مشكل — كما جاء فى حاشية ياسين على التصريح فى هذا الموضع — ثم قالت ما نصه : « (إلا أن يقال : إن فى إعراب كل بالإعراب الذى استحقه المجموع دفعاً للتحكم ؛ كقولهم : الرومان حلوا حامض) » .

(٣) هذا الرفع صورى ظاهرى فقط ؛ طبقاً للبيان الآتى فى رقم ٣ من ص ٥٢ .

.....

أما الحرف الموجود فهو داخل على الأول : مقصود عليه . ولا مانع من الاستغناء عن « أل » هذه ، وبحي حرف نداء مكانها ؛ ليفيد المعطوف تعريفاً مباشراً ، ويجب في هذه الصورة بناؤه على الواو ؛ لأنه نكرة مقصودة : ولا تذكر معه « أل » ؛ إذ لا تجتمع مع حرف النداء إلا على الوجه الذي سنشرحه في الصفحة التالية .

(ب) وأيضاً تُعْتَبَر النكرة المقصودة الموصوفة قبل النداء داخلية في قسم الشبيه بالمضاف وقد سبق شرحها وتفصيل الكلام عليها^(١) ..

المسألة ١٢٩ :

الجمع بين حرف النداء ، و « أل »

من أحكام النداء حكم عام تخضع له أقسامه الخمسة ، هو : أنه لا يجوز نداء المبدوء « بأل » فلا يصح الجمع بينه وبين حرف ^(١) النداء ، إلا في إحدى الحالات الآتية :

(الأولى) : لفظ الجلالة : « الله » ؛ نحو : (يا الله ^(٢)) ، سبحانك !! أنت القادر على كل شيء ، المنعم بفيض الخيرات) . والأكثر في الأساليب العالية عند نداء لفظ الجلالة أن يقال : « اللهم » ، وهو من الألفاظ الملازمة للنداء ^(٣) ، نحو قوله تعالى : (قل : اللّٰهُمَّ ، مالك الملك ؛ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ . . .) . وكقول عليّ - رضى الله عنه - وقد مدحه قوم في وجهه : (اللّٰهُمَّ إِنْكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ . اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مما يَظُنُّونَ ، واغفر لِي ما لا يعلمون) .

ويقال في إعرابه : « الله » منادى مبني على الضم في محل نصب ، والميم المشددة المفتوحة عوض عن حرف النداء : « يا » . ومن الشاذ الجمع بينهما ، كما في قول القائل :

إني إذا ما حدثُ أَلَمَّا أقول : يا اللّٰهُمَّ يا اللّٰهُمَّ

(١) لا فرق في المنع بين « يا » أو أخواتها . وسبب امتناع الجمع - وهذا مذهب البصريين - مسaire الكلام العربي الفصيح ، فإنه يكاد يخلو من اجتماع أداتين ظاهرتين للتعريف ، كـ « يا » و « أل » . أما دخول « يا » أو غيرها من أحرف النداء على العلم فلا مانع منه ، لأن العلمية ليست بأداة ظاهرة . والكوفيون يميزون الجمع بين « يا وأل » مطلقاً - كما سيجيء في هامش ص ٣٩ .

(٢) يجوز في همزة « أل » عند نداء لفظ الجلالة - الله ، دون غيره - بالحرف « يا » أن تكون للقطع ، فتظهر وجوباً في النطق وفي الكتابة ، وتثبت معها ألف « يا » في النطق والكتابة . ويجوز اعتبارها همزة وصل ؛ فتحذف مع ألفها نطقاً وكتابة معاً ، وتحذف ألف « يا » نطقاً فقط ؛ لا كتابة - وقد تحذف الهمزة وألفها وتبقى ألف « يا » نطقاً وكتابة .

(٣) كما سيجيء في ص ٦٨ .

ومن الجائز أن تحذف «أل» من أوله ، ويكثر هذا في الشعر ، كقول القائل :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنُ نَعُ رَحْلَهُ ؛ فَاَمْنَعُ رَحَالَكَ
وقول الآخر (١) :

لَا هُمْ هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قَضَاءِ حَقُوقِ نَامِ قَاضِيهَا
فتكون كلمة : «لاه» هي المنادى المبني على الضم (٢) . . .

ولا مانع أن يجيء بعد : «اللهم» صفة له ؛ كقوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . . .) ويمنع هذا بعض النحاة ؛ بحجة أن الأسماء الملازمة للدعاء (ومنها : اللهم) ليست في حاجة إلى الفائدة التي يحققها النعت لغيرها ، ويُعرب الصفة إعراباً آخر ؛ كأن تكون نداء مستأنفاً في الآية السالفة . . . والأنسب الأخذ بالإباحة (٣) . . .

(١) هو : حافظ إبراهيم ، في مطلع قصيدته المشهورة بالعمرية ، في سيرة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

(٢) أما «لاه» التي ترد في النصوص القديمة كالتي في قول الشاعر :

لَا إِلَهَ ابْنُ عَمَلٍ لَا أَفْضَلْتُ فِي حَسَبٍ عَنِ ، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي ، فَتَحْزُونِي . . .
فأصلها «له» حذفت من أولها لام الجر .

(٣) هذا ، وتستعمل صيغة : «اللهم» في النداء الحقيقي على الوجه السالف . وقد تستعمل قبل حرف من أحرف الجواب ؛ لتفيد الجواب تقوية وتمكيناً في نفس السامع ، وتأكيذاً لمضمونه ؛ كأن يسأل سائل : أصبح أن زكاة المال تقى صاحبها عوادي الأيام؟ فتجيب : اللهم ، نعم . ومثل : أئشى الحازم ركوب ريس ريس نيل الأغراض؟ فتجيب : اللهم ، لا . فكأنك تقول : والله ، نعم ، أو والله ، لا ، وقد تستعمل لإفادة الندرة ، والدلالة على قلة الشيء أو بُعد وقوعه وتحقيقه ، كأن يقال : سأسافر لزيارة أخى . اللهم إذا أبي أن يجيء ، وسأحدثه في شئوننا الهامة ، اللهم إذا لم يغضب . فن النادر أو المستبعد أن يأتي الأخ زيارة أخيه ، أو الحديث معه .

وتعرب في الصورتين الأخيرتين - في الرأي الأنسب - كما تعرب في النداء الحقيقي . ولكن يزداد عند إعرابها : أن النداء غير حقيق ، وأنه خرج عن معناه الأصل إلى معنى آخر ؛ هو : تقوية الجواب وتمكينه وتأكيده لمضمونه . أو إفادة الندرة والبعد . . .

(الثانية) : المنادى المشبّه به ؛ بشرط أن يذكر معه وجه الشبه ؛ كقولات
لمغنّ : يا البلبل ترنيمًا وتغريدًا أطرِبنا — يا الشافعي فقهًا وصلاحًا سرّ على
نهجّه — يا المأمون ذكاء وبراعة أحسن محاكاته ، أى : يا مثل البلبل . . .
يا مثل الشافعي . . . ، يا مثل المأمون . . . فالمنادى فى الحقيقة محذوف ، قد
حل محله المضاف إليه ، فصار منادى بعد حذفه . ولا يصح^(١) يا « القرية » على
إرادة : « يا أهل القرية » لأن الشرط هنا مفقود . . .

(الثالثة) : المنادى المستغاث^(٢) به ، المجرور باللام المذكورة : نحو :
يا لوالد ليلولد . فإن لم يكن مجروراً باللام المذكورة لم يصح الجمع بين « يا »
و « أل » فلا يقال : يا الوالد للولد .

(الرابعة) : اسم الموصول المبدوء « بأل » بشرط أن يكون مع صلته علمًا ؛
نحو : يا ألدنى^(٣) كتب ؛ فى نداء مسمّى بالموصول مع صلته . والأنسب هنا أن
يقال فيه : « إنه مبنى على ضمّ مقدر على آخره منع من ظهوره الحكاية — فى
محل نصب » . لأنه فى هذه الصورة داخل فى عداد الأشياء الملحقة بالمفرد العلم .
فإن لم توجد الصلة مع الموصول المبدوء بأل ، وكانت التسمية بالموصول وحده لم
يصح نداؤه ؛ فلا بد لصحة ندائه أن تكون الصلة جزءاً من العلم .

(الخامسة) : نداء العلم المنقول من جملة اسمية مبدوءة « بأل » ؛ نحو :
الرجل زارع ؛ تقول : يا الرجل^(٣) زارع ، سر على بركة الله .

(السادسة) : العلم المبدوء « بأل » إذا كانت جزءاً منه^(٣) ، يؤدى حذفها

(١) على سبيل الحقيقة ، لا المجاز .

(٢) سيجىء باب « الاستغاثة » وأحكامها فى ص ٧٧ . وأما الجمع فيها بين : « يا ، وأل » فى

رقم ٣ من ص ٨٢ .

(٣) الهمزة هنا للقطع بعد أن صارت فى أول علم ؛ فيجب إثباتها نطقاً وكتابة فى كل الأحوال ؛
لأن المبدوء بهمزة وصل إذا سُمى به يجب قطع همزته ؛ لا فرق بين الفعل وغيره ، ولا بين الجملة وسواها
إلا لفظ الجلالة : (الله) فله عند النداء الأحكام الخاصة التى سبقت (فى رقم ٢ من هامش ص ٣٦)
وقد نص « الخضرى والصبان » على ما تقدم — فى آخر باب النداء ، ج ٣ — ، وهو المفهوم أيضاً من
كلام « التصريح . » ج ٢ فى ذلك الموضع ، وكذلك « المغنى » — الباب السابع .
ولهذا إشارة فى رقم ٣ من هامش ص ١٠٩ ويحىء له بيان أكل فى رقم ٢ من هامش ص ٢٤٧ .

إلى لبس لا يمكن معه تعيين العلم المنادى ؛ نحو : يا ألسحاب — يا ألقاضى —
يا ألهادى ، فيمن اسمه : ألسحاب بن عبّاد ، وألقاضى الفاضل — وألهادى
الخليفة العباسى ، وأمثالها ، ولا التفات إلى الخلاف بين النحاة فى هذا ^(١) .

(السابعة) : الضرورات الشعرية كقول الشاعر :

فيا الغلامان اللذان فِرّاً إِيّاكما أن تُعقِباننا شِراً

.....

(١) وهذا رأى البصريين . أما الكوفيون فيجيزون الجمع بين : « يا وأل » فى غير الضرورة
— كما تقدم فى رقم ١ من هامش ص ٣٦ .

وفىما سبق من حكم اجتماع « أل » وحرف النداء يقول ابن مالك مقتصرأ على بعض المواضع :
وَبَاضْطِرَارٍ خُصَّ جَمْعُ « يا » وَ « أل » إِلَّا مَعَ اللَّهِ ، وَمَحَكِي الْجُمْلِ
وَالْأَكْثَرُ : « اللَّهُمَّ » ، بِالتَّعْوِيضِ وَشَذَّ : يا « اللَّهُمَّ » فى قَرِيضِ
(فى قريض : فى شعر) . وقد نص الناطم على امتناع الجمع بين « يا » و « أل » وهذا النص للتمثيل المجرد
وليس مقصوداً به التقييد بالحرف « يا » لما شرحنا من أن الجمع الممنوع يشمل يا مع « أل » كما يشمل
أخوات « يا » مع « أل » أيضاً .

المسألة ١٣٠ :

أحكام تابع المنادى^(١)

من المنادى ما يجب نصب لفظه ، ومنه ما : يجب بناؤه على الضم ، ومنه ما يصلح للأمرين . وليس للمنادى حكم آخر في حالة الاختيار ، إلا في الاستغاثة - وما في حكمها - عند جر المنادى باللام ، كما سنعرف في بابها^(٢) .

(١) فإن كان المنادى منصوب اللفظ وجوباً وتابعه نعت ، أو عطف بيان ، أو توكيد - وجب نصب التابع مطلقاً^(٣) ؛ مراعاة للفظ المتبوع ؛ نحو ، يا عربياً مخلصاً لا تغفل مآثر قومك ، وقول الشاعر :
أيا وطني العزيز رعاك ربي وجنبك المكاره والشرورا
وقول الآخر :

ياسارياً في دُجى الأهواء معتسفاً^(٤) مآلُ أمركَ للخُسْرانِ والندم
ومثل : أجيئوا داعي الله يا عربياً أهل اللغة الواحدة ، والروابط الوثيقة . أو :
يا عربياً كلِّكم أو كلَّهم^(٥)

(١) أكثر النحاة من الخلاف المرقى، والتفريع الشاق في هذا الباب. وقد صفينا كل أحكامه وفروعه جهد الاستطاعة ، مع البسط الذي لا غنى عنه أحياناً ، ثم ختمناه بملخص - في ص ٥٧ - لا يتجاوز أسطراً ، فيه غنية للشاى ، ومن لا يريد بسطاً .
والتوابع أربعة معروفة ، (هى : النعت ، والعطف بنوعيه ، والتوكيد ، والبدل) وسبق إيضاحها وتفصيل الكلام عليها في آخر الجزء الثالث . (٢) ص ٧٧ .
(٣) أى : سواء أكان هذا التابع مقروناً بأل ، أم غير مقرون - على الراجح فيهما - مضافاً ، أم غير مضاف .

(٤) يصح إعراب « معتسفاً » نعتاً ، ويصح حالا ؛ لوقوعها بعد فكرة موصوفة ؛ هى : سارياً .
(٥) الضمير المصاحب لتابع المنادى يصح أن يكون للغائب أو للمخاطب . وهذه قاعدة عمقا ، تسرى على توابع المنادى المنصوب اللفظ وغير المنصوب ، إلا إذا كان التابع اسم إشارة ، فلا يصح أن يتصل بآخره علامة خطاب . وكذلك إن كان اسم موصول بالتفصيل الهام الآتى في رقم ٢ من هامش ص ٤٩ .

وتطبيقاً لهذه القاعدة العامة نقول : يا عربياً كلِّكم أو كلهم ، أجيئوا داعي الله - يا هارون نفسك أو نفسه خذ بيد أخيك - يا هذا الذى قمت أو قام ؛ أسرع للصارخ .

وإن كان التَّابِع بدلاً أو عطف نسق مجرداً من «أل»^(١) فالأحسن أن يكون منصوب اللفظ كالمتبوع ؛ مثل : بُورَكَتْ يا أبا عُبَيْدَةَ عَامراً ؛ فلقد كنت من أمهر قواد الفتح الأول . أو : بُورَكَتُمَا يا أبا عُبَيْدَةَ وَخَالِدًا . . . ولا داعي للتمسك بالرأى الذى يجعلهما فى حكم المنادى المستقل — وهو القسم الرابع الآتى^(٢) .

فالنصب هو الحكم العام لجميع توابع المنادى المنصوب اللفظ وجوباً ، مع اشتراط التجرد من «أل» فى : «عطف النسق»^(٣) . غير أن نصب التوابع يكون واجباً فى بعضها ، وجائزاً مستحسنناً فى بعض آخر ؛ طبقاً للبيان السالف^(٤) . . .

(١) وكذا المبدوء «بأل» ؛ طبقاً لما يأتى فى نهاية البيان الذى فى رقم ٤ من هامش هذه الصفحة .
(٢) فى ص ٥٣ .

(٣) إلا على الرأى الآتى فى نهاية البيان الذى فى رقم ٤ من هامش هذه الصفحة .

(٤) يكاد النحاة يتفقون على الحالات الثلاث السالفة التى يجب فيها نصب توابع المنادى . أما التى يجوز فيها النصب — وهى حالة البدل . وعطف النسق المجرد من «أل» — فرأيهم مضطرب ، وخلافهم بعيد المدى . فجمهورهم — وهذا غريب — توجب اعتبار كل منهما بمنزلة منادى مستقل ، يخضع لحكم المنادى المستقل — ١ — فتقول فى البدل : بُورَكَتْ يا أبا عبيدة عامراً . . . ببناء كلمة : «عامر» على الضم ؛ لأنها مفرد علم . ويقولون : بُورَكَتْ يا أمير الجيش أبا عبيدة ؛ بنصب كلمة : «أبا» لأنها فى حكم المنادى المضاف . وقد بنوا حكمهم هذا على أساس (أن البدل على نية تكرار العامل) ولما كان العامل هنا — فى رأيهم — هو حرف : «يا» أو أحد أخوته كان مقدراً وملحوظاً قبل البدل أيضاً ، فكأنها تقول : «يا عامر ، ويا أبا عبيدة» . فالبدل بمنزلة منادى جديد يخضع لحكم النداء ؛ كما قلنا .

وهذا الكلام مردود من ناحيتين — (وحبذا تركه ، وترك الرد عليه ، والاكتفاء بالحكم السالف الذى ارتضيناه) .

أولاهما : أن القاعدة التى يتمسكون بها ليست قاعدة مطردة ، ولا محل اتفاق ، فالذى لا يؤمن بها — لأسباب عنده قوية — لا يجد مسوغاً لإعراب التابع هنا منادى مبنياً على الضم ، إذ لا وجه لهذا الإعراب عنده .

ثانيتهما : أن اعتبار التابع منادى بحرف ملحوظ مقدر ، أو بالحرف المذكور فى صدر الجملة (عند من يرى هذا) سيخرج التابع من نطاق التبعية ويدخله فى نطاق آخر ليس موضوع البحث ؛ هو نطاق : «المنادى» . لهذا تساءل بعض المحققين : كيف نقول فى أمثال تلك الكلمة إنها مبنية على الضم لتبعيتها المنادى ، مع أن التبعية إما أن تكون لمراعاة اللفظ أو المحل ، والمنادى هنا منصوب مباشرة ، ليس له محل . فكيف نعتبرها تبعاً له ؟ . . . (راجع حاشية ياسين على شرح التوضيح فى هذا الموضوع) =

وهناك حالة يجب فيها جرّ التابع - في رأى أكثر النحاة - هى التى يقع فيها المتبوع (المنادى) مجروراً باللام - وهذا لا يكون إلا فى الاستغاثة ، وما فى حكمها -
نحو : يا أبا الولد والوالدة للأولاد (١) .

= وشئ آخر أهم من الجدل السالف ؛ هو ما نص عليه سيبويه - فى الجزء الأول من كتابه ص ٣٠٤ - قال للخليل : (أرايت قول العرب : « يا أخانا زيداً أقبل » . قال : عطفوه (أى : هو عطف بيان) على هذا المنصوب ؛ فصار نصباً مثله . وهو الأصل ؛ لأنه منصوب فى موضوع نصب . وقال قوم : يا أخانا زيدٌ - بالبناء على الضم - وقد زعم يونس أن أبا عمرو كان يقوله ، وهو قول أهل المدينة . قال هذا بمنزلة قولنا : يا زيد ؛ كما كان قوله : يا زيد أخانا . بمنزلة : « يا أخانا » فيحمل وصف المضاف إذا كان مفرداً ، (أى : الحكم على هيئته وحاله إذا كان غير مسبوق بحرف نداء مباشر) بمنزلة إذا كان منادى . ويا أخانا زيداً أكثر فى كلام العرب لأنهم يردونه إلى الأصل . . . » . ا هـ

ومن هذا النص الحرفى يتبين أن النصب هو الأصل ، وأنه الأكثر فى المسموع ، وهذا هو الأهم . فلم ندل عنه إلى غيره مما ليس له قوته ، ولا كثرته ، ولا وضوحه ، وإن قال به قوم ، أو اعتبروه عطف بيان ، برغم وضوح البدلية فى المثال ؟

ب - أما عطف النسق المجرد من « أل » فيقولون : إن حرف العطف معه بمنزلة عامل النداء فكان حرف العطف داخل على منادى مستقل تجرى عليه أحكام المستقل ، فيبنى على الضم فى مثل : بوركت يا أبا عبيدة وخالد ؛ لأنه فرد علم . . . ينصب فى مثل : بوركت يا جنود الفتح وأبا عبيدة ، بنصب كلمة « أبا » معربة . فما معنى أن حرف العطف بمنزلة العامل ؟ إن قلنا فى كلمة : « خالد » إنها منادى ، فليست إذاً معطوفة ؛ لأن العطف يقتضى نصبها . وإن قلنا إنها معطوفة على ما قبلها فما قبلها منصوب . فن أين جاء البناء على الضم ؟ قد يقال : إنه على تقدير حرف النداء المحذوف : « يا » وحرف النداء مع المنادى جملة معطوفة على الجملة الندائية الأولى ، فلم يُعتبر التابع هنا منادى ، مع أنه لو وصف بكلمة : « ابن » أو « ابنة » لم يعتبر . . . ؟ . وفى هذا كله من الخلف والتقدير والضعف من بعض النواحي ما يقتضى تفضيل الرأى الذى يبيح النصب ، وهو رأى يؤيده السماع أيضاً . . .

هذا وإباحة النصب واستحسانه تشمل المبدوء بـأل ، والمجرد منها . غير أن الأفضل فى المبدوء بـأل أن يكون نصبه راجعاً لاعتباره معطوفاً على المنادى ، أو لاعتباره مقعولاً به لفعل محذوف ، أو منصوباً بعامل آخر يقتضى النصب . ولا يصح اعتباره منادى بحرف نداء محذوف ؛ لما يترتب على هذا من الجمع بين « أل » وحرف النداء فى غير المواضع التى يباح فيها الجمع . (انظر ما يتصل بالحكم السابق ، فى رقم ٤ من ص ٥٣) .

(١) لا يجوز عند أصحاب هذا الرأى ، إلا الجر فى التابع ؛ لأن المتبوع - المنادى - مجرور اللفظ بحرف جر أصل . وإذا كان المنادى المستغاث مخموراً بزيادة ألف الاستغاثة ، نحو : يا عليما ، ومحموداً لم يحز فى توابعه الرفع عند فريق ، فلا يصح : « ومحموداً » لأن المتبوع مبنى على الفتح ، =

ويجوز فيه فريق من النحاة أمرين : الجهر مراعاة للفظ المنادى ، والنصب مراعاة لمحلّه . وهذا الرأي أحسن — كما سيجي^(١) في بابها^(٢)

* * *

(ب) وإن كان المنادى مبيناً وجوباً على الضم — لفظاً أو تقديرًا — فتوابعه إما واجبة النصب فقط ، وإما واجبة الرفع الشكلى فقط ، وإما جائزة الرفع الشكلى والنصب . وإما بمنزلة المنادى المستقل . وفيما يلي بيان هذه الحالات الأربع :

١ — يجب — على الأشهر — نصب التّابع ؛ مراعاة لمحل هذا المنادى ، (ولا يصح مراعاة لفظه) في صورة واحدة ، هى : أن يكون التّابع نعتاً^(٣) ، أو عطف بيان ، أو توكيداً . بشرط أن يضاف التابع في الثلاثة إضافة محضة — وهذه تقتضى أن يكون المضاف مجرداً من «أل» — ؛ كقولهم : يا زيادُ أميرَ العراقِ بالأمس ، نشرت لواء الأمن . وطويّت بساط الدّعة — يا أهرامُ أهرامَ الجيزة . أنتنّ من عجائب الآثار — شترَ الإخوان من يسائر الزمان ؛ يُقبَلُ معه ويُدبّرُ معه ؛ فاحذروا هذا يا أصدقاءكم كلُّكم^(٤) .

فإن لم يتحقق الشرط خرجت التّوابع المذكورة من هذا القسم ودخلت في الحالة الثالثة الآتية^(٥) (حيث يصح فيها الرفع الصّورى ؛ مراعاة شكلية للفظ المنادى . والنصب مراعاة لمحلّه) ؛ كأن يقع التابع مفرداً مقروناً بأل^(٦) ؛ مثل :

= ويجوز عند فريق آخر الرفع والنصب ؛ لاعتبار المنادى مبنيًا على ضم مقدر ، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة — في محل نصب ؛ فيجوز في توابعه الرفع الشكلى والنصب . وهذا الرأي أوضح وأنسب —

وسيجي^(١) في ص ٤٥ وفي باب الاستغاثة ، ص ٨٦ .

(١) ص ٧٧ .

(٢) وإذا علمنا بهذا الرأي صار النصب حكماً عاماً يشمل جميع أنواع التابع للمنادى المنصوب بالتفصيل السالف .

(٣) بشرط ألا يكون منعوته (المنادى) اسم إشارة ، ولا كلمة : «أى» أو : أية
ولإلّا وجب رفع النعت صورة . لدخوله في حكم الحالة الآتية الخاصة به ، وهى الثانية .

(٤) انظر رقم ٥ من هامش ص ٤٠ .

(٥) انظر ص ٥٢ . ويتضح الرفع الصورى بما في رقم ١ من هامش ص ٤٧ .

(٦) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٢ .

يا زِيَادُ الْأَمِيرِ ، أو خَالِيًّا مِنْ « أَلْ » وَمِنْ الْإِضَافَةِ الْمُحْضَةِ ^(١) ؛ مِثْلُ : يَا رَجُلُ مُحَمَّدٌ — بِالْتَنْوِينِ — أو مُحَمَّدًا ، أو يَكُونُ مُضَافًا لِإِضَافَةٍ غَيْرِ مُحْضَةٍ ^(٢) ؛ نَحْوُ : يَا مُسَافِرُ رَاكِبٌ ^(٣) السَّيَّارَةِ ، أو الرَّاكَبُ السَّيَّارَةِ ، حَازِرُ عَوَاقِبِ الْإِسْرَاعِ . أو يَكُونُ عَطْفَ نَسْقٍ ، أو بَدَلًا . وَلِهَذَا حَكَمَهَا الْخَاصُّ . . . إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا سَيَجِيءُ بَيَانُهُ مَفْصَلًا ^(٣) . . .

(١٤١) سبق الكلام عليها مفصلاً أول الجزء الثالث .

(٢) لا يقال في هذا المثال وأشباهه إن النعت نكرة ، بسبب إضافته غير المحضة ، مع أن المنعوت نكرة مقصودة ؛ وهي معرفة بالقصد والإقبال مع النداء ، — لا يقال هذا ؛ لما سبق في رقم ١ من هامش ص ٢٨ ؛ وفي ص ٢٩ وفي « د » ص ٣٠ من أنه يتسامح في التعريف الطارئ كتعريفها . ولهذا لا يصح أن ينعت بالمضاف المذكور إلا النكرة المقصودة .

(راجع الصبان والخضري في هذا الموضع ؛ ولها بيان سابق في ج ٣ « باب الإضافة » عند الكلام على أثر الإضافة — م ٩٣ رقم ٢ من هامش ص ٣١ وكذلك في : « باب النعت » هناك عند الكلام على المطابقة م ١١٤ ص ٤٣٥) .

(٣) في ص ٥٢ — وإلى وجوب النصب السالف أشار ابن مالك في باب مستقل عنوانه :

« فصل » قائلاً :

تَابِعِ ذِي الضَّمِّ الْمُضَافَ دُونَ « أَلْ » أَلْزَمُهُ نَصْبًا ؛ كَأَزِيدُ ذَا الْحَيْلِ

(المراد : « بذى الضم » ، هو المنادى المبني على الضمة ، وما ينوب عنها ، من كل ما يكون في آخر المنادى العلم ، والنكرة المقصودة . ويشمل المبني قبل النداء) .

يقول : إن تابعه المضاف المجرد من « أَلْ » يلتزم النصب ، ومثل بمثابة هو : « أزيد » ذا الحيل ، أي : يا زيد ؛ صاحب الحيل . فالمنادى : زيد ، مبني على الضم ، وتابعه هو « ذا » نعت منصوب بالألف وهو مضاف ، و « الحيل » مضاف إليه . وقد يفهم من ظاهر البيت أن جميع توابع المنادى المبني على الضم لازمة النصب ، بشرط الإضافة والخلو من « أَلْ » وكذلك توابع المنادى الذي ليس مبنيًا على الضم ، وهو المنادى المنصوب اللفظ — لكن يمنع من هذا الفهم ويزيله قوله بعد ذلك مباشرة :

وَمَا سِوَاهُ أَرْفَعُ أَوْ أَنْصِبُ ، وَاجْعَلَا كَمُسْتَقِيلٍ نَسَقًا وَبَدَلَا

فقد صرح في هذا البيت بأن حكم عطف النسق والبدل كحكم المنادى المستقل (يمربان في حالات ويبينان في حالات) وما عدهما مما لا يدخل في نطاق البيت الأول واختصاصه يجوز رفعه ونصبه . ولما كان بيته الثاني يدل على أن عطف النسق مطلقاً (مجرداً من أَلْ أو مقروناً بها) يجري عليه حكم المنادى المستقل وهذا غير صحيح إلا في المجرد — أسرع وتدارك الأمر في البيت الثالث حيث يقول :

وَإِنْ يَكُنْ مَصْحُوبَ « أَلْ » مَا نُسِقًا فِيهِ وَجْهَانٌ ، وَرَفَعُ يَنْتَقَى =

(وتجب الإشارة إلى أن حركة التتابع المرفوع على الوجه السالف ليست حركة إعراب ولا بناء ؛ ولذلك ينون إذا خلا من أل والإضافة^(١) و . . . فهي طائفة لتحقيق غرض معين ، هو : المشاركة الصورية في المظهر اللفظي بين التابع والمتبوع ؛ فلا تدل على شيء غير مجرد المماثلة الشكلية . ومن التسهيل في التعبير — أن يقال في ذلك التابع إنه مرفوع . أما الإعراب الدقيق فهو : أنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها ضمة الإتياع الشكلية للفظ المنادى — كما سيجيء في القسم الثالث —) .

ومن النحاة من يوجب النصب في صورة ثانية^(٢) ؛ هي التي يكون فيها المنادى المبني على الضم مختموماً بألف الاستغاثة ؛ نحو : يا جندياً وضابطاً ، أدركا المستغيث . فلا يجوز عنده في التابع — مهما كان نوعه ، ومنه كلمة : (ضابطاً) في المثال — إلا النصب مراعاة لحل المنادى المبني على الفتح الطارئ بسبب الألف . لكن التحقيق والترجيح يقطعان بجواز النصب ، ويجوز الرفع ، المباح في توابع المنادى المبني على الضم^(٣) .

٢ — ويجب رفع التتابع مراعاة شكلية للفظ ذلك المنادى في صورتين :

إحدهما : أن يكون التابع نعتاً ، ومنعوتة — المنادى — هو كلمة : « أَيْ » في التذكير ، « وأَيَّة » في التأنيث ؛ كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ

= (ينتق = يختار) كذلك يفهم من البيت الثاني أن الرفع والنصب جائزان في تابع المنادى إذا كان المنادى « أَيْ » أو « أَيْة » . وهذا غير صحيح كما شرحناه في القسم الثاني الواجب رفعه . ولنع هذا الفهم صرح بأن النعت بعدهما يجب رفعه واقتراحه « بآل » وأنهما لا يوصفان إلا بمرفوع مقترن بهما . وكذلك اسم الإشارة المنادى لا يكون نعت إلا مرفوعاً مقترناً بهما (وله تفصيلات أوضحناها في الشرح الآتي) يقول :

وَأَيُّهَا مَصْحُوبٌ « أَل » بَعْدُ صِفَةٌ يَلْزَمُ بِالرَّفْعِ لَدَى ذِي الْمَعْرِفَةِ
و « أَيْ هَذَا » « أَيُّهَا الَّذِي » وَرَدَّ وَوَصَفُ : « أَيْ » بِسَوَى هَذَا يُرَدُّ
وَذُو إِشَارَةٍ كَأَيُّ فِي الصِّفَةِ إِنْ كَانَ تَرْكُهَا يُفِيدُ الْمَعْرِفَةَ

(١) — كما سيجيء في ص ٥٢ — لأن المبني لا ينون في الغالب .

(٢) تقدمت الأولى في ص ٤٣ .

(٣) راجع ما سبق في رقم ١ من هامش ص ٤٢ وما يأتي في ص ٨١ .

فاستمعوا له . . .) ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . . .) ، « فَأَيَّ وَآيَةٍ » مبيتان على الضم في محل نصب ، لأن كلا منهما منادى ، نكرة مقصودة . و « ها » حرف تنبيه زائد زيادة لازمة لانفارقهما ^(١) وكلمتا : « الناس والنفس » . (وأشباههما) ، نعتان متحركتان بحركة مماثلة وجوباً لحركة المنادى : مراعاة لمظهره الشكلي ^(٢) فقط . مع أنه مبنى . وهما صفتان معربتان ، منصوبتان مَحَلًّا ، لا لفظاً ^(٣) (أَى : أُنْتَهُمَا منصوبتان تبعاً لحل المنادى) بفتحة مقدرة على الآخر . منع من ظهورها ضمة المماثلة للفظ المنادى في صورته الشكلية ^(٤) : فالضمة التي على آخرهما هي الحركة الطارئة للمشاركة . ولا توصف بإعراب . ولا بناء — كما تقدم — . . . ^(٥) .

وكما يجب الإتيان بالرفع الشكلي الصوري في صفة « أَى وَآيَةٍ » يجب — في

-
- (١) ويجوز حذف ألفها وتحريكها بالضم إذا لم يقع بعدها اسم إشارة .
 (٢) لهذا المظهر الشكلي بيان مفيد في ج ١ م ٧ ص ٩٨ — موضوع : أنواع الإعراب .
 (٣) والمآزى يميز في لفظهما النصب أيضاً — كما سيجيء في رقم ١ من الهامش التالي — ، وكذا في أشباهها مما يكون نعت : « أَى أَوْ آيَةٍ » وله ما يؤيده من السماع ، ومن بعض القراءات القرآنية — وإن كانت تلك القراءة شاذة — كما صرح بهذا الصبان . وشذوذه لا يمنع محاكاتها بعد أن قرئ بها القرآن .
 (٤) وقد تكون ضمة المماثلة مقدرة ؛ كقول المتنبي :

تَرْفُقُ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمُ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

يريد : يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى . ويكون لهذه الضمة المقدرة من الآثار في التوابع وغيرها ما يكون للظاهرة . كما أشرنا —

(٥) انظر ص ٤٩ — وإلى هذه الصورة يشير ابن مالك بقوله السالف :

وَأَيُّهَا مَضْحُوبٌ « أَلْ » بَعْدُ صَفَةً يَلْزَمُ بِالرَّفْعِ لَدَى ذِي الْمَعْرِفَةِ

(بعد ، الأصل : بعد كلمة : « أَيْهَا ») يريد : ما كان نعتاً مبدوءاً بآل بعد كلمة : أَيْهَا — يلزم بالرفع ، ويقتصر عليه . ثم بين بعد ذلك ما يصلح نعتاً لأى آية عند النداء ، مقتصراً على اسم الإشارة والموصول :

و « أَى هَذَا » « أَيْهَا الَّذِي » وَرَدَّ وَوَصَفُ أَى بِسَوَى هَذَا يُرَدُّ

يريد : ورد عن العرب : « أَى هَذَا ، وأَيْهَا الَّذِي » ؛ فالنعت الوارد مقصود على اسم الإشارة واسم الموصول المبدوء بآل . ونعت « أَى » بغيرها يرد ، أَى : يرفض ويستبعد .

الشائع - كذلك في صفة صفتيهما، وفي كل تابع آخر لمنصفة - ففي مثل: (بارك الله فيك يا أيُّها الطبيبُ الرحيمُ) ، يتعين الرفع وحده في كلمة: «الرحيم» التي هي صفة للصفة ، لعدم ورود السماع بغيره ، بالرغم من أن المنعوت - الطبيب - في محل نصب ، فعدم ورود السماع بالنصب يقتضي امتناع نصب التابع ، وعدم إباحته مطلقاً ؛ لا لفظاً ولا محلاً^(١) . . .

(١) يحتاج هذا الحكم إلى نوع من التفصيل والإيضاح الذي يزيل أثر الخلاف النحوي ، واضطراب الآراء فيه ، ويبين ما سبقت الإشارة إليه (في رقم ٣ من هامش ص ٤٦) - نقل الأشموني - وغيره - أن كلمة: «أَيَّ» إذا نوديت كانت نكرة مقصودة مبنية على الضم وتلزمها «ها» التنبيه ، وتؤنث أيَّ «لفظاً» لتأنيث صفتها ؛ نحو: يأياها الإنسان - يأيتها النفس ... يلزم تابعها الرفع . وليس المراد بالرفع رفع الإعراب ، وإنما المراد به ضمة الإلتحاق التي يقصد بها مجرد أشكاله والمماثلة لحركة المتبوع . وهذه الضمة لا توصف بإعراب ، ولا بناء ؛ - كما قرره الصبان ، وبسطناه من قبل - وأجاز المازني (كما في رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة) في هذا التابع نصبه ، قياساً على غيره من تابع أنواع المنادى المبني على الضم . . . ثم قال الأشموني :

إنما لزم رفع التابع لأنه المقصود بالنداء، وقد جاءت «أَيَّ» وُصلةً ووسيلةً لنداء ما فيه «أل» . وهنا قال الصبان ما نصه الحرفي :

(«قوله»: «إن المقصود بالنداء هو التابع» - ومع ذلك ينبغي ألا يكون محله نصباً ؛ لأنه بحسب الصناعة ليس مفعولاً به ، بل تابع له . ويؤيد هذا قول ابن المصنف، وسيذكره الشارح (الأشموني) أيضاً : إنه لو وصفت صفة «أَيَّ» تعين الرفع) . ا هـ

ومن الكلام السابق تبين صراحة أن التابع لا يكون هنا منصوباً مطلقاً ، لا لفظاً ، ولا محلاً . لكن الصبان قال بعد ذلك كلاماً قوياً موافقاً للضوابط والأصول العامة يعترض على ماسبق ، ونصه : (أنا أقول : يرد عليه أن تابع ذى محل ، له محل متبوعه . وحينئذ ينبغي أن يكون محل تابع «أَيَّ» نصباً ، وأن يصح نصب نعته . ويؤيده ما قدمناه - قريباً قبل ذلك بصفتين - عن الدماميني في : «يا زيد الظريف صاحب عمرو» أنه إن قدر : «صاحب عمرو» نعتاً للظريف ، لفظ به كما يلفظ النعت ؛ إن رفعاً فرفع ، وإن نصباً فنصب ، على ما بيناه سابقاً . اللهم إلا أن يكون منع نصب نعت تابع «أَيَّ» لعدم سماعه أصلاً .

» نعم يصح ما بحثه من أنه ليس لتابع «أَيَّ» محل نصب ، ولا يجوز نصب نعته على اعتبار أن رفع التابع هو رفع إعراب ، وأن عامله فعل مقدر مبني للمجهول ، والتقدير : «يُدعى العاقلُ» كامر لكن ما بعد «أَيَّ» على هذا التقدير ليس تابعاً لأي في الحقيقة ، فلا يظهر حمل كلامه على هذا مع قوله : إنه تابع له . فتأمل) . ا هـ

فالصبان يرى أن تابع «أَيَّ» لا بد أن يكون منصوباً محلاً مثل المتبوع «أَيَّ» (لأن كلمة «أَيَّ» مبنية على الضم في محل نصب) والشأن في التابع - دائماً - أن يكون له محل كحل المتبوع . وهذا كلام صحيح قوى لا يعترض الأخذ به إلا عدم ورود السماع به ، والسماع الأهمية الأولى في انتزاع =

ثانيتها : أن يكون التابع نعتاً ، والمنعوت - المنادى - اسم إشارة للمذكر ، أو للمؤنث ؛ جىء به للتوصل إلى نداء المبدوء « بأل »^(١) ؛ لأن المبدوء بها لا يجوز مناداته بغير واسطة ، - إلا في بعض مواضع سبقت^(٢) - نحو : يا هذا السائح ، لا تتعجل في حكمك ، ويا هذه السائحة لا تتعجلي . . . فالمنادى مبنى على ضم مقدر في محل نصب ؛ فيجب رفع النعت في المثالين وأشباههما ، رفعا صُورياً ؛ لا يوصف بإعراب ، ولا بناء - كما سبق - وإنما هو رفع جىء به مراعاة شكلية للضم المقدر في اسم الإشارة المنعوت - المنادى - ولا يصح النصب ؛ لأن النعت هنا بمنزلة المنادى المفرد المقصود ، لا يصح نصب لفظه نصباً مباشراً .

وجود النعت على هذه الصورة ضرورى ؛ ليدل على المشار إليه ، ويكشفه . ويجب مطابقة اسم الإشارة للمشار إليه في الإفراد والتذكير وفروعهما .

أما إن كان المراد نداء اسم الإشارة فيجوز في التابع الأمران^(٣) - كما سيأتى في القسم الرابع .

= حكم لا يعتوره عيب أو ضعف .. من أجل ذلك كان الاختصار على رأى الأشمونى - ومن وافقه - أنسب ؛ مبالغة في الاحتياط ؛ لأنه رأى متفق عليه ، إذ لا يعترض عليه الصبان - أو غيره - وإنما يرى الصبان أن يزيد عليه إباحة النصب المحلى ، وهذه الإباحة قد أضعفها عدم ورود السماع بها . (١) وفى هذا يقول ابن مالك بيتاً ألحنا له فى ص ٤٥ :

وَذُو إِشَارَةٍ كَأَيِّ فِي الصِّفَةِ إِنْ كَانَ تَرَكُّهَا يُفْسِدَ الْمَعْرِفَةَ

(ذو إشارة : المنادى الذى هو إشارة) . يريد : أن المنادى إذا كان اسم إشارة فإنه يحتاج - كأي - إلى نعت معرفة مرفوعة مقرونة « بأل » من اسم جنس ، أو اسم موصول . ولا يصح هنا أن يكون نعت اسم إشارة مثله - كما سيجىء فى رقم ٢ من ص ٥٠ - وبين أن حاجة اسم الإشارة للنعت واجبة إن أدى ترك النعت إلى عدم معرفة المشار إليه . أما إذا لم يؤدِّ لذلك فالنعت ليس واجباً .

(٢) فى ص ٣٦ .

(٣) لأن التابع سيعرب فى هذه الحالة صفة ، أو عطف بيان ، وكلاهما مفرد ، فيدخل فى القسم الرابع الذى يجوز فيه الأمران .

زيادة وتفصيل :

١ - يجب لإفراد « أئى ، وأئبة » عند وقوعهما منادى ، فلا يصح أن تلحقهما علامة تشنية ، أو جمع ؛ سواء أكانت صفتها مفردة أم غير مفردة ؛ نحو :
يأيتها الناصح اعمل بنصحتك أولاً - يأيتها المتنافسان ترفعن عن الحقد -
يأيتها الطلاب أنتم ذخيرة البلاد . يأيتها الناصحة اعملى ... - يأيتها المتنافستان -
يأيتها الطالبات اعملن ...

أما من جهة التأنيث والتذكير فالأفضل الذى يحسن الاقتصار عليه عند النداء - وإن كان ليس بواجب - هو أن تماثل كل منهما صفتها ، فمثال التذكير ما سبق ، ومثال التأنيث أيضاً : يأيتها الفتاة أنت عنوان الأسرة - يأيتها الفتاتان أنتم عنوان الأسرة - يأيتها الفتيات أنتم عنوان الأسرة . ويجوز فى « أئى » المجردة من الناء ، عدم المماثلة (ولكنه ليس الأحسن) فتظل بصورة واحدة للمذكر والمؤنث . ولا يصح هذا فى « أئبة » المختومة بالناء ، فلا بد من تأنيث صفتها المؤنثة .

ولا بد من وصف « أئى وأئبة » عند نداءتهما ؛ إما باسم تابع فى ضبطه لحركتهما اللفظية الظاهرة وحدها^(١) معرّف بأل الجنسية فى أصلها ، وتخصير بعد النداء للعهد الحضورى ، وإما باسم موصول مبدوء بأل^(٢) ، وإما باسم إشارة مجرد من

(١) يجوز فيه بعض النحاة النصب - طبقاً لما سبق فى رقم ٣ من هامش ص ٤٦ - مراعاة للمحل كظائره - أما الذين يمنعون النصب فحجتهم أن نصبه لم يرد فى المسموع .

(٢) اشترط « الهمع » (ج ١ ص ١٧٥) أن يكون الموصول مصدراً بأل ، وصلته خالية من الخطاب ؛ فلا يقال : يأيتها الذى قمت . فى حين نقل الصبان (ج ٣ أول فصل : تابع المنادى) صحة ذلك قائلاً ما نصه : (ويجوز : يأيتها الذى قام ، ويأيتها الذى قمت) . ١ هـ . والظاهر أن الذى منعه « الهمع » ليس بالمنوع ، ولكنه غير الأفصح فى الكلام المأثور ؛ بدليل ما قرره أكثر النحاة ونصه : (كما نقله الصبان ج ٣ أول تابع المنادى ؛ تعليقاً على المثال النحوى الذى عرضه الأشمونى ؛ وهو :
يا تميم كلهم ، أو كلكم) :

« الضمير فى تابع المنادى يجوز أن يكون بلفظ الغيبة ؛ نظراً إلى كون لفظ المنادى اسماً ظاهراً ، والاسم الظاهر من قبيل الغيبة ، وبلفظ الخطاب ؛ نظراً إلى كون المنادى مخاطباً ؛ فعلمت أنه يجوز =

كاف الخطاب^(١) ، ويتحتم — في الرأي الأشهر والأولى — أن يكون اسم الموصول واسم الإشارة تابعين في ضبطهما لحركة المنادى الشكلية الظاهرة وحدها ؛ فيكون كل منهما مبنياً في محل رفع فقط^(٢) ؛ تبعاً لصورة المنعوت — المنادى — نحو :
يا أيها العلم الخفاق ، تحية ، ويا أيها الراية العريضة سلمت على الأيام ،
أو : يا أيها الذي يخفق فوق الرؤوس ، تحية . ويا أيها التي ترفرفين سلمت . . .
ومن الأمثلة قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . . .) وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً) ،
وقول الشاعر :

أيها ذا الشاكي وما بك داءٌ كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً
فإن كانت « أل » ليست جنسية ؛ — بأن كانت زائدة في أصلها ولكنها
صارت بعد النداء للعهد كالمحمدين ، أو : زائدة لازمة لأنها قارنت الوضع ؛ مثل :
السموع والتسع ، أو غير لازمة ، مثل اليزيد ، أو للمح الأصل كالحارث ، أو
للغلبة كالنجم . . . — لم يصح النعت بما دخلت عليه ؛ فلا يقال : يا أيها السيف ،
ولا يا أيها الحرب ، لرجلين اسمهما : سيف وحرب ، ولا يا أيها محمدان . . . أو المحدثون .
وكذلك لا يقال : يا أيها ذلك العالم ؛ لاشتمال الإشارة على كاف الخطاب^(١) .
وإذا وصفت « أى وأية » باسم الإشارة السالمف فالأغلب وصفه أيضاً باسم مقرون
بأل ، كالبيت المتقدم^(٣) . . .

٢ — إذا اقتضى الأمر وصف اسم الإشارة المنادى أو غير المنادى فالأغلب
أن يكون الوصف معرفة مبدوءة بأل الجنسية بحسب أصلها (وتصير بعد النداء
= أيضاً يا زيد نفسه ، أو نفسك . قاله الدمامي . . . » . ١ . ثم قال الصبان بعد ذلك : (ويجوز
يا أيها الذي قام ويا أيها الذي قيمت) . ١ .

وقد أشرنا لما سبق في ج ١ م ١٩ ص ١٨٤ وفي ص ٣٤٣ أيضاً .

(١ ، ١) منعاً لاشتمال الجملة الواحدة — في غير الندية — على خطابين لشخصين مختلفين ،
بالإيضاح الذي سبق (في رقم ٦ من هامش ص ٣١) سواء أوجدت إضافة ؛ كالمثال الذي هناك ،
أم لم توجد ؛ كالمثال الذي هنا .

(٢) وبعضهم يميز النصب ، على المحل ؛ — طبقاً لما سلف في رقم ١ من هامش ص ٩٤ .

(٣) وفي الجزء الثالث م ١١٤ ص ٣٣٧ إشارة لهذا .

للعهد الحضورى) . أو : باسم موصول مبدوء « بأل »^(١) ، نحو : يا هذا المتعلم ، حصّن نفسك بالخلق الكريم ، والطبع النبيل ؛ فإن فى هذا التحصين كمال الغاية ، وتمام المقصد — يا هؤلاء الذين آمنوا كونوا أنصار الله ... ، ولا يصح أن يكون النعت اسم إشارة^(٢) .

ومن الحائز إعراب هذا الاسم المبدوء « بأل » عطف بيان ؛ سواء أكان مشتقاً كالمثال السالف ، أم غير مشتق ؛ نحو : يا هذا الرجل ... لكن الأحسن إعراب المشتق نعتاً ، وإعراب الجامد عطف بيان .

ويقول النحاة : ليس من اللازم أن يوصف اسم الإشارة إلا إذا كان وُصلةً للنداء ما بعده ، ولم يكن هو المقصود بالنداء ؛ للدليل يدل على ذلك . أما إن قصد نداء اسم الإشارة ، وقُدِّرَ الوقف عليه (بأن عرفه المخاطب بدون نعت ، كوضع اليد عليه ...) فلا يلزم نعته ، ولا رفع نعت نعته^(٣) .

٣ — يتردد فى هذا الباب لفظ : « المنادى المبهم » يريدون به : (المنادى الذى لا يكفى فى إزالة إبهامه النداء . ومجرد القصد والإقبال ، وإنما يحتاج معه إلى شىء آخر يكمل تعريفه) . ويقصدون : « آى » ، و « أية » « واسم الإشارة » لشدة احتياج كل منها إلى الصفة بعده .

أما فى غير النداء فيريدون بالاسم المبهم : الإشارة ، واسم الموصول^(٤) وبعض الظروف وأسماء الزمان التى سبق الكلام عليها فى بابها من الجزء الثانى .

* * *

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ٤٧ — السابقة لأهيته .

(٢) سبق النص على هذا فى رقم ١ من هامش ص ٤٨ — وهناك شروط أخرى يجب تحقيقها إذا كان المنعوت اسم إشارة . وقد سبق بيانها فى باب النعت (ج ٣ م ٣ ص ١١٤) .

(٣) لأن حكم نعت النعت فى هذه الحالة هو حكم النعت .

(٤) طبقاً لما سبق فى أول الموصول ، ج ١ م ٢٦ .

٣- ويجوز رفع التابع ونصبه في المفرد من نعت ، أو عطف بيان ، أو تأكيد ، وكذلك في النعت المضاف المقرون بأل^(١) ، وفي عطف النسق المقرون « بأل » ؛ نحو : يا معاويةُ الحليمُ ؛ بلغت بالحلُم المدى . أو الواسعُ الحلم ، بنصب كلمتي : الحليم ، و « الواسعُ » مراعاةً لحل المنادى ، وبضمهما مراعاةً لصورية شكلية للحركة اللفظية الظاهرة في المنادى من غير أن يتأثر النعت ببناء المنادى ؛ فالمنادى مبنى على الضم ، أما النعت فمعرّب شكلاً ، ولكن الحركة التي على آخره حركة عَرْضِيَّة ، لا تدل على إعراب أو بناء ؛ ولهذا يجب تنوين التابع إذا خلا مما يعارض التنوين كأل والإضافة ، « كما سبق^(٢) » فقد أريد منها أن تشابه حركة المنعوت في الصورة اللفظية المحضة . ويقال في إعراب النعت بما أشرنا به ، وهو : أنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الضمة التي جاءت للإتباع والمشاركة بين حركة النعت ومتبوعه المنادى^(٣) . ومن التسامح في التعبير أن يقال في هذا التابع إنه مرفوع .

ومثل : يا أحمدُ المتنبئُ قتلَكَ غرُورك . برفع « المتنبئ » أو نصبه على التوجيه السالف . ومثل : أنتم ذخيرة الوطن يا طلابُ أجمعون ، أو أجمعين ، برفع كلمة : أجمعون ، أو نصبها ، ومثل : يا محزونُ والمكروبُ ، إن حمل المهوم جنون . . . وفي هذه الصورة الأخيرة . لا يصح اعتبار التابع كالمنادى المستقل عند من يرى ذلك ، ولا ملاحظة حرف نداء قبله ، إذ لا يجتمع - هنا حرف النداء و « أل »^(٤) . . .

(١) اقترانه « بأل » يقتضى أن تكون الإضافة غير محضة ؛ لأنها هي التي تجتمع و « أل » . وتكاد تنحصر هذه الإضافة في تابع واحد هو النعت ؛ لأن الغالب عليه الاشتقاق حيث تشيع تلك الإضافة . أما عطف البيان فالأغلب أن يكون جامداً ؛ فلا تجتمع فيه الإضافة و « أل » . وأما التوكيد المعنوي فالغالبه معارف - كما سبق في باب - فلا تقترن « بأل » التي للتعريف . ومن المهم ملاحظة الفوارق بين هذا التابع الذي يجوز فيه الأمران ، والتابع الذي يجب نصبه ، وقد سبق في (١) ص ٤٣ .

(٢) في ص ٤٥ .

(٣) يتضح الرفع الصوري بما في رقم ١ من هامش ص ٤٧ - ولا ينطبق الحكم السابق إعل النعت المنادى التكرة المقصودة إلا بشرط أن يكون طارئاً بعدئذها . أما النعت السابق على نداءها فيجعلها شيئاً بالمضاف واجب النصب (كما سبق في ص ٢٨) فيتعين نصب النعت .

(٤) انظر ما سبق متصلاً بعطف النسق ص ٣٤ .

٤- ويعتبر التسابع كالمنادى المستقل عند فريق من النحاة دون فريق^(١) إذا كان بدلاً ، أو كان عطف نسق خالياً من «أل»^(٢) ؛ فيبنى كلّ منهما على الضمّ إن كان مفرداً معرفة - بالعلمية أو بالقصد - وينصب إن كان مضافاً أو شبيهها بالمضاف ؛ فثال البناء على الضمّ : يا جيشُ قادةُ^(٣) وجنداً أنت حمى البلاد ، ببناء كلمة : « قادةُ » على الضمّ ، كبنائها لو كانت منادى . وكذلك لو قلنا : يا قادةُ وجنودُ أنتم حمى البلاد ؛ فتنبنى كلمة : « جنودُ » على الضمّ ما دام الخطاب لمعيّن في الصورتين .

ومثال النصب : يا جيشُ جيشَ الوطن تيقّظ ، أو : يا شبابُ وغير الشباب ، لا تُقصروا في إنهاء البلاد . بنصب كلمتي « جيش » و « غير » ، لإضافتهما ، فهما في حكم المسبوقتين بأداة النداء . . .

والأحسن عند مجازاة هذا الفريق الأخذ بالرأى القائل : إن عامل البناء على الضم وعامل النصب هو حرف النداء المذكور في أول الجملة^(٤) . . .

وأفضل من كل ما سبق الاقتصار على النصب ؛ مجازاة للفريق الآخر الذى لا يوافق على اعتبار البديل وعطف النسق المجرد من «أل» في حكم المنادى المستقل للأسباب التى أسلفناها^(٥) .

* * *

(ح) وإن كان المنادى^(٦) مما يصح نصبه وبناءه على الضم فأمره محصور

(١) سبق عرض الرأيين في رقم ٤ من هامش ص ٤١ .

(٢) لأن المبدوء بأل لا ينادى إلا في مواضع سبقت في ص ٣٦ .

(٣) على اعتبار كلمة : « قادة » بدل جزء من كل ، برغم خلوها من الضمير ؛ لأن المبدل منه قد استوفى كل أقسامه ، أو لأن الضمير الرابط مخنوف ؛ أى : قادة منه وجند

(وقد سبق تفصيل هذا في ح ٣ ص ٤٨٧ م ٢٣ باب : البديل) .

(٤) لن يترتب على الأخذ بهذا الرأى فساد ، وهو خال من كل اعتراض ينشأ عن الرأى القائل إن العامل هو الحرف : « يا » المحذوف الملحوظ ، أو عامل آخر مخنوف ؛ كفعل أو شبهه . وقد تقدم (في رقم ٤ من هامش ص ٤١) تفصيل الرأيين ، وسبب الترجيح .

(٥) في رقم ٤ من هامش ص ٤١ .

(٦) هذا هو القسم الأخير من الأقسام الثلاثة التى سبقت الإشارة إليها في أول ص ٤٠ .

— غالباً — في نوعين ، لكل منهما حكمه وحكم تابعه .
أولهما : المتأدى الموصوف بكلمة « ابن » أو « ابنة » ، وقد سبق تفصيل الكلام عليه ^(١) .

ثانيهما : المتأدى المقرون الذي تكرر لفظه بشرط إضافة اللفظ الثاني المكرر ؛ سواء أكان المتأدى المفرد علماً ، أم اسم جنس . أم اسماً مشتقاً ^(٢) . فمثال المكرر العلم : يا صلاحُ صلاحُ الدين الأيوبي ، ما أطيب سيرتك ! وقول الشاعر :
أيا سعدُ سعدُ الأوسِ كن أنت ناصراً ويأسعدُ سعدُ الخَزَزِ جينَ العطارفِ
أجيباً إلى داعي الهُدَى ، وتَمَنِّيَا على الله في الفردوسِ مُسَيِّداً عارِفِ
ومثال اسم الجنس المكرر : يا غلامُ غلامُ القومِ كن أميناً على أسرارهم . ومثال المشتق المكرر : يا راصدُ راصدُ النجومِ ، ماذا رأيت من عجائب الكون ؟ . . .
وحكم المتأدى في مثل هذا الأسلوب جواز النصب ، والبناء على الضم . وحكم التابع وجوب النصب في الحالتين ؛ طبقاً للبيان التالي :

١ — في حالة نصب الأول — أى : المتأدى — يكون السبب راجعاً إما : لاعتبار هذا المتأدى مضافاً للمضاف إليه المذكور في الكلام ، والاسم الثاني المكرر مقحماً ^(٣) بين المتضامفين (ويُعرب تأكيداً لفظياً للأول ، أو مهملاً زائداً) . . . وإما : لاعتبار المتأدى ، مضافاً إلى محذوف يماثل المذكور ؛ وأصل الكلام :
يا صلاحُ الدينِ صلاحُ الدينِ بإضافتين في الأسلوب الواحد ، ويكون الاسم الثاني منصوباً على هذا الرأي — تأكيداً لفظياً ^(٤) أو : بدلاً ، أو : عطف

(١) في ص ١٨ و ٢٠ و ٢١ بيان إعرابهما عند وقوعهما نعتاً للمتأدى .

(٢) سبب النص على هذه الأنواع الثلاثة : أن بعض النحاة لا يوافق إلا على العلم .

(٣) أى : متوسطاً بين شيئين متلازمين ؛ وتوسطه بينهما — كما سيذكر — إما لأنه تأكيد لفظي للأول ، أو : لأنه زائد في رأى قوى يبيح زيادة الأسماء زيادة مطلقة لا توصف فيها بإعراب ولا بناء — تبعاً للبيان الذي في رقم ٣ من هامش الصفحة التالية — والأول أحسن ؛ إذ لا خلاف في صحته .

(٤) لا يقال : كيف يعرب تأكيداً لفظياً مع اتصاله بما لم يتصل به الأول ، ومع اختلاف نوع التعريف بينهما ، إذ تعريف الأول بالعلمية أو بالنداء — على خلاف في ذلك ؛ سبق تفصيله في رقم ٢ من هامش ص ١١ — وتعريف الثاني بالإضافة ؛ لأنه لا يضاف إلا بعد تجزئه من العلمية ؟

لا يقال ذلك ، لأنه يكفى في التوكيد اللفظي ظاهر التعريف وإن اختلفت جهته ، أو اتصل به شيء .

(كما سبق في باب التوكيد ص ٣٨٨ م ١٦)

بيان ، أو : مفعولا به لفعل محذوف ، أو : منادى بحرف « يا » المحذوف ^(١) .
ومع جواز هذه الخمسة يحسن اختيار الأنسب منها للسياق ، والأوضح في أداء الغرض .

وجدير بالتنويه أننا إذا اعتبرنا الثاني مقحماً بين المتضايقين ، وأعرناه
توكيداً لفظياً ، (مسابرةً للأحسن) وجب اعتبار فتحته فتحة إعراب ^(٢) كالمتبوع .
أما إذا اعتبرناه زائداً ^(٣) فهو مهمل لا يُعرب توكيداً ، ولا يبدل ، ولا غيرهما .
وفتحته هي فتحة مماثلة ومشابهة للأول ، فلا توصف بأنها فتحة بناء أو إعراب ،
ولأنها هي حركة صورية للمشاكل المجردة .

٢ - وفي حالة بناء الأول على الضم - لأنه مفرد معرفة - يكون مثبتاً على الضم
في محل نصب ، فيصحب الثاني إما على اعتباره توكيداً لفظياً ، أو بدلاً ، أو
عطف بيان . مراعى في الثلاثة محل المنادى . وإما على اعتباره منادى مضافاً
مستقلاً ، أو على اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف ^(٤) .

(١) ويجوز اعتبار الاسمين المذكورين بعد حرف النداء جزأين مركبين معاً كتركيب الأعداد : ثلاثة عشر -
أربعة عشر ، وأخواتهما ؛ فيكون المنادى مجموعهما مضافاً إلى ما بعد الثاني ، وهذا المضاف منصوب
بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها حركة البناء الأصلي (وهي حركة فتح الجزأين) فالفتحة التي على
آخر الثاني هي فتحة البناء الأصلي ، وليست فتحة الإعراب الآتية للنداء . أما الفتحة التي على آخر الاسم
الأول فلا شأن لها بإعراب أو بناء ، لأنها حركة هجائية لضبط بنية الحرف الهجائي التي هي فوقه .

(٢) على هذا الإعراب يصح الفصل بين المتضايقين بالتوكيد اللفظي ؛ لاتحاده بالأول لفظاً
ومعنى ، وتكون فتحة التوكيد فتحة إعراب . وكان حقه أن ينون ولكن يقتصر عدم تنوينه بقصد المشاكلة
بين الاسمين .

(٣) وإذا كان زائداً - عند من يجيز زيادة الأسماء - فالفصل به جائز بين المتضايقين ، ولا
يعتبر فصلاً ، لاتحاده بالأول لفظاً ومعنى - كما سبق - وكان حقه التنوين ، فترك للمشاكلة بين الاسمين ،
وعلى هذا فتحته فتحة إتياع للأول ؛ لا توصف بإعراب ولا بناء .

(٤) وإلى هذا القسم « ح » يشير ابن مالك في بيت ختم به هذا الفصل :

فِي نَحْوِ : سَعْدُ سَعْدُ الْأَوْسِ يَنْتَصِبُ ثَانٍ ، وَضُمَّ ، وَافْتَحَ أَوَّلًا تُصِبُ

أي : مثل : يا سعدُ سعدُ الأوسِ - والمنادى وتابعه علمان في المثال - يجب نصب الثاني منهما .
أما أولهما فقد طالب بضمه ، أو فتحه ، وحكم بالإصابة في الأخيرين ، والقاعدة - كما تضمنها البيت
غاية في الإيجاز ، ونصيحها وإيضاحها على الوجه الأنسب معروض في الشرح .

.....

زيادة وتفصيل :

إذا كان الاسم الثانى غير مضاف ؛ نحو : يا صلاحُ ، صلاح ، أو :
 يا سعدُ سعد . . . ، جاز بناؤه على الضم ؛ إما باعتباره (وهذا هو الأحسن)
 منادى حذف قبله حرف النداء « يا » ، وإمّا باعتباره توكيداً لفظياً يساير - هنا -
 لفظ المنادى فى البناء . ويجوز نصبه باعتباره توكيداً لفظياً تابعاً لحل المنادى .

ولا يصح إعرابه بدلا ، لأن البدل والمبدل منه لا يتحدان فى اللفظ إلا بشرط
 أن يفيد البدل زيادة فى البيان والإيضاح ، وكذلك لا يصح أن يكون عطف بيان ،
 لأن الشيء لا يبين نفسه (١) . . .

(١) وإنما صح البدل والبيان فى الحالة السابقة التى يكون فيها الثانى مضافاً لتحقيق شرطهما فيه .

- كما سبق فى ج ٣ ص ٤٠١ عند تعريف عطف البيان -

ملخص موجز يتضمن ماسبق من أحكام توابع المنادى

جميع توابع المنادى يصح نصبها ^(١) ، إلا فيما يأتي :

١ - أن يكون المتبوع - المنادى - هو لفظ « أئ » أو « أئة » أو اسم إشارة . فيجب في حركة نعتها مشابهتها لحركة المتبوع مشابهة صورية فقط (أو نقول بالعبرة التي فيها التسمح : يجب رفع النعت في المظهر الشكلي ، بقصد مماثلة حركته لحركة المنادى - بالتفصيل الذي سبق ^(٢) - ، نحو : يأتها الفتاة ، من كثر كلامه كثر خطؤه . ومثل : يا هذا الغلام لا تنس شكر من أحسن إليك .

٢ - أن يكون المتبوع - المنادى - مبنياً على الضم والتابع بدلاً ، أو عطف نسق مجرداً من « أل » ؛ فحكمهما حكم المنادى المستقل ؛ عند فريق من النحاة . أما غيرهم فيجيز النصب - وهو الأنسب ؛ ليكون حكم النصب عاماً شاملاً - نحو : جزيت خيراً يا عائشة زوج الرسول ، فلقد كنت مرجعاً وثيقاً في شئون الدين - يا خديجة وعائشة كنتما خير عون للنبي عليه السلام .

٣ - أن يكون المنادى مجروراً باللام في الاستغاثة وما يلحق بها ؛ فيجب جر التابع - وهذا هو المشهور - أو نصبه ^(٣) ، نحو : يا لَمَغْنِي المَتَلِي لِالجائع ، ويا لَمَلَقَادِرِ القَوِي لِلعاجز .

(١) قد يكون هذا النصب واجباً في مواضع ، وجائزاً في أخرى . فهو في الحالتين صحيح .

(٢) في رقم ٢ ص ٤٥ .

(٣) كما سيجي ، في ص ٨٠ .

المسألة ١٣١: ياء المضاف إلى ياء المتكلم

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم^(١)

هذا المنادى قسمان : قسم صحيح الآخر ، وما يشبهه^(٢) ، وقسم معتل الآخر ، وما يُسحق به^(٣) .

(١) فحكم صحيح الآخر وما يشبهه إذا كانت إضافتهما لياء المتكلم محضة^(٤) .

(١) لهذا الموضوع صلة قوية بموضوع : « المضاف إلى ياء المتكلم » الذى ليس منادى . - وقد سبق الكلام عليه فى الجزء الثالث ، م ٩٧ ص ١٣٧ - ولا يكاد أحدهما يستغنى عن الآخر . وستجى إشارة فى آخر الباب ص ٦٧ إلى إضافة الأسماء الخمسة .

(٢) صحيح الآخر هو : ما ليس مختوماً بأحد أحرف العلة الثلاثة (الألف - الواو - الياء) . ومعتل الآخر ؛ هو : ما فى آخره حرف منها . فإن كان هذا الحرف ساكناً وقبله حركة تناسبه فهو حرف علة ، وند ، ولين ، وإن لم تكن قبله حركة تناسبه مع سكونه فهو حرف علة ، ولين . وإن كان متحركاً فهو حرف علة فقط . والمزاد هنا : حرف المد - . ولهذا إشارة فى هامش ص ١٠٥ رقم ٢ - أما الذى يشبه صحيح الآخر ، أو المعتل الآخر الذى يشبه الصحيح فهو ما فى آخره حرف متحرك من حرقى العلة (الواو - الياء) مع سكون ما قبله ، مثل : صفو ، شجو ، هنى ، بغى . . وقد يكون الحرفان مشددين ، أو مخففين ؛ نحو : مرقى - مفزؤ - ظبى ، دلو . . أما الألف فساكن مفتوح ما قبله دائماً . ومن الشبيه أيضاً : المختوم بياء مشددة للنسب ونحوه ؛ (بما لم يكن نتيجة إدغام يامين إحداهما ياء المتكلم) نحو : عبقرى ، بهى ، شافى ، كرى . . فخرج نحو : خليلى وصاحبى وبنى ، وكاتبى . . فلهذا النوع - ويسمى : « الملحق بالمعتل الآخر » - كما سيجىء فى الرقم التالى ، وفى رقم ١ من ص ٧٢٢ - حكم خاص موضح فى باب المضاف إلى ياء المتكلم من الجزء الثالث ، ترك موجز هنا آخر الباب - ص ٦٥

(٣) الملحق به هو : المثنى ، وجمع المذكر ، إذا أضيفا ، وحذفت نونهما للإضافة ، ونعم آخرهما بالعلامة الخاصة بإعراب كل ؛ وهى : الألف والياء المثنى ، والواو والياء لجمع المذكر السالم . فهذه العلامات ليست من بنية الكلمة ، ولا تعد من حروفها ، وإنما هى طارئة على آخرها لغرض الإعراب ؛ بخلاف حرف العلة فإنه معلود من حروف الكلمة الثلاثية وجزء من بنيتها ، وليس طارئاً للغرض الإعرابى ؛ لهذا لا يدخل فى عداد المعتل كل من المثنى وجمع المذكر السالم إذا أضيفا وحذفت نونهما للإضافة وإنما يسميان ملحقان بالمعتل ، لاشتراكهما معه فى المظهر الشكلى ، وفى بعض الأحكام التى سنترها فى « ب » ص ٦٥ .

(٤) أما حكم غير المحضة فيجىء فى ص ٦٣ .

ومباشرة^(١) ما يأتي :

١- وجوب النصب بفتحة مقدرة إن كان المنادى مفرداً^(٢) ، أو جمع تكسير ، أو جمع مؤنث سالمًا . ومن الأمثلة قول الشاعر يعاتب :
يا أخبى ، أين عهدُ ذاك الإخاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟
وقول الآخر :

سألتني عن النهار جفوني رحم الله - يا جفوني - النهار

ونحو : يا زميلاني لكنّ تقديرى وإكبارى ، ونحو : يا سعيّني قد بلغت بي المدي ، ويا صفويّ إن أطلت الغياب فلن تهدأ نفسي .

فكلمة : (أخ - جفون - زميلات) - (سعي - صفو) وأشباهها - منادى ، مضاف ، منصوب بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الكسرة التي جاءت لمناسبة الباء . (لأن هذه الباء يناسبها كسر ما قبلها) والباء مضاف إليه ، مبنية على السكون في محل جر^(٣) .

٢- يصح في هذه الباء ست لغات : بعضها أقوى وأكثر استعمالاً من بعض . هي^(٤) :

حذف الباء مع بقاء الكسرة قبلها دليلاً عليها ؛ كآلية الكريمة : (وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجعل هذا البلد آمناً)^(٥) . ونحو : مستقبل العالم الخضر أعوانه وهو يقول : أهلاً يا جنود ، أهلاً يا رجال ، أنتم الفخر ، ونجد البلاد .

(١) أي : بغير فاصل بين المتضامين ، وإلا تغير الحكم على الوجه الآتي في ص ٦٤ حيث يتعرض للفصل ، وللإضافة غير المختصة -

(٢) أما المثنى وجمع المذكر السالم فلحقان بالمعتل - كما قلنا في رقم ٣ من هامش الصفحة السالفة - وطباً حكمهما الخاص وسيأتي في ص ٦٦ .

(٣) للإعراب المقدّر (أو : التقدير) وكذا الإعراب المحلى - أهمية وأثار لا يمكن إغفالها ، وقد أوضحناها في بابها الخاص ، وهو باب : « العرب والمبنى » ج ١- ص ٨٤ ، وم ١٦ ص ١٩٨ .

(٤) آثراً الترتيب الآتي على غيره ، بحجالة لكثير من النحاة اختاروه ، بحجة أنه المطابق للوارد من كلام العرب ، كثرة وقلة . وواجب المتكلم أن يتخير من هذه اللغات المتعددة ما هو أنسب للمقام ، وأبعد من اللبس عند عدم القرينة ؛ كالصورة الثانية والثالثة ؛ حيث ثبتت في كل منهما الياء .

(٥) وقوله تعالى : (« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون ») .

والإعراب كالسالف ، إلا أن الياء محذوفة هنا . . .

بقاؤها مع بنائها على السكون في محل جر ، للإضافة ؛ نحو : يا جنودى . . .

يارجالى . . .

بقاؤها مع بنائها على الفتح في محل جر ، للإضافة ؛ نحو : يا جنودى . . . يارجالى . . .

بناؤها على الفتح بعد فتح ما قبلها ، ثم قلبها ألفاً^(١) ؛ نحو : يا فرحاً بإنجاز

ما فرض الله ، ويا حسرتاً على التقصير . . . (والأصل^(٢)) : يا فرحى ،

يا حسرتى . . . ؛ فصار : يا فرحى . . . ، يا حسرتى . . . ، ثم صار :

يا فرحاً . . . يا حسرتاً . . .) والمنادى هنا منصوب - والأيسر أن يكون

منصوباً بالفتحة الظاهرة - وهو مضاف ، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً مضاف إليه ،

مبنية على السكون في محل جر^(٣) . . . ويجوز في هذه الصورة أن تلحقه هاء

السكت عند الوقف ؛ فتقول : يا فرحاً . . . - يا حسرتاً . . .

قلب الياء ألفاً على الوجه السالف ، وحذف الألف ، وترك الفتحة قبلها دليلاً

عليها ؛ نحو : يا فرح . . . ، يا حسرة . . . وفي هذه الحالة يكون المنادى

منصوباً مضافاً ، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً ، المحذوفة ، هي المضاف إليه^(٤) . . .

(١) لتحركها وفتح ما قبلها ؛ تطبيقاً لقواعد الإعلال والإبدال .

(٢) هذا الأصل - كغيره من أمثاله الكثيرة - خيالى محض . ومجرد فرض لا يعرف عنه العرب

الأوائل شيئاً . وإنما يراد منه ما يراد من أكثر الفروض المتخيلة ؛ تيسير الوصول إلى النتائج والحقائق من

طريق واضح مألوف . ومعلوم أن هذه الأصول الخيالية والفروض - كما رددنا في مناسبات متعددة - ليست

مقصورة على الصناعة النحوية ، فالنحاة في هذا كثيرهم من المشتغلين بسائر العلوم اللغوية وغير اللغوية .

وقد أحسنوا وأفادوا ، إلا حين يسرفون أو يتعسفون .

(٣) وإنما كان الأيسر والأوضح إعرابه منصوباً بالفتحة الظاهرة للفرار مما يتكلفه بمض العرب

حين يقولون : إنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الكسرة المنقلبة فتحة لمناسبة الياء المنقلبة ألفاً .

وحجبتهم : أنهم يريدون تسجيل الأطوار كلها ، ولو أدى الأمر إلى الإطالة .

(٤) يقول ابن مالك في حكم الصحيح وشبهه ، واللغات المتعددة التى في ياء المتكلم إذا كانت هي

المضاف إليه :

واجعلْ مُنَادَى صَحَّ إِنْ يُصَفَّ لِيَا كَعَبْدٍ، عَبْدِي - عَبْدًا، عَبْدِيَا

(صح = أى : صح آخره . عبديا = أصلها : عبدي ، وزيدت في آخرها ألف لأجل الشعر)

يريد : إذا أضيف المنادى صحيح الآخر فاجمله كعبد ، عبدي . . . أى : على مثال واحد مما يأتى - ولم

يذكرها مرتبة على حسب كثرة استعمالها .

بقيت اللغة السادسة ؛ (وهي أضعف نظائرها ، ولا تكاد تخلو من أسبَس في تَبَيُّن ذوعها ، ومن اضطراب في إعرابها^(١)) ؛ ولهذا يجب اليوم إهمالها ؛ سيما لرأى من أهملها من النحاة القدماء ، فلم يذكرها بين اللغات الجائزة .

وتتلخص في حذف « الياء » ، - مع ملاحظتها في النية - وبناء المنادى على الضم (كالاسم المفرد المعرفة) . ويقع هذا في الكلمات التي تشيع إضافتها ، ليكون العلم بشيوع إضافتها قرينة ودليلا على حذف المضاف إليه ، وأنه محذوف في اللفظ لكنه ملاحظ^(٢) في النية كالكلمات : رَبِّ ، وقوم ، وأم ، وأب وأشباهها مما يغلب استعماله مضافاً ؛ نحو : يا ربُّ ، وفقني إلى ما يرضيك - يا قوم ، لا تتوانوا في العمل لما يرفع شأنكم - يا أمُّ ، أنت أكثر الناس عطفاً على ، ويا أبُّ ، أنت أشدهم عناية بي

ومما سبق يتبين أن ثلاثاً من اللغات الست تقتضي حذف الياء ، وثلاثاً أخرى تقتضي إثباتها .

= يا عبدٍ : مثال لما حذف فيه ياء المتكلم مع بقاء الكسرة قبلها دليلا عليها - يا عبدِي ؛ لثبوت ياء المتكلم الساكنة المكسور قبلها - يا عبدٌ : للمنادى الذي قلبت معه ياء المتكلم ألفاً مفتوحاً ما قبلها ، وحذفت الألف - يا عبداً . . . كالسابق ، ولكن من غير حذف ياء المتكلم المنقلبة ألفاً - يا عبدِي : للمنادى الذي أضيف لياء المتكلم المبني على الفتح ؛ فهذه خمس لغات اكتفى بها . ولم يتعرض للسادة التي يحذف فيها المضاف إليه ، ويبني الاسم بعده على الضم ، وقد شرحناها . وساق بعد هذا بيتاً سيحى شرحه في مكانه المناسب من هامش ص ٦٥ - هو :

وَفَتَحَ أَوْ كَسَرَ ، وَحَذَفُ الْيَاءِ اسْتَمَرُّ فِي : «يَا بَنُ أُمِّ» ، «يَا بَنُ عَمِّ» ، لا مَفَرُّ

(١) سبب الاضطراب في إعرابها اختلافهم الشديد في الحكم على نوع المنادى : أيراعى أصله من ناحية أنه مضاف ؛ فيكون منادى منصوباً بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الضمة التي جاءت لمشابهته بالنكرة المنصودة في التعريف بالتداء وقصد الإقبال ، (لا بالعلمية ، ولا بالإضافة ، ولا بال) - أم يراعى حاله الحاضرة من ناحية بنائه على الضم

وهذا الخلاف ليس شكلياً ، وإيماله أثره في التوايع ؛ أ تكون واجبة النصب حتماً ، نتيجة للرأى الأول ، أم يكون شأنها شأن توايع المنادى المبني على الضم ، ولها أحكام مختلفة ، سبق شرحها في ص ٤٠ وما بعدها ؟

(٢) لأنها - وهي المشهورة بالإضافة - تدل إذا لم تكن مضافة إلى اسم ظاهر ، أو إلى ضمير لغير المتكلم على أنها مضافة للمتكلم ، والمتكلم أولى بذلك ؛ لأن ضميره الياء يحذف أكثر من غيره .

٣ - إن كان المنادى الصحيح الآخر هو كلمة « آب » ، أو « أم » جاز فيه اللغات الست السابقة ، ولغات أربع أخرى ؛ وهى :

حذف ياء المتكلم ، والإتيان بـ «أ»^(١) التأنيث الحرفية عوضاً عنهما مع بناء هذه التاء الحرفية على الكسر ، أو على الفتح - وكلاهما كثير قوى - أو على الضم ، وهو قليل ، ولكنه جائز ؛ نحو : يا أبتُ أنتُ كافلنا ، ويا أمتُ ، أنتِ راعيتنا ...

والمنادى فى هذه الصور الثلاث منصوب بفتحة ظاهرة^(٢) دائماً ، وهو مضاف ، وياء المتكلم المحذوفة مضاف إليه ، وجاءت تاء التأنيث عوضاً عنها ، مع بقاء حرفاً للتأنيث كما كانت ، وليست المضاف إليه ...

والصورة الرابعة - وهى أقلها فى السماع الوارد ، ولا يصح القياس عليها - : الجمع بين تاء التأنيث السالفة التى هى العوض ، وألف بعدها أصلها ياء المتكلم ؛ نحو : يا أبتا ... يا أمتا .

وكقول الشاعر :

يا أمتا أبصرنى راكب فى بلد مُسْحَنَفِر^(٣) لاجِب^(٤)

وقول الآخر :

يا أبتا عليك أو عسا كما

وفى هذه الصورة جمع بين العوض - وهو التاء - والمعتوض عنه ، وهو : الياء المتقلبة ألفاً . ولذا قال بعض النحاة : إن هذه الألف ليست فى أصلها ياء المتكلم ؛ وإنما هى حرف هجائى ، وزائد لمد الصوت . وهذا رأى أوضح وأيسر فى إعراب تلك الصيغ المسموعة .

(١) سبقت الإشارة لهذا (فى باب الإضافة لياء المتكلم ج ٣ م ٩٧ ص ١٤٦) والأكثر فى هذه التاء أن تظل تاء عند النطق بها وفقاً ووصلاً ، وأن تكتب تاء متسعة (أى : غير مربوطة) ويجوز كتابتها مربوطة ، كما يجوز الوقف عليها بالهاء . لكن الأفضل الاختصار على رأى الأول الذى يقضى باعتبارها تاء متسعة فى جميع أحوالها .

(٢) لأن تاء التأنيث توجب فتح ما قبلها دائماً . ولا داعى للإطالة بأنه منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الفتحة التى جاءت مناسبة التاء .

(٣) واسع . (٤) معهود مهد .

وهناك صورة أضعف من هذه ، وأندر استعمالاً في السَّماع الوارد ، حتى خصها كثير من النحاة بالضرورة الشعرية ، نذكرها لتدركها إذا صادفتنا في بعض الكلام القديم ، هي الجمع بين هذه التاء وياء المتكلم بعدها . أو الجمع بين ياء المتكلم المنقلبة ألفاً والتاء بعدها .

كقول الشاعر :

أيا أبتى ^(١) ، لا زلتَ فينا ، فإنما لنا أمل في العيش ما دمت عائشاً

وقول الآخر :

كأنك فينا يا أباتٍ ^(٢) غريبٌ ^(٣)

هذا ، ولا تكون تاء التأنيث عوضاً عن ياء المتكلم إلا في أسلوب النداء على الوجه السالف ، دون غيره من الأساليب . ووجودها في آخر كلمتي : « أب ، وأم » يحتم استعمال كل واحدة منهما منادى ، ويمنع استعمالها في غيره ^(٤) ونشير إلى أمرين هامين :

أولهما : أن الأحكام السابقة كلها مقصورة على المنادى صحيح الآخر ، وشبهه إذا كانت إضافتهما محضة — كما أسلفنا ^(٥) — فإن كانت غير محضة فالمنادى واجب النصب بفتحة مقدرة قبل ياء المتكلم منع من ظهورها الكسرة التي لمناسبة الياء . وهذه الياء ثابتة دائماً ومبنية على السكون أو الفتح ؛ كقولهم : (يا رائدى للهدى وقيت الردى ، ويا مرشدى للخير صانك الله من الزلل) . فالمنادى :

(١) والأيسر في الإعراب أن تكون كلمة : « أب » منادى منصوب مضاف والتاء عوض عن الياء المحذوفة . أما المذكورة فحرف هجائي ناشئ من بناء التاء على الكسرة مع إشباع هذه الكسرة . أو : أن التاء للتأنيث اللفظي ، والياء بعدها مضاف إليه ، وقد فصلت التاء بين المتضامين .

(٢) ويقال في الإعراب : « أب » منادى ، منصوب ، مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً ، والتاء حرف للتأنيث اللفظي ، يضبط بالفتحة ، أو الكسرة ، أو الضمة — كما سلف .

(٣) وإلى بعض ما سبق — في نداء « أب » و « أم » — يقول ابن مالك باختصار :

وفي النداء : « أَيْتِ » ، « أَمَّتِ » ، « عَرَضَ » وأَكْسِرَ ، أو أَفْتَحَ ، ومن الياء التاء عوض

يريد : عرض في النداء أسلوب خاص ، هو : يا أبتِ ، يا أمتِ بكسرة التاء أو فتحها ، وقد ترك الهم-

ثم صرح أن التاء عوض من ياء المتكلم المضاف إليه ، واقتصر على هذا تاركاً التفصيلات التي عرضناها .

(- رائد ، ومرشد -) منصوب وجوباً بفتحة مقدرة ، والياء معها مبنية على السكون أو على الفتح ، ولا يصح حذفها . ولا بد معها أن يكون المنادى المضاف مفرداً^(١) .

ثانيهما : أن تلك الأحكام مقصورة على النوع السالف من المنادى المضاف إضافة محضة ، بشرط أن يكون مضافاً للياء مباشرة ؛ كما تقدم^(٢) . فإن كان - هو - أو غيره من سائر أنواع المنادى - مضافاً إلى مضاف إلى ياء المتكلم وجب إثبات الياء وبنائها على السكون ، أو على الفتح^(٣) . . . كقولهم : يا طالب إنصافى ، لا أعلم لك منصفاً إلا عملك ؛ إذا أحسنته جمالك ، وإذا أتقنته كمالك ، وقول الشاعر :

يا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكَو شَتَّى ، وَأَحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
فيجوز : (إنصافى ، أو : انصافى - نفسى ، أو نفسى ؛ بإسكان الياء أو فتحها) .

ويستثنى من هذا الحكم أن يكون المنادى المضاف إلى مضاف لياء المتكلم هو لفظ : (ابن أم ، أو : ابن عم ، أو : ابنة أم ، أو ابنة عم ، أو بنت أم ، أو بنت عم -) فالأفصح^(٤) فى هذه الصور حذف ياء المتكلم مع ترك الكسرة قبلها دليلاً عليها ؛ (نحو : يا بَنَ أُمِّ كُنْ عَلَى الْخَيْرِ مِعْوَانًا لِي ، ويا بَنَ عَمِّ لَا تَقْعُدْ عَن مَنَاصِرِي بِالْحَقِّ - يا بِنَةَ أُمِّ . . . يا بِنَةَ عَمِّ . . . يا بِنْتَ أُمِّ . . .)

(١) يفهم من كل ما سبق أن المنادى المضاف الذى إضافته غير محضة ، لا بد أن يكون - فى الغالب - وصفاً عاملاً ، ولا بد أن يكون مفرداً أيضاً ؛ لأن المثني وجمع المذكر السالم ملحقات بالمعتل فى حكمه - وسيجىء فى ص ٦٦ - فإذا أضيفا عند النداء لياء المتكلم وجب بناؤها على الفتح وحده - فى رأى الأصح .

(٢) فى ص ٥٨ . . .

(٣) ما لم تحتم الضرورة الشعرية الاختصار على أحدها .

(٤) قلنا : الأفصح ؛ لأن هناك لغتين أخريين ؛ أولاهما : إثبات الياء ساكنة ، كقول الشاعر

القديم فى الرثاء :

يَا بَنَ أُمِّ ، وَيَا شُفَيْقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ
وثانيهما : قلبها ألفاً ؛ كقول الآخر :

يَا بِنَةَ عَمَّا لَا تَلُومِي وَاهْجَعِي

يا بنت عمّ . . .) فالمنادى معرب منصوب . والمضاف إليه الأول مجرور بالكسرة الظاهرة قبل الياء المحذوفة .

ويجوز في الألفاظ السالفة حذف الياء بعد قلبها ألفاً . وقلب الكسرة قلبها فتحة : فنقول : (يا بن أمّ . . . يا بن عمّ . . . يا بنت أمّ . . . يا بنت عمّ . . .) فلبث ياء المتكلم ألفاً بعد قلب الكسرة التي قبلها فتحة . ثم حذفت ياء المتكلم المنقلبة ألفاً . وبقيت الفتحة قبلها دليلاً عليها . فيقال عند الإعراب : إن المضاف إليه الأول مجرور بالكسرة المقدرة التي منع من ظهورها الفتحة التي جاءت للتوصل بها إلى قلب ياء المتكلم ألفاً . وحذفت هذه الألف للتخفيف .

ويصح أن يقال في هذه الصورة : إن المنادى قد ركب مع ما أضيف إليه تركيباً مزجياً وصاراً معاً بمنزلة : « خمسة عشر » أو غيرها من الأعداد والألفاظ المركبة المبنية على فتح الجزأين . وعندئذ يقال في الإعراب : (يا بن أمّ . . . يا بن عمّ . . . يا بنت أمّ . . . يا بنت عمّ . . .) « يا » حرف نداء . وما بعدها منادى مضاف . منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة البناء الأصلية التي هي فتح الجزأين . وياء المتكلم المحذوفة هي المضاف إليه . وتكون الفتحة التي على حرفي النون والتاء (في : ابن . وابنة . وبنت . . .) حركة هجائية . لا توصف بإعراب ولا بناء (١) . . .

* * *

(ب) إن كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم معتلاً الآخر . أو ملحقاً (٢) به

(١) ويجوز - في الألفاظ السالفة - شيء آخر : هو إهمال الياء المحذوفة ، واعتبارها كأن لم توجد ، مع اعتبار المنادى وما أضيف إليه بمنزلة الاسم المركب تركيباً مزجياً ، وإعرابه مبنى على الضم المقدّر ؛ كأنهما كلمة واحدة مفردة معرّفة . ولا يخلو هذا الوجه - على صحة - من لبس يدعو للفرار منه . وقد أشار ابن مالك إلى بعض الآراء السالفة في بيت سبقت الإشارة إليه في هامش ص ٦١ ، وهو :

وَفَتْحٌ أَوْ كَسْرٌ ، وَحَذْفُ الْيَاءِ اسْتَمَرَّ : فِي « يَا بَنَ أُمِّ » « يَا بَنَ عَمِّ » . لَا مَقَرُّ

يا بن أم ، يا بن عم ، أصلهما : يا بن أمي - يا بن عمي . ويريد بهما : المنادى المضاف إلى مضاف لياء المتكلم ، وأن حذف هذه الياء مستمر معهما - على الأرجح - وأن الحرف الذي قبل الياء المحذوفة يصح تحريكه بالفتحة أو بالكسرة ، ولم يذكر السبب ، واستغنى بما سبق عن غيره مما سردناه . . .

(٢) بيان هذا الملحق في رقم ٣ من هامش ص ٥٨ .

فحكمه هو ما كان يجرى عليه قبل النداء ، وقد سبق تفصيله^(١) ، ويتلخص في قاعدة واحدة^(٢) ؛ هي : سكون آخر المضاف دائماً ، وبناء المضاف إليه على الفتح في الأفصح - وهذه القاعدة تنطبق على ما يأتي :

١ - المقصود المضاف إلى ياء المتكلم ؛ نحو : يا فتى أنت عوفى في السرّاء والضراء .

٢ - المنقوص المضاف إلى ياء المتكلم ، وتدغم الياءان ، وأولاهما ساكنة ، والأخرى مبنية على الفتح ؛ نحو : يا داعي للخير ، لبّيتك من داعٍ مطاع .

٣ - المثني وشبهه ؛ وتدغم ياءه ساكنة في ياء المتكلم المبنية على الفتح^(٣) ، كقول الشاعر في حديقة :

خُذْ الزاد يا عَيْتِي من حسن زهرها فما لكما دون الأزاهر من مُشْعٍ
٤ - جمع المذكر وشبهه ؛ وتدغم ياءه ساكنة في ياء المتكلم المبنية على الفتح ؛ كقول الشاعر :

يا سابِقيّ إلى الغفرانِ مكرُمةً إنَّ الكرام إلى الغفرانِ تستبقُ

٥ - المختوم بياء مشددة . وليس تشديدها للإدغام ؛ ففي كلمة مثل : عبقرى ، يقال : أفرحتني يا عبقرى ، بحذف الياء الثانية من المشددة ، وإدغام الأولى التي بقيت في ياء المتكلم المفتوحة .

ويصح حذف ياء المتكلم مع بقاء الياء المشددة قبلها مكسورة^(٤) ؛ نحو : يا عبقرى ، لك إكبارى وتقديرى . . .

ويصح قلب ياء المتكلم ألفاً وحذفها ، مع فتح الياء المشددة قبلها ؛ نحو : يا عبقرى . . .

أما المعتل الآخر بالواو فشأنه ما فصلناه هناك .

(١) - ٣ م ٩٧ ص ١٣٧ .

(٢) - هذا التلخيص لا يكاد يفتي عن الرجوع إلى ما سبق من تفصيل وإيضاح ، وعرض صور

هامة كثيرة .

(٣) - طبقاً لما سلف في رقم ١ من هامش ص ٦٤ .

(٤) - لتكون الكسرة ذليلاً على الياء المحذوفة .

زيادة وتفصيل :

(١) يجرى على الأسماء الخمسة : (أب - أخ - حم - هن - فم) عند نداءها مع إضافتها لياء المتكلم ما يجرى عليها بغير مناداتها . ذلك أن الرأى الفصيح الذى يحسن الاقتصار عليه هو إضافتها حالها الحاضرة . دون إرجاع لامها المحذوفة (أى : دون إرجاع حرفها الأخير : وهو : «الواو» المحذوفة ، إذ الشائع أن أصلها أبى - أخو - حمو - هنو - فوه . والميم والهاء زائدتان فى : « فم » وفى « فوه » . . .) .

فإذا أضيفت تلك الأسماء . وهى مناداة . أو غير مناداة - أعربت على حسب حاجة الجملة ؛ وكُسِّر حرفها الأخير الحالى لمناسبة الياء ^(١) ، فتقول : يا أبى - يا أخى - يا حمى - يا هنى - يا فى - ويصح فى هذه : يا فمى . وهناك رأى مستنبط من بضعة أمثلة مروية عن بعض القرائل . مؤداه : إرجاع الحرف المحذوف من آخر تلك الأسماء مع تسكينه قبل ياء المتكلم . وهذه الياء يجب بناؤها على الفتح . فتجتمع الواو والياء . وتسبق إحداهما بالسكون ؛ فتقلب الواو ياء ، وتدغم الياء فى الياء ^(٢) . ويكسر ما قبلها لمناسبتها ؛ فتقول يا أبى - يا أخى . . . وفى هذه الصورة تكون الكلمة معربة بحركة مقدرة منع من ظهورها السكون الواقع على الياء الأولى لأجل الإدغام ^(٣) .

أما « دو » التى تعرب إعراب الأسماء الخمسة فلا تصاف لضمير المتكلم .

(ب) يجوز فى كلمة : « ابنم » المبدوءة بهمزة الوصل . والمسخومة بالميم الزائدة . ومعناها : ابن - إثبات الميم عند الإضافة وحذفها ؛ نحو : يا بنمى ، أو : يا بنى ؛ بإسكان الياء فى الحالتين ، وكسر ما قبلها .

(١) فهى بهذا تشبه صحيح الآخر من ناحية أن آخرها الحالى صحيح ، وأنه يجب كسره لمناسبة

ياء المتكلم (وقد سقت إشارة لهذا فى مناسبة أخرى ، ج ٣ باب المضاف إلى ياء المتكلم ص ١٣٨ م ٩٧) .

(٢) إن كان أصل : « فم » هو « فية » بالياء المحذوفة رجعت الياء ساكنة ، وأدغمت فى ياء المتكلم المبنية على الفتح .

(٣) وتكون الأسماء الخمسة كالمتل ؛ فى إسكان آخرها وبناء الياء على الفتح .

المسألة ١٣٢ :

الأسماء التي لا تكون إلا منادى

من الألفاظ ما لا يستعمل إلا منادى ؛ فلا يكون مبتدأ ، ولا خبراً ، ولا اسماً لناسخ أو خبراً له ، ولا شيئاً آخر غير المنادى ^(١) . وأشهر هذه الأسماء ما يأتي :

١ - « أبت ، وأمت » بشرط وجود تاء التأنيث في آخرهما على الراجح الذي فصلناه ^(٢) - ووجودها يحتم أن يكون كل منهما منادى ، ولا يصح استعمالهما في شيء آخر معها - نحو : يا أبت ، إني لك مطيع ، يا أمت إني بك بارٌّ . أى : يا أبى . . . يا أمى .

٢ - « اللهم » ، المخنومة بالميم المشددة ^(٣) ، نحو : اللهم لا سعادة إلا فيما يرضيك ، ولا شقاء إلا فيما يغضبك .

٣ - « فُلٌّ » (بضم الفاء واللام معاً) ؛ وهى عند النداء كناية عن مفرد معين من جنس الإنسان . و « فُلَّةٌ » ، (بضم الأول وفتح الثانى) وهى عند النداء كناية عن مفردة معينة من جنس الإنسان كذلك ؛ نحو : يا فُلٌّ ، عملُ المرء عنوان نفسه ، ودليل عظمه - يا فُلَّةٌ ، القصدُ يُمْنٌ ، وخير الكلام أصدقُه . فالمنادى (فُلٌّ ، وفُلَّةٌ) مبنى على الضم دائماً فى محل نصب .

ولا يعيننا أن يكون سبب التعيين هنا فى الكناية ما يقوله بعض النحاة من أنها علم على إنسان ، كسائر الأعلام الشخصية (مثل : محمد . . . وفاطمة . . .) أو : ما يقوله بعض آخر : إن سببه طارئ بالمناداة والقصد ، وأنها نكرة مقصودة ،

(١) ومن الأسماء ما لا يصلح أن يكون منادى ؛ كالاسم المضاف لضمير المخاطب ؛ نحو : يا صديقك ، وكضامير غير المخاطب . (أما ضمير الفريقين فيجوز ندائه ؛ طبقاً لما سلف فى ص ٤) وكاسم الإشارة المتصل بكاف الخطاب - للسبب الذى فى رقم ٢ من هامش ص ٤ - فلا يقال : يا ذاك . وكالاسم المبدوء « بآل » فى غير المواضع المستثناة التى سبق ذكرها فى ص ٣٥ ؛ فلا يقال : يا المكافح ستدرك مأربك . . .

(٢) فى ص ٦٢ وما بعدها .

(٣) فى ص ٣٦ وهامشها الكلام على معانيها المختلفة ، وطريقة إعرابها .

مثل : يا رجلُ ؛ لِمُعَيَّن ، أو : يا فتاة ؛ لمُعَيَّنة ، وقد عُرِّفَت النَّكْرَةُ بالنداء والإقبال . . . — لا يعنينا شيء من هذا كله ؛ لأن نتيجة الرأيين واحدة ؛ هي بناء الكلمة بصورتها الحالية على الضم دائماً ، في محل نصب ، وعدم استعمالها في غير النداء إلا لضرورة شعيرية ، وكذلك عدم استعمالها منادى منصوباً مباشرة ؛ لأنها لا تكون مضافة ، ولا شبه مضافة ، ولا زكرة غير مقصودة ؛ إذ السماع الوارد في لفظها يقتضى قصرها على المنادى المبني على الضم^(١) . . .

(١) كما يقتضى ألا ينقاس عليها غيرها .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

يدور الجدال حول أصل هاتين الكلمتين ، ولولا ما له من أثر يساعد عند الرجوع إلى مادتهما اللغوية في المعاجم ، وعند التصغير ، والمشتقات . . . — لأهملناه . وملخصه :

أن فريقاً من النحاة يرى أصل : « فُلٌّ » و « فُلَّةٌ » هو « فلان » و « فلانة » وأنهما في النداء — كأصلهما — كنايةتان عن عَلم شخص لرجل معين ، كعلی . . . وامرأة معينة ؛ كزینب . . . ، حذف من آخرهما الألف والنون ، للترخيم^(١) — برغم أن قواعده لا تسمح بهذا الحذف الكثير دفعة واحدة — وأن الألف والنون زائدتان . وأما النون فأصلية ؛ لأن مادة فعلهما الماضي هي : « فَلَمنَ » وعند التصغير — إذا سمي بهما — يقال فيهما « فُلَّسین » و « فُلَّسینة » ، وأنهما يختلفان في الاستعمال عن أصلهما الخالي من الحذف ، فلا يُستعملان إلا في النداء ، أما أصلهما فيكون منادى وغير منادى .

ويوافق آخرون على هذا الرأي ، إلا أنهم يعتبرون حذف تلك الحروف للتخفيف ، لا للترخيم ، وإلا وجب أن يقال في المذكر « فُلَّان » وفي المؤنث « فُلَّان » طبقاً لقواعده^(٢) .

ويخالفهما كثير من البصريين ؛ فيرى أنهما كلمتان مستقلتان ، وليستا اختصار « فلان » و « فلانة » — كما يرى أنهما مختومتان بياء أصلية ، حذف تخفيفاً ؛ كحذفها من كلمة « ياء » ، فأصلهما : « فُلُّی » و « فُلَّیة »^(٣) وتصغيرهم

(١) سيأتي بابه في ص ١٠١ .

(٢) وهذه القواعد تقضى ألا يحذف في الترخيم مع الآخر ما قبله من حرف مد زائد إلا إذا كان المرخم خماسياً فصاعداً . كلمة : « فلان » أربعة أحرف فقط ، فترخيمها هو : « يا فلا » . كما تقضى تلك القواعد ألا يقال في التأنيث : « يا فلة » ، وإنما يقال : يا فلان — راجع الصبان في هذا الموضع ، وكذلك ص ١٠٢ الآتية ، وما بعدها —

(٣) وإذا حذفت الياء وجب تحريك اللام التي قبلها بالفتحة ؛ لأن الفتحة هي التي تناسب

«فُلَيْتِي» وفُلَيْسِيَّةٌ» ومادة ماضيهما «فَلَيْتِي» وأن كلا منهما عند النداء نكرة مقصودة بالمانداة والإقبال ؛ فتدل الأولى على رجل مقصود، وتدل الثانية على امرأة مقصودة ، ولا يرجعان في أصلهما إلى كلمتي : « فلان وفلانة » اللتين هما كنايةتان عن علمين شخصيين أحدهما لرجل ، والآخر لامرأة — كما سبق — . وهذا الرأي أوضح ، وأبعد من التعقيد .

فالآراء متفقة على بناء « فُلُ » و « فُلَيْتِي » على الضم^(١) ، مختلفة في أصلهما ، وفي نوع المنادي ؛ أهو مفرد علم ، أم نكرة مقصودة ؟ متفقة كذلك على أنهما لا يستعملان بصورتها هذه إلا منادى . وأن كلمتي : « فلان » و « فُلانة » تستعملان في النداء وغيره^(٢) ، مع اعتبارهما ، كنائيتين عن علمين شخصيين لرجل معين ، وامرأة معينة ، ونونهما أصلية ، ومادة فعلهما « فَلَئِنْ »^(٣) ؛ تقول في استعمالهما في النداء : يا فلانُ ، تَضِيعُ الغاية بين العجز والملل ، ويا فلانةُ ، من أعجب بنفسه ضاعت هيئته . . . كما تقول في غيره : أسرع فلان إلى سماع مُحاضرة فلان . . . وبادرت فلانة للإصغاء إلى فلانة أو فلان .

(١) ويجرى على توابعهما حكم توابع المنادي المبني على الضم .

(٢ و ٣) راجع الخضرى .

٤ - لُؤْمَانُ ، وَمَلَأْمٌ (وكلاهما وصف بمعنى : كثير اللؤم والدناءة) ،
وَنَوْمَانٌ (وصف بمعنى : كثير النوم) ؛ نحو : يا لُؤْمَانُ أَوْ : يا مَلَأْمٌ . من
أساء إلى غيره حاقت به إساءته - يا نَوْمَانُ ، الاعتدال في كل الأمور حميد .
ويجوز في الثلاثة زيادة تاء التأنيث عند نداء المؤنث . ولا يقاس على هذه الثلاث
المسموعة غيرها مما يشاركها في الوزن إذا كان غير مسموع . فكل واحدة من هذه
منادى مبنى على الضم في محل نصب .

٥ - مَلَأْمَانٌ ، وَمَخْبِشَانٌ (وصفان بمعنى : لئيم . وخبيث) . . .
وغيرهما ؛ من كل وصف على وزن : « مَفْعَعَلَان » ، وأصل مادته - في الغالب -
يدل على أمر مذموم . وقد يدل على أمر محمود ، مثل : مَكْرَمَان . ومَطِيبَان ؛
(وهما وصفان بمعنى : عزيز مكرم ، وطيب) ومن الأمثلة : يا مَلَأْمَانُ . من
قَبِضَتْ سيرته تقاسمته البلياء - يا مَخْبِشَان . من خَبِثَتْ نَفْسُهُ حُرِمَ
صفوة الحياة - يا مَكْرَمَانُ ، من كَشَفَ كُرْبَةً غيره ، كشف الله كُرْبَتَهُ -
يا مَطِيبَانُ ، من طابت سريرته سالمته الليالي .

ويجوز زيادة تاء التأنيث في : « مَفْعَعَلَان » عند نداء المؤنث .

والأنسب الأخذ بالرأى الذى يبيح القياس في هذه الصيغة ؛ أكثره الوارد بها .
أما إعرابها فكالنوع السابق^(١) . . .

٦ - ما كان وصفاً على وزن : « فَعْعَل » بمعنى : فاعل ؛ لزم المذكر
وسببه ، نحو : غُدْرٌ ، بمعنى : غادر ، وَسُقْفَةٌ ، بمعنى : سقافه ، وشَتَمٌ ،
بمعنى : شاتم . . . ، وغيرها مما هو على وزنها مع دلالة مادته في أصلها على
السبب والذم . ومن الأمثلة : يا غُدْرُ ، لا صداقة معك ، ولا أمانة لك . . .
- يا سُقْفَةُ ، مَقْتَسَل الرجل بين فكَّيْهِ . . .

(١) اكتب ابن مالك في الكلام على : « فل » و « فلة » ولؤمان وملأم ، ونومان ، بقوله في باب
عنوانه : « أسماء لازمت النداء » . . .

و« فُلٌ » بعضُ مَا يُخَصُّ بِالنِّدَا «لُؤْمَانُ، نَوْمَانُ» كَذَا. واطَّرَدَا...١-
وختم البيت بقوله : « واطردا » . وهذا الختام لا علاقة له بما سبقه ، وإنما يتصل معناه بما يليه من
حكم جديد يختص بوزن : « فَعْعَل » وهذا الاتصال معيب في الشعر عامة .

والأنسب الأخذ بالرأى الذى يبيح القياس فى هذه الصيغة بشرط دلالة أصلها على السب ، كما يبيح استعمالها فى غير النداء . أما إعرابها عند النداء فكالنوع السابق .

٧- ما كان وصفاً على وزن : « فَعْعَالِ » - (بمعنى فاعل ، أو : فَعْعِيْلَة) لسبب الأنثى وذمها ، وهو مبنى على الكسر أصالة . وينقاس - فى الرأى الأنسب - فى كل ماله : فعل ، ثلاثى ، تام ، مجرد ، متصرف تصرفاً كاملاً ، ومعناه السب والشتم ؛ نحو : غَدَّارٍ وَسَرَّاقٍ . بمعنى : غادِرة ، وسارقة ، ونحو : خَبِثَاتٍ ، وَكَسَكَاعٍ ؛ بمعنى : خبيثة ، ولكيعة ؛ أى : لثيمة وخسيصة . تقول : يا غَدَّارِ ؛ لا راحة لحسود ، ولا عهد لغدَّار - يا خَبِثَاتِ ، لا هدوء مع خُبُثٍ ، ولا اطمئنان مع سوء نية ^(١) . . .

ومن الشروط السالفة يتضح أن وزن : « فَعْعَالِ » لا يصاغ من مصدر فعل غير مستوف لتلك الشروط ؛ كالفعل : « دحرج » لأنه غير ثلاثى . والفعل ؛ « كان » لأنه غير تام ، والفعل « ليس » ، لأنه جامد ، والفعل يذرُ ، أو : يدع لأن كلا منهما ناقص التصرف ^(٢) . . .

أما إعرابها : فننادى مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره كسرة البناء الأصلى - فى محل نصب .

وبمناسبة الكلام على صيغة : « فَعْعَالِ » المبنية على الكسر أصالة ، وأنشأها قياسية فى الموضع السالف بشروطها - يستطرد النحاة فيقولون : إنها قياسية أيضاً فى موضع آخر ، إذا تحققت تلك الشروط من غير اشتراط الدلالة على السب والشتم ، وذلك الموضع هو : أنها تقع اسم فعل أمر مبنى على الكسر دائماً ؛ مثل : تَرَّكَ ؛ بمعنى اترك ما أمرك بتركه - نَزَّالٍ ، بمعنى : انزل إلى الحرب أو غيرها - شَرَّابٍ ؛ بمعنى : اشرب ، ومن هذا قولهم : شرابٍ من ورد التجارب ؛ فإنه خير الموارد . وقول الشاعر :

(١) ومثل قول الشاعر :

عليكُ بأمر نفسك بالكاعِ فما كان مرعياً كراعِ

(٢) فى المشهور .

تَرَكَ - يَصَاحِبِي - مَا لَيْسَ بِحَمْدِهِ سَرَاعَةُ^(١) قَوْمِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَرْوَةِ
وقول الآخر :

نَزَالَ إِلَى حَيْثُ الْمَكَارِمُ تَبْتَغِي أَلِفْنَا يَنَاعِيهَا ، أَمِينًا يَصْنُونَهَا

وسيجيء^(٢) تفصيل الكلام على هذه الصيغة في باب اسم الفعل . . . (٣)

* * *

وملخص ما سبق في هذا الباب :

أن في اللغة ألفاظاً لا تُسْتَعْمَلُ إلا منادى ؛ وهي أنواع ثلاثة :

(١) أشراف وعظماء ، المفرد : سَرِيٌّ .

(٢) في ص ١٤٠ م ١٤١ وكذلك يجيء في رقم ١ من هامش ص ٢٦٠ بيان أنواعها المختلفة ومعانيها
وحكم كل نوع من ناحية الإعراب والبناء .

(٣) ويقول ابن مالك - بإيجاز - في نداء ما هو على وزن : «فَعَالٍ» الخاص بالأنثى ،
و «فَعَالٍ» الخاص باسم فعل الأمر ، و «فُعْلٌ» الخاص بنداء المذكر :

وَاطَّرَدَا - وَاطَّرَدَا - ١

فِي سَبِّ الْأُنْثَى وَزَنْ : يَا خَبَاثَ وَالْأَمْرُ هَكَذَا مِنَ الثَّلَاثِ - ٢

أى : اطرد في سب الأنثى : «يا خباث» وما كان على وزنها . والأصل : «فَعَالٍ» ، وما كان على
وزنها . وهذا الوزن مطرد في الأمر أيضاً ، ومقصده اسم فعل الأمر ، ثم قال :

وَشَاعَ فِي سَبِّ الذَّكَوْرِ : «فُعْلٌ» وَلَا تَقِسْ . وَجُرَّ فِي الشَّعْرِ «فُلٌ» - ٣

فهو يقرر أن نداء ما كان على وزن : «فُعْلٌ» خاصاً بسب المذكر ، أمر شائع ، ومع شيوعه نهي
عن القياس عليه . ومنع القياس عليه مناقض للحكم بأنه شائع ؛ إذ الشيوع في الكلام الفصيح يبيح
القياس ، كما بيناه من قبل . لهذا يكون الأخذ بالرأى المحيز أنسب ما دام المعنى المراد واضحاً .

وغتم البيت بإباحة جر «فل» في الشعر للضرورة ؛ لأن كلمة : «فل» : و «فلة» ملازمتان
لنداء ، كما عرفنا ؛ فلا يصح جرهما إلا في تلك الضرورة ؛ كالبيت الذي يرددونه :

تَضِلُّ مِنْهُ إِلَى بِالْهَوَجْلِ فِي لَجَّةِ أَمْسِكَ فُلَانًا عَنْ فُلٍ

(الهوجل هنا : الصحراء التي لا أعلام فيها . اللجة - بفتح اللام - : الأصوات المختلطة) .

والبيت متصل بما قبله في وصف الإبل المتراخمة في الصحراء مثيرة للغبار ، يدفع بعضها بعضاً . وقد
شبهها بقوم في بلة - وهي اختلاط الأصوات في الحرب - يدفع بعضهم بعضاً ؛ فيقال : أمسك فلاناً عن
فل ، أى : احجز بينهما . .

ويقول بعض النحاة إن «فل» الواردة في البيت ليست المختصة بالنداء ، وإنما هي اختصار لكلمة
«فلان» التي تكون منادى وغير منادى ؛ فلا شاهد في البيت . ويرى غيرهم العكس ولا قيمة لهذا
الجدل ، لوضوح الرأى القائل بأنها ليست منادى .

(أ) نوع مقصور على السماع الوارد ، لا يتجاوز الحكمُ لنظّمه ونصّه الوارد إلى لفظ آخر ، وأشهر ألفاظه : أَبَتَ - أَمَّتَ : (الملازمتين لتاء التأنيث) - اللَّهُم - فُلٌ - فُلْمَةٌ - لُؤْمَانٌ - مَلَأَمٌ - نَوْمَانٌ .

وكل هذا النوع منادى ، مبنى على الضم إلا « أَبَتَ وأَمَّتَ » ، فلهما حكمهما التفصيلي في الباب السابق ^(١) .

(ب) نوع قياسي ، وهو ما كان على وزن : « فَعْعَالٌ » لسبب الأنثى وذمها . وله شروط . . . مثل : يا خَبِيثَاتٍ - يا غَدَارٍ . . .

وهذا النوع منادى مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره كسرة البناء الأصلي - في محل نصب . وهو غير النوع الذي على هذا الوزن ، ويعرب اسم فعل أمر .

(ح) نوع في قياسيته خلاف ، والأحسن الأخذ برأى القائلين بقياسيته ؛ لكثرة الوارد منه . ومن ألفاظه ما كان على وزن : « مَفْعَعْلَانٌ » ^(٢) للذم (غالباً) ، أو للمدح ، ومنه : مَلَأْمَانٌ ، مَخْبِثَانٌ - مَكْرَمَانٌ - مَطْطِيبَانٌ .
ومن ألفاظه أيضاً ما كان على وزن : « فَعْعَلٌ » لذم المذكور وسببه ، نحو : غُدْرٌ ، وَسُفْمَةٌ . . .

وكل هذا النوع منادى مبنى على الضم في محل نصب .

فالأنواع الثلاثة عند النداء تبني على الضم الظاهر في محل نصب ، إلا وزن : « فَعْعَالٌ » فيبنى على ضم مقدر ، وإلاَّ أَبَتَ وأَمَّتَ ، ففي إعرابهما التفصيل الذي سبق خاصاً بهما .

* * *

(١) ص ٦٢ .

(٢) وزاد التاء في المؤنث .

نداء المجهول - اسمه

إذا أردنا نداء المجهول الاسم وجدنا في اللغة أساليب تختلف باختلاف ذاته ومكانته ؛ فقد نقول له : يا رجل - يا شاب - يا فتى - يا غلام - يا هذا - أيها السيد - أيها الأخ - يا زميل ... كما نقول للأنثى : يا فتاة - يا شابة . يا سيدة أيتها الأخت - يا زميلة . . . إلى غير هذا من الكلمات الصالحة للنداء ، والتي يُترك اختيارها لذوق المتكلم . وبراعته في حسن الاختيار الملائم للمقام ، كما اختار العرب قديماً . وكما يختار المتعلمون اليوم . . .

وبما اختاره العرب أحياناً كلمة : « هَنَّ » لنداء المذكر المجهول ، و « هَنَّة » (بسكون^(١) النون أو فتحها) للمؤنثة المجهولة ؛ تقول : يا هَنَّ . لا تستشعر الوحشة في بلدنا ؛ فالغريب بيننا قريب - يا هَنَّة ماذا تبتغيين ؟ . . . ويقولون في التثنية : يا هَنَّان . . . ، ويا هَنَّتان . . . وفي جمعي السلامة : يا هَنُون^(٢) يا هَنَات .

وربما ختموا هذه الكلمات عند نداءها بالأحرف الزائدة التي قد تختم بها في الندية^(٣) ؛ فيقولون في الأفراد : يا هَنَاهُ ، ويا هَنَتَاهُ ، وفي التثنية : يا هَنَانِيهِ ، ويا هَنَتَانِيهِ ، وفي الجمع : يا هَنُونَاهُ ، ويا هَنَاتُوهُ ؛ بسكون الهاء الأخيرة في كل ذلك عند الوقف ، وحذفها ، وصلاً . وقد تثبت وصلاً في الشعر أو غيره ؛ فتتحرك بالضم أو بالكسر .

ولما كانت « هَنَّ » و « هَنَة » متعددة المعاني اللغوية ، ومن معانيها ما هو محمود وما هو مذموم - كان الأنسب اليوم أن نختار سواها عند نداء المجهول الاسم ، وأن نهجرها بصورها وفروعها المختلفة .

(١) قال الصبان : إنه بسكون النون . وجاء في كثير من كتب اللغة بفتحها . ولعل الفتح أنسب لتاء التأنيث ، وليسائر المذكر في التحرك .

(٢) يجمعونه جمع مذكر ، مع أن شروط جمع المذكر لا تنطبق عليه .

(٣) سيجيء بابها في ص ٨٩ .

المسألة ١٣٣ :

الاستغاثة

إذا وقع إنسان في شدة لا يستطيع — وحده — التغلب عليها ، أو توقع أن يصيبه مكروه لا يقدر على دفعه . . . فقد ينادي غيره لينقذه مما وقع فيه فعلاً ، أو ليدفع عنه المكروه الذي يتوقعه ، ويخاف مجيئه . . .

ومن الأمثلة : مناداة الغريق حين يُشرف على الموت ؛ فيصرخ : « يا للناس للغريق » . ومناداة الحارس زملاءه حين يرى جمعاً من الأعداء مقبلاً فيرفع صوته : « يا للمُحَرَّاسِ للأعداء » . فهذه المناداة لطلب العون والمساعدة هي التي تسمى : « الاستغاثة » ؛ ويقال في تعريفها إنها :

« نداء موجه إلى من يُخَلِّص من شدة واقعة بالفعل ، أو يُعِين على دفعها قبل وقوعها » .

أسلوبها وأركانها :

أسلوب الاستغاثة — على الوجه السالف — أحد أساليب النداء . ولا يتحقق الغرض منه إلا بتحقيق أركانه الثلاثة الأساسية ؛ وهي : حرف النداء « يا » ، وبعده — في الأغلب — : « المستغاث به » ؛ وهو المنادى الذي يُطْلَبُ منه العون والمساعدة . . . ويسمى أيضاً : « المستغاث »^(١) ، وهذا الاسم أكثر شيوعاً هنا ، ثم : « المستغاث له » وهو الذي يُطْلَبُ بسببه العون ؛ إمّا لنصره وتأييده ، وإمّا للتغلب عليه ، كالمثاليين السالفين ؛ فهو الدافع للاستغاثة ؛ لمعاونته ، أو لمقاومته . من هذه الأركان الثلاثة مجتمعة ، يتألف الأسلوب الخاص بالاستغاثة الاصطلاحية^(٢) ، مع مراعاة الأحكام الخاصة بكل ركن منها . وتتركز هذه الأحكام فيما يأتي :

(١) يقال : استغاث الصبي بوالده ، أو استغاث الصبي والدّه ؛ فالفعل يتعدى بنفسه تارة — وهذا هو الأكثر — وبالباء تارة أخرى ، وهذا صحيح أيضاً . فالوالد مستغاث ، أو : مستغاث به .

(٢) هناك أساليب غير اصطلاحية ، كأن يقول الخائف مثلاً : إني أستغيث بك يا والدي — أدركني يا صديق وخلصني — أيها النبيل ادفع عني السوء الذي ينتظرنى . . .

(أ) ما يختص بحرف النداء :

يتعين هنا أن يكون حرف النداء هو : « يا » دون غيره من إخوته ، وأن يكون مذكوراً^(١) دائماً ؛ نحو : يا لَلأحرار لِلْمُسْتضعفين ... فإن تخلف أحد هذين الشرطين لم يكن الأسلوب أسلوب استغاثة .

(ب) ما يختص بالمستغاث (وهو : المندادى) :

١ - الغالب على المستغاث أن تسبقه لام الجذر الأصلية . ومتى وجدت كانت مبنية على الفتح وجوباً ؛ نحو : يا لَلطبيب لِلْمريض ، وقول الشاعر^(٢) :
يا لَلرَّجال لِحررة موءودة^(٣) قُتلتُ بغير جريرة وجُنّاح^(٣)
ووجود هذه اللام ليس واجباً ، إنما الواجب فتحها حين تذكر ...^(٤) ويستثنى من بنائها على الفتح حالتان ، يجب فيهما بناؤها على الكسر :

الأولى : أن يكون المستغاث « ياء المتكلم » ، نحو : يالى لِلْملهوف .
والثانية : أن يكون المستغاث غير أصيل ؛ وذلك بأن يكون غير مسبوق « بيا » ، ولكنه « معطوف » على مستغاث آخر مسبوق بها ؛ فيستكسب من السابق معنى الاستغاثة ، والمراد منها . نحو : يا لَلوالد وَلِالأخ لِلقريب المحتاج . فكلمة « الأخ » ليست مستغاثاً أصيلاً ، لعدم وجود حرف النداء « يا » معها ، ولكنها استفادت معنى

(١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٥ من ص ٣ وفي « أ » من ص ٥ ويحيى في ص ٨٢ .

(٢) البيت لشوقي من قصيدة يرثي فيها منصب « الخلافة » الإسلامية التي آلت إلى سلاطين الترك ، ثم ألغوها سنة ١٩٢٩ وكان لإلغائها ألم عميق إذ ذاك . ومن الأمثلة قول الآخر يعاتب :

أتركني ، وأنت أخى وصنوى ؟ فيا لَلنّاس لِلأمر العجيب

(٣ ، ٢) الموءودة : هى البنت التى كانت تدفن حية عقب ولادتها ، كمادة بعض الأمم القديمة ، ومنهم بعض القبائل العربية الجاهلية . والجريرة الإثم والذنب ، وكذلك : الجناح .

(٤) فيها سبق يقول ابن مالك فى باب عنوانه : الاستغاثة .

إِذَا اسْتُغِيثَ اسْمٌ مُنَادَى خُفِضَ بِاللّامِ مَفْتُوحًا ، كَيَا لِلْمَرْتَضَى

(استغث اسم : أى : استغث به . وخفض ، أى : جر)
يريد : إذا نوى اسم مستغاث به وجب خفض المندادى (أى : جره) بلام مبنية على الفتح ، هو : يا لِلْمَرْتَضَى .

الاستغاثة من « المعطوف عليه » المستغاث الأصيل الذي قبله « يا » وهو الوالد .
ففي هذه الصورة - والتي قبلها - يجب كسر اللام الداخلة على المستغاث .

ويترتب على عدم ذكر « يا » مع المعطوف شيء آخر ، هو صحة ذكر لام الجر معه ، وحذفها ؛ نحو : يا لَطِيبٍ وَلِلسُّمْرِضِ للجريح ، أو :
وَالسُّمْرِضِ للجريح .

فإن ذكرت « يا » مع المعطوف كان مستغاثاً أصيلاً كالمعطوف عليه ، ووجب فتح اللام معهما في المواضع التي يجب فيها بناؤها على الفتح ؛ كقول الشاعر :
يا لَتَقَوِّمِي ، ويا لَأَمثالِ قَوِّمِي لَأُناسٍ عَتَوْهُمْ في ازدياد^(١)

٢ - جميع أنواع المنادى المستغاث ، المحرور بهذه اللام الأصلية ، المسبوق بالحرف : « يا » ، معرب - إذا تحققت شروط ثلاثة^(٢) - منصوب ؛ فهو محرور لفظاً ، منصوب محلاً^(٣) . حتى المفرد العلم ، والنكرة المقصودة ، فلمئهما يعتبران - حكماً ؛ بسبب هذه اللام - من قسم المنادى المضاف ، الواجب النصب^(٤) ، ويلحقان به ، فكل ؛ منهما محرور اللفظ ، منصوب المحل ، (كغيره من بقية أنواع المنادى المستغاث ، المسبوق بالحرف : « يا » ، والمحرور باللام الأصلية) .
لهذا يقال في إعراب المستغاث في الأمثلة السابقة^(٥) (وهي : يا لَطِيبٍ . . . يا للرجال . . . وأشباهاها -) اللام حرف جرّ أصلي ، والطبيب . . . أو الرجال . . . منادى منصوب بفتحة مقدرة ، منع من ظهورها الكسرة التي جلبها حرف الجرّ . والجر والمحرور متعلقان « بيا » : لأنها نائبة عن الفعل « أدعو »

(١) يقول ابن مالك في هذا :

وافتَحَ مَعَ الْمُعْطُوفِ إِنْ كَرَّرْتَ « يا » وَفِي سِوَى ذَلِكَ بِالْكَسْرِ اثْنَيْنِ

إذا تكررت « يا » بأن ذكرت مع المعطوف وجب فتح لام الجر الداخلة عليه . وفي غير هذه الصورة يجب كسر اللام معه . وهذا يشمل ألا تذكر « يا » مع المعطوف ، كما يشمل اللام الداخلة على المستغاث له إن كان اسماً ظاهراً ، أو ضميراً هو ياء المتكلم . ولم يتعرض لوجوب فتح اللام مع الضمائر الأخرى . كما سنعرف .
(٢) وهي الشروط الثلاثة المذكورة بعد .

(٣) كيف يكون له مثل من الإعراب مع أصالة اللام الجارة ؟ - انظر الإجابة في رقم ٣ من هامش الصفحة الآتية .

(٤) كما سبق في ص ١٣ و ٢٦ . (٥) في ص ٧٨ .

أو ما بمعناه^(١).

وإذا جاء لهذا المنادى تابع فإنه يجوز فيه الجر ، مراعاة للفظ المنادى ، والنصب مراعاة لمحله ، — وهذا هو رأى الأنسب الذى يحسن الأخذ به^(٢) — تقول : يا لملطبيب الرحيم... يا لمرجال الشجعان ، بجر كلمتى : الرحيم والشجعان ، أو نصبهما .

أما الشروط الثلاثة التى لا بدّ من اجتماعها ليكون المستغاث معرباً منصوباً ، فهى : أن يكون معرباً فى أصله قبل النداء ، وأن تكون لام الجر مذكورة ، وقبلها : « يا » مذكورة أيضاً .

أما إن كان المستغاث مبنياً فى أصله ؛ نحو : يا لسهذا لملصالح ... فالواجب إبقاؤه على حالة بنائه الأصيل ، ويكون فى محل نصب . فكلمة : « هذا » فى المثال السالف منادى ، مبنى على ضم مقدر ، منع من ظهوره سكون البناء الأصيل ، فى محل نصب^(٣).

(١) كما عرفنا فى دوه من ص ٧ .

(٢) كما سبق فى ص ٥٧ ... ليكون هذا الحكم عاماً يخضع له التابع فى الاستغاثة ، كما يخضع فى غيرها من بقية أساليب النداء .

(٣) رأى الأقوى — بين آراء متعددة — أن المستغاث المجرور باللام الأصلية ، المغرب قبل النداء ، مغرب مجرور باللام فى محل نصب . وأن حرف الجر أصلى وهو مع مجروره متعلقان بحرف النداء « يا » لنيابته عن الفعل : أدعو ، أو ما يشبهه — كما عرفنا أول الباب ، فى دوه من ص ٧ و ٨ لكن كيف يكون معرباً مع أن له محلاً ؛ والإعراب المحلى لا يكون للمغرب الأصيل — فى الصحيح؟ وإذا صح أن له محلاً فما محله؟ أهو الجر باللام الجارة — وهى أصلية — أم النصب بالنداء؛ إذ لا يمكن أن يكون له محلان؟

ولا يفيد فى إزالة الاعتراض اعتبار اللام حرف جر زائد لا يحتاج مع مجروره إلى تعليق ؛ لأن هذا الاعتبار لا قيمة له فى بعض الحالات ؛ كأن يكون المستغاث المجرور باللام مبنياً فى أصله قبل النداء ؛ (مثل : يا لهذا للصائح — أو : يا لك للداعى ...) إذ المنادى هنا مبنى أصالة قبل النداء ؛ فيتعين أن يقال فى إعرابه إنه مبنى على ضم مقدر . منع من ظهوره علامة البناء الأصيل ، وأنه فى محل كذا ؟ فما محله هنا ؟ أهو الجر ، أم النصب ؟ ولا يمكن أن يكون له محلان . وإذا تخيرنا أحدهما هنا وهناك فما وجه الترجيح ؟ ... و ...

وبالرغم من هذا التعارض لا مفر من الأخذ بأحد رأيين :

١ — إما الرأى السامح الذى يعرب المستغاث المجرور باللام الأصلية الذى ليس مبنياً قبل النداء =

وأما إن كانت اللام محذوفة فيجوز أن تجيء ألف في آخر المستغاث ؛ عوضاً عنها ، ولا يصح الجمع بين اللام والألف . ومع وجود هذه الألف يبقى المنادى دالا على الاستغاثة كما كان ^(١) ولكنه لا يعتبر في هذه الصورة ملحقاتاً بالمنادى المضاف (بالرغم من وجود الألف التي هي عوض عن اللام) ، وإنما هو مبني على الضم المقدر ^(٢) . في محل نصب ؛ لأن اعتباره ملحقاتاً بالمضاف واجب النصب متوقف على وجود اللام نفسها ، لا على وجود عوض عنها بعد حذفها ^(٣) .

ومن الأمثلة : يا عالِمًا للجاهل . وقول الشاعر :

يا يَزِيدَا لِمَلِّ زَيْلٍ عِزٌّ وَغِنًى بَعْدَ فِاقَةٍ وَهَوَانٍ

ف عند إعراب المنادى في المثالين المذكورين : (عالِمًا . . . يزيدًا . . .) يقال : منادى ، مبني على ضم مقدر على آخره (منع من ظهوره الفتحة التي

= منادى مجرور باللام في محل نصب ، برغم أنه معرب ، والمعرب - في غير هذا - لا يكون له محل ، وأن المبني أصالة مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها سكون البناء الأصلي ، أو علامة البناء الأصلي - إن كانت علامته غير السكون - في محل نصب أيضاً . ولا يخلو هذا الرأي بشطريه من ضعف ؛ بسبب مخالفته بعض قواعدهم العامة ، ولكنه أهون مخالفة من غيره .

ب - وإما الرأي الذي يعتبر اللام حرف جر زائد ، وما بعدها مجرور في اللفظ ، وله محل إعرابي آخر ، وهما لا يتعلقان . فالمستغاث المعرب أصالة مجرور بها لفظاً في محل نصب ، وهي مبنية على الفتح إلا في صورتين السالفين (وهما : « المستغاث المعطوف » الذي لم تسبقه « يا » وكذا « المستغاث ياء المتكلم » فتبني على الكسر) والمستغاث المبني أصالة - أي قبل النداء ، - كاسم الإشارة ؛ مثل : يا لهذا . - يكون مجروراً بكسرة مقدرة منع من ظهورها علامة البناء الأصلي - في محل نصب . فزيادة « اللام » - لا أصالتها - هي التي توجب للمنادى إعراباً لفظياً ، وآخر محلياً معاً . أما أصالتها فتقتضي اللفظي وحده ، فإذا اقتضت معه محلاً كان هذا الاقتضاء عيباً .

(١) بشرط وجود قرينة تدل على الاستغاثة ، وعلى أن هذه الألف للعوض وحده ، وليست منقلبة عن ياء المتكلم التي سبق اللام عليها في ص ٥٨ ، ولا عن غيرها . . .

(٢) بسبب الفتحة الطارئة لمناسبة الألف .

(٣) يقول ابن مالك :

وَلَا مَ مَا اسْتَغِيثَ عَاقِبَتُ أَلِفٌ وَمِثْلُهُ اسْمٌ ذُو تَعَجُّبٍ أَلِفٌ

(أي : عاقبها ألف ، بمعنى : جاءت عقبها ، وحلت في مكانها بعد حذفها) وبين لهذا التعاقب موضوعين ؛ هما : ما استغِيثَ به (أي : المستغاث) والاسم المتعجب منه في أسلوب التعجب الآتي ، ص ٨٦ .

جاءت لمناسبة الألف) ، في محل نصب^(١) ويجرى على توابعه - في الرأي الأصح - ما يجرى على توابع المنادى المبني على الضم^(٢) من أحكام إعرابية مختلفة ؛ ومنها : جواز الرفع والنصب في بعض الحالات ؛ فالرفع مراعاة شكلية للفظ المنادى ، والنصب مراعاة لمحلّه . ولا يصح مراعاة الفتحة الطارئة لمناسبة الألف^(٣) .

ولإذا وقف على المستغاث المختوم بالألف فالأحسن مجيء هاء السكت الساكنة نحو : يا عالمآه° . . . وتحذف عند الوصل .

فإن حذفت لام الجر بغير تعويض كان حكم المستغاث حكم غيره من أنواع المنادى التي ليست للاستغاثة ، كقول الشاعر :

ألا يا قومُ للعجبِ العجيبِ ولِلْمَغْتَالَاتِ تَعْرِضُ لِلْأُرَيْبِ

فيصح في كلمة : « قَوْمٌ » أن تكون منادى منصوباً ؛ لإضافته إلى ياء المتكلم المحذوفة ، وبقيت الكسرة المناسبة لها دليلاً عليها . (ولا بد من قرينة تال على أن النداء للاستغاثة) . ويصح أن تكون مبنية على الضم (باعتبارها نكرة مقصودة) في محل نصب .

وأما إذا حذفت « يا » أو كان حرف النداء حرفاً آخر غيرها ، فإن الجملة لا تكون من باب : الاستغاثة - كما تقدم^(٤) .

٣ - كل ما يصلح أن يكون منادى يصلح أن يكون مستغاثاً ؛ غير أنه يجوز - هنا - الجمع بين « يا » و « أل » التي في صدر المستغاث ، بشرط أن

(١) فإن كان المستغاث مثنى أو جمع مذكر سالماً وحذفت قبلهما لام الجر فإنهما يبنيان على ما يرفعان به من ألف أو واو . ويصح مجيء الألف بعد نونهما للتعويض ، فيقال : يا محمودان - ويا محمودونا . وإذا كان المستغاث المجرور باللام مضافاً ؛ مثل : يا أعوان محمود لمحمود - جاز حذف - اللام من المضاف وزيادة الألف في آخر المضاف إليه ؛ عوضاً عنها ؛ فيقال : يا أعوان محموداه ، فالمضاف منادى منصوب مباشرة ، والمضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها الفتحة التي جاءت لمناسبة الألف ، (وهي فتحة طارئة لا تلاحظ في التوابع ولا غيرها) وإلهاء للسكت . - طبقاً لما سيجيء مباشرة -

(٢) سبق بيان أحكامها في ص ٤٠ .

(٣) راجع رقم ١ من هامش ص ٤٢ ، ثم ص ٤٥ .

(٤) في « أ » من ص ٧٨ .

يكون مجزوراً باللام المذكورة ، لتفصل بينهما ؛ كما في الأمثلة المتقدمة . فإن لم يتحقق الشرط لم يصح الجمع ^(١) .

٤ - قد يحذف المستغاث ، ويقع المستغاث له بعد « يا » في موضعين .

أحدهما : أسلوب مسموع يلتزم فيه الحذف - على الرأي الصحيح - وهو « يالى » ، بشرط أن يكون مقتصراً على هذا الجملة المشتملة على « يا » وعلى « المستغاث له » وحده ، الحالية مما يصلح أن يكون « مستغاثاً به » ؛ نحو : (عرفت الأحق فاكثوت بحمقه ؛ فيالى . وصاحبت العاقل فأمنت أذاه ؛ فيالى ؛ ما أنفع العقل الرجيع) . والأصل - مثلاً - يا لئنصار لى ، ويا لئلاخوان لى .

ثانيهما : أسلوب قياسي - وهو قليل مع قياسته وجوازه - ويشمل كل أسلوب يكون اللبس مأموناً فيه عند الحذف ؛ كقول الشاعر :

يَا ... لِأَنَّا سَأَبَوْا إِلَّا مُنْأَبِرَةً عَلَى التَّوَعُّلِ فِي بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
والأصل : - مثلاً - يا لئنصارى لئنأس أبوا ... « فالأناس » هم المستغاث لهم . ولا لبس في هذا ؛ لأن ضبط اللام بالكسر - نطقاً وكتابة - يمنعه ، وإذا لم تضبط فالعنى يمنعه أيضاً ؛ إذا لا يعقل أن يكون الأناس مستغاثاً بهم ، مع اتهامهم بالتوغل الدائب فى البغى والعدوان ؛ فممن شأنهم هذا التوغل لا يستغيث بهم أحد .

(>) ما يختص بالمستغاث له :

١ - يجب تأخيرها عن المستغاث .

٢ - ويجب جره بلام أصلية مكسورة دائماً . - كالأمثلة السابقة - إلا فى حالة واحدة ؛ هى : أن يكون المستغاث له ضميراً لغير ياء المتكلم فتفتح لام الجر ^(٢) ؛ نحو : يا لئنصاح لئنا ، ويا لئنمخلص لئكم ... بخلاف :

(١) سبقت الإشارة لهذا ، فى ص ٢٨ الحالة الثالثة .

(٢) لوجب فتحها دائماً إذا دخلت على ضمير غير ياء المتكلم ؛ سواء أكان ما بعدها مستغاثاً أم غير مستغاث .

يا لكرائد لي ؛ لأن الضمير ياء المتكلم .

وفي جميع الصور تتعلّق اللام وبجروها بحرف النداء « يا » .

٣ - يجوز حذفه إن كان معلوماً واللّبس مأموناً ؛ كقول الشاعر :

فهل من خالدٍ إمّا ^(١) هلكنا وهل بالموت يا لکناس عارُ

والأصل : يا لکناس لِّلشّامتين ، أو نحو ذلك . وقول الآخر :

يا لَقَوِي . . . مَن للعلا والمَساعي يا لَقَوِي . . . مَن للندى والسّماح ؟

٤ - يجوز - عند قيام قرينة - الاستغناء عن هذه اللام ، والإتيان بكلمة :

« مِن » التعليلية ^(٢) عوضاً عنها ؛ بشرط أن يكون المستغاث له مستنصرٌ عليه ،

(أى : أن يكون القصد من الاستغاثة التغلب عليه ، وإضعاف أمره . . .)

نحو : يا لأكحرار من الخادعين المنافقين ، وقول الشاعر :

يما لكرجال ذوى الألباب من نفَرٍ لا يبرحُ السّفَه المُردِي ^(٣) لهم دينا

فإن لم يكن مستنصرٌ عليه بأن كان مستنصرأ له لم يصح مجيء « مِن »

وتعينت اللام .

* * *

بقيت بعض أحكام عامة أهمها :

١ - جواز وقوع المستغاث به والمستغاث له ضميرين ؛ نحو : يا لك لي ؛

يقولها من يستغيث المخاطب لنفسه .

٢ - جواز أن يكون المستغاث هو المستغاث له في المعنى ؛ كقولك في النصيح

الريق لمن يُهمل ، واسمه على - مثلاً - : يا لعلّي ، لعلّي ، تريد : أدعوك

لتنصف نفسك من ذفسك .

(١) هي : « إن » الشرطية المدغمة في : « ما » الزائدة .

(٢) أى : السببية . (وهي الدالة على التعليل ، وبيان السبب) وإنما يصح وقوع « من » التعليلية

بعد « يالى » بشرط أن يكون ما بعدها غير مستغاث به ؛ كقول الشاعر :

فيا شوقاً ما أبقي ! ويالى من النوى ! ويادمع ما أجرى ! ويقلب ما أقسى !

(٣) المهلك .

٣- إذا وقع بعد « يا » اسم مجرور باللام ، لا يُنَادَى إلا مجازاً ؛ — لأنه لا يَتَعَقَل — وليس بعده ما يصلح أن يكون مستغاثاً ، جاز فتح اللام وكسرها ؛ نحو : يا لِّلْعَجَب — يا لِّلْمَرْوَةِ — يا لِّلْكَارِثَةِ . . . فالفتح على اعتبار الاسم مستغاثاً به ، مجازاً ، (لتشبيهه بمن يستغاث به حقيقة ، أى : يا عجب ، أو : يا مروءة . . . أو : يا كارثة . . . احضُر ، أو : احضِرِ ، فهذا وقتك) . والكسر على اعتبار الاسم مستغاثاً له . والمستغاث محذوف . فكأنَّكَ دعوت غيره تنبيهه على هذا الشيء ، والأصل — مثلاً : — يا لِّقَوِي لِّلْعَجَب ، أو : لِّلْمَرْوَةِ أو لِّلْكَارِثَةِ^(١) . . .

أما في مثل : « يا لك »^(٢) — بكاف الخطاب : للعاقل وغيره — فاللام واجبة الفتح^(٣) ولكن الكاف تصلح أن تكون مستغاثاً به أو : مستغاثاً له ، على الاعتبارين السالفين .

(١) وعلى هذين الاعتبارين يجوز فتح اللام وكسرها في المنادى المقصود منه التعجب ، وهو الموضوع الآتي بعد هذا مباشرة . — كما هو مبين في الحكم الثاني ، من ص ٨٧ — والمعنى لا يختلف على اعتبار الأسلوب للاستغاث ؛ تقديرًا ، أو اعتباره للدعاء المقصود به التعجب ؛ إذ المآل المعنوي فيهما واحد ، برغم اختلاف التقدير .

(٢) يساعد على إعراب هذا الأسلوب ما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٨٠ .

(٣) لما أوضحناه في رقم ٢ من هامش ص ٨٣ .

المسألة ١٣٤ :

النداء المقصود به التعجب

أسلوبه :

راقبَ أحدُ الشعراءِ البدرَ في ليلةٍ صافيةٍ ، فبهره جماله ، وتماستدارته .
ولطُفَ حركته . . . فأعلن إعجابه وإكباره بقصيدة مطلعها :

يا لَلْبَدُورُ ، ويا لَلْمُحْسِنُ ؛ قد سَلَبَا مِنِّي الفؤادَ ؛ فأَمْسَى أمرُهُ عَجَبًا
وراقبَ آخرُ الشمسِ ساعةَ غروبها ، وما ينتابها من صُفْرةٍ ، وتغير ،
واختفاء ؛ فامتَلأتْ نفسه بفيضٍ من الخواطر ، سجله في قصيدة منها :

يا لَلْمُغْرُوبَ ، وما به من عِبَرَةٍ لِلْمُسْتَهَامِ ، وَعِبَرَةٍ لِلرَّاءِي
أو ليس نَزْعًا للنهار ، وصِرْعَةً لِلشَّمْسِ بين جنازةِ الأضواءِ ؟

وتكشَفَ يوم من أيام الربيعِ الباسمة عن صباحِ عاصفٍ ، متجهٍ ، قارسٍ ،
فقال أحدُ الشعراءِ أرجوزةً مطلعها :

يا لَلصَّبَاحِ أَغْبِرِ الأديمِ قد طَعَنَ الربيعَ في الصميمِ

فهذه الأساليب : (يا لَلْبَدُورُ — يا لَلْمُحْسِنُ — يا لَلْمُغْرُوبُ — يا لَلصَّبَاحِ ...
وأشباهها) قد تَوَهَّمَ في مظهرها اللفظي ، وهيئتها الشكلية أنها أساليب استغاثة ؛
— كالتى مرت في الباب السَّالِفُ^(١) — لاشتغالها على حرف النداء : « يا » ،
وعلى منادى مجرور باللام المفتوحة . ولكنها في حقيقتها ليست باستغاثة ؛
نحوها — في الغالب — من المستغاث به الذى يوجَّه له النداء حقيقة^(٢) ، لا مجازاً ،
وما يصلح أن يكون مستغاثاً حقيقياً ، (لا مجازياً) ، ولأنَّ المتكلم بها على هذه
الصورة لا يطلب التخلص من شدة واقعة ، ولا دفع مكروه متوقع . وإنما هي
أساليب نداء ؛ أريد بها التعجب من ذات شيء ، أو كثرته ، أو شدته ، أو أمر

(١) ص ٧٧ .

(٢) الأصل في النداء الحقيقى أن يكون موجهاً لما قل ، وإلا فهو نداء مجازى لداع بلاغى .

طابقاً للبيان الذى في ج ص ٥ .

غريب فيه ، أو غرض آخر مما سنبينه ؛ فهي نداء خرج عن معناه الأصلي إلى هذا الغرض الجديد ، وجاءت صورته الشكلية على صورة الاستغاثة ، دون أن يكون منها في المعنى والبراد .

وقد ينادى العَجَبُ نفسه - مجازاً - للمبالغة في التعجب ؛ فيقال :
يا عجبُ - يا لَعَجَب - يا عجباً للعاق - .

أحكامه :

١ - يجوز أن يشتمل المنادى المقصود به التعجب ، على لام الجر ، كما يجوز أن يخلو منها ؛ وقد مرّت الأمثلة للحالتين . والشائع عند حذف هذه اللام أن تجيء الألف في آخره عوضاً^(١) عنها ؛ فيقال عند القرينة^(٢) ؛ يا بدوراً . . . يا حُسناً . . . يا عَجَباً . . . ، ولا يجوز اجتماعهما . ويجوز عند الوقف على المختوم بالألف مجيء هاء السكت الساكنة : نحو : يا بدوراه - يا حسناه .

٢ - يجوز في المنادى المقصود منه التعجب فتح اللام الداخلة عليه وكسرها ، على الاعتبارين اللذين سبق لإيضاحهما في الحكم الثالث من الأحكام العامة التي وردت في آخر باب « الاستغاثة »^(٣) .

٣ - جميع الأحكام النحوية الأخرى التي ثبتت للمنادى المستغاث - ومنها : الإعراب ، والبناء ، ووجود الحرف : « يا » دون غيره - ثبتت للمنادى المتعجب ، برغم اختلافهما غرضاً ودلالة .

* * *

(١) وإلى هذا أشار ابن مالك في النصف الثاني من البيت الذي سبق في ص ٨١ ، ونصه :

وَلَا مَ مَا اسْتُغِيثَ عَاقِبَتُ أَلِفٍ وَمِثْلُهُ اسْمٌ ذُو تَعَجُّبٍ أَلِفٍ

(٢) لا بد أن تكون القرينة دالة على التعجب ، وعلى أن الألف التي في آخر المنادى هي للعوض وحده ، وليست منقولة عن ياء المتكلم - كالتى سبق الكلام عليها في ص ٥٨ - أو عن غيرها .

(٣) رقم ٣ من ص ٨٥ وقد أوضحنا في رقم ١ من هامش تلك الصفحة أن المعنى لا يتغير باعتباره للاستغاثة ، أو للنداء المقصود به التعجب ، لأن المال المعنوي واحد فيهما ، برغم اختلاف التقدير .

الغرض منه :

الباعث إلى التعجب بأسلوب النداء أحد أمرين :

١ - أن يرى المرء شيئاً عظيماً يتميز بذاته ، أو بكبرته ، أو شدته . أو غرابة فيه . . . ؛ فينادى جنسه ؛ إعلاناً بإعجابه ، وإذاعة به ، كالأمثلة السالفة .

٢ - أن ينادى من له صلة وثيقة بذلك الشيء ، وتخصص فيه ، وتمكن منه . حمداً له وتقديراً ، أو : طلباً لكشف السرّ فيه ، ومواطن العجب ؛ كأن يسمع عن طيارات غزو الفضاء ، واختراق الغلاف الجوى ، أو الدوران حول الأرض كلها في بضع ساعات ، أو إرسال رُؤاد وأجهزة علمية إلى سطح القمر . . . - فيقول :

يا لِّلْعِلْمَاءِ ، أو : يا لِّلْعِاقِرَةِ . وكنقول شوق : (في قيصر الرومان الذى فتنته كلابوباترة ، وقضت على ملكه ، وعليه . .) :

ضَيَّعَتْ قَيْصَرَ الْبَرِيَّةَ أَنَّثَى يَا لِّرَبِّىْ مِمَّا تَجْرُ النِّسَاءُ . . .

هذا ، والتعجب بكل أنواعه وصيغته - كما سبق في بابه ^(١) - ليس مقصوراً على الأمر الحميد أو المحبوب ، وإنما يكون فيهما ، وفي الذميمة أو البغيض .

المسألة ١٣٥ :

النَّدْبَةُ

يَتَّضِحُ معناها مما يأتي :

١ - قيل لأعرابي : « مات عثمانُ بنُ عفانَ اليومَ ... » فصرخ :
(وا عثمانُ ، وا عثمانُ . أثابك الله وأرضاك ؛ فلقد كنت عابراً القلب بالإيمان ،
شديد الحرص على دينك ، باراً بالفقراء ، مُقْنَعاً بالحياء ...) .

٢ - وقيل لعمر - رضى الله عنه - : أصابنا جَدَبٌ شديد ... فصاح :
وا عُمَرَاه ، وا عُمَرَاه .

٣ - وقيل لفتى يتأوه : ما بك ؟ فأمسك رأسه ، وقال : وا رأسى .

وقيل لآخر : مالك تضع يدك على كبدك ؟ فردد قول الشاعر :

فوا كَبِيداً من حبٍّ من لا يحبني ومن عِبْرَاتٍ ما لهن فناءُ

٤ - وسئل غنى افتقر : أين أعوانك وخدامك والمحيطون بك ؟ فقال فى أسف
وحسرة : وا فقَرَاه .

ففى الأمثلة السابقة أساليب نوع من النداء يُسمى : « النَّدْبَةُ » ؛ ومنه :
وا عثمان - وا عُمَرَاه - وا رأسى - وا كَبِيداً - وا فقَرَاه ... ويقولون فى تعريفها :
(إنها نداء موجهٌ للمتفجع عليه ، أو للمتوجَّع منه) ^(١) . يريدون بالمتفجع عليه :
من أصابتهُ المنيّة ، فحملت الناس على إظهار الحزن ، وقلة الصبر ؛ سواء أكانت
الفجعية حقيقية كالتي فى المثال الأول : « وا عثمان » ، أم حكميّة كالتي فى المثال
الثانى : « وا عُمَرَاه » فإن عُمَرَ حين قال ذلك كان حيّاً ، ولكنه بمنزلة من أصابه
الموت ؛ لشدة الألم ، والهول الذى حلّ به ^(٢) .

(١) سبقت إشارة لهذا فى رقم ٢ من هامش ص ٢ .

(٢) وما يصلح للفجعية الحكميّة النداء المجازى فى مثل قول المرى :

فواعجباً ، كم يدعى الفضل ناقصٌ ووا أسفًا ، كم يُظهر النقص فاضلٌ =

ويريدون بالمتوجع منه : الموضع الذى يستقر فيه الألم ، وينزل به ، (كالمثال الثالث : وارأسى - واكبدا) ، أو : السبب الذى أدّى للألم وأحدثه ؛ (كالمثال الرابع : وافقراه) ؛ فالمتوجع منه هو مكان الألم ، أو سببه .

والمنادى فى هذه الأساليب - وأشباهها - يسمى : المندوب^(١) ، فهو : المتفجع عليه ، أو المتوجع منه .

والغرض من الندبة : الإعلام بعظمة المندوب ، وإظهار أهميته ، أو شدته ، أو العجز عن احتمال ما به .

ومن المندوب وحرف النداء يتألف أسلوب « الندبة الاصطلاحية »^(٢) فهما ركناه . ولكل منهما أحكامه التى تتلخص فيما يأتى :

(١) حرف النداء :

١ - لا يستخدم فى الندبة إلا أحد حرفين من أحرف النداء :

أحدهما : أصيل ، وهو : « وا » ؛ لأنه مختص بالندبة ، لا يدخل على غير المنادى المندوب ؛ كالذى فى الأمثلة السالفة .

والآخر غير أصيل ؛ وهو : « يا » ؛ لأنه غير مختص بالندبة ، وإنما يدخل على المنادى المندوب وعلى سواه . واستعمال « يا » قليل هنا ، وهو - على قِلَّته - جائز ، بشرط أمن اللبس بوجود القرينة الدالة على أن الأسلوب للندبة ، لا لنوع آخر من أساليب النداء . ومن الأمثلة ما جاء فى خطبة أحد الأدباء يرثى زعيمًا^(٣) وطنيًا فوق قبره :

« فهو يتدب العجب والأسف ، وكأن كلا منهما قد مات فى وقت اشتداد الحاجة إليه . ويشترط فى هذه الصورة أن تكون الندبة للعجب نفسه ، وكذا للأسف من غير إضافتهما لباء المتكلم المنقلبة ألفاً ، وإلا كانت هذه الألف ليست للندبة - كما سيحىء فى رقم ١ من ص ٩٤ وفى رقم ١ من ص ٩٩ - (١) هل المندوب منادى ؟ الجواب فى رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية .

(٢) تعريف الندبة وأسلوبها الاصطلاحى ، هو ما ورد هنا . وهناك أساليب غير اصطلاحية لا شأن لها بالضوابط والأحكام الآتية ؛ كأن يقال : ما أشد الفجعة فى فلان ، أو فقدنا فلاناً ، أو كانت المصيبة فيه فوق الاحتمال . . أو . .

(٣) هو محمد فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى المتوفى سنة ١٩١٩ فى منفاه ببرلين ، ثم أحضره الوطنيون ، ودفن بالقاهرة خلال تلك السنة .

« لقد أفنيت عمرك في الجهاد ، واستنزفت مالك — وما كان أكثره — في طلب الحرية للبلاد ، واسترجاع الحق المغصوب ، والاستقلال المسلوب ، حتى ذاب جسمك ، وانطفأ مصباح حياتك ؛ فأه !! آه !! يا محمداه . . . » .

فلا مجال للالتباس هنا ؛ لأن المقام مقام رثاء ، والمنادى الذى دخلت عليه « يا » ميت . . .

٢ — ولا بد في أسلوب التذبة من أن يُذكر أحد هذين الحرفين ؛ فلا يصح حذفه^(١) ، ولا الاستغناء عنه بعروض أو بغير عوض . . .

(ب) المنادى ، وهو المندوب^(٢) هنا :

١ — كل اسم يصلح أن يكون مندوباً ، إلا نوعين من الأسماء :

أحدهما ؛ النكرات العامة ؛ (وهى الباقية على أصلها من الإبهام والشيوع ، وتشمل النكرة المقصودة — مثل : رجل — فتاة — عالم — طيبة . . .) وهذه النكرات العامة لا تصلح أن تكون مندوباً إذا كان متوجعاً عليه ، أما إن كان متوجعاً منه فتصلح ؛ نحو : وامصيتناه . . . ، في مصيبة غير معينة^(٣) . . .

والآخر : بعض المعارف^(٤) . وينحصر في الضمير ، وفي اسم الإشارة الخالى

(١) سبقت الإشارة لهذا في « ب » من ص ٣ .

(٢) يقر بعض النحاة : إن المندوب ليس منادى حقيقة ؛ وإنما هو على صورة المنادى . وحجته : أنك لا تريد منه أن يجهك ، ويقبل عليك ، وأنهم منعوا في النداء . « يا غلامك » ، ونحوه مما يكون فيه المنادى مضافاً إلى المخاطب ؛ لأن خطاب المضاف المنادى يناقض في مدلوله المراد من المضاف إليه ، فلا يجمع بين خطابين في جملة واحدة (كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٤) مع أن هذا واقع في أسلوب التذبة ؛ مثل : واغلامك . . .

وقال آخرون : إنه منادى . وتصدى آخرون للتوفيق بين الرأيين بما صرح به الرضى من أنه منادى مجازاً لا حقيقة ، فإذا قلت في التذبة : « واحمداه » فكأنك تقول له : أقبل ؛ فإنى مشتاق إليك — مثلاً — وإذا قلت : « واحزنه » فكأنك تقول : احضر حتى يعرفك الناس فيعذروني فيك . ورأى الرضى هو الجدير بالأخذ به ، والاقتصار عليه .

(٣) كما سيجيء في ص ٩٣ .

(٤) وحجتهم أنه لا يخلو من إبهام ، كما سبق في أبوابه . والمندوب لا بد أن يكون معيناً لا إبهام فيه ، ليتحقق الغرض من التذبة .

« أَلْ » . وبشرط اشتهاار الصلة بين المتخاطبين ، وإلا بعض المقرون « بَال » مما يصلح لنداء^(١) .

٢ - حكم المندوب من ناحيتى الإعراب والبناء حكم غيره من أنواع المندادى فيجب بناؤه على الضم إن كان علماً مفرداً . أو نكرة مقصودة : مع مراعاة التفصيل الخاص بكل ...^(٢) نحو : وا عمر - وا عثمان . وا رأس - وا كبند ... وأشباههما مما عرضناه فى الأمثلة الأولى وما لم نعرضه .

ويجب نصبه إن كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف^(٢) ؛ فثال المضاف قول الشاعر فى قصيدة يرثى بها عالماً دينياً كبيراً^(٣) :

وا خادماً الدين والفصحى وأهلها وحارس « الفقه » من زيغ وبهتان
ومثال الشبيه به ما قيل فى رثائه : وإناشراً راية العرفان عالية .

ويلحق بالشبيه النكرة المقصودة الموصوفة ؛ كقولهم فى رثاء الإمام على :

وا إماماً خاض أرجاء الوغى يصرعُ الشركَ بسيفٍ لا يُفسلْ

أما النكرة غير المقصودة فلا تصلح مندوبة ؛ إذا كانت للمتفجع عليه لا للمتوجع منه - كما سبق^(٤) - فلا يقال : « وارجلأه » لغير معين .

وإذا اضطر شاعر لتكوين المندوب المفرد جاز رفعه ونصبه كما جاز له هذا فى المندادى المفرد الذى سبق الكلام عليه^(٥)

(١) وقد سبق بيانه فى ص ٣٦ .

(٢ و ٢) سبق إيضاح شامل للمفرد العلم ، والنكرة المقصودة ، والنكرة غير المقصودة ، والمضاف ، وشبهه . فى أول باب « المندادى » ص ٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) هو الأستاذ الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٩٠٥ (٤) فى ص ٩١ .

(٥) فى « د » من ص ٢٤ - ويقول ابن مالك فى باب مستقل : عنوانه : « الندبة » مبيناً ما سبق من أن حكم المندوب هو حكم المندادى المحض ، وبيان ما لا يندب ، وأن الموصول يندب بما اشتهر به : ما للمندادى اجعل المندوب . وما نُكَّرَ لم يُندَبْ ، ولا ما أبهماً ويندب الموصول بالذى اشتهر كثير زَمَزَمَ ؛ يلى : وامن حفر

(يل وامن حفر ، أى يقع بعد قولك : وامن حفر . أى : وامن حفر بشر زمزم) .

يريد : أن الموصول يصح أن يكون مندوباً بسبب اشتهاره بصلته . وضرب لهذا مثلاً هو : وامن =

٣ - الغالب في المندوب أن يختم - جوازاً - بألف زائدة تتصل بآخره ، إما حقيقة ؛ نحو : وا عُمَـرَاه ، وقول المتحسر :

فوا أسفناً^(١) من مكرّمات أروها فيسْنَهضني عزمي ، ويقعدني فقرى

وإما حكماً ؛ كالتى تزداد في آخر المضاف إليه لغير ياء المتكلم^(٢) إن كان المندوب مضافاً ؛ نحو : وا عبد الملكاه^(٣) .

والغرض من زيادة الألف مدّة الصوت ليكون أقوى بنبراته على إعلان ما في النفس . وزيادتها ليست واجبة ، وإنما هى غالبية - كما قلنا - لكنها إن زيدت وجب لها أمران .

فأما أحدهما : فحذف التنوين إن وُجد قبل مجيئها في آخر المندوب المبني ، أو في آخر المضاف إليه ونحوه ؛ فمثال حذفه من المبني نُدْبَةُ العلم المحكى حكاية إسناد^(٤) ؛ نحو : وازادَ محموداً ؛ فيمن اسمه : « زاد محمود » ومثال المضاف إليه :

= حفر بئر ززم . والذي حفرها هو عبد المطالب ، وشاح بين الناس هذا ، فكانت قلت : واعبد المطلب . (١) مع مراعاة الشرط الذى سبق في رقم ٢ من هامش ص ٨٩ والذي يقتضى أن تكون الندبة هنا للأسف نفسه من غير إضافة لياء المتكلم المنقلبة ألفاً و . . . أما المندوب المضاف لياء المتكلم فتفصيل الكلام عليه في ص ٩٩ .

(٢) لأن المندوب المضاف لياء له حكم مستقل (سيجيء في ص ٩٩) . ومن اتصالها حكماً زيادتها في آخر بعض التوابع ، وزيادتها في صلة الموصول المجرد من « أل » عند من يبيع ندبته ، فيقول : وامن بنى هرم مصرًا - وامن أنشأ مدينة القاهرة . ويصح : مصره ، والقاهرته ؛ بزيادة هاء السكت الساكنة ؛ كما سيجيء هنا . وإنما كانت الزيادة التى في آخر المضاف إليه فى آخر الصلة - وأشباهها ؛ كالتابع - حكية ، لأنها لم تصل بآخر المندوب مباشرة . وإنما اتصلت بآخر شيء وثيق الارتباط به ، إذ المضاف والمضاف إليه متلازمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر ؛ فالزيادة المتصلة بآخر المضاف إليه تعبير حكماً وتأويلاً بمنزلة المتصلة بآخر المضاف . وكذلك الشأن فى الزيادة المتصلة بآخر الصلة ، والتابع . هذا تعليل النحاة . والعلة الحقّة هى استعمال العرب .

(٣) الهاء للسكت . والكلام عليها في ص ٩٦ .

(٤) اشتمل المثال على ندبة العلم المحكى إسناداً ؛ لأنه الذى يوجد فيه التنوين مع النداء ؛ تحقيقاً للحكاية . ولا يحدف هذا التنوين إلا مع زيادة ألف الندبة - كما سيجيء هنا ، وفى « ب » من ص ٩٧ أما المنادى العلم المفرد فبنى على الضم ؛ فلا تنوين فيه اختياريًا - كما عرفنا فى - « د » من ص ٢٤ - وإنما يوجد التنوين أحياناً فيما يتممه ، كصلة الموصول عند من يعتبره مفرداً ، وأما المندوب =

وا حارس بيتاه . فى ندبة : « حارس بيت » .

وأما الآخر : فأن يتحرك ما قبلها بالفتحة — بشرط أمن اللبس — إن كان غير مفتوح ، لأن الفتحة هى التى تناسبها ؛ كالأثلة السالفة . فإن أوقعت الفتحة فى لَبَس وجب تركها ، وإبقاء الحركة الموجودة على حالها مع زيادة حرف بعدها يناسبها : فتبقى الكسرة وتبقى بعدها ياء ، وتبقى الضمة وتبقى بعدها واو ؛ ففى مثل : وا كتابتكِ — بكسر الكاف — نقول : وا كتابتكِى ، ولا يصح مجئ الألف ؛ فلا يقال : وا كتابكا ؛ إذ لا يتبين مع الألف حال المضاف إليه ؛ أهو خطاب للمذكر أم لمؤنث ؟ وكذلك لا يتبين فى « وا كتابه » لو جئنا بالألف ؛ فيجب الاستغناء عنها بالواو بعد الهاء .

وفى مثل : وا كتابهْم ، يقال : وا كتابهْمُوهُ ، ولا يصح وا كتابهْمَاه ، بزيادة الألف ، إذ لا يتضح معها نوع الضمير ؛ أهو لمثنى أم لجمع ؟ .

ويجب أن يحذف للألف الزائدة ما قد يكون فى آخر المندوب من ألف أخرى نحو : مصطفى ، فيقال : وامصْطَفاه^(١) . . .

هذا والأحرف الثلاثة السابقة (الألف — الواو — الياء) ، زائدة ، لا تعرب شيئاً ، ولا يقال فيها إلا أنها زائدة للندبة ، ولا تأثير لها فيما اتصلت بآخره إلا باحتياجها إلى حركة قبلها تناسبها ؛ فالفتحة قبل الألف ، والضمة قبل الواو ، والكسرة قبل الياء^(٢) . . .

= المضاف فلا يدخله تنوين مطلقاً ، وقد يدخل فى المضاف إليه ، وفى الجزء الثانى المتم لشبه المضاف . أما الجزء الأول من شبه المضاف فلا يحذف تنوينه ، لأن ألف الندبة لا تصل به ، وأما النكرة المقصودة فقد تنون إذا وصفت ؛ طبقاً لما سلف فى ٢٨ .

(١) وعند إعرابه يقال : « مصطفى » نادى مبنى على ضم مقدر للتعذر — كما كان قبل الندبة — على الألف المحذوفة لالتقاء الألفين الساكنين ، والألف الموجودة زائدة للندبة ، والهاء للسكرت . وهذا هو الرأى الأقوى بالنسبة للرأى الآخر الذى يقول إن المندوب المختوم بالألف مبنى على الفتح .

وإذا حذفت الألف من آخر المندوب بسبب مجئ ألف الندبة وجب — فى الأرجح — مجئ هاء السكرت معها لتدل على أن الألف المذكورة هى الزائدة للندبة ، وليست من حروف المندوب — كما أشرنا —

(٢) يقول ابن مالك فى زيادة ألف الندبة وحذف ما قد يكون فى آخر المندوب من ألف أو تنوين

لأحزابها :

ويصح في حالة الوقف زيادة هاء السكت^(١) الساكنة بعد الثلاثة ، أو عدم زيادتها ، فيقال : وعُمراهْ - واكبداهْ - وإماماهْ - واخادم وطاناهْ - واكتابكيهْ - واكتابهوهْ . . . كما يقال : واُعْمَرا - واكْبَدا ، وإماماً . . . ، ولا تزداد الهاء جوازاً ، إلا بعد حرف من أحرف المدّ الثلاثة . والأفصح حذف الهاء في وصل الكلام إلا في الضرورة الشعرية فتبقى وتتحرّك بالكسر أو بالضم . ومن القليل الذي يحسن إهماله أن تبقى في الاختيار ، وأن تتحرّك فيه بالكسر أو بالضم^(٢) . . . !

= وَمُتَتَّهَى الْمُنْدُوبِ صِدْهُ بِالْأَلْفِ مَتَلُوهَا إِنْ كَانَ مِثْلَهَا حُذِفَ

(متلوهوا أى : الذى تليه وتقع بعده) يقصد : أن آخر المندوب يحجى بعده ألف التذبة ، فإن وقعت ألف التذبة بعد مِثِل لها ، (أى : بعد ألف) وجب حذف المِثِل ؛ لالتقاء الساكنين ، دون ألف التذبة لأنها جاءت لغرض . ثم قال :

كَذَاكَ تَنْوِينُ الَّذِي بِهِ كَمَلُ مِنْ صِلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا . نِلْتَ الْأَمَلُ

يريد : كذلك يحذف التنوين من الشيء الذى أكل المندوب ، وجاء بعد المندوب ليتمه ؛ كالصلة بعد اسم الموصول ، والمضاف إليه بعد المضاف ، وبعض التوابع بعد متبوعاتها . . . وبقية البيت دعاء للمخاطب ، سيق للتكملة الشعرية . . .

ثم قال بعد ذلك فيما يختص بشكل المندوب وضبطه بالفتحة عند مجئ الألف ، وهل يحدث لبس بسببها ؟ وكيف نتوقا ؟

وَالشَّكْلَ حَتْمًا ، أَوَّلِهِ مُجَانِسًا إِنْ يَكُن الْفَتْحُ بَوْهْمٍ لَا بَسًا

(لابساً بوهم = خالطاً المقصود بغيره ، بسبب وهم . والوهم : ذهاب الظن لغير المراد) .

يقول : إن كان الفتح قبل ألف التذبة يحدث لبساً ، بسبب وهم فالواجب العدول عن الفتحة وعن الألف ، والحجى بحرف مجانس للشكل الموجود ، بدل الألف ، فالكسرة يجانسها الياء ، فتجى بعدها الياء ، والضممة يجانسها الواو فتجى بعدها الواو . وهذا معنى : أول الشكل مجانساً له ، أى : اذكر بعد الشكل الحرف الذى يجانسها . (١) وتسمى : ها الاستراحة .

(٢) وفي هاء السكت (ها الاستراحة) يقول ابن مالك :

وَوَاقِفًا زِدْ «هَاءَ» سَكَتٍ إِنْ تُرِدْ وَإِنْ تُرِدْ فَلَمَدٌ «وَالهَا» لَا تَزِدْ

أى : إن شئت عند الوقف أن تزيد على المندوب بعد ألفه هاء السكت فزدها ، وإن شئت ألا تزيدها فأنت حر - إلا في الصورة التى عرضناها عند الشرح في رقم ١ من هامش الصفحة السابقة - . وإن شئت الاستغناء عنها فلا تزد حرف المد ، ولا الهاء (وحرف المد هو الألف ، والواو ، والياء) ولا تزداد الهاء إلا بعد واحد منها .

.....

زيادة وتفصيل :

(ا) إذا كان المندوب مثنى أو جمع مذكر سالمًا فإن نونهما لا تحذف عند مجيء ألف الندبة ، فيقال : وا إبراهيمانا - وا إبراهيمونا ، فيبسنّيان على الألف والواو ؛ كالمنادى المجرد .

(ب) إذا ندب المفرد ولم تاحقه ألف الندبة ، كان كالمنادى المخض مبنياً على الضم في محل نصب - كما سبق - نحو : واجعّفَرُ . أما في مثل : سيبويه . و « قام محمود » - علمين - فيقال : واسيبويه - وأقام محمود (في ندبة من اسمه هذا) : فالمنادى مبني على ضم مقدر منع من ظهوره علامة البناء الأصلية في سيبويه ، وحركة الحكاية في الثاني المنون . وهو في الحالتين في محل نصب فإذا جاءت ألف الندبة ؛ فقلنا : واجعفرأ ، فهو منادى مبني على ضم مقدر على آخره ، منع من ظهوره الفتحة التي جاءت لمناسبة الألف - في محل نصب . وإذا قلنا : واسيبويهأ ، فهو منادى مبني على ضم مقدر ، منع من ظهوره علامة البناء الأصلية التي حذفت لأجل فتحة المناسبة ، في محل نصب ، أو : أنه مبني على ضم مقدر منع من ظهوره فتحة المناسبة - مباشرة - في محل نصب . وهذا أوضح : لأن اعتبار الألف الظاهرة أولى من اعتبار المحذوف . وإذا قلنا : وأقام محموداً^(١) ، بزيادة ألف الندبة ، فالمنادى مبني على ضم مقدر منع من ظهوره حركة الحكاية التي حذفت لأجل فتحة المناسبة - في محل نصب . أو مبني على ضم مقدر منع من ظهوره فتحة المناسبة - مباشرة - في محل نصب . والأفضل أن يكون الضم مقدراً لفتحة المناسبة ، مراعاة للناحية اللفظية المذكورة .

أما المضاف وشبهه^(٢) ، نحو : وا كتاب جعفرأ - وا قارئاً كتابأه - فالجزء الأول منصوب دائماً كالنداء المخض ، والجزء الثاني يقدر إعرابه ، وسبب التقدير مجيء الفتحة ، لمناسبة الألف .

(ح) إذا كان للمندوب تابع فإن كان بدلاً ، أو عطف بيان . أو توكيداً

(١) بغير تنوين ؛ طبقاً لما سبق في ص ٩٤ .

(٢) سبق تعريفه وحكمه في ص ٣٢ .

.....

 معنوياً — فالأحسن ألا تدخل ألف الندبة على التابع . ويكتفى بدخولها على المتبوع .

وإن كان عطف نسق دخلت على المعطوف ، نحو : واعْمُرْ واعْمُرْناه .
 ويميز بعضهم دخولها على المعطوف والمعطوف عليه . وهذا حسن .

وإن كان توكيداً لفظياً دخلت عليهما ، نحو : واعْمُرْناه واعْمُرْناه

أما إن كان نعماً لفظه كلمة : « ابن » المضافة لعلمهم فإن الألف تدخل على المضاف إليه ؛ نحو : وا حسين بن عليّاه . فإن كان النعت لفظاً آخر فالأحسن إدخالها على المنعوت وحده .

المندوب المضاف لياء المتكلم

عرفنا^(١) أن المندوب المضاف الآخر المضاف إضافة محضة ، قد تكون إضافة إلى ياء المتكلم ، كقول الشاعر وقد عاد إلى وطنه من منفاه^(٢) :

فيا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كَأَنِّي قد لقيتُ بك الشبابا

وعرفنا ما يجوز فيه — اختياراً — من لغات أشهرها ست ، منها ثلاث تثبت فيها الياء ، وثلاث تحذف فيها . فالثلاث الأولى هي : إثباتها ساكنة ؛ نحو : يا وطني — إثباتها متحركة بالفتحة ، نحو : يا وطني — قلبها ألفاً بعد فتحة ؛ نحو : يا وطننا .

والتي تحذف فيها هي : حذفها مع بقاء الكسرة قبلها دليلاً عليها ؛ نحو : يا وطن . — قلبها ألفاً مفتوحاً ما قبلها ، وحذف الألف مع بقاء الفتحة قبلها ؛ نحو : يا وطن — حذفها ، وبناء المندوب قبلها على الضم ؛ نحو : يا وطن .

١ — فإذا نذب المضاف إضافة محضة لياء المتكلم الساكنة الثابتة جاز حذفها ومجيء ألف الندبة مفتوحاً ما قبلها ، وجاز تحريك الياء بالفتحة مع زيادة ألف الندبة بعدها ، ففي نحو : يا مَـلِي ، يقال : وا مَـلَا ، أو : وا مَـلِيّاً^(٣) .

(١) في ص ٥٨ .

(٢) لما اشتملت الحرب العالمية الأولى في أغسطس سنة ١٩١٤ ، وكان الإنجليز يحتلون البلاد المصرية إذ ذاك — نفوا الشاعر إلى أسبانيا ، وظل بها حتى انتهت الحرب في آخر سنة ١٩١٨ فعاد إلى وطنه أول سنة ١٩١٩ .

(٣) ويقال في إعراب : « واماليا » « مال » ، مندوب مضاف ، منصوب بفتحة مقدرة على اللام ؛ منع من ظهورها الكثيرة العارضة لمناسبة الياء . والياء مضاف إليه ، مبنى على سكون مقدر منع من ظهور الفتحة التي جاءت لمناسبة الألف ، في محل جر . ويقال في إعراب : (وا مالا) ، « مال » مندوب مضاف ، منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها الكسرة التي جاءت لمناسبة الياء المحذوفة — أو : منع من ظهورها الفتحة الحالية التي جاءت لمناسبة ألف الندبة . ومراعاة الفتحة الحالية أوضح .

وفي المنسوب المضاف إلى ياء المتكلم الساكنة وجواز تحريكها بالفتح ، أو حذفها مع زيادة ألف الندبة في الحالتين وفتح ما قبلها — يقول ابن مالك :

ويصح عند الوقف زيادة هاء السكت الساكنة على الوجه الذى أوضحناه^(١).

٢- وإذا ندب المضاف لياء المتكلم الثابتة المفتوحة لم يجز إلا زيادة ألف الندبة بعدها ، ففي مثل : يا مَالِيَّ ، يقال : وا مَالِيَّا . ويصح زيادة هاء السكت الساكنة وقفاً . . .

٣- وإذا ندب المضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً ، حذفت ، وحل محلها ألف أخرى للندبة ؛ فيقال فى : يَا مَالَاً - وا مَالَاً . ويصح وقفاً زيادة هاء السكت الساكنة . . .

٤وهو٦- أما إذا ندب المضاف لياء المتكلم المحذوفة فيزداد ألف الندبة مع فتح ما قبلها إن لم يكن مفتوحاً ، ففي مثل : يا مَالٍ - يا مَالٍ - يا مالٍ . . . يقال فيها جميعاً : وا مَالَاً . ويصح وقفاً زيادة هاء السكت الساكنة .

وقد يؤدي بعض الصور السالفة إلى اللبس ، فيجب العدول عنه إلى ما لا لبس فيه ، أو إقامة قرينة تزيله .

وإذا أضيف المنادى المندوب إلى اسم ظاهر مضاف لياء المتكلم ؛ نحو : وا مَالٍ أهلى . . . وجب إثبات الياء ، لأن المندوب لم يُصَفَ إليها مباشرة ؛ فلا تسرى عليه أحكام المنادى المضاف لياء المتكلم . ومع إثباتها يجوز زيادة ألف الندبة بعدها وعدم زيادتها ؛ تقول وا مَالٍ أهلى - وا مَالٍ أهليا^(٢) .

= وقائلٌ وا عَبْدِيَّ ، وا عَبْدَا مَنْ فى النَّدَا ، الياء ، ذا سُكُونٍ أَبْدَى

(تقدير البيت : ومن أبدى فى النداء حرف الياء ذا سكون - قائل واعبديا ، واعبدا) . يريد أن من لفته فى المنادى المضاف لياء المتكلم هو إسكانها ، مع بقاءها ، فإنه يقول عند الندبة : واعبديا - أو واعبدا ، بتحريك الياء بالفتح ، ثم زيادة ألف الندبة ، أو بحذف الياء مع زيادة ألف الندبة وفتح ما قبلها .

(١) فى ص ٩٦ .

(٢) نص على هذا سيبويه (فى الجزء الثانى من كتابه ، باب الندبة ص ٣٢٢) . ويجوز غيره حذف الياء فى هذا النوع عند بحىء ألف الندبة ، وليس بشيء . . .

الترخيم

الترخيم الاصطلاحي : « حذف آخر اللفظ بطريقة معينة ؛ لداع بلاغي »^(١) . وهو ثلاثة أقسام :

ترخيم اللفظ للداء ، وترخيمه للضرورة الشعرية ، وترخيمه للتصغير . والباب الحالى معقود للكلام على القسمين الأولين ، أما الثالث فوضع الكلام عليه : « باب التصغير »^(٢) .

القسم الأول : ترخيم المنادى .

نصح أعرابي لابنه : « عامر » ؛ فكان مما قال : (يا عامر ، صداقة للثيم ندامة)^(٣) . ومداراته سلامة . . .) فحذف الراء من آخر المفرد العَلَم المنادى .

وسمع آخر أعرابية تتغنى بمزاياها ؛ فقال لها : (يا أعرابي ، دعى ما أنت فيه ؛ فن حذت الناس عن نفسه بما يرضى ، تحدثوا عنه بما يكره) . فحذف التاء^(٤) من آخر المنادى النكرة المقصودة . . .

فالخذف على الوجه السالف نوع مما يسمى : « ترخيم نداء » ، وهو : « حذف آخر المنادى المفرد العَلَم ، أو النكرة المقصودة . وقد يقتصر الخذف على هذا أو لا يقتصر » - طبقاً لما سيجىء -^(٥) .

(١) هو : التخفيف - غالباً - أو التليخ ، أو الاستهزاء . وقد يكون السبب هو الضعف - خوف ، أو هول ، ونحوهما مما يحدث العجز عن إتمام النطق بالكلمة ؛ فقد جاء في « المحتسب » - ج ١ ص ٢٥٦ - ما نصه على لسان أهل النار في الآية الكريمة : « ونادوا يا مالك » وقراءة من قرأها : « يا مال » ؛ (قال أبو الفتح : هذا المذهب المألوف في « الترخيم » ، إلا أن فيه في هذا الموضع سرا جديداً ؛ وذلك لأنهم عظم ما عليه ضعفت قواهم ؛ وذلت أنفسهم ، وصغر كلامهم ، فكان هذا من مواضع الاختصار ؛ ضرورة عليه ، ووقوفاً دون تجارزه إلى ما يستعمله المالك لقوله ، القادر على التصرف في منطقته . . .) ٥١ .

(٢) ص ٦٨٣ . (٣) أى : مؤديه للندم ؛ بسبب نتائجها الضارة .

(٤) نداء الترخيم كثير عندهم في المنادى المختوم بتاء التأنيث ، وفي بعض كلمات أخرى ؛ منها :

ثعلب - عامر - حارث - صاحب -

(٥) في ص ١٠٥ .

شروطه :

لا يصح إجراء هذا النوع من الترخيم الذى يقتضى حذف الآخر وحده أو مع شيء غيره ، إلا بعد أن تجتمع فى المنادى شروط عامة لا بد من تحققها فيه — سواء أكان مجرداً من تاء التأنيث أم مختوماً بها — وشروط تحاصة بالمجرد منها ؛ فالعامة هى :

١ — أن يكون المنادى معرفة ، إماً بالعلمية ، وإما بالقصد والإقبال ^(١) ؛ (لأن المنادى الذى يراد ترخيمه قسماً ، مجرد من تاء التأنيث ، ومقتّر بها ، فإن كان مجرداً من تاء التأنيث وجب أن يكون علمياً ؛ فيتعرف بالعلمية ، وإن اقترن بالتاء وجب أن يكون علمياً ، أو نكرة مقصودة ؛ فيتعرف بالعلمية ، أو بالنداء مع الإقبال ، ولا يصح ترخيم النكرة المحضة ، وهى النكرة غير المقصودة) .

٢ — ألا يكون مستغنائاً مجروراً ؛ فلا يصح الترخيم فى مثل : يا لصالح لمحمود — يا لفاطمة لأخيها . فإن حذفت اللام الداخلة عليه جاز ترخيمه ؛ نحو : يا صالحاً ^(٢) لمحمود — يا فاطمة ^(٢) لأخيها .

٣ — ألا يكون مندوباً ؛ فلا يصح الترخيم فى مثل : وا معتصم ، أين أنت ؟ وعبلة ما صنعت بك الأيام ؟ .

٤ — ألا يكون مضافاً ، ولا شبيهاً به ^(٣) ؛ كما مضاف فى قولهم : يا أذلّ العالم ، عالم ذو همة يُحسنى أمة . — يا فتاتى أنتِ عنوان بلادى . وشبهه فى مثل : « يا بخيلاً بماله ، أنت تشقى ، وغيرك يسعد » .

(١) فسبب تعريفه أنه مفرد علم ، أو نكرة مقصودة . أما بقية أقسام المنادى فلا ترخم — كما سيحىء التصريح هنا وفى الشرط الرابع —

(٢ و ٢) الألف التى فى آخر المستغاث هى التى تجىء — جوازاً — عند حذف لام الجر ، وتفصيل

الكلام عليها فى ص ٧٨ .

(٣) هذا الشرط مفهوم من مضمون الشرط الأول ، ولكن ذكرناه صريحاً هنا ليكون أوضح وأجنى .

٥ - ألا يكون مركباً تركيب إسناد - على الأرجح^(١) - فلا يصح الترقيم في عَـلَم كَالَّذِي في قولهم : يا « فَتَسَحَّ اللهُ » . الجاه يفنئى . والمجد يبقئى - يا « زَيْنُبُ فَاضِلَةٌ » : لا تقابلي الإحسان بالبحرود .

٦ - ألا يكون من الألفاظ المقصورة على النداء^(٢) : فلا يصح الترقيم في مثل : يا فُلُ ، يا فُلَّة . . .

٧ - ألا يكون من الألفاظ المبنيّة أصالة قبل النداء : مثل : حَمْدَامِ - رَقَاشِ . . . علمين لمؤنثتين .

تلك هى الشروط العامة التى يجب تحققها فى المنادى المراد ترخيمه بقسميه ؛ (مختوم ببناء التأنيث ، والمجرد منها) .

أمّا الشروط الخاصة التى لا بد من تحققها مع العامة فى القسم المجرد من تاء التأنيث ، دون المختوم بها . . . فأهمها :

١ - أن يكون تعريفه بالعلمية دون غيرها ، نحو : « سالم » علم رجل ؛ تقول : يا سالٍ ، أذلَّ الحرصُ أعناق الرِّجال . فلا يصح فى المجرد من تاء التأنيث أن يكون نكرة مقصورة (لأن تعريفها بالقصد والإقبال ، لا بالعلمية ؛ نحو : يا صاحبُ ، لمعيّن) أما المختوم بها فيصح أن يكون علمياً وأن يكون نكرة مقصورة ؛ كأن تقول فى نداء فتاة اسمها عائشة : يا عائشُ : آفة النصيح أن يكون جِهاراً . وفى نداء مسافرة معينة : يا مسافِرُ ، تيقظْ فى رحلتك ؛ فإن سلامة فى البيقظة .

٢ - أن يكون العلم المجرد منها أربعة أحرف أو أكثر ؛ فلا يصح ترخيم العلم الثلاثى الخائِ من تاء التأنيث مطلقاً ؛ (٣) مثل « سعد » و « رجب » فى قولهم : يا سعد ، من أحسن إلى لئيم أساء إلى نفسه - يا رجب ، النفس الصغيرة مولعة بالصغائر .

(١) كما سيأتى فى ص ١٠٩ ، وفيها حكم ترخيم المركب المزجى .

(٢) وقد سبقت فى ص ٦٨ .

(٣) أى : سواء أكان ساكن الوسط أم متحركه ، ولا داعى للفرقة بين الاثنين كما يرى بعض النحاة .

أما المختوم بئاء التأنيث فيصح ترخيمه ، سواء أكان علماً أم نكرة مقصودة ، ثلاثياً أم أكثر . وتقول في نداء فتاة اسمها « هَيْبَة » نداء ترخيم : يا هَيْبُ ، إنَّ الإيمانِي والأحلام كالأزهار ؛ ما تراكُم منها قتَل . وفي أخرى اسمها : « ماجدة » يا ماجِدُ ، إن الله لا ينظر إلى الصور ، وإنَّما ينظر إلى الأعمال (١) ...

* * *

(١) فيما سبق يقول ابن مالك :

تَرْخِيمًا أَحْذِفْ آخِرَ الْمُنَادَى كَيْمَا «سَعَا» فِي مَنْ دَعَا «سَعَادَا»

أى : احذف آخر المنادى حذف ترخيم ، كمن يقول : يا سعا ، وهو ينادى فتاة اسمها : سعاد .

ثم قال :

وَجَوَزْنَهُ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ بِالْهَاءِ . وَالَّذِي قَدْ رُخِّمَ :

يَحْذِفُهَا وَقْفَرُهُ بَعْدُ . وَاحْظُلَا تَرْخِيمَ مَا مِنْ هَذِهِ «الْهَاءِ» قَدْ خَلَا

إِلَّا «الرَّبَاعِيَّ» فَمَا فَوْقَ . «الْعَلَمُ» دُونَ إِضَافَةٍ ، وَإِسْنَادٍ مُتَمِّمٍ

يقول : يجوز الترخيم في المنادى المؤنث بالهاء ، (أى : بئاء التأنيث التى تصير « هاء » في الوقف)

إجازة مطلقة ؛ يتساوى فيها كل منادى مختوم بالتاء ؛ علماً أو نكرة مقصودة ، ثلاثياً أو زائداً على

الثلاثة . متحرك الوسط ، أو ساكنه . ثم قال : إن المنادى المرخم بحذفها يوفر بعد ذلك ، فلا يجوز حذف

شيء من حروفه بعد حذف التاء . وعرض بعد هذا للترخيم الخالى منها ؛ فقال : احظ (أى : امنع) ترخيم

المنادى الخالى منها إلا إذا كان علماً رباعياً فإفوقه ، غير مضاف ، وغير مركب تركيب إسناد متم ،

(أى : تركيب إسناد تام ، كامل) .

ويلاحظ في هذه العبارات القصور والخلط ، لأن بعض الأشياء المحظورة السابقة - كالمندادى

المضاف ، والمركب تركيب إسناد - ليس محظوراً في المنادى المختوم بالتاء وحده ، وإنما حظره عام

يشمل المجرد منها أيضاً ؛ كما شرحنا .

ما يحذف جوازا من آخر المنادى عند ترخيمه

يجوز أن يحذف من آخر المنادى بسبب ترخيمه حرف واحد — وهو الأغلب — أو حرفان ، أو كلمة ، أو كلمة وحرف . وفيما يلي البيان :

أولا : يحذف منه الحرف الأخير وحده بغير شروط إلا التي سلفت .

ثانياً : يحذف منه الحرفان الأخيران^(١) معاً بعد تحقق الشروط التي سلفت ، مزيداً عليها أن يكون المنادى علمياً مجرداً من تاء التأنيث . وأن يكون الحرف الذي قبل الأخير حرف مد^(٢) . وأن يكون زائداً لا أصلياً . وأن يكون رابعاً فصاعداً . وبعبارة أخرى :

يجوز أن يحذف من المنادى العلم المرخّم الجرد من تاء التأنيث الحرفان الأخيران . بشرط أن يكون السابق منهما حرف مدّ . زائداً . رابعاً فأكثر ... مثل : عِمْران — خلدون — إسماعيل . . . تقول : يا عِمْرُ ، من ساء قوله ساءت معاملة الناس له — يا خَلْدُ ، النصح أغلّ ما يباع ويوهب — يا إِسْمَاعِ ، من خاف الله حرصته عنايته .

أما الحرف الأخير فقد يكون أصلياً « كهزمة » أسماء في المنادى المرخم من قول الشاعر :

يا أَسْمُ . صبراً على ما كان من حَدَثٍ إنَّ الحوادثَ مِلَقِيَّةٌ^(٣) وَمُسْتَعْظَرُ

(١) يدخل في هذا من الأعلام ما كان على صورة : المنفى ، وجمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم (ويراعى في الثلاثة التفصيل الهام الآتي في : « ١ » ص ١٠٨) .

(٢) لا يسمى حرف مد إلا إذا كان حرف علة ساكناً ، والحركة التي قبله تناسبه ، (وهي الفتحة قبل الألف : والنضمة قبل الواو ، والكسرة قبل الياء ، نحو : قام — يقوم — مقيم) . وهو في هذه الحالة حرف علة ، وبد ، ولين . فإن كان ساكناً وقبله حركة لا تناسبه سمى : حرف علة ولين ، نحو : فرعون وخير . فإن كان متحركاً فهو حرف علة فقط ؛ نحو : حَوْر وهَيْف . . .

(راجع ما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٥٨) .

(٣) يريد : أصبر على ما يحدث ؛ لأن الحوادث محتومة ؛ بعضها ملقّ (أى : واقع حاصل) ، وبعضها منتظر وقوعه .

فكلمة : « أَسْمَ » ، أصلها : أسماء ، وهمزتها الأخيرة بمنزلة الأصلية ، لأنها منقلبة عن واو أصلية ^(١) . وقد يكون زائداً كالنون في « مَرَوَان » من قول الشاعر :

يا مَرَوُ إنَّ مطيَّتي محبوسةٌ ترجو الحباءَ ^(٢) . وربها لم يسيئَسْ

ولا يصح في هذا القسم المستوفى للشروط الاقتصار على حذف الحرف الأخير وحده ، وإنما يجب أن يحذف معه الحرف الذي قبله أيضاً . إلا إن كان المنادى المرخم محتوماً بتاء التأنيث ؛ فتحذف وحدها دون الحرف الذي قبلها . ففي مثل : « عَقَنَسَاة » ^(٣) وسَلَحَفَاة ، علمين ، يقال : يا عَنَسَاة . يا سَلَحَفَاة بالألف فيهما .

فالترخيم يحذف آخر المنادى أمر اختياري . لا واجب . لكن إذا اخترنا الحذف في هذا القسم المستوفى للشروط وجب أن يحذف مع الآخر الحرف الذي قبله ، لأنهما متلازمان وجوداً وحذفاً في غير المختوم بتاء التأنيث حيث يقتصر الحذف عليها وحدها ^(٤) .

وبمراعاة الشروط السالفة يتبين أنه لا يصح في الأمثلة الآتية وأشباهها، حذف الحرفين الأخيرين معاً في نداء الترخيم :

يا مرتجاة ، علماً ، لا يقال : يا مرتَجَج ، لوجود تاء التأنيث ^(٤) .

يا جعفر ، يا ثمود — يا سعيد — يا عماد . . . أعلاماً ، لا يقال : يا جَعَج — يا ثَسَم — يا سَع — يا عِم . . . لأن الحرف الذي قبل الأخير ليس حرف مدٍّ أو حرف مدٍّ ، لكنه ليس رابعاً فأكثر .

يا رُحَيْسَم ، يا هَبَيْسَخ ^(٥) — علمين — لا يقال : يا رُحَي — يا هَبَي . . .

(١) « أسماء » جمع ، مفردة : « أَسْمَ » — مع زيادة همزة الوصل — وأصله : « سَمَوُ » ؛ فواؤه أصلية ، تنقلب همزة عند جمعه على « أفعال » .

(٢) العطاء .

(٣) هي في الأصل صفة للعُقَاب (إحدى الطيور الجارحة) يقال : هذه عُقَاب عَقَنَسَاة ، أى : ذات

مخالب قوية .

(٤ و ٥) بخلاف التاء في مثل : « هندات » — طبقاً للبيان الهام في ص ١٠٨ ب —

(٥) أصل معناه : الغلام السمين ، المثلث .

لأن حرف العلة (الياء) قبل الآخر ليس ساكنًا ؛ فلا يصح حذف الياء ؛ لأنها ليست للمد .

يا قَبَسَوْر^(١) — علمًا — لا يقال : يَا قَسَنَوْ ؛ لأن حرف العلة (الواو) قبل الآخر ليس ساكنًا ؛ فلا يصح حذفه . لأنه ليس حرف مد .

يا فرَعَوْن — علمًا — لا يقال : يا فِرْعَ ؛ لأن الحركة التي قبل حرف العلة (الواو) لا تناسبه ؛ فلا بد من بقاء الواو . لأنها ليست للمد هنا .

يا غِرْثَيْتَي^(٢) — علمًا — لا يقال : يا غُرْنِ ؛ لأن الحركة التي قبل حرف العلة (الياء) لا تناسبه ؛ فلا بد من بقاء الياء . لما سبق .

يا مَحْتَار — علمًا لا يقال : يا مُحْتَتَ ، لأن حرف العلة ليس زائدًا ، فأصله الياء ؛ فلا بد من بقاء الألف .

يا منقاد — علمًا — لا يقال : يا مُسْتَقَ ، لأن حرف العلة ليس زائدًا ، فأصله الواو ؛ فلا بد من بقاء الألف .

(١) (١)

* * *

(١) أصل معناه : الصعب اليابس من كل شيء .

(٢) أصله : اسم لطائر طويل العنق من طيور الماء .

(١) وفي حذف الحرف الأخير ومع الحرف الذي قبله (وهو الذي تلاه الأخير) يقول ابن مالك :

ومَعَ الْآخِرِ احْذِفِ الَّذِي تَلَا
إِنْ زَيْدَ ، لَيْسَنَا سَاكِنًا ، مُكَمَّلًا ...
أَرْبَعَةً فَصَاعِدًا . وَالْخُلْفُ فِي
وَإِوٍ وَيَاءٍ بِهِمَا فَتَحٌ قُفْيُ
تلا : أى : تلاه الآخر .

ولينا ساكنًا = يقصد به حرف المد ، وقد شرحناه .

الخلف = الخلاف بين النحاة .

قُفْيُ — تبع ، أى : جاء بعده حرف ، والجملة الفعلية : (قُفْيُ) خبر للمبتدأ : (فتَحُ) والجملة من المبتدأ والخبر صفة لـ «وَإِوٍ» . وإلحاق مع مجروره (بهما) متعلقان بالفعل : (قُفْيُ) .

يريد : يحذف مع الحرف الأخير ما قبله من حرف مد رباعى . فإن كان قبل الواو والياء فتحة — نحو : فرَعَوْن وغِرْثَيْتَي — فقد وقع خلاف في جواز حذفهما .

زيادة وتفصيل :

(أ) يصح ترخيم ما سُمِّيَ به من المثني وجمعي التصحيح بحذف زيادتهما من آخر العَلَمِ ، بشرط أن يكون ترخيمهما على لغة من ينتظر ^(١) ، لكيلا يقع فيهما اللبس بالمفرد ؛ فنقول في نحو : محمدان ومحمدين (علمين) : يا محمد - يا محمد ؛ بالفتح في الأول والكسر في الثاني . وكذا في المنسوب . ويمتنع الضم في كل ما سبق ؛ لكيلا يلتبس بالمفرد . وأما محمدون - ونظائره من كل عَلَمٍ أصله جمع مذكر سالم مرفوع بالواو - فيمتنع ترخيمه مطلقاً ؛ للسبب السالف ^(٢) .

(ب) عرفنا ما يحذف منه حرفان عند الترخيم . وهو يشمل المثني وجمعي التصحيح إذا كانت أعلاماً ؛ فترخم كلها بحذف الآخر ومعه ما قبله ، بالشروط التي سلفت . لكن يمتنع بقاء الألف في مثل : « هندات » لأن التاء فيه ليست للتأنيث ^(٢) .

(ح) الحركة المجانسة لحرف العلة فيصير حرف مدّ بسببها ، قد تكون ظاهرة ؛ كالأعلام التي في الأمثلة السالفة ؛ وقد تكون مقدّرة في بعض الأعلام الأخرى ؛ كما في جمع المقصور جمع مذكر سالم ؛ نحو : يا مصطفَونَ ، ويا مصطفَينَ ، عَلَمَينَ . . . فنقول عند الترخيم : يا مصطفى ، بحذف الواو والذون من الأول ، والياء والتون من الثاني ، لأن أصلهما ؛ مصطفَينَ ومصطفَينَ ، بضم الياء في الأول ، وكسرها في الثاني . تحركت هذه الياء فيهما ، وانفتح ما قبلها ؛ فقبلت ألفاً . وحذفت الألف لالتقاء الساكنين . فالحركة مجانسة ؛ لأنها الضمة قبل الواو في اللفظ الأول ، والكسرة قبل الياء في الثاني . فلا يضر أن تكون المجانسة تقديرأ ؛ لأن المجانسة التقديرية كالمجانسة اللفظية الظاهرة ، ولهذا يجب حذف الواو والياء عند حذف الحرف الأخير من الكلمتين السالفتين وأشباههما ؛ بشرط أن تكون كل كلمة عَلَمًا .

* * *

(١) الكلام عليها في ص ١١١ .

(٢ و ٢) راجع الصبيان والحضري في هذا الموضع .

ثالثاً : يحذف من آخر المنادى المستوفى شروط الترخيم ، كلمة كاذت في أصلها مستقلة ، ثم ركبت مع أخرى تركيب مزج^(١) ، وصارتا بمنزلة الكلمة الواحدة ؛ نحو : (حَمْدُ وَيْنِه - خَالَوَيْه) - (رَامَهُرْمَز) - (تسعةَ عشرَ . . .) إذا جعلت هذه المركبات أعلاماً ؛ فنقول في ندائها ترخيماً ، يا حمداً - يا خالاً - يا راماً - يا تسعةً - ولا بد عند ترخيمها من وجود قرينة قوية تدل على أصلها ، إذ ترخيمها لا يخلو من لبس ، ولا سيما المركبات العددية المبنية على فتح الجزأين ؛ نحو : تسعةَ عشرَ .

وقد منع كثير من النحاة ترخيم المركب المزجي (وكذا الإسنادي) كما تقدم^(٢) بحجة أنه لم يسمع ، وأنه موضع إلباس . والأخذ برأيه أحسن .

* * *

رابعاً : يحذف من آخر المنادى المستوفى شروط الترخيم ، كلمة ، ومعها حرف قبلها . ويقع هذا في لفظين من المركبات العددية ؛ (هما : إثنا عشرَ ، وإثنتا عشرةَ) ، إذا جعلنا علميين^(٣) ؛ فيقال : يا إثناً . . . يا إثنتا . . . يحذف كلمة : « عشرَ » أو « عشرة » والألف التي قبلهما - كما يقال هذا في ترخيمهما من غير تركيب - لأن كلمة : عشر ، وعشرة ، بمنزلة النون في الاسم

(١) تفصيل الكلام على المركب المزجي في ص ١ ص ٣٠٠ م ٢٣ . وفي حذف عجزه ؛ (أى آخره) ، يقول ابن مالك :

وَالْعَجْزُ اخْدِفْ مِنْ مَرْكَبٍ ، وَقَلْ تَرْخِيمُ جُمْلَةٍ ، وَذَا عَمَرُو نَقَلْ
يريد : حذف العجز من المركب المزجي جائز ، أما من مركب الجملة (وهو المركب الإسنادي) فقليل ، وقد نقله عن العرب عمرو ، (المشهور باسم : سيبويه) .

(٢) في رقم ٥ من ص ١٠٣

(٣) هذا شرط حتمي ؛ لكيلا يلتبسا بندا المثنى الذي ليس علماً ، وإنما هو عدد محض ، وهو : اثنا وإثنتان ، ومثلهما في نداء المرخم بقية الأعداد المركبة ، ثلاثة عشر ، وأربعة عشر ، وخمسة عشر . . . إلخ ، فلا يحذف عجزها للتخيم إلا إذا كانت علماً ، منعاً - في ظنهم - للالتباس بثلاثة ، وأربعة ، وبقية الأعداد المفردة .

هذا . وإذا صار الاسم المبدوء بهمة وصل - مثل : اثني . . . واثنى - علماً فإن همزة تصير همزة قطع ؛ يجب كتابتها والنطق بها . - كما سلف في رقم ٣ من هامش ص ٣٨ وسيجيء لها بياناً أكثر ؛ في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٧ .

المفرد ؛ (أى : الخالى من التركيب وهو : اثنان واثنان)^(١) . فصارت هى والألف
بمترلة الحرفين الزائدين فى آخر الأصل المثنى ؛ إذا كان علماً .
« ملاحظة » : اشتد الخلاف بين النحاة الأقدمين فى ترخيم الأعداد المركبة
(أعلاماً وغير أعلام) من ناحية جوازه وطريقته ، أو عدم جوازه . والحق أن ترخيمها
لا يخلو من لبس وخفاء يحملان اليوم على اجتنابه .

(١) (أو المراد بالاسم المفرد : ما كان آخره نون قبلها حرف مدّ فى نحو : مسكين ، علماً ؛
حيث تحذف النون فى الترخيم ومعها حرف المدّ - وثبتت الهمزتان نطقاً وكتابةً إذا كانا علمين -

كيفية ضبط المنادى بعد ترخيمه

المنادى المرخم لا يكون إلا مفرداً علمياً أو نكرة مقصودة — بتفصيلهما الذى عرضناه^(١) — فحكمه الأساسى هو البناء على الضم وفروعه . ولضبطه طريقتان بعد ترخيمه .

الأولى : أن يلاحظ الحذف ، ويعتبر كأنه باق ، ويظل ما قبله على حركته أو سكونه قبل الحذف^(٢) . ويستمر رمز البناء على الضم — وفروعه — مقصوراً على الحذف الأخير الحذف ، كما كان قبل حذفه ، من غير نظر لما طرأ عليه ؛ فى مثل : يا عامِرُ . . . يا سيدةُ . . . يكون المنادى قبل الترقيم (عامِرُ — سيدةُ) مبنياً على الضم فى محل نصب ، ويصير بعد الترقيم : يا عامِرَ — يا سيدةَ ، منادى مبنياً على الضم الذى على الحذف ، فى محل نصب أيضاً ، بالرفع من كسر الميم ، وفتح الدال ؛ لأن كلا منهما لا يُعَدُّ — بحسب هذه الطريقة — حرفاً أخيراً فى كلمته ، يختص بعلامة البناء .

وكذلك فى مثل : يا سَالِمُ — يا مسافِرُ ، يا إِفْرَنْدُ^(٣) : فالمنادى من غير ترقيم مبنى على الضم فى محل نصب . فإذا رُخِّمَ قبل بهذه الطريقة : يا سَالِ — يا مسافِرَ ، يا إِفْرَنْ . . . ، والمنادى مبنى على الضم فى محل نصب ، كما كان من غير

(١) فى ص ١٠١ ، وما بعدها .

(٢) يستثنى من هذا مسألتان يقع فيهما تغيير ؛ الأولى : ما كان مدغمًا فى الحذف مع وقوعه بعد حرف مدّ هو — فى الغالب — ألف ، فإنه إن كان له حركة فى الأصل حركته بها ؛ نحو : مضارّ ، ومُحاجّ ، علمين ؛ فيقال فيهما يا مضارَّ ويا مُحاجَّ ، بالكسر على اعتبارهما اسمى فاعل أصله : مضرر — مُحاجّيج ، أو بالفتح على اعتبارهما اسمى مفعول . أما إن كان أصل السكون فالأحسن تحريكه بالفتحة لقربها من السكون فى الخفة ؛ نحو : إِمْحارّ (بتشديد الراء ، اسم لبقلة) ، فيقال عند التسمية به وترخيمه : « يا إِمْحارّ » تنحذف الراء الثانية للترخيم ، وتفتح الأولى التى كانت مدغمة فيها وبقيت بعدها . الثانية : ما حذف لواو الجمع ، كما إذا سُمى بنحو : قاضون ومصطقون من جموع معتل اللام ، يقال فى ترخيمه : يا قاضِى ، ويا مصطفى ؛ برد الياء فى الأول ، والألف فى الثانى ؛ لزوال سبب الحذف . (حاشية الصبان — وغيرها — فى هذا الوضع) .

ويلاحظ أن استثناء المسألتين السالفتين مقصور على الأخذ بالطريقة الأولى المعروضة دون الثانية .

(٣) الإفرند فى الأصل : السيف .

حذف . . . وهكذا يظل آخر اللفظ الحالى على ما كان عليه من حركة أو سكون قبل حذف الحرف الأخير .

وتسمّى هذه الطريقة : « لغة من ينوى المحذوف » . وتشتهر باسم : « لغة من ينتظر » . ويجب الاقتصار عليها في ترخيم المنادى المختوم بتاء التأنيث عند خوف اللبس - كما سيجىء - مثل : يا على ، مرخم « عَمَلِيَّة » ، علم أنثى ؛ لوجوب فتح الحرف الذى قبل تاء التأنيث ؛ فتكون هذه الفتحة - فى الاسم المفرد الذى يجب بناء آخره على الضم - دليلاً على أن هناك حرفاً محذوفاً ملحوظاً هو التاء ؛ إذ لو لم نلاحظه لقلنا : « يا على » فيلبس نداء المؤنث بالمذكر ^(١) .

الثانية : مراعاة الأمر الواقع ؛ وذلك باعتبار أن ما حذف من اللفظ قد انفصل عنه نهائياً ، وانقطعت الصلة بينهما ، وكأنهما لم تكن ، وصار آخره الحالى - بعد حذف ما حذف - هو الذى يقع عليه العلامة . ففى المثالين السالفين يقال فى نداء الترخيم : (يا سالُ - يا مسافُ) . فالمنادى مبنى على الضم فى محل نصب . وتُسمّى هذه الطريقة : « لغة من لا ينوى المحذوف » ^(٢) - أو : « من لا ينتظر » .

(١) والأنصح عند ترخيم المؤنث بالتاء وحذفها على لغة « من ينتظر » أن يزا د على آخره عند الوقف هاء السكت . بل جعلها سيبويه لازمة عند طوائف العرب التى ترخم هذا النوع . (راجع كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٣٠) .

بقى شيء هام ؛ هو أن أكثر النحاة يوجب طريقة « من ينتظر » فى المرخم المؤنث عند خوف اللبس . فلم يقصرونها على المؤنث وحده ؟ إن الفرار من اللبس مطلب أساسى ، يجب أن يعم كل الحالات ؛ ترخيماً وغير ترخيم . - كما سيجىء فى هامش ص ١١٣

(٢) وفى الطريقتين المذكورتين لضبط المنادى المرخم يقول ابن مالك فى الأول التى يُنَوِّى فيها المحذوف :

وَإِنْ نَوَّيْتَ بَعْدَ حَذْفِ مَا حُذِفَ فَالْبَاقِ اسْتَعْمِلْ بِمَا فِيهِ أَلِفٌ

يريد : إن نويت ما حذف بعد حذفه ، فاستعمل الباقي بعد الحذف بما ألف فيه ، وعرف عنه قبل الحذف . أى : اترك الباقي على حاله المألوف فيه قبل الحذف . ويقول فى الثانية التى لا ينوى فيها المحذوف :

وَاجْعَلْهُ إِنْ لَمْ تَنْوِ مَحْذُوفًا كَمَا لَوْ كَانَ بِالْآخِرِ وَضَعًا تَمَّامًا

أى : اجعل الباقي من المنادى المرخم بعد حذف ما حذف وعدم ملاحظته فى النية - اجعله كما لو كان قد تمم بالآخر فى الوضع ، فكلمة : « وضعاً » منصوبة على نزع الخافض . والمقصود من هذا كله : إن لم تنو المحذوف فاجعل الآخر الحالى بعد الحذف كأنه آخر وضعى ، أى : أصلى ، من وضع العرب =

وتصلح الطريقتان في مثل : « عنتر » و « عبل » في قول الشاعر عنتره .
ولقد شتمى نفسه وأبرأ سقمها قيل الفوارس : ونك — عنتر أقدم .
وقوله :

يا عبل لا أخشى الحِمَام ؛ وإنما أخشى على عينيك وقت بُكَاتِكَ
فأصل الكلمتين قبل النداء : عنتره وعبله ، ثم ناداهما نداء ترخيم ؛ فحذف
آخرهما . فالواجب — على لغة من ينتظر — أن نترك آخرهما الخالي على ما كان
عليه قبل الحذف فيظل مفتوحاً كما كان ؛ فنقول : عنتر — عبل . . . ويقع
البناء على الضم على الحرف المحذوف . أما على لغة من لا ينتظر فيجب بناء الباقي
على الفم مباشرة ، وهكذا في كل النظائر الأخرى المختومة بتاء التأنيث .

ويلاحظ أن المرخم المختوم بتاء التأنيث لا تصلح له إلا طريقة : « من ينتظر »
عند خوف اللبس ، كما أسلفنا . فإذا أُمن اللبس — بسبب اشتهاار الكلمة في
الاستعمال أو لسبب آخر — جاز اختيار هذه الطريقة أو تلك ؛ كما في البيتين
السابقين ، وكما في نحو : يا فاطمة — بضم الميم أو فتحها — وهى ترخيم : فاطمة ،
ومثلها : هُمَزَة ، (لمن يغتاب الناس) ومُسْلَمَة ، علم رجل . . .

= وكأنه لم يحذف شيء يليه . وعلى الأول الذى ينتظر يقال فى : « ثُمُود » علماً « ياثمو » يحذف الدال وترك
ما عداها على حاله . أما الثانى . الذى لا ينتظر فتقلب الواو ياء ويقال : ياثمى ؛ للسبب المبين فى الشرح
وفى هذا يقول ابن مالك :

فَقُلْ عَلَى الْأَوَّلِ فِي ثُمُودَ : يَا ثُمُ ، وَيَا ثَمِي ، عَلَى الثَّانِي بَيَا
ويجب الاختصار على الرأى الأول فى المرخم المختوم بالتاء إذا أُوقع الأخذ بالرأى الثانى فى لبس
كما فى ترخيم « مُسْلَمَة » (بضم الميم) علم امرأة ؛ فيقال : يا مُسْلَم ؛ ليكون فتح الميم الأخيرة فى هذا
المنادى الواجب بناؤه على الضم — دليلاً على الحذف . أما لو قلنا : « يا مُسْلَم » بغير انتظار المحذوف فإن
اللبس يقع بين نداء مُسْلَم ومُسْلَمَة .

والحق أنه يجب الفرار من اللبس ، سواء أكان موضعه المنادى المختوم بتاء التأنيث ، أم المجرّد منها ؛
أم غيرها . ولا معنى لقصره على المختوم بالتاء — كما أشرنا فى آخر هامش الصفحة السابقة — فإن لم
يكن هناك احتمال لبس جاز اختيار إحدى الطريقتين كما فى مُسْلَمَة (بفتح الميم ، علم قائد مشهور)
وفى هذا يقول ابن مالك :

والتزمِ الْأَوَّلَ فى كَمُسْلِمَة وَجَوِّزِ الْوَجْهَيْنِ فى كَمُسْلَمَة

زيادة وتفصيل :

(١) الأخذ بطريقة « من لا ينتظر » على الوجه المشروح يقتضى — كما عرفنا — إهمال الحرف المحذوف ، واعتباره كأنه لم يوجد ؛ فيجرب على الآخر الحالى كل الأحوال النحوية والصرفية المختصة بآخر الكلمة . فى مثل : (ثمود — علاوة — كـرَوَان . . . وأشباهاها من الأعلام التى تنادى ترخيماً فيختم آخرها بعد الحذف بحرف علة ؛ فيقال : يا ثمو — يا علاو — يا كـرو . . .) فى مثل هذه الكلمات يبقى الآخر الحالى على ما هو عليه عند من ينتظر ؛ فيبنى على الضم على الدال ، والتاء ، والنون المحذوفات — فى محل نصب ولا يقع تغيير على الأحرف الباقية بعد الحذف .

أما على لغة من لا ينتظر فيقع على الآخر الحالى تغييرات لا مناص منها ؛ أهمها : أنه سيتغير ضبطه ؛ فيصير مبنياً على الضم المقدّر أو الظاهر ؛ فيقال : يا ثَمَوُ — يا علاوُ — يا كـرَوُ . وأن توابعه ستخضع لحكم توابع المنادى المبني على ضم آخره المذكور فى الكلام ، وأنه سيتغير تغيراً صرفياً على حسب ما تقتضى به الضوابط الصرفية من الإعلال ، والصحة ، والإبدال . . . وغير هذا ، كرجوع حرف محذوف ؛ فيقال يا ثَمَسِي ، بقلب ضمة الميم كسرة ، لتقلب الواو ياء ، كى لا يكون آخر الاسم وأوْ لازمة ساكنة قلبها ضمة ، لأن هذا نادر فى العربية^(١) ، وكى لا وتقلب الواو فى آخر الكلمتين الأخيرتين همزة وألفاً ، لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة فى : « يا علاو » ، ولتحركها وانفتاح ما قبلها فى : « يا كـرو » ، فيقال : يا عِلاء — يا كـرَا^(٢) . . . ولا يقع شىء من هذا عند اتباع الطريقة الأخرى .

(١) كان هذا رأياً مقبولاً فى العصور الخالية ، قبل انتشار الأسماء والأعلام المختومة بواو لازمة ساكنة ، قلبها ضمة . أما الآن فقد عاشت كثيرها من الألفاظ المعتلة الآخر ، المقصورة والمنقوصة : فوجب اتخاذ حكم لها ؛ كمنظائر : ولعله هنا يكون بإبقائها وعدم ترخيم المنادى الذى يحويها . أما فى غير الترخيم فقد وضعناه فى الجزء الأول ، فى المسألة الخامسة عشرة . كما وضعناه فى هذا الجزء (فى باب التنبيه ، والجمع ، والنسب . . .) .

(٢) أى : ياكروان ، ومنه المثل العربى الذى يقال لمن يتكبر وحوله من هو أشرف منه يتواضع : « أطرق كرا ، إن النعام فى القرى » — وقد أشرنا له فى ص ٤ —

(ب) مع أن الطريقتين صحيحتان : والأمر في تقديم إحداهما على الأخرى متروك للمتكلم ، ومراعاته المقام — قد تكون (الأولى وهى : « لغة من ينتظر ») أنسب ؛ لبعدها عن اللبس . غالباً ؛ إذ حركة آخرها الحالى فى أكثر الصور ، لا تكون ضمة — برغم استحقاق المنادى فى موضعه هذا للبناء على الضم وجوباً — فعدم وجود الضمة يوحي أن فى اللفظ الحالى حذفاً ، ويرشد إلى أن الحرف الأخير الحالى ليس هو الأخير فى الأصل . وإلا فأين علامة البناء ؟

نعم يقع اللبس فى هذه الطريقة حين يكون الحرف ؛ الذى قبل المحذوف مباشرة مضموماً هجائياً . نحو : قنفذ — علماً — فعند ندائه نداء ترخيم على لغة من ينتظر يقول : يا « قُنْفُذ » فالفاء مضمومة ضمّاً يختلط الأمر فيه ؛ أهو ضمة بناء ، أم ضمة حرف هجائى ليس آخر الأحرف ؟ وللمتكلم أن يتخير ما يزيل به هذا اللبس ، أو يعدل عن هذه الطريقة إلى الأخرى ، أو يعدل عنهما معاً إذا أوقعت كل واحدة منهما فى اللبس كالذى يحدث فى مثل : يا فتاة .

(ح) يرد فى الفصحى كثيراً نداء لفظ « صاحب » كقول الشاعر :

هَلَكُمَّ « يا صَاحِ » إلى روضة يجلو بها العاني صدّاً^(١) همّة

فأصل الكلمة : « صاحب » نوديت نداء ترخيم بحذف الباء . وهذا الرأى يساير قواعد الترخيم عامة ؛ فهو أنسب من الرأى الذى يقول إن أصلها « صاحي » ورخمت شذوذاً بحذف ياء المتكلم والباء ، إذ لا داعى للأخذ بالشاذ حين يكون المطرد ممكناً .

أما حذف الباء فى غير حالة النداء فشاذ ، إلا للضرورة الشعرية^(٢) . . .

(١) يريد : صدّاً .

(٢) انظر المسألة التالية ، ورقمها : : (١٣٨) .

المسألة ١٣٨ :

القسم الثانى ترخيم الضرورة الشعرية ^(١)

هذا النوع مقصور على غير المنادى ؛ ولا يصح إجراؤه إلا بعد أن تتحقق شروط ثلاثة مجتمعة :

أولها : أن يكون فى شعر .

ثانيها : أن يكون المرخم غير منادى ، ولكنه صالح للنداء ؛ فلا يصح ترخيم لفظ : « الغلام » ؛ لأنه لا يصلح للنداء ؛ بسبب وجود « أل » ^(٢) . . .

ثالثها : أن يكون المرخم إما زائداً على ثلاثة ، وإما مختوماً بتاء التأنيث .

فمثال الأول :

لنعم الفتى - تعشوا إلى ضوءِ نارِهِ - طريفُ بنِ مالٍ ليلةَ الجوعِ والخَصَرِ ^(٣)
أراد : ابن مالٍ ؛ فرخمه ترخيم الضرورة .

ومثال الثانى :

وهذا ردائى عنده يستعيره لِيَسْلُبْنِي حقى ، أَمالِ بنِ حَنْظَلِ
أراد : يا مالٍ بنِ حَنْظَلَة ^(٤) ؛ فحذف التاء من « حَنْظَلَة » للضرورة فى غير المنادى .

وإذا وقع ترخيم الضرورة فى لفظ جاز ضبط آخره بإحدى الطريقتين السالفتين : طريقة من لا ينتظر - كالبيتين السالفين ^(٥) أو من ينتظر ، - كقول الشاعر :

(١) انظر معنى الضرورة وتفصيلها الدقيق فى رقم ٢ من هامش ص ٢٧١ .

(٢) وقد سبق البيان فى ص ٣٦ .

(٣) الحصر : شدة البرد .

(٤) والبيت - على هذا التقدير - يصلح شاهداً للحالتين معاً .

(٥) بدليل وجود التنوين فى الأول ، وكسر اللام فى الثانى . فلو جرى على الانتظار لوجب أن يراعى

الأصل بحذف التنوين فى الأول وفتح اللام فى الثانى .

ألا أضحتُ حبالكُمو رِمَاماً^(١) وأضحت منك — شاسعة^(٢) أُمَاماً^(٣)

وبمقتضى الأولى يضبط آخر اللفظ المرخَّم على حسب ما تقتضيه الجملة من ضبطه، ويجرى عليه ما تقتضيه الضوابط العامة، من إعلال. وصحة، وإبدال... وقد ينون أو لا ينون إن اقتضى الأمر شيئاً مما سبق مع عدم اختلال الوزن؛ ككلمة «مال» المنونة في البيت الأول والمجرورة بالإضافة، وكلمة: «حنظل» المجرورة بالإضافة في البيت الثاني مع عدم التنوين.

وبمقتضى الثانية يبقى اللفظ المرخَّم على حاله بعد حذف آخره، ككلمة: «أُمَام» في البيت الأخير.

هذا، ولا يشترط في المرخم للضرورة أن يكون معرفة (علماً أو غير علم)، ولا شرطاً أخرى غير التي سبقت. ومن ترخيم النكرة قول الشاعر — في بعض الروايات: —

* ليس حتى على المنونِ بخالٍ *

أى: بخالد^(٤)...

(١) جمع رمة (يضم الراء غالباً. ويصح الكسر) قطعة حبلى بالية.

(٢) بعيدة.

(٣) علم امرأة. والأصل قبل الترخيم: أُمَامَة.

(٤) وقد اكتفى ابن مالك في الكلام على ترخيم الضرورة ببيت واحد هو:

ولا ضِطْرَارَ رَحْمُوا دُونَ نِدَا مَا لِنَدَا يَصْلُحُ ؛ نَحْوُ : أَحْمَدَا

فلم يتعرض لشيء إلا اشتراط أن يكون المرخم للضرورة صالحاً للداء؛ نحو: أحمد. وقد أشرنا في

رقم ١ من هامش الصفحة السالفة إلى أن المراد الدقيق من: «الضرورة» موضح تفصيلاً في رقم ٢ من

المسألة ١٣٩ :

الاختصاص

نسوق الأمثلة الآتية لإيضاحه :

١ - قال أحد الشعراء :

قلْ للحوادثِ أقْدَمِي ، أوْ أَحْجِمِي إِنَّمَا بَنُو الإِقْدَامِ والإِحْجَامِ
نحنُ النَّيَامُ إِذَا اللَّيَالِي سَأَلَمَتْ فَإِذَا وَتَسَّيْنِ فَنحنُ غَيْرُ نِيَامِ

من يسمع : « نَيَا » أو : « نحن » يتردد في خاطره السؤال عن المقصود من هذا الضمير ، الدال على التكلم ، وعن مدلوله ، وحقيقة المتكلم به ، وجنسه ؛ أي يكون مدلوله والمقصود منه : العرب ، أم : أهل العلم ، أم : الأبطال ، أم : أبناء الشرق . . . أم . . . ؟ أم غير هؤلاء ممن لا يُحْصَوْنَ جنساً ، ولا نوعاً ، ولا عدداً .

أيكون المراد - مثلاً - : (إِنَّمَا - العرب - - بنو الإقدام . . .) و (نحن - الأبطال - ، - النيام) . . . و . . . فالضائرات المذكورة يشوبها عيب واضح ؛ هو : عموم يخالطه إبهام تحتاج معهما إلى تخصيص وتوضيح . فإذا جاء بعد كل ضمير منها اسم ظاهر ، معرفة ، يتفق مع الضمير في المدلول ، ويختلف عنه بزيادة التحديد والوضوح - زال العيب ، وتحقق الغرض ، كالذي تحقق بزيادة كلمة : « العرب » وكلمة : « الأبطال » . فيما سبق ؛ إذ المراد منها هو المراد من الضمير قبلها ؛ ولكن بغير عموم ولا غموض كالذي في تلك الضائرات ، برغم أنها متجهة للمتكلم^(١) .

٢ - يقول الشاعر :

وأنا ابنُ الرِّياضِ ، والظِّلِّ ، والماءِ وِدَادِي ما زال خير وِدَادِ

فن هذا المتكلم ؟ وما مدلول هذا الضمير الدال على التكلم ؟ أهو شاعر ، أم نافر ، أم عالم ، أم زاهد ؟ . . . ، ما جنسه ؟ . . . إن الضمير : « أنا »

(١) سبق - في ١ ص ٢٥٥ م ١٩ (باب : الضائرات) - معنى : إبهام الضمير ، وطريقة إيضاحه .

لا يَسْلَم من غموض يحتاج معه إلى اسم ظاهر من نوع خاص ؛ يزيل هذا العيب ؛ كأن يقال : (أنا - الشاعر - ابنُ الرياض) ، أو : (أنا - الشرق - ابنُ الرياض) ... فحجىء هذا الاسم الظاهر ، المعرفة ، المعين ، الواضح ، الذى معناه معنى الضمير قبله - قد أزال عنه عيب العموم والإبهام .

٣ - وكذلك الضمير « أنت » فى قول الشاعر :

أنت فى القولِ كالمه أجملُ الناسِ مذهبا

فما الذى يظنه سامع الضمير : « أنت » الدّال على الخطاب ؟ أليكون المراد : (أنت - الشاعر - أجملُ الناسِ مذهبا) : أم : (أنت - الناثر - ...) أم (أنت - الأديب - ...) أم محمداً - أم عليّاً ؟ ... لا بد من اسم ظاهر كالأسماء التى وصفناها لإزالة العموم والإبهام عن الضمير .

٤ - نشهد فى عصرنا كثيراً من المتعاقدين يبدعون عقود البيع ، والشراء ، والمداينة ، وغيرها - بجملة شاعت بينهم حتى ابتدلت ؛ هى : « نحن - الموقعين - على هذا ، نقر ونعترف بكذا وكذا ... » وكلمة : « الموقعين » هى الاسم الظاهر المعرفة الذى جاء لإزالة ما فى الضمير قبله من عموم وإبهام ، مع اتفاق الاسم الظاهر والضمير فى المدلول ، وتسميئُ الظاهر بما فيه من تحديد وإيضاح

بالتأمل فى الأمثلة السالفة - وأشباهاها - نلاحظ فى كل أسلوب منها بعد إزالة ما فى الضمير من عيب العموم والإبهام : أربعة أمور مجتمعة ، تتصل بموضوعنا اتصالاً أصيلاً قوياً .

أ - ضمير لغير الغائب ؛ يشوبه عموم وإبهام .

ثانيها : اسم ظاهر معرفة : مدلوله الضمير ، ولكنه يُحدّد المراد من ذلك الضمير ، ويخصّصه ، ويوضحه ؛ فيزيل ما فيه من عموم وإبهام .

ثالثها : حكم معنوى وقع على ذلك الضمير .

رابعها : امتداد ذلك الحكم إلى الاسم الظاهر المعرفة (لأنه شريك الضمير فى الدلالة ؛ فيقع عليه ما يقع على الضمير من حكم معنوى) واختصاصه به ، واقتضاره عليه ؛ فيكون هذا اختصاصاً واقتصاراً على بعضٍ مُعين مما يشمله الضمير

(ذلك : أن الضمير بعمومه يشمل أفراداً كثيرة، منها أفراد الاسم الظاهر المعرفة الذى يعتبر أقل أفراداً منه) ، وإن شئت فقل : إن هذا الاسم الظاهر أخص من الضمير الذى بمعناه . فى مثل : (نحن - العرب - بنو الإقدام والإحجام) . نجد الضمير العام المبهم هو : « نحن » والاسم الظاهر المعرفة هو : « العرب » ، والحكم المعنوى الذى وقع على المبتدأ هو : « البنوة » للإقدام والإحجام . وقد خُصص هذا الحكم ببعض أفراد الضمير ؛ وهم : « العرب » ، أى : صار خاصاً بهم ، مقصوراً عليهم . وهكذا يقال فى سائر الأمثلة ، ونظائرها . . .

فالاسم الظاهر المعرفة هو الذى يسميه النحاة فى اصطلاحهم : « المختص » ، أو : « المخصوص » ؛ لاختصاص المعنى به ، ولأنه يُعرب « مفعولاً به » لفعل واجب الحذف مع فاعله ، تقديره الشائع عندهم ، هو : « أخص ^(١) » ويعبرون عن هذه المسألة تعبيراً اصطلاحياً بالغرض منها : وهو : « الاختصاص » . ويشترطون فى أسلوب الاختصاص أن تتحقق فيه الأمور الأربعة السالفة .
ويقولون فى تعريفه : (إنه إصدار حكم على ضمير لغير الغائب ، بعده اسم ظاهر ، معرفة ، معناه معنى ذلك الضمير ، مع تخصيص هذا الحكم بالمعرفة ، وقصره عايتها) .
الغرض منه :

الغرض الأصلى من الاختصاص الاصطلاحي هو : التخصيص والقصر . على الوجه المشروح فيما سلف . وقد يكون الغرض الفخر ؛ نحو : (إني - العربى - لأستكين طاعية) . (إني - الرحالة - أتعلم من الرحلة ما لا أعلمه من الكتاب) وقول الشاعر :

لنا - معشر الأنصار - مجدٌ مؤثِّلٌ بإرضائنا خير البرية أحمداً
أو : التواضع ؛ كقول أحد الخلفاء : (أنا - الضعيف العاجز - أحطّمُ البغى ، وأهْدِمُ قِلاعَ الظالمين . وأنا - البائس الفقير - لا أستريح وبجانبي متأوه ، أو محتاج) . . .

(١) لا مانع أن يكون تقديره : أعنى ، أو : أقصد ، أو : أريد . . . أو ما شاكل هذا - إلا أن الفعل : « أخص » هو المشهور ، ومن مادته جاء الاصطلاح الشائع نحويّاً : « الاختصاص » ولا بد من حذف هذا الفعل مع فاعله - كما أشرنا - ولهذا يعتبرون « المخصوص » هنا نوعاً من « المفعول به » الذى ينصب بفاعل واجب الحذف .

أو : تفصيل ما يتضمنه الضمير من جنس ، أو نوع ، أو عدد . . . ،
 نحو : (نحن - الناس - نخطئ) ونصيب ؛ والعامل من ينتزع من خطئه
 تجربة تعصمه من الزلل مرة أخرى) ، (نحن - المثقفين - قدوة لسوانا ، فإن
 ساءت القدوة فالبلاء فادح) . (أنتم - الأربعة الأئمة - نجوم الهداية ،
 ومصابيح العرفان) .

* * *

حكمه : الاسم ^(١) الواقع عليه الاختصاص ، (وهو : المختص ، أو المخصوص) :
 يجب نصبه دائماً ، على التفصيل الآتي :

١ - إن كان الاسم هو لفظ « أئ » في التذكير أو « أئمة » في التأنيث وجب
 بناؤهما على الضم في محل نصب ^(٢) ؛ على المفعولية ، ووجب أن يتصل بآخرهما
 كلمة : « ها » التي للتنبيه ، وأن يلتزما هذه الصيغة التي لا تتغير إفراداً ، ولا تثنية ،
 ولا جمعاً ، ولا بد أن يكون لكل منهما نعت لازم الرفع بغير بناء ولا إعراب .
 (لأن حركة الرفع هذه هي مجرد حركة ظاهرية صورية ^(٣) . . . لحجارة « أئ » ، وأية «
 ومماثلتهما فيها ، تجيء تبعاً للفظهما المبني) ، وأن يكون هذا النعت مبدوءاً بأل
 التي للعهد الحضوري ؛ نحو : (أنا - أيُّها الجندى - فداء وطني) . (نحن -
 أيُّها الجنديان - نقضي الليل ساهرين) . (نحن - أيُّها الجنود - حماة
 الأوطان) . (أنا - أيُّها الصانعة - حريصة على الإنقاذ) . (نحن - أيُّها
 الصانعتان - حريصتان على الإنقاذ) . . . (نحن - أيُّها الصانعات - حريصات
 على الإنقاذ . . .) .

فالضمير في كل ما سبق ، مبتدأ . وكلمة « أئ » ، أو : « أئمة » مفعول به لفعل
 واجب الحذف مع فاعله ، تقديره - مثلاً - : « أخص » وهي مبنية على الضم
 في محل نصب . و « ها » حرف تنبيه مبني على السكون . والاسم المعرفة المقرون بأل ، نعت
 مرفوع حتماً ، رفع إتياع للناحية الشكلية اللفظية وحدها . وليس له محل ^(٣) إعرابي

(١) هذا الاسم أربعة أنواع ، يجيء بيانها في الزيادة ص ١٢٥ .

(٢) يقول النحاة إنهما بنيا هنا حملاً لهما على النداء ، لأن أسباب البناء لا تنطبق عليهما . والحق

أن علة بناؤهما على الضم هنا وفي باب النداء هي الاستعمال العربي وحده .

(وفي صدر الجزء الأول بيان الأسباب التي ذكروها للبناء ، ثم تفنيدها) .

(٣ ، ٣) التحقيق أن ضمته إتياع صوري لفظي (كما سبق في باب النداء ص ٤٥ و ٤٩) ؛ إذ =

مطلقاً . مع أنه تابع للفظ كلمتى : « أئى وأئة » المبينتين على الضم لفظاً ، وإن كانتا منصوبتين محلاً — كما سبق .

ويصح تأخيرهما فى نهاية الجملة : مثل : (نحن أنصارُ الحق أئبها الطلابُ) (نحن أنصارُ الفضيلة أئبها الفتياتُ . . .)^(١) .

٢ — إن كان الاسم المختص لفظاً آخر غير : « أئى وأئة » وجب نصبيه ، سواءً أكان مضافاً أم غير مضاف . نحو (أنا — الطبيب — لا أتوانى فى إجابة الداعى . . .) . : (أنا — طالب العلم — لا تفتُرُ رغبى فيه)^(٢) .

* * *

أوجه التشابه والتخالف بين الاختصاص والنداء :

بين الاختصاص والنداء تشابهٌ فى أمور ، وتختلف فى أخرى . فيتشابهان فى ثلاثة أمور^(٢) :

أولها : إفادة كلٍّ منهما الاختصاص وهو فى هذا الباب خاص بالمتكلم أو المخاطب ، وفى باب النداء خاص بالمخاطب .

ثانيها : أن كلا منهما للحاضر (أى المتكلم أو المخاطب)^(٣) ولا يكون ضمير غائب .

ثالثها : أن الاختصاص يؤدى — بسبب ما فيه من تحديد وإيضاح — إلى تقوية المعنى وتوكيده ، وقد يتحقق هذا فى النداء كذلك أحياناً ، كقولك لمن هو مصغٍ إليك ، مقبل على حديثك : إن الأمر — يا فلان^(٤) — هو ما فصلته لك^(٥) . . .

= لا مقتضى للرفع الإعرابى ، ولا للبناء ، فهى محض حركة صورية — فيما يقال — . ولكن انظر تفصيل الكلام فى هذا الحكم الهام فى رقم ١ من هامش ص ٤٧ . .

(١) إعراب هذه الجملة الفعلية المحذوفة موضع فى « ب » ص ١٢٥ .

(٢ و ٣) يردد النحاة هذه الأوجه لإثبات المشابهة . والحق أن هذه المشابهة واهية ، ولا يكاد أمرها يقوى إلا فى « أئى وأئة » بسبب بنائهما على الضم فى محل نصب ، ووجود حرف التنبيه والنعت بعدهما ، وكل هذا مع الأمور الثلاثة السالفة .

(٣) يلاحظ أن النداء — كما سبق فى بابه ، ص ١ وفى هامش ص ٦٨ — لا يكون للمتكلم .

(٤) ويذكر اسمه الحقيقى فى النداء .

(٥) سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٢ من هامش ص ١ .

ويختلفان في أمور : بعضها لفظي ، والآخر معنوي . فاللفظية أشهرها :

١ - أن الاسم المختص لا يذكر معه حرف نداء مطلقاً ، لا لفظاً ، ولا تقديرًا . (لا « يا » ، ولا غيرها) .

٢ - أنه لا يكون في صدر الجملة وإنما يكون بين طياتها - كأمثلة السالفة - أو في آخرها : نحو : اللهم ساعدنا على النصر - أيُّها الجنودُ ، أو أيَّتُها الكتيبةُ .

٣ - أنه لا بد أن يسبقه ضمير بمعناه في التكلم ^(١) أو الخطاب - .
والغالب أن يكون ضمير تكلم . ولا يصح أن يكون السابق ضمير غيبة ، ولا اسمًا ظاهرًا . ومن أمثلة ضمير الخطاب قولهم في الدعاء : (سبحانك الله العظيم) ، (وبك - الله - نرجو الفضل) . ينصب كلمة : « الله » فيهما .

٤ - أن الاسم المختص منصوب دائماً في لفظه ، علمًا كان أو غير علم إلا « أئى وأية » فإنهما مبيتان على الضم لفظاً ، منصوبتان محلاً . . . أما المنادى فإن العلم والنكرة المقصودة مبنيان فيه - في الأغلب - على الضم في محل نصب ، وكذا : أئى ، وأية ؛ يبنيان في النداء على الضم في محل نصب .

٥ - أنه يقل أن يكون علمًا - ومع قلته جائز - نحو : أنا - خالدًا - حطمت أصنام الجاهلية .

٦ - أنه يكثر تصديره « بأل » بخلاف المنادى فلا يجوز اقترانه بأل إلا في بعض حالات سبق سردها ^(٢) .

٧ - أنه لا يكون نكرة ، ولا اسم إشارة ، ولا ضميرًا ، ولا اسم موصول .

٨ - أن « أئى وأية » هنا لا توصفان باسم إشارة . بخلافهما في النداء ، وأن صفتهم واجبة الرفع الصورى اتفاقاً ، بخلافهما في النداء ^(٣) .

٩ - أن « أئى » مختصة هنا بالذكر مفرداً ، ومثنى ، وجمعاً ، ولا تستعمل للمؤنث

(١) سواء أكان ضمير المتكلم خاصاً به وحده ، أم شاركه فيه غيره ؛ فالخاص مثل : « أنا » والآخر مثل : « نحن » .

(٢) في ص ٣٦ .

(٣) في رقم ٢ من ص ٤٥ ورقم ٣ من هامش ص ٤٦ ما يوضح هذا الخلاف .

بخلافها في النداء : كما أن « آية » مختصة هنا وفي النداء ، بالمؤنث مفرداً ومثنى ، وجمعاً ، ولا تكون للمذكر .

١٠ - أنه لا يُرَخِّم اختياراً ، ولا يستغاث به ، ولا يندب . . .

١١ - أن العامل هنا محذوف وجوباً مع فاعله بغير تعويض ، أما في النداء فحرف النداء عوض عنهما . وأن الفعل المحذوف هنا تقديره - غالباً - « أُخْص » أو : ما بمعناه . أما في النداء فالفعل تقديره : أدعو : أو : أنادى ، أو : ما بمعناها والمعنوية أشهرها :

١ - أن الكلام مع الاختصاص خبر ، ومع النداء إنشاء .

٢ - أن الغرض الأصلي من الاختصاص هو قصر المعنى على الاسم المعرفة ، وتخصيصه من بين أمثاله بما نسب إليه . وقد يكون الغرض هو : الفخر ، أو التواضع أو : زيادة البيان : - كما شرحنا - وأما الغرض من النداء الأصلي ^(١) فطلب الإقبال . بالتفصيل الذي سردناه ^(٢) في بابه ^(٣) . . .

(١) دون النداء الذي يخرج عن الغرض الأصلي إلى غيره .

(٢) ص ١ وما بعدها و - من ص ٥ .

(٣) وقد اقتصر ابن مالك في بيان ما سبق كله ، على بيتين دَوَّهما في باب مستقل عنوانه :

الاختصاص ، قال :

الاختِصاصُ : كَنداءِ دُونَ « يَا » كَأَيِّهَا الْفَتَى ؛ بِإِثْرِ : ارجُونِيَا

أى : كقولك ارجوني أيها الفتى ، بوقوع : « أيها الفتى » إثر : « ارجوني » ، أى : على إثرها ، وبعدها . ثم قال :

وَقَدْ يُرَى ذَا دُونَ « أَيْ » تِلَو « أَل » كَمَثَل : نَحْنُ الْعُرْبُ أَسْخَى مِنْ بَذَلْ

أى : قد يرى الاختصاص مستعملاً من غير كلمة « أى » ، وأية » فيه . يريد : من غير أن يكون الاسم المختص هو لفظ : « أى » ، أو : أية » وإنما يكون اسماً مشتملاً على « أَل » كالمثال الذى ساقه ، وهو : (نحن - العرب - أسخى من بذل) ، أى : أكرم من أعطى ماله . فكل ما يفهم من البيتين هو أن الاختصاص كالنداء ، لكن من غير حرف نداء مطلقاً ، وأن لفظه قد يكون : « أَيْ » وأية » ، وأن الاختصاص قد يستغنى عنهما باسم ظاهر فيه : « أَل » وهذا الكلام مبثور .

زيادة وتفصيل :

(١) يفهم مما سبق أن الاسم المختص (المخصوص) أربعة أنواع .
 الأول منها مبنى على الضم وجوباً ، في محل نصب وهو : « أى » للمذكر
 و « آية » للمؤنث ؛ مع التزام كل صيغة بصورتها في جميع استعمالاتها ، ووقوع
 « ها » التى للتنبيه بعدهما ، وبجىء نعت لهما مقرون بأل التى للعهد الحضورى .
 أما الثلاثة الباقية فواجبة النصب ، وهى : المقرون بأل ، نحو : (نحن -
 الشرفاء - نرفع عن الدنيا) . والمضاف ، نحو : (أنا - صانع المعروف -
 لا أرجو عليه جزاء) . والعلم - وهو أقل الأربعة استعمالاً - نحو : (أنا - علياً -
 لأهاب فى سبيل الحق شيئاً) .

(ب) الاسم المختص منصوب بفعل محذوف وجوباً مع فاعله ، والجملة - فى الغالب -
 تكون فى محل نصب ، حالاً من الضمير الصالح قبلها لأن يكون صاحب حال ^(١) ؛
 كالتى فى مثل : ارجوفى ^(٢) أيها الفتى . وفى مثل : ربنا اغفر لنا آيتنا الجماعة ^(٣) .
 وقد تكون أحياناً معترضة : مثل : نحن - الحكام - خدّامُ الوطن ، أى : أخص
 الحكام . فهذه معترضة بين المبتدأ وأخبره . ومثلها : إنا - معاشرَ الأنبياء - لانورث ^(٤) .

(١) فليس منه الضمير الذى يعرب مبتدأ فى رأى كثير من النحاة - وإن كان فى رأيهم تسف
 كما سيجىء هنا فى رقم ٤ - .

(٢) التقدير : ارجوفى حال كوفى مخصوصاً من بين الفتيان - اغفر لنا حال كوننا مخصوصين
 بين الجماعات . وقد نص النحاة على إعراب واو الجماعة فاعلاً لفعل الأمر ، وعلى إعراب جملى الاختصاص
 فى المثالين حالين من الياء ، ونا .

(٣) فلا يكون لها محل من الإعراب ؛ كالأشأن فى كل الجمل المعترضة .

(٤) كانت الجملة هنا معترضة لتوسطها بين شيئين متلازمين ؛ قبل أن يستوفى أولهما ما يلزم له .
 وقد نص النحاة على أنها معترضة ، ولم يعربوها هنا حالاً من الضمير الذى قبلها - كما أعربوها فى المثالين
 السابقين - فراراً من مجيء الحال مما أصله المبتدأ ؛ إذ الشائع بين كثيرهم ألا يكون صاحب الحال مبتدأ ،
 ولا أصله مبتدأ ، وقد عرضنا - فى الجزء الثانى ، باب : الحال م ٨٤ ص ٣٣٩ وم ٨٥ ص ٣٧٧ - لهذا
 الشائع ، وانتهينا إلى تحطّته بالحجة القوية . وإذا لا مانع أن تكون جملة الاختصاص الفعلية فى المثالين
 الأخيرين وأشباههما جملة حالية أو معترضة ، بل إنها فى الحالية أنسب للغرض ، وأوضح .

التحذير والإغراء

(١) التحذير : « تنبيه المخاطب على أمر مكروه ؛ ليجتنبه »^(١) . والأصل في أسلوب التحذير أن يشتمل على ثلاثة أمور مجتمعة :
 أولاً : « المحذّر » ، وهو المتكلم الذى يُوجّه التنبيه لغيره .
 ثانياً : « المحذّر » ، وهو الذى يتجه إليه التنبيه .
 ثالثها : « المحذور » ، أو « المحذّر منه » ، وهو : الأمر المكروه الذى يصدر بسببه التنبيه .

ولكن هذا الأصل قد يُعدّل عنه أحياناً كثيرة ، فيقتصر الأسلوب على بعض تلك الأمور الثلاثة ، — كما سنعرف — .

ولأسلوب التحذير — بمعناه اللغوى العام^(٢) — صور مختلفة ؛ منها : صورة الأمر ؛ كالذى فى قول الشاعر :

احذّر مصاحبة اللئيم ؛ فإنها تُعدى كما يُعدى السليم الأجربُ

ومنها : صورة النهى ؛ كقول الأعرابى فى لغته ، وقد فتنته :

لا تَلْمُنْنِي فى هواها ليس يرضينى سواها . . .

ومنها : الصورة المبدوعة بالضمير « إِيَّاكَ »^(٣) « وفروعه الخاصة بالحطاب »^(٤)

(١) هذا تعريف لغوى يردده — بنصه — كثير من النحاة . ولكن يفضل بعضهم أن يقال : (إنه اسم منصوب ، معمول للفعل : « أُحذّر » المحذوف ، ونحوه .) لأن هذا يناسب مهمة النحو التى هى البحث فى أحوال الكلم إعراباً وبناءً . وأيضاً ليدخل فى التعريف نحو قول الشاعر :

بيني وبينك حرمة الله فى تضييعها

بنصب كلمة : « الله » ، بعامل مخوف تقديره : احذّر ، أو : احش ، أو : اتق ، أو نحو ذلك . . .
 فبناء على التعريف اللغوى يكون : « الله » هو الأمر المكروه ؛ وهذا لا يليق .

(٢) الذى يشمل « الاصطلاحى » الآتى ، وغير الاصطلاحى .

(٣) بكسر الهمزة ، مجازة لأفصح اللغات ، وأشهرها ، ويجوز فتحها فى لغة ، كما يجوز قلبها

« هاء مكسورة » فى لغة أخرى (٤) هى : إِيَّاكَ ، وإِيَّاكُم ، وإِيَّاكُن .

كالذي في قول أغرابية لابنها : (إياك والنميمة ^(١)) . فإنها تزرع الضغينة ^(٢) ، وتُهرِّقُ بين المحبين . وإياك والتعرُّضَ للعيوب ؛ فَسَتُخَذُّ غَرَضًا ^(٣) ، وخليقٌ ^(٤) ألاَّ يثبت الغرضُ على كثرة السَّهام ...) وقولهم : (إياكم وثورة الغضب فإنها تتجلبب المرض وسوء العاقبة .) إلى غير هذا من العبارات والصور المتعددة التي تحقق « التحذير » بمعناه اللغوي العام .

غير أن الكثير من الصور السالفة لا يخضع لأحكام هذا الباب . ولا تنطبق عليه ضوابطه النحوية وقواعده ؛ لأن هذه الضوابط والقواعد والأحكام ، لا تنطبق إلا على خمسة أنواع « اصطلاحية » ؛ يسمونها : « صور التحذير الاصطلاحي » ، هي — وحدها — المقصودة من هذا الباب بكل ما يحويه ، ولا سيما اشتمال كل منها على اسم منصوب يُعْرَبُ مفعولاً به لفعلٍ مَحذُوفٍ مع مرفوعه . وفيما يلي بيان هذه الأنواع الخمسة الاصطلاحية :

النوع الأول : صورة تقتصر على ذكر « المحذَر منه » (وهو : الأمر المكروه) اسماً ظاهراً ^(٥) ، دون تكرار ، ولا عطف مثيل له عليه — والمراد بالمثل هنا : مُحذَرٌ منه ، آخر — ؛ كتحذير الطفل من النار ؛ بأن يقال له : النار ، وكتحذيره من سيارة ؛ بأن يقال له : السيَّارة .

وحكم هذا النوع : جواز نصبه بفعل محذوف جوازاً هو ومرفوعه . فكلمة : « النار » أو « السيارة » يجوز نصبها على اعتبارها مفعولاً به لفعل محذوف جوازاً تقديره — مثلاً — : احذَر النار — احذر السيارة . والفاعل ضمير محذوف معه أيضاً ؛ تقديره : أنت . ويجوز تقدير فعل آخر يناسب المعنى والسياق من غير تقييد بشيء في اختياره إلا موافقة المعنى ، وصحة التركيب ، مثل : اجتنب النار — اجتنب السيارة ... أو : حاذر ، أو : جانب ...

وفي كل هذه الأمثلة يصح حذف الفعل وفاعله معاً . أو ذكرهما معاً ^(٦) ،

(١) السعي بين الناس بالإفساد .

(٢) الحقد والعداوة .

(٣) هدفاً تُصوب إليه السهام .

(٤) جدير ، أمر محقق ...

(٥) أى : ليس ضميراً

(٦) مع ملاحظة أن الضمير المستتر نوع من

الضمير المذكور — لا من المحذوف — طبقاً لما سبق إيضاحه في باب الضمير — ج ١ .

فيقال : النار ، أو اجتنب النار . . . كما يصح ضبط « المحذَر منه » ضبطاً آخر غير النصب ، كالرفع ؛ فيقال : النارُ . على اعتباره — مثلاً — مبتدأ خبره محذوف . لكنه في حالة التصريح بفعله لا يدخل في عداد الأساليب الاصطلاحية الخمسة ، وكذلك في حالة ضبطه بغير النصب . إذ الشرط الأساسي في التحذير الاصطلاحي . أن يكون الاسم منصوباً على أنه : « مفعول به » . وناصبه عامل محذوف هو ومرفوعه^(١) . معاً .

النوع الثاني : صورة تشتمل على ذكر « المحذَر منه » اسماً ظاهراً^(٢) ؛ إما مكرراً . وإما معطوفاً عليه مثله بالواو — دون غيرها — ؛ نحو : البردَ البردَ — البردَ والمطرَ .

وحكم هذا النوع : وجوب نصب الاسم في صورتين بعامل محذوف مع مرفوعه وجوباً^(٣) . ويراعى في تقديره موافقته للمعنى وصحة التركيب ؛ نحو : (احذر البردَ البردَ — احذر البردَ والمطرَ) . أو : تجنب . . . أو اتق . . . فحكم هذا النوع : وجوب النصب ، ووجوب حذف العامل ومرفوعه معاً . ويتعين في صورة « التكرار » أن يكون الاسم الثاني تأكيداً لفظياً ، وفي حالة « العطف » أن يكون حرف العطف هو : « الواو » — دون غيرها — وما بعدها معطوف على الاسم قبلها عطف مفردات ، لا عطف جُمُلت .

النوع الثالث : صورة تشتمل على ذكر اسم ظاهر^(٣) مختوم بكاف خطاب للمحذَر ؛ بحيث يكون هذا الاسم هو الموضع أو الشيء الذي يُخاف عليه ، سواء أكان مكرراً أم غير مكرر . معطوفاً عليه بالواو مثيل له — أى : « مُحذَر آخر » أم غير معطوف . ولا بد في صورة العطف أن يكون المعطوف « مُحذَراً » أيضاً (كالمعطوف عليه) ؛ كأن يقال لمن يحاول لمس طلاء سائل : يدك — أو : يدك يدك — أو : يدك وملابسك . والتقدير : أبعد يدك . . . — أبعد يدك وملابسك . . . ، أو : صُنْ يدك . . . ، صن يدك وملابسك . . . ويصح اختيار عامل محذوف آخر يناسب السياق والتركيب . . .

(١) والداعي البلاغي للحذف هو ضيق الوقت ، لأن أكثر حالات التحذير تتطلب الإسراع ؛ لينتبه المخاطب قبل فوات الفرصة ، كي لا يصيبه المكروه بفواتها .

(٢ و ٣) أى : ليس ضميراً — كما سبق —

(٣) لهذا إيضاح آخر ، يجيء في : « د » و « هـ » من الزيادة والتفصيل ص ١٣٤ و ١٣٥

وحكم هذا النوع : وجوب نصب الاسم السابق الذى تكرر ، وكذلك المعطوف عليه . والنائب لهما عامل محذوف مع مرفوعه وجوباً^(١) وما بعد الواو معطوف على ما قبلها عطف مفردات ، أمّا الذى جاء تكراراً فتوكيد لفظي .

فإن كان الاسم منفرداً (أى : ليس مكرراً ولا معطوفاً عليه) فحكمه حكم النوع الأول الذى يجوز نصبه بعامل محذوف مع مرفوعه جوازاً - لا وجوباً - فيصح إظهار عامله وحذفه ، كما يصح ضبطه بغير النصب ؛ فإذا ظهر عامله أو كان الضبط بغير النصب فلن يكون من أساليب « التحذير الاصطلاحي » ؛ - كما أوضحنا فى ذلك النوع - .

النوع الرابع : صورة تشتمل على اسم ظاهر مختوم بكاف خطاب للمحذّر ، ويكون هذا الاسم كما فى النوع السالف هو الموضع أو الشيء الذى يخاف عليه ، ولكن قد عطف عليه بالواو - دون غيرها - « المُحذّر منه » ؛ نحو : يدك والسكين - رأسك وحرارة الشمس - مواعيدك والخلف . فالمعطوف هنا « محذّر منه » ، بخلافه فى النوع السالف الذى يكون فيه المعطوف « محذّراً » . . . (٢)

وحكم هذا النوع : وجوب نصب الاسم الظاهر والمعطوف ، وأن يكون عامل النصب محذوفاً مع مرفوعه وجوباً^(٣) . والأيسر والأسهل اختيار عاملين مناسبين^(٤) أحدهما : للمعطوف عليه ، والآخر : للمعطوف . ولا يراعى فى اختيارهما إلا مناسبتهما للسياق والتركيب ؛ كأن يقال : صنّ يدك وأبعد السكين - احفظ رأسك ؛ واحذر حرارة الشمس - تذكر مواعيدك ، وتجنب الخلف . . . وأمثال هذا مما هو مناسب . وعلى هذا التقدير يكون أسلوب التحذير جملتين تشتمل السابقة منهما على الموضع أو الشيء الذى يُخاف عليه ، ويتجه إليه التحذير ،

(١) لهذا الحكم إيضاح آخر يجىء فى « د » و « هـ » من الزيادة والتفصيل ، ص ١٣٤ و ١٣٥ .

(٢) الفرق بين هذا النوع وسابقه . أن هذا النوع لا بد فيه من معطوف يكون محذّراً منه . أما السابق فقد يوجد معطوف أو لا يوجد ، وإن وجد وجب أن يكون اسماً ظاهراً موضعاً للخوف عليه ، وليس محذّراً منه .

(٣) لهذا الحكم إيضاح يجىء فى « د » و « هـ » من الزيادة ص ١٣٤ و ١٣٥ .

(٤) وقد يمكن اختيار عامل واحد يستقيم معه المعنى ، ويسائر الضوابط العامة . وفى هذه الحالة يكون المعطوف عطف مفردات .

وتشتمل المتأخرة على « محذّر منه » وبين الجملتين واو العطف ؛ تعطف الجملة الثانية على الأولى ؛ فيكون العطف عطف جُمُعل ، لا مفردات ^(١) . . .

النوع الخامس : صورة تشتمل على ذكر المحذّر ضميراً منصوباً للمخاطب ، هو : « إياك » ^(٢) وفروعه . وبعده « المحذّر منه » ، اسماً مسبوقاً بالواو ، — دون غيرها — أو غير مسبوق بها ، أو مجروراً بالحرف : « مِن » . فلا بد في هذا النوع من ذكر « المحذّر » ضميراً معيّناً ، ثم « المحذّر منه » . فمثال المسبوق بالواو قول الأعرابية لابنها ~~بكم~~ (إياك والحدود بدینک ، والبخل بمالك . . .) . وقولهم : إياكم والديّن ؛ فإنه همّ بالليل ، ومثله بالنهار . ومثال غير المسبوق بها قولهم : (إياكم تحكیم الأهواء السيئة ؛ فإن عاجلتها ذميم ، وآجلها وخيم . ومن أमत هواه أحيا كرامته) . وقول الشاعر :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاء ^(٣) ؛ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ ، وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ

ومثال المجرور بمن قولهم : (إياك من مؤاخاة الأحمق ؛ فإنه يريد أن يفعلك فيضرك) . وقولهم : (إياك من عزّة الغضب الطائش ؛ فإنها تُفضي إلى ذلة الاعتذار المهين) .

وحكم هذا النوع : وجوب ذكر المحذّر منه بعد الضمير « إياك » وفروعه ، ووجوب نصب هذا الضمير ^(٤) ؛ باعتباره مفعولاً به لفعل واجب الحذف مع مرفوعه ، تقديره : « أحمذّر » ، والأصل : « أحمذرك » . ثم أريد تقديم : « الكاف » لداع بلاغي ؛ هو : « إفادة الحصر » ؛ فنع من تقديمها أنها ضمير متصل لا يستقل بنفسه ، ولا يوجد إلا في ختام كلمة أخرى . فلم يكن بدّ — عند إرادة تقديمه — من الاستغناء عنه ، والإتيان بضمير آخر منصوب ، له معناه ، ويمتاز بأنه يستقل

(١) هناك تقديرات وإعرابات أخرى لا تسلم من تعقيد أو صعوبة . ولا حاجة لنا بها بعد أن تلاقى الآراء المختلفة عند وجوب نصب المتعاطفين ، ووجوب حذف عامل النصب مع مرفوعه . أما الخلاف العنيف في غير هاتين الناحيتين فيرجحنا منه الالتجاء إلى الطريقة التي تخيرناها .

(٢) الأحسن اعتبار « إياها » ومعها علامة الخطاب التي بعدها ، هما الضمير المنصوب ، ولا داعي لاعتبار الضمير هو : « إياها » ، واعتبار ما بعده حرف خطاب

(وقد سبق إيضاح هذا وتفصيل الكلام عليه في موضعه من باب : « الضمير » ج ١ ص ١٦٣ م ١٩) .

(٣) الطعن في كلام غيرك بقصد تكذيبه ، وتحقيره .

(٤) للحكم إيضاح يجيء في « د و ه » من الزيادة والتفصيل ص ١٣٤ و ١٣٥ .

بنفسه ، وهو الضمير : « إياك » فصار الكلام : « إياك أحذر » ثم حذف الفعل والفاعل معاً ، مجازة للمأثور من الكلام الفصيح الذى يطرّد فيه هذا الحذف الواجب .

أما الاسم الظاهر المذكور بعد « إياك » وفروعها فإن سبقته واو العطف وجب نصبه بفعل محذوف مع مرفوعه وجوباً . والأحسن الأيسر - اختيار فعل خاص به يناسبه ويساير المقام ، ويكون غير الفعل الناصب للضمير « إياك » فيجتمع في الأسلوب فعلان محذوفان مع مرفوعيهما . فى المثالين السابقين^(١) : « إياك والنميمة - (إياك والتعرض للعيوب ...) يكون التقدير : إياك أحذر ، وأبغضُ النميمة - إياك أحذر ، وأقبحُ التعرّض للعيوب . بمعنى : أحذرك وأبغض ... وأقبح ... ويصح أن يكون التقدير : إياك احفظ^(٢) ، واحذر النميمة - إياك احفظ^(٣) ، واترك التعرّض للعيوب وهكذا من غير تقييد بشيء إلا نصب الاسم بعد الواو ، واختيار فعل - أى فعل - يناسب المقام ، ويساير الأسلوب الصحيح . وعلى هذا تكون الواو حرف عطف ، والجملة بعدها معطوفة على الجملة التى قبلها . وبالرغم من حذف الفعل ومرفوعه فى كل جملة ؛ يراعى المحذوف هنا فى العطف كأنه مذكور ؛ فى الأسلوب جملتان ، الثانية منهما معطوفة بالواو على الأولى .

فإن لم تكن الواو مذكورة فالأسهل إعراب المنصوب بعدها مفعولاً به للفعل : « أحذر » المحذوف ؛ لأنه قد ينصب مفعولين بنفسه مباشرة . فأول المفعولين هو : « إياك » وفروعه ، وثانى المفعولين هو الاسم الظاهر الواقع بعد الضمير « إياك » ، وفروعه . أما إذا قلنا : « إياك من النميمة ... » . « إياك من التعرّض للعيوب ... » . فإن الجار مع مجروره متملّتان بالفعل المحذوف وجوباً ؛ وهو : « أحذر » ؛ لأنه قد يتعدى أيضاً -

(١) فى ص ١٢٧ .

(٢ و ٣) والأصل : احفظ نفسك واحذر النميمة ، أو : باعد نفسك حذف الفعل وفاعله فصار الكلام : نفسك واحذر النميمة ، ثم حذف المضاف (نفس) وأقيم المضاف إليه (وهو : الكاف) مقامه ، فصار منصوباً مثله ؛ وأتينا بدله بضمير منفصل ؛ هو : « إياك » ، السبب الذى يبينه فى الصفحة السالفة . ونعود فنكرر هنا ما رددناه - وما سيجىء - فى « ١ » - ص ١٣٣ - ؛ وهو : أن تقدير الفعل المحذوف فى جميع مسائل هذا الباب - وغيره - متروك للمتكلم يختاره بغير قيد ، لإقيد المناسبة للسياق ، ومسايرته للتركيب الصحيح . ومن المسائرة للتركيب الصحيح ألا تعطف الجملة الثانية على الأولى إذا كانت إحداها خبراً والأخرى إنشاء ، - طبقاً للرأى الأقوى .

لمفعولين ؛ ينصب أحدهما بنفسه مباشرة ، ويتعدى للآخر بحرف الجر : « من » .
 وفي جميع الصور السالفة يجوز تكرار الضمير « إياك » وعدم تكراره ؛ فلا يتغير
 شيء من الأحكام المتقدمة . وعند التكرار يُعرب « إياك » الثاني تأكيداً لفظياً للأول .
 ولا يصح أن يكون الضمير « إياً » المَحذَر مختوماً بغير علامة الخطاب^(١) فلا
 يقال : إياى ومعاونة الظالم ، ولا إياه ومعاونة الظالم ؛ لأن المتكلم لا يحذر نفسه ،
 ولا يحذر الغائب . وقد وردت أمثلة نادرة من هذا النوع الممنوع ، لا يصح القياس عليها .
 لكن يصح أن يكون « المحذَر منه » ضميراً غائباً معطوفاً على « المحذَر » ؛
 نحو : لا تصاحب الأحمق ، وإياك وإياه . فالضمير « إياه » فى حكم كلمة
 « النسيمة » فى مثال : « إياك والنسيمة . . . » ومن هذا قول الشاعر القديم :

فلا تصحب أخاً الجهل وإياك وإياه

وعلى هذا لا يكون التحذير بضميرى الغائب والمتكلم شاذاً إلا إذا كان محذراً
 لا محذراً منه^(٢) . . .

* * *

يمكن تلخيص الأحكام السابقة كلها فيما يأتى :

١ - إن كان أسلوب التحذير مصدرراً بالضمير « إياك » وفروعه - وجب
 فى كل الأحوال نصب هذا الضمير بعامل محذوف مع مرفوعه وجوباً . سواء فى هذا
 أن يكون الضمير مكرراً أم غير مكرر ، عطف عليه ، أم لم يعطف عليه ، جرّ
 بعده « المحذَر منه » أم نصب . . .

٢ - إن كان أسلوب التحذير غير مُصدر بالضمير « إياك » وفروعه وجب
 نصب الاسم الظاهر بعامل محذوف مع مرفوعه وجوباً ؛ بشرط العطف أو التكرار^(٣) .
 فإن لم يوجد عطف ولا تكرار جاز النصب بعامل محذوف مع مرفوعه جوازاً ؛ فيصح
 إظهارهما ، كما يصح ضبط الاسم بغير النصب . وفى حالة إظهارهما ، أو ضبط الاسم
 بغير النصب - حيث لا عطف ولا تكرار فيهما - لا يتعين الأسلوب للتحذير . . .

(١) غيرها هو علامة التكلم ، أو الغياب . (٢) راجع الخضرى .

(٣) انظر « دوه » - ص ١٣٤ و ١٣٥ - فى الزيادة والتفصيل التاليين ، حيث ترى إيضاحاً وتكبلاً .

زيادة وتفصيل :

(١) تضمنت المراجع المطولة جنداً لا يصدّح الرأس في تقدير عامل النصب المحذوف في التحذير - ولا سيما ناصب الضمير « إياك وفروعه » - أهو الفعل : أَحْذَرُ ، أم بَاعَدُ ، أم أَجْتَنِبُ . أم أَحْذَرُ ؟ ... أينصب مباشرة أم لا ينصب إلا على تأويل آخر ... و ...

والأمر لا يحتاج لكل هذا . وخير ما يقال في شأن المحذوف هو ما سجله بعض المحققين ، أونصّه ^(١) : (الحق أن يقال : لا يقتصر على تقدير : « باعد » ، ولا على تقدير : « احذر » ... ؛ بل الواجب تقدير ما يؤدي الغرض ؛ إذ المقدّر ليس أمراً مُتَعَبِّداً به لا يُعَدَّلُ عنه ^(١)) .

وهذا رأى نفيس ، صادق ، يجب اتخاذه دستوراً عند تقدير المحذوف في التحذير ، وفي الإغراء ، وفي غيرهما من كل ما يحتاج إلى تقدير .

(ب) يقول بعض النحاة إن الضمير : « إياك » وفروعه منصوب بفعل محذوف مع فاعله ، وأن فاعله الضمير عاد فاستتر في الضمير « إياك » وصار « إياك » مغنياً عن التلغظ بالفعل المحذوف ، ففي مثل قولهم : « إياك والحسد ، فإنه يؤثر فيك أسوأ الأثر ، ولا يؤثر في عدوك ... » نجد في أنفط إياك ضميرين :

أحدهما : هذا البارز المنفصل المنصوب ، وهو : « إياك » .

ضمير رفع ، مستكن فيه ، منتقل إليه من الفعل الناصب له . ويترتب على هذا أنك إذا أكدت : « إياك » توكيداً معنوياً بالنفس ، أو بالعين ، قلت : إياك نفساً . أو إياك أنت نفسك ، بفصل أو بغير فصل ؛ طبقاً للقواعد التوكيد المعنوي بالنفس والعين . أما إذا أكدت ضمير الرفع المستكن فيه فإنك تقول مراعاة لتلك القواعد : إياك أنت نفسك ، بالفصل بالضمير المرفوع المنفصل ، دون ترك الفاصل . ومثل هذا يراعى عند العطف ؛ على الضمير المنصوب « إياك » : فتقول إياك والصدق ، والسفهاء . أو إياك أنت والصدق ، والسفهاء ؛

بفصل أو بغير فصل ، ومن الأول الذى لا فصل فيه قولهم ^(١) : (إيّاكم والكبر ،
والسُخْفَ ، والعظمة ^(٢) ، فإنها عداوة مجتلبة ^(٣) من غير إحسنة ^(٤)) . وتقول عند
العطف على الضمير المرفوع وحده : إياك أنت والصديق ، بالفصل .

وكل ما تقدم مبنى على أن الضمير الفاعل ينتقل من الفعل المحذوف ، ويستتر
فى « إياك » وإخوته . وهو رأى لا يأخذ به فريق آخر يقرر أن الفعل وفاعله
حذفاً معاً : ولم يرجع الفاعل المحذوف ليستكن فى « إياك » وفروعه ، فليس
معناً إلا ضمير واحد هو الضمير المنصوب البارز (إياك وفروعه) .
والأخذ بهذا رأى أولى ؛ لبعده من التكاف والتعقيد ؛ ولأن الفريق الأول
لم يؤيد رأيه — فيما رجعت إليه — بأمثلة من الكلام الفصيح يكون لها وحدها القول
الفصل .

(ح) يقول الرضى : (إن « المحذّر منه » المكرر يكون اسماً ظاهراً ؛ نحو :
الأسد الأسد ، وسيفك سيفك . ويكون مضمراً ؛ كإياك إياك ، وإياه إياه :
وإياى إياى) .

والأحسن العدول عن المضمّر لندرة الأمثلة الواردة منه ندرة لا تبيح القياس
عليه ، ولا سيما ضمير غير مخاطب .

(د) قد يرفع ، المكرر والمعطوف فى أسلوب التحذير — وفى أساليب الإغراء ،
وسياقى قريباً ^(٥) — وفى هذه الحالة لا يكون الأسلوب تحذيراً اصطلاحياً . قال
الفراء فى قوله تعالى : « ناقة الله وسقياها » .. نصبت كلمة : « ناقة » على التحذير ^(٦) .
ولورفعت على إضمار مبتدأ مثل كلمة : « هذه » لحاز ، وكان التقدير : هذه ناقة الله ؛

(١) ما يأتى بعض وصية طويلة لعبد الحميد الكاتب ينصح فيها الكتاب (وهم : الأدباء) ويوضح
آداب الكتابة بعد أن صار زعيم الكتاب فى عصره ، والكاتب الخاص لمروان بن محمد ، آخر خلفاء
الأمويين . وقد قتل عبد الحميد سنة ١٣٢ هـ وهى السنة التى قامت فيها الدولة العباسية بعد أن أبادت الدولة
الأموية . (٢) المراد بها : الكبر .

(٣) مجلوبة ، يحرها صاحبها على نفسه بعمله ، وليس البد منها أمراً خارجاً عن اختياره .
(٤) الإحنة : العداوة . يريد : أن المرء يجلب لنفسه العداوة بسبب تلك الصفات . لا بسبب
عداوة وإساءة سبقت إليه ؛ فهو يدفع ضررها عنه . (٥) فى ص ١٣٦ .

(٦) ويجوز أن تكون منصوبة على الإغراء — كما سيبنى فى رقم ٣ من هامش ص ١٣٦ .

.....

لأن العرب قد ترفع ما فيه معنى التحذير .

(هـ) يصح في كثير من أمثلة التحذير المشتملة على الواو أن تكون هذه الواو للمعية إذا استقام المعنى عليها ؛ نحو : يدك والسيف - أصابعك والخبر فلا مانع هنا أن تكون الواو للمعية ، والمراد : راقب يدك مع السيف - باعد أصابعك مع الخبر أو نحو هذا التقدير ؛ فالاعتبار الأول دائماً هو للمعنى وصحة التركيب . فإن اقتضى العطف وحده ، أو المعية وحدها ، أو جوازهما . . . ، نزلنا على حكمه ؛ كما سبق (١) .

(و) ألحق بالتحذير والإغراء ألفاظ سنعرضها في آخر الإغراء في : « ب » قسم الزيادة (٢) .

(ز) الأغلب في أساليب التحذير أن تكون من نوع الإنشاء الطلبي ؛ تبعاً لعاملها الدال على هذا النوع . فإن لم يكن دالاً على الإنشاء الطلبي فهي خبرية .

* * *

(١) في « ١ » ص ١٣٣ . . .

(٢) في ص ١٣٨ .

(ب) الإغراء :

هو : تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله^(١) : نحو : (العملَ العملَ ، فإنه مفتاح الغِنَى ، والطريقُ إلى المجد) . فالمتكلم به ، هو : « المُغْرَى »
المخاطب هو : « المُغْرَى » ... والأمر المحبوب هو : « المُغْرَى به » . وعلى هذه الثلاثة مجتمعة يقوم أسلوب : « الإغراء » .

وحكم الاسم المحبوب (وهو : المُغْرَى به) وجوب نصبه باعتباره مفعولا به
لعامل مناسب للسياق ، محذوف مع مرفوعه وجوباً ، بشرط أن يكون هذا الاسم
مكرراً - كالمثال السابق - أو : معطوفاً عليه مثله ، (أى : أمر محبوب آخر)
كقولهم : الفرار والهرب من اللئيم الأحمق ؛ فإنه كالحية لا يكون منها غيرُ اللدغ .
أى : الزم الفرار والهرب^(٢)

فإن لم يكن الاسم مكرراً ولا معطوفاً عليه مثله جاز نصبه مفعولا به لعامل
مذكور أو محذوف ، وجاز أيضاً أن يضبط ضبطاً آخر غير النصب - كالرفع - تقول :
« الاعتدالَ ، فإنه أمانٌ من سوء العاقبة » ، أى : الزم الاعتدالَ ، فيصح
حذف العامل ويصح ذكره ، ويصح الرفع فيقال : « الاعتدالُ » . . . على
اعتباره - مثلاً - مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير : الاعتدال مطلوب ، فإنه^(٣)
وفي حالة ظهور العامل ، وكذا في حالة ضبط الاسم ضبطاً غير النصب على
المفعول به ، لا يسمى الأسلوب^(٣) إغراء اصطلاحياً^(٤)

(١) يقال في هذا التعريف إنه : لُغَوِيٌّ ، كما قيل في التحذير (في رقم ١ من هامش ص ١٢٦) .
(٢ ، ٢) ومثل هذا يقال في ضبط كلمتي : « عمل ، وكذا » في الحكمة الماثورة : (علك لا أمّلك ،
وكذلك لا جدك . . .)

(٣) فإن لم نعتبره في حالتي التكرار والعطف مفعولا به جاز ضبطه بغير النصب ، كالرفع - مثلاً -
على الابتداء . وقد سبقت الإشارة في - د ص ١٣٤ من الزيادة والتفصيل - إلى أن المكرر والمعطوف ،
في الإغراء قد يرفع فلا يسمى إغراء اصطلاحياً . ومن أمثلة المرفوع .

إن قوماً منهم : عُمَيْرٌ ، وأشباهُ عُمَيْرٍ ، ومنهم : السفاحُ . . .
لجديرون بالوفاء إذا قا لَ أخو النجدة : السلاحُ السلاحُ
وأما كلمة : « ناقة » في قوله تعالى : « ناقة الله وسقياها » فتصلح إغراء وتحذيراً - كما سبق في « د » ص ١٣٤
(٤) فيما سبق يقول ابن مالك في باب عنوانه : « التحذير والإغراء :

والأكثر في أساليب الإغراء أنها إنشائية طلبية ؛ تبعاً لنوع عاملها الدال على هذا النوع . فإن لم يكن دالاً على الإنشاء الطلبي فهي خبرية .

= إِيَّاكَ وَالشَّرَّ وَنَحْوَهُ نَصَبٌ مُحَذَّرٌ بِمَا اسْتَتَارَهُ وَجَبَ

يقول : المحذر - وهو المتكلم - نصب أسلوب : « إياك والشر » ونحو هذا الأسلوب . . نصبه بما وجب استتاره ؛ (أى : يعامل محذوف وجوباً) . هذا إن اشتمل الأسلوب على عاطف ؛ كالمثال الذى عرضه . فإن لم يكن مشتملاً على عاطف فقد قال فيه :

وَدُونَ عَطْفٍ ذَا لِإِيَّا أَنْسُبُ ، وَمَا سِوَاهُ سَتَرُ فِعْلِهِ لَنْ يَلْزَمَا
إِلَّا مَعَ الْعَطْفِ أَوْ التَّكْرَارِ كَالضَّيْعَمِ الضَّيْعَمِ ، يَا ذَا السَّارَى

(الضيغم = الأسد . السارى : المسافر ليلاً) .

يريد : انصب هذا الحكم لـ « إيا » أيضاً عند عدم العطف عليها . بأن تقول : إياك الشر ، أو : إياك من الشر . أما في جميع الحالات الأخرى - غير السالفتين . فحذف الفعل الناصب ليس واجباً إلا مع العطف أو التكرار . ثم بين بعد ذلك أن اشتمال أسلوب التحذير على محذّر منه يكون هو الضمير : « إياى » للمتكلم ، و « إياك » للمخاطب ، وفروعهما . . . - أمر شاذ . وللفائيب أكثر شذوذاً ومن قاس عليه فقد انتبه ، أى : ابتعد عن الصواب . يقول :

وَشَذَّ إِيَّايَ ، وَإِيَّاهُ أَشَذَّ وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مَنْ قَاسَ انْتَبَذَ

ثم انتقل إلى الإغراء واكتفى فيه ببيت واحد هو :

وَكَمْ مُحَذَّرٌ بَلَا إِيَّاهُ ، اجْعَلَا مُغَرِّى بِهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَصَّلَا

أى : أن حكم الاسم المغرّى به كحكم المحذّر الذى بنى « إياك » في كل الأحكام .

زيادة وتفصيل :

(١) ليس من اللازم أن تكون الواو في الإغراء للعطف ؛ فقد يقتضى المعنى أن تكون للمعية ؛ نحو : المشى والاعتدال ؛ فتقوى - الإجادة والمثابرة ؛ كى تفوز بما تهوى . وقد يقتضى المعنى العطف وحده ، أو يتسع للأمرين ، فيراعى دائماً ما يقتضيه المعنى .

(ب) ألحق - بالتحذير والإغراء فى وجوب إضمار الناصب - لا فى معناهما - بعض الأمثال المأثورة المسموعة بالنصب ، وبعض العبارات الأخرى المسموعة بالنصب أيضاً ، والى يسمونها : « شبه الأمثال » ؛ لأنها لا تبلغ مبلغ المشتمل فى الشهرة ، وكثرة الاستعمال والتعميم ، وقد تشتمل على قيد تخاطب ، أو حالة معينة .

(١) فن الأمثال :

١ - كَلَيْسَهُمَا ^(١) وقرا - وهو مثل يقال لمن خير بين شيئين ، فطلبتهما معاً ، وطلب الزيادة عليهما . التقدير : أعطى كليهما ، وزدنى تمرا .

٢ - الكلاب على البقر؛ مثل يضرب حين يريد المرء ترك الخير والشر يصطرعان ، وأن يغتم السلامة لنفسه . والتقدير : اترك الكلاب على البقر ، يتصرف كل منهما مع الآخر كما يشاء ، وانسج بنفسك .

٣ - أَحْسَنَقًا ^(٢) وسوء كييلة ، يضرب لمن يجمع بين إساءتين لغيره ، ويظلم الناس من ناحيتين . والتقدير : أتبع حسَنَقًا ، وتزيد سوء كييلة .

(ب) وما يشبه المثل :

١ - قوله تعالى : « انشَهُوا . خيراً لكم » . أى : انتهوا واصنعوا خيراً لكم .

٢ - من أنت ؟ علياً . التقدير : من أنت ؟ تذكر علياً . يقال لمن يذكر عظيمًا جليل القدر بسوء .

(١) وورد قليلا : كلاهما - بالألف -

(٢) الحشف : أردأ التمر ، وسوء الكيلة - بكسر الكاف - : قبح الطريقة والهيئة التى تستخدم

فى الكيل . . .

.....

٣- كلَّ شَيْءٍ وَلَا هَذَا . والتقدير : اصنع كلَّ شَيْءٍ ، وَلَا تَصْنَعْ هَذَا .

٤- هَذَا وَلَا زَعَمَاتِكَ . التقدير : أَرْضَى هَذَا ، وَلَا أَتَوْهُمْ زَعَمَاتِكَ .

٥- إِنْ تَأْتِ فَأَهْلَ اللَّيْلِ وَأَهْلَ النَّهَارِ . والتقدير : إِنْ تَأْتِ فَسَوْفَ تَجِدُ أَهْلَ اللَّيْلِ وَأَهْلَ النَّهَارِ فِي خِدْمَتِكَ بَدَلَ أَهْلِكَ .

٦- مَرْحَبًا ، وَأَهْلًا ، وَسَهْلًا . التقدير : وَجَدْتُ مَرْحَبًا ، وَأَتَيْتُ أَهْلًا ، وَنَزَلْتُ سَهْلًا .

٧- عَذِيرَكَ . أَيْ : أَظْهَرُ عُدْرَكَ ، أَوْ أَظْهَرُ عَاذِرَكَ (عَذِير : بِمَعْنَى : عَذْر ، أَوْ عَاذِر) .

٨- دِيَارَ الْأَحْبَابِ . أَيْ : اذْكُرْ دِيَارَ الْأَحْبَابِ . . .
 وهكذا :

وَيَصِحُّ - كَمَا عَرَفْنَا - تَقْدِيرُ أَفْعَالٍ مَنَاسِبَةٍ غَيْرِ الَّتِي عَرَضْنَاهَا . وَيَصِحُّ
 اِعْتِبَارُ الْوَاوِ لِلْمَعْنَى فِي بَعْضِ مِمَّا سَلَفَ . وَالْمَهْمُ اسْتِقَامَةُ الْمَعْنَى .

المسألة ١٤١:

أسماء الأفعال .

تعريفها :

(نُقَدِّمُ أمثلة) :

في اللغة ألفاظ يدل الواحد منها على « فعل » معين ، — أى : محدد بزمنه ، ومعناه ، وعمله — لكنه لا يقبل العلامة التي يقبلها هذا الفعل المعين ، والتي تُبَيِّن نوعه ؛ كاللفظ : « هَيَّهَاتَ »^(١) في قول الشاعر يخاطب عزيزاً رحل عنه :

بَعُدْتُ ديارُ ، واحتوتُك ديارُ هيهات^(٢) للنجم الرفيع قرارُ

فإنه يدل على الفعل الماضي : « بَعُدَ » ويقوم مقامه في أداء معناه^(٣) ، وفي عمله ، وزمنه ، من غير أن يقبل العلامة الخاصة بالفعل الماضي ، (مثل : إحدى التَّسَاوِين ؛ تاء التأنيث الساكنة ، أو تاء الفاعل . . .) ، إذ لم يَرِدْ عن العرب وجود علامة من العلامات الخاصة بالفعل الماضي في « هيهات » .

وكاللفظ : « آه » في قول الشاعر :

أهَّأَ لها من ليالٍ !! هل تعودُ كما كانت ؟ وأى ليالٍ عادَ ماضيها ؟

فإنه يدل على الفعل المضارع : « أتوجع » ويقوم مقامه في معناه ، وعمله ، وزمنه . ولكنه لا يقبل علامة من العلامات الخاصة بالمضارع ؛ لأن العرب لم تُدْخِلْها على « آه » قط .

وكاللفظ « حَذَّرَ » في قول المادح :

سل عن شجاعته ، وزرهُ مسالماً وحذَّارٍ ، ثم حذَّارٍ منه ، مُحْذَرًا

فإنه يدل على فعلي الأمر : « احذَّرْ » من غير أن يقبل علامة الأمر ؛ لأن العرب لم تدخلها على « حذَّارٍ » مطلقاً . . .

والمراد من أن كل لفظ من هذه الألفاظ يدل على فعل معين محدَّد ؛ هو :

(١ و ٢) وفيه لغات كثيرة ، أعلاها المذكورة هنا ، مسايرة للوارد في القرآن الكريم . ومن لغاتها : « أَيَّهَات » وهي لغة الحجازيين .
(٣) انظر معنى « اسم الفعل » في الصفحة الآتية .

أنك لو سألت المراجع اللغوية عن المقصود من لفظ : « هَيْهَاتَ » فكان الجواب : (هيهات ، معناه : بَعُدْ) - (آها ، معناه : أتوجع) - (حَذَرٌ ، معناه : احذَرْ) ، وهكذا نظائرها .

فكل لفظ مما سبق - ونظائره - يسمى : « اسم فعل » . وهو ^(١) : اسم يدل

(١) التعريف الآتي صفوة تعريفات متعددة جاوزت ستة ، ولم تخل من قصور أو غروض . وهو أقرب إلى التعريف الدقيق الذي اختاره جمهورهم لاسم الفعل . ونزيدة بياناً ووضوحاً بما يأتي : (مما ذكرناه عند تعريف الاسم ج ٢ م ٢) .

لو وضعنا فاكهة معينة أمام إنسان لا يعرفها ؛ فسأل : ما هذه ؟ فأجبنا : « رمان » - مثلاً - لكانت كلمة : « رمان » هي الرمز ، أو العلامة ، أو اللفظ الدال على تلك الفاكهة ، وإن شئت فقل : إنها « اسم » يفهم منه السامع تلك الفاكهة المعينة دون غيرها . فعدنا شيئاً ؛ فاكهة لها أوصاف حسية خاصة بها ، ولفظ معين إذا نطقنا به انصرف الذهن مباشرة إلى تلك الفاكهة الخاصة . فلهذا اللفظ معنى ، أو مدلول ، أو مراد ؛ وما معناه ، أو مدلوله ، أو المراد منه إلا هذه الفاكهة ، وإن شئت فقل : إنه اسم ، هي معناه ومسماه . وأن هذا المعنى والمسمى له اسم ؛ هو : رمان . فالاسم ليس إلا رمزاً ، أو علامة ، أو إشارة يراد بها أن تدل على شيء آخر ، وأن تعينه ، وتميزه من غيره . وهذا الشيء الآخر هو المراد من تلك الإشارة ، والغرض من اتخاذها . فهو مدلولها ومرماها . أي : هو المسمى بها . وبقي ثبت أن الاسم هو الرمز والعلامة ، وأن المسمى هو : المرموز له ، المطلوب إدراكه بالعقل - كان الاسم متضمناً في ذاته كل أوصاف المسمى ، كالصورة التي يكتب إزاءها اسمها ؛ فإذا قرئ الاسم أولاً دل على الصورة ومضمونها كاملة .

مثال آخر : هبك رأيت طائراً صغير الجسم ، جميل الشكل ، سحر الغناء ، يتميز بأوصاف خاصة ، فسألت : ما هذا الطائر ؟ فقلت : « بلبل » . فإن كلمة : « بلبل » رمز ، أو : إشارة ، أو : علامة على هذا الطائر المعين . فإذا سمعتها بعد ذلك أو قرأتها ، فهمت ما ترمز إليه ، وما تشير له ، وإن شئت فقل : فهمت معناها وما تدل عليه ، أي : فهمت مدلولها ومسماه ، لأنها الاسم الدال عليه . فكلمة : « البلبل » مدلولها الطائر المعين ، وهذا الطائر المعين له اسم ، هو : « البلبل » ، فلكل اسم مسمى ، ولكل مسمى اسم ، ولا يفصل أحدهما عن صاحبه ، مهما كثرت ألفاظ كل ، وتعددت الكلمات الدالة عليه .

قياساً على ما سبق ، ما الذي نفهمه حين نسمع كلمة : هيات ؟ نفهم أن مدلولها ومرماها هو الفعل « بَعُدْ » بكل خصائصه ؛ من الدلالة على معنى البعد ، والمضى ، والعمل ، مع عدم التأثير بالعوامل . فاللفظ : « هيات » رمز ، أو إشارة ، أو علامة - تدل على الفعل : « بَعُدْ » . أي : أن اللفظ : « هيات » اسم ، مسماه الفعل : « بَعُدْ » . والفعل : « بَعُدْ » مسمى ، له اسم ؛ هو : « هيات » .

وإذا سئلت : ما المراد من : « آه » ؟ كان الجواب : « أتوجع » . فكلمة : « آه » هي الرمز ، أو : العلامة ، أو الاسم . أما المرموز له ، أو : المسمى - فهو الفعل المضارع : « أتوجع » . وكان خصائص المضارع ؛ من معنى ، وزمن ، وعمل ، مع سلامة الرمز من التأثير بالعوامل التي يتأثر بها .

على فعل معين ، ويتضمن معناه ، وزمنه ، وعمله ، من غير أن يقبل علامته ، أو يتأثر بالعوامل ^(١) .

ما يمتاز به اسم الفعل ^(٢) :

بالرغم من أن شأنه هو ما وصفنا فقد اكتسب بالاستعمال العربي القديم مزيّتين ليستا للفعل الذى بمعناه .

الأولى : أن اسم الفعل أقوى من الفعل الذى بمعناه فى أداء المعنى ، وأقدر على إبرازه كاملاً مع المبالغة فيه . فالفعل : « بَعُدَ » - مثلاً - يفيد : مجرد « البعد » ، ولكن اسم الفعل الذى بمعناه ؛ وهو : « هيهات » ، يفيد البعد البعيد ، أو : الشديد ؛ لأن معناه الدقيق هو : بَعُدَ جداً ؛ كما فى قولهم : هيهات إدراك الغاية بغير العمل الناجع .

والفعل : « افترق » يفيد : « الافتراق » المجرد ؛ ولكن اسم الفعل :

= المضارع ؛ كالتواصب أو الجوارم . . ، وكذلك : « حذار » فإنه اسم ، مسماه فعل الأمر : « احذر » بما هو مختص به .

فما تقدم يتبين المراد - عند جمهورهم - من أسماء الأفعال ، وأن المقصود أنها « أسماء للأفعال » ، كما أن لفظ : « الزمان » اسم للفلكة المعينة ، و « الليل » اسم للطائر الخاص ، و « الفرس » اسم للحيوان المعروف . . . فكذلك هذه الأسماء ؛ كل واحد منها اسم « لفعل بعينه . . .

ولما كان الاسم - - كما شرحناه - يدل دلالة كاملة على مسماه ، ويتضمن كل خصائص المسمى تبعاً لذلك ، - لا بالأصالة - كان اسم الفعل متضمناً بالتبعية - لا بالأصالة - معنى فعله وزمنه ، وكذا عمله ، فى الغالب ، مع عدم التأثير بالعوامل . وكذلك يتبين أن المراد هنا من كلمة : « اسم » هو المراد منها فى كل موضع آخر ، ولكنه اسم فى لفظه فقط ؛ بدليل الإسناد إليه دائماً وبدليل قبوله التنوين فى حالات كثيرة ، وكلاهما من علامات الاسم ، وأنه ليس فعلاً فى لفظه ! بدليل أنه لا يقبل علامة من علامات الأفعال . فحقيقته : أنه اسم فى لفظه ، فعل فى معناه .

وبالرغم من هذا البيان الذى عرضناه لإيضاح الرأى الغالب ، لا يزال يشوبه - بحق - بعض الضعف كاعتبار هذه الألفاظ أسماء عاملة ، مع أنها لا موضع لها من الإعراب ؛ فلا تكون مبتدأ ، ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مضافاً ، ولا مضافاً إليه . ولا غير ذلك . . .

ويخف الاعتراض ، ويكاد الضعف يختفى - لو أخذنا بالرأى القائل : إنها قسم رابع مستقل من أقسام الكلمة . وأصحاب هذا الرأى يسمونه : « خالِفة » بمعنى : خليفة الفعل ، ونائبه ، فى معناه ، وعمله وزمنه ، وكل ما يتضمنه على الوجه المشروح هنا .

(١) قلنا هذا : لأن المضارع يتأثر بعوامل النصب والجزم . وهذا القيد يخرج المصدر النائب عن

فعله ؛ فلا يعد اسم فعل ؛ لأنه يتأثر بالعوامل ، وتخرج كذلك المشتقات .

(٢) متى يحسن الحكم على اللفظ بأنه اسم فعل ؟ الإجابة فى رقم ٣ من هامش ص ١٤٧ .

« شَتَّانَ » وهو بمعناه — يفيد : الافتراق الشديد^(١) ؛ لأن معناه الحقة . هو :
« افترق جداً » . . . كقولهم : شَتَّانَ الإحسان والإساءة ، وشَتَّانَ ما بين
العناية والإهمال . وكقول الشاعر :

الفكر قبل القول يُؤمِّن زيفُهُ شَتَّانَ بين رويَّةٍ وبديهِ^(٢)

الثانية : أنه يؤدي المعنى على الوجه السالف ، مع إيجاز اللفظ واختصاره ،
لالتزامه — في الأغلب — صورة واحدة لا تتغير بتغير المفرد ، أو المثني ، أو الجمع
أو التذكير ، أو التأنيث ؛ إلا ما كان منه متصلاً بعلامة تدل على نوع معين دون
غيره^(٣) ؛ تقول : صه يا غلامُ ، أو : يا غلامان ، أو : يا غلمان ، أو : يا فتاة ، أو :
يا فئاتان ، أو : يا فتيات . ولو أتيت مكانه بالفعل الذي بمعناه لتغيرت حالة الفعل ؛
فقلت : اسكت يا غلام — اسكتا يا غلامان — اسكتوا يا غلمان — اسكتي
يا فتاة ، اسكتا يا فئاتان — اسكتن يا فتيات . . .

وبسبب هاتين المزييتين كان استعمال اسم الفعل هو الأنسب حين يقتضى
المقام إيجاز اللفظ واختصاره ، مع وفاء المعنى ، والمبالغة فيه .

* * *

أقسام أسماء الأفعال :

(١) تنقسم بحسب نوع الأفعال التى تدل عليها^(٤) ، إلى ثلاثة أقسام :

(١) ولا بد أن يكون الافتراق معنوياً — كما سيحىء البيان فى ص ١٤٦ — ثم انظر رقم ٢ من
هامش ص ١٥٨ ، حيث بعض الحالات الخاصة باستعمال « شتان » .

(٢) المراد : تسرع بغير أعمال فكر .

يق السؤال عن فاعل « شتان » فى هذا البيت وفى البيت الآخر لذى أورده ، وقال عنه الصبان إنه
من كلام بعض المحدثين ، ونصه :

جازيتمونى بالوصلال قطيعة شَتَّانَ بين صنيعكم وصنيعى

جاء فى الخضرى : (قال فى شرح الشذور : « لم تستعمله العرب . وقد يخرج على أضرار » ما « موصولة
بين » ا هـ . . . أى : فيكون « شتان » بمعنى : بعد ، و « ما » بمعنى : المسافة) ا هـ كلام الخضرى .

(٣) كأنها الأفعال المنقولة من شبه الجملة وبعض المصادر ، مثل : عليك ، أمامك ، ورويدك ،
وستأتى فى : « ب » ص ١٤٧ وما بعدها .

(٤) مع ملاحظة المزييتين السالفتين لكل اسم من أسماء الأفعال ، دون فعله .

أولها : اسم فعل أمر ، وهو أكثرها وروداً في الكلام المأثور ، نحو :
 « آمين » ، بمعنى : استجيب ، و « صه » - بالسكون - بمعنى : اسكت عن
 الموضوع المعين الذي تتكلم فيه ، و « حتى » (بفتح الياء المشددة ، مثل : حتى
 على الصلاة - حتى على الفلاح) بمعنى : أقبل ، أو : عجل . . . وجميع
 هذه الألفاظ سماعية .

ومن هذا القسم نوع قياسي مطرد - على الأصح - هو : ما كان من اسم
 فعل الأمر على وزن « فَعَالٍ ^(١) » مبنياً على الكسر بشرط أن يكون له فعل ثلاثي ،
 تمام ، متصرف ، نحو : حَذَارٍ ^(٢) ، (في البيت السالف ^(٣)) بمعنى : احذر ،
 ونحو : نَزَالٍ إلى ميدان الجهاد ، وزَحَامٍ في مجال الإصلاح ؛ بمعنى انزل ،
 وازحسم .

ولا يصح صوغ « فَعَالٍ » إذا كان فعله غير ثلاثي ، كدحرج ، (وشَدَّ
 دَرَاكٍ ، من أدرك) أو : كان فعله ناقصاً ؛ مثل : كان ، وظل ، وبات :
 الناسخات ، أو كان غير متصرف ، نحو : عسى ، وليس .

واسم فعل الأمر مبني دائماً ، ولا بد له من فاعل مستتر وجوباً ^(٤) . وقد
 يتعدى للمفعول به أو لا يتعدى على حسب فعله .

ومن أسماء فعل الأمر السماعية : (هَيَّا ، بمعنى : أسرع) - (ومَهْ ، بمعنى :
 انكف ^(٥)) عما أنت فيه) - (وتَسَيْدٌ ، وتَسِيدَخٌ ، وهما بمعنى : أمهل) -

(١) سبق (في ص ٧٣) عند الكلام على الأسماء الملازمة للنداء أن منها ما يكون على وزن : « فَعَالٍ »
 بشروط خاصة ، وسيجيء في رقم ١ من هامش ص ٢٦٠ بيان مناسب عن صيغة : « فَعَالٍ » ، وأنواعها
 المختلفة ، وحكم كل نوع من ناحية الإعراب والبناء .

(٢) في ص ١٤٠ . وهو : سل عن شجاعته . . . ومثل قول الشاعر :

حَذَارٍ ، حَذَارٍ من جَشَعٍ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتِ النَّاسَ أَجْشَعُهُا اللَّئَامَ

(٣) استتار الفاعل وجوباً يشمل - في الرأي الأسهل - فاعل اسم فعل الأمر ، وفاعل اسم فعل
 المضارع ، المختوم كل منهما بضمير للمفرد المذكور وفروعه ، والمفردة وفروعها ، فيدخل اسم الفعل المنقول
 من ظرف المكان ، ومن الجار مع مجروره - طبقاً لما سيجيء في ٢ و ٣ من هامش ص ١٥٧ -

(٤) هذا هو الأولى ، وليس بمعنى : « اكف » - كما يقول بعض النحاة - لأن « اكف »

متعد ، و « مه » لا يتعدى ؛ فهو مثل : « انكف » - راجع الجمع هنا -

(وَوَيْهَهَا ، بمعنى : حَرَضَ^(١) ، وَأَغْرَى^(٢)) - (وَحْيَيْهَلْ^(٣)) بمعنى : أَقْبَلَ ، (أَوْ عَجَّلَ . . .) - (وَهَلَسُمْ^(٤)) بمعنى : أَقْبَلَ ، وَتَعَالَى^(٥)) - (وَقَطَّ ، بمعنى : انْتَهَى . . .)^(٥) .

ثانيها : اسم فعل مضارع - وهو سماعي ، وقليل - نحو : (أَوْهَ ، بمعنى : أَتَأَلَّم) ، وَأَفَّ بمعنى : أَتَضَجَّر ، كقوله تعالى : « فَلَا تَسْقُلْ لهما أَفَّ » أي : للوالدين ، (وَوَى ، بمعنى : أعجب ، وهذا أحد معانيها ؛ كقوله تعالى : « وَى كَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ »^(٦)) وقد يكون اسم الفعل : « وَى » محتوماً

(١) فعل أمر ، ماضيه : أَغْرَى .

(٢) يجوز في اللام عدة لغات ، منها السكون ، ومنها الفتح بتثوين أو غير تثوين . والأشهر فتح هائه في كل أحوالها . (ويجوز إلحاق كاف الخطاب بآخره على الوجه المبين في رقم ٩ من ص ١٦٠) باعتبارها حرفاً متصرفاً .

(٣) المجازيون وبعض العرب يُلزِمونه صورة لا تتغير في الأفراد والتذكير وفروعها . وغيرهم يعدونه اسم فعل أمر أيضاً ، ولكن يغيرون الضمير الفاعل في آخره بحسب المعنى وموجع الضمير . وتجري على الألسنة عبارة : « هَلَسُمْ جَرًّا » ويقول بعض النحاة في توجيهها : إن « هلم » بمعنى : « أقبل » واثرة . وليس المراد الإقبال والمجيء الحسين ؛ وإنما المراد الاستمرار على الشيء وملازمته . وأيضاً : ليس المراد الطلب حقيقة ، وإنما المراد الخبر ؛ كالذي في قوله تعالى : (فليمدد له الرحمن مَدًّا) وأما كلمة : « جرا » فهي مصدر جرَّة ، يَجْرُرُهُ ، جَرًّا ، إذا سحبه . وليس المراد الجر الحسي ، بل التعميم الذي يشمل غيره ؛ فإذا قيل : « كان ذلك عام كذا وهلم جرا » ، فكأنه قيل : واستمر ذلك في بقية الأعوام استمراراً . أو استمر مستمراً (على الحال المؤكدة) وهذا يزول إشكال عطف الخبر على الطلب وغيره من الاعتراضات . (الصبان في هذا الموضع) .

(٤) الصحيح أن كلمتي : « تعال » - و « هات » هما فعلا للامر ؛ لقبول كل منهما العلامة الخاصة بفعل الأمر . - وقد سبق البيان المناسب في ج ١ م ٤ ، عند الكلام على هذا الفعل .

(٥) تفصيل الكلام على اسم الفعل : « قط » وما فيه من آراء واستعمالات مختلفة ، مع اقترانه بالفاء أو عدم اقترانه . . . كل ذلك معروض ببسط مناسب في الجزء الأول - م ٣٠ موضوع : المعرف بآل عند بيت ابن مالك ونصه :

« أَلْ » حرف تعريف أو اللام فقط . . . »

(٦) في كلمة : « وى » - في الآية الكريمة ، وما يماثلها - آراء أخرى . منها : رأى « ابن عباس » وبه أخذ سيويه - فيما يقال - ، وملخصه ، أن « وى » كلمة زائدة ، يستعملها النادم لإظهار ندمه ، وأنها مفصولة من « كأنه » . وينسب لسيويه رأى آخر ، سجله ابن جني في كتابه « المحتسب » - ج ٢ ص ١٥٥ - وهو يعرض لقوله : « ويكأنه » في الآية السالفة ، ونصه :

بكاف الخطاب الحرفية^(١) : بمنه قول عنزة :

ولقد شَفَيْتَنِي نَفْسِي وَأَبْرَأُ سَقَمَهَا قِيلُ الْفُؤَارِسِ : وَيَكْ - عَنَزَ - أَقْدِم
واسم الفعل المضارع مبنى حتمًا ، ولا بد له من فاعل مستتر وجوبًا ، وهو
مثل فعله في التعدى واللزوم .

ثالثها : اسم فعل ماض - وهو سماعي وقليل ؛ كالسابق - ، ومنه : «هيهات» ،
وكذا : «شَتَّانَ» وقد تقدم . والصحيح الفصحى في «شَتَّانَ» أن يكون الافتراق
خاصًا بالأمور المعنوية^(٢) ؛ كالعلم ، والفهم ، والصِّلاح ؛ تقول : شَتَّانَ^(٣)
عليّ ومعاولي في الشجاعة ، وشَتَّانَ المأمون والأمين في الذكاء ، وشَتَّانَ الإيثار ،
والأثرة^(٤) ؛ فلا يقال شَتَّانَ المتخاصمان عن مجلس الحكم ، ولا شَتَّانَ المتعاقدان
عن مكان التعاقد^(٥) . . .

= (الوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه ، وهو : أن «وى» على قياس مذهبهما اسم سمى به الفعل
(أى : اسم فعل) في الخبر ؛ فكانه اسم : «أَعَجَبَ» ثم ابتداء فقال : «كأنه لا يفلح الكافرون» وكذلك
قوله تعالى : «وى كأن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده . » ؛ ف «كأن» هنا إخبار عارٍ من معنى
التشبيه . ومعناه : أن الله ييسط الرزق لمن يشاء . و «وى» منفصلة من كأن ، وعليه بيت الكتاب :
وَيْ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يَحُ بَبْ ، وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْشُ عَيْشُ ضَرِّ
وما جاءت فيه «كأن» عارية من معنى التشبيه لما أنشدناه أبوعل :

كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لَا تَكَلَّمْنِي مَتِيمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا

أى : أنا حين أمسى «متيم» من حال كذا وكذا ...) . اهـ .
(١) انظر رقم ٩ من ص ١٦٠ - حيث الكلام على «كاف الخطاب» التي تتصل بأنواع أسماء الأفعال .
(٢) لهذا إشارة في رقم ١ من هامش ص ١٤٣ ، ثم انظر رقم ٢ من هامش ص ١٥٨ ؛ حيث بعض
استعمالاتها .

(٣) ولا يكون فاعله إلا متعدداً بواو العطف دون غيرها ؛ وقد تفصل بينه وبين فاعله «ما»
الزائدة (وسجى إشارة لهذا في رقم ٢ من هامش ص ١٥٨ عند الكلام على الأحكام) .
(٤) الإيثار تقديم المرء غيره على نفسه في الانتفاع ، والأثرة العكس .
(٥) في ص ١٦١ صور أخرى من أسماء الأفعال المختلفة . وقد اقتصر ابن مالك في باب عنوانه :
«أسماء الأفعال والأصوات» على الإشارة العابرة لما شرحناه ، بقوله :

مَا نَابَ عَنْ فِعْلٍ ؛ كَشَتَّانَ وَصَهْ هُوَ اسْمُ فِعْلٍ ، وَكَذَا : أَوْهْ ، وَمَهْ
والمراد من عنوان الباب هو : أسماء الأفعال ، وأسماء الأصوات ، لا أن الأسماء لها معاً . وقد
أوضحنا معنى أسماء الأفعال التي عرضها . ثم قال .

وَمَا بِمَعْنَى : «أَفْعَلْ» ؛ كَامِينَ ، كَشُرْ وَغَيْرُهُ - كَوَى وَهَيْهَاتَ - نَزُرْ
(والمرد من : «أفعل» ، هو فعل الأمر . نزر = قل .) أى : أن اسم الفعل الذي بمعنى فعل الأمر
كثير . أما الذي بمعنى غيره - كالذي بمعنى الماضي أو المضارع - فقليل .

واسم الفعل الماضي مبني في كل أحواله كغيره من سائر أسماء الأفعال ، ولكنه يحتاج إلى فاعل إمّا ظاهر ، وإما ضمير مستتر جوازاً . يكون للغائب في الأعم الأغلب^(١) — كما سيجيء — وهو بهنّين يخالف النوعين الآخرَين فوق مخالفته لهما في المعنى والزمن . أما تعديته وزومه فيجـرى فيهما كغيره على نظام فعله .

* * *

(ب) وتنقسم بحسب أصالتها في الدلالة على الفعل^(٢) وعدم أصالتها ، إلى قسمين :

أولهما : المـُـرْتَجَل ؛ وهو : ما وُضع من أول أمره اسم فعل ولم يستعمل في غيره من قبل . مثل : شتان — وى — مه . . .

ثانيهما : المنقول ؛ وهو الذي وضع في أول الأمر معنى ثم انتقل منه إلى اسم الفعل . والمنقول أقسام ؛ فهو :

١ — إما منقول من جار مع مجروره^(٣) ، مثل : « عليك » ، بمعنى : تَمَسَّكَ أو : بمعنى : الزم ، أو : بمعنى : « أعتصم » — فعل مضارع — فمن الأول قولهم : عليك بانعلم ؛ فإنه إَجهُ من لا جاهَ له ، وعليك بالخلق

(١) انظر : « ١ » من ص ١٥٦ ثم رقم ١ من هامش ص ١٥٧ .

(٢) مع تفردّها — دونه — بالمزتين السالفتين في : ص ١٤٢ .

(٣) من أمثلة اسم الفعل المنقول من جار مع مجرور أو من ظرف مكان : عليك — (بمعانيه التي ذكرناها) ، وأمامك ، بمعنى : تقدم ؛ وكذا مكانك ، بمعنى : اثبت .

قال بعض النحاة — وقوله شديد — لا أدري الحاجة إلى جعل مثل هذا الظرف — مكانك — اسم فعل ؟ فهلاً جعلوه ظرفاً على بابه ، باقياً على أصله من الظرفية من غير نقله إلى اسم الفعل ؛ لأنّ اعتباره منقولاً إلى اسم الفعل إنما يحسن حين لا يمكن الجمع بين الظرف وذلك الفعل الذي بمعناه ؛ — كما لا يصح أن يقال : اسكت صه — الزم عليك — خذ دونك . . أما إذا أمكن فلا يجوز إخراجهم عن الظرف إلى اسم الفعل ، فإنه يصح أن يقال : اثبت مكانك ، وتقدم أمامك . . . في حين لا يصح أن يقال : صه اسكت كما تقدم . هذا رأي سجله « الصبان » . ونرى أنه يطبق على الجار مع مجروره أيضاً . لانطباق العلة عليهما كذلك .

وقد يقال : إن الجمع ممكن على سبيل « التوكيد » اللفظي بالمرادف . وهذا صحيح بشرط وجود قرينة هل إرادة التوكيد اللفظي ؛ لتحقيق غرض فيه .

الكريم ؛ فإنه الغني الحق . أى : تمسك بالعلم - تمسك بالخلق^(١) . . .
وقولهم : من نزل به مكروه فعليه بالصبر ؛ فهو أبعد الألم ، وأجلب للأجر ، أى :
فليتمسك بالصبر . . .

ومن الثانى قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من
ضل إذا اهتديتم) ، أى : الزموا شأن أنفسكم .
ومن الثالث : على بالكفاح لبلوغ الأمانى . أى : اعصم .

ومن المنقول من الجار والمجرور : « إليك » ؛ بمعنى : ابتعد وتَسَحَّ ؛ مثل :
(إليك عنى - أيها المنافق - ؛ فذو الوجهين لا مكان له عندى ، ولا منزلة له فى
نفسى) وهذا هو الغالب فى معناها ، وقد تكون بمعنى : « خذ » ، نحو : إليك
الوردة ، أى : خذها^(٢) . . .

ومنه : « إلى » ، بمعنى : أقبل ، نحو : إلى - أيها الوفى - فإنى أخرك
الصادق العهد .

والأحسن فى الأمثلة السالفة - وأشباهاها - إعراب الجار ومجروره معاً ، اسم
فعل مبنى ، لا محل له من الإعراب^(٣) .
٢ - وإما منقول من ظرف مكان^(٤) ؛ مثل : « أمامك » ؛ بمعنى تقدم .

(١) وبثل قول القطامى :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلّق يأتى دونه الخلق^١
(٢) فهو بهذا المعنى متعد . وهو بالمعنى الأول لازم ، وكلاهما قياسى هنا . ولا قوة للرأى الذى
يشكر المعنى الثانى . فقد أثبتته « الجوهري » ، وورد مسموعاً فى كلام من يحتج بكلامهم ، ومنهم القطامى
الشاعر الأموى .

(٣) وهذا الإعراب الذى أشار به بعض النحاة والذى له إيضاح مفيد يأتى فى (رقم ٢ و ٣ من
هامش ص ١٥٧) نأمن كثيراً من الاعتراضات والمغايز التى فى غيره . ولن يترتب على الأخذ به إساءة
للمعنى ، أو لصحة التركيب .

وإذا جاء تابع بعد اسم الفعل المنقول من جار مع مجروره فتبوءه هو فاعل اسم الفعل ؛ نحو : عليك
أنت نفسك بالأعمال العظيمة . فالضمير : « أنت » توكيد للفاعل : « أنت » المستتر وجوباً . وكلمة :
« نفس » توكيد له أيضاً .

(٤) التقييد بالمكان منقول صراحة من شرح التوضيح ، وهو المفهوم من كل الأمثلة . - ثم انظر

و « وراءك » ؛ بمعنى : تأخّر ، تقول : أمامك إن واتتك الفرصة ، وساعتك القوة . ووراءك إن كان في إدراك الفرصة غصة ، وفي نيلها حسرة وندامة .

ومثل : « مكانك » ، بمعنى : اثبت^(١) ، تقول لمن يحاول الهرب من أمر يمارسه : مكانك تحمداً وتذكر غايتك .

ومثل : « عندك » بمعنى : خذ . تقول : عندك كتاباً ، بمعنى : خذه^(٢) .
والأيسر اعتبار الظرف كله (بما اتصل بآخره من علامة تكلم أو خطاب أو غيبة) هو اسم الفعل^(٣) .

٣ - وإما منقول من مصدر له فعل مستعمل من لفظه ؛ مثل : « رويدَ » (بغير تنوين) بمعنى : تمهّل ، وبمعنى : أمهل ؛ فالأول نحو : رويدَ - أيها العالم - لقوم يتعلمون ؛ فإن التمهّل داعية الفهم ، والفهم داعية الاستفادة . ومثل قول الشاعر :

رويدك^(٤) ، لا تُعقّب جميلك بالأذى فتضحى وشمل الفضل والحمد منصدع
والثاني نحو : رويدَ مديناً ؛ فإن الإمهال مروءة . . . فكلمة : « رويد » في الأمثلة السالفة اسم فعل أمر ، مبنى ، غير منون .

وأصل المصدر : « رويدَ » هو : « إرواد » ، مصدر الفعل الرباعي : « أرودَ » ، ثم صُغِرَ المصدر^(٥) : « إرواد » تصغير ترخيم ؛ بحذف حروفه الزائدة ؛ فصار : « رويدَ »^(٦) ، ثم نقل بغير تنوين إلى اسم الفعل . . .

(١) فيكون لازماً . وحكى الكوفيون تعديته ، وأنه يقال : مكانك محمداً ، أى : انتظره .

(٢) انظر لسان العرب - ج ٤ ص ٣٠٣ - حيث الكلام على : « عند » .

(٣) يوضح هذا ما يبيح في رقم ٢ و ٣ من هامش ص ١٥٧ .

(٤) الكلام على هذه الكاف في رقم ٩ من ص ١٦٠ .

(٥) وهذا المصدر المصغر ينصب المفعول به جوازاً ولو لم ينقل إلى اسم الفعل ، بالرغم من أن شرط إعمال المصدر ألا يكون مصغراً (كما تقدم في بابه ٣ ص ١٦٧ م ٩٩) لأن هذا الشرط حتى في غير المصدر : « رويد » الذي ورد به السماع عاملاً وغير عامل - أما تفصيل الكلام على تصغير الترخيم ففي ص ٧١٠ .

(٦) لكلمة : « رويد » حالتان ؛ أولاهما : أن تكون مصدراً معرباً باقياً على مصدريته وإعرابه .
والأخرى : أن تترك المصدرية وتنوين ، وتنتقل إلى حالة جديدة هي : « اسم فعل الأمر » على الوجه الذي شرحناه =

وقد يكون اسم الفعل منقولاً من مصدر ليس له فعل من لفظه ، لكن له فعل من معناه ، مثل كلمة : « بَلَّهَ » - بغير تنوين - بمعنى : اترك ؛ تقول : بله مسيئاً قد اعتذر ، واغفر له إساءته ، أى : اترك . . . والأصل : بله المسيء . . . ، بمعنى : ترك المسيء ، من إضافة المصدر لمفعوله . ومن الجائز أن يكون الأصل : بَلَّهَهاً مَسِيئاً . . . باستعمال كلمة : « بَلَّهَهاً »^(١) مصدراً ناصباً معموله ؛ قياساً على : تَرَكَّنا مُسِيئاً ، بمعنى تركنا المسيء ، ومن هذا المصدر الناصب لمفعوله انتقل لفظ « بَلَّهَ » ولكن بغير تنوينه - إلى اسم فعل بمعناه^(٢) . . .

= وفي الحالة الأولى التي تظل فيها مصدراً معرباً قد تكون مصدراً معرباً نائباً عن فعل الأمر المحذوف . إما منوناً ناصباً مفعولاً به ، نحو : رويداً عليا ، وإما مضافاً إلى المفعول به ، نحو : رويداً على ، فلفظ : « رويد » فيها مصدر منصوب بفعل الأمر المحذوف ، بمعنى : « أرود » ، وفاعله مستتر فيه وجوباً . وكلمة : « على » مفعول به منصوب في الأول ، ومضاف إليه مجرور في الثاني . وإما منوناً غير ناصب لمفعوله ، نحو : رويداً ياسائق ؛ فيكون نائباً عن فعل الأمر المحذوف أيضاً . ويصح استعماله مصدراً غير نائب عن فعل الأمر فيُنصب منوناً إما حالا ؛ نحو قرأت الكتاب رويداً ؛ بمعنى : مُروِداً ، أى : متمهلاً ، وإما نعتاً لمصدر مذكور - في الغالب - نحو : سارت الوفود سيراً رويداً ، أى : سيراً متمهلاً ؛ أو لمصدر مقدر ، نحو : تحركت سيارة رويداً ، أى : سيراً رويداً (وكان المصدر هنا نعتاً لمحذوف لا حالا ؛ فراراً من أن يكون صاحب الحال نكرة بغير مسوغ) . وقد تقع « ما » الزائدة بعد « رويد » على الوجه الآتي في : « ا » ص ١٥١ .

(١) ورد في حاشية الخضرى : تنوين « بلهأ » ولا أدري أهذا التنوين مسموع ، أم هو افتراضى نحلاً على المصدر : تركاً ، كما أظن ؟ .

(٢) إذا كان الاسم بعد كلمة : « بله » منصوباً منوناً جاز أن تكون مصدراً عاملاً معرباً كصدر فعلها المعنوى : « تَرَكَّ » الذى مصدره : « تَرَكَّ » وجاز أن تكون اسم فعل أمر مبنياً بمعنى : اترك ، والقرائن - إن وجدت - هى التى تحدد أحد الأمرين ؛ فإن كان الاسم بعدها مجروراً وجب أن تكون مصدراً مضافاً - لأن اسم الفعل لا يكون مضافاً - والاسم المجرور هو المضاف إليه . فكلمة : « بله » مثل كلمة « رويد » كلتاهما تتعين مصدراً إذا كان الاسم بعدها مجروراً بالإضافة إليها ، وتصلح مصدراً أو اسم فعل إذا نصبته . وتكون فتحتهما فتحة بناء إذا كانا اسمي فعل ، وفتحة إعراب في غيرها .

ولها استعمالات أخرى تجمي في « ب » .

وفي الكلام على اسم الفعل المنقول من جار مع مجروره ، (مثل : عليك - إليك) أو من ظرف مكان ، (مثل : دونك . . مكانك . .) أو من مصدر له فعل من لفظه ؛ (نحو : رويد . .) أو ليس له فعل إلا من معناه ؛ (مثل : بله) - يقول ابن مالك :

زيادة وتفصيل :

(١) قد تفصيل « ما » الزائدة بين اسم الفعل : « رُوِيْدَ » ومفعوله ^(١) ، قال أعرابي لشاعر يمدحه : والله لو أردت الدراهم لأعطيتك ، رويدَ ما الشعر . فالمراد : أروِد الشعر ؛ كأنه قال : دع الشعر ، لا حاجة بك إليه .

(ب) قد تكون « بله » اسم استفهام مبنية على الفتح ، بمعنى : « كيف » . وتعرب خبراً مقدماً عن مبتدأ مؤخر ، نحو : بله المريض ؟ بمعنى : كيف المريض ؟ .

وبما يحتمل الاستفهام ، والمصدر المضاف ؛ واسم فعل الأمر — كلمة « بله » في قول الشاعر ^(٢) :

تَسْدُرُ الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا ^(٣) هَامَاتُهَا بله الأكف ؛ كأنها لم تُخَلِّتْ
فيجوز في : « بله » أن تكون اسم فعل أمر مبني على الفتح ، و « الأكف » بعده منصوب ، مفعول به . ويجوز أن تكون : « بله » مصدرًا منصوبًا على

« وَالْفِعْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ : « عَلِيْكَ » وَهَكَذَا « دُونُكَ » ... مَعَ « إِلَيْكَ »

كَذَا : « رُوِيْدَ ، بَلَهَ » ، نَاصِبَيْنِ وَيَعْمَلَانِ الْخَفْضَ مَصْدَرَيْنِ

في البيت الثاني : أن « رويد » و « بله » قد يكونان اسمي فعل إذا نصبا ما بعدهما ، وترك التفصيل الضروري لهذا النصب . وأنهما يعملان الخفض فيما بعدهما إذا بقيا على أصلهما مصدرين مضافين ؛ فيجران بعدهما الاسم باعتبارهما « مضافاً إليه » . فهذا الجر دليل على بقائهما مصدرين حتماً — لأن اسم الفعل لا يضاف ، ولا يعمل الجر مطلقاً — كما سبق — أما نصبه فلا يكن وحده للقطع بأنهما مصدران حتماً ، أو اسمان لفعلين حتماً ، إنما يصلحان للأمرين عند عدم القرينة التي تعين أحدهما دون غيره . وعدم التنوين في « رويد » هو القاطع في أنها « اسم فعل » عند نصب الاسم بها .

(١) لهذا إشارة في آخر رقم ٦ من هامش ص ١٤٩ .

(٢) هو كعب بن مالك ، شاعر الرسول عليه السلام . والبيت من قصيدة له في وصف موقعة الأحزاب ، وهوها .

(٣) بارزاً منفصلاً من مكانه .

المصدرية نائياً عن فعل الأمر ، مضافاً ، و «الأ كف» مضاف إليه ، مجرور .
كما يجوز أن تكون «بله» اسم استفهام مبني على الفتح ، خبراً مقدماً وما بعده
مبتدأ مؤخر .

وقد تنقّع «بله» اسماً معرباً بمعنى : «غير» كالذي في الحديث القدسي
منسوباً للمولى جل شأنه : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن
سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» ؛ ذخراً من بله ما اطلعتكم^(١) عليه . (أى :
من غير ما اطلعتكم عليه) . فهي مجرورة بمن .

(ح) تكون «بله» بمعنى : «أين» ، طبقاً لما صرح به الصبان عند
ضبطه كلمة «بله» ، في الحديث القدسي السالف ؛ حيث قال ما نصّه : (بفتح
«بله» وكسرها . فوجه الكسر ما ذكر^(٢)) ، وأما وجه الفتح فقال الرضي : إذا كانت
«بله» بمعنى : «كيف» جاز أن تدخله «من» ؛ حكى أبو زيد : «إن فلانا
لا يطيق حمل الفهر (الحجر الصغير يملأ الكف) فن بله أن يأتي بالصخرة » ؟
أى : كيف ، ومن أين ؟ . وعليه تتخرج هذه الرواية ؛ فتكون «بله» بمعنى :
«كيف» التي للاستبعاد ، و «ما» مصدرية في محل رفع بالابتداء ، والخبر «من
بله» ، والضمير المجرور بعلى عائداً على الذخر . اهـ ، ثم قال الصبان : والمعنى
على هذا : من كيف ؟ أى : «من أين اطلعكم على هذا الذخر - أى : المدخر .
ولا يخفى ما في جعلها على هذه الرواية بمعنى «كيف» من الركافة : ولو جعلت
فيها من أول الأمر بمعنى : «أين» . لكان أحسن . اهـ .

(١) بتشديد الطاء وفتح اللام . وفي بعض الروايات : اُطْلِعْتُمْ - بضم الهضمة ، وكسر اللام -

(٢) في الحديث القدسي السابق ، وهو أنها اسم معرب بمعنى غير مجرور .

أهم أحكامها :

١ - أنها سماعية جامدة ؛ فيجب الاقتصار على الوارد^(١) منها ، دون تَصَرُّف فيها ؛ بزيادة عددها ، أو إدخال تغيير على لفظها ، وضبط حروفها ، فلفظها المسموع واجب البقاء على حاله ؛ لا يجوز زيادة حروفه ، أو نقصها ، أو استبدال حرف بآخر ، أو تغيير ضبطه أو ترتيبه . . .

إلا أن هناك نوعاً واحداً قياسياً ؛ هو : صوغ « فَعَالٍ » بالشروط التي سبق الكلام عليها^(٢) في اسم فعل الأمر . وما عدا هذا النوع يجب الوقوف فيه عند حد السماع الوارد من العرب ؛ فيلزم الصورة الواردة لا يختلف فيها باختلاف الأفراد ، وفروعه ، أو التذكير والتأنيث ، أو الخطاب وغير الخطاب ، إلا إذا أباح السماع الاختلاف^(٣) . أما الذي يختلف بحسب الحالات فهو فاعلها ؛ فيكون مطابقاً للمراد منه . فاسم الفعل : « صه » مثلاً يلزم صورة واحدة ، ولكن فاعله الضمير المستتر قد يكون : أنت - أنت - أنتما - أنتم - أنتن - على حسب الحالات .

٢ - أنها - في الرأي الشائع - أسماء مبنية^(٤) ليس فيها معرب ، حتى ما كان منها أسماء لأفعال مضارعة . ويجب التزام حركة البناء المسموعة - طبقاً لما مرّ في الحكم الأول - فنحن المبنية على الفتح ؛ كالشائع في : شَتَّانَ ، وهيهات ، عند كثير من القبائل . وكالأحسن في المنقول من جار يكون مجروره « كاف الخطاب » للواحد ؛ مثل : عليك ، وإليك . . .

ومنها : المبنية على الكسر ، مثل : كَتَّابٍ - حَمَّادٍ - قَمَّاءٍ ، بمعنى اكتب - احمّد - اقرأ . . .

ومنها المبنية على الضم كالعالم في : مثل : آه ؛ بمعنى : أتوجع . . .

(١) إلا عند الكسائي .

(٢) في ص ١٤٤ .

(٣) كاسم الفعل المخوم بكاف الخطاب المتصرف ، على الوجه الآتي في رقم ٩ من ص ١٦٠ .

(٤) يقول النحاة في تعليل بنائها ؛ إنه الشبه لبعض الحروف التي تعمل ، (مثل : ليت وأخواتها)

في أنها عاملة ولا تكون مفعولة . وهذا تعليل يحتاج إلى تعليل أيضاً . . . وكلاهما يرفض ما دام غير مطابق للواقع الحق ؛ الذي هو : مجرد استعمال العرب ؛ إذ لا علة غير هذا . وقد أنفضنا الكلام في علل البناء المنقولة ، وبيان السبب في رفضها في مكانها من الجزء الأول ص ٥٥ م ٦ .

ومنها المبنية على السكون ؛ مثل : مَهْ ، بمعنى : انكفَفَ^(١) .

وقد يجوز في بعضها ضبطان أو أكثر ؛ تبعاً للوارد ، نَحَوُ : «وَيَّ» ؛ بمعنى : أعجبُ ، فيصح «وا» ؛ كما يصح : «واهًا» بالتنوين . ومثل : «آه» ؛ فإنها يصح فيها أيضاً : آه ، وآهًا ، بالتنوين فيهما .

وغاية القول : أنه يجب - في النوع السماعي - الاقتصار على نَصِّ اللفظ المسموع وصيغته^(٢) ، وعلى علامة بنائه الواردة معه ؛ سواء أكانت واحدة أم أكثر ، معها تنوين أو لا . فعند إعراب واحد منها يقال : اسم فعل لماض ، أو لمضارع ، أو لأمر ، - على حسب نوعه ، مبني على الكسر ، أو الفتح ، أو غيرهما - لا محل له من الإعراب .

٣ - أن بعضها لا يدخله التنوين مطلقاً ، مثل : آمين ، وشَتَّانَ ، وباب «فَعَال»^(٣) القياسي ، وبعضها لا يتجرد من تنوين التنكير ؛ مثل : «واهًا» بمعنى «أتعجب» ، وبعضها يَدْخُلُهُ تنوين التنكير حيناً ؛ لغرض معين ، وقد يخلو من هذا التنوين لغرض آخر ؛ مثل : «صَه» فإنه اسم فُعلٍ أمر بمعنى : اسكت . فحينَ يكون المراد طلب السكوت عن كلام خاص معين ، فنقول : صه ، بسكون الهاء ، ومنع التنوين . وحين يكون المراد طلب الصمت عن كل كلام ، تتحرك الهاء بالكسر - وجوباً - مع التنوين . فنقول : «صه» . فعدم التنوين في «صه» بمثابة قولنا : اترك الكلام في هذا الموضوع المعين الخاص المعروف لنا ، وتكلم في غيره . ويحییء التنوين معناه : اترك الكلام مطلقاً ؛ في الموضوع الخاص المعين ، وفي غيره^(٣) .

(١) انظر رقم ٤ من هامش ص ١٤٤ .

(٢) سبق الكلام عليه في ص ١٤٤ .

(٣) وجود التنوين في أسماء الأفعال دليل على أنها اسم من جهة لفظها ، أما من جهة معناها فهي فعل - (كما شرحنا في هامش ص ١٤١) - وكما صرح الناطم في شرح الكافية ؛ حيث قال : «لما كانت هذه الكلمات من قبل المعنى أفعالاً ، ومن قبل اللفظ أسماء ، جعل لها تعريف وتنكير ؛ فعلمة تعريف المعرفة منها تجرد من التنوين ، وعلامة تنكير النكرة منها استعماله منكرًا» .

(راجع حاشية الصبان في هذا الموضع . وقد سبق تفصيل الكلام على تنوين التنكير ، وأنه خاص

- في الغالب - بالأسماء المبنية ج ١ ص ٢١ م ٣) .

وإذا كان معناها معنى الفعل فكيف يلحقها التعريف والتنكير وهما لا يلحقان الفعل مباشرة ؟ =

ومثل : « إِيَّاهِ » اسم فعل أمر ، بمعنى : زدني ، فإن كان مبنياً على الكسر بغير تنوين فعنائه : زدني من حديث خاص معروف لنا ، أما مع التنوين ، فالمراد : زدني من حديث أيّ حديث ، بغير تقييد بنوع معين .

من ثَمَّ كان اسم الفعل المنذون نكرة ، والخالي من التنوين معرفة ، وما يُستَون حيناً ولا ينون حيناً آخر يجري عليه في كل حالة حكمها المناسب لها . واللغة وحدها — كما وردت عن العرب — هي الفیصل الذي له الحكم على اسم الفعل بالتنوين ، أو بعدمه .

٤ — أنها تعمل — غالباً — عمل الفعل الذي تدل عليه ؛ فترفع مثله الفاعل حتماً ، وتسايده في التعدي ، والازوم ، وباقي المكملات . . . ؛ فإن كان فعلها متعدياً فهي مثله ، وإن كان لازماً يتعدى بحرف جر ، فهي مثله أيضاً . وفي الحالتين لا بد أن ترفع فاعلاً . وإن احتاجت لمكملات أخرى استوفت حاجتها . فمن المتعدية كأفعالها : ما سبق^(١) من : « رُوِيَ ، وبُله : » ومن : « دَرَكِ » بمعنى : أدرك . ومن : « حَذَّارِ » بمعنى : احذر كالتى في قول الشاعر :

حَذَّارِ — بُسْنَى^(٢) — البغى ، لا تقربنهُ حَذَّارِ ؛ فإن البغى وخشم مراتبه

ومن اللازمة : هيهات — أف — صه . . .

فإن كان اسم الفعل مشتركاً بين أفعال مختلفة ، بعضها لازم وبعضها متعد ، فإنه يساير في التعدي والازوم الفعل الذي يؤدي معناه ، نحو : حَيَّيْهِلِ المائدة ، بمعنى : آيت المائدة ، وحيهل على فعل الخير ، بمعنى : أقبل على فعل الخير ، ومنه قولهم : إذا ذكر الصالحون فحيهلاً بعُمَرَ ، أى : فأسرعوا بذكر عمر بن الخطاب ، ومثل : هَلَسْمْ ؛ فإنها تكون متعدية كقوله تعالى : (هَلَسْمْ شهداءكم)

= أجابوا : إن تعريفها وتذكيرها راجع إلى المصدر الذي هو أصل ذلك الفعل ؛ فلفظ : « صه » — بالتنوين — معناه : اسكت سكوتاً مطلقاً ؛ أى : اقل مطلق السكوت عن كل كلام ، إذ لا تعيين في اللفظ يدل على نوع خاص محدد من السكوت . أما لفظ : « صه » المجرد من التنوين فعنائه : اسكت السكوت المعهود للمعين عن الحديث الخاص المعروف لنا مع جواز تكلمك في غيره إن شئت . هذا لتعليق . والتعليق الصحيح هو استعمال العرب .

بمعنى : قَرَّبُوا وأَحْضَرُوا . وتكون لازمة نحو قوله تعالى : (هَلِّسْ إِيَّانَا) بمعنى اقرب وتعال .

ومن غير الغالب أن يخالف اسم الفعل فعله في التعدية وال لزوم مثل : آمين ؛ فإنه لم يسمع من العرب متعدياً بنفسه . مع أن فعله الذى بمعناه ، وهو : « استجب » ، قد ورد متعدياً ولازماً ؛ فقالوا : اللهم استجب دعائى ، أو استجب لدعائى . . . ومثل : « إياه » من حديثك ، بمعنى زدنى من حديثك ؛ فاسم الفعل « إياه » لازم في هذا المثال ، مع أن فعله متعد .

* * *

أما فاعل أسماء الأفعال :

(أ) فقد يكون اسماً ظاهراً أو ضميراً للغائب مستتراً جوازاً ، ويكاد^(١) هذان يختصان باسم الفعل الماضى وحده . نحو : هيهات تحقيقُ الآمال بغير الأعمال ، وقوله تعالى : (هيهاتَ هيهاتَ لِمَا^(٢) نُوْعِدُونَ) ، ونحو : السفر هيهات ، أى : هو — ومثل : عمرو ومعاوية في الدهاء شتان ، أى : هما . . .

(ب) وقد يكون ضميراً للمخاطب مستتراً وجوباً ، وهذا هو الأعم الأغلب^(٣)

(١) قلنا : « يكاد » لأن هناك حالة نادرة عرضها بعض النحاة في قوله تعالى في سورة يوسف (وَغَلَقْتُ الْأَبْوَابَ ، وَفَالَتْ مِرْسَاتُ لَكَ) : أعرب : هيت . اسم فعل ماضٍ بمعنى « هيتأت » ويترتب على هذا أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً تقديره : « أنا » والجار والمجرور متعلقان باسم الفعل كما يتعلقان بفعله . (راجع المغنى في الكلام على لام التبيين) .

وقيل : إن « هيت » اسم فعل أمر بمعنى : « أَقْبِلْ » أو « تعال » والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره : أنت ، والمراد : إرادتك لك ، أو : أقول لك ، فالجار والمجرور ليسا متعلقين باسم الفعل ، وعلى هذا الرأي لا يكون في الآية اسم فعل ماضٍ ، فاعله ضمير للمتكلم ، — لأن هذا غير معهود في فاعله ؛ إنما الممهود فيه أن يكون اسماً ظاهراً أو ضميراً للغائب مع استنائه جوازاً .

(راجع المغنى في الموضع السابق وحاشية ياسين على التصريح ج ٢ عند الكلام على تقسيم اسم الفعل إلى مرتجل ومنقول) .

(٢) « لما » اللام حرف جر زائد . « وما » موصولة فاعل ، مجرورة بكسرة مقدرة منع من ظهورها سكون البناء الأصل ، في محل رفع ، لأنها فاعل : « هيات » .

(٣) قلنا : « الأعم الأغلب » . لأن هناك حالة نادرة في مثل قولنا : من طلب إدراك غاية فعليه بالسعى الدائب لها ، وهو أسلوب مسموع قديماً ، ومنه قولهم : « فعليه بالصوم » . أى فليتمسك بالصوم . فالضمير هنا للغائب . وهو أيضاً مستتر جوازاً .

لكن قال بعض النحاة : إن « عليه » هنا ليست اسم فعل ، بل الجار والمجرور على حالهما خبر =

في اسم الفعل المضارع واسم فعل الأمر . ويشترط في هذا الضمير أن يكون مناسباً للمضارع أو للأمر الذي يقوم اسم الفعل مقامه ، نحو : أف من عمل الحمقى ؛ بمعنى : أتضجر ؛ ففاعل اسم الفعل ضمير مستتر وجوباً تقديره : « أنا » وهذا الضمير وحده هو الذي يصلح فاعلاً للمضارع : أتضجر . ونحو : صه ، بمعنى اسكت . ففاعل اسم الفعل ضمير مستتر وجوباً تقديره : أنت . وهذا الضمير وحده هو الذي يلائم فعل الأمر : « اسكت » . ومثل قولهم : عليك بدینک ؛ ففيه معادك ، وعليك بمالك ، ففيه معاشك ، وعليك بالعلم ؛ ففيه رفعة قدرك . . . ، « فعليك » اسم فعل أمر ؛ بمعنى : تَمَسَّكْ ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره : أنت . وهذا الضمير هو الفاعل المناسب لفعل الأمر : « تَمَسَّكْ » .

ومن الأمثلة السالفة يتبين أن فاعل اسم الفعل محتم^(١) ، وأنه يماثل فاعل فعله - وأنه - في الأعم الأغلب ، - يكون في اسم الفعل الماضي اسماً ظاهراً ، أو ضميراً للغائب مستتراً جوازاً ، ويكون في اسم الفعل المضارع والأمر ضميراً مستتراً وجوباً للمتكلم - أو لغيره قليلاً - ، وللمفرد أو غيره^(٢) على حسب فعله ، ولا يكاد يصح في هذا الباب كله أن يكون الفاعل ضميراً بارزاً^(٣) .

مقدم ، والباه بعدها زائدة ، داخله على المبتدأ المجرور لفظاً بها ، المرفوع محلاً . ولو أخذنا بهذا الرأي لصارت القاعدة مطردة ، وهي أن فاعل اسمي الفعل المضارع والأمر لا يكون إلا ضميراً مستتراً وجوباً . فإن شئنا أخذنا بهذا وإن شئنا استثنينا من القاعدة المطردة الحالة النادرة .

(١) حاجة اسم الفعل إلى فاعل محترم دليل على اسميته ، لأن الاسم الذي بعده (وهو الفاعل) يسمى : المسند إليه ؛ فهو محتاج حتماً إلى : « مسند » يكون فعلاً أو اسماً . ولا ثالث لهما . واسم الفعل لا يقبل علامة الفعل ، فلا يصلح أن يكون فعلاً مسنداً . فلم يبق إلا أنه اسم مسند .

(٢) الأمثلة للفاعل المستتر المفرد كثيرة . أما غيره فالمفردة مثل : أيها الفتاة ، عليك بالخزم في كل أمورك . ولغيرها : عليكما بالخزم .. - عليكم بالخزم - عليكن بالخزم .. وتقدير الفاعل : أنت - أنتما - أنتم - أنتن . (ويتصل بهذا ما سبق في رقم ١ من ص ١٤٧) .

(٣) قد يكون في آخر اسم الفعل ما يدل على الإفراد والتذكير أو فروعهما . وعلى المخاطب أو غيره . ومن الأمثلة : رُوَيْدَكَ - دُوَيْدَكَ - رُوَيْدَكَا - رُوَيْدَكُن . على اعتبار : « رُوَيْد » اسم فعل أمر ، بمعنى الفعل : « أمهل » الذي ينصب مفعولاً به ، والضمير بعده مفعوله . والمعنى أمهل نفسك - نفسكما - أنفسكم - أنفسكن . (راجع ما يتصل بهذا في ص ١٤٩) .

ومثل : عليك أبخد في كل أمرك - عليكما - عليكم - عليكن . ومثل : « ها » وهاء (بالمد والقصر) بمعنى : خذ ، تقول في اللفظة الأولى : هاك - هاكما - هاكن . والفاعل في كل ما سبق ضمير مستتر حتماً =

والضابط الذى يجب الاعتماد عليه فى هذا الشأن هو أن يوضع فى مكان اسم الفعل ، الفعل الذى بمعناه : فما يصح أن يكون فاعلا لهذا الفعل يصح أن يكون فاعلا لاسم الفعل الذى يدل عليه ، ويقوم مقامه ، وما لا يصلح للفعل لا يصلح لاسمه أيضاً .

واعتماداً على هذا الضابط يتعين أن يكون فاعل اسم الفعل ، دالاً على المفرد المذكر ، أو المؤنث ، أو المثنى ، أو الجمع بنوعيهما — على حسب ما يناسب السياق ، ففى مثل : « صه » — كما سبق — قد يكون الفاعل : أنت — أنت — أنتم — أنتن — على حسب المخاطب . وقد يكون الفاعل متعدداً إذا كان الفعل يحتاج إلى فاعل متعدد ، نحو شَتَّان السَّابِقُ واللاحقُ فى البراعة ، كما تقول : افترق السَّابِقُ واللاحقُ فى البراعة ، لأن الافتراق فى البراعة أحد الأمور المعنوية^(١) التى لا تتحقق إلا من اشتراك اثنين معاً ، أو أكثر فى تحقيقها ، فيجىء له اسمان مرفوعان به : أحدهما فاعل بغير واسطة ، وبعده الآخر مسبوقةً بواو العطف — دون غيرها — واسطة بين الفاعل المعطوف ، والفاعل المعطوف عليه^(٢) .

= أما فى الثانية : « هاء بالمد » فقد تلتزم صورة واحدة للجمع ؛ فتقول : هاء يا على الكتاب ، أو يافاطمة ، أو يا عليان ، أو يا فاطمتان ، أو ياعليون ، أو يافاطمات . ويصح أن يتصل بآخرها علامة الإفراد والتذكير وفروعهما ، فتقول : هاء ياعلى (بالبناء على الفتح) وهاء يافاطمة (بالبناء على الكسر) وهاتين فى المثنى ، وهاتين فى جمع المذكر ، وهاتين فى خطاب جمع المؤنث ، فالضمير « ما » و « الميم » و « النون » هو الفاعل ، وهو ضمير بارز فى هذه الصورة التى هى أفصح من سابقها وعليها قوله تعالى (هاؤمُ اقرءوا كتابيهِ) — راجع ج ٤ ص ٤٢ من شرح المفصل — .

(١) انظر ما يختص بهذا فى ص ١٤٢ و ١٤٦ .

(٢) وقد تقع « ما » الزائدة بعد « شتان » مباشرة وقبل الفاعل ؛ كقول الأعشى : (يصف شقاه . وما يلقاه من العناء كل يوم . على حين يقضى « حَيَّانُ » أخو جابر يومه فى الرفاهة والمتعة بضروب النعم . — « وحيان » هذا أحد سادات بنى حنيفة ، ومن أوسعهم ثروة ، وأعظمهم حظوة عند ملوك القيس —) .

شتانَ ما يومي على كورها ويومُ حيانَ أخى جابر

فكلمة : « ما » زائدة ، و « يوم » الأولى : فاعل ، والثانية معطوفة عليها بالواو ، فهى فاعل فى المعنى كالأولى . وقد ورد فى الفصحى وقوع : (ما بين) بعد شتان ، ومنه قولهم : « لشتان ما بين اليزيديين فى الندى » . والأسهل فى هذه الصورة أن تكون « شتان » بمعنى : « بعد » وما اسم موصول . أى : بعدت المسافة بين اليزيديين ، والشرط — وهو أن التفرق لا يحصل إلا من اثنين فأكثر — متحقق ، لأنه إذا

٥ - جميع أسماء الأفعال ليس لها محل إعرابي مطلقاً - مع أنها أسماء مبنية ، عاملة ، كما تقدم - فلا تكون مبتدأ ، ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا منفعلاً به ، ولا مضافاً ولا مضافاً إليه . . . ولا شيئاً آخر يقتضى أن تكون مبنية . فى محل رفع ، أو فى محل نصب ، أو فى محل جر . ، فهى مبنية لا محل لها من الإعراب .

٦ - أن معمولاتها - فى الأعم الأغلب - لا تتقدم عليها^(١) ؛ مثل : عليك بالحق ، بمعنى : تمسك بالحق ، عليك نفسك ، بمعنى : الزم شأنك . . . ولا يصح - بناء على الأعم الأغلب - أن يقال : بالحق عليك ، ولا نفسك عليك^(٢) . . .

٧ - أنها لا تلحقها نون التوكيد مطلقاً^(٣) . ويتساوى فى هذا المنع أن تكون أسماء الأفعال دالة على طلب ، أو على خبر ، فالأولى كأسماء فعل الأمر (صه - مه - آمين) ، والثانية كأسماء الفعل الماضى أو المضارع (هيهات - شتان - أف - واهاه) .

٨ - أن اسم الفعل مع فاعله بمنزلة الجملة الفعلية ؛ فلهما كل الأحكام التى تختص بالجملة الفعلية ؛ كوقوعها خبراً ، أو صفة ، أو صلة ، أو حالاً . . .

= تباعد ما بينهما فقد تباعد كل واحد منهما عن الآخر ، ومثل هذا قول على رضى الله عنه :

« شتان ما بين عمليين ، عمل تذهب لذته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته ، ويبقى أجره » .

(١) يرى الكسائى ومن شايعه جواز التقديم ، مستدلاً بقراءة من قرأ قوله تعالى : (كتاب الله

عليكم . .) ينصب « كتاب » على أنها مفعول به لاسم الفعل : « عليكم » بمعنى : الزموا . . .

(٢) وفيما يلى كلام ابن مالك فى أنها تعمل عمل الفعل الذى تنوب عنه ، وفى أن بعضها نكرة - وهو

المنون تنوين التذكير - وبعضها معرفة ، وهو غير المنون ، وفى أن معمولاتها لا تتقدم عليها .

وَمَا لِمَا تَنْوِبُ عَنْهُ مِنْ عَمَلٍ لَهَا . وَأَخَّرَ مَا لِيَذَى فِيهِ الْعَمَلُ

(تقدير البيت : تجزياً : وأخر ما العمل فيه لذى . . . أى : لهذه الأسماء . وما من عمل لما تنوب عنه

، لها . أى : وشيئ وهو عمل للذى تنوب عنه - لها . فما يثبت من عمل للفعل النائية عنه يثبت لها فكلمة

« ما » الأولى بمعنى شيء ، مبتدأ ، وخبره الجار مع المجرور : « لها » .

والبيت مع تعقيده اللفظى يتضمن أمرين : أولهما : إعمالها كفعالها ، وثانيهما : تأخير معمولاتها

عنها . ثم قال :

وَأَحْكُمُ بِتَنْكِيرِ الَّذِي يُنَوَّنُ مِنْهَا ، وَتَعْرِيفُ سِوَاهُ بَيْنُ

(بين = واضح . وسبب وضوحه تجرده من التنوين الذى يدل وجوده على التذكير ، ويدل عدمه على

التعريف) .

(٣) كما سيجىء فى ص ١٦٧ .

و . . . وكاعتبارها جملة إنشائية طلبية إن دلت على طلب ، (كاسم فعل الأمر ، وما كان على وزن : «فَعْعَالٌ» . . .) وخبرية إن لم تدل على إنشاء (كاسم الفعل الماضي ، أو المضارع . . .) وغير هذا من كل ما تصلح له الجملة الفعلية بالضوابط والشروط الخاصة بكل حالة^(١) . . .

٩ - أن بعضاً منها تلحقه الكافُ سماعاً ، بشرط اعتبارها حرف خطاب محض . وما ورد به السماع : «وَيَ» بمعنى : أعجبُ . و«حَيَّهَلْ» بمعنى : أقبل^(٢) و«النَّجَّاءَ» بمعنى : أسرعُ ، و«رَوَيْدٌ» التي بمعنى : تمهل^(٣) ، فقد قال العرب : وَيَكُ ، وحِيهَلْ ، والنَجَّاءُ ، ورويدك . والكاف في الأمثلة السالفة حرف خطاب متصرف^(٤) ، لا يصلح أن يكون ضميراً مفعولاً به لاسم الفعل ، لأن أسماء الأفعال السَّالِفَةَ لا تنصب مفعولاً به ؛ لقيامها معنى وعملاً مقام أفعال لا تنصب مفعولاً به . وكذلك لا يصح أن تكون هذه الكاف ضميراً في محل جر مضافاً إليه ؛ لأن أسماء الأفعال مبنية ، ولا تعمل الجرَ مطلقاً ؛ فلا يكون واحد منها مضافاً .

(١) خالف في هذا شارح المفصل فقد قال (في ج ٤ ص ٢٥ باب أسماء الأفعال) ما نصه : « اعلم أن هذه الأسماء وإن كان فيها ضمير تستقل به فليس ذلك على حده في الفعل . ألا ترى الفعل يصير بما فيه من الضمير جملة ، وليست هذه الأسماء كذلك بل هي مع ما فيها من الضمير أسماء مفردة على حده في اسم الفاعل واسم المفعول ، والظرف . والذي يدل على أن هذه الألفاظ أسماء مفردة إسناد الفعل إليها ، قال زهير :

وَلِنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ «نَزَالٍ» وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
فلو كانت «نزال» بما فيها من الضمير جملة ما جاز إسناد «دعيت» إليها من حيث كانت الجملة لا يصح كون شيء منها فاعلاً .

قال الأعمى في البيت السابق ما نصه : (إنما أخبر عن «نزال» على طريق الحكاية . وإلا فالفعل وما كان اسماً له . لا ينبغي أن يخبر عنه . . .) . اهـ

(٢) كما سبق في ص ١٤٥ وفي رقم ٢ من هامشها . وفيه صور ضبطها .

(٣) لأن الفعل : «تمهل» لازم لا ينصب مفعولاً به ، فكذلك اسم الفعل الذي بمعناه ، فإن الكاف بعده حرف مجرد للخطاب في الصور المختلفة ، ولا يصح اعتباره مفعولاً . بخلاف «رويد» الذي بمعنى «أهمل» فإنه ينصب المفعول به كالفعل الذي بمعناه . وقد سبق بعض ما يتصل به في رقم ٣ من ص ١٤٩ ، وورقم ٣ من هامش ص ١٥٧ .

(٤) يتصرف على حسب المخاطب تذكيراً وتأنيساً ، وإفراداً ، وتثنية ، وجمعاً - طبقاً للبيان التام الذي تقدم في ج ١٩ ص ٢١٥ باب الضمير -

زيادة وتفصيل :

نختم الباب بسرد بعض آخر من أسماء الأفعال المختلفة الأنواع ، يكثر ترداده في الكلام العربي القديم ، ونكتفي بضبط واحد مما له أكثر من ضبط .

اسم الفعل	معناه	اسم الفعل	معناه
هَيْتَ - هَلْ ، - هَلَا	أَسْرَعَ ، وتعالَ إِلَى	حَدَرَكَ بِرْدَا بَعْدَكَ	احذر بردا تأخَّرْ ، أو احذر شيئاً خلفك
قَدْكَ - قَطَطَكَ	اكتف بما كان ، وانهته وانقطع عما أنت فيه	أَمَامَكَ ، وراءَكَ - فَرَطَكَ	احذر شيئاً بين يديك
- بَسْ	أَسْرَعَ فِيمَ أَنْتَ فِيهِ	حَيَّ (بياء مشددة مفتوحة)	بادرْ وأَسْرَعَ ، ومنه
هَيْتَكَ - هَيْتَكَ هَيْتَا	تَسَنَّحَ	عِنْدَكَ	حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَكَ الشَّرِيف :
إِلَيْكَ		مَكَانَكَ	الزَّيْمَةُ مِنْ قَرَبِ ائْتَبَسْتُ
دَعْ - دَعْدَعْ	قَمِ فَاَنْتَعَشْ ، وَاسْلَمْ مِمَّا أَصَابَكَ مِنَ السَّوْءِ . (فاللفظ يتضمن دعاء له بالانتعاش والسلامة) .		
وَشُكَّانَ	اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ (ويجوز في الواو الحركات الثلاث) قَرَبَ أَوْ : عَجَّلَ وَأَسْرَعَ . ومنه وشكَّانَ إذا خرجوا فذا فاعل ، وخرجوا تمييز .		
سُرْعَانَ	(يجوز في السين الحركات الثلاث) . عَجَّلَ وَأَسْرَعَ . وقد يتضمن في الوقت نفسه التعجب من السرعة ، فكأذلك تقول ما أسرع !!		
لَمَعَا	اَنْتَعَشَ مِنْ مَكْرُوهِ أَصَابِهِ ، وَنَهَضَ مِنْ عَثْرَةٍ . وهو يتضمن الدعاء بالسَّلامَةِ .		
دَعْدَعَا	اَنْتَعَشَ مِنْ مَكْرُوهِ أَصَابِهِ ، وَنَهَضَ مِنْ عَثْرَةٍ ، وهو يتضمن الدعاء بالسَّلامَةِ .		
هَمَّهَامَ	نَفِدَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الشَّيْءِ بَقِيَّةٌ .		
بَسَخَ	أَتْنَى وَأَمْدَحَ ، وَأَبْدَى إعْظَامِي وَتَقْدِيرِي لِمَا أَرَى .		

المسألة ١٤٢ :

أسماء الأصوات

يراد منها نوعان :

أولهما : ألفاظ تُوجَّه إلى الحيوان الأعجم ، وما في حكمه ، - كالأطفال -
 إما لزجره وتخويفه ، لينصرف عن شيء ، وإما لحثه على أداء أمر معين بمجرد
 سماعه أحد هذه الألفاظ ، دون حاجة إلى مزيد . فالمراد من توجيه اللفظ هو طلب
 الامتناع ، أو طلب الأداء .

وكلا الأمرين - الانصراف عن الشيء ، وأداء الأمر المعين - لا يتحقق إلا
 بعد تمرين ، وانقضاء مدة تتكرر فيها مخاطبة باللفظ ، ويتدرب فيها الحيوان وما في
 حكمه على إنفاذ المطلوب منه عند سماعه ؛ فيدرك - بعد التكرار الذي يصاحبه
 التدريب - المراد من توجيه اللفظ إليه ، ومن مخاطبته به ، وأن هذا المراد هو
 الزجر ، أو الحث ، (بمعناهما السالفيين) ويكتفى في إدراك الغرض بسماع اللفظ
 دون زيادة عليه .

فمن أمثلة الزجر ما كان يوجهه العرب لبعض الحيوانات - وأشباهها - بسبب
 أمر بغض يراد العدول عنه ، كزجرهم الإبل على البطء والتأخر ، فيوجهون لها أحد
 الألفاظ الآتية : (هَيْدَ - هَادَ - دَهَ - جَهَ - عَاهَ - عَيْهَ ...) وقولهم لزجر الناقة :
 (عاجَ - هَيْجَ - حَلَّ ...) وكقولهم لزجر الغنم : (إسَ - هيسَ -
 هُسَ - هَجَ -) وللكلب : (هَجَجَا - هَجَجَ ...) وللضأن : (سَعَّ - وَخَ - عَزَّ -
 عَيْزَ ...) وللخيل : (هَلَا - هَالِ ...) وللطفل : (كَخَّ ، كَخَّ ...) وللشبع :
 (جَاهَ - وللبغل : عَدَسَ ...)

إلى غير هذا من ألفاظ الرجز عندهم ، وهي كثيرة في عددها ، وضبط
 حروف كل منها .

ومن أمثلة ما يوجهه للحيوانات وأشباهها ، لا بقصد زجرها ؛ وإنما بقصد
 تكليفها أمراً كي تؤديه وتقوم بإنفاذه - قول العرب للإبل : «جَبُوتَ» ، أو : «جِيَّ» ،

إذا أرادوا منها الذهاب للماء لتشرب ، و«نِجَحٌ» ، إذا طلبوا منها الإناخة .
و«هَيْدَعٌ» ، إذا أرادوا منها الهدوء والسكون من النفار . و«سَأٌ ، وَتَشْؤٌ» ،
إذا أرادوا من الحمار الذهاب للماء ، ليشرَب . «وَدَجٌ . وَقُوسٌ» لدعوة الدجاج
إلى الطعام والشراب . . . و«حَاحَا» للضأن ، و«عَاعَا» للمعز ؛ ليحضر
الطعام . . .

ثانيهما : ألفاظ صادرة من الحيوان الأعجم^(١) ، أو مما يشبهه كالجماد ونحوه ،
فيرددها الإنسان وبعيدها كما سمعها : تقليداً ، ومحاكاة لأصحابها ، من غير أن
يقصد من وراء هذا دلالة أخرى . فقد كان العربي يسمع صوت الغراب ، فيقلده
قائلاً : «غاقٌ» ، أو : صوت الضَّرْب ؛ فيقول محاكياً : «طاقٌ» ، أو صوت وقوع
الحجارة ، فيُحَاكيه : «طَاقٌ» ، أو صوت ضربة السيف فيردده : «قَبَبٌ» ،
أو صوت طَيِّ القماش ، فيقول : «قاشٍ ماشٍ»^(٢) . . . إلى غير هذا من الأصوات
التي كان يسمعها فيحاكيها^(٣) دون أن يريد من المحاكاة معنى آخر .

أشهر أحكامها

١ - أنها أسماء^(٤) مبنية ، لا محل لها من الإعراب ، ما دامت أسماء تدل على

-
- (١) أما الحيوان الناطق فالفاظه ذات معان ، وإلا كان كثيره .
(٢) قاشٍ ماشٍ (بكسر الشين فيهما) مركب مزجي مبني على الكسر لا محل له من الإعراب ،
وهو من المركبات المزجية المتعددة التي تكون اسم صوت مع تركيبها المزجي .
(٣) وفي النوعين السابقين يقول ابن مالك في الباب الذي عنوانه : «أسماء الأفعال والأصوات» :

وَمَا بِهِ خَوِطَبٌ مَا لَا يَعْقِلُ مِنْ مُشَبِّهِ اسْمِ الْفِعْلِ - صَوْتًا يُجْعَلُ
(التقدير : ما به خوطب ما لا يعقل . . . يجعل صوتاً) يريد : أن ما يشبه اسم الفعل - في أنه
لا يحتاج في أداء المراد منه إلى لفظ آخر - يسمى : اسم صوت . وهذا تعريف قاصر مبتور ، فوق أن
تشبيه اسم الصوت باسم الفعل فيما سبق غير صحيح . لأن اسم الفعل لا بد له من فاعل ظاهر أو ضمير ،
فلا يتفرد بنفسه ، وقد يحتاج لمعاملات أخرى . . . كما سبق في بابه (ص ١٥٥) . ثم اقتصر في بيان
أنواعه وأحكامه على بيت واحد ختم به الموضوع هو :

كَذَا الَّذِي أَجْدَى حَكَايَةً ؛ كَقَبٌ وَالزَّمْ بِنَا النَّوْعَيْنِ ؛ فَهَوَ قَدْ وَجَبُ
المراد : حكاية صوت الجماد وغيره : قَب : صوت السيف . واسم الصوت بنوعيه مبني وجوباً كما
يقول في بيته . وقوله يحتاج إلى تفصيل وإبانة عرضناها .

(٤) يعترض بعض النحاة على اسميتها ؛ بحجة أن الاسم لا بد أن يكون له معنى مفرد ، مفهوم . =

مجرد الصوت ، ولم تخرج من هذه الدلالة إلى تأدية معنى آخر . وما كان مسموعاً عن العرب يجب إبقاؤه على صيغته ، وحالته الواردة عنهم من غير إدخال تغيير عليه في عدد حروفه ، أو في نوعها ، أو ترتيبها ، أو ضبطها ، أو علامة بنائها . . . كالأمثلة السالفة . أما المستحدث بعدهم فيلازم ما شاع فيه ، لأن إنشاء الأصوات واستحداثها - جائز في كل عصر^(١) ، ويجرى على الجديد المستحدث ما يجرى من الأحكام على المسموع الوارد عن العرب ؛ فيعتبر اسماً واجب البناء بالعلامة التي يشيع بها النطق في عصره ، وتسرى عليه بقية الأحكام الأخرى الخاصة بأسماء الأصوات .

لكن هناك حالتان ؛ إحداهما : يجب^(٢) فيها إعراب أسماء الأصوات بنوعيتها المسموعة عن العرب ، والموضوعة المستحدثة بعدهم . والأخرى : يجوز فيها الإعراب والبناء .

(١) فيجب^(٢) إعرابها إذا خرجت عن معانيها الأصلية التي هي الصوت المحض ، وصارت اسماً متمكناً يراد به : إما صاحب الصوت ، الذي يصدر عنه الصوت والصياح مباشرة ، وينسب له أصالة دن غيره . وإما شيء آخر ليس هو الصاحب الأصل للصوت ، وإنما يوجه له الصوت والصياح توجيهاً يقصد منه الزجر ، أو التهديد أو غيرهما . . .

فمثال الأول : أزعجتنا غاق* الأسود ، وفزعنا من غاق* الأسود . . . ، فكلمة : « غاق » ، بالتنوين ، لا يراد منها هنا أصلها ، وهو : صوت الغراب ، وإنما يراد

= وهذه الألفاظ لا تدل على معنى مفهوم ؛ لأنها توجه إلى من لا يفهم ، ويخاطب بها غير العاقل . وقد دفع هذا الاعتراض بأن المقصود بدلالة الاسم على معنى مفرد مفهوم أنه إذا أُطلق فهم منه العالم بالوضع اللغوي معناه . وهذا ينطبق على أسماء الأصوات . فليس الشرط في الاسم أن يخاطب به من يعقل ليفهم معناه . وقيل إنها ملحقة بالاسماء . ليست أسماء . . . ولا أهمية للخلاف ؛ إذ الأهمية لأحكامها الآتية . ويقولون إن سبب بنائها هو : شبهة الحروف المهملة (مثل : لا ، وما ، النافيتين) في أنها غير عاملة ، ولا معمولة . والسبب الحق هو : مجرد استعمال العرب الأوائل - كما كررنا -

(١) ومنها أصوات الحيوانات والطيور التي لم يعرفها العرب ، والأصوات التي وجدت بعدهم كأصوات السيارات ، والطيارات ، والبواخر ، والآلات المختلفة ، ما جد منها وما سيجد .
(٢ و ٢) تبعاً للأغلب - كما سيجيء في الهامش التالي .

أنَّها اسم يدل على صاحب هذا الصوت نفسه ؛ أى : على الذى ينسب له الصوت ويشتهر به ، وهو : « الغراب » ذاته ، لا صوته الصادر منه . فالغراب هو المسمَّى ، و « غاق » فى الجملة اسم معرب متمكن ، فاعل فى الجملة الأولى ، ومجرور « بمن » فى الجملة الثانية .

ومثل : ما أقسى قبيًا . فكلمة : « قبيًا » - بالتنوين - اسم معرب متمكن منصوب فى هذه الجملة ، لأن المراد بها هنا : « السيف » نفسه ، مع أنها فى الأصل اسم صوت للسيف ، مبنية على السكون ، ولاتنوين . لكنها تركت أصلها هذا ، وصارت معرفة تدل على صاحب الصوت - أى : على السيف - بعد أن كانت اسمًا للصوت ، مبنية غير منونة . فالمراد فى الأمثلة السابقة ونظائرها هو : أزعجنا الغراب - فرعنا من الغراب - ما أقسى السيف .

ومثال الثانى : أردت هالاً السريع ؛ فصادت عدسًا الضخم . وأصل كلمة : « هال » اسم صوت صادر من الإنسان ، يوجه إلى الفرس لزجره . وأصل كلمة : « عدس » اسم صوت صادر من الإنسان يوجه إلى البغل لزجره ، فكلمتا الكلمتين تركت هنا أصلها ، والبناء ، وصارت اسمًا معربًا مرادًا منه الحيوان الأعجم - وشبهه - مما لا يصدر عنه ذلك الصوت ، إنما يوجه إليه من غيره ^(١) .

(ب) ويجوز إعرابها وبناءها إذا قصد لفظها نصًا ؛ مثل : فلان لا يروعى إلا بالزجر ؛ كالبغل لا يروعى إلا إذا سمع : « عدس » أو : « عدسًا » بالبناء على السكون ، أو بالإعراب ، والمراد : إلا إذا سمع هذه الكلمة نفسها .

٣ - أنها - فى أصلها - أسماء منفردة ، مهمة . والمراد من انفرادها : أنها لا تحمل ضميرًا . هذا نوع من أنواع الاختلاف بينهما وبين أسماء الأفعال . والمراد من إهمالها أنها لا تتأثر بالعوامل المختلفة ولا تؤثر فى غيرها ، فلا تكون مبتدأ ، ولا خبرًا ، ولا فعلاً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً . . . ولا شيئًا آخر يكون عاملاً أو معمولاً - إلا فى الحالتين السالفتين : (١ ، ب ، بصورهما الثلاث) . ومن ثمَّ

(١) بعض النحاة يميز بناءها فى الصور السالفة مراعاة لأصلها . ولكن الإعراب أوضح وأقدر على أداء المعنى ؛ فيحسن الاختصار عليه .

تختلف أيضاً عن أسماء الأفعال ؛ فهذه لا بد أن تعمل .

* * *

ونحلاصة ما تقدم : أن أسماء الأصوات مهملة إذا بقيت على وضعها الأصلي اسم صوت محض ، بالطريقة التي شرحناها . أما إذا قصد لفظها ، أو استعملت استعمال الأسماء المتمكنة . — بأن انتقلت من معناها الأصلي إلى الدلالة على صاحبها الأصل الذي يصيح ويصوت بها ، أو على من يتجه إليه النطق بها — فإنها في هذه الصور الثلاث تكون معربة إما وجوباً ؛ كما في : « ا » بفرعيها ، وإما جوازاً كما في : « ب » فالشرط في إهمالها ، وفي بنائها لزوماً — أن تبقى على حالتها الأولى اسم صوت مجرد ، لا محل لها من الإعراب ؛ فلا تكون في محل رفع ، ولا نصب ولا جر ، وإنما يقال فيها : اسم صوت مبني على الضم ، أو الفتح ، أو الكسر ، أو السكون ، على حسب حالة آخره .

نونا التوكيد

يراد بهما : نُونَان ، إحداهما مشددة مبنية على الفتح ، والثانية مخففة مبنية على السكون ؛ كالنونين في قولهم : لا تقعدَنَّ عن إغاثة الملهوف ، وبادرَنَّ بمعاونته .

وهما من أحرف المعاني^(١) ، وتتصل كل واحدة منهما بآخر المضارع والأمر فتخلصهما للزمن المستقبل^(٢) ؛ ولا تتصل بهما إن كانا لغيره^(٣) ، وكذلك لا تتصل بالفعل الماضي ، ولا بأسماء الأفعال مطلقاً ؛ (سواء أكانت طلبية أم خبرية)^(٤) ولا بغيرها من الأسماء والحروف ؛ نحو : « لا تحملنَّ حقداً على من ينافسك في الخير ، وابدلنَّ جهلك الحميد في سبقه ، وإدراك الغاية قبله » . فالنون في آخر الفعلين حرف للتوكيد ، ويصح تشديدها مع الفتح ، أو تخفيفها مع التسكين . وقد اجتمعا في قوله تعالى في قصة يوسف : (لَيُسْجَنَنَّ ، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ) .
أثرهما المعنوي :

لو سمعت من يقول : « لا تنفع النصيحةُ الأحمق » ، ولا يفيد التأديب
فقد تردد في تصديق الكلام ، ويدخلك الشك في صحته . ولك العذر في هذا ، لأن المتكلم لم يحسن التقدير ؛ إذ كان عليه أن يدرك بخبرته وذكائه أن مثل هذا الكلام قد يقابل بالتردد والشك ؛ فيعمل على أن يدفعهما ، ويمنع تسربهما إلى ذهن السامع ، بإحدى الوسائل الكلامية التي عرض لها البلاغيون — ومنها : نون التوكيد . . . فلو أنه قال : لا تنفعن . . . ولا يفيدته لكان مجيء نون التوكيد ، بمثابة القسم على صحة الكلام وصدقه ، أو بمنزلة تكراره وإعادته بقصد

(١) سبق تفصيل الكلام على أحرف المعاني ، في ج ١ م ٥ ص ٦٢ ، باب : « الحرف » .

(٢) أو يُقويه — كما سيجيء .

(٣) قد يكون — أحياناً — زمن المضارع والأمر ، لغير المستقبل ؛ (طبقاً للبيان الخاص بهذا في

ج ١ م ٤ ص ٥٤ و ٦١ باب الفعل) ؛ فلا تدخلهما في هذه الحالة نون التوكيد — ثم انظر « ا » ص ١٧٧

(٤) كما تقدم في رقم ٧ من ص ١٥٩ .

تأكيد مضمونه ، وصحة ما حواه ، فلا يكون هناك مجال للشك والتردد عند من هو مستعد للاقتناع .

ومثل هذا أن يقال لك : (أكثر من الحساد بفضلك) ، (ولا تكثر من الأعداء بجهلك) . أو : (تجنب شر القتلة ؛ شاهد الزور) ، (وهل يُبَرِّئُ القاتل . وهل يقتل البريء سواه ؟) . . . فقد تزعم أن المتكلم يعرض عليك كل مسألة من هذه المسائل عرضاً مجرداً ، (أى : خالياً من رغبته القوية وتشده في مطالبتك بالتنفيذ أو بالتترك ، خالياً من الحرص على تأديتك ما تحدث بشأنه أو عدم تأديتك ، وتصديقك به أو عدم التصديق) .

وقد يكون لك الحق في هذا الزعم ؛ فليس في الكلام ما يبعده . فلو رغب المتكلم أن يبعد الزعم ، ويشعر السامعين بتمسكه بمضمون كلامه ، وتشده في التنفيذ والتأدية ، وحرصه على تصديق ما قال — لزاد في الكلام ما يدل على هذه الرغبة ؛ كأن يزيد « نون التوكيد » ، على آخر الفعل المضارع أو الأمر ؛ فإن زيادتها تفيد معنى الجملة قوة . وتكسبه تأكيداً ؛ إذ تبعد عنه الاحتمال السابق ، وتجعله مقصوراً على الحقيقة الواضحة من الألفاظ ، دون ما وراءها من احتمالات . فلو قيل في الأمثلة السالفة : (أكثرن . . . لا تكثرن . . . — تجنبسن . . . — يُبَرِّئسن — يقتلسن . . .) لكان مجيء نون التوكيد ، برغم اختصارها البالغ بمنزلة القسم ، وبمنزلة قول المتكلم : إني أؤكد كلامي ، وأتشد في أن تُنفذ مضمونه في المستقبل ، وأحرص على أن تُصدق . أو : بمنزلة تكرار ذلك الكلام ، وإعادة تحقيق الغرض السالف ، ومن أجله سميت : بـ « نون التوكيد » . والمشددة أقوى في تأدية التوكيد من الخفيفة .

وفوق هذا فكلتاها تُخلّص المضارع لازمن المستقبل ، سواء أكان اتصاها به مباشراً أم غير مباشر^(١) . ومن ثَمَّ يمتنع دخولها على المضارع إذا كان للحال ، أو للمضى أحياناً — كما سبق — منعاً للتعارض بينهما .

أما الأمر فزمنه مستقبل في الأغلب ؛ فتقوّى فيه الاستقبال . فإن كان لغيره خلّصته للمستقبل المحض .

(١) يكون غير مباشر ؛ لوجود فاصل بينهما ؛ كالضمير .

فالأثر المعنوي لهذه النون هو : توكيد المعنى على الوجه السالف ، وتخليص زمن المضارع للاستقبال ، وتقوية الاستقبال في فعل الأمر أو إرجاعه إليه .

وقد تفيد النون — مع التوكيد — الدلالة على الإحاطة والشمول إذا كان الكلام لغير الواحد ، ففي مثل : يا قومنا احذَرُنْ مكايد الأعداء . . . يكون المراد : يا قومنا كلكم ، أو جميعكم ، فرداً فرداً . . .

* * *

وخلاصة كل ما تقدم : أنهما حرفان من أحرف المعاني ، يُلحَقان بآخر المضارع وآخر الأمر ، لتخليص هذين الفعلين لآزمن المستقبل ، ولا يَحَقان بهما ولا بغيرهما من الأفعال التي لا يراد منها المستقبل الخالص ، ولا بأسماء الأفعال مطلقاً ، ولا سائر الأسماء ، والحروف . وأن فائدتهما المعنوية هي : تأكيد المعنى وتقويته بأقصر لفظ ، وتخليص المضارع لآزمن المستقبل ، وتقوية الاستقبال في الأمر ، أو إرجاعه إليه ، وأنهما قد يفيدان — مع التوكيد — الشمول والعموم في بعض الصور .

* * *

آرثاهما اللفظية ، والأحكام المترتبة على وجودهما :

لنوني التوكيد آثار لفظية مشتركة بينهما ، تَحْدُثُ من اتصال إحداهما بآخر المضارع ، المتجرد للمستقبل ، أو بآخر الأمر كذلك . وتمتاز الخفيفة بأحكام خاصة تنفرد بها دون الثقيلة .

وأهم الآثار المشتركة بينهما هو :

١ - بناء المضارع على الفتح ، بشرط أن تتصل به نون التوكيد اتصالاً مباشراً ؛ بأن يكون خالياً من ضمير رفع بارز^(١) يفصل بينهما ؛ ذلك أن المضارع معرب دائماً ، إلا إذا اتصلت به اتصالاً مباشراً نون التوكيد ؛ فينبى على الفتح ، أو نون

(١) ضمائر الرفع البارزة التي تتصل بآخر المضارع والأمر وتحدث فيهما تغييرات مختلفة — هي : ألف الاثنين ، وواو الجماعة ، وياء المخاطبة ، ونون النسوة . وتستجى التغييرات في ص ٢٧٧ وما بعدها — وقد سبق (في ١ ص ٥٣ م ٦) تفصيل الكلام على بناء المضارع ، ومنه : أن يكون اتصال نون التوكيد به مباشراً عند بناءه على الفتح . أما نون النسوة فاتصالها به لا يكون إلا مباشراً دائماً ، ويبنى معها على السكون

النسوة ؛ فينبى على السكون . كقول شوقي في وصف الدنيا :
 لا تحفِلْنَ ببؤسها ونعيمها نَعْمَى الحياة وبؤسها تَضْلِيلُ
 وكفوله فى الأمهات المصريات المجاهدات :

ينفُشنَ فى الفَتَيانِ من رُوحِ الشجاعة والثباتِ
 يَهْوَيْنَ تقبيلَ المهَنّدِ ، أو معانقةَ القنّاةِ^(١)

ويدخل فيما سبق : المضارع المسبوق بلام الأمر أو غيرها من الجوازم التى يصح الجمع بينهما وبين نون التوكيد ؛ فإنه يبنى على الفتح فى محل جزم^(٢) ؛ كقولك للمهمّل : لَتَحْتَرِمَنَّ عَمَلَكَ ، وَلَتُكْرِمَنَّ نَفْسَكَ بِإِنْجَازِهِ عَلَى خَيْرِ الوجوه . ومثل : إِمَّا^(٣) تَنْصَرْنَ ضَعِيفًا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ ... ، فالأفعال : (تَحْتَرِمُ ، وَتُكْرِمُ ، وَتَنْصَرُ ...) مبنية على الفتح ؛ لاتصالها المباشر بنون التوكيد ، فى محل جزم بلام الأمر . فإن لم يكن الاتصال بين المضارع ونون التوكيد مباشراً نشأت أحكام سنعرضها بعد^(٤) . . .

٢ - بناء فعل الأمر على الفتح ، بشرط اتصاله بنون التوكيد اتصالاً مباشراً ، فلا يكون اتصالاً بضمير رفع بارز^(٥) يفصل بينهما - ؛ نحو : اشْكُرْنَ مِنْ أَحْسَنِ إِلَيْكَ ، وكافئته بالإحسان إحساناً ، واعلمَنَّ أَنَّ كَلِمَةَ حَمْدٍ وَثَاءٌ قَدْ تَكُونُ خَيْرَ جَزَاءٍ^(٦) .

(١) الرفع .

(٢) ومن الأمثلة : « تكونن » فى قوله تعالى : (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وكذلك المضارع « تحفل » فى البيت السالف و « تصجر » فى قول الآخر :

لَا تُضَجِّرَنَّ وَلَا يَدْخُلُكَ مَعْجَزَةٌ فَالْفَوْزُ يَهْلِكُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضُّجْرِ

فالأفعال المضارعة السالفة مبنية على الفتح فى محل جزم بلا الناهية .

(٣) أصلها : « إِنْ » الشرطية المدغمة فى « ما » الزائدة .

(٤) فى ص ١٨٥ و ١٩٩ .

(٥) انظر رقم ١ من هامش الصفحة السابقة .

(٦) ولا داعى لأن نقول : فعل أمر مبنى على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة الآتية لمناسبة النون وإِثْمًا نقول - تيسيراً - تلك الإطالة - : فعل أمر مبنى على الفتح ، لاتصاله بنون التوكيد ؛

فإن كان فعل الأمر متصلاً بضمير رفع بارز يفصل بينهما فإنه يجري عليه ما يجري على المضارع المسند لذلك الضمير من غير اختلاف في الأحكام ولا في التغيرات ؛ فالمضارع والأمر سيان فيما يجري عليهما عند الإسناد لضمائر الرفع البارزة ؛ سواء أكان آخرهما صحيحاً أم معطلاً ، مؤكّدين أم غير مؤكّدين ، مع ملاحظة الاختلاف بينهما في ناحيتين هامتين .

أولاهما : أن الأمر مبنى دائماً في كل الأساليب ؛ سواء أكان مؤكداً أم غير مؤكد .
وثانيتهما : أنه لا تلحقه نون الرفع مطلقاً . وسيجيء تفصيل الكلام عليه مع المضارع آخر الباب (١) .

٣ - أن تأكيد فعل الأمر بها جائز في كل أحواله (٢) ، بغير قيد ولا شرط ، وكذلك المضارع المبدوء بلام الأمر .

أما المضارع المجرد من هذه اللام فلتوكيده أحوال أربعة (٣) ، هي : وجوب التوكيد ، وامتناعه ، واستحسانه . وقلته . وإليك البيان :

الأولى والثانية : يجب توكيده . حين يكون مثبتاً ، مستقبلاً ، جواب قسم ، مبدوءاً باللام (٤) التي تدخل على جواب القسم ، ولا يفصل بينه وبين هذه اللام فاصل ؛ نحو : والله لأعمدن الخير جهدي - بالله لأجتنبن قول السوء قدر استطاعتي - تالله لسأحاربن الشر ما وسعتنا المحاربة (٥) . . . فالأفعال المضارعة : (أعمل - أجتنب - نحارب . . .) واجبة التوكيد بالنون ، لاستيفائها الشروط

(١) في ص ١٨٥ و ١٩٩

(٢) فتدخل الحالات التي يخرج فيها عن معنى الأمر الخالص إلى غرض آخر مع بقاء صيغته على حالها ؛ كخروجه إلى الدعاء في شعر لأحد الأنصار كان يردده النبي عليه السلام يوم غزوة الخندق ، ومنه :

فَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا وَأَنْزِلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا

(٣) انظر « ب » من الزيادة والتفصيل ص ١٧٧ .

(٤) عند من يرى - كالبصريين - أن هذه اللام لا تعينه للحال - وسيجيء هذا في ص ١٧٣ - .

(٥) أي : مدة اتساع المحاربة لنا ، واقتدارنا عليها .

كلها ، فهي مثبتة ، مستقبلة الزمن^(١) ، وقبلها قسم وقعت في جوابه ، مصدره بلام الجواب ، بغير فاصل بينهما .

فلذا فقد بعض الشروط نشأت صورة جديدة قد يمتنع فيها توكيده ، وقد يصح إذا انطبقت عليها أوصاف المنع أو أوصاف الجواز التالية :

فن الصور التي يمتنع فيها توكيد المضارع بالنون أن يفقد شرط الثبوت في الحالة السالفة فيكون منفيًا ، إمّا لفظًا : نحو : إن دعيتُ للشهادة فوالله لا أكتمُ الحق ، وإما تقديرًا ، فبحو : قوله تعالى : (تَاللهِ تَنفَعُكَ تَذَكُّرُ يَوْسَفَ . . .) أى : لا تنفعا ، لأن حذف « لا » النافية كثير في جواب القسم عند أمن اللبس^(٢) .

ومن الصور التي يمتنع فيها توكيده أيضًا أن يفقد شرط الاستقبال في تلك الحالة أيضًا ؛ فيكون زمنه للحال بقرينة تدل على هذا ، كقول الشاعر :

لَسَنَ تَكُ قَدْ ضَاقتُ عَلَيْكُمْ بِيوْتِكُمْ لَيْسَ عَلَيمُ رَبِّي أَن بَيْتِي وَاسِعُ

(١) لأن نون التوكيد تخلص زمن المضارع للمستقبل ، ولا علامة أو قرينة هنا تمنع تجرده للاستقبال (كما أوضحنا في ص ١٢٨ ، وفي ص ١٠٩ م ٤) .

(٢) تحذف العرب - أحيانًا - « لا » النافية في جواب القسم ، مع ملاحظتها وتقديرها في المعنى ؛ لأن اللبس عندئذ بين المنفى والموجب مأمون ، إذ لو كان الجواب غير منفى في المعنى والتقدير لوجب أن يكون المضارع مؤكدًا باللام والنون معًا ، جرياً على الأغلب في جواب القسم عند البصريين ، وبأحدهما عند أكثر الكوفيين - ومن أمثلة حذف « لا » النافية في الآية السالفة : (تالله تنفعا تذكر يوسف) أى : لا تنفعا ما جاء في أمالي أبي القاسم الزجاجي - ص ٥٠ - في بيت ليلي الأخيلية ترقى توبة :

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأحفل من دارت عليه الدوائر
أى : لا أبكى ولا أحفل ؛ فقد جاء ما نصه : (تريد : لا أبكى ... والعرب تضمر « لا النافية » في جواب القسم مع ملاحظتها في المعنى ؛ لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون : كقولك : والله لأخرجن . قال الله عز وجل : « تالله تنفعا تذكر يوسف » أى : لا تنفعا تذكر يوسف) . ٥١ .

وقال الشاعر :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
أى : لا أبرح . . .

- وقد ذكرنا ما تقدم بمناسبة أخرى في الجزء الأول عند الكلام على : « فتى » م ٤٢ ص ٥١٠ وفي الجزء الثاني م ٩٠ ص ٣٨٣ بمناسبة الكلام على أحرف القسم وجوابها .

وقول الآخر :

يَمِينًا لَأَبْغِضُ كُلَّ امْرِئٍ يَزْخَرِفُ قَوْلًا ، وَلَا يَفْعَلُ

لأن المعنى هنا على الحالية ، ولأن لام جواب القسم الداخلة على المضارع تخلص زمنه للحال — عند فريق من النحاة^(١) — وذن التوكيد تخلصه للمستقبل ؛ فيتعارضان .

ومن الصور الممنوعة أيضاً أن يكون في تلك الحالة السالفة مفصّلاً من لام الجواب ، إما بمعموله ، وإماً بغيره ؛ كَقَدَّ ، أو سوف ، أو السين ... ؛ نحو :
والله لَغَرَضَكُمْ تُدْرِكُونَ بالسعى الدائب ، والعمل الجميد . ومثل : والله لقد تنالون رضا الناس بحسن معاملتهم . ونحو قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والأصل : والله لسوف

الثالثة : أن يكون توكيده هو الكثير المستحسن ؛ لكنه — مع كثرتة واستحسانه —

لا يبلغ درجة الواجب . وأمارته : أن يكون المضارع فعل شرط للأداة : « إن » الشرطية المدغم فيها « ما » الزائدة للتوكيد (أى : إمّا) ، أو : يكون مسبوقاً بأداة طلب تفيد الأمر ، أو النهى ، أو الدعاء ، أو العَرَض^(٢) ، أو التحضيض ، أو أو التمنى ، أو الاستفهام

فمثال المضارع المسبوق « بإمّا » : إمّا تَحْذَرْنَ من العدو تأمنْ أذاه ، وإما تُهْمَلْنَ الحذر تتعرضْ للخطر . والأصل : إن تحذر ... وإن تُهْمَل ... زيدت « ما » على « إن » الجازمة ، وأدغمت فيها . ولا يحسن في النثر ترك هذا

(١) غير البصريين — كما أشرنا في رقم ٤ من هامش ص ١٧١ . — ومعلوم أن الذى يعين المضارع للحال أمور ؛ منها : كلمة : الآن ، أو : الساعة ، ومنها : النى بليس ، ومنها : لام الابتداء ، إلى غير هذا مما سردناه في موضعه الأنسب (ص ١٦٠ م ٤) فن يريد الدلالة على الحال بغير لام القسم في مثل البيتين السالفين فله وسائل ؛ منها : أن يقول في النثر : ليعلم الآن . ويمينا لأبغض الساعة

(٢) العرض : طلب فيه لين ورفق (ويظهران في اختيار الكلمات الرقيقة ، وفي نبرات الصوت) والتحضيض : طلب فيه عنف وشدّة (ويظهران في اختيار الكلمات الجزلة ، والضحمة ، وفي النبرات القوية العنيفة) . والأداة الغالبة في العرض هى : (ألا) الخففة . وقد تستعمل قليلاً للتحضيض . وأدواته الغالبة هى : لولا — لوما — هلا — ألا — وسيجىء الكلام على هذه الأدوات في بابها الخاص — ص ٥١٢ —

التوكيد بعد : « إِمَّا » ، لكنه يصح في الشعر للضرورة . كقول القائل :
يا صاح . إِمَّا تَجِدُنِي غَيْرَ ذِي جِدَّةٍ ^(١) فَمَا التَّحَذُّرُ عَنِ الْإِخْوَانِ مِنْ شَيْءٍ
ومثال المسبوق بأداة تفيد الأمر : لِيَتَحَذَّرَنَّ مَدِيحُ نَفْسِكَ ، وَلِتَدَعَنَّ الشَّنَاءَ
عَلَيْهَا ، وَإِلَّا كُنْتَ هَدَفًا لِلْبُخْرِيَّةِ وَالْمُهَانَةِ .

ومثال المسبوق بالنهي قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُونَ
الظالمون) ، وقول الشاعر :

لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُنَوِّجْ رَبُّهُ بِخَلْقٍ ^(٢)
وقول الآخر :

وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تَبْدِيهَا لَهُ وَتَنْبِيلُ
ومثال المسبوق بالدعاء قول القائل :

لَا يَسْبَعِدَنَّ ^(٣) قَوْمِي الَّذِينَ هُمُوسُوا سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ السَّجُورِ . . .
وبالعَرَضِ قولهم : أَلَا تَنْتَسِيئِينَ إِسَاءَةَ مَنْ أَعْتَبَيْكَ ^(٤) .

وبالتحضيض قول الشاعر :

هَلَا تَمْنُنُ بَوَعْدٍ غَيْرِ مُخْلَفَةٍ كَمَا عَهْدُكَ فِي أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ
وبالتمنى قول الشاعر :

فَلَيْتَكَ يَوْمَ الْمُلتَقَى تَرَيَنِي أَيْ تَعْلَمِي أَنِّي أَمْرُؤُ بِكَ هَائِمٌ
وبالاستفهام قول الشاعر :

أَتَهْجُرَنَّ خَلِيلًا صَانَ عَهْدَكُمْ وَأَخْلَصَ الْوَدَّ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ ؟

الرابعة : أَنْ يَكُونَ تَوْكِيدُهُ قَلِيلًا ^(٥) ، وَهُوَ - مَعَ قَلَّتْ - جَائِزٌ فَصِيحٌ ، لَكِنَّهُ

(١) مَالٌ وَغَنًى . (٢) بِنَصِيبٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَارْحَمِ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ

(٣) لَا يَبْعِدَنَّ ؛ أَيْ : لَا يَهْلِكَنَّ (الفعل : بَعَدَ يَبْعِدُ ، بِمَعْنَى : هَلَكَ يَهْلِكُ) . دَعَاءٌ لِقَوِيهِ أَلَا
يَصِيبُهُمُ الْهَلَاكُ ، وَيَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَمٌّ لِأَعْدَائِهِمْ ، آفَةُ لُجْزِهِمْ (جمع : جَزُور . وَالْجَزُورُ مُؤَنَّثَةٌ فِي لَفْظِهَا .
وَمَعْنَاهَا الْغَالِبُ : النَّاقَةُ ، وَقَدْ يَرَادُ مِنْهَا الْجَمَلُ) وَإِنَّمَا كَانُوا آفَةً لَهَا لِكَثْرَةِ ذُبْحِهِمْ إِيَّاهَا لِأَنفُسِهِمْ ، وَلِلضِّيُوفِ
وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنِ الْكَرَمِ . (٤) أَزَالُ سَبَبَ عِتَابِكَ .

(٥) قَلَّةٌ نِسْبِيَّةٌ (أَيْ : بِالنِّسْبَةِ لِنَوْعِ التَّوْكِيدِ السَّالِفِينَ - وَانْظُرْ « أ » ص ١٧٧

لا يَرْفَعِي فِي قُوته مَرْفَعِي النّوعَيْن السّالِفَيْن . وعلامته : أن يكون بعد « لا » النافية كقوله تعالى : « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً »^(١) ، أو بعد : « ما » الزائدة التي لم تدغم في « إن » الشرطية ؛ كقولهم في المثل : بعِيسٍ ما أَرَيْسَكَ^(٢) ، وقول الشاعر في المال :

قليلًا به^(٣) ، ما يَحْمَدَنَّكَ وارث إذا نال مما كنتَ تجمع مَغْنَمًا
ويدخل في هذا « ما » الزائدة بعد « رَبَّ » ؛ نحو : ربما يُقْبِلَنَّ الخَيْر وراء
المكروه^(٤) ، أو بعد : « لَسَم »^(٥) كقول الشاعر :

من جَحَدَ الفضل ولمْ يَدْكُرَنَّ بالحمد مُسَدِّيه فقد أجْرما
أو بعد أداة شرط غير « إن » المدغمة في : « ما » الزائدة ، كقول الشاعر :
مَنْ تَشَقَّقَنَّ^(٦) منهم فليس بآيب أبدا ، وقتلُ بني قُتَيْبَةَ شِإِي
٤ — عدم تقديم معمول فعلها على هذا الفعل^(٧) ، إلا إن كان المعمول شبه

(١) وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ ؛ لَا يَحْطِطَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .
(٢) هذا مثل قديم تقوله لمن يخفى عنك أمراً أنت به بصير ، تريد : «إني أراك بعين بصيرة . » « فا »
زائدة . وجاء في الأساس ما معناه : أنك تقول هذا لمن أرسلته واستجلبته ؛ فكأنك تقول له : لا تَكَلِّمْ عَلَى شَيْءٍ
فإني أنظر إليك ، أى : لا تقف ، ولا تنتظر . وفي هذا المثل تأكيد للحكم بصحة تقديم شبه الجملة على
متعلقه الفعل المؤكد بالنون — كما سيجيء في الحكم الرابع —
(٣) الضمير عائد على المال في بيت قبله هو :

أَهْنُ لِلَّذِي تَهْوَى التَّلَادُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا مَتَّكَانَ الْمَالُ نَهَبًا مُقْسَمًا
و « قليلا » نعت لمصدر مخنوف ، والتقدير : حمداً قليلا يحمذك وارث .. وفي البيت شاهد آخر
يحكم عليه بالضمف هو تقديم كلمة « قليلا » النعت مع منوعة المخنوف ، مع أنها معمولان للمضارع
المؤكد بالنون وليسا شبه جملة — إذ شبه الجملة هو الذي قد يباح تقديمه — كما في رقم ٢ من هذا الهامش ،
وكما سيجيء في الحكم الرابع —

(٤) منع بعض النحاة التوكيد بالنون بعد : « ربما » بحجة أنها لا تدخل على الزمن المستقبل أو ما هو
في حكمه . ويرى سيبويه صحة هذا التوكيد ، بحجة وروده في المأثور .
وقد يكون الأفضل الأخذ بالرأى الأول ليكون حكم « رب » مطرداً .

(٥) انظر « ١ » من الزيادة والتفصيل ، ص ١٧٧ ، حيث الرأى المارضى ، ولعله أنسب .

(٦) تُصَادِفُ وتُقابِلُ .

(٧) لأن فعلها لا يعمل فيما قبله ؛ وهو لذلك لا يفسر عاملاً مخنوقاً قبله . أما متعلق شبه الجملة ، =

جملة فيصح التقديم - في الرأي الأرجح - ؛ ففي مثل : اسمعن النصح . . . لا يصح أن يقال : النصح اسمعن . بخلاف لا تثقن بمناقق ، واحذرته عند تقلب الأيام . فيصح أن يقال : بمناقق لا تثقن . وعند تقلب الأيام احذرته ^(١) .

٥- وقوع تغيرات أخرى تلمحق المضارع صحيح الآخر ومعتلة ، وكذا الأمر ، عند إسنادهما لضمائر الرفع البارزة ؛ فقد يحذف حرف العلة عند الإسناد أو يُقلب . وقد يحذف الضمير إذا كان واو جماعة ؛ أو ياء مخاطبة ، وقد يتحرك بحركة مناسبة له . من غير أن يحذف . وقد تحذف نون الرفع ، أو تدغم بغير حذف . . . إلى غير هذا من التغيرات المختلفة المترتبة على التوكيد ، والتي سنذكرها آخر الباب ^(٢) تفصيلاً - كما قلنا - .

* * *

= إذا كان متقدماً على هذا الفعل فالشائع أنه لا يجوز ، وهناك رأى آخر يجزه - طبقاً للبيان الذي سبق (في رقم ٢ و ٣ من الهامش السابق وكما في هامش ص ١٠٠ طبعة ٣ ج ٢ م ٦٧ - باب النائب عن الفاعل) واعتماداً على بعض الشواهد التي تؤيده ، ومنها ما تقدم .

(١) لهذا صلة بما سبق في رقم ٢ و ٣ من هامش الصفحة السالفة .

(٢) ص ١٨٥ - وفيما سبق يقول ابن مالك في باب عنوانه : « فونا التوكيد » .

(ونضع جهة اليسار رقماً لكل بيت كما ورد في ترتيب بابهِ بالألفية ؛ لأننا لم نلتزم في عرض مسائل هذا الباب ترتيبها في أبيات الناظم) .

لِلْفِعْلِ تَوْكِيدٌ بِنُونَيْنِ ؛ هـَا كُنُونِي : اذْهَبَنَّ ، وَاقْصِدْنَهُمَا - ١
يريد بالمثل الأول : نون التوكيد المشددة ، وبالثاني : الخففة . ثم قال :

يُوكِّدَانِ « افْعَلْ ، وَيَفْعَلُ » آتِيَا ذَا طَلَبٍ ، أَوْ شَرْطًا إِمَّا تَالِيَا - ٢
المراد من « افعل » هو : الأمر . ومن « يفعل » آتيا ، المضارع الآتي ، أي : الذي زمنه مستقبل ، حالة كونه ذا طلب ، أو : كونه شرطاً تالياً إما . (في الجملة تقديم وتأخير) :

أَوْ : مُثَبِّتًا فِي قَسَمٍ مُسْتَقْبَلًا وَقَلَّ بَعْدَ ، « مَا » و « لَمْ » وَبَعْدَ : « لَا » - ٣

وغير « إِمَّا » مِنْ طَوَالِبِ الْجَزَاءِ وَآخِرَ الْمُؤَكَّدِ افْتَحَ ؛ كَابُزًّا - ٤
يريد : أن توكيد المضارع قليل بعد : « ما » و « لم » ، و « لا » وبعد غير « إن » الشرطية المدغمة في « ما » ، من باقي طوالب الجزاء ، أي : باقي الأدوات الشرطية التي تطلب جزاء .

ويفهم من كلامه السالف أن توكيد المضارع كثير في غير هذه المواضع التي سردناها . ومن الكثير ما ذكره أولاً مجملًا . ثم قال : إن آخر الفعل المؤكدة يبنى على الفتح ؛ « كابزاً » وأصله : « ابرزاً » بنون التوكيد =

.....

زيادة وتفصيل :

(ا) يرى بعض النحاة - ورأيه سديد - أن توكيد المضارع المنفى بالحرف : « لم » قليل ، قلة ذاتية تدخله في حكم النادر الذي لا يصح القياس عليه ، وليست قلة نسبية ؛ (أى : ليست قلة بالنسبة لغيره ، حيث يشترك القليل والكثير معاً في الكثرة التي تبيح القياس عليهما ، ويمتاز الكثير بزيادة الدرجة فيها) . وحجته : أن « لم » حرف يقلب زمن المضارع للمضى ، وزن التوكيد حرف يُخلص زمنه للمستقبل ، فيتعارضان . وهذا رأى يحسن الاختصار عليه .

(ب) جرى بعض النحاة على تقسيم حالات المضارع - من ناحية توكيده بالنون - خمسة أقسام ، غير الحالة التي يمتنع فيها توكيده .

الأولى : وجوب توكيده وهي الحالة التي أوضحناها .

والثانية : أن يكون توكيده قريباً من الواجب ، وذلك حين يكون مسبوقاً « بإن » الشرطية المدغم فيها : « ما » الزائدة .

والثالثة : أن يكون توكيده كثيراً ؛ وذلك إذا وقع بعد أداة طلب : (أمر - نهى - دعاء - عرض - حض - تمن - استفهام) .

والرابعة : أن يكون توكيده قليلاً . وذلك بعد : « لا » النافية ، أو « ما » الزائدة غير المسبوقه بإن الشرطية .

والخامسة : أن يكون توكيده أقل ، وذلك بعد : « لم » الجازمة ، أو أداة شرط أخرى .

وذكروا لهذا التقسيم تعليلات مصنوعة لا يعرفها العرب ، ولم تخطر ببالهم ، والتعليل الحق في التقسيم يجب أن يقتصر على كثرة الاستعمال وقلة بين العرب .

= الخفيفة المنقلبة ألفاً لاجل الوقف . وسرد بعد هذا أبياتاً أربعة في أنواع من التغيرات التي تصيب الفعل عند إسناده لضائر الرفع البارزة ، وسنعود إليها عند الكلام على هذه التغيرات ، ثم بين الأحكام التي تختص بها « الخفيفة » ، وعرضها في خمسة أبيات ختم بها الباب وسنذكرها فيما يلي - ص ١٧٩ وما يليها -

فما الحاجة إلى هذا التقسيم الحماسي والسداسي... ، مع أن القسم الثاني والثالث لا يختلفان في الأثر ؟ فحكمها واحد ؛ هو : شدة الحاجة معهما إلى التوكيد . وإن كانت هذه الحاجة لا تبلغ مرتبة الوجوب ؛ إذ لا أهمية لزيادة أحدهما على الآخر في درجة الكثرة والتنوع ؛ لأنهما - معا - مشتركان عند العرب في الكثرة التي تفيد شدة الحاجة للتوكيد ، وتجعل استعماله قياسياً قوياً ، وما يزيد على هذا القدر المشترك يصير زيادة في الدرجة البلاغية ؛ لا في صحة الاستعمال وقوته ، وهذه الزيادة متروكة لتقدير المتكلمين في العصور المختلفة - بعد عصور الاحتجاج - ولرغبتهم في محاكاة هذا أو ذاك على حسب مقتضيات الأحوال . فهي متنقلة بينهما ؛ فإن لم تنجح الرغبة إلى محاكاة الزائد ، - لغرض بلاغي - ، وشاع الاستعمال الأدبي على إهمالها ، اكتسبها الآخر وصار هو الشائع ، وانتقلت إليه درجة الزيادة . ولا عيب في هذا ؛ فكلاهما بليغ صحيح يقاس عليه ، وكلاهما كثير ، لكنه قد يحتفظ لنفسه دون الآخر بمرتبة الزيادة في الاستعمال زمنياً مؤقتاً ، تنتقل بعده إلى نظيره .

ومثل هذا يقال في القليل والأقل . فما الحاجة إلى تفريقهما ، وعدم إدماجهما في قسم واحد ما دامت قلة لهما ليست مانعة من القياس عليهما ؛ لأنها قلة نسبية عددية (أى : على حسب نسبة أحدهما للآخر) . وليست قلة ذاتية تمنع القياس .

الأحكام التي تختص بها نون التوكيد الخفيفة دون الثقيلة

تنفردُ المخففة بأمر أربعة :

الأول : عدم وقوعها — في الرأي الأرجح — بعد ألف اثنين ، أو غيرها من أنواع ^(١) الألف ؛ نحو : (أيها الشابان ، عامِلانَ زملاءَ كما بكرِيمِ المعاملة ، واجتَنِبانَ كثرة العتاب ؛ فإنه يفضي إلى القطيعة) . فتتعين المشددة هنا مع بنائها على الكسر ، ولا يصح مجيء الخفيفة ، لأن المنع هو الأعم الأغلب في الكلام المأثور .

ويجيز بعض النحاة مجيء الخفيفة ساكنة ، أو متحركة بالكسر ؛ متابعة لبعض العرب ، والأنسب الاقتصار على الأغلب ؛ منعاً للتشيع ، وابتعاداً عما فيه من اللباس وخفاء ^(٢)

الثاني : عدم وقوعها — في الرأي الأحسن — بعد نون النسوة مباشرة . فإذا كان الفعل المضارع أو الأمر مستنداً لنون النسوة وأريد توكيده بالنون ، وجب — في هذا الرأي الأعلى — أن تكون نون التوكيد مشددة ، مبنية على الكسر ، ووجب أن يفصل بينهما وبين نون النسوة ألف زائدة ، لا مهمة لها إلا الفصل بينهما ؛ نحو : (أيتها السيدات : لا تُقَصِّرْنَ في واجبكِ القوي ، وفي مقدمته حسن تربية الأولاد ، والإشراف على شؤون البيت ، واعلمن أن ما في تقصيركن من ضرر شامل ، وإساءة عامة) . فلا يصح مجيء الخفيفة هنا — في الرأي الأحسن الذي يحتمل الاقتصار على المشددة المكسورة ، بعد الألف الفاصلة ؛ كهذا المثال ، وبعد ألف الاثنين ؛ كالمثال السابق في القسم الأول ، وبعد غيرهما من كل أنواع الألف ^(٣) :

(١) كالألف الفاصلة التي في النوع التالي .

(٢) في هذا الأمر يقول ابن مالك :

وَلَمْ تَقَعْ خَفِيفَةٌ بَعْدَ الْأَلْفِ لَكِنْ شَدِيدَةٌ ، وَكَسْرُهَا أَلْفٌ - ١٠

(٣) وفيه ابتعاد أيضاً عن اللبس ، وعن صور خيالية تنشأ عند الوقف . ومن هذه الصور الخيالية المتعددة قلب نون التوكيد الخفيفة ألفاً عند الوقف بعد ألف الاثنين ، أو الألف الفاصلة بين النونين ... — في رأى من يميز وقوعها بعدها — في مثل يالاعيانِ دحرجانِ كرتكما ، يالاعبات دحرجتانِ كرتكن ؛ فتصير : دحرجا - ودحرجتا . ثم تقلب الألف الثانية همزة ؛ فيقال فهما : دحرجاء ، ودحرجتاء ؛ لوقوع الألف الثانية متطرفة بعد الألف ؛ فتقلب الأخيرة همزة — تطبيقاً للقواعد الصرفية في كل ذلك —

وفي الاكتفاء بهذا الرأي ، ابتعاد عن اللبس والخفاء^(١).

الثالث : وجوب حذفها - في الرأي الشائع - لفظاً لا خطاً إذا وليها ، مباشرة ، ساكن ، ولم يُوقَف عليها . وسبب حذفها الفرار من أن يتلاقى ساكنان في غير الموضع الذي يصح فيه تلاقيهما^(٢) - ؛ نحو : لا تَسْعُوْذَنْ الحلف ، ولا تصدَّقَنْ الحلاَف ، فتحذف النون الخفيفة عند النطق ، وتبقى الفتحة التي قبلها دليلاً عليها ؛ فلا يلتبس الأمر على السامع ؛ إذ لا مسوِّغ لوجود الفتحة في هذا الباب إلا وجود نون التوكيد بعدها ، مذكورة أو محذوفة . ومنه قول الشاعر :

(١) وفي الأمر الثاني الذي تنفرد به الخفيفة يقول ابن مالك :

وَأَلِفًا زِدْ قَبْلَهَا مَوْكِّدًا فِعْلًا إِلَى نُونِ الْإِنَاثِ أُسْنِدًا - ١١

أى : زد قبلها مباشرة ألفا حين يكون الفعل المؤكد مسنداً إلى نون النسوة .

(٢) يصح تلاقى الساكنين عند الوقف ، وعند قصد النطق ببعض ألفاظ التهجي وذكر أسمائها ؛ نحو : كاف - جيم - لام ، وفي غير هذين لا يصح تلاقى الساكنين إلا إذا تحققت شروط ثلاثة ، فتي تحققت جاز الالتقاء ، ووصف بأنه « على حدة » أى : على النبط المشروع المحدد لصحة التلاقى . « أولها » : أن يكون الساكن الأول حرف لين (أى : حرف علة ساكناً) « ثانيها » : أن يكون

بعده حرف صحيح ساكن ، مدغم في مثله . « ثالثها » : أن يكون التلاقى في كلمة واحدة ؛ ومن الأمثلة للألف : (شَابَةٌ - عَامَّةٌ - ضَالَّوْنَ - صَادَّوْنَ) وللواو : تُمُوْدٌ الثوب (الأصل : ماددت البائع الثوب - أى : مدَّ كل منا الثوب ؛ فَتَمَادَّ الثوب ، وهذه التاء هى تاء المطاوعة . فإذا بنى الفعل « تَمَادَّ » للمجهول صار : تُمُوْدٌ) . وللياء : خُوبِيَصَّةٌ ؛ تصغير : « خَاصَّةٌ » ، و « أُصِيْمٌ » تصغير « أُصِمٌ » .

وبناء على الشرط الثالث لا يكون التقاء الساكنين مع نون التوكيد الخفيفة جارياً على حدة ، وبالرغم من هذا يحذف أول الساكنين كما سنعرف .

ويرى بعض النحاة : - ورأيه أحسن - أن التلاقى المباح ليس مقصوراً على كلمة واحدة ، فقد يكون فيها وفيما يشبه الكلمة الواحدة أيضاً ، كالكلمات التي يتصل بآخرها فاعلها الذى هو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، أو ألف الاثنين ، وبعد كل ضمير من هذه الضمائر نون التوكيد (انظر ما يتصل بهذا ويوضحه في ج ١ ص ٣٣ م ٤ و ص ٩٧ م ٧ ولا سيما رأى الصبان الذى قال إن الصحيح عدم اشتراط التلاقى في كلمة واحدة . . .) وكما يتضح في هذا الباب .

وللمجمع اللغوى القاهرى قرار يتصل بهذا ، - سجله في ص ٥٩ من كتابه المسمى : « مجموعة القرارات العلمية ، من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين » تحت عنوان : إباحة المد عند التقاء الساكنين ، أو زيادة موضع لاغتفار التقاء الساكنين - . ونص القرار :

(لا حرج على من يدفع اللبس بمد عند التقاء الساكنين في مثل قولهم : اجتمع مندبو العراق بمندوبى الأَرْدُنِّ . . .) هـ ١ .

ولا تُهين^(١) الفقير؛ عليك أنْ تركعَ يوماً ، والدهرُ قد رفعه
فالمضارع مجزوم بلا الناهية ؛ فلا مسوغ لوجود الفتحة على النون ، وبقاء الياء
قبلها إلا ملاحظة نون التوكيد الخفيفة المحذوفة .

ولا داعي في هذه الصورة لحذفها كتابة - في غير الضرورة - كما يرى بعض
النحاة ، وحجته الاكتفاء بوجود الفتحة الدالة عليها - لأن هذا الحذف الخطي قد
يوقع في لبس أو احتمال ، يحسن الفرار منها .

وأفضل من كل ما سبق تحريكها بالكسر إذا وليها ساكن . وهذا رأى فريق
آخر من النحاة ، وحجته : أن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين هو
الكسر^(٢) ، وأن الكسر هنا أخفّ وأبعدُ من اللبس ؛ فوق أنه مسموع في بعض

(١) البيت من بحر المنسرح - كما قال الصبان ، والخضري ، وليس من الخفيف - وهو للأضبط
بن قُرَيْش الجاهلي ، فهو ممن يحتج بكلامهم . وقد حذفت فيه نون التوكيد .

(٢) قال شارح المفصل (ج ٩ ص ١٢٧) ما نصه : ("اعلم أن الأصل في كل ساكنين التقيا
أن يحرك الأول منهما بالكسر ؛ نحو : بفتِ الأمة ، وقامتِ الجارية ، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا لعلّة ..") .
ولم يذكر هو ولا غيره من المتسكين بحذفها تعليلاً مقبولاً لحذف نون التوكيد التي يليها ساكن ،
ولا لخروجها على الأصل العام . بل إن حذفها قد يؤدي إلى لبس محقق في حالات متعددة ؛ منها : المضارع
المؤكد بالنون ، المعطوف على مضارع آخر كذلك ، مسبوق بلا الناهية ، مثل : لا تهملن وتلعب الساعة .
فانوع الفتحة التي على المضارع « تلعب » ؟ أم فتحة بناء بسبب نون التوكيد المحذوفة ، والواو للعطف
المجرد الذي لا أثر له في المعية ، ولا في البناء أيضاً - من باب أولي ، لما هو معروف من أن العطف على المبنى
لا يجلب البناء للمعطوف مطلقاً - أم هي فتحة إعراب ، والواو للعطف والمعية معا ؟ لا قرينة تمنع أحد
الاحتمالين بالرغم من اختلاف المعنى اختلافاً واسعاً بينهما .

حالة أخرى : هي الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف إذا أريد توكيده بالنون الخفيفة مع جزمه
بلا الناهية ، في مثل : (لا تخشَيْنِ الأذى في سبيل الحق ...) فلو حذفنا النون لالتقاء الساكنين وتركنا الفتحة
قبلها دليلاً عليها ، لصار الكلام : لا تخشَى الأذى في سبيل الحق . وترك هذه الياء - المتطرفة ، المتحركة ،
التي قبلها فتحة ، - من غير قلبها ألفاً ، مخالف للصواب اللغوية الأساسية . كما أن قلبها ألفاً ، عملاً بتلك
الصواب يؤدي إلى أن نقول : لا تخشَى الأذى (بألف مكتوبة ياء) فتقع في محذور ؛ هو تلاق الساكنين
الذي يقتضينا أن نتخلص منه بحذف ألف العلة من آخر الفعل ، وهذا الحذف يؤدي إلى لبس لدليل معه على
أن الفعل مؤكد في أصله . وعدم التخلص منه يؤدي أيضاً إلى لبس ؛ هو : اعتبار « لا » نافية ،
وليست ناهية .

لما سبق - وغيره - كان « ياسين » في حاشيته على التصريح محقاً حين قال ما نصه عن التقاء نون =

أمثلة قليلة؛ لكنها على قلتها مسيطرة للأصل العام السالف .

وهذا الرأي — على قلة أنصاره — أفضل كما قلنا ، لبعده عن شائبة اللبس والغموض ، وخلوه من التفريق بين حالتي النطق والكتابة . فإن وُجِدَ من يعارض في أنَّه الأفضل فلا أقل أن يكون في منزلة الرأي الشائع الذي يوجب الحذف .

أما عند الوقف عليها فلها حكم خاص يذكر في الأمر الرابع التالي :

الرابع : وجوب قلبها ألفاً عند الوقف عليها ، بشرط أن تكون النون الخفيفة بعد فتحة ؛ ففي مثل : احذرْ قول السوء ، وتعودْ حبس اللسان عن منكر القول — نقول عند الوقف على الفعلين المؤكَّدين : احذراً — تعوداً والقرائن كفيلة بأن تدل على نوع هذه الألف ، وأن أصلها نون التوكيد الخفيفة . . .

فإن لم تكن النون الخفيفة بعد فتحة ، بأن كانت بعد ضمة ، أو كسرة — وجب أمران : حذف النون ، نطقاً لا كتابةً ، وإرجاع ما حذف من آخر الفعل بسبب وجودها عند وصل الكلام وعدم الوقف ، ففي مثل : (أيها الفتيان ، لا تهابُنْ مقابلة الشدائد ، ولا تسخافُنْ ملاقات الصَّعاب في سبيل إدراك الغايات النبيلة . وفي مثل : يا فتاتي : لا تُحجميْ عن احتمال العناء في شريف المقاصد ، وسنِّي^(١) الأغراض) . . . نقول عند الوقوف على الأفعال المؤكدة مع أمن اللبس : لا تهابُوا — لا تخافُوا . . . — لا تُحجمي . . . ، بحذف نون التوكيد الخفيفة ، وإرجاع واو الجماعة وياء مخاطبة اللتين حذفنا نطقاً فقط عند وجود النون الخفيفة للتخلص من التقاء الساكنين . أما . . . حذفها فلا التقاء لساكنين فلا يحذف الضمير ، ويعود إن كان محذوفاً نطقاً بسبب وجودها .

= التوكيد الخفيفة بساكن في الصورة السالفة : ” (هلا حركت وأبقيت كغيرها من الحروف إذا كانت ساكنة ، ولقيت ساكناً ؟ . قلت : أشار السعد في شرح التصريف إلى أن السبب أن تحريكها خلاف وضعها من السكون . وأقول : فحينئذ ما الفرق بينها وبين غيرها مما وضع ساكناً ؛ كين ، وعن ؟ فتأمل) ” . اهـ . فوضوح سؤاله صحيح دقيق ، لمسيرته للأصل العام في التقاء الساكنين ، والإجابة عنه جدلية محضة . وكان حقها أن تؤيد بالسماع الذي له القول الفصل ؛ ولهذا جاءت واهية متداعية ، وقد دفعها بسؤال آخر هدمها وأبادها .

(١) شريف .

ومن الأمرين الثالث والرابع يتبين أنها تحذف وجوباً في حالتين :

الأولى : حذفها في النطق دون الكتابة إن وقع بعدها ساكن ، ولم يُوقَفَ عليها ، - وهذا الرأي هو الشائع ، وإن كان غير الأنسب اليوم - .

والأخرى : حذفها في النطق دون الكتابة إن وُقِفَ عليها بعد ضم أو كسر . مع إرجاع ما حذف لأجل وجودها عند عدم الوقف .

وكل ما سبق جارٍ على أشهر الآراء المستنبطة من أكثر اللغات شيعاً ، وقد أهملنا الآراء الضعيفة المتعددة التي لا خير في نقلها ، وليس من ورائها اليوم إلا البلبلة والاضطراب ^(١) . . .

(١) وفي الأمرين الثالث والرابع يقول ابن مالك :

وَحَذَفَ خَفِيفَةً لِسَاكِنٍ رَدَفَ وَبَعْدَ غَيْرِ فَتْحَةٍ إِذَا تَقِفَ - ١٢
أى : احذف نون التوكيد الخفيفة إذا رَدَفَها (ولها وجاء بعدها) ساكن . وكذلك إذا وقعت عند الوقوف عليها ، بعد غير الفتحة . وغير الفتحة هو الكسرة والضمة . ثم قال :

وَارْدُدْ إِذَا حَذَفَتْهَا فِي الْوَقْفِ مَا مِنْ أَجْلِهَا فِي الْوَصْلِ كَانَ عُدِمًا - ١٣
يريد : إذا وقعت عليها وجب أن ترجع إلى الفعل ما عدم منه (أى : حذف منه) في وصل الكلام بسببها ، وعند وجودها . وختم الباب بقوله :

وَأَبْدَلْنَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلِفَا وَفَقًا ؛ كَمَا تَقُولُ فِي قِفْنٍ : قِفَا - ١٤
أى : أن نون التوكيد إذا وقف عليها بعد حرف مفتوح وجب قلبها ألفا . وساق لهذا مثلاً ؛ وهو :
« قِفْنِ » حيث وقعت النون بعد الفاء المفتوحة . فعند الوقف يقال : قِفَا .

.....

زيادة وتفصيل :

ارتضى بعض النحاة تسمية الأمور الأربعة السالفة : « خصائص تمتاز بها
 نون التوكيد الخفيفة » ، أو : « أمور تنفرد بها » . ولا مانع من هذا على اعتبار تلك
 الخصائص أو الأمور أحكاماً بعضها عندى (أى : سلكى) كالأول والثانى ،
 وبعضها حذف - طبقاً للشائع - كالثالث ، أو : قلب ؛ كالرابع فى بعض
 حالاته .

ولا مانع فى الوقت نفسه من اعتبار تلك الأمور الأربعة خصائص تمتاز بها
 نون التوكيد الشديدة دون الخفيفة ، ولكن على أساس آخر : هو أنها أمور إيجابية ؛
 لا عدم فيها ولا تغيير . فالأول : وقوعها بعد ألف الاثنين ، والثانى :
 وقوعها بعد الألف الفاصلة ، والثالث : بقاؤها إذا وليها ساكن . والرابع : بقاؤها
 على حالها من غير حذف أو قلب عند الوقف

إسناد المضارع والأمر إلى ضمائر الرفع البارزة بغير
توكيدهما ، ومع التوكيد

الكلام على المضارع ^(١) :

عرفنا ^(٢) أن المضارع معرب في كل أحواله ، إلا إذا اتصل بآخره نون النسوة ؛
فبنى على السكون ^(٣) ، كالأمثلة السالفة ، أو اتصل بآخره نون التوكيد اتصالاً
مباشراً ؛ فبنى على الفتح ، سواء أكان صحيح الآخر ؛ نحو : أتأمرن بالمعروف ،
وأنت لا تأتمرن به ؟ أم معتل الآخر مطلقاً ؛ (أى : بالالف ، أو الواو ،
أو الياء) كقول ناصح لأخيه : لا تنهين عن الأذى ، وأنت تمارسه ، ولا ترجون
من لئيم خيراً وإن تودد إليك ، ولا تفترين حديثاً ، ولو توهمت أن الناس به
مصدقون . ومن هذا قول القائل :

فلا تبكين في إثر شيء ندامةً إذا نزعته من يديك النوازع

فالأفعال المضارعة : (تأمر - تأتمر - تنهى - ترجو - تفتري - تبكى . . .)
مبنية على الفتح لاتصالها - مباشرة - بنون التوكيد .

ومما تجب ملاحظته أن حرف العلة : « الألف » لا بد أن ينقلب ياء مفتوحة
للبناء قبل : « نون التوكيد » كما في الفعل : « تنهى » في المثال السالف وأشباهه .
أما « واو » العلة و « ياؤها » فيبقيان على صورتها مع تحريكهما بفتحة البناء ؛ لأجل
نون التوكيد .

ولا يصح حذف حرف علة من تلك الثلاثة لأجل الجازم إن كان المضارع
مسبوقاً بجازم - كما في الأمثلة المتقدمة ؛ لأن مراعاة نون التوكيد أهم وأولى في تلك
الصور ؛ فالمضارع فيها مبنى على الفتح لفظاً ، ولكنه في محل جزم .

فإن لم يكن اتصال هذه النون بآخر المضارع اتصالاً مباشراً لم يصح بناؤه

(١) الكلام على الأمر في ص ١٩٩ .

(٢) في ص ١٦٩ . (والتفصيل في ج ١ ، باب المعرب والمبني) .

(٣) وفي كل الصور والحالات لا يكون اتصالها به إلا مباشراً - كما في رقم ١ من هامش

على الفتح ، وذلك حين يفصل بينهما ضمير رفع بارز ؛ (ألف اثنين ، أو واو جماعة ، أو ياء مخاطبة ، أو نون نسوة) فإن أريد توكيده مع وجود فاصل من هذه الضمائر البارزة جاز ، ولكن من غير بناء على الفتح . ويترب على هذا التوكيد عند وجود الضمير الفاصل وقوع تغييرات حتمية تختلف باختلاف آخر المضارع ؛ أهو صحيح الآخر أم معتله ؟ وفيما يلي بيان هذه التغييرات الحتمية ^(١) :

(١) إسناد المضارع الصحيح الآخر إلى ضمائر الرفع البارزة بغير توكيد ، وبتوكيد :

١ - إذا كان المضارع صحيح الآخر ؛ مثل : « تَفْهَمُ » ، وأردنا إسناده لألف الاثنين من غير توكيد - قلنا : أنما تفهمان . والإعراب : « تفهمان » ، مضارع مرفوع بثبوت النون ، والألف فاعل . فهو معرب حتماً .

أما عند التوكيد ، وقبل إحداث التغيير فنقول : « أنما تفهمانين ؟ » بنون التوكيد الثقيلة المفتوحة ، ولا يصح - في الأرجح - مجيء الخفيفة بعد المضارع المشتمل على ألف الاثنين ^(٢) . والمضارع هنا معرب أيضاً ؛ لوجود الضمير : (ألف الاثنين) فاصلاً بينه وبين نون التوكيد المشددة . غير أنه اجتمع في آخر اللفظ ثلاثة ^(٣) أحرف

(١) سنذكرها بتفصيل وسبب وجلاء ؛ لدقتها وخفائها على كثير ، مع شدة الحاجة إليها في غالب الأساليب الهامة . هذا إلى أن فهمها واستيعاب صورها يساعد أيما مساعدة على فهم أحوال فعل الأمر عند إسناد هذه الضمائر ؛ مؤكداً وغير مؤكد .

وهذه المناسبة نذكر ما يردده بعض المتسرعين بشأن الحذف ، والتقدير ، والتعليل في هذا الباب ، من أنه خيالي محض ؛ لا يعرف عنه العرب الأوائل شيئاً . وهذا صحيح . ولكن أكثره خيال بارع نافع هنا . وحذف وتقدير يوصلان - غالباً - في هذا الباب إلى ضبط ما لا يمكن ضبطه بغيرهما ، وتيسير ما يصعب ، بل ما قد يستحيل إدراكه بدونهما . فن الحذور إنكار فضل مبتكره في هذه المسائل - وأشباهها - بغير روية ولا إنصاف . ومن غير السائق إصدار حكم عام واحد على أمرين مختلفين كل الاختلاف ؛ فأحدهما نافع بغير ضرر ، والآخر لا نفع فيه ، بل قد يكن فيه الضرر بغير روية وإنصاف .

(٢) نون التوكيد الخفيفة لا تقع - في الأرجح - بعد ألف الاثنين مطلقاً ، وإنما تقع الشديدة ،

- كما سبق في ص ١٧٩ . -

(٣) أولها : نون الرفع ، والثانيان : نون التوكيد المشددة ؛ (والحرف المشدد يعتبر حرفين) . فوجب حذف أحد الثلاثة ؛ فحذفت نون الرفع للاستغناء عنها ، ولوجود القرينة التي تدل عليها . والنوات الثلاث زوائد . فإن كانت إحداها أصلية وجب بقاء الأصلية ، كقوله تعالى : (لَيَسْجُنَنَّ وليكونن من الصاغرين) . وقد سبق - في ج ١ م ٦ ص ٨٨ عند الكلام على إعراب المضارع - أن =

زوائد ، متأثلة ، متوالية . وهذا لا يقع — غالباً — في لغتنا إلا سماعاً . فوجب حذف « نون الرفع » لوجود قرينة تدل عليها ؛ (هي : أن المضارع من الأفعال الخمسة ، ولم يسبقه ناصب أو جازم ؛ فوجب أن يكون مرفوعاً بثبوت النون . فإذا لم تكن مذكورة ، فلا بد أن تكون محذوفة لعللة ؛ والمحذوف لعللة كالثابت) . ولا يصح هنا حذف نون التوكيد الثقيلة ، أو تخفيفها ؛ لأن الحذف أو التخفيف يتنافى الغرض البلاغي من الإتيان بها ، ومن تشديدها ^(١) . فصار الكلام بعد الحذف : تفهمان ، ثم كسرت نون التوكيد المشددة ، مراعاة للمأثور عن العرب في هذا الموضع ؛ حيث يلزمونها التشديد والبناء على الكسر .

وعند الإعراب يقال في « تفهمان » : « تفهما » ، فعل مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي النونات « والألف » ضمير فاعل ، و « نون التوكيد » المشددة حرف مبنى على الكسر ، لا محل له من الإعراب . وإن شئت قلت : « تَفْهَمَا » : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، وحذفت لتوالي النونات ، والألف ضمير فاعل ، والنون المذكورة حرف للتوكيد . . .

فالصورة النهائية بعد إجراء التغيرات السالفة هي : « أَتَفْهَمَانِ » ، بتشديد نون التوكيد وجوباً بعد ألف الاثنين ، وحذف نون الرفع . ولا مانع هنا من التقاء « ألف الاثنين » ساكنة مع النون الأولى الساكنة من نون التوكيد المشددة ؛ لأن التقاء الساكنين هنا جائز — كما أوضحنا من قبل ^(٢) .

٢ — ونقول عند إسناده لواو الجماعة من غير توكيد : أنتم تفهمون ؟ (فالمضارع مرفوع بثبوت النون ؛ والواو ضمير فاعل) . ونقول عند توكيده بالنون المشددة وقبل التغيرات : أنتم تفهمون ؟ بثلاث نونات ، تحذف نون الرفع — لتوالي ثلاثة أحرف في الآخر ، وهي زوائد ، ومن نوع واحد — فيصير الكلام :

= توالى الأمثال المنوع يتحقق حين تكون الأحرف الثلاثة المتأثلة المتوالية زوائد فليس منه : (القاتلات جُننٌ ، أو : يُجَنَّن) لأن الزائد هو المثل الأخير من الزوائد . وليس منه الفعل ومشتقاته في مثل : أنا أحييك : أو أنا حييك . . (راجع الصبان هنا في الموضع السالف ، وشرح الرضى على الكافية ج ٢ ص ١٨٦) .

(١) وطبقاً لما جرى عليه أكثر العرب . والخفيفة لا تقع هنا — كما سبق —

(٢) في رقم ٢ من هامش ص ١٨٠ .

« تفهمون » فيلتقى ساكنان هما : واو الجماعة ، والنون الأولى الساكنة من النون المشددة المفتوحة الآخر ، فتحذف واو الجماعة — في الأغلب^(١) — لوجود الضمة قبلها تدل عليها عند حذفها ، ولعدم الاستغناء عن تشديد نون التوكيد ؛ لأنها جاءت مشددة ، لغرض بلاغي يقتضيه المعنى ؛ فيصير الكلام : أنتم تفهمون ؟ وعند الإعراب نقول بعد الحذف : « تفهم » الحالية أصلها « تفهمون » فهي مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ؛ لتوالي الأمثال . . . ، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ، ضمير ، فاعل . ونون التوكيد المشددة حرف ، مبنى على الفتح ، لاملح له من الإعراب . ولا تتغير الفتحة الذي على آخره .

« ملاحظة » : ليس من اللازم لحذف واو الجماعة في هذه الصورة وأمثالها مما يُسند فيها المضارع الصحيح الآخر لواو الجماعة ، أن تكون نون التوكيد مشددة ، فمن الجائز أن تكون مخففة . ومع تخفيفها تحذف لأجلها نون الرفع وجوبا كما تحذف مع المشددة ، ويترتب على هذا الحذف أن يتلاقى الساكنان السالفان ؛ وهما : واو الجماعة ونون التوكيد المخففة ؛ فتحذف واو الجماعة هنا ، كما حذفت هناك .

أما سبب حذف نون الرفع إذا كانت نون التوكيد مخففة فهو اتباع العرب في المأثور عنهم ، ومحاكاتهم في حذفها ؛ بالرغم من عدم اجتماع ثلاث نونات في هذه الصورة ، ويقول النحاة : إن نون الرفع تحذف من الفعل المسند لواو الجماعة ، وباء المخاطبة ، إذا أكد بالنون المشددة أو المخففة ، فتحذف مع المشددة ؛ منعاً لتوالي ثلاثة أحرف زائدة ، مماثلة في آخر اللفظ ، وتحذف مع المخففة أيضاً ؛ طلباً للتخفيف ، ومجازة للحذف مع المشددة^(٢) .

٣ — ونقول عند إسناده لباء المخاطبة بغير توكيد : أنت تفهمين يا زميلتي ؟ فالمضارع « تفهمين » مرفوع بثبوت النون ، وباء المخاطبة ضمير فاعل . ونقول عند التوكيد من غير تغيرات : أنتفهمين ؟ ، ثم تحذف النون الأولى (علامة الرفع) لتوالي الأمثال ، و . . . ؛ فيصير الكلام : أنتفهمين ؟ فيلتقى ساكنان هما : ياء

(١) انظر الرأي الآخر في رقم ٢ من هامش ص ١٨٠ .

(٢) التعليل الصحيح هو محاكاة العرب .

المخاطبة والنون الأولى من النون المشددة ؛ فتحذف — فى الأغلب — ياء المخاطبة للسبب السالف ، وتبقى الكسرة قبلها لتدل عليها ؛ فيصير الكلام : أَتَفْهَمِينَ ؟ ويقال فى إعرابه : « تفهمين » ، مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الأمثال ، والفاعل هو : « ياء » المخاطبة المحذوفة لالتقاء الساكنين . ونون التوكيد حرف مبنى ، لا محل له من الإعراب ، وتظل الفتحة باقية عليه مع تشديده .

ولو أتينا بنون التوكيد الخفيفة مكان الثقيلة لوقعت التغيرات السالفة كلها تماماً ، طبقاً لما تضمنته « الملاحظة » السالفة ، من أن نون الرفع تحذف وجوباً هنا للخفة ، وللحمل على الثقيلة ؛ لا لتوالى الأمثال .

٤ — ونقول عند إسناده لنون النسوة بغير توكيده : أَأَنْتِ — يا زميلاتي — تفهمين ؟ . فالفعل « تفهم » مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ، وهى ضمير فاعل مبنى على الفتح فى محل رفع — .

ونقول مع التوكيد : أَأَنْتِ تَفْهَمُنَّ ؟ بمعنى نون التوكيد المشددة المبنية على الكسر ؛ — والمخففة ؛ لا تجىء هنا — ثم زيادة « ألف » فاصلة^(١) بين نون النسوة ونون التوكيد . والإعراب بعد التوكيد لا يتغير ، ولكن نزيد على ما سلف أن النون الأخيرة المشددة حرف للتوكيد مبنى على الكسر ، لا محل له ، والألف التى بين النونين حرف زائد لا محل له .

* * *

يستخلص مما سلف أن إسناد المضارع الصحيح الآخر إلى ضمائر الرفع البارزة ، بغير توكيد — يستلزم ما يأتى :

١ — إن كان الضمير ألف اثنين ، أو واو جماعة ، أو ياء مخاطبة ، لزمته فى حالة الرفع النون التى هى علامة الرفع ، فيكون معرباً مرفوعاً بثبوت النون ، والضمير

(١) إذا أكد الفعل المضارع المسند إلى نون النسوة وجب الإتيان بألف زائدة تفصل بينهما — كما سبق فى ص ١٧٩ — ويكون المضارع مبنياً على السكون لاتصاله المباشر بنون النسوة . — ولا يكون اتصاله بها إلا مباشراً ؛ لأن إسناده إليها يقتضى اتصاله بها مباشرة ، — كما سبق فى رقم ١ من هامش ص ١٦٩ و ٣ من هامش ص ١٨٥ .

فاعلا . وهذه النون خفيفة في كل حالاتها ، ولكنها مبنية على الكسر لا محل لها بعد ألف الاثنين فقط ، أما بدد واو الجماعة ، وياء المخاطبة فمبنية على الفتح ، لا محل لها .

٢ - وإن كان الضمير نون النسوة وجب بناء المضارع على السكون ، ونون النسوة هي الفاعل ^(١) ، وهي مبنية على الفتح في محل رفع .

ويستخلص كذلك أن إسناده لتلك الضمائر مع توكيده يستلزم ما يأتي :

١ - عدم بناء المضارع مطلقاً مع وجود الضمائر الفاصلة بينه وبين نون التوكيد ؛ فيجب إعرابه مع تلك الضمائر إلا مع نون النسوة فيبنى على السكون ؛ لأنها تتصل به اتصالاً مباشراً في كل حالاتها .

٢ - وجوب حذف نون الرفع - إن كانت موجودة من قبل - إذا كان ضمير الرفع ألف اثنين ، أو واو جماعة ، أو ياء مخاطبة ، ويتساوى في وجوب حذفها مع الواو والياء أن تكون نون التوكيد بعدهما مشددة ومخففة . أما بعد الألف فنون التوكيد باقية ، ومشددة حتماً ، ومبنية على الكسر .

٣ - وجوب حذف واو الجماعة وياء المخاطبة ، مع بقاء الضمة قبل واو الجماعة لتدل عليها . والكسرة قبل ياء المخاطبة ؛ لتدل عليها - والحذف في الحالتين هو الأرجح - .

٤ - زيادة ألف بين نون النسوة ونون التوكيد ؛ لتفصل بينهما .

(١) وفي توكيد المضارع صحيح الآخر يقول ابن مالك بعد أبياته التي عرض فيها لحالات توكيده :

وَأَشْكُلُهُ قَبْلَ مُضْمَرٍ لَيْنٍ بِمَ جَانَسٍ وَنَ تَحَرُّكٍ قَدْ عَلِمَا - ٥
وَالْمُضْمَرُ احْذَرْنَاهُ لَا الْأَلْفُ ، - ٦
(المراد بالضمير اللين هنا : الضمير الساكن الذي أسند إليه المضارع ؛ ويقصد به : ألف الاثنين ، وواو الجماعة ، وياء المخاطبة - جانس : مائل وسائر) .

وفي آخر البيت السابق على هذا قال الناظم : « وآخر المؤكدة افتح ؛ كابرزا » واستثنى من هذه القاعدة ما ذكره الآن ؛ خاصاً بالمضارع صحيح الآخر المتصل بالضمير اللين ، فإنه يحرك بحركة تجانس هذا الضمير ، وهي الضمة قبل الواو ، والكسرة قبل الياء ، والفتحة قبل الألف . والذي يدل على أنه قصد صحيح الآخر دون معتله كلامه الآتي - مباشرة - على المعتل الآخر .

٥ - وجوب تشديد نون التوكيد وبنائها على الكسر^(١) بعد ألف الاثنين ، وبعد الألف الزائدة للفصل بين نون النسوة ونون التوكيد .

أما بعد واو الجماعة وياء المخاطبة فقد تكون مشددة مفتوحة الآخر ، أو خفيفة ساكنة .

* * *

(ب) إسناد المضارع المعتل الآخر ، لضمائر الرفع البارزة^(٢) ، من غير توكيد ، وبتوكيد :

المضارع المعتل الآخر إما أن يكون معتل الآخر بالألف ، أو بالواو ، أو بالياء ؛ نحو : أنت ترضى الإنصاف ، وترجو أن يَشيع ، وتجرى وراء تحقيقه .

أولا : ١ - إن كان معتلا بالألف (مثل : ترضى) وجب قلبها ياء مفتوحة عند إسناده لألف الاثنين ، تقول بغير التوكيد بالنون : أأنما ترضيان ؟ . . . والإعراب : « ترضيان » فعل مضارع معرب ، مرفوع بثبوت النون ، وألف الاثنين ضمير فاعل .

وتقول عند التوكيد قبل التغيير : أترضيان ؟ والمضارع معرب لوجود الضمير فاصلا بينه وبين نون التوكيد المشددة ، ويجب هنا ما وجب هناك من حذف نون الرفع لتوالى الأمثال بوصفه السابق^(٣) ، مع بقاء ألف الاثنين ، - برغم التقائها ساكنة مع النون الأولى من النون المشددة - . كما يجب بناء نون التوكيد على الكسر مع تشديدها في هذه الحالة أيضاً^(٤) ؛ فيصير الكلام : « أترضيان ؟ » فالفعل المضارع « ترضيان » معرب مرفوع بالنون المحذوفة ، وألف الاثنين ضمير ، فاعل . والنون المذكورة المشددة حرف للتوكيد ، مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب .

(١) يقولون في سبب كسرها مشابهتها نون المثني في الصورة الموضوعية ، أى : المظهر الشكلي . لكن السبب الحق هو استعمال العرب .

(٢) سبقت الإشارة المفيدة لهذا في موضع آخر مناسب لها ؛ وهو حكم المضارع (ج ١ م ٦ ص ٨٨)

(٣) في رقم ٢ من هامش ص ١٨٠ و ٣ من هامش ص ١٨٦ .

(٤) طبقاً للبيان الذي في رقم ٥ من هذه الصفحة .

٢- فإن كان معتلا بالألف وأريد إسناده لواو الجماعة من غير تأكيد ولا تغيير ، قيل فيه : « تَرْضَيُونَ » بقلب ألفه ياء مضمومة - لأن الضمة هي المناسبة للواو - وزيادة واو الجماعة ساكنة ، فتتحرك الياء ، ويفتح ما قبلها ، فتقلب ألفاً . ويصير الكلام : « تَرْضَاوْنَ » فيلتقي ساكنان ؛ ألف العلة وواو الجماعة ؛ فتحذف الألف ؛ لأنها حرف هجائي ، وقبله الفتحة تدلّ عليه بعد الحذف ، وتبقى واو الجماعة ؛ لأنها فاعل ؛ - فهي شطر جملة - وليس قبلها علامة تدلّ عليها بعد حذفها ، ويصير الكلام « تَرْضَوْنَ » . والإعراب : تَرْضَوْنَ ، مضارع مرفوع بثبوت النون ، والواو ضمير فاعل .

وعند التوكيد يقال بغير التغيير « أَرْضَوْنَنَّ » ، تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال بوصفه السابق^(١) ؛ فيصير الكلام : « تَرْضَوْنَ » فيلتقي ساكنان ؛ واو الجماعة والنون الأولى من النون المشددة ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما^(٢) ؛ فتتحرك واو الجماعة بحركة تناسبها ؛ وهي الضمة ، ويصير الكلام : تَرْضَوْنَ .

والإعراب : مضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال . . . ، وواو الجماعة ضمير فاعل . ونون التوكيد المشددة حرف مبنى على الفتح هنا ، وقد فصلت واو الجماعة بينه وبين المضارع ، ولهذا بقي معرباً ، بسبب الفصل .

هذا إن كانت نون التوكيد مشددة : فإن كانت مخففة حُذفت نون الرفع مع عدم تعدد الأمثال : للتخفيف ، والحمل على المشددة ، كما سبق البيان^(٣) - ؛ فيتلقى الساكنان ، فتحرك واو الجماعة ، بالضم للتخلص منه .

٣- وإن كان معتلا بالألف أيضاً ، وأريد إسناده لياء مخاطبة من غير تأكيد ، قيل بغير التغيير : « أَرْضَايَنَّ »^(٤) ؛ التقي ساكنان ، ألف العلة وياء مخاطبة ، حذفت الألف ؛ لأنها حرف هجائي^(٥) وقبله الفتحة التي تدلّ عليه

(١) في رقم ٢ من هامش ص ١٨٠ و ٣ من هامش ص ١٨٦ .

(٢) لأن الفاعل شطر جملة ، ولا علامة تدلّ عليه عند حذفه . والنون المشددة مقصودة التشديد لغرض بلاغي ؛ ولأنه يمكن التخلص من الساكنين بغير الحذف الذي يؤدي إلى عيب .

(٣) في ص ١٨٨ بعنوان : « ملاحظة » .

(٤) والأصل : « تَرْضَيَنَّ » بقلب الألف ياء مكسورة ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً .

(٥) فليس شطر جملة ، بخلاف ضمير الرفع .

بعد حذفه ، وبقيت الياء ، لأنها شطر جملة (فاعل) ولا دليل يدل عليها بعد حذفها ؛ فصار الكلام : « تَرْضِيَنَّ » وهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، والياء ضمير فاعل .

وعند التوكيد قبل التغيير يقال : « تَرْضِيَنَّ » ؛ فتحذف نون الرفع لتوالى الأمثال ، فيصير الكلام : « تَرْضِيَنَّ » فيلتقي ساكنان ؛ ياء المخاطبة والنون الأولى من النون المشددة ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما ^(١) ؛ فتتحرك ياء المخاطبة بالكسرة لأنها هي المناسبة لها ، ويصير الكلام : « تَرْضِيَنَّ » .

وإعرابه : مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ، والياء فاعل ، ونون التوكيد حرف مبنى لا محل له . وقد فصل بينه وبين المضارع ياء المخاطبة ، وبسبب هذا الفصل بقي المضارع معرباً .

هذا إن كانت نون التوكيد مشددة فإن كانت مخففة حُذفت نون الرفع أيضاً بالرغم من عدم تعدد الأمثال . . . لما سبق ^(٢) - ؛ فيتلاقى الساكنان ؛ فتتحرك ياء المخاطبة بالكسرة للتخلص منه .

٤ - وإن أريد إسناده لنون النسوة بغير توكيد وجب قلب الألف ياء ، فنقول : أأنتن ترضيئن ؟ فالمضارع : « ترضي » مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ، وهى فاعل ، مبنية على الفتح فى محل رفع .

أما عند التوكيد فنقول : ترضيئنن : بزيادة ألف فاصلة بين النونين ؛ والإعراب كما سبق ^(٣) فى صحيح الآخر . ولا تجيء المخففة بعد هذه الألف الفاصلة .

ثانياً : إن كان معتل الآخر بالواو* (مثل* : ترجؤ) وأريد إسناده :

١ - لألف الاثنين وجب تحريك الواو بالفتحة لمناسبة الألف ؛ فنقول بغير توكيد : أنتما ترجؤان - مثلاً - والمضارع مرفوع بثبوت النون ، والألف ضمير* فاعل . ونقول مع التوكيد : « أنتما تَرْجؤَانِ ؟ » ، وتحذف نون الرفع لتوالى الأمثال ، وتكسر نون التوكيد المشددة ، مراعاةً للنسق العربى الذى يقتضى كسرها

(١) لأن الماعل شطر جملة ، ولا علامة تدل عليه عند حذفه . والنون المشددة مقصودة التشديد لغرض بلاغى ، ولأنه يمكن التخلص من الساكنين بغير الحذف الذى يؤدى إلى عيب .

(٢) فى ص ١١٨ بعنوان : « ملاحظة »

(٣) فى رقم ٤ من ص ١٨٩ .

دائماً بعد ألف-الاثنتين ، وتشديدها ، فنقول : تَرْجُوْنَ . ولا تجيء المحذوفة بعد الألف مطلقاً ، — كما كررنا (١) —

٢ — وإن أريد إسناده لواو الجماعة بغير توكيد قيل : « أَنْتُمْ تَرْجُوْنَ » (٢) — مثلاً — فتلتقي واوان ساكتتان ، فتحذف واو العلة . وتبقى واو الجماعة ، للسبب الذى عرفناه ؛ فيصير الكلام : « تَرْجُوْنَ » مرفوع بثبوت النون ، وواو الجماعة ضميرٌ فاعل .

فإذا أريد التوكيد ، قيل بغير التغير : « أَتَرْجُوْنَ » وتحذف نون الرفع لتوالى الأمثال — بوصفه السابق ؛ فيصير : « تَرْجُوْنَ » ؛ فيلتقي ساكنان ، واو الجماعة ، والنون الأولى من المشددة ، فتحذف واو الجماعة ؛ — برغم أنها شطر جملة — لوجود الضمة قبلها تدل عليها ، ولعدم استغناء المعنى عن تشديد النون ، فيصير الكلام : « تَرْجُوْنَ » مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ، والفاعل : واو الجماعة المحذوفة ، والنون المشددة المذكورة للتوكيد ، وهى مفصولة من المضارع بالواو المحذوفة .

ويصح أن تجيء نون التوكيد الخفيفة بدلاً من المشددة ؛ فيتلاقى الساكنان (٣) ؛ فتحذف الواو للتخلص منه ، وتبقى الضمة قبلها لتدل عليها .

٣ — وإن أريد إسناده لياء مخاطبة بغير توكيد قيل : « أَنْتِ تَرْجُوْنَ » فيلتقي ساكنان ؛ واو العلة ولياء المخاطبة ؛ فنحذف حرف العلة ، ويصير الكلام ، « تَرْجُوْنَ » ، ثم تقلب الضمة التى قبل الياء كسرة ؛ لأن الكسرة هى المناسبة للياء ، فيصير : « تَرْجُوْنَ » .

(١) البيان فى رقم ٥ من ص ١٩١ .

(٢) وأصلها : « تَرْجُوْنَ » استثقلت الضمة على الواو فحذفت الضمة . . . ومثل هذا يقال فى : « يدْعُونَ » الواردة فى الآية الكريمة المشتملة على أنواع من المضارع المجزوم ، المسند لواو الجماعة ، صحيح الآخر ومعتله ؛ وهى قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدْعُونَ إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ؛ وأولئك هم المفلحون .) — وبتعاد الآية لمناسبة أخرى فى رقم ٣ من هامش ص ٤٠٨ — (٣) يتلاقى الساكنان هنا ؛ إما بسبب ما قلناه من حذف نون الرفع — وهذا الأحسن ، بل قيل إنه واجب للخفة والحمل ؛ فتكون نون التوكيد بعد ذلك واضحة التخفيف فى اللفظ — وإما لإدغام نون الرفع ونون التوكيد ، فتسكن الأولى . وفى هذه لبس لا يتبين معه أن نون التوكيد خفيفة .

وعند التوكيد قبل التغيير نقول : « أَأَنْتَ تَرْجِينَ؟ » تحذف نون الرفع لتوالى الأمثال ، فيصير : « تَرْجِينَ » . فيلتقى ساكنان ياء المخاطبة والنون الأولى ، فتحذف الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، (برغم أن الياء شطر جملة « فاعل » لوجود الكسرة الدالة عليها ، وعدم الاستغناء عن تشديد النون) فيصير تَرْجِينَ مع تشديد النون وفتحها . والإعراب : فعل مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ، وياء المخاطبة المحذوفة فاعل ، والنون المذكورة حرف للتوكيد .

فإن كانت نون التوكيد مخففة — لا مشددة — حذفت لها نون الرفع أيضاً^(١) ؛ فيتلقى الساكنان ؛ فتحذف الياء ، وتبقى الكسرة قبلها .

٤ — وإن أريد إسنادُه لنون النسوة بغير توكيد قيل : أَأَنْتِ تَرْجُونََ اللهُ ؟ بزيادة نون النسوة . فالمضارع : « ترجو » مبنى على السكون ، بسببها . وهى الفاعل . وعند التوكيد نقول : أَأَنْتِ تَرْجُونَنَّ بزيادة ألف فاصلة بين النونين . وعند الإعراب نقول : « ترجو » مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة . ونون النسوة فاعل . والألف بعدها زائدة ، ونون التوكيد حرف مشدد ، مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب . ولا يصح مجيء المخففة بعد هذه الألف .

ثالثاً : إن كان المضارع معتل الآخر بالياء ، وأريد إسناده :

١ — إلى ألف الاثنين بغير توكيد ، وجب تحريك الياء بالفتحة — لوجوب فتح ما قبل الألف — فنقول : أَنْتَا تَجْرِيَانِ . فالمضارع مرفوع بثبوت النون ، وألف التثنية ضمير فاعل . ونقول عند التوكيد قبل التغيير : « أَتَجْرِيَانِ؟ » تحذف نون الرفع ؛ لتوالى النونات — بوصفه السابق — وتتحرك نون التوكيد المشددة بالكسرة ؛ — لما ذكرناه من وجوب تشديدها ، وبنائها على الكسر بعد ألف الاثنين^(٢) — فيصير الكلام : « تَجْرِيَانِ » ويقال فى الإعراب ، « تَجْرِيَا » مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ؛ لتوالى الأمثال . . . والألف ضمير فاعل ، والنون المشددة حرف للتوكيد مبنى على الكسر ؛ لا محل له .

(١) لما سبق فى ص ١٨٨ بعنوان « ملاحظة » .

(٢) وكل « ألف » أخرى ؛ طبقاً للبيان الذى فى رقم ٥ من ص ١٩١ .

٢- وإن أريد إسناده إلى واو الجماعة بغير التوكيد قلنا قبل التغيير : أنتم «تَجْرِيُونَ» التي ساكنان : ياء العلة ، وواو الجماعة ، حذفت ياء العلة — لما عرفناه — فصار الكلام : تَجْرُونَ . قلبت الكسرة قبل الواو ضمة ؛ لتناسب الواو ؛ فصار الكلام : «تَجْرُونَ» .

وعند التوكيد قبل التغيير نقول : «أَتَجْرُونَ؟» تحذف النون لتوالى النونات فيصير : «تَجْرُونَ» فيلتقى ساكنان ، واو الجماعة والنون الأولى من النون المشددة ، فتحذف واو الجماعة ؛ لوجود الضمة قبلها دليلاً عليها ؛ وإهدم الاستغناء — بلاغياً — عن تشديد النون ؛ فيصير الكلام : «تَجْرُونَ» . مضارع معرب ، مرفوع بالنون المحذوفة ، وواو الجماعة المحذوفة فاعل ، والنون المشددة المذكورة حرف للتوكيد واجب البناء على الفتح . وقد انفصل عن المضارع بواو الجماعة المحذوفة التي هي في حكم المذكورة كما سبق ؛ وبسبب هذا انفصل بقى المضارع معرباً . ويصح أن تجيء نون التوكيد الخفيفة بدلاً من الثقيلة . فتحذف نون الرفع أيضاً ، فيلتقى الساكنان ، فتحذف واو الجماعة .

٣- وإن أريد إسناده لياء المخاطبة بغير توكيد قيل : أأنْتِ تَجْرِينَ؟ فيلتقى ساكنان ؛ ياء العلة ، وياء المخاطبة ؛ فيحذف حرف العلة ؛ لأنه حرف هجائي وقبله الكسرة تدل عندئذ عليه حذفه ؛ فيصير الكلام : «تَجْرِينَ» ، مضارع مرفوع بثبوت النون وياء المخاطبة فاعل .

وعند التوكيد نقول : «أَتَجْرِينَ؟» تحذف نون الرفع لتوالى الأمثال . . . فيصير الكلام : «تَجْرِينَ» فيلتقى ساكنان ياء المخاطبة والنون الأولى من المشددة ؛ فتحذف ياء المخاطبة — برغم أنها شطر جملة — لوجود الكسرة قبلها تدل عليها ، ولعدم الاستغناء — بلاغياً — عن تشديد النون . فيصير : «تَجْرِينَ» . مضارع مرفوع بالنون المحذوفة ، وفاعله ياء المخاطبة المحذوفة أيضاً . والنون المشددة حرف للتوكيد . . . وقد فصلت من المضارع بياء المخاطبة المحذوفة والتي تعد كالمذكورة ؛ فبقى معرباً . ولو كانت نون التوكيد مخففة لحذفت لها نون الرفع أيضاً . فيتلاقى الساكنان ، فتحذف ياء المخاطبة .

٤- وإن أريد إسناده لنون النسوة بغير توكيد ، قيل : أأنْتِ تَجْرِينَ؟

فالمضارع : « تجرى » مبنى على السكون ؛ لاتصاله بنون النسوة (الفاعل) .
وعند التوكيد : « تجرينَّان » فالمضارع « تجرى » مبنى على السكون ، ونون النسوة بعده ضمير فاعل ، والألف زائدة للفصل ، ونون التوكيد المشددة حرف ، ويجب تشديده وتحريكه بالكسر^(١) ، ولا تجيء المخففة هنا .

* * *

(أ) يستخلص مما سلف أن المضارع المعتل الآخر تلحقه التغيرات الآتية عند إسناده لضمائر الرفع البارزة بغير توكيد ، وأن كل ضمير منها يعرب فاعلا :
١ - إن كان مُعْتَمِلاً بالألف قلبت ياء مفتوحة ، عند إسناده لألف الاثنين ، وساكنة مع نون النسوة . وحذفت هذه الألف للتي للعاة عند إسناده لواو الجماعة وياء المخاطبة ، مع بقاء الفتحة التي قبلها في الحالتين ، لتدل عليها بعد الحذف .
زيادة نون الرفع بعد ألف الاثنين ، وواو الجماعة ، وياء المخاطبة ؛ لتكون علامة لرفع المضارع المعرب .

أما نون النسوة فالمضارع معها مبنى على السكون دائماً ؛ فلا توجد معها نون للرفع .
٢ - وإن كان معتلاً بالواو أو بالياء بقياً عند الإسناد لألف الاثنين ، وتحركا بالفتحة لمناسبة الألف . وتجيء بعد الألف نون الرفع التي هي علامة لرفع المضارع ؛ وبقياً كذلك عند الإسناد لنون النسوة ، ولكنهما لا يتحركان ؛ لأن المضارع يبنى على السكون عند إسناده لنون النسوة .

ب حذفهما مع واو الجماعة وياء المخاطبة مع ضم ما قبل واو الجماعة وكسر ما قبل ياء المخاطبة ، وزيادة نون الرفع بعدهما في حالة رفع المضارع .

(ب) ويستخلص كذلك أن إسناده إلى تلك الضمائر مع توكيده يستلزم ما يأتي :

١ - حذف ألف العلة عند الإسناد لواو الجماعة وياء المخاطبة مع تحريك الواو بالضم ، والياء بالكسر .

وقلب ألف العلة ياء عند الإسناد لألف الاثنين ، أو نون النسوة ، مع مجيء

نون التوكيد مشددة فيهما ومكسورة ومع إيجاد ألف فاصلة بين نون النسوة ، و نون التوكيد المشددة .

٢- ترك حرفي العلة ” الواو والياء ” مع فتحهما ، عند الإسناد لألف الاثنين ، ويجب أن تكون نون التوكيد مكسورة مشددة بعد هذا الضمير . والمضارع معرب في هذه الصورة .

ويتركبان على حالهما من السكون عند الإسناد لنون النسوة (لأن المضارع معها مبنى على السكون) وبعدها ألف فاصلة ، فنون التوكيد الثقيلة المكسورة .
أما عند الإسناد إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة فيجب حذف حرفي العلة كما يجب حذف الضميرين (الواو والياء مع ترك الضمة قبل الواو والكسرة قبل الياء) .

٣- حذف نون الرفع في جميع الحالات . وهي لا توجد مع وجود نون النسوة .

٤- ذكر نون التوكيد مشددة مفتوحة أو مخففة ساكنة في جميع الحالات ، إلا مع ألف الاثنين ونون النسوة فيجب تشديدها وكسرها في الحالتين . كما يجب زيادة ألف فاصلة بين نون النسوة ونون التوكيد^(١)

(١) يقول ابن مالك في حكم المضارع المعتل الآخر المسند لضمائر الرفع :

وإن يُكُنْ في آخِرِ الفِعْلِ أَلِفٌ -

فاجعله مِنْهُ رافعاً غيرَ الياء والواو - ياءً ؛ كاسْعَيْنَ سعيًا -

(اجعله منه ياء . أى : اجعل الألف ياء حالة كون الألف من الفعل ، ومن حروفه ، وليست ضميراً فالضمير في : « اجعله » راجع للألف . وفي : « منه » راجع للفعل ، والجار والمجرور حال من الهاء التي هي المفعول الأول للفعل : اجعل . أما مفعوله الثاني فهو كلمة : « ياء » المتأخرة) .

والمعنى : اجعل حرف العلة الألف ينقلب ياء ؛ إذا رُفِعَ الفعل ضميراً غير واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، بأن رفع الاسم الظاهر ، أو الضمير المستتر ، أو ألف الاثنين ، أو نون النسوة : نحو : أيرضين الصديق - أترضين يا أخى - أترضيان يا أخوتي؟ - أأنتن ترضيان؟ . واقتصر الناظم على مثال للأمر المسند للمخاطب الواحد ؛ هو : اسعين سعيًا .

أما إن رفع المضارع واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة فقد طالب ابن مالك بحذف حرف العلة الألف ، مع تحريك الضمير بحركة تناسبه ؛ وهي الضمة للواو ، والكسرة للياء ، وترك الفتحة قبل الألف المحذوفة . يقول : =

٥ - المضارع في جميع الحالات السالفة معرب ؛ لوجود الضمير فاصلاً بينه وبين نون التوكيد . إلا عند الإسناد لنون النسوة فيكون مبنياً على السكون ، لأن نون النسوة تتصل به مباشرة في جميع حالات إسنادها إليه .

* * *

الكلام على الأمر^(١) :

حكم الأمر صحيح الآخر ومعتله ، كمضارعه عند الأسناد لضائر الرفع البارزة ، بتوكيد ، وبغير توكيد ؛ بلا فرق بينهما إلا من ناحية أن الأمر مبنى دائماً ولا تتصل بآخره نون رفع مطلقاً ، — كما أشرنا سابقاً^(٢) .

* * *

ما حكم نون التوكيد بنوعيهما عند الوقف عليهما ؟
الجواب في رقم ٤ من الملاحظات التي في آخر الجدول الآتي .

* * *

— واحذِفْهُ مِنْ رَافِعٍ هَاتِينِ ، وَفِي وَاوٍ وَيَاءٍ شَكْلٌ مُجَانِسٌ قَفِي — ٨
نَحْوِ، اخْشِينَ يَا هِنْدُ ، بِالْكَسْرِ، وَيَا قَوْمُ اخْشَوْنَ ، وَاَضْمُ ، وَقَسْ مُسَوِيًّا — ٩
(مجانس: مناسب للضمير ، ولائق به . قفى . تبع . أى: توبع فيه كلام العرب ، وحوكى الوارد عنهم) .
وإنما تحذف الألف ، وتبقى الفتحة التي قبلها ، وتضم الواو ، وتكسر الياء — إذا أكد الفعل بالنون .
فإن لم يؤكد بها لم تضم الواو ، ولم تكسر الياء ، وإنما يجب تسكينهما ، نحو : يا قوم هل تَرْضَوْنَ بغير النجوم مقعداً ؟ يا بنت بلادي : هل تَرْضَيْنِ بغير الفخار مقصداً ؟ وقد ترك التفصيل الخاص بالفعل المعتل الآخر ، وإن كان المفهوم منه حذف حرف العلة لأجل واو الضمير ، أو يائه ، مع ضم ما بقى قبل واو الضمير ، وكسر ما بقى قبل ياء الضمير . وعند توكيد المعتل بأحد هذين الحرفين يجرى عليه ما يجرى على الصحيح ؛ فتحذف نون الرفع ، وواو الضمير ، ويأوه ؛ طبقاً لما قدمناه من الأحكام المفصلة الخاصة بالمعتل .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الأبيات الخمسة الخاصة بنون التوكيد الخفيفة وختم بها الباب ، وقد شرحناها في مكانها المناسب من هامش ص ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٣) وقد وزعت فيها الأبيات الآتية :

(ولم تقع خفيفة . . .) ، (وألفا زد . . .) ، (واحذف — خفيفة . . .) ، (واردد إذا حذفتها . . .) ، (وأبدلتها) ، وأرقامها ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(١) سبق الكلام على المضارع في ص ١٨٥ .

(٢) في ص ١٧١ .

المسألة ١٤٥ :

مالا ينصرف

معنى الصرف^(١) :

الاسم المعرب قسمان :

١ - قسم يدخله نوع أصيل^(٢) من التنوين ، لا يدخل غير هذا القسم ، ولا يفارقه في حالات إعرابه المختلفة . - (إلا عند وجود طارئٍ مُعارض ؛ كإضافة الاسم ، أو اقترانه « بأل »^(٣) أو وقوعه منادى معرفاً ، أو اسماً مفرداً لـ « لا » النافية للجنس . . .) - ويدل وجوده على أن الاسم المعرب الذى يحويه أشد تمكناً فى الاسمىة من سواه ؛ ولهذا يسمى : « تنوين الأمكنية »^(٤) ، أى : التنوين

(١ و ١) الحروف كلها مبنية ، وكذلك الأفعال ، إلا المضارع المجرد من نون التوكيد المباشرة ، ومن نون الإناث ، فإن اتصل بإحدهما اتصالاً مباشراً ، صار مبنياً . أما الأسماء فنها : « المعرب » ، ومنها : « المبنى » : ومن المعرب ما يسمى : « المتمكن الأمكن » ، وهو : « المنصرف » ، وما يسمى : « المتمكن غير الأمكن » ، وهو : « غير المنصرف » . ويقول النحاة : إن الاسم إذا أشبه الحرف بُنى ، وإذا أشبه الفعل منع من الصرف .

وقد سبق فى الجزء الأول (م ٦ ص ٧٢ وما بعدها) تفصيل الكلام على هذا كله ، وبيان أحكامه ، وحقيقة الرأى فى كل - وستجىء لحة منه فى هامش ص ٢٠٤ .

ملاحظة - يجرى فى تعبيرات بعض القدماء استعمال كلمة : « الإجراء » بمعنى « الصرف » ، و « عدم الإجراء » بمعنى : « منع الصرف » ، وكذلك المُجَرَّى وغير المُجَرَّى . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى ج ١ ص ٨٥ من كتاب : « النوادر » لأبى مسحل الأعرابى ونصه : قال الأُمَوِيُّ : سمعت بنى أسد يذكرون « موسى » - موسى الحجابم - ويُجَرُّونه . فيقولون هذا موسى كما ترى . وهو « مُفْعَلٌ » من أوسيت . قال : ويجرون اسم الرجل إذا كان اسمه موسى ؛ فيقولون هذا موسى قد جاء ؛ فيلحقونه بأوسيت ؛ فيجروونه . ومن جعله أعجمياً لم يُجَرِّه . وجعله بمعنى : « فُعِّلَ » . وقال الكسائى : سمعهم يؤثنون « موسى » الحجابم ، ولا يجرونها ؛ فيقولون هذه موسى . كما ترى .) « ا هـ .

(٢) من التنوين ما هو أصيل ، وينحصر فى أربعة أنواع سبق بيانها ، وإيضاح أحكامها (فى ج ١ ص ٣٣ م ٣) وهى : تنوين الأمكنية - تنوين التذكير - تنوين المقابلة - تنوين العوض . وما هو غير أصيل ؛ كتنوين الضرورة الشعرية ، وتنوين الترقيم ، والتنوين الغالى - وقد أوضحناها فى المرجع السابق -

(٣) مهما كان نوعها .

(٤) لا بد من فهم هذا النوع من التنوين فهماً دقيقاً : كى يتيسر إدراك « المنوع من الصرف » =

الدال على أن هذا الاسم العرب أمَكَنُ^(١) وأقوى درجة في الاسمية من غيره .
ويسمى أيضاً : « تنوين الصَّرف »^(٢) وبهذا الاسم يشتهر عند أكثر النحاة^(٣) .
وجوده في الاسم العرب يفيد خفة في النطق ، فوق الدلالة على الأمكنية .

وإذا ذكرت كلمة « التنوين » خالية من التقييد الذى يبين نوعه كان المقصود :
« تنوين الأمكنية » ، أى : « الصَّرف » . ومن أمثلة الأسماء المشتملة
عليه ، أو التى تستحقه لولا الطارئ المعارض ما جاء فى قول شوقي :

إنما الشرقُ منزلٌ لم يُفَرِّقْ أهله إن تفرقت أصقاعه
وطنٌ واحدٌ على^(٤) الشمس ، والفُصَّة حصى ، وفى الدِّمْعِ والجراحِ اجتماعه

ولأنما كان وجود هذا التنوين دليلاً على « الأمكنية » لأن انضمامه إلى « الإعراب »
فى اسم واحد جعل هذا الاسم مشتملاً على علامتين بدلاً من واحدة ، يبعدانه
كل البعد عن الحروف وعن الأفعال ؛ هما : « التنوين » ، و « الإعراب » ؛

= على وجهه الحق . ولن يتأتى الفهم الدقيق إلا بالإلمام التام بالأنواع الأربعة الأصلية ، وتفهمها عند تفهم
« تنوين الأمكنية » لتمييز بعضها من بعض ، ولا يختلط أمرها .

(١) « أمكن » ، أفعل تفضيل من الفعل الثلاثى : « مَكَّنْ مكانة » ، إذا بلغ الغاية فى التمكن ،
ومن هنا جاء تنوين الأمكنية . ولا يصح أن يكون من الفعل : « تمكَّن » لأن هذا غير ثلاث لا يحى فيه
« أفعل » مباشرة .

(٢) من معاني « الصرف » فى اللغة : (التصويت - اللبن الخالص - الانصراف عن شئ إلى
آخر . . .) ومن أحد هذه المعاني أُخِذَ « الصرف النحوى » . فالتنوين تصويت فى آخر الاسم المنصرف -
أو الاسم المنصرف خالص من مشابهة الحرف والفعل ؛ أو منصرف عن طريقهما إلى غيره ؛ إلى طريق
الاسمية المحضة . ويعبر بعض القدماء - كما سبق فى هامش الصفحة الماضية - عن « الصرف » ، ومنع
الصرف بالإجراء ، وعدم الإجراء .

(٣) وفى هذا يقول ابن مالك فى أول الباب الذى عقده بعنوان : « ما لا ينصرف » : - وسنذكر
على يسار كل بيت رقم تربيته فى بابه - :

الصَّرفُ : تنوينٌ أتى مُبيناً معنًى به يَكُونُ الاسمُ أمَكَنًا - ١
وبعض النحاة يسمي التنوين كله : « صرفاً » .

(٤) يصلح الحرف « على » هنا أن يكون معناه : التعليل ، أى : بيان العلة والسبب . (اعتماداً
على ما سبق بيانه من معاني الحرف الجار « على » - ج ٢ م ٩٠ ص ٤٧٠) .

إذ التنوين لا يدخل الحروف ولا الأفعال . وكذلك الإعراب ، لا يدخل الحروف ولا أكثر الأفعال . فهذا التنوين المقصور على الأسماء المعربة^(١) صار الاسم القوي المتمكن بالإعراب أقوى وأمكن باحتماع الإعراب والتنوين معاً . كما صار أخف نطقاً .

وليس من هذا القسم تنوين جمع المؤنث السالم الباقي في دلالة على جمعيته ، نحو : هؤلاء متعلمات فاضلات ، لأن هذا تنوين للمقابلة ، ولأنه قد يوجد في الاسم غير المنصرف ؛ كالعالم المؤنث المنقول من جمع مؤنث سالم ؛ مثل : سعادات - عطيات - زينات . . . فإن هذا العلم المنقول من جمع المؤنث السالم ، يجوز صرفه ، مراعاة لأصله الذي نقل منه ، فيكون تنوينه - كتكوين أصله - للمقابلة لا للأمكنة . ويجوز عدم صرفه ، مراعاة للحالة التي دو عليها الآن ؛ وهي أنه : علم على مؤنث ؛ فيكون غير أمكن أيضاً^(٢) .

وليس من تنوين « الأمكنة » كذلك تنوين « العيوض » ولا تنوين « التنكير » ؛ لأنهما يدخلان الأسماء المنصرفة وغير المنصرفة^(٣) . . .

وسيتكرر في هذا الباب وغيره كلمة : « الصرف » مراداً منها تنوين « الأمكنة » جرياً على الشائع^(٤) .

٢ - قسم لا يدخله هذا النوع الأصيل من التنوين ، ويمتنع وجوده فيه ؛ فيكون امتناعه دليلاً على أن الاسم المعرب متمكن في الاسمية ، ولكنه غير أمكن ، إذ لا يبلغ في درجة التمكّن ، وقوته ، مبلغ القسم السالف ؛ كالأسماء : عمر - عثمان - مريم - عبدة . . . وغيرها من الأسماء الممنوعة من الصرف ، أي : الممنوعة من

(١) وواضح أنه لا يدخل المبنيات مطلقاً .

(٢) ستجىء الإشارة لهذا في رقم ١ من هامش الصفحة التالية وكذلك في « ج » من ص ٢٤٠ .

(٣) يدخل تنوين العوض الأسماء غير المنصرفة ؛ نحو : دوع - ليال - سواع - غواد - هواد -

(كما سيجيء في ص ٢٠٩) وقد يدخل الأسماء المنصرفة أيضاً ، نحو : « كئل » ؛ و « بعض » ؛ فيكون للعوض والصرف معاً ، لا لأحدهما . أما تنوين التنكير فبالغالب دخوله على المبنيات لإفادة تنكيرها . وقد يدخل على الاسم المعرب لهذا الغرض -

كما سبق تفصيل هذا في باب : التنوين (ج ١ م ٣ ص ٣٣) ، وكاسيجى بعضه هنا وفي « ب »

(٤) عند غير ابن مالك ، ومن وافقه .

أن يدخل عليها تنوين : « الصرف » الدّال على « الأمكنية » ، والمؤدى إلى خفة النطق ، (لأن هذا التنوين يرمز إلى الأمرين المذكورين ويدل عليهما ، كما أسلفنا) - .

وإنما كان هذا القسم « متمكناً غير أمكن » ، لاشتماله على علامة واحدة ، هى الإعراب ، وبسببها كان محصوراً فى الأسماء المعربة وحدها . أما تنوين « الأمكنية » فلا يدخل هذا القسم . وبسبب حرمانه هذا التنوين ، وامتناع دخوله ، اترب من الفعل والحرف ؛ إذ صار شبيهاً بهما فى حرمانيهما التنوين ، وامتناع دخوله عليهما .

وإذا امتنع دخول تنوين « الأمكنية » على الاسم الذى لا ينصرف امتنع ، - تبعاً لذلك - جره بالكسرة ؛ فيجر بالفتحة نيابة عنها^(١) ، بشرط ألا يكون مضافاً ، ولا مقترناً « بأل »^(٢) - مهما كان نوعها - . فإن أضيف ، أو اقترن « بأل »^(٣) وجب جره بالكسرة . - وهذا هو حكم الممنوع من « الصرف » ، وسيجىء الكلام عليه^(٤) .

لكن كيف يمكن التمييز بين القسمين . والحكم على الاسم المعرب بأنه من القسم الأول « الأمكن » أو من القسم الثانى « المتمكن » ؟ .

لقد اقتصر النحاة على وضع علامات مضبوطة تميز الاسم المعرب المتمكن ، وهو « الممنوع من الصرف » ، وتدل عليه بغير خفاء ولا غموض ، واكتفوا بها ؛ لعلمهم أنها متى وجدت فى اسم مترب كانت دليلاً على أنه « لا ينصرف » ، ومتى خلا منها كان فقدوها دليلاً على أنه من القسم الأول : وهو : « المعرب الأمكن » ، أى : « المعرب المنصرف » . فعلامة الاسم المعرب الذى لا ينصرف « وجودية » ، وعلامة المعرب المنصرف ، « عدمية » أى : سلبية . غير أن

(١) إلا العلم الذى أصله جمع مؤنث سالم ثم صار علماً منقولاً ؛ فإنه يجوز إعرابه مصروفاً كأصله ، رفعاً ، ونصباً ، وجرّاً ، ويجوز إعرابه كالممنوع

- كما عرفنا فى الصفحة السابقة ، وكما سيجىء فى : « ج » من ص ٢٤٠ وفى ١ من ص ٢٦٤ -

(٢ و٣) أو ما يقوم مقامها (انظر « ب » ص ٢٠٧) .

(٤) فى الصفحات التالية ، ثم فى ص ٢٦٤ بعض لأحكام العامة المهمة .

العلامة الدالة على منع الاسم من الصرف قد تكون واحدة : وقد تكون اثنتين معاً ، لهذا كانت الأسماء الممنوعة من الصرف نوعان :

نوع يُمنَع صرفه في كل استعمالاته حين توجد فيه هذه العلامة الواحدة ، ونوع يُمنَع صرفه بشرط أن توجد فيه علامتان معاً^(١) من بين علامات تسع . ومجموع النوعين أحد عشر شيئاً :

(١) يعبر النحاة عن هذا بقولهم : إن الاسم يمنع من الصرف لوجود علتين فيه ، أو علة واحدة

تقوم مقام العلتين ...

والتعبير بعلتين ليس دقيقاً ؛ لأن كل علة واحدة لا بد لها من معلول واحد ، فالعلتان لا بد لهما من معلولين حتماً . فكيف يجتمع علتان على معلول واحد ؟ فإن كانتا قد اشتركتا معاً في إيجاد المعلول الواحد لم تكونا علتين ، وإنما هما علة واحدة ذات جزأين اشتركتا معاً في إيجاد هذا المعلول الواحد . اللهم إلا أن يكون مرادهم علتين ، أى : عيّنين .

ويقولون في تعليل منع الاسم من الصرف كلاماً لا تطمئن إليه النفس ، ولا يرتاح إليه العقل . نلخصه للمتخصصين ، لإبانة ضعفه وهافته ، مع دعوتنا إلى نبذه وإهماله إهمالاً تاماً . يقولون : إن التنوين الأصلي خاصة من خواص الأسماء ، لا وجود له في الأفعال ولا الحروف . وإن الحروف كلها مبنية ، وكذلك الأفعال ، إلا المضارع في بعض حالاته . فالاسم إذا أشبه الحرف بُنى (كأن يشبهه في الوضع ، أو في المعنى . . . أو غيرها من أنواع الشبه التي عرفناها في صدر الجزء الأول ، باب : الإعراب والبناء) . وإذا أشبه الاسم الفعل مُنِع من الصرف ؛ لأن الفعل أقل استعمالاً من الاسم وأضعف شأناً منه ؛ لذلك حرم التنوين الذي هو علامة القوة ، والوسيلة لخفة النطق . فإذا اقترب الاسم من الفعل وشابهه في الضعف فقد استحق مثله امتناع التنوين . أما سبب ضعف الفعل عندهم دون الاسم - فأمران :

أحدهما : لفظي ، وهو : أن الفعل مشتق من المصدر ؛ فالفعل فرع ، والاسم أصله ، والفرع أضعف من الأصل .

ثانيهما : معنوي ؛ وهو : أن الفعل محتاج دائماً إلى الاسم في الإسناد ، وليس كذلك الاسم ، فإنه قد يستند إلى اسم مثله ؛ ولهذا كان الاسم أخف لكثرة استعماله ، والفعل أثقل لقلة استعماله ؛ والحاجة ضعف . فإذا وجد في الاسم ضعفان معاً لفظي ومعنوي ، أو ضعف واحد آخر يقوم مقامهما فقد شابه الفعل ، واستحق منع التنوين ، كما في مثل : « فاطمة » فقد وجد في هذا الاسم الضعف اللفظي ، وهو علامة التأنيث ، إذ التأنيث فرع التذكير ، ووجد فيه الضعف المعنوي ؛ وهو : العلمية التي هي فرع التذكير : أما النوع الواحد من الضعف الذي يقوم مقام الاثنين فمحذور في : « ألف التأنيث » بنوعها ؛ (المقصورة والممدودة) : ، وفي « صيغة منتهى الجموع » . فوجود ألف التأنيث في آخر الاسم هو علة لفظية ، ولازمتها إياه في كل حالاته هي علة معنوية . وخروج صيغة منتهى الجموع عن أوزان الآحاد العربية علة لفظية ، (إذ ليس في تلك الآحاد مفرد ثالث ألف بعدها حرفان أو ثلاثة إلا وأوله مضموم ، كعذافر - للجلجلى - والأسد ، أو تكون ألفه عوضاً عن إحدى يامى النسب كيمان وشام ، وأصلهما مئى ، وشامى ، =

(١) فالذى يُمنَّع صرفه لوجود علامة واحدة هو ما يكون مشتملاً على :
« ألف التأنيث المقصورة ، أو الممدودة » . وكذلك ما يكون على وزن : « صيغة
منتهى الجموع » .

١ - فالمقصورة ألف تجيء فى نهاية الاسم العرب ، لتدل على تأنيثه ،
ومثلها الممدودة ، إلا أن الممدودة لا بد أن يسبقها - مباشرة - ألف زائدة للمد ،
فتقلب «ألف التأنيث همزة»^(١) . . . ومن أمثلة المقصورة : (« ذِكرى » مصدر ،
نكرة للفعل : ذَكَرَ : بمعنى تذكَّرَ) و (« رَضوى » علم على جبل بالحجاز ،
بالمدينة) ، و (جِرْحى : جمع : جريح) و (حُبلى ، وصف للمرأة
الحامل . . .)

وعند إعراب هذه الكلمات نقول فى حالة الرفع : إنها مرفوعة بضمة مقدرة
على الألف ، وفى حالة النصب منصوبة بفتحة مقدرة على الألف ، ونقول فى
حالة الجر : إنها مجرورة بفتحة مقدرة على الألف ، نيابة عن الكسرة . والتبوين
ممتنع فى كل الحالات - كما عرفنا - .

وإنما تجر هذه الأسماء وأشباهاها ، بالفتحة نيابة عن الكسرة بشرط خلو
الاسم من « أل »^(٢) ومن الإضافة . وإلا وجب جره بالكسرة .

= (بالباء المشددة) حذفت إحدى الباءين تخفيفاً، وجاءت الألف عوضاً عنها ، وفتحت همزة شأى بعد سكونها
ومدت ؛ فصار يمانى وشأى . ثم أُعلَّ إعلال المنقوص (كوال ، وراع) فصار يمان وشأم - كما سيجيء
فى جمع التكسير - ومثلها ثمان ، فأصله : ثُمْنَى ، نسبة إلى الثمن ، فتح أوله تخفيفاً ثم حذفت
إحدى الباءين . . . إلى آخر مامر ، وغير ذلك مما لاتجاره ولا توافقه صيغة منتهى الجموع) . . . أما
علة المعنوية فى صيغة منتهى الجموع فدلالها على الجمع . . . إلى غير هذا مما يقولون .

وقطم بادى التكلف والصنعة ، لا يقوى على الفحص ، وقد آن الوقت لإهماله نهائياً ، لأنه لا يثبت
أمام الاعتراضات التى تنجبه إليه من بعض النحاة القدامى والمحدثين . وقد عرضنا ملخص رأيهم فى الجزء الأول
(ص ٣٤ م ٣ عند الكلام على التبوين) ثم أوضحنا بعده أن التعليل الحق فى « الصرف » وفى منعه هو :
كلام العرب الأوائل ، واستعمالهم الصحيح الوارد إلينا ، والذى نحاكبه .

(١) لألف التأنيث بنوعها أوزان مشهورة ، تضمنها الباب الخاص بالتأنيث . (وسيأتى فى
ص ٥٨٥) وألف التأنيث الممدودة ليست فى الحقيقة هى الممدودة ، كما يتبين من الشرح السالف ، إنما
الممدود ما قبلها فوصفت بالمد ملاصقتها له ؛ كما سيجيء فى الزيادة - ص ٢٠٧ - .

(٢) أو ما ينوب عنها - كما يجيء فى الصفحة الآتية - مهما كان نوع « أل » (كما سبق فى
ص ٢٠٠ و ٢٠٣) .

ومن أمثلة الممدودة : (صَحْرَاء ، وهى اسم نكرة) ، و (زكرياء ، علم إنسان) ، و (أصدقاء ، جمع صديق) ، و (حمراء ، وصف للشئ الأحمر المؤنث) . . . ، وعند إعراب هذه الكلمات نقول : إنها مرفوعة بالضمة الظاهرة ، ومنصوبة بالفتحة الظاهرة ، ومجرورة بالفتحة الظاهرة نيابة عن الكسرة ، بشرط خلوا الاسم من « أل » ومن الإضافة ؛ وإلا وجب حره بالكسرة - كما تقدم - .

ومن هذه الأمثلة - وأشباهها - يتبين أن ألف التانيث بنوعيتها قد تكون فى اسم نكرة ؛ كـ كَرَمَى وصَحْرَاء . وقد تكون فى معرفة ؛ كـ رَضَوَى وزَكْرِيَاء . وتكون فى اسم مفرد كالأمثلة السالفة ، وفى جمع ؛ كـ جَرَحَى وأَصْدِقَاء ، وقد تكون فى اسم خالص الاسمية ؛ كـ رَضَوَى وزَكْرِيَاء ؛ عِلَّامِينَ ، أو فى وصف ^(١) ؛ كـ حَبَلَى وحمراء . . . وهى بنوعيتها تمنع الاسم فى كل حالات استعماله ^(٢) من تنوين الأمكنية ، وتوجب جره بالفتحة ، بدلا من الكسرة بشرط أن يكون مجرداً من من « أل » ومن الإضافة ^(٣) . . .

* * *

(١) المراد به هنا : الاسم الذى يغلب فى استعماله ألا يكون علماً ، ولا مبصراً .

(٢) لأنها لا تفارقه مطلقاً . (انظر رقم ٢ من ص ٢٦٤) .

(٣) وفى هذه الألف بدالاتها المختلفة يقول ابن مالك :

فَالْفُ التَّانِيثُ مُطْلَقًا مَنَعُ صَرْفِ الَّذِي حَوَاهُ ، كَيْفَمَا وَقَعَ ٢-

(مطلقاً : أى : بنوعيتها ، فى جميع حالاتها ؛ من ناحية أن كل واحدة تكون خاتمة فى معرفة ،

أو نكرة ، فى مفرد أو جمع ، فى اسم أو صفة - ومعنى صرف : تنوين . . .)

يريد : أن ألف التانيث تمنع صرف الاسم الذى يشتمل عليها كيفما وقع هذا الاسم ، أى : على أى

حال كان عليه من التعريف ، أو التنكير ، أو الاسمية ، أو الوصفية ، أو الإفراد ، أو الجمع . . .

زيادة وتفصيل :

(ا) يقول النحاة : إن ألف التأنيث الممدودة ، كحمراء ، وخضراء — وغيرهما — كانت في أصلها مقصورة (أى : حمـرـى — خـضـرـى . . .) فلما أريد المدّ زيدت قبلها ألف أخرى . والجمع في النطق بين ألفين ساكنتين محال ، وحذفُ إحداهما ينافي الغرض من ذكرها ؛ إذ لو حذفت الأولى لضاع الغرض من المدّ ، ولو حذفت الثانية لضاع الغرض من التأنيث ، وقلب الأولى حرفاً قريباً منها — وهو الحمزة — يفيت الغرض من المد ؛ فلم يبق إلا قلب الثانية حمزة تدلّ على التأنيث ؛ كما كانت هذه الألف تدلّ عليه قبل انقلابها .

(ب) يمنع الاسم من الصرف بشرط ألا يكون مضافاً ، ولا مقرونًا « بأل » مهما كان نوعها — كما عرفنا^(١) — ودلّ « أل » ما يحل محلها عند بعض القبائل العربية ، ومنه : « أمّ » التي هي بمنزلة « أل » .

* * *

(١) في ص ٢٠٣ الأمور الطارئة التي تعارض وجود التنوين ، ومنها : « أل » .

٢- وصيغة منتهى الجموع^(١) هي : كل جمع تكسير بعد أنف تكسيه حرفان^(٢) ، أو ثلاثة أحرف ، بشرط أن يكون أوسط هذه الثلاثة حرفاً ساكناً^(٣) ، **لحر** : (معابد - أقارب - طبائع - جواهر - تجارب - دواب . . .) ، وكذلك (مناديل - عصافير - أحاديث - كراسي - تهاويل - . . .)

ومن هذه الأمثلة - وأشباهها - يتضح أن صيغة منتهى الجموع قد تكون على وزن : « متفاعل » ، و « مفاعيل » ؛ كمعابد ومناديل . وقد تكون على أوزان أخرى ينطبق عليها وصف تلك الصيغة ؛ كباقى الأمثلة السالفة .

« ملاحظة » :

يجرى على ألسنة فريق من النحاة أن صيغة منتهى الجموع هي ؛ جمع التكسير المماثل لصيغة : « متفاعل » ، ومفاعيل . لكنهم يريدون بالمماثلة : أن الكلمة خماسية أو سداسية ، والحرف الأول مفتوح في الحالتين - سواء أكان ميماً أم غير ميم - وأن الثالث ألف زائدة ، يليها كسر الحرف الأول من حرفين بعدها ، أو من ثلاثة أحرف أوسطها ساكن . . . فليس المراد بالمماثلة أن تكون جارية على أسس الميزان الصرفي الأصيل الذى يُراعى فى صوغه عدد الحروف

(١) سبب هذه التسمية موضح فى : « ه » من ص ٢١٣ .

(٢) وقد يكون أحد الحرفين مدغماً فى الآخر ؛ نحو : خواص - عوام - دواب . . .

(٣) وقد يكون الثانى الساكن ياء مدغمة فى مثلها ، بشرط وجود هذه الياء المشددة فى المفرد أيضاً . نحو : كراسى - قمارى (لنوع من الطيور . المفرد : قُمَرَى) وبخانى (لنوع من الإبل . المفرد : بختى) . فليس من هذا ما يكون آخره ياء مشددة زائدة للنسب أو لغيره ؛ نحو : رباحى (نسبة إلى بلد) - حواري (ومن معانيه : الناصر) لأن هذه الياء المشددة ليست فى المفرد .

وقد خلت المراجع المتداولة - كالصبيان ، والهمع ، والتوضيح ، والتصريح - من اشتراط أن يكون الساكن حرف علة ، وهو هنا الياء ؛ ليصير بها الجمع على وزن « مفاعيل » واكتفت جميعاً باشتراط سكونه . إلا أن « الخضرى » فى آخر باب : « جمع التكسير » نص على هذا صراحة ، بقوله : (لا يقع بعد ألف التكسير ثلاثة أحرف إلا وأوسطها ساكن معتل ؛ كمصاييح) ١ هـ .

ويترتب على هذا أن تكون كلمة « أَرادِبُ » المجموعة المنوعة من الصرف - وأمثالها - غير مشددة الباء ، مع أن مفردها : « إردب » بتشديد الباء ، ومع أنها مضبوطة بالشكل فى : « لسان العرب » بالتشديد ضبطاً كتابياً فقط ، بوضع شدة فوق الباء ، خلافاً لبعض المعاجم الأخرى . ويظهر أن ما قاله « الخضرى » هو الأعم الأغلب ، وأن غيره هو النادر الذى يقتصر فيه على السماع .

الأصلية والزائدة ، وترتيبها ، وحركاتها ، وسكناتها ، مع النطق بالحروف الزائدة كما وردت بنصّها في الموزون ، وإنما المراد عندهم هو : المماثلة في عدد الحروف ، وحركاتها ، وسكناتها ، دون اعتبار لمقابلة الحروف الأصلية بمثله ، ودون تمسك بالنطق بالحروف الزائدة نصّاً ؛ فيقولون في «جواهر» إنها على وزن «مفاعل» — مثلاً — وفي : «الأعيب» إنها على وزن : «مفاعيل» — مثلاً — مع أن الوزن الصرفي الأصيل يوجب أن تكون الأولى على وزن : «فواعل» ، والثانية على وزن : «أفاعيل» . فالأمر عند هذا الفريق مجرد اصطلاح يراعى في العمل به ما وضع له . والأحسن : الاختصار على التعريف الأول ؛ لعدم معارضته الميزان الصرفي الأصيل^(١)

حكم صيغة منتهى الجموع :

هو حكم غيرها من الأسماء الممنوعة من الصرف ؛ فيجب تجریدها من تنوين «الأمكنية»^(٢) ، كما يجب جرّها بالفتحة نيابة عن الكسرة ، بشرط ألا تكون مقترنة «بأل» وألا تكون مضافة . فترفع بالضمّة ، وتنصب بالفتحة ، وتجر بالفتحة أيضاً ، نيابة عن الكسرة ، إلا إذا كانت مضافة أو مقترنة بأل ؛ فتجر بالكسرة مباشرة^(٣) .

ومن أحكامها : أنها إذا تجردت من «أل» و «الإضافة» ، وكانت اسماً منقوصاً^(٤) (مثل : دواعٍ ؛ جمع : داعية ، وثوانٍ ؛ جمع : ثانية . وأصلهما :

(١) اعترض بعض النحاة على التعريفين السابقين لصيغة منتهى الجموع ، وعلى أنها الصيغة المماثلة لصيغة : «مفاعل» ومفاعيل ، ووضع تعريفاً آخر يحوى شروطاً سبعة . واعتراضه ضعيف ، وتعريفه طويل معقد ، ولا حاجة تدعو إلى تسجيله كما سجله بعض النحاة وشرح غامضه ؛ ومنهم الخضرى في حاشيته ، والصبان .

(٢) وكذلك لا يدخلها تنوين التنكير — كما سيجيء في «ج» من ص ٢١٢ — وقد يدخلها تنوين الموض كما أوضحنا (في رقم ٣ من هامش ص ٢٠٢) ولكنه نوع يخالف النوعين السابقين .

(٣) راجع «ج» من ص ٢١٢ ورقم ٢ من ص ٢٦٤ . وقد اجتمع الصرف — بسبب وجود «أل» وعدمه في قوئم : للمواهب ضرائب ، يدهمها الموهوب من دمه ، وعقله ، ونبل شعوره .

(٤) هو اسم العرب الذى آخره ياء لازمة ، غير مشددة ، قبلها كسرة ، مثل : هادٍ — راضٍ .

دواعي ، وثواني^(١) . كان الأغلب^(٢) - هنا - أن تحذف ياؤها ، ويجيء التنوين عوضاً عنها^(٣) . وتبقى الكسرة قبلها في حالتى الرفع والجر . أما في حالة النصب فتبقى الياء ، وتظهر الفتحة عليها بغير تنوين ؛ نحو : (للرحلات دواعٍ تحتمها . وما عرفت لإغفالها من دواعٍ . فعلى أهل النشاط ، والرغبة في المعرفة والتجربة - أن يجيبوا دواعي الارتحال ؛ والتنقل بين مشارق الأرض ومغاربها . . .) فتكون مرفوعة بضمة مقدرة على الياء المحذوفة ، ومنصوبة بالفتحة الظاهرة ، ومجرورة بفتحة مقدرة على الياء المحذوفة ، نيابة عن الكسرة . والتنوين المذكور في حالتى الرفع والجر عوض عن حرف الياء^(٤) .

فإن كانت اسماً منقوصاً مقترناً بأل ، أو مضافاً وجب أن تبقى ياؤها في كل الحالات ، غير أنها تكون ساكنة في حالتى الرفع والجر وتتمدّر عليها الضمة والكسرة ، وتكون متحركة بالفتحة الظاهرة في حالة النصب . نحو : من الثواني تكون الساعات والأيام ؛ فليس العمر إلا الثواني التي نستعين بها ، وليست الثواني إلا قطعاً من الحياة نفقدها ، ونحزن عنها غافلون .

ومثل : دواعي الخير والشر كثيرة ، تكاد تخلط إلا على الماقل الأريب ؛ فإنه يميز دواعي الخير ، ويستجيب لها سريعاً ، ويدرك عاقبة الشر ، ويفر من دواعيه^(٥) . . .

* * *

= مستقص - متعال ... وهذه الكلمات - وأشباهها - محتوية في أصلها بالياء الساكنة اللازمة التي حذفت بسبب مجيء التنوين - وقد سبق إيضاحه وتفصيل الكلام على أحكامه المختلفة في ج ١ ص ١٢٤ م ١٥ - (١) ويحسن الاختصار عليه

(٢) لأن تنوين الموض غير ممنوع هنا ، بخلاف تنوين الأمكنة - كما سبق في باب التنوين ،

ج ١ م ٣ ص ٣٢ - (٣) انظر رقم ٣ من ص ٢٦٦ .

(٤) مما تقدم يتبين أن المنقوص الذي هو صيغة منتهى جموع ، والمنقوص المفرد ، يتشابهان عند تجردهما من « أل » والإضافة في وجوب حذف الياء رفعاً وجرّاً ، وبقائها مع ظهور الفتحة عليها في حالة النصب ، ورفعها بضمة مقدرة على الياء المحذوفة ، كما يتشابهان في وجود التنوين رفعاً وجرّاً .

ويختلفان بعد ذلك في أن المنقوص المفرد المجرد من « أل » والإضافة يلحقه التنوين في حالة النصب أيضاً . وتنوينه في حالاته الثلاث تنوين « أمكنة » وليس تنوين « عوض » . أما المنقوص الذي هو صيغة منتهى الجموع فيجب تنوينه عند حذف يائه رفعاً وجرّاً فقط - كما سبق - وتنوينه « عوض » عن الياء المحذوفة ، وليس تنوين « أمكنة » ولا يجوز تنوينه في حالة النصب .

ويختلفان كذلك في الجر ؛ فالمفرد يجر بالكسرة المقدرة على الياء المحذوفة أما الآخر فيجر بفتحة =

= على الياء المحذوفة ؛ لأنه ممنوع من الصرف .

ويختلفان كذلك في أن حذف الياء في صيغة منتهى الجموع هو اللخفة ، أو للتخلص من التقاء الساكنين - على خلاف في ذلك - أما في المفرد فالتخلص من التقاء الساكنين ، بيان هذا ما يقولونه في كلمة منقوصة للمفرد ، مثل : « داعٍ » ، وأن أصلها : « داعي » (دَاعِيْنٌ) استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة ؛ فصارت الكلمة : (دَاعِيْنٌ) ، التقى ساكنان لا يصح هذا التقاءهما : الياء والتنوين المرموز له بالنون الساكنة ؛ فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، فصارت : داعٍ (دَاعِيْنٌ) .

أما في كلمة هي منتهى الجموع ؛ مثل : « دواعٍ » فأصلها : دَوَاعِيٌّ (دَوَاعِيْنٌ) فعلى اعتبار أن حذف الياء سابق على منع الصرف ، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ؛ فصارت : دَوَاعِيْنٌ ؛ التقى ساكنان ، الياء والتنوين المرموز له بالنون الساكنة ؛ فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ؛ فصارت الكلمة : دواعٍ (دَوَاعِيْنٌ) . ثم حذف التنوين ؛ لأن الكلمة ممنوعة من الصرف ، وحل محله تنوين آخر ؛ ليكون عوضاً عن الياء المحذوفة ، وليمنع رجوعها عند النطق ، فصارت : « دواعٍ » .

أما على اعتبار أن الحذف متأخر عن منع الصرف فالأصل : « دواعي » (دَوَاعِيْنٌ) حذف التنوين لمنع الصرف ؛ فصارت الكلمة : « دواعي » استثقلت الضمة على الياء فحذفت ، ثم حذفت الياء طلباً للخفة ، وجاء تنوين آخر للمعوض عنها ، ولمنع رجوعها

(هكذا يقولون . وقد أوضحنا ما فيه بإسهاب في ج ١ ص ٢٤ م ٣ كما أوضحنا هناك ما يحسن الأخذ به) ، وكل ما سبق هو في المنقوص الخالي من « أل والإضافة » .

فإن كان المنقوص بنوعيه - المفرد والجمع المتناهي - مضافاً أو مقروناً بأل ، فالحكم واحد ؛ هو منع تنوينه ، وعدم حذف يائه . ويرفع بضمة مقدرة على الياء ، وينصب بفتحة ظاهرة عليها ، ويجر بكسرة مقدرة عليها .

« ملاحظة » : يقول الصبان في آخر هذا الباب ما نصه :

(لو سميت بالفعل : « يغزُّو » و « يدعُّو » ورجعت بالواو الياء ؛ أجرته مجرى « جَوَارٍ » وتقول في النصب : رأيت يرى ويغزى . قال بعضهم : وجه الرجوع بالواو الياء ما ثبت أن الأسماء المتمكنة ليس فيها ما آخره واو قبلها ضمة ؛ فتقلب الواو ياء ، ويكسر ما قبلها . وإذا سميت بكلمة : « يرمى » من « لم يرم » رددت إليه ما حذف منه ، ومنعته من الصرف : تقول : هذا يرمى ، ومررت يرمى ، والتنوين للمعوض ، ورأيت يرى . وإذا سميت بكلمة : « يغزى » من قولنا : « لم يغز » قلت : هذا يغزى ، ومررت بيغزى ، ورأيت يغزى . إلا أن هذا يرد إليه الواو ، وتقلب ياء ؛ لما تقدم ، ثم يستعمل استعمال « جَوَارٍ » .) هـ

وقد نقلنا كلام الصبان هذا في الجزء الأول - م ١٦ ص ١٤٦ - وقلنا : إن فيه فوق التخيل البعيد ما يستدعى التوقف بل الإهمال ، إذ يؤدي الأخذ به اليوم إلى تغيير صورة العلم تغييراً يقع في اللبس والإبهام ، واضطراب المعاملات - وهذه المسألة صلة بما سيجيء في ص ٢٤٧ وهو : « العلمية ووزن الفعل » .

.....

زيادة وتفصيل :

(أ) قلنا^(١) إن حكم المنقوص من صيغ منتهى الجموع إذا كان مجرداً من « أل » والإضافة هو في الأغلب الذي يحسن الاقتصار عليه - حذف يائه رفعاً وجراً ، مع بقاء الكسرة قبلها ، ومجيء التنوين عوضاً عنها . . .

وإنما كان هو الأغلب لأن بعض العرب^(٢) يقلب الكسرة قبل الياء فتحة ؛ فتقلب الياء ألفاً بشرط أن يكون وزن المنقوص كوزن إحدى الصيغ الأصلية لمنتهى الجموع ، والكثير أن يكون مفرداً اسماً محضاً على وزن : « فَعْلَاء » الدالة على مؤنث ليس له - في الغالب - مذكر : كصحراء وصحار ؛ وعذراء وعذار ؛ فيقول فيهما : صحارَى ، وعذارَى . . . ، رفعاً ، ونصباً ، وجراً ، بغير تنوين ؛ نحو : (في بلادنا صحارَى واسعة - إن صحارَى واسعة تحيط ببلادنا ، تحوى كنوزاً نفيسة من المعادن المختلفة - وقد اتجهت الغزائم إلى تعمير صحارَى لا حدود لها على جانبي وادينا الحصب) . . . ، فكلمة « صحارَى » اسم مقصور ، ممنوع من الصرف .

وفي بعض اللهجات العربية تثبت ياء المنقوص في كل أحواله ، وتكون ساكنة رفعاً وجراً ، وتظهر عليها الفتحة نصباً .

(ب) صيغة منتهى الجموع لا تكون في اللغة العربية إلا جمع تكسير بالوصف السالف^(٣) ، أو منقولة عنه . ولا تكون لمفرد بالأصالة .

أما كلمة « سراويل » مراداً بها : الإزار المفرد ، فهي أعجمية الأصل^(٤) . . . وهي اسم مؤنث في جميع استعمالاتها ؛ تقول : هذه سراويل قصيرة لبسها النسباج .

(ج) وصيغة منتهى الجموع - في كل الاستعمالات - تمنع الاسم من

(١) في ص ٢٠٩ .

(٢) كما سيحيى في ص ٢٦٨ - وانظر ما يتصل بهذا في رقم ٢٠ من ص ٦٥٧ باب : جمع التكسير -

(٣) في ص ٢٠٨

(٤) كما سنعرف في ص ٢١٤ ، حيث البيان المفيد عن الملاحظات بصيغة منتهى الجموع .

تنوين « الأمكنية » وتنوين « التثنية »^(١) سواء أكان الاسم علمياً أم غير علم ،
فلو سمي إنسان باسم على وزن صيغة من صيغها فإنه يمنع من الصرف ، لشبه
منتهى الجموع ؛ لأن مدلولها في هذه الصورة مفرد لا جمع تكسير . وذلك المنع
بشرط ألا يكون مضافاً ، ولا مقروناً بأل - كما تقدم - .

(د) عرفنا^(٢) أن مثل : كراسى - قمارى - سخاتى . . . ممنوعة من الصرف
بالتفصيل السالف . فإذا نسب إليها حذفت هذه الياء المشددة (التي هي في
الجمع وفي مفرده) وحل محلها ياء أخرى مشددة ، من نوع آخر ؛ هي ياء
النسب ، ولا يمنع الاسم من الصرف مع ياء النسب^(٣) . . .

(هـ) تسمى صيغة منتهى الجموع : بالجمع المتناهي أيضاً ، لانتهاء الجمع
إليها ؛ فلا يجوز أن يجمع بعدها مرة أخرى . بخلاف كثير غيرها من جموع
التكسير فإنه قد يجمع ، نحو : أنعام ، وأكلب ، يجمعان على : أناعم ،
وأكالب^(٤) .

* * *

(١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ٢ من هامش ص ٢٠٩ .

(٢) في ص ٢٠٨ ورقم ٣ من هامشها .

(٣) راجع ما يختص بهذا في باب النسب - في ١ من ص ٧١٥ -

(٤) كما في : المصباح المنير ، أيضاً

حكم ملحقاتها :

ليس الحكم السابق خاصاً بصيغة منتهى الجموع الأصلية - وهى نوع من جمع التكسير ، كما عرفنا - ولا مقصوراً عليها وحدها ، وإنما يشملها ويشمل ما ألحق بها^(١) . والملحق بها هو : (كل اسم جاء وزنه ماثلاً لوزن صيغة من الصيغ الخاصة بها مع دلالة على مفرد ، سواء أكان هذا الاسم عربياً أصيلاً ، أم غير أصيل ، علماً أم غير علم ، مرتجلاً^(٢) أم منقولاً) . فمثال العلم العربى المرتجل الأصيل : « هَوَازَن » ؛ اسم قبيلة عربية ، ومثال العلم المُعَرَّب : « شَرَاحِيل » وقد استعمله العرب علمياً ، سُمي به عدة رجال . . .

ومن الأعجمى العرب الذى ليس علمياً « سَراويل » - بصورة الجمع - اسم ، نكرة ، مؤنث ، للإزار المفرد^(٣) . . .

ومثال الأعلام المرتجلة فى العصور الحديثة : كَشَاشَاجِم^(٤) علم رجل ، و « بَهَّادِر » علم مهندس هندى ، و « صَنَافِير » ، علم قرية مصرية ، وكذا

(١) اكفى ابن مالك فى الكلام على صيغة منتهى الجموع بقوله :

وَكُنْ لَجْمَعٍ مُشَبِّهٍ . « مَفَاعِلًا » أَوْ : « الْمَفَاعِيلَ » بِمَنْعٍ كَافِلًا - ١٠

التقدير : كن كافلاً - أى : قائماً منفذاً - لجمع مشبه « مفاعل أو مفاعيل » ، بمنع الصرف . وليس من اللازم أن يكون جمعاً حقيقة ؛ فقد يكون اسماً على وزن الجمع . وإنما ذكر الجمع للتمثيل . وليته قال : « ولكن ليلفظ » والذى يشبه « مفاعل ومفاعيل » هو ما كان مثلهما فى عدد الحروف وحركاتها وسكناتها ، سواء أكان مبدوءاً بالهمزة أم بغيرها ؛ فليس المراد : « الميزان الصرفى الحقيقى » كما شرحنا - فى ص ٢٠٨ - ثم تكلم على حكم صيغة منتهى الجموع إذا كانت اسماً منقوصاً ، كالجوارى ؛ فقال :

وَذَا اعْتِلَالٍ مِنْهُ كَالْجَوَارَى رَشْمًا وَجَرًّا أَجْرِهِ كَسَارَى - ١١

أى : أجر عليه ما تجر به على سارٍ ، (وأصله : سارى* ، اسم فاعل منقوص ، فعله : سَرَى ؛ إذا سافر ليلاً) ، من حذف يائه رفعاً وجرّاً عند تنوينه ، وبقائها فى حالة النصب ، وترك التفصيل الضرورى لهذا ، وقد عرضناه .

(٢) العلم المرتجل : ما وضع أول أمره علماً ، ولم يستعمل من قبل التسمية فى معنى آخر ، (وقد سبق تفصيل الكلام عليه فى باب العلم ج ١ ص ٣١٢ م ٢٢) .

(٣) لهذا إشارة فى « ب » من ص ٢١٢ .

(٤) بفتح الكاف . ويجوز فيها الضم ؛ فيخرجها عن أوزان صيغة منتهى الجموع ، وبالضم

يشتهر شاعر عباسى .

« أعانيب » . فكل اسم من هذه الأسماء - ونظائرها - يعتبر ملحقاتاً بصيغة منتهى الجموع يجرى عليه حكمها ، بشرط أن يكون دالاً على مفرد ، وجارياً على وزن من أوزانها ^(١) - كما سبق - لا فرق في هذا بين العلم ، (وهو الأكثر) ، وغير العلم . ويقال في إعرابه : إنه ممنوع من الصرف ؛ لأنه مفرد على وزن صيغة منتهى الجموع ، أو : لأنه مفرد ملحق بها ^(٢) . . . أما هي فممنوعة أصالة ، كما أسلفنا ؛ لدلالتهما على الجمع حقيقة .

وإنما كانت تلك الألفاظ - ومنها سراويل - ملحقات لأنها تدل على مفرد ، مع أن صيغتها صيغة منتهى الجموع ، وهذه لا تكون في العربية إلا لجمع أو منقول من جمع . فها جاء على وزنها للمفرد فإنه يمنع من الصرف للمشابهة (أى : المماثلة) بين الوزنتين ، بالرغم من دلالة على مفرد .

* * *

(١) في هذا يقول ابن مالك :

و « لسراويل » بهذا الجمع شبه اقتضى عموم المنع - ١٢

وإن به سمي أو بما لحق به ، فالانصراف منه يحق - ١٣

يريد : أن لكلمة « سراويل » وهى اسم على صورة الجمع شهاً بصيغة منتهى الجموع ؛ لأن « سراويل » - مع دلالتها على اسم مفرد مؤنث - جارية على وزان أحد الجموع ، فاقضى هذا الشبه منعها من الصرف منعاً عاماً (أى : يشمل كل حالاتها التى تكون فيها دالة بصيغتها على المفرد وحده ، كما يرى بعض اللغويين ، أو عليه حيناً وعلى الجمع الذى مفرده « سروالة » حيناً آخر ؛ كما يرى غيرهم) .

ثم قال بعد ذلك : إن به سمي - أى : بصيغة الجمع المتناهى - وصار علماً على شيء فإنه يحق منع هذا المسمى من الانصراف ، أى : من الصرف . . . يريد أن كل ما سمي بالجمع المتناهى أو بما ألحق بالجمع المتناهى يمنع من الصرف ؛ سواء أكان علماً مرتجلاً أم منقولاً ، عربياً أم أعجمياً . . .

(٢) إذا كانت صيغة منتهى الجموع الأصلية ، (نحو : مكارم) ، أو ما ألحق بها ، (نحو : شرّاحيل) - علماً على مفرد ، فما سبب منعها من الصرف ؟ أهو مجي العلم على وزانها لوزان صيغة منتهى الجموع ، أم هو العلمية وشبه العجمة ، لأن هذا الاسم علم ، وليس بين أوزان المفرد العربى الأصل ما يكون على هذا الوزن . . . ؟ رأيان . . .

ويقول سيبويه : إذا طرأ على العلم الموازن صيغة منتهى الجموع ما يقتضى تنكيره ، وزوال علميته فإنه يظل ممنوعاً من الصرف ، لبقاء صورة الجمعية ، وشكلها . ويقول غيره : لا يمنع من الصرف ، لأنه كان ممنوعاً منه للعلمية القائمة مقام الجمعية ، أو للعلمية وشبه العجمة وقد زالت علميته .

والصواب والأيسر رأى سيبويه ومن معه . وهذا تكون صيغة منتهى الجموع وما ألحق بها ممنوعة من الصرف دائماً باطراد ، في جميع حالاتها ، حتى الحالة التى تكون فيها علماً لمفرد ثم زالت علميته

(ب) الذى يُمنَع صرفه لوجود علتين معاً :

لا بد أن تكون إحدى العلتين المجتمعتين معنوية ، والأخرى لفظية . وتنحصر العلة المعنوية في « الوصفية » وفي « العلمانية »^(١) وينضم لكل واحدة منهما علة أخرى لفظية لا بد أن تكون من بين العلل السبع الآتية - دون غيرها^(٢) - وهى : (زيادة الألف والنون - وزن الفعل - العدل - التركيب - التأنيث - العجمة - ألف الإلحاق) . فينضم للوصفية إما زيادة الألف والنون ، وإما وزن الفعل ، وإما العدل . وينضم إلى العلمانية إما واحدة من هذه الثلاث ، وإما التركيب ، أو التأنيث ، أو العجمة ، أو ألف الإلحاق . فالعلل (كما يسميها النحاة) تسع معينة ، ليس فيها علة معنوية إلا الوصفية والعلمية ، أما السبعة الباقية فللفظية^(٣) ، لا تصلح واحدة منها لمنع الصرف ، إلا إذا انضمت إليها إحدى العلتين المعنويتين . فلاسم يجمع من الصرف : للوصفية مع زيادة الألف والنون ، أو الوصفية مع وزن الفعل - أو الوصفية مع العدل .

وكذلك يمنع من الصرف للعلمية مع الزيادة ، أو العلمية مع وزن الفعل ، أو العلمية مع العدل ، أو العلمية مع التركيب ، أو العلمية مع التأنيث ، أو العلمية مع العجمة ، أو العلمية مع ألف الإلحاق . وفيما يلي البيان :

(١) سواء أكان العلم للشخص أم للجنس - كما سبق في الجزء الأول ، باب : العلم -

(٢) أشرطنا أن تكون العلامتان محصورتين فيما سيذكر هنا ؛ لأنه قد يوجد في الاسم المربع عرمتان : إحداها لفظية والأخرى معنوية ويجب صرفه مع وجودها . وسبب صرفه أن إحداها ليست معتبرة في منع الصرف ، ولا معدودة من أسبابه ، كما في كلمة : « أجسمال » تصغير : « أجسأل » جمع تكسير لجسم . فإن « أجسمالا » مصروفة بالرغم من اشتغالها على علتين ، إحداها : معنوية ، هى : التصغير الذى يعد فرعاً للتكبير ، والأخرى لفظية ، وهى الجمع الذى يعتبر فرعاً للأفراد . مثل هذا يقال في « حائض وطامث » فإنهما مصروفتان حتماً مع اشتغالهما على علتين غير معتبرتين ؛ هما : لزوم التأنيث والوصف .

هذا ، والسبب الحق في الصرف استعمال العرب ليس غير ؛ فإنهم قصرُوا الممنوع من الصرف على ما سردناه . أما ما يذكره النحاة غير هذا من التعليلات فرفوض .

(٣) حتى التأنيث المعنوي في مثل : سعاد - زينب - مى ... فإنه يعتبر في هذا الباب علة لفظية ؛ لظهور أثره في اللفظ بتأنيث الفعل له ، وعودة الضمير عليه مؤثراً ، - كما سيبيحى في رقم ١ من هامش

الكلام على الاسم المنوع من الصرف للوصفية^(١) وما ينظم إليها وجوباً من إحدى العلل الثلاث .

١ - يمنع الاسم من الصرف للوصفية مع زيادة الألف والنون إذا كان على وزن « فَعْلَان » - بفتح الفاء وسكون العين - بشرطين : أن تكون وصفية أصيلة (أى : غير طارئة) ، وأن يكون تأنيثه بغير التثنية ؛ إما لأنه لا مؤنث له ؛ باختصاصه بالذكور ، وإما لأن علامة تأنيثه الشائعة بين العرب ليست تاء التأنيث ، كأنْ يَكُون ، بألف التأنيث . . . ، فمثال ما ليس له مؤنث : « لَسَحْيَان »^(٢) ، لكبير اللحية . ومثال الآخر عَطُشَان - غضبان - سكران - رِيَّان . . . ؛ فإن أشهر مؤنثاتها^(٣) : عطشى - غضبى - سكرى - ريّاً . . .^(٣) ومن الأمثلة قولهم : (كان أبو بكر لَسَحْيَان -^(٢)) ، تزيد له لحيته وقاراً ، وهيبة .

(١) ليس المراد بالصفة أو الوصف هنا النعت ، وإنما المراد بعض الأسماء المشتقة التى ليست أعلاماً . وقد سبق تعريف الاسم المشتق ، وبيان مدلوله فى ص ٣٠ (ص ١٤٤ م ٩٨) .
(٢ و ٢) على وزن « فَعْلَان » (مفتوح الأول) كما فى المراجع النحوية المتداولة ، وزاد الصبيان فقال إنه على وزن : « رَحْمَان » .

(٣ و ٣) يشترط أكثر النحاة ألا يكون المؤنث على : « فَعْلَانة » ويمثلون للمستوفى الشرط : بعطشان وغضبان ، وسكران . . . مع أن كتب اللغة - كالقاموس - تأتى للثلاثة بمؤنث مخنوم بالهاء ، وبمؤنث آخر ليس مخنوماً بها . فلا مناص من حمل الشرط النحوى على الأكثر الأغلب فى : « فَعْلَان » ؛ بأن يتجرد مؤنثه من التاء فى المشهور إن تعددت مؤنثاته . وهذا يصرح ابن جنى فى كتابه : « المحتسب » - ج ٢ ص ٧٢ - حيث يقول ما نصه : « (يقال رجل سكران ، وامرأة سكرى ؛ كغضبان وغضبي . وقد قال بعضهم : « سكرانة » ، كما قال بعضهم : « غضبانة » . والأول أقوى وأفصح . . .) » ١٥
« ملاحظة هامة » : أخذ المجمع اللغوى القاهرى بالمذهب الكوفى ، وبلغه بنى أسد فى إلحاق تاء التأنيث جوازاً بكلمة « سكرانة » ونظائرها . وقرار المجمع ، وما يتصل به من مذكرات وقرارات مدوّنة فى ص ٨٣ و ٩١ من المجلد الشامل للبحوث والمحاضرات التى أُلقيت فى مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين المنعقد ببغداد سنة ١٩٦٥ وفيما يلى نص القرار كما قدمته اللجنة المختصة ، ووافق عليه أغلبية المؤتمرين ، وأخذ به المجمع نهائياً : « (إن تأنيث « فَعْلَان » بالتاء لغة فى بنى أسد (كما فى الصحاح) - أو لغة بنى أسد (كما فى المخصص) وقياس هذه اللغة صرفها فى النكرة ؛ (كما جاء فى شرح المنصل) . والنطاق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ . وإن كان غير ما جاء به خيراً ، (كما فى قول ابن جنى) . لذا يجوز أن =

كثير الصمت، وافر الحلم . ما رآه الناس غضبانَ إلا حينَ يُحَمَّدُ الغضبَ) .
وقوله عليه السلام : « ليس بمؤمن مَن بات شعبانَ رِيَّانَ ، وجاره جائع طاوٍ » .

فإن كان الغالب المسموع على مؤنثه وجود تنه التأنيث في آخره لم يمنع من الصرف ؛ نحو : (سَيْفَان ، للرحل الطويل الممشوق القامة) - (ومَصَّان ، للرحل اللثيم) ؛ فإن مؤنثهما الشائع : سيفانة ومصانة . وكذلك إن كانت وصفيته غير أصلية ؛ فإنه لا يمنع من الصرف ؛ ككلمة : « صَفْوَان » في قولهم : « بش رجل صَفْوَانٌ قلبه » . وأصل الصفوان : الحجر .

ولإذا زالت الوصفية وحدها وسمي بهذا الاسم - ؛ بأن صار علمًا مزيداً بالألف والنون ؛ كتسمية رجل بغضبان ، أو بعطشان - فإنه يظل على حاله ممنوعاً من الصرف ؛ لأن الوصفية التي زالت حل محلها العلمية الجديدة ؛ وبانضمام العلمية الجديدة إلى الزيادة يجتمع في الاسم العلتان المؤديتان إلى منعه من الصرف ^(١) .

٢ - ويمنع الاسم من الصرف للوصفية مع وزن الفعل ^(٢) بالشرطين السالفين

= يقال : عطشانة وغضبانة ، وأشباهها ؛ ومن ثم يصرف «فَعْلَان» وصفاً ، ويجمع «فَعْلَان» ومؤنثه «فَعْلَانَةٌ»
جمع تصحيح) « ٥١ .

(١) وفي الكلام على الوصفية مع : بادة الألف والنون يقول ابن مالك - بعد كلامه على ألف التأنيث أول الباب - :

وزائداً «فَعْلَان» في وَصَفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى بَتَاءً تَأْنِيثٌ خْتِمٌ - ٣

(المراد بزائدي «فَعْلَان» : الألف والنون الزائدتان في آخره) . يقول : إن الاسم يمنع من الصرف إذا اشتمل على الألف والنون الزائدتين بشرط أن يكون وصفاً لا يتختم آخره بتاء التأنيث عند تأنيثه ؛ فلا بد أن يسلم آخره عند التأنيث من هذه التاء ، إما لأنه وصف خاص بالرجال ، فلا مؤنث له ، وإما لأن الغالب على مؤنثه أن يكون بألف التأنيث - وقد سردنا الأمثلة لكل -

(٢) سواء أكان الوزن خاصاً بالفعل ، نحو : أجمل - أشرف - . أم على وزن مشترك بين الأسماء والأفعال ولكن الفعل به أول لعلته في الفعل ، أو لدلالته على معنى في الفعل دون الاسم ؛ نحو : أَحْمَرٌ ، وَأَفْضَلُ ، (تصغير : أحمر ، وأفضل) فهما على وزن : «أَبْيَظَر» وهو وزن في الأفعال أكثر . والهمزة في أولهما لا تدل على شيء ، مع أنها في الفعل : «أَبْيَظَر» تدل على المتكلم . لما سبق وجب منع «أَحْمَر» وأفضل من الصرف - (انظر الكلام على لفظ «أَعْلَى» المصغر في ص ٢٦٦ ثم انظر ص ٢٧٥) - بخلاف بَطَلٌ ، وَجَدَلٌ (لصلب الشديد) وَتُدْرَسُ (بفتح أوله مع ضم الثاني أو كسره ، للقوى السمع) فإنها أوصاف أصلية على وزن للفعل ، ولكنه وزن مشترك بين الأسماء والأفعال لا يتغلب فيه جانب الفعل .

(وهما : ألا يكون مؤنثه الشائع بالتاء ، وألا تكون وصفيته طارئة غير أصيلة) .
ويتحقق الشرطان في الوصف الذى على وزن « أفعل » ، ومؤنثه « فَعْلَاء ، أو فُعْلَمَى » ؛ نحو : أحمر وحمراء - أبيض وبيضاء - أجمل وجملاء^(١) ، ونحو : أفضل وفُضِّلَى ، وأحسن وحُسِّنَى ، وأدنى ودُنِيَا ... فهذه الألفاظ - وأشباهاها ممنوعة من الصرف ، لتحقيق الشرطين .

فإن كان الوصف مؤنثه بالتاء لم يُمنع من الصرف ، نحو : « أَرْمَل » في قولنا : عطفت على رجل أرملة (بالكسرة مع التنوين) ، أى : فقير ؛ لأن مؤنثه أرملة . وكذلك ينصرف الوصف إذا كان وصفيته طارئة (أى : ليست أصيلة) ، نحو « أَرْنَب » في قولنا : مررت برجل أرنب (بالكسرة مع التنوين ، أى : جبان) . فالوصف منصرف - بالرغم من أن مؤنثه لا يكون بالتاء في الأغلب - لأن وصفيته طارئة ، سبقتها الاسمىة الأصلية ، للحيوان المعروف .

ومما فقد الشرطين معاً كلمة : « أربع » في مثل : قضيت في التزهة ساعات أربعاً ؛ لأن مؤنثها يكون بالتاء ؛ فتقول : سافرت أياماً أربعة ؛ ولأن وصفيتها طارئة عارضة ؛ إذ الأصل السَّابِق فيها أن تستعمل اسماً للعدد المخصوص في نحو : « اختلفاء الراشدون أربعة » . ولكن العرب استعملتها بعد ذلك وصفاً^(٢) ؛ فوصفيتها ليست أصيلة سابقة ، وبسبب فقد الشرطين وجب صرف الكلمة في جميع استعمالاتها .

ومن أمثلة الوصفية الطارئة التى لا يعتد بها في منع الاسم من الصرف كلمات أخرى ؛ مثل : « أجْدَل » ، للصقر - « وأخْيَل » ، لطائر فيه نقط تخالف

(١) قال الكسائى مستدلاً :

فهى جملاء كبدر طالع بدت الخلق جميعا بالجمال

(٢) لا يجوز في كلمة : « أربع » منع الصرف ؛ سواء أكانت الوصفية ملحوظة أم غير ملحوظة :

إذ أن مؤنثها بالتاء ، فالشرط الثانى مفقود دائماً ؛ فلا يصح منعها من الصرف .

وإذا كانت كلمة « أربع » مستعملة في الوصفية العارضة ، فعناها يشمل أمرين ، ذوات ، وعدد .

أى : ذوات معناها العدد المخصوص ، والكية المخصوصة ؛ (كما هو الشأن في المشتقات ؛ كضارب ، فإنه يفيد أمرين : الذات والمعنى الذى هو الضرب) . أما إذا كانت مستعملة في مجرد العدد فعناها الكية العددية المخصوصة ، دون دلالة على ذات . - وقد شرحنا - في رقم ١ من هامش ص ٢١٧ المراد هنا من الصفة - كما شرحنا دلالة المشتق على الذات والصفة في الجزء الثالث .

في لونها سائر البدن) - «وأفعى»، للحية . فكل هذه ، وما شابهها ، أسماء بحسب وضعها الأصلي لتلك الأشياء ؛ ولهذا تُصَرَف .

وقد بصح في هذه الكلمات - ولا يدخل فيها كلمة : أربع - منعها من الصرف على اعتبار أن معنى الـصفة يلاحظ فيها ، ويمكن تخيله مع الاسمية ، وقد وردت ممنوعة من الصرف في بعض الكلام الفصيح ، فالأجلد : يُلاحظ فيه القوة ، لأنه مشتق من الجدل (بسكون الدال) بهذا المعنى . والأخيل : يُلاحظ فيه التلون ؛ لأنه من الخَيْلَان ، بهذا المعنى . والأفعى : يلحظ فيها الإيذاء الذي اشتهرت به ، واقرن باسمها^(١) ، وعلى أساس التخيل والملاحظة المعنوية مع السماع يجوز منع الصرف . ولكن الأنسب الاقتصار على صرف هذه الأسماء ؛ لغلبة الاسمية عليها .

وهناك ألفاظ وُضعت أول نشأتها أوصافاً أصلية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الاسمية المجردة^(٢) وبقيت فيها ، فاستحقت منع الصرف بحسب أصلها الأول الذي وضعت عليه ؛ لا بحسب حالتها الجديدة التي انتقلت إليها ، مثل : «أدْهم» للقيد^(٣) ؛ فإنه في أصل وضعه وصف للشيء الذي فيه دُهْمَة ، (أى : سواد) ، ثم انتقل منه ؛ فصار اسماً مجرداً للقيد ؛ ومثل : «أَرْقَم» ؛ فإنه في أصل وضعه وصف للشيء المرقوم ، (أى : المنقط) ثم انتقل منه فصار اسماً للثعبان الذي ينتشر على جلده النقط البيض والـسود . ومثل : «أسود» فأصله وصف لكل شيء أسود ، ثم انتقل منه ؛ فصار اسماً للثعبان المنقط بنقط بيض وسود ، ومثل : «أَبْطَح» وأصله وصف للشيء المرتى على وجهه : ثم صار اسماً للمكان الواسع الذي يجري فيه الماء بين الحصى الدقيق ، ومثل : «أَبْرَق» ، وأصله وصف لكل شيء لامع براق ، ثم صار اسماً للأرض الخشنة التي تختلط فيها الحجارة والرمل والطين .

وقد يجوز صرف هذه الأسماء على اعتبار أن وصفيتها الأصلية السابقة قد زالت بسبب الاسمية الطارئة . ولكن الاقتصار على الرأي الأول أنسب .

وفيهما مما سبق - في غير كلمة : أربع^(٤) - أن الوصفية الأصلية الباقية

(١) يرى بعض النحاة أن «أفعى» لا مادة لها في الاشتقاق . ويرى آخرون - بحق - أنها مشتقة من قَسَمَوْا السم ، أى : شدته .
(٢) الحالية من الوصفية والعلمية .
(٣) المصنوع من الحديد .
(٤) لما سبق في رقم ٢ من هامش الصفحة الماضية .

لا يصح إغفالها في منع الصرف . أما الوصفية الطارئة القائمة ، أو الوصفية الأصلية التي زالت وحل محلها الاسمية الطارئة المجردة ؛ فيصح أن يلاحظ كل منهما عند منع الصرف ، أو لا يلاحظ ؛ بمعنى أنه يجوز - عند وجود إحداها مع العلة الثانية - صرف الاسم ومنعه من الصرف ، بشرط تحقق الشرط الثاني . (وهو ألا يكون تأنيث الوصف بالتاء . . .) ، وأن الأفضل الاختصار على حالة واحدة ؛ فالصرف أفضل إن كانت الاسمية هي الأصلية ، والوصفية هي الطارئة . والمنع أولى ؛ إن كانت الوصفية هي الأصلية والاسمية هي الطارئة . وفي مراعاة هذه الأفضلية مسأيرة للسبب العام في منع الصفة من الصرف ، وتيسير في الاستعمال (١) . . .

وإذا سُمي بهذا الوصف زالت عنه الوصفية ، وحل محلها العلمية ؛ فيجتمع فيه العلمية ووزن الفعل ؛ وهما علتان يؤدي اجتماعهما إلى منع صرفه ؛ كتسمية رجل : أرقم - أو : أسود (٢) .

* * *

(١) وفي الوصفية الأصلية والطارئة وما يتبع هذا يقول ابن مالك :

ووصفٌ أَصْلِيٌّ وَوَزْنٌ أَفْعَلًا مَمْنُوعٌ تَأْنِيثٌ بِنَاءً ؛ كَأَشْهَلًا - ٤
يريد : أن الاسم يمنع من الصرف للوصف الأصلي مع وزن « أفعل » - وهو وزن الفعل - الممنوع تأنيثه بالتاء . ومثل للمستوفى الشروط بلفظ : « أشهل » ؛ تقول طفل أشهل ، وطفلة شهلاء . (والشهل : تغير لون بياض العين فيختلط بالحمرة ، أو الزرقعة)

ثم انتقل بعد ذلك للكلام على الوصفية الطارئة والاسمية الطارئة ، وحكما ، والتمثيل لهما ، فقال :

وَالْعَيْنُ عَارِضُ الْوَصْفِيَّةِ كَأَرْبَعٍ ، وَعَارِضُ الْإِسْمِيَّةِ - ٥
فَالْأَدَمُ : (الْقَيْدُ) لِكَوْنِهِ وَضِعٌ فِي الْأَصْلِ وَضَفًا - انْصِرَافُهُ مُنْعٌ - ٦
وَأَجْدَلٌ ، وَأَخْيَلٌ ، وَأَفْعَى مَصْرُوفَةٌ ، وَقَدْ يَنْلَنَ الْمَنَعَا - ٧

يقول : ألغ الوصفية العارضة كالتى في أربع ، ولا تمتد بها في منع الصرف . وكذلك ألغ الاسمية العارضة . وساق أمثلة للحالتين ؛ منها : الأدهم (وهو : اسم للقيد من الحديد) فإنه ممنوع من الصرف مراعاة لوضعه الأول وصفًا للشيء الأسود لامراعاة لاسميته الحالية . ثم ضرب أمثلة لألفاظ وضعت في أول أمرها أسماء خالية من الوصفية فصرفت ، ويجوز تخيل معنى الوصفية فيها ، وملاحظة هذه الوصفية برغم أن تلك الألفاظ لا تزال باقية على اسميتها ، ومنها أجدل - أخيل - أفعى .

(٢) راجع رقم ١ ص ٢١٧ ورقم ٢ من ص ٢٦٤ .

٣- ويمنع الاسم من الصرف للوصفية مع العدل^(١) في إحدى حالتين :
الأولى : أن يكون الاسم أحد الأعداد العشرة^(٢) الأولى ، وصيغته على وزن :

(١) سبق معنى الوصفية في رقم ١ من هامش ص ٢١٧ - أما العدل فيقولون في تعريفه : إنه تحويل الاسم من حالة لفظية إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصل ، بشرط ألا يكون التحويل لقاب ، أو لتخفيف ، أو لإلحاق ، أو لزيادة معنى ، فليس من المعدول «أيس» مقلوب «يس» ولا «فخذ» بسكون الخاء ؛ تخفيف «فخذ» بكسرها ؛ ولا «كؤثر» بزيادة الواو ؛ لإلحاق الكلمة ؛ بجمع ، ولا «رجيل» بالتصغير ؛ لإفادة معنى التحقير و غيره -

والعدل يكون في الصفات وله الحالتان التاليتان . ويكون في الأعلام وله صور متعددة أشهرها :
 «فعل» المعدول عن فاعل . وكذا «فعل» بالشروط والتفصيلات الآتية عند الكلام على منع الاسم من الصرف العلمية والعدل . (ص ٢٥٦) .

والعدل قسمان : «أ» تحقيقي : وهو الذي يدل عليه دليل غير منع الصرف ؛ بحيث لو صرف هذا الاسم لم يكن صرفه عائقاً عن فهم ما فيه من العدل ، وملاحظة وجوده ؛ كالعدل في : سحر - وسيجيء في ص ٢٥٨ - ، وأخر ص (٢٢٤) ومشتق ، فإن الدليل على العدل فيها ورود كل لفظ منها مسموعاً عن العرب بصيغة تخالف الصيغة المنوعة من الصرف بعض المخالفة ، مع اتحاد المعنى في الصيغتين ، فسحر بمعنى السحر المعروف ، وأخر بمعنى آخر ، ومشتق بمعنى اثنين اثنين ، وهكذا .. فالذي دل على أن كل واحد من هذه الألفاظ - وأشباهاها - معدول ، ليس الصرف أو عدمه ، وإنما هو وروده عن العرب بصيغة أخرى تخالف صيغته المنوعة بعض المخالفة مع اتحاد معناه في الحالتين برغم هذه المخالفة .

«ب» تقديري : وهو الذي يمنع فيه العلم من الصرف ؛ سماعاً من العرب ، من غير أن يكون مع العلمية علة أخرى تنضم إليها في منع الصرف . فيقدر فيه العدل ثلثا يكون المنع بالعلمية وحدها ؛ مثل : «عمر - زفر» . . . ؛ فلو سمع مصروفاً لم يحكم بعدله ، مثل : «أدد» (وهو جد إحدى القبائل العربية كما سيجيء في ص ٢٥٧) وهذا النوع التقديري خاص بالأعلام ، ومنها : «عمر - زفر - جثم - جثم ... ولا دليل يدل عليه إلا منع العلم من الصرف ، وعدم وجود علة أخرى تنضم إلى العلمية في منع صرفه جعلهم يعتبرون العلة الثانية مقدرة . (انظر البيان في رقم ٦ من هامش ص ٢٥٦)

وفائدة العدل : إما تخفيف اللفظ باختصاره - غالباً - كما في : مشى وأخر ، . . . وإما تخفيفه مع تفرغه وتمحضه للعلمية ؛ فيبتعد عن الوصفية ، كما في : «عمر - زفر» ، المعدولين عن عامر وزافر ، لاحتماهما قبل العدل للوصفية .

وعندى أن كل ما قيل في العدل وتعريفه وتقسيمه ، وفائدته ، مصنوع متكافئ . ولا مرد لشيء فيه إلا السماع . وخير ما يقال عند الإعراب في سبب المنع إنه العلمية وصيغة فعلال - أو مفعّل ، أو فعمل ، أو غيرها من الصيغ المسموعة نصاً عن العرب .

(٢) هناك رأى يقصره على بعض العشرة ، ولا يبلغ به العشرة . لكن الأرجح هو الرأى الأول . ويؤيده الأمثلة التي عرضها سيبويه في كتابه نقلاً عن العرب ، مستشهداً بها ، وكذلك الأمثلة التي أوردها

« فُعَال » أو : « مَفْعَل » ، نحو : أَحَادَ وَمَوْحَدَ - ثُنَاءَ وَمَشْنَى - ثُلَاثَ . وَمَثَلَتَ - رُبَاعَ وَمَرْبِعَ - خُمَاسَ وَمَخْمَسَ - سُدَاسَ وَمَسْدَسَ - سُبُعَ وَمَسْبُوعَ - ثَمَانَ وَمَثْمَنَ - تِسَاعَ وَمَتَسَعَ - عَشَارَ وَمَعَشَرَ .

ويقول النحاة : إن كل لفظ من هذه الألفاظ معدول عن لفظ العدد الأصلي المكرر مرتين للتوكيد ؛ فكلمة : « أَحَادَ » في مثل : صافحت الأضياف أحَادَ ، معدولة عن الكلمة العددية الأصلية المكررة : « واحداً واحداً » والأصل : صافحت الأضياف واحداً واحداً ؛ فعدل العرب عن الكلمتين ، واستغنوا عنهما بكلمة واحدة - للتخفيف - تؤدي معناهما ؛ هي : أَحَادَ ، ومثلها مَوْحَدَ^(١) وكلتا الكلمتين ممنوعة من الصرف مع أن أصلهما المعدول عنه منصرف ، ولا ينظر لهذا الأصل هنا ؛ ولهذا كانت كل واحدة منهما محتومة المنع من الصرف^(٢) .

وكلمة : « ثُنَاءَ » ، في مثل : سار الجند ثُنَاءَ ... ، معدولة عن أصلها العدديّ المكرر للتوكيد ، وهو : « اثنين اثنين » والأصل : سار الجند اثنين اثنين ، فعدل العرب عن الكلمتين ، وأتوا بدلهما بكلمة واحدة - للتخفيف - تؤدي معناهما ؛ هي : ثُنَاءَ ، ومثلها : « مَشْنَى » وهاتان ممنوعتان من الصرف مع أن أصلهما مصروف .

ومثل هذا يقال في بقية الأعداد العشرة الأولى المعدولة . والأغلب في هذه الأعداد العشرة المعدولة أن تكون حالاً ، كالأمثلة السالفة ، أو تكون نعتاً ؛ نحو : شاهدت حول الماء طيوراً مَشْنَى ؛ وطيوراً ثُلَاثَ . . . أو تكون خبراً ؛ نحو : أصابع اليدين والرجلين خُمَاسُ . . . ومن القليل أن تكون مضافاً ، ومن

(١) التعليل النحوي السابق ضعيف ؛ فالدليل على أن العرب الأوائل عدلوا عن استعمال اسم العدد الأصلي المكرر ، إلى استعمال الاسم المعدول ؟ لا دليل ولا ما يشبهه . والحق أن العرب استعملوا النوعين ، وأحدهما مصروف ، والآخر ممنوع من الصرف ، ولا داعي لذلك التعليل .

(٢) في هامش الجزء الثاني (م ٨٤ ص ٣٤٥) بيان مفيد ، وتصويب للأساليب المشتبهة على التكرار في نحو : صافحت الأضياف واحداً واحداً ، وأقبل الجنود اثنين اثنين ، أو ثلاثة ثلاثة . . . و . . . فقد كان بعض القدماء - كالحريزي - يرى أن استعمالها على هذا الوجه خطأ ، وما هي بخطأ .

الممنوع أن تكون مقرونة بأل^(١) . . .

ويجوز أن يتكرر اللفظ المعدول فيكون التالى توكيداً^(٢) لفظياً للأول ؛ فنقول :
سار الجندُ مَشْنَى مَشْنَى - أو : ثُلَاثَ ثُلَاثَ . . . وهكذا :

ومن العرب من يميز صرف تلك الألفاظ ، فيقول : ادخلوا ثُلَاثَ ثُلَاثَ ،
أو ثُلَاثًا ثُلَاثًا . . . وهكذا . وعند صرفها يعدها أسماء مجردة من الوصفية .
والرأى الأول أكثر وأشهر .

الثانية : كلمة «أُخْرَ» ؛ فى مثل : (سجل التاريخ لعائشة أم المؤمنين ،
ولنساء أُخْرَ أثرهن فى السياسة ، والثقافة ، ونشر العلم) ، فهى جمع ،
مفردُه : «أُخْرَى» و «أُخْرَى» مؤنث للفظ مذكر ؛ هو : «آخِرَ» . . .
(بفتح الخاء) ، على وزن : «أَفْعَل» ، ومعناه : أكثر مغايرة ومخالفة -
فلفظ : «آخِرَ» هنا : «أفعل للتفضيل» ، مجرد من «أل» والإضافة للمعرفة^(٣) ؛
فحقه أن يكون مفرداً مذكراً فى جميع استعمالاته ولو كان المراد منه مثنى ، أو
جمعاً ، أو مؤنثاً ، وهذا ما تقتضيه الأحكام العامة لأفعل التفضيل المجرد منهما ؛
(نحو : المتعلم والمتعلمة أقدر على نفع الوطن من غيرهما - الإخوان والأصدقاء
أنفع فى الشدة ، وأبعد عن التقصير - ليس بين النساء أفضل ، ولا أحسن من
الساهرات على تربية أولادهن . . .) وبناء على هذا الحكم العام يكون القياس فى
المثال السابق وأشباهه أن نقول : لعائشة أم المؤمنين ولنساء آخِرَ - بمد الهمزة
وفتح الخاء - أثرهن . . . ، لكن العرب عدلوا عنه ، وقالوا : نساء «أُخْرَ»
بصيغة الجمع ، ومنعوه من الصرف ؛ فكان العدل بانضمامه للوصفية سبباً فى منعه

(١) وهنا قال الصبان ما نصه :

« ادعى الزخمرى أنها تُعرَف ؛ فيقال : فلان تزوج المثنى والثلاث . . . قال أبوحيان : ولم يذهب
إليه أحد . وكلا لا تُعرَف لا تؤنث ؛ فلا يقال مَشْنَاء مثلاً . . . » ا هـ .

(٢) فيكون الغرض من التكرير هو قصد التأكيد ، لا إفادة التكرار تأسيساً ، - أى : ابتداء -
لأن إفادة التكرار التأسيسى - وهو المجرد من التأكيد ابتداء - مفهومة قبل التكرار حتماً (نص على هذا
الأشوفى والصبان) .

(٣) لأن المضاف للمعرفة قد يجوز فيه المطابقة وعدمها بالتفصيل الذى سبق بيانه فى باب «أفعل

من الصرف. وإن شئت فقل : كان منعه من الصرف دليلاً على وجود العدل فيه مع الوصفية (١).

وإذا زالت الوصفية وحدها وحلَّتْها الوصفية بقي الاسم على منع الصرف ؛ لاشتماله في حالته الجديدة على علمين مانعتين معاً لصرفه ؛ وهما : العلمية والعدل . كتسمية إنسان : «مَشْنَى» أو «ثُلَاثَ» أو نحوهما مما كان في أصله وصفاً معدولاً ، ثم صار علماً باقياً على حاله من العدل . . .

ويتبين مما سبق في الصور الثلاث الخاصة بالوصفية ومعها للعلامة الأخرى ، أن الوصفية إذا اختلفت وحدها بسبب أن الاسم صار «علماً مزيداً» ، أو : «علماً على وزن الفعل» ، أو : «علماً معدولاً» - بقي هذا الاسم ممنوعاً من الصرف كما كان ، ولكن للعلمية ومعها العلامة الأخرى (٢) . . .

* * *

(١) العدل هنا تحقيق ، - سبقت الإشارة له في رقم ١ من هامش ص ٢٢٢ - وفي هذا التعليل ما في سابقه من ضعف . والعلة الصحيحة هي مجرد الاستعمال العربي الصحيح ، وقد بسطنا تعليل النحاة كاملاً ، وعرضنا رأيهم في «أُخَر» ومنعها من الصرف ، وفي أنها للتفضيل أو ليست له . . . ثم الرد عليه في الجزء الثالث (باب أفعل التفضيل ص ٣١٠ م ١١٢) فلا داعي للتكرار والإطالة ؛ علماً بأن المعروض في باب التفضيل هام ، ومفيد .

(٢) وفي الصورة الثالثة وهي صورة الوصفية مع العدل يقول ابن مالك :

وَمَنْعُ عَدْلٍ مَعَ وَصْفٍ مُعْتَبَرٍ فِي لَفْظٍ مَثْنَى ، وَثُلَاثَ ، وَأُخَر - ٨
يقول : إن الاسم يمنع من الصرف إذا كان لفظه هو : «مَثْنَى» أو : «ثُلَاثَ» ، أو «أُخَر» ولم يذكر أيضاً ولا تفصيلاً إلا ما ذكره في البيت التالي من أن مثنى وثلاث يشبههما ما جاء على وزنهما من ألفاظ الأعداد الأربعة الأولى . قال :

ووزنُ مثنَى وَثُلَاثَ كهُمَا مِنْ وَاحِدٍ لِأَرْبَعٍ ؛ فَلْيُعْلَمَا - ٩
وأهمل ما زاد على الأربعة :

ثم انتقل بعد هذا مباشرة إلى ذكر الأبيات الأربعة الخاصة بصيغة منتهى الجموع والتي أول كل منها .

وكن لجمعٍ مُشْبِهٍ مفاعِلًا - ١٠

وذا اعتلالٍ منه كالجواري - ١١

ولسراويل بهذا الجمع - ١٢

النحو الوافي - رابع

.....

زيادة وتفصيل :

(ا) لم يحكم النحاة على « أخرى » الممنوعة من الصرف بأنها معدولة ؛ لأشتمالها على ألف التأنيث المقصورة ، وهذه أقوى في منع الصرف من العدل . وأما آخران وآخرين فمعربان بالحروف فلا دخل لهما في منع الصرف .

(ب) قد تكون : « أخرى » بمعنى « آخره » - بكسر الخاء - وهى التى تقابل كلمة : « أولى » كالتى فى مثل : (قالت أخراهم لأولاهم . . .) وقالت أولاهم لأخراهم . . .) وفى هذه الصورة تجمع كلمة : « أخرى » على « آخر » المصروفة ؛ لأنها غير معدولة ؛ لأن مذكورها هو : « آخر » - بكسر الخاء - الذى يقابل « أول » بدليل قوله تعالى : (وأنّ عليه النشأة الآخرة) ، أى : الآخرة ، يؤيد هذا قوله تعالى : (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) ، والقصة واحدة ، فليست « أخرى » التى هى بمعنى : « آخره » من باب أفعل التفضيل .

والفرق أن أنثى المفتوح الخاء^(١) لا تبدل على انتهاء ، كما لا يدل عليه مذكورها ، فلذلك يعطف عليه مثلها من جنس واحد ؛ كقولك : أقبل رجل ، وآخر ، وآخر . . . أقبلت سيدة ، وأخرى ، وأخرى . أما أنثى المكسور الخاء^(٢) فتبدل على الانتهاء ، ولا يعطف عليها مثلها من جنس واحد ، كما أن مذكورها كذلك . . .

* * *

وإن به سُمى أو بِمَا لَحِقَّ ١٣ -

وقد شرحنا الأبيات الأربعة فى مكانها الأنسب (ص ٢١٤ و ٢١٥) كى يكون الموضوع متصلا بعضه ببعض ، وبعدها - فى الألفية - الأبيات الخاصة بمنع الاسم من الصرف للعلمية وسبب آخر معها ، وسيجىء شرحها فى موضعها .

(١) مفتوح الخاء هو : « آخر » ومعناه : أكثر مغايرة ومخالفة - والصيغة للتفضيل كما أسلفنا - وأنشاء هى : « أخرى » التى تجمع على : « آخر » الممنوعة من الصرف .
 (٢) مكسور الخاء هو : « آخر » الذى معناه : « أخير » أى : مقابل لأول ويدل على النهاية . ومؤنثه « آخرة » ، أو « أخرى » التى تجمع على « آخر » المصروفة .

الكلام على الاسم المنوع من الصرف للعلمية^(١)

مع إحدى العلل السبع .

١ - يُمنع الاسم من الصرف إذا كان علمياً ، مركباً تركيب مزج . والمراد بالتركيب المزجي^(٢) : كل كلمتين امتزجتا (أى : اختلطتا) بأن اتصلت إثنائيهما بنهاية الأولى حتى صارتا كالكلمة الواحدة ؛ من جهة أن الإعراب أو البناء يكون على آخر الثانية - في الرأي الأشهر - أما آخر الكلمة الأولى فقد يكون ساكناً ؛

(١) ملاحظة هامة : العلم هنا يشمل علم الشخص وعلم الجنس ، (طبقاً لما سبق في الجزء الأول - باب العلم .) والمنوع من الصرف للعلمية ومعها علة أخرى لا يدخله تنوين «الأمكنية» ، فلو زالت العلمية لوجب تنوينه تنوين تكثير - كما ستعرف في ص ٢٣١ و ٢٦٥ - إن لم يوجد سبب آخر للمنع .

(٢) سبق الكلام على المركب المزجي في باب العلم (ج ١ ص ٢٧٠ م ٢٢) ومن أهم ما قلناه هناك : إن المركب المزجي لا يكون إلا من كلمتين ، فقط ، (وقد تفصل بينهما الواو ؛ في بعض الصور الساعية ؛ كما في : « كَيْتٌ وَكَيْتٌ - ذَيْتٌ وَذَيْتٌ » طبقاً للبيان الآتي في ص ٥٨٣) ولا يصح مزج أكثر منهما . ومتى امتزجتا صارتا في العلم كلمة واحدة ذات شطرين ، كل شطر منهما بمنزلة الحرف الهجائي الواحد من الكلمة الواحدة (العلم) (كما نص على هذا شارح «المفصل» ج ٤ ص ١١٦) . والأصل قبل التركيب أن يكون لكل واحدة منهما معنى يخالف معنى الأخرى . أما بعد التركيب المزجي فالأمر يختلف : فإن كان هذا التركيب علماً من النوع الذي تتركز فيه علامات الإعراب أو البناء على آخر الثانية فقط ؛ كسيوي ، وبعلبك وغيرها . . . من الأمثلة المعروضة هناك - في ص ٢٧٩ - ، ونظائرها زال المعنى الأصل لكل منهما نهائياً ، ولا يصح ملاحظته ؛ إذ ينشأ من المزج معنى جديد ، مستحدث ، لا صلة له بالمعنى السابق لهما أو لإحدهما .

أما إن كان هذا المركب المزجي من النوع الآخر الذي يبنى على فتح الجزأين (وهو المذكور في ج ١ ص ٢٨١) ، كالمركبات العددية مثل : ثلاثة عشر ، وأربعة عشر . . أو المركبات الظرفية ، نحو : صباح مساء . . أو الحالية ؛ نحو فلان جاري بيت بيت ، أى : ملاصقاً ، أو باقي المركبات الأخرى التي تبنى على فتح الجزأين طبقاً للأحكام المدونة في أبوابها . . . ، فإن المعنى بعد التركيب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الذي كان لكل كلمة قبل مزجها بأختها ؛ إذ يتكون المعنى الجديد من معناها السابق ، مع بعض زيادة تنضم إليه ، دون إلغاء لمعناها السابق ، أو إهمال لملاحظته في تكوين المعنى المستحدث . فأساس المعنى الجديد هو معناها القديم مع ضم زيادة إليه . وهذا النوع يلاحظ فيه قبل المزج أنه على تقدير « واو العطف » بين الكلمتين وأنها في حكم المتعاطفين ؛ فعناهما بملاحظتها قبل التركيب هو معناها الجديد بعد المزج بغير ملاحظتها (راجع شرح المفصل ج ١ ص ٦٥ و ج ٤ ص ١٢٤) .

نحو : بُرْسَعِيد^(١) - نُسَيُورِك^(٢) - جَرْدِ نُسَيْي^(٣) - وقد يكون متحركاً^(٤)
بالفتحة (وهذا هو الأكثر) ؛ نحو : طَبَرَسْتَان^(٥) - (خَسَالَوِيَه^(٦) -
سِيَهَبَوِيَه^(٧) ، في لغة من يُعْرَبهما ولا يبينهما^(٨)) - حَضْرَمَوْت^(٩) بِعَلَمَبَك^(١٠) .

أحكامه :

أشهر أحكام العلم المركب تركيب مزج - غير العددي ، وأشباهه^(١١) - هو :
(١) أن يُترك آخر جزئه الأول على حاله قبل التركيب ، من السكون أو
الحركة ، ونوعها ؛ فلا يتغير ضبط آخر ذلك الجزء الأول مطلقاً بعد التركيب ، ولو كان
واواً ساكنة أو ياء ساكنة^(١٢) ، ولا يجرى عليه إعراب ولا بناء ، ولا ينظر إليه إلا
على اعتباره بمنزلة جزء من كلمة - ، وليس كلمة مستقلة - ولهذا يتصل بالثاني كتابة
إن أمكن وصل حرفهما الهجائية -

-
- (١) اسم أجنبي ، معناه : ميناء سعيد . ويطلق على مدينة مصرية على الساحل الشمالى الشرقى .
ويصح نطقها وكتابتها بواو بعد الباء ، ولكن تتحرك الراء بعدها للتخلص من الساكنين .
(٢) معناه : «يُرْكُ الجديدة» ، وهو اسم مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية .
(٣) اسم أجنبي ، معناه : «حديقة سى» ويطلق على حى مشهور في القاهرة ، على الساحل
الشرقى للنيل .
(٤) وقد تكون حركة الأول الكسرة - أحياناً - كما في بعض الأصوات المركبة تركيباً مزجياً ؛
نحو : «قاش- ماش» اسم لصوت طي القماش - طبقاً للبيان السالف في رقم ٢ من هامش ص ١٦٣ -
(٥) اسم مدينة فارسية ، مركبة من طبر ، وستان ، ومعنى ستان : مكان .
(٦) عالم لغوى ، نحوى ، في القرن الرابع الهجرى .
(٧) اسم إمام النحاة ، عمرو بن عثمان المتوفى حول سنة ١٨٠ هـ ، ومعنى «سبب» باللغة
الفارسية : التفاح . ومعنى «ويه» : رائحة . وتقدم المضاف على المضاف إليه كالمألوف في اللغة الفارسية .
فَعَنَاه : رائحة التفاح .
(٨) لأن منع الصرف مقصور على الأسماء المعربة ؛ ولا يكون في المبنية - كما تقدم -
(٩) اسم بلد في اليمن .
(١٠) اسم بلد في لبنان . وأصله مركب من كلمتين : «بعل» (اسم صنم) و «بك» اسم رجل
اشتهر بعبادته .
(١١) أما حكم العددي وأشباهه فيجىء في : «ب» من ص ٢٣١ .
(١٢) ولو كانت هذه الباء آخر اسم منقوص فإنها تظل ساكنة كذلك - كما سيجىء في رقم ٢ من
من هامش الصفحة التالية .

(ب) يجرى الإعراب على آخر الجزء الثاني وحده ، فيعرب إعراب الممنوع من الصرف ؛ فيرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة نيابة على الكسرة ، مع امتناع التنوين في الحالات الثلاث ؛ كالشأن في كل اسم ممنوع من الصرف ، مجرد من أل والإضافة . ومن الأمثلة : (غادرنا « نُسُوَيْرُكَ » في طائرة سِيَّاحِيَّة ، قاصدين إلى « بَعْلَبَسَك ») ؛ فوصلناها بعد عشرين ساعة . ولما نزلنا في مطارها قال المذيع : من كانت « بُرْسَعِيدُ » غايته فليستعد ؛ فهذه الطائرة متجهة إليها) .

(ح) من العرب من يجعل الجزء الأول مضافاً تجرى عليه جميع حركات الإعراب على حسب حاجة الجملة — ولا يُمنع من الصرف ما دام مضافاً — ويكون الثاني هو المضاف إليه المجرور دائماً^(١) . فإن كان الأول (المضاف) مختوماً بحرف علّة قدر على هذا الحرف جميع حركات الإعراب — حتى الفتحة — رفعاً ونصباً وجرّاً من غير منع صرف . ولا فرق في هذا بين الألف ، والواو ، والياء ، ثم يجيء بعده القسم الثاني (المضاف إليه) فيكون ممنوعاً من الصرف إن استحق المنع ؛ وإلا فينصرف^(٢) . وعلى هذا الرأي يُفصل الجزءان في الكتابة . ومن الأمثلة التي يكون فيها آخر الجزء الأول حرفاً صحيحاً وآخر الثاني غير ممنوع من الصرف : (هذه بَعْلُ بَسَكٌ — زرت بعْلَ بَسَكٌ — تمتعت ببِعْلِ بَكٌ) . ومثال ما يكون فيه الأول (المضاف) صحيح الآخر معرباً ويكون المضاف إليه ممنوعاً من الصرف : (من أشهر المدن الفارسية القديمة رامُ هُرْمُزَ — عرفت أن رامَ هُرْمُزَ

(١) وهذه الإضافة لفظية ، لأن كل جزء من الجزأين بمنزلة حرف الهجاء في الكلمة الواحدة كاليم ، والعين . . . من مثل : معدن . . . فهو يتم الآخر . وإنما فائدة تخفيف التركيب ، والتنبيه إلى شدة الامتزاج .
(وقد سبقت لهذا إشارة في ج ٣ م ٩٣ ص ٤٧) .

(٢) للمركب المزجي أحكام إعرابية أخرى نهلها ؛ لقلة الوارد بها ، وعدم أهميتها ، ومنها بناء الجزأين على الفتح رفعاً ، ونصباً ، وجرّاً ؛ كبناء خمسة عشر وأشباهها — ؛ فيكون في آخر كل جزء فتحة لا تتغير مطلقاً في جميع حالات الإعراب ؛ بشرط أن يكون آخر الجزء الأول صحيحاً . فإن كان معتلاً (ألفاً ، أو واواً ، أو ياء) وجب إبقاء الأول على سكونه ، ويقتصر البناء على الفتح على الثاني في جميع أحواله . وعلى هذا فالمركب المزجي إذا كان جزؤه الأول معتلاً — يظل ساكناً في كل اللغات السالفة . وفي منع الاسم من الصرف للعلمية والتركيب المزجي يقول ابن مالك مقتصرأ على بيت واحد :

والعلمَ أَمْنَعُ صَرْفُهُ مُرَكَّبًا تَرْكِيْبُ مَزْجٍ ؛ نَحْوُ : مَعْدِيْ كَرْبَا — ١٤

مدينة أثرية - في رام هرمز صناعات يدوية دقيقة). فكلمة : « رام » في الأمثلة السالفة مغربة على حسب الجملة ؛ وهى مضاف ، وكلمة : « هرمز » مضاف إليه ، مجرورة بالفتحة بدل الكسرة في كل الاستعمالات ؛ لأنها علم أعجمي^(١) ، يُمنع من الصرف لهذا . . .

ومثال المضاف الذى آخره حرف علة تقدر عليه جميع الحركات ، وبعده الجزء الثانى (المضاف إليه) غير ممنوع من الصرف : « صافى ورود » اسم قرية مصرية . تقول : (صافى ورود فى الصحراء الغربية - أرغب أن أشاهد صافى ورود (بسكون الياء)^(٢) - لم أذهب إلى صافى ورود) . فكلمة : « صافى » مرفوعة بضمة مقدرة على الياء ، ومنصوبة بفتحة مقدرة عليها ، ومجرورة بكسرة مقدرة أيضاً . وهى مضافة ، وكلمة : « ورود » مضاف إليه مجرورة منونة ؛ لأنها غير ممنوعة من الصرف ؛ لعدم وجود ما يقتضى المنع . ومثلها : « مَعْدَى كَرَب » اسم رجل (وهو مركب من جزأين . . .)^(٣) .

ومثال معتل الجزء الأول الذى يليه الجزء الثانى (المضاف إليه) ممنوعاً من الصرف : « رضا عائشة » ، اسم امرأة فارسية - حادى شَمَر ، اسم مدينة وكذا : نِيَوِيرُك .

* * *

(١) هى وحدها بغير صدرها علم أعجمى فى الأصل .

(٢) وهذا النوع من المنقوص ينصب بفتحة مقدرة - كما سبق فى رقم ٢ من الهامش السابق ، وفى « ج »

من ص ٢٢٩ ، وفى ج ١ ص ١٧٢ و ١٧٧ م ١٦ .

(٣) ويقال إن أصلها : « مَعْدَى » ، على وزن : « مَفْعِل » ؛ اسم مكان أو زمان من « عداء »

بمعنى : جاوز ، وكان القياس فتح الدال . و « كَرَب » بمعنى : « فساد » .

وقيل : أصله ، معدى ، بفتح الدال ، ثم حذفت الألف (المكتوبة ياء) ، وجاءت ياء النسب ، وكسر ما قبلها وخففت هذه الياء ؛ فصارت غير مشددة . فوزنه : « مَفْعِى » . وكل هذا لا أهمية له بعد التركيب .

زيادة وتفصيل :

(١) إذا كان الاسم ممنوعاً من الصرف للعلمية مع التركيب المزجيّ - نحو : خالويته - وفقداهما ، أو أحدهما ، وجب تنوينه إن لم يوجد داع آخر للمنع . مثال فقداهما معاً : زارنا خال (وهو : أخوالأم) - استقبلت خالاً - فرحت بخال .

ومثال فقد التركيب : هذا خال (علمه رجل) - إن خالاً مقبل - سمعت إلى خال ... - . ومثال فقد العلمية : من أشهر خالويه في اللغة وفروعها بين أصحاب هذا الاسم ؟ يتنون كلمة : « خالويه » تنوين تنكير^(١) بسبب فقدتها العلمية .

(٢) إذا كان المركب إضافياً وجب أن يكون الإعراب على جزئه الأول المضاف ، ولا يصح منعه من الصرف ما دام مضافاً . أما جزؤه الثاني فمضاف إليه ، ينون أو لا ينون على حسب ما ينطبق عليه من أحكام الصرف وعدمه .

وإذا كان المركب إسنادياً وجب أن يحكمى على ما هو عليه من غير تغيير . والصحيح أنه معرب لا مبني .

أما المركب العدديّ مثل : « ثلاثة عشر » وأخواته المركبة - فبني على فتح الجزأين عند البصريين . إلا « اثنتي عشر ، واثنتي عشرة » ، فعربان إعراب المثني ، - كما سبق في باب المثني - والكوفيون يجوزون في العدد المركب إضافة صدره إلى عجزه . (وسيأتى البيان في باب : « العدد »)^(٢) .

فإن سمي بالعدد المركب جاز لإبقاؤه على بناء طرفيه ، وجاز إعرابه إعراب ما لا ينصرف ؛ للعلمية والتركيب ، وجاز إضافة صدره إلى عجزه .

(١) انظر رقم ١ من هامش ص ٢٢٧ وقد سبق الكلام على تنوين التنكير مفصلاً (في ج ١ ص ٢٣ م ٣) وأنه يلحق بعض الأسماء ليكون وجوده دليلاً على أنها نكرة ، وحذفه دليلاً على أنها معرفة . والأغلب دخوله على الأسماء المبنية . ولكنه قد يلحق الأسماء المعربة غير المنصرفة ، لغرض أوضحنه هناك وهو الدلالة على تنكيرها ؛ كقولك : مررت بأحمد - بالتثنية - إذا كنت تريد الإخبار عن واحد غير معين من أشخاص متعددين ، اسم كل منهم : أحمد . (انظر رقم ٢ من هامش ص ٢٤٩ ورقم ٣ من هامش ص ٢٥١) .

(٢) ص ٥٢٠ .

.....

أما المركب من الأحوال نحو : « أنت جارى بيتَ بيتَ » ، ومن الظروف
 نحو : أعملُ صباحَ مساءً . . . ؛ فيجوز فيه عند التسمية به ، وصيrote علكما
 أحد أمرين^(١) :

إما إضافة الصدر إلى العجز مع إعراب الصدر على حسب الجملة ؛ نحو :
 بيتُ بيتَ نظيف - صباحُ مساءً محبوب . . .

ولما بقاء التركيب مبنياً على فتح الجزأين دائماً ؛ ويكون فى محل رفع ،
 أو نصب ، أو جرّ ، على حسب حاجة الجملة فيقال : بيتَ بيتَ نظيفٌ -
 صباحَ مساءً محبوب . . .

(١) راجع حاشية « خالد » على « التصريح » - > ٢ باب : « مالا ينصرف » عند الكلام على

العلم المركب تركيب منزع -

٢- ويُمنع الاسم من الصرف إذا كان علمًا مختومًا بألف ونون زائدتين ، سواء أكان العلم للإنسان أم لغيره ؛ نحو : بدران - حيّان - مروان - قحطان - غطّان . . . أسماء أشخاص ، ونحو : شعبان - رمضان - من أسماء الشهور العربية ، ونحو : « عَمَّان » اسم بلد في الأردن ، و « رَعْدان » اسم قصر بها .

وحكم هذا النوع المنع من الصرف بشرطيه (وهما: العلمية والزيادة) تقول : عَمَّانُ حاضرة البلاد الأردنيّة، وفي أحد أطرافها قصر فخم ، يسمى : « رَعْدان » بينه وبين عَمَّان بضعة أميال . . .

فإن كان الحرفان : (الألف والنون) أصليين ، معًا ، أو النون^(١) وحدها ، لم يُمنع الاسم من الصرف ؛ فثال الأصليين : بان^(٢) - خان^(٣) . ومثال أصالة النون : أمان - لسان - ضمان - .

وإن كانا معًا صالحين للأصالة ، وللزيادة ، أو كان أحدهما هو الصالح وحده جاز في الاسم الصرف وعدمه^(٤) ؛ نحو : حسّان ، علم على رجل^(٥) ، فيجوز أن يكون مشتقًا من الحسّ ، بمعنى : الشعور ، فيمنع من الصرف للعلمية وزيادة الحرفين . ويجوز أن يكون مشتقًا من الحسن فلا يمنع ؛ لأن الزائد حرف واحد . وكذلك : « غَسَّان » ؛ قد يكون من الغسّ ؛ بمعنى : دخول البلاد ؛ فيمنع من الصرف ؛ للعلمية وزيادة الحرفين . وقد يكون : من الغسّن ؛ بمعنى : المضغ ؛ فلا يمنع ؛ لأن الزائد حرف واحد . وودّان ، قد يكون من الودّ ؛ بمعنى : الحب ؛ فيُمنع ، أو : من الودن ، بمعنى : نقع الشيء في الماء ونحوه ؛ فلا يمنع^(٦) . . .

* * *

(١) الأسم الأغلب أن تكون « النون » هي الأصلية ، وقبلها « الألف » زائدة . أما للمكس فلا يكاد يوجد .

(٢) اسم جبل بالحجاز ، واسم الشجر المعروف بشجر : « البان » .

(٣) دكان ، أو فندق . (٤) باعتبارين مختلفين .

(٥) واسم شاعر الرسول عليه السلام .

(٦) وفي منع الاسم من الصرف للعلمية مع الزيادة يقتصر ابن مالك على قوله :

كَذَلِكَ حَاوِي زَائِدَتِي فَعَلَانَا ، كَغَطَّان ، وَكَأَصْبَهَانَا
أى : كذلك يمنع الاسم من الصرف إذا كان علمًا حاويًا الحرفين الزائدين في « فَمَلَّان » وهما : =

.....

زيادة وتفصيل :

(١) يقول الصرفيون : إن علامة زيادة الألف والنون هي سقوطهما في بعض التصريفات ؛ — كما في « حمدان » و « فرحان » ، علمين ؛ حيث يمكن ردهما إلى : حَمْدٌ ، وفَرَحٌ . . . — بشرط أن يكون قبلهما أكثر من حرفين أصليين بغير تضعيف الثاني ؛ نحو : عثمان — مروان — رشدان . . . فإن كان قبلهما حرفان أصليان ثانيهما مضعف جاز أمران : إما اعتبار الحرف الذي حصل به التضعيف أصيلاً ؛ فيؤدى هذا إلى الحكم بزيادة الألف والنون ؛ لوقوعهما بعد ثلاثة أحرف أصلية ، وإما عدم اعتباره أصيلاً فيؤدى إلى الحكم بأصالة النون . ومن الأمثلة : حَسَّان — عَفَّان — حَيَّان . . . فتمنع من الصرف على اعتبارها من الحس ؛ بمعنى : الإحساس — مثلاً — ومن العفة — ومن الحياة . ويكون وزنها « فَعْلَانٌ » . وتنصرف على اعتبارها من الحسن ، والعفن ، والحَيْن (بمعنى الملاك) . كَرَبٌ على وزن « فَعْعَالٌ » لأن نونها أصلية . . . ومن الأمثلة : شيطان . فهو إما من شَطَطَن بمعنى : ابتعد ، وإما من شَاط بمعنى : احترق . . .

وإذا كان العلم ذو الزياتين مسموعاً عن العرب الفصحاء بصورة واحدة هي المنع أو عدمه فالأولى اتباع المسموع ، كما في « حسان » شاعر الرسول ، فالمسموع عنهم منعه في الحالات المختلفة ، ولهذا يحتم أكثر النحاة منعه . . . ولكن هذا التحريم تحكيم وتشدد بغير حق .

= الألف والنون . وليس من اللازم أن يكون على وزن « فعلان » وإنما اللازم احتواؤه على الحرفين الزائدين ، نحو : عمران — سُفْيَانٌ و « غَطَفَانٌ » (علم على فرع من فروع قبيلة « قيس » العربية . والغَطَفُ : اتساع النعمة) و « أصهبان » (وفي هذه الكلمة لغات كثيرة : منها كسر الهمزة ، ومنها : إبدال بائها فاء . . .) ولا تكون الألف والنون زائدتين إلا على اعتبار أن أصل الكلمة : عربي : أما على الرأى القائل إنها 'عجمية' — وهو الصواب — فلا تمنع العلمية مع الزيادة ، وإنما تمنع العلمية مع شيء آخر (سيبيء في ص ٢٤٢) ؟ هو : العجمة .

(ب) لو أبدلت النون الزائدة لاماً — كما يجري في بعض اللهجات القديمة — منع الاسم من الصرف أيضاً إذا كان مستوفياً شروط المنع . كقولهم : أُصِيلَال ، في « أُصِيلَان » ، التي هي تصغير شاذ لكلمة : « أُصِيل »^(١) فإذا سمي إنسان : « أُصِيلَال » منع الصرف ؛ للعلمية وزيادة الألف واللام ، إعطاء للحرف المبدل ، حكم الحرف المبدل منه .

ولو أبدل الحرف الأخير نوناً — في بعض اللهجات القليلة — ، لم ينع من الصرف ، كقول بعض العرب : حِينَان ، وهي : الحِنَاء ، فأبدلوا الهمزة الشائعة نوناً ؛ فلو سمي رجل حِينَاناً لم يمنع من الصرف .

ويفهم مما تقدم أن الحكم بمنع الصرف للزيادة يعتمد على الحرف الزائد في المبدل منه نصاً ، قبل أن يصير الزائد حرفاً آخر بسبب البديل ؟ أى : أن العبرة هي بالأصل الشائع ، لا بالبديل .

(ح) إذا كان الاسم ممنوعاً من الصرف للعلمية مع الزيادة وفقد العلتين أو : إحداهما — وجب تنوينه ، إن لم يوجد داع آخر للمنع ؛ فمثال ما فقد العلمية وحدها كلمة : « بَدْرَان » في مثل : (ادعُ « بَدْرَاناً » واحدًا من بين أصحاب هذا الاسم) ، والتنوين هنا للتذكير الذي أشرنا إليه^(٢) ، ومثال ما فقد الزيادة : « بدر » علم رجل ، تقول : فرحت بلقاء بدر . ومثال ما فقدتهما معاً : « بدر » بمعنى : قمر ، أحد البدور السماوية . . .

* * *

(١) الوقت بين العصر والمغرب .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٢٢٧ و ٢٤٩ ورقم ٣ من هامش ص ٢٥١ .

٣- ويمنع الاسم من الصرف للعلمية مع التأنيث^(١). ومنعه إما واجب ،

ولما جائز .

(١) فالواجب يتحقق في صور^(٢) ؛ منها : أن يكون العلم محتوماً بالتاء الزائدة؛ المتحركة، الدالة على التأنيث . لافرق بين العلم المذكور ؛ (نحو : عترة - معاوية - طلحة - حمزة . . .) والعلم لمؤنث ؛ (نحو : فاطمة - عبله - مينة - بثينة . . .) ولا بين الثلاثي ؛ (كأمة - هبة - عظة . . . أعلام نساء) ، وغير الثلاثي ؛ كبعض الأعلام السالفة، ولا بين ساكن الوسط ، ومتحركه . . . ؛ فجميع الأعلام المحتومة بالتاء الزائدة ، المتحركة ، الدالة على التأنيث ممنوع من الصرف حتماً^(٣) . . .

(١) سبق (في رقم ٣ من هامش ص ٢١٦) أن التأنيث ولو كان معنوياً - يعتبر علة لفظية من علل منع الصرف . ومثال المعنوي الأعلام المؤنثة : زينب ، سعاد ، مى ، سوسن . . فإن هذه الأعلام مؤنثة تأنيثاً معنوياً ؛ لعدم وجود علامة تأنيث ظاهرة في لفظها ، ولكنها تعتبر في هذا الباب بمنوعة من الصرف لعلتين ؛ إحداهما العلمية ، والأخرى التأنيث الذى يعتبر هنا علة لفظية ، لظهور آثاره في اللفظ . بتأنيث الضمير العائدة على المؤنث ، وبتأنيث الفعل له . . .

هذا والمراد بالعلمية هنا ما يشمل العلمية الكاملة وجزء العلمية ، - طبقاً للتوضيح الآتى في « و »

من ص ٢٤١ -

(٢) تخضع هذه الصور أيضاً للحكم الآتى في : « أ » ص . ٢٣٩ .

(٣) وليس من هذا النوع التاء في مثل : « أخت وبنت » فإنها - في الراجح - ليست للتأنيث ، وإنما هي أصل من أصول الكلمة ، كناء : « سُحُت » فلو سُمي بما هي فيه مذكر لم يجز منعه من الصرف . وبهذه المناسبة نذكر أن قولنا : « التاء الزائدة في آخر الاسم للدلالة على التأنيث » أنسب وأدق من غيره فبعض النحاة يقتصر على تسميتها : « تاء التأنيث المتحركة المتأخرة » وبعضهم يسميها : « هاء التأنيث » . وعلى كل منهما اعتراض ؛ قال الصبان ، ج ١ باب : العرب والمبنى عند الكلام على الملحق بجمع المذكر ما نصه : (قال في « التصريح » : الفرق بين تاء التأنيث وهائه أن تاء التأنيث لا تبدل في الوقف هاء . وتكتب مجرورة (أى : متسعة مفتوحة) وهاء التأنيث يوقف عليها بالهاء وتكتب مربوطة .) ، ١ ، ٨ . وليس في هذا الكلام ما يدل على وجوب زيادة هذه التاء زيادة محضة لتخرج التاء في مثل : « أخت وبنت » لأنها ليست زائدة ، وإنما هي مبدلة من أصل ؛ هو الواو ولا يمتنع الاسم من الصرف إلا مع التاء الزائدة المحضة - أنظر رقم ٣ من هامش ص ٥٨٦ حيث الكلام له صلة بما هنا . -

وإلى المؤنث بالتاء أشار ابن مالك بالشرط الأول من بيت نصه :

كَذَا مُؤنَّثٌ بِهِاءٌ مُطْلَقًا ١٦ -

أى : يمنع لاسم من الصرف كالذى منع سابقاً . ولكن السبب هنا هو العلمية والتأنيث اللفظي الذى =

ومنها : أن يكون غير مختوم بتاء التأنيث ولكنه علم لمؤنث ، وأحرفه تزيد على ثلاثة ؛ نحو ؛ زينب - سعاد - مصباح - اعتماد - . . . أعلام نساء .

ومنها : أن يكون غير مختوم بها ، ولكنه علم لمؤنث ، ثلاثي ، محرك الوسط ؛ نحو : قمر - تحف - أمل . . . أعلام نساء .

ومنها : أن يكون غير مختوم بها ، وغير محرك الوسط ، ولكنه علم لمؤنث ثلاثي ، أعجمي ؛ نحو : (دام ، علم فتاة) - و (جور^(١) ، علم بلد) - و (مؤك^(٢) ، علم قصر) - و (سيب ، علم فاكهة) .

ومنها أن يكون ثلاثياً مخالفاً لكل ما سبق من الحالات ، ولكنه علم منقول من أصله المذكور الذي اشتهر به إلى مؤنث ؛ نحو : سعد ، صخر - قيس . . . أعلام نساء^(٣) . . .

=تدل عليه تاء التأنيث. « وسماها : » الهاء « كثيرة من بعض اللغويين والنحاة ؛ نظراً لأنه يوقف عليها بالهاء - كما سبق - وكان الأولى أن يقول ما قلناه : « بتاء » . . . أما الشطر الثاني للبيت فيأتي في رقم ٢ من هذا الهامش .

(١ ، ١) قد يقال : كيف تمنع كلمة : « جور » وكلمة : « مؤك » من الصرف وجوباً مع أنهما من أسماء الأماكن . وأسماء الأماكن يجوز منعها وعدم منعها ، كما سيجيء في : « ا » من الزيادة ص ٢٣٩ - أجابوا : أن جواز الأمرين يكون حيث لا توجد العجمة - أو علة أخرى - في العلم المؤنث ، فإن وجدت مع العلمية علة أخرى رجح جانب المنع وحده ، تبعاً للمسموع عن العرب في هذا .

(٢) وفي هذا يقول ابن مالك في العلم المؤنث الخالي من تاء التأنيث (مع ملاحظة أن صدر البيت الأول قد سبق في رقم (٣) من الصفحة السابقة :

..... وشرط. منع العار كونه ارتقى - ١٦

فوق الثلاث. أو : كجور ، أو : سقر أو : زيد اسم امرأة ، لا اسم ذكر - ١٧

يريد : أن العلم المؤنث العاري من تاء التأنيث إنما يمنع من الصرف بشرط ارتقاء أحرفه على الثلاثة ، (أى : زيادتها على الثلاثة) وإلا فبشرط أن يكون أعجمياً ؛ مثل : « جور » ، أو أن يكون ثلاثياً محرك الوسط ، نحو : « سقر » ، أو أن يكون علماً منقولاً من مذكر لمؤنث ، ومثل له : « زيد » علم امرأة . ثم قال :

وجهان في العادم تذكيراً سبق وعجمة ؛ كهند ، والمنع أحق - ١٨

وجهان في العادم . . . أى : يصح وجهان في العلم الذي عدم وفقد التذكير السابق وصفه ، كما عدم وفقد العجمة - ولا بد أن يكون ساكن الوسط . مثل : هند . ومنه أولى .

(ب) والجائز يتحقق حين يكون العلم الذى للمؤنث ثلاثيًّا ، ساكن الوسط ، غير أعجمي ، وغير منقول من مذكر ؛ نحو : هند - مَيَّ - دَعْد - جُمْل - من أعلام النساء ، فيجوز فيها تبعًا للفصيح المأثور الصرف وعدمه .
أو يكون العلم المؤنث ثنائي الحروف ؛ مثل : « يد » ، علم فتاة ، فيجوز الأمران . . .

* * *

وملخص ما سبق :
أن العلم المؤنث يجب منعه من الصرف فى جميع حالاته إلا حالتين يصح فيهما المنع وعدمه :
الأولى : أن يكون العلم المؤنث حرفين .
الثانية : أن يكون ثلاثيًّا ، ساكن الوسط ، غير أعجمي ، وغير منقول من المذكر للمؤنث .

* * *

زيادة وتفصيل :

(١) ما سبق هو الأصل العام الذى يراعى تطبيقه فى الاستعمال . مع ملاحظة أن بجانبه أصلاً آخر يصح تطبيقه أيضاً - إن لم يوجد مانع^(١) - ، وهو خاص بأسماء الأرضين ، والقبائل ، والأحياء^(٢) ، وأسماء الكلمات : ومنها حروف الهجاء ، وحروف المعاني ؛ (مثل : إن - لم . . .) والأفعال . . . فيصح فى كل ما سبق الصرف على إرادة تأويلها بشيء مذكر المعنى ؛ كتأويل الأرض بالمكان ، والقبيلة بالجد الأول لها ، والحق بالخط ، أو بالمكان . . . وحرف المعنى والفعل ، بإرادة « اللفظ » وهكذا . . .

كما يصح منع الصرف على إرادة تأويلها بشيء مؤنث المعنى ؛ كتأويل الأرض بالبقعة ، وكذا القبيلة . (ولفظها مؤنث أيضاً) ، والحق بالبقعة أو بالجهة . وأسماء حروف الهجاء وحروف المعاني والأفعال ، بالكلمة . . . فأمثال تلك الأعلام الخاصة بشيء مما سبق يجوز فيها الصرف وعدمه بمراعاة أحد الاعتبارين السالفين . إلا إن وجد سبب آخر للمنع غير التأنيث المعنوى ؛ فعند ذلك يراعى السبب الآخر - على الأرجح - كتغلب ، علم قبيلة ؛ فيمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، وكذا : « تعز » علم بلد يمدى . . . ومثل « بَغْدَاد » علم على « بَغْدَاد » ؛ فيمنع من الصرف للعلمية والزيادة . . . وهكذا . . .

(ب) إذا سمي المذكر باسم مؤنث خال من التاء فإن كان ثلاثياً صرف مطلقاً ، وإلا وجب منعه من الصرف بشرط أربعة :

أولها : أن يكون رباعياً فأكثر ؛ حقيقة ؛ كزئب ، أو تقديرأ ، كجيسل ، مخفف : جيسل^(٣) .

ثانيها : ألا يكون التذكير هو الأصل الأول فيه قبل استعماله علماً مؤنثاً ؛

(١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٣٦ .

(٢) جمع حى ، وهو : الخط ، أى : الناحية من البلد .

(٣) اسم للضبع .

فلا يُعْرِف استعماله إلا مذكراً قبل العلمية المؤنثة ؛ مثل : « دلال » علم امرأة ؛ فإنه علم منقول من التذكير وحده ؛ إذ أصله مصدر ، ولم يستعمل مؤنثاً قبل التسمية المؤنثة . فإن سمي به بعد ذلك مذكر وجب صرفه .

ثالثها : ألا يكون من الأسماء التي تستعمل مذكورة ومؤنثة قبل استعمالها علماً للمذكر ؛ نحو ؛ ذراع ؛ فإنها مذكورة ومؤنثة . فإن سمي بها مذكر وجب صرفها^(١) . . .

رابعها : ألا يكون تأنيثه مبنياً على تأويل خاص يجعله غير لازم ؛ كتأنيث أكثر جموع التكسير ؛ مثل كلمة « رجال » ، فإن تأنيث « رجال » - وأشباهها - مبنى على تأويله بالجماعة^(٢) وهذا التأويل غير لازم ؛ إذ يصح تأويله بالجمع . وبالجمع مذكر . فإذا سمي مذكر بكلمة : « رجال » وجب صرفه .

(ح) إذا سمي مذكر أو مؤنث بعلم منقول عن جمع المؤنث السالم (نحو : فاطمات - زينبات - عطيمات - ثمرات - مهجات . . .) جاز في هذا العلم المنقول عدة لغات ؛ أشهرها : بقاؤه مصروفاً ؛ (مراعاة لحالة الجمع السابقة التي نقل منها ، وكان فيها التنوين قبل أن يصير علماً) ، ويصح منعه من الصرف ، بشرط أن يكون هذا الجمع المؤنث علماً - بعد نقله - على مؤنث ؛ فتراعى حالة تأنيثه القائمة ، أو أن يكون مفردة دالاً على مؤنث ، فتراعى حالة التأنيث في مفردة . فلا بد من العلمية . . . ومعها ما يدل على أن هذا الجمع للتأنيث^(٣) . . .

(د) إذا امتنع صرف الاسم العلمية مع التأنيث وزال أحدهما ، أو زالا معاً وجب تنوينه ؛ إن لم يوجد داع آخر للمنع . فنال زوال العلمية : لم أتحدث إلى زينب من الزينبات ، ولا إلى فاطمة من الفاطمات اللاتي لا أعرفهن ، وهذا التنوين الحادث بعد زوال العلمية تنوين تنكير - كما تقدم - .

(١) هذا الشرط لإيضاح الثاني الذي يشمله ضمناً .

(٢) كما سبق في باب الفاعل ج ٢ ص ٦٥ م ٦٦ .

(٣) كما سيجيء في (١) ص ٢٦٤ ، وسبقت الإشارة له في ص ٢٠٢ وفي رقم ١ من هامش

ومثال ما فقد التأنيث : محمد - علي ...

ومثال ما فقدهما : رجل - غلام .

(هـ) التأنيث الذي يلاحظ عند منع الصرف قد يكون لفظياً فقط (بوجود علامة تأنيث ظاهرة في العلم يراد به مذكر) ؛ نحو : (معاوية - حمزة) وقد يكون معنوياً فقط ؛ (بأن يدل لفظ على مؤنث مع خلوه من علامة تأنيث ظاهرة) ، كزيب . وقد يكون لفظياً ومعنوياً معاً ؛ كعائشة ...

(و) كما يمتنع صرف الاسم العلمية مع التأنيث - بالشروط والتفصيلات السابقة - يمتنع كذلك الجزء من العلم مع التأنيث ؛ كما في كلمتي : « قُحافة ، وهريرة » ، وهما جزءان مؤنثان ، من علمين قديمين ، مضافين ، أحدهما : « أبو قحافة » والآخر : « أبو هريرة » . فيجري على هذا المضاف إليه ، - وهو الجزء المؤنث من العلم - ما يجرى على العلم الكامل المؤنث ، من أحكام الصرف وعدمه (١) .

٤ - يُسَمَّع الاسم من الصرف للعلمية مع العجمة بشرطين :
أولهما : أن يكون علمًا في أصله الأعجمي^(١) ثم ينتقل بعد ذلك إلى اللغة
العربية علمًا^(٢) فيها .

ثانيهما : أن يكون رباعيًا فأكثر .

فمثال المستوفى للشروط : يوسف - إبراهيم - إسماعيل . . .

(١) فإن لم يتحقق الشرط الأول بأن كان الاسم غير علم في أصله الأعجمي
(أى : الأجنبي لمطلقاً^(١)) ، فإن نقله العرب إلى لغتهم ، واستعملوه أول استعماله
عندهم علمًا ، فإنه يمنع من الصرف . وإن لم يستعملوه أول استعماله عندهم علمًا وإنما
نقلوه إلى لغتهم نكرة أول الأمر ، ثم جعلوه علمًا بعد ذلك - لم يمنع من الصرف .
فمثال ما ليس علمًا في اللغة الأعجمية ، ولكن نقله العرب إلى لغتهم علمًا أول
الأمر الكلمة الفارسية : « بُنْدَار » (وهى اسم جنس لتاجر المعادن ، وللتاجر
الذى يخزن البضائع إلى زمن الغلاء) . وكذلك الكلمة الرومية : « قالون » - (وهى
اسم جنس للشيء الجليل) ، والكلمتان في اللغة الأجنبية اسمًا جنس ، وليستا
علمين . وقد نقلتهما العرب إلى لغتهم علمين في أول استعمالهما العربى ؛ ولهذا
امتنع صرفهما - فى رأى الشائع - .

ومثال ما ليس علمًا فى اللغة الأعجمية ونقله العرب إلى لغتهم نكرة أول
الأمر - لا علمًا - « دِيْبَابَج » و « لِيْجَام » و « فَيْسِرُوز » فكل منها فى اللغة
الأجنبية اسم جنس يدل على المعنى المعروف . وقد نقله العرب إلى لغتهم اسم

(١٠١) أى : غير العربى مطلقاً ؛ فالمراد باللفظ : « الأعجمى و : الأجنبى » عام يشمل كل لفظ
من لغة أجنبية عن لغة العرب .

(٢) وقد يدخل على بعض تغيير يسير فى الحروف ، وضبطها (إما لتخفيف النطق به ؛ وإما
لتقريبه من الصيغ العربية .) . . . أو لا يدخل . وقد يكون على الأوزان العربية (نحو : خُرْم) أو
خارجاً عنها (نحو : خُرَّاسَان) - راجع كتاب سيبويه ج ٢ ص ٣٤٢ -
وإذا أدخل العرب على اللفظ الأجنبى عند استعمالهم إياه علمًا أو غير علم ، تغييراً ولو يسيراً ،
فإنه يسمى بعد هذا التغيير : « معرباً » وإن تركوه على حاله سمى عندهم : « أعجمياً » - كما سيجىء فى
رقم ٣ من هامش ص ٥٩١ -

جنس كذلك في أول الأمر ، فلا يجوز منعه من الصرف ، ويظل حكم الصرف باقياً بعد أن يصير علماً .

بناء على الشرط السابق لا بد لمنع الاسم الأجنبي من الصرف للعلمية والعجمة أن يكون : إمّا علماً في اللغة الأجنبية ، ثم ينتقل منها علماً في العربية ، ليستعمل أول أمره علماً فيها ، دون أن يسبق له في لغة العرب استعمال آخر قبل هذه العلمية . وإما أن يكون غير علم في اللغة الأجنبية ، ولكنه ينتقل إلى العربية ، فيستعمل فيها أول استعمالاته علماً .

ويرى فريق من النحاة أنه لا داعي لاشتراط علميته في لسان الأعاجم قبل نقله علماً إلى لغتنا . وهذا الرأي أحق بالاتباع والتفضيل اليوم ؛ لأنه عملي ، فيه نفع وتيسير بغير إساءة للغتنا ؛ فمن العصر الآن — بل من المستحيل واللغات الأجنبية تتجاوز المئات — أن نهتدي إلى أصل كل لفظ أجنبي نريد التسمية به ، ونعرف : أهو علم في اللغة الأجنبية قبل انتقاله علماً إلى لغتنا فمنعه من الصرف ، أم غير علم فلا نمنعه ؟

هذا والأعلام الأجنبية التي انتقلت إلى العربية قد يكون الناقل لها هم العرب الفصحاء الأوائل ؛ أخذوها عن الأجانب ، ونقلوها إلى اللسان العربي بغير تغيير في الحروف وضبطها ، أو بتغيير يسير^(١) . وهذا حقٌ لهم . ومن الواجب التقيد في كل علم أجنبي استعمله العرب بالطريقة التي استعملوها في نطقه ، وضبط حروفه . وقد يكون الناقل لها من جاء بعد العرب الفصحاء من المحدثين . وهذا النقل جائز ، وحق مستديم هؤلاء . ولا يزالون حتى اليوم على نقلها واستعملها أعلاماً ، وسيستمررون على هذا . ومن الأمثلة : « إبراهيم وإسماعيل » ، وهما من الأعلام في لغة الأعاجم وقد نقلهما العرب علمين أيضاً . ومن الأمثلة الأخرى التي نقلوها واتخذوها أعلاماً أول الأمر مع أنها لم تكن في اللغة الأجنبية أعلاماً كلمة : « فَرْفَج » ، ومعناها الفارسي : عريض الجناح . وكلمة : « طَسْجُوج » ، ومعناها : الناحية . وكلمة : « فَنَزَج » ، ومعناها : رقص . وكلمة : « سَادَج » ، ومعناها : غَضُّ طَرَى ...

(١) للسبب الذي تقدم في رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة .

فهذه الكلمات ونظائرها ليست أعلاماً في اللغة الفارسية ولكن العرب الأوائل نقلوها إلى لغتهم ، واتخذوها أعلاماً أول الأمر ، ثم غير أعلام بعد ذلك . ومن الأعلام المنقولة حديثاً إلى لغتنا : مُرْقَص - جوزيف - فكتور . . . فكل ما سبق ممنوع من الصرف وجوباً^(١) للعلمية والعجمية .

(ب) وإن لم يتحقق الشرط الثاني بأن كان العلم الأعجمي ثلاثياً فإنه لا يمنع من الصرف (سواء أكان ساكن الوسط ، أم متحرك الوسط . . .) مثل : نُوح^(٢) - ومثل : شَتَر ، (علم على حصن) . وكذلك إن كان رباعياً لاشماله على ياء التصغير ؛ فإنه في حكم الثلاثي ، لا يمنع من الصرف .

ويرى بعض النحاة أن الثلاثي ساكن الوسط يجوز صرفه ومنعه من الصرف ، وأن المتحرك الوسط واجب المنع من الصرف . والأحسن الأخذ بالرأى الأول^(٣) . . .

* * *

(١) في الرأى الأرجح . وإذا كان العلم الأعجمي قد دخل العربية قديماً أو حديثاً وهو ساكن الآخر لزوماً (بسبب وجود حرف علة ساكن في آخره ، أو ضبط الحرف الأخير بالسكون أصالة ؛ مثل : « ابن جينى » ، وابن سيدة . . . بسكون الياء في الأول من غير تشديد ، وسكون الهاء في الثاني . . .) فإنه يعرب - في أقوى الآراء - إعراب الممنوع من الصرف ، ولكن بعلامات مقدرة على آخره في جميع حالاته .

(٢) انظر ما يختص بهذه الكلمة - وأمثالها - في : « ١ » من الصفحة الآتية .

(٣) وفي منع الصرف للعلمية مع العجمة يقول ابن مالك .

وَالْعَجَمِيُّ الْوَضْعُ وَالتَّعْرِيفُ مَعَ زَيْدٍ عَلَى الثَّلَاثِ صَرْفُهُ امْتَنَعَ - ١
(زيد = زيادة . العجمي الوضع والتعريف = أى العجمي في وضعه وتعريفه) ؛ بأن يكون اسماً أعجمياً معرفة - بالعلمية في لغة العجم ، فإن لم يكن معرفة بأن كان في أصله وصفاً شئ - لم يجوز رأى ابن مالك منعه من الصرف . وهو بهذا يسير على الرأى الذى يشترط أن يكون الاسم أعجمياً وعلماً عند الأعاجم .

زيادة وتفصيل :

(١) أسماء الملائكة ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة ، إلا : مالكاً ، ومنكراً ونكيراً ؛ فهذه الثلاثة مصروفة . . . ، وأما « رِضْوَان » فممنوع من الصرف للعلمية والزيادة .

وأسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف إلا محمداً ، وصالحاً ، وشعيباً ، وهوداً ، ولوطاً ، وزوحاً^(١) ، وشيثاً . وسبب المنع : العلمية والعجمة . وأما « موسى » اسم النبي فممنوع من الصرف ؛ لو روده في السماع الأغلب كذلك .

وأما لفظ « موسى » الذي ليس اسماً للنبي ، وإنما هو اسم للأداة التي للحلق فيصبح صرفه ومنعه من الصرف ؛ فيصرف إن كان من أوسيت رأسه إذا حلقته ، فالرأس مُوسَى : كمعطى . ويكون ممنوعاً إن كان فعله : ماسَ عَمِيس ؛ فهو « فَعْلَى » منها . قلبت الياء وأواً لوقوعها بعد ضمة (كما قلبت في : مُوقِن - من أيقن) ومنع الصرف لألف التأنيث المقصورة .

وأما « إبليس » فممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ؛ على اعتباره أعجمي الأصل . وأما على اعتباره عربي الأصل مشتق من الإبلas ؛ وهو الإبعاد ، فممنوع من الصرف أيضاً ، ولكن للعلمية وشبه العجمة ؛ لأن العرب لم تسم به أصلاً ؛ فكأنه من غير لغتها ، بالرغم من أن صيغته لها نظائر أصيلة في العربية ؛ مثل : إكليل ، إقليم . . .

(ب) وضع النحاة علامات غالبة^(٢) ؛ يعرف بها الاسم الأعجمي .

منها : أن يكون وزنه خارجاً عن الأوزان العربية ؛ مثل : إبراهيم ، ولابريسم .

ومنها : أن يكون رباعياً أو خماسياً مع خلوه من حروف الدلالة ، وهي ستة ، جمعها بعضهم في : « مُرُ بنفل » .

(١) انظر ما يخص هذه الكلمة - وأمثالها - في : « ب » من الصفحة السابقة .

(٢) سجلها كثير منهم - كالهمع ، والأشبوح .. - ون المهم التنبيه إلى أنها غالبية ، وليست مطردة .

.....
.....

ومنها : أن يجتمع في الاسم من أنواع الحروف ما لا يجتمع في الكلمة العربية الصميمة ؛ كاجتماع الجيم والقاف بفاصل ، أو بغير فاصل بينهما ؛ مثل : « جُرْمُوق »^(١) ، ومثل : « قَيْح »^(٢) ، و « جِقَّة »^(٣) واجتماع الصاد والجيم في مثل : صَوْبَحَان ، والكاف والجيم في نحو : سَكَّرَجَة ، والراء بعد النون في أول الكلمة ؛ نحو ؛ ذَرَجِيس ، والزاي بعد الدال في آخر الكلمة ؛ مثل : « مهندز » .
ومنها : أن ينص الأئمة الثقات على أن الكلمة أعجمية الأصل .

(ح) إذا فقد الاسم الممنوع من الصرف علميته أو عجمته ، أو هما معاً — وجب تنوينه — كما عرفنا — إن لم يكن هناك داع آخر للمنع . فمثال فاقد العلمية : تكلم إبراهيم واحد في الحفل ، وناب عن غيره ممن يشاركونه في الاسم . ومثال فاقد العجمة : مصطفى — مأمون — أمين . . . ومثال فاقدتهما : إنسان — صبي . . .

(١) جورب من جلد ابن ، رقيق ، يمتد إلى الساق .

(٢) نافقة هزيمة .

(٣) رجل .

٥ - يمنع الاسم من الصرف للعلمية مع وزن الفعل - سواء أكان الفعل ماضياً أم مضارعاً ، أم أمراً - إذا تحققت صورة من ثلاث :

الأولى : أن يكون العلم على وزن خاص : إما بالفعل الماضي وحده - دون مرفوعه^(١) ؛ كالماضى الذى على وزن : « فَعَّلَ » بالتشديد - نحو : صَرَّحَ ؛ - عَلَّمَ - كَلَّمَ ... ، وكالماضى المبني للمجهول فى مثل : حُوكِمَ - عُدِّى - كُتِرَ ... ، وكالماضى المبذوء بهمزة وصل ، أو بتاء زائدة للمطاوعة أو غير المطاوعة ، نحو : انتفع - استفهم - تسابق - تقابل - تعلَّم - تبيَّن ... ، فإذا صارت هذه الأفعال وحدها ، (دون مرفوعها^(١)) أعلاماً منقولة وجب منعها من الصرف للعلمية مع وزن الفعل .
ووجب أن تصير همزة الوصل التى فى أولها همزة قطع ، تظهر فى النطق وفى الكتابة ، - (كما هو الشأن فى كل همزة وصل فى أول اللفظ ، ثم قد صار علماً منقولاً ؛ سواء أكان منقولاً من فعل أم غير فعل ، فإنها تصير للقطع^(٢)) - .

فإذا نقلت الأفعال هى ومرفوعها فلا تمنع من الصرف ؛ لأن العلم صار : « جملة محكية » .

وإما على وزن خاص بالمضارع ، أو بالأمر دون فاعلهما إذا كان الوزن من غير الثلاثي^(٣) ؛ نحو : يدرج - ينطلق - يستخرج . ونحو : دحرج - انطلق -

(١ ١) مرفوعه هو : الفاعل ونائبه .

(٢) تصير همزة الوصل التى فى أول الفعل أو غيره همزة قطع إذا صار الفعل أو غيره علماً منقولاً ، يتساوى فى هذا الأسماء بأنواعها المختلفة - ما عدا لفظ الجلالة : « الله » فله الأحكام الخاصة التى سبقت فى رقم ٢ من هامش ص ٣٦ - وغير الأسماء (كما سبقت الإشارة لهذا فى رقم ٣ من هامش ص ٣٨ ورقم ٣ من هامش ص ١٠٩) وقد نص على هذا الصبان فى آخر باب النداء عند قول ابن مالك :

« وباضطرار خص جمع « يا » و « أل » ... وتضمن بعضه كذلك كلام « التصريح » ، وسجله الخضرى أيضاً فى الموضع نفسه وزاده إيضاحاً وتعليلاً سائفاً يجب الاكتفاء به . وكذلك نص عليه المغنى (فى ٢ - الباب السابع)

لكن الصبان سها ؛ فنقل عن بعضهم شرطاً يخرج بعض الأسماء من هذا الحكم . والصواب أن الحكم عام مطلق . وكان سهو الصبان فى الجزء الثالث من حاشيته ، فى باب « المنوع من الصرف » عند الكلام على بيت ابن مالك :

« كذاك ذو وزن يخص الفعلا . . . » وكذلك فى جزئه الرابع . فى باب : « همزة الوصل » عند الكلام على الماضى المبذوء بها) .

(٣) لأنهما من غير الثلاثى يكونان على وزن يكاد يختص بالفعل ، ولا يوجد فى غيره إلا نادراً .

استخرج . إلا الأمر من الفعل الدال على المفاعلة ؛ فإنه ليس خاصا بالفعل ، ولا غالباً فيه ، نحو : قاوِمٌ - قاتِلٌ - عارضٌ . . . فنظائره من الأسماء كثيرة على هذا الوزن ، نحو : راكب - فاضل - صاحب . . .

ولا يخرجُ الصيغة عن اختصاصها بالفعل أن يكون العرب قد استعمالوها قليلا في غيره ؛ كاستعمالهم صيغة الماضي الذى على وزن : « فَعَلَّ » علَمًا ، نحو : « خَضَمَ » علم رجل تيمى ، و « شَمَّرَ » علم فرس . أو استعمالوها نادراً بصيغة المبني للمجهول ، نحو : « دُئِلَ » علم قبيلة ، أو بصيغة المضارع ؛ نحو : « ينجلب » ، الخرزة ، و « تُبَشَّرَ » لطائر . . . و « تَعَزَّزَ » لمدينة في اليمن . و « يَشْكُرَ » لقبيلة هجاها الشاعر بقوله :

و « يشكر » لا تستطيع الوفاء وتَعَجِّرُ « يشكر » أن تغدرا

وكذلك لا يخرجها عن اختصاصها بالفعل أن يكون لها نظير في لغة الأعاجم (أى : الأجانب ، غير العرب) مثل « رَوَّدَ » ، علم فتاة و « طُسِجَ » علم نبات ، و « بَقَمَ » علم صَبْغ ، و « يُجَقِّبُ » علم رجل رسام . . .

الثانية : أن يكون العلم على وزن مشترك بين الاسم والفعل ، ولكنه أكثر في الفعل : كصيغة « اِفْعَلْ » ، (نحو : اِثْمِدْ^(١) - اجلس) - وكصيغة : « اُفْعَلْ » (نحو : « اُبْلِسْ »^(٢) - اُكْتَبْ) . وكصيغة : « اِفْعَلْ » (نحو : اِصْبَحْ - اِسْمَعْ) فإذا سمى بعلم منقول من هذه الصيغ وجب منعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، لأن وزنه هو الأغاب استعمالا ، والأكثر بين هذه الأوزان .

الثالثة : أن يكون العلم على وزن مشترك بين الاسم والفعل . شائع فيهما معاً ، ولكنه أنسب وأليق بالفعل ؛ لاشتماله على زيادة تدل على معنى في الفعل ، ولا تدل على معنى في الاسم ، نحو : اِفْكَلْ^(٣) ، وأَكْلُبْ ، وَتَسْفُلْ^(٤) ، فإنها على وزن : اِفْهَمْ ، وأَكْتَبْ ، وَتَسْنُرُ . . . لكن الهمزة والتاء في الأسماء الثلاثة لا تدل على معنى ، في حين أن الهمزة في « اِفْهَمْ وأَكْتَبْ » تدل

(٢) نوع من البقل .

(١) كَيْحَل .

(٤) ثعلب .

(٣) هى الرعدة والرعدة .

على المتكلم ، والتاء في « تنصر » تدل على المخاطب أو على المؤنثة الغائبة .
فالفعل المبدوء بالزيادة التي لها معنى أقوى من الاسم المبدوء بها ، من غير أن
تدل على معنى فيه . فإذا جاء العَلَم على الوزن المشترك بينهما كان أقرب إلى
الفعل ، فيمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل (١) . . .

ويفهم مما تقدم أن العلم إذا كان على وزن مشترك بين الأسماء والأفعال على
السواء من غير ترجيح للاحية الفعل — لا يجوز منعه من الصرف ، كشَجَرٍ ؛ فإنه
يوازن : ضَرْبٌ ؛ وكجَعْفَرٍ ؛ فإنه يوازن : دَحْرَجٍ .

ويرى بعض بعض النحاة أن مثل هذا العلم يمنع من الصرف ما دام منقولاً
من فعل : نحو : صَابِرٌ ؛ منقولاً من فعل أمر ، و « ظَفِيرٌ » منقولاً من
الماضي . وقد يكون إهمال هذا الرأي أحسن (٢) . . .

* * *

(١) ملاحظة : قال ابن قتيبة في كتابه « أدب الكاتب » ، باب : « ما لا ينصرف » — ما نصه :
« كل اسم في أوله زيادة ؛ نحو : يزيد ، ويشكر ، ويعصُر ، وتَغْلِب ، وإصْبَح ، وأَيْلُم ، وَيَرْمَع ،
وإثْمِد ، ... ، كل هذا لا ينصرف في المعرفة ، وينصرف في النكرة . هذا إذا كان الاسم بالزيادة
مضارعاً للفعل . فإن لم يكن مضارعاً للفعل صرفته ؛ نحو : يَرْبُوع ، وأُسلُوب ، وإصْلِيَتْ ، ويعصوب .. » اهـ
(٢) وفي منع الاسم من الصرف للعلمية ووزن الفعل يقول ابن مالك مقتصرأ على النوعين الأولين
من وزن الفعل .

كَذَاكَ ذُو وَزْنٍ يَخْصُصُ الْفِعْلًا أَوْ غَالِبٌ ، كَأَحْمَدٍ وَيَعْلَى - ٢٠
أى : كذلك يمنع الاسم من الصرف إن كان علماً على وزن يختص بالفعل ، أو يغلب في الفعل
فالختص بالفعل ؛ نحو : « يَسْعَى » ، علماً . والغالب ، نحو : « أحمد » ؛ وهو علم منقول من المضارع
وقد يكون منقولاً من أفعل التفضيل الذي فعله : « حَمِيدٌ » فيكون منقولاً من وصف لا من فعل مضارع .
وقد يدخله تنوين التكرير — أحياناً — إذا لم يدل على معين

(انظر . ج من ص ٢٣٥ ، ورقم ٣ من هامش ص ٢٥١) .

زيادة وتفصيل :

(١) لا يُمنع العلم من الصرف إذا كان على وزن الفعل إلا بشرط أن يكون هذا العلم ملازمًا - في الأغلب - صيغة ثابتة في كل أحواله لا تتغير ، وأن تكون صيغة الفعل أصلية لم يدخلها تغيير ، وألا يخالف العلم الطريقة السائدة في الفعل . فكلمة : « امرئ » - مثلاً - يجوز في «رائها» أن تكون مضمومة ، أو مفتوحة ، أو مكسورة ؛ تبعاً للهمزة ومسايرة لها ، فإذا كانت الهمزة مضمومة جاز أن تتبعها الراء ، وإذا كانت مفتوحة أو مكسورة جاز أن تتبعها الراء في الحالتين كذلك ؛ تقول : جاء امرؤ نابه - كرمت امرأاً نابهاً - أثبت على امرئ نابه ، فإذا كانت الراء مضمومة فالكلمة على وزن الفعل : «أنصر» ، وإذا كانت مفتوحة فهي على وزن الفعل : «استمع» . وإذا كانت مكسورة فهي على وزن الفعل : «اجلس» فهذه الموازنة في الصور الثلاث لا يُعتمد بها في منع الصرف . فإذا صارت كلمة : « امرئ » علمًا ، لم تمنع من الصرف ؛ لأنها لا تثبت على حال واحدة في استعمالاتها المختلفة ، ولا تلازم وزنًا ؛ فنقتصر معه على وزن فعل واحد .

وكذلك الاسم : « قُفْل » فإنه على وزن الفعل الماضي المبني للمجهول : «رُد» . والاسم « ديك » على وزن الفعل الماضي المبني للمجهول : « قيل » و « بيع » وبالرغم من هذا فإن الاسمين : « قفل وديك » - وما يشبههما - لا يمنعان من الصرف - إذا صارا علمين - ؛ لأن وزن الفعل هنا ليس أصلياً خالياً من تغيير سابق ؛ إذ الفعل : «رُد» أصله رُدَدَ ، - بضم فكسر ، وأدغمت الدالان ؛ فصار ؛ «رُد» فهذه الصيغة جاءت متأخرة عن صيغة أصلية سابقة لا توازنها كلمة : قُفْل .

وصيغة الفعل « قيل » المبنية للمجهول : ليست أصلية ، في هذا الوزن ؛ وإنما أصلها : « قول » نقلت حركة الواو للقف بعد حذف الضمة ^(١) ، ثم قلبت الواو

(١) وذلك يمكن قلب الواو ياء . والوصول إلى بناء الماضي المعتل العين - للمجهول ، (طبقاً لقاعدة البناء للمجهول - وقد سبق في ج ٢ ص ٨٦ م ٦٧ - وهي تبيح أن تكون فاء هذا المعتل إما خالصة الكسر وإما خالصة النون . . . إلخ) .

باء ، لوقوعها بعد الكسرة المنقولة للقاف ، فصارت الكلمة : « قِيلَ » بصيغة طارئة ؛ بسبب نقل حركة الواو ، وقلب هذه الواو ياء .

وكذلك صيغة الفعل : « بَيْعَ » ليست أصيلة ؛ لأن أصلها : « بُيِعَ » ، نقلت حركة الياء إلى ما قبلها^(١) بعد حذف الضمة ؛ فصارت : « بَيْعَ » ، بصيغة جديدة ، نشأت من نقل الحركة وحذف الأخرى .

فصيغة الفعلين - وأشباههما - عند بنائهما للمجهول ليست هي الصيغة الأصلية ، وإنما هي صيغة مستحدثة ؛ لا يعتد بها في منع العلم من الصرف ، فلو صارت كلمة : « قفل » أو : « ديك » علماً لم يجوز منعها من الصرف للعلمية مع وزن الفعل ، لأن شرط وزن الفعل لم يتحقق . . .

أما مخالفة العلم للطريقة السائدة في الفعل فتظهر في كلمة مثل : « أَلْبَسَ »^(٢) فإنها على وزن المضارع : أنصُرْ ، أو : أكتبْ . فإذا صارت علماً فإنها لا تمنع من الصرف للعلمية مع وزن الفعل ، لأن المضارع المماثل لها يغلب على عينه ولامه الإدغام إذا كانا من نوع واحد ، مثل : « أعدَّ وأصدَّ » ؛ فأصلهما : أعدُّدْ ، وأصدُّدْ ، ثم وقع الإدغام . فإذا صار « أَلْبَسَ » وما شابهه علماً لم يصح منعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ؛ بسبب مخالفته الفعل في الإدغام . وهذا رأى فريق من النحاة .

ويزى سيبويه منعه من الصرف ؛ لأن الفك (عدم الإدغام) قد يدخل الفعل لزوماً كما في التعجب مثل ؛ أشدَّ بفلان ، وجوازاً في مثل : اردُّدْ ، ولم يردُّدْ ، وفي بعض ألفاظ مسموعة . . . والأفضل الاقتصار على رأى سيبويه لأنه أنسب وأيسر .

(ب) إذا كان الاسم ممنوعاً من الصرف للعلمية مع وزن الفعل وزالاً معاً أو أحدهما وجب تنوينه إن لم يوجد مانع آخر ؛ فمثال ما فقد العلمية ؛ لقد أثبت على أحمد^(٣) واحد من حملة هذا الاسم فاز بالسبق (بتنوين كلمة :

(١) عملاً بالحكم الذي في الهامش السالف . (٢) جمع : لُبَّ ، بمعنى : عقل .

(٣) كان حقه إذا زالت علميته أن يعود إلى وصفيته الأولى ؛ كما عرفنا في : « أحمر » وأمثاله إلا أن « أحمد » أوّل في العلمية وأقوى ؛ حتى نسيت وصفيته أو كادت . - (انظر رقم ١ من هامش ص ٢٣١ ومن ص ٢٤٩ -) .

.....

أحمد) . ومثال ما فقد وزن الفعل: على... ، ومثال ما فقدتهما معاً: شجاع - نبات .
 وقد تزول العلمية ويبقى الاسم ممنوعاً من الصرف . وهذا حين يكون العلم
 في أصله وصفاً قبل العلمية ، كأحمر ، وأشرف ؛ علمين ، فإنهما يمتنعان من
 الصرف للعلمية ووزن الفعل ، بعد أن اختلفت الوصفية وحلّت محلها العلمية . فإن
 زالت العلمية لم ينصرفا أيضاً ؛ لأن الوصفية ستعود ؛ فيمتنعان للوصفية مع وزن
 الفعل .

(ح) من المفيد الرجوع إلى « الملاحظة » المدونة بهامش ص ٢١١ لاستبانة
 الصلة بينها وبين موضوع العلمية ووزن الفعل .

* * *

٦ - ويمنع الاسم من الصرف للعلمية مع ألف الإلحاق المقصورة :

بيان هذا : أن العرب كانوا يُلحقون بآخر بعض الأسماء ألفاً زائدة ، لازمة ، مقصورة أو ممدودة ، فيصير الاسم على وزن اسم آخر^(١) ، ويخضع لبعض الأحكام اللغوية التي يخضع لها ذلك الاسم الآخر - ومنها : الصرف ، وعدمه - وتسمى هذه الألف : « ألف الإلحاق » ومن أمثلتها : « عِلْمَتِي » ، علم لبنت ، و « أُرْطَى »^(٢) ، علم لشجر ، وهما ملحقان بجعفر . وصحّ منعهما^(٣) من الصرف للعلمية وألف الإلحاق المقصورة ؛ لأن ألف الإلحاق المقصورة في الكلمتين زائدة لازمة ، وزيادتها اللازمة في آخرهما جعلتهما على وزن « فَعَلَتِي » المختومة بألف التأنيث المقصورة اللازمة التي يمتنع صرف الاسم بسبب وجودها - فلما أشبهت ألف الإلحاق المقصورة في زيادتها ولزومها ألف التأنيث المقصورة ، وجعلت وزن الاسم جارياً على الوزن الخاص بهذه - امتنع صرفه معها كما يمتنع مع ألف التأنيث^(٣) ؛

(١) قال السيوطي (في هم الهوامع ج ١ ص ٣٢ ، الباب الثاني ، مالا ينصرف -) ما نصه : « الإلحاق أن تبني - مثلاً - من ذوات الثلاثة كلمة على بناء يكون رباعي الأصول ؛ فتجعل كل حرف مقابل حرف . فتفتي (أى : تنتهي) أصول الثلاث ؛ فتأق بحرف زائد مقابل للحرف الرابع من الرباعي الأصول ، فيسمى ذلك الحرف - الذي زاد - حرف الإلحاق » اهـ .

وعلى هذا الكلام مأخذ متعددة . يغنينا عن عرضها وتأييدها أن ألف الإلحاق تكاد تنحصر في كلمات مسموعة قليلة ممدودة ، وليس لها أحكام هامة ، وأن الإلحاق (في الرأى الأصح ، طبقاً للتفصيل الشامل الذي جاء في الجمع ، ج ٢ ص ٢١٧ - باب التصريف -) خاص بالعرب أنفسهم ، وقد انتهى بانتهاء عصور الاحتجاج بكلامهم ، وقد حدها المجمع اللغوي القاهري بآخر القرن الثاني الهجري في المدن ، وآخر الرابع في البوادي . (٢٠٢) في الرأى الشائع . وقيل إن ألف « أُرطى » أصلية ؛ فالكلمة منونة دائماً .

(٣) هذا تعليل كثير من النحاة ، وهو تعليل مرفوض ؛ لأن العلة الحقيقية هي استعمال العرب ليس غير . وبمثل هذا يحكم على ما يقولونه في تعليل صرف الاسم المختوم بألف الإلحاق الممدودة ، وأنها لا تشبه ألف التأنيث الممدودة في منع الصرف . والعلة - عندهم - أن همزة ألف التأنيث الممدودة كانت ألفاً في الأصل ، ثم انقلبت همزة حين وقعت بعد ألف زائدة للمد - كما سبق عند الكلام عليها في ص ٢٠٥ و ٢٠٧ - أما ألف الإلحاق الممدودة ، كـ « طِبَاء » (اسم لقصة العنق) - وهي مزيدة للإلحاق بكلمة : « قِرطاس » ، وليست على أوزان الممدودة - فنقلبة عن « ياء » فليس بين الهمزتين تشابه أصلهما . . . هكذا يعللون . والصواب ما عرضناه .

وفي منع الصرف للعلمية وألف الإلحاق يقول ابن مالك :

وما يصيرُ علماً مِنْ ذِي أَلِفٍ زِيدَتْ لِإِلْحَاقِ فَلَيْسَ يَنْصَرِفُ - ٢١

إلا أن ألف التأنيث أصيلة في المنع ؛ فيكفي وجودها وحدها للمنع ، دون أن ينضم إليها سبب آخر . أما ألف الإلحاق فلا بد أن ينضم لها العلامية تقول : هذا عَمَلْتَنِي يتكلم - عرفت عَمَلْتَنِي يحسن الخطابة ، استمعت إلى عَمَلْتَنِي ، فهو ممنوع من الصرف للعلامية وألف الإلحاق المقصورة .

ومن أمثلة المقصورة : رجل عَزَّهَى (أى : لا يلهو) : ووزنها « فِعْلَى » ولا تكون الكلمة المختومة بألف الإلحاق المقصورة على وزن « فُعْلَى » ، بضم الفاء . أما ألف الإلحاق الممدودة - مثل : عِلْبَاء - فلا تمنع من الصرف ^(١) . . .

* * *

.....

زيادة وتفصيل :

(أ) إذا فقد هذا الاسم المنوع من الصرف علميته أو ألف الإلحاق أو هما معاً ، دخله التنوين ، إلا إذا منع مانع آخر ؛ فمثال فأقد العلمية : رأيت أرطى كثيراً ، ثمرة كالعُنباب يُغذّى الإبل (بتنوين « أرطى » للتنكير) .
 أما استعماله بغير ألف الإلحاق فليس معروفاً .

(ب) لا تكون ألف الإلحاق المقصورة ^(١) - إلا في وزن خاص بألف التأنيث المقصورة . وكلاهما حرف زائد ، لازم ، غير مبدل من شيء آخر . ويجوز في الاسم المختوم بألف الإلحاق أن تلحقه تاء التأنيث مع التنوين ، بشرط أن يكون غير علم ، مثل : هذه أرطاة ، أو علقاة ... ولكن هذه التاء لا تلحق الاسم المختوم بألف التأنيث ^(٢) ؛ ولهذا لم تجعل الألف في « أرطى » وعلقى - وأشباههما - ^(٣) للتأنيث .

أما كلمة : « تَسْرَى » وبعض أسماء أخرى فقد سمعت منونة وغير منونة على اعتبار الألف للتأنيث فتمنع من الصرف ، أو للإلحاق فلا تمنع .

(١) دون المدودة .

(٢) لكيلا يجمع في الاسم علامتان للتأنيث .

(٣) انظر رقم ٢ من هامش ص ٢٥٣ .

٧- ويمنع الاسم من الصرف للعلمية مع العَدَل^(١) . ويتحقق هذا في عدة صور ، أهمها خمس :

الأولى : ما كان من ألفاظ التوكيد المعنوي جمعاً على وزن : « فُعَل^(٢) » ؛ وهو : (جُمِعَ - كُتِّعَ^(٣) - بُصِّعَ^(٤) - بُسِّعَ^(٥)) ؛ مثل : احتفيت بالنابغات كلَّهن جمع - كُتِّعَ - بُصِّعَ - بُسِّعَ - فكل جمع من هذه الأربعة التي على وزن : « فُعَل^(٦) » توكيداً لكلمة : « النابغات » ، مجرور بالفتحة بدل الكسرة ؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية مع وزن : « فُعَل^(٦) » ، المجموع ، سماعاً^(٧) .

(١) في رقم ١ من هامش ص ٢٢٢ تعريفه وتقسيمه .

(٢) سبق الكلام عليها في باب التوكيد (ج ٣ ص ٤١٧ م ١١٦) . وما ذكر هناك يتبين أنها أعلام جنسية ، يصح جمعها جمع مذكر سالماً . وليس بين الأعلام الجنسية ما يجمع هذا الجمع سواها (طبقاً للبيان المذكور هناك) .

(٣) من كُتِّعَ الجلد ، بمعنى : تجمه .

(٤) من بُصِّعَ العرق ، بمعنى : تجمه .

(٥) من البُسِّعَ ، وهو : طول العنق مع قوة تماسك أجزائه .

(٦) أما العلمية فلما سبق (في الجزء الثالث ص ٣٨٤ م ١١٦) من أن هذه الألفاظ معارف بالعلمية ؛ إذ كل واحد منها علم جنس يدل على الإحاطة والشمول... وأما التعبير بوزن : « فُعَل^(٦) » السماعي فتعبير أصح وأدق وأقرب للحقيقة من التعبير « بالعدل » الذي ارتضاه كثير من النحاة ، وحاولوا جاهدين تأييده ، والدفاع عنه أمام المارضين . فلم ينجحوا في دفاعهم . يقولون :

إن هذه الصيغ الأربع التي على وزن « فُعَل^(٦) » جموع تكسير ، مفرداتها : جَسَمَاء - كَتَمَاء - بَصَمَاء - بَسَمَاء . فالمفرد على وزن : « فَعْلَاء » والمفرد إذا كان اسماً على وزن « فَعْلَاء » يكون القياس في جمعه : « فعلاوات » لا « فُعَل^(٦) » . وأيضاً فإن تلك المفردات هي المؤنث للألفاظ المذكرة : أجمع - أكتع - أبصع - أبسع . وهذه المفردات المذكرة تجمع جمع مذكر سالماً . فحق مؤنثاتها أن تجمع جمع مؤنث سالماً لا جمع تكسير ؛ لتساير نظائرها المذكرة في الجمع المناسب لكل منهما . ثم يقولون : (وهذا قول البصريين الذين يمتنعون جمع « فعلاء » جمع مؤنث سالماً) - إن العرب لم تفعل هذا ولكنها تركت الجمع المناسب لتلك الألفاظ إلى جمع آخر لا يناسبها ، ومنعت الجمع غير المناسب من الصرف . . . ؛ فكان هذا الترك وهذا المنع دليلين على عدوها . وكلام غير هذا كثير ، والاعتراض عليه أكثر وأقوى .

فلو صح أن العرب عدلت عن جمع إلى آخر ، فما حكمة عدوها ؟ وما حكمة منع الصرف للدلالة على جمع أهملته وعدلت عنه ؟ وهل يعرف العرب الأوائل القياس وغيره بخالف للقياس ؟ ولم لا يكون القياس هو ما فعلته العرب في هذه الألفاظ ؟ وهل يفكر العربي ويظيل التفكير المنطقي على هذا الوجه قبل أن ينطق بالكلمة وجمعهما ؟ كل هذا غير معقول ولا واقعي . وقد أشرنا إليه كثيراً في ثنايا الأجزاء المختلفة ، =

وهو الوزن الذى يقول النحاة فى سبب منعه من الصرف إنه : « العلمية مع العدل » .

الثانية : ما كان على وزن « فَعْلَل » أيضاً ، ولكنه علم لمفرد ، مذكر .
 ممنوع من الصرف ، سماعاً^(١) فإن لم يحرب السماع فى : « فَعْلَل » فالأحسن صرفه . وأشهر المسموع من الأعلام : (عُمَرُ - مَضَر - زُفَر - زُحَل - جُمَح - قَزَح - عَصَم - دُلُف - هُدَل - ثُعَل - جُشَم - قَشَم .)
 وأما أدَد (جدّ قبيلة عربية) فلم يسمع فيه إلا الصرف^(٢) . وأما : « طَوَى » - اسم واد بالشام - فيجوز منعه من الصرف للعلمية والتأنيث ؛ بإرادة أنه علم على بقعة معينة ، ويجوز صرفه على إرادة أنه علم على مكان . وقد ورد السماع بصرفه وعدم صرفه .

ويجب الصرف إن كان « فَعْلَل » جمعاً ، فى غير ألفاظ التوكيد المعنوى السالفة ؛ كخُرِف ، وقُرِب . أو اسم جنس كصُرَد^(٣) ، ونُغَر^(٤) ، أو صفة كحُطَم^(٥) ولُبَسَد^(٦) ، أو مصدراً ؛ كهُدَى ، وتُقَسَّى . . .

فوزن « فَعْلَل » هذا قد يجب منعه من الصرف إذا كان مفرداً ، مذكراً ، مسموعاً بالمنع . وقد يجب صرفه إذا كان جمعاً ، أو اسم جنس ، أو وصفاً ، أو مصدراً ، - بشرط ألا يكون ذلك الجمع من ألفاظ التوكيد المعنوى - كما

= وأوضحنا وجوه الخطأ فيه ، وأن بعض النحاة حين يريدون أن تكون القاعدة مطردة يتكلفون ويتجاوزون المقبول . ولما كان مرد الأمر كله لنطق العربى الفصيح كانت العلة الحقيقية هى السماع عنه ، ومثل هذا يقال فى كل ما كان العدل علة من علل منع صرفه .

(١) إذ ليس مع العلمية سبب آخر لمنع الصرف ؛ فلجأ النحاة إلى ما يسمونه : « العدل » ، قالوا إن ذلك العلم ممنوع من الصرف لأنه معدول عن كلمة أخرى على وزن : « فاعل » (عامر - ماضر - زافر . . .) وأن العرب أرادوا أن يدلوا على هذا العدول ويرشدوا إليه ، فعنوا العلم السالف من الصرف ؛ ليكون هذا المنع دليلاً ومرشداً للعدل . وكل هذا مرفوض ؛ (لما ذكرناه فى رقم ٦ من هامش الصفحة السابقة ، وردناه فى أمكنة أخرى .) وقد آن الوقت لإهماله . . .

(٢) كما سبق فى « ب » رقم ١ من هامش ص ٢٢٢ .

(٣) نوع من الغريبان .

(٤) نوع من البلابل .

(٥) من معانيه : الراعى الذى يظلم الماشية فيشتم بعضها ببعض .

(٦) من معانيه : المقيم بمنزله ، لا يبرحه ، ولا يسمى واه معاشه .

سلف - وقد يجوز فيه الأمران والأحسن الصرف إذا كان السماع مجهولاً . فله ثلاث حالات .

الثالثة : لفظ « سَحَرَ » (وهو : الثلث الأخير من الليل) بشرط استعماله ظرف زمان ، وأن يزداد به سحر يوم معين ، مع تجريده من « أل » بالإضافة ، نحو : غردت الابل يوم الخميس سَحَرَ . فكلمة : « سَحَرَ » ظرف منصوب على الظرفية ، ممنوع من التنوين العلمية والعدل ^(١) ، سماعاً في هذه الكلمة المنصوبة . وهذا هو التعليل الصحيح . . . أمّا أكثر النحاة فيقول : إنه ظرف ممنوع من الصرف العلمية والعدل ويقتصرون على هذا ^(٢) .

فإن لم يكن لفظ « سَحَرَ » ظرف زمان ، - بأن كان اسماً محضاً ، معناه الوقت المعين دون دلالة على ظرفية شيء وقع فيه - وجب تعريفه « بأل » ، أو « بالإضافة » إذا أريد منه أن يدل على التعيين ، ولا تصح العلمية ، تقول : السَحَرَ أنسب الأوقات للتفكير الهادئ ، وصفاء الذهن . وعجيب أن يغفل الناس عن سحرهم وأن يقتضوا سحرهم ثأمين . . .

وإن كان ظرفاً لكنه غير معين (بأن كان ظرفاً مبهمًا ، لا يدل على سحر يوم معين ، خاص -) وجب صرفه ، نحو : يحرص الزراع على الحصاد في

(١) سبق الكلام في ص ٢٢٢ ، وهما شبهتا على العدل وأقسامه وفائدته ، وسحر ، وآخر ... وفي الممنوع من الصرف العلمية والعدل يقول ابن مالك :

وَالْعَلَمَ امْنَعْ صَرْفَهُ إِنْ عُدِلًا كَفَعَلَ التَّوَكُّيدِ ، أَوْ : كَتَعَلًا
امنع صرف العلم إن كان معدولاً عن كلمة أخرى . وبمثل العلم المعدول بمثابة أولها : « فَعَلَ »
التي للتوكيد ، (أي : يمنع التوكيد التي هي جماع على وزن : « فَعَلَ ») وثانيهما : « تَمَكَّلَ » علم رجل .
(والالف التي في آخر : « تَمَكَّلَ » نائدة للثغر) .

(٢) دون أن يؤيدوا ما ذكرناه : « السماع » ، أو نحوها من كل ما يفيد أن سبب المنع هو السماع المحض الوارد بترك التنوين والمعدل عنه ، ونراهم يتعمقون ويتلمسون لإثبات العدل أسباباً واهية لكيلا يقال : إن سببه في هذه الكلمة هو السماع . فهو عندهم - علم على الوقت المعين الخاص ، وهو معدول عن « السحر » المقروءة بأل التي للتعريف ، لأنه لما أريد به معين كان الأصل فيه أن يكون مرفعاً « بأل » ، فعدل العرب من النطق « بأل » ، وصغروا تعريفه بغير ذكرها . . . إلى غير هذا من آراء وأقوال أخرى في سبب منعه ، واعتراضاته كثيرة على كل منها . وما أغناها عنها شيئاً لو جعلنا السبب هو : السماع .

سَحَرٌ - سأبدأ رحلتى القادمة بسحرٍ . فالمراد فى المثالين : سحر غير معين من الأسحار المتعدد . . .

وإن كانَ ظرفاً معيناً لكنه غير مجرد من « أل » و « الإضافة » وجب صرفه كذلك ؛ نحو : سأسافر يوم الخميس من السَّحَرِ إلى العصر ، وأعود يوم السبت فى سَحَرِهِ (١) .

« ملاحظة » : بمناسبة الكلام على : « سَحَر » ، ومنعه من الصرف وعدم منعه - يعرض النحاة للكلام على : « رجب وصفر » . وهما من أسماء الشهور العربية . فإن أريد بهما معين فهما غير منصرفين ، وإلا فهما منصرفان . ووجه ذلك - عندهم - أن المعين معدول عن « الرجب » ، و « الصفر » كما قالوا فى « سَحَرٌ » إنه معدول عن « السحر » إذا أريد به سحر بعينه ؛ ففيهما العلمية والعدل . ويمكن أن يكون المانع فيهما هو العلمية والتأنيث ، باعتبار أن المراد : المدة (٢) .

الرابعة : ما كان علماً لمؤنث ، على وزن : « فَعَمَّالٍ » مثل : رَقَّاشٍ - حَذَامٍ - قَطَّامٍ - . . . أعلام نساء ؛ فللعرب فيه طريقتان :

إحداهما : أن بعضهم - كقبيلة تميم - يَمْنَعُهُ من الصرف بشرط ألا يكون مخنوماً بالراء . ويقول النحاة : إن سبب المنع هو العلمية والعدل ، لأن الأصل : راقشة - حاذمة - قاطمة . . . فعُدِّلَ عن هذا الأصل إلى وزن : « فَعَمَّالٍ » ؛ مع منعه من الصرف ؛ ليكون المنع دليلاً على العدل . وفى هذا التعليل ما فى غيره مما سبق . وقيل إن سبب المنع ، هو : العلمية والتأنيث المعنوى ؛ كالأشأن فى

(١) وفى « سحر » يقول ابن مالك :

والعدلُ وللتعريفُ مانِعاً سَحَرٌ إذا به التَّعْيِينُ قَصْداً يُعْتَبَرُ

أى : أن العدل والتعريف بالعلمية يمنعان - معاً - « سَحَرٌ » من الصرف ، بشرط أن يكون لفظ « سحر » مقصوداً به تعيين سَحَرٍ معين . وقد ترك بقية الشروط التى سردناها .

(٢) راجع حاشية ياسين على التصريح ، ج ٢ باب التوكيد ، عند الكلام على توكيد النكرة . (وقد نقلنا كلامه فى ج ٣ باب الإضافة ، م ٩٣ ص ٣٨ فى بحث الإضافة البيانية ، مثل : شهر رجب) هذا ، وكلام الخضرى وغيره - فى آخر باب الممنوع من الصرف ، عند الكلام على العلمية والعدل فى سحر - ينتهى إلى ما قرره ياسين فى حاشيته .

زينب ، وسعاد . . . وهذا التعليل أصح ؛ نحو : رَقَاشُ شاعرة جاهلية - ضُرب
المثل بحذام في سَدَادِ الرَّأْيِ .

فإن كانت صيغة : « فَعْعَال » محتومة بالراء مثل : « وَبَارِ » عَلَسَمَ قَبِيلَةُ
عربية ، و « ظَفَفَارِ » علم بِلْدِ يَمَنِي ، و « سَفَفَارِ » علم بئر معينة - فأكثر
التمييز بينه على الكسر في كل الحالات ، نحو : « وَبَارِ » قبيلة عربية على
حدود اليمن - أفنى الزمان « وَبَارِ » القديمة - لم يبق من « وَبَارِ » القديمة إلا
الأطلال . فكلمة : « وَبَارِ » في الأمثلة السالفة مبنية على الكسر في محل رفع ،
أو نصب ، أو جر ، على حسب الجملة . ومثلها : « ظَفَفَارِ » ، « سَفَفَارِ » ،
ونظائرهما - .

والأخرى : أن الحجازيين يبنون ذلك كله على الكسر ، سواء أكان « فَعْعَالِ »
علماً مؤنثاً محتوماً بالراء أم غير محتوم^(١) . . .

فتبين أن المنع من الصرف للعلمية والعدل في وزن « فَعْعَالِ » المؤنث مقصور

(١) وزن « فَعْعَالِ » قد يكون معدولاً ، وقد يكون غير معدول .

« أ » فالمعدول - كما يؤخذ من هذا الباب وما سبقه في أبواب أخرى - خمسة أنواع ، علم مؤنث ،
كحَدِّ أَمْرٍ . واسم فعل أمر ؛ كَنَزَّ أَلٍ . ومصدراً كحَسَادِ المعدول عن : المَحْمُودَةِ (بكسر الميم الثانية وفتحها) وحال
مثل كلمة : « بَدَّ أَدِ » في قولهم : الخيل تعدو في الصعيد « بَدَّ أَدِ » ، وصفة ، إما مسموعة جارية مجرى الأعلام
من فاحية إحلالها محل الاسم ، واستعمالها غير تابعة لموصوف ؛ نحو : « حَلَّاقِ » للنية ، وهو معدول عن
« حَالِقَةِ » وإما صفة ملازمة للنداء في ذم الأنثى ، نحو : يَا لَكَاعٍ - يَا فَسَّاقِ - يَا غَبَّابِ . وهو معدول عن
المشتق ؛ تريد : يا لأكمة - يا فاسقة - يا غبيشة . (بالإيضاح الذي سبق . عنها في رقم ٧ ص ٧٢) . فهذه خمسة
أنواع كلها مبنية على الكسر ، معدولة عن مؤنث . فإن صارت علماً لمذكر جاز إعرابها مع منها من
الصرف - وهذا هو الأغلب - وجاز إعرابها مع تنوينها ، ولا يصح البناء في الحالتين . وإن صارت علماً
للمؤنث جرى عليه ما سبق تفصيله عند التمييز والحجازيين .

« ب » - وغير المعدول يكون اسماً ؛ كجَنَاح ، ومصدراً ؛ كذَّهَاب ، ووصفاً (أى : مشتقاً)
نحو : جواد ، أى : كريم ، وجنساً نحو : صحاب . فهذه أربعة أنواع لو صارت إحداها علماً لمذكر
وجب إعرابه وتنوينه ، إلا إن كان « فَعْعَالِ » في أصله مؤنثاً ، كمنشَقِ ؛ للأنثى من أولاد المعز ، فإن جعل
عناق المؤنث - وأشباهه - علماً منع صرفه للعلمية والتأنيث .

هذا ، وفي اللغة ألفاظ تزيد على المائة - كما قالوا - بناها العرب على الكسر ؛ لسبب من الأسباب
السالفة في : « أ » وقد جمع أكثرها « رضى الدين الصفاني » (المتوفى سنة ٦٥٠ هـ) في كتاب عنوانه :
(ما ينته العرب على : « فَعْعَالِ ») ونشرت أكثرها بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

على بعض تميم بشرط ألا يكون العلم مختوماً بالراء^(١) . . .

الخامسة : أمس . وأشهر لغات العرب فيه لغتان :

إحدهما : منعه من الصرف ، رفعاً ، ونصباً ، وجراً . وهذه لغة بعض التميميين ، بشرط : (أن يكون علماً مراداً به اليوم الذي قبل يومك مباشرة^(٢) . . . ، وأن يكون خالياً من « أل » والإضافة ، وأن يكون غير مصغر ، وغير مجموع جمع تكسير ، وغير ظرف) ؛ فيقولون انقضى أمس^٣ على خير حال - وقضيت أمس^٤ في إنجاز عملي - وقد استرحت مذ^٥ أمس^٦ . فكلمة أمس مرفوعة بالضممة بغير تنوين ، ومنصوبة ومجرورة بالفتحة من غير تنوين فيهما . ويقول النحاة في تعليل منعه من الصرف : لأنه العلمية والعدل ؛ لأنه علم على الوقت المعين من غير أن يكون فيه علامة تدل على التعيين ؛ فهو لهذا معدول عن الأمس المعروف بآل ، فصار معرفة بغيرها^(٣) .

أما أكثر التميميين فيمنعه من التنوين في حالة الرفع وحدها ، ويبنيه على الكسر في حالتي النصب والجر ؛ فلا يدخله في باب الممنوع من الصرف ؛ فيقول في الأمثلة السالفة : انقضى أمس^٧ . . . - قضيت أمس^٨ . . . - وقد استرحت مذ^٩ أمس^{١٠} . . . - والأخرى ؛ بناؤه على الكسر في جميع استعمالاته إذا^(٤) استوفى الشروط السالفة . وهذه لغة الحجازيين لا يدخلونه في باب الممنوع من الصرف ؛ فيقولون

(١) وفيما سبق يقول ابن مالك في بيت واحد وكلمتين من أول البيت الذي يليه :

رَبِّهِ عَلَى الْكَسْرِ : « فَعَالٍ » عَلَمًا مُؤَنَّثًا . وَهُوَ نَظِيرُ جُشَمًا - ٢٤

عند تميم ٢٥

يقول : ابن على الكسر العلم المؤنث الذي لعل وزان : « فعال » في كل أحواله عند غير تميم ، أما عند تميم فهو نظير : « جشم » في أنه علم ممنوع من الصرف للعلمية والعدل . وقمة البيت الأخير تخص بحكم مستقل منذ ذكر معه في ص ٢٦٥ وهامشها .

(٢) وقال الخفصري (ج ١ باب : « المغرب والمبني » عند الكلام على علامات البناء) ما نصه :

(٣) ويراد به معين ؛ وهو الذي يليه يومك خاصة ، أو اليوم الممهود وإن بعد . . . » ا هـ .

(٣) وهذا التعليل مرفوض كمنظاره السالفة ؛ لما أوضحناه من قبل . - في رقم ٦ من هامش ص ٢٥٦ .

(٤) ويقول النحاة في سبب بنائه هو تضمنه معنى الحرف « في » (وقد تكلمنا على هذا التضمين

تفصيلاً في الجزء الأول ص ٥٥ م ٦ في موضوع الإعراب والبناء وسببها) .

مضى أمس بأحدائه ؛ فتهيأ للغد — عرفت أمس بوقائعه ، فإذا يكون اليوم —
لم أهتم بأمس . . . ، فكلمة : « أمس » مبنية على الكسر في محل رفع أو نصب
أو جرٍّ على حسب حالة الجملة .

فإن أريد بكلمة : « أمس » يومًا مبهما (أى : يومًا ماضيًا غير معين ، بأن
أريد به أمس من الأموس من غير تخصيص) كان معربًا منصرفًا عند التميميين
والحجازيين . وكذلك إن كان مضافًا ، نحو : انقضى أمس من الأموس الطيبة —
قضينا أمسًا من الأموس في رحلة — لم نأسف على أمس من الأموس . . . — أمسنا
كان جميلًا — إن أمسنا كان جميلًا — سررت بأمسنا .

وكذلك إن كان معرفًا « بال » ، نحو : أمس كان جميلًا . . . إن أمس
كان جميلًا . . . سررت بانقضاء أمس .

أو : كان مصغرًا ؛ نحو أميس كان جميلًا . . . إن أميسًا كان
جميلًا . . . سررت بأميس .

أو : كان مجموعًا جمع تكسير ؛ نحو : أموس كانت جميلة . . . إن
أموسًا كانت جميلة ، سررت بأموس .

أما إن كان لفظ : « أمس » ظرفًا مجردًا من « أل والإضافة » وليس اسمًا ،
فهو مبني على الكسر عند الفريقين أيضًا ، نحو : سرتني زيارتك أمس ، وسأزورك
قريبًا — خرجت أمس مبكرًا لرحلة نهريّة ^(١) . . .

* * *

(١) راجع حاشية ياسين على التصريح في هذا الموضع .

.....

زيادة وتفصيل :

(١) إذا زالت علمية « أمس » دخلها التنوين ، نحو : سأزورك في أمس من الأموس . وإذا زال العدل بأن استعملت مقرونة « بأل » فهي معربة ، يمتنع تنوينها بسبب « أل » - كما هو معروف - لا بسبب منع الصرف . وكذلك عند الإضافة .

وكل كلمة أخرى ممنوعة من الصرف للعلمية مع العدل يجب صرفها إذا لم توجد العلتان أو أحدهما ، ما لم يمنع من الصرف مانع آخر .

(ب) إذا سميت رجلاً « بأمس » وجب صرفه على لغة الحجازيين كما تصرف « غاق » إذا سميت بها . (وقد سبق : أن كل مفرد مبنى إذا صار علماً - فإنه يجب فيه الإعراب مع الصرف ؛ طبقاً لأنسب الرايين اللذين عرضناهما من قبل)^(١).

وإن سميت « بأمس » على لغة تميم صرفته أيضاً في الأحوال كلها .

أحكام عامة في الممنوع من الصرف

(وتشمل ما يأتي : منع اتصال تنوين الأمكنية به - أنواع الممنوع من الصرف - حكم المنقوص عند منعه من الصرف - وجوب تنوين الممنوع من الصرف ، وجوازه - جواز منع الصرف للضرورة) .

كثير من هذه الأحكام العامة منشور في مواضع متفرقة من الباب الخاص بالممنوع من الصرف ، أو غيره من الأبواب الأخرى : ونعرضه هنا في جمع وتركيز .

١ - الممنوع من الصرف لا يدخله تنوين « الأمكنية » ^(١) مطلقاً . وحكمه : أنه يرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة أيضاً نيابة عن الكسرة . ولكن يشترط لجره بالفتحة ألا يكون مضافاً ، ولا مقررئاً « بأل » - أو بما ينوب عنها ، مثل : « أم » في بعض اللهجات العربية - .

فإن فقيد الشرط وجب جره بالكسرة ، مثل : لا تكن بأعجل - الخصمين استجابة للشر ، فما أضراً أن توصف بالأعجل

وإذا كان الممنوع من الصرف علمياً منقولاً من جمع مؤنث سالم ^(٢) (مثل : عطيات - علييات - زينات . . .) - جاز لإعرابه إعراب مالا ينصرف ، وجاز إعرابه كالمصرف ، فيرفع بالضممة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالكسرة ؛ مع تنوينه في الحالات الثلاث .

٢ - الممنوع من الصرف أحد عشر نوعاً . منها ما يكون ممنوعاً لعلة ^(٣) واحدة ، ومنها ما يكون ممنوعاً لاثنتين . فالممنوع لواحدة هو : « صيغة منتهى الجموع » - وملحقاتها - ، والمختوم « بألف التأنيث » . وكلاهما لا ينصرف مطلقاً مهما اختلفت استعمالاته ؛ لأن علامته لا تفارقه مطلقاً ^(٤) . لكن لا يجر بالفتحة إلا بشرط خلوه من « أل » و « الإضافة » .

(١) لهذا التنوين إيضاح مناسب في ص ٢٠٠ .

(٢) تفصيل هذا في الجزء الأول ص ١٠٩ م ١٢ عند الكلام على جمع المؤنث السالم . وقد سبقت له الإشارة هنا في ص ٢٠٢ وفي رقم ١ من هامش ص ٢٠١ وله إيضاح في ج من ص ٢٤٠ .

(٣) سبق الإيضاح والتعليق في رقم ١ من هامش ص ٢٠٤ .

(٤) سبقت الإشارة لهذا في ص ٢٠٦ .

والممنوع لعلامتين - أى : لعلتين^(١) - قد تكون إحداهما « الوصفية » مع شىء آخر ، وقد تكون « العلمية » مع شىء آخر أيضاً .

فالممنوع للوصفية مع شريكاتها ثلاثة أنواع لا تنصرف مطابقاً ، مهما اختلفت استعمالاتها^(٢) ؛ لأن هذه الوصفية مع شريكاتها ملازمة للاسم ، لا تفارقه إلا إذا حلت محلها العلمية ، وعندئذ يمتنع صرفه للعلمية وما يكون معها . فهذا النوع الممنوع للوصفية مع شريكها ، كسابقه لا ينصرف مطلقاً . لكن لا يجز بالفتحة إلا بشرط خلوه من « أل » ، و « الإضافة » .

والممنوع من الصرف للعلمية مع شىء آخر سبعة أنواع : ويظل ممنوعاً ما دام مشتملاً على العلتين ، فإن زالت إحداهما أو كلتاها دخله التنوين وجوباً - إن لم يوجد داع آخر للمنع - وقد أوضحنا تفصيل هذا في مواضعه . . . وستأتى له إشارة أخرى قريبة^(٣) . . .

ويستثنى من هذا الحكم ما كان صفة قبل العلمية ؛ كأحمر ، وأفضل علمين^(٤) . . . ، فإنهما يمتنعان من الصرف للعلمية الطارئة مع وزن الفعل ، مع

(١) سبق الإيضاح في رقم ١ من هامش ص ٢٠٤ .

(٢) فإذا انضم إلى هذه الثلاثة التي لا تنصرف مطلقاً النوعان السابقان (وهما : - أ - صيغة منتهى الجموع ، وملحقاتها - ب - وألف التانيث بنوعيهما) نشأت خمسة أنواع ملازمة لمنع الصرف في كل استعمالاتها . - طبقاً لما نص عليه الخضرى وغيره .

(٣) وقد أشار ابن مالك إلى حكم الممنوع من الصرف للعلمية مع شىء آخر ، إذا فقد العلمية فقال :

..... وأصْرَفْنَ مَا نُكْرَا مِنْ كُلِّ مَا التَّعْرِيفُ فِيهِ أَثَرًا - ٢٥

أى : يجب صرف كل اسم نُكْرِبَعْدُ أن كان معروفاً ، وكان للتعريف أثر في منع صرفه . وهو يريد بالتعريف هنا : تعريف « العلمية » ، دون غيرها ، كما يريد بالصرف أحياناً كثيرة التنوين مطلقاً .

وكان الأنسب هنا أن يقول : و « نَوَوْنَ » ، بدلا من : « اصْرَفْنَ » ؛ لأن « الصرف » الذى يشيع استعماله في هذا الباب يراد به : « تنوين الأمكنية » في الأغلب . أما التنوين الذى يلحق العلم الممنوع من الصرف إذا فقد علميته فتنوين التكرير . - كما سبقت الإشارة في رقم ١ من هامش ص ٢٢٧ -

هذا ، وصدر البيت هو : (عند تميم ، واصْرَفْنَ ما نكرا) وقد سبق - في هامش ص ٢٦١ - عند الكلام على حكم ينسب لقيم ، ورد ذكره قبله .

(٤) بخلاف « أحمد » ، طبقاً لما تقدم في رقم ٢ من هامش ص ٢٤٩ و « ب » من ص ٢٥١ .

أنهما في الأصل وصفين ، وقد اختفت الوصفية الأصلية أمام العلمية الجديدة .
فإذا زالت العلمية لم يجز تنوين الاسمين ؛ لأن زوالها سيؤدي إلى رجوع الوصفية
التي زالت بسببها ؛ فيظل الاسمان ممنوعين من الصرف بعد زوالها ، ويصير سبب
المنع هو : الوصفية مع وزن الفعل .

٣- إذا كان الممنوع من الصرف اسماً منقوصاً^(١) ، (علماً أو غير علم ؛
كـبعض أنواع الوصف ، وصيغة منتهى الجموع) - فإن ياءه تحذف رفعاً ، وجرّاً ،
وينون^(٢) . وتبقى في حالة النصب مفتوحة بغير تنوين . مثل : دواعٍ ، جمع :
داعية - وأُعْيِلَ^(٣) ، تصغير : أعلى - وراعٍ ، علم فتاة ، - وكذلك :
تَفْدٍ (علم فتاة : منقول من المضارع تَفْدِي) . . . تقول : (ظهرت للخير
دواعٍ - عرفت دواعي للخير - استجبت لدواعٍ كريمة) فكلمة : « دواعٍ » ،
الأولى منونة ، وهي فاعل مرفوع بضممة على الياء المحذوفة . والأصل (دَوَاعِي -
دواعيين) دخلها أنواع من التغيير سبق^(٤) شرحها ؛ لأن هذه الكلمة ممنوعة من
الصرف لصيغة منتهى الجموع . . .

وكلمة : « دواعٍ » ، مفعول منصوب بالفتحة الظاهرة بغير تنوين .

وكلمة : « دواعٍ » الأخيرة - منونة بجرورة باللام ، وعلامة جرها الفتحة
على الياء المحذوفة ، بدل الكسرة ، لأن الكلمة ممنوعة من الصرف لصيغة منتهى
الجموع ، وأصلها : (دواعي - دواعيين) دخلتها التغييرات التي سبق^(٤) إيضاحها .
وتقول : (أُعْيِلَ خير من الأسفل - إنَّ أَعْيَلِيَّ خير من الأسفل -
لا تقنع بأعْيِلٍ ، واطلب المزيد) . فكلمة : « أَعْيِلٍ » الأولى منونة ، مبتدأ

(١) سبقت الإشارة إليه في هذا الباب - ص ٢٠٩ وهامشها . - أما تفصيل الكلام عليه في
الجزء الأول ص ١٢٤ م ١٥ .

(٢) وهذا التنوين للعوض (كما أشرنا في هذا الباب - ورقم ٢ من هامش ص ٢٠٩ - وفي ص ٢٥
م ٣ وأبدينا ملاحظات عليه حين يكون في الممنوع من الصرف) .

(٣) تقضي قواعد : « التصغير » الخاصة بغير الثلاثي - وستأتي في ص ٦٩٤ - بكسر هذه « اللام »
بعدياء التصغير ؛ فتقلب الألف بعد اللام المكسورة ياء ، وتصبح الكلمة : « أَعْيَلِيَّ » وهذه منقوصة ،
إذا نونت حذفت يائها رفعاً وجرّاً . (٤ و ٤) في ص ٢٠٩ .

مرفوع بالضممة على الياء المحذوفة ، والأصل : أَعْيَلِيْ (أَعْيَلِيْنِ) دخلتها التغيرات التي عرفناها ، لأن هذه الكلمة ممنوعة من الصرف للوصفية ووزن الفعل ؛ فهي على وزن المضارع : أَسَيِّطِرُ ، وَأَبْيِطِرُ (١) . . .

وكلمة : « أَعْيَلِيْ » اسم « إن » منصوبٌ بالفتحة الظاهرة على الياء بغير تنوين .

وكلمة : « أَعِيلِ » الأخيرة ، منونة مجرورة بالياء وعلامة جرهما الفتحة بدل الكسرة على الياء المحذوفة ، لأن الكلمة ممنوعة من الصرف للوصفية ووزن الفعل . وقد دخلها التغير المعروف .

وتقول : (سمعت قصيدة لشاعرة اسمها : « راعِ ») (وقد صافحت « راعِيَّ » بعد سماعها) - (وسوف أستمع إلى « راعِ » . . .) ، فكلمة : « راعِ » الأولى منونة ، خبر مرفوع بضممة على الياء المحذوفة ، وأصلها : راعِيْ (راعِيْنِ) طرأ عليها التغير السالف .

وكلمة : « رَاعِيْ » ، مفعول منصوب بغير تنوين .

وكلمة : « راعِ » الأخيرة منونة ، مجرورة بإلى ، وعلامة جرهما الفتحة بدل الكسرة على الياء المحذوفة ؛ لأن الكلمة ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث . وقد طرأ عليها التغير الذي قدمنا .

وتقول : « تَفْعِدُ » طيبة مشهورة - إن « تَفْعِدِيْ » طيبة مشهورة - يُشْنِي المَرْضَى على « تَفْعِدِ » . فكلمة : « تَفْعِدِ » الأولى منونة ، مبتدأ مرفوع بضممة على الياء المحذوفة ، وكلمة : « تَفْعِدِيْ » (بغير تنوين) اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة . وكلمة : « تَفْعِدِ » الأخيرة منونة ، مجرورة بعلى ، وعلامة جرهما الفتحة على الياء المحذوفة بدل الكسرة ؛ لأن الكلمة ممنوعة من الصرف للعلمية ووزن الفعل . . . وهكذا .

ويرى جماعة من النحاة أن المنقوص الممنوع من الصرف على الوجه السالف ،

(١) وهذا على الرأي الأرجح الذي لا يجعل وزن : « أَعْيَلِ » خاصاً بالوصف ، إذ يوجد في الفعل ؛ نحو : أَيْطِر .
- انظر رقم ٢ من هامش ص ٢١٨ ثم ص ٢٧٥ .

ثبتت ياءه بغير تنوين في جميع حالاته (رفعاً، ونصباً، وجراً) ، فيرفع بضمة مقدرة على الياء بغير تنوين ، وينصب بالفتحة الظاهرة بغير تنوين . ويجر بالفتحة الظاهرة بغير تنوين بدل الكسرة ؛ لأنه ممنوع من الصرف ، فيقولون في الأمثلة السالفة ظهرت دواعي للخير ، - اتبعت دواعي للخير - اهتديت بدواعي للخير . ويقولون : أعيلي خير . . . - إن أعيلي خير . . . لا تقنع بأعيلي . . .

ويقولون : الشاعرة اسمها : راعي . . . - صافحت راعي . . . - إلى راعي . . . - وكذلك : «تفدى» طيبة مشهورة . . . - إن تفدى طيبة . . . يثنى المرضى على تفدى . . .

ولكن هذا الرأي ضعيف - عندهم - ؛ لندرة شواهد الفصيحة ، وضعف الاستدلال بها ، فيحسن إهماله^(١) . . .

وهناك رأى آخر في المنقوص الذى على وزن الصيغة الأصلية لمتنهي الجموع ؛ وملخصه^(٢) : أن بعض العرب يقلب الكسرة قبل ياء المنقوص فتحة ؛ فتقلب الياء ألفاً بشرط أن يكون وزان المنقوص كوزان إحدى الصيغ الأصلية لمتنهي الجموع ، وأن يكون مفردة اسماً محضاً على وزن : «فَعْلَاء» الدالة على مؤنث ، وليس له - في الغالب - مذكر ؛ كصحراء وصَحَارٍ ، فيقول فيها . «صحارَى» بغير تنوين في الحالات الثلاث^(٣) . . .

(١) وإنما ذكرناه - كما نذكر الضعيف من أشباهه - لنتدى به في فهم الوارد منه في الكلام القديم ، مع الدلول عن استعماله .

(٢) الإشارة إليه سبقت في «أ» من ص ٢١٢ .

(٣) وفي المنوع من الصرف المنقوص يقول ابن مالك :

وما يكونُ منه منقوصاً ففي إعرابه نهْ جَوَارٍ يَقتنى

(منه ، أى : من المنوع من الصرف . يَقتنى = يتبع) . وتقدير البيت : ما يكون من المنوع من الصرف منقوصاً ، فإنه يَقتنى (أى : يتبع ويسير) في إعرابه نهج جوار ، وطريق جوار (جمع تكسير الحارثية) ، في حذف يائه رفعاً وجراً مع التنوين ، وإثبات الياء وإظهار الفتحة عليها بغير تنوين في حالة النصب . وهذا حكم مجمل مختصر . وقد وفيناه في الشرح .

٤ - الممنوع من الصرف قد يجب تنوينه ، وقد يجوز :

فيجب تنوينه في حالتين :

(أ) أن يكون أحد السببين المانعين له هو : « العلمية » ، ثم زالت بسبب تنكيره ، وبقي بعد زوالها العلة الثانية وحدها (وهى : التأنيث ، أو : الزيادة ، أو : العدل ، أو : وزن الفعل ، أو : العجمة ، أو : التركيب ، أو : ألف الإلحاق المقصورة) ؛ لأن هذه العلة الثانية الباقية لا تكفى وحدها لمنع الصرف بعد زوال العلمية ؛ فيجب تنكير الاسم إن لم يوجد مانع آخر - ولهذا تدخل عليه « رُبَّ » وهى لا تدخل إلا على النكرات فى الأعم الأغلب - ، فتقول : (رب فاطمة ، أو عثمان ، أو عُمَيْرٌ ، أو يزيد ، أو إبراهيم ، أو معديكِب ، أو : أرطى - قابلت) ؛ بالجر بالكسرة مع التنوين فى هذه الأنواع السبعة ؛ لذهاب أحد موجبى المنع ، وهو : العلمية .

ويستثنى من هذا الحكم ما أشرنا إليه من قبل ^(١) ؛ وهو الاسم الذى كان فى أصله وصفاً ممنوعاً من الصرف للوصفية وعلة أخرى ، ثم زالت عنه الوصفية وحدها ، وحلّت محلها العلمية ؛ فصار ممنوعاً من الصرف للعلمية الطارئة ومعها العلة الأخرى ، نحو : « أحمر » ؛ فإن زوال علميته لا يبيح تنوينه ، ولكنه يقتضى رجوعه إلى الوصفية الأصلية التى سبق أن تركت مكانها للعلمية الطارئة . فإذا زال الطارئ عاد الاسم إلى أصله ممنوعاً من الصرف كما كان . أما فى غير هذه الحالة فينون فى حالاته الإعرابية الثلاثة ، ولا يجر بالفتحة .

(ب) أن يكون الاسم مصغراً ، وقد أدى تصغيره إلى إزالة أحد السببين المانعين من صرفه ؛ كتصغير « عُمَيْرٌ » على : « عُمَيْرٌ » ، وكتصغير : « أحمد » تصغير ترخيم على : « حُمَيْدٌ » ؛ فإن هذا التصغير جعل الاسم على صورة لا يصح منعها من الصرف ؛ فكلمة : « عُمَيْرٌ » ليست كعمر الممنوعة من الصرف ، سماعاً (أو لِمَا يسميه النحاة : العلميّة والعدل) فلا سماع فى عُمَيْرٍ ، ولا عدل فيها . وكلمة : « حُمَيْدٌ » ليست على وزن الفعل ؛ فهى فاقدة للسبب الثانى الذى لا بد

منه مع العلمية . بخلاف « أحمد » ففيه السببان ^(١) .
وهذه الحالة الثانية : « ب » راجعة للأولى . وفي الحالتين يجر الاسم بالكسرة :
وجوباً ؛ إذ يجرى عليه حكم المنصرف كاملاً ، إن لم يمنع مانع آخر .

* * *

ويجوز تنوينه ومنعه من التنوين في حالتين :

الأولى : مراعاة التناسب في آخر الكلمات المتجاورة ، أو المختومة بسجعة ،
أو بفاصلة ^(٢) في آخر الجُمل . لتتشابه في التنوين ، من غير أن يكون له
داع إلا هذا ؛ لأن للتناسب إيقاعاً عذبةً على الأذن ، وأثراً في تقوية المعنى ،
وتمكينه في نفس السامع والقارئ . ومن الأمثلة كلمة : « سلاسل » بالتنوين في
قراءة من قرأ قوله تعالى : (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا ، وأغلالًا ، وسعيراً .)
فقد نونت الكلمة لمراعاة التي أتليها وتجاورها . وكذلك كلمة : « قوارير » في قراءة
من قرأها بالتنوين في قوله تعالى يصف أهل الجنة : (مُتَكَيِّفِينَ فِيهَا عَلَى
الْأرائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا . وَأَنِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ،
وَذُلُكُلُهَا قُطُوفُهَا تَذَلُّيلًا ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ
فَوَارِيرًا ، قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا . . .) فقد نونت كلمة « قَوَارِيرًا »
الأولى لمراعاة التنوين في آخر الجملة التي قبلها ، ومراعاة لآخر الجملة التي بعدها ...
ونونت كلمة : « قوارير » الثانية لمراعاة الأولى ، . . . ولمراعاة نهاية الآية السابقة ،
فإنها منونة أيضاً .

ومن الأمثلة قراءة من قرأ : « يَغُوثَ » ، و « يَعْقُوقَ » منونتين في قوله تعالى

(١) قد يكون الاسم منوناً وهو مكبر ، فإذا صغر امتنع صرفه لوجود السبين معاً . ويمثلون لهذا
بكلمة : « تَحُلُّ » علماء ، (ومن معانيه : القشر الذي يظهر حول منابت الشعر ..) فهي غير ممنوعة من
الصرف إلا إذا كانت علماً مصغراً ، نحو : « تُحَيِّلِي » فإنها تمنع للعلمية ووزن الفعل ، إذ تكون على
وزان : « تَدَحْرَج » ، وتبْطِط - ولهذا الحكم تفصيلات في ص ٢٧٥ ، ولا سيما الحالة الثالثة -
(٢) « السجعة » : وجود حرف متشابه متماثل في نهاية جملتين أو أكثر . . . كقوله تعالى :
(إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمططرياً ؛ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسروراً ...)
« والفاصلة » . . وقوع كلمة في آخر الجملة على وزان كلمة أخرى في جملة قبلها أو بعدها من غير أن
تشابه الكلمتان في الحرف الأخير منهما . وليس من اللازم أن يكون التشابه في الوزن كاملاً صرفياً ،
ولإنما يكفي أن يكون متقارباً . ومن الأمثلة الآية الآتية بعد في أهل الجنة : (متكئين فيها . . .) .

عن المشركين ، ومخاطبة بعضهم بعضاً بالتمسك بأصنامهم : (وقالوا : لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ، وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثًا ، وَيَعُوقًا ، وَنَسْرًا^(١)) ، فقد نُوتت الكلمتان مراعاة لما حوّلتهما من كلمات أخرى منونة .

الثانية : الضرورة الشعرية^(٢) ، وما في حكمها^(٣) - ؛ فيضطر الشاعر بسببها إلى تنوين الاسم ؛ ككلمة « محاسن » في قول الشاعر :

(١) كل هذه أسماء أصنام اتخذها المشركون من أهل الجاهلية آلهة لهم عبدوها .
(٢ ، ٣) الشائع في أكثر الكتب النحوية أن « الضرورة » خاصة بالشعر وحده . لكن بعض المحققين لا يرون هذا التحديد الضيق ، كما صرح : « ابن برّي » في رسالته المطبوعة في نهاية : « مقامات الحريري » ، يدافع فيها عن صاحب « المقامات » ، ويصحح كل ما أخذه عليها « ابن الخشاب البغدادي » ، فقد صرح « ابن برّي » بأن الضرورة ليست مقصورة على الشعر وحده ، وإنما تشمل السجع والفواصل أيضاً . وفيما يلى نص كلامه (ص ١١ من تلك الرسالة) :

(اعلم أن للسجع ضرورة الشعر ، وأن له وزناً يضاهي ضرورة الوزن الشعرى في الزيادة والنقصان والإبدال ، وغير ذلك . وحذفوا التنوين فيه كما حذفوه في الشعر - وساق أمثلة متعددة تؤيد كل ما سبق - حكى ذلك الخليل ، وأبو حنيفة الدينوري . . . وقد جاء مثل هذا في فواصل القرآن ، لتتفق الفواصل من الزيادة قوله تعالى في سورة الأحزاب : عن الكافرين : " (يوم تُقَلَّبُ وجوههم في النار ، يقولون : يا ليتنا أطعنا الله ، وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) " - فقد زيدت ألف في آخر كلمة « السبيل » ؛ مراعاة لكلمة « الرسول » ، وزيدت ألف في كلمة : « الرسول » لأن الآيات التي قبلها مخنومة بكلمات منونة ، منصوبة ، آخرها ألف . وكذلك زيدت ألف في كلمة : « الظنون » من قوله تعالى في سورة الأحزاب .. « وتظنون بالله الظنونا » وزيادتها مراعاة أواخر الآيات التي قبلها ، المخنومة بكلمات منصوبة آخرها ألف (أليما - بصيراً ...) فزيدت الألف في الفواصل كما تزداد في الشعر ، آخر القافية - بقصد الإطلاق . ومن النقص قوله تعالى في سورة الفجر : « والفجر ، وليالٍ عشر » ، والشفع ، والوتر ، والليل إذا يسر » فحذفت الياء من « يسر » اتباعاً للوتر ، وما تقدمه . وكذلك حذفت الياء - من : « أكرمني ، وأهانني » - في قوله تعالى في هذه السورة : " فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربّ أكرمّ من . وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربّ أهانن » كما حذفت في الشعر في قول القائل :

فهل يمنعن ارتياد البلاد من حذر الموت ، أن يأتين
(أى : يأتين) ١ هـ كلام ابن برّي ،

وهو كلام قوى نفيس ، يؤيده ويوافقه الفصل الخاص الذي عقده له صاحب : « هج المومنين » في الجزء الثاني تحت عنوان : « خاتمة » - ص ١٥٨ - بعد الباب الخاص بموضوع : « الضرائر » . وكلاهما أعم وأشمل من كلام ابن جني حيث يقول : (الأمثال تجري مجرى المنظوم في تحمل الضرورة) - راجع ص ١٩ من التعريف بكتابه : المحتسب ، ج ١ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة . -

إن الذى ملأ اللغات محاسناً جعل الجمالَ وسرَّهُ فى الضاد^(١)
ويتبع هذا جره - حتمًا - بالكسرة بدل الفتحة فى حالة الجر ؛ « ككلمة
« عُنَيْزَة » فى قول امرئ القيس :

ويوم دخلتُ الخِدرَ خدرَ عُنَيْزَة فقالت له الويلَّاتُ إنَّك مُرْجِلِي^(٢)
فقد دخل الجر والتنوين فى كلمة : « عنيزة » لضرورة الشعر . ومثل كلمة :
« فاطمة » فى قول الشاعر يمدح « عليًّا زين العابدين » بأنه من نسلها وهى بنت
الرسول عليه السلام :

هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهله بجَدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
وقد يضطر الشاعر إلى جر الاسم بالكسرة دون تنوينه ، مثل كلمة :
« عَصَائِبِ » فى قول المادح :

إذا ما غزا بالجيش حَلَّقَ فوقه عَصَائِبُ طير تهتدى بعصائبِ
فقد جرَّ الكلمة بالكسرة وحدها مراعاة للكسرة فى آخر أبيات القصيدة .
وإنما كان التنوين جائزاً - لا واجباً - فى الحالتين السالفتين ، لأن المتكلم
يستطيع فى الحالة الأولى أن ينون أو لا ينون ، فله الخيار ، كما يستطيع فى الحالة
الثانية أن يترك الكلمة التى تدفعه إلى التنوين قهراً واضطراً^(٣) ليختار كلمة أخرى
تلائم القافية والوزن الشعرى من غير حاجة لمنع الصرف .

وفى كلتا الحالتين السالفتين تعرب الكلمة على حسب موقعها من الجملة ،
ويزاد على إعرابها حين تكوين منوثة : أن تنوينها للضرورة ، وتجر بالكسرة -
لا بالفتحة - على الأفصح .

(١) الضاد : رمز يكتفى به عن اللغة العربية وحدها ؛ لعدم وجوده فى اللغات الأخرى الشائعة .
(٢) الخدر : الهودج . « مرجل » : ستجملنى راجلة ، أى : ماشية ، لأن الهودج لا يحتملها معاً .
(٣) أى : أن تنوين الضرورة يعتبر ضرورياً محتوماً إذا حرص الشاعر على كلمة معينة لا يريد
تركها إلى أخرى لا تستوجب التنوين . ويعتبر اختيارياً جائزاً إن لاحظنا أن الشاعر حر يستطيع أن يختار
كلمة أخرى لا توجب عليه التنوين .

وعند كثرة النجاة : أن الضرورة هى التى تباح فى الشعر دون النثر ولو استطاع الشاعر أن يتخطاها ،
إذ تعد فى النثر مخالفة غير جائزة . وهذا رأى يرفضه - بحق - « ابن برّى » محتجاً بما تقدم فى رقم ٢
من هامش الصفحة السالفة .

٥ - يجوز في الضرورة الشعرية^(١) أن يُمنع الاسم المنصرف من التنوين الذي استحقه قبل هذه الضرورة ؛ سواء أكان الاسم علماً أم غير علم . فمثال العلم كـ « شبيب » في قول الشاعر .

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشبيب غائلة^(٢) النفوس ، غدور

فقد منع التنوين من كلمة : « شبيب » ، للضرورة الشعرية ، إذ لا يوجد مع العلمية السبب الذي يجب أن ينضم إليها عند منع الصرف . ومثال غير العلم كلمة : « مولى » في قول الشاعر :

فلو كان عبد الله مولى هجوت^١ه ، ولكن عبد الله مولى موال^٢ه
والأصل الغالب أن يقول : مولى موال : فترك هذا الأصل ، وأثبت الياء . وجر الاسم بالفتحة الظاهرة عليها . . .

لكن إذا مُنِع الاسم من التنوين بسبب الضرورة الشعرية فما حكمه في حالة الجر ؟ أيجر بالكسرة كالأسماء المنصرفة المتبينة ولكن بغير تنوين ، أم يجز بالفتحة بغير تنوين كالممنوع من الصرف ؟ الأمران جائزان . والأحسن جره بالكسرة كأصله والاقتصار في الضرورة على منع تنوينه^(٣) .

ويعرب الاسم الممنوع من التنوين للضرورة على حسب موقعه من الجملة ويزاد في كل حالة إنه ممنوع من التنوين للضرورة وإذا كان مجزوراً بالفتحة زيد

(١) انظر البيان السابق الخاص بمعنى : « الضرورة » ، والمراد الدقيق منها - في رقم ٢ من هامش ص ٢٧١ -

(٢) مجرور بالفتحة بدل الكسرة ؛ لما تقرر : أن المنصرف الذي يمنع صرفه للضرورة يصح في حالة الجر - جره بالكسرة بدل الفتحة ، ويصح جره بالفتحة بدل الكسرة - كما سيحى هنا - . « والأزارق » - وأصلها : الأزارقة ، جمع أزرق - قوم من الخوارج ينسبون إلى نافع بن الأزرق زعيمهم . و « شبيب » هذا هو : شبيب بن زيد من ربههم . ادعى الخلافة وتسمى بأمر المؤمنين . وكلمة : « الأزارق » مفعول به للفعل : « طلب » والتفاعل ضمير مستتر ، تقديره : هو ، يعود على سفيان نائب الحجاج ، وزوج ابنته .

« هوت » بمعنى : أطمعت ، وغرت . يقال : هوى به الأمر : أى : أطمعه وغره .

غائلة النفوس ، هى : الموت ، وتعرّب فاعلاً للفعل : هوى .

(٣) ليكون في هذا تقدير للضرورة بقدرها الذى لا بد منه وحده ، وترك ما لا شأن له بها .

أيضاً : أنه مجرور بالفتحة ؛ لأنه ممنوع من الصرف للضرورة^(١) . . .

* * *

(١) وفي تنوين الممنوع ، ومنع التنوين من الاسم الذي يستحقه .. يقول ابن مالك في ختام الباب :

وَلَا ضِطْرَارٍ أَوْ تَنَاسُبٍ صُرِفَ ذُو الْمَنَعِ . وَالْمَصْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ ٢٥

يريد : أن الممنوع من الصرف قد يصرف بسبب الضرورة أو التناسب الكلامي ، وأن المصروف قد يمنع تنوينه . وقد أوضحنا الحكمين ، وسردنا تفاصيلهما .

وبمناسبة قول ابن مالك : (والمصروف قد لا ينصرف) نذكر أن فريقاً من النحاة - ومنهم ابن هشام في كتابه : « المعنى » في مبحث « قد » - يمنع وقوع « لا » النافية بعدها ، فاصلة بينها وبين المضارع ، ومشرطاً أن يكون المضارع بعدها مثبتاً . وهذا الرأي يقول بعض اللغويين كصاحب القاموس ، وتبعهم فيه أحد الباحثين المعاصرين .

لكن صاحب « لسان العرب » نقل في مادة : « ذام » مثلاً عربياً فصيحاً نصه : « قد لا تعدم الحسنة ذاماً » كما نقل أبو هلال العسكري في كتابه : « الأمثال » ، المطبوع على هامش كتاب : « الأمثال » للبيداني (في ص ١١٧ ج ٢) مثلاً آخر قديماً نصه : « قد لا يقاد بي الجمل » ورأيت في بعض الشعر الجاهلي وغيره من فصيح الكلام الذي يحتاج به وقوع المضارع المنى بالحرف « لا » مسبوقاً بكلمة : « تد » مباشرة (أى : أن الحرف « لا » النافي توسط في ذلك الكلام العربي الصحيح بين « قد » والمضارع) . وقلنا في الجزء الأول (م : ٤ - ص ٥٠) إن رفض تلك الأمثال غير مستنغ إلا إذا لجأنا للتأويل الواهي المتعسف الذي لا يثبت على التحصيل .

ومن الأدلة أيضاً ورودها في شعر الأعشى ميمون ، وهو جاهل أدرك ظهور الإسلام في بيت له (من قصيدته التاسعة والعشرين بالصفحة ١٩٥ من ديوانه) ونصه :

وَقَدْ قَالَتْ قَتِيلَةٌ إِذَا رَأَتْنِي وَقَدْ لَا تَعْدَمُ الْحُسْنَاءُ ذَامًا . . .

وفي بيت آخر لتيس الجهنى - وهو جاهل - ، وقد نقله الآمدي في كتابه : المؤلف ص ١٢٣ ، ونصه :

وَكُنْتُ مَسْودًا فِينَا حَمِيدًا وَقَدْ لَا تَعْدَمُ الْحُسْنَاءُ ذَا مَا . . .

وكذلك في بيت للنمر بن تولب - وهو مخضرم - (ونصه كما رواه السيوطي في شواهد المعنى ، ص ٦٦) .

وَأَحْبَبُ حَبِيبِكَ حَبًّا رُوَيْدًا فَقَدْ لَا يَعُولُكَ أَنْ تَصْرَمَا . . .

وهذه الرواية توافق رواية « منتهى الطلب » في المخطوطة الأصلية المحفوظة بدار الكتب ، ورقمها بين المخطوطات الأدبية : (١٢٦٣١) . . . إلى غير هذا من الأمثلة التي تقطع بصحة الاستعمال السابق في غير ضعف ، ولا شذوذ ، ولا تأويل ، ولا تردد في الحكم بصحة قول ابن مالك هنا - وهو الإمام الثقة : « والمصروف قد لا ينصرف . . . » وصحة من استعملها قبله بمئات السنين من منطقة العرب الذين وضعوا « سوراً » للقضية الجزئية نصه : « (قد يكون وقد لا يكون) » ومن استعملها بعده من علماء النحو وغيره في كثير من أساليبهم ، كالأشعري في الجزء الثاني ، باب : « الاستثناء » ، عند الكلام على الأداتين : « ليس ، وخلا » حيث يقول ما نصه : (. . . لأنه قد لا يكون هناك فعل . . .) ه وكذلك في باب =

زيادة وتفصيل :

للتصغير والتكبير أثر في الصرف ومنعه . ولهذا أربع حالات (١) .

الأولى : أسماء تمنع من الصرف وهي مصغرة أو مكبرة . لوجود سبب المنع في حالتها — بشرط ألا تكون مضافة ولا مقرونة بأل ، كما عرفنا — ومن أمثلتها :

معديكرب — طلحة — زينب — حمراء — غضبان — إسحاق — أحمر — يزيد . . . ونحوها مما نحقق فيه شرط المنع ، ولا يفقد سبب المنع في تصغير ولا تكبير .

الثانية : أسماء تمنع من الصرف وهي مكبرة . وتصرف وهي مصغرة ، نحو : عُسْر — شَمْسَر — سِرْحَان (٢) — أَرْطَى (٣) — جِنَادِل . . . أعلاماً . فإن تصغيرها على عَمْسِير — شَمْسِير (٤) — سُرَيْحِينَ — أَرَيْط — وَجْنَسِيدِل (٤) — يزيد سبباً لازماً لمنعها من الصرف ؛ هو العدل في عمير ، ووزن الفعل في شَمْسِير (٤) . وعدم وجود الألف الزائدة في سُرَيْحِينَ ، وعدم وجود ألف الإلحاق في أَرَيْط ، وعدم وجود صيغة منتهى الجموع في جَنْسِيدِل .

الثالثة : أسماء تمنع من الصرف مصغرة . وتَنَصَّرُف مكبرة . ومنها : تَحْلَى (٥) .

== تصفة المشبهة (ج ٣ ص ٤) حيث يقول : (إنها قد تكون جارية على اسم الفاعل كظاهر القلب . . . وقد لا تكون . . .) اهـ وكذلك ضياء الدين بن الأثير — ومكانته اللغوية والأدبية والبلاغية لا تجحد — حيث يقول في كتابه : « الجامع الكبير » ، في صناعة المنظوم من الكلام ، والمنثور — ج ١ ص ٤٨ طبعة المجمع العلمي العراقي — ما نصه : (. . . والناظم قد لا يمكنه ذلك . . .) اهـ .
وقد أصدر مؤتمر المجمع اللغوي (المتعقد بالقاهرة في فبراير سنة ١٩٧١) قراره الحاسم بعد التثبت والتحصيل بجواز إدخال « قد » على المضارع المنقح بالحرف « لا » .

(١) هذه الحالات يجمعها ضابط واحد وضعوه ، هو : أن كل مصغر لم يذهب تصغيره أحد سببيه فهو ثابت مصروف ، وإلا فهو منصروف . (٢) من معانيه : الذئب ، والأسد . . .

(٣) أصله نوع من الشجر . (٤) تصغير ترخيم .

(٥) أشعر المترولة على الجلد بعد الدباغة ، ووسخ الجلد وسواده ، والقشر الذي حول منابت الشعر .

انظر الحكم الذي يتصل بهذه الكلمة في رقم ١ من هامش ص ٢٧٠ —

.....

— تَوَسَّطَ^(١) — تَهَيَّأَ^(٢) . تُرْتَّبُ^(٣) ؛ فتصغيرها : تُحَيَّلُ^(٤) — تَوَيَّسَ^(٥) —
 تَهَيَّأَ^(٦) — تُرَيَّبُ . وكل هذه الأسماء المصغرة جارية على وزن المضارع :
 « تَهَيَّأَ » فتمنع للعلمية ووزن الفعل ، ولم تكن قبل التصغير مستحقة للمنع
 فكفله لها . وهذا بشرط ألا تجيء ياء عوضاً عن حرف حذف في بعضها ؛
 فإن جيء بالياء وجب التنوين . نحو : تَوَيَّسَ^(٥) وَتَهَيَّأَ^(٦) . . . ؛ لفقد
 وزن الفعل . . .

الرابعة : أسماء يجوز صرفها ومنعها من الصرف وهي مكبرة ، فإذا صُغرت
 تحتم المنع . نحو : دَعْدَ — جُمِّلَ ، وهما علمان لفتاتين . فيجوز فيهما المنع
 وعدمه قبل التصغير^(٥) . أما بعده (دُعَيْدَ — جُمَّيْلَ . . .) فيجب منعها .

* * *

(١) مصدر تَوَسَّطَ .

(٢) اسم طائر . (بكسر أوله وثانيه وثالثه المشدد) .

(٣) الشيء المقيم الثابت . (وضبطه : على وزن قُنْصَمْدَ ، أو جُنْدَبَ) .

(٤) انظر رقم ١ من هامش ص ٢٧٠ .

(٥) أما جواز المنع للعلمية والتأنيث ، وأما جواز الصرف فلائه علم ثلاثي ، ساكن الوسط ، غير

— طبقاً لما سلف في ص ٢٣٨ ب — .

نقول من مذكر المؤنث ، وغير أعجمي

إعراب الفعل المضارع

١ - نواصبه

الأفعال ثلاثة : « ماض ، وأمر » ، وهما مبنيان دائماً . و « مضارع » ، وهو معرب ، إلا إذا اتصلت به اتصالاً مباشراً « نون التوكيد » ؛ فيبنى على الفتح ، أو « نون النسوة » فيبنى على السكون . وفي غير هاتين الحالتين يكون معرباً^(١) .

وهذا الإعراب يقتضى أن تتغير علامة آخره رفعاً ، ونصباً ، وجزماً ، على حسب أحواله ؛ فتكون العلامة ضمة ، أو ما ينوب عنها ، فى حالة رفعه ، وتكون فتحة ، أو ما ينوب عنها ، فى حالة نصبه بناصب قبله ، وتكون سكوناً أو ما ينوب عنه فى حالة جزمه بجازم قبله . وعلى هذا لا يرفع المضارع إلا فى حالة واحدة ؛ هى التى يتجرد^(٢) فيها من الناصب والجازم ؛ فلا يسبقه شئ منهما ؛ سواء

(١) سبق (فى ج ١ ص ٤٤ ، ٥٠ م ٦) تفصيل الكلام على معنى الإعراب والبناء ، وأثرهما فى الأفعال... كما سبق هنا (فى ص ١٦٧ م ١٤٣) الكلام على نون التوكيد ، وأحكامهما ، وأثارهما ، واتصالهما المباشر بالمضارع ، وغير المباشر ، ونتيجة كل... أما نون النسوة فاتصالها به مباشر فى كل حالاتها .

(٢) النحاة جدل عنيف فى سبب رفع المضارع ؛ أهو التجرد - والتجرد علامة عديمة - أم هو حلوله محل الاسم ، أم الزيادة التى فى أوله... أم... ؟ إلى غير ذلك من آراء متعددة ، لا يسلم واحد منها من اعتراضات مختلفة ، ولا يتقوى اعتراض منها على الثبات أمام الردود التى توجه إليه... وهذه المعركة الجدل لا طائل وراءها . ومن إضاعة الوقت والجهد الوقوف عندها .

أما حقيقة الأمر فهى أن العرب رفع المضارع الذى لم يسبقه ناصب ولا جازم ، ونصبه أو جزمه إذا تقدمت الأداة الخاصة بذلك ، وأن المحدثين تابعوا العرب فى مسلكهم ، وحاكمهم فيه ، من غير أن يفكر العرب ولا المحدثون فى عامل الرفع : أهو عدى أم غير عدى ؟ ويقتضينا الجدل ومتابعة ركب الحياة الحضارية بعلومها وفنونها أن نوجه الجهد - ولو كان يسيراً - إلى جلائل الأمور .

إن نظرية « العامل » التى ابتكرها النحاة نظرية بارعة عظيمة ، ودليل نبوغ وعبقورية ؛ وطالما امتدحناها ولم ننكر من أمرها إلا التعسف - بغير داع - فى تطبيقها . وهذا هو العرض المعبى فى جوهرها النفيس (كما أشرنا فى ص ٤٥ م ٦ ج ١ . وفصلنا الكلام فيها) . ونحن نكشف عنها هذا العرض فى مناسبات مختلفة ؛ ليصفو جوهرها ، ويخلص معدنها الثمين... ولهذا ندع الجدل هنا فى سبب رفع المضارع .

أكان رفعه ظاهراً أم مقدراً ؛ كالفعالين : « يَسِيْءُ وَيُسَيِّئُ » في قول الشاعر :
 وَأَقْتَتَلُ دَاءَ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا يَسِيْءُ ، وَيُسَيِّئُ فِي الْحَافِلِ حَمْدُهُ
 فإن سبقه ناصب وجب نصبه ، أو جازم وجب جزمه ^(١) . وهذا الباب معقود
 للكلام على الأدوات التي تنصبه ، وكلها حروف ، وهي :
 (أنْ - لنْ - إذنْ - كى) - (لام الجحود - أو - حتى - فاء السببية -
 واو المعية) . فهذه تسعة . وزاد بعض النحاة حرفين ؛ هما : « لام التعليل » ،
 و « ثمَّ » ؛ الملحقه ^(٢) بواو المعية ، وبهما يكمل عدد النواصب أحد عشر حرفاً .
 وكل حرف منها يُخلص زمن المضارع للمستقبل المحض ^(٣) .

والأربعة الأولى تنصب المضارع بنفسها مباشرة لا بحرف آخر ظاهر أو
 مقدر . أما بقية الأحرف فلا تنصبه بنفسها ، وإنما الذى ينصبه هو : « أنْ »
 المضمرة وجوباً بين كل حرف من تلك الأحرف والمضارع .

والمذهب الكوفى يبيح توسط « كى » مضمرة أو مظهرة بين لام التعليل
 والمضارع ، ويجعل هذا المضارع منصوباً بـ « كى » ، لا « بأنْ » المضمرة ،
 وسيجىء ^(٤) بيان هذا كله فى موضعه المناسب من الباب .

(١) يقول ابن مالك فى رفع المضارع فى باب عنوانه : « إعراب الفعل » .

رَفَعَ مُضَارِعًا إِذَا يُجَرَّدُ مِنْ نَاصِبٍ وَجَازِمٍ ؛ كَتَسَعَّدُ - ١

(٢) فى المذهب الكوفى . والكلام عليها فى ص ٣٨٥ .

(٣) فى الجزء الأول (م ٤ ص ٥٤) . تفصيل الكلام على أنواع الزمن فى المضارع .

(٤) فى ص ٣٠٠ .

زيادة وتفصيل :

إذا بنى المضارع المجرد من الناصب والجازم على الفتح (لاتصاله المباشر بنون التوكيد) ، أو على السكون ؛ (لاتصاله بنون النسوة) فهل يكون له محل من الإعراب ؛ فيقال عنه : مبنى فى محل رفع ؛ لأن الرفع هو الأصل الثابت له قبل أن تطرأ عليه فتحة البناء وسكونه ؟ .

الأحسن الأخذ بالرأى القائل إنه مبنى على الفتح أو على السكون فى محل رفع ؛ لأنه الأصل الذى تجب مراعاته عند مجيء مضارع آخر بعد الأول ، تابع له (كأن يكون الثانى معطوفاً على الأول ، أو توكيداً لفظياً له ، أو بدلاً منه) ؛ فيجب رفع الثانى المجرد عن الناصب والجازم ؛ تبعاً لمحل الأول من غير أن يتأثر ببناء الأول ؛ إذ التابع لا يكتسب البناء من المتبوع .

أما إذا كان المضارع المبنى غير مجرد - لوقوعه بعد ناصب أو جازم - فإنه يبنى على الفتح ، أو على السكون ، على حسب نوع النون المتصلة بآخره ، ويكون فى محل نصب إن سبقه ناصب ، وفى محل جزم^(١) إن سبقه جازم . ويراعى هذا المحل فى المضارع الذى يجىء بعده ، تابعاً له ؛ (معطوفاً ، أو توكيداً لفظياً ، أو بدلاً : . . .) لأن مراعاة المحل واجبة فى هذه الصورة . ويتعين فيها أن تكون العلامة الإعرابية فى التابع ماثلة للعلامة الإعرابية المحلية فى المتبوع . فنثال المضارع المبنى على الفتح فى محل نصب : (... إذن لأصحابين الخائن ، ولا أرافقه) . فالفعل : « أصحاب » مبنى على الفتح فى محل نصب بالحرف : « إذن » والفعل « أرافق » معطوف عليه ، معرب منصوب ؛ تبعاً لمحل المعطوف عليه . . .

ومثال المضارع المبنى على الفتح فى محل جزم : (لا تخافن إلا ذنوبكم ، ولا ترجون إلا ربك) ، وقول الشاعر :

لا تحسبنَّ المجد والاعلىاء فى كذب المظاهر

فالأفعال : تخاف - ترجو - تحسب - مبنيّة على الفتح فى محل جزم ؛ « لا » الناهية .

ومثال المضارع المبني على السكون ، لاتصاله بنون النسوة — إما في محل نصب وإما في محل جزم على حسب الأداة التي قبله — قول بعض المؤرخين في وصف الأعرابيات :

اشترك كثيرات منهن في الحروب ، كما تشترك فيرق المتطوعات اليوم . ومع اشتراكهن لم يهملن التصون والتحفظ . وأننى لهن أن يتركسنه ، والدين والنشأة العربية الأصلية خير عاصم للحرائر ؟ .

فالمضارع « يهمل » — مبني على السكون في محل جزم بالحرف « لم » . والمضارع « يترك » مبني على السكون في محل نصب بالحرف : « أن » .

ويجب مراعاة هذا المحل في التوابع — كما سلف — ؛ فيجب نصب المضارع المعطوف — مثلاً — إن كان المعطوف عليه مضارعاً مبنياً في محل نصب ، كما يجب جزم المضارع المعطوف — مثلاً — إن كان المعطوف عليه مضارعاً مبنياً في محل جزم وهكذا بقية التوابع . فلاعراب المضارع إعراباً محلياً أثر في توابعه وفي المعنى .

(ح) لا يعتبر المضارع ساكناً إذا كان سكون آخره عارضاً بسبب الوقف عليه ، أو بسبب التخفيف من توالي ثلاث حركات في آخره مباشرة ، أو في آخره مع ما يتصل به ويعتبر جزءاً منه ، كالضمير . وهذا التخفيف لغة بعض القبائل ، وأوضح صورته تسكين الحرف الثاني من الأحرف الثلاثة المتوالية المتحركة . فيقولون : — يستمع — بسكون الميم في المضارع : « يستمع » مكسور الميم ، ويقولون : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) : بسكون الراء في آخر المضارع « يأمر » ؛ لوقوع الضمير المتحرك بعده ، وهذا هو ما يعيننا الآن . فعند الإعراب نقول : إن المضارع مرفوع أو منصوب على حسب حاله الأصلية ، ونزيد : أنه سكن للوقف ، أو للتخفيف ^(١) ومثل هذا السكون لا يراعى في التوابع .

* * *

(١) سبق بيان شامل عن « سكون التخفيف » : في ج ١ م ١٦ ص ١٨٠ عند الكلام على : « مواضع الإعراب التقديرى » ، وأشهر المواضع التي تندرج فيها الحركات الأصلية .

الأحرف الأربعة الناصبة بنفسها :

— الأول : « أن » المصدرية ^(١) المحضة الناصبة للمضارع . وعلامتها اجتماع أمرين معاً : (أن تقع في كلام يدل على الشك ^(٢) ، أو على الرجاء والطمع) ^(٣) ، (وأن يقع بعدها فعل) . — فهي لا تقع في كلام يدل على اليقين والتحقق ، ولا في كلام يدل على الرجحان ^(٢) ، ولا تدخل على غير فعل — . فمثال وقوعها بعد الشك : (أى الأمرين أجدرُ بالعاقل ؛ أن يدارى السفية أو أن يقاطعه ؟ فلقد عجز الرأي الحكيم عن ترجيح أحدهما) . ومثال الرجاء والطمع قوله تعالى : (والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ، وقول الشاعر :

المـرءُ يـأـمـلُ أن يعـيـشَ ، وطولُ عيشٍ قد يضره

فأما التي تقع في كلام يدل على اليقين فهي « المخففة من الثقيلة » ^(٤) نحو : أعتقد أن سينتصر الحق ، ولو تأخر انتصاره . . . ، أى : أنه سينتصر
وأما التي تقع في كلام يدل على الرجحان (أى : الظن الغالب) فتصلح للنوعين ؛ فيصح أن تكون مصدرية ناصبة المضارع ، كما يصح أن تكون مخففة من الثقيلة ؛ نحو : (من غره شبابه ، أو ماله ، أو جاهه ، وظن أن يسلمه الدهر — فقد عرض نفسه للمهالك) .

(١) « أن » حرف متعدد الأنواع ، وستجد إشارة لأنواعه بلخصة موجزة — في ص ٢٩٠ — ومنها :
« أن المصدرية » . ويصح أن يقال : « أن » المصدرية ، أى : الحرف المصدرية . كما يقال « أن » المصدرية ، أى : الكلمة المصدرية ؛ فالتذكير على اعتبار الحرف ، والتأنيث على اعتبار الكلمة . وهذا يصدق على جميع الحروف الناصبة ، وغيرها . (انظر هامش ص ٢٨٩ ورقم ١ من هامش ص ٣٧١) .
(٢ و ٣) اليقين : هو قطع المتكلم بثبوت أمر ، وتحقيقه ، سواء أكان هذا اليقين صحيحاً في الواقع أم غير صحيح ، وسواء أكان الثبوت والتحقق سلباً أم إيجاباً . والشك هو : استواء التصديق والتكذيب في نفس المتكلم ، بحيث لا يستطيع أن يصل إلى القطع والحزم بثبوت الشيء أو نفيه ؛ لعدم وجود مرجح لأحدهما . والظن أو الرجحان : هو تغلب أحد الأمرين على الآخر في قوة الدليل تغلباً لا يصل إلى حد اليقين — وقد سبق الكلام على هذا ، في ج ٢ م ٦ ص ٥٠٠ أول باب : « ظن وأخواتها » .
(٣) أى : الأمل .

(٤) سبق البيان الشافي عنها في المكان الأنسب (ج ١ ص ٥١٥ م ٥٥٠ باب : « إن وأخواتها ») لأنها من أخوات « إن » تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ فلا تنصب المضارع . ويجيء لها بيان مناسب في ص ٢٩٠ .

وإن لم يقع بعدها فعل فليست بالمصدرية التي تنصب المضارع . كقول الشاعر :
أأنت أحنى ما لم تكن لى حاجة ؟ فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
... أى : أنه لا أخاليا .

أهم أحكامها :

١ - أنها تدخل على الماضى والمضارع باتفاق ^(١) . وإذا دخلت على الماضى لا تنصبه لفظاً ، ولا تقديرأ ، ولا محلاً - لأن الماضى لا ينصب مطلقاً - ولا تُغَيَّر زمنه . وإنما تركه على حاله ؛ نحو : فرحت بأن عاد الحق إلى أهله .

وإذا دخلت على المضارع نصبته وجوباً ؛ لفظاً ، أو تقديرأ ، أو محلاً ، وخلصت زمنه للاستقبال - كالشأن فى كل نواصبه - كقولهم : (خير لك أن تقبل ما لا بد منه مختاراً ، بدل أن ترضى به قهراً واضطراً ؛ فلا تجمعن على نفسك ضعف المضطر ؛ وذلة المغلوب على الأمر) .

٢ - أنها لا بد أن تُسبك مع الجملة الفعلية - المضارعية وغير المضارعية - التى تدخل عليها سبكاً خاصاً يؤدى إلى إيجاد مصدر مؤول ، يغنى عن « أن » وما دخلت عليه « ؛ ويعرب على حسب حاجة الجملة : فقد يكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مبتدأ ، أو خبرأ ، أو ساداً مسنداً للمفعولين ، أو غير ذلك مما يقتضيه السياق ^(٢) . . .

ومن الأمثلة قولهم : (من البر أن تصلَ صديقَ أبيك . ومن أحب أن يصلَ أباه فى قبره فليصلْ إخوانَ أبيه من بعده) . . . ، وقولهم : (أدركَ السَّبَّاقَ غايته ، بعد أن أحسنَ الوسيلةَ إليها)

(١) أما دخولها على الأمر والنهى فيجىء الكلام عليه فى « الزيادة والتفصيل » ، ص ٢٩٧ .

(٢) سبق (فى ج ١ ص ٣٦٤ و ٥٧٤ م ٢٩ عند الكلام على أنواع الموصولات الحرفية) كيفية سبك المصدر المؤول ، وطرائقه المختلفة ، وفوائده التى لا تتحقق فى المصدر الصريح ، أوضحنا كل هذا بما فيه غنى وكفاية ؛ لأهميته . وأوضحنا هناك - وفى ج ٢ باب المستثنى م ٨١ ص ٢٥٥ عند الكلام على حكم المستثنى « باللا » - أهم المواضع التى يقع فيها المصدر مؤولاً بدون حرف سبك ، كالتى بعد همزة التسوية أو نوع خاص من القسم .

٣ - أنها تتصل بالفعل الذى تدخل عليه اتصالاً مباشراً^(١) ؛ فلا يجوز الفصل بينهما بغير « لا » النافية ، أو الزائدة ؛ فالأولى نحو :

وإن افتقادی واحداً بعد واحد دليلٌ على ألا^(٢) يَدومَ خليلُ

ونحو : ما أعجبَ . ألا^(٢) يرتدعَ الظالمُ بمصير من سبقوه . والثانية : نحو قوله تعالى : (لِمَئِلاً يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَتَّقِدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ...) . أى : لأن يعلمَهم أهل الكتاب^(٣) ... لأن المعنى هنا على زيادتها وإلا فسدت .

وكذلك لا يجوز الفصل بأجنبي بين أجزاء الجملة الفعلية التى دخلت عليها « أن » المذكورة^(٣) . فإذا دخلت على جملة فعلية تشتمل - مثلاً - على مضارع وفاعله ، أو عليهما وما يكملهما من مفعولات وغيرها . وجب أن تتصل أجزاء هذه الجملة بعضها ببعض من غير أن يفصل بينها أجنبي - وهو الذى يجىء من جملة أخرى - ؛ ففى مثل : (سررت أن أراك نصير الفضيلة ؛ لا تبغى بها بئدلاً ولو احتملت فى سبيلها المتاعب ، ولا قيت المشقات) - لا يصح فى كلمة أو أكثر من الكلمات التى جاءت بعد : « لو » أن تنتقل من مكانها لتفصل بين كلمتين مما دخلت عليه « أن » الساقطة^(٤) .

(١) فلا يصح الفصل بينهما بالسین (كما نص التصريح عند الكلام على « لام الجحود ») ولا بسواها إلا كلمة : « لا » النافية ، أو الزائدة . وأجاز بعضهم الفصل بينهما بالظرف ، أو بالجار مع مجروره ؛ لأن شبه الجملة موضع التوسع .

(٢ و ٢) هنا : « أن » مدغمة فى « لا » طبقاً لقواعد رسم الحروف . والأصل : أن لا - وسيجىء الكلام على كتابتها فى ص ٢٩٨ قسم « ب » من الزيادة . -

(٣ و ٣) الجملة التى تدخل عليها « أن » تسمى : « صلة أن » (كما عرفنا فى الجزء الأول ، باب « الموصول » عند الكلام على الموصولات الحرفية . م ٢٩ ص ٣٦٨) . وستعاد هذه الآية لمناسبة أخرى فى ص ٢٨٥ .

(٤) لهذا يمتنع فى مثل : (عسى أن يعرف الولد فضل والديه) - إعراب : « الولد » اسماً لعسى ؛ لأن اسم « عسى » أجنبي عن الجملة التى دخلت عليها « أن » إذ ليس منها ، ولا من مكملاتها . ونظير هذا كلمة : « رب » فى قوله تعالى : « عسى أن يعيذك ربك مقاماً محموداً » فلا يصح إعرابها اسم « عسى » مع إعراب « مقاماً » منصوباً على الظرفية أو غيرها بالفعل : « يبعث » . أما مع إعراب : « مقاماً » مصدرًا لفعل مخنوف (أى : تقوم مقاماً) فيجوز الأمران (وقد أوضحنا هذا فى الجزء الأول ص ٢٩٤ م ٢٩ فى باب الموصولات الحرفية ، وفى باب عسى وأخواتها ص ٤٧٠ م ٥٠ من ذلك الجزء) .

٤ - أن معمول فعلها لا يتقدم عليها - في الرأي السديد - سواء أكان المعمول مفعولاً أم غير مفعول ، كقول شوقي : (عليك أن تلبسَ الناسَ على أخلاقها ، وليس عليك ترقية أخلاقها^(١)) . فلا يصح : عليك - الناسَ - أن تلبسَ على أخلاقها ، كما لا يصح : عليك - على أخلاقها - أن تلبسَ الناسَ^(٢) . . .

٥ - أن بعض القبائل العربية يهملها ؛ فلا ينصب بها المضارع ، برغم استيفائها شروط نصبه ؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى : (والوالداتُ يرضعنَ أولادَهنَّ حوايينَ كاملينَ لمن أرادَ أنْ يُتمَّ الرضاعةَ) برفع المضارع : « يتمُّ » على اعتبار « أنْ » مصدرية مهملة . والأنسب اليوم ترك هذه اللغة لأهلها ، والاقتصار على الإعمال ؛ حرصاً على الإبانة ، وبُعْداً عن الإلباس .

٦ - أنها تمتاز - ومثلها : كى عند الكوفيين - بنصبها المضارع ظاهرة ، أو مضمرة^(٣) ، بخلاف بقية الأدوات الأخرى التي تنصبه بنفسها ؛ فإنها لا تنصبه إلا ظاهرة .

* * *

وبهذه المناسبة يذكر النحاة مواضع لإظهارها وجوباً . ومواضع لإضمارها وجوباً ، ومواضع لحواز الأمرين . وفيما يلي البيان^(٤) .

(١) فيجب إظهارها في موضع واحد ، هو أن تقع بين « لام الجر » و « لا » سواء أكانت « لا » نافية أم زائدة ، فثال الأولى قول العربي : إني أنتصر للعرب ، لثلاً^(٥) يطمع فينا أعداؤنا ، وقول الشاعر :

وإني لأتركُ قبحَ الكلامِ - لئلاَّ أجابَ بما أكرهُ

(١) جمع : خَلَقَ ، وهو : الثوب البالي القديم .

(٢) ولا صلة لهذا الحكم بصحة تقديم الخبر الذي مبتدؤه « مصدر مؤول » كالذي في قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى - عدواً له ؛ ما من صداقته بدُّ

فقد تقدم الخبر . (من نكد ...) على المصدر المؤول المبتدأ (أن يرى ...) وهذا جائز .

(٣ و ٣) في ص ٤٠٢ السبب في إضمار « أن » وجوباً وجوازاً .

(٤) هذه الهزرة هي هزرة : « أنْ » أما نونها فذغمة في : « لا » فلا تظهر نطقاً ولا كتابة ؛

وسيجيء البيان في « ب » من ص ٢٩٨ -

طبقاً لقواعد الإملاء والقراءة .

ومثال الثانية قول الله تعالى : (لِيَعْلَمَ^(١) أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَتَّقِدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) : أى : ليعلم أهل الكتاب كما سبق^(٢) .

(ب) ويجب إضمارها بعد واحد من ستة أحرف : (لام الجحود - أو - حتى - فاء السببية - واو المعية) ، وكذا بعد : « ثُمَّ » الملحقه بواو المعية ، عند من يرى إلحاقها . وإضمار أن بعد هذه الأحرف تفصيلات وشروط تبنى عند الكلام على كل منها .

(ج) ويجوز إظهارها وإضمارها فى موضعين :

أولهما : أن يسبقها لام الجر . ويقع بعدها المضارع مباشرة من غير أن تفصله : « لا » النافية ، أو الزائدة : نحو : اقرأ التاريخ لِيَتَسَنَّعَ بِعِبْرَتِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، أو : لأن تنفع^(٣) : وقول الشاعر :

إن أخاك الحق من يسعى معك^٤ ومن يضر نفسه لينفعك^٥
ومن إذا صرف زمان صدعك بدد شمل نفسه ليجمعك^٦

فيصح - فى غير الشعر - لأن ينفعك - لأن يجمعك . . .

ولام الجر هذه قد تكون أصلية لإفادة التعايل^(٧) وهى التى بمعنى : « لأجل : كذا : . . . » فما بعدها - فى الأغلب - علة لما قبلها فى الكلام المثبت^(٨) ، كالأمثلة السابقة .

وقد تكون أصلية لبيان العاقبة (وتسمى : « لام الصيرورة » أو : « لام المال » ، وهى التى يكون ما بعدها نتيجة مترتبة على ما قبلها ، ونهاية

(١) هذه الهمزة هى همزة : « أن » أما نونها فدمغة فى : « لا » فلا تظهر نطقاً ولا كتابة ؛ طبقاً لقواعد الإملاء والقراءة . وسيجىء البيان فى « ب » من ص ٢٩٨ -
(٢) فى ص ٢٨٣ .

(٣) وكل هذا بشرط ألا يسبقها كون منى ، فإن سبقها وجب إضمار « أن » - كما سيجىء فى مواضع الوجوب ، ص ٣١٧ -

(٤) تختلف لام التعايل فى معناها وحكمها عن لام الجحود . وسيأتى الكلام على هذا فى ص ٣١٧ و ص ٣٢١ .

(٥) وقد تسمى : « لام » « كى » ، لصحة إحلال : كى الدالة على التعايل محلها . (انظر ص ٣١٧ و ٣٢١) .

جزائية له) . كقوله تعالى عن موسى عليه السلام : (فَاَتَّخِذْهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا . . .) ، فإن فرعون وآله لم يعتنوا بموسى وبتربيته في القصر الفرعوني ليكون لهم بعد ذلك سبب عداوة وحزن . . . ، وإنما اعتنوا بتربيته لينفعهم ، أو يكون لهم بمنزلة الولد . فلم تتحقق هذه الأمنية ، وتتحقق بدلها أمر آخر ؛ هو العداوة والحزن ، فالعداوة والحزن هما اللذان انتهى إليهما أمر التربية ، وهما العاقبة (النتيجة) والمآل الذي صار إليه أمر العناية .

وقد تكون زائدة لتقوية المعنى ، وهي الواقعة بين فعل متعد ، ومفعوله ، كقول الشاعر في الحديث عن ليلاه :

أريدُ لِأُنْسَى ذِكْرَهَا ؛ فكأنما تَمَثَّلُ^(١) لى ليلتى بكل سبيل

المضارع : « أريد » متعد ، ومفعوله المناسب هو المصدر المنسبك من « أن » المقدرة جوازاً بعد اللام ، ومن الجملة المضارعة بعدها ، وهذه اللام زائدة بينهما . والتقدير : أريد نسياني ذكرها^(٢) ، والأصل أريد لأن أنسى .

(١) أى : تمثل ، وحذفت إحدى التائين ، تخفيفاً .

(٢) والغالب أن يكون المفعول مصدراً مؤولاً ، وقد يكون اسماً صريحاً . ومن الأمثلة أيضاً قول

الشاعر في الرثاء :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوهِ فَطِيبَ تَرَابَ الْقَبْرِ نَمَّ عَلَى الْقَبْرِ
أى : أرادوا إخفاء قبره ؛ فلام الجر زائدة بين الماضى ومفعوله المصدر المؤول . ومثله :

أَرَادَ الظَّاعِنُونَ لِيَحْزَنُونِي فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِي ؛ فاستطارا
ومثله :

وَمَنْ يَكْ ذَا عَظْمٍ صَلِيبٍ رَجَا بِهِ لِيَكْسِرَ عَوْدَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَاسِرُهُ
أى : رجا كسر عود الدهر به . . . ومثل :

وملكت ما بين العراق ويشرب ملكاً أجار لمسلم ومعاهد
أى : أجار مسلماً ومعهداً .. فاللام في هذه الأمثلة وأشباهاها - زائدة بين الفعل المتعدي ومفعوله الاسم الصريح كالمثال الأخير ، أو المصدر المؤول كبقية الأمثلة . واعتبار هذه اللام زائدة داخلية على المفعول أفضل من اعتبار المفعول اسماً محذوفاً قبلها . على أن زيادتها في البيت الأخير الذى يشهد به النحاة موضع شك ؛ لما قدمناه عند الكلام عليه في باب : « حروف الجر » - ج ٢ م ٩٠ ص ٣٦٧ - حيث الموضع الأنسب لتفصيل الكلام على أحوال لام الجر وأحكامها ومعانيها .

ويجيز الكوفيون إضمار : « كى » فى كل موضع يجوز فيه إضمار : « أن » وإظهارها ؛ كالحالة السالفة بأمثلتها المختلفة ؛ فالموضع الصالح لإظهار « أن » وإضمارها صالح جوازاً للأمريين عندهم فى « كى » . ويسمون لام الجر التى قبلها : « لام » التعليل « أو : « لام كى » وهذا الخلاف لا أهمية له ، بالرغم من كثرة استعمال « أن » الناصبة فى أفصح الأساليب ظاهرة ومضمرة . . .

ثانيهما : أن تقع بعد حرف عطف من حروف أربعة ويليه المضارع مباشرة هى : (الواو - الفاء - ثم - أو . . .) بشرط ألا يدل هذا الحرف على معنى من المعانى التى توجب إضمار « أن » ؛ (كالسببية مع : « الفاء » ، والمعية مع : « الواو » و « ثم » ، وكالتعليل ، والغاية ، والاستثناء مع : « أو » ^(١) . . .) وبشرط أن يكون المعطوف عليه اسماً مذكوراً ^(٢) ، جامداً محضاً (أى : اسماً خالصاً من معنى الفعل) سواء أكان هذا الاسم المذكور الجامد مصدراً صريحاً ^(٣) أم غير مصدر . أما المعطوف فهو المصدر المؤول من « أن » والجملة المضارعية بعدها .

فمثال « الواو » إذا كان المعطوف عليه مصدراً صريحاً : تعَبُّ وأَحْصَلْ رَزَقْ خَيْرٌ من راحة وأَمُدَّ يَدَى للسؤال .
وقول القائل :

وَلْبَسْ عباءة وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَى من لُبْسِ الشُّفُوفِ ^(٤)

ومثالها إذا كان جامداً غير مصدر : لولا النخلُ فى الصحراء ويغذى البدوى لم يجد قوته ، ولولا الآبارُ وتسقيته لم يجد شربه .

ومثال الفاء والمعطوف عليه مصدر صريح : إن اقتنائى الكتب فاستفيدَ منها ، كإقتنائى الحديقة البانعة فأنتفعَ بثمارها ورياحينها . . .

(١) انظر ص ٣٢٧ ، ٣٧٢ .

(٢) وهذا هو الأغلب . ولا مانع من تصيده أحياناً . طبقاً لما سيجىء فى ص ٣٢٩ .

(٣) غير مؤول ولا متصيد .

(٤) جمع : شَفَّ (شدة الفاء ، مع فتح الشين وكسرها) وهو الثوب الرقيق الذى يكشف ما تحته كالحرير الغالى ونحوه .

ومثالها وهو جامد غير مصدر : إن البحر فأفكرَ في عجائبه ، كالقمر فأطلقَ
خواطرى وراء أسرارهِ .

ومثال « ثم » والمعطوف عليه مصدر صريح : إن التسرع في الأمر ثم
يُصْلَحُ ، كالإهمال فيه ثم يُتَدَارَكُ ؛ كلاهما معيب ؛ يضاعف الجهد والعناء ،
ويضعف الأثر .

ومثالها وهو اسم جامد غير مصدر : إن الزروع ثم أعتمدَ على نفسى في
رعايتها لى من خير الوسائل للغنى ، وإن المال ثم يساء التصرف فيه لهُو أشد دواعى
الشقاء .

ومثال « أو » والمعطوف عليه مصدر صريح : لا يرضى النابه بالتقصير أو
يتداركته ؛ وإنما رضاه بالكمال ، أو يقترب منه .

ومثالها وهو جامد غير مصدر قولك للمسافر : لن يتحول البعد دون اتصالنا .
فعندنا البريد والبرق أو يبادر أحدهنا بزيارة أخيه . . . وهكذا .

فكل مضارع بعد حرف من الحروف الأربعة السالفة منصوب بأن مضمرة
جوازاً ، ويصح إظهارها ، وكل مصدر مؤول من أن — المضمرة جوازاً ، أو الظاهرة —
وما دخلت عليه معطوف على اسم خالص قبلها ، قد يكون مصدرأ صريحاً ، أو اسماً جامداً
غير مصدر . ولا بد — مراعاة للأغلب — أن يكون المعطوف عليه مذكوراً في الكلام ؛
فلا يصح أن يكون محذوفاً ولا أن يكون — فى الأغلب (١) — متصيذاً متوهماً .

فإن كان المعطوف عليه اسماً غير صريح — بأن كان فيه معنى الفعل ، كالمشتقات
العاملة — لم يصح النصب ، نحو : الصارخة فيتألمُ العاقلُ هى النادبة . فالفعل :
« يتألم » واجب الرفع ؛ لأنه معطوف على كلمة : « الصارخة » وهى اسم غير صريح
إذ هى من المشتقات العاملة ؛ ففيها معنى الفعل ، ورائحته ، وواقعة موقعه ،
من جهة أنها صلة « أل » الموصولة . والأصل فى الصلة أن تكون جملة ، فكلمة
صارخة بمنزلة : « تصرخ » فكأن التقدير : « التى تصرخ » ، فلما جاءت « أل »

(١) قد يكون متصيذاً ، أحياناً — كما سبق فى رقم ٢ من هامش الصفحة السالفة ، وكما يجىء

الموصولة اقتضت العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل : لأنها لا تدخل إلا على بعض المشتقات التي تصلح أن تكون صلة لها .

وإذا لم يصح العطف في المواضع الثلاثة لم يصح نصب المضارع تبعاً لذلك ، فيجب رفعه على اعتبار الواو ، والقاء ، وثم ، حروف استئناف ، والجملة بعدها مستقلة في إعرابها عما قبلها . وعلى اعتبار « أو » في هذا الموضع - خاصة - للاستئناف كذلك (١) .

(١) وفي موضع الإظهار الواجب والجائز ، والإضمار الواجب يقول ابن مالك في البيتين السابع والثامن :

وبين « لا » ، ولَمْ جَرُّ التَّزِمِ إِظْهَارُ « أَنْ » نَاصِبَةٌ . وَإِنْ عُدِمَ .. - ٧
« لا » « فَإِنَّ » أَعْمَلُ مُظْهِرًا أَوْ مُضْمَرًا - ٨

أى : يلزم إظهار « أن » الناصبة للمضارع إذا وقعت متوسطة بين « لا » بنوعها ولام الجر . فإن عدت « لا » فاعمل « أن » مظهرة أو مضمرة ؛ لأن الأمرين جائزان .

ثم انتقل في الشطر الأخير إلى الكلام على مواضع إضمارها وجوباً وساقاً في ص ٣١٧ .

وفي الموضع الثاني من مواضع إظهار « أن » الناصبة وإضمارها - جوازاً ، يقول ابن مالك في بيت واحد قبل البيت الذي ختم به الباب :

وإنَّ عَلَى اسْمٍ خَالِصٍ فِعْلٌ عُطِفَ تَنْصِبُهُ « أَنْ » ثَابِتًا أَوْ مُنْحَذِفَ - ١٨

- وستجىء له إشارة أخرى في ص ٣٩٧ حيث مكانه الذي ارتضاه ابن مالك -

يقول : إذا عطف المضارع على اسم خالص من رائحة الفعل . - ومعنى أنه خالص : جموده على الوجه الذي شرحناه - نصبته « أن » ثابتة في الكلام أو محذوفة ؛ (بمعنى : مقدرة) ولم يذكر شيئاً عن حروف العطف التي تستعمل هنا ، ولا شيئاً من الشروط والتفصيلات .

ويلاحظ أنه قال : تنصبه « أن » فأراد من « أن » الكلمة ، ثم عاد فقال : ثابتاً أو منحذف ، يريد : منحذفاً ؛ على إرادة الحرف . « أن » . (انظر رقم « ١ » من هامش ص ٢٨١ . هامش ص ٣٧١) .

.....

زيادة وتفصيل :

(١) من المفيد سرد بقية أنواع : « أن » بإيجاز مناسب ؛ لشدة الحاجة إلى فهمها ، ولأنها تزيد « المصدرية المحضة » الناصبة للمضارع وضوحاً لا يكاد يتحقق إلا بعد عرض هذه الأنواع المختلفة ؛ عرضاً تتسبب به وجوه المشابهة والمخالفة .

والأنواع خمسة :

١ - المصدرية المحضة الناصبة للمضارع وجوباً ، وقد سبق الكلام عليها ^(١) ..

٢ - المخففة ^(٢) من الثقيلة - وهى من أخوات « إن » - وتعرف بعلامة من أربع :

(١) أن تدخل مباشرة على فعل جامد ^(٣) ، أو على حرف غير « لا » ؛ كقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ، وقول الشاعر :

أَجِدْكَ ، ما تَدْرِينْ أنْ رُبَّ لَيْلَةٍ كأنَّ دُجَاهَا من قُروْنِكَ يُنْشِزُ

(ب) أو : تنقَع في كلام يدل على اليقين ، والتحقق ، والاعتقاد الثابت .

مثل : « أيقن » ، ومثل : « علم ورأى » إذا أفادا اليقين والتأكد ، والاعتقاد الثابت . ويدخل في هذا كل الأفعال وغيرها مما يفيد اليقين ؛ مثل : « اعترف » ، بمعنى : علم وأقر ، وكذا : « خاف وحذر » ، - عند سيويوه وأصحابه - وما بمعناها إذا كان الشيء المخوف أو المحذور متيقناً . ومن الأمثلة قول الشاعر :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكونُ بدرًا كاملاً . . .

ومثل : أعلمُ أن سيكونُ الجزاء على قدر العمل . وقول الشاعر ينصح :

(١) في ص ٢٨١ .

(٢) المخففة من الثقيلة ثنائية لفظاً ، ثلاثية بحسب أصلها قبل التخفيف . - وقد سبق إيضاحها في الموضع الأنسب ، ج ١ ص ٥٥ ص ٦١٠ - أما المصدرية فنائية أصلاً وحالاً .

(٣) مثل : ليس - عى - و . . .

فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا أن سوف تلتقون خزياً ظاهر العار
ومثل : يقرّ الشريف من الإساءة والتقصير ؛ مخافة أن يحاسبه الضمير .
وقد اجتمع اليقين ودخولها على حرف غير الحرف « لا » فى قول الشاعر :
تيقنت أن رُبَّ امرئٍ خيّل خائئاً أمينٌ ، وخوآن يُخال أميناً

(ح) أو : تكون داخلية على جملة اسمية مسبوقة بجزء من جملة — لا بجملة
كاملة — فيكون المصدر المؤول من « أن » المحففة وما دخلت عليه متممًا للسابقة ؛
كقوله تعالى : (وآخِرُ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)^(١) ، فالمصدر المنسبك
من « أن » وما دخلت عليه خبر المبتدأ : « آخِر » . وكقول الشاعر :
كنى حزناً أن لا حياة هنيئة ولا عمل يرضى به الله ، صالح . . .
فالمصدر المؤول فاعل للفعل : كفى .

(د) أو : تكون داخلية على فعل مقصود به الدعاء ؛ نحو : صانك الله
ورعاك ، وأن هيا لك حياة سعيدة .

وأهم أحكامها :

أنها من أخوات « إن » ؛ فت نصب المبتدأ وترفع الخبر ، واسمها ضمير الشأن ،
ونخبها جملة قد تحتاج إلى فاصل فى أغلب الأحوال .

ومن أحكامها : أنها تُسبَك مع معموليها فينشأ من السبك مصدر متصرف ،
(أى : يعرب على حسب حاجة الجملة ؛ من مبتدأ ، أو خبر ، أو فاعل ، أو
مفعول به ، أو ساد مسد المفعولين . . . أو . . .) .

إلى غير هذا من الأحكام والتفصيلات الهامة التى عرضناها بأمثالها فى مكانها
الأنسب^(٣) .

(١) استعاد الآية لمناسبة أخرى فى ص ٢٩٥ .

(٢) إذا وقعت « لا » بعد أن المحففة وجب فصلها كتابة — كما سيجىء فى « ب » من ص ٢٩٨ .

(٣) ج١ ص ٦١٦ م ٥٥ ، ص ٣٦٨ م ٢٩ ، ص ٥٨٣ م ٥٢ .

٣ - الصالحة لأن تكون مصدرية ناصبة للمضارع ولأن تكون مخففة لا تنصبه ؛ وهى الواقعة فى كلام يدل على الرجحان ؛ كأن يسبقها أحد الأفعال الآتية : (ظن - خال - علم ، التى بمعنى : ظن - حسب - حنجا ...) فيرفع أو ينصب المضارع بعد كل فعل من هذه الأفعال - وما شابهها - على أحد الاعتبارين السالفين .

أما « أن » الواقعة فى كلام يدل على الشك ، أو على الطمع والرجاء والأمل - فليست إلا « المصدرية المحضة » الناصبة للمضارع وجوباً - كما أسلفنا ^(١) - فإن أجرى الظن مجرى اليقين تأويلاً ، جاز الأمران ، وبالنصب والرفع قرئ قوله تعالى : (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا) أو يتركوا ...

٤ - الزائدة : وهى التى يتساوى وجودها وعدمها ، من ناحية العمل ؛ إذ لا عَمَلٌ لها على الأصح ، وإنما أثرها معنوى محض ؛ هو تقوية المعنى وتأكيدُه ؛ (كالأشأن فى الحروف الزائدة المهملة ، طبقاً للبيان الخاص بهذا فى صدر الجزء الأول ، عند الكلام على الحرف) وتقع - فى الغالب - « بعد » لِمَا « الحينية » ^(٢) كالتى فى قوله تعالى : (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا) . والتى فى نحو : أجب الصارخ لِمَا أن يكون ^(٣) مظلوماً . برفع : يكون .

(١) فى ص ٢٨١ .

(٢) « لما » الحينية ، هى التى بمعنى : حين ، وقت . وقد سبق تفصيل الكلام عليها فى باب : « الظرف » ج ٢ م ٧٩ ص ٢٧٥ .

(٣) وقوع المضارع بعد « لما » الحينية جائز ، ولكنه قليل . ولهذا الحكم بيان ذكرناه فى الجزء الثانى وهو بيان مفيد ، لا غنى عن الرجوع إليه ؛ لأهميته ، ولما حواه من مرد أنواع جواب « لِمَا » - (م ٧٩ ص ٢٣٥) عند الكلام على الظرف : « لما » - حيث قلنا هناك :

قال الأشمونى فى الجزء الثالث ، أول باب : « إعراب الفعل » عند الكلام على أنواع « أن .. » ومنها « الزائدة » ما نصه : (الزائدة هى التالية « لِمَا » نحو قوله تعالى : « فلما أن جاء البشير ») ... ١ هـ كلام الأشمونى .

وهنا قال الصبان : (قوله نحو : فلما أن جاء البشير ...) وتقول : أكرمك لما أن يقوم زيد ، برفع المضارع . فارضى « ١ هـ كلام الصبان نقلاً عن الفارضى .

وهذا النص صريح فى جواز دخول « لِمَا » على المضارع قياساً إذا كان مسبقاً بأن الزائدة ، والعجيب أن الصبان يأتى به هنا جليلاً واضحاً ليكمل ما فات الأشمونى ثم ينسب هذا فى الجزء الرابع أول باب : « الخوازم » عند الكلام على « لما » الجازمة ؛ فقد احترز الأشمونى فوصفها بأنها أخت « لم » وقال هذا الاحتراز =

أو بين الكاف ومجروورها ، كقول الشاعر يصف امرأة :
ويوما تَوَافِينَا^(١) بوجه مُقَسَّمٍ^(٢) كأن ظبية تعطو^(٣) إلى وارق^(٤) السَّلَمِ^(٥)

أو بين « لَوَ » وفعل مذكور للقسم ؛ كقول الشاعر :
فأَقْسِمُ أَنْ لَوَ التَّقْسِينَا وَأَنْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ ؛ مظلم
أو بين « لَوَ » وفعل للقسم محذوف ؛ كقول الشاعر :

أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوَ كُنْتَ حُرًّا وَمَا بِالْحَرِّ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقُ^(٦) . . .

ومن الزائدة أيضاً — في رأى بعض النحاة — الواقعة بعد جملة مشتملة على القول
وحروفه نصّاً ؛ مثل : قلت للمتردد : أَنْ أَقْدِم . . . ، عند من يُصَوِّبُ هذا

= لإخراج « لما الحينية » و« لما الاستثنائية » لأن هاتين لا يليهما المضارع . فيقول الصبان تعليقاً على هذا
وتأيداً له ، ما نصه : « أى : كلامه فيما يليه المضارع ، فلا حاجة إلى الاحتراز منها » . ا هـ . فهو
يكتفى بهذا ، ساكتاً عما قاله الأشموني من أن المضارع لا يجيء بعد « لما الحينية » و« لما الاستثنائية » .
وهنا احتمال آخر ولكنه ضعيف ؛ هو أن يكون المراد من منع دخول « لما الحينية » على المضارع هو دخوها
المباشر بغير فاصل بينهما من « أَنْ » أو غيرها .

وكما نرى هذا في باب « الجوازم » نفسه أيضاً في باب « جمع التكسير » — ج ٤ — عند الكلام على
صيغة : « فَعُول » واطرادها ؛ وبيت ابن مالك : « وبِفُعُولِ فَعِلْ ، « نحو : كبد . . . » حيث قال الأشموني
عنها في ذلك الباب : « ظاهر كلام المصنف هنا موافقة التسهيل ، فإنه لم يذكر في هذا النظم غالباً إلا
المضارع ، ولما يذكر غيره يشير إلى عدم اطراده غالباً بقد ، أو نحو : قل . . . أو نذر . . . » ا هـ وهنا قال
الصبان ما نصه :

(قوله : ولما يذكر غيره . . . إلخ .) تركيب فاسد ؛ لأن « لما الحينية » لا تدخل إلا على ماض .
ا هـ كلام الصبان . وفي كلامه هذا مجال لاحتمال السالف الضعيف .

فبأى الرأيين نأخذ ؟ بالأول لأنه نص صريح فيه تيسير ، ولكن حظه من القوة والسمو البلاغى أقل
كثيراً من الآخر الذى منعه أكثر النحاة .

(١) تَأْتِينَا .

(٢) جميل حسن .

(٣) تمد عنقها وتميله .

(٤) وارق : أى : به أوراق .

(٥) السَّلَمِ : شجر .

(٦) الشريف كريم الأصل .

.....
.....

التركيب ، — كما سيحجى عنها في الكلام على المفسرة^(١) — وقد وردت زيادتها بعد «إذا» في قليل من المسموع الذي لا يقاس عليه .

٥ — الجازمة . وهي لغة لإحدى القبائل العربية^(٢) ؛ نحو : أوصل العمل إلى أنْ يكتملْ ، أو : أنْ ينته وقتُه . والأفضل إهمال هذه اللغة اليوم ؛ منعاً للخلط والإلباس .

٦ — الضمير :

تكون «أنْ» ضميراً للمتكلم عند بعض العرب — بمعنى : «أنا» ؛ فيقول : أنْ جاهدت في الله حقَّ الجهاد ؛ بمعنى : أنا جاهدت . . . أما مجيئها للمخاطب مذيلة ببعض حروف تدل على فروعه المختلفة فهو الشائع بين القبائل^(٣) ؛ نحو : أنت — أنت — أنتما — أنتم — أنن .

٧ — المفسرة :

وهي حرف مهملة^(٤) . والغرض منه : إفادة التبيين والتفسير ، مثل : «أى المفسرة» فكلاهما حرف تفسير ؛ ولهذا يصح إحلال «أى» محل «أنْ» .

ولا تكون «أنْ» مفسرة إلا بثلاثة شروط مجتمعة :

أولها : أن تسبقها جملة مستقلة كاملة ، فيها معنى القول دون حروفه .

ثانيها : أن يتأخر عنها جملة أخرى مستقلة ، تتضمن معنى الأولى ، وتوضح المراد منها .

ثالثها : ألا تقترن «أنْ» بحرف جر ظاهر أو مقدر .

(ومن الشرط الثاني يتبين أن الذي يقع به التفسير هو الجملة المتأخرة : أما الحرف

(١) انظر رقم ٤ من هامش ص ٢٩٥ ، الآتية ، ثم ص ٢٩٧ وفي هذه الصفحة نوع آخر من الزائدة .

(٢) عرض بعض النحاة لها أمثلة من الشعر ، وصفها غيره بأنها لا تصلح للاستشهاد لأسباب صحيحة قوية . ولكن صحتها وفساد تلك الأمثلة لا يقدحان في الأمر الواقع ، وهو وجود قبيلة عربية تجزم بالحرف : «أنْ» .

(٣) سبق تفصيل الكلام على هذا الضمير من نواحيه المختلفة في الباب الخاص بالضمير — ج ١ —

(٤) لا عمل له ، ولا يتأثر بعامل .

« أن » ف مجرد أداة ، أو آلة ، أو رمز ، ففي الكلام مجاز مرسل ، علاقته الآلية .

فإذا استوفت الشروط الثلاثة كانت مفسرة للمفعول الفعل الذى قبلها ؛ إن كان متعدياً ، سواء أكان المفعول ظاهراً أم مقدراً . فالظاهر كالذى فى قوله تعالى ، يخاطب موسى : (... إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي) أن أقذفه فى التابوت فاقد فيه فى اليم ...) ف « ما يوحي » هو عين « أقذفه فى اليم » معنى ... ، والمقدر كالذى فى قوله تعالى ^(١) فى قصة نوح : (فأوحينا إليه أن اصنع الفلئك ...) على تقدير : أوحينا إليه شيئاً ؛ هو : اصنع . ويصح أن تكون « أن » هنا زائدة ، والمعنى ^(٢) : أوحينا إليه لفظ : « اصنع » .

وإن لم يكن الفعل متعدياً فالجملة التفسيرية لا محل لها — كما سيجىء .

فإن لم يسبقها جملة كاملة كانت — فى الغالب — مخففة من الثقيلة ؛ كالتى فى قوله تعالى : (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) لأن ما قبلها مبتدأ لا خبر له إلا « أن » وما دخلت عليه . وهذا ينمى التفسيرية ؛ لأنها لمحض التفسير — لا للتكميل — فتقتضى أن يكون قبلها جملة تامة ؛ كما سلف ^(٣) .

وإن كان قبلها جملة تامة ولكنها مشتملة على حروف القول وجب اعتبار « أن » زائدة لا مفسرة ؛ نحو : قلت له : أن افعل ^(٤) — كما سبق ^(٥) عند الكلام على « أن » الزائدة — .

(١) فى سورة : « المؤمنون » (وستعاد الآية لمناسبة أخرى فى ص ٢٩٧) .

(٢) انظر ص ٢٩٧ .

(٣) فى : (ح) من ص ٢٩١ .

(٤) جاء فى حاشية الصبان فى هذا الموضع عند الكلام على « أن » الناصبة للمضارع ما نصه : « قلت له : أن افعل — ليست مفسرة ؛ لوجود حروف القول — ولا يقال مثل هذا التركيب ، لعدم وجوده فى كلامهم ؛ لأن الجملة تقع مفعولاً لصريح القول [يريد : من غير أن] وعلى تسليم أنه يقال — لا تجعل « أن » فيه تفسيرية ، بل زائدة . وجوز الزحشرى فى قوله تعالى : « [ما قلت لم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله] اعتبار « أن » مفسرة على تأويل : « قلت » بأمرت . واستحسنه فى المعنى . قال : وعلى هذا فمضى شرطهم ألا يكون فى الجملة التى قبلها حروف القول ، أى : باقيا — هذا القول — على حقيقته ، غير مؤول بغيره . » اهـ . هذا ، وفى الصفحة التالية ما يتم الموضوع ، ويزيده بياناً .

(٥) فى ص ٢٩٣ .

وإن لم يتأخر عنها جملة امتنع مجيء «أن» ؛ فلا يقال : «أرسلت إليك ما يليق :
«أن» مدحاً » . فيجب حذف : «أن» أو الإتيان بكلمة : «أى المفسرة» .

وإن اقترنت بحرف جر ظاهر أو مقدر فهي «مصدرية» . لاختصاص حرف
الجر بالدخول على الاسم ، ولو كان الاسم مصدراً مؤوَّلاً ؛ كالمثال السابق ، وهو :
(فأوحينا إليه أن اصنع الفلَّكَ . . .) إن جعلنا التقدير : فتأوَّحينا إليه بصنع
الفلَّك . . . على معنى : وأشرنا إليه (أى : عليه) بصنع الفلَّك . ولم نجعله على
تقدير حذف المفعول والاستغناء بتقديره عن تقدير حرف جر محذوف .

بقى شيء هام ؛ هو : إعراب الجملة الواقعة بعد «أن» المفسرة . قال
صاحب المعنى : (الجملة المفسرة لا محل لها مطلقاً) . ولكن الصبان في حاشيته
ناقش هذا عند الكلام على «أن» المفسرة . وقال : إن الجملة المفسرة التي لا محل
لها من الإعراب هي الجملة التي ليست في معنى المفرد ، كالتى في مثل : (محمدأ
أكرمته) إذ الأصل : أكرمتُ محمدأ أكرمته — أما التي تفسر المفعول بعد «أن»
— فالظاهر أنها في محل نصب ، تبعاً لما فسرته ؛ لأنها في معنى هذا اللفظ ، فيحل
المفرد محلها . ثم أيد الصبان رأيه هذا بكلام نقله عن بعض المحققين .

وإذا كان لها محل من الإعراب كالمفرد الذى تفسره فما موقعها ؟ أتكون مفعولا
مثله ، أم بدلا ، أم عطف بيان ؟

تكون بدلا أو عطف بيان ؛ لأن البدل والبيان هما اللذان يسيران التفسير
ويناسبانه ؛ (كما سبق فى بابهما ج ٣ ص ٩٩ م ١١٧ . . . وص ٤٨٦ م ١٢٣ . . .
وشىء آخر هام أيضاً :

إذا جاء بعد «أن» الصالحة للتفسير مضارع مسبوق بكلمة : «لا» نحو :
أشرت إليه أن لا يفعل ، جاز رفعه على اعتبار «لا» نافية . وجزمه على اعتبارها
ناهية ، و«أن» في الحالتين مفسرة^(١) ، وجاز نصبه على اعتبار «لا» نافية ، و«أن»

(١) فى هذا المثال — وأشباهه — تكون الجملة بعدها مفسرة للجملة قبلها ، لعدم وجود مفعول ظاهر =

.....

مصدرية^(١). فإن حذفت « لا » امتنع الجزم ، وصح الرفع أو النصب .
 لكن صرح الصبان بأنه يصح على الجزم بلا الناهية اعتبار « أن » مصدرية ؛
 اعتماداً على الرأي الأصح الذى يبيح دخولها على الأمر والنهى ، . . . وقد جاء فى
 حاشية الخضرى ما نصه^(٢) :

(وصل « أن » بالماضى اتفاق ، وبالأمر^(٣) عند سيبويه ، بدليل دخول الجار
 عليها فى نحو : كتبت إليه بأن قم أو لا تقعد . إذ لا يدخل إلا على الاسم ،
 فتؤول بمصدر طلى ، أى : كتبت إليه بالأمر بالقيام ؛ كما قدر الزمخشري فى قوله
 تعالى : (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومه) ، أى : بالأمر بالإنذار ،
 فلا يفوت معنى الطلب . وردة الدمامينى بأن كل موضع وقع فيه الأمر هو
 محتمل لكون « أن » فيه تفسيرية ؛ بمعنى : « أى » ؛ كهذه الآية . ونحو :
 (فأوحينا إليه أن^(٤) اصنع الذلک . . .) ونحو (وإذا أوحيتُ إلى الحواريين أن
 آمنوا بى وبرسولى) . ونحو : (وانطلق الملائم منهم أن أمشوا . . .) ، أى :
 انطلقت ألسنتهم^(٥) فكل ذلك — إن لم يقدر فيه الجار — هى فيه إمّا تفسيرية ؛
 (لسبقها بجملة فيها معنى القول دون حرّوفه ؛ ووقوع جملة بعدها ، وخلوها من الجار
 لفظاً) ، ولا حاجة إلى تقديره كما يقول سيبويه ، — وإما زائدة ؛ كالتمثال : (أى :
 = أو مقدر تفسره ؛ لأن الفعل قبلها لازم ، فالجملة التى بعدها لا محل لها من الإعراب ، بناء على ما سبق

من كلام المنى والصبان .

(١) وتكون مصدرية مع انطباق شروط المفسرة عليها على اعتبار آخر : هو أن الفعل الذى قبلها
 لازم يتعدى بحرف الجر ، وأن الحرف الجار محذوف ، وهذا التأويل يخرج من عداد المفسرة ؛ لأن المفسرة
 — كما سبق — لا تتقرّن بحرف الجر مطلقاً ، (لا ظاهراً ولا بمقدراً) وتدخل فى عداد المصدرية ، وليس فى
 هذا التأويل تكلف ؛ لأن حذف حرف الجر قياسى قبل « أن » وأن « إذا كان الفعل قبلهما لازماً .

(٢) ج ١ أول باب الموصول .

(٣) والمراد به ما يشمل النهى أيضاً — كما يتضح من التمثيل الآتى — ؛ لأن النهى أمر بالكف
 وطلب الامتناع .

(٤) انظر ص ٢٩٤ . حيث الكلام على المفسرة .. و ..

(٥) ليس المراد بالانطلاق المثى ، وإنما المراد : انطلاق الألسنة ، كما أن المراد بالمشى هنا هو
 الاستمرار على الشئ . وليس المثى المعروف .

كتبت إليه بأن قم) ، أى : بهذا اللفظ . زيدت « أن » كراهة دخول الجار على الفعل ظاهراً ، وإن كان فى الواقع اسماً ، لقصد لفظه .

وإذا دخلت « أن » على الماضى والأمر باعتبارها مصدرية فإنها لا تغير زمنهما ، ولا يكون لهما محل تنصبه ؛ — كما جاء فى المعنى عند الكلام عليها . — خلافاً لرأى ضعيف آخر .

(ب) انتهينا من الكلام على « أن » من وجهتها النحوية واللغوية وبقيت ناحية تتصل بإظهارها أو عدم إظهارها فى النطق وفى الكتابة إذا وقعت بعدها « لا » . أما مع غير « لا » فتظهر فى الحالتين .

١ — فىجب حذف النون فىهما إن كانت « أن » مصدرية ناصبة للمضارع المسبوق « بلا » النافية ، أو : « » الزائدة ، نحو : شاع ألا يُخفِق الإنسان فى الوصول للكواكب — (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتُك) والحذف هنا معناه عدم ظهورها فى الكتابة وفى النطق ؛ فهى مدغمة فى « لا » وإدغامها يمنع ظهورها خطأً ونطقاً . . .

٢ — ويجب إظهارها فى الكتابة ، وإبرازها خطأً لا نُطقاً إن كانت غير ناصبة للمضارع ؛ سواء أكان بعدها اسم ، أم فعل ؛ نحو : تيقنت أن لا أسافر — أشهد أن لا إله إلا الله ، فتظهر فىهما خطأً ، وتدغم فى « لا » عند النطق .

الثانى : لَن :

وهو حرف^(١) ، يفيد النفي بغير دوام ولا تأييد إلا بقرينة خارجة عنه . فإذا دخل على المضارع نفى معناه فى الزمن المستقبل المحض — غالباً^(٢) — نفياً مؤقتاً يقصر أو يطول من غير أن يدوم ويستمر ، فمَن يقول : لَن أسافر ، أو : لَن أشرب ، أو : لَن أقرأ غداً ، أو نحو هذا . . . ، فلنما يريد نفي السفر — أو غيره — فى قابل الأزمنة مدة معينة ، يعود بعدها إلى السفر ونحوه ، إن شاء ، ولا يريد النفي الدائم المستمر^(٣) فى المستقبل ، إلا إن وجدت قرينة مع الحرف « لَن » تدل على الدوام والاستمرار .

أشهر أحكامه :

١ — أنه مختص بالمضارع ، ينصبه بنفسه ، ويخلص زمنه للمستقبل المحض غالباً^(٢) ؛ ولهذا كان نفيه لمعنى المضارع مقصوراً على المستقبل غالباً — كما تقدم — نحو قوله تعالى : (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

٢ — جواز تقديم معمول مضارعه عليه (أى : على « لَن ») ؛ كقول الشاعر :

مَهْ — عاذلى^(٤) — فهائماً لَن أبرحها بمثلٍ أو أحسن من شمس الضحى

فكلمة : « هائماً » خبر للمضارع المنصوب بـ « لَن » ، وقد تقدمت على الناصب .

(١) هو حرف غير مركب . أما ما يعرض له بعض النحاة من الكلام على أصل مادته وبنيته ، (وأن أصله « لا أن » أو . . . أو . . .) فلا يصح الوقوف عنده ، ولا الالتفات إليه ؛ لعدم جدواه . (٢ و ٣) لأنه قد ينشئ زمنه المستقبل المتصل بالخال ؛ كآية : (فلن أكلم اليوم إنسيا) . فقد نشئ الخال الممتد إلى المستقبل .

(٣) يدل على هذا قوله تعالى : (فلن أكلم اليوم إنسيا) فلو كانت « لَن » تفيد تأييد النفي للمستقبل المحض (الخالص) لوقع التعارض بينها وبين كلمة : « اليوم » فى الآية ، لأن اليوم محدد معين ، وهى غير محددة ولا معينة . ولوقع التكرار المعيب فى قوله تعالى : (. . . فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً . . .) فما فائدة كلمة « أبداً » التى تدل على التأييد إن كانت « لَن » تدل عليه ؟ أما التأييد فى قول الشاعر :

إن العرائين تلقاها محسدةً ولن ترى للثام الناس حسداً

وفى قوله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . . .) فبسبب قرينة خارجية ، هى العلم القاطع المستمد من المشاهدة الصادقة الدائمة .

(٤) يا عاذلى .

٣ - عدم الفصل بينه وبين مضارعه ، إلا للضرورة الشعرية ؛ كالتى فى قول القائل :

لن - ما رأيت أبا يزيد مقاتلاً - أدع القتال وأشهد^(١) الهيجاء
والأصل : لن أدع القتال . . . ما رأيت أبا يزيد . . . وأجاز بعضهم الفصل
بالظرف أو بالجار والمجرور ؛ لأن شبه الجملة يتوسّع فيه . . .

٤ - أنه قد يتضمن مع النفى الدعاء أحياناً ؛ كقول الشاعر :

لن تزالوا كذلكم ؛ ثم لازلوا لكم خالداً خلود الجبال
ومنه قوله تعالى على لسان موسى : (قال ربّ بما أنعمتَ علىّ ؛ فلن أكون
ظهيراً للمجرمين) لأن أدب المتكلم مع ربه ، وجهله بالغيب ؛ يقتضيان أن يكون
الكلام متضمناً الدعاء ، لا النفى القاطع لأمر يكون فى المستقبل ، لا يدرى المتكلم
عنه شيئاً ؛ فكيف يقطع فيه برأى حاسم ، وأنه سيظل خالداً لأعدائه خلود الجبال ؟
٥ - أنه - بمعناه السابق - حرف جزم عند بعض العرب القدامى^(٢) ؛ فيقول
قائلهم : لن أنطق لغواً ، ولن أشهد زوراً . . . ، يجزم الفعلين . وليس من
المناسب اليوم محاكاة هذه اللغة ؛ حرصاً على الإبانة ، ولإبعاداً للخلط واللبس .

الثالث : كى

وهو حرف متعدد الأنواع ؛ يعيننا منها : النوع المصدرى المحض ، المختص
بالدخول على المضارع ، وبنصبه وجوباً بنفسه مباشرة ، لا « بأن » المضمرة وجوباً
كما يرى بعض النحاة .

(١) المضارع : « أشهد » ، إما مرفوع على الاستثناف . وإما منصوب بأن المضمرة جوازاً لعطفه
على اسم صريح ؛ هو المصدر : « قتال » - طبقاً للقاعدة الخاصة بهذا ، وقد سبقت فى ص ٢٨٧ -
والتقدير : لن أدع القتال ، وأن أشهد الهيجاء . أى : لن أدع القتال ، وشهود الهيجاء . . . ولا يجوز
عطف « أشهد » على المضارع المنصوب قبلها ؛ وهو : « أدع » لتلايف المعنى ؛ إذ يكون المعطوف منفياً
كالمعطوف عليه ، فيكون التقدير : لن أدع القتال ، ولن أشهد الهيجاء . وهذا غير المراد .

(٢) جاء هذا الحكم فى كثير من المراجع النحوية بصيغة تدل على الشك فى صحته ؛ بدليل أن
« المعنى والأشموقي » اشتركا فى النص الآتى : (وزعم بعضهم أنها قد تجزم) اهـ وبدليل عبارة « الخضرى »
ونصها : (قيل : والجزم بها لغة) وساق المراجع السالفة بيّتين استشهدا للجزم .

وعلاوة مصدريته الخاصة وقوعه بعد لام الجر مع عدم وقوع « أن » المصدرية بعده (في الرأي الأرجح) لا ، ظاهرة ولا مضمرة ؛ إلا في حالة الضرورة ، أو التوكيد اللفظي ؛ نحو : متحننا الله الحواس لكي نستخدمها في تحصيل العلم ، وإنجاز مطالب العيش . وزودنا بالأمل الكبير ؛ لكيلا يستبد بنا اليأس فيحرقنا بناره ؛ ويشتهر هذا النوع باسم : « كى المصدرية » . وهو مثل : « أن » المصدرية معنى . وعملاً ، وسبكاً^(١) ؛ ولهذا لا يصح وقوع « أن المصدرية » بعده ، إلا في حالة الضرورة أو التوكيد اللفظي — كما تقدم — ، وبالرغم من هذا فوجود « أن المصدرية » ، بعده في هاتين الحالتين غير مستحسن .

وتشتهر لام الجر التي قبل « كى » باسم : لام التعليل « لأن ما بعدها علة لما قبلها من كلام مثبت^(٢) .

وأهم أحكام « كى » المصدرية :

١ - وجوب نصبها المضارع بنفسها ، وتخليص زمنه للمستقبل — غالباً — فهي كسائر النواصب في هذا التخليص .

٢ - وجوب اتصالها بالمضارع مباشرة وعدم الفصل بينهما ، بغير ، « لا » النافية وحدها — كالتى في المثال السالف^(٣) — أو « ما » الزائدة وحدها ، أو هما معاً بشرط تقديم « ما » . ومثال الفصل « بما » الزائدة : امنح نفسك قسطها من الراحة

(١) بين الحرفين بعض فروق ؛ أهمها : تصرف « أن المصدرية » مع صلتها ؛ بأن يقع المصدر المؤول منها مبتدأ ، وفاعلاً ، ومفعولاً ، ومجروراً بحروف الجر المختلفة ، وغير هذا من المواقع الإعرابية المتعددة . أما « كى المصدرية » فغير متصرفة ؛ فالمصدر المنسبك منها ومن الجملة المضارعية بعدها لا يكون إلا مجروراً باللام .

(٢) وهذه « اللام » هى التى تدل وحدها على « التعليل » أما « كى » التى بعدها . . . فتجردة للمصدرية ولا دخل لها بالتعليل . فإن كان الكلام قبل اللام منفياً فقد تكون علة لما قبلها أو لا تكون ، على حسب البيان الآتى عند عودة الكلام عليها ، والموازنة بينها وبين لام الجحود ، فى « ب » من ص ٣٢١ . (٣) إذا توسطت كى بين لام الجر ولا النافية وجب وصل الثلاثة فى الكتابة . وإن لم توجد لام الجر فصلت « كى » عن « لا » . تطبيقاً لقواعد الإملاء الحالية ؛ كقول الشاعر :

وإني لأنسى السرّكى لا أذيعه فيما من رأى شيئاً يصابن بأن ينسى !!
(انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٠٥) .

لكَيْسِمَا تَنْشَطَ وَتَقْوَى . وقول الشاعر :

ولقدَ لَحْنْتُ^(١) لكم لَكَيْسِمَا تفهموا وحيثُ^(٢) وحيثُ ليس بالمراتب

ومثال الفصل بهما معاً : لا تتعرض للشبهات لكَيْسِمَا لا يصيبك التجريح بحق وغير حق ، وقول الشاعر :

أردت لكَيْسِمَا لا ترى لىَ عَثرةً ومن ذا الذى يُعْطَى الكمال فيكْمَل ؟
والفصل « بلا » النافية وحدها لا يمنع النصب - باتفاق - أما الفصل « ما »
الزائدة وحدها ، أو بهما معاً فالراجع أنه لا يمنع أيضاً .

٣ - وجوب سبكها مع الجملة المضارعية^(٣) التى بعدها مصدراً مؤولاً يعرب
مجروراً باللام ؛ فهو مصدر غير متصرف ، بخلاف المصدر المنسبك من « أن
المصدرية » - وما دخلت عليه فهو مصدر متصرف حتماً^(٤)

ونشير هنا إلى أسلوب فصيح شائع يقع فيه المضارع المسبوق بلام التعليل
منصوباً ، كقوله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ؛ لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ
منْ ذَنْبِكَ ، وما تَأَخَّرَ . . .) فما الذى نصب المضارع : « يغفر » ؟

قيل منصوب « بأن » مضمرة جوازاً بعد اللام ، وقيل منصوب : « كى »
مضمرة جوازاً بعدها عند الكوفيين . وقد يكون رأى الأول هو الأنسب ؛ لأن
الأكثر هو إضمار « أن » ، ويشيع عملها ظاهرة ، ومضمرة ، وجوباً^(٥) ، أو جوازاً . . .

(١) أوضحت وبينت . (٢) أخبرت .

(٣) الطرق المستعملة فى سبك « المصدر المؤول » ، والأسباب الداعية لاستعماله دون المصدر
الصريح - موضحة تفصيلاً - فى ج ١ م ٢٩ ص ٢٩٩ عند الكلام على : « الموصولات الحرفية » .

(٤) انظر رقم ١ من هامش من الصفحة السابقة .

(٥) انظر « بوح » من ص ٢٨٥ وص ٤٠٢ ؛ - حيث بيان السبب . وفى : (لن ، وكى وأن)

يقول ابن مالك :

وَبَلَنْ أَنْصِبُهُ ، و« كى » ، كَذَا « بَأَنْ » لا بَعْدَ عِلْمٍ . وَالَّتِى مِنْ بَعْدِ ظَنْ ... - ٢

فانْصَبَ بِهَا ، وَالرَّفْعَ صَحِّحٌ ، واعتقد تخفيفها مِنْ « أَنْ » ؛ فهو مُطَرَّد - ٣
يقول : انصب المضارع بالحرف « لن » ، والحرف « كى » وكذا بالحرف « أن » بشرط ألا يكون
الحرف : « أن » واقماً بعد ما يفيد العلم واليقين ، أما إن كانت الأداة « أن » واقمة بعد ما يفيد الظن =

.....
.....

زيادة وتفصيل :

١ - قلنا^(١) : إن « كى » حرف متعدد الأنواع ... أشهرها النوع المصدرى السالف الذى أوضحناه^(١) ، وما يزيده بياناً وجلاء ويتم الفائدة عض بقية الأنواع فى إيجاز مناسب :

الأنواع كلها أربعة :

(أ) « كى » المصدرية المختصة بالمضارع ونصبه وجوباً . وقد سبقت^(١) .

(ب) « كى » التعليلية المختصة « وهى حرف جر يفيد التعليل (أى : يفيد أن

فانصب بها المضارع إن شئت ، وصحح الرفع إن شئت ، (أى : اعتبره صحيحاً) ، واعتقد أنها فى صورة الرفع مخففة من « أن » الثقيلة التى هى من أخوات « إن » . ثم بين بعد ذلك أن بعض القبائل يهمل « أن » الناصبة للمضارع وجوباً ؛ حملاً على أختها « ما » المصدرية « فكلاهما عنده لا ينصب .. قال :

وبعضهم أهمل : « أن » ؛ حملاً على « ما » أختها - حيث استحققت عملاً - ؛
(تقدير البيت : وبعضهم أهمل « أن » حيث استحققت عملاً ؛ حملاً على أختها : « ما » المصدرية فإنها لا تعمل) .

يريد : أن بعض العرب أو النحاة - يهمل « أن » فى كل موضع تستحق فيه أن تنصب المضارع . وسبب إهمالها حملاً على « ما » المصدرية التى لا تعمل ، بالرغم من مشابهتها « أن » فى المعنى . والإهمال مقصور على « أن » المصدرية التى تستحق العمل فى المضارع - كما سبق - . أما غيرها من بقية أنواع « أن » كالمخففة من الثقيلة وغيرها فلا دخل لها بهذا ، فلكل نوع حكمه الخاص به . وعلى هذا الأساس يجب - فى بيت ابن مالك - تعليق الظرف : « حيث » بالفعل الماضى : « أهمل » ؛ ليستقيم المعنى المراد .

وقبل أن يتم الكلام على : « أن » المصدرية الناصبة ، انتقل إلى : « إذن » الناصبة ، ثم عاد إلى إتمام الكلام على « أن » فسرّد حالات إظهارها وإضمّارها ، جوازاً وجوباً فى الحالتين ؛ فقال :

وبينَ « لا » ولَامَ جَرُّ التَّنْزِيمِ ٧ -

وقد شرحنا هذا البيت ونصف الذى يليه مما له علاقة بالبحث فى المكان المناسب ص ٢٨٩ .

ويعاد ذكره لمناسبة فى ص ٣١٢ . (١) فى ص ٣٠٠ .

.....

 ما بعده علة لما قبله من كلام مثبت^(١)، غالباً ؛ فهي بمنزلة «لام التعليل» السابقة^(٢) معنى وعملاً . ولها أربع صور :

الأولى : أن تدخل على «ما» الاستفهامية ، — للسؤال عن العلة — فتجرها ؛ نحو : كيّم تكثر الغابات في المناطق الاستوائية ؟ بمعنى : لِمَ تكثر الغابات .. ؟ ولا يصح أن تكون هنا مصدرية ؛ لوجود فاصل قوى بينها وبين المضارع ، ولفساد التركيب والمعنى على المصدرية .

الثانية : أن تدخل على : «ما» المصدرية فتجر المصدر المؤول : كقول الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضرّ : فإنما يُرجّى النّفى كيّمَا يضرّ وينفع

أى : يُرجّى النّفى «كى» الضّر والنّفع ؛ بمعنى : للضر والنفع^(٣) . فلا يصح — في الراجع — اعتبارها مصدرية ؛ لوجود الفاصل ، ولأن الحرف المصدرى لا يدخل على حرف مصدرى — في الفصيح إلا لتوكيد لفظى في بعض الحالات ، أو لضرورة شعرية ، وكلاهما غير مستحسن هنا . . .

الثالثة : الداخلة على : «لام الجر» كقول الشاعر يفتخر بكرمه :

فأوقدتُ نارى كى ليُبَصّرَ ضوئُها وأخرجتُ كلبى وهو فى البيت داخله

ولا يصح اعتبارها مصدرية ؛ لوجود الفاصل . أما هذا المضارع المنصوب بعدها فناسبه : «أن» المضمرة جوازاً بعد لام التعليل .

الرابعة : الداخلة على «أن» المضمرة وجوباً — عند البصريين — ؛ نحو : أخلص فى عملى كى أرفع شأن وطنى وهذا على اعتبار الناصب للمضارع عندهم

(١) انظر رقم ٢ من هامش ص ٣٠١ ؛ و «ب» من ص ٣٢١ .

(٢) فى ص ٣٠١ .

(٣) وقيل إن «ما» زائدة ، كفتها عن العمل — تبعاً لبعض الآراء — وليست مصدرية ، والمصدر من «كى» الملتغاة وصلتها . وعلى هذا تكون لام الجر مقدرة قبلها . وتدخل «كى» فى عداد المصدرية الناصبة ، ولكنها لم تنصب بسبب «ما» .

هو: «أن» المصدرية المضمرة وجوباً ، وليس «كى» ؛ لأن الحرف المصدرى ، لا يدخل على نظيره ولو كان مقدراً — فى فصيح الكلام إلا على الوجه السالف . وظهور «أن» هذه أحياناً بعد «كى» ضرورة على هذا رأى البصرى ، كقول الشاعر :
فقلت أكل الناس أصبحت مانحاً لسانك كيما أن تغر وتخدعا^(١)

والكوفيون يجيزون وقوع «أن» الظاهرة — بعد «كى» فى الاختيار ويجعلون الناصب عند اجتماعهما هو : «كى» ؛ لسبقها ، مثل : اسمع الموسيقى كى أن تهدأ أعصابك ، واستمتع بالغناء كى أن تنتعش ... ، ورأيهم هو السيد الذى يحسن الأخذ به ، ويؤيد ظهور «أن» المصدرية أن إضمارها بعد «لام التعليل» جائز لا واجب عند الفريقين

فالحرف «كى» فى الصور الأربعة السالفة بمنزلة لام الجر معنى وعملاً . فإن وقعت بعده لام الجر كانت مؤكدة له ، وكان النصب عند البصريين بأن مضمرة وجوباً كما سبق ، وإضمار «أن» هنا وجوباً عندهم هو موضع سادس يزداد على المواضع الخمسة الآتية (فى ص ٣١٧) التى يجب فيها الإضمار ، والتى يزداد عليها :
«ثم» عند الكوفيين

(ح) «كى» الصالحة للمصدرية و «للتعليلية» ولها صورتان :

الأولى : «كى» المجردة من «لام الجر» قبلها ، ومن «أن» المصدرية بعدها^(٢) نحو : صن لسانك كى تسلم من ألسنة الناس ، وادخر بعض مالك كى ينفعلك عند تقلب الأيام . . . وقول شاعر قصير :

إذا كنت فى القوم الطوال علوتهم بعارفة ، كى لا^(٣) يقال قصير

(١) البيت لجمل بن سَمْعَر ، وفيه رواية أخرى تخلو من الشاهد ، هى :

فقلت: أكل الناس أصبحت مانحاً لسانك هذا كى تغر وتخدعا

(٢) الفرق بين هذه الصورة والصورة الرابعة التى سلفت أن الرابعة لا بد فيها من دخول «كى» على «أن» المضمرة وجوباً والتى يجب ملاحظتها فى الإعراب وفى المعنى .

(٣) الشائع فى قواعد رسم الحروف فصل «لا» النافية من «كى» وجوباً إذا لم تسبقها لام الجر ، فإن سبقتهما وجب وصل الثلاثة فى الكتابة

(انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٠١) .

النحو الوافى — رابع

فإن قدرنا اللام قبلها « فكى » مصدرية ، وإن قدرنا « أن » بعدها « فكى »
تعليلية بمعنى لام الجر . والمضارع في الحالتين منصوب^(١)

النازية « كى » المتوسطة بينهما ؛ نحو : يُغْفَرُ للصديق هفوته ، لكى أن
تدوم مودته ، فيصح أن تكون اللام للتعليل وهى جارة ، و « كى » تعليلية مؤكدة لها
توكيداً لفظياً ، و « أن » مصدرية ناصية للمضارع . والمصدر المنسبك مجرور باللام .

كما يصح أن تكون « اللام » للتعليل وهى جارة أيضاً ، و « كى » مصدرية
مؤكدة توكيداً لفظياً « بأن » المصدرية . والمضارع منصوب بـ « كى » ، والمصدر
المؤول من « كى » وصلتها مجرور باللام . ويفضل النحاة الإعراب الأول لالتصاق
« أن » بالمضارع مباشرة ، ولأنها أقوى فى نصبه ، وأكثر استعمالاً من « كى » . ومن
المغتفر هنا دخول حرف الجر أو الحرف المصدرى على نظيره ؛ لأنه للتوكيد اللفظى .

وفى الصورتين السالفتين يجوز فصلها من المضارع « بلا » النافية فلا تمنع عملها
النصب ، أو : بـ « ما » فتكفها عن العمل . وقيل : لا تكفها ، أو بهما معاً مع
تقديم « ما »^(٢) ؛ نحو : اتق الأذى كى لا تؤذى ، واحذر العدوى كيما تسلم .
ومثال الفصل بالحرفين معاً البيت الذى سبق^(٢) وهو :

أردت لكى لا ترى لى عثرةً ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمُل ؟

(د) كى الاستفهامية ؛ فتكون اسماً مختصراً من كلمة : « كيف » الاستفهامية ،
وتؤدى معناها ، وتُعرب اسم استفهام مثلها . نحو : كى أنت ؟ بمعنى : كيف
أنت ؟ ومنه قول الشاعر :

كى تجنحون إلى سلم وما تُشِيرَت قتلأكمو ، ولظى الهيجاء تضطرم ؟

أى : كيف تجنحون وتميلون . . . ؟ ولا يمكن أن تكون هذه مصدرية ، لعدم
وجود العلامة الخاصة بها ، ولفساد المعنى على تأويل المصدر المنسبك ، ولأن هذه

(١) وفى مثل هذا الأسلوب يجوز تأخير المعلول ؛ فيصبح : كى تلعنى جثت ، سواء أكانت
« كى » مصدرية ناصبة أم جارة ؛ لأنها فى معنى المفعول لأجله ، وتقدم المفعول لأجله سائغ .

(راجع المصع ، ٢ ص ٥) .

(٢٢) انظر رقم ٢ من ص ٣٠١ .

لها الصدارة الحتمية (مثل : كيف) مع أن المصدر المؤول قد يكون صدرًا وقد يكون عجزاً . . .

وإلى هنا انتهى الكلام على أنواع « كى » الأربعة .

* * *

٢ - ما الذى نصب المضارع : « يحسبوا » فى البيت القديم ^(١) وهو :
 وطرفُك إِمّا جئتُنّا فاحبِسِنَّهُ كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
 (أى : إن زرتنا فاحبسْ بصرك عنا - أى : أبعدنا - ووجهه لغيرنا ؛
 ليحسب الناس أنك تنظر إلى من تهواها هناك ، فلا تتجه الشبهة إلينا . ولا يحيق
 بنا المكروه .

أو : امنع نظرك عنا ؛ لحسبان الناس - إن نظرت إلينا - أن هواك
 عندنا . . .) .

ف قيل أصل الكلام : « كىما » حذف ياء « كى » تخفيفاً ، واتصلت بها
 « ما » الزائدة ، ونصبت المضارع ، لأنها مصدرية قبلها لام الجر مقدرة . وقيل :
 إن : « كما » تنصب أحياناً بنفسها وأن معناها : « كىما » ^(٢) وقيل : « الكاف »
 للتعليل و « ما » مصدرية ناصبة ، كما تنصب « أن » . . .

وكل هذه آراء ضعيفة تكاد لا تختلف فى الغرض منها . وأخفها الأول .

* * *

(١) قال العيني : (إن هذا البيت قاله لبيد العامري من قصيدة من الطويل) . ا ه ونسبه غيره
 لعمر بن أبى ربيعة ، والروايات مختلفة فى نص البيت وألفاظه .

(٢) من الأمثال العربية القديمة التى تؤيد هذا المعنى : « اترك الشر كما يتركك » . ويقول أبوهريرة
 العسكرى : إن « كما » لفة فى « كىما » . والخلاف شكل لا أهمية له . ومن ذلك قول العرب أيضاً : « لا تظلموا
 الناس كما لا تظلموا » وهذا مذهب الكوفيين - راجع شرح الرضى على الكافية ج ٢ ص ٢٤٠ -

الرابع : إذن .

الكلام على هذه الأداة يتركز في أربعة أمور : مادتها^(١) - معناها -

أحكامها - كتابتها .

(أ) فأمّا مادتها فكلمة واحدة « بسيطة » ، ثلاثية الحروف المجائية ، وليست مركبة من كلمتين ، هما : « إذن » و « أن » ، ولا من غيرهما مما يتوهمه القائلون بتركيبها ، وبأنها تحوّلّت من أصلها المركب إلى أصلها الحالى^(٢) ...

(ب) وأما معناها : فالدلالة على أمرين : هما : « الجواب » - وهذا يلزمها دائماً في كل استعمالاتها - « والجزاء » ، وهذا يلزمها في الأغلب . والمراد من دلالتها على الجواب : وقوعها في كلام يكون مرتباً على كلام قبله ، ترتّب الجواب على السؤال ؛ سواء أكان الكلام السّابق مشتملاً على استفهام مذكور ، أم غير مشتمل عليه ، ولكنه بمنزلة الملحوظ . فليس من اللازم أن يكون السابق مشتملاً على استفهام صريح يحتاج إلى جواب ، وإنما اللازم أن يترتب ويتوقف عليه كلام يجيء بعده في الجملة المشتملة على « إذن » . ومن الأمثلة قول الصديق لصديقه : « سأغضبى عن هفوتك » . فيقول الآخر : « إذن أعذر عنها . مخلصاً شاكراً » . فهذه الجملة الثانية ليست ردّاً على سؤال سابق مذكور ، وإنما هى بمثابة جواب عن سؤال خيالى ، ناشئ من الجملة الأولى ؛ تقديره : - مثلاً - ما رأيك ؟ أو ماذا تفعل ؟ أو نحو ذلك ... أى : أن هذه الجملة المشتملة على : « إذن » جملة مُرتبة على كلام سابق خال هنا من الاستفهام الصريح - دون الملحوظ - وخالٍ من طلب الجواب ، ولكنها بمنزلة الجواب عن سؤال ذهنيّ تولّد من الأولى . وكلمة : « إذن » في الجملة الثانية بمثابة الرمز الذى يحمل إلى الذهن سريعاً الدلالة على أن الثانية تشتمل على الإجابة . . .

ومثال اشتمال الكلام السّابق على استفهام مذكور قول القائل : ماذا تفعل

(١) أى : صيغتها - تكوينها اللفظى -

(٢) وقد انطوت بطون المراجع على أنواع من دعوى التركيب ، يرفضها العقل ؛ لحرماتها الدليل على صحتها ، أو علم العرب بشئ منها . ولا داعى للإثقال بعرضها هنا . والواجب تناسها ؛ كأن لم تكن . ومن شاء الإطلاع على شئ منها فأمامه المطولات . كحاشية الصبان ، وشرح المفصل ، وشرح سيويه . . .

لو صادفت بائساً ؟ فتجيب : إذن أبذل طاقتي في تخفيف بؤسه . فهذه الجملة جواب عن الاستفهام المذكور في سابقتها ووجود كلمة : « إذن » رمز يُوحي أن الإجابة مذكورة في هذه الجملة .

ولا فرق في وقوعها دالة على الجواب بين أن تكون في أول جملتها ، ووسطها ، وآخرها ، غير أنها لا تنصب المضارع إلا كانت في صدر جملتها ، — كما سيجيء —
تقول : في المثال الأول : (إذن أعذر لك مخلصاً) ، أو : (أعذر — إذاً — لك مخلصاً) أو : (أعذر لك مخلصاً — إذاً) .

والمراد من أنها للجزاء — غالباً — دلالتها على أن الجملة التي تحتويها تكون في الغالب مسببة عما قبلها ، وتُعدّ أثراً من آثاره ؛ توجد بوجوده ، وتربط به عادة ، كالمثالين السالفين ، وفيهما تبدو السببية واضحة بين الاعتذار والإغضاء عن الهفوة ، وكذلك بين التخفيف عن البائس ومصادفته ، فكأن المجيب يقول : إن كان الأمر كما ذكرت فلنأني أعذر . . . أو : لنأني أبذل طاقتي ، أي : فالجزاء . . . (١)
فإن لم يوجد بين الجملتين جزء لم يصح — في الغالب — مجيء « إذن » ؛ كأن يقول الصديق : سأغضى عن الهفوة ؛ فتجيب : إذاً ينزلُ المطر ، وكأن يقول قائل : سأقرأ الصحف ؛ فيجيب : إذاً تغربُ الشمس ؛ إذ لا علاقة ولا ارتباط بين المعنى في الجملتين ؛ فالكلام لغو .

ولئنما كانت دلالتها على « الجزاء » غالبية ، لأنها — أحياناً قليلة — لا تدل عليه إذا استغنى المقام عنه ، فتمحض للجواب وحده ، كأن يقول الثمريك لشريركه : أنا أحبك . فيجيب : إذاً أظنك صادقاً ؛ لأن الصدق لا يصلح هنا جزءاً مناسباً للمحبة (٢) ، وأيضاً فهذا الظن حالي الزمن ، والجزاء لا يكون إلا مستقبلاً . وبسبب الحالية في هذا المثال لم تنصب المضارع .

(ح) وأما عملها فنصب المضارع بنفسها مباشرة ، وتخليص زمنه للاستقبال ؛

(١) راجع شرح المفصل في الكلام على « إذن » : (ج ٧ ص ١٥ و ج ٩ ص ١٤) .

(٢) فدالتها الحتمية على الجواب لا تقتضي دلالة حتمية على الجزاء ، فن الممكن الاستغناء عن ذكره في بعض الحالات ؛ إذ ليس من اللازم أن يكون الجواب عن شيء مسبباً عن ذلك الشيء ، ومعلولاً له .

— كسائر الأدوات الناصية له — وإنما تنصبه وجوباً إذا اجتمعت شروط أربعة^(١) :
أولها : دلالتها على جواب حقيقى بعدها ، أو ما هو بمنزلة الجواب — كما
شرحنا — .

ثانيها : أن يكون زمن المضارع بعدها مستقبلاً محضاً ؛ فلا يوجد في الجملة
ما يدل على أن زمنه للحال ؛ ثلثاً يقع التعارض بين الحال ، وبين ما يدل عليه
الناصب من تخليص زمن المضارع بعده للمستقبل . فإن وجد ما يدل على حالية
المضارع لم تكن : « إذا » ناصية ، ويجب رفع المضارع ، واعتبارها ملغاة العمل ،
كالمثال الذى سلف ، وهو : أن يقول الشريك لشريكه : أنا أحبك . فيجيب :
إذاً أظنك صادقاً ؛ لأن هذا الظن ليس أمراً سيتحقق في المستقبل ، وإنما هو
قائم حاصل وقت الإجابة ؛ فزمنه حالى .

ثالثها : اتصالها بالمضارع مباشرة بغير فاصل بينهما ، ويجوز الفصل بالقسم
إن وجد أو « لا » . النافية ، أو بهما معاً . فإن كان الفاصل غير ما سبق لم تنصب ،
ووجب رفع المضارع ؛ مثل : ... إذاً — أنا — أدرك غايى بسلك أنجع الوسائل
لتحقيقها . ومثال الفصل بالقسم مع إعمالها : إذن — والله — أرضى رضى بإرضاء
الوالدين . ومثال الفصل « بلا » النافية مع الإعمال أيضاً . : . إذن — لا أخاف في
الله لومة لأئم . ومثال الفصل بهما : إذن والله لا أغضب الوالدين . وقد ورد في
النصوص أمثلة قليلة وقع فيها الإعمال مع الفصل — بالنداء ، أو الدعاء ، أو
الظرف . ولكنها لقلتها مقصورة على السماع ؛ لا يباح القياس عليها .

رابعها : أن تقع في صدر^(٢) جملتها ؛ فلا يرتبط ما بعدها بما قبلها في
الإعراب — بالرغم من ارتباطهما في المعنى — فإن تأخرت عن صدر جمدها إلى
آخرها أهملت ، وكذلك إن وقعت حشواً بين كلماتها . فمثال التى فقدت صدارتها
ووقعت في آخر الجملة : . . . أنصفك إذاً . ومثال التى وقعت في ثانيا جملتها :
إن تسرف في الملاينة إذاً تتتهم بالضعف . . .

(١) شرح المفصل (ج ٩ ص ١٤) فقد زاد الشرط الأول الآتى ، الذى جعل الشروط أربعة
لا ثلاثة . ورأيه شديد .

(٢) هل وقوعها بعد الواو أو الفاء يزيل صدارتها ؟ الجواب فى ص ٣١٢ .

ويكثر وقوعها حشواً في ثلاثة مواضع :

(١) بين المبتدأ وخبره المفرد أو غير المفرد؛ نحو : الصادق — إذاً محبوب ،
والخبر هنا مفرد . ونحو : أنا — إذاً — أنصرُ المظلوم . والخبر هنا جملة
مضارعية^(١) . و . . و . .

(ب) بين جملة الشرط والجواب ؛ سواء أكانت أداة الشرط جازمة ، أم
غير جازمة ، نحو : إن يكثر كلامك — إذاً — يسأم سامعوك . ونحو : إذا أنصف
الناس بعضهم بعضاً — إذاً — يسعدون .

(ج) القسم وجوابه ؛ سواء أكان القسم مذكوراً ؛ نحو : والله — إذاً —
أترك عملاً لا أحسنه ، وقولاً لا خير فيه . أو مقدراً ؛ نحو : لئن يتصن المرء نفسه
عن مواقف الهوان — إذاً — لا يفقد كبرار الناس ، واحترامهم إياه^(٢) .

(١) وفي رأى « الفراء » ومن معه من الكوفيين — (كما جاء في كتابه : « معاني القرآن » ج ١
ص ٢٧٤) أنها إذا سبقت بإن واسمها ، وتلاها المضارع ، يجوز إعمالها فتنصبه ، كما يجوز إعمالها
فيرفعه ؛ نحو : إنى إذن أحترمك أيها العادل ، بنصب المضارع أو رفعه ، ومن النصب قول الشاعر :

لا تتركني فيهمو شطيراً
إنى إذن أهلك أو أطيروا

ينصب المضارع : « أهلك » بدليل عطف المضارع الذي بعده بالنصب تبعاً للمعطوف عليه .
أما غير الكوفيين فيعتبرون النصب في البيت شاذاً ، أو ضرورة ، أو مؤولاً بحذف خبر « إن » فتقع
الأداة بعده في صدر جملة جديدة ، وتقديره : إنى لا أستطيع ذلك .. أو نحو هذا التقدير . ورأى الكوفيون
هنا ضعيف .

(٢) كان القسم هنا مقدراً ، لوجود اللام الدالة عليه بعد حذفه . والأصل : والله إن يصن
وقد وقع بعدها أداة الشرط : « إن » . وإذا اجتمع الشرط والقسم — وكلاهما لا بد له من جملة جوابية —
يكون الجواب في الغالب للمتقدم منهما ، ويحذف جواب المتأخر حذفاً غالباً ، وقيل : حذفاً واجباً .
للاستغناء عنه بجواب المتقدم ، فإنه يدل على الجواب المحذوف (وسيجيء بيان هذا الحذف ، وتفصيل الكلام
عليه في ص ٤٨٥) . لهذا كانت الجملة من : « يفقد فاعله » جواباً للقسم لا للشرط .
وفي « إذن » وأحكامها السابقة يقول ابن مالك :

وَنَصَبُوا « بِإِذْنِ » الْمُسْتَقْبَلَا
إِنْ صُدِّرَتْ ، وَالْفِعْلُ بَعْدُ ، مُوَصَّلًا - ٨

أَوْ قَبْلَهُ الْيَمِينُ . وَانْصَبُ وَاَرْفَعَا
إِذَا « إِذْنٌ » مِنْ بَعْدِ عَطْفٍ وَقَعَا - ٦

يريد : أن العرب نصبت المضارع « بإذن » ، إن كان المضارع مستقبل الزمن ، وكانت « إذن » مصدرية
في أول جملتها ، والفعل المضارع متصلاً بها بغير فاصل بينهما ، أو بفاصل هو القسم . واقتصر في الفاصل
على القسم وحده ، ولم يذكر : « لا » النافية ، ولأهما معاً . . وكذلك لم يذكر الشرط الرابع .

ثم قال : انصب المضارع أو ارفعه ، إذا كانت « إذن » واقعة بعد حرف عطف ، ولم يقيد هذا =

(د) وأما طريقة كتابتها فالأكثر من القُدَامَى يكتبونها ثلاثية مختومة بالنون هكذا: (إذن) سواء أكانت عاملة أم مهملة . أمّا خاصّة المخدّثين فيكتبون العاملة ثلاثية مختومة بالنون ، والمهملة مختومة بالآلف ، لا بالنون ؛ للتفرقة بين النوعين^(١) .

وهذا حسن جدير بالاعتصار عليه ، والاتفاق على الأخذ به .

* * *

إلى هنا ، وبعد الزيادة التي في الصفحة التالية - ينتهى الكلام على القسم الأول ؛ وهو الأدوات الأربعة التي تنصب المضارع بنفسها ظاهرة . وتمتاز « أن » بأنها تنصيه ظاهرة ومضمرة . وكذا « كى » عند الكوفيين .
وننتقل بعد تلك الزيادة إلى القسم الثانى وهو الأدوات التي ينصب بعدها المضارع « بأن » مضمرة وجوباً .

= العاطف . ولكن النحاة قيده بالواو أو الفاء - كما سيجىء في الزيادة ، ص ٣١٣ - وترك التفاصيل الهامة في كل ماسبق :

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيتين ذكرناهما في مكانهما الأنسب (ص ٢٨٩) هما :

وبين : « لَا » و « لَامِ جَرِّ » التَّزِمُ إظهارُ « أَنْ » ناصبةً . وإنْ عُدِمَ ٧-

« لا » « فَإِنْ » أَعْمَلُ مُظْهِراً أَوْ مُضْمِراً ٨-

وقد سبق البيت الأول في ص ٢٨٩ لمناسبته هناك .

(١) وهو رأى منسوب للفراء ، - كما جاء في كتاب : « الاقتضاب » للبليوى ، باب : « الهجاء » ص ١٦٦ - وفي بعض المراجع الأخرى نسبته لغير الفراء . ولا قيمة لهذا الخلاف هنا في النسبة .

زيادة وتفصيل :

(١) هل تَسْقِدُ : « إِذَنْ » صدارتها بسبب تقدم الواو أو الفاء عليها ؟

إذا تقدم أحد الحرفين المذكورين جاز إعمال « إذن » ؛ فتنصب المضارع بعدها ، وجاز إهمالها ؛ فلا تنصبه ، فن اعتبر الحرفين للاستثناف كانت عنده : « إذن » في صدر جملة جديدة مستقلة بإعرابها ؛ (لأنها مستأنفة) . فتنصب المضارع . ومن اعتبرهما لعطف المضارع وحده بدون فاعله على مضارع وحده كانت حشواً ؛ فلا تنصب المضارع . وقد قرئُ بيهما قوله تعالى : (وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّوكَ^(١) مِنَ الْأَرْضِ ؛ لَيَخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذْ لَا يَأْمِنُ شَيْءٌ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) ، أو : (وَإِذَنْ لَا يَلْبَسُوا خِلَافَكَ . . .) وإعتبارها للاستثناف ، أو : لعطف مضارع وحده على مضارع وحده ، حكم خاضع للسياق ، ولما يقتضيه المعنى ؛ فلا بد من ملاحظة هذا ، ومن ملاحظة أمر هام آخر ؛ هو ، أن عطف الفعل المضارع وحده (أى : بدون فاعله) على الفعل المضارع وحده يختلف عن عطف الجملة المضارعية كاملة على نظيرتها المضارعية^(٢) وغير المضارعية من ناحية الإعمال والإهمال . فعطف المضارع وحده على المضارع يوجب الإهمال ، لأن المعطوف هنا لا يستقل بنفسه ؛ فلا بد أن يتبع المعطوف عليه في إعرابه ، فهو تابع له ؛ فلا تكون « إذن » واقعة في صدر جملة مستقلة في إعرابها ؛ نحو : لم يحضر الغائب ، وإِذْ أَيْسَرَ حَ أهلكه . أى : لم يحضر الغائب ولم يسترح أهله ؛ فجزم المضارع « يسترح » دليل على أنه معطوف وحده على : « يحضر » عطف فعل على فعل ، لا عطف جملة على جملة ؛ إذ لو كان المعطوف جملة لم يصح جزم « يسترح » ؛ لعدم وجود ما يقتضى جزمه .

أما عطف الجملة المضارعية على جملة قبلها (مضارعية أو غير مضارعية ، كالماضوية والاسمية) فيتوقف الحكم فيه على حالة السابقة ؛ ألّا محل من

(١) يستفزون : يزعمون ويقولون .

(٢) سبق (في ج ٣ ص ٦٢٠ م ١٢١) - إيضاح الفروق الدقيقة بين عطف الفعل وحده على

الفعل وحده ، وعطف الجملة على الجملة ولا سيما عطف الفعلية على الفعلية .

الإعراب ، أم ليس لها محل ؟ فإن كان لها محل من الإعراب وجب إهمال : « إذن » ؛ لوقوعها في صدر جملة تابعة في إعرابها لجملة أخرى سبقتها ، وبهذه التبعية لا تكون في صدر جملة مستقلة بنفسها في الإعراب ؛ نحو : (إن للطيور المهاجرة رائداً يتقدمها ؛ وإذا يرشدها إلى غايتها ، ويهديها السبيل) . فجملة : « يتقدمها » مضارعية في محل نصب صفة للكلمة : « رائداً » ، وجملة : « يرشدها » مضارعية معطوفة عليها ؛ فهي في محل نصب كالمعطوف عليه ؛ ويجب إهمال « إذن » فلا تنصب المضارع بعدها ؛ لعدم وقوعها في صدر جملة مستقلة بنفسها في الإعراب .

وإن لم يكن للجملة الأولى محل من الإعراب — كالجملة الشرطية ؛ مثلاً — جاز الإعمال والإهمال ؛ نحو : (إن يشتهر نايغ وإذا تزداد أعباؤه ، يفرح خاصته) . فجملة : « يشتهر نايغ » جملة شرطية لا محل لها من الإعراب ، وقد عطف عليها بتمامها جملة : « تزداد أعباؤه » ، وليس لها محل من الإعراب أيضاً ؛ لأنها كالمعطوف عليه ؛ فيصح نصب المضارع : « تزداد » باعتبار « إذن » في صدر جملة لا محل لها من الإعراب ؛ فهي بمنزلة الجملة المستقلة في إعرابها ؛ ولأن المعطوف على الأول أول مثله . ويصح الرفع على اعتبار أن الجملة بعد حرف العطف معطوفة على ما قبلها فهي مرتبطة به ارتباطاً إعرابياً ومعنوياً يجعلها في حكم غير المستقلة ، ويجعل « إذن » في غير الصدارة الكاملة .

ولما تقدم يصح الاعتباران في مثل : عجائب الاختراع تزداد كل يوم ، وإذا تسعد بها الناس أو تشقى . فإن عطفنا الجملة المضارعية : (تسعد ، وفاعله) على المضارعية : (تزداد ، وفاعله) وهي جملة في محل رفع خبر المبتدأ — وجب إهمال « إذن » ورفع « تسعد » . وإن عطفناها ، على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ : « عجائب وخبره » ، وهي جملة لا محل لها من الإعراب — جاز الإعمال والإهمال ، فينصب المضارع أو يرفع ^(١) ..

(١) مما جاء واضحاً في حكم « إذن » الواقعة بعد « الفاء أو : الواو » قول المبرد في كتابه : « المقضب » (ج ٢ ص ١١) بعد نصه الصريح على أنه يصح الإعمال والإلغاء : (وذلك قولك : إن تأتي آتاك وإن أكرهك .. ، إن شئت رفعت ، وإن شئت نصبت ، وإن شئت جزمت . أما الجزم فعل العطف =

(ب) قد تكون : « إذا » متضمنة معنى الشرط في الماضي ؛ فيجوز إجراؤها مجرى « لو »^(١) في قرن جوابها باللام^(٢) ، كقوله تعالى : (ولولا أن ثبتتسناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذا لأذقنك ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تسجد لك علينا نصيراً) ، أى : لو ركنت شيئاً قليلاً لأذقنك . . .

وقد تتضمن معنى الشرط في المستقبل ؛ فيجوز قرن جوابها بالفاء ؛ كقول الشاعر :

ما إن^(٣) أتيت بشئ أنت تكرهه إذا فلا رفعت سوطاً إلى يدي
إذا فعاقبني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالحسد

أى : إن أتيت - في المستقبل - بشئ أنت تكرهه فلا رفعت . . . - فعاقبني ربي . . . وما بعد الفاء في المثالين ، جملة دعائية ، فزمنها مستقبل .

وقد تدخل على جواب : « لو » وجواب « إن » الشرطيتين ؛ لتوكيده وتقويته ، نحو : لو زاملتني إذا لأرضيتك .

وقول الشاعر :

فلو خلد الكرام - إذا - خلدنا ولو بقى الكرام - إذا - بقينا^(٤)

- ونحو : إن تنصف أخاك - إذا - تسلم لك مودته . . .

= على : « آتاك » ، والنصب على إعمال « إذن » . والرفع على قولك : « وأنا أكرمك » ، ثم دخلت « إذن » بين الابتداء والفعل فلم تعمل . « ١ هـ .

(١) سيجىء في م ١٦٠ باب : « لو » وأقسامها وأحكامها ، وكل ما يتصل بها ، وبأنواع جوابها . ويشار لهذا الحكم في « ج » من الأحكام المشتركة الآتية في بابها .

(٢) فائدة هذه اللام موضحة تفصيلاً في الأحكام المشتركة الآتية في بابها .

(٣) « إن » هنا زائدة .

(٤) ومثل هذا قول شاعرهم :

رمنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمى ، وليس برام ؟
فلو أنها نبّل - إذا - لا تقينها ولكنى أرمنى بغير سهام .

ويقول الفراء في الآية الكريمة: (ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وما كانَ معه منُ إِلَهٍ ؛ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ . . .) ، إن مجيء اللام بعد : « إِذَا » يقتضى وجود : « لو » قبلها مقدرة كالأية المذكورة ، أو ظاهرة كقوله تعالى في آية أخرى : (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى ، إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ . . .)^(١) .

(ح) هل يجوز إهمال « إذن » مع استيفائها كل شروط الإعمال ؟ إن المستحسن غاية الاستحسان عند استيفائها الشروط هو : « الإعمال » ، ولا سيما اليوم ؛ حيث الرغبة شديدة في اتباع الأشهر ؛ توحيداً للبيان ، ومنعاً لفوضى التعبير ؛ إلا إذا اقتضت فائدة محققة في اتباع غيره . وقد أجاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن السؤال السالف بعد دراسة شاملة ، وتحقيق واف بما نصه^(٢) : « ورد النصب بـ «إذن» في كلام العرب ؛ وورودها في القرآن مفصولة بالحرف « لا » ليس يمنع عملها . وكون ورودها في القرآن « قراءة » لا يمنع الاحتجاج به ؛ فالقراءات المشهورة كلها مناط احتجاج . ولكن من المعزوز إلى بعض قبائل العرب إلغاء عمل « إذن » مع استيفاء شروط الإعمال . وقد نسب إلى البصريين قبول الإلغاء ، إلا أن ذلك موصوف بالقلّة . واستناداً إلى هذا يجاز الإلغاء مع استيفاء الشروط ، وإن كان الإعمال هو الأكثر في استعمال العرب) . اهـ^(٣) . . .

* * *

إلى هنا انتهى الكلام على القسم الأول الناصب بنفسه ، ويليه القسم الثاني الناصب بأن مضمرة . . .

(١) سيجى إشارة للحكم السالف في « ج » من الأحكام المشتركة الآتية .

(٢ و ٣) طبقاً للوارد في مجلته (الجزء الخامس والعشرين ، الصادر في نوفمبر سنة ١٩٦٩ ص ١٩٨)

الأدوات الخمس^(١) التي يُستَقْبَلُ بعدها المضارع
« بأن » مضمرة وجوباً^(٢).

الأداة الأولى : لام الجحود (أى : النفي) وتُهدّ لها بالأداة التالية :

ما كان الحرُّ لِيَقْبَلَ الضيمَ .
ما كان الطبيبُ لِيَسْتَوَانِي عن المريضِ .
ما كان العاقلُ لِيَسَارِعَ في الاتِّهامِ .
لم يكن المتقنُ لِيَرْضَى بالتقصِ .
لم يكن الأديبُ لِيَسْتَقِرَّ تافه الكلامِ .
لم يكن ربيبُ السوءِ لِيَنْسَى ذِشْأتهِ .

ما المعنى الدقيق الذي قصدته
الناطق بإحدى هذه الجمل ؟

إن من نطق بالأولى نَسْفَتِي عن الحرِّ نفيّاً قاطعاً أنه قَبِيلٌ في حالة من حالاته

(١) وهى : « (لام الجحود) في هذه الصفحة) - (« أو » ، في ص ٣٢٦) - (« حتى » ، في ص ٣٢٣) - (« فاء السببية » في ص ٣٥٢) - (« وأو المعية » ، في ص ٣٧٥) ويزاد على هذه الخمسة : « ثم » عند نحاة الكوفة - كما سيجرى في ص ٣٨٥ - ، « وكى التعليلية » المنحضة عند من يرى أنها لا تنصب بنفسها ، وإنما تنصب بأن مضمرة وجوباً ، ولا داعى للأخذ بهذا الرأى . (كما سبق عند الكلام عليها في ص ٣٠٣) .

هذا ويشور الجدل - ولا سيما اليوم - حول الداعى إلى إضمار « أن » جوازاً وجوباً ، وأثرها في نصب المضارع . وسيجىء في ص ٤٠٢ م ١٥٢ الاعتراض ودفعه ، بعد أن نفرغ من مواضع الإضمار ، ونفهم حقيقته ، وما يتصل به من تأويل المصدر .

(٢) « ملاحظة هامة » : من الأحكام المشتركة بين هذه الأدوات أنه :

- (أ) لا بد من سبك الجملة المضارعية بعدها بمصدر مؤول يعرب على حسب الحالة .
- (ب) لا يصح الفصل بين هذه الأدوات والمضارع المنصوب بفواصل مطلقاً ؛ إلا : « لا » النافية إذا اقتضاها المعنى ولم يمنع من وجودها مانع . وأجاز بعض النحاة الفصل بين : « حتى » والمضارع بفواصل معينة يحىي بيانها (في رقم ٢ من هامش ص ٣٣٨) .
- (ج) لا يصح تقديم معمول هذا المضارع على الأداة .
- (د) لا يصح الفصل بأجنبي بين أجزاء الجملة الفعلية المضارعية .

الضميم ، أو سكت عليه ، مهما كانت الدواعي . فكأنه قال : ما كان الحرّ مريداً^(١) قبول الضميم ، راضياً به ، أو مُهَيَّأً لقبوله في وقتٍ مّا . فالنفي منصبّ على ما قبل اللام وما بعدها معاً (أى : أنه واقع على الكلام كله) فهو نفي عام لهذا ، ولأنه — أيضاً — شامل لجميع حالات الحرّ ، دون التقييد بحالة معينة ، أو الاقتصار عليها .

ومن نطق بالثانية نفي عن الطبيب نفياً باتّاً في جميع أحواله أنه تباطأ في إنقاذ مريضه ، وأنه رضى ذلك ، أو أرادته في صورة من الصور ؛ فكأنما قال : ما كان الطبيب مريداً^(٢) التواني مطلقاً ، ولا راضياً به ، مهما كانت حالته وصورته . فالنفي عام ينصبّ على ما قبل اللام وما بعدها ، ويشمل كل حالات الطبيب ؛ فهو عام بسبب هذين الأمرين .

والغرض الضمني الذي يرمى إليه الأسلوب من وراء ظاهره هو أن الحرّ لم يُخلق ولم يوجد مطلقاً لما نفي عنه ، وكذلك الطبيب . ومثل هذا يقال في الصور الأخرى المعروضة ، وما يشاكلها ؛ فكل منها يرمى إلى نفي شيء نفياً قاطعاً ينصبّ على ما قبل اللام وما بعدها معاً ، ويشمل جميع الحالات المعنوية التي يتضمنها الكلام — كما يرمى إلى أن الذي نُفِىَ عنه ذلك الشيء لم يرض به مطلقاً ، ولم يُهَيَّأ لقبوله ، وإنما خلق وهبى لدفعه ورفضه . فهذا أسلوب يبلغ الغاية في قوة الجحد ، إذا أريد به الاتجاه المعنوي السالف .

وبملاحظة كل جملة — مما سلف — نجدتها تشتمل على أربعة أمور مجمعة :

١ — الفعل الناسخ : « كان » أو « يكون » — دون غيرهما من سائر الأفعال الناسخة أو التامة . وكلاهما يسمى : « فعل كوّن » ، لاشتقاقه من المصدر « كَوَّنَ » الذي يدل على الوجود العام (المطلق) .

(١) إنما قدرنا هنا الخبر « مريداً » أو مهياً ، أو مستعداً . . . ، فزاراً من تقدير الكلمة الشائعة ؛ وهي : « موجود » ؛ لكيلا يتسرب منها الوهم إلى أن : « كان » هنا بمعنى : « وُجد » وهي « كان » التامة التي لا تصلح قبل « لام الجحد » أما التي تصلح فلا بد أن تكون ناسخة ، كما سيبيء . . . ولا مانع من تقدير الخبر المحذوف بكلمة : « موجود » مع إدراك أن فعل « الكون » قبلها لا بد أن يكون ناسخاً ، لا تاماً .

(٢) انظر رقم ١ من هذا الهامش .

٢- وجود حرف نني^(١) قبل فعل « الكون » الناسخ ، وهذا النافي المسموع هو : « ما^(٢) » أو : « لم » وتختص « ما » بالدخول على : « كان » ، الماضية الناسخة ، وتختص « لم » بالدخول على المضارع المجزوم : « يتكُن » الناسخ ، ولا يصلح للدخول عليه غيرها^(٣) . والنفي منصب في الحالتين على معنى كل الكلام الذى يليه ، فهو شامل ما قبل اللام وما بعدها .

٣- أن فعل « الكون » إما ماض لفظاً ومعنى : كالأثلة الثلاثة الأولى ، وإما ماض معنى فقط ؛ كالثلاثة الأخيرة التى وقع فيها فعل « الكون » مضارعاً مسبوقاً بالحرف الجازم « لم » ، وهذا الحرف إذا دخل على المضارع قلب زمنه ماضياً - فى الغالب - مع ترك صورته اللفظية المجزومة على حالها ، فيصير مضارعاً فى لفظه ، ماضياً فى زمنه ومعناه .

٤- أن فعل الكون الناسخ يليه - مباشرة - اسمه ظاهراً ، لا ضميراً ، ثم مضارع منصوب ، مبدوء بلام مكسورة . أما خبره فعام محذوف ، يجب أن يتعلق به الجار مع مجروره . والجار هو « اللام » التى اشتهرت باسم : « لام الجحود »^(٤) ، والتى تتصل بالمضارع - كما قلنا - والمضارع بعدها منصوب « بأن » مضمرة وجوباً ، والمصدر المكون من « أن » وما دخلت عليه من المضارع وفاعله - فى محل جر « بلام الجحود » . والجار والمجرور متعلقان بالمحذوف العام المنصوب ، لأنه خبر الناسخ . والتقدير ما كان الحر مهياً أو مريداً لقبول الضيم .. أو ما شابه هذا .

(١) بشرط بقاء النفي على معناه ، وعدم نقضه بشئ مثل « إلا » التى للاستثناء ، أو إحدى أخواتها (كما سيبنى فى رقم ١ من هامش ص ٣٢٠ و ص ٣٢٥) -

(٢) فلا تصلح : « لن » ؛ لأنها لنى زمن المضارع المستقبل . والمطلوب هنا أن يكون زمنه ماضياً ، ولا تصلح : « لا » ؛ لكثرة استعمالها فى نفي المستقبل . ولا تصلح : « لسا » الجازمة ؛ لأنها لنى معنى المضارع بعد أن قلب زمنه للماضى مع اتصاله بالزمن الحالى ؛ فلا يكون زمنه للماضى الخالص المطلوب هنا . (٣) أو « إن » النافية عند فريق - كما فى الصفحة الآتية - .

(٤) فى نوع هذه اللام آراء تبنى فى ص ٣٢١ ، والجحود ، هو : النفي - كما تقدم - لأنها تقوى معنى النفي فى الجملة كلها (قبلها وبعدها) إذ لا تقع إلا بعد كون منى عام ، والمعنى بعدها منى أيضاً ؛ لتعلقها مع مجرورها بالخبر العام المحذوف المنى ؛ فيسرى النفي منه إلى المصدر المؤول الذى يليها مباشرة ، وهو مجرورها - . كما سيبنى فى « ج » من ص ٣٢٤ - .

ف عند إعراب المثال الأول نقول : (ما) نافية - (كان) : فعل ماض ناقص -
 (الحُرُّ) اسمها مرفوع - (لَيْتَ) : (لَيْتَ) : اللام لام الجحود ، حرف جر أصلي -
 (يقبل) : مضارع منصوب « بأن » مضمرة وجوباً ، وفاعله مستتر جوازاً تقديره :
 هو - (الضيم) مفعول به . والمصدر المؤول من المضارع وفاعله مجرور باللام ،
 والتقدير : لَيْتَ يَقْبَلُ والجار مع مجروره متعلقان بمحذوف منصوب خبر « كان »
 والتقدير : ما كان الحُرُّ مهياً أو مريداً لقبول الضيم

ولا يختلف إعراب « إن » النافية عن إعراب « ما » ، في شيء مطلقاً عند
 من يبيح دخول « إن » - فكلاهما يصح أن يحل محل الآخر بغير تفاوت بينهما .
 ومثل هذا يقال في بقية الأمثلة . مع ملاحظة أن : « لم » حرف نفي جازم ،
 ولا بد بعده من المضارع : « يَكُنْ » المجزوم به .

من كل ما سبق يتبين معنى : « لام الجحود » ، وعملها ، وأن المضارع
 ينصب بعدها « بأن » مضمرة وجوباً ، بشرط اجتماع الشروط الأربعة السالفة
 (وهى : أن يسبقها فعل مُكون عام ناسخ دون غيره من الأفعال - منى ^(١)) - ماض
 لفظاً ومعنى أو معنى فقط - بعده اسمه ظاهراً ، يليه المضارع المنصوب المبدوء
 باللام مباشرة) ؛ فإن فقد شرط من الأربعة لم تكن اللام لام الجحود ، ولم يكن
 الأسلوب داخلاً فيما نحن فيه

وجدير بالتنويه أن فاعل المضارع الذى تدخل عليه لام الجحود لا يكون اسماً
 ظاهراً - فى الأعم الأغلب - بل يكون ضميراً مستتراً جوازاً ، يعود على اسم
 الناسخ السابق ، ومنع أكثر النحاة أن يكون اسماً ظاهراً ^(٢)

(١) مع بقاء معنى النفي وعدم إلغائه بشيء ، مثل « إلا » التى للاستثناء ، أو إحدى أخواتها
 - (طبقاً لما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٣١٩ ، وكما سيجىء فى ص ٣٢٥) -
 (٢) اقتصر ابن مالك فى الكلام على لام الجحود ، وكل ما يتصل بها - بالشرط الثانى من
 البيت الثامن فى باب : « إعراب الفعل » ونصه :

وَبَعْدَ نَفْيِ « كَان » حَتَّمَا أَضْمِرَا - ٨

يريد : أضم الحرف الناصب وهو : « أن » إذا وقع بعد الفعل المنى : « كان » . ولم يوضح
 شروط هذا الفعل ، ولا مضارعه ، ولا شيئاً من الأحكام والتفصيلات الهامة التى لا تصلح القاعدة إلا
 بذكرها . وقد عرضناها وافية . أما الشرط الأول من البيت فيتعلق بحكم آخر أوضحناه وذكرنا البيت معه
 فى مواضع إظهار « أن » وإضمارها .

زيادة وتفصيل :

(١) اختلف النحاة في الحكم على نوع « لام الجحود » . فمن قائل : إنها حرف زائد ، وزيادته غير محضة ؛ إذ لا يمكن الاستغناء^(١) عنه ؛ لأنها تفيد « الاختصاص » ، وتقوية النفي الذي ينصب على ما قبلها ، وما بعدها^(٢) أيضاً . ومع زيادتها فهي الناصبة للمضارع بنفسها ، والفعل وفاعله خبر الكون .

ومن قائل : هي زائدة زيادة غير محضة أيضاً ، ولكن المضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعدها ، والمصدر المؤول خبر . وقيل . . . وقيل . . .

وهذه الآراء ضعيفة ؛ لأن أكثرها يعارض ويتناقض القواعد النحوية العامة . وأقرب الآراء إلى القبول هو الرأي البصري ، الذي يجعل لام الجحود حرف جر أصلي يفيد تقوية معنى النفي قبلها وبعدها ، والمضارع منصوب بعدها « بأن » المضمرة وجوباً . والمصدر المؤول مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف عام . وهذا الإعراب هو الشائع بين أكثر النحاة ، وهو أقل عيوباً من سواه ، ويؤيده بعض الأمثلة الفصيحة التي وردت مشتملة على خبر « الكون » مذكوراً كقول القائل :

سموت ولم تكن أهلاً لتسمو ولكن المضيّع قد يصيب
فذكر الخبر « أهلاً » يمنع أن تكون اللام في هذه الأساليب زائدة محضة أو غير محضة ، كما يمنع أن يكون المضارع وفاعله هما الخبر فيها ، أو المصدر المؤول هو الخبر . . .

(ب) إذا لم يكن الفعل المنفي قبل اللام « فعل كون » لم يصح اعتبارها « لام جحود » . ووجب اعتبارها نوعاً آخر يناسب السياق ، ويساير معنى الأسلوب ،

(١) سبق - في ج ٢ م ٩٠ ص ٤٠٣ و ٤١٨ و ٤١٩ - باب : حروف الجر ، تفصيل الكلام على زيادة حرف الجر ، وعلى زيادة « اللام » زيادة محضة وغير محضة . . . وعلى معانيها ، وبها : « الاختصاص » . . . و (ص ٤٣٨)

(٢) حاشية الخضرى والصبان في هذا الموضع من باب : « إعراب الفعل » .

كأن تكون زائدة، أو للتعليل^(١). أو للعاقبة . . . أو . . . والأغلب أن تصلح للتعليل في كثير من الأساليب المنفية ، فتدل على أن ما بعدها علة لما قبلها — وقد تسمى في هذه الحالة « لام كى » كما سبق^(٢) . — ، نحو : لم يكذب الشاهد لمساعد المتهم ؛ فعدم مساعدة المتهم هو العلة في عدم كذب الشاهد، أى : لم يكذب الشاهد كذباً يكون سببه وعلة حدوثه (أى : الغرض منه) هو مساعدة المتهم ، فمُساعدة المتهم هنا لم تتحقق ؛ فهى منفية . وأساس نفيها وعدم تحققها ما قرره^(٣) : من أن النفي الذى قبل لام التعليل ينصب على ما بعدها ، دون أن يشمل معه ما قبلها إلا بقرينة ، كما فى المثال السالف « وتفسير هذا ما قرره أيضاً من أن الجار والمجرور بعد « لام التعليل » المسبوقه بفعل منى إنما يتعلقان بذلك الفعل المنى ، ويصيران قيداً فيه ؛ فلا يكون نفيه مطلقاً خالياً من التقييد ، ولكنه مقيد بهما ، فالنفي ينصب عليه فى حالة واحدة فقط ؛ هى حالة تقيده بهما ، دون بقية أحواله المطلقة التى لا تخضع للقيد . وفى هذه الحالة الواحدة يسرى النفي إلى القيد فيشملة أيضاً (أى : يسرى على الجار مع مجروره) ، فى المثال السالف يكون الكذب المنى نوعاً معيناً محدوداً ؛ هو الكذب المقيد بأنه لمساعدة المتهم ، أما الكذب لغير هذه المساعدة فمُسكوت عنه ؛ لا يمكن الحكم عليه بشئ ؛ فقد يكون منفيّاً أو غير منفى بقرينة أخرى خارجة عن الجملة . والقيد نفسه (وهو : المساعدة) منى حتماً^(٤) . . .

مثال آخر : ما صلّى العابد لينافق . أى : ما صلّى العابد صلاة يكون سببها ، وعلة أدائها هو : النفاق . فالجار والمجرور المكوّنان من لام التعليل وما دخلت عليه قد انصبّ عليهما النفي حتماً . وأما ما قبلهما — وهو الصلاة غير المقيدة — فمُسكوت عنه .

(١) انظر « ح » من ص ٣٢٤ ، حيث الكلام على الفرق بينها وبين « لام الجحد » وقد سبق

كلام على « لام التعليل عند الكلام على : « كى » ص ٣٠٠

(٢) فى « ب » من ص ٣٠٣ .

(٣) راجع الصبان فى هذا الموضع .

(٤) مما يزيد الأمر وضوحاً أن نجعل هذا المثال مثبِتاً (خالياً من النفي) ونوازن بين معنييه

فى حالتى الإيجاب والنفي ، فيزداد المراد من التعليل والتقييد جلاء ، ولا سيما إذا تعددت وتنوعت الأمثلة — ثم انظر « ج » الآتية .

وإن شئت فقل : هما متعلقان بالفعل المنفي : « صَلَّيْ » فهما قيد له ، وصار بهما مقيداً ، فالصلاة المنفية هي الصلاة المقيدة بأنها للنفاق ، وليست مطلقة صلاة . أما الصلاة المطلقة التي ليست للنفاق فمسكرت عنها ، لا يفهم أمرها ولا الحكم عليها من هذا التركيب ؛ فقد تكون موجودة أو لا تكون . . . وتوجيهها لأحد الأمرين يحتاج إلى قرينة أخرى خارجة تعينها لهذا أو لذاك ، والقيد في الحالين منفي حتماً . . . (١)

وإذا كان الفعل المنفي قبل اللام فعل « كون » غير ناقص لم يصح اعتبارها لام جحد ، ووجب توجيهها لشيء آخر ، ويكثر أن يكون هو : « العلل » أيضاً على الوجه السالف ؛ نحو : ما كان الحاكم ليظلم ؛ بمعنى : ما وجد الحاكم ليظلم . فالشأن في « كان » هنا كالشأن في كل فعل غير ناسخ يحل محلها من ناحية أن الجار والمجرور منفيان حتماً ، ويةملقان به ؛ فيصير مقيداً بهما ؛ ويصير معناه بسبب النفي الواقع عليه غير مطلق ، وإنما هو مقيد بحالة معينة دون غيرها . أما غيرها فمسكرت عنه يحتاج لقرينة خارجة عن الجملة ، تبين أمره نفيًا وعدم نفي ، والقيد (الجار والمجرور المتعلقان به) منفي حتماً . فكأن الناطق بهذا المثال يقول : ما كان الحاكم (أى : ما وجد وظهر الحاكم) الذي يكون سبب وجوده ، وعلّة ظهوره : الظلم . فسبب الوجود وعلته هو : الظلم ، والظلم منفي ، فالمسبب عنه منفي لا محالة . أو الجار والمجرور متعلقان بالفعل ، فهما قيد له . . . و . . . وفي هذا المثال لا يصح اعتبار اللام « للجحد » ؛ لأن هذا يؤدي إلى مخالفة الواقع الذي يدل على أن كثيراً من الحكام ظالمون .

ومن الأمثلة السالفة وأشباهها يتبين أن النفي قبل لام التعليل ينصب على الفعل الذي قبلها في حالة واحدة ؛ هي التي يكون فيها مقيداً بهذه اللام الجارة ومجرورها ، وليس مطلقاً من التقييد ، وأن هذا النفي ينصب على ما بعدها دائماً (أى : على القيد) .

فإذا كان الفعل غير مسبوق بنفي لم تكن اللام للجحد .

وإذا كان الفعل ناسخاً غير « كون » لم تصلح اللام للجحد — كما تقدم (٢) —

في أصح الآراء ؛ فلا يقال : ما أصبح محمد ليهمل عمله ، ولم يصبح محمود ليهين غيره . . . وما ظننت الأمة الناهضة لتسعى إلى علمائها ، ولم أظن الشعوب القوية لتكرن إلى الراحة . . . قال أبو حيان : « كل هذه التراكيب فاسدة ؛ إذ لم يسمع لها نظير في كلام العرب ، فوجب منعها وردّها » اهـ .

(ح) يتردد هنا - وفي الأبواب الأخرى - لفظ : « لام التعليل » ، و « لام الجحود » فما الفارق الدقيق بينهما ؛ بحيث تتميز إحداهما من الأخرى بغير غموض ولا خفاء ؟

الفارق بينهما ما أسلفناه من أن لكل واحدة منهما معنى يخالف معنى الأخرى ؛ فلام الجحود تفيد النفي العام ؛ ولام التعليل تفيد التعليل (أى : أن ما بعدها عللة وسبب فيما قبلها) على الوجه الذي شرحناه في كل منهما .

وشيء آخر ؛ هو أن النفي مع لام الجحود مسلط على ما قبلها وما بعدها معاً في كل حالتهما ؛ فهو منصب على الكلام كله ؛ لأن ما قبلها كون عام منفي ، وخبره المحذوف أمر عام أيضاً ، ومنفي تبعاً له ، ويتعلق به الجار والجرور ، فهما متعلقان بأمر عام منفي ، فيتسرب إليهما النفي منه حتماً ؛ لدخولهما فيما يشتمل عليه . . . ، ويؤثر فيه بالنفي ؛ كالأمثلة التي في أول البحث ؛ حيث يعم النفي ما قبل لام الجحود وما بعدها ، ويكون شاملاً غير مقيد بقيد يخرج بعض الحالات .

أما لام التعليل . فالنفي قبلها داخل على فعل خاص ، ليس كونه عاماً ، وإنما هو فعل مقيد بالجار والجرور (وهما : لام التعليل ، وما دخلت عليه) ؛ فالنفي منصب على هذا الفعل المقيد ؛ أى : منصب عليه في حالة تقيده - وهى حالة واحدة ، دون غيرها من الحالات الأخرى الكثيرة التي لا تدخل في التقييد ؛ والتي هى مسكوت عنها ، كما قدمنا - فلا يحكم على تلك الحالات الأخرى بالنفي أو بعدمه إلا بقريئة خارجة عن الجملة . والقيد (وهو لام التعليل وجرورها) - منفيان حتماً ، لتعلقهما بالفعل الخاص المنفي . فالمعنى بعد لام التعليل منفي ، أما قبلها فلا يتعين النفي إلا في الصورة الواحدة التي شرحناها وهى التي يكون فيها الفعل مقيداً بالجار مع مجروره ؛ فمعنى الفعل فيها ليس عاماً ^(١) مطلقاً .

(١) يقول الصبان : إن النفي مع « لام » التعليل منصب على ما بعدها فقط ، فهل هذا يوافق =

وبناء على ما سبق اشترطوا لصحة «لام الجحود» ألا ينتقض النفي بعدها بشيء ؛ مثل «إلا»^(١) الاستثنائية — أو إحدى أخواتها — فلا يقال : ما كان الحر إلا ليقبل الضيم ؛ لأن «إلا» هذه تنقض النفي السابق عليها ؛ وتجعل ما بعدها مثبتاً . وهذا مُخَالَف لما تتطلبه لام الجحود من نفي ما قبلها وما بعدها معاً بالحرف النافي المذكور في صدر جملتها ؛ ولم يشترطوا هذا في لام التعليل فأجازوا : ما حضر المتعلم إلا ليستفيد ، فصدر الجملة ينفي الحضور عن المتعلم ، وعجزها الواقع بعد «إلا» ينفي ذلك النفي وينقضه ، ويثبت الحضور . . . ، وأنه لاستفادة المتعلم ؛ فكأن الجملة : حضر المتعلم ليستفيد .

(د) هل يصح حذف «لام الجحود» ؟ وهل يصح حذف فعل «الكون» قبلها ؟ يميز الحذف بعض النحاة ، معتمداً على ظاهر أمثلة واردة عن العرب ، وقد تصدى لبحثها بعض المحققين ، وانتهى منها إلى أن المحذوف فيها لا يتعين أن يكون أحدهما ، بل يستقيم المعنى على تقديره ، أو تقدير غيره ؛ فلا داعي لإباحة حذف واحد منهما .

* * *

— ما يقوله أكثر النحاة من أن ما بعد «لام التعليل» علة لما قبلها ، وإذا انتفت العلة انتفى المعلوم ؟ يبدو أنه لا يوافقه ، إلا إذا كان مراده أنه لا يشمل ما قبلها من الصور المتعددة التي لا تدخل في القيه (١) سبقت الإشارة لهذا (في رقم ١ من هامش ص ٣١٩ ورقم ١ من هامش ص ٣٢٠) .

الأداة الثانية : « أو » العاطفة ^(١) التي بمعنى : « حتى » ، أو « إلا » الاستثنائية :

ينصب المضارع بأن مضمرة وجوباً بعد « أو » العاطفة في موضعين :

أحدهما : أن تكون « أو » العاطفة صالحة للحذف ، ووضع « حتى » في مكانها من غير أن يتغير المعنى ؛ سواء أكانت : « حتى » دالة على الغاية ، أم دالة على التعليل .

(١) فالدالة على الغاية : (ويسمونها : « الغائية » أو : التي بمعنى : « إلى ») هي التي ينقضى المعنى قبلها شيئاً فشيئاً ، لا دفعة واحدة ، ويتم انقضائهما بمجرد وقوع ما بعدها ، وتحقق معناه ؛ فإذا وقع ما بعدها انقطع ما قبلها نهائياً . وذلك بأن يكون لما قبلها نوع امتداد زمني ، واستمرار معنوي متلاحق ، لا ينقطع ولا يتوقف نهائياً إلا بتحقيق ما بعدها وحصوله ، فإذا تحقق ما بعدها وحصل انقطع المعنى قبلها بمجرد هذا التحقق والحصول ؛ نحو : أقرأ الكتاب ، أو أتعب ، (أى : حتى أتعب ، أو : إلى أن أتعب) ، فقراءة الكتاب تتطلب وقتاً ، يتابع بعضها بعضاً فيه ، ولا تتم دفعة واحدة بغير استمرار زمني محدد ، فإذا حصل التعب — وهو المعنى الذى بعد « أو » — انتهت القراءة وانقضت بمجرد حصول هذا التعب . ونحو : أتناول الطعام أو أشبع . (بمعنى : حتى أشبع ، أى : إلى أن أشبع) فتناول الطعام لا يتم دفعة واحدة ؛ وإنما يستغرق وقتاً يتوالى فيه بعضه وراء بعض ، ويستمر هذا حتى يحصل الشبع ويتحقق — وهو المعنى الذى بعد : « أو » — . فإذا حصل وتحقق انقطع تناول الطعام . ومثل : أنام الليل أو يطلع الفجر ، وأصلى الصبح وأتعبد أو تشرق الشمس ^(٢)

(١) يجرى على هذه الأداة الأحكام العامة المشتركة التي سبقت في رقم ٢ من هامش ص ٣١٧ ، والتي تجرى على كل نظائرها التي تنصب المضارع بأن المضمرة وجوباً .

أما : « أو » العاطفة . التي لا تنصب المضارع بعدها « بأن » — فقد سبق الكلام عليها (في ج ٢ م ١١٨ ص ٥٨٥ من باب : عطف النسق .)

(٢) وما يصلح لذلك قول امرئ القيس يخاطب رفيقه في السفر : (وكان امرؤ القيس قد صمم على الأخذ بثأر أبيه من قتله ؛ فقصده قصر الروم ليستعين به على تحقيق غرضه . واستصحب معه في سفرته الطويلة الشاقة عمرو بن قسيمة الذى جزع وتوجع ما حاق بهما من المشقات . وهو الذى يقصده امرؤ القيس بقوله : =

فالحرف «أو» فيما سبق حرف عطف بمعنى «حتى» الجارة^(١). ولكنه لا يعرب حرف جر^(٢)....

(ب) والدالة على «التعليل» (ويسمونها: «أو التعليلية») أى: (الى بمعنى: «كى التعليلية»، أو «لام التعليل») يكون ما بعدها علة لما قبلها؛ نحو: لأرضين الله أو يغفر لى، بمعنى: حتى يغفر، أو: كى يغفر لى، فما بعد «أو» - وهو: المغفرة - علة فيما قبلها، وهو إرضائى الله. ولا تصح أن تكون «أو» هنا بمعنى: «حتى» الغائية؛ لفساد المعنى؛ إذ يكون: سأرضي الله إلى أن يغفر لى، فإذا تحقق الغفران انقطع إرضائى له، وأغضبه... .

ومن الأمثلة: أحاذر العدوى أو أسلم، وأحرص على التوقي أو أنجو من المرض. فأو بمعنى: «حتى التعليلية»، ولا تصلح الغائية، لفساد المعنى معها...

و «أو» تعرب هنا حرف عطف، ولا يصح إعرابها حرف جر أو شيئاً غير العطف، بالرغم من أنها بمعنى «حتى» التعليلية الجارة^(٢)... .

* * *

والآخر: أن تكون «أو» بمعنى: «إلا» الاستثنائية؛ وهذا حين لا يصلح فى موضعها «حتى» بنوعيهما السالفين؛ (وهما: الغائية، والتعليلية). فلا بد من الالتجاء أول الأمر إلى: «حتى» ووضعها فى مكان: «أو»، فإن لم يستقم المعنى معها قصدنا «إلا» الاستثنائية. نحو: تهوى الطائفة أو تسلم من الخلل، وتسقط أو تبرأ من الفساد... . أى: إلا أن تسلم - إلا أن تبرأ... . ونحو: يقتل النمر بالرصاصة أو تخطئه الرصاصة... ، ويحرص الصياد

= بكى صاحبه لما رأى الدرب دونه وأيقن أننا لاجقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول ملكا، أو نموت فنعدرا
والشر الأخير هو محل الشاهد.

(١) «حتى» الجارة حرف بمعنى «إلى» الدالة على الانتهاء، وتعمل الجر مثلها.
(٢) أما المعطوف عليه فثبته قبلها يغلب أن يكون مصدراً متخيلاً متصيداً من الكلام الهابط، طبقاً لما سيبيء شرحه هنا (فى ص ٣٢٩). - وانظر «ب» ٣٣١ -

على جملده ، أو يعجزَ عن سلخه . فلفظ « أو » في الأمثلة السالفة بمعنى : « إلا » ولا يصلح غيرها . ومع أنه بمعناها - يعرب حرف عطف ، ولا يصح اعتباره حرف استثناء ...

فإن لم تصلح « أو » العاطفة لأن تكون بمعنى : « حتى » أو : « إلا » لفساد المعنى بوضع أحدهذين في موضعها ، كانت لمجرد العطف^(١) ؛ فلا ينصب المضارع بعدها ، إلا إن اقتضى المعنى بعدها نصب المضارع لسبب آخر غير السالف^(٢) ... ؛ فإن اقتضى المعنى نصب المضارع لسبب غير ما تقدم : وجب نصبه « بأن » أيضاً ، ولكن يجوز إظهارها وإضمارها ، كقول أحد الولاة لشاعر هجاء ؛ (لولا شعرك الجيد أو يُحَرِّمَ أولادك عائلهم لقطعت لسانك . فلا عفو بعد اليوم ، أو أقبل شفاعه) . ويصح إظهار « أن » فنقول : أو أن يُحرم أولادك ... أو أن أقبل شفاعه . وفي كلتا الحالتين يعرب المصدر المسبب من « أن » (الظاهرة أو المضمرة جوازاً) مع ما دخلت عليه معطوفاً . أما المعطوف عليه فلا بد أن يكون اسماً صريحاً قبل « أو »^(٣) ، وهو هنا : « شِعْر ، وعفو » . والتقدير : لولا شعرك ، أو حرمان أولادك ... فلا عفو أو قبول شفاعه ... ومن هذا قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يُرْسِلَ رسلاً ...) بمعنى : أو أن يُرسل رسلاً . فالمضارع « يرسل » منصوب « بأن » مضمرة جوازاً ، وفاعله مستتر جوازاً تقديره : هو ، والمصدر المؤول معطوف على الاسم الصريح : « وحياً » والتقدير : إلا وحياً أو لإرساله رسلاً ...

ملاحظة : لما كانت « أو » التي ينصب بعدها المضارع بأن المضمرة وجوباً أو جوازاً ، حرف عطف - وجب أن يكون المصدر المؤول بعدها معطوفاً على

(١) وقد سبق الكلام عليها في باب : « عطف النسق (ج ٣ م ١١٨ ص ٥٨٥) كما سبقت الإشارة .

(٢) سيجىء في « د » من الزيادة والتفصيل (ص ٣٢٩) ؛ بيان السبب الذي يقتضى نصب

المضارع بعد « أو » العاطفة .

(٣) عملاً بقاعدة نصب المضارع بأن مضمرة جوازاً بشروط ، منها : أن يكون المصدر المؤول من

« أن » وما دخلت عليه معطوفاً على اسم صريح خالص مذكور ... ، وقد سبقت في ص ٢٨٧ •

شئ قبلها يناسبه^(١) ؛ (كمصدر صريح ، أو مؤول ، وكاسم جامد ليس بمصدر . . .) فإن وُجد في الكلام السابق معطوف عليه مذكور ، عطفنا عليه المصدر المؤول الذي بعد «أو» كما في الأمثلة الأولى ، وكما في الأمثلة الأخيرة (وهي : لولا شعرك الجيد أو يُحَرِّمَ . . . — فلا عفو أو أقبل شفاعة . . . — إلا وحيماً أو يرسلَ رسولاً . . .) وإن لم يذكر في الكلام السابق معطوف عليه تَصَيَّدْنَا من ذلك الكلام اسماً جامداً ، مصدرراً كان أم غير مصدر ، وجعلناه المعطوف عليه . والأنسب أن يكون مصدرراً — لا اسماً جامداً محضاً ؛ — ليكون المعطوف والمعطوف عليه متناسبين ، في المصدرية . . .

ويتول النحاة : إن تَصَيَّدْنَا هذا المصدر — المعطوف عليه — من الكلام الذي قبل «أو» لا يحتاج في تلمسه إلى ضابط معين ، ولا إلى طريقة خاصة . وكل ما يشترط فيه أن يكون ملائماً المعنى ، مسائراً السياق الصحيح^(٢) . . . وفيما يلي بعض الأمثلة السالفة الخالية من ذكر المعطوف عليه صراحة ، ثم اشتغالها عليه بعد تصيده :

(١) يجب أن يكون المعطوف عليه مذكوراً — في الأغلب — وجامداً حين يكون نصب المضارع بأن* مضمرة جوازاً ؛ (طبقاً لما تقدم إيضاحه في ص ٢٨٧) ، ولا يصح في حالة نصب المضارع أن يكون المعطوف عليه فعلاً أو مشتقاً . يشبه ؛ إذ لو كان المصدر المؤول — وهو بعد التأويل اسم صريح — معطوفاً على فعل أو ما يشبهه لاختلف الأمر بين التابع والمتبوع في أمور ؛ أهمها الزمن ، والذات ، ذلك لأن المصدر المؤول بعد إتمام تأويله يدل على المعنى الجرد الخالي من الزمن ومن الذات ، في حين يدل الفعل على الزمن ، وتدل المشتقات العامة على الزمن ، ومعه صاحب المعنى (أى : الذات) .

وقد أشرنا إلى صحة وقوع المعطوف عليه اسماً جامداً محضاً (أى : اسماً جامداً غير مصدر) نحو : لولا شعرك الجيد أو يحرم أولادك عائلهم . . . فالمصدر المؤول من «أن» المضمرة بعد «أو» ومن الجملة المضارعية بعدها معطوف على : «شعر» وهو اسم جامد محض . والتقدير : لولا شعرك ، أو حرمان أولادك . . . ومثله قول الشاعر :

ولولا رجال من رِزَامٍ أَعَزَّةٌ وآل سُبَيْعٍ ، لَوَ أَسْوَعُكَ — علقما

(رِزَام : اسم قبيلة . وعلقم : منادى مرخم ، وأصله يا علقمة . . .) فالمصدر المؤول من أن المضمرة بعد «أو» ومن الجملة المضارعية بعدها معطوف على : «رجال» ورجال اسم جامد محض . والتقدير : لولا رجال أو إسمائك . . .

(٢) أكتفى ابن مالك ببيت واحد في الكلام على «أو» السالفة ؛ هو :

كَذَاكَ بَعْدَ : «أَوْ» ، إِذَا يَصْلُحُ فِي مَوْضِعِهَا : «حَتَّى» ، أَوْ : «أَلَّا» — أَنْ يَخْفَى =

المثال أولاً بغير ذكر المعطوف عليه صراحة	المثال بعد تصيد المصدر المعطوف عليه	ملاحظة
أقرأ الكتاب أو تعب . أتناول الطعام أو أشبع . أنام الليل أو يطلع الفجر أصلي وأتعبد أو تشرق الشمس لأرضين الله أو يغفر لي أحاذر العدو أو أسلم	سيكون منى قراءة للكتاب أو تعب سيكون منى تناول للطعام أو شبع . . . يكون منى النوم واستمراره أو طلوع الفجر . تكون منى صلاة وتعبد أو شروق الشمس . . . ليكن منى إرضاء الله أو غفرانه لي تكون منى محاذرة للعدو أو سلامة . . .	ليس من اللازم أن نقول : « سيكون » أو : « لتكن » ... ولما اللازم هو مسaire المعنى مع صحة الأسلوب ..

= وفي البيت تقديم وتأخير . والأصل : (« أن » غنى كذلك بعد « أو » إذا يصلح في موضعها حتى ،
أو إلا .) .

يريد : الحرف المصدرى « أن » خفسي - بمعنى : أضمروا لم يظهر - خفاء بعد « أو » مثل ذلك الذي
وقع بعد لام الجحود ؛ من ناحية أنه خفاء وإضمار واجب ؛ فلا يصح ظهور « أن » فيه بعد « أو »
كما لا يصح ظهورها بعد لام الجحود . بشرط أن تكون : « أو » بمعنى : « حتى » أو « إلا » ؛ فيصح
احلال أحد هذين الحرفين في موضعها .

زيادة وتفصيل :

(ا) يجرى على المضارع المنصوب بأن المضمرة بعد : «أو» جميع الأحكام الخاصة بالمضارع المنصوب بأن المصدرية^(١) من السبك ، والفصل ، وعدمه ...

(ب) صرحنا فيما سبق أن : «أو» التي بمعنى : «حتى» أو : «إلا» - هي حرف عطف ، ولا يصح إعرابها حرف جر ، أو حرف استثناء تبعاً للحرف الذي يصلح في موضعها ؛ فهي بمعنى فقط ، وليست مماثلة له في إعرابه ؛ فلكل منهما إعرابه الخاص به . وهو يخالف إعراب الآخر . ولهذا السبب وجب إعراب المصدر المؤول بعد «أو» معطوفاً على شيء قبلها ، ولا يصح إعرابه مجروراً ، أو مستثنى ، برغم أن «أو» بمعنى : «حتى» الجارة أو «إلا» الاستثنائية .

(ح) قد تصلح «أو» السالفة لأن تكون بمعنى : «حتى» أو «إلا» عند عدم قرينة تعيينها لأحدهما ؛ ولكن يختلف المعنى في كل صورة ؛ نحو : لألزمك أو تسدّد لي ديني . فيصح أن تكون «أو» هنا بمعنى «حتى» ، أو «إلا» والمعنيان مختلفان .

(د) من الملاحظ أن «أو» السالفة تقع بين معنيين مختلفين ؛ أحدهما قبلها ، والآخر بعدها ، والأول محقق الوقوع أو مرجحه حتى يقع ما بعدها ؛ فحصول الأول ثابت أو بمنزلة الثابت ، حتى يحصل ويقع ما بعدها ، وحصول الثاني ووقوعه مشكوك فيه غالباً ؛ فقد يقع أو لا يقع . فإذا أريد الدلالة على أن ما قبلها وما بعدها متساويان في الشك وجب توجيهها للعطف المجرد ، ووجب رفع المضارع بعدها ؛ ليكون الرفع شارة وعلامة على هذه المساواة في الشك . بخلاف ما لو أريد الدلالة على أن الأول محقق الوقوع أو مرجحه ، وأن الثاني وحده هو المشكوك في حصوله ؛ فيجب نصب المضارع حتماً بأن مضمرة وجوباً بعد «أو» ؛ ففي مثل : أسافر يوم الجمعة أو أستريح ... - يصح رفع

المضارع : « أستريح » على إرادة أن السفر والاستراحة متساويان من ناحية وقوعهما أو عدم وقوعهما ؛ فكلاهما مشكوك في حصوله ، غير مقطوع بواحد منهما . ويصح نصب المضارع « أستريح » على إرادة أن الأول - وهو : السفر - محقق الوقوع والحصول ، أو كالحقق ، وأن الراحة مشكوك فيها ؛ فقد تحصل أو لا تحصل ، وأن المعنى أسافر حتى أستريح ، أو إلا أن أستريح . فالسفر ليس موضع شك ؛ وإنما الشك في الاستراحة ؛ إذ لا يدري المتكلم أتحقق أو لا تتحقق ؟ .

ومثل المساواة في الشك المساواة في غيرها من المعاني الأخرى التي تدل عليها « أو » المتجردة للعطف المحض ^(١) .
لهذا كان استعمال : « أو » في معناها الصحيح محتاجاً إلى يقظة ودقة فهم . . .

(١) تقدمت هذه المعاني عند الكلام على « أو » الماطفة في باب المطف (ج ٣ م ١١٨) .

الأداة الثالثة^(١) : « حتّى » الجارة للمصدر المنسبك من « أن » والجملة المضارعية :

(١) وتنطبق عليها الأحكام العامة المشتركة بين الأدوات الخمس - وهى الأحكام التى فى رقم ٢ من هامش ص ٣١٧ - .

ولا تتضح « حتّى » الجارة على الوجه المحمود إلا بعرضها مع بقية أنواع « حتّى » عرضاً مناسباً ؛ يكتفى بتمييز كل نوع من غيره .

أنواع « حتّى » ثلاثة ؛ أولها : العاطفة ؛ وهى حرف عطف يفيد بلوغ الغاية فى خسة ، أو شرف ، أو قوة ، أو ضعف ، أو نحو هذا من كل ما يفيد كمالاً أو نقصاً ، حسين أو معنوين ، أو يدل على حسن أو قبح كذلك . .

ومن أحكام هذا النوع أنه لا يدخل على الحروف ، ولا يعطف المصادر المؤولة ، ولا الضائرات ، - فى الرأى الراجح - ولا الأفعال ، ولا الجمل الفعلية ولا الاسمية ، وإنما يعطف الاسم الظاهر الصريح فقط .

(وقد سبق تفصيل الكلام على هذا النوع ، وعلى أحكامه فى باب العطف ج ٣ ص ٥٦٢ م ١١٨) .

ثانيها : « حتّى » الابتدائية « وتفيد الدلالة على : « الغاية » ولو بتأويل أو تقدير ، ولكنها لا تدخل إلا على جملة جديدة ؛ مستقلة عن الجملة التى قبلها فى الإعراب ، مع اتصالها معنى بنوع من الاتصال ؛ كالتى فى قول الشاعر :

كريم يُميت السّر ؛ حتّى كأنه إذا استخبروه عن حديثك جاهله
- و « كأن » من الحروف الناسخة التى لها الصدارة فى أول جملتها -

وهذا هو المراد من قول « الخضرى » عند كلامه عليها فى باب العطف ج ٢ - : (« إنها هى الداخلة على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها . ») ؛ أى : نهاية وآخر له ؛ فتدخل على الجملة الاسمية نحو : « الصناعة مفيدة ، حتّى فائدتها الخلقية كبيرة » .

وتدخل على الجملة الفعلية الماضية ؛ نحو قول المتنبى يصف جيش الأعداء :

وضاقت الأرض ؛ حتّى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً
ونحو : « ارتفع صوت الحرية فى القرن العشرين حتّى ملأ الأسماع ، ودوّى فى المشارق والمغارب حتّى زلزل حصون الاستبداد » .

وتدخل على الجملة المضارعية بشرط أن يكون زمن المضارع حالاً حقيقية ، أو مؤولة بالحال ، وفى صورتين يجب رفع المضارع .

فالحال الحقيقية : (هى التى يكون زمنها هو زمن التكلم .) وفى أثناءه يتحقق معنى المضارع ؛ بحيث يكون الوقت الذى يجرى فيه الكلام هو الوقت الذى يقع فيه - أول مرة - معنى هذا المضارع . أى : أن الزمن الحالى يجمع بين كلام المتكلم ، وحصول معنى المضارع أول مرة - بالنسبة لهذا الكلام الذى يحوى المضارع ، نحو : « أصفى الآن للخطيب حتّى أسمع وأنهم كلامه » . (طبقاً للبيان الآتى فى ج من ص ٣٣٨) .
المؤولة بالحال نوعان :

والكلام عليها - هنا - يتجه إلى ناحية معناها ، وعملها ، وحكم المضارع بعدها .

= (١) إما مؤولة عن ماض : وهي التي يكون زمنها قد فات قبل التكلم ، ومعنى المضارع قد وقع وانتهى ، وتم كل هذا قبل النطق بالجملة المشتملة على « حتى » مع مضارعها . ولكن المتكلم يتخيل أن ذلك الزمن بما يحويه من معنى المضارع لم ينته ، وأنه موجود قائم حين النطق بالجملة . وهذه الطريقة تسمى : « حكاية الحال الماضية » (وسيجيء تفصيل الكلام عليها هنا ، وفي ج من ص ٣٣٨ . حيث نعرف الداعي لها ، وأثرها النحوي والمعنوي) .

أما علامة هذه الحالة الماضية المحكية فصحة الاستثناء عن مضارعها ، وإحلال ماضيه محلها فلا يتغير المعنى ، ولا يفسد التركيب (كما سيجيء في ص ٣٤٨) وكما يوضحه المثال التالي في : « ب » .

(ب) وإما مؤولة عن مستقبل ؛ وهي التي يقع الكلام ويتحقق دون أن يقع ويتحقق زمنها وزمن مضارعها في آنائه ، أو قبل النطق به . ولكن المتكلم يتخيل أن زمنها قائم وقت الكلام . وعلى هذا لا يصح اعتبار : « حتى » ابتدائية إذا كان معنى المضارع الذي بعدها قد تحقق في زمن انتهى حقيقة ، أو أنه سيتحقق في زمن مستقبل حقيقة ، بغير تخيل الحال وحكايتها في كل واحدة منهما . . فثال حكاية الحال الماضية التي يتخيل المتكلم وقوعها وقت كلامه - على الرغم من أن زمنها قد فات حقاً ، وانتهى قبل أن يتكلم - قول المؤرخ : (يقيم الفراعنة المصريون القدماء مسلات ضخمة ، حتى يكتبون على جوانبها تاريخهم ، ومآثرهم .) أى : حتى كتبوا . ومثال الحال المؤولة عن المستقبل : (يأتي الشتاء في الشهر القادم ؛ وما هو ذا المطر يهيم . ويشتد البرد حتى ترتجف منه أعضائي) . ومثال الحال الحقيقية - : (أقف الآن على شاطئ البحر والشمس منحدره إلى مغربها حتى أتابع منظر غروبها - هذه الورد في يدي أرقها وأشمها ، حتى أتمتع بلونها وبطيب رائحتها) - فتابعة الغروب تتحقق في الزمن الذي ينطق فيه المتكلم بالجملة المشتملة على « حتى » ؛ فزمنها واحد هو : الحال . كذلك التمتع بطيب الورد ولونها ؛ يقع في الزمن الذي يقع فيه النطق بالجملة المشتملة على « حتى » وهو الزمن الحالي . وفي هذه الأمثلة وأشباهها تعرب « حتى » حرف ابتداء يدل على « الغاية » والجملة بعدها مستقلة في إعرابها لا في معناها - وقد شرحنا في الصفحة التالية المراد من الغاية .

ثالثها : « حتى » الجارة ، وهي نوعان :

١ - نوع يجر الاسم الظاهر الصريح (والظاهر : ما ليس ضميراً ، والصريح : ما ليس مصدرأ مؤولاً) ومعناها : الدلالة على الغاية ، نحو : قرأت الكتاب حتى الخاتمة . ولا شأن لنا بهذا النوع هنا ، - (فقد سبق تفصيل الكلام عليه في الجزء الثاني ، باب حروف الجر ، م ٩٠ ص ٤٤٥) .

٢ - ونوع يجر المصدر المؤول من « أن » المضبرة وجوباً وما دخلت عليه من جملة مضارعية . ومعنى « حتى » إما الدلالة على الغاية ، وإما الدلالة على التعليل ، وإما الدلالة على الاستثناء ، والنوع الجار للمصدر المؤول - وإن سبق مجملاً في الموضع السالف - هو موضوع التفصيل في كلامنا الآن . لكن الكوفيين يعتبرون « حتى » حرفاً مصدرياً ينصب المضارع بنفسه مباشرة ، ويجيزون ظهور « أن » المصدرية بعده فتكون للتوكيد اللفظي . (انظر البيان في « ب » ص ٣٥٠) =

(١) فأما معناها فالدلالة على « الغاية » ، أو : على « التعليل » ، أو : على « الاستثناء » .

فتدل على الغاية إذا كان المعنى بعدها نهاية حقيقية لمعنى قبلها ينقضى تدريجاً لا دفعة واحدة ، ولا سريعاً ، ويترتب على تحقق المعنى الذى بعدها أن ينقطع المعنى السابق فوراً ، وأن يتوقف بمجرد تحقق اللاحق وحصوله ؛ نحو : (يمتد الليل حتى يطلع الفجر) - (يزداد الحرّ نهار الصيف حتى تغيب الشمس ، ويزداد البرد ليل الشتاء حتى تشرق) - (يسرع القطار حتى يدخل المحطة ، والطائرة حتى تدخل حظيرتها) . . . فامتداد الليل يستمر تدريجاً إلى أن يظهر الفجر ، وعند ظهوره ينقطع الامتداد ويختفى . وازدياد الحر يدوم إلى أن تختفى الشمس ، ومتى اختفت انقطع الازدياد وتوقف . . . وهكذا بقية الأمثلة ونظائرها مما تقع فيه : « حتى » دالة على الغاية (أى : على نهاية المعنى الذى قبلها ، وانقطاعه ، بسبب ظهور معنى جديد بعدها ، وابتداء حصوله وتحققه) ، ولذا يسمونها : « حتى الغاية » أو : « حتى التى بمعنى : إلى » : للدلالة كل واحدة منهما على انتهاء ما قبلها بمجرد حصول ما بعدها . ولا بد أن يكون المعنى السابق من الأمور التى تنقضى شيئاً فشيئاً - كما نرى - فلا ينقضى مرة واحدة ، ولا ينقطع بغير تمهل .

والضابط الذى تتميز به « حتى الغائية » من غيرها هو صحة حذفها ، وإحلال « إلى »^(١) محلها من غير أن يفسد المعنى ، أو التركيب .

= « ملاحظة » : يصح حذف ما دخلت عليه « حتى » مهما كان نوعها بشرط ألا يكون اسماً صريحاً مجروراً بها . ومن الأمثلة قول الشاعر وقد ذهب لزيارة شخص :

فلما لم أجذك - فدتك نفسى - رجعتُ بحسرة وصبرت حتى . . .
يريد : حتى يأذن الله - مثلاً -

(١) إنما تدل « إلى » على الغاية بالتفصيل الذى سبق عنها فى حروف الجر - ج ٢ م ٩٠ ص ٢٦٦ - وعند التقدير نقول : « إلى أن . . . » فيزداد بعدها الحرف « أن » ؛ لجرد الإيضاح والتفسير ، لأنه الناسب للمضارع . ويوضح هذا ما يجيء - تحت عنوان : « ثالثها » ، فى هامش ص ٣٣٧ - خاصاً بالكلام على « حتى » بمعنى « إلا » فكان الذى يحل محل « حتى » هو : « إلى أن » . لكن لا يصح إظهار « أن » بعد « حتى » مطلقاً .

وتدل على « التعليل » إذا كان ما قبلها سببا وعلة فيما بعدها^(١) ؛ نحو :
 (نقرأ الصحف حتى نعرف الشؤون الداخلية والخارجية ، ونستمع إلى الإذاعة حتى
 نعلم ما يدور في البلاد المختلفة) ؛ فقراءة الصحف هي السبب في معرفة الشؤون
 الداخلية والخارجية ، والاستماع إلى الإذاعة هو السبب في العلم بما يدور في
 البلاد المختلفة . فما قبل : « حتى » هو العلة والسبب فيما بعدها^(٢) ؛ ولهذا ، تسمى :
 « التعليلية » .

ومن الأمثلة أيضاً ؛ (تحرص الأمم على نشر التعليم حتى تنهض وتقوى ،
 وتنافس في ميادين الصناعة حتى تفوز بأكبر قسط من مزاياها ، وتتسابق إلى
 كشف الكواكب حتى تستأثر بما فيها) ...

وتدل على « الاستثناء » - كإلا - إذا لم تصلح للدلالة على الغاية أو على
 التعليل ؛ فلا بد من القطع بعدم صلاحيتها « للغاية » ، أو للتعليل قبل جعلها
 للاستثناء الخالص . نحو : (لا يصلح الوالى للحكم حتى يلتزم العدل ، ويحرص
 عليه) ... والتقدير : لا يصلح الوالى للحكم إلا أن يلتزم العدل . « فحتى »
 هنا بمعنى : « إلا » - وعند التقدير نقول معناها : « إلا أن » ، فتظهر « أن »
 بعد « إلا » في حالة التقدير فقط ، لمجرد الإيضاح ، ولا يصح إظهارها بعد « حتى » -
 ولا تصح أن تكون « غائية » ولا « تعليلية » ؛ إذ لو كانت « غائية »
 لوجب أن ينقضى المعنى قبلها تدريجاً - كما سبق - والذى من المعاني التي تنقضى
 دفعة واحدة ؛ لأنه حكم بالسلب على أمر ، والحكم بالسلب ينصب سريعا ،
 دفعة واحدة ؛ لا تدريجاً - في الصحيح^(٣) ...

(١) أهذا يوافق قولم : إن « حتى التعليلية » بمعنى « كى التعليلية » التي يكون ما بعدها علة فيما
 قبلها ؟ أم أن المسألة اعتبارية ؟ المراجع في هذا مضطربة .

(٢) لأن السبب متقدم في زمنه على السبب حتما .

(٣) وهنا اعتبار آخر ؛ هو أن الكلام قبل « حتى » منفي في هذه الصورة ؛ والمنفي لا يزول معنى
 فيه إذا كانت « حتى » للنافية وتحققت الغاية . فعند تحققها يبقى معنى النفي قبل « حتى » على حاله .
 ويترتب على بقاءه فساد المعنى ؛ إذ يكون التقدير : لا يصلح الوالى للحكم إلى أن يلتزم العدل ، فإذا
 تحقق التزامه العدل لا يصلح للحكم .

ولو كانت « تعليلية » لوجب أن يكون ما قبلها سبباً وعلة فيما بعدها . وهذا لا ينطبق على ما نحن فيه ؛ إذ ليس عدم صلاح الوالى للحكم هو السبب فى أنه يلتزم العدل .

ومن أمثلة « حتى » التى بمعنى : « إلا » قول على رضى الله عنه : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » (١) .

وكذلك قول شوقي :

وما السلاحُ لقوم كلَّ عُدَّتْهم
حتى يكونوا من الأخلاق فى أهْبِ (٢)

* * *

= وهذه المناسبة نشير إلى أهم الأحكام الخاصة « بحتى الاستثنائية » ؛ وقد نبه العلماء إليها ؛ لدقتها ، وخفائها على كثير :

« أولاً » أن « حتى » الاستثنائية تُسبق - كثيراً - بنفى ؛ يجعل معنى الجملة التى قبلها منفيًا .
« ثانيًا » أن معنى الجملة المشتملة على هذا النفى يظل على حاله عند التقدير مستمراً ومنفيًا لا ينقطع استمراره ونفيه بوقوع ما بعدها ، مهما كانت الأحوال . والسبب فى هذا أن الاستثناء الذى تتضمن معناه ، وتدل عليه « هو استثناء منقطع » - فى الأعم الأغلب - (أى : لا يكون فيه المستثنى . من جنس المستثنى منه ، فهى بمعنى : « لكن » ساكنة النون) . كالذى هنا ، وقد يكون متصلاً أحياناً كالذى فى قوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فهى للاستثناء المتصل من عموم الأحوال .

« ثالثاً » أن « حتى » تتضمن معنى « إلا » الخالية من « أن » بعدها . أما « أن » التى تظهر فى تأويل الجملة فهى « أن » المصدرية المضمرة وجوباً بعد « حتى » . فإذا وضعنا « إلا » مكان « حتى » ظهرت « أن » المضمرة ؛ إذ لو كانت « حتى » بمعنى : « إلا » و « أن » معاً لتكررت « أن » عند التأويل ، وصار الكلام : لا يصلح الوالى للحكم ، « إلا أن أن » يلتزم العدل ، بذكر « أن » مرتين ؛ إحداهما التى كانت مضمرة وجوباً مع « حتى » والأخرى هى المزعومة خطأ بعد « إلا » .

(١) استقامة اللسان : ترك الغيبة والنميمة ، وكل لفظ يؤذى .

(٢) جمع : إهاب ، بمعنى : جلد .

(٣) ومن الأمثلة أيضاً قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراقَ على جوانبه الدم
وقول الآخر :

ولا ألين لغير الحق أتبعهُ
حتى يلينَ لضرر الماضغ الحَجَرُ =
النحو الواق - رابع

(ب) وأما عملها : فالجر باعتبارها حرف جر أصلي ، بشرط أن يكون المضارع بعدها منصوباً بأن المصدرية ، المضمرة وجوباً .

وهذا النوع الجار من أنواع « حتى » (وهو الذي يعينها هنا) لا يجر إلا المصدر المنسبك من « أن » المصدرية مع صلتها الجملة المضارعية . ففي مثل : الصبر يحمي النفس الحزينة ، حتى تفيء إلى السكينة - يكون الإعراب : (حتى) حرف جر - (تفيء) فعل مضارع ، منصوب « بأن » المضمرة وجوباً بعد « حتى » . والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره : « هي » . والمصدر المؤول من « أن » وما دخلت عليه من الجملة المضارعية مجرور « بحتى » . والتقدير : حتى إفائها . . . وهذا الجار ومجروره متعلقان بالمضارع : « يحمي » . . .

وهي تعمل الجر دائماً ولو كان معناها : « الاستثناء » ؛ فشأنها في الاستثناء والجر معاً كشأن (خلا ، وعدا ، وحاشا) ، وهذه الثلاثة حروف جر ، ومعناها : الاستثناء .

* * *

(ح) وأما حكم المضارع بعدها : فتارة يجب رفعه ؛ فتكون ابتدائية^(١) ، وتارة يجب نصبه بأن مضمرة وجوباً ، فتكون جارة للمصدر المؤول بالطريقة التي أوضحناها ، وتارة يجوز فيه الأمران ؛ فتكون ابتدائية عند رفعه ، وجارة عند نصبه بالحرف المصدرى « أن » . وفي كل أحوال المضارع لا يجوز أن يفصل بينه وبين « حتى » فاصل مذكوراً أو مقدر إلا « أن » المضمرة وجوباً^(٢) في حالة نصبه .

١ - فيجب رفعه في كل حالة تستوفي ثلاثة شروط مجمعة^(٣) :

= وكذلك :

لَا تُسَيِّدِينَ إِلَى عَارِفَةٍ . حَتَّى أَقْوَمَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

(والعارفة : المعروف ، وإسداؤها . نعيمها وبذلها) .

(١) سبق معنى « الابتدائية » في هامش ص ٣١٤ .

(٢) ويجوز بعض النحاة (كما أشرنا في رقم ٢ من هامش ص ٣١٧) الفصل بينهما بالظرف أو الجار مع مجروره ، أو بالقسم ، أو بالفعل ، أو بالشرط الذي فعله ماض . وهذا الرأي حسن إذ فيه تيسير .

(٣) فيما يلي الشرط الأول ، أما الثاني والثالث ففي ص ٣٤٣ .

الشرط الأول : أن يكون زمن المضارع للحال حقيقة أو تأويلا ، والحال الحقيقية - كما سلف^(١) - هي التي يقع فيها الكلام ؛ فزمنها زمن النطق بالكلام المشتمل على « حتى » . أى : أن الزمن الذى يحصل فيه الكلام هو نفسه الزمن الذى يجرى فيه - أول مرة^(٢) - معنى المضارع التالى لها . فلا بد أن تجمع الحال الحقيقية بين الأمرين ؛ وهما : الكلام المشتمل على « حتى » ، وحصول معنى المضارع الذى يتلوها ؛ بحيث يتكلم الناطق بها وبجملتها فى وقت تحقق معنى المضارع وحصوله أول مرة ؛ نحو : (ينساب هذا الماء بين الزروع حتى تشرب) فالشرب - وهو معنى المضارع التالى : « حتى » - يتحقق ويحصل فعلا أول مرة فى الوقت الذى يتكلم فيه المتكلم بالجملة ؛ فزمن النطق والشرب واحد ؛ هو : الزمن الحالى ، وهو الذى يجمع بينهما . ومثل : (يسمع الطبيب دقات القلب الآن حتى يعرف أمره ، ويجس نبض المريض حتى يسترشد به فى معرفة الداء) . بشرط أن يقال هذا فى وقت استماع الطبيب للدق ، وجس النبض . ومثل : (أشاهد العواصف تشتد الساعة حتى تقتلع الأشجار ، وتزداد شدة وعنفاً حتى تهدم البيوت ، وتغرق السفن ، وتسقط الطائرات) . . . بشرط أن يكون الزمن الذى يتحقق فيه معنى الأفعال المضارعة التآلية « حتى » فى كل ما سبق هو زمن النطق بالكلام ، فكأن الناطق بالمضارع الحالى الزمن يقول : الأمر الآن كذا وكذا ، أى : شأنه فى الحال القائمة كذا وكذا . . .

فالمضارع فى الأمثلة السالفة - وأشباهاها - مرفوع وجوبا^(٣) . و « حتى » حرف ابتداء ، يدل على أن الجملة بعده جديدة مستقلة عما قبلها فى الإعراب دون المعنى ؛ إذ لا بد من اتصالهما فيه - كما عرفنا .

ولا مانع أن يستمر معنى المضارع الحالى الزمن ؛ فيمتد وقته بعد انتهاء

(١) فى هامش ص ٣٣٣ .

(٢) أوضحنا فى هامش ص ٣٣٣ المراد من أنه « أول مرة » ، بأن يتحقق المعنى وقت الكلام فعلا ، وأنه لم يكن قد تحقق قبله ، أما إذا تحقق قبله وأريد إنزاله منزلة ما يتحقق وقت الكلام فإنه يكون حالا مؤولة - كما سيجىء فى الصفحة التالية -

(٣) سيجىء فى ص ٣٤٩ أنه لا يصح نصبه بأن المضرة ، لأنها تخلص زمن المضارع للاستقبال ، والاستقبال يعارض الحال . .

النطق بالجملة المشتملة على : « حتى » وإنما الممنوع أن ينقضى معناه قبل النطق بكلمة « حتى » ؛ فيكون ماضى المعنى . أو أن يتأخر بدء تحققه إلى ما بعد النطق بها والفراغ منها ؛ فيكون تحققه فى زمن مستقبل حقيقى بالنسبة لها ؛ إذ يتحقق بعد الانتهاء من التكلم بجملةتها .

أما الحال المؤولة (أو : المخكّية) فلها صورتان ، لا بد فى كل منهما من قرينة تدل على حكايتها .

الصورة الأولى : الزمن الماضى المؤول بالحال ، وهو الذى يكون فيه معنى المضارع قد تَحَقَّقَ وانتهى فعلا قبل النطق بالجملة ، وكان المناسب أن يذكر الفعل بصيغة الماضى ، ولكنه يعاد ذكره بصيغة المضارع بقصد حكاية الحال ^(١) لماضية التى ترشد إليها القرينة — بالطريقة التى شرحناها ^(٢) ... وفى هذه الصورة التى يكون فيها زمن المضارع ^(١) حالاً ماضية ولكنها مؤولة — يجب رفعه ، وتكون « حتى » ابتدائية ؛ كما وجب رفعه فى الزمن الحالى حقيقة وكانت فيه « حتى » ابتدائية أيضاً .

ومن أمثلة الحال الماضية المؤولة أن يقول أحدنا اليوم (هذا زهير الشاعر الجاهلى ، يراجع قصيدته حتى تجودُ بعد حول فى مراجعتها ؛ فيذيعُها ، ولذا تسمى قصائده : « الحوليات » . . .) فعنى المضارع — وهو الجودة بعد الحول — أمر فات حقاً قبل النطق بكلمة : « حتى » وبجملتها . كفوات المراجعة . وزمن الأمرين فى حقيقة ماض ، ولكن التحدث عنهما بصورة المضارع — قُصِدَ به حكاية ما مضى ، ولإرجاع ما فات ، على تخيل أنه يقع الآن — فى وقت الكلام — أو على تخيل أن المتكلم قد ترك زمانه الذى يعيش فيه ، ورجع إلى الزمن السالف الذى يتحقق فيه المعنى أمامه ساعة النطق ، وكأنه من أهل ذلك العصر القديم . ووجود الرفع هنا يعتبر الدليل على الحكاية ^(٣) ، وعلى ما يترتب عليها من أثر معنوى .

(١ و ١) أى : الحالة ، أو : الحادثة .

(٢) فى هامش ص ٣٣٣ . وهناك — وكذا فى ص ٣٤٨ — العلامة التى تدل على أن الماضى يحكى

الدلالة الزمنية .

(٣) فى هامش الصفحة التالية ما يزيد « حكاية الحال الماضية » وضوحاً . أما أثرها المعنوى الذى

ذكرناه فيزداد بياناً بما فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٧ .

ويسمى هذا الاتجاه : « حكاية الحال الماضية » ، أى : إعادة حالة سبقت وحادثة وقعت ، وترديد قصتها وقت الكلام ، وكأنها تحصل أول مرة ساعة النطق بها ، مع أنها - فى حقيقة الأمر - قد حصلت من قبل ، وانتهى أمرها قبل ترديدها . وهذه هى الصورة الغالبة فى الحكاية .

والغرض من « حكاية الحال الماضية » هو الإشعار بأهمية القصة ، وبصحة ما تضمنته من معنى قبل « حتى » وبعدها ؛ لادعاء أنها تقع الآن - فى وقت الكلام - وأن ما بعد « حتى » مسبب عما قبلها ، وغاية له ، فيثور الشوق إلى سماعها ويمتاز السامع بجوها .

ومن الأمثلة أيضاً : (انظر إلى الفراعين يبنون قبورهم فى حياتهم منحوتة فى الصخر الأصم حتى تستريح نفوسهم لصلابتها وقوتها ، وربما أخفوها حتى يأمنون الأيدى العابثة بها . . .) فزمن بناء القبور قد انتهى وانقضى ، وكذلك الاستراحة ، والإخفاء ، والأمن . . . فكان المناسب ذكر هذه المعانى بصيغة الماضى لا المضارع . ولكن جىء بالمضارع على سبيل « حكاية الحال الماضية » ؛ ليكون من وراء ذلك توجيه الأنظار إلى هذه القصة الهامة العجيبة ، وأنها صحيحة ؛ كأنها تقع الآن أمامنا ساعة التكلم بما يلابسها من غرائب ، وكأن المتكلم يطلب إلى السامع التنبيه إلى ما يحيط بها ، وأن يستعيد صورتها كاملة ويعيش - ساعة سماعها - فى جو يشابه الجو الحقيقى الذى ولدت فيه أول أمرها ، دون الاكتفاء بالسماع المجرد . أو يريد منه أن ينتقل بخياله إلى العصر الحقيقى الذى وجدت فيه ، ليشاهد وقت الكلام نشأتها ، وتحققها هناك . فالتعبير عن القصة الماضية بصيغة المضارع و « الحال المحكية » يجعل القصة الماضية بمنزلة ما يحصل أمامنا الآن ، أو يجعلنا بمنزلة من تقدم بهم الزمان فشاهدوها فى وقتها الحقيقى السالف . والأمران على سبيل التخيل الخفى ، ولهذا يعتبر زمن المضارع حالياً تأويلاً^(١) ، لاحقيقة ، ويجب

(١) راجع ج ٢ من الصبان والخضرى ، باب : « إعمال اسم الفاعل » ؛ حيث بيان الأمرين ، وطريقى الحال الماضية . ونزيدهما وضوحاً ؛ فنقول : إذا كان المعنى الذى بعد « حتى » قد وقع وانتهى زمنه قبل النطق بالجملة التى تشتمل عليها ، وأريد التعبير عنه فالتعبير بالفعل الماضى هو المناسب له ، والأليق . غير أن هناك بعض دواع بلاغية ومعنوية أوضحناها تدعو - أحياناً - إلى ترك التعبير بالماضى وإلى العدول -

رفعه مراعاة لهذه الحالمة التأويلية . ولا بد في حكاية الحالة هذه من قرينة تدل على الحكاية .

والصورة الثانية :- وهى صورة أقل استعمالاً من الأولى - ويراد بها حكاية الحالة المستقبلية التى لم تقع بعد ، والتعبير عنها بما يدل على أنها تقع الساعة ، وتحصل الآن (أى : وقت الكلام) مع أنها لم تقع ولم تتحقق قبل الكلام ، ولا فى أثرائه . والغرض منها : إفادة القطع بمجيئها ، وأنها آتية لا محالة ، فهى بمنزلة ما وقع وتحقق ، أو يقع ويتحقق فى أثناء الكلام . ولا بد فى هذه الحكاية من قرينة تدل عليها . ومن أمثلتها قول أحدهم : (ويل للمشارك يوم القيامة ، إني أراه الآن يتلفث حتى يجد الشفيع ولا شفيع يومئذ ، وأسمعه يصرخ حتى يسمع النصير ، ولا نصير) .

= عنه المضارع الذى يقوم - مع القرينة - مقامه تأويلاً وتزويلاً . وهذا يسمى : «حكاية الحال الماضية» . وتقوم على أحد اعتبارين .

أولهما : تخيل المتكلم أن المعنى الماضى الذى حصل وتحقق قبل النطق بالكلام - لم يحصل ولم يتحقق فيما مضى ، وإنما يحصل ويتحقق وقت الكلام ، أى : فى الزمن الحالى ؛ فكأن هذا المعنى يحصل ويتحقق أمامه الآن ؛ لهذا يعبر عنه بفعل مضارع يدل على الحال .

وثانيهما : أن يتخيل - أيضاً - أنه لا يعيش فى الزمن الذى يتكلم فيه ، إنما رجع به زمنه إلى الوراء ؛ ونقله من عصره الحاضر القائم إلى عصر مضى ، ووقع فيه ذلك المعنى ، فكأن المعنى يقع أمامه ويتحقق فى الزمن الذى ينطق ويتكلم فيه بذلك المعنى ؛ وهو : «الحال» ويجيء بالمضارع ليعبر عن هذا المعنى ، وزمنه ، بدلا من الماضى .

فحكاية الحال الماضية قائمة تخيلاً ؛ إما : على تقديم المتكلم ونقله من زمنه الذى يعيش فيه إلى زمن سبق ، وتحقق فيه المعنى ، وإما : على تأخير زمن المعنى إلى عصر المتكلم . وفى الحالتين يستعمل المضارع يدل الماضى ؛ للدلالة على أن زمن المعنى وزمن التكلم واحد ؛ هو : الزمن الحالى . وكل هذا على سبيل التخيل ، والتأويل ، والحكاية ؛ فتحدث الآثار المشار إليها هنا وفى ص ٣٤٦ . ويوضح الاعتبارين السالفين المثال الآتى يقول أحدنا اليوم :

دعا الرسول عليه السلام قومه إلى طاعة ربه ، وإلى ترك المزدول من عادات الجاهلية ، فبذل الجهد فى هذا السبيل ، واحتمل الأذى من قومه ، وصبر على ما لقيه من العنت والاضطهاد . . .

فهذه قصة وقع معناها ، وتحقق فعلاً قبل النطق هنا ؛ فالتعبير عنها بالفعل الماضى هو المناسب لها . لكن المتكلم قد يعدل عنه إلى التعبير بالمضارع ؛ لسبب بلاغى ومعنوى - كما أشرنا - فيقول : (وهو يتخيل أن الزمن تقدم به - إلى عصر النبى ، فهو يشاهدها فيه ، أو أنها تأخرت إلى عصره فهو يشاهدها كذلك ، وفى الحالتين يكون زمن مشاهدتها والتكلم بها واحداً ، هو : الزمن الحالى) : إن رسولنا يدعو قومه . . . ويذلل الجهد . . . ويحتمل الأذى . . . ويصبر . . .

الشرط الثاني من شروط رفع المضارع بعد « حتى »^(١) : أن يكون ما بعدها مسبباً عما قبلها ؛ كالأمثلة الساقفة - ليقع الربط بين ما قبلها وما بعدها^(٢) - فإن لم يكن مسبباً عما قبلها لم يصح رفع المضارع ، ووجب اعتبارها جارة يُنصب بعدها « بأن » مضمرة ؛ وجوباً - نحو : (يتقضى هؤلاء الزراع نهارهم في العمل حتى تغرب الشمس) . فغروب الشمس ليس مسبباً عن قضاء النهار في العمل ، فيجب نصب المضارع : « تغرب » ، ولا يجوز رفعه . . . ؛ ونحو : (يحرص هذا البخيل على ماله حتى يموت) ، فالموت ليس مسبباً عن البخل ؛ ولهذا يجب نصب المضارع . . .

الشرط الثالث : أن يكون ما بعد « حتى » فضيلة (أى : تم الكلام قبله من الناحية الإعرابية كالأمثلة المتقدمة) لا جزءاً أساسياً في جملة لا تستغنى عنه في إتمام ركنيها الأصليين ؛ (فلا يكون خبراً لمبتدأ^(٣) ، أو خبراً للناسخ^(٤)) . . . ، فإن لم يكن فضيلة لم يصح الرفع ، ووجب النصب بأن مضمرة وجوباً بعد « حتى » ، نحو : (عملى حتى تغرب الشمس - كان عملى حتى تغرب الشمس - إن عملى حتى تغرب) . . . فالمصدر المنسبك من « أن » المضمرة وما دخلت عليه مجرور بـ « حتى » والجار والمجرور خبر المبتدأ ، أو خبر الناسخ . . .

« ملاحظة » : علامة كونه حالاً أو مؤولاً به صحة الاستغناء عن « حتى » - مع وضع « الفاء » الداخلة على كلمة : « الآن » مكانها ؛ فلا يتأثر المعنى ، ولا الأسلوب^(٥) . . . ويجب حينئذ أن يكون ما بعدها فضيلة ، ومسبباً عما قبلها .

* * *

(١) سبق الشرط الأول في ص ٣٣٩ .

(٢) وهذا الربط معنوي بين الجملتين ، يقوم على أساس السببية والمسببية ؛ لعدم وجود رابط لفظي بينهما . أما في حالة نصب المضارع فإن الربط اللفظي موجود ؛ وهو تعلق الجار والمجرور (أى : حتى وما دخلت عليه) بالعامل قبلها .

(٣) لأن الجار مع مجروره (كحتى مع مجرورها) لا يكون جزءاً أساسياً في جملة إلا حين يكون خبراً لمبتدأ ، أو : لناسخ ، أو : بمنزلة الخبر ، أو : يكون نائب فاعل .

(٤) الناسخ يشمل : « ظن وأخواتها » مما ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر . وإنما وجب أن يكون ما بعدها فضيلة ؛ لأن « حتى » الابتدائية لا تدخل إلا على جملة مستقلة في إعرابها عما قبلها - كما أوضحنا - فإذا جاء ما بعدها غير فضيلة كان جزءاً أساسياً مما قبلها فلا تكون ابتدائية .

(٥) بأن نحذف كلمة « حتى » ونضع مكانها كلمتان : هما « الفاء » - « والآن » - أو : فالآن .

٢- ويجب نصب المضارع في كل حالة من الحالات الثلاث السالفة التي

لا تصلح للرفع الواجب ؛ وهي :

(١) أن يكون زمنه - وقت التكلم - ليس حالاً ، حقيقة ولا تأويلاً ، بأن يكون زمنه ماضياً^(١) ، خالصاً ، أو مستقبلاً خالصاً ، فمثال الماضي المحض ؛ (في سنة عشرين من الهجرة تم فتح مصر على يد العرب حتى ينقذوها من ظلم الرومان) . . . فالفتح والإنقاذ وقعاً في زمن خالص المضي ، وبقياً هنا على حالهما من غير تأويل زمنهما بالحال . ومثل : (بنى العباسيون مقياساً للنيل بجزيرة الروضة^(٢) حتى يعرفوا زيادته ونقصه) .

ومثال المستقبل الحقيقي : (في الشهر القادم يزور بلادنا وفود من العلماء الأجانب حتى يطلعوا على مظاهر الحضارة والتقدم عندنا ، وسننتهز فرصة وجودهم للانتفاع بعلمهم وتجربتهم حتى تقوم مشروعاتنا العمرانية الجديدة على أسس علمية وفنية صحيحة) ؛ فالمراد : لكي يطلعوا في المستقبل (الشهر القادم) على مظاهر الحضارة ، ولكي تقوم مشروعاتنا في المستقبل على أسس علمية بعد زيارتهم ، وكذلك بعد انتهاز الفرصة للانتفاع بهم . - والزمن المستقبل هنا هو الزمن الآتي حقاً ، ولا يكون مجيئهم إلا بعد انتهاء الكلام ، وقول الشاعر :

يا ليت من يمنع المعروف يُمنَعُهُ حتى يذوقَ رجال غيبَ ما صنعوا
أى : لأجل أن يذوق أولئك الرجال في المستقبل غيبَ ما صنعوه . والمستقبل

(١) الفرق بين المضارع الذي يكون زمنه خالص المضي (أى : باقياً على مضي زمنه) والمضارع الذي كان أصل زمنه ماضياً ثم صار للحال حكاية وتأويلاً - هو أن الأول حكمه النصب ، وأن الكلام قبل « حتى » يفيد الإخبار بوقوع معناه وتحقيقه ، وأن معنى الكلام بعدها مترقب الحصول في المستقبل ، ينتظر تحققه ووقوعه ، من غير أن يفيد الجزم بتحقيقه ووقوعه . أما الثاني فحكمه الرفع ، والمعنى بعد « حتى » مسبب عن المعنى قبلها ، وغاية له ، وكلاهما واقع متحقق ، غير أن المعنى قبلها واقع متحقق على سبيل الحقيقة ، والمعنى بعدها واقع على سبيل حكاية الحال ، مع إفادة أنه مسبب عن الأول (ولهذا إيضاح في ص ٣٤٨) .

وعلى المتكلم أن يلاحظ عند ضبط المضارع بالرفع أو النصب ما يترتب على نوع الضبط من الآثار المعنوية ؛ فيختار النوع الذي يؤدي للمعنى المراد .

(٢) في الجنوب الغربي من مدينة القاهرة الحالية .

هو الزمن الذي يأتي بعد أن يذوقوا المنع (١) ...

(ب) أن يكون ما بعد « حتى » غير مسبب عما قبلها ؛ فينصب المضارع وجوباً في هذه الصورة ؛ نحو : (أصوم يومى هذا حتى يحىء المغرب) ، فجىء المغرب ليس مسبباً عن الصيام . ونحو : (يتسابق السباحون حتى ينتهى الوقت) ، فانتهاه الوقت ليس مسبباً عن التسابق . . .

(ح) أن يكون ما بعد « حتى » غير فضلة . فينصب المضارع وجوباً إذا كان ما بعدها جزءاً أساسياً في الإعراب من جملة قبلها . . . ؛ نحو : سهرى حتى أنجزَ عملى . أو : كان سهرى حتى أنجزَ عملى . . . أو : إن سهرى حتى أنجزَ عملى . . .

فكلمة : « حتى » فى الحالات الثلاث حرف جرّ أصلى ، والمضارع بعدها واجب النصب « بأن » مضمرة وجوباً . و « أن » وما دخلت عليه من المضارع وفاعله فى تأويل مصدر مجرور « بحتى » ، والجار والمجرور متعلقان بعامل مناسب فى الكلام .

أما معناها فى هذه الحالات فخاضع لما يناسب كل حالة ؛ فقد يكون الدلالة على الغاية ، أو الدلالة على التعليل . أو على الاستثناء ، طبقاً لما شرحناه (٢) ، ولا مانع أن تجيء « حتى » صالحة للدلالة على أكثر من معنى واحد ، عند فقْد القرينة التى تعين معنى دون غيره .

* * *

٣- ويجوز رفع المضارع ونصبه إذا كان معناه مستقبلاً بالنسبة للمعنى الذى قبل : « حتى » بأن يكون المعنى بعدها قد تحقق قبل الزمن الحالى كما تحقق المعنى قبلها ؛ فكلاهما قد وقع وتحقق فعلاً قبل النطق بالكلام الذى قبلها والذى بعدها . . . غير أن تتحقق معنى المضارع تأخر عن تحقق المعنى السابق عليها ؛

(١) وما يصلح للمستقبل الحقيقى قوله تعالى : « (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . .) » .
(٢) فى ص ٣٣٥ وما بعدها .

فهو مستقبل بالنسبة للسابق ، أى : أن المعنيين قد وقعا وحصلوا قبل النطق بالكلام . ولكن أحدهما وهو الذى قبل « حتى » — أسبق فى زمن تحققه وحصوله من المتأخر عنها ؛ ولهذا يعتبر المتأخر فى زمنه (وهو ما يلى « حتى ») مستقبلا بالنسبة لما قبلها ^(١) ؛ لتحقيق معناه بعد ذلك المتقدم عليها . وكل هذا بغير : « حكاية الحال الماضية » وبغير تخيل أنها قائمة الآن ^(٢) بطريق الحكاية .

ومن الأمثلة ما قاله أحد المؤرخين : (بنى المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة حتى تكون مقراً لحكمه ، ومأوى يتسع لأعوانه وجنده . ولما تمّ بناؤها عُرِضت عليه أسماء كثيرة حتى يختار منها اسماً ؛ فاختر لها : « القاهرة » . . .) فالمعنى قبل « حتى » — وهو بناء القاهرة — قد تحقق وفات . وكذلك اتخاذها مقراً للحكم ومأوى . إلا أن البناء تحقق أولاً ، ثم تحقق بعده المقمر . فالمقمر معنى متأخر فى زمن حصوله عن زمن البناء ، ولهذا يعتبر مستقبلا بالنسبة لزمن البناء . . . وكذلك تمام بنائها أمر فات وانتهى ، ومثله اختيار اسم لها . فالمعنيان قد فاتا وانقضى زمنهما . غير أن اختيار الاسم متأخر عن تمام البناء ، فهو مستقبل بالنسبة لتمام البناء ، بالرغم من أن كلا منهما قد انتهى وانقضى . ولكن أحدهما (وهو ما يلى « حتى ») متأخر فى زمنه عما سبقها . . . ؛ وبسبب هذا التأخر كان مستقبلا بالنسبة للسابق ، من غير حكاية حال ماضية ، ولا تخيل لإرجاعها .

ومن الأمثلة أيضاً قول مؤرخ آخر : (استطاع المسلمون الأوائل فتح فارس . والشام ، ومصر ، فى شهور قلائل ؛ لأن سلطان العقيدة غلب كل سلطان آخر ، فوهب الرجل منهم نفسه للقتال حتى ينتصر أو يموت شهيداً ، لا يعرف التردد ، ولا الفرار ، ولا الخيانة . وخاض المعركة حتى يبلغ أمنيته فى النصر أو الاستشهاد . . .) فالمعنى قبل « حتى » — وهو : الهبة للقتال — قد مضى وانتهى . وكذلك المعنى بعدها ؛ وهو : النصر ، أو الموت . إلا أن الهبة أسبق فى مضى زمنها ؛ ولذا يعد الثانى — وهو المتأخر فى زمن انقضائه — مستقبلا بالنسبة للأسبق .

(١) يجب التنبيه إلى أن استقباله إنما هو بالنسبة للمعنى الذى قبل « حتى » فلو كان زمنه مستقبلا أو حالياً بالنسبة لزمن التكلم لوجب تغيير الحكم بما يوافق هذا ويناسبه .

(٢) لأن تخيل الحال الماضية وحكايتها ، يجعل زمن المضارع للحال تأويلا كما سبق . فيرفع وجوباً . ويترتب على الرفع الآثار المعنوية التى شرحناها ، (فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٤) .

ومثل هذا يقال في خوض المعركة ، وفي بلوغ الأمنية ، فكلاهما ماضى المعنى قد فات وقته حقاً ، إلا أن خوض المعركة أسبق في المضى من بلوغ الأمنية ، فكان بلوغ الأمنية — بسبب تأخر زمنه — مستقبلاً بالنسبة لخوض المعركة .

وجواز الرفع والنصب في هذه الحالة وأشباهاها قائم على أساس التأويل ؛ فالرفع على تخيل زمن المضارع حالاً مؤولة افتراضاً ، من غير حكاية ؛ لأن المضارع الذى للحال المحكية يجب رفعه — كما تقدم^(١) — والنصب إما على اعتباره مستقبلاً بالنسبة للمعنى الذى قبل « حتى » ، لا بالنسبة لزمن التكلم . وإما على اعتبار العزم والنية على تحقيق معنى المضارع قبل وقوع معناه .

وفي صورة رفعه تكون « حتى » ابتدائية ، وفي صورة نصبه تكون جارة والمضارع بعدها منصوب بأن المضمرة وجوباً — كما أسلفنا — .

ومن الخير عدم استعمال هذه الصورة القليلة التى يصح فيها الأمران^(١) ، وإعمالها قدر الاستطاعة .

* * *

فملخص الحالات الثلاث الخاصة بالمضارع الواقع بعد « حتى » ، هى :

(أ) وجوب رفعه واعتبار « حتى » ابتدائية — إذا كان زمنه للحال حقيقة أو تأويلاً^(٢) ، وكان مسبباً عما قبله ، وفضلة . فوجوب الرفع لا يتمحق إلا باجتماع هذه الشروط الثلاثة .

(ب) وجوب نصبه بأن مضمرة وجوباً بعد « حتى » مع اعتبار « حتى » حرف جر ، إذا كان زمن المضارع ماضياً حقاً ، أو مستقبلاً استقبلاً حقيقياً

(١ و ١) التفرقة دقيقة بين هذه الصورة والحال المؤولة ؛ ولهذا اعتبرهما — بحق — فريق من النحاة شيئاً واحداً ، وخالف بعض المحققين : بأن حكاية الحال المؤولة توجب الرفع ، وتفيد معنى هاماً لا يستفاد من غيرها — وقد شرحناه في الصفحات الماضية (كالذى في رقم ١ من هامش ص ٣٤٤) . . .
أما تأويل المضارع الذى ليس للحال بالحال من غير قصد حكاية فيجيز الأمرين ويفيد المعنى نوع تقوية يجعله قريباً من المحكى في أنه بمنزلة الأمر المحقق الآن . وفي كل هذا تشعب وتكلف يجعل الرأى الذى يرفض هذا النوع هو الرأى الأنسب ، بالرغم من صحة الرأى الآخر .
(٢) وكلاهما بمعنى : الآن (أى : الحال ووقت الكلام) .

بغير تأويل فيهما ، أو كان زمنه للحال ، ولكنه فقد شرط « السببية » ، أو شرط « الفضلة » (١) . . .

(ح) جواز رفعه ونصبه إن كان زمنه مستقبلا بالنسبة لزمن المعنى الذى قبل « حتى » لا بالنسبة لزمن الكلام . وكلا الزمنين - قبلها وبعدها - قد مضى وانتهى حقيقة . وتكون « حتى » ابتدائية عند رفعه ، وجارة عند نصبه ؛ مراعاة للاعتبار الخاص بكل نوع . . . والأحسن عدم محاكاة هذا النوع قدر الاستطاعة .

* * *

بقيت أمور جديرة بالتنويه :

أولها : علامة المضارع بعد « حتى » إذا كان معناه ماضياً حقاً ، ولكن زمنه إما للحال تأويلاً ، وإمّا للمستقبل بالنسبة للمعنى الذى قبل « حتى » - هى صحة الاستغناء عنه ؛ بوضع فعله الماضى موضعه فيظل المعنى مستقيماً ، والتركيب صحيحاً - كما أسلفنا (٢) .

ثانيها : أوضحنا (٣) أن الرفع - بالشرط التى تقتضيه بعد « حتى » - يفيد الإخبار بوقوع معنى الكلام وحصوله قبل « حتى » وبعدها ، كما يفيد أن الثانى مسبب عن الأول . أما النصب فى الحالات التى ينصب فيها المضارع بعدها فيفيد الإخبار بوقوع شىء واحد وحصوله ذو معنى الكلام الذى قبل « حتى »

(١) لم يذكر ابن مالك فى الكلام على « حتى » التى ينصب بعدها المضارع « بأن » مضمرة وجوباً - إلا البيتين التاليين :

وَبَعْدَ : « حَتَّى » هَكَذَا لِضَمَارٍ « أَنْ » حَتْمٌ ؛ كَجُذِّ حَتَّى تَسُرَّ ذَا حَزَنٍ - ١٠

(تقدير البيت : وإضمار « أَنْ » حتم بعد « حتى » هكذا ، بمعنى : « كذا » ، أى : كالإضمار السابق الواجب ، فى المشار إليه . . .) وساق مثلاً لما تضمنته هذا البيت - وهو مثال للتعليلية - ثم قال بعده :

وَتَلَوَ « حَتَّى » حَالاً ، أَوْ مُوَلَّأً بِهِ أَرْفَعَنَّ ، وَانْصَبَ الْمُسْتَقْبَلًا - ١١

يريد : أن المضارع التالى : « حتى » إذا كان معناه حالا أو مؤولاً بالحال - يرفع . وإن كان مستقبل المعنى ينصب . ولم ينص على بقية الحالات المختلفة .

(٢) فى هامش ص ٣٣٣ .

(٣) فى رقم ١ من هامش ص ٣٤٤ .

وأن معنى الكلام الذى بعدها مُتَرَقَّبُ الحصول فى المستقبل ، يَسْتَنْظَرُ تحققه من غير أن يفيد هذا الكلام القطع بأنه سيقع ويتحقق ؛ وأو كان وقوعه معلوما ، من قرينة أخرى . . .

ثالثها : أن وجوب رفع المضارع الحالىّ الزمن حقيقة أو تأويلا - هو - كما أشرنا^(١) - لمنع التعارض بين دلالاته على الحالية وما تدل عليه « أن » الناصبة له ؛ إذ لو نصبته لجعلت زمنه للمستقبل المحض ، كشأن كل النواصب ، مع أن المراد أن يكون زمنه للحال الحقيقية أو المؤولة ، ومن ثَمَّ يقع التَّعَارُضُ بين الحال والاستقبال ؛ أى : بين الحالية المطلوبة هنا ، والاستقبال الخالص الذى يحتمه وجود « أن » الناصبة للمضارع ، وهذا التعارض لا يوجد مع الرفع . .

زيادة وتفصيل :

(١) من الأحكام السابقة يسهل ضبط المضارع في الأمثلة الآتية التي عرضها بعض النحاة لبيان ضبطه . ومنها : « سرت حتى تطلع الشمس » ، فيجب النصب ؛ لعدم تسبب الطلوع عن السير . وكذلك : « ما سرت حتى أدخل البلد » ؛ لعدم وقوع شيء يصلح أن يكون سبباً في الدخول ؛ إذ أن الدخول لا يتسبب — عادة — عن عدم السير ، ومثله : « قلنا سرت حتى أدخلناها » ، إذا كان معنى « قلنا » هو النفي

وكذلك في : « أسرت حتى تدخلها ؟ » لأن السبب لم يتحقق ؛ بسبب الاستفهام عنه ؛ فلو رفع الفعل لزم تحقق وقوع المسبب ^(١) مع الشك في وقوع السبب ، وهذا لا يصح

ففي الأمثلة السالفة — ونظائرها يجب النصب ، ولا يصح الرفع . بخلاف : أيهم سار حتى يدخلها الآن ؟ ومتى سرت حتى تدخلها الآن ؟ فيجوز الرفع ، لأن السير محقق . وإنما الشك في معرفة من فعل الفعل ، أو في زمن الفعل .

(ب) يرى الكوفيون أن « حتى » حرف ناصب بنفسه ، ويجوز وقوع « أن » المصدرية بعده فتكون مؤكدة توكيداً لفظياً حتى . أما البصريون فيوجبون أن يكون الناصب هو : « أن » المضمره وجوباً بعد « حتى » الجارة ، ولا يجوزون ظهور « أن » بعدها . ويميزون ظهور « أن » بعد التابع ^(٢) ، مستدلين بقول القائل يمدح بني شيبان :

ومن تكبرهم في الماحل ^(٣) أنهمو لا يعرف الجار فيهم أنه جار
حتى يكون عزيزاً من نفوسهمو أو أن يتبين جميعاً وهو خنار

وموضع الشاهد ظهور « أن » قبل المضارع : « بين » وبعد « حتى »

(١) طبقاً لما تقرر في ص ٣٤٨ تحت عنوان : ثانيها .

(٢) لهذا إشارة في هامش ص ٣٣٤ .

(٣) الجذب والقحط

الملحوظة المعطوفة على أخرى قبلها . والتقدير عند البصريين : حتى يكون عزيزاً من نفوسهم أو حتى أن يبين . . .

(ح) يتساءل بعض النحاة عن معنى « حتى » في قول العرب : « ما سلمم فلان حتى ودّع » ، وفي قول الشاعر :

ركب الأهوال في زورته ثم ما سلمم حتى ودّعا

فقليل إنها ابتدائية تفيد الاستثناء هنا (فهي بمعنى : « إلا » التي تليها « أن ») والاستثناء مفرغ في الظرف . والتقدير : ما سلمم في وقت إلا وقت ودّع الناس فيه .

وقيل إنها ابتدائية ؛ بمعنى : لكن - ساكنة النون كالمألوف الكثير فيها - ون شأن الابتدائية ألا تقطع الصلة المعنوية بين ما بعدها وما قبلها ^(١) ، برغم أن ما بعدها لا بد أن يكون جملة مستقلة في إعرابها - فيكون المعنى ما سلمم في وقت لكن ودع فيه . والمعنيان متقاربان .

(د) إذا دخلت « حتى » الابتدائية على جملة لم يصح وقوع هذه الجملة خبراً عن مبتدأ أو عن ناسخ . . . أو ^(٢) . . .

* * *

(١) أين هذه الصلة المعنوية بين ما قبلها وما بعدها في قول الفرزدق يذم « كُليّيا » قبيلة الشاعر جرير :

فواعجبا . حتى كُليّيبٌ تسبّيتي كأن أباهما نهشل أو مُججّاشع

- نهشل ومجاشع من آباء الفرزدق -

يقول المغني - ج ١ عند الكلام على « حتى » ما نصه : « (لا بد من تقدير محذوف قبل « حتى » في هذا البيت ، يكون ما بعد « حتى » غاية له . أي : فواعجبا . يسبّي الناس حتى كليب تسبّي) » ^١ . وقد سبقت إشارة لهذا في ج ٣ باب : « المطف » عند الكلام على « حتى » م ١١٨ ص ٥٦٢

(٢) راجع البيان الخاص بهذا عند الكلام على الشرط الثالث ، ص ٣٤٣ .

الأداة الرابعة : فاء السببية الجوابية^(١) :

معناها : يتضح من الأمثلة التالية :

- ١ - لا يغضبُ العاقلُ فيفقدَ صوابَ الرأى ، ولا يتبدلُ فيفقدَ كريمَ الشعور .
- ٢ - لست أنكرُ الفضلَ فأتهمَ بالحدود أو بالحد ، ولستُ أبالغُ في الثناء ؛ فأتهمَ بالغفلة أو الرياء .
- ٣ - لا تصاحبُ غادراً فينالكَ غدرُهُ ، ولا تأمنُ خائناً فتُصيبكَ خيانتَهُ .
- ٤ - أتعرفُ لنفسك حقها فتصونَها عن الهوان ؟ وهل تدركُ أن الكبيرَ كالضعة ؛ كلاهما بلاء فتحدَره ؟ .

إن الناطق بمثل : « لا يغضبُ العاقلُ ؛ فيفقدَ صوابَ الرأى » . . . يريد أمرين معاً ، هما : نفي الغضب عن العاقل ، وبيان ما يترتب على نفيه من عدم فقد الرأى الصائب ؛ فكأنه يقول : العاقل لا يغضب ؛ فيترتب على عدم غضبه أنه لا يفقد صواب الرأى ، أى : لا يغضب ، فلا يفقد سديد الرأى . فما بعد « الفاء » مسبب عما قبلها ، وكلاهما منى ، هنا^(٢) .

والناطق بمثل : لا يتبدلُ فيفقدَ كريمَ الشعور ، يريد أمرين معاً ؛ هما :

- (١) تجرى عليها الأحكام العامة المشتركة التي سبقت في رقم ٢ من هامش ص ٣١٧ .
- (٢) لكي يكون المعنى - في هذا المثال وأشباهه - غاية في الوضوح نلاحظ عند استخلاصه الأمور الآتية التي تشترك في تكوينه ، والتي سيحى تفصيل الكلام عليها بعد قليل ، وأهمها :
 أ - أن فاء السببية هي للعطف أيضاً ؛ فتفيد الترتيب والتعقيب مع السببية .
 ب - أن المعطوف بها هو المصدر المؤول من « أن » المضمرة وجوباً وما دخلت عليه .
 ج - أن المعطوف عليه لا بد أن يكون مصدراً مؤولاً كذلك . ولا بد أن يكون موجوداً ، ولو من طريق التصيد .

د - أنها إذا وقعت بعد نفي فقد يكون المنى هو ما قبل الفاء وما بعدها معاً ؛ كما في المثال الأول ... ، وقد يكون أحدهما وحده ؛ (طبقاً للبيان الهام الأساسى الذى يأتى فى ص ٣٥٩) والاهتمام إلى المنى أمر ضرورى لسلامة المعنى . وتطبيقاً لهذه الأمور نقول فى المثال الأول لاستخلاص معناه : لا يكون من العاقل غضب ففقد صواب الرأى - أى : لا يكون من العاقل غضب يعقبه ويتسبب عنه فقد صواب الرأى . ولما كان السبب (الملة) وهو : غضب العاقل منفياً وجب أن يكون المسبب عنه منفياً كذلك ، وهو فقد صواب الرأى : وبهذا يكون النفي منصباً على ما قبل الفاء وما بعدها معاً ، وينتهى الأمر إلى أن المعنى المراد هو : لا يغضب العاقل ؛ فلا يفقد صواب الرأى . وهكذا الباقى .

عدم التَّسَلُّد ، وما يترتب عليه من عدم فَتَسُدَّ الشعور الكريم ؛ فكأنه يقول : لا يَتَسَلَّد ، وعدم تَبَلُّده يؤدي إلى عدم فَقْدِهِ الشعور الكريم ، أى : لا يَتَسَلَّد . فلا يَفْقَدُ كَرِيمَ الشعور ... فما بعد ؟ ... فَمَا قَبْلُهَا . وَكَلَامَا مَنَى هُنَا أَيْضًا .
والناطق بمثل : لست أَتَكْرَهُ فَعَسَلُ هَاتِهِم بِالْجُحُود ... يريد الأمرين ، عدم إنكار الفضل ، وما يؤدي إليه من عدم الاتهام بالجحود . ومثل هذا يقال في الشطر الثاني من المثال .

والناطق بمثل : لا تصاحبْ غادراً فينالِكَ غدره ... يريد أمرين معاً ؛ النهى عن مصاحبة الغادر ، وبيان ما يترتب على مصاحبته من الإضايّة بغدْرِهِ . ومثل هذا يقال في بقية المثال .

والناطق بمثل : أتعرف لنفسك حقها ؛ فتصوّنْهَا عن الهوان ؟ يريد أمرين ؛ سؤال المخاطب عن معرفته حق نفسه ، وبيان ما تؤدي إليه هذه المعرفة . كما يسأله عن إدراكه حقيقة الكبر والضعفة ، وبيان ما يترتب على هذا الإدراك ...

فندلحظ في كل الأمثلة السالفة — وأشباهاها — أن « الفاء » تتوسط أمرين السابق منهما ، هو « العلة » أو « السبب » في المتأخر الذى يليها ، ولهذا سميت : « فاء السببية » ، أى : « الفاء » التى معناها الدلالة على أن ما بعدها مسبب عما قبلها ، ولا بد — هنا — أن يليها مضارع منصوب .

كما ندلحظ شيئاً آخر ؛ هو : دلالتها على « الجواب » ^(١) . والمراد من دلالتها على الجواب : أن ما بعدها مترتب على ما قبلها ترتّب الجواب على السؤال ؛ سواء أكان ما قبلها مشتملاً على استفهام : كالمثال الرابع ، أم غير مشتمل عليه ، كبقية الأمثلة . ولهذا توصف بأنها : « الجوابية » ^(٢) أى : التى تدل على أن ما بعدها

(١ و ٢) سبق الإيضاح الوافى لمعنى : « الجواب » ، وتحديد الغرض منه عند الكلام على « إذن » الناصبة ، ص — ٣٠٨ — ؛ فأمر الجواب هنا وهناك واحد . أما المعنى والعمل فيخلفان من نواح متعددة . ويزيد النحاة هنا : أن « فاء السببية » لا بد أن يسبقها نفي محض أو طلب (أو ملحق بهما ، كما هو مبين في عملها في الصفحة التالية) وكلاهما يشبه الشرط في أن مضمونه غير محقق الوقوع ولا مقطوع بحصوله ، وما بعد الفاء مسبب عما قبلها ؛ كسبب جواب الشرط على فعل الشرط .

هذا ، والدول عن العطف المحض بالفاء إلى العطف بها أيضاً ولكن مع نصب المضارع بأن المضرة وجوباً ، هو الرمز القاطع الذى يدل على التسبب .
(انظر رقم ١ من الهامش الآتى) .

بمنزلة الجواب لما قبلها ؛ فعناها هو : « الدلالة على السببية والجوابية » معاً .

ولما كان معناها الدلالة على « السببية والجوابية » معاً سميت : « فاء السببية الجوابية » . لكن شاع الاكتفاء بتسميتها : « فاء السببية » ؛ اختصاراً ، مع إرادة أنها تدل على : « الجواب » أيضاً ، فهى عند الاختصار اللفظى أو عدمه يراد منها الدلالة على الأمرين مجتمعين . وبهذا جرى العرف بين النحاة - وغيرهم - فإذا ذكرت « فاء السببية » مطلقة من التقييد كان المراد منها : « فاء السببية الجوابية » التى ينصب بعدها المضارع « بأن » مضمرة وجوباً بالشرط الذى سنعرفه . . . وقد صار هذا الاسم المختصر خاصاً بها مقصوراً عليها^(١) . . .

ومع دلالتها على « السببية الجوابية » تدلّ معهما كذلك على « الترتيب والتعقيب » ، لأنها « فاء عطف » أيضاً ؛ فالترتيب يوجب أن يتأخر ما بعدها عما قبلها فى زمن تحققه ، إذ المسبّب متأخر فى الوجود عن السبب حتماً . والتعقيب يوجب أن يكون زمن التأخر قصيراً ، لا مهلة فيه ؛ كما هو الشأن فى الفاء العاطفة . من كل ما تقدم يتبين أنها تفيد « السببية الجوابية » ، مع الدلالة على « الترتيب والتعقيب » .

* * *

عملها :

فاء السببية حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب ، مع دلالاته على « السببية الجوابية » - طبقاً لما شرحنا - ويختص بالدخول على المضارع المنصوب « بأن » المضمرة وجوباً . وهو يعطف المصدر المؤول من « أن » وما دخلت عليه من الجملة المضارعية ، على مصدر قبله^(٢) ، وعملها مقصور على هذا العطف . ولا يجوز

(١) قد تدل الفاء التى للعطف المحض (وهى : التى لا ينصب بعدها المضارع « بأن » المضرة وجوباً) على السببية ، وتفيد ترتيباً على أمر ، ولكنها - بالرغم من هذا - لا تسمى اصطلاحاً « فاء السببية » ؛ نحو : يتغذى النبات فينمو - يشرب المريض الدواء فيبرأ - عطش الزرع فجف - اشتدت الرياح فأسقطت الثمار الناضجة . . .

وعلى هذا ، كل « فاء » ينصب بعدها المضارع بأن مضمرة وجوباً لا بد أن تكون « السببية » ولا عكس - وقد أشرنا لما تقدم فى « باب العطف » عند الكلام على فائه ، ج ٣ م ١١٨ ص ٤٦٤ - (٢) فالعطف بها عطف مفرد على مفرد . والبيان فى ص ٣٧٨ وما بعدها .

الفصل بين فاء السببية والمضارع بغير « لا » النافية ، إن اقتضى المعنى وجودها .

ولا تكون هذه « الفاء » للسببية الجوابية إلا بشرط أن يسبقها — في الأغلب ^(١) — أحد شيئين ؛ (إما النفي المحض ، أو ما ألحق به) ، (وإما الطلب المحض ، أو ما ألحق به ^(٢)) . فإن لم يسبقها شيء مما تقدم لم يصح — في الأغلب ^(٢) — اعتبارها سببية جوابية . وفيما يلي التفصيل الخاص بهذا الشرط :

النفي المحض ، وما ألحق به :

(١) المراد من النفي : سلب الحكم عن شيء بأداة معينة ^(٣) . وهذه الأداة النافية قد تكون حرفاً ؛ (مثل : لا — ما — لم — لن . . .) وقد تكون فعلاً ؛ (مثل ، ليس — زال) . . . وقد تكون اسماً ؛ (مثل : غير . . .) نحو : لا يهملُ الصانعُ فيُقبلَ على صناعته الناس — ليس الأحقق مأموناً فتصاحبه — الأديب الظريف غير حاضر فيؤنسنا .

ويلحق بالنفي : التشبيه المراد به النفي بقرينة دالة عليه ، كقول الجندی لزميله المتكبر : (كأنك القائد فنطيعك) . . . وكذا التقليل المراد به النفي — أحياناً — بقرينة ؛ ومن ألفاظه : « قَلَمًا » و « قَدَّ » ؛ نحو : (قَلَمًا يَشيع الظلم والخلاف في أمة فتنهض . بهذا خبّرنا التاريخ ، وقطع به) — (أيها المتحدث

(١ و ١) قد يلحق به « تقديرًا » بعض صور أخرى يحىء الكلام عنها في ص ٣٧٢ .

(٢) هذا الشرط واجب في أغلب الحالات ؛ لأن هناك ست حالات ، أخرى يجوز في كل منها اعتبار الفاء سببية مع فقد الشرط . وسجى في ص ٣٧٢ . ولا بد فيها — مع تحقق هذا الشرط — من تحقق الأحكام العامة أيضاً ؛ وهي التي سبقت في رقم ٢ من هامش ص ٣١٧ .

(٣) المراد من النفي معروف شائع . ولكن الشراح — كما دهم — يتناولونه بالتعريف والتحديد ؛ فيقولون عنه : إنه سلب الحكم عن الشيء ، أو : رفع النسبة الثابتة بين شيئين ، أو إزالة الإسناد الموجب بينهما . . . أو . . . وكل هذه التعريفات — وغيرها — يرمى إلى غرض واحد ؛ هو سلب الحكم الموجب ، ويوضحونها بما يأتي : من قال : « محمود عادل » فقد أثبت له العدل ، أو : نسب له العدل ، أو ، أسند إليه العدل ، أو حكم عليه بالعدل . . . وكلها عبارات متحدة المدلول . فإذا قال : ما محمود عادل . فقد سلب عنه ما ثبت له ، أو أزال ما نسب إليه ، أى : أزال النسبة السابقة ، أو ما أسند إليه ، أو رفع الحكم السابق . . .

هذا ، وفي الأمثلة التالية توضيح ما سبقت الإشارة الهامة إليه ؛ (في . « د » من هامش ص ٣٥٢) وهو أن النفي قد يكون منصباً على ما قبل الفاء وما بعدها معا ، وقد يكون منصباً على أحدهما فقط .

عن الشجاعة في الحُرُوب ، وما حملت سيفاً ، ولا اقتحمت معركة ، قد كنت في معركة فتصفتها) ... فالمعنى في الأمثلة السالفة مني ؛ أي : ما أنت بالقائد فنطيعك — لا يشيع الظلم والخلاف في أمة فتنهض — ما كنت في معركة فتصفها^(١) ...

(ب) والمراد بالمخص ؛ الخالص من معنى الإثبات ؛ فلا يوجد في الكلام ما ينقض معناه ، مثل : « إلا الاستثنائية » التي تنقض النفي^(١) ، ومثل نفي آخر بعده يزيل أثره ، ويجعل الكلام مثبتاً ؛ لأن نفي النفي إثبات ، كما هو معروف . ومن أمثلة النفي المخص : لا يسقط المطر في الصحراء فينبئت الكلام ... ، وكذا الأمثلة التي تقدمت في أول البحث .

فإن نقض النفي بإلا الاستثنائية ، وكانت قبل فاء السببية ، لم يصح نصب المضارع ووجب رفعه ، على اعتبار هذه الفاء للاستئناف ، أو للعطف المجرد^(٢) ، وليست للسببية ؛ نحو : لا يشاهد الخبير أعمالاً إلا المشروعات العظيمة ؛ فيعلن رأيه فيها — لم أشر مطبوعات إلا الكتب النافعة ؛ فأستوعبها — ما اكتسبت مالا إلا المال الحلال فأنفقه .

أمّا إن نقض النفي « بإلا » الاستثنائية ، وكانت بعد الفاء والمضارع ... فيجوز في المضارع الرفع والنصب^(٣) ، نحو : لا يشاهد الخبير أعمالاً فيعلن رأيه فيها إلا المشروعات العظيمة — لم أشر مطبوعات فأستوعبها إلا الكتب النافعة — ما اكتسبت مالا فأنفقه إلا المال الحلال . وقول الشاعر :

وما قام منا قائمٌ في نَدِينَا فينطقُ إلا بالتي هي أعرف^(٤)

فيجوز في كل هذه الأفعال المضارعة — ونظائرها — الرفع والنصب^(٥) ...

(١٠١) وهي تنقض النفي أيضاً — كما سيجيء عند الكلام عليه في ص ٣٦٧ .

(٢) وكلاهما يعينه المقام ، وما يقتضيه المعنى .

(٣) هذا عند سيبويه ومن وافقه . أما ابن مالك وموافقوه ، فيوجبون الرفع . وفي رأى سيبويه

(٤) أحسن وأفضل .

تيسير يدعو لتفضيله .

(٥) وينبئ على نقض النفي « بإلا » قبل « الفاء » ، أو بعدها ما يأتي ؛ إذا قلت : ما زارني أحد

إلا الوالد فأكرمه — .. فإن كان الضمير (الهاء) عائداً على : « أحد » جاز رفع المضارع أو نصبه ؛

لوقوع النقص بعد « الفاء » وما دخلت عليه ، والأصل : ما زارني أحد فأكرمه إلا الوالد . وإن كان

الضمير عائداً على « الوالد » وجب الرفع ؛ لوقوع النقص قبل « الفاء » وما دخلت عليه .

ومثال نقض النفي بنفي آخر يتلوه فيزيل أثره : ما تزال تحسن المعاملة فتكتسب حب الناس ؛ فقد وقع بعد « ما » النافية نفي آخر هو « تزال » فانقلب المعنى مثبتاً بسببه ، وفي هذه الصورة يجب رفع المضارع ، ولا يصح نصبه .

وهل من النفي المحض النفي الواقع بعد : « الاستفهام التقريرى »^(١) ؛ كقول الوالد يعاتب ابنه العاق : ألم أتعهد شئوك صغيراً ؛ فتتذكر فضلى ؟ - ألم أجاهد فى سبيل إسعادك فتحمد جهادى ؟ .

الصحيح جواز الأمرين ، النصب على اعتبار النفي محضاً ، والرفع على اعتباره منقوضاً وغير قائم ؛ بسبب همزة التقرير ، وبهما جاء القرآن . قال تعالى عن الكافرين : (أفلم يسيرا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . . .) بنصب المضارع : « تكون » . وقال فى آية أخرى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) ، برفع المضارع : « تصبح »^(٢) . . .

وإذا كانت فاء السببية حرف عطف دائماً ، - كما تقدم^(٣) - والمعطوف بها هو المصدر المؤول بعدها - فأين المعطوف عليه ؟

بقول النحاة : لا بد أن يكون المعطوف عليه مصدراً أيضاً ، ليتشابه المعطوف

(١) الاستفهام الحقيقى هو : طلب معرفة شئ مجهول - حقاً - للمتكلم . فهو يريد أن يعرفه . أما الاستفهام التقريرى فيراد به - غالباً - ثبوت مدلول الشئ المسئول عنه ، المعلوم للمتكلم ؛ وتقديره فى نفس المخاطب ، والسامع ، أى : طلب الاعتراف بوقوعه والموافقة على حصول مدلوله . فإن كان الاستفهام عن شئ منى صار المعنى - غالباً - مثبتاً بسبب الاستفهام المراد منه التقرير ؛ نحو : ألم تحضر فأحسن إليك . فالمعنى : أنك حضرت فعلا ، فأحسن إليك . ومنه (ألم نشرح لك صدرك . . .) - انظر ما يتصل بهذا فى رقم ٣ من هامش ص ٤١٣ - وبسبب أنه يتضمن ثبوت المعنى ، غالباً ، وتقدير حصوله بغير نفي ، قال بعض النحاة : إن المضارع لا ينصب معه بعد الفاء ، وأن ما ورد منه منصوباً - كآلية الأولى (أفلم يسيرا فى الأرض فتكون . . .) فلمرعاة صورة النفي ، ومظهره اللفظى ، لا معناه ، أو لمرعاة الاستفهام فى الكلام ، فابعد الفاء - فى هذه الصورة التى يراعى فيها الاستفهام - يكون جواباً للاستفهام ؛ لا للنفي .

ولا يعنينا هذا الخلاف وما تفرع عنه من فروع كثيرة . إنما الذى يعنينا هو جواز الرفع والنصب مع ملاحظة أن المعنى على أحدهما يخالف المعنى على الآخر حتماً . ولهذا تكلمة هامة فى رقم ٣ من هامش ص ٣٦٢ (ونتجىء إشارة موجزة - فى رقم ١ من ص ٣٧٢ - لبعض ما سبق) .

(٢) انظر رقم ١ من ص ٣٧٢ وقيل : إن كان ما بعد الفاء سبباً عما قبلها نصب المضارع ؛ كآلية الأولى . وإلا رفع كالثانية ؛ لأن رؤية نزول المال ليست سبب الخسارة . (٣) فى ص ٣٥٤ و٣٥٧

والمعطوف عليه في المعنى المجرد^(١). وفي هذه الحالة يتحتم أن يكون العطف عطف مفردات لا عطف جمل. فإن وجد مصدر في الكلام قبلها فهو المعطوف عليه، وإن لم يوجد وجب تصيده من ذلك الكلام السابق، وليس لهذا التصيد ضابط أو قاعدة، وإنما المراد الوصول بطريقة - أي طريقة - إلى مصدر لا يفسد به المعنى مع العطف. فمثال المصدر الصريح المذكور قبل الفاء، الصالح لأن يكون معطوفاً عليه: (ما هذا إسرافاً؛ فتخاف الفقر) - (ما الشجاعة تهوراً فتهمل الحذر). والتقدير: ما هذا إسرافاً فخوفك الفقر، وما الشجاعة تهوراً فإهمالك الحذر، أي: ما هذا إسرافاً يترتب عليه خوفك الفقر. وما هذه شجاعة يترتب عليها إهمالك الحذر...

ومثال المصدر المتصيد: لا يتوانى المجيد فتفوتَه الفرصة - لا تزهد في المعروف فتخسرَ أنفَسَ الذخائر...، التقدير: لا يكون من المجيد تَوَانُ ففواتِ الفرصة إياه - لا يكنْ منك زهد في المعروف فخسارتُك أنفَسَ الذخائر. أي: لا يكون من المجيد تَوَانُ يترتب عليه فواتِ الفرصة إياه - لا يكنْ منك زهد في المعروف يترتب عليه خسارتُك أنفَسَ الذخائر.

فإن لم يوجد قبلها مصدر صريح، ولا ما يصلح أن يُتَصَيَّدَ منه المصدر - كالجملية الاسمية التي يكون فيها الخبر جامداً - نحو: ما أنتَ عُمَرُ فنهايُكَ، فنصب المضارع ممنوع عند بعض النحاة؛ لفقد المعطوف عليه. وتكون الفاء للاستئناف، والجملية بعدها مستقلة في إعرابها عما قبلها، أو الفاء لمجرد العطف الخالي من «السببية» والجملية بعدها معطوفة على الجملية قبلها، ويكون الكلام عطف جملة على جملة. ويجوز آخرون في تلك الجملية وأشباهها تصيد مصدر من مضمون الجملية الجامدة، ومن أمثلته: «كأن يقال في المثال السالف: ما يثبت كونك عمرُ فهيئنا إياك... أي: ما يثبت كونك عمرُ ثبوتاً يترتب عليه أن نهايك... والأخذ بهذا الرأي أنسب، لتكون القاعدة مطردة.

والنحاة يسمون العطف على المصدر المتصيد: العطف على المعنى والتوهم^(٢).

(١) مما يوضح هذا ما سبق في ص ٣٢٨ و ٣٢٩.

(٢) سبق الكلام على عطف: «التوهم» لمناسبة أخرى في ج ١ م ٤٩ عند الكلام على زيادة «باء الجر». ص ٥٥٢ وكذلك في ج ٣ م ١٢٢ ص ٤٨٤ باب «العطف» وأوضحنا في الموضعين رأينا فيه، وحكنا عليه.

زيادة وتفصيل :

(١) يعرض النحاة هنا لمسألة هامة دقيقة ، ويعطونها من العناية والتوفية ما يناسبها ؛ وهى مسألة النفي^(١) الذى قبل الفاء المسبوقة بجملة ؛ أَيْ نَصَبَ عَلَى ما قبل الفاء وما بعدها معاً ، أَمْ يَنْصَبُ عَلَى أَحدهما فقط ؟ وما نوع الفاء وضبط المضارع فى الصور المختلفة ؟ ويحييون : إن الأمر يتوقف على المعنى ، وما يقتضيه السياق ؛ فقد يستدعيان تسليط النفي على ما قبلها وما بعدها معاً ، وقد يستدعيان تسليطه على أحدهما دون الآخر . . . ، ثم هما قد يقتضيان اعتبار الفاء للاستئناف الخالص ، أو للعطف المحض وحده ، أو للعطف مع إفادة «السببية الجوابية»^(٢) . . . والقرينة وحدها هى التى توجه إلى المراد ؛ فلا بد منها ، وإلا وجب العدول عن هذا الأسلوب إلى غيره مما لا يثير مشكلات فى الضبط أو المعنى . وفيما يلي البيان :

. . . إذا قلت : « ما تَحْضُرُ فتحدثنا » . . . جاز رفع الفعل : « تحدث » على أحد اعتبارات ثلاثة ؛ وجاز نصبه على أحد اعتبارين . ولكل واحد من الخمسة أثره الإعرابى والمعنوى الذى يخالف الآخر ، واختيار واحد منها دون غيره متوقف على مناسبة المعنى والسياق ، ولا يصح اختيار واحد دون التقيد بهذه المناسبة ، وإلا كانت اللغة عبثاً وفوضى . فأوجه الرفع الثلاثة هى :

١ - الرفع ؛ على اعتبار الجملة الأولى منفية المعنى ، و « الفاء » الاستئناف الخالص ، فما بعدها جملة مستقلة فى إعرابها عن الأولى ، فلا تتأثر بنفى الأولى . فكأنك تقول : أنت ما تحضر فى المستقبل . . . ، ولهذا أنت تحدثنا الآن . إنما قلنا فى « المستقبل » مع أن المضارع يصلح للحال والاستقبال إن لم يوجد مانع - لوجود ما يمنع الاستقبال هنا ؛ وهو التخاطب مع شخص معين ؛ فلا يصح أن تنفى عنه الحضور فى الزمن الحال مع أنك تخاطبه فيه خلال حضوره . وقلنا : « الآن » ، لأن الزيارة فى المستقبل منفية ؛ فلا يقع فى المستقبل حديث ؛ إذ هو منى تبعاً لها ؛ فلم يبق إلا أن يكون وقت الحديث هو الآن ، أى : وقت الكلام .

ومثله قولك للمسافر : لن أراك عدة أشهر ؛ فأودعك داعياً لك ، حزيناً

(١) ومثله النهى - وسيجى أيضاً . (٢) انظر « ج » من ص ٣٦٣ .

لغيابك . تريد : لن أراك في المستقبل^(١) . . . فأنا أودعك الآن . فالنفي في المثالين السالفين مقصور على الجملة الأولى وحدها ، والفاء فيهما للاستئناف المجرد .

٢ - الرفع على اعتبار « الفاء » متجردة للعطف المحض ، تعطف المضارع بعدها على المضارع المنفي قبلها ، وفي هذه الصورة يتحتم أن يكون المعطوف كالمعطوف عليه في الإعراب (رفعاً ، ونصباً ، وجزماً) وأن يكون مثله في النفي الذي يقع عليه ، ففي المثال السابق يكون التقدير : ما تحضر فما تحدثنا ، أى : ما يحصل منك حضور في المستقبل ، فما يحصل منك تحديث فيه ، فالفعلان مرفوعان ، ومنفيان ، وزمهما في مستقبل محض ؛ للسبب الذي في الوجه السالف . ولو قلنا : لن تحضر فتحدثنا - لكان المضارعان منصوبين ومنفيين ، ومستقبلين كذلك^(٢) . ولو قلنا : ألم تحضر فتحدثنا ... لكانا مجزومين ومنفيين أيضاً^(٣) ؛ فالثاني تابع للأول في إعرابه ، وفي نفيه ؛ كما نرى^(٤) . والعطف هنا عطف الفعل المضارع وحده - دون فاعله - على مضارع وحده دون فاعله ؛ فالعطف عطف مفردات ، لا عطف جمل^(٥) ...

٣ - الرفع على اعتبار الجملة الأولى كلها منفية و « الفاء » متجردة للعطف المحض - كما سبق - ولكنها تعطف الجملة المضارعية كلها على الجملة المضارعية السابقة - ولا تعطف المضارع وحده على نظيره السابق - وفي هذه الصورة يستقل المضارع بعد الفاء بإعرابه وضبطه ، ولا يتبع فيه الأول ، وتكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى ، منفية مثلها أو غير منفية على حسب ما يقتضيه المعنى ، وتدل عليه القرائن فيصح أن يكون المعنى في المثال السالف : ما تحضر في المستقبل فما تحدثنا في المستقبل ؛ لأن الحضور لن يحصل ، فلن يحصل تحديث . ويصح أن يكون المراد : ما تحضر في المستقبل ، فأنت تحدثنا الآن ؛ ليكون تحديثك الحالي تعويضاً عن فقدته في المستقبل . وفي هذه الصورة يتمحض العطف للربط المجرد بين الجملتين حتماً . ولكنه لا يقتضى تسرب النفي من الأولى إلى الثانية اقتضاء واجباً ، فقد يتسرب منها إلى الثانية ، أو لا يتسرب ، على حسب القرائن .

(١) لأن الحرف « لن » ينفي معنى المضارع في المستقبل .

(٢) كما سيجىء في « ج » و « د » من ص ٣٦٣ .

(٣) سبق (في ج ٣ ص ٤٧٤ م ١٢١) الكلام على عطف الفعل على الفعل ، وعطف الجملة على

الجملة ، والفرق بينهما ، وآثار كل . (٤) انظر ما يتصل بهذا في « ج » من ص ٣٦٣ .

أما الوجهان الخاصان بالنصب فهما :

١ - النصب على اعتبار « الفاء » سببية جوابية ؛ فالمضارع بعدها منصوب بأن المضمرة وجوباً ، وما بعدها مسبب عما قبلها وجواب للنفي - كما شرحناه (١) آنفاً - وهى فى الوقت نفسه عاطفة ؛ فالمصدر المؤول بعدها منى ؛ لأنه معطوف على مصدر قبلها منى أيضاً فالعطف عطف مفردات . والنفي مسلط على ما قبلها وما بعدها ، فغنى المثال السابق لا يكون منك حضور فى المستقبل ؛ فلا يكون منك تحديث (٢) فيه ؛ أى : لا يكون منك فى المستقبل حضور يترتب عليه ويقع فيه تحديث فالثانى منى بنى الأول ؛ لأن زوال السبب مؤذن بزوال المسبب أى : أن المعنيين منفيا .

وقد يخطر بالبال السؤال التالى : أليس المعنى فى هذه الصورة كالمعنى فى الصورتين الثانية والثالثة من المضارع المرفوع : حين يعطف وحده على الفعل السابق ، أو تعطف جملمته على الجملة السابقة ؟ .

الجواب : لا ؛ فإن المضارع حين يكون منصوباً بأن المضمرة وجوباً بعد الفاء ، تكون هذه الفاء « للسببية الجوابية » فتدل - حتماً - على أن المعنى بعدها مسبب عما قبلها ، وجواب للنفي ، مع دلالتها - فوق ذلك - على العطف وإفادتها الترتيب والتعقيب . أما فى حالة عطف الفعل المضارع على المضارع أو عطف جملمته على الجملة التى قبل الفاء - فإن الفاء تكون للعطف المجرد الذى تدل معه على مجرد الترتيب والتعقيب ، فلا سببية ، ولا جوابية . هذا إلى أن عطف الجملة الفعلية بالفاء التى للعطف المجرد على جملة أخرى منفية لا يوجب أن تكون المعطوفة منفية كالمعطوف عليها ، فقد تتبعها فى النفي أو لا تتبعها على حسب القرائن . - كما أسلفنا -

٢ - النصب على اعتبار أن ما بعد الفاء « قيد » فيما قبلها ، وأن النفي منصب على « القيد » حتماً ، أما « القيد » وحده مجرداً - أى : بغير نظر إلى قيده - فى رأى الرأى الرجح قد يقع عليه النفي أو لا يقع ؛ تبعاً للسياق والقرينة ، فليس من

(١) فى ص ٣٥٢ و ٣٥٣ .

(٢) لا يصح أن يكون المضارع للحال هنا ، لما تقدم أن النواصب كلها تخلص المضارع للمستقبل المحض .

اللازم أن يشملته النفي الذي يقع على « القيد » لا محالة^(١) ، فإذا قلت : ما جاء محمد راكباً . « فالركوب » « قيد » في الجبىء . وهذا القيد (الركوب) منفي قطعاً . أما حكم المقيّد وحده^(٢) ، وهو « الجبىء » المطلق فقد يكون منفيّاً (أى : لم يقع) ، وقد يكون غير منفيّ . فعدم الركوب مقطوع به ؛ سواء أوقع الجبىء أم لم يقع . والحكم بوقوع الجبىء أو عدم وقوعه محتاج إلى قرينة أخرى تعينه . . .

وعلى هذا الأساس يصبح أن يتجه الفهم في المثال الأسبق ، (وهو : ما تحضر فتحدثت) . إلى أن التحديث « قيد » للحضور . والقيد منفيّ — لا محالة — في حالى الحضور وعدمه^(٣) . أما الحضور نفسه بغير تحديث فقد يكون منفيّاً أو غير منفيّ . فهو مسكوت عنه ، يحتاج إلى ما يعين أحد الأمرين ؛ شأنه شأن التقييد بالحال ؛ فكأنك تقول : ما تحضر متحدثاً . فالتحديث هو القيد المنفي دائماً ، والحضور هو المقيّد المسكوت عنه ، إذا نظرنا إليه وحده بغير قيده ، أو : كأنك تقول : ما يكون منك حضور يعقبه ويترب عليه تحديث . فالتحديث هو المقطوع بنفيه . أما الحضور المطلق وعدمه فأمرهما للقرينة ؛ تعين أحدهما دون الآخر . وعلى هذا فالفاء سببية والمصدر المؤول بعدها معطوف على مصدر قبلها والنفي منصب على القيد وحده ، كما شرحنا . ومن هذا قول الشاعر :

ومن لا يتقدّم رجله مُطمئنةً فيُسبّطها في مُستوى الأرض يزَلّلق
فكأنه قال : من لا يتقدّم رجله مُشبّتها يزَلّلق .

(ب) ويقول النحاة : إن المعنى قبل « فاء السببية » قد يكون مثبتاً ؛ بأن يتخطاه النفي إلى ما بعدها . بالرغم من وجود النفي قبلها — كما يفهم من بعض الحالات السابقة^(٤) — فإن تسلّط النفي على ما قبلها فالفاء تفيد معنى التسبب الذى

(١) قد يعبرون عما سبق بقول أدق ؛ هو : أن المقيّد لا يتّصّب عليه النفي إلا في حالة واحدة هي التى يتقيد فيها ، ويتحقق فيها وجود القيد دون غيرها من بقية الحالات التى لا تدخل في دائرة القيد ؛ فقد يشملها النفي أو لا يشملها ؛ على حسب القرائن . ويزيد الأمر وضوحاً إذا رجعنا إلى « ب » ص ٣٢١ (٢) وهو غير المقيّد بالركوب .

(٣) وهو في حالة العدم أحق وأولى ؛ إذ لا يمكن أن يحدثنا مع عدم مجيئه ، وانتفاء حضوره .

(٤) الحالة الثانية من حالات النصب .

ينصب بعده المضارع بأن مضمرة وجوباً . وإن لم يتسلط على ما قبلها ، وبقي معناه مثبتاً ، ومدلوله حاصلًا موجباً - فالفاء لا تفيد التسبب^(١) وإنما ينصب المضارع بعدها تشبيهاً لها بقاء السببية .

(ح) عرفنا أن الرفع جائز في ثلاث حالات ، وأن النصب جائز في حالتين : وهذا الجواز في الحالات الخمس مشروط بالألا يكون المضارع قبل فاء السببية مجزوماً ؛ مثل : ألم تحضر فأكرمك ؟ فإن وجد جازم واقتضى المعنى عطف المضارع الذي بعد الفاء على المضارع الذي قبلها وجب أن يكون المعطوف مجزوماً ومنفياً كالمعطوف عليه ؛ لأن هذا هو ما يقتضيه عطف المضارع على المضارع عطف مفردات^(٢) ، ولا يصح إلا الجزم مع نفى المعنى عن المعطوف ، ما دام السياق يقتضى هذا العطف الذي يؤدي إلى النفي وإلى الجزم معاً^(٣) .

وربما لا يوجد قبل الفاء فعل ، مثل : غير موجود أخوك فأكرمه . . . وفي هذه الصورة يمتنع عطف الفعل على الفعل لعدم وجود فعل معطوف عليه . . .

(د) تطبيقاً على ما سبق من تسلط النفي على ما قبل الفاء وما بعدها معاً ؛ أو على أحدهما وحده - يتعين تسليطه عليهما معاً في قوله تعالى : (والذين كفروا لهم نار جهنم ؛ لا يُقضى عليهم فيموتوا . . .) . ولا يصح تسليطه على القيد وحده دون المقيّد (وهو الجملة الأولى) لاستحالة أن يقضى الله عليهم بالموت فلا يموتوا ؛ فلا بد أن تكون الأولى منفية كذلك ، والفاء للسببية . ويصح : (لا يُقضى عليهم فيموتون . . .) فتكون الفاء للعطف المجرد ، والمضارع بعدها مرفوع (إذ ليست للسببية) فالفعل الثاني معطوف على الأول ، تابع له في إعرابه وفي نفيه - كما قدمنا أول البحث - فالتقدير : لا يقضى عليهم ؛ فلا يموتون . والمعنى في الحالتين واحد . مع ملاحظة ما أشرنا إليه من الفرق بين فاء السببية والفاء المتجردة للعطف المحض . ولا مانع أن يكون العطف في هذا المثال عطف جمل .

ومثل الآية قولهم : « ما يليق بالله الظلم فيظلمنا » فيصح اعتبار « الفاء » للسببية

(١) سماها بعض النحاة - كالخضري - فاء المعية .

(٢) طبقاً للحكم الخاص بمطف المضارع وحده على نظيره - (وقد سبق في ج ٣ ، باب العطف ،

(٣) كما سبق ، في رقم ٢ من ص ٣٦٠ .

يَنْصَبُ النِّفَى عَلَى مَا قَبْلَهَا ، وَمَا بَعْدَهَا مَعًا ؛ وَالْمُضَارِعُ مَنْصُوبٌ . أَوْ : لِلْعُطْفِ الْخَالِصِ ^(١) بَدُونَ سَبَبِيَّةٍ ؛ فَيَرْفَعُ الْمُضَارِعُ ، وَالنِّفَى عَامٌ أَيْضًا يَنْصَبُ عَلَى مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا مَعًا .
بِخِلَافِ نَحْوِ : « مَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِحُكْمٍ فَيَجُورُ » حَيْثُ يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ النِّفَى مَنْصَبًا عَلَى الثَّانِي وَحْدَهُ ، بِاعْتِبَارِهِ قَيْدًا لِلأَوَّلِ ، أَيْ : مَا يَكُونُ مِنْهُ حُكْمٌ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ جُورٌ ^(٢) . وَلَا يَصِحُّ نِفَى الْأَوَّلِ لَمَّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : مَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِحُكْمٍ وَهَذَا فَاسِدٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ لِنِفَى الْفَعْلَيْنِ مَعًا : لَا يَجِبُ الرِّقِيُّ الْأَسْفَارُ ؛ فَيُشَاهِدُ عَجَائِبَ الْبِلَادِ الْأَجْنَبِيَّةِ — مَا يَنْتَظِمُ فَلَانَ الشَّعْرَ الْبَلِيغَ ، فَيَنْتَفِعُ بِهِ الْأَدِيبُ — لَمْ يَنْتَبَهَ السَّائِقُ فَيَنْجُو مِنَ الْخَطَرِ — لَا يَسْرِفُ الْعَرَبِيُّ فِي الطَّعَامِ ؛ فَيَشْكُو الْبِطْنَةَ ^(٣) ، وَلَا يَهْمِلُهُ ؛ فَيَشْكُو الْخُمْصَةَ ^(٤) .

وَالضَّابِطُ الَّذِي يَدُلُّ فِي الْأَمْثَلَةِ السَّالِفَةِ — وَأَشْبَاهِهَا — عَلَى أَنَّ النِّفَى مَنْصَبٌ عَلَى الْفَعْلَيْنِ مَعًا هُوَ إِعَادَةُ حَرْفِ النِّفَى بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ ، وَتَكَرُّارُهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُضَارِعِ فَلَا يَفْسُدُ الْمَعْنَى الْمُرَادُ .

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ لِنِفَى الثَّانِي وَحْدَهُ : (أَيْ : لِنِفَى الْقَيْدِ) .

مَا يَسْرِقُ اللَّصَّ فَيَسْلَمُ — لَا يَطُولُ السَّهْرُ فَيَسْتَرِيحُ الْجِسْمُ — لَا يَسِيءُ التَّاجِرُ الْمَعَامِلَةَ فَيَنْجَحَ . . . — هَذَا لَا يَهْمِلُ التَّعَلُّمُ فَيَنْتَفِعَ ، وَلَا يَتْرُكُ الْعُلَمَاءُ فَيَسْتَفِيدَ . وَالضَّابِطُ الَّذِي يَدُلُّ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ — وَأَشْبَاهِهَا — عَلَى أَنَّ النِّفَى مَنْصَبٌ عَلَى الثَّانِي وَحْدَهُ (أَيْ : عَلَى الْقَيْدِ) هُوَ نَقْلُ حَرْفِ النِّفَى مِنْ مَكَانِهِ فِي صَدْرِ الْجُمْلَةِ الْأَوَّلَى ، وَوَضْعُهُ بَعْدَ الْفَاءِ مَبَاشَرَةً وَقَبْلَ الْمُضَارِعِ الَّذِي يَلِيهَا ، فَلَا يَفْسُدُ الْمَعْنَى الْأَصْلِيُّ بِهَذَا الْفِعْلِ .

(هـ) يَجْرَى مَعَ أَدَاةِ النِّهْيِ مَا جَرَى مَعَ أَدَاةِ النِّفَى مِنْ نَاحِيَةِ عُطْفِ الْفِعْلِ عَلَى الْفِعْلِ ، وَعُطْفُ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، وَتَسْلُطُ النِّهْيِ عَلَى مَا قَبْلَ الْفَاءِ وَمَا بَعْدَهَا مَعًا أَوْ عَلَى أَحَدِهِمَا فَقَطْ وَ مَعَ مِلَاحَظَةِ أَنَّ « لَا » النَّاهِيَةَ تَجْزِمُ الْمُضَارِعَ حَتْمًا ، أَمَّا حُرُوفُ النِّفَى فَلَا تَجْزِمُهُ ^(٥)

(١) سِوَاهُ أَكَانَ عُطِفَ جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ ، أَمْ عُطِفَ فِعْلٌ عَلَى فِعْلٍ .

(٢) التَّقْدِيرُ : يَحْكُمُ اللَّهُ بِحُكْمٍ فَا يَجُورُ — كَمَا سَبَقَ . (٣) امْتِلَاءُ الْبِطْنِ .

(٥) انْظُرْ « ب » مِنْ ص ٣٥٦ وَص ٣٦٧ .

(٤) الْجَوْعُ .

(ب) الطلب بنوعيه ؛ المحض وغير المحض ^(١) . . .

الطلب المقصود هنا ثمانية أنواع ؛ لكل منها معناه وحكمه ، ويكفي وجود نوع واحد منها قبل « الفاء » ؛ فتكون سببية ، ينصب بعدها المضارع بأن مضمرة وجوباً إن لم يوجد مانع آخر . وهذه الثمانية هي :

- ١ - الأمر .
- ٢ - النهي .
- ٣ - الدعاء .
- ٤ - الاستفهام .
- ٥ - العَرْض .
- ٦ - التحضيض .
- ٧ - التمني .
- ٨ - الترجى . . .

ولا خلاف في أن السبعة الأولى هي من أنواع الطلب المقصود ؛ وإنما الخلاف في الثامن : (الترجى) والصحيح أنه منها . وهذه الأنواع الثمانية قسمان :

قسم يَدُلُّ على الطلب المحض ، - بأن يَدُلُّ بلفظه نصّاً وصراحة على الطلب مباشرة ، من غير أن يجيء دلالته على الطلب تابعة لمعنى آخر يتضمنه ، ومن غير أن يكون محمولاً في أدائه على غيره . - ويغحصر هذا في الأنواع الثلاثة الأوائل : (الأمر النهي - الدعاء) ^(٢) .

وقسم يدل على الطلب دلالة غير محضة ، بأن يجيء معنى الطلب تابعاً لمعنى آخر يتضمنه ^(٣) . ويدخل في هذا القسم بقية الأنواع الطلبية ؛ فإنها محمولة على الثلاثة المحضة .

وفيا يلي معنى كل واحد من الثمانية ^(٤) ، وحكمه :

(١) انظر المراد عندهم من الطلب غير المحض ، أى : « تقديرأ » - في ص ٣٧٢ -

(٢) ومثل هذا يجري على المضارع بعد واو المعية المسبوقة بطلب - كما سيجىء عند الكلام عليها في ص ٣٧٥ -

(٣) كما سيجىء البيان في آخر ص ٣٧٠ .

(٤) عرفنا في ص ٣٥٤ و ٣٥٧ أن فاء « السبية » التى ينصب بعدها المضارع هي في جميع أحوالها للعطف أيضاً ؛ فتعطف المصدر المؤول بعدها على مصدر قبلها ، أى : أنها تعطف مفرداً على مفرد ، ولا شأن لها بعطف الجمل مطلقاً . وعلى هذا لا تعطف جملة خبرية بعدها على جملة طلبية قبلها ، ولا غير هذا من عطف الجمل أو سواها بما لا تعطفه .

١ - الأمر ، ومعناه : طلب فعل شئ . ولا يسمى أمراً إلا إن كان صادراً ممن هو أعلى درجة إلى من هو أقل منه . فإن كان من أدنى لأعلى سمي : « دعاء » . وإن كان من مُساوٍ إلى نظيره سمي : « التماس » .

وله صيغتان : صيغة فعل الأمر الصريح ، وهذه هي الأصلية ، وصيغة : « لام الطلب » الجازمة المختصة بالدخول على المضارع ، وهذه ملحقة بتلك ، وتسمى : « لام الأمر » إن كان الأمر بها ممن هو أعلى درجة إلى من هو أدنى ، و « لام الدعاء » إن كان من أدنى لأعلى ، و « لام التماس » إن كان من مساوٍ لنظيره . فتسميتها « لام الطلب » أدق من تسميتها : « لام الأمر » لأن الطلب - والمقصود به هنا : طلب فعل شئ - يشمل الصور الثلاث .

فثال الأمر الصريح : اغفر هفوة الصديق فيحمدك ، وانصحك في السر فيقبل نصحك ، وجمال الناس فيما لا يضر فتستريح ، ويدوم لك ودهم . وثال : « خذ ، وهات » في قول الشاعر :

من لي بسوقٍ في الحيا ة يقال فيها : خذ وهات
فأبيع عمراً في الهموم ساعة في الطيبات

ومثال لام الطلب : ليتكن طاعةُ الله أولى الأمور لديك فتسعد ، وليكن حرصك على أداء الواجب عقيدة فتنهض وينهض وطنك ، ولتبتعد عن مواطن الشبهات فيرتفع قدرك .

فإن كان الأمر بصيغة اسم الفعل فالأحسن التيسير بقبول الرأي الذي يجعل الفاء بعده للسببية ؛ نحو : صه فيهدأ النائم ، وتراك الشر ؛ فتأمن عواقبه ، ونزّال إلى ميدان الإصلاح فتُحَبّ . (والمعنى : اسكت ، واترك ، وانزل . . .) وكذلك إن كان الأمر بصيغة المصدر الواقع بدلا من التلغظ بفعله ؛ نحو : سكوتاً فنسمع الخطباء ، أو بصيغة الخبر ^(١) . . . ولكن الأبلغ والأشهر في الحالتين - عند

(١) ومن الحمل الخبرية الدالة على الأمر - قوله تعالى : (هل أدُلُّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويُدْخِلُكُمْ ..) بجزم المضارعين « يغفر » و « يدخل » في جواب الجملة الخبرية =

كثرة النحاة — ألا تكون الفاء للسببية .

٢- النهى ، ومعناه : طلب الكفّ عن شيء . وأداته واحدة ؛ هي : « لا الطلبية » وتسمى : « لا ، الناهية » إن كان النهى صادراً من أعلى لأدنى ؛ فإن كان من أدنى لأعلى سميت : « لا ، الدعائية » . وإن كان من مساو إلى نظيره سميت : « لا ، التي للالتباس » فتسميتها : « لا الطلبية » أولى ؛ لأن طلب الكف بها يشمل حالاتها الثلاث .

ولمّا ينصب المضارع بعد فاء السببية في جواب النهى بشرط ألا ينتقض النهى بإلا الاستثنائية على الوجه الذى سبق لإيضاحه في النفي ونقضه^(١) ؛ ومن الأمثلة : لا تقل الخطأ فيشتهر جهلك ، ولا تخف العلم فنتهم في مروءتك . ومثل قوله تعالى : (لا تفتتروا على الله كذباً فيُسْحِتَكُمُ بعذاب ...)^(٢) وقولهم : لا تكثّر مقاطعة الإخوان فيهنّ عليهم سخطك . ولا تبالغ في وعد أو وعيد فتعجز ، ويستخفّ الناس بك^(٣) . . .

فإن كان النهى بصيغة الاسم فالأنسب الأخذ بالرأى الذى يجعل الفاء بعده

= المقصود بها الأمر ، والتقدير : آمنوا بالله .. وجاهدوا . . . يغفر لكم . . . وليس الجزم راجعاً لوقوعهما جواباً للاستفهام : (هل أدلكم) . . . لفساد المعنى على هذا ؛ لأن السؤال عن مجرد الدلالة والإرشاد بدون عمل آخر من اتجه إليهم السؤال ، لا يؤدى إلى أن يغفر الله ذنوبهم ، وأن يدخلهم الجنة ، فغفران ذنوب الناس لا يكون مسبباً عن مجرد دلالتهم إلى ما ينجيهم وتوجيه الإرشاد إليهم . وإنما يتسبب عن الإيمان نفسه ، وعن الجهاد . وكثير من الأساليب الناصعة يجرى على نسق الآية — وسيعاد ذكرها مناسبة أخرى في ص ٣٩٦ — ولا يزال الناس يقول أحدهم للآخر : همّ بملك وتجيده ، وتحرص عليه ، تفلح ، ويكثر رزقك . وينصح الوالد ابنه الطالب فيقول : تذكر وتلتفت إلى دروسك تنجح . التقدير : اهتم بملك وأجده . واحرص عليه ، تفلح — ذاكر والتفت تنجح . . . وهكذا يحزم المضارع في جواب الأمر الذى تكون صيغته غير صريحة ولا ملحقة بها ، وهذا الجزم بعد سقوط الفاء مباشرة . فإن وجدت الفاء فالأيسر اعتبارها للسببية ونصب المضارع بعدها ، وإن كان الأبلغ والأكثر رفعه ، وعدم اعتبارها للسببية — كما قلنا — انظر الصفحة الآتية — :

(١) سبقت الإشارة — في رقم ١ من هامش ص ٣٥٦ وفي « ه » من ص ٣٦٤ — إلى أن النهى يجرى عليه ما يجرى على النفي عند نقضه « بإلا » . وعلى هذا إن كان نقض النهى قبل الفاء فلا ينصب المضارع بعدها . أما إن كان النقض بعدها فالرفع والنصب جائزان . . .

(٢) فيمتأصلكم ويبيدكم .

(٣) ومن الأمثلة قوله تعالى : « (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار . . .) »

للسببية ؛ نحو سيراً لا قعوداً فتكسَلْ ، وعملاً لا بَطالةً ، فتفقدَ رزقك .

٣ - الدعاء . ومعناه : طلب فعل شيء ، أو الكفّ عنه ، بشرط أن يكون في الحالتين من أدنى لأعلى . وإلا فهو أمر أو نهي إن كان من أعلى لأدنى ، والتماس إن كان بين متساويين - كما سبق - .

وصيغته : فعل الأمر الأصيل المراد منه الدعاء ، وكذا المضارع المسبوق بلام الطلب (لام الأمر) ، أو بلا الطلبية (الناهية) مع إرادة الدعاء بهما . . . ومن الأمثلة قول الشاعر :

رب ، وفقني فلا أعدلَ عن سَنَنِ الساعين في خير سَنَنِ

وقول الآخر :

فيا ربِّ عَجِّلْ ما أَوْمَلُ منهمو فيدفاً مَقْروراً^(١) وَيَشْجَعِ مُرْمِلٌ^(٢) .
ومثل : ربِّ : لِتَكُنْ طاعَتِي لك على قدر فضلك ؛ فأفوزَ فوزاً عظيماً ، ولتكنْ أعمالي مقصورة على ما يرضيك ، فأنالَ أسنى الغايات ، ولا تتركني لنفسى فأضلَّ ضلالاً عظيماً . . .

فإن كان الدعاء بصيغة أخرى لم ينصب المضارع - إلا في الرأي الذي قُصِدَ به التيسير - ؛ كصيغة الاسم في قولهم : سَقِيّاً لك فتسلم ، ورعيّاً لمن معك فتجنبهم المخاوف . . . وكصيغة الخبر المراد منه الدعاء^(٣) ؛ نحو ؛ يرزقني الله الغنى فأنفقُ المال في سبل الخير . وبعض الكوفيين يميز النصب في هذه الصور . ورأيه مقبول ، وفيه التوسعة التي أشرنا إليها ، وإن كان الأبلغ متابعة الأكثر .

٤ - الاستفهام (سواء أكان حقيقياً ؛ وهو طلب معرفة شيء مجهول حقّاً للمتكلم ، أم إنكارياً ، أم توبيخياً)^(٤) ويشترط هنا ألا يكون عن معنى قد

(١) من أصابه البرد الشديد . (٢) شديد الفقر .

(٣) وقد يكون مراداً منه غير الدعاء كالأية التي في هامش ص ٣٦٦ .

(٤) سبق لإيضاح الاستفهام الإنكارى والتوبيخى (في ج ٢ ص ٢٣٥ م ٨١)

هذا ، وشرط عدم المضي يتسك به أكثر النحاة ، ولا يتسك به آخرون . وسيجيء البيان في « ب » . من الزيادة والتفصيل (ص ٣٧٤) ومن التيسير المقبول عدم التمسك به . ويتسك الأولون أيضاً بشرط آخر هو : ألا يكون الاستفهام بجملة اسمية فيها الخبر جامد . وقد سبق أنه لا داعي للتمسك به - في ص ٣٥٨ - .

أما بيان الاستفهام الحقيقي والتقريرى ففي رقم ١٧ من هامش ص ٣٥٧ .

وقع قبل الكلام . ومن أمثلته قوله تعالى بلسان أصحاب النار : (. . . فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ؟ فَيُشْفَعُوا لَنَا . . .) ، وقول الشاعر :

هل تعرفون لبائنا قى ؟ فأرجو أن تُقضى ، فيرتدَّ بعض الروح للجسد
٥ - العَرَض^(١) ؛ وهو الطلب برفق ولين . ويظهران - غالباً - في صوت
المتكلم ، وفي اختيار كلماته رقيقة دالة على الرفق . ومن أدواته : « ألا » ؛
كقول الشاعر :

يا بَنَ الكرامِ ألا تَدْنُو فتُبَصِّرَ ما قد حَدَّ ثركَ ؛ فما راءَ كُنْ سَمِيعاً
ومن أدواته - أحياناً - « لو »^(٢) ؛ نحو : لو أوفى للكمال المستطاع فأبلغ
غاية المني . . .

٦ - التخصيـض ، وهو الطلب بشدة وعنف . ويظهران - غالباً - في
صوت المتكلم ، وفي اختيار كلماته جملة قوية . ومن أدواته : « هلاً » ؛ نحو :
هلاً حطمت قيود الاستبداد فتعزَّزْ ، وهلاً قوضت حصون الاستعباد فتسود .
ومن أدواته أيضاً : « لولا » ؛ نحو : لولا تدفع الظلم فيخاف الظالم . . .
وقول الشاعر :

لَولا تعوجينَ يا سَكَمى على دَيفٍ فَتُخَمِّدى نارَ وجَدٍ كادَ يُفْنِيهِ^(٣)
ومن أدواته - أحياناً - « لو »^(٢) ؛ نحو : لو تحترم القانون فتأمن العاقبة .

٧ - التمني ، وهو الرغبة في تحقق أمر محبوب ؛ سواء أكان تحققه ممكناً ،

(١) سيجى تفصيل الكلام على « العرض والتخصيـض » في باب : « لولا ولوما . . . » ص ١٢ وما بعدها .

(٢ و ٢) لهذا النوع إشارة في ص ١٢ .

(٣) ومن الأمثلة - وسجى - في رقم ٣ من هامش ص ٥١٤ - أيضاً قوله تعالى : (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت ، فيقول : رَبِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب ، فأصدق ، وأكن من الصالحين ..) أى : لولا تؤخرني : أما المضارع : « أصدق » فنصوب بأن مضمرة وجوباً بعد « فاء السببية » وأما المضارع : « أكن » فجزوم على اعتبار عدم وجود « فاء السببية » وأنه مجزوم في جواب الطلب ، وأن الكلام يتضمن شرطاً مقدراً ؛ أى : إن تؤخرني أكن . . . - وسجى الكلام على سقوط الفاعل في ص ٣٨٧ - .

أَمْ غير ممكن . ولا يصح أن يكون في أمر محتوم الوقوع ^(١) . وأشهر أدواته :
« ليت » وهي الأصل ؛ كقوله تعالى : (يا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً) .
ونحو : يا ليت من يمنع المعروف يُحرّمُ المعروف ، فيذوقَ مرارةَ الحرمانِ .
وقول الشاعر :

يا ليت أمّ خُلَيْدٍ وَاغْدَتْ فَوْسَتْ ودام لي ولها عمرٌ فنصطحبها
ومن أدواته — أحياناً — « لو » كقراءة من قرأ قوله تعالى : (فلو أنّ لنا كَرَّةً
فَنَكُونُ من المؤمنين) بنصب المضارع ^(٢)
وكذا « ألا » ^(٣) نحو : ألاّ صديقَ مخلصاً فينصَحنا :

٨ — الترجي ، وهو : انتظار حصول شيء مرغوب فيه ، ميسور التحقق .
ولا يكون إلا في الأمر الممكن ، ومثله التوقع ^(٤) . والكوفيون هم الذي يعتبرون الفاء
بعده للسببية ، والشواهد — ومنها القرآن — تؤيدهم ^(٥) . نحو : لعلك تحسن اختيار
الكلام ، فتفوزَ بإعجاب السامعين ، ولعل إعجابهم يبرأ من التزيد والتّحسيف ؛
فتدركَ مبلغَ توفيقك ، وحقيقة أمرك

* * *

تلك هي أنواع الطلب بنوعيه ؛ المحض وغير المحض . وقد عرفنا ^(٦) أن المحض
منها ثلاثة ، وأنها سميت محضة للدلالة صيغها اللفظية — نصّاً وأصالة — على الطلب
الصريح مباشرة ؛ لا عن طريق تبعي أو ضمني ، غير مباشر ؛ كدلالة التمني

(١) فلا يصح أن يقال : ليت غداً يجيء . . . وقد سبق الكلام على التقي في ج ١ ص ٤٧٣ م ٥١
ثم انظر رقم ٣ من هامش ص ٣٨٧ ورقم ٢ من هامش ص ٣٩٣ حيث الإشارة لبعض الأحكام الخاصة
بالتمني غير الأصيل ؛ مثل : « لو » .

(٢) سيجيء بيان خاص بالأداة : « لو » التي تفيد التقي — في رقم ٦ ص ٥٠٣ —

(٣) سبق الكلام على « ألا » المفيدة للتمني وإعرابها وحاجتها أو عدم حاجتها للخبر في ج ١

ص ٥٤٠ م ٥٨ .

(٤) سبق الكلام على الترجي والتوقع والإشفاق ، ومعنى كل ، في الجزء الأول ص ٤٧٣ م ٥١ .
(٥) ومنها قوله تعالى : (لعله يزكّي ، أو يدكّر فتنتفعه الذّكّرَى ..) بنصب « تنفع » ومنه
قوله تعالى : (ياهايمانُ ابنُ لي صرّحاً . لعلّي أبلغُ لأسباب ، أسبابَ السمواتِ فأطلّعَ إلى إله موسى)
بنصب : « أطلع » ولا داعي للتأول في الآيتين — وأشباههما — بقصد إبعاد الفاء عن السببية .
(٦) في ص ٣٦٥ .

على الطلب ، فإن الطلب معه يحىء من طريق تبعى ؛ أى : من طريق غير مباشر ،
إذ يلزم من تمنى الشيء طلب مجيئه وكذلك العرض والحض وغيرهما من
بقية أنواع غير المحض ؛ فإنها تدل على الطلب من ذلك الطريق الضمنى ، غير
المباشر ، بخلاف الثلاثة المحضة : (الأمر ، والنهى ، والدعاء) فإن صيغها صريحة
فيه ؛ كما أسلفنا (١) . . .

« ملاحظة » : إذا لم توجد « فاء السببية » قبل المضارع الذى يستحق النصب
بها ، إما لأنها لم توجد أصلاً ، وإما لسقوطها وزوالها بعد وجودها ، فإن حكم
هذا المضارع يتغير ؛ فيجزم على حسب البيان الخاص الذى سيحىء كاملاً فى
بحث مستقل (٢) .

(١) وفى الكلام على « فاء السببية » يكتفى ابن مالك ببيت واحد هو :

وبعدَ « فَا » جوابِ نَفْيٍ أَوْ طَلَبٍ مَحْضَيْنِ « أَنْ » وَسَتَرُهَا حَتْمٌ نَصَبٌ

وتقدير البيت : و « أَنْ » ، نَصَبٌ بعد « فَا » جوابِ نَفْيٍ أَوْ طَلَبٍ مَحْضَيْنِ . وسرتها حتم . (ويلاحظ
أنه - كمادته - استعمل « أَنْ » بمعنى « الحرف » أولاً ، ثم عاد فاستعملها بمعنى الكلمة ، وأعاد الضمير
عليها فى الأولى مذكراً ، وفى الثانية مؤنثاً . والأمران صحيحان - انظر آخر هامش ص ٢٨٩ ورقم ١ من
هامش ص ٢٨١ - . والمعنى : « أَنْ » مستترة (مقدرة) حتماً بعد فاء السببية التى فى صدر كلام يقع جواباً
لنفي محض ، أو طلب محض . وفى هذا الكلام نقص واضح ؛ إذ لم يتعرض لأنواع النفي ، وأحكامها ، وشبه
النفي . واقتصر فى الطلب على المحض من غير تفصيل ولا إبانة ، ثم عرض أبياتاً تتعلق بحرف آخر غير فاء
السببية ؛ هو : « واو المعية » ثم رجع للكلام على فاء السببية بعد الرجاء فقال البيت السابع عشر :

والفعلُ بعدَ « الْفَاءِ » فى الرِّجَا نُصِبَ كَنَصَبِ مَا إِلَى التَّمَنَّى يَنْتَسِبُ - ١٧

يريد : أن المضارع بعد فاء السببية الواقعة فى جواب الرجاء - ينصب بأن مضمرة وجوباً ؛ كنصب
المضارع بها إذا كان متسبباً للتمنى ؛ أى : جواباً للتمنى ؛ بأن كان بعد الفاء المسبوقة بالتنى ، فكما
ينصب بعد هذا ينصب بعد ذاك . (وسجى إشارة لهذا البيت بمناسبة أخرى فى هامش ص ٣٩٧) .

(٢) فى ص ٣٨٧ .

زيادة وتفصيل :

(١) تقدم^(١) أن « الفاء » لا تكون سببية يُنصب بعدها المضارع « بأن » المضمرة وجوباً إلا بشرط أن يسبقها إما النفي المحض أو شبهه ، وإما الطلب المحض أو غير المحض أى : التقديرى ... لكن هذا الشرط هو الأغلب فى أكثر الحالات ، فهناك حالات ست يصح اعتبار الفاء فى كل منها سببية مع فقد هذا الشرط ، فعند اعتبارها سببية ينصب المضارع حتماً ، بأن مضمرة وجوباً ، وعند عدم اعتبارها لا ينصب . والأربعة الأولى تكون فى حالتى الاختيار والضرورة الشعرية ، والأخيرتان خاصتان بالضرورة الشعرية .

١ - الفاء الواقعة بعد نفي مسبق باستفهام تقريرى ، نحو : ألم تشهد بدائع الأزاهير فى مطلع الربيع فتنعم بها ؟ فيجوز رفع المضارع : « تنعم » ونصبه على أحد الاعتبارين (وقد سبق^(٢) الكلام الجلى على هذا فى موضعه المناسب) .

٢ - الفاء الواقعة بعد نفي قد نقض « بإلا الاستثنائية » وكان النقص بعد الفاء والمضارع ؛ نحو : ما تزورنا فتحدثنا إلا تسرنا بطرائفك الأدبية^(٣) .

٣ - الفاء الداخلة على المضارع المتوسط بين فعل الشرط وجواب الشرط ، أو بعدهما . نحو : من يهتن فيقبل يسهل الهوان عليه ؛ ومن يسهل الهوان عليه يفقد كرامته ؛ فيحرم سعادة الحياة . فالفعلان : « يقبل ، ويحرم » ، يجوز نصبهما على اعتبار الفاء للسببية ، ويجوز عدم النصب على اعتبارها ليست سببية^(٤) ...

ويقول النحاة : إن السبب فى جواز النصب هنا - حيث لا نفي ولا طلب - أن فاء السببية تعطف المصدر بعدها على مصدر قبلها^(٥) ، وفعل الشرط قبلها غير

(١) فى ص ٣٥٥ وما بعدها .

(٢) فى رقم ١ من هامش ص ٣٥٧ وفيها بيان المراد من الاستفهام التقريرى .

(٣) وقد سبق شرح هذا عند الكلام على النفي ، فى « ب » من ص ٣٥٦ .

(٤) سيجئ فى الجوازم (ص ٤٧٨) الأوجه الأخرى الجائزة فى المضارع المتوسط بين جملة

الشرط وجملة الجواب . ومن هذه الأوجه الجائزة الرفع ؛ فهناك الموضع المناسب .

(٥) من المفيد الرجوع إلى ص ٣٥٧ حيث البيان الهام الذى يوضح المعطوف والمعطوف عليه

هنا ؛ مصدرين معاً أو أحدهما ... أو ... ثم « ب » ص ٣٧٤ .

محتوم الوقوع ؛ فأشبه الاستفهام والأمر وغيرهما من أنواع الطلب التي ليست محققة الوقوع . وأن علة جواز نصبه بعد فعلی الشرط والجواب معاً هو أن الجزاء غير محقق الوقوع ، ولا تحتم الحصول ، فالواقع بعده كالواقع بعد الاستفهام ونحوه . . .

هذا كلامهم . وكأنهم يرجعون هاتين الصورتين إلى « الطالب » تقديرًا . ولا محل للتقدير ؛ فالعلة الصحيحة هي محاكاة كلام العرب في استعمالهم ، ليس غير . . .

٤ - الفاء الداخلة على المضارع المسبوق بأداة الحصر : « إنما » ؛ نحو : إنما أنت العالم فتفيد ؛ فيجوز نصب المضارع : « تفيد » على اعتبار الفاء سببية ، وعدم نصبه على اعتبارها غير سببية^(١) .

ولم هنا انتهت الحالات الأربع التي تقع في النثر والشعر ، أي : في حالتي الاختيار والضرورة . ويليهما الحالتان المقصورتان على الضرورة الشعرية ؛ وهما :

٥ - الفاء الداخلة على المضارع المسبوق بأداة الحصر : « إلا » ، نحو : ما تتكلم إلا فتحسن الكلام^(٢) .

٦ - الخبر المثبت الخالي من النفي ومن الطلب ومن الحصر « بإلا » كقول الشاعر : سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالهجاز فأستريحاً

فالمضارع : « أستريح » منصوب على اعتبار الفاء - للضرورة - سببية ، كما

(١) يذكر النحاة لهذه الحالة مثالا هو قوله تعالى : (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون) في قراءة من نصب : « يكون » باعتبار الحصر منزلاً منزلة الطلب تأويلاً . ولم يجعل المضارع منصوباً بعد الفاء في جواب « كن » - كما يرى بعضهم - لعدم وجود قول : « كن » حقيقة ؛ إذ لا ينطق بها الله حين يريد خلق شيء من العدم ، وإنما هي كناية عما يسمى « تعلق القدرة تنجيهاً بوجود شيء » . هذا إلى أنه لا يجوز توافق الجواب والحجاب عنه في صيغة الفعل والفاعل ؛ فلا بد من اختلافهما فيها ، أو في أحدهما ؛ فلا يقال قم قم . ويقول ابن هشام - فيما نقله عنه الصبان - : إن الجواب لا بد أن يخالف الحجاب ؛ إما في الفعل والفاعل ؛ نحو : جئني أكرمك ، أو في الفعل ؛ نحو : أحسن إلى الناس تستبعد قلوبهم ، أو في الفاعل ؛ نحو قم قم . ولا يجوز أن يتوافقا فيها .

(٢) لم أجد فيما رأيته من المراجع النحوية مثالا من الشعر ؛ كي تتحقق فيه الضرورة . فأمثلتهم المعروضة نثرية . ولعلمهم يريدون ما يكون مثلها في النظم .

يقول كثير من النحاة^(١) .

(ب) قلنا^(٢) إن أكثر النحاة يشترط في فاء السببية بعد الاستفهام ألا يكون الاستفهام عن أمر قد حصل في الزمن الماضي حقيقة ؛ فيخرج نحو : لمَ أسأت إلى الصديق فيقاطعهك ؟ فلا ينصب المضارع : لأن الإساءة وقعت فعلا . وحجته أنه إذا سبك المصدر المؤول بعد الفاء كان هذا المصدر المؤول مستقبلا ، يجب عطفه على مصدر قبل الفاء ، ويجب أن يكون مستقبلا أيضاً ؛ ليتحد « المعطوف والمعطوف عليه » في الزمن — عملاً بالرأى الراجح — فلو كان ما قبل الفاء ماضى الزمن لجاء المصدر « المعطوف عليه » ماضى الزمن أيضاً ؛ فيختلف في زمنه عن زمن المعطوف المستقبل .

أما الذين لم يشترطوا عدم المضى فحجبتهم ما ورد من مثل : أين ذهب الرسول فنتبعه ، بنصب : « نتبع » مع أن المعنى في ذلك قد وقع في زمن مضى . ثم قالوا : إن لم يمكن الوصول إلى مصدر مستقبل من الكلام الذي قبل « الفاء » مباشرة فن الممكن تصيده والوصول إليه من مضمون ذلك ولازمه ؛ كأن نقول : ليكن منك إعلام بذهاب الرسول ، فاتساع منا .

مع أن الرأى الأول دقيق محكم ، وله الأفضلية ، والاعتبار الأقوى — فالأنسب الأخذ بالرأى الثاني ليكون الحكم مطرداً ، فيقل التشعب والتفريع ، ولأن التقدير فيه روعى مثله في أحوال أخرى مع فاء السببية ، كما يتبين مما سبق^(٣) . . .

(١) لا داعي لهذا ، فخير منه أن تكون للمعطف مجرد المضارع بعدها مرفوع ، لمطفه على مثله المرفوع ، وإنما حرك بالفتحة للضرورة ؛ وهي مراعاة القافية . ومثله المضارع « يعضم » في قول شاعرهم : لنا هضبة لا ينزل الذلُّ وسطحها ويأوى إليها المستجير فيعضمها والمراد بالهضبة هنا : صولة قومه ، وعزيمتهم ، ومنهم .

(٢) في ص ٣٥٧ .

(٣) في رقم ٤ من ص ٣٦٨ .

الأداة الخامسة : واو المعية^(١) :

فائدتها :

الدلالة على أن المعنى الذى قبلها والمعنى الذى بعدها مصطاحبان معاً عند حصول مدلولهما وتحقيقه ؛ لا يسبق أحدهما الآخر ولا ينفرد ، أى : أنهما متلازمان عند التحقق ؛ ويحصلان معاً فى زمن واحد يجمعهما ؛ ففى مثل : أتبتسم وتصافح الزائر ؟ بنصب المضارع : « تُصافح » يكون الاستفهام مُنْصَباً على تحقق الابتسام والمصافحة معاً فى وقت واحد للزائر ، ولا يتجه إلى تحقق أحدهما دون الآخر ، ولا يتجه كذلك إلى تحقيقهما فى زمنين مختلفين . فكأن من ينطق بهذه العبارة ، وينصب فيها المضارع بعد الواو — يقول : أنا أسأل عن تحقق الأمرين معاً فى وقت واحد ، ولا أسأل عن غير هذا .

ومثل : لا يتكلم الخطيب ويقعد . بنصب المضارع : « يقعد » فإن النفي مسلط على اجتماع القعود والتكلم ووقوعها معاً فى وقت واحد ؛ فكأن المتكلم يقول : إنهما لا يحصلان معاً فى وقت واحد . أما نفي حصول أحدهما فقط أو نفي حصولهما فى زمنين مختلفين فلا يفهم من هذه الجملة . ومثله : لا يترك العاقل عمله ويلعب ، ولا يقعد عن السعى وينتظر الرزق ؛ بنصب : « يلعب » ، و « ينتظر » فيكون المراد نفي الجمع فى وقت واحد بين الترك واللعب ، وكذا نفي اجتماع القعود عن السعى وانتظار الرزق فى زمن واحد . ونحو : لا تأكل وتتكلم . بنصب المضارع « تتكلم » إذا كان الغرض النهى عن الجمع بين الأكل والكلام فى وقت واحد .

ولما كانت هذه الواو دالة على اجتماع المعنيين واصطحابهما معاً وقت تحقيقهما — سميت لذلك : « واو المعية » أى : « الواو » التى بمعنى : « مع »^(٢) ؛ فهى تدل على الجمع والمصاحبة بين أمرين فى وقت واحد .

(١) وتجرى عليها الأحكام العامة المشتركة التى سبقت فى رقم ٢ من هامش ص ٣١٧ .

(٢) المعنى لا يتغير مع كل منهما ، ولكن الإعراب يختلف . فواو المعية حرف عطف — على الأشهر ، كما سأتى — والمضارع بعدها منصوب بأن مضمرة وجوباً ، والمصدر المؤول معطوف على مصدر سابق ... ، أما كلمة : « مع » فظرف منصوب ، وهو مضاف — غالباً — بعبء اسم مضاف إليه ، ولا يقع بعده المضارع مباشرة ... ، واو المعية التى هنا تختلف عن واو المعية التى يليها المفعول معه ؛ فإن التى يليها المفعول معه حرف مجرد للدلالة على المعية وليس عاطفاً أو غير عاطف . أما التى هنا فحرف عطف ، مع =

عملها :

واو المعية - هنا - حرف عطف في المشهور، مع إفادته المصاحبة^(١) والاجتماع والمضارع بعده منصوب بأن المضمرة وجوباً ، وزمنه كما عرفنا - : متجرد للاستقبال الخالص ، والمصدر المؤول بعده معطوف بالواو على مصدر مذكور في الكلام السابق . فإن لم يوجد في الكلام السابق مصدر وجب تصيده بالطريقة التي سلفت في العطف بفاء السببية^(٢) .

ويشترط لنصب المضارع بأن المضمرة وجوباً بعد « واو المعية » أن تكون واو المعية مسبوقة إمّا بنى محض ، أو بما يلحق به ، - وقد شرحناهما^(٣) وإما بنوع من أنواع الطلب الثمانية التي سبق بيانها وشرحها في « فاء السببية »^(٤) . غير أن بعض النحاة يمنع وقوع « واو المعية » بعد أربعة أنواع من الطلب ؛ هي : (الدعاء ، والعرض ، والتحضيض ، والترجي) . وحجته : أن السماع الكثير لم يرد بواحد منها ، والسماع الكثير هو الأساس للقياس ؛ فلا يصح الإقدام على نصب المضارع بعدها ما دام هذا الأساس مفقوداً . ولا يصح عنده النصب حملاً لـ « واو المعية » على « فاء السببية » ؛ لأن الحمل - برغم التشابه بينهما في كثير من الأمور - لا داعي له . ورأيه وجيه .

= دلالته - دائماً - على المعية نصاً ، ولا يليه إلا المضارع بالشروط التي سنعرّفها . وإنما قلنا مع دلالته الدائمة على المعية نصاً ؛ لأن الواو العاطفة لا تدل على المعية نصاً ، وإنما تدل عليها بقرينة أخرى خارجة عنها ؛ فن يقول : دعوت الضيف والشريك لزيارتي - قد يقصد أنه دعاها معاً في وقت واحد ، وقد يقصد أنه دعاها في وقتين مختلفين ؛ فليس في الكلام ما يبين أحدهما نصاً ؛ لأن الواو العاطفة تدل على مجرد التشريك في المعنى ، ولا تدل على المصاحبة الزمنية والاجتماع في أثناء تحققه إلا بقرينة . وهذا هو المراد من قولهم : إنها مجرد الجمع ، أى : التشريك في المعنى من غير دلالة حتمية على ترتيب ، أو تعقيب ، أو مصاحبة ... بخلاف الدالة على العطف والمعية معاً ، فإنها تجمع بين الأمرين في وقت واحد ، ووقوع المضارع بعدها منصوباً دليل على أن المتكلم يريد الأمرين معاً .

(وقد سبق بيان هذا في باب العطف ، ج ٣ ص ٤١٢ م ١١٨ وفي باب المفعول معه ج ٢ ص ٢٢٦ م ٨٠) .

(١) والكوفيون يسمون العطف بها . - كما سيجيء في ص ٣٧٩ - وهامشها .

(٢) (٣) ٣٥٥ .

(٢) ص ٣٥٨ .

(٤) في ص ٣٦٥ - ويلحق بالطلب أداة الشرط إذا وقع المضارع المسبوق بالواو متوسطاً بين شرطها وجوابها ، أو متأخراً عنها ، في حالة التوسط أو التأخر يجوز اعتبار الواو للمعية ، ونصب المضارع بعدها بأن المضمرة وجوباً ، كما يجوز عدم اعتبارها للمعية فلا ينصب المضارع . وكل هذا على حسب الاعتبارات المعنوية التي تقدمت في فاء السببية ، في رقم ٣ من ص ٣٧٢ ، والتي ستجيء في الجزم ، ص ٤٧٧ .

ويخالفه فريق آخر ، بحجة التشابه القوي بين الحرفين في نواح متعددة فلا عيب في حمل واو المعية على فاء السببية . وفي هذا الرأي تيسير ، ولكن فيه إهدار لأهم الأسس التي تراعى ؛ وهو السماع الكثير الوارد ، ولهذا يحسن عدم الأخذ به قدر الاستطاعة : احتراماً للأساس الأهم السابق .

(١) فن أمثلة واو المعية بعد النفي قول أعرابي يجري إلى ساحة القتال : لا ألزم دارى وأشهد الأبطال يَمْضُونَ للجهد سراعاً ، ولا أموتُ على فراشى كالبعير المهزول ، وأبصر الرجال في حِصْمَةِ الوغى شهداء .

(ب) ومن أمثلتها بعد أنواع الطلب ما يأتي (١) :

١ - بعد الأمر : أيها الصديق : اغْفِرْ هَفْوِيْ وأغْفِرْ هَفْوَتَكَ ؛ لتَدُومَ صِدَاقَتَنَا ، وساعدني وأساعذك لتتغلب على المشقات ، ولتَحْذَرُ ، وأَحْذَرِ دسائس الأعداء ؛ لتعيش في سلام .

ولا خلاف في نصب المضارع « بأن » المضمره وجوباً بعد واو المعية إذا كانت الواو مسبوقه بإحدى صيغتي الأمر المحض (٢) . أما الدلالة على الأمر بغيرهما (كالدلالة عليه باسم الفعل ، أو بصيغة اسم ، أو بجملة خبرية . . .) فالحكم هنا كالحكم في فاء السببية (٣) .

٢ - بعد النهي :

لاتنهَ عن خُلُقٍ وتأتَى مثله عارٌ عليك - إذا فعات - عظيمٌ

٣ - بعد الاستفهام :

ألم أكُ جاركُم ويكونَ بيني وبينكمو المودة والإخاءُ ومثل :

أثبتُ رِيَّانَ الجفون من الكَرَى وأبيتَ منك بليلة الملسوع

(١) مع ملاحظة أن المعطوف بواو المعية والمعطوف عليه مصدران - كما شرحنا - فليس في الكلام عطف جملة خبرية بعد الواو على جملة طلبية قبالتها مما يمنع التحاة ، ولا عطف فعل على فعل . وكل هذا بشرط نصب المضارع بعد الواو .

(٢) وهما : فعل الأمر الصريح ، ولام الطلب الجازمة الداخلية على المضارع - وبيانها في ص ٣٦٦ .

(٣) ص ٣٦٦ .

٤ - بعد التمني : قوله تعالى حكاية لقول الكفار يوم القيامة : (يا ليتنا نُؤَدَّ
ولا نُكذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا . . .) .

وقول الشاعر :

ألا ليتَ الجوابَ يكونُ خيراً ويُطْفِئَ ما أحاط من الجوى بي

٥ - بعد الدعاء (على ان رأى القائل به . . .) ربه ، ما أسعدني بطاعتك ؛
فوجهني إليها ، ويعينني فضلك على ملازمتها . وما أشد حاجتي إلى برك ؛
فأسبغْ عليَّ ثوب العافية ، وتحرُسْهُ برحمتك ، وأغدقْ عليَّ النعم ، وتوفّقني
إلى صيانتها . ربّاه ، لتُدْخِلْنِي في عداد المقربين ، وترفعَ مقامى بينهم ، ولا تدعُ
للتّواني سبيلاً إلى وتركتني بعيداً عن المدى الذي يرضيك .

٦ - بعد العرض (على الرأى القائل به . . .) : ألاّ تزور المريض وتُقدّمَ له
هدية . ألاّ تسأله عن حاله وتدعوه بالشفاء .

٧ - بعد التحضيض (على الرأى القائل به . . .) : هلاًّ تتعرض لأشعة
الشمس وقت الضحا أو قبل الغروب وتحذّر حرارتها ، وطولَ التّعرض لها . وهلاًّ
تعرف رأى الأطباء في فائدة التّعرض وضرره ، وتعملَ برأيهم . . .

٨ - الترجمة (على الرأى القائل به . . .) : لعلّ العالم يدرك أنه قدوة ،
ويترك ما لا يليق به ، ولعله يعرف أن فسادَه أشدّ ضرراً وأعظمَ خطراً من كل فساد
آخر ، ويُجنبَ الناس أثره . . .

* * *

يتبين مما سبق أن بين فاء السببية وواو المعية تشابهاً واختلافاً ؛ فيشابهان في
أمرين :

أولهما : نصب المضارع بعدهما بأن مضمرة وجوباً ؛ بشرط أن يسبقهما -
غالباً - نى أو طلب ، وما يلحق بهما ، بالتفصيل الذى عرفناه .

ثانيهما : اعتبار كل منهما حرف عطف أيضاً فوق دلالته الخاصة (وهى :
دلالة الفاء على « السببية الجوابية » فوق دلالتها على الترتيب والتعقيب . ودلالة الواو
على « المعية ») . والمصدر المنسبك بعدهما من أن « المضمرة وجوباً وما دخلت

عليه من الحملة المضارعية - معطوف على مصدر مذكور أو متصيد قبلهما . وهذا على الرأي الشائع الذي يخالف فيه بعض المحققين ^(١) ويقول : إن هذه الواو التي تفيد المعية ليست عاطفة ، وهو بهذا يوافق الكوفيين (ويسمونها : واو الصَّرْف) وحجته : أن العرب إذا أرادوا بالواو معنى المعية والمصاحبة أتوا بالمضارع بعدها منصوباً ليصرفوه عن المألوف ؛ فيكون صرفه هذا دليلاً على أنها للمعية والمصاحبة ، ومرشداً من أول الأمر إلى أنها لإفادة اجتماع أمرين في زمن واحد ، وليست للعطف ^(٢) .

ويختلفان في خمسة أمور :

أولها : أن نصب المضارع بعد فاء السببية متفق عليه بعد أنواع الطلب السبعة ، لورود السماع بأمثلة كثيرة لكل نوع تبيح القياس عليها . وأما الثامن (وهو « التَّرجى ») فيقع فيه وحده الخلاف ، والصحيح أنه كبقية الأنواع في وجوب نصب المضارع الواقع في جوابه بعد فاء السببية ، وأن ناصبه هو « أن » المضمرة وجوباً .

في حين يخالف بعض المحققين في أن يكون وقوع (الدعاء ، والعرض ، والتحضيض ، والترجى) ، قبل واو المعية موجباً للنصب ، فهو يمنع اعتبارها للمعية كما يمنع نصب المضارع إذا سبقه واحد من الأربعة المذكورة ؛ بحجة عدم ورود السماع بأمثلة متعددة لكل منها تكفى للقياس عليها .

ثانيها : الأصح في فاء السببية أنها حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب مع

(١) كالرضى .

(٢) ومع أنها عنده للمعية الخالصة وليست للعطف - يعتبرها إما واواً للحال ، وأكثر دخولاً على الحملة الاسمية ؛ فالمصدر المؤول بعدها في تقدير مبتدأ خبره محذوف وجوباً ، فنى : قم وأقوم - قم وقمى ثابت . أى : قم في حال ثبوت قىام . ولما بمعنى : « مع » ، أى : قم مع قىام . وذلك كما قصدوا في المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم ، فنصبوا ما بعد الواو . ولو جعلت الواو عاطفة للمصدر على مصدر سابق لزال التنضيض على معنى الجمع . . .

وقد قامت على هذا الرأي اعتراضات كثيرة ، واجهتها ردود كثيرة أيضاً . ولا حاجة بنا إلى شيء من هذه أو تلك ؛ لاعتمادها - في الغالب - على الجدل المجرد . وغاية ما نقوله : إن اعتبار الواو لمجرد المعية هنا يريح من العطف وما يقتضيه - أحياناً - من تصيد المصدر المعطوف عليه حين لا يكون في الكلام السابق مصدر مذكور . ولولا اعتبارات أخرى قوية - (كالتى سنذكرها في « ب » من ص ٤٠٣) لكان هذا الرأي وحده هو المستحسن ، في جميع حالات فاء السببية أيضاً فلا نمدّها حرف عطف ، طبقاً للمذهب الكوفي الذي يقصرها على السببية ، ويمنع أن تكون عاطفة .

دلالتهـا ـ فى الغالب ـ على السببية الجوابية فى الوقت نفسه . على حين يشند الخلاف فى جعل الواو ـ هنا ـ للأمريـن مجتمعيـن ؛ وهما : العطف والمعية ؛ إذ الرأى القريـ أنها تنفيذ المعية دائماً بغير أن تكون عاطفة .

ثالثها : ـ وهذا مهم ـ أن فاء السببية لا بد أن تقع ـ غالباً ـ فى جواب نفي أو طلب أو ملحقاتهما . . . ؛ فما بعدها مسبب عما قبلها وجواب له . أما واو المعية فتقتضى مصاحبة ما قبلها وما بعدها مصاحبة حقيقية عند وقوعهما ؛ أى : تستلزم تلاقيهما واجتماعهما فى زمن واحد عند تحقق معناهما وحصوله ، وهذه المصاحبة تمنع أن يكون ما بعد الواو مسبباً عما قبلها ، وجواباً له ؛ لأن المسبب والجواب لا بد أن يتأخرا ـ حتماً ـ فى وجودهما عن السبب ، وعما يحتاج إلى إجابة . وهذا التأخر يناقض المصاحبة ويعارضها . ولهذا يقول النحاة : إن صحة الفهم ودقة التعبير يقضيان بتخطئة من يقول عند الإعراب^(١) : « واو المعية الواقعة فى جواب النفي ، أو الأمر ، أو النهى ، أو غيرهما من بقية الأنواع السالفة ... » وبتصويب من يقول : « واو المعية » الواقعة بعد النفي أو الطلب من غير ذكر الكلمة جواب ؛ لأن وقوع الجملة المشتملة على هذه الواو جواباً عما قبلها يقتضى ـ كما تقدم ـ أن يكون تحقق معناها متأخراً عن تحقق معنى التى قبلها ، وهذا يعارض ما تنفذه واو المعية من تحقق معنى السابق عليها واللاحق فى زمن واحد .

رابعها : أن « واو المعية » هنا ـ لا بد أن يسبقها نفي محض ، أو طلب ، أو ملحقاتهما ، ولا بد كذلك أن تدل على المصاحبة الزمنية الحقيقية عند تحقق معنى ما قبلها وما بعدها . وهذه المصاحبة تقتضى أن ينصبّ النفي والنهى وغيرهما من بقية الأنواع ، على ما قبل الواو وما بعدها معاً ، أى : أن النفي والنهى ونظائرهما يشملان ما قبل الواو وما بعدها ، لا محالة ، ولا يقتصران على أحدهما دون الآخر (بشرط أن تكون الواو للمعية ، والمضارع بعدها منصوباً) فمن يقول لا آكلُ وأتكلم . ينصب « أتكلم » فإنما ينبنى اجتماع الأمريـن (الأكل والكلام) فى وقت واحد ، فالنفي مسلط على ما قبل الواو وما بعدها مجتمعيـن . أما شأنهما عند عدم مصاحبتهما فسكوت عنه ، والحكم عليه متروك ، لا دخل للنفي ـ وغيره ـ به ؛ فقد يقع الأكل

(١) على سبيل الحقيقة ، لا على ضرب من المجاز العبد .

وحده أو لا يقع . وقد يحصل التكلم وحده أو لا يحصل ، وقد يقع الأكل والتكلم ولكن في وقتين مختلفين ، أولا يقعان مطلقاً . . . فلا يمكن القطع بأحد هذه الأشياء إلا بقرينة خارجة عن الجملة .

ومن يقول : لا أكتبُ وأتَوَثَّ أصابعي (بنصب : « ألَوَّثَ ») فإنما ينفي اجتماع الأمرين معاً في وقت واحد ، وهما الكتابة ، وتلويث الأصابع ، فالنفي شامل ما قبل واو المعية وما بعدها مجتمعين ، يُسَلِّطُ عليهما في زمن اصطحابهما وتلاقيهما ، ولا ينصبّ على أحدهما دون الآخر . أما المعنى عند عدم اصطحابهما فسكوت عنه ، متروك حكمه ، لا صلة للنفي به ، فقد تكون الكتابة وحدها منفية أو غير منفية ، وقد يكون تلَوَّثُ الأصابع وحده حاصلًا أو غير حاصل . . . وقد يكون الاثنان غير حاصلين ، وقد يحصلان في زمنين مختلفين . . . فكل هذه أمور يعرض لها الاحتمال ، ولا سبيل للقطع بأحدها إلا بقرينة أخرى .

وكذلك من يقول : لا تمشِ وتكتب . . . — أو لا تخطبُ وتجلس . . . — أو : لا تألِّم الضعيف وتخافَ القوى . . . بنصب المضارع بعد الواو المسبوقة بالنهي في هذه الأمثلة وأشباهاها — فإن النهي فيها مسلط على ما قبل الواو وما بعدها مجتمعين في وقت واحد ، ولا ينصبّ على أحدهما دون الآخر ، فكلاهما وحده مسكوت عنه ، مهمّل أمره ؛ لا دليل للقطع بأنه منهيّ عنه وحده أو غير منهيّ عنه ، ولا منهيّ عنه مع الآخر في زمنين مختلفين . . . فالقطع بأحد هذه الأمور متوقف على قرينة خارجة عن الجملة ؛ تُوجِّه لأحدهما دون الآخر .

أما النفي والنهي قبل فاء السببية فقد يسلطان على ما قبلها وما بعدها معاً ، أو على ثانيهما فقط — كما سلف^(١) .

هذا ، وما قيل عن النفي والنهي يقال في ملحقات النفي وفي سائر أنواع الطلب بنوعيه ؛ حيث يسرى — في وقت واحد — على ما قبل الواو وما بعدها معنى النفي أو الطلب ، ويشملهما هذا المعنى مصطحبين مجتمعين في زمن واحد^(٢) . . .

(١) في ص ٣٥٩ .

(٢) في الكلام على « واو المعية » يكتفى ابن مالك ببيت واحد ؛ هو :

خامسها : أن فاء السببية قد تسقط جوازاً بعد الطلب - لا النفي - سواء أكانت موجودة من الأصل ثم سقطت ، أم لم تكن موجودة ؛ فيصح في المضارع بعد غيابها الجزم في جواب الطلب ، ففي مثل : شارك في ميادين الإصلاح ، فينهض بلدك يصح أن يقال : شارك في ميادين الإصلاح ينهض بلدك يجزم المضارع : « ينهض » . ولا يصح هذا في واو المعية ؛ - كما سيحىء قريباً^(١) - .

والواو كالفاء ، إن تُفدِ مَفْهُومَ مَعَ كَلَّا تَكُنْ جَلْدًا ، وتُظْهِرَ الْجَزْعَ - ٣ يريد أن « الواو » كفاء السببية في كثير من الأحكام - وفي مقدمتها وقوعها بعد النفي وما ألحق به ، وبعد الطلب بنوعيه - مع نصب المضارع بعدها بأن المضرة وجوباً ، وعطف المصدر المؤول بعدها على مصدر قبلها . . . وقد اشترطوا في هذه الواو أن تكون بمعنى « مع » أى : دالة على المعية ، ومصاحبة معنى ما قبلها وما بعدها في زمن وقوع النفي - وغيره - وتحقيقه . وساق مثلاً معناه : لا تكن جلدًا في وقت لإظهار الجزع . وفي المثال عيب معنوي ؛ إذ كيف يكون جلدًا مع إظهاره الجزع .

(١) في ٣٨٧ - ولهذا الحكم مسألة مستقلة تشمل تفصيله وشروطه تجيء في الصفحة المذكورة

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) لبعض النحاة كلام مفيد في « واو المعية » ، يتضمن ما قلناه .
وملخص كلامه :

أن المضارع يُنصب بعد « واو المعية » في سائر المواضع التي ينصب فيها بعد « فاء السببية » ؛ وهي المواضع التي تكون مسبقة فيها بالنفي وملحقاته ، والطلب المحض وما حمل عليه .

ولما يصح النصب إذا أردت المصاحبة الحقيقية والاجتماع بين المعنى الذي قبل الواو ، والمعنى الذي بعدها وقت حصولهما وتحقيقهما ، والدلالة على أنهما يحصلان ويتحققان معاً في وقت واحد ، ولم ترد بمجرد الاشتراك المطلق بين المعنيين اشتراكاً لا مصاحبة فيه ولا اجتماع عند وقوعهما . وإذا نصبت المضارع بعد الواو فهي للعطف أيضاً ؛ فتعطف المصدر المنسبك بعدها على مصدر قبلها ، لأنها مع إفادتها المعية والمصاحبة تفيد العطف أيضاً ، وليست مقصورة على مجرد التشريك بين المعنيين كالذي تقتضيه واو العطف المحضة . أى : أن واو المعية هنا تقتضى التشريك والمصاحبة الحتمية معاً ، وهما من خصائصها دون الواو المجردة للعطف وحده .

ثم يقول : نعم ، إن الواو العاطفة قد تحتل المصاحبة أحياناً كما في قولك : جاء محمد وعلى ، ويتكلم محمود ، ويصرخ ، وينظر ... ، ولكن هذا مجرد احتمال لا يقين معه ، وليست المصاحبة أمراً مقطوعاً فيه ، ولا منصوباً عليه ؛ إذ معنى العطف بالواو الدلالة على مجرد الاشتراك ، دون زيادة على ذلك ؛ من ترتيب ، أو تعقيب ، أو إمهال ، أو مصاحبة ، أو غيرها . وهذه هي مهمتها الأصلية ، وما عداها يكون أمراً محتملاً ؛ يحتاج في القطع به إلى قرينة أخرى حالية ، أو مقالية . فإن لم توجد القرينة بقي الاشتراك المجرد على حاله مقطوعاً به ، وما عداه فوضع الاحتمال ، بخلاف الواو الدالة على المعية والمضارع بعدها منصوب ؛ فإنها شاملة للأمرين مجتمعين ؛ فهي للعطف ، وللمعية معاً ، ولا مجال للاحتمال في أحدهما ؛

إذ المعية مقطوع بها^(١) هنا كالعطف .

ومتى ثبت أن المضارع لا ينصب إلا بعد الواو التي للمعية — بالشروط التي عرفناها — ثبت كذلك أنه لا يصح نصبه بعد « واو » غيرها ؛ كالأو التي للاستئناف والجملة المضارعية بعدها مستأنفة . وكالأو التي للحال ، والجملة المضارعية بعدها خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من هذا المبتدأ وخبره في محل نصب حال ، وكغيرها من أنواع الواو التي ليست للمعية . . .

وعلى أساس الاعتبارات السالفة يجوز في الأمثلة التالية — وأشباهاها — ضبط المضارع بعد الواو ضبوطاً مختلفة ؛ كل ضبط منها يؤدي معنى غير الذي يؤديه الآخر ؛ فالضبط خاضع للاعتبار المعنوي ، وإن شئت فالضبط خاضع للمعنى ، ومتى تمّ الضبط صار هو المرشد للمعنى :

لا تقرأ وتأكل — لا تمش — وتكتب — لا تغضب وتترك الحاضرين — لا تنقل
في الحديقة وتأكل ثمارها . . . فيجوز في المضارع بعد الواو ما يأتي :

١ — نصبه على اعتبار الواو للمعية ؛ فيتعين أن يكون النهى مسلطاً على الأمرين مصطحبين معاً ، فالكلام نصّ في النهى عن الجمع بين هذين الأمرين ؛ فهو بمعنى : لا تجمع في وقت واحد بين هذين الأمرين .

٢ — جزمه على اعتبار الواو لجرد العطف وحده من غير معية ، فالمضارع بعدها بدون فاعله معطوف على المضارع السابق المجزوم ، عطف فعل على نظيره الفعل . ويكون النهى منصباً على الأمرين أيضاً ، ولكن على سبيل التشريك الذي لا دلالة معه على مصاحبة ، أو عدم مصاحبة . فالنهي مسلط على هذا وذلك سواء أكانا مصطحبين أم غير مصطحبين : فالاصطحاب وعدمه أمران محتملان ، لا سبيل للقطع بأحدهما إلا بقرينة أخرى .

٣ — رفعه على اعتبار الواو للاستئناف ، فالمضارع بعدها مرفوع ، والجملة المضارعية مستقلة في إعرابها عما قبلها . ولذا يتعين أن يكون النهى منصباً على ما قبل الواو دون ما بعدها ، فما بعدها مباح لا يسرى إليه النهى .

٤ - رفعه على اعتبار الواو للحال ، والجملة المضارعية بعدها في محل رفع خبر مبتدأ محذوف - في الرأي الراجح ^(١) - والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب حال والنهي في هذه الصورة منصب على ما قبل الواو بشرط تقييده بما بعدها ، أى : أنه ينصب على ما قبل الواو في صورة واحدة ، هي التي يكون فيها مقيداً بالحال ، ويتحقق فيها حصول القيد ؛ ففي مثل : لا تقرأ وتأكل ... ، يكون المراد : لا تقرأ وأنت تأكل ... أى : لا تقرأ في الحالة التي تأكل فيها. أما في غير هذه الحالة فالأمر مسكوت عنه ، لا دليل على النهي عنه أو إباحته ، فلا بد من قرينة أخرى تعين أحدهما ، وتزيل الاحتمال .

(ب) ألحق الكوفيون « ثم » العاطفة بواو المعية في المعنى بشرط استقامة المعنى على المعية ، وأن يسبقها النى أو الطلب كما يسبقان واو المعية ؛ فكلا الحرفين عندهم يؤدى العطف والمعية معاً بالشرطين السالفين ؛ مستدلين بأمثلة مسموعة ، منها قوله عليه السلام : (لا يَسْبُوَانِ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ^(٢) ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ) ؛ بنصب : « يغتسل » على اعتبار « ثم » للعطف وللمعية « معاً » ، والمضارع بعدها منصوب « بأن » المضمرة وجوباً .

وقد عارض رأيهم بأنه يلزم عليه أن يصير معنى الحديث - في حالة النصب - النهي عن الجمع بين البول في الماء والاعتسال منه ، أى : النهي عن اجتماع الأمرين معاً ، ومصاحبتهم . ويترتب على هذا أن البول في الماء الدائم من غير اغتسال منه مباح ؛ كما هو مفهوم الكلام السابق ، مع أن هذا المفهوم يخالف للمراد من الحديث ؛ إذ المراد منه - كما تدل قرائن متعددة - النهي المطلق عن البول في الماء الدائم ، سواء أصحبه اغتسال أم لم يصحبه .

وشئ آخر ؛ كيف تدل « ثم » على المعية والعطف معاً ومعناها في العطف هو الترتيب والتمهل وهما ينافیان المعية ؟ فهل المراد مطلق الاشتراك ولو بغير معية ؟ قال بعض المحققين يناقش الكلام السابق كله بما معناه : إن الإشكال نشأ من قول بعض النحاة : (الفعل : « يغتسل » في الحديث السابق يجوز نصبه بإعطاء : « ثم » حكم واو الجمع ...) ^(٣) فوقع في الوهم أن المراد إعطاؤها حكمها في

(١) الذى يبيح ربط الجملة الحالية المثبتة بالواو وحدها .

(٢) الراكد .

(٣) مراده : حكمها في أن المضارع بعدها منصوب بأن المضمرة وجوباً .

المعية . مع أن أولئك النحاة لم يقصدوها . أما المفهوم والأخذ بما يقتضيه فإنما يكون حين لا يمنع منه مانع ، ولا يصد عنه دليل ، كالشأن في هذا الحديث الشريف فإن الأخذ بمفهومه غير جائز ؛ لوجود ما يعارضه ويمنع الأخذ به ؛ وهو ثبوت النهى عن البول في الماء الراكد مطلقاً ؛ سواء أكان معه استحمام فيه أم لم يكن .

وبناء على ما تقدم — من المذهب الكوفي وأنصاره — يكون نصب المضارع ؛ « يغتسل » قائماً على أساس إلحاق « ثم » بـ « واو المعية في النصب مطلقاً ؛ أى : سواء اقتضى المعنى النهى عن المصاحبة والاجتماع أم لم يقتض .

ويصحّ جزمه على إرادة العطف المجرد الذى يفيد مطلق التشريك دون إفادة المصاحبة والمعية . ويصح رفعه عند ابن مالك وآخرين على اعتبار « ثم » حرف استئناف^(١) يرفع بعدها المضارع ، كما يرفع بعد الواو والفاء الاستئنافيين^(٢) . ولا يجوز ابن مالك ومن معه العطف ، لما يترتب عليه من عطف الخبر على الإنشاء ، وهذا ممنوع على الأرجح) . . . وإلى هنا انتهى المراد من كلامه ملخصاً^(٣) .

والأنسب ترك المذهب الكوفي هنا ، وعدم القياس عليه ؛ لقلة شواهد ، ولما فيه من تكلف وتعقيد ، والاقتصار فى استعماله على المسموع الذى وردت فيه « ثم » بمعنى واو التشريك ، المفيدة للمعية أو غير المفيدة لها .

(١ و ١) سبق — فى ج ٣ م ١١٨ ص ٤٦٦ عند الكلام على « ثم » ما يؤيد وقوعها للاستئناف ، ويزيد هذا الحكم وضوحاً .

(٢) وقد عرض الصبان لهذه المسألة عند الكلام على « واو المعية » ، وكذلك « المعنى » عند الكلام

على « ثم » ج ١ .

المسألة ١٥٠ :

حكم المضارع إذا لم توجد قبله : « فاء السببية »

عرفنا ^(١) أن « فاء السببية » تخالف « واو المعية » في أمور ؛ منها : أن فاء السببية قد تسقط من الكلام جوازاً ؛ فلا يصح نصب المضارع بعدها ، وإنما يصح جزمه إن استقام المعنى المراد على الجزم . ومعنى سقوطها : غيابها واختفاؤها عن موضعها ، وخلو مكانها منها ؛ سواء أوجدت أولاً ثم سقطت ، أم لم توجد من أول الأمر . فالمقصود أن الجملة خالية منها ؛ ففي مثل : (خذ من الحضارة باللباب الحميد فتسعد ، وتجنب الزائف البراق فتسلم) - يصح أن يقال : (خذ من الحضارة باللباب الحميد تسعد ، وتجنب الزائف البراق تسلم) . بجزم المضارعين : « تسعد ، وتسلم » ، بعد سقوط فاء السببية ، وقد كانا منصوبين عند وجودها . ويشترط لجزم المضارع بعد سقوطها - على الوجه السالف - ثلاثة شروط مجتمعة :

أولها : أن تكون مسبقة بنوع من أنواع الطلب المحض أو ملحقاته - لا بنوع من النفي وملحقاته - وقد عرفنا أنواع الطلب الثمانية ^(٢) (وهي : الأمر - النهي - الدعاء - التمني ^(٣) - الترجي - العرض - التحضيض - الاستفهام) .

ثانيها : أن تكون الجملة المضارعية بعدها جواباً ^(٤) وجزاء للطلب الذي قبلها (أي : مسببة عنه : كتسبب جزاء الشرط على فعل الشرط) .

ثالثها : أن يستقيم المعنى بحذف « لا » الناهية ووضع « إن » الشرطية وبعدها

(١) في ص ٣٨٢ « الأمر الخامس » .

(٢) سبق تفصيل الكلام عليها في ص ٣٦٥ .

(٣) ينحصر التمتي هنا في النوع الأصيل ، وهو الذي أدواته : « ليت » ، دون الأنواع الأخرى المحمولة عليه بأدواتها العارضة في معناه - ومنها « لو » و « ألا » وقد سبق إيضاحهما في رقم ٧ من ص ٣٦٩ لأن الجزم غير مسموع بعد التمتي العارض ، وأدواته الطارئة في معناه . (انظر ما يتصل . بهذا في ص ٣٦٩ وفي رقم ٣ من هامشها) .

(٤) سبق شرح الجواب والجزاء في ص ٣٠٨ .

« لا » النافية محل « لا » الناهية^(١) التي حذفت . وحل محلها الحرفان قبل المضارع المناسب . وهذا الحذف والإحلال لازمان حين تكون أداة الطلب « لا » الناهية . فإن كانت الأداة الطلبية نوعاً آخر - كفعل الأمر ، أو الدعاء ، أو غيرهما من الأدوات الاسمية والفعلية والحرفية - وجب أن يستقيم المعنى بالاستغناء عن أداة الطلب وإحلال « إن » الشرطية هذه محلها . فتدخل وحدها على المضارع الذي دخلت عليه الأداة السابقة ، إن وجد مضارع مذكور . وإن لم يوجد أتينا بعدها ، أو بدلاً منها^(٢) - على حسب نوع الأداة - بمضارع مناسب فتصيده في مكانه ، ويوافق المراد .

وليس الغرض من مجيء « إن » (بالصورة السالفة قبل « لا » الناهية أو قبل غيرها من باقى أنواع الطلب) بقاءها واستمرارها . وإحداث أسلوب جديد يبقى ويستمر مع إهمال الأول . وإنما المراد استخدامها بصورة مؤقتة أو تخيلية : لترشدنا إلى صحة الجزم أو عدم صحته ، تبعاً لسلامة المعنى أو فساده . فليست إلا مجرد أداة للاختبار المؤدى لغرض خاص ، من غير أن يكون لها أثر نحوي أو معنوي آخر ، فإذا ما تحقق الغرض زالت ، وبقي الأسلوب الأول (الذى كان قبل مجيئها) على حالته اللفظية والمعنوية ، ولا اعتبار لغيره .

فمضى اجتمعت الشروط الثلاثة جاز الجزم . فثال الجزم بعد الأمر قولهم : « أَفْضَلُ عَلَى مَنْ شَتَّ تَكُنْ أَمِيرَهُ ، وَاسْتَغْنِ عَنْ شَتِّ تَكُنْ نَظِيرَهُ ، وَاحْتِجْ إِلَى مَنْ شَتَّ تَكُنْ أَسِيرَهُ » . وقولهم : « اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ » . والتأويل : إِنْ تَفْضَلُ عَلَى مَنْ شَتَّ تَكُنْ أَمِيرَهُ ، وَإِنْ تَسْتَغْنِ تَكُنْ . . . ، وَإِنْ تَحْتَجْ تَكُنْ . . . - إِنْ تَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم (٣) . . .

(١) لأن أداة الشرط لا تدخل على « لا » الناهية . (انظر « أ » من ص ٣٩٨) . وله إشارة في

رقم ١ من ص ٤٠٩ .

(٢) قد يكون بدلاً منها ، وينفى عنها في بعض الحالات ، كأن تكون الأداة نفسها فعل أمر ... ؛

في مثل : اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ . أى : إِنْ تَرْحَمُوا - كما سيجيء -

(٣) ومن أمثلة دخول « إن » المتخيلة المؤقتة على مضارع مناسب تنصيده - وهذا النوع كثير - قوله تعالى يخاطب المؤمنين في شأن أهل النفاق والغدر ونقض العهد : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَيُخْزِيهِمْ ، وَيُنْصِرْهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ...) والتأويل : إِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ ... =

ومثال الجزم بعد النهي : لا تكن عبد هواك ، تأمن سوء العواقب ، ولا تهمل مشورة الناصح الخبير ، تدرك حميد الغايات . والتأويل : إلا تكن عبد هواك تأمن سوء العواقب ، وإلا تهمل مشورة الناصح تدرك . . .

وبعد الدعاء : رباه . وفقني ، أهتد لما يرضيك ، ولا تدعني بغير تأييدك أجد خير ناصر ومعين . والتأويل : إن وفقني أهتد ... وإلا تدعني ...
وبعد الاستفهام : أتجامل الناس بالحق تكسب رضاهم ؟ وهل تلاينهم في غير ضعف تأمن ؟ أذاهم ؟ والتأويل : إن تجامل ... تكسب ... إن تلاين تأمن . . .

وبعد التمني : ليت إخوان الصفاء كثير يقو بهم جانبي ، وليت صفاءهم دائم أعيش به سعيداً . والتأويل : إن تتحقق أمني بكثرة إخوان الصفاء يقو بهم جانبي . . . و . . .

وبعد الترجي : لعلك تساعد المحتاج تؤجر ، ولعلك تحاذر المن عليه يضاعف أجرك . والتأويل : إن تساعد المحتاج تؤجر . . . و . . .

وبعد الخوض : هلا تستبق إلى الخير تذكر به ، وهلا تدعو إليه تستثمر بالفضل . والتأويل : إن تستبق إلى الخير تذكر به . . . و . . .

وبعد العرض : ألا تعرف الفضل لأهله تكن منهم ، ألا تنكر جحود المغرورين تخرج من زمرة . والتأويل : إن تعرف الفضل لأهله تكن منهم . . . و . . .

فإن فقد شرط ، أو أكثر ، لم يصح الجزم ، ووجب رفع المضارع وإعرابه على حسب ما يقتضيه السياق ، ويستلزمه المعنى .

(١) فعند فقد الشرط الأول — بسبب وجود نفي ، لا طلب ، أو ملحقته —

سوقله تعالى : (... رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ...)
والتأويل : إن تحلل يفقهوا ... ومثل قول الشاعر :

تعالوا نخبركم بما قدمت لنا
والتأويل : إن تبيثوا نخبركم . . .

لا يصح جزم المضارع وإنما يجب رفعه ؛ ففي مثل : ما يُحسِن العَمِيْسُ الكلامَ يملكُ به أفئدة السامعين . . . ، لا يصح جزم المضارع : « يملك » في جواب النفي عند غياب فاء السببية^(١) إلا عند الكوفيين الذين يميزون جزمه على اعتباره جواباً للنفي . أما غيرهم فلا يبيحه ، ويوجب رفع المضارع : « يملك » على اعتباره في هذا المثال بدل مضارع من المضارع الذي قسّمه ، أو على اعتباره شيئاً آخر في أمثلة تخالف السالف ، وتقتضي معانيها إعرابها على غير البدلية . . . كرفعه على اعتبار الجملة المضارعية مستأنفة^(٢) ، أو صفة ، أو حالا . . . ، أو غير هذا مما تصلح له في موضعها ويقتضيه المعنى . . .

(ب) وعند فقد الشرط الثاني — (بسبب أن المضارع بعد الفاء المحذوفة ليس مراداً منه أن يكون جواباً للطلب ولا جزاء ، وأن المعنى على غيرهما) — لا يصح جزمه ، وإنما يجب رفعه ؛ مراعاة لاعتبار معنوي^(٣) أو أكثر مما يقتضيه رفعه . ومن

(١) للنحاة في منع الجزم بعد النفي تعليل غريب يجب رفضه ، فهم يقولون : إن النفي يقتضي عدم وقوع المنفي ، ويستلزم عدم حصوله . والإثبات على نقيضه ، يستلزم تحقق شيء يقتضي وقوعه . فكل منها يقتضي تحقق أمر حتم . برغم أن التحقق مختلف ؛ إذ النفي يقتضي تحقق عدم الوقوع ، والإثبات يقتضي تحقق الوقوع ، فهما مشتركان في أمر واحد ، هو : « التحقق » ، وإن كانت جهة التحقق مختلفة وبسبب هذا الاشتراك حمل المضارع الواقع في جواب النفي على المضارع الواقع في جواب الإثبات ؛ والمضارع في جواب الإثبات لا يصح جزمه ، فكذلك ما حمل عليه لا يصح جزمه ، حملاً للشيء على نقيضه . وهذا تعليل فاسد ، ولو أخذنا به وتكلفناه في مسائل أخرى — وهذا ممكن — كما تكلفناه هنا لفسدت اللغة ، وانهارت دعائمها وأصولها . ومثله التعليل الآخر الذي يرى أن عدم الجزم بعد النفي سببه أن النفي خبر محض فليس فيه شبه بالشرط . . .

أما التعليل الصحيح الذي يجب الاقتسار عليه : « السماع » عن العرب ، وأنها لم تجزم المضارع بعد النفي إذا سقطت منه فاء السببية ، وكل تعليل غير هذا فيه مضیعة للوقت والجهد ، وإفساد للمنطق الصحيح . .

(٢) سواء أكان الاستثناف بيانياً أم غير بيان . و« البيان » هو الذي تنقطع بسببه الصلة الإعرابية بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها ، دون الصلة المعنوية بينهما ؛ فكلماتهما مستقلة بنفسها في الإعراب وحده ، أما في المعنى فلا بد بينهما من نوع ارتباط يجعل الثانية — في الغالب — بمنزلة جواب عن سؤال ناشئ من معنى الأولى . أما غير البيان فيتنقطع فيه الصلة الإعرابية والمعنوية بين الجملتين ، فتكون الجملة المستأنفة مستقلة بإعرابها ومعناها الجديد .

(٣) أشرنا كثيراً إلى أن كل معنى معين لا بد له من ضبط العبارة ضبطاً معيناً ؛ وإذا تغير هذا الضبط تبعه تغير المعنى ؛ فلكل ضبط إعرابي غاية معنوية خاصة به .

تلك الاعتبارات المعنوية :

١ - رفعه على اعتبار الجملة المضارعية استثنائية ؛ نحو أتقيم عندنا اليوم ؟ يسافر غدًا زملاؤك . ونحو : قم للصلاة ؛ يغفرُ الله لنا ولك .

٢ - رفعه على اعتبار الجملة المضارعية صفة لنكرة محضة^(١) ؛ نحو : استمع إلى خطيب يملك ناصية القول .

٣ - رفعه على اعتبار الجملة المضارعية حالا من معرفة محضة ، نحو : تمتع بعذاب من يحسدونك ؛ ينظرون نعم الله عليك ، محترقين بنار الحسد .

٤ - رفعه على اعتبار الجملة المضارعية صالحة للحال والوصف ؛ لوقوعها موقعاً يؤهلها لكل منهما ، وعدم وجود قرينة تعينها لأحدهما - كوقوعها بعد نكرة موصوفة أو غيرها مما ليس محضاً من المعارف والتكرات - نحو : كرم عالمنا نابغاً يعتزم الرحيل .

٤ - رفعه على اعتبار الجملة المضارعية صالحة « للحال ، والوصف ، والاستئناف » مع عدم وجود قرينة تعينها لواحد دون الآخر ؛ كقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها) ، فيصح في الجملة المضارعية : « تطهرهم » الأمور الثلاثة^(٢) وهكذا^(٣) . . .

(١) النكرة المحضة : هي الكاملة الإبهام والشيوع ، الخالية من التحديد والتعيين الذي ينشأ من إضافتها ، أو من تقييدها بنعت أو غيره من القيود التي تقيدها نوعاً من التخصص .

والمعرفة المحضة هي الخالصة من شائبة التذكير ؛ فلا يتصل بها ما يقربها من النكرة ، كأل الجنسية ، وغيرها مما سبق إيضاحه وتفصيله في موضعه الأنسب (ج ١ ص ١٤٥ م ١٧ باب : النكرة والمعرفة . وفي ج ٢ باب الحال ص ٢٩٤ م ٨٤ وفي ج ٢ باب النعت ص ٣٤٩ م ١١٤) .

(٢) انظر ما يختص بهذه الآية في رقم ٣ التالي :

(٣) تطبيقاً على ما فات من الأخذ باعتبار أو أكثر تبعاً للمعنى يتعين جزم المضارع جواباً وجزاء للطلب في مثل : افتح صنبور الماء ينهمر ماؤه - أوقد المصباح تنور الحجرة - أغلق النافذة تحجب قسوة الريح الباردة - ازرع الحقل ينبت ثمرًا طيباً .

ويتعين رفعه وإعراب جملة وصفاً في مثل : أكرم مهاجراً يلتبس من يكرمه - أحسن إلى بانس يضج بالشكوى - تمتع بحديقة تمتلئ بالأزهار - صاحب رجلا يؤثر البعد عن الشر .

ويتعين رفعه وإعراب جملة حالا في مثل : أكرم المهاجر يلتبس من يكرمه - أحسن إلى البائس يضج بالشكوى - تمتع بحديقتك تمتلئ بالأزهار - عاون الحر ينزل به الضر .

(ح) وعند فقد الشرط الثالث^(١) - لا يصح الجزم ؛ ففي مثل : لا تقرب من النار تحترق ، لا يصح جزم المضارع : « تحترق » ؛ لعدم استقامة المعنى عند إحلال « إن » الشرطية وبعدها « لا » النافية محل « لا » الناهية ؛ إذ يفسد المعنى حين نقول : إلا^(٢) تقرب من النار تحترق . بخلاف : لا تقرب من النار تسلم ، فيصح جزم المضارع ؛ لصحة قولنا : إلا^(٢) تقرب من النار تسلم . . .

ومن الأمثلة : لا تهمل الرياضة تضعف ؛ فلا يصح جزم المضارع - تضعف - للسبب السالف ؛ بخلاف : لا تهمل الرياضة تأمن الضعف .

ومن أمثلة الطلب بغير « لا » الناهية : أحسن معاملتي أحسن معاملتك ، فيصح جزم المضارع : « أحسن » ؛ لصحة قولنا : إن تحسن معاملتي أحسن معاملتك ؛ بوضع « إن » الشرطية وبعدها مضارع مناسب موضع فعل الأمر « أحسن » . بخلاف : أحسن إلى لا أحسن إليك ؛ فيجب رفعه ؛ إذ لا يصح قولنا : إن تحسن إلى لا أحسن إليك ؛ لفساد المعنى^(٣) . . .

ومن أمثلة الطلب بغير « لا » الناهية أيضاً : أين بيتك أزرُك ؟ يجزم المضارع ؛

= ويتعين رفعه واعتبار جملته مستأنفة في مثل : (ليتك تزورني . ينزل المطر) - (أتساعد المحتاج ؟ يحب الناس الغنى) - (لا تهمل شراء الكتب النافعة . نسافر غداً لزيارة بعض الأقارب) - (اجتنب الصباح ورفع الصوت خلال الكلام . يقبل المثقف على كتب الأدب الرفيع) . . .
ويصلح لأكثر من حالة في مثل قوله تعالى : (هبْ لِي من لَدُنْكَ وليّاً يرضي) وقوله تعالى لموسى (وألقِ ما في يمينك تلّثّف ما صنعوا ..) وقوله تعالى له : (واضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ؛ لا تخاف دَرَكاً ولا تَحْشَى) .

وكذلك قوله تعالى ؛ (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ...) - فيصح في المضارع : « تطهر » أن يكون مجزوماً في جواب الأمر ، أو مرفوعاً إما على اعتبار جملته مستأنفة ، أو صفة للكرة المحضة التي قبلها ، أو حالا من فاعل فعل الأمر : « خذ » وكذلك كل أسلوب على شاكلته .

(١) وأما فقد ، (كما عرفنا - هي عدم استقامة المعنى عند إحلال « إن » الشرطية و « لا » النافية محل « لا » الناهية » وحدها بعد حذفها حين تكون أداة الطلب « لا الناهية » .) أو (عند إدخال « إن » الشرطية وحدها على مضارع مناسب لأداة طلب أخرى) .

(٢ و ٢) أصلها : « إن لا » وتدغم هذه « النون » دائماً في : « لا » فلا تظهر في الكتابة ولا في النطق ، ويرمز لوجودها في الخط بكتابة « شدة » فوق : « لا » - ولهذا إشارة في : « ج » من ص ٤٣٧ - (٣) في هامش ص ٣٩٤ أمثلة متعددة تحقق فيها الشرط الثالث ، وأخرى لم يتحقق .

لصحة محيىء «إن» الشرطية وبعدها مضارع متصيد . والتقدير : إن تُعرفنى بيتك أزرُك . بخلاف : أين بيتك أقفُ في السوق ؛ إذ لا يصح : إن تُعرفنى بيتك أقفُ في السوق ، لعدم استقامة المعنى ؛ بسبب عدم ارتباط أجزائه ، وفقد المناسبة بينها . . . وهكذا بقية أنواع الطلب الأخرى - ومنها : الأمر والترجى بالتفصيل الآتى ^(١) - فيجرى على بقية الأنواع - في الأغلب ^(٢) - ما جرى على نظائرها .

وبعض الكوفيين - وفي مقدمتهم زعيمهم الكسائى - لا يشترط إحلال «إن» مع «لا» النافية محل «لا» الناهية ، ولا إحلال «إن» قبل بقية أدوات الطلب . ولا ما يترتب على هذا الإحلال من استقامة المعنى أو عدم استقامته . قائلاً : إن إدراك المراد من الجملة الأصلية ، والتفريق بين الغرض المقصود منها وغير المقصود - مرجعه القرائن وحدها ، فعليها دون غيرها المعوّل . ففي مثل قولك للمشارك : «أسلم تدخل النار» يجزى المضارع «تدخل» على معنى : إن لم تسلم تدخل النار ؛ فهو يقدر وجود النفى ، بشرط وجود قرينة توجه ذهن إليه . فى حين يستبعد النفى ويهمله إن كان الطلب نهياً ، ويجعل الجملة المضارعية جواباً وجزءاً للنهى مباشرة ، معتمداً فى فهم المراد وتعيينه على القرائن ؛ مثل : لا تقترب من النار تحترق . . . يجزى المضارع : «تحترق» واعتبار الجملة المضارعية هى الجواب والجزء بغير تأويل ولا تقدير ^(٣) . وقد مال بعض النحاة القدامى إلى هذا

(١) فى ص ٣٩٥ .

(٢) إلا التبقى الذى أداته : «لو» فإنه كالنفي ؛ لا يجزى المضارع فى جوابه عند غيبة الفاء . ويعملون عدم الجزم بعد «لو» : (بأن إشرابها التبقى طارئ عليها ؛ فلذا لم يسمع الجزم بعدها) فإذا صح هذا التعليل الذى سجله الصبان نقلاً عن ابن هشام والسيوطى - فإنه منطبق أيضاً على «ألا» التى لثمنى . فلماذا سكتوا عنها ؟ - انظر ما يتصل بهذا فى ص ٣٧٠ وفى رقم ٣ من هامش ص ٣٨٧ .

(٣) ويؤيد رأيه أيضاً بقراءة من قرأ قوله تعالى : (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يجزى المضارع «تستكثر» على معنى : تظهر كثرة نعمك على غيرك . . . وقوله عليه السلام فى شجرة الثوم : (من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مسجدنا هذا ، يؤذِنَا) يجزى المضارع «يؤذِنُ» بحذف الياء من آخره . وقول أحد الصحابة يخاطب الرسول فى أثناء موقعة : (يا رسول الله . لا تُشرفْ ، يصبُكُ سهم .) يجزى المضارع «يصبُ» . فالأفعال المضارعة فى النصوص السالفة مجزومة مع عدم استقامة المعنى بوضع «إن» الشرطية تليها «لا» النافية ، بدلا من «لا» الناهية .

أما الذين يتمسكون (بأن ، و...) فيعربون تلك الأفعال المجزومة إعراباً آخر ؛ فيقولون : «تستكثر» =

الرأى ، وإلى الأخذ به فى أنواع الطلب المختلفة (نهياً وغير نهى) ولعل الدافع لهذا الميل هو التيسير ، وأن الناس يستعملونه فلا يخفى المراد منه مع قيام القرينة الحاسمة ، ولكن الرأى الأول هو الأحسن ، والأجدر بالاقتصار عليه ؛ لأنه أكثر وروداً فى فصيح الكلام وأوضح معنى ، وأبعد من اللبس والخفاء^(١) . . .

= مجزومة فى جواب الطلب مباشرة ، ولكن على اعتبار أن المعنى هو : لا تمنى ؛ فيترقب على عدم المن أنك تطلب من الله كثرة النعم وزيادة الثواب ؛ فلاستكثار بهذا المعنى ليس معيياً ولا منهيّاً عنه . أو أن الفعل « تستكثر » مجزوم لأنه بدل من الفعل : تمنى . فالمعنى لا تمنى ... أى : لا تستكثر ما أنعمت به . . . وكذلك يقولون فى المضارع . . « يؤذ » ، إنه بدل من المضارع : يقرب ، أى : لا يؤذنا ، أما المثال الأخير : (يصب) فيحكمون عليه بالشذوذ ؛ إذ لا يجدون له تأويلاً سائغاً .

وفى ما يلى بعض أمثلة النهى يستقيم فيها المعنى على تخيل « إن » وإحلالها مع « لا » النافية بالطريقة التى سلفت محل « لا » الناهية ، وجزم المضارع فى الجواب .. وأمثلة أخرى لا يستقيم فيها المعنى على تخيلها .
١ - فن الأولى :

لا تهمل يشتهر أمرك بالإجادة - إلا تهمل يشتهر أمرك . . .

لا تُفش أسرار الناس تكتسب ودهم - إلا تفش . . . تكتسب . . .

لا تسرق تحترم - إلا تسرق تحترم .

لا ترفع صوتك تحسن - إلا ترفع صوتك تحسن .

لا تصاح المريض تسلم - ، تصاح المريض تسلم .

ب - ومن الثانية :

لا تهمل يحمل شأنك - إلا تهمل يحمل شأنك .

لا تُفش أسرار الناس تفقد ودهم - إلا تفش أسرار الناس تفقد ودهم .

لا تسرق تعاقب - إلا تسرق تعاقب .

لا ترفع صوتك يزج السامعين - إلا ترفع صوتك يزج السامعين .

لا تصاح المريض تستقل إليك عدواه - إلا تصاح المريض تستقل إليك عدواه .

(١) وفىما سبق من جزم المضارع عند سقوط الفاء بعد غير النى - أى : بعد الطلب - يقول

ابن مالك :

وبعد غير النفى جزماً - اعتمد
إن تسقط - « الفاء » والجزاء قد قصد - ١٤

وشرط . جزم بعد نهى أن تضع
« إن » قبل : « لا » دون تخالف يقع - ١٥

التقدير : (واعتمد جزماً بعد غير النى إن تسقط الفاء والجزاء قد قصد) ... دون تخالف يقع ،
أى : بشرط ألا يقع اختلاف فى المعنى قبل مجيء « إن » سابقة « لا » وبعد مجيئها . وترك الشرط والتفصيلات
الأخرى التى أوضحتها .

جواب الأمر والترجي .

كل ما تقدم يسرى على المضارع الخالى من الفاء ، الواقع فى جواب نوع من الطلب ؛ كالأمر ، أو الترجى ، أو غيرهما . . . ونخص هذين بشيء من البيان .

(١) من أنواع الطلب المحض : الأمر — كما عرفنا^(١) — والمضارع فى جوابه إذا كان مقروناً بفاء السببية ، يجب نصبه بأن مضمرة وجوباً . وكثرة النحاة تشترط لنصبه هذا أن يكون بالصيغة الصريحة الدالة على فعل الأمر مباشرة ؛ نحو : (ارحم من هو أضعف منك ؛ فيرحمك من هو أقوى منك) ، أو بالصيغة التى تشبهها ؛ وهى لام الأمر الجازمة للمضارع ؛ نحو : (لترحم من هو أضعف منك فيرحمك من هو أقوى . . .)

فإن لم تكن الدلالة على الأمر بإحدى هاتين الصيغتين فالفاء بعدها ليست للسببية ؛ كالدلالة باسم فعل الأمر فى مثل : صه عن اللغو ؛ فيرتفعُ قدرك ، ومثل : مكانك فتُحمدين أو تستريحين . أو بالمصدر الواقع بدلا من التلغظ بفعله فى مثل : سعيًا فى الخير ، فتجتمعُ القلوب حولك . أو بصيغة الدعاء بالاسم فى مثل : سقيًا لوطن الأحرار فيسعدون به . أو بصيغة الجملة الخبرية بقصد الدعاء — أو غيره —^(٢) نحو : يعيننى الله فأحتملُ أعباء الجهاد . فالفاء فى كل هذه المواضع ليست للسببية فى رأى الكثرة . وقد سبق^(٣) أن الأفضل التيسير بقبول رأى الذى يجعلها سببية .

واتفق رأى الكثرة والقلة على صحة جزم المضارع الواقع بعد هذه الفاء إذا سقطت ، وخلا الكلام منها ؛ فيصير المضارع بعد غياها واقعاً فى جواب الأمر فيُجزم ؛ سواء أكانت الدلالة على الأمر بالصيغتين الأصليتين أم بغيرهما من باقى الصيغ التى عرضناها ؛ بشرط استقامة المعنى عند إحلال « إن » الشرطية ،

(١) فى ص ٣٦٥ وما بعدها .

(٢) أى . بقصد غير الدعاء ، كالأمر — كما سيحىء فى الصفحة الآتية — .

(٣) فى ص ٣٦٦ .

والمضارع المناسب محل الأمر^(١)؛ فنقول: ارحم من هو أضعف منك يرحمك من هو أقوى^(٢) - ليرحم من هو أضعف منك يرحمك من هو أقوى. كما تقول: صه عن اللغو يرتفع قدرك - ومكانك تحمدي أو تستريحي - سعيًا في الخير تجتمع حولك القلوب - سعيًا لوطن الأحرار يسعدوا به - يعينني الله أحتمل أعباء الجهاد...، ومثل الجملة الخبرية المقصود منها الأمر، كقوله تعالى: (يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُسْجِيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات...)^(٣) يجزم المضارعين «يغفر» و«يدخل» في جواب الأمر: إذ الأصل: آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله... يغفر لكم... ويدخلكم...، ومثل الآية الكريمة^(٣) كثير من فصيح الأساليب التي يحاكيها الناس حتى يومنا هذا - وقد أشرنا لبعضها في مناسبة سابقة^(٣) - كقول الزارع ينصح زميله: (تزرع حقلك وتعتني به تحصد كثيرًا). (وتهمل أمر زرع، وتنصرف عنه تحزن يوم الحصاد). التقدير: ازرع حقلك واعتن به تحصد كثيرًا. وأهمل أمره، وانصرف عنه تحزن. ومن الأمثلة الماثورة: اتقى الله امرؤ فعمل خيرًا يسب عليه... التقدير: ليتق الله امرؤ، وليفعل خيرًا... يسب عليه^(٤)...

* * *

(١) وبه يتم تحقق الشروط الثلاثة اللازمة، وهي: (الطلب - وقوع المضارع جواباً له - صحة إحلل «إن»... و...).

(٢) ومثل قول الشاعر:

الرفق يُمن، والأناة سعادة فتأن في رفق تلاق نجاحا
(٣، ٣) سبقت الآية وأمثلة أخرى في ص ٣٩٦، وهامشها وما بعدها.
(٤) وفي جزم المضارع في جواب الأمر يقول ابن مالك:

والأمر إن كان بغير: «افعل» فلا تنصب جوابه. وجزمه اقْبَلًا - ١٦
(اقْبَلًا، أصلها: اقبلن، بنون التوكيد الخفيفة، قلبت ألفاً للوقف). يريد: الأمر - وهو من أنواع الطلب - إن كانت صيغته ليست الصيغة الصريحة فيه - وهي صيغة «افعل» - لا يجوز اعتبار الفاء بعده سببية ما دامت الصيغة ليست صريحة أصيلة فيه، وبالرغم من هذا يصح جزم المضارع في جواب هذا الأمر عند سقوط تلك الفاء. وهذا الكلام مبتور غير واف.

(ب) ومن أنواع الطلب - في الرأي الراجح - التَّرجى . وقد سبق تعريفه والكلام عليه ^(١) . فإذا وقع في جوابه المضارع مقروناً بفاء السببية وجب نصبه بأن مضمرة وجوباً ؛ ومن الأمثلة : (لعلك مزود بالجد والصبر فتبلغ أسمى الغايات ، ولعلك تحفظ حق النعمة فيديمها الله عليك) . فإذا سقطت هذه الفاء وخلا مكانها ، صار المضارع بعدها - في ذلك الرأي الراجح - جواباً للتَّرجى مجزوماً إن تحققت شروط الجزم التي عرفناها ؛ ففي الأمثلة السالفة نقول : لعلك مزود بالجد والصبر ، تبلغ أسمى الغايات ، ولعلك تحفظ حق النعمة يُدِمُّها الله عليك . ومثل قول الشاعر :

لعل التفاتا منك نحوى ميسر
يَمِيلُ بك من بعد القساوة لليسر
(٢)

* * *

(١) في ص ٣٧٨ .

(٢) وقد اكتفى الناظم في الكلام على فاء السببية بعد التَّرجى وعلى سقوطها وجزم المضارع بعد غيابها جواباً للتَّرجى - بيت واحد (سبق شرحه في هامش ص ٣٧١ لمناسبة أقوى وأليق) هو :

والفعل بعد « الفاء » في الرِّجاء نُصِبَ كَنَصَبِ مَا إِلَى التَّمَنَّى يَنْتَسِبُ - ١٧

يريد : أن الفعل المضارع الواقع بعد الفاء المسبوقة بالرجاء ينصب ، كما ينصب المضارع الواقع بعد التَّمتي على اعتبار الفاء سببية في كل منها . ولم يذكر شروطاً ولا فروعاً لنصبها ، ولم يتعرض لحكم المضارع إذا سقطت الفاء بعد التَّرجى . وقد تداركنا هذا كله . ثم انتقل من هذا البيت إلى آخر يتضمن حكم المضارع المعطوف على اسم صريح ؛ فقال :

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه « أن » ثابتاً أو منحذف

وقد سبق تفصيل الكلام على هذا المعنى وأحياناً شاملاً في موضع أنسب (ص ٢٨٨) . . .

زيادة وتفصيل :

(ا) إذا دخلت « إن » الشرطية - أو غيرها من أدوات الشرط - على « لا » الناهية فقدت دلالتها على النهى وصارت للنفي ؛ لأنَّ أداة الشرط لا تدخل على النهى^(١) . وعلى هذا كيف نعرب : « لا » الناهية التي فقدت الدلالة على النهى بسبب وقوعها بعد « إن » الشرطية أو غيرها من أدوات الشرط ؟ أنقول إنها نفى نهى باعتبار أصلها السابق ، أم نقول إنها حرف نفى باعتبار الواقع الذي انتهت إليه . رأيان قد يكون خيرهما مراعاة الواقع .

(ب) إذا جزم المضارع في جواب الطلب بعد أن اختفت فاء السببية - فما العامل الذى جزمه ؟ .

للنحاة في هذا ميدان جدل فسيح ، ولسنا في حاجة لعرض مساجلاتهم^(٢) ، وحسبنا الإشارة العابرة إليها ، والاكتفاء بأن نقول في المضارع المجزوم : إنه مجزوم لوقوعه في جواب : « الطلب » .

١ - فمن قائل إن أداة الطلب تضمنت معنى أداة الشرط فجزمت ، كما أن أسماء الشرط تضمنت معنى الشرط فجزمت . وقد دفع هذا باعتراضات كثيرة ، يصدمها ردود كثيرة أيضاً .

٢ - ومن قائل إن أداة الطلب وجملته نابت في العمل عن أداة الشرط وجملته بعد حذفهما فجزمت ؛ كما أن النصب بالمصدر في نحو : ضرباً اللص ؛ هو لنيابته عن اضرب ، لا لتضمنه معناه . ونصيب هذا من الجدل نصيب سابقه . . . وكلاهما يرمى إلى أن العامل المذكور .

٣ - ومن قائل إن عامل الجزم ليس المذكوراً في الكلام تضمنتاً أو لإنباء كما

(١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ١ من هامش ص ٣٨٨ . ويجيء له إشارة عابرة في رقم ١ من ص ٤٠٩ ورقم ٥ من ص ٤٢٦ .

(٢) من شاء الاطلاع عليها فليرجع إلى المطولات ، ومنها : الأشموني وحاشية الصبان عليه .

.....

يقول أصحاب الرأيين السالفين ، وإنما هو شرط مقدر دل عليه الطلب المذكور
 فمن يقول : أكرمتني أحسن إليك - يريد : أكرمتني ؛ فإن تكرمتني أحسن إليك .
 وهذا أشهر الآراء مع ما يتعاوره من معارضات مختلفة .

٤ - ومن قائل إن العامل ليس مذكوراً - كما هو الرأي الثالث - ولكنه مقدر
 ينحصر في « لام الأمر » المقدرة - دون غيرها - فأصل : ألا تنزل عندنا تصب
 خيراً . . . هو : ألا تنزل عندنا . لتصب خيراً . . . وهذا أضعف الآراء عندهم ،
 والاعتراضات عليه كثيرة وقوية .

المسألة ١٥١ :

حذف^(١) « أن » والنصب بها في غير المواضع السابقة

عرفنا المواضع التي يُنصَّب فيها المضارع بأن المضمره وجوباً أو جوازاً . وقد سُمِعَ من العرب نصبه « بأن » محذوفة^(١) في غير تلك المواضع أحياناً ، فمن الوارد عنهم : خذ اللص قبل يأخذك — تسمع بالمُعَيَّدي خير من أن تراه . وقول الشاعر :

ألا أيهاذا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ—هل أنت مُخْلِدِي
... والأصل : خذ اللص قبل أن يأخذك — أن تسمع بالمُعَيَّدي ... —
أن أحضر الوغى ...

وقد دار الجدل حول هذه الأمثلة ؛ أصبح القياس عليها بحذف « أن » العاملة أم لا يصح ؟ وكيف تضبط المضارع في الأمثلة المسموعة بالنصب بعد حذف « أن » ؟ أنتركه منصوباً — كما كان عند وجودها — مراعاة للسمع ، وللأصل الأول قبل الحذف ، أم يصح رفعه مراعاة للأمر الواقع ؟

وصفوة ما يُختار ، وما يجب الاقتصار عليه — حرصاً على سلامة اللغة ، وبعداً عن اللبس والاضطراب في فهمها — هو : الحكم بالشذوذ على ما ثبت سماعه وصحَّت روايته من تلك الأمثلة المنصوبة^(٢) ، وعدم محاكاتها ، أو القياس عليها . أما ضبط الأفعال المضارعة المسموعة بالنصب فيصح رفعها ، أو تركها منصوبة كما وردت .

ومن الكوفيين من يميز حذف « أن » قياساً مع بقاء عملها النصب في المضارع بعدها ، وعلى هذا جاء قول المتنبي — وهو كوفي — في وصف غادة :

بيضاءُ يمنعها تَكَلَّمٌ دَلَّها تيهًا ، ويمنعها الحياءُ تَمِيسًا

(١) المحذوف هنا غير الإظهار ؛ لأن المحذوف غير موجود في الكلام مطلقاً ، لا ظاهراً ولا خفياً . أما المضمر ، فوجود ولكنه غير ظاهر .

(٢) حام الشك حول صحة النقل في بعض الأمثلة القديمة ، وأنه غير مسموع على الوجه الذي نقل به

يريد : أن تتكلم - أن أتميسَ (أى : تتبخر) . وإهمال هذا الرأى أولى ،
- لما سبق -

هذا ، وقد تحذف « أن » سماعاً ، ويرفع المضارع سماعاً كذلك ؛ فيراعى
الضبط الوارد ؛ كالفعل « يريكم » فى قوله تعالى : (ومن آياته يُريكم البرقَ خفوفاً
وطمعاً . . .) عند من يرى الأصل : (أن يريكم . . .) ثم حذفت « أن »
ورفع المضارع بعد حذفها مع حاجة المعنى إليها^(١) . . .

(١) وفى هذا يقول ابن مالك خاتماً الباب :

وَشَدَّ حَذْفُ : « أَنْ » ، وَنَصَبُ فِي سِوَى مَأْمَرٍ . فَاقْبَلْ مِنْهُ مَا عَدَلُ رَوَى - ١٩

ومعنى البيت : حذف أن - لا إضمارها فى المواضع السابقة - مع إعمالها النصب فى المضارع بعد
حذفها أمر شاذ ؛ يحفظ ولا يقاس عليه ، وأن ما روى منه على لسان الراوى العدل - الأمين - يقبل
منصوباً كما روى .

المسألة ١٥٢ :

السبب في إضمار « أن » وجوباً ، وجوازاً

تقدمت ^(١) المواضع التي تُضمَر فيها « أن » الناصبة بنفسها للمضارع بالرغم من إضمارها . ولا ترضى جمهرة النحاة أن يكون الناصب في تلك المواضع عاملاً آخر . وتتلخص الحجة فيما يأتي :

نصب المضارع لا بد أن يكون أثراً لعاملٍ ناصب ، إن لم يظهر في الكلام فلا مناص من تقديره محققاً ^(٢) يعمل النصب وهو مضمَر ^(٣) . . . ؛ إذ لا يستقيم المعنى بغير إضماره جوازاً حيناً ، وجوباً حيناً آخر .

(١) يتضح هذا من مواضع الإضمار الجائز التي منها « المضارع المسبوق بلام التعليل » ^(٤) (في مثل : تداوى المريض ليبراً - تعلم الناشئ ليسعد - أجاد الصانع ليشتهر) . . . فسبب الإضمار هنا أن « التعليل » أمر معنوي محض ؛ فهو - كسائر الأمور المعنوية المحضة - متجرد من الدلالة على الزمان ، أو المكان ، أو الذات ، أو غيرها . . . ، مقتصر على الناحية العقلية الخالصة ؛ (ومن الأمثلة أيضاً : التداوى - البرء - التعلم - السعادة - الاشتهار - القيام - القعود - الحصد - الأكل - الشرب - السفر . . .) على حين يتضمن المضارع الذي بعد « لام التعليل » الدلالة على الزمان ^(٥) ؛ فحتماً ؛ فهو مخالف لذلك القانون اللغوي الثابت الخاص بالتعليل ؛ ومناقض له ، مع أنهما لفظان متصلان متلاصقان في كلام واحد مرتبطب المعنى . فلا بد من منع هذا التناقض بوسيلة سائغة تُخضع هذا المضارع للقانون العام المطرد . وقد وجدها النحاة فيما يسمونه : « المصدر المؤول » . وزاد اطمئنانهم إليه حين رأوا العرب يعطفون عليه المصدر الصريح - وهو يدل على المعنى المجرد - عطفاً يدل على اشتراكهما في الدلالة المعنوية المحضة . ولم يبق بعد هذا إلا

(١) في ص ٢٨٤ و ٢١٧ - وما بعدها .

(٢ و ٣) وقد يكون محذوفاً سماعاً في بعض الحالات - كالتى في المسألة السالفة - مع ملاحظة أن الإضمار غير المحذوف ؛ كما تقدم في رقم ١ من هامش ص ٤٠٠ .

(٣) قلنا عن « لام التعليل » - في ص ٢٨٥ - (إنها حرف جر أصلي يفيد « التعليل » وهي التي بمعنى : « لأجل كذا . . . ») فما بعدها في الأغلب علة لما قبلها في الكلام المثبت . . .) .

(٤) فوق دلالة المعنوية .

اهتدأؤهم إلى الحرف المصدرى السابك . فهل يكون لام التعليل فى الأمثلة السالفة ؟
 قالوا : لا ؛ لأنها حرف جر ، والمضارع بعدها منصوب ، ولا يقبل الجر .
 فما الذى نصبه وليس فى الكلام عامل نصب ؟ هل تكون لام جر ونصب معاً ؟
 فت نصب المضارع بنفسها ، وتجر المصدر المنسبك بنفسها كذلك ؟
 قالوا : لا ؛ إذ ليس فى الحروف كلها ما يعمل عملين مختلفين فى كلمة واحدة ، ووقت واحد .

هل تكون قد تجردت للسبك مع النصب ، كما تجردت لهما « أن المصدرية » ؟
 لا يقال هذا ؛ لأنها لو تجردت لهما معاً لوجب حذفها بعد إتمام السبك ، وقيام المصدر المؤول — عملاً بما تقتضيه قواعد السبك — لكن حذفها يؤدى إلى خلل الكلام من العلامة الهامة الدالة على التعليل ، والمرشدة إلى ضبط المصدر المنسبك ، وإعرابه ، وضبط ما قد يكون له من توابع ؛ — كالعطف والبدل . . . —

وأيضاً يمنع من اعتبارها حرف نصب ما تردد فى الكلام الفصيح من ورود التوابع للمصدر المؤول مجرورة لا منصوبة . وهذا يقطع بأن المتبوع (وهو : المصدر المؤول) مجرور ليس غير . ولا عامل يصلح لعمل الجر فى الجملة إلا هذه اللام .
 ولو بقيت — بالرغم مما فى بقائها من مخالفة ضوابط السبك ، كما أسلفنا — لأدى بقاءها إلى اللبس والاضطراب أيضاً ؛ إذ لا نستطيع الحكم عليها بأنها هى التى كانت قبل السبك أو أنها أخرى جاءت بعده . والفرق المعنوى والإعرابى كبير بين النوعين . فلم يبق إلا أن الناصب السابك حرفٌ غيرها مضمّر . هو : « أن »
 دون غيره . وأساس اختيار هذا الحرف : استقراء الكلام العربى فى أفصح أساليبه ؛ فقد دل على أن العرب يعمدون فى الأسلوب الواحد إلى إظهار الحرف « أن » بعد « لام التعليل » أو إلى إضماره ، مع نصب المضارع فى الحالتين^(١) ، دون أن يختلف المعنى فى التركيب مطلقاً بسبب إظهار « أن » أو عدم الإظهار .
 وما قيل فى « لام التعليل » يقال فى غيرها من الحروف الأخرى التى تُضمّر بعدها « أن المصدرية » إضماراً جائزاً .

(ب) وأما إضمارها وجوباً بعد أحرف أخرى معينة ؛ (كالفاء ، والواو ،

(١) أوضحنا الفوارق الكثيرة بين المصدر الصريح والمؤول — فى الجزء الأول باب الموصول م ٢٩

ص ٣٧٧ — وبسطنا هناك الأسباب الداعية لاستعمال المصدر المؤول دون الصريح .

وحتى . . . و . . . و . . .) فلأن كلاً منها يؤدي معنى خاصاً محتوماً ؛ كالسببية ، والمعية ، والتعليل ، والغائية . . . و . . . ، وكل هذه معان عقلية مجردة ، لا دلالة فيها لزمان ، أو مكان ، أو ذات ، أو غيرها . . . — على الوجه الذي شرحناه — فلا توافُق بينها وبين المضارع ؛ لاقتضائه الزمان حتماً . فلا مفر من البحث عن وسيلة تمنع التعارض هنا ، وتجعل الجملة المضارعية بعد هذه الأحرف المعينة ، في عداد ما يدل على الأمر المعنوي المحض ، وهذه الوسيلة هي المصدر المؤول . والحرف السابك هو « أن » دون غيره من الأحرف السالفة التي تسبق المضارع المنصوب ؛ لأن اختيار واحد من تلك الأحرف التي لها معان معينة خاصة يؤدي إلى فساد المعنى العام على الوجه الذي تقدم في « لام التعليل » ، وإلى خلو التركيب من الأثر النحوي الهام الذي يقوم به كل حرف منها ؛ كالعطف ، والجر ، و . . . و . . . ، وليس من الممكن — طبقاً للأساليب الصحيحة الواردة أن يقوم بهذا الأثر النحوي وينصب معه المضارع أيضاً ؛ فليس بين الحروف ما يقوم بأثرين إعرابين معاً في موضع واحد وزمن واحد — كما تقدم — وهذا الأثر ضروري في ربط شطرى الكلام (قبل الحرف وبعده) ومنع تفكك أجزائه ، وفي الوصول إلى ضبط الأفعال المضارعة ضبطاً صحيحاً . ولذا تمسك النحاة بأن تعمل هذه الأحرف العطف أو غيره مما يخص كلا منها . ومن أوضح الأمثلة : « فاء السببية » وهي عاطفة لا محالة — في الرأي الأرجح — وللعطف أثر في حالات كثيرة ؛ حيث ينصب النى على ما قبلها وما بعدها معاً ، أو على ما بعدها وحده . وحيث يختلف ضبط المضارع من رفع واجب في مواضع ، إلى نصب واجب في أخرى ، وإلى جواز الأمرين أو وجوب الجزم في غيرها ويترتب على كل ضبط معنى يخالف الآخر — كما سبق عند الكلام عليها^(١) .

وما يقال في « فاء السببية » يقال في غيرها من باقى الادوات التي تضمّر بعدها « أن » وجوباً .

هذا ملخص ما تحتج به الجمهرة المستمكة بإضمار « أن » وهو يشهد لها بالحق ، والبراعة ، وسداد الرأي . فن التسرع أو جَسَف الهوى انتهاها — في هذا الحكم — بالتشدد ، أو الجمود ، أو الاستمسك بما لا داعى له ، أو مالا خير فيه .

إعراب المضارع

« ب » جوازمه^(١)

عوامل جزمه ثلاثة أنواع :

نوع يقتصر على جزم مضارع واحد في النشر وفي النظم ، بلا خلاف ، وهو أربعة أحرف : (الإلام الطلبية - لا : الطلبية - لم - لمّا) - (٢) .

ونوع لا بد أن يجزم مضارعين معاً ، أو ما يحل محل كل منهما ، أو محل أحدهما ؛ وهو عشر أدوات ، (منها : إن - إذ ما - من - ما - متى) . بعضها أسماء ، وبعضها أحرف . وسيجيء بيانها وتفصيل الكلام عليها^(٣) . ولا يكاد يوجد خلاف في أن هذا النوع جازم .

(١) سبقت « أ » - وهي نواصبه - في ص ٢٧٧ م ١٤٨ ... ، لم سميت هذه العوامل : « جوازم » ؟ بذل الشراح وأصحاب المطولات جهداً عتيقاً في عقد الصلة بين الجزم بمعناه اللغوي ؛ (وهو : القطع) ومعناه النحوي « الاصطلاحي » ، قائلين إن الجوازم سميت بهذا : لأنها تقطع من المضارع (أى : تحذف) حركة آخره إن كان آخره صحيحاً ، وتقطع الحرف كله (أى : تحذفه) إن كان الآخر حرف علة . وطال الجدل واشتد حول هذا التعليل ؛ كما طال واشتد حول بعض العوامل ؛ « أبسطة هي أم مركبة » قبل استخدامها في الجزم ؟ وما الأطوار التي مرت بها حتى وصلت إلى صورتها الأخيرة الجازمة ؟ وأتوا في هذا بالفرائب التي تستحق اليوم الرفض السريع والإهمال ؛ لما في أكثرها من بحوث وهمة لا تتصل بالواقع بصلة حقة . نقلوها عن شيخهم القديم « السبكي » أحد شراح : « كتاب سيبويه » وزادوها على الأيام حتى وصلت إلينا بصورتها الغريبة . وحسبنا هذه الإشارة العابرة دون الاهتمام بتسجيلها ، فإنما المهم أن نعلم آثار الجوازم ، وأحكامها المختلفة ، وفي مقدمتها أنها لا تدخل إلا على الفعل فإن ظهر بعدها فيها ، وإلا وجب تقديره - كما سنعرف - وأنها تجزم المضارع لفظاً أو محلاً . ومن المجزوم محلاً : المضارع المختوم الآخر بنون التوكيد . مباشرة . كما سيجيء في رقم ٢ من هامش ص ٤١٠ .

وجدير بالملاحظة - كما سبق التفصيل في ج ١ م ١٥ ص ١٨٦ - أن الجازم يحذف حرف العلة من آخر المضارع المعتل المجزوم . لكن قد يحذف حرف العلة من آخر المضارع لمجرد التخفيف من غير جازم كقوله تعالى : « (ذلك ما كنا نبغي) » أى : نبني .

(٢) وهناك جزم مضارع واحد في جواب الطلب وملحقاته . وقد سبق تفصيل الكلام عليه في ص ٣٨٧ .

(٣) في ص ٤٢١ الكلام على النوع الثاني ، وفي ص ٤٤٠ الكلام على النوع الثالث .

ونوع ثالث يختلف النحاة في اعتباره جازماً ، وقليل منهم يعدّه جازماً ،
ويقتصر جزمه على الشعر دون النثر . وأدواته ثلاثة : إذا - كيّفما - لو . .
والجوازم بأنواعها الثلاثة لا تدخل إلا على الفعل ظاهراً ، أو مقدراً^(١) . وفيما يلي
البيان :

النوع الأول^(٢) : الأربعة التي يجزم كل منها مضارعاً واحداً معانيها ، وأحكامها :

أولها : لام الطلب . وهي التي يُطلب بها عمل شيء وفعله - لا تركه ، ولا
الكفّ عنه - فإن كان الطلب صادراً ممن هو أعلى درجة إلى من هو أقل منه سُميّت :
« لام الأمر » ، وإن كان من أدنى لأعلى سُميّت : « لام الدعاء » . وإن كان من
مُسَاوٍ سُميّت : « لام الالتماس » . وبسبب دلالتها على المعاني الثلاثة كانت تسميتها
« بلام الطلب » أنسب ، كما عرفنا^(٣) . ومن أمثلتها : (لَتَكُنْ حقوق الوالدين عندك
مرعية ، ولتكن صلة القرابة لديك مضمونة) . ومثل قول الحكماء : (ليكن حُجك
وبغضك أمماً^(٤)) ولتجعل للصالح والرجوع بقية في قلبك ، تصلحُ بها ما فات .
وأشهر أحكامها :

١ - أنها تجزم المضارع^(٥) بشرط ألا يفصل بينهما فاصل .

٢ - أن الجزم بها مختلف في درجة القوة والكثرة ، فيكثر دخولها على المضارع
المبدوء بعلامة الغياب ؛ وهي الياء للمذكر ، والتاء للمؤنث ، ويقل - مع صحته -

(١) ملاحظة : إذا كان المضارع مجزوم الآخر بالسكون الظاهر الذي قبله حرف علة فإنه يجب
حذف حرف العلة قبل هذا السكون الظاهر ؛ ففي مثل : ينال - يصل - يميل . . . يقال : من لم يحمل
المتاعب لم ينل الرغائب - لا تصل بغير سلاح الحق ؛ فإنه أمضى سلاح - لا تمل كل الميل ، حباً
أو بغضاً ؛ فن وراء الإفراط سوء العواقب . (٢) انظر رقم ٢ في الهامش السابق .

(٣) في ص ٣٦٦ - عند الكلام على أنواع الطلب . هذا ، ولا يمنع من تسميتها طلبية خروجها
عنه مع مضارعها إلى معنى آخر ؛ كالتهديد في قوله تعالى : (وقل : الحق من ربكم ؛ فن شاء فليؤمن ،
ومن شاء فليكفر ؛ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم مُبرادٍها . .) . وكالخبرية في قوله تعالى : (قل من
كان في الضلالة فليسمد له الرحمن مدداً .) . (٤) معتدلاً وسطاً .

(٥) لفظاً أو محلاً ؛ كالشأن في جميع الجوازم .

دخولها على المضارع المبدوء بحرف الخطاب^(١) ؛ أو المبدوء بحرف التكلم ، وهو : الهمزة أو النون ، لأن المتكلم لا يأمر نفسه إلا مجازاً ، وهذا — مع قلته — قياسى فصيح ، كسابقه . ومن الأمثلة بقوله تعالى : (لِيُسْنِقُوا ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) . وقوله تعالى : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلِنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) ، وقوله عليه السلام : « قومُوا فلأصل لكم »^(٢) . ومثل : لَا تَرْكُ مِنْ أَسَاءَ وَلَا أَصَاحِبُ مِنْ أَحْسَنَ .
٣ — أنها قد تحذف ويبقى عملها .

وحذفها إما كثير مُطَرَّد ؛ وذلك إذا وقعت بعد فعل الأمر : « قُلْ » وكان الكلام بعدها لا يصلح جواباً للأمر ، بسبب فساد معنى ، أو غيره ، كآية الكريمة : (قلْ لعبادى الذين آمنوا يقيموا^(٣) الصلاة ..) أى : ليقيموا ..

ولما قليل ، ولكنه جائز فى الاختيار ، وفى الضرورة . وهو حذفها بعدمشتقات القول الأخرى التى ليست فعل الأمر : « قُلْ » ، نحو :

قُلْتُ لِبَوَّابٍ لَدَيْهِ دَارُهَا تَأْذُنٌ ؛ فَإِنِ حَمَوُهَا^(٤) وَجَارُهَا يَرِيدُ : لَتَأْذُنٌ^(٥) لى بالدخول ..^(٦) .

ولما قليل مقصور على حالة الضرورة الشعرية ؛ وهذا حين لا يسبقها شئ من مادة القول ؛ نحو :

(١) لأن فعل الأمر هو المختص بالأصل فى الخطاب .

(٢) الفاء زائدة . أو عاطفة ، عطفت جملة طلبية على طلبية .

(٣) الأصل : ليقيموا . وحجة القائلين بحذفها هنا ، وبأن المضارع ليس مجزوماً فى جواب الأمر : « قُلْ » — هو : أن مجرد الأمر بالقول لا يترتب عليه إقامتهم الصلاة فعلاً ؛ إذ لا يلزم من القول المجرد ، والنطق به بصيغة فعل الأمر ، حصول الفعل المراد حقيقة ، وتحقيق المأمور به .. ، والذي يمنع هذا الفساد المعنوى هنا هو : تقدير لام الأمر .
(٤) أبو زوجها .

(٥) وليس المضارع فى البيت ساكناً لضرورة الشعر فى رأى فريق ؛ ففى استطاعة الشاعر أن يقول « إِيذَنْ » من غير أن ينكسر البيت ، وفى استطاعته أيضاً أن يقول ولا ينكسر البيت :

« تَأْذُنٌ إِنِّى حَمَوُهَا وَجَارُهَا »
بضم النون وحذف الفاء بعدها ..

وللضرورة تفسير آخر ، سبق عند الكلام عليها فى ص ٢٧١ (فى رقم ٢ من هامشها) .

(٦) ومثله قول شاعرهم :

قالت : تَدْعُنَا بِلَا بُعْدٍ وَلَا صَلَّةٍ وَلَا صُدُودٍ ، وَلَا فى حال هِجْرَانٍ
أى : لِيَتَدْعُنَا .

محمدٌ، تَفَقَّدَ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَآلَا^(١)
وقول الآخر^(٢) :

فلا تستطِلْ منى بقاءى ومدنى ولكنْ يكنْ للخير منك نصيبُ
والأصل فيهما : لتفقد - ليكنْ فحذفت اللام للضرورة الشعرية .

٤ - أن تحريكها بالكسر هو الأكثر ؛ إذا لم يسبقها (الواو ، أو الفاء ،
أو ثم) . وفتحها لغة إن فُتِحَ تاليها . فإن سبقها أحد الأحرف الثلاثة المذكورة جاز
تسكينها وتحريكها على الوجه السالف . لكن التسكين أكثر ، نحو قولهم : من
ولّى من أمور الناس شيئاً فليراقبْ ربه فيما وليه ، وليدكرْ أنه محاسب على
ما يكون منه ، ثم لينتظر عاقبة ما قدمت يداه . . .^(٣) .

* * *

ثانيها : « لا » الطلبية .

وهى التى يطلب بها الكف عن شىء وعن فعله^(٤) . فإن كان الطلب موجهاً من
هو أعلى درجة إلى من هو أدنى سميت « لا الناهية »^(٥) وإن كان من أدنى لأعلى سميت :
« لا الدعائية » وإن كان من مُساوٍ إلى نظيره سميت : « لا التى للالتماس »^(٥) . . .
ومن أمثلة الناهية قوله تعالى : (وإذ قال لقمانُ لابنِهِ وهو يَعْظُهُ :
يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ . .) . وقوله تعالى : (« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعاً ، وَلَا تَفَرَّقُوا ») - أى : ولا تنفروا -

ومن أمثلة الدعائية قوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . . .) .

وقول الشاعر :

(١) هلاكاً . والبيت لحسان .

(٢) يخاطب ابنه العاق الذى يتنى لوالده الموت .

(٣) وبالتسكين جاء قوله تعالى فى الآية التالية - وقد سبقَت لمناسبة أخرى فى رقم ٢ من هامش ص
١٩٤ - « وَلِتُكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ » . (٤) (٤) انظر ما يتصل بهذا المعنى فى « ج » ص ٤١٢ .

(٥) وقد سبقَت الإشارة لهذا فى النواصب عند الكلام على الطلب ص ٣٦٦ . وبيان الأفضل فى

تسميتها .

لا يَبْعُدُ الله جيراننا تركتهمو مثل المصاييح تجلو ليلة الظلم (١)

ومن أمثلة الالتباس قول الزميل لزميله : لا تتهافت على اللئيم فتستهم في مروءتك ، ولا على الجاهل فتتهم في فطنتك ، ولا تأمن العدو فيسوقك للمهالك ، ولا تنق بالحسود فيجرك للعطب .

وأشهر أحكامها :

١ - أنها تجزم المضارع^(٢) بشرطين ، أولهما : ألا يفصل بينهما فاصل ، إلا عند الضرورة الشعرية ؛ كالتى فى مثل :

وقالوا : أخانا - لا تَخْشَعْ لظالم عزيز ، ولا - ذا حق قومك - تَظْلِم^(٣) والأصل : ولا تَظْلِم ذا حق قومك^(٤) . وأجاز بعضهم الفصل بالظرف أو بالجار مع مجروره ؛ لأن التوسع بشبه الجملة كثير فى السنة العرب . ورأيه حسن ؛ مثل قولك للطائش : (لا - اليوم - تعبث والقوم يجدون ، ولا - عن النافع - تنصرف والعقلاء يقبلون) . أى : لا تعبث اليوم ... ولا تنصرف عن النافع .

« ثانيهما : ألا تسبقها « إن الشرطية » أو غيرها من أدوات الشرط . فإن سبقت بإحداها صارت زافية لا تجزم^(٥) . . .

٢ - صحة حذف مضارعها للدليل يدل عليه ؛ نحو : انصح زميلك ما وجدته

(١) وكذلك قول المتنبي يدعو لسيف الدولة :

فَلَا تَنْلِكَ اللَّيَالِي : إِنَّ أَيْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ

(النبع شجر صلب ينبت فى قمم الجبال ، تصنع منها السهام . والقسى ، والفَرَب : نبت ضعيف ينبت على شواطئ الأنهار . (٢) لفظاً أو محلاً ؛ كالحال فى سائر الجوازم .

(٣) حرك المضارع بالكسر لأجل القافية فى أبيات القصيدة .

(٤) أى : يا أخانا لا تخشع ؛ بمعنى : لا تخضع . ويقول العيني : « ذا حق » مفعولان ، فصل

بهما بين « لا ، والمضارع » . وقد تمقه الصبان : فقال : (ذا مفعول ، وحق منصوب على نزع الخافض ، والتقدير : لا تظلم هذا فى أخذ حق قومك منك) هـ . وقد يكون الأنسب والأوضح ما قاله العيني ؛ لأن الفعل : « ظلم » قد ينصب مفعولين ، - كما فى القاموس - .

(٥) طبقاً للبيان الذى سبق فى « ١ » من ص ٣٩٨ وله إشارة فى رقم ٥ من ص ٤٢٦ ورقم ١ من

مستريحاً للنصح ، منشرحاً له . وإلا فلا . . . أى : فلا تنصحه .

ويجب حذف المضارع بعدها فى حالة واحدة ؛ هى : أن ينوب عن مصدر محذوف ، مؤكّد ، دال على نهى ؛ كقولك لمن يتكلم والخطيب يخطب : سكوتاً لا كلاماً ، أى : اسكت سكوتاً ، لا تتكلم كلاماً^(١) .

٣ - كثرة جزمها المضارع المبني للمعلوم إذا كان مبدوء بالتاء أو الياء ، نحو قوله تعالى : (... لا تحزن ؛ إنّ الله معنا) . وقول الشاعر :

لا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَأَلِ النَّاسَ عَنْ حَزْمِي وَعَنْ خُلُقِي

وقولهم : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ؛ فإن الرزق لا يسعى للقاعد عن طلبه^(٢) .

فإن كان مبدوءاً بعلامة التكلم (الهمزة ، أو : النون) فن النادر الذى لا يقاس عليه أن تجزّمه - فى الرأى المختار - لأن المتكلم لا ينهى نفسه إلا مجازاً . ومن القليل المسموع قول الشاعر :

لَا أَعْرِفَنَّ رَبَّ رَبًّا^(٣) حُوراً مَدَامِعُهَا مُرَدَّاتٍ^(٤) عَلَى أَعْقَابِ^(٥) أَكْوَارِ^(٦)

(١) طبقاً للبيان الذى سبق تفصيله فى باب المناسب (باب : « المفعول المطلق » - موضوع : حذف عامل المصدر » - ٢ م ٧٦) .

(٢) ومثله قول الشاعر :

لَا يُعْجِبُنَّ مُضِيماً حُسْنَ بَزْوِيهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينَا جُودَةَ الْكَفَنِ ؟

المضم : الذليل المهين - البزة : الهيئة . . . والمضارع مبنى على الفتح فى محل جزم - فهو مجزوم محلاً ، كما سيجىء فى رقم ٣ التالى - وكما فى قولهم : « لا تكونين على الإساءة ، أقوى منك على الإحسان » . وقد اجتمعت التاء والياء فى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْغَلَبِ) .

بئس الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان . . .

- لا تلمزوا : لا تلموا ولا تعيبوا . لا تناهزوا : لا تتنادوا بالألقاب المكروهة -

(٣) قطعياً من الظباء أو البقر الوحشية ، والمراد : جماعة من النساء جليلات العيون كالربرب . والمضارع فى هذا البيت ، - كما فى سابقه - مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، فى محل جزم ؛ فهو مجزوم محلاً . - كما سبق هنا فى رقم ٢ وفى رقم ١ من هامش ص ٤٠٥ -

(٤) متتابعات ؛ بعضها وراء بعض . (٥) جمع : عَقِيب ، وهو آخر كل شيء .

(٦) جمع : كُور ، وهو : الرجل بأدواته .

وقول الآخر :

إذا ما خرجنا من دِمَشْقَ فلا نَعُدُّ لَهَا أَبَدًا مادام فيها النَجْرُ أَضِمُّ (١)
أى : لا يمكن ربرب أعرفه — لا تكن منا عودة بعد خروجنا (٢) . . .

فإن كان مبدوءاً بعلامة التكلم مع بنائه للمجهول جزمته بكثرة ؛ نحو :
لا أُخْرِجُ من وطني إلا تحت ظلال السيوف — أو لا نُخْرِجُ من وطننا . . . وإنما
كثر هذا لأن النهى متَّجه إلى غير المتكلم ؛ فأصل الكلام . لا يخرجني أحد ،
أو لا يُخرجنا أحد . . . فالنهي منصرف للفاعل وهو غير المتكلم . ثم حذف الفاعل
وناب عنه ضمير المتكلم ؛ فصار الكلام : لا أُخْرِجُ ، ولا نُخْرِجُ (٣) . —

* * *

(١) كثير الأكل ، كبير البطن ، ويريد الشاعر به : معاوية بن أبي سفيان .

(٢) ومن المسموع الذى لا يقاس عليه قول الشاعر :

ولا أَكُنْ كقتيل العين بينكمو ولا ذبيحة تشريق وتَنَحَّار

« وقتيل العين » — بفتح العين وسكون الياء — عند العرب من ذهب دمه هدرًا . « ذبيحة التشريق »
هى التى تذبح فى عيد الأضحى ، ويُشَرِّقُ بعض لحمها (أى : يحفف) ليأكله أصحابه خلال أيام العيد .
« والتَنَحَّار » : التهر .

(٣) هذا تعليل جدل . والتعليل الحق مجرد استعمال العرب .

زيادة وتفصيل :

(١) لم يشترط الكوفيون للجزم بـ « لا » أن تكون طلبية ؛ فهم يصححون الجزم بعد « لا » النافية أيضا ؛ بشرط أن يصح وقوع « كى » التعليلية قبلها مع استقامة المعنى ؛ كالذى حكى من قول بعض العرب : « ربطتُ الفرس لا ينفلت » يجزم المضارع و يرفع ، فالجزم على توهم وتقدير جملة شرطية ؛ أى : لأنى إن لم أربطه ينفلت . وهنا يمكن وضع : « كى » قبل : « لا » من غير أن يفسد المعنى ، بأن يقال : ربطت الفرس كى لا ينفلت . ومن الخير اليوم عدم الأخذ بهذه اللغة ، وعدم القياس على القليل الوارد بها ؛ منعاً لفوضى التعبير ، وما يترتب عليه - بغير داع - من اضطراب الفهم واختلافه .

أما الرفع فعلى الاستثناف .

(ب) من الأساليب الصحيحة التى لها نظائر واردة فى بليغ الكلام : « أحب الأصدقاء ولا تر ما المخلصون - أو : ولو تر ما المخلصون . . . » بمعنى : « ولا سيما . . . » فى كل ما تقدم . وقد سبق تفصيل الكلام على هذا الأسلوب ؛ معنى وإعراباً^(١) . . .

(ج) يقرر اللغويون أن « لا ، النافية » ، قد تفيد النهى - دون أن تجزم - إفادة أقوى من إفادة « لا ، الناهية » يدل على هذا ما سجله الشراح فى قوله عليه السلام^(٢) : « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلام . . . » - برفع المضارع : « يشير » ، وإثبات الباء قبل الراء - فقد قال النووى فى شرحه ما نصه : (قوله : لا يشير . . . نهى بلفظ الخبر ، وقد قدمنا مرات أن هذا أبلغ من لفظ النهى) اهـ^(٣) .

ومن الأمثلة أيضا قوله عليه السلام^(٤) حين نزلت الآية التى تحرم الخمر تحريماً قاطعاً : (إن الله حرم الخمر فن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ، ولا يبيع) برفع المضارعين . ودليل الرفع عدم حذف الباء قبل آخر الفعل : « يبيع »^(٥) .

* * *

(١) فى ج ١ باب الموصول ، عند الكلام على : « لا سيما » م ٢٨ ص ٢٨٧ - وتجه إشارة هذا فى هامش ص ٤٤٣ ، وللمسمع (٢) نقلنا عن : « صحيح مسلم » - ج ٨ كتاب : البر ، والصلة ، والآداب . (٣) لأن معنى النهى هو : طلب الكف عن شيء . . . ، فهو محض طلب مجرد ؛ لا يفيد بذاته أن الكف سيتحقق أو لا يتحقق . بخلاف النهى ؛ فيه قطع بعدم حصول الشيء ، وجزم بأن المعنى لا سبيل إلى تحققه ؛ ثقة المتكلم أن السامعين والمحاطين لن يخالفوا ما يقرره .

(٤) رواه « مسلم » فى باب تحريم الخمر ، من كتاب : الأشربة .
(٥) لأنه معطوف على المضارع : « يشرب » ؛ فلو كان المعطوف عليه مجزوماً لوجب جزم المعطوف ، وحذف الباء التى قيل آخره .

ثالثها ورابعها : « لم » ، ولما » ، الجازمتان ^(١) :

ويشتركان في أمور : منها : أن كلا منهما حرف نفي . مخنص بجزم مضارع واحد ، وبني معناه . وبقلب زمنه من الحال والاستقبال إلى الزمن الماضي ^(٢) ، وقد تدخل همزة الاستفهام — ولاسيما التقريرية ^(٣) — على هذا الحرف ، فلا تُغَيَّر عمله . ومن الأمثلة قوله تعالى : (قل هو الله أحد) ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) . . . ^(٤) ، وقوله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) ، وقوله تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى . . .)

ومثل : حضر الرحالة ولماً تحضر رفاقه . وأقبل الناس على تهنئته ، ولما يسمعون منه وصف رحلته . ومثل : أيها الفتى ، ألماً تترك عبث الغلمان وقد كبرت ؟ ألماً تقبل على عملك والوطن ينتظر منك الجد والإخلاص ؟

لما سبق يقول النجاة في كل واحد منهما عند إعرابه إنه : « حرف نفي ، وجزم ، وقلب » . ثم هم يقررون أن المضارع بعدهما مضارع في لفظه وفي إعرابه ، لكنه ماض في زمن معناه ، سواء أكان مضيه متصلاً بالحال أم غير متصل .

(١) لا تكون « لم » في جميع استعمالاتها إلا نافية جازمة ، بخلاف « لماً » — كما سندكر — فلها استعمالات متعددة ؛ منها : الجزم ، ومنها : أن تكون ظرفاً بمعنى : « وقت ، أو حين » (وقد سبق الكلام عليها في « باب الظرف » (ج ٢ م ٧٩ ص ٢٧٥) ومنها : أن تكون حرفاً بمعنى « إلا » الاستثنائية . وقد أوضحناها في باب : الاستثناء (ج ٢ م ٨٣ - ٥ - ص ٣٣٦) .

(٢) فيكون الفعل مضارعاً في صورته وفي إعرابه ، ولكن زمنه ماض . إلا إن كانت « لم » مسبقة بأداة شرط للمستقبل المحض كما في الصفحة الآتية .

(٣) وهو : حمل المخاطب على الإقرار (أى : على الاعتراف) بالحكم الذي يعرفه فيما جرى بشأنه الاستفهام . وقد يكون إقراره إثباتاً ؛ كما في قوله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) أو نفياً ، كقوله تعالى يخاطب عيسى : (أنت قلت للناس اتخذوني وأسمى آلهم من دون الله ..) فليس المراد حمله في كل الأحوال على الإقرار والموافقة على ما جاء منفياً بعد الهمزة ؛ وإنما المراد حمله على الإقرار بإثبات ما بعدها حين يقتضى المعنى الإثبات ، وفيه حيناً آخر تبعاً للمعنى أيضاً . وقد يكون المراد من الاستفهام هنا : إظهار الاستبطاء ، والحث على الإسراع : كقوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) أو التوبيخ ؛ نحو قوله تعالى يخاطب الكفار يوم القيامة : (ألم نمننكم ثم ؟) وقد سبقت الإشارة المفيدة للاستفهام التقريرى في نواصب المضارع ، عند الكلام على : « فاء السببية » في رقم ١ من هامش ص ٣٥٧ .

(٤) وقول الشاعر :

إذا مرّ بي يوم ولم أتجذّ يداً ولم أستفدُ علماً فما ذاك من عري

وتنفرد كل أداة منهما بأمر ؛ فما تنفرد به « لم » :

١ - صحة دخول بعض أدوات الشرط عليها (مثل : إن - إذا - مَنْ - لو . . .) كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ . وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . . .) وقول الشاعر :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا جَنَى فَأَبْعَدْ كُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ
وقول الآخر :

من لم يؤدبه الحمي لُفِي عقوبته صلاحه (١)

وقول المتنبي يرثى جدته :

ولو لم تكني بنتَ أكرمٍ واليدِ لكان أباك الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا

وإذا دخلت أداة الشرط على « لم » (٢) صار المضارع بعدها متجرداً للزمن المستقبل المحض ، وبطل تأثير « لم » في قلب زمنه للماضي . ومعنى هذا : أن « لم » تنقلب زمن المضارع من الحال والاستقبال إلى الماضي بشرط ألا تسبقها إحدى الأدوات الشرطية التي تخلص زمنه للمستقبل المحض ، فإن سبقته إحدى هذه الأدوات - مثل : إن - مَنْ - و - لم - ينقلب زمنه للماضي ، وصار التأثير في زمنه مقصوراً على أداة الشرط وحدها ؛ فتحلصه للمستقبل المحض ، كالشأن في الأدوات الشرطية التي تجعله للمستقبل الخالص .

لكن ما الذي يجزمه إذا اجتمعت قبله أداة الشرط و « لم » معاً ، وكانت أداة الشرط جازمة كالتى في بعض الأمثلة السابقة ، وفي قولهم : من لم يقدمه الحزم يؤخِّره العجز (٣) ؟

(١) ومثله قول الآخر :

ومن لم يَصُنْ في حاجةٍ ماءً وجهه عن الناس لم يلبس ثيابَ جلالِ
(٢) وقد تكون « لم » مقدرة هي ومضارعها بعد أداة الشرط ، كقول الشاعر :

إذا الشعر لم يَسْحَرْكَ عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعراً
(٣) وفي إعراب قوله تعالى : (فإن لم تفعلوا . . .) يقول الخضرى (ج١ أخرياب : العرب والمبني)

عند الكلام على بيت ابن مالك :

اختلف النحاة في تعيين الأداة العاملة ؛ فقاتل : إنها «لم» ؛ لانصافها به مباشرة ، وأداة الشرط مهملة^(١) داخلية على جملة . وقائل : إنها أداة الشرط ، لسبقها ولقوتها ، فكما تؤثر في زمنه فتجعلهُ للمستقبل الخالص — تؤثر في لفظه فتجزمه كما جزم جوابه ؛ وخلصت زمنه للمستقبل . وفي هذه الحالة تقتصر «لم» على نفي معناه دون جزمه ، ودون قلب زمنه للماضي . والأخذ بهذا الرأي أحسن ، بالرغم من أن الخلاف لا قيمة له ؛ لأن المضارع مجزوم على الحالين ، والمعنى لا يتأثر .

٢ — صحة الفصل بينها وبين مجزومها في الضرورة الشعرية فقط ؛ كقول الشاعر :

فأُصَحِّتْ مغانِها قِفاراً رَسومُها كأنَّ لم سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ — تُؤْهِلُ
أى : كأنَّ لم تُؤْهِلْ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَحْشِ .

٣ — جواز أن يكون معنى المضارع المنفى بها قد انتهى وانقطع قبل الكلام بوقت قصير أو طويل^(٢) ، وأن يكون مستمراً متصلاً بالحال ؛ (أى : بوقت الكلام) ولكن يستحيل أن يكون للمستقبل ، أو متصلاً به . . .^(٣) ؛ فثال انقطاعه قبل الكلام وعدم امتداده للحال : لم ينزل المطر^(٣) منذ شهرنا . ومثال استمراره واتصاله بالحال وعدم انقطاعه قوله تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمدُ لم يَلِدْ ،

= (واجعل لنحو يفعلان النونا . . .) ما نصه : (« فإن لم تفعلوا » قيل : تنازع الحرفان الفعل فأُعمل الثاني، وحذف نظيره من الأول . وقيل الأصل : إن ثبت أنكم لم تفعلوا ... ، ففُضِيَ «لم» في عدم الفعل، واستقبال «إن» في إثبات ذلك عدم، هوعل حد قوله تعالى : « إن كان قميصه قد من دُبُرٍ ... » فإن المعلق عليه إثبات القدر ، لا هو نفسه ؛ لسبقه على وقت المحاكمة . وقيل : «لم» عملت في الفعل ، وهى معه في محل جزم بيان ، وجواب الشرط على كلٍّ محذوف تقديره : فاتركوا العناد ...) اهـ .
وستجىء إشارة لهذا في « ج » من ص ٤٣٧ والأنسب الأخذ بما عرضناه هنا ؛ لبعده من التكلف والتعقيد .
(١) أى : لا عمل لها .

(٢) والغالب في هذا الزمن الماضي المنقطع أن يكون مقداره طويلاً ؛ سواء أكان انقطاعه قبل الكلام قصيراً أم طويلاً . أى : أن الغالب على هذا الزمن الماضي أن يكون أوله قديماً بعيداً عن نهايته ؛ فالإتساع عظيم بين أوله ونهايته . أما نهايته المنقطعة فقد تكون قريبة أو بعيدة من بداية الزمن الحال . (انظر رقم ٢ من هامش ص ٤١٨) .

(٣) (٣) لهذا لا يصح أن يقال على سبيل الحقيقة اللغوية : لم يسافر فلان غداً . .

ولم يُؤْلَدْ ، ولم يكن له كُفُوءاً أحد (١) ، وقول الشاعر :
 غايةُ البؤسِ والنعيمِ زوالٌ لم يدمْ في النعيمِ والبؤسِ حى
 وقول الآخر في مغنية :

غَنَنْتُ فلم تَسْتَسْبِقْ جارحةً إلا تَمَنَّتْ أنها أَذُنٌ (١)

٤ - صحة وقوع الاسم بعدها معمولاً لفعل محذوف بعدها ، يفسره شىء مذكور . كقول الشاعر :

ظُنِنْتُ فقيراً - ذا غنى ، ثم ذلته - فلم - ذا رجاء - ألقته غير واهب
 والتقدير : فلم ألق ذا رجاء - ألقته - غير واهب إياه ما يريد ، وما يحتاج إليه (٢) . والأحسن الرأى الذى يَقْصِر هذه الحالة على الضرورة الشعرية ، ويمنع القياس عليها فى الشعر .

٥ - امتناع حذف مضارعها - فى غير الصورة السالفة - إلا فى الضرورة (٣)
 كقول القائل :

احفظْ ودبعتك التى استودعْتَهَا يومَ الأَعازِبِ (٤) ، إن وصَلْتُ وإن لَمْ -
 أى : وإن لم تصل . . .

(١ و ١) قد يكون اتصاله بالخال واجباً ، لأمر عقل يقتضى ذلك ؛ كما فى قوله تعالى : (لم يَلِدْ ، ولم يُؤْلَدْ ، ولم يكن له كُفُوءاً أحد ..) أو لأمر لفظى (لغوى) كوجود كلمة تفيد بانضمامها إلى « لم » معنى الدوام والاستمرار ؛ كما فى بعض الأفعال الناسخة المنفية من أخوات « كان » ؛ وهى الأفعال الأربعة التى يشترط لإعمالها أن تكون منفية ؛ مثل : (لم يبرح - لم يزل - لم يفتأ - لم ينفك) وعلى كل حال : الممول غلبه فى الاستمرار وعدمه هو : القرائن .

(٢) معنى البيت : كان الناس يظنوننى - فى حال فقرى - غنياً مع أنى لم أكن غنياً فى الواقع . فلما منحني الله الغنى لم ألق ذا رجاء فى مروق وأمل فى معاونتى ، إلا حققت رجاءه وأمله ؛ ففتحته من المال ما يرضيه . فكلمة : « فقيراً » حال .

(٣) سبق المراد من الضرورة فى رقم ٢ من هامش ص ٢٧١ .

(٤) يوم الأَعازِبِ ، أو يوم الأغارب : يوم معهود من أيام العرب . ويقول صاحب النذر اللوامع على « هم الهوامع » (ج ٢ ص ٧٢) لم أقف عليه فى كتب أيام العرب . والبيت منسوب للشاعر ابن هدرمة ...

٦ - أن بعض العرب قد ينصب بها ، وبعضاً آخر قد يهملها فلا تنصب ولا تنجز ، وإنما تتجرد للنفي المحض ؛ فمثال النصب بها قراءة من قرأ (ألم نشرح لك صدرك)^(١) . ومثال الإهمال قول الشاعر :

لولا فوارسُ من ذُهِل وأُسرَتِهمْ يومُ الصَّلَافِيسَاءِ لم يُوفُونَ بالجار
ومن المستحسن الآن الانصراف عن هذين الرأيين ، وعدم محاكاة واحد منهما ؛
منعاً للقوضى البيانية ، الضارة .

* * *

ومما تنفرد به « لَمَّا » :

١ - صحة حذف المضارع المجزوم بها ، والوقوف عليها بعد حذفه ، في
النثر وفي الشعر ؛ كقول أحد القواد الرحّالين :^(١) « لما دخلت دَمَشَقَ عِزَمَتِ عَلَى
زِيَارَةِ قَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ الأيوبي . فما كُدت أَقْرَبُ مِنْهُ حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسِي هَيْبَةً ،
وَسَرْتُ فِي جَسَدِي رَهْبَةً لَمْ أَسْتَطِعْ مِنْهَا خُلَاصاً إِلَّا عَلَى صَوْتِ رَائِدِي يَقُولُ :
« تَقْدِمُ لِلدَّخُولِ » . . . فتقدمت وَلَمَّا . . . ، وبقيت في غمرة من جلال الموت ،
وعبرة التاريخ ؛ أردد قول الشاعر :

فَجِئْتُ قُبُورَهُمْ بَدَأَ^(٢) وَلَمَّا فَتَنَادَيْتُ الْقُبُورَ فَلَمْ يُجِيبْنِي^(٣)

(١) ومن الأمثلة ما ساقه ابن جني في كتابه : « المحتسب » - ج ٢ ص ٣٦٧ - حيث استشهد
لنصب - كثيره - بالقراءة السالفة ، ثم قال بعدها ما نصه : (قرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد :

مِنْ أَىِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ ... اه
(٢) الظرف : « يوم » متعلق بمحذوف خبر ، تقديره : لولا فوارس موجودة يوم الصليفاء . ولا
يصح تعليقه بالفعل الذي بعده ؛ لأن ما في حيز جواب « لولا » - وغيرها ما يحتاج لجواب - لا يتقدم على
الجواب . و « الصليفاء » في الأصل : مصغر « الصلفاء » بمعنى : الأرض الصلبة . وهي هنا موقعة من أشهر
مواقع العرب . (٣) الياء : السيد .

(٤) الهاء التي في آخر هذا المضارع هي : « هاء السكت » الساكنة . والبيت لشاعر يتحسر على من
مات من قومه ، وأن موت عظمائهم قد أدخل له الطريق ، كي يكون سيداً بعد موتهم ، مع أنه لم يكن كذلك
في حياتهم . وهو معنى قريب من قول الآخر :

خَلَبْتُ الدِّيَارَ فَسُدْتُ غَيْرَ مَسُودٍ وَمِنَ الشُّمَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ
وفي ذلك البيت الأسبق مخالفة لما يلزمها من وجوب اتصال نفي منفيها بالزمن الحال ؛ طبقاً لما يجيء في
رقم ٢ ؛ وقد تكلفوا التأويل لإبعاد هذه المخالفة .

أى : تقدمت ولما أستفق (مثلاً) - فجئت قبورهم بدءاً ولما أكن سيداً قبل ذلك ... أما المضارع المجزوم « بلم » فلا يصح حذفه إلا فى الضرورة - كما سبق -

٢ - وجوب امتداد الزمن المنفى بها إلى الزمن الحالى امتداداً يشملهما معاً ، وذلك بأن يكون المعنى منفياً فى الزمن الماضى وفى الزمن الحالى أيضاً من غير اقتصار على أحدهما ، نحو : بهرنى ورد الحديقة ، وأغراني بقطفه ، ولمأ أقطفه ، أى : ولما أقطفه ؛ لا فى الزمن الماضى (قبل الكلام) ، ولا فى الحال (وقت الكلام) ومثل قول الشاعر يستغيث بمن يحميه من أعدائه :

فإن أك مأكولاً فكن أنت آكيلي وإلا فأدر كنى ، ولماً أمزق

يريد : أنى لم أمزق فى الماضى ولا فى الزمن الحالى . أما « لم » فليست ملازمة لهذا إلا فى بعض الحالات ^(١) ومن ثم يصح : لم يحضر الغائب ثم حضر الآن ، ولا يصح : لمأ يحضر الغائب ثم حضر الآن ، لأن الأولى معناها لم يحضر فى الزمن الماضى قبل التكلم ، ثم حضر الآن فى وقت التكلم ، فلا تعارض بين الزمنين . أما الثانية فعنها : لم يحضر فى الماضى ولا فى الحال ثم حضر الآن ؛ أى : فى الحال ، وهذا تناقض واضح ، إذ من المحال أن يشبَّت الحضور ويُنفى فى زمن واحد ؛ هو الحال ^(٢)

٣ - أن المتكلم بالمعنى المنفى بها يتوقع زوال النفى - غالباً - عن ذلك المعنى وحصوله مثبتاً ، أى : ينتظر تحقق المعنى وقوعه - فى الغالب - على الوجه الحالى من النفى ، فالذى يقول ، لمأ تشرق الشمس ، ... يريد : أنها لم تشرق قبل الكلام ولا فى أثناؤه ، لكن من المنتظر أن تشرق . ومن يقول : لمأ تمطر السماء ، يقصد :

(١) كما عرفنا فى رقم ١ من هامش ص ٤١٦ .

(٢) وما يختلف فيه الحرفان أيضاً أن الزمن الماضى المنفى بالحرف : « لم » ، طويل - على الوجه المشروح فى رقم ٢ من هامش ص ٤١٥ - أما الماضى المنفى بالحرف « لمأ » فقصر غالباً ، أى : ليس قديم المبدأ ؛ فأوله - فى الغالب - ليس بعيداً من آخره المتصل بالحال ؛ فلا يصح أن يقال : لما يكن الرحالة مقيماً هنا فى العام الماضى ، ويصح : لم يكن الرحالة ... ، على أن تقدير القصر ، والطول ، والقديم ، والجدة - متروك للعرف والمناسبة بين شيئين والموازنة بينهما . ومن العسير وضع تحديد دقيق لهذه الأزمنة .

أنها لم تمطر قبل التكلم ، ولا في خلاله ، ومن المتوقع أن تمطر^(١) . أمّا المتكلم بالمعنى المنفى بالحرف « لم » فلا يتوقع رفع النفي عنه ، ولا ينتظر حصوله مثبتاً^(٢) ...

٤ - أنها متنوعة المعاني والأغراض تنوعاً يؤدي إلى اختلاف الأساليب على حسب تلك المعاني والأغراض . بخلاف : « لم » ؛ فإنها في جميع أحوالها واستعمالاتها لا تكون إلا نافية جازمة - كما سبق^(٣) -

إلى هنا انتهت أوجه التشابه والتخالف بين : « لم » « لما » وهى أوجه دقيقة تتطلب يقظة ، وسلامة إدراك عند استعمال هذين الحرفين ، وعند تفهم الأساليب التى تحويهما^(٤) - .

(١) قلنا إن التوقع هو الغالب . ومن غير الغالب مثلاً : ندم إبليس ولما ينفعه ندمه . واستشفع المحكوم عليه بالقتل قصاصاً ولما ينفعه استشفاعه .

(٢) والانتظار وعدمه هما بالنسبة للمعنى المستقبل بعدهما . أما المعنى الماضى فهما سيان في التوقع وعدمه ؛ نحو : « ماى قمت ولم تقم » أو : « لما تقم » والمراد : لم تقم أو لما تقم ، مع أنى كنت متوقفاً منك فيما مضى القيام . وهذا هو ما يشعر به التعجب من عدم قيام المخاطب . ومثال عدم التوقع أن تقول ابتداء : لم يقم الرجل . (٣) البيان في رقم ١ من هامش ص ٤١٣ .

(٤) وقد عقد ابن مالك للجوازم باباً مستقلاً عنوانه : « عوامل الجزم » بدأه بالكلام على الجوازم الأربعة المختصة بجزم مضارع واحد ، واكتفى في الكلام عليها ببيت واحد : هو :

يَلا . ولامٍ - طَالِباً - ضَعُ جَزْماً في الفِعْل ، هكذا ب « لَمْ » و « لَمَّا »
يريد : اجزم الفعل المضارع بلا وباللام إذا كنت طالباً بهما . أى : إذا استخدمتهما أدانى طلب ، واجزمه أيضاً بلم ولما .

زيادة وتفصيل :

« لما » الجازمة تختلف اختلافاً واسعاً عن : « لما » الظرفية التي هي ظرف - في المشهور^(١) - بمعنى : حين ، أو : إذ ، وتفيد وجود شيء لوجود آخر ؛ فالثاني منهما مترتب على الأول ، ومسبب عنه ، ولهذا تدخل على جملتين ثانيتهما هي المترتبة على الأولى. والغالب أن تكونا ماضيتين . نحو قوله تعالى : (فلكم نجاتكم إلى البر أعرضتكم) وقد تكونان غير ماضيتين بالتفصيل المفيد الذي عرفناه في الظروف^(٢) . . .

وكذلك تختلف : « لما » الجازمة عن : « لما » التي بمعنى « إلا » كالتى في قوله تعالى : (إن^(٣) كل نفس لما عليها حافظ) ، أى : إلا عليها حافظ (في أحد المعاني . . .) وهذه لا تدخل - في الغالب - إلا على الجملة الاسمية ؛ كالآية السالفة . . . ، أو على الماضى لفظاً لا معنى ، نحو : أنشدك الله لما فعلت كذا ؛ أى : إلا فعلت . والمعنى : ما أسألك إلا فعل كذا ، أى : إلا أن تفعل كذا . فالماضى هنا صوري فقط ؛ لأن لفظه ماض ومعناه معنى المضارع المستقبل . . .

(١ و ١) انظر رقم ٣ من هامش ص ٢٩٢ ففيها بيان هام . وبعض النحاة يعدها حرفاً . ولا غنى عن الرجوع إلى ما سبق من تفصيل الكلام عليها في باب : « الظرف » ، وبيان أنواع جوابها (ج ٢ ص ٢٢٣ م ٧٩) وفي باب : « الإضافة » (ج ٣ ص ٧٥ م ٩٤) .
(٢) « إن » نافية ، بمعنى : « ما » النافية .

النوع الثاني الذي يجزم مضارعين معاً ، أو ما يحلّ محل كل منهما ، أو محل أحدهما

أدواته إحدى عشرة^(١) ، تسمى « الأدوات الشرطية الجازمة » ، وهي :
(إن^(٢) - إذ ما) - (مَنْ - ما - مهما - متى - أيّان - أين - أنّى - حيثما - أيّ) . . . وكلها أسماء ؛ ما عدا « إن » ، وإذ ما « فهما حرفان^(٣) .

وتتفق الأدوات الشرطية السالفة كلها ، في أمور ، وتختلف في أخرى .

أشهر الأمور التي تتفق فيها^(٤) .

١ - أن كل أداة منها لا تدخل على الاسم^(٥) ؛ وإنما تحتاج : إمّا إلى فعلين مضارعين تجزم لفظهما^(٥) مباشرة إن كانا معربين ، ومحلهما إن كانا مبنيين .

(١) أما « إذا » و « كيفما » و « لو » فالصحيح اعتبار الثلاثة أدوات غير جازمة (كما يجيء عند الكلام في النوع الثالث الخاص بها ص ٤٤٠) . وهناك أدوات « الشرط الامتناعي » (مثل : لولا - لوما - لوفى بعض حالاتها ...) فهذه أدوات لا تجزم ، وإنما تقتصر على ربط أمر بآخر ، وتعليق الثاني على الأول تعليقاً خاصاً سيجيء بيانه في مكانه المناسب - ص ٤٩١ و ٥١٢ و ...

(٢) « إن » الحرفية أنواع متعددة ، يشار إلى أهمها في « ب » من ص ٤٣٣ وأضعفها الشرطية غير الجازمة .

(٣) وكل الأدوات التي تجزم فعلين لا تدخل إلا على الفعل ظاهراً أو مقدراً ، - كما سيجيء في رقم ٢ من ص ٤٢٥ - وفي بيانها وبيان الأسماء والحروف منها يقول ابن مالك :

واجزَمَ بَيْنَ ، وَمَنْ ، وَمَا ، وَمهما أَيَّ ، متى ، أَيّان ، أين ، إذ ما
وحيثما ، أنّى ، وحرفٌ « إذ ما » « كيّان » وباقي الأدوات أَسْمَاً
أَسْمَاً ، أي : أسماء .

(٤) أما التي تختلف فيها فتجيء في ص ٤٢٧ .

(٥) فإداة الشرط - في الرأي الذي يجب الاقتصار عليه - هي الجازمة لفعل الشرط ، ولفعل الجواب إن كان الجواب فعلاً ، وبجمله الجواب إن كان الجواب جملة ، لا فعلاً وحده . . . لكن هل يجوز أن يكون الجواب مضارعاً مرفوعاً مباشرة ؟ الجواب في ص ٤٧٤ . وما الذي يجزّمه إن وقع بعد أداة الشرط : « لم » الجازمة ؟ الجواب في ص ٤١٤ .

وأولهما : يسمى : « فعل الشرط »^(١) . وثانيهما يسمى : « جواب الشرط وجزأه »^(٢) .
 وإما إلى فعلين ماضيين^(٣) ، يحلان محل المضارعين ، وتجزهما الأداة محلاً^(٤) .
 وإما إلى فعلين مختلفين ، تجزم لفظ المضارع^(٥) منهما ، وتجزم محل الماضى . وإما
 إلى جملة اسمية ، تحل محل المضارع الثانى ، وتجزمها الأداة محلاً^(٦) . ولا يمكن
 أن يتحل محل الأول شئ ؛ لأن الأول لابد أن يكون فعلاً مضارعاً ، أو ماضياً .

ومهما كانت صيغة فعل الشرط أو جوابه فإن زمنهما لابد أن يتخلص للمستقبل
 المحض بسبب وجود أداة الشرط الجازمة^(٧) ، بالرغم من أن صورتها أو صورة

(١ و ١) سمي فعل شرط ، لأن التكلم يعتبر تحقق مدلوله ووقوع معناه - شرط لتحقيق مدلول
 الجواب ووقوع معناه ، ولا يمكن - عنده - أن يتحقق معنى الجواب ويحصل إلا بعد تحقق معنى الشرط
 وحصوله ، إذ لا يتحقق المشروط إلا بعد تحقق شرطه ؛ سواء أكان الشرط سبباً في وجود الجواب والجزاء ،
 نحو : إن تطلع الشمس يخفت الليل ، أم غير سبب ؛ نحو : إن كان النهار موجوداً كانت الشمس
 طالمة . فوجود النهار ليس سبباً في طلوع الشمس ، وإنما هو ملزوم ، والجواب لازم له ؛
 ولهذا يقولون : إن الشرط ملزوم دائماً والجزاء لازم ؛ سواء أكان الشرط سبباً أم غير سبب .

وما تقدم يوضح لنا الفرق الكبير بين « ما ومن » الشرطيتين ، الواقعتين مبتدأ ، والموصولتين الواقعتين مبتدأ
 كذلك ؛ فالموصولتان ليس فيهما تعليق شئ على آخر ، وإنما يدلان على مجرد الإخبار المطلق ، ولا يجزمان .
 بخلاف الشرطيتين ؛ فلا بد فيهما من التعليق والجزم معاً (انظر ص ٤٢٨ وهامشها رقم ٢) . ويقول ابن الحاجب
 أيضاً : إن الجزاء قسماً ؛ أحدهما : يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط نحو : إن تجئنى أكرمك . والثانى
 لا يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط ، وإنما يكون الإخبار به هو المسبب عن الشرط ، نحو : إن تكرمنى
 فقد أكرمتك أس . والمعنى : إن اعتدلت على بإكرامك إياى فأنا أعتد أيضاً عليك بإكرامى إياك . فالإكرام
 بالأمس ليس مسبباً عن الإكرام فى المستقبل ، وإنما الحديث والإخبار عن إكرام الأمس هو المسبب عن إكرام
 المستقبل .

(انظر رقم ١ من هامش الصفحة الآتية . ش آخر صفحة ٤٣٤ وما بعدها ، ورقم ٣ من هامش
 ص ٤٥٤ حيث تعليقات أخرى نافعة ، ومهمة) .

هذا وقد سبق شرح معنى الجواب والجزاء تفصيلاً فى النواصب عند الكلام على « إذن » ص ٣٠٨ ،
 وعلى فاء السببية الجوابية ص ٣٥٢ .

(٢) هل يتعين أن يكون فعل الشرط ماضياً إذا كان الجواب مخدوفاً ؟ الأحسن أن
 يكون الرد : « لا » ؛ طبقاً للبيان الآتى فى ص ٤٥٣ وما بعدها .

(٣ و ٣) لأن لفظ الماضى لا يجزم ، وإنما يكون فى محل جزم ، ومثله الجملة الاسمية والفعلية .

- انظر رقم ٦ من ص ٤٥٦ ثم رقم ٢ من ص ٤٦٨ - .

(٤) قد يرفع المضارع الواقع جواباً بمراجعة التفصيل الذى فى ص ٤٧٥ .

(٥) لأن أداة الشرط الجازمة علامة قاطعة على استقبال الفعل بعدها ، أى : تخليص زمنه للمستقبل =

أحدهما قد تكون - أحياناً - غير فعل مضارع ، إذ من المقرر أن أداة الشرط الجازمة تجعل زمن شرطها وجوابها مستقبلاً خالصاً^(١) ومن المقرر كذلك أن "تَحَقُّقُ الجواب ووقوعه متوقف على تحقق الشرط ووقوعه ، ومعلَّق عليه^(٢) ؛ فإذا حصل الشرط حصل ما تعلق عليه ، وهو : الجواب . لا فرق في هذا بين أن تكون الأداة مقتصرة في معناها على التعليق - مثل : « إن » - أم متضمنة معه معنى آخر : كالزمانية ، أو المكانية ، أو غيرهما مما يتضمنه بعض الأدوات الأخرى (وسنعرّفه^(٣) بعد ، كما نعرف المراد من التعليق وما يقوم مقامه ، وتفصيل الكلام فيه) .

فمثال جزمها المضارعين لفظاً قول الشاعر لأديب ليس من أقاربه :

إنَّ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أدب أقمناء مقام الوالد

وقول الآخر :

رُدُّوا السيوف إلى الأعماد واتَّسِدُوا من يُشعلُ الحرب يُصبحُ من ضحاياها

ومثال جزمها الماضيين جزماً محلياً^(٤) قول الشاعر في حساده :

صُمُّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به وإن ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذِنُوا^(٥)

= المحض ، سواء أكان الفعل ماضياً ، أم مضارعاً . لهذا - كما سيخىء في رقم ٩ من ص ٤٤٧ - لا يصح في الجملة الشرطية أن تكون حالا بعد تلك الأداة ؛ لأن الحال لا يصح أن تسبق علامة استقبال . ومن ثم قالوا في مثل : « لأمدحن المخلص إن حضر وإن غاب » . . . إن الجملة الشرطية وقعت هنا حالا مع أنها إنشائية مشتملة على علامة استقبال هي : « إن » - لأنها جملة شرطية لفظاً لا معنى ؛ إذ التقدير : لأمدحنه على كل حال ... (وقد سبق بيان هذا في باب الحال ج ٢ م ٨٤ ص ٣١١) .

(١) قد تشتمل إحدى الجملتين على كلمة صريحة الدلالة على المضى الحقيقي ؛ كالمثال الذى سبق في أول هامش الصفحة السابقة ، وهو : إن تكرمنى فقد أكرمك أمس . وفي هذه الصورة يتعين أن يكون المراد الإخبار في المستقبل على الوجه الذى سلف . ومثله : إن أكرمتنى أمس فأنا أكرمك غداً ، أى : إن تحدثت عما وقع من إكرامك إياى بالأمس فأنا أكرمك غداً . وفي هاتين الصورتين دقة توجب اليقظة والتنبه ؛ كى لا يقع الخطأ في استعمالها على الوجه الصحيح الذى يؤدى إلى اعتبار الشرط والجواب فيهما مستقبلاً كغيرهما . (٢) سبق توضيح هذا مفصلاً في رقم ١ من هامش ص ٤٢٢ .

(٣) في ص ٤٢٧ . (٤) مع ملاحظة ما يأتى في رقم ٢ من ص ٤٦٨ خاصاً بالماضى الواقع جواباً .

(٥) استمعوا له بإعجاب . ومن أمثلة الماضيين أيضاً قولهم : « من سَمَّ لك سَمَّ عَلَيَّ » . إذ المراد : من يَسَمُّ لك يَمَّ عليك ، والنيمة : الوشاية ونقل الكلام بين الناس للإيقاع والإفساد بينهم .

وقول شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولّت مَضَمَوْا في إثرها قُدُمَا

ومثال جزمها فعلين مختلفين قول الآخر في حُسَّادِهِ (١) :

إِنْ يَـعْلَمُوا الْخَيْرَ أَخْفَتْوْهُ ، وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أَذَاعُوا ، وَإِنْ لَمْ يَـعْلَمُوا كَتَبُوا

ومثال جزمها الجملة الاسمية التي تحل محل الثاني جزمًا محليًا -- قول الشاعر :

إِنْ كُنْتُ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا

ويسمى فعل الشرط مع مرفوعه (٢) : « الجملة الشرطية » . ولا بد أن تتقدم على

« الجملة الفعلية » أو « الاسمية » الواقعة جوابًا للشرط ، والتي تسمى : جملة

جواب الشرط ، أو : « الجملة الجوابية للشرط » (٣) .

(١) سيذكر البيت التالي لمناسبة أخرى في ص ٤٥٦ .

(٢) مرفوعه هو : الفاعل ، أو نائبه . . .

(٣) وفي عمل تلك الأدوات الشرطية ، وما تتفق فيه جميعاً يقول ابن مالك :

فِعْلَيْنِ يَقْتَضِيَنَّ شَرْطٌ قُدَمًا يَتَلَوُ الْجُزْأُ ، وَجَوَابًا وَسِمَا

قدما - أصله : قُدَمَ ، والألف زائدة للشعر . ومثله : « وسما » ؛ أصله : « وسَمَ » والألف زائدة

للشعر . (فعلين) مفعول به للفعل : « اجزم » في البيت الأسبق بهامش ص ٤٢١ .

يريد : اجزم فعلين بكل أداة ، مع ملاحظة أن جزمها الفعلين معاً هو الأصل الغالب . وقد تجزم

فعلا واحداً وبعده بحجة محتومة ، والذي لا بد أن يكون فعلاً وأن يكون مجزوماً لفظاً أو محلاً هو : « فعل

الشرط » . أما الجواب فقد يكون فعلاً أو جملة .

(يقتضين) هذه الجملة الفعلية صفة لفعلين ، والرابط محذوف ، والأصل : يقتضيهما .

ثم بين أن فعل الشرط هو المتقدم منهما . و « يتلوا الجزاء » أى : يتلوه ويحيى بعده الجزاء . يريد :

يقع بعده الفعل الذي يكون في صدر جملة الجزاء إن كانت فعلية . (وجواباً وسماً) أى : وسم جزاء ،

بمعنى : أنه سُمي جزاء . ويسمى فعل الجزاء لوقوعه في صدر الجملة الجزائية - كما سبق - ثم بين نوع

الفعلين فقال :

وَمَاضِيَيْنِ ، أَوْ مُضَارِعَيْنِ تَلْفِيهِمَا ، أَوْ مُتَخَالِفَيْنِ

ولهذا البيت إشارة في هامش ص ٤٧٣ - ثم أردف هذا بيتاً آخر سيجيء شرحه في المكان الأنسب

(ص ٤٧٦) . قال :

وَبَعْدَ مَاضٍ رَفَعُكَ الْجَزَا حَسَنٌ وَرَفَعُهُ بَعْدَ مُضَارِعٍ وَهَنٌ

أى : ضعيف .

ومما سبق يتبين أن الشرط لابد أن يكون فعلاً^(١) فقط ، ولا يصح أن يكون جملة . أما الجواب فقد يكون فعلاً فقط ، وقد يكون جملة ، وفي الحالتين يجب تأخيرها عن الشرط .

ولكل من الجملة الشرطية والجوابية أحكام سنعرفها^(٢) .

٢ - أدوات الشرط الجازمة لا تدخل على الأسماء^(٣) ، وإنما تحتاج إلى مضارعين ، أو إلى ما يحل محلهما ، أو يحل أحدهما ، كما عرفنا^(٤) . فإذا وقع بعدها اسم - والغالب أن تكون الأداة هي « إن » ، أو إذا - وجب تقدير فعل مناسب يفصل بينهما ؛ بحيث تكون الأداة داخلة على الفعل المقدر . لا على الاسم الظاهر^(٥) . ومن الأمثلة : إن امرؤ أثنى عليك بما فعلت فقد كافأك - إن جائع عاجز وجد فمن حوله آثمون إن لم يطمعه - وقول الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم مَلَكَته وإن أنت أكرمت اللئيم تَسَمَّرَدا

وقول الآخر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا
والتقدير : إن أثنى امرؤ أثنى عليك . . . - إن وجد جائع عاجز وجد . . .
- إذا أكرمت أكرمت . . . وإن أكرمت أكرمت . . . - وإذا لم تعرف لم تعرف . . .
والأصل في هذا التقدير وأشباهه أن الفعل قد حذف وحده بعد أداة الشرط ، وبقي فاعله . فإن كان الفاعل اسماً ظاهراً قُدِّرَ قبله فعل مناسب له ؛ وإن كان ضميراً مرفوعاً متصلاً كالثناء - (ويدخل في حكم المتصل ، الضمير المرفوع المستتر ، كالضمير « هي » المستتر ، إذا كان فاعلاً لمضارع للغائبة) - وجب الإتيان بضمير مرفوع بارز منفصل ؛ ليحل محل المتصل الذي لا يمكن أن

(١) سواء أكان ماضياً أم مضارعاً ؛ وليس هناك حالة تستلزم أن يكون فعل الشرط ماضياً فقط ، وما يقال من وجوب مضيه حين يكون الجواب مخدوفاً مدفوعاً بما سيجيء في ص ٤٥٣ .

(٢) في ص ٤٤٤ .

(٣) لهذا إشارة في رقم ٣ من هامش ص ٤٢١ .

(٤) في ص ٤٢٢ .

(٥) انظر رقم ٧ من ص ٤٤٦ . وقد سبق في الجزء الثاني (ص ١٠٦ م ٦٩ باب : الاشتغال)

بيان حكم هذا الاسم ، وتفصيل إعرابه ، وتأيد النحاة بأدلة قوية في تقدير الفعل ، وأن هذا الاسم الذي بعد الأداة ليس مبتدأ .

ينفصل من فعله ، وليقوم مقامه في إعرابه وفي معناه ، وهو : « أنت »^(١) . . .

٣ - لأداة الشرط الصدارة في جملتيها ؛ فلا يصح أن يسبقها شيء من جملة الشرط ، ولا من جملة الجواب ، ولا من متعلقاتهما^(٢) ، إلا في صورة واحدة ، ستجيء^(٣) . وكذلك لا يجوز أن تكون أداة الشرط معمولة لعامل قبلها ، إلا إذا كانت الأداة الشرطية اسماً ، والعامل السابق عليها حرف جر ، أو مضافاً ؛ نحو : إلى (من تذهب أذهب) ، (وعند من تجلس أجلس) . ويصح أن يسبقها حرف عطف ، أو استدراك ، أو نحوهما مما يقتضيه المعنى ؛ بشرط ألا يخرجها عن الصدارة في جملتيها . ومن الأمثلة قول الشاعر :

ولا أتمنى الشرَّ ، والشرُّ تاركى ولكن متى أُحمل على الشر أركب^(٤)

ولا يصح - في الرأي الأغلب - أن تقع أداة الشرط الجازمة أو غير الجازمة بعد : « هل » الاستفهامية ، لكن يصح وقوعها بعد همزة الاستفهام^(٥) دون باقي أدواته .

٤ - لا يصح حذف أداة الشرط في الرأي الأرجح الذي يجب الاقتصار عليه .

٥ - لا تدخل « إن الشرطية » - ولا غيرها من الأدوات الشرطية - على « لا ، الناهية » فإذا دخلت عليها أداة منها تغير معنى « لا الناهية » وحكمها ؛ فتصير حرف نفى ؛ بعد أن كان حرف نهى ، وتصير مهملة^(٦) بعد أن كانت جازمة .

(١) انظر هامش رقم ٥ من الصفحة السابقة .

(٢) لكن لا مانع أن يسبقها عامل يحتاج إلى إحدى الجملتين لتكون معمولاً له ، كالمبتدأ الذي يحتاج إلى الخبر في مثل : (المرء إن يحبَّ يشمَّ يعيش مرذولاً) . فهي في هذه الصورة في صدر جملتها أيضاً ؛ إذ لم يتقدم عليها شيء منها ، ولا من توابعها ؛ لأن المبتدأ - ونحوه - ليس معمولاً لشيء منها فهو في صدر جملة اسمية غير جملتها .

(٣) في رقم ٣ من ص ٤٥٠ وهي التي يكون فيها جواب الشرط مضارعاً مرفوعاً - كما يحصل أحياناً - فيصح في معموله أن يتقدم على الأداة ؛ نحو : طعامنا إن تزونا تأكل ، بنصب كلمة : « طعام » باعتبارها مفعولاً للمضارع ؛ تأكل . طبقاً للبيان الآتي .

(٤) الأصل : أركب ، بالجزم . وحرك بالكسر لأجل الشعر .

(٥) ستجيء إشارة لهذا ، في رقم ١٠ من ص ٤٤٧ ؛ وأنه منقول عن الصبان ج ٤ أول باب الجوازم ، عند قول ابن مالك : « فعلين يقتضين شرط قدما . . » ثم انظر رقم ٥ من هامش ص ٤٥٠ ، لأهميته واتصاله بما هنا .

(٦) أى : لا تعمل شيئاً في الفعل بعدها .

الأمور التي تختلف فيها الأدوات الشريطية الجازمة

الأمور التي تختلف فيها متعددة النواحي^(١) ؛ منها : الاختلاف في ناحية الاسمية والحرفية ، (وليس فيها أفعال) ، وفي ناحية اتصالها بـ « ما » الزائدة وعدم اتصالها ، وفي ناحية معناها ، وفي ناحية إعرابها .

(أ) ففي ناحية الاسميّة والحرفية : منها الأسماء باتفاق ؛ وهي : (مَنّ - متى - أيّ - أين - أيان - أنّى - حيثما) .

ومنها اسم على الأرجح ، وهو : « مهما » بدليل عودة الضمير عليه مذكراً ، والضمير لا يعود إلا على اسم ؛ مثل قوله تعالى عن قوم موسى : (وقالوا مَهْمَا تأتينا به من آية لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) .

ومنها الحرف باتفاق ، وهو : « إنْ » ، ومنها الحرف على الأرجح ؛ وهو : « إذْ ما »^(٢) .

(ب) وفي ناحية اتصالها بما الزائدة - منها : ما لا يَسْجُزِمُ إلا بعد اتصاله بما الزائدة ، وهو : « حيث ، وإذ » ، فلا بد أن يقال فيهما عند الجزم بهما : « حيثما » ، « إذْ ما » .

ومنها ما يمتنع اتصاله بها عند استخدامه أداة شرط جازمة ، وهو : مَنّ - ما - مهما - أنّى .

ومنها ما يجوز فيه الأمران ، وهو : إنْ - أيّ - متى - أين - ويزاد عليها - أيان - في الرأي الأصح .

(ح) وفي ناحية اختلاف المعنى - مع اتفاقها جميعاً في تعليق وقوع الجواب

(١) من هذه النواحي ثلاثة هنا (أ ، ب ، ح) والرابعة : « د » في ص ٤٣٨ ؛ أما الأمور التي تتفق فيها فقد سبقت في ص ٤٢١ .

(٢) غير الأرجح يعتبرها ظرف زمان بمعنى : « متى » . فإذا قلنا : « إذْ ما تستمع للموسيقى تهتأ ففسك » كان المعنى على الرأي الأرجح : إن تستمع . . . وعلى الرأي الآخر : متى تستمع . . .

على وقوع الشرط عند عدم المانع^(١) . - :

١ - منها : ما وضع في أصله للدلالة على شيء يعقل - غالباً - فإذا تضمن معه معنى الشرط - صار أداة شرطية ، للعاقل ، جازمة . والغالب أيضاً أنه لا يدل بذاته على زمن ، وهو : « مَن »^(٢) ، كقوله تعالى : (من يعمل سوءاً يُجْزَ بِهِ . ولا يَسْجُدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً) . وقول الشاعر يمدح قوماً :

من تَلَسَّقَ منهم تَقَلُّ لا قَيْتُ سِيدِهِمْ مثلُ النجوم التي يَسْرَى بها السَّارَى

٢ - ومنها ما وضع في أصله للدلالة على شيء لا يعقل - غالباً - فإذا تضمن معه معنى الشرط صار أداة شرطية لغير العاقل ، جازمة . والغالب أنه لا يدل بذاته على زمن . وهو « ما »^(٣) ، و « مهْما » . كقوله تعالى : (وما تفعلوا من خير

(١) من الموانع ما سيحىء بيانه - في ص ٤٣٤ رقم ٤ - عند الكلام على أنواع « إن » في « ب » .

(٢ و ٣) والنحاة رأى دونوه في باب « الموصول » : ملخصه :

١ - أن « مَن » للعاقل ؛ كالتى في قولهم : (من يُقَصِّرْ في التَّوَقُّى والحذر ، يُعرض نفسه للخطر) . وتستعمل في غيره مجازاً - سواء أكان المجاز علاقته التشبيه فيكون استعارة ، أم كانت علاقته شيئاً آخر غير التشبيه فيكون مجازاً مرسلًا . . . ، كقول الشاعر :

أَسِرْبَ القِطَا هل من يُعِيرُ جَنَاحَهُ ؟ لَعَلَّى إلى مَنْ قد هَوَيْتَ أَطِير

وقول الآخر :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الظِّلُّ البَائِي وهل يَعْصَنُ من كان في العُصْرِ الخَالِي

ومن المجاز تغليب على غير العاقل عند اختلاطه معه ؛ نحو : (والله يسجد من في السموات ومن في الأرض) ، أو اقترانه به في عموم مُفَصَّلٍ بِمَنْ ؛ نحو قوله تعالى : (والله خلق كل دابة من ماء ؛ فهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع . .) لاقترانه بالعاقل المتدرج تحت قوله : « كل دابة » .

ب - سبق في باب : « الموصول » (ج ١ م ٢٦ ص ٣٤٩ عند الكلام على : « مَن ، الموصولة »)

أن كلمة : « مَن » مطلقاً - موصولة وغير موصولة - هي من الكلمات التي لفظها مفرد مذكر ، ولكن معناها قد يتخالف لفظها ، ولهذا يصح أن يعود الضمير عليها مفرداً مذكراً ؛ مراعاة للفظها - وهو الأكثر - ويصح مراعاة المعنى المراد ، وهو كثير . فن الأول قوله تعالى في المشركين : (ومنهم مَن يؤمن به ، ومنهم مَن لا يؤمن به) ومن الثاني قوله تعالى فيهم : (ومنهم مَن يستمعون إليك . .) وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى : (يَلْسَى ، من أسلم ، وجهه لله وهو محسن) فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . - راجع الموضع السالف حيث البيان الشامل والأمثلة المتعددة . -

وأما : « ما » فإنها لغير العاقل ؛ كقوله تعالى : (ما عندكم يَسْتَفْسَدُ) وتستعمل قليلاً في العاقل إذا =

يعلمه الله) ، وقوله تعالى : (وما تُقَدِّمُوا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) ، وقول الشاعر :

« اختلط بغيره ؛ كقوله تعالى : (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض ...) وتستعمل في صفات العاقل ؛ نحو : تزوجوا ما طاب من النساء ، وامتاز بالفضل . وتستعمل في المبهم ؛ كأن ترى شبحاً من بعد ، فتقول : تعالَ وشاهدْ ما أرى .

(راجع الأشموني والصبيان في بابي الموصول ، والجوازم . وقد وفينا الكلام على « من وما » الموصولتين في ج ١ ص ٢٤٧ م ٢٦) .

ويرتضى بعض النحاة أن يقال : « من » للعالم ، بدلا من العاقل ؛ لأن الله يوصف بأنه عالم ولا يقال له عاقل . ولم يتمسك بهذا فريق آخر ... ، وإذا لم تتضمن « من » و « ما » معنى الشرط فليستا بشرطيتين ، فقد تكونان موصولتين ، أو استفهاميتين ... أو ... أو ... (انظر آخر الهامش رقم ١ من ص ٤٢٢)

ويرى أكثر النحاة أن الشرطيتين مبهتان من ناحية الزمن ، بمعنى : أنهما لا يدلان على زمن معين معروف البداية والمقدار ، يربط الجواب بالشرط ؛ فكل واحدة منهما لا تدل بذاتها على وقت محدد لهذا الربط ؛ ففى مثل : من يحسن إلى أشكر له ... أو : ما تزوج تحصد ... لا تدل « من » على مبدأ زمن الشكر ، ولا على تحديد مدته ، أو توقيتها ، ومثلها : « ما » فإنها لا تدل على مبدأ زمن الحصد ، ولا على تحديد مدته ، أو توقيتها .

وقال فريق آخر : إن كل واحدة منهما قد تفيد - أحيانا - مع الشرط الزمن المؤقت المعين من غير أن تعتبر ولا أن تعرب بسببه ظرف زمان - وكل هذا بشرط وجود قرينة تدل على الزمن ؛ مثل ؛ من يكسب نارا تحرقه ، أى : مدة لسه النار تحرقه ، وقول الشاعر يمدح :

نزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يُعطِ أثمانَ المحامد يُحمد ...
أى : يحمد مدة إعطائه أثمان المحامد . وقول الشاعر :

فما تحيَ لا تُسَامُ حياةٌ ، وإن تَمَتَّ فلا خيرَ في الدنيا ولا العيش أجمعا
أى : مدة حياتك لا تُسَامُ الحياة ... وقول الشاعر :

نُبِئتُ أن أبا شَتِيمٍ يدعى مهما يَعِشُ يَسْمَعُ بما لم يسمع
وأمثله أخرى متعددة يؤيدون بها رأيهم ، وتشهد بصحته وقوته . أما الكثرة فتقول تلك الشواهد تأويلا لا داعي له ، ولا فائدة منه إلا الرغبة في اطراد قاعدتهم ، بل إنهم يتركون بعض الشواهد بغير تأويل ؛ إذ لا يجدون لها تأويلا مقبولا ، ويحكمون عليها بالشذوذ . وغير من هذا التكلف الأخذ برأى الأقلية هنا ، مع مراعاة ضوابطه وتفصيلاته السالفة .

ملاحظة : فى المرجع السابق (ص ١ م ٢٦ هامش ص ٤٢٨ وهو المرجع المذكور فى : « ب » السالفة) - أن « ما » مثل « من » - كما فى الصبيان - لفظها مفرد مذكر ، ومعناها قد يكون غير ذلك فيجوز فى الضمير العائد عليها مراعاة لفظها أو معناها .

ومهما تَكُنْ عند امرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ^(١) وإن خالها^(٢) تخفى على الناس تُعْلَمَ^(٣)

٣ - ومنها ما وضع في أصله للزمان المجرد^(٤) ؛ فإذا تضمن معه معنى الشرط جَزَمَ ؛ وهو : « متى » و « أَيَّْان »^(٥) ؛ فكلاهما ظرف زمان جازم . ومن الأمثلة قول الشاعر في الورد :

مَتَى تَزُرُّهُ تَلْقَ مِنْ عَرَفِهِ^(٦) ما شئت من طيب ومن عِطْرِ
وقال الآخر يصف عظيمًا :

مَتَى ما^(٧) يَقُولُ لا يُخْلِفُ الْقَوْلَ فَعَلُهُ سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ قَطُوبٍ^(٨)
وقول الآخر يفتخر :

أَيَّْانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرُنَا ، وإذا لم تُدرك الأمان منا لم تَزَلْ حَنَا
ولا أهمية للرأى الذى يميز لإهمال : « متى » الشرطية فيجعلها شرطية غير جازمة ؛ لأنه رأى تُعَوِّزُهُ الشواهد المتعددة ، والحجة القوية .

٤ - ومنها ما وضع في أصله للمكان - غالبًا - فإذا تضمن معه معنى الشرط صار أداة شرطية للمكان ، جازمة ، وهو : « أين - حيثما - أُنَى »^(٩) كقوله تعالى :

(١) عادة وخُلِيقٌ . (٢) ظنها .

(٣) يستدل بعض النحاة بهذا البيت على أن : « مهما » حرف ؛ إذ لا محل لها من الإعراب ، ولم يعد عليها ضمير . وردوا كلامه بأنها : إما خبر للفعل الناقص « تكن » ، و « خَلِيقَةٌ » اسم ، و « من » زائدة - وإما مبتدأ . واسم « تكن » ضمير يعود على « مهما » ، و « عند امرئ » خبر « تكن » . وكل ما سبق هو على اعتبار « تكن » ناقصة ، أما على اعتبارها - تامة - ف « مهما » مبتدأ ، والضمير المستتر في الفعل « تكن » هو فاعله ، و « عند امرئ » ظرف لغو ، متعلق بالفعل « تكن » التام . و « من » بيان « لمهما » على وجهى اعتباره مبتدأ .

(٤) الذى لا دلالة معه على استقبال أو غيره . فإذا صار للشرط جعل زين فعله وجوابه مستقبلا .

(٥) ويصح زيادة : « ما » في آخرها - كما سبق في ص ٤٢٧ .

(٦) رَأَيْتُهُ .

(٧) « ما » زائدة . - طبقاً لما سبق في : ب من ص ٤٢٧ .

(٨) القلوب : العابس .

(٩) لا يصح زيادة « ما » بعد « أُنَى » الشرطية ، ولا يصح - في الأرجح - حذفها من آخر :

« حيث » الشرطية ، ويجوز الأمران مع : « أين » - وقد تقدم كل هذا في ب من ص ٤٢٧ .

(وضرب الله مثلاً رجلين ؛ أحدهما أبوكم^(١) ؛ لا يتقدر على شيء وهو كئيل^(٢))
على مولاة ، أينسما يوجهنه^(٣) لا يأت بخير ؛ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل . . .) ،
وقولهم : أين^(٤) ينزل العدل يتبعه الأمن والرخاء . وقولهم : حينما تجد صديقاً وفيّاً
تجد كترأ نفساً . وقول الشاعر :

خليلي ، أننى تقصيدانى تقصيدا أخفاً غير ما يرضيكما لا يحاول
٥ - ومنها المضاف الذى يصلح للأمور الأربعة السالفة ؛ فيكون للعاقل
أو لغيره ، ، وللزمان ، أو للمكان ؛ تبعاً للمضاف إليه فى ذلك كله ، فأداة الشرط
مضافة ، وتدل على أحد المعانى السالفة على حسب دلالة المضاف إليه ، وهى :
« أى » . فمثالها للعاقل : أى إنسان تستقم خطته تأتلف حوله القلوب . ومثالها لغير
العاقل : أى عمل صالح تمارسه أمارس نظيره . وللزمان : أى يوم تسافر
أسافر معك . وللمكان : أى بقعة جميلة تقصده أقصده . وفى كل تلك الحالات
يصح زيادة « ما » فى آخرها .

٦ - ومنها : ما يختص إما بالأمر المتيقن منه أو المظنون^(٣) . ولكن الأول هو
الأغلب - ، وهو : « إذا » الشرطية .

ولما بالمشكوك فيه^(٤) أو بالمستحيل ، وهو باقى الأدوات الشرطية . ومن
المستحيل قوله تعالى : (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) ، وأما نحو
قوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مِت فهم الخالدون) ،

(١) حمل ثقيل .

(٢) « أين » هنا شرطية ، ولو لم يتصل بآخرها « ما » الزائدة ، لأن هذا الاتصال وعدمه سياتى معها
- كما سبق هنا فى رقم ٩ من الهامش السالف ، وكافى ص ٤٢٧ - ، ومن أمثلة عدم الاتصال قول الشاعر :

أين تصرف بنا العدة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقي

(٣) أى : المرجح حصوله وتحققه .

(٤) الذى يتساوى فيه توقع الحصول وعدم التوقع .

فلتنزله منزلة المشكوك فيه : لإيهام زمن الموت^(١)

والقرائن وحدها هي التي تعين اليقين ، أو الظن ، أو الشك : أو الاستحالة . .
مع الدلالة على الشرطية في كل حالة .

٧ - ومنها ما وضع - في الأكثر - لتعليق الجواب على الشرط تعليقاً مجرداً يراد منه الدلالة على وقوع الجواب وتحقيقه ، بوقوع الشرط وتحقيقه ، من غير دلالة على زمان ، أو مكان ، أو عاقل ، أو غير عاقل ؛ وهو : « إن »^(٢) و « إذا ما »^(٣) مع دالتهما على الشك أو الاستحالة - كدلالة الأدوات الشرطية الأخرى عليهما ، غير « إذا » - كما سبقت الإشارة في الأمر السادس - فثال « إن » قوله تعالى : (وَإِنْ تَسُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) وقولهم : المرء إن يَسْجُبْنَ يعيشُ مردولاً ، ومثال « إذا ما » قول الشاعر :

وإنك إذا ما تأت ما أنت أميرٌ به تُلَفِّ من إياه تأمر آتيا

* * *

(١) راجع « الخضرى » - (ج ٢ باب : الإضافة ، عند الكلام على : « إذا » - وقد سبقت الإشارة لهذا في ج ٢ ص ٢٦٠ م ٧٩ - باب : « الظرف » . وهناك البيان التام عن « إذا الشرطية الظرفية » ، من ناحية عدم دلالتها على التكرار ، وعدم إفادتها للشمول والتعميم ، وتجردها للظرفية المحضة ، وبعض أوجه الاختلاف بينها وبين « إن الشرطية » وغيرها من أدوات الشرط الجازمة . .

(٢ و ٣) لا بد للجزم « بإذ » من زيادة « ما » في آخرها . أما زيادتها بعد « إن ، الشرطية » فجائزة - كما تقدم في : ب من ص ٤٢٧ - (وانظر أول ص ٤٣٤) .

زيادة وتفصيل :

(١) هل يقترن جواب « إن الشرطية » باللام ؟

الإجابة عن هذا في رقم ٣ من هامش ص ٤٥٧ وفي رقم ٩ من ص ٤٦٣ .

(ب) « إن » أنواع كثيرة ، منها :

١ - « إن » ، الزائدة . وتسمى : « الوصلية » ؛ أى : الزائدة لوصل الكلام ببعضه ببعض ، وتقوية معناه ؛ فلا تعمل شيئاً ، ويمكن الاستغناء عنها^(١) ما لم يمنع وزن الشعر . ويكثر هذا الوصل حين تتوسط بين « ما » النافية وما دخلت عليه من جملة فعلية أو اسمية ، كقول الشاعر يصف وجه غادة :

ما - إن - رأيت ولا سمعت بمثله دُرّاً يعود من الحياء عقيقا
وقول الآخر يذم قوماً :

بَسْنَى غُدَاذَةً ، ما - إن - أنتمو ذهب ولا صرِيف^(٢) ، ولكن أنتمُ الخرفُ
وقد تزايد بعد « ما المصدرية » كقول الشاعر :

ورجّ الفتى للخير ما إن رأيتَهُ على السنّ خيراً لا يزال يزيد
وبعد « ما الموصولة » كقول الشاعر :

يُرْجِي المرءُ ما إن لا يرادُ وتعرضُ دون أدناه الخطوب
وبعد « ألا » التى للاستفتاح ؛ كقول الآخر :

ألا إن سرى^(٣) ليلى فبت كثيراً أحاذر أن تنأى النبى بغضوباً^(٤)

(١) جاء في حاشية ياسين على التصريح أول باب : « المعرب والمبنى » (ج ١) بشأن « إن » الوصلية :
أهى مجرد الوصل والربط فلا جواب لها ؛ لا فى اللفظ ولا فى التقدير ، أم هى مع ذلك شرطية فيقدر جوابها ؟
أم هى شرطية ولكن لا جواب لها ؟

ثم قال : إن للسعد فيها كلاماً مضطرباً بيته فى حواشى المختصر ، فى بحث تقييد المسند بالشرط .

(٢) فظة خالصة . (٣) نسبة السرى إلى الليل مجاز عقلى .

(٤) غضوب : اسم امرأة .

ويكثر وقوع «ما» الزائدة بعد «إن» الشرطية فتدغم فيها النون نطقاً وكتابة ؛ كقوله تعالى في الوالدين : (إِمَّا يَسْتُلْغِنَنَّكَ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ...) ، وقوله تعالى : (فإِمَّا تَشْتَقِفْنَهُمْ ^(١)) في الحربِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ ...) وتسمى في هذه الصورة : «إن» ، المؤكدة بما .

٢ - ومنها : «إن» ، المحففة من الثقيلة « ، و » «إن» النافية الناسخة ، وقد سبقنا في النواسخ ج ١ ، ومعهما «إن» النافية التي لا تعمل .

٣ - ومنها : «إن» ، الشرطية التي لا تجزم . وهذه أضعف الأنواع ، وأقلها دوراناً في فصيح الكلام . ومن الواجب إغفال أكثر حالاتها ^(٢) . ، وعدم استعمالها إلا في بعض الصور .

٤ - ومنها : ما اختلف النحاة في نوعه اختلافاً مرهقاً - نذكره ؛ لأنه لا يخلو من فائدة - وهو «إن» في مثل : الحريص - وإن كثر ماله - بخيل . فقيل : وصلية ^(٣) ، والواو للحال ، أى : الحريص بخيل ، والحال أنه كثر ماله ^(٤) . وقيل شرطية ، حذف جوابها . لوجود ما يدل عليه ، والواو للعطف على جملة مقدرة ، أى : إن لم يكثر ماله وإن كثر فهو بخيل . لكن ليس المراد بالشرط في الجملة حقيقة التعليق ؛ لأنه لا تعليق حقيقياً على الشيء ونقيضه معا ؛ لما في ذلك من المنافاة العقلية ؛ إذ كيف يحدث الجواب الذى هو بمثابة المسبب عن الشرط حين يوجد الشرط وحين يُعْدم ؟ وبعبارة أوضح : كيف يُسْتَج الشرط - وهو بمثابة السبب - نتيجة واحدة لا تختلف باختلاف وجوده وعدمه ؟

من أجل ذلك قيل إن معنى «إن» في الجملة السالفة هو : «التعميم» «لا» «التعليق» . ويقولون : إن المحذوف أحياناً قد يكون الواو هى والمعطوف - لا

(١) تجدّنهم .

(٢) إلا ما كان منها دالاً على تفصيل من غير أن يجزم ، وسيجىء في رقم ٥ من ص ٤٣٦ .

(٣) انظر رقم ١ من هامش الصفحة السابقة .

(٤) ومن الأساليب الفاسدة التي تتردد في كلام المولدين قولهم : فلان وإن كثر ماله لكنه بخيل

- أو : إلا أنه بخيل . . . وقد سبق الكلام على هذه الأساليب في الموضوع المناسب (ج ١ م ٣٣ ص ٤٥٠

«و») وأن بعض النحاة المتأخرين حاول تأويل ذلك الأسلوب تأويلاً يصححه ، ولكنه لم ينجح .

المعطوف عليه — كقوله تعالى : (فَتَذَكَّرْ إِنَّ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) ، أى : وإن لم تنفع . وقيل « إن » فى هذا المثال بمعنى : « قد » كما قيل إنها تكون بمعنى « إذ » التعليلية (أى : تبين علة ما قبلها) فى قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، وفى قوله تعالى : (لَسْتَ تَخْلُسُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) ، وقوله عليه السلام للموتى المؤمنين الأبرار : « ولإنا — إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ . . . » .

وحجة القائلين بأنها بمعنى « إذ » التعليلية : أن التعليق غير صحيح فى الأمثلة المذكورة ؛ لأن التعليق يقتضى ترتب أمر على أمر ؛ فالأمر الثانى (المسبب) يكون غير متحقق ولا حاصل وقت الكلام . إذ لو كان متحققاً حاصلًا وقت الكلام لم يكن هناك معنى للتعليق . فى حين : الإيمان وعدمه فى الآية الأولى معلوم قطعاً لله الذى لا يخفى عليه شيء مما كان ، أو هو كائن ، أو سيكون فى المستقبل ، فهو محقق الوجود وقت الكلام . وكذلك مشيئته فى الآية الثانية معلومة له حين أخبرهم بدخول المسجد الحرام إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكذلك الحديث فإن الرسول عليه السلام : يعلم مشيئة الله التى تقتضى بأن كل فرد لابد أن يموت ، ويلحق السابق ، ولا ينجو من ذلك أحد . فلا مجال للتعليق فى الأمثلة السالفة وأشباهاها ، إذ ليس فيها مجهول يُستَظَر حصوله ومعرفته .

وأجيبَ هنا بأن كلمة : « إن » قد يؤتى بها للشرط المحقق ؛ لنكتة بلاغية ؛ كالتهيج فى الآية ، كما يقول الوالد لابنه : إِنْ كُنْتَ ابْنِي فافعل كذا . وكتعليم الناس التأدب والحظيرة عندما ينخبرون عن أعمالهم المستقبلية ، وأمورهم المقبلة ، وكالتبرك كما فى الحديث (أى : سنلحق بكم فيصيبنا الخير والبركة من جواركم) .. وهكذا ... (١)

وقيل : كل شيء يقع فيه التردد عادة بين الناس ويدخله الشك عندهم ، يجوز تعليقه « إِنْ » ؛ سواء أكان معلوماً للسامع ، أو للمتكلم ، أم غير معلوم ؛ وسواء أكان التعليق من الله أم من غيره . . . (١)

وبانضمام هذه الاعتراضات والرد عليها إلى ما سبق من نظائرها فى بعض نواحي الكتاب (٢) يمكن الوقوف على الغرض من الجواب فى كثير من الأساليب الناصعة

(١ و١) راجع حاشية الصبان — فى الجوازم — عند الكلام على : « إِنْ » وحاشية السيوطى على المنى .

(٢) كالتى فى رقم ١ من هامش ص ٤٢٢ ، ورقم ٣ من هامش ص ٤٥٤ .

.....

البليغة ، التى لا يكون الجواب فيها مترتباً وقوعه على الشرط .

٥ - ومن أنواع « إن » الشرطية نوع يسمى : « إن »^(١) ، التفصيلية « ، وملخص الكلام عليها : أن « المبدل منه » قد يكون اسم شرط متضمناً معنى حرف الشرط : « إن » من غير ذكر صريح لهذا الحرف^(٢) . فإذا اقتضى الأمر بدلاً يُفَصِّلُ مجمل اسم الشرط المبدل منه ظهر مع البديل حرف الشرط : « إن » ليوافق البديل المبدل منه فى تأدية المعنى . بشرط ألا يظهر حرف الشرط مع المبدل منه ، وبشرط ألا تعمل « إن » شيئاً مطلقاً ، ولا تجلب معنى إلا إفادة التفصيل .

واسم الشرط الذى يتضمن المتبوع قد يكون للعاقل أو غيره ، ولزمان أو المكان . فمثال الشرط للعاقل : من يجاملنى إن صديق وإن عدو أجاملته . فكلمة : « صديق » بدل تفصيل من كلمة : « من » الشرطية . و « إن » الشرطية الظاهرة فى الكلام ليس لها من الشرط إلا اسمها ؛ فلا تجزم ولا تعمل شيئاً ، وإنما تفيد مجرد التفصيل - كما قلنا - .

ومثال الشرط لغير العاقل : ما تقرأ إن جيداً وإن رديئاً تتأثر به نفسك . فكلمة : « جيداً » بدل من كلمة : « ما » ، و « إن » المذكورة فى الجملة لا أثر لها إلا فى إفادة التفصيل . ومثال الشرط الدال على الزمان : متى تزرعنى إن غدا وإن بعد غد أسعد بلفائك . فكلمة : « غدا » بدل من : « متى » وكلمة « إن » للتفصيل . ومثال الشرط الدال على المكان : حيثما تجلس إن فوق الكرسي ، وإن فوق الأريكة - تجد راحة . فكلمة : « فوق » بدل من : « حيثما » وكلمة : « إن » للتفصيل .

ولأنما قرن البديل فى كل ما سبق بالحرف « إن » ليكون موافقاً للمتبوع الذى يتضمن هذا الحرف من غير أن يذكر معه صريحاً .

(١) سقت الإشارة إليها فى باب : « البديل » - ج ٣ ص ٤٩٧ م ١٢٥ -

(٢) لأن من يقول : (من يجاملنى أجاملته) يريد : إن يجاملنى صديق ، أجاملته ، وإن يجاملنى عدو أجاملته ، وإن يجاملنى محمد أجاملته ، أو محبود ، أو . . . فكلمة « من » وهى لفظة واحدة يتضمن هذا كله .

هذا ملخص ما يقال في الموضوع السالف — (١) . . .

٦ — ومنها : « إن النافية الناسخة » التي تعمل عمل « ليس » بالتفصيل السابق عند الكلام عليها في الجزء الأول (٢) . وقد اجتمعت إن الشرطية والنافية في الآية التالية التي يتجه فيها الخطاب للرسول عليه السلام بشأن الكفار : (فإن عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ . . .)

(ح) قد تدخل : « إن » الشرطية على : « لم » الجازمة في مثل : إن لم تحسن إلى المحتاج فلا تمنع عنه الإحسان . وقول الشاعر :

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سديد

— وقد سبق الكلام على هذا ، وإعرابه (٣) .

وكذلك تدخل على الحرف : « لا » فتدغم فيه النون ؛ ولا تظهر في النطق ولا في الكتابة ، إذ يصير الحرفان : « لا » بوضع « شدة » فوق « لا » ؛ رمزاً للنون المدغمة (٤) ؛ كقول الشاعر :

إلا يكن ذنب فعذلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

والأصل بغير الإدغام : « إن لا » .

وقد تدخل على « لا » الناهية فتفقد دلالتها على النهي ، وتصير للنفي (٥) :

* * *

(١) راجع التصريح والأشموقي في آخر باب « البدل » .

(٢) م ٤٨ ص ٦٠٤ .

(٣) في رقم ١ ص ٤١٤ . . . عند الكلام على : « لم » .

(٤) طبقاً للبيان الذي سبق في رقم ٢ من هامش ص ٣٩٢ .

(٥) طبقاً للحالة الثالثة التي في ص ٣٨٧ وفي « ١ » من ص ٣٩٨ .

(٥) وفي ناحية إعرابها^(١) : مما كان منها حرف شرط فلا محل له من الإعراب ، وما كان اسم شرط^(٢) فيراعى في إعرابه ما يأتي :

١ - إن كان اسم الشرط الجازم (أى : أداة الشرط الاسمية) بعد حرف خبر أو مضاف فهى مجرورة بالحرف أو بالمضاف ، نحو : (عَمَسَنَ تَعْلَمُ أَتَعْلَمُ ، وعما تسألُ أسألُ) . (وكتابُ من تقرأُ أقرأُ ، وصفحةُ ما تكتبُ أكتبُ) . ولا تكاد أداة الشرط الاسمية تُجَرَّرُ في غير هاتين الحالتين^(٣)

٢ - إن كانت الأداة ظرفاً للزمان - غير « إذا الظرفية » - أو للمكان ، وفعل الشرط بعدها غير ناسخ - فهى ظرف لفعل الشرط^(٤) ؛ نحو : متى يُقبَلُ فصل الربيع يعتدلُ جوُّنا ، وأننى يعتدلُ يزدَدُ النشاط . فإن كان فعل الشرط ناسخاً فهى - غالباً - ظرف لخبر فعل الناسخ ، نحو : أينما تكنُ تصادفُ عملاً يناسبك ، وأينما تكنُ تجدُ لعملك تقديراً . فأينما ظرف متعلق بمحذوف خبر « تكنُ » .

وإنما كانت الأداة هنا ظرفاً للخبر لا لفعل الشرط . لأن فعل الشرط الناسخ إن احتاج إلى اسم فالظرف لا يصلح له ، ، (إذ الظرف لا يكون مبتدأ ولا اسم ناسخ) وإن كان الناسخ غير محتاج لاسم فالظرف لا يتعلق بالناسخ ولا يكون معه ولا له - فى أشهر الآراء - .

٣ - إن دلت الأداة على حدث محض (أى : على معنى مجرد خالص) . فهى مفعول مطلق لفعل الشرط ؛ مثل : أىَّ إخلاص تُقدِّمُ لبلدك تُحمدُ عليه .

٤ - إن لم تدل على الحدث المحض وإنما دلت على ذات وكان فعل الشرط بعدها لازماً أو ناسخاً فهى مبتدأ^(٥) ، مثل : من يهاجرُ فى سبيل الله أهاجرُ معه . وقول الشاعر :

(١) هذه هى الناحية الرابعة : (٥) وقد سبقتها ثلاث (١ ، ب ، ح) فى ص ٤٢٧ .

(٢) ومثله فى الإعراب ما كان اسم استفهام متجرداً لاستفهام المحض ، ولا شأن له بالشرط .

(٣) كما سبق فى رقم ٣ من ص ٤٢٦ وفى « ب » من هامش ص ٤٥١ .

(٤) انظر رقم ٢ من هامش ص ٤٤٠ حيث الكلام على « إذا » الظرفية وإعرابها .

(٥) خبره جملة الشرط ، وفيها ضمير الأداة . وقيل جملة جواب الشرط ، وقيل جملة الفعل والجواب معاً . وسيجىء ما ارتضوه فى هذه المسألة بعد التحرير والتدقيق (فى رقم ٥ من هامش ص ٤٤٥) وأنه الجملة الشرطية .

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها مُحِيبٌ وكذلك إن كان فعل الشرط متعدياً ومفعوله أجنبي منها، من يعمل سوءاً يُجْزِيهِ . فإن كان فعل الشرط متعدياً مسلطاً على الأداة نفسها فهمى مفعوله ، مثل : وما تفعلوا من خير يُؤْتِ إِلَيْكُمْ ^(١) ، ومن تَنْصُرْ أَنْصُرْهُ

وإن كان مسلطاً على ضميرها أو على ملابس الضمير فاشتغال ^(٢) ، نحو : من يصاحبه على أصحابه ، أو من يصاحب أخاه على أصحابه ، فيجوز فى الأداة وهى : « من » — مثلاً — أن تكون مبتدأ ، وأن تكون مفعولاً لفعل محذوف يفسره فعل الشرط .

فالعامل فى كل الأدوات الشرطية الاسمية هو فعل الشرط ، إلا إن كانت أداة الشرط هى « إذا » ^(٣) ، أو كان فعل الشرط ناسخاً ؛ فيكون الجواب هو العامل فى « إذا » . وخبر الناسخ هو العامل فى الظرف .

ولإنما كان العامل هو فعل الشرط — بشرط ألا يكون ناسخاً وألا تكون الأداة « إذا » لأن الجواب مع متعلقاته مؤخرٌ وجوباً عن فعل الشرط ، فلا يعمل فى المتقدم على فعل الشرط . ولأن الجواب قد يقترن « بالفاء » أو « إذا » الفجائية فى بعض الحالات . وما بعد هذين الحرفين لا يعمل فيما قبلهما . وكان هذا مغتفراً فى « إذا » لأنها — فى رأى الشائع — مضافة لشرطها فلا يصلح للعمل فيها ؛ إذ المضاف إليه لا يعمل فى المضاف .

* * *

(١) ومثل قول الشاعر :

ما تصنع اليوم من خير تجده غداً الخير والشر ميثقال ميثقال

(٢) سبق بابه كاملاً فى ج ٢ ص ١٠٦ م ٦٩ .

(٣) انظر ما يختص بها فى رقم ٢ من هامش الصفحة التالية .

المسألة ١٥٦ :

النوع الثالث الذى يقع الخلاف فى اعتباره جازماً

وأظهر أدواته ثلاث ؛ هى : (إذا^(١) - كيف - لو . . .) ولم يقتصر الخلاف على أنها تجزم ، أو لا تجزم ؛ وإنما امتد إلى ميدان جزمها ؛ أهو النثر والشعر أم الشعر فقط ؟ وإلى شروط جزمها . . . وصفوة كلامهم ما يلى :

إذا : ظرف زمان مستقبل^(٢) وهى شرطية فى أكثر استعمالاتها ، ولكن

(١) سبق بيان موجز عن معناها فى رقم ٦ من ص ٤٣١ . أما البيان الكامل عنها فوضعه مدون فى رقم ٥ من هامش تلك الصفحة ، وليعض أنواعها بيان فى ج ٣ م ٩٤ ص ٩٢ - باب : الإضافة .
(٢) يفضل المحققون هذا التعبير ، على التعبير الشائع ؛ وهو : « ظرف لما يستقبل من الزمان » ؛ لما يورمه التعبير الشائع من أن « إذا » ظرف زمان ، ومظروفه هو ما يستقبل من الزمان ، فالظرف والمظروف شيء واحد ، وهذا لا يكون . ثم قالوا : إن التعبير الشائع قد يقبل إما على اعتبار اللام زائدة ، وإما على اعتبارها مع مجرورها متعلقين بكون خاص محذوف - وحذف الكون الخاص قليل - وانتقدير : ظرف موضوع لما يستقبل من الزمان . . . أما التعبير الأول فلا حذف فيه ولا تقدير . . .

(راجع المعنى فى الكلام على : « إذا ») .

ودلالة : « إذا » على الشرطية غريب عند النجاة ؛ لأن « إذا » ظرف زمان مستقبل ، والزمان المستقبل لا بد أن يحى ويتحقق معه ما يقع فيه من أحداث . وكل هذا مقطوع به . مع أن الشرط المقتضى للجزم لا يكون فى أمور محققة الوقوع ، وإنما يكون فيما يحتمل الوقوع وعدمه . ومن أجل ذلك رفض أكثر النحاة الجزم بها مطلقاً (أى : فى النثر ، وفى الشعر) وحجته - على قوتها - مدفوعة بالنصوص الصريحة المأثورة التى وردت فيها جازمة . لكنها نصوص نادرة لا تكفى للمحاكاة والقياس ، وبعضها لا يساير إلا لغات ضعيفة . فن الخبير الأخذ بالرأى الذى يبيح أن تجزم فى الشعر وحده ؛ لا لأن النصوص الشعرية الجزومة بها كثيرة تكفى للمحاكاة والقياس ، ولكن لأن الشعر محل التساهل فى مثل هذا ، ويباح فيه ما لا يباح فى النثر فيمنح الشاعر هذه الرخصة ؛ ليستخدمها متى شاء ، ولو لم يكن مضطراً لاستخدامها . جاء فى « مجالس ثعلب - ج ٢ ص ٩٢ من القسم الأول - ما نصه :

(قولك : إذا ترزنى أرزك - يجوز فى الشعر . وأنشد :

وإذا نطاوغ أمر سنادتنا لا يشننا بخُل ولا جُبُن) . اهـ

والمضارع : « يشن » مجزوم بحذف الياء من آخره ؛ لأنه جواب « إذا » .
وإذا كانت ظرفاً جازماً فهل تكون مضافة ؟ وما العامل فيها ؟ رآيان . فالقائل بإضافتها للجملة الشرطية بعدها يرى العامل فيها هو الجواب - كالشائع الآن - والقائل بامتناع إضافتها للجملة الشرطية بعدها يرى =

الجزم بها مقصور على الشعر وحده ، ومن الأمثلة الماثورة به ^(١) قول الشاعر :
استغن - ما أغناك ربك - بالغنى وإذا تصببك خصاصة فتحمّل ...
(أو : فتحمّل ؛ أى : اظهر أمام الناس بالأجمل والأحسن الذى يناسب
الرجال المتجلدين) وقول الآخر :

ترفع لى خندف ^(٢) ، والله يرفع لى نارا إذا خمدت زير أنهم تنقيد ^(٣)
ومن الأمثلة النثرية التى لا يقاس عليها ؛ لندرتها : قوله عليه السلام : « إذا
أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين » . وقيل إن هذا الحديث قد يكون بلغة
من يحذف النون من آخر الأفعال الخمسة مطلقاً ، (أى : بغير نصب ولا جزم
ولا غيرهما ، وهى لغة نادرة لا يصح الأخذ بها اليوم) ^(٤) .

= العامل فيها فعل الشرط الذى يليها ، وأنها فى هذا كغيرها من أدوات الشرط حيث تكون معمولة لفعل
الشرط غير الناسخ - كما سبق فى رقم ٢ من ص ٤٣٨ - ولكل أدلته الجدلية المستفيضة التى احتوتها
المطلوات ، ووردت خلاصتها فى : « المغنى » .

وجاء فى حاشية الخضرى (ج ٢ باب الإضافة عند الكلام على « إذا ») ما خلاصته : أنها قد تنجرد
عن الشرط نحو قوله تعالى : (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) بدليل خلو الجملة الاسمية ، (هم يغفرون)
من الفاء . ومن ذلك الواقعة فى القسم ، نحو قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) ونحو : (والنجم إذا هوى) ...
وهى ظرف للمستقبل ، وقد تنجى للماضى كقوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو هولاً انفضوا إليها وتركوك
قائماً) لأن الآية خطاب للرسول عليه السلام فى حادثة مضت وقت نزول الآية الكريمة . وقد تكون للحال
كالواقعة فى القسم عند جماعة ، بناء على أن عاملها فعل القسم وهو حال .

ولا تخرج عن الظرفية أصلاً عند الجمهور . فأما قوله عليه السلام لعائشة : (إني لأعلم إذا كنت غنى
راضية ...) فهى فيه ظرف للمفعول المحذوف ، لا مفعول كما يقع فى اليوم ، والتقدير : إني لأعلم شأنك
إذا كنت راضية . ثم قال الخضرى : وهى منصوبة بجوابها عند الأكثر ، لا بشرطها ، لأن المضاف إليه
لا يعمل فى المضاف ، واقتران جوابها بالفاء أو « إذا » الفعائية لا يمنع عمله فيها ؛ لتوسمهم فى الظرف .
أو يقال : محل عمل جوابها إذا لم يقرن بهما وإلا كان عاملها محذوفاً يدل عليه الجواب . ومن جعل
شرطها هو العامل فيها كسائر الأدوات الشرطية قال إنها غير مضافة إليه كما أن بقية الأدوات الشرطية
لا تضاف إليه . واتفق الجميع أنها لا تضاف إليه إذا جزمت .

(وقد سبقت الإشارة إلى « إذا » وإلى كثير من أحكامها فى ج ٢ م ٧٩ ص ٢٢٤) .

(١) منها قول النمر بن تولب - وهو من أدرك الإسلام ، وأسلم :

وإذا تصببك خصاصة فارج الغنى وإلى الذى يعطى الرغائب فارغب

(٢) اسم امرأة . (٣) الفعل مجزوم ولكن تحركت الدال بالكسر لأجل القافين .

(٤) سبق الكلام على هذه اللغة عند الكلام على الأفعال الخمسة - ج ١ م ١٤ ص ١٦٣ -

و «إذا» الشرطية كغيرها من أدوات الشرط ؛ تحتاج إلى جملة شرطية ، وأخرى جوابية ، ولا بد أن ينطبق عليهما كل الشروط والأحكام الخاصة بجمليتي الشرط والجواب - ولا سيما دلالتهما الزمنية - ؛ سواء أكانت «إذا» جازمة أم غير جازمة . وهي أيضاً مثل : «إن» الشرطية ؛ في كثرة دخولها على الأسماء في الظاهر - كما سبق ^(١) - إلا أنها في الحقيقة فهما داخلان على فعل مقدر وجوباً ؛ لأن أداة الشرط لا تدخل إلا على فعل ظاهر أو مقدر ؛ كما عرفنا . ومن دخولها على الأسماء قوله تعالى : (إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ...) والتقدير : إذا انشقت السماء انشقت ... وإذا مدت الأرض مدت

ويكثر وقوع : «ما» الزائدة بعد : «إذا» ، كقول الشاعر :
إذا ما بدت ليلتي فكلّتي أعينٌ وإن هي ناجتني فكلّتي مسامعٌ
وقول الآخر :

ولست إذا ما صاحبٌ خان عهدَه وعندي له سرٌّ - مديعاً له سرّاً

* * *

وأما : «كيف» فأصل معناها السؤال عن الحالة والهيئة (أى : عن الكيفية) ، نحو : كيف أنت ؟ كيف غرسك ؟ ولها استعمالات أخرى سبق بيانها مفصلة ^(٢) ؛ منها : أن تترك الاستفهام ، وتكون أداة شرط لبيان الكيفية ، وتحتاج لجملة شرطية وأخرى جوابية ، ولكنها لا تجزم - على الأرجح - ولا بد أن ينطبق على جمليتيها كل الشروط والأحكام الخاصة بجمليتي الشرط والجواب ^(٣) ، ويزاد على هذا وجوب موافقة فعل الجواب لفعل الشرط في مادة اشتقاقه وفي المعنى ، فلا بد من هذه الموافقة ^(٤)

(١) في رقم ٢ من ص ٤٢٥ .

(٢) في ج ١ م ٣٩ ص ٥٠٩ باب : المبتدأ والخبر .

(٣) ستجيء في ص ٤٤٤ .

(٤) لهذا كان من الأمثلة المشكلة قوله تعالى : (وقالت اليهود يدُ الله مغلولة .) غلّت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا . بلّ يدها ميسوطتان ، يُنفق كيف يشاء ...) وقوله تعالى : (هو الذي يُصَوِّرُكم في الأرحام كيف يشاء) فجوابهما محذوف يدل عليه ما قبله وليس بين فعل الشرط والجواب المشاركة اللفظية والمعنوية المطلوبتان معاً . وقد دُفع الاعتراض بأن : كيف ليست شرطية هنا ، أو بأن المقصود بالمشاركة ما يكون في غير المشيئة والإرادة - كما جاء في حاشية الصبان في هذا الموضع من الباب - .

لفظاً ومعنى ؛ نحو : كيف تمشى أمشى ، وكيف يتكلم الحاذق أتكلم . وقديتصل
بآخرها : « ما » الزائدة فلا يتغير من أحكامها شيء ؛ كقول الشاعر :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا

* * *

وأما « لو » الشرطية فخير الآراء أنها لا تجزم مطلقاً^(١) ؛ لا في النثر ولا في
الشعر . وسيجيء لها باب خاص يحوى أحكامها المختلفة^(٢) .

(١) والأمثلة التي استشهدوا بها للدلالة على جزمها أمثلة قليلة جداً لا تكفى للقياس عليها . ومع
قلتها تحتل أموراً تخرجها عن صلاحية الاستشهاد بها - وهي مدونة في الأشموني وحاشيته وفي غيره من
المطولات - ومنها :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا
وتولم في وصف حصان :

لو يشأ طار به ذو مِعة لاحق الآطال ، نهْد ، ذو خصل
(به : براكبه - مِعة : نشاط - الآطال : جمع إطل ، بكسر الطاء أو سكونها ، مع كسر
الهمزة في الصورتين ، بمعنى : الحاصرة - نهْد : ضخم جسيم - خصل : جمع خصلة ، وهي الكتلة من
الشعر) . والشاهد في الفعل المضارع « يشأ » المجزوم بالحرف « لو » .

والاستشهاد بهذا المضارع لا يتحقق إلا إذا كان أصله هو : « يشأ » ، وماضيه « شأ » ثم تصير ألفه
هزة ساكنة في بعض اللغات واللهجات التي تقول : العالم ، والخاتم ، في العالم والخاتم .

- راجع الصبان ، ج ٤ باب الجوازم ، عند الكلام على الأدوات التي تجزم فعلين -

« ملاحظة » : من الأساليب الصحيحة التي لها نظائر مأثورة أن يقال : أكرم الأصدقاء ولو ترسماً

المخلصون . بمعنى : ولا سيما المخلصون (يجزم المضارع ...) . ومثلها : ولا ترسماً المخلصون . وبيان هذا
الأسلوب وإعراجه مفصل عند الكلام على : « لا سيما » في ج ١ باب : الموصول م ٢٨ ص ٢٨٧ ، وله
إشارة هنا في « ب » من ص ٤١٢ وفي رقم ٢ من هامش ص ٤٩٤ .

(٢) في ص ٤٩١ .

المسألة ١٥٧ :

الأحكام الخاصة بجملة الشرط ^(١) ، وجملة الجواب
إذا كانت الأداة شرطية جازمة ، أو : كانت الأداة
الشرطية هي : « إذا ، أو : كيِّف » ^(٢) . . .

أولاً : أحكام الجملة الشرطية ، (ومنها حذفها ، وحذف فعلها وحده) :
١ - لا بد أن تكون فعلية ، ويلاحظ ما سبق ^(٣) ، وهو أن فعلها وحده هو
الشرط ؛ إذ لا يصح أن يكون الشرط جملة .

٢ - وجوب الترتيب بين أجزائها ، فلا يتقدم فعلها ، ولا شيء من معمولاتها على
أداة الشرط . ولا يتقدم - في الغالب - شيء من هذه المعمولات على فعل الشرط ^(٤) .

٣ - امتناع وقوع فعلها ماضى المعنى حقيقة ، فلا يصح إن هطل المطر
أمس يشرب النبات ، وأما قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : (إن كنتُ
قلته فقد علمته . . .) فالقرائن تدل على أن المراد : إن يثبت أنى قلته فقد
علمته . يدل على هذا سياق الكلام ، ونصه : (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم

(١) ما تجب ملاحظته أن الجملة الشرطية - دون الجملة الجوابية - لا يصح تسميتها جملة إلا على
حسب أصلها السابق قبل دخول الأداة الشرطية عليها ، أما بعد مجيء أداة الشرط فلا تسمى جملة ، إذ
لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو بالإيجاب ، تنفرد به ، ويقتصر عليها ؛ فليس لها كيان مستقل ؛
فهى لهذا لا تسمى جملة ، بل لا تسمى كلاماً بحسب وضعها الجديد .

(طبقاً للبيان الكامل الخاص بهذا في ج ١ م ١ عند الكلام على الجملة وكذا ج ١ م ٢٧ رقم ٣ من
هامش ص ٣٣٧) .

(٢) تسرى الأحكام الآتية على الأداتين « إذا » الشرطية ، و « كيف » الشرطية ، في حالتى
اعتبارهما جازمتين عند فريق ، أو غير جازمتين عند آخر . فعلى كلا الاعتبارين لا بد من خضوع هاتين
الأداتين للأحكام التى ستذكر .

أما غيرهما من الأدوات الشرطية التى لا تجزم مطلقاً (كأدوات الشرط الامتناعى ، ومنها : « لولا ولوما »)
وكذلك الأدوات التى لا تجزم فى القول الأصح (مثل : لو ، ولَمَّا الحينية ، وأما الشرطية النائية عن مهما)
فإن لها أحكاماً خاصة بشرطها وجوابها ، مدونة فى الباب الخاص بكل أداة - وسيأتى فى ص ٤٩١

(٣) فى ص ٤٢٥ .

و ٥١٢ -

(٤) إلا فى بعض صور تكون فيها أداة الشرط معمولة لفعله . وقد سبقت فى ص ٤٣٨ .

أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ !!
 مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ . إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ؛
 تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ؛ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَمُ
 الْغُيُوبِ . . . (١) . . .

٤ - امتناع أن يكون فعلها طلبياً أو جامداً ، فلا يصح : إِنْ أَصْفَحَ عَنْ
 الْمَسِيءِ يَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ ، وَلَا : إِنْ لَيْسَ الْهَوَاءُ هَادِئًا نَزَغَ فِيهِ .

٥ - امتناع أن يكون مبدوءاً بحرف تنفيس (٢) ، أو بقسم - عند كثرة النحاة -
 أو بشيء له الصدارة ؛ كأدوات الاستقهام في الأغلب (٣) ، والشرط . . .
 أو بحرف من حروف النفي ؛ مثل : (ما - لن - إِنْ -) لكن يجوز اقترانه
 بـ « لم » ، أو « لا » إِنْ كَانَ مُضَارِعًا وَاقْتَضَى الْمَعْنَى نَفْيَهُ بِأَحَدِهِمَا :

٦ - وجوب جزمه لفظاً إِنْ كَانَ مُضَارِعًا ، ومجلاً (٤) إِنْ كَانَ مَاضِيًا . وجازمه في
 الحالتين أداة الشرط - على الصحيح - بشرط أن تكون هذه الأداة الشرطية جازمة .
 أما الجملة الشرطية كاملة فلا محل لها من الإعراب إلا في حالتين :

الأولى : أن تكون أداة الشرط هي « إذا » - باعتبارها جازمة ، أو غير جازمة -
 فتكون ظرفاً مضافاً - في الرأي المشهور - ، والجملة الشرطية بعدها في محل جرّ ،
 هي المضاف إليه ، ومن الأمثلة قولهم : إِذَا انْصَرَفَ الْوَلَاةُ عَنِ الْعَدْلِ انْصَرَفَتِ
 الرِّعْيَةُ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَتَقَوَّضَتْ دَعَائِمُ الْمَلِكِ ، وَأَسْبَابُ السَّكِينَةِ وَالرِّفَافَةِ .

الثانية : أن تكون أداة الشرط هي المبتدأ ، والجملة الشرطية هي الخبر - عند
 من يجعلها خبراً ، وهو الأرجح (٥) - كقول الشاعر :

(١) انظر ما يتصل بهذا في رقم ٥ من هامش ص ٤٢٢ وفي ١ من هامش ص ٤٢٣ .

(٢) السين ، أو : سوف . وتسمى « سوف » : حرف تسويف أيضاً .

(٣) إلا الهزرة ؛ طبقاً للحكم العاشر الآتي ٤٤٧ .

(٤) انظر رقم ٦ من ص ٤٥٦ . ويظهر أثر الإعراب المحلى في التوابع ؛ فثلاً : إِذَا عَطَفَ عَلَى الْمَاضِي

المخزوم محلاً فعل مضارع مائل له في الزمن - ، جزم . وقد سبق تفصيل هذا في باب المناسب (ج ٣
 ص ٤٧٤ م ١٢١ باب العطف) .

(٥) وتكون من نوع الخبر الذي لا يتم المعنى بنفسه مباشرة مع المبتدأ ، وإنما يتم بمساعدة شيء
 آخر يتصل به . والجملة الشرطية لا تتم إلا بملاحظة الجملة الجوابية المترتبة عليها ، (وقد سبق بيان »

فمن يَلْمُزْ خيراً... يَحْمَدُ الناسَ أمره ومن يَسْغُرِ لَا يَسْعُدْ عَلَى الْغَى لَا تَمَّا

٧ - عدم حذفه بعد أداة شرطية مع بقاء فاعله^(١) ظاهراً وبعده الفعل المفسر للمحذوف ، إلا إن كانت أداة الشرط هي « إن » ، أو « إذا » ؛ فيكثر حذفه بعد كل منهما ، حتى قيل إن حذفه في تلك الصورة بوصفها السالف واجب . ولكن بقاءه - برغم قلته - جائز^(٢) . ومن التليل حذفه بعد أداة غيرهما^(٣) إلا لضرورة الشعر .

والأحسن أن يكون المفسر فعلاً ماضياً لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط (كالمضارع المسبوق بالحرف لم) . فمن أمثلة الحذف بعد « إن » قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله)^(٤) ، وقولهم : إن أحد

= هذا مفصلاً في ج ١ م ٣ أول باب : « المبتدأ والخبر » (هامش ص ٤٤٢ وما بعدها) وقيل : جملة الخبر هي الخبر وقيل هما معاً . (كما سبق في رقم ٥ من هامش ص ٤٣٨) هذا إن كانت أداة الشرط هي المبتدأ ، فإن كان المبتدأ اسماً قبلها فقد نصوا على الرجح وهو أن (المبتدأ إذا تقدم على أداة الشرط فإن اقترن ما بعدهما وبعد الجملة الشرطية - « بالفاء الرابطة - أو : إذا » ، التي تنفي عنها ، أو صلح لمباشرة الأداة كان هذا الذي بعدهما جواباً ، والخبر محذوفاً يدل عليه الجواب المذكور ، وإلا كان خبراً والجواب محذوفاً) .

(راجع الخصري في باب « الكلام وما يتألف منه » وتعليقه على الضبان عند بيت ابن مالك : « والأمر إن لم يك للنون محل . . . » وسبقت له إشارة موضحة (في ج ١ م ١ بهامش ص ٦٤ وفي ص ٤٧٧) . وانظر رقم ٢ من هامش ص ٤٥٧ فله ارتباط بهذه المسألة . ولا يتغير الحكم السالف إن صار المبتدأ اسماً لتاسخ مثل قول الشاعر :

إن اللثام إذا أذلتهم صلحوا على الهوان وإن أكرمتهم فسدوا

(١) أو نائبه . هذا إن كان الفعل تاماً ، فإن كان ناقصاً (لأنه من التواسخ) . لم يرفع فاعلاً ولا نائب فاعل ، وإنما يرفع اسماً . فالمراد ما يرفعه الفعل من فاعل أو غيره . . . (٢) لتعدد النصوص الواردة به والتي لا تحتاج إلى تأويل .

(٣) سبقت إشارة لهذا في ص ٤٢٥ وتفصيل المسألة في ج ٢ باب « الاشتغال » وملخصها : أن الاشتغال بعد أدوات الشرط ، والتخصيص ، والاستفهام بغير الهزمة لا يقع إلا في الشعر للضرورة . أما في النثر فلا يقع بعد تلك الأدوات إلا صريح الفعل . ويستثنى من أدوات الشرط ثلاثة يقع بعدها الاشتغال بمعناه العام (الذي يشمل الاسم السابق المرفوع) نظماً ونثراً :

أولها : أدوات الشرط التي لا تجزم ؛ مثل : إذا ، ولو .

ثانيها : « إن » الشرطية مع وجوب أن يكون الفعل المضمر ماضياً لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط .

ثالثها : أمّا - راجع البيان الخاص بهذا في الموضع السابق .

(٤) يتردد على السنة بعض المتسرعين الاعتراض على حذف هذا الفعل ، وعلى إعراب الاسم المرفوع

بعد : إن ، وإذا ، فاعلاً - كالأسماء المرفوعة في الأمثلة المذكورة . قائلين : لم لا تكون هذه الأسماء مبتدأ ، =

نال ما يستحق فاغبطه ، وإن أحد نال ما لا يستحق فترقب أن تسلبه الأيام ما نال . وقول أحد الخلفاء لقائد جيشه المنتصر: اتقوا الله في الأسرى ؛ عاملوهم برفق ، وانزلوا معهم على حكم الدين . « وإن فتية منهم أضلّهم الهوى فاهدوهم سواء الصراط ، وإن شيوخ استبد بهم ما ألقوه فترفقوا بهم إلى حين ، وإن نساء لم يسلمن من الفزع ، فأدخلوا السكينة على قلوبهن . . . »

ومن أمثلة الحذف بعد « إذا » الشرطية قوله تعالى في وصف يوم القيامة : (إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انثرت ، وإذا البحار فججرت ، وإذا القبور بعثرت - علمت نفس ما قدمت وأخرت) ، وقول الشاعر :

إذا الملك الجبار صعرَّ خدهُ مشيناً إليه بالسيوف نعاتبهُ

وقول الآخر :

إذا أنت عاتبت الوضع فإنما تخطُّ على صُحف من الماء أحرفاً

ومن أمثلة الحذف بعد أداة شرطية غير « إن » وإذاً « والمفسر غير ماض ، قول الشاعر يصف عادة هيفاء :

صَعْدَةٌ^(١) نَابِتَةٌ في حَائِرٍ^(٢) أَيْسَمًا الرِّيحُ تُمَسِّلُهَا تَمِيلُ

٨ - امتناع تصدير الجملة الشرطية بالحرف : « قد » ؛ فلا يصح : إن - قد - يعدل الراعي تسعد رعيته . لأن مجيء « قد » بعد فعل الشرط يقتضى^(٣) تحقيق وقوع فعل الشرط ، وتقريبه من الحال . مع أن فعل الشرط يقتضى احتمال أمرين ؛ وقوع معناه وعدم وقوعه ؛ كما يقتضى أن زمنه مستقبل محض^(٤) .

٩ - امتناع وقوع الجملة الشرطية حالاً - طبقاً للبيان الذى سلف^(٥) -

١٠ - امتناع تصديرها^(٦) بأداة شرطية ، (جازمة ، أو غير جازمة) قبلها

= أو فاعلاً للفعل المذكور بعدهما ؛ لنستريح من التقدير ؟ وقد أوضحنا بيان كامل خطأ هذا في ج ٢

ص ١٤٠ م ٦٩ . (١) ربح مستو ، وقناة لا عوج فيها .

(٢) مجتمع الماء . (٣) مراعاة للاستعمال الأغلب .

(٤) راجع شرح التصريح ج ٢ باب الجوازم عند الكلام على « كما » .

(٥) في رقم ٥ من هامش ص ٤٢٢ . (٦) فى رأى الأشهر (ولهذا صلة بالحكم الخامس) .

أداة استفهام مثل : « هل » الاستفهامية . لكن لا مانع أن تقع أداة الشرط بعد همزة الاستفهام^(١) دون غيرها .

١١ - جواز حذف الجملة الشرطية (فعلها ومرفوعه معاً)^(٢) بشرط وجود قرينة تدل عليها ، وألا يذكر صريحاً في الكلام بعدها ما يفسرها . وقد يبقى بعد حذفها شيء قليل منها ؛ مثل « لا » النافية . . . وقد تبقى الأداة أو تحذف مع الجملة الشرطية المحذوفة . ومن الأمثلة قول الشاعر :

مَتَى .. تُؤْخِذُوا قَسْرًا^(٣) بَطْنِيَّةً^(٤) عَامِرٍ وَلَا يَنْجُ إِلَّا فِي الصَّفَادِ^(٥) أُسِيرُ
يريد : متى توجدوا تؤخذوا^(٦) . . .

ومن أمثلة حذفها مع بقاء « لا » النافية الداخلة عليها ، قول الشاعر :

فَإِنْ تَوَلَّيْنِي مِنْكَ الْجَمِيلُ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَاِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ
وقول الآخر :

فَطَلَقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكَفٍّ وَإِلَّا يَسْعَلُ مَفْرِقَتَكَ الْحُسَامُ

والأصل فيهما : وإِلَّا تَوَلَّيْنِي - وإِلَّا تَطْلُقْهَا ؛ فحذفت الجملة الشرطية وحدها مع بقاء الأداة ، و « لا » النافية . ومثله قوله عليه السلام في اللَّقْطَةِ^(٧) فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلَّا اسْتَمْتَعُ بِهَا . والأصل : فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا أَخَذَهَا ، وَإِلَّا يَجِيءُ فَاسْتَمْتَعُ بِهَا . . . والأصل : فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا أَخَذَهَا ، وَإِلَّا يَجِيءُ فَاسْتَمْتَعُ بِهَا . .

(١) فلا يصح : هل إن يشتد البرد تهاجر الطيور - في الرأي الأشهر - ويصح : إن يشتد ؟ . (راجع الصبان ، ج ٤ عند بيت ابن مالك في أول باب : « الجوازم » : « فملين يقتضين شرط قدما . . . » .

وقد سبقت إشارة لهذا في آخر رقم ٣ من ص ٤٢٦) .

(٢) مرفوع الفعل يشمل الفاعل ، ونائبه واسم الناسخ ، إن كان الفعل ناسخاً ، (كما سبق في رقم ١ هامش ص ٤٤٦) . (٣) قهراً . (٤) بهمة .

(٥) القيد ، ونحوه ، مما يقيد به الأسير ، ويربط .

(٦) هذا البيت هو من الشواهد التي تؤيد القائلين بأن الجملة الشرطية قد تحذف ولو كانت أداة الشرط غير « إن » ولا يشترطون أن تكون « إن » . وعندهم شواهد نثرية ونظمية . نعم إن الحذف بعد « إن » هو الأكثر .

(٧) الشيء الذي يضيع من صاحبه ويجده بعض الناس في الطريق ونحوه .

وقولهم : المرء مجزى بعمله ، إن خيراً فخير . . . ، أى : إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير . فقد حذف فعل الشرط واسمه ، وبقي خبره .

وجعلوا مما يصلح لأمثلة حذف الأداة وجملة الشرط قوله تعالى يخاطب المؤمنين ، ويذكر انتصارهم على الكفار : (فَلَسَمَ تَقْتُلُوهُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) ، والأصل : إن افتخرتم بقتلهم أفلم تَقْتُلُوهُمْ . . . — وقد دخلت الفاء على « لم » هنا — ومثله قوله تعالى في المشركين : (أَمْ^(١) اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) ، التقدير : إن أرادوا الولي الحق فالله هو الولي الحق وحده . وقوله تعالى : (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة^(٢) ؛ فإياي فاعبدون) ، والتقدير : إن لم يتيسر أن تعبدوني في أرض ، فإياي في غيرها فاعبدون .

هذه هي أهم الأحكام الخاصة بالجملة الشرطية . وستجىء — (٢) أحكام عامة تختص بها وبالجملة الجوابية .

* * *

ثانياً : أحكام الجملة الجوابية (٣) للشرط الجازم ؛ ومنها الحذف :

١ — أن تكون فعلية . ويصح أن تكون اسمية مقترنة « بالفاء » الزائدة للربط ، أو « بإذا » الفجائية التي تحل محلها في بعض الحالات للربط (٤) . ومن أمثلة الفعلية قول الشاعر :

لا يذهبُ الخيرُ سُدًى ومن يُعِينُ يوماً يُعِنُ
ومن أمثلة الاسمية قولهم : حينما تصنعُ خيراً فالجزاء خير . وقول الشاعر :
فإن تتقوا شراً فثلمكمو اتقى وإن تفعلوا خيراً فثلمكمو فععل
وقولهم : إن يسر المرء على سنن الهدى إذا التوفيق حليفه .

٢ — لا بد من إفادتها معنى جديداً لا يفهم من جملة الشرط — كالأمثلة

(١) بل . . . (٢) في ص ٤٧١ .

(٣) ويجوز أن تكون مثبتة ، أو منفية بالتفصيل الآتي في ص ٤٦١ و ٤٦٧ ، وقد اجتمع الأمران في قول الشاعر :

ومن يغترّب يحسبُ عدوًّا صديقَه ومن لا يُكْرِمُ نفسه لا يُكْرِمُ
(٤) وسيجيء البيان الخاص بالربط في رقم ٨ من ص ٤٥٨ .

السالفة — ، فلا يصح : إن تسأل عن الغائب تسأل ؛ لأن هذه الجملة الجوابية بلفظها ومعناها مثل الشرطية فيهما ؛ فلا جديد في معنى الجواب ، فإن تضمنت معنى جديداً جاز وقوعها جواباً ؛ كقوله عليه السلام : (. . .) لكل امرئ ما نرى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . . .) ، أى : فهجرته مقبولة ، أو مباركة . . . فالجملة الجوابية أفادت مراداً جديداً بالرغم مما بينها وبين الجملة الشرطية من اشتراك لفظي

٣ - وجوب تأخيرها ؛ فلا يجوز تقديمها ولا تقديم شيء من أجزائها ومعمولاتها على أداة الشرط ، ولا على الجملة الشرطية . إلا في حالتين :

الأولى : أن يكون الجواب جملة مضارعية^(١) ، مضارعها مرفوع : فيجوز تقديم معمول الجواب على الأداة ؛ بشرط مراعاة البيان والتفصيل الخاص^(٢) بهذا . . . نحو : خيراً إن تستمع تستفيد .

الثانية : أن يكون المعمول هو : « إذا » الشرطية عند من يعربها ظرفاً لجوابها . وكذا غيرها من الأسماء الشرطية الأخرى التي لا تكون معمولة لفعل الشرط حين يكون فعلاً ناسخاً . وقد سبق^(٣) أيضاً بيان هذه الحالة بصورتها .

وسوغ التقديم في الصورة الأولى أن المضارع المرفوع ليس هو الجواب في الحقيقة ؛ لأن الجواب محذوف^(٤) ، وتسمية المذكورة جواباً تساهل لوحظ فيه الأصل^(٥) . أما في الصورة الثانية فلأنها أداة شرطية واجبة الصدارة :

(١) في الشكل الظاهر لا في الحقيقة ؛ إذ الحقيقة - طبقاً للمشهور - ، أن الجملة المضارعية المذكورة في مثل هذه الصورة هي دليل الجواب ، وليست بالجواب ؛ لأنه محذوف - طبقاً للاق هنا ، والبيان الآتي في ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٢) وفي ص ٤٧٤ حكم المضارع المرفوع في جواب الشرط .

(٣) في ص ٤٣٨ وما بعدها .

(٤) وفي ص ٤٧٥ إعراب المضارع المرفوع في جواب الشرط .

(٥) بمناسبة حذف الجواب يعرض النحاة لحالة فعل الشرط ، ولتقديم دليل الجواب عليه ، والحالات التي يتعين أن تكون فيها بعض الأدوات موصولة ، لا شرطية ، فيقولون : « إن تقدم على أداة الشرط شبه بالجواب فهو - في الأرجح - دليل الجواب ، وليس بالجواب » . وجاء في التسهيل واللمع ما ملخصه : إذا حذف الجواب في السمة وتقدم دليله على أداة الشرط فلا يكون فعل الشرط - في الأصح - إلا ماضياً =

= لفظاً ومعنى بحسب أصله ، أو معنى فقط كالمضارع المسبوق بالحرف « لم » - مع ملاحظة ما يأتي في الحكم الرابع - . قال سيبويه : (هذا هو الوارد من كلام العرب) .

وإذا لا يصح عنده الأخذ بالرأى الكوفي الذي يقيس المضارع على الماضي ؛ فيجيز : (أنت كريم إن تصفح) ؛ لأن في هذا قياساً لشيء على آخر يخالفه في علة القياس وسببه . . . لكن الكوفيين - إلا الفراء - يستشهدون بأمثلة فصيحة تؤيد رأيهم وتقويه - كما سيجيء في ص ٤٥٥ - والرأى الأول أقوى وأفصح مع صحة الثاني .

وما سبق مقصور على السعة أما في الضرورة الشعرية فيصح حذف الجواب مطلقاً وفعل الشرط مضارع ومنه :

يُثْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ - إِنْ هُوَ يَسْتَرْذُكَ - مُزِيدٌ

- وسيماد ذكر البيت واسم صاحبه لمناسبة أخرى في ص ٤٥٥ -

فإن كان فعل الشرط المسبوق بدليل الجواب غير ماض وأداة الشرط : « ما » ، أو : « من » ، أو « أئى » - وجب في السعة (أئى : في غير الضرورة الشعرية) جعلها موصولة وإعطاؤها حكم الموصول ، فتقول : أعطى من يعطى محمداً ؛ وأحب ما يحبه ... - وأكرم أكرم يحبك ... ؛ برفع المضارع ، والمجىء بالمعاند ، واعتبار الجملة صلة لا محل لها من الإعراب ، وصحة عمل العوامل التي قبل الموصول فيه . أما في الضرورة فيجوز بقاء الشرطية والجزم .

وكذلك يجب جعل تلك الأدوات موصولة إذا وقعت مع جملتها مضافاً إليه ، والمضاف اسم زمان ؛ نحو : أتذكر إذ من يرضينا نرضيه ، لأن أسماء الزمان لا تضاف إلى جملة مصدر « إن الشرطية » - (كما سبق في ج ٢ رقم ٦ م ٧٩ هامش ص ٢٣٧ وفي ج ٣ م ٩٤ ص ٦٧) - فكذا المصدرة بما تضمن معنى « إن الشرطية » كمن ؛ خلافاً للزيادة حيث جوز في هذه الصورة الجزم اختياراً . أما عند غيره فقد خرجت تلك الأدوات عن الشرطية . وصارت موصولة ينطبق عليها ما ينطبق على الموصول من أحكام ، ولا دخل لها بالشرط .

وكذلك يجب ما ذكر لمن مطلقاً - (أى : في السعة وفي الضرورة ، سواء أكان بعدهن ماض أو مضارع) فيما يأتي :

أ - إذا تقدمت « هل » مباشرة ؛ لأن « هل » لا تدخل على « إن الشرطية » فكذا ما تضمن معنى « إن » بخلاف الهمزة ؛ فيجوز الجزم على الأصح ؛ نحو : أمن يرضيك ترضيه ؟ لدخولها على « إن الشرطية » .

ب - إذا وقع بعد ناسخ من باب : « كان » أو : « إن » ؛ لأن اسم الشرط لا يعمل فيه عامل قبله إلا حرف الجر أو المضاف ؛ فإنهما قد يجران بعض أسماء الشرط (كما سبق في ص ٤٢٦ و ٤٣٨) وغير هذين العاملين لا يعمل فيه . ومن الأمثلة : كان من يرضينا نرضيه - إن من يرضينا نرضيه . وأما قول الأعشى :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنَيْسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً =

٤ - امتناع حذفها إلا بشرطين :

أولهما : أن يدل دليل عليها بعد حذفها ، ولا يصلح جواباً^(١) ؛ ويتحقق هذا الشرط بأن يسبقها ، أو يكتنفها (أي : يحيط بها) ، أو يتأخر عنها ، ما لا يصلح جواباً ، ولكنه يدل على الجواب المحذوف^(٢) ؛ مثل : (أنت الشجاع إن قلت الحق في وجه الظالم) ، أو : (أنت - إن تملطفت في القول - محبوب) . فالجملة الجوابية في المثالين محذوفة ؛ لوجود ما يدل عليها ؛ وهو الجملة التي قبلها ، أو التي تحيط بها ، وكلاهما لا تصلح جواباً . والأصل : أنت الشجاع ، إن قلت الحق في وجه الظالم

= (يجزم الفعلين : يدخل ويلق) فعل تقدير ضمير الشأن ، أي : إنه من يدخل .

ج - إذا وقع بعد « ما » النافية ؛ لأن « ما » النافية لا تنفي الجملة الشرطية . نحو : ما منَّ يومنا نريمه .
د - إذا وقع بعد « لكن » - ساكنة النون ، - أما المشددة فداخلة في : « ب » السابقة - أو « إذا » الفجائية ، نحو : لا أذهب لمن يقاطعني ، لكن من يزورني أزوره - مررت بالمحسن فإذا منَّ يستمين به يعينه . وسبب المنع هو أن أداة الشرط (اسماً كانت أم حرفاً) لا بد أن تكون في صدر جملة جديدة مستقلة بمعناها وبإعرابها . أما « لكن » وإذا الفجائية « فلا بد أن يسبقهما كلام يرتبط به ما بعدها ارتباطاً معنوياً ، بحيث يتصل المعنيان اتصالاً وثيقاً .

وجاء في حاشية الصبان أن سريان الحكم على تلك الأدوات بعد : « لكن » وإذا « الفجائية مشروط بشرط ألا يضم بعدها مبتدأ ، فإن أضم بعدها مبتدأ جاز جزم المضارع ، تقول : رأيت الشريف فإذا من يزره يكرمه - وعلى كريم الخلق لكن من يزره يُغضبه . والتقدير فيهما : (فإذا هو من ... - لكن هو من ...) . ولم يرد لهذا الشرط ذكر في بعض المراجع الأخرى المتداولة ، كالمجمع ... ولم أجد فيما رأيت أمثلة مسموعة تؤيد الأخذ به . ولهذا يحسن إهماله ، والبعد عن التأويلات والتقديرات بغير ضرورة . (راجع في كل ما سبق المجمع ج ٢ ص ٦١ وما بعدها . وحاشية الصبان عند بدء الكلام على الأدوات التي تجزم فعلين ...) .

(١) لأنه إذا دل عليها وهو متأخر ، وكان ما يصلح جواباً أصيلاً بغير ضعف وجب اعتباره الجواب مباشرة ، إذ لا داعي للحذف أو التقدير . ويوضح هذا ما سبق وما يجي في الصفحة التالية عند الكلام على الشرط الثاني . على أن الكوفيين يعتبرون الدليل المتقدم الذي يصلح جواباً هو الجواب الأصيل ولا مانع عندهم أن يتقدم الجواب على أداة الشرط ويخالفون البصريين في هذا .
(٢) فالغالب أن تسبقه جملة ، أو تكتنفه ؛ (بأن يقع بين ركنيها الأساسيين) . ومن أمثلة

الأول الذي تسبقه جملة قول الشاعر :

لا خيل عندك تُهديها ، ولا مالٌ فليُسعدِ النطق إن لم يُسعدِ الحال

وقول الآخر :

رُبَّ ليل كأنه الصبح في الحُسْن ، وإن كان أسود الطَّيْلَسَانِ

فأنت الشجاع — أنت محبوب ، إن تلطفت في القول فأنت محبوب ^(١) .

ومثال الدال عليها وهو متأخر لا يصلح جواباً ، قوله تعالى : (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ...) ، أى : فلا تحزن ؛ فقد كذبت رسل من قبلك ، — كما سيحىء — ^(٢) فالدال على الجملة الجوابية المحذوفة قد يكون قبلها ، أو بعدها ، أو محيطاً بها . وهو فى كل حاله لا يصلح جواباً .

ومن أمثلة حذفها لدلالة جملة سابقة الشطر الأول من قول الشاعر :

عش وحيداً إن كنت لاتقبل العُد ر ، وإن كنت لاتغفر زلَّة

وبما يدل عليها : « جواب القسم » إذا كان القسم متقدماً على أداة الشرط ، نحو : والله إن رعيت اليتيم ليرعيتك الله . فالقسم محتاج لجواب ، وكذلك أداة الشرط ؛ فحذف جواب المتأخر ^(٣) منهما ؛ وهو الشرط ، لدلالة جواب المتقدم — وهو القسم — على المحذوف . ولهذا تعتبر اللام فى المثال داخلة على جواب القسم ؛ كدخولها عليه فى قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ، وَالْأَرْضَ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ — ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ، وفى قوله تعالى بلسان الكفار يهدون الرسول (لَسَنَ لَسْمَ تَسْتَهْوُوا لَنَرَّجُمَنَّكُمْ) فاللام الداخلة على أداة الشرط : (إِنْ) هى علامة القسم ، واللام المتأخرة داخلة على جوابه . أما جواب الشرط فى الآيتين فمحذوف : لتأخر أداة الشرط . ويدل عليه فى كل منهما جواب القسم المذكور .

ثانيهما : أن يكون فعل الشرط — فى غير الضرورة الشعرية ، وعند غير الكوفيين ^(٤) — ماضياً لفظاً ومعنى بحسب أصله ، أو معنى فقط ؛ كالمضارع المسبوق بالحرف : « لم » . فمثال الماضى لفظاً ومعنى : أنت عزيز إن ترفعت عن الدنيا ، أو أنت — إن ترفعت عن الدنيا — عزيز ... وقول الشاعر :

ونحن أولو المآثر من قديم وإن جحدت مآثرنا اللثام ... ^(٥) .

(١) انظر ما يتصل بهذا من اجتماع المبتدأ وأداة الشرط فى رقم ٥ من هامش ص ٤٤٥ .

(٢) لاحظ ما أشرنا إليه هنا من رأى الكوفى ، وما سبق فى رقم ٥ من هامش ص ٥٥٠ .

(٣) علة بالرأى الراجح .

(٤) سبق رأهم فى رقم ٥ من هامش ص ٥٥٠ وسيحىء فى ص ٤٥٥ أنه مقبول .

(٥) وكذلك قول الآخر :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوى رجم

ومثال الماضي معنى لا لفظاً قول الشاعر :

لمنْ تطلبُ الدنيا إذا لم تُردْ بها سرورَ مُحِبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمٍ ؟

فإن لم يكن فعل الشرط ماضياً بأن كان مضارعاً لفظاً ومعنى لم يصح - في الأرجح - حذف الجملة الجوابية^(١) إلا إن سد مسدها جملة أخرى بعدها^(٢) تدل عليها ، ولا يستقيم المعنى يجعلها هي الجواب ؛ كقوله تعالى : (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) ، والأصل : وإن تجهر بالقول فإنه غنى عن جهرك ، فحذف الجواب الأصلي ، وسد مسده جملة : (فإنه يعلم السر) ، وهي جملة بعده شغلت مكانه ، ولا يستقيم المعنى على اعتبارها الجواب الحقيقي ؛ لأن الجهر بالقول لا يترتب عليه أن الله يعلم السر ؛ إذ الله يعلم السر دائماً ؛ سواء أوجده جهر بالقول أم لم يرجد^(٣) . ومثل هذه الآية قوله تعالى : (وإن يكذبك

(١) لاحظ ما أشرنا إليه هنا من الرأي الكوفي ، وما سبق في رقم ٥ من هامش ص ٥٥٠ .

(٢) فهي متأخرة في مكانها عن الجواب المحذوف ، وموضعها الأصلي بعده ، بالرغم من أنها تشغل مكانه ظاهراً ، لا حقيقة ؛ إذ مكانه خال في الواقع . وهي بهذا الإيضاح تعتبر صورة من صور الشرط الأول . إلا أن الصورة هنا واجبة التأخير ، وهي تسد وتغنى عن الجملة الجوابية المحذوفة . لكن كيف يصح حذف الجواب مع أن فعل الشرط مضارع ؛ كما يبدو في الآيات التالية ؟ أجابوا : (« أنه لما سد شيء مسده كأنه لم يحذف ») - راجع حاشية الأمير على « المغنى » ، ج ٢ موضوع حذف جملة جواب الشرط - (٣) والذي دعا لهذا التقدير : أن أجل الله آت على كل حال ؛ فليس الجواب مترتباً على الشرط ، فهو كقوله تعالى : (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر ...) ومثل قوله تعالى : (وإن يكذبك فقد كذب رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ ...) فالجواب في كل هذه الأمثلة محذوف وقد وجد ما يسد مسده ، فجاز حذفه بالرغم من أن فعل الشرط مضارع . والسبب في اعتباره محذوفاً واعتبار المذكور في مكانه ساداً مسده أن هذا المذكور ليس مترتباً على الشرط ، ولا مسبباً عنه ؛ كما هو الشائع في أغلب الأساليب - طبقاً لما أوضحناه في رقم ١ من هامش ص ٤٢٢ - .

أما على غير هذا الاعتبار فلا حذف ، والمذكور هو الجواب ؛ كما سبق بيانه (في الهامش المشار إليه) من أن الشرط ملزوم وأجزاء لازم له ؛ سواء أكان الشرط سبباً أم غير سبب . وكذلك ما قاله ابن الحاجب من أن الأجزاء قسبان . وقد أوضحناهما هناك . . .

ويكاد الخلاف يكون لفظاً ؛ لاتجاهه إلى مجرد التسمية ؛ أنسمى المذكور جواباً أم ساداً مسد الجواب حين لا يكون مسبباً عن الشرط مباشرة ؟ وما يلاحظ أن هذا الخلاف في التسمية مقصور على الحالة التي يكون فيها فعل الشرط مضارعاً بعده جملة ليست مسببة عنه مباشرة .

وسيجيء في ص ٤٨٠ - رقم ٤ - إشارة أخرى خاصة بأداة الشرط : « إن » .

فقد كُذِّبَتْ رِسلٌ من قبلك . . .) ، والأصل : وإن يكذبوك فلا تحزن ، فقد كُذِّبَتْ رِسلٌ من قبلك ^(١) . ولا يصح أن تكون الجملة المذكورة هي الجواب ؛ لأنها ليست مُترتبة على ما قبلها . وكذلك قوله تعالى (من كان يرجو لقاء الله فإنَّ أجلَ الله لآتٍ . . .) فالجواب المحذوف تقديره : فليبادر للعمل الصالح . والكوفيون لا يشترطون لحذف الجواب أن يكون فعل الشرط ماضياً ، بل يجيزون أن يكون مضارعاً ؛ ولذا يقولون فيما سُدَّ مسدده : إنه الجواب الحقيقي ، وليس بالدليل ، ولا بالسَّاد مسد الجواب ، مستدلين بأمثلة كثيرة تؤيدهم ، كالآيتين السالفتين ، وكقول الشاعر ^(٢) :

لئن تكُ قد ضاقت عليكم بيوتكمُ لَسِعَلِمُ رَبِّي أَن بَيْتِي وَاسِعُ
فقد حذف جواب الشرط « إن » مع أن فعله مضارع ؛ وهو : « تَكُ » ، أما جملة « لَسِعَلِمُ » فهي جواب القسم الذي تدل عليه اللام الداخلة على « إن » ، ولا يصح - في الراجح - أن تكون هذه الجملة جواباً للشرط ، لأنه متأخر هنا عن القسم ، ولأن جوابه لا يكون مبدوءاً باللام . وكذلك قول الشاعر :

يُسْنِي عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ إِنْ هُوَ يَسْتَزِدُّكَ مَزِيدُ
والأصل : إِنْ يَسْتَزِدُّكَ ^(٣) - هو - يَسْتَزِدُّكَ فمزيدك مزيد .

والأخذ برأى الكوفيين - وإن كان ليس بالأعلى هنا - أنسب وأيسر ؛ بسبب الشواهد القوية الكثيرة التي تؤيدهم ، وبسبب ما يراه أكثر المحققين ، وهو : « أن جواب الشرط قد يكون غير مترتب على فعل الشرط » - كما أوضحناه من قبل ^(٤) - . ومتى اجتمع الشرطان الخاضعان بالحذف صار الحذف غالباً ، وقيل إنه واجب ، والأول أنسب .

(١) لهذا إشارة في الصفحة السابقة ، وهامشها .

(٢) هو الكُمَيْت بن معروف من الشعراء المخضرمين - كما جاء في هامش كتاب : « معاني القرآن »

للغراء ، ص ٦٦ - .

(٣) على هذا التقدير يكون فعل الشرط مضارعاً - عندهم - ؛ بدليل تفسيره بمضارع بعده .

أما غيرهم فيجعل البيت من الشواذ - . وقد سبق البيت لمناسبة أخرى ص ٤٥١ -

(٤) في رقم ٦ من هامش ص ٤٢١ على أن الخلاف بين الفريقين يكاد يكون لفظياً في تسمية

المذكور ؛ أهو جواب أم ساد مسده . كما قلنا في رقم ٣ من هامش الصفحة السالفة .

هذا حكم الجملة الجوابية من ناحية حذفها حذفاً غالباً ، أو واجباً أما حذفها جوازاً فأشهر صورته اثنتان :

الأولى : أن تقع جملة الشرط جواباً لسؤال ؛ نحو : أترشد الغريب ؟ فتجيب إن رأيته ، والتقدير : إن رأيتهُ أُرشدُه .

الثانية : أن تشعر الجملة الشرطية نفسها — دون سواها — بالجواب المحذوف ؛ كقوله تعالى يخاطب الرسول في شأن المعارضين : (فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ . . . ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) ، والتقدير : فإن استطعت . . . فافعل .

٥ — امتناع تكرار مدلولها إذا كان مدلول الجملة الشرطية يقتضى التكرار . إلا إن اقتضى العرف التكرار ، أو قامت قرينة تدل عليه . ففي مثل : إن أسافر أركب طائرة — لا يكون المراد أن ركوب الطائرة يتكرر بتكرار السفر ، وإنما المراد أن سفرى سيقضى ركوبى الطائرة مرة واحدة . فإذا تكرر السفر فقد يكون فى الطائرة أو فى غيرها . . . بخلاف قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ . . .) ، فإن الجواب وهو : الأمر بغسل الوجوه والأيدى وغيرها مما يحتمه الوضوء يقتضى التكرار كل مرة ، للدليل شرعى آخر ؛ يوجب الوضوء قبل كل صلاة على من ليس متوضئاً .

٦ — جزم فعلها لفظاً إن كان مضارعاً ، ومحلاً إن كان ماضياً^(١) ؛ بشرط ألا تقترن به فى الصورتين « الفاء » أو « إذا » الفجائية — وهما لمجرد الربط طبقاً ، لما سياتى^(٢) — كقول الشاعر يصف الحساد :

إن يعلموا الخير يُخفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا^(٣)

فالمضارع : « يُخفوا » مجزوم بحذف النون — وواو الجماعة فاعل — . والماضى : « أذاع » مبنى على الضم لمناسبة الواو فى محل جزم . ومثله الماضى : « كذب » ولا محل

(١) انظر رقم ٢ من « ج » ص ٤٦٨ ولهذا إشارة سبقت فى ص ٤٢٢ .

(٢) فى هذه الصفحة ، والتي تليها .

(٣) تقدم هذا البيت لمناسبة أخرى فى ص ٤٢٤ .

لجملة الفعلية الماضية فيما سبق ؛ لأن الجازم قد عمل في محل الفعل الماضي ؛ فلا يؤثر بعد هذا في محل الجملة (١) المشتملة على هذا الفعل .

فإن كان الجواب مقترناً « بالفاء » الرابطة ، أو « إذا » الفجائية التي تحل محلها أحياناً - فإن الجازم يؤثر في مجموع الجملة ، لا في الفعل وحده ، ولا في غيره من أجزائها . فتأثيره مسلط عليها كلها مجتمعة متماسكة الأجزاء - ومن بين أجزائها : الفاء ، وإذا الفجائية - فتصيرُ الجملة كلها في محل جزم بأداة الشرط (٢) . ويظهر أثر هذا الإعراب المحلى في توابعها - كما سلف وكما سيجيء هنا - . ولا يصح جزم الفعل .

٧- جواز اقترانه - لداع بلاغى - بكلمة : « إذا » الجوابية ؛ لتفидته توكيداً وتقوية ، بشرط أن تكون أداة الجزم ، هى : « إن » ؛ نحو : إن تنصرُ أهل البغى إذا يصببك بغيتهم (٣) .

(١) ولهذا لا يصح جزمها .

(٢) قالوا : لأنه لو وقع في هذا الموقع فعل يقبل الجزم لجزم وعلى هذا لا يتسلط الجازم على جزء من أجزاء الجملة دون بقية أجزائها ؛ كذا في المنى والكشاف . لكن قال الدمامين وأقره الشئبى : (الحق أن جملة الجواب لا محل لها مطلقاً ، إذ كل جملة لا تقع موقع المفرد لا محل لها . ولا يقال إنها واقعة هنا موقع المفرد - وهو الفعل القابل للجزم - لأنها لم تقع موقعه وحده ؛ بل موقعه مع فاعله الذى يتم به الكلام كما يتم بهذه الجملة . . .) فعلى الرأى الأول : لو كان اسم الشرط مبتدأ لكانت جملة الجواب في نحو : (من يقيم فإني أكرمه) في محل جزم ورفع باعتبارين ؛ هما الشرطية والخبرية ؛ بناء على أن الجواب هو الخبر أيضاً ، وعلى الثانى في محل رفع على الخبرية فقط ؛ كما لها في نحو : من يقيم أكرمه اتفاقاً ؛ لظهور أثر أداة الشرط في المضارع الثانى .

(راجع الخضرى أول الباب) ثم الصبان أيضاً عند الكلام على ما يحزم فعلين .

ولا يتخلو هذان الرأيان من غموض واضطراب ، ونوع معارضة للحكم الذى قررروه وحققوه خاصاً باجتماع المبتدأ والشرط - وقد سبق في رقم ٤ من هامش ص ٣٨ وانظر رقم ١ من هامش ص ٤٦ وهامش ص ٤٧٥ فابتعاداً عن هذا كله ، وفراراً من اللبس - يحسن الاختصار على الرأى الثانى عند اقتران الجواب « بالفاء » أو « إذا » ، والاستغناء عن الخبر لوجود الجواب الذى يدل عليه .

(٣) سبق إيضاح هذا في ص ٣١٥ ، ومنه يفهم جواز دخول « اللام » على جواب « لو » ، وإن الشرطيتين - وفائدة هذه اللام موضحة تفصيلاً في ص ٤٩٨ - وهامشها - وقد ورد اقتران جواب « إن » باللام في كلام يحتج به ؛ هو قول الشاعر ابن عنتمة من شعراء الأصمعيات - كما سيجيء في ص ٤٦٣ - قال :

فإنَّ يَجْزَعُ عليه بنو أبيه لقد خُدعوا ، وفاتهموا قليل

كما اقترن جوابها باللام في خطبة لأبي بكر رضى الله عنه - وردت في الجزء الأول من كتاب =

٨ - وجوب اقتران الجواب - في غير الضرورة^(١) - « بالفاء » ، أو « إذا »
الفجائية التي تخلّفها في بعض المواضع الآتية^(٢) ، إذا كان الجواب نوعاً من
الأنواع التي لا تصلح فعل شرط . وهذه « الفاء » زائدة للربط المحض الدال على

= زهر الآداب ، للحصري ص ١٠ - جاء فيها : (يا معشر الأنصار إن شتم أن تقولوا إنا آويناكم
في ظلا لنا ، وشاطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا - لقلم . . .) « إن » في المثالين بمعنى « لو »
وقد جاء في كتاب : « شفاء الغليل » للخفاجي - ص ١٧٦ مادة « لو » ما نصه :

(إدخال اللام في جواب « لو » ظاهر . وأما في جواب « إن » فقليل لأنه من خطأ المصنفين . وليس
كذلك ، لأنها تُخرج على أنها جواب « لو » مقدرة ، والتقدير في قولهم : « وإلا لكان كذا ... » « فلو كان
كذا لكان كذا » ترقياً من مرتبة الشك إلى الجزم) . ٥١ .

ونرى أن هذا التعليل مرفوض ؛ لعدم توضيحه طريقة « التقدير » ومكانه ، والضابط الذي يحدده ،
ولأن الأخذ به وحده يفتح باب الفساد والفوضى في اللغة . وكان عليه أن يستدل بأمثلة مسموعة تؤيده ؛
ولم نره ولا غيره عرض أمثلة من فصيح الكلام تؤيد ذلك الأسلوب إلا ما نقلناه - وفيه الكفاية .
ورأى أن ذلك الأسلوب صحيح مع قلته ، ولكن الأفضل الاكتفاء بالأكثر - انظر ما يتصل بهذا في

رقم ٩ ص ٤٦٣ - .

بقي شيء آخر ؛ مانوع اللام في قوله تعالى في سورة الأعراف : « وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من
الخاسرين » ؟ أهي اللام الداخلة على جواب قسم محذوف ؛ كما يصرح بهذا بعض المفسرين مجازاة
لشائع بين النحاة ؟

إن صح هذا الرأي كان قائماً على من الحذف والتقدير ، والتأويل ، وكان مساوياً في قوته اللغوية
للرأي الآخر الذي يجيز دخول اللام في جواب « إن الشرطية » أحياناً ، بل إن هذا الرأي أقوى ؛ لابتعاده
عن التأويل في القرآن من غير داع ؛ لكن كثرة النحاة ترتضى أنها اللام الداخلة على جواب القسم ،
مستندين في هذا إلى حكم خاص من أحكام « إن الشرطية » ، هو : أنها إذا وقع بعدها فعل الشرط
مضارعاً مجزوماً بها كان من المستقيح مجيء لام التمين في جوابها ؛ فلا يستحسن أن يقال : إن تزرني
لا كرمك ؛ لأن اللام تمنع « إن » من العمل مع أنه ظهر عملها في فعل الشرط .

فإن كان فعل شرطها ماضياً - ويدخل في هذا المضارع المسبوق بلم فإن عملها الجزم فيه لا يكون
ظاهراً ؛ فيجوز دخول لام التمين في جوابها فيصح من غير قبح أن يقال : إن تزرني لا كرمك . ومن الأمثلة
لهذا قوله تعالى : (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين) . ومن الأمثلة لرفع الجواب بعد فعل
الشرط الماضي قول شاعرهم :

وإن أتاه خليل يوم مَسْغَبَةٍ يقول إلا غائبٌ مالي ولا حَرَمٌ

وسيجيء هذا البيت للمناسبة في ص ٤٧٤ - ومن الأمثلة ترك لام التمين بعد المضارع المجزوم بها فعلا
للشرط قوله تعالى : « (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) » - راجع كتاب سيبويه ج ١
ص ٤٣٦ - .

(٢) هو النوع السابع الآتي في ص ٤٦٢ . وانظر معنى « إذا » في رقم ٢ من هامش ص ٤٦٢ .

التعليل ؛ وليست للعطف ولا لغيره^(١) ، ولا تفيد معنى إلا عقد الصلة ومجرد الربط المعنوي بين جملة الجواب وجملة الشرط ، كى لا تكون إحداهما مستقلة بمعناها عن الأخرى بعد زوال الجزم الذى كان يربط بينهما . وتعرب « الفاء » و « إذا » الفجائية مع الجملة التى بعدهما فى محل جزم جواباً للشرط ، ولا يصح فى الجملة الفعلية بعدهما أن يكون الفعل وحده هو الجواب ، ولا أن يُجزمَ - كما تقدم - وأشهر هذه الأنواع التى لا تصلح فعل شرط ما يأتى^(٢) :

الأول : الجملة الطلبية . وتشمل الأمر ، والنهى ، والدعاء - ولو بصيغة الخبر - والاستفهام ، وغيره من بقية أنواع الطلب التى سبقت^(٣) . فمثال الأمر قولهم : إذا غضبت فاسكت لتأمن زلل اللسان . وقول الشاعر :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة ، وفيها مضاء

ومثال النهى : مَنْ يستشرك فلا تكتم^(٤) عنه صادق المشورة ، ومن يستنصحك فلا تحجب^(٥) عنه خالص النصح^(٥) . . .

ومثال الدعاء : ربّ : إن أدعُك لما يرضيك فاستجب ، وإن أتجبه لما يغضبك فلترشدنى للسداد . ربّ ، إن هفوتُ فلا تحرمنى المغفرة ، وإن ضللتُ فلا تتركنى ضالاً . . . ونحو : إن يُمت المجاهد فيرحمهُ الله ، . . .^(٦)

(١) راجع الجمع والصبان - فليست « فاء السببية الجوابية » التى ينصب بعدها المضارع « بأن » المضمرة وجوباً . وليست نوعاً آخر غير الزائدة المحضة .

(٢) سبعة ، ومتذكر أنواع أخرى فى « ج » من الزيادة والتفصيل ص ٤٦٧ .

ومنها المضارع المنى بالحرف : « لا » - أحياناً - .

(٣) فى ص ٣٦٥ .

(٤ و ٥) المضارع مجزوم « بلا » الناهية ، وليس جواباً مجزوماً ؛ لأن الجواب هو الجملة المضارعية كلها . أما المضارع المسبوق بلا النافية فيجىء حكه فى ص ٤٦٧ - كما سبق - .

(٥) وقد اجتمع الأمر والنهى فى قول بمض العرب : (إذا بلغك أن غنياً اختار فصدّقْ ، وإذا بلغك أن فقيراً اغتنى فصدّقْ ، وإذا بلغك أن حياً مات فصدّقْ . وإذا بلغك أن أحقاً اكتسب عقلاً ونطق حكمة فلا تُصدّقْ) .

(٦) المضارع هنا للدعاء ، فهل يصح مجئ الماضى هنا للدعاء ؟ الجواب فى رقم ٢ ص ٤٦٨ .

ومن الأمثلة قوله تعالى : (ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .

ومثال الاستفهام قوله تعالى: (إِنْ يَنْصَرُّكُمْ اللَّهُ فَلَا^(١) غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟)، ومثل: مَنْ تَسْتَنْحِ لَهُ الْفُرْصَةَ فَهَلْ يَتْرَكُهَا تَفَرًّا؟ وَمَنْ تَلَوْحَ لَهُ الْأَمَالُ أَفَيَقْعُدُ عَنِ السَّعْيِ وَرَاءَهَا؟

ومن الواجب أن تتقدم الفاء على أداة الاستفهام إن كانت الأداة غير الهمزة. (مثل: هل، أين - متى . . .) فإن كانت الأداة هي الهمزة وجب تقديمها على الفاء، وقد سبقت الأمثلة.

ومثال التمني: العافية أغلى ما في الحياة، إن وهبها الله لإنسان فليته يرعى حقها. ومثل: الربيع شباب الزمان وجماله، إن يُقْبِلْ فليت الناس يغتنمون إقباله، ويسارعون إلى التمتع بمباهجه ومفاته . . . وهكذا بقية أنواع الطلب . . .

الثاني: الجملة الفعلية التي فعلها جامد؛ نحو: مَنْ يُطْلِقُ لِسَانَهُ بِذَمِّ النَّاسِ فليس له واقٍ من ألسنتهم. وقول الشاعر:

إذا المرء لم يخزُنْ عليه لسانه فليس على شيءٍ سواه بخزَان

الثالث: الجملة الفعلية المصدرة بالحرف: «قد»^(٢)؛ نحو: مَنْ يُحْكَمْ أَمْرُهُ فَقَدْ ضَمِنَ إِصَابَةَ الْهَدَفِ. ومن أساء الوسيلة فقد ضل السبيل إلى الغاية. وقول الشاعر:

فإن تكن الأيام أحسنَّ مرةً إلىَّ فقد عادتْ لهن ذنوبُ

الرابع: الجملة الفعلية المصدرة بأحد حرفي التنفيس (وهما: السين، وسوف) نحو: مَنْ يَحْسُنْ فَيُسْجَزَى عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَمَنْ يَسْئُ فَيَسْأَلُ عَلَى الْإِسَاءَةِ شَرًّا وَخُسْرَانًا. ونحو: إِنْ يَعْدِلْ الْحَاكِمُ فَسَوْفَ تَسْتَقِيمُ لَهُ الْأُمُورُ، وَإِنْ يَظْلَمْ فَسَوْفَ تَنْهَارُ دَعَائِمُ حُكْمِهِ، وتُدَوِّمُ بَعْدَهَا حَسْرَاتِهِ وَأَلَامَهُ.

الخامس: الجملة المصدرة بأحد أحرف النفي الثلاثة، وهي:

(١) جاءت الفاء هنا لأن الجواب جملة اسمية وجاءت بعد ذلك في جواب الاستفهام.

(٢) انظر السبب في رقم ٨ من ص ٤٤٧.

ما — لن — إن^(١) ؛ نحو : من يُقَصِّرْ فما ينتظرُ حسنَ الجزاء^(٢) ، ونحو قوله تعالى :
(وما يفعلوا من خير فلن يكفروا) ، ونحو : من يستسلم للغضب فإن يلو من إلا
نفسه على ما يصيبه . أى : فلا يلو من إلا نفسه^(١) . . .

فإن كانت أداة الشرط هي : « إذا » والنافى هو : « إن » جاز مجيء الفاء وعدم
مجيئها . ومن الثانى قوله تعالى : (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا
هزواً) ، أى : ما يتخذونك^(٣)

السادس : الحملة المبدوعة بكلمة لها الصدارة ؛ (مثل : رَبِّ — كأن^(٤) —
أدوات الشرط — أداة القسم عند كثير من النحاة) . . نحو :

إن كان عادكو عيد^١ فرب^٢ فتي بالشوق قد عادته من ذكركم حزن^٣

ونحو قوله تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل : أنه من قتلَ
نفساً بغيرِ نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً) ، وقولهم :
من يأكل مالَ اليتيم فكأنه يأكلُ ناراً . ومثل قوله تعالى يخاطب الرسول في أمر
المعارضين : (وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تسبغى
نفقاً في الأرض ، أو سلّماً في السّماء فتأتيهم بآية ...) ، ومثل : متى
تعتمد أمة على أسباب القوة فوالله يخافها أعداؤها .

(١ و ١) انظر ما يتصل بهذا رقم ١ من « ج » في الزيادة الآتية والتفصيل (ص ٤٦٧) ، فقد
جعل بعض النحاة « لا » و « لم » النافيتين مثل « إن » النافية . ولكنه جعل اقتران الفاء بهما جائزاً ، لا واجباً .
أما مع « إن » فواجب . (انظر ص ٤٦٧) .

وإذا كانت « لا » نافية للجنس أو الوحدة وجب اقترانها بالفاء لأنها من الحروف الناسخة التي لها
الصدارة ؛ إذ لا تدخل إلا على جملة اسمية . ومن الأمثلة قوله تعالى : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم ..)
(٢) وقول الشاعر :

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهله فما عهدُ نجدٍ عندنا بذيَم

(٣) فإن كان حرف النى هو « ما » وجب اقترانه بالفاء — كما سبق — كقول الشاعر :

إذا كانت التّعَمَّى تُكَدَّرُ بالأذى فما هي إلا مِحْنَةٌ وعذابُ

(٤) أو إحدى أخواتها من الحروف الناسخة ، ما عدا « أن » مفتوحة الهزوة التي معناها :

« التوكيد » فليس لها الصدارة .

السابع : الجملة الاسمية كقول الشاعر :

إن يحسدوك على فضل خُصّصتَ به فكلُّ منفردٍ بالفضل محسودٌ
وقول الآخر :

ومن كان مُنحلّ العزائم تابعاً هواه فإنَّ الرشدَ منه بعيدٌ

. (١) .

وقد تعني « إذا » الفجائية^(٢) عن الفاء في الدخول على الجملة الاسمية بشرطين ؛
أحدهما : متفق عليه ، وهو أن تكون الجملة اسمية غير دالة على طلب ،
ولامسبوقة بنى ، ولا بناسخ ؛ ومن الأمثلة :

(إن يحسدوك إذا كل منفرد بالفضل محسود ...) بخلاف : إن يطع الولد
أبويه فويح له^(٣) ، وإن يعصهما فويل له^(٣) . أو : إن يعصهما فاله حظ من
التوفيق ، أو : إن يعصهما فإن خسارانه مبين . فالفاء واجبة في هذه الأمثلة
وأشباهها . ولا يصح : « إذا » .

والآخر : غير متفق عليه . وهو أن تكون أداة الشرط « إن » دون غيرها من
أخواتها الشرطية . فكثرة النحاة تشترطها . نحو : إن تخلص إذا الإخلاص

(١) إذا كانت الجملة الاسمية الجوابية مصدرة بحرف ناسخ (مثل : إن - ما - لا)
وجب دخول الفاء على الحرف الناسخ وحده ؛ كما في هذا البيت « وكا في قول الشاعر :

إذا لم تكن نفس ابن آدم حرةً تَجِنُّ إلى ألعيا فلا خيرَ في النفس
ومن الجملة الاسمية كذلك الجزء الأخير من الآية الكريمة : « (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن
أسأتم فأسأتم ...) » أى : فالإساءة لها . وقد اجتمعت الجملتان ؛ الاسمية ، والمصدرة بما النافية في
قول الشاعر :

فإن أرحلُ فمعروفٌ جهادى وإن أقعدُ فما بي من خمول

(٢) معناها الدلالة على المفاجأة في الحال ، ولا بد أن يسبقها كلام . وبالرغم من أنها للمفاجأة
في الحال - لا تخلو هنا - بعد أداة الشرط - من دلالة تعقيب لجواب الشرط بعد فعل الشرط . والأحسن
اعتبارها في كل الأساليب حرفاً (وقد سبق الكلام عليها في ج ١ ص ٤٩٢ م ٥٢ وفى الجزء الثانى باب
الظرف) وهل يصح أن تجتمع هى والفاء معاً ؟ الجواب فى ص ٤٦٥ .
(٣ و ٢) الدعاء نوع من الطلب - كما عرفنا فى ص ٣٦٥ ثم ٣٦٨ حيث البيان .

ينفعك . وقلة النحاة لا تشتريها بعينها ، وإنما تجعل مثلها « إذا » الشرطية ؛ مستدلين بقوله تعالى في المطر : (فإذا أصاب به من يشاء من عباده ، إذا هم يستبشرون) وقوله تعالى : (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) . (١) والأحسن الأخذ برأى القلة ؛ إذ تؤيدها الشواهد ، ولا سيما بعض الآيات القرآنية ، ولا داعي للتأويل .

هذا وقد اجتمع في البيت الآتي أكثر الأمور السابقة التي لا يصلح فيها الجواب أن يكون شرطاً ، ويجب في كل منها اقتران الجواب بالفاء ، — أو بما قد يخلفها — والبيت هو :

اسمية ، طلبية ، وبجماد وبما ، وقد ، وبلن ، وبالتنقيس
..... (٢) .

٩ — ورد في المسموع القليل اقتران جواب « إن الشرطية » باللام ، على اعتبار « إن الشرطية » بمنزلة « لو » (٣) ومنه قول الشاعر (٤) :

فإن يجزع عليه بنو أبيه لقد خدعوا ، وفاتهمو قليل . . .

وقول أبي بكر رضى الله عنه في خطبة له (٥) : « يا معشر الأنصار إن شتم أن

(١) وقوله تعالى : « وإذا أذقنا الناس رحمةً فرحوا بها . وإن تُصيهم سيفة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطرون » .

(٢) لم يشمل البيت حالات النوع السادس التي سلفت في ص ٤٦١ ، ولا حالات تأتي في « ج » ص ٤٦٧ ، وفي اقتران الجواب بالفاء أو بإذا الفجائية التي تخلفها في بعض الحالات يقول ابن مالك : (وسنذكر البيتين في ص ٤٧٦ لمناسبة أخرى هناك) .

واقرن « بفا » حتماً جواباً لوجعل شرطاً « لأن » أو غيرها لم ينجعل وتخلف « الفاء » « إذا » المفاجأة كأن تجد إذا لنا مكافأة

(بفا ، أى : بفاء — بالفاء) يريد : اقرن بالفاء حتماً كل جواب لوجعله فعل شرط للأداة « إن » أو لغيرها من أخواتها — لم ينجعل . أى : لم يصلح فعلاً للشرط ؛ لعدم انطباق الشروط عليه . ثم قال : إن هذه « الفاء » قد تختن ويحل محلها « إذا » وساق لها مثلاً ، ولم يتعرض للتفصيلات والشروط المختلفة .

(٣) راجع البيان الخاص بهذا في رقم ٣ من هامش ص ٤٥٧ . ولا سيما ما يتصل بنوع اللام .

(٤) هو عبد الله بن عتبة ، من الشعراء الذي يحتج بكلامهم — وله إشارة في هامش ص ٤٥٧ — البيت منقول من الأصمعية الثامنة .

(٥) الخطبة كاملة في الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب » للحصري ، ص ١٠ .

تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرنّاكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا—لقلم»^(١).
وتفصيل الكلام على هذين المثالين وحكم نظائرها من كلام المحدثين موضح
فيما سبق ٥

وقد يقترن جواب «إن» و«لو» الشرطيتين بكلمة: «إذا»، الجوابية
طبقاً للبيان الذي سلف^(٢).

إلى هنا انتهت الأحكام الخاصة بالجملة الجوابية، وستجىء^(٣) أحكام عامة
تتصل بها وبالجملة الشرطية.

(١) سبق تفصيل هذا الحكم لمناسبة أخرى في رقم ٣ من هامش ص ٤٥٧.

(٢) في ص ٣١٥ وفي رقم ٧ من ص ٤٥٧.

(٣) في ص ٤٧١.

زيادة وتفصيل :

(١) أيجوز الجمع بين « الفاء وإذا » - السالفتين - ؟ صرح أكثر النحاة بأنه لا يجوز ، وتأولوا قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوجٍ وَمِسْجُودٍ وَهَمَّ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) ، واقرب الوعد الحق - فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا . . .) ، فقالوا إن « إذا » لمجرد التأكيد هنا ، وليست للربط ، والممنوع أن تكون للربط عوضاً عن الفاء ، إذ لا يصح الجمع بين العوض والمعوض عنه . وهذا تأويل يادى الضعف عندى ؛ لأن المهم الذى يراد معرفته هو الجمع بين هذين الحرفين أحياناً ؛ أصحح هو - على قلته - سائغ الاستعمال ، أم غير صحيح وغير سائغ ؟ والقرآن قد جمع بينهما ؛ فلم يبق مجال لمنع الجمع ، وإن كان قليلاً نسبياً . أما التعليل بالتأكيد أو بالربط فأمر لا أهمية له بعد الحكم بصحة الاستعمال ؛ محاكاة للقرآن الكريم ؛ إذ لا شك أن محاكاته جائزة بالصورة والمعنى الواردين به ؛ وإن كان أحد الاستعمالين أكثر فيه من الآخر ، بل هى اختيار موفق لأسمى الأساليب التى تحاكي .

على أنه قد جاء فى تفسير النسفى النص الصريح على أن « الفاء » قد اجتمعت هنا مع « إذا » لتأكيد الربط .

(ب) هل يصح - أحياناً - الاستغناء عن هذه الفاء الرابطة ، وعما يخلفها بعد حذفها ؛ وهو : « إذا ، الفجائية » ؟

أجابوا : لا يصح الاستغناء إلا فى الضرورة الشعرية ؛ كقول القائل :
من يفعل الحسنات الله يشكرها^(١) والشر بالشر عند الناس مثلاًن
وقول الآخر :

ومن لم يزل ينقاد للغى والصبا سيلقى على طول السلامة نادماً

(١) ولا يصح فى هذا البيت اعتبار « من » موصولة مبتدأ ، والجملة الاسمية خبرها ؛ لما يترتب على هذا من خلوا الجملة الخبرية من رابط يربطها بالمبتدأ .

(١)

ومن النادر الذي لا يقاس عليه عندهم قوله عليه السلام في حديث اللقطة^(٢) .
 (...) فإن جاء صاحبها ، وإلا استمتع بها . . .) ويؤولون قوله تعالى :
 (وإن الشياطين لَـئِيَّوْحُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُحْبِطُوا) . وإن أُطْعِمُوهُمْ إِنَّكُمْ
 لَمُشْرِكُونَ . . .) على تقدير « قسم » قبل الشرط ؛ فيكون الجواب للسابق وهو
 القسم المقدّر^(٣) ؛ والأصل عندهم : ولئن أُطْعِمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ . فجملة ؛
 « إنكم لمشركون » ، جواب للقسم لا للشرط ، ولم تذكر لام القسم مع أن القسم نفسه
 محذوف — (والأصل والله إن أُطْعِمُوهُمْ . . .) لأن ذكر اللام بعد حذفه ليس
 واجباً ، وإنما هو أقوى وأكثر . وبهذا التأويل يقولون في آيات أخرى تشبه الآية
 السالفة في رأيهم ، مع أنها تخالفها في شيء هام ، ومن هذه الآيات قوله تعالى
 في المشركين : (وإن لم ينتهوا عما يقولون لَنِـيْمَسَسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ)
 وقوله تعالى : (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ، ووجه المخالفة
 هو أن المضارع مؤكد هنا بالنون ؛ فالقسم محتم ليسوغ التأكيد بها^(٤) .

وقال آخرون : إن الفاء ليست محذوفة في الآيات السالفة — وما يشبهها — وإنما هي
 مقدرة ملحوظة ؛ فكأنها مذكورة . ولكن كثرة النحاة لا ترضى هذا الرأي^(٥) ، مع

(١) وكقول زهير في معلقته :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيُخْفِيَ وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ

(٢) سبق معناها في رقم ٧ من هامش ص ٤٨ ؛ لمناسبة أخرى .

(٣) أما جواب الشرط فمحذوف يدل عليه جواب القسم (ولهذا صلة بما يحى في رقم ٢ من هامش ص ٤٨٦)

(٤) انظر ما يتصل بهذا الحكم اتصالاً وثيقاً في رقم ٣ من هامش ص ٤٥٧ .

(٥) جرياً وراء الرأي الذي اختاره الرضه وآخرون . فقد جاء في شرحه للكافية — ج ٢ ص ٣٩٤ —

ما نصه : (قال بعضهم : إن قوته تعالى : « إنكم لمشركون » جواب الشرط ، والفاء مقدرة . ولم يقدر
 قسماً . وهو ضعيف ؛ لأن ذلك إنما يكون لضرورة الشعر ، كقوله :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الناس مثلاً . ١٥

ومثله أبو حيان في كتابه البحر (ج ٤ ص ٢١٣) حيث يقول : (زعم الحق أن قوله تعالى :
 « إنكم لمشركون » على حذف الفاء ، أي : فإنكم ، وهذا الحذف من الضرائر — أي : الضرورات —

أن الخلاف شكلي محض . إذ مؤداء في الرأيين التأويل بالحذف ، وإن اختلفا في نوع المحذوف . والتمحل ظاهر في تأويل الآية الأولى ، وفي الحكم على الحديث بالندرة ، لوجود شواهد أخرى فصيحة نثرية — لاتخضع للضرورة — وغير نثرية . فالأفضل أن يقال : إن الأعم الأغلب هو عدم حذف « الفاء » و « إذا » التي قد تنوب عنها ، وأنه يصح — مع القلة النسبية ، لا الذاتية — الاستغناء عنهما منفردين ومجتمعين ، إن كانت أداة الشرط هي : « إن » ^(١) . . .

ويقول أبو حيان وفريق من النحاة إن « إذا » الشرطية قد تنفرد بخلو جوابها منهما إذا كان الجواب منفيًا بإن ، أو : ما ، أو : لا . وجعل منه قوله تعالى : « وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزؤاً ... » — كما سبقت الإشارة لهذا ^(٢) .

(ح) هل يصح أن يقرن الجواب بالفاء في غير تلك المواضع التي لا يصلح فيها أن يكون فعل شرط ؟
أجابوا :

١ — إن كان فعل الجواب مضارعاً يصلح فعلاً للشرط جاز : إما تجرده من « الفاء » مع وجوب جزمه ، وإما اقترانه « بالفاء » ^(٣) ؛ بشرط أن يكون مثبتاً أو منفيًا : « لا » ، قيل : أو « لَمْ » أيضًا ، (فني « لم » خلاف ،) ومتى اقترنت « الفاء » به وجب رفعه على اعتباره خبر مبتدأ محذوف ، والجملة الاسمية جواب الشرط . ولا يصح أن يكون المضارع المرفوع وحده هو الجواب : إذ لو كان الجواب لوجب جزمه ، والحكم بزيادة الفاء زيادة مطلقة ، يراعى فيها تقدير سقوطها . لكن العرب التزمت رفعه معها ؛ فدلّ هذا على أصالة الفاء ، وأنها داخلة على مبتدأ مقدر ، وليست زائدة للربط . ومن أمثله قوله تعالى : « (فن يؤمنُ بربه فلا يخافُ بخسًا ولا رهقًا) وقوله تعالى : (ومن يعملُ من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلمًا ولا هتَمًا) ، أي : فهو لا يخافُ ...

= فلا يكون في القرآن وإنما الجواب محذوف . و « إنكم لمشركون » — جواب قسم محذوف ، والتقدير : والله إن أطمعتم ٥١٠ . والخلاف بين الرأيين شكلي — كما سيحي .

(١) لأن أكثر الأمثلة المسومة الحالية منها كانت أداة الشرط فيه هي : « إن » .

(٢) في النوع الخامس — ص ٤٦٠ .

(٣) انظر ما يتصل بهذا في رقم ١ من هامش ص ٤٦١ .

.....
.....

فإن لَمْ يوجد في الكلام ما يعود عليه المبتدأ الضمير كان الضمير للشأن أول القصة ،
كقراءة من قرأ قوله تعالى في حكمة شهادة المرأتين : (إنْ تَصِلْ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ
إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى) بكسر همزة : « إنْ » ورفع المضارع : « تُذَكَّرْ » . والتقدير :
فهى — أى : القصة — تُذَكَّرْ ، ونحو : إنْ قام المسافر فیتبعه صديقه . أى : فهو —
الحال والشأن — يتبعه صديقه (وفي هذه القراءة نوع تكلف لا داعى له) .

ومن أمثلة عدم اقترانه « بالفاء » مع نفيه بالحرف « لا » وجوب جزمه باعتبار
هذا المضارع وحده جواباً للشرط مباشرة — قوله تعالى : (« وإنْ تَعُدَّوْا نِعْمَةً
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ») فالمضارع : « تُحْصُوهَا » هو جواب الشرط مجزوم بحذف النون .

٢ — إن كان فعل الجواب ماضياً متصرفاً ، مجرداً من « قد » و « ما » ...
وغيرهما مما يتصل به ويوجب اقترانه بالفاء — طبقاً لما تقدم — فله ثلاثة أضرب :
فإن كان ماضياً لفظاً ومعنى فالواجب اقترانه بالفاء على تقدير : « قد » قبله إن لم
تكن ظاهرة ؛ لتقربه من الحال القريب من الاستقبال ؛ كقوله تعالى في سورة يوسف :
(إنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ ...)^(١) أى : فقد صدقت .
وإن كان ماضياً في لفظه مستقبلاً في معناه ، غير مقصود به وعد أو وعيد —
امتنع اقترانه بالفاء : نحو إن قام المسافر قام زميله .

وإن قصد بالماضى الذى معناه المستقبل ، وعد أو وعيد ، جاز اقترانه بالفاء
على تقدير : « قد » ؛ إجزاء له مجرى الماضى لفظاً ومعنى للمبالغة في تحقق وقوعه ،
وأنه بمنزلة ما وقع . ومنه قوله تعالى : (ومنْ جاء بالسيئةِ فَكَبَّسَتْ وَجْهُهُم ...)
وجاز عدم اقترانه مراعاة للواقع وأنه مستقبل في حقيقته وليس ماضياً . ويندرج
تحت الوعد والوعيد ما كان غير صريح في أحدهما ولكنه ملحوظ في الكلام ، مراد

(١) المضى حقيقى هنا . وقد يقال إنه مؤول بمثل التأويل الذى جرى على آية أخرى سبقت
(في رقم ٣ من ص ٤٤٤) وهى قوله تعالى : (إنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) . إذ المراد فيهما : إن
يثبت في المستقبل أنى قلته فقد علمته ، وإن يثبت في المستقبل أن قميصه قد .

ومثل هذا التأويل حسن إن استقام عليه المعنى ؛ فيجدر الاقتصاد عليه في هذه الصورة المعينة
ومنع إباحته إن لم يستقم عليه المعنى ، وبهذا التقييد تمتنع الصور الأخرى الحالية من « قد » لفظاً ،
والتي قد يقع في الوهم الخطأ والاعتبار الفاسد اشتغالها على « قد » تقديرأ مع أنها مفقودة .

منه ؛ فيدخل الدعاء بنوعيه (الخير والشر) فمن الدعاء بالخير قول الشاعر :

وإذا ارتحلت فشيتعتك سلامة^١ حيث انجعت ، وديمة مدارُ

ومن الدعاء بالشر . . . قول جميل يخاطب غراب البين ، داعياً عليه :

فإن كان حقاً ما تقول فأصبحت همومك شتى ، والجناح كبيرٌ

ودُرّتْ بأعداء حبيبك فيهمو كما قد تراني بالحبيب أدورُ

ويدخل التخويف وبيان العواقب ؛ كالذي في قول النابغة الجعدي :

الحمد لله لا شريك له^٢ من لم يتقبلها فنفسه ظلما

أى : فظلم نفسه .

(د) قد ينزل بعض الظروف منزلة الشرط فيكون مضافاً لجملة بعده مباشرة ، ومنصوباً لعامل في الكلام المتأخر عنها ، المترتب عليها ؛ كأنه جواب لها ، معلق عليها ؛ كتعليق الجملة الجوابية على الشرطية ، ومن الأمثلة لذلك قوله تعالى في موقف الكفار من القرآن الكريم : (ولألم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك مبين) ، وقد سبق^(١) تفصيل هذه المسألة ، وبيان صورها المختلفة .

(هـ) بمناسبة الكلام على جواب الشرط وجزمه نذكر ما يميزه الكوفيون من جواز جزم المضارع الواقع - مباشرة - في جملة بعد جملة الصلة^(٢) ، أو في جملة بعد الجملة الواقعة صفة لنكرة^(٣) ، بشرط أن تكون الجملة المشتملة على المضارع المراد جزمه بمنزلة الجواب والجزاء لجملة الصلة ، أو الصفة . ففي مثل : الذي يكرمنى أكرمه - وكل رجل يقول الحق أحترمه - يميزون جزم المضارعين : « أكرم » ،

(١) في الجزء الثاني ، باب الظرف ، م ٧٩ « و » من ص ٢٥٧ وفي رقم ٤ من هامش ص ٢٦٨ ثم في باب الاستثناء (ج ٢ م ٨٣ هامش ص ٣٣١ عند شرح بيت ابن مالك :

« وحيث جراً فهما حرفان . . . » وفي باب حروف الجر ، م ٨٩ رقم ٢ من هامش ص ٤٠٩ .

(٢) لهذه بيان في ج ١ م ٢٧ ص ٣٨٣ باب الموصول (الكلام على صلة الموصول والرابط) وهناك قصة طريقة توحيد هذا الحكم .

(٣) لهذه بيان في ج ٣ م ١١٤ ص ٤٦٣ « ز » باب النه (بالجملة وشبه الجملة) .

و «أحترم» لأن جملة كل منهما — على اعتبار الجملتين بمنزلة جوابين للصلة والصفة — ، شبيهة بجملة الجواب للأداة الشرطية ؛ كالتأنيدهما مرتبة على الجملة التي قبلها. فلا مانع عندهم من جزم المضارع هنا كجزمه هناك .

وهذا قياس مرفوض ؛ فالحجة القوية هي : «السمع عن العرب» . وما عرضه الكوفيون من أمثلة قليلة . غير صالح لتأييد دعواهم . فيحسن الاقتصار على المسموع القليل ، دون القياس عليه . وإنما سجلنا رأيهم هنا لنعرف به ذلك الوارد المسموع دون الموافقة على محاكاته .

* * *

أحكام عامة تختص بجملتي الشرط والجواب معاً.

١ - ما يختص بهما من ناحية نوعهما ، وكيفية إعراب فعلهما :

جملة الشرط لا بد أن تكون فعلية ، وفعلها وحده هو فعل الشرط - كما عرفنا - ؛ سواء أكانت ماضوية أم مضارعية . فلها من هذه الناحية صورتان . أما جملة الجواب فقد تكون فعلية - ماضوية^(١) أو مضارعية - وقد تكون اسمية بشرط اقترانها بالفاء ، أو ما يتخلّفها ، طبقاً لما سبق^(٢) .

والصور السالفة كلها صحيحة ، قياسية . ولكنها - مع صحتها - مختلفة الدرجة في قوة الفصاحة والسمو البلاغي ؛ فبعضها أقوى وأسمى من الآخر ؛ تبعاً لنصيبه من كثرة الاستعمال الوارد في الأساليب العالية المأثورة . وقد يختلف هذا الوارد في ضبط المضارع وإعرابه .

هذا ، ويلاحظ : أن الماضي في الجملتين قد يكون ماضياً لفظاً ومعنى ؛ بحسب أصله قبل مجيء أداة الشرط الجازمة ، فإذا جاءت جعلته ماضياً لفظاً ، لا معنى ، لأنها تجعل زمنه مستقبلاً^(٣) ؛ فيظل ماضياً بلفظه وصورته ، دون زمنه الذي تغير فصار بسببها مستقبلاً .

كما يلاحظ أن المضارع في الجملتين قد يكون مضارعاً لفظاً ومعنى بحسب أصله ، فإذا دخلت عليه : « لم » الجازمة تركته مضارعاً لفظاً لا معنى ؛ لأنها تجعل زمنه ماضياً ؛ فيظل مضارعاً بلفظه وصورته ، دون زمنه الذي تغير وصار زمناً ماضياً . وإذا سبقتهما معاً أداة شرط جازمة خلت زمنه للمستقبل المحض ، بالرغم من وجود : « لم » ذلك أن أداة الشرط الجازمة لا بد أن تخلص زمن الفعل في الجملة الشرطية ، وفي الجملة الجوابية - للمستقبل^(٣) المحض ؛ سواء أكان هذا الفعل مضارعاً أصيلاً ، أم كان ماضياً أصيلاً (أي : ماضياً لفظاً ومعنى) أم ماضياً معنى فقط دون لفظ - كالمضارع المسبوق بالحرف « لم » فإن صورته صورة المضارع ، ولكن

(١ و ٢) مع مراعاة ما سبق في رقم ٢ من ص ٤٦٦ . (٢) في ص ٤٥٨ .

(٣) راجع ما سبق متصلاً بهذا في آخر رقم ٣ من هامش ص ٤١٤ .

زمنه ماض ، بسبب « لم » فهذه الأفعال تتجرد للزمن المستقل وحده ؛ بسبب أداة الشرط الجازمة^(٣) وفيما يلي ترتيب درجاتها :

الأولى : أن يكون الفعلان مضارعين أصليين مجزومين ، لفظاً^(١) بأداة الشرط لأن أحدهما فعل الشرط ، والثاني هو فعل الجواب المباشر^(٢) ؛ كقوله تعالى : (« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ . . . ») ، وقوله تعالى : (« وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ »)^(٣) وقوله : (« وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ . . . ») .

الثانية : أن يكون الفعلان ماضيين لفظاً ؛ فيبينان لفظاً ويجزمان محلاً - أى : أن كلا منهما مبنى فى لفظه ؛ (كالشأن فى الأفعال الماضية كلها) ولكنه فى محل جزم ؛ لأنه فعل الشرط ، أو فعل الجواب ، والأصل فى فعلى الشرط والجواب أن يكونا مضارعين مجزومين لفظاً ؛ فكذلك يجزم ما يحلّ محلهما . ولما كان الماضى لا يُجْزَم لفظاً وجب جزمه محلاً^(٤) . ومن الأمثلة : من أسرف فى الأمل ، قصر فى العمل ، وقول الشاعر :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل

وقول الآخر :

إن اللثام إذا أذلتهم صلّحوا على الهوان، وإن أكرمتهم فسدت

.

(١) هذا إن لم تتصل بالمضارع إحدى النونين ، فإن اتصلت به إحداهما كان مبنياً فى محل جزم ؛

- كما فى ص ٢٧٩ - .

(٢) أى : الذى يعتبر وحده فعل الجواب مجزوماً ، وهو مع فاعله جملة فعلية هى جملة الجواب ؛ وليست فى محل جزم . بخلاف بعض الحالات الأخرى ، كالتى يكون فيها المضارع مع فاعله خبراً لمبتدأ مخدوف ، والجملة من المبتدأ المخدوف وخبره هى الجملة الجوابية ، فى محل جزم - كما سيجىء فى هامش ص ٤٣ - فى هذه الصورة وأمثالها لا يكون هو فعل الجملة الجوابية إذ الجملة المضارعية هنا خبر مخدوف ، وليست هى الجواب ، وليس المضارع فيها مجزوماً .

(٣) أول الآية : (« إِن تَسْتَفْتِيَهُمْ فَقَدْ جَاءَكَمُ الْفَتْحُ » ، « وَإِنْ تَمْنَيْتَهُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » ، « وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ » . . . ») .

(٤) لهذا الجزم المحلى آثاره فى التوابع ؛ كالمطف والبدل وغيرهما . فإذا عطف عليه مضارع متحد معه فى الزمن وجب جزم المضارع المعطوف . وإن أبدل منه مضارع جزم أيضاً ، وهكذا . وإن عطف عليه ماض كان مبنياً فى اللفظ ، مجزوم المحل .

ويدخل^(١) في هذه الدرجة: الماضي معنى دون لفظ - وهو المضارع المسبوق بالحرف «لم» ؛ نحو : إن لم تتأهب للأعداء لم تتغلب عليهم - من لم يهيئ للغاية وسائلها عوقب بالخيبة في إدراكها - من قصر في الوسيلة لم يفز بتحقيق الأمل - وقد سبق^(٢) الكلام على إعراب المضارع المسبوق «بلم» .

الثالثة : أن يكون فعل الشرط ماضياً - ولو معني - وفعل الجواب مضارعاً أصيلاً كقوله تعالى : (من كان يريد حَرْثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، ومن كان يريد حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وماله في الآخرة من نصيب) . فالماضي مبني في محل جزم ، والمضارع المجرد مجزوم مباشرة . ومثل ؛ من لم يغتنم الفرصة يعاقب بالحرمان ، ويجوز رفع المضارع ، وهذا حسن ، ولكن الجزم أحسن^(٣) . . .

الرابعة : أن يكون فعل الشرط مضارعاً أصيلاً مجزوماً ، وفعل الجواب ماضياً - ولو معني - وهذه الصورة أضعف الصور ؛ حتى خصتها بعض النحاة بالضرورة الشعرية . ولكن الصحيح أنها ليست مة صورة على الشعر ، وإنما تجوز في النثر مع قلتها . ومن أمثلتها نثراً قول النبي عليه السلام (من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له .) وقول عائشة عن أبيها وهي تحدث الرسول عليه السلام : « إن أبا بكر رجل أسيء^(٤) ؛ متى يتقم مقامك^(٥) رَقَّ » . ومن أمثلتها شعراً قول القائل يمدح ناصره :

مَنْ يَكْدُنِي^(٦) بِسَيْئِي كُنْتُ مِنْهُ كالشَّجَا بَيْنَ حَلِيقِهِ وَالْوَرِيدِ
وقول الآخر في أعدائه :

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً مِنِّي ، وَمَا يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا...^(٧)

* * *

(١) ومثل قول الشاعر :

وَمِنْ عَاتَبَ الْجُهَّالِ أَتَعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ لَامَ مِنْ لَا يَعْرِفُ اللَّوْمَ أَفْسَدَا

(٢) في رقم ٣ من هامش ص ٤١٤ .

(٣) وسيجيء هذا الحكم في الصفحة التالية وفيها أمثلة للرفع المطلوب هنا .

(٤) كثير الأسف والحزن والبكاء ؛ خوفاً من الله .

(٥) تريد : متى يقيم مقامك في الصلاة إماماً بالناس وقت تخلفك عن الإمامة .

(٦) كاد ، يكيد ، كيداً - خدع ومكر .

(٧) وفي نوعي الفيلين يقول ابن مالك في بيت أشرنا إليه في هامش ص ٤٢٤ لمناسبة هناك :

وَمَا ضَيَّعَ أَوْ مَضَارَعَيْنِ تُلْفِيهِمَا ، أَوْ مُتَخَالِفَيْنِ

٢ - ما يختص بهما من ناحية رفع المضارع في الجواب وجزمه :

الأصل أن يكون المضارع في الجواب مجزوماً . لكن يصح جزمه ورفعهُ إن كان فعل الشرط ماضياً - لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط ؛ كالمضارع المحزوم بلم ، فكلا الضبطين حسن ، ولكن الجزم أحسن . - كما أشرنا^(١) - وقد سبقت أمثلة الجزم . ومن أمثلة الرفع قول الشاعر يَمْدَح :

وإن أتاه خليل يوم مَسْغَبَةٍ
يقول : لا غائبٌ مالى ، ولا حريمٌ^(٢)

وقول المتغزل :

إن رَأْنِي تَمِيلُ عَنى كَأَنَّ لَمْ يَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ
وقولهم : من لم يتعود الصبر تُودِي^(٣) به العوادي .

فإن كان فعلاً الشرط والجزء مضارعين لفظاً ومعنى وجب جزمهما إلا على رأى ضعيف يجوز رفع المضارع الواقع جواباً في النثر وفي النظم ؛ مستدلاً بقراءة من قرأ قوله تعالى : (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ ، ولو كنتم فى بروج مُّشِيدَةٍ) برفع المضارع « يدرك » ، ويقول الشاعر :

يا أَقْرَعُ بنَ حَابِسٍ يا أَقْرَعُ
إِنَّكَ إِن يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

وقول الآخر يخاطب جَمَلَهُ :

فقلت : تحملُ فوق طوقك إِنْهَا مطبَّعةٌ ، من يَأْتِيهَا لَا يَصْبِرُهَا^(٤)

والأفضل إهمال هذا الرأى قدر الاستطاعة ، منعاً للخلط واللبس ، ولأن ذلك الاستدلال واه ؛ فرواية القراءة المذكورة موضع شك ، وبقية الأمثلة قليلة ، فوق أنها مقصورة على الشعر ؛ ولذا قال بعض النحاة : إنه لا يصح الرفع مطلقاً إلا فى الضرورة الشعرية .

(١) فى الصفحة السالفة .

(٢) لا حرم « لا ممنوع » . أى يقول : مالى غير ممنوع . وقد سبق هذا البيت للمناسبة عينها

فى هامش ص ٤٥٨ . (٣) أى : تذهب به وتهلكه .

(٤) يقال إن الشاعر : أراد أن يضع فوق جملة قرية أو غرارة كبيرة ملوثة طعماً ، وأن يشجعه

على احتمال عيها الثقيل ، فقال له هذا (إنها مطبوعة . . . » أى : إن القرية أو الغرارة ملوثة ، من يأخذ منها شيئاً فإنه لا ينقصها) .

لكن كيف نعرب المضارع المرفوع في جملة الجواب كالحالتين السالفتين ؟

١ - الخير : أن نواجه الحقيقة والأمر الواقع ؛ فنقول عند وقوعه مرفوعاً في الشعر وليس له معمول متقدم على الأداة : لأنه جواب الشرط ، مرفوع للضرورة أو على لغة ضعيفة . وعند وقوعه في النثر : إنه مرفوع ، محاكاةً لتلك اللغة الضعيفة . ولا داعي للتأويل المرهق ، والتقدير ، وافترض الحذف ، أو التقديم ، أو التأخير ... ، رغبة في الوصول إلى وسيلة تخرجه من نطاق جواب الشرط المرفوع بضعف ، إلى نطاق شيء آخر يبيح رفعه بغير ضعف ؛ وبغير أن يكون جواب شرط . وفي هذا ما فيه من التكلف الذي لا يطابق الواقع . فوق ما يُوجّه إليه من اعتراضات أخرى^(١) .

(١) من أمثلة هذا التكلف والإرهاق ما يقوله سيبويه وبعض أئمة النحاة :

« ١ » يقول سيبويه : إن المضارع المرفوع بعد فعل الشرط الماضي - مثل : إن رأيتي تميلُ عنى ... ، ليس هو جواب الشرط ، وإنما هو دليل على الجواب ، وتسميته بالجواب : تساهل ، أو مجاز للدلالة على الجواب . والجواب الحقيقي محذوف ، وهذا المضارع المرفوع قد تأخر مع فاعله عن موضعهما الأصلي الذي يسبق أداة الشرط . والأصل عنده : تميلُ عنى إن رأيتي تميلُ . فالجواب محذوف دل عليه جملة : (تميلُ عنى) . وهذه الجملة المتقدمة على أداة الشرط قد تركت موضعها وجاءت متأخرة عن الجملة الشرطية ؛ ففي الكلام أمران ؛ حذف الجواب ، وتأخير ما يدل عليه . وعلى هذا لا يجوز جزم ما عطف على هذا المضارع ، ويجوز أن يفسر ناصباً للام الذي قد يكون قبل الأداة ؛ مثل : محمداً إن جاء أكرمهُ وأرعاه .

وقال الكوفيون والمبرد : إن المضارع وما يتصل به هو الجواب ، ولكن على تقدير « الفاء » التي تدخل على الجواب أحياناً ؛ فنقوم في إفادة الربط بين جملة الشرط والجواب مقام جزم الفعل ، ولا يجوز معها الفعل ؛ استثناء بها في الربط عن الجزم - كما سبق في ص ٥٨ - . ويعرب هذا المضارع المرفوع مع فاعله خبراً لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره هي جواب الشرط في محل جزم . ويجب عندهم رفع المضارع في هذه الصورة ؛ لأن المضارع الواقع في حيز « فاء » الربط على الصورة السالفة واجب الرفع بالرغم من أن الفاء هنا مقدرة - سواء أكان فعل الشرط ماضياً ، نحو قوله تعالى : (ومن عاد فينتقمُ الله منه) أم مضارعاً كقوله تعالى : (فن يؤمنُ بربه فلا يخافُ بخساً ولا رهقاً) . ففي الكلام - عندهم حذف الفاء وتقدير وجودها ، وحذف المبتدأ ، وتكوين جملة منه ومن خبره تعرب جواب الشرط ، وجملة الجواب في محل جزم ، فيجوز العطف عليها بالجزم ، ولا يصح أن يكون لها معمول مقدم ولا أن تفسر عاملاً . وهذا الرأي - برغم ما فيه - أقرب من رأى سيبويه إلى القبول .

وهناك رأى ثالث قد يكون أقربها إلى السداد - برغم ما فيه أيضاً - وملخصه : أن المضارع مرفوع لا لسبب مما ذكر ، ولكن لأن أداة الشرط لم يظهر لها تأثير في لفظه ؛ لأنها عجزت عن التأثير في لفظ فعل الشرط الماضي فضعفت عن الوصول إلى المضارع لتؤثر في لفظه أيضاً !! وهذا التعليل واضح الفساد . فإلا السبب في عجزها هنا وعدم عجزها حين تجزم المضارع مع فعل الشرط الماضي ، مع أن فعل الشرط ماضٍ =

ب - فإن كان له معمول متقدم على الأداة فأكثر النحاة يميل إلى رفع المضارع ، وفي هذه الصورة يكون المضارع دليل الجواب وليس جواباً حقيقياً ؛ نحو : طعامنا إن تزرنا تأكل ، ' فطعام - بالنصب - مفعول مقدم للمضارع : « تأكل » الذى يعتبر دليل الجواب المحذوف ، ولا يصح أن يكون جواباً حقيقياً ، لأن الجواب الحقيقى لا يتقدم هو ولا شئ من معمولاته على الجملة الشرطية ، ولا على الأداة كما سلف ^(١) .

أما لوجعلنا كلمة « طعام » مرفوعة على اعتبارها مبتدأ فالأحسن الأخذ بالرأى الأقوى الذى استخلصناه من عدة آراء ، وشرحناه . . . (٢) . . .

* * *

معنى الحالتين ؟ ومن ثم يظهر فساد التعليل ؛ - برغم ما سجله من أن الأداة عجزت عن التأثير فى لفظ المضارع . وهذا نواقفه عليه - وهو فوق ذلك مقصور على إحدى الحالتين . فلا يشتمل على الآتية : هـ
« ب » ويقول سيبويه : فإن كان المضارع مرفوعاً بعد فعل الشرط المضارع فإن تقدم على أداة الشرط عامل يطلب المضارع المتأخر المرفوع فالأفضل اعتبار هذا المضارع المتأخر منقولاً من مكان سابق على أداة الشرط ، وأنه ترك مكانه الأصل وتأخر عنه إلى المكان الذى حل فيه بعد الجملة الشرطية ، فهو دليل الجواب ، وليس جواباً حقيقياً إلا من باب التساهل أو المجاز . ويجب عنده اعتبار هذا المضارع الذى تأخر من تقديم معمولاً هو وفاعله للعامل المحتاج إليهما قبل أداة الشرط . فى المثال السالف : (إنك إن يصرع أخوك تصرع) . يكون المضارع « تصرع » مع فاعله خبر « إن » ، وتكون هذه الجملة الفعلية قد تأخرت من مكانها الأصل ؛ كما سبق . وإن لم يوجد قبل أداة الشرط عامل يحتاج للمضارع المرفوع وجب تقدير الفاء ، والمضارع بعدها مع فاعله خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره فى محل جزم ، جواب الشرط . . .
ويرى الكوفون والمبرد ومن معهم تقدير الفاء هنا كما قدروها هناك (فى « ا ») ويتساوى عندهم أن يكون فعل الشرط ماضياً وأن يكون مضارعاً . وهذا خير من رأى سيبويه .

(١) راجع التفصيل فى رقم ٣ من ص ٤٤٩ هـ .
(٢) هنا وفى ص ٤٤٩ والى بعدها . وفيما سبق من رفع المضارع فى الجزء يكفى ابن مالك بيت واحد لا إيضاح فيه ولا تفصيل - وقد تقدم فى هامش ص ٢٤٤ لمناسبة هناك - هو :
وبعد ماضٍ رَفَعَكَ الْجَزَا حَسَنٌ وَرَفَعَهُ بَعْدَ مُضَارِعٍ وَهَنٌ -
ثم أرفده يبين سبق شرحهما فى مكانهما الأنسب من ص ٤٦٣ ، وهما :

واقرن « بفا » حتماً جواباً لوجعل
شرطاً لـ « إن » أو غيرها لم ينجعل -
وتخلف « الفاء » « إذا المفاجأة »
كان تجد إذا لنا مكافأة -

٣ - ما يختص بهما من ناحية عطف مضارع على أحدهما :

(١) إذا وقع بعد جملة الجواب - ولو كانت اسمية ، لأنها في محل جزم - مضارع مقرون بالواو أو الفاء ، جاز فيه ثلاثة أوجه إعرابية ؛ يختار منها المتكلم والمُعَرَّب ما يناسب السياق ، ويساير معنى التركيب^(١) .

أولها : اعتبار « الواو » و « الفاء » حرفي استئناف ؛ فالجملة بعدهما استئنافية مستقلة في إعرابها عما قبلها ، والمضارع فيها مرفوع - إن كان مجرداً من ناصب وجازم ، ومن زوني التوكيد - ومن الأمثلة قوله تعالى : (وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَّوْهُ ، يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ؛ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) ، برفع المضارع « يغفر » بعد فاء الاستئناف ، وقوله تعالى : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِيَ لَهُ وَيَسْتَرْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) ، برفع المضارع : « يذر » بعد واو الاستئناف ، وقول الشاعر يمدح :

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ^(٢) يَهْلِكُ ربيعُ الناسِ والبلدُ الحرامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ^(٣) بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ^(٤) الظَّهْرُ ، لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

برفع المضارع : « نأخذ » بعد واو الاستئناف :

ثانيها : اعتبار الفاء للسببية والواو للمعية - وهما عاطفان أيضاً مع السببية والمعية - والمضارع بعدهما منصوب « بآن » مضمرة وجوباً (بالتفصيل الذي سبق إيضاحه عند الكلام على فاء السببية ، وواو المعية)^(٥) . كالأمثلة التي سبقت في الوجه الأول ، ولكن بعد نصب الأفعال المضارعة : يغفر - يذر - نأخذ .

(١) كل وجه من هذه الثلاثة يقوم على اعتبار معنى خاص به ، يخالف الآخر ، وواجب المتكلم والمُعَرَّب اختيار الوجه الإعرابي الذي يقوم على الاعتبار المناسب للسياق ، ولما يقتضيه المعنى . ومن الخطأ الزعم أن هذه الأوجه الثلاثة تصلح لكل أسلوب ، وتباح في كل تركيب بغير تقيد بهذا الاعتبار المعين الخاص ، وإلا صارت اللغة فوضى بسبب محو القيود ، وإهمالها ، وإهمال الاعتبارات التي تميز المعاني بعضها من بعض .

(٢) هو النعمان بن الحارث الأصغر . (٣) ذنب - عقيب .

(٤) مقطوع . يريد : لا ظهر له ولا سنام ، لضعفه وهزاله . فلا خير فيه .

(٥) في ص ٣٥٢ ، ٣٧٥ ، وهماشهما . وقالوا في سببه : إن الذي سوغ وقوعهما للسببية والمعية هنا ، دون أن يتحقق شرط إضمار « أن » بعدهما وجوباً ؛ - وهو النى المحض ، والطلب المحض ، وما ألحق =

ثالثها : اعتبارهما حرفى عطف مجردين له - فلا يفيدان سببية ولا معية - والمضارع بعدهما مجزوم ؛ لأنه معطوف على جواب الشرط ؛ فإن كان جواب الشرط مضارعاً مجزوماً مباشرة ، فالمضارع المعطوف مجزوم مثله ، وإن كان فعل الجواب ماضياً فهو مجزوم محلاً ، والمضارع المعطوف مجزوم لفظاً ، مراعاة لمحل المعطوف عليه . وكذلك إن كان الجواب جملة اسمية أو فعلية ؛ فإنها تكون فى محل جزم ، والمضارع المعطوف عليها مجزوم لفظاً تبعاً لمحلها . كالأمثلة التى سبقت فى الوجه الأول ، ولكن بعد جزم الأفعال المضارعة : يغفر - يذر - نأخذ ، وكقول الشاعر :

ومن يَسْتَتَبَّعْ - جاهدًا - كل عثرة يسجدُها ؛ ولا يسلمُ له - الدهر - صاحبُ

والكوفيون يجعلون « ثم » كالواو فى الأوجه الثلاثة السالفة^(١) ؛ فكلاهما إما للاستئناف ، وإما للعطف الخالص ، وإما للعطف مع المعية . . .

(ب) وإذا وقع المضارع المسبوق بأحد الأحرف السالفة بعد الجملة الشرطية مباشرة ، متوسطاً بينها وبين الجملة الجوابية ، فأكثر النحاة يجيز فيه وجهين ؛ يختار منهما المتكلمُ والمُعَرَّبُ ما يناسب السياق .

أحدهما : اعتبار هذه الأحرف للعطف المجرد ، والمضارع بعدها مجزوم ؛ لأنه معطوف بها على فعل الشرط المجزوم لفظاً أو محلاً ؛ كقوله تعالى : (إنه من يَسْتَقِرْ ويصبرْ فإن اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنين) ، ومثل : من يتكلمُ فيُسرفُ

صبيها ، ما شرحناه فى مكانه - أن جواب الشرط قبلهما غير متحقق الوقوع ؛ فثله مثل النفى أو الطلب وملحقتهما . فهم يريدون إرجاع النصب هنا إلى استيفائهما شرطهما من الوقوع بعد النفى أو الطلب تأويلاً . ولكن السبب الحق هو الاستعمال العربى الذى نصب المضارع بعدهما مع عدم تحقق الشرط الأصل . وما تجب ملاحظته أن الأخذ بهذا الوجه وجعلهما للمعية والسببية - إنما هو اختيارى محض أمره للمتكلم يختاره ، أو يختار غيره على حسب الاعتبار المناسب للسياق . لكن إذا اختارها للسببية والمعية وجب نصب المضارع بأن ، ويجب أن تكون مضمرة . فالاختيار جائز ، ولكن النتيجة المترتبة عليه حتمية .

(١) وفريق آخر يزيد على أحرف العطف السالفة حرف العطف : « أو » ، ورأيه ضعيف كراى الكوفيون هنا ؛ لضعف الشواهد التى يحسن عدم القياس عليها .

يكنّ عرضةً للزلل . . . أو : ويسرف ، أو : ثم يسرف . ومثل : من تكلم فيكثر - أو : يكثر ، أو : ثم يكثر - كان عرضةً للزلل . . . يجزم الأفعال المضارعة : (يصبر - يسرف - يكثر . .) ؛ لأنها معطوفة ، والمعطوف عليه مجزوم لفظاً أو محلاً ؛ فهي تابعة له في الجزم فتجزم لفظاً .

والآخر ؛ النصب على اعتبار الفاء للسببية مع العطف ، والواو للمعية مع العطف ، وثم - عند الكوفيين - للعطف مع المعية ، والمضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الثلاثة . ومن الأمثلة نصب الأفعال المضارعة السابقة كلها . وكذا نصب المضارع : « يخضع » في قول الشاعر :

ومن يقرب منا ويخضع نؤوه فلا ينخش ظلماً ما أقام ولا هضمًا

أما الاستئناف فيمنعه أكثر النحاة ؛ بحجة أنه لا يصح الاستئناف قبل أن تستوفى أداة الشرط جملتيها (الشرطية والجوابية معاً) ؛ كى يتم المعنى المرتبط بأداة الشرط . ووضع الجملة الاستئنافية بين جملتي الشرط والجواب إنما هو لإقحام الجملة الأجنبية بين جملتين متلازمتين في المعنى .

ويرى المحققون : أن رفع المضارع المتوسط بين جملتي الشرط والجواب جائز بعد حرف مما سبق . وحجتهم أنه لا مانع من اعتبار تلك الجملة الأجنبية جملة استئنافية معترضة ، وليست للاستئناف المحض . ورأيهم صحيح^(١) ، ولا ضرر في الأخذ به إن اقتضاه المعنى .

وعلى هذا يجوز في المضارع المسبوق بأحد أحرف العطف السابقة والذي تنوسط جملته بين جملتي الشرط والجواب - الأوجه الثلاثة ؛ وهى الرفع على اعتبار الجملة استئنافية اعتراضية ، والجزم بالعطف على فعل الشرط المجزوم لفظاً أو محلاً ، والنصب على اعتبار « الواو » ، و« ثم » للعطف مع المعية ، و« الفاء »

(١) لأنه تطبيق على ما قرره النحاة من جواز وقوع الجملة المعترضة بين جملتي الشرط والجواب ، واستدلوا بأمثلة من القرآن الكريم (راجع الجزء الثانى من المعنى ، باب الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، وكذلك الصبان هنا ، وحاشية ياسين على التصريح) .

وقد يقال : لم امتنع على الاستئناف المحض ، دون الخالى من صفة الاعتراض ؟ أجابوا : أن الاستئناف المحض يشعر بتمام الكلام قبله ، دون الاعتراض .

للعطف مع السببية ، وأن المضارع منصوب بأن مضمرة . وجوباً بعد الثلاثة ، وبهذا يكون حكمه واحداً بعد الأحرف السالفة ، لا يختلف باختلاف وقوعه بعد الجملة الجوابية ، أو توسطه بينها وبين الجملة الشرطية^(١) . . .

« ملحوظة » : إذا توسط المضارع بين جملي الشرط والجواب ، ولم يسبقه أحد أحرف العطف السالفة أعرب « بدلا » ، إن كان مجزوماً ، وأُعربت جملته « حالاً » - في الغالب - إن كان مرفوعاً . فثال الأول :
مَتَى تَأْتَانَا - تُلْسِمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا - تَجِدُ حَطَبًا جَزْلاً ، وَنَارًا أَجَجًا
والثاني :

مَتَى تَأْتَهُ - تَعْشُو^(٢) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ - تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مُوقِدٍ

* * *

٤ - ما يختص بهما من ناحية حذفهما معاً :

يصح حذف الجملتين معاً - في النثر والنظم - بشرط أن تقوم قرينة تدل عليهما . والأغلب عند حذفهما أن تكون أداة الشرط هي : « إن » ، مثل قول الشاعر وهو يودّع أحبابه :

نُودِّعُكُمْ ، وَنُودِّعُكُمْ قُلُوبًا لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا . وَإِلَّا . . .
يريد : وإلا يجمعنا هلكنا ، أو شقينا . . أو نحو ذلك مما يساير المعنى الناشئ من الجملتين المحذوفتين . ومثل قول الآخر في فتيات ينصحن أخرى اسمها : سلمى - برفض الزواج من رجل فقير مُعْدِم :

(١) وفي المضارع المسبوق بالواو أو الفاء مع وقوعه بعد الجملة الجوابية يقول ابن مالك :

وَالْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الْجَزَا إِنْ يَقْتَرِنُ « بالفا » أو « الواو » بثلاث قَمَنٍ (قمن ، أى : جدير) . والمراد بالثلاث الأوجه الثلاثة التي ذكرناها باعتباراتها المختلفة ، ولم يذكر « ثم » في رأى الكوفيين . وانتقل إلى حكم هذا المضارع إذا توسط بين جملي الشرط والجواب ؛ فقال : وجزم أو نصب لفعلٍ لِإِثْرٍ « فا » أو « واو » أَنْ بِالْجَمْلَتَيْنِ اكْتِنِفَا (لِإِثْرٍ : بعد - اكتنف : أحيط) يريد : أن المضارع المسبوق بأحد هذين الحرفين يتعين نصبه أوجزمه إن اكتنفته الجملتان ، أى : أحاطت به جملتا الشرط والجواب . واقتصر على ما سبق دون بيان الشروط والأوجه والاعتبارات [.] (٢) وجرد « الواو » دليل على أن الفعل غير مجزوم .

قالت بنات العلم: يا سَلَمَى وإنَّ (١) كان فقيراً مُعْدِماً؟ قالت: وإنَّ (١).

التقدير: يا سلمى: أتزوجينه وإن كان فقيراً مُعْدِماً؟ قالت: وإنَّ،
أى: وإن كان فقيراً مُعْدِماً أتزوجيه...

ومن أمثلة حذفهما بعد أداة غير «إن» قوله عليه السلام: (مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ، وَمَنْ لَا فَلَ). التقدير: ومن لا يفعل فلا حُسْنَ منه. وكذا قول العرب: مَنْ يُسَلِّمْ عَلَيْكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَا فَلَ، أى: وَمَنْ لَا يُسَلِّمْ عَلَيْكَ فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ، وقول الشاعر:

فإنَّ المنية من يخشَمها فسوف تصادفُه أينما...

أى: أينما يذهب تصادفُه (٢)...

أما حذف فعل الشرط وحده، أو الجملة الشرطية كلها دون الجوابية فقد سبق (٣). وكذلك سبق (٤) الكلام على حذف الجملة الجوابية وحدها.

(١ و ١) الأصل: «وإنَّ»... زيد في آخره نون ساكنة جاءت لضرورة الشعر. وتسمى هذه النون بتنوين الضرورة، كما تسمى بالتنوين الغالى؛ إما لقلوه؛ أى: زيادته، وإما لقلوه، أى: نقصته؛ بسبب قلته...

(٢) فيما سبق من حذف جملة الشرط، أو جملة الجواب، أو هما معاً، أو فعل الشرط وحده، اكتفى ابن مالك بالبيت الآتى:

والشرطُ يُغْنِي عَنْ جَوَابٍ قَدْ عَلِمَ وَالْعَكْسُ قَدْ يَأْتِي إِنَّ الْمَعْنَى فُهِمَ

يريد: أن الجملة الشرطية قد تنفى عن الجملة الجوابية، وتدل عليها عند حذفها. فلا مانع - في هذه الحالة - من حذف الجوابية. كما أن العكس قد يقع - وهو حذف الجملة الشرطية لدلالة الجوابية عليها، وإغنائها عند حذفها. فاحذف في الصورتين جائز؛ بشرط القرينة الدالة، وأن يكون المعنى المراد مفهوماً بعد الحذف: فلا ليس ولا اضطراب فيه.

(٤) فى ص ٤٥٢.

(٣) فى ص ٤٤٦ و ٤٤٨.

المسألة ١٥٨ :

اجتماع الشرط والقسم ، وحذف جواب أحدهما .

تمهيد - جواب الشرط ، وجواب القسم :

كل واحد من الشرط والقسم يستدعى جواباً خاصاً به ، يتميز بعلامة أو أكثر ينفرد بها ، دون الآخر . فجواب الشرط الجازم لا بد أن يكون مجزوماً ، إمّا لفظاً ؛ لأنه « فعل » مضارع ، وإما محلاًّ لأنه فعل ماض ، أو لأنه من النوع الذى يجب اقترانه « بالفاء » أو « بإذا » الفجائية ، وقد سبق بيان هذا كله ، وتفصيله^(١) .

أما جواب القسم فيختلف باختلاف نوعي^(٢) القسم ؛ وهما : « الاستعطاف » و « غير الاستعطاف » . فإن كان القسم استعطافياً - (وهو جملة طلبية يراد بها تأكيد معنى جملة طلبية أخرى مشتملة على ما يثير الشعور والعاطفة ، وتعتبر جواب القسم) - فلا بد أن يكون جوابه جملة طلبية ؛ كقول الشاعر :

بعيشك يا سلمى ارحمى ذا صباية . . .

وقول الآخر :

بربك هل نصرت الحق يوماً ؟ وذقت حلاوة النصر المبين ؟

فالقسم هو : « بعيشك ، وبربك » . وكلاهما مع متعلقه - المحذوف هنا - جملة طلبية ، نراها في المثال الأول تؤكد بعدها الجملة الطلبية التى تشتمل على ما يحرك الوجدان ، وهى : « ارحمى » . ونراها في المثال الثانى تؤكد الجملة الطلبية التى تليها ، والتى تشتمل كذلك على ما يحرك الوجدان ؛ وهى : « هل نصرت » .

(١) فى رقم ٦ من ص ٤٥٦ . وفى رقم ٨ من ص ٤٥٨ .

(٢) سبق تفصيل الكلام على جواب القسم من نواحيه المختلفة فى المبحث الخاص به عند الكلام على أحرف القسم وجوابه ، وكل ما يتصل به مما لا غنى عن الرجوع إليه (وذلك فى الجزء الثانى ص ٣٨١ م ٩٠) وفى أن الجواب قد يكون شبه جملة . وفيه كذلك أن الكلام قد يشتمل على جملة قسمية ظاهراً مثبت ، ولكن معناها منق ، وجواب القسم فيها جملة فعلية ماضوية لفظاً ، مستقبلية معنى ، مصدرة بإيلا ، أو « لئسما » التى بمعناها : نحو : سألتك إلا نصرت المظلوم . و . . . إلى غير هذا من التفصيلات والأحكام الهامة المدونة هناك ، وفى بعض الصفحات الأخرى التى أشير إليها فى ذلك الجزء .

لا يكون جواب هذا النوع من القسم الاستعطافي إلا جملة إنشائية .

وإن كان القسم غير استعطافي - (وهو ما جرى به لتوكيد معنى جملة خبرية ، وتقوية المراد منها^(١)) - فلا بدّ له من جواب يكون جملة خبرية تختلف صورتها على النحو الذى سبق تفصيله فى مكان أنسب^(٢) . وملخصه :

١ - إن كانت الجملة الجوابية مضارعية مُشَبَّهة أَكَدَّتْ^(٣) باللام^(٤) والنون معاً ؛ نحو : والله لا بُدُّ لى جهدى فى مساعدة المحتاج . ومن القليل الجائز الاقتصارُ على أحدهما ، بالرغم مما يؤدى إليه هذا الاقتصار من نقص فى درجة السمو البلاغى ، وقوة الأسلوب .

وتسمى هذه اللام المفتوحة : « لام جواب القسم » أو : « اللام الداخلة على جواب القسم » . وهى غير لام الابتداء ، والفرق بينهما كبير ، سبق إيضاحه^(٥) .

٢ - إن كانت الجملة الجوابية ماضوية مُشَبَّهة وماضيها متصرف ، فالعالب تصديرها « باللام » الجوابية ، و « قد » معاً ؛ نحو : والله لقد فاز أهل المروءة والكرامة . ويجوز - بقلة - الاقتصار على أحدهما ، أو التجرد منهما . مع ما فى هذا الاقتصار من إهمال الكثير الفصيح .

فإن كان فعلها جامداً ، غير « ليس » فالأكثر تصديرها باللام فقط ، نحو : والله لعسى التوفيق يصحب المخلص - - أو : والله لنسعم رجلاً المخلص . فإن كان الماضى الجامد « ليس » لم يقترن بشئ ؛ نحو والله ليس طول العمر بالسنوات ، ولكن بجلائل الأعمال .

٣ - إن كانت الجملة فعلية منفية بالحرف : « ما » ، أو : « لا » ، أو : « إن » - وجب تجريدتها من اللام ، سواء أكانت ماضوية أم مضارعية ؛ نحو : والله

(١) ذلك أن من يقول : والله إنك لشريف المقصد - يخبر عن شرف مقصدك ، ويؤكد خبره هذا بما يقويه ؛ وهو : القسم .

(٢) باب « حروف الجر » - ج ٢ م ٩٠ . ص ٣٨٢ - ومن المفيد الرجوع إليه ، وإلى ما فيه من الأمثلة .

(٣) وجوباً عند البصريين ، وكثيراً عند الكوفيين . وهؤلاء يميزون الاقتصار على أحد الحرفين . والأحسن هنا الاقتصار على رأى البصرى .
(٤) مفتوحة .

(٥) فى ج ١ م ٥٣ ص ٥٩٨ وهامشها . عند الكلام على « لام الابتداء » .

ما يحتمل العزيزُ الضميمة - والله لا يحجب ثوبُ الرياء ما تحته - بالله إن تحية الأمة وأفرادها حياة العزة والقوة إلا بكرائم الأخلاق -

ومثل : والله ما احتمل عزيز ضيماً - والله لا حجب^(١) ثوب الرياء ما تحته ، ولا دفع^(٢) عن صاحبه سوء ، والله إن أوجد الكون العجيب إلا الله ، وإن أمسك السموات والأرض وما فيهما إلا المولى جل شأنه .

ومن الشاذ الذي لا يقاس عليه أن يكون جواب القسم جملة فعلية منفية مصدرة باللام^(٣) ، أو : أن تكون أداة النفي فيها « لم » ومثلها : « لن » أيضاً عند فريق من النحاة^(٤) .

ومما تجب ملاحظته أن أداة النفي في جواب القسم قد تكون محذوفة ، ولكنها ملحوظة يدل عليها دليل ؛ كقوله تعالى : (تالله تفتأ تذكر يوسف) ، أى : لا تفتأ^(٥) . . .

٤ - إن كانت الجملة الجوابية اسمية مثبتة فالأغلب تأكيدها « باللام » و« إن » معاً ، ويصح الاكتفاء بأحدهما ، ولكن الأول أبلغ ، نحو : (تالله إن الخداع لمحقوت ، وإن صاحبه لشقى) - (تالله إن الخداع ممحقوت ، وإن صاحبه شقى) - تالله لا تخداع ممحقوت ، ولصاحبه شقى . ومن أمثلة الاقتصار على أحدهما قول الشاعر :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم لإنني إلى الجهل^(٥) في بعض الأحيان أحوج^(٦)

(١٠١) هذه الجملة الماضية معطوفة على السابقة الواقعة جواباً ؛ فهي جواب مثلها . وهكذا فظانها .

(٢) كقول القائل :

لئن غبت عن عيني لَمَا غبتَ عن قلبي

(٣) مستدلاً بمثل قول أبي طالب يعلن للنبي عليه السلام مؤازرته وتأييده على قریش :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

(٤) سبق إيضاح هذه المسألة ، ودليل الحذف فيها (في ج ١ م ٤٢ ص ٥١٠ باب : كان وأخواتها)

(٥) الغضب ، وترك الحلم .

(٦) وهذا على اعتبار « اللام » موطئة للقسم . وجملة « إن » وما دخلت عليه جواب القسم :

- طبقاً للإيضاح الذي سلف في ج ٢ م ٩٠ ص ٣٨٥ - .

ومن النادر تجردها منهما إن لم يطل^(١) الكلام بعد القسم ؛ كقول أبي بكر في نزاع بينه وبين عمر رضى الله عنهما ، (والله أنا كنت أظلم منه) . فإن استطال الكلام بعد القسم حسن التجرد ؛ كقول ابن مسعود : (والله الذى لا إله غيره ، هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة) . وقول الشاعر :

وربّ السموات العلا وبروجها وأرضٍ وما فيها - المقدّرُ كائن

ولا يصح اقتران الجملة الجوابية بالحرف : « إن » إذا كانت مصدرة بحرف ناسخ من أخوات « إن » ؛ كقول بعضهم فى مدح رجل : والله لكأن القلوب والألسن رِيضتْ له ؛ فما تُعَقَّد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بحمده .

فإن كانت الجملة الاسمية منفية فحكمها حكم الجملة الفعلية المنفية « بما » ، أو « لا » ، أو « إن » من وجوب تجريدها من اللام والاقتصار فى نفيها على أحد هذه الحروف الثلاثة دون غيرها - كما سبق - .

من كل ما سبق يتبين أن الجواب المنفى - فى جميع أحواله - لا يتطلب زيادة شىء إلا أداة النفى قبله ، مع اشتراط أن تكون إحدى الأدوات الثلاث السالفة ؛ سواء أكان الجواب جملة فعلية أم اسمية .

* * *

والآن نعود إلى الكلام على اجتماع الشرط والقسم والاستغناء بجواب أحدهما عن الآخر

(١) إذا اجتمع شرط غير امتناعى^(٢) ، وقسم فالأصل أن يكون لكل منهما جواب . غير أن جواب أحدهما قد يحذف اكتفاء بجواب الآخر الذى يغنى عنه ، ويدل عليه . ولهذا الحذف صور منها :

١ - أن يجتمع الشرط غير الامتناعى والقسم مع تأخر الشرط ، وعدم وجود شىء قبلهما يحتاج إلى خبر^(٣) ، وفى هذه الصورة يحذف - فى الأرجح - جواب المتأخر منهما - وهو الشرط - نحو : والله من يراقب ربّه فى عمله لا يخافُ

(١) عدم إطالته : ألاّ يذكر بعده تابع ، أو شىء آخر يتصل به .

(٢) الشرط الامتناعى : ما كانت أدواته دالة على الامتناع ؛ وهى : لو ، ولولا ، ولوما .

(٣) كالمتبدأ ، وكالناسخ ؛ فكلاهما يحتاج إلى خبر ، أو ما يسد الخبر . . .

شيئاً . فالمضارع « يخافُ » مرفوع ؛ لأنه في جملة جوابية للقسم المتقدم ، وليس جواباً للشرط المتأخر ، المحذوف الجواب ، إذ لو كان هو الجواب لتحتم جزمه ^(١) ، فقليل : يخفُ . ومثله قول الشاعر :

لئن ساءنى أن نلتننى بَمَسَاءٍ لقد سرّنى أنى خطرت ببالك
فالجملة الفعلية : (سرّنى) جواب للقسم الذى تدل عليه « اللام » الأولى لتصدير هذه الجملة « باللام وقد » معاً ، وليست جواباً للشرط المتأخر عن « لام » القسم ؛ لأن الشرط لا يكون جوابه مقترناً « باللام وقد » . فجوابه هنا محذوف . كحذفه في البيت السالف ، وهو :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إننى إلى الجهل فى بعض الأحيان أخرج
فالجملة الاسمية المصدرة بالحرف الناسخ « إن » هى جواب للقسم ، لا للشرط ؛ إذ لو كانت جواباً للشرط لا قترنت بالفاء .

أما عند تقدم الشرط فالأرجح أن يكون الجواب له وجواب القسم محذوف ؛ فنقول : من يراقب ربه والله يَحْشَهِه الناس . وقول أحدهم : إن يكن الله لى نصف وجه ونصف لسان — على ما بهما من قبح منظر ، وسوء مخبر — يكن هذا أحب من أن أكون ذا وجهين .

وما وصفناه بأنه الأرجح في الحالتين يراه كثير من النحاة واجباً لا يصح مخالفته ^(٢)

(١) ومثل هذا يقال في المضارع المرفوع المنق « بلا » في قوله تعالى : (قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتُوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ...) فالمضارع : — يأتون — مرفوع ، لأنه جواب القسم ، لا جواب الشرط .

(٢) ويقولون لا فرق في القسم بين أن يكون مذكوراً ، أو مقدراً . ويستدلون للمقدّر بقوله تعالى : (وإن أطمعهم إنكم لمشركون) لأن سقوط الفاء من صدر الجملة الاسمية : (إنكم لمشركون) دليل على أنها ليست جواباً للشرط ؛ إذ لو كانت جواباً له لوجب اقترانها بالفاء ؛ طبقاً للقاعدة الخاصة بهذا الاقتران (وقد سبق الكلام عليها في « ٨ » من ص ٤٥٨) وهو تعليل واهن أمام التعليل الآخر الذى يقول إن الفاء قد تسقط قبل الجملة الاسمية وغيرها مما يحتاج إلى اقترانه بالفاء أو بما ينوب عنها .

— وقد سبقت التفصيلات الخاصة بهذا في : « ب » من ص ٤٦٥ — .
هذا ، وفي رقم ١ من هامش ص ٤٥٨ مسألة تختص بحكم مجيء لام القسم بعد « إن الشرطية » واستحسان أو استقباح دخولها على الجواب .

ويستثنى مما سبق أن يتأخر القسم وقبله الفاء الداخلة عليه مباشرة ، فإن الجواب يكون له برغم تأخره عن الشرط ، فنقول في المثال السالف : من يراقب ربه في عمله فوالله يخشاه الناس . فالمضارع « يخشاه » مرفوع ، وهو مع فاعله جملة لا محل لها من الإعراب جواب القسم وجملة القسم في محل جزم جواب الشرط .

٢- إن اجتمع الشرط غير الامتناعي ، وسبقتهما ما يحتاج إلى خبر ، فالأرجح أن يكون الجواب للشرط مطلقاً ، سواء أكان متقدماً على القسم أم متأخراً ؛ نحو : القوانينُ والله من يحترمها تحرسه ، أو : القوانين من يحترمها والله تحرسه ؛ يجزم المضارع : « تحرس » في صورتين ، لأنه جواب للشرط ، وجواب القسم مخدوف فيهما .

أما غير الأرجح في كل ما تقدم (من ١ ، ٢ - ما عدا القسم المقرن بالفاء) فيعتبر الجواب للشرط غير الامتناعي في كل الحالات . سواء أكان متقدماً على القسم أم متأخراً ، وسواء أكان قبلهما ما يحتاج إلى خبر أم لم يكن . ومن الأمثلة :
لَنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِيبِ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا عَنْ دِمَائِ الْقَوْمِ نَسْتَقِلُّ^(١)
وقول الآخر

لَسِنِ كَانَ مَا حَدَّثَنَهُ الْيَوْمَ صَادِقًا أَصُمُّ^(٢) فِي نَهَارِ الْقَيْظِ لِلشَّمْسِ بِادِيَا
فالمضارعان : « تُلْفِنِ » و « أَصُمُّ » مجزومان مباشرة في جواب « إِنْ » الشرطية ، برغم تأخرها وتقدم لام القسم عليها^(٣) . . . ومن الأمثلة أيضاً قول الشاعر :
أَمَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوَى لَنْ غَبْتَ عَنْ عَيْنِي فَمَا غَبْتَ عَنْ قَلْبِي

(١) (منيت بنا) : أصبت بنا ، وقد ر عليك أن تلقانا . (غب) : بد ، أو : عقب (لا تلقنا) : لا تجدنا . (نستقل) : نتبرأ ونفصل .

يقول لعدوه . لو أصبت بنا بعد المعركة - حين يشتد التعب والإرهاق عادة ، فلن ترى منا تعباً ، ولا إرهاقاً ، ولا تبرأً وانفصالاً من قتلائنا - يجمعنا نصف ، ونترك الأخذ بأثرهم ، والانتقام من أعدائهم .
(٢) أى : إن كان ما ببلغك عن صادق فإني أعاقب نفسي عليه بالصوم ، وبالموقوف بادياً للشمس (أى : مكشوفاً لها) في يوم القيظ ، وهو اليوم الشديد الحر (وبادياً حال من فاعل : أصم) .

(٣) والبصريون يحكون على هذا وأمثاله بالشذوذ ، أو بزيادة اللام وأنها ليست للقسم فلا تحتاج لجواب . وكل هذا تكلف وابتعاد عن الواقع . وغير منه ما قاله الخفري : من أن اللام للقسم ، وجوابه هو أداة الشرط وما دخلت عليه من جملتها ، وأن لهذا نظائر .

لأن وجود الفاء في الجواب دليل على أنه للشرط ؛ إذ جواب القسم لا تدخله الفاء . ومثله قولهم ^(١) : لئن أمهل الله الظالم فلن يغوث أخذه ، وهو له بالمرصاد .

وما سبق نستخلص أن اجتماع الشرط غير الامتناعي والقسم يقتضي الاكتفاء بجواب واحد يكون - على الأرجح - للسابق منهما . أما المتأخر فجوابه محذوف يدل عليه المذكور . وأنه يستثنى من هذه القاعدة حالتان :

إحدهما : يكون الجواب فيها للقسم مع تأخره ، وهى التى يكون فيها القسم مبدوءاً بالفاء .

والأخرى : يكون الجواب فيها للشرط مع تأخره عن القسم ؛ وهى التى يكونان فيها مسبوقين بما يحتاج إلى خبر . . .

* * *

(ب) فإن كان الشرط امتناعياً (وهو : لو - لولا - لو مآ) وتقدم ، فيتعين أن يكون الجواب له ، وأن يحذف جواب القسم لدلالة جواب الشرط عليه . نحو : لولا رحمة المولى بعباده ، والله لأهلكهم بذنوبهم ^(٢) .

وإن كان القسم هو المتقدم على الشرط الامتناعى ، فالصحيح أن الجواب المذكور هو للشرط أيضاً ، وأن الشرط وجوابه جواب للقسم ، لم يغن شئ عن شئ ، والجوابان المذكوران ، لم يحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ؛ نحو : والله لولا الله ما اهتدينا ؛ فجملة : « ما اهتدينا » هى جواب « لولا » . وهذه مع جوابها جواب القسم .

ويتضح مما تقدم عند اجتماع الشرط الامتناعى والقسم أن الجواب للشرط الامتناعى ؛ سواء أكان متقدماً على القسم أم متأخراً عنه .

(١) وهو منسوب لعل رضى الله عنه .

(٢) وفى أحكام الحذف السابقة يقول ابن مالك :

واحذف لَدَى اجتماع شرطٍ وقسمٍ جوابَ ما أَخَرَتْ ؛ فهو مُلْتَزَمٌ
وإن تَوَالَيْسا وقبلُ ذو خبرٍ فالشرطُ رَجَحٌ مطلقاً بلا حَذَرٍ
ورُبُّمَا رُجِحَ بَعْدَ قسمٍ شرطُ بلا ذى خبرٍ مُقَدَّمٌ

المسألة ١٥٩ :

توالى شرطين ، أو أكثر . وتوالى شرطٍ واستفهام

(١) يصح أن تتوالى أداتان — أو أكثر — من أدوات الشرط بغير اتصال مباشر^(١) ؛ فتكون لكل أداة جملتها الفعلية الشرطية التي تليها مباشرة ، وتفصل بينها وبين الأداة الشرطية التي بعدها . وتحتاج كل أداة بعد هذا إلى جملة جوابية تخضع للأحكام الآتية :

١ — إن كان التوالى بغير عطف^(٢) فالجواب للأداة الأولى وحدها ، ما لم تقم قرينة تعيين غيرها . أما باقى الأدوات التالية فجوابه محذوف للدلالة جواب الأولى عليه . ومن الأمثلة ؛ (مَنْ يعتدلُ في شبابه ، مَنْ يحرصُ على سلامة جوارحه وحواسه — يَسْلَمُ من متاعب الكهولة ، وَيَلَاتُ الشيخوخة) . التقدير : مَنْ يعتدلُ في شبابه يَسْلَمُ ... ، مَنْ يحرصُ على سلامة حواسه يَسْلَمُ ... ومثل قول : الشاعر :
 «إِنْ تَسْتَغِيثُوا بَنَاءً ، إِنْ تَدْعُرُوا — تَسْجِدُوا مَنَّا معاقلاً عزَّ زانها كَرَمُ»
 التقدير . إِنْ تَسْتَغِيثُوا بَنَاءً تَسْجِدُوا ... إِنْ تَدْعُرُوا تَسْجِدُوا ...

٢ — إن كان التوالى بعطف بالواو فالجواب لهما ؛ لأن الواو للجمع . مثل :
 «مَنْ يُحْجِمُ عن نداء الخير ، وَمَنْ يَسْأَلُ عن داعي المروءة — يعيشُ بغيضاً مَبْذُوراً» .

٣ — إن كان التوالى بعطف بـ « أو » ، فالجواب لإحدهما ؛ (لأن « أو » في الغالب — لأحد الشيئين أو الأشياء) وجواب الأخرى محذوف يدل عليه المذكور . ومن الأمثلة : «إِنْ تَغْبُ عن عيني أو إِنْ تَحْضُرُ ، فَلَسْتُ عن خاطري بغائب — من يُكَبِّرُهُ الناسُ لعلمه ، أو من يرفعوه لسمو خلقه — يعيشُ بينهم سعيداً ...»

(١) أما التوالى مع الاتصال المباشر فلا اعتبار فيه للأداة الأولى ؛ فهي وحدها التي تحتاج لشرط وجواب .

(٢) بغير عطف مذكور أو ملحوظ ؛ كالذي سيحيى في آخر رقم ٤ .

٤ - إن كان التوالى يعطف بـ « الفاء » فالجواب للثانية ؛ (لأن الفاء تفيد الترتيب) . والثانية وجوابها جواب الأولى ، نحو : إن تمارس عملاً فإن تخلص فيه يحالفك الفوز والتوفيق .

وليس من اللازم أن تكون الفاء مذكورة ، فقد تكون ملحوظة يقتضيها السياق وتدل قرينة على تقديرها . وفي هذه الحالة التي تحذف فيها مع تقديرها وملاحظتها ، لا تكون عاطفة ولا تعرب شيئاً^(١) ، وإنما يقتصر أثرها على الفائدة المعنوية الملحوظة .

(ب) إذا توالى الاستفهام^(٢) والشرط فقبل الجواب للاستفهام ، لتقدمه ؛ نحو :
 « إن تَدْعَ لأداء الشهادة على وجهها تستجيب ؟ برفع المضارع : « تستجيب » .
 وقيل : « لا » ، وأن الجواب للشرط غالباً ؛ بدليل قوله تعالى : (أَفَإِنْ مِتَّ فَتَهُمُ الْخَالِدُونَ) ؛ إذ لو كانت الجملة الاسمية : (هم الخالدون) ، جواباً للاستفهام ما دخلتها الفاء ؛ لأن الفاء لا تدخل في جواب الاستفهام ، وإنما تدخل في جواب الشرط إذا كان جملة اسمية أو غيرها مما لم يستوف شروط الجواب - كما عرفنا^(٣) -

والصحيح أن تعيين الجواب لأحدهما خاضع للقرينة التي تتحكم فيه ؛ فتجعله لهذا أو لذاك ، أي يختص به واحد منهما في كل الأساليب .

(١) راجع الصبان .

(٢) ويتعين أن يكون بالهمزة ؛ لأنها هي التي يصح أن تجتمع مع أداة الشرط ؛ - طبقاً لما سبق في

رقم ١٠ من ص ٤٤٧ -

(٣) في رقم ٨ من ص ٤٥٨ .

المسألة ١٦٠ :

« لَوْ » الشرطية

هى نوعان : شرطية امتناعية ، وشرطية غير امتناعية ، وكلا النوعين حرف ، واستعماله قياسى .

(١) « لَوْ » الشرطية الامتناعية ؛ معناها ، وأحكامها النحوية :

فأما معناها فأمران مجتمعان ؛ هما : (إفادة الشرطية ، وأن هذه الشرطية لم تتحقق فى الزمن الماضى ؛ فقد امتنع وقوعها فيه) .

فإفادتها الشرطية تقتضى تعليق شىء على آخر ؛ وهذا التعليق يستلزم —حتمًا— أن يقع بعدها جملتان ، بينهما نوع ترابط واتصال معنوى ؛ يغلب أن يكون هو : « السببية » فى الجملة الأولى ، و« المسببية » فى الجملة الثانية ؛ نحو : لو تعلمَ الجاهل لنهضت بلاده ، لكنه لم يتعلم — لو عفَّ السَّارق لنجا من العقوبة التى نزلت به — لو أتقن الصانع عمله بالأمس ما بارت صناعته . فالجملة الأولى من المثال الأول هى : (تعلمَ الجاهل) ، والثانية هى : (نهضت بلاده) وبين الجملتين ذلك الارتباط المعنوى ؛ لأن نهضة البلاد مسببة عن تعلم الجاهل ؛ ولذا تسمى الأولى : « جملة الشرط » ، وتسمى الثانية : « جملة الجواب » ^(١) . ومثل هذا يقال فى الأمثلة الأخرى .

وإفادتها امتناع المعنى الشرطى فى الزمن الماضى تقتضى أن شرطها لم يقع فيما مضى ، (أى : لم يتحقق معناه فى الزمن السابق على الكلام) فهى تفيد القطع بأن معناه لم يحصل ^(٢) . كما تفيد أن تعليق الجواب عليه كان فى الزمن الماضى

(١) سبق الكلام على معنى الجواب عند الكلام على « إذن » الناصبة — ص ٣٠٨ — وعند الكلام على « فاء السببية » ص ٣٥٢ . وما يوضح معنى الشرط ما سبق فى رقم ١ من هامش ص ٤٢٢ .

(٢) فكأنها معه بمنزلة حرف نفي ، ينفى معنى الجملة التى يدخل عليها . مع أنها ليست حرف نفي ، ولا يصح إعرابها حرف نفي ، بالرغم من أنها فى هذا الموضع تؤدي ما يؤديه حرف النفي من سلب المعنى فى الزمن الماضى . ويزداد وضوح هذا بالضابط الذى فى رقم ٢ من هامش الصفحة الآتية :

أيضاً^(١) ، على خلاف المعهود في التعليق بالأدوات الشرطية الجازمة ، حيث يتعين الاستقبال في شرطها وجوابها معاً — على الأغلب —^(٢) .

ويترتب على امتناع الشرط هنا وعدم وقوعه امتناع جوابه تبعاً له ، إذا كان فعل الشرط هو السبب الوحيد في إيجاد جوابه وتحقيقه ، وليس هناك سبب آخر للإيجاد والتحقيق ؛ لأن امتناع السبب الوحيد الموجد للشيء يؤدي حتماً إلى امتناع المسبب عنه ، المترتب عليه ؛ نحو : لو طلعت الشمس أمس لظهر النهار ؛ فقد امتنع فعل الشرط — وهو السبب الوحيد — ؛ فامتنع له الجواب — وهو المسبب عنه — إذ ظهور النهار متوقف على طلوع الشمس دون شيء آخر ؛ فلا يمكن أن يظهر إلا بطلوعها ما دام طلوعها هو السبب الفردي لإيجادها .

فإن كان للجواب سبب آخر فلا يتحتم الامتناع بامتناع هذا الشرط ، لجواز أن يؤدي السبب الآخر إلى إيجاد الجواب ، وتحقيق معناه^(٣) ؛ نحو : لو طلعت

(١) هناك أداتان أخريان للربط الامتناعي هما : « لولا » و « لو ما » وحكما يخالف حكم

« لو » . وسيجيء تفصيل الكلام عليهما في ص ٥١٢ و ٥١٥ .

(٢) هناك ضابط يميز « لو الامتناعية » من غيرها ؛ هو — كما جاء في المغني في هذا الباب — : أن يصح في كل موضع استعملت فيه أن تُعقبه بحرف الاستدراك داخل على فعل الشرط ، منفياً لفظاً أو معنى تقول : لو جاءني لأكرمه ، لكنه لم يجيء ، ومنه قوله :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاً ، — ولم أطلب — قليل من المال

أى : لكن لم يثبت أن ما أسعى لأدنى معيشة . . . إذ الأصل : « لو ثبت أن ما أسعى » .. ، لأن « لو » الشرطية لا تدخل إلا على فعل ؛ إما ملفوظ ، وإما ملحوظ تقديره : « ثبت » — مثلاً — . . . وقوله :

فلو كان حمدٌ يُخلدُ الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمُخلد

ومنه قوله تعالى : (ولو شِئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم ...) أى : ولكن لم يكن حمد . . . — ولكن لم أشأ ذلك فحق القول مني . . . ، وقول الحماسي :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان

ثم قال :

لكن قوى وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

إذ المعنى : لكنني لست من مازن ، بل من قوم ليسوا في شيء من الشر وإن هان ، وإن كانوا ذوي عدد .

(٣) وبمراعاة هذا الأساس تدخل صور كثيرة بغير حاجة إلى تأويل أو تقدير اضطر إليه النحاة

في مثل : فلان لو لم يخف ربه لم يعصه .

الشمس أمس لكان النور موجوداً . فطلوع الشمس هنا ممتنع ، أما الجواب فيصح أن يكون غير ممتنع — برغم امتناع الشرط — إذا وجد سبب آخر غير الشمس يحدثه ؛ كمصباح مضيء ؛ أو برق ، أو نار ... ؛ فالشرط في هذا المثال ليس السبب الفريد في إحداث الجواب ؛ فامتناعه لا يستلزم ولا يوجب امتناع جوابه ؛ فقد يمتنع الجواب حيناً ؛ ولا يمتنع حيناً آخر ؛ على حسب ما تقضى به القرائن والمناسبات .

ومن الأمثلة لامتناع الجواب امتناعاً حتمياً تبعاً لامتناع الشرط : لو توقفت الأرض عن الدوران لهلك الأحياء جميعاً من شدة البرد أو الحر — لو سكنت الأرض ما تعاقب عليها الليل والنهار — لو امتنع الغذاء لمات الحي — لو اختلّت الجاذبية الكونية لا نفرط عقد الكواكب والنجوم — لو توقف القلب عن النبض نهائياً لمات الحيوان ...

ومن أمثلة امتناع الشرط دون أن يستلزم امتناع الجواب استلزاماً محتمماً : لو تعلم الفقير لاغتنى — لو استقلّ المسافر الطائرة لبلغ غايته — لو قرأ الربيّ الصحف لعلم أهم الأخبار العالمية — لو وازب الغلام على السباحة لقوى جسمه — لو استشار المريض طبيبه لشُفِيَ ... ؛ فالجواب في هذه الأمثلة ليس حتمياً الامتناع ؛ إذ الشرط ليس السبب الوحيد في إيجاد ، فهناك ما يصلح أن يكون سبباً للإيجاد سواء .

ومما تقدم يتبين خطأ التعبير الشائع على ألسنة المعربين وهو : « أنها حرف امتناع لامتناع » ؛ يريدون : أنها حرف يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط . وإنما كان هذا خطأ لما قدمناه من أن امتناع الشرط لا يستلزم امتناع الجواب ؛ فقد يستلزمه ، أو لا يستلزمه — طبقاً للبيان السالف — إلا إن كان غرضهم أن ذلك الامتناع هو الكثير الغالب .

والصواب ما رده سيبويه من أنها : « حرف يدل على ما كان سيقع لوقوع غيره » ، أى : لما كان سيقع في الماضي ؛ لوقوع غيره في الماضي أيضاً . وهذه العبارة صحيحة دقيقة ، لا تحتاج إلى تأويل ، أو تقدير ، أو زيادة .

وأما أحكامها النحوية^(١) : فإنها أداة شرطية قياسية الاستعمال ، لا تجزم على الرأي الأرجح^(٢) ، ولا بد لها — كما سبق — من جملتين بعدها^(٣) ؛ أولاهما : « الشرطية » ، تليها : « الجوابية والجزائية » . والأغلب أن تكون الجملتان فعليتين ، ماضويتين لفظاً ومعنى معاً ، أو معنى فقط (بأن يكون الفعل مضارعاً مسبوقاً بالحرف : « لم »)^(٤) .

والفعل الماضى فيهما باق على مضيه ؛ فلا يتغير زمنه بوجود « لو » الامتناعية . ومن الأمثلة : لو تراحم الناس لعاشوا إخواناً ، لم يعرفهم البؤس ، ولا الشقاء ، ولا العبداء . وقول الشاعر :

إن أرضاً تسرى^(٥) إليها لو اسطأ عت^(٦) لسارت إليك قبل مسيرك^٥
وقولهم : لو لم يثق المرء بعدل الخالق لعاش معذباً باليأس ، ولو لم يطمئن إلى حكمته لاحترق بنار الشك .

فإن جاء بعدها مضارع لفظاً ومعنى قلبت زمنه للمضى مع بقاء لفظه على حاله ، ومن الأمثلة : لو يجيء الضيف أمس لأكرمه . وقول الشاعر :

رُهبانٌ مَدِينٌ ، والذين عَهْدَتْهُمْ
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها
يَبْكون من حَذَرِ العذاب قعوداً
خرّوا لَعَزَةٍ رَكْعَةً وسجوداً
والمراد : لو جاء الضيف^(٧) . . . لو سمعوا^(٧) .

ولجوابها أحكام أخرى — غير المضى — يشترك في أكثرها جواب « لو » غير الامتناعية ، وسنعرفها^(٨) .

* * *

(ب) « لو » الشرطية غير الامتناعية^(٩) . معناها ، وأحكامها^(١٠) النحوية :

- (١) هذه الأحكام الخاصة غير أحكام أخرى مشتركة بين نوعي : « لو » وستجىء في ص ٤٩٦ .
- (٢) وقد جازمت في أمثلة مسموعة لا يسوغ القياس عليها ؛ لندرتها — كما أشرنا لهذا في ب — ص ٤١٢ ، وعرضنا للأمثلة ومراجعها في ص ٤٤٣ .
- (٣) فلها الصدارة عليهما ؛ كالشأن في جميع الأدوات الشرطية .
- (٤) كما في البيت الثاني والثالث من هامش ص ٤٩٢ . (٥) تسافر إليها ليلاً .
- (٦) استطاعت .

- (٧ و ٧) وقوع الفعل الماضى الحقيقى في جوابها يقتضى أن المضارع في شرطها بمعنى الماضى حتماً .
- (٨) في رقم ٢ من ص ٤٩٧ . (٩) أما الامتناعية فقد سبق الكلام عليها في ص ٤٩١ .
- (١٠) انظر الهامش رقم « ١ » من هذه الصفحة .

هي قليلة الاستعمال ، ولكن استعمالها قياسى . ومن أمثلتها : لو يشتد الحر في العطلة الصيفية المقبلة أصطافُ في جهات معتدلة . . .

فأما معناها فالدلالة على الشرطية الحقيقية ؛ (وهي التي تقتضى تعليق أمر على آخر - وجوداً وعدمًا - في المستقبل) ، ولا بد لها من جملتين ؛ ترتبط الثانية منهما بالأولى ارتباط المسبَّب بالسبب - غالباً^(١) - بحيث لا يتحقق في المستقبل ؛ معنى الثانية ، ولا يحصل إلا بعد تحقق معنى الأولى وحصوله في المستقبل ؛ فكلاهما لا يتحقق معناه إلا في المستقبل . غير أن معنى الثانية مترتب على معنى الأولى الذى لا يمتنع هنا . وبهذين تختلف « لو » غير الامتناعية عن « لو » الامتناعية التي تقتضى أن يكون ارتباط جملتيها في زمن ماض فقط ، وأن شرطها ممتنع ، فيمتنع له الجواب - بالتفصيل السالف - ؛ ومن ثَمَّ قال النحاة : إن « لو » الشرطية غير الامتناعية شبيهة « بأن الشرطية » ؛ فهما يفيدان - غالباً^(٢) - تعليق الجواب على الشرط ، ويوجبان أن يكون زمن الفعل في جملة الشرط والجواب مستقبلا ، مهما كان نوع الفعل وصيغته ، كما يوجبان - أيضاً - أن يكون زمن الجواب مستقبلا .

وأما حكمها النحوى فمقصود على أنها أداة شرطية حقيقية . ولكنها لا تجزم على رأى الأرجح . ولا بد لها من الجملتين بعدها^(٣) ؛ أولاهما جملة الشرط ، والأخرى جملة الجواب . والأغلب أن يكون فعل الشرط وفعل الجواب مضارعين لفظاً ومعنى ويتحتم أن يكون زمنهما للمستقبل الخالص . وإذا كان أحدهما ماضى اللفظ وجب أن يكون زمنه مستقبلا ، فيكون ماضى الصورة دون الزمن . ومن الأمثلة قول الشاعر :
ولو تَلَمَّتْقى أَصداؤُنَا بعد موتنا ومن دون رَمَّةٍ سَيِّئنا^(٤) من الأرض سَبَسَب^(٥)
لظلَّ صَدَى صوتى - وإن كنت رِمَّةً - لصوتِ صَدَى ليلتى يَهْشَ وَيَطْرَبُ
وقول الآخر :

لا يُلْفِكُ الراجوك إلا مُظْهِراً خُلِقَ الكسرام ولو تكون عدياً^(٥)

(١٠١) قلنا : « غالباً » لأن التعليق قد يراد به معانٍ أخرى غير « السببية والمسببية » كما فصلناه في رقم ١ من هامش ٤٢٢ وفى ص ٤٥٤ عند الكلام على المراد من جواب الشرط الجازم وفى رقم ٣ من هامشها .
(٢) فلها الصدارة - كما سبق - . (٣) قبرينا . (٤) صحراء .
(٥) فقيراً . والجواب محذوف - يدل عليه أول البيت وهو مشتمل على : « لا الناهية » التي لا تدخل - غالباً - إلا على المضارع المستقبل الزمن ؛ فيتعين هنا أن تكون « لو » شرطية للمستقبل تبعاً لك .

ومثال الماضي الذى يصير زمنه مستقبلاً خالصاً مع بقاء صورته اللفظية على حالها — قوله تعالى: (وَلَيَسْخُشَّ الَّذِينَ لَوِ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ) ، أى : لو يتركون ؛ إذ لو كان الفعل باقياً على زمنه الماضى لفسد المعنى ؛ لاستحالة الخوف بعد موتهم . ومثله قول الشاعر :

ولو أن ليلتى الأخيـليـة سـلـمتْ على ودونى جـنـدلى^(١) وصفائـح^(٢)
لسـلـمتْ تسـلـم البشاشـة ، أو : زقـاً^(٣) إليها صدئى من جانب القبر صائـحُ

فالماضى هنا — وهو محذوف بعد: « لو » على الرأى المشهور الذى سيأتى^(٤) . وتقديره مثلاً : لو ثبت أن . . . — مؤول بالمضارع . أى : لو يثبت أن . . . ؛ لاستحالة المعنى على المضى الحقيقى ؛ إذ يترتب عليه أنه قال هذا الكلام بعد موته . ومثل هذا قوطم : مسكين^(٥) ابن آدم ؛ لو خاف الذار كما يخاف الفقر لنجا منهما جميعاً ، ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لغاز بهما جميعاً .

* * *

أحكام مشتركة بين النوعين :

١ — كلاهما قياسى ، له الصدارة ، مختص بالدخول على الفعل حتماً ، وكلاهما لا يعمل فيه الجزم — على الرأى الأرجح — لكن النوع الأول مختص بالدخول على الماضى غالباً ؛ والثانى مختص بالدخول على المضارع غالباً ؛ فلا بد أن يقع الفعل بعدهما مباشرة . فإن لم يقع الفعل ظاهراً بعدهما وكان الظاهر اسماً ، فالفعل مقدر بينهما ، يفسره مفسر مذكور بعد الاسم الظاهر^(٥) . نحو : لو ذات سيوار^(٦) لطمت الرجل الحر لهان الأمر . وقول الشاعر :

(١) صخر . (٢) أحجار عريضة . (كناية عن الموت) .

(٣) صاح . (٤) هنا ، وفى ٣ من ص ٤٩٩ .

(٥) أحوال هذا الاسم الظاهر ، وضبطه ، وإعرايه — سيقت فى الجزء الأول ، فى الباب الخاص به ، وهو باب : « الاشتغال » م ٦٩ .

(٦) المراد بذات السوار : المرأة الحرة ، لا الأمة . وأصله مثكل^(٧) نطق به حاتم الطائى حين لطمته جارية ؛ فقال : « لو ذات سوار لطمتى . . . » أى : لهان الأمر . وقد كان عندهم لبس السوار مقصوداً على الخرائر .

أَخْلَئِي^(١) ، لو غيرُ الحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ، ولكن ما على الدهر مَعْتَبٌ
والتقدير: لو لَطَمْتُ ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتُ...، لو أَصَابَكُمْ غيرُ الحِمَامِ أَصَابَكُمْ...،
وقد يكون المفسر جملة ، والفعلُ المحذوف هو «كان الشائنة» ، كقول الشاعر :

لو بغير الماء حَلَقِي شَرِيقُ^(٢) كُنْتُ كَالْغَصَّانِ^(٣) ؛ بالماء اعتصاري^(٣)
والتقدير: لو كان (الحال والشأن) ، حَلَقِي شَرِيقُ بغير الماء ، كنت كالغصان ...

٢ — كلاهما لا بد له من جواب مذكور أو محذوف .

(١) فإن وقع جواب أحدهما فعلاً ماضياً لفظاً ومعنى ، أو لفظاً فقط —
جاز اقترانه «باللام» وعدم اقترانه ؛ سواء أكان الماضي مثبتاً أم منفيّاً بـ «ما» إلا أن
اقتران المثبت باللام أكثر من تجرده منها، والمنفي بعكسه . فمن أمثلة اقتران الماضي
المثبت وتجرده قوله تعالى في الصمِّ البُكْمُ الذي لا يعقلون: (... ولو عَلِمَ اللهُ فيهم
خيراً لأَنَّهُمْ سَمِعَهُمْ . ولو أَسْمَعَهُمْ لَتَوَكَّلُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) ، وقوله تعالى في الزرع :
(لو نَشَأْ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً ...) وقوله تعالى — بعد ذلك مباشرة في الآية نفسها
عن الماء الذي نشر به : (لو نَشَأْ جَعَلْنَاهُ أَجَاجاً^(٤)) ، فلولا تشكرون !!) .

ومن أمثلة تجرد المنفى بـ «ما» واقترانه قوله تعالى : (ولو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ ...)
وقول الشاعر^(٥) .

ولو نُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَّا افْتَرَقْنَا ولكن لا خيارَ مع الليالي

ولا تدخل هذه اللام على حرف ذني غير «ما» .

ولبعض النحاة رأى حسن في مجيء هذه اللام في جواب «لو الشرطية» حينئذ ،

(١) أصله : أَخْلَئِي . ثم قصر بحذف الهزة ، لضرورة الشعر ، وأضيف لياء المتكلم . ويجوز
قراءته : «أخلاء» ، بالمد وحذف ياء المتكلم ، وكسر ما قبلها ، أو عدم كسره على حسب الأوجه الجائزة
فيه بعد حذفها (وقد سبقت في ص ٥٨) .

(٢) المصاب بنفصه في حلقة . (٣) نجاتي وسلامي .

(٤) مرأ ، شديد الملوحة . والآية كاملة — في سورة الواقعة — «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ
أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لو نَشَأْ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلَسْتُمْ تَفَعُّكَهُمْ . إِنَّا لَمُعْرِضُونَ . بل نحن محرمون . أفأرأيتم
الماء الذي تشربون . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ، أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ، لو نَشَأْ جَعَلْنَاهُ أَجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» .
(٥) ومثله قول الآخر :

لو كنت أملُ أن ألقاك في الحُلُمِ لَمَا قرعتُ عليك السنن من نَدَمِ =

وعدم مجيئها حينئذ آخر ؛ يقول : هذه اللام تسمى : « لام التسويف » ، أى : التأجيل والتأخير والتمهل ؛ لأنها تدل على أن تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الشرط زمناً طويلاً نوعاً ، وعدم مجيئها يدل على أن تحقق الجواب سيتأخر عن تحقق الشرط زمناً يسيراً ، قصير المهلة بالنسبة للمدة السالفة . فتحقق الجواب في الحالتين متأخر عن تحقق الشرط — كالأشأن في الجواب دائماً — إلا أن مجيء اللام معه دليل على أنه سيتأخر كثيراً . وأن مهلته ستطول ، بالنسبة له حين يكون خالياً ... (١)

(ب) وقد يكون الجواب جملة اسمية مقرونة باللام ؛ ومنه — فى رأى بعض النحاة — قوله تعالى : (ولو أنهم آمنوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ...) ، والأصل : أو ثبت أنهم آمنوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ . فاللام داخلية على المبتدأ : « مثوبة » وخبره كلمة : « خير » والجملة الاسمية هى الجواب .

(ح) وقد يكون الجواب مسبوقاً بكلمة « إذا » (٢) التى تفيد تقيوية وتوكيداً ؛ نحو : لو قصدتنى إذاً — لعاونتك . وقول الشاعر :

لو أن للفصل فيما بيننا حكماً إذاً لبيّن حقاً أيننا ظلما

ومن النادر الذى لا يقاس عليه أن يكون فعل الجواب هو « أفعل » ، للتعجب مقروناً باللام ، أو أن يكون الجواب مسبوقاً بالفعل ، أو رُب ، أو قد . (٣)

= ومن أمثلة تجرد المنق بما قول الشاعر يصف حاله مع غنى بخيل :

لو ملك البحرَ والفراتَ معاً ما نالنى من نداما بَلَلًا
وكقوله تعالى : (ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بظلمهم ما تركَ عليها من دابةٍ ، ولكن يُؤخرهم إلى أجلٍ مُسمى) .

(١) ويقول ابن الأثير (فى كتابه : « الجامع الكبير » ج ١ ص ٢٢٥) عند الكلام على لام التأكيد ما نصه ؛ « (لا يجيئ ذلك إلا لضرب من المبالغة . وفائدتها فى التأليف أنه إذا عُبر عن أمر يميز وجوده ؛ أو فعل يَعِظُهم إحدائه ، وقعه جىء بها . فن هذا الباب قوله تعالى ... « لو نشاء لجللناه حطاماً ... » .

(٢) سبق الكلام عليها وعلى دخولها فى جواب « لو » فى ص ٣١٥ ومن أمثلتها فى القرآن الكريم : (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى — إذا لأمسكنكم ؛ خشية الإنفاق) ، وفى تلك الصفحة أمثلة أخرى .

(٣) نحو : لومات الجندى شهيداً لأكرم بها من ميتة — لوسافت فراحه — لوسافت ربما السفر راحة — لوشئت قد أسافر (راجع المجمع ج ٢ ص ٦٦) .

٣ - كلاهما صالح للدخول على : « أن » - مفتوحة الهمزة -- ومعموليهما «
 - وهذا أحد مواضع الاختلاف بين « لو » و « إن » الشرطيتين - ومن الأمثلة
 قوله تعالى : (ولو أنهم آمنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ من عند الله خيرٌ) ، وقوله تعالى :
 (ولو أنهم صَبَرُوا حتى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) ، وقول المعمرى :

ولو أنى حُبَيْتُ^(١) الخلدَ^(٢) فَرَدَا لما أَحْبَبْتُ بالخلدِ انفراداً

وقول الآخر يصف ألفاظ أديب :

فلو أنْ ألفاظه جُسِّمَتْ نَكَانَتْ عقوداً لِحَبِيدِ الغواني^(٣)

وإذا دخلت « لو » على « أن » ومعموليهما « فَهَلْ تفقد اختصاصها الذى عرفناه ؛
 وهو دخولها على الأفعال فى الأعم الأغلب ؟

يرى فريق من النحاة أنها فقدت اختصاصها ، وأن المصدر المنسبك بعدها
 من أن مع معموليهما مبتدأ ، خبره محذوف ؛ تقديره : ثابت ، . . . أو نحو هذا
 مما يناسب السياق . فى مثل : لو أن التاجر أمين لَرَأَجَتْ تجارته - يكون التقدير :
 لو أمانةُ التاجر ثابتة لَرَأَجَتْ تجارته . . . وفى مثل : لو أن الحارس غافل لاجترأ
 اللص - يكون التقدير : لو غفلة الحارس ثابتة لاجترأ اللص .

ويرى فريق آخر أنها لم تفقد اختصاصها ، وأنها فى الحقيقة لم تدخل على « أن »
 ومعموليهما « مباشرة ، وإنما دخلت على فعل مقدر هو : ثبت - ونحوه - والمصدر
 المؤول من : « أن ومعموليهما » فاعل للفعل المقدر . فتقدير الفعل فى الأمثلة السابقة هو :
 ولو ثبت أنهم آمنوا . . . - ولو ثبت أنهم صبروا . . . - ولو ثبت أنى
 حُبَيْت . . . - فلو ثبت أن ألفاظه جُسِّمَتْ ، . . . - ولو ثبت أن التاجر . . . -
 ولو ثبت أن الحارس . . . - وهكذا . وتقدير الفعل مع فاعله المصدر المنسبك من
 أن معموليهما - هو : ولو ثبت إيمانهم - ولو ثبت صبرهم . . . - ولو ثبت
 حَبَبُوى - لو ثبت تجسيم . . . - ولو ثبت أمانة التاجر . . . - ولو ثبتت
 غفلة الحارس . . . -

(٢) الجنة .

(١) مُنِحَتْ وأُعْطِيَتْ .

(٣) يريد : أن ألفاظه لو جُسِّمَتْ لصارت درراً أولاً تلبسها الغواني فى أعناقهن ، للزينة .

والرأيان صحيحان ، ولكن ثانيهما أولى بالترجيح ، إذ يحقق حكماً أصيلاً
غالباً ، من أحكام « لو » بنوعيهما ؛ هو : اختصاصها بالدخول على الفعل ،
ولكيلا يدخل الحرف المصدرى على مثله ^(١) بغير فاصل .

٤ - يجب الترتيب بين « لو » ^(٢) وجملتيها . فلا يصح تقديم شيء منهما ،
ولا من معمولاتهما على « لو » ولا يصح تقديم شيء من الجملة الجوابية أو معمولاتها
على الشرطية .

* * *

حذف فعل شرطها وحده ، وحذف الجملة الشرطية كاملة :

يصح هنا حذف فعل الشرط وحده إذا دل عليه دليل ، كوجود مفسر له
بعد فاعله المذكور في الكلام . نحو : لو مطر نزل لاعتدل الجو . والأصل : لو نزل
مطر نزل . . . ومن أمثلة حذفه بغير المفسر أن يكون فاعله مصدراً مؤولاً من
« أن » ومعموليهما ؛ كالأمثلة التي مرت (في ٣) .

أما حذف الجملة الشرطية كلها بغير الأداة : « لو » فنادر لا يصح القياس عليه ؛
كأن يقال : أيعتدل الجو لو نزل المطر ؟ فيجواب : (نعم لو . . . لاعتدل الجو) .

وقد تحذف قياساً ومعها : « لو » بشرط وجود القرينة ؛ نحو قوله تعالى : (ما اتخذنا
الله من ولد وما كان معه من إله ، إذا ^(٣)) لذهب كل إله بما خلق . . .
التقدير : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . . .

وقد يحذف قياساً فعل الشرط : « كان » ومعها اسمه أو خبره ؛ نحو : اقرأ كل
يوم ولو صفحةً أو صفحةً . على تقدير : ولو كان المقروء صفحةً ، أو كانت
مقروءةً صفحةً

— كما تقدم في باب كان ^(٤) — .

* * *

(١) وللأسباب الهامة التي سبقت في ج ٢ م ٦٩ ص ١٢١ باب : « الاشتغال » .

(٢) لأن لها - كسائر الأدوات الشرطية - الصداوة على الجملتين ، ومعمولاتها .

(٣) التنوين هنا للعوض عن الجملة الشرطية المحذوفة ، ومعها والأداة : « لو » . واللام بعدها

دليل الحذف . (٤) ج ١ .

حذف فعل الجواب ، وحذف جملة الجواب كاملة :

لا يصح هنا حذف فعل الجواب وحده . لكنْ يكثر حذف الجملة الجوابية كاملة لدليل . كقوله تعالى : (ولو أن قرآننا سُيِّرَتْ به الجبالُ ، أو قُطِّعَتْ به الأرضُ ، أو كُتِّمَ به الموتى ... بل لله الأمرُ جميعاً) ، وتقدير المحذوف : ما نَفَعَهُمْ ... أو : لكان هذا القرآن .. ومثل : تتمزق الأمة باختلاف زعمائها ؛ فلو اتفقوا .. ، التقدير : لو اتفقوا لبقيت سليمة ، أو قوية ^(١) ... ، وكقوله تعالى : (ولو ترى إذ فَتَزَعُوا ، فلا فُتُوتْ ، وأُخِذُوا من مكانٍ قريبٍ) فجواب « لو » جملة محذوفة تقديرها : لرأيت أمراً عظيماً هائلاً .

* * *

حذف جملة الشرط والجواب معاً :

ورد في المسموع أمثلة قليلة لحذفها معاً ، ولا يصح القياس عليها ؛ لقلتها ؛ ولأنها في الشعر . ومنها :

إن يكنْ طبعك الدلالَ فلو ... في سالف الدهر والسنين الخوالى ...
التقدير : فلو كان في سالف الدهر والسنين الخوالى لكان مقبولاً ، أو نحو هذا ^(٢) .

(١) ومثل قول الشاعر :

وأظمأ إنْ أبْدَى لى الماءُ مِنَّةً ولو كان لى نهرِ المجرةِ مَوْرِدًا
وقول الآخر :

أَطْلُبُ العزَّ فى « لَطَى » ، وَذَرِ الدَّلَّ ولو كان فى جِنانِ الخلودِ
التقدير : فَذَرَهُ .

(٢) عقد ابن مالك باباً خاصاً عنوانه : (فصل : « لو ») اقتصر فيه على ثلاثة أبيات موجزة الأحكام ، غامضة الدلالات .
ونصها ؛

« لو » حرفُ شرطٍ ، فى مُضَى ، وَيَقِلُّ إِيلاؤها مَسْتَقْبَلًا . لكنْ قُبِلَ يريد هذا : « لو » الشرطية الامتناعية ؛ فإنها هى التى يكون بها التعليق فى الزمن الماضى . أما التى يكون التعليق بها مستقبلاً فالشرطية غير الامتناعية . والتعليق بها - مع قلته - مقبول ، أى : جائز يصح =

زيادة وتفصيل :

عرفنا : « لو الشرطية » ، بنوعيها . وهناك أنواع أخرى من « لو » عَرَضَتْ لها المطولات النحوية ؛ (كالمعنى ، وشرح المفصل . . .) واللغوية ؛ (كلسان العرب ، وتاج العروس . . .) وسنشير إلى كثير من هذه الأنواع إشارة عابرة ، وكلها سرف .

١ - « لو » المصدرية (وقد سبق الكلام عليها في الجزء الأول باب الموصول ، م ٢٩ ص ٤١٣) .

٢ - « لو » الزائدة ، أو : « الوصلية » ولا تحتاج لجواب - في المشهور - فهي كـ « إن الوصلية » التي سبق الكلام عليها هنا^(١) ؛ بحيث يمكن وضع « لو » مكان « إن » فلا يفسد المعنى ، ولا الأسلوب . وتعرب كأعرابها ، نحو ؛ الدنيء ولو كثر ماله . بخيل . وهذا أقل الأنواع استعمالاً في فصيح الكلام . وقد يمكن تخريجه على نوع آخر .

= القياس عليه . ثم قال :

وهي في الاختصاص بالفعل كـ **إِنْ** لكن : « **لَوْ** » - « **أَنَّ** » بها قد تَقْتَرَنُ يصرح بأن « لو » الشرطية بنوعها مختصة بالدخول على الفعل ، شأنها في هذا شأن « إن » الشرطية ، لا تدخل إلا على الفعل ظاهراً أو مقدراً . ثم بين بعد هذا ما يمتاز به « لو » من دخولها على : « **أَنَّ** » ومعمولها ، وهذا الدخول لا تشاركها فيه « **إِنْ** » الشرطية ، إذ لا يصح أن تَقْتَرَنَ « **بِأَنَّ** » مع معمولها ، أي : لا يصح أن تدخل عليها . . . ، وانتقل بعد هذا إلى البيت الثالث خاتماً به الفصل :

وإن مضارع تلاها صُرفاً إلى المضى ؛ نحو : **لَوْ يَفِي كَفَى** يقرر : أن المضارع الواقع بعد « لو » الامتناعية يكون زمنه ماضياً حتماً ؛ فهو مضارع في صورته وشكله ، ماضٍ في زمنه ؛ نحو ؛ « **لَوْ يَفِي كَفَى** . أي : لو وفى كفى » وهذا خاص بالمضارع بعد « لو » الامتناعية . أما غير الامتناعية فيبقى على حاله صورة وزمناً .

(١) في ص ٤٣٣ وهناك خلاف في حاجتها إلى جواب أو عدم حاجتها ، وما يتصل بهذا من شرطية وعدم شرطية ، وهو نفس الخلاف في « لو » (انظر رقم ١ من هامش ص ٤٣٣) .

٣- «لو» التي تفيد التقليل المجرد ، وهي حرف لا عمل له ، ولا يحتاج لجواب نحو : أكثر من ضروب البير الإحسان ، ولو بالكلمة الطيبة ^(١) .

٤- «لو» التي تفيد التحضيض ، كأن ترى بخيلاً في مستشفى ؛ فتقول : لو تبرع لهذا المستشفى فتتال خير الجزاء . بنصب المضارع بعد فاء السببية الجوابية ^(٢) . وهذا النوع لا يحتاج لجواب في الرأي الأحسن .

٥- «لو» التي للعرض ؛ مثل : لو تسبهم في الخير فتثاب ، بنصب المضارع بعد فاء السببية الجوابية . والأحسن الأخذ بالرأي القائل : إنها لا تحتاج إلى جواب .

٦- «لو» التي للتمنى ؛ - ولا تكون للتمنى إلا حيث يكون الأمر مستحيلاً أو في حكم المستحيل ، نحو قوله تعالى عن يوم القيامة : (.. يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى الْأَرْضُ ...) ومثل : لو يستجيب لي حكام الدول فأحول بينهم وبين إشعال الحروب . بنصب المضارع «أحول» بعد فاء السببية الجوابية ^(٣) .

وقد سبق الكلام على «لو» التي تفيد التحضيض ، أو : العرض ، أو : التمني - عند الكلام على فاء السببية الجوابية ^(١) .

(١٩١) وقال بعض النحاة : (كل ما أورد شاهداً على التقليل تصلح فيه أن تكون شرطية بمعنى «إن» ، «لأن» ، «لو» ، والتقليل مستفاد من المقام) ، والتقدير : وإن كان الإكثار بالكلمة . والأول أحسن .

(٢) سبق لهذا النوع إشارة في رقم ٦ من ص ٣٦٩ .

(٣) وهل تحتاج إلى جواب ؟ قيل لا تحتاج مطلقاً . وقيل إنها تحتاج له ولكنه لازم الحذف بسبب إثرابها معنى التمني . ونتيجة الرأيين واحدة - وهذا النوع إشارة في ص ٣٦٩ - .

المسألة ١٦١ :

أَمَّا الشرطية (١) .

صيغتها - معناها - أحكامها النحوية :

(١) صيغتها في الرأي الأرجح : « بسيطة (٢) » رباعية الأحرف الهجائية .
ومن العرب من يقلب ميمها الأولى ياء (٣) ، فيقول في مثل : (أَمَّا الرياء فخلُتُ اللثام ،
وصفة الضعفاء) ... « أَيْمًا الرياء ... » . ومن هذا قول الشاعر يصف نفسه بالترف
البالغ ، والنعمة السابغة :

رَأَتْ رَجُلًا ، أَيْمًا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ (٤) فَيَضْمَحِي (٥) . وَأَيْمًا بِالْعَشِيِّ فَيَخْضَرُ (٥)
وقول الآخر :

مُسْتَلَّةٌ (٦) ، هِيَاءُ . أَيْمًا وَشَاحُهَا فَيَجْرِي ، وَأَيْمًا الْحِجْلُ (٧) مِنْهَا فَلَا يَجْرِي (٨)

(ب) ومعناها : الدلالة على أمرين متلازمين معها ؛ هما : الشرطية (٩) ، والتوكيد (١٠) ؛
فلا يخلو استعمالها من اجتماع هذه الشرطية والتوكيد . وقد تقتصر عليهما - كما في
مثل : « أَمَّا عَلَى فِلسَافِرٍ » ، وكما في المثال الأول (١١) - أو لا تقتصر ، وهو الغالب

(١) سيجيء أنواع مختلفة من : « أَمَّا » مفتوحة الهمزة ومكسورها - في ص ٥١١ .

(٢) أى : ليست مركبة من كلمتين ، أو أكثر .

(٣) هى لغة لبنى تميم . ويحسن اليوم عدم محاكاتها .

(٤ و ٥) ارتفعت . و « يضحى » : يخرج من بيته ، ولا يخرج قبل ذلك ، خوف لبرد ؛ لأنه مترف ،
ولاستغائه عن السعى . (٥) يشعر بالبرد . ويقول الصبان : إن الفعل بالخاء هنا ، وإن الخاء خطأ .

(٦) منسقة الجسم . (٧) الخَلْسُخَال . (٨) لأنها شبيهة بمنمة .

(٩) تعليق أمر على آخر وجوداً وعدماً ، وارتباطه به بنوع ارتباط ؛ يغلب أن يكون السببية والمسببية

على الوجه الذى سبق تفصيله عند الكلام على الجواب فى البابين السالفين (ص ٣٠٨ ، ٣٥٣ ، ٢٨٢ ،
وفى رقم ٥ من هامش ص ٤٥٠ و ٣ من هامش ص ٤٥٤ .

(١٠) المراد بالتوكيد هنا . تحقق الجواب ، والقطع بأنه حاصل ، وأنه لا محالة واقع ، ولو ادعاء .
وسيجيء السبب فى الصفحة الآتية .

(١١) لأن المراد : مهما يكن من شيء فالرياء خلق اللثام . فقد علقنا أمراً - هو الحكم بنسبة
الرياء إلى خلق اللثام - على وجود شيء آخر ، أى شيء . . . كما سيجيء هنا .

الكثير ؛ فتدل معهما على التفصيل (١) ؛ نحو : (الناس طبقات ... فأما الشريف فمن شُرُفٍ أَعْمَالِهِ ، وَكَمَلَتْ خِصَالُهُ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَأما الدنيء فمن قَسْبِ صُنْعِهِ ، وَسَاءَ طَبْعِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا . وَأما العزيز فمن تَرَفُّعٍ عن الدنيا ، وَأبَى المَهَانَةَ ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الأهل والأَتْبَاع . وَأما الدليل فمن رضى الهوان ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الأهل والأَعْوَان .) فكلمة « أَمَّا » فى هذا الكلام وأشباهه دالة على الشرطية ؛ لقيامها مقام اسم الشرط : « مهما » وجملته الشرطية ؛ - كما يأتى - (إذ المراد : مهما يكن من شىء فالشريف من شرفت أفعاله . . . - مهما يكن من شىء فالدنيء من قَسْبِ صُنْعِهِ . . . مهما يكن من شىء فالعزيز من تَرَفُّعٍ . . . وهكذا) . وهى دالة على التفصيل فيه أيضاً ؛ بذكر الأقسام ، والأفراد المتعددة المختلفة لشيء مجمل (٢) . وهى دالة فيه على التوكيد أيضاً .

ولإيضاح التوكيد نذكر أن من يقول : « محمد عالم » يقصد إثبات العلم لمحمد ، ونسبته إليه ، بغير تأكيد ولا تقوية . فإذا أراد أن يمنح المعنى فضل تأكيد ، ومزيداً من التقوية - أتى بكلمة : « أَمَّا » ، قائلا : « أما محمد فعالم » . وسبب التأكيد والتقوية فى هذا أنه يريد : (مهما يكن من شىء فمحمد عالم) فقد علّق وجود علمه على وجود شىء ، أى شىء آخر ، بمعنى أن وجود العلم مترتب ومتوقف على وجود شىء يقع فى الكون . ولما كان من المحقق المؤكّد وقوع شىء فى الكون حتماً ، كان من المحقق المؤكّد - ادعاءً - كذلك وقوع ما يترتب عليه ؛ وهو : « العلم » ؛ لأن تحقق السبب وحصوله لا بد أن يتبعه تحقق المسبب عنه ، وحصوله على سبيل التخصيم (٤)

وقد تدل على التفصيل تقديرًا : أى : بغير ذكرها وذكر شىء معها ، وإنما يدل عليهما السياق والقرائن ؛ نحو : (الناس معادن ؛ فأما أنفُسُها وأغلاها فالأخيار) . التقدير : وأما أحسُّها وأرخصها فالأشرار . ونحو :

-
- (١) تبين الأمور والأفراد المجتمعة تحت لفظ واحد يتضمنها إجمالاً . وقد سبق الكلام عليه (فى ج ٣ ص ٣٣٧ م ١١٨) وعن الصلة بينه وبين التقسيم والتفريق
 (٢) ويصح حذف « من » فى هذه الأساليب ، ونظائرها .
 (٣) هو : الناس .
 (٤) إذ الملول (المسبب) لا بد أن يوجد بوجود علته (سببه) .

(الأصدقاء ضروب . فأما أحسنهم فالوفى الأمين) . التقدير : وأما أقبحهم فالغادر الخائن ...

(ح) وأحكامها النحوية تنحصر فيما يأتى :

١ - أنها أداة شرط ؛ بسبب قيامها مقام اسم الشرط : « مهما » الواجب حذف جملته الشرطية هنا ؛ فكأنها قائمة مقام : (مهما يكن شئ ، أو : مهما يكن شئ من شئ) بحيث يصح حذف « أمّا » ووضع (مهما يكن شئ ، أو : مهما يكن من شئ) موضعها ؛ فلا يفسد المعنى ولا التركيب مطلقاً . وليس المراد من قيامها مقام اسم الشرط : « مهما » المحذوف شرطه وجوباً ، أنها تعرب اسم شرط ، أو فعل شرط ، أوهما معاً ، - ولا أن تؤدي معناه تأدية حقيقية ، يمكن بمقتضاها وضع « أمّا » فى كل موضع تشغله « مهما » مع فعل شرطها ... ، ليس المراد هذا ؛ لأن « أمّا » حرف ، والحرف لا يؤدي معنى اسم وفعل معاً ، ولأن كثيراً من الأساليب يفسد تركيبه ومعناه إن حلت فيه « أمّا » محل « مهما » الشرطية - وإنما المراد هو : صحة حذف « أمّا » الشرطية دائماً ووضع : (مهما يكن شئ ، أو : مهما يكن من شئ) موضعها . لأن فى هذا رجوعاً إلى الأصل ، واستغناء عن النائب عنه ، الذى ليس شريطة أصيلة ، وإنما هى مكتسبة بسبب نيابته .

ولإعراب الجملة المشتملة على « أمّا » فى مثل : (أمّا المخترع فعالم) هو : (أمّا) نائبة عن : « مهما يكن شئ ، أو من شئ » . (المخترع) مبتدأ مرفوع . (فعالم) ... « عالم » خبر المبتدأ ، وهذه الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر - فى محل جزم جواب : « أمّا » النائبة عن « مهما » و « الفاء » زائدة داخلية على هذه الجملة الاسمية التى هى جواب اسم الشرط المحذوف الذى نابت عنه « أمّا » . - وكان الأصل أن تدخل على المبتدأ ولكنها تتأخر عنه إلى الخبر إذا لم يفصل بينها وبين الشرط فاصل - كما فى هذه الصورة (١) -

ولإعراب : « مهما يكن من شئ ، أو شئ » - فالمخترع عالم ، هو : (مهما) ، اسم شرط مبتدأ ، (يكن) مضارع تام (٢) ، مجزوم ؛ لأنه فعل الشرط .

(١) سيجىء هذا الحكم فى الصفحة الآتية . (٢) بمعنى : يوجد .

(من شيء) «من» حرف جر زائد ، و «شيء» فاعل مرفوع بضممة مقدرة ؛ منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد . هذا إن وجد الحرف : «من» ؛ فإن لم يوجد فالفاعل مرفوع مباشرة ، على اعتبار : «يكن» فعلاً مضارعاً تاماً^(١) في الحالتين — وهذا هو الأسهل — . أما على اعتباره ناسخاً فكلمة : «شيء» اسمه ، وخبره محذوف تقديره : «موجوداً» ، والجملة الشرطية خبر «مهما»^(٢) . (فالمخترع) «الفاء» داخلة على جواب الشرط ، و «المخترع» مبتدأ ، و «عالم» خبره ، والجملة من المبتدأ وخبره في محل جزم جواب الشرط : «مهما» .

وهناك إعرابات أخرى نكتفي بالتلميح إليهما دون الإطالة بذكرها ؛ أسهواتها وجريانها على مقتضى القواعد العامة .

وليس من اللازم أن تكون : «أما» الشرطية في كل استعمالاتها قائمة مقام : «مهما يكن شيء أو من شيء» بهذا التعبير الحرفي ؛ فن الجائز — في أساليب أخرى — أن تقوم مقام تعبير شرطى آخر مناسب للسياق وللمعنى المراد ؛ كقولهم في الرد على من يشك في علم شخص أو شجاعته : (أما العلم فعلم) ، و (أما الشجاعة فشجاع) . . . بنصب كلمتي : «العلم ، والشجاعة» على تقدير : مهما ذكرت العلم فلان عالم . . . مهما ذكرت الشجاعة فلان شجاع . بل إن هذا التقدير أحسن على اعتبار هذه الأسماء المنصوبة مفعولاً به للفعل : «ذكرت» ، ونحوه^(٣) .

٢ — وجوب اقتران جوابها بالفاء الزائدة للربط المجرد^(٤) ؛ فليست للعطف ولا غيره . ومع أنها زائدة للربط لا يجوز حذفها إلا إذا دخلت على مفعول محذوف ؛ فيغلب حذفها معه ، حتى قيل إنه واجب ، كقوله تعالى : (فأما الذين استودت وجوههم أكفرتم . . .) والأصل : فيقال لهم : أكفرتم . . . ، وفي غير هذه

(١) بمعنى : يوجد .

(٢) على رأى القائل إنها الخبر ، أو الجملة الجوابية ، أو هما معاً على رأى القائل بذلك .

(٣) هذا الإعراب أحسن من إعرابهم إياها مفعولاً مطلقاً مفعولاً للمشتق الذى بعد الفاء في الجملة الجوابية ، أو مفعولاً لأجله لفعل الشرط المحذوف إن كان الاسم معرفة ، وحالا من مفعول الفعل المحذوف إن كان نكرة . وإنما كان أحسن لأن تقدير هذا الفعل مطرد في كل موضع ، ولا يترتب عليه أن يكون ما بعد هذه الفاء عاملاً فيما قبلها وهذا ممنوع عندهم ، وإن كان أكثرهم يجيزه بعد هذه الفاء الداخلة في جواب «أما» الشرطية . (وانظر رقم ٤ في هامش الصفحة التالية) .

(٤) يوضح هذا الربط ما سبق في نظيرتها برقم ٨ ص ٥٨ .

الحالة تُسمَع حذفها نادراً في النثر ، وفي الضرورة الشعرية ، وهذان لا يقاس عليهما اختياراً .

ويجب تأخير الفاء إلى الخبر إن كان الجواب جملة اسمية مبتدؤها غير مفصول من « أمّا » بفصل — كما أسلفنا^(١) — ومن أمثلته أيضاً قول الشاعر :

ولم أرَ كالمعروف ؛ أمّا مَدَاقُهُ فَحَدِّثُوْهُ ، وأمّا وجهُهُ فجميلٌ ...^(٢)

٣ — وجوب الفصل بينها وبين جوابها ، بشرط أن يكون الفاصل أحد الأمور

الآتية :

(١) المبتدأ^(٣) ؛ كبعض الأمثلة السابقة ، وقول الشاعر :

أما الخليلُ فلستُ فاجِعَةً والجارُ أوصاني به ربِّي

(ب) الخبر ؛ نحو : أما كريم فالعربي . وأمّا في البادية فالشجاعة .

(ج) الجملة الشرطية وحدها دون جوابها ؛ نحو قوله تعالى في الميت :

(فأما إن كان من المقرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ . وأمّا إن كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين ...) ويجب أن يكون جواب الجملة الشرطية محذوفاً استغناءً بجواب « أمّا » .

(د) الاسم المنصوب لفظاً أو محلاً بجوابها — ولا مانع هنا من أن يعمل

ما بعد الفاء فيما قبلها^(٤) ، — فالأول كقوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأمّا السائل فلا تسهر ...) ^(٥) . والثاني كقوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) ،

(١) في الصفحة السابقة .

(٢) وبعده :

ولا خير في حُسن الجسوم وطولها إذا لم يَزِنْ حسن الجسوم عقول . . .

— وقد سبق البيت في الجزء الثاني ، لمناسبة هناك ، باب حروف الجر (م ٩٠) عند الكلام على الكاف .

(٣) وقد يكون المبتدأ مستلزماً شيئاً يذكر معه ؛ كالمتبداً اسم الموصول في قوله تعالى : (فأما الذين آمنوا فمملون أنه الحق من ربهم . وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ...) واسم الموصول يستلزم صلة حتمية .

(٤) انظر رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة .. ، وقال الرضي : يصح أن يتقدم على هذه الفاء من معمولات الجواب : المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول لأجله ، والظرف ، والحال .

(٥) لا تنهر ، أى : لا تنهره — لا تزجره بشيء يؤله — قولاً أو عملاً —

لأن الجار مع مجروره في حكم المفعول به ، فكأنه منصوب محلاً . والفصل في الصورتين واجب ؛ إذ لا يصح دخول « أما » على الطلب مباشرة . وقد اجتمع النوعان من الفصل في قول الشاعر :

نزور امرأ ؛ أما الإلهَ فيتقى وأماً بفعل الصالحين فيأتسى^(١)

(هـ) الاسم المعمول المحذوف يفسره ما بعد « الفاء » ، نحو : أما المخترع فأعظمه^(٢) .

(و) شبه الجملة المعمول لـ « أمّا » — إذا لم يوجد عامل غيرها — ؛ لما فيها من معنى الفعل الذي نابت عنه ، ويصح اعتباره معمولاً لفعل الشرط المحذوف . فمثال الفصل بالطرف^(٣) : أما اليوم فالصناعة ثروة . ومثال الفصل بالجار والمجرور : أمّا في القتال فالسلاح العلم .

(ز) الجملة الدعائية بشرط أن يسبقها شبه جملة ، نحو : أما الآن — حفظك الله — فأنا مسافر . أو : أما في بلدنا — صانها المولى — فالأحوال طيبة ...

ج- ٣- جواز حذفها للدليل ؛ ويكثر هذا قبل الأمر والنهي ؛ كقوله تعالى : (وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ، والدليل على حذفها فيما سبق هو « الفاء » التي لا مسوغ لها إلا دخولها في الجواب . كما أن التنويع في

(١) يأتى ويحاكى .

(٢) ومنه قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم) — بنصب « ثمود » في إحدى القراءات — ، ويقول كثير من النحاة : إن تقدير العامل واجب بعد الفاء وقبل ما دخلت عليه ؛ بحجة أن « أمّا » نائبة عن الفعل ، فكأنها فعل والفعل لا يلى الفعل (. وهذا كلام لا يحسن الأخذ به هنا . وهذه الآية بيان مفيد في الجزء الثانى ، باب : « الاشتغال » ، م ٦٩ عند الكلام على « الاشتغال » بمعناه العام ، ص ١٣٤

(٣) ومن أمثلة الفصل بالطرف وقوع الطرف : « بعمد » تالياً « أمّا الشرطية » ويكثر هذا في صدر الخطب ، وفي افتتاح الكلام الهام ، وبين موضوعاته المتنوعة ، الطويلة ؛ فيقال في كل ما سبق : « أما بعد » . . . وقد تحذف « أمّا » وتجيء الواو بدلها ؛ فيقال : « وبعد » ، مثل قول الخطيب : (بسم الله ، والحمد لله . « وبعد » فإن لكل مقام مقال . . .)

أما إعراب هذا الطرف ، وحكم الفاء بعده فدون تفصيلاً عند الكلام عليه في ج ٢ م ٧٩ ص ٢٦٥ — ياب : الطرف ، وكذلك في ج ٣ باب : الإضافة عند الكلام على الألفاظ الملازمة في الغالب للإضافة .

السياق يدل على حذفها^(١) . . .

٥-٤- جواز حذف جوابها - القرينة تدل عليه - ومعه : الفاء على الوجه الذي تقدم في الحكم الثاني^(٢) . وفيه المثال ؛ وهو قوله تعالى : (« فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ . . . ») والأصل : فيقال لهم : أَكَفَرْتُمْ .

وكقوله تعالى (« . . . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا . . . أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُسَلَّى عَلَيْكُمْ . . . ») أى : فيقال لهم . . .

(١) وفي الكلام على « أمّا » الشرطية يقول ابن مالك في باب مستقل عنوانه : « أمّا ، ولولا ، ولو ما » :

أَمَّا كَمَهُمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ ، و « فاء » لَتَلُوْا تَلَوْهَا وَجُوباً أَلِفَا
(« فاء » أى : فاء - تلو ، بمعنى التالى) .

الأصل : أما كهُمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ ، و « فاء » أَلِفٌ وَجُوباً - لتالى تاليتها ؛ أى : للجواب ؛ لأن تاليتها مباشرة هو : الشرط ، وتالى التالى هو الجواب . فيجب اقترانه بالفاء تبعاً للمألوف في الكلام الفصيح ويفهم من هذا أن حذفها غير مألوف فيه ؛ كما وضعه بقوله بعد هذا مباشرة :

وحذف ذى « ألفا » قلَّ في نثرٍ إذا لم يَكُ قولٌ معها قد نُبِذَا
(ذى : هذه - نُبِذَ : حذف) يريد : أن حذف هذه الفاء قليل في النثر لا يقاس عليه إلا إذا حذفت مع القول - كما شرحنا - وقد اكتفى بالبيتين السابقين في الكلام على « أمّا » وكل يختص بها .

زيادة وتفصيل :

١ - تختلف « أمّا » الشرطية السالفة في صيغتها ، ومعناها ، وأحكامها - عن « أمّا » مفتوحة الهمزة ، المركبة من « أن » المصدرية ، و« ما » التي جاءت عوضاً عن « كان » المحذوفة ، وقد سبق بيانها تفصيلاً^(١) .

كما أنها تختلف عن « أمّا » التي أصلها : « أم » و« ما » المدغمتين - عند من يكتبهما متصلتين ، وليس هذا بالمستحسن - نحو : أسقيت الحقل أمّاذا؟ والفرق أوسع بينها وبين « إمّا » مكسورة الهمزة التي لا شرطية معها . قال الفخر الرازي في تفسيره^(٢) وقد عرض لهما :

إذا كنت أمراً ، أو ناهياً ، أو مخبراً - فالهمزة مفتوحة ، نحو : أمّا الله فاعبد ، وأما الحمير فلا تشربها ، وأما الضيف فقد خرج . وإن كنت مشروطاً^(٣) أو شاكاً أو مخبراً - فالهمزة مكسورة - فمثال الاشتراط : إمّا^(٤) تعطيت المحتاج فإنه يشكر . وقوله تعالى : (فإمّا تشقق قطنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم) ، ومثال الشك : لا أدري من قام ؛ إما محمد وإما علي ، ومثال التخيير : لي في المدينة دار فإما أن أسكنها وإمّا أن أبيعها .

(٢) وهناك « إمّا العاطفة » التي سبق تفصيل الكلام عليها في الجزء الثالث^(٥) مع الإشارة هناك لبعض الأنواع الأخرى التي ليست عاطفة

٣ - تكثر « أمّا الشرطية » التي يليها الظرف : « بعد » في مواضع أشرنا إليها (في رقم ٣ من هامش ص ٥٠٩) كما أشرنا هناك إلى جواز الاستغناء عن « أمّا الشرطية » أحياناً ، في ذلك الأسلوب ، ووضع الواو مكانها فيقال : (. . . و« بعد » فإن لكل مقام مقالا . . .) وتفصيل الكلام على هذا الظرف ، وحكم الفاء التي تليه مدوّن في مكانه المناسب ، وهو باب : « الظرف » ج ٢ م ٧٩ ص ٢٦٥

(١) ج ١ ص ٤٣١ م ٤٥ باب : « كان » .

(٢) ج ١ ص ٢١٢ . (٣) مستعملاً أداة الشرط .

(٤) في هذه الصورة تكون مركبة من « إن » الشرطية « وما » الزائدة المدغمة فيها .

(٥) م ١١٨ ص ٥٩٣ وما بعدها - من باب : « عطف النسق » .

المسألة ١٦٢ :

أدوات التحضيض ، والتوبيخ ، والعرض ، والامتناع :

لولا - لو ما - هلا - ألا - ألا^(١)

صِيغُهَا - معانيها - أحكامها النحوية :

(١) أما صيغها فالشائع أن كل أداة مركبة في الأصل من كلمتين : (لو ، ولا) - (لو ، وما) - (هل ، ولا) - (أل ، ولا) - (الهمزة ، ولا) . ولا يعني هنا البحث في أصلها وتاريخها القديم ، وإنما يعني أمرها الآن ، وما انتهت إليه كل أداة منها ، بعد أن توحدت جزءاها ، وصارا كلمة واحدة ؛ تؤدي معنى جديداً ، وتختص بأحكام جديدة لم تكن لها قبل التوحد ، ولو زال عنها هذا التوحد لتغيرت معانيها وأحكامها تغيراً أصيلاً واسعاً .

(ب) معانيها : هذه الحروف الخمسة تشترك جميعاً في أنها تدل على التحضيض^(٢) تارة ، وعلى التوبيخ تارة أخرى . ولذا يسميها اللغويون : « حروف التحضيض ، والتوبيخ » .

وتمتاز « ألا » - من الخمسة - بأنها تكون أحياناً أداة للعرض^(٣) . كما تمتاز « لولا - ولو ما » بأنهما ينفردان بالدلالة على امتناع شيء بسبب وجود شيء آخر ،

(١) يزداد على هذه الخمسة : « لو » فإنها تكون أحياناً للعرض أو التحضيض ؛ (طبقاً لما تقدم في رقم ٥ من ص ٣٦٩ ورقى ٤ و ٥ من ص ٥٠٣) .

(٢) ومثلها « لو » في الدلالة على التحضيض دون التوبيخ - كما أشرنا في رقم ١ - والتحضيض هو : الترهيب القوي في فعل شيء أو تركه . وتظهر القوة في اختيار الكلمات الجزلة القوية ، وفي نبرات الصوت . (٣) ومثلها : « لو » - كما أشرنا في رقم ١ - والعرض هو : الترهيب في فعل شيء أو تركه ترغيباً مقروناً بالطف والملاينة . ويظهر هذا في اختيار الكلمات ، وفي نغم الصوت .

وتمتاز « ألا » كذلك بأن تقع أداة « استفتاح للنبيه » ؛ فتكون في أول الكلام بقصد التنبيه إلى ما يليها ، والاهتمام بما يحى بعدها . ومثلها في هذا « أمّا » كقوله تعالى : « (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) » ، وقول الشاعر :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظَّلْمَ لَوْمْ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ

ويسميان لهذا : أداتى شرط امتناعى^(١) .

فالمعاني التى تؤديها هذه الحروف ثلاثة أنواع :

- ١ - التحضيض والتوبيخ ، تؤديهما الحروف الخمسة .
- ٢ - العَرَض . وتكاد وتنفرد به : « أَلَا » ، وهو الأكثر فى استعمالها .
- ٣ - الامتناع . وتكاد تنفرد به « لولا » ، ولو ما^(٢)

(ح) أحكامها النحوية : - وكلها حروف -

١ - إذا كانت الأداة للتحضيض أو للعَرَض وجب أن يليها المضارع إمّا ظاهراً ، وإمّا مقدراً يفسره ما بعده : بشرط استقبال زمنه فى حالتى ظهوره وتقديره ؛ (لأن أداة الحَض والعَرَض تُخَلِّصُ زمن المضارع للمستقبل ؛ إذ معناه لا يتحقق إلا فيه) . فمثال المضارع الظاهر المباشرها (أى : غير المفصول منها مطلقاً) : لولا تؤدى الشهادة على وجهها - لو ما تغيّر المنكر بيدك ، أو بلسانك ، أو بقلبك - هلاً تحمى الضعيف - ألاّ تُصاحب النبيل الوديع ، أو ألاّ ... - ومثال المضارع الظاهر المفصول منها بمعموله المتقدم عليه : لولا الشهادة تؤدى على وجهها - لو ما المنكر تغيّر بيدك . هلاً الضعيف تحمى .. وكذا الباقي ... ومثال المضارع المقدر : دخولها على اسم ظاهر يكون معمولا لمضارع مقدر يفصل بين هذا الاسم الظاهر والأداة ؛ نحو : لولا الشهادة تؤديها على وجهها - لو ما المنكر تغيّره - هلاً الضعيف تحميه - ألاّ ، أو : ألاّ النبيل الوديع تصاحبه . والتقدير :

(١) المراد بالشرط هنا : الدلالة على ربط أمر بآخر ربطاً معيّناً ، وتعليق الثانى على الأول ، مع التقيد بنوع خاص من التعليق - طبقاً لما سيجىء فى رقم ١ من هامش ص ٥١٥ - .
ومن الأمثلة : لو ما الهواء مات الأحياء - لو ما حرارة الشمس هلك الأحياء برداً - لولا الساعة لم نعرف الوقت - لولا التعلم لم تنهض الأمة - .

لو لا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

فقد امتنع موت الأحياء بسبب وجود الهواء - وبسبب وجود الشمس - وامتنع عدم معرفتنا الوقت بسبب وجود الساعة - وامتنع عدم نهضة الأمة بسبب وجود التعليم - وامتنعت شدة قرب الضيغم إلى الشرف بسبب وجود العقول

(٢) قد تدل « لو الشرطية » على الامتناع ولكنه يختلف عما هنا ، طبقاً لما تقدم فى بابها -

ص ٤٩١ ، وقد أشرنا لهذا فى رقم ١ من هامش ص ٤٩٢ ، وفى رقم ١ من هامش ص ٥١٥ .
النحو الوافى - رابع

ومثال الظاهر المفصول : (هلا الطائر رحمت) (ألا الضيف صافحت) (والأصل : هلاً رحمت الطائر -- هلا صافحت الضيف) . ومثال المقدّر قول الشاعر :

أتيتَ بعيد الله في القيد موثقاً فهلاً سعيداً ذا الخيانة والغدر
والأصل : فهلاً أحضرت سعيداً . . . وكذا الباقي .

٣- إن كانت الأداة دالة على امتناع^(١) شيء بسبب وجود شيء آخر - ويتعين أن يكون كل منهما في الزمن الماضي - فلا بد من أمرين في هذه الحالة التي يمتنع فيها شيء لوجود آخر (وتشتهر بأنها : حالة امتناع لوجود) .
أولهما : دخولهما على مبتدأ ، محذوف الخبر وجوبا^(٢) .

وثانيهما : جواب مصدّر بفعل ماضٍ لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط (كالمضارع المسبوق بالحرف : « لم ») ، وقد سبقت الأمثلة للحالتين^(٣) . ويجوز في هذا الماضي أن يكون مقترناً باللام^(٤) أو مجرداً ؛ سواء أكان مثبتاً أم منفياً « بما » دون سواها . غير أن الأكثر هو اقتران المثبت ، وخلو المنفى . فمثال المثبت المقترن بها (غير ما تقدم)^(٥) قوله تعالى : (يقول الذين اسْتَضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) ، وقول الشاعر :

لولا الإصاحبة لِلْوَشَاةِ لَكَانَ لِي من بعد سُخْطِكَ فِي الرَّضَاءِ رَجَاءُ

(١) هذه الدلالة خاصة بالحرفين : « لولا ، ولولا » - دون بقية الخمسة - وبسببها يعتبران الأداتين الخاصتين « بالشرط الامتناعي » وقد سبق في رقم ١ من هامش ص ٥١٣ أنه هو الدال على ربط أمر بآخر ربطاً معيناً ، وتعليق الثاني على الأول مع التقيد بنوع خاص من التعليق .

وتعرب كل منهما حرف امتناع لوجود ، أي : امتناع شيء بسبب وجود غيره . أما « لو » فتدل على امتناع أيضاً ، ولكن من نوع آخر تقدم في بابها - ص ٤٩١ - .

(٢) تقدم تفصيل هذه المسألة (في ج ١ - باب المبتدأ والخبر - م ٣٩) .

(٣) في رقم ١ من هامش ص ٥١٣ .

(٤) هذه « اللام » للتأكيد ، وفائدتها موضحة تفصيلاً في ص ٤٩٧ وهامشها . وقد ورد في المسحوق النادر اقتران جوابها « باللام وقد » معاً ؛ كالذي في قول الكيميت :

يقولون : لم يُورثْ ؛ ولولا ثرائه لقد شركت فيهم بكيّل وأرحبُ
- بكيّل ، وأرحب : علان .

ومثال المثبت المجرد منها :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يُفقر، والإقدام قَتال

وقول الآخر يرد على من عابه بالقصر :

لولا الحياة ، ولولا الدين عيبتكم
ببعض ما فيكما ؛ إذ عبتما قِصري

ومثال المنفى « بما » المجرد من اللام قوله تعالى : (ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته
ما زكّنا منكم من أحدٍ أبداً) ، وقول الشاعر :

لولا مفارقةُ الأُحباب ما وجدتُ لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

ومثال المنفى المقرون بها قول الشاعر :

لولا رجاء لقاءِ الظاعنين لما أبقتُ نواهم لنا رُوحاً ولا جَسَدا

ويصح حذف الجواب إذا دل عليه دليل ؛ كقوله تعالى : (ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته ... وأن الله تَوَّابٌ حَكِيمٌ) . التقدير : ولولا فضل الله ورحمته
لهلكتم ^(١)

(١) في تأدية « لولا ولو ما » معنى الامتناع ودخولها على المبتدأ لزوماً - يقول ابن مالك في هذا الباب
الذي عنوانه : (أَسْمًا ، ولولا ، ولو ما) .

لولا ولو ما يلزمان أَلِابْتَدَأَ إذا امتنعاً بوجود عَقْدَا

يريد : أنهما يلزمان الدخول على المبتدأ إذا عَقْدَا الامتناع بالوجود ، أى : ربطا الامتناع بالوجود ؛
بحيث يمتنع شيء بسبب وجود آخر . فإذا وجد هذا الآخر تحم امتناع ذلك .

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان معناها الآخر ؛ وهو : الدلالة على التحضيض ؛ فنص عليه ، وأشرك
معهما فيه حروفاً أخرى ؛ هى : هَلَا - أَلَا - أَلَا . وصرح بأن هذه الأدوات التحضيضية مختصة بالدخول
على الفعل - ولم يبين نوعه المحتوم ؛ وهو المضارع - وأن الاسم قد يقع بعدها فى الظاهر ، ولكنه فى
الحقيقة يكون معلقاً - ، أى : متعلقاً ومعمولاً - بفعل . مقدر بعد الأداة مباشرة ، أو بفعل متأخر عن
هذا الاسم . يقول :

وبهما التحضيض مِرْ . وهَلَا ، أَلَا ، وَأَوَّلِيْنَهَا الْقِيَلَا

وقد يليها اسمٌ بفعل مُضْمَرٌ عُلِّقَ ، أَوْ بظَاهِرٍ مُؤَخَّرٍ

(مِرْ : مَيَّرَ - أَوَّلِيْنَهَا ، أَتْبَعَهَا وأذكر بعدها . . .)

المسألة ١٦٣ :

العَدَد^(١)

يشمل الكلام عليه ما يأتي :

(١) أحكام هذا الباب كثيرة ، والخلاف والتضارب فيها كثير كذلك . وما استخلصناه منها هو - في تقديرنا - أقواها حجة ، وأوفرها شيوعاً . ولم نعرضها مرتبة على حسب ترتيب أبيات ابن مالك ، في : « ألفيته » ، وإنما اخترنا ترتيباً آخر ، لعله أنسب وأحسن . وقد اقتضى هذا ألا نذكر أبيات ابن مالك التي نسوقها لتأييد القاعدة - مرتبة كما أوردناها في « باب : العدد » . على أننا تداركنا الأمر فذكرنا بجانب كل بيت رقمه الدال على ترتيبه الأصلي في الباب ؛ ليُعرف ترتيب الناظم لأبياته . ثم نعود فنذكره مرة أخرى في المكان الذي وضعته فيه : « الألفية » بين أبيات بابه ؛ تنفيذاً للمنهج العام الذي نسير عليه في هذا الشأن في جميع أجزاء الكتاب الأربعة .

ولم يترك القدماء كلمة : العدد من غير تعريف ، مع وضوح معناها ، وبداهة مدلولها ؛ فجاء تعريفهم حاملاً من الغموض والخفاء والإبهام ما يحمله كل تعريف للبدية ، وكل توضيح للواضح . وقد يكون من المقبول أن نذكره . قالوا العدد : (هو ما وضع لكىة الآحاد - أى : الأفراد - ، وأن من خواصه مساواته لتصف مجموع حاشيته المتقابلتين) !! .

يريدون بالمساواة : أن كل عدد ، يحيط به طرفان ؛ هما عدد قبله ، وعدد بعده ، ويسميان : « الحاشيتين » . وأن مقدار العدد يساوى نصف مجموع الحاشيتين . ذلك لأن الحاشية التي قبله تنقص عنه بمقدار ما تزيد عليه الحاشية التي بعده . وهذا معنى التقابل بينهما . فالعدد « ثمانية » - مثلاً - حاشيته العليا ، أى : الكبرى ، تسعة ، وحاشيته السفلى ، أى : الصغرى ، سبعة ، فمجموعهما ستة عشر ، وهما يحيطان به ؛ فقدره يساوى نصف مجموعهما . أى : أن ثمانية يساوى نصف مجموع السبعة والتسعة : $8 = \left(\frac{9 + 7}{2} \right)$. والعدد « ستة » له حاشيتان ؛ العليا : سبعة ، والسفلى : خمسة ، ومقداره يساوى نصف مجموعهما معاً . أى : أن ستة يساوى نصف مجموع السبعة والخمسة : $6 = \left(\frac{5 + 7}{2} \right)$ وهكذا... ولا حاجة بنا لشيء من هذا التعريف .

« ملاحظة » : يكثر ألا يدل العدد بلفظه على معدود حسابي مضبوط ، محصور في أفراد محددة إلا بقرينة من خارج لفظه تدل على الحصر والتحديد الحسابي الحقيقي ؛ فن يقول : « زرتك خمسين مرة » - لا يقصد المعنى الحسابي الدقيق الذى يفهم من « خمسين » وإنما يذكر مجرد عدد حسابي يريد به المبالغة أو التقليل ... ، ما لم توجد قرينة على التحديد . لهذا قالوا بما نصه ؛

(« إن الإخبار - كما تقرر غير مرة - بعدد لا يثنائي غيره » ١٥٠ . راجع الشراوى على التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ١ باب بدء الأذان ص ٥٦ -
وعدم المنافاة مقصوراً على الحالة الحالية من القرينة التي تحدد عدد المعدود تحديداً حسابياً مضبوطاً - لا يحتمل سواء - .

أقسامه الاصطلاحية ، وكيفية إعرابها - تمييزه^(١) - تذكيره وتأنينه - صوغه على وزن : « فاعل » ، وإعرابه بعد هذه الصياغة - تعريفه وتذكيره - قراءة الأعداد المعطوفة على العقود المختلفة - التأريخ بالأيام والليالي . . .

* * *

أقسامه الاصطلاحية ، وكيفية إعرابها :
أقسامه أربعة : مفرد^(٢) ومركب ، وعقد ، ومعطوف .

١ - فالعدد المفرد ، يشتمل « الواحد والعشرة » وما بينهما . ويلحق به : لفظتا : « مائة^(٣) » ، وألف » ، ولو اتصلت بهما علامة تثنية أو جمع ؛ (كائتين وألفين ، ومئات ، وألوف . . .) لأن معنى إفراد هذا القسم أنه ليس من الأقسام الثلاثة الأخرى ؛ وليس المراد أنه غير مثنى ، وغير جمع (. . . كما يلحق به بعض كلمات أخرى^(٤) .

(١) انظر الملاحظة المدونة بهامش ص ٥٢٥ .

(٢) ويسميه بعض النحاة : « العدد المضاف » . وهي تسمية شائعة ، لكنها غير دقيقة ، لأنها لا تشمل إلا الأعداد المضافة من ثلاثة وعشرة وما بينهما ، دون غير المضافة ، وهي : ١ و ٢ ، ولعل حجة أن : (١ و ٢) ينفردان بأحكام خاصة بهما ، ولا تنطبق عليهما الأحكام المتعددة التي للعدد المفرد . وكذلك غير المضافة . وقد يسمى العقد : « بالمفرد » والعقد أحسن . (انظر رقم ٣ من هامش ص ٥٢٢) .

(٣) أجاز المجمع اللغوي القاهري كتابة كلمة : « مئة » ومركباتها بغير الألف التي زادها القدماء بعد الميم في كتاباتهم ، وظلت مزيدة حتى يومنا هذا . وكذلك أجاز فصل الأعداد (ثلاثة وتسعة وما بينهما) عن مئة ، مراعيًا في هذا نوعًا من التيسير الإملائي . (راجع ما سبق في العدد الذي أصدره المجمع ، بعنوان : « البحوث والمحاضرات » ، مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين من سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤) .

(٤) وما يلحق به كلمة « يَضْعُ » ومؤثرها « يَضْعَةُ » ، وكذلك كلمة : « نَيْفٌ » . وفيما يلي البيان :

١ - الألفصح والمختار عند بعض المحققين - من بين آراء متعددة - أن كلمة : « يَضْعُ » تدل بصيغتها ونصها الحرفي على عدد مبهم ، لا تحديد ولا تعيين فيه . لكنه لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على تسعة (أى : أن مدلولها والمراد منها قد يكون : ٣ - أو ٤ - أو ٥ - أو ٦ - أو ٧ - أو ٨ - أو ٩) . وإذا ذكرت لا ينصرف الذهن إلى واحد معين دون غيره من هذه الأعداد السبعة ، وإنما يدرك أن المقصود منها مبهم ، يصدق على هذا وينطبق عليه ، كما يصدق وينطبق على كل عدد آخر من بقية المجموعة العددية السالفة .

أما إعرابه وإعراب ملحقاته السابقة فبالحركات الظاهرة على آخره ، إلا ما كان داخلًا في حكم المثني أو الجمع ؛ فيعرب إعرابهما ؛ كاثنتين ، ومائتين ، وألفين ، ومئات ، وكذا : مئون ، في بعض الحالات . ومن الأمثلة : العصامي رجل الدنيا وواحدُها - إن اثنين لا يشبعان ؛ طالب علم ، وطالب مال - يقوم المجد الحق على ثلاث دعائم ؛ العلم ، والعمل ، والخلق النبيل - ما أعجب تاريخ الخلفاء الراشدين الأربعة !! - ... وكقوله تعالى : (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) - أقام العربُ في الأندلس مئاة السنين ، قاربت تسعة قرون - وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ...) .

= ب - تستعمل كلمة : « بَضْعٌ » استعمال الأعداد المفردة (وهي هنا : ٣ و ٩ وما بينهما) . وقد تركب مع كلمة : « عشرة » تركيباً مزجياً ، وقد يكون معطوفاً عليها « عشرون » أو أحد إخوانه من العقود التي تليه وهي : (٣٠ - ٤٠ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠) ومن الأمثلة : جاء بَضْعُ فتيات وبِضْعَةُ غلمان - أقبل بِضْعَةُ عشرَ رجلاً - غاب بِضْعٌ وعشرون فتاة .

= ج - إذا استعملت استعمال الأعداد المفردة السالفة ، أو المعطوف عليها وجب إعرابها بحركات ظاهرة على آخرها ، على حسب حاجة الجملة : وإذا ركب مع كلمة : « عشرة » تركيباً مزجياً فالأكثر بناء الكلمتين معاً على فتح الجزأين ، في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حاجة الجملة ، ويصح الإعراب طبقاً للآتي في ص ٥٢١ و ٥٣٤ .

د - في جميع استعمالاتها السالفة تنجرد من تاء التأنيث إن كان المعدود مؤنثاً ، وتلحق آخرها تاء التأنيث إن كان المعدود مذكراً ؛ فيقال : صافحت بِضْعَةَ رجال - ودعتُ بِضْعَ فتيات - قابلت بِضْعَةَ عشرَ طالباً ، وبِضْعَ عشرةَ طالبة - في الحفل بِضْعَةُ وعشرون فتى ، وبِضْعَ وعشرون فتاة ... فتحكمها في تأنيث لفظها وتذكيره حكم الأعداد المفردة . (طبقاً لما سيجيء في ص ٥٣٦) .

أما ما يختص بكلمة : « نَيْفٌ » فيتلخص فيما يأتي - وهو يوضح أوجه الفرق بينها وبين « بَضْعٍ » مع ملاحظة أن لكلمة : « نَيْفٌ » معنى اصطلاحياً آخر ؛ سيجيء في رقم ٤ من هامش الصفحة الآتية .

١ - فإنها صيغة تدل بنصها الحرفي على عدد مبهم ، ينطبق على الواحد كما ينطبق على التسعة ، وعلى كل عدد بينهما ، (أي : أن مدلولها العددي يصدق على : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩) من غير تعيين ولا حصر في عدد من هذه الأعداد التسعة دون غيره .

ب - لفظها مذكر دائماً ؛ فلا تلحقه تاء التأنيث مطلقاً .

ج - لا يد - في الأشهر - أن تكون صيغتها مسبوقة دائماً بعقد من العقود العددية :

(١٠ - ٢٠ - ٣٠ - ٤٠ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠) ولا بد من عطف كلمة : « النَيْفُ » على العقد ؛ فيقال : عشرة ونَيْفٌ - عشرون ونَيْفٌ - ثلاثون ونَيْفٌ - ... وهكذا ، ولا يصح ذكر كلمة « نَيْفٌ » إلا على أساس أن مدلولها سيزاد على عقد عددي .

أما ضبط « الشين » من « عشرة » التي من هذا القسم المفرد^(١) ففيه لغات ؛ أشهرها : أن العشرة إذا كانت دالة على معدود مذكر^(٢) فـ « الشين » مفتوحة ، وإن كانت دالة على معدود مؤنث فهي ساكنة ، وقليل من العرب يكسرها في هذه الصورة .

* * *

٢ - والعدد المركب ، هو : ما تتركب تركيباً مزجياً^(٣) من عددین لا فاصل بينهما ، يؤديان معاً - بعد تركيبهما وامتزاجهما - معنى واحداً جديداً لم يكن لواحدة منهما قبل هذا التركيب . والأولى تسمى : صدر المركب ، والثانية تسمى : عَجْزَةٌ^(٤) وينحصر هذا القسم في الأعداد : أحد عشر ، وتسعة عشر ، وما بينهما (أى : ١١ - ١٢^(٥) - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩) وما يلحق بهما^(٦) . . .

وحكمه : بناء آخر الكلمتين معاً على الفتح^(٧) - في الأفصح - ، مهما كانت

(١) سيجىء ضبط « الشين » في الأعداد المركبة - ص ٥٢٢ -

(٢) مع ملاحظة ما يأتي في ص ٥٣٧ وهو أن لفظ العدد يصح تذكيره وتأنيثه إذا تقدم عليه المعدود أو حذف .

(٣) سبق الكلام على كل ما يختص بالمركب المزجى وأنواعه في الجزء الأول : (م ٢٣ ص ٢٧٠ ، و ٢٧٩ وما بعدهما في أقسام العلم) ، وفي الجزء الرابع (ص ٢٢٧ باب الممنوع من الصرف) .

(٤) سيجىء أيضاً - في رقم ١ من هامش ص ٥٢٣ - أن صدر العدد المركب يسمى : « النِّيف » ومعناه هنا : العدد المحصور بين عقدين ؛ فيشمل الواحد والتسعة وما بينهما مما ينحصر موضعه بين العقدين . وكذا ما أُلحق بالمفرد من كلمة « بِيَضْعٌ وَبِيَضْعَةٌ » . وهو غير كلمة « النِّيف » المراد منها نصها اللفظي الحرفي ؛ طبقاً لما سبق في رقم ٣ من هامش ص ٥١٨ - فللكلمة « النِّيف » مدلولان مختلفان كما أن عجز المركب يسمى : عقداً ، ومن العقود كلمة : « عشرة » . وسيجىء الباقي (انظر رقم ٣ من هامش ص ٥٢٢) .

(٥) للعدد ١٢ حكم خاص في إعرابه يخالف حكم الأعداد المركبة ، وسيجىء في الصفحة التالية .

(٦) ويلحق به « بِيَضْعٌ وَبِيَضْعَةٌ » طبقاً للبيان « الذي في رقم ٤ من هامش ص ٥١٨ » .

(٧) مما يجب التنبيه له أن المركب المزجى العددي لا بد أن يكون مفتوح الجزأين - في الأشهر - وقد يكون معرباً مضافاً على الوجه المبين في ص ٥٢٢ و « هـ » ص ٥٣٤ ، أما غير العددي فقد يكون مفتوحاً أو لا يكون ، على حسب نوعه المبين في موضعه المشار إليه (في الحالة الثانية ص ٥٣٥) .

ومن المركب المزجى العددي : « إحدى عشرة » للمعدود المؤنث ، والكلمتان مبنيتان على فتح الجزأين - أيضاً - في آخرهما . إلا أن الفتح مقدر على آخر الأولى . - كما سيجىء في رقم ٢ من هامش ص ٥٤٧ -

حاجة الجملة إلى مرفوع ، أو منصوب ، أو مجرور ؛ ولذا يقال في إعرابهما : إنهما مبنيتان معاً على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حاجة الجملة . ويستثنى من هذا الحكم حالتان :

الأولى : أن يكون العدد المركب هو « اثنا عشر » ، واثننا عشرة » ؛ فإن صدرهما وحده يعرب لإعراب المثني ، وعجزهما هو اسم بدل نون المثني ؛ مبني على الفتح لا محل له . ومن الأمثلة : المتسابقون أحدَ عَشَرَ سَبَّاحاً — إني رأيتُ أحدَ عَشَرَ كوكباً — أثبتت على أحدَ عَشَرَ محسناً . « فأحدَ عشر » في المثال الأول مبني على فتح الجزأين معاً في محل رفع خبر ، وفي المثال الثاني مبني على فتح الجزأين معاً في محل نصب مفعول به ، وفي الثالث مبني على فتح الجزأين في محل جر بعلى ، وهكذا .

ولو وضعنا عدداً مركباً آخر مكان : « أحد عشر » لم يتغير الإعراب . ما عدا « اثنتي عشر » ، واثننتي عشرة » ، فلهما حكم خاص بهما في الإعراب — كما قلنا — إذ تعرب : « اثنا واثننا » لإعراب المثني ، وتعرب كلمة : « عَشَرَ وعشرة » اسم مبني على الفتح ، بدل نون المثني لا محل له : ففي مثل . السنة اثنا عشر شهراً ، واليوم اثنا عشرة ساعة — نقول : « اثنا واثننا » خبر مرفوع بالألف فيهما . وكلمة : « عَشَرَ وعشرة » بدل النون التي تكون في المثني الأصلي ، مبنيتان على الفتح لا محل لهما . وفي مثل قضيت اثنتي عشر شهراً واثننتي عشرة ساعة في رحلة علمية — نقول : « اثنتي واثننتي » ، مفعول به ، منصوب بالياء . « عشر ، وعشرة » مبنيتان على الفتح لا محل لهما ؛ لأنهما بدل النون التي تكون في المثني الأصلي . . .

وفي مثل : انتفعت باثني عشر كتاباً ، واستسمعت إلى اثنتي عشرة محاضرة . . . نعرب : « اثنتي واثننتي » مجرورة ، وعلامة جرهما الياء ، و « عشر وعشرة » بدل النون . مبنيتان على الفتح ، ولا محل لهما .

= هذا ، وأصل المركب العددي كلمتان بينهما واو العطف ؛ أي : أحد عشر — اثنا عشر — ثلاثة عشر . . . وهكذا . ثم حذفت الواو وربكت الكلمتان — لإبعاد معنى العطف — تركيباً مزجياً ، ليؤديا معاً معنى واحداً جديداً لم تنفرد به واحدة . ويصح إرجاع هذه الواو في بعض الاستعمالات ؛ ومنها ما هو مدون في ص ٥٦٧ .

وتضبط « الشين » في كلمة : « عشرة » المركبة كضبطها في المفردة^(١) : فتفتح
— في أشهر اللغات — إن كان المعدود مذكراً ، وتسكن إن كان مؤنثاً . فضبط
« الشين » لا يختلف في أفراد ولا تركيب ، إن اقتصرنا على الأشهر بين لغات
متعددة .

الثانية : أن يكون العدد المركب غير اثني واثني^٢ — مضافاً ، فيصح بناؤه على
فتح الجزأين مع إضافته ، كما يصح إعراب عجزه على حسب حاجة الجملة مع ترك
صدره مفتوحاً في كل الحالات ؛ فكأن الجزأين في هذه الصورة كلمة واحدة ،
يجرى الإعراب على آخرها في كل الأحوال ، دون أن تتغير الفتحة التي في شطرها
الأول — وسيجيء هذا موضحاً بعد^(٢) —

* * *

٣ — العدد العقيد^(٣) : ينحصر اصطلاحاً في الألفاظ : عشرين — ثلاثين —

(١) سبق ضبطها في المفردة — ص ٥٢٠ — . (٢) في : « هـ » من ص ٥٣٤ .
(٣) ويسميه بعض النحاة بالعدد المفرد ؛ أى : الخالي من الإضافة والتركيب . ولكن تسميته
بالعقد أفضل — كما سبق في رقم ٢ من هامش ص ٥١٨ — والأصل اللغوي العام الحسابي هو : العدد
يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد ؛ (مفردة أو غير مفردة) ، أى : العدد الذي يكمل به
ما قبله عشرة مثالة النوع . فيصدق على ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ... كما يصدق على ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ ،
٤٠٠ ، ١٠٠٠ ، ٢٠٠٠ ، ... وهكذا من كل ما يتم عشرة ، غير أن المقصود بالعقد هنا معنى
اصطلاحي ، يقتصر على أعداد محصورة لها حكم خاص بها ؛ وهي تلك العقود التي تبدأ بعشرة وتنتهى
بتسعين ، (أى : ١٠ — ٢٠ — ٣٠ — ٤٠ — ٥٠ — ٦٠ — ٧٠ — ٨٠ — ٩٠) . ولكن العقد « عشرة »
لا يشترك مع البواقي في حكمها النحوي . ولهذا لا يعد فيها من هذه الناحية ، ولا يذكر معها ، برغم تسميته
عقداً ، وكل واحد من البواقي يدخل في هذا النوع المسمى نحويّاً : « باسم الجمع » . ولكنه يعرب إعراب
جمع المذكر السالم ، ويلحق به في ناحية الإعراب ، دون أن يكون جمع مذكر سالم حقيق .
وإنما كانت هذه العقود « أسماء جمع » وليست جمع مذكر سالم حقيق لأنها تدل على ما يدل عليه هذا
الجمع ، ولكن ليس لكل منها مفرد من لفظه . ولا يصح أن يقال إن لكل منها مفرداً من لفظه ؛ ففرد
شرين هو عشر ، ومفرد ثلاثين هو ثلاثة ... لا يصح أن يقال هذا لما يترتب عليه من فساد تام ،
أوضحنا بعض نواحيه (في ج ١ م ١١ ص ١٣٥ عند الكلام على الملحق بجمع المذكر السالم) ملخصه ؛
أنه لا يقال ذلك لثلاثين عليه صحة إطلاق عشرين على ثلاثين ، وإطلاق ثلاثين على تسعة ... وهكذا ؛ ذلك
لأن أقل الجمع النحوي — لا اللغوي — ثلاثة من مفردة . فلو كان مفرد العشرين هو : عشر ، لكافيت عشرون
صادقة على (١٠ × ٣) أى : ثلاث عشرات على الأقل ... ومجموعها يساوى ثلاثين . ولو كان مفرد
الثلاثين هو ثلاث لكافيت الثلاثون صادقة على (٣ × ٣) أى : على ٩ . وهكذا ، مما هو ظاهر الفساد .

أربعين - خمسين - ستين - سبعين - ثمانين - تسعين .

وحكم هذه العقود أنها تعرب إعراب جمع المذكر السالم في جميع أحوالها ؛ لأنها ملحقة به ؛ إذ هي اسم جمع مذكر ، وليست جمع مذكر حقيقياً . ومن الأمثلة قوله تعالى : (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) ، وقوله تعالى : (وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ، وَأَتَمَمْنَا بِهَا عِشْرِينَ ؛ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ، وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ؛ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ ، إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا . . .) . . . وهكذا . . . فحيثما توجد كلمة من ألفاظ العقود فإنه يتحتم إعرابها إعراب جمع المذكر ، مهما اختلف موقعها الإعرابي .

* * *

٤ - العدد المعطوف : وينحصر بين عقدين من العقود الاصطلاحية السالفة ؛ كالأعداد المحصورة بين عشرين و ثلاثين ، أو : بين ثلاثين وأربعين ، أو : بين أربعين وخمسين ، وهكذا . . . وكل عدد محصور بين عقدين على الوجه السالف لابد أن يشتمل على معطوف ، ومعطوف عليه ، وأداة عطف (هي : الواو) ، ومنه : واحد وعشرون - اثنان وعشرون ، ثلاثة وعشرون . . . أربعة و ثلاثون . . . خمسة وأربعون . . . ستة وخمسون . . . سبعة وستون . . . ثمانية وسبعون . . . ومن هذه الأمثلة يتبين أن المعطوف لابد أن يكون من نوع العقود ، وأن المعطوف عليه - ويسمى النسيْف^(١) - لابد أن يكون من نوع المفرد (أى : المضاف)^(٢) ، أو ما ألحق به من كلمة بضع وبضعة - وأن أداة العطف هي الواو^(٣) ، دون غيرها . وحكم هذا القسم أن المعطوف عليه ، (وهو المفرد . المسمى : بالنسيْف) لابد أن يتقدم دائماً ، وأن يعرب على حسب حاجة الجملة مع خضوعه لحكم إعراب نوعه المفرد الذى سبق فى القسم الأول - (فيعرب فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو مبتدأ ، أو خبراً ، أو غير هذا على حسب السياق ، ويكون إعرابه بحركات ظاهرة على آخره إلا ما كان منه دالا على تننية ؛ فيعرب إعراب المثنى) - وأن المعطوف - ويكون بالواو خاصة -

(١) النيف هنا هو : العدد الذى بين عقدين . - كما فى رقم « ٤ » من هامش ص ٥٢٠ - وهذا غير المراد من لفظة « النيف » بصيغتها التى سبق الكلام عليها فى هامش تلك الصفحة .

(٢) انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٢٥ . (٣) كما فى ٣ من ص ٥٤٩ .

يتبعه في الإعراب ، ولكن بالحروف التي يعرب بها جمع المذكر السالم . ففي مثل :
 الحاضرون واحد وعشرون . . . تعرب كلمة « واحد » خبراً مرفوعاً ، والواو حرف
 عطف - (عشرون) معطوف على : « واحد » مرفوعة بالواو . ونقول : كان
 الحاضرون واحداً وعشرين . . . وأنست بواحد وعشرين . . . وهكذا سائر الأعداد
 المعطوفة . إلا إن كان المعطوف عليه هو ، « اثنان واثنان » ؛ فيعربان كالمثنى ؛
 نحو : الحاضرون اثنان وعشرون رجلاً - كان الحاضرون اثنين وعشرين رجلاً -
 أنست باثنين وعشرين رجلاً - ومثل : كانت الحاضرات اثنتين وعشرين ؛ فائتان
 واثنان ، إما مرفوعة بالألف ، وإما منصوبة أو مجرورة بالياء . . . في جميع
 حالات الأعداد المعطوفة . . .

المسألة ١٦٤ :

تمييز العدد ^(١)

العدد لفظ مبهم ، أى : لا يوضح بنفسه المراد منه ، ولا يعين نوع مدلوله ومعدوده ؛ فمن يسمع كلمة : ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة . . . أو غيرها من ألفاظ العدد — لا يمكن أن يدرك النوع المقصود من هذا العدد ، ولا أن يميزه من بين الأنواع الكثيرة المحتملة ؛ أهو ثلاثة كتب ، أم أقلام ، أم أيام ، أم دراهم ، أم دنائير ، أم غيرها من مئات الأشياء الأخرى . . . ، فلو قلنا : ثلاثة كتب ، أو أربعة أيام ، أو خمسة شهور . . . أو . . . ، لزال الإبهام ، وانكشف الغموض عن مدلول العدد ، وصار المراد واضحاً ؛ بفضل الكلمة التى جاءت ؛ فبينت نوعه ، وميزته من غيره ، أى : أنها عَيَّنَتِ المعدود بعد أن كان مبهمًا مجهولاً ؛ ولذا يسميها النحاة : « تمييز العدد » — سواء أكانت منصوبة أم مجرورة ، على التفصيل الذى سنعرفه — وهذا معنى قولهم : العدد مبهم يزِيلُ إبهامَهُ التمييزُ ، (أى : المعدود) .

ولهذا التمييز أحكام تختلف باختلاف أقسام العدد :

(١) فالأعداد المفردة ^(٢) التى عرفناها ثلاثة أنواع :

نوع لا يستعمل — فى الأغلب — مع تمييز له — وهو واحد ، واثنان ؛ فلا يقال : جاء واحدٌ ضيفٌ ، ولا أقبل اثنًا ضيفين ؛ ولا نحو هذا ؛ لأن ذكر التمييز (ضيف ... ضيفين ..) مباشرة يُعْنَى عن ذكر العدد قبله ، إذ يبين النوع مع الدلالة على الوحدة ، أو على الزوجية المحددة باثنين ؛ فلا حاجة إلى العدد

(١) « ملاحظة » : إذا ورد فى النحو كلمة : « تمييز » من غير قيد كان المراد — فى الأغلب — التمييز المنصوب مطلقاً — للعدد أو لغير العدد — أما التمييز غير المنصوب كالذى هنا فى باب العدد فلا يذكر — فى الأغلب — إلا مقيداً بالجر ، فيقال تمييز مجرور . . .

(٢) وهى التى قد تسمى : « مضافة » على اعتبار أن أكثرها مضاف ؛ وهو ثلاثة وعشرة وما بينهما ، وما أحق بها مثل كلمتى : مائة وألف ، ويضع ويضعة ؛ طبقاً للبيان السابق عنهما فى رقم ١ من هامش ص ١٨ دون العددين ١ و ٢ لما سبقت له الإشارة فى رقم ٢ من هامش ص ١٨ — والتسمية غير دقيقة .

قبله ، ولا فائدة منه . وقد يضاف هذا النوع لغرض آخر سنعرفه ^(١) :

ونوع يحتاج إلى تمييز مفرد مجرور بالإضافة ؛ وهو لفظ : مائة ، وألف ، ومثاهما ، وجمعهما . (فالمراد هو : جنس المائة والألف ^(٢)) ... ومن الأمثلة قوله تعالى : (مثل الذين يُنفِقُونَ أموالَهُمْ في سبيلِ اللَّهِ كمثلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، في كلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) — يبلغ ارتفاع هرم الجيزة الأكبر نحو مائتي ذراع ^(٣) — وكقولهم عند رؤية أشباح بعيدة : هذه مثو رجل ، أو مئات رجل — وقوله تعالى : (وإنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) — حرَّاس المدينة أَلْفًا حارس ، وجيشها تسعة آلاف جندي .

ولا يصح الفصل بين هذا النوع وتمييزه في حالة الاختيار .

ونوع يحتاج إلى تمييز مجرور بالإضافة ، متصل به — أيضاً — ويكون في الأغلب جمع تكسير للقِلَّة ^(٤) ، وهذا النوع هو : (ثلاثة ، وعشرة ، وما بينهما ، وكذا كلمة : بضع وبضعة المملكتين به) — طبقاً لما تقدم ^(٥) عنهما — نحو : الصيف ثلاثة أشهر — قضيت خمسة أيام في الريف — وقوله تعالى : (وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صَرْصَرٍ ^(٦) عاتية ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) ^(٧) ... و.... فالأصل في تمييز هذا النوع من العدد المفرد أن يستوفي أربعة أمور مجتمعة ؛ هي : أن يكون جمعاً — للتكسير — مفيداً للقلة — مجروراً بالإضافة المباشرة (أى : الحالية من الفصل) . وكل واحد من هذه الأربعة يحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل :

١ — فأما كون التمييز جمعاً فهو الأعم الأغلب ، ليتطابق المعدود والعدد في

(١) في « أ » من ص ٥٣٢ . وانظر ص ٥٥٢ .

(٢) انظر ما يتصل بهذا في « ب » ص ٥٣٣ .

(٣) أى : نحو (١٣٦ متراً) بعد النقص الذي أصاب قمته ، ويقدر ، بنحو : سبعة أمتار .

(٤) جمع التكسير — كما سيأتى في ص ٦٢٧ — نوعان : جمع تكسير للقلة ، وهو ما كان دالا على أفراد لا تقل عن ثلاثة ، ولا تزيد على عشرة . وله أوزان خاصة ، منها : « أَفْعَلَة ، وَأَفْعَال ، وَفِعْلَة وَأَفْعَل » . نحو : أجهزة ، وأنهار ، وصيحة ، وأعين . وجمع تكسير للكثرة ويدل على عدد لا يقل عن ثلاثة ، وقد يزيد على العشرة ، بالإضافة الذي سيجيء في بابه — ص ٦٢٥ م ١٧٢ — وأوزانه كثيرة ...

(٥) في رقم ٤ من هامش ص ٥١٨ . (٦) شديدة الصوت ، أو شديدة البرد .

(٧) متتابعة .

الدلالة على التعدد الكثير . ويجب - في الأغلب - إضافة العدد إلى مفرد إن كان التمييز هو لفظ : « مائة »^(١) ، نحو : ثلاثمائة رجل - أربعمائة كتاب - خمسمائة قلم ... ، أو كان العدد مضافاً إلى مستحقه ملكاً أو انتساباً على حالة من الحالات ؛ فتكون الإضافة لبيان أن العدد مملوك للمضاف إليه ، أو منسوب إليه بوجه من وجوه التملك أو النسبة التي تستفاد من الإضافة^(٢) ؛ نحو : هذه خمسة محمود ، وتلك سبعة أعلى ... فقد تعرّف المضاف هنا بالمضاف إليه ، وتميّز به ؛ فلا يحتاج إلى تمييز ، ولهذا لا يعتبر المضاف هنا إليه المذكور تمييزاً ؛ لأن العدد استغنى عن التمييز ، واحتاج لمضاف إليه يحقق غرضاً آخر .

وقد يغنى عن الجمع ما يدل على الجمعية ، ولو لم يُسمَّ جمعاً في اصطلاح النحاة ؛ وإنما يسمونه : « اسم جمع » ؛ كقوم ، ورَهْط^(٣) ، وغيرهما من أسماء الجموع ؛ وكنحل وبقر ، وغيرهما مما يسمونه : « اسم الجنس الجمعي » . والغالب في هذين النوعين أن يكونا مجرورين بالحرف « مِن » مع ظهوره في الكلام ، نحو : ثلاثة من القوم فازوا ، وأربعة من الرهط تقدموا ، وخمسة من النحل جمعت العسل ، وستة من البقر جلبت الغني لصاحبها . أما جرهما بالإضافة فالأحسن - مع صحة القياس - الاقتصار فيه على المسموع ، ومنه قوله تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط) . وقوله عليه السلام : « ليس فيما دون خمس ذود^(٤) صدقة »^(٥) .

٢ - وأما كونه للتكسير فهو الأكثر وروداً في الكلام الفصيح . ويجوز أن يكون جمعاً للتصحيح^(٦) مناسباً ، إذا لم يكن للكلمة جمع مستعمل للتكسير ؛ نحو : خمس صلوات ، وسبع سنين . أو كان لها جمع تكسير مستعمل ولكن يُعدّل عنه إلى التصحيح لمجاورته ما أهمل تكسيره في الكلام ؛ نحو : سبع سنين ؛

(١) انظر ما يختص بطريقة كتابة « مئة » في رقم ٣ من هامش ص ٥١٨ .

(٢) كما سيحى في الزيادة ص ٥٣٢ وص ٥٥٢ .

(٣) عدد من الرجال - خاصة - لا يزيد على عشرة في الغالب ، وهو اسم جمع (واسم الجمع : لا واحد له من لفظه ، مع دلالة على معنى الجمع) .

(٤) الذود : مؤنث ، وهو عدد من الإبل لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على عشرة . ولفظه اسم جمع ، لا يجر منه واحد - كما سبق في ٣ -

(٥) انظر « ج » من ص ٥٤٢ .

(٦) هو جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم .

فإنه مجاور في الآية الكريمة لسَبَّعَ بِقَرَاتٍ ، في قوله تعالى : (وقال الملكُ إني أرى سَبَّعَ بِقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبَّعٌ عِجَافٌ ^(١)) ، وسَبَّعَ سُنْبُلَاتٍ خَضْرًى ، وأُخْرَبَ يَاسَاتٍ) ، فقال لمراعاة التنسيق : « سَبَّعَ سُنْبُلَاتٍ » ، بدل « سنابل » ؛ لمناسبة : « بقرات » التي ترك جمع تكسيروها في الآية . أو يكون لها جمع تكسير ولكنه قليل الاستعمال ، نحو : ثلاث سعادات ^(٢) ، فهو أحسن ، من ثلاث سوائد ^(٣) .

ومن النادر الذي لا يقاس عليه أن يقع جمع التصحيح المشتق تمييزاً للعدد في مثل : هنا ثلاثة صالحين ، وأربعة زاهدين ؛ بالإضافة . والأحسن عدم الإضافة ، وإعراب هذا الجمع نعتاً ، ويجوز نصبه على الحال إن كان نكرة ؛ بشرط إدخال التغيير اللازم على الجملة ؛ لصحة كل إعراب ؛ وبذا يسلم من الضعف .

ومع أن مدلول جمع التكسير الذي للقلة هو مدلول جمعي التصحيح عند سيبويه ^(٤) — نجد كثرة النحاة لا ترضى التمييز بجمعي التصحيح .

٣ — وأما أنه للقلة فمراعاة للمأثور الأوضح الذي يدل على أن الكلمة التي لها جمعان جمع كثرة وجمع قلة — يكون تمييز العدد بجمع قلتها هو الأعم الأغلب ، فإن لم يوجد لها إلا جمع كثرة صحّ التمييز به بغير ضعف .

٤ — وأما جره بالإضافة فهو الأعم الأكثر أيضاً ، ويحدث تخفيفاً في العدد بحذف التنوين منه ؛ لإضافته . ولا يصح الفصل بينه وبين العدد إلا بما يصح الفصل به بين المتضايقين ^(٥) .

ولأنما يجب جرّ التمييز بشرط تأخره وإعرابه تمييزاً . فلو تقدم التمييز على العدد لوجب إعراب التمييز على حسب حاجة الجملة ، وإعراب العدد نعتاً مؤولاً له ^(٥) ،

(١) نحيفات ، هزيلات . (المفرد : أعجف ، وعجفاء ، يقال ثور أعجف ، وثيران عجاف ، وبقرة عجفاء ، وبقرات عجاف) . (٢ و ٢) جمع سعاد ، علم لمؤنثة .

(٣) في ص ٦٢٧ و ٦٣١ ما يوضح الحكم ويفصله .

(٤) سبق بيانه في آخر باب الإضافة (ج ٣) .

(٥) يؤول النعت هنا لجموده . ويجوز إعرابه بدلا أو عطف بيان إن كان المعنى عليهما . دون النعت

(كما سيجيء في رقم ١ من هامش ص ٥٤٦) .

هذا ، وقد سبق في باب : « النعت » (ج ٣ م ١١٤ عند الكلام على تقسيم النعت باعتبار لفظه) بيان الألفاظ الحامدة التي يصح وقوعها نعتاً ، ومنها : « لفظ العدد » وتفصيل الكلام عليه .

ففى مثل : عندى ثلاثة كتب ، — بجر « كتب » ، بالإضافة — نقول : عندى كتبٌ ثلاثةٌ برفعها . ولو تأخر وأريد لداع معنوى إعرابه عطف بيان إن كان جامداً — كالأغلب فى عطف البيان — أو نعتاً مؤولاً بالمشتق أيضاً ، لوجب أن يكون تابعاً فى إعرابه للعدد ؛ نحو : عندى ثلاثةٌ أثوابٌ ، فأثوابٌ : عطف بيان ، أو نعت مؤول بمعنى : مساة بأثواب .

هذا ، ويصح فى الأعداد المفردة (٣ و ١٠ وما بينهما) ، أن تضاف إلى ضمير المعداد ، ولا تحتاج لغيره ، نحو : مررت بالأصدقاء ثلاثتهم ، . . . أو : خمستهم . . . أو : سبعتهم . . . بنصب العدد على الحال المؤولة ؛ أى : مثلثتاً إياهم ، أو : مخمستاً ، أو : مسبعتاً . . . وهكذا . ويجوز إتباع العدد لما قبله ؛ فلا يعرب حالا ، وإنما يعرب توكيداً معنوياً ؛ بمعنى : جميعهم ، مع ضبط لفظ العدد بما يضبط به التوكيد^(١) ،

والصحيح أن هذا ليس مقصوراً على الأعداد المفردة ؛ بل يسرى على المركبة أيضاً — كما سيجىء — نحو : جاء القوم خمسة عشر هم ، بالبناء على فتح الجزأين فى محل رفع هنا أو فى محل غير الرفع فى تركيب آخر ، على حسب المؤكد .
وجدير بالملاحظة أن العامل فى التمييز المحرور بالإضافة هو العدد المبهم (أى : المضاف) الذى جاء التمييز لإيضاحه وإزالة إبهامه ، ولا بد من تقديم هذا العامل على تمييزه المحرور .

(ب) وباقى أقسام العدد (وهو : المركب ، والعقود الاصطلاحية ، والمعطوف ، — وكذا ما ألحق بالمركب والمعطوف عليه من كلتى : بضع وبضعة) —^(٢) يحتاج إلى تمييز^(٣) مفرد ، منصوب غير مفصول من العدد بفواصل ، نحو : (إنى رأيت أحد عشر كوكباً) — (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً) — (إن يكن منكم عشرون^(٣) صابرون يغلبوا مائتين) — (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ، ووضعته كرهاً . وحملته وفصاله ثلاثون شهراً . حتى

(١) سبقت الإشارة لهذا الحكم فى ج ٢ باب : الحال م ٨٤ ص ٢٩٧ وفى ج ٣ باب التوكيد

م ١١٦ ص ٤١٣ . (٢) طبقاً للبيان الذى سبق فى رقم ٤ من هامش ص ٥١٨ .

(٣ و ٣) وقد يستغنى عن التمييز مطلقاً لداع بلاغى — كما هنا ، وكما سيجىء فى ص ٥٣٢ و ٥٥٢ .

إذا بلغ أشدّه ، وبلغ أربعين سنة ، قال ربّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ . . .) — قال أحد الشعراء : هاجني منظر شائق ؛ فلم أغادر مكاني حتى فاض خاطري بخمسة وأربعين بيتاً في وصفه ، لم أقض فيها أكثر من ضحوة . وأزعجني نعيّ صديق لي ، فانهمر لساني برثائه ، وأنشأت قصيدة بلغت اثنين وخمسين بيتاً لم أقطع فيها أكثر من بضعة ساعات ، ثم أكملتها بعد ذلك تسعة وسبعين بيتاً . . .

ولا بد في جميع حالات التمييز المنصوب أن يتأخر عن عامله الفعل أو ما يشبهه . وقد أشرنا — قريباً — إلى أنه يجوز في العدد المركب ما جاز في العدد المفرد من الإضافة لضمير المحدود . . . بالتفصيل السالف .

« ملاحظة » إذا نعت تمييز العدد المركب ، أو تمييز العقد ، أو تمييز المعطوف ، جاز في هذا النعت أن يكون مفرداً ؛ مراعاة للفظ المنعوت (وهو التمييز) وجاز أن يكون جمعاً ؛ مراعاة لمعناه الذي يراد به اسم العدد ، نحو : هنا أربعة عشر خبيراً عالماً ، أو علماء — وعشرون طالباً ذكياً ، أو أذكياً — وخمسة وعشرون كاتباً ماهراً ، أو مهرة . . . ، وهكذا ^(١) . ومراعاة اللفظ أكثر . ومثل النعت غيره من بقية

(١) في هذا الحكم تفصيل يشوبه غرض تنطوي عليه المراجع المتداولة ، ونكتي هنا ببعضها :

١ — من أمثله ما جاء في الأسموني ، ونصه : « (يجوز في نعت هذا التمييز مهابه — وهنا يقول الصبان : « (أي : من المركب وعشرين وبابه . وقضيته : أن تمييز غيرها لا يجوز في نعته مراعاة المعنى » . . . مراعاة اللفظ ؛ نحو : عندى أحد عشر درهماً ظاهرياً ، وعشرون ديناراً ناصرياً ، ومراعاة المعنى ؛ فنقول : ظاهرية وناصرية ، ومنه :

فيهما اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحمر — ا —

في الحكم السابق تقييد للمنعوت بأنه تمييز للعدد المركب ، وعشرين وبابه . . . وليس فيه تقييد الجمع بأنه للتكثير أو للمذكر السالم .

ب — في حين يقول الرضي (ج ٢ ص ١٢٥) إذا وصفت المُمَيَّز جازك في الوصف اعتبار اللفظ والمعنى ؛ نحو : ثلاثون رجلاً ظريفاً وظرفاء ، ومائة رجل طويل وطوال . وقول الشاعر :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحمر
فأمثله التي عرضها اشتملت على نوع من الأعداد ليس بالمركب ولا العشرين وبابه ؛ فقد اشتملت =

* * *

فلخص الكلام على العدد من ناحية تمييزه هو - في الاغلب - .

(واحد واثنان : لا يحتاجان لتمييز) - (ثلاثة وعشرة وما بينهما ، وكذا بضع وبضعة ، تحتاج لجمع تكسير ، للقلة ، مجرور بالإضافة ، وقد تضاف لضمير المعداد) - (جنس المائة والألف : يحتاج إلى مفرد مجرور) - (ما عدا ذلك ؛ يحتاج لمفرد منصوب . . (٢) .

= على مائة ، نعم لم يصرح بنوع الجمع ولكن المثال اقتصر على جمع التكسير .
 ح - ويقول الهمع (ج ١ ص ٢٥٤ باب « التمييز ») ما نصه : « (إذا جئ بنعت مفرد أو جمع تكسير جاز الحمل فيه على التمييز وعلى العدد ؛ نحو : عندى عشرون رجلاً صالحاً ، أو صالح - وعشرون رجلاً كراماً أو كرام . فإن كان جمع سلامة تعين الحمل على العدد ؛ نحو : عشرون رجلاً صالحون) » ١ .
 فبأى هذا الآراء نأخذ ؟ لعل الأنسب الأخذ بما جاء فى الهمع وفى كلام الرضى لأن رأيهما مردد فى بعض المراجع الأخرى التى لم نذكرها . ولا مانع هنا من وصف الجمع الذى لا يعقل بالمفرد المؤنث .
 (١) كما سيجى فى « ب » من ص ٥٣٣ .
 (٢) فى تأنيث العدد المركب يقول ابن مالك :

وَأَحَدٌ أَذْكَرُ وَصِلْنَاهُ بِعَشْرٍ مُرَكَّبًا ؛ قَاصِدَ مَعْدُودٍ ذَكَرَ - ٤
 وَقُلْ لَدَى الثَّانِيَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَالشَّيْنُ فِيهَا عَنْ تَمِيمٍ كَسْرَةٌ - ٥
 يريد : أن « عشرة » إذا ركبت مع « إحدى » وجب مطابقة « العشرة » لها فى التأنيث ، وأن « عشرة » المؤنثة ، تسكن « شينها » فى أشهر اللغات ، وتميم تجيز الكسر أيضاً . ثم أراد أن يبين عموم الحكم الخاص « بعشرة » من ناحية تأنيثها مطابقة للمعداد ، وأن هذا ليس مقصوداً على « إحدى » ، فقال :
 وَمَعَ غَيْرِ أَحَدٍ وَإِحْدَى مَا مَعَهُمَا فَعَلْتُ ، فَا فَعَلَ قَصْدًا - ٦
 (الفاء التى فى صدر « أفعل » زائدة) . والتقدير : وافعل قصداً مع غير أحد وإحدى ما فعلت معهما ، حيث أثنت عشرة مع « إحدى » . المؤنثة ، وذكرتها مع « أحد » المذكور . أى : راع المطابقة فى التذكير والتأنيث مع غيرهما من الأعداد التى تركب مع العشرة كما راعيته مع : « أحد وإحدى » وزاد الأمر إيضاحاً بالنص عليه مع ثلاثة وتسعة وما بينهما ؛ فقال :

وَلثَلَاثَةٌ وَتِسْعَةٌ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ رُكِّبَا مَا قُدِّمَا - ٧
 وبالنص عليه أيضاً فى اثْنَى وَاثْنَتَيْنِ حيث يقول :

وَأَوَّلُ عَشْرَةٍ اثْنَتَيْنِ ، وَعَشْرًا إِثْنَيْنِ إِذَا أُثْنِيَ تَشَا ، أَوْ ذَكَرَا - ٨
 يريد : أُنْبِيعَ المؤنثة (أى : أذكر بعدها) كلمة : « عشرة » المؤنثة . وأذكر كلمة : « عشر » المذكورة =

زيادة وتفصيل :

(١) فله يضاف العدد « المفرد » إلى غير تمييزه المبين لنوع المعدود ، ولحقيقته الذاتية ؛ فيضاف إلى مستحق المعدود (ومن المفرد : واحد ، ومؤنثه : واحدة وحادية ، وإحدى . . . ومنه : اثنان ، ومؤنثه : ثنتان واثنان ، ومنه ثلاثة وعشرة وما بينهما . ويلحق به جنس المائة والألف . . .) لعدم الحاجة إلى ذكر التمييز استغناء عنه ، وطلباً لمضاف إليه يحقق غرضاً لا يحققه التمييز ، هو الدلالة على أن العدد مملوك أو منتسب للمضاف إليه ، أو مرتبط به بنوع من أنواع الصلة والارتباط التي تحدثها الإضافة الجديدة ، والتي لا تبين نوعاً ، ولا ذاتاً^(١) ، وإنما تبين استحقاق المضاف إليه للمضاف بوجه من وجوه الاستحقاق^(٢) ومن الأمثلة : واحد قومه من لا يُعْـوَل في الدنيا على أحد - واحدة قومها من رفعت شأن بلدها في مجال التربية والأمومة . وكأن يقال في كتابين لمحمد : هذان اثنا محمد . وفي فتاتين من القاهرة : هاتان اثنتا القاهرة ، أو ثنتا القاهرة . وفي دراهم لمحمود وعلى : هذه سبعة

= بعد « اثني » المذكرة ، ثم بين : أن « اثني واثنى » يعربان إعراب المثنى عند تركيبهما كما كانا قبل التركيب ؛ فيرفعان بالألف ، وينصبان ويجزان بالياء ، وأما غيرهما فبالجزءان المركبان مبنين على الفتح في القول المألوف ؛ أي : الشائع . يقول :

و «اليا» لغير الرفع، وارفَعُ بِالْأَلِفِ والفتحُ في جزأَي سِوَاهُمَا أَلِفٌ - ٩
ثم انتقل إلى حكم تمييز المقود فقال :

وَمِيْزُ الْعَشْرِيْنَ لِلتَّسْعِيْنَ بِوَاحِدٍ كَارْبَعِيْنَ حِيْنَا - ١٠
(الحين : الوقت -) ثم إلى تمييز المركب مباشرة وأنه مثل تمييز العشرين . فقال :

وَمِيْزُوا مُرَكَّبًا بِمِثْلِ مَا مُيْزَ : «عَشْرُونَ» ؛ فَسَوَّيْنُهُمَا - ١١

(١) سبقت الإشارة لهذا في رقم ١ من ص ٥٢٦ .

(٢) لأن من يقول : هذه « خمسة محمود » يكون عارفاً « محموداً وخمسته » حتماً : فلا تحتاج لتمييز وإذا قلت : « هذه عشروك » فقد خاطبت من يعرف العشرين المنسوبة إليه ، ولا تقوطها إلا لمن يعرف هذا ، كما أنك لا تقول : « كتاب حامد » إلا لمن يعرفهما نوع معرفة .

.....
.....

محمود ، وتسعة على " ، وخذ سبعتك ، وحافظ على تسعتنا .

أما بقية أقسام العدد فَيَسْتغْنِي عن التمييز نوعان منها ؛ كما سيجىء في « ه » .

(ب) قلنا^(١) : إن المراد بالمائة والألف هو جنسهما الشامل لمفردهما ، ولثنائهما ، ولجمعهما . . . — هذه الدلالة على الجمعية قد تكون بصيغة الجمع المباشر المتحقق في لفظهما ؛ نحو : هذه مئو رجل تقود أربعة آلاف جندي . وقد تكون « الجمعية » غير مباشرة ؛ بأن تكون صيغة المائة : « مضافاً إليه » يكتسب معنى الجمعية من « المضاف » بشرط أن يكون هذا المضاف ثلاثة ، أو تسعة ، أو عدداً بينهما ؛ نحو : قضى الرَّحَّالة ثلاثمائة يوم في الصحراء ، قطع فيها تسعمائة ميل .

وقد تكون أيضاً بوقوع المائة والألف تمييزاً منصوباً مضافاً ، والعدد هو : « أحد عشر » أو غيره من الأعداد المركبة ، نحو : في المكتبة أحد عشر مائة كتاب ، واثنان عشرة ألف مخطوطة . ومن الجائز في هذين النوعين الأخيرين اعتبار المائة والألف مفردين ؛ اعتماداً على أن لفظهما الصريح مفرد ، مجرد من علامة تنثية أو جمع ، وأن اعتبارهما غير مفردين راجع للعدد المركب المذكور قبلهما ، وهو لفظ مستقل عنهما ، ولكنه احتاج إليهما ليكونا تمييزين له ؛ فاعتبار المائة والألف مفردين راجع لمراعاة مادتهما وصيغتهما اللفظية وحدها ، واعتبارهما غير مفردين راجع لمراعاتهما مع اسم العدد . ولن يترتب على الاعتبارين خلاف يمس تمييزهما مباشرة . وإنما الخلاف في توابع تمييزهما ، كالنعت مثلاً ؛ أيكون مفرداً تبعاً للفظ تمييزهما المنعوت ، أم جمعاً تبعاً لمعناه ؟ الأمران جائزان في كل التوابع . ولكن الأحسن والأكثر هو مراعاة اللفظ ؛ بأن يكون تابع تمييزهما مطابقاً له في إفراده . ويسرى الحكم السالف أيضاً على تمييز العقود والأعداد المعطوفة كما سبق^(٢) .

(ح) يصلح الألف تمييزاً لكل أقسام العدد الأربعة : (المفرد ، غير الواحد والاثنين — والمركب — والعقد — والمعطوف) . أما المائة فلا تصلح تمييزاً إلا للثلاث والتسعة وما بينهما ، وإلا للأعداد المركبة ، مثل : (ثلاثمائة . . . خمسمائة . . .) — (إحدى عشرة مائة . . . خمس عشرة مائة . . .) . ولا تكون تمييزاً للعقود ، ولا

(١) في « أ » من ص ٥٢٥ .

(٢) في ص ٥٣٠ ، بعنوان : « ملاحظة » .

للاعداد المعطوفة . وإذا وقع لفظ « مائة » تمييزاً للثلاثة أو التسعة أو ما بينهما فالأغلب الذي يقتصر عليه هو إفراده .

(د) من الشاذ تمييز المائة — وجنسها — بمفرد منصوب ؛ كقول الشاعر :

إذا عاش الفتي مائتين عاماً فقد ذهب اللذّاذة والفتساء

ومن القليل تمييزها بجمع مجرور ؛ كقراءة من قرأ قوله تعالى : (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) على اعتبار « مائة » مضاف و « سنين » مضاف إليه . أما من ينون : « مائة » فإنه يجعل كلمة : « سنين » بدلا أو عطف بيان من « ثلاث » المضافة إلى مائة . لا تمييزاً — لثلاث يكون التمييز هنا شاذاً من وجهين ؛ هما : وقوعه جمعاً ، ونصبه .

(هـ) ما صح في الأعداد المفردة من استغنائها عن التمييز أحياناً — كما تقدم البيان في : « ا » ^(١) — يصح في قسمين آخرين ؛ هما : المركب — (ما عدا اثنى عشر ، واثنى عشر) — والعقود ، فيصح حذف التمييز حين لا يتعلق الغرض بذكره . ومن حالات الاستغناء عنه أن يضاف العدد إلى شيء يستحقه ؛ بأن يكون العدد مملوكاً للمضاف إليه ، أو منتسباً له بصلة من الصلات المستفادة من الإضافة الدالة على الاستحقاق ، لا على بيان نوع المعداد . كأن يكون لمحمود خمسة عشر درهما فنقول : هذه خمسة عشر محمود ، وكأن يكون لغرف البيت عشرون مفتاحاً ؛ فنقول : هذه عشرو البيت . . . ^(٢)

وإذا أضيف العدد المركب — (غير اثنى عشر ، واثنى عشر) — في إعراب لغات ^(٣) . . . أشهرها وأحقها بالاختصار عليه لغتان ^(٤) :

الأولى : أن يبقى على ما كان عليه من فتح الجزأين في جميع مواقع الإعرابية ،

(١) ص ٥٣٢ . (٢) ومن هذا قول الشاعر يهجو متغزلاً :

وما أنت ؟ أم مارسوم الديار ؟ وستوك قد قربت تكمل

ستوك ، أى : ستون سنة من عمرك — ثم انظر رقم ٢ من هامش ص ٥٣٢ .

(٣) أما إعراب العقود فكجمع المذكر السالم ؛ فلا تتأثر عند إضافتهما إلا بحذف النون .

(٤) سبقت الإشارة لهما في ص ٥٢١ .

ولا مانع من اجتماع البناء والإضافة هنا ؛ تقول : خمسة عشر محمد عندي - إن خمسة عشر محمد عندي - حافظت على خمسة عشر محمد ؛ بالبناء ، على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة الجملة .

الثانية : ترك الجزء الأول مفتوحاً في كل الحالات كما كان ، وإجراء الحركات الإعرابية على الجزء الثاني ؛ باعتبار الجزأين بمنزلة كلمة واحدة ذات شطرين ، يجرى الإعراب على الثاني منهما مع ترك الأول على حاله ، دون أن تتغير الفتحة التي في آخره ، فيكون الثاني معرباً ، مرفوعاً ، أو منصوباً ، أو مجروراً ، على حسب موقعه من الجملة ؛ ولا يكون مبنياً ؛ تقول : خمسة عشر محمد عندي - إن خمسة عشر محمد عندي - (و « خمسة عشر » هنا : اسم « إن » ، منصوبة مباشرة ، وليست مبنية على فتح الجزأين) - حافظت على خمسة عشر محمد . فخمسة عشر في الأمثلة الثلاثة غير مبنية ؛ فهي بشطريها في الأول مبتدأ مرفوع مباشرة ، وفي الثاني اسم « إن » منصوب مباشرة - وفي الثالث مجرور مباشرة . وما عدا هذين الرأيين ضعيف يحسن إهماله ؛ ومنه : إضافة صدر المركب إلى عجزه المضاف إلى مستحق العدود ، نحو : هذه خمسة عشر محمد ، وشاهدت خمسة عشر محمد ، واحتفت بخمسة عشر محمد ، ومنه إضافة صدر المركب إلى عجزه من غير إضافة العجز إلى شيء ؛ نحو : هذه سبعة عشر (١)

(و) لا يجوز الفصل بين العدد وتمييزه في غير الضرورة الشعرية ، كقول الشاعر القديم :

على أنني بعد ما قد مضى ثلاثون - للهجر - حولا كيلا ... (٢)

يريد : ثلاثون حولا كيلا للهجر .

(١) وإلى بعض هذه الآراء يشير ابن مالك بقوله :

وإن أضيف عدد مركب يبق البناء . وعجز «قد يُعرب» - ١٢

(٢) كاملا . وفي الشطر الأول من البيت رواية أخرى ، هي :

ولمَّا من بعد ما قد مضى

المسألة ١٦٥ :

تذكير العدد وتأنيثه .. (١)

عرفنا الأقسام الاصطلاحية للعدد ؛ وأنها أربعة : (مفرد - مركب - عقيد - معطوف) . وفيما يلي الكلام على كل منها من ناحية التذكير والتأنيث :

الأول : تذكير الأعداد المفردة وتأنيثها ، ويتلخص في :

١ - أن « الواحد والاثنين » يُذكّران ويؤنّسان مباشرة بغير حاجة إلى معدود بعدهما ، أى : أن صيغتهما العددية تُذكّر أو تؤنّس ؛ طبقاً لمادّتهما ، وللمقصود منها . دون أن يكون مع الصيغة معدود (تمييز) ؛ إذ لا يصح ذكر تمييز لها - كما عرفنا (٢) - ومن الأمثلة قوله تعالى : (قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . وهو الواحد القهار) ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ، وقوله تعالى : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ؛ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ) وقوله تعالى : (قَالُوا : رَبَّنَا أُمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) .

٢ - وأن « مائة » و « ألفا » وجنسهما ثابتة الصيغة على حالتها اللفظية ، تأنيثاً في « مائة » ، وتذكيراً في « ألف » مع أنهما يَحْتَسَاجَانِ إلى تمييز مفرد مجرور غالباً . وهذا التمييز قد يكون مذكراً أو مؤنثاً على حسب الدواعى المعنوية ؛ نحو : جاء مائة رجل - جاءت مائة فتاة - حضر ألف جندي - حضر ألف طالبة . أى : أن صيغة لفظهما لا تخرج عما وضعت له في الأصل ؛ فكلمة : « مائة » ملازمة للتأنيث اللفظي في كل استعمالها سى ومصاعفاتها ، وكلمة « ألف » ملازمة للتذكير اللفظي دائماً هي ومصاعفاتها ، فمادّتهما الهجائية ثابتة لا يدخل عليها تغيير من هذه الناحية ، إلا عند إلحاق المائة بجمع (٣) المذكر السالم .

(١) المذكر والمؤنث من أسماء الشهور العربية موضح في : « ج » من ص ٥٥٣ وكذلك ما يذكر قبله

كلمة : « شهر » وما لا يذكر .

(٢) في ص ٥٢٥ .

(٣) عند إلحاق المائة بجمع المذكر السالم يقال فيها : « مئون ومئين »

٣- وأن ثلاثة ، وعشرة ، وما بينهما - وكذلك كلمة : بِيَضْعُ وبِيَضْعَةُ^(١) - تلحقها تاء التأنيث إن كان المعدود (التمييز) مذكراً ، وتجرد من تاء التأنيث إن كان المعدود (التمييز) مؤنثاً . فالعدد في هذا القسم مخالف للمعدود تذكراً وتأنثاً . ويشترط لتحقيق هذه المخالفة شرطان ؛ أن يكون المعدود مذكوراً في الكلام ، وأن يكون متأخراً عن لفظ العدد ، نحو : ثلاث عيون - أربعة قلوب - خمس أصابع - ستة رؤوس - سبع رقاب - ثمانية^(٢) جلود - تسع أقدام - عشرة ظهور . . . فإن لم يتحقق الشرطان معاً ؛ بأن كان المعدود متقدماً ، أو كان غير مذكور في الكلام ولكنه ملحوظ في المعنى يتجه الغرض إليه - جاز في لفظ العدد التذكير

(١) وهي ملحقة بهما - طبقاً لما سبق في رقم ٤ من هامش ص ٥١٨ - .

(٢) للعدد : « ثمان » المفرد حكم خاص بصيغته وإعرابه ، حين يكون مؤنثاً أو غير مؤنث . ويتلخص هذا الحكم فيما يأتي - طبقاً للرأى المعمول عليه - :

١ - إذا كان : « ثمان » عدداً مضافاً ومذكراً - بسبب إضافته إلى تمييزه المؤنث - فالأصح إثبات الياء في آخره في جميع حالاته ، مع إعرابه إعراب المنقوص ؛ فتقدر على يائه الضمة والكسرة ، وتظهر الفتحة ؛ نحو : (ثمانى غَوَانٌ يُنْشِدُنَ ، وثمانى فتياتٍ يَعْرِضْنَ) - (سمعت ثمانى غَوَانٌ يُنْشِدُنَ ، وثمانى فتياتٍ يَعْرِضْنَ) - (طربت لثمانى غَوَانٌ يُنْشِدُنَ ، وثمانى فتياتٍ يَعْرِضْنَ) . فكلية : « ثمانى . . . » في المثال الأول مرفوعة بضمة مقدرة على الياء ، وفي الثاني منصوبة بالفتحة الظاهرة ، وفي الثالث مجرورة بكسرة مقدرة .

فإن كان العدد : « ثمان » مؤنثاً - بسبب إضافته إلى تمييزه المذكر - لزمت « الياء » وبعدها : « التاء » الدالة على التأنيث ، وأعرب إعراب الأسماء الصحيحة ، نحو : رفقة الإنشاد ثمانية رجال - شاهدت ثمانية رجال - أصغيت إلى ثمانية رجال .

ب - إذا كان : « ثمان » عدداً مفرداً ، غير مضاف ، والمعدود مذكر ، لزمت الياء والتاء - أيضاً - وأعرب إعراب الأسماء الصحيحة في كل أحواله . نحو : المسافرون من الرجال ثمانية - كان المسافرون من الرجال ثمانية - أنست من الرجال بثمانية . . .

فإن كان المعدود مؤنثاً فالأكثر إعرابه إعراب المنقوص ؛ نحو : اشتهر من الشعراء ثمان - اكتفيت من الشعراء بثمان - عرفت من الشعراء ثمانياً ، أو ثمانى . بالتثنية وعدمه ، فالتثنية على اعتبار كلمة : « ثمانياً » اسماً منقوصاً - ، منصرفاً . وعدم التثنية على اعتباره اسماً ممنوعاً من الصرف يشبه : « غوان » و « جوار » في وزنهما اللفظي ، وفي دلالتيهما المعنوية على المؤنث . ومن القليل في هذه الصورة إعرابها بالحركات الظاهرة على النون مباشرة عند حذف الياء ؛ كقوله الشاعر :

لها ثنانياً أربع حسانٌ وأربعٌ ، فتغرها ثمانٌ

- يريد : ثنانياً ثمان - . (راجع الخضرى والصبيان في هذا الموضع) .

أما العدد ثمانية عند تركيبه مع العشرة فيجىء الكلام عليه في تأنيث الأعداد المركبة - رقم ٣ من هامش ص ٥٤٧ .

والتأنيث^(١) ؛ نحو ؛ كتبت صحفًا ثلاثًا ؛ أو ثلاثة - صافحت أربعة . . .
أو أربعًا^(٢)

والحكم على المعدود الدال على الجمع^(٣) بأنه دال على التأنيث أو التذكير لا يكون بالنظر إلى لفظه الدال على الجمعية وما يصاحبها من التذكير أو التأنيث وإنما يكون بالرجوع إلى مفرده ؛ لمعرفة حالة المفرد من ناحية التذكير والتأنيث ، ومراعاة هذه الحالة وحدها ، عند تأنيث العدد وتذكيره ، دون التفات إلى لفظ المعدود من هذه الناحية^(٤)

وإذا مُيز العدد المفرد بتمييزين أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، روعى في تأنيث لفظ العدد وتذكيره السابق^(٥) منهما ؛ نحو : أقبل سبعة رجال وفتيات ، وأقبل سبع فتيات ورجال^(٦)

(١) مع مراعاة الحكم الخاص بالعدد « ثمان » وقد سبق في رقم ٢ من هامش الصفحة الماضية .

(٢) انظر « د » و « هـ » ص ٥٤٥ و ٥٤٦ ، حيث البيان والتفصيل .

(٣) وما الذي يراعى إن كان المعدود اسم جمع ، أو اسم جنس ؟ الجواب في : « ح » من

ص ٥٤٢ .

(٤) كما سيجيء البيان والأمثلة في ص ٥٤٠ - إلا عند الكسائي ، وبعض البغداديين ؛ فيجوزون الرجوع إلى المفرد ، أو مراعاة الجمع بلفظه الذي هو عليه . ورأيهم مخالف للأغلب الذي يحسن الاكتفاء به اليوم ؛ منعاً للتشتيت والاضطراب .

(٥) مما يلاحظ أن هذا مخالف لنظيره في الأعداد المركبة ، وسيأتي في ص ٥٤٨ .

(٦) في تأنيث العدد المفرد وتذكيره يقول ابن مالك في باب مستقل عنوانه : - « العدد » - ولم

يسلك فيه الترتيب الذي سلكناه ، (كما أشرنا في رقم ١ من هامش ص ٥١٧ وأوضحنا الأمر) :

ثلاثةٌ بالتاء قل للعشرة في عددٍ ما آحادُهُ مُذكَّرةٌ - ١

في الضدِّ جَرَّدٌ - ٢

(التقدير : قل ثلاثة بالتاء إلى العشرة . وآحاده : جمع أحد ، بمعنى : المفرد للجمع . (أى : واحد

الجمع ، ومفرده)

يريد : أنت العدد ، ثلاثة ، وعشرة ، وما بينهما - إن كنت تعد جمعاً مفرداته مذكَّرة . فالعبرة في معرفة التذكير والتأنيث في المعدود المجموع إنما تكون بالرجوع إلى مفرده ، بغير نظر إلى لفظ المعدود المجموع من هذه الناحية . أما في الضد - حيث يكون مفرد المعدود مؤنثاً فيجب تذكير العدد . وتكلمة البيت الثانى لا علاقة لها بهذه القاعدة ، وإنما تتصل بحكم آخر ، سيجيء .

ثم انتقل بعد ذلك للكلام على تمييز العدد ؛ فقال :

والعرب في بعض استعمالاتهم يقدّمون التأنيث على التذكير ، فَيُغْلَبُونَ المؤنث على المذكور في بضع حالات قليلة ، يتّصل منها بموضوع العدد قوْطُم — مثلاً — : رجعت من السفر ثلاث بين يوم وليلة (أى : ثلاث محصورة بين كونها أياماً ، وكونها ليالى) ،

وضابط هذا النوع من الاستعمالات : أن يوجد عددٌ تميّزه مذكر ومؤنث ، وكلاهما لا يعقل ، وهما مفصولان من العدد بكلمة : « بين » ؛ فهم يُغْلَبُونَ في المثال السابق — وأشباهه — التأنيث على التذكير .

ومن تلك الحالات ؛ أن يكون المعدود المذكور متأخراً في الجملة ، ومؤنثاً تغليباً^(١) ؛ بأن يكون معه مذكر ليس له الأهمية والتغليب^(٢) ؛ نحو : قابلت تسعاً بين رجل وامرأة — ... وهكذا — وقد سبق بيان لهذه المسألة عند الكلام على تعريف « التغليب » وتقسيمه ، وحكمه^(٣) .

= (في الضدّ جرّذ) . والمُمَيِّزُ اجْرُرُ جمعاً بلفظ . قِلَّةٌ في الأشهرِ - ٢

وهذا الحكم خاص بالعدد ثلاثة وعشرة وما بينهما ، أما المائة والألف فقال فيه :

ومائةٌ والألفُ للفَرْدِ أَضْفُ ومائةٌ بالجمعِ نَزْرًا قَدْ رُدِفَ - ٣

(نَزْرًا = قليلاً جداً . رَدِفَ = جاء بعده) يقول : أضف مائة والألف للمفرد ، ليكون هذا المفرد المضاف إليهما هو التمييز . ثم قال : إن العدد « مائة قد يردفه (أى : يقع بعده) جمع ؛ فيكون المضاف إليه جمعاً ، ووقوع الجمع تمييزاً للمائة نزر لا يقاس عليه .

(١) كأنه ليس معه مذكر . (٢) كأنه غير موجود .

(٣) في ج ١ ص ٩١ هامش ص ١١٩ عند الكلام على : « المتنى » .

زيادة وتفصيل :

(١) قلنا^(١) : إن الحكم على المعدود بالتذكير أو التأنيث لا يكون بمراعاة لفظه إذا كان جمعاً ، وإنما يكون بالرجوع إلى مفرد^(٢) ، وملاحظة هذا المفرد وحده أهو ؛ مذكر أم مؤنث - حقيقى أم مجازى^(٣) فى الحالتين ؛ فعلى المفرد وحده يكون الاعتماد فى هذه الناحية ، ولا عبرة بالمعدود المجموع^(٤) . تقول : سمعنا غنَاءَ ثلاث غَمَوَان ، بحذف التاء من العدد « ثلاث » ؛ لأن المعدود جمع ، مفردُه : « غَانِيَة » « وَغَانِيَة » مؤنثة حقيقية . ومثلها : سهرنا سبع ليال ؛ بحذف التاء من العدد : « سبع » ؛ لأن المعدود جمع مفردُه : ليلة ، وهى مؤنثة مجازية . وتقول ثلاثة أدوية ، بإثبات التاء فى العدد ؛ لأن المعدود جمع ، مفردُه : دواء ؛ وهذا مذكر . ولا عبرة بتأنيث جمعه المذكور . وتقول : خمسة غِلْصَمَة ؛ بإثبات التاء فى اسم العدد ، لأن المعدود - وإن كان جمعاً للتكسير مؤنثاً بالتاء - مفردُه مذكر ، وهو : غلام . ومثلها : خمسة فتية ؛ بإثبات التاء فى اسم العدد ، بالرغم من أن معدوده جمع تكسير مؤنث بالتاء - لأن مفردُه مذكر ؛ وهو فتى ، والعبرة بالمفرد وحده - غالباً ، كما سلف - . ومثل هذا يقال : فى أربعة سُرَادِقَات ، وخمسة حيوانات ، وستة حَمَامَات ... بإثبات التاء فى اسم العدد ، مع أن المعدود جمع مؤنث سالم ، ولكن مفرد هذا الجمع المعدود مذكر (هو : سُرَادِق - حيوان - حَمَام ...) والمعول عليه عند الحكم بتأنيث العدد وتذكيره حين يكون المعدود جمعاً إنما هو مفرد هذا الجمع وملاحظته دون ملاحظة صيغة الجمع وصورته اللفظية .

(ب) هذا المفرد الذى يجب الرجوع إليه عند الأكثرين لمعرفة حاله من التذكير أو التأنيث الحقيقيين أو المجازيين^(٣) ؛ للتوصل منه إلى تأنيث اسم العدد ،

(١) فى ص ٥٣٨ و ٥٤٢ .

(٢ و ٣) خالف فى هذا الكسائى وبغض البغدادين - طبقاً للبيان الذى فى رقم ٤ من هامش

ص ٥٣٨ - .

(٣ و ٣) سبق الكلام مفصلاً على أنواع المؤنث (وهى : الحقيقى - المجازى - المعنوى - اللفظى -

التأويل - الحكى ...) فى ج ٢ ص ٦٦ م ٦٧ باب : الفاعل . وسيجىء هنا التكملة فى باب : التأنيث ،

ص ٥٨٥ .

أو تذكيره — هذا المفرد مختلف الصّور ؛ فقد يكون مؤنثاً لفظاً ومعنى معاً ؛ (وهو الذى يلد ويتناسل — ولو من طريق البيض — ، مع اشتغال لفظه على علامة تأنيث) : مثل فاطمة — مية — عائشة — ليلي — سلمى — زرقاء (علّس ، ومنه : زرقاء اليمامة) حمراء (علّس أيضاً) . . . وغيرها من أعلام النساء المحتومة بعلامة تأنيث . . .

وقد يكون مؤنثاً معنى لالفظاً (وهو ما يلد ويتناسل ، مع خلو لفظه من علامة تأنيث) ، مثل : زينب — سعاد — هند . . . وغيرها من أعلام النساء الحالية من علامة تأنيث . وقد يكون مؤنثاً مجازياً . مثل : أرض و« بطن » بمعنى : قبيلة « وغيرهما من الأسماء الدالة على مؤنث غير حقيقى ^(١) . لا يعرف إلا من طريق السماع الوارد عن العرب ؛ فلا ضابط لمعرفة إلا ذلك السماع .

وقد يكون مؤنثاً لفظاً لا معنى ، مثل : طلحة ، عنترة — معاوية — حمزة ، وغيرها من أعلام الذكور المشتملة على علامة تأنيث . فلفظها مؤنث ، ومعناها مذكر

وقد يكون مذكراً لفظاً ومعنى ؛ (كرجل ، وعلى) .

وقد يكون صالحاً للدلالة على المؤنث أو المذكر ، مثل : شخص — نفس — حال . . .

فإذا كان المفرد مؤنثاً تأنيثاً حقيقياً ^(١) — (وهو الذى يلد ويتناسل ، ولو من طريق البيض) وجب مراعاة هذا التأنيث بتذكير اسم العدد ، سواء أكان التأنيث الحقيقى لفظاً ومعنى معاً ، أم معنى فقط . (مثل : فاطمة — زينب) .

وإن كان المفرد مذكراً لفظاً ومعنى وجب مراعاة هذا التذكير بتأنيث اسم العدد . وفى غير هاتين الحالتين يصح اعتبار المفرد مذكراً أو مؤنثاً ؛ كأن يكون مذكراً لفظاً ومعناه مؤنث تأنيثاً مجازياً ، مثل « حرف » المرادُ به : كلمة . و« بطن » : المرادُ به : « قبيلة » ، و« كتاب » المرادُ به : ورقاته وكأن يكون مؤنثاً لفظاً ومعناه مذكر ؛ مثل : طلحة — حمزة — معاوية — وكأن يكون لفظاً يصلح للدلالة على المؤنث حيناً والمذكر حيناً آخر كالأمثلة السالفة (شخص —

(١٦١) المؤنث الحقيقى هو الذى يلد ويتناسل ، ولو من طريق البيض . ولا بد أن يشتمل على علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة (كما سيجىء فى ص ٥٨٥) .

نفس — حال) — وغيرها مما يصلح للأمرين^(١) . . .

بالرغم من أن هذه الصور يجوز فيها اعتبار المفرد مؤنثاً أو مذكراً فالأحسن في المفرد إن كان علمياً مراعاة لفظه ، وكذلك إن وجد في السياق ما يقوى جانب اللفظ . فنقول : ثلاث طلحات أو ثلاثة طلحات ، والأول أحسن : مراعاة للفظ المفرد «طلحة» لأنه علم^(٢) . ونقول : ممن اشتهروا في صدر الإسلام بأعمال جليلة باقية على الزمان ، سجلها التاريخ لهم : أربعة شخوص ، عرفوا بالخلفاء الراشدين ، ويصبح أربع شخوص ؛ ولكن التأنيث هنا أحسن ، لأن نسق الكلام جار على التذكير ؛ ففيه : (اشتهروا — لهم — عرفوا — الراشدين) ؛ وهذا الاتجاه يقوى في المفرد (وهو : شخص) ناحية التذكير ، ويغلبها على ناحية التأنيث ، فيستحسن تبعاً لهذا تأنيث العدد

(ح) ليس من اللازم أن يكون التمييز الخاص بالأعداد : « ثلاثة ، وعشرة » وما بينهما — جمعاً حقيقياً في كل الحالات ، وإنما اللازم — كما سبق —^(٣) أن يكون دالاً على معنى الجمعية ، فيشمل الجمع الحقيقي ، كما يشمل اسم الجمع ؛ كقوم ، ورهط ، وناس ، وأناس ، ونساء ، وعشرون ، وثلاثون ، وباقي العقود . . . وكذلك يشمل ، اسم الجنس الجمعي^(٤) ؛ كنحل ، ونخل ، وبطن ، وبقر ، وكليم . . . وقد عرفنا^(٥) أن المعدود الجمع لا يراعى لفظه في ناحية التذكير والتأنيث ، وإنما الذي يراعى هو مفردة فقط . فما الذي يراعى إن كان المعدود اسم جمع . أو اسم جنس جمعي ؟

(١) انظر ص ٥٨٧ حيث الكلام على أنواع المؤنث .

(٢) المفهوم من حاشية ياسين على التصريح غير ذلك ؛ فقد جاء بها ما نصه : (ج ١ باب : « العرب والمبني » عند الكلام على شروط جمع المذكر السالم) :

لأي شيء امتنع نحو : « طلحون » وقيل : « طلحات » فأعطى حكم المؤنث ، اعتباراً بلفظه ؛ وقيل في العدد ثلاثة طلحات . بإلحاق عدده حرف التاء ، لإعطائه حكم المذكر ؛ اعتباراً بمعناه ؟ أ هـ . لم يجب عن هذا ، وأحال الجواب على حاشية أخرى . وسواء أكان الحكم هذا أم ذاك فالرأيان جائزان ، صحيحان . وإنما الخلاف في الأحسن . (٣) في ص ٥٣٨ و ٥٤٠ .

(٤) سبق تفصيل الكلام عليه وعلى أقسام اسم الجنس في الجزء الأول (ص ٢١ م ٢) .

(٥) في ص ٥٣٨ و ٥٤٠ .

يراعى لفظهما مباشرة ، (أى : صيغتهما) وما هما عليه من تأنيث ، أو تذكير ، أو صلاح للأمرين ، ولا يراعى مفردهما إن وجد . ويعرف أمرهما من هذه الناحية بوسائل متعددة ؛ لا بد أن تنتهى إلى استعمال العرب الفصحاء ؛ منها : نوع الضمير العائد على كل منهما : أهو مذكر أم مؤنث ؟ ومنها اسم الإشارة المستعمل مع كلٍّ ؛ أهو مما يستعمل مع المذكر أم مع المؤنث ؟ ومنها النعت ، وكذلك تأنيث الفعل . . . فكل وسيلة من هذه — وأشباهها — صالحة للدلالة على تأنيث اسم الجمع واسم الجنس الجمعى أو تذكيرهما ، أو صلاحيتهما للأمرين على حسب الوارد فى الكلام الصحيح المأثور . فإذا أردنا أن نتيين أمر اسم جمع : « مثل رهط . . . » أهو مذكر أم مؤنث ؛ نرجع إلى الكلام الفصيح ؛ فنجد العرب يقولون — مثلاً — الرهط أقبل ، وهذا الرهط المقبل سيكون له شأن . . . ولا يقولون على الحقيقة الحالية من التأويل والحجاز : الرهط أقبلت ، ولا هذه الرهط المقبلة . . .

ويقولون : كان رهطنا الرواد أسرع الجنود إلى الفداء والتضحية . ولا يقولون : كانت . رهطنا الرائدات . . . أى : أنهم يُذكرُون : « رهطاً » ، من أسماء الجموع . فيتبع هذا تأنيث العدد ، فنقول : ثلاثة من الرهط ^(١) .

وهم يؤنثون من أسماء الجمع : « رَجُلَةٌ » (بمعنى بضعة رجال لا تزيد على عشرة) فيقولون : أقبلت رجلة تكشف المجاهل . . . ويتبع هذا تذكير العدد ، فيقال : ثلاث من رجلة . . . ^(٢) .

وهم — فى أغلب الفصيح — يُذكرُون من أسماء الأجناس الجمعية : « البنان » والكليم » ، فيقولون : بنان مُحَضَّب . ويقول الله تعالى : (إليه يصعدُ الكلمُ الطيب) ، كما يقول : (يُحَرِّفُون الكلمَ عن مواضعه) ويترتب على هذا تأنيث اسم العدد ؛ نحو : خمس من البنان المحضَّب ، وسبع من الكلم الطيب . . .

(١) مع مجيء حرف الجر ؛ « من » ؛ طبقاً لما تقدم فى حكم تمييز العدد الذى معدوده اسم جنس ، أو اسم جمع . . . ص ٥٢٧ .

(٢) ملاحظة : ورد فى بعض المراجع النحوية التثنية بكلمة : « قوم » لاسم الجمع الواجب التذكير . وهذا خطأ ، فقد تكرر تأنيثه فى القرآن الكريم .

.....

وهم - في الأغلب أيضاً - يؤنثون ويدكرون من تلك الأجناس الجمعية : البط والنخل ؛ فيقولون : البط سايح في الماء ، والبط سايحة في الماء . ويقول الله تعالى : (... والنخل باسقات^(١) لها طلع نضيد^(٢)) كما يقول في وصف الريح التي أهلكت عاداً (... تنزعُ الناسَ ، كأنهم أعجازُ نخلٍ منقَعِر^(٣)) . ويترب على هذا صحة التذكير والتأنيث في اسم العدد ؛ نحو : سبع أو سبعة من البط ، وتسع ، أو تسعة من النخل... فشأن هذا شأن المعداد الذي يدل على المذكر وعلى المؤنث حيث يصح معه في اسم العدد مراعاة هذا أو ذاك . . . (٤) .

(١) عاليات . (٢) مُنَسَّق .

(٣) مقطوع من أصله . وأعجاز النخل أصوله . والمراد هنا : النخل نفسه .

(٤) والأحسن في اسم الجنس الجمعي الأخذ بما ارتضيانه في الجزء الأول (ص ٢١ ورقم ٣ من هامشها م ١) ونصه كما في الهامش :

(« هذا النوع الذي يفرق بينه وبين واحده بالبناء المربوطة إذا وصف - وكذلك إن أخبر عنه ، أو عاد عليه ضمير ، أو إشارة - جاز في صفته : إما الإفراد مع التذكير على اعتبار : « اللفظ » لأنه - نس ، أو مع « التأنيث » على تأويل معنى الجماعة ، نحو قوله تعالى : (.. أعجازُ نخلٍ منقَعِر) ، وقوله : (.. أعجازُ نخلٍ خاوية » - وإما جمع الصفة جمع تكسير أو جمع مؤنث سالم ؛ نحو قوله تعالى : « ويُنبِئُ السَّحَابَ الثَّقالَ » ، وقوله : « والنخل باسقات » ... ومثل الصفة الخبر ، والإشارة إليه ، والضمير العائد عليه - كما أسلفنا - .

(« وفي كل ما سبق خلاف أشار إليه « الصبان » في باب : « العدد » ، وقد تغيرنا أقوى الأوجه . ويؤيد ما تخبرناه ما جاء في « المصباح المنير - مادة : النخل » ، ونصه الحرفي : (« النخل اسم جمع - كذا يقول - الواحدة : « نخلة » . وكل جمع بينه وبين واحده الهاء - يريد تاء التأنيث المربوطة - قال : ابن السكيت : فأهل الحجاز يؤنثون أكثره ؛ فيقولون : هي التمر ، وهي البر ، وهي النخل ، وهي البقر ... ، وأهل نجد وتميم يُدكرون . فيقولون : نخل كريم ، وكريمة ، وكرائم . وفي التنزيل : « نخل منقر » - « نخل خاوية » ، وأما النخيل بالياء فؤنثة . قال أبو حاتم : لا اختلاف في ذلك ») . اهـ كلام المصباح .

(« لكن يتضح من أمثلة النص أن أهل نجد وتميم لا يقتصرون على التذكير وإنما يؤنثون أيضاً . ويلاحظ أنه جعل « النخل » اسم جمع ، فكيف يتفق أنه اسم جمع مع قوله السابق إن « الواحدة نخلة » ؟ فهل يريد اسم جنس جمعي ؟

ويشترط لتطبيق الحكم السالف الخاص باسم الجنس الجمعي ، واسم الجمع في صورهما المختلفة ألا يتوسط بين المعدود واسم العدد نعت يدل على التأنيث فقط ، أو على التذكير فقط ، فإن توسط هذا النعت وجب مراعاة المعنى الذى يقتضيه . ويدل عليه ، فسيُذكر اسم العدد أو يؤنث تبعاً له ؛ نحو : فى الماء خمس "إناث" (١) من البط . وعلى مقربة منها خمسة ذكور (١) من البط أيضاً .

ولو تأخر هذا النعت عن المعدود ، أو توسط وكان لفظه مع توسطه مما يصلح نعتاً للمذكر والمؤنث ؛ — ككلمة : حسان ؛ مثلاً — لم يكن له أثر فى تأنيث العدد ، وتذكيره ؛ فوجود النعت بصورتيه من هذه الناحية كلا وجود . فنقول : فى الماء خمسة من البط إناث — أو خمس من البط إناث . وخمس من البط ذكور ، أو خمسة من البط ذكور . كما نقول خمسة حسان من البط ، أو خمس حسان من البط . لأن لفظ : « حسان » المتوسط يصلح نعتاً للمذكر والمؤنث ؛ فيقال : رجال حسان ، ونساء حسان .

(د) يشترط لتطبيق الحكم العام المتعلق بتأنيث الأعداد المفردة السالفة (٣ ، ١٠ وما بينهما) وتذكيرها — أن يكون المعدود المفرد مذكوراً ومتأخراً عن اسم العدد ، — كما عرفنا (٢) — ولها تين الحالتين صور ؛ منها : أن يكون المعدود محذوفاً مع ملاحظته فى المعنى وتعلق الغرض به ؛ فيصح فى اسم العدد التذكير والتأنيث ؛ نحو : (ثلاث من كُن فيه فهو منافق أثيم ؛ الحيانة ، وخاف الوعد ، والكذب) ، فيصح فى اسم العدد هنا : التذكير والتأنيث ؛ فيقال : ثلاث ، أو ثلاثة ؛ إما على اعتبار أن المعدود المحذوف متقدم فى الأصل على العدد ،

وما يؤيد ما تغيرناه أولاً ما جاء فى كتاب : « بصائر ذوى التمييز » تأليف : الفيروز ابادى صاحب : « القاموس المحيط » فى البصرة ٥١ ص ٢٧٧ — ونصه عند الكلام على كلمة : « بنيان » : « (البنيان : واحد لا جمع له . وقال بعضهم : جمع واحدته : « بنيانة » على حد : « نخل ونخلة » . وهذا النحو من الجمع يصح تذكيره وتأنيثه) » ٥١ .

(وهناك مواضع أخرى للاختلاف أشرنا إليها فى الجزء الأول ص ٢٣٩ و ٢٨٩ و ٤١٤) . . . انتهى المنقول من الجزء الأول من النحو الوافى .

(١٠١) إناث وذكور ، نعتان ، مؤولان بالمشتق ؛ أى : مذكرة مؤنثة .

(٢) فى ص ٥٣٧ .

— والأصل : صفات ثلاث^(١) . ويعرب المعدود المحذوف على حسب حاجة الجملة . ويعرب اسم العدد بعده نعتاً^(٢) في الغالب حين يكون المحذوف مذكوراً ، فإذا حذف حلّ النعت محله في إعرابه ؛ فصار مبتدأ ، أو خبراً ، أو غير ذلك مما كان يؤديه المعدود المحذوف . . . — وإمّا على اعتبار المعدود المحذوف متأخراً في الأصل على العدد ، والأصل هو : ثلاث صفات ؛ وهذا الاعتبار يقضى بتطبيق الحكم الخاص بتذكير العدد أو تأنيثه حين يكون المعدود مذكوراً ومتأخراً عنه .

فإن كان المعدود المحذوف غير ملاحظ في التقدير مطلقاً ، ولا يتعلق الغرض به بتأنيثاً . وإنما المقصود هو ذكر اسم العدد المجرد فالأصح في هذه الصورة تأنيث العدد بالتاء على اعتباره علم جنس مؤنثاً ؛ ويمنع من الصرف ولا تدخل عليه « أل » المعرفة — في الأرجح — ؛ نحو : ثلاثة نصف ستة ، وأربعة نصف ثمانية . . . فالعدد في المثالين — وأشباههما — علم جنس ، مؤنث ، ممنوع من الصرف ، لا تلحقه — في الأرجح — « أل » المعرفة ، كما قلنا ؛ لأنها لا تدخل على المعارف . وقد تدخل عليه « أل » التي للمح الأصل ؛ وهو : الوصفية العارضة ، كما دخلت في كلمة : إلهة ؛ علم للشمس ، وكلمة : شعوب ، علم للمنية ، فقالوا فيهما الإلهة ، والشعوب .

(هـ) إن^(٣) كان المعدود صفة نائية عن الموصوف (المحذوف) اعتبر حال الموصوف (المحذوف) لا حال الصفة ، قال الله تعالى : (. . . فله عشر أمثاله) ، مع أن المثل مذكر ؛ إذ المراد بالأمثال : « الحسنات » . أى : عشر حسنات أمثالها .

(١) سبق (في رقم ٥ من هامش ص ٥٢٨) أنه لا مانع في هذه الحالة من إعرابه « بدلاً أو عطف بيان » إن كان المعنى عليهما . ولا مانع هنا من عدم مطابقة النعت للمنعوت في التذكير والتأنيث ؛ لأن هذه الصورة مما يجوز فيه المطابقة وعددها ، فيجوز فيها أن يكون المعدود المحذوف مذكراً واسم العدد مؤنثاً ، ويجوز العكس ؛ كما يجوز المطابقة ؛ وهى الأحسن عند إمكانها ، لموافقها القاعدة العامة في حكم النعت الحقيقي أما عدم المطابقة فسائرة لمخالفة العدد للمعدود .

وأشرنا في المرجع المذكور إلى ما سبق في الجزء الثالث (باب : « النعت » م ١١٤ عند تقسيم النعت باعتبار لفظه) إلى الألفاظ الجامدة التي يصح وقوعها نعتاً ، ومنها : « لفظ العدد » ، وتفصيل الكلام عليه .

(٢) ما يأتي منقول من رقم ١ من هامش ص ١٤٩ ج ٢ من كتاب ؛ المقضب ، للمبرد — باب نعم وبئس — ونقله محققه أيضاً من شرح الكافية للرضي (ج ٢ ص ١٣٩) ومن كتاب سيبويه (ج ٢ ص ١٧٥) .

الثاني : تأنيث الأعداد المركبة وتذكيرها :

سبق أنّ الأعداد المركبة^(١) تنحصر في : (أحدَ عشرَ ، وتسعةَ عشرَ ، وما بينهما ، وما يلحق بهما من كلمة : بضعَ وبِضْعَة) وأنها سميت مركبة لتركبها من جزأين امتزجاً واتّصلاً حتى صارا بمنزلة كلمة واحدة ؛ تؤدي معنى جديداً لا يؤديه واحد منهما منفرداً . والجزء الأول منهما يسمى : « صدر المركب » أو : النِّسْف (وهو يشمل ١ و ٩ وما بينهما ، وما ألحق بهما) والجزء الثاني يسمى : « عجز المركب أو : العقد » ، ويقتصر على كلمة : « عشرة » . ولابد للمركبات من تمييز يكون مفرداً منصوباً ، وتعرب مبنية على فتح الجزأين في كل أحوالها^(٢) - في محل رفع ، أو نصب ، أو جر - على حسب الجملة . ما عدا « اثنين واثنتين » ؛ فيعربان إعراب المثني ، وما عدا عجز المركب المضاف وحده^(٣) . . .

أما حكم الأعداد المركبة - وملحقاتها - من ناحية التأنيث والتذكير فيتلخص : في أن عجزها (وهو : عشرة) يطابق المعدود دائماً ، أى : يسايره في تذكيره وتأنيثه بغير تخالف . وأن صدرها : إن كان لفظه كلمة : « أحد ، أو اثنين . أو اثنتي ... » يجب مطابقته للمعدود وإن كان : « ثلاثة وتسعة » وما بينهما - وملحقاتها - وجب مخالفته للمعدود ؛ كمخالفته له وهو مفرد (أى : مضاف) فالأعداد « ثلاثة وتسعة » وما بينهما - وكذا الملحقات - يجب مخالفتها للمعدود في التذكير والتأنيث ؛ سواء أكانت تلك الأعداد مفردة أم مركبة^(٣) . . . ومن الأمثلة : دخلتُ حديقة بها

(١) في ص ٥٢٠ .

(٢ و ٢) مع ملاحظة ما سبقت الإشارة إليه في الصورة الثانية من ص ٥٢٠ - وهو : أن المركب المزجي العددي - غير ١٢ - يصح بناؤه على فتح الجزأين في جميع حالاته ولو كان مضافاً - مسايرة لأشهر اللغات - كما يصح إعراب عجزه على حسب حالة الجملة مع ترك صدره مفتوحاً في كل الصور ؛ فكان الجزأين في هذه الصورة كلمة واحدة يجرى الإعراب على آخرها دائماً مع إعرابها على حسب حاجة الجملة وترك صدرها على حاله . - أما غير العددي فقد يكون مبنياً على فتحها أو غير مبني . ومن المزجي العددي . « إحدى عشرة » ، وهي مبنية على فتح الجزأين أيضاً ، ولكن الفتح مقدر على آخر الأولى - (كما سيجيء في هامش ص ٥٥١ ، وكما سبق في رقم ٧ من هامش ص ٥٢٠) .

(٣) العدد : « ثمانية » عند تركيبه مع العشرة يكون - من ناحية تذكيره وتأنيثه - كحاله قبل التركيب - وقد سبق في ص ٥٣٧ - أنه يؤنث بالتاء مع إثبات الياء إن كان المعدود مذكراً ؛ نحو : ثمانية عشر رجلاً ، ويجرد من التاء إن كان المعدود مؤنثاً . نحو : ثمانية عشرة سيدة . وفي هذه الحالة التي يتجرد فيها من التاء مع تركيبه يجوز فيه أربع لغات ، إثبات الياء ساكنة أو مفتوحة ، وحذفها مع فتح =

أحدَ عشرَ رجلاً - زرعت إحدى عشرة شجرة - الشهور اثنا عشر شهراً - سنوات الدراسة نحو : اثنتي عشرة سنة - اشترك في المسرحية ثمانية عشر رجلاً وأربع عشرة فتاة . . . وهكذا^(١) . . .

وإن كان للعدد المركب تمييزان : أحدهما مذكر عاقل ، والآخر مؤنث - عاقل أو غير عاقل - كان الاعتبار للمذكر العاقل مطلقاً^(٢) ؛ فيجب تأنيث صدر العدد المركب ؛ مراعاة للتمييز المذكور ولو كان متأخراً ، بشرط أن يكون من نوع العقلاء ؛ نحو : هاجر أربعة عشر رجلاً وفتاة ، أو : هاجر أربعة عشر فتاة ورجلاً . فإن لم يكن أحدهما من العقلاء روعي السابق منهما^(٣) ، نحو : في الحديقة خمس عشرة عصفورة وبلبل ، أو خمسة عشر بلبلًا وعصفورة . وهذا بشرط ألا يفصل بين العدد والتمييز فاصل - هو : كلمة : « بين » . فإن فصل بينهما روعي المؤنث ، نحو الحديقة خمس عشرة ما بين بلبل وعصفورة .

* * *

الثالث : تذكير العقود^(٤) : (٢٠ - ٣٠ - ٤٠ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠) .

هذه العقود ملحقة في إعرابها بجمع المذكر السالم ؛ فلا يصح أن يتصل بلفظها علامة تأنيث ؛ منعاً للتعارض ؛ إذ يلزمها دائماً علامتا جمع المذكر السالم ؛ = انون أو كسرها . وعند إثبات الباء ساكنة يكون الفتح عليها مقدراً ، وعند إثبات النون مكسورة تكون الياء بعدها مخدوفة للتخفيف ، مفتوحة بفتحة ظاهرة ، أو مقدرة .

أما « ثمان » المفردة فقد تقدم الكلام على حكمها في ص ٥٣٧ . مع الأعداد المفردة .
(١) عرض ابن مالك تأنيث الأعداد المركبة وتذكيرها جملة مختلطة بغيرها من الأقسام الأخرى ، وقد سجلنا أبياته في ص ٣٥١ و ٥٣٢ .

(٢) أى : سواء أكان متقدماً أم متأخراً ، مفصلاً بكلمة : « بين » أم غير مفصول . . . ، وهذا الحكم مخالف لنظيره في الأعداد المفردة ، وقد تقدم في ص ٥٣٨ .

(٣) لكن ظاهر هذا الحكم يدل على أن المذكر غير العاقل يراعى أيضاً ولو كان المؤنث عاقلاً . وهنا يقول الصبان - استدراكاً على الأشمونى في حكم العدد المميز بشيئين في التركيب ما نصه : « (إن القياس يقتضى تغليب العاقل ؛ فنقول : أربع عشرة جملاً وآمة ؛ لأن وصف الأنوثة مع العقل أرجح من وصف الذكورة مع عدم العقل - أفاده الدمامي -) » ٥١ . ولعل الأخذ بهذا الرأي هو الأنسب .

(٤) سبق - في ص ٥٢٢ - أنها تعد من أسماء الجموع وليست جمعاً حقيقية ، بالرغم من إلحاقها بجمع المذكر السالم في إعرابه .

سواء أكان معدودها مذكراً أم مؤنثاً ، ومن الأمثلة : أقبل وفد السيّاح ؛ فيه ثلاثون رجلاً وعشرون امرأة ، وسيقضى الوفد أربعين يوماً أو خمسين في الصعيد ؛ حيث ينعم بدفء الشتاء ، ويتمتع بروائع الآثار . . .

ومع أن لفظها اسم جمع ملحق في إعرابه بجمع المذكر السالم — فدلوطا (وهو : المعدود ، أى : التمييز) لا بد أن يكون مفرداً ؛ مذكراً أو مؤنثاً على حسب الحالة .

* * *

الرابع : تأنيث الأعداد المعطوفة وتذكيرها :

الأعداد المعطوفة تستلزم ثلاثة أمور مجتمعة :

١ — أن تكون صيغها مقصورة على ألفاظ العقود .

٢ — أن يكون صيغة المعطوف عليه — وهو النسيّف — مقصورة على لفظ من ألفاظ الأعداد المفردة الأصلية — وملحقاتها — ويتعين أن يكون هذا اللفظ هو : واحد أو تسعة أو عدد محصور بينهما ؛ أو ملحق بهما .

٣ — أن تكون أداة العطف هي : « الواو » دون غيرها إذا كان المراد مطلق الجمع ^(١) . وقد سلفت الأمثلة المختلفة لهذا القسم ^(٢) .

فأما من ناحية تذكيره وتأنيثه ، فالمعطوف — أى : العنقّد — مذكر دائماً ؛ لأن صيغته تعرب إعراب جمع المذكر السالم ، وفيها علاماته ؛ فلا يصح بحى علامة تأنيث معهما ؛ منعاً للتعارض والتناقض — كما سلف .

وأما المعطوف عليه (أى : النسيّف) فإن كانت صيغته هي لفظ : « واحد » أو « اثنين » ، وجب مطابقتها للمعدود في تذكيره وتأنيثه . وإن كانت صيغته هي لفظ : « ثلاثة أو تسعة » أو عدد بينهما ، أو ملحق بهما — وجب مخالفتها للمعدود ؛ فتؤنث حين يكون المعدود مذكراً ، وتذكر حين يكون مؤنثاً . فحكم المعطوف عليه هنا (من ناحية تذكيره وتأنيثه) كحكمه في الأعداد المفردة والمركبة . . ومن الأمثلة : في المتسجر واحد وثلاثون رجلاً وإحدى وعشرون فتاة ، وفي المصنع اثنان

(١) أى : « (إذا أريد وقوعهما دفعة واحدة ، وإلا فلا مانع من أن تقول : قبضت منه ثلاثة وعشرين ، أو : ثم عشرين ، إذا قصد الترتيب مع الفور ، أو التراخي ... — دمايني) » اهـ صبان

وخمسون عاملاً وثلثان وثلثون عاملة . وفيه من الغلمان أربعة وثمانون غلاماً وسبع وثلثون فتاة^(١) . . . ، ومنها قوله عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن مهوم ، أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثا وثلثين مغفرة » .

وإن كان للعدد المعطوف تمييزان أحدهما مذكر عاقل والآخر مؤنث ، وجب مراعاة المذكر العاقل مطلقاً^(٢) ؛ نحو : عندنا خمسة وعشرون طبيباً وطبيبة ، أو : عندنا خمسة وعشرون طبيبة وطبيباً . ومثل : نقلت السيارة خمسة وعشرين حقيبة ورجلاً . . . و . . . ، فإن لم يكن أحدهما من العقلاء روى السابق منهما بشرط ألا يفصل فاصل بين العدد والتمييز ، نحو : قرأت ثلاثة وعشرين كتاباً ومجلة ، أو : ثلاثاً وعشرين مجلة وكتاباً ؛ فإن فصل بينهما فاصل — هو كلمة : بين —^(٣) روى المؤنث ؛ نحو : قرأت ثلاثا وعشرين بين كتاب ومجلة ؛ وما سبق يتبين أن العدد المعطوف والمركب متاثران في هذا الحكم^(٤) .

الخامس : تأنيث الأعداد المفردة ، ذات التمييزين :

إذا كان العدد مضافاً إلى تمييزين روى السابق منهما مطلقاً ؛ أى : سواء أكان المضاف إليه عاقلاً أم غير عاقل : مذكراً أم غير مذكر ؛ نحو : حضر أربعة رجال وفتيات ، وانصرف خمس طالبات وطالبة . ومثل : فى الحجرة سبعة مقاعد ورجال^(٣) . . . و . . .

(١) عرض ابن مالك الأبيات الخاصة بهذا القسم مختلطة بما يخص غيره . وقد عرضناها فى

ص ٥٣١ و ٥٣٢ .

(٢) أى سواء أكان العاقل هو المتقدم أم المتأخر ، مفصلاً بكلمة : « بين » أم غير مفصول

(٣ و ٣) نصّ على هذا : الصبيان

(٤) راجع الصبيان فى هذا الموضع عند الكلام على التنبيه الثالث من شبهات الأشمونى عقب الكلام

على العدد المركب . وقد سبق — فى ص ٥٤٨ — الحكم الخاص المركب من هذه الجهة .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) مؤنث « واحد » و « أحد » الذى بمعناه : وكذا « الحادى » ، هو : « واحدة » ، وإحدى ، وحادية . فنثلاث للمذكر ، وثلاث للمؤنث . وتختلف مواضع استعمال الكلمات الستة . « فالواحد » : يدخل فى قسم الأعداد المفردة كما يدخل فى قسم الأعداد المعطوفة باعتباره هو المعطوف عليه . ولا يدخل فى غيرهما — غالباً . و « الأحد » . يركب مع العشرة ، فيصير : أحدَ عشرَ ، ويقتصر على هذا الاستعمال العدديّ ، فلا يستعمل استعمال الأعداد المفردة ، ولا يكون — فى الفصحح — معطوفاً عليه فى الأعداد المعطوفة ؛ فلا يقال : جاء أحد^(١) ، ولا سافر أحد وعشرون .

و « واحدة » تستعمل عدداً مفرداً ، وتكون أيضاً معطوفاً عليه فى الأعداد المعطوفة ؛ ومن الأمثلة : هذه واحدة ، وهذه واحدة وعشرون . ولا تتركب مع العشرة إلا نادراً لا يقاس عليه

والحادى ، والحادية — يكونان مركبين مع العشرة ، أو معطوفاً عليهما فى الأعداد المعطوفة ؛ نحو : انقضت الليلة الحادية عشرة — أو الحادية والعشرون ، وكذا اليوم الحادى عشرَ ، والحادى والعشرون . ولا يكونان فى غير هذين القسمين .

و « إحدى » تكون — فى الأكثر — مركبة مع العشرة^(٢) ، أو معطوفاً عليها فى الأعداد المعطوفة ، نحو : فى البيت إحدى عشرة غرفة ، أو إحدى وعشرون غرفة . (ومن النادر أن تكون مفردة بنفسها) ،

ويقول اللغويون : إن أصل الحادى والحادية : هو : الواحد والواحدة . نقلت « الواو » إلى آخر الكلمة ، وتأخرت الألف بعد الحاء ، فصارت : « حَادِو » ،

(١) بمعنى : واحد .

(٢) إذا ركبت مع العشرة كانت الكلمتان مبتيتين على فتح الجزأين ، وهذا الفتح مقدر على

آخر « إحدى » ؛ — طبقاً للبيان الذى فى رقم ٧ من هامش ص ٥٢٠ ورقم ٢ من هامش ص ٥٤٧ — .

و «حادِوة» ، ثم قلبت الواو ياء على حسب مقتضيات القواعد الصرفية ؛ فصارت : «حادى ، وحادية» ، (على وزن «عالِيف وعالِفة» . وكلاهما منقوص ، والأول تحذف ياءه عند التنوين ، دون الثانى .

أما العدد: «اثنان» فمؤنثه : اثنتان ، أو ثنيتان . والألفاظ الثلاثة قد تكون مفردة أو مركبة مع عشرة ، أو معطوفاً عليها .

وقد سبق^(١) أن لفظ «واحد» و«اثنين» وفروعهما لا يحتاجان إلى تمييز ، ولكنهما قد يضافان لغرض آخر من أغراض الإضافة — وهو الاستحقاق^(٢) — فلا يسمى المضاف إليه تمييزاً لهما ، لأنه لم يجرى بقصد إزالة الإبهام والغموض عن نوع معدودهما ، فليس شأنه معهما كشأنه مع غيرهما من الأعداد التى تحتاج لتمييز مجرور أو منصوب يجرى لإزالة الإبهام عن العدد قصدًا ، فن الخطأ : واحد رجل ، وواحدة فتاة ، واثنان رجلين ، وثنتان فتاتين ؛ إذ يجب أن نستغنى عن العدد فنقول : حضر رجل ، أو رجلان — حضرت فتاة ، أو فتاتان .

فإن أريد بالمضاف إليه معنى آخر من المعانى التى تجلبها الإضافة — كالاستحقاق — ولا شأن لها بالتمييز ، جاز ؛ نحو : رجل الدنيا وواحدها من يعتمد على نفسه — واحدة البيت نشيطة — لكل إنسان رجلان ، واثنان المقعد عاجزان .. . فإن الغرض من الإضافة فى هذه الأمثلة وأشباهها هو المبالغة ، أو التخصيص ، أو شيء آخر مناسب ، غير إزالة الإبهام .

* * *

(ب) تلخيص ما سبق من تأنيث العدد — بأقسامه المختلفة — وتذكيره ، هو : ١ — أن «الواحد» و«الاثنين» يذكran ويؤنثان تبعاً لمدلولهما ؛ لا فرق فى هذا بين وجودهما فى الأعداد المفردة ، والمركبة ، والمعطوفة .

وأن المائة والألف لا تتغير صيغتهما اللفظية مطلقاً ؛ فالأولى مؤنثة^(٣) دائماً ، والأخرى مذكرة دائماً .

(١) فى ص ٥٢٥ و ٥٣١ .

(٢) الدلالة على أن المضاف إليه يستحق المضاف — كما سبق فى ص ٥٢٧ و ٥٣٣ .

(٣) إلا إذا ألحقت المائة بجمع المذكر السالم وختمت بعلامته .

- ٢ - وأن « ثلاثة » و « تسعة » وما بينهما - وما ألحق بهما - تخالف المعدود دائماً ، سواء أكانت من قسم المفرد ، أم قسم المركب ، أم قسم المعطوف .
- ٣ - وأن « عشرة » المفردة تخالف ، معدودها دائماً ؛ فهي كـثلاثة وتسعة وما بينهما . أما « عشرة » المركبة فتوافق معدودها تذكيراً وتأنيساً . . .

* * *

(ح) بمناسبة الكلام على تذكير العدد وتأنيسه يعرض النحاة للمذكور والمؤنث من أسماء الشهور العربية ، ويقررون : أن جميع أسمائها مذكرة ، إلا جمادى^(١) .

أما ذكر كلمة : « شهر » أو عدم ذكرها قبل تلك الأسماء فقد سبق تفصيله في باب : « الظرف » (ج ٢ م ٧٨) عند الكلام على : أحكام الظرف . ومنه يعلم أن الصحيح جواز تقديم كلمة : « شهر » على كل أسماء الشهور ؛ فيقال : شهر رمضان . . . شهر شوال . . . شهر صفر . . . وهكذا باقى الشهور : مع إعرابها لإعراب المتضايفين غالباً .

المسألة ١٦٦ :

صياغة العدد على وزن : « فاعل »

يصح أن يصاغ من مصدر كل فعل ثلاثي : متصرف ، صيغة على وزن : « فاعل » ؛ لتدل على ذات ، ومعنى معين . وتسمى هذه الصيغة : « اسم فاعل من الثلاثي »^(١) . وكذلك يجوز اشتقاق هذه الصيغة من العدد « اثنين »^(٢) ، أو : « عشرة » ، أو أحد الأعداد التي بينهما — برغم أن كل عدد من هذه الأعداد ليس بمصدر^(٣) — لتحقيق غرض لا يمكن تحقيقه إلا بهذه الصيغة . ولا يستفاد من العدد الجامد الذي سيكون منه الاشتقاق ، فيقال : ثان — ثالث — رابع — خامس — سادس — سابع — ثامن — تاسع — عاشر .

وقد تجيء بعد صيغة : « فاعل » المشتقة من أحد الأعداد السالفة — كلمة : « عشرة » أو غيرها من الأعداد ، فتستفيد منها الصيغة معنى جديداً لا يستفاد إلا بوجودها ؛ فيةال مثلاً : « سَرَر — رابعَ عشرَ — خامسَ عشرَ ... » وهكذا إلى نهاية الأعداد المردّبه ؛ كما يقال : ثالث ثلاثة — رابع خمسة — سادس سبعة وقد يجيء بعد الصيغة المشتقة كلمة معطوفة بالواو ، تدل على عقْد من العقود

(١) سبق الكلام عليه تفصيلاً في ج ٣ ص ١٨٢ م ١٠٢ .

(٢) أما أول الأعداد — هو واحد — فوضوح من أول أمره على وزن : « فاعل » مباشرة ؛ فليس بوصف . وقيل : إنه اسم فاعل من (وَحَدَ ، يَحِدُ ، وَحْدٌ) ؛ أى : انفرد ، فالواحد بمعنى المنفرد ، أى : العدد المنفرد .

وهذا الرأي أنسب ؛ لتكون كلمة « واحد » مسايرة نظائرها ، وتكون القاعدة مطردة .

(٣) الأصل العام في الاشتقاق أن يكون — على الرأي الأرجح — من المصدر . فلاشتقاق من هذه الأعداد مخالف للأصل العام ، ولكنه سماعي يراعى فيه الاختصار على المسموع .

ولم يكن قياسياً لأن هذه الأعداد أسماء أجناس جامدة معنوية . ليست بمصادر ، ولا أفعال لها تشترك معها في أداء معانيها الآتية بعد . ما عدا المعنى الثالث الذي يراد به التحذيل والتصيير (ص ٥٥٧) فله مصادر وأفعال ؛ من المصدر — ومثله اثنان وثنتان — كما سيبيء في رقم ٣ من هامش ص ٥٥٧ .

وقد أباح المجمع اللغوي القاهري الاشتقاق المباشر من الأسماء الجامدة نفسها عند الحاجة — كما أوضحنا هذا تفصيلاً في موضعه عند الكلام على : « الاشتقاق » ، ج ٣ ص ١٤٤ م ٩٨ — .

العددية غير « عشرة » كأن يليها العقد : عشرون ، أو ثلاثون ، أو أربعون . . . أو أخوات هذه العقود ، فيقال : الخامس والعشرون — السادس والثلاثون — السابع والأربعون — الثامنة والستون — التاسعة والسبعون . . . وهكذا . وفيما يلي البيان :

(١) اشتقاق صيغة فاعل من غير أن يليها العِقْد : « عشرة » . ولا غيره من العقود :

١ - قد يكون الغرض من صوغ « فاعل » من أحد الأعداد السالفة بدون أن تذكر بعده كلمة : « عشرة » أو عقد آخر : هو استعماله منفرداً عن الإضافة ؛ ليفيد الاتصاف بمعنى العدد الذي كان أصلاً للاشتقاق . فحين نقول : هذا ثان ، أو ثالث ، أو رابع ، أو خامس . . . يكون المراد : أنه واحد موصوف بهذه الصفة وهى : كونه ثانياً ، أو : ثالثاً ، أو رابعاً ، أو خامساً . . . دون زيادة على هذا المعنى الدال على مرتبة صاحبه بين الأفراد الأخرى . أى على ترتيبه الحسابى بالنسبة لغيره . ؛ فيكون الغرض : المرتبة الثانية ، أو الثالثة ، أو الرابعة . . . (كالباب الثانى - الفصل الثالث - القسم الرابع . . .) ويقال فى المؤنثة : هذه ثانية ، أو ثالثة ، أو رابعة ، أو خامسة . . . على المعنى السالف . المحصور فى الدلالة على الترتيب .

وحكم صيغة : « فاعل » فى الأمثلة السالفة وأشباهاها هو الإعراب بالحركات^(١) على حسب ما يقتضيه الكلام ، مع مطابقة الصيغة فى التذكير والتأنيث لدلوها^(٢) . .

٢ - وقد يكون الغرض من صوغ : « فاعل » استعماله مضافاً إلى العدد الأصلى الذى اشتق منه . للدلالة على أن : « فاعلاً » هذا هو بعض من العدد الأصلى المحدد ،

(١) وتكون الحركات ظاهرة إلا كلمة : « ثان » فتعرب إعراب المنقوص .

(٢) وإلى هذه الحالة يشير ابن مالك بقوله :

وَصُغْ مِنْ اثْنَيْنِ فَمَا فَوْقُ . . . إِلَى عَشِيرَةٍ : « كفَاعِلٍ » مِنْ فَعَلًا - ١٣

أى : صغ وزناً على مثال : « فاعِلٍ » كما تصوغه من الفعل الثلاثى : « فَعَلَ » على أن تكون الصياغة مأخوذة من العدد : « اثنين » ، أو ما « فوقه » إلى : « عشرة » ، (أى : صغ كفَاعِلٍ . . . والكاف هنا اسم بمعنى : مثل ، ثم قال :

وَاخْتِمْهُ فِى التَّأْنِيثِ بِالتَّائِي . ومتى ذَكُرْتَ فَادْكُرْ « فاعلاً » بغير تا - ١٤

يريد : أنت « فاعلاً » بزيادة تاء التأنيث فى آخره حين يكون المعنى على التأنيث . فإن لم يكن المعنى على التأنيث فلا تأت بها .

من غير دلالة على مرتبة ، (أى : على ترتيب) مثل : فلان خامسُ خمسة نهضوا ببلدهم . تريد : أنه بعض جماعة منحصرة في خمسة محددة ، أى : أنه واحد من خمسة لا زيادة عليها ، من غير أن تتعرض لبيان ترتيبه فيها . ومن الأمثلة قوله تعالى عن رسوله الكريم وهجرته : (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ؛ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ^(١) . . .) . وقوله (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . . .) ، فالفرق بين دلالة الصيغة هنا ودلالتها فيما سبق أنها هنا تدل على الاتصاف بمعنى الجزئية من عددها ، أى : الدلالة على أنها فرد منه ، وبعض من كله المحدد المحصور . ولا تدل مع هذا على مرتبة . (ترتيب) أمّا الأولى فتدل على الأمرين : الاتصاف بمعناه . وعلى الترتيب .

وحكم الصيغة هنا : إعرابها بالحركات ^(٢) على حسب حاجة الكلام ، مع مطابقتها لمداولها في التذكير والتأنيث ، ووجوب إضافتها إلى العدد الأصلي الذي اشتقت منه : فتكون هي المضاف ، والعدد الأصلي هو المضاف إليه . (أى من إضافة الجزء إلى كله ؛ مثل يدُ على : وعين محمود) .

وتمتاز صيغة « ثان وثانية » — دون غيرهما لدى فريق من النحاة ^(٣) — بشيء آخر عند استخدامها في الغرض السالف ؛ هو : إعراب العدد الأصلي بعدهما مفعولاً به منصوباً ، فوق صحة إعرابه مضافاً إليه ؛ فيصح أن يقال : كان فلانُ ثَانِي اثْنَيْنِ قَادَا جَيْشَهُمَا لِلنَّصْرِ . بإضافة الصيغة إلى أصلها العددي ، وأن يقال : هل كان فلانُ ثَانِيّاً اثْنَيْنِ . . . ؟ على اعتبار كلمة : « اثْنَيْنِ » مفعولاً به .

ويرى فريق آخر من النحاة أن هذا الحكم ليس مقصوراً على صيغة « ثان وثانية » ، بل تشاركهما فيه بقية الأعداد ، وهذا الرأي حسن لتكون صياغة « فاعل » (المراد منها اسم الفاعل) وإعماله قياسية مطردة .

(١) الاثنان هما : الرسول عليه السلام ، ورفيقه في هجرته أبو بكر رضى الله عنه .

(٢) انظر رقم ١ « من هامش الصفحة السابقة .

(٣) محتجاً بما ورد لهما عن العرب من مصدر صريح ، وأفعال مشتقة منه ، مثل قولهم : ثَنَيْتَ الرجل ، أى : كنت الثانى له . وهذا يجعل صياغتهما مطردة ، ويجعل الصيغة خاضعة لكل أحكام اسم الفاعل القياسى .

بانضمامهم إليهم — أربعة ، ولا يصيرهم خمسة أو غيرها ، ويصير الخمسة بانضمامهم إليهم ستة . لا سبعة ولا غيرها . فهو يجعل العدد الأقل مساوياً للعدد الذى فوقه بدرجة واحدة ؛ إذ يُصَيَّر الثلاثة أربعة . والأربعة خمسة . والخمسة ستة ... كما ذكرنا^(١) . . . وهكذا^(٢) .

وحكم صيغة : « فاعل » هنا : هو إعرابها بالحركات^(٣) على حسب موقعها من الكلام . مع مطابقتها في تذكيرها وتأنيثها لمذلوها ، وجواز إضافتها إلى العدد الذى بعدها — وهو العدد الأقل مباشرة من عددها الأصلي الذى اشتُقَّت منه ، كما في الأمثلة السالفة . ويجوز شىء آخر ، هو : عدم إضافة الصيغة إلى العدد الأقل الذى بعدها . وإنما تنصبه على اعتباره مفعولاً به ؛ (بشرط أن تتحقق شروط إعمال اسم الفاعل ، ومنها : أن تكون الصيغة معتمدة على شىء مما يعتمد عليه حين إعماله ؛ كالنفي ، والاستفهام ، وغيرهما) : فنقول : أعْثَانُ ثَلَاثُ اثْنَيْنِ ، وعلى رَابِعٍ ثَلَاثَةٌ ؟ بنصب : اثْنَيْنِ ، وثَلَاثَةٍ ، على أنهما مفعولين لصيغة « فاعل » قبلهما .

بقيت الإشارة إلى ما ارتضوه في مثل : : ثانى واحد ؛ فقد قَالُوا : لا مانع — في الرأى الأحسن — من قبول هذا التركيب .

ويجب التنبيه إلى أن كل معنى من الثلاث السالفة يخالف الآخر ؛ فلا يصح إغفال هذا عند اختيار واحد منها ، ليراعى في اختياره مناسبته للسياق .

* * *

(ب) اشتقاق صيغة : « فاعل » وتليها كلمة « عشرة » ، ظاهرة أو ملحوظة :

١ — إذا قلنا هذا اليوم الحادى عشر من الشهر ، وهذه الليلة الرابعة عشرة

(١) راجع بيان هذا في باب اسم الفاعل ج ٣ ص ١٨٢ م ١٠٢ .

(٢) وفي هذا يقول ابن مالك :

وإن تُرِدْ جَعَلَ الْأَقْلُ . مثلَ ما فوقُ ، فحُكِمَ جَاعِلٍ له اخْكُمَا - ١٦

يريد : إذ أردت أن يكون العدد الأقل مساوياً لما فوقه بدرجة واحدة فاحكم له بحكم : « جاعل » ويقصد « بجاعل » اسم الفاعل من الفعل : « جعل » الذى يفيد التصيير والتحويل حيث يصح أن ينصب بعده المفعول به ما دام شرط إعماله متحققاً .

(٣) مع ملاحظة ما تختص به كلمة : « ثان » وهو أنها كالمقوص .

منه ، واقتصرنا في كل حالة على عدد مركب واحد لا يليه مباشرة عدد آخر — فقد يكون المراد من اشتقاق صيغة « فاعل » من العدد الذي بمعناها وزيادة كلمة : « عشرة » بعدها — هو إفادة الاتصاف بمعنى العدد مقيداً بملازمة العشرة ؛ للدلالة على المرتبة (الترتيب) فليس المراد إفادة الاتصاف المطلق بمعنى الصيغة ، وإنما المراد أنه واحد أو رابع . . . أو . . . موصوف بهذه الصفة ، (وهى : كونه واحداً . . . ورابعاً . .) مع تقييد هذا الوصف بأنه مرتبط بالعشرة ، ومنسوب إليها ، ارتباط زيادة عليها وانضمام إليها ، فهو واحد مزيد على العشرة ، أو رابع مزيد عليها ، أو غيره مما يوضح ترتيبه . . . ومثل هذا يقال في : ثانى عشر ، وثالث عشر ، وخامس عشر ، وتسع عشر ، وما بينها . . .

وحكم هذا النوع المقتصر على عدد مركب واحد هو : وجوب فتح الجزأين معاً (وهما : فاعل ، وعشرة) في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حاجة الجملة ، مع مطابقة الجزأين معاً ، لمدلولهما تذكيراً وتأنيساً . ومن الأمثلة : هذا هو الكتاب السابع عشر ، وهذه هى المذكرة السابعة عشرة — إن الكتاب السابع عشر نفيس ، وإن المذكرة السابعة عشرة نفيسة — سأحرص على الكتاب السابع عشر ، وعلى المذكرة السابعة عشرة . فكل من السابع عشر ، والسابعة عشرة ، مبنى على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر . على حسب موقعه من الجملة ، وكل منهما مذكر أو مؤنث طبقاً لمدلوله .

٢ — وقد يكون المراد من صوغ « فاعل » وبعده كلمة : « عشرة » هو الدلالة على أنه فرد من العدد الأصيل الذى صيغ منه . وأن « فاعلاً » هذا بعض جماعة منحصرة في العدد الأصيل ، وواحد من تلك الجماعة المحددة العدد .

ولتحقيق هذا الغرض يصاغ « فاعل » وبعده كلمة : « عشرة » بصور متعددة ، منها : هذا خامس عشر خمسة عشر ، فنجىء بصيغة « فاعل » وبعدها كلمة « عشر » مبنيتين معاً على الفتح ، ونجىء بعدهما بالعدد الأصيل (وهو خمسة) الذى اشتقت منه الصيغة ، وبعده كلمة : « عشرة » أيضاً . والجزءان الأخيران مبنيان على الفتح ، كالأولين . فعندنا مركبان عدديان ، كل منهما مبنى على فتح الجزأين . فأما المركب الأول منهما فبنى على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ؛

على حسب حاجة الجملة . ثم هو — مع بنائه على فتح الجزأين — مضاف ، والمركب الثانى كله (ماعدا : اثنى عشر ، واثنى عشر)^(١) هو : المضاف إليه ، مبنى على فتح الجزأين فى محل جر ، ويجرى على صيغة « فاعل » من التذكير والتأنيث ما تطابق به مدلولها ، وهذه المطابقة لا توجد إلا فى صدر المركب الأول . وتطابقها فى الحالتين كلمة : « عشر » التى هى عجز المركب الأول .

أما صدر المركب الثانى فيجرب عليه فى التذكير والتأنيث ما يجرى على الأعداد المفردة ، وأما عجزه (وهو : عشر) فيطابق المعدود فى التذكير والتأنيث . ومثل هذا يقال فى حادى عشر — أحد عشر — وثانى عشر — اثنى عشر^(٢) ، وثالث عشر — ثلاثة عشر ... إلى تاسع عشر — تسعة عشر .

ومن أمثلة الصور المتعددة التى أشرنا إليها : (هذا خامس ... خمسة عشر) بذكر صيغة « فاعل » وحدها دون ذكر كلمة : « عشرة » بعدها ؛ استغناء عنها بذكرها فى المركب الثانى الذى صدره العدد الأصلى الذى اشتقت منه الصيغة ، وعجزه هو كلمة « عشرة » . فهذه الصورة مشتملة على صيغة فاعل وحدها وعلى مركب كامل بعدها ، فعندنا صدر التركيب الأول دون عجزه ، ويليه الثانى كاملاً . وهذه الصورة أكثر من غيرها استعمالاً ، وتقوم على ثلاث كلمات ...

فأما صدر التركيب الأول فيها فيعرب على حسب حاجة الكلام ؛ ولا يصح بناؤه ؛ إذ لا مقتضى للبناء بعد زوال التركيب . والصيغة هنا — وهى : فاعل — مطابقة فى التذكير والتأنيث لمدلولها . وهى أيضاً مضاف ، والتركيب الثانى — كاملاً — مضاف إليه ، مبنى على فتح الجزأين فى محل جر ...^(٣)

(١) فإن صدرهما وحده هو المضاف إليه . وليس بمبنى ، بل يعرب بإعراب المثنى ... أما عجزهما ، فيقال فى إعرابه إنه بدل النون التى تكون فى المثنى الذى ليس بعدد (انظر ص ٥٢١) .

(٢) تقدم فى رقم ١ ما يرشد إلى إعراب اثنى عشر ، واثنى عشر .

(٣) وفى هذه الصورة والتى قبلها يقول ابن مالك :

وإن أردت مثل ثانى اثنين مركباً فجئ بتركيبتين - ١٧
وهذا خاص بالصورة الأولى . أما التى تليها فقال فيها بعد البيت السابق مباشرة :

ومن أمثلة الصور المتعددة أيضاً : هذا خامس عشر ، بذكر صيغة « فاعل » وحدها ، دون كلمة : « عشرة » التي تصاحبها عند التركيب ، ودون ذكر العدد الأصلي الذي يكون منه الاشتقاق ؛ فالمركب الأول حذف عنجزه ، والمركب الثاني حذف صدره ؛ فزال من كل مركب جزء ، وبقي جزء .

وصيغة « فاعل » هنا مطابقة لمداولها تأنيثاً وتذكيراً . والأحسن إعرابها على حسب حاجة الجملة ؛ فتكون في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، وهي - في الوقت نفسه - مضاف والجزء الباقي من المركب الثاني (أى : العِقد « عشر ») . مضاف إليه مجرور . ومن الناحية من يميز في هذه الصورة إعراب « فاعل » على حسب العوامل - كما سبق ؛ لزوال تركيبه - مع اعتباره مضافاً . واعتبار كلمة : « عشرة » هي المضاف إليه مع بنائها على الفتح في محل جر ، بتقدير ملاحظة صدرها المحذوف ، واعتباره كالموجود^(١) وهذا شاذ لا يقاس عليه .

٣ - وقد يكون المراد من صوغ : « فاعل » وبعده « عشرة » استعماله مع العدد الأقل - مباشرة - من العدد الأصلي الذي اشتقت منه الصيغة ؛ ليفيد معنى التصيير والتحويل - فنقول : هذا رابعَ عشرَ ثلاثةَ عشرَ ، وهذه خامسةَ عشرةَ أربعَ عشرةَ . . . فهنا أربعة ألفاظ يتألف منها مركبان عدديان ، والمركب الأول منهما مبنى على فتح الجزأين في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ؛

= أو فاعلاً بحالتيه أَضِفَ إِلَى مُرَكَّبٍ . بِنَمَا تَنْوِي يَفٍ - ١٨
(يَفٍ ، وأصلها : يَفِي - مضارع مجزوم بحذف الياء في جواب الأمر : أضف) .

التقدير : أضف فاعلاً بحالتيه - وهما : حالة التذكير والتأنيث - إلى المركب الثاني كاملاً بعد حذف كلمة : « عشرة » من المركب الأول . ويفهم من هذا أن المركب الثاني في محل جرمضاف إليه (١) وفي هذه الصورة الأخيرة بحالتيها يقول ابن مالك بعد البيت السالف :

وشاع الاستغناء بحادى عشرًا ونحوه - ١٩

المراد بنحو : « حادى عشر » ثاني عشر ، وثالث عشر ، إلى تسعة عشر . والاستغناء الذي يريده هو ما أوضحناه من حذف العِقد من التركيب الأول ، مع حذف النِّسْف من التركيب الثاني ، فينتهي الأمر ببقاء جزأين . وفي إعرابهما الوجهان اللذان شرحناهما . والثاني منهما شاذ لا يقاس عليه . أما بقية البيت فتتعلق بحكم آخر .

على حسب حاجة الجملة ، وهو في حالاته الثلاث مضاف ، والمركب الثاني مبنى على الفتح دائماً في محل جر ، مضاف إليه .

وبالرغم من أن صيغة : « فاعل » في هذا الأسلوب هي اسم فاعل ؛ بمعنى جاعل كذا ؛ أى : أنها تفيد التحويل والتصيير ، وكان حقها أن تنصب الاسم بعدها جوازاً على أنه مفعول به لها ، أو تجرّه على أنه مضاف إليه - على الرغم من هذا لا يصح أن تنصب مفعولاً به هنا ، لأن اسم الفاعل الذى ينصب المفعول به لابد أن يكون منوناً أو مبدوءاً بأل . والأمران ممنعان هنا ؛ إذ العدد المركب لا يُنون ، وهو هنا مضاف فلا تدخله « أل » مع إضافته .

والنحاة يقررون أن هذه الصورة لم يسمع لها نظير في كلام العرب . وأكثرهم يمنع استعمالها لهذا ؛ إلا أن سيبويه وبعض النحاة يجيزونها ، ويرون في إجازتها توسعة وتيسيراً .

ويتبين مما سبق أن الغرض العام من صوغ « فاعل » ، في الأعداد المركبة هو الغرض العام من صوغه من الأعداد المفردة ، وأن كل معنى من الثلاثة يخالف الآخر ؛ فلا يصح استعمال واحد مكان غيره ؛ وإلا كان خلطاً معيباً .

* * *

(ح) اشتقاق صيغة « فاعل » وبعدها العقد : « عشرون » ، أو عقد آخر من العقود التي بعد العشرين :

يصح اشتقاق صيغة « فاعل » من أحد الأعداد المفردة المحصورة في واحد وتسعة وما بينهما ، ويُذكر بعد الصيغة «العقد» معطوفاً عليها بالواو خاصة^(١) ؛ نحو: الواحد والعشرون ، والحادى والعشرون ، والواحدة والعشرون ، والحادية والعشرون . . . والثانى والثلاثون ، والثانية والثلاثون . . . ، والرابع والخمسون ، والرابعة والخمسون . . . وهكذا^(٢) . . .

وحكم هذا النوع وجوب تقديم الصيغة ، وهى المعطوف عليها (أى :

(١) انظر البيان الخالص لهذا ، والتقييد المفيد ، في رقم ١ من هامش ص ٥٤٩ .

(٢) والاشتقاق في هذه الصورة يكون من اسم العدد نفسه ، فهو اشتقاق من اسم جنس معنوى ليس

بمصدر . ما عدا اثنين كما تقدم في رقم ٣ من هامش ص ٥٥٤ .

التَّيَّيْفُ) . وتأخير المعطوف . وهو : « العنقد » . وأن يكون العاطف هو الواو دون غيرها^(١) . والمعطوف عليه يطابق مدلوله في تكثيره وتأنيثه ؛ ويعرب بالحركات^(٢) على حسب حاجة الجملة ، والمعطوف يتبعه في إعرابه ، فيكون مثله مرفوعاً ، أو منصوباً . أو مجروراً . ولكنه معرب بالحروف كجمع المذكر السالم ، ولا يعرب بالحركات كالمعطوف^(٣)

وإذا كان من الخطأ استعمال عاطف غير الواو^(١) ، فمن الخطأ أيضاً حذفها ؛ فلا يصح مثل : حادى عشرين . أو ثانى عشرين . أو ثالث أربعين
أما الغرض المعنوى من هذه الصياغة فهو الغرض من صياغتها من الأعداد المنفردة التى تليها كلمة : « عشرة » . ولا يصح الخلط بين غرض وآخر عند الاستعمال .

(١ و ١) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٤٩ حيث التفصيل المفيد .

(٢) مع إعراب كلمة : « ثان » إعراب المنقوص .

(٣) وفي هذه الصورة يقول ابن مالك فى آخر بيت سبق فى ص ٥٦١ لمناسبة أخرى ، والبيت هو :

(وشاعَ الاستغناء بحادى عشرا ونحوه) وقبل عشرين اذْ كُرا - : ١٩
الذى يعيننا هو الجملة الأخيرة منه : ونصها : وقبل عشرين اذكر وبعدها بيت يسم المراد ، ونصه :

وبابه الفاعِلَ من لفظ العدْدُ بحالتيه قبل واوٍ يُعْتَمَدُ - ٢٠
(واو يعتمد : أى : حرف واو يعتمد فى العطف دون غيره من أخواته) .

والتقدير : واذكر قبل عشرين وبابه - وهو باقى العقود التى بعده - صيغة فاعل بحالتيه من التكثير أو التأنيث على حسب مدلوله ، بشرط أن يكون متقدماً على واو العطف ، وليلها المقد المعطوف .

المسألة ١٦٧ :

التأريخ^(١) بالليالي والأيام

التأريخ : تقييد الحوادث والأمور الجارية ، بزمان معين مشهور ، بحيث ترتبط به ، وتنسب إليه ؛ سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت وتحققت في زمن آخر .

وهو ضروري لضبط شئون الفرد : وتنظيم حياته الخاصة والعامة : وضروري كذلك لضبط شئون الجماعات (دُولاً وأممًا) وما يكون بينها من معاملات ، ومنذ وجد الإنسان وهو يستعين بالتأريخ وحوادثه ؛ ليرشده ، ويذكره ، ويعينه على كشف أكثر الحقائق والوفائع التي ينبغي الاهتمام إلى زمنها ، ونتائجها . ولكل فرد طريقته التي يختارها لنفسه خاصة ، ويراهم أنسب له ، وأكثر ملاءمة . غير أن الجماعات قد اتفقت كلمتها على أن تختار كل منها مبدأ زمنيّاً تؤرخ به شئونها العامة . ويرجع إليه أفرادها في شئونها المشتركة بينهم ، ولكل فرد بعد ذلك أن يرجع إليه أو إلى غيره في شئونه الخاصة به . والعرب من هؤلاء ؛ فقد اختاروا بعد الإسلام - مآث الهجرة مبدأ زمنيّاً لتسجيل الحوادث وتاريخها . وسموا هذا المبدأ : « التأريخ الهجري »^(٢) وساروا فيه على أسلوب مأثور عنهم ؛ فإذا وقع حادثٌ مما سجلوه بطريقتهم قولاً أو كتابة : وأرخوه بالليالي لسبقها في

(١) يقال : التأريخ - بالهمزة - والتاريخ بدونها ، كما يقال أيضاً : التورخ ، وهذا مصدر الفعل : ورَّخ . تورخاً ، أما الأولان فصدران لأرَّخ . ويُعرفه صاحب الجمع (ج ٢ ص ١٥٢) بأنه : « (عدد الأيام والليالي بالنظر إلى ما مضى من السنة ، والشهر ، وما بقى) » .

(٢) يقول الصبان في آخر باب العدد ، ما نصه : (كانت العرب تؤرخ بالخصب ، وبالعامل (أى : الوالى الحاكم عليهم) وبالأمر المشهور . ولم يزلوا كذلك حتى فتح عمر بلاد العجم ؛ فذكر له أمر التأريخ - وكان شائعاً عند الفرس ، فاستحسنه هو وغيره . ثم اختلفوا (في بدئه) فقال بعضهم : من البعثة . وقال قوم : من وفاة الرسول . ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم اختلفوا بأى شهر يبدؤون ؟ فقال بعضهم : رمضان ، وبعضهم : رجب ، وبعضهم : ذى الحجة . ثم أجمعوا على الحرم ، لأنه شهر حرام ، ومنصرف الناس من الحج . فرأس التأريخ قبل الهجرة بشهرين . واثنى عشرة ليلة ؛ لأن قدومه عليه السلام المدينة كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وقيل : المؤرخ بالهجرة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما بسط ذلك السيوطي ، في كتابه « التماريح » في علم التاريخ) . اهـ .

حسابهم ؛ إذ الشهور المعتمدة عندهم قمرية ، وأول الشهر القمري ليلة ، وآخره نهار ، فإذا أراد أحدهم أن يؤرخ للحادث الذى وقع في أول الشهر الهجرى - ككتابة رسالة ، مثلاً - قال : كُتِبَتْ لأول ليلة منه ، (أى ؛ في أول ليلة) أو لِعُرَّتِهِ ، أو مُسْتَهْلَكِهِ . فإذا انتهت الليلة الأولى قال : كُتِبَتْ لليلة خلت ، ثم ليلتين خلتا ، ثم لثلاث خلتون ... إلى أن تنتهى عشريال ثم يقول : لإحدى عشرة خلت ، أو لاثنتى عشرة ... إلى أن تجيء ليلة النصف فيقول : كُتِبَتْ للنصف منه ، أو لمنتصفه ، أو لانتصافه . ويصح أن يقول : لخمس عشرة خلت ، أو بَقِيَتْ ، (أى : عند خمس عشرة) والأول أكثر شيوعاً في كلام الفصحاء . ثم لأربع عشرة بقيت ، إلى أول العشرين فيقول : لعشْرَ بَقِيَيْنَ ، أو لثمان بقين ... وهكذا إلى أن تبقى ليلة واحدة فيقول : لليلة بقيت ، أو لسرَّارِهِ ، أو سرَّره . فإن مضت وبقي نهار اليوم الأخير فإنه يقول : كُتِبَتْ لآخر يوم منه ، أو لسلَّخِهِ أو انسلاحه . وقد يستعمل السَّالِخُ والانسلاخ لليلة الأخيرة أيضاً . وإذا قال : لآخر ليلة منه أو آخر يوم منه كان هذا دليلاً على أن الشهر القمري كاملاً ؛ أى : ثلاثين يوماً ، وليس من الشهور التى تنقص .

هذا ويصح وضع تاء التانيث مكان نون النسوة والعكس في كل موضع يراد فيه التحدث عن عدد مدلوله جمع لا يعقل ؛ بأن يكون المعداد ثلاثة أو أكثر مما لا يعقل . ولكن اتباع الوضع الذى سردناه أفضل ^(١) .

(١) سبب الأفضلية أن أكثر المسموع يكون بنون النسوة مع الثلاث والعشر ، وما بينهما إذا كان المعداد دالا على جمع مؤنث لا يعقل ؛ فيقال : ثلاث خلتون ، أو أربع خلون . وهكذا إلى عشر خلون . أما ما زاد على العشر إلى خمسة عشر فيقال فيه : خلت . وكل ما سبق فعلى سبيل الأولوية ، وبغير ملاحظتها يصح وضع تاء التانيث مكان النون . على أن تفضيل نون النسوة على الوجه السالف في الأساليب العددية هو الذى يسائر مجيئها في جمع التكسير الدال على القلة ، كما أن مجيء تاء التانيث فيها زاد على العشر هو الذى يلائم مجيئها في جمع التكسير الدال على الكثرة ؛ فالمعروف لغة أن نون النسوة أنسب مع جمع القلة للمؤنث الذى لا يعقل ؛ نحو : رأيت أذرعاً امتددن في الهواء ، وهذا أفضل من : امتدت . كما أن المعروف أن تاء التانيث أنسب في جمع التكسير الدال على الكثرة للمؤنث غير العاقل ؛ نحو : للوالد أياذ غمرت أبنائه ، وهذا أفضل من غمرن . فانطبق حكم كل جمع للتكسير على العدد الذى يدل دلالته على القلة أو الكثرة ؛ فالعدد ثلاثة وعشرة وما بينهما يدل على القلة فالأنسب له نون النسوة . وهى - فوق ذلك - ملائمة لتمييزه الذى يكون فى الأغلب جمعاً . والعدد المركب يدل على الكثرة فالأنسب له تاء التانيث فى هذا =

وبهذه المناسبة نشير إلى ما سبق^(١) بيانه من بعض الاستعمالات التي تتصل
بما نحن فيه . والتي يؤثر فيها العرب الجانب التأنيث على التذكير ، ويُسْغَلِبون فيها
المؤنث على المذكر ؛ فلها نوع اتصال بما هنا^(٢) . . .

* * *

تعريف العدد وتنكيره :

سبق الكلام عليه وافيّاً في (ج ١ ص ٤٣٨ م ٣٢ وله موجز في ج ٣ م ٩٣
ص ١٢ و ١٤ - باب الإضافة) .

* * *

قراءة الأعداد المعطوفة على العقود المختلفة :

المراد من العقود هنا (٢٠ - ٣٠ - ٤٠ - ٥٠ - ٦٠ - ٧٠ - ٨٠ - ٩٠) ،
وكذلك (١٠٠ و ١٠٠٠ ومضاعفاتهما) . فكيف نقرأ الأعداد الحسابية التالية
قراءة عربية صحيحة ؟ وهي ٢٣ - ٣٤ - ٤٥ - ٥٦ و . . . و . . . وغيرها
من باقى الأعداد المعطوفة المحصورة بين عقدين مما سلف ؟ وكيف نقرأ : (١٠٤ -
١٢٠ - ٢٣٧ و . . .) - وغيرها من الأعداد المعطوفة المحصورة بين مائة ، ومائة
أخرى تليها ؟

وكيف نقرأ : (١٠٠٦ - ١٠٢٠ - ٢٠٣٥ و . . .) - وغيرها من الأعداد
المعطوفة المحصورة بين ألف وألف آخر يليه ؟

= الموضع (راجع الصبان في هذا الموضع) . ومثل هذا في كتاب : « الطبقات السنية .. » - لتق الدين
القمي الدارمى ، ص ٢٠ - وفي هذه الصفحة أيضاً ما نصه : (قال الخريزى في درة النواص :
العرب تختار أن تجعل النون للقليل ، والناء للكثير ؛ فيقولون : لأربع خَلْدُون ، ولأربع عشرة ليلة خلت .
قال ولهم اختيار آخر : هو أن تجعل ضمير الجمع الكثير الهاء والألف (أى : ها) وضمير الجمع
القليل : الهاء والنون المشددة (أى : هُنَّ) كما نطق سرب به ؛ قال الله تعالى : « إن عِدَّةَ الشُّهُورِ عند الله
اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ » . ذلك الدين القيم ،
فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . . . فجعل ضمير الأشهر الحرم بالهاء والنون ، لقلبتن ، وضمير شهور السنة
الهاء والألف ، لكثرتها) . ا هـ . (وقد سبق ما يتصل بهذا ، اتصالاً وثيقاً ، ويزيده وضوحاً ،
وتوفية - عند الكلام على مرجع الضمير - في ج ١ م ١٨ رقم ٢ من هامش ص ١٩٧ ، وفي ص ٢٣٨ -
وله إشارة عابرة تأتي في ص ٦٢٧ ورقم ٤ من هامشها .

(١ و ١) راجع ص ٥٣٧ أما التفصيل في ج ١ م ٩ هامش ص ١٠٩ باب « المثني » . .

لقراءتها إحدى طريقتين ؛ أولا هما : قراءة الأرقام من اليمين إلى اليسار ،
والأخرى العكس ؛ فيقال : (ثلاث وعشرون — أربعة وثلاثون ، كما يقال عشرون
وثلاث — ثلاثون وأربعة) . . وكذلك يقال : أربعة ومائة — عشرون ومائة ، كما
يقال مائة وأربعة — مائة وعشرون) وكذلك : (ستة وألف — عشرون وألف .
أو ألف وستة — وألف وعشرون) . . وهكذا بقية الأعداد في كل ما سبق ونظائره
الأخرى . مع مراعاة الأحكام التي عرفناها في تذكر العدد وتأنيثه ، وتعريفه وتذكيره ؛
وفي نوع تمييزه ، وضبط هذا التمييز ، وإفراجه وجمعه ، وذكره وحذفه ، وكل
ما تقدم من الضوابط والأحكام العامة والخاصة التي لا بد من تطبيقها على العدد
والمعدود .

ملاحظة : يجوز تطبيق الطريقتين السالفتين على الأعداد المركبة (وهي ١١
و ١٩ وما بينهما) بشرط ظهور « واو العطف » متوسطة بين العددين ، واستعمال
كلمة « واحد » بدلا من « أحد » . ولابد هنا من مراعاة الأحكام العامة والخاصة
بالعدد والمعدود التي أشرنا لها فيما سبق .

المسألة ١٦٨ :

كنايات العدد (١)

(كَمْ - كَأَيٍّ - كَذَا ...) وكنايات أخرى ، (منها : كَيْتَ ، وَذَيْتَ ...)

الأولى : « كَسَم » . وهى نوعان : « كَسَم الاستفهامية » (٢) ، و « كَسَم الخبرية » (٣) .

(١) كَمْ الاستفهامية : أداة استفهام يُسأل بها عن معدود ، مجهول الجنس والكمية معاً . ذلك أن من يسمع كلمة : « كَسَم » وحدها لا يدرك من هذه الكلمة حقيقة مدلولها (أى : جنسه ؛ أهو كتاب ، أم دينار ، أم رجل ، أم امرأة ، أم معدن أم قلم ... ؟) ولا يدرك أيضاً كميته (أى : لا يعرف عدد أفراد تلك الحقيقة ، ومقدارها الحسابي) أكتاب واحد ، أم كتابان ، أم أكثر ؟ أدينار ، أم ديناران أم دنانير ؟ أرجل ، أم رجلان ، أم رجال ؟ أهى امرأة أم امرأتان ، أم أكثر ؟ أمعدن أم اثنان ، أم أكثر ؟ أقلم أم قلمان ، أم أكثر ؟ ... فكلية « كَسَم » وحدها مبهمة المدلول (المعدود) عند السامع فى هاتين الناحيتين ؛ ناحية جنسه ، وكميته .

لكنه إذا سمع : (كَمْ كتاباً قرأت ؟ - أو : كَمْ ديناراً أنفقت ؟ - أو : كَمْ رجلاً صافحت ؟ أثلاثة أم أربعة ؟) - (كَمْ قلماً اشتريت ؟ أقامين أم ثلاثة) ؟ ... -

(١) أصل الكناية : التورية عن الشيء ؛ بأن يعبر عنه بغير اسمه ، لسبب بلاغى . وهذه الألفاظ سميت : « كنايات » ؛ لأن كل واحدة منها يكئى بها عن معدود ، أى : يرمز بها إلى معدود ، ويراد منها ذلك المعدود ؛ فهو مدلولها ، وهى الرمز الدال عليه . فكأن كلمة : محمد ، أو : على ، أو : صالح ... هى الدالة ، ومدلولها هو الذات المعينة المشخصة لكل - كذلك هذه الكنايات ؛ هى الدالة ، ومدلولها معدود ، ولكنه معدود مبهم - كما سنعرف - فليس معيناً ولا مشخصاً كدلالات الأعلام السابقة ...

(٢) هى أداة استفهام - كما سيجى - ولهذا تعد من أنواع الإنشاء الطلبي الذى سبق توضيحه

فى ج ١ رقم ٣ من هامش ص ٣٣٧ - ٢٧٢ .

(٣) وتعتبر من أنواع الإنشاء غير الطلبي الذى سبق توضيحه فى الموضع المشار إليه فى رقم ٢ وعلى الرغم من هذا الاعتبار تحتمل الصدق والكذب - كما سيجى فى ص ٥٧٦ - وفى هذا نوع من التعارض فى رأى بعض النحاة ، دون بعض ، طبقاً للبيان الذى سردته « الصبان » عند كلامه على الفرق بين نوعي : « كَمْ » .

إذا سمع هذا فإن الإبهام يزول عنها في الناحيتين السالفتين ، وتنكشف له حقيقة المعداد (المستول عنه) ومقداره الحسابي ؛ بسبب الاسم الذي جاء بعد : «كَمْ» - ويسميه النحاة : تمييزاً - وبسبب ما وكيه من بدل مقرون بالهمزة . وهذا معنى قولهم :

«كم الاستفهامية» أداة استفهام مبهمة عند سامعها ، لا بد لها من تمييز بعدها يزيل الإبهام عن إحدى ناحيتي المعداد ، وهي «ناحية الجنس» ، وقد يسله مايزيل الإبهام عن الناحية الأخرى ؛ وهي ناحية «المقدار العددي» . فالتمييز محتوم ، أما ما يليه فليس بمحتوم .

أشهر أحكامها :

- ١ - أنها اسم استفهام له الصدارة في جملة دائماً ، إلا إن كان مجزوراً بحرف جر أو بإضافة ؛ نحو : بكم دينار تبرعت ؟ ومرضى كم مستشفى ساعدت ؟ والاستفهام بها قد يكون عن شيء مضمي ، أو لم يضمن . . .
- ٢ - أنها مبنية على السكون دائماً في محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب موقعها من الإعراب^(١) ، نحو : كم نوتياً في هذه الباخرة ؟ - وكم بحاراً

(١) وضع بعض النحاة لإعرابها محل ضابطاً حسناً ينطبق عليها وعلى الجزئية ؛ فقال ما ملخصه : إذا وقعت «كم» على زمان أو مكان فهي ظرف مبنية على السكون في محل نصب . نحو : كم يوماً صمت ؟ - كم ميلاً مشيت ؟ . وإن وقعت على معنى مجرد (أى : حدث) فهي مفعول مطلق ، مبنية على السكون في محل نصب ؛ نحو : كم زيارة زرت المريض ؟ . وإن وقعت على ذات ، وكان الفعل بعدها متعدياً - ، لواحد أو أكثر ولم يستوف مفعوله فهي مفعول به ، مبنية على السكون في محل نصب ؛ نحو : كم درهماً بذلت للسائل المحتاج ؟ . وإن سبقها حرف جر ، أو مضاف - فهي مبنية على السكون في محل جر ؛ نحو : في كم ساعة تطوف الطائرة حول الأرض ؟ وفوق كم خط من خطوط الطول تمر ؟ . وما عدا ذلك تكون مبتدأ - غالباً - مبنية على السكون في محل رفع . نحو : كم مهاجراً حضر ؟ وكم مهاجراً سيحضر ؟ ومن هذا قول الشاعر :

وكم صاحب قد جلّ عن قدر صاحب فبالقَى له الأسباب ؛ فارتفعاً معا

وقد تكون معمولاً لناسخ يعمل فيما قبله مثل : «كان وطن» (دون - «إن») نحو : كم كان مالك ؟ . وقد تصلح مبتدأ أو خبراً في مثل : كم مالك ؟ إن كانت استفهامية .

وما يوضح محلها الإعرابي ، ويسهل إعرابها - أن نفترض عدم وجودها ، ونجعل التمييز يحل في مكانها ونعرف موقعه الإعرابي ، ونجرب عليها حكمه ؛ ففي مثل : كم يوماً صمت . نفترض أن أصل الكلام : =

فنبأ رأيت بها ؟ وإلى كم رُبَّان تَحْتَاج إدارتها ؟

٣ - لفظها مفرد مذكر دائماً . ولكن مدلولها الذي يَصْدُق عليه معناها قد يكون غير ذلك . ومن هنا يجوز عودة الضمير عليها إما مفرداً مذكراً ؛ مراعاة للفظها ، وإما مطابقاً للمعنى المراد منها ؛ فنقول في السؤال عن المفرد المذكر ، كم أخاً جاءك ؟ - وعن مثناه : كم جاءك ، أو : كم جاءك ؟ - وعن جمعه : كم جاءك ؟ أو : كم جاءوك ؟ .

ونقول في السؤال عن المفردة : كم طالبة نجح ؟ أو : كم طالبة نجحت ؟ - وعن مثناها : كم نجح ؟ أو : كم نجحتنا ؟ - وعن جمعها : كم نجح ؟ أو : كم نجحن ؟ ... ، بمراعاة لفظ : « كم » أو معناها في كل ما سبق ^(١) .

٤ - لا بدّ لها من تمييز ^(٢) بعدها . والغالب أن يكون مفرداً ^(٣) منصوباً بها ؛ فهي العاملة فيه ؛ نحو : كم طالباً يتعلمون في جامعاتنا ؟ وكم بلداً عندنا يضم جامعة أو أكثر ؟

ويصح أن يكون تمييزها مفرداً مجروراً بيمين - ظاهرة ، أو مقدرة - بشرط أن تكون « كم » في الحالتين مجرورة بحرف جرّ ظاهر ^(٤) ؛ نحو : بكم طبيب نعالج المرضى في الريف ؟ وإلى كم مهندس يحتاج ؟ وعلى كم خبير زراعى يعتمد في زراعته ؟ ويصح : كم من طبيب كم من مهندس كم من خبير

فإن وجدت « مين » الجارة ظاهرة ، فهي ومجرورها (التمييز) متعلقان « بكم » وإن لم توجد « مين » ظاهرة فهي مقدرة تجرّ التمييز ، أو ليست مقدرة ، و « كم »

= يوبأ صبت ، أو : صبت . يوبأ . « فيوبأ » ظرف زمان . وإذا نعرها ظرف زمان . مبنية - على السكون في محل نصب . وفي مثل : كم ميلاً مشيت نتخيل أن الأصل : ميلاً مشيت ، أو : مشيت ميلاً . فكلية : « ميلاً » ، ظرف مكان . وإذا نعرها ظرف مكان مبنى على السكون في محل نصب وهكذا .

(١) راجع الجزء الرابع من شرح المفصل ، ص ١٣٢ - .

وقد سبق لهذا بيان تام . في ج ١ م ١٩ ص ٢٤٠ في موضوع : « التطابق بين الضمير ، ومرجعه » - ومثل الضمير غيره ما يحتاج لمطابقة . (٢) انظر رقم ٥ من هامش الصفحة الآتية وفيه ما يتعلق بالمطابقة هنا . (٣) وردت أمثلة نادرة وقع فيها التمييز جمعاً منصوباً ، واستشهد بها الكوفيون على صحة وقوعه جمعاً . وأغلب النحاة يردها أو يؤوطا ، ويرفّض جمعيتها . والأحسن الحكم على تلك الأمثلة بالدرة ملق لا يصح معها القياس . ولا داعي لتكلف التأويل .

(٤) لا يشترط بمض النحاة لجر تمييزها بالحرف : « من » إن تكون مجرورة بحرف جر ظاهر ؛ مستدلاً بقوله تعالى : (سَلِّ بْنِ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) ، ورأيه حسن (راجع الخضرى) .

هى التى تجربّه ؛ على اعتبارها ؛ مضافة (مع بنائها^(١)) والتمييز بعدها « مضاف إليه » مجرور .

ويجوز أن يحىء بعد التمييز بدل مقرون بالهمزة ، والمبدل منه هو كلمة : « كم » فيزول ما بقى من غموضها ، وتنكشف الناحية الأخرى من إبهامها - كما أشرنا - نحو : كم بحاراً فى الباخرة ؟ عشرة أم عشرون ؟

٥ - وإذا كانت « كم » الاستفهامية مضافة لتمييزها فهى العاملة فيه ، فلا يصح الفصل بينهما بجملة ؛ لأن المتضايقين لا يفصل بينهما - فى الأغلب - جملة . لكن يصح الفصل بأحد شبهتين الجملة ؛ لأنهما محل التوسع والتيسير .

أمّا إن كان التمييز مجزوراً بـ « من » الظاهرة فيجوز الفصل بالجملة أو غيرها ؛ وكذا إن كان التمييز منصوباً . لكن يجب جر هذا التمييز بـ « من » بدلاً من نصبه إن كان الفاصل بينهما فعلاً متعدياً لم يستوف مفعوله ؛ لكيلا يقع فى الوهم أن هذا التمييز المنصوب ليس بتمييز ، وأنه مفعول به للفعل المتعدى ، فلازالة الوهم واللبس يجب جره بـ « من » ، ففى مثل : « كم عصفوراً على الشجرة ؟ وكم صيادا يحوم حولها ؟ . . . نقول عند الفصل بالفعل المتعدى الذى لم يستوف مفعوله : كم ترى من عصفور على الشجرة ؟ وكم تشاهد من صياد يحوم حولها ؟ ومن هذا قول الشاعر :

وكم - سقتُ فى آثاركم - من نصيحة . وقد يستفيد الظنّة^(٣) المتنبّص^(٤)

٦ - تمييز « كم » الاستفهامية فى كل أحواله يصح حذفه إن دل عليه دليل ، ولم يترتب على حذفه لبس^(٥) ؛ مثل قول المستفهم : ما عدد طلاب الجامعة ؟ كم فى كلية الطب ؟ وكم فى كلية العلوم ؟ يريد : كم طالبا فى كلية الطب ؟ وكم طالبا

(١) وهذا أحد المواضع التى يصح فيها أن يكون المضاف مبنياً .

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٥٧٥ .

(٣) الاتهام والتجريح .

(٤) المبالغ فى النصيحة لمن لا يعمل بها .

(٥) وهو فى كل أحواله أيضاً نوع من تمييز الذات (لا النسبة) الذى سبق إيضاحه وتفصيله فى ج ٢

م ٨٨ باب : « التمييز » . ومراعاة هذا التمييز فيما يحتاج للمطابقة أوضح من مراعاة لفظ « كم » .

* * *

(ب) كم الخبرية : هي أداة الإخبار عن معدود كثير ، ولكنه مجهول الجنس والكمية^(٢) . ومن أمثلتها قولهم : (كم صالح بفساد آخر قد فسد)^(٣) . وما جاء في عتاب صديق لصديقه : « إني أحفظ ودك ، وأرعى عهدك ، وأرسم طريقى على الوفاء لك ، والصفح عن بوادرك . فكم مرة هفوت فأغضيت ، وكم إساءة نالني فغفرت ، وكم إخوان أبعدتهم عنك فقربتهم منك ، وأرجعتهم إليك . . فهل تنسى هذا أو تتناساه ؟ » .

فكلمة : « كم » وحدها قبل - وضعها في شيء من الكلام السابق ، مبهمة (أى : لاتدل على حقيقة المعدود وجنسه ، ولا على مقداره وكميته) ؛ إذ لا يدري السامع المراد : أهو : كم يوم ، أم كم رجل ، أم كم إساءة . . . وكذلك لا يدري : أهو كثير أم قليل . . . فلما ذكر الاسم المجرور بعدها أزال عنها الإبهام ، وكشف الغموض عن المعدود ، فبين حقيقة وجنسه ، وأوضح كميته بما يدل على أنها كثيرة . فكأنه يقول : مرات كثيرة - إساءات كثيرة - إخوان كثيرون . ومثله قول الشاعر :

وكم ذنب مؤلده دلال^{*} وكم بُعد مؤلده اقتراب^{*}

(١) وفيما سبق من أحوال « كم الاستفهامية » يقول ابن مالك في باب عنوانه : (كم ، وكأين ، وكذا) . . . ما نصه :

مَيِّزْ فِي الاسْتِفْهَامِ « كَمْ » بِمِثْلِ مَا مَيِّزْتَ عِشْرِينَ ؛ كَكَمْ شَخْصًا سَمًا ؟
وَأَجْزَ أَنْ تَجُرَّهُ « مِنْ » مُضْمَرًا إِنَّ وَلَيْتَ « كَمْ » حَرْفَ جَرٍّ مُظْهِرًا
والأصل في البيت الثاني : « أجز ، أن . . . » حذفت « همزة أن » للشعر ، وانتقلت حركتها إلى الزاى الساكنة قبلها . « مضمرًا » ، أى : مضمرة . وجعلها مذكرة على نية إرادة : الحرف « من » ، غير مرید : الكلمة : « من ») .

يريد : أنه يصح جراتميين « بمن المضمرة جوازاً إن وقعت « كم » بعد حرف جر ظاهر .

(٢) الكمية : المقدار الحسبان ، أى : ما يدل عليه العدد من أفراد . - وما سبق في ص ٥٦٨ عن الجنس والكمية في « كم الاستفهامية » يزيد الأمر وضوحاً هنا - . (٣) وقول الشاعر :

كم ذكى قد عاش وهو فقير^{*} وغبي^{*} يضيفو عليه^{*} الشراء

فلا بدّ لإزالة الإبهام عنها من تمييز بعدها يوضح الأمرين ؛ جنس المراد منها ، ومقداره . ولا يصح أن يحىء بعد التمييز بدل مقرون بهمزة الاستفهام . والمبدل منه هو : « كم » ؛ إذ لا دخل للاستفهام هنا مطلقاً^(١) .

وبسبب أن الإخبار بها يرمى إلى كثرة المعدود وجب أن يكون هذا الإخبار عن شيء مَضَى : لأن الذى مَضَى قد بان جنسه وكميته ؛ فيمكن الحكم عليه بالكثرة . والإخبار بهذا الحكم . أما الذى لم يمض فجهول الجنس والمقدار — غالباً — ؛ ومن ثمّ كان الدافع إلى استعمال « كم الخبرية » هو : الافتخار والمدح بكثرة شيء محبوب معلوم ، أو : الذم بكثرة شيء معيب كذلك .

أحكامها :

١ — وجوب صدارتها فى جملتها : إلا حين تكون مجرورة بحرف جر ، أو بإضافة ، نحو : لله أنت!! إلى كم عملٍ نافع سارعت ؛ فحمد الناس إسراعك . وعند كمّ عقبةٍ فى طريقه وقفت لتذليلها ؛ فأكبر العارفون شأنك .

٢ — صحة عودة الضمير إليها إما مفرداً مذكراً؛ مراعاة للفظها ، وإما مطابقاً لمعناها ؛ مراعاة للمراد من مدلولها . . .^(٢) والأفصح مراعاة تمييزها ، نحو : كم رفاقٍ نَفَعَ ، أو نَفَعُوا . . . ومن مراعاة التمييز قول الشاعر :

كم أناسٍ فى نعيمٍ عُمَرُوا فى ذَرٍّ ما مُلِكَ تعالى فَبَسَسَقَ^(٣)
سكت الدهرُ زمانًا عنهمو ثم أبكاهم دَمًا حين نطق

٣ — وجوب بنائها على السكون فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حاجة الجملة^(٤) .

(١) انظر رقم ٥ من ص ٥٧٧ ، ففيها زيادة إيضاح .

(٢) مثل الضمير غيره مما يحتاج لمطابقة . ويوضح هذا الحكم ما سبق فى نظيرتها . (رقم ٣

ص ٥٧٠) .

(٣) عمروا : طال عمرهم — ذرا : حماية ورعاية — بسق : ارتفع .

(٤) لا تختلف « كم » الخبرية فى إعرابها المحلى عن « كم » الاستفهامية فى إعرابها السابق :

(فى رقم « ١ » من هامش ص ٥٦٩) . برغم اختلاف معناها وتمييزها .

٤ - وجوب الإتيان بتمييز لها يكون مفرداً مجروراً ، أو جمعاً مجروراً^(١) ، بشرط أن يكون في الحالتين غير مفصول منها بشيء . والأفصح إفراده . ولكن الجمع صحيح غير شاذ . ومن الأمثلة قول الشاعر :

فكم نزهة فيك للحاضرين !
وكم راحة فيك للأنفس !

وقول الناصر : الأريب لا يُخدع بالمظهر الزائف ؛ فكم رجال حسنت مناظرهم وساءت مخابرههم ! وكم رجال اقتحمتهم العيون وفي أثوابهم أبطال عظام ! . . . فإن فصل التمييز منها ، وكان مفصولاً بجملة وجب نصبه ولا يجوز جرّه إلا في ضرورة الشعر ، أوحين تكون الجملة فعلية فعلها متعدّد ، لم يستوف مفعوله ؛ - كما سيجيء هنا - ؛ نحو : ما أنفست نصائح الحكماء ، وأغلى أقوالهم ؛ فكم أرشدنا منهم - نصيحاً ! وكم صاننا منهم - قولاً ! . وقول الآخر في مدح قوم :

كم نالني منهم وفضلاً على عدمي
إذ لا أكاد من الإقتار^(٢) أجتمل^(٣)
(وفاعل الفعل في الأمثلة السابقة ضمير يعود على « كم » ومفعوله الضمير) ويجوز جعل التمييز فاعلاً بعد رفعه^(٤)

(١) وأجرفي الحالتين لأنه مضاف إليه ، و « كم » هي المضاف . ويصح أن يكون الجر « بمن » المقدرة . ويجوز - دائماً - إظهار « من » . وإذا كان مجروراً بمن فالجار والمجرور متعلقان بكم ، - كما سبق في رقم ٤ من ص ٥٧٠ - ومن الأمثلة قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله . والله مع الصابرين) ، ومثل قول الشاعر :

بليت - وفقدان الحبيب بليت -
وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
وتمييزها في كل أحواله نوع من تمييز الذات (لا النسبة) لأنه نوع من تمييز العدد ، بالرغم من أنها خبرية .
(٢) الفقر .

(٣) اجتمعت الرجل الشمع : أذابه . (٤) ومنه قول الشاعر حافظ إبراهيم :

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً
وكم عز أقوام بعز لغات
وفي « كم » الخبرية يقتصر ابن مالك على بيت واحد ، يبين فيه معناها ، وأن تمييزها يكون كتمييز العدد : « عشرة » ، أى : جمعاً مجروراً ، أو كتمييز المائة يكون مفرداً مجروراً (وهذا هو الأوضح والأكثر ، والأول ليس بشاذ) يقول :

واستعملتها مخبراً كعشرة
أو مائة ، ككم رجال ، و : مرة

وكذلك يجب نصبه ولا يجوز جره إلا في ضرورة الشعر إن كان مفصّلاً بظرف،
ومعه جار ومجرور ؛ نحو : كم دون الوصول إلى الشهرة كفاحاً ! وكم لها بعد
إدراكها تعباً ! .

فإن كان الفصل بالظرف فقط ، أو بالجار مع مجروره فقط — جاز الأمران ،
والنصب هو الأرجح . نحو : كم دون الشهرة كفاحاً ! وكم لها تعباً ! . . . ولا يصح
الفصل بغير ما سبق — على الصحيح — .

وإذا فصل بين « كم » الخبرية وتمييزها بجملة فعلية فعلها متعد ، لم يستوف
مفعوله وجب جر التمييز بالحرف : « من » ^(١) ؛ لمنع اللبس ؛ إذ قد يقع في الوهم
أن التمييز المنصوب ليس تمييزاً ، وإنّما هو « مفعول به » للفعل المتعدى . فلا بُدَّ
هذا الوهم يجب جر التمييز بمن ، لا بالإضافة ؛ إذ لا يصح — في الأغلب — الفصل
بالجملة بين المتضايفين . كقوله تعالى عن قوم أهلكتهم : (كم تركوا من جنات
وعيون ! ...) وقوله تعالى : (أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج
كريم) ! ^(٢) ، و « كم » في الآيتين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به .

ومن الجائز حذف تمييزها إذا دل عليه دليل ، ولم يقع حذفه في لبس ؛ مثل :
استعرضت كتبك الضاربة في علوم وفنون مختلفة ؛ فما أكثرها وأعجبها !! فكُم في
الأدب !! وكم في التاريخ ^(٣) . . . ، ولكن حذفه وهو « مضاف إليه » قليل غير قياسي ^(٤) ؛

(١) يقول النصبان — في باب : « حروف الجر » ، عند الكلام على : مِـنْ ، الزائدة — إنها في
هذه الصورة زائدة ؛ معتمداً على رأى فريق من النحاة .

(٢) وقوله تعالى : (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمةً ، وأنشأنا بعدها قومًا آخرين) .

وقد أوضحنا هذا في ج ٢ باب حروف الجر ، م ٩٠ ص ٤٢٢ ، عند الكلام على : « مِـنْ » الزائدة .

(٣) ومثل قول الشاعر يتحدث عن بيته :

كم مرّ بي فيه عيشٌ لست أذكُّره . ومزّ بي فيه عيش لست أنساه
وقول الآخر :

وإن نابتك نائبةً فشاوَرُ فكم حِمْدُ المشاورِ غِبَّ أمرٍ
يريد : فكم يوم فكم مرة . . .

(٤) لحذف المضاف إليه موضوع سبق في ج ٣ م ٩٦ .

لما يترتب عليه من حذف « المضاف إليه » مع وجود المضاف وحده .

* * *

من كل ما تقدم نستطيع أن ندرك الموازنة التي عقدها بعض النحاة بين نوعي :
« كم » لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما . وملخصها :

أنهما يتشابهان في خمسة أمور :

(أ) أنهما كنايةتان مبهمتان عن معدود : مجهول الجنس . والمقدار . (أى :
مجهول الحقيقة ، والكمية) .

(ب) مبنيان .

(ج) بناءؤهما على السكون في محل رفع ؛ أو نصب ، أو جر . على حسب
موقعهما من جملتهما ؛ فهما متاثلتان في إعرابهما المحلى ، مع ملاحظة أن لفظهما
مفرد مذكر دائماً ، وأن مادولهما قد يكون غير ذلك ؛ فإعراى لفظهما ، أو مدلولهما ،
في الضمير العائد عليهما ، وفي غيره من كل ما يحتاج للمطابقة ؛ ولكن مراعاة التمييز
أوضح .

(د) ملازمتان للصدارة في جملتهما . إلا إن سبقها حرف جر ، أو : مضاف .

(هـ) حاجة كل منهما إلى تمييز قد يصحّ حذفه عند أمن اللبس .

ويفترقان في خمسة أمور كذلك :

١ - أن الخبرية تتضمن الإخبار بكثرة شيء معدود ؛ فتختص بالزمن الماضي
وحده . ولهذا لا يصح على الإخبار أن نقول : كم رحلة سأقوم بها أيام العطلة المقبلة !
لأن التكرير والتقليل - كما سبق - لا يكونان إلا فيما عُرِفَ مقداره . وهذه المعرفة
لا تتحقق إلا في شيء قد مضى وانتهى . ويصح على الاستفهام أن نقول ما سبق ،
وغيره .

٢ - أن المتكلم بالخبرية لا يتطلب جواباً من السامع ؛ لأنه مُخْبِرٌ ، غير
مستخبر ؛ بخلاف الاستفهامية .

٣ - أن المتكلم بالخبرية ، يتعرض للتصديق والتكذيب ، لأنه مُخْبِرٌ ، والخبر

عرضة لأن يصدقه السامع أو يكذبه ^(١).

٤ - أن الأغلب في تمييز الاستفهامية أن يكون مفرداً منصوباً بها ، أو مجروراً بالإضافة ، أو بمن إن جرّت « كتم » بحرف جر ظاهر . أما تمييز الخبرية فيكون مفرداً مجروراً ؛ أو جمعاً مجروراً ^(٢) . ولا يكون منصوباً إلا في بعض حالات الفصل .

٥ - أن البدل من « كم » الخبرية لا يصح اقترانه بهمزة الاستفهام ^(٣) ؛ لأن هذا البدل خبري كالبدل منه (وهو : كم الخبرية) والخبر لا يصح أن يتضمن معنى الاستفهام . يقال : كم رجال حضروا الحفل !! ثمانين بل تسعين أما الاستفهامية فيجب اقتران البدل منها بهمزة الاستفهام ؛ لأن الاستفهامية تتضمن معنى الاستفهام . فيقال : كم رجال حضروا ؟ ثمانين أم تسعين ؟ إذا كان العدد مجهولاً يريد أن يعرفه السائل .

* * *

الثانية : كَأَيِّنْ ^(٤) . وأشهر لغاتها : « كَأَيِّنْ » - (بهمزة مفتوحة ، وتشديد الياء مكسورة ، فنون ساكنة) - ثم : « كَائِنْ » بسكون النون . ثم : « كَأَيِّنْ » ؛ (بهمزة ساكنة بعد الكاف ، تليها ياء مكسورة ، فنون ساكنة) ^(٥) -

وهي بمنزلة « كم » الخبرية ، ولكن تشاركها في أمور ، وتخالفها في أخرى ، فتشاركها في الأمور الخمسة الآتية :

- (١) لكن كيف يقع هذا مع أنها نوع من الإنشاء غير الطلبي ؟ ظاهر الأمر وقوع تعارض . وقد قلنا - في رقم ٣ من هامش ص ٥٦٨ - إن بعض النحاة يرى في هذا تعارضاً ، وإن فريقاً آخر يمنع هذا التعارض ، كما دونه الصبان في هذا الموضوع من الباب .
- (٢) سبب الجر موضح في رقم ١ من هامش ص ٥٧٤ .
- (٣) لهذا إشارة سبقت في أول ص ٥٧٣ .

(٤) أصل النون التي في آخرها هو التنوين ؛ فيصح الرجوع إلى أصلها ومراعاته عند الكتابة والوقف ، ولكن الأحسن إثبات نونها خطأ ونطقاً في جميع لغاتها ، حتى عند الوقف عليها ، منعاً للإلباس .

(٥) ثم : « كَيَّيْنْ » - بكاف مفتوحة ، فياء ساكنة فهمزة مكسورة ، فنون ساكنة - ثم : « كَشَيْنْ » كالسابقة مع حذف الياء .

وقد أطال النحاة في إثبات أنها مركبة في الأصل . ولا حاجة بنا إلى احتمال العناء في معرفة ذلك الأصل المزعوم المتكلف ، لأن الذي يعيننا الآن أنها (وهي بمعنى : « كم ») كلمة واحدة في إعرابها ، وفي معناها ، وكل أحكامها ، ولا يلاحظ أصلها في شيء من ناحية تركيبه مطلقاً .

١ - الإيهام .

٢ - الدلالة على تكثير المعداد .

٣ - الملازمة للصدارة .

٤ - البناء على السكون في محل رفع ، أو نصب ، - على حسب موقعها - .
ولا تكون « كَأَيِّن » في محل جر - ومن الممكن وضعها في كل مكان توضع فيه :
« كم الخبرية » إلا الجر .

٥ - الحاجة إلى تمييز مجرور ، ولكنه يُجَرّ هنا « بيمين » ظاهرة لا بإضافة .
والجار مع مجروره متعلقان بكأَيِّن . وقد ينصب التمييز . ومن الأمثلة للمجرور ،
قوله تعالى : (وكَأَيِّن من دَابَّةٍ لا تَحْمِل رِزْقَهَا . الله يُرْزِقُهَا وإيَّاكُمْ ! ...)
وقوله تعالى : (وكَأَيِّن من قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُهَا وهِيَ ظَالِمَةٌ ، ثم أَخَذْتُهَا ، وإِلَى
المصير) .

وقول الشاعر :

وكأئن رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تُحْيِهِنَّ أَصُولُ!

ومن التمييز المنصوب قول الشاعر :

اطرُدِ اليأس بالرجا ؛ فكأَيِّن أَلِيمًا^(١) حُمَّ^(٢) يُسْزِرُهُ بَعْدَ عُسْرٍ!

وقول الآخر :

وكأئن لنا فضلا عليكم ومِنَّةٌ قديمًا ! ولاتدرون ما منَّ منَّ منعم

ويجوز الفصل بينها وبين تمييزها مطلقًا - كما في بعض الأمثلة السالفة -
فإن كان الفاصل فعلا متعديا لم يستوف مفعوله وجب جر التمييز « بمن » ؛ منعًا
من توهم أنه مفعول به في حالة نصيه . ومن الأمثلة قول الشاعر^(٣) :

وكأئن ترى من صامت لك مُعْجِبٍ زيادته أو نقصه في التكلم

(١) اسم فاعل من أَلِيمَ يَأْلِمُ ؛ بمعنى : تألم يتألم . . .

(٢) قُدِّرَ وَهِيَئَ . (٣) ومثل البيت السالف :

وكأئن رأينا من فروع طويلة . . .

وقول الآخر :

وكأني ترى من حال دنيا تغيرت وحال صفاء بعد اكدرار غديرها
وتخالفها في أربعة :

١ - « كم الخبرية » كلمة « بسيطة » على الأرجح . أما « كأين »
فركبة - على الأرجح أيضاً - من كاف التشبيه ، و « أي » المنونة . ولا أثر
لتركيب ولا لمعنى جزأيه في حالتها القائمة الآن ، بعد أن صارت كلمة واحدة تؤدي
معنى جديداً .

٢ - « كأين » لا تكون مجرورة بحرف ، ولا بإضافة ، ولا بغيرهما . بخلاف
« كم الخبرية » فإنها تجر بالحرف وبالإضافة .

٣ - إذا وقعت « كأين » مبتدأ فخيرها لا يكون إلا جملة - في الغالب
الكثير^(١) - كـ بعض الأمثلة السالفة ، أما « كم الخبرية » فلا يلزم أن يكون
جملة .

٤ - ليس لها نوع آخر يستعمل في الاستفهام ، أو في غير الإخبار . . .

٥ - تميزها المحرور هو في الغالب مجرور بمن الظاهرة . بخلاف « كم

(١) جاء في حاشية « ياسين » على التصريح ، - ج ١ باب : المبتدأ والخبر ، عند الكلام
على أقسام الخبر - أن منه ما يجب أن يكون جملة : مثل خبر « كأين » الخبرية الواقعة مبتدأ . ولم
يتعرض لبيان أنه الواجب أو الأغلب . لكن جاء في الصبان - ج ٤ باب : « كم » - عند الكلام على
« كأين » مانصه :

« (قال في جمع الجوامع وشرحه : لا يُخبر عن « كأين » إذا وقعت مبتدأ إلا بجملة فعلية مصدرة
بماض أو مضارع ؛ نحو قوله تعالى : « (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ...) » ، وقوله
تعالى : « (وكأين من آية في السموات والأرض يمسرون عليها وهم عنها معرضون » . لكن يرد عليه
قول الشاعر :

وكأين لنا فضلاً عليكم ومِنَّةً قديماً ولا ، تدرّون ما من منعم ...

فإن الخبر فيه جار مع مجروره . وقوله تعالى : « (وكأين من دابة لا تحمّل رزقها
الله يرزقها وإياكم ...) » . إن جعل الخبر الجملة الاسمية .. هي : (الله يرزقها) فإن جعل :
« لا تحمّل رزقها » (لم ترد الآية) . ١ هـ . كلام الصبان .

من كل ما سبق يتبين أن خبر « كأين » ليس مقصوداً على الجملة الفعلية وجوباً ، وإن كان الغالب
وقوعه جملة فعلية . - ولهذا المسألة إشارة في ج ١ م ٣٠٤ عند الكلام على الخبر الجملة - .

الخبرية « فإنه يجر بالإضافة ، أو بمن المضمرة ، أو الظاهرة .

* * *

الثالثة : « كذا » . وصيغتها ثابتة في كل الحالات ، ولا يطرأ على حروفها تغيير ما دامت من كنيات العدد . وهى — فى أصلها — مركبة من « كاف » التشبيه ، و « ذا » الإشارية ، وصارت بعد التركيب كلمة واحدة ثابتة ، تؤدى معنى جديداً مستقلاً ، لا صلة له بالتشبيه ولا الإشارة إذا كان الغرض منها الإخبار عن شيء معدود^(١) قليل أو كثير ، وفى هذه الصورة تُعد كلمة من كنيات العدد المبهمة^(٢) .

وتشبه « كم الخبرية » فيما يأتى :

- ١ — فى الإخبار .
- ٢ — وفى الإبهام .
- ٣ — وفى البناء على السكون فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر . . . (فحلها على حسب حاجة الجملة دائماً) .
- ٤ — وفى الحاجة إلى تمييز .

وتخالفها فى :

- ١ — أنها لا تلازم الدلالة على الكثرة ، فقد يكون « كذا » كناية عن معدود كثير أو قليل — كما تقدم — نحو : أنفقت كذا دنائير فى رحلاتى ، وركبت خلالها كذا وكذا سيارةً وطيارةً ، وباخرةً ، وقطاراً .
- ٢ — وفى أن تمييزها واجب النصب بها على الأرجح^(٣) . سواء أكان مفرداً

(١) « كذا » : صالحة للكناية عن الأعداد وعن الأعمال ؛ طبقاً لما نص عليه صاحب « المصباح المنير » وسيجىء النص فى « ج » من ص ٥٨٢ .

(٢) فى الزيادة والتفصيل — ص ٥٨٢ — بيان استعمالها الأخرى فى غير الكنيات العددية :

(٣) قلنا : « على الأرجح » لأن الكوفيين يميزون جره فى غير تكرار ولا عطف ، فيقولون : فى المتجر كذا ثوب ، وفى المصنع كذا عامل . فيكون التمييز مضافاً إليها مجروراً ، أو مجروراً بمن مقدرة . أو بدلا فى رأى ثالث إذا كانت هى مجرورة . والأفضل هنا عدم الأخذ بالرأى الكوفى ؛ لأنه مبنى على مجرد القياس على تمييز « كم » ، دون عرض أمثلة تؤيده من الكلام العربى الفصيح . ويجرد القياس فى مثل هذا ضعيف مردود . وبعض النحاة (ومنهم ابن مالك) يميز جره بمن — كما سيأتى فى البيت التالى . وفى الكلام على : « كأيّن ، وكذا » يكتفى ابن مالك ببين واحد ، هو :

أم جمعاً^(١) .

٣ - وأنها لا تكون في الصدر .

٤ - وأنها تنكرر - غالباً - مع عطف بالواو ؛ كقول الشاعر :

عَدِ النفسَ نَعْمَتِي بعدَ بُؤْسِكَ ذاكِراً كذا وكذا ؛ لُطْفًا به نُسِيَّ الجهدِ

= كَكَمْ : « كَأَيْنَ » و « كَذَا » ، وينتصبُ تمييزُ ذَيْنِ ، أو : به صلَ : « مِنْ » تُصِبُ

يقول إن « كَأَيْنَ » و « كَذَا » مثل : « كم » - يريد : « كم » الخبرية - ولم يبين أوجه الشبه . وقد أوضحناها ، ثم بين أن تمييز « كَأَيْنَ وكَذَا » منصوب . ومن الجائز عنده جره بمن ، ويرى في جره إصابة وسداداً . وهو يخالف أكثر النحاة في جر تمييز « كَذَا » « بمن » كما سلف . إلا إن كان الضمير في (به) عائداً على تمييز : « كَأَيْنَ » فقط ، كما يرى بعض المعربين ، وهذا حسن .

(١) صرح صاحب الجمع (ج ٢ ص ٢٥٦ - في هذا الباب) بأن تمييز : « كَذَا » لا يكون إلا مفرداً فقال ما نصه : (يميز « كَذَا » لا يكون إلا مفرداً منصوباً . . .) " اهـ . لكن قد يفهم من بعض المراجع الأخرى صحة وقوعه جمعاً . . .

زيادة وتفصيل :

(أ) الغالب في « كذا » التكرار مع العطف بالواو . ومن القليل^(١) تجردها منهما معاً ؛ فإن لم توجد الواو العاطفة وجب إعراب المتأخرة تأكيداً لفظياً للأولى^(٢) ..

(ب) تأتي : « كذا » المكررة المعطوفة بالواو ، وغير المكررة — كناية عن غير العدد ؛ فيكنى بها عن اللفظ الواقع في التحديث عن شيء حصل ، أو عن قول . سواء أكان ذلك اللفظ معرفة أم نكرة ؛ كالحديث النبوي : يقال للعبء يوم القيامة : أتذكر يوم كذا وكذا^(٣) . . .

ويجوز أن تبقى على أصلها من التركيب من كاف التشبيه وذا الإشارية حين يقتضى المعنى 'بقاءها على أصلها' ، نحو : عرفت الأخ نافعاً ، والصديق كذا . ورأيت الغنى واقعياً من ذلك السؤال والعمل كذا . وفي هذه الصورة قد تدخل عليها « هاء التنبيه » فيقال : والصديق هكذا . . . والعمل هكذا . . . أو : وهكذا الصديق — وهكذا العمل .

(ج) في « المصباح المنير » — مادة « كذا » — مانصته : (كذا : كناية عن مقدار الشيء وعدته^(٤) ؛ فينصب ما بعده على التمييز ؛ يقال اشترى الأمير كذا وكذا عبداً . ويكون كناية عن الأشياء ؛ يقال : فعلت كذا ، وقالت كذا . فإن قلت فعلت كذا وكذا فليست بعدد الفعل . والأصل «ذا» ، ثم أدخل عليها كاف التشبيه بعد زوال معنى الإشارة والتشبيه ، وجعل كناية عما يراد به . وهو معرفة فلا تدخله الألف واللام) . اهـ .

وإذاً هو كناية تصلح للمقادير والأعمال علم حسب المراد .

* * *

(١) كما في الخضرى والتصريح . (٢) الخضرى .

(٣) قال السيوطى فى الأشياء والنظائر : الذى شهد به الاستقراء ، وقضى به الذوق الصحيح ، أن : « كذا » المكنى بها عن غير العدد إنما يتكلم بها من يخبر عن غيره ؛ فتكون من كلام المخبر لا من كلام المخبر عنه ؛ فلا تقول ابتداء : مررت بدار كذا ، ولا بدار كذا وكذا ، بل تقول : مررت بالدار الفلانية . ويقول من يخبر عنك : قال فلان مررت بدار كذا ، أو بدار كذا وكذا .

(٤) عدده .

الرابعة : كُنَايَات أُخْرَى ، مِنْهَا : : « كَيْتٌ . . . وَذَيْتٌ » .

هَاتَانِ لَيْسَتَا مِنْ كُنَايَاتِ الْعَدَدِ ، وَلِئِنَّمَا يَذْكُرُهُمَا النِّحَاةُ بَعْدَ تِلْكَ الْكُنَايَاتِ
لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ النُّوعَيْنِ فِي مَجْرَدِ الْكُنَايَةِ عَنْ شَيْءٍ .

وَكَيْتٌ وَكَيْتٌ - بَفَتْحِ التَّائِيْنِ مَعًا ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ ، أَوْ كَسْرُهُمَا مَعًا ،
أَوْ ضَمُّهُمَا كَذَلِكَ - يُكْنَى بِهِمَا عَنِ الْقِصَّةِ وَالْخَبَرِ ، أَيْ : الْحَدِيثِ عَنْ شَيْءٍ
حَبْصَلٍ أَوْ قَوْلٍ وَقَعَ ^(١) ؛ مِثْلُ : (صَنَعَ الْعَامِلُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَقَالَ كَيْتٌ
وَكَيْتٌ) ^(٢) . وَلَا بَدَّ مِنْ تَكَرُّرِهِمَا مَعَ فَضْلِهِمَا بِالْوَاوِ ^(٣) ، وَاعْتِبَارُهُمَا مَعًا (وَبَيْنَهُمَا
هَذِهِ الْوَاوُ الْمَهْمَلَةُ) مُرَكَّبًا مُزْجِيًّا بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ذَاتِ جُزْأَيْنِ ، وَالْجُزْءَانِ مَعًا
مَبْنِيَانِ إِمَّا عَلَى الْفَتْحِ ، وَإِمَّا عَلَى الْكَسْرِ ، وَإِمَّا عَلَى الضَّمِّ ، فِي مَحَلِّ رَفْعٍ
أَوْ نَصْبٍ ، أَوْ جَرٍّ ، عَلَى حَسَبِ حَاجَةِ الْجُمْلَةِ . وَهَذَا الْمُرَكَّبُ الْمُزْجِيُّ - كَامِلًا -
تَائِبٌ فِي الْحَقِيقَةِ عَنْ جُمْلَةٍ ، وَلِهَذَا صَحَّ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ الْقَوْلُ فِي نَحْوِ : « أَنْتَ قُلْتَ
كَيْتٌ وَكَيْتٌ » ؛ فَيَكُونُ الْمُرَكَّبُ الْمُزْجِيُّ - بِتَأْمِهِ - هُنَا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ ، مَفْعُولًا بِهِ
لِلْفِعْلِ « قَالَ » . . . ^(٣) .

وَكُلُّ مَا تَقْدَمُ فِي : « كَيْتٌ وَكَيْتٌ » يُقَالُ كَامِلًا فِي : « ذَيْتٌ وَذَيْتٌ » ،
مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي الْحَرْفِ الْأَوَّلِ الْمُهْجَاثِي ؛ فَهُوَ « كَافٌ » فِي أَحَدِ
الْمُرَكَّبَيْنِ ، وَ« ذَالٌ » فِي الْمُرَكَّبِ الْآخَرِ ، وَلَا خِلَافَ فِي شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا .

(١ و ٢) المفهوم من كلام : « الأشموني » أن الألفاظ الأربعة (كيت وكيت - ذيت وذيت) يكنى
بها عن الحديث . لكن جاء في كتاب : « تقويم اللسان » لابن الجوزي (« المتوفى حول سنة ٧٩٥هـ - باب
الذال ، ص ١٢٩) ما نصه : (« تقول : قال فلان : « ذيت وذيت » والعامية تقول : « كيت وكيت » -
وإنما العرب تجعل « ذيت وذيت » كناية عن المقال ، و « كيت وكيت » كناية عن الأفعال) « ١ هـ .
ثم جاء في هامش تلك الصفحة ما نصه : منقولاً عن نسختين : (« فيهما : ذيت وذيت كناية » عن الأفعال
وفي « الصحاح » (ذيت) عن أبي عبيدة : يقولون كان من الأمر ذيت وذيت معناه : كيت وكيت) « ١ هـ .
(٢) والمفهوم المتبادر من كلامهم أن هذه الواو مهملة جامت وجوباً لمجرد الفصل بين جزأى
المركب المزجي ، فلا عمل لها ولا أثر إلا هذا الفصل المحض .
(٣) راجع الصبان .

.....

زيادة وتفصيل .

(١) يقول اللغويون : : إن أصل : « كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ » و « ذَيْبَتْ وَذَيْبَتْ » هو : « كَيْبَةٌ وَكَيْبَةٌ » و « ذَيْبَةٌ وَذَيْبَةٌ » بتشديد الياء في كل لفظة ، وبعدها تاء التأنيث المربوطة . ثم حصل تخفيف بحذف التاء المربوطة ، وبقلب الياء الثانية (من كل ياء مشددة) تاء واسعة (أى : غير مربوطة) ، فهذه التاء ليست للتأنيث وإنما هي منقلبة عن حرف أصلي . ولا مانع عندهم من استعمال - الأصل - وهو : كَيْبَةٌ وَذَيْبَةٌ - بدون تخفيفه . ويتعين عند استعماله تركيب كل جزأين تركيباً مزجياً مع بنائهما على الفتح دائماً في كل المواقع الإعرابية .

(ب) ويقول الصبان : (إذا قيل : كان من الأمر « كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ » - ومثلها : « ذَيْبَتْ وَذَيْبَتْ » - فكان للشأن ، خبرها : كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ ^(١)) ، لأن هذا المركب المزجى نائب هنا عن الجملة ، ولا يكون اسماً لكان ؛ إذ لا يكون اسمها جملة . قاله الفارسي ، واستحسنه ابن هشام . لكن يلزم عليه تفسير ضمير الشأن ^(٢) ، بغير جملة مصرح بجزأيهما ؛ والظاهر أن : « من الأمر » تبين يتعلق بفعل مقدر ؛ هو : « أغنى » . هذا كلامه مع تفسير قليل في بعض كلماته .

وفيه حذف وتقدير لا داعي لهما . ولو جعلنا « كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ » - في هذا الأسلوب وحده - اسماً لكان الناسخة غير الشَّانِيَّة ، وخبرها شبه الجملة مع اعتبار المركب المزجى الحالى ليس جملة هنا في ظاهره الحقيقي ، لاستغنيا عن الحذف والتقدير ، ولسائرنا الأيسر الواضح بغير ضرر ، ولا خروج على الأصول العامة .

* * *

(١) اسمها ضمير الشأن ، مستتر . والأصل أن يكون خبرها جملة ، طرفاها مذكوران صراحة .

(٢) تفصيل الكلام عليه في ج ١ ص ١٧٧ م ٢٠ .

المسألة ١٦٩ :

التأنيث (١)

الاسم المعرّب (٢) نوعان :

١ - مذكر (مثل : حاتم - قيس - جعفر - نهر - قمر - كتاب . . .)
ولا يحتاج إلى علامة لفظية تزداد على صيغته لتدل على تذكيرها ، وتذكير صاحبها ؛
لأن الذى يدل على تذكيرهما هو الشهرة ، وشيوع الاستعمال . ولا سيما الاستعمال
الوارد فى أكثر الأساليب المأثورة عن العرب .

٢ - مؤنث ؛ (مثل : سنيّة - عزيزة - ليلتي - لسمياء - أرض - أذن . . .) .
ويحتاج إلى علامة لفظية ظاهرة ؛ أو : مقدرة (أى : ملحوظة) تزداد على صيغته ؛
لتدل على تأنيثها ، وتأنيث صاحبها . فالعلامة الظاهرة فى الأسماء المعربة هى :
« تاء التأنيث » المتحركة (٣) ، أو : « ألف التأنيث » بنوعها ؛ المقصورة ، والممدودة ؛
مثل : عزيزة - ليلي - لسمياء - . . . أمّا العلامة المقدرة :

(١) فقد نكون خاصة بالأسماء المعربة الثلاثية ، وهى تاء التأنيث الملحوظة
- (طبقاً للسمع الوارد عن العرب) فى مثل : أرض - أذن - عين - قدّم -

(١) المراد من هذا العنوان الشائع فى أكثر المراجع النحوية هو : بيان العلامة الدالة على تأنيث الاسم
المتضمن ؛ وليس المراد ذكر الأحكام المترتبة على التأنيث ؛ لأن الأحكام المترتبة على التأنيث كثيرة
متغلغلة فى الأبواب النحوية المختلفة ، لا يكاد باب يخلو منها .

(٢) أما علامة التأنيث فى الكلمات المبنية أصالة فتأتى فى رقم ١ من هامش ص ٥٩٠ .

(٣) وهى بكل أسمائها علامة التأنيث اللفظي ؛ إذ يسميها بعض النحاة : « تاء التأنيث » ويسميها
غيرهم : « تاء النقل » من حالة إلى أخرى ؛ كنقلها المذكر إلى المؤنث والوصفية (المشتق) إلى الاسمية
الحضية ؛ كالراوية للمزادة ، وكالخاتبة للبئر الصغيرة ، و . . . كما جاء فى مجلة المجمع اللغوى ، ج ١ ص
١٤ حيث يقول عن المصدر الصناعى ما نصه على لسان أحد الأعضاء : (إن هذا المصدر مكون من
اللفظ المزيد عليه ياء النسب ، وتاء النقل على رأى أبى البقاء فى : « الكليات ») .

وكذلك فى ص ٢٦ من كتابه : « أصول اللغة » الذى أصدره فى سنة ١٩٦٩ . - وانظر رقم ٣ من

هامش ٥٩٠ -

والأمران سيان . ولكن التسمية الأولى أشهر وأوضح . وقد أشرنا لهذا فى ج ٣ م ٩٨ - ص ١٨٢ -
باب : « أبنية المصادر » .

كَتَيْف . والذي يدل على أن هذه الكلمات الثلاثية - وأشباهها^(١) - مؤنثة سماعاً بتاء مقدرة (أى : ملحوظة) ظهور هذه التاء في أغلب كلام العرب عند التصغير ؛ إذ يقال : أَرَيْضَةٌ - أَدَيْنَةٌ - عَيْيِيَّةٌ - قُدَيْمَةٌ - كَتَيْيْفَةٌ^(٢) .

(ب) وقد تكون عامة في الأسماء بنوعيها (الثلاثي وغير الثلاثي) : كعود الضمير عليها في المسموع مؤنثاً . كأرض ، وعقرب . في مثل : الأرض زرعتها ، والعقرب قتلتها . ومثل : نعتها ، أو الإشارة إليها بالمؤنث ؛ سماعاً في الحالتين ، مثل : الأرض المتحركة واحدة من أرضين كثيرة - هذه الأرض واحدة من . . . - : العقرب السامة قتالة . - هذه العقرب . . . - ولا تكون ألف التأنيث مقدرة^(٣) .

معنى كلمة : « مؤنث » :

هذه الكلمة إحدى « المصطلحات » التي يتكرر ذكرها كثيراً في الاستعمال

- (١) المراد بالأشياء ما كان أصله ثلاثياً ولكن حذف بعض أصوله ، مثل : يد ، فأصلها : « يَدَيٌّ » .
(٢) بمناسبة الكلام على أعضاء الإنسان يقول اللغويون بحق : إن تذكيرها وتأنيثها موقوف على السماع وحده ، لكن الأعضاء المزدوجة : الحناب ، تبعاً للسمع الوارد فيها ؛ كمين ، وأذن ، ورجل ، وغير المزدوجة مذكور في الغالب ، نحو : رأس ، أنف ، ظهر . . . ومن المزدوج المذكر : الحاجب - الصدغ - الخد - اللحنى (عظم الفك) - المرفق - الزند - الكوع - الكرسوع . . . ومن المزدوج الذي يذكر ويؤنث : العفد ، الإبط - الضرس . ومن المفرد المؤنث : الكرس ، ومن المفرد الذي يصح تذكيره وتأنيثه : العنق - اللسان - القفا - المثنى - المسمى . . . ؛ فالقاعدة أغلبية .
(٣) وفي هذا يقول ابن مالك في باب عنوانه : « التأنيث » :

عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ تَاءٌ أَوْ أَلْفٌ وَفِي أَصْنَافٍ قَدَرُوا « التَّاء » ؛ كَالْكَتَيْفِ

(أصناف : جمع جمع ، مفردة : أصناف . ومفرد الأصناف : اسم) ويلاحظ أنه سمي علامة التأنيث هنا : « تاء » لا « هاء » كما يسميها فريق آخر من النحاة . والتسميتان شائعتان في المراجع المختلفة . وقد سبق عنهما بيان مفيد - في رقم ٣ من هامش ص ٢٣٦ ، ومن أظهر آثارها في « النقل » عند وجودها في آخر المصدر الصناعي (مثل : وطنية ، وحشية . . .) أن تصير الكلمة بسبب ياء النسب ملحقة بالمشق قبل مجيء هذه التاء ، فإذا جاءت التاء نقلت الكلمة إلى المعنى الخالص (الحدث) الخالي من الدلالة على الاشتقاق .

ثم قال بعد ذلك في بيان التأنيث المقدّر :

وَيُعْرَفُ التَّقْدِيرُ بِالضَّمِيرِ وَنَحْوِهِ ؛ كَالرَّدِّ فِي التَّصْغِيرِ

للغوى . ويختلف معناها باختلاف ما تدل عليه من أنواع تقضى الفائدة بالإشارة إليها هنا ؛ لأن هذا الباب هو الأنسب لذكرها^(١) . وأشهرها :

١ - المؤنث الحقيقي : وهو الذى يلد ، ويتناسل ، ولو كان تناسله من طريق البيض والتفريخ ؛ ولا بد فى لفظ المؤنث الحقيقي من علامة تأنيث ظاهرة ، أو مقدرة ، مثل : ولادة - سعدى - هند - عصفورة - عَقَاب^(٢) .

وله أحكام مختلفة ؛ يتصل منها بموضوعنا : وجوب تأنيث فعله ، ونعتيه ، وخبره ، وإشارته ، وضميره . . . ، بالشروط والتفصيلات الخاصة بكل واحد من هذه الأمور فى بابيه ؛ نحو : كانت ولادة أديبة أندلسية ذائعة الصيت . وقد نقل التاريخ الأدبى إلينا كثيراً من أخبار هذه الأديبة ، وبجاسها ، وفنونها . . .

٢ - المؤنث المجازى : وهو الذى لا يلد ولا يتناسل ؛ سواء أكان لفظه مختوماً بعلامة تأنيث ظاهرة ؛ كورقة ؛ وسفينة . . . ، أم مقدرة ؛ مثل : دار ، وشمس . ولا سبيل لمعرفة المؤنث المجازى إلا من طريق السماع الوارد عن العرب ، ولا يمكن الحكم على كلمة مؤنثة بأنها تدل على التأنيث مجازاً إلا من الطريق اللغوى الذى يوضح أمر ذلك السماع ويبينه .

وهذا النوع المجازى يخضع فى استعماله لكثير من أحكام المؤنث الحقيقي ؛ خضوعاً واجباً فى مواضع ، وجائزاً فى أخرى ؛ كوجوب تأنيث الضمير العائد عليه فى مثل : الدار اتسعت . وجوازه فى مثل : اتسعت الدار ، أو : اتسع الدار . . .

٣ - المؤنث اللفظى فقط : وهو الذى تشتمل صيغته على علامة تأنيث ظاهرة ، مع أن مدلوله (أى : معناه) مذكر ؛ نحو : حمزة - أسامة - زكرياء . أعلام رجال . وله أحكام مختلفة مدونة فى الأبواب المناسبة لها ؛ فقد يراعى معناه فى حالات فلا يؤنث له الفعل ، ولا يعود عليه الضمير مؤنثاً . . . ، فلا يقال : اشتهرت حمزة بالشجاعة والإقدام ، ولا حمزة اشتهرت بالإقدام . . . - ولا يجمع (فى

(١) سبقت الإشارة إليها فى ج ٢ ص ٦٦ م ٦٦ باب : « الفاعل » .

(٢) إحدى الطيور الجارحة .

الأرجح) جمع مذكر سالماً . . . وقد يراعى لفظه — وهو الأغلب فى كثير من حالاته الأخرى — فيمنع من الصرف . ويُذكر له اسم العدد^(١) ؛ فيقال : ثلاث حمزات . . .

٤ — المؤنث المعنوى فقط : وهو ما كان مدلوله مؤنثاً حقيقياً أو مجازياً ولفظه خالياً من علامة تأنيث ظاهرة ؛ فيشمل المؤنث الحقيقى الخالى من علامة تأنيث ، مثل : زينب — سعاد — عُنُقَاب . . . كما يشمل المؤنث المجازى الخالى منها ؛ مثل : عين — رجل — يئر — . . .

ويجوز عليه كثير من أحكام المؤنث الحقيقى والمجازى ، كتأنيث الفعل له ، وتأنيث ضميره ، ونعته ، والإشارة إليه . . . وكمنعه من الصرف أو عدم منعه على حسب حالته .

٥ — المؤنث اللفظى المعنوى : وهو ما كانت صيغته مشتملة على علامة تأنيث ظاهرة ، ومدلوله مؤنثاً ؛ مثل : فاطمة — عليّة — ريتا — سعدى — حسناء — هيفاء — نحلة — أسدة — شجرة — دنيا . . . ويخضع لكل أحكام المؤنث اللفظى والمعنوى .

والأنواع الخمسة السابقة قد يجتمع منها نوعان أو أكثر ، ويسميان باسم يشمل النوعين ، كأن يقال : لفظى مجازى ؛ مثل : دنيا . . .

٦ — المؤنث التأويلى : وهو ما كانت صيغته مذكورة فى أصلها اللغوى ، ولكن يراد — لسبب بلاغى — تأويلها بكلمة مؤنثة تؤدى معناها ؛ فقد كان العرب يقولون : (أتتني كتاب أُسرَّ بها . . . ، يريدون : رسالة^(٢)) — (خذ الكتاب واقرأ ما فيها . يريدون : الأوراق) . وكذلك : (الحرف فى مثل قولهم : هذه الحرف : نعت ؛ يريدون به : الكلمة) وأمثال هذا كثير فى كلامهم . . .

(١) وهذا فى رأى الأحسن ، كما سبق ص ٥٤١ حيث البيان الخاص بهذا .

(٢) وكقول شاعرهم :

يأيمُ الراكب المَرْجى مَطِيَّتَهُ سائلُ بنى أسد : ماهذه الصوت ؟

يريد : الضجة ، أو الصرخات . . .

وحكم هذا النوع : أنه يصح مراعاة صيغته اللفظية ، من ناحية عدم تأنيث فعلها المسندة إليه ، وكذلك مراعاة تذكيرها اللفظي عند نعتها ، والإشارة إليها و . . . - كما يصح مراعاة معناها الذي تؤول به بشرط قيام قرينة جلية تمنع اللبس ؛ نحو : (امتلأت الكتاب بالسطور ؛ تريد : الورقة التي في يدك ، مثلاً) - (هذه الكتاب نافعة ، تريد : هذه الورقة) . . . ولكن من الخير الاختصار على مراعاة صيغة اللفظ ؛ قدر الاستطاعة منعاً للالتباس ، فإن هذا المنع غرض من أهم الأغراض اللغوية ، يجب الحرص عليه هنا ، وفي كل موضع آخر^(١)

٧ - المؤنث الحكمي : وهو ما كانت صيغته مذكرة ولكنها أضيفت إلى مؤنث فاكتسبت التأنيث ؛ بسبب الإضافة ؛ كقوله تعالى : (وجاءت كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ) . فكلمة « كل » مذكرة في أصلها ، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنث ؛ وهو « نفس »^(٢) .

تلك أشهر أنواع المؤنث . ويعنينا منها ، النوعان الأساسيان ؛ وهما الأول والثاني (أى : المؤنث الحقيقي ، والمجازي) أما سواهما فتفرع منهما ، راجع إليهما في أكثر أحكامهما

والنوعان الأساسيان (أى : الحقيقي والمجازي) لا بد من اشتباههما على علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة (أى : ملحوظة) ، كما في بعض الأمثلة الأولى .

(١) وإلا صارت اللغة فوضى ، مضطربة الدلالات ، غامضة المعاني والمراى . وما يساعد على إيجاد هذه العيوب فتح باب « التأنيث التأويلي » بغير قيد ، وإباحته لإباحة مطلقة ، مع علمنا أن كل لفظ مذكر لا يكاد يعدم ضدا له مؤنثاً على التأويل . فلو استبحنا استعمال المؤنث التأويلي استباحة عامة لكان من ورائها فساد لنوى كبير . لكن لا مانع منها إذا اشتهر اللفظ المذكور في عصره وشاع المراد منه شيوعاً لاخفاء فيه ، ولا لبس معه ، كالذي يجري في أيامنا من تسمية بعض الصحف والمجلات بأسماء مذكرة ؛ مثل : الهلال ، والعربي ، والمنبر . . . من أسماء المجلات الأدبية ، ومثل : المقطم ، والمساء ، والبلاغ . . . من أسماء الصحف اليومية ؛ فينطبق عليها الأمران السالفان ، فيقال : ظهر الهلال ، أو ظهرت الهلال . وكذا الباقي حيث يلاحظ التذكير أو التأنيث في كل .

ولعل هذا الرأي أنسب وأنفع من الآراء القديمة الأخرى ، التي منها الحكم المطلق بالخطأ على تذكير المؤنث - كما يفهم من « الموشح » ص ٢٧٩ منسوباً للكسائي زعيم الكوفيين - ومنها رأى ابن جني في كتابه « الخصائص » - ج ٢ ص ٤١٥ - حيث يقول : (تذكير المؤنث واسع جداً . . .) وحيث يفهم من بحثه أن تأنيث المذكور قليل . . .

(٢) إيضاح هذا مدون في موضعه من باب الإضافة (ج ٣ ص ٥١ م ٩٢) .

وقد تبين مما تقدم أن علامات التأنيث الظاهرة الدالة على تأنيث الأسماء المعربة^(١) ثلاث زوائد ، وكل واحدة منها فارقة بين المؤنث والمذكر ، ولا يصح أن يوجد منها في الاسم إلا علامة واحدة^(٢) ظاهرة لتأنيثه . والثلاث هي : تاء التأنيث المتحركة المربوطة^(٣) ، وألف التأنيث المقصورة ، وألف التأنيث الممدودة . وفيما يلي تفصيل الكلام على كل علامة :

(العلامة الأولى) : فأما تاء التأنيث^(٣) المتحركة المربوطة فمختصة بالدخول قياساً على أكثر الأسماء المشتقة^(٤) ؛ لتكون فارقة بين مذكرها ومؤنثها ؛ نحو : عابد وعابدة — عرّاف وعرّافة — فريح وفريحة — مأمون ومأمونة — ولا تدخل على أسماء الأجناس الجامدة إلا سماعاً ؛ وقد سمعت في بعض ألفاظ قليلة لا يقاس عليها ؛ مثل : أسد وأسدة — رجل ورجلة — فتى وفتاة — غلام وغلّامة — امرأ وامرأة — إنسان وإنسانة ، في لغة . . . ونظائرها مما تنص عليه المراجع اللغوية ، ويجب الوقوف فيه عند حد السماع الوارد^(٥) .

وإنما كانت تاء التأنيث مختصة بالدخول على أكثر الأسماء المشتقة دون

(١) أما الأسماء المبنية أصالة فلا تكون علامة تأنيثها تاء المربوطة ، ولا الألف ، وإنما لها علامات أخرى ، منها : كسر التاء في مثل : أنت . والنون المشددة في مثل : هُنَّ . وأما بعض الحروف فقد تدخلها التاء المفتوحة سماعاً ، نحو : رُبَّتْ .

وأما الأفعال فتؤنث ألفاظها بالتاء لتأنيث فاعلها ؛ فتدخل تاء التأنيث الساكنة على آخر الماضي ، نحو : برعت طبيبتنا ، وتدخل التاء المتحركة على أول المضارع ، نحو تَبْرِعُ الطبيبة

(٢) وأما : «عَلِقَاء» ، اسم نبت ، وأُرْطَاء ، اسم شجر — فالفهما مع وجود التاء معها ألف إلحاق ، ليست للتأنيث .

(٣ ٣) ويسمى بعض النحاة ، «هَاء التأنيث» ؛ لأنها تصير «هَاء» عند الوقف عليها ، بالسكون أما في غير الوقف فتحركة . وللتسمية بيان مفيد عرضناه في رقم ٣ من هامش ص ٢٣٦ . وقد يسميها بعضهم : «تاء النقل» ؛ للسبب المبين في رقم ٣ من هامش ص ٥٨٥ .

(٤) يطلق — غالباً — على الاسم المشتق : «الوصف» ، أو : «الصفة» ، وهو غير النعت ، — كما عرفنا . وكما يحىء البيان في رقم ٣ من هامش ص ٥٩٥ .

(٥) وقد صرح الصبان بهذا حيث قال : «(إن زيادتها في الأسماء الجامدة قليل ، ولا يقاس عليه)» . اهـ .

جميعها، لأن بعض المشتقات لا تدخله مطلقاً - في رأى أكثر النحاة^(١) -، وبعضها تدخله قليلاً، فلها مع المشتق ثلاث حالات. وأشهر الأوزان التي لا تدخلها^(٢) أربعة:

١ - فَعُول^(٣) بمعنى : فاعل^(٤) (وهو الدال على الذى فعل الفعل) ، نحو : صَبَّور - نَفَّور - حَقَّود... بمعنى : صابر - نافر - حاقِد - مثل : رجل أو امرأة صبور ، ونفَّور ، وحَقَّود...

أما المسموع^(٥) من قوْطِم : امرأة مَسْلُولَة ، وفَرَّوْقَة ؛ بمعنى : خوَّافَة - وكذا بِيضِيع كلمات أخرى^(٦) - فالتَّاء فيه للمبالغة مع التَّأنيث وليست لخص التَّأنيث وحده^(٧) وأما « عَدُوَّة » مؤنث : « عَدُوَّة » فقصورة هي وأشباهاها القليلة - على

(١ و ١٠١) انظر الزيادة في ص ٥٩٧ - لأهيتها ، واشتمالها على بيان مفيد .

(٢ و ٢) انظر « الملحوظة » الهامة التي في رقم ١ من هامش الصفحة التالية .

(٣) أشهرها : (صَرَّوْرَة : لمن لم يتزوج ، أو لم يَحْجُج) - (لَمَجُوجَة : لكثير الحاجة ، وهي : الخصومة) - (عَرَّوْقَة : لكثير العلم والمعرفة) - (شَنَّوَة - لكثير التقزز ، أو العداوة) - (مَنَّوَة : لكثير الامتنان) - (سَرَّوْقَة : لكثير السرقة) - راجع النودار ، ذيل الأملال ، للقال ص ١٧٣ - وجاء في المزهَر (ج ٢ ص ٨٦ - باب ما جاء على « فَعْمُولَة ») ألفاظ منها مَسْلُولَة : من الملل . وفَرَّوْقَة : من الفَرَق ، وهو الخوف ... وتَسْنُوفَة : للمفازة . ورجل عَرَّوْقَة . بالأمر ولَمَجُوجَة ، من المعرفة واللجاج - والحَمَّوْلَة : التي تحمل أهل الحى - بعيداً كانت أو حماراً - تَسْنُوفَة وهي التي يَتَّخِذُ نسلها - يوم العَرَّوْبَة ، وهو : (الجمعة) - وسَبَّوْحَة : البلد الحرام . والرَّضْوَة : للشاة التي تُرَضَّعُ .

(٤) ذلك أن تاء التَّأنيث قد تكون دالة على التَّأنيث المجرد ، وقد تفيد معنى آخر من المعاني دون أن تفيد الفصل بين مذكر ومؤنث ، بالرغم من أن الكلمة المشتبهة عليها تعتبر مؤنثة تأنيثاً لفظياً مجازياً ، وتجري عليها أحكامه . فن تلك المعاني : أنها تكون لفصل الواحد من جنسه الجامد ؛ فتكون داخلية على الواحد كتمرة وتمر ، وَلَبْسَة ولَبْس ، ونملة ونمل . وللعكس ، أى : فصل الجنس الجامد من واحد فتكون داخلية على الجنس ؛ كجَبَّاءَة وكَمَّاءَة (يفتح أولهما وسكون ثانيهما ، وهما اثنان لنوع واحد من النبات . يقال لمفرده : جَبَّاء ، كَمَّاء) . وأنها تكون عوضاً عن فاء الكلمة ؛ مثل : عِدَة ، مصدر ، وَعَدَة ، أو عوضاً من لام الكلمة ، مثل : سَنَة ، وأصلها فيما يقال : سَنَو ، أو سَنَهْ بِدَلِيل . الجمع : سنوات وسنات . أو عوضاً من حرف زائد لمعنى ؛ كياء النسب في قوْطِم : هو أشْعَى ، وهم أشاعِشَة ، وهو أَرْزَق ، وهم أزارِقَة ، وهو مُهَلَّبِيّ ، وهم مهالبة . يقولون هذا في جموع التكسير المنسوب لمفردها إلى : أشعث ، وأَرْزَق ، ومُهَلَّب... ويدل على هذا قوْطِم : أشعِشون وأشاعِشَة ، وأَرْزَقيون وأزارِقَة ، ومهلبيون ومهالبة . فلا يجمعون بين الياء والتاء - وسيجيء البيان في ص ٦٧٣ - أو عوضاً من حرف زائد لغير معنى ؛ كزَنْدِيق وزنادِيقَة . فالتاء عوض عن الياء في المفرد ؛ إذ كان الأصل في تكسيروها : زنادِيق ، ولا يجتمعان ، أو عوضاً عن ياء التفعيل في مثل : زَكَّى تزكية . وقد تأتى للدلالة على التعريب ؛ أى : للدلالة على أن الكلمة في أصلها غير عربية ، وعربها العرب =

فإن كان «فَعُول» بمعنى : «مفعول» (وهو الدال على الذى وقع عليه الفعل)

= أنفسهم بإدخال بعض الأحرف على صيغتها ، واستعمالها بعد ذلك . مثل : كَيْبَلَجَة (جمع : كَيْبَلَجَة ، لمكيال) . والقياس : كَيْبَلَج ؛ فجاءت التاء بدلاً من الياء للدلالة على تعريبه . ومثل مَوَازِجَة (جمع : مَوَازِج ، بفتح الميم ، وسكون الواو ، وفتح الزاى ، للجورب ، أو : الخف) والقياس . مَوَازِج ؛ فدخلت « التاء هنا وهناك » للدلالة على أن الأصل أعجمي فُعْرَبَ . . والفرق بين المعرب وغيره : أن العرب إذا استعملت الأعجمي فإن خالفت بين ألفاظه - بأن أدخلت عليها نوع تغيير - فقد عربته - كما سبقت الإشارة في «ب» هامش ص ٢٤٥ . وإلا فلا ؛ وهو الباقي على أعجميته .

وقد تأتى المبالغة في الوصف كرجل راوية ؛ لكثير الرواية . وقد تأتى لتأكيد المبالغة ؛ نحو : رجل «نَسَابَة» لكثير العلم بالأنساب ؛ ذلك أن كلمة «نَسَاب» صيغة مبالغة بنفسها ، فإذا زيدت عليها التاء أفادت تأكيد المبالغة . .

وقد تكون التاء ثابتة في بعض أسماء لا يمكن تمييز مذكرها من مؤنثها ، نحو : نملة . فيجب اعتبار الاسم مؤنثاً دائماً . وبعض ما لا يمكن تمييزه يتجرد منها دائماً فيجب اعتباره مذكراً في كل استعمالاته ، نحو : برغوث . (راجع التصريح ، والأشئوى ، والصبان) .

وإراجع ما يتصل بها في ج ١ م ١ ص ٢١ عند الكلام على اسم الجنس الجمعي وحكم تذكيره وتأنيثه . (١) «ملحوظة هامة» : ما تقدم من الحكم الخاص بصيغة «فَعُول» بمعنى : «فاعل» هو الرأي الشائع بين النحاة الأقدمين . وقد نظر فيه مجمع اللغة العربية بالقاهرة طويلاً ، وتناولوه هو ومؤتمره بالبحث والدراسة ، واستقر رأيهما على حكم آخر يخالف ما سبق (طبقاً لما جاء في الكتاب الذى أصدره المجمع في سنة ١٩٦٩ باسم كتاب : في أصول اللغة ص ٧٤) ونص الحكم الجمعي يشمل أمرين تحت عنوان : (لحق تاء التأنيث لفَعُول ، صفة ، بمعنى : «فاعل» .

١ - يجوز أن تلحق تاء التأنيث صيغة : «فَعُول» بمعنى : «فاعل» ؛ لما ذكره سيبويه ، من أن ذلك جاء في شيء منه ، وما ذكره ابن مالك في التسهيل من أن امتناع التاء هو الغالب . وما ذكره السيوطي في المصحح من أن الغالب ألا تلحق التاء هذه الصفات ، وما ذكره الرضى من قوله : (وما لا يلحقه تاء التأنيث غالباً مع كونه صفة فيستوى فيه المذكر والمؤنث : «فَعُول» .) ١٥

ويمكن الاستئناس في إجازة دخول التاء في «فَعُول» بأن صيغ المبالغة كاسم الفاعل ؛ يمكن أن تتحول إلى صفات مشبهة . وعلى ذلك في حالة دلالتها على الصفة المشبهة يمكن أن نلحق المعنى الأصل لها وهو المبالغة ؛ فتدخل عليها التاء ؛ جرياً على قاعدة دخول التاء في اسم الفاعل ، وفي صيغ المبالغة للتأنيث .

ب - وعلى هذا يجرى على تلك الصيغة - بعد جواز تأنيثها بالتاء - ما يجرى على غيرها من الصفات التى يفرق بينها وبين مذكرها بالتاء ؛ فتجمع جمع تصحيح للمذكر والمؤنث ١٥
وقد صدر قرار الموافقة على الحكم السالف في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين سنة

جاز تأنيته بالتاء الفارقة بين المذكر والمؤنث ، وعدم تأنيته بها ؛ نحو : قطارٌ
رَكوبٌ أو رَكوبةٌ ، وسيارة ركوب أو ركوبة ؛ بمعنى مركوب ومركوبة فيهما ، ونحو :
فاكهة أكُول أو أكولة ، وبقرة حَلْدُوب أو حَلْدُوبة ، بمعنى مأكولة ومحلوبة^(١) . . .

٢ - مِفْعَال ، نحو : مِفْتَاح . لكثيرة الفتح ولكثيره - معالِم ، لكثيرة
العالم وكثيره - مِفْرَاح ؛ لكثيرة الفرح وكثيره . . . فهذه الصيغة - بغير تاء -
صالحة للمذكر والمؤنث . ومن الشاذ^(٢) : مِيقَان ومِيقَانَة . لمن يكثر اليقين
والتصديق بما يسمعه . - فهو بمعنى : فاعِل -

٣ - مِفْعِيل^(٣) . نحو : مِنتِيق - للرجل البليغ ، والمرأة البليغة . ومِعْطِير ؛
لكثير العطر وكثيرته . ومن الشاذ مسكينة . بتاء التأنيث .

٤ - مِيفْعَل^(٣) ، كَمِغْشَم . للمذكر والمؤنث ، بمعنى : جرىء ، وشجاع
لا ينشئ عن إدراك ما يريده . يقال رجل أو امرأة مِغْشَم .

ومما سبق يتبين أن التاء الفارقة لا تدخل - في رأى الكثرة - على الصيغ الأربع
السالفة إلا شذوذاً^(٣) يراعى فيه المسموع وحده .

أما أشهر المشتقات التى تدخلها قليلا فنوعان ؛ ودخلها فيهما - مع قلته -
مقيس . ولكن الأحسن عدم إدخالها :

أحدهما : المشتقات الدالة على معنى خاص بالأنثى ، يناسب طبيعتها^(٣)

(١) ومن أمثلة التأنيث بالتاء والنص عليه ما جاء فى كتاب : « النوادر » نقلا عن أبى مسحل
ابن حريش - وهو أعرابى من بنى ربيعة ، وكان زين المأمون معاصراً للكسائى ، ومدرسته الكوفية ، وقد
أخذ عنه وعن أضرابه - ما نصه :

« (يقال : ما لفلان حَلْوِيَّة ، ولا رَكْوِيَّة ، ولا قَتْوِيَّة ، ولا نَسْوَلَة ، ولا جَزْوَزَة . ومعناه :
ليست له ناقة تحلب ، ولا تركب ، ولا تقتب ، ولا ذات نسل من الإبل والغنم ، ولا جزوزة من الضأن
يجز صوفها) . » ١ هـ .

(٢) وجاء فى كتاب النوادر . لأبى مسحل الأعرابى - ص ١ ص ٢٤ ما نصه : « (ثلاث أحرف
- أى : كلمات - حكاها الكسائى عنهم . قال : يقال : رجل مِطْطَرَاب ومِطْطَرَبَة ، ومِجْجَذَام ومِجْجَذَامَة ،
ومِصْطَار ومِصْطَارَة .) » وزاد « المزهَر » - ص ٢ ص ١٣٣ معيّزاً به ، فى مدح الرجل بأنه : ذكى داهية .
(٣ و ٣) انظر الزيادة الآتية فى ص ٥٩٧ ، حيث البيان المفيد .

ويلائم فِطْرَةَ النساء وحدها ، وليس أمراً مؤقتاً طارئاً عليها ، وإنما هو من خصائصها وغرائزها الثابتة الملازمة لتكوينها دائماً ، وتنفرد به دون المذكر ؛ كالحمل ، والولادة ، والإرضاع ، والحيض . . . وغيره مما هو من خصائص الأنثى ؛ نحو : امرأة حامل ، أو حامله (ومعناهما : حُبلى) ومرضع ومرضعة . . . فدخل التاء وعدمه بيان ، الأمران قياسيان ، كما أسلفنا ، ولكن الحذف أحسن^(١) .

والآخر : ما كان على وزن « فَعِيل » بمعنى : مفعول ؛ بشرط أن يُعْرَف من الكلام أو غيره نوع المتصرف بعناه ؛ (أى : بشرط ألا يستعمل استعمال الأسماء غير

(١) راجع الصبان . إنما يجوز الأمران والحذف أحسن إذا كان معنى الاسم المشتق خاصاً بالأنثى ، يلائم طبيعتها النسوية وحدها ، ووصفاً ثابتاً لها - كما قلنا ، وليس مقيداً بحالة طارئة - كوصف المرأة بأنها : « مرضع » ؛ أى : بأن طبيعتها ، وأهليتها التي خلقت معها ، هى : الإرضاع ؛ ولو لم تكن وقت الكلام ترضع طفلاً ، أو تضع ثديها فى فمه ، ومثل وصفها بأنها : « حامل » ؛ فى نحو : المرأة الحامل لا العاقر مرغوبة ، أى : المرأة التى من النوع الحامل ، والتي من شأنها ومن طبيعتها أن تحبل ، ولو لم تكن وقت الكلام حُبلى . بل يقال هذا ولو لم تكن قد تزوجت .

وهذا الحكم العام يشمل الصورة التى صدر فيها قرار مجمع اللغة العربية ومؤتمره . ونص القرار - كما جاء فى ص ١٠٦ من الكتاب المجمعى الصادر فى سنة ١٩٦٩ بالجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الثلاثين لسنة ١٩٦٤ - هو :

« (يجوز تأنيث ما جاء على صيغة : « فاعل » من الصفات المختصة بالمؤنث بالتاء وإن لم يقصد الحدث) » . ١ هـ

فإن كانت الصفة طارئة ، والقصد منها الحدث لا الثبوت ، وجب الإتيان بالتاء ؛ نحو : هذه مرضعة الآن أو غداً ، وحاملة اليوم أو غداً . ومن هذا قوله تعالى فى آيه القِيَامَةِ : (يَوْمَ تَدْرُونَهَا تَدْرَاهِلٌ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَتْ أَرْضَعَتْ . . .) ، أى : التى هى فى حالة إرضاع طارئ ، تلقم صبيها ثدياً (انظر « ب » من الزيادة فى ص ٥٩٧)^١ . ولوقال : « مرضع » بحذف التاء لكان المراد : التى من شأنها ومن غرائزها الإرضاع ، لا أنها تمارسه وقت التكلم فعلاً أو فى وقت محدد معين .

ومما سبق يفهم المراد من قول اللغويين : إن الصفات المختصة بالمؤنث - كرضع - إن قصد بها الحدث (أى : الوصف المؤقت الطارئ فى أحد الأزمنة) لحقها التاء ؛ فيقال : مرضعة ، وإن لم يقصد بها هذا لم تلحقها ؛ فإن كان المعنى ليس خاصاً بطبيعة المرأة وجب إثبات التاء ؛ كقولنا : شاهدت حاملاً ؛ تريد : امرأة تحمل على رأسها أو كتفها شيئاً ، لأن الحمل على الرأس أو على الكتف ليس من خصائصها وحدها ، وإنما يشاركها فيه الرجل . ومن ثم كان حذف التاء ممنوعاً إذا وقع فى لبس ؛ فلا يقال : فى الحقل ضامر ، وتحت الشجرة عانس ، لأن الضامر والعانس يقال للمذكر والمؤنث ؛ فإذا حذف التاء عند إرادة المؤنث ، لم يتبين المراد .

المشتقة^(١). ومن أمثلته : قَتِيل وجَرِيح في مثل : انفجَلت المصادمة عن فتاة قَتِيل وفتاة جَرِيح ؛ بحذف التاء جوازاً^(٢) لعدم الحاجة إليها ؛ إذ اللبس مأمون في هذه الصورة . فإن شاع استعماله استعمال الأسماء المجردة - بأن لم يُعرَف نوع الموصوف^(٣) - وجب ذكرها لمنع اللبس ؛ نحو : حَزَنْتُ لقتيلة المصادمة . ومثل : رأيت في الحِزْرِ ذبيحة ، أو نطيحة ، أو أكيلة الذئب ؛ بمعنى ؛ مذبوحة ، ومنطوخة ، ومأكولة .

فإن كانَ « فَعِيل » بمعنى : « فاعِل » فالأكثر مجيئها ؛ كقول شوقي :

قِطَطِي جِدُّ أَيْفَهْ وهى للبيست حليفه
هى ما لَمْ تَتَحَرَّكْ دُمُيَّة البيت الطريفه

ومن حذفها قوله تعالى : (وما يدريك لعلَّ الساعةَ قريبٌ) ؟ وقول العرب حُلَّةٌ خَصِيفٌ (أى : ذات لونين ، بياض وسواد) ، ومِلْحَنَةٌ جديد ، وريح خَرِيق (شديدة البرد ، كثيرة الهبوب) ، وقول شاعرهم : فديتك !! أعدائي كثير ، وشِقَّتِي^(٤) بعيد ، وأشياعى لديك قليل

* * *

وما تقدم يتبين أن للتاء الفارقة مع المشتق ثلاثة أحوال ؛ فتارة تكون ممنوعة

(١) يراد بها هنا : الأسماء المتجردة للاسمية المحضة ؛ فلا تتبع موصوفاً ، لا في اللفظ ولا في المعنى ؛ إذ لا تجرى على موصوف ظاهر ؛ ولا ملحوظ لدليل - كما في الأسماء والحضرى -

(٢) نصوا على أن الحذف هو الغالب . ويقول « الصبان » : « (يؤخذ من صنعهم أن لحوق التاء « فَعِيلًا » بمعنى : « مفعول » خلاف الغالب لإشاذ) ا هـ . ثم انظر : « ب » الآتية في ص ٥٩٧ .

(٣) ليس المراد بالموصوف هنا الموصوف الصناعى - الاصطلاحى - المعروف بالمنوت ، وإنما المراد الموصوف المعنوى الذى يتصل به معنى المشتق . فيشمل : الفتاة قتيل ، بحذف التاء ، مع أن الفتاة مبتدأ ، وليست موصوفاً صناعياً (أى : ليست : منعتاً) ولا فرق في الموصوف المعنوى بين الملفوظ ، والملحوظ في الكلام ؛ وهو الملحوظ اكتفاء بقرينة تدل عليه ؛ كإشارة إليه ، أو ضمير يعود عليه ؛ وبين نوعه ، أو شيء آخر يوضح أمره ، نحو : قتيل من النساء ؛ فلا تجيء التاء في هذه الحالات ، مجازة للأحسن . فالمعول عليه في الموصوف هو العلم بنوعه وإن لم يكن المشتق نعتاً تابعاً له حقيقة . سواء أذكر موصوف أم لا .

(٤) من معانى الشِّقَّة (بضم الشين المشددة وكسرهما) : الناحية التى يقصدها المسافر .

الدخول عليه . وتارة تكون قليلة الدخول . وهى مع قلتها مقيسة^(١) . وفى غير النوعين السالفين كثيرة وقياسية .

أما مع غير المشتق — وهو الأجناس الجامدة — فقصورة على السماع الوارد فى بعض الألفاظ : ولا يصح القياس عليها^(٢) . . .

(١) لأنها قلة نسبية لا تمنع القياس ، وليست ذاتية تمنع — كما عرفنا —

(٢) طبقاً للنص الصريح الذى نقلناه عن « الصبان » — فى رقم ٥ من هامش ص ٥٩٠ — وقد

عرض ابن مالك المشتقات التى لا تدخلها التاء ؛ فقال :

وَلَا تَلِي - فَارَقَةً - فَعُولًا أَصْلًا . وَلَا الْمِفْعَالُ ، وَالْمِفْعِيلُ

كَذَلِكَ : مِفْعَلٌ . وَمَا تَلِيهِ «تأ» الفرقِ مِنْ ذَى ، فَشُدُوذٌ فِيهِ

(ذى : هذه : يريد : ما تلحقه التاء الفارقة من هذه الأوزان ففيه شدوذ . أى : أنه شاذ) . ثم انتقل

إلى حكم فَعِيلٍ ، فقال :

وَمِنْ «فَعِيلٍ» كَقَتِيلٍ إِنْ تَبِعَ مَوْصُوفَهُ - غَالِبًا «تَأ» تَمْتَنِعُ

«تبع موصوفه» ، أى : جاء بعده تابعاً له . والغرض أن يكون له موصوف معروف ، سواء أكان

الموصوف منعوتاً ، صناعياً أم غير منعوت ، مذكوراً أم غير مذكور على الوجه السابق فى الرقم الثالث من هامش الصفحة السابقة . وقالوا إن بيت ابن مالك يخلو من التقصير لو كان :

وَمِنْ فُعِيلٍ كَقَتِيلٍ إِنْ عُرِفَ مَوْصُوفُهُ - غَالِبًا - التَّأ تَمْتَنِعُ

زيادة وتفصيل :

(١) صرح بعض أئمة النحاة الأقدمين (كصاحب المفصل وشارحه ابن يعيش ، في ص ١٠٢ ج ٥) بأن الأربعة الأولى السَّالفة ^(١) يشترط لحذف التاء منها ما يشترط في « فَعِيل » ^(٢) ، ونصّوا على أنك تقول : صبورة ، ومعطارة ، إذا لم يُعرف الموصوف ؛ فيقول ابن يعيش : « إن هذه الأسماء إذا جرت على موصوفها ^(٣) لم يأتوا فيها بالهاء ، وإذا لم يذكروا الموصوف أثبتوا الهاء خوف اللبس ؛ نحو : رأيت صبورة ، ومعطارة ، وقتيلة بنى فلان . . . » .

وهذا تصريح واضح لا يدع مجالاً للتردد في الأخذ به . وتجب ملاحظة الحكم الخاص بصيغة : « فَعُول » بمعنى : « فاعل » ، وقد سبق في رقم ١ من ص ٥٩١ وما بعدها ، وفي هوامشها .

(ب) وفي الكلام على : « فَعِيل » يقول سيبويه في كتابه (ج ٢ ص ٢١٣) ما نصه : ' (وأما « فَعِيل » إذا كان في معنى مفعول فهو في المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة : « فَعُول » ولا تجمععه بالواو والنون كما لا تجمع صيغة : فَعُول ^(٤) . . . و . . . » .

« وتقول : شاة ذَيْبِج ، كما تقول : ناقة كَسِير ، وتقول : هذه ذبيحة فلان وذبيحتك . ذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذُبِحَتْ . ألا ترى أنك تقول ذاك وهي حية ؟ فإنما هي بمنزلة ضَحِيَّة . وتقول : شاة رَمِيٍّ ، إذا أردت أن تخبر أنها قد رُميت . وقالوا : بش الرَّمِيَّة الأرنب ، إنما تريد : بش الشيء مما يرمى . فهذه بمنزلة الذبيحة . وقالوا : نعجة نطيح ، ويقال - أيضاً - : نطيحة . شبهوها بسمين وسمينة . . . و . . . وقالوا : رجل حميد ، وامرأة حميدة . يشبه بسعيد وسعيدة ، ورشيد ورشيدة حيث كان نحوهما في المعنى ، واتفق في البناء ^(٥) . . . » . اهـ

قال شارحه أبو سعيد السيرافي تعليقاً على المثال : « هذه ذبيحة فلان وذبيحتك »

(١) في ص ٥٩١ - وما بعدها . (٢) سبق في ص ٥٩٤ .

(٣) سبق شرح المراد من الموصوف في هذا الباب رقم ٣ من هامش ص ٥٩٥ .

(٤) انظر « الملحوظة الهامة » التي في رقم ١ من هامش ص ٥٩٢ وتختص بصيغة « فَعُول » من حيث تأنيثها ، وتذكيرها ، وإفرادها ، وعدم الإفراد . . .

(٥) الصيغة .

ما نصه : (لم أر أحداً علل في كتاب إلحاق التاء . والعلة فيه عندى أن ما قد حصل فيه الفعل يذهب به مذهب الأسماء ، وما لم يحصل فيه ذهب به مذهب الفعل ، لأنه كالفعل المستقبل ؛ ألا ترى أنك تقول : امرأة حائض . فإذا قلت حائضة غداً لم يحسن فيه غير الهاء (التاء المربوطة) . وتقول : فلان ميت إذا حصل فيه الموت . ولا تقل : مائت . وإذا أردت المستقبل قلت : مائت غداً ، فتجعل فاعلاً جارياً على فعله) .

وجاء في « تاج العروس شرح القاموس » - مادة : قتل - ما نصه : (قال الرضى : وما يستوى فيه المذكر والمؤنث ولا تلحقه « التاء » - فعيل ، بمعنى : مفعول . إلا أن يحذف موصوفه ؛ نحو : هذه قتيلة فلان وجريحته . ولشبهه لفظاً بفعل بمعنى « فاعل » قد يحمل عليه فتلحقه التاء مع ذكر الموصوف أيضاً ؛ نحو : امرأة قتيلة ؛ كما يحمل « فعيل » . بمعنى : « فاعل » عليه فتحذف التاء ، نحو : ملحقه جديد) اهـ .

من كل ما سبق يتبين تأويلهم لما ورد من « فعيل » بمعنى « مفعول » مختوماً بالتاء . وفي بعض هذه التأويلات تكلف واضح . ومن اليسير كشف ما فيها من الخطأ الذى يمنع قبولها . هذا إلى أن كتب اللغة ومعاجمها تحوى أمثلة أخرى متعددة مختومة بالتاء ، ولا تحتمل تأويلاً سائغاً . فالخير فى الاختصار على ما نقلناه^(١) عن بعض المحققين من أن الأكثر هو حذف التاء عند أمن اللبس ؛ بسبب وجود الموصوف ، وعدم استعمالها استعمال الأسماء غير المشتقة ، وهذا رأى سديد يحسن الأخذ به ، بالرغم من أن أكثر النحاة لم يذكروه مع جواز استعمال الرأى الآخر .

(ح) لأسماء الجموع حكم خاص ورد فى بعض المراجع اللغوية^(٢) ، ونصه : « القوم : يذكر ويؤنث ؛ لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا

(١) فى ص ٥٩٤ وما بعدها .

(٢) هو : تاج العروس ، شرح القاموس . مادة : قام . وقد سبق فى الجزء الثانى - م ٦٦ باب : أحكام الفاعل ، فى الحكم السادس - ما له صلة قوية بما نحن فيه .

كانت اللآدميين — تذكروتنث ؛ مثل : رَهْط^(١) ، وَنَفْسَر^(١) ، وَقَوْمٌ .. قال الله تعالى : (وكذب به قومك ، وهو الحق ...) ، فذكّر . وقال : (كذب قومك بوج ...) فأنتث . قال الجوهرى : فإن صَغَرْت لم تدخل فيها الهاء (التاء) ، وقلت : نَوَيْسَم ، وَرُهَيْط ، وَنَفْسَر ... ، وإنما يلحق التأنيث فعله وتدخل الهاء^(٢) فيما يكون لغير اللآدميين ؛ مثل : الإبل ، والغنم ... لأن التأنيث لازم لهذا النوع^(٣) ... » ثم قال : حكى ثعلب أن العرب تقول : يأيها القوم كفّوا عنا . وكفّ عنا ، على اللفظ وعلى المعنى . وقال مرة : مخاطب واحد ، والمعنى الجمع) ا ه .

(١ و ١) يرى بعض النحاة أن كلمتى : « رهط » و « قوم » مذكورتان ليس غير . ورأيه مرفوض بهذا النص . وبزيادة التاء وحذفها من الفعل فى الآيتين التاليتين ، والفاعل فىهما هو كلمة : « قوم » . (٢) يريد : تاء التأنيث المربوطة .

(٣) الحكم بدخول هذه التاء لزوماً إنما هو فى حالة التصغير وحدها ، وهذه الجملة مكملّة لما قبلها من كلام الجوهرى . وقد نقل « المصباح المنير » كلامه هذا فى مادة « غنم » فقال ما نصه : « (قال الجوهرى : الغنم اسم مؤنث موضوع لجنس الشاء ، يقع على الذكور ، والإناث ، وعليهما . ويصغرتدخل الهاء ، ويقال : غَنَيْمَة ؛ لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير اللآدميين ، وصغرت ، فالتأنيث لازم لها .) » ا ه .

(العلامة الثانية) (١) :

وأما ألف التأنيث المقصورة فقد زيدت سماعاً في آخر الأسماء المعربة ، سواء أكانت جامدة أم مشتقة ؛ تبعاً للمسموع عن العرب ، ولا تدخل في غير الوارد عنهم ؛ فما أدخلوها على آخره صار وحده مؤنثاً بها .

وللأسماء التي تدخلها أوزان مختلفة ؛ بعضها نادر مبثّر في المراجع اللغوية ، يصعب معرفته والاهتداء إلى أنه مؤنث إلا بمعونة تلك المراجع ، وإرشادها . وبعضها شائع في الكلام الفصيح ، مشهور الصيغة بالتأنيث ؛ فتي عُرفت صيغته دلت - في الأعم الأغلب - على أنها لمؤنث ، دون حاجة إلى مرشد أو معين . وصيغ هذا النوع تكاد تنحصر في الأوزان الآتية التي يدل كل وزن منها على أن الكلمة مؤنثة ؛ وهي أوزان سماعية لا يجوز زيادة وزن على الوارد المسموع منها عن العرب - كما تقدم - :

١ - فُعِلْمَي (بضم ففتح ، ففتح) كُشْعَبَي ، وأُدِمَي . . . اسمين لموضعين ، وأُرَبَي ، اسم للداھية .

٢ - فُعِلْمَي (بضم فسكون ففتح مع مدّ) . مثل : بُهْمَي : اسم نبت - وطُومَي ، أنثى للوصف : أطول - وحُبْلَي ، وصف للحامل - ورُجْعَي : مصدر للفعل : رجع (ومنه قوله تعالى : « إن إلى ربك الرجْعَي ») .

٣ - فُعِلْمَي (بفتحات) ، مثل : بَرَدَي ، اسم نهر بالشام (٢) - وحَمِيدَي وصف في مثل : ناقة حَمِيدَي ، أى : تحيد عن ظلها وتحاول الفرار منه (٣) - ومِرْطَي ، وبَشَكَي ، وحَمَزَي . . . والثلاثة مصادر : ومعناها واحد : هو

(١) سبق الكلام على العلامة الأولى في ص ٥٩٠ . أما الثالثة ففي ص ٦٠٣

(٢) يخترق دمشق .

(٣) جاء في الصبان في هذا الموضع ما نصه : « (يقال : حمار حَمِيدَي - بجاء مهملة ، فتحية ، فذل مهملة - أى : يحيد عن ظله لنشاطه ولم يجيء نعت مذكر على : « فُعِلْمَي » غيره ، كما في الصحاح والقاموس .) » هـ .

لكن جاء أيضاً في لسان العرب في التاج مادة : « بَشَك - أنه يقال : « رجل بَشَكَي الأمر » ، أى : يجعل صريمة أمره .

المشيئة السريعة . وأفعالها : مَرَّطَ ، وَبَشَّكَ ، وَجَمَزَ ، ثلاثية مفتوحة الوسط .

٤ - فَعْلَلَى - بفتح فسكون... - (جمعاً ؛ كَفَتَلَى ، وَجَرَحَى ، وَصَرَعَى) ،
أو : (مصدرأ ؛ كَدَعَوَى ، مصدر : دعا) ، أو : (وصفاً^(١)) ؛ كَسَكَّرَى ،
وسَيَّفَى ، وَشَبَّعَى ، وَكَسَلَى . مؤنث سكران ، وَسَيَّفَان ، - بمعنى : طويل -
وشبعان ، وكسلان) . فإن كان « فَعْلَى » اسماً (كَأَرَطَى^(٢) ، وَعَلَقَى^(٣)) فقليل ألفه
للتأنيث فيمنع للصرف ، وقيل للإلحاق فلا يمنع .

٥ - فُعْلَالَى (بضم أوله ، وفتح ثانيه بغير تشديد) ، مثل : حُبَّارَى
وَسُمَّانَى اسمين لطاثرين ، وسُكَّارَى جمع سَكَّرَان ، وَعُلَّادَى - وصفاً -
بمعنى : شديد ، يُقال : جملٌ «عُلَّادَى : أى : قوى شديد .

٦ - فُعْلَلَى (بضم أوله ، وفتح ثانيه مع تشديده) . مثل : سُمَّهَى ، اسم
للباطل والكذب ، واسم الهواء المرتفع .

٧ - فِعْعَلَى (بكسر أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون ثالثه المدغم في مثله) ،
مثل : (سِبْطَرَى ؛ اسم لِمِشِيَّة فيها تبختر) ، (ودِفَقَى ، اسم لمشيئة فيها
تدقق وإسراع) .

٨ - فِعْلَلَى (بكسر ، فسكون ، ففتح) جمعاً ، كِحَجَّجَلَى الذى مفردة :
حَجَّجَل (بفتحين) اسم طائر - . أه مصدر أكذ كَرَى ؛ (مصدر الفعل : ذَكَرَ ،
يَذْكُر ، ذِكْرًا ، وَذِكْرَى) .

٩ - فِعْعِلَى (بكسر أوله ، فكسر ثانيه مع تشديده) ، مثل : (حِشَّيَى
اسم مصدر للفعل : حَشَّ عَلَى الشئ إذا حضَّ عليه) ، (وَحَلَّيَفَى ، اسم بمعنى :
الخلافة) .

١٠ - فُعْعَلَى (بضميتين : فتشديد ثالثه مع فتحه) ، مثل : (كُفَّرَى ،

(١) ويعبر عن المشتق من الأشياء بالوصف أو الصفة - كما قلنا في رقم ٣ من هامش ص ٥٩٥ - ،
وهو غير الوصف أو الصفة بمعنى : التعت .

(٢) شجر . (المفرد : أرطاة) .

(٣) نبت . (المفرد والجمع) .

اسم لوعاء يوضع فيه طلع النخل ، واسم للطلع نفسه) . و (بُدْرَى وَحْدَرَى ، اسمين بمعنى : التبذير والخذلر) .

١١ - فُعَيْلَى (بضم أوله ، وفتح ثانيه المشدد) ، مثل : خُلَيْطَى ، اسم للاختلاط . يقال : اختلف القوم ووقعوا في خُلَيْطَى . أى : اختلط عليهم أمرهم ، ومثل : قُبَيْطَى ، اسم لنوع من الحنلوى ، ولُغَيْزَى ، اسم للغز .

١٢ - فُعَالَى (بضم أوله وتشديد ثانيه) ، مثل شُقْنَارَى ، وخُبَارَى اسم نبتين ، وخُضَارَى اسم طائر . . . (١)

« ملحوظة » : من الأوزان النادرة :

فُعَيْلَى : مثل خَيْسَرَى ، للخسارة - فَعْلَوَى : مثل : هَرَزَوَى ، اسم نبت . - فَعْوَلَى : اسم نوع من المشى . - فَيَعْوَلَى : مثل : فَيَضْوَى ، اسم للمفاوضة ، أى : الاشتراك فى الشيء . - فَوَعْوَلَى : مثل : فَوَضْوَى : اسم بمعنى المفاوضة . - فُعَلَايَا ، مثل : بُرَحَايَا ؛ كلمة تقال عند التعجب من شئ .

..... و و

* * *

(١) يقول ابن مالك فى قسى ألف التانيث :

وَأَلِفُ التَّانِيثِ ذَاتُ قَصْرٍ وَذَاتُ مَدٍّ ، نَحْوُ : أَنْثَى الْغُرِّ
« الغر » جمع ، مفردة المذكر : أَغْرَ ، والمؤنث : غَرَاء ، ثم انتقل بعد هذا إلى سرد الأوزان المشهورة للألف المقصورة فقال :

وَالِإِسْتِهَارُ فِي مَبَانِي الْأَوَّلَى يُبْدِيهِ وَزْنٌ : أُرَبَّى ، وَالطُّوْلَى
وَمَرَطَى ، وَوَزْنُ فَعْلَى جَمْعًا أَوْ : مُصَدَّرًا ، أَوْ : صِفَةً ، كَشَبَعَى
وَكُجْبَارَى ، سُمِّىَ ، سَبَطَرَى ذِكْرَى ، وَحِثِّيَ مَعَ الْكُفْرَى
كَذَاكَ : خُلَيْطَى مَعَ الشُّقَارَى وَاعْزُ لَغِيرِ هَذِهِ اسْتِنْدَارَا

(اعز : انصب - استندارا ، ندره) أى : انصب كل صيغة خالفت هذه الأوزان إلى القلة القليلة

الذاتية ، والندرة

(العلامة الثالثة)^(١) :

وأما ألف التأنيث الممدودة^(٢) . فكأختها المقصورة في أنها سماعية محضة ، لا تدخل في غير الوارد عن العرب . وقد زادها العرب في آخر بعض الأسماء المعربة الجامدة ، أو المشتقة للدلالة على التأنيث . وأوزانُ الأسماء السماعية التي تحتويها مختلفة ؛ بعضها نادر مفرق في المظان اللغوية ، وهى التى ترشد إليه ؛ وبعضها شائع مشهور يُعرف بمجرد سماع صيغته . ومنه الأوزان الآتية :

١ - فَعْلَاء - بفتح فسكون ، (كصَحْرَاء ، اسم للبقعة القفرة) .
و (رَغَبَاء ، مصدر للفعل : رَغِب) و (حَمْرَاء مؤنث : أَحْمَر ، . . .)
و (طَرَفَاء ، اسم جنس جمع^(٣) ، مفردة : طَرَفَاء - فى الأكثر - ، وهى نوع من شجر الأثل) .

(٢ ، ٣ ، ٤) أَفْعُلَاء - بفتح الهمة ، مع كسر العين ، أو مع فتحها ، أو ضمها - كأَرْبُعَاء ، اسم لليوم المعروف . (ومن معانيه إذا كان مفتوح الهمة مضموم الباء : عمود الخيمة) .

٥ - فَعْلَلَاء (بفتح ، فسكون ، ففتح) . مثل : عَقْرَبَاء اسم لمكان ، واسم لأثنى العقب .

٦ - فِعْلَلَاء (بكسر ، ففتح) ، مثل : قِصَاصَاء ، اسم للقصاص .

٧ - فَعْلَلَاء (بضم فسكون ، فضم) ، مثل : قُرْفُصَاء ، اسم للنوع من القعود .

٨ - فاعُولَاء ، مثل : عاشوراء ، اسم لليوم العاشر من المحرم .

٩ - فاعِلَاء ؛ (بكسر العين ، بعدها لام مفتوحة غير مشددة) ، نحو : قاصِعَاء ، وغائباء ، وناقفاء ، وكلها اسم لبحور اليربوع^(٤) . . .

(١) سبق الكلام على العلامة الأولى فى ص ٥٩٠ وعلى الثانية فى ص ٦٠٠ .

(٢) يرى البصريون : أن ألف التأنيث الممدودة هى ألف فى آخر الاسم ، زائدة للتأنيث ، وقبلها ألف زائدة أخرى ؛ فتقلب الثانية الدالة على التأنيث همزة ، كما فى الأوزان التى سنذكرها .

(٣) الأرجح أن « طَرَفَاء » ليس جمع تكسير ؛ لعدم وجود هذه الصيغة بين أبنيته . - صَبَّان - .

(٤) حيوان أكبر قليلا من الفأر ، يذاه أقصر من رجله .

١٠ - فَعْلِيَاءَ (بكسر ، فسكون ، فكسر ، فياء مفتوحة مخففة : . . .) ،
نحو : كِبِيرِيَاءَ ، اسم للتكبر .

١١ - مَنَفَعُـوْلَاءَ (بفتح ، فسكون ، فضم) ، نحو : مَشْيُـوْرَحَاءَ ، اسم
لجماعة الشيوخ ، واسم للأمر المختلط .

١٢ - فَعْعَلَاءَ (بفتح أوله وثانيه) ، نحو : بَرَأَسَاءَ ؛ اسم للناس ،
وبَرَأَكَاءَ : اسم لمعظم الشيء وشدته . ومنه قول الشاعر :
ولا يَنْجُرِي من الغَمَمَرَاتِ إلَّا بَرَأَكَاءُ الْقِتَالِ ، أو الْفِرَارُ
يقال ؛ وقَعُوا فِي بَرَأَكَاءِ الْأَمْرِ ، أو الْقِتَالِ ؛ أى : فى شدته وأكثره .

١٣ - فَعْعِيْلَاءَ (بفتح ، فكسر) ، نحو : فَرِيثَاءَ ، وَكَرِيثَاءَ ، اسمين لنوعين
من التمر .

١٤ - فَعْعُـوْلَاءَ (بفتح ، فضم) ، نحو : جَلُـوْلَاءَ^(١) .

١٥ - فَعْعَلَاءَ (بفتح أوله وثانيه) ، نحو : (جَسَفَاءَ ، اسم لموضع) ، (وَقَرَمَاءَ ،
اسم لموضع أيضاً) .

١٦ - فَعْعَلَاءَ (بكسر أوله ، وفتح ثانية) ، نحو : سَيِّرَاءَ ، اسم لشوب
مخطط مخلوط بالحرير ، واسم لنبت ، وللذهب .

١٧ - فُعْعَلَاءَ (بضم ، ففتح ، فلام مفتوحة) ؛ نحو : خِيْلَاءَ ، اسم
للكبير والاختيال^(٢) . . .

* * *

(١) بلدة بالعراق . . .

(٢) مرد ابن مالك الأوزان السماعية المشهورة لألف التأنيث الممدودة فى ثلاثة أبيات ختم بها
الباب ، هى :

لِمَدَّهَا : فَعْعَلَاءَ ، أَفْعَلَاءَ مُثَلَّثَ الْعَيْنِ ، وَفَعْعَلَاءَ
ثم فِعْعَلَاءَ ، فُعْعَلَاءَ ، فَاعُولَاءَ وَفَاعِلَاءَ ، فِعْلِيَاءَ ، مَفْعُولَاءَ
ومطلق العين : «فَعْعَلَاءَ» . وكذا مطلق «فَاءٍ» فَعْعَلَاءُ أَخْذًا

وما تجدر ملاحظته أن كل وزن مسموع مما سبق لا بد أن يكون مختوماً «بالهمزة» وإلما تركها ابن مالك
لوزن الشعر ، وأن المراد بمطلق العين «فَعْعَلَاءَ» ، هو ما كان على وزن : «فَعْعَلَاءَ» مطلق العين مختوماً
بالهمزة ؛ بأن يصح ضمها عن العرب نحو : جَلُـوْلَاءَ ، أو فتحها نحو : بَرَأَسَاءَ ، أو كسرهما نحو : قَرِيثَاءَ ،
يعنى إطلاق العين أنها غير مقيدة بحركة من الثلاث ، وكذا مطلق «الفاء» أن أوله غير مقيد بحركة ، فقد
فكون مفتوحاً ، أو مضموماً ، أو مكسوراً ، فى نحو : جَسَفَاءَ ، وَسَيِّرَاءَ وَخِيْلَاءَ ، وهى الأوزان الثلاثة الأخيرة
فيما عرضناه .

المقصور ، والممدود^(١) .

(١) المقصور هو : الاسم المعرب الذى آخره ألف لازمة^(٢) ؛ مثل : الهُدَى - الهَوَى - المَوْلَى - فى قول أحد الزهاد : (كلما جنحتُ نفسى إلى الهَوَى تذكرت غضب المولى) ؛ فيرجعنى التذكُّر إلى الهدى) . ومثل كلمة : « الغنى » فى قولهم : خيرُ الغنى غنى النفس .

فليس من المقصور الأفعال المختومة بالألف ، مثل : دعا - ارتضى - يخشى . . . ، ولا الحروف المختومة بالألف ؛ مثل : لا - إلى - على . . . ، ولا الأسماء المبنية المختومة بألف ؛ مثل : إذا ، أو : ما الموصولة ، ونحوهما . . . ، ولا الأسماء المعربة المختومة بحرف علة غير الألف ؛ مثل : (الداعى ، الهادى) - (أدكو^(٣) ، طوكيو^(٤)) . . . ولا المثنى فى حالة رفعه ، ولا الأسماء الستة فى حالة نصبها ، لأن الألف فى هاتين الحالتين غير ثابتة ؛ إذ ألف المثنى لا توجد فى حالة نصبه أو جره ، وألف الأسماء الستة لا توجد فى حالة رفعها أو جرها .

وحكم المقصور الإعراب بالحركات المقدرة على آخره فى جميع حالاته^(٥) ؛ وإذا

(١) هما من أقسام الاسم المعتل الآخر . والنحاة لا يطلقونهما على اسم إلا إذا كان معرباً . أما اللغويون والقراء ، فلا يتقيدون ؛ فيطلقونهما على الاسم ، سواء أكان معرباً أم مبنياً ؛ فيقولون : فى « أولاد » اسم إشارة : إنه ممدود ، وفى « أولى » اسم إشارة أيضاً : إنه مقصور ، مع أنهما مبيانان . أما الكلام على المنقوص من ناحية تعريفه مفصلاً فى ص ١٦ م ١٧٢ - وأما من ناحية تثنيته ، وجمعه فى هامش ص ٦١٣ .

وبقى قسم ثالث ، هو الاسم المعتل الآخر بالواو (وسيجيء الكلام عليه وبيان حكمه فى هامش ص ٦١٤) وما يتصل بالأقسام السابقة ويزيدها بياناً وتوفية ما سبق عنها فى الجزء الأول (م ١٦ ص ١٦٩ ، ورقم ٤ من هامش ص ٢٩١ م ٢٤ ، ورقم ١ من هامش ص ٣١٠ م ٢٦) .

(٢) أى : لا تقارقه . وإذا فارقت أحياناً لعله صريقة طارئة - مثل التقاء الساكنين - لم تعتبر المفارقة حقيقية (انظر رقم ٦ من هامش ص ٦٠٥) .

(٣) بلد فى مصر . (٤) حاضرة اليابان .

(٥) ويسبب هذا الحكم كان بعض النحاة الأوائل يسميه - وهذا لا يصح الآن بعد استقرار المصطلحات ، وثباتها - : « المنقوص » لأن الألف فى آخره حلت محل الياء والواو ، وهما يتحركان رفعاً ، ونصباً ، وجراً . أما الألف فلا تتحرك فتنقص فى الظاهر بسببها .

(راجع كتاب « المقصور والممدود » لابن ولاد المتوفى هـ حول سنة ٣٣٢ وقد سبق =

جاء بعد ألفه تاء التأنيث - نحو : فتاة ، مباراة - زال عنه اسمه وحكمه ، وصار الإعراب على هذه التاء^(١) . وقد سبق إيضاح هذا كله ، وبيان كثير من تفصيلاته^(٢)

كيفية صوغ المقصور :

المقصور نوعان : قياسي يخضع للقواعد النحوية ، ويصغرُ - في العصور المختلفة - الخبير بهذه القواعد . وسماعى تختص به مراجع اللغة ، ويعرفه المطالع على مفرداتها الواردة عن العرب .

والقياسي يصاغ على صور متعددة ؛ منها :

١ - أن يصاغ المقصور مصدرًا على وزن : « فَعَلَّ » (بفتح أوله وثانيه) ، بشرط أن يكون فعله الماضي ثلاثيًا ، لازمًا ، معتل الآخر بالياء ، على وزن : « فَعِلَّ » (بفتح فكسر) وبشرط أن يكون لهذا المصدر المعتل الآخر وقعاه المعتل الآخر بالياء - نظائر على وزنهما من الفعل الصحيح الآخر ، مصدره صحيح الآخر أيضًا ، بحيث يتفق الفعلان والمصدران في وزنهما ؛ نحو : ثَرَى^(٣) الرجلُ ثَرَى - هَوَى^(٤) هَوَى - شَقَى^(٥) شَقَى - جَوَى^(٦) جَوَى . . .

= (في ح ٣ م ٩٧ ص ١٧٤ - باب : « المضاف لياء المتكلم ») أن بعض العرب يقلب ألف المقصور ياء ويدغمها في ياء المتكلم ؛ فيقول في كلمة مثل : « هُدَى » عند إضافتها لياء المتكلم : « هُدَى خير الوسائل للسعادة » ، وفي هذه الصورة يكون معربًا بالياء التي أصلها الألف ، بدلًا من حركات الإعراب التي كانت مقدرة على الألف ، فهو مما ناب فيه حرف عن حركة . لكن هذا الرأي لا يحسن اليوم محاكاته - مع جواز المحاكاة - منعًا لفوضى التعبير ، والإساءة إلى البيان .

(١) لأنه يشترط في المقصور أن يكون مختومًا بألف لازمة تجرى عليها علامات الإعراب مقدرة . وهذا الشرط الأساسي لا يتحقق إذا جاءت تاء التأنيث بعد ألفه ، كما في المثالين السالفين (فتلة - مباراة . .) - ونظائرهما ؛ إذ تصير الألف حشواً (أى : غير متطرفة) وتصير علامات الإعراب ظاهرة على تاء التأنيث وحدها ؛ لأنها الحرف الأخير . وتظل الألف قبلها ثابتة معها في حالة التثنية ، فلا تنقلب شيئاً ، ولا تجرى عليها علامات الإعراب ؛ - كما قلنا - وثبتت التاء أيضاً في حالة التثنية ، كى تدل على التأنيث ، وتليها علامتا إعراب المثنى ، فيقال فتاتان - فتاتين - مباراتان - مباراتين . . . وهكذا .

(٢) ج ١ ص ١٢٢ م ١٥ .

(٣) بمعنى : غَشِيَ ، أى : اغشى . (٤) أحب . (٥) أحب ، أو : حزن .

(٦) وزن هذه المصادر على حسب أصلها هو : فَعَلَّ - بفتح الأول فالثاني . (أى : =

ونظائرها من الصحيح الآخر : فَرِحَ فرحاً - أَشِيرَ أشيراً - بَطِرَ بطراً - ورمَ ورمًا . . . لأن « فَعِلَ » اللازم قياس مصدره - في الغالب - « فَعَعَلَ » ، كما عرفنا^(١) . فالمصادر : (ثَرَرَى - هَوَى شَقّاً - جَوَى) هي وأشباهاها ، نوع من المقصور القياسي .

٢- ومنها : أن يصاغ المقصور المفرد جمعاً للتكسير على وزن : فَعِلَ (بكسر ففتح) بشرط أن يكون المفرد على وزن : « فَعِلة » المختومة ببناء التانيث التي قبلها حرف علة ؛ وبشرط أن يكون لهذا المفرد وجمعه نظائر من المفرد الصحيح وجمعه على وزنهما ؛ نحو : حِلْمِيَّةٌ وحِلْمِي - بِنْسِيَّةٌ^(٢) وبِنْسِي - رِشْوَةٌ ورِشْمًا - فِرْيَةٌ^(٣) وفِرْيَى - مِرْيَةٌ^(٤) ومِرْيَى - فجموع التكسير السابقة^(٥) هي وأشباهاها - نوع من المقصور القياسي . ونظائرها من الصحيح : قِرْبَةٌ وقِرْبٌ - فِكْرَةٌ وفِكْرٌ - نِعْمَةٌ ونِعَمٌ - حِكْمَةٌ وحِكْمٌ . . . لأن « فَعِلة » السالفة يكثر جمعها على : « فَعَعَلَ » . . .

٣- ومنها : أن يصاغ المقصور المفرد جمعاً للتكسير على وزن : « فُعَلَل » (بضم ففتح) بشرط أن يكون المفرد على وزن : « فُعْلة » المختومة ببناء التانيث التي قبلها حرف علة . وبشرط أن يكون للمفرد وجمعه نظائر من المفرد الصحيح وجمعه على وزنهما - ، نحو : دُؤْيِيَّةٌ ودُؤْيِي - رُؤْيِيَّةٌ ورُؤْيِي - قُدُوَّةٌ وقُدْدَى - قُوَّةٌ وقُوَّى - كُوَّةٌ وكُوَّى . . . فجموع التكسير السالفة^(٥) هي - وأمثالها - نوع من المقصور القياسي . ونظائرها من الصحيح : غُرْفَةٌ وغُرْفٌ - رُكْبَةٌ ورُكْبٌ - طُرْفَةٌ وطُرْفٌ - قُرْبَةٌ وقُرْبٌ ؛ لأن « فُعْلة » يكثر جمعها للتكسير على : فُعَلَل .

== ثَرَرَى - هَوَى - شَقَوَى - جَوَى ...) تحرك حرف العلة الأخير (وهو النوار والياء) وانفتح ما قبله ، فانقلب ألفاً ، ثم حذفت الألف وجوباً في النطق ؛ لأن ألف المقصور تحذف حتماً عند تنوينه لانتقامها ساكنة مع التنوين ، فهي محذوفة لفظاً لعلة صرفية ، والمحذوف لمة تصريفية بمنزلة الثابت . (انظر رقم ٢ من هامش ص ٦٠٥) .

(١) وهذا إن لم يكن دالاً على لون ، أو معالجة ، أو شيء ثابت . وتفصيل هذا كله في الباب الخاص ؛ وهو باب : أبنية المصادر (ج ٣ ص ١٤٤ م ٩٨) .

(٢) الشيء المبني . (٣) كذب . (٤) شك .

(٥ و ٥) وقد جرى على أصولها من الإعلال ما شرحناه في رقم ٦ من هامش الصفحة السالفة .

٤ - ومنها : أن يصاغ المقصور صياغة اسم مفعول ، وفعله الماضي معتل الآخر ، يزيد على ثلاثة أحرف ، بشرط أن يكون لاسم المفعول وفعله نظائر من صحيح الآخر ، على وزنهما ؛ (نحو : مُعْطَى ، وفعله : أعطى - مُعْفَى ، وفعله : أعفَى) . . . (نحو : مُرْتَقَى ، وفعله : ارتقى - مُسْتَوَى ، وفعله : استوى) . . . (نحو : مُسْتَقْصَى ، وفعله : استقصى - مُسْتَدْعَى ، وفعله : استدعى) . . .

فأسماء المفعول السابقة^(١) من غير الثلاثي هي - وأمثالها - ضرب من المقصور القياسي . ونظائرها من الصحيح الآخر : (أكرمت فلاناً فهو مُكْرَم ، وأخبرته فهو مُخْبَر) - (احترمت العالم العامل ؛ فهو مُحْتَرَم ، واجتلبت الرزق بالعمل ؛ فهو مُجْتَلَب) - (استغفرت الله ؛ فهو مُسْتَغْفَر ، واستخلصت الأمر ؛ فهو مُسْتَخْلَص) . . . لأن اسم المفعول القياسي للفعلين السالفين يجيء على هذا الوزن^(٢)

أما المقصور السماعي فينطبق عليه تعريف المقصور ؛ ولكنه لا يخضع للمضوابط السالفة التي من أهمها وجود نظير له من الصحيح . والأمر فيه راجع إلى الوارد المسموع دون غيره . ومن أمثلته ؛ فَتَى - ثَرَى - سَنَى^(٣) - حَجَا^(٤) .

* * *

(١) وقد جرى على حرف العلة الأخير منها - وهي أحد حروفها الأصلية - ما جرى من الإعلال الذي سبق في رقم ٦ من هامش ص ٦٠٦ .

(٢) وفي المقصور القياسي يقول ابن مالك في باب عنوانه : « المقصور والممدود » :

إذا سم استوجب من قبل الطرف فتحاً ، وكان ذا نظير ؛ كالأسف

فلنظيره المعل الآخر ثبوت قصر ، بقياس ظاهر

كفعل ، وفعل ، في جمع ما كفعله ، وفعله ؛ نحو : الدمي

يقول : إن الاسم الصحيح الآخر إذا استحق فتح ما قبل آخره وجوباً - مثل : « أسف » مصدر

الفعل : أسف - وكان لهذا الاسم الصحيح الآخر نظير معتل ، مفتوح قبل آخره ، فإن هذا النظير يثبت

له القصر ؛ بمقتضى قياس ظاهر ، أى : قياس لاختفاء فيه ؛ فلا يكون موضع اختلاف . وساق لهذا

الاسم المقصور وزنين يكون عليهما ؛ هما وزن : « فَعْلَ وفَعْلَ » والأول منهما جمع مفرد : فِعْلَة ، - ولم

يذكر له مثالا ، وقد ذكرنا الأمثلة في الشرح - والثاني منهما جمع مفرد : فُعْلَة ؛ كالدمي ، مفردة : دُمية .

.....

زيادة وتفصيل :

هناك أشياء أخرى - غير ما سلف - في المقصور القياسي ، منها : ما كان جمعاً لفُعْلَتَي ، أنثى الأفعَل ؛ كالدُّنْيَا والدُّنْيَا ، والقُصُوفُ والقُصُوفُ ، ونظيرهما من الصحيح : الكُفْرَتَي والكُفْرَتَي ، والأخرى والآخر . . .

وكذلك ما كان من أسماء الأجناس دالاً على الجمعية بالتجرد من التاء وهو على وزن : « فَعْل » ، وعلى الوَحْدَةِ بوجود التاء ؛ كحَصَاة وحَصَي ، وقَطَاة وقَطَي ، ونظيرهما من الصحيح ؛ شجرة وشجر ، ومَدْرَة ومَدَر .

وكذلك : « الْمَفْعَل » مدلولاً به على مصدر ميمي أو على اسم زمان أو اسم مكان ؛ نحو مَلَنَهِي ، ومَسَعِي ؛ فإن نظيرهما من الصحيح مذهب ، ومَسَرَح . وكذلك : « الْمَفْعَل » مدلولاً به على آلة ؛ نحو : مِرْمِي ، ومِهْدَي (لوعاء الهدية) ونظيرهما من الصحيح : مِخْصَف ومِغْزَل . إلى غير هذا مما أشارت إليه المطولات . . .

(ب) الممدود : هو الاسم المعرب الذى آخره همزة قبلها ألف زائدة . . .
 نحو : قَرَاءَ - بَدَأَ - سَمَاءَ - بِنَاءَ - حَوْرَاءَ - خَضْرَاءَ . فإذا كانت الهمزة بعد
 ألف أصلية فليس بممدود - اصطلاحاً - ، نحو : ماء . وكذلك إن وقعت الهمزة
 بعد ألف زائدة وفى آخر الاسم تاء التانيث - نحو : هِنَاءَ - فإنه لا يسمى فى هذه
 الصورة ممدوداً ، ولا تجرى عليه أحكام الممدود ؛ لأن الممدود لا بد أن يكون مختوماً
 بالهمزة ، وتجرى عليها حركات ضبطه ^(١)

وهو قسمان ؛ قياسى ، وهذا من اختصاص النحوى ، وسماعى ، وهو من
 اختصاص اللغوى ، فالقياسى يصاغ على أشكال متنوعة ، منها :

١ - أن يصاغ مصدراً لفعل ماض معتل الآخر بالألف على وزن : « أَفْعَلَّ »
 بشرط أن يكون لهما نظير فى الصحيح الآخر على وزنهما فى الفعل ومصدره . . .
 - كما شرحنا ^(٢) - نحو : أعطى إعطاءً - أَرَبَى إرباءً - أَفْنَيْ إفناءً - أَغْنَى إغناءً . . .
 فالمصادر السالفة (إعطاء - إرباء - إفناء - إغناء . . .) ، وأشباهاها نوع من الممدود
 القياسى . ونظائرها من الصحيح : أَقْدَم وإقدام - أَعْلَن وإعلان - أَخْبَرَ وإخبار -
 أَبْرَم وإبرام ؛ لأن مصدر الماضى الرباعى السالف يكون على هذا الوزن قياساً .

٢ - أن يصاغ مصدراً لفعل ماض خماسى أو سداسى بشرط أن يكون معتل
 الآخر فى الحالتين ، وأن يكون مبدوءاً بهمزة وصل فيهما ، وله لمصدره نظائر من الفعل
 الصحيح الآخر ومصدره ، على وزنهما ، نحو : (اعتَلَى واعتلاء - ارتَقَى وارتقاء -
 انتهى وانتهاء . . .) ونحو : (استعلَى واستعلاء - استقصَى واستقصاء - استجدَى
 واستجداء . . .) فالمصادر المذكورة : (اعتلاء - ارتقاء - انتهاء . . .) وكذا :
 (استعلاء - استقصاء - استجداء . . .) هى مصادر من نوع : « الممدود » . ونظائرها
 من الصحيح (اكتسب واكتساب - اتخذ واتخاذ - انهمر وانهمار . . .) وكذا :
 (استغفر واستغفار - استعلم واستعلام - استظهر واستظهار . . .) ، وهذا الوزن
 هو القياسى لمصدر الفعلين الماضيين السالفين .

٣ - أن يصاغ مصدراً على وزن : « فَعْعَل » بشرط أن يكون ماضيه ثلاثياً
 معتل الآخر على وزن : فَعْعَل (بفتح أوله وثانيه) ، الدّال على صوت ، أو داء ،

(٢) عند الكلام على المقصور فى ص ٦٠٥ .

(١) وهذا هو الحكم العام للممدود

وبشرط أن يكون له نظير من الفعل الصحيح الآخر ومصدره ، على وزنهما . نحو : عَوَى وعُواء — رَغَا ورُغَاء^(١) — ثَغَا وَثُغَاء^(٢) ونحو : مشى بطنه مُشَاء . ونظيرهما من الصحيح الآخر : صرَخَ وصُرَاخ — دار ودُور — لأنَّ « فُعَلَا » مصدر قياسي للثلاثي الدَّال على صوت أو داء . — كما سبق .

٤ — أن يكون مفرداً لجمع تكسير على وزن : « أَفْعَلَة » المختومة بالتاء المسبوقة بحرف العلة « الياء » بشرط أن يكون هذا المفرد مختوماً بالهمزة المسبوقة بحرف علة ، وأن يكون لهما نظائر من الصحيح الآخر ، نحو : كَسَاء وأَكْسِيَة — رداء وأردية — بناء وأبنية — دعاء وأدعية — دواء وأدوية . . . فالأسماء المفردة السابقة (كَسَاء — رداء — بناء — دعاء — دواء . . .) وأمثالها نوع من « الممدود القياسي » . ونظائرها من الصحيح الآخر : سلاح وأسلحة — حِجَاب وأحجية — شِفَاء وأشفية (بمعنى دواء وأدوية) ، لأنَّ « أَفْعَلَة » تكون جمع تكسير للمفرد الرباعي الذي قبل آخره مَدَّة^(٣) . . .

٥ — أن يصاغ مصدرراً على وزن : « تَبْعَال » ، أو صيغة مبالغة على وزن « فَعْعَال » أو مِفعال . نحو : التَّعْدَاء ، والعَدَاء ، والمعطاء . ونظائرها من الصحيح تَدْعَار — زَرَّاع — مِشْرَاب .

أما الممدود السماعي فينطبق عليه اسم الممدود ، ولا تنطبق عليه الضوابط السالفة التي من أهمها وجود نظير له من الصحيح ؛ كالفَسَاء ، بمعنى حداثة السن — والشَّرَاء ، بمعنى : الغنى — والسَّنَاء ، بمعنى : الشرف^(٤) . . .

* * *

(١) الرغاء . صوت الحيوانات ذات الخف ؛ كالإبل . (٢) الثغاء : صوت الغنم والمعز . (٣) وفي الممدود يقول ابن مالك :

وَمَا اسْتَحَقَّ قَبْلَ آخِرِ أَلِفٍ فَالْمَدُّ فِي نَظِيرِهِ حَتْمًا عُرْفُ

أي : ما استحق قبل آخر ألف — بحسب القواعد العامة — من الأسماء الصحيحة أن يكون قبل آخره ألف . وهذا يتحقق في مصدر الماضي الرباعي الذي على وزن : « أَفْعَل » وفي الخماسي والسداسي المبذوين بهمزة وصل ، فإن نظيره من مصادر الماضي المتل الآخر الذي على وزن « أَفْعَل » أو الذي يكون خماسياً أو سداسياً — ممدود . ووضح هذا بمثال هو :

كَمُصَدَّرِ الْفِعْلِ الَّذِي قَدْ بُدِنَا بِهِمْ وَضَلَّ ؛ كَارَعَوَى وَكَارْتَأَى

(٤) أشار ابن مالك إلى المقصور والممدود السباعيين ببيت واحد هو :

قَصْرُ الممدود ، ومدّ المقصور :

يكاد يقع الاتفاق على صحة قَصْرُ الممدود في الضرورة^(١) وحدها ، ومنه قول المادح يصف من مدحهم بأنهم المثال الأعلى الذي يعرفه الناس للفضائل ، وأنهم أهل الوفاء :

فهمٌ مثلُ الناسِ الذي يعرفونه وأهلُ الوَفَاءِ من حادثٍ وقديمٍ

وقول الآخر في الخمر :

فقلت : لو باكرت مشمولة^(٢) صَفْرًا ، كلون الفرس الأشقرِ

أى : صفراء^(٣) . . .

أما مد المقصور فالخلاف فيه متشعب^(٤) . . . ، والأحسن الأخذ بالرأى الذى يبيحه في الضرورة الشعرية - ونحوها - ؛ لأن الشعر وملحقاته محل التيسير . بشرط ألا يؤدي المد إلى خفاء المعنى أو لبسها ؛ فيصح : غِناء في غِنى - نُهاء في نُهى - بلاء في بِلَى . . . ولا يصح هذا في نوع النثر الذى لا يلحق بالشعر في الضرورة ، دون النوع الآخر الذى يلحق به .

= والعَادِمُ النَّظِيرُ : ذا قَصْرٍ وَذَا مَدٍّ ، بنقلٍ : كالحِجَا ، وكالحِذَا

والمراد بالنقل : السماع (الحذا : الحذاء) .

(١) في رقم ٢ من هامش ص ٢٧١ بيان واف عن معنى الضرورة ، وأنها غير مقصورة على الشعر ، بل تشمل وتشمّل أنواعاً أخرى محددة معينة هناك .

(٢) خراً .

(٣) ومن أمثاله القديمة : « لا بُدَّ من صَنَعَا ، وإن طالَ السفرَ » . أى : صنعاء - بلد بايمن -

(٤) وفي النوعين يقول ابن مالك :

وَقَصْرُ ذِي المَدِّ اضْطِرَارًا مُجْمَعٌ عليه . والعكسُ بخُلْفٍ يَقَعُ

(ذى المد : صاحب المد ، وهو الممدود ، اضطراراً ، أى : للضرورة . خُلْفٌ : خلاف)

يقول : قصر الممدود للضرورة متفق عليه إجماعاً . أما العكس - وهو : مد المقصور - فيقع بخلف ،

أى : فيجوز وقوعه مع الخلاف في أمر صحته . والرأى الأرجح رفضه كما بينا ، إلا في ضرورة الشعر وملحقاته .

المسألة ١٧١ :

كيفية تثنية المقصور ، والممدود ، وجمعهما تصحيحاً .^(١)

(١) تثنية المقصور :

المقصور مخنوم بالألف دائماً ؛ فلا يمكن أن تزداد في آخره علامتا التثنية مع بقاء الألف على حالها ؛ لذا يجب قلبها حرفاً آخر يقبل العلامتين ؛

(١) وكذلك كيفية : « المنقوص » حيث البيان في هذا الهامش .

والمراد بجمعي التصحيح : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ؛ لأن مفردهما يصح ويسلم - غالباً - عند جمعه على أحدهما ؛ فلا يدخل على حروفه تغيير في نوعها ، أو عددها ، أو ضبطها ، إلا عند الإعلال أحياناً . بخلاف جمع التكسير ؛ فإن مفردة لا بد أن يتغير عند التكسير ؛ فكأنما يصيحه الكسر - كما قالوا ، وسيجيء في رقم ٢ من هامش ص ٦٢٦ - عند إدخال التغيير عليه ، لنقله من حالة الإفراد إلى حالة الجمع الجديدة . ولهذا السبب اختلف النحاة في كلمة : « بنات » أهي جمع تكسير - (لتغير صيغة مفردهما عند الجمع ؛ ولورودها منصوبة بالفتحة في عدد من النصوص المسموعة عن العرب كما ينصب جمع التكسير) - ، أم هي جمع مؤنث سالم ؛ لكثرة النصوص الوافرة ، المتألثة ، على نصبها بالكسرة ، كجمع المؤنث السالم ؟

- وسيجيء إشارة لهذا في رقم ٢ من ص ٦٣٢ وفي هامش ص ٦٢٦ رقم ٢ . -

« ملاحظة » الاسم الذي يراد تثنيته إما أن يكون صحيح الآخر (وهو : الذي لا تكون لامه حرف علة ؛ مثل : محمود .) وإما أن يكون بمنزلة صحيح الآخر ، (وهو المختوم بواو ، أو ياء ، وقبلهما سكون : سواء أكانتا مخففتين ، أم مشدتين ، مثل : ظبى ، وعُضو ، وسرى وهَزْو) وإما أن يكون منقوصاً ، (أى : اسماً معرباً في آخره ياء لازمة ، غير مشددة ، قبلها كسرة ؛ مثل : العالى - المستعمل ..) وقد سبق تفصيل الكلام عليه في ج ١ ص ١٢٤ م ١٥ - وانظر رقم ١ من هامش ص ٦٠٥ - . وإما أن يكون مقصوراً ، وإما أن يكون مدوداً . وكلاهما لا يُستَتم ببناء التانيث .

فأما « الصحيح » ، وشبهه « فلا يلحقهما تغيير عند تثنيتهما وجمعهما تصحيحاً إلا زيادة علامات التثنية والجمع . وأما « المنقوص » وهو المختوم بياء لازمة غير مشددة . وقبلها كسرة - وقد سبق تعريفه مفصلاً في مكانه المناسب - ١٦ م ١٦ ص ١٧٢ - فيجب إثبات يائه في التثنية وجمع المؤنث السالم ، وعند إضافته ، أو تصديره بأل . (وكذا في نداءه ، على حسب التفصيل السابق في ص ١٤) ففي مثل : هادٍ - داعٍ - يقال : هاديان - داعيان ؛ كما يقال : الهادى والداعى ... والدين هاديننا إلى ما يسعدنا ، وبين المتعلقات هاديات للرشاد ، داعيات للسداد . ولا فرق في هذا الحكم بين أن تكون ياء المنقوص مذكورة في المفرد قبل التثنية ، والجمع ، أم محذوفة لسبب يقتضى حذفها ، ذلك أن ياء المنقوص قد تحذف من المفرد ؛ (طبقاً للبيان المفصل الذى سبق في ج ١ م ١٦ ص ١٧٣) .

فعند التثنية تُقلب ياء في ثلاث حالات ، وتقلب واواً في حالتين :

== ويجب حذف ياء المنقوص عند جمعه جمع مذكر سالماً ، ويضم ما قبل الواو ويكسر ما قبل الياء ، نحو : الهادون للرشاد ، والداعون إلى الخير خلفاء الأنبياء - إن الهادين للرشاد والداعين للخير أحق الناس بالإكبار .

وهذه المناسبة نذكر أن بعض الأسماء الستة مخدوف اللام - مثل : أب - أخ - حم - هن .. فعند تثنيته ترجع وجوباً لاه المخدوفة كما رجعت لام المنقوص على الوجه السالف وطريقته . وقد وضع بعض النحاة ضابطاً عاماً لإرجاع الحرف الأصل المخدوف من الاسم الثلاثي ، ملخصه :

إذا حذف من الاسم الثلاثي أحد أحرفه الثلاثة فإن جاءت همزة الوصل عوضاً عن المخدوف فلا يصح إرجاعه عنه التثنية وجمع المؤنث السالم ، أما إذا لم تأت همزة الوصل للتعميـض فالأجود - وقيل الواجب - إرجاع المخدوف إذا كان رجوعه واجباً عند إضافته ؛ نحو : قاضٍ - شحجٍ - أب - أخ - حم .. وغيرها مما حذف لاه . تقول : قاضيان - شحجيان - أبوان - أخوان - حمّـوان - .. كما تقول : قاضيتا - شحجيتا - أبوه - أخوه - حموه .. وشذ : أبنان وأخسان .

أما ما لا يرجع عند الإضافة فلا يرجع عند التثنية وجمع المؤنث السالم ؛ نحو : اسم - ابن - يد - دم - غد - فم - سنة ؛ فنقول : اسمان - ابنان - يدان - دمان - غدان - فمان - ستان ... كما تقول اسمه - ابنته - يده - دمه - غده - فمه - سنته .. وشذ : فوان وفيان .. ومن الضرورة قول الشاعر :

فلو أَنَا على حَجَرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بالخبر اليقين

وقول الآخر :

يَدَيَانِ بِيضَاوَانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ

(محلم اسم رجل ، أو هو الرجل الحليم) .

- راجع فيما سبق الجمع ، ج ١ ص ٤٤ والأشمون وحاشيته ج ٤ في آخر هذا الباب - وأما المنقوص والمددود فيلحقهما التغيير الذي سيحى مفصلاً في هذا الباب . وقد سبق تعريفهما وشيء من الأحكام الأخرى في الباب السابق . وما سبق خاص بتثنية تلك الأنواع وجمعها جمعي تصحيح .

أما جمع التكسير فله باب مستقل يحى في أول ص ٦٢٥ م ١٧٢ .

بقى نوع من الأسماء المعتلة الآخر - (وهو الذي سبقت الإحالة عليه في رقم ١ من هامش ص ٦٠٥) - لم أر من تعرض للكلام على تثنيته وجمعه ، وهو المعتل الآخر بالواو . بل إنهم حين يقسمون المعتل الآخر إلى مقصور ومنقوص لا يذكرون نوعه ، وحكمه ؛ بحجة أن الكلام العربي الأصيل لا يعرف اسماً محتوماً بالواو إلا نحو ثلاث كلمات معربة ؛ منها : سَمَّندُوْ وقَمَّندُوْ . . . وقد ناقشنا هذا الرأي (في الجزء الأول ص ١٢٥ م ١٥) وانتهينا إلى أن الحاجة اليوم تدعو لاتخاذ ضابط عام في إعرابه ؛ لكثرة دورانه ، وشيوع استعماله علماً للأشخاص والبلدان وغيرهما . ومن أمثله : أرسطو - سنفرو - خوفو - أدفو - أدكو - طوكيو - كنفو .. .

والحكم الذي ارتضيناه هناك وأوضحنا سببه ، هو : إعرابه بحركات مقدرة على الواو في جميع حالاته إعراب المنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، فيرفع بضمة مقدرة على آخره . وينصب بفتحة مقدرة ، ويجر بفتحة مقدرة أيضاً . وقد يكون المناسب له عند تثنيته وجمعه جمع مؤنث سالماً - بقاء الواو مع تحرريكها =

١ - فإن كانت الألف الثالثة وأصلها ياء ^(١) - وجب قلبها عند التشنية ياء ، فيقال في تشنية : نَدَدَي ، وهُدَدَي ، وغِنَدَي . . . نَدَدَيَان ، وهُدَدَيَان ، وغِنَدَيَان .

٢ - وكذلك إن كانت الثالثة مجهولة الأصل - لأنها جامدة - وأميلت ^(٢) ، نحو متى ، وإذا (علمين) ؛ فيقال في تشنيتهما : مَتَتَيَان وإِذَيَان .

٣ - وكذلك يجب قلبها ياء إن كانت رابعة فأكثر ^(٣) - بغير نظر إلى أصلها - فيقال في تشنية : نُعَمَمَي ، ومَرْتَضَي ، ومُسْتَعَلَي . . . نُعَمَمَيَان ، ومَرْتَضَيَان ، ومُسْتَعَلَمَيَان .

وإذا قلبت الزائدة على الثلاثة ياء عند التشنية ، وأدَّتْ قلبها إلى اجتماع ثلاث ياءات في آخر كلمة واحدة - وجب حذف التي بعدها مباشرة ؛ نحو : ثُرَيَّا ^(٤) وثرَيَّان ؛ لكيلا يجتمع في الكلمة الواحدة ثلاثة أحرف ^(٥) - للعلّة - من نوع واحد .

= ابن نفثة ، وزيادة علامتي التشنية ؛ فيقال : أرسطوَان وأرسطوَيْن - سنفرَوَان وسنفرَوَيْن . . . وهكذا الباق . كما يقال في روميو وجوليو ، وصنبو ، وبمبيو وأشباهها من أعلام قد يسمى بها بعض الإناث : روميوات وجوليوات - صنبوات وبمبيوات . أما إذا كان علماً لمذكر ، وأريد جمعه جمع مذكر سالماً فالأحسن حذف حرف العلة (الواو) مع ضم ما قبلها في حالة الرفع ، وكسره في حالتي النصب . والجر (١) يدل على الأصل أشياء ، ترجع فيها الألف إلى أصلها الياء ، أو الواو ، ومنها : المصدر ، والمشتقات ، والتصغير . .

(٢) أى : لم تظهر عند النطق « ألفا » خالصة . وإنما كانت « ألفاً » فيها رائحة « الياء » . فلهذا كانت الياء أحق بها عند القلب .

(٣ ، ٣) انظر الرأى الكوفى في رقم ١ من هامش الصفحة الآتية :

(٤) أصل « ثُرَيَّا » : ثُرَوَى . (بمعنى : ثروة) ثم صغرت ؛ فصارت . « ثُرَيَوَى » ، ثم قلبت الواو ياء - تطبيقاً للأصول الصرفية - ، وأدغمت في الياء قبلها ، فصارت : « ثُرَيَّا » . فلو قلبت ألفها ياء في التشنية ، وقلنا : « ثُرَيَّان » لاجتمع في آخر الكلمة الواحدة توالى ثلاثة أحرف هجائية من نوع واحد ؛ وهذا ممنوع - غالباً - تبعاً لما نص عليه صاحب المزهر (في الجزء الثانى ، ص ٥٢) حيث قال : (ليس في كلامهم ثلاثة أحرف من جنس واحد ، وليس ذلك من أبنيتهم ، استثقالاً ، إلا في كلمتين : غلام بَسَّة ، أى : سمين ، وقول عمر : « لئن بقيتُ إلى قابيل لأحملن الناس على بَسَّان واحد » ، أى : أسوى بينهم في الرزق والأعطيات) .

وجاء في الجزء الثانى من المجمع باب التصغير (ص ١٨٦) ما نصه : (إذا ولى ياء التصغير ياءاً ان حذفت أولهما ؛ لتوالى الأمثال . . .) ، وجاء في الصبان أول باب التصغير ، ما نصه : (قال في =

٤ - وتقلب واواً إن كانت ثالثة وأصلها الواو ؛ نحو : عَلَاءٌ ، وَشَدَاءٌ ؛
(وهو : المسك ، أو : رائحته) ، وَعَصَاٌ . . . فيقال في التشية : عَلَمَوَانٌ ،
وَشَدَمَوَانٌ ، وَعَصَمَوَانٌ .

٥ - وأيضاً إن كانت ثالثة مجهولة الأصل - لأنها جامدة - ولم تطراً عليها
الإمالة - نحو : إلَى - أَلَا (علمين) . فيقال في تشيتهما : إلَمَوَانٌ ، وَأَلَمَوَانٌ . . .
وغير ما سبق شاذ ، لا يقاس عليه^(١) . وطريق معرفته المراجع اللغوية^(٢) . . .

= التسهيل : يحذف لأجل ياء التصغير أول ياءين وَلِيَّيَاهَا (، ثم قال بعد ذلك عند بيت ابن مالك :

وحائذٌ عن القياس كلُّ ما خَالَفَ

ما نصه في تصغير « سماء » : (إنه : سُمِيَّةٌ ، والأصل : «سُمِيَّةٌ» . بثلاث ياءات ؛ الأولى ياء
التصغير . والثانية بدل المدة ، والثالثة بدل لام الكلمة ؛ فحذفت إحدى الياءين الأخيرتين على القياس
المقرر في هذا الباب ، فبقى الاسم ثلاثياً ، فلحقته التاء) . هذا كلامهم - انظر ص ٦٩٣ وكذا رقم ٥
من ص ٧٠٨ وفي رقم ٢ من هامش هذه الصفحة شروط حذفها - لكن يفهم من صريح كلام الصبان
والخضرى في باب : « المغرب والمبني » (عند الكلام على المضارع المسند لضمير الرفع : ألف الاثنين ،
أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة ، وبعده نون التوكيد) - أن نون الرفع تحذف لتوالي النونات ، وأن التوالى
الممنوع إذا كانت الحروف المتوالية كلها زوائد فلا يَمَرِدُ ، نحو : القاتلات جُنُنٌ ، أو يُجُنُنُنٌ ؛ لأن
الزائد هو المثلث الأخير فقط . . . فكلاهما يعارض ما سبقه هنا . والظاهر أن التوالى ممنوع في غير « جُنُنٌ »
و « يُجُنُنُنٌ » وما يماثلهما عما حروفه المتوالية أصيلة بذاتها ، وليست منقلبة ، ولا زائدة .

(١) للكوفيين رأى غير هذا ، وفيه يقول الرضى ما نصه : (تحذف الألف الزائدة خامسة فصاعداً
في التشية والجمع بالألف والتاء ؛ كما في زِبَعَرَى وقَبَعَرَى ، ولا يقاس عليه . خلافاً للكوفيين) . ١٠٥
نقلا عن شرح الكافية ج ٢ ص ١٧٤ .

(٢) في تشية المقصور يقول ابن مالك في باب عنوانه كل عنوان الذى سبق هنا في ص ٦١٣ :

أَخْبَرَ مَقْصُورٌ تُشْنَى أَجْعَلُهُ يَا إِنْ كَانَ عَنْ ثَلَاثَةِ مُرْتَقِيَا
كَذَا الَّذِي «أَلْيَا» أَصْلُهُ بِنَحْوِ : الْفَتَى وَالْجَامِدُ الَّذِي أُمِيلُ ؛ كَمَتَى
(مرتقياً ، أى : زائداً) .

فجمع في هذين البيتين الأحوال الثلاثة التى تقلب فيها ألف المقصور « ياء » . وهى أن تكون
زائدة على ثلاثة ، أو ثالثة وأصلها الياء ، أو ثالثة جامدة (مجهولة الأصل) قد أميلت . ثم قال في قلبها واواً :

فِي غَيْرِ ذَا تُقْلَبُ «وَاوًا» الْأَلْفُ وَأَوَّلُهَا مَا كَانَ قَبْلُ قَدْ أُلْفُ
أى : أتبع الكلمة المألوف من علامتى التشية .

وإذا ختم المقصور بتاء التأنيث — نحو : فتاة — زال عنه اسمه وحكمه ؛ طبقاً للبيان المفصل الذى سبق^(١) . . .

* * *

(ب) تشية الممدود :

الممدود الاصطلاحي مختوم — دائماً — بهمزة قبلها ألف زائدة^(٢) . فإذا أريد تشيته فقد تبقى الهمزة حتمًا ، وقد تقلب واوًا حتمًا ، وقد يجوز فيها الأمران ؛ فلها ثلاث حالات .

فيتحتم بقاؤها إن كانت حرفًا أصليًا من أصول كلماتها ؛ نحو : قرّاء ، وبداء وخبّاء . . . فيقال فى تشيتها : قرّاءان ، وبداءان وخبّاءان ، بإثبات الهمزة وجوبًا ؛ لأنها من بنية الكلمة الأصلية ؛ إذ الأصل : قرأ ، وبدأ ، وخبأ . ويجب قلبها واوًا إن كانت زائدة للتأنيث ؛ نحو : بيضاء ، وصفراء ، وخضراء ؛ وحمراء ؛ فيقال فى تشيتها : بيضاوان . وصفراوان . وخضراوان ، وحمراوان .

ويجوز بقاؤها وقلبها واوًا إن كانت مبدلة من حرف أصلي^(٣) (نحو : صفّاء ودُعّاء ، وبنّاء ، وفِدّاء ؛ لأن الأصل : صفّاءو — دَعّاءو — بنّاءى — فدّاءى —) أو كانت مبدلة من حرف زائد للإلحاق^(٤) (نحو : علبّاء^(٥) وقوُبّاء^(٦)) ،

(١) فى أول ص ٦٠٥ ورقم ١ من هامش ص ٦٠٦ .

(٢) إذا لحقته تاء التأنيث زال عنه اسمه وحكمه .

(٣) قاعدة الإللال تقضى بقلب حرف اللة همزة إذا كان متطرفاً بعد ألف زائدة — فبقاء الواو هو مراعاة للواقع ، إذ أنها لم تقع طرفاً حقيقياً ، فبعدها علامتا التشية ؛ فتبقى على اعتبارها ليست متطرفة بسبب علامتى التشية . وتقلب همزة على اعتبار علامتى التشية طارئتين لا يلتفت إليهما . هكذا يقولون . والتعليل الصحيح هو : استعمال العرب ليس غير .

(٤) تقدم معنى الإلحاق وبيان بعض أحكامه فى ص ٢٥٣ وهامشها .

(٥) اسم لبعض أعصاب العنق . وأصل الكلمة : علبّاءى ، بزيادة ياء الإلحاق لتكون كقروطاس ، فى وزنها ، وأحكامها . ثم انقلبت الياء همزة ؛ لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة . وما يلاحظ أن الإلحاق خاص بالعرب مقصور عليهم ، وكانوا يستخدمونه غالباً لضرورات شعرية أو ما يشابهها . (انظر ص ٢٥٣ وهامشها) .

(٦) مرض جلدى يظهر على شكل بقع مستديرة ، صغيرة ، ثم تتسع . . . وأصل الكلمة : « قوبى » ، بزيادة ياء الإلحاق ؛ لتكون كقترناس (وهو الأنف البارز من الجبل) ، ثم انقلبت الياء همزة . طبقاً لما سبق (فى رقم ٣ و ٥) .

فيقال في التثنية : صَفَاءَان ؛ أَوْ صَفَاوَان — دُعَاءَان أَوْ دُعَاوَان — بِنَاءَان ، أَوْ بِنَاوَان — فِدَاءَان أَوْ فِدَاوَان — ؛ كما يقال : عِلْبَاءَان أَوْ عِلْبَاوَان — قُبُوءَاءَان أَوْ قُبُوءَاوَان . . . وهكذا . . .

والأحسن إبقاء المبدلة من حرف أصلي ، وقلب المبدلة من حرف زائد للإلحاق . وما جاء مخالفاً لما سبق فهو شاذ ، لا يقاس عليه ؛ كقوْطُم : قُرْأَوَان في تثنية : قُرَاء : (بضم القاف وتشديد الراء المفتوحة -- ومن معانيه : القارئ — مع أن همزته أصلية) ، وكحمرَايَان ، تثنية : حمراء ، وعاشورَان ، تثنية : عاشوراء ، بقلب همزة التأنيث ياء في حمراء ، وحذفها في عاشوراء . ومثل : كسَايَان ، تثنية كساء ، الذي همزته مبدلة من حرف أصلي هو الواو . . . وهكذا^(١) . . .

* * *

(ح) جمع المقصور جمع مذكر سالماً^(٢) .

إذا جمع المقصور جمع مذكر سالماً وجب حذف آخره (وهو : ألف العلة) في كل الحالات ، مع ترك الفتحه قبلها دليلاً عليها ؛ تقول في : رَضًا ، وَعَمَلًا ، ومرتضىً . . . وأمثالها من أعلام الرجال : الرَضَوْنَ رفعاً ، والرَضِيْنَ نصباً وجرّاً — وكذا : العِلْمَوْنَ والعُلَمَائِيْنَ — والمرْتَضَوْنَ والمرْتَضِيْنَ . . . ومثل هذا يقال في

(١) وفي تثنية الممدود يقول ابن مالك :

وَمَا « كَصَحْرَاءَ » بِوَاوٍ ثُنْيَا ونحو « عِلْبَاءِ » ، كِسَاءِ ، وَحْيَا : بِوَاوٍ أَوْ هَمْزٍ . وَغَيْرُ مَا ذُكِرَ صَحَّحَ . وَمَا شَذَّ عَلَى نَقْلِ قُصْرٍ

يريد : أن الممدود الذي همزته كهزمة صحراء — التأنيث — تقاب همزته واواً عند التثنية . أما عِلْبَاءِ (وهو الذي همزته للإلحاق . و « كِسَاءِ » وهمزته مبدلة من أصل ؛ هو الواو ، وكذا « حَيَاءِ » — ولكنه قصرها لضرورة الشعر فقال : « وَحْيَا » — وهمزته مبدلة من أصل ؛ هو الياء ،) . . أما الذي همزته من نوع هذه الأشياء فيجوز قلبها واواً في التثنية . ، أو إبقاؤها همزة على حالها . وغير هذه الأنواع الثلاثة التي تكون فيها الهمزة للتأنيث ، أو مبدلة من أصل ، أو للإلحاق — تبقى همزته على حالها . وما خالف الأحكام السالفة فهو شاذ ؛ يوقف فيه عند حد السماع .

(٢) سبق الكلام على تعريف جمع المذكر السالم ، وشروطه ، وضبط كلمة : « السالم » وما يتصل به (في ج ١ ص ١٢٥ م ١٠) وهو يسمى : الجمع على حد المثني ؛ (لوجوب تحقق شروط المثني فيه) ، وجمع التصحيح للمذكر . أما جمع المؤنث فـ (ج ١ ص ١٠٠ م ١٢) . وفيه بيان السبب في تسميته بجمع السلامة المؤنث ، أو جمع التصحيح للمؤنث .. أو .. ، وضبط كلمة : « السالم » .

المشتقات وسائر الأسماء المقصورة التي يصح جمعها جمع مذكر سالماً ، نحو :
المبتَغى ، والأسمى ، والمعَلَّى . . . في قولهم : صادفت الشجاع المبتَغى ، وهؤلاء
هم الشجعان المبتَغون — وأكبرتُ العالمُ الأسمى : والعلماءُ الأسميّن — وقدرت
العظيمُ المعَلَّى قدره بين نظرائه من المعَلّين . . .

ومن هذا قوله تعالى : (ولا تَهِنُوا ، ولا تَحْزَنُوا ، وأنتمُ الأعْلَوْنَ إن كنتم
مؤمنين) . وقوله تعالى في إبراهيم وأولاده عليهم السلام : (وإنّهم عندنا لمن
المُصْطَفَيْنَ الأخيارِ) . . . (١)

(د) جمعه جمع مؤنث سالماً :

يراعى في جمعه جمع مؤنث سالماً ما روعى فيه عند تشيئه (٢) ؛ فتقاب ألفه
ياء في ثلاثة مواضع ، وتقلب واواً في موضعين . فالثلاثة الأولى : حين تكون
رابعة فأكثر ؛ أو ثلاثة أصلها الياء ، أو ثلاثة مجهولة الأصل — لأن الاسم جامد —
وأُمِيت ؛ (نحو : سَعْدَى وسَعْدَيَات — وهُدَى وهُدَيَات — مَسَى ومَسَيَات .
والثلاثة أعلام إناث) .

والموضعان الأخيران : حين تكون الألف ثلاثة أصلها الواو ، أو ثلاثة مجهولة
الأصل — ؛ لأن الاسم جامد — ولم تلحقها إمالة ؛ (نحو : رِضا ورضَوَات
— وإِلَى وإِلَوَات — إذا كانت : « رِضا وإِلَى » علمين لمؤنثين . . .) .

وإذا أدى جمع المقصور إلى اجتماع ثلاث ياءات — كما في جمع : ثُرَيَّا
على « ثُرَيَّات » . وجب الاختصار على اثنتين فقط ؛ فيقال : ثُرَيَّات — بخذف

(١) وفي جمع المقصور وحده — وترك جمع المنقوص والمدود — يقول ابن مالك :

واخْذِفْ من المقصور في جمعٍ عَلَى حَدِّ المثنى مَا بِهِ تَكْمَلَا . . .

(ما به تكل المقصور ، أى : ما أكملت به صيغة المقصور) . يريد : الألف التي يختم بها ؛
فيجب حذفها قبل مجيء علامتي الجمع الذي على حدّ المثنى — أى : طريقته — وهو جمع المذكر السالم ؛
لأنه يعرب بخفين وتسلم عند الجمع صيغة مفردة ، وتخذف نونه للإضافة . ثم أشار إلى فتح ما قبلها بعد
حذفها بالشرط الأول من البيت التالي — وسيعاد في هامش ص ٦٢١ مناسبة هناك — ، قائلا :

والفتحَ أَبْقِ مُشْعِراً بما حُذِفَ

(٢) في ص ٦١٣

الياء التي بعد ياء التصغير ، لما سبق إيضاحه عند الكلام على تثنية المقصور^(١) .

* * *

(هـ) جمع الممدود جمع مذكر سالمًا :

يسرى على همزته في هذه الحالة ما سرى عليها عند تثنيته ؛ فتبقى على حالها إن كانت أصلية ؛ نحو : قَرَآءُونَ ، وَبَدَّآءُونَ ، وَخَبَبَّاءُونَ . . . في جمع : قَرَآءَ ، وَبَدَّآءَ وَخَبَبَّاءَ . وتقلب واوْ إن كانت في أول استعمالها زائدة في المفرد للتأنيث ، ثم صار هذا المفرد غلماً للمذكر^(٢) ، ومن الأمثلة لهذا النوع من الأعلام (حمراء ، وجمعه : حمراوون) . (وخضرَاءَ ، وجمعه : خضراوون) ، (وبيضاء وجمعه : بيضاوون) .

ويجوز إبقاؤها وقلبها واوْ إن كانت مبدلة من حرف أصلي ، أو للإلحاق . ومن الأمثلة : (رضاء — علم مذكر — وجمعه ؛ رضاءُون أو رضاءوون) — (وعلباء — علم مذكر أيضاً — وجمعه علباءُون أو علباءوون) . . .

* * *

(و) جمعه جمع مؤنث سالمًا :

يجرى على الهمزة ما جرى في التثنية ، نحو (قَرَآءَات) — (حمراوات) — (رضاءات وعلباءات ، أو : رضاءات وعلباءات)

بعض الأحكام العامة فيما يجمع جمع مؤنث سالمًا :

١ — أوضحنا من قبل^(٣) الحكم الخاص بإرجاع « اللام » إلى الاسم الثلاثي المحذوف اللام إذا أريد جمعه بالألف والتاء المزيدين ، سواء أكانت لام اسم منقوص أم لام غيره ؛ كبعض الأسماء الستة ، وغيرها .

٢ — إذا كان المفرد المراد جمعه جمع مؤنث سالمًا مختومًا بتاء التأنيث وجب حذفها قبل جمعه ؛ سواء أكان المفرد بغيرها صحيح الآخر أم غير صحيح ، في مثل : « كاتبة » يقال : كاتبات ؛ يَحذفُ التاء التي كانت في المفرد ؛ لثلاث

(١) في رقم ٤ من هامش ص ٦١٥ ولما سيجيء من تكملة في ص ٦٩٣ ورقم ٥ من ص ٧٠٨ .

(٢) استعماله علماً للمذكر ، وتركه الوصفية شرط أساسي لصحة جمعه جمع مذكر سالم .

(٣) في هامش ص ٦١٣ .

تجتمع علامتان للتأنيث ، وفي مثل : ظَبْيَةٌ وصفَوَةٌ ، ومَهْدِيَّةٌ ، ومَجْلُوتَةٌ
من أعلام النساء (وكلها من معتل الآخر ، الشبيه بالصحيح الآخر^(١)) ، يقال :
ظَبْيَاتٌ - صَفَوَاتٌ - مَهْدِيَّاتٌ - مَجْلُوتَاتٌ .

وإن كان قبل التاء ألف وجب حذف التاء وقلب الألف هنا كقلبها في التثنية^(٢)
فالثالثة ترد إلى الواو أو الياء ؛ طبقاً للتفصيل المذكور هناك ؛ نحو : فتاة
وفَتَيَّاتٌ ، وقناة وقَنَواتٌ والرابعة فأكثر تقلب ياء كمُعْطَاة ومُعْطَيَّاتٌ ،
ومصطفَاة ومصْطَفَيَّاتٌ . مع ملاحظة أن المفرد المختوم بتاء التأنيث وقبلها ألف ،
لا يسمى مقصوراً ، ولا يخضع لأحكامه ؛ إذ لا بد أن تكون ألف المقصور
آخرًا ، ويجرى عليها الإعراب ، لا على التاء - كما قلنا^(٣) .

وإن كان قبلها همزة مسبوقة بألف زائدة وجب حذف التاء أيضاً ، وإخضاع
الهمزة لحكم همزة الممدود عند تثنيته ؛ فتبقى إن كانت أصلية ، نحو : قَرَاءَةٌ
وبَدَاءَةٌ وخَبَاءَةٌ ؛ فيقال : قَرَاءَاتٌ ، وبَدَاءَاتٌ ، وخَبَاءَاتٌ
ويجوز إبقاؤها وقبلها واواً إن كانت مبدلة من أصل ؛ نحو : نَبَاءَةٌ (للبقعة
المرتفعة) . ونباواتٌ ، كما يقال في التثنية . ولا تقع الهمزة هنا للتأنيث قبل تائه ؛
لأنها لا تجتمع مع تاء التأنيث ، وكذلك لا تقع الهمزة للإلحاق قبل تاء التأنيث لأن
همزة الإلحاق لا بد أن تكون في آخر الكلمة^(٤) .

(١) راجع بيانه في هامش ص ٦١٣ بعنوان : ملاحظة - ثم ج ١ ص ١٢١ م ١٥ .

(٢) وهو في ص ٦١٣ وما بعدها . (٣) في ص ٦٠٥ و ٦١٧ .

(٤) أشار ابن مالك إلى ما سبق : (من جمع المقصور جمع مؤنث سالماً ، وأن ألفه تقلب في
هذا الجمع كقلبها في التثنية ، وأن مفرد هذا الجمع يجب حذف ما فيه من تاء للتأنيث إن وجدت قبل
جمعه) ، فقال بيتاً نصفه الأول لا علاقة له بهذه المسألة ، وإنما علاقته بمسألة أخرى سبقت ، وسبق
معه الشطر في رقم ١ من هامش ص ٦١٩ ، والبيت هو :

(والفتح أَبَقِ مُشْعِراً بِمَا حُذِفَ) وإن جمعته بتاء وألف . . .

ثم تم القاعدة ، فقال :

فَالْأَلِفَ أَقْلِبْ قَلْبَهَا فِي التَّثْنِيَةِ وَتَاءَ ذِي التَّاءِ الزَّمَنْ تَنْجِيَهُ

(أى : ألزمن التاء تنحية وإبعاداً من المفرد الذى يحتويها) ، يريد : احذف التاء من المفرد المشتل =

٣ - تتحرك عين جمع المؤنث السالم بحركة فائه ، فيتماثلان في حركتهما ، إذا استوفى مفردة شروطاً ستة^(١) .

أولها : أن يكون هذا المفرد اسماً ؛ نحو : هِنْد - نَجْد - صُلُح . . . أسماء لمؤنث ؛ فخرج المفرد لوصف (أى : المشتق) نحو : ضخمة وحُلوة . . .

ثانيها : أن يكون ثلاثياً ، فخرج ما زاد على الثلاثة ، نحو : درهم ، وسَلَسِب^(٢) ، وبرُقع . . . أسماء لمؤنث .

ثالثها : ورابعها : أن يكون غير معتل العين ، ولا مضعفها ؛ فخرج ما كان مثل : (هالة ، ودولة ، وديمة) - (وجنة ، ومينة ، وقبنة) .

خامسها : أن يكون ساكن العين ، فخرج ما كان متحركها ، نحو : لَبِئَة ، وسَمْرَة^(٣) . .

سادسها ؛ أن يكون لمؤنث ، فخرج ما هو لمذكر ؛ نحو : سعد ، وقفل ، وحِلَف . . . فإن هذه الأسماء لا تجمع جمع مؤنث سالماً ، فلا إتياع فيها .

فإذا استوفى المفرد - المختوم بالتاء أو غير المختوم بها - الشروط الستة تحركت في جمع المؤنث السالم عينه الساكنة بحركة تماثل حركة الفاء ؛ فيقال في هند : هندات ، وفي مسجد : مسجّدات ، وفي صلح : صلُحات ، وفي حكمة : حَكِمات ، وفي نَحْلَة : نَحْلَلات ، وفي غُرْفَة : غُرُفَات . ففي كل ذلك حذف سكون العين ، وتَبِعَتُ العينُ في حركتها حركة الفاء .

غير أن هذا الإتياع قد يكون واجباً ، وقد يكون جائزاً . فيجب إذا كان المفرد المستوفى للشروط مفتوح الفاء ؛ فيتعين إتياع حركة عينه في جمع المؤنث السالم لحركة فائه ؛ نحو : رَحْمَة ، وَفَتْحَة . . . فيقال فيهما : رَحِمَات ، وَفَتْحَات . ونحو : نَهْرٌ وَحَمْدٌ (للمؤنثتين) فيقال : نَهْرَات وَحَمْدَات . بفتح

= عليها قبل جمعه جمعاً مؤنثاً سالماً . ولم يتعرض ابن مالك - كما أشرنا من قبل - لحكم الممدود والمنقوص إذا أريد جمعهما هذا الجمع ؛ لأن حكمهما معه كحكمهما عند تثنيتهما .

(١) سبقت الإشارة لها في ج ١ ص ١١٤ م ١٢ المناسبة هناك .

(٢) اسم نوع من الشجر .

(٣) طويل .

الثانى وجوباً فى كل ذلك ؛ تبعاً لفتحة الأول^(١) .

أما فى غير الحالة السابقة المفتوحة الفاء فيجوز فى العين الساكنة : إما إبقاؤها ساكنة ، وإما تخفيفها بحذف السكون وتحريكها بالفتحة ، وإما حذف سكونها ، وإتباعها فى حركتها لحركة الفاء ، (فتكون مضمومة مثلها ، أو مكسورة) . ففى نحو الأسماء الآتية إذا كانت أعلاماً لمؤنث ، وهى : صُنْع ، ودُمِيَّة . . . يقال صُنْعَات ، أو صُنْعَات ، أو : صُنْعَات ، بضم الثانى ، أو تسكينه ، أو فتحه . وهذه الثلاثة تقال فى نظائرها من الأسماء الأخرى .

كذلك فى نحو : فِتْنَة ، وسِحْر ، من أعلام النساء ، يقال فى جمعها : فِتْنَات ، أو فِتْنَات ، أو فِتْنَات . . . بإسكان التاء الأولى أو كسرهما ، أو فتحها . وهكذا يقال فى الأعلام الأخرى المماثلة لها ؛ حيث يصح فيها ضبط العين بأحد الضبوط الثلاثة الجائزة .

ويستثنى من هذا الحكم حالتان : لا يجوز فيهما الإتيان .

الأولى : الاسم المكسور الفاء إذا كانت لامه واواً نحو : ذِرْوَة وقِنْوَة^(٢) وجِنْوَة^(٣) ؛ فلا يجوز فيها : ذِرَوَات ، ولا قِنْوَات ، ولا جِنْوَات ، بكسر ثانيه إتباعاً لأوله ؛ لأن الكسرة ثقيلة قبل الواو يتحاشاها العرب فى أغلب كلامهم ولهذا لا يصح الإتيان ، ويصح السكون أو الفتح . . .

الثانية : الاسم المضموم الفاء إذا كانت لامه ياء ؛ دُمِيَّة ، قُنِيَّة ، غُنِيَّة ؛ فلا يجوز فيها دُمِيَّات ، ولا قُنِيَّات ، ولا غُنِيَّات . . . بضم ثانيه تبعاً لأوله ؛ لأن الضمة ثقيلة قبل الياء يتحاشاها العرب فى أغلب كلامهم ، ولهذا لا يصح الإتيان ، ويصح السكون أو الفتح .

وما خالف الأحكام السابقة فنادر ، أو شاذ ، — وكلاهما لا يقاس عليه — أو

(١) هذا هو الأغلب والأشهر . لكن يقول : « الأشيون » ما نصه : (« أنهم كلامه أن نحو : « دَعْدَ وجَفَنَة » لا يجوز تسكينه مطلقاً ، واستثنى من ذلك فى التسهيل مثل اللام ؛ كظَبَيَّات ؛ وشبه الصفة ، نحو : أهل وأهلات ؛ فيجوز فيهما التسكين ، اختياراً ») . ١ هـ
(٢) للشئ المكتسب .
(٣) للعبارة المتجمعة .

ضرورة شعرية ، أو لغة قوم من العرب عددهم قليل^(١) . . . ومن الأمثلة : جمع كَهْلَمَة على كَهْلَمَات - بفتح الهاء - ، مع أنها وصف . وظيفيات بسكون الباء ، والواجب فتحها . وزَفَرَات بالسكون لضرورة الشعر في قول الشاعر :

وَحُمِلْتُ زَفَرَاتِ الضَّحَا فَأَطَقْتُهَا وَمَالِي بِزَفَرَاتِ الْعَشَى يَدَانِ

وقبيلة « هُذَيْل » لا تشترط الصحة في عين الاسم ، فتجزأ أن تكون معتلة ؛ فتقول : بِيضَة وبِيضَات ، وجَوْزَة وجَوَزَات ؛ بفتح الثاني إتباعاً للأول^(٢) . . .

(١ و ١) والأحسن في كل ما سبق متابعة أكثرية القبائل ؛ لتكون المحاكاة جارية على الكثير القوي دون القليل ، أو الضعيف . ولجمع اللغة العربية بالقاهرة قرار في هذا (سجله في الجزء الخامس والعشرين من مجلته الصادرة في نوفمبر سنة ١٩٦٩ ص ١٩٨) ونصه :

« يجاز جمع الاسم الثلاثي المؤنث ، الساكن العين ، الصحيحها على « فَعْلَات » ، بفتح العين ، أو تسكينها ؛ تعويلا على ما ذكره ابن مالك في الألفية ، وما ذكره ابن مكي في تثقيف اللسان ، وعلى ما ورد من الشواهد . غير أن الفتح أشهرها . » (١ هـ . . . وانظر ما له صلة بهذا في رقم ١ من هامش ص ٦٢٣ . وفي الأحكام الخاصة بعين المفرد المؤنث الذي يراد جمعه جمع مؤنث سالماً يقول ابن مالك :

وَالسَّالِمَ الْعَيْنِ ، الثَّلَاثِي ، اسْمًا أَنْثَى إِتْبَاعَ عَيْنِ فَاءُهُ بِمَا شُكِلَ
إِنْ سَاكَنَ الْعَيْنَ مَوْثًا بَدَا مُخْتَتَمًا بِالتَّاءِ ، أَوْ مَعْجُرًا

(الثلاثي : أصلها الثلاثي ؛ بتشديد الياء ، خففت للشعر) وفي البيت تقديم وتأخير . والتقدير : وأنت السالم العين ، الثلاثي ، الاسم - إتباع عين فاءه . أي : امنح السالم .. إتباع عينه الساكنة - الحركة التي شكلت بها الفاء . ثم انتقل بعد ذلك لبيان ما يجوز في العين الساكنة من فتح أو سكون أو إتباع ، إن كانت العين بعد فاء غير مفتوحة ؛ (حيث يجوز في العين الساكنة إما تركها على سكونها ، وإما تخفيفها بالفتحة ، وإما إتباعها لحركة الفاء قبلها ، من ضم أو كسر) - قال :

وَسَكَّنَ التَّالِيَّ غَيْرَ الْفَتْحِ ، أَوْ خَفَّفَهُ بِالْفَتْحِ فَكُلًّا قَدْ رَوَوْا
ثم عرض بعد ذلك للحالتين اللتين لا يجوز فيهما الإتباع فقال :

وَمَنْعُوا إِتْبَاعَ نَحْوِ : « ذِرْوَة » ونحو : « زُبْيَة » . وَشَدَّ كَسْرُ جِرْوَة
(الزبينة : حفرة تحفر للأسد ليقع فيها ؛ فيصاد . والجروة : الأثني من الكلاب والسباع) . ثم بين أن ما خالف الأحكام السالفة فهو نادر ، أو ضرورة ، أو لغة ، فقال :

وَنَادِرٌ ، أَوْ : ذُو اضْطِرَارٍ غَيْرُ مَا قَدَّمْتُهُ ، أَوْ : لِأَنَّا انْتَمَى

جمع التكسير

معناه :

في الأبيات الآتية التي يصف بها الشاعر^(١) أسباب العظمة ، وخلو السيرة — أمثلة مختلفة مما يسميه النحاة : « جمع التكسير » ، قال :

وليس الخُلْدُ مرتبةً تُلَقَّى^(٢) وتؤخذُ من شِفَاهِ الجاهِلينا
ولكن مُنتَهَى هِمَمِ كِبَارِ إذا ذهبَ مصادِرُها^(٣) بَقِيْنَا
وسرُّ العَبَقَرِيَّةِ حينَ يَسْرِي فينتَظِمُ الصَّنَائِعِ والفنونا
وآثَارُ الرجالِ إذا تنَاهَتْ إلى التاريخِ خيرَ الحاكِمينا
وأخذُك من فَمِ الدنيا ثَنَاءً وترَكُكُ في مَسَامِعِهَا طِينًا^(٤)

فالكلمات : (شِفَاه — هِمَم — كِبَار — مصادِر — صنائع — فنون — آثَار — رجال — مسامع) . . . هي مما يسمونه : « جمع التكسير » . يريدون : أن كل واحدة منها تتضمن أمرين معاً ، هما :

(أ) معنى ينصبّ على أفراد لا تقل عن ثلاثة ، وقد تزيد :

(ب) وجود مفرد لكل واحدة ، يشاركها في معناها ، وفي حروفها الأصلية مع اختلاف يطرأ على صيغة هذا المفرد عند جمعه عليها .

فكلمة : « شِفَاه » — مثلاً — تدل على شفاه ثلاث على الأقل — وقد تزيد — ولها مفرد هو : « شَفَّة » ، يشاركها في معناها ، وفي حروفها الأصلية ، مع اختلاف طرأ عليه عند الجمع ؛ إذ صارت « الشين » مكسورة بعد أن كانت مفتوحة ، وزيدت « ألف » قبل الآخر لم يكن لها وجود قبل الجمع ؛ فالاختلاف هنا بزيادة بعض الحروف ، وبتغيير بعض الحركات .

وكلمة : « هِمَم » — مثلاً — تدل على ثلاثة فأكثر من هذا النوع ، ومفردها

(١) أحمد شوق ، المتوفى سنة ١٩٣٢ م . (٢) المراد : تؤخذ تلقيناً ، أو وراثة مجردة .

(٣) أصولها وأصحابها . (٤) صوتاً مدوياً ، كصوت النحاس أو الطبل .

« هَمَّة » يشاركها في معناها ، وفي حروفها الأصلية . وقد تغيرت صيغته عند جمعه للتكسير بعض تغير ؛ فحذفت التاء من آخره ، وانفك الإدغام الذى كان فى ثانيه . فالتغير الذى طرأ على المفرد عند جمعه كان فى الحركات وفى الفلك .

وكلمة : « كِبَار » تدل على عدد من هذا النوع لا يقل عن ثلاثة ، ومفردها : « كبير » يشاركها فى المعنى . وفى الحروف الأصلية ؛ وقد طرأ على صيغته بعض تغير عند الجمع ؛ فحذف من آخره الياء ، وكسر أوله المفتوح ، وفتح ثانيه المكسور ، وزيدت « أَلَف » قبل آخره . فتناول التغير ضبط بعض الحروف وحذف بعض منها ، والزيادة عليها . . . وهكذا بقية الجموع السالفة ونظائرها . . .

مما سبق يتضح تعريفهم جمع التكسير بأنه : « ما يدل على ثلاثة أو أكثر ، وله مفرد^(١) يشاركه فى معناه ، وفى أصوله ، مع تغير حتمى يطرأ على صيغته عند الجمع » .

وهذا التغير الطارئ على المفرد عند جمعه جمع تكسير قد يكون مقصوراً على ضبط بعض الحروف فقط ؛ نحو : أسد ، والجمع : أسد ، وقد يكون مقصوراً على زيادة بعض الحروف فقط ؛ نحو : أسد ، والجمع آساد ؛ وقد يشتمل على الزيادة وتغيير الضبط معاً ؛ نحو : رجل ورجال ، وقد يشتمل على تغيير الضبط مع نقص بعض الأحرف ؛ نحو : كتاب وكتب . وقد يشتمل على تغيير الضبط مع نقص الأحرف وزيادتها ؛ نحو : كبير وكبيرة ، وجمعهما للتكسير هو : كبار . . . ، وهكذا ؛ فلا بد من تغير محتوم يصيب المفرد عند جمعه تكسيراً^(٢) .

* * *

(١) وهذا المفرد قد يكون حقيقياً ، أو تقديرياً بالتفصيل الهام والإيضاح الضرورى الوارد فى رقم ٥ من ص ٦٧٨ م ١٧٤ . ولا بد فى هذا المفرد أن يكون خالياً من التركيب ومن الإعراب بحرفين .. طبقاً للبيان الذى سبق فى ج ١ عند الكلام على شروط جمع المذكر السالم - م ١٠ - .

(٢) وهذا التغير هو السبب فى تسميته « تكسيراً » ؛ فكأنما أصابه الكسر عند جمعه ونقله من صيغة المفرد التى هو عليها إلى صيغة الجمع الجديدة - هكذا قالوا كما أشرنا فى رقم ١ من هامش ص ٦١٣ -

قسمناه ، والفرق بينه وبين جمعى التصحيح^(١) :

استقصى اللغويون جموع التكسير فى الكلام العربى - جهد طاقتهم -
فتبينوا ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن العرب يستعملون^(٢) - فى الأغلب - صيغاً معينة إذا أرادوا
من التكسير عدداً محدداً لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على عشرة . ويستعملون
صيغاً أخرى إذا أرادوا عدداً لا يقل عن ثلاثة ، ولكنه يزيد على عشرة ؛ (بأن
يكون أحد عشر ، أو اثني عشر ، أو أكثر . . . فالنوعان متشابهان . فى
المبدأ ، مختلفان فى النهاية^(٣) . وأشهر الصيغ الأولى أربعة ، تُسمَّى : « صيغ
جموع القليلة^(٤) » . وتُسمَّى الصيغ الأخرى : « صيغ جموع الكثرة^(٥) » . . .

(١) جرى اصطلاح النحاة - لا اللغويين - على اعتبار كل جمع من الجموع الثلاثة (وهى جمعاً
التصحيح ، وجمع التكسير) دالاً على أكثر من اثنين دلالة عددية . وقد سبق البيان - فى ج ١ - عند
الكلام المفصل على جمعى التصحيح ، وله تكملة هنا فى رقم ٣ التالى ، وفى ص ٦٧٥ ورقم ٥ من هامشها .
(٢) استعمالاً حقيقياً ، لا مجازياً . - كما سيحى -

(٣) كثرة النحاة تقول إن مدلول جمع الكثرة بطريق الحقيقة - لا المجاز - هو ما فوق العشرة
إلى ما لا نهاية . ولكن بعض المحققين - كما نقل الصبان - لم يرتض ذلك ، وقال : (إن جمع القلة هو من
الثلاثة إلى العشرة - مع إدخال العشرة فى الحكم ، طبقاً لنص الصبان بعد ذلك مباشرة - ، وجمع الكثرة
من الثلاثة إلى ما لا يتناهى . فالفرق بينهما من جهة النهاية . بخلاف ما ذكره الشارح الأشونى) ١١ .

وهذا هو رأى السيد ؛ لأن معناه أعم ، فالأخذ به يحقق المعنى المراد من كثير من أساليب العرب ،
فوق أنه يمنع التعارض والتناقض الذى قد يقع بين العدد المفرد (٣ و ١٠ وما بينها) ومعدوده حين يكون
هذا المعدود صيغة من صيغ جمع الكثرة (مثل : ثلاثة بيوت - أربعة جداول - خمسة جبال - ست
مدائن - سبع سفن . .) فلو أخذنا بالرأى الأول لكان العدد فى هذه الأمثلة وأشباهها دالاً على شيء
حسابى معين لا يزيد على عشرة مطلقاً . فى حين يدل المعدود - وهو صيغة جمع الكثرة - على شيء يزيد على
العشرة حتماً . وهذا هو التعارض والتناقض المعنوى المغيث . أما على رأى الثانى السيد فلا وجود لهذا
التعارض والتناقض .

(٤ و ٥) « ملاحظة » : ما ذكرناه من معنى : « القلة والكثرة » هنا يخالف معناهما فى موضع

آخر نبحثه مفصلاً فى ص ٦٣٣ و ٦٣٤ وهما مشها ؛ حيث المراد منهما : « المطرد » ونحوه بما يقاس عليه ، و « غير
المطرد » ونحوه بما لا يصح القياس عليه ؛ طبقاً للبيان المدون هناك . ومن آثار القلة العددية والكثرة أن تقول :
كتبت إليك رسالة لثلاث خلّون من شهر كذا ، وجاءنى كتابك لخمس عشرة خلّت من ذلك الشهر ؛
فنجى بنون النسوة حيناً ، وبنات التأنيث حيناً آخر . فإضابط الذى يرجع إليه فى استخدام أحدهما ؟
الجواب - تفصيلاً - فى رقم ١ من هامش ص ٥٦٥ . وله إشارة فى الصفحة الآتية .

وهما غير : « جمع الجمع » وهذا لا يدل على أقل من عشرة — كما سيجىء^(١) . . .

فالأربعة الخاصة بمجموع القلة ، هى :

١ — أَفْعِلَةٌ ؛ نحو : أَغْذِيَةٌ ، وَأَدْوِيَةٌ ، وَأَبْنِيَةٌ — جمع : غِذَاءٌ ، ودَوَاءٌ ، وِبْنَاءٌ . . .

٢ — أَفْعُلٌ ؛ نحو : أَلْسُنٌ ، وَأَرْجُلٌ ، وَأَعْيُنٌ ؛ . . . جمع : لِسَانٌ ، وَرِجْلٌ ، وَعَيْنٌ . . .

٣ — فِعْلَةٌ ؛ نحو : صَبِيَّةٌ ، وَفَيْتَةٌ ، وَوَلَدَةٌ ؛ جمع : صَبِيٌّ ، وَفَتًى ، وَوَلَدٌ .

٤ — أَفْعَالٌ ؛ نحو : أَبْطَالٌ ، وَأَسْيَافٌ ، وَأَنْهَارٌ ؛ جمع : بَطْلٌ ، وَسَيْفٌ ، وَنَهْرٌ . . .

ومعنى اختصاص هذه الصيغ بالقلة أن المدلول الحقيقى (لا المجازى) لكل واحدة منها هو عدد مبهم — أى : لاتحديد ولا تعيين لمدلوله^(٢) — ولكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة ، بشرط ألا توجد قرينة تدل على أن المراد الكثرة ، لا القلة . فعند عدم القرينة تتعين القلة حتمًا ؛ اعتمادًا على أن الصيغة موضوعة فى أصلها للقلة ، ومختصة بها ؛ فلا يجوز إبعادها إلى الكثرة بغير قرينة ؛ وإلا كان هذا إبعادًا لها عن أصلها ، وإخراجًا منه إلى غيره مما لا تصلح له فى حقيقة ولا مجاز^(٣) . . .

وكما تتعين القلة عند عدم القرينة تتعين أيضًا فى حالة ثانية ؛ هى أن تكون تلك الصيغة الدالة على المحدود هى من الصيغ الموضوعة للكثرة ، والعدد هو ثلاثة ، أو عشرة ، أو عدد آخر بينهما . وإنما تتعين للقلة هنا منعًا للتعارض بين مدلول العدد ومدلول المحدود ، لأن كل واحد من هذه الأعداد المفردة صريح فى دلالة على القلة ، فلا يصح أن يخالفه معدوده فى مضمون هذه الدلالة ؛ ولا أن يعارضه . فلو كانت صيغة المحدود موضوعة فى أصلها للكثرة لكانت مع العدد المفرد للقلة .

ومن كل ما تقدم يتضح أن معنى القلة يتعين ويتحتم وحده فى صورتين :

« الأولى » . . . أن تكون صيغة المحدود هى من صيغ القلة المتجردة لدلالاتها

(٢) سبق توضيح هذا وشرحه فى ص ٥٢٥ .

(١) فى ص ٦٧٥

(٣) إذ يشترط فى المجاز وجود القرينة التى تمنع من إرادة المعنى الأصل . . .

الأصلية ، ولا توجد قرينة تبعتها عن هذه الدلالة ، وتخرجها منها إلى الدلالة على الكثرة .

و "الأخرى" أن تكون الصيغة الدالة على المعدود هي إحدى الصيغ الدالة على الكثرة ، لكن العدد إلخاص بها دال على القلة ، كالعِدَد ثلاثة ، أو عشرة ، أو أحد الأعداد التي بينهما .

وعدد الصيغ الثانية المختصة بجمع الكثرة قد يزيد على ثلاثين ، ولكن المشهور القياسى منها يقارب ثلاثاً وعشرين صيغة . وسنعرف الكثير منها ؛ مثل : فَعْلٌ ، وفواعل ، ومفاعِل ، وفَعَالِي ، وفَعْلٌ ونحو : حُمْرٌ ، وجواهر ، ومعابد ، وصحارى ، وكُتُبٌ

ولاختيار نوع الصيغة الدالة على التكسير أثر آخر في تركيب الأسلوب أحياناً فوق أثره المعنوى السالف ؛ ذلك أن صيغة جمع القلة يناسبها نون النسوة ، وأن صيغة جمع الكثرة يناسبها تاء التأنيث ؛ فقولنا : رأيت أذرعاً امتددن . . . أفضل من امتدت — وللولد أباد غَمَمَتِ أبناءه . . . أحسن من غَمَمَرْنَ^(١) . . . وما تقدم هو الأفضل والأحسن ، ولكنه ليس واجباً .

الأمر الثانى^(٢) : أن العرب قد يضعون جمعاً معيناً على وزن صيغة خاصة بأحد النوعين ، ولكنهم يستعملون هذا الجمع فى القلة حينئذٍ ، وفى الكثرة حينئذٍ آخر ، استعمالاً حقيقياً ، لا مجازياً — والقرائن وحدها فى السياق هى التى تعينه لأحد النوعين — بالرغم من أن الصيغة خاصة بأحدهما فقط ، وأن وزنها يشيع استعماله عندهم فى نوع منهما دون النوع الآخر ، أى : أنهم يكتفون بوزنه الغالب الشائع فى أحد النوعين ويستعملونه فيه ، وفى الآخر أيضاً من غير أن يجمعوا المفرد جمع تكسير على وزن من الأوزان التى تشيع فى هذا النوع الآخر . ومن الأمثلة استعمالهم فى القلة ، والكثرة معاً : أرجلٌ ، وأعناقٌ ، وأفئدة (وهى جمع : رِجْلٌ ، وعُنُقٌ ، وفؤاد) مع أن صيغة : أفعلٌ ، وأفعالٌ ، وأفعلّة — هى من الصيغ الغالبة فى القلة ، فاكتفوا بها فى النوعين عند تكسير هذه

(١) لهذا إشارة فى رقم ٣ و ٤ من هامش ص ٦٢٧ أما التفصيل فى ص ٥٦٥ .

(٢) تقدم الأمر الأول فى ص ٦٢٧ .

الكلمات ، ولم يجمعوا كلمة : رجل ، ولا عنق ، ولا فؤاد ، على صيغة من الصيغ الخاصة بجمع الكثرة .

ومن الأمثلة أيضاً : رجال وقلوب (جمع : رَجُل ، وَقَلْب) في القلة والكثرة ، مع أن صيغة : « فِعْعَال » و « فُعُول » من الصيغ الغالبة في الكثرة . فاستفوا بها في الدلالة على النوعين عند تكسير الكلمتين ، ولم يجمعوا رجلا ، وقلبا ، على صيغة للقلة .

الأمر الثالث : أن العرب قد يستعملون صيغة شائعة في أحد نوعي التكسير مكان صيغة وضعوها للنوع الآخر ، وشاعت فيه . فكلتا الصيغتين موجودة فعلا ، وتشيع في أحدهما ^(١) ، وحده ، ولكنهم يستعملونها في معنى الآخر ؛ بقرينة في الكلام خارجة عن الصيغة وعن وزنها تدل على هذا النقل والتبادل . وبغير القرينة لا يصح الحكم على الصيغة بأنها مستعملة في غير نوعها ^(٢) .

(١) في صيغ جمع القلة وأنها قد تستعمل للكثرة والعكس - يقول ابن مالك في أول باب عنوانه : « جمع التكسير » - وسنذكر آياته مرتبة هنا ترتيبها في « ألفيته » - :

أَفْعِلَّةٌ ، أَفْعُلٌ ، ثُمَّ : فَعْلَةٌ ثُمَّتَ : أَفْعَالٌ - جُمُوعٌ قَلَّةٌ (ثُمَّت : هي « ثم » العاطفة ، زيدت في آخرها تاء التأنيث المفتوحة) ، تلك صيغ القلة . وانتقل بعدها مباشرة إلى استعمالها في الكثرة ، وصيغ الكثرة في القلة ، فقال :

وبعض ذى بكثرة وضعاً يَفْنَى ؛ كَأَرْجُلٍ ، وَالْعَكْسُ جَاءَ ؛ كَالصُّفَى يقول : إن بعض هذه الأوزان يبنى بالكثرة ، أى : يدل عليها ، ويبنى فيها ؛ كأرجل ؛ بجمع رجل ؛ فإنها تكون للكثرة كما تكون للقلة . وهذا بالوضع العربي : أى : أن العرب وضعوا الجمع المكسر : « أَرْجُل » للكثرة كما وضعوه للقلة فهو صالح للمعنيين ، ولم يعرف لجمع : « رَجُل » صيغة مسموعة خاصة بالكثرة ؛ فالوضع للمعنيين أصيل وحقيق . ولكن صيغته في أحدهما أكثر شيوعاً منه في الآخر . والعكس صحيح كذلك ، فقد جمعوا بعض الألفاظ لتدل على القلة ، مع أنها مصوغة على وزن بعض الصيغ الشائعة في الكثرة - كما قلنا - وضرب مثالا هو : « الصُّفَى » جمع صَفَاة (بمعنى : الصخرة الملساء ، وأصله : صُفُوٌّ ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ، عملا بقواعد الإعرال ، وأدغمت الياء في الياء ، فصارت صُفَى ، ثم قلبت الضمة قبل الياء كسرة ؛ لأن الكسرة هي التي تناسبها ؛ فصارت : صُفَى ، بياء مشددة ، ولم يشدها الناظم لضرورة الوزن) .

(٢) وقد كثّر هذا النقل والتبادل في بعض الصيغ ؛ كصيغة « أفعال » التي للقلة ؛ فقد أشاعوها في المعنيين ؛ وإن كانت للقلة أوفر شيوعاً . ومن الجائز لنا في كل وقت أن نستعملها في المعنيين مثلهم ، =

والفرق بين هذه الحالة والتي سبقتها : أن المفرد هنا له نوعان شائعان من التكسير أحدهما : يكون بصيغة مستقلة تختص "بجمع التكسير الدال على القلة، والآخر يكون بصيغة مستقلة تختص "بجمع التكسير الدال على الكثرة ، فتستعمل إحداهما في معنى الأخرى بقرينة . أما الحالة السابقة فالمفرد له جمع تكسير على وزن خاص بأحدهما فقط ؛ فصيغة جمعه مقصورة على نوع منهما وحده ؛ فلم يضع العرب لهذا المفرد نوعين للتكسير ، تكون صيغة أحدهما مستقلة الدلالة على القلة ، وصيغة الآخر مستقلة الدلالة على الكثرة ، وإنما وضعوا للمفرد جمعاً من نوع واحد ، بصيغة تختص بهذا النوع ، ولكنها مشتركة الدلالة فتدل على الكثرة حيناً وعلى القلة حيناً آخر على حسب القرائن ، وبرغم أنها من الصيغ الخاصة بأحدهما دون الآخر — كما قلنا — يستعملونها في النوعين .

وما تجب ملاحظته :

١ — أن هذه الدلالة العددية التي يدل عليها جمع التكسير هي إحدى نواحي الفرق بينه وبين جمعي التصحيح ؛ ذلك بأن جمع التكسير قد يكون مدلوله عدداً محدوداً لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيد على عشرة . وقد يكون مدلوله عدداً لا يقل عن ثلاثة ، ولكنه يزيد على العشرة — طبقاً للبيان الذي عرضناه ^(١) — ولكل دلالة صيغ معينة . أما جمعا التصحيح ، فمدلولهما الغالب عند «سيبويه» عدد محدود لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة . فهما يدلان عنده على القلة التي يدل عليها أحد نوعي جمع التكسير ، ولا يدلان على الكثرة إلا بقرينة أخرى خارجة

= فيكون الاستعمال حقيقياً لا مجازياً ؛ بسبب شيوعه عندهم . أما غير الشائع عندهم فتستعمله مجازاً ؛ لأن استعمال القليل في موضع الكثير أو العكس — جائز بلاغة ؛ ويكون من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية أو الجزئية ، واستعماله مطرد ، ما دامت شروط المجاز متحققة ، ولا يتوقف على استعمال العرب للكلمة أو الكلمات المجازية ذاتها ، — وأنهم استعملوها مجازاً ، إذ لا أهمية مطلقاً لاستبانة أمرهم في هذه الكلمة أو الكلمات ؛ لأن استخدام المجاز قياسي بغير قيد ، إلا قيد تحقق شروطه . غير أن العرب إذا استعملوا صيغة الكثرة في القلة أو العكس وكان هذا الاستعمال كثيراً شائعاً فإنه يكون من قبيل الاستعمال الحقيقي لا المجازي ، ويكون استعمالنا إيائه حقيقياً كذلك ؛ كاستعمالهم صيغة : « أفعل » في الكثرة ؛ فهو حقيق لنا أيضاً . بخلاف استعمال « فَعُلَ » — مثلاً — في القلة فإنه مجازي .

عن صيغتهما ؛ فليس لهما صيغ تدل على القلة أو على الكثرة كالصيغ التي لجمع التكسير في هذين النوعين .

هذا رأى سيبويه . لكن الرأى الأرجح أن جمعى التصحيح لا يختصان بالقلة وإنما يصلحان^(١) للقلة والكثرة . عند خلو الكلام من قرينة تعين الجمع لأحدهما دون الآخر .

٢ - وأن هناك فرقاً هاماً آخر ؛ هو : أن جمع التكسير لا بد أن تتغير ، فيه صيغة مفردة ؛ بخلاف جمعى التصحيح ؛ فإن مفردهما لا يتغير - في الأغلب - عند جمعه على أحدهما ، بل يظل حافظاً صورته الأصلية^(٢) .

٣ - وأن جمع التكسير وجمع المؤنث السالم يعربان بالحركات . أما جمع المذكر السالم فيعرب بالحرف^(٣) .

* * *

قياسية جمع التكسير :

صيغ جمع التكسير - بنوعيه - متعددة ، وأوزانه كثيرة تُجاوز الثلاثين ؛

(١) راجع خاتمة « المصباح المنير » ، ص ٩٥٤ بعنوان : (فصل : الجمع قسماً ، قلة وكثرة ...) حيث صرح بالرأى الأرجح وبأدلته . ومن أمثلة الكثرة قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَفْتُونُ ، أَياماً معدودات . . .) وما يدل على القلة قوله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات ...) والمراد بها : أيام التشريق ، وهى قلة ... وكذلك كتاب « مجمع البيان لعلوم القرآن » تأليف الطبرسى ج ٣ ص ٨٨ - ونقلنا في الجزء الأول (م ١٠ رقم ٢ من هامش ١٢٥ باب جمع المذكر السالم) رأى أبى على الفارسى في هذا ، فقد جاء في كتاب : « المحتسب » لابن جنى (ج ١ ص ١٨٧ - سورة النساء) ما نصه :

(كان أبو على ينكر الحكاية المروية عن النابغة ، وقد عرض عليه حسّان بن ثابت شعره ، وأنه صار إلى قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَا وَأَسْيَافُنَا يَقْطِرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

قال له النابغة : لقد قلت جفانك وسيوفك .

قال أبوعلى : هذا خبر مجهول لا أصل له ؛ لأن الله تعالى يقول :

- [وَمِنْ فِي الْغُرِّ أَتَمِنُونَ] - ولا يجوز أن تكون الغُرُّ كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر) اهـ

(٢) انظر رقم ١ من هامش ص ٦١٣ . ورقم ٢ من هامش ص ٦٧٩ .

(٣) راجع أحكام هذه الجموع وكثير مما يختص بها في ج ١ م ٧ (أنواع البناء والإعراب ...) .

منها : « الصيغُ المطَّردة » ، ويتَّصدى علم : « النحو والصرف لبيانها » ، وعرض أحكامها . ومنها : « غير المطَّردة » ، والسبيل إلى معرفتها مقصور على المراجع اللغوية الأخرى التي تسرد أمثلة من الوارد « السماعي » الذي ليس مطرداً

والمراد بالصيغة « المطَّردة » ما تتطلب مفرداً مشتملاً على أوصاف معينة ، إذا تحققت فيه جاز جمعه تكسيراً على تلك الصيغة بدون تردد ، ولا رجوع إلى كتب اللغة ، أو غيرها لمعرفة وروده عن العرب ، أو عدم وروده ؛ فمثل هذا الجمع يكون صحيحاً فصيحاً ولو كان غير مسموع^(١) . ولا يصح رفضه ، ولا الحكم عليه بالضعف اللغوي ، أو بشيء يعيبه من ناحية صياغته ، أو وزنه ، أو فصاحته ، فصيغة « فُعِلَ » — مثلاً تكون جمعاً مطَّرداً لكل مفرد مذكر على وزن : « أفعل » أو مؤنث على وزن : « فَعَلَاء » بشرط أن يكون المفرد في الحالين مشتقاً ، دالاً على لون ، أو عيب . . . نحو : هذا أحمر ، وهؤلاء حمُـر — وهذه حمراء ، وهنَّ حمُـر . وذلك أخرس ، وهم خُرُـس — وتلك خرساء ، وهن خُرُـس . . . وهكذا كل صيغة أخرى من جموع القلة أو الكثرة ، فإن المفرد يطَّرد جمعه عليها إذا كان مستوفياً للشروط التي يجب تحقُّقُها فيه ؛ ليصلح أن يجمع على وزنها . فعني تحققت تلك الشروط ساغ جمعه عليها من غير استشارة المراجع اللغوية ، وساغ استعمال هذا الجمع بغير توقف لمعرفة رأيها فيه ، أهو موافقٌ لما تحتويه أم يخالف ؟ ؛ فإن هذا التوقف لا مستَوَّج له بعد أن تحققت في المفرد كل الشروط والصفات التي جعلته صالحاً لأن يُجمع جمع تكسير على تلك الصيغة والوزن .

وما أكثرَ تَعَدُّدَ الجموع في المراجع اللغوية ، وكثير منها يخالف في صيغته لصيغة الجمع المطَّرد ، فلا يؤدي هذا — مع كثرة الصيغ المخالفة — إلى تخطئة المطَّرد ، ولا إلى الحكم عليه بالضعف ، أو العيب ، وإنما يؤدي إلى أن لهذا المفرد جمعين للتكسير — أو أكثر أحياناً — وأن أحد الجمعين كثير شائع ، فهو لهذا

(١) راجع ص «ع» من الكتاب الذي أخرجه مجمع اللغة العربية باسم : « مجموعة القرارات العلمية مع الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين . . . » .

قياسى مطرد . والآخر قليل فى ذاته^(١) أو نادر ؛ فهو سماعى ، ولا يجوز القياس عليه ؛ لقلته الذاتية وندرته^(٢) . ولا اتخاذ وزنه مقياساً يُجمَع عليه مفرد آخر غير الذى ورد مسموعاً فيه عن العرب ؛ وهذا هو المسمى : « جمع التكسير السماعى » أو : « جمع التكسير غير المطرد » . ومن ثَمَّ يتبين خطأ من يتوهم أن كل جموع التكسير سماعى ، وأن الرجوع فى كل جمع منها إلى المظان اللغوية محتوم على من يعرف الأوصاف المشروطة فى مفرد كل صيغة ، ومن لا يعرف .

نعم الرجوع إلى تلك المظان محتوم على من لا يعرف تلك الأوصاف والضوابط . أما من يعرفها فله أن يصل من طريق معرفته إلى ما يريد من جموع التكسير المطردة فى تلك المفردات . ولا تمنعه معرفته أن يرجع — إذا شاء — إلى المظان اللغوية ، ليستخدم ما تنص عليه من جموع أخرى مسموعة للمفردات التى معه ؛ أى : أنه حرّ فى استعمال جمع التكسير القياسى أو السماعى ، من غير أن يُفترض عليه الاقتصار على السماعى وحده^(٢) ، وإلا كانت الضوابط المطردة ، والقواعد العامة المستنبطة من الكلام العربى الشائع — عبثاً لاجدوى منه^(٣) ، فوق ما فى

(١ و ١) بشرط أن تكون القلة ذاتية ، لا نسبية . وقد سبق تفصيل الكلام عليهما فى أجزاء

الكتاب ؛ ومن ذلك ج ٣ م ٩٣ و ٩٤ ص ٦٤ و ٧٨ .

(٢) وبهذا رأى الحكيم يأخذ جماعة من أئمة النحاة ، فى مقدمتهم الكسائى زعيم المدرسة الكوفية ، ولا يقتصر فى تطبيقه على الجموع أو المصادر ونحوها ؛ بل يجعله عاماً شاملاً فى كل ما اجتمع له سماع وقياس . جاء فى مقدمة : « القاموس المحيط » فى الأمر الخامس من الأمور التى اختص بها القاموس ما نصه عند الكلام على ضبط المضارع . . . : « (السماع مقدم على القياس عند غير الكسائى . وأجاز الكسائى القياس مع السماع أيضاً ، على ما قرّر فى الدواوين الصرفية) » اهـ وهذه المسألة — مسألة الجمع بين القياس والسماع تكملة هامة تجبى فى رقم ٣ هنا .

(٣) للمجمع اللغوى القاهرى قرار حاسم ، — فوق المشار إليه كل ما سبق — أصدره بعد دراسة وافية ، وهو يقطع بأن « المطرد » ، و « القياس » بمعنى واحد ؛ (كما جاء فى الصفحة الخامسة والخمسين من محاضر جلسات الدور الرابع لانقاده : وهى الجلسة الرابعة صباح الثلاثاء ١٩ من يناير سنة ١٩٣٧ ، وكما ورد أيضاً فى الصفحة الأولى من الجزء الرابع من مجلة المجمع) ونص القرار .

« (يرى المجمع أن الكلمات التى يستعملها قُدامى النحويين والصرفيين ؛ وهى : القياس : والأصل ، والمطرّد ، والغالب ، والأكثر ، والكثير ، والباب ، والقاعدة ... ألفاظ متساوية الدلالة على ما ينقاس . وأن استعمال كلمة منها فى كتبهم يسوغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يسمع على ما سمع ، وأن المحقّق على كلام العرب هو من كلام العرب) . اهـ . وفى محاضر جلسات الدور الرابع لانقاده ص ٣٨ وما بعدها ما نصه : « (ويقال للشاذ : القليل ، والأقل ، والنادر ، وأمثاله مما يفيد القلة والضعف أيضاً) » اهـ .

البحث عن « المسموع » من عناء وإرهاق يبلغان حدَّ التعجيز ؛ بسبب كثرة المراجع

= والمراد من تسجيل هذا القرار هنا ومن الإيضاح الذى ذكرته قبله ، إزالة كل غموض عن قياسية المجموع المطردة ، وبحو كل وهم تردد أو يتردد على خاطر بعض القدامى والمحدثين بهذا الشأن .
وهناك أسباب أخرى قوية تزيل الشك أو الوهم عن قياسيته ؛ هى الأسباب العامة الخيلية التى أشرنا إليها فى مواضع متفرقة من الأجزاء الأربعة فى الرد على من يشككون فى قياسية بعض المسائل . كثنائى سجلناه بإفاضة فى الجزء الثالث عند الكلام على : « أبنية المصادر القياسية » (ص ١٨٣ م ٩٨) .
ومن تلك الأسباب آراء العالم العبرى ابن جنى التى يرجع إليها المجمع اللغوى فى كثير من بحوثه ، ويستشهد بفصله الرائع الذى عنوانه : (باب فى اللغة المأخوذة قياساً) والذى نقلناه كاملاً مستقلاً ختمنا به الجزء الثانى . وقد سجلته مجلة المجمع فى عددها الأول ، كما سجلته محاضر جلساته مرة أخرى فى الصفحة الخامسة والأربعين من محاضر جلسات الدور الرابع للانعقاد ، وأيضاً ما نقله عن المازنى ، وكذلك آراء العالم الذكى : « الفراء » الذى ورد عنه فى محاضر جلسات المجمع اللغوى (دور الانعقاد الرابع ص ١٠٨) : (أنه إمام الكوفيين ، ووارث علم الكسائى ، ولا تريب علينا إذا أخذنا بمذهبه) . وكذلك الزمخشرى وصاحب المصباح المنير ، وغيرهم من الأئمة الذين سردنا آراءهم الخيلية مفصلة فى الجزء الثالث - كما سبقت الإشارة هنا - م ٩٨ ص ١٨٣ -

بقى السؤال عن المعنى الدقيق للاطراد الذى يباح عليه القياس ، والمعنى الدقيق للكثرة التى تبيح القياس كذلك ؟ ما عددها ؟ وما شياتها ؟ وما نعمتها ؟ .. وقد ورد هذا السؤال فى ص ١٢٩ من الكتاب الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة باسم : « كتاب فى أصول اللغة » وهو المشتمل على مجموعة القرارات : التى أصدرها المجمع من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين ، وتصدى للإجابة عن هذا السؤال أحد الأعضاء المجمعين مسجلاً إجابته فى تلك الصفحة قائلاً ما نصه الحرفى : « (أضع بين يدي السائل ما قال أصحاب أصول النحو فى ذلك من بيان وتحديد نسبة عددية يمكن أن تكون أصلاً لنسبة مئوية كالتى يستعملها المحدثون فى الإحصاء ؛ وذلك هو ما نقله السيوطى صاحب الاقتراح فى ص ٢١ سطر ١٠ وما بعده - وكذلك فى « المزهر » ح ١ ص ١٤٠ - ونصه : « قال الشيخ جمال الدين بن هشام : اعلم أنهم يستعملون غالباً ، وكثيراً ، ونادراً وقليلًا ، ومطرراً . فالطراد لا يتخلف ، والغالب أكثر الأشياء ، ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ، والنادر أقل من القليل . فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالب ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل والواحد نادر . فاعلم بهذا مراتب ما يقال فيه ذلك » - انتهى سيوطى -

وبمحاولة علم هذا مفسراً بالنسبة المئوية كما يقال اليوم تكون النتيجة هى : المطرد الذى مثله بثلاثة وعشرين وجعلها نهاية هو ١٠٠٪ - والغالب وهو ٢٠ من ٢٣ = $\frac{20}{23}$ ٨٦٪ أو ٨٧٪ تقريباً . - والكثير وهو ١٥ من ٢٣ ٪ يساوى ٦٥٪ - والقليل وهو ٣ من ٢٣ ٪ يساوى ١٣٪ والنادر وهو ١ من ٢٣ ٪ يساوى $\frac{1}{23}$ ٤٪ تقريباً . وبهذا يكتفون ، ولا يذكرون الشذوذ فى هذا المقام بعد ما وصلوا إلى النذرة وهى أقل القليل كما رأينا ... ») انتهى الإجابة .

هذا وقد أشرنا (فى رقم ٤ من هامش ص ٦٢٧) إلى أن المراد هناك من القلة ، والكثرة ، والاطراد ، وعدم الاطراد - مخالف للمراد منها هنا .

وتنوعها ، وتباين طرائفها . . . و . . .

وفيا إلى الأوزان المطردة — أى : القياسية — لجمع التكسير بقسميه : « جمع القلة ، وجمع الكثرة » . والأوصاف الواجب تحققها في المفرد المراد جمعه على إحدى الصيغ ، مع الإشارة إلى أن كل صيغة من هذه الصيغ المطردة قد تزاخمها صيغ كثيرة مسموعة ، مرجعها اللغة وحدها .

* * *

(١) أشهر الصيغ المستعملة في جموع القلة أربعة :

١ — أفعلة : وهو مقيس في كل مفرد يكون اسماً ، (لأوصفاً) ، مذكراً ، رباعياً ، قبل آخره حرف مدّ : نحو : طعام وأطعمة — بناءً وأبنية^(١) — عمود وأعمدة — رغيغ وأرغفة . . .

وهو مقيس أيضاً في كل اسم على وزن : فععال ، أو فععال (بفتح الفاء أو كسرهما) إذا كان عين كل منهما ولامه من جنس واحد ، أو كانت لاهما حرف علة ، فالأول ، نحو : بساتين^(٢) وأبنة ، وزمام وأزمة^(٣) ، والثاني نحو (قباء^(٤) وأقبية ، وكساء وأكسية) — (فناء وأفنية ، ورداء وأردية) . . .^(٥)

٢ — أفعُل : وينقاس في كل مفرد ، اسم (لاصفة) على وزن : فَعْل (بفتح فسكون) صحيح العين ؛ سواء أكان صحيح اللام أم معتلها ؛ ليست فاءه واواً ، — كوقت — وليس مضعفاً كعَمَّ وجند . فمثال صحيح اللام : بحر وأبحر — نهْر وأنهْر . . . ومثال معتلها : ظبي وأظب — جرّو ، وأجر^(٦) .

(١) ومثل : لسان وألسنة ، وسنان وأسنة ، في قولهم : إعجاب المرء بنفسه يُشْرع إليه أسنة الطاعنين ، وتطاوله على أبناء جنسه يجمع عليه أسنة الشائنين ... (٢) متاع البيت ، أو الزاد .

(٣) انظر جمع « فُعْل » ص ٦٤٢ . (٤) العباءة أو : البرنس .

(٥) الهزمة في آخر المفردات الأربعة منقولة عن حرف علة والأصل (قَبَاو — كَسَاو)

(فَيَاي — رِداي) .

(٦) أصل أظب وأجر : « أظبي » ، و « أجرؤ » ، استقلت الضمة على الياء في الكلمة الأولى فحذفت — فالتى ساكنان ، الياء والتونين ؛ فحذفت الياء للتخلص من الساكنين ؛ كطريقة حذفها في المنقوص . أما في الكلمة الثانية فقبلت الواو ياء لوقوعها متطرفة بعد كسرة ، ثم حذفت بالطريقة السابقة .

وينتقاس أيضاً في كل اسم رباعى مؤنث تأنيثاً معنويّاً ؛ (أى : بغير علامة تأنيث ظاهرة) : قبل آخره مدّة ؛ (ألف ، أو واو ، أو ياء) ؛ مثل : عَيْتَاق (لأنّثى الجَيْدِى) وأَعْمَقُ ، وَعُقَاب (لإحدى الطيور الجارحة) وأَعْقُبُ ، وَذِرَاعُ وَأَذْرُعُ ، وَيَمِينُ وَأَيْمُنُ ، وَتَمْرُودُ وَعَمْرُودُ (على اعتبارهما من أسماء المؤنث) وجمعهما : أَيْمُنُ وَأَعْمُدُ .

٣ - أفعال . وينتقاس فيما لا ينتقاس فيه «أَفْعُلُ» السابق ؛ فيطرود في كل اسم معتل العين بالواو أو بالياء أو بالألف ؛ نحو : ثوبٌ وأثوابٌ ، - سَيْفٌ وأسيافٌ - بابٌ وأبوابٌ . . . وفي كل اسم واوئى الفاء ، أو مضعف ؛ نحو وقتٌ وأوقاتٌ ، وعمٌ وأعمامٌ .

وفي كل اسم ثلاثى مفتوح الأول . مع فتح ثانيه . أو مع كسره ، أو ضمه ، نحو : جَمَلٌ وأجمالٌ ، وَتَمْرٌ وأثمارٌ ، وَعَصْدٌ وأعضادٌ .

وفي كل اسم ثلاثى مكسور الأول مع فتح ثانيه ، أو مع كسره ، أو تسكينه ؛ نحو : عَيْتَبٌ وأعنانبٌ ، وإِبِلٌ وآبالٌ ، وَحِمْلٌ وأحمالٌ .

وفي كل اسم ثلاثى على وزن : «فُعْلُ ، أو فُعْلُ» (بضم الأول والثانى ، أو بسكون الثانى) ، نحو : عُسْنُقٌ وأعناقٌ ، وَقُفْلٌ وأقفالٌ .

فإن كان المفرد على وزن : «فُعْلُ» (بضم ففتح) فالكثير^(١) أن يكون جمعه على : «فِعْلَانٌ» (بكسر فسكون) ؛ نحو : صُرْدٌ^(٢) وصِرْدَانٌ ، وَنُغْرٌ^(٣) ونِغْرَانٌ ، وَجِرْدٌ^(٤) وجِرْدَانٌ .

وينتقاس في كل اسم على وزن «فُعْلُ» معتل اللام أو مضاعفاً^(٥) .

أما الاسم الثلاثى الذى على وزن : «فَعْلُ» (بفتح فسكون) صحيح العين - غير ما سبق - فتح كثير النحاة جمعه قياساً على : «أفعال»^(٦) . وهذا منع

(١) كما يأتى في ص ٦٥١ .

(٢) اسم طائر .

(٣) اسم طائر .

(٤) اسم طائر .

(٥) إيضاح هذا في ص ٦٥٠ و٦٥١ .

(٦) مع أن «التصريح» وحاشيته نقلتا منه نحو عشرين : منها :

لا يستند إلى أساس سليم ، والصواب جواز جمعه قياسياً على : «أفعال»
فيقال : بَحَثَ وأَبْحَثَ ، وَسَمَّيَهُمْ وأسْهَمَ (١) ولا مانع أن يجمع

= فَرِخَ وأَفْرَخَ - حَبَرَ وأَحْبَارَ - زَنَدَ وأَزْنَادَ - حَمَلَ وأَحْمَالَ - شَكَلَ وأَشْكَالَ - سَمِعَ
وَأَسْمَعَ - لَفَظَ وأَلْفَظَ - لَحَظَ وأَلْحَظَ - مَحَلَّ وأَمَحَلَ - رَأَى وأَرَأَى - سَطَرَ وأسْطَارَ - جَفَنَ وأَجْفَنَ - لَحَنَ
وَأَلْحَنَ - نَجَدَ وَأَنْجَدَ - فَرَدَ وَأَفْرَدَ - أَلَفَ وآلَفَ - أَنْفَ وَأَنَافَ - وَغَيْرَ مَا ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مُتَنَاقِضٌ فِي الْمَرَاجِعِ
اللُّغَوِيَّةِ ، مِنْهُ : أَرْضَ وَأَرَاضَ - رَمَسَ وَأَرْمَاسَ - عَرَشَ وَأَعْرَاشَ - نَهَرَ وَأَنْهَارَ - نَذَلَ وَأَنْذَالَ - شَخَّصَ
وَأَشْخَصَ - شَرَّطَ وَأَشْرَاطَ - جَفَّرَ (وَهِيَ : الشَّاةُ السَّمِينَةُ) وَأَجْفَارَ - بَعْضَ وَأَبْعَاضَ - دَخَلَ وَأَدْخَالَ -
ضَرَبَ وَأَضْرَبَ .

(١) سبب منهم جمع : «فَعَّلَ على أفعال» الذي وصفناه هو ما جاء في الجزء الثاني من كتاب
سيبويه (ص ١٧٥ بعنوان: هذا تكسير الواحد للجمع ..) من أنه يجمع على : «فِعْعَلًا ، وعلى فُعُولٍ ،
وَأَفْعُلَ» . وأن جمعه على : «أَفْعَالٍ» ليس بالباب في كلام العرب وإن كان قد ورد منه بعض ألفاظ ؛
كأَفْرَاحَ ، وَأَجْدَادَ ، وَأَفْرَادَ .

وقد جرى كثير من النحاة وراء سيبويه حتى عصرنا ، وكانوا - في هذه المسألة - متسرعين ؛ بدليل
ما نقلناه من الصيغ الكثيرة في رقم ٦ من هامش الصفحة السابقة ، وكذلك ما جاء في الجزء الخامس
ص ٣٩٢ من كتاب : «إرشاد الأريب لمعرفة الأديب» ، تأليف ياقوت الرومي ، وطبعة مرجليوث ، ونصه :
«(حدث أبوحيان التوحیدی . قال : «قال الصاحب بن عباد يوماً : «فَعَّلَ» بفتح فسكون ،
- ويريد ما كان منه صحيح العين- ، ليس من الأنواع التي ذكروها) ، «أفعال» قليل ، ويزعم النحويون
أنه ما جاء منه إلا زَنْدَ وَأَزْنَادَ ، وَقَرَّخَ وَأَفْرَاحَ ، وفرد وأفراد . فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفاً (أى :
كلمة) كلها : «فَعَّلَ وأفعال» . فقال : هات يامدعي . فسررت الحروف - أى : الكلمات - ودلت على
مواضعها من الكتب ، ثم قلت : ليس للنحوى أن يلزم هذا الحكم إلا بعد التبحر ، والسباع الواسع ،
وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً ... ، وهذا كقولهم : فَعِيلَ (بفتح فكسر ،
فياه ساكنة) على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً ، وما انتهيت في التتبع
إلى أقصاه . فقال : خروجه من دعواك في فَعَّلَ (بفتح فسكون) يدل على قيامك في فَعِيلَ .)» ا هـ .

وقد يفهم من كلام «التوحیدی» أيضاً شيء آخر ؛ هو أن الكثير الذي يباح عليه القياس يتحقق
بورود ثلاثين مثالا مسموعة منه . والحق أن هذا فوق الكثير المبالغ فيه فيما أرى ؛ لأنه ساقه في معرض
التحدى وإثبات الحفظ والمعرفة كما يفهم من روح القصة - لا مجرد نقل المسجوع الذي يؤيده .
وجاء على لسان أحد أعضاء المجمع اللغوي القاهري (وهو الأب أنستاس الكرملي) ما يأتي منقولاً من
محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ص ٥١ :

«إن النحاة لم يصيبوا في قولهم : إن : «فَعَّلًا» لا يجمع على : «أفعال» إلا في ثلاثة ألفاظ لا رابع
لها : وهى : فَرَّخَ وأفْرَاحَ ، وَحَمَلَ وأَحْمَالَ ، وَزَنْدَ وَأَزْنَادَ ، وأكد ابن هشام أن لا رابع لها . «والذي
وجدته أن ما سَمِعَ عن الفصحاء من جموع : فَعَّلَ على أفعال أكثر مما سمع من جموعه ، - أى : المطردة -
على : أَفْعُلَ (بفتح ، فسكون ، فضم) أو فِعْعَلًا (ببكر ففتح) ، أو فُعُولًا (بضمين) فعدد ما ورد =

كغيره - على صيغة أخرى إذا انطبق عليه وصف المفرد الذى يطرّد جمعه عليها .

٤ - فَعَلَمَ (بكسر ، فسكون ، ففتح) . . . ولا يعرف لهذه الصيغة مفردات لها أوصاف معينة . وإنما يعرف عنها أنها مسموعة فى جمع مفردات معدودة بَعْضُهَا على وزن : فَعَعَلَ (بفتحيتين) ؛ نحو : وَلَدَ وِوِلْدَة ، وَفَى وَفِيَّة . . . أو على وزن : فَعَعَلَ (بفتح فسكون) ، نحو : شَيْخَ وشَيْخَة - ثَوْرَ وثِيرَة . أو على وزن فَعَعَلَ (بكسر ففتح) ، نحو : ثِنْنِي^(١) وَثِنْنِيَّة . أو على وَزْن : فَعَعَالَ (بفتح أوله وثانيه) نحو : غَزَالَ وَغَزَلَة . أو على : وَزْن فَعَعَالَ (بضم ففتح) ، نحو : غَلَامَ وَغِلْمَة ، أو على وَزْن : فَعَعِيلَ (بفتح فكسر) ؛ نحو : صَبِيَّ وَصَبِيَّة . . . وبعض صيغ أخرى لا ضابط لها

= على أَفْعُل هو (١٤٢) اسماً ، وعلى فَعَعَالَ (٢٢١) اسماً ، وعلى فَعَلَانَ (كذا فى الأصل ولعل الصواب فَعَعُول) هو (٤٢) فأن يسلموا بجمعه قياساً مطرداً على «أفعال» أحق وأولى ؛ لأن عدد ما ورد فيها هو (٣٤٠) لفظة وكلها منقولة عنهم ، ولورودها فى الأمهات المعتمدة ؛ مثل القاموس واللسان) ، ثم قال : (يحق للمجمع ألا يعتمد على مجرد الأقوال التى تداولها النحاة ناقلين الأقوال الواحد عن الآخر بلا اجتهاد ولا إمعان فى التحقيق بأنفسهم . أما الذى يؤيده الاجتهاد فخالف لما أثبتوه . وقد حان الوقت أن ينادى المجمع على رموس الملاء هذه القاعدة الجديدة المبنية على أقوال الأئمة الفصحاء . . . » ا هـ .

ثم ذكر بعد هذا أن كل الأمثلة التى وجدها هى لصحيح العين والفاء . . .

وقد وافق المجمع اللغوى القاهرى ومؤتمره المنعقد بالقاهرة فى يناير سنة ١٩٧٠ على القرار التالى ، ونصه :
- كما ورد فى ص ٢٢٣ من الجزء السادس والعشرين من مجلة المجمع الصادر فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ ومايو سنة ١٩٧٠ - هو : (قرر المجمع من قبل أن قياس جمع «فَعَعَلَ» الاسم الصحيح العين أن يكون على «أَفْعُل» جمع قلة ، وعلى «فَعَعَالَ» أو فَعَعُول» جمع كثرة . واستناداً إلى نص عبارة أبى حيان فى استحسان الذهاب إلى جمع فَعَعَلَ على أفعال » مطلقاً ، واستناداً أيضاً إلى الألفاظ الكثيره التى وردت بمجموعة على هذا الوزن - ترى اللجنة جواز جمع «فَعَعَلَ» اسماً صحيح العين مثل : بحث وأبحاث على «أفعال» ولو كان صحيح الفاء ، أو اللام ويدخل فى ذلك مهموز الفاء ، ومعتلها ، والمضعف . وقد وافق المؤتمر على قرار اللجنة بصيغته المعروضة .) ا هـ .

(١) الأمر الذى يعاد مرتين .- وأيضاً : الثانى فى السيادة ؛ أى : الذى يلى الرئيس الأكبر فى السيادة والمكانة . ومن الأول قوله عليه السلام : لا ثِنْنِيَّ فى الصدقة . أى : لا تؤخذ مرتين فى السنة .

إلا السماع المحض ، لأن صيغة : « فِعْلَةٌ » لا تطرد في جمع مفردات معينة - كما سبق - وإنما أمر مفرداتها موقوف على السماع ^(١) . . .

(١) للأوزان الثلاثة الأولى ضوابط عرضها ابن مالك مختصرة بقوله في : « أفْعَلْ » .

لِفْعَلٍ اسماً صحَّ عَيْنًا : « أفْعَلْ » وللرباعي اسماً أيضاً يُجْعَلُ
إن كان كالْعَنَاقِ وَالذَّرَاعِ في مدٍّ ، وتأنِيث ، وعدَّ الأَحْرَفِ
وقد اكتفى ابن مالك في ضابط « أفْعَلْ » بأن مفردة يكون صحيح العين ، وأن الرباعي يكون كالْعَنَاقِ
في المد ، والتأنِيث ، وعدد الحروف . وقد شرحنا المراد .

ثم قال في صيغة : « أفعال » ، إن الذي لا يطرد جمعه على « أفْعَلْ » يجمع على « أفعال » : والغالب
أن « فِعْلَان » هو جمع لفْعَلٍ . كصِرْدَانٍ فإن مفردة : صِرْدٌ :

وغيرُ ما « أفْعَلْ » فيه مُطَرَّدٌ من الثلاثي اسماً « بَأَفْعَالٍ » يردُّ
وغالباً أَغْنَاهُمُو « فِعْلَان » في : « فُعَلٍ » ، كقولهم : صِرْدَانُ
ثم انتقل إلى صيغة : « أفْعَلَّة » ، فقال :

في اسمٍ مذكَّرٍ رباعيٍّ بِعَدِّ ثَالِثٍ - « أفْعِلَّة » عنهم أَطَرَّدَ
والزَّمَةُ في : « فَعَالٍ » أَوْ : « فِعَالٍ » مُصَاحِبِي تَضْعِيفٍ ، أَوْ إِعْلَالٍ
أما وزن « فِعْلَةٌ » - ومفردة لا يكون إلا شماعياً - فعرضه في الشطر الثاني من بيت بعد هذا مباشرة ،
شطره الأول خاص بجمع من جموع الكثرة . (سيجىء في هامش ص ٦٤٢) قال :

« فُعَلٌ » لنحو أَحْمَرٍ وَحَمْرًا و « فِعْلَةٌ » جمعاً بنقل يُدْرَى

يريد من الشطر الثاني أن « فِعْلَةٌ » ، يُدْرَى مفردة ويعلم بالنقل الوارد عن العرب وبالسماع المأثور
عنهم . فلا ضابط له . لا قياس .

المسألة ١٧٣ :

(ب) أشهر الصنغ المستعملة في جموع الكثرة .

أشهرها ثلاثة وعشرون جمعاً قياسيًّا . وقبل أن نسردها ، ونذكر شروط اطرادها نذكر أن لكل مفرد من مفرداتها جموعاً مسموعة متعددة تخالف هذه الجموع القياسية المطردة - وقد أوضحنا الحكم في هذا^(١) - وفيما يلي القياسية :

١ - فُعَل (بضم فسكون) وهو جمع قياسي لشئين ، هما : «أفْعَل» وصف للمذكر^(٢) ، و «فَعْلَاء» وصف للمؤنث ؛ نحو : (أحمر وحمراء ، وجمعهما : حُمْر) .. (وأخضر وخضراء ، وجمعهما : خُضْر) . (وأصفر وصفراء ، وجمعهما : صُفْر) ...

ويجب ترك فائه مضمومة إن كانت عينه صحيحة أو معتلة بالواو ، نحو : خُضْر ، وزُرْق ، ولسُود ، وحوّ ؛ (في جمع : أخضر وخضراء ، وأزرق وزرقاء ، وأسود وسوداء ، وأحوى وحواء^(٣)) ، ففي هذه الأمثلة - وأشباهاها - تسلم ضمة الفاء في الجمع ، وتبقى على حالها .

أما إن كانت عينه ياء فيجب قلب ضمة الناء كسرة ؛ لتسلم الياء من القلب ، (نحو : أبيض وبيضاء ، وجمعهما : بَيْض ؛ بكسر الباء^(٤)) . ومثل : (أعْيَن^(٥))

(١) في ص ٦٣٣ .

(٢) استثنى ابن هشام - كما نقل عنه الصبان - أربعة من ألفاظ تسويد المعنوي التي سبق الكلام عليها في باب من الجزء الثالث ؛ هي : (أجمع - أكنع - أبتع - أبصع -) مصرحاً بأنها لا تجمع جمع تكسير ، وإنما تجمع جمع سلامة فقط . ولكن الأمثلة التي عرضتها المراجع النحوية المختلفة في باب التوكيد اشتملت على جمعها للتكسير على صيغة : «فُعَل» ولم تقتصر على جمع السلامة . فلعل المراد هو منع تكسيرها على : «فُعَل» .

(٣) الحوّة : سواد يميل إلى خضرة ، أو حمرة تميل إلى سواد .

(٤) كقول الشاعر يمدح :

له خلائقٌ ببيض لا يُغيّرُها صَرَفُ الزمانِ كما لا يَصْدأُ الذهبُ

(٥) أعْيَن الرجل : اتسعت عينه واشتد سوادها .

وعَيْنَاء وجمعهما : عَيْن ، بكسر العين) . ووزن الجمع « فُعْلٌ » ، بضم الفاء كأصله ، برغم ما طرأ على فائه من قلب ضميتها كسرة .

ويجوز في ضرورة الشعر ضم العين من هذا الجمع بشرط أن تكون صحيحة وغير مضعفة ، وأن تكون لامة صحيحة كذلك ؛ مثل : « النُجْلُ »^(١) في قول الشاعر :

طَوَى الجَدِيدَانِ^(٢) مَا قَدْ كُنْتُ أَنْشَرُهُ وَأُنْكَرْتُنِي ذَوَاتُ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ

ولا يجوز ضم العين إن كانت معتلة ، نحو : بَيْضٌ وَسُودٌ ، أو كانت مضعفة ، نحو : غُرٌّ ، جمع أَغْرٍ أو غَرَاءَ . أو كانت اللام معتلة ؛ نحو : عَشْنِي وَعُمْنِي ، جمع : أَعَشْنِي وَعَشَوَاءَ ، وَأَعْمَنِي وَعَمِيَاءَ^(٣) . . .

٢ - فُعْلٌ (بضم أوله وثانيه) . وينقاس في شيئين :

أولهما : وصف على : « فَعُولٌ » (بفتح فضم) بمعنى فاعل ، نحو : صَبُورٌ وَغَفُورٌ ؛ فجمعهما القياسي : صَبُورٌ وَغُفُورٌ ، فإن كان بمعنى مفعول - نحو : حَبَابٌ ، وَرَكُوبٌ - لم يجمع هذا الجمع .

ثانيهما : اسم رباعى صحيح اللام ، قبل لامة مدّة ؛ سواء أكانت ، أَلْفًا ، أَمْ وَأَوًا ؛ أَمْ يَاءٌ ، غير أن المدّة إن كانت أَلْفًا يجب أن يكون الاسم غير مضاعف ومن الأمثلة : عِمَادٌ وَعُمْدٌ ، وَأَتَانٌ وَأَتْنٌ ، وَعُمُودٌ وَعُمْدٌ ، وَقَلُوصٌ^(٤) وَقُلُوصٌ ، وَبَرِيدٌ وَبُرْدٌ . . . فلا فرق في هذا الاسم بين المذكر والمؤنث .

فإذا كانت المدّة أَلْفًا والاسم الرباعى مضعّفاً فقياس تكسيه : « أَفْعَلَةٌ » ، نحو : زِمَامٌ وَأَزْمَةٌ ، وَهَلَالٌ وَأَهْلَةٌ ، وَسِنَانٌ ، وَأَسِنَّةٌ . . . - كما سبق عند الكلام على : « أَفْعَلَةٌ »^(٥) . أما إن كانت المدّة ياءً أو وَاوًا فالاسم المضعّف يجمع على :

(١) جمع ، مفردة : نَجْلَاءُ ، وهى العين المتسمة ؛ يقال : عين نجلاء ، أى : واسعة .

(٢) الليل والنهار .

(٣) وإلى ما سبق يشير ابن مالك فى صدر البيت السالف فى هاتش ص ٦٤٠ ، وهو :

فَعْلٌ لِنَحْوِ أَحْمَرٍ وَحَمْرٍ

(٤) الناقة الشابة القوية . (٥) ص ٦٣٦ .

« فُعْلٌ » أيضاً ؛ نحو : سرير وسُرُر ، وذَلُولٌ وذُلُلٌ^(١) .

ويجب - في غير الضرورة الشعرية - تسكين عين هذا الجمع إن كانت واواً ؛
نحو : سِرَّارٌ وسُرورٌ ، وسِرَّوكَ وسُرُوكَ . وصَوَّانٌ^(٢) وصَوْنٌ - أما في الضرورة
الشعرية ، فيجوز بقاؤها مضمومة .

وإن كانت عينه ياء جاز ضمها أو تسكينها . لكن يجب عند تسكينها كسر
فائه ، لتسليم الياء ؛ نحو : سَيِّئَالٌ^(٣) وسَيِّئِلٌ ، أو : سَيِّلٌ . . .

ويجوز تسكين عينه إن كانت حرفاً صحيحاً ؛ نحو : كتابٌ وكُتِّبٌ ، أو :
كُتِّبٌ ، وأُتَانٌ وأُتُنٌ أو أُتُنٌ . . .

ويمتنع تسكين عين المضعف^(٤) ؛ نحو : سريرٌ ، سُرُرٌ^(٥) . . .

فللعين في هذا الجمع أربع حالات : وجوب ضمها - وجوب تسكينها ،
إلا في المضعف ، فيمتنع - جواز الأمرين من غير تغيير حركة الفاء - جواز
الأمرين مع وجوب كسر الفاء إن سكنت العين وكانت ياء .

٣ - فُعْلٌ (بضم ففتح) ويَطَّرَدُ في أربعة أشياء .

(١) اسم على وزن : « فُعْلَةٌ » (بضم فسكون) سواء أكان صحيح اللام ،

(١) انظر « د » في ص ٦٤٤ ، ففيها بيان حكم آخر .

(٢) ما يسمى : « الدُولَاب » .

(٣) (بفتح السين وكسرها) نوع من الشجر له شوك .

(٤) ويجوز فتحها بمراجعة ما سيأتى في « د » في الصفحة التالية .

(٥) وفي الكلام على : « فُعْلٌ » يقول ابن مالك :

وَفُعْلٌ لِاسْمٍ رُبَاعَى بِمَدٍّ قَدْ زِيدَ قَبْلَ لَامٍ أَعْلَالًا فَقَدْ

مَا لَمْ يُضَاعَفْ فِي الْأَعْمِ ذُو الْأَلِفِ وَفُعْلٌ جَمْعًا لِفُعْلَةٍ عَرَفَ

(إعلالاً : مفعول به للفعل : فقد . والأصل : قد زيد قبل لام ، وحرف اللام فقد إعلالاً . أى
يشترط أن تكون اللام صحيحة ، و « ذو » نائب فاعل للفعل : يضاعف . وبشرط ألا يكون الاسم الذى
قبل آخره ألف - مضاعفاً ، وهذا في الاستعمال الأعم الأغلب المطرد . وبقية البيت الثانى لا شأن له
بصفة « فُعْلٌ » وإنما يختص بوزن آخر سيجىء ؛ هو : فُعْلٌ .

أم معتلها ، أم مضاعفها ؛ نحو : غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ ، مُدْنِيَّةٌ وَمُدْنَى ، وَحُجَّةٌ وَحُجَجٌ .

(ب) وصف على وزن : « فُعْلَيْ » التي هي مؤنث الوصف المذكور : « أَفْعَلٌ » ، نحو : الكُبْرَى ، والوُسْطَى ، والصغرى ؛ فجمعها القياسي : الكُبَرَى ، والوُسْطُ ، والصُّغَرُ ، والمفرد المذكور هو : أكبر ، وأوسط ، وأصغر . ولا يصح جمع « حَبْلٍ » على « حَبَلٍ » لأنها وصف لمؤنث لا مذكر له .

(ح) اسم على وزن : فُعْلَةٌ (بضم أوله وثانيه) . نحو : جُمُعةٌ وجُمُوعٌ .

(د) كل جمع تكسير على وزن : « فُعْلٌ » ^(١) (بضميتين) وعينه ولامه من جنس واحد ، فإنه يجوز عند بعض القبائل العربية تخفيفه بجعله على وزن : « فُعْلٌ » (بضم أوله ؛ وفتح ثانيه) ، نحو : جديد وذَكَاوُلٌ ؛ فقياس جمعهما للتكسير : جُدُدٌ وذُلُلٌ ، ويصح التخفيف ؛ فيقال : جُدَدٌ وذُلَلٌ . . .

٤ - فِعْلٌ (بكسر ففتح) ويطرد في اسم تام ^(٢) على وزن : « فِعْلَةٌ » (بكسر فسكون) ، نحو : كِسْرُهُ وَكِسْرٌ ، بِدْعَةٌ وَبِدْعٌ ، فِرْيَةٌ وَفِرْيٌ . وقد يجمع فِعْلَةٌ على فُعْلٌ ؛ وهو قياسي ، ولكنه قليل نحو حِلْيَةٌ وَحُلْيٌ ، وَلِحْيَةٌ وَلُحْيٌ (بضم أولهما في التكسير أو بالكسر) .

فإن كان المفرد صفة لم يجمع قياساً هذا الجمع ؛ نحو : صِغْرَةٌ وَكِبَرَةٌ (بمعنى : صغير وكبير) وكذلك إن كان غير تام . نحو : رِقَّةٌ ^(٣) ، وأصلها وِرْقٌ (بكسر الواو) حذفت فاؤها ، ونقلت حركتها إلى الحرف الساكن بعدها ، وعَوَّضَ عنها تاء التانيث في آخره ؛ فلا يقال : « وِرْقٌ » يجمع المفرد ، بعد إرجاع الحرف المحذوف . وإبقاء التاء التي هي عوض عنه . فهذا لا يصح ؛ لأن فيه جمعاً بين العوض والمعوَّض عنه ^(٤) . . .

(١) سبق الكلام عليه في ص ٦٤٢ . (٢) لم يحذف من أصوله شيء .

(٣) فضة . (٤) في الجمعين : فُعْلٌ وَفِعْلٌ يقول ابن مالك :

وَفُعْلٌ جَمْعاً لِفُعْلَةٍ عُرِفَ

ونحو : كُبْرَى ، وَلِفِعْلَةٍ فِعْلٌ وقد يجيء جمعه على فُعْلٍ

٥ - فُعْلَمَةٌ (بضم ففتح) وهو مقيس في كل وصف لمذكر عاقل ، على وزن : فاعل . معتل اللام بالياء أو بالواو ؛ نحو : رامٍ ورماة ، ساعٍ وسعاة ، غازٍ وغزاة ، داعٍ ودعاة . وأصل : رماة وسعاة وغزاة ودعاة - رُمِيَّةٌ ، وسُعِيَّةٌ وغَزَوَةٌ ، ودُعَوَةٌ . وكلها على وزن : « فُعْلَمَةٌ » تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله ، فانقلب حرف العلة ألفاً ؛ فصار جمع التكسير على الصورة السالفة ، ووزنها « فُعْلَمَةٌ » بالرغم مما دخلها من التغيير .

فلا يجمع على هذا الوزن ما كان اسماً ، نحو : وادٍ ، وعادٍ (اسم قبيلة) ، ولا ما كان وصفاً لمؤنث ؛ نحو : سارية وعادية ، ولا ما كان وصفاً للمذكر غير عاقل ؛ نحو : ضَرٍ في مثل : أسد ضارٍ ، أو وصفاً وزنه على غير فاعل ؛ كجميل ، أو صحيح اللام ؛ كعالم . . .

٦ - فُعْلَمَةٌ (بفتح أوله وثانيه) ، وهو مقيس في كل وصف على وزن : فاعل ، « فاعل » ، للمذكر ، عاقل . صحيح اللام ، نحو : كامل وكَمَلَةٌ ، وكاتب وكَتَبَةٌ ، وبارٍ وبررة .

فلا يجمع هذا الجمع ما كان غير وصف ؛ نحو : وادٍ وعادٍ ، اسمين . . . ولا ما كان وصفاً على غير فاعل ، نحو : حَذَرٍ ، ولا ما كان وصفاً لمؤنث ؛ نحو : طالق ، وحامل (بمعنى حُبْلَى) ولا ما كان وصفاً لغير العاقل ؛ نحو : صاهل ، ولاحق ، وسابق ؛ من أوصاف الحصان ، ولا ما كان وصفاً معتل اللام ، نحو : ساعٍ ، وداعٍ ^(١) . . .

فأوصاف المفرد هنا هي أوصافه في الصيغة السابقة إلا أن اللام هنا صحيحة وهناك معتلة .

(١) وفي الجمعين : « فُعْلَةٌ ، وفُعْلَةٌ » يقول ابن مالك :

في نحو : رامٍ ذو أطرادٍ فُعْلَةٌ وشاعٍ نحو : كامل وكَمَلَةٌ واكتفى بالثال « رامٍ » فلم يذكر الشروط الخاصة بجمع هذا المفرد على : فُعْلَةٌ ، لأن الشروط التي سردناها متحققة في المثال . كما استغنى بالثال : « كامل » الذي قياس جمعه للتكسير « فُعْلَةٌ » عن سرد الشروط ، لأن المثال جامع لها . والمراد بالشيوع في الشطر الثاني من البيت : الشيوع الذي يفيد الاطراد ، لأن بعض الأشياء الشائعة لا تكون مطردة عند فريق من قدامى النحاة . وقد ذكرنا في رقم ٣ من هامش ص ٦٣٤ ما قرره المجمع اللغوي ، وهو : أن الشيوع والاطراد في كلام القدماء بمعنى واحد ، وكلاهما يقاسن عليه .

٧ - فَعَلَى (بفتح فسكون) ، وهو مقيس في كل وصف دالّ على آفة طارئة ؛ من موت ، أو ألم ، أو عيب ونقص . (أى نقص) ، ويشمل سبعة أنواع :

(أ) المفرد الذى على وزن : « فَعِيل » بمعنى : مفعول ، نحو : صريع ، وقَتيل ، وجريح . والجمع ؛ صرْعَى ، وقَتَلَى ، وجرحَى . وهذه أوصاف دالة على موت ، أو تَوَجّع .

(ب) المفرد الذى على وزن : فَعِيل ؛ بمعنى فاعل ؛ نحو : مريض ومَرْضَى ^(١) .

(ح) المفرد الذى على وزن : فَعِيل ؛ كزَمِنَ وزَمْسَى ،

والوصفان السالفان دالان على الألم .

(د) المفرد الذى على وزن فاعِل ؛ نحو : هالك وهَلَكى .

(هـ) المفرد الذى على وزن : فَعِيل (بفتح ، فسكون ، فكسر) ، نحو :

مَيّت وموتى .

(و) المفرد الذى على وزن : أفعَل ؛ كأحمق وحَمَقَى .

(ز) المفرد الذى على وزن فَعْلان ؛ كسكران وسكِرَى .

وهذان الوصفان الأخيران دالان على نقص وعيب ^(٢)

٨ - فَعَلَمَ (بكسر ففتح) وهو مقيس في كل اسم صحيح اللام ، على وزن :

فُعِل (بضم فسكون) ، نحو : قُرْطُوقِرْطَمَ . ودُرْج ودِرْجَة ، وكُوز وكِوزَة ، ودُبّ ودِيبَة . ومن القليل المقصور على السماع أن يكون جمعاً لفُعِل (بفتح

(١) وقد يجمع « فَعِيل » هذا على صيغة أخرى إن وافق البيان الآتى في ص ٦٤٩ و ٦٥٢ و ٦٥٣ .

(٢) وفى : فَمَلَسَى يقول ابن مالك .

فَعَلَى لوصف ، كقتيل وزَمِنَ وهَالِك . ومَيّت بِهِ قَمِنَ

(قمن ، أى : حقيق وجدير) . يريد : أن : « فَعِل » جمع لكل وصف على وزن : « فَعِيل »

و « فَعِل » ، و « فاعِل » كالأثلة السابقة ، وما يؤدى معناها في الدلالة على الهلاك أو المرض أو

الألم . ثم قال : إن ما كان على وزن : فَعِيل ، مثل : مَيّت ، حقيق بأن يجمع هذا الجمع ؛ فيقال

فيه : موقى . وأصل : « مَيّت » ميوت ، اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ؛ قلبت

الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء .

فسكون (أو : لَفِعْلٌ (بكسر فسكون) ، نحو : غَرَدُ^(١) و غِرْدَة - قِرْدُ و قِرْدَة^(٢) . . .

٩ - فُعَلٌ : (بضم أوله ، وتشديد ثانيه المفتوح) ، وهو مقيس في كل : وصف ، صحيح اللام ، على وزن : فاعِلٍ ، أو فاعلة ، سواء أكانت عينهما صحيحة أم معتلة ؛ نحو : قاعد وقاعدة ، وثائم وثائمة ، وراكع وراكعة . وساجد وساجدة ، . . . والجمع : قُعْدٌ ، ونُؤْمٌ ، ورُكْعٌ ، وسُجْدٌ^(٣) . . . ومن النادر الذى لا يقاس عليه أن يكون : « فَعْلٌ » جمعاً لوصف معتل اللام للمذكر على وزن : فاعل ، نحو : غُرْزَى ، وسُرْزَى ، وعُنْزَى ، فى جمع : غازٍ ، وسارٍ ، وعافٍ .

١٠ - فُعَمَالٌ (بضم أوله وتشديد ثانيه) ، وهو مقيس في كل وصف صحيح اللام للمذكر ، على وزن : فاعل ، نحو : صائم وصوأم ، قارئ وقراء . ومن النادر الذى لا يقاس عليه أن يكون جمعاً لوصف صحيح اللام على وزن : « فاعلة » ، كقول الشاعر :

أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صدّادٍ
جمع : صَادَّةٌ^(٤) . . .

(١) نوع من النبات الصحراوى ، المسمى : الكَمَّاتَة ، واختلفوا فى ضبط الغين فى المفرد ؛ فقيل مفتوحة ، وقيل مكسورة . (٢) وفى « فِعْلَة » يقول ابن مالك :

لِفْعَلٍ اسماً صَحَّ لَأَمَّا « فِعْلَةٌ » والوضعُ - فى فَعْلٍ وفِعْلٍ - قَلَّلَهُ
(الوضع العربى ، وهو وضع العرب للألفاظ بصيغها ومعانيها الواردة عنهم - قلل أن يكون وزن فِعْلَة جمعاً لاسم على وزن : فَعْلٍ ، أو فِعْلٍ ؛ فكلمة : « الوضع » مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية : قَلَّلَهُ . (٣) ومن الأمثلة لهُذين قوله تعالى : « محمدٌ رسولُ الله » ، والذين معه أشدُّاءُ على الكفَّارِ ، رُحَمَاءُ بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً . (٤) وفى الجمعين الأخيرين : (فُعَلٌ وفُعَمَالٌ) يقول ابن مالك .

وفُعْلٌ لفَاعِلٍ ، وفَاعِلَةٌ وُضْفِينٌ ؛ نحو : عاذِلٌ وعاذِلَةٌ

ومثله الفُعَمَالُ فيما ذُكِّرَا وذانِ فى المَعْلَلِ لَأَمَّا نَدَرَا

ويهمهم من البيت الثانى أن الفُعَمَال كالفُعَمَال ، ولكن بشرط أن يكون المفرد مذكراً ، وأن الوزن نادراً فى الوصف المعتل اللام ؛ نحو : غازٍ ، وغُرْزَى ، وغُرْزَام .

١١ - فِعْعَال (بكسر ففتح من غير تشديد) ، وهو مقيس في مفردات كثيرة الأوزان ، وأشهرها ثلاثة عشر وزناً :

الأول والثاني : « فَعْعَل » . و « فَعْعَلَة » (بفتح الأول وسكون الثاني فيهما) اسمين أو وصفين ، ليست فائهما ولا عينهما ياء . نحو : كعُتِب وكِعِاب ، وقَصْصَة وقِصَاع . وصُعُتِب وصِعَاب . وخِذْلَة ^(١) وخِذَال .

فإن كان معتل الفاء أو العين بالياء فجمعه على « فِعْعَال » نادر ، لا يقاس عليه : نحو : يَعْعَر ^(٢) ويعِعار ، وضيف وضِيف ، وضِيعَة وضِيعاع ^(٣) . . .

الثالث . والرابع : فَعْعَل وفَعْعَلَة (بفتح أولهما وثانيهما) ، بشرط أن يكونا اسمين ، لأمهما صحيحة . وغير مضعفة ، نحو : جبل وجِبَال ، وجَمَل وجِمَال ، ورقَبَة ورقَاب ، وثمرة وثمار . . . فخرج نحو : بطل وبطلة ؛ لأنه وصف . ونحو : فتي وعصا ؛ لاعتلال لأمهما . ونحو : طَلَل ، لأنه مضعف اللام . . .

الخامس . والسادس : فِعْعَل (بكسر فسكون) وفُعْعَل (بضم فسكون) بشرط أن يكونا اسمين ، وأن يكون « فُعْعَل » غير واوى العين : كحُوت ، ولا يأتى اللام كمُذْنِي ^(٤) ، ومن الأمثلة : ذئب وذئاب ، بُر وبُثار ، رُمح ورِماح ، دُهْن ودِهَان ^(٥) . . .

(١) سميّة الذراعين والساقين .

(٢) الجَدْنى يوضع في حفرة عميقة ، ليحى الأسد لافتراسه ؛ فيتردى فيها ، ويتمكن الصيادون من صيده . أو الإجهاز عليه . ومن أمثال العرب : أذلّ من يَعْعَر ، وهو : الجدْنى . .

(٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

« فَعْعَلٌ وَفَعْعَلَةٌ » ؛ « فِعْعَالٌ » لهما وَقَلَّ فِيمَا عَيْنُهُ « اليا » مِنْهُمَا
ولم يذكر أنه قليل فيما فاءه « اليا » أيضاً .

(٤) نوع من المكاييل يسمى : القفيز الشامى ، وهو غير المكيال الذى يسمى : المُدَّة .

(٥) في الأربعة الأخيرة يقول ابن مالك :

و « فَعْعَلٌ » أيضاً له : « فِعْعَالٌ » ما لم يَكُنْ فى لَامِهِ اعْتِلَالٌ
أو يَكُنْ مُضَعَفًا . ومثْلُ : « فَعْعَلٌ » ذو التاء ، و « فَعْعَلٌ » « مَعَ فُعْلٍ » ، فأقبل
أى : اقبل جمع : « فَعْعَلٌ وفُعْعَلٌ » على « أفعال » . ولم يذكر شروط جمعها وقد ذكرناها .
والمراد بقوله : « ذو التاء » ما كان على وزن : « فَعْعَلٌ » وختم بها فصار « فَعْعَلَة » . مع استيفائه الشروط .

السابع ، والثامن : فَعِيل بمعنى فاعِل^(١) ، ومؤنثه ؛ بشرط أن يَكُونَا وصفين ، ولأيهما صحيحة ، نحو : ظريف وظريفة وجمعهما : ظِرَاف . وكريم وكريمة وجمعهما : كِرَام ، وشريف وشريفة وجمعهما : شِرَاف . فخرج نحو : حديد وجريدة ؛ لأنهما اسمان ، ونحو : غنى وولى ؛ لاعتلال لأيهما ، وكذلك غنية وولية . وكذلك جريح وجريحة ؛ لأنهما وصفان بمعنى مفعول ، لا فاعل^(٢) . . .

وإذا كان «فَعِيل» هذا ومؤنثه معتلى العين بالواو ، صحيحى اللام فإن العرب تكاد تلتزم في جمعهما صيغة : «فِعْعَال» ؛ نحو : (طويل وطَوِيلَة ، وجمعهما : طِوَال) ، (وقويم^(٣) وقَوِيمة ، وجمعهما : قِوَام) ، (وصواب وصَوِيبة^(٤) ، وجمعهما : صِوَاب . . .)

التاسع ، والعاشر ، والحادى عشر : وصف على وزن : فَعْلَان ، أو على مؤنثيه : فَعْلَى ، وفَعْلَانَة (بفتح وسكون فى الثلاثة) ، نحو : غضبان وغَضَبَتِي ، وجمعهما : غِضَاب ، ومثل : نَدَمَان ونَدَمَانَة ، وجمعهما : نِدَام .

الثانى عشر ، والثالث عشر : وصف على وزن : فُعْلَان ، أو على مؤنثة : فُعْلَانَة (بضم فسكون فيهما) ؛ نحو : خُمُصَان^(٥) وخُمُصَانَة ، وجمعهما : خِمَاص . . .^(٦)

هذا ، وجمع : «فِعْعَال» من جموع التكسير التى لها مفردات كثيرة غير

(١) قد يجمع على صيغة أخرى إن وافق ، ما فى ص ٦٥٢ و ٦٥٣ .

(٢) وفى : «فَعِيل» هذا يقول ابن مالك

وفى : «فَعِيل» وصف فاعِلٍ ورَدَّ كَذَاكَ فى أنشأه أَيضًا اطرَدَ

(٣) حسن القامة . (٤) صائبة . (٥) جائع .

(٦) يقول ابن مالك فى الجموع الخمسة الأخيرة ، وفى : «فَعِيل» معتل العين بالواو ، صحيح

اللام ، نحو : طويل - وقد سبق الكلام عليه قبلها مباشرة - : ما نصه :

وَنَشَاعُ فى وَصْفِ عَلَى : «فَعْلَانَا» أَوْ : «أَنْشَيْتُهُ» ، أَوْ عَلَى : «فُعْلَانَا»

ومثله : «فُعْلَانَةٌ» . وَالزَّمَةُ فى نَحْوِ : «طَوِيلٌ ، وَطَوِيلَةٌ» تَفِى

أى : تَفِى بالمطلوب ، وتحقق القياس . المراد بالشيوع هنا : الاطراد والكثرة التى يقاس عليها .

قياسية، منها: رجل ورجال، وحيداً وحيداء، وخروف وخيراف^(١) وقيلأوص^(٢) وقيلأص . . .

* * *

١٢ - فُعُول (بضم أوله وثانيه) ويطرَد في ألفاظ :

منها : الاسم الذي على : « فَعِيل » (بفتح فكسر) ، نحو : كَسَبِد وكُتِبُود ، نَمِر ، ونَمُور . . .

ومنها الاسم الثلاثي الساكن العين بشرط أن يكون مفتوح الفاء ، وليس معتل العين بالواو ، نحو : كَعَب وكُتُوب - رأس ورؤوس - عين وعيون . فخرج منه ، نحو : حَوَّص ، فلا يجمع على : فُعُول . . .

ومنها : الاسم الثلاثي ساكن العين ، مكسور الفاء ؛ نحو : عِلِم وعِلوم - حِلِم وحِلوم - ضِرْس وضِرُوس^(٣) .

ومنها : الاسم الثلاثي ساكن العين ، مضموم الفاء بشرط ألا يكون معتل العين بالواو : كحوت ، ولا معتل اللام ؛ كَمُدَى - وهو نوع من المكايل ، كما سبق^(٤) ، ولا مضعف اللام ؛ كَمُد - لنوع من المكايل أيضاً - ومن الأمثلة الصحيحة : جُنْد وجنود - بُرْد وبرود .

(١) جاء في الهمع في هذا الموضع (ج ٢ ص ١٧٧ - بعد أن سرد المفردات التي تجمع على : « فَعِيل » قياساً مطرداً) ما نصه : « (وشذ « فَعِيل » فيما عدا ما ذكر ؛ كخروف وخيراف ، و . . .) »^١ وسرد كلمات أخرى . وبذا تكون كلمة : « خيراف » مجموعة شماعاً وصحيحة الاستعمال .
(٢) ناقة شابة : أما الجمع : « قِلاص » فيقول فيه « التصريح » إنه من الجموع المحفوظة ، يريد : الشاذة .

(٣) وفي جمع : « فُعُول » بأنواعه المختلفة التي شرحناها يقول ابن مالك :

وبفُعُول : « فَعِيل » ؛ نحو : كَبِد يُخْصُ غالباً : كَذَاكَ يَطَّرَد :

في « فَعِل » اسماً مُطْلَقَ « الفاء » و« فَعَل » له وللْفُعَالِ فِعْلَانُ حَصَلُ

المراد بمطلق « الفاء » أن فاه ليست مقيدة بالفتح ، أو بالكسر ، أو بالضم ، ولم يذكر الشروط والتفصيلات الخاصة بفتح الفاء ، ومضمومها ، وقد سردناها . والجزم الأخير من البيت الثاني خاص بجمع آخر هو ، « فِعْلَان » وسيجيء الكلام عليه .

(٤) في رقم ٤ من هامش ص ٦٤٨ .

أما : معتل العين بالواو فالغالب جمعه على : فَعْلَان ؛ مثل : حوت وحيّتان
وأما المعتل اللام فالغالب جمعه على : «أَفْعَال» ، نحو : مُدْنِي وَأَمْدَاء — بقلب
يائه همزة ؛ طبقاً لقواعد الإعلال — وكذلك مضعف اللام ، نحو : مُدَّ وَأَمْدَاد .

ومنها : اسم ثلاثي على وزن : « فَعْعَل » (بفتح أوله وثانيه) الخالي من حروف
العلّة . وهذا النوع مختلف في اطراده ؛ فثقل : يجمع قياساً على : « فُعُول »
وهذا حسن ، وقيل سماعاً فقط ، نحو : أَسَدٌ وَأَسُودٌ ، وَشَجَنٌ وَشُجُونٌ . والذين
يقولون بقياسيته يشترطون ألا يكون وصفياً ولا مضاعفاً ، فلا يجمعون كلمة : نَصَفٌ^(١)
ولا لَسَبٌ^(٢) على : نَصُوفٌ ، وَلُسُوبٌ .

* * *

١٣ — فَعْلَان (بكسر فسكون) وهو مقيس في ألفاظ ، منها : اسم على
وزن : « فُعْعَال » (بضم ففتح) : نحو : غُلَامٌ وَغِلِمَانٌ ، وَغُرَابٌ وَغِرْبَانٌ .
ومنها : اسم على : « فُعْعَل » (بضم ففتح) ؛ نحو : جُرْدٌ وَجِرْدَانٌ —
صُرْدٌ^(٣) وَصِرْدَانٌ .

ومنها : اسم على : « فُعْعَل » (بضم فسكون) معتل العين بالواو ؛ نحو :
حُوتٌ وَحِيتَانٌ — كُوزٌ وَكِيزَانٌ — عُدودٌ وَعِيدَانٌ . . .

ومنها : اسم على « فَعْعَل » (بفتح ففتح) ؛ والأغلب أن تكون عينه في
الأصل معتلة ؛ نحو : تاجٌ وتيجانٌ ، نَارٌ ونيرانٌ ، وقاعٌ وقيعانٌ ، وخالٌ وخيلانٌ^(٤)
والأصل : تَوَجٌ ، وَنَوَرٌ ، وَخَيْلٌ^(٥) . . . (تحرك حرف العلّة في المفرد ،
وانفتح ما قبله ، فانقلب ألفاً) .

(١) المرأة المتوسطة السن . (٢) موضع القلادة من العنق .

(٣) طائر ضخّم الرأس يصطاد المصافير . وقد سبقت الإشارة لهذا الجمع في ص ٦٣٧ .

(٤) النقطة المخالفة لبقية لون البدن .

(٥) وفي « فَعْلَان » يقول ابن مالك :

وَلِلْفُعَالِ : فَعْلَانٌ حَصْلٌ

وشاع في حوتٍ وقاعٍ مَعَ ما ضاهاهما . وقلّ في غيرهما

١٤ - فُعْلَان (بضم فسكون) ويطرَّد في اسم على وزن : فَعْل (بفتح فسكون) ، نحو : ظَهَرَ وظُهُرَان . وبَطَن وبُطْنَان ، وفي اسم صحيح العين على وزن : فَعْل (بفتح ففتح) ، نحو : حَمَلَ وحُمْلَان ، بَلَدَ وبُلْدَان . وفي اسم على : فَعِيل ؛ نحو : رَغِيف ورُغْفَان ، وكَثِيب وكُثْبَان^(١) . . .

١٥ - فُعْلَاء (بضم ففتح) ويطرَّد في أشياء منها :

« فَعِيل » بمعنى : فاعل ، وصفاً للمذكر عاقل^(٢) ؛ أو بمعنى : مُفْعِل (بضم فسكون : فكسر) أو بمعنى : مُفَاعِل (بضم ففتح ، ثم كسر العين) بشرط أن تكون صيغة « فَعِيل » في الثلاثة غير مضعفة ، ولا معتلة اللام . ومن الأمثلة : (كريم وكُرَمَاء ، وبخيل وبُخْلَاء ، وظريف وظُرَفَاء) وكذا : (سميع ؛ بمعنى : مُسْمِع ، وجمعه : سُمَعَاء ، وأليم بمعنى : مؤلم ، وجمعه أُلَمَاء . وخصيب بمعنى : مُخْصِب وجمعه : خُصْبَاء) ، وكذا : (خَلِيط بمعنى : مخالط وجليس ؛ بمعنى : مجالس ، وقَرَّيع بمعنى : مقارع . . . وجموعها : خُلَاطَاء - جُلَسَاء - قُرَعَاء) .

ومنها : « فَاعِل » ، وصفاً دالاً على غريزة ، وسجية ، وأمر فطري غير مكتسب - غالباً - نحو : عاقل وعقلَاء - نابه ونَبَاهَاء - شاعر وشعرَاء^(٣) . أو دالاً

(١) وفي هذه الأسماء الثلاثة التي تجمع قياساً على : فُعْلَان - يقول ابن مالك :

و «فَعْلًا» إمبا، و «فَعِيلًا» و «فَعْلًا» غير مُعَلَّ العين : فُعْلَان شَمِلَ (فَعْلًا : مفعول به مقدم للفعل : شَمِلَ في آخر البيت) . يريد : أن الجمع : «فُعْلَان» يشمل من المفردات أنواعاً منها : فَعْل ، وفَعِيل ، وفَعَل . . .

(٢) وقد يجمع على صيغة أخرى إن وافق ما في ص ٦٤٩ و ٦٥٣ .

(٣) وفي فُعْلَاء وأفْعِيَاء يقول ابن مالك :

ولكريم وبخيل فُعْلًا كَذَا لما ضَاهَاهما قد جُعِلَا

وناب عنه «أَفْعِلَاء» ؛ في المُعَلَّ لَآمًا ، ومُضْعَفٍ . وغيرُ ذَاكَ قَلَّ

وقد قيل : إن «أَفْعِلَاء» هذا نائب عن «فُعْلَاء» لعل مصنوعة دفعها المحققون . ولا داعي للتسمية ولا للتعليل ؛ لأن العلة الحقيقية هي استعمال العرب هذا الوزن جمعاً لفَعِيل بمعنى فاعل إذا كان مضعفاً أو معتل اللام . كتولم : « (لا عظمة ولا سلطان إلا للأعزاء الأقوياء ، وليس بعزيز ولا قوي من لم يتحصن بالفضيلة ، ويتسلح بمكارم الأخلاق .) » .

على ما يشبه الغريزة والسجية في الدوام وطول البقاء ؛ نحو : صالح وصلحاء .

١٦ - أفعلاء (بفتح ، فسكون ، فكسر ، ففتح . . .) وهو مقيس في كل وصف على وزن : « فَعِيل » (بفتح فكسر) بمعنى : فاعِل^(١) . بشرط أن يكون مضعفًا أو معتل اللام ، نحو : (عزيز وأعزّاء ، شديد وأشدّاء^(٢) ، وقوى وأقوياء - وولّى - وأولياء . . . ومن القليل الذي لا يقاس عليه : صديق وأصدقاء ، لأنه ليس مضعفًا ، ولا معتل اللام . وكذلك ظنّين (أى : متهمّ) . وأظنّاء ، لأنه بمعنى مفعول ، لا فاعل .

١٧ - فَوَاعِل : وهو مقيس في أشياء أشهرها سبعة ؛ هي :

(أ) فاعلة : سواء أكان اسمًا أم صفة . وقد اجتمع في قوله تعالى : (لَتَسْفَعَنَّ^(٣) بالناصبة ، ناصية ، كاذبة ، خاطئة) . فالناصية : اسم ، وكاذبة وخاطئة : وصفان^(٤) . والجمع : نَوَاصٍ ، كَوَازِب ، خَوَاطِي .

(ب) اسم على : « فَوَعَلَ » أو : فَوَعَلَمَ (بفتح ، فسكون ، ففتح ، فيهما) ، نحو : جَوَهَرَ ، وَكَوْثَرَ ، وَصَوَّمَعَهُ . وَزَوَّبَعَهُ ، وجمعها : جواهر ، وكواثر ، وصوامع ، وزوابع .

(ج) فَوَاعِل (بفتح العين) اسمًا ؛ كخاتَم ، وقالب ، وطابع (بفتح العين في الثلاثة . طبقًا لإحدى اللغتين)^(٥) وجمعها : خَوَاتِم ، وقوالب ، وطوابع .

(د) فاعلاء (بكسر العين وفتح اللام) . اسمًا ، نحو : قاطِعاء ، وراهِطاء وناغِفاء ، والأسماء الثلاثة لبحر اليتربوع^(٥) .

(١) وقد يجمع على صيغة أخرى إن طابق ما في ص ٦٤٩ و ٦٥٢ .

(٢) ومن هذا قوله تعالى : « محمدٌ رسولُ الله ، والذين معه أشدّاءُ على الكفار ، رُحَمَاءُ بينهم » - وقد سبقت الآية في رقم ٣ من هامش ص ٦٤٧ لمناسبة أخرى هناك .

(٣) ومثلها : « العوادي » جمع : « عادية » كقول الشاعر :

هَمَّ الرجال إذا مضت لهم يثنيها خُدْعُ الثناء ، ولا عَوَادِي الدَّامِ

(٤) والثانية : الكسر .

(٥) حيوان كالنَّار ، ولكنه أكبر منه قليلًا .

(هـ) فاعِل (بكسر العين) اسماً ، نحو : جائز^(١) وكاهِل^(٢) ، وجمعهما :
جوائز وكواهل .

(و) فاعِل (بكسر العين) وصفاً خاصاً بالمؤنث العاقل ، ولا تدخله تاء
التأنيث — غالباً^(٣) — نحو ؛ طاليق وطوالق .

(ز) فاعِل (بكسر العين) وصفاً للمذكر غير عاقل^(٤) ؛ نحو : صاهل
وشاهق (للمكان المرتفع) والجمع : صواهل وشواهيق .

ومن كلامهم السالف يتبين أن صيغة : « فاعِل » (بكسر العين) إذا كانت
وصفاً للمذكر عاقل فإنها لا تجمع على « فواعل » وقد حكم أكثر النحاة بالشيء
على ما خالف هذا من مثل : شاهد وشواهد ، وفارس وفوارس : وناكيس
ونواكيس في قول الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم خُضِعَ الرقابُ ، نواكسَ الأبصار

وتأول غيرهم الأمثلة السالفة ونظائرها — مع كثرتها — تأويلا غير مقبول ،
(كأن يقول : إن مفرد هذا الجمع ليس : « فاعِلا » ، وإنما هو : « فاعلة »
والأصل : طوائفُ فوارس ، وطوائف نواكس . . . فالجمع عنده صفة لموصوف
محدوف ، مفردة : فاعلة ؛ فيكون جمعها قياساً : على : « فواعل » . وتأويلات أخرى
يحاولون بها إخضاعها للقياس . وفي كل هذه التأويلات تكلف وتصنع معيان) .

والحق أن صيغة (فاعِل) تجمع قياساً على « فواعل » سواء أكانت صيغة

(١) الحشبة فوق حاطين . والحشبة التي تحمل خشب السقف . . .

(٢) اسم للمكان الذي تتلاق فيه الكتفان .

(٣) انظر هامش ص ٩٤ ه لتكلمة المسألة .

(٤) وفي : « فواعل » يقول ابن مالك :

فواعِلٌ : لفَوْعَلٍ ، وفاعِلٍ وفاعِلاءَ مَعَ نَحْوِ : كاهِلٍ

وحائِضٍ ، وصاهِلٍ . وفاعِلَةٌ . وشَدَّ في الفارِس مَعَ ماثِلَةٌ

يشير « بكاهل » إلى الاسم الذي على وزن : فاعِل (بكسر العين) و « بحائض » إلى الوصف الذي
على وزن : فاعِل (بكسر العين) ، خاصاً بالأنثى . و « بصاهل » : إلى فاعِل (بكسر العين) وصفاً
لما لا يعقل . . .

« فاعِل » صفة للمذكّر العاقل أم غير العاقل ؛ لكن مراعاة الشرط ^(١) أفضل لأنه الأكثر ، أما من لا يراعيه فلا يُحكّم عليه بالتخطئة ، وإنما يحكم عليه بترك الأفضل إلى ما هو مباح ، وإن كان دونه في القوة ^(٢) . . .

* * *

١٨ - فَعَائِل وهو مقيس في كل رباعيّ - اسم أو صفة - مؤنث تأنيثاً لفظياً أو معنوياً ، ثالثه مُدَّة ، أليفاً كانت ، أو واواً ، أو ياء . فيشمل عشرة أوزان ؛ خمسة مختومة بالتاء ^(٣) ، وخمسة مجردة منها .

فالتي بالتاء منها : « فَعَعَالَة » (مضمومة الفاء ، أو مفتوحتها ، أو مكسورتها) ؛ نحو : ذُوَابَة وذَوَائِب ، وسَحَابَة وسَحَائِب ، ورسالة ورسائل .
ومنها : فَعَعُولَة (بفتح الفاء) ، نحو : حَمُولَة وحَمَائِل .

(١) وهو أن تكون الصيغة وصفاً لمذكر غير عاقل .
(٢) أما سبب الإباحة وعدم التقيد بالشرط (الذي يقضى بالألا تجمع صيغة « فاعِل » على « فَوَاعِل » إذا كانت وصفاً لمذكر عاقل) ؛ فهو ما تيسر لبعض الباحثين المعاصرين من اعتدائه في الكلام الفصيح النفى يحتاج بصحته ، إلى جموع كثيرة جاوزت الثلاثين ، وكل واحد منها وصف لمذكر عاقل مراجع في نصوص يحتاج بها . ومن هذه الجموع : سابق وسوايق - هالك وهالك - سايح وسوايح - حاسر وحواسر - قارى وقوارى - كاهن وكواهن - عاجز وعواجز - غائب وغوائب - رافد وروافد - حاج وحواج . . .
وقبل اليوم وقف صاحب خزانة الأدب (في الجزء الأول ، ص ١٩٠ طبعة المطبعة السلفية) عند كلامه على بيت الفرزدق السابق وما تضمنه من جمع التكسير : « نواكس » فعرض أمثلة من هذا الجمع ، جاوزت العشرة - ثم وصلت بعده إلى ما ذكرناه أو يزيد . وفي المصباح المنير (مادة : فريس) بعض منها ، وبعض يغيرها ؛ مثل : صاحب وصواحب ، ونواكص ونواكص . . . و . . .

وأقوى مما سبق وأصرح ما جاء في كتاب « تاج العروس ، شرح القاموس » ج ١ مادة : قرآن ، عند الكلام على : « قوارى » ونصه : (« قوارى » كدنانير - وفي نسختنا : « قوارى » كفَوَاعِل ، وجعله شيخنا من التحريف . قلت : إذا كان جمع : « قارى » فلا مخالفة للسباع ولا للقياس ؛ فإن فاعلاً يجمع على فَوَاعِل . . .) هـ ، وهذا نصّ قاطع آخر . فلا داعى اليوم للتمسك بالشرط السالف . إلا على أنه الأفضل ، لا على سبيل أنه - وحده - الصحيح .

(٣) ويلحق بها المختوم بألف التأنيث - وستجىء - ويشترط بعض النحاة في المختوم بالتاء ما ليس على وزن « فَعَمِيلَة » أن يكون اسماً ، لا صفة أما « فَعَمِيلَة » فتجتمع عنده مطلقاً ؛ سواء أكانت وصفاً ، أم غير وصف . . . وهو بشرطه السالف يخالف غيره ممن لم يشترطه . والأحسن إهمال شرطه .
هذا ، وإذا كانت « فَعَمِيلَة » بمعنى « مفعولة » لم تجمع على : « فعائل » - كما سيجىء -

ومنها : فَعِيلَة ^(١) (بفتح فكسر) ؛ نحو : صحيفة وصحائف . ويشترط ألا تكون صفة بمعنى « مفعولة » ؛ كجريحة ، بمعنى : مجروحة ؛ فلا يقال : جرائح . والمجردة من التاء (ويشترط فيها أن تكون لمؤنث معنوى) هي :

فَعَال (بكسر أوله وفتح ثانيه) ، نحو : شِمَال ^(٢) وشَمَال - وفُعَال (بضم أوله ، وفتح ثانيه) . نحو : عُنُقَاب ^(٣) وعُقَاب ، وفُعُول (بفتح فضم) ، نحو : عَجُوز ^(٤) وعَجَائِر . وفَعِيل (بفتح فكسر) ، نحو : لَطِيف (اسم امرأة) ولطائف . وفُعَال (بفتح ففتح) ، نحو : شَمَال ^(٥) وشَمَائِل .

ومن المؤنث : النوع المختوم بألف التأنيث المقصورة ؛ مثل : حُبَارَى ^(٦) وحبائر . والممدودة ، نحو : جَمَلُولَاء ^(٧) وجلائل ^(٨) . . .

١٩ - فَعَالِي . . . (بفتح أوله وثانيه ، وكسر ما قبل آخره) ، ويطرد في أوزان ؛ أشهرها سبعة .

أولها : فَعَلَاة (بفتح فسكون) ، نحو : مَوَآمِ ^(٩) ومَوَامٍ .
ثانيها : فَعِلَاة (بكسر فسكون) ؛ نحو : سَعِلَاة ^(١٠) وسَعَالٍ .
ثالثها : فَعِلِيَّة (بكسر فسكون فكسر ففتح . . .) ، نحو : هَيْبَرِيَّة ^(١١) وهَيْبَارٍ .

-
- (١) قد يلحق هذه الصيغة في بعض الصور عند جمعها على « فاعل » ، أنواع من الإعلال والإبدال ، مفصلة في ص ٧٦٧ وما بعدها ؛ كالذى يقال في بريئة وبرايا ، وخطيئة وخطايا . . . و . . .
- (٢) لزيد اليسرى .
(٣ و ٤) اسم طائر .
(٥) للمرأة - غالباً - إذا كانت عجوزاً ، وقد يقال للرجل أيضاً .
(٦) اسم بلد في فارس .
(٧) وفي فاعل يقول ابن مالك :

و « بفعائل » اجتمعن : « فَعَالَة » وشَبَهَهُ ؛ ذَا تَاءٍ ، أَوْ مُزَالَةٍ

- (أى : ذا تاء ثابتة أو مزالة ، فزالة معطوفة على مخوف . ومعنى مزالة : أنها أزيات وأبعدت ، والمراد : أنها غير موجودة ، والمراد بشبهه : « فَعَالَة » : صيغتان - ؛ هما : « فَعِيل وفُعُول » (بفتح أولهما) مشتملتين على التاء أو مجردتين منها ؛ كظريفة وظرائف ، ولطيف (اسم امرأة) ولطائف . وحلوبة وحلائب .
- (٨) صحراء واسعة .
(٩) وهى - فى زعمهم - الغول ، أو ساحرة من الجن .
(١٠) القشر الذى فى شعر الرأس . أو ذرات القطن والدقيق المتطاير . .

رابعها : فَعَلَّوْة (بفتح ، فسكون ، فضم ، ففتح) ، نحو : عَرَفُوْة ^(١) وعَرَاق .
خامسها : ما كان ذا زيادتين بينهما حرف أصلي ، ويُحذف أول الزيادتين
عند بعض العرب ، نحو : حَبَسْتُي ^(٢) وحَبَّاط ، وَقَلَسْتُوْة وَقَلَّاس .
يحذف النون فيهما . بخلاف من يحذف ثاني الزائدين فإنه يجمعهما على : حَبَّاط
وقَلَّاس يحذف الألف الأخيرة (الياء) ^(٣) والواو .

سادسها : فَعَلَّاء : (بفتح فسكون ففتح) اسما ؛ كصحراء وصحاري .
أو وصفاً لأنثى ، لا مذكر له ؛ نحو : عَدَّار ^(٤) ، وعَدَّار ^(٥) . . .

سابعها : ما يحتوى على ألف مقصورة للتأنيث ، أو : الإلحاق ، كحُبَلَى
وحَبَّال ، وذِفْرَى ^(٦) وذِفَّار .

وما كان « كَفَعَلَاء » السابقة أو مختوماً بألف التأنيث المقصورة أو بألف
الإلحاق — يجوز جمعه على : « فَعَالَى » كما يتبين من الصيغة التالية .

٢٠ — فَعَالَى : (بفتح أوله وثانيه ورابعه) ، وهو مقيس فيما سبقت الإشارة
إليه في الوزنين السادس والسابع ، أى : فى « فَعَلَاء » ، إما اسما ؛ كصحراء ؛
وإما وصفاً لمؤنث لا مذكر له ؛ كعدراء ^(٥) وإما مختوماً بألف التأنيث المقصورة
كحُبَلَى ، أو بألف الإلحاق كذِفْرَى ^(٦) ؛ فيقال فى الجمع : صحارَى ،
وعذارَى ، وحَبَّالَى ، وذِفَارَى ، كما يصح : صحارٍ ، وعذارٍ ، وحَبَّالٍ
وذِفَارٍ على أساس ما تقدم (فى : ١٩ — سادسها) ، فهذه المفردات — ونظائرها —
مشتركة عند جمعها بين صيغتي فَعَالَى . . . وفَعَالَى . . . بكسر
اللام أو فتحها .

وتنفرد صيغة : « فَعَالَى » . . . (بكسر اللام) بالخمسة التى ذكرت قبل

(١) الحشبة المعترضة على رأس الدلو . (٢) الكبير البطن .

(٣) سيجىء فى ص ٦٦٦ بيان الحذف وسببه . (٤) وهى : البكر .

(٥ ٥) يخالف الأشموني غيره فى صيغة « فَعَلَاء » التى هى صفة لأنثى ؛ كعدراء ، فىرى أن جمعها على
الفَعَالَى والفَعَالَى — بكسر اللام وفتحها — غير قياسي وأنه مقصور على السماع ؛ طبقاً لما جاء فى التسهيل ،
دون ما فى الألفية ، وابن عقيل وسواهما (انظر ما سبق متصلاً بهذا فى ص ٢٠٩ و ٢١٢ عند الكلام
على صيغة منتهى الجموع فى المنوع من الصرف) . (٦ ٦) موضع خلف أذن البعير يرشح منه العرق .
التحو الوافى — رابع

صيغة : فَعْلَاء ؛ كما تنفرد « فَعْعَالِي » (بفتح اللام) بوصف على وزن :
« فَعْلَان » أو « فَعْعَلِي » (بفتح فسكون فيهما) ، نحو : كَسْلَان ، وسِكْرَان
وغَضِبَان ، وجمعها : كَسَالِي ، وسِكَارِي ، وغَضَابِي ؛ بفتح ما قبل الآخر
ولا يصح كسره . والأحسن في صيغة هذا الوصف ضم أوله عند جمعه ، فيقال :
كُسَالِي ، وغُضَابِي ، وسُكَارِي .

« ملاحظة » : عرفنا أن وزن « فَعْلَاء » اسماً أو صفة يجمع ^(١) على : الفَعْعَالِي
والفَعْعَالِي (بكسر اللام أو فتحها) ، فنقول في الصحراء والعذارى : الصحاري
والصحاري ، والعذارى ، والعذارى

ويجوز شيء ثالث ؛ هو : جمعهما على : الفَعْعَالِي (بكسر اللام وتشديد
الياء) ^(٢) . ذلك أن وزنهما الصرفي هو : « فَعْلَاء » . فالألف التي قبل الهمزة
تقلب عند الجمع ياء ، بسبب كسر ما قبلها ، وتقلب الهمزة أيضاً ياء ، وتدغم
في الياء السابقة ؛ فتصير الكلمة بعد الجمع ، صحاري وعذارى . . . ومن
الممكن التخفيف بحذف إحدى الياءين ، فإن حذفت الثانية التي تحركت بالفتحة
بعد إدغامها صار الجمع : صحاري وعذارى ، بإسكان الياء مع كسر ما قبلها ؛
ثم حذفها للسبب الذي من أجله تحذف في المنقوص ^(٣) . وإن حذفت الأولى الساكنة
فتح الحرف الذي قبلها لتقلب الياء الثانية ألفاً ، وتبقى من غير حذف ؛ فيقال :
صحاري وعذارى ^(٣) . . .

٢١ - فَعْعَالِي (بفتح ، ففتح مع مد ، فكسر ، فياء مشددة) ويَطَّرَد في :
(١) كل ثلاثي ساكن العين ، في آخره ياء مشددة تلي الأحراف الثلاثة
سواء أكانت هذه الياء في أصلها لغير النسب ؛ نحو : قُمْرِي ^(٤) وكُرْمِي ^(٥) .

(١) مع الخلاف في هذا . (٢) وسيجئ الكلام عليه بعد هذا مباشرة .
(٣ و ٣) انظر السبب والحكم في ص ٦٧٣ - وفي الفَعْعَالِي والفَعْعَالِي (بكسر اللام وفتحها)
يقول ابن مالك من غير إيضاح ولا تفصيل .

وبالفَعْعَالِي وَالْفَعْعَالِي جُمُعَا صحراء ، والعذارى : والقيس اتبعنا
أى : اتبع القياس على هذين المثالين . يريد : قس عليهما نظائرها . . .
(٤) طائر مفرد . (٥) أحد الطيور المائية .

وَكُرْسِيٍّ ، وَبَرْدَى^(١) — أم كانت في أصلها مزيدة لغرض النسب ، ثم أهمل هذا الغرض ، وصار متروكاً غير ملحوظ . مثل : مُهْرِيٍّ ، فأصله : الحمل المنسوب إلى قبيلة : « مُهْرَة » اليمنية التي اشتهرت قديماً بإبلها النجيبة القوية ، ثم كثر استعماله حتى نُسب النسب ، وأهمل ، وصار ، « المُهْرِيَّ » اسماً للنجيب من الإبل مطلقاً بغير نظر إلى أصله ولا تفكير فيه . ومثله : بُخْتِيٍّ ، فأصله الحمل المنسوب إلى « بُخْت » وهي إبل خُراسانية اشتهرت بقوتها وحُسْنُها . ثم شاع استعمال « البُخْتِيَّ » في كل « جمل » قوى جميل من غير نظر لنشأته ، ولا تفكير في نسبته . فمثل الأشياء السابقة تجمع قياساً على : « فَعَالِيٍّ » ، فيقال فيها : قَمَاريٍّ — كَرَامِيٍّ — كَرَّاسِيٍّ — بَرَادِيٍّ — مِهَارِيٍّ — بَخَاتِيٍّ . . . وهكذا .

ويفهم مما سبق أن المختوم بياء النسب المتجدد^(٢) ، — (كَمَصْرِيٍّ ، وَتَرْكِيٍّ ، وَبَصْرِيٍّ . . .) لا يجمع هذا الجمع . ومن ثَمَّ قالوا في أَزْهَاسِيٍّ : إنه جمع : إنسان ، لا : إنسي ؛ لأن الياء في : « إنسي » للنسب الباقي على حاله^(٣) . وكذلك لا يجمع على هذا الوزن مثل : « عربي ، وعجمي » . . . لتحرك عينهما . . .

(ب) ووزن فَعَالِيٍّ مقيس أيضاً — على الصحيح — في وزن : « فَعَلَاء »

على الوجه الذي سبق شرحه وإبانه في الصيغتين السالفتين (١٩ ، ٢٠) . . .^(٤)

- (١) ثبات ما في كان قماء المصريين يكتبون عليه ما يريدون ، كما نكتب اليوم على الورق .
 (٢) يتردد هنا على ألسنة النحاة : (النسب المتجدد) . . . يريدون به : النسب الباقي على حاله لأداء الغرض منه — وهو مذكور في بابه ص ٧١٤ — ، لا النسب الذي أهمل أصله ، وترك الغرض منه . وعلامة ياء النسب المتجدد أن يدل اللفظ بعد حذفها على معنى معين معروف ؛ وهو المنسوب إليه . وأما غير الدالة عليه فيختل اللفظ بسقوطها ويصير خالي المعنى . (راجع حاشية الخضرى) .
 (٣) ويؤيد هذا أن العرب تقول فيه أيضاً : « أَزْهَاسِيٍّ » فنطقوا به على الأصل كما نطقوا بالصورة الأخرى التي أبدلوا فيها النون ياء ، وأدغموا الياء في الياء ، كطريقتهم في بعض الكلمات ؛ ومنها : ظَرَبَان — لدابة صغيرة تشبه الكلب أو القط ، كريمة الرائحة — فقالوا : ظَرَابِيٍّ وَظَرَابِيٍّ ، على أن الخلاف شديد في مفرد : أَزْهَاسِيٍّ وأشباهاها .
 (٤) وفي صيغة ؛ فعاليٍّ يقول ابن مالك :

واجعلْ : « فَعَالِيٍّ » لغير ذى نَسَبٍ جُدُّدٌ ، كَالْكُرْسِيِّ ؛ تَتَّبِعِ الْعَرَبُ المراد بالنسب الذي جدد — كما سبق في رقم ٢ — هو : النسب القائم وقت جمع الكلمة ، الباقي لأداء الغرض منه . فثله يمنع جمع الكلمة على : « فَعَالِيٍّ » أما النسب غير المجدد وهو النسب القديم في أصله ، المهمل في حاضره عند جمع الكلمة ، فإنه لا يمنع جمعها . فإن لم تكن الياء للنسب مطلقاً فلا شبهة تمنع جمعه على هذا الوزن .

٢٢ - فَعَالِيل (بفتح أوله ، وثانيه ، وكسر رابعة) ، ويطرد في أنواع ؛ أهمها أربعة ، مفرد كل نوع منها أربعة أحرف أصلية أو خمسة كذلك :

الأول : الرباعي المجرد - أي : الذي كل حروفه أصلي - سواء أكان مفتوح الأول والثالث ، أم مضموم ومهما ، أم مكسورهما ، أم غير ذلك ؛ نحو : جعفر ، وجعفر - بُرْثُنْ وِبْرَاثُنْ^(١) - زِبْرِجْ^(٢) وِزْبَارِجْ - سِبْبَطُرْ^(٣) وسِبْبَاطِيرْ - جُخْدَبْ^(٤) وجخادب .

الثاني : الخماسي المجرد ؛ نحو : سَفَرَجَلْ وجَحْمَرَشْ^(٥) ، وجمعهما : سَفَارِجْ وجَحَامِيرْ ؛ بحذف الحرف الخامس من أصلهما . ولهذا الحذف ضابط تحب مراعاته ، هو :

(١) أن الحرف الخامس الشبيه^(٦) بالزائد واجب الحذف مطلقاً ؛ نحو : جَحْمَرَشْ^(٥) وجحامر ؛ - سواء أكان الرابع شبيهاً^(٦) بالزائد أم غير شبيه ؛ نحو : قُنْدُ عَمِيلْ^(٧) وقنْدَ اعِم ، وسَفَرَجَلْ وسفارج .

(١) مخالب الحيوان المتوحش . وتشبه أصابع اليد مع الأظفار .

(٢) من معانيه : الذهب ، والسحاب الرقيق الذي يحاط لونُه حمرة ، والزهر . . .

(٣) من معانيه : الطويل ، والثهم ، واللسان الحاد .

(٤) الأسد . (٥ و ٥) المرأة العجوز ، أو : الرقعة .

(٦ و ٦) حروف الزيادة عشرة ، مجموعة في قولهم : (أمانٌ وتسجيلٌ) أو : في (سائقونها) . ولكل واحد من العشرة أمارات ومواضع لزيادته ، ولا يكون زائداً بغيرها ، وله معان يؤديها . ومن الممكن الاستغناء عن الحرف الزائد ، مع تأدية الكلمة معنى بعد حذفه (كل ذلك يجري طبقاً للتفصيل المدون في الباب الخاص بذلك ، وهو باب : « التصريف » ص ٧٤٧ و ٧٥٣) .

أما الحرف الشبيه بالزائد فهو :

أ - الذي يكون لفظه لفظ الزائد ، ولكنه ليس بزائد ، لعدم انطباق صفة الزائد وموضعه عليه .

ب - أو يكون لفظه مخالفاً للزائد ، ولكن موضعه في الحلق واللسان هو موضع الزائد .

فثال النوع الأول حرف النون من : خَدَرَنْتَقْ (بمعنى : عنكبوت) وخَوَرَدَقْ (ومن معانيه : موضع الأكل ، واسم قصرٍ للنعمان بن المنذر) فهذه النون شبيهة بالحرف الزائد في مادتها ، ولكنها ليست بزائدة ، إذ يغلب على الزائدة أن تكون في آخر الكلمة ، كفضبان وندمان ، أو في الوسط مع السكون كَغَضَبْتَفَر . ومثال النوع الثاني : حرف « الدال » في مثل : « قَرَزْدَقْ » ؛ فإنها ليست من حروف الزيادة . ولكن موضع نطقها في الفم واللسان هو : طرف اللسان ، كموضع « التاء » الزائدة ؛ فأشبهتها من هذه الناحية ، فكلاهما من طرف اللسان . (٧) الحمل الضخم .

(ب) وكذلك إن لم يكن أحدهما شبيهاً بالزائد .

(ح) فإن كان الرابع وحده (أى : دون الخامس) هو الشبيه بالزائد جاز حذفه أو حذف الخامس ، لكن حذف الخامس هو الأفصح والأعلى^(١) ؛ كالدال في فرزدق ، والنون في خَـدَرْتُقْ أو خَوَرْتُقْ ؛ فيقال في الجمع : فرازِق وفرازِد - وخدَارِق وخدَارِن - وخوارق وخوَارِن ، وهكذا^(٢) . . .

الثالث : الرباعى المزيّد - وهو ما كانت حروفه الأصلية أربعة ، ثم زيد عليها بعض حروف الزيادة - نحو : مدحرج ، ومتدحرج ، فيحذف عند الجمع ما كان زائداً فى مفردة ؛ ولا يحذف غيره ؛ فيقال : دحارج ، بحذف الميم فى الكلمة الأولى ، والميم والثاء فى الثانية ، ولا يبقى فى الجمع إلا الحروف الأصلية . كل هذا بشرط ألا يكون الحرف الزائد رابعاً وليسناً^(٣) ، قبل الحرف الأخير الأصيل .

(١) لأن الأكثر فى الكلام المأثور هو الحذف من الآخر ؛ إذ الأواخر محل الحذف والتغيير .

(٢) مزيج ابن مالك الكلام على صيغة « فَعَالِل » والكلام على : « شبهه » ، الذى سيجى ذكره

فى الصيغة التالية مباشرة - وهى رقم ٢٣ ص ٦١٢ - قال :

وبفَعَالِلَ وشَبِهَهُ انطِقَا فى جَمْعٍ مَا فَوْقَ الثَّلَاثَةِ ارْتَقَى
مِنْ غَيْرِ مَا مَضَى . وَمِنْ خُمَايِى جُرِّدَ - الْآخِرَانِفِ بِالْقِيَاسِ

(ارتقى ، أى : زاد . من غير ما مضى : بشرط أن يكون ما زاد على الثلاثة مفرداً من غير المفردات التى سبق الكلام عليها ، وعلى مجموعها القياسية) . فإن ما سبق من تلك المفردات التى لها جموع مطردة ذكرناها - لا يصح أن تجمع على : « فعالل » وشبهه .

ثم وضع فى آخر البيت الثانى : أن آخر الخماسى المجرد يحذف عند جمعه للتكسير . وتقدير كلامه : وانف بالقياس الآخر من خماسى جرد . أى : احذف الآخر من خماسى جرد من الزيادة ، وخلا منها . وهذا الحذف بسبب القياس . فكلية : « الآخر » ، مفعول به للفعل : « انف » والجار والمجرور : « بالقياس » متعلق بهذا الفعل ، وكذا الجار والمجرور : من خماسى .

ثم بين أن الخماسى المجرد إن كان رابعه شبيهاً بالمزيد - دون خامسه الأصيل - فقد يحذف الرابع دون الخامس الذى تم به أصول الكلمة . ويفهم من هذا أنه يجوز أيضاً حذف الخامس . قال :

وَالرَّابِعُ الشَّبِيهُ بِالْمَزِيدِ قَدْ يُحْذَفُ دُونَ مَا بِهِ تَمَّ الْعَدَدُ

(٣) سبق فى رقم ٢ من هامش ص ٥٨ أن أحرف الةثة ثلاثة ؛ الألف ، والواو ، والياء :

١ - فإن كانت ساكنة وقبلها حركة تناسبها سميت أحرف علة ، ولين ؛ ومد ، نحو : عالم -

فإن كان الرابع الزائد اللّسين : « ياء » بقى ، ولم يحذف عند الجمع ، ويجمع ما هو فيه على : « فعَالِيل » فى الأغلب ؛ نحو : قِنْدِيل وقناديل ، وَغُرْنِيق وَغُرَانِيق . . .

وإن كان ألفاً أو وواً قُلِّب عند الجمع ياء ثابتة ، ويجمع ما هو فيه على : « فعَالِيل » كذلك فى الأغلب ؛ نحو : عصفور وعصافير ، وسِرْدَاح^(١) وسِرَادِيح وفِرْدَوْس وفَرَادِيس^(٢) . . .

فإن كان حرف العلة متحركاً وجب حذفه عند الجمع ؛ نحو : كَسْتَهْوَر^(٣) ، وَهَبَيْتَخ^(٤) ؛ فيقال فى جمعهما : كَنَاهِر وَهَبَايَخ ؛ لأن حرف العلة حينئذ ليس حرف لين ، ومثلهما : مُصَوَّر ومُصَاوِر ؛ فيحذف حرف العلة المدغم فيه لتحركه ؛ فليس حرف لين .

فإن كان حرف العلة غير رابع حذف ، نحو : فِدَاوَكَس^(٥) وَخَيْسَسَفُوج^(٦) وجمعهما : فِدَاكِس وَخَسَافِيح .

الرابع : الخُمَاسَى المَزِيد ، - أَى : ما كانت حروفه الأصلية خمسة ، ثم زيد عليها بعض أحرف الزيادة - نحو : قَطْرَبُوس^(٧) ، = ب - إن سكنت وقبلها حركة لا تناسبها ، نُسِيت أحرف علة ، ولين ، نحو : عَوْن ، وَعَيْن .
- ح - إن تحركت سميت أحرف علة ، فقط ؛ نحو : سَهْوٌ ، جَرِيٌّ . وعلى هذا تكون الألف دائماً حرف علة ، ولين . ومد .

د - المراد باللين الذى يبقّى فى الجمع هنا عامٌ ؛ يشمل ما قبله حركة تناسبه ، أولاً تناسبه ؛ كما فى الأمثلة .
(١) المكان اللين ، والناقة السمين . (٢) وفى الرباعى المَزِيد يقول ابن مالك :

وَزَائِدَ الْعَادِي الرَّبَاعِي أَحْذِفْهُ . مَا لَمْ يَكُ لَيْنًا إِثْرُهُ الَّذِي خَتَمَا
(الَّذِي = الذى . إِثْرُهُ = بعده) .

والعَادِي : اسم فاعل من الفعل : عدا ، بمعنى : تجاوز . أَى : احذف زائد الاسم المجاوز الرباعى .
فَلرَبَاعِي : مفعول به لاسم الفاعل ؛ العَادِي ، ويصح أن يكون مضافاً إليه ، والمراد بزائد الرباعى هنا .
ما كان على خمسة أحرف وأربعة منها أصلية ، وواحد زائد . ويقول : إن هذا الزائد يحذف إلا إن كان حرف لين وبعده الحرف الذى يكون ختام الاسم . فيفهم من هذا أن حرف اللين الزائد هو : « الرابع »
لوقوع الذى يختم الاسم بعده ، وهو الخامس . (٣) السحاب المتراكم ، والرجل الضخم .

(٤) الغلام السمين . (٥) أسد .

(٦) من معانيه : حب القطن . (٧) أَو : قَطْرَبُوس ، الناقة السريعة ، أو القوية .

وخَسَنَدَرِيس^(١)، وَقَبَبَعَشَرِي^(٢)؛ فيحذف عند جمعها شيثان، هما: الخامس الأصلي، وما كان زائداً في المفرد؛ فيقال: قَرَاطِيبَ، وخَسَنَادِرَ، وَقَبَبَاعِثَ، يحذف الواو والسين من الكلمة الأولى، والياء والسين من الثانية. (والسين فيهما هي الحرف الخامس الأصلي الذي يجب حذفه مع الزائد، كما سبق) — ويحذف الراء والألف الأخيرة (المكتوبة ياء) من الكلمة الثالثة.

هذا، وجمع التكسير حين يكون على وزن: «فَعَعَالِيلِ» السالف. أو: «ما يشبهه»^(٣) يصح في جميع صورته وحالاته — ولو لم يحذف من حروف مفردة شيء بسبب الجمع — زيادة ياء قبل آخره إن لم تكن موجودة، وحذفها إن كانت موجودة^(٤)؛ فيقال في الأمثلة السالفة ونظائرها: جَعَاعِفِرَ، وجَعَاعِفِرَ، وِبَرَاتِنَ وِبَرَاتِنَ كما يقال: جَحَامِرَ وجَحَامِيرَ، وفَرَارِزَ وفَرَارِيقَ، وخَسَدَارِقَ وخَسَدَارِيقَ، وكَنَاهِرَ وكَنَاهِيرَ^(٥). ويستثنى من هذا الحكم أمران.

الأول: ما كان محتوماً بياء مشددة مثل كرسى وكراسى. فلا تزد عليه الياء؛ لثلاثي يجمع في آخر الكلمة الواحدة ثلاثة أحرف من نوع واحد، وهذا مردود^(٦). ولا تصح أن تحذف منه الياء المشددة.

والثاني: ما كان حذف الياء من آخره مؤدياً إلى اجتماع مثلين متجاورين

(١) خمر. (٢) الجمل الضخم، واسم بعض الدواب والناس.

(٣) وقد يعبرون عنها أحياناً بالجمع المماثل في صيغته لصيغتي: «مَفْعَاعِلَ وَمَفْعَاعِيلَ» والمراد بما يشبهه: الوزن الثالث والعشرون الآتي (في ص ٦٦٤) ويجب التنبيه إلى أن الحكم الآتي خاص بجمع التكسير الذي على وزن: «فَعَعَالِيلَ وشبهه» — دون غيرها — سواء أ حذف منه شيء بسبب التكسير أم لم يحذف. بخلاف الحكم الذي يليه (تحت عنوان: «ملاحظة») فإنه خاص بالتكسير الخالي من الياء الذي حذف بعض أحرفه؛ سواء أ كان على وزن: «فَعَالِلَ وشبهه» أم كان على وزن غيرها.

(٤) وقد اجتمع الأمران: (زيادة الياء وعدم زيادتها) في بيت لأبي تمام يمدح قومه، هو:

نجوم طواليع، جبال فوارع غيوث هواميع، سيول دوافع

— انظر تفصيل البيان في «ب» ص ٦٧١ — ثم رقم ٣ من هامش ص ٦٧٠.

(٥) انظر ما يتصل بهذا في رقم ٣ من هامش ص ٦٧٠ وأيضاً لهذا الحكم في ص ٦٧١ إشارة، ويليها تقييد — كالذي هنا — ألا يؤدي حذف الياء إلى اجتماع مثلين؛ كما في جمع جلباب على جلباب وتقييد آخر في هامشها.

(٦) كما فصلناه في رقم ٣ من ص ٦١٥ وهامشها.

بغير إدغام ، نحو : جلابيب - جمع جِلَابَاب - فلا يقال : « جلابب »
بحذف الياء ، لأن الإدغام هنا واجب ، ولو أدغمنا لم يعرف الأصل ولا المعنى
- كما يجيء^(١) - .

« ملاحظة » : في كل حالات جمع التكسير - ما كان منه على وزن : « فَعَالِل »
أو على وزنٍ شبهه الآتي ، أو على وزنٍ غيرهما - إذا حذف منه بسبب الجمع
بعض أحرف أصلية أو زائدة وكان خالياً من « ياء » ، يجوز زيادة ياء قبل آخره ؛
لتكون بمنزلة العوض^(٢) عما حذف ؛ فيصح في الأمثلة السالفة ونظائرها مما فيه
حذف بسبب التكسير ؛ - دحارج ودحاريج ، وخنادر ، وخنادير ، وكناهر
وكناهير ، وقباعث وقباعث^(٣) .

وإذا كان « فعالل وشبهه » منقوصاً فله حكم خاص يجيء^(٤) .

٢٣ - شبه فَعَالِل (بفتح أوله وثانيه ، وكسر رابعه) ، والمراد به : ما يماثل :
« فَعَالِل » في عدد الحروف ، وفي ضبطها بالسكون ، أو بالحركة . واو كانت
الحركة مختلفة في نوعها بين الاثنين مؤدّية إلى الاختلاف في الوزن الصرفي ؛ فيشمل
صيغاً كثيرة .

منها : مَفْعَاعِل : كمنابر - وفَيَّاعِل ، كَمَصَيَّارِف - وفَوَاعِل كجواهر -
وفَعَاعِل كَسَلَاكِيم - وفَعَالِي ككراسي^(٥) . . . فليست هذه الأمثلة وصيغها
على وزن :

(١) في ص ٦٧١ وفي ص ٦٧٢ ، وهامشها .

(٢) مع مراعاة الشرط الآتي في رقم ٢ من هامش ص ٦٧١ .

(٣) كما سيأتي في ص ٦٧١ . والحكم هنا يخالف لسابقه في أمرين :

أولهما : أنه ليس مقصوداً على وزن « فعالل » وشبهه ؛ بل يشملهما وغيرهما . .

ثانيهما : أنه لا يصح زيادة هذه الياء إلا إذا كان جمع التكسير خالياً منها ، وكان قد حذف
بعض أحرفه .

(٤) في رقم ٢ من ص ٦٧٣ .

(٥) ومنها غير ما ذكر هنا : (فَعَاوِل - فَعَانِل - تَفْعَاعِل - مَفَاعِل - فَعَالِل - أَفَاعِل -
فَنَاعِل - فَعَاعِل . . وما أشبه هذه الأوزان ، بشرط ألا يكون الحرف الثاني فيها حرف مد ، وبشرط
ألا يكون المفرد مما يدخل في ضوابط جمع آخر تختلف صيغته عن صيغة : « فَعَالِل » وشبهه . أي : أن
المفرد لا يجمع على « فعالل » وشبهه إذا أمكن جمعه على صيغة أخرى من صيغ الجموع السالفة (راجع
المجموع في هذا ج ٢ ص ١٨٠) .

« فَعَعَالِيل » وإنما تشبهه في عدد حروفها، وهيئتها . أى : ضبط حُرُوفها ضبطاً متماثلاً في مجرد الحركة والسكون دون التقيد بنوع الحركة ، ولا بالوزن الصرفى الدقيق (١) .

وهذا الجمع مقيس في كل لفظ ثلاثى الأصول ، زيدت عليه أحرف الزيادة . بشرط أن يكون هذا الثلاثى المزيد ليس داخلاً تحت حكم جمع من الجموع السالفة ، وبهذا الشرط لا يُجمع جمعاً قياسياً على : « شبه فَعَعَالِيل » ما كان مثل : أحمر ، وغضبان ، وقائم ، وساع ، وصُغرى ، وسَكْرَى ؛ لأن لهذه الألفاظ ونظائرها جموعاً أخرى قياسية - وقد عرفناها (٢) .

وحكم هذا الثلاثى المزيد عند جمعه على : « شبه فَعَعَالِيل » ما يأتى :

(١) إن كانت زيادته حرفاً واحداً فالواجب إبقاؤه عند الجمع مطلقاً ، (أى : سواء أكان الزائد حرف علة ، أم غير علة ، وسواء أكان فى الأول أم فى غيره ، والإلحاق أم لغير الإلحاق) ، نحو : (أَكْرَمَ وأَكْرَمَ - مَعْبُد ومَعْبُد) - (جَوْهَر وجَوَاهِر - صَيْرَف وصَيَارِف) - (وَعَلَمَتْنِى (٣))

(١) انظر ما يوضح هذا فى رقم « ٤ » من هامش ص ٦٧١ .

(٢) ويدخل « شبه فعالل » فى الحكيم السابقين :

وأولهما : أن كل جمع تكسير - مهما كانت صيغته - إذا حذف من مفردة شيء عند جمعه جمع تكسير ، جاز زيادة ياء قبل آخره إن كان خالياً منها ؛ لتكون بمنزلة العوض عن المحذوف سواء أكان المحذوف أصلياً أم زائداً - مع مراعاة الشرط الذى فى رقم ٢ من هامش ص ٦٧١ - مثل دحارج ودحارج وفرازق وفرازق . وهذا حكم عام ينطبق على : « فعالل » وعلى شبهه ، وعلى غيرها - كما أشرنا ، فى الصفحة السابقة -

وثانيهما : أن كل جمع تكسير - كما سبق فى ص ٦٦٤ - على وزن : « فعالل » أو ما يشبهه ، يجوز - ولو لم يحذف منه شيء بسبب الجمع - زيادة ياء قبل آخره إن لم تكن موجودة ، وحذفها إن كانت موجودة ؛ نحو : جعافر وجعافير ، وبرائن وبرائين ، وعصافر وعصافير . إلا الجمع الذى يؤدى حذف الياء من آخره إلى اجتماع مثلين بغير إدغام فى مثل : جلابيب ، وإلا الجمع المختوم بياء مشددة ، مثل : كراسى وكراكى . فلا يجوز فيه زيادة الياء ؛ لثلاثي جمع فى آخر الكلمة الواحدة ثلاثة أحرف من جنس واحد ، وهذا ممنوع . - طبقاً لما سبق إيضاحه فى ص ٦٦٤ - وكذلك لا يجوز حذف الياء المشددة منه .

- انظر البيان تفصيلاً فى : « ب » ص ٦٧١ - ورقم ٣ من هامش ص ٦٧٠ .

(٣) اسم نبت .

وعملآق () . . . (١)

(ب) إن كانت زيادته حرفين فالواجب حذف أحدهما ؛ وهو الضعيف ، وترك القوى (٢) ؛ نحو : مُنْطَلَق ومَطَالِق ، ومُعْتَرَف ، ومَعَارَف ؛ ولا يقال : نطالِق ولا عتارف ؛ لأن الميم تمتاز بمزايا لفظية ومعنوية (٣) لا توجد في النون والتاء .

ومثل : مصطفَى ومحتفظ ، فيقال في جمعهما : مَصَافٍ ومَحَافِظٍ ؛ بحذف « تاء (٤) الافتعال » ، دون الميم (٥) التي لها المزايا . . .

(١) زيادة الواو ، والياء ، وكذلك الألف (المكتوبة ياء) في عَمَلَقَى - هي للإلحاق . أما الزيادة في : أكرم وأكارم فليست له .

(٢) يراد بالقوى هنا : ما يسمونه : « الفاضل » . وهو : ما له زية ليست للآخر . وتحقق المزية في أمور ؛ منها :

تقدم الحرف في مكانه من الكلمة - تحركه - دلالة على معنى - مقابله لحرف أصل ؛ بأن يكون حرفاً للإلحاق - الوقوع في موقع يدل فيه بعض الحروف الزائدة على معنى ، كما سيأتى مثاله في منطلق ، وما بعدها - أن يكون في أصله حرف زيادة من أحرف (ساقونيتها . .) ، ولكنه خرج عنها وصار حرفاً آخر لداع لغوي ؛ كأن ينقلب دالا ، أو طاء ، أو غيرها من حروف ليست للزيادة - ألا يؤدي وجوده إلى صيغة غير موجودة - ان يؤدي حذفه إلى حذف الآخر الذي يساويه في جواز الحذف - أن يكون مختصاً بالاسم . وقد رد صاحب التسهيل الأسباب السالفة كلها إلى ثلاثة فقط ؛ هي المزية المعنوية ، والمزية اللفظية ، وأن يغنى حذفه عن حذف غيره :

(٣) فالمزية المعنوية أن الميم تدل على معنى خاص بالأسماء وهو دلالتها على اسم الفاعل هنا - وعلى اسم المفعول أحياناً ، واللفظية أنها أسبق مكاناً منهما ، وأنها متحركة دون النون ، وأنها مختصة بالاسم .

(٤) قلبت طاء في مصطفى . (وستجى أحكامها في باب القلب - ٧٥٦ و ٧٩٣) .

(٥) انظر الحكم الثاني من الأحكام العامة الآتية (في ص ٦٧٣) فيه تكملة الحكم السالف . وبهذه المناسبة نعرض لصحة جمع : « مفعول » على : « مفاعيل » قياساً مطرداً .

قال ابن هشام في شرحه لقصيدة : « بانث سعاد » ما معناه : إنه لا يجوز جمع نحو : مضروب جمع تكسير . وقد ورد من ذلك ألفاظ قليلة مجموعة شذوذاً . ومثل مضروب في منع تكسيره : مختار ومنقاد من اسمي الفاعل والمفعول المبدوين بميم زائده . والقياس عنده أن يجمع : « مفعول » جمع مذكر سالماً إن كان الوصف للذكر ، وجمع مؤنث سالماً إن كان الوصف للمؤنث ، فيقال مضروبون - مختارون - منقادون . . . ، كما يقال : مضروبات - مختارات - منقادات . (راجع الصبان في آخر جمع التكسير ،

تحت عنوان : فائدة ، عند الكلام على بيت ابن مالك : (وخَيْرُوا فِي زَائِدَى سَرْنَدَى ...)
وبفهم من كلامه وما نقله أنهم سنعوا تكسير كل اسم فاعل ، واسم مفعول إذا كانا مبدوين بميم زائدة . وقالوا إن قياسهما هو التصحيح ، إلا وزن : « مُفْعِل » المختص بالإناث ، نحو : مُرَضِّع ؛ فإنه يكسر . =

ومثل : أَلَسَدَد ، وَيَلَسَدَد ؟ (ومعناهما : أَلَدَ ، أَى : شديد

= وقد ردّد هذا الرأى كثير من جاءوا بعد ابن هشام ، وحكموا بتخطئة سواه . غير أن كتاب : « المعانى الكبير » لابن قتيبة ، يحوى أعداداً كثيرة صحيحة من جمع « مفعول على مفاعيل » مسموعة من يحتج بكلامهم . وبعض المحققين المعاصرين (هو الأب أنستاس الكرولى - رحمه الله - وكان عضواً بمجمع اللغة العربية ، بالقاهرة) نشر بحثاً لغوياً مستقى من الكلام العربى الفصيح ، والمعجمات اللغوية الأصلية ، أثبت فيه صحة جمع « مفعول » على : « مفاعيل » ، تياساً وطرذاً . وعرض عشرات من الأمثلة الصحيحة منسوبة لأصحابها الذين نحتاج بكلامهم ، أو مأخوذة من مراجعها اللغوية الوثيقة .

على أن سيبويه (كما فى كتابه - ٢ ص ٢١٠) قد سبق ابن هشام إلى المنع ، بالرغم مما ساقه فى هذا من جموع متعددة تخالف رأيه ؛ (منها : مكسور ومكاسير - ملعون ودلاعين - مشوم ومشايم - مسلوخ ومساليخ - مغرود ومغاريد - مصعود ومصاعيد - مسلوب ومساليب) - فلا داعى للتأويل الذى يمنع القياس على هذه الجموع المتعددة ، ولا سيما بعد كشف نظائر أخرى تبغى المشرات - وهى غير ما سلف - منها : ديمون وميامين - مجنون ومجانين - ملوك وممالك - مرجوع ومراجيع - متبوع ومتابع - مستور (بمعنى : عفيف) ومساتير - معزول (أى : لا سلاح له) ومعازيل (وقيل مفردة معزال) - بل إن هذه الجموع وحدها ، منضمة إلى ما نقله « سيبويه » تعتبر كثرة وافرة تبجى القياس عليها . هذا إلى أن « الأشوشى » فى شرحه باب : « جمع التكسير » من ألفية « ابن مالك » قد نص صراحة عند بيت الناظم :

وَزَائِدَ الْعَادَى الرَّبَاعَى احْذِفْهُ مَا

على جمع مختار ومنتقاد - بنصهما - على مختار ومنتقاد (وتعقبه « الخضرى » فى حاشيته قائلا : (إن القياس أن يقال : مختار ، ومقاييد ، بحذف النون والتاء ؛ لزيادتهما ، دون الألف ، بل ترد لأصلها ، وهو الياء) . وتعقبه آخرون من ناحية أخرى ، هى أن اللفظين هما من جموع تكسير الثلاثى المزيد ، لا من تكسير العادى الرباعى الذى يتحدث عنه ابن مالك فى بيته . ولم يعترض أحدهم على صحة تكسير هذين الجمعين ، ولم يشر من قرب أو بعد إلى أن تكسيرهما مريب أو غير جائز . فلم يبق مجال بعد كل ما سبق لمنع جمع « مفعول على مفاعيل » مع مراعاة الضوابط العامة .

وقد فصل مجمع اللغة العربية القاهرى ومؤتمره فصلاً نهائياً فى هذه المسألة - طبقاً لما ورد فى ص ٢٢٤ من العدد السادس والعشرين من مجلته الصادرة فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٠ هـ ومايو سنة ١٩٧٠ م وكان قد أحال تلك المسألة من قبل على لجنة الأصول - وفيما يلى النص المنقول : « (راجعت اللجنة كثيراً من أمثلة « مفعول » مجموعاً على « مفاعيل » فى المعجمات فاطمأنّت إلى كثرة ما ورد من هذا الجمع ، وانتهت إلى القرار التالى : قاس النحاة جمع « مفعول » اسماً أو مصدرًا على « مفاعيل » وترى اللجنة قياسية جمعه كذلك وصفاً ، لكثرة ما ورد من أمثله . ووافق المؤتمر على أن تكون صيغة القرار على النحو التالى :

« يجمع مفعول على مفاعيل » (مطلقاً) . . ١ هـ

هذا ، وقد صرح الخضرى فى كلامه السالف بأن الألف فى « منتقاد » أصلها : ياء . وهو مخالف لما فى القاموس والمصباح من عرضها فى مادة : (قود) الواوية ، لا : (قيد) اليائية . لذا جمعها اجمع (ج ٢ ص ١٨٠) على ؛ « مقاود » .

الخصومة) وجمعهما: أَلَادِد ، وَيَلَادِد : ثم تدغم الدالان في كل واحدة ؛ فتصير أَلَادَ ، وَيَلَادَ ؛ بحذف النون ، وبقاء الهمزة والياء ؛ لتقدمهما وتتحركهما ؛ ولأنهما يدلان على معنى التكلم والغيبة إذا كانا في أول المضارع — أما النون المتوسطة بين الحرفين الثالث والرابع من الكلمة فلا تدل على معنى .

(ح) إن كانت زيادته ثلاثة أحرف ، حذف اثنان ، وبقي الثالث الأقوى ؛ نحو: مُسْتَدَعٌ ^(١) ومَدَاعٍ ، ومُتَقَعَسِسٌ ^(٢) ومَقَاعِسٌ ^(٣) ؛ فلا يقال في الأول: سَدَاعٍ ولا تَدَاعٍ ؛ لأن حذف « الميم » والتاء « من مُسْتَدَعٍ يؤدي إلى : سَدَاعٍ ، وهي صيغة لا نظير لها في العربية ، ولأن حذف الميم والسين يضيّع الدلالة على اسم الفاعل ^(٤) . . .

وكذلك لا يقال في الثاني — عند سيبويه — قَعَاسِسٌ . وحجته : أن الكلمة مشتملة على ثلاثة أحرف من أحرف الزيادة ؛ هي : الميم ، والنون ، والسين الأخيرة المزيدة للإلحاق ؛ فالميم عنده أولى بالبقاء ؛ لتصدرها ؛ ولأنها تدل على معنى يختص بالاسم وهو الدلالة على اسم الفاعل .

وخالفه بعض النحاة فجمعه على : قعاسس ؛ بحذف الميم والنون مع بقاء السين الأخيرة الزائدة للإلحاق . وحجته : أن السين زيدت في الفعل — وفروعه — لإلحاق لفظه بكلمة : احْمَرَّتْجَمٌ ، وبقاء الملحق أولى من غيره . . .

(١) أصله مُسْتَدَعِيٌّ » . . . بزيادة الحروف الثلاثة الأولى . وحذف آخره الياء ، لأن الاسم هنا منقوص . مثن : دَاعٍ . (انظر الحكم الثاني من الأحكام العامة الآتية ، في ص ٦٧٣) . .

(٢) هو : الشديد ، أو المتأخر الراجع للخلف .

(٣) هذا هو الجمع القياسي وقد جاء في « القاموس » أن جمعه : مَقَاعِسُ ، ومَقَاعِسُ (بفتح الميم أو ضمها) ومَقَاعِسُ .

(٤) وفي هذا يقول ابن مالك :

و « السَّيْنُ » و « التَّاء » من كَمُسْتَدَعٍ أَزَلْ ؛ إِذْ بَيْنَا الْجَمْعُ بَقَاهُمَا مُخِلْ

يريد : لأن بقاءهما خلل بينا الجمع ، أي : بينائهما ، وصيغته . ثم قال فيما يتصل بهذا ، وبالهمزة والياء في مثل « أَلَادِد وَيَلَادِد » وقد تقدم الكلام عليها :

والمِيمُ أَوْلَى مِنْ سِرَوَاهُ بِالْبَقَا وَالْهَمْزُ وَالْيَاءُ مِثْلُهُ ، إِنَّ سَبَقَا

وهذه تعليقات جدلية ، مصطنعة . والتعليل الحق الذى يعتمد عليه فى هذا الموضوع وأشباهه ، هو السماع ليس غير . وقد ورد السماع بما يؤيد الرأيين .

ومن الأمثلة : استخراج ، وجمعه : تخارج ، بإبقاء التاء دون السين ؛ لأن إبقاء التاء سيؤدى إلى وزن للجمع على : « تفاعيل » وهو وزن له نظراء فى العربية ؛ (منها : تماثيل ، وتهاويل ، وتباشير ، وتفاريق ، وتسايح . . . و . . .) أما بقاء السين فيؤدى إلى سخارج على وزن : سفاعيل وهو وزن لا نظير له .

وإذا كان أحد الأحرف الزائدة يغنى بحذفه عن حذف زائد آخر وجب حذف ما يغنى عن غيره ؛ كحَيَزَبُون^(١) وعَيْطَمُوس^(٢) ؛ يقال فى جمعهما : حزابين وعطاميس ؛ بحذف ياء المفرد ، وإبقاء الواو ، وقلبها ياء فى الجمع ؛ لوقوعها بعد كسرة .

ولو حذفت الواو وبقيت الياء لقليل فى جمعهما : حَيَازِين وعياطمس ، بتحريك الياء والميم أو بتسكينهما . وهو فى الحالتين وزن لا نظير له^(٣) . وإذا أريد جعله على وزن عربى وجب حذف الياء أيضاً ؛ فيقال : حزابن ، وعطامس ؛ وبذا نصل إلى صيغة عربية بعد حذف الواو والياء معاً . فى حين استطعنا فى الصورة الأولى أن نصل إلى صيغة عربية بعد حذف الياء وحدها . فنحذف حرف واحد أولى من حذف حرفين ما دام الأثر من الحذف واحداً^(٤) . . .

(ح) إن كان أحد الأحرف الزائدة المستحقة للحذف مكافئاً فى قوته لحرف زائد آخر — أى : مساوٍ له فى الأفضلية — جاز حذف أحدهما من غير ترجيح : كالنون والألف المقصورة (المكتوبة ياء) فى نحو : سَرَنْدَى^(٥) وعَلَمَنْدَى^(٦) ؛

(١) معانيه : المرأة المجوز . . . و . (٢) المرأة الجميلة الطويلة ، والناقة السليمة .
(٣) وتحريكهما يؤدى أيضاً إلى مالا نظير له فى العربية ؛ فإن ما بعد ألف صيغة منتهى الجموع إن كان ثلاثة أحرف — يجب أن يكون ثانيهما ساكناً .
(٤) وفى هذا يقول ابن مالك :

و«ألياء» لا «ألواو» أحذف أن جمعت ما . كَحَيَزَبُون ؛ فهو حُكْمٌ حُتْمًا

(٥) من معانيه : سريع قوى — جرىء مقدم . . .

(٦) الجمل الضخم ، واسم نبت ، والغليظ الضخم عامة . . .

فيقال في جمعهما : سَرَانيد ، وعَلَانيد ، أو : سراد وعَلَاد . فالخرفان قد زيدا معاً في المقدد لإلحاقه بالخماسي : سَفَرَجَل ، وكل حرفين هذا شأنهما لا يكون لأحدهما مزية على الآخر (١) . . .

* * *

« ملحوظة » : قلنا (٢) إنه يصح في جمع التكسير المشابه لصيغة : « فَعَالِل » ما صح في « فعالل » من زيادة الياء قبل آخره إن لم تكن موجودة ، وحذفها إن كانت موجودة (طبقاً لما سبق) (٢) . ومما ينطبق عليه هذا أن تحذف إحدى الياءين جوازاً ، للتخفيف ، في مثل : أمانى — أغانى — أثافى . . . ومفرداتها : أمنية — أغنيّة — أثفيّة . . . بتشديد الياء في هذه المفردات (٣) . . .

(١) وفي هذا التكافؤ يقول ابن مالك :

وَحَيْرُوا فِي زَائِدَى : سَرْنَدَى وَكُلُّ مَا ضَاهَاهُ ؛ كَأَعْلَنْدَى

(٢ و ٢) في ص ٦٦٤ وفي رقم ٢ من هامش ص ٦٦٥ ويحيى « ب » من ص ٦٧١ .

(٣) جاء في الجزء الأول من تفسير القرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة : (ومنهم أميون لا يعلمون

الكتاب إلا أمانى . . .) ما نصه :

(قرأ أبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج : إلا أمانى ، خفيفة الياء ؛ حذفوا إحدى الياءين استخفافاً وقال أبو حاتم : كل ما جاء من هذا النحو واحدة مشدد فلك فيه التشديد والتخفيف ، مثل : أثافى ، وأغانى ، وأمانى . . . بياء واحدة ، أو بياء مشددة ، في كل ما سبق . . . ونحوه . وقال الأخفش : هذا كما يقال في جمع مفتاح : مفاتيح ومفتاح . وهى ياء الجمع . قال النحاس : الحذف في المعتل أكثر . قال الشاعر :

وهل يرجع التسليم أويكشف العمى ثلاث الأثافى ، والرسوم البلاقع اهـ

ومثل ما سبق قول أبي إسحاق الزجاج (كما جاء في ص ٢٠٥ من كتاب المختار من شعر بشر) ونصه : « (في لفظ : « الأمانى » وجهان ؛ العرب تقول : هذه أمان وأمانى ؛ بالتخفيف والتشديد . فن قال « أمانى » بالتشديد فهو مثل أحداث وأحاديث ، ومن قال : « أمان » بالتخفيف فهو مثل أحداث وأحداث ، وقُرْفُور وقُرَاقِر ، إلا أن التخفيف فيما اجتمعت الياءان فيه أكثر ؛ لثقل الياء . والعرب تقول في أثفيّة : أثافى وأثاف ، والتخفيف أكثر ؛ لكثرة استعمالهم أثاف . والأثافى الأحجار التي تجعل تحت القدر .) « اهـ .

— انظر ما يتصل بهذا في ص ٦٦٤ وفي رقم ٢ من هامش ص ٦٦٥ والبيان في « ب » ص ٦٨١ —

أحكام عامة

١ - زيادة الياء في جمع التكسير وحذفها ، وكذلك زيادة تاء التأنيث :

(أ) إذا حذف من المفرد عند جمعه جمع تكسير بعض حروفه الأصلية أو الزائدة - تطبيقاً للضوابط السالفة في الجمع - جاز زيادة ياء^(١) قبل آخر الجمع ، تكون بمنزلة العوض^(٢) عن المحذوف . ومن الأمثلة : فَرَزْدَق ، وَسَفَرَجَل ، وَمُنْطَلِق ... فيقال في جمعها بعد الحذف بغير تعويض : فَرَازِق ، وَسَفَارِج ، وَمَطَالِق ... ويقال في جمعها بعد الحذف مع تعويض ياء عن المحذوف . فَرَازِيق ، وَسَفَارِيج ، وَمَطَالِيق ...

(ب) تقدم^(٣) أن كل جمع تكسير على وزان : « فَعَالِيل » وشبهه - (وقد يعبرون عنه أحياناً بالجمع المماثل في صيغته لصيغتي : « مفاعل أو مفاعيل »^(٤)) - يجوز فيه زيادة الياء إن لم تكن موجودة ، كما يصح حذفها إن كانت موجودة . لا فرق في هذا بين الجمع الذي حذف منه بعض حروف مُفْرَدَه ، أم لم يحذف ، فيقال في جمع : جَعْفَر ، ومَفْتَاح ، وعَصْفُور ، وقِنْدِيل ... جَعْفَار وجَعَاْفِير - ومَصَابِيع ومَصَابِيح - وعَصَافِر وعَصَافِير - وقِنَادِل وقِنَادِيل .

(١) سبقت الإشارة لهذا في ص ٦٦٤ ، وفي رقم ٢ من هامش ص ٦٦٥ ، وله صلة بما في رقم ٣ من هامش الصفحة السابقة .

(٢) وتعويض الياء إنما يكون جائزاً حين لا يستحقها الجمع لغير التعويض ، كاستحقاقها في كلمة لُغَيْزِي (بمعنى : اللغز) ، فيقال في جمعها : « لُغَيْسَاغِي » بحذف ألفها ؛ لثبوت يائها التي كانت في المفرد . فلا يزداد في الجمع مع هذه الياء ياء أخرى للتعويض عن المحذوف .

(٣) في ص ٦٦٤ و ٢ من هامش ص ٦٦٥ وفي هامش ص ٦٧٠ .

(٤) - كما تقدم في رقم ٣ من هامش ص ٦٦٣ - والمراد بالمماثل - كما سبق في رقم ٢٣ ص ٦٦٤ - ما وافقهما في عدد الحروف مع مقابلة المتحرك بمتحرك ، والساكن بساكن فلا بد في هذه المماثلة من تحقق أمرين : أن يكون عد الحروف متساوياً ، وأن يكون كل حرف ماثلاً لنظيره في الترتيب ماثلة تقتضي أن يكون متحركاً مثله أو ساكناً ، ولا عبرة بنوع الحركة بينهما ، فقد يكون أحدهما متحركاً بالفتحة أو بالضم ، والآخر بالكسرة مثلاً . فالهم هو اشتراكهما في عدد الحروف ، وفي مجرد الحركة المطلقة ، أو السكون ، بدون نظر لنوع الحركة .

هذا رأى الكوفيين ، والسماح الكثير يؤيدهم^(١) ، والأخذ برأيهم أولى ، بالرغم من مخالفة البصريين الذين يخصصون الحكم السابق بالضرورة ، ويؤولون الأمثلة المسموعة ، ويتكلمون في التأويل ما لا يحسن قبوله ، وبعض أئمة النحاة^(٢) يؤيد الكوفيين ، ولكن يستثنى صيغة « فواعل » فلا يقول : « فواعيل » — ولا داعى لهذا الاستثناء — وكذلك يؤيدهم بعض أئمة اللغة^(٣) .

ويجب — كما تقدم — عند زيادة الياء ألا يكون الجمع محتوماً بياء مشددة كالتى فى « كرسى » ؛ ويجب عند حذفها مراعاة أن حذفها لا يؤدى إلى وجود حرفين متماثلين متجاورين ؛ كما فى جمع : « جلاباب » على « جلابيب » ، فلو حذفت الياء لأدعى حذفها إلى أن تكون صيغة الكلمة المجموعة هى : « جلابب » بغير إدغام الباءين ، مع أن الإدغام هنا واجب ، ولو أدغمنا لم يُعرف الأصل ، ولم يتضح المعنى .

(ح) وكما يجوز الإتيان بياء زائدة تعويضاً عن المحذوف ، يجوز أيضاً أن تجيء تاء التأنيث وحدها عوضاً عن المحذوف^(٤) . إن كان أصله ألفاً خامسة فى المفرد ، أو ياء فى صيغة منتهى الجموع ؛ مثل : (حَبَنَطَى ، وجمعه : حبانط ، وحبانيط ، وحبانطة) ، (وعَفَرَتْنِ^(٥) وجمعه : عفارين ، وعفارين ، وعَفَرَانَةٌ) — (وقنديل ، وقنادل ، وقنادلة) — (ومطعان ومطاعن ، ومطاعين ، ومطاعينة) . والتعويض بهذه التاء يكاد ينحصر فى هذين . أما الإتيان بالياء بغير مقصور على نوع من الأنواع التى أصابها الحذف ، وقد تدخل على ما لم يحذف منه شيء — كما سلف — فإيدان زيادتها أوسع فى جموع التكسير من تاء التأنيث .

(١) ومن شواهدهم : قوله تعالى : (وعنده مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ...) جمع مفتاح ؛ فقياسه : « مفاتيح » ، بقلب ألفه ياء . ومنها قوله تعالى : (. . . وَلَوْ أَنفَقْتِ مِثْرًا مِّمَّا ذَرِيعُهُ . . .) « جمع : مَعْدَرَةٌ » فقياسه : « مَعْدَارٌ » . — راجع الصبان — (٢٠) كصاحب التسهيل .

(٣) فيقول : كل جمع على « فواعل ومفاعل » — وفى الصفحة الماضية بيان المراد من هاتين الصيغتين — يجوز أن يمد بالياء ؛ فيقال : فواعيل ومفاعيل (راجع المصباح المنير ، فى مادة : « دانق » وجمعه دوائق ، أو دوائق .) وكذا ما جاء فى تفسير « القرطبي » وقد نقلناه فى رقم ٣ من هامش ص ٦٧٠ .

(٤) سبقت إشارة لهذا فى رقم ٣ من هامش ص ٥٩١ . كما سبق بيان مفيد عن المراد من تاء التأنيث وهاته فى رقم ٣ من هامش ص ٢٣٦ — (٥) شديد .

لكن هناك نوع آخر تكون فيه هذه التاء أكثر وجوداً من الياء ؛ وهو : كل اسم مفرد مختوم بياء النسب ، وحذفت منه هذه الياء عند جمعه على إحدى صيغ منتهى الجمع ؛ فتدل التاء على أن الجمع للمنسوب لا للمنسوب إليه ، نحو : أشعثي وأشاعثي ، وأزرقى وأزارقة ، ومُهَلَّجِي ومهالبة ، وصَقَلَّجِي وصَقَالِبَة ، فلكل من الياء والتاء ما يمتاز به على الآخر .

٢ - حكم المماثل لفعائل وشبهه ، إذا كان معتل الآخر :

ما كان من جموع التكسير مماثلاً لوزن : « فَعَّالِيل » أو شبهه (بمعنى : المماثلة التي شرحناها هناك)^(١) ، وكان معتل الآخر ؛ مثل : مَصَّافٍ ، ومَدَّاعٍ ، في جمع ، مصطفًى ، ومستدعٍ - فإنه يجري عليه ما يجري على المنقوص من صيغ منتهى الجمع التي بعد ألف تكسيها حرفان ، كدواعٍ ، ونوَامٍ ، وجوارٍ^(٢) . . . إلا إن زيدت الياء قبل الحرف الأخير ؛ عوضاً عن المحذوف - كما في الحكم الأول السالف - فيجوز أن يقال بعد زيادتها : مَصَّافِيٍّ ، ومَدَّاعِيٍّ ، بياء مشددة ، نشأت من إدغام ياء التعويض الزائدة في الياء التي هي في الأصل لام الكلمة . ثم تحذف لإحداهما تخفيفاً . فإن حذفت الثانية المتحركة صارت الكلمة مصافي ، ومداعي ، بياء ساكنة ، ثم تحذف الياء ويحيى التنوين عوضاً عنها ؛ فتصير الكلمة ؛ مصافٍ ومداعٍ ، ونوَامٍ ، وجوارٍ . وإن حذفت الأولى الساكنة قلبت الثانية المتحركة ألفاً بعد فتح ما قبلها فتصير : مصافِيٍّ ومداعِيٍّ^(٣) . . و . . .

٣ - تثنية جمع التكسير ، وجمعه :

هل يُجمع جمع التكسير بنوعيه الدال على القلة ، والدال على الكثرة ؟ .

(١) في رقم ٢٣ من ص ٦٦٤ وفي رقم ٤ من هامش ص ٦٧١ .

(٢) وأمثال هذه الأوزان ما سبق الكلام عليه (في ج ١ م ٣) وعلى سبب حذف الياء عند الجمع والأصل المفرد : داعية - فامية - جارية - وما كان مثلها في لفظه وإعلاله على الوجه المشرح هناك .

(٣) حاشية الخضرى آخر الباب (ثم راجع ما يماثل هذا في ص ٦٥٨ وأيضاً ما تقدم في ج ١ م ٣ خاصة بهذا) .

يميل أكثر النحاة إلى إباحة الجمع فيما يدل على القلة، دون ما يدل على الكثرة . والأفضل الأخذ بالرأى القائل^(١) : إن الحاجة قد تدعو - أحياناً - إلى جمع^(٢) الجمع بنوعيه . كما تدعو إلى تثنيته ، فكما يقال في جماعتين من الجمال : جِمالان - كذلك يقال في جماعات : جِمالات .

فإذا قصد تكسير مُكسَّر نُظِرَ إلى ما يشاكله من الآحاد (أى : المفردات) فيكسر بمثل تكسيره . والمراد بما يشاكله : ما يكون مثله في عدد الحروف ، ومقابلة المتحرك منها بالمتحرك في الآخر ، والساكن بالساكن ، من غير اعتبار لنوع الحركة ؛ فقد تختلف فيهما ؛ فيكون أحدهما متحركاً بالفتحة ، والآخر بالضممة أو بالكسرة . فالمهم ليس نوع الحركة فيهما ، وإنما المهم أن يكون كل من الحرف ونظيره في الترتيب متحركاً . وأن الساكن يقابله في الترتيب ساكن مثله . - كما سبق - عند الكلام على : « فعالل » وشبهه^(٣) ؛ فيقال في أعين أعين - وفي أسلحة أسالِح - وفي أقوال أقاويل . تشبيهاً بأسود وأسود ، وأجرِدة^(٤) وأجارِد - وإعصار وأعاصير . وقالوا في مُصران^(٥) وغربان : مصارين وغرايين ، تشبيهاً لها

(١) راجع فيما يأتي : شرح الأشتوي ، آخرباب جمع التكسير ، برغم مخالفة الصبان .

(٢) هذا إلى أن المراجع اللغوية تضم من جمع الجمع بنوعيه عشرات مبعثرة . نقل بعضها صاحب الجمع . والذي نقله (في الجزء الثاني ص ١٨٣) يزيد على العشرين ، وهي تكفى للقياس عليها (بالرغم من أنه يخالف في هذا) لأنها وردت مجموعة في غير الضرورة الشعرية ، منها : أيدي ، وأياد ، - أسماء وأسام - أنعام وأناعم - أقوال وأقاويل - أعراب وأعاريب - مُصران ومصارين - جِمال وجمايل - بيوت وبيوتات - أعطية وأعطيّات - صواحب وصواحبات - دُور ودورات - طرق وطرقات .. و .. ثم عرض بعد ذلك لما جاء في الضرورة وساق أمثلة منه .

وللمجمع اللغوي بالقاهرة قرار في هذا ؛ نصه : - كما جاء في ص ٥٣ من مجموعة قراراته من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين تحت عنوان : قياسية جمع الجمع - « (جمع الجمع مقيس عند الحاجة) » اهـ . وأعيد هذا القرار نصاً بعد دراسة وافية للحاجة الداعية إلى جمع جموع التكسير بنوعها ؛ ما كان منها للقلة أو للكثرة - في ص ٢٤٣ من محاضر جلسات الدورة العاشرة .

(٣) في رقم ٢٣ من ص ٦٦٤ . وفي رقم ٤ من هامش ص ٦٧١ .

(٤) قال الصبان : لم أُنْتِ على ما يدل على أن : (أجردة مفرد ، وإنما الظاهر أنه جمع جراد أوجريد) هذا كلامه . ومقتضاه أن : « أجردة » التي هي جمع تكسير عنده هي في الوقت نفسه عند غيره مفرد جمعوه على : « الأجارِد » للتكسير .

(٥) مفردة : مصير .

بسلامين وسراحين^(١) .

ولا يجمع جمع تكسير ما كان من الجموع على زنة : مَفْعَاعِل . أو مَفَاعِيل ، أو فَعْعَلَة (بفتحات) ، أو فُعْعَلَة . (بضم ففتح) ، والمراد بالزنة هنا : المماثلة والمشاكلة على الوجه السالف . والسبب في عدم جمعها للتكسير عدم وجود نظير لها في الآحاد (أى : المفردات) لتُجْمَلَ عليه عند جمعها . ولكن قد تجمع جمع تصحيح للمذكر أو للمؤنث على حسب المعنى ؛ كقولهم : نَوَاسِك^(٢) ونَوَاسِكُون ، وَأَيَّامِن^(٣) وَأَيَّامِنُون ، وصـ واحب وصواحيبات ، وحدائد وحدائدت^(٤)

هذا ، وجمع الجمع لا يطلق - اصطلاحاً - على أقل من عشرة^(٥) ، كما أن جمع المفرد لا يطلق اصطلاحاً على أقل من ثلاثة ، إلا مجازاً .

* * *

٤ - تشنية أنواع المركب ، وجمعها جمع تكسير :

سبق في الجزء الأول^(٦) - عند الكلام على المثني وجمعي التصحيح - تعريف أنواع المركب ، وطريقة تشنيتهما ، وجمعها جمع مذكر سالماً . أو مؤنث سالماً . وفي تَدَكَّرْهَا ، وتَدَكَّرْكَ تلك الطرائق ما يعين على تفهم أفضل الطريق لجمعها تكسيراً . وفيما يلي التلخيص :

(١) المركب الإضافي إن كان صدره كلمة غير : (ذى ، وابن ، وأخ) . وأريد تشنيته أو جمعه تصحيحاً أو تكسيراً وجب الاختصار على تشنية صدره

(١) مفردة : سرّحان (من معانيه : الذئب) .

(٢) مفردة : ناكس ، بمعنى مطأطأ الرأس .

(٣) مفردة : أَيَّامِن ، بمعنى : مبارك .

(٤) مفردة : حدائد . الذى مفردة : حديد ، للمعدن المعروف .

(٥) قال الصبان في آخر هذا الباب ، ناقلاً عن شرح الشافعية ما نصه : « (اعلم أن جمع الجمع لا يُطْلَق على أقل من تسعة ، كما أن جمع المفرد لا يُطْلَق على أقل من ثلاثة ، إلا مجازاً) » . اهـ . لكن يفهم من هذا أن جمع الجمع لا يُطْلَق على عشرة . وهذا غير مقبول بعد التحقيق الذى قام به الصبان نفسه ونقلناه عنه في هامش ص ٦٢٧ أول الباب متنبهاً منه إلى أن جمع القلة - ينطلق على (٣ - و ١٠) . وما بينهما .

(٦) المسائل : (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

المضاف وجمعه ، دون عجزه المضاف إليه ؛ فإن عجزه لا يثنى ولا يجمع ، ولا يتغير مطلقاً . ففي مثل : ناصر الدين (علم رجل) ، وناصرة الدين (علم فتاة) يقال في التثنية رفعاً : فاز ناصر الدين ، و : ناصرتا الدين . ويقال في جمعهما تصحيحاً : فاز ناصرو الدين ، وناصرتُ الدين . وفي جمعهما تكسيراً : فاز نُصِرُ الدين فيهما . . .

ويقال في حالة النصب : أكبرتُ ناصريّ الدين ، أو : ناصرتيّ الدين ، أو ناصريّ الدين ، أو : ناصرتِ الدين ، أو : نُصِرَ الدين . ومثل هذا يقال في حالة الجر .

فالمضاف هو الذي يثنى ويجمع الجموع الثلاثة ويتغير آخره بحسب العوامل ، أما المضاف إليه فيلزم حالة واحدة ؛ هي الجر بالإضافة دائماً . ولا يجمع إن كان مفرداً إلا في حالة واحدة ؛ هي التي تتعدد فيها أفرادها ، كما تعدد أفراد المضاف ، ففي هذه الحالة التي تتعدد فيها أفرادهما يجمعان . مثل : حارس القائد ؛ علم على مصرى ، وحارس القائد ، علم على سوري ، وحارس القائد ، علم على عراقي . . . فالواجب أن يجمع كل من المضاف والمضاف إليه جمع مذكر ، أو جمع تكسير : فيقال : حارسو القائدَيْن ، أو حراس القواد^(١) . . .

وإن كان صدر المركب الإضافي هو : (ذو ، أو : ابن ، أو : أخ) من أجناس مالا يعقل (ومنه . ذو القعدة ، وذو الحجة — وابن عرس^(٢) ، وابن لبون^(٣) — وابن آوى^(٤) — وأخو الصحراء « لحيوان خاص بها » ، وأخو الجحش « للثعبان ») — فإن صدره هو الذي يثنى كتثنية المفردات الصحيحة ، ولكنه لا يجمع جمع تكسير^(٥) ولا يجمع مذكر ، بل يُقتصر على جمعه جمع مؤنث سالم ، فيقال : ذوات القعدة — ذوات الحجة — بنات عرس^(٦) — بنات لبون — بنات

(١) ويظهر أن هذا الحكم ينطبق على حالة التعدد في التثنية أيضاً، وإن كنت لا أعرف فيها نصاً.

(٢) حيوان صغير يشبه الفأر . ويطلق على المذكر والمؤنث .

(٣) ابن الناقة إذا دخل في عامه الثالث . والأُنثى : بنت لبون .

(٤) حيوان صغير أغبر اللون ، قريب الحجم من القط .

(٥) انظر رقم ٢ من الهامش الآتي .

(٦) جمع للذكور والإناث من ذلك الحيوان .

آوى - أخوات الصحراء - أخوات الحجر^(١) . . .

ولا فرق في هذا بين اسم الجنس الذي ليس بعلم كابن لبون ، وعلم الجنس كابن آوى ؛ بشرط أن يكون كل منهما لغير العاقل - كما سلف - والأول يصح أن تدخل فيه : « أل » على المضاف إليه . بخلاف الثاني . . .

(ب) المركب الإسنادى ؛ (وهو ما أصله جملة اسمية أو فعلية ؛ مثل : الخيرُ نازلٌ - نصرَ اللهُ . وكلاهما اسم رجل ، ومثل : الجمالُ باهرٌ ، وزادَ الجمالُ ، وكلاهما اسم امرأة . . .) ، وهذا المركب لا يجمع جمع تكسير^(٢) ، وإنما يصح جمعه - بطريقة غير مباشرة - جمع مذكر سالماً أو جمع مؤنث سالماً . والمقصود بالطريقة غير المباشرة أن يزداد قبله كلمة معينة إذا جُمِعَتْ أغنت عن جمعه ؛ فهي الوسيلة لجمعه ؛ لأنه لا يجمع بطريقة مباشرة ، ولا بوسيلة أخرى . هذه الكلمة هي : « ذو » للمذكر و « ذات » للمؤنث . وجَمَعَ « ذو » هو : « ذوو » رفَعاً و « ذَوِي » نصباً وجراً ، كما أن جمع : « ذات » ، هو : « ذوات » في كل الأحوال ؛ فيقال في الأمثلة السالفة عند جمعهما : أقبل ذوو الخيرُ نازلٌ - أقبل ذوو نصرَ اللهُ - أقبلت ذواتُ الجمالُ باهرٌ - أقبلت ذواتُ زادَ الجمالُ - قابلت ذَوِي الخيرُ نازلٌ - قابلت ذَوِي نصرَ اللهُ - قابلت ذواتِ الجمالُ باهرٌ - قابلت ذواتِ زادَ الجمال . وهكذا . وكلمة : « ذوو » تعرب لإعراب جمع المذكر السالم ، وتعرب « ذوات » لإعراب جمع المؤنث السالم . وكلتا الكلمتين لا بد أن تكون مضافة هنا ، والمركب الإسنادى هو المضاف إليه ، ويجز بكسرة مقدرة على آخره ، منع من ظهورها حركة الحكاية ؛ لأن حركات الجملة الإسنادية المحكيّة ثابتة في جميع استعمالاتها ، وضبط حروفها لا يتغير مطلقاً بعد النقل ، فيبقى لكل كلمة وكل حرف ضبطه السابق على الحكاية ، وتصير الجملة في حالتها الجديدة محكيّة ، بمنزلة كلمة واحدة ذات جزأين ، لا يدخلهما تغيير في ضبط الحروف ، وبالرغم من إعراب هذين الجزأين معاً هنا :

(١) انظر الأشموني في آخر باب جمع التكسير - المسألة الرابعة من « الخاتمة » التي تتضمن مسائل .

(٢) هناك رأى يبيح جمعه تكسيراً بطريقة غير مباشرة هي أن تسبقه كلمة : « أذواء » التي مفردُها :

« ذو » ويجرى هذا أيضاً على مثل : ذى القعدة ، وذى الحجة .

« مضافاً إليه » مجروراً ، فهو مجرور بكسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها
الحكاية - كما سبق - .

ولا يثنى المركب الإسنادى بطريقة مباشرة ، وإنما يثنى بالطريقة
السالفة فتجىء كلمة : « ذو » للمذكر ، وذات ، أو « ذوات » للمؤنث ، وثنية
الأولى هي : (ذواً ، وذَوَى . . .) . وثنية الأخرى هي : (ذاتا وذاتى . . . ؛
أو ذواتا وذواتى) ثم يجىء المركب الإسنادى المراد ثنيته مسبقاً بالكلمة المناسبة له
مما سبق بعد ثنيته ، دون أن يلحقه تغيير مطلقاً فيبقى على حاله في الثنية « مضافاً
إليه » لا يتغير كما كان شأنه عند الجمع . فقال : أقبل « ذواً » الخيرُ نازلٌ . . .
وأقبلت « ذاتا ، أو : ذواتا » الخيرُ نازلٌ . . . وهكذا . . . كما سبق في الجمع
تماماً ، ولكن مع ثنية الكلمة المساعدة ، وهي : (ذو) ، أو : ذات
(وذوات)

(ح) المركب المزجى : لا يجمع جمع تكسير مطلقاً . ولا يثنى ، ولا يجمع
جمع تصحيح بالطريقة المباشرة ، وإنما يراعى في ثنيته وجمعه تصحيحاً الطريقة
غير المباشرة التي روعيت في المركب الإسنادى^(١) .

وهناك رأى آخر يبيح جمع المركب المزجى جمع تصحيح بطريقة مباشرة
كما تجتمع الأسماء غير المركبة . وفي هذا الرأى - على قائله - تيسير وتخفيف ؛
بإخضاع هذا النوع للقاعدة العامة .

(د) المركب التقييدى (وهو المكون من صفة مع موصوفها ؛ مثل : المخترع
الذكى ، أو من غيرهما مما لا يدخل في المركبات السالفة) ، لا يجمع جمع
تكسير ، وإنما يتوصل - فى الأحسن - إلى جمعه جمع تصحيح بالطريقة غير
المباشرة التي شرحناها .

* * *

٥ - الفرق بين جمع التكسير ، واسم الجمع ، واسم الجنس الجمعى .

(١) لا بد فى جمع التكسير الأصيل أن يدل على أكثر من اثنين ، وأن

(١) وتشمل الرأى السابق - فى رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة - الذى يبيح جمعه تكسيراً
بطريقة غير مباشرة ، وهى تقديم كلمة : أذواء (جمع : ذو) .

يكون على وزن صيغة من الصيغ الخاصة به - وقد عرفناها - وأن يكون له مفرد حقيقى لا خيالى^(١)، وأن تتغير صيغة هذا المفرد عند جمعه للتكسير تغيراً حتمياً على الوجه الذى شرحناه^(٢). وأن يشترك مع جمعه فى الحروف الأصلية - إلا إذا اقتضى الجمع حذف شئ منها - دون الاشتراك فى هيئتها ، (أى : ضبطها) ، وإذا عطف على هذا المفرد نظيران له - أو أكثر - بحيث تتشابه وتماثل المفردات تماماً فى اللفظ وهيئته ، وفى المعنى أيضاً كان معنى المعطوفات كلها هو معنى ذلك الجمع . . . ومن الأمثلة لجمع التكسير : رجال . فهذه الصيغة تدل على أكثر من اثنين ، وتختص بالتكسير ولها مفرد حقيقى هو : رَجُل . وقد تغير بناء المفرد عند جمعه . والحروف الأصلية ثلاثة مشتركة بين المفرد وجمعه ، مع اختلافها فى الضبط ، وإذا عطف على هذا المفرد مثلاًن له أو أكثر ؛ (فقيـل رجل ورجل ورجل . . . و . . .) ، كان معنى المعطوفات المجتمعة هو معنى التكسير : رجال .

وهناك جمع تكسير ليس بالأصيل ، ولكنه يلحق بجموع التكسير الأصلية اعتباراً . ويجرى عليه أحكامها ؛ وهذا النوع هو ما كان على صيغة من الصيغ الخاصة بالتكسير ، أو الغالبة فيه ، ولكن ليس له مفرد . فمن أمثلة الموضوع على صيغة خاصة بالتكسير وليس له مفرد : شَمَسَاطِيط^(٣) وعَسَبَايِد^(٤) . . . ومن أمثلة الموضوع على صيغة غالبة فى التكسير وليس له مفرد : « أعراب^(٥) » فإن صيغة « أفعال » شائعة فى الجموع ، نادرة فى المفردات غاية الندرة ؛ إذ لا تعرف إلا فى بضع كلمات معدودة ، منها قِدَرٌ أعْشَار^(٦) ، وثوب أخلاق^(٧) . . . فتلك الصيغ

(١) سيجىء هنا الكلام على ماله مفرد مقدر ، أو : خيالى .

(٢) وبسبب هذا التغير يرى بعض النحاة أن كلمة « بنات » جمع تكسير ، وليست جمع مؤنث سالماً ، - وقد تقدم هذا فى رقم ١ من هامش ص ٦١٣ . وكذا فى الجزء الأول -

(٣) ثوب شَمَاطِيط : قديم ممزق . (٤) خيل عبايد أو عبايد : متفرقة فى الجهات المختلفة .

(٥) وليس مفرداً : « عَرَب » فى رأى كثير من اللغويين ؛ لأن « العرب » تطلق على سكان

الحواضر والصحارى . أما « الأعراب » فالغالب - عنده - اختصاصها بالبدو .

(٦) مكسرة . وقيل : إن كلمة « أعشار » ليست مفرداً ، وإنما هى جمع وقع نعتاً للمفرد ،

شذوذاً ، أو على ملاحظة أجزاء المنعوت . والمفرد : عُسْر . . . والنتيجة واحدة . هى المخالفة للشائع .

(٧) متمزق قديم . وقيل فى أخلاق : إنه ليس مفرداً ، ولكنه جمع خَلَقَ . وقد وصف المفرد

بالجمع شذوذاً ، أو على ملاحظة أجزاء المنعوت . . . والأمر فيه كسابقه فى رقم ٦ .

الموضوعة على وزن يخص جمع التكسير أو يغلب فيه، تدخل في عِدَاد جمع التكسير، بالرغم من عدم وجود مفرد حقيقى لها. وفي هذه الحالة يفترض النحاة لها وجود مفرد، مقَدَّر، (خيالى)، أى: غير حقيقى، لتكون بهذا المفرد الملحوظ داخلية - اعتباراً - فى جموع التكسير الأصلية.

والحق أنه لا داعى لشئ من هذا الافتراض والتخيل ما دام الواقع يخالفه، وما دامت أحكام التكسير المختلفة ستجرى على تلك الصيغ.

(ب) اسم الجمع ما يدل على أكثر من اثنين، وليس له مفرد من لفظه ومعناه معاً، وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير، أو غالب فيه. فيدخل فى اسم الجمع ماله مفرد من معناه فقط، مثل: إبل، وقوم، وجماعة؛ فلهذه الكلمات وأشباهاها مفرد من معناها فقط؛ ففرد إبل هو: جمل أو ناقة، ومفرد قوم وجماعة هو: رجل أو امرأة... وليس لها مفرد من لفظها ومعناها معاً برغم دلالتها على أكثر من اثنين^(١)...

ويدخل فى اسم الجمع أيضاً ما يدل بصيغته على الواحد والأكثر من غير أن تتغير تلك الصيغة، نحو: «فُلْسُك»، للسفينة الواحدة والأكثر.

وكذلك يدخل فى اسم الجمع ماله مفرد من لفظه، ولكن إذا عطف على هذا المفرد مماثلان أو أكثر كان معنى المعطوفات مخالفاً لمعنى اللفظ الدال على الكثرة، نحو: قُرَيْش، فإن مفردة قُرَيْش. فإذا قيل قرشى، وقرشى، وقرشى... كان معنى هذه المعطوفات، هو: جماعة منسوبة إلى قبيلة «قريش»، وهو معنى يختلف اختلافاً واسعاً عن معنى «قبيلة قريش»، فليس مدلول قبيلة قريش مساوياً مدلول: جماعة منسوبة إلى قریش.

ويدخل فى اسم الجمع أيضاً ما لصيغته مفرد من لفظها ومعناها ولكنها ليست على أوزان جموع التكسير المعروفة فيما سبق؛ كراكب وركب، وصاحب

(١) لاسم الجمع من ناحية التذكير والتأنيث حكم هام، سبق فى: «ج» ص ٥٩٨. ويتصل هذا الحكم اتصالاً وثيقاً بما سبق فى الجزء الثانى م ٦٦ حيث الكلام على أحكام الفاعل، ومنها: الحكم السادس الخاص بتأنيث عامله - وغيره - إذا كان الفاعل اسم جمع، أو اسم جنس...

وصحْب . فقد قيل : إن صيغة « فَعَلَّ » ليست من صيغ التكسير عند فريق من النحاة . أما عند غيرهم فيعدّها من صيغ التكسير .

بالرغم من هذا فإن مثل راكب وركب ، وصاحب وصحب . . . أسماء جموع وليست جموع تكسير ، لسبب آخر ؛ هو : أن كل صيغة تدل على معنى الجمع مع جواز أن تتساوى هي والواحد في الخبر ، وفي النعت إذا احتاجت إلى خبر أو نعت - ليست جمعاً ، وإنما هي : اسم جمع : كركب وصحب ، حيث تقول : الراكب مسافر ، وهذا ركب مسافر . كما تقول : الراكب مسافر ، وهذا راكب مسافر . ومثل : الصاحب قادم ، وهذا صاحب قادم ؛ كما تقول : الصاحب قادم وهذا صاحب قادم . . .

(ح) اسم الجنس الجمعي هو : ماله مفرد يشاركه في لفظه ومعناه معاً ، ولكن يمتاز المفرد بزيادة تاء التأنيث في آخره أو ياء النسب ، (أو : هو ما يُفَرَّق بينه وبين واحدة بتاء التأنيث أو ياء النسب) ، نحو : تمر ، ومفرده : تمر - وشجر ، ومفرده : شجرة - وثمر ، ومفرده : ثمرة - وعرب ومفرده عربي - وترك ومفرده تركي ، وحيش ، ومفرده حبشي . . . ومن القليل أن تكون هذه التاء في اسم الجنس الجمعي لا في مفردة ، نحو : كَمَأة^(١) والمفرد : كَمْء .

ويدل اسم الجنس الجمعي على ما يدل عليه جمع التكسير من الدلالة العددية^(٢) . ومن النحاة من يجعل اسم الجنس الجمعي جمع تكسير ، لا قسماً مستقلاً بنفسه . وقد سبق بيان هذا^(٣) مع توضيح المراد من الجنس وأنواعه المتعددة .

٦ - جمع التكسير - كالتصغير ، وغيره - يرد الأشياء إلى أصولها ، ولهذا يقال في جمع دينار : دنانير ، لأن المفرد : دِنَار ؛ قلبت النون الأولى ياء في المفرد ، للتخفيف . وعند جمعه جمع تكسير ظهرت النون ورجعت إلى مكانها .

٧ - صيغة منتهى الجموع هي : كل جمع تكسير بعد ألف تكسيه حرفان

(١) اسم نبات .

(٢) بسبب هذه الدلالة العددية يطلق عليه في اللغة - لا في النحو - أنه جمع (راجع الصبان ،

باب : جمع التكسير ، عند بيت ابن مالك : « من غير ما مضى ومن خماسي ... » حيث الكلام علو

مفرد . فرزدق .

(٣) في الجزء الأول م ١ .

أو ثلاثة بشرط أن يكون أوسط الثلاثة ساكنًا ؛ نحو : مصانع - مغام - معابد - قناديل - مصابيح - مناشير . . . وقد سبق تفصيل الكلام عليها في باب الاسم الذي لا ينصرف ^(١) .

٨- لا يصح ^(٢) جمع الاسم المصغر جمع تكسير للكثرة ؛ لأنها تناقض ما يدل عليه التصغير من القلة ، وأيضًا لعدم وجود صيغة للكثرة تناسبه . واو جمع بغير تصغير لكان جمع التكسير خاليًا من علامة تدل على أن مفردة مصغر ، فيؤدى هذا إلى اللبس . ومن ثمّ وجب في كل جمع تكسير للكثرة أن يكون خاليًا من ياء التصغير ؛ إذ لا يصح تصغيره وهو جمع كثرة ؛ ولا يصح في مفردة المشتمل عليها أن يجمع جمع كثرة . أمّا جمع القلة فيجوز تصغيره لعدم المانع ، فيقال في أصحاب وأجمال : أصيحاب ، وأجيّمال ، وهكذا . . .

(١) ص ٢٠٨ .

(٢) راجع الهمع والتصريح في باب : التصغير - ولهذا إشارة في رقم ٣ من ص ٦٨٨ وفي رقم ٧

التصغير^(١)

تعريفه : تغيير يطرأ على بِنْيَةِ الاسم وهيئته ؛ فيجعله على وزن « فُعَيْل » .
 أو : « فُعَيْعِل » ، أو « فُعَيْعِيل » بالطريقة الخاصة المؤدية إلى هذا التغيير ؛
 فيقال في بَدْر : بُدَيْر ، وفي دِرْهَم : دُرَيْهَم ، وفي قِنْدِيل : قُنَيْدِيل . . .
 وهكذا . . . وتسمى الأوزان الثلاثة : « صيغ التصغير » . لأنها مختصة به ،
 وليست جارية على نظام الميزان الصرفي العام^(٢) .

الغرض منه : تحقيق أحد الأمور الآتية بأوجز الرموز اللفظية :

١٦١ - التحقير ؛ نحو : جُبَيْل - عُويْلِم - بُطَيْل . في تصغير :
 جبل ، وعالم ، وبطل .

٢ - تقليل جسم الشيء وذاته^(٣) ؛ نحو : وَلَيْد - طُفَيْل - كَلَيْب .

٣ - تقليل الكمية والعدد ؛ كدُرَيْهَمَات ، وورَيْقَات في مثل : اشترت
 كتاباً بدُرَيْهَمَات ، يضم ورَيْقَات نافعة .

٤ - تقريب الزمان : كقُبَيْل وبُعَيْد ، مثل : يستيقظ الزارع قُبَيْل
 الفجر ، وينام بُعَيْد العشاء . أى : قبل وقت الفجر ، وبعد وقت العشاء بزمان

(١) يرد ذكره أحياناً في الكتب القديمة باسم : « التحقير » وقد تكرر هذا في كتاب سيبويه
 (ج ٢ ص ١٠٥) والتعبير عنه بالتصغير أنسب ؛ لأن هذا الغرض هو الغالب فيه ، بخلاف التحقير .
 وغير المصغر يسمى : « المكبر » .

(٢) يوضح هذا أن تصغير مثل : أحمد ، ومكرم ، وسفرجل . . . ، هو : أَحْمَد -
 وَمُكْرِم - وَسَفْرَج - أو سُفَيْرِج - والثلاثة الأولى على وزن : فُعَيْعِل ، والرابع على وزن ،
 فُعَيْعِيل ، مع أن ميزانها التصري ، هو : أَفْعِيل ، ومُعَيْعِيل ، وفُعَيْلِيل أو : فُعَيْلِيل . فالتصغير أوزانه
 الاصطلاحية الثلاثة التي تخص بهما ، ويجرى عليها ، وقد يختلف كثيراً - ولا سيما في الأسماء غير الثلاثية -
 عن الأوزان الخاصة بالميزان الصرفي العام .

(٣) يشمل ما له ذات محسوسة كأمثلة المذكورة ، وما له ذات غير محسوسة ؛ مثل : عَلَيَّمْ -
 كُرَيْم - في تصغير : عَلِيْم وكَرِم .

قريب منهما (١)

٥ - تقريب المكان (١) : مثل ؛ فَوَيْقُ ، وَتُحَيِّتُ ، في قول القائل : بَيْنِي
وبَيْنَ النهرِ فَوَيْقُ المِيلِ ، وَتُحَيِّتُ الفَرَسَ سَخِ (٢) . وقد يكون المكان معنويًا ،
يراد منه المنزلة والدرجة ، نحو : فضل الوالدين فَوَيْقَ فضل الأولاد ، وَتُحَيِّتُ
فضل الأجداد .

٦ - التحجب وإظهار الود ؛ نحو : يا صُدَيْقُ - يا بُنَيَّي .

٧ - الترحم ، (أى : إظهار الرحمة والشفقة) ، نحو : هذا البائس مُسَيِّكِينَ ...
٨ - التعظيم : كقول أعرابي : رأيت مُلَايِكًا تهابه الملوك ، وَسَيِّفًا من
سيوف الله تتحطم دونه السيوف (٣) . . .

٩ - الاختصار اللفظي مع إفادة الوصف ، كالذى في مثل : « نُهَيْسِر »
بمعنى : نهر صغير (٤) . . .

ومن الممكن إرجاع كثير من هذه الأغراض المفصلة إلى التحقير أو التقليل .
ومن الممكن أيضًا أداء كل غرض منها بأسلوب - أو أكثر - يخلو من
التصغير ، ولكنه سيخلو كذلك مما يمتاز به التصغير من الاختصار ، والقوة ، والترك : (٤) .

* * *

(١ و ١) مثل هذا التصغير يسمى : « تصغير التقريب » ؛ فقد جاء في « المصباح المنير »
- مادة : « بعد » - ما نصه : « (بعد : ظرف مبهم لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره . وهو زمان متراخ
عن السابق ؛ فإن قُرْبُ منه قيل : بُعِيدَ ، بالتصغير ، كما يقال : قبل العصر ، فإذا قرب قيل : « قُبَيْلُ
العصر » بالتصغير ، أى : قريباً منه ، ويسمى : « تصغير التقريب . » (١)
ولا مانع من شمله لتقريب المكان أيضاً . (٢) ثلاثة أميال .

(٣) ومن تصغير التعظيم قول الشاعر للقديم :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُ منها الأنامل

وقول الآخر :

فَوَيْقُ جُبَيْلٍ شَاهِقُ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ لَتَبْلُغْهُ حَتَّى تَكُلَّ وَتُعْمِلَا

(٤ و ٤) ولهذا يقال عن التصغير إنه بصيغته - وحدها - يدل على ما تدل عليه الصفة والموصوف
المُصَغَّرُ .

شروط الأسماء التي يدخلها التصغير :

التصغير خاص بالأسماء وحدها ؛ فلا تُصَغَّر الأفعال^(١) . ولا الحروف . ويشترط في الاسم الذي يراد تصغيره :

١ - أن يكون معرباً ، فلا تصغر - قياساً - الأسماء المبنية ؛ كالضمائر ، وكأسماء الاستفهام ، وأسماء الشرط ، و « كم » الخبرية . . . وغيرها من المبنيات - إلا ما ورد مسموعاً منها مصغراً ؛ فيُقْتَصَرُ على الوارد منه . وأشهر هذا المسموع ما يأتي :

(١) المركب المزجي - عَلَمًا أو عَدَدًا - عند من يبنيه في كل الحالات الإعرابية المختلفة ؛ فيقال في تصغير نِفْطَوِيَه : نَفْطَيْطَوِيَه ، وفي أحد عشر : أَحْسَيْدَ عَشْرَ^(٢) ، أما عند من يعرب المركب المزجي لإعراب الممنوع من الصرف فتصغيره قياسي ؛ لأنه تصغير لاسم معرب (أى : متمكن)^(٣) .

(ب) ذا ، وتا ، وأولَى ، أو : أولاء (مقصورة وممدودة^(٣)) والثلاثة أسماءُ إشارة . والضبطُ المسموع الشائع فيها عند التصغير هو : ذِيًا ، وتِيًا : (بفتح أولهما ، وقلب ثانيهما - وهو الألف - ياء تدغم في ياء التصغير ، وزيادة ألف جديدة بعد الياء المشددة) . وأولِيًا (بالقصر ، مع تشديد الياء ومدها ، دون الهمزة) أو : أولَيْسِيًا (بالهمزة الممدودة بعد ياء التصغير - دون الأولى .) ، مع ضم أول الاسمين بغير مد ، أو : أولَيْسَاء . وكل هذه الصِّيَغ لم تجر في تصغيرها على مقتضى الضوابط المرعية ، وإنما نطق بها العرب هكذا .

ومن المسموع تصغير : ذان وتان ، وهما معربان - في الصحيح - ؛ فتصغيرهما قياسي . إلا أن العرب غيرت فيهما تغييراً لا يقتضيه التصغير ، كفتح أولهما ، وتشديد الياء ؛ فقالوا : ذِيَّان ، تِيَّان . . . ومن هنا كان الشذوذ .

(١) إلا « أفعل » المستعمل في التعجب . - وسيجيء البيان عنه في الصفحة التالية . -

(٢ و ٢) إذا صغر المركب المزجي فالتغير يطرأ على صدره دون عجزه ، ويبقى الحرف الذي في آخر صدره على حاله من الحركة أو السكون ، كما كان قبل تصغيره .

(٣) وفي الحالتين يزداد بعد الهمزة الأولى واو في الخط ، ولا يصح معها مد الهمزة عند النطق ، وقد زادها القدماء في الكتابة للفرقة بين : « أولى » اسم الإشارة ، و « الأولى » ، اسم موصول . .

(ح) الذى ، التى ، والذين (والثلاثة من أسماء الموصول) ، ومن المسموع فيها عند التصغير : اللَّذَيَّاء ، واللَّذَيَّاتُ - ، بفتح أولهما ، أو ضمهما - واللَّذَيْنِ (بضم اللام المشددة ، وإدغام ياء التصغير فى ياء الكلمة ، وكسرها بعد التشديد) ، واللَّذَيَّاتِ .

أما اللَّذَانِ واللَّتَانِ فمعربان - فى الصحيح - ؛ فتصغيرهما قياسى . إلا أن العرب فتحت أولهما عند التصغير ؛ فقالوا : اللَّذَيَّانِ واللَّتَيَّانِ . ومن هنا كان الشذوذ . وفى أكثر الصيغ المصغرة السالفة لغات أخرى ، وضبوط متعددة ، اكتفينا ببعضها .

(د) المندى المبنى ، نحو : يا حُسَيْنَ ، فى تصغير المندى : حَسَنٌ ^(١) . . . « ملاحظة » : لا يعرف عن العرب تصغير شيء من الأفعال إلا صيغة . « أَفْعَلْ » فى التعجب ، فى مثل : ما أحسن الرجوع إلى الحق . . . ؛ فيقال فى التصغير : ما أَحْسَنَ الرجوع إلى الحق . وفى قياس هذا النوع من التصغير خلاف كبير . والرأى الشائع أنه غير قياسى ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأفعال الأخرى . ولكن سيويه وبعض من البصريين وغيرهم يرون قياسيته ، وهذا رأى فيه تيسير ^(٢) .

(١) « حسن » أحد الأعلام المعربة أصالة قبل ندائه . فإذا نودى صار مبنياً على الضم . وإلى بعض هذه الأمور السماعية يقول ابن مالك فى آخر باب التصغير :

وَصَغَّرُوا شَذُودًا : «الَّذَى» ، «الَّتَى» و«ذَا» - مَعَ الْفُرُوعِ مِنْهَا - «تَا» «وَتَى» - ٢٢

(٢) نص على عدم قياسيته صاحب التصريح فى أول باب : «التصغير» ثم تناقض فأباحه . مطلقاً عند كلامه بعد ذلك فيما لا يصغر . ويقول سيويه فى كتابه (ج ٢ ص ١٣٥) سألت الخليل عن قول العرب : «مِمَّا أَمْسَلَحُهُ» - تصغير : أَمْسَلَحَ - فقال : لم يكن ينبغى أن يكون فى القياس ؛ لأن الفعل لا يحقر - أى : لا يصغر - وإنما تحقر الأسماء وليس شيء من الفعل ولا شيء مما سمي به الفعل يحقر إلا هذا ، وما أشبهه من قولك : ما أفعله . . (١ هـ) . فجعل تصغيره قياسياً .

هذا ولا يعرف أن المسموع المصغر من صيغة «أَفْعَلْ» للتعجب أكثر من كلمتين وردتا عن العرب ؛ هما : «أَمْسَلَحُ أَوْحَسِنُ» فأباح سيويه القياس عليهما . وقد حدد عددهما وصرح بلفظهما : «الجوهري» . ونقلهما عنه - مصرحاً فوق ذلك بأن النحاة أباحوا القياس عليهما - صاحب «المعنى» فى الجزء الثانى ، عند الكلام على الأمر الثالث ، وهو آخر الصور الخاصة بالقاعدة الأولى من قواعد الباب الثامن . وكذلك صاحب «خزانة الأدب» ، ج ١ ص ٤٧ .

(راجع ما يختص بحكم هذا القياس وأمثاله فى كتابنا : اللغة والنحو ، بين القديم والحديث ، ص ٨٩) .

٢ - ألاَّ يكون مصغر^(١) اللفظ ؛ مثل : كُمَيْتٌ ، ودُرَيْدٌ ، وسُوَيْدٌ
(أعلام شعراء) . وكُعَيْتٌ (اسم البلبيل) .

٣ - أن يكون (يكون) معناه قابلاً للتصغير ؛ فلا تصغر الأسماء التي يلزمها التعظيم
كأسماء الله ، والأنبياء ، والملائكة . ونحوها . . . ، ولا لفظ : كل^(٢) أو بعض^(٣)
ولا أسماء الشهور^(٤) ؛ كصَفَرٍ ، ورمضان ، ولا أيام الأسبوع ؛ كالسبت ، والخميس ،
ولا الألفاظ المحكية^(٥) ، ولا كلمة : غير ، وسوى^(٦) ، ولا البارقة^(٧) ، ولا غد^(٨) ،
ولا الأسماء المختصة بالنفي ؛ مثل : عَرِيب^(٩) ، ودَيَّار . ولا المشتقات التي تعمل

(١) إن كان الاسم غير مصغر حقيقة ولكن مادته وتكوينه الاشتقاق جعله على وزن صيغة خاصة
بالتصغير - جاز تصغيره : نحو مُهَيِّمٌ ، اسم فاعل ، فعله : «هَيَّيْمٌ» (بمعنى : راقب الشيء وسيطر
عليه) ، ونحو : مُسَيِّطِرٌ ، ومُتَبَيِّطِرٌ . وهما اسم فاعل ، فعلهما : سَيَّطَرَ وَتَبَيَّطَرَ ... فتل هذه الأسماء
تصغر بحذف الياء الزائدة ، ويحل محلها ياء جديدة للتصغير ؛ فيبقى اللفظ في صورته الجديدة كما كان من
قبل هيئت السابقة . لكن بين الصورتين فرق بالرغم من اتفاقهما التام في الصورة ، وهذا الفرق هو أن الاسم
المكبر منهما حقيقة ؛ تحذف ياءه الزائدة عند جمعه «تكسيراً» للكثرة ، فيقال : مهائم ، ومسايطر ،
ومياطر ؛ بحذف الياء الزائدة . أما الاسم المصغر فلا يجمع - في الرأي الشائع ، كما في الصفحة الآتية -
جمع تكسير للكثرة ، وإنما يجمع جمع تصحيح ؛ فيقال : مهيمون ، مسيطرون ، مبيطرون ؛ لأنه
لو جمع تكسيراً للكثرة وهو مصغر لوقع التناقض بين الدلالة على الكثرة والدلالة على التصغير ، ولوجب
حذف ياء التصغير عند الجمع ؛ لبصير على وزن من أوزان الكثرة ؛ كالشأن في كل خماسي ثالثه حرف
زائد - . ولوحذفت ياء التصغير لا لتبس الجمع المصغر بغير المصغر . ولهذا منعوا - أيضاً - تكسير الأسماء
المصغرة جمع كثرة ، ولم يذكروا في صيغ التكسير للكثرة صيغة مفرد لها مصغر . أما جمع المصغر جمع تكسير
للقلة - فيجوز ، (كما سيأتى في الصفحة التالية ، وفي رقم ٧ ص ٧٠٩) .

(٢) لدلالته على العموم والشمول ؛ وهي دلالة تناقض التصغير .

(٣) لأنه يدل بنفسه على التقليل ، فليس محتاجاً إلى التصغير الذي يفيد التقليل .

(٤) لأن اسم الشهر واسم اليوم يدل على مدة زمنية محددة ، لا تقبل الزيادة ولا التقليل .

(٥) لأن الحكاية تقتضي ترديد اللفظ بحالته من غير تغيير يطرأ عليه ، والتصغير يناقض هذا ؛ إذ

يوجب التغيير .

(٦) لأن «غير» ، و«سوى» التي بمعناها تقتضي المغايرة والمخالفة التامة ، التي تدل على أن شيئاً

ليس هو شيئاً آخر ؛ والمغايرة بهذا المعنى لاصلة لها بالتقليل ولا بالتكثير .

(٧) لأنها تدل على الليلة التي قبل يومك الحاضر . وهذه الدلالة لا تحتمل القلة ولا الكثرة .

(٨) لأنه يدل على يوم مقبل ، فلا يحتمل القلة ولا الكثرة .

(٩) ما في البيت عريب أوديار ، أى : مافيه أحد .

عمل فعلها بالشروط والتفصيلات التي سبقت عند الكلام عليها^(١) ، ومن تلك الشروط عدم تصغيرها^(٢) ، إلا كلمة : رُوَيْدًا^(٣) ، ولا يصغر جمع تكسير للكثرة . ولا المركب الإسنادي ؛ لأن صيغ التصغير الثلاث لا تنطبق - في الأغلب - على هذين ، إلا بعد حذف بعض حروفهما : وهذا الحذف يؤدي إلى اللبس ، وخفاء أصلهما^(٤) ؛ هذا إلى أن الغرض من جمع الكثرة يعارض التقليل الذي يدل عليه التصغير ، غالباً . فإذا أريد تصغير جمع للكثرة صُغِرَ مفردة ، ثم جُمِعَ جمع مذكر سالمًا ، أو مؤنث سالمًا على حسب المعنى .

أما جمع القلة فيصح تصغيره ؛ فيقال في أجمال : « أَجَسِمَال » ، وفي أنثى : أَنْسِيَهْر ، وفي فتيية : فَتِيَّيَّة ، وفي أعمدة : أَعَيَّمْدَة . وكذلك يصح تصغير اسم الجمع ؛ نحو : ركب ورُكَيْب ، ورَهْط ورُهَيْط . . .

* * *

نوعاه :

التصغير نوعان : أصلي ، وتصغير ترخيم^(٥) . ولكل منهما طريقة خاصة به . النوع الأول : التصغير الأصلي ، طريقته :

الاسم المراد تصغيره أصالة قد يكون يكون ثلاثيًا ، أو ثنائيًا منقولًا عن أصل ثنائي ، أو رباعيًا ، أو أكثر من ذلك .

(١) (فإن كان ثلاثيًا^(٦)) - مثل : سعد ، وحسن . . . وجب اتباع ما يأتي :

(١) في أول الجزء الثالث الأبواب الخاصة بالمشتقات ، وتفصيل الكلام عليها .

(٢) ويقولون في سبب هذا : إن التصغير يقربها من الأسماء ، ويبعدها من الأفعال التي تعمل عملها ؛ لقربها منها . والعلة الصحيحة هي عدم تصغير العرب للأسماء العاملة .

(٣) تفصيل الكلام عليها في ص ١٤٩ .

(٤) هذه علة تخوية قد يسهل رفضها في بعض جموع التكسير - مثل : فُعَل - فإنه عند تصغيره تنطبق عليه إحدى الصيغ الثلاث . ولم أجد فيما لدى من المراجع ما يبين موقف الورد السامعي في ذلك .

(٥) سيجيء في ص ٧١٠ .

(٦) وهذا يشمل الثلاثي أصالة وعرضاً ؛ - طبقاً لما سيجيء في ص ٦٩٢ - . ويدخل في حكم الثلاثي ما ختم بـ تاء زائدة للتأنيث ، مسبوقه بأحرف ثلاثة أصلية ؛ كما سيجيء .

١ - ضم أوله ، وفتح ثانيه - إن لم يكونا كذلك من قبل - وزيادة ياء ساكنة بعد الثاني مباشرة : تسمى : « ياء التصغير » وبعدها الحرف الثالث من أصول الاسم المصغَّر ، مضبوطاً على حسب الموضع الأعرابي . نحو : سَعِيدٌ وحُسَيْنٌ نبيلان ، وإن سَعِيداً وحُسَيْناً نبيلان . . . وبهذا التغير الطارئ يصير الاسم على وزن : « فُعَيْلٌ » وينطبق عليه قولهم : (إن الثلاثي يُصَغَّر على « فُعَيْلٌ » ، أو : إن صيغة « فُعَيْلٌ » هي المختصة بالاسم الثلاثي المصغر) .

فإن كان الاسم الثلاثي الأصول مضعفاً ؛ (نحو : قِطٌّ - عَمٌّ - دُرٌّ . . .) وجب فكّ الإدغام ، ثم تطبيق الحكم السالف .

فليس من المصغر الثلاثي كلمة : زُمَيْلٌ ^(١) ولا لُغَيْزِيٌّ ^(٢) ؛ لأن الحرف الثاني منهما ساكن مدغم في نظيره ، باقٍ على إدغامه ، ولأن الياء الساكنة رابعة ^(٣) . . .

وإن كان الثلاثي الأصول قد زيد على حروفه الثلاثة : « تاء التأنيث » مثل : شجرة - ثمرة . . . ؛ فإنه يعتبر في حكم الثلاثي مع وجودها ، فيخضع عند تصغيره لما يخضع له الثلاثي الخالي منها .

٢ - إن كان الثلاثي قد حذف منه بعض أصوله وبقي على حرفين ^(٤) وجب عند التصغير رد المحذوف ؛ فيقال في : كُئِلٌ ^(٥) ، وبيعٌ ^(٦) ، ويدٌ ^(٧) وأشباهها إذا صارت أعلاماً : أُكَيْلٌ ، وبييعٌ ، ويديٌّ . . .

ويسرى هذا الحكم على الثلاثي الذي حذف منه بعض أصوله ؛ وعوض عنه تاء التأنيث ؛ فلا يمنع وجود هذه التاء من إرجاع المحذوف ، فكأنها غير موجودة ؛

(١) جبان ضعيف .

(٢) لُغَزِيٌّ .

(٣) وفيما سبق يقول ابن مالك في أول باب عنوانه : التصغير :

فُعَيْلاً اجْعَلِ الثَّلَاثِيَّ إِذَا صَغَّرْتَهُ : نَحْوُ : قُدَيٍّْ : فِي قَدَا - ١

القُدَى : الجسم الصغير - كالبهاة - الذي يقع في العين فيؤلها . وتصغيره : قُدَيٍّْ ؛ بإرجاع الألف إلى أصلها الياء ، وإدغام ياء التصغير فيها ؛ لأن التصغير - كالتكسير - يرد الأشياء إلى أصولها .

(٤) قد يكون أحدهما : « هاء السكت » ، وذلك إذا حذف من الثلاثي حرفان وبقي واحد ؛ فينضم إليه هاء السكت وجوباً ، نحو : رَهٌ ، وقِهٌ ؛ أمران : من رأى ، ووقى .

(٥) محذوف الفاء .

(٦) محذوف العين .

(٧) محذوف اللام .

نحو : عِدَّةٌ وَسَنَةٌ - عامين ، وأصلهما : وعد ، وسنو ، أو سنة ، فعند التصغير : يرجع للأول فإؤه المحذوفة ، والثاني لامه المحذوفة ، فيقال : وعِيد ، وسُنِيَّةٌ أو سُنِيَّةٌ . وهذه التاء الموجودة بعد التصغير هي للتأنيث ، وليست كالسابقة - للتعويض لأن تاء العوض لا تبقى بعد رجوع المعوض .

ومما حذف لامه الأصلية وعُوضَ عنها تاء التأنيث : « بنت وأخت » ؛ فإِدَّ المحذوف منهما عند التصغير ؛ فيقال : بُنِيَّةٌ ^(١) ؛ وأُخِيَّةٌ ، والأصل : بُنْيُوءَةٌ وأُخْيُوءَةٌ ، اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء ^(٢)

فإن كان الاسم على ثلاثة أحرف بعد حذف بعض أصوله لم يرجع المحذوف ؛ نحو : هادٍ وهُوَيْدٌ ، وداعٍ ودُوَيْعٌ .

٣ - وإن كان الاسم ثنائى الأصل ؛ (لأنه منقول مما وضع في أصله ^(٣) على حرفين) ، وأريد تصغيره فإن كان ثانيهما صحيحاً - مثل : هل ، وبل ، ولم . أعلاماً - وجب : إما تضعيف ثانيه عند التصغير بشرط أن يكون أحد المضعفين قبل ياء التصغير ، والآخر بعدها ؛ فتتوسط بينهما ، وإما تضعيف ياء التصغير نفسها ، بزيادة ياء عليها ؛ فيقال : (هُلَيْيَلٌ ، أو هُلَيْيَ) - (بُلَيْيَلٌ ، أو : بُلَيْيَ) - (لُمَيْيَمٌ ، أو لُمَيْيَ) ففي هذه الأمثلة زيدت ياء التصغير ، وتلاها بعد زيادتها حرف التضعيف الذى يشبهها أو الذى يشبه ما قبلها مباشرة ،

(١) هذه التاء التى فى التصغير للتأنيث ، وليست للعوض - ومثلها التى فى : سُنِيَّةٌ ، أو سُنِيَّةٌ - ؛ إذ ليس فى الكلمة محذوف الآن تكون عوضاً عنه . بخلافها قبل التصغير حيث كان الأصل هو : « بَنُو » - فى رأى الشائع - فالنوعان مختلفان ؛ فليس فى وجودها عند التصغير جمع بين العوض والمعوّض عنه . ومثلها : « أُخْيِيَّةٌ » وأصلها قبل التصغير : « أُخْوٌ » .

(٢) وفى تصغير ما نقص منه بعض أصوله يقول ابن مالك :

وَكَمَّلَ الْمُنْقُوصَ فِي التَّصْغِيرِ مَا لَمْ يَخُ غَيْرَ التَّاءِ ثَالِثًا ؛ كـ « مَا » - ١٧

يريد بالمنقوص هنا : ما نقص منه بعض أصوله بسبب الحذف . ومثل له بكلمة « ما » وأصلها : ماء ولكن الهزة حذفت لأجل الشعر .

(٣) الاسم الأصيل لا يكون موضعاً على حرفين فى أول أمره ؛ لكن يصح أن يكون منقولاً مما وضع فى أصله على حرفين . .

ويتحرك الحرف الذى يلي ياء التصغير بالحركة الإعرابية المناسبة للجملة ؛ لأن الاسم فى هذه الحالة يصير معرباً .

وإن كان ثانيهما معتلاً وجب تضعيفه ، وزيادة ياء التصغير بين حرفي التضعيف ؛ فمثل : لو - كى - ما - أعلاما - يقال فيها بعد التضعيف ، وقبل التصغير : لو - كى - ماء^(١) . . . ويقال فى تصغيرها : لموى^(٢) - كمبى^(٣) - موى^(٤) ، بتوسيط ياء التصغير بين الحرفين المتماثلين . والاسم فى هذه الصورة معرب أيضاً ، تجرى حركات الإعراب على حرفه التالى ياء التصغير .

هذا ، ويعتبر الاسم ثنائياً - يجرى عليه ما يجرى على الثنائى من إرجاع المحذوف ومن غيره - إذا كانت حروفه ثلاثة أولها همزة وصل ؛ نحو : ابن ، واسم . . . فتحذف همزة الوصل فى تصغيره ، ويرجع المحذوف ؛ فيقال : بُنى ، وسُمى .

٤ - إن كان الثلاثى المصغر اسماً دالاً على المؤنث وحده - أى : ليس دالاً على المذكر ، ولا مشترك الدلالة بين المؤنث والمذكر - وجب عند أمن اللبس زيادة تاء فى آخره ؛ لتدل على تأنيثه ، سواء أكان باقياً على ثلاثيته ، نحو : دار ، وأذن ، وعين ، وسن ، . . . أم كان بعض أصوله محذوفاً ؛ نحو : يد ، وأصلها : « يدئى » ؛ حذفت لامها تخفيفاً ؛ فيقال فى تصغير تلك الأسماء

(١) لأن تضعيف الألف سيؤدى إلى وجود ألفين يستحيل التلقى بهما ؛ فتقلب الثانية منهما همزة ، كما يحصل فى نوع آخر سبق بيانه (فى ص ٦٠٣) . هو ألف التأنيث الممدودة . وقيل : إن الهمزة تجىء من أول الأمر من غير قلب .

(٢) أصلها ؛ لويو ، اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداها بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء (طبقاً لقواعد الإعلال) .

(٣) بثلاث ياءات الأولى الأصلية ، والثانية ، للتصغير ، والثالثة الزائدة للتضعيف . .

(٤) فالألف الأصلية - التى هى الحرف الثانى فى كلمة : « ما » - انقلبت واواً ؛ لأنها مجهولة الأصل ؛ ومجهولة الأصل تقلب واوا - كما سيجىء فى ص ٧٠٨ - ثم وليتها ياء التصغير ، وقلبت الألف الثانية المزيدة للتضعيف ياء لوقوعها بعد ياء التصغير ، وأدغمت فيها . ولم تهمز ؛ لزوال علة إبداءها همزة - كما قالوا - وهى وقوعها فى الآخر بعد ألف زائدة .

أما كلمة « ماء » وهو الذى يشرب ، فتصغيره : مويته ، لأن ألفه مبدلة من واو ؛ إذ أصله : موة ؛ بدليل جمعه على أمواه ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها ، فصار : ماء ، ثم انقلبت الهاء همزة ؛ ملعاً على غير قياس ؛ فصار : ماء . فعند تصغيره يرجع كل حرف إلى أصله .

وأشباهها : دَوِيرَة - أُذَيْنَة ^(١) - عُيَيْنَة - سُنَيْنَة - يُدَيْنَة . وسواء أكانت ثلاثيتها أصيلة (كهذه الأمثلة) أم طارئة ^(٢) ؛ مثل : « سُمَيْنَة » وستأتى :

فإن أوقعت زيادة التاء فى لبس وجب تركها ؛ كما فى تصغير : شجر وبقر ؛ - عند من يقول بتأنيث اسم الجنس الجمعى - فلا يقال فى تصغيرهما : شُجَيْرَة ، ولا بُقَيْرَة ؛ لأنه يلتبس بتصغير : « شجرة وبقرة » المكبَّرَتَيْن . وكذلك لا يقال : خميسة ولا سبعة ، فى تصغير : خمس وسبع ، الثدائين على معدود مؤنث . ومثلهما باقى الأعداد المؤنثة للدلالة على معدود مذكر ، لأن زيادة التاء عند تصغيرها تؤدى إلى اللبس ، إذ يقع فى الظن أنها لمعدود مذكر ، مع أنها لمعدود مؤنث .

وكذلك يجب تركها إن كان الاسم وقت تصغيره والنطق به دالاً على مذكر ولو كان فى أصله لمؤنث ؛ إذ الاعتبار إنما هو للدلالة الحالية عند النطق به ، وليس للدلالته السابقة ؛ فلو سمينا مذكراً بأحد الأسماء المؤنثة السابقة : (- دار - أذن - عين - سن - . . .) أو غيرها ، كسعد ، حسن ، وهند ، ومى - أعلام مذكر - لم يصح مجيء تاء التأنيث عند تصغيره ^(٣) .

وكذلك لا يصح مجيئها إذا كان المصغر غير ثلاثي ^(٤) ، نحو : زينب ،

(١) لهذا كان من الخطأ أن يقال فى تسمية بعض أجزاء القلب : « الأذنين الأيمن - والأذنين الأيسر » فى تصغير كلمة : « الأُذُن » ، مع أنها محضة التأنيث . والصواب فى تصغيرها : « الأذينة اليمنى ، - والأذينة اليسرى » .

(٢) يلحق بالثلاثى أيضاً كل رباعى ثالثه حرف مد ، ورابعه حرف علة بحسب أصله ، نحو : سماء وسمية . ومثل الرباعى ما زاد عليه ما حذف منه ألف تأنيث مقصورة ؛ خامسة أو سادسة ؛ فيجوز (كما سيأتى فى ص ٦٩٨ و ٦٩٩) إلحاق التاء به ، كحبارى حيث يجوز تصغيره بإبقاء الألف ، أو بحذفها ، أو حذفها مع زيادة التاء ؛ تعويضاً عنها ، فيقال حُبَيْرَى ، أو حُبَيْرَة . ومثل لُغَيْرَى . فيصح فيه الأمران دون إبقاء الألف ؛ يقال لُغَيْرَى ، أو لُغَيْرِيَّة . (المجمع ج ٢ ص ١٨٩) . وانظر رقم ١ من ص ٦٩٨ .

(٣) جاء فى كتاب سيبويه (٢ ص ١٣٧) مانصه : (إذا سميت رجلاً بعين أو أذن فتحقيقه بغيرها - أى : أن تصغيره يكون بحذف تاء التأنيث - وتدع الهاء ههنا ، كما أدخلتها فى : « حجر » اسم امرأة ، ويونس يدخل الهاء ويحتج بأُذَيْنَة . وإنما سُمى بمحقر) . اهـ

وإذا كان الاسم المصغر غير مقصور الدلالة على المؤنث فلا تلحقه التاء كأن يكون صالحاً له والمذكر : مثل : نَصَف ؛ بمعنى متوسط السن ، يقال : رجل نَصَف وامرأة نصف . . .

(٤) (إلا فى تصغير الترخيم فيصح مجيئها فى المؤنث - كما ستعرف عند الكلام عليه ص ٧٢٢ .

وسعاد ؛ فلا يقال فيهما : زينة ، ولا سَعِيدَة . . .

فشرط زيادة تاء التأنيث : أن يكون المصغر ثلاثيًا ، مؤنثًا وقت تصغيره ، لا يلتبس بغيره عند زيادتها . ولا فرق في الثلاثي بين الباقي على ثلاثيته وغير الباقي الذي نقص منه شيء ، ولا بين ما ثلاثيته أصيلة وما ثلاثيته طارئة . ومن أمثلة الطارئة : سُمَيَّة^(١) : علم مؤنث ، وهى تصغير : « سَمَاء »^(٢) المؤنثة الممدودة . جرت عليها ضوابط التصغير ؛ فضمُّ أولها ، وفتح ثانيها ، وزيد بعده ياء التصغير ، وانقلبت الألف الزائدة ياء ، فاجتمع ياءان ، الأولى منهما ساكنة ؛ وهى ياء التصغير ، والثانية متحركة بالكسرة ؛ وهى التى أصلها المدَّة فأدغمتا ، ثم رجعت الهمزة إلى أصلها « الواو » — لام الكلمة — . وانقلبت الواو ياء ، طبقًا لقواعد الإعلال ؛ فصارت الكلمة : سُمَيَّة . فاجتمع فى آخر الكلمة ثلاث ياءات ؛ هى ياء التصغير ، تليها الياء التى أصلها ألف المد ، وبعدهما الياء التى أصلها الواو لام الكلمة . . . فوقع فى الآخر بعد ياء التصغير ياءان ، وهذا لا يقع فى فصيح الكلام ، ويتحتم حذف أولاهما تطبيقًا للضوابط العامة فى هذا الباب — كما سيجىء^(٣) — فصارت : سُمَيَّة . بياء مشددة تُعَبِّرُ الحرف الثالث ، ثم زيدت عليها تاء التأنيث ؛ لتكون كأصلها دالَّة على المؤنث ، فصارت : سُمَيَّة .

ويجب فتح الحرف الذى قبل هذه التاء مباشرة وهو الحرف الواقع بعد ياء التصغير فى : « فُعَيْل »^(٤) ؛ لأن تاء التأنيث تستوجب فتح الحرف الذى قبلها فى جميع حالات اللفظ الثلاثى وغير الثلاثى المختوم بها ، سواء أكانت خاتمة اسم مصغر ، أم غير مصغر — كالأمثلة السالفة — وسواء أكانت خاتمة فعل ، أم حرف ؛ نحو ؛ قامت — كتبت — رُبَّت — ثُمَّت . (وهذا موضع يجب فيه فتح الحرف بعد ياء التصغير فى صيغة « فُعَيْل » وهى الصيغة المقصورة على

(١) من كل رباعى ، ثالثة مدة ولامه حرف علة بحسب أصلها . — كما فى رقم ٢ من هامش الصفحة السابقة —

(٢) سبقت الإشارة إليها ، وإلى بيان يخصها ، فى رقم ٤ من هامش ص ٦١٥ .

(٣) فى رقم ٥ من ص ٧٠٨ وفيها إيضاحه وشرطه .

(٤) أما فى غير هذه الصيغة فلها حكم آخر يجرى فى هامش ص ٧٠١ .

تصغير الاسم الثلاثي وحده . أما الحرف الذي يلي ياء التصغير في غير هذه الصيغة ، بأن يقع بعد ياء التصغير في صيغتي : « فُعَيْعِلٌ وَفُعَيْعِيلٌ » ، فيكون مكسوراً ، وله حالات يبق فيها على حركته التي كانت له قبل التصغير . وسيجيء بيان هذا في موضعه المناسب ^(١) .

وقد ورد في الكلام المسموع بعض ألفاظ خالفت في التذكير أو التأنيث . ما سبق تقريره ؛ فهي شاذة لا يقاس عايتها ^(٢) . . . كشدوذ ألفاظ أخرى ثلاثية ورد تصغيرها على غير صيغة : « فُعَيْعِلٌ » ^(٣) .

٥ - إن كان ثاني الاسم المصغر حرف لين ^(٤) - نحو : باب وقيمة - وجب إخضاع هذا الثاني للضابط العام الذي يَسْرِي على كل حرف لين ثان ؛ سواء أكان الاسم المصغر ثلاثياً أم غير ثلاثي . وسيجيء ^(٥) هذا الضابط . وإلى هنا انتهى الكلام على تصغير الثلاثي .

* * *

(ب) إن كان الاسم الذي يراد تصغيره رباعياً ^(٦) ؛ مثل : « جعفر وبُسْدُق »

(١) في ص ٧٠١ .

(٢) فيما سبق من زيادة تاء التأنيث عند تحقق الشروط - يقول ابن مالك :

واخْتَمَ « بتا التأنيث » ما صَغَرْتَ مِنْ مُؤَنَّثٍ عَارٍ ، ثَلَاثِيٍّ ؛ كَسِنٌ - ١٩
مَا لَمْ يَكُنْ « بالثا » يُرَى ذَا لَبْسٍ كَشَجَرٍ ، وَبَقَرٍ ، وَخَمْسِينَ - ٢٠
وَشَدَّ تَرَكَ دُونَ لَبْسٍ . وَنَدَرَ لَحَاقُ « ثا » فِيمَا ثَلَاثِيَّاهُ كَثَرٌ - ٢١

(كَثَرٌ - بفتح التاء - بمعنى ؛ فاق . وثلاثياً : مفعول به مقدم للفعل : كثر) ومعنى البيتين الأولين واضح ، وهو يقرر في البيت الأخير ؛ أن ترك التاء مع أم : ليس شاذ مع تحقق بقية الشروط الأخرى - وأن من النادر زيادة هذه التاء إذا فاق الاسم المصغر ثلاثة ، وزاد عليها (أى إذا كان رباعياً فأكثر) ، ومن هذا النادر الذي لا يقاس عليه تصغيرهم : وراء ، وأمام ، وقُدَّام ... على : وَرَيْثَةٌ ، وَأُمِّيَّةٌ ، - بتشديد الياء فيهما - وقد يدعى . . .

(٣) كتصغيرهم : « رجل » على : « رُوَيْجِيل » ، و« مغرب » على : مُغْبِرِيَّان .

(٤) في ص ٦٦٢ معناه . والمراد هنا حرف العلة . (٥) ص ٧٠٤ .

(٦) لافرق في الرباعي بين ما حروفه أصلية ؛ نحو : جعفر ، وما حروفه أصلية وزائدة ؛ نحو : بندق . فالأساس : أن يكون عدد الحروف أربعة ، أصلية كانت ، أم مختلطة .

وجب ضم أوله وفتح ثانيه — إن لم يكونا كذلك من قبل — وزيادة ياء ساكنة بعد ثانيه (وهي التي تسمى : ياء التصغير) وكسر ما بعد هذه الياء^(١)، إن لم يكن مكسوراً من قبل^(٢)؛ فيصير الاسم بعد إجراء هذه التغييرات على وزن : « فُعَيْعِل » ؛ نحو : جُعَيْعِفِر . وَيُسَيْدِق . وهذه التغييرات التي طرأت على الرباعي عند تصغيره هي التغييرات التي طرأت على الثلاثي عند تصغيره كذلك . مع زيادة كسر ما بعد ياء التصغير في الرباعي — كالمثالين السالفين . — إلا في بعض حالات استجىء^(٣) .

والكسر بعد ياء التصغير في الاسم الرباعي يوجب تغييراً آخر لا بد منه ؛ يتلخص في أنه لو وقع بعدها حرف مد^(٤) فالواجب قلبه ياء تدغم في ياء التصغير ؛ (تطبيقاً لما تقضى به الضوابط العامة في مثل هذه الحالة التي تقع فيها « ياء » بعد ياء التصغير^(٥)) فيقال في : (كتاب ، وسحاب ، ومُقام — كُتَيْب ، وسُحَيْب ،

(١) إلا إن كان الحرف الذي بعد ياء التصغير مشدداً فإنه يظل ساكناً بسبب الإدغام وتظل قبله ياء التصغير ساكنة كذلك ؛ لأن ياء التصغير لا تتحرك ؛ في مثل كلمتي : الخاص والخاصة نقول : في تصغيرهما : الخَوَيْص — والخَوَيْصَة (كما قال القاموس في مادة : « خص ») وفي مثل هذا التصغير يلتقي ساكنان ، وهو التقاء جائز فيه . ويجوز بعض النحاة التخلص منه بتحريك السكون الناشئ من الإدغام حركة خفيفة مائلة إلى الكسرة في النطق ، دون أن تكون الكسرة خالصة في النطق ؛ أي : أنه يبيح في الحرف الأول الساكن المدغم في مثله أن يتحرك عند النطق حركة قريبة من الكسرة ولا يصح تحريكه بالكسرة الواضحة في النطق .

(٢) مثل قِرْمِز (لنوع من الصبغ الأحمر) ، قَيْشِير (للصفوف الرديء) .

(٣) في ص ٧٠١ .

(٤) فيكون هو الحرف الثالث في الاسم قبل مجيء ياء التصغير .

(٥) من هذه الضوابط ما جاء في الهمع (ص ٢٨٦) خاصاً بالواو ، ونصه بإيضاح يسير : « إن ولي ياء التصغير واو قلبت ياء .

١ - وجوباً إن سكنت هذه (الواو) ، كمجوز وعُجَيْر .
أو أُعِلَّت - بأن قلبت شيئاً آخر ، كألف مثلاً - كمُعْتَم - فإن أصله : مُقْتَم ، فيقال : مُقْتِم .

أو كانت لا ما ؛ كعَزَو وعُزَي ، وعُزَوَة وعُزَيَّة ، وعَشَو بالقصر - وعُشَيَّا .

ب - وجوباً إن تحركت الواو في أفراد وتكسب ولم تكن لا ما فيهما ؛ كأَسود وأَسود ، وجدول وجدول ، فيقال في التصغير : أُسَيْد وأَسِيد ، وجُدِيل ، وجُدِيل ، فيجوز قلب الواو ياء ، وإدغامها في ياء التصغير ، (عملاً بقاعدة الإعلال من القلب والإدغام عند اجتماع الواو والياء وسبق إدغامها بالسكون) =

وَسُعَيْبٌ) . . . وفي : (صَبُور ، وَعَجُوز ، وَبَعُوض - صَبِير ، وَعَجِير ، وَبُعَيْض) . . . وفي : (جَمِيل ، وَسَمِير ، وَسَعِيد - جُمَيْل ، وَسَمِير ، وَسُعَيْد) . وهذا معنى قول النحاة :

(الاسم الرابع يُصَغَّر على : « فُعَيْعِل » . وإن كان حرفه الثالث قبل التصغير حرف مد وجب قلبه ياء تدغم في ياء التصغير . . .) .

* * *

(ح) إن كان الاسم الذي يراد تصغيره خماسياً فأكثر :

١ - فإن لم يكن رابعه حرف لين وجب - في أغلب الحالات ^(١) - حذف بعض أحرفه الضعيفة ^(٢) ؛ ليصير رباعياً يمكن تصغيره على صيغة : « فُعَيْعِل » الخاصة بالرباعي ، بالطريقة التي شرحناها عند الكلام عليها . فيقال في سَفَرَجَل : سَفَرَج ، وفي فَرَزْدَق : فَرَزْد ، أو : فَرِيزْد ، وفي حِيزُون : حَزِين ، وفي مُسْتَنْصَر : مُسْتَنْصِر ، وفي مَحْرَجَم : حَرْجَم .

٢ - فإن كان رابعه حرف لين وجب - في أغلب الحالات كالسابق - حذف بعض أحرفه الضعيفة . وقلب حرف اللين ياء إن لم يكن ياء من الأصل ، فينتهي تصغير الاسم إلى « فُعَيْعِل » بوجود ياء قبل آخر الصيغة - وهذه الياء هي التي كانت قبل تصغير الاسم حرف لين رباعياً - تقول في تصغير سِرْحَان : سُرَيْحَان ، وفي عَصْفُور : عَصْفِير ، وفي قِنْدِيل : قُنَيْدِيل . وهذا معنى قول النحاة : (يجرى تصغير الخماسي فما فوقه - بشرط ألا يكون الحرف الرابع ليناً - على الطريقة التي جرى بها تصغير الرباعي . كلاهما على وزن « فُعَيْعِل » فإن كان الحرف الرابع (في الخماسي وفيما زاد على الخماسي) حرف لين وجب قلبه

= كما يجوز إبقاء الواو بغير قلب ، إجراء لها على حدها في التكسير ، (لأن التصغير والتكسير من باب واحد ؛ في الأعم الأغلب - .)

فإن تحركت الواو في الأفراد والتكسير وهي لام وجب قلبها ياء في التصغير ، بغير نظر إلى التكسير ؛ نحو : كَرَوَان وكُرَيَّان ، وجمعه كراوين^١ . ٥١ - ثم انظر ص ٧٧٩ في الكلام على قلب الواو ياء . -

(١) في الصفحة ٦٩٨ حالات لا يصح فيها الحذف .

(٢) سبق في رقم ٣ من هامش ص ٦٦٦ ، بيان المراد من الحرف القوي والضعيف .

ياء ؛ ليكون تصغير الاسم على « فَعْيَعِيل » وجوباً ؛ بظهور ياء قبل الآخر) .

وإذا حذف من الحماسى فما فوقه بعض أحرفه للتصغير جاز زيادة ياء قبل آخره لتكون عوضاً عن المحذوف ، بشرط ألا يكون قبل آخره ياء ؛ (فيقال فى سفارج : سَفَيْرَج وسَفَيْرِيج) - (وفى فرزدق : فُرَيْزِدْ وفُرَيْرِيدْ أوفُرَيْرِزِقْ وفُرَيْرِزِيقْ) - (وفى حمير بنون : حَزَيْرِيبْ أو حَزَيْرِيبِين) - (وفى مستنصر : مُنَيَصِيرْ أو مُنَيَصِيرِ) . . . وهكذا . ولا يصح الجمع بين هذه الياء وما حذف ؛ لئلا يجتمع العوض والمعوّض ^(١) عنه .

ولا بد من كسر الحرف الذى يلي ياء التصغير فى الصيغتين : (فَعْيَعِيل ، وفَعْيَعِيلِ) إلا فى مواضع سيجىء النص عليها ^(٢) .

والذى يحذف أو يبقى من الأحرف هنا هو ما يحذف أو يبقى عند جمع الاسم تكسيراً ؛ بحيث يبقى الحرف الأقوى الذى له المزية على غيره . فإن ساوى غيره فى الأفضلية جاز حذف أحدهما بغير تفضيل - كما عرفنا ^(٣) - .

فتصغير الاسم الحماسى فما فوقه يقتضى - فى الغالب - من الحذف والإبقاء ما يقتضيه تكسيره على : « فَعَالِيل ، وفَعَالِيلِ » وما ضاهاهما فى الهيئة ؛ كمفعاعل ومفعاعيل ، وفواعل وأفاعيل . . .

وما جاء مخالفاً لهذا فهو شاذ هنا ؛ كشدوذ ما خالف الضوابط الخاصة بتصغير الثلاثى ؛ كتصغيرهم رجل على : رُوَيْجَل ، ومَغْرِب على : مُغَيْرِبَان ، وليلة على : لَيْيَلِيَّة ، وإنسان على : أُنَيْسِيَان . . . مع أن القياس فيما سبق هو : رُجَيْل - مُغِيرِب - لَيْيَلَة - أُنَيْسِيْن إن كان جمعه للتكسير هو : أُنَيْسِيْن ^(٤) . . .

* * *

(١) كما سيجىء فى رقم ٤ من ص ٧٠٨ . (٢) فى ص ٧٠١ .

(٣) بيان مزاي الحروف فى رقم ٣ من هامش ص ٦٦٦ .

(٤) انظر رقم ٣ هامش ص ٦٥٩ ،

وفى تصغير الرباعى وما زاد عليه ، وفى الوسيلة لذلك أحياناً من حذف بعض الأحرف كما تحذف فى =

أسماء لا يحذف عند التصغير خامسها ولا ما فوقه :

يستثنى من القاعدة السالفة بعض أسماء تزيد أحرف كل منها على الأربعة ، ولا يحذف حرفها الخامس ولا ما بعده عند التصغير - بالرغم من أنهما في بعض الصور قد يحذفان عند التكسير - فيصغر الاسم كأنه رباعيّ مع ترك الحروف التي تجيء بعد الرابع على حالها ، واعتبارها كأنها منفصلة عنه ليست من حروفه . ومن هذه الأسماء :

١ - الاسم المختوم بألف تأنيث ممدودة^(١) بعد أربعة أحرف فصاعداً ؛ نحو : « قُرْفُصَاء » ؛ فيقال في تصغيرها : قُرَيْفِصَاء ، بتصغير الكلمة كأنها رباعية ؛ ثم يلحق بها الهمزة والألف التي قبلها ، وإن شئت قلت : بتصغير الكلمة من غير اعتبار لوجود الهمزة والألف التي قبلها مع وجودهما عند التصغير وبقائهما معه . أما ألف التأنيث المقصورة فإن كانت رابعة - كصُغْرَى وكُبْرَى - فإنها تبقى وجوباً ، يقال في تصغيرهما : صُغَيْرَى وكُبَيْرَى . وإن كانت سادسة

= التكسير . . . ، يقول ابن مائت .

« فُعَيْعِلٌ » مَعَ « فُعَيْعِلٍ » لِمَا فَاق ؛ كَجَعَلْ : دِرْهَمٌ ، دُرَيْهَمًا - ٢

وما بِهِ لِمُنْتَهَى الْجَمْعِ وَصِلْ بِهِ إِلَى أَمْثِلَةِ التَّصْغِيرِ صِلْ - ٣

وتقدير هذا البيت : وما وصل به إلى التكسير في صيغة منتهى الجموع صل به إلى التصغير حين تريد تصغير أمثله . يريد بهذا حذف بعض الأحرف ، فإن الحذف هو الذي يوصل إلى جمع بعض الأسماء جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع . ثم قال بعد ذلك في الوصول إلى صيغة فُعَيْعِلٍ :

أ وَجَائِزٌ تَعْوِيضٌ « يَا » قَبْلَ الطَّرْفِ إِنَّ كَانَ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ فِيهِمَا انْحَدَفَ - ٤

ثم بين أن ماخالف المذكور في البابين (باب تصغير الثلاثي ، و باب تصغير غيره) خارج عن القياس :

وَحَائِدٌ عَنِ الْقِيَاسِ كُلُّ مَا خَالَفَ فِي الْبَابَيْنِ حُكْمًا رُسِمًا - ٥

(١) سبق الكلام على ألف التأنيث الممدودة وأصلها في ص ٦٠٣ ومنه يفهم أن ألف التأنيث الممدودة - في الأرجح - هي في أصلها ألف زائدة للتأنيث ، قبلها ألف أخرى زائدة للدد ، فتقلب ألف التأنيث همزة . فالهمزة في « قرفصاء » ونحوها للتأنيث ، وقبلها ألف زائدة ملازمة لها تدل على أن ألف التأنيث ممدودة ؛ لاقصورة . فهي علامة مدها ، و متممة لها .

أو سابعة حذفت وجوباً ؛ مثل : لُغَيَّزَى^(١) ولُغَيَّغَزَى^(٢) ، وبِرْدَرَايا^(٣) وبُرَيْدِر^(٤) . . . وكذلك إن كانت خامسة وليس في الأحرف السابقة عليها حرف مدّ زائد ، كقَرَقَرَى^(٥) وقُرَيْر^(٦) .

فإن كان في الأحرف التي تسبقها حرف مدّ زائد جاز حذفها ؛ أو حذف حرف المدّ الزائد دونها ؛ نحو : حُبَارَى^(٦) وحُبَيْرَى ، أو حُبَيْرَ ، ونحو : قَرَيْشَى^(٧) وقُرَيْشَى (بحذف ياء المد التي بعد الراء) أو قُرَيْشَ ؛ بحذف ألف التانيث المقصورة ، وإدغام « ياء المد » في « ياء » التصغير . . . فلألف التانيث المقصورة ثلاث حالات : الحذف وجوباً ، والبقاء وجوباً ، وجواز الأمرين .

٢ - الاسم المختوم بتاء تانيث مسبقة بأربعة أحرف أو أكثر ؛ نحو : جوهرة ، وحنظلة ، فيقال في تصغيرهما : جَوَيْهَرَة ، وَحَنْظِلَة ؛ بإبقاء التاء على حالها وإجراء التصغير على الكلمة كأنها رباعية خالية منها .

٣ - المختوم بياء النسب ، نحو : عَبَقَرَى ، جوهريّ ، فيقال في تصغيرهما : عَبَقِرَى وجَوَيْهَرَى .

٤ - المختوم بألف ونون زائدتين بعد أربعة أحرف أو أكثر وليس مثنى ، وكذا المختوم بعلامتي تشية ؛ كزعران ، ومؤمنان - ومؤمنين ؛ وتصغيرها : زَعَرَان ، مَوْئِمِنَان - مَوْئِمِنِينَ .

٥ - المختوم بعلامتي جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم ، نحو : أحمدون ، وأحمدين ، وزينبات . والتصغير : أَحْمِدُونُ وَأَحْمِدِينَ وزَيْنِبَاتٌ . . .

(١) بمعنى : اللغز - كما سبق - .

(٢) ويصح زيادة تاء التانيث ، التعويض ، فيقال : لُغَيَّغَزَى . بشرط أن تكون الألف

المختومة رابعة أو خامسة - كما سبق في هامش رقم ٢ من ص ٦٩٢ - . (٣) اسم موضع .

(٤) حذفت ألف التانيث ؛ فصارت الكلمة : بريرداي ، ثم حذفت الألف والياء ؛ لأنها زائدتان (راجع الصبان) . (٥) اسم موضع .

(٦) اسم طائر . ويجوز « حُبَيْرَة » بزيادة التاء عوضاً عن ألف التانيث كما سبق في رقم ٢

من هامش ص ٦٩٢ .

(٧) نوع من التمر ، وقد يد ، فيصح على اعتباره مقصوراً للمدود كتابته بالألف أيضاً .

٦ - عَجَزُ المركبين : « الإضافي ، والمرجى » ؛ نحو : ظَهَرَ الدِّينُ ^(١) ،
وَأَنْدَرَسْتَانُ ^(٢) وتصغيرهما : ظُهُيرُ الدين ، وَأَنْسِيدَرَسْتَانُ ^(٣) .

فالأشياء السابقة - كلها - ثبتت في التصغير ؛ لتقديرها منفصلة عما قبلها
ولا يصح حذفها ؛ إذ لو حذفت ألف التأنيث الممدودة ، أو تاؤه ، أو غيرهما مما
جاء بعدهما - لأوقع الحذف في لبس لا ندرى معه أكان الاسم المصغر مشتملا
على المحذوف أم غير مشتمل عليه ، فيتساوى تصغير الاسم المشتمل على تلك
الأشياء والاسم الخالي منها . وهذا اللبس غير موجود فيما يصح جمعه من تلك
الأسماء جمع تكسير - إلا المركب الإضافي فإن تكسيره وتصغيره سواء - ولذلك
تحذف تلك الأحرف السابقة في التكسير ؛ فيقال في تكسير قُرْقُصَاء : قَرَأَص
- وفي جوهرة : جواهر ، وفي عبقرى : عباقر - وفي زعفران زعافر . . . أما المركب
المرجى فلا يكسر - في الرأي الشائع - كما مرّ في باب : جمع للتكسير ^(٤) .

* * *

(٢) اسم بلد فارسي .

(١) علم شخص .

(٣) وفي المواضع التي تبقى فيها الحروف عند تصغير الخماسي فا فوقه يقول ابن مالك :

وَأَلْفُ التَّأْنِيثِ حَيْثُ مُدًّا وَتَاوُهُ : مُنْفَضِلَيْنِ ، عُدًّا - ٨

كَذَا الْمَزِيدُ آخِرًا لِلنَّسَبِ وَعَجَزُ الْمُضَافِ وَالْمُرَكَّبِ - ٩

وَهَكَذَا زِيَادَتَا فَعْلَانَا مِنْ بَعْدِ أَرْبَعٍ ؛ كَزَعْفَرَانَا - ١٠

وَقَدَّرَ انْفِصَالُ مَا دَلَّ عَلَى تَشْنِيَةٍ ، أَوْ جَمَعَ تَصْحِيحٍ جَلًّا - ١١

(جلا : أى : أظهر . وهو مطلق على الفعل : دل . يريد . قدر انفصال ما دل على تشنية أو جلا

جمع تصحيح ، وكلمة : « جمع » مفعول للفعل جلا . ثم قال :

وَأَلْفُ التَّأْنِيثِ ذُو الْقَصْرِ مَتَى زَادَ عَلَى أَرْبَعٍ لَنْ يَثْبُتَا - ١٢

وَعِنْدَ تَصْغِيرِ « حُبَارَى » خَيْرٌ بَيْنَ الْحُبَيْرَى - فَادِرٍ - وَالْحُبَيْرِ - ١٣

(انظر رقم ٢ من هامش ص ٦٩٢) .

(٤) ح ، ص ٦٧٨

مواضع تبقى فيها حركة الحرف الواقع بعد ياء التصغير في :

« فُعَيْعِيل » و « فُعَيْعِيل » كما كانت قبل التصغير :

عرفنا ^(١) أن تصغير الاسم على صيغة : « فُعَيْعِيل ، أو فُعَيْعِيل » يقتضي كسر الحرف الذي يلي ياء التصغير مباشرة ؛ (نحو : دُرَيْهَم وجُوهَر) .
و (سُفَيْرَج ، أو سُفَيْرِج - وفُرَيْرِد وفُرَيْرِد ، وفُرَيْرِق ، أو فُرَيْرِق) في تصغير : (دِرْهَم وجوهر) و (سفرجل وفرزدق) وأشباهها من كل اسم تزيد أحرفه على الثلاثة قبل تصغيره .

ويستثنى من هذا الحكم مواضع يجب فيها ترك حركة الحرف التالى ياء التصغير على ما كانت عليه قبل التصغير . ومن هذه المواضع ^(٢) :

١ - الحرف الذى يليه ألف التأنيث المقصورة ، نحو : صُغْرَى وصُغَيْرَى - كُبْرَى وكُبَيْرَى . بخلاف الحرف الذى يده ألف اللاحق المقصورة فيكسر ؛ نحو : أَرَطَى وأَرِطَ ^(٣)

٢ - الحرف الذى يليه - مباشرة ^(٤) - ألف التأنيث الممدودة (وهى الهزمة التى أصلها ألف التأنيث وقبلها ألف المد الزائدة) ؛ نحو : حُمْرَاء - خُمْرَاء - صُفْرَاء . . . ويقال فى تصغيرها : حُمَيْرَاء - خُصَيْرَاء - صُفَيْرَاء . . . بخلاف

(١) فى : « ب » من ص ٦٩٤ ، وما بعدها

(٢) ليس من المواضع الآتية المختوم بتاء التأنيث ؛ لأنها هنا (أى : فى غير الثلاثى) تكون مسبقة بأربعة أحرف أو أكثر فيجب معها كسر الحرف التالى لياء التصغير ؛ إذ تكون مفصولة منه بحرف نحو : دُحَيْرَجَة فى تصغير : دَحْرَجَة ، والشرط فى فتح الحرف التالى لياء التصغير فى الاسم المختوم بتاء التأنيث ألا يفصل بينه وبينها فاصل ؛ فإن فصل بينهما فاصل وجب كسر ما يلي ياء التصغير ؛ كالمثال المذكور ، وكحَنِظَلَة وحَنِظَلَة ؛ وفى هذه الحالة لا تكون تاء التأنيث فى آخر اسم ثلاثى . أما التى فى آخر الاسم الثلاثى فقد سبق الكلام عليها فى ص ٦٩٠ و ٦٩٢ وهى المقصودة فى كلام ابن مالك بالبيت المذكور هناك (رقم ١٧) .

(٣) قلب ألف الإلحاق ياء بعد الكسرة ، ثم تحذف الياء عند تدوين الاسم .

(٤) فإن فصل بينهما فاصل وجب الكسر ؛ نحو : جُحَيْرَاء ، تصغير « جُحْنَاء »

لنوع من الجراد والخنافس .

الحرف الذى يليه ألف الإلحاق الممدودة ؛ نحو : علباء وعُلَيْبٌ^(١) ؛ فيجب كسر الحرف الذى قبل ألف الإلحاق بنوعيتها .

٣ - الحرف الذى يليه ألف : « أفعال » . (بأن يكون الاسم قبل التصغير على وزن : « أفعال » ؛ مثل : أفراس ، وأبطال . . . ؛ فإذا صُغِرَ وقعت ألف : « أفعال » بعد ياء التصغير ، فيجب فتح الحرف الذى قبل ألف : « أفعال » ، وهو الحرف الواقع بعد ياء التصغير) ؛ نحو : أفسيراس وأبسطال .

٤ - الحرف الذى يليه ألف : « فُعْلَان » - ثلاثى^(٢) الفاء ، ساكن العين - اسماً كان أم وصفاً . بشرط ألا يكون جمع « فُعْلَان » هو : « فَعَالِين »^(٣) عند التكسير ؛ ففي تصغير : فَرَحَان ، وَعُثْمَان ، وعِمْرَان ، نقول : فُرَيْحَان وعُثَيْمَان ، وعُمَيْيْرَان ، بفتح الحرف الذى بعد ياء التصغير ، لتحقيق الشرط ، وهو أن المفرد : فُعْلَان (مطلق الفاء) لا يجمع تكسيراً على فَعَالِين ؛ فلا يقال : فراحين - عثمانين - عمارين . . .

فإن كان « فُعْلَان » مما يجمع على : « فَعَالِين » وجب كسر الحرف ، الذى يلي ياء التصغير ، نحو : سلطان وسلاطين ، وسرْحَان وسراحين ؛ وريحان ورياحين . فيقال فى تصغيرها ؛ سُلَيْطِين ، وسُرَيْحِين ورِييْحِين^(٤) . . .

(١) تحذف الهزة من الممدود ، وتقلب ألف الإلحاق ياء لأجل الكثرة . وتعل إعلال المنقوص (مثل : والٍ - داعٍ - هادٍ) فيقال : « عُلَيْبٌ » بالكسر والتنوين .

(٢) أى : مضموها ، ومكسورها ، ومفتوحها .

(٣) وبشرط زيادة الألف والنون ، وألا يكون مؤنثه بالياء .

(٤) أو : رُوَيْحِين ؛ لأن بعض اللغويين يقول : الياء فى : رِيْحَان ، أصلها واو ، بدليل رجوعها إلى أصلها عند التصغير ؛ فيقال : رُوَيْحِين . وكانت قبل التصغير : رِيْوَحَان (بياء ساكنة ، بعدها واو مفتوحة) ، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء ، وخففت الكلمة بحذف الياء المتحركة ، فصارت : رِيْحَان ، وعند تصغيرها تحذف هذه الياء الزائدة . وترجع الياء المحذوفة المنقلبة عن حرف أصل ؛ هو الواو .

وقال بعض آخر إن الكلمة لا تشتمل إلا على ياء واحدة وليس هناك قلب ولا إدغام ، بدليل جمعها على رباحين ، فهي مثل شيطان وشياطين ، وتصغيرها : رِييْحِين ؛ كشَيْيْطِين - راجع المصباح المنير ، مادة : راح) .

٥ - الحرف الواقع بعد ياء التصغير في صدر المركب المزجي ، نحو : تصغير : جُعَيْفَرَسْتَان ، اسم بلد فارسي .

ففي المواضع السابقة يجب ترك حركة الحرف الواقع بعد ياء التصغير كما كانت قبل تصغير الاسم على صيغة فُعَيْعِل ، أو فُعَيْعِيل^(١) . . .

٦ - الحرف المشدد بعد ياء التصغير ، بالإيضاح الذي سبق تفصيله^(٢) . . .

* * *

(١) فيما سبق من المواضع الخمسة يقول ابن مالك :

لِتِلْوَ «يا» التَّصْغِيرِ مِنْ قَبْلِ عِلْمٍ تَأْنِيثٍ ، أَوْ مَدَّتِهِ - الْفَتْحُ انْحَتَمَ - ٦

كَذَلِكَ مَا مَدَّةٌ : «أَفْعَالٌ» سَبَقَ ، أَوْ مَدَّ سَكْرَانٌ ، وَمَا بِهِ التَّحَقُّقُ - ٧

(لتلو . . . «يا» أي : لتالي «يا» التي للتصغير ، وهو الحرف الذي يليها ، ويحيى بعدها .

علم : علامة) .

وتقدير الكلام : الفتح انحتم لتالي ياء التصغير من قبل علامة تأنيث ؛ وهي التاء ، والألف المقصورة . أما المدودة فهي التي أشار إليها بقوله : أو مدته . وكذلك الفتح انحتم قبل ما سبق مدة «أفعال» ، يريد به : الحرف الذي قبل ألف «أفعال» ؛ لأن هذه الألف للمد . وكذلك الحرف الذي قبل «ألف» سكران . وما ألحق بسكران ما هو على وزن : «فعلان» مضموم الفاء أو مفتوحها أو مكسورها مع سكون العين في الحالات الثلاث ، بشرط ألا يكون تكسيره على «فَعَالَيْنَ» - كما شرحنا - وبشرط أن تكون ألفه ونونه زائدين . وأن يكون مؤنثه بغير التاء غالباً ؛ فخرج ما كان نونه أصلية ؛ كحَسَّان من الحسن ، وسِفَّان بمعنى : طويل ؛ لأن مؤنثه سَيِّفَانَةٌ . كما خرج : سِرْحَان ، لأن جمعه سراحين .

(٢) في رقم ١ من هامش ص ٦٩٥ .

بعض أحكام عامة في تصغير الأسماء الثلاثية ، وما فوقها :

١ - إذا كان ثاني الاسم حرف لين^(١) - ألفاً ، أو واواً ، أو ياء - منقلباً عن لين وجب إرجاعه إلى أصله الذي انقلب عنه ؛ كما في الأسماء التالية :

الاسم الذي ثانيه : لين	تصغيره مع إرجاع ثانيه لأصله	البيان
باب	بُؤَيْبُ	الأصل : بَوَّبٌ ؛ بدليل جمعه على : أبواب ، فالألف منقلبة عن واو تحركت ، وانفتح ما قبلها ؛ فصارت ألفاً ، وانتهت الكلمة إلى : باب . ومثلها ؛ مال وباع ^(٢) - وهذا أحد المواضع الأربعة ^(٥) التي تقلب فيها الألف واواً في التصغير إذا كانت ثانية .
مال باع ^(٢)	مُؤَيْلُ بُؤَيْعُ	الأصل : نَبِيْبٌ ، بدليل جمعه على : أنياب ، فالألف منقلبة عن ياء تحركت ، وانفتح ما قبلها ؛ فصارت ألفاً ، وانتهت الكلمة إلى : ناب ^(٦) .
ناب ^(٦) (بمعنى سن)	نُؤَيْبُ	وثل : ناب ، كلمتا : عاب ^(٣) ، وذام ^(٤) .
عاب ^(٣) ذام ^(٤)	عُؤَيْبُ ذُؤَيْسُ	

(١) سبق إيضاح معنى حرف اللين ، وحرف العلة في رقم ٣ من هامش ص ٦٦١ - والمراد هنا : حرف العلة .

(٢) الباع : مقياس قدره المسافة التي بين الكفين عند بسطهما وامتدادهما ، وإحداها متجهة يميناً ، والأخرى متجهة شمالاً . وهو مذكر واوى ، بدليل جمعه على : أبواع .

(٣) عيب . (٤) ذم .

(٥) ملخصة في رقم ٢ من ص ٧٠٧ . (٦) انظر الرأي الآخر في أول ص ٧٠٧ .

البيان	تصغيره مع إرجاع ثانيه لأصله	الاسم الذي ثانيه : لين
الأصل : مِوزَان ، (اسم آلة الوزن ؛ فعلها : وَزَن . وقعت الواو ساكنة بعد كسرة ، فقلبت ياء ، وانتهت الكلمة إلى : مِيزَان التي تجمع تكسيرا على موازين .	مُوزِنِين	ميزان
الأصل : دِوْمَة ، من الدوام . وقعت الواو ساكنة بعد كسرة ؛ فقلبت ياء ، وصارت الكلمة : دِيمَة .	دُؤِمَة	دِيمَة
والأصل : قِوْمَة ، لأنها من القَوَامِ (والفعل : قام — يقوم فهو واو) . وقعت الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء ، وصارت الكلمة : قِيمَة	قُؤِمَة	قِيمَة
الأصل : « مُيْتَقِن » ؛ لأن الفعل هو : أيقن . واسم الفاعل هو : مُيْتَقِن ؛ وقعت الياء ساكنة بعد ضمة ؛ فقلبت واواً ، وانتهت الكلمة إلى : مُوَقِن .	مُيْتَقِن	مُوقِن
الأصل : مُيْسِر ؛ لأن الفعل هو : أيسر أى : صار . ذا يُسَّر — واسم الفاعل منه هو : مُيْسِر ، وقعت الياء ساكنة بعد ضمة ؛ فقلبت واواً ، وانتهت الكلمة إلى : مُوسِر .	مُيْسِر	مُوسِر
ومثل موسر كلمة : مُوْنَع ، الفعل . أئنع .	مُيْسِر	مُوْنَع

هذا هو الأصل العام الذي يجب مراعاته ، وما ورد مخالفاً له فشاذاً لا يقاس عليه ؛ كالذى سمع من تصغيرهم كلمة : « عِيد » على : عَيْيْدٌ ؛ والقياس : « عُوَيْد » لأن الفعل : عاد يعود . فالأصل واو .

فإن كان ثانياً الاسم غير لين ولكنه منقلب عن لين بقى الثانى على حاله ولم يرجع لأصله - فى الرأى الأرجح - نحو : مُتَعِيدٌ ^(١) وأصلها : مُوْتَعِيدٌ ، قلبت الواو تاء ، وأدغمت التاء فى التاء . وانتهت الكلمة إلى : مُتَعِيدٌ ، فيقال فى تصغيرها : مُتَعِيدٌ ، لا مُوْتَعِيدٌ .

وإن كان ثانياً الاسم حرف لين ولكنه منقلب عن حرف صحيح فإن كان منقلباً عن همزة قبلها همزة لم يرجع لأصله ، وانقلب واواً ؛ نحو آدم ؛ فإن ثانيه حرف لين منقلباً عن همزة ، والأصل : أَدَم (بهمزة مفتوحة ، فهمزة ساكنة) قلبت الهمزة الثانية ألفاً ؛ لوقوعها ساكنة بعد فتحة ، فيقال فى تصغيرها : أُوَيْدَم ، بقلب الثانية « واواً » لا بإرجاعها إلى أصلها الهمزة - وهذا موضع من المواضع التى يقلب فيها الثانى واواً ، وسيجىء - .

أما إن كان الثانى ليناً مبداً من حرف صحيح غير همزة ، أو مبداً من همزة لم تسبقها همزة ؛ فالواجب إرجاعه إلى أصله ، نحو : دينار وقيراط ، وأصلهما : دِنَارٌ وقِرَاطٌ - بتشديد النون والراء ، بدليل جمعهما على : دنانير وقاريط - فيقال فى تصغيرهما : دُنَيْيِرٌ . وقُرَيْرِيْطٌ ؛ بإرجاع ثانيهما - وهو : الياء - إلى أصله النون والراء . ونحو : ذَيْبٌ ورِيْمٌ ؛ وأصلهما : ذَيْبٌ ورِيْمٌ ^(٢) فيقال فى تصغيرهما ذُوَيْبٌ ورُوَيْيْمٌ ^(٣) . . .

(١) بمعنى : مُوْتَعِيدٌ .

(٢) الرُّيْمُ : الظبي الأبيض الخالص البياض .

(٣) وفيما سبق يقول ابن مالك :

وَأَرْدُدْ لِأَصْلِ ثَانِيًا لَيْنًا قَلْبُ فَقِيْمَةً صَيَّرَ : «قُوَيْمَةً» تُصَبُّ - ١٤
وَشَدَّدْ فِي عِيدٍ عَيْيْدٌ . وَحُتِمَ لِلْجَمْعِ مِنْ ذَا مَا لِتَصْغِيرِ عُلْمٌ - ١٥

يقول : اردد إلى الأصل كما . حرف ثان ، لين ، انقلب عن حرف آخر ، ولم يصرح بأنه منقلب عن حرف لين أيضاً ، اكتفاء بالمثال الذى ساقه ، وهو : قيمة ؛ وتصغيرها : قُوَيْمَةٌ . فالثانى حرف لين منقلب عن لين . وبين بعد ذلك : أن تصغير : « عِيد » على : « عَيْيْد » شاذ ، لأن ثانیه لم يرجع إلى أصله الواو - كما شرحنا - وبين أن هذا الإرجاع يراعى فى جميع التفسير أيضاً كما روى فى التصغير .

هذا ، والكوفيون يحيزون في الألف المنقلبة عن ياء ، في مثل : ناب ، وفي الياء الأصلية التي في مثل : شَيْخ ، قلبهما عند التصغير واوًا ؛ فيقولون : نُؤَيْب ، شُؤَيْخ . ورأيهم ضعيف ؛ إذ لا تؤيده الشواهد المتعددة^(١) . ومن الشاذ ما سمع من تصغير : « بَيْضَة » على : « بُؤَيْضَة » بالواو .

٢ - إذا كان ثاني الاسم حرفًا زائدًا (ليس منقلبًا عن أصل) ، نحو : فاهم - عالم . . . ، أو كان مجهول الأصل ؛ ومنه : صاب^(٢) ، وعاج ، وراف^(٣) ، وجب قلبه واوًا ؛ فيقال في التصغير : فُؤَيْهَم - عُؤَيْلِم - صُؤَيْب - عُؤَيْج ، رُؤَيْف . . .

(وقد سبق الكلام على حالات أخرى يجب فيها قلب الألف الثانية واوًا) .
فالحالات أربع : الألف التي أصلها الواو - الألف المنقلبة عن همزة تلي همزة الألف الزائدة - الألف المجهولة الأصل - الألف الثانية الزائدة (أى ؛ غير المنقلبة عن أصل) .

أما الياء فتبقى ياء في موضع واحد ، هو أن يكون أصلها الياء^(٤) ؛ نحو : شَيْخ وشُيَيْخ - كما تقدم .

٣ - إن كان آخر الاسم حرفًا منقلبًا عن أصل وجب عند التصغير إرجاعه لأصله ؛ سواء أكان الآخر حرف لين ؛ مثل : مَلْهَى ، أم غير لين ، مثل : ماء وسقاء . فألف : « مَلْهَى » أصلها الواو ، لأنه من اللهور . وهمزة : « ماء »

(١) تقدم الرأي الأرجح في ص ٧٠٤ . لكن وافق جميع اللغة العربية على استعمال المذهب الكوفي ؛ طبقًا لما جاء في ص ١٥٤ من كتابه الجمعي الذي أصدره سنة ١٩٦٩ ، ونص قراره تحت عنوان : (تصغير ما ثانيه حرف علة) هو : (ما ثانيه ألف ، أو واو ، أو ياء ، من الاسم الثلاثي يرد إلى أصله عند التصغير ، ويجوز فيما أصل ثانيه الياء أن يقلب واوًا عند التصغير أخذًا بمذهب الكوفيين فيه ، وتجوز ابن مالك له ، ولورود السباع به ؛ وصدر القرار في مؤتمر دورة سنة ١٩٦٧ وعلى هذا يجوز في تصغير : عين وشيخ وليفة ، وشي . . . أن يقال : عُؤَيْتَة ، وشُؤَيْخ ، ولُؤَيْفَة ، وشُؤَيْء) ، هـ .

(٢) اسم نبات مُرّ . (٣) اسم بلد .

(٤) وفي هذا يقول النازم :

وَالْأَلْفُ الثَّانِي الْمَزِيدُ يُجْعَلُ واوًا . كَذَا مَا الْأَصْلُ فِيهِ يُجْعَلُ - ١٦

أصلها الهاء ، بدليل تكسيره على : مياه وأمواه . وهمزة : « سقاء » ، أصلها : الياء لأنه من السَّقَى . فيقال في تصغير مَلْهَيْ : « مَلْهَيْهَيْ » بإرجاع الألف إلى الواو ، وقلب الواو ياء ؛ لتطرفها بعد كسرة ؛ فتصير : مَلْهَيْهَيْ ... ، وعند التنوين : مَلْهَيْهَيْ . ويقال في تصغير ماء : مَوَيْه ، وفي تصغير : سقاء : سَقَيْ ، بتشديد الياء ...

٤ - إذا حذف من الاسم الحماسي فما فوقه - بسبب التصغير - بعض أحرفه ، جاز زيادة ياء قبل آخره ؛ تعويضاً عن المحذوف . بشرط ألا يوجد قبل آخره ياء . ولا يجوز الجمع بين العوض والمعوّض عنه ؛ فيقال في سفرجل : سَفَرَج ، بغير تعويض ، أو : سَفِيرَج بالتعويض ، ويقال في مستنصر : مُسْتَنْصِر . و : منيصير (وقد سبقت الإشارة لهذا)^(١)

٥ - إذا ولي ياء التصغير ياءان^(٢) وجب حذف أولاهما ؛ فيقال في : « سماء » عند تصغيرها : سُمَيْيَّة (طبقاً لما أوضحناه من قبل)^(٣) ، وفي سِقَاء : سَقَيْ . وفي عَشِيَّة : عَشِيَّة ، كما يقال في : « ثُرَيَّا » عند جمعها جمع مؤنث سالم : « ثُرَيَّات »^(٤) وفي « عَشِيَّة » المصغرة : عَشِيَّات . والأصل قبل حذف الياء : ثُرَيَّيَّات ، وعَشِيَّيَّات .

(١) في ص ٦٩٦ : وإلى التعويض في جمع التكسير ، وفي التصغير أشار ابن مالك بقوله السابق . وجائز تعويض : « يا » قبل الطرف إن كان بعض الاسم فيها انحذف (٢) بشرط اجتماع الياءات الثلاث في الطرف ، متوالية ، وبعد عين الكلمة ، فلا يرد تصغير : « مِهْيَام » على : « مِهْيَم » و « حَي » على : « حَيْي » « الصبان » . (٣) في رقم ٤ من هامش ص ٦١٥ و ص ٦٩٣ وليس من هذا التصغير : « كَي » وقد تقدم في ص ٦٩١ .

(٤) أصل المفردة : ثُرَوَى ، مؤنثة ؛ يَأْلَفُ التَّأْنِثُ المقصورة ؛ من قولهم : امرأة ثُرَوَى ؛ أى ذات مال . والتصغير : « ثُرَيْوَى » . اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون ، قلبت الواو ياء (طبقاً لقواعد الإعلال والإبدال) وأدغمت الياء في الياء ، فصارت الكلمة : « ثُرَيْيَا » بياء مشددة بعدها ألف التأنيث المقصورة . فإذا أريد جمع : « ثُرَيْيَا » جمع مؤنث سالم وجب قلب هذه الألف الخامسة ياء ، (طبقاً لقواعد هذا الجمع) ، فيقال : « ثُرَيْيَّات » بثلاث ياءات ، الأولى منها ياء التصغير ، وبعدها ياءان . فيجب حذف أولاهما ؛ فيقال : « ثُرَيْيَّات » ... بالاختصار على ياء التصغير وواحدة أخرى مدغمة فيها . (وقد سبق بيان تام لهذا في رقم ٤ من هامش ص ٦١٥ وبعده عرض لمذهب كوفي ، في رقم ١ من هامش ص ٦١٦)

٦ - إذا وقع بعد ياء التصغير حرف مشدد فقد يصح عند بعض النحاة قلبها ألفاً للتخفيف ، كما في : دُوَيْبَّة ، وشُوَيْبَة ، تصغير : دابة وشابّة ، فيقال دَوَابَّة وشَوَابَّة . والأحسن قصره على السماع . أما الطريقة القياسية والنطق بالكلمة المشددة بعد تصغيرها فقد سبقت^(١)

٧ - الاسم المصغر لا يصح جمعه جمع تكسير للكثرة ؛ لأنها - كما سبق^(٢) - تعارض القلة المفهومة من التصغير . وأيضاً ، لعدم وجود صيغة للكثرة تلائمه عند اشتماله على ياء التصغير ، ولو حذفت هذه الياء لأمكن جمعه مع اللبس ، لعدم وجود العلامة التي تدل على تصغيره ، وتفرق بينه وبين غير المصغر ؛ ولهذا لا يصح تكسيه كما لا يصح تصغير الاسم المجموع جمع تكسير للكثرة . أما المجموع جمع قلة - فيصح - كما تقدم^(٣) . -

٨ - الاسم المصغر ملحق بالمشق ؛ لأنه يتضمن وصفاً في المعنى ؛ ولهذا يصح وقوعه نعتاً ، وغيره ، مما يغلب عليه الاشتقاق .

٩ - التصغير يؤدي إلى منع الاسم من الصرف أحياناً ، أو إلى عدم منعه طبقاً للبيان المفصل الذي سبق في باب الممنوع من الصرف^(٤)

١٠ - التصغير - كالتكسير - يرد الأشياء إلى أصولها ؛ كالأشياء التي مرت في مواضع متفرقة من هذا الباب .

١١ - الأصح أن العلم إذا صغر لا تزول علميته^(٥) .

(١) في رقم ١ من هامش ص ٦٩٥ .

(٢) في ص ٦٨٢ و ٦٨٨ .

(٣) راجع التصريح والجمع وحاشية الصبان أول الباب عند الكلام على شرط التصغير وقد سبقت

الإشارة لهذا في رقم ٨ من ص ٦٨٢ و ص ٦٨٨ .

(٤) ص ٢٧٥ .

(٥) لأن التصغير أمر عرضي ، يفيد معنى طارئاً على العلم ، كما يفيد النعت أو غيره من التوابع

والقيود أمراً عرضياً لا يفقد العلم بسببه علميته - وقد أشرنا لهذا في باب العلم ، ج ١ م ٢٣ ص ٢٣٦ -

المسألة ١٧٦ :

النوع الثاني ^(١) : تصغير الترخيم ^(٢) ، وطريقته

هو : « تصغير الاسم ^(٣) الصالح للتصغير الأصلي ، بعد تجريده مما فيه من أحرف الزيادة » . فلا بد من : صلاحه . . . ، واشتماله قبل تصغير الترخيم على بعض الزوائد . ولا بد من حذفها قبل إجرائه .

وله صيغتان ، إحداهما « فُعَيْلٌ » ؛ لتصغير الاسم ثلاثي الأصول . والأخرى « فُعَيْعِلٌ » لتصغير الاسم رباعي الأصول .

(١) فإن كانت أصوله الباقية بعد حذف الزوائد ثلاثة صُغِرَ على صيغة : « فُعَيْلٌ » ، وتزاد عليها تاء التأنيث إن كان مسماها ومدلوله الحالى مؤنثاً ؛ فيقال فى حامد : حُمَيْدٌ ، وفى مِعْطَافٍ : عُطَيْفٌ ، وفى شادن (لأنثى) : شُدَيْسَةٌ . كما يقال فى فُضَيْلٍ . وحمراء ، وحُبَلَى : فُضَيْلَةٌ ، وحُمَيْرَةٌ ، وحُبَيْلَةٌ ، بزيادة تاء التأنيث فيهن . وإنما تزداد هذه التاء فى المؤنث للفرقة بين مصغره ومصغّر المذكر . إلا إذا كان المصغر وصفاً فى الأصل من الأوصاف المختصة بالإناث فلا يصح مجيء التاء . فيقال فى تصغير حائض وطالق : حُيَيْضٌ وطُلَيْقٌ ؛ بحذف ألفهما ، وبغير زيادة تاء التأنيث على صيغتهما ، التى هى فى أصلها وصف لمذكر ^(٤) . . .

وكما يقال فى تصغير « حامد » : حُمَيْدٌ ، يقال كذلك فى تصغير : أحمد . ومحمود . وحمّاد ، ومحمدون . . . فجميعها يصغر على : حُمَيْدٌ ، ويكون التمييز بينها ومعرفة ما كانت عليه قبل التصغير بالقرائن الأخرى التى تُميز كل واحد وتمنع اللبس .

(١) أما النوع الأول فقد سبق فى ص ٦٨٨ .

(٢) أصله : نون الترخيم ، بمعنى الضعف ، بسبب ما فيه من الحذف .

(٣) سواء أكان علماً ، أم وصفاً مشتقاً ، نحو : وريق ، فى تصغير أورك .

(٤) قال الصبان فى إيضاح هذا ما نصه : « (هى فى الأصل صفة لمذكر ، والأصل : شخص حائض ، وشخص طالق ؛ فضعفت عن نحو : «سوداء وسعاد» فى اقتضاء التاء ؛ فروعى فيها الأصل ولولا ذلك للحقته التاء ؛ لأنه مؤنث ثلاثى فى المال ، وذلك إذا صغر تصغير الترخيم فهو كحبل .) » اهـ .

(ب) وإن كانت أصول الاسم الباقية بعد حذف زوائده أربعة صغّر على صيغة : « فُعَيْعِل » ، فيقال في قِرطاس وعُصفور : قُرَيْطِس وعُصَيْفِر ، (١) . . .

(ح) لا مجال في تصغير الترخيم لصوغ الاسم المجرد على صيغة : « فُعَيْعِل » لأنها صيغة مشتملة على بعض أحرف زائدة ؛ فلا يصغر الاسم على وزنها إلا إذا كان محتوياً على أحرف زائدة ، وهذا مناقض لتصغير الترخيم .

(د) الغرض من تصغير الترخيم هو الغرض من التّصغير الأصلي . وقد يكون الدافع إليه : التودد ، أو التدليل ، أو الضرورات الشعرية .

(١) وفي تصغير الترخيم يقول ابن مالك :

وَمَنْ بِتَرْخِيمٍ يُصَغَّرُ اكْتَفَى بِالْأَصْلِ ؛ كَالْعُطِيفِ ، يَعْنِي : الْمِعْطَفَا

زيادة وتفصيل :

إذا أريد تصغير : « إبراهيم وإسماعيل » تصغير ترخيم فالقياس عند سيبويه أن يقال بُرَيْهَيْم ، وَسُمَيْعِيل^(١) . . . بحذف زوائدهما فقط ؛ وهي الهمزة ، والألف والياء^(٢) . وعند غيره : أَبَيْرَه ، وَأُسَيْمِيع ، لأن الهمزة عندهم أصيلة ؛ لوقوعها قبل أربعة أحرف أصلية^(٣) ، وهي لا تزداد في أول الكلمة المشتملة على أربعة أصول ، فيحذفون الألف والياء الزائدين ، والخامس الأصلي ودو الميم ، واللام ؛ لأن بقاءه يُخلّ بالصيغة .

ويجوز هذا ، الخلاف أيضاً في التصغير لغير الترخيم في جمع التكسير ؛ فقياسهما عند سيبويه بُرَيْهَيْم ، وَسُمَيْعِيل ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، بحذف الزوائد المحلة بالصيغة ، وهي الهمزة والألف دون الياء ؛ لأنها حرف لين قبل الآخر وعند غيره : أَبَيْرَه ، وَأُسَيْمِيع ، وأبَارِه ، وأسَامِيع ؛ بحذف خامس الأصول : لإخلاله بالصيغة ، وبحذف الياء قبله ، لزيادتها وقلب الألف ياء ، لصيرورتها ليناً قبل الآخر .

(١) انظر الخضرى .

(٢) أما الميم واللام فأصليتان عنده ، إذ لا تنطبق عليهما أوصاف زيادتهما .

(٣) ويحيز الكوفيين : براهم وسماعل ، بلا ياء ؛ وبراهمة ، وسماعة ، بتمويض الهاء عن الياء

(وقد سبق الكلام على هذا التمويض : (ج ص ٦٧٢) .

النسب

يَتَضَحُّ معناه مما يأتى :

الاسم يدل على معنى مفرد ، لا يزيد عليه شيئاً ؛ كمحمد ، وفاطمة ، ومصر ، ومكة ، وبغداد ، ودِمَشْق ، وحديد ، وكتاب ... ونظائرها من سائر الأسماء ، ولا يدل واحد منها إلا على : مُسَمَّاه . أى : على الشيء الذى سُمِّيَ به — كما عرفنا^(١) .

لكنْ أو زدنا فى آخر الاسم ياء مشددة قبلها كسرة ، (فقلنا : محمدى ، أو : فاطمى ، أو : مصرى ، أو : مكى ، أو : بغدادى ، أو : دِمَشْقى ...) لنشأ من هذه الزيادة اللفظية الصغيرة زيادة معنوية كبيرة ؛ إذ يصير اللفظ بصورته الجديدة مركباً من الاسم الذى يدل على مسماه ، ومن الياء المشددة التى تدل على أن شيئاً منسوباً لذلك الاسم ؛ أى : مرتبطاً به بنوع ارتباط يصل بينهما ؛ (كقراءة ، أو صداقة ، أو نشأة ، أو صناعة ... أو غير هذا من أنواع الروابط والصلات) ؛ فنسمع لفظ : « محمدى » ، لا بد أن يفهم سريعا أمرين معاً ؛ هما : « محمد » الدال على مسمى ، وشيء آخر منسوب إلى محمد ، أى : متصل به بطريقة من طرق الاتصال ، (كالقراءة أو الصداقة ، أو التعلم ، أو غيره — كما قلنا —) وكذلك من يسمع لفظ : فاطمى ، أو : مصرى ، أو : مكى ، أو : ما هو على شاكلتها ، لا بد أن يفهم الأمرين معاً فى سرعة ووضوح . ولهذا تُسمى تلك الياء : « ياء النسب » ، لأنها الرمز الدالّ فى اختصار بالغ على أن شيئاً منسوباً لآخر . فبدلاً من أن نقول : شيء منسوب لمحمد ... نقول : « محمدى » . وبدلاً من أن نقول : شيء منسوب لفاطمة ... نقول : « فاطمى » . وهكذا ... ويسمى الاسم الذى تتصل بآخره : « المنسوب إليه » ، كما يسمى الشيء الذى تدل عليه وعلى أنه مرتبط ومتصل بما قبلها : « المنسوب » .

(١) سبق بيان هذا فى موضعه الخاص (ج ١ ص ٢١٥) . ودلالة الاسم على مسماه إنما تتحقق إذا كان فى جملة ؛ وبدونها لا يدل على شيء ، فيكون مجرد صوت ...

فكل لفظ مشتمل على هذه الياء — مما سبق، ومن نظائره — هو معها في الوقت نفسه منسوب ومنسوب إليه بانضمامها له ؛ فهما معاً شيئان محتفظان بالدلالة السابقة، برغم الاختصار اللفظي المبين .

وبسبب الأثر المعنوي السالف يعتبر الاسم المشتمل على ياء النسب مؤولاً بالمشتق^(١) — أى : في حكمه — لتضمنه معنى المشتق ؛ إذ معناه : « المنسوب إلى كذا » ، بشرط أن تكون الياء المشددة زائدة لإفادة النسب وقت الكلام ، (ويسمى النسب المتجدد^(٢)) ، وليست من بنية الاسم ؛ ككرونى ، ولا للنسب بحسب أصلها السابق لا بحسب حاضرها الدال على إهمال النسب ، وعلى أنها لا تؤدي معنى مستقلاً ، وإنما هي بمنزلة حرف من بنية الكلمة ، كمن اسمه : بدوى ، أو : مكى ومثل : مهري وبخيتي . . . (٢) فالياء في هذه الكلمات ليست للنسب المتجدد .

وله أحكام^(٣) لفظية نعرض لها فيما يلي :

أحكامه اللفظية :

(١) لا بد في النسب من زيادة ياء مشددة على آخر الاسم « المنسوب إليه » ، (ولا تزداد إلا في آخر اسم) . ويجرى عليها الإعراب بعلاماته المختلفة تبعاً لحال الجملة . ولا بد أيضاً أن يكون قبلها كسرة . ومن الأمثلة قول أحد الرحالين : (لا يشعر العربي بالغربة فوق أرض عربية ؛ فالحجازي في الشام ، كالشامي في

(١) فيصلح للمواضع التي تحتاج إلى مشتق (كالنعت . وقد يرفع اسماً بعده كما يرفعه المشتق ، مثل : هاشم عربي أبوه . وهذا أثر حكى من آثار النسب الحكيمة . — انظر رقم ٤ من الهامش التالي . — وقد يخصص كالمشتق ويوضح (كما نص على هذا صاحب الحاشية على التصريح) ومعلوم أن كلا من « التخصيص والتوضيح » ، يغطون على أغراض تدعو إليه ؛ كالمح ، والذم ، والتقدير

(٢ ، ٢) سبق بيان النسب المتجدد وغير المتجدد ، وتوضيحه بالأمثلة في ص ٦٥٩ وهامشها .

(٣) جرى سبويه على تسمية هذا الباب : بالإضافة ، أو : النسبة ، وعقد له في كتابه (ج ٢ ص ٦٩) باباً مستقلاً عنوانه : (هذا باب الإضافة ، وهو : باب النسبة) ، كما سمي الياء المشددة الخاصة بالنسب : (ياء الإضافة) ، وقال النحاة عن هذه الإضافة إنها إضافة معكوسة كالإضافة الفارسية التي يتقدم فيها المضاف إليه على المضاف ، وذلك أن من يقول : (غلام على) يجعل الغلام مضافاً « وعلى » هو المضاف إليه ، ومن يقول عن الغلام : (علوي) يجعل : « عليا » هو المنسوب إليه وقد تقدم . والياء المشددة للنسب قائمة مقام الرجل المنسوب ، وهو : الغلام .

الحجاز ، وهما في مصر ، كالمصريّ عند هما ، والمغربيّ يلتقي المشرقّ في موطنه أيام الحج ، ويجوس دياره ؛ فلا يُحسّ وحشة ولا اغتراباً . وحيثما يتنقل العربيّ في مواطن العروبة يجد أهلاً بأهل^(١) ، وجيراناً بجيران^(٢)

— (ب) لا بد من إجراء تغييرات لفظية في آخر الاسم الذي تتصل به ياء النسب ، وتغييرات أخرى في الحرف الذي قبل الآخر^(٣) وأشهر التغييرات اللفظية التي تطرأ على الآخر الذي تتصل به هذه الياء مباشرة^(٤) — ما يأتي :

١ — حذف هذا الحرف الأخير إن كان ياء مشددة مسبقة بثلاثة أحرف أو أكثر ، سواء أكانت هذه الياء في الأصل للنسب ؛ (نحو : يمنيّ — أفغانيّ — شافعيّ . . . ، أعلام رجال) أم كادت لغير النسب ؛ (نحو : كرسيّ — كرّكيّ^(٥) —

(١) الباء بمعنى : بدل ، أي : أهلاً بـ بدل أهل . . .

(٢) وفي هذا يقول ابن مالك في أول الباب وعنوانه : « النسب » :

« ياءٌ » كَيْاءٌ « الكرسيّ » زَادُوا فِي النَّسَبِ وَكُلُّ مَا تَلِيهِ كَسْرُهُ وَجَبَ - ١

يقول : إن العرب — ومن نطق بلغتهم — زادوا عند إرادة النسب ياء كياء « الكرسيّ » في أنها مشددة ، وفي أنها آخر الاسم ، وأن الحرف الذي قبلها لا بد أن يكون مكسوراً ، — أي : أنها تلي حرفاً مكسوراً دائماً — غير أن ياء النسب زائدة على آخر الاسم ؛ بخلاف ياء « الكرسيّ » .

(٣) وهذه يجيء تفصيلها في ص ٧٢٨ .

(٤) عرض النحاة بشيء من التفصيل لما يحدثه « النسب » من تغيير ، فقالوا : إن أهم التغييرات التي يحدثها ثلاثة :

أولها : تغيير معنوي ، بأن يجعل اللفظ المشتمل على ياء النسب اسماً لشيء لم يكن اسماً له من قبل ، بمعنى أنه يجعل ذلك اللفظ اسماً للنسب ؛ بعد أن كان من غير ياء النسب اسماً للنسب إليه .

ثانيها : تغيير حكمي بأن يجعل الاسم المختوم بياء النسب في حكم الصفة المشبهة ؛ فيعامل معاملتها في رفعه الظاهر والمضمر باطراد (كما تقدم في بابها - ٣ -) . وكما أشرنا في هامش الصفحة السالفة) . ويتصل بهذا دلالاته على « التخصيص والتوضيح » طبقاً لما صرح به صاحب الحاشية على التصريح وما ينطوي عليه كلاهما من الأغراض التي أشرنا إليها في رقم ١ من هامش ص ٧١٤

ثالثها : تغيير لفظي ، سيجيء بيانه الآن ، ثم في ص ٧٢٨ حيث التغييرات التي تطرأ على الحرف الذي قبل الآخر .

ما سلف يتبين المراد من قول النحاة : إن النسب يحدث تغييرات ثلاثة . — (راجع التصريح ، والأشموني ، والصبان ، في أول هذا الباب .)

(٥) اسم طائر .

مَرْمِيٍّ^(١)... ، فلا بد من حذف هذه الياء المشددة ؛ لتحل محلها ياء النسب الزائدة :
فِيصِير اللفظ في صورته الجديدة بعد الحذف والزيادة كما كان في صورته الأولى
بغير أن يتغير مبناه الظاهر^(٢) - بالرغم من تنكير معناه - ، فيقال في النسب إلى
الكلمات السالفة : يَمْنَى^(٣) - أَفْغَانِي - شَافِعِي - كَرْسِي - كَرْكِي - مَرْمِيٍّ . .

(١) أصلها : مَرْمُوءِيٌّ (اسم مفعول ، فعله : رَمَى) اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها
بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت في الياء ، ثم قلبت الفضة كسرة لتتناسب الياء ؛ فصارت الكلمة
هي : مَرْمِيٍّ . فالياء المشددة الأخيرة ، ياءان : إحداها زائدة ، وهي الأولى ، والأخرى أصلية ؛ لأنها
لام الكلمة . فالياء المشددة في آخر هذه الكلمة مختلفة في نوعها اختلافاً واسعاً عن التي في آخر
الكلمات التي قبلها . وسيجيء - في الصفحة التالية - لهذه الكلمة وأمثالها - حكم خاص .

(٢) قد يقال : ما الداعي لحذف ياء مشددة موجودة لتحل محلها ياء النسب المشددة من غير أن
يظهر فرق لفظي في صورتين ؟ غير أن الحقيقة الواقعة قد تخالف الشكل الظاهر أحياناً . ففى مثل :
« بُخْشِيَّ » (وهو نوع من الإبل) يجمع على : « بُخْشَاتِيَّ » ، وهذه « صيغة منتهى جموع » ، يمتنع
معها صرف الاسم . فإذا سمى شخص باسم : « بُخْشَاتِيَّ » وجب منع الاسم من الصرف ، مراعاة للأصل
السابق ، وحالة الجمعية القديمة (أى : لأنه الآن علم جاء على صورة : « منتهى الجموع ») .
أما عند حذف يائه المشددة في أصل هذه الصيغة ، وإحلال ياء النسب محلها ، فإنه لا يمنع من الصرف ؛
لأن الياء المشددة التي حذفت من تلك الصورة كانت آخر أحرف بنيتها ، وجزءاً من مادته التي يصير
بسببها داخلاً في صيغ منتهى الجموع . أما ياء النسب التي طرأت وحلت في موضع المحذوفة فزائدة عليه ،
وليست معدودة من حروف بنيتها التي ينتهى العلم بانتهائها ؛ ولهذا لا يمنع من الصرف .

ومثل هذا يقال في : « كَرْسِيَّ » ، فالتى آخرها ياء النسب تنون ، والتى آخرها ياء ليست للنسب .
لا تنون ، لأنها صيغة منتهى الجمع - بخلاف الأولى - ؛ ولهذا ينصرف ، نحو : « مَهْـلَاةٌ وَمَسَامِحَةٌ »
إذا حذفت التاء ودخلت عليها ياء النسب ، وكذلك : « مَسَاجِدِيَّ وَمَدَائِيَّ » ؛ لأن الياء فيهما ليست
جزءاً من الكلمة وإنما هي طارئة زائدة للنسب غير ملازمة لصيغة الكلمة ، وغير ثابتة في آخرها . -
وقد سبقت إشارة متممة لهذا في « د » من ص ٢١٣ . وكذلك في ص ٢٠٨ وهما شبهة رقم ٣

(٣) من العرب من يقول : « اليَمَانِيَّ » - يياء واحدة ساكنة في الآخر - في النسبة إلى :
« أَمِين » بدلا من أن يقول : « اليَمَنِيَّ » فهو يحذف الياء الأولى الساكنة ، من الياء المشددة التي في :
« أَمِينِيَّ » ، ويأتى بالفتحة عوضاً عنها بعد الميم ، فتصير الكلمة : « اليَمَانِيَّ » (يسكون الياء الأخيرة)
على صورة المنقوص . وتحذف هذه الياء عند تنوينه إذا تجرد من « أل » ومن « الإضافة » كالشأن
في المنقوص . وقد سمي بعض الأشخاص وغيرهم بهذه الكلمة . . فالحكم لو أردنا النسب إلى كلمة
« اليَمَانِيَّ » هذه ؟ أتُحذف الألف التي جاءت بعد الميم عوضاً عن الياء الأولى الساكنة المحذوفة - كما سبق -
وتحذف معها الياء الباقية ليتم بحذفها حذف الياء المشددة كاملة (بقسمها) قبل مجيء ياء النسب الجديدة
المشددة ؟ لأن هذه الألف مع الياء الباقية في المنقوص هما معاً بمنزلة الياء المشددة التي في آخر الاسم
الذي يراد النسب إليه ، والتي يجب حذفها لتحل محلها ياء النسب . إن الحكم هو الاقتصار على بقاء
الألف والياء الثانية ، وعدم حذفهما ؛ فوجودهما معاً يدل على النسب ويفني عن الياء المشدودة .
(انظر ما يتصل بهذا في ص ٧٤٦) .

من غير تغيير في هيئتها الظاهرة - بالرغم من تغير معناها كما قلنا - وهذا هو الحكم الذي يجب الاقتصار عليه .

ومن العرب من يقول في النسب إلى مثل مَرْمِيٍّ : « مَرْمَوِيٍّ » ؛ فيحذف من المشددة ياءها الأولى الساكنة الزائدة ، ويقلب الثانية واواً قبلها فتحة - للتخفيف - بشرط أن تكون إحدى الياءين - في المشددة - زائدة ، والأخرى : متقلبة عن أصل^(١) ؛ ويزيد بعدها ياء النسب . وبهذا الشرط تكون نوعاً آخر مختلفاً عما قبلها وعن سائر الأنواع الأخرى . وهذه اللغة ضعيفة^(٢) . . .

هذا إن كانت الياء المشددة التي في آخر الاسم مسبوقة بثلاثة أحرف أو أكثر - كما تقدم - فإن كانت مسبوقة بحرفين ؛ مثل : عَدَيٍّ ، وقَصَيٍّ ، وجب حذف الأولى منهما (وهي الساكنة) ، وقلب الثانية المتحركة واواً مكسورة ، قبلها فتحة ، وزيادة ياء النسب بعدها ، نحو : عَدَوِيٍّ ، وقَصَوِيٍّ . . .

وإن كانت تلك الياء المشددة مسبوقة بحرف واحدة ؛ مثل (طَيٍّ - رَيٍّ - غَيٍّ - حَيٍّ - بَيٍّ^(٣) - عَيٍّ^(٤)) . وجب قلب الياء الثانية واواً مكسورة قبل ياء النسب ، وإرجاع الأولى إلى أصلها الواو إن كان واواً ، وتركها ياء إن كان الياء ، مع فتح ثاني الاسم في الحالتين ، فيقال : (طَوَوِيٍّ - رَوَوِيٍّ - غَوَوِيٍّ) (حَيَوِيٍّ - بَيَوِيٍّ - عَيَوِيٍّ)^(٥) . . .

(١) لأن أصل : « مَرْمِيٍّ » هو : « مَرْمَوِيٍّ » ؛ فالواو : هي التي تزداد في صيغة اسم المفعول من الثلاث ، والياء هي المتقلبة عن حرف أصل ، هو الألف المرسومة ياء في آخر الفعل : رَمَى .

(٢) لا يقاس عليها عند أكثر النحاة ؛ فهي شاذة ، وفيها يقول الناطم :

وقيل في المَرْمِيٍّ مَرْمَوِيٍّ وأخْخِيرَ في اسْتِعْمَالِهِمْ مَرْمِيٍّ - ٨

أي ، أن المختار في استعمال العرب ، أو عند النحاة هو : مَرْمَوِيٍّ ، بحذف الياء المشددة كلها ، قبل زيادة ياء النسب ، ثم زيادة ياء النسب ، وليس المختار الاكتفاء بحذف الأولى الساكنة ، وقلب الثانية واواً ، ثم زيادة ياء النسب . (٣) أَلْبَيٍّ : الرجل الخسيس . (٤) مصدر : عَوَى . (٥) وفي هذا يقول الناطم في ألفيته :

وَنَحْوُ حَيٍّ فَتَحُ ثَانِيَهُ يَجِبُ وَارِدُهُ وَآوًا إِنْ يَكُنْ عَنْهُ قَلْبٌ - ٩
ويفهم من هذا أن الثاني الذي ليس أصله واواً - بل أصله ياء - يبقى على =

٢ - حذفه إن كان تاء التأنيث ؛ نحو : مكى - كوفى - حبشى ؛ فى النسبة إلى مكة ، وكوفة ، وحبشة (١) . . .

٣ - حذفه إن كان ألفاً خامسة فصاعداً ، سواء أكانت ألف تأنيث ؛ مثل : حُبَارَى (٢) وحُبَارَى ، أم ألف إلحاق ؛ مثل : حَبَرَكَى (٣) وحَبَرَكَى ، أم منقلبة عن أصل ؛ نحو : مُصْطَفَى ، ومصطفى (٤) .

وكذلك يحذف إن كان ألفاً رابعة ، بشرط أن يكون ثانى الاسم متحركاً ، ولا يكاد ينطبق هذا إلا على الرباعى الذى رابعه ألف تأنيث ؛ نحو : جَمَزَى وجَمَزَى (٥) . ! فإن كانت الألف رابعة والحرف الثانى ساكناً ، جاز حذفها وقلها واواً ؛ سواء أكانت زائدة للتأنيث ، أم الإلحاق ، أم منقلبة عن أصل ؛ مثل : حُبَلَى ، وأرطى (٦) ومَلَسَى . . . فيقال فى النسب : (حُبَلَى ، أو :

= حاله ياء مع فتح ما قبله أيضاً . وسبب الفتح فيها هو التخفيف ، بعدم وقوع ياء النسب بعد كسرتين متواليتين ؛ منعاً لاستيلاء الكسرة على أكثر أحرف الكلمة معها ، وهذا مما تكرهه العرب .

(١) وإذا كان المنسوب مؤنثاً زيدت تاء تأنيث بعد ياء النسب ، لتدل على تأنيثه ، لا على تأنيث المنسوب إليه ، فيقال : هذه الفتاة البارة عربية قاهرة . (وستجىء الإشارة لهذا آخر الباب ص ٧٤٦ - ٥ - ...) .

«ملاحظة» يشيع فى هذه الأيام استعمال كلمة : «الوَحدة» المفردة أصالة (أى : بغير نظر إلى جمعها بالألف والتاء الزائدتين ، - انظر «ج» من ص ٧٢٦ -) بمعنى : «التوحد والتجمع ، وعدم التفرق» ؛ مثل : (إنى من أنصار وَحدة الأم العربية ، فى وَحدتها قوتها ، وغناها ، وهبتها . وبغير هذه الوحدة تفقد أعظم وسيلة للعظمة ، والسلطان ، والسلامة من كيد أعدائها . . .) وهذا الاستعمال صحيح فصيح . لكن الخطأ الشائع كذلك هو ما يجرى على ألسنة كثيرين عند النسب إلى تلك الكلمة المفردة التى لا ينظر مطلقاً إلى جمعها المؤنث - لداع معنى ؛ كعدم وجود وحدات متعددة . . . - فينسبون إليها نسباً لا يمت إلى الصواب بصلة ، فيقولون : «وَحدوى» بزيادة واو قبل ياء النسب فى هذه الكلمة المفردة أصالة ، (أى : التى يقتضى المعنى وصحته النسب إليها ، دون نظر ولا اعتبار إلى أنها المفردة لجمع مؤنث سالم) مع أن زيادتها هنا على الوجه السالف خطأ لا سند له من صحة ، أو تصويب . وقد حاول أحد الباحثين أن يسلك سبيلاً لتصحيحه فلم يوفق لما أراد .

ومن المفيد الرجوع إلى «ج» من ص ٧٢٦ لأهميتها حيث بيان التوجيه الصحيح لاستعمال : «وَحدوى» وأمثالها بمعنى الواو قبل ياء النسب (٢) اسم إحدى الطيور .

(٣) من معانيه : الطويل الظهر ، القصير الرجلين ، والقرَاد .

(٤) لأنه من الصفوة ؛ فألفه أصلها الواو .

(٥) يقال : هذه فرس جمزى ، أى : سريعة .

(٦) اسم شجرة .

حُبْلَاوِيَّ) - (وَأَرْطِيَّ ، أَوْ : أَرْطَوِيَّ) ، (وَمَلْهَيَّ ، أَوْ : مَلْهَوِيَّ) ،
والأحسن في ألف التأنيث الحذف ، وفي غيرها القلب .

وإذا قلبت الألف الرابعة - بأنواعها الثلاثة السابقة - واواً جاز شيء ثالث
أيضاً - هو : زيادة ألف قبل الواو ، فنقول : حُبْلَاوِيَّ - أَرْطَاوِيَّ -
مَلْهَاوِيَّ^(١) .

أما إن كانت الألف ثالثة فلا يجوز فيها إلا القلب واواً ؛ نحو : فَتَيَّ -
وَفَتَوِيَّ - رَبَاوِيَّ - رِبَاوِيَّ - عَلَاوِيَّ^(٢)

٤ - إن كان الآخر همزة الممدود وجب^(٣) بقاؤها عند النسب إن كانت أصلية ؛
نحو : قَرَّاءَ وَقَرَّاءِيَّ ، وَبَدَّاءَ وَبَدَّاءِيَّ .

(١) راجع حاشية ياسين على التصريح وكذا الأشموني . . .

(٢) يقول ابن مالك في حذف الياء المشددة من آخر الاسم المنسوب إليه ، وحذف تاء التأنيث
ومدته (ويريد هنا بالمدّة : ألف التأنيث المقصورة) :

وَمِثْلُهُ مِمَّا حَوَاهُ احْذِفْ . و «تَا» تَأْنِيثٌ ، أَوْ مَدَّتُهُ - لَا تُثَبِّتَا - ٢

(احذف مثله - والضمير للمذكر ، وهو حرف الياء ، وقد أعاد الضمير عليها مرة أخرى مؤنثاً ، يريد
به : « الكلمة » التي هي الياء أيضاً . مما حواه ، أى : احذف مثل ياء الكرمي المشددة من الاسم الذي
يجوزها عند النسب إليه) . ثم قال : لا تثبت تاء التأنيث ولا مدته في الاسم المنسوب إليه ، بل
احذفهما . ثم بين حكم الألف الرابعة إذا كانت للتأنيث ، وثاني الاسم ساكناً ، فحكم بجواز حذفها
وقلبها واواً . - وترك أمراً ثالثاً زدناه في الشرح - قال :

وإن تَكُنْ تَرْبِعُ ذَا ثَانٍ سَكَنَ فَقَلْبُهَا وَאוًا وحذفها حَسَنٌ - ٣

(تربع ، أى : تكون رابعة) ، ثم بين بقية أنواع الألف التي تشبهها في الحكم السالف ، وهي
ألف الإلحاق ، والألف المنقلبة عن أصل ؛ فقال :

لِشِبْهَهَا : الْمُلْحَقِ ، وَالْأَصْلِيِّ مَا لَهَا . وَلِلْأَصْلِيِّ قَلْبٌ يُعْتَمَى - ٤

(يعتى : أى : يختار . المراد بالأصليّ : المنقلب عن أصل ؛ لأن الألف لا تكون أصلية
إلا في الحرف أو ما يشبه الحرف ؛ مثل : « ما » الانسية) . وبين حكم الألف الزائدة على الأربعة
فقال :

وَالْأَلْفُ الْجَائِزَةُ أَرْبَعًا أَرْبَعًا ٥

« الجائز أربعة » : الذي جاوزاها ، وزاد عليها . وبقية البيت تتعلق بحذف ياء المنقوص الآتية .
(٣) في الرأى المعتمد .

ووجب قلبها واواً إن كانت للتأنيث ؛ نحو : حمراء وحمراوى ، وخضراء وخضراوى .
ويجوز بقاؤها وقلبها واواً إن كانت منقلبة عن أصل (سواء أكان الأصل
واواً ، أم ياء ، أم غيرهما ^(١)) أو كانت للإلحاق ؛ فيقال فى كساء : كسائى
أو كساوى - وفى بنساء : بنائى أو بناوى - وفى علباء : علبائى أو علباوى . . .
أى : أن همزة الممدود يجرى عليها فى النسب ما يجرى عليها فى التثنية ^(٢) . . .

٥ - حذفه إن كان ياء منقوص خامسة أو سادسة ، نحو : (مهتد ،
ومقتد) و (مستعلٍ ومستغنٍ) فيقال فى النسب إليها : (مهتدى - مقتدى -
مستعلّى - مستغنّى) .

فإن كانت الياء رابعة فالأحسن حذفها . ويصح - بقلة - قلبها واواً مسبوقة
بفتحة ^(٣) ؛ نحو : (راعٍ وراعى ، - وراعوى) - (وهادٍ وهادى ، وهادوى .
وإن كانت ثالثة وجب قلبها واواً مسبوقة بفتحة ؛ ^(٣) نحو : (شجٍ ^(٤)
وشجوى - (رضٍ ^(٥) ورضوى) - (عَظٍ ^(٦) وعَظوى) - (عَمٍ وعَموى) .
ولا بد من فتح ما قبل الواو - تخفيفاً - فى جميع الحالات التى تنقلب فيها
ياء المنقوص واواً ؛ نحو : راعٍ وراعوى ، وشجٍ وشجوى ^(٧) . . .

(١) ليست كلمة : « ماء » من نوع « الممدود » عند النحاة ، (طبقاً لتعريفه عندهم وقد سبق
فى ص ٦١٠) ولكن بعضهم يذكرها هنا ليدل على أن المسموع فى النسب إليها هو : مائى ، وماوى ،
مع أن همزتها مبدلة من هاء .

(٢) وقد سبق حكمها فى ص ٦١٧ - وفى همزة الممدود يقول الناظم :

وهمزُ ذى مدٍّ يُنَالُ فى النَّسَبِ مَا كَانَ فى تثنِيَةٍ لَهُ انْتَسَبُ - ١٥

(ينال ؛ بالبناء للجهول ، أى : يعطى ، أو : بالبناء للمعلوم ، أى : يصيب) .

(٣ و ٣) يفتح ما قبل هذه الواو ؛ لكيلا تقع ياء النسب بعد كسرتين متواليتين فى المنقوص ،
وهذا ما يستثقله العرب ، ويفرون منه قدر الاستطاعة .

(٤) حزين . (٥) بمنى : راضٍ .

(٦) عَظِيّ الحِلْم ؛ فهو : عَظٍ ، انتفخ بطنه من أكل نبات يسمى : العُظْطُوان .

(٧) وفى حذف ياء المنقوص الخامسة يقول الناظم فى البيت الخامس السابق :

كذلك « ياء » المنقوص خامساً عُزِلَ - ٥

(عزل : أى : طرح بعيداً وحذف) . ويقول فى ياء المنقوص الرابعة : إن حذفها أولى من قلبها واواً . =

فإن كان الآخر مختوماً بواو رابعة فصاعداً ، وقبلها ضمة ، حذفت الواو فيقال في النسب إلى : تُنْدُوَّة^(١) وَقَلَسُوءَة : تُسْنِدِيّ وَقَلَسُيّي . فإن كانت الواو ثالثة وقبلها ضمة حذفت الواو عند سيبويه فيقال في «عَدُوَّة» : عَدَوِيّ ، بفتح الدال التي هي عين الكلمة ، وحذف الواو الأولى . وإنما فتحت الدال قبلها لتصير الكلمة على وزن : «فَعَلِيّ» لأن «سبويه» لا يفرق بين «فَعُولَة» و «فَعِيلَة» عند النسب ، بشرط وجود التاء في آخرهما ، فيجعلهما على وزن «فَعَلِيّ»^(٢) ، فإن لم توجد التاء فلا حذف عنده ؛ فيقال : «عَدَوِيّ» . أما غير سيبويه فيجعل «فَعُولَة» و «فَعُول» — أى : بالتاء وبغير التاء — خاضعين عند النسب لحكم واحد ، هو عدم حذف شيء منهما ؛ فيقول في (عَدُوّ وعَدوة) عَدَوِيّ ، بتشديد الواو ، وضم ما قبلها^(٣) . . .

* * *

= أما الثالثة ، فقلبا وأو محتوم . ولا بد من فتح ما قبل هذه الواو .
والحذف في «الْيَا» رابعاً أَحَقُّ مِنْ قَلْبٍ وَحْتَمُ قَلْبٌ ثَالِثٌ يَعْنُ ٦ -
(يعن ، بالنون الساكنة للشعر ، وأصلها شدة : عَنَّ يَعْنِي ؛ بمعنى : ظهر) ، ثم قال في فتح ما قبل الواو :
وَأَوَّلُ ذَا الْقَلْبِ انْفِتَاحاً ... و «فَعِلٌ» و «فُعِلٌ» عَيْنُهُمَا انْفَتَحَ ، و «فَعِلٌ» ٧ -
أى : اجعل صاحب هذا القلب والياً فتحاً . والمراد بصاحب هذا القلب : الحرف الذي انقلب عن أصل ، ويريد به الواو المنقلبة عن ياء رابعة ، وأن هذه الواو لا بد أن تلى فتحاً ، أى : تقع بعده . فالحرف الذي قبلها مباشرة واجب الفتح . وبقيّة البيت ؛ وهى : (وفعل . . .) يختص بحكم آخر سيجيء في مكانه الأنسب — ص ٧٢٨ — .
(١) ثدى .

(٢) ثم تزايد التاء في المؤنث ، عملاً بالقاعدة العامة .

(٣) راجع الصبان عند الكلام على النسب إلى «فعيلة» ، ثم عند الكلام على النسب إلى الجمع .

.....
.....

زيادة وتفصيل :

(١) عرفنا حكم النسب إلى المقصور ، والممدود ، والمنقوص . فها حكم النسب إلى المعتل الآخر ، الشبيه بالصحيح ؟ وما حكم النسب إلى كلمات أخرى تشمل على الياء ، أو الواو ، وليست مما سبق ؟ .

١ - معتل الآخر الشبيه بالصحيح^(١) هو : ما آخره واو أو ياء ، إما مشددتان ، وإما مخففتان قبلهما ساكن ؛ نحو : مَرَمَى^(٢) ، ومَجَلَوْ - وظَبَى ، ودَلَوْ ... والذي يعنينا هنا : الاسم الثلاثي الذي ثلثه ياء أو واو ، وقبلهما سكون ، وليس بعدهما تاء التأنيث ، نحو : ظَبْيٌ وغَزَوْ ، فلا يحذف منهما شيء عند النسب ، ويقال فيهما : ظَبْيِيَّ وغَزَوِيَّ . فإن جاءت بعدهما تاء التأنيث فالأرجح عدم الحذف أيضاً ؛ فيقال في ظَبْيَةٍ ، وغَزَوَةٍ : ظَبْيِيَّ وغَزَوِيَّ . وتزاد تاء التأنيث بعد ذلك ؛ بشرط أن يكون المنسوب مؤنثاً ، - طبقاً للقاعدة العامة ، حين يكون المنسوب مؤنثاً - فيقال : ظَبْيِيَّةً وغَزَوِيَّةً .

ومن المسموع : قَرَوِيَّ ؛ نسبة إلى : « قَرِيَّة » حيث قلبت الياء واواً قبلها فتحة ، ولا يقاس على هذا في الرأي الأرجح .

٢ - فإن كان الثالث ياء قبلها ألف ؛ نحو : غاية وراية^(٣) ... فأقوى الآراء : قلب الياء همزة بعد حذف التاء ، فيقال : غَائِيَّ ورَائِيَّ ؛ ويجوز - بقلة - غَائِيَّ ورَائِيَّ ، بغير قلب ؛ كما يجوز - بقلة - غَاوِيَّ وراوِيَّ ، ولكن الاقتصار على الأقوى أفضل ؛ لثلاثة أوجه من غيره ، ثم تزداد تاء التأنيث إن كان المنسوب مؤنثاً^(٤) ...

٣ - وأما نحو : سقاية ، وحولاًيا (لموضع) فيجوز أمران ، أحدهما : قلب الياء همزة بعد حذف تاء التأنيث رأف التأنيث المقصورة ؛ فيقال فيهما : سقَائِيَّ ، حولَائِيَّ . والآخر : قلب الياء همزة على الوجه السالف ثم قلب الهمزة واواً لوقوعها

(١) سبقت الإشارة التي توضحه في رقم ٢ من هامش ص ٥٨ .

(٢) سبق تفصيل الكلام - في ص ٧١٥ و ٧١٦ - على النسب إلى هذه الكلمة ونظائرها .

(٣) وليس هذا من المعتل الآخر ، ولا من المعتل الشبيه بالصحيح ، لأن حرف العلة ليس في آخر الكلمة .

(٤) لهذا الحكم اتصال بما يجيء في ص ٧٦٦ بعنوان : « ملحوظة » - آخرها - .

.

متطرفة بعد ألف زائدة — طبقاً لقواعد الإبدال — فيقال سِقَاوِيَّ وَحَوَلَاوِيَّ .

٤ — وأما نحو: سَقَاوَة^(١) فتبقى الواو على حالها بلا حذف ولا قلب .

(ب) كيف نسب إلى الاسم المعتل الآخر بالواو ؛ مثل : (أَرَسْطُو ، نِهْرُو ، سَقُو ، كَلَمَنْصُو ؛ رَزُو ، شُو . . .) (كَنْغُو — طوكِيُو . . .) ؟ وكل هذه أسماء شائعة في عصرنا^(٢) .

لم أصادف فيما لدى من المراجع نصّاً يصلح جواباً عما سبق . ولعل السبب — كما أسلفنا — في تركهم النص هو أن الأسماء العربية الأصلية خالية من الاسم المعتل الآخر بالواو . حتى لقد قيل إن العرب لم يعرفوا من هذا النوع إلا بضعة كلمات محدّدة نقلوها عن غيرهم . منها : سَمَنْدُو وقَمَنْدُو . . . ، لهذا ترك النحاة — فيما أعلم — الكلام على طريقة إعرابه ، وتثنيته ، وجمعه ، والنسب إليه . . .

غير أن الحاجة اليوم تدعو إلى تدارك الأمر : لشيوع هذا النوع بيننا ، وعدم الاستغناء عن استعماله . وقد سبق أن تكلمنا عما يحسن اتباعه فيه من ناحية إعرابه ، وتثنيته وجمعه . . . في الأبواب الخاصة بها . أما في النسب فقد استرشدت بالحكم الخامس الذي سبق^(٣) ، واستلهمت نظائر له ، وراعت اعتبارات أخرى . وانتهيت إلى رأى قد يكون أنسب ؛ هو أنه يحسن حذف الواو إن كانت خامسة فأكثر . وتبقى إن كانت ثالثة ، ويجوز حذفها أو إبقاؤها إن كانت رابعة . وتبقى مع وجوب تضعيفها إن كانت ثانية . فيقال في النسب إلى أَرَسْطُو ، وكَلَمَنْصُو : « أَرَسْطِيَّ ، وكَلَمَنْصِيَّ » . ويقال في النسب إلى كَنْغُو : (كَنْغُوِيَّ ، أو : كَنْغِيَّ) . . . ومثله : نِهْرُو . . . ويقال : سَقَوِيَّ وَرَزَوِيَّ ، في النسب إلى « سَقُو » وَرَزُو (علدين) ويقال : شَوِيَّ ، في النسب إلى « شُو » .

ويجب كسر ما قبل ياء النسب في كل الأحوال . كما يجب التخفيف في النسب إلى الثلاثي بعدم توالى كسرتين قبلها ؛ فتفتح الأولى منهما .

* * *

(١) وليس هذا من المعتل الآخر ، ولا من المعتل الشبيه بالصحیح ، لأن حرف العلة ليس في آخر الكلمة .

(٢) الستة الأولى أعلام أشخاص ، وبعدها علمان بلدين (٣) في ص ٧٢١ .

٦ - حذف الآخر إن كان علامة تنثية^(١) في آخر ما سُمي به من مثني وملحقاته ؛ وصار علامةً معرباً بالحروف ؛ مثل : الإبراهيمان والإبراهيميّين . . . والنسب إليهما : الإبراهيمي . وكذا : الرشيدان والرشيديّين . والنسب إليهما : الرشيديّ . أى : أن النسب يكون للأصل المفرد^(٢) بعد حذف علامة التنثية من العلامة . وهنا يلتبس النسب إلى المثني العلامة بالنسب إلى مفرده ؛ فيكون التعيين والتمييز بالقرائن التي تحدد أحدهما^(٣) .

أما النسب إلى المثني الحقيقي (الذي ليس علامةً مسمّى به) فيُنسب إلى مفرده . ولا يخلو من لبس كذلك^(٣) ، فتزيله القرائن . . .

٧ - حذف الآخر إن كان علامة جمع مذكر سالم^(٤) ، سُمّي به أو بما ألحق به ، وصار علامةً معرباً بالحروف^(٥) نحو : خَلْدُون ، وَحْمَدُون ، وَصَالِحِينَ وَسَعْدِينَ . . . (وهي أعلام قديمة) فيقال في النسب إليها : خَلْدِيّ ، وَحْمَدِيّ وَصَالِحِيّ ، وَسَعْدِيّ . . . أى : بالنسب إلى مفردها ؛ واللبس في النسب بين العلامة الجمع ومفرده تزيله القرينة التي تعين أحدهما دون الآخر^(٥) .

(١) وهي الألف والنون رفعاً ، والياء والنون نصباً وجراً ؛ إلا عند وجود ما يقتضى حذف النون كالإضافة . . . ؛ فالنون أحد حرفين تتكون منهما معاً علامة التنثية .

(٢) بحجة الفرار من وجود علامتي إعراب في المثني العلم ؛ إذ توجد فيه علامات المثني عند من يعربه كالمثني ، وهو في الوقت نفسه - مع اعتباره علماً لواحد - يعرب بالحركات على ياء النسب . فيجتمع على الاسم الواحد إعرابان ، إعراب بالحروف وإعراب بالحركات في ياء النسب . - طبقاً لما جاء في « التصريح » - .

(٣ و ٣) واللبس محقق واضح في النسب إلى لفظ المثني في مثل الأعلام الآتية المشتهرة قديماً وحديثاً : (سَلْمَان - مَهْرَان - زَيْدَان - حَمْدَان - جَبْرَان - مُحَمَّدَيْن - حَسَنَيْن - البحرَيْن ؛ إقليم . وهذا اللبس لا يقع إلا عند النسب إلى المثني المعرب بالحروف - كالرأى الشائع في إعرابه - أما على الآراء الأخرى التي تعربه بالحركات الظاهرة على النون - وقد سبقت في الجزء الأول - فينسب إليه على لفظ المثني ؛ فلا يقع لبس . وحذا النسب إليه على إحدى هذه الصور التي لا لبس فيها ، بالرغم من أن كثرة النحاة لا تترضيها ؛ على صحتها ونسبتها إلى بعض القبائل العربية الخالصة . وأن الفرار من اللبس غرض لغوي واجب ، ولا سيما الفرار إلى ما لا يعارض أصلاً من أصول العربية .

(٤) بحجة الفرار من اجتماع علامتي إعراب على الاسم لواحد ؛ هما : الحروف والحركات - كما قلنا هنا - رقم ٢ - في العلم المثني . فقلنا عن « التصريح » .

(٥ و ٥) إنما يقع اللبس عند إعراب هذا الجمع العلم بالحروف ؛ طبقاً للرأى الشائع . أما =

أما النسب إلى جمع المذكر السالم الباقي على جمعيته^(١) : وليس علمًا مسمًى به ، فيكون بالنسب إلى مفردة أيضًا ، فإن أوقع في لبس وجب الفرار منه باتباع الرأي الذي يبيح النسب إلى لفظه المجموع : بالرغم من رأى المعارضين في هذا ؛ لأن الفرار من اللبس — إن أمكن — والحرص على توقيه . غرض أصيل في لغة العرب ، وأصل من أقوى أصولها التي تقوم عليها .

٨ — حذف الآخر إن كان علامة لجمع مؤنث سالم^(٢) بشرط مراعاة التفصيل الآتي :

(أ) إن كان هذا الجمع باقياً على جمعيته (أى : لم ينقل إلى العسمية مع بقائه على صيغة الجمع) وليس وصفاً^(٣) ونحوه : مما يجيء فى : « ج » — وجب النسب إلى مفردة فى جميع الحالات ، نحو : وَرْدَةٌ — تَمْرَةٌ — زَيْنَبٌ — عَائِشَةُ ، سُرَادِقٌ ، والجمع : وَرَدَاتٌ — تَمَرَاتٌ — زَيْنَبَاتٌ — عَائِشَاتٌ — سُرَادِقَاتٌ — والنسب هو : وَرْدَى — تَمْرَى — زَيْنَبَى — عَائِشَى — سُرَادِقَى ... بالنسب إلى المفرد فى كل ما سبق وأشباهه .

(ب) إن كان هذا الجمع مسمًى به . (بأن صار علمًا) وجب حذف العلامة الدالة على الجمع (وهى : الألف والتاء) وينسب إليه على لفظه الباقي بعد الحذف ، ولا ينسب إلى مفردة ؛ فيقال فى النسب إلى المجموع السالفة إذا كان كل جمع علمًا : وَرْدَى وَتَمْرَى ، (بفتح ثانيهما)^(٤) — زَيْنَبَى — عَائِشَى — سُرَادِقَى ... فليس بين الصورتين فرق إلا فى مثل : وَرْدَةٌ وَتَمْرَةٌ ،

= عند إعرابه بالحركات على النون — على رأى ما سبق فى الجزء الأول — فلا لبس . ونقول هنا ما قلناه فى النسب إلى المؤنث (رقم ٣ السالف) إن الفرار من اللبس غرض هام واجب .

(١) : أى : الذى لم يتركها إلى العلمية والتسمية به .

(٢) : وعلمته هى : الألف والتاء الزائدتان على المفرد .

(٣) : أى : ليس مشتقاً ، كضخمات . فالمراد بالوصف هنا : الاسم المشتق ؛ كضخمات وضخمات . ويقابله الاسم الجامد ، وهو ما ليس مشتقاً ؛ كسعاد ؛ وهند . . . وجميعها جمع مؤنث سالماً هو : سعادات وهندات .

(٤) : لأنه مفتوح فى الجمع ، تطبيقاً للقاعدة الخاصة بجمع الاسم الثلاثى السالم العين — وقد سبق شرحها فى ص ٦٢٢ — وهذا الفتح فى النسب إلى « وردة وتمرة » ، وأمثالها ، يمكن الحكم على المفرد الثلاثى المؤنث ؛ أهو مفرد لجمع مؤنث سالم باق على جمعيته ، أم هو مفرد لجمع مؤنث سالم منى به . وصار علمًا .

مما تحرك ثانيه الساكن لأجل الجمع .

(ج) إن كان وصفاً ، أو اسماً جامداً . والثاني فيهما ساكن ، وألف الجمع رابعة نحو : ضخْمت ، وصعْبت ، وهندت . . . (والمفرد ، ضخْمة ، صعْبة ، هند) جاز عند النسب حذف العلامة (بحرفيها : الألف والتاء) ، وجاز الاختصار على حذف التاء وحدها ، مع قلب الألف واوا ، فيقال في النسب : ضَخْمِي ، أو ضَخْمَيَّ - صعْبِي ، أو : صعْبَيَّ - هِنْدِي ، أو هِنْدَيَّ^(١) ويصح زيادة ألف فاصلة قبل هذه الواو ؛ فيقال ضخماوي . . . و . . .

« ملاحظة » : الكلام على النسب إلى جمع التكسير وما في حكمه يحىء في : ب من ص ٧٤١ .

٩ - إرجاعه إن كان لاماً محذوفة بشرط مراعاة التفصيلات التي ستأتى^(٢) عند الكلام على النسب إلى ما حذف بعض أصوله .

١٠ - تضعيفه إن كان ثانياً معتلاً : في اسم ثنائي الحروف - قبل النسب - مثل : لو - كى - لا . . . ؛ فعند التسمية بهذه الألفاظ والنسب إليها ، يقال : لَوِي - كِيَوِي - لَائِي . فأما : « لو » فقد ضعّفنا واوها الأصلية ، وأدغمنا الواوين ، بجعلهما واواً مشددة ، وزدنا ياء النسب وكذلك : « كِي » ؛ ضعّفنا ياءها وأدغمنا الياءين ؛ بجعلهما ياء واحدة مشددة ؛ فصار الاسم قبل النسب « كِي » . وهو اسم مختوم بياء مشددة مسبوقة بحرف واحد ؛ فعند النسب ترجع الياء الأولى إلى أصلها الياء مع فتحها ، وتنقلب الثانية « واواً » ، وتجيء بعدها ياء النسب ؛ فيقال : كِيَوِي .

(١) انظر « الملاحظة » التي في رقم ١ من هامش ص ٧١٨ لأهميتها .
وفي حذف علامتي التثنية والجمع يكتب الناظم بيت واحد لا تفصيل فيه ولا إيانة ، هو :

وَعَلِمَ التَّثْنِيَّةُ اخْذِفَ لِلنَّسَبِ وَمِثْلُ ذَا فِي جَمْعٍ تَصْحِيحٍ وَجَبَ - ١٠

(علم : علامة . وتقدير البيت : واخذف للنسب علامة التثنية . . ومثل هذا الحذف للامة
وجب في جمع التصحيح ، بنوعيه ؛ المذكر والمؤنث) . ولم يذكر التفصيل الخاص بهذا الحذف ،
وقد أوضحناه .

(٢) في ص ٧٣٣ .

وأما: « لا » فتضعيف ثانيها يكون بزيادة ألف أخرى بعد الأصلية. لكن لا يمكن إدغامهما، ولا إبقاء كل منهما بغير إدغام، فتقلب الثانية همزة؛ عملاً بقواعد القلب. وقيل: إن الهمزة تزداد من أول الأمر مباشرة؛ فيقال: « لا ئى »^(١). فإن كان ثانيه صحيحاً — والكلمة ثنائية وضعاً (أى: لم يحذف منها شيء) — جاز فيه التضعيف وعدمه. ففي النسب إلى: « كم » يقال: كمئى أو كمئى، بتشديد الميم أو تخفيفها^(٢).

* * *

(١) في شرح الكافية للرضى (ج ٢ ص ١٤١) ما يفيد أن الاسم الثنائى، المعتل الثانى، (مثل: لا، وكى، ولو...) إذا اقتضى الأمر تضعيف ثانيه — قد يغنى عن التضعيف زيادة همزة بعد الثانى مطلقاً؛ فنقول فى: لا، وكى، ولو. إذا كانت أعلاماً أريد إعرابها: لاء، وكى، ولوه، وعند النسب: لا ئى، وكئى، ولؤئى. وقد صرح بأن التضعيف هو الأولى، فيحسن الاختصار عليه. وفى تضعيف الثانى المعتل يقول الناظم:

وَضَاعِفُ الثَّانِي مِنْ ثَنَائِي ثَانِيهِ ذُو لَيْنٍ كـ«لا»، وَلَئِي — ٢٢
يريد: مثل: « لا » وتضعيفه: لا ئى، بياه النسب المشددة، ولكنها خففت هنا للشعر، وذو اللين هنا: المعتل.

(٢) فى هذا الحكم خلاف؛ كما يقول الصبان هنا، ونص كلامه:
« (١) — اعلم أنه قد تقرر أن الكلمة الثنائية إذا جعلت علماً للفظ، وقصد إعرابها، شدد الحرف الثانى منها؛ سواء أكان حرفاً صحيحاً أم حرف علة؛ نحو: أكثرت من الكم، ومن الهل، ومن اللو...، لتكون على أقل أوزان المعربات.

« ب — وأما إذا جعلت علماً لغير اللفظ، وقصد إعرابها فلا يشدد ثانيها إذا كان صحيحاً؛ نحو: جاءنى كم، ورأيت مناً؛ لئلا يلزم التغيير فى اللفظ والمعنى معاً، من غير ضرورة.
« فإن كان الثانى حرف علة؛ كـلو، وفى، ولا... زيد حرف من جنسه، وإن لزم منه التغيير فى اللفظ والمعنى معاً؛ للاضطرار إلى الزيادة؛ لأن عدمها يؤدى إلى سقوط حرف العلة، لا لبقائه ساكناً مع التنوين؛ فيبقى العرب على حرف واحد، وهو مرفوض فى كلامهم.

« ح — وإن جعلت علماً للفظ أو لغيره، ولم يقصد إعرابها فيها. فلا زيادة أصلاً. هذا ملخص ما فى الرضى، وشرح الباب للسيد، مع زيادة. فإذا علمت ذلك ظهر لك أن قوله: (فإن كان ثانيه حرفاً صحيحاً جاز فيه التضعيف وعدمه) فيه نظر، إذ الثنائى الذى جعل علماً للفظ، وقصد إعرابه يجب تضعيف ثانيه، صحيحاً أو معتلاً. فيجب حينئذ فى النسب إليه التضعيف. والثنائى الذى جعل علماً لنبر اللفظ وقصد إعرابه يجب فيه عدم التضعيف إذا كان ثانيه حرفاً صحيحاً؛ فيجب حينئذ فى النسب إليه عدم التضعيف... ويمكن الاعتذار بتوزيع كلام الشارح على الحالين اهدكورين. لكن مر عن الفارضى فى باب الحكاية تقييد وجوب تضعيف الثانى المجهول علماً للفظ بما إذا كان حرف علة؛ فى المسألة (خلاف)». ١. هـ. كلام الصبان — وهذه المسألة بما فيها من خلاف صلة قوية بما سبق فى ج ١ ص ٢٩ —

أشهر التغيرات التي تطرأ على الحرف الذي قبل الأخير ، بسبب ياء النسب .

١ - وجوب التخفيف بقلب الكسرة فتحة في عين الاسم الثلاثي المكسور العين ؛ سواء أكانت فائؤه مضمومة ، أم مفتوحة ، أم مكسورة . فمن المضمومة : (دُئِلَ ، وقُدِّرَ ، وبُهِرَ . . .) ، والثلاثة أعلام - والنسب إليها : دُؤْلِيٌّ - قُدْرِيٌّ - بُهْرِيٌّ) . ومن المفتوحة : (نَمِرَ ، وخَشِنَ ، ومَلِكَ ، والنسبة إليها : نَمَرِيٌّ - خَشَنِيٌّ - مَلِكِيٌّ) . ومن المكسورة : (إِبِلَ ، وبِلِلَ^(١) ، والنسبة إليهما : إِبِلِيٌّ - بِلِلِيٌّ) .

أما سبب التخفيف بقلب الكسرة فتحة على الوجه المتقدم فلأن العرب تستثقل في النوع السالف استيلاء الكسرة على أكثر حروف الكلمة المختومة بياء النسبة ؛ إذ تقع فيه الياء بعد كسرتين متواليتين أو ثلاثة ، فتفتر العرب من هذا الثقل إلى التخفيف بقلب الكسرة الأولى فتحة^(٢) .

٢ - وجوب التخفيف أيضاً إذا كان قبل آخر المنسوب إليه ياء مكسورة مدغمٌ فيها ياء ساكنة قبلها . والتخفيف هنا يكون بحذف الثانية المكسورة - سواء أكانت هي الثالثة بين أحرف الكلمة أم كانت أكثر - ففي النسب إلى^(٣) : (طَيِّبٌ وَلَيِّنٌ) و (هَيِّنٌ ، وَجَيِّدٌ) و (غُزَيِّلٌ ، تصغير غزال ، وُجَيْيْدٌ ، تصغير : أَسْوَدٌ) يقال : (طَيِّبِيٌّ ، وَلَيِّنِيٌّ) (هَيِّنِيٌّ ، جَيِّنِيٌّ) (غُزَيِّلِيٌّ ، أَسَيِّنِيٌّ) .

(١) من معانيه : القصيرة ، والمرأة الضخمة .

(٢) بشرط أن يكون الكسر هو المتغلب على أحرف الكلمة ؛ فلا قلب في النسب إلى مثل : قَمَرٌ - جَرَسٌ ... ، وإلى هذا يشير النازم في بيت سبق ذكره (في ٧٢١) لمناسبة تتعلق بأوله ؛ هو :

(وَأَوَّلُ ذَا الْقَلْبِ انْفِتَاحاً) و « فَعِلٌ » وَ « فُعِلٌ » عَيْنُهُمَا افْتَحَ وَ « فِعِلٌ » - ٧ -

والذي يعني هنا : الأوزان الثلاثة وما يقرره من فتح العين في كل منها عند النسب - كما شرحنا -

(٣) تعدد الأمثلة الآتية هوليان أنه لا فرق في الحكم بين الياء المكسورة الثالثة التي أصلها ياء ؛ كالأولين ، والتي أصلها واو كاللَّذَيْنِ بعدهما ، والتي تزيد على ثلاثة ؛ كالآخرين ، وشذ قولهم : « طَائِيٌّ » في النسب إلى : طيء . والقياس : « طَيِّئٌ » . وفي هذا التخفيف يقول ابن مالك :

وثالثٌ من نَحْوِ : « طَيِّبٌ » حُذِفَ وَشَذَّ « طَائِيٌّ » مَقُولًا بِالْأَلِفِ - ١١ -

فلا تحذف الياء الثانية في مثل : هَبَّيَّخْ^(١) لعدم كسرها ، ولا في مثل : مُهَيِّمٌ^(٢) ؛ تصغير مِهْيَام : لوجود ياء زائدة فاصلة بين الياء المكسورة ، وآخر المنسوب إليه .

٣- حذف ياء ، « فَعِيلَة » - بفتح فكسر - وحذف تاء التأنيث معها ، وفتح ما قبل الياء التي حذفت (أى : فتح عين الكلمة) . كل هذا بشرطين : أن تكون عين الكلمة غير مضعفة : وأن تكون صحيحة إذا كانت اللام صحيحة ؛ فتصير الكلمة بعد التغير السَّالِف على وزن : « فَعَلَيْ » ؛ فيقال في النسب إلى حَنِيفَة ، وَفَهِيمَة ، وَسَمِيرَة ... : حَنَفَيْ ، وَفَهَمَيْ ، وَسَمَرَيْ . ومن المسموع الشاذ : سَلَمَيْ ، وَسَلَمَيْ ، في النسب إلى : سَلِيمَة^(٣) ، وَسَلِيمَة^(٤) .

هذا رأى أكثر النحاة . وقد تصدى لهذه الأمثلة الشاذة أحد الباحثين^(٥)

(١) الغلام السمين .

(٢) بمعنى : فطرة وطبيعة .

(٤) اسم قبيلة عربية .

(٥) هو الأستاذ الراهب أنستاس الكرمل - رحمه الله - العضو السابق بالمجمع اللغوى القاهرى

فقد نشر بحثاً بمجلة : المقتطف (عدد يوليو ١٩٣٥ ، ص ١٣٦) عرض فيه أمثلة من الصيغتين - وهما : « فَعِيلَة ، وَفَعِيل » - في الكلام الذى يحتج به مع استيفائهما الشرطين ، قائلا مانصه : « أنت ترى من هذا التتبع أن العرب لم ينسبوا مطلقاً إلى « فَعِيل وَفَعِيلَة » بقولهم فَعَلَيْ (بالتحريك) إذا كان غير مشهور ؛ علماً كن أم نكرة ؛ بل (فَعِيل) بإثبات الياء على أصلها » ا هـ . ثم عرض شواهد على تأييد رأيه عددها (١٠٣) (ثلاثة بعد المائة) وأكد أن هذه الشواهد ليست هى كل الوارد ، وأنه اكتفى بها مسرعاً ، إذ لم يتسع وقته لجمع الباقي الذى يقطع بوجوده .

ومع أن الشواهد التى عرضها عشرات تكفى وحدها للأخذ برأيه من غير تردد ، ولا حاجة إلى تأييد آخر ، نراه استند أيضاً في تأييد رأيه إلى قول ابن قتيبة الديـنـورى في كتابه : « أدب الكاتب » ص ١٠٧ طبعة أوربا ، ونصه : (إذا نسبت إلى : « فَعِيل ، أو : فَعِيلَة » من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهوراً أُلقيت منه الياء ؛ مثل : رَبِيعَة ، وَبَجِيلَة ، وَحَنِيفَة ؛ فنقول : رَبِيعَى ، وَبَجَلَى ، وَحَنَى . وفي تَقْسِيم ثَقَفَى ، وَعَتَيْك عَتَكَى . وإن لم يكن الاسم مشهوراً - علماً كان أم نكرة - لم تحذف الياء في الأول (أى : في فَعِيل) ولا في الثانى (أى : فَعِيلَة) ... اهـ وقد خلص الباحث إلى أن الحذف قديماً لم يكن إلا في المشهور شهرة فياضة .

وجاء في كتاب : « الصَّحاح » للجوهري - ج ٢ ص ٢١٨ - ، في النسب إلى كلمة : « مَدِينَة »

مانصه : « (إذا نسبت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت : « مَدَنَى » وإلى مدينة المنصور قلت : « مَدِينَى » وإلى مدائن كسرى قلت : مدائنى .) » ا هـ .

المعاصرين وأثبت أنها ليست شاذة، لوجود عشرات مسموعة، من نظائرها الفصيحة، وعرض تلك العشرات، وانتهى من بحثه إلى أمرين :

أولهما : أن النسب إلى « فَعِيلَة » هو : « فَعِيلِيٌّ » قياساً مطرداً :

ثانيهما : أنه يجوز النسب إليها على : « فَعِيلِيٌّ » — بحذف الياء — كما يرى بعض القدماء بالشرطين السالفين ، وبزيادة شرط ثالث عليهما ؛ هو : اشتها الاسم المنسوب إليه شهرة فياضة تمنع الحفاء واللبس عن مدلوله إذا حذفت ياء « فَعِيلَة » للنسب . فتي اجتمعت الشروط الثلاثة صحح حذف الياء جوازاً ، لا وجوباً . وما عرضه هذا الباحث من الأدلة قوى غير مرجوح . ورأيه حسن . والأخذ به أولى (١) .

فإن كانت العين مضعفة : مثل ؛ رقيقة ولبيبة ، أو كانت معتلة مع صحة اللام ؛ مثل : طويلة ، وعَوِيصة — لم يحدث حذف ولا تغيير عند النسب إلا حذف تاء التأنيث ؛ فيقال ؛ رقيقى — ولبيبى ، وطويلى ، وعَوِيصى . وإن كانت العين معتلة مع اعتلال اللام وجب إجراء التغيير الأول بالحذف والتغيير ؛ فيقال : فى طَوِيَّة : طَوَوِيٌّ (٢) . . .

٤ — حذف ياء : « فَعِيل » — بفتح فكسر — بشرط أن يكون معتل اللام . وفى هذه الصورة تنقلب عند النسب لاه المعتلة وأواً مع فتح ما قبلها وجوباً ؛ كغَسِيٍّ وعَسَوِيٍّ — وعَسَلِيٍّ وعَدَوِيٍّ — وصفِيٍّ وصفَوِيٍّ — وعَدِيٍّ وعَدَوِيٍّ .

فإن كان صحيح اللام لم يحدث تغيير ؛ نحو : جميل وجميلى ، وعَقِيل وعَقِيلِي (٣) .

(١) وقد أخذت به لجنة « الأصول » فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة — طبقاً لما جاء فى ص ٢٤٦ من مجلة المجمع المشتملة على البحوث والمحاضرات الخاصة بالدورة الخامسة والثلاثين لسنة ١٩٦٨-١٩٦٩ — (٢) — « تكلمة » : بقى من الصور أن تكون العين صحيحة ، واللام معتلة — ؛ مثل : صفِيَّة ، وسَنِيَّة ؛ فهذه الياء المشددة قلبت وأواً قبل ياء النسب ؛ فيقال : صفَوِيَّة ، وسَدَوِيَّة ، طبقاً للبيان السابق (فى ص ٧١٧) خاصاً بالثلاثى الذى آخره ياء مشددة ، مع اعتبار تاء التأنيث فى حكم غير الموجود . (٣) انظر ما يتصل بهذا ويتممه فى رقم ٥ من هامش ص ٧٢٩ ون النسب المسموع : ثَقَفَى فى النسب إلى ثَقِيف .

٥ - حذف ياء : « فُعَيْلَة » - بضم ، ففتح ، فسكون - وحذف تاء التأنيث معها ، بشرط أن تكون العين غير مضعفة ، وأن تكون صحيحة إذا كانت اللام صحيحة . فتصير الكلمة بعد التغير السالف على وزن : « فُعَلَيْ » ، فعند النسب إلى : قُرَيْظَة ، وَجُهَيْنَة ، وَحُدَيْفَة ، يقال : قُرَظِي ، وَجُهَنِي ، وَحُدَفِي . . .

فإن كانت العين مضعفة لم تحذف الياء ؛ كما في قُلَيْلَة وقُلَيْلِي ، وَجُدَيْدَة وَجُدَيْدِي . وكذلك إن كانت معتلة مع صحة اللام ، كما في لُؤَيْزَة وَلُؤَيْزِي ، وَلُؤَيْزَة وَلُؤَيْزِي .

فإن كانت معتلة مع اعتلال اللام وجب الحذف ، نحو : حُيَيْتَة وَحُيَيْتِي . . . (١)

٦ - حذف ياء « فُعَيْل » - بضم ، ففتح ، فسكون - بشرط أن يكون معتل اللام . وفي هذه الصورة تنقلب عند النسب لاهمه المعتلة واواً قبلها فتحة ؛ نحو : قُصِي وقُصَوِي ، وقُتِي وقُتَوِي .

فإن كان : « فُعَيْل » صحيح اللام لم تحذف الياء - في الأرجح - نحو : سُعَيْد وسُعَيْدِي ، وَرَدَيْن ورْدَيْنِي (٢) . . .

(١) وفي الحذف الخاص بصيغتي : « فَعِيلَة » وفُعَيْلَة ، يقول الناظم :

و « فَعَلِي » في : « فَعِيلَة » التَزِمُ و « فَعَلِي » في فُعَيْلَة حَتِمَ - ١٢
ويقول :

وَأَلْحَقُوا مَعْلَ لَامٍ عَرِيًّا مِنْ الْمَثَالَيْنِ بِمَا « التَّا » أُولِيَا - ١٣

وَتَمَمُّوا مَا كَانَ كَالطَّوِيلَةِ وَهَكَذَا مَا كَانَ كَالْجَلِيلَةِ - ١٤

(عَرِي : خلا - من المثالين ، يريد بهما : صيغتي : فَعِيلَة ، وفُعَيْلَة السالفتين - أولي : أتبع وجاء بعد شيء سبقه . والألف التي في آخر الشطر الأول والثاني زائدة لوزن الشعر) .

يريد : أن النحاة أو العرب ألحقوا عند النسب ما كان من الصيغتين السالفتين خالياً من التاء ، معتل اللام - بما وليته التاء منهما ، أي : جاءت بعده وفي آخره . حيث يجب - عنده - حذف الياء في الملحق كالملحق به .

(٢) ومن النسب المجامع : قُرَشِي ، وهُدَلِي ؛ في النسب إلى : قُرَيْش ، وهُدَيْل . ويرى المبرد أن هذا قياسي ؛ أكثرته .

٧ - حذف واو : « فَعُولَة » - بفتح فضم - ومعها التاء^(١) ؛ بشرط أن تكون عين اللفظ صحيحة ، وغير مضممة . وفي هذه الصورة يفتح الحرف الذي كان مضموماً قبل حذف الواو . ومن الأمثلة : شَنْوَة^(٢) ، وَسَبُوحَة^(٣) ، فيقال في النسب إليهما : شَنْشَيْ ، وَسَبَحِي . . .^(٤) فلا تحذف الواو في مثل : قَوُولَة وصَوُولَة^(٥) ، لاعتلال العين ، ولا في مثل : « مَلُولَة » لتضعيفها .

« أما فَعُول » بغير تاء فينسب إليه على لفظه ؛ نحو ؛ ملول وملولى ، وعدو وعدوى . . .

(١) يلاحظ أن الأغلب في صيغة : « فَعُول » إذا كانت وصفاً بمعنى « فاعل » ، ألا تدخلها التاء الدالة على التأنيث المحض وحده (طبقاً للبيان الخاص بهذا في ص ٥٩١) أما في غير هذه الصورة فقد تلحقها التاء . ويقال : إنه لم يرد عن العرب علم على وزن : « فَعُولَة » ونسبوا إليه على : « فَعَلِي » إلا : « شَنْوَة » حيث قالوا : « شَنْشَيْ » . - كما سيجيء في رقم ٤ - .

(٢) علم قبيلة عربية .

(٣) علم على مكة ، أو على ماء قريب منها .

(٤) هذا رأى سيوييه . أما غيره فينسب إليها على لفظها ؛ لأنه لم يرد عند العرب سوى شَنْشَيْ ، في النسب إلى شَنْوَة ، فهي كلمة واحدة حكمها الشذوذ . وهذا الرأى هو الأعلى ، والأجدر بالاعتصار عليه .

(٥) ويصح قلب واوهما همزة ، فيقال : قثولة وصثولة .

النسب إلى ما حذف منه بعض أصوله

(١) إن كان الحرف الأصلي المحذوف هو عين الكلمة وجب رده في حالتين :
 الأولى : أن يكون عيناً لاسم ثلاثي مضعف^(١) . مثل : « رُبَّ » . وأصله :
 « رُبَّ » الحرفية الجارّة ، حذفت الباء الأولى ، تخفيفاً^(٢) ، فإذا صار بعد التخفيف
 علماً وأريد النسب إليه ، وجب إرجاع الباء الساكنة المحذوفة وإدغامها في
 نظيرتها ، كما كانت قبل الحذف ؛ فيقال : رُبِّي ، ومثلها : « قَطُّ » على اعتبار أن
 أصلها : قَطُّ^(٣) - بتشديد الطاء - ؛ حذفت الطاء الأولى الساكنة ، تخفيفاً ؛ فإذا نسب
 إلى المخففة وجب إرجاع العين المحذوفة . وإدغامها في نظيرتها ؛ فيقال : قَطِّي ...
 الثانية : أن يكون عيناً لاسم معتل اللام ، نحو : يَرَى (علماً منقولاً من
 المضارع ، وأصله : يَرَأَى . نقلت فتحة الهمزة . إلى الراء الساكنة قبلها ،
 وحذفت الهمزة ؛ فصار اللفظ : يَرَى) . فإذا سمي به ، وأريد النسب إليه ؛
 قيل : « يَرَيْي » ، بإرجاع العين المحذوفة مع فتح الراء ؛ مراعاة لضبطها الطارئ
 الذي كانت عليه بعد حذف الهمزة^(٤) .

-
- (١) مضعف الثلاثي : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ؛ مثل : عدّ - قَطّ - رُبّ ...
 ولا بد أن يكون المضعف ساكن العين . إذا كانت مدغمة في نظيرها ، وهو الحرف الواقع لام الكلمة .
 (٢) ومن التخفيف قوله تعالى (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كانوا مُسْلِمِينَ) .
 (٣) ظرف زمان يستعمل - في الأغلب - بعد كلام منقوع المعنى في الزمن الماضي . (وتفصيل
 الكلام عليه في ج ٢ م ٧٩) .

(٤) هذا رأى سيبويه - كما سيجيء أيضاً في رقم ٤ من هامش ص ٧٣٥ - وهو يوجب في الاسم
 الذي ترجع لامه المحذوفة عند النسب أن تبقى عينه على فتحها الطارئة عليها عند حذف تلك اللام ، قبل
 النسب . فإذا ما عادت اللام عند النسب لم ترجع العين إلى السكون الذي كان أصلاً لها من قبل ؛ وإنما
 تظل على الفتحة الطارئة عليها . فإذا رجعت الهمزة المحذوفة هنا - صارت الكلمة : « يَرَأَى » - بثلاث
 متحركات مفتوحة ، فألف ساكنة ، مكتوبة ياء - وعند النسب تحذف هذه الألف (لأنها رابعة في
 اسم ثانيه متحرك ، كما تقرر من قبل في ص ١٨) ، فيقال : « يَرَيْي » وهذا الرأى هو الأرجح الذي
 يؤيده السماع الأكثر ، أما غير سيبويه فيوجب عند رجوع اللام المحذوفة إرجاع العين إلى سكونها الأصلي
 السابق ، وعدم الاعتماد بالفتحة الطارئة . فعند إرجاع الهمزة يصير الاسم : « يَرَأَى » والنسب إليه =

(ب) إن كان الحرف الأصلي المحذوف هو : « فاء » الكلمة وجب إرجاعه بشرط اعتلال اللام ؛ نحو : شَيْبَة^(١) والنسب إليها : وشَوَيّْ ، بكسر الواو الأولى وفتح الشين^(٢) - تليها الواو الثانية المكسورة عند النسب -

فإن كانت اللام صحيحة لم يحز ردّ المحذوف ؛ فيقال في عِدَة^(٣) : عِدَيّْ

= هو : « يَرَأَوِيّ » أو : « يَرَوِيّ » ؛ طبقاً لما تقرر - في ص ٧١٨ - من أن ألف الرباعي الساكن الثاني - تحذف أو تقلب واواً .

وما سبق يتضح رأيان في المجرور برد اللام عند النسب ؛ فسيبويه ومن معه يوجب فيه فتح العين وإن كانت ساكنة في الأصل . وغيره يوجب تسكينها كما كانت أولاً ، وإرجاعها لأصلها .

(١) علامة .

(٢) أصلها : « وشَيّْ » (بكسر الواو ، فسكون الشين . وردد النحاة وصاحب « المصباح الميزر » النص على كسر الواو ، ولم يذكروا السبب في كسرها) حذفت الواو ، ونقلت حركتها إلى الشين ، وزيدت تاء التأنيث عوضاً عن الواو المحذوفة ؛ فصارت الكلمة : « شَيْبَة » . بفتح الياء ؛ لتناسب التاء . فعند النسب إليها ترجع فاء الكلمة (وهي الواو المكسورة) ، وتبقى الشين على حركتها العارضة ، وهي الكسرة ؛ عملاً بمذهب سيبويه السالف - في الصفحة الماضية وهاءشها - ؛ فتصير إلى : وشَيْي (بواو وشين مكسورين) ثم تنقلب كسرة الشين فتحة ، عملاً بالقاعدة التي تقدمت في ص ٧١٨ و ٧٢٨ . (ومضمونها : أن الاسم الثلاثي المنسوب إليه يجب فتح ثانيه إن لم يكن مفتوحاً . سواء أكان الحرف الأول مضموماً أم مفتوحاً أم مكسوراً . . .) فتصير الكلمة بغير ياء النسب إلى : « وشَيْي » . تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، وصارت الكلمة : « وشَأْ » ؛ بكسرففتح ، فألف مقصورة تقلب عند النسب واواً ؛ لأنها ثالثة ؛ فيقال : « وشَوَيّْ » .

أما عند غير سيبويه من لا يعتد بحركة الشين الطارئة ويتمسك بالسكون لأنه الضبط السابق قبل الحذف - فيقول - وشَيْي : وقد عرفنا رجحان رأي سيبويه .

وكلا الرأيين - في أمر النسب إلى ، حذف ، كما أوضحناه في حالات ونوضحه في باقيها - يدعو للدهش ؛ ففيه من التحليل ، والتعليل ، والحذف ، والقلب ، والإثبات ، والإرجاع ، ما يكدر الذهن ، ويهرق العقل ، من غير أن يعرف العرب شيئاً منه ، أو يدور بخجله أفصحهم .

وبالرغم من هذا نسأل : أيمن هذا - فقط - وضع ضابط عام للنسب إلى ما حذف بعض أصوله ، من غير التجاء إلى هذه الفروض الخيالية ؟ يبدو أن الجواب : لا . وفي الكلام على « شية » وما في حكمها يقول الناظم :

وإن يكن كَشِيَّة ما « الفاء » عَدِمَ فَجَبْرُهُ وَفَتْحُ عَيْنِهِ التُّزْمُ - ٢٣

(عدم ، أي : زال ، بمعنى : حذف . - جبره : إرجاعه عند النسب)

(٣) مصدر الفعل : وعد . حذفت الفاء ، وعوض عنها تاء التأنيث .

وفي جِدَّة^(١) : جِدِيّ . .

(ح) إن كان الحرف الأصلي المحذوف هو « لام » الكلمة ، وجب إرجاعه في حالتين :

الأولى : أن تكون العين معتلة ؛ مثل : « شاة » وأصلها : « شَوَهَة »^(٢) — بسكون الواو — حذفت لام الكلمة (الهاء) للتخفيف ، فصارت الكلمة : شوة — بسكون الواو — ثم تحركت الواو بالفتحة^(٣) . فصارت : شَوَة ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها ، فانقلبت ألفاً ، وصارت الكلمة ، شاة ، والنسب إليها في الرأي الأرجح هو : شاهي^(٤) .

(١) بمعنى : غنيّ . أصلها : وجَد ، مصدر الفعل : وجَد ، حذفت الفاء وعوض عنها التاء .
(٢) الكلمة واوية العين بدليل جمعها على : « شِيَاه » التي أصلها : شواه . قلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة .

(٣) لوجوب فتح ما قبل تاء التأنيث في كل الحالات ، على الوجه الذي سبق في ص ٦٩٣
(٤) وهذا رأى سيبويه ، وقد سبق بيانه في رقم ٤ من هامش ص ٧٣٣ ؛ ومنه يعلم أنه يستبقى — عند النسب — حروف الكلمة على ضبطها الطارئ عليها ، بسبب حذف بعض أصولها ، ولا يرجع الحروف إلى ضبطها الأول الأصليل إذا رجع المحذوف الذي كان سبباً في تغيير حركات بعض الأحرف تغييراً طارئاً . وعلى هذا تبقى فتحة « شَوَة » — وهي فتحة طارئة — ويبقى ما ترتب على وجودها ، وهو قلب الواو ألفاً . وعند النسب ترجع الهاء المحذوفة التي هي لام الكلمة ، وتحذف تاء التأنيث لتحل محلها ياء النسب ، فيقال : « شاهي » .

أما من يخالف سيبويه ويوجب إرجاع العين وغيرها من الحروف إلى ضبطها السابق الأصليل الذي كان قبل حذف أحد أصول الكلمة ، فيقول : « شَوَهِي » — بفتح فسكون — ذلك أن أصل الكلمة هو : شَوَهَة . بسكون الواو قبل حذف اللام التي هي : « الهاء » ، والتي أدى حذفها إلى تحريك الواو بالفتحة ؛ إذا صارت « قبل تاء التأنيث » مباشرة . فعند رجوع اللام المحذوفة — وهي الهاء — ترجع الواو إلى ضبطها الأول وهو السكون ويمتنع قلبها ألفاً ؛ لعدم تحركها ويصير النسب كما سبق : « شَوَهِي » .

وفي هذا الموضع من مواضع النسب إلى محذوف اللام معتل العين ، يصرح النحاة بأن النسب إلى : « ذو » و : « ذات » هو : « ذَوِيّ » فيما ؛ لأن لاهما محذوفة ، وعينهما معتلة ويقولون إن أصلها : « ذَوِيّ » ويعددون أنواعاً معقدة من الفروض والخيالات يجر بعضها بعضاً ؛ كمن يصلوا من وراثتها إلى إثبات هذا الأصل . وقد كدّوا ، وداروا حتى انتهوا إلى ما أرادوا ، وهو غير ما يريده الواقع ، والرأى السديد . ومن شاء أن يرى بعض الفروض المهرقة فليرجع إلى كتاب سيبويه وشرحه (ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١ وما بعدها في الباب الذي عنوانه : « ما لا يجوز فيه من بنات الحرفين إلا الرد » ، والباب الذي عنوانه : « الإضافة إلى ما فيه الزوائد من بنات الحرفين » . وهو يريد « بالإضافة » : النسب —

الثانية : أن تكون اللام المحذوفة قد رجعت - في الكلام المأثور - في التثنية ، أو جمع المؤنث السالم^(١) ؛ مثل : « أب : وأخ » ، وتثنيتهما : « أبوان وأخوان » ، فالنسب إليهما : « أَبَوِيَّ وَأَخَوِيَّ » . بإرجاع الواو المحذوفة منهما . ومثل : « سِنَّة » ، وأصلها : سنه أو سَنَوٌ . حذفت لام الكلمة ؛ (وهى : الهاء : أو الواو) وجاءت تاء التأنيث عوضاً عنها ، وهذه التاء تحذف في جمع المؤنث السالم وترجع اللام المحذوفة ، فيقال : سنهات أو سنوات ، كما يقال في النسب : سَنَهِيَّ ، أو سَنَوِيَّ . بإرجاع اللام المحذوفة كما رجعت في جمع المؤنث .

والنسب إلى : « أُخْتٌ وَبِنْتُ » ؛ هو : « أَخَوِيَّ : وَبَنَوِيَّ » ، لأن جمعهما المؤنث السالم : أخوات وبنات ، والنسب إليهما كالنسب إلى أخ وابن . وهذا يوقع في لبس قويّ دعا بعض النحاة إلى رفض النسب بالصورة السالفة ، وتحريم النسب على لفظهما ؛ فيقول : أُخْتِي وَبِنْتِي ؛ ورأيه حَسَنٌ . جدير بالمحاكاة . مع صحة الرأي الأول وقوته^(٢) .

* * *

= كما أشرنا من قبل في رقم ٣ من هامش ص ٧١٤ ، ويكرر هذا) . وفي التصريح وحاشيته ، وحاشية الصبان سلسلة متشابكة من تلك الخيالات ، وكان الخير في ترك ذلك كله ، والاقتصار على أن النسب إلى : ذو ، وذات ، هو : ذَوَوِيَّ ؛ مراعاة للمسموع .

على أنه قد جاء في حاشية : « القطر » عند الكلام على معنى : « ذات » ما يأتي : (ها ثلاث استعمالات : الإشارة بها ، وبمعنى : صاحبة ، وبمعنى : التي . وبقى لها استعمال رابع . وهو جعلها اسماً مستقلاً ؛ نحو : ذات الشيء : بمعنى : حقيقة وماهيته . وقد صار استعمالها بمعنى نفس الشيء عرفاً مشهوراً ؛ حتى قال الناس ذات متميزة ، وذات مُحَدَّثة ، ونسبوا إليها على لفظها من غير تعيين . والله يقول : « والله عليم بذات الصدور » أى : ببواطنها وخفياتها . فالكلمة عربية ، ولا التفات لمن أنكر عربيتهما ، وخطأ علماء الكلام في قولهم : « الصفات الذاتية » مع أنهم - أى : علماء الكلام - مصيئون) . ١ هـ . ومثل هذا في المصباح « المنير » مع الاشتراك في كثير من الألفاظ السالفة ويمكن الرجوع إليه في مادة : « ذَوَوِيَّ » .

(١) لم يذكروا جمع المذكر السالم اكتفاء بالتثنية ؛ لأنه على غرارها - كما سبق في بابها - فما يرجع في التثنية يرجع في جمع المذكر السالم .

(٢) يقولون في تأييد الرأي الأول : إن صيغة : « أُخْتٌ وَبِنْتُ » كلها للتأنيث . والتاء للإخاق بالرغم من أنها بدل من واو محذوفة ؛ وهى لإخاق الكلمتين بقُفْعَلٍ وَجِدْعَرٍ ؛ إلحاقاً للثنائي بالثلاث ، فيجب رد صيغة أخت و بنت إلى صيغة المذكر ، بحذف التاء منهما كما حذفت في النسب إلى مكة ؛ فقيل : مَكِّيٌّ =

ما يجوز فيه عند النسب ردّ لامه المحذوفة وعدم ردها :

بان مما سبق وجوب رد اللام المحذوفة إلى الاسم عند النسب بشرط أن تكون
عينه معتملة ، أو أن تكون لامه مما يرجع في تشنية أو جمع مؤنث سالم .
فإن لم يتحقق الشرط جاز الرد وعدمه ، ففي مثل : يد^(١) ودَم^(٢) ، وشَقَّة^(٣)

= وفي جمع المؤنث السالم ؛ فقيّل : في مؤمنة مؤمنات . . . لثلا تقع تاء التأنيث حشوا . . .
وكلام كثير آخر أساسه مجرد الجدل . وقد تناوله بمض القدماء بالرد والرفض (على نحو ما نقله شرح
التصريح في هذا الموضع) . ونحن في غنى عن هذا كله ، وعن مناقشته ، وزيادة الجدل القديم بجدل جديد ؛
وكلاهما لا خير فيه ؛ إذ حسناً إباحة الرأيين ، واستحسان الرأي القائم على إبعاد اللبس ، وهو رأى
قديم لبعض كبار النحاة . ومنهم : يونس بن حبيب البصري المتوفى حول سنة ١٨١ هـ ، وهو من أشهر
أئمة اللغويين النحاة في عصر سيبويه ، وله مؤيدون .
وفي إرجاع اللام جوازاً وجوباً يقول الناظم :

واجبُ بردِ اللّامِ ما مِنْهُ حُذِفَ جَوَازاً أَنْ لَمْ يَكْ رَدُّهُ أَلِفٌ : - ١٩
فِي جَمْعِي التَّصْحِيحِ ، أَوْ فِي التَّشْنِيَةِ وَحَقُّ مَجْبُورٍ بِهِذَى تَوْفِيَةٍ - ٢٠
وَبَأَخٍ أَخْتًا ، وَبَابِنٍ بَنَتًا أَلْحَقُ وَيُونُسُ أَبِي حَذَفَ التَّاءُ - ٢١

يقول : اجبر برد اللام ما حذف منه اللام جبراً جائزاً ، إلا إذا كان رد اللام لازماً في التشنية أو
جمع التصحيح لمذكر أو لمؤنث ، ففي هذه الحالة يستحق المجبر - وهو الاسم المحذوف اللام - التوفية
وجوباً بإرجاع لامه إليه . ثم قال : ألقأ اختأ بأخ في رد اللام المحذوفة ، وكذلك ألقأ بنتاً بابن في ردها
من غير إبقاء التاء فيها . على غير مذهب يونس ومن معه فإنه يبقها . وقد شرحنا الرأيين . . .

(١) أصل : « يد » هو : يدَيّ - بسكون الدال - حذفت اللام بغير تعويض ؛ تخفيفاً ،

وتحرّكت الدال الساكنة . والنسب إليها هو : يدَيّ ، بغير رد اللام ، أو : يدَوِيّ ، بردها ، وقلها
وأو قبلها الفتحة الطارقة لأجلها ، لأن ما قبلها يفتح عملاً برأى سيبويه ، أو قبلها السكون السابق ؛
عملاً برأى غيره . ورأى سيبويه هو الأرجح - كما عرفنا - في رقم ٤ من هامشي ص ٧٣٣ و ٧٣٥ .

(٢) أصل : « دم » ، هو : دَمَوٌ - بسكون الميم في الأصح - حذفت الواو ، تخفيفاً بغير
تعويض ، وتحركت الميم الساكنة ، وعند النسب يقال : دَمِيّ ، بغير رد ، أو : دَمَوِيّ بالرد مع فتح
ما قبل الواو ؛ لأن ما قبلها يُفتح لها - كما سبق - أو إرجاعه إلى سكونه الأصلي ؛ كما سبق : في يد .

(٣) أصل : شَقَّة ، هو شَقَّةٌ (بسكون الفاء ، وبالحاء ، بدليل ظهور الهاء في الجمع : شقاه)
حذفت الهاء تخفيفاً ، وعوض عنها تاء التأنيث مع فتح ما قبلها ؛ فصارت شَقَّة . فعند النسب يقال :
شَقِّيّ ، بغير رد الهاء ، أو شَقَّيْ بردها مع بقاء الفاء قبلها على فتحها العارضة ، أو : إرجاعها إلى
سكونها الأول . ومن يرى أن اللام المحذوفة واو ، وليست هاء يجيز في النسب : شَقِّيّ وشَقَوِيّ
ولكن الشائع بين اللغويين أن اللام المحذوفة هاء .

يقال عند النسب : يَدَيَّ أَوْ يَدَوَيَّ - دَمَيَّ أَوْ دَمَوَيَّ - شَفَهَيَّ . أَوْ شَفَهَيَّ وَيَصِحُّ : شَفَوَيَّ . . . وقد حذفت اللام في يد ، ودم بغير تعويض . أما في شفة فقد زيدت تاء التأنيث عوضاً عن الهاء المحذوفة .

وإذا حذفت اللام وعُدَّوَض عنها همزة الوصل جاز عند النسب الرد أو عدمه دون الجمع بين اللام المحذوفة وهمزة الوصل ؛ منعاً للجمع بين العَوَض والمَعَوَض عنه . ففي مثل : (ابن واسم) يقال : (ابْنِيَّ أَوْ بَنَوِيَّ ، واسمي : أَوْسِيَّ بَنَوِيَّ)^(١) ولا يصح أن يقال : ابنويَّ واسمويَّ . . .

* * *

(١) الكثير المسبوع ضم السين أو كسرهما . أما الميم ففتوحة على رأي سيبويه ؛ لأن الفتحة طارئة على الثاني للنسب فتبقى - كما عرفنا - .

أحكام عامة في النسب

(وتشمل : حكم النسب إلى المركب بأنواعه المختلفة - وإلى جمع التكسير ، وما ألحق به - صيغة : فعَّال « للنسب - النسب المسموع ، وبعض ألفاظ منه ، - زيادة تاء التأنيث في المنسوب)

(١) النسب إلى المركب (١) :

١ - إن كان المركب إضافيًّا عَلَمًا - بالوضع أو بالعلبة - فالأصل أن ينسب إلى صدره ؛ فيقال في خادم الدين ، وفوز الحق ، وعابد الإله . . . (والثلاثة أعلام) : خادمي - فوزي - عابدي . . .

ويستثنى من هذا الأصل ثلاث حالات يجب النسب فيها للعَجَز .

الأولى : أن يكون « المركب الإضافي » العَلَم كنية ، نحو : أبو بكر ، وأم كُاشُوم فيقال في النسب : : بكري ، وكلثومي .

الثانية : أن يكون هذا « المركب الإضافي » معرفًا صدره بعجزه (٢) ؛ نحو : ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر . . . فيقال في النسب إليها : عباسي ، ومسعودي ، ونُعمري .

الثالثة : أن يكون النسب إلى صدر هذا المركب مؤدياً إلى اللبس ، بعدم معرفة « المنسوب إليه » حقيقة ؛ مثل : عبد مناف ، وعبد شمس ، وناصر مجد (والثلاثة أعلام) فيقال في النسب إليها : منافي ، وشمسي ، ومجدي ؛ إذ لو نُسِبَ إلى الصدر ففيل : عبدي ، وناصري - لم يُعرَف « المنسوب إليه » .

(١) سبق تعريف المركب وتقسيمه وحكم كل قسم (في مكانه المناسب من الجزء الأول ص ١٢٨

م ١٠ وص ٢٧٠ م ٢٢ باب العلم .)

(٢) بأن يكون صدره نكرة ، وعجزه معرفة ، بها يتعرف الصدر . ، وقد يشتهر المركب بعد هذا

فيدخل في عداد العلم بالقبلة - (وقد سبق إيضاحه في مكانه المناسب من الجزء الأول باب : العلم ، ومن

أمثله : ابن عباس ، وابن عمر . . .)

فإن كان المركب الإضافي ليس علماً (لا بالوضع ، ولا بالغلبة) ، نحو : كتاب زينب ، وجب النسب للمضاف وحده ، أو للمضاف إليه وحده على حسب المراد .

٢ - المركب الإسنادي وملحقاته^(١) . وينسب إلى صدره في النسب إلى : نَصَرِ الله ، وجَادَ الحقُّ ، وحامدٌ مقبلٌ (والثلاثة أعلام) يقال : نَصَرِيّ ، وجَادِيّ ، وحامِدِيّ^(٢)

٣ - المركب المزجي - ومنه الأعداد المركبة ؛ كأحدَ عشرَ . . . - والشائع أنه ينسب إلى صدره أيضاً مع الاستغناء عن عجزه ؛ سواء أكان صدره معتل الآخر أم صحيحاً . نحو : (مُجَنَّدِيْ شَهَرِيْ ، وقَالِيْقَلَا) (وحضَرَمَوْتِيْ وبَنَدَرَشَاهِيْ) وكلها أسماء بلاد ؛ فيقال فيها : مُجَنَّدِيّ وقَالِيّ - بحذف حرف علمتهما ووضع ياء النسب مكانه^(٣) - وحضَرِيّ وبندَرِيّ ، هذا هو الرأي الشائع .

ومن النحاة من يميز النسب إلى العجز وحده مع الاستغناء عن الصدر بحذفه ، ومنهم من يميز النسب إلى الصدر وإلى العجز معاً بزيادة ياء النسب في آخر كل منهما ، مزيلا تركيبهما ، فيقول : مُجَنَّدِيّ شَهَرِيّ بإدخال ياء النسب على كل منهما . ومنهم من ينسب إلى المركب باقياً تركيبه بإدخال ياء النسب على العجز وحده مع ترك الصدر قبله على حاله ؛ فيقول : مُجَنَّدِيْ شَهَرِيّ - وقَالِيْقَلَاوِيّ - (والياء آتية في صدر المركب حرف علة وليست للنسب) - وحضَرَمَوْتِيّ - وبندَرَشَاهِيّ . . .

(١) ستجىء ملحقاته في رقم ٢ .

(٢) يلحق به في الحكم السالف بعض ألفاظ ، ليست مركبات إسنادية ، ولكنها مثله في النسب إلى الصدر ، منها : لولا - حيثاً - لوما - أينما - . . . فيقال في النسب إليها : لَوِيّ ، بالتخفيف - حَيثِيّ لَوِيّ ، بالتخفيف - أَيّْ .

(٣) الصدر في الكلمتين كما هو مُجَنَّدِيّ وقال . . . وفي النسب إلى « مُجَنَّدِيّ . . . » يقال : مُجَنَّدِيّ بحذف ياء العلة ، أو : مُجَنَّدَوِيّ ؛ بقلبها واواً ، وذلك أن حذف العجز يجعل الياء في آخر الصدر ، وهي ياء رابعة في اسم أصله منقوص ، وحكم الياء الرابعة في المنقوص جواز حذفها عند النسب ، وهو الأحسن ، أو قلبها واواً قبلها فتحة (كما عرفنا في رقم ٥ من ص ٧٢٠) . ومثل هذا يقال في النسب إلى : « قال . . . »

وهكذا . وحجته أن النسب بهذه الصورة يوضح المنسوب إليه ، ولا يقع في لبس .
وهذا رأى حسن ، ولعله أنسب الآراء اليوم .

وهناك صور مسموعة من النسب إلى أنواع المركب ، تخالف ما تقدم ، وقد حكموا عليها بالشذوذ . ومنع القياس عليها ؛ كصوغهم : وزن «فَعْلَل» (بفتح فسكون ففتح . . .) من المضاف والمضاف إليه ^(١) معا . والنسب إلى تلك الصيغة ، كقولهم في : تَسِيمُ الآلات . وعبد الدار ، وامرئ القيس الكندي . وعبد القيس ، وعبد شمس . . . تَسِيمُ كَلْبِي - عَبْدَ رِي - مَرْقَسِي - عِبْقَسِي - عِبْشَمِي ^(٢) .

* * *

(ب) النسب إلى جمع التكسير ^(٣) ، وما في حكمه .

١ - إذا أريد النسب إلى جمع التكسير . الباقي على دلالة الجمعية فالشائع ^(٤) هو النسب إلى مفردة ؛ فيقال في النسب إلى : بساتين ، وكتبة ، ومدارس ، وحقول . . . - : بُسْتَانِي ، وكاتبِي ، ومدرسي ، وحقلِي .

فلن لم يبق جمع التكسير على دلالة الجمعية : بأن صار علماً على مفرد ، أو على جماعة واحدة معينة مع بقائه على صيغته في الحالتين - وجب النسب إليه

(١) وهذا نوع مما يسمى : النحت .

(٢) وفي النسب إلى المركب يقول الناظم :

وَأَنْسَبُ لَصَدْرٍ جُمْلَةً وَصَدْرٍ مَا رُكِّبَ مَرْجَأً ، وَلِثَانٍ تَمَّما : - ١٦ -

إِضَافَةً مَبْدُوءَةً بِابْنٍ أَوْ أَبٍ أَوْ مَالِهِ التَّعْرِيفُ بِالثَّانِي وَجَبَ - ١٧ -

المراد بالجملة : المركب الإسنادي ، فإن كان جملة صدرها فعل ، فهي فعلية ، أو اسم فهي اسمية . وقد تبين باختصار أن النسب الشائع للمركب الإسنادي يكون لصدره ، وكذلك للمركب المرجعي . وأن النسب يكون للثاني (أى : للعجز) إذا كان متمماً لمضاف هو : كلمة ؛ ابن ، أو أب ، أو غيرها مما يستفيد التعريف من الثاني ؛ أى : من المضاف إليه على الوجه الذي شرحناه - ثم صرح بأن النسب في المركب الإضافي عند أمن اللبس يكون للصدر في غير ما نص عليه أنه للعجز ، قال :

فِيمَا سِوَى هَذَا انْسُبْنِ لِلْأَوَّلِ مَا لَمْ يُخَفَ لَبْسُ كَعْبَدِ الْأَشْهَلِ - ١٨ -

(٣) أما النسب إلى جمع المذكر السالم ، أو جمع المؤنث السالم ، أو المثني ، فقد سبق الكلام عليه مفصلاً في ص ٧٢٤ وما بعدها .

(٤) عند البصريين - كما سيجيء - .

على لفظه وصيغته ؛ فيقال في النسب إلى الجزائر - وهى الإقليم العربى المعروف فى بلاد المغرب - وعُلماء ، وقُدراء وأخبار ، وأهرام ، وجبال ، وتُلول .. . (وكلها أعلام مشهورة فى وقتنا) جزائرى ، عُلَمائى ، وأخبارى ، وأهرامى ، وجبالى ، وتُلولى . كما يقال فى النسب إلى جماعة اسمها : أنصار الدفاع ، وأخرى اسمها : الأبطال ، ودولة اسمها : المماليك ... - أنصارى ، وأبطالى . ومما لىكى ، ولا يصح النسب إلى المفرد ؛ منعاً للإبهام واللّبس ؛ إذ لو قلنا : (الجزيرى أو الجزرى ، وعالمى ، وقارنى ، وخبرى ، وهرمى ، وجبلى ، وتلمى ، وناصرى ، وبطلى ، وملوكى ، . . .) لالتبس الأمر بين النسب إلى المفرد والنسب إلى الجمع .

فإن كان اللفظ معدوداً من جموع التكسير ؛ لمجرد أنه على وزن صيغة من صيغ التكسير ، وليس له مفرد - فإنه ينسب إليه على صيغته ؛ نحو : عبّاديد ، وشمّاطيط (وكلاهما بمعنى : جماعات متفرقة) والنسب إليهما : عباديدى ، وشمّاطيطى .

هذا هو المذهب البصرى الشائع . أما الكوفيون فيجيزون النسب إلى جمع التكسير الباقى على جمعيته مطلقاً^(١) . وحجتهم : أن السماع الكثير يؤيد دعواهم - وقد نقلوا من أمثله عشرات - وأن النسب إلى المفرد يوقع فى اللبس كثيراً ، ورأيهم حسن مفيد ، وقد ارتضاه المجمع اللغوى القاهرى^(٢) . فعندنا مذهبان صحيحان ؛

-
- (١) أى : سواء أكان اللبس مأموناً عند النسب لمفرده ؛ (نحو أنهارى ، فى النسبة إلى : نهر) أم غير مأمون ، (نحو : جزائرى ، فى النسبة إلى بلاد « الجزائر » المعروفة) .
 (٢) جاء فى الصفحة الرابعة من محاضر جلسات المجمع فى دور انعقاده الثالث ما نصه بلسان رئيسه : يقول :

« قرار المجمع بشأن النسبة إلى جمع التكسير عند الحاجة ، كإرادة التمييز ، ونحو ذلك : رأى المجمع فى هذا أن النسبة إلى الجمع قد تكون فى بعض الأحيان أبين وأدق فى التعبير عن المراد من النسبة إلى المفرد . بهذا عدل عن مذهب البصريين القائلين بقصر النسبة على المفرد ، إلى مذهب الكوفيين المرخصين فى إباحة النسبة إلى الجمع ؛ توضيحاً وتبييناً » . ا هـ .

وقد تضمنت الصفحتان العاشرة والحادية عشرة من محاضر ذلك الدور الأدلة العلمية والدواعى للقرار السالف وجاء فى ختامها ما نصه :

لا يفضل أحدهما الآخر في سياق معين إلا بالوضوح والبعد عن اللبس ، فإذا أمِن اللبس فالأفضل محاكاة المذهب الشائع : لأنه أكثر في الوارد الفصيح .

٢ - وإذا أريد النسب إلى ما في حكم جمع التكسير من الكلمات الدالة على جماعة من غير أن ينطبق عليها تعريفه ؛ ولا أن تسمى باسمه ، أو تلحق به - وجب النسب إلى لفظها ؛ فيدخل في هذا اسم الجمع ^(١) : كقوم . ورهط . والنسب إليهما : قومي ورهطي . ويدخل أيضاً اسم الجنس الجمعي ^(٢) : الذي يُفترق بينه وبين واحده بالياء المشددة أو بالتاء . كتُرْك . وروم . وشجر وورق . . . ، والنسب إليها : تركي . ورومي . وشجري . وورقي . . . وهذا نسب يقع في لبس ؛ لاشتراكه بين المفرد والجمع . فيكون التفريق والتعيين بالقرائن التي توضح نوع المنسوب إليه . وتحدده ^(٣) . . .

* * *

(ح) كثير في الأساليب الفصيحة المسموعة استعمال صيغة : « فَعْعَال » للدلالة على النسب ^(٤) - بدلا من يائه - وكثر هذا في الحِرَاف ؛ فقالوا : حدّاد ؛

= (أهل الكوفة يخالفون أهل البصرة في مسألة النسبة إلى الجمع برده إلى واحد ؛ فيجوز أن ينسب إلى جمع التكسير بلا رد إلى واحد ؛ فلا يغير الوضع . وهذا هو الأصل العام ، وفيه إبداء لإرادة المتكلم ؛ فيتميز المنسوب إلى الجمع من المنسوب إلى واحد ؛ فيقال مثلا في النسبة إلى الملوك : الملوكي ، وفي النسبة إلى الدُّوَل : الدُّوَلِي ، وفي النسبة إلى الكُتُب : الكُتُبَانِي ، فلا تستوي النسبة إلى الجمع والنسبة إلى واحد .) ولقد كثر النسب إلى الجمع فيما مضى وغلب حتى جرى مجرى الأعلام ؛ فثلا قيل : الدوانيقي ، لأن جعفر المنصور الخليفة العباسي ، وقيل لغيره : الكرابيسي ، والأنماطي ، والمحامي ، والشعالي ، والجواليقي ، . . . واستمر النسب إلى الجمع على هذا النحو إلى الآن . والجمع إنما ينسب إلى لفظ جمع التكسير عند الحاجة ؛ كالتمييز بين المنسوب إلى الواحد ، والمنسوب إلى الجمع . . .)

(١) سبق تعريفه في ص ٦٨٠ .

(٢) عند من يعتبره قسما مستقلا عن جمع التكسير . - وقد سبق تعريفه في ح من ص ٦٨١ .

(٣) فيما سبق من النسب إلى جمع التكسير يقول ابن مالك :

وَالوَاحِدَ إِذَا كُرَّ نَاسِبًا لِلْجَمْعِ إِنَّ لَمْ يُشَابِهْ وَاحِدًا بِالْوَضْعِ - ٢٤

والمراد بمشابهته للواحد بالوضع : أن يكون علما على واحد ؛ كأنمار وذئاب ، أو يشتهر في جماعة معينة حتى يصير بمنزلة العلم عليها ؛ كالأنصار . - وهم أهل المدينة من أنصار الرسول عليه السلام - فقد اشتهرت جماعتهم بهذا الاسم حتى صار علما عليها ؛ فيكون النسب إليها : أنصاري .

(٤) جعلوا منه قوله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد) ، أي : بمنسوب إلى الظلم . وحجتهم أن =

لمن حِرْفَتُهُ : « الحِدَادَةُ » ، وَنَجَّارٌ : لمن حِرْفَتُهُ : « النِّجَّارَةُ » . وكذا لِسَانٌ ، وَبَقَالٌ : وَعَطَّارٌ : وَنَحَّاسٌ ، وَجَمَّالٌ : ونحوها من كل منسوب إلى صناعة معينة^(١) . . .

والأحسن الأخذ بالرأى القائل بقياس هذا في النسب إلى الحِرَف : لأن الكثرة الواردة منه تكفي للقياس .

ومن الجائز أن يزداد على آخره التاء للدلالة على المفردة المؤنثة : أو الجماعة ، فيقال : الحِدَادَةُ . والنِّجَّارَةُ . واللَّبَّازَةُ . والْبَقَالَةُ . والعَطَّارَةُ . والنَّحَّاسَةُ ، والجمالة . وكل هذا على إرادة المفردة المؤنثة : أو إرادة الجماعة ، المقصود منها الجماعة الحِدَادَةُ . . . أو غيرها . . . لأن الجماعة مؤنثة . . .

ومن المسموع القليل في النسب صيغة . فاعِلٌ : وَفَعِلٌ (بفتح فكسر) مراداً بهما : صاحب كذا . . . فيقال تامر . وكاسٍ . وصانِعٌ . وحائكٌ ، بمعنى : صاحب تمرٌ ، وصاحب كِسَاءٍ . وصاحب صياغة ، وصاحب حِيَاكَةٍ . . .^(٢) ويقال : (طاعِمٌ ، أو : طَعِيمٌ) ، (ولايِنٌ ، أو : لَبِيْنٌ) ، بمعنى : صاحب طعام . وصاحب لَبِيْنٍ . ويقال : نَهِيْرٌ ، (أَيْ : صاحب نهار) . ومنه قول الشاعر :

== صيغة : « فَعَمَّالٌ » هنا لو كانت للمبالغة لكان النفي منصباً على المبالغة وحدها ؛ فيكون المعنى : وما ربك بكثير الظلم ، فالنفي هو الكثرة وحدها دون الظلم الذي ليس كثيراً . وهذا معنى فاسد ، لأن الله لا يظلم مطلقاً ، لا كثيراً ولا قليلاً

ومن قال بقياسية صيغة « فَعَمَّالٌ » « المبرد » من البصريين ، ومعه فريق منهم ، وفريق آخر من الكوفيين ، خلافاً لسيبويه . وبرأى القياسيين المخالفين لسيبويه أخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(١) وقد شاع اليوم استعمال : « فَنَنَّانٌ » في المنسوب إلى « الفنِّ » الذي يراد به بعض الحِرَف المعينة ؛ كالرسم ، والتصوير ، والغناء ، والتمثيل . . . ، ولا بأس بهذا الاستعمال ، وإطلاق كلمة : « فَنَنَّانٌ » على من يمارس بعض هذه الفنون صناعة ، ويتخذ حرفة له . ولا مانع من استعمال الكلمة أيضاً في بعض معانيها اللغوية الأخرى ، كالمبالغة وغيرها . . . مما يوافق اللغة ، ويناسب السياق .

(٢) الأماي ، ج ١ ص ١٨٥ . ونقل صاحب المزهري -- ج ٢ ص ١٧٥ باب : « فاعِلٌ » ، بمعنى : صاحب كذا - ألفاظاً أخرى ، منها : خابِزٌ ، وتارسٌ ، وفارسٌ ، وماحِضٌ ، ودارعٌ ، ورايحٌ ، ونابِلٌ ، وناعِلٌ . . . ، ومعناها : صاحب خبزٍ ، وَتُرْمُسٌ ، وفرسٌ ، ومَحْضٌ (أَيْ : لبن خالص) ودَرِجٌ ، ورمجٌ ، وَنَبِيلٌ ، وَنَمْعَلٌ . . .

لَسْتُ بِمِلْيَیِّ وَلَكِنِّي نَهْرٌ لَا أَدْلُجُ اللَّیْلَ وَلَكِنْ أَبْتَکِرُ
وَالْأَنْسَبَ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الْمَسْمُوعِ مِنْ هَاتَيْنِ الصَّیغَتَيْنِ . دُونَ الْقِيَاسِ
عَلَيْهِمَا : ثَمَلَةُ الْوَارِدِ مِنْهُمَا ، وَلِخَفَاءِ الْمَعْنَى مَعَهُمَا (١) ...

* * *

(د) فِي النِّسْبِ الْمَسْمُوعِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْمُخَالَفَةِ لِلضُّوَابِطِ وَالْأَحْكَامِ
السَّالِفَةِ . وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا أَمْرَانِ وَاجِبَانِ .

أَوَّلُهُمَا : الْحُكْمُ بِشَذُوذِهَا ؛ وَعَدَمُ الْقِيَاسِ عَلَيْهَا . وَمِنْهَا : دُهُرِيٌّ فِي
النِّسْبِ إِلَى : دَهْرٍ - وَمَرْوَرِيٌّ . فِي النِّسْبِ إِلَى مَدِينَةِ « مَرْو » - الْفَارَسِيَّةِ -
وَجَمَلُولِيٌّ فِي النِّسْبِ إِلَى . « جَمَلُولَاءِ » (اسْمُ مَدِينَةٍ) وَرَازِيٌّ ، فِي النِّسْبِ إِلَى مَدِينَةِ :
الرَّيِّ (٢) . وَصِنَعَانِيٌّ فِي النِّسْبِ إِلَى مَدِينَةِ : صِنَعَاءِ الْيَمَنِيَّةِ - وَأُمَيَّيَّتِيٌّ فِي النِّسْبِ إِلَى
أُمَيَّةٍ . وَفَوْقَانِيٌّ وَتَحْتَانِيٌّ فِي النِّسْبِ إِلَى فَوْقٍ وَتَحْتَ . وَرَقَبَانِيٌّ وَشَعْرَانِيٌّ ؛ لِعَظِيمِ
الرَّقَبَةِ . وَكَثِيرِ الشَّعْرِ

لَكِنْهُمْ قَالُوا إِنْ الْكَلَامُ الْفَصِيحُ الْمَأْثُورُ يَتَرَدَّدُ فِيهِ كَثِيرًا زِيَادَةُ أَلْفٍ وَنُونٍ قَبْلَ
يَاءِ النِّسْبِ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى النِّسْبِ وَمَعَهُ شَيْءٌ آخَرٌ ؛ هُوَ زِيَادَةُ
مَعْنَى الْكَلِمَةِ قُوَّةً ، وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ ؛ وَمِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ لِحَيَّيَانِيٌّ - لِطَوِيلِ اللَّحْيَةِ ،
وَجُمَّانِيٌّ لِطَوِيلِ الْجُمُوعَةِ ، وَرَقَبَانِيٌّ لِطَوِيلِ الرَّقَبَةِ . وَشَعْرَانِيٌّ لِطَوِيلِ الشَّعْرِ (٣) ...

(١) وَفِي اسْتِخْدَامِ الصَّيْغِ الثَّلَاثِ فِي النِّسْبِ بَدَلًا مِنْ يَاءِهِ يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ :

وَمَعَ «فَاعِلٍ» . «وَفَعَّالٍ» ، «فَعِلٌ» فِي نَسْبِ أَغْنَى عَنْ «أَلْيَا» ؛ فَقَبْلُ-٢٥
وَتَقْدِيرُ الْبَيْتِ : «وَفَعِّلٌ» أَغْنَى عَنْ الْيَاءِ فِي نَسْبِ ، قَبِيلٌ مِنْ فَعَّالٍ ، وَفَعَّالٌ ... فَكَلِمَةُ «فَعِلٌ» مُبْتَدَأٌ ، خَبْرُهُ
الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ الْمَكُونَةُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَاضِي : «أَغْنَى» وَمِنْ فَاعِلِهِ . وَكَلِمَةُ : «مَعَ» حَالٌ مِنْ هَذَا الْفَاعِلِ .
وَالْمُرَادُ مِنْ أَنَّهُ أَغْنَى مَعَ فَاعِلٍ وَفَعَالٍ . . . أَنْ هَاتَيْنِ الصَّيْغَتَيْنِ مَعَهُ فِي هَذَا الْحُكْمِ ، أَيْ : يَشْتَرِكَانِ مَعَهُ فِيهِ ،
وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الثَّلَاثَةَ تَجْتَمِعُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَجُمْلَةً وَاحِدَةً لِتَدُلَّ عَلَى النِّسْبِ مُجْتَمِعَةً .

وَيَفْهَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ النَّاطِقَ يَقْبَلُ قِيَاسِيَةَ الثَّلَاثَةِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى النِّسْبِ ، وَلَكِنْ رَأْيُهُ لَيْسَ بِالْأَرْجَحِ .

(٢) إِحْدَى الْبِلَادِ الْفَارَسِيَّةِ قَدِيمًا ، فِي الْقِسْمِ الْمُسَمًّى : بِالْعِرَاقِ الْعَجَمِيِّ .

(٣) جَاءَ فِي الْمَقْتَضَبِ - ٣ ص ١٤٤ فِي الْهَامِشِ مَا نَصَّهُ : « (فِي سَبْيُوِيهِ ج ٢ ص ٨٩

» بَابٌ : مَا يَصِيرُ إِذَا كَانَ عَامًا فِي الْإِضَافَةِ (أَيْ : فِي النِّسْبِ) عَلَى غَيْرِ طَرِيقَتِهِ . . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي
الطَّوِيلِ الْجُمُوعَةِ : جُمَّانِيٌّ ، وَفِي الطَّوِيلِ اللَّحْيَةِ : لَحَّيَّانِيٌّ ، وَفِي الْغَلِيظِ الرَّقَبَةِ : رَقَبَّانِيٌّ . فَإِنْ سَمِيتَ بِرَقَبَةٍ =

ومن النسب المسموع^(١) الخاضع للحكم السالف نوع آخر : يتميز بأن خففوا فيه ياء النسب المشددة : فحذفوا إحدى الياءين المدغمتين : وأتوا بدلاها بألف لتعويض عنها قبل لام الكلمة : فقالوا في يمني : يمانيّ^(٢) . وفي شامي : شاميّ . وبياء واحدة فيهما ساكنة . ويصير الاسم بهذا منقوصاً : تقول قام اليماني ، ورأيت اليماني ، ومررت باليماني . وتحذف الياء عند تنوينه^(٣) . . . وهكذا . ولأن هذه الألف عوض عن الياء لا يجتمعان إلا شذوذاً في ضرورة الشعر^(٤) .

ثانيهما : إذا سُمِّيَ باسم شذت العرب في النسب إليه . كـ بعض أمثلة الأمر الأول — ، فخرج باستعمالهم عن نطاق الضوابط العامة التي تراعى في النسب القياسي — وجب إخضاعه لهذه الضوابط القياسية وحدها متى صار علماً يراد النسب إليه ، ولا اعتبار للنسب المسموع فيه قبل العلمية . . .^(٥)

(هـ) إن كان المنسوب مؤنثاً وجب الإتيان بقاء التأنيث بعد ياء النسب : للدلالة على تأنيثه — إن لم يوجد مانع آخر — ؛ فيقال : قرأت بحوثاً علمية وأدبية عميقة لغتيات عربيات ، فيهن العراقية ، والمصرية ، واللبنانية . والسورية . . .^(٦)

= أو جُسمَة أو حية ، قلت : رَقَبَيَّ ، وجُسمَيَّ ، ولَحَوِيَّ . وذلك أن المعنى قد تحول . إنما أردت حيث قلت : « جُسمَانِي : الطويل الجسم » ، وحيث قلت : « اللحيَّانِي » : الطويل اللحية . فلما لم تكن ذلك أجرى مجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى ، وقال في ص ٧٠ : « فهذا كـ حِجْرَانِي وشبهه »^(١) .

ثم جاء بعد ذلك مباشرة قول المحقق الذي أشرف على إخراج « المختضب » ما نصه :

(وفي « المختص » أمثلة كثيرة لهذا النوع من النسب) ثم ذكر بعضاً منها ودل على دواضعها في المختص . والمفهوم من كل ما سبق أن تلك الزيادة لتحقيق الغرض المقصود منها كثيرة كثيرة قد تبيح القياس عليها . ولهذا أثر عدم الالتجاء إليها إلا حيث تشتد الحاجة للأخذ بها لتحقيق الغرض من الزيادة .

(١) وفي النسب الشاذ وجوب الاختصار على الوارد منه ، وعدم القياس عليه يقول الناطم في

ختام الباب :

وغيرُ مَا أَسْلَفْنَاهُ مُقَرَّرَا عَلَى الَّذِي يُنْقَلُ مِنْهُ اقْتِصَارَا

التقدير : غير ما أسلفته اقتصر على الذي ينقل منه . أى : على الذي ورد منقولا عن العرب ، سموغاً عنهم ، ولا يزداد عليه باحكاكة أو القياس .

(٢) الأحسن الاختصار فيما يأتي على المسموع فقط .

(٣) هذه الكلمة بيان مفيد رقم ٣ من هامش ص ٧١٦ .

(٤) راجع المجمع ص ٢ ص ١٩٨ . (٥) راجع الأشموني .

(٦) سبقَت الإشارة لهذا في رقم ١ من هامش ص ٧١٨ لمناسبة هناك .

التَّصْرِيفُ

تعريفه :

يراد به هنا : (التغير الذى يتناول صيغة الكلمة وبشئيتها ؛ لإظهار ما فى حروفها من أصالة ، أو زيادة ، أو حذف ، أو صحة ، أو إعلال ، أو إبدال ^(١)) ، أو غير ذلك من التغير الذى لا يتصل باختلاف المعانى .

فليس من التصريف : عند جمهرة النحاة ، تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة ؛ لتؤدى معانى مختلفة . (كالتصغير . والتكسير . والتنشئة . والجمع . والاشتقاق ...) ولا تغيير أواخرها لأغراض إعرابية ، فإن هذا التغير وذلك التحويل يدخلان فى اختصاص « النحو » ، وبحوثه عند تلك الجمهرة .

موضوعه :

يختص التصريف بالأسماء العربية المتمكنة ، والأفعال المتصرفة ؛ فلا شأن له بالأسماء الأعجمية . ولا بالأسماء العربية الميمية ؛ كالضمائر ، ولا بالأفعال الجامدة ، كعمى وليس . ولا بالحروف بأنواعها المختلفة .

وليس بين الأسماء المتمكنة ولا الأفعال المتصرفة ما يتركب من أقل من ثلاثة أحرف ، إلا إن كان بعض أحرفه قد حذف . مثل : يد . وقيل ، ومُ الله ^(٢) ... والأصل : يدئى ، وقول . وأيئمن الله ... وهذا هو المراد من قوهم : لا يوجد التصريف فى كلمة تقل أحرفها عن ثلاثة فى أصلها ، قبل حذف شئ . منها ^(٣) ...

* * *

(١) للإعلال والإبدال باب خاص - فى ص ٧٥٦ - .

(٢) يذكر هذا فى القَسَم . وأصله : أيمن الله ؛ جمع : يمين .

(٣) فيما سبق يقول ابن مالك فى باب عنوانه : « التصريف » :

حَرْفٌ وَشَبْهُهُ مِنَ الصَّرْفِ بَرَى وما سواهما بَتَصْرِيفِ حَرَى - ١

المراد : شبه الحرف : الأسماء المبنية ، والأفعال الجامدة ؛ لأن هذين النوعين يشبهان الحرف فى الجود والبناء . وكلمة : « برى » أصلها : برئ ؛ بمعنى : خلا وابتمد . وحرى ، أصلها : حرى - أوحتر ، بمعنى : جدير ومستحق . ثم قال :

وليس أدنى من ثلاثى يرى قابلَ تصريفِ سوى ما غيراً - ٢

المجرد والمزید من الأسماء والأفعال :

ينقسم الاسم إلى مجرد ومزید ؛ فالمجرد : (ما كانت أحرفه أصلية . ليس فيها شيء من أحرف الزيادة التي يجمعها قولك : « سألتُمُونِها ») ولكل منها علامة يعرف بها ، — وستجىء —

والمزید : (ما اشتمل على بعض أحرف الزيادة .) ويُعرَف الحرف الزائد ، بالاستغناء عنه ، في بعض التصريفات ، مع تأدية الكلمة بعد سقوطه معنى مفيداً . أما الأصلي فلا يمكن الاستغناء عنه ؛ إذ لا تؤدي الكلمة معنى مقصوداً بعده — في الأغلب ^(١) — والاسم المجرد قد يكون ثلاثياً ، نحو : حَجَرٌ ، وقد يكون رباعياً ، نحو : جَعْفَرٌ ، أو خماسياً ، نحو : سَفَرَجَلٌ . ولا يزيد الاسم المجرد على خمسة أحرف . والاسم المَزِيد ^(٢) قد تكون زيادته حرفاً واحداً على أصوله الثلاثة ؛ كالألف في : كتاب ، وقد تكون حرفين ؛ كالألف والميم في : مُكَاتِبٌ . وقد تكون ثلاثة : كالإم ، والسين والتاء في : مستكتب ، وقد تكون أربعة ؛ كالهَمْزة ، والسين ، والتاء والألف . في : استكتاب . ولا يتجاوز الاسم المزید سبعة أحرف ^(٣) . . .

والزيادة التي تدخل الأسماء الحامدة مقصورة — في الغالب — على السماع الوارد عن العرب .

أما الفعل فمجرده إما ثلاثي ؛ نحو : خرج ، وإما رباعي ، نحو : دحرج . وليس للرباعي وزن آخر ، ولا يتجاوز المجرد هذا .

ومَزِيد الفعل ^(٢) قد تكون زيادته حرفاً على ثلاثي الأصول ؛ نحو : خارَجَ ، أو حرفين نحو : تَخَارَجَ ، أو ثلاثة ؛ نحو : يتَخَارَجُ . وقد تكون زيادته حرفاً على رباعي الأصول ؛ نحو : يدحرج ، أو حرفين ، نحو : يتدحرج ، ولا يتجاوز

(١) قد تؤدي أحياناً بعد الحذف معنى ، ولكنه معنى يخالف ما كانت تؤديه قبل الحذف ، كحذف الجيم ، أو الفاء من : جعفر . . .

(٢ ، ٣) ملاحظة : تجيء حروف الزيادة في الأسماء والأفعال لتجلب معها بعض المعاني الجديدة التي لم تكن قبل مجيئها . وقد شرحنا هذا تفصيلاً ، وسردنا تلك المعاني في الجزء الثاني — باب : تعدى الفعل ولزومه م ٧١ ص ١٥٢ — وما بعدهما . (٣) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَمُنْتَهَى اسْمٍ خَمْسٌ أَنْ تَجَرَّدَا وَإِنْ يُزْدَ فِيهِ فَمَا سَبْعاً عَدَا — ٣ (أى : فأجاز سبعا) .

الفعل بالزيادة ستة^(١) أحرف .

وأمر باده التي تدخل الأفعال المختلفة ، وأنواع المشتقات لأداء معنى معين ،
فإنسية بالطريقة التي تشير اللغة بها .

* * *

أبنية الاسم الثلاثي المجرد (أى : صِيغُهُ) ، والفعل الثلاثي المجرد .

(١) الاسم الثلاثي المجرد يكون مفتوح الأول ، أو : مضموم ، أو مكسور ، ولا يكون ساكنًا ، أما ثانيه فقد يكون مفتوحًا ، أو مضمومًا ، أو مكسورًا ، أو ساكنًا . فالصور العقلية التي تحدث من هذا : اثنتا عشرة صورة ، لأن فتح الأول قد يكون مع فتح الثاني أو ضمه ، أو كسره ، أو سكونه ، فهذه صور أربع ، وضم الأول يكون مع الحالات الأربع في الثاني ، فتنشأ صور أربع أخرى . وكسر الأول قد يكون مع الحالات الأربع في الثاني ، فتنشأ صور أربع أيضًا ، فجموع هذه الصور اثنا عشر ، كما قلنا : أما آخر الثلاثي فلا صلة له بما قبله ، لأنه متصل بالإعراب وعلاماته .

وجميع هذه الصور العقلية واقعية ؛ أى : لها ألفاظ عربية كثيرة تؤيدها ، إلا صورتان . إحداهما ممنوعة في رأى الأرجح - وهى الصورة التي يكون فيها أول الاسم مكسورًا وثانيه مضمومًا . والأخرى قليلة ، وهى عكس السألفة (أى : يكون الاسم فيها مضموم الأول مكسور الثاني ، مثل : دُئِلَ ؛ اسم قبيلة) وما عدا هاتين صحيح فصيح . نحو : (فَرَسٌ - عَضُدٌ - كَبِيدٌ - صَخْرٌ) . ونحو : (صُرْدٌ - عُنُقٌ - دُئِلٌ - قُنْفُلٌ) - ونحو (عِنَبٌ - حَبْلُكُ^(٢) - إِبِلٌ - عِلْمٌ ...)^(٣)

(١) وفى هذا يقول ابن مالك :

وَمُنْتَهَاهُ أَرْبَعٌ إِنْ جُرِّدَا وَإِنْ يُزْدَ فِيهِ فَمَا سِتًّا عَدَا - ٧

- وسيعاد البيت في ص ٧٥٠ ، لمناسبة هناك .

(٢) هذه هى الصيغة المرجح أنها المنوعة أو المهملة . وقيل منها : الحَبْلُكُ - بكسر فظم - جمع : حَبْلَاكُ ، لنوع من الحبال القوية . ودروع الحديد ، وطرق النجوم .

(٣) يقول ابن مالك :

وغيرُ آخرِ الثَّلَاثِيّ افْتَحَ ، وَضُمَ وَكَسِرَ ، وَزِدَ تَسْكِينَ ثَانِيهِ تَعَمُّ - ٤

(ب) أما الفعل الماضي الثلاثي المجرد فأبنيته أربعة ، لأن أوله مفتوح دائماً إلا حين بنائه للمجهول ، أما ثانيه فقد يكون مفتوحاً ، أو مكسوراً ، أو مضموماً
فالثلاثة المبنية للفاعل هي : (فَعْلَلْ كَسَطَرَ) ، (وَفَعِلْ كَسَلِمَ) (وَفَعِلْ كَحَسَّنَ وَشَرَفَ) . وأما الصيغة التي يبنى فيها للمجهول فهي : فَعِلْ ، كَعْرِفَ (١)

* * *

أوزان الاسم الرباعي المجرد (ولا بد أن يكون ثانيه ساكناً) .
له ستة أوزان :

- (أ) فَعْلَلَلْ - بفتح ، فسكون ، ففتح - ؛ نحو : جعفر .
(ب) فَعْلِلَلْ - بكسر ، فسكون ، فكسر - ؛ نحو قِرْمِز .
(ح) فُعْلَلَلْ - بضم ، فسكون ، فضم - ؛ نحو : بُرْثَن .
(د) فِعْلَلَلْ - بكسر ، فسكون ، ففتح - ؛ نحو : دِرْهَم .
(هـ) فِعْلَلْ - بكسر ، ففتح ، فتشديد اللام - ؛ نحو : هِزْبَر .
(و) فُعْلَلَلْ - بضم ، فسكون ، ففتح اللام الأولى ؛ نحو : جُنْدَب (٢) .

* * *

= غير آخر الثلاثي ، هو : أوله وثانيه ؛ فيجوز في كل منهما الفتح ، والضم ، والكسر ، ويزيد الثاني بجواز تسكينه . ثم قال :

وَفِعْلٌ أَهْمَلٌ ، وَالْعَكْسُ يَقِلُّ لِقَصْدِهِمْ تَخْصِيصَ فِعْلٍ بِفِعْلٍ - هـ
أى : أن العكس قليل ؛ لأن العرب أرادت أن تخصص صيغة فعلى بفعلى ؛ أى : بالفعل الماضي ،
الثلاثي ، المبنى للمجهول .

(١) يقول ابن مالك :

وَأَفْتَحْ ، وَضُمْ وَأَكْسِرِ الثَّانِي مِنْ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ ، وَزِدْ نَحْوَ : ضَمِنَ - ٦
ثم ساق بعد هذا بيتاً سبق شرحه - في ص ٧٤٩ - . وهو :

وَمُنْتَهَاهُ أَرْبَعٌ إِنْ جُرِّدَا ٧
أما الفعل الرباعي المجرد فليس له إلا وزن واحد - كما سبق - هو فَعْلَلَلْ ؛ مثل : دَحْنَج ،
ودَرْج ، بمعنى : ذل
(٢) الطويل الرجلين ، واسم حشرة .

أو زان الاسم الخماسى المجرد أربعة :

(أ) فَعْلَلَّ - بفتح ، ففتح ، فلام مشددة ، فأخرى غير مشددة ، -
نحو : سَفَرَجَل .

(ب) فَعْلَلَّ - بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح ثالثه . وكسر رابعه
ثم لام بعده ، نحو : جَحْمَرَش^(١) .

(ح) فَعْلَلَّ - بفهم أوله ، وفتح ثانيه ، فلام ساكنة مدغمة في نظيرتها
المكسورة ، فأخرى بعد المدغمتين ، نحو : قُدْعَمِل^(٢) .

(د) فَعْلَلَّ - بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح اللام الأولى ، فتشديد
الآخيرة - نحو : قِرْطَعَب^(٣) .

هذا والحرف الأصلى هو الذى يلزم فى جميع تصرفات الكلمة ، ولا تؤدى
المعنى المقصود بدونه ، والزائد هو الذى يمكن الاستغناء عنه - كما سبق^(٤) .

* * *

كيفية الوزن :

لا تَقِيلْ أصول الاسم الخالى من الحذف عن ثلاثة أحرف ، نحو : قَمَر ،
يرمز لكل منها برمز يسمى به . فيسمى الأول منها : « فاء الكلمة » ، والثانى :
« عين الكلمة » ، والثالث : « لام الكلمة » ، فيقال فى قَمَر : إنها على وزن :

(١) العجوز ، والأفعى الضخمة . . .

(٢) الضخم من الإبل .

(٣) للشئ الحقيق .

(٤) فى ص ٧٤٨ . وفى أوزان الرباعى والخماسى المجردين يقول ابن مالك :

لاسمٍ مجرّدٍ رباعٍ فَعْلَلُ وفَعْلَلُ وفَعْلَلُ وفَعْلَلُ - ٨

ومع فِعْل فَعْلَلُ ، وإنَّ عَلَا فمع فَعْلَلِ حَوَى فَعْلَلًا - ٩

كَذَا فَعْلَلُ وفَعْلَلُ وَمَا غَايَرَ لِلزَّيْدِ أَوْ النَّقِصِ انْتَمَى - ١٠

والحرفُ إن يلزم فأصلٌ . والذى لا يلزم الزائدُ ؛ مثلُ : « تا » احتذى - ١١

وقد سبقت الإشارة إلى معنى البيت الأخير فى أول الباب - ص ٧٤٨ .

فَعَمَلٌ ؛ فإن بقي بعد هذه الثلاثة حرف أصليّ عبّر عنه رمزاً باللام أيضاً ،
وتكرر اللام على حسب الأصول التي بعد الثلاثة الأولى . وإن كان في الكلمة حرف
زائد عبّر عنه بنصه ولفظه مع مراعاة ترتيبه . وبناء على هذا يكون وزن : قُفِّلَ ،
هو : فَعَمَلٌ . ووزن جعفر ، هو : فَعَمَلٌ ، ووزن فُسْتُقٌ ^(١) ، هو : فَعَمَلٌ .
أما وزن جوهر ، فهو : فَعَوَعَلٌ . ووزن خارج ، هو : فاعِلٌ ، ووزن مستخرج ،
هو : مستفَعِلٌ .

وإن كان الحرف الزائد على أصول الكلمة حرفاً مكرراً لحرف أصليّ وجب
النطق بالحرف الأصلي المكرر دون النطق بالحرف الزائد نفسه . فتقول في وزن كرم :
فَعَمَلٌ . وفي وزن اغند ودن : افْعَوَعَلٌ ، بالتعبير الرمزيّ عن الحرف المكرر بمثل
التعبير عن الأول ، ولا يصح أن يقال فيهما : فَعَمَلٌ ، ولا افْعَوَدَل ^(٢)

وإذا كان المكرر في رباعيّ فائز ولا منه الأيلى معاً من جنس واحد ، وعينه
ولامه الثانية معاً من جنس آخر ، ولم يكن أحد الأحرف المكررة صالحاً للسقوط —
فهذا النوع محكوم على حروفه كلها بالأصالة ، وليس فيها زائد . ومن الأمثلة
له : سَمْسَمٌ ، وضَمَمَتُم ^(٣) فإن صلح أحد الحروف المكررة للسقوط
(نحو : لَمَلَمٌ ، وكَفَكَفٌ ؛ أمران ماضيهما : لَمَلَمَ وكَفَكَفَ ، حيث
يصح أن يقال : لَمَ ، وكَفَ . . بإسقاط اللام الثانية والكاف الثانية) ، ففي
الحكم عليه خلاف لا يعنينا ^(٤) . . .

* * *

(١) على اعتبار حروفه كلها أصلية .

(٢) وهذا هو المراد من قول ابن مالك :

بِضْمَنِ فِعْلٍ قَابِلِ الْأَصُولِ فِي وَزْنٍ . وَزَائِدٌ بِلَفْظِهِ اكْتُفِيَ ١٢-
وَضَاعِفِ اللَّامِ إِذَا أَصْلُ بَقِيَ كَرَاءٍ : «جَعْفَرٍ» ، وَقَافٍ «فُسْتُقٍ» ١٣-
وقوله :

وإن يكُ الزائدُ ضِعْفَ أَصْلِي فاجعل له في الوزن ما لِلْأَصْلِ ١٤-
(٢) علّم (٤) يقول ابن مالك :

واحْكُمُ بِتَأْصِيلِ حُرُوفِ سَمْسَمٍ ونحوه . والخلف في : «كَلَمَلَمٍ» ١٥-

أحرف الزيادة ، وعلامة الحرف الزائد ، وبيان المعنى الذى يؤديه :

(١) أحرف الزيادة عشرة يجمعها لفظ : «سألتمونيها» — كما عرفنا — ولكل منها علامة تساعد على معرفة أنه زائد .

فالألف إذا صاحبت ثلاثة أحرف أصلية وجب الحكم بزيادتها ؛ نحو : ظافر — راغب . فإن صاحبت أصليين فليست زائدة^(١)

ويُحْكَم بزيادة الياء والواو إذا صاحبت بكل منهما ثلاثة أحرف أصلية ، نحو : صَيَّرَ ، وجوهر ، وَيَعْمَلُ^(٢) . وعجوز . ويستثنى من هذا : الشائى المكرر ؛ مثل : يُؤَيُّوُ^(٣) ووَغَوَعُ^(٤) فإنهما فيه أصليتان^(٥)

ويحكم بزيادة الهمزة والميم إن تصدَّرتا ، وبعد كل منهما ثلاثة أحرف أصلية ، مثل : أَبْرَعَ ، ومَعَدَن . فإن جاء بعدهما أقل من الثلاثة أو أكثر فاهمزة والميم أصليتان ؛ نحو : إِبِل ، وإِصْطَبِل^(٦) .

ويُحْكَم على الهمزة — أيضاً — بالزيادة إذا وقعت آخر الكلمة وقبلها ألف مسبوقة بثلاثة أصول ، أو أكثر نحو : حمراء — خضراء — عاشوراء . فإن تقدم على الألف حرف أصلى أو حرفان فاهمزة ليست زائدة^(٧) ؛ نحو : ماء — هواء . . .

وتكون النون زائدة إذا وقعت آخر الكلمة وقبلها ألف مسبوقة بثلاثة أصول أو

(١) يقول ابن مالك :

فَالِفٌ أَكْثَرُ مِنْ أَصْلَيْنِ صَاحِبَ زَائِدٍ ، بغير مَيْنٍ — ١٦
(المين = الكذب) .

(٢) الجمل القوى على العمل . (٣) اسم طائر . (٤) مصدر : وَغَوَعَ .

(٥) ويقول ابن مالك :

وَالْيَا كَذَا ، وَالْوَاوُ ، إِنْ لَمْ يَقَعَا كَمَا هِيَ فِي : يُؤَيُّوُ ، وَوَغَوَعَا — ١٧
(٦) وهذا معنى قول ابن مالك :

وَهَكَذَا هَمْزٌ وَمِيمٌ سَبَقَا ثَلَاثَةً تَأْصِلُهَا تَحَقُّقًا — ١٨
(٧) يقول ابن مالك :

كَذَاكَ هَمْزٌ آخِرٌ بَعْدَ أَلِفٍ أَكْثَرِ مِنْ حَرْفَيْنِ لَفْظُهَا رَدِفٌ — ١٩

أكثر ؛ فحكمها في هذا حكم الهمزة ، نحو : عثمان ، زعفران - طيلسان . إلا إذا كان قبل الألف حرف مشدد أو حرف لين ، كحَسَّان وعِقيَّان ، فالنون فيهما تحتل الأصالة والزيادة .

ويحكم على النون - أيضاً - بالزيادة إذا توسطت أربعة أحرف ، قبلها اثنان وبعدها اثنان ؛ نحو عَضَنْفَر ، وعَقَنْفَل^(١) . . .

ويحكم بزيادة التاء إذا كانت للتأنيث ، أو للمضارعة ، أو للاستفعال وفروعه . أو للمطاوعة ، نحو : فاضلة ، تقوم - تستغفر . . . - ونحو : علَّمته فتعلم ، ودحرجته فتدحرج . .^(٢) .

وتزاد « السين » باطراد مع التاء في صيغة « الاستفعال » وفروعه . أما في غيره فسماعية^(٣) .

وتكون الهاء زائدة في الوقف في حالات ؛ منها : الوقف على « ما » الاستفهامية المجرورة ؛ نحو : لِمَهْ ؟ والوقف على فعل الأمر المحذوف الآخر ، في نحو : رَهْ ؛ بمعنى انظُر (وماضيهم هو : رأى) ، والوقف على المضارع المحذوف الآخر للجزم ؛ في نحو : لم ترَهْ . وعلى كل مبنى على حركة لازمة ليست طارئة ؛ فاللازمة نحو : كيفه ، وهُوَهْ . والطارئة كالتي في المبنى الذي يضاف وقد انقطع عن الإضافة ؛ مثل : قبلُ ، وبعْدُ ، وكالتي في اسم « لا » ، والمنادى المبني ، لأن حركة البناء في هذه الأشياء عارضة . لسبب قد يزول . ويحكم بزيادة اللام في أسماء الإشارة ؛ نحو : ذلك ، وتلك ، وهنالك . . .^(٤)

(١) من معانيه : الوادى الكبير المتسع ، والرمل المتراكم . يقول ابن مالك :

وَالنُّونُ فِي الْآخِرِ كَالْهَمْزِ ، وَفِي نَحْوِ : غَضَنْفَرٍ أَصَالَةٌ كُنْفَى - ٢٠

التقدير : كنى النونُ أصالة بمعنى : استكنى وامتلأ .

(٢) يقول الناظم :

وَالتَّاءُ فِي التَّانِيثِ وَالْمُضَارَعَةِ وَنَحْوِ : الاسْتِفْعَالِ وَالْمُطَاوَعَةِ - ٢١

(٣) ومن المسموع زيادتها في « قُدْبُوس » ، بمعنى عظيم . وفي أسطاع يَسْتَطِيعُ بهِمزة القطع -

بمعنى : أطاع يطيع .

(٤) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَالْهَاءُ وَقْفًا ؛ كَلِمَةٌ ؟ وَلَمْ تَرَهْ وَاللَّامُ فِي الْإِشَارَةِ الْمَشْتَهَرَةِ - ٢٢

هذا ، ويقول النحاة : إذا خلا حرف من أحرف الزيادة من العلامة الدالة على زيادته وجب الحكم بأصالته ، إلا إن قام دليل آخر يصلح حجة على الزيادة ؛ ومن ذلك سقوط همزة : « شمأل » في بعض الأساليب الصحيحة التي منها : شمكت الريح شمولاً ؛ بمعنى : هبتت شمساً ، ومن ذلك سقوط نون « حنظل » في قولهم : حظمت الإبل إذا أضرها أكل الحنظل ، ومنها ، سقوط تاء الملكوت^(١) في كلمة : الملك...^(٢)

(ب) لكل حرف من حروف الزيادة معنى يؤديه ، وفائدة يجلبها معه^(٣) ؛ فزيادة الهمزة في أول الفعل الثلاثي قد تفيد نقل معنى الفعل إلى مفعوله ، ويصير بها الفاعل مفعولاً ؛ مثل خنقى القمر ، وأخفى السحاب القمر . وتضعيف عين الفعل الثلاثي - غير الهمزة - قد تفيد التكرار والتهميل ، نحو : علمت الراغب ، وبصرته بالحقائق . وتحويل الفعل إلى صيغة : « فاعل » قد تفيد الدلالة على المشاركة . وزيادة السين والتاء على الفعل الثلاثي قد تفيد الطلب ، أو الصيرورة ، أو النسبة إلى شيء آخر . . إلى غير هذا مما سبق بيانه الهام مفصلاً في موضعه المناسب...^(٣)

= وتقدير الشطر الثاني : واللام المشتهرة في الإشارة ، أى : زيادتها مشتهرة في الإشارة . فاللام مبتدأ . (المشتهرة مبتدأ ثان ، خبره الجار والمجرور ، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر الأول ، أى : واللام زيادتها المشتهرة كائنة في الإشارة) .

(١) العز والمملكة . (٢) وفي هذا يقول الناظم خاتماً باب : التصريف :

وامنع زيادة بلا قيد ثبت إن لم تبين حجة ؛ كحظلت - ٢٣
تبين - أى : تبين .

(٣ و ٣) أشرنا إلى هذا في رقم ٢ من هامش ص ٧٤٨ بعنوان : « ملاحظة » حيث قلنا هناك ما نصه (تجيء حروف الزيادة في الأسماء والأفعال لتجلب معها بعض المعاني الجديدة التي لم تكن قبل مجيئها . وقد شرحنا هذا تفصيلاً ، ومردنا تلك المعاني في باب : « تعدى الفعل وزومه » ، ج ٢ م ٧١

المسألة ١٨١ :

الإعلال والإبدال^(١)

من المصطلحات اللغوية الشائعة أربعة ألفاظ ؛ لكل منها مدلوله الخاص ، وضوابطه وأحكامه . وهذه الأربعة هي : الإعلال - القلب - الإبدال - العيوض . وفيما يلي البيان :

١ - الإعلال ، والمراد به : تغيير يطرأ على أحد أحرف العلة الثلاثة (و-ا-ي)

(١) ملاحظة هامة : أحكام هذا الباب وضوابطه كثيرة . والإلمام بها عظيم النفع ، جليل الفائدة ؛ شأن نظائرها من القوانين العامة المطردة . غير أن الضوابط والأحكام هنا لا تنطبق على لغات ولهجات عربية قديمة متعددة ، حمل السماعُ الصحيحُ إلينا كثيراً من ألفاظها الخارجة على تلك القوانين ، وليس هذا بعجيب في لغة كلغتنا كانت أداة تفاهم بين قبائل متباعدة ، وجماعات متباينة في كثير من الشئون التي تؤدي إلى اختلاف في اللهجات محتوم . وليس هذا الاختلاف مقصوراً على مسائل الإعلال والإبدال ، ولكنه أظهر وأوضح فيها ، وفي بعض مسائل أخرى عرضنا لها في أبوابها الخاصة ؛ كالتكسير ، وأبنية المصادر ، والصفات المشبهة . . . وواجب الحرص على لغتنا ، والعمل على أن تكون أداة قوية ناهضة بمهمتها في البيان الجلي ، والتوحيد اللغوي الهام - يقتضينا أن نأخذ بالمطرّد ، ونقيس عليه وحده ، من غير توقف ولا تردد ، ومن غير سعي - في المراجع والمطولات - وراء المسموع لنتزعه من مخابثه ، ونستعمله على الوجه الوارد به ، دون الانزفاج بالمطرّد ، وبالقياص عليه ، فإن السعي وراء المسموع للاعتماد عليه وحده في الاستعمال ، دون أخذ ما يقتضيه القياص المطرد - عبث وخطة عرجاء ، بل فاسدة ؛ يقتصرُ الجهد والوقت دون العمل بها . ويتمرّد اليوم تطبيقةا ، والنجاح فيها . فليس من الخير الانصياع لها . إنما الخير كله في الأخذ بالرأى الحكيم النافع الذي ينادى باستخدام القاعدة ، ما دامت قاعدة ، وبتعميمها ، سواء أعرّف المتكلمُ الحكمَ السامعي المخالف لها أم لم يعرفه - وما أكثر الذين لا يعرفون - وتكليفهم معرفته دائماً تكليف بما لا يستطيع . لكن إذا عرف المتكلم الأمر السامعي المخالف للقاعدة المطردة جاز أن يكتفى به ، ويقصر عليه مع تركه القاعدة ، وجاز أن يستخدم القاعدة إن شاء ، ولكن ليس له أن يتوسع في المسموع المخالف للقاعدة فيطبقه في ألفاظ أخرى غير التي ورد السماع بها ، بل يجب أن يقف عند ما ورد السماع به ، دون أن يزيد عليه ، ما دامت القاعدة المطردة موجودة ، والحكم العام قائماً . وبغير هذا نسي إلى لغتنا ، ونحمل الراغبين فيها على النفور منها ، وننسى أو نجهل الأساس الذي قام عليه الإطراد والقياص ، ونقضى على الحكمة منها . وقد كررنا هذا في أجزاء الكتاب المختلفة ، لمناسبات تدعو إلى التكرار ؛ لأهمية الأمر ، وجلال شأنه ، وسردنا أدلة الأئمة المعارضين والموافقين ، واثبتينا في الترجيح إلى الرأى السالف المدون في مواطن مناسبة . ولا سيما الجزء الثالث - باب أبنية المصادر - م ٩٨ - .

هذا وقد سبق هنا - في ص ٦٣٤ - بيان معنى المطرد ، والكثير والغالب . . . وما يصح من تلك الأشياء أن يقاس عليه ، وما لا يصح . . . وكذلك معنى القلة والكثرة ، وتحديداهما عددياً . . .

وما يلحق بها - وهو : الهمزة - بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف ، أو تسكينه ، أو قلبه حرفاً آخر من الأربعة ، مع جريانه في كل ما سبق على قواعد ثابتة ، يجب مراعاتها . ومن الأمثلة : صوغ اسم المفعول من الفعل : « قال » وهو : « مَقُولٌ » . والأصل : مَقُول (بضم الواو الأولى) . نقلت الضمة إلى الساكن قبلها . وهذا يسمى : « إعلالا بالنقل » وترتب عليه تسكين حرف العلة الأول . واجتماع حرفين ساكنين متوالين لا يصح اجتماعهما ؛ فحُذِفَ الأول منهما : وهذا يسمى : « إعلالا بالحذف » ؛ وصارت الكلمة إلى : مَقُول ، بعد هذين النوعين من الإعلال ، وتحقق شروطهما .

وكالفعل : « قال » ، وأصله : « قَوَلَ » بفتح الواو ، قلبت ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ؛ فصار الفعل : قَال ، وهذا : « إعلال بالقلب » .

وفيا يلي بيانه :

٢ - القلب ومعناه : تحويل أحد الحروف الأربعة السالفة إلى آخر منها ؛ بحيث يختفى أحدها ليحل محله غيره من بينها ؛ طبقاً لضوابط محددة يجب الخضوع لها ، كقلب الواو ألفاً في المثال السالف ، وقلب الواو المتوسطة ياء بعد كسرة في مثل : صِيَام ، والأصل : صَوَام . وكقلب الياء همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة . نحو : بِنَاء ، والأصل : بِنَمَاء

وهذا النوع من التحويل أو القلب شائع مطرد ؛ لأنه يخضع - في الأغلب - لقواعد عامة يجرى على مقتضاها ، فإذا عُرِفَت أمكن الوصول إلى قلب الحرف الذي تنطبق عليه ، وسهّل الاهتداء إلى أصله إن كان منقلباً عن غيره . وهذا الباب معقود لعرضها ، وبيان أحكام القلب الشائع المطرد ، أما غير المطرد فقصور على السماع .

٣ - الإبدال . ومعناه : حذف حرف ، ووضع آخر في مكانه ، بحيث يختفى الأول ، ويحل في موضعه غيره ، سواء أكان الحرفان من أحرف العلة - كالأمثلة السالفة - أم كانا صحيحين ، أم مختلفين . فهو أعم من « القلب » ؛ لأنه يشمل « القلب » وغيره ؛ ولهذا يستغنون بذكره عن القلب . ومن أمثلة الصحيحين قول

بعض العرب في : (وَكُنْتَهُ ^(١) ، وَرَبْعٌ ، وَتَلَعْتُمْ) ... وَفُتْنَةٌ ، وَرَبِيعٌ ، وَتَلَعْتُمْ .
 بقلب الكاف قافاً ، والعين حاء ؛ والثاء ذالاً . وأغلب هذا النوع من إبدال
 الحروف الصحيحة مقصور على السماع ؛ لقلته . والأمر في معرفته موكول إلى
 المراجع اللغوية وحدها ؛ إذ ليس له ضابط عام ، ولا قاعدة مطردة . وقليل منه
 قياسيٌ ؛ كإبدال الدال والطاء من تاء الافتعال ؛ وسيجيء ^(٢)

ومثال المختلفين قولهم : كَسَبَاءٌ ، وَخَطَبَايَا ^(٣) . والأصل : كَسَبَاءُ . وَخَطَبَاءُ . قلبت
 الواو همزة في المثال الأول ، وقلبتم الهمزة ياء في المثال الثاني ؛ طبقاً لقواعد
 عامة مضبوطة — في الأغلب — تختص بهذا النوع . ومن الممكن أن يعتمد عليها
 من يريد إجراءه ، وكذلك من يريد الاهتداء إلى نوع الحرف الذي اختفى ، وحلَّ
 غيره محله ، وهذا النوع من الإبدال قياسيٌ مطرد ، وموضع ضوابطه وقواعده هذا
 الباب أيضاً .

وهناك أنواع أخرى من الإبدال توصف بأنها نادرة ، أو لهجات قليلة لبعض
 العرب ، أو مهجورة ... أو غير هذا مما لا يعنيناهنا . فالذي يعنيناهو : « الإبدال الشائع » ،
 أى : المطردة ، الواجب إجراؤه بين حروف معينة ، وهو القياسي الذي
 يخضع للضوابط والقواعد العامة ، ويسمونه اصطلاحاً : « الإبدال الصرفي الشائع » ،
 أو : « الإبدال الضروري ، أو : اللازم » ، أى : الذي لا بد من إجرائه متى
 تحققت ضوابطه وشروطه . ويكتفون بتسميته : « الإبدال » ؛ لأنه ؛ المقصود وحده
 عند الإطلاق ؛ بسبب قياسيته ، واطراده ؛ ووجوب إجرائه . ففى ذكر اسمه من
 غير تقييد كان هو المراد ، وكان فى ذكره غنى عن ذكر : « القلب » .

٤ — العِوَضُ ، أو : التعويض ، ومعناه : حذف حرف ، والاستغناء عنه
 بحرف آخر من غير تقييد فى أحكامه ، بحرف ، بين ، ولا اشتراط أن يحل العوض
 فى المكان الذى خلا بحذف الأصيل ؛ فقد يكون فى موضعه ؛ كزيادة الياء قبل
 الآخر فى تصغير : « فَرَزْدَقٌ » عوضاً عن الدال ، حيث يقال : فَرَزْدَقٌ
 — جوازاً — ومثل : « عِدَّةٌ » ، وأصلها : وَعَدٌ ؛ حذف الواو من الأول وجاءت

(١) عش الطائر . (٢) فى ص ٧٩٢ و ٧٩٣ .

(٣) يجرى على هذه الكلمة ونظائرها عدة تغيرات ستجىء فى ص ٧٦٧ .

تاء التأنيث في آخر الكلمة؛ عوضاً عنها . ومثل : « اسم » ، وأصلها : سَمُو^(١) :
حذفت الواو من آخر الكلمة ، وجاءت همزة الوصل عوضاً منها في أولها . . . وهكذا .
والمعول عليه في معرفة العِوَض والمَعَوَّض عنه هو المراجع اللغوية المشتعلة على
الألفاظ التي وقع فيها التعويض السماعي الوارد عن العرب ؛ إذ ليس للتعويض
قواعد مضبوطة تدلّ عليه .

لكن مما يكشف عن التعويض في حروف الكلمة ويرشد إليه ؛ الرجوع إلى جموع
التكسير ، أو المصادر ، أو التصغير ، أو نحو هذا . . . مما يرد الأشياء إلى أصولها -
وقد سبق النص على كل منها في بابها الخاص - كالاتداء إلى أن همزة : « ماء »
منقلبة عن « الهاء » من الرجوع إلى جمع تكسيرها ؛ وهو : مياه ، وأمواه ؛ حيث
ظهرت فيه « الهاء » فكان ظهورها دليلاً على أنها أصل للهمزة في : « ماء » . . . و
وكثير من هذه الجموع والمصادر والمصغرات مرجعه كتب اللغة . ونصوص
ألفاظها ؛ فن العسير الاسترشاد في أمر التعويض بغير النصوص اللغوية .

* * *

الملخص :

من كل ما سبق يتبين :

١ - أن العِوَض ؛ لا يتقيد بحرف علة أو صحيح ، ولا بمكان معين من
الكلمة . والإبدال القياسي يتقيد بموضع المحذوف ، والإعلال القياسي يتقيد بأحرف
علة . والقلب نوع من الإعلال .

٢ - وأن الإبدال الصرفي الشائع (أى : القياسي) والإعلال ضوابط وقواعد
عامة ، يمكن - في الأغلب - الاعتماد عليها في إجرائهما إجراء مطرداً واجباً ،
وفي معرفة نوع الحرف الذي تغير بسببهما . أما التعويض وبعض أنواع الإبدال
غير الشائع (أى : غير القياسي) فالاعتماد في فهمهما مقصور على المراجع اللغوية ؛
إذ ليس لهما ضوابط ولا قواعد عامة .

٣ - وأن المراد من لفظ الإبدال عند ذكره بغير تقييد هو ما يسمى : « الإبدال
الصرفي الشائع » ، أو الضروري ، أو اللازم . وسيجيء بيانه .

* * *

.....
.....

زيادة وتفصيل :

١ - من المصلحات التي تتردد في هذا الباب وفي غيره - وهنا المكان الأنسب لإيضاحها والإحالة عليه : - (أحرف العِلَّة ، والمدّ ، واللين) - (المعتل والمُعَلّ) - (المعتل الجارى مجرى الصحيح) .

فأما أحرف العِلَّة فتلاثة ؛ هي : الألف ، والواو ، والياء . فإن سكن أحدها وقبله حركة تناسبه فهو حرف : (عِلَّة - ومدّ ، ولين) نحو : قام ، يقوم ، أقيم . وإن سكن ولم يكن قبله حركة تناسبه فهو : - في المشهور - (حرف عِلَّة ولين) ؛ نحو : قَتُول - بَيِّن ... وإن تحرك فهو حرف : (عِلَّة) فقط ؛ نحو : حَوْر ، وهَيْسَف . والألف لا تكون إلا حرف عِلَّة ، ومدّ ، ولين ، دائماً .

٢ - اللفظ المعتل عند النحاة ، هو : الذي لامه ^(١) حرف عِلَّة ، وأما عند الصرفيين فيغلب إطلاقه على ما فيه حرف عِلَّة أو أكثر بغير تقييد بالآخر أو غيره . أما المُعَلّ عند الصرفيين - فهو المشتمل على حرف عِلَّة بشرط أن يكون هذا الحرف قد أصابه تغيير ؛ نحو : صام ، وهام ؛ فإن أصلهما ؛ صَوَم وهَيَّسَم ، ثم انقلبت الواو والياء ألفاً .

٣ - وأما المعتل الجارى مجرى الصحيح فهو ما آخره ياء أو واو متحركتان ، قبلهما ساكن ، سواء أكانتا مشددتين (نحو : مَرْمِيّ - كُرْسِيّ - مغزوّ - ومَجْلُو ...) أم مخففتين ؛ (نحو : ظَبْي - حُلُو ...) فيدخل في المشدد ما كان محتوماً بياء مشددة للإدغام : نحو مَرْمِيّ ، أو للنسب ، نحو : عربيّ ، أو لغيرهما نحو : كُرْكِيّ (اسم طائر) ... ^(٢)

(١) حرفه الأخير .

(٢) سبقت الإشارة لأنواع السالفة وأحكامها (في هامش ص ٦٦١ و ٧٢٢) وفي واضع متعدد من أجزاء الكتاب ، (منها ج ١ ص ١٢١ م ١٥ ، ج ٢ ص ٨٦ م ٦٨ ...) .

المسألة ١٨٢ :

أحرف الإبدال . وضوابطه

ينحصر «الإبدال» الصرفي اللازم»^(١) في تسعة أحرف ؛ يُبدّل بعضها من بعض ؛ هي : (الهاء — الدال — الهمزة — التاء — الميم — الواو — الطاء — الياء — الألف) . وقد جمعها بعض النحاة في قوله : (هَدَّأتَ مُوطِياً)^(٢) . ولكل حرف منها شروط لإبداله من نظيره الداخل معه في هذه المجموعة . على التفصيل التالي :

إبدال الهاء :

تُبدّل الهاء من تاء التأنيث المربوطة عند الوقف عليها ؛ كالتاء في قوله تعالى : (فقد جاءكم بينةٌ من ربكم وهدىً ورحمةٌ) فيقال في حالة الوقف : بِئِنَّهُ ، ورحمهُ ، بالهاء بدلاً من التاء المربوطة .

* * *

إبدال الهمزة من الواو ، والياء ، والألف :

تُبدّل من الأوليّين وجوباً في خمسة مواضع :

١ — وقوع أحدهما في آخر الكلمة وقبله ألف زائدة ؛ نحو : سماء ، ودعاء ، وبناء ، وظباء ، والأصل : سماو ، ودُعاو ، وبنأى ، وظباى . . . (بدليل سموت — دعوت — بنيت — ظبئ) . قلبت الواو والياء همزة لوقوعهما متطرفتين^(٣) بعد ألف زائدة .

ولا يُخرج الحرف من حكم التطرف أن يقع بعده في آخر اللفظ المذكر تاء عارضة لتفيد التأنيث ، بشرط أن تكون غير ملازمة له^(٣) . فيقال في : بنأى وبنأية ،

(١) تعريفه وإيضاحه في ص ٧٥٧ .

(٢) معنى هدأت : تركت التحرك إلى السكون . ومعنى : « موطياً » ، (وأصلها : موطأ ، وهي حال من التاء) . اسم فاعل من : أوطأت الفراش ؛ جعلته ليناً سهلاً مهداً . وإليها أشار الناطم في الشطر الأول من أول البيت في باب : الإعلال ، وسيجيء في ص ٧٦٥ .

(٣ و ٣) تطرفهما إما : « حقيق » ، ومعناه : وقوع كل منهما آخر الكلمة ، ليس بعده حرف =

بتشديد نونهما : بناءً ، وبنَاءة ؛ بالتشديد أيضا ، وقلب الياء همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة ، من غير اعتبار لهذه التاء الطارئة التي عرضت للتأنيث والتي يمكن الاستغناء عنها أحيانا . كما في الحالة الخاصة بالمذكر — بخلاف التاء الدالة على التأنيث مع ملازمتها الكلمة ، وعدم استغناء الكلمة عنها ، نحو : هداية ، رماية ، إداوة ، حلاوة . فإن الحرفين (الياء والواو) في هذه الكلمات — وأشباهها — لا ينقلبان همزة ؛ إذ تاء التأنيث هنا ليست عارضة ، ولا مؤقتة ، وإنما هي حرف من أحرف الكلمة ، دخل في صياغتها وتكوينها من أول أمرها (ليس طارئا عليها بعد التركيب) ثم هو يلازمها في كل الحالات ؛ فبنيت الكلمة على مؤنث ولم تُبْنِ على مذكر^(١) . ويعتبر الحرفان في هذه الحالة غير متطرفين ؛ كشأنهما في مثل : « قاوَل وبايَع .. » حيث توسَّط فبقيا من غير قلب .

وكذلك لا يصح إبدالهما همزة إن لم يقعا بعد ألف ، نحو : غزو ، وظبي ، أو كانت الألف التي قبلهما أصلية ، نحو : واو ، وآى ، جمع آية^(٢) . . .

٢ — وقوع أحدهما عيناً لاسم فاعل ، وقد أعل^(٣) في عين فعله ، نحو صائم — هائم ، وفعلهما . صام وهام . وأصلهما : صوم ، وهيم . فعَيْنُ الفعل حرف علة (واو أو ياء) تحرك وانفتح ما قبله ، فانقلب ألفاً — كما سيجيء — فاسم الفاعل هو : صاوم ، وهائم . ثم قلبت الواو والياء همزة .

فإن كانت العين غير معلة في الفعل لم يصح الإبدال ؛ نحو : عَيْن

= فيها . ولما « حُكِمِي » (أو : تقديري) ويراد به : وقوع كل من هذين الحرفين خاتمة كلمته أيضاً ، ولكن يليه فيها حرف عارض لغرض طارئ ؛ كالتاء التي تزداد بعد الآخر لإفادة التأنيث ، وكعلاوة التشية ، أو غيرها مما يطرأ بعد الآخر حيناً ويزول حيناً ، دون أن يلزم آخر الكلمة ملازمة دائمة في أحوالها المختلفة . ولما سمي هذا النوع « حُكْمِيَا ، أو تقديرياً » لأن تاء التأنيث ونحوها في تقدير الانفصال ، وفي حكمه .

(١) شرح « الصبان » المراد من هذا ؛ فقال المقصود : (أن الكلمة لم تُصَغَّرْ بغير تاء لذلك من المعنى ؛ بأن لم تُصَغَّرْ لذلك أصلاً ؛ كهداية ، أو صيغت له من معنى آخر ؛ كإفائية ؛ فإن السقاء جلد السحلة المهيأ للماء أو اللبن ، كما في القاهوس ، وهو غير معنى السقاية ، الذي هو محل السقي ..) « ١٥٠ هـ .

(٢) وإلى هذه الحالة يشير ابن مالك في الشطر الأول من بيته الثاني الآتي . في ص ٧٦٥ .

(٣) أى : أصابه الإعلال ، ويراد به هنا : قلب حرف العلة (ويلحق به : الهمزة كما سبق في

ص ٧٥٦) ، حرفاً آخر من نظائره التي للعلة أيضاً ، أو ، الهمزة بالشروط الخاصة بالقلب .

الرجل^(١) فهو : عاين ، وعَوِر^(٢) فهو عاور^(٣) . . .

٣ - وقوع أحدهما في جمع التكسير بعد ألف : « مَفَاعِلِ » وما شابهه في عدد الحروف وحركاتها ؛ كفعائل وفواعل^(٤) . . . بشرط أن يكون كل من الحرفين مدّة ثالثة زائدة في مفردة - ومثلها الألف في هذا - ، نحو : عجائز ، وصحائف ، وقلائد . . . ومفردا : عجوز ، وصحيفة ، وقلادة ، فلا إبدال في مثل : قَسَاوِر ومعايش ، لأنهما أصليّان في المفرد ، وهو : قَسُور^(٥) ، ومعيشة^(٦) . ومن الشاذ المسموع منائر ، ومصائب ؛ لأن مفردهما ؛ : منارة ومصيبة ، فالحرفان فيهما أصليّان^(٧) . .

٤ - وقوع أحدهما ثاني حرفي علّة بينهما ألف : « مَفَاعِلِ » أو مُشَابِهه ، دون مفاعيل وما يشبهه - سواء أكان الحرفان ياعين ؛ نحو : نياثف ، جمع نَيْسَف^(٨) أم ، كانا واوين ، نحو : أوائل : جمع أوّل ، أم كانا مختلفين ، نحو :

(١) اتسع سواد عينه واشتد .

(٢) صار أعور ؛ (لذهاب البصر من إحدى عينيه) .

(٣) وهذه الحالة هي التي أشار إليها الناظم في آخر بيته الثاني الآتي . في ص ٧٦٥ .

(٤) سبق بيان المراد من هذه المشابهة في ص ٦٦٤ و ٦٧١ .

(٥) القسور والقسورة : الأسد .

(٦) لأن فعلها : عاش . فوزن : « معايش » هو : « مَفَاعِلِ » ، ولا تنقلب الياء فيها همزة عند الجمهور ، لأن الياء أصلية ، وقيل إن الفعل هو : « مَعَشَ » ؛ فالميم أصلية ، والياء زائدة ، ووزن « معايش » هو : فعائل ؛ فتتنقلب الياء الزائدة همزة ؛ وبهذا قرأ بض القراء الآية الكريمة : (وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالهمزة . (راجع المصباح المنير - مادة عاش .)

لكن يجمع اللغة العربية بالقاهرة ومؤتمر العام اتخذ قراراً آخر ، (بناء على مذكرة قدمتها إليه لجنة الأصول الجمعية) قصد به إلى التيسير ، مخالفاً رأى الجمهور . وقد صدر قراره في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين لسنة ١٩٦٨ - ونص هذا القرار (كما جاء في الكتاب المجعّل الصادر سنة ١٩٦٩ باسم : « كتاب في أصول اللغة » ص ٢٢٦) وكما قدمته تلك اللجنة ، وتمت عليه الموافقة هو : (استعمال « مَفَاعِلِ » بقلب الياء همزة مكاييد ومكائد . . - ترى اللجنة جواز إلحاق المد الأصلي في صيغة « مفاعل » بالمد الزائد في صيغة « فعائل » وعلى هذا يجوز في عين « مَفَاعِلِ » قلبها همزة سواء أكان أصلها واوا أم ياء ؛ فيقال : مكاييد ومكائد ، ومغاور ومغائر) . اهـ بالرغم من هذا القرار ، وما اعتمد عليه من أدلة في ص ٢٣٦ أرى الاقتصار على رأى الجمهور وحده .

(٧) وإلى هذه الحالة يسوق ابن مالك بيته الثالث . الآتي في ص ٧٦٥ .

(٨) وهو العدد الزائد على المقد إلى أول المقد الذي يليه . فعله الشائع : ناف ينيف . . .

سيائد ، جمع سيَّاد^(١) والأصل : نيايف ، وأوَّاول ، وسيَّادود . قلب حرف العلة المتأخر (وهو الواقع بعد الألف الزائدة) همزة كما سبق^(٢) . . . فلو توسطت بينهما ألف « مفاعيل » وما هو على هيئته لم ينقلب الثاني منهما همزة ؛ نحو : طواويس .
 ٥ - اجتماع واوين في أول الكلمة ، والثانية منهما إما متحركة ، وإما ساكنة ، أصيلة في الواوية^(٣) ؛ فتقلب الأولى منهما همزة . ويتحقق الاجتماع في صورتين : إحداهما : أن تكون الواو الثانية متحركة فيجب قلب الأولى همزة ، كما إذا أريد جمع : واثقة ، أو : واصلة ، أو : واقعة . . . جمع تكسير على صيغة . « فتواويل » يقال فيها ، وواثيق - وواصيل - وواقيف ؛ لأن أفعالها الماضية واوية الفاء ؛ ثم تنقلب الواو الأولى - وجوباً - همزة ؛ فيصير الجمع : وواثيق - وواصيل - وواقف . . .

ثانيتها : في نحو : أولى : - وهى مؤنث كلمة : أول : المقابل لكلمة : آخر - وأصلها : وولى ، بواوين . السابقة منهما مضمومة ، تليها الساكنة الأصيلة في الواوية ، وقلب الأولى همزة - وجوباً - فصارت : أولى .
 فلا يجب القلب بل يجوز في مثل : واسى - والى - وافى . . . إذا بنيت هذه الأفعال للمجهول ؛ يقال فيها : ووسى - وولى - ووفى . لأن الواو الثانية ليست أصيلة ، إذ هى منقلبة عن الألف الزائدة التى فى ثانى الماضى ، وقد انقلبت واو ؛ لوقوعها بعد ضمة . . . ويصح أن يقال فيها : أوسى - أولى - ووفى . . . لأن قلب الواو الأولى وإبقاءها جائز - كما أسلفنا^(٤) .

(١) أصله : سيَّاد ؛ على وزن : فَيْيَعِل ، لأن فعله : ساد يسود . . . (اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ؛ قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء ، طبقاً لقواعد الإبدال الآتية) .

(٢) وهذه الحالة التى أشار إليها الناظم فى بيته الرابع . فى ص ٧٦٥ .

(٣) بآلا تكون منقلبة عن حرف آخر .

(٤) وإلى هذا أشار ابن مالك بقوله فى البيت السادس . . . - وسيأتى لمناسبة أخرى فى ص ٧٧٠ .

(واواً) . وَهَمْزاً أَوَّلَ الْوَاوَيْنِ رُدُّ فِي بَدَلٍ غَيْرِ شَبِّهِ : وَوَفَى الْأَشْدُّ - ٦

(الأشدُّ) - بتخفيف الدال هنا للشعر - : القوة . فلان ووفى الأشدُّ : بلغ القوة . وهى بين الثامنة عشرة والثلاثين . وهذه الكلمة على صورة جمع التكسير وليست جمعاً فى الرأى الشائع . والفعل : رُدُّ : ماض مبنى للمجهول ، وهذا أحسن من جملة فعل أمر قد يفيد مدلوله أن عدم الرد واجب فى : ووفى ، مع أنه ليس بواجب . - « والدال » مخففة للشعر -

وكذلك لا يجب القلب ، وإنما يجوز ، في مثل : «وُلّى» — بواو مضمومة تليها أخرى ساكنة — وأصلها للتفضيل ، وفعلها هو : «وَالَّ» بمعنى : لجأ ، تقول : وَالَّ الطائر إلى عشه ، بمعنى : لجأ إليه . واسم التفضيل منه للمذكر هو : أوَال . والمؤنث هو : وُؤَلّى (على زنة : فُعِلّى) . ويصح التخفيف بقلب الهمزة الثانية واواً ساكنة ، فتصير الكلمة : «وُلّى» فيجتمع في أولها واوان ، أولاهما متحركة ، والثانية ساكنة ، غير أصيلة في الواوية ؛ لأن واويتها طارئة بسبب التخفيف العارض ؛ لهذا لا يكون قلب الأولى واجباً ؛ وإنما هو : جائز ؛ فيقال أوَلّى ، أو : «وُؤلى» .

ولا يصح القلب مطلقاً إذا اجتمع الواوان في آخر الكلمة كما في نحو : هَوَوِيّ ونَوَوِيّ في النسبة إلى ، هَوِيّ ونَوِيّ ، طبقاً لقواعد النسب التي مرّت في بابه ^(١) . . .

(١) ص ٧١٧ مع ملاحظة أن ياء النسب مشددة . وزائدة في آخر الكلمة . وفي بيان الأحرف التي يقع فيها «الإبدال» . ومواقع إبدال الهمزة من الواو والياء يقول ابن مالك في باب عنوانه : «الإبدال» ما نصه :

أحرفُ الإبدالِ : «هَدَأَتْ مُوْطِيَا» فَأَبْدِلِ الهمزةَ من واوٍ ويا : - ١
آخرًا ، إِثْرَ أَلْفٍ زَيْدَ . وفي فاعِلٍ ما أُعِلَّ عَيْنًا ذَا اقْتُنْفَى - ٢

(ذا اقتنى : اتبع وروعى) سرد في هذين البيتين : أحرف الإبدال وانتقل بعد بيانها في أول شرط إلى مواقع إبدال الهمزة من الواو والياء ؛ فذكر موضعين في البيت الثاني ، هما : وقوع الواو والياء آخر الكلمة إثر ألف زائدة - ، أى : عقب ألف زائدة - ووقعهما عينا معلة في صيغة «فاعل» يريد اسم الفاعل . ن فعل ثلاثى معتل العين بأحدهما . ثم انتقل إلى بيان الحالة الثالثة لإبدال الهمزة منهما ومن الألف . فقال :

والمَدُّ زَيْدَ ثَالِثًا فِي الْوَاحِدِ هَمَزًا يُرَى فِي مِثْلِ : كَالْقَلَائِدِ - ٣

يريد : أن أحد أحرف العلة إذا كان حرف مد - وهو حرف العلة الذى قبله حركة تناسبه - ثالثاً : زائداً في المفرد وجب قلبه همزة . ولم يُفصل الشرط ؛ اعتماداً على المثال ، الذى يجمعها ، وهو : القلائد . والكاف في : «كالقلائد» إما حرف زائد ، وإما اسم بمعنى : «مثل» ، تأكيد لفظى بالمرادف لكلمة : «مثل» التى قبله . - ثم انتقل إلى الحالة الرابعة لقلبها ؛ فقال :

كَذَاكَ ثَانِي لَيِّنِينَ اكْتَنَفَا مَدَّ : «مَفَاعِلٍ» كَجَمْعٍ نَيْفًا - ٤

(يريد باللين هنا حرف العلة المتحرك ، والشائع عند غير الناطم أن حرف اللين هو حرف العلة الساكن الذى قبله حركة لا تناسبه فإن تحرك ما قبله بحركة تناسبه فهو حرف علة ومد ولين ، وإن تحرك =

« ملحوظة » : تُبَدَّل الهمزة - أيضاً - وجوباً من الألف في نحو : حمراء وخضراء - فالأصل - على رأى الشائع - هو حَمَرَى ، وخَضَرَى . بألف التأنيث المقصورة فيهما ، زيدت قبلها ألف المد ، فأبدلت الثانية همزة .

وتبدل جوازاً من الواو المضمومة ضمّاً لازماً لا يفارقها ، نحو : وُجوه ، أَدُور (جمع : دار) فيصح فيهما أجوه ، وأدُور . كما تبدل من الوارلزماء عند بعض القبائل في مثل : وشَاح ووسَادة ، فيقال فيهما : إشاح وإسادة ، وقيل إن هذا القلب جائز .

وتُبدَّل جوازاً أيضاً في مثل : رائى ، وغائى ؛ نسبة إلى راية وغاية ، والأصل : رايى وغايى . بثلاث ياءات ؛ خُفِّفَت الأولى بإبدالها همزة^(١) .

* * *

إبدال الواو والياء من الهمزة (وهذه الحالة عكس التى قبلها) :

يتحقق هذا الإبدال في ناحيتين :

الناحية الأولى - الجمع الذى على وزن : « مَفَاعِل » وما شابهه^(٢) ، بشرط أن تكون الهمزة عارضة^(٣) بعد ألف تكسيرم ، وأن تكون لام مفردة :^(٤) إما همزة

= حرف العلة فهو حرف علة فقط - كما سبق بيان هذا في ص ٧٦٠ وغيرها - اكتنفا : أحاطا . . .) وجمع - بالتثنية - مصدر ، فاعله محذوف ، ومفعوله هو كلمة : نيف . والمراد : كجمع شخص نيفاً ، فحذف الفاعل المضاف إليه ، وزن المضاف هو كلمة : جمع . وبقيت « نيفاً » منصوبة مفعولاً للمصدر . وسيتكلم ابن مالك في البيت السادس - وقد سبق في هامش ص ٧٦٤ - على الحالة الخامسة من حالات إبدال الواو همزة .

(١) هذا الحكم - مع صحته وجوازه - قليل ؛ طبقاً لما سبق في رقم ٢ من ص ٧٢٢ - باب : « النسب » - .

(٢) من كل جمع تكسير يماثل : « مَفَاعِل » - كما قلنا - في عدد الحروف وضبطها ، وإن لم يماثله في وزنه الصرفى ؛ فيدخل في هذا : فواعل ، وفعالل ، وأفاعل . . . وغيرها مما يسمى : صيغة منتهى الجموع ، وقد سبق إيضاح هذا في جمع التكسير ص ٦٦٤ و ٦٧١ .

(٣) غير أصيلة .

(٤) وصفنا « الهمزة ، والواو ، والياء » ، فيما يأتى بأنها أصلية مع أن لام الكلمة لا تكون إلا أصلية - بقصد المبالغة في الإيضاح .

أصلية ، وإما حرف علة أصلياً ؛ واوا أو ياء . . فإذا تحقق المطلوب^(١) وجب قلب كسرة الهمزة فتحة ، وقلب الهمزة بعد ذلك ياء في ثلاث صور ، وواواً في صورة واحدة ، وقلب الحرف الأخير بعدهما ألفاً .

فَتَقْلَبُ ياء :

(١) إذا كانت لام ذلك المفرد همزة أصلية ؛ نحو : خطيئة وخطايا - بريئة^(٢) وبرايا - دنيئة^(٣) - ودنايا . . فوزن : خطايا ، هو : « فَعَائِل » . والأصل : خطايي^٤ ، ثم انقلبت الياء التي بعد ألف الجمع همزة (طبقاً لما سبق في حالات قلب الياء) فصارت : خطائي^٥ ، ثم قلبت الهمزة الأخيرة ياء مفتوحة : وبعدها ألف ، فصارت : خطايا . . هذا هو الأصل ، وما مرّ فيه باختصار^(٤) .

(١) وهو وقوع الهمزة عارضة بعد ألف التكسير . ولام المفرد : إما همزة أصلية وإما أحد حرفي العلة (الواو والياء الأصليتين) .

(٢) مخلوقة . (٣) رذيلة ونقيصة .

(٤) أما التفصيل فيقول النحاة إن خطايا ، وبرايا ، ودنايا - وأشباهاها من كل ما يتحقق فيه أوصاف هذا الجمع - قد مر بمراحل خمس من القلب حتى استقر بعدها على هذه الصورة . وهي مراحل تحليلية محضة ، ولكنها مفيدة هنا ، برغم ما فيها من تكلف واضح ، وأن العرب الفصحاء لا تعرفها . وقصد من تحليلها ضبط مفردات هذه الصيغة ضبطاً محكماً يستطيع به المستعرب أن يتبين تلك المفردات من أوصافها ، وأن يهتدى في يسر وصحة إلى جموعها ، وإذا عرضت عليه هذه الجموع وحدها أدرك مفرداتها بغير حيرة ولا اضطراب . وفيما يلي المراحل الخمس - بغير اختصار - في كلمة : « خطايا » ونظائرها .

١ - المفرد : خطيئة (على وزن ، فَعَمِيلَة ، والفعل : خَطَيْمَ ، فالهمزة أصلية) فقياس تكسيروها هو : فعائل . فيقال : خَطَايِي^٦ ؛ لأن الياء الزائدة في المفرد تزداد في الجمع أيضاً بعد ألف « مفاعل وفعائل » وأشباهاهما . ثم يجب قلب هذه الياء همزة ؛ لوقوعها بعد ألف التكسير في هذا الوزن ؛ طبقاً لما تقدم في ص ٧٦٣ ، فتصير الكلمة : خطائي^٧ .

ب - إبدال الهمزة الأخيرة ياء ، لوقوعها متطرفة بعد همزة ، طبقاً لقواعد القلب التي ستأتى في ص ٧٧٢ فتسير : خطايي^٨ .

ج - قلب كسرة الهمزة الأولى فتحة ، بدعوى التخفيف ؛ فتصير الكلمة : خطاءي^٩ .

د - قلب الياء التي في آخر الجمع ألفاً ؛ لتحريكها وانفتاح ما قبلها ؛ طبقاً لقواعد القلب ؛ فتصير : خطاءا . (وحق الألف الأخيرة أن تكتب ياء طبقاً لقواعد رسم الحروف) .

ه - قلب الهمزة ياء لوقوعها بين الفين . والهمزة قريبة الشبه بالألف (كما يتخللون) ، فتقلب ياء ؛ فرأى من اجتماع ثلاثة أحرف متشابهة في الآخر ؛ فتصير الكلمة : خطايا ولم تقلب واواً ، لأن الياء أخف نطقاً ، والقلب إليها أكثر .

ومثله يقال في : برايا ، ودنايا ، ونظائرهما . — فالأصل : برأيي ؛ ودناي ، قلبت الياء بعد ألف الجمع همزة مكسورة ، ثم انقلبت هذه الهمزة المكسورة — بعد تغيرات — ياء مفتوحة وبعدها ألف ؛ فصارتا : برايا ودنايا .

(ب) إذا كانت لام ذلك المفرد ياء للعلة ، أصلية (أى : ليست منقلبة عن شئ .) ، نحو : هديّة وهدايا — وقضية وقضايا . . . فوزن هدايا ، وقضايا — وأمثالهما — هو : فعائل . وأصلهما : هداي ، وقضاي ، جرى عليهما القلب الذي في الحالة الأولى « ما عدا قلب همزة الآخر ياء . لأن (لامهما ليست همزة) وانتهى بهما الأمر إلى : فعائل (١) .

(ح) إذا كانت لام المفرد ياء للعلة ولكنها منقلبة عن واو : نحو : عَشِيّة ومطية ، وأصلهما (٢) عَشِيّوّة ومَطِيّوّة ؛ وجمعهما : عَشَايا ومَطَايا وهذا الجمع

= « تكلّة » : بمناسبة الكلام هنا على كلمة : « خطيّة » نعيد ما ذكرناه (في الجزء الثالث — باب أبنية المصادر ، م ٩٨ ص ١٥٥) خاصاً بهذه الصيغة ، وما يجوز فيها ، ونصه :

(إن كان الفعل الماضي الرباعي — الذي على وزن : فعّل — مهموز اللام فصدره « التفعيل » أو « التفعلة » — وهذه هي الأكثر — نحو : برّأ تبرئاً وتبرئة جبرأ تجزئاً وتجزئة — هنا تهنئاً وتهنئة — خطئاً تخطئاً وتخطئة .) ثم جاء في هامش تلك الصفحة ما نصه : (يجوز في الكلمات : تبرئاً — تجزئاً — تهنئاً — تخطئاً . . أن يقال فيها وفي أشباهها : تبرئاً — تجزئاً — تهنئاً — تخطئاً . . فقد جاء على هامش القاموس في مادة « خطأ » ، عند الكلام على « خطيّة » قوله :

« عبارة الجوهرى « خطيّة » هي : « فَعِيلَة » ولك أن تشدد الياء — (يريد : أنك تقول : « خطيّة » بقلب الهمزة ياء ، ثم إدغام الياءين) — لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة ، وهما زائدتان للمدح للإلحاق . ولا هما من نفس الكلمة — فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واواً ، وبعد الياء ياء ، وتدغم : فتقول في مقروه : مقروء ، وفي خبيء : خبيء . .) « هـ

(١) جرى عليهما من القلب أنواع أربعة سبقت في الحالة الأولى ؛ وهي :

أ — هدايى ، وقضايى ، ثم هداي وقضاي . ب — هداي ، وقضاي .

ج — هداا ، وقضاءا . د — هدايا وقضايا .

وإنما كانت أنواع القلب هنا أربعة وليست خمسة كالتى سبقت ؛ لأن لام الكلمة هنا ياء وليست همزة . متطرفة تقلب ياء .

(٢) اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ؛ قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء (طبقاً لما تقتضى به قواعد الإقبال — كما سيبيء هنا) .

على وزن : فعائل ، بعد خمسة أنواع من القلب كالتى مرّت فى الحالة الأولى : « ا » ... (١)

أما الصورة التى تُقلب فيها كسرة الهمزة فتحة ، ثم تقلب الهمزة واواً بعدها ألف - فحين تكون لام المفرد واواً ظاهرة سلمت فى هذا المفرد ؛ نحو : هِرَاوَة (٢) وإِدَاوَة (٣) وجمعها : هَرَآوَى ، وأدَاوَى ، على وزن : « فَعَائِل » بعد أن مرّت كلتاهما بخمسة أنواع من القلب وصلت بعدها إلى صيغة التكسير النهائية ، وهذه الخمسة هى :

(أ) قلب الألف التى فى المفرد همزة فى الجمع بعد ألف التكسير ؛ فيقال : هَرَآوَى ، وأدَاوَى... (٤) (لأن مفردهما :- هِرَاوَة ، وإِدَاوَة) .

(ب) قلب الواو ياء ، لوقوعها متطرفة بعد كسرة ، فتصير الكلمتان : هَرَآئِىَ ، وأدَائِىَ .

(ح) قلب كسرة الهمزة فتحة - طبقاً لما سلف - فتصيران : هَرَآَى وَأدَاَى .

(د) قلب الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ؛ فتصيران : هَرَآَا ، وأدَاَا .

(هـ) قلب الهمزة واواً - ليشابه الجمع مفرده ، فتصيران : هَرَآَوَى

(١) والأنواع الخمسة هى :

أ - المفرد عَشِيَوَة ومَطِيَوَة (بدليل : مَطَاً ، يَمْطُو.مَطَوْا ، بمعنى : أسرع . وعشَا يَمْشُو عَشْوَا ، بمعنى : ساء بصره ...) .

والجمع : عَشَايَوُ ، ومَطَايَوُ ، قلبت الواو ياء لوقوعها متطرفة بعد كسرة ، فصارتا : عَشَايِىَ ومَطَايِىَ .

ب - قلبت الياء بعد ألف التكسير همزة - طبقاً لما تقدم - فصارتا - : عَشَائِىَ ومَطَائِىَ .

ح - قلبت كسرة الهمزة فتحة ، فصارتا : عَشَاءَى ومَطَاءَى .

د - تحركت الياء الأخيرة وانفتح ما قبلها ؛ قلبت ألفاً ؛ فصارتا : عَشَاا ومَطَاا .

هـ - قلبت الهمزة ياء - لما سبق - فصارتا : عَشَايا ومَطَايا . فأنواع القلب الخمسة هنا هى التى سبقت

فى الحالة الأولى تماماً ، إلا أن الواو المتطرفة ؛ هنا تقلب ياء فى نظير الهمزة المتطرفة هناك .

(٢) الهِرَاوَة : العصا الضخمة . (٣) إِنْاء للماء ، يشتهر الآن باسم : الزيمية .

(٤) أما هذه الألف المذكورة فى الجمع فهى التى تزداد فى صيغة : « مفاعل » .

النحو الوافى - رابع

وأداوى - مع كُتابة الألف الأخيرة ياء ؛ طبقاً لما تقضى به قواعد رسم الحروف^(١) .

من الصور السالفة^(٢) يتبين أن الهمزة تبقى في مثل : المَرَّاءِى (وهى جمع : مِرَّاءَة)^(٣) . فلا تنقلب في التكسير ياء ؛ لأنها همزة أصلية في المفرد ، وفي الجمع ، وليست طارئة^(٤) ؛ وكذلك تبقى بغير قلب في مثل : صحائف ، وعجائز ، ورسائل ، لأن لام المفرد - وهو : صحيفة ، وعجوز ، ورسالة - ليست همزة ، ولا أحد حرفى العلة (الواو الياء) . فلم تتحقق في الكلمات الثلاث - وأشباهاها - شروط قلب الهمزة واوا أو ياء^(٥) ...

الناحية الثانية^(٦) - اجتماع همزتين في كلمة واحدة - فخرج ، نحو : أنت ؟ لأن الاجتماع في كلمتين ؛ (إذ همزة الاستفهام كلمة) وهذا بالتفصيل التالى ، مع ملاحظة أن الثانية هى التى تُقلب دائماً دون الأولى ؛ سواء أكانت الأولى متحركة والثانية ساكنة ، أم العكس ، أم كانتا متحركتين ، ويمتنع أن تكونا ساكنتين .

(١) فى وسط هذا الجمع ألفان ، إحداهما التى كانت زائدة فى المفرد ، والأخرى التى زادت فى التكسير ، والأولى هى التى تقلب همزة بعد ألف التكسير .

(٢) « ملاحظة » : بين هذه الصور واحدة قد تقلب همزتها واواً - جوازاً - فى موضع سبقت الإشارة إليه بعنوان : « تكلّة » فى هامش ص ٧٦٨ .

(٣) يصح كتابتها هكذا : (مرآة) لكن إثبات الهمزة هنا وبعدها ألف ، أوضح من كتابتها مَدّة فوق ألف .

(٤) فالمفرد : مِرَّاءَة على وزن مِفْعَلَة ، والفعل : رأى ، والمصدر : رُؤْيَة ، فالهمزة أصلية . ومن المسموع الشاذ جمعها على « مرأيا » .

(٥) وإلى الحالة الأولى السابقة يشير ابن مالك بقوله : (فى بيت سبق لمناسبة أخرى بصفحة ٧٦٤) .

وافْتَحْ ، ورُدَّ الهمزُ « يا » فيما أُعِلَّ لَأمًا . وفى مُثُلِ هِرَاوَةِ جُعِلْ - ٥

واوًا ٦ -

يقول : افتح الهمزة ، (ريز) بها الهمزة الطارئة بعد ألف صيغة منتهى الجموع على الوجه الذى شرحناه) وردها ياء على الجمع الذى مفرده معتل اللام بالياء . أما معتل اللام بالواو فتقلب واواً . . . وهذا كلام موجز غامض لا يوضح حقيقة المراد . وقد وفيناه . أما بقية البيت السادس فيتصل بقاعدة أخرى ؛ سبقت فى ص ٧٦٤ . (٦) سبقت الأولى فى ص ٧٦٦ .

(١) فإن كانت الأولى هي المتحركة - بفتحة ، أو ضمة ، أو كسرة - والثانية هي الساكنة وجب قلب الثانية حرف علة مجانساً لحركة ما قبله ، (أى : ألفاً بعد الفتح ، واواً بعد الضم ، وياء بعد الكسر) ، نحو : آمَنَ الرجل . . . أومِنَ - إيماناً . والأصل أَمِّنَ - أُوْمِنَ - إئتماناً . . . قلبت الثانية حرف علة من جنس حركة ما قبلها ، ومثله : (أَحْمَدُ - أُوحِدُ - إِيخَاذاً) ، و(أَزَرَ - أُوزِرَ - إِيزاراً) و(أَلَمَ - أُولِمَ - إِيلاماً) و(آآفَ - أولَفَ - إِيلافاً) (١) .

(ب) وإن كانت الأولى هي الساكنة والثانية هي المتحركة - وهذا النوع لا يقع فيه في موضع الفاء ، لتعذر النطق بالساكن ابتداءً - فإن كانتا في موضع العين وجب إدغام الأولى في الثانية ؛ نحو : سَمَّالٌ (٢) ، ورَأْسٌ (٣) ، ولَأَلٌ (٤) .

وإن كانتا في موضع اللام قلبت الثانية ياء ، كبناء صيغة على وزن : «قِمَطَرٌ» من الفعل : قَرَأَ ؛ فيقال : قِرَأُيٌّ . والأصل : قِرَأُأٌ - بتسكين الهمزة الأولى ، وتحريك الثانية - قلبت الثانية ياء لوقوعها طرفاً بعد الهمزة الساكنة (٥) .

(١) وفي هذا يقول ابن مالك :

وَمَدًّا أَبْدِلُ ثَانِيَ الْهَمْزَيْنِ مِنْ كَلِمَةٍ أَنْ يَسْكُنَ ؛ كَأَثَرٍ ، وَأَثَمِينَ - ٧
يريد : اقلب ثاني الهمزتين المجتمعتين في كلمة - مَدَّة . وهذا يقتضي أن تقلب الهمزة الثانية الساكنة واواً بعد الضمة ، وألفاً بعد الفتح ، وياء بعد الكسرة ؛ لأن المدة هي حرف علة ساكن ، قبله حركة تناسبه . وأشار بالمثال : « أَثَمِينَ » إلى أن الهمزة الأولى قد تكون همزة وصل ، كالتى في أصل هذا الفعل ؛ فأصله : « أَثَمِينَ » ، فعند النطق به ابتداءً من غير أن يسبقه شيء تبدل همزته الثانية ياء ؛ فيقال : « أَيَثَمِينَ » . هذا هو المراد . وعبارة الناظم لا تكشف عنه ولا سيما مع الواو : فلو قال : « كَأَثَرٍ - أَيَثَمِينَ » . لكان واضحاً .

(٢) على وزن : « فَمَّالٌ » ؛ لكثير السؤال . وقد اخترت كتابة الهمزة على هذه الصورة ، منعاً للالتباس . (٣) بائع الرووس . (٤) بائع اللؤلؤ .

(٥) كان القياس أن تدغم الأولى في الثانية كما أدغمت في : سَأَلَ ، ورَأْسَ ، ولَأَلَ ... لولا أن الهمزة الثانية هنا وقعت طرفاً ، والأطراف أولى بالتغيير - في الأغلب - ولذا قدم القلب هنا دون هناك . ويقول النحاة : إن الهمزتين اللتين في موضع اللام تبدل الثانية المتحركة منهما ياء مطلقاً ؛ أى : سواء أكانت طرفاً كالمثال السالف ، أم كانت غير طرف كما في بناء صيغة تخيلية على وزن : « سَمَّالٌ - سَمَّالٌ » من الفعل : قرأ ؛ فيقال : قَرَأُيًّا ، بإسكان الهمزة الأولى ، وفتح الياء بعدها . والأصل : قرَأُأٌ بثلاث همزات أبدلت الثانية ياء لأنها في موضع اللام وسلمت الأولى والثالثة . والأغلب في هذه الأمثلة أنها تخيلية للتدريب - كما قلنا - إذ لا يكاد يشيع لها نظائر مأثورة في فصيح الكلام .

(ح) وإن كانتا متحركتين فلهما صور تخيلية ؛ قصد بها في الأعم الأغلب مجرد التدريب ، ولا يكاد يعرف لها نظائر مأثورة ، في فصيح الكلام ، ولا تجنب إليها الأساليب الرفيعة ، ومن أشهر تلك الصور الوهمية :

١ - أن تكون الهمزتان المتحركتان ، في موضع اللام ؛ فتقلب الثانية ياء مطلقاً ؛ (أى : سواء انفتح ما قبلها ، أم انضم ، أم انكسر) . كبناء صيغة على وزن : جعفر ، أو : قِرْمِز^(١) ، أو : بُرْثُنْ ، من الفعل : قرأ ، فيقال : قَرَأَ « وقِرِئِي » ، وقُرُوْؤُ ؛ بهمزيْن متواليتين ، تقلب الثانية منهما ياء لاواوا ؛ لأن الواو لا تقع طرفاً في الكلمة الزائدة على ثلاثة أحرف ؛ فنقول : في قَرَأَ - مما قبلها مفتوح - قرَأَى . وقد تحركت الياء وانفتح ما قبلها ، فتقلبُ أنفاً ، وتصير : قَرَأَى ، وهى اسم مقصور .

ويقال في : قِرِئِي مما قبلها مكسور - : قِرِئِي ؛ بقلب الثانية ياء ثم تحذف الياء فيقال : قِرْءٌ ، بحذف الياء التي في آخرها كما تحذف من المنقوص ؛ وذلك بحذف حركة الياء أولاً ، لاستثقال الحركة عليها ، ثم حذف الياء ، لالتقاءها ساكنة مع التنوين ؛ كما يحذف في مثل : داعٍ ، وهادٍ ، ووالٍ ، ونظائرها من المنقوص . وبهذا تصير كلمة : قِرْءٌ من المنقوص الذي حذفت لامه .

ونقول في : قُرُوْؤُ - مما قبلها مضموم - : قُرْءٌ أيضاً ؛ ذلك أن الهمزة الثانية تقلب ياء ، لا واوا - لما تقدم - فتصير الكلمة إلى : قُرُوْئِي ، ثم تقلب الضمة التي قبلها كسرة ؛ لتسلم الياء ، فتصير إلى : قُرْئِي ، ثم تحذف حركة الياء لاستثقالها عليها ، ثم تحذف الياء لالتقاءها ساكنة مع التنوين ، وتنتهى إلى : قُرْءٍ ، وتصير منقوصة ، مثل : داعٍ ، وهادٍ ، ووالٍ .

٢ - أن تكون الهمزتان المتحركتان في غير موضع اللام ، وحركة الثانية كسرة . فتقلب الثانية ياء مطلقاً (أى : بعد همزة مفتوحة أو مكسورة ، أو مضمومة ؛ فهى في حكمها كالصورة السالفة) - كبناء صيغة من الفعل : « أم » تكون على وزن : « أَصْبِيع » بفتح الهمزة ، أو بكسرها ، أو بضمها ، مع كسر الباء

في الحالات الثلاث ، فيقال بعد الهمزة المفتوحة : أُمِّمٌ ، ثم تنقل حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة ؛ ليتمكن إدغام الميمين ، وهذا أمر واجب ، ثم تقاب بعده الهمزة الثانية بعد نقل الكسرة إليها ، ياء ؛ لأن الهمزة المكسورة بعد المفتوحة تقلب ياء كما تقدم — فتصير الكلمة : أُمِّمٌ .

ويقال : بعد الهمزة المكسورة : ائْمِمٌ ، بهمزيْن ؛ أولاهما مكسورة ، وثانيتهما : ساكنة ، فتنتقل كسرة الميم الأولى إلى الهمزة الثانية ، ليتيسر الوصول إلى الإدغام الواجب في الميمين ، وتقلب الهمزة الثانية بعد نقل الكسرة إليها ، ياء ، وتصير الكلمة : لُمِّمٌ .

ويقال بعد الهمزة المضمومة : أُؤْمِمٌ بهمزيْن ؛ مضمومة فساكنة . ثم تنقل كسرة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة ؛ ليتمكن الوصول إلى الإدغام الواجب ، ثم تبدل الهمزة الثانية — بعد كسرها — ياء ، وتصير الكلمة : أُيْمِمٌ .

٣ — أن تكون الهمزتان المتحركتان في غير موضع اللام ، والثانية مضمومة ؛ فتقلب واوا بعد همزة ؛ إما مفتوحة ، وإما مكسورة . وإمام مضمومة . فمثال المضمومة بعد مفتوحة : أُؤَبُّ^(١) ، والأصل : أُأَبُّب — بفتح ، فسكون ، فضم ... — نقلت حركة الباء الأولى إلى الهمزة الساكنة ؛ ليتيسر الوصول إلى الإدغام الواجب ، فصارت الكلمة بعد الإدغام : أُأَبُّ ، وقلبت الهمزة الثانية واواً بعد انتقال الضمة إليها ؛ لأن الواو هي المناسبة للضمة ؛ فصارت الكلمة : أُؤَبُّ .

ومثال المضمومة بعد مكسورة بناء صيغة من الفعل « أَمَّ^(٢) » على وزن : إصْبُع — بكسر الهمزة وضم الباء — فيقال : ائْمِمٌ ؛ بكسر ، فسكون ، فضم . نقلت حركة الميم إلى الهمزة — قبلها ، ليتيسر الوصول إلى الإدغام الواجب ، فصارت الكلمة بعده إؤُمٌ — بكسر ، فضم ، فميم مشددة — . قلبت الهمزة الثانية حرفاً من جنس حركتها ؛ وهو الواو ، فصارت : إؤُمٌ .

ومثال المضمومة بعد ضمة : بناء صيغة على وزن : أُبْلِمُ^(٣) . من الفعل : أَمَّ ؛

(١) يفتح ، فضم ، فباء مشددة — ، جمع : أَبٌّ ، — بفتح الهمزة وتشديد الباء — ، وهو : المرعى

(٢) بمعنى : قصد . (٣) من معانيه : غليظ الشفتين ، ونوع من النبات ...

النحوالوحي — رابع

فيقال : أُؤْمَمٌ - بضم ، فسكون ، فضم - تنقل ضمة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة قبلها ؛ ليمتسر الإدغام ؛ فتصير الكلمة بعده : أُؤْمَمٌ ، - بضمين متواليتين - وتقلب الهمزة الثانية المضمومة حرفاً من جنس حركتها ، وهو الواو - فتصير الكلمة : أُؤُمٌ .

٤ - أن تكون الهمزتان المتحركتان ، في غير موضع اللام ، والثانية مفتوحة مطلقاً ؛ (أى : بعد همزة مفتوحة ، أو مضمومة ، أو مكسورة) فتقلب واواً . فمثال المفتوحة بعد مفتوحة : أَوَادِمٌ ^(١) ، والأصل بهمزتين مفتوحتين بعدهما ألغ ، قلبت الهمزة الثانية واواً ؛ طبقاً لقواعد الإبدال ، التي تقضى بقلب الهمزة الثانية المفتوحة غير المتطرفة - واواً ، دائماً : سواء أكان ما قبلها مفتوحاً أم غير مفتوح .

ومثال المفتوحة بعد مضمومة : أَوَيْدَمٌ ؛ (تصغير : آدم) ، والأصل : أَوَيْدَمٌ ، قلبت الهمزة الثانية واواً عملاً بالقاعدة السالفة .

(١) يقول ابن مالك في حكم الهمزة المفتوحة (وقبلها فتحة أو ضمة) وأنها تقلب واواً في الحالتين ، وتقلب ياء إن كان قبلها كسرة ، كما يجيء بعد هذا : -

إِنْ يَفْتَحْ أَثَرَ ضَمٍّ أَوْ فَتَحْ قَلْبٌ وَآوًا . وَيَاءٌ إِثْرَ كَسْرِ يَنْقَلِبُ - ٨
(إن يفتح : أى : الهمز الثانى ، بمعنى : الهمزة) . ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان حكم الهمزة الثانية المكسورة وقبلها حركة ؛ فصرح بأنها تقلب ياء مطلقاً ؛ (أى : سواء أسبقها ضمة ، أم فتحة ، أم كسرة) . كما صرح بأن الهمزة المضمومة (بعد حركة) يجب قلبها واواً مطلقاً ، بشرط ألا تكون الهمزة الثانية آخر الكلمة ؛ فإن كانت آخرها وجب قلبها ياء . - كما سبق في الشرح . يقول :

ذُو الْكَسْرِ مُطْلَقًا كَذَا . بِمَا يُضَمُّ وَآوًا أَصِرُّ ، مَا لَمْ يَكُنْ لَفْظًا أَتَمَّ - ٩
فَذَلِكَ يَاءٌ مُطْلَقًا جَاءَ . وَأَوْمٌ وَنَحْوُهُ وَجْهَيْنِ فِي ثَانِيهِ . أَمْ - ١٠
(كذا . أى : ينقلب ذو الكسر مطلقاً كهذا - مشيراً إلى ما قبله مما ينقلب ياء - وأن الهمزة المكسورة تقلب ياء مطلقاً ، سواء أكان ما قبلها مكسوراً أم غير مكسور . وأَمْ ، أصلها : « أَمْ » بتشديد الميم ، بمعنى : اقصد . أى : اتجه بهذا الحكم والعمل به) .

أما ما انضم من ثانى الهمزتين فيصير واواً مطلقاً (سواء أكان ما قبله مضموماً أم غير مضموم) بشرط ألا يكون تمام اللفظ ، أى : بشرط ألا يكون هو آخر الكلمة . فإن كان آخرها فهو ياء مطلقاً . و « جاء » أى : جاء في كلام العرب ياء . وختم البيت العاشر بالإشارة إلى الهمزة الثانية التي يجوز قلبها واواً وإبقاؤها وقد شرحناها .

ومثال المفتوحة بعد مكسورة بناء صيغة من الفعل : « أَمَّ » ، على وزن : إصْبَعَ - بكسر الهمزة ، وفتح الباء - فيقال : أَمَّمْ ، بكسر ، فسكون ، ففتح . تُنْقَل حركه الميم الأولى (وهي الفتحة) للهمزة الساكنة قبلها ؛ ليتيسر الإدغام الواجب ، ثم يقع الإدغام ؛ فتصير الكلمة : إَأَمَّ ، بكسر ، ففتح ، فميم مشددة . وتقلب الهمزة الثانية ياء لوقوعها متحركة بعد كسرة في حشو الكلام ؛ فتصير الكلمة : إَيْسَمَّ ، بهمزة مكسورة ، وياء مفتوحة ، وميم مشددة .

« ملاحظة » : إذا كانت الهمزتان متحركتين والأولى منهما للمتكلم في صدر فعل مضارع جاز في الثانية منهما قلبها وبقاؤها من غير قلب ، نحو : أَوْم ، وأَيْنَ (مضارعى : « أَمَّ » بمعنى : قَصَدَ . . . و « أَنْ » ، بمعنى : تألم .) ويجوز أَوْم ، وأَيْنَ . . .

* * *

إبدال الياء من الألف :

تُقَلَّب الألف ياء في موضعين ؛ أولهما : وقوعها بعد كسرة ؛ كما في تكسير سلطان ، ومصباح ، ومنشار - ونحوها - على : سلاطين ، ومصابيح ، ومناشير . . . وكما في تصغيرها على : سَلَسَيْطِينَ ، وَمُصَصِّبِيح ، وَمُسْتَشِير . . . ثانيهما : وقوعها بعد ياء التصغير في مثل : كُتَيْب ، وَسُحَيْب ، وَغُلَيْم . . . في تصغير : كُتَاب ، وسحاب ، وغلَام .

والسبب : أن ما بعد ياء التصغير لا بد أن يكون متحركاً ، والألف لا تقبل الحركة ، وياء التصغير لا تكون متحركة . فقلبت الألف بعدها ياء للتخلص من الساكنين ، ولم تُقَلَّب حرفاً آخر ؛ لأن هذا هو الوارد عن العرب ^(١) .

* * *

(١) في الموضعين السالفين يقول ابن مالك :

وياءٌ أَقْلَبُ أَلْفاً كَسْراً تَلَا أو ياءٌ تَصْغِير . . . - ١١ -
التقدير : وأقلب ألفاً تلا كسراً - ياء ، أو تلا ياء تصغير . يريد : أقلب حرف الألف ياء إذا وقع بعد كسرة أو بعد ياء تصغير . وأكمل البيت بتكلمة تتصل بقاعدة جديدة ستجىء في البيت الذى بعده مباشرة .

إبدال الياء من الواو :

تقلب الواو ياء في نحو أحد عشر موضعاً :

١ - أن تقع متطرفة بعد كسرة ؛ كما في نحو : رَضِيَ ، وقَوِيَ ، والراضى ، والسَّامِى . والأصل : رُضِيَ ، وقَوِيَ^(١) والراضِو ، والسَّامِو ، لأن هذه الكلمات - ونظائرها - واوية اللّام ، بدليل ظهور الواو الأصلية في بعض تصارييف الكلمة ؛ مثل : الرضوان - القوة - السمو . . . ؛ ولا يتغير الحكم السالف بوقوع تاء التأنيث بعد الواو ؛ لأن تاء التأنيث بمنزلة كلمة مستقلة ، نحو : رَضِيتُ - قَوِيتُ - الراضية - السامية . فتعتبر الواو التي تليها هذه التاء في حكم المتطرفة التي يجب قلبها ياء بعد الكسرة .

وكذلك لا يتغير الحكم السالف بوقوع ألف وزون زائدتين بعد الواو المتطرفة التي قبلها كسرة ، لأن هذين الحرفين - هنا - في حكم الكلمة المنفصلة عما قبلها . ومن الأمثلة : الإتيان بصيغة على وزن : « فَعْلَان » - بفتح فكسر - من الغزو ، والشجو ؛ فيقال : غَزَوْاَن وشَجَّيُواَن ، بالواو التي قبلها كسرة ، ثم تقلب هذه الواو ياء ؛ فتصير الصيغة : غَزَرِيَان ، وشَجَّيِيَان « فالواو » واقعة في الطرف تقديرأ وقبلها كسرة ، فعُومِلت معاملتها إذا وَقَعَتْ في الآخر حقيقة^(٢) . . .

٢ - أن تقع عيناً لمصدر ، مُعْمِلَت^(٣) ، في فعله ، وقبلها في هذا المصدر

(١) هذه الكلمة : (قَوِيَ) صالحة للإدغام ؛ لانطباق شروطه عليها ولكن القلب يقدم عليه .

(٢) والألف والنون هنا زائدتان - كما سلف - وليستا للثنائية - وفي هذا الموضع يقول ابن مالك :

..... بواوِ ذا افْعَلًا - ١١

في آخِرٍ ، أو قَبْلَ « تاء » التَّأْنِيثِ ، أو زِيَادَتِي « فَعْلَان » . . . - ١٢

يقول : افعل ذا بالواو وهو قلبها ياء كما قلبت الألف بعد الكسرة ، بشرط أن تكون الواو في الآخر أو بعدها تاء التأنيث ، أو زيادتا « فَعْلَان » على الوجه الذي شرحناه . وليس المراد أن يكون على « فَعْلَان » بضبطها ، وإنما المراد أن تكون الواو بعد كسرة ، وقبل زيادتي الحرفين الآخرين (الألف والنون) لأنها لا تقلب ياء في « فَعْلَان » ساكن العين . أما أول البيت الحادى عشر فختص بقاعدة سلفت الإشارة إليها في هامش (ص ٧٧٥) كما أن آخر البيت الثانى عشر يختص بقاعدة ستجيء بعده مباشرة .

(٣) أى : كانت حرف علة منقلباً عن غيره . وهذا هو المراد بالمعلل هنا .

كسرة ، وبعدها ألف : (فالشروط أربعة) . ومن الأمثلة : صام صياماً - قام قياماً - رادرياداً - حاك حياكماً وحياكة ، والأصل : صِوَام - وقِوَام ، وروَاد ، وحوَاك ؛ قلبت الواو ياء لتحقيق الشروط الأربعة السالفة . فلا قلب في مثل : سيوَار لا انتفاء المصدرية ، ولا في مثل : حاوَر حِوَاراً ؛ لأن الواو غير مُعَمَّلَة في الفعل (أى : غير منقلبة عن حرف آخر) ولا في مثل : حال حِوَالاً ، لعدم وقوع ألف بعدها . على حسب الرأى الغالب ^(١) ...

٣ - أن تقع عيناً لجمع تكسير ، صحيح اللام ، وقبلها كسرة ، وهى مُعَمَّلَة في مفردة . ومن أمثلتهم : جمع دار على دِيَار ، وحيلة على حِيَال ، ودِيمة على دِيَم . وقِيمة على قِيَم . وقامة على قِيَم . أيضاً . والأصل : دِوَار - حِوَال - دِيَوْم - قِيَوْم ، ومن الشاذ ، حاجة وحِرَوج .

فإن كانت اللام معتملة وجب تصحيح الواو ؛ فيقال في جمع : رِيَان ^(٢) وجو : رِوَاء ، وجِوَاء ، بترك الواو بغير قلب .

٤ - أن تقع عيناً لجمع تكسير صحيح اللام ، وقبلها كسرة ، وهى في مفردة شبيهة بالمُعَمَّلَة : في أن تكون ساكنة فيه ، وبعدها في الجمع ألف ، نحو : سوَظ وسيَاط ، وحوَوض وحِيَاض ، وروَوض وريَاض - ... والأصل : سيَواط - حيَواض - ريَواض . . . فإن لم توجد الألف وجب تصحيح الواو ، نحو : كُوز وكِوزة ، وعود ^(٣) وعِوودة ، كما تصحح إن كانت متحركة في المفرد ؛

(١) وإلى هذا الموضع يشير ابن مالك في آخر البيت الثانى عشر وفى البيت الذى يليه . يقول :

..... دَا أَيْضًا رَاوَا : ١٢

فِي مُصَدَّرِ الْمُعْتَلِّ عَيْنًا . وَالْفِعْلُ مِنْهُ صَحِيحٌ غَالِبًا ؛ نَحْوُ الْحَوْلِ - ١٣

يريد : أن النحاة رأوا أيضاً قلب الواو ياء بعد الكسرة في مصدر كل فعل مُعَمَّل العين . وبعدها ألف ، نحو : صام صياماً ... كما شرحنا . وأشار بقوله : والفعل منه صحيح ... إلى أن المصدر إذا كان على وزن : فِعْل (بكسر بفتح) وعينه واو قبلها كسرة وليس بعدها ألف ، فإن الواو تصح فيه ، نحو : حَوَل ، مصدر : حال .

(٢) مُرْتَوٍ بالماء (ضد عطشان) .

(٣) الذى زاد عمره من الإبل على سبع سنين .

نحو : طَوِيلٌ وطَوَالٌ . . (١)

٥ - أن تقع طَرَفًا في ماضٍ وهى رابعة أو أكثر بعد فتحة ، بشرط أن تكون منقلبة ياء في المضارع نحو : أعطيت وزَكَيْتُ ، وأنا أعطيت وأزَكَيْتُ . وفعلهما : عطا يَعْطُو ؛ بمعنى : أخذ وتناول) فأصل الفعلين الرباعيين : أعطوت ، وزَكَّوتُ ، ثم قلبت الواو فيهما ياء ، وكذلك في اسم مفعولهما ؛ وهو : معطيان ومزكَّيان (٢) . . .

٦ - أن تقع ساكنة غير مشددة وقبلها كسرة ، نحو : ميزان ، وميعاد ، وميقات . والأصل : مِوزَان ، ومِوَعَاد ، ومِوَقَات ، بدليل : الوزن ، والوعد ، والوقت . فلا يصح القلب في مثل : سِوَار ، وصِوَان ، لعدم سكون الواو . ولا في : اجْلِوَاذ (وهو مداومة السير مع الإسراع) لتشديد الواو .

٧ - أن تقع لامًا لصفة على وزن : فُعْلَى (بضم فسكون ففتح) نحو : دُنْيَا وَعُلْيَا ، وأصلهما : دُنُوْى وَعُلُوْى ... ، (بدليل دَنُوتُ دَنُوًّا ، وَعُلُوتُ عَلُوًّا) قلبت الواو ياء . ومن الشاذ المسموع : قُصُوْى (٣) .

(١) وفي النسخ الثالث والرابع يقول ابن مالك :

وَجَمْعُ ذِي عَيْنٍ أَعْلٌ أَوْ سَكَنٌ فَاحْكُمْ بِذَا الْإِعْلَالِ فِيهِ حَيْثُ عَنْ-١٤
(عَنْ ، أصلها : عَنْ ، بالتشديد ؛ خففت النون بالسكون ، للشعر . ومعنى : عَنْ ، ظهر وعرض) ثم قال :

وَصَحَّحُوا : «فِعْلَةٌ» . وفى : «فِعْلٌ» وَجْهَان . وَالْإِعْلَالُ أَوَّلَى كَالْحِجْلِ-١٥

يريد : أن الواو السالفة الذكر إذا لم يقع بعدها ألف في الجمع ، وكان على وزن فِعْلَةٍ (بكسر ففتح) - فإنها تصح وتبقى ؛ نحو كُوزٌ وكِوَرَةٌ ، وعُودٌ وعِوْدَةٌ ... فإن كان الجمع على وزن فِعْلٍ (بكسر ففتح) - جاز عند ابن مالك الإِعْلَال - وهو الأَوَّلَى - والتصحيح ؛ نحو : حاجة وحِوَجٌ أو حِسِيجٌ - وحيلة وحِيلٌ وحِوَلٌ . ويفهم من كلام ابن مالك أن التصحيح مطرد ولكنه غير الأولى . أما عند غيره فالتصحيح شاذ لا يقاس عليه ، ويقتصر على الوارد المسموع منه . وهذا هو رأى الأقوى . ويجب الاقتصاد عليه .

(٢) وفي هذا الموضع يقول ابن مالك :

وَالْوَاوُ لَأَمَّا بَعْدَ فَتْحٍ «يَا» انْقَلَبَ كَالْمُعْطِيَانِ بِرَضِيَانِ . (وَوَجَبَ ...) ١٦

التقدير : انقلبت الواو . حالة كونها لا ما بعد فتح - ياء) كالياء في المعطيان ورضيان ؛ فأصلها الواو . أما الفعل : «وجب» فلا صلة له بهذا ؛ وإنما صلته بالبيت السابع عشر الآتى في هامش ص ٧٨٣ . (٣) وهى لغة قريش .

فإن كانت فُعِلْتِ اسماً (وليست وصفاً) ، بقيت الواو بغير قلب : نحو :
حُزَوِي ، اسم موضع . . . (١)

٨ - أن تجتمع هي والياء في كلمة واحدة (٢) بشرط ألا يفصل بينهما فاصل ،
وأن يكون السابق منهما أصيلاً (أى : غير منقلب عن غيره) وساكناً سكوناً
أصلياً غير عارض . فإذا تحققت هذه الشروط وجب قلب الواو ياء ، وإدغامها في
الياء ، سواء أكانت الياء هي السابقة ؛ نحو : سَيِّدٌ وَمَيِّتٌ (وأصلهما ، سَيُّودٌ وَمَيِّتُونَ
كما سبق) أم كانت الواو هي السابقة ؛ نحو : طَيِّبٌ ، وَلِيٌّ ، وأصلهما : طَوِيٌُّّ ،
وَأَوِيٌُّّ ؛ بدليل : طَوَيْتَ وَأَوَيْتَ ... فالواو في الأمثلة السالفة قلبت ياء ، وأدغمت
في الياء .

فإذا اجتمعتا في كلمتين فلا قلب ، نحو : يدعو ياسر ، ويجرى وائل .
ولا قلب كذلك إن كان بينهما فاصل ، نحو : زيتون ، أو كان السابق منهما
متحركاً ، نحو : طويل وغَيُّور ، أو كان السابق غير أصيل ، نحو : كُؤَيْتِب
في تصغير : كاتب ، أو كان سكونه غير أصيل ، كقولهم في « قُؤَيِّ » الماضي ،
المكسور الواو أصالة : قُؤَيِّ ، بسكون الواو ، للتخفيف .

وإذا اجتمعت الواو والياء في تصغير اسم - لا وصف - مشتمل على واو
متحركة ، وتكسيره على : مَتَعَاعِل - وما يوازنه (٣) - جاز قلب الواو بالطريقة

(١) وفي الموضع السابع يقول ابن مالك . في فصل مستقل يحىء بعد ، ولا يشتمل إلا على بيتين
أولهما يشتمل على حالة تبدل فيها الواو من الياء ، وثانيهما تبدل فيه الياء من الواو . ونصهما تحت عنوان :
« فصل » :

مِنْ لَامٍ «فَعَلَى» اسماً - أَتَى الْوَاوُ بَدَلًا يَاءٌ ؛ كَتَقَوَّى - غَالِبًا جَاذَا الْبَدَلُ - ١
(أى : جاء هذا البدل ، وسيماد البيت لمناسبته في ص ٧٨٥) .

يريد : أن الواو تبدل من الياء الواقعة لأم لاسم على وزن « فَعَلَّى » - بفتح ، فسكون ، ففتح مع
مد - نحو : تَقَوَّى ... وهذه الصورة الثالثة من الصور التي سيجيء شرحها في موضعها الأنسب ، عند
الكلام على قلب الياء وأو (ص ٣٨٣) . أما الذى يعنينا هنا وهو العكس ، (أى : قلب الواو ياء)
فهو البيت الثانى آخر الفصل ، ونصه :

بِالْعَكْسِ جَاءَ لَامٌ «فَعَلَى» وَصَفًا وَكَوْنٌ : «قُصَوَّى» نَادِرًا لَا يَخْفَى - ٢

(٢) أو ما يشبهها ، وينطبق عليه حكمها - كما سيجيء في ص ٧٨٠ -

(٣) سبق بيان ما يوازنه في ص ٦٦٤ و ٦٧١ .

السالفة وتصحيحها ، نحو : جداول ، والتصغير^(١) : جُدَيْل ، أو : جُدَيْوَل ، بالقلب وعدمه ، ونحو : أَسْوَد - للحية - وأَسَاوِد ، والتصغير : أَسَيْد ، أو أَسَيْوِد . والإعلال أحسن في كل ذلك .

فإن كان المفرد المصغر وصفاً تعيين الإعلال ؛ نحو : أَلَيْسَ ، تصغير : أَلْوَم ، (اسم تفضيل ، فعله : لَامَ) . وكذلك إن كانت الواو في المفرد غير متحركة نحو : عجوز وعمود ، وتصغيرهما عَجِيْز وعُمَيْد . ولا إعلال إن كانت الواو في المفرد عارضة ؛ نحو رُوِيَة ، تخفيف رُوِيَة ، ونحو : بُوِيَع ، لأن أصلها أَلَف...^(٢)

ومما ينطبق عليه حكم الكلمة الواحدة - مع أنه ليس بواحدة - جمع المذكر السالم المرفوع المضاف إلى ياء المتكلم ، نحو : جاء صاحِبِيَّ والأصل : صاحبون لي . حذفت النون للإضافة ومعها اللام ؛ فصارت الكلمة صاحبِي ، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وكسر ما قبلها .

٩ - أن تقع لام اسم مفعول لفعل ماض ، ثلاثي ، على وزن : فَعِيل - بفتح فكسر - نحو : رضِيَ فهو مَرَضِي ، وقَوِيَ فهو مَقْوِي . والأصل : مرضُوِي ومَقْوُوِي (على وزن مفعول) اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء . وكُسِر ما قبلها بدلا من الضمة ؛ لكيلا تقلب الياء واوا بعد الضمة .

فإن كان الماضي غير مكسور العين وجب تصحيح الواو ، نحو : مغزُو ومَدْعُو ؛ وفعلهما : غزا ، ودعا . وأصلهما ، غَزَو ، ودَعَو ؛ تحركت الواو وانفتح ما قبلها ، قلبت أَلَف ، فصار : غزا ودَعَا^(٣) .

(١) راجع ما سبق خاصاً بهذا في « التصغير » ، هامش ص ٦٩٥ - رقم ٥ -

(٢) وفي هذا الموضع الثامن يقول ابن مالك في بحث مستقل عنوانه : « فصل » ، نص البيت الأول والثاني منه - وهما الخاصان بموضوعنا - :

إِنْ يَسْكُنُ السَّابِقُ مِنْ وَاوٍ وَيَا وَاتَّصَلَا ، وَمِنْ عُرُوضٍ عَرِيَا - ١
فِيَاءَ الْوَاوِ أَقْلَبْنِ مَدْعَمَا وَشَدَّ مُعْطَى غَيْرَ مَا قَدْ رُسِمَا - ٢
(عرى = خلا . رُسِم = عَيَّنَّ وحدد بوضوح) .

(٣) ويصح أن يبقى الفعلان على أصلهما بنير قلب الواو ، بقصد المدح ، أو التعجب ، بشرط =

١٠ - أن تكون لامياً لجمع تكسير وزنه : فُعُول (بضم فضم) ، نحو :
 (عصا ، وجمعها : عَصِيّ) ، (ودَلُوْ ، وتكسيه : دَلِيّ) . والأصل : عَصُوْ ،
 ودَلُوْ ؛ اجتمع واوان - واجتماعهما ثقيل - أولاهما زائدة في الجمع ، والأخيرة
 أصلية (لام الكلمة) قلبت الواو الأخيرة ياء ؛ فصارتا إلى : « عَصْرِي ، ودَلَوِي »
 اجتمعت الواو والياء ؛ وسبقت إحداهما بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء
 في الياء ، وكسر ما قبلهما ، فصارتا : عَصِيّ ودَلِيّ . ويصح كسر أولهما للتخفيف ؛
 لأن الانتقال من الضم إلى الكسر في مثل هذه الصيغة لا يخلو من ثقل . ومن النحاة
 من يميز التصحيح في جمع التكسير السالف ، ولكن الأرجح عدم التصحيح . . .
 فإن كان « فُعُول » مفرداً وجب التصحيح ؛ نحو : عَتُوْ - عَدُوْ -

سَمُوْ - دُمُوْ .. (١)

١١ - أن تكون عينياً لجمع تكسير على وزن : « فُعْعَل » صحيح اللام
 مع عدم وجود فاصل بين العين واللام ، نحو : صَيِّم ، ونَيِّْم ، وأصلهما : صُوْم
 = أن يكون كل منهما على وزن « فَعْل » - بفتح فضم - وقد سبق الكلام على هذا النوع من التعجب في بابه
 الخالص (ج ٣ ص ٢٦٩ م ١٠٩) .

(١) وإلى الموضعين (التاسع والعاشر) يشير ابن مالك - في فصل مستقل ، أوله :

إن يسكن السابق من واو وياء ، . . . قائلاً في البيتين الثامن والتاسع :

وصَحِّحِ المفعول من نَعُوْ : « عَدَا » وَأَعْلِلِ أَنْ لَمْ تَتَحَرَّ الأَجُودَا - ٨

يريد بنحو : « عدا » الماضي الثلاثي غير المكسور العين إذا كان واوى اللام حيث يجب التصحيح في الرأي
 الأجود ؛ فتقول : عدا ، وغزا ، ودعا . . . واسم المفعول ، مَعْدُوْ ، ومغزُوْ ، ودمَعُوْ . أما غير الأجود
 فيجرى فيه القلب ؛ فيقال : معدى - مغزى - مَدْعَى . ومن هذا قول عبد يغوث الحارثي من شعراء الجاهلية :

وقد علمت عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنَّنِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عَلَى وَعَادِيَا

يريد : مَعْدُوًّا عليه . . . ، وجاء في المحتسب (ج ٢ ص ٢٠٧) أن أبا حاتم قال : إن الواو المشددة
 أبدلت ياء للتخفيف ، وسرد لهذا أشباها .

ثم قال ابن مالك :

كَذَلِكَذَا وَجَّهَيْنِ جَا « الفُعُولُ » مِنْ ذِي الْوَاوِ لَامَ جَمْعٍ أَوْ فَرْدٍ يَعْنُ - ٩

(يعن = أصلها : يعن . بالتشديد ، أى : يظهر) . والرأى عند ابن مالك أن « الفُعُول » جاء فيه
 عن العرب الوجهان ؛ سواء أكان جمعاً أم مفرداً . وغير ابن مالك يحتم الرأي الذي شرحناه ، ويحكم بالضعف
 على غيره . - وستجىء إشارة للبيتين السالفين في مناسبة أخرى ص ٨٠٣ .

وَنُومٌ ، بواوين قبلهما ضمة ، وهذا ثقیل ؛ فعُدِلَ عن الواوين إلى الياءين
لخفتهما ، ولكن التصحيح هو الأكثر ؛ فيقال صُومٌ ، ونُومٌ . . (١) فإن لم تكن
اللام صحيحة لم يصح القلب ، نحو شَوَوِيَّ وغَوَوِيَّ (٢) . . . (بضم أولهما ، وتشديد
ثانيهما المفتوح المنوّن ، وهما جمع : شاوٍ ؛ وغاوٍ ، اُسْمِيَّ فاعل من : شَوَوِيَّ
وغَوَوِيَّ) . كما يجب التصحيح إن فصلت العين من اللام ، نحو : صُومًا ونُومًا ،
ومن الشاذّ نُيَّامٌ . . (٣)

* * *

(١) وفي هذا يقول ابن مالك في الفصل المشار إليه :

وشاعَ نحو : «نُيِّمٌ» في : نُومٍ ونَحْوٍ : «نِيَامٌ» شُدُوذُهُ نَمِي - ١٠
(نَمِي = نسب . أى : أنه نسب للشذوذ - وستجىء الإشارة لهذا البيت في مناسبة أخرى ص ٨٣٠) .
(٢) أصلهما : مُشَوَوِيَّ ، وغَوَوِيَّ ، على وزن : فُعْلٌ ؛ كركعٌ ، وسجدٌ ؛ بضم الأول ، وتشديد
الثاني مع فتحه - تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفاً ؛ فالتقى ساكنان هما هذه الألف والتنوين ،
فحذفت الألف للتخلص من التقاء الساكنين .
(٣) «تكملة وبيان» :

ورد في كتب اللغة ما يسائر هذه المسألة في بعض نواحيها ، ويزيد عليها في بعض آخر ؛ فهو أعم
منها . جاء في «لسان العرب» مادة : «صاغ» ما نصه : «(صاغ مصوغاً . وصياغة ، وصيغة ،
وصيغة وغة ، الأخيرة عن الأحماني ... ورجل صائع ، وصَوَّاعٌ ، وصَيَّاعٌ ؛ معاقبة في لغة أهل الحجاز .
قال ابن جني : إنما قال بعضهم «صَيَّاعٌ» لأنهم كرهوا التقاء الواوين ، ولا نسيما فيما كثر استعماله ،
فأبدلوا الأول من العينين ياء ، كما قالوا في : «إما» «أَيِّمًا» ، ونحو ذلك ؛ فصار تقديره : «الصَيَّوُاعُ» .
فلما التقت النواو والياء على هذا أبدلوا الواو الثانية ياء ، لالياء قبلها ، وأدغموا الياء في الياء ؛ فقالوا :
«الصَيَّاعُ» فإبداهم العين الأولى من «الصَوَّاعُ» دليل على أنها الزائدة ؛ لأن الإعلال بالزائد أولى منه
بالأصل) ١ هـ . ومثل هذا تماماً في كتاب : «الإبدال» ، لأبي الطيب اللغوي - ج ٢ هـ ص ٤٧٨ -
وجاء أيضاً في اللسان في مادة : «قام» ما نصه :

رجل قائمٌ ، من رجال قَوْمٍ ، وَقِيمٌ ، وَقِيَمٌ ، وَقِيَامٌ ، وَقُومٌ ... (١ هـ .
ومثل هذا في مادة : «صام» .

وسايرة لما سبق من اللغة الحجازية وغيرها يتبين صحة الاستعمال الشائع اليوم في مثل قَيَّيَمْتُ الشيء
فتَقَيَّيَمْتُ ، وأصله : قَوْمَتُهُ فتَقَوْمُ وهذا أفصح . ومن معانيها : حددت الشيء قيمته . وقد صحح مجمع اللغة العربية
بالقاهرة ووثقه ذلك الاستعمال الشائع ، اليوم معتمداً في تصحيحه على ما أسلفناه من بعض لغات العرب .
وقد صدر قراره بالتصحيح في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والثلاثين لسنة ١٩٦٨ - طبقاً
لما هو مدون في ص ٢٢٨ من الكتاب الذي أخرجه المجمع سنة ٦٩ باسم : «كتاب في أصول اللغة» =

إبدال الواو من الألف :

إذا وقعت الألف بعد ضمة وجب قلبها واواً ، سواء أكان هذا في اسم ، أم فعل ؛ فمثال الاسم : لَوَيْتَيْب ، ومُؤَيَّهَر ، وهما تصغير : لاعب وماهر ، ويشترط لقلب الألف واواً في التصغير ألا يكون أصلها ياء كالتى فى : « ناب » (بمعنى : السن) فإنها فى التصغير ترجع إلى أصلها الياء - كما تقدم^(١) فى بابها - فيقال : نَيْيَيْب .

ومثال الفعل : رُوجِع - عُوِّمِل - بُوِيع ... وهى أفعال ماضية مبنية للمجهول : وأصلها للمعلوم : راجع - عامل - بايع ...^(٢)

* * *

إبدال الواو من الياء :

يقع هذا فى أربعة مواضع :

١ - أن تكون الياء فى لفظ غير دال على الجمع ، مع سكونها ، ووقوعها بعد ضمة ، وعدم تشديدها . نحو : يُوقِن ومُوقِن ، يُنْزِع ومُنْزِع - يُوقِظ ومُوقِظ - يُوسِر ومُوسِر ... قلبت الياء واواً فى المضارع واسم الفاعل ، وهكذا ... والأصل : أَيْقِن الرجل يُيَقِن ؛ فهو مُيَقِن - أَيْع الثمر يُيَسِّع ؛ فهو مُيَسِّع - أَيْقِظ الصياح النَّائِم يُيَقِظُ ؛ فهو مُيَقِظ - أَيْسر النشيط يُيَسِّر ؛ فهو مُيَسِّر . فلا يصح القلب إن كان اللفظ جمعاً : نحو : بيض وهيم ، (تقول : هذا ورق أبيض وورقة بيضاء والجمع فيهما بُيُض^(٣) بضم الباء ،

= مشتملا على مجموعة القرارات التى أصدرها الجمع من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين مدعومة بالبحوث والأدلة التى اعتمد عليها فى إصدار تلك القرارات

(١) فى ص ٧٠٤ .

(٢) وإلى هذه الحالة أشار ابن مالك فى آخر البيت السادس عشر وأول السابع عشر بقوله :

وَوَجَبَ - - - - -

إِبْدَالُ واوٍ بَعْدَ ضَمٍّ مِنْ أَلِفٍ - - - - - ١٧

أما صدر البيت الأول فخاص بقاعدة سلفت فى ص ٧٧٨ وأما بقية الثانى فخاص بقاعدة ستجىء بعد هذه مباشرة .

(٣) قياس تكسيرهما : فَعْمَل .

ثم يجب كسرها في هذه الصورة ؛ لثقلها في جمع التكسير قبل الياء الساكنة غير المشددة . وتقول : هذا جمل أهَيِّم^(١) . وذاقة هيماء ، والجمع فيهما : هَيِّيم ، بضم الهاء ، ثم تُكسر الهاء ، وجوباً . لما سبق .

كذلك لا يصح القلب : إن كانت الياء متحركة ، نحو : هَيَّام^(٢) ، - بضم ، ففتح بغير تشديد - أو كانت غير مسبوقة بضممة . نحو : خَيِّل - وجِيل . . . أو كانت مشددة ؛ نحو غَيِّيب^(٣) . . . (٤) .

✓ ٢ - أن تكون لاماً لفِعْلٍ : وقبلها ضمة ؛ (كالأفعال الياثية : نَهَيْ - قَضَى رَمَى . . . إذا أردنا تحويلها إلى صيغة « فَعْلٌ » لغرض ؛ كالتعجب . .)
نحو : نَهَوْ الرجل ، أو : قَضَوْ . أو رَمَوْ . . ؛ للتعجب من نَهْيِهِ - أى : عقله - أو من قضائه . أو رميهِ ، وهذه الألفاظ تؤدي معنى التعجب ، أى : ما أنْهَاه ! - ما أَقْضَاه ! - ما أَرَمَاه ! . . فكل هذه وتلك من أساليب التعجب القياسية التي سبق الكلام عليها في بابه^(٥) .

✓ وقد تكون لاما لاسم مخنوم بقاء تأنيث بعدها تلازمُ الكلمة ؛ بحيث لا تؤدي الكلمة معناها إلا مع هذه التاء ؛ كبناء صيغة على وزن « مَقْدُورَة » - بفتح ، فسكون ، فضم ، ففتح - من الفعل ، رمى ؛ فتكون ، مَرْمُوءَة ، والأصل : مَرْمِيَة - بكسر الميم الثانية - قلبت الياء واواً ؛ لوقوعها بعد ضمة .

(١) شديد العطش . (٢) مصدر : هام ، بمعنى : اشتد عطشه ، أو جبه .

(٣) جمع غائب .

(٤) وفي هذا الموضع من قلب الياء واواً وقلب الضمة كسرة في مثل : يَيْض ، وهِيَم ، ونحوهما . . .

يقول ابن مالك في البيت السابع عشر الذي سبق صدره :

و«يا» كموقن بذانها اعترف - ١٧

يريد : أن الياء التي كانت في أصل كلمة : « موقن » يجب قلبها واواً ، كما انقلبت الألف في الحالة السالفة واواً . فالتشبيه بين الحالتين مقصور على قلب الحرفين - الألف والياء - واواً . ثم قال في قلب الضمة كسرة :

ويكسر المضموم في جمع كما يقال : « هيم » عند جمع : أهيماء - ١٨

(والألف التي في آخر : « أهيماء » زائدة للشعر ،) ومثل أهيم : هيماء ، وما شاههما مما يجتمع فيه

فلو جاءت التاء بعد بناء الصيغة المطلوبة لم يصح القلب ، ووجب ترك الياء على حالها ، نحو : « تَمَادِيَّة » ؛ وهى مصدر دال على المرة ، وفعله : تَمَادَى : وأصل المصدر : تَمَادُيًا — بضم الدال — لأن المصدر القياسى للفعل الذى على وزن : « تَفَاعَلَ » هو : « تَفَاعَلَ » . ثم قلبت الضمة قبل الياء كسرة ، لتسلم الياء من قلبها واوا . ثم جاءت التاء الدالة على الوحدة بعد انقلاب الضمة كسرة .

وقد تكون لاماً لاسم مخنوم بالألف والنون الزائدتين ؛ كبناء صيغة من الفعل : رمى على وزن : سَبَّعَان (بفتح ، فضم ، ففتح مع مد . . اسم موضع) فيقال : رَمَّوَان (١) .

٣ — أن تكون لاماً لاسم على وزن : فَعْلَمَى — بفتح ، فسكون ، ففتح مع المد — نحو : تقوى ، وشَرَوَى ، وفَتَّوَى . . والأصل : تَقَيَّا ، وشَرَّيَّا ، وفَتَّيَّا . . بدليل : تَقَيَّيتُ ، وشَرَّيتُ ، وفَتَّيَّيتُ ؛ فأبدلت الياء واوا فى الثلاثة . وفى نظائرها من الأسماء المحضة ، لا . الأوصاف . . (٢)

٤ — أن تكون عيناً للكلمة على وزن : فَعْلَمَى — بضم ، فسكون . ففتح مع المد — بشرط أن تكون الكلمة اسماً محضاً ، أى : خالصة من شائبة الوصفية ؛ نحو : « طُوبَى » (٣) ، التى هى اسم خالص الاسمية ، للجنة ، أو لشجرة فيها — فإن لم تكن اسماً محضاً وكانت صفة محضة ، — أى : خالصة من شائبة الاسمية — وجب تصحيح الياء وكسر ما قبلها ؛ لكى تسلم من قلبها واوا ، ولا يكاد يعرف من هذا النوع

(١) وفى هذا الموضع يقول ابن مالك :

وَوَاوًا أَثَرُ الضَّمِّ رُدَّ « الياء » مَتَى أَلْفِي لَامَ فِعْلٍ ، أَوْ مِنْ قَبْلِ : « تَا » — ١٩

كَنَاءِ بَانَ مِنْ : « رَمَى » كَمَقْدَرَةٍ كَذَا إِذَا كَسَبَعَانَ صَيْرَ — ٢٠

(أَلْفِي = وُجِدَ) والمراد : متى وجد حرف الياء على هذه الصورة . .

(٢) وفى هذا يقول ابن مالك فى بيت سبقت الإشارة إليه فى ص ٧٧٩ تحت عنوان « كُفَّص » ونصه :

مَنْ لَامَ فَعْلَى اسْمًا أَتَى الْوَاوَ بَدَلُ يَاءٍ ؛ كَتَقَوَى — غَالِبًا — جَاذًا الْبَدَلُ — ١

(٣) وأصلها : طُيَّبَى . بالياء ، — لأن فعله : طاب يطيب — قلبت الياء واوا . (انظر رقم ٥

فى الهامش الآتى) .

— كما قالوا — إلا كلمتان هما : ضَيْرَى^(١) وحِيَكَمَى^(٢) ، وأصلهما^(٣) : ضَوْزَى ، وحَوْكَى ، بالواو الساكنة فيهما ، المسبوقه بضمة . قلبت الواو ياء ساكنة ، وقلبت الضمة قبلها كسرة .

فإن كانت الصفة غير محضة — بحر يانها مجرى الأسماء^(٤) ، جاز في الرأي الأنسب^(٥) القلب والتصحيح ، وفي الحالتين تكون الصفة غير المحضة دالة على التفضيل ، لأنها مؤنث « أفعَل » الدال على التفضيل أيضاً ، ومن أمثلتها : (طُوبَى^(٦) أو : طَيِّبَى ، مؤنث أطيب) — (كُوسَى أو : كَيْسَى ، مؤنث أكيس) — (ضَوْقَى أو : ضَيْقَى ، مؤنث : أضيق) — (خُورَى ، أو خَيْرَى ، مؤنث : أخير) ...

* * *

إبدال الألف من الواو والياء :

إذا وقعت الألف عينا للماضي الثلاثي ، أو لاماً ، فلا بد أن تكون منقلبة

(١) يقال : قِسمة ضَيْرَى ، أى : جائرة ظالمة (ضازَه ، يَضُوزُه ويضيزه ... ، جار عليه ، وبخسه) . . .

(٢) يقال : مِشْيَة حِيَكَمَى إذا تحرك فيها المنكب . (حاك في مشيه يحوك ويحك ، إذا حرك منكبيه) .

(٣) أصلها عند كثير من النحاة : « ضَوْزَى . وحَوْكَى » ؛ فهما واويان . وهذا بخلاف لما يدل عليه « القاموس وتاج العروس » من أنهما واويان ويائيان . فلا يصح الاستدلال بهما على قلب الواو لجواز أن تكون هذه الياء هي التي في أصلها . . .

(٤) ويعرف جريانها مجرى الأسماء بأن تكون معمولة للعوامل المختلفة مباشرة دون أن يسبقها موصوف .

(٥) وهو رأى ابن مالك ، فقد نص على أن الوجهين مسموعان عن العرب ، وبخالفه سيوريه وكثرة النحاة ؛ فقطعوا بقلب ياء « فُعَلَمَى » واوا إذا كانت اسماً ؛ كطُوبَى الاشمية ، أو وصفاً غير محض ، وبعدم قلبها إذا كانت وصفاً محضاً ، وكسر ما قبلها لتسلم . ويقول ابن مالك مسجلاً رأيه ، قاصداً « فُعَلَمَى » الجارية مجرى الأسماء :

وإن تكن عينا لفعلٍ وضمناً فذلك بالوجهين عنهم يُلْفَى — ٢١

(يلنى = يوجد — كما سبق —) .

(٦) كلمة : « طُوبَى » قد تكون اسماً محضاً كالتى هي اسم الجنة ، أو اسم شجرة ، وقد تكون وصفاً إذا كانت للتفضيل ، مؤنث : « أطيب » الدال على التفضيل ، كما عرفنا .

عن واو أو ياء : نحو : (صام - باع) - (سما - جرى) والأصل : صوم - بيع - سمو - جرى . . . بفتح الواو والياء في كل ذلك . والدليل على هذا الأصل : المصادر - أو غيرها - إذ نقول : صوم ، بيع ، سمو ، جرى . . . فقلبت الواو والياء في تلك الأفعال ألفاً . كما يقلبان في كثير من الأسماء أيضاً ، ولا يقع هذا القلب في الأفعال ولا في الأسماء إلا بعد اجتماع عشرة شروط :

أولها : أن يتحركا . فإن لم يتحركا لم يقع القلب ، كما في (قول ، صوم) ، (بيع ، عين) .

ثانيها : أن تكون حركتهما أصلية ليست طارئة للتخفيف أو لغيره من الحركات التي لا تلازمهما ؛ فلا قلب في نحو : جَسَل ، وتَوَم (وأصلهما : جَسَلٌ ^(١) ، وتَوَمٌ ^(٢)) ، نقلت حركة الهمزة - بعد حذفها للتخفيف - إلى الساكن قبلها ، عند من يبيع هذا التخفيف إنْ أَمِنَ اللبس . ولا في مثل قوله تعالى : (تَسْبُلُونَ ^(٣) في أموالكم وأنفسكم) ، وقوله : (ولا تنسوا الفضل بينكم) . . . ^(٤) ثالثها : أن يكون ما قبلهما مفتوحاً ؛ فلا قلب في مثل : العِوَض - الدُّوَل - الحَيْل .

رابعها : أن تكون الفتحة التي قبلهما متصلة بهما - مباشرة - في كلمة واحدة . فلا قلب في مثل : حضر وفدٌ ليس يزيدُ فيه .

خامسها : أن يتحرك ما بعدهما إن كانا في أصلهما غير لامين ؛ (كأن يكونا فاعين ، أو عينين للكلمة) ، وألا يقع بعدهما ألف ، ولا ياء مشددة إن كانا لامين ؛ فلا قلب في مثل : (تَوَالَى ، وَتَيَّامَنَ) ، (وَخَوَرُنُقٌ ^(٥)) ، وطويل وبيان ، وغيور) ؛ لسكون ما بعدهما مع وقوعهما فاعين أو عينين . ولا في مثل : (جَرِيَا ، وَسَمَوَا ، وَفَتَيَّامَنَ ، وَعَصَوَانِ) : لوقوعهما لاما للكلمة وبعدهما ألف . ولا في مثل : (عَلَمَوِيٌّ وَحَيَّيٌّ ^(٥)) لوقوع ياء مشددة بعدهما .

(١) اسم للضعف .

(٢) المولود ومعه غيره في بطن واحد ، فكل منهما تووم ، وهما : توومان ، والأكثر : توائم .

(٣ و ٤) حركة واو الجماعة هنا عارضة ؛ للتخلص من التقاء الساكنين .

(٥) اسم قصر قديم بالعراق للنعمان . (٥) صاحب حياء .

وإنما قُلَيْبًا في سَمَاءَ ، ودَعَا ، ومَشَى ، وسَعَى - مع وقوعهما لاما ؛ لعدم وقوع ألف ولاياء مشددة بعدهما . ولهذا السبب نفسه قُلَيْبًا في مثل : « يَخْشَوْنَ ، وَيُدْعَوْنَ » مع وقوعهما لاما ؛ (إذ أصلهما : يَخْشَيُونَ ، وَيُدْعَوُونَ . تحركت الياء والواو ؛ وانفتح ما قبلهما ؛ فقلبتا ألفًا ؛ فالتقى ساكنان ؛ حُذفت الألف للتخلص من التقاء الساكنين ؛ فصار اللفظان : يَخْشَوْنَ وَيُدْعَوْنَ) .

وما سبق يتبين أن القلب ممتنع إذا كانا لامين ، بعدهما الألف أو الياء المشددة . أما إذا وقع بعدهما ساكن آخر غير هذين ^(١) فالقلب واجب على الأرجح ^(٢) ... سادسها : ألا تكون إحداهما عيناً لفعل ماضٍ على وزن : « فَعِلَ » - بفتح فكسر - والصفة المشبهة الغالبة فيه على وزن : « أَفْعَلُ » ^(٣) ؛ نحو هَيِّفَ ؛ فهو أَهْيَافَ ^(٤) - وَغَيِّدَ ^(٥) ؛ فهو : أَغْيَدَ - وَحَوَّلَ فهو ؛ أَحْوَلَ - وَعَوَّرَ ؛ فهو أَعْوَرَ ...

(١) يلاحظ أن الياء المشددة هي ياءان ، أولاهما ساكنة :

(٢) يذكر ابن مالك الشروط الخمسة السابقة (وهي : التحرك ، وأصالته ، وفتح ما قبل الواو والياء ، واتصالهما بالفتحة التي قبلها مباشرة في كلمة واحدة ، وتحرك ما بعدها . . .) في الفصل المستقل الذي أشرنا إليه في رقم ٢ من هامش ص ٧٨٠ فيقول بعد البيتين الأولين منه ، الخاصين بقلب الواو ياء عند اجتماعهما على الوجه الذي سبق شرحه - يقول ما نصه :

مِنْ وَاوٍ ، أَوْ يَاءٍ بِتَحْرِيكِ أَصْلٍ أَلِفًا أَبْدِلْ بَعْدَ فَتْحٍ مُتَّصِلٍ - ٣

إِنْ حُرِّكَ التَّالِي ، وَإِنْ سُكِّنَ كَفَّ إِعْلَالَ غَيْرِ اللَّامِ وَهِيَ لَا يُكْفَ - ٤

إِعْلَالُهَا بِسَاكِنٍ غَيْرِ أَلِفٍ أَوْ يَاءٍ التَّشْدِيدُ فِيهَا قَدْ أَلِفَ - ٥

(أَصْلُ = تَأَصَّل ، وليس عارضاً ، كفَّ = منع . ألف = عرف وشاع في الكلام المأنور الفصح) وتقدير البيت الأول : أبدل ألفاً بعد فتح متصل - من واو ، أو ياء ، ووصوفين بتحريك متأصل فيهما : وأوضح في البيت الثاني أن الإبدال السابق لا يقع إلا إن حرك التالى بعدها . أما إن سكن ما بعدها فإن السكون يكفّ إعلال غير اللام . أى : يمنع قلب الواو والياء الواقعتين في غير اللام (وغير اللام هو : الفاء والعين) أما اللام فيقع فيها القلب إن سكن ما بعدها ، بشرط أن يكون الساكن حرفاً غير الألف وغير الياء المشددة ، (لأن الياء المشددة تكون من ياءين الأولى منهما ساكنة - كما سبق في رقم ١) .

(٣) تكون الصفة المشبهة كذلك إذا كان الفعل الماضي لازماً مكسور العين دالاً على لون ، أو عيب ، أو شيء فطرى ، أو وصف ظاهر في الجسم - وقد تقدم الكلام على هذا في باب الصفة المشبهة ج ٣ ص ١١٤ م ١٠٤ .

(٤) الهَيِّفَ ، مصدر : هَيِّفَ - كفرح - وهو ضموه البطن ودقة الخاصرة ، ويد من الصفات المدحجة . (٥) النَيِّدَ ، مصدر : غَيِّدَ - كفرح - وهو : فعمومة الجسم .

سابعها : ألا تكون إحداهما عيناً لمصدر الفعل الماضي السالف ؛ ولهذا يقال :
سَيَف ، وَغَيَّيْد ، وَحَوَّل ، وَعَوَّر ... ، بغير قلب ... (١)

ثامنها : ألا تكون الواو عيناً لفعل ماض على وزن : « افْتَعَلَ » دال على
المفاعلة (٢) ؛ فلا قلب في نحو : اجْتَوَرُوا واشْتَوَرُوا ، بمعنى : جاور بعضهم بعضاً ، وشاور بعضهم بعضاً . فإن لم يدل على المفاعلة وجب القلب ؛
نحو : اجْتَنَز ، واجْتَنَزَ ؛ بمعنى : جازَ ، (أى : قطع) وخان ، وهذا الشرط خاص
بالواو دون الياء ، ولهذا وقع القلب في استافوا ، (أى : تسافوا ، بمعنى :
اشتركوا في ضرب السيوف) ، والأصل : استيفوا . قلبت الياء ألفا بالرغم من
الدلالة على المفاعلة . ومثلها : امتازوا وابتاعوا : بمعنى تمايزوا ، وتبايعوا .
والأصل : امْتَيَّزُوا وابتَيَّعُوا .. (٣)

تاسعها : ألا يكون بعد أحدهما حرف يستحق القلب ألفا ؛ لئلا يجتمع
في كلمة قلبان متواليان بغير فاصل ، وهو ممنوع ، في الأغلب . فإن وقع بعدهما
حرف يستحق هذا القلب وجب - في الأكثر - قلبه ، وتصحيح السابق ، اكتفاء
بقلب المتأخر : نحو : « الحَيَّيَا » ، مصدر الفعل : حَيَّيَ ، « والهِوَى » : مصدر
الفعل : هَوَى . « والْحَوَى » : مصدر الفعل : جَوَى (والأفعال الماضية الثلاثة
على وزن « فَعِلَ » ، بفتح فكسر ، ومصادرها على وزن : « فَعَلَ » بفتح ففتح) (٤)

(١) وفي الشرطين : « السادس والسابع » يقول ابن مالك في الفصل المشار إليه :

وَصَحَّ عَيْنُ « فَعَلٍ » وَفَعِلًا ذَا « أَفْعَلٍ » ؛ كَأَغْيَدٍ وَأَحْوَلًا - ٦

المراد بفَعَلٍ : مصدر الثلاثي « فَعِلَ » . والمراد بصاحب أَفْعَلٍ : الماضي الثلاثي اللازم الذي تكون
الصفة المشبهة منه على وزن « أَفْعَل » ؛ وضرب له مثالين ، هما : أَغْيَدٌ وَأَحْوَلٌ - كما في الشرح .
(٢) وهي المشاركة من فريقين في الفاعلية والمفعولية ، وكما تسمى « المفاعلة » تسمى أيضاً :
« التفاعل » .

(٣) وقد سدا يتحرك ابن مالك :

وإن يَبْنِ « تَفَاعَلٌ » من « افْتَعَلَ » والعَيْنُ وَأَوْ - سَلِمَتْ وَلَمْ تَعَلْ - ٧

(٤) لأن فعلهما الماضي كَفَرَحَ ، فالمصدر هو : فَرَحَ ، على وزن : فَعَلَ (بفتح ففتح)
فصدرهما كذلك على وزن : فَعَلَ .

فأصل المصادر : حَيَّيْ - هَوَّيْ - حَوَّوْ^(١) ؛ ففي كل مصدر حرفان متواليان صالحان للقلب ألفاً ، لتحرك كل منهما وفتح ما قبله . فعجى القلب على الثانى منهما ؛ لأنه فى آخر الكلمة ، والأطراف محل القلب والتغيير غالباً ، وسَلِمَ الأول .

وقد وقع القلب على الأول فى بعض كلمات مسموعة لا تكفى للقياس عليها ومنها : كلمة : آيَة ، وأصلها - فى رأى من عدة آراء - آيَسَة ، بياءين متحركتين قبل كل منهما فتحة . قلبت الأولى ألفاً وسلمت الثانية^(٢) ...

عاشرها : ألا يكون أحدهما عيناً فى كلمة محتومة بأحد الحروف الزائدة المختصة بالأسماء ؛ كالألف والنون معاً ، وكألف التأنيث المقصورة .. فلا قلب فى مثل : الجَوْلَان^(٣) ، والهَيَسَمَان^(٤) ، والصَّوَرَى^(٥) ، والنَّحْيَيْدَى^(٦) ونحوها ...^(٧)

* * *

إبدال الميم من الواو ، ومن النون :

(١) تبدل الميم من الواو وجوباً فى كلمة : « فُو »^(٨) غير المضافة . وأصلها : فُوهُ ؛ حذفت الهاء تخفيفاً ؛ فيقال فيها بعد الإبدال : فَم ، والدليل على أن هذه الميم مبدلة من الواو قولهم فى الجمع : أفواه . والتكسير من الأشياء التى ترد الألفاظ إلى أصولها . فإن أضيفت كلمة : « فو » إلى اسم ظاهر أو : مضممر جاز لإبقاء الواو - وهذا

(١) لأن هذا من الحَوَّة (وهى : سمرة محمودة قديماً فى الشفتين) ولقولهم فى تشبيته : حَوَّوْ أَنْ .

(٢) وإلى هذا الشرط وورود السماع بما يخالف فى بعض كلمات يقول ابن مالك فى الفصل

المشار إليه :

وإنَّ لِحَرْفَيْنِ ذَا الإِعْلَالِ اسْتُحِقَّ صَحِّحٌ أَوَّلٌ وَعَكْسٌ قَدْ يَحِقُّ - ٨

يريد : إن استُحِقَّ هذا الإِعْلَالُ (القلب) لحرفين - بسبب تحقق شروطه فى كل منهما فأولهما يصح ويسم من القلب ، وثانيهما يقلب ، وقد يقع العكس قليلاً .

(٣) التنقل . (٤) مصدر : هام على وجهه : إذا سار على غير هدى .

(٥) - بفتحات - باسم بقعة بها ماء . (٦) بمعنى : المائلة أو البسمة النشيطة .

(٧) وفى هذا يقول ابن مالك :

وَعَيْنٌ مَا آخِرُهُ قَدْ زِيدَ مَا يَخُصُّ الْإِسْمَ رَاجِبٌ أَنْ يَسْلَمَا - ٩

(٨) إحدى الأسماء الستة .

هو الأكثر — وجاز قلبها ميمًا. فيقال: فرك، أو: فو التنظيف، طيب الرائحة، ويصح فك، أو فم التنظيف طيب الرائحة.

(ب) وتبدل الميم من النون بشرطين: أن تكون النون ساكنة، وأن يقع بعدها الباء؛ سواء أكانتا في كلمة أم في كلمتين؛ نحو: انبعث البريد، ونحو: من بعت الرسالة؟. ويلاحظ أن قلب النون ميمًا مقصور على النطق فقط، أما في الكتابة فتبقى صورة النون على حالها... (١)

* * *

إبدال التاء من الواو، والياء:

يجب قلب الواو والياء تاء إذا وقعا «فاء افتعال»، أو فاء أحد مشتقاته^(٢)، وكانا غير مبدلين من همزة، فإذا تحقق الشرطان (وقوعهما فاء افتعال أو أحد مشتقاته، وعدم انقلابهما عن همزة). وجب قلبهما تاء — كما قلنا — وإدغام هذه التاء في تاء الافتعال أو مشتقاته. فعند بناء صيغة على وزن: «افتعل» — مثلاً — من الماضي: وصل، أو: يسر، يقال: اوصل — ايتسر — ثم تقلب الواو والياء تاء، وتندغم في التاء الموجودة، وتصير الصيغتان: اتصل، واتسر^(٣)، ويقال في المضارع قبل القلب: يتوصل، ويتسر، ويصير بعد القلب والإدغام: يتصل ويتسر... (٤) ومثل هذا يقال في الأمر، وباقي مشتقات «الافتعال».

(١) وفي إبدال الميم من النون يقول ابن مالك خاتماً الفصل السابق:

وَقَبْلَ «بَا» أَقْلِبْ «مِيمًا» — النُّونَ إِذَا كَانَ مُسَكِّنًا؛ كَمَنْ بَتَّ أَنْبَذًا — ١٠

وتقدير البيت: واقلب حرف النون ميمًا إذا كان النون مسكنًا قبل باء. وساق لهذا مثالا حوى صورتي النون الساكنة قبل الباء في كلمة واحدة؛ مثل: انبذ — والأصل: انبذن، بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفًا؛ للوقف — أو في كلمتين مثل: من بتّ. أي: قطع. ومعنى الجملة: من قطع مودته فانبذه، أي: اطرّحه، واتركه، ولا تبال به.

(٢) الماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول... إلخ.

(٣) بمعنى: لعب الميمسر، وهو القمار، أو: اغتنى.

(٤) . يصح أن يقال: «اوصل» قلبت الواو ياء لوقوعها بعد الكسرة، فصارت الكلمة:

«ايتصل»، ثم قلبت الياء تاء للافتعال؛ فصارت: اتصل. والنتيجة في الحالتين واحدة؛ هي قلب الواو تاء؛ إما بعمل واحد كالأول، وهو الأحسن للاختصار. وإما بعملين وهو المسائر لقاعدة قلب الواو ياء. نعم، إن الياء المنقلبة عن الهمزة لا يصح قلبها تاء افتعال، لكن الياء هنا منقلبة عن واو، فيجوز قلبها تاء، كما يجوز قلب الواو — دون الهمزة — تاء افتعال. (راجع التصريح والصبان).

التي فاؤها أحد الحرفين السالفين غير المبدلين من الهمزة .

فإن كان أحدهما مبدلاً من الهمزة لم يجز القلب — في أشهر اللغات — فلا تقلب الياء تاء في مثل : « ايتكل » ، وهي صيغة « افعل » من أكل ؛ لأن ياءها في الأصل همزة ، وقعت بعد همزة مكسورة ؛ فانقلبت الثانية ياء ؛ طبقاً لما تقدم^(١) .

ولا تقلب الواو تاء في مثل : أو تمن ؛ لأن هذه الواو مبدلة من الهمزة الثانية التي وقعت بعد ضمة ؛ إذ الأصل أو تُمن ، قلبت الثانية واو لوقوعها بعد نظيرتها المضمومة — كما عرفنا^(١) — فوجب عدم القلب ...^(٢)

* * *

إبدال الطاء من تاء الافتعال :

يجب قلب « تاء الافتعال » ومشتقاته « طاء » بشرط أن تكون هذه التاء في كلمة فاؤها حرف من أحرف الإطباق^(٣) ؛ (وهي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء) وبعده هذه التاء . فإذا أريد بناء صيغة على وزن : افتعل — مثلاً — من : صبر ، أو : ضغن^(٤) ، أو : طلع ، أو : ظلم ... قيل : اصتبر — اضغن — اطلع — اظلم . ثم تقلب التاء طاء في اصتبر ؛ فيقال : اضطر . وتقلب التاء طاء في : اضغن ؛ فيقال : اضطن — بطاء ظاهرة في النطق والكتابة . وكذلك تقلب التاء في اطلع ؛ فيقال اططاع ، ثم تدغم الطاءان وجوباً ؛ فيقال : اطّاع ... وتقلب في اظلم ؛ فيقال : اظلم . وفي مثل هذه الصورة التي تبدل فيها « تاء

(١ ، ١) في ص ٧٧٠ وما بعدها .

(٢) وفي هذا القلب يقول ابن مالك في فصل مستقل يقتصر على بيتين ، أولهما :

ذواللّين «فا» — «تا» في «افْتِعَال» أَبْدِلَا وَشَدَّ فِي ذِي الْهَمْزِ نَحْوُ : ائْتَكَلَا ١

يريد بذى اللين : حرف العلة الواو والياء . وأما الآلت فلا تكون فاء كلمة مقيدة البت : ذو اللين حالة كونه فاء في صيغة « افتعال » أبدل تاء . وشد هذا الإبدال في صاحب الهمز ، أي : في الحرف المبدل من همزة ؛ نحو : ايتكل ، من الأكل ، فلا يقال فيه : ائكل ، إلا شذوذاً في رأى ابن مالك ؛ لأنها لغة قليلة .

(٣) لأن اللسان عند النطق بها يطبق بأعلى الفم . (٤) ضغن قلب المدر : امتلأ حقداً .

الافتعال « طاء بعد الظاء . يجوز ثلاثة أمور بعد القلب ، إما ترك الطاء والظاء على حالهما ؛ فيقال : اظلم — كما سبق — وإما قلب الطاء ظاء وإدغامها في الظاء ؛ فتصير الكلمة : اظلم . وإما قلب الظاء طاء وإدغامها في الطاء ؛ فتصير الكلمة : اظلم .. (١)

* * *

إبدال الدال من تاء الافتعال :

يجب إبدال الدال من « تاء الافتعال » ومشتقاته بشرط أن تكون هذه التاء في كلمة فائها الدال ، أو الذال ، أو الزاي ، وقد وقعت التاء بعد حرف من الثلاثة ، فإذا أريد بناء صيغة على وزن : « افعل » — مثلاً — من : دغَم ، أو : دخَر ، أو زجر . . . قيل ادَغَم — ادَخَر — ازَجَر — ثم تقلب التاء في كل ذلك « دالا » فيقال : ادَغَم ، بإدغام الدال في الدال وجوباً . وادَخَر ، ويصح قلب الدال دالا وإدغامها في الدال الأصلية ، فيقال : ادَخَر ، كما يصح — مع القلة — قلب الدال الأصلية دالا وإدغامها في الدال ؛ فيقال : : ادَخَر ، فهذه ثلاث لغات أقواها الأولى فالتانية .

ويقال : ازدجر ... (٢)

(١) في إبدال الطاء من « تاء الافتعال » والدال . أنها يقول ابن مالك :

« طَا » — « تَا » افتعالٍ رُدُّ اِشْرٍ مُطَبَّقٍ في اِدَانٍ ، وَاَزْدَدَ ، وَاذْكُرْ دَالًا بَقِيَ ٢

(مُطَبَّقٌ = حرف من حروف الإطباق ؛ وهي الأربعة التي ذكرناها . رد = صير - بقى = صار) ، يقول : صير « تاء الافتعال » طاء بعد حرف الإطباق . كما يقول : إن تاء الافتعال صار دالا في مثل : ادان ، وازدد ، وادكر ، أي : في الكلمات التي فائها دالا أو زايًا ، أو ذالا ، وبعد كل من هذه الحروف تاء الافتعال مباشرة . فاليبت تتضمن في شطره الأول إبدال الطاء من الافتعال ، وتضمن في شطره الثاني إبدال التاء منها .

(٢) أشار ابن مالك لهذا في البيت الذي في أول هذا الحامش .

المسألة ١٨٣ :

الإعلال^(١) بالنقل

معناه :

نقل الحركة من حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله ، وقد يبقى حرف العلة بعد ذلك على صورته مع تجرده من الحركة ، أو ينقلب حرفاً آخر . وهذا النوع من الإعلال خاص بالواو والياء دون الألف ؛ لأنهما يتحركان وهى لا تتحرك مطلقاً . ومن الأمثلة : يَصُوم . فأصله : يَصُومُ^(٢) - بفتح ، فسكون ، فضم . . - نقلت حركة حرف الواو (وهى : الضمة) إلى الساكن الصحيح قبلها ، مع إزالة سكونه ؛ فصار المضارع بعد هذا النقل : « يَصُوم » بواو ساكنة ، وقد بقيت صورتها ساكنة بعد نقل حركتها . ومثله : (يَقُوم - يعُود - يَقُول - يعُوم) .. فيمجرى فى كذا مضارع من هذه الأفعال ما جرى فى نظيره : « يَصُوم » . ومن الأمثلة : يَسْبِيع . وأصله : يَسْبِيعُ - بفتح ، فسكون ، فكسر^(٣) - نقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ؛ فصار المضارع بعد هذا النقل : « يَسْبِيع » بياء ساكنة ، بقيت صورتها ساكنة بعد نقل حركتها .

ومن الأمثلة أيضاً : يَخَاف . أصله : يَخَافُ - بواو مفتوحة - نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم انقلبت الواو ألفاً ، لا اعتبارها متحركة بحسب الأصل ، وقد انفتح ما قبلها الآن ، فصارت : يخاف . ومثله : (ينام^(٤) - يزال^(٥) - يكاد^(٦) - يحار^(٦)) . . . حيث جرى على كل مضارع من هذه

(١) راجع ما سبق فى معنى الإعلال العام ص ٧٥٦ وهامشها .

(٢) لأن الفعل صام يصوم ، من باب : فَعَلَ يَفْعُلُ ؛ كَنَصَرَ يَنْصُرُ .

(٣) لأنه من باب : « ضَرَبَ يَضْرِبُ » .

(٤) أصله : « يَنُومُ » لأنه من باب « تَعِبَ يَتَعَبُ » ثم دخله إعلال النقل ، وإعلال القلب ...

(٥) أصله : « يَزِيلُ » لأنه من باب : « تَعِبَ يَتَعَبُ » . ثم دخله الإعلالان ، كسابقه .

(٦ و ٦) من باب : تَعِبَ يَتَعَبُ . دخل الإعلالان المضارع .

الأفعال ما جرى على المضارع : « يخاف » ؛ من نقل فتحة الواو للساكن قبلها ، ثم قلبها ألفاً .

فترى مما سبق أن حرف العلة (الواو والياء) قد يبق على صورته السابقة بعد نقل حركته (مثل : يصوم - يقوم . . .) وقد ينقلب حرفاً آخر ؛ (مثل : يخاف - يحار) .

لكن ، ما الضابط العام الذى يخضع له حرف العلة ، لىبقى على صورته من غير حركة ، أو ينقلب حرفاً آخر ؟

الضابط هو : أن حرف العلة إن كان فى أصله متحركاً بحركة تجانسه^(١) - أى : تناسبه - وجب بقاء صورته ساكنة بعد نقل حركته إلى الساكن قبله ؛ كما فى : (يَصُوم - يَقُوم . . .) وكما فى : (يَبِيع - يَهِيم) . . . وإن كان فى أصله متحركاً ركة لا تناسبه وجب - بعد نقل حركته - أن ينقلب حرفاً جديداً مناسباً لحركته الأصلية السابقة التى نقلت إلى الساكن الصحيح قبله ، فالمفتوح يصير ألفاً ، والمضموم يصير واواً ، والمكسور يصير ياء . . . - ومن الأمثلة : (أقام وأبان) ، فأصلهما : (أَقْوَمَ وَأُبَيِّنَ)^(٢) بفتح حرف العلة ؛ نقلت حركة الواو والياء للساكن الصحيح قبلهما . ثم قلب حرف العلة ألفاً ، لأن الألف هى التى تناسب الفتحة ؛ فصار الفعلان : أقام وأبان . وفى مثل هذا القلب يقال : تحركت الواو والياء بحسب الأصل . وانفتح ما قبلهما بحسب الحال ، فانقلبا ألفاً^(٣) . ويجرى ما سبق على نحو : (أُتِمِّمَ وَأُبَيِّنَ . . .) وأصلهما : أَقْوَمَ وَأُبَيِّنَ . . . دخلهما إعلال النقل وإعلال القلب .

(١) الحركة التى تجانس حرف العلة ؛ هى : الضمة للواو ، والكسرة للياء - أما التى لا تناسب فالكسرة أو الفتحة للواو . والضمة أو الفتحة للياء .

(٢) لأن فعلهما : قام يقوم ، وبان يبين . فالأول واوى العين ، والثانى يائهما .

(٣) يقال هذا تمليلاً للقلب ، لإدخاله تحت قاعدة عامة مطردة ؛ هى : أن حرف الواو أو الياء إذا تحرك وانفتح ما قبله وجب قلبه ألفاً على الوجه الذى سبق شرحه فى هذا الباب ص ٧٨٦ و . . .

مواضعه :

يقع الإعلال بالنقل في أربعة مواضع ، يكون حرف العلة في كل منها عين الكلمة ، ومتحركا . .

أولها : أن يكون حرف العلة (الواو ، أو الياء) عيناً متحركة لفعل ؛ نحو : يَصُول ، وَيَغْيِب . والأصل : يَصُولُ وَيَغْيِبُ ، بضم الواو وكسر الياء ، ثم نُقِيت حركتهما إلى الساكن قبلهما ، وبقي كل منهما بعد ذلك على صورته — طبقاً لما قدمناه — فيصير الفعلان : يَصُول — يغيب .

ويشترط لإجراء النقل في هذا الموضع أن يكون الساكن قبل حرف العلة صحيحاً ، وأن يكون الفعل غير مضعف اللام ، ولا معتلها . ولا مَصُولاً للتعجب ، على وزن إحدى الصيغتين القياسيتين فيه ^(١) . فلا يقع الإعلال بالنقل في مثل : (قَاوَمَ وبَايَعَ ، وَعَوَّقَ وَبَيَّنَ) ؛ لأن الساكن قبل الحرفين غير صحيح . ولا في مثل : (ابْيَضَّ واسودَّ) ؛ لتضعيف لامه ، ولا في مثل : (أَهْوَى وأَحْيَا) ؛ لاعتلالها ، ولا في مثل : (مَا أَقْوَمَهُ ! ! وما أَبْيَسَهُ ^(٢) ! ! وأَقْوَمُ بِهِ ! ! وأَبْيَسُ بِهِ ! !) لأن الفعل مَصْوَغٌ على صيغتي التعجب القياسيتين ... ^(٣)

(١) ومثل التعجب : « اسم التفضيل » ؛ نحو : هذا أَقْوَمُ طريقةً وَأَبْيَنُ منهجاً ؛ فلا يصح الإعلال بالنقل في كلمتي ؛ أقوم ، وأبين . — وقد سبق بيان الحكيم في بابي : « التعجب والتفضيل » ، ج ٣ م ١٠٨ ص ٣٣٣ و ١١٢ ص ٣٩٣ —

(٢) وقوِّم : ما أحوجَّ الجبان إلى أن يسمع ويرى عجائب الشجعان .

(٣) كما سبق في بابه ج ٣ م ١٠٨ ص ٣٣٣ ومثل التعجب : « التفضيل » (انظر رقم ١ من

هذا الهامش .

« ملاحظة » : ورد في المسموع كلمات كثيرة تخالف الضابط السابق حتى قيل عنه إنه غير محكم — والبيان المفصل الخاص بهذا مدون في ج ٣ م ١٠٦ ص ٣١٦ ، باب : « اسم الزمان والمكان » وهناك رأى المجمع اللغوي .

وفي هذا الموضع وشروطه يقول ابن مالك ، في فصل جديد مستقل يبدؤه بقوله :

لِسَاكِنٍ صَحَّ انْقَلَبَ التَّحْرِيكَ مِنْ ذِي لَيْنٍ آتٍ عَيْنَ فِعْلٍ ؛ كَأَبْنٍ
مَا لَمْ يَكُنْ فِعْلًا تَعَجَّبَ وَلَا كَابِيضٍ أَوْ أَهْوَى ، بِلَامٍ عُلَلًا =

ثانيها : أن يكون حرف العلة عيناً متحركة في اسم يشبه المضارع في وزنه^(١) فقط دون زيادته ، أو في زيادته دون وزنه ، بشرط أن يكون في الاسم ما يمتاز به عن الفعل في الحالتين . فالأول : نحو : مَقَامٌ - بفتح الميم - فإن أصله : « مَقُومٌ » ، (بفتح ، فسكون ، ففتح) - وهو على وزن المضارع : « يَمُومٌ » . نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم قلبت ألفاً ؛ طبقاً لما سلف - فصار الاسم : مَقَامٌ . وفيه زيادة تدل على أنه ليس من الأفعال ، وهى الميم في أوله . ومثله : مُقِيمٌ ، ومُيِّنٌ .

ومثال الثانى : بناء صيغة من : « البَيْعُ » أو : « القول » على مثال : تَحْلِي^(٢) وهذه صيغة خاصة بالاسم . فيقال : تَبِيعَ ، وتَقُولَ (بكسر ، فسكون ، فكسر ، فيها) - نقلت حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله ، وقلبت الواو ياء^(٣) ؛ فصارت الكلمتان : تَبِيعَ وتَقِيلَ بكسرتين متواليتين في كل ، وبعدها ياء .

فإن اختلف الاسم عن المضارع في الأمرين معاً ، أو شابهه فيهما معاً - وجب التصحيح ؛ فمثال الأول : مِخْيَيطٌ^(٤) (بكسر ، فسكون ، ففتح) لأن المضارع لا يكون - فى الأغلب - مكسور الأول ، ولا مبدوءاً بميم زائدة ، فالصيغة مختصة بالاسم ، ولذا وجب التصحيح ومثلها : مِفْعَالٌ ؛ كِمِخْيَاطٌ . ومثال الثانى : أَقْدُومٌ ، وَأَبْيَيْنٌ - بفتح ، فسكون ، ففتح - وهما شبيهان

= فقد جمع في البيتين الشروط المطلوبة . (أبينٌ ، أصلها : أبْيَيْنٌ ، فعل أمر من أبان ، « علَّل » : صار حاوياً حرف علة) .

(١) بأن يكون مشابهاً له في مجرد عدد الحروف ، مع مقابلة الساكن بمثله ، والمتحرك بمثله ، من غير نظر للاسمية والفعلية .

(٢) بكسر فسكون ، فكسر ، فهمزة متطرفة ، وهو : القشر الذى يظهر على الجلد حول منابت الشعر .

(٣) قلبت الواو ياء لأن حركتها وهى الكسرة - غير مجانسة لها ، فيجب قلب الواو حرفاً يجانس الحركة ، طبقاً لما سلف أول الباب . بخلاف الياء فإنها حركتها هنا مجانسة لها فلا تنقلب . ففى : « تَقِيلُ » إعلالان ؛ أحدهما بالنقل ، والآخر بالقلب . أما « تَبِيعُ » ففيها إعلال واحد .

(٤) اسم أداة الخياطة .

بالمضارع : أَعْلَمَ وَأَفْهَمَ . . ، في وزنه وفي الزيادة التي في أوله ، فوجب
لهما التصحيح ... (١)

ثالثها : أن يكون حرف العلة عيناً متحركة في مصدر معتل العين ، كفعله ، بشرط
أن يكون في فعله على وزن : «أفعلَ» ، أو : «استفعل» نحو : أقام ، واستقام . وأصلها
قبل التّغيير : أقومَ ، واستقوم . ومصدرهما : إقوَمَ ، واستقوم . فيجب فيهما
الإعلال بالنقل كما جرى في فعليهما ؛ فننقل فتحة الواو إلى الساكن قبلهما ،
وتقلب الواو ألفاً - طبقاً للقاعدة التي سلفت - فيتوالى ألفان لا يمكن النطق بهما
معاً ؛ فتحذف الثانية منهما ، وتجيء تاء التأنيث - في الأغلب - عوضاً عنها ،
فيقال إقامة ، واستقامة .

ومثل هذا يقال في : «أبانَ واستبانَ» . فأصلهما : «أَبَيَسَ ، واستَبَيَسَ» ،
ثم نقلت حركة الياء إلى ما قبلها وقلبت ألفاً : فصارا : أبان ، واستبان .
ومصدرهما : إبيان واستبيان ، نقلت حركة الياء كما نقلت في الفعل ،
وقلبت الياء ألفاً فتلاقت ساكنة مع ألف المصدر ، حذفت الثانية منهما ،
وزيدت تاء التأنيث عوضاً عنها ؛ فصار المصدران : إبانة ، واستبانة . وحذفُ
هذه التاء مقصور على السماع ومنه قوله تعالى : (وإقام الصلاة) ، أي : إقامة
الصلاة (٢)

(١) أما نحو : يزيد (عَلِمَ) فقد دخله الإعلال وهو مضارع قبل نقله للعلمية . وفي الموضع
الثاني يقول ابن مالك :

ومِثْلُ فِعْلٍ فِي ذَا الإِعْلَالِ اسْمٌ ضَاهِيٌّ مُضَارِعاً ، وفيه وَسْمٌ - ٣ -
(ضاهي = شابه . وسم = علامة) ، ثم قال :

ومِثْلُ صَحَّحَ كَالْمِفْعَالِ ٤ -

يشير بهاتين الصفتين - وهما مختصتان بالأسماء - إلى الاسم المخالف للمضارع في وزنه وزيادته معاً .
وترك بقية التفصيلات التي سردناها . والنصف الثاني من هذا البيت لا شأن له بهذه القاعدة ، وإنما شأنه
متصل بالقاعدة التالية بعده مباشرة .

(٢) وفي الموضع الثالث وما يتصل به من ألف «إفعال» ، و «استفعال» وتاء التأنيث ، يقول

ابن مالك :

رابعها : أن يكون حرف العلة المتحرك عيناً في صيغة « مفعول » من الفعل الثلاثي المعتل العين بالياء أو الواو ، كصوبغ « مفعول » من قال وبيع . . . فيجب فيه ما وجب في « إفعال واستفعال » السابقين ، ولا يقتصر الأمر على هذا ، بل تجرى عليهما تغييرات ؛ طبقاً للبيان الشامل الذي سيجيء في الحالة الرابعة الأخرى^(١) . . .

وَأَلَفَ الْإِفْعَالِ وَاسْتِفْعَالٍ : - ٤
 أَزَلَ لِيَذَا الْإِعْلَالَ ، وَ«التَّا» الزَّمَّ عَوَضَ وَحَذَفُهَا بِالنَّقْلِ رِيَمًا عَرَضَ
 (بالنقل ، أى : النقل عن العرب ، وهو السماع الوارد عنهم) .
 (١) ص ٨٠٢ .

المسألة ١٨٤ :

الإعلال بالحذف^(١).

الإعلال بالحذف يكون قياسياً مطرداً في المسائل الآتية . أما في غيرها فمقصود على السماع :

الأولى : الهمزة الزائدة في أول الماضي الرابعي . فإنها تحذف في مضارعه ، واسم فاعله ، واسم مفعوله ، نحو : أَكْرَمَ - يُكْرِمُ - أَكْرَمُ - مُكْرِمٌ - مَكْرَمٌ . . . بحذف الهمزة في كل ذلك وجوباً ، ومثل هذا همزة الأفعال الماضية الرابعة : أَفْهَمَ - أَخْبَرَ - أَحْسَنَ . . . ونظائرها ، حيث يجب حذف الهمزة ، من مضارعها ، واسم فاعلها ، واسم مفعولها . كما قلنا . والأصل في كل ذلك قبل حذفها : يُؤَكِّرِم - مُؤَكِّرِم - مُؤَكْرِم . وكذا الباقي . . .

الثانية : الواو التي هي « فاء » فعل ثلاثي مفتوح العين في الماضي^(٢) مكسورها في المضارع مثل : وَعَدَ ، فيجب حذف هذه الواو في المضارع ، وأمره ، ومصدره ، بشرط : أن يصير هذا المصدر على وزن فِعْلَةٍ (بكسر ، فسكون ، ففتح) لغير الهيئة ، وبشرط أن تكون التاء في آخره عوضاً عن الواو المحذوفة . فيقال : يَعِدُ - عِدَ - عِدَّة^(٣) ، ومن هذا قول الشاعر :

(١) في هذه التسمية نوع من التوسع والتسامح ، لأن بعض الأحكام الآتية لا صلة لها بحرف العلة . أما الهمزة التي تنطبق عليها بعض الأحكام الآتية أو السابقة فبمنزلة حروف العلة في كثير من المواضع .
(٢) لأن الماضي المضموم العين لا تحذف فاء مضارعه ؛ نحو : وَضُو ، وَيَوْضُو ، أما مكسورها فإن كسرت عين مضارعه حذفت فاء هذا المضارع ؛ نحو : وَرِثَ - يَرِثُ - وَثِيقٌ يَثِيقُ ، ومنه قول الشاعر :
ولا يواتيك فيما ناب من حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثَقَمَ . فانظر بمن تَثِيقُ
فإن فتحت عين مضارعه فقد تحذف الفاء من هذا المضارع ؛ نحو : وَسِيعَ - يَسِيعُ - أَوْلا تحذف ؛ نحو : وَجِلَ - يَوْجِلُ ، وَبِيعَ - يَوْجِعُ . وجواز الحذف وعدمه في هذه الصورة مرجعه وموده للسمع وحده - طبقاً للرأي المشهور - وإن استعملت عينه بالفتح والكسر جاء حذف الفاء من هذا المضارع وعدم حذفها ؛ كقولهِ : فإنه جاء من باب « تَبَّعَ » فلم تحذف فاء مضارعه ، ومن باب « وَعَدَ » في لغة قليلة فحذفت - كما في المصباح - راجع الصبان في الموضع .
(٣) أصل عِدَّة : وَعَدَ - بكسر الواو وسكون العين - حذفت الواو ، وحركت العين بالكسرة =

متى وعدتُكَ في ترك الهوى عِدَّةً فاشهدْ على عِدَّتِي بالزور والكذب وقولهم في الحكمة : لا تَعِدْ عِدَّةً لا تثق من نفسك بإيجازها ، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدر وعراً .

كما يقال : يَصِفُ - صِفُ - صِيفَة . . . (بشرط ألا يكون المصدر لبيان الهيئة كما سبق) ،

ولا تحذف الواو من المضارع إلا بشرطين ؛ أن يكون حرف المضارعة مفتوحاً وأن تكون عينه مكسورة ؛ نحو : أَعِدْ - نَعِدْ . فلا حذف في مثل يُؤْبَدْ ، وَيَوْضُو . (١)

الثالثة : إذا كان الماضي ثلاثياً مكسور العين ، وعينه ولايه من جنس واحد - مثل : ظَلِمْتُ (٢) - جاز فيه ثلاثة أوجه عند إسناده لضمير رفع متحرك . وهي إبقاؤه على حاله مغ فك لإدماغه وجوباً ، كالمثال السابق : (ظَلَمْتُ) أو : حذف عينه دون تغير شيء في ضبط ما بقي من الحرف : مثل : ظَلَمْتُ . أو حذف عينه ونقل حركتها إلى فاء الكلمة ؛ مثل : ظَلِمْتُ .

فإن كان الفعل المضارع المكسور العين مضارعاً أو أمراً ، واتصلا بنون النسوة جاز إبقاؤهما على حالهما من غير حذف ولا تغيير إلا فك الإدغام وجوباً ، وجاز حذف العين ونقل حركتها - وهي الكسرة - إلى الفاء ؛ فنقول :

= حركة الفاء ، فصارت دليلاً على الفاء المحذوفة . وجاءت تاء التأنيث عوضاً عن الفاء المحذوفة . ومن الشاذ اجتماعهما معاً .

(١) في المسألتين الأوليين يقول ابن مالك في فصل مستقل هو آخر الفصول في ألفيته : وليس بعده إلا باب : « الإدغام » .

« فَا » أمرٌ ، أو مضارعٌ من : كَوَعَدَ أَحَذِفُ . وفي : كَعِدَّة ، ذاك اطرَدَ - ١ وحذف همزٍ « أَفْعَلْ » استمرَّ في مضارعٍ ، وبشيتي مُتَّصِف - ٢

(بنيتي متصف ، أي صيغتي شخص متصف ، والمراد بهما : صيغتا اسم الفاعل واسم المفعول ، لأنهما الدالتان على ذات متصفة . . .

(٢) تقول : ظَلَمْتُ أعمل كذا ، بمعنى بقيت أعمله طول النهار ، دون الليل . والفعل « ظل » : عَسِمَ يَعْلَمُ غالباً .

(النسوة يقررن^(١) أو يتقررن) . (واقررن يا نسوة ، أو قررن) ... وسمع فتح القاف في : قرن^(٢) ...

الرابعة : أن يكون حرف العلة عيناً في اسم المفعول ؛ كفعله . وفي هذا النوع يجب إحداث تغيير آخر ، غير الإعلال بالنقل — هو حذف الواو من : «مفعول» إن كان الفعل واوى العين ، وحذفها مع كسر ما قبلها إن كان يائى العين . فمثال الفعل الواوى العين : «صام يصوم» . واسم المفعول منه هو : «مَصْووم» ، تنقل الضمة — وهى حركة الواو — إلى الساكن الصحيح قبلها ؛ فيجتمع بعد هذا النقل ساكنان ، هما : الواوان . فيجب حذف أحدهما — والأرجح أنه الثانى^(٣) لزيادته وقربه من الطرف — فيصير اسم المفعول : مَصْوومٌ . ومثل هذا يقال في اسم المفعول من : قال ، ورام ، وحاط . . . وأمثالها ؛ حيث يكون اسم المفعول هو : مَقْوول ، وَمَرْووم ، ومَحْووط ، ثم يحصل الإعلال بالنقل ، ويليه الإعلال بالحذف \ ومن النادر الذى لا يقاس عليه تصحيح اسم المفعول المعتل العين بالواو ؛ كقولهم : ثوب مصوون ، والقياس مَصْوون^(٤) .

ومثال الفعل اليائى العين : باع^(٥) يبيع . واسم المفعول منه هو : مَبْيُوع .

(١) قَرَرَّ بالمكان يقرّر ، بمعنى سكن واستقر فيه . وأصلهما الشائع : قرّر يقرّر .

(٢) في هذه المسألة الثالثة يقول ابن مالك في ختام الفصل :

ظَلَّتْ وَظَلَّتْ فِي ظَلَّلْتُ اسْتَعْمِلَا وَقَرَّنْ فِي : اقْرَرْن . وَقَرَّنَ نَقْرَبَا - ٣

(٣) إن كانت المحذوفة هى الثانية الزائدة ، طبقاً للرأى الأشهر ، فاسم المفعول على وزن : «مَفْعُل» — يفتح ، فضم ، فسكون ... — وإن كانت المحذوفة هى الأولى التى هى عين الكلمة فوزن اسم المفعول : «مَفْعُول» ، لأن عين الكلمة حذفت هنا ، وبقيت هناك . ولا أثر للخلاف بين الرأيين إلا في هذا الوزن الصرفى .

(٤) وقد ورد السماع أيضاً مطابقاً للقياس في قول درعبيل — وهو من يحتج بكلامهم — واصفاً حكم يزيد بن معاوية :

بناتٌ يزيد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات

(٥) لهذا الفعل الثلاثى رباعى مبدؤه بالهمزة هو : «أباع» ؛ فيكون اسم المفعول للرباعى هو : «مُباع» . (وقد ورد النص على هذا كله في مجلة مجمع اللغة العربية القاهري — الجزء ٢٧ عدد فبراير سنة ٧١ ص ٢٣١ .

تنقل حركة الضمة وهي حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها ؛ فيلتقى بعد هذا النقل ساكنان ؛ هما : الياء والواو ، فيجب حذف أحدهما ؛ وهو الواو — على الأصح ، لما سبق — فيصير اسم المفعول : مَبَّيْعٌ ، بياء ساكنة قبلها ضمة ، فنقلب الضمة كسرة ؛ لتسلم الياء ، ويصير اسم المفعول هو : مَبَّيْعٌ بعد وقوع إعلال بالنقل ، وآخر بالحذف وقلب الضمة كسرة . ومثل هذا يقال في اسم المفعول من الأفعال : هام يهيم — شاد يَشِيد — غاب يغيب . . . وأمثالها — حيث يكون اسم المفعول هو : مهَيِّمٌ — مشِيدٌ — مغَيِّبٌ . . . ثم يدخله الإعلال بالنقل ، فالإعلال بالحذف ، ثم قلب الضمة كسرة . وهذا هو الأصح في المعتل العين بالياء ، ويحسن الاختصار عليه . وتتم تجيز تصحيح هذا النوع اليائي ، فتقول ثمر مَبَّيْعٌ ، وثوب مخسُوطٌ ، وسفيه مديون^(١) وهكذا^(٢) .

(١) ومريض مَعْيُونٌ ، أى : مصاب بالعَيْن (يريدون بها : الحسد . والفعل : عان يعين) وبلغتهم قال الشاعر :

قد كان قومك يحسبونك سيدا وإخال أنك سيد معيون
(٢) يقول ابن مالك في النوع الرابع وما فيه من الإعلال بالنقل ، وبالحذف ، وما يجوز فيه من تصحيح ، وما ينذر :

وما لإفعال من الحذف ومن نقل فمفعول به أيضا قمين —
يقول : ما ثبت لإفعال (واستفعال كذلك . وقد سبق الكلام عليهما) من الإعلال بالنقل والحذف فقمين به (أى : جدير به) المفعول به أيضا من الفعل المعتل العين بالواو ، أو بالياء ، ثم ضرب مثالين هذين ، وبين أن تصحيح ما عينه الواو نادر ، دون ما عينه ياء ؛ فقال :

نحو : مَبَّيْعٌ ومَصُونٌ ، ونَدَرٌ تصحيح ذى الواو، وفي ذى الياء اشتهر —
ثم انتقل ابن مالك بعد ذلك إلى ثلاثة أبيات سبق ذكرها وشرحها في المواضع المناسبة لها ، (ص ٧٨١ وما بعدها) وختم بها الفصل السابق ، ونصها :

وصَحَّحَ المفعول من نحو : عَدَاً وأَعْلَلِ إِنْ لَمْ تَتَحَرَّ الأَجودا — ٨
كَذَاكَ ذا وجهين جا «الفعل» من ذى الواو لا مَجْمَعٍ أَوْ فَرْدٍ يَعْنِ — ٩
وشاع نَحْوُ : نَيْمٍ فى : نَوْمٍ ونَحْوُ : نَيْامٍ شذوذُه نَمَى — ١٠

النحو الوافى

أربعة أجزاء ، تستوعب جميع الأبواب النحوية والصرفية . وفى صدر الجزء الأول : « مقدمة الكتاب ، ودستور تأليفه » .

ومن مواد هذا الدستور : إعداد كل مسألة إعداداً مُحْكَمًا مستقلاً ، يناسب طلبة الدراسات « النحوية والصرفية » ، ومناهجها بالجامعات ، ثم تعقيب كل مسألة بعد ذلك مباشرة — قبل الانتقال إلى مسألة جديدة — بزيادة وتفصيل يناسبان الأساتذة والمتخصصين . مع العناية فى أكثر المسائل بتسجيل أرقام الصفحات التى تشتمل على ما له صلة بالمسألة المعروضة ، وتدوين تلك الأرقام فى الهوامش ؛ ليتيسر للراغب جمع ما تفرق من أحكامها فى مواضع متعددة ، لدواعٍ ومناسبات مختلفة .

وتتبنّى صفحات « الزيادة والتفصيل » برمز فى أعلاها ؛ يدل عليها وحدها ، ويميزها من غيرها ؛ وهو : سطر ، أو سطران ، من النقاط الأفقية المتقاربة .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ١٩٧٤/٥٥٢٧

مطابع دار المعارف بمصر - ١٩٧٤

١/٧٣/١٧٤